تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموي

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

تحقيق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبياري

القاهرة

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٤٠ شارع نوبار باشا (سابقا شارع الدواوين)

١٣٧٤ — ١٩٥٥

تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموي

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

القسم الأول - الجزء الأول

تحقيق

الدكتور طه حسين و إبراهيم الأبياري

القاهرة

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٤٠ شارع نوبار باشا (سابقا شارع الدواوين)

١٣٧٤ — ١٩٥٥

تقـــديم

بقـلم

الدكتور طه حسين

هـذا كتاب من كتب القرن السابع للهجرة ، ننشره للناس لأنه بعض تراثنا القديم ؛ الذى يجب إحياؤه وتمكين الأجيال المعاصرة من الانتفاع به ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً .

وننشره كذلك ؛ لأن أوساط المثقفين فى هـذا العصر أشد ما يكونون حاجة إليه ، فهو يقرب إليهم من الأدب العربى القديم بعيداً ، و ييسّر لهم منه عسيراً ، و يتيح لأكثر عدد ممكن منهم أن يقرءوا أشياء ما كان لهم أن يقرءوها أو يذوقوها لو لم يذع فيهم مثل هذا الـكتاب .

وعنوانه ينبىء عن موضوعه وعن قيمته وعن شدة الحاجة إليه فى هذه الأيام . فالمثقفون جميعاً يسمعون عن كتاب أبى الفرج الأصبهانى ، وهم يعرفون هذا الـكتاب أكثر مما يعرفون اسم صاحبه، على شهرته و بعد صوته فى الشرق والغرب منذ قرون طوال . وأى مثقف لم يسمع بكتاب الأغانى ، ولـكن معرفة اسم الـكتاب شىء وقراءته شىء آخر . والذين يقرءون كتاب الأغانى و يستقصون ما فيه أفراد قليلون يمكن إحصاؤهم ، وهم الذين يفرغون للأدب القديم و يقفون جهودهم و وقتهم على درسه واستقصاء حقائقه .

والذين يقرءون كتاب الأغانى ملمين به غير ممعنين فيـــه قليلون أيضاً ، وهم لا يكادون يلمون به حتى ينصرفوا عنه ضائقين بخصال فيه لا تلائم العصر الحديث وما يحتاج إليه أهله من التيسير والتقريب ، لأنهم محتاجون إلى السرعة ، ولأن وقت

كثير منهم محسوب عليهم ، ولأن جهد كثير منهم لا يثبت لما تحتاج إليه القراءة فى هذا الكتاب من الأناة والصبر وفراغ البال .

وقد ألف كتاب الأغانى فى القرن الرابع لقوم لم يكن مقترًا عليهم فى الوقت ولا فى الجهد ولا فى الفراغ ، لم تكثر حاجاتهم ، ولم يشتد اضطرابهم فيها ، ولم تعجلهم المنافع والضرورات عن الفراغ للعلم والجد فى سبيل المعرفة .

وأين تكون حياة الذين كانوا يعيشون فى العالم العربى منذ ألف سنة من حياتنا فى هذه الأيام ! وأين يكون استقرارهم من اضطرابنا ! وهدوؤهم من قلقنا ! وفراغهم من امتلاء أوقاتنا ! وقد ألف الكتاب كذلك لقوم لم يكن طول الكتب يزعجهم ، ولم يكن ترديد الأخبار والأنباء يملهم ، ولم يكونوا يكرهون الاستقصاء كما يكرهه المعاصرون ، ولم يكونوا يطمئنون إلى الأحاديث التى تساق إليهم غير مسندة إلى أصحابها ، ولا مردودة إلى أصولها ومصادرها ، ولم يكونوا يحبون شيئاً كما كانوا يحبون أخذ العلم بالسماع عن رواته والمتخصصين فيه . فكانت تسمية الرواة على كثرتهم تغريهم وتحبب إليهم ما يقرءون ، وكانوا يعرفون الغناء العربى القديم والموسيقى العربية القديمة ويحققون معانيها وأسماءها فى نفوسهم . فلم يكونوا يستوحشون إذا ذكرت لهم أسماء الألحان وعرضت عليهم وقائعها .

ومن أجل ذلك كله آثروا كتاب الأغانى وكلفوا به وتنافسوا فيه ورأوه صرحاً منيفاً من صروح الأدب العربى قد جمع لهم جمعاً متقناً ، فوفر عليهم كثيراً من الجهد فى طلب العلم ، ويسر لهم تحصيله وهم قارون وادعون . ثم لم تلبث ظروف الحياة أن تغيرت ، وإذا ملك من ملوك الأيوبيين يذكر هذا الكتاب فيشكو من طوله وكثرة أسانيده وكثرة أسماء الأصوات والألحان فيه ، وكثرة ما فيه من التكرار

والاستطراد ، ويتقدم إلى عالم جليل من أصحابه ، هو محمد بن سالم الواصلى ، فى حذف ما كان يرى فيه من الفضول . ويتم له الشيخ ماتقدم إليه فيه دون أن يعرف أو يقدر أن عصراً من العصور سيُظل العالَم العربىَّ ، وإذا أهله جميعاً يشبهون أشد الشبه وأقواه ذلك الملكَ من ملوك الأيوبيين فى بُغض الإطالة والضيق بالأسانيد والنفور مما لا يفهمون من أسماء الأصوات والألحان . فهو إذن قد ألف كتابه لذلك الملك ومعاصريه ، فلم يرض أولئك وحدهم وإنما أرضى أجيالاً لا تحصى بعد ذلك العصر الذى عاش فيه بقرون .

ستجد فيه أدباً كثيراً قيما ، وقصصاً كثيراً رائعاً ، وتاريخاً كثيراً نافعاً ، وستجد هذا كله فى غير جهد ولا إضاعة للوقت ولا تكلف لما لا تحب .

ولست أخفى على القراء أنى أضيق باختصار الكتب ولا أطمئن إليه ، وأرى فيه ازوراراً عما أراد المؤلفون ، وانحرافاً عما رسموا لأنفسهم من طريق ، وجحوداً لما احتملوا من سلوك هذه الطريق من ألوان المشقة والعناء .

ولست أخفى على القراء أيضاً أنى أقرأ كتاب الأغانى فأستمتع بأسانيده كما أستمتع بما يروى فيه من الشعر والأحاديث . ولكن لا بد مما ليس منه بد ، فليس كل الناس قادراً على أن يفرغ للأغانى وأمثاله من كتب القدماء . ونحن بين اثنتين : إما أن ننشر مثل هذا الكتاب ليقرأه وينتفع به من لا يملك من الوقت والجهد لقراءة كتاب الأغانى ، وإما أن نخلى بين الأدب العربى القديم وبين النسيان يلقى عليه أستاره الكثاف ، ويقصر العلم به على الذين يفرغون له ويتخصصون فيه .

وواضح أنى أؤثر الأولى ، فقراءة مختصرة لكتاب الأغانى خير من أن يُجهل الكتاب ويجهل مختصره ويجهل الأدب العربى كله .

ومن أجل هـذا أقبلنا على نشر هذا الـكتاب ليقرأه أوساط المثقفين للعلم من جهة ، ويقرأه خاصتهم للموازنة بينه وبين الأصل الذى اختُصر منه . وهو بعد ذلك تراث قديم لا ينبغى أن يضاع .

وقد اكتفينا بأن نحقق نصه ونخرجه صحيحاً مستقيما وأرجأنا ما يحتاج إليـه من درس وبحث واستقصاء حتى نفرغ من إخراج النص للناس .

وأكثر ما فى هذا الجهد من فضل يرجع إلى الأستاذ الصديق ابراهيم الأبيارى ، فهو الذى نهض بالعبء المادى كله . ولم أشارك أنا إلّا فى القراءة والمراجعة وإسداء النصح ، فعسى أن يلقى هذا الجهد من إقبال المثقفين على مصاحبة الأدب العربى القديم ساعات من النهار أو ساعات من الليل . فهـذا خير ما ننتظر من مكافأة على ما أنفقنا من وقت وما تكلفنا من عناء ؟

طه حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يسِّر وأعِن بفضلك

[مقدمة الكتاب]

قال الشيخُ الإمام العالم الفاضل العلّامة مَجْموع الفضائل ، جمالُ الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل الحمويّ . أدام الله أيّامه :

أحمد الله على آلائه المُتواترة ، وأشكره على نِعَمه المُتضافرة ، وأُصلِّي على رسوله محمد ذي المُعجزات الباهرة والآيات القاهرة ، وعلى آله وأصحابه الأَنْجُم الزاهرة ، وعلى التابعين لهم بإحسان أُولى الرُّتب الفاخرة ، صلاةً نُبلغهم بها أعلى مراتب الآخرة . و بعد :

فإني لمّا أَوَيْتُ من الإحسان السلطاني الملكيّ المَنْصوري [1] — خلَّد الله سُلطانه، وأذلّ شانيه وأعلى شانه — إلى ظلّه الظّليل ، وفاض عليّ صيِّبُ إنعامه الوافر الجزيل؛ فُزْت بخدمة مَلِكٍ كمَّل الله خَلْقه كما كمَّل أخلاقه ، وزكَّى ذاته الشريفة كما زكّى أُصوله وأعراقَه ؛ فهو — أعز الله أنصاره — مُغْرًى باكتساب الفضائل ، مُغرم

(١) يريد الملك المنصور محمد بن عمر المظفر الأيوبي ، صاحب حماه . وكان عالماً بالتاريخ والأدب . توفى بقلعة حماه سنة ٦١٧ هـ . (انظر تاريخ حماه ص٨٤ — وفوات الوفيات ٢ : ٢٠٢) .

بأهلها ، لَهِجٌ باقتناء المحامد مُؤْثِرٌ نَظْمَ شَمْلها . واتّفق أنّه ذُكر بمقرّه العالى — الذى هو محطُّ الفضل والإفضال ، وإليه يَشُدُّ الرِّحالَ ذوو الآمال — كتابُ أبى الفرج الأصفهانىّ المعروف بالأغانى الكبير(١) ، وما احتوى عليه من الفضل الغزير والعِلْم الكثير ؛ غير أنّه قد شانه بذكر الأصوات ، وما احتوت عليه من أنواع النَّغم والإيقاعات ، ممّا لا فائدة فى ذكره ؛ إذ كان المُباشِرون لهذه الصناعة فى زَمَننا هذا إنما يعرفونها عَمَلًا لا عِلْماً ، وغيرُهم فلا ينتفعون بشىء مماذُكر ولا يُحيطون به فَهْماً . فخرج أَمْرُه المُطاع — أعلاه الله — بأن يُجرَّد من ذلك كلِّه ومن الأسانيد والتَّكرارات ، وممّا لا فائدةَ فى ذكره من الأخبار والأشعار المُشتركات ؛ و يُقتصر على غُرر فوائده ، ودُرر فرائده . فبادر المملوك إلى امتثال مرسومه العالى ، وأضاف إليه فوائد أُخَر تتعلّق به ، وشَرح بعض المُستغلق من ألفاظه ، والله المُستعان .

ونُقدِّم على ذلك بعضَ ما قيل فى هذا الكتاب وفضل مُصنفه :

مصنف الكتاب

أبو الفرج الأصفهانى

وهو علىّ بن الحُسين بن محمد بن أحمد بن الهَيْثم بن عبد الرحمن(٢) بن عبد الله ابن مَروان بن الحكم بن أبى العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عَبْد مناف الأَموى القرشى . وكان مع أمويّته متشيِّعاً(٣) .

(١) وكذا فى ياقوت . وذكر ابن النديم أن كتاب الأغانى الكبير لإسحاق الموصلى .

(٢) رواية ابن خلكان وياقوت وابن شاكر وابن الأثير وابن الجوزى والثعالبى : «..بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان» .

(٣) قال التنوخى فى كتابه نشوار المحاضرة : «ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهانى» . وقال ابن شاكر فى عيون التواريخ عنه : «إنه كان ظاهر التشيع» . وقال ابن الأثير فى الكامل : «وكان أبو الفرج شيعيا . وهذا من العجب» .

وُلد سنة أربع وثمانين ومائتين . وتُوفِّى فى ذى الحجة سنة ست وخمسين وثلثمائة. فكان عمره نحو اثنتين وسبعين سنة . وكان عالماً بأيّام النّاس والأنساب والسِّيَر ، شاعراً مُحسناً . والغالب عليه رواية الأخبار والآداب . وله مصنَّفات كثيرة ، منها: كتاب الأغانى ، هذا الذى لم يُصنَّف مثلُه . ومَقاتل الطالبيين . وأخبار الإماء[1] الشَّواعر . والحانات . والديارات . وآداب الغُرباء . ونَسب بنى عبد شمس . والتعديل والانتصاف، فى مآثر العرب . وجَمهرة النَّسب . ونسب بنى شَيْبان. وأيّام العرب . ونسب بنى تغلب . ونسب المَهالبة . ونسب بنى كِلَاب. وكتاب القِيان[2] . وكتاب الغِلْمان المُغَنين . ومُجرَّد الأغانى[3] . وغير ذلك من المصنَّفات البديعة .

وذُكر أنه جمع كتاب الأغانى الكبير فى خمسين سنة ، وكَتب به نسخة واحدة وأهداها إلى سيف الدولة بن حَمْدان[4] فأجازه بألف دينار . ولما بلغ ذلك الصاحبَ أبا القاسم بن عَبَّاد[5] ، قال : لقد قصَّر سيف الدولة وإنه ليستأهل أضعافَهَا ، إذ كان كتابه موشَّحاً[6] بالمحاسن المُنتخَبة والفقر الغريبة ، فهو للزاهد فكاهة وعِبْرة ، وللعالم مادّة وزيادة ، وللكاتب والمتأدّب بضاعة وتجارة ، وللبطل رُجْلة[7] وشجاعة ، وللمتظرِّف رياضة وصناعة، وللمَلِك طِيبة ولذاذة. ولقد اشتملت

---

(١) فى الأصل : «الإماء والشواعر» . وما أثبتنا عن ابن خلكان وياقوت .

(٢) ذكره ياقوت باسم «كتاب أخبار القيان» .

(٣) خصه بكل ما غنى فيه دون الأخبار .

(٤) هو أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان ممدوح المتنبى .ويقال : لم يجتمع بباب أحد من الملوك ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ العلم ونجوم الدهر . ولد فى ميافارقين سنة ٣٠٣ هـ. ملك واسط ودمشق وحلب . وتوفى سنة ٣٥٦ هـ . (انظر وفيات الأعيان ، يتيمة الدهر) .

(٥) هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس. وزير غلب عليه الأدب. استوزره مؤيد الدولة بن بويه الديلمى ، ثم أخوه فخر الدولة. ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه . ولد سنة ٣٢٦ هـ. وكانت وفاته سنة ٣٨٥ هـ . (انظر إرشاد الأريب ، ووفيات الأعيان) .

(٦) فى تصدير الأغانى طبعة دار الكتب : «مشحونا»

(٧) الرجلة ، بالضم : القوة على المشى .

خِزانتى على مائة ألف وسَبعة عشر ألفَ مجلَّد[١] ، ما منها ما هو سَميرى غيرُه . ولقدعرّفنى أبو القاسم عبد العزيز بن يُوسف أنّ هذا الكتاب لم يكن يفارق الملكَ عَضُدَ الدولة بن بُويه[٢] فى سَفَره ولا حَضَره ، وأنه كان جليسَه الذى يأنس به ، وخِدْنَه الذى يرتاح إليه ، فزاده ذلك فى نفسِى شرفاً إلى شرفه ، ونُبْلًا إلى نُبله .

ولما وَلِى ابنُ المَغربى[٣] الوزارة اختصره وأحبَّه، وصار له به غرام عظيم ، وأفرط فى تقريظه ومدحه فى خطبةِ مختصره وقال : « إنه لم يقف على مُصنَّف لأحدٍ أحسنَ منه ، وأنه اُختصره لأجل سفره ليصغُر حجمه » .

وقال أبو القاسم التَّنوخىّ[٤] : « من الرُّواة المتشيّعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأَصفهانى . كان يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار والأحاديث المُسندة والنَّسب والآثار ، ما لم أَرَ قطُّ أحفظ منه ، وكان يحفظ دون ذلك من الطبّ والنُّجوم والنَّحو واللغة والخُرافات وآلة المنادمة ، مثل علم الجَوارح والبَيْطرة والأشربة[٥] » .

واختلفوا فى جَرْحه وتَعْديله، فمِمَّن قَدح فيه أبو محمد الحُسين بن الحسين[٦] ،

---

(١) الذى فى ياقوت : «مائتين وستة آلاف مجلد» .

(٢) هو أبو شجاع فناخسرو ، الملقب عضد الدولة بن ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه الديلمى . وهو أول من خوطب بالملك فى الإسلام . توفى سنة ٣٧٢ ﻫ ببغداد .

(٣) هو أبو القاسم الحسن بن على بن الحسين ، المعروف بابن المغربى . مولده بمصر سنة ٣٧٠ ﻫ . قتل الحاكم أباه فهرب إلى الشام . ثم تنقل فى بغداد والموصل. واستوزره مشرف الدولة البويهى أشهرا ثم عزله . وكانت وفاته سنة ٤١٨ ﻫ . (انظر ابن خلكان) .

(٤) هو أبو القاسم على بن محمد . كان عالماً بأصول المعتزلة ، ومن أهل الأدب . ولد سنة ٢٧٨ ﻫ . وتوفى سنة ٣٤٢ ﻫ . وأما ابنه أبو على صاحب نشوار المحاضرة ، والفرج بعد الشدة ، وغيرهما، فقد ولد سنة ٣٢٧ ﻫ . وتوفى سنة ٣٨٤ ﻫ . (انظر ابن خلكان) .

(٥) روى العبارة ابن خلكان فى ترجمة أبى الفرج باختلاف يسير .

(٦) هو أبو محمد الحسين بن الحسين بن محمد بن الحسين بن رامين القاضى ، لقى الشيوخ الصوفية . ومات ببغداد سنة ٤١٢ ﻫ .

فقال : « كان أبو الفرج أكذبَ الناس . كان يدخل سُوق الورّاقين فيشترى شيئاً كثيراً من الصُّحف فيروى منها » .

وممن عدَّله أبو الحسن[١] ، قال : « لم يكن أحدٌ أوثقَ من أبى الفرج الأصفهانى . وقد رُوى له شِعر حسن » .

قال أبو الفرج الأصفهانى : « بلغ جَحظة البرمكىّ أن مُدركَ بن شيبان[٢] ذكره بسوء وأنا حاضر ، فكتب إلىّ :

أبَا فَرَجٍ أُهْجَى لديك ويُعْتدى ... علىّ فلا تَحْمَى لذاك وتَغضبُ
لَعَمْرُكَ ما أنصفتَنى فى مودّتى ... فكن مُعْتِباً إنّ الأكارم[٣] تُعْتِبُ

فكتبتُ إليه :

عَجِبتُ لما بُلِّغْتَ عنّىَ باطلًا ... وظَنُّك بى فيه لعمرُك أعْجَبُ
ثَكِلْتُ إذن نفسى وأهْلى[٤] وأُسْرتى ... وعزّى[٥] ولا أدركتُ ما كنتُ أطلبُ
فكيف بمَنْ لا حَظّ لى فى لقائه ... وسيّانِ عِنْدى وصلُه والتجنُّبُ
فثِقْ بأخٍ أصْفاكَ مَحْضَ مودّةٍ ... تشاكَل منها ما بَدا[٦] والمُغيَّبُ

وهذا حين الشروع فيما قصدنا له ، وبالله التوفيق .

(١) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر جحظة البرمكى أديب راوية . توفى سنة ٣٢٦ ﻫ . (انظر إرشاد الأريب . وابن خلكان) .

(٢) هو أبو القاسم الشيبانى مدرك بن محمد . ترجم له الخطيب فى تاريخ بغداد ولم يذكر سنة وفاته .

(٣) فى الأصل : « المكارم » . وما أثبتنا عن ياقوت .

(٤) فى ياقوت : « وعزى » .

(٥) فى ياقوت : « بفقدى » .

(٦) فى ياقوت : « والتغيب » .

أخبار أبي قَطِيفة

نسبه

هو عمرو بن الوليد بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط . واسم أبي مُعَيط أَبَانُ بن أبي عمرو ابن أُمَيَّة بن عبد شَمس بن عبد مَنَاف بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب ابن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر — و إليه تَعود قبائل قريش[١] — بن مالك بن النَّضر ابن كِنانة بن خزيمة بن مُدْركة بن اليأس[٢] بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان .

قلتُ : إلى هنا أنتهى المعلوم من عَمود النَّسب ، وما بعد ذلك إلى إسماعيل ابن إبراهيم فغير معلوم . وقد اختلف النّسابون فيه اختلافاً كثيراً . وقد ذكر أبو الفَرج بعضَ ما قِيل ، فلا حاجةَ إلى ذكره ، إذ كان غير موثوق به .

شيء عن أبي عمرو ابن أمية

قال أبو الفَرَج : ذكر الهيثم بن عَدِيّ[٣] في كتاب المَثَالب[٤] أنّ أبا عَمرو بن أُميّة كان عبداً لأُمية ، واسمُه ذَكْوان ، فاستَلْحقه .

وذكَر أنّ دَغْفَلاً[٥] النَّسابة دَخل على مُعَاوية فقال : مَن رأيتَ من عِلْيَةِ

(١) هذا رأى القلة من النسابين . أما كثرتهم فعلى أن النضر هو أصل قريش .

(٢) قال الزبيدى : «يحمل بعضهم» «اليأس بن مضر» على «إلياس» النبى فى همز أوله . والصواب فى «اليأس بن مضر» أن تعتبر فيه الألف واللام زائدتين، كزيادتها فى الفضل والعباس، وأنها داخلتان على المصدر الذى هو اليأس ، وقد تسهل همزته الثانية ، فيقال فيه : الياس . أما «إلياس» النبى ، فهو بقطع الهمزة الأولى مفتوحة أو مكسورة . وعبارة ابن منظور : «وإلياس اسم أعجمي ، وقد سمت به العرب » .

(٣) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن . إخبارى راوية . ولد بالكوفة قبل سنة ثلاثين ومائة . ومات سنة تسع ومائتين . وقيل : سبع . (انظر إرشاد الأريب) .

(٤) هو كتاب المثالب الكبير . ذكره ياقوت كما ذكره ابن النديم بين مصنفات كثيرة للهيثم .

(٥) هو دغفل بن حنظلة — وقيل حجر — بن زيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة بن عمرو بن شيبان . اختلفوا فى صحبته . مات غريقاً فى يوم دولاب . (انظر الاستيعاب، والإصابة والطبقات لابن سعد ، والفهرست لابن النديم) .

قُريش ؟ قال: رأيتُ عبدَ المطلب بنَ هاشم ، وأُمية بنَ عبد شَمس . قال : صِفْهما لى. قال : كان عبدُ المطلب أبيضَ مديدَ القامة حَسَن الوجه ، فى وجهه[١] نُور النُّبوة وعزُّ المُلْك، يُطيف به عَشْرة من بَنِيه كأنهم أُسْدُ غَاب . قال :فصِفْ أُمية . قال : رأيتُه شيخاً قصيراً نحيفَ الجسم ضَرِيراً يقُوده عبدُه ذَكْوان . فقال : مَهْ ! ذلك اُبنُه أبو عمرو . قال:هذا شىء قُلْتُموه بعدُ وأَحدثتموه، فأمَّا[٢] الذى عرفتُ فهو الذى أخبرتُك به .

خندف

وولدُ اُليأس بن مُضر يُقَال لهم : خِنْدِف، وسُمُّوا بأُمهم خِنْدِفَ ، وهو لقبُها. واسمُها لَيْلى بنت حُلْوان[٣] بن عِمْران بن الْحَافِ بن قُضاعة . وهى أُم مُدْرِكة ، وطابِخة ، وقَمَعَة[٤] ، بَنى الْيأس .

الأعياص والعنابس

وكان لأُمَيَّة بن عبد شَمس أحدَ عشرَ ولداً ، وهم : العاص ، وأبو العاص، والعِيص ، وأبو العِيص ، والعُوَيص — و يقال لهؤلاء : الأعياص — وحَرْب ، وأبو حَرْب ، وسُفْيان ، وأبو سفيان، وعَمرو، وأبو عمرو . و يقال لهم العَنَابس؛ لأنهم ثبتوا مع أخيهم حَرْب بن أمية بعُكَاظ وعَقَلوا أنفسَهم وقاتلوا قتالاً شديداً ، فشُبِّهوا بالأُسد . والأُسْد يقال لها : العَنابسُ، واحدها عَنْبَسَة . وفى الأعياص يقول عبد الله بن فَضَالة :

مِنَ الأَعْياصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ   أَغَرَّ كغُرَّة الفَرَسِ الجَوادِ

وفود ابن فضالة على ابن الزبير

قيل : أَتَى عبدُ الله بن فَضالة الوَالبىّ ثم الأَسدىّ، من أسد بن خُزَيمة ، عبدَالله ابن الزُّبير ، فقال: نَفِدَتْ نَفَقتى ، ونَقِبتْ راحِلَتى[٥] . فقال: أَحْضِرها. فأَحْضرها.

(١) رواية بعض أصول الأغانى : «فى جبينه» .

(٢) رواية بعض أصول الأغانى : « ولما» .

(٣) فى السيرة لابن هشام : «وخندف بنت عمران » .

(٤) اسم مدركة : عامر . واسم : طابخة : عمرو . واسم قمعة: عمير . وقد ذكر ابن هشام العلة فى تلقيبهم بهذه الألقاب .

(٥) نقبت الراحلة : رقت أخفافها وحفيت ، حتى يتمزق فرسنها . وفى حديث أبى موسى : «فنقبت أقدامنا» أى رقت جلودها وتنقطت من المشى .

فقال : أَقْبِل بها ، أَدْبِر بها . ففعل . فقال : أَرْقَعْها بسِبْتٍ[١] ، واخصِفْها بِهُلْب[٢] ، وأَنْجِد[٣] بها يَبْرُدْ خُفُّها ، وسِرْ بها البَرْدَيْن[٤] تَصِحّ . فقال : إنى أتيتك مُستحمِلاً ولم آتك مُسْتوصفاً ، فلعن الله ناقةً حملتْنى إليك . فقال : إنَّ وراكبَها . فانصرف عنه ابنُ فَضالة ، وقال :

أَقُول لِغلْمَتِي شُدُّوا رِكابِي ... أُجاوِزْ بَطْنَ مكةَ فى سَوَادِ[٥]
فمالى حينَ أَقْطع ذاتَ عِرْقٍ ... إلى أبن الكاهليّة من مَعَادِ[٦]
سيُبْعِد بيننا نَصُّ المَطَايا ... وتَعْليقُ الأَداوَى والمَزادِ[٧]

---

(١) السبت ، بالكسر : كل جلد مدبوغ ، وخص بعضهم به جلود البقر ، مدبوغة كانت أم غير مدبوغة . قال الأزهرى : كأنها سميت سبتية ، لأن شعرها قد سبت عنها ، أى حلق وأزيل .

(٢) الهلب ، بالضم : الشعر كله ، وقيل : هو فى الذنب وحده ، وقيل : هو ما غلظ من الشعر . وزاد الأزهرى : كشعر ذنب الناقة . وقال الجوهرى : هو شعر الخنزير الذى يخرز به . واخصفها ، أى ضمها واخرزها .

(٣) أنجد الرجل : ارتفع وأتى النجد من الأرض ، وهو المرتفع ، وهو أبرد من الغور .

(٤) البردان : الغداة والعشى ، كالأبردين . والرواية فى الأغانى : «وسر البردين» .

(٥) نسب البغدادى فى الخزانة (٢ : ١٠٠ — ١٠٣) هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدى . وذكره أبو الفرج فى الأغانى (١٠ : ١٧٣ طبعة بلاق) منسوبا لفضالة ابن شريك .

(٦) ذات عرق : مهل أهل العراق ، وهو الحد بين نجد وتهامة . وقيل : عرق : جبل بطريق مكة ، ومنه : ذات عرق . وقال الأصمعى : ما ارتفع من بطن الرمة ، فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق . وعرق : هو الجبل المشرف على ذات عرق . والكاهلية : زهراء بنت خثراء ، امرأة من بنى كاهل بن أسد ، وهى أم خويلد بن أسد بن عبد العزى . (انظر معجم البلدان ، والأغانى ١٠ : ١٧٣ طبعة بلاق) .

(٧) النص : ضرب من السير سريع . وهو فى الأصل : منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها . والأداوى : جمع إداوة ، وهى إناء صغير من جلد يتخذ للماء ، وقيل : إنما تكون إداوة ، إذا كانت من جلدين قوبل أحدهما بالآخر . وكان قياس الجمع : أدائى ، مثل رسالة ورسائل ، فتجنبوه وفعلوا به ما فعلوا بالمطايا والخطايا ، فجعلوا فعائل فعالى وأبدلوا هنا الواو ليدل على أنه قد كانت فى الواحد واوا ظاهرة ، فقالوا : أداوى . فهذه الواو بدل من الألف الزائدة فى إداوة ، والألف التى فى آخر الأداوى بدل من الواو التى فى إداوة ، وألزموا الواو هاهنا كما ألزموا الياء فى مطايا .

أَرى الحاجاتِ عنــد أبى خُبَيْب نُـكِدْن ولا أُميَّـةَ فى البــلاد
مِن الأَعْياص أو من آل حَرْب أغرَّ كغُرة الفَرَس الجْوَاد

كان عبد الله بن الزُّبير يُـكْنَى أبا خُبيب ، وأبا بكر ، وأبو بكر هو المعروف . ولم يكن يَـكْنِيه أباخُبيب إلّا من أراد ذمَّه ، فيجعله كاللَّقب له[١] . فقال ابنُ الزُّبير، لَمَّـا بلغه الشعرُ : عَـلِم أنها شرُّ أُمّهاتى فعيّرنى بها ، وهى خيرُ عَمّاته[٢] .

ولفظة « إن » هاهنا بمعنى نعم .

مقتل ابن أبى معيط والنضر

وكان عُقبة بن أبى مُعَيط أحدَ الأُسَراء يوم بدر ، فأَمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بقَتْله . فقُتِل بين يديه صَبْراً[٣] .وكان الذى تولّى قَتله علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ وقيل : بل قَتله عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلح الأنصارىّ . ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالصَّفْراء[٤] أمر علىَّ بن أبى طالب ، فَضرب عُنق النَّضْر بن الحارث بن كَلَدة ، أحدَ بنى عَبْـد الدَّار ، فقُتـل بين يديه صَبْراً .

قلتُ : لم يقتل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من الأسرى غير هذين ، وكانا شديدَى العداوة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فأَمّا عُقبة فإنه أَتى النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم ، وهو يصلى فى الحِجْر ، فوضع ثوبه فى عُنقه وخَنقه به خَنْقاً شديداً .

---

(١) قال الثعالبى فى لطائف المعارف : « كان لابن الزبير ثلاث كنى : أبو خبيب ، وأبوبكر ، وأبوعبد الرحمن . وكان إذا هجى كنى بأبى خبيب » .

(٢) فى الخزانة (٢ : ١٠٠) : «لوعلم أن لى أما أحسن من عمته الكاهلية لنسبنى إليها».

(٣) الصبر : نصب الإنسان للقتل . يقال : قتله صبرا ، وقد صبره عليه . وقيل للرجل يقدم فيضرب عنقه : قتل صبرا ، يعنى أمسك على الموت . قال أبو عبيد : وكل من قتل فى غير معركة ولا حرب ولا خطأ ، فإنه مقتول صبرا . وأصل الصبر الحبس . وفى الحديث : إنه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل شىء من الدواب صبرا . قيل : هو أن يمسك الطائر أو غيره من ذوات الروح يصبر حياً ، ثم يرمى بشىء حتى يقتل .

فأقْبل أبو بكر رضى الله عنـه ، وقال : أتقتلون رجلاً أنْ يقولَ ربِّىَ الله !

وأمَّا النَّضر فكان إذا تلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على قُريش القرآن قال : إنَّ ما يأتيكم به محمد أَساطير الأوّلين ، ويقوم فيحدّثهم بأخبار ملوك الفُرس وغيرهم .

ولما قُدِّم عُقبة بن أبي مُعَيط للقَتْل قال : يا محمد ، أنا خاصّةً من قُريش ؟ قال : نعم . قال: فمن للصِّبْية بعدى ؟ قال : النار . فلذلك سُمِّى بنو أبى مُعيط :صِبْيَةَ النار.

وقال عُمَر بن شَبَّةَ : قُتِل النَّضر بالأُثَيْـل[1] .

ولمـا قُتل النَّضر قالتْ أُختهُ[2] قُتَيلةُ بنت الحارث تَرْثيه :

يا راكباً إنَّ الأُثَيْـل مَظِنَّـةٌ ... من صُبْح خامسةٍ وأَنْتَ مُوَفَّقُ

بَلِّغْ[3] به مَيْتاً فإن[4] تحيّـةً ... ما إنْ تَزال بها الرَّكائبُ تَخفِق

منِّى إليـه وعَـبرةً مَسْفوحَةً ... جادتْ بَوادرِها[5] وأُخرى تَخْنُق

هَلْ يَسْمَعنَّ[6] النَّضْرُ إنْ ناديتهُ ... إنْ كان يَسمع هالكٌ أو يَنْطق

ظَلَّتْ سُيوفُ بنى أبيـه تَنُوشُه ... لله أَرْحامٌ هُنـاك تُشَـقَّق

صبراً[7] يُقادُ إلى المنيّـة مُتْعَباً ... رَسْفَ[8] المُقيَّد وهو عانٍ مُوثَق

---

(١) الأثيل : موضع قرب المدينة ، بين بدر ووادى الصفراء . (انظر ياقوت) .

(٢) قال ياقوت : هى ابنته . وكذا فى حماسة أبى تمام والبحترى .

(٣) فى حماسة البحترى : : «أبلغ» .

(٤) فى حماسة البحترى : «بأن» .

(٥) فى حماسة أبى تمام : «جادت لمائحها» . وفى حماسة البحترى : «جادت بوابلها».

(٦) فى حماسة أبى تمام : «فليسمعن» .

(٧) فى حماسة البحترى : « قسرا» . والبيت ساقط من حماسة أبى تمام .

(٨) فى حماسة البحترى : «رتك» . والرتك : مشـية فيها اهتزاز ، يستعمل فى الإبل وفى غيرها ، إلا أنه فى الإبل أكثر.

أمحمــدٌ ولأنتَ نَسْلُ(١) نجيبةٍ في قَومهـا والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِق
ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ وربمـا مَنَّ الفتى وهو المَغيظ المُحْنَق
لو كنتَ قابِلَ فِدْيَة فلنأتينْ(٢) بأعزِّ ما يَغلو لديك ويَنفُق
فالنَّضْرُ أقربُ مَن أخـذتَ بزلّةٍ(٣) وأحقُّهم إنْ كان عِتْقٌ يُعْتَق

قال : فبلغنا أنّ رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم قال : لو سمعتُ هــذا قبل أن أقتُـلَه ما قتلته . فيقال : إنّ شعرها أكرمُ شـعرِ مَوْتورة(٤) وأعفُّه .

وقال ابن إسحاق : إنّ قَتْل عُقْبة كان بعِرْق الظُّبْية(٥) .

من خبر الوليد ابن عقبة

وكان الوليدُ بن عُقْبة بن أبى مُعَيط ، أخا عُثْمان بن عفّان رضى الله عنه لأُمه ، أُمهما أَرْوَى بنتُ عامر بن كُرَيز ، وأُمهـا أُم حَكيم ، البَيْضاء بنتُ عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مَناف . والبيضاء وعبدُ الله أبو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تَوْأمان . وكان عُقْبة تزوّج أَرْوَى بعـد وفاة عفّان ، فولدت له الوليدَ ، وخالداً ، وعُمارة ، وأُمّ كُلْثوم ، كُل هؤلاء إخوة عثمان لأُمه .

وولّى عثمانُ رضى الله عنه الوليدَ بن عُقْبة فى خلافته الـكوفةَ ، فَشرب الخمرَ وصلّى بالناس وهو سَكْران فزاد فى الصلاة . فشُهد عليه بذلك عند عثمان ، فجَلَده الحدَّ . وسيأتى خبرُ ذلك فى موضعه .

اسم أبى قطيفة وكنيته ولقبه

وأبو قَطيفة بن الوليــد بن عُقْبة اُسمُه عمرو ، ويُكنى أبا الوليد . وأبو قَطيفة لقبٌ له . والشعر الذى لأبى قطيفة المُصدَّر به ذِكْره ، هو :

---

(١) فى حماسة أبى تمام : «ضنء» . والضنء : الولد . وفى حماسة البحترى : «صنو» .
(٢) فى حماسة البحترى : «لفديته» . والبيت ساقط من حماسة أبى تمام .
(٣) فى حماسة البحترى : «أخذت وسيلة» . وفى حماسة أبى تمـام : «أصبت وسيلة» .
(٤) الموتور : من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه .
(٥) الظبية ، بضم الظاء وسكون الباء : موضع على ثلاثة أيام مما يلى المدينة . (انظر ياقوت) .

القَصْر فالنَّخْلُ فالجَمّـــاء بينهما أَشْهَى إلى القلب من أكناف جَيْرونِ

إلى البَـــلاط فما حازت قَرائنُـــه دُورٌ نَزَحْن عن الفحشاء والهُون

قد يكتمُ النـــاسُ أسراراً فأَعلمُهـــا ولا ينالون حتى الموتِ مكْنونى

خبر قصر سعيد ابن العاص

القصر، الذى عناه: قصرُ سَعيد بن العاص بالعَرْصَـة. والنخل: نخل كان لسعيد هُناك بين قَصْره وبين الجمّاء. والجماء: هى أرض كانت له، فصار جميعُ ذلك لمعاوية بن أبى سُفيان بعد وفاة سَعيد.

ذُكر أنّ سَعيد بن العاص لمـا حضرتْه الوفاةُ وهو فى قصره هذا قال له ابنُه عمرو: لو نزلتَ إلى المدينة! فقال: يا بُنىّ، إنّ قَوْمى لن يَضَنُّوا علىّ بأن يَحملونى على رِقابهم ساعةً من نهار، فإذا أنا مِتُّ فآذِنْهم، وإذا واريتنى فانطلق إلى معاوية فانْعَنى له وانظُر فى دَيْنى، واُعلم أنه سيَعْرِض عليك قَضاءه فلا تَفْعل، واُعْرِض عليه قَصْرى هـذا فإننى إنما اتخذتُه نُزهة وليس بمال. فلما مات آذن به الناسَ، فحملوه من قَصره حتى دُفن بالبَقيع. ورواحلُ عمرو بن سعيد مُناخة، فعزّاه الناسُ على قبره وودّعوه. وكان هو أوّلَ من نعاه لمعاوية، فتوجّع له وترحّم عليه، وقال: هل ترَك دَيْناً؟ قال: نعم. قال: كم هو؟ قال: ثلثمائة ألف [درهم] (1). قال: هى علىّ. قال: قـد ظَنّ ذلك وأَمرنى ألّا أَقبلَه منك، وأن أَعرضَ عليك بعضَ ماله فتبتاعَه فيكونَ قضاء دينه منه. قال: فاعرِضْ. قال: قَصْره بالعَرْصة. قال: قد أخذتُه بدَيْنه. قال: هو لك على أن تَحْملها إلى المدينة وتجعلها بالوَافية (2). قال: نعم. فحملها له إلى المدينة وفرّقها فى غُرمائه. وكان أكثرها عِداتٍ.

عمرو بن سعيد وقرشى كان يدين أباه

فأتاه شابٌّ من قُرَيش بصَكٍّ فيه عشرون ألف دِرْهم بشهادة سَعيد على نَفْسه

(1) زيادة من الأغانى عن نسخة.

(2) الوافى: درهم وأربعة دوانق. والدانق: سدس الدرهم.

وشهادة مولًى له عليه . فأرسل إلى مولاه فأقرأه الصكّ . فلما قرأه بكى وقال : نعم ، هذا خطُّه وهذه شهادتى عليه . فقال له عمرو : ومن أين يكون لهذا الفتى عِشْرون ألفَ دِرْهم ، وإنما هو صُعلوك من صعاليك قُريش ! قال : أُخبرك عنه : مرَّ سَعيدٌ بعدعَزْله فاعترض له هذا الفتى يمشى معه حتى صار إلى منزله ، فوقف له سَعيد فقال : ألك حاجة ؟ قال : لا ، إلّا أنى رأيتُك تمشى وحدَك فأحببتُ أن أمشىَ معك لأَصِل جَناحك . فقال لى : أْتنى بصحيفة . فأتيته بهذه، فكتب له على نفسه هذا الدَّينَ وقال : إنك لم تُصادف عندنا شيئاً فخُذْ هذه ، فإذا جاءنا شيء فأْتنا . فقال عمرو : لا جَرم واللهِ ، لا تأخذُها إلّا بالوافية ، أعطه إيّاها . فَدفع إليه عشرين ألف درهم وافيةً .

من جود سعيد

وقيل : كان الرّجلُ يأتى سَعيداً يسأله ولا يكون عنده ، فيقول : ما عندى ، ولكن اكتُب علىّ به . فيكتُب عليه كتاباً ، فيقول : تُرَوْنِى أخذتُ منه ثمنَ هذا ؟ لا ، ولكنه يجىء فيسألنى ، فيَنْزو دمُ وجهه فى وجهى فأكره ردَّه . فأتاه مولًى لقريش بابن مَوْلاه ، وهو غلام ، فقال : إنَّ أبا هذا قد هَلك وقد أردنا تَزْويجَه . فقال : ما عندى ، ولكن خُذ ما شئت فى أمانتى . فلما مات سعيدُ ابن العاص جاء الرجل إلى عمرو ، فقال : إنى قد أتيتُ أباك بابن فلان ، وأخبره القصة . فقال له عمرو : فكم أخذتَ ؟ قال : عشرة آلاف . فأقبل عمرو على القوم فقال : مَن رأى أعجز من هذا ؟ يقول له سعيد : خُذ ما شئت فى أمانتى ، فيأخذ عشرة آلاف . والله لو أخذتَ مائة ألف لأديتُها عنك .

و« القرائن » المذكورة فى شعر أبى قطيفة حيث يقول :

* إلى البلاط فما حازت قَرائنُه *

هى دُور كانت لبنى سعيد بن العاص مُتلاصقة ، سُمِّيت بذلك لاقترانها .

ذكر نَفْي بنى أُمية عن المدينة

قيل: لمّا سار الحُسين بن علىّ عليهما السلام إلى العراق شَمَّرَ ابن الزُّبير للأمر الذى أراده ، ولَبِس المَعَافِرِىّ[1] وشَبَرَ بَطْنَه وقال : إنما بَطْنى شِبْر ، وما عسى أن يَسع الشِّبر[2] . وجعل يُظْهِر عَيْب بنى أُميــة ويَدْعو إلى خِلَافهم . فأَمهله يزيدُ ابن معاوية سنةً ، ثم بعث إليه عشرةً من أهل الشام، عليهم النُّعمان بن بَشير الأَنصارىّ[3] . وكان أهل الشام يُسمُّون أولئك النَّفر العَشْرة الركْبَ ، وهم: عبدالله ابن عِضَاه الأَشْـعرى[4] ، ورَوْح بن زِنْباع الجُذَامِىّ[5] ، وسَـعْد بن حَمْزة الهَمْدانى ، ومالك بن هُبـيرة السَّـكُونى[6] ، وأبو كَبْشَـة السَّـكْسَكى[7] ،

---

(١) المعافرى : نوع من الثياب ينسب إلى معافر ، قبيلة من اليمن عرفت به .

(٢) يشير إلى زهده واجتزائه بالقليل .

(٣) هو أبو عبد الله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة . له ولأبويه صحبة . وأمه عمرة بنت رواحة . ولد على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة . وهو أول مولود ولد فى الأنصار بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم . وكان من أخطب الناس . أمره معاوية على الكوفة ثم عزله وولاه حمص . بايع لابن الزبير بعد موت يزيد، فلما تمرد أهل حمص خرج هاربا، فأتبعه خالد بن خلى الكلاعى فقتله. وكان ذلك سنة ست وستين . (انظر تهذيب التهذيب).

(٤) هذه رواية ابن عساكر . وأما ابن حجر فى كتابه «الإصابة» فقد ذكر أنه عبد الله ابن عصام . ثم قال: شامى . وعرض لرواية ابن عساكر ونقل عنه أنه شهد صفين مع معاوية . وكان رسول يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن الزبير فى طلب البيعة ، فإنه كان ممن استخلفه مسلم بن عقبة لما فرغ من وقعة الحرة . وقصد مكة فأدركته الوفاة .

(٥) هو أبو زرعــة روح بن زنباع بن روح بن سلامى الجذامى . قال ابن حجر : ذكره بعضهم فى الصحابة، ولا تصح له صحبة، بل يجوز أن يكون ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم، فإن لأبيه صحبة ورواية . وكان أميرا على فلسطين . ومات سنة اربع وثمانين.

(٦) هو أبو سعيد مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم بن الحارث السكونى . قال البخارى : له صحبة . وقال البغوى : سكن مصر وكان فيمن شهد فتحها . وذكر ابن حجر له صحبة. مات فى زمن مروان بن الحكم . والسكونى ، نسبة إلى سكون ، بفتح السين وضم الكاف : بطن من كندة .

(٧) قال السمعانى : هو عريف السكاسك ، بطن من الأزد . روى عن أبى الدرداء . وذكر ابن حجر فى التهذيب نقلا عن الحاكم فى المدخل أن اسمه : البراء بن قيس . وقيل : إن البراء بن قيس كنيته أبو كيسة ، بياء مثناة من تحتها وسين مهملة .

وزَمْل[١] بن عمرو العُذْرِىّ[٢]، وعبدالله بن مَسْعود، وقيل: ابن مَسعدة الفَزارىّ[٣]، وأخوه عبد الرحمن ، وشَرِيك بن عبد الله الكِنانىّ[٤]، وعبد الله بن عامر الهَمْدانىّ[٥] . فأقبلوا حتى قَدِموا مكةَ على ابن الزُّبير . فكان النعمانُ يخلو به فى الحِجْر كثيراً ، فقال له عبدُالله بن عِضَاه يوماً : يا بن الزُّبير ، إنّ هذا الأنصارىَّ والله ما أُمِر بشىء إلّا وقد أُمرنا بمثله ، إلّا أنه قد أُمِّر علينا ، و إنى لأدرى والله ما بين المُهاجرين والأنصار . فقال ابنُ الزبير : ما لى ولك ! إنما أنا بمنزلة حَمامةٍ من حمام مكة ، أفكنت قاتلاً حماماً من حمام مكة ؟ قال : نعم ، و ما حُرمة حمام مكة ! يا غلام ، ائتنى بقوسى وأَسْهمى . فأتاه بقوسه وأَسهمه . فأخذ سَهماً فوضعه فى كَبِد القوس ثم سدّده نحو حمامة من حمام المَسجد، ثم قال : يا حمامة، أيشرب يزيد بن معاويةَ الخمرَ؟ قُولى : نعم ، والله لئن فعلت لأرمينّك . يا حمامة، أتخلعينَ يزيد بن معاوية وتفارِقين أُمَّةَ محمد وتقيمين فى الحرم حتى يُستحلَّ بك ؟ والله لئن فعلت لأرمينّك . فقال ابنُ الزُّبير : ويحك ! أو يتكلّم الطائر؟ قال : لا ، ولكنك يابن الزُّبير تتكلّم ، وأُقسم بالله لتبايعنّ طائعاً أو مُكْرهاً ، أو لتتعرّفَنّ رايةَ الأشعريّين فى هذه البطحاء ، ثم لا أُعظّم من حقها ما يُعظَّم . فقال ابن الزبير :

(١) هو زمل ، وقيل زميل ، بن عمرو بن عنز العذرى . وفد على النبى صلى الله عليه وسلم . وشهد صفين مع معاوية ، وكان أحد شهود التحكيم بها . واستعمله يزيد بن معاوية على خاتمه ، وشهد بيعة مروان بالجابية . وقتل يوم مرج راهط سنة أربع وستين .

(٢) ذكر ابن حجر فى الإصابة أنه عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك . والذى ذكره ابن عبد البر : عبد الله بن مسعدة بن مسعود بن قيس . ونقل ابن حجر عن ابن حبان : عبد الله بن مسعدة بن مسعود . وكان عبد الله فى سبى بنى فزارة . فوهبه النبى صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة فاعتقته . وكان صغيراً فتربى عندها. ثم كان عند على، ثم كان بعد ذلك عند معاوية ، وصار أشد الناس على علىّ . ثم كان على جند دمشق بعد الحرة، وبقى إلى خلافة مروان .

أو تَستَحلّ الحرم ؟ قال : إنما يَستحلّه من أَلْحد فيه . فَحبَسهم شهراً ثم رَدَّهم إلى يزيدَ بنِ معاوية ، ولم يُجِبْه إلى شيء .

وقال أبو العبَّاس الأعمى(١) فى شَبْر ابن الزُّبير بَطْنَه :

ما زال فى سُورة الأعراف(٢) يدرسُها
حتى بدا لىَ(٣) مثلَ الخزّ فى اللّين

لو كان بطنُك شِـبراً قد شَبِعتَ وقـد
أفْضلت فضـلاً كثيراً للمسـاكين

ومضى ابنُ الزُّبير إلى صفيّة بنت أبي عُبيد ، زوجةِ عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، فذكر لها أن خُروجَه كان غضباً لله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والمهاجرين والأنصار ، من أَثَرة معاويةَ وابنِه يزيدَ بالفَىء ، وسألها مَسْألتـه أن يبايَعه . فلما قدّمت له عِشاءه ذكرت له أَمْر ابن الزبير واُجتهادَه وأثْنت عليه ، وقالت : ما يدعو إلاّ إلى طاعة الله عزّ وجل ، وأكثرت القولَ فى ذلك . فقال لهـا : أما رأيتِ بَغَلاتِ معاوية التى كان يحُجّ عليهن الشُّهْبَ ؟ فإن ابنَ الزُّبير ما يريد غيرَهن .

وأقام ابنُ الزُّبير على خَلْع يزيدَ بن معاوية ، ومالأه الناس على ذلك، فدخل

---

(١) هو أبو العباس السائب بن فروخ المكى . شاعر هجاء من أنصار بنى أمية . أكثر شعره فى هجاء آل الزبير، غير مصعب، لأنه كان يحسن إليه . (انظر نكت الهميان، ومعجم الشعراء للمرزبانى) .

(٢) لعله أراد الإشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) .

(٣) فى الأصل : «فؤادى» مكان « بدالى » . وهى رواية أكثر أصول الأغانى .

عليه عبدُ الله بن مُطيع (١)، وعبد الله بن حَنْظلة ، (٢) وأهلُ المدينة ، المسجدَ وأتَوْا المِنْبر وخلعوا يزيدَ . فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حَفْصِ بن المُغيرة المخزوميّ: خلعتُ يزيد كما خلعتُ عمامتي ، ونزعها عن رأسه ، وقال : إني لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي، ولكنّ عدوّ الله سكّير . وقال آخر : خلعتُه كما خلعتُ نَعلي . وقال آخر : خلعتُه كما خلعتُ ثوبي . وقال آخر : خلعته كما خلعت خُفِّي . حتى كثُرت العمائم والنِّعال والخِفاف ، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك . وامتنع منه عبدُ الله بن عُمر ، ومحمّد بن عليّ بن أبي طالب . وجرى بين محمدٍ خاصةً وبين أصحاب ابن الزُّبير فيه قولٌ كثير ، حتى أرادوا إكراهه على ذلك . فخرج إلى مكة . وكان هذا أولَ ما هاج الشرَّ بينه وبين ابن الزُّبير .

وقعة الحرة

واجتمع أهلُ المدينة لإخراج بني أُمية عنها ، وأخذوا عليهم العهُود ألا يُعينوا عليهم الجيش وأن يردُّوهم عنهم ، فإن لم يقدروا على ردّهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم . فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سُفيان : أَنْشدكم الله في دمائكم وطاعتكم ، فإنّ الجنود تأتيكم وتَطؤكم ، وأُعْذِر لكم ألاّ تُخرجوا أميرَكم ، إنكم إن ظَفرتم وأنا مُقيم بين أظهركم فما أَيْسر شأني وأَقْدَركم على إخراجي، وما أقول هذا إلاّ نظراً لكم،

---

(١) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبي القرشي العدوي ، من رجال قريش جلدا وشجاعة . ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم . وكان على قريش يوم الحرة ، فلما انهزم أصحابه توارى في المدينة . ثم سكن مكة . واستعمله ابن الزبير على الكوفة ، فأخرجه المختار ابن أبي عبيد منها . فعاد إلى مكة ، فلم يزل بها إلى أن قتل مع ابن الزبير في حصار الحجاج له ، وأرسل رأسه إلى الشام مع رأس ابن الزبير وصفوان . (انظر الإصابة، وتهذيب التهذيب).

(٢) هو أبو عبد الرحمن — وقيل أبو بكر — عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الأنصاري . وأبوه حنظلة المعروف بغسيل الملائكة . ولد عبد الله سنة أربع . وقتل يوم الحرة . وكان أمير الأنصار يومئذ ، وذلك سنة ثلاث وستين . حكى ابن حجر أن ممن وفد إلى يزيد بن معاوية : عبد الله بن حنظلة معه ثمانية بنين له ، فأعطاه مائة ألف وأعطى بنيه كل واحد عشرة آلاف . فلما قدم المدينة أتاه الناس فقالوا : ما وراءك ؟ قال : أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم .

أُريد به حَقْن دمائكم . فشَتموه وشَتموا يزيدَ، وقالوا : لا نبدأ إلاَّ بك ، ثم نُخرجهم بعدك . فأتى مروانُ بن الحكم عبدَ الله بن عُمر رضى الله عنهما ، فقال : يا أبا عبد الرّحمن ، إن هؤلاء القوم قد رَكبونا كما (١) ترى ، فما ترَى فى ضَمّ عيالنا؟ فقال : لستُ من أمركم وأمر هؤلاء فى شىء . فقام مروان وهو يقول : قَبَح الله هذا أمراً وهذا ديناً ! ثم أتى علىَّ بن الحسين عليهما السلام ، فسأله أن يضم أهلَه وثَقَلَه، (٢) ففعل ، ووجّهم وامرأته أُمَّ أبان بنت عثمان إلى الطائف، ومعها أبناه : عبدُ الله ، ومحمد . فعرض حُرَيث رَقَّاصة ، وهو مولى لبنى بَهْز من سُلَيم ــ كان بعض عُمّال المدينة قطع رِجْله ، فكان إذا مَشى كأنه يرقُص ، فسمِّى رقّاصة ــ لثَقَل مروان ، وفيهم أُم عاصم بنت عاصم بن عُمر بن الخطاب ، فضربتْه بعصاً فكادت تدق عُنقه ، فولّى . ومضَوْا إلى الطائف .

قلت : أُم عاصم هذه ، أُم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

قال : وأَخْرجوا بنى أُمية ، فمضوا إلى ذى خُشُب (٣) ، وفيهم عثمان بن محمد بن أبى سفيان ، والوليد بن عُتْبَة بن أبى سُفيان . وأَتْبعهم العبيدُ والصِّبيان والسَّفَلة يَرْمونهم . وأقامت بنو أُمية بذى خُشُب عشرةَ أيام، وسيَّروا حَبيب بن كُرّةَ إلى يزيد بن معاوية يُعلمونه ، وكتبوا إليه : الغَوْثَ! الغوثَ ! و بلغ أهلَ المدينة أنهم وجّهوا رجلاً إلى يزيد . فخرج محمد بن عمرو بن حَزْم ، ورجل من بنى سُلَيم، من بَهْز، وحُرَيث رقّاصة، وخمسون راكباً، فأزعجوا بنى أُمية منها ؛ فنخس حُرَيثٌ بمروان فكاد يسقط عن ناقته ، فتأخّر عنها وزَجرها وقال : أَعْلَىْ وأَسْلِمى . فلما كانوا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بما » .

(٢) الثقل : المتاع والحشم .

(٣) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة .

بالسُّويداء [١] عَرَض لهم مولًى لمروان ، فقال : جُعلتُ فِداكَ ! لو نزلتَ فأرحْتَ وتغدَّيت ، فالغَداء حاضر . فقال : لا يَدَعُنى رقَّاصةُ وأشباهُه ، وعسى الله أن يمكِّن منه فتقْطعَ يدُه . ونظر مروان إلى ما له بذى خُشُب ، فقال : لا مالَ إلا ما أحرزتْه العِياب . فمضَوْا فنزلوا حَقِيلاً [٢] ، أو وادى القُرى . [٣] وفى ذلك من فعلهم يقولُ الأحوص :

لا تَرْثِيَنّ لِحَزْمِىٍّ رأيتَ به ضُرًّا ولو أُلْقِىَ الحزمىّ فى النّارِ
الناخسين بمَرْوانٍ بذى خُشُبٍ والمُقْحمين على عُثمانَ فى الدّارِ

فدخل حبيب بن كرّة على يزيد بن معاوية ، وهو واضع رجلَه فى طَسْت لوَجَع كان يجدُه ، بكتاب بنى أُمية ، وأخبره الخبر . فقال : أما كان بنو أمية ومواليهم ألفَ رجل ؟ قال : بلى ، وثلثةَ آلاف . قال : أفعجزوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار ؟ قال : كَثَرَهم الناسُ ولم تكن لهم بهم طاقةٌ .

فندب الناسَ وأمَّر عليهم صَخْر بن أبى الجهْم . فمات قبل أن يَخْرج الجيشُ . فأمَّر مُسلم بن عُقْبة الذى يُدعى مُسْرِفاً . فقال ليزيد : ما كنتَ مُرسلاً إلى المدينة أحداً إلا قصّر ، وما صاحبُهم غيرى ، إنى رأيتُ فى منامى شجرةَ غَرْقد تَصيح : على يدىْ مُسلم . فأقبلتُ نحو الصوتِ فسمعتُ قائلا يقول : أدرك ثأرك أهلَ المدينة قتلةَ عُثمان . فخرج مُسلم ، وكان من قصة الحرّة ما كان على يده ، وليس هذا موضعَه .

قلت : إنّ مُسلماً أتى المدينةَ فقاتل أهلَها فهزمهم ودخلها ، وقتل المهاجرين والأنصار ، وأباحها ثلاثة أيام ، ثم أخذ البيعة على مَن بقى ، أنهم خَوَلٌ ليزيد

(١) السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام . (عن ياقوت) .
(٢) حقيل : موضع .
(٣) وادى القرى : واد بين المدينة والشام ، كثير القرى . (عن ياقوت) .

ابن معاوية ، وكل مَن امتنع مِن أن يبايع كذلك ضرب عُنقه . ثم توجّه إلى مكة لمحاربة ابن الزبير ، فمات في الطريق ، فقام بأمر الجيش الحصين بن نُمير السَّكوني[1] . فتقدّم بالجيش إلى مكة وحاصرها ورمى الكعبة ، شرّفها الله ، بالمنْجنيق والنار حتى تهدّمت الكعبة . ولم يزل مُحاصراً مكة حتى وصل إليه نَعْيُ يزيد بن معاوية ، فرجع بالجيش إلى الشام ، وبايع ابنُ الزبير لنفسه بالخلافة .

شعر أبي قطيفة في حنينه إلى المدينة

قال أبو الفرج : فقال أبو قطيفة في ذلك :

بَكَى أُحُـد لما تحمّل أهـلُه فكيف بذى وَجْد من القوم آلِفِ
من أجْل أبى بكر جلَت عن بلادها أُميـةُ والأيّام ذاتُ تَصارِف

وقال أيضاً :

بكى أُحُـد لما تحمّل أهـلُه فَسَلْع[2] فدارُ المال أَمست تَصدَّعُ
وبالشام إخوانى وجُلّ عَشيرتى فقد جَعَلت نفسى إليهم تَطَلَّع

ولما طال مقامُه بالشام[3] قال :

ليت شِـعْرى وأين منّىَ ليتُ أعَلَى العَهْد يَلْبَنٌ[4] فبِرَامُ
أم كعهْدى العَقيقُ أم غَـيَّرتْه بعـدىَ الحادثاتُ والأيام
وبأهلى بُدِّلْت عَكًّا ولَخْماً وجُذَاما وأين منّى جُـذام
وتبدَّلْتُ من مساكن قَوْمى والقُصورِ التى بها الآطامُ
كُلّ قَصْر مُشيَّد ذى أَوَاسٍ[5] يتغنَّى على ذُراه الحَمام

(١) هو الحصين بن نمير الكندى ، ثم السكونى الحمصى . ترجم له صاحب : تهذيب التهذيب .
(٢) سلع : موضع بقرب المدينة (عن ياقوت) .
(٣) كان ابن الزبير قد نفاه مع من نفى من بنى أمية عن المدينة إلى الشام .
(٤) يلبن : جبل قرب المدينـة . وبرام ، بفتح أوله وكسره : جبل فى بلاد بنى سليم عند الحرة من ناحية البقيع (عن ياقوت) .
(٥) الأواسى : جمع آس ، وهو الأصل . ويروى : «ذى أواش» بشين معجمـة ، كأنه أراد أن هذه القصور موشية ، أى منقوشة .

قرَ منِّي السلامَ إن جئتَ قَوْمي ... وقليلٌ لهم لدىَّ السلامُ
أَقْطَع الليلَ كُلَّه بزفيرٍ ... واكتئابٍ فما أكادُ أنام
نحو قومِي إذ فرّقت بيننا الدا ... رُ وجارت عن قصدها الأحلام
خَشْيةً أنْ يُصيبهم عَنَتُ الدَّهْـ ... ـرِ وحَرْبٌ يَشِيب منها الغُلام
فلقد حان أن يكونَ لهذا الـ ... ـدَّهْرِ عَنَّا تَباعُدٌ وانصِرام

عفو ابن الزبير عن أبي قطيفة

قيل: إنَّ عبد الله بن الزُّبير لما بلغه شعرُ أبي قطيفة قال: حَنَّ والله أبو قطيفة، وعليه السلامُ ورحمة الله، من أتاه فَلْيخبره أنه آمن فَلْيرجع. فأُخْبر بذلك، فأنكفأ راجعاً إلى المدينة، فلم يصل إليها حتى مات.

خبر زهرية سمعت من شعره

وذُكر أن امرأة من بني زُهْرة خرجتْ في خِفٍّ، (1) فرآها رجلٌ من بني عبد شَمْس من أهل الشام، فأعجبته، فسأل عنها، فنُسبت له. فخطبها إلى أهلها، فزوّجوه إياها بكَرْهٍ منها. فخرج بها إلى الشام، فخرجتْ مَخْرجاً، فسمعت متمثّلا يقول: والأبيات لأبي قطيفة:

ألا ليتَ شعْري هل تَغير بعدنا ... جَبُوبُ المُصلَّى أم كعهدي القرائنُ (2)
وهل أَدْؤُرٌ حول البَلاط عَوامِرٌ ... من الحيِّ أم هل بالمدينة ساكِن
إذا برقتْ نحو الحجاز سحابةٌ ... دعا الشوقَ منِّي برقُها المُتيامِن
فلم أَترُكَنْها رغبةً عن بلادها (3) ... ولكنّه ما قدَّر اللهُ كائن
أَحِنُّ إلى تلك الوجوه صَبابةً ... كأني أسيرٌ في السَّلاسل راهِن

فتنفسّت بين النساء فوقعتْ ميتةً.

قيل: إن هذه المرأة هي حُميدة بنت عمر بن عبد الرحمن بن عَوْف، رضي الله عنه.

(1) يقال: خرج فلان في خف من أصحابه، أي في جماعة قليلة. والذي في الأصل «في حق» تحريف.

(2) الجبوب: الحجارة والأرض الصلبة. والذي في الأصل: «جنوب». وما أثبتنا عن ياقوت.

(3) وفي رواية: «وما أخرجتنا رغبة عن بلادنا».

شعره فى طلاق امرأته

وذُكر أن أبا قطيفة طلّق امرأته ، فقال :

فيا أسفاً لفُرْقة أمّ عَمْرو ورِحْـلةِ أهلها نحوَ العِراقِ
فليس إلى زيارتها سَبيلٌ ولا حتَّى القيامةِ من تلاقى
وعلّ اللهَ يَرْجِعها إلينـا بموتٍ من حَليل أو طَلاق
فأَرْجِعَ شامتاً وتقرَّ عَيْنى ويُجْمَعَ شَمْلُنا بعد افتراق

مقتل سعيد ابن عثمان

وذُكر أنّ معاوية بن أبي سفيان استعمل سَعيد بن عثمان بن عفّان على خُراسان ، فلما عزله ، قدم المدينةَ بمال وسلاح وثلاثين عَبْداً من السُّغْد[1] ، فأمرهم أن يَبْنوا له داراً . فبينا هو جالسٌ فيها ومعه ابنُ سَيْحان ، وابن زِينَة ، وخالد ابن عُقبة ، وأبو قَطيفة ، إذ تآمر العبيدُ بينهم فقتلوه . فقال أبوقطيفة يرثيه ، وقيل إنها لأخيه خالد بن عقبة[2] :

يا عينُ جُودِى بدَمْع منك تَهْتانَا وأبكى سعيدَ بنَ عثمانَ بن عفّانَا
إنّ ابنَ زِينَة لم تصدُقْ مودَّتُه وفرَّ عنه ابن أَرْطاةَ بنِ سَيْحانا

---

(١) السغد بالسين ، ويقال بالصاد : ناحية ، من قراها بخارى ، وسمرقند قصبتها . (عن ياقوت) .

(٢) هو أخو عثمان لأمه ، أمها أروى بنت عامر بن كريز . وكان عقبة بن أبى معيط تزوج أروى بعد وفاة عفان ، فولدت له الوليد ، وخالدا ، وعمارة ، وأم كلثوم . كل هؤلاء إخوة عثمان لأمه .

بعض أخبار معبد

هو مَعْبد بن وَهْب. وقيل: ابن قَطنيّ. وقيل: ابن قَطَن، مولى العاص ابن وَابصة المخزوميّ: وقيل: بل مولَى مُعاويةَ بن أبي سُفْيان.

نسبه

كان أبوه أسودَ، وكان هو خِلاَسيًّا [1] مديدَ القامة أَحْوَلَ.

ذكر ابن خُرْدَاذْبَه أنه غنّى أول أيام بنى أُمية، وأدرك دولةَ بنى العباس. وقد أَصابه الفَالِجُ وأُرتعش، فكان إذا غَنّى يُضْحَك منه ويُهزأ به.

نشأته ووفاته

قال أبو الفرج: وأبن خُرْدَاذْبه قليلُ التحصيل لما يَرْويه ويُضمِّنُه كُتُبَه. والصَّحيح أنَّ معبداً مات فى أيام الوليد بن يَزيد بدِمشقَ وهو عنده. وقد قيل إنه كان أصابه الفالجُ، وأُرتعش وبَطَل صوتُه. فأما إدراكُهُ دولةَ بنى العبَّاس فلم يرْوه أحدٌ سوى أبن خُرْدَاذبه، ولا رواه هو عن أحد، وإنما جاء به مُجازفةً.

قال كَرْدَم بن مَعْبد: مات أبي وهو فى عسكر الوليد بن يَزيدَ وأنا معه، فنظرتُ حين أُخْرِج نَعشُهُ إلى سَلاَّمةِ القَسِّ، جاريةِ يزيدَ بن عبد الملك، وقد أضرب الناسُ عنه ينظرون إليها وهى آخذةٌ بعمود السرير وهى تَنْدُب [2] أبي وتقول:

قد لَعَمْرى بِتُّ لَيْلى   كأخى الداء الوَجيعِ
ونَجِيُّ الهمِّ منّى   بات أدْنَى من ضَجيعى

---

(١) الخلاسى: الولد بين أبوين: أبيض وأسود.

(٢) فى بعض أصول الأغانى: «تبكى».

كلما أبصرتُ رَبْعاً خالياً فاضتْ دموعى
قد خلا من سيّدٍ كا ن لنا غـيْرُ مُضيع
لا تَلُمْنا إنْ خَشَعنا أو هَممْنا بخُشُوع

قال كَردم : وكان يزيدُ أمر أبى أن يُعلِّمها هذا الصوت ، فعلَّمها إياه فندبَتْه به يومئذ .

قال :

فلقد رأيتُ الوليدَ بنَ يَزيدَ وأخاه الغَمر متجرِّدَيْن فى قميصين ورِداءين يمشيان بين يدى سريره حتى أُخرج من دار الوليد ؛ لأنه تولّى إخراجه من داره إلى موضع قَبره .

منزلته فى الغناء

وكان معبدُ أحسنَ الناس غِناءً ، وأَجودهم صَنعة ، وأحسنهم حَلْقاً . وهو فحل المُغنِّين ، و إمام أهل المدينة فى الغناء .

أخذه جائزة لابن صفوان

قال معبدُ : قَدِمْتُ مكة فقيل لى : إن ابن صَـفْوان قد سَبَّق بين المغنِّين جائزةً . فأتيتُ بابَه وطلبتُ الدُّخول . فقال لى آذِنُه : قد تَقدَّم إلىَّ ألَّا آذَنَ لأحد عليه ولا أُوذِنه به . قال : فقلت : دَعْنى أَدْنُ من الباب فأُغنِّىَ صوتاً . فقال : أمّا هذا فنَعم . فدنوتُ من الباب فغنَّيتُ صوتاً . فقالوا : معبد ! وفتحوا لى ، فأخذتُ الجائزة يومئذ .

مبدأ غنائه

وقال معبد : كنتُ غلاماً مملوكا لآل قَطَن مولى بنى مَخْزوم ، وكنتُ أتلقّى الغَنَم بظَهْر الحَرّة ، وكانوا تِجَاراً أُعالج لهم التِّجارة فى ذلك ، فآتِى صخرةً مُلْقاة بالحَرّة باللَّيل فأَستند بها[1] ، فأسمع وأنا نائم صوتاً يجرى فى مَسامعى . فأقومُ من النوم فأَحْكيه . فهذا كان مبدأ غِنائى .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : «إليها» .

حديث رجوع ابن سريج والغريض عن المدينة

وذكر أن ابن سُريج والغَرِيض قَدِمَا المدينةَ يتعرَّضان لمعروف أهلها و يَزُوران صَدِيقهما من قُريش وغيرهم . فلما شارفاها تَقدَّما ثَقَلَهما لِيرتادا منزلاً ، حتى إذا كانا بالمَغْسِلة ، وهى الجبانة على طَرَف المدينة تُغْسَل فيها الثياب ، و إذا هما بغُلام مُلْتحف بإزار وطَرَفُه على رأسه ، و بيده حِبَالَةٌ يتصيّد بها الطيرَ وهو يتغنَّى :

القصرُ فالنَّخْل فالجمَّاء بينهما أَشْهَى إلى القلب[1] من أبواب جَيْرونِ

و إذا الغلام مَعْبَد . فلما سَمِع ابن سُريج والغَرِيض معبداً مالَا إليه واستعاداه الصوتَ ، فأعاده ، فسمعا شيئاً لم يَسْمعا مثلَه قطُّ . فأقبل أحدهما على صاحبه فقال : هل سمعتَ كاليوم قطُّ ؟ قال : لا والله ، فما رأيُك ؟ قال ابن سُرَيج : هذا غناء غلامٍ يتصيَّد الطيرَ ، فكيف بمَنْ فى الجَوْبةَ ![2] — يعنى المدينة — فأمّا أنا فثَكِلَتْه والدتُه إن لم أَرْجع . فكَرَّا راجعين .

نادرة له فى طريقه إلى الحجاز

وقال مَعْبد : بَعث إلىَّ بعضُ أُمراء الحجاز — وقد كان يُجمع له الحَرَمان — أنِ اُشْخَص إلى مكة . فَشَخَصْتُ . قال : فتقدَّمتُ غُلامى ، فاشتدَّ علىَّ الحَرُّ فى ذلك اليوم والعطشُ ، فانتهيتُ إلى خِباء فيه أسودُ ، و إذا حِبَابُ[3] ماء قد بُرِّدتْ ، فمِلْتُ إليه فقلتُ : يا هذا ، اسْقِنى من هذا . فقال: لا . فقلتُ : فأْذَن لى فى الكِنِّ ساعةً . قال : لا . فأَنَخْتُ ناقتى ولجأتُ إلى ظِلِّها فاستترتُ به ، وقلت : لو أحدثتُ لهذا الأمير شيئاً من الغناء أَقْدَمُ به عليه ، ولعلِّى أيضاً إن حرَّكتُ لسانى أن يَبُلَّ حلقى فيُخفِّفَ عنى بعض ما أجدُ من العطش . فترنمتُ بصوتى :

القَصْر فالنَّخْلُ فالجمَّاء بينهما أشهى إلى القَلْبِ من أبوابِ جَيْرُونِ

(١) فى بعض الأصول الأغانى : «النفس» .

(٢) يريد المدينة ، لأن الجوبة الموضع ينجاب فى الحرة ، والمدينة بين حرتين تكتنفانها .

(٣) حباب : جمع حب ، بالضم ، وهى الجرة ، صغيرة كانت أم كبيرة .

فلما سمعه الأسودُ، ما شَعرتُ به إلاَّ وقد احتملنى فأدخلنى خِباءه ، ثم قال: بأبى أنت وأمى ! هل لك فى سَوِيق السُّلْت[١] بهذا الماء البارد ؟ فقلت : قد مَنَعْتنى أقلّ من ذلك ، وشربةٌ من ماء تجْزِئُنى . قال : فسقانى حتى رَوِيتُ ، وجاء الغلامُ، فأقمتُ عنده إلى وقت الرَّواح . فلما أردتُ الرِّحْلة قال : بأبى أنت وأمى ! الحرُّ شديد، ولا آمَن عليك مثلَ الذى أصابك ، فأْذَنْ لى أحملْ معك قربةً على عُنقى وأسعَى بها معك ، فكلما عطِشْتَ سقيتُك صَحْنا وغنَّيتَنى صوتا . فقلتُ : ذلك لك . قال ، :فوالله ما فارقنى يَسْقِينى وأُغنّيه حتى بلغتُ المنزل .

هو وابن سريج فى بطن مر

وقيل : كان معبد خارجاً إلى مكة فى بعض أسفاره ، فسمع فى طريقه غناءً فى بَطْن مَرّ[٢] ، فقَصَـد الموضع ، فإذا رجلٌ جالسٌ على حَرْف بِرْكة فارقٌ شعْرَه ، حسنُ الوجه ، عليه دُرَّاعة[٣] قد صَبَغَها بزَعْفران ، و إذا هو يتغنّى :

حَنَّ قلبى من بعـد ما قد أنابا ودعَا الهمَّ شَـجْوُه فأَجَابَا
ذاكَ مِنْ مـنزلٍ لسَلْمَى خَـلَاء لابسٍ من خَـلَائِه جِلْبَابا
عُجْتُ فيه وقلتُ للرَّكْب عُوجُوا طَمَعاً أن يرُدَّ ربعٌ جـوابا
فاستثار المَنْسىَّ من لَوْعة الحُبّـــــ وأبدى الهمـومَ والأَوْصَابا

فقال له ابن سُرَيج : أنت معبد والله ؟ قال : نعم . وأنت ابنُ سُرَيج ؟ قال : نعم ، والله لو عرفتُك ما غَنَّيتُ بين يديك .

هو والجوارى المغنيات فى طريقه إلى الأهواز

وذُكر أن معبداً كان قد علَّم جاريةً من جَوارى الحِجاز الغِناء . تُدْعى ظَبْية، وعُنِى بتَخْرِيجها . فاشتراها رجلٌ من العراق وأَخرجها إلى البَصرة و باعها هناك . فاشتراها رجلٌ من أهل الأَهْواز وأُعْجِب بها . وذهبتْ كلَّ مذهب وغلبتْ عليه.

---

(١) السلت : شعير لا قشر له ، أجرد .
(٢) بطن مر : من نواحى مكة . عنده يجتمع وادى النخلتين فيصيران واديا واحدا . وقيل: انه موضع على مرحلة من مكة، يقال له مر الظهران . (انظر معجم البلدان، والقاموس)
(٣) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم .

ثم ماتت بعد أن أقامت عنده بُرْهةً من الزمان ، وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ، فكان لمحبَّته إياها وأَسَفه عليها لايزالُ يسألُ عن أَخبار مَعْبد وأين مُسْتَقَرُّه ، ويُظْهِر التعصُّبَ له والميلَ إليه والتقديمَ لغنائه على سائر أغاني عصره ، إلى أن عُرِف ذلك منه . وبلغ معبداً خبرُه . فخرج من مكة حتى أتى البصرةَ . فلما وردها صادَف الرجلَ وقد خرج عنها فى ذلك اليوم إلى الأَهواز ، فلم يجد غيرَ سفينة الرَّجُل ، وليس يعرف أحدُهما صاحبه . فأمر الرجلُ الملّاحَ أن يُجْلسه معه فى مؤخَّر السفينة ، ففعل ، وانحدروا . فلمّا صاروا إلى فَم نهر الأُبلَّة(١) تغدَّوا وشَربوا ، وأمر جواريه فَغَنَّيْن ، ومعبدٌ ساكت وهو فى ثياب السَّفر ، وعليه فَرْوٌ وخُفَّان غَليظان وزِيٌّ جافٍ من زِيّ أهل الحِجاز ، إلى أن غَنَّت إحدى الجوارى بصوت غِنائه وشعر النابغة ، وهو :

بانتْ سُعادُ وأَمْسى حبلُها انصرما واحتلَّتِ الغَوْرَ والأَجْراعَ من إِضَمَا(٢)

إِحْــدَى بَلِيّ وما هامَ الفُؤادُ بها إلا السَّفَاهَ وإلّا ذِكْرَةً حُــلُمَا(٣)

فلم تُجِدْ ، فصاح بها مَعْبد : إنّ غِناءَكِ هذا ليس بمُستقيم . فقال له مولاها ، وقد غَضِب : وأنت ما يُدْريك الغناء ما هو ؟ ألا تُمْسك وتَلْزم شأنَك ! فأمسك . ثم غنَّت أصواتاً من غنــاء غيره ، وهو ساكتٌ لا يتكلم . ثم غَنَّت بصوت من غنائه وشعر عبد الرحمن بن أبى بكر ، وهو :

يابنةَ الأَزْدِيّ قلبى كَئِيبُ مُسْتَهامٌ عنـدها ما يُنيبُ

ولقد لامُوا فقلتُ دَعُونى إنّ من تَنْهون عنه حَبِيب

(١) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخله إلى مدينة البصرة . ويقال فيها : الأبلة ، بفتح الهمزة والباء .

(٢) الأجراع : جمع جرع ، وهو مفرد ، أو جمع جرعة ، وهى الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها . وإضم ، بكسر ففتح : واد بجبل تهامة ، أو هو الوادى الذى فيه المدينة .

(٣) بلى ، كغنى : اسم قبيلة . والسفاه : الطيش وخفة الحلم . والذكرة ، بالكسر والضم : نقيض النسيان .

إنما أَبْلَى عِظامِي وجِسْمِي حُبُّها والحبُّ شيءٌ عَجِيبُ
أيّها العائب عندى هَوَاها أنت تَفْدِى مَنْ أراك تَعِيب

فقال لها معبد : يا جارية ، قد أَخْلَلْت بهذا الصوت إخلالاً شديداً . فغضِب الرجُل وقال : ويلك ! ما أنت والغناء ! ألا تكُفُّ عن هذا الفُضُول ! فأمسك ، وغنت الجوارى مَلِيًّا ، حتى غنَّت إحداهن بصوت من غنائه وشعْر كُثيِّر ، وهو :

خليليَّ عُوجا ساعةً منكما مَعِى على الرَّبْع نَقْضى حاجةً ونُودِّعِ
ولا تُعْجِلانى أنْ أُلِمَّ بدِمْنَةٍ لِعزَّةَ لاحتْ لى بَبَيْداءَ بَلْقَعِ
وقُولا لِقلْبٍ قد سَلا راجِعِ الهوَى وللعيَنِ أَذْرِى من دموعك أو دَعِى
ولا عيشَ إلا مثلُ عيشٍ مضى لنا مَصِيفاً أَقَمْنا فيه من بعد مَرْبَع

فلم تصنع شيئاً . فقال لها معبد : يا هذه ، أما تقُومينَ على أداء صوت واحد ! فغضب الرجلُ ، وقال : ما أراك تَدَع الفضولَ بوجهٍ ولا حيلةٍ ! وأُقسم بالله لئن عاودتَ لأُخْرِجنَّك من السفينة. فأمسك معبدٌ ، حتى إذا سكت الجوارى سكْتةً، اندفع فغنَّى بالصوت الأول ، حتى إذا فَرغَ صاح الجوارى : أحسنتَ والله يا رجُل ! فأعِدْه . فقال: لا والله ولا كرامةَ . ثم اندفع يُغنى الثانى .فقلن لسيدِّهن: هذا والله أحسنُ الناس غناءً ،فسَلْه أن يُعيده علينا ولو مرَّة واحدة ، فإنه إن فات لم نجِدْ مثله أبداً . قال : قد سمعتنّ سوء ردِّه عليكن وأنا خائف مثلَه منه ، وقد أسلفناه الإساءة ، فاصبرْن حتى نُداريَه .ثم غنَّى الثالثَ ، فزَلْزل عليهن الأرضَ. فوثَب الرجُل فخرج إليه .وقال : يا سيدى ، أخطأنا عليك ولم نعرِف قَدْرك . قال : فهَبْ أنك لم تعرف قدرى ، قد كان ينبغى لك أن تتثبَّت ولا تُسرع إلى سوء العِشْرة وجفاء القَوْل . فقال له : قد أخطأتُ ، وأنا أعتذر إليك . فلم يزل يرفُق به حتى نزل إليه . فقال له الرجلُ : ممّن أخذتَ الغِناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز . فمن أين أخذه جواريك ؟ قال : أخذْنه من جارية كانت لى أُبتاعها رجلٌ من

أهل البصرة من مكة ، وكانت قد أخذت من أبى عبّاد مَعْبد ، وعُنى بتَخْرِيجها، وكانت تحُل منى محلّ الرُّوح من الجسد ، ثم أُستأثر الله بها ، و بقى هؤلاء الجوارى وهُنّ من تعليمها . فأنا إلى الآن أتعصّب لمعبد وأُفضله على المغنّين جميعاً ، وأفضّل صنعته على كل صنعة . فقال له معبد : و إنك لأنت هو ! أفتعرِفنى ؟ قال : لا . فصكّ مَعْبد بيديه صَلْعته ، ثم قال : فأنا واللهِ مَعْبد ، و إليك قَدِمْتُ من الحجاز ، ووافيتُ البصرَةَ ساعةَ نزلتَ السفينةَ لأقْصِدكَ بالأهواز . ووالله لا قصَّرتُ فى جواريكَ ، ولأجعلنّ لك كل واحدة منهن خلفاً من الماضية . فأ كبّ الرجلُ والجوارى على يديه ورجليه يقُبلونها و يقولون: كتمتَنا نفسكَ طُولَ هذا اليوم حتى حقَرْناك[1] فى المُخاطبة وأسأنا عِشْرتَك، وأنت سيّدنا ومَن نتمنى على الله أن نَلْقاه . ثم غيّر الرجلُ زِيَّه وحالَه ، وخلع عليه عِدّة خِلع ، وأعطاه فى وقته ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا مثلها ، وانحدر معه إلى الأهواز . وأقام عنده حتى رَضى حِذْق جواريه، وانصرف إلى الحجاز .

هو فى حضرة الوليد بن يزيد

وذُكر أنَّ الوليد بن يزيد اشتاق إلى معبد فوجّه إليه إلى المدينة ، فأُحضِر . و بلغ الوليدَ قدومُه ، فأمر ببركة بين يديه فملئت بماء وَرْد قد خُلط بمسك وزَعْفران ، ثم فُرِش للوليد فى داخل البيت على حافّة البِرْكة ، و بُسط لمَعبد مقابِلَه على حافة البركة ، ليس معهما ثالث . وجىء بمَعبد . فرأى ستراً مُرْخىً ومجلسَ رجل واحد ، فقال له الحُجّاب : يا معبد ، سلِّم على أمير المؤمنين فى هذا الموضع . فسلَّم، فردّ عليه الوليد السلامَ من خلف السِّجْف[2] . ثم قال له : حيّاكَ الله يا معبد ، أتدرى لِمَ وجّهتُ إليك ؟ قال : الله أعلم وأميرُ المؤمنين . قال : ذكرتُك فأحببتُ أن أَسمع منك . فقال له معبد : أُغنّى ما حَضر أو ما يَقْترحه أميرُ المؤمنين ؟ قال غنِّنى:

(١) فى بعض أصول الأغانى : «جفوناك» .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : «الستر» .

لَهْفى على فِتْيَـةٍ ذلَّ الزمانُ لهم فمـا أصابهُمُ إلّا بمـا شـاءوا
مازال يَعْدو عليهم ريبُ دَهْرِهمُ حتى تفـانَوْا وريبُ الدهر عَدّاء
أبْـكَى فِراقَهمُ عَيْني فأرّقهـا إنَّ التفَّرق للأحباب بَـكّاء

فغنَّاه . فما فرغ حتى رفَع الجوارى السِّجْف ، ثم خرج الوليدُ فألقى نفسـه فى البركة فغاص فيها ، ثم خرج منها ، فاستقبله الجوارى بثياب غيرِ الثيـاب الأُولى .
ثم شَرب وسقى مَعبداً ، ثم قال له : غنِّنى يا مَعبد :

يا رَبْعُ مالك لا تُجيبُ مُتيَّمَا قد عاج نحوكَ زائراً ومُسـلِّمَا
جادتْك كلُّ سحـابةٍ هطَّالةٍ حتى ترَى عن زَهرةٍ[1] متبسِّما
لو كنتَ تَدرى مَنْ دعاك أجبتَه و بكيتَ من حُرَق عليه إذاً دَمَا

قال: فغنَّـاه .وأقبل الجوارى فرفعن السِّتْر، وخرج الوليد فألقى نفسَه فى البركة فغاص فيها ، ثم خرج فلبس ثياباً غيرَ تلك . وشرب وسقى معبداً ، ثم قال : غنى .
قال : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال :

عَجِبَتْ لمّـا رأتْنى أندُب الرَّبْعَ المُحِيـلَا[2]
واقفاً فى الدار أبْـكِى لا أرى إلّا الطُّـلولا
كيف تَبْـكى لأُناس لا يَمَـلُّونَ الذَّميـلَا[3]
كُلَّمـا قلتُ اطمأنَّت دارُهم قالوا الرَّحِيـلا

قال : فلما غنَّـاه ألقى نفسَه فى البركة ثم خَرج ، فردّوا عليه ثيابَه . ثم شَرب وسَقى معبداً . ثم أَقبل عليه الوليدُ فقال له : يا معبد ، مَن أراد أن يزداد حُظْوة عند

---

(١) الزهرة : البهجة والنضرة .
(٢) المحيل : الذى أتت عليه أحوال وغيرته .
(٣) الذميل : ضرب من سير الابل لين . وقال أبو عبيد : إذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد ، فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم . وفى حديث قس : يسـير ذميلا . أى سيرا سريعاً لينا .

الملوك فليكتم أسرارَهم . فقلتُ : ذلك مما لا يحتاج أميرُ المؤمنين إلى إيصائى به . فقال : ياغُلام ، احمل إلى معبد عشرة آلاف دينار تُحصَّل له فى بلده ، وألفَىْ دينار لنفقة طريقه . فَحُملت إليه كُلُّها ، وحُمل على البريد من وقته إلى المدينة .

وفى رواية أخرى : إنّ البِرْكة كانت مملوءة خمراً ، وإن الوليد قَذف نفسه فيها ونَهل منها نَهلة وخرج .

قلت : ووجدتُ فى بعض التواريخ : أنّه نهل منها حتى تبيّن نُقصانها .

خبره مع شامى

وقال معبد: أرسل إلىّ الوليد بن يزيد، فأُشخصت إليه . فبينا أنا يوماً فى بعض حمّامات الشام إذ دخل علىّ رجلٌ له هَيبة ومعه غِلمان ، فاطّلَى، واشتغلَ به صاحبُ الحمّام عن سائر الناس . فقلتُ : والله لئن لم أُطْلعه على بعض ما عندى لأكونَنّ بمَزْجر الكلب . فاستدبرتُه حيث يرانى و يسمع منّى ، ثم ترنّمت . فالتفتَ إلىّ وقال للغلمان : قدِّموا إليه جميعَ ما هاهنا . فصارَ جميع ما كان بين يديه عندى . ثم سألنى أن أسيرَ معه إلى منزله ، فلم يَدع من البرِّ والإكرام شيئاً إلا فعله ؛ ثم وُضع النّبيذ ، فجعلْتُ لا آتى بحَسن إلا خرجتُ إلى أحسن منه ، وهو لا يرتاح ولا يَحفل لما يرى . فلما طال عليه أمرى قال : ياغلام ، شَيْخَنا ، شيخَنا . فأُتى بشيخ ، فلما رآه هَشَّ إليه . فأخذ الشيخُ العُود ثم اندفع يغنى :

سِلَّورٌ[1] فى القِدْر ويْلِى عَلُوه[2] جاء القِطُّ أَكلَهْ وَيْلِى عَلُوه

فجعل صاحبُ الدار يصفّق ويضرب برجله طرباً وسُروراً . ثم غنّاه :

---

(١) السلور : نوع من السمك يكون بنيل مصر ، طويل أملس ليس له فصوص . وله رأس إلى الطول وفم مستطيل كالخرطوم . (عن ابن البيطار) .

(٢) ظاهر أنه يريد «عليه» .

وتَضربنى[1] حَبِيبةُ بالدَّرَاقِنْ[2] وتَحسبنى حبيبـــةُ لا أَراها

قال : فكاد يخرج من جِلْده طَرَباً . قال: فانسللتُ منهم وانصرفتُ ولم يُعلَمْ بى .
فما رأيتُ مثل ذلك اليوم قطُّ غِناءً أضيعَ ولا شيخاً أجهلَ .

(١) فى بعض أصول الأغانى : «ترمينى» .

(٢) الدراقن ، كعلابط ، وقــد تشدد الراء : المشمش . وذكر الزبيرى أن عرب الشــام يسمون الخوخ الدراقن ، وقال : ان تفسيره بالمشمش غير معروف .

اخبار عمر بن أبي ربيعة

نسب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

واسم أبي ربيعة حُذيفة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخزوم بن يَقظة بن مُرَّة بن لُؤَيّ بن غالب. ويُكنى عمر: أبا الخطّاب. وكان أبو ربيعة جدُّه يُسمَّى ذا الرُّمحين، سُمّي بذلك لطُوله. كان يقال: كأنه يَمشي على رُمحين (١). وفيه يقول عبدُ الله بن الزِّبَعْرَى:

ألاَ لله قــومٌ (٢) و … لَدَتْ أختُ بني سَهْمِ
هِشَامٌ وأبو عَبــدِ … مَنافٍ مِدْرَهٌ (٣) الخَصْمِ
وذو الرُّمحين أَشْباكَ … من القُوة (٤) والحزْمِ
فهــذان يذُودان … وذا عن (٥) كَثَبٍ يَرْمِي
أسُودٌ تَزْدَهِي (٦) الأقْرا … نَ مَنَّاعُون للهضْمِ

(١) وقال ابن منظور: سمي بذلك لأنه قاتل برمحين. وقيل: لطول رمحه. وقال ابن حبيب في المحبر عند ذكر من ولدت ريطة بنت سعيد بن سهم: «وأبا ربيعة، وهو ذو الرمحين، قاتل يوم الفجار برمحين».

(٢) في المحبر: «ألا لله ماذا».

(٣) المدره: المقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال.

(٤) كذا أورد القالي البيت في النوادر (ص ٢٠٨). وقال قبله: «ويقال: أشباك بفلان، كما يقال: حسبك بفلان». ثم أنشد البيت. وروايته في المحبر:

وذو الرمحين أشبال … من الأقوام ذو الحزم

وروايته في الأصل والأغاني:

وذو الرمحين أشبال … على القــوة والحزم

(٥) في بعض أصول الأغاني والمحبر: «من».

(٦) ازدهاه: استخف به وتهاون.

وهم يومَ عُـكاظٍ مَـ نعوا النَّاسَ من الهَزْم
وهم مَن ولدُوا أَشْبَوْا بسِرِّ الحَسَبِ [١] الضَّخْم
فإنْ أَحْلِفْ وبيتِ الله لا أحلفْ على إثْم
لَمَا مِنْ إخوةٍ بين قُصورِ الشأم [٢] والرَّدْم
بأزْكى من بنى رَيط ةَ أو أَوْزَنَ فى [٣] الحِلْم

أبو عبد مناف : الفاكهُ بن المُغيرة . ورَيطة ، هى أم بنى المُغيرة ، وهى بنت سُعيد [٤] بن سَهْم . ولدت من المُغيرة : هِشَاماً ، وهاشماً ، وأبا ربيعة ، والفاكه .

وقد قيل: إنّ هذه الأبيات ليست لابن الزِّبَعْرَى. فإن أبا بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام بن المغيرة أمر من وَضعها ، ونُسبت إلى ابن الزِّبعرى .

شىء عن عبد الله ابن أبى ربيعة

وكان اسم عبد الله بن أبى ربيعة فى الجاهلية بَحِيراً [٥] ، فَسماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدالله . وكانت تلقِّبه قُرَيشُ العِدْلِ ؛ لأن قُرَيشاً كانت تَكْسو الكعبة فى الجاهلية سنةً ، ويكسوها عبدُ الله من ماله سنة . فأرادوا بذلك أنه وحدَه عِدْلٌ لهم جميعاً فى ذلك .

(١) أنشد شمر بيت ذى الإصبع الهمدانى ، ويكاد يكون هو لولا رويه :

وهم إن ولدوا أشبوا بسر الحسب المحض

وقال : وأشبى : إذا جاء بولد مثل شبا الحديد ، وقال ابن الأعرابى : رجل مشب : ولد الكرام .

(٢) رواية البيت فى النوادر (١٩٦) والمحبر :

ما إن إخوة بين قصور الشام والردم

(٣) رواية البيت فى الأمالى :

كأمثال بنى ريط ة من عرب ولا عجم

(٤) كذا فى نسب قريش للزبيرى : وفى الأصل : «سعد بن سهم» وفى الأغانى : «سعيد بن سعد بن سهم» وكلا هما تحريف .

فقد ولد سهم بن عمرو بن هصيص : سعدا وسعيدا . ومن ولد سعيد ريطة ، أم بنى المغيرة . وفى نسل سهم سعيد آخر هو ابن لسعد ، ولكنه ليس أبا ريطة أم بنى المغيرة . (انظر نسب قريش ص ٤٠٠ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨)

(٥) فى الأصل : «بجيرا» بالجيم ، تصحيف . (انظر تاج العروس : بحر) .

وقد قيل : إنّ العِدْلَ: الوليدُ بن المُغيرة .

وكان عبدُ الله بن أبى ربيعة تاجراً موسراً ، وكان مَتْجره إلى اليمن . وكان من أكثرهم مالاً . وأُمه أسماء بنت مُخَرِّمة [١] ، وكانت عَطَّارة يأتيها العِطْر من اليمن ، وكان تزوّجها هشامُ بن المغيرة أيضاً ، فولدت له : أبا جَهْل ، والحارث ، أبنى هشام . فهى أُمهما ، وأُم عبدِ الله ، وعيَّاش ، أبنى أبى ربيعة .

وكان لعبد الله بن أبى ربيعة عَبِيدٌ من الحَبشة يتصرّفون فى جميع المِهَن ، وكان عددهم كثيراً . فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى حُنين : هل لك فى حَبَش بنى المُغيرة تستعين بهم ؟ فقال : لا خيرَ لى فى الحبش ، إن جاعوا سَرقوا ، وإن شَبِعوا زَنَوْا ، وإنّ فيهم لخلّتين حسنَتين : إطعامَ الطَّعام ، والبأسَ يوم البأس .

واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أبى ربيعة على الجَنَد [٢] ومَخاليفها [٣] ، فلم يزل عاملاً عليها حتى قُتل عُمر رضى الله عنه .

وقيل : إنّ عثمان رضى الله عنه استعمله أيضاً عليها .

أمه

وأُم عمر بن عبدالله بن أبى رَبيعة أُمّ ولد ، يقال لها : مَجْد ، سَبِيّة من حَضْرَموت . وقيل : من حِمْير . ومن هناك أتاه الغزَل . يقال : غزَل يمانٍ ، ودَلٌّ حِجَازىّ .

وقيل . أُمه أُم ولد سَوْداء ، يقال لها : فرشان [٤] .

وقد ردّ أبو الفرج هذا القولَ وقال : إنها أُم أخى « عُمر » الحارثِ ، الذى

(١) ويقال : مخربة ، أيضاً .

(٢) الجند : من ولايات اليمن الثلاث ، وهى : الجند ، وصنعاء ، وحضرموت .

(٣) المخاليف : الأطراف والنواحى ؛ الواحد مخلاف ، وهو عند اليمن كالرستاق .

(٤) فى أكثر نسخ الأغانى : « فرسان » . وفى سائرها : « مرسان » . والذى وجدناه نقلا عن ياقوت : « وفرسان قبيلة من تغلب ، كانوا قديماً نصارى ، ولهم فى جزائر فرسان كنائس قد خربت . ويحملون التجارة إلى بلد الحبش » .

يقال له القُبَاع . وكان شريفاً كريماً ديِّنا ، وسيِّداً من سادات قريش .

وكانت أُمّه هذه نَصْرانية . وذُكر أنها ماتتْ نصرانيّة ، وكانت تُسِرذلك منه ، فَحضر الأشراف جِنازتها ، وذلك فى عَهْد عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه . فسمع الحارثُ من النِّساء لَغَطاً ، فسأل عن الخبر ، فعُرِّف أنها ماتت نصرانية ، وأنه وجِد الصليبُ فى عنُقها ، وكانت تكتُمه ذلك ، فخرج إلى النـاس وقال : انصرفوا رحمكم الله ، فإنّ لها أهلَ دين، هم أَوْلى منا ومنكم . فاستُحسن ذلك منه، وعَجِب الناسُ من فعله .

ابنـه جوان

وكان لعمر بن أبى ربيعة ابْنٌ يقال له : جُوَان ، وفيه يقول العَرْجِيّ :

شَهِيدى جُوَانٌ على حُبِّها أليس بعَدْلٍ عليها جُوَانُ

فذُكر أنّ جُوَان هذا جاء إلى العَرْجِيّ وقال : يا هذا ، مالى ولك تُشهِّرنى فى شعرك ، حتى أشْهدتنى على صاحبتك هذه ! متى كنتُ أشهد فى مثل هـذا ! وكان امرأً صالحاً .

مولده

وذُكر أنّ عمر بن أبى ربيعة وُلد فى الليلة التى قُتل فيهـا عمر بن الخطّاب ، فقال فى ذلك الحسن : أى حقّ رُفع ، وأىّ باطل وُضع !

قدومه على ابن عباس المسجد

قيل: بينا ابنُ عبّاس فى المسجد الحرام ، وعنـده نافع بن الأزْرق ، وناسٌ من الخوارج يسألونه، إذ أقْبل عمر بن أبى ربيعة فى ثوبين مَصْبوغين مُحصَّرين[1] حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابنُ عبّاس فقال : أنْشِدنا . فأنْشده :

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبكِرُ غـداةَ غـدٍ أو رائحٌ فمُهجِّرُ

حتى أتى على آخرهـا . فأقبل عليه نافعُ بن الأزرق وقال : اللهَ ياابن عبـاس !

(١) المحصر من الثياب : التى فيها شىء من صفرة ليست بالكثيرة .

إنّا نضرب إليك أكبادَ المطىّ من أقاصى البلاد نَسألك عن الحلال والحرام ، وتتثاقل عنّا ، و يأتيك مُتْرفٌ من مُتْرَفى قريش فيُنشدك :

رأت رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضت   فَيخزَى وأمّا بالعَشىّ فيخسرُ

فقال : ليس هكذا . قال : فكيف قال ؟ قال :

رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ   فيضْحَى وأمّا بالعشىّ [1] فيَخْصرُ

فقال : ما أراك إلا قد حَفِظتَ . قال : أجل ، و إن شئتَ أن أُنشدك القصيدةَ أنشدتك إياها . قال : فإنى أشاء . فأنشده القصيدةَ حتى أتى على آخرها .

وفى رواية : أن ابن عباس أَنشدها من أوّلها إلى آخرها ، ومن آخرها إلى أولها مقلوبةً ، وما سمعها قطُّ إلا تلك المرة صَفْحًا[2] . وهذا غايةُ الذَّكاء . فقال له بعضُهم : ما رأيتُ أذكى منك ! قال : لكنّى لم أَرَ أذكى من أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

وكان ابنُ عبّاس يقول : ما سمعتُ شيئاً قَطُّ إلّا رويتُه ، و إنّى لأَسمع صوتَ النائحة فأسُدّ أُذنىّ كراهية أن أحفظ ما تقول .

ولامَه بعضُهم فى حفظه هذه القصيدة فقال : إنا نَسْتجيدها . وكان بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أَحْدث هذا المُغيرىّ شيئاً بعدنا ؟

وفى رواية : ثم أقبل ابنُ عبّاس على ابن أبى ربيعة فقال : أنشدنا . فأَنشد :

* تشُطُّ غداً دارُ جِيراننا *

ثم سكت . فقال ابنُ عبّاس :

* وللدّارُ بعد غدٍ أبعدُ *

---

(١) يضحى : يظهر للشمس . وعارضت ، أى قابلت . يريد : عارضته . ويخصر : يبرد .
(٢) صفحا ، أى مرورا .

فقال له عمر : كذلك قلتُ ! — أصلحك الله — أسمِعتَه ؟ قال: لا ، ولـكن كذلك يَنْبغى .

مكانته فى الشعر

قيل : وكانت العربُ تُقِرّ لقُريش بالتقدّم[١] فى كل شىء عليها إلّا فى الشعر، فإنها كانت لاتُقِرّ لها به، حتى كان عمرُ بن أبى ربيعة ، فأَقرّت لها الشعراء بالشعر أيضاً ، ولم تنازعها شيئاً .

وقال نُصَيب : عمر بن أبى ربيعة أوصفُنا لربّات الحِجَال .

وقال سُليمان بن عبـد الملك لعُمر بن أبى ربيعة : ما يَمنعك من مَدْحنا ؟ قال إنى لا أمدح الرجالَ ، إنما أمدحُ النساء .

وقال ابن جُريج : ما دَخل على العَواتق[٢] فى حجابهنّ[٣] شىء أضرُّ عليهنّ من شعر عمر بن أبى رَبيعة .

وسمع الفرزدقُ شيئاً من نَسب عمرَ بن أبى ربيعة ، فقال : هذا الذى كانت الشعراء تَطلبه فأخطأته ، و بكت الديار ، ووَقع هذا عليه .

وقال أبو المقوّم الأَنْصارىّ : ماعُصِىالله بشىء كما عُصى بشعر ابن أبى ربيعة.

من خلقه

وقال عمر بن أبى رَبيعة : لقـد كنتُ أُعشَق ولا أَعْشق ، فاليومصرتُ إلى مُداراة الحِسان حتى الممات . ولقد لَقِيَتْنى فتاتان مرةً ، فقالت إحداهما : أُدْنُ منى ياابن أبى ربيعة أسِرَّ إليك شيئاً . فد نوتُ منها ، ودنتْ الأخرى فجعلت تَعَضُّنى، فما شَعَرتُ بعضّة هذه من لذّة سِرار هذه .

---

(١) فى الأصل : «فى التقدم» . وما أثبتنا من بعض أصول الأغانى .

(٢) العواتق : جمع عاتق ، وهى الشابة أول ماتدرك . وقيل : هى التى لم تبن من والديها ولم تتزوج وقد أدركت وشبت .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « حجالهن » .

ويقال: أَشرف عُمر بن أبي ربيعة على أبي قُبَيْس[١]، وبنو أخيه معه وهم مُحْرِمون، فقال لبعضهم: خُذْ بيدى، فأخذ بيده فقال: وربِّ هذه الكعبة[٢]، ما قلت لامرأة قطّ شيئاً لم تقُلْه لى، وما كشفت ثوباً عن حرام قط.

ولمّا مَرِض عمرُ مرضَه الذى مات فيه جَزِع أخوه الحارثُ جزعاً شديداً، فقال له عمر: أحْسَبك إنّما تجزع لما تظُنُّه بى! والله ما ركبتُ فاحشةً قطُّ. فقال: ما كنتُ أُشفِق عليك إلا من ذلك، وقد سلَّيتَ عنى.

وذُكر أن عمر بن أبي ربيعة عاش ثمانين سنة، فَتَك منها أربعين سنة، ونَسك أربعين.

هو وامرأة فى الطواف

وقيل: قدمتْ امرأةٌ مكةَ وكانت من أجمل النساء، فبينا عمرُ بن أبي ربيعة يطوف إذ نظر إليها فوقعت فى قلبه، فدنا منها فكلّمها، فلم تلتفت إليه. فلما كان فى الليلة الثانية جعل يطلُبها حتى أصابها. فقالت: إليك عنِّى فإنك فى حَرَم الله وفى أيّام عظيمةِ الحرمة. فألحّ عليها فكلَّمها حتى خافت أن يُشهِّر بها. فلما كان فى الليلة الأُخرى قالت لأخيها: أُخرُج معى يا أخى وأَرِنى المَناسك، فإنى لستُ أعرفها. فأقبلتْ وهو معها. فلمّا رآها عمر أراد أن يَعْرِض لها، فنظر إلى أخيها معها فعدَل عنها، فتمثّلت المرأةُ بقول النابغة:

تَعْدو الذِّئابُ على مَن لا كِلَابَ له … وتَتَّقِى صَوْلَةَ المُسْتَنفر[٣] الحامِى

ولما حُدِّث المَنْصورُ بهذا الحديث قال: وددتُ أنه لم تبقَ فتاةٌ من قريش إلا سمعتْ بهذا الحديث.

هو وابن عباس

وذُكر أنّ عُمر بن أبي ربيعة أتَى عبدَ الله بن عبّاس رضى الله عنه، وهو فى

(١) أبو قبيس: جبل مشرف على مسجد مكة.
(٢) فى بعض أصول الأغانى: «البنية». وهما بمعنى.
(٣) فى بعض أصول الأغانى: «المستأسد».

المسجد الحرام، فقال له : متّعنى الله بك ، إنّ نفسى قد تاقتْ إلى قول الشّعر ونازعتْنى إليه ، وقد قلتُ منه شيئاً أحببتُ أن تَسمعه وتستُره علىّ . قال : أنشِدْنى . فأنشده :

أمِن آل نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ غداةَ غدٍ أو رائح فمُهجِّرُ

فقال له : أنت شاعرٌ ياابن أخى، فقُل ماشئت . ومن هذه القصيدة :

أشارتْ بمِدْراها وقالتْ [1] لتِرْبِها أهذا المُغيرىّ الذى كان يذْكَرُ

فقالت نَعم لا شكَّ غيَّر لونَه سُرَى اللَّيْلِ يَطْوِى نَصَّه والتَّهجُّر

رأتْ رجلاً أمّا إذا الشَّمْس عارضتْ فيَضْحَى وأمّا بالعَشِىِّ فيَخْصَر

أخَا سَفرٍ جوّابَ أرضٍ تقاذَفَتْ به فَلَواتٌ فهو أشعثُ أغْبَر

قليلاً على ظهر المَطيّة ظِلُّه سِوَى ما نَفَى عنه الرِّداءُ المُحبَّر

وأعجَبها مِن عَيْشها ظِلُّ غُرْفةٍ ورَيَّانُ مُمتدٌّ [2] الحَدائق أخْضَر

ووَالٍ كَفَاها كلَّ شىءٍ يَهمُّها فليستْ لهمٍّ [3] آخرَ اللَّيل تَسْهر

يزيد ورجل من أهل الشام معه ترس

ويقال : إنه لمّا عَرض يزيدُ بن معاويةَ جيْش أهل الحَرّة ، مرَّ به رجلٌ من أهل الشام معه تُرْس خَلَقٌ سَمْجٌ ، فنظر إليه يزيدُ وضَحِك ، وقال له : ويحك! تُرْس عُمَرَ بن أبى رَبيعة كان أحسنَ من تُرسك . يريد قولَه منهذه القصيدة :

فكان مِجَنِّى دون مَن كنتُ أتَّقى ثلاثُ شخوص كاعبان ومُعْصِرُ

لابن المسيب فى بيت له

وأُنشد سعيد بن المسَيِّب قول عُمر بن أبى ربيعة من هذه القصيدة :

وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غيُوبَه ورَوَّح رُعْيَانٌ ونَوَّم سُمَّر

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : «لأختها» .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : «ملتف» .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : «لشىء» .

فقال : ما له قاتلَه الله ! لقد صغَّر ما عظَّم الله ، يقول الله عزّ وجلّ : (والقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ منَازِلَ حتى عادَ كالعُرْجُونِ القَدِيم) .

هو وفاطمة الكندية

وقيل: حَجَّت فاطمةُ بنت محمد بن الأشعَث بن قيس الكِنْدِيّة، فراسلها عُمر بن أبى ربيعة ، وواعدَها أن يلقاها مَساء الغد ، وجعل الآية بينه و بَيْنها أَن تسمع ناشداً يَنْشُد ، إن لم يُمكنه أن يُرسل رسولاً يُعلمها بمصيره إلى المكان الذى وعدَها . قال بُدَيْح المغني :فلم أشعُر به إلا متلثِّماً، فقال : يا بُدَيح ، إيت بنتَ محمد ابن الأشعث فأخْبرها أنّى قدجئتُ لموعدها . فأبيتُ أن أذهب،وقلتُ : مثلى لا يُعين على مثل هذا . فغيَّب عنّى بغلَتَه ثم جاءنى ، فقال لى : قد أضللت بغلتى فانشُدْها لى فى زُقاق الحاجِّ . فذهبتُ فنَشَدتُها . فخرجتْ علىَّ بنتُ محمد بن الأشعث ، وقد فهمتْ الآيةَ ، فأتتْ لموعده ذلك .

قال بُدَيح : فلما رأيتُها مقبلةً عرفتُ أنه قد خَدعنى بنِشْدتى البغلة . فقلت له : يا عمر ، لقد صَدَقَت التى قالت لك :

فهذا سِحْرك النِّسوا نُ قد خَبَّرْننى خَبَرَكْ

قد سخرت منى (١) وأنا رجل ، فكيف برقّة قلوب النِّساء وضَعْف رأيهنّ ! وما آمَنُك بعدَها ، ولو دخلتَ الطوافَ ظننتُ أنك دخلته لبليّةٍ .

وحدَّثها حديثى ، فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك منّى .

وقيل: إنها لما حجَّت راسلها، فوعدتْه أن تزوره . فأعطى الرسولَ الذى بشّره بزيارتها مائةَ دينار .

وقيل : إنها لما جاءت إليه أرسلت بينه و بينها ستْراً رقيقاً تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يحدّثها حتى اُستنشدتْه ، فأنشدها قصيدته التى منها :

تَشُطُّ غداً دارُ جيرانِنا وللدَّارُ بعد غدٍ أَبْعَدُ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « قد سحرتنى »

إذا سَلَكتْ غَمْر ذِى[1] كِنْدةٍ مع الصُّبْح[2] قَصْدٌ لها[3] الفرْقَدُ
عِراقيَّــةٌ ، وتهامِى الهوَى يَغورُ بمكَّةَ أو[4] يُنْجِـد
وحَثَّ الحُــداةُ بها عِـيرَها سِراعاً إذا ما وَنَتْ تُطْـرَد
هنــالِكَ إمَّا يُعـزَّى الفؤاد وإمَّا على إثْرهم[5] يَكمَد
وليست تَروع[6] إذاً دارُها نأتْ والعــزاء إذاً أَجْـلَد
وَجرَّبتُ من ذاكَ حتّى عَـرفْـ ـتُ ما أتوقَّى وما أحْمَـد
فلمــا دنَوْنا لِجَرْسِ النُّبَـا حِ والضوء ، والحىُّ لم[7] يَرْقُدوا
بَعَثْنا لهـا باعثاً ناشــداً وفى الحىّ بِغيـةُ من يَنْشُد
أتتنــا تَهــادَى على رِقْبَـةٍ من الخوْف أحشاؤها تُرْعَـد
تقول وتُظهر وَجْـداً بنـا ووجْدِى وإن أظهرتْ أوْجَـد
لِمَّــا شَــقانِى تَعلَّقتُـكم وقد كان لى عنكمُ مَقْعـد
وكَفَّت سوابِقَ من عَـبْرةٍ على الخـدِّ يجرى[8] بها الإثْمِد
فإن التى شيَّعَتْنا الغَــداةَ مع الفَجْر قَلبى بهـا مُقْصَـد

قال : فاستخفَّها الشعر ، فرفعتِ السِّجْفَ ، فرأى وجهاً حَسَناً فى جسم ناحل،

(١) غمر ذى كندة : موضع بينه وبين مكة مسيرة يومين .
(٢) فى الديوان : « مع الركب » . وفى بعض الأصول الأغانى : « مع الشمس » .
(٣) كذا فى الأصل والكثرة من نسخ الأغانى . والفرقد : أحد نجمين لا يغربان ، قريبين من القطب . وفى سائر أصول الأغانى : « والقرقد » بقافين : وقرقد : بالكسر : جبل قرب مكة .
(٤) يشير إلى أن موطنهــا العراق وهو فى تهامة ، لا حيلة له إلا أن يهبط ويصعــد بين أغوارها ونجادها .
(٥) رواية بعض أصول الأغانى : « تعزى ... تكمد » .
(٦) فى الكثرة من أصول الأغانى : « ببدع » .
(٧) رواية الديوان :
فلما دنونا لجرس النبــاح إذا الضوء والحى لم يرقدوا
(٨) فى الديوان : « جال »

فَخطبها وأرسل إلى أُمها خمسمائة دينار ، فأبت وحجبته وقالت للرسول : تعود[(١)] إلينا . فكأن الفتاة غَمّها ذلك . فقالت لها أمها : قتلك الوَجْدُ به فتزوّجيه ! قالت : لا والله ، لا يتحدَّثُ أهلُ العراق عنِّى أنِّى جئتُ ابنَ أبى ربيعة أخطُبه ، ولكن إنْ أتانى العراقَ تزوجتهُ .

هو وزينب بنت موسى

وشبَّب أيضاً عمر بنُ أبى ربيعةَ بزينبَ بنت موسى، أُختِ قُدامة بن موسى الجُمحىّ . فممّا قال فيها :

تَصابَى القلبُ وادَّكَرَا صِبَاهُ ولم يكن ظَهَرَا
لزينبَ إذ تُجِدُّ لنا صفاءً لم يكنَ كَدَرا
أليستْ بالتى قالت لمولاةٍ لها ظُهْرا
أشيرى بالسَّلام له إذا ما نحونا[(٢)] نظرا
وقولى فى مُلاطفةٍ لزينبَ نَوِّلى عُمَرَا
فهزَّتْ عِطفَهَا عَجباً وقالت مَنْ بذا أَمَرَا
أهذا سحرُكَ النِّسوا نَ قد خَبَّرْننى الخبرا

ويُروى على غير هذا الروىّ ، هكذا :

لقد أرسلتُ جاريتى وقلتُ لهاخُذِى حَذَرَكْ
وقُولى فى مُلاطفةٍ لزينبَ : نَوِّلِى عُمَرَكْ
فهزَّت رأسَها عَجبــاً وقالت : مَن بذا أمرَكْ
أهذا خَدْعُك[(٣)] النِّسوا ن قد خَبَّرننى خَبَرَكْ

وقال فيها من قصيدة :

يا خَليلىّ مِن ملامٍ دَعانى وأَلِمَّا الغَداةَ بالأظْعانِ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لا تعود إلينا » .
(٢) الرواية فى الأغانى : « إذا هو نحونا خطرا ».
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « سحرك » .

لا تَلُومَا فى آل زَيْنَب إنّ الْ قَلْبَ رهنٌ بآلِ زينبَ عانِى
ما أرَى ما بقيتُ أن أذكُرَ المو قِفَ منها بالخَيْفِ[1] إلاّ شَجانى
لم تدَعْ للنساء عندىَ حَظًّا غيرَ ما قلتُ مازحاً بلسانى
هى أصل[2] الصَّفاء والودِّ منِّى وإليها الهَوى فلا تَعْذُلانى
حين قالت لِترْبها[3] ولأُخْرى من قَطِين[4] مُولَّد : حدِّثانى
كيفَ لى اليومَ أن أرَى عُمَر المُرْ سِلَ سِرًّا فى القولِ أن يَلْقانِى
قالتَا : تَبْعثِى[5] رسولاً إليه ونُميتُ الحديثَ بالكِتْمان
إن قَلْبِى بعد الذى نِلْتُ منها كالمُعَمَّى عن سائر النِّسْوان

قيل : وكان سبب ذِكْره لها أنّ ابن أبى عَتيق ذكَرها عنده فأطراها ، ووصَف من عَقْلها وأدبها وجمالها ما شغَل قلبَ عُمر وأماله إليها . فقال فيها الشعر ونَسَب بها . فبلغ ذلك ابنَ أبى عَتيق ، فلامَه فيه وقال له : أتنطق الشعر فى ابنةِ عمّى ؟ فقال عمر :

لا تَلُمْنى عَتيقُ حَسْبِى الذى بى إنّ بى يا عتيقُ ما قد كفانِى
لا تَلُمْنِي وأنتَ زيّنْتَها لِى أنت مثلُ الشَّيطان للإنسان
إنّ بى داخلاً مِن الحبّ قد أبْـ لَى عِظامى مكنونُه وبَرانِى
لو بعَيْنَيك يا عتيقُ نظرْنا ليلةَ السَّفْح قَرَّت العَيْنان
إذ بَدا الكَشْحُ والوشاح من الدُّ رّ وفصْلٌ فيه من المَرْجان

وأول هذه القصيدة :

إنّنى اليومَ عادَ لى أحزانى وتذكّرتُ ما مضَى من زمانى
وتذكّرتُ ظَبيةً أمّ رِئْم هاج لى الشوقَ ذِكْرُها فشَجانى

---

(١) الخيف : موضع بمكة .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أهل » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لأختها » .
(٤) القطين : الخدم والحشم .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « نبتغى » .

وحكى قُدامةُ بن موسى قال: خرجتُ بأختى زينبَ إلى العُمْرة ، فلمّا كانت بسَرِف[1] لقينى عمرُ بن أبى ربيعة على فرسٍ فسلّم علىّ . فقلت له : إلى أين أراك متوجّها يا أبا الخطاب ؟ فقال : ذُكرتْ لى امرأةٌ من قومى بَرْزَةُ الجمال فأردتُ الحديثَ معها . فقلت : هل علمتَ أنها أختى ؟ فقال : لا ، وثَنى عِنان فرسه راجعاً إلى مكة .

وقيل: أُنشد ابنُ أبى عتيق قولَ عمر بن أبى ربيعة:

مَنْ لسقيمٍ يكتمُ الناسَ ما به ... لزينبَ نجوَى صدرِه والوَساوسُ

أقول لمن يبغى الشِّفاء متى تجىء ... بزينبَ تُدْرِكْ بعضَ[2] ماأنت لامِس

فإنّك إن لم تَشْفِ من سَقَمى بها ... فإنّىَ من طِبِّ الأطبّاء آيِس

ولستُ بناسٍ ليلةَ الدارِ مجلساً ... لزينبَ حتى يَعْلُوَ الرأسَ رامِس

فلمّا بدتْ أقمارُه وتكشّفتْ ... دُجُنّتُه وغابَ مَن هو حارِس

ومانِلْتُ منها مَحْرَماً غيرَ أنّنا ... كِلانا من الثَّوْبِ المَطارِف[3] لابِس

نَجِيَّيْن نَقْضِى[4] اللهو فى غيرِ مأثم ... وإن رَغِمتْ للكاشِحين المَعاطِس

فقال ابنُ أبى عتيق : أمِنّا يَسخر ابنُ أبى ربيعة ؟ فأىّ مَحْرم بَقِى ! ثم أتى عمرَ ، فقال : يا عمر، ألم تُخبرنى أنّك ما أتيتَ حراماً قطُّ ؟ فأخبرْنى عن قولك :

* كلانا من الثّوبِ المَطارِفِ لابِس *

فما مَعْناه ؟ قال : والله لأُخبرنّك ، خرجتُ أُريد المسجدَ وخرجتْ زينبُ

---

(١) سرف : موضع على عشرة أميال من مكة قرب التنعيم .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « نفس » .

(٣) المطارف : جمع مطرف ، بالضم والكسر ، وهو رداء من خز مربع ذو أعلام . وأصله الضم ، إذ المعنى من أطرف ، إذا جعل فى طرفيه العلمان ، ولكنهم استثقلوا الضمة فكسروا . وفى بعض أصول الأغانى : « المورد » .

(٤) فى الأصل : « فحين تقضى » . وما أثبتنا من بعض أصول الأغانى .

تُريده، فاتَّعدنا لبعض الشِّعاب ، فلما توسَّطنا الشِّعْب أخذتْنا السماء ، فكرهتُ أن يُرى بثيابها بَلَل المَطر ، فيُقال لها : ألَا استترتِ بسَقائف المسجد أن كنتِ فيه ؟ فأمرتُ غِلْماني فستَرُونا بكساء خزّ كان عليّ ، فذلك حين أقول :

* كلانا من الثَّوب (١) المَطارِفِ لابِسُ *

فقال له ابنُ أبي عتيق : يا عاهرُ ، هذا البيتُ يحتاج إلى حاضنة .

وقال أيضاً في زينب :

يا مَنْ لقلبٍ مُتيمٍ كَلِفٍ	يَهْذِي بخَوْدٍ مَليحة (٢) النَّظرِ
تَمشِي الهُوَيْنَى إذا مشت (٣) فُضُلاً	فهي كمِثْل العُسْلُوج (٤) في (٥) الشَّجر
ما زال طَرْفي يحارُ إذ (٦) برزتْ	حتى رأيت النُّقْصان في بَصَري
أبصرتُهـا ليـلةً ونسْوَتَهـا	يَمْشِين بين المَقـامِ والحَجَر
بيضاً حِسـاناً خرائداً (٧) قُطُفاً	يَمْشِين هَوْناً كمِشْية البَقَر
قد فُزْن بالحُسْن والجمالِ معاً	وفُزْن رِسْلاً (٨) بالدَّلّ والخَفَر
يُنْصِتْنَ يوماً لهـا إذا نَطقتْ	كَيْما يُشرِّفْنهـا على البَشَر
قالت لتِرْبٍ لهـا تُحـدِّثُها	لنُفْسِدَنَّ الطَّواف في عُمَر

(١) في بعض نسخ الأغاني : « من اثواب المطارف » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « مريضة » .

(٣) كذا في بعض أصول الأغاني . والفضل ، بضمتين ، التي قد تفضلت في ثوبها ، وذلك إذا توشحت به فخالفت بين أطرافه على عاتقها . وفي الأصل : « قطفاً » . « والقطف » : المثى البطيء ، فعله من باب ضرب ونصر وكرم .

(٤) العسلوج : الغصن لسنته ، وقيل : هو كل قضيب حديث .

(٥) في الأصل : « مل يسر » . وما أثبتنا من الأغاني .

(٦) في الديوان : «إذ نظرت » .

(٧) قطف ، بضمتين : جمع قطوف ، وهي البطيئة السير .

(٨) الرسل : بالكسر : اللين والتؤدة ، ويجوز أن يكون بالفتح ، أي قطيعاً . وهو بالتحريك ، وسكن للشعر .

قالت[1] تصدَّىْ له لِيَعْرِفَنا ... ثم اُغْمِزيه يا أُخْتَ فى خَفَر
قالت لها قد غمزته فأبَى ... ثم اسبطرّتْ[2] تَسْعَى على أثرى
مَن يُسْقَ بعد الكَرَى بريقتها ... يُسْقَ بكأس ذى لذةٍ[3] خَصِر

وقال أيضاً فيها :

أيها الكاشحُ المُعيِّر بالصَّرْ ... مِ تَزحزَحْ فمالها الهِجْرانُ
لا مُطاعٌ فى آل زينبَ فارجعْ ... أو تكلَّمْ حتى يَمَلَّ اللسان
نَجعلُ الليلَ موعداً حين[4] نُمسى ... ثم يُخْفِى حديثَنا الكِتْمان
كيف صَبْرى عن بعض نَفْسِى وهل يَصْ ... بِرُ عن بعضِ نفسه الإنْسان
ولقد أشْهد المُحدَّثَ عند الْ ... قَصْر فيه تعفُّفٌ[5] وبَيان
فى زَمانٍ من المعيشة لَدْنٍ ... قد مضَى عَصْرُه وهذا زَمان

وقال أيضاً :

ألا يا بَكْرُ قد طرَقا ... خيالٌ هاج لِى أرَقا
بزينب[6] إنها هَمِّى ... فكيف بحَبْلها خَلَقا
خَدَلَّجَةٌ[7] إذا انصرفتْ ... رأيتَ وِشاحَها قَلِقا
وساقاً يملأ الخَلْخا ... لَ فيه تراه مُختنقا

---

(١) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « قومى » . (٢) اسبطرت : أسرعت .

(٣) رواية الديوان :

من يسق بعد المنام ريقتها ... يسق بمسك وبارد خصر

والخصر : البارد

(٤) فى الأصل : « ثم نمشى » . وما أثبتنا من الديوان وبعض أصول الأغانى .

(٥) لعله يريد بالمحدث ، حيث وقفا يتحدثان عند القصر . يذكر أحاديث لها ، فيها العفة وفيها البيان .

(٦) فى بعض أصول الأغانى : « لزينب » .

(٧) الخدلجة : الممتلئة الذراعين .

إذا ما زينبٌ ذُكرت سكبتُ الدمعَ مُتّسقا
كأنْ سحابةً تَهْمِى بماءٍ حُمِّلَت غَدَقا

هو ونسوة تشوقن إليه

وقيل. اُجتمع نسوةٌ فذكرنَ عمرَ بن أبى ربيعة وشعْرَه وظَرْفه ومجلسه وحديثه ، فتشوّقن إليه وتمنّيْنه . فقالت سُكينة : أنا لكُنّ به . فبعثتْ إليه رسولاً أن يُوافِقَ الصَّوْرَيْن[1] ليلةً سمّتْها . فوافاهنّ على رواحله، فحدّثهن حتى طلع الفجر . وحان انصرافُهن، فقال لهن : والله إنى محتاج إلى زيارة قبْرِ النبىّ صلى الله عليه وسلم والصلاةِ فى مسجده ، ولكنى لا أخلط بزيارتكن غيرَها ، ثم انصرف إلى مكة ، فقال فى ذلك :

ألِمْ بزَينبَ إن الرّكْبَ قد[2] أفِدَا قلّ الثَّواءُ لئن كان الرحيلُ غدَا
قد حَلفَتْ ليلةَ الصَّوْرَيْن جاهدةً وما على المرْءِ إلا الحِلْفُ[3] مُجتهدا
لأُخْتِها ولأُخْرى مِنْ[4] مَناصِفِها لقد وجدتُ به فوقَ الذى وَجَدا
لو جُمِّعَ الناسُ ثم اُخْتِير صَفْوهمُ شَخصاً من الناس لم أعدِلْ به أَحدَا

رأى جرير فى شعره

قيل : أُنشِدَ جريرٌ قولَ عُمرَ بن أبى ربيعة :

سائلاَ الرَّبْعَ بالبُلَىِّ[5] وقُولا هِجْتَ شوقاً لىَ[6] الغداةَ طويلاَ
أينَ حَىٌّ حَلُّوكَ إذ أنت مَحْفُو فٌ بهم أهلٌ أراكَ جَميلا
قال : سارُوا فأمْعَنُوا واستقلُّوا وبِرَغْمِي لو أَسْتَطيع[7] سَبيلا

(١) الصوران : موضع بالمدينة بالبقيع .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « البين » مكان .. « الركب » . وأفد : عجل وأسرع .
(٣) فى الديوان : « الصبر » . (٤) المناصف : الخدم .
(٥) البلى : تل قصير أسفل حاذة ، بينها وبين ذات عرق .
(٦) فى الأصل : «إلى» . وما أثبتنا من بعض أصول الأغانى . ورواية الديوان : « لنا » .
(٧) فى بعض أصول الأغانى : « لواستطعت » .

سَئِمونا وما سَئِمنا مُقاما ... وأحبُّوا دَماثةً وسُهُولا

فقال جرير : هذا الذى كُنّا نَدور عليه فأخطأناه وأصابه القُرشىّ .

رأى مصعب فى شعره

وقالت فاطمةُ بنت عُمر[١] بن مُصْعَب : سمعتُ خالى يقول ، وقد أُنْشد قولَ عُمر : [٢]

يا ليتنى قد أجزْتُ الحَبْلَ نحوكمُ ... حَبْلَ المُعرَّفِ أوجاوزتُ ذا[٣] عُشَرِ

إنّ الثَّواء بأرضٍ لا أراكِ بها ... فاُسْتَيْقِنيه ثَواءٌ حَقٌّ ذى كَدَرِ

وما مَلِلْتُ ولكن زاد حُبُّكمُ ... ولاذَكرتُكِ إلاظَلْتُ[٤] كالسَّدِرِ

ولاجَذِلْتُ بشىء كان بعدَكمُ ... ولا مَنحتُ سواكِ الحُبَّ مِنْ بَشَر

أذْرِى الدُّموعَ كذى سُقْمٍ يُخامره ... وما يُخامرنى سُقْمٌ سوى الذِّكر

كم قد ذكرتُكِ لو أجْدى تَذَكُّركم ... يا أشبهَ الناس كلِّ الناس بالقمر

قال[٥] : فقال جَدُّكَ: إن لِشعر عُمر بن أبى ربيعة موقعاً من القلب، ومُخالطة فى النفس، ليسا لغيره ، ولو كان شِعْرٌ يَسْحر كان شعرُه سِحْراً .

رأى ابن أبى عتيق فى شعره وشعر الحارث

وقيل : ذُكر شعرُ الحارث بن خالد وشعرُ عمر بن أبى ربيعة عند ابن أبى عَتيق فى مجلس رجل من وَلد خالد بن العاصِى بن هِشام ، فقال : صاحبُنا — يعنى الحارثَ — أشعرُهما . فقال ابنُ أبى عَتيق : بعضَ قولك يابْن أخى ! لِشِعْر عُمر نَوطةٌ[٦] فى القلب ، وعُلوق بالنَّفس ، ودَرَكٌ للحاجة ، ليس[٧] لشعر . وما عُصِىَ الله جلّ ذكره بشعر أكثرَ مما عُصِى بشعر عمر بن أبى ربيعة . فخُذْ عنّى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عم مصعب » .

(٢) أصل الخبر مسندا فى بعض أصول الأغانى : « الزبير قال حدثتنى ظمياء مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت : سمعت جدك يقول ، وقد أنشد قول عمر » .

(٣) أجزت : جاوزت . والحبل : موضع بعرفات . والمعرف : موضع الوقوف بها . وذو عشر : واد بين البصرة والكوفة . (٤) السدر : المتحير.

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « قالت » على أن المحدثة ظمياء .

(٦) النوطة : التعلق .

(٧) فى بعض أصول الأغانى : « ليست » .

ما أصف لك : أشعر قُريش مَن دقّ معناه ، ولَطُف مَدْخَله ، وسَهُل مَخْرجه ، ومَتُن حَشْوه ، وتَعطَّفت حواشيه ، وأَنارتْ مَعانيه ، وأَعرب عن حاجته . فقال المفضّل للحارث : أليس صاحبُنا الذى يقول :

إنّى وما نَحروا غَداةَ مِنًى ... عند الجمار يَؤودها[(١)] العَقْلُ
لو بُدِّلتْ أَعلى مَساكِنِها ... سُفْلاً وأصبح سُفْلُها يَعْلُو
فيكاد يَعْرِفها الخبيرُ بها ... فيردُّه الإقْواء[(٢)] والمَحْل
لَعرفْتُ مَغْناها بما[(٣)] ضَمِنت ... مِنّى الضُّلوعُ لأهلها قَبْلُ

فقال له ابنُ أبى عَتيق : يابن أخى ، استرْعلى نفسك ، واكتُم على صاحبك ، ولا تُشاهد المحافلَ بمثل هذا . أَمَا تَطيّر الحارثُ لها[(٤)] حين قَلب رَبْعها فجعل أعاليه حجارةً من سجّيل ! ابنُ أبى ربيعة كان أحسنَ صُحبة للرَّبع من صاحبك ، وأجملَ مُخاطبةً ، حيث يقول :

سائلاَ الرَّبْع بالبُلَىّ وقُولا ... هِجْتَ شوقاً لىَ الغداةَ طويلاَ

وذكر الأبيات الماضية . قال : فانصرف الرجلُ خَجلاً مُذْعِنا .

تلقيب الحارث بالقباع

قيل : وإنما لُقِّب الحارث ، أخو عمر بن أبى ربيعة ، بالقُبَاع ، لأنّ عبد الله بن الزُّبير كان ولّاه البَصْرة، وكان رجلاً صالحاً، فرأى مِكْيالا لهم، فقال: إنّ مِكْيالكم هذا لَقُبَاع . وهو الشىء الذى له قَعر . فلُقِّب بالقُباع .

عمر وقد نهاه الحارث عن قول الشعر

وذُكر أنّ الحارثَ هذا نَهَى أخاه عُمر عن قوْل الشِّعر ، فأبَى أن يقبلَ منه، فأعطاه ألف دينار على ألاّ يقولَ شيئاً . فأخذ المالَ وخرج إلى أخواله بلَحْج

(١) يؤودها : يبهظها ويثقلها . والعقل : الحبس .
(٢) الإقواء : خلو الديار من أهلها . والمحل : الجدب .
(٣) فى بعض أصول الأغانى والديوان : «احتملت» .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : «عليها» .

وأَبْين، من اليمن، مخافةَ أن يَهيجه مُقامُه بمكة على قول الشِّعر . فطرب يوماً، فقال :

هيهاتَ مِن أَمَةِ الوَهَّابِ منزلُنا ... إذا حَلَلْنا بسِيفِ البحر من عَدَنِ
واُحتلَّ أهلكِ أَجياداً فليس لنا ... إلا التذكُّر أو حَظٌّ من الحَزَنِ [1]
لو أنَّها أبصرتْ بالجَزْع عَبْرتَه ... من أن يُغرِّدَ قُمْرِىٌّ على فَنَنِ
إذا رأتْ غيرَ ما ظنَّت بصاحبها ... وأيقنتْ أنَّ لَحجاً ليس من وَطَنى
ما أَنْس لاأَنْس يومَ الخَيْف [2] مَوْقِفَها ... ومَوْقِفى وكلانا ثَمَّ ذو شَجَن
وقولَها للثُّريّا وهى باكيةٌ ... والدمعُ منها على الخدَّين ذو سُنَن [3]
تا لله [4] قُولى له فى غَير مَعْتَبةٍ ... ماذا أردتَ بطول المُكْث فى اليمن
إن كنتَ صادفتَ [5] دُنيا أوظَفِرتَ [6] بها ... فهل أخذتَ بفَوت [7] الحجّ من ثَمن

قال : فسارت القصيدةُ حتى سمعها أخوه الحارثُ ، فقال : هذا شعرُ عُمر ! وقد فَتَك وغَدَر !

الوليد بن يزيد وأصحابه فى أغزل بيت

وقيل : إنّ الوليدَ بنَ يزيدَ بن عبد الملك قال لأصحابه ذاتَ ليلة : أىّ بيت قالته العربُ أغزل ؟ فقال بعضُهم : قولُ جَميل :

يموتُ الهَوى منّى إذا مالقيتُها ... ويَحْيا إذا فارقتُها فيعودُ

وقال آخر : قولُ عمرَ بن أبى ربيعة :

كأنّنى حين أُمْسِى لا تُكلّمنى ... ذو بُغيةٍ يَبْتغى ما ليس موجودَا

---

(١) أجياد : موضعان بمكة ، الكبير والصغير.
(٢) الخيف : موضع بمنى . والرواية فى الديوان :
* بل ما نسيت ببطن الخيف موقفها *
وفى الأصل : « الحى » .
(٣) سنن : طرائق ؛ الواحدة : سنة .
(٤) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « بالله » .
(٥) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « حاولت » .
(٦) فى الديوان : « نعمت » . وفى بعض أصول الأغانى : « رضيت » .
(٧) فى الديوان : «بترك» .

فقال الوليد : حَسْبُك والله بهذا !

هو وجميل وقد تناشدا

وذكر أبو الحارث ، مولى هِشام بن الوليد بن المُغيرة ، قال :

شهدتُ عمرَ بنَ أبى ربيعة وجميلَ بن عبد الله بن مَعْمر العُذْرىّ ، وقد اجتمعا بالأَبْطح ، فأَنشد جميلٌ قصيدتَه التى يقول فيها :

لقد فَرِح الواشُون أنْ صَرَمَتْ حَبْلى ... بُثَيْنَةُ أو أَبدتْ لنا جانبَ البُخْلِ
يقُولونَ مَهْلاً يا جَميلُ وإنَّنى ... لأُقْسِم مالى عن بُثَينةَ مِن مَهْل

ومن هذه القصيدة :

خليليّ فيما عِشْتُما هل سَمِعتُما ... قَتيلاً بكى من حُبِّ قاتله قَبْلى
أَبيتُ مع الهُلَّاك[1] ضَيْفاً لأهلها ... وأهلى قريبٌ مُوسِعون أولو فَضْل
أَفِقْ أيّها القَلْبُ اللَّجُوج عن الجَهْل ... ودَعْ عنك جُمْلاً لا سبيلَ إلى جُمْل
فلو تركتْ عَقْلى معى ما طلبتُها ... ولكنْ طِلَابِيها[2] لِما فاتَ من عَقْلى

حتى أتى على آخرها . ثم قال لعمر : يا أبا الخطّاب ، هل قلتَ فى هذا الروىّ شيئاً ؟ قال : نعم . قال : فأنشدنيه . فأنشده قولَه :

فلما تواقفْنا عرفتُ الذى بها ... كمثل الذى بى حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ
فَقُلْنَ لها هذا عِشاءٌ وأهلُنا ... قريبٌ أَلمّا تَسْأَمى مَرْكب البَغْل
فقالتْ فما شئْتنّ قُلْن لها انزلى ... فَلَلأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رَحْل
فسلّمتُ واستأنستُ خِيفةَ أن يَرى ... عدوٌّ مُقامى أو يَرى كاشحٌ فِعلى
فقالت وأَرْخت جانبَ السِّتْر إنما ... معى فتكلّم غيرَ ذى رِقْبة أهلى
فقُلْتُ لها مابى لَهم من ترقُّبٍ ... ولكنَّ سِرِّى ليس يَحمله مِثْلى

(١) الهلاك : الصعاليك .
(٢) طلابيها ، أى طلبى إياها .

فلما اختصرنا(١) دونهن حديثنا — وهن طبيبات بحاجة ذى(٢) الشكل

عرفن الذى تهوى فقلن ائذنى لنا — نطف ساعة فى برد ليل وفى سهل

فقالت فلا تلبثن قلن تحدثى — أتيناك وانسبن انسياب مها الرمل

فقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما — أتين الذى يأتين ذلك من(٣) أجلى

فقال جميل : هيهات يا أبا الخطاب ! لا أقول مثل هذا سجيس الليالى(٤) ! والله ما خاطب النساء أحد مخاطبتك . وقام مشمراً .

هو وابن أبي عتيق فى شعر له

وقال ابن أبى عتيق لعمر ، وقد أنشده قوله :

بينما ينعتننى أبصرننى — دون قيد الميل(٥) يعدو بى الأغر

قالت الكبرى أتعرفن الفتى — قالت الوسطى نعم هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيمتها — قد عرفناه وهل يخفى القمر

أنت لم تنسب بها وإنما نسبت بنفسك ، وكان ينبغى أن تقول : قلت لها فقالت لى ، فوضعت خدى فوطئت عليه .

من شعره

ومن شعر عمر السهل قوله :

فلما تواقفنا وسلمت(٦) أشرقت — وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما(٧) عرفننى — وقلن امرؤ باغ أكل(٨) وأوضعا

وقربن أسباب الهوى لمتيم — يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا

(١) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « اقتصرنا » . (٢) الشكل : دل المرأة .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « من ذاك » . والرواية فى الديوان :

* فعلن الذى يفعلن فى ذاك من أجلى *

(٤) سجيس الليالى ، من كلمات التأبيد . تقول : لا أفعله سجيس الليالى ، أى لا أفعله أبداً .

(٥) قيد الميل : قدره .

(٦) فى بعض نسخ الأغانى : « وسلمت أقبلت » . وفى بعض آخر : « وسلمت أشرفت » .

(٧) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « لما رأيننى » .

(٨) أكل بعيره وأوضعه : أى أعياه وحمله على الإسراع .

ومن حُسن وصفه قوله :

لها من الخِشْف(١) عيناه وسُنَّته(٢) ونَخوةُ السابق المُخْتال إذ صَهَلاَ

ومن حسن عزَائه قولُه :

أألحقُّ إنْ دارُ الرَّباب تَباعدتْ أو انبتَّ حَبْلٌ أنّ قَلْبك طائرُ
أفِقْ قد أفاق العاشقون وفارقُوا الْـ ـهوى واستمرَّتْ بالرِّجال(٣) المَرائر
زَعِ(٤) النَّفسَ واسْتَبقِ الحياءَ فإنما تُباعد أو تُدْنِى الرَّبابَ المَقادِر
أَمِتْ حُبَّها واجعلْ قَديم وِصالِها وعِشْرَتِها أمثالَ(٥) مَن لا تُعاشر
وهَبْها كشىء لم يكن أو كنازحٍ به الدارُ أو مَنْ غَيَّبته المَقابر
فكالنّاس عُلِّقْتَ الرَّبابَ فلا تكُن أحاديثَ مَن يَبْدو ومَن هو(٦) حاضِر

ومن بديع إنْطاقه للقَلب قولُه :

قال لى فيها عَتيقٌ مقالاً فجرتْ مِمّا يَقول الدُّموعُ
قال لى ودِّعْ سُليمى ودَعْها فأجابَ القلبُ لا أَسْتطيع

وقال مُصعبٌ الزُّبيرى : أَجمع أهلُ بلادنا، مِمّن له عِلْم بالشعر، أنَّ هذه الأبيات أَغْزلُ ما سمعوا ، وهى قولُه :

تقولُ غداةَ الْتَقَيْنا الرَّبابُ أيَاذا أَفَلْتَ أُفُولَ السِّماكِ

(١) الخشف : الظبى ، وقيل: هو أول مايولد . وقيل: أول مايولد الظبى فهو طلا، ثم خشف. والرواية فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « الريم » .
(٢) السنة : الصورة . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « ولفتته » .
(٣) المرائر : العزائم ، الواحدة : مريرة . واستمرت : قويت .
(٤) زع النفس : ازجرها وانهها .
(٥) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : «كشل» .
(٦) يقال : بدا ، إذا خرج إلى البدو. وحضر ، إذا نزل الحضر .

وفضَّت(١) سوابقَ من عَــبْرةٍ كما انفضَّ(٢) نَظْمٌ ضعيفُ(٣) السِّلاك
فقلتُ لهــا مَنْ يُطِع فى الصَّديـ ـق أعــداءه تجتنبْــه(٤) كذاك
أغــرَّكِ أنّى عصيتُ المَــلا مَ فيــكِ وأنْ هوانا هواك
وألاّ أرى لذةً فى الحيــــاةِ تقَرُّ بهــا العينُ حتى أراك
فكان من الذَّنب لى عِنْــدكم مُــلازمتى(٥) واتّبــاعى رِضــاك
فليتَ الذى لامَ فى حُبِّــكم وفى أنْ(٦) تزُارِى بقَرْن(٧) وَقاك
هُمومَ الحيــــاةِ وأسقامَهــا وإن كان حَتْفٌ جَهِيزٌ(٨) فَـداك

ومن عَفيف شعره قولُه :

طال لَيْلى واعتادَنى اليومَ سُقْمُ وأصابتْ مقاتلَ القَلْب نُعْمُ
حُرَّةُ الوَجه والشَّمائِل والجوْ هَر تَــكْليمُها لِمنْ نَال غُنْمْ
وحَديث بِمثْــله تَنْزَلُ العُصْـ ـمُ(٩) رَخِيم يَشوبُ ذلكَ حِــلْمْ
هكذا وَصْفُ ما بَدا لِىَ منْهــا ليس لى بالّذى تغيَّبَ عِــلْمْ
إنْ تجُودى أو تبْخلى فبِحَمْدٍ ليس فيما أتيتِــه لك ذمُّ

ومن بَديع شِعْره الذى يُرجّح فيه الشكّ على اليقين قولُه :

نظرتُ إليهــا بالُمحصَّب من مِنًى ولى نظـرٌ لولا التَّحرُّج(١٠) عارمُ

---

(١) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « وكفت » . (٢) رواية الديوان : « ارفض » .
(٣) السلاك ، بالكسر : جمع سلك ، بالكسر أيضاً . مقيس غير مسموع . كما تقول فى الذئب : ذئاب .
(٤) فى الديوان والكثرة من نسخ الأغانى : « يجتنبه »
(٥) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « مكارمتى » . (٦) فى الأصل : « ولا أن » .
(٧) يريد بقرن : قرن المنازل ، وهو ميقات أهل نجد تلقاء مكة ، على يوم وليلة . قال أبو الفرج : وكثيراً ما يذكره فى شعره .
(٨) جهيز : سريع .
(٩) العصم من الظباء : ما فى ذراعيها بياض . (١٠) عارم : فيه شراسة وحدة .

فقلتُ أَشَمْسٌ أم مَصابيحُ بِيعَةٍ بدتْ لك خَلْفَ السِّجْفِ أم أنت حالم

بعيدةُ مَهْوَى القُرْطِ إمَّا لنَوْفلٍ أَبُوها و إمَّا عبدُ شمْس (١) وهاشم

ومَدَّ عليها السِّجْفَ يوم لقيتُها على عَجَلٍ تُبَّاعُها والخوادِم

فلم أَسْتطِعْها غيرَ أنْ قد بدا لنا عَشيَّةَ راحتْ وجهُها والمعاصِم

إذا ما دعتْ أترابها فاكْتَنَفْنها تمَايَلْن أو مالتْ بهنَّ (٢) المآكم

طَلَبْنَ الصِّبَا حتى إذا ما أصَبْنه نزَعْن وهُنَّ المُسلمات الظَّوالم

ومن بديع اعتذاره قولُه :

عاوَد القلبَ بعضُ ما قد شَجاه من حَبيبٍ أَمْسَى هَوَانا هَواهُ

يا لَقَوْمى فكيف أَصْبر عمّن لا ترَى النَّفسُ طِيبَ عَيْشٍ سِواه

أَرْسلتْ إذ رأتْ بعادِيَ ألاّ يَقْبَلن بى مُحرِّشاً (٣) إنْ أتاه

دونَ أن يَسْمَع المقالة منّا ولْيُطْعنى فإنَّ عندى رضاه

لا تُطِعْ بى فدَتْك نفسى عدُوًّا لحديثٍ على هَوَاه افتراه

ما ضِرَارِى نفسى بهجْرة مَنْ ليـ ـسَ مُسيئاً ولا بَعيداً (٤) نَوَاه

واجْتِنابى بَيْتَ الحبيب وما الخُلْـ ـدُ بأشهَى إلىّ مِنْ أنْ أرَاه

ومن شِعْره فى صِدْق المودَّة قولُه :

كلُّ وصْلٍ أمسى لديكَ لأُنثى غيرِها وَصْلُها إليها أداءُ

كلُّ أنثى و إنْ دنَتْ لِوِصَالٍ أَوْ نأتْ فَهْىَ للرَّباب الفِداء

وقولُه :

أُحِبُّ لحبِّك مَن لم يَكُنْ صفِيًّا لِنَفْسى ولا صاحِبَا

---

(١) بعيدة مهوى القرط : كناية عن طول العنق فى غير قبح ، وهو مما يمدح .

(٢) المآكم : جمع مأكمة ، وهى العجيزة . (٣) المحرش: المغرى.

(٤) نواه : داره .

وأَبْذُل مالِى لمرْضاتِكم ... وأُعتِب مَنْ جاءكم عاتِبا
وأرغبُ فى وُدِّ مَن لم أكُن ... إلى وُدِّه قبلكم راغِبا
ولو سَلَك الناسُ فى جانبٍ ... مِنَ الأرْض وأعتزلتْ جانبا
ليمَّمْتُ طِيَّتها[1] إننى ... أرى قُرْبها العَجبَ العاجِبا

ومن شِعره ، الذى قَدَح فيه فأوْرى ، قَوْله :

طال لَيْلِى وتَعنَّانى[2] الطَّرَبْ ... وأعترانى طُولُ هَمٍّ ونَصَبْ
أرسلَتْ أسْماء فى مَعتَبةٍ ... عَتَبَتْها وهى أحْلَى مَنْ عتب
أنْ أتَى منها رسولٌ[3] مَوْهِناً ... وجَد الحىَّ نِياماً فانقلب
ضربَ البابَ فلم يَشْعُر به ... أحدٌ يَفتَح عنه إذ ضَرَب
قال أيْقاظٌ ولكِنْ حاجةٌ ... عَرَضتْ تُكْتَم منَّا فاحتَجب
ولعَمْداً ردَّنى فاجتهدتْ ... بيمينٍ حَلْفَةً عِنْد الغضب
شَهِد الرَّحمنُ لا يجمعُنا ... سَقْفُ بَيْتٍ رَجَباً بعد رَجَب
قلتُ حِلاً فاقبلى مَعْذِرتى ... ما كذا يجْزِى مُحِبٌّ مَنْ أحَبّ
إنَّ كفِّى لكِ رَهْنٌ بالرِّضَى ... فاقْبلى يا هندُ قالت قد وجب

هو وأسماء

ذُكر أنَّ سَبب قوله هذه الأبيات أنه كان يَهْوى أمرأةً يقال لها أسماء ، وكان الرسولُ يختلف بينهما زَماناً ، وهو لا يقدِر عليها ، ثم وعدتْه أنْ تَزُورَه ، فتأهّب لذلك وأنتظرها ، فأبطأت عليه حتى غلبتْه عَيْنُه فنام . وكانت عنده جاريةٌ

(١) طيتها : ناحيتها .
(٢) تعنانى : أوقعنى فى العناء والمشقة . والطرب : خفة تعترى الإنسان من شدة الفرح أو الحزن أو الهم .
(٣) موهناً : نحواً من نصف الليل . .

تخدُمه . فلم تلبث أن جاءت ومعها جاريةٌ لها . فوقفت مُتنحيةً وأمرت الجارية أن تَضربَ البابَ، فضربتْه فلم يَسْتيقظ . فقالت : تَطلَّعى فانْظُرى ما الخبر؟ فقالت : هو مُضطجع وإلى جَنْبه امرأةٌ . فحلفتْ ألاّ تزُوره حَوْلاً . وبعث إليها امرأةً كانت تختلف بينه وبينَ معارفه ، وكانت جَزْلةً (١) من النِّساء ، فصدَّقتْها عن قِصتَّه ، وحَلفت لها إنه لم يكن عنده إلاّ جاريتُه ، فرضيتْ . وإياها عنى عُمر بقوله :

فأتتْها طَبَّةٌ (٢) عالمةٌ تخلِطُ الجِدَّ مِراراً باللَّعِبْ
تُغْلِظ القولَ إذا لانتْ لها وتُراخِى عند سَوْراتِ الغَضَب
لم تزَلْ تَصْرفها عن رأيها وتأنَّاها (٣) برفقٍ وأدَب

الوليد وحماد فى شعر عمر

قال حمّاد الرّاويةُ : اسْتَنشدنى الوليدُ بن يزيد ، فأنشدتُه نحْواً من ألف قصيدةٍ ، فما استعادنى إلاّ قصيدةَ عُمر بن أبى ربيعة :

* طالَ ليْلي وتعنَّانِى الطَّرَبْ *

فلما أنشدتُه قولَه :

فأتتْها طَبَّةٌ عالمةٌ تَخلِط الجِدَّ مِراراً باللَّعبْ

إلى قوله :

إنّ كفِّى لكِ رَهْنٌ بالرِّضَى فاقبلى ياهِندُ قالت قد وَجَب

فقال لى الوليد : ويحك يا حمّاد ! اُطلُب لى مثلَ هذه أُرسلها إلى سَلْمَى . يعنى امرأته سَلمى بنتَ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وكان طلّقها ليتزوّج أختَها ، ثم تَتَبعَّتْها نفسهُ .

---

(١) جزلة : عاقلة أصيلة الرأى .

(٢) طبة : حاذقة رفيقة .

(٣) تأناها ، أى تتأناها ، بمعنى تتمهل عليها .

ومن شعره فى تسهيل الأمر قولُه :

قالتْ على رِقْبةٍ يوماً لجارتها ما تأمُرينَ فإنّ القَلْبَ قد [١]تُبِلاَ
وهَلْ لِىَ اليومَ من أُختٍ مُواخِيةٍ منكُنّ أشكو إليها بعضَ ما فعلا
فراجعتْها حَصَانٌ غيرُ فاحِشةٍ برَجْعِ قَوْلٍ ولُبٍّ لم يكن [٢]خَطِلا
لا تذْكُرى حُبّه حتّى أُراجِعَه إنّى سأَكْفيكِه إنْ لم أمُتْ عَجِلا
فاقْنَىْ حَيَاءكِ فى سِتْرٍ وفى كَرَمٍ فلستِ أوّلَ أُنْثى عُلِّقَتْ [٣]رَجُلا

هو ورجل يكلم امرأة فى الطواف

وذُكر أنّ عمر بن أبى ربيعة نَظر إلى رجل يُكلِّم أُمرأةً فى الطَّوَاف ، فَعاب ذلك عليه وأنكره . فقال : إنها أُبنةُ عمِّى. فقال : ذلك أشْنع لأَمرك ! فقال : إنّى خَطبتُها إلى عَمِّى فأَبَى علىّ إلّا بصَداقِ أربعمائة دينار ، وأنا غير مُطِيق ذلك . وشكا إليه من حُبِّها وكَلَفه بها أمراً عظيما ، وتَحمَّل[٤] به على عمِّه . فصار معه إليه فكلَّمه . فقال : هو مُمْلِق ، وليس عندى ما أُصلح به أَمْرَه . فقال له عُمر : وكم الذى تُريده منه ؟ فقال : أربعمائة دينار . فقال له : هى علىّ ، فزوِّجه . فَفعل ذلك .

هو وجارية له بعد ما أسن وحلف لا يقول شعرا

وكان عُمر حين أَسنَّ حلَف ألّا يقُول بيتَ شِعْر إلّا أَعْتقَ رقَبَةً . فانصرف عمرُ إلى منزله يُحدِّثُ نَفْسَه . فجعلتْ جاريةٌ له تُكلِّمه فلا يردّ عليها جواباً ، فقالت له : إنّ لك لأمراً ، وأراكَ تُريد أن تقول شعراً . فقال :

تقُول وَليدتى لمّا رأتْنى طَرِبْتُ وكُنتُ قد أقْصرتُ حِيناَ
أراكَ اليومَ قد أحدثتَ شَوْقاً وهاجَ لك الهَوَى داءً دَفِينا

---

(١) تبل : أسقمه الهوى وغلبه الحب .
(٢) حصان : عفيفة . وخطلا : فاسداً مضطرباً .
(٣) اقنى حياءك : الزميه .
(٤) تحمل به : أستشفع به.

وكنتَ زعمتَ أنّك ذو عزاءٍ إذا ما شئتَ فارقتَ القرينا
بربّك هل رأيت لها رسولاً فشاقك أم لقيتَ لها[1] خدينا
فقلتُ شكا إلىّ أخٌ مُحِبٌّ كبعض زمانِنا إذ تعلَمينا
وقصّ علىّ ما يَلْقى بهِندٍ فذكّر بعضَ ما كُنّا لقِينا
وذو الشّوق القديم وإنْ تعزّى مَشُوقٌ حينَ يَلْقى العاشِقينا
وكَمْ من خُلّةٍ[2] أعرضتُ عنها لغيرِ قِلًى وكنتُ بها ضَنِينا
أردتُ بِعادَها فصدَدْتُ عنها ولو جُنّ الفؤادُ بها جُنُونا

ثم دعا بِتِسْعةٍ من رَقِيقه فأَعْتقهم ، لكل بَيْتٍ واحدٌ .

هو وعروة فى ابنه محمد

وذُكر أنّ عُمر بن أبى ربيعة كان يُساير عُروة بن الزُّبَير ويُحدّثه ، فقال له : وأين زَيْنُ المواكب؟ يعنى ابنَه محمدَ بن عُرْوة ، وكان يُسمَّى بذلك لجماله . فقال عُروة : هو أمامك. فركَض يطلُبه . فقال له عُروة : ياأبا الخطّاب ، أولَسْنا أكْفاءً كِراماً لمحادثتك ومُسايرتك؟ فقال : بلى ، بأبى أنْت وأُمّى ! ولكنّى مُغْرًى بهذا الجمَال [أتْبعه] حيث كان . ثم التفت إليه وقال :

إنّى امرؤٌ مُغْرمٌ بالحُسْن أتْبعه لا حَظَّ لى فيه إلّا لذّةُ النّظَرِ

ثم مَضى حتى لحِقه ، وجَعل عُرْوة يَضْحك من كلامه تعجُّباً منه .

هو ومالك بن أسماء فى الحج

وقيل : رأى عمرُ بن أبى رَبيعة رجلاً يطوف بالبيت ، قد بَهر النّاسَ بجَماله وتَمامه ، فسأل عنه ، فقيل له : هذا مالكُ بن أَسماء بن خارجة . فجاءه فسلّم عليه وقال له : يابن أخى ، ما زلتُ أتشوّقك منذُ بلغنى قولُك :

إنّ لى عند كلّ نَفْحةِ بُستا نِ مِن الوَرْدِ أوْ مِن[3] الياسِمِينَا
نَظْرةً والتفاتةً أتمنّى أنْ تكونى حَلَلتِ فيما يَلينا

(١) الخدين : الصديق الذى يكون معك فى كل ظاهر وباطن . وفى الأصل : « قرينا » .
(٢) الخلة : الخليلة . (٣) الياسمين ، جعله جمع « ياسم » وهوقول فيه .

ويُروى : « أترجّى * أن تكونى حَلْت » .

هو وأبو الأسود وقد عرض لامرأته فى الطواف

وذُكر أنه حَجَّ أبو الأسود الدِّيلى(١) ومعه امرأتُه ، وكانت جميلةً . فبينا هى تطوفُ بالبيت ، إذ عَرض لها عمرُ بن أبى ربيعة ، فأتتْ أبا الأسود فأخبرتْه . فأتاه أبو الأسْود فعاتَبه . فقال له عُمر : ما فعلتُ . فلمّا عادتْ إلى المسجد عاد فكلّمها . فأخبرت أبا الأسود . فأتاه فى المسجد ، وهو مع قوم جالسٌ ، فقال :

وإنّى ليَثْنينى عن الجَهْل والخَنَا ... وعن شَتْم أقوامٍ خلائقُ أَرْبعُ
حَياءٌ وإسْلامٌ وبُقْيَا(٢) وأنّنى ... كريمٌ ومثلى قد يَضُرُّ ويَنْفع
فشتّان ما بينى وبينك إنّنى ... على كل حالٍ أستقيم وتَظْلع

فقال له عمر: لستُ أعود يا عَمّ لكلامها بعد هذا اليوم. ثم عاودتْ، فكلّمها. فأتت أبا الأسود فأخبرتْه . فجاء إليه فقال له :

أنت الفَتى وابنُ الفَتى وأخو الفَتى ... وسيّدنا لولا خلائق أربعُ
نُكُولٌ عن الجُلّى وقُرْبٌ من الخَنا ... وبُخْلٌ عن الجَدْوَى وأنّكَ(٣) تُبَّع

ثم خرجتْ وخرج معها أبو الأسودُ مُشتملاً على سيف . فلما رآهما عمرُ أعْرض عنهما . فتمثّل أبو الأسود :

تَعْدُو الذِّئابُ على مَنْ لا كِلَابَ له ... وتَتّقى صَوْلَةَ المُستأسِد الحامِى

هو والفرزدق

وقيل : قَدِمَ الفرزدقُ المدينةَ، وبها رجلان، يقال لأحدهما : صُرَيْم ؛ والآخر : ابنُ أسماء . وُصِفا له ، فقَصدهما . وكان عندهما قِيَانٌ . فسلّم عليهما وقال : مَن أنتما ؟ فقال أحدهما : أنا فِرْعون . وقال الآخر : أنا هامان . فقال : أين منزلكما فى النّار

(١) الديلى : نسبة إلى « دئل » بضم الدال وكسر الهمزة ، قبيلة من كنانة . وتقول فى النسبة إليها أيضاً : دؤلى ، ودولى، بالتسهيل ، وديلى . (انظر شرح القاموس) .

(٢) بقيا ، أى شفقة ورحمة.

(٣) تبع : يتبع النساء ويجد فى طلبهن .

حتى أَقْصِدَ كما ؟ فقالا : نحن جيران الفرزدق الشاعر . فضحك ، ونَزل فسلَّم عليهما وسلَّما عليه ، وتعاشروا مدةً ، ثم سألهما أن يَجْمعا بينه و بين عُمر بن أبى ربيعة ، ففعلا . وأجتمعا فتحادثا وتناشدا ، إلى أنْ أَنشده قصيدته التى يقول فيها :

فلمّا ٱلتقَينا وٱطمأنتْ بنا النَّوى وغُيِّب عنّا مَنْ نخافُ ونُشْفِقُ

حتى أنتهى إلى قوله :

فقُمْن لكىْ يُخْلِينَنا[1] فترقرقتْ مَدامعُ عَينِيها وظلَّت تَدَفَّقُ
وقالت أَمَا تَرْحمنى لا تدَعْنى لدَى غَزِلٍ جَمِّ الصَّبابة[2] يَخْرُق
فقلن اسْكُتى عنَّا فلسْتِ مُطاعةً وخِلُّكِ مِنَّا فاعلمِى بك أَرْفَق

فصاح الفرزدق : أنت واللهِ يا أبا الخطّاب أغزلُ الناس! لا يُحسن واللهِ الشُّعراء أن يقولوا مثلَ هذا التَّشْبيب ، ولا أن يَرْقُوا مِثْل هذه الرُّقْيَة ! ثم وَدَّعه وٱنصرف .

هو والحارث ابن عبد الله

وذُكر أنّه حجّ عبدُ الرحمن بن الحارث بن عبدالله بن عيّاش بن أبى ربيعة، مع أبيه الحارث، فأتى عُمَر بن أبى ربيعة ، وقد أسنّ وشاخ ، فسلّم عليه وساءله ، ثم قال له : أىَّ شيء أَحْدثتَ بعدى يا أبا الخطّاب ؟ فأنشده :

تقُولين إنّى لستُ أصدُقُ فى الهوى و إنّىَ لا أَرْعاكِ حِين أَغيبُ
فما بالُ طَرْفى عَفَّ عمّا تساقطت له أعينٌ من مَعْشر وقُلوب
عشيّةَ لا يستنكر القومُ أن يرَوْا سَفَاهَ أمرىء ممّن يُقال لَبِيب
ولا فِتنةً من ناسك[3] أَوْمَضتْ له بعين الصِّبَا كَسْلَى القِيَامِ لَعُوب
تروَّحَ يرجُو أنْ تُحطَّ ذُنوبُه فآب وقد زِيدتْ عليه ذُنوب
وما النُّسك أَسْلانِى ولكنّما الهوى على العَينِ منّى والفُؤادِ رَقيب

(١) يخلينا : يجعلننا فى خلوة منهن .
(٢) يخرق : يحمق . فى الأصل : « أخرق » . (٣) أو مضت له : وسارقته النظر.

شعره فى قينتى ابن هلال

ويقال: إنّ عمر بن أبى ربيعة قَدِم الكوفةَ، فنزل على عبد الله بن هِلال، الذى كان يُقال له: صاحبُ إبليس، وكانت له قَيْنَتان حاذقتان. فكان عُمر يأتيهما فيسمع منهما، فقال فى ذلك:

يا أهْلَ بابلَ مانفِسْتُ[1] عليكمُ ... مِنْ عَيْشكم إلاّ ثلاثَ خِلالِ
ماءَ الفُرات وطِيبَ لَيْلٍ باردٍ ... وغِناءَ مُحْسنتين لابن هِلال

هو وبعض الشعراء فى وصف برق

وقيل: إنّ عُمر بن أبى رَبيعة، والحارثَ بن خالد، وأبا رَبيعة المُصْطَلِقىّ، ورجلاً من بنى مَخْزوم، خَرجُوا يُشيِّعون بعضَ خُلفاء بنى أُمية. فلما انصرفوا نزلوا بسَرِفَ، فلاح لهم بَرْق. فقال الحارث: كلُّنا شاعر، فهلمُّوا نَصِفِ البرق. فقال أبو ربيعة:

أرِقتُ لبرقٍ آخرَ اللّيل لامعٍ ... جَرَى من سَناه ذو الرُّبَى[2] فيُنابِعُ

فقال الحارث:

أرِقْتُ له ليلَ التّمامِ ودُونه ... مَهامِهُ مَوْماةٍ وأرضٌ[3] بَلاقِعُ

فقال المخزومىّ:

يُضىء عِضاهَ[4] الشَّوْكِ حتى كأنه ... مَصابيحُ أو فَجرٌ من الصُّبْح ساطِعُ

فقال عمر:

أيا ربِّ لا آلُو المودّةَ جاهِداً ... لأسماءَ فاصْنَعْ بى الذى أنت صانعُ

ثم قال: مالى وللبرق والشَّوْك!

هو وليلى البكرية

وقيل: لقى عمرُ بن أبى ربيعة ليلَى بنت الحارث بن عمرو البَكْريّة، وهى

---

(١) نفس عليه كذا: غبطه من أجله. (٢) ينابع: موضع فى بلاد هذيل.

(٣) المهامه: المفاوز البعيدة، الواحدة: مهمه. والموماة: الواسعة من الفلوات. والبلاقع: جمع بلقع، وهى الأرض القفرة. (٤) العضاه: الشجر العظيم له شوك.

تَسِير على بَغْلة لها ، وقد كان نَسَب بها ، فقال :جَعلنى الله فِداكِ ، عَرِّجى ها هنا أُسمعْك بعضَ ما قُلْتُه فيكِ . قالت : أوَ قد فعلت ؟ قال : نعم . فوقفتْ ، وقالت : هات . فأنشدها :

ألاَ يا ليلُ إنّ شفاء قَلْبى نوالُكِ إنْ بَخِلتِ فَنوِّلينا
وقد حَضَر الرَّحيلُ وحانَ منّا فِراقُكِ فانظرى ما تأْمُرينا

فقالت : آمُرك بتَقْوى الله، و إيثارِ طاعته، وتَرْك ما أنْت عليه . ثم صاحت ببغلتها ومَضتْ .

وفيها يقول :

إن لَيْلى وقد بلغْتُ المَشيبَا لم تَدَعْ للنِّساء عندى نَصيبَا
هاجِرٌ بَيْتَها لأَنْفِيَ عنها قَولَ ذِى العَيْب إن أرادالعيُوبا

هو و بنت مروان ابن الحكم

وذُكر أنه حَجّت أمُّ محمد بنت مروانَ بن الحكم ، فلمّا قضت نُسكَها أتت عُمر بن أبى ربيعة ، وقد أخْفت نَفسها فى نِسْوة ، فحدّثها مَليًّا . ثم لمّا انصرفتْ أتبعها رسولاً حتى عَرف موضعها،وسأل عنها حتى أثْبتَها [1] . فعادتْ إليه بعد ذلك، فأخبرها بمعرفته إياها. فقالت : نَشَدْتُك الله أن تُشَهِّرنى بشِعْرِك [2]! و بَعثتْ إليه بألف دينار . فقَبلها وابتاع بها حُلَلا وطيباً وأهداه إليها . فردّتْه . فقال : والله لئن لم تَقْبليه لأُنْهِبنّه [3] فيكونُ مَشْهوراً . فقبلتْه و رحلت . فقال فيها :

أيّها الرّاحلُ المُجِدُّ ابتكارَا قد قَضَى من تِهامةَ الأوطارَا
مَن يَكُن قَلْبُه سَليماً صحيحاً ففُؤادى بالخَيْف أمسى مُعَارا

(١) أثبتها : تحققها وعرفها . (٢) أى سألتك بالله ألا تشهرنى فى شعرك . وهو من المواضع التى ينقاس فيها حذف « لا » النافية . (٣) لأنهبنه : أى لأبيحنه لمن شاء نهباً .

ليتَ ذا الدَّهرَ كان حَتْماً علينا   كُلَّ يومين حِجَّةً واعْتمارا

وأنشد ابنُ أبى عتيق قولَ عُمر هذا . فقال : الله سُبحانه أكرمُ بعباده من أن يجعل عليهم ما سألته لِيتمَّ لكَ فِسْقُك .

هو وحميدة

وكان عُمر يهوى حُميدةَ جاريةَ ابنِ تُفَّاحة (١) ، وفيها يقول :

حُمِّل القَلْبُ من حُمَيْدَةَ ثِقْلاَ   إنّ فى ذاكَ للفؤاد لشُغْلاَ

إن فعلتُ الذى سألتِ فقُولى   حَمْدُ خَيراً وأَتْبعى القولَ فِعلا

وصلِينى وأُشْهد الله أنّى   لستُ أُصْفى سواكِ ماعشتُ وَصْلا

وفيها يقول :

يا قَلْب هل لك عن حُمَيْدَةَ زاجِرُ   أمْ أنت مُدَّكِرُ الحيَاء فصابرُ

فالقلبُ مِنْ ذِكْرَى حُميدةَ مُوجَع   والدَّمْعُ مُنحدرٌ وعَظْمِىَ فاتِر

حتى بدا لى من حُمَيـدةَ خُلَّتى   بَيْنٌ وكنتُ من الفِراق أُحاذِر

هو وعراقية رآها فى الطواف

وحكى [علىٌّ بن] طَرِيف الأسدىّ قال . سمعتُ أبى يقول :

بينما عمرُ بن أبى ربيعة يطُوف بالبيت إذ رأى امرأةً من أهل العراق ، فأعجبه جمالُها ، فمشى معها حتى عَرَف موضعها ، ثم أتاها فحادثها وناشدها وأنشدته ، وخطبها فقالت : إن هذا لا يصلُح ها هنا ، ولكنْ إن جئْتنى إلى بلدى وخَطبْتنى إلى أهلى تزوجتك . فلما ارتحلوا جاء إلى صديق له من بنى سَهْمٍ وقال له : إن لى حاجةً أريد أن تساعدنى عليها . فقال له : نعم ، وأخذ بيده . ولم يذكُرله ما هى. ثم أتى منزلَه فركب نَجيباً له وأركبه نَجيباً ، وأخذ معه ما يُصْلحه وسارا ، لا يَشُك السَّهمىُّ فى أنه سَفر يومٍ أو يومين. فما زال يَحُث حتى لحق بالرُّفْقَة ، ثم سار بسَيْرهم يُحادث المرأةَ طُولَ طريقه ، ويُسايرها وينزل عندها إذا نزلت ، حتى ورد

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ابن ماجة » .

العراق . فأقام أياماً ، ثم راسلها يَتَنَجّزها وعدَها . فأعلمتهُ أنها كانت متزوّجة ابنَ عَمٍّ لها وولدت منه أولاداً ثم مات ، فأوصَى بهم و بماله إليها ما لم تتزوّج ، وأنهـا تخاف فُرْقةَ أولادها و زوال النِّعمة ، و بعثت إليه بخمسة آلاف دِرْهم واُعتذرتْ . فردّ عليها المالَ ورحل إلى مكة . وقال فى ذلك قصيدتَه التى أوّلُها :

نام صَحْبِى ولم أَنَمْ   مِنْ خَيالٍ بنا أَلَمّْ
طاف بالرَّكْب مَوْهِناً   بين خاخٍ إلى[1] عُظُم
ثم نَبَّهتُ صاحباً   طَيِّبَ الخِيم[2] والشِّيَم
أرْيَحِيًّا مُساعِداً   غيرَ نِكْس[3] ولا بَرَم
قلتُ يا عمرو شَفَّنِى   لاعجُ الحُبِّ والأَلَم
إيتِ هِنْداً فقُل لهـا   ليلة الخَيْفِ ذى السَّلَم

بينه و بين الخاطبى وصاحب له وحديثه عن هند

وذكر عثمان بنُ إبراهيم الخاطبىّ قال :

أتيتُ عُمرَ بن أبى رَبيعةَ بعد أن نَسك بسنينَ ، وهو فى مَجْلس قومه من بنى مَخزوم ، فانتظرتُ حتى تفرّق الناسُ، ثم دنوتُ منه، ومعى صاحبٌ لى ظريف ، وكان قد قال لى : تعالَ حتى نَهيجه على ذِكْر الغزَل ، فننظرَ هل بقى فى نفسه منه شىء . فقال له صاحبى : يا أبا الخطّاب ، أكْرَمَك الله ؟ لقد أحسن العُذْرِىّ وأجاد فيما قال . فنظر إليه عُمر ثم قال :وما الذى قال ؟ قال : حيث قال :

لو جُذَّ بالسَّيفِ رأسى فى مَودّتها   لمرَّ يَهْوِى سَرِيعاً نحوها راسِى

قال : فارتاح عمر إلى قوله وقال : هاهْ ! لقد أجاد وأحسن . فقلتُ : ولله دَرُّ

---

(١) خاخ : موضع بين الحرمين . وعظم، بضمتين، وبفتحتين أيضا : عرض من أعراض خيبر. وفى بعض أصول الأغانى : « إضم » . وهو واد بجبل تهامة .

(٢) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٣) النكس : الضعيف . والبرم : الذى لا خير عنده .

جُنادة العُذْرِىّ ! فقال عمر : فحيث يقول ماذا ؟ ويحك ! قلتُ : حيث يقول :

سَرَتْ لعَيْنك سَلْمى بعد مَغْفَاهَا ... فبِتُّ مُسْتَنبِهاً مِن بعد مَسْراهَا
وقلتُ أهلاً وسَهلاً مَن هَداكِ لنا ... إنْ كنتِ تِمْثالهَا أو كنتِ إيّاها
من حُبّها أتمنَّى أنْ يُلاقِيَنى ... مِن نَحو بلدتِها ناعٍ فيَنْعاها
ولو تموتُ لَرَاعتْنِى وقلتُ ألَا ... يا بُؤْسَ للموت ليتَ الدهْرَ أبْقاها

قال : فضحك عمرُ ثم قال : وأَبيك ، لقد أحسن وأجاد وما أساء ! ولقد هيّجتما علىّ ساكناً ، وذكّرتمانى ما كان عنّى غائباً ، ولأحدّثنكما حديثاً حُلواً :

بينا أنا منذُ أعوام جالسٌ إذ أتانى خالدُ الخِرِّيتُ فقال لى : يا أبا الخطّاب ، مرّت بى أربعُ نِسْوة قُبيل العشاء يُرِدْن موضعَ كذا وكذا ، لم أر مثلَهن فى بَدْوٍ ولا حَضَر ، فيهنّ هِنْد بنت الحارث المُرّيّة ، فهل لك أن تأتيهنّ متنكِّراً تَسمع من حديثهنّ وتَستمتع بالنَّظر إليهنّ ولا يَعْلَمْنَ من أنت ؟ فقلت له : ويحك ! وكيف لى أن أُخْفِىَ نفسى؟ قال : تلبس لِبْسة أعرابىّ ثم تجلِس على قَعُود ، فلا يَشعرْن إلا بك قد هَجمت عليهنّ . ففعلتُ ما قال وجلستُ على قَعُود ، ثم أتيتهنّ فسلّمت عليهن ، ثم وقفت بقُربهن . فسألننى أن أُنشدهن وأُحدّثهن . فأنشدتهن لكُثيِّر وجَميل والأَحوص ونُصَيب وغيرهم . فقلن لى : يا أعرابىّ ! ما أَمْلَحك وأظرفَك ! لو نزلتَ فتحدَّثت معنا يومَنا هذا ! فإذا أَمْسيتَ انصرفتَ فى حِفْظ الله . قال : فأَنَخْتُ بَعيرى وتحدّثتُ معهنّ . ثم إنهن تَغامَزْن وجَعل بعضُهن يقول لبعض : كأَنّا نعرفُ هذا الأعرابىّ ، ما أَشبهه بعُمرَ بن أبى ربيعة ! فقالت إحداهن : هو والله عُمر ! فمدَّت هِنْد يدَها فانتزعت عِمامتى فألقتْها عن رأسى ، ثم قالت : هِيهِ يا عمر ! أتُراك خَدَعْتَنا منذُ اليوم ؟ بل نحن والله خَدَعناك واحْتَلْنا عليك بخالدٍ لتأتيَنا فى أَسوأ هَيْئةٍ ، ونحن كما تَرى . قال عمر : ثم أَخذنا فى الحديث ، فقالت هِنْد: ويحك يا عُمر ! اسمع منّى ، لو رأيتَنى منذُ أيّام وأصبحتُ عند أهلى ، وأدخلتُ

رأسِى فى جَيْبى، فنظرتُ إلى حِرِى فإذا هو مِلْء الـكفّ ومُنْيَـةُ المُتمنّى فناديتُ : يا عُمراه ! يا عُمراه ! قال عُمر : فصِحْتُ : يا لَبَيْـكاه ! يالبَيْكاه ! ثلاثاً ، ومددتُ فى الثالثة صوتى. فضحكت . وحادثتُهن ساعةً ثم ودّعتُهن وانصرفتُ، فذاك قولى:

عرفتُ مَصيفَ الحَىّ[١] والمُتَرَبَّعَا ... ببطْنِ حُلَيّاتٍ دَوَارسَ[٢] بَلْقعا

إلى السَّفْحِ من وادى المُغَمّس بُدِّلت ... معالِمُه وَبْلاً وَنَكْباءَ[٣] زَعْزَعا

لِهنْدٍ وأتْرابٍ لهِنْدٍ إذ الهَوى ... جَميعٌ وإذ لم نَخْشَ أن يتَصَدَّعا

وإذ نحن مِثْلُ الماءِ كان مِزاجُه ... كما صَفَّقَ[٤] الساقى الرَّحيقَ المُشَعْشَعا

وإذْ لا نُطِيعُ الكاشِحين ولا نَرى ... لواشٍ لدينا يطلبُ الصَّرمَ[٥] مَطْمَعا

وله فيها قصيدتُه التى أوّلُها :

يا صاحِبَىَّ قِفَا نَسْتَخْبِر الدّارَا ... أقوتْ وهاجتْ لنا بالنَّعْفِ[٦] تَذْكارَا

وقد أرَى مَرّةً سِرْباً بها حَسَناً ... مثلَ الجَآذِرِ لم يُمْسَسْن أبْكارا

فيهنّ هِنْدٌ وهِنْدٌ لا شبيهَ لها ... فِيمَن أقام مِن الأَحياءِ أوْ سارا

تقول ليت أبا الخطّابِ وافقَنا ... كى نَلْهُوَ اليومَ أو نُنْشِدَ أشْعارا

---

(١) المتربع : حيث ينزل القوم زمن الربيع . ورواية هذا الصدر فى الديوان :

* ألم تسأل الأطلال والمتربعا *

وكذا رواه القالى فى أماليه ثم قال : «وأملى علينا أبو عبد الله .«عرفت مصيف الحى والمتربعا » : وهو غلط ، لأن « عرفت مصيف الحى » أول قصيدة لجميل .

(٢) دوارس : عفت وامحت آثارها . وبلقع : خالية . يوصف به الذكر والأنثى . فإذا كان اسماً قلت : بلقعة ملساء .

(٣) المغمس : موضع قرب مكة فى طريق الطائف . والوبل : المطر الشديد الضخم القطر . والنكباء : كل ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين . وهى تهلك المال وتحبس القطر . وزعزع : شديدة .

(٤) صفق الشراب : مزجه . (٥) الكاشح : المضمر للعداوة .

(٦) أقوت : خلت . والنعف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل . وظاهر أنه يريد موضعاً بعينه .

فلم يَرُعْهنّ إلّا العِيسُ طالعــةً بالقَوْم يَحْمِلْنَ رُكْباناً[١] وأَكْوارا
لمّا وقفْنا وعنَّينا ركائبَنا بُدِّلْن بالعُرْف بعد الرَّجْع إنكارا

ومنها :

لمّا أَلمّتْ بأصْحابى وقد هَجَعُوا حَسِبْتُ وَسْط رِجالِ القوم[٢] عطّارا
فقلتُ مَنْ ذا المُحيِّي وانتَبهتُ له ومَن مُحدِّثُنا هذا الّذى زارا
تبَدَّلَ الرَّبْعُ ممَّن كان يسكُنه عُفْرَ الظِّباء به يَمْشِين أسْطارا

وقال فيها — قلتُ : وهو من ظريف الشعر — :

ليتَ هِنْدًا أَنْجزَتْنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أنفُسَنا مما[٣] تجِدْ
وأُستبدَّت مَرَّةً واحدةً إنما العاجزُ من لا يَسْتبدّ
ولقد قالتْ لجاراتٍ لها ذاتَ يومٍ وتَعَرَّتْ[٤] تَبْتَرِد
أكما ينْعتُنى تُبْصِرنَنى عَمْرَكُنّ اللهَ أم لا يقتَصِد
فتضاحَكْن وقد قُلن لها حَسَنٌ فى كلِّ عَيْنٍ مَن تَودّ
حَسَداً حُمِّلْنَه من أَجْلِها وقَديماً كان فى النَّاس الحسد

وقال فيها :

يا مَن لقَلْبٍ دَنِفٍ مُغْرَمٍ هامَ إلى هِنْدٍ ولم يَظْلِمِ
هامَ إلى رِئْمٍ هَضِيمِ الحَشَى عَذْبِ الثَّنايا طَيِّبِ المَبْسِمِ
لم أَحْسَبِ الشَّمْسَ بلَيْلٍ بَدَتْ قَبْلى لِذى لَحْمٍ ولا ذِى دَمِ

(١) الأكوار : جمع كور ، وهو رحل الناقة بأدواته .

(٢) العطار : بائع العطر .

(٣) مما تجد ، أى مما قد توهلت به من الحب الشديد .

(٤) تبترد : تغتسل بالماء البارد .

قالت ألَا إنّك ذو مَلَّةٍ يَصْرِفُكَ الأَدْنَى عن الأَقْدم
قلتُ لها بل أنتِ مُعتلّة فى الوصل ياهندُ لكى تَصْرِمى

هو وفاطمة بنت عبد الله بن مروان

وذُكر أنّ عمر بن أبى ربيعة كان جالساً بمِنًى فى فِناء مِضْرَبه، وغِلْمانه حولَه، إذ أقبلت امْرأةٌ بَرْزَةٌ عليها أثر النعمة، فسلّمتْ. فردَّ عليها عمرُ. فقالت: أنت عمر بن أبى ربيعة؟ فقال: أنا هو، فما حاجتُك؟ قالت: حيّاكَ الله وقرَّبك! هل لكَ فى مُحادثة أحسنِ الناسِ وجهاً، وأتمّهم خَلْقاً، وأكملهم أدباً، وأشْرفهم حَسباً؟ قال: ما أحبَّ ذلك إلىَّ. قالت: على شَرْط. قال: قُولِى. قالت: تُمَكّننى من عَينيك فأَشُدُّها وأَقُودك، حتى إذا توسَّطت المَوضع الذى أُريده حللتُ الشَّدَّ، ثم أفعلُ بك ذلك عند إخراجك حتى أنتهى بك إلى مِضْرَبك. فقال: شأنك. ففعلتْ ذلك. قال عمر: فلما انتهتْ إلى المِضْرب الذى أرادت، كشفتْ عن وجهى، فإذا أنا بامرأة على كرسىّ، لم أر مثلها قطُّ جمالاً وكمالاً. فسلَّمتُ وجلستُ. فقالت: أنت عُمر بن أبى ربيعة؟ قلت: أنا عمر. قالت أنت الفاضح للحرائر؟ قلت: وما ذاك؟ جَعلنى الله فِداكِ! قالت: ألستَ القائل:

قالت وعَيْشِ أخى ونِعْمة والدى لأُنبهنّ الحىَّ إنْ لم تخْرُجِ
فخرجتُ خوفَ يمينها فتبسَّمت فعلمتُ أنّ يمينها لم [1] تَلْجَج
فتناولتْ رأسى لتعرفَ مَسّه بمُخَضَّب الأطراف غير [2] مُشَنَّج
فَلَثَمْتُ فاها آخذاً بقُرونها شُرْبَ النَّزيف ببَرْد ماء [3] الحَشْرج

ثم قالت: قُم فاخْرُج عنّى، وقامت من مَجْلسها. وجاءت المرأةُ فشدَّت عَيْنى، ثم أخرجتْنى حتى انتهتْ بى إلى مِضْربى، وتركتنى وانصرفتْ. فخلتُ

(١) لم تلجج: أى لم تعزمها.
(٢) مشنج: منقبض.
(٣) النزيف: من عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه. والحشرج: النقرة فى الجبل يجتمع فيها الماء فيصفو.

عينى، وقد دَخلنى من الـكآبة والُحزن ما الله أعلم به ، و بِتُّ ليلتى . فلما أصبحت إذا أنا بها . فقالت : هل لك فى العَوْد ؟ قلت : شأنَكِ . ففعلت بى مثلَ فِعْلها بالأمس، حتى أُنتهتْ بى إلى الموضع . فلما دخلتُ إذا الفَتاة على كرسىّ. فقالت : إيهِ يا فضّاح الحرائر ! قلت : ماذا ؟ جَعلنى الله فِداكِ أيضاً ! قالت : بقَولك :

وناهدةِ الثَّدْيَيْن قلت لها اتَّكى ... على الرَّمْل فى دَيْمُومة لم تُمهَّدِ
فقالت على أسم الله أمرُكَ طاعةٌ ... و إن كنتُ قد كُلِّفتُ مالم أُعَوَّد
فلما دنا الإصباح قالت فَضَحْتنى ... فقُمْ غيرَ مَطْرود و إن شئتَ فاُزْدَد

ثم قالت : قُم فاُخرُج عنى . فخرجتُ. ثم رُدِدْتُ ، فقـالت : لولا وَشْك الرَّحيل، وخَوْف الفَوت ، ومَحبَّتى لمُناجاتك والاستكثار من مُحادثتك لأقْصيتُك . هات الآن، كلِّمنى وحدِّثنى وأَنْشِدْنى . فكلَّمْتُ آدبَ الناس وأعلمَهم بكل شىء . ثم نَهضتْ . وأبطأتِ العجوزُ وخلا لى البيتُ ، فأخذتُ أنظُر ، فإذا بتَوْرٍ (١) فيه خَلُوق.(٢) فأدخلتُ يدى فيه ، ثم خبأْتُها فى رُدْنى.(٣) وجاءت تلك العَجوزُ فشدَّت عَيْنى ونهضتْ بى تَقُودنى،حتى إذا صِرْتُ إلى باب المِضْرَب ، أخرجتُ يدى فضربتُ بها على المِضْرب . ثم صِرْتُ إلى مِضْربى،فدعوتُ غِلْمانى، فقلتُ : أيكم يَقِفُنِى على باب مِضْرَب عليه خَلُوق كأنه أثرُ كفٍّ فهو حُر وله خمسمائة دِرْهم؟ فلم ألبث أن جاء بعضُهم فقال :قُم. فنهضتُ معه، فإذا [أنا] بالـكفّ طريّةٌ ،و إذا المِضْرَب مِضْرَب فاطمة بنت عبد الملك بن مروان . فأخذتْ فى أُهْبَة الرَّحيل. فلما نَفَرتْ نفرتُ . فَبصُرَتْ فى طريقها بقِباب ومَضارب وهيئة جميلة ، فقيل لها : هذا عمر بن أبى رَبيعة . فسـاءها أمْرُه وقالت للعجُوز التى كانت تُرسلها إليه :

---

(١) التور : إناء صغير .
(٢) الخلوق : نوع من الطيب .
(٣) الردن : الكم .

قولى : نَشَدْتُك اللهَ والرَّحِمَ أن[١] تَصْحَبنى، ويحك! وما شأنُك؟وما الذى تُريد ! أنْصرف ولا تَفْضَحنى وتُشِيطَ[٢] بدَمك . فصارت إليه العجوزُ فأدَّت إليه ما قالت لها فاطمةُ . فقال : لستُ بمُنْصَرِفٍ أو تُوجِّهَ إلىّ بقميصها الذى يَلِى جِلْدَها . فأخبرتْها . ففعلتْ، ووجَّهت إليه بقَميص من ثيابها . فزاده ذلك شَغَفًا، ولم يزَلْ يَتبعهم ولا يُخالطهم، حتى إذا صاروا على أميالٍ من دِمَشْق أنصرف. وقال فى ذلك :

ضاق الغَداةَ بحاجَتى صَدْرِى ... ويَئِستُ بعد تقَارُب الأمْرِ

وذكرتُ فاطِمَةَ الّتى عُلِّقْتُها ... عَرَضًا فَيا لِحَوادثِ الدَّهْرِ

يقول فيها :

وكأنَّ فاها بعد ما رَقَدَتْ ... تَجْرِى عليه سُلافَةُ الخَمْرِ

ومنها :

وبِجِيدِ آدَمَ شادِنٍ خَرِقٍ ... يَرْعَى الرِّياضَ بِبَلْدَةٍ[٣] قَفْرِ

لمّا رأيتُ مَطِيَّهم[٤] حِزَقًا ... خَفَقَ الفؤادُ وكنتُ ذا صَبْرِ

وتبادرتْ عيناى بعدهمُ ... وأُنْهِلَ مَدْمَعُها على الصَّدْرِ

ولقد عَصيتُ ذوى أقاربها ... طُرًّا وأهلَ الوُدِّ والصِّهْرِ

حتَّى لقد قالُوا وما كَذَبُوا ... أجُنِنْتَ أَمْ بِك داخلُ السِّحْرِ

وذُكر أنه لما قدمتْ فاطمةُ بنت عبد الملك بن مَرْوان مكةَ جعل عمرُ بن أبى رَبيعة يدُور حولَها ويقول فيها الشعر ولا يذكُرها باسمها ، فَرَقًا من عبد الملك

(١) أى ، ألا تصحبنى . (٢) أشاط دمه وبدمه : أهدره وعرض نفسه للقتل .
(٣) الأدمة فى الإنسان : السمرة . وفى الظباء : لون مشرب بياضا . والشادن : الظبى شب وترعرع . والخرق : الخائف المتحير . (٤) حزقًا : جماعات .

ومن الحَجّاج ، لأنه كان كتب إليه يتوعّده إن ذكرها أو عرّض باسمها . فلمّا قضت حَجَّها وارْتحلتْ أنشأ يقول :

كِدْتُ يومَ الرَّحيل أَقْضِى حياتى ... ليتَنى مِتُّ قبلَ يوم الرَّحيلِ
لا أُطيق الكلامَ مِن شدَّةِ الخَوْ ... فِ ودَمْعى يَسِيلُ كلَّ مَسِيل
ذَرَفَتْ عَيْنُها وفاضتْ دُموعى ... وكلانَا يُلْفَى[1] بلُبٍّ أَصِيل
لو خَلَتْ خُلَّتِى أَصَبْتُ نَوالاً ... وحَديثًا يَشْفِى من التَّنْوِيل
ولظَلَّ الخَلْخالُ فوق الحَشَايا ... مثلَ أَثْناء حَيَّةٍ[2] مَقْتُول
ولقد قالتِ الحَبِيبةُ لولا ... كَثْرَةُ النَّاسِ جُدْتُ بالتَّقْبيل

وله فى فاطمةَ هذه :

يا خليلَيَّ شَفَّنِى الذِّكَرُ ... وحُمُولُ الحىِّ قد صَدَرُوا
ضَرَبُوا حُمْرَ القِبَابِ لها ... وأُدِيرتْ حولها الحُجَر
سَلَكُوا شِعْبَ النِّقابِ بها ... زُمَراً تَحْتَثُّها[3] زُمَر
وطَرَقْتُ الحىَّ مُكْتَتِما ... ومَعِى عَضْبٌ به[4] أُثُر
وأخٌ لم أَخْشَ نَبْوته ... بنَواحِى أمرهم[5] خَبِر
فإذا رِيمٌ على فُرُشٍ ... فى حِجَال الخزِّ[6] مُخْتَدِر
حَوْلَه الأَحراسُ تَرْقُبه ... نُوَّمٌ من طُول ما سهروا
شَبَهُ القَتْلَى وما قُتِلُوا ... ذاكَ إلّا أنَّهم سَمَرُوا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى . « يلقى » .
(٢) أثناء الحية : مطاويها وتضاعيفها إذا تثنت .
(٣) النقاب : موضع من أعمال المدينة . وتحتثها : تستعجلها .
(٤) العضب : السيف القاطع .
(٥) خبر : خبير .
(٦) الحجال : جمع حجلة ، وهى قبة تجمل بالستور .

فدعَتْ بالوَيْل ثم دعَتْ حُـرَّةً من شأنها الخفَر
ثم قالت للّتى معهـا ويْحَ نَفْسِى قد أتَى عُمَر
ما لَه قـد جاءَ يطْرُقُنـا ويرَى الأعـداءَ قد حَضَروا
لِشَـقَائِى كانَ عُلِّقنـا ولحَيْنِى سـاقَه القَـدَر
قلتُ عِرْضِى دون عِرْضِكُمُ ولمن ناواكُمُ الحَجَـر

هو وعائشة بنت طلحة فى الطواف

وقيـل : بينا عُمرُ بن أبى ربيعـة يطوفُ البيتَ إذ رأى عائشةَ بنت طَلْحَة ابن عُبيد الله ، وكانت من أجمل أهلِ دَهرها ، وهى تُريد الرُّكْنَ تَسْتلمُه ، فبُهِت لما رآها . ورأتْه وعلمت أنها وقعتْ فى نفسه ، فبعثتْ إليـه بجارية لها وقالت لها : قُولى له : أتّقِ الله ولا تَقُل هُجْراً ، فإنّ هـذا مَقَامٌ لا بُدَّ فيه ممّا رأيتَ . فقال للجارية : أَقْرِئيها السلامَ وقُولى لها : ابنُ عمّك لا يقول إلّا خيراً ، وقال فيها :

لعائشةَ ابْنـةِ التَّيمىّ عِنـدى حِمًى فى القَلْب ما يُرْعَى حِمَـاهَا
يُذكِّرنِى ابنـةَ التَّيمىّ ظَبْىٌ يَرُودُ برَوْضـةٍ سَهْلٍ رُبَاهَا
فقلت له وكاد يُرَاعُ قَلْبِى فلم أرَ قطُّ كاليوم اشْـتباها
سِوَى حَمْشٍ بساقِكَ مُسْتَبينٍ وأنَّ شَوَاكَ لم يُشْبه [١] شَوَاها
وأنك عاطِلٌ عارٍ ولَيْسَتْ بعـاريةٍ ولا عُطُلٍ يَدَاها
وأنك غـير أسْحَمَ وهى تُدْنِى على المَتْنَيْن أسْحَمَ قد [٢] نَضَـاها
ولو قَعَـدتْ ولم تَـكْلَفْ بوُدٍّ سِوَى ما قد كَلِفتُ به كَفَاها
أظَلُّ إذا أُكَـلِّمُها كأنّى أُكلِّمُ حَيَّـةً غَلَبَتْ رُقاها
تَبِيتُ إلىّ بعـدَ النَّوم تَسْرِى وقد أمْسَيتُ لا أخشَى سُرَاها

(١) الحمش : دقة الساقين . والشوى : الأطراف .
(٢) الأسحم : الأسود ، يريد الشعر . ونضاها ، أى كساها .

وقال فيها أشعاراً كثيرةً ، فبلغ ذلك فتيانَ تَيْم ، أَبلغهم إياه فتًى منهم وقال لهم : يا بَنى تَيْم ، هاللهِ لَيَقْذِفَنَّ بنو مخزوم بنَاتِنـا بالعَظائم وتَغْفُلون ! فمشَى ولدُ أبى بكر الصدِّيق وولدُ طلحة بن عُبيـد الله رضى الله عنهم إلى عُمر بن أبى ربيعة وأخبروه بما بلغهم . فقال لهم : والله لا أذكرها فى شعرٍ أبدا . ثم قال بعـد ذلك فيها ، وكنّى عن اسمها ، فى قصيدته التى أوّلُها :

يا أُمَّ طَلْحة إنَّ البَيْن قد أَفِدَا قَلَّ الثَّواء لئن كان الرَّحيلُ غدَا[1]

وقيل: لم يزل عُمر يُشَبِّب بعائشة هذه أيامَ الحجّ ، و يطُوف حَولها و يتعرّض لها ، وهى تكره أنْ يَرى وجهَها ، حتى وافقَها وهى ترمى الجمارَ سافِرةً ، فنظر إليها . فقالت : أما والله لقد كنتُ لهذا منك كارهةً يا فاسقُ ! فقال :

إنّى وأوّلَ ما كلفتُ بذكْرهـا عَجَبٌ وهل فى الدّهر من مُتعجَّبِ
نعتَ النِّساء فقلتُ لستُ بمُبْصرٍ شَبَهاً لهـا أبداً ولا بمُقـرَّب
فمكَثْن حِيناً ثم قُلْنَ توجّهتْ للحجِّ موعِدُها لِقَاء[2] الأخْشب
أَقْبلتُ أنظُر ما زَعمن وقُلْن لى والقلبُ بيْن مُصدِّق ومُكَذِّب
فلَقِيتُها تَمْشى تَهادَى مَوْهِناً تَرْمِى الجمارَ عَشِيَّةً فى مَوْكب
غَرَّاء يُعْشِى النّاظرين بياضُها حوْراء فى غُلَواء عَيْش[3] مُعْجب
إنّ التى من أرْضهـا وسمائهـا جُلِبتْ لِحَيْنك ليتهـا لم تُجْلَب

وقيل : إنّه لَقِيها بمكة وهى تَسِير على بغلة لها ، فقال لها : قِفِى حتى أُسمِعَك ما قلتُ فيك . قالت : يا فاسق ! أَوَ قد فعلتَ ؟ قال: نعم . فوقفتْ . فأنشدها :

---

(١) أفد : دنا وأسرع .

(٢) الأخشب : واحد الأخشبين ، وهما جبلان بمكة .

(٣) غلواء عيش : أنضره وأرغده .

يا رَبَّةَ البَغْلةِ الشَّهْبَاء هـل لك فى أن تُنْشِرى مَيِّتاً لا تُرْهِقى[١] حَرَجا
قالتْ بدائك مُتْ أو عِشْ تُعالِجه فمـا نَرَى لك فيما عنـدنا فرَجا
قد كُنتَ حَمَّلْتنـا غَيْظاً نُعالجـه فإن تَقِدْنا فقد عَنَّيْتَنا[٢] حِجَجا
حتى لو اُسْطِيـعُ ممّا قد فعلتَ بنا أَكلتُ لحمَك من غَيْظٍ وما نَضِجا

فقالت: لا وربّ الـكعبة، هذه البَنِيّة! ما عَنيتَنا طَرْفة عَيْن قطُّ. ثم قالت لبغلتها: عَدَسْ![٣] وسارت.

ثم لم تزل عائشة تُداريه وترفُق به خَوفاً من أن يتعرَّض لها، حتى قضت حِجَّتها وانصرفت إلى المدينة. فقال فى ذلك:

إنّ من تَهوَى مع الفَجر ظَعَنْ للهَوى والقَلْبُ مِتْباعُ الوَطَنْ
بانت الشَّمسُ وكانت كلّمـا ذُكِرتْ للقَلْب عاودتُ الحزَن
يا أبا الحـارث قَلْبى طـائر فَأْتَمر أمرَ رَشيدٍ مُؤْتَمن
نظَرت عَيْنى إليهـا نَظْرةً تركت قَلْبى لدَيهـا مُرتَهن
لَيْس حُبٌّ فـوق ما أحببْتها غـير أن أَقْتُل نَفْسى أو أُجَنّ

وقال فيها:

مَن لقَلْبٍ أمسَى حزيناً مُعنَّى مُستكينا قد شَفَّه ما أَجَنَّا
إثْرَ شَخْصٍ نَفسى فدَتْ ذاك شَخْصاً نازِح الدار بالمـدينـة عَنَّا
ليت حظِّى كَطَرْفة العَيْن منها وكثـيرٌ منهـا القليلُ المُهَنا

هو وكلثم المخزومية

وذُكر أنّ عُمر بن أبى ربيعة كان يَهْوَى كَلْثَمَ بنتَ سعدٍ المخزوميّـة،

(١) لا ترهق حرجاً، أى لا تحمليه حرجاً ولا تكلفيه أكثر مما هو به.
(٢) فإن تقدنا، أى فإن ترد القصاص منا على هذا الهجر، فقد عنيتنا وجشمتنا أعواماً طوالا.
(٣) عدس: كلمة تزجر بها البغال.

فأرسل إليها رسولا.(١) فضربتْها وحلقَتها وأَحْلَفَتْها(٢) ألاّ تُعاود. ثم أعادها ثانيةً. ففعلتْ بها مثلَ ذلك. فتحاماها رسُلُه. فابتاع أَمَةً سوداءَ لطيفةً رقيقةً، فأتى بها منزلَه وأحسن إليها وكساها وآنسها وعرّفها خبره، وقال لها: إنْ أوصلتِ لى رُقعةً إلى كَلْثَمَ فقرأتها فأنت حُرّةٌ، ولك معيشتُك ما بقيت. فقالت: اكتُب حاجتك فى آخرها. ففعل، وأخذتْها ومَضت بها إلى باب كَلْثَم، فاستأذنت. فخرجت إليها أمةٌ لها، فسألتْها عن أمرها فقالت: مكاتَبةٌ(٣) لبعض أهل مَوْلاتك، جئتُ أستَعينها فى مُكاتَبتى. وحادثتْها وناشدتْها حتى ملأتْ قلبها. فدخلتْ إلى كلْثم وقالت: بالباب مُكاتَبةٌ لم أر قطُّ أجمَل منها ولا أكمل ولا آدب. فقالت: ائذنى لها. فدخلت، فقالتْ: مَن كاتبَك؟ قالت: عُمر بن أبى ربيعة الفاسقُ! فاقرئى مُكاتبتى. فمدّت يدَها لتأخذها. فقالت: لى عليك عهدَ [الله] أن تقرئيها، فإن كان منك إلىّ شىء مما أُحبّه، وإلا لم يَلحقنى منك مكروه. فقالت: هاتى، وفطِنت. فأعطتْها الكتابَ، وإذا أوّله:

مِنْ عاشقٍ صبٍّ يُسِرُّ الهوى ... قد شفَّه الوَجْدُ إلى كَلْثَمِ
رأتْكِ عَينى فدعانى الهوى ... إليكِ للحَيْن ولم أعْلَمِ
قَتَلْتِنا يا حبّذا أنتمُ ... فى غيرِ ما جُرْمٍ ولا مأْثمِ
واللهُ قد أنزل فى وَحْيه ... مُبَيِّنا فى آيةِ المُحْكَمِ
مَن يقتُل النفْسَ كذا ظالماً ... ولم يُقِدْها نفسَه يَظْلِمِ
وأنتِ ثأرى فتلافَىْ دَمى ... ثم اجْعليه نِعْمةً تُنْعِمى
وحَكِّمى عَدْلاً يكُنْ بيننا ... وأنتِ فيما بيننا فاحْكُمى
وجالِسينى مَجلساً واحداً ... من غير ما عارٍ ولا مَحْرَمِ

---

(١) الرسول: يجوز استعماله للمذكر والمؤنث، والمثنى والجمع. (٢) حلقتها. أى أوجعت حلقها.
(٣) مكاتبة، أى قد كاتبها سيدها على مال تؤديه إليه منجماً، فاذا أدته صارت حرة.

وخَبِّرِينى ما الذى عندكُم بالله فى قَتْلِ أمرئٍ مُسْلِم

قال : فلمّا قرأت الشعرَ قالت لها : إنّه خَدَّاع مَلِقٌ ، وليس لما شكاه أصْل . قالت : يا مولاتى ، ما عليك من أمتحانه ؟ قالت : قد أذنتُ له ، وما زال حتى ظَفِر ببُغْيته ، فقولى له : إذا كان المساء فَلْيجلس فى موضع كذا وكذا حتى يأتىَ رسولى . فأنصرفتْ الجاريةُ فأخبرتْه . فتأهّب لها . فلما جاءها وجدها قد تهيّأت أجملَ هَيْئة، و زيّنت نَفْسَها ومَجْلِسها، وجلستْ له من وراء سِتْر . فسلّم وجلس . وتركتْه حتى سكن ، ثم قالت له : أخبرنى عنك يا فاسق ! أأنت القائل :

هلا ارْعَويتِ[1] فترْحَمِى صَبًّا صَدْيانَ لم تَدعى له قَلْبَا

جَشِمَ الزيارةَ فى مَودَّتكم وأراد ألاّ تُرْهِقِى ذَنْبا

ورَجا مُصالحةً فكان[2] لكم سَلْماً وكنتِ تَرينَه حَربا

يأيّها المُعْطِى مودَّته مَن لا يزال مُسامِياً[3] خِطْبَا

لا تجعلَنْ أحداً عليك إذا أحببتَه وهَوِيتَه رَبَّا

وَصِلِ الحبيبَ إذا شُغِفتَ به واطْوِ الزِّيارَةَ دونه غِبَّا

فلذاك أحسنُ من مُواظبة ليست تَزيدُك عنده قُربا

لا بَل يَمَلُّك ثم تدعو بأسمه فيقول : هاهِ وطالما[4] لَبَّى

فقال لها : جُعلتُ فداك ! إنّ القَلْبَ إذا هَوِى نَطق اللسانُ بما يهوى . فمكث عندها شهراً لا يدرى أهلُه أين هو، ثم أستأذنها فى الخرُوج . فقالت له : بعد أن فضحتنى؛ لا والله لاتخرج إلاّ بعد أن تتزوّجنى. ففعل و تزوّجها . فولدت منه أبنين ، أحدُهما : جُوان ، وماتت عنده .

---

(١) فى الأصل : « استحيت » . وما أثبتنا من الديوان .

(٢) فى الأصل : « فردكم » . مكان « فكان لكم » وما أثبتنا من الديوان .

(٣) الخطب : الخاطب . (٤) هاه : كلمة وعيد ، حركت لضرورة الشعر .

هو ولبابة امرأة الوليد بن عتبة فى الطواف

وذُكر أنّ عُمر بن أبي ربيعة رأى لُبَابَةَ بنت عبد الله بن العبَّاس، زوجةَ الوليد بن عُتبة بن أبي سُفيان، تطوف بالبيت، فرأى أَحسنَ خَلْق الله، فكاد عَقْلُه يذهب، وسأل عنها فأُخبر بنَسبها، فشبَّب بها وقال فيها:

وَدِّعْ لُبابَةَ قبل أن تَترَحَّلا ... وَاسأَل فإنّ قُلاَلَه(١) أن تَسألاَ
إلبَثْ بعَمْرِكَ ساعةً وتأَنَّها ... فلعلّ ما بَخِلَتْ به أن يُبْذَلا
قال ائْتمِرْ ما شئتَ غيرَ مُخالفٍ ... فيما هَوِيتَ فإننا لن نَعْجَلا
لَسْنا نُبالى حين نَقْضى حاجةً ... ما بَاتَ أو ظلّ المَطِىّ مُعَقَّلا
حتى إذا ما الليلُ جَنَّ ظَلاَمُه ... ونظرتَ غَفلةَ حارسٍ أن يَغفُلا
خرجتْ تأطَّرُ فى الثِّياب كأنها ... أَيْمٌ يَسِيب على كَثيب(٢) أَهْيَلا
رحَّبْتُ حين رأيتُها فتبسَّمت ... لتحيَّتى لَمّا رأتْنى مُقْبِلا
وجَلا القِناعُ سَحابةً مَشْهورةً ... غَرّاءَ تَعْشِى الطَّرْفَ أن يتأمَّلا
فلبثتُ أَرْقِيها بما لو عاقلٌ(٣) ... يُرْقَى به ما اسْطاع ألّا يَنزِلا

أبياته التى فيها الغناء

وأبياتُ عُمر بن أبي رَبيعة التى فيها الغِناء، وذَكر أبو الفرج بعدها أخبارَ عمر، هى:

تَشكَّى الكُميتُ الجَرْىَ لَمّا جَهَدتُه ... وبَيَّنَ لو يَسْطيع أَنْ يتكلَّما
لذلك أُدْنِى دون خَيْلِى مكانَه ... وأُوصِى به أَلّا يُهانَ ويُكْرَما
فقلتُ له إنْ أَلْقَ للعين قُرَّةً ... فهانَ علىّ أن تَكِلَّ وتَسْأَما
عَدِمْتُ إذاً وَفْرِى وفارقتُ مُهْجَتى ... لئن لم أَقِلْ قَرَناً(٤) إنِ اللهُ سَلَّما

(١) قلاله: قليله.
(٢) تأطر، أى تتأطر، بمعنى تتثنى. والأيم: الحية. ويسيب: يمضى فى خفة. والكثيب: الرمل اجتمع واحدودب. (٣) العاقل: الممتنع فى الجبل.
(٤) الوفر: الكثير الواسع من المال والمتاع. ولم أقل: من القيلولة. وقرناً: يريد قرنه المنازل، وهو مكان. أى: لئن لم أقل فيه.

شىء عن العبلات

وهذه الأبياتُ يقولها عُمر فى الثريَّا بنت علىّ بن عبد الله بن الحارث بن أُميَّة الأصغر بن عبد شَمس بن عبد مَنَاف، وهُم الذين يقال لهم العَبَلات، سُمّوا بذلك لجدَّةٍ لهم يقال لها: عَبْلَة بنت عُبيد بن خالد بن خازِل — وقيل خاذل، بالذال — ابن قَيْس بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تَميم، وهى من بَطنٍ من تَميم يقال لهم: البَراجم.

قيل: كانت عَبْلة هذه عند رجل من بنى جُشَم بن معاوية، فبَعثها بأَنْحاء[1] سَمْن تَبيعُها له بعُكاظ. فباعت السَّمن وراحلتَيْن كان عليهما. وشَربت بثمنها الخمرَ. فلما نَفِدَ ثمنُها رَهنت ابن أخيه وهَربت. فطلَّقها زوجُها.

وقالت فى شُربها الخَمْر:

شَرِبتُ براحلتَىْ مِحْجنٍ ... فيـاويْلتِى مِحْجنٌ قاتلِى
وبابنِ أخيـه على لَذَّةٍ ... ولم أَحتفلْ عَذَلَ العاذِلِ

فتزوّجها عبدُ شَمس بن عبد مناف، فولدتْ له أُمية الأَصغر، وعبدَ أُميـة، ونَوفلاً، وهم العَبَلات.

عمر والثريا

قيل: كان عمر بن أبى ربيعة مُسْهَباً[2] بالثُّريا بنتِ علىّ الأَمويّة هذه، وكانت عُرضةَ ذلك جَمالاً وتَماماً[3]، وكانت تَصِيف بالطائف، وكان عُمر يَغْدو عليها كلّ غداةٍ، إذا كانت بالطائف، على فرسه، فيُسائل الرُّكْبان الذين يَحْملون الفاكهة من الطَّائف عن الأَخبار قِبَلهم. فلَقِىَ يوماً بعضَهم فسأله عن أخبارهم. فقال: ما استطْرَفْنا خَبراً[4]، إلاّ أنّى سمعتُ عند رَحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قُريش، اسمُها اسم نَجم فى السماء، وقد سَقط عنّى اسْمُه. فقـال عمر: الثُّريا؟

(١) الانحاء: جمع نحى، وهو الزق، وما كان للسمن خاصة.
(٢) المسهب: من أسقمه الحب وأذهب عقله.
(٣) أى أهلا لأن يشغف بها لجمالها وتمامها. (٤) أى لم نقع على طريف نحدثك به.

قال : نعم . وقد كان بلغ عُمرَ قبل ذلك أنها عَليلة ، فوجَّه فرَسَه على وَجْهه إلى الطَّائف ، يركُضُه مِلْءَ فُرُوجه[1] ، وسلَك طريق كَدَاء[2] ، وهو أَخْشن الطُّرق وأقربُها ، حتى انتهى إلى الثُّرَيَّا ، وقد تَوقعتْه ، وهى تتشوّف له وتتشوّق. فوجدها سليمةً ومعها أُختاها : رُضَيَّا وأمُّ عُثمان ، فأَخبرها الخبَر . فضحكت وقالتْ : أنا والله أمرتُهم لأَختبر مالى فى نفسك . فقال عمر فى ذلك :

تشكّى الكُميتُ الجَرْىَ لما جهدْتُه ... وبَيَّنَ لو يَسْطيع أن يَتَكلَّما

الأبيات المذكورة .

وقال مَسلمة بن إبراهيم : قلت لأيُّوب بن مَسْلمة : أكانت الثُّريا كما يصف عمر بن أبى رَبيعة ؟ فقال : وفوق الصِّفة ، كانت والله كما قال عبدُ الله بن قَيْس :

حبَّذا الحجُّ والثُّريَّا ومَنْ بالْـ ... ـخَيْف من أهلها ومُلْقَى الرِّحالِ

يا سليمانُ إنْ تلاقِ الثُّريّا ... تَلْقَ عَيْشَ الخلود قبْلَ[3] الهلال

دُرَّة من عَقائل البَحْر بِكْرٌ ... لم تَشِنْها مَثاقِبُ اللآل

تَعْقِدُ المِئْزَرَ السُّخَامَ من الخَـ ... ـزّ على حَقْوٍ بادنٍ[4] مِكْسال

هو وجارية من بنى جمح

وذُكر أنّ رجلاً من بنى جُمَح وُلدتْ له بِنْت ، فكانت جاريةً لم يولد مثلُها بالحجاز حُسناً . فقال أبوها : كأنّى بها وقد كَبِرَتْ فَنَسب بها عمرُ بن أبى ربيعة وفَضَحها ونوّه باسمها ، كما فَعل بِنساء قُريش ، والله لا أقمتُ بمكّة . فباع ضَيْعَةً له بالطَّائف ومكة ورحل بابنته إلى البصرة وأقام بها ، وأبتاع هُناك ضيعةً . ونشأتْ ابنتُه من أجملِ نِساء أهل زمانها . ومات أبوها فلم تر أحداً من بنى جُمَح حَضر

(١) الفروج : ما بين قوائم الفرس . كناية عن شدة العدو .

(٢) كداء : جبل بأعلى مكة .

(٣) يريد بالهلال : الدفعة من المطر : أى إن تلق الثريا يخصب عيشك قبل أوان الخصب .

(٤) السخام : اللين . والحقو : معقد الإزار .

جِنازَته، ولا وجدتْ لها مُسْعِداً ولا عليها داخلاً . فقالت لدايةٍ[١] لها سوداءَ : مَنْ نحن ؟ ومِن أيِّ البلاد نحن ؟ فخبَّرتْها . فقالت : لا جَرَم ، والله لا أقمتُ فى هـذا البلد الذى أنا فيه غريبـة . فباعت الضَّيعة والدارَ وخرجت فى أيَّام الحج . وكان عُمر يَقْدَم فيَعْتمر فى ذى القَعْدة ويُحلّ،ويَلْبس الحُلل والوَشْى، ويركب النَّجائب المَخْضُوبة بالحِنّاء ، عليها القُطُوع[٢] والدِّيباج ، ويُسبل لِمَّته . ويَتلقّى العِراقيَّات فيما بينه وبين ذات عِرْق مُحْرِمات ، ويتلقَّى المَدنيَّات [إلى مَرٍّ]، ويتلقّى الشاميَّات إلى الـكَدِيد . فخرَج يوماً للعراقيَّات، فإذا قُبةٌ مكشوفة فيها جاريةٌ كأنها القمر ، تُعادلُها جاريةٌ سوداء كالسَّبَجة[٣] . فقال للسَّوداء : من أين أنت يا خالة ؟ فقالت : أطال الله تَعَبك ، إن كنتَ تسأل هذا العالَمَ من هم ومِنْ أين هُم ! قال : فأَخْبِرِينى عسى أن يكون لذلك شأن . قالت : نحن من أهل العِراق ، فأمَّا الأصـل والمَنْشأ فمـكّة ، وقد رَجعنا إلى الأصل ودخلنا إلى بلدنا . فضحك . فلما نظرت إلى سَواد ثنيَّتَيْه قالت : قد عرفناك . قال : ومن أنا ؟ قالت : عُمر بن أبى ربيعـة . قال : وبمـا عرفتِنى ؟ قالت : بسَواد ثَنيَّتيك وبهَيئتـك التى ليست إلا لقُريش . فأنشأ يقول :

أصبح القلبُ فى الحِبَـالِ رَهيناَ ... مُقْصَـداً يومَ فارقَ الظاعِنينَـا

قلتُ من أنتمُ فصـدَّت وقالت ... أَمُبِـدٌّ سُؤالَك[٤] العـالَمِينا

نَحن من سـاكِنِى العراق وكُنَّا ... قَبلَه قاطِنين مـكّةَ حِينا

قد صَدَقْناك إذ سـألت فمن أنـ ... ـتَ عسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُئونا

ونَرى أننـا عَرَفْنـاك بالنَّعْـ ... ـت بظَنٍّ وما قَتَلْنـا يقِينـا

(١) الداية : المرضع ، وقد تلازم الطفلة حتى تشب .

(٢) هى ما يجعلها الراكب تحته . (٣) السبجة : الخرزة السوداء .

(٤) أمبد : أى أمقسم سؤالك على الناس واحداً واحداً حتى تعمهم .

بسَـوادِ الثّنيّتَيْن ونَعْتٍ قد نَراه لنـاظِرٍ مُشْـتَبِينا

فلم يزل عُمر بها حتى تزوَّجها . فولدتْ له .

هو ورملة الخزاعية

وقد قِيل: إنّ عُمر قال هذا الشعر فى رَمْلة بنت عبد الله بن خَلَف الُخزاعيّة ، أخت طلحة الطَّلحات، لما حجّت إلى مكة . وكانت رَمْلة هذه جَهْمةَ الوجه عظيمة الأنف حَسَنَة الجسم . فتزوّجها عُمر بن عُبيد الله بن مَعْمر التَّيمى ، وتزوّج عائشةَ بنت طَلحة بن عُبيد الله، وجمع بينهما . فقال يوماً لعائشة : فعلتُ فى مُحاربة الخوارج مع أبى فُدَيك كذا ، وصنعتُ كذا، يذكُر لها شجاعَته و إقدامَه . فقالت له عائشة : أنا أعلم أنك أشجع الناس ! وأعرف لك يوماً هو أعظم من هذا اليوم الذى ذكرتَه . قال : وما هو ؟ قالت : يوم أُجْتليتَ رمْلَة وأقدمتَ على وجهها وأنفها .

وقال عمر بن أبى ربيعة فى رَمْلة :

قُم تأمَّل وأنت أبْصرُ منّى هل ترَى بالغَمِيم (١) من أَجْمالِ

قاضِيـاتٍ لُبانةً من مُنـاخٍ وطَوافٍ ومَوْقفٍ (٢) بالخيـال

ومنها :

فسقى الله مُنْتَوى أُمِّ عمرٍو حيثُ أَمَّت بها صُدورُ الرِّحال

حَبَّذا هُنَّ من لُبانةِ قَلْبِى وجَدِيدُ الشَّباب من سِرْبالى

رُبَّ يومٍ أتيتُهنّ جميعاً عندَ بيضاءَ رخْصةٍ مِكْسال

غَـيْرَ أنّى امرؤٌ تعمّمتُ حِلْمـاً يَـكْره الجهلَ والصِّبا أمثـالى

أم نوفل والثريا فى شعر له

وذُكر أن أمّ نوفل، وهى أم ولد [عبد الله بن الحارث] أبى الثُّريّا ، أنشدت الثُّريا قول عُمر بن أبى ربيعة :

أصبـح القلبُ فى الحِبـال رهينا مُقْصَـداً يوم فارق الظَّاعِنينـا

فقالت : إنّه لوَقاحٌ صَنِـعٌ (٣) بلسانِه ، ولئن سَلِمتُ له لأردّنّ من شأوه ، ولأثنينّ من عِنانِه ، ولأعرِّفنّه نفسه . فلما بلغتْ إلى قوله :

(١) الغميم : موضع قرب المدينة . (٢) الخيال : أرض لبنى تغلب . (٣) الصنع : الحاذق .

نحن من ساكني العِراق وكُنَّا قبلَه ساكنينَ مكةَ حِيناَ

قالت : غَمزتْه الجَهْمةُ . فلما بلغت إلى قوله :

قد صَدَقْناك إذ سألت فمن أنـ ـتَ عَسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُؤونَا

قالت : رَمَتْه الوَرْهاء [1] بآخِرِ ما عندها فى حال واحدة ، وهجرتْ عُمر.

الثريا وقد بلغها شعر له فى رملة

وقيل : إنّه لما بلغ الثريّا قولُه :

وجَلا بُرْدُها وقد حَسَرتْه نُورَ بَدْرٍ يُضىء للنّاظرينَا

قالت : أُفٍّ له ! ما أكذَبه ! لن ترتفع حسناء بصفته لها بعدَ رَمْلة .

ابن أبى عتيق بين الثريا وعمر

قيل: لما صَرمتْ الثُّريا عمرَ بن أبى ربيعة ، قال فيها :

مَنْ رسولى إلى الثُّريا فإنِّى ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكتابِ

سَلبتْنى مَجّاجةُ المِسْك [2] عَقْلى فَسلُوها ماذا أحَلَّ اُغتصابى

وهى مَكنونةٌ تحَيَّرَ منها فِى أَدِيم الخدَّيْن ماء الشَّباب

أَبرزُوها مِثْلَ المَهاةِ تهادَى بين خَمْسٍ كَوَاعبٍ أَتراب

ثم قالوا تُحبُّها قلتُ [3] بَهْراً عَددَ القَطْرِ والحَصى والتراب

ولما بلغ ابنَ أبى عَتيق قولُه :

مَنْ رسولى إلى الثُّريّا فإنى ضِقتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكتابِ

قال : إيّاى أراد، وبِى نَوّه ، لا جَرَمَ، والله لا أذوقُ أُكْلاً [4] حتى أَشْخَص فأُصْلِح بينهما . قال بِلال، مولى ابن أبى عَتيق : فنَهض ونَهضتُ معه ، فجاء إلى قوم من بَنى الدِّيل بن بَكْر ، لم تكن تُفارقهم نَجائب لهم فُرْهٌ [5] يُكْرُونها ،

(١) الورهاء : الحمقاء . (٢) مجاجة : أى إن ريقها طيب كالمسك .

(٣) بهراً : جمًّا . وقيل: عجباً .

(٤) الأكل : ما يؤكل .

(٥) فره : من جموع فاره ، وهى الدابة النشيطة القوية .

فاكْترى منهم راحلتين وأغْلى لهم . فقلت له : أستَوْضِعْهم، أو دَعْنى أماكِسْهم فقد أشتطُّوا عليك . فقال : ويحك ! أما علمتَ أن المِكَاس ليس من أخلاق الكِرام! ثم ركب إحداها وركبتُ الأُخرى، فسار سَيراً شديداً . فقلتُ : أبْقِ على نفسك، فإنّ ما تُريد لا يفُوتك . فقال : ويحك !

* أُبادرُ حَبْل الوُدِّ أنْ يتَقَضّبا *

وما حَلاوة الدُّنيا إنْ تَمَّ الصَّدْعُ بين عمر وبَيْن الثريّا.

فقَدِمْنا مكة ليلاً غير مُحْرِمين. فدقّ على عُمرَ بابَه. فخرج إليه وسلّم عليه، ولم ينزل عن راحلته . فقال له : اركب أُصلح بينك وبين الثريا ، فإنِّى رسولُك الذى سألتَ عنه . فركب معه ، وقَدِمْنا الطائف . وقد كان عُمر رَاضَى أُمَّ نَوْفل ، فكانت تَطْلُب له الحيلةَ لإصلاحها ولا يُمكنها. فقال ابنُ أبى عَتيق للثريّا : هذا عمر قد جَشَّمنى السَّفر من المدينة إليك ، فجئتُك به مُعْترفاً لك بذنب لم يجْنه، مُعْتذراً إليك من إساءته إليك ، فَدعِينى من التَّعداد والتَّرداد ، فإنّه من الشُّعراء الذين يقولون ما لا يفعلون . فصالحتْه أحسنَ صُلح وأتمَّه وأجملَه . وكَرَرْنا إلى مكة [1] ، فلم ينزلها ابنُ أبى عتيق حتى رَحل . وزاد عُمر فى أبياته :

أزهقَتْ أُمُّ نَوْفل إذ دَعَتْها ... مُهْجَتى ما لقاتِلى من [2] مَتابِ
حين قالتْ لها أَجيبى فقالت ... مَن دَعانى قالت أبو الخطّاب
فأستجابتْ عند الدُّعاء كما لَبَّى رجالٌ يَرْجُون حُسْنَ الثّواب

---

(١) فى الأصل : « المدينة » .

(٢) أزهقت : أبطلت وأذهبت . يريد : أذهبت أم نوفل نفسى إذ دعت الثريا لوصالى فلم تجبها .

وسُئل عُمر عن قوله :

« . . . كما لبّى رجال يرجون حسن الثواب »

قال : كرّرتْ فى التَّلْبية كما يفعل المحُرِم ، فقالت : لبّيك ! لبّيك !

وقيل : كانت الثريا تَصُب عليها جَرَّة ماء وهى قائمة، ولا يُصيب ظاهر فَخذِيها منه شىء ، من عِظَم عَجيزتها .

وابنُ أبى عَتيق، هو عبد الله [بن محمد] بن عبدالرحمن بن أبى بكر الصدِّيق، رضى الله عنه .

وقد ذُكر أنّ عمر بن أبى ربيعة قَدِم المدينة فنزل على ابن أبى عَتيق ، فلمّا استلقى قال : أوّه ! وأنشد :

مَن رسُولِى إلى الثُّريّا فإنِّى ... ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرها والكِتابِ

فقال ابن أبى عَتيق : كل مملوك لى حُرّ إن بَلّغها ذلك غيرى . فخرج حتى إذا كان بالمصلّى مَرَّ بنُصَيب وهو واقف ، فقال : يا أبا مِحْجن . قال : لبَّيْك ! قال : أتُودع إلى سَلْمى شيئاً ؟ قال : نعم . قال : وما ذاك ؟ قال : تَقُول لها يا بن الصدّيق : إنك مَرَرْتَ بى فقلتَ لى : أتودع إليها شيئاً ؟ فقلت :

أتَصْبر عن سَلْمى وأنتَ صَبُورُ ... وأنت بحُسْن العَزْم منك جَديرُ

وكِدْتُ ولم أُخْلَق من الطَّيْر إن بدا ... سَنا بارقٍ نحو الحجاز أَطِير

قال : فمرّ بسَلْمى وهى بقَرية يقال لها « القَسْرية » فأبلغها الرسالَة ، فزفرت زَفرة كادت تفَرِّق بين أضلاعها . فقال ابنُ أبى عَتيق : كلّ مملوك لى حُرّ إن لم يكن جوابُكِ أحسنَ من رسالته ، ولو سَمِعك الآن لنَعَق وصار غُراباً . ثم صار إلى الثريّا وأبلغ الكتاب . فقالت له : أمَا وجَدرسولاً أَصْغَر منك! انزل فأرِحْ . فقال : لستُ إذنْ برسول . وسألها أن تَرْضى عنه . ففعلت .

غناء ابن عائشة فى مجلس الحسن بشعر عمر

وقيل : اجتمع ابن عائشة، ويونُس، ومالك، عند الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام . فقال الحسنُ لابنِ عائشة : غنّنى: «مَن رسُولى إلى الثريا» . فسكت عنه فلم يُجبه . فقال له الحسن : مالكَ! وَيْحك ! أبِك خَبَال ؟ كان والله ابنُ أبى عَتيق أجودَ منك بما عنده، فإنه لما سمع هذا الشعر قال لابن أبى ربيعة : أنا رسولُك إليها . فمضى نحو الثريّا حتى أدّى رسالتَه، وأنتَ معنا فى المجلس تَبخل أن تُغنّيه لنا ! فقال له : لم أذهب حيث ظَنَنتَ ، إنما كنتُ أتخيّر أىَّ الصوّتين أُغنّى ، أقولَه :

مَن رسولِى إلى الثريّا فإنى ... ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرها والكتابِ

أم قوله :

مَن رسولى إلى الثريّا فإنى ... ضاقنى الهمُّ واعترتْنى الغُمومُ

يَعلم الله أنّنى مُستهامٌ ... بهواكم وأنّنى مَرْحُوم

فقال الحسن : أسأنا بك الظنّ أبا جعفر ، غَنِّ بهما جميعاً . فغنّاهما . فقال له الحسنُ : لولا أنكَ تغضب إذا قلنا : أحسنتَ ! لقلنا لك : أحسنت والله ! قال : فلم يَزل يردِّدها بقيَّةَ يومه .

زواج الثريا وشعر عمر

قيل : وتزوّج سُهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريّا . وقيل : بل تزَوّجها سُهيل بن عبد الرحمن بن عَوف . ورجَّح أبو الفرج الأول . وفى ذلك يقول عُمر :

أيها المُنْكِحُ الثريّا سُهَيلاً ... عَمْرَكَ اللهَ كيف يَلْتقيانِ

هى شاميةٌ إذا ما استقلّت[1] ... وسُهَيلٌ إذا استقلَّ يمانِى

وأول هذه القصيدة :

أيها الطّارِقُ الذى قد عَنانِى ... بعد ما نامَ سامرُ الرُّكبانِ

زار من نازحٍ بغير دَليل ... يَتخطّى إلىَّ حتى أتانى

(١) استقلت : ارتفعت .

وقيل : إنه كتب إليها بعد أن تزوّجت :

كتبتُ إليكِ من بلدِى   كتابَ مُولَّهٍ كَمِدِ
كَئيبٍ واكفِ العينيـن   بالحسَراتِ مُنفرد
يؤرّقه لهيبُ الشّو   قِ بين السَّحْر والكَبِد
فيُمْسك قَلْبَه بيدٍ   ويَمْسح عينه بيَد

وكتبه فى قُوهيّة[1] وشنّفه[2] وحَسَّنه وبعث به إليها . فلمّا قرأته بكت بُكاءً شديداً ، ثم تمثّلت :

بنفْسِىَ مَن لا يستقلُّ بنفْسه   ومَن هو إن لم يَحْفظ اللهُ ضائعُ

وكتبتْ إليه :

أتانى كتابٌ لم يرَ النّاسُ مثلَه   أُمِدَّ بكافورٍ ومِسْك وعَنْبَرِ
وقِرْطاسُه قُوهيّةٌ ورِباطُه   بعقْد من الياقوت صافٍ وجَوْهر
وفى صَدْره مِنّى إليك تحيّةٌ   لقد طالَ تَهْيامى بكم وتذكُّرى
وعُنوانه من مُسْتهامٍ فؤادُه   إلى هائمٍ صَبٍّ من الحُزن مُسْعَر

عبد الملك والثريا بعد موت سهيل

وقيل : ثم تُوفى عنها سُهيل أو طلّقها : فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وهو خليفة بدمشق ، فى دَيْن عليها . فبينا هى عند أُمّ البَنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان ، إذ دخل عليها الوليدُ ، فقال : مَن هذه ؟ قالت : الثريّا ، جاءتنى أَطْلُب إليكقضاءَ دَيْن عليها وحوائج لها . فأقبل عليها الوليدُ فقال : أتَرْوين من شعر عُمر شيئاً ؟ فقالت : نعم ، أمَا إنه يَرحمه الله كان عفيفاً ، عفيفَ الشعر ، أَرْوى قولَه :

ما عَلى الرَّسم بالبُلَيَّيْن لو بيَّـن رَجْعَ السَّلام أو لو أَجابَا
فإلى قَصْرِ ذى العُشَيرة فالصا   ئِف أمسى من الأَنيس يَبَابا

(١) قوهية. نسبة إلى قوهستان .   (٢) شنفه : جعل له رباطاً .

وبما قد أَرَى به حَىَّ صِدْقٍ ظاهِرى العيشِ نعمةً وشَباباَ
إذ فُؤادى يَهْوَى الرَّبابَ وأنَّي الـ ـدَّهرَ حتى المَماتِ أنْسَى الرَّبَابا
وحِسَاناً جَوَارياً خَفِرَاتٍ حافظاتٍ عنـد الهَوى الأحْسابا
لا يُكثِّرْنَ فى الحديثِ ولا يَتْـ ـبعن يَنْعِقْنَ بالبِهَامِ[1] الظِّرَابا

فقضى حوائجَها ، وانْصرفتْ بما أرادت منه .

فلما خلا الوليدُ بأُمّ البنين قال : لله دَرُّ الثريَّا ! هل تَدْرين ماذا أرادت بإنشادها ما أنشدتْنى من شعر عُمر ؟ قالت : لا . قال : إنّى لما عرّضت لها به عرّضتْ لى بأنّ أُمّى أعرابيّة .

وأُمّ الوليد وسُليمان : ولّادة بنت العبّاس بن جُزَىّ بن الحارث بن زُهير ابن جَذِيمة العَبسىّ .

هو والثريا بعد زواجها

وقيل : لما تزوّج سُهيل بن عبد العزيز بالثريّا ونَقلها إلى الشّام ، بلغ عُمرَ ابن أبى ربيعة الخبرُ ، فوجدها قد رحلت يومئذ ، فخرج فى إثْرها فلحقها على مرْحلتين . وكانت قبل ذلك مُهاجِرَتَه لأمرٍ أنكرتْه عليه . فلما أدركهم نَزل عن فَرسه ودَفعه إلى غُلامه ، ومَشَى متنكِّراً حتى مرّ بالخيمة التى فيها الثريّا ، فعرفتْه وأثبتَتْ حركَته ومِشْيته ، فقالت لحاضنتها : كلّميه . فسلّمت عليه وسألتْه عن حاله ، وعاتبتْه على ما بلغ الثريّا عنه . فاعتذرَ وبكى . فبكتِ الثريّا وقالت : ليس هذا وقتَ العِتاب مع وشْك الرّحيل . فحادثها إلى وقت طلوع الفَجر . ثم ودّعها ، وبَكَيا طويلاً . وقام فركبَ فرسَه ، ووقف ينظُر إليهم وهم يرْحَلون ، وأتْبعهم بَصرَه حتى غابُوا . فأنشأ يقول :

(١) النعيق : دعاء الراعى الشاء . والبهائم : الصغار من أولاد الضأن والمعز والبقر والوحش وغيرها . والظراب : الروابى الصغار .

يا صاحبىّ قِفَا نَسْتخبرِ الطَّلَلا عن حالِ مَنْ حَلّه بالأَمْسِ مافَعَلا
فقال لى الرَّبْعُ لمّا أن وقفتُ به إنّ الخليط أجدّ البَيْنَ فاحْتَملا
لما وقفنا نُحيِّيهم وقد صَرختْ هواتفُ البَيْنِ واستولتْ بهم أُصُلا
صدّت بِعاداً وقالت للّتى معها بالله لُومِيه فى بَعْضِ الذى فعلا
وحدِّثيه بما حُدِّثْتِ واسْتَمعى ماذا يقُول ولا تَعْيَىْ به جَدلا
وإنّ عَهْدى به والله يَحفظُه وإنْ أتى الذّنبَ ممّن يَكْره العَذَلا
قلتُ اسْمعى فلقد أَبْلَغْتِ فى لَطَفٍ وليس يَخْفَى على ذى اللُّب مَن هَزَلا
هذا أرادتْ به بُخْلاً لأَعْذِرَها وقد أرى أنّها لن تَعْدَمَ العِلَلا
ما سُمِّى القَلْبُ إلّا مِن تَقلُّبه ولا الفُؤاد فؤاداً غيرَ أنْ عقَلا
ما إنْ أطعْتُ بها بالغَيْبِ قد عَلِمتْ مقالةَ الكاشِح الواشِى إذا مَحَلا
إنى لأَرْجِعُه فيها بسَخْطَته وقد يَرى أنَّه قد غَرّنى زَلَلا

وهى طويلة .

هو وامرأة شريفة رآها فى الطواف

وقيل إنَّ عمر بن أبى ربيعةَ نظر فى الطَّواف إلى امرأةٍ شَريفة . فرأى أحسنَ النّاس صورةً ، فذهب عقلُه عليها ، وكلّمها فلم تُجبه . فقال فيها :

الرِّيحُ تَسْحبُ أذيالاً وتَنْشُرها يا لَيتنى كنتُ ممَّن تَسْحبُ الرِّيحُ
كَيْما تجُرُّ بنا ذَيلاً فتَطرحُنا على الّتى دُونَها مُغْبرَّةٌ[1] سُوح
أنَّى بِقُرْبكمُ أم كيف لى بكمُ هيهات ذلك ما أَمْست لنا رُوح
فليتَ ضِعْفَ الذى أَلْقَى يكون بها بل لَيْت ضِعْفَ الذى أَلْقَى تبارِيح
إحدى بُنَيّاتِ عمِّى دونَ مَنْزِلها أرضٌ بِقِيعانِها القَيْصُوم[2] والشِّيح

(١) المغبرة ، الفلاة . والسوح : الساحات ، جمع ساحة .
(٢) القيصوم : نبت طيب الريح ، وكذلك الشيح .

فبلغها شعرُه فجَزِعت منه . فقيل لها : أُذْكريه لزَوْجك ، فإنه سيُنْكر عليه قولَه . فقالت : كلا والله ، لا أشكوه إلا لله . ثم قالت : اللّهم إن كان نوَّه باُسْمِى ظالمًا ، فاجْعله طَعاماً للرِّيح.

فضَرب الدهرُ من ضَرْبه [١] . ثم إنّه غَدا يوماً على فَرس ، فهبَّت ريحٌ فنَزل فاسْتتر بقَفْلَة [٢] ، فعَصَفتْ الريحُ ، فَخَدَشه غُصن منها ، فدَمِى ووَرِم به . فمات من ذلك .

(١) أى مرت مدة من الدهر وقع فيها بعض حوادثه .

(٢) القفلة : واحدة القفل . وهو شجر يابس لا ينبت إلا بمنجاة من السيل .

أخبار ابن سُريج

نسبه — هو عُبَيد بن سُريج . ويُكْنى أبا يحيى ، مَوْلى بنى نَوْفل بن عبد مناف . وقيل : مولى بنى الحارث بن عبد المُطَّلب . وقيل : مولَى بنى لَيْث . وقيل : مولى بنى عائذ بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم .

شيء من وصفه — مسكنه مكّة . وكان آدم أحمرَ ظاهرَ الدَّم سُناطاً [1] ، فى عَيْنيه قَبَلٌ [2] . و بلغ خَمْساً وثمانين سنة . وكان أكثر ما يُرَى مُقَنَّعاً . وكان مُنقطعاً إلى عبد الله ابن جعفر .

وقيل : كان مخنَّثاً أحولَ أعمشَ ، يلقَّب : « وجه الباب » . وكان لا يُغنِّى إلاّ مُقنَّعا ، يُسْبِل القِناع على وجهه . وكان أحسنَ النّاس غِناء . يُغنِّى مُرتجلاً و يوقِّع بقَضيبٍ . وغنّى فى زمن عثمان بن عفّان رضى الله عنه .

موته — ومات فى خلافة هِشام بن عبد الملك .

وقيل : بل مات بعد قَتْل الوليد بن يزيد .

وقد قِيل : إنّ أباه كان تُركيًّا .

وقيل : إنه كان يضرب بالعُود . ومات بالُجذام .

أول من ضرب بالعود — وقيل : إنه أوّل مَن ضرب بالعُود على الغناء العربىّ بمكة ، وذلك أنه رآه مع العَجم الذين أقدمهم ابنُ الزُّبير لبناء الكعبة .

أمه — وأُمّه مولاة لآل المطّلب ، يقال لها : رائقة .

---

(١) السناط : الذى لا لحية له ، أو هو الخفيف العارضين .

(٢) القبل فى العينين : إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى .

وقيــل : بل هى هِنْد أُخت رائقة ، فمن ثَمّ قيــل : إنه مولى بنى المطّلب ابن حَنْطب .

انقطاعه إلى الحكم

وكان ابن سُريج بعد وفاة عبد الله بن جعفر قد انقطع إلى الحَكَم بن المُطَّلب ابن عبد الله بن المُطّلب بن حَنْطب ، أحد بنى مَخْزوم . وكان من سادة قُريش ووجوهها .

من النفر الذين هم أصل الغناء

وقيل : أصلُ الغناء أربعة نفَر : مكّيان ومَدنيّان . والمكيّان : ابن سُريج وابن مُحرز . والمدنيّان : معبد ومالك .

شهادة ابراهيم الموصلى له

وقال الفَضْل بن يحيى بن خالد بن بَرْمك : سألت إبراهيم المَوْصَلىّ ليلةً ، وقد أخذ منه النَّبيذُ : من أحسنُ الناس غناءً ؟ فقال لى: أمِن الرجال أم من النّساء ؟ قلتُ : من الرجال . قال : ابن مُحرز . قلت : فمن النِّساء ؟ قال : ابنُ سُريج . ثم قال : ابن سُريج كان كأنّه خُلِق من كل قَلْب ، فهو يُغنِّى له ما يَشتهى .

اشتغاله بالنياحة ثم عدوله عنها

وذُكر أنّ سُكَينة بنت الحُسين بن علىّ ، عليهما السلام ، بعثَتْ إلى ابن سُريج بمَمْلوك لها يقال له : عبد الملك ، وأمرته أن يُعلمه النِّياحة . فلم يزل يُعلّمه مدةً طويلة . ثم تُوفِّى عمُّها أبو القاسم محمد بن الحنفيّة ، عليه السلام — وكان ابن سُريج عليلاً عِلّة صَعْبة ، فلم يَقْدِر على النِّياحة — فقال لها عَبدُها عبدُ الملك : أنا أنُوح لك نَوحاً أُنسيك به نَوح ابن سُرَيج . قالت : أَو تُحسن ذاك ؟ قال : نعم . فأمرتْهُ ، فنَاح . فكان نَوحُه فى الغاية من الجوْدة . وقال النِّساء : هذا نَوحٌ غَرِيض . فلُقِّب عبدُ الملك: الغريضَ . وأفاق ابنُ سُريج من عِلّته بعد أيام . وعَرف خبر وفاة محمد ابن الحنفيّة ، فقال لهم : فمَن ناح عليه ؟ قالوا : عبدُ الملك ، غُلام سُكَينة . قال : فهل جوَّز النــاسُ نوحَه ؟ قالوا : نعم ، وقدّمه بعضُهم عليك . فحَلف ابنُ سُريج ألاّ ينُوحَ بعــد ذلك اليوم ، وترك النَّوحَ ، وعَــدَل إلى الغناء . فلم يَنُح حتى ماتت

حَبابة ، وكانت قد أخذت الغناءَ عنه وأحسنت إليه ، فناح عليها . ثم ناح بعدها على يزيدَ بن عبد الملك ، ثم لم يَنُح بعده حتى هَلك .

ولما عدَل ابنُ سُرَيج عن النَّوْح إلى الغناء ، عدل معه الغَريضُ إليه ، فكان لا يُغنِّى صوتاً إلّا عارضه فيه .

هو وعطاء بن أبى رباح

وذُكر أنّ عَطاء بن أبى رَباح لَقِى ابن سُريج ، بذى طُوًى[1] ، وعليه ثياب مُصبَّغة ، وفى يده جَرادةٌ مشدودةُ الرِّجل بخَيْط ، يُطيِّرها ويَجْذبها كلما تخلَّفَت . فقال له عطاء : يا فتّان ، ألا تكُفّ عما أنت عليه ! كفى اللهُ الناسَ مَئُونتك . فقال ابن سُريج : وما على الناس من أن تكون ثيابى مُلوّنةً ولَعِبى بجرادتى ؟ قال له : تَفْتنهم أغانيك الخبيثةُ . فقال له ابن سُريج : سألتك بحقِّ من تبعته من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وبحقِّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم عليك ، ألّا سمعتَ منّى بيتاً من الشعر ، فإن سمعتَ مُنكَراً أمَرْتنى بالإمساك عمّا أنا عليه . وأنا أُقسم بالله وبحقِّ هذه البَنِيّة لئن أمرتَنى بعد استماعك منّى بالإمساك عمّا أنا عليه لأفعلنّ ذلك . فأطمعَ ذلك عَطاءً فى ابن سُريج ، وقال : قُل . فاندفع يُغنِّى من شعر جَرير :

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّك غادرُوا ... وَشَلاً بعَيْنِك لا يزَالُ مَعِيناً[2]

غَيَّضْنَ من عَبَراتهنّ وقُلْنَ لى ... ماذا لَقِيتَ من الهَوى ولَقِينا[3]

فلما سمعه اضطرب اضطراباً شديداً ودخلته أرْيَحيَّةٌ ، فحلف ألّا يُكلّم أحداً بقيَّةَ يومه إلّا بهذا الشِّعر ، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام . فكان كلُّ من يأتيه سائلاً عن حَلال أو حَرام أو خَبر من الأخبار ، لا يجيبه إلّا بأن يَضرب إحدى يديه على الأُخرى ويُنشده هذا الشعر . ولم يُعاودْ ابْنَ سُريج بعدها ولا تَعرّض له .

---

(١) ذو طوى : موضع عند مكة .

(٢) الوشل : الماء القليل والكثير ، وكذلك الدمع . والمراد هنا : الدمع الكثير . والمعين : الجارى السائل على وجه الأرض . (٣) غيضن من عبراتهن : أرسلن دموعهن حتى نزفنها .

هو وابن أبي ربيعة ويزيد بن عبد الملك في الحج

وذُكر أنه لمّا قال عُمر بن أبي ربيعة :

نَظرتُ إليها بالمُحصَّب من مِنًى ولى نَظَرٌ لولا التحرُّجُ عارِمُ[(١)]

غنَّى فيه ابنُ سُرَيج . وحَجَّ يزيدُ بن عبد الملك في تلك السَّنة بالناس . وخَرج عُمر بن أبي ربيعةَ ومعه ابن سُريج على نَجيبين، رِحالَتاهما[(٢)] مُلْتَبِستان بالدِّيباج ، وقد خَضبا النَّجيبَيْن ولَبِسا حُلّتين . فجعلا يتلقّيان الحاجّ ويَتعرّضان للنِّساء ، إلى أن أظلم الليلُ ، فَعدلا إلى كَثِيب مُشْرِفٍ والقمرُ طالعٌ يُضيء ، فجلسا على الكَثيب . وقال عمرُ بن أبي ربيعة لابن سُريج : غَنِّني صوتَك الجَديد . فاندفع يُغنّيه ، فلم يَسْتَتمَّه إلّا وقد طلع عليهما رجلٌ راكبٌ على فَرس عَتِيق . فسلّم ثم قال : أيمكنك أعزّك الله أن تَرُدَّ هذا الصوتَ ؟ قال : نعم، ونَعْمةَ[(٣)] عَيْن، على أن تنزلَ وتَجلس معنا . قال : أنا أعْجَل من ذلك ، فإن أجملتَ وأنعمتَ أعدْتَه ، وليس عليك من وقوفي شيء ولا مَؤُونة . فأعاده . فقال له : بالله أنتَ ابن سُريج ؟ قال : نعم . قال : حيّاكَ الله . وهذا عُمر بن أبي ربيعة ؟ قال : نعم . قال : حيّاكَ الله يا أبا الخَطّاب . فقال له : وأنت فحيّاك الله ، قد عَرَفتنا فعرِّفنا نفسك. قال: لا يُمكنني ذلك .فغضب ابنُ سُريج وقال: والله، لو كنتَ يَزيد بن عبد الملك لما زاد ! فقال له : أنا يزيدُ بن عبد الملك . فوثب إليه عُمر بن أبي ربيعة فأعظمه . ونزل ابنُ سُريج إليه فقَبّل ركابَه . فنَزع حُلّته وخاتمهُ ، فدفعهما إليه . ومضى يَرْكُض حتى لَحِق ثقَلَه . فجاء بهما ابن سُريج إلى عُمر فأعطاه إيّاهما وقال له : إنّ هذين بك أشبه منهما بي . فأعطاه عُمرُ ثلثمائة

(١) عارم ، أي خبيث شرير ، ينظر إلى غير حل .

(٢) الرحالة : سرج من جلود لاخشب فيه ، يتخذ للركض الشديد ، يكون للخيل والنجائب من الإبل .

(٣) نعمة عين ، مثلثة النون ، أي أفعل ذلك كرامة لك وإنعاماً لعينك .

دينارٍ وغدا فيهما إلى المسجد . فعرفهما الناسُ ، وجعلوا يتعجّبون ويقُولون : كأنهما والله حُلَّة يَزِيدَ بن عبد الملك وخاتمه ! ثم يسألون عُمرَ عنهما، فيُخبرهم أنّ يزيد ابن عبد الملك كساه ذلك .

غناؤه والغريض عند ابن أبي رباح

وذكر عبدُ الرحمن بن إبراهيم المخزومى قال :

أرسلتْنى أُمّى ، وأنا غُلام ، أسأل عطاءَ بن أبى رَبَاح عن مسألة ، فوجدتُه فى دارٍ يقالُ لها دار المُعَلَّى ، وعليه مِلْحفة مُعَصْفَرة ، وهو جالس على مِنْبر ، وقد خُتِن ابنُه والطَّعامُ يوضَع بين يديه ، وهو يأمُر به أن يفُرَّق فى الخَلْق . فلهوتُ مع الصِّبْيان ألعب بالجَوْز ، حتى أكل القومُ وتفرّقوا . وبَقِى مع عَطاء خاصَّتُه ، فقالوا: يا أبا محمد ، لو أَذِنتَ لنا فأرسلنا إلى الغَريض وابن سُرَيج ؟ قال : ما شِئْتم . فأرسلوا إليهما . فلما أَتَيا قامُوا معهما ، وثَبت عَطاء فى مجلسه فلم يدخُل ، فدخلوا بهما بَيتاً فى الدار، فتغنّيا وأنا أسمع . فبدأ ابنُ سُرَيج فنقَر بالدُّف وتَغَنَّى بشعر كُثيِّر :

لِلَيْلَى وجاراتٍ لِلَيْلَى كأنَّها ... نِعاجُ المَلاَ تُحْدَى بهنّ الأباعرُ
أمُنْقَطِعٌ يا عَزّ ما كان بيننا ... وشاجَرنى يا عزُّ فيكِ [1] الشّوَاجِر
إذا قِيل هذا بَيتُ عَزَّةَ قادَنى ... إليه الهَوَى واستَعْجلتْنى البَوادِر
أصُدّ وبِى مِثْلُ الجُنون لِكَى يَرى ... رُواة الخَنا أنِّى لبَيْتِك هاجِر

فكأنّ القومَ نزل عليهم السُّباتُ فما تَسمع حِسًّا ، وأَصْغوا إليه بآذانهم ، وشَخصتْ إليه أحداقُهم . ثم غَنَّى الغَريضُ أيضاً بصوتٍ أُنْسيتُه بلَحْن آخر . ثُم غَنَّى ابنُ سُرَيج ووَقَّع بالقَضِيب . وأخذ الغَرِيضُ الدُّفّ فغنّى بشعر الأخطل :

فقلتُ اُصْبحونا [2] لاأبَا لأبيكمُ ... وما وضَعوا الأثقالَ إلاّ ليَفعلُوا

---

(١) الشواجر : جمع شاجرة ، وهى الصارفة من الشواغل والأمور .

(٢) اصبحونا : إيتونا بالصبوح ، وهو ما يشرب فى الغداة إلى القائلة .

فقُلت اُقتُلوها عنكُمُ بِمزَاجِها وأكْرِم بها مَقْتُولةً حين تُقتَلُ
أناخُوا فجرُّوا شاصِياتٍ(١) كأنها رجالٌ من السُّودان لم يَتَسَربلوا

فواللهِ ما رأيتُهم تحرّكوا ولا نَطقُوا ، يَستمِعون لما يقول . ثم غَنَّى الغَرِيضُ بشعر آخر ، وهو :

هل تَعرف الدّارَ والأطلالَ والدِّمَنَا زِدْنَ الفُؤادَ على ما عِنْده حَزَنَا
دارٌ لصفراءَ(٢) إذ كانت تَحُلُّ بها وإذ تَرى الوَصْلَ فيما بيننا حَسَنَا
إذ تَسْتَبِيك بمَصْقُولٍ(٣) عوارضُه ومُقْلَتَىْ شادِنٍ لم يَعْدُ أنْ شَدَنا

ثم غَنّيا جميعاً بلَحْن واحد ، فلقد خُيِّل لى أنّ الأرض تَميد ، وتَبيَّنْت فى عَطاء ذلك أيضاً . وغنّى الغَرِيضُ فى شعر عُمر بن أبى ربيعة ، وهو قولُه :

كَفى حَزَناً أن تجمعَ الدّارُ شَمْلَنَا وأُمْسِى قَريباً لا أَزورُكِ كَلْثَمَا
دَعِى القَلْبَ لا يَزْدَدْ خَبالاً مع الّذى بِه مِنْكِ أو داوِى هَواه المُكتَّما
ومَنْ كان لا يَعْدُو هَواه لِسانَه فقد حَلّ فى قَلْبى هواكِ وخَيّما
وليس بتَزْوِيق اللِّسانِ وصَوْغِه ولكنّه قد خالَط اللّحمَ والدّما

وغَنّى ابنُ سُرَيج أيضاً :

خَليلىّ عُوجاَ نَسْأَلِ اليومَ مَنْزِلاَ أَبَى بالبِرَاقِ(٤) العفْرِ أنْ يَتَحوّلاَ
فَفُرْعِ النَّبِيتِ فالشَّرَى(٥) خَفَّ أَهلُه وبُدِّلَ أَرواحاً جَنوباً وشَمْألا

(١) الشاصيات : الزقاق المملوءة ، قد ارتفعت قوائمها . وهى إذا ملئت أو نفخت كانت تلك حالها . (٢) فى ديوان ابن أبى ربيعة : « لأسماء » .

(٣) العوارض : الثنايا .

(٤) البراق : جمع برقة ، وهى الأرض الغليظة فيها حجارة ورمل . والعفر : جمع عفراء ، وهى البيضاء بياضاً غير ناصع .

(٥) الفرع : موضع على طريق مكة إلى المدينة . والنبيت : قبيلة . لعلها نزلت هذا الموضع فأضيف إليها . والشرى : أكثر من موضع . ولعل المراد به هنا : واد من عرفة ، أو موضع عند مكة .

أرادتْ فلم تَسْطِعْ كلاماً فأومأتْ إلينا ولم تَأْمن رسولاً فترسِلا
بأنْ بِتْ عَسى أنْ يستر اللّيلُ مُجْلساً لنا أو تنامَ العينُ عنّا فتَغْفُلا

وغَنَّى الغَريضُ :

يا صاحبىّ قِفَا نُقضِّ لُبانةً وعلى الظَّعائن[1] قبْلَ بَيْنكما أعْرِضَا
لا تُعْجِلانى أنْ أقُولَ بحاجةٍ رِفقاً فقدْ زُوِّدْتُ زاداً[2] مُجْرِضا
وَمقالَها بالنَّعْف نَعْفِ[3] مُحسِّرٍ لِفَتاتِها هَل تعْرفين المُعْرِضا
هذا الذى أعْطى موائقَ عَهْدِهِ ألاّ يَخُونَ وخِلْتُ ألاّ يَنقُضا

وأغانىّ أُنْسيتُها ، وعطاءُ يَسْمع على مِنْبَرِه ومَكانه ، وربما رأيْتُ رأسَه قد مال وشَفَتيْه تتحرّكان ، حتى بلغتْه الشَّمْسُ ، فقَام يُريد مَنزِله . فما سَمِع السّامِعُون شيْئاً أحْسَن منهما ، وقد رَفعا أصْوَاتهما وتغنّيا بهذا . ولما بلَغت الشمسُ عطاءَ قَام ، وَهُمْ على طريقة وَاحِدَةٍ فى الغِناء ، فاطّلع[4] فى كُوّةِ الباب . فلمّا رأوه قالُوا : أبَا محمد ، أيُّهما أحْسَن غِناء ؟ قال : الرَّقيق الصَّوْت . يعنى ابنَ سُرَيج .

رحلة جرير إليه يسمع صوتاً

ذَكر إسحاقُ بن يحيى بن طَلْحَة : أنّه قَدِم جَريرُ بن الخَطفى المدينةَ ، ونحن يومئذ شَبابٌ نَطْلُبُ الشِّعْر ، واُحْتشدنا له ومَعَنا أشْعَبُ . فبَيْنَا نحْنُ عِنده إذ قامَ لحَاجَةٍ ، وَأقَمْنا لا نَبرَح ، وجاء الأحْوَص بن مُحمّد الشّاعِرُ منْ قُباء[5] على حِمَار ، فقال : أين هذا ؟ قُلنا : قَام لحَاجَةٍ ، فما حاجَتُكَ إليه ؟ قال : أُريدُ واللهِ

---

(١) الظعائن : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج . يريد : اعرضا حاجتكما على الظعائن قبل فراقكما . (٢) مجرض ، من أجرضه ، إذا أغصه .

(٣) محسر : موضع بين مكة وعرفة .

(٤) فى الأصل : « عطاء والبيت الذى هم فيه على طريقة فاطلع » وما أثبتنا عن بعض أصول الأغانى .

(٥) قباء : قرية على ميلين من المدينة .

أَعْلِمُه أَنَّ الفَرَزْدَقَ أَشعرُ منه وأَشرفُ. قُلنا : وَيْحكَ! لا تَعرِض له وانْصرفْ. فانصرفَ وخرج ، وجاء جَرِير فلم يَكُن بأَسْرَعَ من أن أَقبلَ الأحْوَصُ ، فوقفَ عليه فقال : السَّلامُ عليكَ يا جَرِيرُ. فقال جَرِير : وعليك السَّلام. فقال الأحْوصُ : يابنَ الخطَفى ، الفَرَزْدقُ أَشرفُ منك وأَشعرُ . فقال جَرِير : مَنْ هذا ؟ أَخْزَاهُ الله ! قُلنا . الأحْوَص بنُ محمد بن عَاصِم بنِ ثَابِت بن أبى الأقْلَح . فقال : نعم ، هذا الخبيث ابن الطِّيب . أَأَنْتَ القائلُ :

يقَرُّ بِعيْنِي ما يَقرُّ بِعَيْنِهـا وأَحْسَنُ شَيْءٍ ما بِهِ العَيْنُ قَرَّتِ

قال : نعم . قال : فإِنَّها يَقَرُّ بِعَيْنِها أَنْ يَدْخُلَ فيها مِثْلُ ذراع البَكْر ، أَفَيَقَرُّ ذلك بِعَيْنِك ؟ قال: وكان الأَحْوَصُ يُرْمَى بالحُلَاق.[1] فانْصَرَفَ، وبَعثَ إليهم بِتَمْرٍ وفاكِهةٍ ، وأَقْبلْنا على جَرِير نُسَائِله ، وأَشْعَبُ عنـد الباب ، وجرير فى مُؤَخَّرِ البيت ، فأَلَحَّ عليه أَشْعَب يُسائله ، فقال : واللهِ إنى لأَرَاكَ أَقْبَحَهُم وَجْهاً ،وأَراكَ أَلأَمَهُم حسباً ، قد أَبْرَمْتَنى منذُ اليوْم . قال : إنى والله أنفعُهم لك وخَيْرُهم . فانتبَه جرير وقال : وَيْحَكَ ! كيْفَ ذاكَ ؟ قال : إنى أُمَلِّحُ شِعْرَكَ وأُجِيدُ مَقاطِعَه ومَبَادِئَه . فقال : قُلْ، ويْحَكَ ! فاندفعَ أَشْـعَبُ ونادَى بِلَحْنِ ابن سُرَيْج ، والشِّعْر لجرير :

يا أُخْتَ نَاجِيَـةَ السَّلامُ عليكُمُ قَبلَ الرَّحِيلِ وقبلَ لَوْمِ العُـذَّلِ
لو كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخرَ عَهْـدِكُم يوم الرَّحِيل فَعَلْتُ ما لم أَفْعَـلِ

فَطَرِب جريرٌ وجعلَ يَزْحَفُ نحْوَه، حتى مَسَّت رُكْبتُه ركبتَه ، وقال : لَعَمْرى لقد صدقتَ ! إنك لأَنْفعَهم لى، ولقد حَسَّنته وأجدْته وزَيَّنْته . أَحْسَنْتَ والله ! ثم وصَلَهُ وكَسَاه . فلمَّا رَأَيْنَا إعجابَ جَرِير بذلك الصَّوت ، قال له بعضُ

(١) الحلاق : صفة غير صفة الرجولة .

الحاضرين : لو سمعتَ واضعَ هـذا اللّحْن ؟ فقال : و إنّ له واضعاً غيرَ هـذا ؟ قُلْنَا : نعم . قال : فأيْنَ هو ؟ قُلْنا : بِمَكّةَ . فقال : لَسْتُ بِمفَارِقٍ حِجَازَ كم حتى أُبلغَه . فمضى ومضى مَعه جماعةٌ ممّن يرْغَبُ فى طَلب الشِّعر فى صحابته ، وكنتُ فيهم . فَقَدِمْنا مكةَ فأتَيْناه بأَجْمَعنـا ، فإذا هو فى فِتْيَـةٍ من قُرَيش كأنّهم الْمَهَا، مع ظَرْف كثير ، فرحَّبوا بجرير وأَدْنَوْه وسُرُّوا بمكانه ، وأَعظَمَ عُبَيْدُ بن سُرَيج موضعَ جرير، وقال : سَلْ ما تُريد ، جُعِلْتُ فِداكَ ! قال : أُريد أن تُغنِّيَني لحَناً سَمِعتُه بالمدينة أَزْعَجَني إليك . قال : وما هو ؟ قال :

يا أُخْتَ نَاجِيَـةَ السّلامُ عليكمُ ... قبلَ الرَّحيل وقبْلَ عَذْلِ العُذَّلِ

فغنّاه ابنُ سُرَيج ، و بيَدِه قَضِيبٌ يوَقِّع به و ينْـكُت فى الأرض . فوَالله ما سمعتُ شيئاً أَحْسَنَ من ذلك . فقـال جَرير : لله دَرُّكم يا أَهْلَ مكة ! ماذا أُعْطِيتم ! والله لو أنّ نازعاً نَزَعَ إليكم يقيم بين أَظْهُرِكم يَسْمَع هـذا صَباحَ مَساءَ لكان أَعْظَمَ الناس حظًّا، فكيف ومع هذا بيتُ الله الحرام ، ووجُوهُكُم الحِسانُ، ورِقّةُ أَلْسِنَتِكم ، وحُسْن شارَتكم ، وكَثْرة فَوائدكم !

هو فى حضرة الوليد ابن عبد الملك

وقيـل : كَتَبَ الوَليد بن عبـد المَلِك إلى عامِل مكّة : أَنْ أَشْخِص إلىّ آبن سُرَيج ، فأَشْخَصَه . فلمّا قدِم، مكَث أيّاماً لا يدعو به ولا يذكُره ، ثم إنه ذكَره وقال : ويْلَكم ! أين آبن سُرَيج ؟ قالوا : هاهو حاضر . قال عَلَيَّ به . فأتَوْه فقالوا : أَجِبْ أمير المُؤمنين . فتهيّأ ولَبِس ، وأقبل حتى دَخَلَ على الوَليد فَسَلَّم، وأشار إليه : أن اجْلِس. فجلَسَ بعيداً . فاسْتَدْناه ، فدنا حتى كان قريباً منه . فقال: ويحك يا عُبَيْد ! لقد بلَغنى عنك ما حَمَلَنى على الوِفادة بك، من كَثْرة أدَبك، وجَوْدَة اختيارك، مع ظَرْف لِسَانك، وحَلاوَة مجلسك . قال: جُعِلْتُ فداكَ يا أمير المُؤمنين ! تَسْمَع بالمُعَيْدِيّ خَيْرٌ من أن تراه . قال الوليد : إنّى لأَرجو ألّا تكون

أنْتَ ذاكَ ! هاتِ ما عِنْدكَ . فانْدَفَع ابن سُرَيْج يُغَـنِّى بشعر الأَحْوص :

أمنزلَتىْ سَـلْمَى على القِـدَمِ اسْـلَمَا … فقــــد هِجْتُما للشَّوْقِ قَلْباً مُتَيَّمَا
وذ كَّرْتُما عَهْدَ الشّـباب الذى مَضَى … وجِـدَّةَ وَصْلٍ حَبْـلُه قد [1] تَجَـذَّما

ومنها :

أُحِبُّ دُنُوَّ الدَّارِ منهـا وقـد أَبَى … بها صَـدْعُ شَعْبِ الدّرِ إلّا تَثَـلُّمـا
بَـكاهَا ومايَدْرى سِوَى الظَّن مَنْ بكى … أَحَيًّـا يُبَـكّى أم تُراباً وأَعْظُما
فَدَعْهـا وأَخْلِفْ للخَلِيفـة مِدْحَةً … تُزِلْ عنك بُؤْسَى أو تُفِيدك[2] أَنْعُما
فإنّ بِكَفَّيْه مَفَـاتيحَ رَحْمَـةٍ … وغَيْثَ حَياً يَحْيَا به النّاسُ [3] مُرْهِما
إمامٌ أتاه المُلْكُ عَفْوًا ولَمْ يُثِبْ … على مُلْـكِه مالاً حَرَاماً ولا دَما
تَخَيَّرَه ربُّ العِبَـــاد لِخَلْقِـه … وليًّـا وكان اللهُ بالنـــاس أَعْلَما
يَنَالُ العُـــلا والعِزَّ من نالَ وُدَّه … ويَرْهَبُ مَوْتاً عَاجِـلاً من تَشأَّما

فقال الوَليدُ : أَحْسَنْتَ واللهِ وأَحْسَنَ الأَحْوَصُ ! عَلَىَّ بالأحوص . ثم قال : يا عُبَيْد ، هيه ! فَغَنَّاه بشعر عَدِىّ بن الرِّقاع العامِلِىّ يَمْدحُ الوليد :

طَارَ الـكَرَى وأَلَمَّ الهَمُّ[4] فا كْتَنفَا … وَحِيـلَ بينى و بين النَّوْم فامتَنعَا
كان الشَّـبابُ قِنَـاعًا أَسْتَـكِنُّ به … وأَسـتظِلُّ زماناً ثُمّتَ انْقَشَـعا
واسْتَبْدلَ الرأسُ شَيْباً بعـد داجِيَـةٍ … فَيْنَانَةٍ ما تَرَى فى صُدْغِهـا [5] نَزَعا
فإن تَكُن مَيْعَـةٌ[6] من باطلٍ ذَهبَتْ … وأَعْقَبَ الله بعـد الصَّبْوة الوَرَعا

---

(١) تجذم : انقطع .
(٢) رفع الفعل هنا على توهم رفع الأول أو على الاستئناف ، كأنه قال : أو هى تفيدك مغنما .
(٣) مرهما : أى دائماً . (٤) اكتنف : دنا وحضر .
(٥) فينانة : حسنة الشعر طويلته . والنزع : انحسار مقدم شعر الرأس عن جانبى الجبهة .
(٦) الميعة : الحدة .

فقد أَبِيتُ أُراعى الخَوْدَ[1] رَاقِدَةً على الوَسَائد مَسْرُوراً بها وَلِعاَ
بَرّاقةَ الثغر تَشْفِى القلبَ لَذَّتُها إذا مُقبِّلُها فى رِيقِها[2] كَرَعا
كالأُقْحوانِ بِضَاحِى الرَّوْض صَبَّحَه غيثٌ أَرَشَّ بتَنْضَاح[3] وما نَقَعا
صَلّى الذى الصَّلواتُ الطَّيِّباتُ له والمُؤْمِنُونَ إذا ما جَمَّعُوا الجُمَعَا
على الذى سَبَقَ الأَقْوامَ[4] ضَاحِيَةً بالحَمْدِ والأَجْرِ حتى صاحِبَاه مَعا
عُذْنا بِذى العَرْشِ أَنْ نَحْيَا وَنَفْقِدَه وَأَنْ نَكُونَ لِرَاعٍ بَعْدَهُ تَبَعا
إِنَّ الوَلِيدَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لَهُ مُلْكٌ أَعَانَ عَلَيْه اللهُ فارْتَفَعا
لا يَمْنَعُ النَّاسُ ما أَعْطَى الّذِين هُمُ له عِبَادٌ ولا يُعْطُونَ ما مَنَعا

فقال له الوَليد : صَدَقْتَ ! أَنَّى لَكَ هذا يا عُبَيْد ؟ قال : مِن عِنْد الله . قال الوَليد : لو غيرَ هذا قلتَ لَأَحْسَنْتُ أَدَبَكَ ! قال ابنُ سُرَيْج : ذلك فَضْلُ الله يُؤْتيهِ مَنْ يَشَاء . قال الوَليد : يَزِيدُ فى الخلقِ ما يَشَاء . قال ابنُ سُرَيج : هذا من فضلِ ربّى لِيَبْلُوَنى أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُر . قال الوَليد : عِلْمُك والله أَكْثَرُ وأَعْجَبُ إلىّ من غِنائِك ! غَنِّنى . فَغَنَّاه بِشِعْرِ عَدِىّ بن الرِّقاع العامِلىّ يمدَحُ الوَليد :

عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهُّمًا فاعْتَادَها من بعدِ ماشَمِلَ البِلَى[5] أَبْلادَها
ولَرُبَّ واضِحَةِ العَوارِض[6] حُرَّة كالرِّيم قد ضَرَبَتْ بها أَوْتادَها
صَلّى الإلهُ على الذى ودَّعْتُه وأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عليه وزادَها

(١) الخود : الفتاة الحسنة الشابة لم تصر نصفا .
(٢) الكرع : التناول بالفم .
(٣) التنضاح . الماء القليل . وما نقع ، أى ما أروى .
(٤) ضاحية : على مسمع ومرأى .
(٥) اعتادها : أعاد إليها النظر مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها . وأبلادها : آثارها ، جمع بلد ، وهو الأثر . (٦) العوارض : الثنايا ، سميت بذلك لأنها فى عرض الفم .

و إذا الرَّبيعُ تتابعتْ(١) أنْواؤُه ... فسَقَى خُناصِرةَ الأحصِّ فجادَها
نزَلَ الوليدُ بها فكان لأهلِها ... غَيْثاً أغاثَ أنيسَها و بِلادَها
أوَلا ترى أنَّ البريَّةَ كُلَّها ... ألْقتْ خزائمَها إليه فقادَها
ولقدْ أرادَ اللهُ إذْ ولَّاكَها ... مِن أمّةٍ إصْلاحَها ورَشادَها
أعمَرْتَ أرْضَ المُسلمين فأقبلَتْ ... وكفَفْتَ عنها مَنْ يرُوم فَسَادَها
وأصَبْتَ في أرْضِ العدوِّ مُصيبةً ... عَمَّتْ أقَاصِيَ غَوْرِها و نِجادَها
ظفَرًا ونصْرًا ما تناوَلَ مِثْلَه ... أحدٌ من الخُلفاءِ كانَ أرادَها
و إذا نَشَرتَ له الثَّناءَ وَجدْتَه ... جمعَ المَكارمَ طِرْفَها(٢) وتِلادَها

فأشارَ الوَليدُ إلى بعْضِ الخدَم ، فغطَّوْه بالخِلَع ، ووضَعُوا بين يدَيْه كِيسةَ الدّنانيرِ و بِدَرَ الدَّراهم . ثم قال الوَليد بنُ عَبْد الملك : يا مَوْلى بَني نوْفَل بن الحارِث ، لقد أوتيت أمْراً جليلاً . قال ابن سُرَيج : وأنْتَ يا أمير المؤمنين ، قد أتاكَ اللهُ مُلْكا عظِيماً ، وشرفاً عالياً ، وعزًّا بَسَطَ يدَكَ فيه ولم يقْبضه عنك ، ولا يفْعَلُ إنْ شاء الله . فأدامَ اللهُ لكَ ما أوْلاك ، وحَفِظَك فيما اسْتَرْعاك ، فأنْتَ أهْلٌ لما أعْطَاكَ ، فلا نزَعَه منك إذْ رَآكَ له موْضِعاً . قال : يا نوْفَليّ ، وخَطِيبٌ أيضاً ! قال ابنُ سُرَيج : عَنْكَ نَطَقْتُ ، و بلسانك تَكلَّمْتُ ، و بعِزِّكَ بَيَّنْت . وقد كان أمَرَ بإحْضار الأحْوَص بن محمد الأنْصاريّ ، وعَديّ بن الرِّقاع العامليّ ، فلما قدِماَ عليه أمر بإنزَالهما حيثُ ابن سُرَيج . فأنزلا مَنْزلاً إلى جَنْب ابن سُرَيج ، فقالا له : والله لقُرْبُ أميرِ المُؤمنين كان أحَبَّ إلينا من قُرْبِكَ يا نوْفَلي ! فإن في قُرْبِكَ لَما يلدُّنا(٣) ويَشْغُلنا عن كثيرٍ مِمّا نُريده . فقال

(١) الأنواء : النجوم المائلة للمغيب . وكانت العرب تنسب لها المطر . وخناصرة : من أعمال حلب . والأحص : كورة كبيرة .

(٢) الطرف : المستحدث المستفاد ، وهو خلاف التلاد ، وهو القديم الأصيل.

(٣) يلدنا : يحبسنا ، هذلية .

ابنُ سُرَيج : أَوَ قِلَّةُ شُكر ؟ فقال له عدِىّ : كأنك يا ابْنَ اللّخْناء تَمُنّ علينا ! علىّ وعلىّ إنْ جمَعَنا و إيّاكَ سَقْفُ بَيْتٍ أو صَحْنُ دار إلاّ عند أمير المُؤْمنين . فأمّا الأحْوص فقال : أوَلاَ تحْمِل لأبى يَحْيى الزَّلّةَ والهَفْوَة ! وكَفّارَةُ يمين خَيْرٌ من عَدَم المحَبَّة ، و إعْطَاء النَّفس سُؤْلهَا خَيْرٌ مِن لجَاجٍ فى غَيرِ مَنْفَعة . فتَحوَّل عَدِىٌّ و بقِى الأحوص . و بلَغ الوليدَ ما جَرى بينهم . فَدَعا ابنَ سُرَيج ، فأدخله بيْتاً وأرخى دونه سِتْراً ، ثم أمره إذا فَرَغ الأحْوَص وعَدِىّ من كلمتَيْهما أن يُغَنّى . فلمّا دَخلا وأنشدَاه مَدائح فيه ، رَفَع ابنُ سُرَيج صوتَه من حيثُ لا يَرَوْنه وضَرب بِعُوده . فقال عدِىّ : يا أميرَ المؤمنين ، أتأْذَنُ لى أن أتكلّم؟ فقال : قُلْ يا عامِلىّ . قال أمِثْلُ هذا عند أمير المؤمنين و يَبْعَثُ إلى ابْنِ سُرَيج يَتَخَطَّى به رِقابَ قُرَيشٍ والعَربِ من تِهامَةَ إلى الشّام ، تخفِضُه أرضٌ وترْفَعه أُخْرى ، فيُقال : مَنْ هذا ؟ فيُقال : عُبَيْد بنُ سُرَيج مَوْلى بَنِى نَوفل ، بَعث أميرُ المؤمنين إليه ليسمعَ غِناءه . قال : وَيْحك ! يا عدِىّ ، أوَلا تَعْرِف هذا الصَّوْت ؟ قال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ، ما سمِعْتُه قَطُّ ولا سمِعْتُ مِثْلَه حُسْناً، ولولا أنّه فى مجلس أمير المؤمنين لقُلتُ : طائفةٌ من الجنِّ يُغَنُّون . فقال : اخْرُج . فخرج ، فإذا ابْن سُرَيج . فقال عدِىّ : حُقَّ لهذا أنْ يُحْمَل ! قالها ثلاثاً . ثم أمر لهما بمثلِ ما أمَر به لابن سُرَيج ، وارْتحَل القومُ .

وكان الذى غنَّاه ابنُ سُرَيج بشعرِ عُمَرَ بن أبى رَبيعَة :

بِاللهِ يا ظَبْىَ بَنِى الحارِثِ هل مَنْ وَفَى بالعهْدِ كالنّاكِثِ

حتّى متى أنت لنا هكذا نَفْسى فِداءٌ لكَ يا حارِثى

يا مُنْتَهى هَمِّى ويا مُنْيَتِى وَيا هوَى النَّفْس وَيا وَارِثى

في موته — وقال ابن مُقيمة[1] : دَخلتُ على ابن سُرَيج فى مَرضِه الذى ماتَ فيه، فقلتُ : كيف أصبحتَ أبَا يَحْيى؟ قال : أَصبحتُ والله كما قال الشّاعر :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ابن مقمة » .

كأنّى مِنْ تذكُّرِ ما أُلاقِى ... إذا ما أظلَمَ الليلُ البَهيمُ
سَقيمٌ مَلَّ منه أقْرِبُوهُ ... وأسْلَمَهُ المُداوِى والحميمُ

ثم مات .

وقيلَ : لمّا احتُضِر ابنُ سُرَيْج نَظر إلى ابْنَتِه تبكى ! فبكى وقال: إنَّ مِن أكبرِ همّى أنتِ ، وأخْشَى أن تضيعى بَعْدى . فقالتْ : لا تخَفْ ، فما غَنَّيْتَ غِناءً إلّا وأنا أُغَنّيه . فقال : هاتى . فاندفعتْ تُغنّى أصواتاً وهو مُصْغٍ إليها . فقال : قد أَصَبْتِ ما فى نفسى وهوَّنْتِ علىَّ أمْرَكِ . ثم دعا سَعيد بن مَسعود الهُذَلىّ ، فزوَّجه إيّاها ، فأخذ عنها أكثرَ غِناءِ أبيها وانتحله .

قال إسحاق المَوْصِلىّ : فهو إلى الآن يُنسبُ إليه .

وذكر [هشام بن المُرِّيَّة] أنّ قادِماً قدِمَ المدينَة فسارَّ مَعْبداً بشىء . فقال مَعْبد : أصبحتُ أحسنَ النّاس غناءً ! فقُلْنا : أوَلَمْ تكُن كذلك ؟ قال : ألاَ تدْرُون ما أخْبَرنى به هذا ؟ قالوا : لا . قال : أعْلَمَنِى أنّ عُبَيد بن سُرَيج مات ، ولم أكُن أحسَنَ النّاس غِناءً وهو حَىّ .

وكان مَوتُه بالعلّة التى أَصابتْه من الجُذَام بمكّةَ فى خِلافَةِ سُلَيمان بن عبد الملك ، أو آخِرِ خلافة الوَليد .

قلتُ : وقد رَوَى أبو الفرَج أنّه مات فى خلافةِ هِشَام . ورَوَى أيضاً أنّه مات بعد قتل الوَليد بن يزيد . وروى أنّه رَثَى حَبابَة ويزيدَ بن عبد الملك . وقدْ تقدَّم ذلك كُلُّه .

أخبار نُصَيب

نسبه وولاؤه

هو نُصَيْب بن رَبَاح ، مولى عبد العزيز بن مَرْوان . وكان لبعض العَرب من بنى كِنانة، السُّكَّان بوَدَّان،[1] فاشتراه عبدُ العزيز منهم . وقيل: بل كانوا أعْتَقُوه، فاشترى عبدُ العزيز ولاءَه منهم . وقيل : بل كاتَب مَواليه فأدَّى عنه مُكاتَبتَه .

وقيل : كان نُصَيب من قُضاعة ثم من بَلِيّ . وكانت أُمّه سَوْداء ، فوقع عليها فحَبِلَتْ بنُصَيب . فوثب عليه عمُّه بعد وفاة أبيه ، فباعه من عبد العزيز .

منزلته فى الشعر

وكان شاعراً فَحْلاً فصيحاً ، مقدَّماً فى النَّسيب والمَديح ، ولم يكُن له حظٌّ فى الهجاء . وكان عفيفاً . وقيل إنه لم يَنْسُب قَط إلّا بامرأته .

نشأته فى الشعر وقدومه على عبد العزيز بن مروان

ذُكر عن نُصيب أنه قال : قلتُ الشِّعر وأنا شابٌّ، فأعجبنى قولى، فجعلتُ آتى مَشْيَخَةً من ضَمْرَة بن بَكْر بن عبد مَناة ، ومَشْيخة من خُزاعة ، فأُنْشِدُهم القصيدةَ من شعرى ثم أَنْسُبها إلى بعض شُعرائهم الماضِين ، فيقولون : أحسنَ والله ! هكذا الكلام ! وهكذا الشِّعر ! فلما سمعتُ ذلك منهم علمتُ أنِّى مُحْسن ، وأجمعتُ الخروجَ إلى عبد العزيز بن مَرْوان ، وهو يومئذ بمِصْر ، فقلتُ لأُخْتِى أُمامة ، وكانت عاقلةً جَلْدة : يا أُخَيّة ، إنِّى قد قلتُ شعراً ، و إنى أُريد به عبدَ العزيز بن مَرْوان ، وأرجو أن يُعْتِقكِ اللهُ به وأُمَّك ومَن كان مَرْقوقاً من أهل قَرابتى . قالت : إنّا لله و إنّا إليه راجعون ! يابْن أُمّ ، أتَجْمع عليك الخَصْلتان : السَّواد ، وأن تكون ضُحْكَةً للناس . قال : قلتُ : فاسْمعى .

---

(١) ودان، هذه: هى التى بين مكة والمدينة ، وإياها يعنى نصيب .

فأنشدتُها ، فسمِعَتْ . فقالت : بأَبى أنتَ ! أحسنتَ والله ! وفى هـذا والله رجاء عظيم ، فاخرُج على بركة الله . فخرجتُ على قَعُودٍ[١] لى حتى قدِمْتُ المدينةَ ، فوجدتُ بها الفرزدق فى مَسجد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فعرّجتُ عليه ، فقلتُ : أُنشده وأَستنشده وأَعرض عليه شِعْرى . فأَنشدتُه ، فقال لى : ويلك ! أهذا شعرُك الذى تطلُب به الملوكَ ؟ قلتُ له : نعم . قال : فلستَ فى شىء ، إن استطعتَ أن تكتُمَ هذا على نفسك فافعل. قال : فانفَضحتُ عَرَقاً[٢] . فحَصَبنى[٣] رجلٌ من قُريش كان قريباً من الفرزدق ، وقد سَمِع إنشادى وسَمع ما قال الفرزدقُ . فأومأ إلىّ فقمتُ إليه ، فقال : وَيْحك ! أهـذا شِعْرك الذى أنشدتَه الفرزدقَ ؟ قلتُ : نعم . قال : فلقـد والله أحسنتَ ! والله لئن كان الفرزدقُ شـاعراً إنّا لنَعرف محاسنَ الشِّعر ، وقد والله حَسدكَ ، فامْضِ لوجهك . قال: فسرَّنى قولُه، وعلمتُ أنه قد صَدَقنى فيما قال . فاعتزمتُ على المُضىّ . فمضيتُ فقَدِمْتُ مِصْر ، وبها عبدُ العزيز ابن مَرْوان ، فحضرتُ بابَه مع النـاس . فنُحِّيتُ عن مَجْلس الوُجوه ، فكنتُ وراءهم ، ورأيتُ رجـلاً على بَغْـلَة حسنَ الشَّارة سَهْلَ المَدْخـل ، يُؤْذَن له إذا جاء . فلمّا انصرف إلى منزله ، انصرفتُ معـه أُماشِى دابّته . فلمّا رآنى قال : أَلك حاجة ؟ قلتُ : نعم ، أنا رجل من أهل الحجاز شاعِر ، وقد مدحتُ الأمير وخرجتُ إليه راجياً لمعروفه ، وقد ازْدُريت بالباب ونُحِّيتُ عن الوُجوه . قال : فأَنْشدنى. فأنشدتُه، فأَعجبه شِعْرى، وقال: ويحك! أهذا شِعْرك! إيّاك أن تَنْتحل! فإنّ الأمير راويةٌ عالِم بالشِّعر ، وعنـده رُواة ، فلا تَفْضحنى ونَفْسَك . فقلتُ :

---

(١) القعود من الإبل : ما أمكن أن يركب ، وأدناه أن تكون له سنتان .

(٢) انفضحت عرقاً ، أى تدفقت عرقاً .

(٣) حصبنى : رمانى بحصباء .

والله ما هو إلّا شِعْرى . فقال : وَيْحك ! فقُل أَبْياتاً تذكُر فيهـا حَوْفَ[١] مِصر وفَضْلَها على غَيْرها ، وأْلْقَنِى بها غداً . فغدوتُ عليه من غَدٍ ، فأنشدتُه قولى :

سَرَى الهَمُّ تَثْنِينى إليك طلائعُـه ... بمصرَ و بالحَوْفِ أعترتْنى رَوَائِعُـهْ

و بات وِسَـادِى سـاعدٌ قَلَّ لحمُـه ... عن العَظم حتى كاد تَبْـدو[٢] أشاجِعُه

وذكرتُ فيها الغيْثَ فقلتُ :

وكم دُون ذاكَ العارضِ البـارقِ الذى ... له أشتَقْتُ من وَجْهٍ أُسيلَ مدامِعُـه

تَمشَّى به أفْنـاءُ بَكْرٍ ومَذْحِجٍ ... وأفنـاءُ عَمْرٍو وهْو خِصْبٌ[٣] مَرابعُه

فكُلُّ مَسِيلٍ من تِهامَةَ طيِّبٌ ... دَميثُ الرُّبَا تَسْقِى البحارَ[٤] دَوافِعُه

أَعِنِّى على بَرْقٍ أُريكَ وَميضَـه ... تُضِىء دُجُنَّـاتِ الظّلام لوامِعُـه

إذا اكتَحَلَتْ عَيْناَ مُحِبٍّ بضَوْئه ... تجافَتْ به حتّى الصَّباحِ مَضاجِعُـه

هَنيئاً لأُمِّ البَخْـتَرِىّ الرِّوى به ... و إن أنْهجَ الحَبْلُ الذى أنا قاطِعُـه

وما زِلْتُ حتى قُلْتُ إنّى لخـالِعٌ ... وَلَائِىَ من مَوْلًى نَمَتْـنِى[٥] فَوَارِعُه

ومانِحُ قَوْمٍ أنتَ منهم مَوَدّتى ... ومُتَّخِـذٌ مولاكَ مولًى فتـابِعُه

قال : أنت والله شـاعر ! أحْضُر البابَ فإنّى أذكرك للأمير . فجلستُ على الباب . فدخل ، فما ظننت أنه أمكنه أن يذكُرنى حتّى دُعى بى . فدخلت فسلّمت ، فصعَّد فىَّ بَصرَه وصَوَّبه ، ثم قال : أنت شاعرٌ ويلك ! قلت : نعم أيّها الأمير . قال : فأنْشدنى . فأنشدتُه ، فأعْجبه شِعْرى . وجاء الحاجبُ فقال : أيها الأمير ،

---

(١) بمصر حوفان : شرقى وغربى ، وهما متصلان . وأول الشرقى من جهة الشام ، وآخر الغربى قرب دمياط . يشتملان على قرى و بلدان كثيرة . (عن ياقوت) .

(٢) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف .

(٣) تمشى ، أى تتمشى ، فحذف إحدى تاءيه . وأفناء بكر : أخلاطهم .

(٤) الدميث : السهل الطيب . والدوافع : الدفعات من الماء فى إثر أخرى؛ الواحدة : دافعة .

(٥) نمتنى : رفعتنى بالانتساب إليها . وفوارعه : أعاليه وأصوله التى تفرعه .

هذا أيمن بن خُرَيم الأَسَدِيّ بالباب . قال: أَئْذن له . فأُذن له ، فدخَل فاطمأنّ .
فقال له : يا أيمن بنَ خُرَيم، كم ترى ثمن هذا العبد؟ فنظر إليّ فقال: والله لنِعْمَ الغادِى
فى إثْرِ المَخاض[1] ! هـذا أيُّها الأَمير أرى ثمنه مائة دِينار . قال : فإنّ له لشِعْراً
وفَصاحة . فقال لى أيمَنُ : أتقول الشّعر ؟ قلت : نَعم . قال: قيمتُه ثلاثون ديناراً .
قال: يا أَيْمَن، أرْفعه وتخفِضه أنت؟ قال لـكَوْنِه أَحْمَق أيُّها الأَمير! ما لهذا وللشّعر !
أمِثْل هـذا يقُول الشّعر ! أو يُحْسن شِعْراً ! فقال : أَنْشِدْه يا نُصَيب . فأنشدتُه .
فقال له عبدُ العزيز: كيف تَسمع يا أيمَن؟ قال : شِعْرُ أسْوَدَ، هُو أشْعَرأهْل جِلْدَته.
قال : هو والله أَشْـعر منك . قال : أمنِّى أيُّها الأمير ؟ قال: إى واللهِ منكَ. قال :
والله أيُّها الأمير ، إنَّكَ لَمَلُولٌ طَرِفٌ[2] ! قال : كَذَبت والله ! ما أنا كذلك ،
ولو كُنْتُ كذلك ما صَبَرْتُ عليك ، تُنازِعنى التَّحيَّةَ وتؤاكِلُنى الطَّعامَ وتتّكِىء
على وسَائدى وفُرُشِي و بك ما بك ! يَعْنِي وضَحًا كان بأَيمَن . قال : أْئذَن لى
أَخْرُج إلى بِشْرٍ[3] بالعِراق، واْحمِلْنى على البريد . قال: قد أَذِنتُ لك . وأَمَرَ به
فَحُمِلَ على البريد إلى بِشْرٍ . فقال أَيْمَنُ بن خُرَيْم :

رَكِبْتُ من المُقَطَّمِ فى جُمَادَى ... إلى بِشْرِ بن مَرْوَانَ البَرِيدَا
وَلَوْ أَعْطَاكَ بِشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ ... رَأَى حَقًّا عليـه أَنْ يَزِيدا
أَمِـيرَ المُؤمنينَ أَقِمْ بِبِشْرٍ ... عَمُودَ الدِّينِ إنّ له عَمُودا
وَدَعْ بِشْرًا يقَوِّمْهم ويُحْـدِثْ ... لِأَهْلِ الزَّيْغِ إسْلاماً جَدِيدا
كَأَنَّ التَّـاجَ تَاجَ بَنِى هِرَقْلٍ ... جَلَوْهُ لِأَعْظَمِ الأَيَّامِ عِيـدا

---

(١) المخاض : الحوامل من النوق ؛ واحدتها : خلفة، على غير قياس ، ولا واحد لها من لفظها.
يريد : لنعم هذا العبد راعياً للإبل .

(٢) الطرف من الرجال : الذى لا يثبت على عهد ويجب أن يستطرف آخر غير صاحبه، ويطرف
غير ما فى يده ، أى يستحدث . والأنثى : طرفة .

(٣) هو بشر بن مروان ، ولى إمرة العراق . ومات بالبصرة سنة ٧٥ من الهجرة .

على دِيبَاجِ خَدَّىْ وَجْهِ بِشْرٍ إذا الألْوَانُ خَالَفَتِ الخُدُودَا

— قيل : إنه عَرَّضَ بقوله :

* إذا الأَلْوَان خَالَفَتْ الخدُودَا *

بِكَلَفٍ كان فى وجه عبد العزيز —

وأنَّا قَدْ وَجَدْنَا أُمَّ بِشْرٍ كأُمِّ الأُسْدِ مِذْكَاراً[1] وَلُودَا

فأعطاه بِشْر مائةَ ألف دِرْهم .

هو والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك

وذُكِرَ أنّ نُصَيب دَخل على سُليمان بن عبد الملك وعِنده الفَرَزْدقُ . فاسْتنشد الفَرزدق ، وهو يَرى أنّه سَيُنْشِده مَدِيحاً له فيه . فأَنشده قولَه يفتخِر :

وَرَكْبٍ كأَنّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهم لَهَا تِرَةً من جَذْبِهَا[2] بالعَصَائِبِ

سَرَوْا يَرْكَبون الرِّيحَ وهى تَلُفُّهُمْ إلى شُعَبِ الأَكْوارِ ذات[3] الحَقَائِبِ

إذا اسْتَوْضَحُوا نَاراً يقولونَ لَيْتَهَا وقد خَصِرَتْ أيديهمُ نَارُ[4] غَالبِ

قال : وعِمامتُه على رَأْسِه كالمِنْسَف[5] . فغاظَ سُلَيْمَانَ ، وكَلَحَ[6] فى وجهه . فقال لِنُصَيْب : قُمْ فأَنْشِدْ موْلاكَ ، ويلكَ ! قال : فقامَ نُصَيْب ، فأَنشده قولَه :

---

(١) المذكار : التى من عادتها أن تلد الذكران ، وكذلك الرجل مذكار . أما إذا ولدت ذكراً فهى مذكر . جعل أمه ولودا ، فأجرى المدح على غير وجهه ، فالإجماع على أن نتاج الكريمات يكون أعسر . قال الشاعر :

بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلات نزور

(٢) العصائب : العمائم . أى تنقض عمائمهم من شدتها ، فكأنها تسلبهم إياها .

(٣) الأكوار : جمع كور ، بالضم ، وهو الرحل ؛ وقيل : الرحل بأداته . والحقائب : كل ما شد فى مؤخر الرحل ؛ الواحدة : حقيبة . ورواية البيت فى الديوان :

سروا يخبطون الليل وهى تلفهم على شعب الأكوار من كل جانب .

(٤) خصرت : اشتد عليها البرد .

(٥) المنسف : الغربال الكبير . (٦) كلح : كشر وعبس .

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرِينَ لَقِيتُهم قِفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلاكَ [١] قَارِبُ
قِفُوا خَبِّرُونِى عن سُلَيْمَان إِنَّنِى لِمَعْرُوفِهِ من أَهْلِ وَدَّانَ [٢] طَالِب
فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِالَّذِى أنت أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عليك [٣] الحَقَائِب
وقالُوا عَهِدْنَاه وكُلَّ عَشِيَّةٍ بِأَبْوابِه من طَالِبِ العُرْفِ [٤] رَاكِب
هو البَدْرُ والنَّاسُ الكَوَاكِبُ حَوْلَهُ ولا يُشْبِهُ البَدْرَ المُضِىءَ الكَوَاكِب

فقال له سُلَيْمان : أَحْسَنْتَ يا نُصَيب ! وأَمرَ له بجائزةٍ ، ولم يَصْنَع ذلك بالفَرَزْدَق . فقال الفرزدق حِين خَرج من عنده :

وخَيْرُ الشِّعْرِ أَكْرَمُه رِجالاً وشَرُّ الشِّعْرِ ما قالَ العَبِيد

هو وقد حمله عبدالعزيز بالمقطم

وقِيل : حَمل عبدُالعزيز بن مَرْوَان نُصَيباً بالمُقَطَّم ، مُقَطَّم مصر ، على [٥] بُخْتِىٍّ قد رَحَله بِغَبِيطٍ [٦] فوقه وأَلْبَسَه مُقَطَّعات وَشْى ، ثم أَمَرَه أن يُنْشِدَه . فاجْتَمَع حَوْلَه السُّودان وفَرِحُوا به . فقال لهم : أَسَرَرْتُكم ؟ قالوا : إِى واللهِ ! قال : واللهِ لما يَسُوءكم من أهل جِلْدَتِكم أكْثَر .

قدومه على هشام ابن عبد الملك

وذُكِر أنّ نُصَيباً كان إذا قَدِمَ على هِشام بن عبد المَلِك أَخْلَى له مَجْلِسه واسْتَنْشَدَه مَرَاثِىَ بنى أُمَيَّةَ . فإذا أَنْشَدَه بَكَى و بَكَى معه . فأَنْشَده يوماً قَصِيدَةً له مَدَحه بها [يقولُ فيها] :

---

(١) قفا : وراء . وذات أوشال ، يريد موضعاً . وقارب : طالب للماء . ويريد بالمولى : نفسه . والخطاب لسليمان بن عبد الملك .

(٢) ودان : موضع بين مكة والمدينة ، وهو الذى أكثر نصيب من ذكره . وهناك موضعان آخران بهذا الاسم .

(٣) عاجوا : مالوا . والحقائب : جمع حقيبة ، وهى التى تكون على عجز البعير .

(٤) العرف : المعروف والجود ، وما تبذله وتسديه .

(٥) البختى : الجمل الخراسانى : ينتج من بين عربية وفالج — الفالج : البعير ذو السنامين ، وهو الذى بين البختى والعربى — دخيل فى العربية أعجمى . وقيل : البختى : عربى ، وهو الطويل العنق.

(٦) الغبيط : الرحل . ورحله به : شده عليه .

إذا اسْتَبَقَ النَّاسُ العُلا سَبَقْتَهُمُ   يَمِينُكَ عَفْوًا ثم صَلَّت شِمَالُهَا[١]

فقال له هِشام : يا أَسودُ ، قد بَلغتَ غايةَ المَدْح ، فَسلْنى . فقــال له : يدُكَ بالعطيَّة أَجْوَدُ وأبْسَطُ من لِسَانى بِمَسْألتك . فقال : هذا والله أحْسنُ من الشِّعْر ! وحَباه وأحْسنَ جائزَته .

إعتاقه أمه وامرأته وابن خالته سحيم

وقيل : أصابَ نُصَيْبٌ من عبــد العزيز بن مروان مَعْروفاً ، فكَتَمه ورَجع [إلى المدينة] فى هَيْئة بَذَّة[٢] . فقالوا: لم يُصِب بِمدْحِه شيئاً . فمكَث مُدَّةً ثم ساوَم بأُمِّه فابتاعها وأعْتَقَها ، ثمَّ ابْتاعَ امرأتَه بضِعْفِ ما ابتاعَ به أُمَّه فأعْتَقها . وجاءه ابْنُ خالةٍ له يقال له : سُحَيم ، فسأله أن يُعْتِقَه ؛ فقال : ما مَعى واللهِ شىء ، ولــكن إذا خَرجتُ أَخْرجتُك معى . ولعــلَّ الله أن يُعْتِقَكَ ، فلمّـا أرادَ الخُروج دَفع غُلاماً له إلى مَوْلَى سُحَيْم يرْعَى إبِـلَه ، وأخْرَجه معه . فسأل فى ثمَنِه ، فأعْطاه وأعْتَقه . فمرَّ به [يوماً وهو] يَزْفِن[٣] ويَزْمُر مع السُّودان . فأنكر ذلك عليــه ، فقــال له : إن كنْتَ أعْتَقْتنى لأَكون كما تُرِيد فهــذا ما لا يَكُونُ أبدًا ! وإن كُنْتَ أعْتَقْتَنى لتَصِلَ رحمى وتَقْضِىَ حَقِّى فهــذا الذى أفعله هو الذى أريده ، أَزْفِنُ وأَزمُر وأصنع ما شئتُ . فانصرف نُصَيْب وهو يقول :

إنِّى أرانى لسُحَيْمٍ قائِـلَا   إنَّ سُحَيْماً لم يُثِبْنى طَائلَا
نسيتَ إعْمَــالى لكَ الرَّوَاحِلا   وضَرْ بِىَ الأَبْوَابَ فيكَ سائلا
عنــد الملوكِ أَسْتَثِيبُ النَّـائلا   حتى إذا آنَسْتَ عِتْقاً عاجلا
وَلَّيْتَنى مِنْكَ القفَا والــكاهلا   أَخُلُقاً شَــكْساً[٤] ولَوْناً حائلا

---

(١) صلت شمالها ، أى تبعتها ، من صلى الفرس ، إذا جاء ثانياً فى الحلبة بعد السابق، لأن رأسه يلى صلا — الصلا : وسط الظهر — المتقدم .

(٢) بذة : رثة . (٣) يزفن : يرقص . (٤) شكساً : سيئاً .

استعجاله جائزة عبد العزيز

وأبطأت جائزةُ نُصَيْب عند عبد العزيز، فقال له:

وإن وَرَاءَ ظَهْرِى ياابنَ لَيْلَى أُناساً يَنْظُرُون مَتَى أَؤُوبُ
أُمَامَـةَ منهُمُ ولمأْقِيَيْهـا غَدَاةَ البَيْنِ فى أَثَرِى (١) غُرُوب
تركْتُ بِلادها ونأَيْتُ عَنْهـا فأَشْبَهُ ما رَأَيْتُ بها (٢) السَّلُوب
فَأَتْبِعْ بعضَنا بعضاً فلَسْنا نُثِيبُكَ لَـكِنِ اللهُ المُثِيب

فَعَجَّلَ جَائِزَته وسَرَّحه.

ولَيْلَى هى أُمُّ عبد العزيز، وهى كَلْبِيَّـة.

وذُكِرَ أنّه قال: لا أُعطى شاعراً شيئاً حتى يَذْكُرها فى مَدْحِه، لشَرَفِها. فكان الشُّعَراء يَذْكُرُونها باسمها فى أشْعَارِهم.

هو وعبد الملك ابن مروان

وذُكر أنّه دَخَلَ نُصَيْب على عبد الملك بن مروان فَتَغَدَّى معه، ثم قال له: هل لك فيما نَتَنادم عليه؟ فقال تُؤَمِّنُنى؟ فقال: قد فَعلتُ. فقال لَوْنى حائِل، وشَعْرى مُفَلفل، وخِلْقَتى مُشَوَّهة، ولم أَبْلُغ ما بَلَغْت من إكْرامِكَ إيَّاى بِشَرفِ أَب أو أُمّ أو عَشِير، وإنما بَلَغْتُه بِعَقْلِى ولِسَانى، فأَنْشُدُكَ الله يا أميرَ المُؤمنين أن تَحُول بينى وبين ما بَلَغْتُ به هذه المنزلةَ منك، فأَعْفاه.

عمر وابن مزيد فى سبب تسميته

وذَكر أبو بكر بن مِزْيد قال:

لَقيتُ النُّصَيْبَ يوْماً بباب هشام بن عبد الملك، فقلت له: يا أبا مِحْجَن، لِمَ سُمِّيتَ نُصَيْباً؟ أَلقولِك فى شِعْرك: «عاينَها النُّصَيب»؟ فقال: لا! ولـكنّى وُلدتُ عند أَهل بَيتٍ من وَدَّان، فقال سيِّدى: إيتُونا بمَوْلودنا هذا لننظُرَ إليه. فلمّا أُتِىَ بى، قال: إنّه لَمَنْصَبُ الخَلْق (٣)، فسُمِّيتُ: النُّصَيب. ثم اشْترانى عبدُ العزيز بنُ مَرْوان فأَعْتقنى.

---

(١) مأق العين: حرفها الذى يلى الأنف. والغروب: الدموع حين تخرج من العين.

(٢) السلوب، يريد: الظبية التى سلبت ولدها.

(٣) منصب الخلق: مسواه مستقيمه.

هو ورجل لقيه هو وأم بكر

وذَكر بعضُهم، قال :

رَأيتُ رجلاً أَسوَدَ ومعه اُمرأةٌ بَيْضاء ، فجَعلْتُ أعجبُ مِن سَواده و بياضِها ، فدَنوْتُ منه فقلتُ : مَن أَنتَ ؟ فقال : أنا الذى أقول :

أَلا لَيْتَ شِعْرِى ما الّذى تُحدِثِينَ بِى ... غَداً غُرْبَةَ النَّأْىِ المُفرِّقِ والبُعْـدِ
لَدَى أُمِّ بَـكْرٍ حين تَقْـتَرِبُ النَّوَى ... بِنَا ثُم يَخْلُو الكاشِحُون بها بَعْدِى
أَتَصْرِمُنِى عند الأُلَى هم لنا العِـــدَا ... فَتُشْمِتَهم بى أم تَدُومُ على العَهْـد

قال : فَصَاحت : بل تَدوم واللهِ على العَهْـدِ . فَسَأَلتُ عنهُما . فقيل : هذا نُصَيْبٌ . وهذه أُمُّ بَكْرٍ .

جواب عبد الله ابن جعفر وقد سئل عن عطاياه له

وقيل : أَتى نُصَيْبٌ عبدَ الله بنَ جعفر ، فَحَمَله وأَعْطاه وكَسَاه . فقال له قائل: يا أَبا جَعْفَر ، أَعْطَيْتَ هذ العبْدَ الأسود هذه العَطايا ! فقال : واللهِ إن كان أَسود إنّ ثناءَه لأَبيَض ، و إن شِـعْرَه لعربىّ . ولقد أُستحقَّ بما قال أكثَر ممـا نال . وما ذاكَ ؟ إنّمـا هى رَوَاحِلُ تُنْضَى (١) ، وثِيابٌ تبْلَى ، ودَرَاهِمُ تفْـنى ، وثَناء يبْقى ، ومَدَائح تُرْوَى .

منقذ الهلالى مع بعضهم فى شعر له

وذَكر بعضُهم قال :

أتانى مُنقِذٌ الهِلالىُّ ليلاً ، فضرب علىَّ البابَ ، فقُلتُ : من هـذا ؟ فقال : مُنْقِذٌ الهِلالىّ . فخرجتُ إليه فزِعًا. فقال: البُشْرَى ! فقُلت : أَى بُشْرَى أَتَيتنى بها فى هـذا اللَّيل ؟ قال : خَيْرٌ ، أتَانى أهْلى بدَجاجَةٍ مَشْوِيَّةٍ بين رَغيفَيْن ، فَتعشَّيتُ بها . ثم أَتَوْنى بِقِنِّينَةٍ من نَبيذ قد اُلتقى طَرَفَاها رِقَّةً وصَفاء ، فجعلتُ أَشْربُ وأَترَنَّم بقول نُصَيب :

بِزَيْنَبَ أَلْمِمْ قبلَ أَنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ ... وقُلْ إنْ تَملّينا فما ملَّكِ القَلْبُ

(١) تنضى . تهزل ، وأنضاه السفر : هزله .

ففكّرتُ فى إنسـان يفْهم حُسْنه و يعْرِف فضْلَه ، فلم أَجِدْ غيْرك ، فأتيتك مُخبراً بذلك . فقلتُ : ما جاء بك إلّا هذا ؟ فقال : أوَلَا يَكْفِى ! ثم انْصرَف .

هو ومسلمة فى عفة شعره

وقيل : قال مَسْلَمة لِنُصَيب : أنت لا تُحْسِنُ الهجاء . قال : بلى والله ! أتُرانى لا أُحسِن أنْ أَجْعَل مكان « عافاكَ اللهُ » « أَخْزَاكَ الله » ؟ قال : فإنّ فُلَاناً قد مَدحته فَحَرمك ، فاهْجُه . قال : لا والله ، ما يَنْبغى أن أَهْجُوَه ، إنما ينبغى أن أَهْجُوَ نفسى حيث مدحْتُه . قال مَسْلمة : هذا والله أَشَدُّ من الهجاء .

طلب إليه عمر بن عبد العزيز أن ينشده « قفا أخوى »

وقيل : دَخَل نُصَيب مسجِدَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وعُمر بن عبد العزيز يومئذ أمير المدينة ، وهو جالسٌ بين قَبْرِ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم ومِنْبره ، فقال : أيُّها الأمير ، ٱئْذَنْ لى أُنْشِدكَ من مراثى عبد العزيز . فقال : لا تَفْعلْ فَتَحزنَنى ، ولـكن أنْشِدْنى قولَك : « قفا أخويّ » فإنّ شَيطانك كان لك فيهـا ناصحًا حين لقّنك إيّاها . فأَنشده :

قِفَا أَخَوَيَّ إنّ الدّار لَيست ... كما كانت بِعَهْـدِكُما تكونُ
لَيالِىَ تَعْلمانِ وآلُ لَيْلَى ... قَطِينُ الدّارِ فاحْتَمَل [١] القَطين
فَعُوجا فانظُرَا أَتُبِـينُ عمَّـا ... سألنـاها به أمْ لا تُبِـين
فظَلَّا واقِفَيْنِ وظَلَّ دَمْعِى ... على خَـدِّى تَجُودُ به [٢] الشُّئون
فلوْلَا إذْ رأيت اليَأْسَ منهـا ... بَدَا أن كِدْتَ تَرْشُقُكَ [٣] العُيُون
بَرِحْتَ فلم يَلُمْكَ النـاسُ فيها ... ولم تَغْلَق كما غَلِقَ [٤] الرَّهين

هو وعجوز كان يختلف إليها مع ابنتها

وقيـل : كان نُصيْب يَـنْزِل على عَجُوز بالجُحْفَةِ إذا قَدِمَ من الشأم ، وكانت

---

(١) القطين : السكان ، للواحد والجمع .

(٢) الشئون : مجارى الدموع من العين ؛ الواحد : شأن .

(٣) ترشقك : تحد النظر إليك كأنها ترميك بسهام لحظها .

(٤) الرهين : جمع رهن ، وهو ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه . وغلق الرهن : إذا لم يوجد له تخلص و بقى فى يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه .

لها بُنَيَّـة صَفْراء ، وكان يَسْتحليها ، فإذا قَدِمَ وهَبَ لها دَراهمَ وثياباً وغيرَ ذلك . فَقَدِم عليهما قَدْمَةً و بات بهما . فلم يَشْعُر إلا بفَتًى قد جاءها ليلاً فرَكضها برِجْلِه ، فقامت معــه ، وأبطأتْ ثم عادتْ . وعاد إليها بعد ساعة فركضها برِجْله . فقامت معه وأبطأت . ثم عادت . فلمَّا أصبحَ نُصَيْبٌ رأى أَثَرَ مُعْتَركهما ومُغْتَسلهما . فلما أراد أن يَرْتَحِلَ قالت له العَجُوزُ و بِنْتُها : بأبى أنتَ ! عادتَك . فقال لها :

أَراكِ طَمُوحَ العَيْنِ مَيَّالَةَ الهَوَى   لهذا وهــذا منك وُدٌّ مُلاطِفُ
فإنْ تَحْمِلِى رِدْفين لا أَكُ مِنْهما   فَحَبِّى فَرْدٌ لستُ ممَّن (١) يُرادِف

هو وامرأة من ملل ينزل عندها الناس

وقيــل : كانت بمَلَل (٢) امرأة يَـنْزِلُ بهـا النّاسُ ، فنَزل بها أبو عُبَيْدَة ابن عبد اللهبن زَمْعة ، و عِمْرانُ بن عبد الله بن مُطِيع ، ونُصيْب . فلما رَحلوا، وَهب لها القُرشيَّان ، ولم يكن مع نُصَيْب شىء ، فقال لها : اختارى : إن شِئْتِ أَضْمن لك مِثْلَ ما أَعْطياك إذا قدمتُ ، و إن شِئْتِ قُلتُ فيكِ أبياتاً تَنْفَعُكِ ؟ قالت : بل الشِّعْرُ أحبُّ إلىَّ . فقال :

أَلاَ حَىِّ قَبْــلَ البَيْنِ أُمَّ حَبيبِ   و إنْ لم تكُنْ مِنَّا غداً بِقَريبِ
لئن لم يكُنْ حُبِّيك حُبًّا صَدَقْتُه   فما أَحَدٌ عِنْــدى إذاً بِحَبِيبِ
تَهَامٍ (٣) أصابتْ قَلْبَهُ (٤) مَلَلِيَّةٌ   غَرِيبُ الهَوَى يا وَيْحَ كُلِّ غَرِيب

فشَهرها بذلك ، وأصابتْ بقوله فيها خيراً .

سؤاله عمر بن عبد العزيز نفقة لبناته

قيل : ودخَلَ نُصيْب على عُمر بن عبد العزيز ، بعد ما وَلِىَ الخلافة ، فقال : إيه يا أَسْوَد ! أنتَ الذى تُشَهِّرُ النِّســاءَ بِنَسِيبِك ؟ فقال : إنّى قد تركتُ ذلك

---

(١) الردف : الذى يركب خلف الراكب . وأرادف : أكون ردفاً مع غيرى .
(٢) ملل : موضع فى طريق مكة بين الحرمين . وفى الأصل : « مالك » .
(٣) تهام : نسبة إلى تهامة ، وتقول أيضاً : تهامى ، بكسر التاء . إذا فتحت التاء لم تشدد الياء ، و إن كسرتها شددت الياء .
(٤) و مللية : نسبة إلى ملل ، موضع فى طريق مكة . وفى الأصل : « مالكية » .

يا أميرَ المؤْمنين ، وعاهدتُ الله تعالى ألَّا أقولَ نَسِيباً . وشَهِدَ له بذلك مَن حَضَر ، وأثْنَوْا عليه خيراً . فقال : أمَّا إذ كان الأَمْرُ هكذا فسَلْ حاجتَك . فقال : بُنَيَّاتٌ لى نَفَضْتُ عليهنَّ سَوادى فكَسَدْنَ ، أَرْغب بهنَّ عن السُّودان ، ويَرْغَبُ عنهنَّ البيضَانُ . قال : فَتُرِيدُ ماذا ؟ قال : تَفْرِضُ لهُن . ففعل . قال : ونَفَقَة طَرِيقى . فأعطاه حِلْيَةَ سَيْفِه وكَساه ثوبَيْه ، وكانا يُساويان ثلاثين دِرْهماً .

من رقيق شعره

ومن رَقيق شِعْر نُصَيب قولُه :

تَمُرُّ الَّليالى ما مَرَرْنَ ولا أرى ... مُرُورَ اللَّيالى مُنْسِياتى ابْنةَ النَّضْرِ
وقَفتُ بذى دَوْرانَ أَنْشُد بَكْرَتى ... ومالى فيها مِنْ قَلُوصٍ[١] ولا بَكْرِ
وما أَنْشُدُ الرُّعْيانَ إلّا تَعِلَّةً ... بواضِحَةِ الأَنْيابِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
أَمَا والَّذى نادَى من الطُّورِ عَبْدَه ... وعَلَّمَ أيَّامَ المَناسِكِ والنَّحْرِ
لقد زادنى للجَفْرِ حُبًّا وأَهْلِهِ ... لَيالٍ أقامتهُنَّ لَيْلى[٢] على الجَفْرِ

شعره فى عبد العزيز بن مروان

وقيل : كان عبدُ العزيز بن مَرْوان اشْترى نُصَيْباً وأهلَه وولدَه فأَعْتقهم ، وكان نُصَيْب يَرْحل إليه فى كلِّ عام مُسْتميحاً ، فيُجيزه عبدُ العزيز ويُحْسِنُ صِلَته . فقال فيه نُصيْب :

يقول فيُحْسِنُ القولَ ابْنُ لَيْلَى ... ويفعَلُ فوق أحْسنِ ما يَقُولُ
فتًى لا يَرْزَأُ الإخْوانَ إلّا ... مودَّتَهم[٣] ويَرْزَؤُه الخليلُ
فَبَشِّرْ أَهْلَ مِصرَ فقد أَتاهُمْ ... مَعَ النِّيلِ الذى فى مِصرَ نِيلُ

هو وشاعر هجاه بالسواد

قيل : وكان نُصَيْب يُكْنى أبا الحَجْناء ، فهجاه شاعرٌ فقال :

رَأَيْتُ أبا الحَجْناءَ فى النَّاسِ حائرًا ... ولونُ أبِى الحجْناءِ لَوْنُ البَهائِمِ

---

(١) ذو دوران : موضع بين قديد والجحفة . (ياقوت) . والقلوص : الفتية من الإبل .
(٢) فى الأصل : « ليال أقامت فيه » .
(٣) لا يرزأ ، أى لا يصيب منهم إلا الود .

تَراه على ما لَاحَه من سَوَادِه … وإن كان مَظْلُوماً له وَجْهُ ظالِمِ

فقيـل لنُصيْب : أَلاَ تُجيبه ؟ فقـال : لا ! ولو كنتُ هاجياً أحداً لأَجبْتُه . ولـكنّ الله أَوْصَلَنِي بهذا الشِّعر إلى خير ، فجَعلتُ على نفسى أَلّا أقولَه فى شَرٍّ ، وما وَصَفنى إلّا بالسَّواد ، وقد صَدَق . أفلا أُنْشِدكم ما وصفتُ به نَفْسِى ؟ قالوا : بلى . فأَنْشَدهم قولَه :

ليس السَّوادُ بنـاقصِى ما دام لى … هـذا اللسـانُ إلى فُؤادٍ ثابِتِ
مَن كان ترفعُـه مَنابِتُ أَصْـلِه … فَبُيُوتُ أَشْـعَارى جُعِلنَ مَنَـابتى
كم بَيْن أَسْوَدَ ناطقٍ ببَيَـانه … ماضِى الجنَانِ و بين أَبْيَضَ صَامِت
إنِّى لَيَحْسُـدنى الرَّفيعُ بنـاؤُه … فَضْلَ البَيان وليس بى مِن شامِت

بينه و بين رجل سبه بالرق

وقيل : قال رجل لنُصيْب : أيّها العَبْـد ! مالك وللشِّعر ! فقال : أمّا قولك « عَبْـد » فمـا وُلدتُ إلّا وأنا حُرٌّ ، ولـكنْ ظلَمونى و باعُونى . وأمّا السوادُ ، فإنِّى أقُول :

فإنْ أَكُ حالِـكاً لَوْنِى فإنِّى … لِعَقْلٍ غيرِ ذى سَقَطٍ وِعَاءُ
وما نَزَلَتْ بِىَ الحـاجاتُ إلّا … وَقَى عِرْضى من الطَّمَعِ الحَيَـاءُ

هو وجارية سألته أن يشبب بها

وقيل : وقف نُصَيْب على أبيات فاستَسقَى ماء ، فخرجتْ إليه جاريةٌ بلَبَنٍ أو ماء فسَقَتْه وقالت : شَبِّبْ بى . فقال : ما اُسْمُكِ ؟ قالت : هِنْدُ ، ونظر إلى جَبَل وقال : ما اُسم هذا العَلَم ؟ قالت : قَنَا . فـأَنْشَأ يقول :

أُحِبُّ قَناً من حُبِّ هِنْـدٍ ولم أَكُنْ … أُبالِى أَقُرْباً زادَهُ اللهُ أَمْ بُعْـدَا
أَلا إنَّ بالقِيعَان مِنْ بَطْنِ ذى قَناً … لنـا حاجةً مَالَتْ إليـه بنَا عَمْـدا
أَرُونى قناً أَنْظُر إليــه فإنّنى … أُحِبُّ قَناً إنِّى رأَيْتُ به هِنْـدا

فَشَاعَتْ هذه الأبيات ، وخُطِبتْ الجاريةُ منأَجْلِها ، وأصابتْ بقول نُصَيْب فيها خيراً كثيراً .

هو وجارية مطلقة أبت ثم تزوجته

وقيل : دَخَل نُصَيْب على يزيدَ بن عبد الملك ، فقال : حَدِّثنى يا نُصَيْب ببعض ما مَرّ عليك . قال : نعم، يا أمير المُؤمنين ، عُلِّقْتُ جارية حَمْراء ، فمكثتْ زماناً تُمَنِّينى بالأباطيل ، فلما أَلْحَحْتُ عليها قالت : إليك عَنِّى ، فوالله لكأنَّك من طَوَارِق اللَّيْل . فقلتُ لها : وأنتِ والله كأنّكِ من طوارقِ النّهار . فقالت : ما أظرفكَ يا أسودُ ! فغاظنى قولُها . فقلتُ لها : أتدرين ما الظَّرْفُ ؟ إنما الظَّرْفُ العَقْل . ثم قالت لى : انصرف حتى أنظُرَ فى أمرِك . فأرسلتُ إليها بهذه الأبيات :

فإن أكُ حالِكاً فالمِسْكُ أَحْوَى ... وما لِسَوَادِ جِلدى من دَوَاءِ
ولى كَرَمٌ عن الفَحْشَاءِ[1] نَابٍ ... كَبُعْدِ الأرضِ من جَوِّ السَّماء
ومِثْلِى فى رجالِكُمُ قَليلٌ ... ومِثْلُكِ ليس يُعْدَمُ فى النِّساء
فإن تَرْضَىْ فَرُدِّى قولَ[2] واشٍ ... وإن تأبَىْ فنحنُ على السَّواء

قال : فلما قرأتِ الشِّعر قالت : المالُ والشِّعر يأتيان على غيرها . فتزوّجتنى .

شعر له كان يستجيده الأصمعى

وقال الرِّياشىّ :

أنشدنا الأصمعىّ لنُصيْب ، وكان يَستجيد هذه الأبياتَ ويقول إذا أنشدها : قاتل الله النُّصيب ! ما أشعره !

فإن يَكُ من لونِى السّوادُ فإنّه ... لَكالمِسْكِ لا يَرْوَى من المِسْك ذائقُهْ
وما ضَرَّ أَثْوَابى سَوادِى وتَحْتَها ... لباسٌ من العَلْياءِ بيضٌ[3] بنائقُه
إذا المرء لم يَبْذُلْ من الوُدِّ مثلَ ما ... بذلتُ له فاعْلَمْ بأنِّى مُفارِقُه

هو والأحوص وكثير فى حضرة امرأة من بنى أمية

وذُكر أن نُصَيباً خَرَجَ هو والأحوصُ وكُثيِّر غِبَّ يَوْمٍ أمطَرَتْ فيه السّماء .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ناء » مكان « ناب » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « راض » مكان « واش » .

(٣) البنائق : جمع بنيقة ، وهى طوق الثوب الذى يضم النحر وما حوله .

فقال : هل لكم فى أن نركبَ جميعاً فنسيرَ حتى نأتِيَ العَقِيقَ فنُمَتِّعَ فيه أبصارَنا ؟ فقالوا: نعم. فركِبُوا أفضَل ما يَقْدِرون عليه من الدَّوابّ . ولَبِسُوا أحسنَ ما يقدِرون عليه من الثِّياب ، وتنَكَّروا ثم ساروا حتى أتَوْا العَقِيق ، فجعلُوا يتصفَّحون [(١)] ويَرَوْنَ بعضَ ما يَشْتهون ، حتى رُفِع لهم سَوَادٌ عظيمٌ ، فأَمُّوه حتى أتَوْه . فإذا وصائِفُ ورجالٌ من المَوالى ونِساء بارزاتٌ ، فسألْنَهم أن ينْزلوا . فاسْتَحْيَوْا أن يُجيبوهنَّ من أوّل وهْلَةٍ ، فقالوا : لا نَسْتطيع حتّى نَمْضِيَ فى حاجة لنا . فحَلَّفْنهم أن يَرْجِعوا إليهنّ . ففعَلُوا وأتَوْهُنّ ، فسألْنَهم النُّزُولَ . ودخلتْ امرأةٌ من النِّساء ، فاستأذنَتْ لهم ، فلم تَلْبَثْ أن جاءت فقالتْ : أدْخُلوا . قال : فدخَلْنا على امْرأةٍ بَرْزَةٍ على فُرُشٍ لها ، فرحَّبَتْ وحَيَّتْ ، وإذا كَراسِى مَوْضوعة ، فجلسنا جميعاً فى صَفٍّ واحد ، كل إنسان على كرسىّ . فقالت : إنْ أحبَبْتُم أن نَدْعُوَ بصَبِيٍّ لنا فنُصَيِّحه ونعْرُكَ أُذنَيه [(٢)] ، فعلنا ؟ وإن شِئتم بدأنا بالغَدَاء ؟ فقلنا : بل تَدْعِينَ بالصبىّ ، ولن يفُوتنا الغَدَاء . فأومأَتْ بيدها إلى بَعض الخَدم . فلم يكُن إلا كَلَا ولَا [(٣)] حتى جاءت جاريةٌ جميلةٌ قد سُتِرت بمُطْرَف ، فأمْسكُوه عليها حتى ذهب بُهْرُها [(٤)] ، ثم كُشِف عنها ، فإذا جارية ذاتُ جمالٍ ، قريبةٌ من جمالِ مَوْلاتِها ، فرحَّبتْ بهم وحَيَّتْهم . فقالت لها مولاتُها : خُذى ويحك من قَوْل النُّصيْب ! عافَى الله أبا مِحْجن :

أَلَا هَلْ مِنِ البَيْنِ المُفرِّق من بُدٍّ   وهل مِثْلُ أيامٍ بمُنْقطَع السَّعْدِ [(٥)]

---

(١) تصفح الشىء : نظر إليه ليتعرفه .

(٢) عرك الأذن : دلكها . تريد الغناء وضرب العود .

(٣) قال ابن منظور : والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل ، أو ظهور شىء خفى، قالوا : كان فعله كلا ؛ وربما كرروا فقالوا : كلا ولا .

(٤) أى حتى هدأت واطمأنت .

(٥) السعد : موضع قرب المدينة . ويريد بمنقطع السعد : حيث ينقطع وينتهى .

تمنَّيتُ أيَّامِي أُولئك والمُنَى ... على عَهْد عادٍ ما تُعيدُ ولا تُبْدِي(١)

فغنَّته الجارية ، فجاءت به أحسَن ما سمعته قطُّ ، بأَحْلى لفظٍ وأَشْجى صَوْت . ثم قالت : خُذى أيضاً من قول أبى مِحْجَن ، عافَى اللهُ أبا محجن :

أَرِقَ المُحِبُّ وعاده سهدُه ... لِطَوارِق الهَمِّ التى تَرِدُهْ

وذكرتُ من رَقّتْ له كَبِدِي ... وأَبَى فليس تَرِقُّ لى كَبِدُهْ

لا قَوْمُه قَوْمِي ولا بَلدى ... فنكونَ حِيناً جيرةً بَلَدُهْ

وَوَجدْتُ وَجْدًا لم يكُنْ أحدٌ ... قَبْلِي من أَجْل صَبابَةٍ يَجِدُهْ

فجاءت به أحسنَ من الأوّل ، وكِدْتُ أطِيرُ سُروراً . ثم قالت لها : وَيْحك ! خُذى من قول أبى مِحْجن أيضاً ، عافى الله أبا مِحْجن :

فيالَكَ من لَيْلٍ تَمتَّعْتُ طُولَه ... وهل طائِفٌ من نائمٍ مُتَمَتِّعُ

نعم إنّ ذا شَجْوٍ متى يَلْقَ شَجْوَه ... ولو نائماً مُسْتَعْتِبٌ(٢) أو مُوَدِّع

وقد قُرِعَتْ فى أُمِّ عمرٍو لك العصَا ... قَديماً كما كانت لذى الحِلْم(٣) تُقْرَع

قال : فجاءت والله بشَىء حَيَّرنى وأَذْهَلنى طَرَباً ، لِحُسْنِ الغِناء ، وسُرُوراً باختيارها الغناء فى شِعْرى ، وما سَمِعْتُ فيه من حُسْنِ الصَّنْعَة وجَوْدَتها وإحْكامها . ثم قالت لها : خُذى ويحك أيضاً من قول أبى مِحْجن ! عافى الله أبا مِحْجن :

يأيّها الرَّكْبُ إنّى غَيْرُ تابِعكُمْ ... حتَّى تُلِمُّوا وأنتُمْ بى مُلِمُّونَا

قال نُصَيْب : فوالله لقد زَهَوْتُ بما سَمِعْتُ زَهْواً خَيَّلَ لى أنِّى من قُرَيش ،

---

(١) ما تعيد ولا تبدى ، أى لا نفع عندها .

(٢) مستعتب ، أى طالب العتبى والرضى .

(٣) يشير إلى المثل المعروف : « إن العصا قرعت لذى الحلم » . وأصله أن حكماً من حكام العرب عاش حتى أسن فأهتر ، فقال لابنته : إذا أنكرت منى شيئاً عند الحكم فاقرعى لى العصا لأرتدع .

وأنّ الخلافة لى . ثم قالت : حَسْبُكِ يا بُنَيَّة ! هَاتِ الطَّعامَ يا غُلامُ . فوثبَ الأحْوَصُ وكُثَيِّر وقالا : والله لا نَطْعَمُ لكِ طعاماً ولا نَجلِسُ لكِ مَجْلِسًا ، فقد أسأتِ عِشْرتنا ، واسْتَخْفَفْتِ بنا وقَدَّمْتِ شِعْر هذا على أشعارِنا ، واستمعتِ الغِناء فيه ؛ وإن فى أشعارنا لمـا يَفْضُلُ شِعْره ، وفيها من الغِناء ما هو أحسنُ من هذا . فقالت : على معرفةٍ كلُّ ما كان منّى ، فأى شِعْرِكُما أفْضَلُ من شِعْره ؟ أقَوْلُك يا أحْوص :

يَقَرُّ بِعَيْنِى ما يَقَرُّ بِعَيْنِها ... وأحْسَنُ شَىء ما به الْعَيْنُ قَرَّتِ

أم قولُك يا كُثيِّر فى عَزَّة :

إذا ضَمْرِيَّةٌ عَطَسَتْ فنِكْها ... فإنَّ عُطاسُها طَرَفُ السِّفَادِ

أم قولك فيها :

وما حَسِبَتْ ضَمْرِيَّةٌ(١) جُدَوِيَّةٌ ... سِوَى التَّيْسِ ذى القَرْنَيْنِ أنّ لها بَعْلَا

قال : فخرجا مُغْضَبَيْنِ ، واحتبستنى وأمَرَتْ لى بثلثمائة دينار ، وحُلَّتَيْن وطِيب ، ثم دَفَعَتْ إلىّ مائتى دينار ، وقالت : ادْفعهما إلى صاحِبَيْك ، فإن قَبلاها وإلّا فهى لك . فأتيتهما فى مَنازلهما فأخبرتُهُما القِصَّة ، فأمّا الأحوصُ فقبلها ، وأما كُثيِّر فلم يَقْبلها وقال : لَعَنَ اللهُ صاحِبتَك وجائزتها ! ولَعنك معها . فأخذتُها وانصرفتُ .

قال الرّاوى : فسألتُ النُّصَيْب : مَن المرأة ؟ فقال : امرأة من بنى أُمَيَّة ، ولا أذكُر اسْمها ما حَيِيتُ لأحد .

رثاؤه عبد العزيز وقد مات بسكر

قيل : وَقَعَ الطَّاعُون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان إيّاها ، فخرج هارباً منه ، فنزل بِقَرْيَة من الصَّعيد يقال لها : سُكَر — قُلتُ : « وأظنّها القرية

(١) جدوية : نسبة إلى جدى بن ضمرة بن بكر ، من كنانة .

المعروفة اليوم بالشُّكر ، بينها و بين الفُسطاط مرحلة » — . قال : فَقَدِمَ عليه حين نزلها رَسُولٌ لعَبْد الملك بن مَرْوان ، فقال له عبد العزيز : ما اُسْمُك ؟ قال : طالب ابن مُدْرِك . فقال : أَوَّهْ ! ما أَرانى راجعاً إلى الفُسطاط أبداً ما حييتُ . ومات فى تلك القرية . فقال نُصيب يرْثيه :

أُصِبْتُ يومَ الصَّعيد من سُكَرٍ ... مُصِيبةً ليس لى بها قِبَلُ
تالله أَنْسى مُصِيبَتِى أَبَدًا ... ما أَسْمَعَتْنِى حَنِينَها الإبل
ولا التَّبَكِّى عَلَيْه(١) أُعْوِلُه ... كلّ المُصِيبَاتِ بَعْدَه جَلَل
لم يَعْلَمِ النَّعْشُ ما عليه من الْ ... عُرْفِ ولا الحاملون ما حَمَلوا
حتى أجَنُّوهُ فى ضَرِيحِهِمُ ... حين أنتهى من خليلك(٢) الأَجَل

لابن واصل فى ولاية مروان بالعهد

— قلت : كان مروان بن الحكم قد جَعل ولاية عهده لابنه عبد الملك ، و بعده لعبد العزيز ، وولَّى عبد العزيز مصر. فلما مات مروان وأفضت الخلافةُ إلى عبد الملك أقرّ أخاه عبد العزيز على مصر وولاية عهده . ونشأ لعبد الملك أبناه : الوليد وسُليمان ، فأحبّ مَوْت أخيه عبد العزيز لِيَنْقُل ولاية العهدِ إلى أبنيه . وأُسْتطالَ أيّامَ عبد العزيز ، فاتفق موتُه بمصر سنة ست وثمانين . ومات بعده عبد الملك فى هذه السنة ، بعد أن عَهِدَ إلى أُبنيه —

هو وعبد الملك وقد وطلب إليه رثاءه فى أخيه

وَذُكِرَ أنه دَخَلَ نُصَيْب على عبد الملك فقال له : أَنْشِدنى بعضَ ما رَثَيْتَ به أخِي . فأنشده أبياتاً منها :

عَرَفْتُ وَجَرَّبْتُ الأُمُورَ فما أَرَى ... كماضٍ تَلاَه الغَابِرُ(٣) المتأَخِّرُ
ولكنّ أَهْلَ الفَضْلِ من أَهْل نِعْمَتى ... يَمُرُّون أَسْلافاً أَمامى وأَغْبُر

(١) أعول : أى أرفع صوتى بالبكاء .
(٢) الرواية فى ياقوت : « خليله » .
(٣) الغابر : الباقى . وغبر ، كما يستعمل بمعنى مضى ، يستعمل بمعنى بقى .

فإن أَبْكِه(١) أُعْذَرْ وإن أغلِبِ الأَسَى بِصَبْرٍ فَمِثْلِي عِنْدَ ما أُشْتدَّ يَصْبِرُ

فإن كُنَّ قَدْ نِلْنَ ابْنَ لَيْلَى فإنّه هو الْمُصْطَفَى من أَهْلِهِ الْمُتَخَيَّرُ

فلما سمع عبد الملك قوله « فإن أبكه أُعذر » قال : ويلك ! أنا كنتُ أَحَقَّ بهذه الصِّفة منك فى أخى ، فهلَّا وصفتَنى بها : وجعل يبكى .

له فى عطاء الحكم ابن المطلب له

وذُكر أنه قيل لِنُصَيْب : هَرِمَ شِعْرُكَ . فقال : لا والله ، ما هَرِمَ ولكن العَطاء هَرِمَ ، مَنْ يُعطينى مِثْلَ ما أعطانى الحَكَم بن المُطَّلب ؟ خَرَجْتُ إليه وهو ساعٍ على بعض صَدقاتِ المَدينة ، فلمّا رأيتُه قلتُ :

أبا مَرْوَانَ لستَ(٢) بِخَارجِيٍّ وليس قَدِيمُ مَجْدِكَ بانْتِحَالِ

أَغَرُّ إذا الرِّوَاقُ أُنْجَابَ عنه بَدَا مِثْلَ الهِلالِ على(٣) المِثَالِ

تراآه العُيُونُ كما تَراءَى عَشِيَّةَ فِطْرِهَا وَضَحَ الهِلالِ

قال : فأعطَانى أربعمائة ضَائنةٍ ومائةَ لِقْحَة(٤) ، وقال : أَرْفَعْ فِراشى . فَرَفَعْتُه فأخذتُ من تحته مائتى دينار .

يزيد يملأ فمه جوهرا

وذُكر أنه دخلَ نُصَيْب على يزيدَ بنِ عبد الملك ذاتَ يوم ، فأنشده قَصِيدةً أمتدحَه بها . فطَرِب لها يزيدُ وأستحسَنَها ، فقال له : أَحْسَنْتَ يا نُصيب ، سَلْنى ما شِئْتَ . فقال : يَدُكَ يا أميرَ المُؤمنين بالعطاء أَبْسَطُ من لسانى بالمَسألة . فأَمر به يزيدُ فمُلِيء فُوه جَوْهراً . فلم يزَل به غنيًّا حتى مات .

جائزة ابراهيم بن هشام له

وقيل : دخلَ نُصيْب على إبراهيم بن هشام ، وهو والٍ على المدينة ، فأَنْشده :

يابن الهِشَامَيْن(٥) لا بَيْتٌ كَبَيْتِهما إذا تَسامَتْ إلى أَحْسَابِها مُضَرُ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أبكهم » .
(٢) الخارجى : الذى يخرج بشرف نفسه من غير أن يكون له قديم .
(٣) رواق البيت : سترة مقدمه ، ضد الكفاء ، وهو سترة مؤخره . وانجاب : انكشف . والمثال : الفراش . (٤) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .
(٥) الهشامان ، هما : هشام بن عبد الملك ، أبوه ؛ وهشام بن اسماعيل المخزومى ، جد أبيه لأمه .

فقال إبراهيم : قُمْ يا أبا مِحجن إلى تلك الرَّاحلةِ المَرْحولة فخُذْها برحلها . فقام إليها نُصَيْب مُتَباطِئاً ، والناسُ يقولون : ما رأينا عَطِيةً أَهْنأَ من هذه ، ولا أَكْرَمَ ولا أَعْجَلَ ولا أَجْزَل ! فسمعهم نُصَيْب فأقبـل عليهم وقال : والله قَلَّما صاحبتُم الـكِرَام ! وما راحِلَةٌ وَرَحْلٌ حتى ترْفعوها فوق قَدْرِها !

قدومه على هشام بعد مرض حين ولى الخلافة

وقيل: اُستبطأ هِشامُ بنُ عبدالملك ،حين وَلِى الخلافةَ، نُصَيْباً أَلَّا يكون جاءه وافداً عليه مادِحاً له ، ووَجَد عليه . وكان نُصَيْب مريضاً ، فبلغه ذلك حين بَرأ ، فقَدِم على هِشام وعليه أثرُ المَرض وعلى راحلته أثرُ النَّصَب ، فأنشده :

حَلَفْتُ بِمَنْ حَجَّتْ قُرَيْشٌ لبَيْتِـهِ ... وأَهْـدَتْ له بُدْناً[1] عليها القَـلائِدُ
لئن كُنتُ طالتْ غَيْبَتِى عنك إنّنى ... بِمَبْلَغ حَوْلى فى رِصـاك لَجَـاهِد
ولـكنَّنى قد طال سُقْمِى وأكثرتْ ... علىَّ العِهـادَ[2] المُشْفِقاتُ العَوائد
صَرِيعُ فِراشٍ ما يَزَلْنَ يَقُلْنَ لى ... بِنُصْحٍ وإشْـفاق متى أَنْتَ قاعِـد
فلمّا زجرتُ العِيسَ أَسْرَتْ بحاجتى ... إليك وذَلَّت لِلِّسانِ القصـائِد
وإنِّى فلا تَسْتَبْطِنِى[3] بمَوَدَّتى ... ونُصْحِى وإشْـفاقى إليك لَعَامِد
ولا تُقْصِنى حتى أَكُونَ[4] بِصَرْعَةٍ ... فَيَيْأَسَ ذو قُرْبى ويَشْمَتَ حاسِـد
أَنِلْنِى وقَـرِّبْنى فإنِّىَ بَالِـغٌ ... رِضَـاكَ بِعَفْوٍ من نَدَاكَ وزَائِد
أَبتْ نَائِماً أَمّا فُؤادِى فَهَمُّـه ... قَلِيـلٌ وأَمَّا مَسُّ جِلْدِى فبـارِد
وقَدْ كان لِى منكم إذا ما لَقِيتُـكم ... لَيَانٌ[5] ومَعْروفٌ وللخـير قائِد
إليكَ رَحَلْتُ العِيسَ حَتَّى كأَنَّها ... قِسِىُّ السُّرَى ذُبْلاً بَرَتْها[6] الطَّرائِد

---

(١) البدن : جمع بدنة ، وهى ناقة تنحر بمكة .

(٢) العهاد : المطر بعد المطر ، الواحدة : عهد وعهدة ، بفتح العين وكسرها . يريد الدموع .

(٣) لا تستبطنى : أى لا تستبطئنى . (٤) أى حتى يحل بى الموت .

(٥) الليان : نعمة العيش . (٦) ذبلا : جمع ذابل . والطرائد : جمع طريدة ، قصبة فيها حزة تنحت عليها القداح وتبرى . وما أشبهها بمبراة أقلام الرصاص الآن . والرواية فى الأصل : « قس ذبولاقد» .

وحتّى هَوادِيها دِقَاقٌ وشَكْوُها صَرِيفٌ و باقِ النِّقْى منها [١] شَرائد
وحتّى دنتْ ذاتُ المِرَاحِ فَأَذْعَنتْ إليك وكلّ الرّاسماتُ [٢] الحَوافِدِ

قال : فَرقّ له هشامٌ و بَكَى ، وقال : و يحك يا نُصَيْب ! لَقَدْ أَضْرَرْنا بك و بِرَواحلك . ووَصَله وأَحْسن صِلَته وأَحْتَفى به .

سؤال عبد العزيز له عن عشقه

وقيل : دخل نُصيْب على عبد العزيز بن مَرْوان ، فقال له عبدُ العزيز ، وقد طال الحَديثُ بينهما : هل عَشِقْتَ قطُّ ؟ قال : نعم ، أَمَةٌ لبنى مُدْلِج . قال : فكنتَ تَصْنَعُ ماذا؟ قال : كانوا يَحْرُسونها منّى فكنتُ أَقْنَعُ بأن أَراها فى الطَّريق، فأُشيرُ إليها بعَيْنى أو بحاجبى . وفيها أقول :

وقفتُ لهـا كَيْما تمرَّ لعَلَّنى أُخالِسُها التَّسْليمَ إنْ لم تُسَلِّمِ
فلمَّا رأتْنى والوُشاةَ تَحدَّرتْ مدامعُها خَوْفاً ولم تَتَكلَّمِ
مَساكِينُ أَهلُ العِشقِ ما كنتُ أَشْترى جَميعَ حيَاةِ العَاشقين بدِرْهَمِ

فقال له عبدُ العزيز : ما فَعلتْ ؟ قال : بِيعتْ فأَولدها سيِّدُها . قال : فهل فى نَفسك منها شىء ؟ قال : نَعم ، عَقابيل [٣] أحزان .

هو والنسوة الثلاث اللاتى كن يتناشدن فى المسجد الحرام

وذُكر أنه أَتى نُصيب مكّةَ ، فقصد المسجدَ الحَرام ليلاً ، فبينما هو كذلك إذ طَلَعتْ ثلاثُ نِسْوةٍ فجلسْنَ قريباً منه ، وجعلن يَتحدّثن و يتذاكَرْن الشِّعر والشُّعراء ، فإذا هُنّ من أفصح النِّساء وآدبِهِنّ . قالتْ إحداهُنّ : قاتَلَ اللهُ جَميلاً حيث يقول :

(١) الهوادى : الأعناق : وشكواها : شكوها . والصريف : صريف الأنياب : والنقى : مخ العظم : والشرائد : البقايا .
(٢) الراسمات : ذوات الرسم ، وهو ضرب من السير . والحوافد : المسرعات .
(٣) العقابيل : البقايا .

وبَيْن الصَّفَا والمَرْوَتيْن ذكرتُـكم بمُختلِفٍ ما بَيْن ساعٍ (١) ومُوجِفِ

وعِنْد طَوَافى قد ذَكَرْتُك ذُكْرَةً هى الموتُ بل كادت على الموت تَضْعُف

فقالت الأخرى : بل قاتل الله كُثيِّر عزّة حيث يقول :

طَلَعْن علينـا بين مَرْوَةَ والصَّـفَا يَمُرْنَ (٢) على البطْحاء مَوْرَ السَّحائِبِ

وكِدْنَ لعَمْرُ اللهِ يُحْدِثْن فِتْنَـةً لِمُخْتَشِـع من خَشْـيَةِ اللهِ تَائِبِ

فقالت الأخرى : بل قاتَلَ الله نُصَيْباً ٱبْنَ الزَّانية ، حيث يقول :

أُلاَمُ على لَيْلَى ولَوْ أَسْـتَطيعُها وحُرْمَةِ ما بين البَنِيَّـةِ والسِّـتْرِ

لَمِلْتُ إلى لَيْلَى بنفسىَ مَيْـلةً ولوكان فى يَوْمِ التَّحَالُق والنَّحْر

فقام نُصيب إليهن فَسلَّمَ عليهن . فَرَدَدْن عليه السَّلام . فقال لهُنَّ : إنى رأيتُكُنَّ تتَجَارَيْنَ (٣) شيئاً عندى منه عِلْمٌ . فقُلْن : ومَن أنتَ ؟ قال : أَسْمَعْنَ أوّلاً . قُلْنَ : هاتِ . فأَنْشَدَهُنّ قصيدته التى أولها :

ويومَ ذى سَلَمٍ شاقَتْكَ نائحةٌ وَرْقاءُ فى فَنَنٍ والرِّيحُ تَضْطَرِبُ

فَقُلْنَ له : نَسْألُك باللهِ وبحَقِّ هذا البَيْتِ ، مَنْ أنت ؟ قال : أنا ٱبنُ المظلومةِ المَقْذوفة بغَيْرِ جُرْم ، نُصَيب . فقُمْنَ إليـه وسَلَّمْنَ عليه ورَحَّبْنَ به . وٱعْتَذَرَت القائـلَةُ إليه ، وقالتْ : واللهِ ما أردتُ سُوءًا ، وإنما حَمَلَنِى الاستحسانُ لقَولك على ما سمعتَ . فضَحِك ، وجَلس إليهنّ ، فحادَثَهُنّ إلى أن ٱنْصَرَفْنَ .

---

(١) الصفا : مكان مرتفع من جبل أبى قبيس ، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود . والمروتان ، هو المروة : جبل مكة يعطف على الصفا . وقد ثناه الشعراء ، وهو واحد . وموجف : ، مسرع . يقال : وجف وأوجف ، إذا أسرع . وأوجف دابته : إذا حثها .

(٢) يمرن : يتمايلن جائيات ذاهبات .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « تتحادثن » . .

شعره الذى فيه الغناء

وشعر نُصيب الذى فيه الغناء :

أَهَاجَ هَواكَ المَنْزِلُ المُتقَادِمُ نَعَمْ وبه ممّن [١] شَجاكَ مَعَالِمُ
مَضارِبُ أَوْتَادٍ وأَشْعَثُ [٢] دَاثِرٌ مُقِيمٌ وسُفْعٌ فى المَحَلِّ جَوَاثِمُ

---

(١) فى الأصل : « مما » .

(٢) الأشعث : الوتد . وداثر : قديم. والسفع : الأثافى قداسودت من النار. والجواثم: الراسية.

أخبار ابن مُحرز

اسمه ونسبه

اسمه مُسْلِم ؛ وقيل : سَلْم ؛ وقيل : عبدُ الله . ويُكْنى أبا الخطَّاب . مَوْلَى بنى عَبْد الدَّار بن قُصَىّ

وكان أبوه من سَدَنَة[1] الكَعْبة ، وأصْله من الفُرْس . وكان أصْفَرَ أَحْنَى[2] طويلاً .

نشأته

كان يَسْكُنُ المدينةَ مَرَّةً ومكّةَ مَرَّةً . فإذا أتى المدينةَ أقامَ بها ثلاثةَ أشْهر يَتعلم الضَّرْبَ من عَزَّة المَيْلاء، ثم يَرجع إلى مكَّة فيُقيم بها ثلاثةَ أشْهر. ثم شَخَص إلى فارس وأخَذ غِناءَهم ، ثم صار إلى الشَّام فتعَلَّمَ أَلْحَان الرُّوم وأخَذ غِناءَهم . فأَسْقَط من ذلك مالا يُسْتَحْسَن من نَغَم الفريقَيْن ، وأخذ محاسنَها ، فمَزَج بَعْضَها ببَعْضٍ ، وألَّف منها الأَغاني التى صَنَعَها فى أشْعار العَرَب ، فأَتى بما لم يُسْمَع مِثْلُه . وكان يقالُ له : صَنَّاج[3] العَرَب .

وكانتْ به عِلَّةُ الجُذَام . ولم يُعَاشِرْ الخُلفاء ولا خالَط النَّاسَ لأجل ذلك .

هو وحنين فى العراق

وذُكر أنه شَخَص يُريد العِراقَ، فلَقِيَه حُنَيْن فقال : غَنِّنى صَوْتاً من غِنائك . فغنّاه بقول ابن أبى رَبيعة :

وحُسْنُ الزَّبَرْجَدِ فى نَظْمِه ... على واضِح اللِّيتِ[4] زانَ العُقُودَا
يُفَصِّل ياقُوتَه[5] نَظْمَه ... وكالجَمْرِ أَبْصَرْتَ فيه[6] الفَرِيدا

---

(١) السدنة : خدام الكعبة ؛ الواحد : سادن . وكانت السدانة لبنى عبد الدار بن قصى بن كلاب ، فأقرها النبى صلى الله عليه وسلم فى الإسلام .

(٢) أحنى : محدودب الظهر .

(٣) الصناج : اللاعب بالصنج ، وهى آلة ذات أوطار ، مما اختص به العجم . والصنج عند العرب : صفيحة مدورة من الصفر يضرب بها على أخرى .

(٤) الليت : صفحة العنق .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « دره » .

(٦) الفريد : الدر إذا نظم وفصل بغيره .

فقال له حُنَيْن : كم أَمَّلْتَ من أَهْلِ العِرَاق ؟ قال : أَلْفَ دِينار . فقال : هذه خَمْسمائة دِينار ، فخُذْها وانْصرف. ففَعل . فلمّا شَاع ما فَعل ، لامَه أَصْحَابُه عليه . فقال : والله لو دَخل العِراقَ لما كان لى معه خُبْزٌ آكُله ، ولاطُّرِحْتُ ثم سَقطتُ إلى آخر الدهر .

أخبار العَرْجِىّ

اسمه ونسبه

هو عبدُ اللهِ بن عَمْرو[1] بن عَمْرو بن عُثمان بن عَفَّان بن أبى العَاصى بن أُمَيَّةَ ابن عَبْد شَمْس بن عبد مَناف .

وأُمُّ عفَّان وجَميع بنى أبى العاصى آمِنَةُ بِنْتُ عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عَوْف ابن عُبَيْـد بن عُوَيج بن عَدِىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ . وأُمّ عثمان رضى الله عنـه أَرْوَى بِنْتُ كُرَيْز بن ربِيعةَ بن حَبِيب بن عبد شَمْس . وأُمُّها البَيْضاء أُمُّ حَكِيم بِنْتُ عبد المُطَّلِب بن هَاشِم بن عبد مَنَاف ، عمَّة رسول اللهِ صلّى الله عليه وسلّم . وهى وعَبْـدُ اللهِ وأبو طالب إخْوَةٌ لِأَبٍ وأُمّ . وأُمّ عمرو بن عُثمان أُمّ أَبانَ بِنتُ جُنْدَب الدَّوْسِيَّة .

وكان أَبُوها جُنْدَب بن عَمْرو بن حُمَمة الدَّوْسىّ قَدِمَ المدينةَ مُهَاجِراً فى خِلافة عُمر بن الخطَّاب رضى الله عنه ، ثم مَضَى إلى الشَّام وخَلَّف ٱبْنَته أُمَّ أَبَان عند عُمر ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنْ وجدتَ لهـا كُفْئاً فزَوِّجه بها ولو[2] بِشِراك نَعْـلِه . وإلّا فأَمْسِكْها حتى تُلْحِقها بدار قومها بالسَّراة[3] . فكانتْ عندَ عُمر . وٱسْتُشْهِد أبوها ، فكانَتْ تدعو عُمَر أباها ويَدْعوها ٱبْنَته . قال : فإنّ عُمر رضى الله عنـه يَوْماً على المِنْبر يُـكَلِّم النَّاسَ فى بعض الأَمر ، إذ خَطر على قَلْبه ذِكْرُها ، فقال : مَنْ له فى الجَمِيلة الحسِيبة بنتِ جُنْدَب بن عَمْرو بن حُمَمة ، ولْيَعْلَمِ ٱمْرُؤٌ مَنْ هو ؟ فقام عُثمانُ بن عَفّان رضى الله عنه فقال : أنا يا أمير المُؤمنين . فقال: أنتَ لَعَمْرُ الله ! كم سُقْتَ إليها ؟ قال : كذا ، وكذا . قال : قد زوَّجتُكها . فعجِّلْه فإنّها مُعَدَّة . ونزل

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عبد الله بن عمر » . وكذا هو عند ياقوت فى معجم الأدباء .

(٢) شراك النعل : السير الذى على ظهر القدم . يضرب به المثل فى الشىء القليل التافه .

(٣) السراة : أعلى كل شىء ، وهى ثلاث ، وهى الجبال المطلة على تهامة مما يلى اليمن .

عن المِنْبَر. فجاء عُثمان رضى الله عنه بِمَهْرِها . فأَخذه عُمر رضى الله عنه فى يَدَيْه ، ودَخل به عليها فقال : يا بُنيّة ، مُدِّى حِجْرك . ففتحت حِجْرَها ، فألْقَى فيه المالَ ، ثم قال لها : قُولِى : اللّهم بارِكْ لى فيه . قالتْ : وما هذا يا أَبَتاه ؟ قال : مَهْرُك . فنَفَحت به[1] ، وقالت : واسَوْأتاه ! فقال : أَحْتَبِسى منه لنفسك ووسِّعِى منه لأَهلك . ثم قال لحفصة : أَصْلِحى من شأْنها ، وغَيِّرى بِزّتَها[2] ، وأَصْبُغى ثَوْبَها . ففعلتْ . ثم أَرسلها مع نِسْوة إلى عُثمان رضى الله عنه . ثم قال عُمر رضى الله عنه لمّا فارقَتْه : إنّها أَمانةٌ فى عُنُقى أَخْشَى أن تَضيعَ بَيْنى و بين عُثْمان ! فلَحِقَهُنَّ ، فضَرب على عُثمان بابَه ، ثم قال : خُذْ أَهْلَك ، بارك الله لك فيهم . فدخلتْ على عُثْمان ، فأقام عندها مُقامًا طويلاً لا يَخْرُج إلّا لحاجةٍ . فدخل عليه سَعيدُ ابنُ العاصى فقال له : يا أَبا عبد الله ، لقد أَقَمْتَ عند هذه الدَّوسيّة مُقاماً ما كنتَ تُقيمه عند النِّساء ! فقال : أَمَا إنّه ما بَقِيتْ خَصْلةٌ كنتُ أُحِبُّ أن تكون فى امرأة إلّا صادفتُها فيها ، ما خلا خَصْلَةً واحدة . قال : وما هى ؟ قال : إنّى رَجُلٌ قد دخلتُ فى السِّنّ ، وحاجتى فى النِّساء الوَلَدُ ، وأَحْسَبُها حَديثةً لا وَلَد فيها اليومَ . فتَبَسَّمتْ. فلمّا خَرج سَعيدٌ من عنده قال لها عُثمانُ : ما أَضْحَكَك ؟ قالت: قد سَمِعْتُ قولَك فى الوَلَد ، و إنّى لمن نِسْوة ما دخلت امرأةٌ منهن قَطُّ على سيِّد فرأت حَمْراء[3] حتى تلد سيِّداً منه[4] . قال : فما رأت حَمْراء حتى ولدتْ عمرَو ابن عُثمان .

---

(١) نفحت به : رمت به وردته .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بدنها » . والبدن : شبه الدرع إلا أنه قصير .

(٣) تكنى عن الحيض .

(٤) العبارة فى بعض أصول الأغانى : « سيد من هو منه » . تريد : حتى تلد من يبذ فى المجد أباه ، أو سيد حيه ورهطه .

وأمّ عمرو بن عمرو بن عُثْمان أمُّ وَلَد . وأمُّ العَرْجىّ آمِنةُ بنت سعيد بن عُثْمان[١] ، وأمّها أمّ وَلَد .

لقبه وسببه

و إنما لُقِّب : العَرْجىّ ، لأنه كان يسكُن عَرْجَ الطائف[٢] . وقيل : بل سُمّى بذلك لماء كان له بالعَرْج .

منزلته فى الشعر

وكان من شُعراء قُريش ، ومَن شُهِر بالغَزل مِنها ، ونَحا نَحْوَ ابن أبى رَبيعة فى ذلك وتَشبّه به وأجاد . وكان مَشْغُوفاً باللَّهْوِ والصَّيْدِ ، حَريصاً عليهما ، قَليلَ المُحَاشاة لأَحدٍ فيهما[٣] .

تشبيبه بجيداء

ولم يكن له نَبَاهَةٌ فى أَهْلِه . وكان أَشْقَرَ أَزْرق جَمِيلَ الوجه . وأكثر التَّشْبيبَ فى جَيْــدَاء ، أُمّ محمد بن هِشام بن إسماعيل المَخْزومىّ . وكان يَنْسُب بها ليفضح ابْنَها ، لا لمَحَبَّــةٍ كانت بينهما . وكان ذلك سَبَبَ حَبْسِــه وضَرْبِه ، حتى مات فى السِّجْن .

بلاؤه مع مسلمة

وذُكر أنّه كان من الفُرْسان المَعْدودين مع مَسْلَمة بن عبد الملك بأَرْض الرُّوم ، وكان له معه بَــلاءٌ حَسَنٌ ونَفَقةٌ كثيرة .

من كرمه

وقيل : إنّه باع أَمْوالاً عَظيمةً وأَطْعم ثَمَنَها[٤] فى سَبيل الله ، حتى نَفِدَ كلُّ ذلك . وكان قد اتّخذ غُلامَيْن ، فإذا كان اللَّيْــلُ نَصَبَ قُدُورَه وقام الغُــلامان يُوقِدان ، و إذا نام واحدٌ قام الآخرُ ، ولا يزالُ كذلك حتى يُصْبِــح . يقول : لَعلّ طَارِقاً يطْرُق .

شهادة حبشية له بأنه خلف لابن أبى ربيعة

وذُكر أنه كانت حَبَشيّةٌ من مُوَلَّدات مَكّة ظَرِيفَةٌ ، صارت إلى المدينة ، فلمــا أَتاهُم موتُ عمر بن أبى ربيعة اشْتدَّ جَزَعُها وجعلَت تبكى ، وتقول : مَنْ

---

(١) هذه رواية . وفى رواية أخرى : « آمنة بنت عمر بن عثمان » .

(٢) عرج الطائف : قرية جامعة فى واد من نواحى الطائف .

(٣) أى قليل المبالاة والاكتراث بأحد فيهما . (٤) فى الأصل : « منها » .

لمكّة ولشِعابها و بَطْحائها ونُزَهِها ، ووَصْفِ نِسائها وحُسْنِهنّ وجَمالِهنّ ، ووصف ما فيها ! فقيل لها : خَفِّضِى عليك ، فقد نَشَأَ فتًى من ولد عُثْمان رضى الله عنه يأخذ مَأْخَذَه ويَسْلُك مَسْلَكه . فقالت : أَنشِدُونِى من شِعْره . فأنشَدُوها . فقالت : الحمدُ لله الذى لم يُضيِّع حَرَمَه ، ومَسحتْ عَيْنها .

هو وكلابة مولاة العبلى

وذُكر أن مَولاةً لثَقيف ، يُقالُ لها : كُلَابَة ، كانت عند عبد الله بن القاسم الأَمَوِىّ العَبْلِىّ ، وكان يَبْلُغها تَشْبِيبُ العَرْجِىّ بالنِّساء وذِكْره لهنّ فى شِعْره . فكانتْ كُلَابَةُ تُكْثِر أن تقول : لشدَّ ما اجترَأ العَرْجِىُّ على نِساء قُرَيش ! يذْكُرُهُنّ فى شِعْره . ولعَمْرِى ما لَقِيَ أحَدًا فيه خَيْرٌ ، ولئن لَقِيتُه لأُسَوِّدَنّ وَجْهه . فبلغه ذلك عنها . وكان العَبْلِىّ نازلاً على ماء لِبنى نَصْر بن مُعاوية ، يقالُ له : الفُتُق — وهو على ثلاثة أميالٍ من مكّة على طريق من جاء من نَجْران أو تبَالة إلى مكة ، والعَرْجُ أعلاها قليلاً مما يَلِى الطائف — فبلغ العَرْجِىَّ أنّه خَرج إلى مَكّةَ . فأَتَى قَصْرَه وطاف به ، فخرجتْ إليه كُلَابَةُ ، وكان خَلَّفَها فى أَهْلِه ، فصاحتْ به : إليكَ ، ويلكَ ! وجعلتْ تَرْميه بالحِجارة فتَمْنَعه أن يَدْنُو من القَصْر . فاسْتَسقاها ماءً ، فأبتْ أن تَسْقِيَه ، وقالتْ : لا يُوجَد والله أثَرُك عندى أبدًا فيَلْصَقَ بى منك شرٌّ . فانصرف وقال: ستَعْلمين ! وقال :

حُورٌ بَعَثْن رسُولاً فى مُلاطَفَةٍ ... ثَقْفاً إذا غفَلَ النَّسَّاءةُ (١) الوَهِمُ

إلىَّ أن إيتنا هَدْأً (٢) إذا غفَلت ... أحْراسُنا وافْتَضَحْنا إنْ هُمُ عَلِموا

فَجِئْتُ أَمْشِى عَلَى هَوْلٍ أُجَشَّمُه ... تَجَشُّمُ المَرْءِ هَوْلاً فى الهوى كَرَم

إذا تَخَوَّفْتُ من شَىْءٍ أَقولُ له ... قَدْ جَفَّ فامْضِ بِشَىْءٍ قُدِّرَ القَلَم

(١) ثقفاً : حاذقاً فهماً . والنساءة : الكثير النسيان . والوهم : الكثير الوهم والسهو والغلط .

(٢) الهدء : الثلث الأول من الليل .

أَمْشِى كما حَرَّكَتْ رِيحٌ يمانيةٌ ... غُصْناً من البَانِ رَطْباً طَلَّه(١) الدِّيَمُ
فى حُلَّةٍ من طِرَازِ السُّوسِ(٢) مُعْلَمَةٍ ... أعفو بِهُدَّابِها ما أَثَّرَتْ قَدَمِ
خَلَّتْ سَبِيلِى كما خَلَّيْتُ ذا عُذَرٍ ... إذا رَأَتْه عِتَاقُ الخَيْلِ(٣) يَنْتَحِمِ
وَهُنَّ فى مَجْلِسٍ خالٍ ولَيْسَ له ... عَيْنٌ عَلَيْهِنَّ أَخْشاها ولا نَدَم
حتى جَلَسْتُ إزاءَ البابِ مُكْتَتِماً ... وطالِبُ الحاجِ تَحْتَ الليلِ مُكْتَتِم
أَبْدَيْنَ لى أَعْيُناً نُجْلاً كما نَظَرَتْ ... أُدْمٌ هِجَانٌ أتاها مُصْعَبٌ(٤) قَطِمِ
قالت كُلابَةُ مَنْ هذا؟ فقُلْتُ لها ... أَنَا الذى أَنْتِ من أَعْدَائِه زَعَمُوا
أنا امرؤٌ جَدَّ بِى حُبٌّ(٥) فَأَجْرَضَنِى ... حَتَّى بَلِيتُ وحَتَّى شَفَّنِى السَّقَم
لا تَكِلِينِى إلى قَوْمٍ لو أَنَّهُمُ ... من بُغْضِنا أُطْعِمُوا لَحْمِى إذاً طَعِمُوا
فأَنْعِمِى نِعْمَةً تُجْزَىْ بأَحْسَنِها ... فطالما مَسَّنِى من أهلك النِّعَم
سَتْرُ المُحِبِّين فى الدُّنيا لعلَّهُمُ ... أن يُحْدِثوا توبةً فيها إذا أَثِمُوا
هذى يمينىَ رَهْنٌ بالوفاءِ لكم ... فارْضَيْ بها ولأَنْفِ الكاشِحِ(٦) الرَّغَم
قالتْ رَضِيتُ ولكن جِئْتَ فى قَمَرٍ ... هَلَّا تَلَبَّثْتَ حتى تَدْخُلَ الظُّلَم
فَبِتُّ أُسْقَى بأَكْوَاسٍ(٧) أُعَلُّ بها ... من باردٍ طابَ مِنْها الطَّعْمُ(٨) والنَّسَم
حتى بَدا ساطِعٌ للفَجْرِ تَحْسَبُه ... سَنا حَرِيقٍ لنارٍ حين يَضْطَرِم

---

(١) طله : أمطره . والديم : الأمطار تدوم فى سكون بلا رعد وبرق ؛ الواحدة : ديمة .

(٢) السوس : بلد بخوزستان . ومعلمة : جعلت فيها علامة . وأعفو : أمحو .

(٣) العذر : جمع عذار ، وهو من الفرس كالعارض بالنسبة للإنسان . وتنتحم ، من النحيم ، وهو صوت يخرج من صدر الفرس كالزحير .

(٤) المصعب : الفحل الذى يودع من الركوب والعمل للفحلة . والقطم : المشتهى للضراب .

(٥) أجرضنى : أى أهمنى وأجهدنى .

(٦) الرغم ، مشددة الراء مع إسكان الغين ، وحركت للشعر : الذل والعسر . والأصل فيه أن يلتصق أنفه بالرغام ، وهو التراب .

(٧) أكواس : جمع لكأس ، لم تذكره كتب اللغة .

(٨) النسم : الريح الطيبة . والذى فى الأصل : « والشبم » .

كغُرَّةِ الفَرَسِ المَنْسُوبِ قد حُسِرَتْ عنــه الجِلَالُ تَـلَالَا وهو[(١)] يلْتَجِم
وَدَّعْتُهنَّ ولا شَىْءٌ يُرَاجِعُنى إلّا البنَــانُ و إلّا الأَعْيُنُ[(٢)] السُّجُم
إذا أَرَدْنَ كَلامِى عِنْـدَها اعْتَرَضَتْ من دونها[(٣)] عَبَرَاتٌ فانْثَنَى الـكَلِم
تَـكَادُ إذْ رُمْنَ نَهْضًا لِلْقِيَام مَعِى أَعْجَازُهنّ مع الأَنْصَـافِ تَنْقَصِم

فسمع ابنُ القاسم العَبْـلِىُّ بالشِّعْر يُغَنَّى به، وكان العَرْجِىّ قد أَعطاه جَماعةً من المُغَنِّين وسأَلهم أن يُغَنُّوا به . فصنعوا فى أبياتٍ منــه عِدَّةَ أَلْحَانٍ ، وقال : والله لا أَجِدُ لهذه الأَمةِ شيئاً أَبْلَغَ من إيقاعِها تحْتَ التُّهَمَة عنــد ابْن القاسم ليقطع مأْكَلَتَها من ماله . فلمــا سَمِـعَ العَبْلىُّ بالشِّعْر يُغَنَّى به ، أَخْرَجَ كُلَابَةَ وأَتّهمها ، ثم أَرسل بها بَعْـد زَمَانٍ على بَعِـير بين غِرَارَتَى بَعْرٍ ، وأَحْلَفها بَـيْنَ الرُّكْنِ والمَقَام أَنّ العَرجِىّ كَذَب فيما قاله . فَحَلَفَتْ سَبْعِينَ يَميناً . فرضى عنها وردَّها . فـكان بَعْد ذلك إذا سَمِـع قول العَرْجِىّ :

* فطالما مَسَّنِى من أَهْلِك النِّعَمُ *

قال : كذب والله ! ما مَسَّه ذلك منَّا قط .

وقيل : إن صاحبَ [القَصيدة] والقصة أبو جِراب[(٤)] العَبْلِىّ ، وأَنّ كُلَابَةَ كانت أَمَةً لِسُعْدَةَ بِنْت عبد اللهِ بن عمرو بن عُثْمان بن عَفّان ، وأَنّ العَرْجى كان قد خَطَبَها وسُمِّيَتْ به ،[(٥)] ثم خَطَبَها يزيدُ بن عبد الملك ، أو الوليدُ بن يزيد ، فتزَوَّجَتْه ، فقال العرجىّ هذا الشِّعر فيها .

---

(١) المنسوب : الأصيل الكريم . وحسرت : كشفت . والجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به . ويلتجم : قد ألبس اللجام . تقول : ألجمت الفرس ، فالتجم .
(٢) السجم : السائلة بالدموع ؛ الواحدة : سجوم .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « عنده .... من دونه ... »
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « أبو حراب » .
(٥) أى عرف عند الناس أنها خطيبته .

وأبو جراب العَبْلِىّ ، هو محمد بن عبد اللهِ بن محمد بن عبد اللهِ بن الحارث ابن أُمَيَّة الأَصْغر بن عَبْد شَمْس .

مسلمة وأيوب وأشعب فى شعر للعرجى

وذَكر مَسلمة بن إبراهيم بن هِشام قال :

كُنْتُ عند أيّوب[1] بن مَسْلمة ومَعَنا أَشْعب ، فذكرنا قَولَ العَرْجىّ :

أَيْنَ ما قُلْتِ مِتُّ قَبْلَكَ أينا ... أينَ تَصْديقُ ما عَهِدتِ إلينَا
فلَقَد خِفْتُ منك أن تَصْرِمِى الحَبْـ ... ـلَ وأَن تَجْمَعِى مع الصَّرْم بَيْنا
ما تقولين فى فَتًى هَام إذ ها ... مَ بمن لا يُنَالُ جَهْلا وحَيْنا
فاجْعَلِى بَيننا وبَيْنَكِ عَدْلاً ... لا تَحِيفى ولا يَحِيفُ عَلينا
واعْلَمِى أنّ فى القَضَاء شُهُوداً ... ويَميناً فأَحْضِرِى شاهِدَيْنا
خُلُقى لو قَدرتُ منكِ على ما ... قُلْتِ لى فى الخَلاء حين التقَيْنا
ما تَحَرَّجْتُ من دَمِى عَلِمَ اللهُ ... ولو كُنْتُ قد شَهِدْتُ حُنَيْنا

فقال أيّوب[2] لأَشعب : ماتَظُنُّها وَعدتْه ؟ قال: أُخْبِرُك يَقيناً لاظَنًّا ، وعدتْه أن تَأْتيه فى شِعْبٍ من شِعَاب العَرْج فى يوم الجُمُعَة ، إذا نَزَل الرِّجَالُ إلى الطائِف للصَّلاة ، فعَرَض عارضُ شُغْل فقطعها عن موعده . قال : فمَن كان الشاهدان ؟ قال : كُسَيرٌ وعُوَير ، وكلٌّ غَيْرخير[3] : فِنْدٌ أبو زَيْدٍ ، مولى عائشة بنت سَعْدٍ ، وزر الفرق[4] مولى الأَنصار . قال : فمن الحَكَم ؟ قال خُضير :[5] ابن غُرَير الحِمْيَرى . قال : فما حَكَم به ؟ قال . أَدّتْ إليه حقه فسَقطَتْ المُؤونَة عنه . قال : يا أَشْعَبُ ، لَقَد أَحْكَمْتَ صِناعتك ! قال : سَلْ عَلّامَةً عن عِلْمه .

---

(١) فى الأصل : « أبى أيوب » . (٢) فى الأصل : « أبو أيوب » .

(٣) كسير وعوير : جبلان يشرفان على أقصى بحر عمان ، صعبا المسلك وعرا المصعد ، يضرب بهما المثل فيما لا خير عنده . والمثل فى الأمثال : «كسير وعوير وثالث ليس فيه خير . »

(٤) كذا فى الأصل ومعاهد التنصيص (ص ٣٢١ بلاق) . وفى بعض أصول الأغانى : « وزور الفرق » .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « حصين » .

هو وعاتكة زوجة طريح

وقال العَرْجىّ فى امرأةٍ من بنى حَبِيب: بَطْنٍ من بنى نَصْرِ بن مُعاوية، يُقال لها: عاتكة، زوجة طُرَيح بن إسماعيل الثقفى الشاعر:

يا دار عاتِكَةَ التى بالأَزْهَرِ أو فوقَه بقِفَا الكَثيب الأحْمَرِ
لم ألقَ أهلَكِ بعد عامَ لَقِيتهم يا لَيتَ أنّ لِقاءهم لم يُقْدَرِ
بفِناء بَيْتِك وابْنُ مِشْعَبَ حاضِرٌ فى سامِرٍ[1] عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
مُسْتَشْعِرِينَ مَلاحِفًا[2] هَرَوِيَّةً بالزَّعْفران صِباغُها والعُصْفُرُ
فتلازَما عند الفِراقِ صَبابَةً أخْذَ الغَرِيم بِفَضْلِ ثَوْبِ المُعْسِرِ

الأزهر: على ثلاثة أميالٍ من الطائف. وابن مِشْعَب: مُغَنٍّ من أهل مكّة.

قصة له مع جارية

وذُكِر أنّ العَرْجى وَاعَدَ هَوًى[3] له شِعْباً من شِعَاب عَرْج الطائف إذا نزل رِجالُها يوم الجُمُعَة إلى مَسجد الطائف. فجاءت على أتَان لها ومعها جارية، وجاء [العرجىّ] على حمار له ومعه غُلام له. فواقع المرأة، وواقع الغلامُ الجارية، ونزا الحمار على الأتان. فقال العرجى: هذا يوم غاب عُذّاله.

يوماه

وقيل: كان العرجىّ يَسْتَقِى على إبلِهِ فى شَمْلَتَين[4]، ثم يغتَسل ويَلْبَس حُلّتين بخَمْسمائة [دينار]، ثم يقول:

يوماً لأَصْحَابى ويَوْماً لِلْمَالْ مِدْرَعَةٌ يَوْماً ويَوْماً سِرْبَالْ[5]

من كرمه أيضاً

وذُكِر أنّ العَرْجى كان غازياً، فأصابَت النّاسَ مَجاعةٌ، فقال للتُّجّار: أعطوا الناس وعَلَىّ ما تُعطُون. فلم يزَلْ يُعطِيهم ويُطْعِم النّاسَ حتى أخْصَبوا. فبلغ ذلك عشرين ألفَ دينارٍ. فألْزمها العرجىُّ نَفْسَه. وبلغ الخَبرُ عُمَرَ بن العزيز رضى الله عنه، فقال: بيتُ المالِ أَحَقُّ بهذا. فقَضَى التُّجّارَ ذلك من بيتِ المال.

(١) السامر: مجلس السمار.
(٢) مستشعرين: لابسين. والملاحف: ما يلتحف به. وفى الأصل: «ملاءة».
(٣) هوى: أى محبوبة.
(٤) المشملة: مئزر يؤتزر به، من صوف أو وبر.
(٥) المدرعة: ضرب من الثياب. وقيل: جبة مشقوقة المقدم. والسربال: القميص.

هو وأم الأوقص

وذُكر أنّ العَرْجيّ خَرج إلى جَنَبات[1] الطائف مُتنزِّهًا ، فمرَّ ببَطْن النَّقيع[2] ، فنظر إلى أُمِّ الأَوْقص ، وهو محمدُ بن عبد الرحمن المَخزوميّ القاضى ، وكان يَتعرّض لهـا ، فإذا رأته رَمَتْ بنفسها وتَستَّرَت منـه — وهى امرأة من بنى تَميم — فبَصُر بها فى نِسوة جالِسةً ، وهن يتحدَّثْن ، فعرفَها وأَحبَّ أنْ يتـأَمَّلها من قُرْب ، فعَدل عنها ، ولَقِى أَعْرابيًّا من بنى نَصْر على بَكْر له ، ومعه[3] وَطْبا لَـبَن ، فدفع إليـه دابَّته و ثِيَابَه ، وأَخَذَ قَعُودَه ولَبَنه ، ولَبِس ثِيابَه . ثم أقبـل فمَرَّ على النِّسْوة ، فَصِحْن به : يا أعرابىّ ، أمعك لَبَن ؟ قال : نعم . فمال إليهنّ ، وجَعل يَتـأَمَّلُ أُمَّ الأَوقص ، وتَواثَب مَن معهـا إلى الوَطْبَيْن ، وجَلَس العَرْجِيُّ يَلْحظها و ينظُر أحيانًا إلى الأرض ، كأنه يطلُب شيئًا ، وهُنّ يَشْربن اللَّبن . فقالت له امرأة منهنّ : أىَّ شىء تَطْلب يا أعرابىّ فى الأرض ؟ أضاع منك شىء ؟ قال : نعم ، قَلْبى . فلمّـا سمعتْ التَّميميَّة كلامَه نظرت إليـه ، وكان أَزْرَقَ ، فعرفتْه ، فقالت : العَرْجىُّ وربِّ الـكعبة ! ووثبتْ ، وسَـتَرها نِساؤُها، وقُلْنَ له : انصرف عنَّا ولا حاجةَ بنا إلى لَبنك . فمضى مُنصرفًا ، وقال فى ذلك :

أَقولُ لصـاحِبىَّ ومِثْـلُ ما بِى ... شَـكَاهُ المرءُ ذو الوَجْـد الأَليمِ
إلى الأَخوَيْنِ مِثلِهمـا إذا مَا ... تَـأَوَّبه مُؤَرِّقَـةُ الهُمُـوم
لحَيْنِى والبَـــلاءِ لَقِيتُ ظُهْرًا ... بأَعْلَى النَّقْعِ أُخْتَ بنى تَمِيم
فلمـا أن رَأَتْ عَيْنَاىَ مِنهـا ... أَسِـيلَ الخـدِّ فى خَلْقٍ[4] عَمِيم
وعَيْنَىْ جُؤْذَرٍ خَرِقٍ[5] وثَغْرًا ... كَلَوْنِ الأُقْحوانِ وجِيـدَ رِيم
حَنَـا أَتْرَابُهـا دُونى عليهـا ... حُنُوَّ العَـــائدات على السَّقِيم

(١) جنبات الطائف : نواحيه ؛ الواحدة : جنبة .
(٢) النقيع : موضع قرب مكة بجنبات الطائف .
(٣) الوطب : سقاء اللبن .
(٤) عميم : تام .
(٥) خرق : دهش مفزع .

فقال رجل من بنى جُمَح لابنها الأوقص ، وقضى عليه بقضيَّة فتظلّم منه : والله لو كنتُ أنا عبدَ الله بن عَمرو العَرْجىّ لكنتَ أسْرفتَ عَلَىَّ ! فضربه [الأوقص] سَبْعين سَوْطاً .

قوله أبى السائب بشعره

وذكر بَعْضُهم قال :

أتانى أبو السّائب المَخزومىّ لَيْلَةً بعد ما رَقَدَ السَّامِرُ ، فأشرفْتُ عليه ، فقال : سَهِرْتُ وذكرْتُ أخًا لى أسْتَمْتِع به ، فلم أجِدْ سواك ، فلو مَضَيْنا إلى العَقيق فتَنَاشَدْنا وتحدَّثنا ! فمَضَيْنا . فأنشدتُه قولَ العَرْجىّ :

باتَا بأنْعَم ليلةٍ حتّى بَدَا صُبْحٌ تَلَوَّح كالأغَرِّ الأشْقَرِ
فتلازما عِنْدَ الفِراق صَبَابَةً أَخْذَ الغَرِيم بِفَضْلِ ثَوْبِ المُعْسِر

فقال : أعِدْه علىّ . فأعدتُه . فقال : أحسنَ واللهِ ! امْرأتُه طَالِقٌ إنْ نَطَق بحَرْفٍ غَيْرِه حتى يَرْجِعَ إلى بَيْته . قال : فلقينا عبدَ الله بن حَسن بن حَسن ، فلمّا صِرْنا إليه وَقَفَ بنا ، وهو مُنْصَرِف من ماله يُريد المدينةَ ، فسلَّم ثم قال : كيف أنت يا أبا السَّائِب ! فقال له :

فَتَلازَمَا عند الفِراقِ صَبَابَةً أَخْذَ الغَرِيم بِفَضْلِ ثَوْبِ المُعْسِرِ

فالتفت إلىّ فقال : متى أنكرتَ صاحبك ؟ فقلت : منذ الليلة. فقال: إنّا لله ! وأىُّ كَهْل أصيبت منه قُرَيش ! ثم مضينا فلقينا محمد بنَ عِمْرانَ التَّيمىّ ، قاضى المدينة ، يريد مالاً له على بغلة له ، ومعه غُلام على عُنقه مخلاةٌ فيها قَيدُ البغلة . فسلّم ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عند الفراق صبابةً أخذَ الغريم بفضل ثوب المُعسرِ

فالتفت إلىّ فقال : متى أنكرتَ صاحِبك ؟ قلتُ : آنِفاً . فلمَّا أراد المُضِىَّ قُلتُ : أفتَدَعُه هكذا ؟ والله ما آمَنُ أنْ يَتَهَوَّر[1] فى بَعْضِ آبار العَقيق . قال : صدقتَ ، يا غُلام ، قَيْدَ البغلة . فأخَذَ القَيْدَ فوضَعَه فى رِجْله ، وهو يُنْشِد

(١) يتهور : يسقط .

البَيْتَ و يُشِيرُ بيده إليه ، يُرِى أنّه يفْهم قِصَّته . ثم نَزل الشَّيْخُ وقال لِغُلامه : يا غُلام ، أحْمِلْه على بَغْلَتي وأَلحِقْه بأَهْله . فلما كان بحَيْثُ علمتُ أنه قد فاته ، أَخْبَرْتُه بخَبَرِه ، فقال : قَبحكَ اللهُ ماجِناً ! فَضَحْت رَجُلاً من قُرَيش وغرَرْتَني .

تزوجه لأم عثمان

وقيل : تَزَوَّجَ العَرْجِيُّ أُمَّ عثمان بنتَ بُكَير بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وأُمّها سُكَيْنة بنت مُصْعب بن الزُّبير بن العوّام ، فقال فيها :

إنَّ عُثْمانَ والزُّبير أحلّا دارَها باليَفَاعِ[1] إذ وَلَدَاها
إنَّها بِنْتُ كلِّ أبيَضَ[2] قَرْمٍ نالَ فى المَجْدِ من قُصَيٍّ ذُرَاها
سَكَن النّاسُ بالظَّواهر منها وتَبوَّى[3] لِنَفْسِه[4] بَطْحَاها

ولما تزوّج الرَّشِيدُ زَوْجته العُثْمانيَّة أُعْجِبَ بها ، فكان كثيراً ما يتمثّل بهذه الأبيات .

ابن عمر مع امرأة فى الحج نسب بها العرجى

وذكر عبدُ[5] اللهِ بن عُمر العُمَرِيّ قال :

خَرجْتُ حاجًّا فرأيتُ امرأةً جميلةً تتكلّم بِكلامٍ أَرْفَثَتْ فيه ، فأَدْنَيْتُ ناقتى منها ثم قلت لها : أيا أَمَةَ الله ، ألستِ حاجَّةً ؟ أما تخافين الله ؟ فسفَرتْ عن [وَجْه] يَبْهر الشَّمْسَ حُسْناً ، ثم قالت : تأمَّل ياعمّ ، فإنّنى ممّن عَناهُ العرْجيّ بقوله :

أماطَتْ كِساء الخزِّ عن حُرِّ وَجْهها وأَدْنتْ على الخدَّيْن بُرْدًا مُهَلْهَلا
من اللّاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ولكِنْ لِيَقْتُلْنَ البَرِىءَ المُغَفَّلا

قال : فقلتُ لها : فإنى أسْأل الله ألّا يُعَذِّبَ هذا الوَجْهَ بالنّار .

---

(١) اليفاع : ما أشرف من الأرض والجبل .

(٢) القرم من الرجال : السيد المعظم .

(٣) وتبوى ، أى وتبوأ ، فسهل .

(٤) الظواهر : خارج مكة . وبطحاء مكة : شعبها الذى بين أخشبيها . وأكرم قريش من نزل البطحاء .

(٥) فى الأصل : « عبيد الله » .

وَ بَلَغَ ذلك سعيدَ بن المسيِّب رحمه الله ، فقال : أَمَا والله لو كان من بعض بُغَضاء العِراق لقال لها : أعزُبى قبحك الله ! ولكنه ظَرْفُ عُبَّاد أهلِ الحجاز.

هو محمد بن هشام

وقيل : كان محمّد بن هِشام بن إسماعيل المخزومىّ ، خالَ هشام بن عبد الملك ، فلماّ ولى هِشَامٌ الخلافة ولّاه [مكة] ، وكتبَ إليه أن يَحُجَّ بالناس . فهجاه العَرْجىّ بأشعار كثيرة ، منها قولُه فيه :

كأنَّ العامَ ليس بعام حَجٍّ ... تغيَّرت المَواسِمُ والشُّكُولُ

إلى جَيْداء[1] قد بعثُوا رَسُولاً ... لِيُخبِرَها[2] فلا صُحِبَ الرَّسُول

ومنها قولُه فيه :

ألا قُلْ لِمَنْ أَمْسَى بمكَّةَ قاطِناً ... وَمَنْ جاء من عَمْقٍ ونَقْبِ[3] المُشَلَّلِ

دَعُوا الحجَّ لا تَسْتَهْلِكُوا نفقاتِكم ... فما حَجُّ هذا العام بالمُتقبَّل

وكيف يزَكَّى حَجُّ من لم يَكُنْ له ... إمامٌ لَدَى تجْميره غَيْرُ[4] دُلْدل

يَظَلُّ يُرَائى بالصِّيام نَهارَه ... وَيَلْبَسُ فى الظَّلْمَاء سِمْطَى[5] قَرَنْفُل

فلم يزل محمدٌ يطلب عليه العِلَلَ ، حتى وجدها فحَبَسه .

وكان العَرْجىّ شَبَّبَ بأُم محمّد بن هشام هذا ، وهى من بنى الحارث بن كَعْب . فمِماَّ قاله فيها قولُه :

عُوجِى علينا رَبّةَ الهَوْدجِ ... إنّك إنْ لا تَفْعَلِى تَحْرَجِى

إنّى أُتِيحَتْ لى يَمانِيّةٌ ... إحْدَى بنى الحارث مِنْ مَذْحِج

نَلبثُ حَوْلاً كامِلاً كُلَّه ... ما نَلْتَقِى إلّا على مَنْهَج

---

(١) هى جيداء بنت عفيف ، أم محمد بن هشام المخزومى .

(٢) فى الأصل : « ليحزنها » .

(٣) عمق : من أودية الطائف . والمشلل : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر . والنقب : الطريق فى الجبل .

(٤) التجمير : رمى الجمار . و الدلدل : شبه القنفذ ، وأكثر ما يظهر بالليل . شبهه به لمواربته وتخفيه فيما يأتى .

(٥) السمط : الخيط ما دام فيه الخرز ، وإلا فهو سلك .

فى الحَجِّ إنْ حَجَّتْ وماذا مِنًى ... وأهْلُه إنْ هِىَ لَمْ تَحْجُج
أيْسَرُ ما نال مُحِبٌّ لَدَى ... بَيْنِ حَبيبٍ قَوْلُه عَـرِّج
نَقْضِ إليْكُمْ حاجَةً أو نَقُلْ ... هل لِىَ مِمَّا بِىَ مِنْ مَخْرَج

بين ابن سريج وعطاء وقد غناه بشعر للعرجى

قيل : لقى ابنُ سُرَيج عَطاءً رحمه الله ، وهو راكبٌ على بغلته ، فقال له : سألتُك بالله إلّا وَقَفْتَ حتى أُسْمِعك شيئاً . فقال : ويْحك ! دَعْنى فإنِّى عَجِلٌ . فقال : امْرَأَتُه طَالِقٌ لئن لم تَقِفْ مُختاراً للوُقوف لأُمْسِكَنَّ لجام بغْلتك ، ثم لا أُفارِقُها ولو قُطِعَتْ يدى حتى أُغنِّيَكَ وَأَرْفَعَ صوتى لا أُسِرُّه . فقال : هاتِ وعَجِّل . فغنّاه :

فى الحَجِّ إن حَجَّت وماذا مِنًى ... وأهْلُه إنْ هِىَ لَمْ تَحْجُج

فقال عطاء : الخيرُ كلُّه بِمِنًى ، لاسيّما وقد غَيَّبها اللهُ عزَّ وجلّ عن مَشاعِره . خَلِّ سَبِيلَ البَغْلَة .

من تشبيبه أيضاً بجبرة زوجة ابن هام

وقال العَرْجى يُشبِّب أيضاً بزوجة محمد بن هِشام المخزومية، واسمها جَبْرة :

عُوجِى عَلَىَّ فسلِّمى جَبْرُ ... فِيمَ الوُقُوفُ وأنْتم سَفْرُ
ما نَلْتَقِى إلّا ثلاثَ مِنًى ... حتى يُفرِّقَ بَيْنَنا النفر
الحَوْلُ بعد الحَوْلِ يَتْبَعُه ... ما الدَّهْرُ إلّا الحَوْلُ والشّهر

ابن هشام وأمه

وذُكر أنّ محمد بن هشام كان يقول لأُمِّه جَيْداء : أنت غَضَضْتِ مِنِّى بأنّك أُمِّى وأَهْلَكْتِنى وقتلتِنى ! فتقول له : ويْحَكَ ! وكَيْفَ ذاك ؟ قال : لو كانت أُمِّى من قُريش ما وَلِىَ الخِلافَةَ غَيْرِى .

موجدة ابن هشام على العرجى

ولم يزل محمدُ بن هشام مُضْطغناً على العَرْجىّ من هذه الأشعار التى يقولُها فيه ، مُتطلِّباً سَبِيلًا عليه ، حتى وجده فيه ، فأَخذه فقَيَّده وضَربه وأقامه للناس ،

ثم حبَسَه ، وأقْسم ألّا يَخْرُج من الحَبْس ما دام له سُلطان . فمكث فى حبْسِه نحْوًا من تسْعِ سِنين ، حتى مات فيه .

وكان السَّبب الذى وجَدَه محمدٌ — على ما ذُكر — أنّ العَرْجى[١] لَاحَى مولًى كان لأبيه. فأمضّه[٢] العَرْجىّ، فأجابه المَولى بِمِثْل ما قاله له . فأمْهَلَه ، حتى إذا كان اللَّيْـلُ أتاه مع جماعة من مَواليـه وعَبيده ، فهَجَم عليه فى مَنزله وأخذه وأوْثقـه كِتافًا[٣] ، ثم أمَرَ عَبيده أن ينـكِحُوا امرَأته بين يديه ، ففعَلُوا ، ثم قَتلَه وأحرقه بالنَّار . فاستعْدَتْ امرأتُه على العَرْجىّ محمدَ بن هِشَام ، فحَبسه .

وقيل : بل كان العَرْجى وكَّلَ بحُرَمه مولًى له يقوم مَقامه بأُمُورِهنّ . فبلغه أنه يُخالف إليهنّ . فلم يزل يَرْصُده حتى وجده يُحَدِّث بعضَهنّ ، فقَتـله وأحرقه بالنَّار . فاستعدتْ امرأتُه عليه محمدَ بن هشام ، فَحَبسه .

وذُكر أنّ العرجىّ لمّا شَتم مولاه هذا ، كان أشْعَبُ حاضراً ، وأنّ العَرْجى أطال شَتْمَ مولاه ، فلمـا أكْثَر ، ردَّ المولى عليه ، فاختلط[٤] العَرْجىّ من ذلك ، وقال لأشعب : أشْهد على ما سمعتَ . قال أشعب : وعَلامَ أشْهَدُ ! قد شَتَمْتَه ألْفاً وشَتَمكَ واحدة . والله لو أن أُمّك أُمّ الكتاب وأُمَّه حَمَّالة الحطَب مازاد على هذا!

وقيل : لمّـا أخذ محمدُ بن هشام العَرْجىَّ ، وأخذ معـه الُحصَين بن غُرَير الحِمْيَرىّ ، فجلدهما وصَبّ على رُءوسهما الزَّيتَ ، وأقامهما فى الشمس بمكة . فجعل العَرْجى يُنشد :

---

(١) لاحى : خاصم وشاتم .

(١) أمضه : أوجعه وآلمه .

(٣) الكتاف : الوثاق ، وهو الحبل يوثق به .

(٤) اختلط : أى غضب غضباً شديداً حتى كأنه فسد عقله .

سَيَنْصُرُنِى الخليفَةُ بعـــد ربِّى ... ويَغضَب حين يُخْبَر عن مَســاقِى
علىَّ عَبَــاءَةٌ بَلْقَاءُ[١] ليستْ ... مع البَـلْوى تُغَيِّبُ نِصْف سَـاقِى
وتَغْضَب لى بأَجمعهــا قُصَىٌّ ... قَطِينُ البَيْت والدُّمْثِ[٢] الرِّقَاق

ثم يَصيحُ : ياغُرَير ، أجياد[٣] ! يا غُرير ، أَجْياد ! فيقول له الحِمْيرىّ المَجْلود معه : ألا تَدَعنا ! ألا تَرى ما نحن فيه من البَلاء ؟

يعنى بقوله « يا غرير » الحُصـينَ بن غُرير ، المَجلود معه . وكانَ صديقاً للعَرْجىّ وخليطاً . و بقوله « أجياد » بنى مَخْزوم ، لأن أَجياد مسكنُهم . يُعَيِّرهم بأنهم لَيْسُوا من أهل الأَبطح .

ومن هذه الأَبيات :

وكَمْ من كَاعِبٍ حَوْراءَ بِكْرٍ ... أَلُوفِ السِّتْرِ واضحـةِ التَّراقِى[٤]
بَكَتْ جَزَعًاوقد سُمِرَتْ كُبُولى ... وجَامِعَـةٌ[٥] يُشَدّ بهـا خِنَـاقى

وذُكر أنه اُجتمع النّاسُ للنَّظر إليه و إلى ابن غُرير ، وقد جُلِدَا وحُلِقَا وصُبَّ الزَّيتُ على رءوسهما وأُلْبِسَا عَباءَتَـيْن . فَمرَّ بهما رَجُلٌ كان صَدِيقاً للعَرْجىّ ، وكان فَأْفاءً ، فوَقَف عليه، فأَرَاد أن يَتوَجَّع لمـا ناله و يدعُو له ، فلَجْلج ، لِما كان فى لسانه ، كما يفعل الفأفاء . فقال له العَرْجىّ : لا خَرجتْ من فيك أَبداً ! فقال له الرجل : فكانَك إذًا لا بَرِحْتَ فيه أبدًا .

ومَرّ به صِبْيانٌ يَلْقُطُون النّوى ، فوَقَفُوا يَنْظُرُون إليـه ، فالتَفَت اُبن غُرَير

(١) بلقاء : سوداء بيضاء .
(٢) الدمث : الأراضى السهلة اللينة ؛ الواحدة : دمثاء .
(٣) أجياد : موضع بمكة مما يلى الصفا.
(٤) التراقى : جمع ترقوة ، وهى مقدم الحلق فى أعلى الصدر .
(٥) سمرت : شدت . والكبول : القيود ؛ الواحد : كبل . والجامعة : الغل .

وقال : ما أَعْرِفُ فى الدُّنيا شَيْخين أَشْأَم منِّى ومِنْك ! إنّ هؤلاء الصِّبيان لأَهلِهم عليهم فى كلِّ يوم ، على كلِّ واحدٍ منهم مُدُّ نوًى ، فقد تركوا لَقْطَهم للنَّوى ووَقَفُوا ينْظُرون إلىّ وإليك ، ويَنْصرفون بغير شىء ، فيُضربون ، فيكونُ شُؤْمنا قد لحِقَهم .

للعرجى فى حبسه

وقال [العرجى فى حَبْسه] :

أَضاعُونى وأىَّ فتًى أضاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهةٍ[1] وسِدَادِ ثَغْرِ
وصَبْرٍ عند مُعْتَرَكِ المَنايا وقد شُرِعَتْ أَسنَّتُها بنَحْرِى
أُجرَّرُ فى الجوامع كُلَّ يَوْمٍ فيالله مَظْلِمَتى[2] وصَبْرى
كأَنِّى لم أَكُنْ فيهم[3] وَسِيطاً ولم تَكُ نِسْبَتى فى آل عَمْرِو

أبو حنيفة وجار له كان يتغنى فى سكره بشعر للعرجى

وذُكر أنّه كان لأبى حَنيفة جارٌ بالكوفة يُغَنِّى ، فإذا انصرف وقد سَكِر تَغَنَّى فى غُرفته ، فيسمعه أبو حنيفة فيُعجبه ، وكان يُكْثر أن يُغنِّى :

أضاعُونى وأىَّ فتًى أضاعُوا ليوم كريهة وسِدَادِ ثَغْرِ

فلقيه العَسَسُ ليلةً وأَخَذُوه وحُبِس ، ففَقَد أبو حنيفة صَوْتَه ، وسأل عنه من غَدٍ ، فأُخْبِر . فدعا بِسَواده وطَويلته[4] فلبسهما وركب إلى عيسى بن مُوسى ، فقال : إنّ لى جاراً أَخذه العَسس البارحةَ وحُبس ، وما علمتُ منه إلّا خَيْرًا . فقال عيسى : سَلِّمُوا إلى أبى حَنيفة كُلَّ من أَخَذَه العَسس البارحة. فأُطْلِقُوا جميعاً. فلما خَرج الفتى ، دعا به أبو حنيفة رحمه الله ، ثم قال له سرًّا : ألستَ كُنْتَ تُغَنِّى :

* أَضاعُونى وأىَّ فتًى أضاعُوا *

---

(١) سداد الثغر : ما يسد به من رجال وعدة .
(٢) الجوامع : جمع جامعة ، وهى الغل . والمظلمة : الظلم .
(٣) وسيطاً : أى أوسطهم نسباً وأرفعهم مجداً .
(٤) السواد : شعار لبنى العباس ، وكان أشياعهم يرتدونه . والطويلة : قلنسوة عالية .

فهل أضعناك ؟ فقال : لا والله أيها القاضى ، ولـكن أَحْسَنْت وتَكَرَّمت ، أَحْسن الله جزاءك . قال : فَعُـدْ إلى ما كُنْتَ تُغَنِّيه ، فإنى كنتُ آنَسُ به ، ولم أَرَ به بأْساً . قال : أَفْعلَ .

المنصور وعمه عبدالله حين تمثل بشعر العرجى فى حبسه

وقيل : لمّـا حَبَسَ المَنْصُورُ عبدَ الله بن علىّ عَمَّه ، كان كَثِيراً[1] التمثُّل بقول العَرْجىّ :

أضاعُونى وأىّ فَتًى أضاعُوا ليوم ِكَريهةٍ وسِـدَادِ ثغرِ

فبلغ ذلك المنصورَ ، فقال : هو أضاع نفسه بسوء فِعْله ، فكانت أَنْفُسُنا آثرَ عندنا من نفسه .

للمؤلف فى مقتل عبدالله عم المنصور

— قلت : كان عبد اللهبن علىّ بن عبد اللهبن العبَّاس هذا خَرج على ابن أخيه المنصور ، واستولى على الشَّام ، ودعا إلى نفسه بالخلافة . فسَيَّر إليه المنصورُ الجنودَ مع أبى مُسلم صاحب الدَّعوة ، فهزَمَهُ وَفلّ جُيُوشه ، فهرب عبدُ الله إلى البصرة واستَترَ بها ، حتى أُخِذَ له الأَمان من المنصور ، وحَلَف له بأَغلظ الأَيمان أنه لا يَهيجُه . فجاء إليه ، فحَبسه فى بيت وجعـل أَساسَه مِلْحاً ، ثم صَبَّ عليه الماءَ حتى ذابَ المِلْحُ ، فتداعى البيتُ وسَقَط على عبد الله فقتَله —

الأصمعى وكناس يغنى ببيت للعرجى

وذَكرَ الأَصمعىُّ قال : مررت بكنَّاس بالبصرة يكنُس كَنيفاً وهو يغَنِّى :

أضاعُونى وأىَّ فَتًى أضاعُوا ليوم ِكريهةٍ وسِـداد ثغْرِ

فقلتُ له : أمّا سِداد الكنِيف فأنت مَلِىء به[2] ، وأما الثغرُ فلاعِلْم لنا بك ، كيف أنت فيـه ؟ وكنتُ حديثَ السِّنّ وأَردتُ العَبَثَ به . فأَعْرض عنِّى مَليًّا ، ثم أَقْبل فأَنْشَد مُتمثِّلاً :

وأُكْرم نَفْسى إنّنى إنْ أَهنتُها وحَقِّك لم تَكْرُمْ عَلَى أَحدٍ بَعْدِى

فقلتُ له : والله ما يكونُ من الهَوان شىءٌ أكثرُ ممـا بذلتَها له ! فبأىّ شىء

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يكثر » . (٢) ملىء به : مضطلع به .

أ كرمتها ؟ قال : بلى والله ! إنّ من الهوان لشرًّا ممّا أنا فيــه . فقلتُ : وما هو ؟ فقال : الحاجَةُ إليك و إلى أمثالك من النّاس . فانصرفتُ عنه أَخْزَى الناس .

تنكيل الوليد بمحمد ابن هشام وأخيه وخالد القسرى

وذُكِرَ أنّ الوَليد بن يزيد بن عبد الملك كان مُضْطغناً على محمد بن هشــام لأشياء كانت تَبْلُغه عنــه فى حياة هشام ، فلمّا ولى الخلافَةَ قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأُشْخِصَا إليه إلى الشّأم ، ثم دَعَا بالسِّياط . فقال له محمد :أَسْأَلُك بالقَرَابة . فقــال : وأَىُّ قَرَابَةٍ بينى و بينك ؟ وهَلْ أنت إلّا من أَشْجَعَ ! قال : فأَسْأَلك بِصِهْرِ عَبْــد الملك . قال : لم تَحْفَظْه .فقال له : يا أَميرَ المؤمنين، قد نَهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُضْرَب قُرَشىّ بالسِّياط إلّا فى حَدٍّ .قال : ففى حَدٍّ أَضْرِبُك وقَوَد ، أنت أَوّل من سَنَّ ذلك على العَرْجىّ ، وهو اُبن عَمِّى واُبن أَمير المُؤمنين عُثمان ، فما رَعَيْتَ حَقَّ جَدِّه ولا نَسَبه بهِشام ، ولا ذَكَرْتَ حينئذٍ هذا الخبر ، وأَنا وَلِىُّ ثَأْره، اُضْرِبْ يا غُلَام . فضَرَبهما ضَرْباً شَــديداً مُبَرِّحاً ، وأُثْقِلَا بالحديد . ووَجَّه بهما إلى يُوسُفَ بنِ عُمر بالكُوفة ، وأَمره[1] باسْتِصْفائهما وتَعْذِيبهما حتى يَتْلَفَا . وكَتب إليه : اُحْبِسْهما مع اُبن النَّصْرانيّة — يَعْنِى خالدَ اُبن عَبْد الله القَسْرىّ — ونَفْسَك نَفْسَك إنْ عاشَ أَحَدٌ منهم . فعــذَّبهم عذاباً شَديداً ، وأَخَذ منهم مالا عَظِيما ، حتَّى لم يَبْقَ فيهم موضعٌ للضَّرْب .

فــكان مُحمّد بنُ هِشــام مَطْرُوحاً ، فإذا أَرادُوا أن يُقيموه أَخَذوا بلِحيتــه فجذَبُوه بها . ولـمّا اُشْتدَّت عليهم الحالُ ، تحامل إبراهيمُ لِينظرُ فى وَجْه أخيــه محمّد ، فَوقَع عليه ، فماتَا جميعاً . ومات خالدٌ القَسْرِىّ معهما فى يومٍ واحد .

شعر الوليد بن يزيد فى ذلك

وقال الوليدُ بن يَزِيد لما حَمَلهما إلى يُوسُفَ بن عُمر :

---

(١) استصفائهما، أى أخذ أموالهما .

قَدْ رَاحَ نَحْوَ العِرَاقِ مَخْشَلبــهْ ... قُصَارُه السِّجنُ بعده[1] الخَشَبَه

يَرْكَبُها صـاغِراً بلا قَتَبٍ ... ولا خِطَامٍ وحَوْلَهُ جَلَبـــه

فَقُـل لدَعْجَاءَ إن مررتَ بهـا ... لَنْ يُعْجِزَ اللهَ هاربٌ طَلَبَـه

قد جَعل الله بعـــد غَلْبَتِكم ... لنَا عليكم يا دُلْدُلُ الغَلَبـــه

لستَ إلى هاشمٍ ولا أســدٍ ... ولا إلى نَوفَلٍ ولا[2] الحَجَبـه

لـكنّما أَشْجَعُ أبوكَ سَلِ الـ ... ـكَلْبِىّ[3] لا ما يُزَوِّق الكَذَبه

بين إسحاق الموصلى والرشيد فى بيت للعرجى

وقال إسحاقُ بن إبراهيم المَوْصلىّ :

غَنَّيْتُ الرَّشيدَ يوماً فى عُرْضِ الغِناء :

أَضَاعُونى وأىَّ فَتًى أَضَاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيهةٍ وسِـدَاد ثَغْرِ

فقال لى :ما كان سببُ هذا الشِّعر حتى قاله العَرْجِىّ ؟ فأخبرتُه بخَبَره من أوّله إلى أن مات . فرأيتُه يَتغيَّظ كُلَّمَا مرَّ منــه شىء . فأَتْبَعْتُه بحديث مَقْتل ابْنَىْ هِشام .فجعل وجهُه يُسْفِر وغَيْظُه يَسْكُن . فلما انقضى الحديثُ قال لى : ياإسحاقُ ، واللهِ لولا ما حَدَّثْتنى به من فِعْل الوَليد ، لما تركتُ أَحَداً من أماثِلِ بنى مَخْزوم إلّاقتلتهُ بالعَرْجِىّ .

شعر العرجى الذى فيه الغناء

والشِّعْر الذى فيه الغناء من قَوْلِ العَرْجِىّ هو قولُه :

إلى جَيْدَاءَ قد بَعَثُوا رسولاً ... لِيَحْزُنَها فلا صُحِبَ الرَّسُولُ

كأنّ العَامَ ليس بعـامِ حَجٍّ ... تغـيَّرتِ المَواسِمُ[4] والشُّكُول

---

(١) المخشلبة ، والمشخلبة ، كلمتان عراقيتان ، بمعنى ، يطلقان على شىء يتخذ من الليف والخرز أمثال الحلى . وقد تسمى الجارية مخشلبة أو مشخلبة ، لما يرى عليها من الخرز كالحلى . والخشبة ، يريد خشبة الصلب .

(٢) الحجبة : يريد حجبة الكعبة ، وكانت الحجابة فى بنى قصى . وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجابة البيت فى يد شيبة بن عثمان بن طلحة بن عبد الله بن قصى فأبقاها .

(٣) الكلبى : محمد بن السائب ، النسابة المعروف .

(٤) الشكول : جمع شكل .

أخبار المجنون

اسمه

مِنَ النّاس من أثْبت وُجودَه، ومِن النّاس مَن لم يُثْبِت. فأمّا المُثْبِتون فمنهم من قال: اسْمُه مَهْدِيّ، ومنهم من قال: اسمه بن قَيْس، وهم الأكْثرون.

وهو ابن المُلوَّح بن مُزَاحِم بن قَيْس بن عَدِيّ بن رَبيعة[1] بن جَعْدة بن كَعْب ابن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَة.

وقيل: هو قَيس بن مُعاذ، أحَدُ بنى نُمَيْر بن عامر بن عُقَيل. وقيل: أحد بنى جَعْدة بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصعة.

قالوا: ومما يَدُلُّ على أنّ اسْمَه «قَيْس» قولُ لَيْلى صاحِبته:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى والخُطوبُ كَثِيرةٌ ... مَتَى رَحْلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلٌّ فَرَاجِعُ

وقال الأصمعِيّ، وقد سُئِل عنه: لم يكن مَجْنوناً. ولكن كانت به لُوثة[2] كلُوثة أبى حَيَّة[3] النُّمَيْرِىّ.

قول من أنكره

ورَوَى المُنْكِرون أخباراً تَدُلّ على أنّه لم تكُن له حَقِيقة، من ذلك ما رَوَى ابْنُ دَأْب[4] قال: قلتُ لرجل من بَنى عامر: أتَعْرِف المَجْنون وتَرْوِى شِعْره؟ قال: أوَقَدْ فرَغْنا من شِعْر العُقلاء حتى نَرْوِى أشْعار المَجانين! إنّهم لكَثِير. قُلْتُ: ليس هؤلاء أعْنِى، إنّما أعْنى مَجْنون بنى عامر الذى قَتَله العِشْق. فقال:

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: «مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جبلة».

(٢) اللوثة، بالضم وتفتح: الحمق. وقيل: اللوثة، بالضم: الحبسة فى اللسان؛ وبالفتح: الحماقة.

(٣) ستأتى ترجمته فى التجريد.

(٤) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب. كان عالماً وشاعراً.

هيهات ! إنّ بنى عامرٍ أغلظُ أكبادًا من ذلك ! إنما يكون هذا فى هذه اليمانيةِ الضِّعاف قلوبُها ، السَّخيفة عقولها ، الصَّعْلة[(١)] رءوسها ، فأمَّا نزار فلا .

ورُوِى عن الأصمعىّ أنه كان يقول :

رجلان ما عُرِفا فى الدُّنيا قطُّ إلّا بالاسْم : مَجْنون بنى عامر ، وابن القِرِّيّة[(٢)] ، فإنّهما وَضَعهما الرُّوَاةُ .

ورُوِىَ عن ابن الكَلْبىّ أنّه قال : حُدِّثْتُ أنّ حَديثَ المَجنون وشِعْره وَضَعه فَتًى من بنى أُمَيَّة كان يَهْوَى ابْنة عَمٍّ له ، وكان يَكْره أن يُظْهِرَ ما بينه وبينها ، فوَضَع حديثَ المَجْنون ، وقال الأَشْعار التى يَرْويها النّاس للمجنون ونَسبها إليه .

قول المثبتين له

وروى مَن أَثْبَتَه : أنّ أباه المُلوَّح مات قَبل اخْتلاطه[(٣)] ، فعَقَر على قَبْره ناقتَه ، وقال :

عَقَرْتُ على قَبر المُلوَّح نَاقتِى ... بذِى السَّرْحِ[(٤)] لمّا أنْ جَفاه الأَقاربُ

وقلتُ لها كُونِى عَقِيراً[(٥)] فإنّنى ... غَداً راجلٌ أَمْشِى وبالأَمْس راكِب

فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يابْنَ مُزاحِمٍ ... فكُلٌّ بكَأْسِ المَوْت لا بُدَّ شارِب

ليلى صاحبته

وذُكِر أنّ لَيْلى صاحبَته ، بنتُ مَهْدىّ بن[(٦)] سَعْد بن مَهْدِىّ بن ربيعةَ ابن الحَريش بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة . وفيها يقولُ المَجنون :

(١) الصعلة : الصغيرة .

(٢) هو أيوب بن زيد بن قيس . والقرية : أمه . كان لسناً خطيباً . وقتله الحجاج لا تهامه بالميل إلى ابن الأشعث . (وفيات الأعيان) .

(٣) اختلاطه ، أى فساد عقله وتغيره .

(٤) ذو السرح : واد بأرض نجد .

(٥) العقير : المعقورة ، أى المنحورة . وكانوا ينحرون الإبل على قبور الموتى .

(٦) فى بعض أصول الأغانى : « بنت سعد بن مهدى » .

أَخذَتْ محاسِنَ كُلِّ ما ضَنَّتْ محاسِنُه بحُسْنِهْ
كاد الغزالُ يكُونُها لولا الشَّوَى(١) ونُشُوزُ قَرْنِه

الأصمعى وأعرابى من بنى عامر عمن رموا فيهم بالجنون

ورُوِىَ عن الأَصْمَعِىّ أنه قال :

سألتُ أعرابيًّا من بنى عامر بن صَعْصعة عن المجنون العامرىّ ، فقال : عن أيِّهم تسأَلُنى ؟ فقد كان فينا جماعة رُمُوا بالجنون ، فعَن أيّهم تَسأل ؟ فقلتُ : عَن الذى كان يُشبِّبُ بلَيْلى . فقال : كُلُّهم كان يُشَبِّب بلَيْلى . قلت : فأنشدنى لبعضهم . فأَنْشدنى لمُزاحم بن الحارث المَجْنون :

أَلا أيُّها القَلْب الذى لَجّ هائماً بلَيْلَى وَلِيداً لم تُقَطَّع(٢) تمائمُه
أَفِقْ قد أفاق العاشِقُون وقد(٣) أَنَى لكَ اليومَ أنْ تَلْقى طَبِيباً تُلائِمُه

قلت : فأَنْشِدنى لغيره . فأَنْشَدنى لمُعاذ بن كُلَيب المَجْنون :

أَلا طالَمَا لاعَبْتُ لَيْلَى وقادَنى إلَى اللَّهْوِ قَلْبٌ للْحِسَانِ تَبُوعُ
وطالَ امْتِرَاءُ(٤) الشَّوْق عَيْنِىَ كُلَّما نَزَفْتُ دُمُوعًا تَسْتَجِدُّ دُمُوع
وقد طال إِمْساكِى على الكَبِدِ(٥) الّتى بها مِنْ هَوَى لَيْلَى الغَداةَ صُدُوع

قلت : فأَنْشِدنى لغير هذَيْن ممّن ذكرتَ . فأَنْشدَ لمَهْدِىّ بن المُلَوَّح :

لو أنّ لك الدُّنيا وما عُدِلتْ به سِوَاها ولَيْلَى بائنٌ عنك(٦) بَيْنُها
لكُنْتَ إلى لَيْلَى فَقِيراً وإنما يَقُودُ إليها وُدَّ نَفْسِك حَيْنُها

---

(١) الشوى : الأطراف .
(٢) التمائم : جمع تميمة ، أو هى عوذة تعلق على المولود . ولم تقطع تمائمه ، أى لا يزال صغيراً .
(٣) أنى : حان وقرب .
(٤) الامتراء : الاستدرار .
(٥) الكبد ، تؤنث وتذكر .
(٦) بينها ، أى وصلها . وهو من أسماء الأضداد ، يطلق على الوصل والفراق .

فقلت : أَنْشدنى لمن بَقِى من هؤلاء . فقــال : حَسْبك ! فوالله إنّ فى واحد مِن هؤلاء لَمن يُوزَن بعُقلائكم اليومَ !

مزاحم والمجنون فى هوى ليلى

وذُكر أنّ مُعــاذ بن كُلَيب كان مجنوناً ، وكان يُحِبُّ لَيْلَى ، فَشَرِكه فى حُبِّها مُزاحم بن الحارث العُقَيْلىّ ، فقال مُزاحم يوماً للمَجْنون :

كلانا يا مُعـــاذُ يُحِبُّ لَيْلَى بفِىّ وفيكَ مِن لَيْلى التُّرابُ
شَرِكْتُك فى هَوَى من كان حَظِّى وحَظُّك منْ مودَّتهــا العَــذَاب
لقــد خَبَلَت فُؤادَك ثمّ ثَنَّتْ بقَلْبى فهو مَخْبُولٌ مُصَــاب

فيُقال : إنه لمّا سَمِع هذه الأَبْياتَ الْتَبس وخُولِط فى عَقْله .

ابن موسى والعدوى فى بيتين لجميل

ورَوَى هارون بن مُوسى ، قال :

سأَلتُ أبا بَكْرٍ العدوِىّ [١] عن هذين البَيْتين :

وخَبَّرْتمانِى أنّ تَيْماءَ [٢] منزِلٌ لِلَيْلَى إذا ما الصَّيْفُ أَلْقى المَراسِــيَا
فهذِى شُهورُ الصَّيْف عَنَّا قد انْقضتْ فما للنَّوَى تَرْمِى بلَيْلَى المَرامِيَـــا

فقال : هُما لجميــل . ولم يَعْرف المَجْنونَ . قلتُ : وهل معهما غيرُهما ؟ قال : نَعم ، وأَنْشدنى :

وإِنِّى لأَخْشى أَنْ أَمُوتَ فُجــاءَةً وفى النَّفْس حاجاتٌ إليكِ كما هِيَــا
وإِنِّى لَيُنْسِينى لِقَــاؤُكِ كلّما لَقِيتُك يَوْماً أَنْ أَبُثَّكِ ما بِيَــا
وقالُوا به داءٌ عَيَـــاءٌ أَصَــابه وقد عَلِمتْ نفسى مكانَ دَوَائيا

سبب عشقه لليلى

وذكر الرُّواة المُثْبِتُون أخبارَ المَجْنون ، أَنّه كان يَهوى لَيْلَى بنت مَهـدِىّ ، التى تقدَّم ذِكْر نَسبها ، وتُكْنَى أُمَّ مالك ، وهُما حينئذ صَبيَّان ، فَعلِق كلٌّ واحدٍ

(١) فى الأصل : « العذرى » . (٢) تيماء : بلد صغير فى أطراف الشام .

مِنْهما صاحبه، وهما يَرْعيان مواشِيَ أهْلهما ، فلم يزَالا كذلك حتى كَبِرا ، فَحُجِبَتْ عنه ، فقال فى ذلك :

تَعَلَّقْتُ لَيْلَى وهى ذاتُ[1] ذُؤَابةٍ ولم يَبْدُ للأَتْراب مِن ثَدْيِها حَجْمُ
صَغيرَيْن نَرْعى البَهْمَ ياليتَ أنَّنا إلى اليوم لم نَكْبَر ولم تَكْبَر البَهْمُ

اختلاط ابن مليكة فى آذانه عند سماعه من يتغنى بشعر المجنون

وذُكر أنّ ابْنَ مُلَيكة كان يُؤذّن ، إذ سَمِع الأَخْضَر الجُدِّيَّ يُغَنّي من دار العاصِ بن وائلٍ فى هذين البَيْتَين ، فلمّا أراد أن يقول : « حيّ على الصلاة » قال : « حَيِّ على البَهْم » حتى سَمِعه أهلُ مكّة ، فغدا يَعْتذر إليهم .

عود الى تعلق المجنون بليلى

وذُكر أنّ سَبب تَعلُّقه بليلى أنّه كان صاحبَ غزَل ومُجالسة للنّساء، فَخَرج على ناقةٍ له يَسيرُ، فمرَّ بامرأة من بَنى عُقَيْل يقال لها: كَريمة، وكانت جَميلةً عاقلةً، معها نِسْوةٌ ، فعرَفْنه فدَعَونه إلى النُّزُول والحديث ، وعليه حُلَّتان له فاخرتان وطَيْلَسان وقَلَنْسوة . فنَزل فظلَّ يُحدِّثهن ويُنْشِدهنَّ ، وهُن أَعْجَبُ شيء به فيما يَرَى ، فلما أعجبه ذلك منهنّ عَقَر لهن ناقتَه ، وقُمْن إليها وجعلن يَشْوِين ويأ كُلْن من لَحمِها إلى أن أمْسَين ، فأَقْبَلَ غُلامٌ شَابٌّ حَسَنُ الوجه ، فجلس إليهنَّ ، فأقْبلْن عليه بوجُوههنَّ يَقُلْنَ له : كيف .ظَلِلْتَ يا مُنازلُ اليوم ؟ فلمّا رأى ذلك من فِعْلهنَّ غَضِبَ وقام ، فتركهنّ وهو يقول :

أأعْقِرُ من جَرّا[2] كَرِيمَةَ ناقَتِي ووَصْلِيَ مفرُوشٌ[3] لوصل مُنازِلِ
إذا جاء قَعْقَعْن الحُلِيَّ ولم أكُن إذا جِئْتُ أرجو صوتَ تلك الخَلاخِلِ

قال : فقال له الفتى : هلم نَتصارعْ أو نَتَناضَلْ . فقال له : إنْ شِئْتَ ذلك فقُم إلى حَيْثُ لا تراهُنَّ ولا يَرَيْنَكَ ، ثم ما شِئت فافعلْ . وقال :

(١) الذؤابة : شعر الناحية .
(٢) من جرا ، من أجل .
(٣) مفروش : ممهد .

إذا ما انْتَضَلْنا فى الخلاء[1] نَضَلْتُه ... وإنْ يَرْمِ رَشْقاً عندها فهو ناضِلِى

فلما أصبح لَبِسَ حُلَّته ورَكِب ناقته ومضى متعرِّضاً لهن ، فألفى ليلى جالسةً بفِناء بيتها ، وكانت معهن يومئذٍ ، وقد علِق بقلبها وهَوِيَتْه ، وعندها جُوَيريات يُحدِّثنها ، فوقف عليهن وسلَّم ، فدعَوْنه إلى النُّزول وقلْنَ له : هل لك فى محادثة مَن لا يَشْغَله عنك مُنازِلٌ ولا غيرُه ؟ قال : إى لَعَمْرِى ! وفعل فَعْلَته بالأمس . فأرادتْ أنْ تعلم هل لها عنده مِثلُ ما لَه عندها ، فجعَلَتْ تُعْرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتُحدِّث غيرَه، وقد كان علِق حُبُّها بقلبه وشَغَفه واستملحها ، فبينما هى تُحدِّثه إذ أقبَل فَتًى من الحىِّ ، فدعتْه فسارَّته سِراراً طويلا ، ثم قالت له : انصرف . فانصرف . ونظرتْ إلى وجه المَجنون قد تغيَّر وامْتُقِع[2] وشَقَّ عليه ما فعلتْ ، فأنشأتْ تقول :

كِلانَا مُظْهِرٌ للنّاس بُغْضًا ... وكُلٌّ عند صاحبه مَكِينُ

تُبَلِّغنا العُيونُ مقالتَيْنا ... وفى القَلْبين ثَمَّ هوًى دَفِين

فلمّا سَمِع هذين البيتين شَهِق شَهقَةً عَظيمة وأُغْمِىَ عليه ، فمَكَث كذلك ساعةً ، ونَضَحُوا الماءَ على وجهه حتى أفاق . وتَمكَّن حُبُّ كلٍّ واحدٍ منهما فى قلبِ صاحبه . و بلغ منه كلَّ مَبْلَغ .

خطبته لليلى واختيارها غيره

وقيل : لمّا شُهِرَ أمرُ المَجْنون ولَيْلى ، وتناشد النَّاسُ الشعر الذى عَمِلَه فيها ، خَطبها و بَذل لها خَمْسين ناقةً حَمْراء، وخَطبها وَرْدُ بن محمد العُقَيْلىّ ، و بَذل لها عَشْرًا من الإبل وراعِيَها . فقال أهْلوها : نحن مُخَيِّروها بينكما ، فَمن اخْتارت تزَوّجته. فدَخلوا إليها وقالوا : لئن لم تختارى وَرْدًا لَنُمَثِّلَنَّ بك . فقال المجنون :

ألا يا لَيْلَ إنْ مُلِّكْت فِينا ... خِيارَكِ فانظُرِى أين[3] الخِيارُ

---

(١) انتضلنا : ترامينا . ونضلته : غلبته.

(٢) امتقع : تغير لونه . (٣) فى بعض أصول الأغانى : «لمن» .

ولا تَسْتبدلى منّي دَنيًّا ولا بَرِمًا إذا حُبَّ[١] القُتَار
يُهَرْوِلُ فى الصَّغير إذا رآه وتُعْجِزه المُلِمَّات الكِبَار
فَمِثْلُ تأيُّمٍ منه نِكَاحٌ ومِثْلُ تموُّلٍ منه آفتقار

فاختارت «ورداً» فتزوَّجته على كُرْهٍ منها .

سبب اختلاط عقله

وذُكر أنّ سَبب اُخْتلاط عَقْله أنّ لَيْلَى أنشدتْه فى خَلْوة :

كلانا مُظْهِرٌ للنّاس بُغْضًا وكُلٌّ عند صَاحِبه مَكِينُ
وأَسْرار المَلاحظ[٢] لَيس تَخْفَى وقد تُغْرِى بذى اللَّحظ[٣] العُيون

فخَرّ مغْشيًّا عليه ، ثم أَفاق فاقدًا عقْلَه ، فكان لا يلْبَسُ ثوْباً إلّا خَرقه ، ولا يَمْشى إلّا عارياً ، ويَلْعب بالتُّراب ، ويَجْمَعُ العِظام حَوْلَه . فإذا ذُكِرتْ لَيلَى أنْشأَ يقُول ويُحدِّث عنها عاقِلاً لا يُخْطِىء حَرْفاً . وترَكَ الصَّلاةَ ، فإذا قيل له : مالَكَ لا تُصَلِّى ؟ لم يَرُدَّ حَرْفاً . وكان أَبُوه يَحبسُه ويُقيِّده ، فيَعضُّ شَفَتَيْه ولِسانَه ، فيُخَلّى سَبِيلَه فيَهِيمُ .

سؤاله عمر بن عبد الرحمن أن يخرج معه

وذُكر : أنّه سأَل عُمَر بن عبد الرَّحمن بن عَوْف — وكان ولّاه مَرْوَانُ ابن الحَكَم صَدَقاتِ بَنِى كَعْب وقُشَيْر وجَعْدَة — أَنْ يَخْرُج به مَعه، وقال: أَكُونُ معَك فى هذا الجَمْع الذى تجمَعه غداً ، وأُرَى فى أَصْحَابك وأَتجمّل فى عَشِيرتى بك، وأَفخر بقُرْبك. فأجابه إلى ذلك، وذلك قبْلَ أن يَسْتحكم حُبُّه . فجاءه رَهْطُ لَيْلَى فأَخْبروه بقصّته وأنه لا يريد التجمل به وإنما يريد أن يدخل بيوتهم ويفضحهم فى امرأة منهم يهواها ، وأنّهم شَكَوْه إلى السُّلطان فأَهْدَر دَمَه إنْ دَخَلَ إليهم . فأَعرض عمّا أجابه إليه من أَخْذه معه ، وأَمر له بقَلائِصَ ، فردَّها وقال :

---

(١) البرم : اللئيم . والقتار : ريح اللحم المشوى . (٢) فى الأصل : « التلاحظ » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : * إذا نطقت بما تخفى العيون *
وفى تزيين الأسواق : * وقد تغرى بذى اللحظ العيون *

رَدَدْتُ قلائِصَ القُرَشِيِّ لمَّا بدَا لِي النَّقْضُ مِنْه للعُهودِ
وَرَاحُوا مُقْصِرين وخَلَّفُونى إلى حُزْنٍ أُعالِجُهُ شَدِيد

فرجَع آيساً ، فعاد إلى حاله الأُولى .

قصته مع نوفل ابن مساحق

ولم تزَلْ تلك حالُه ، غيرَ مُسْتَوْحِش ، إنما يكون فى جنبَات الحيِّ مُنْفَرِداً عارياً ، لا يلْبس ثوباً إلّا خرقة ، يَهذِي ويُخطِّطُ فى الأرض ، ويلْعَب بالتُّراب والحِجارة ، ولا يُجيبُ أحداً سأله عن شيء، فإذا أحبُّوا أن يتكلَّم أو يثوبَ إليه عَقْلُه ذكروا لَيْلَى ، فيقول : بأبى هى وأُمِّى ! ثم يَرجْع إليه عَقْلُه فيُخاطِبُونه ويُجيبهم، ويأتيه أَحْدَاثُ الحيِّ فيُحَدِّثونه عنها، ويُنْشِدُونه الشعر الغزل، فيُجيبهم جَواباً صَحِيحاً ، ويُنْشِدُهم أشعاراً قالها . حتى سَعَى عليهم[1] فى السَّنَة الثَّانيـة ، بَعْدَ عُمَر بن عبـد الرحمن ، نوفَلُ بنُ مُسَاحِق ، فنزل مُجْمَعًا من تلك المَجامِع ، فرآه يَلْعَب بالتُّراب وهو عُرْيان ، فقال لِغُلامٍ : ياغُلام ، هَاتِ ثَوْباً . فأتاه به . فقال لِبَعْضِهم : خُذْ هـذا الثَّوبَ فأَلْقِه على ذلك الرَّجُل . فقـال له : أتعرِفُه ؟ جُعِلْتُ فداكَ ! قال : لا . قال : هذا ابنُ سَيِّدِ الحَيِّ ، والله ما يلبس الثِّياب ، ولا يزيدُ على ما تراه يَفْعَلُه الآن ، وإذا طُرِحَ عليه شيء خرَّقه ، ولو كان يَلْبَس ثَوْباً لكان فى مَالِ أبيـه ما يَكْفِيه . وحَدَّثه عن أمْرِه . فدعا به وكلّمه ، فجعَل لا يعقِل شَيْئاً يُكلِّمُه به . فقال له قَوْمُه : إنْ أردتَ أن يُجيبَك جَواباً صحيحاً فاذكُرْ له لَيْلى . فذَكرها له ، وسَأَلَه عن حُبِّه إيَّاها . فأَقْبَل عليه يُحَدِّثه بِحَدِيثها ويشكو إليـه حُبَّه إيَّاها ، ويُنْشِدَه شِعْرَه فيها .فقال له نوْفل : الحُبُّ صَيَّرك إلى ما أرى ؟ قال : نعم ، وسَيَنْتَهى إلى ما هو أشَدُّ مما ترَى . فعَجِب منـه ، وقال : أتُحِبُّ أنْ أُزَوِّجكَها ؟ قال : نعم ، وهل إلى ذلك من سَبِيـل ؟ قال : انطَلِقْ معى

(١) سعى عليهم : أى ولى جباية صدقاتهم .

حتى أَقْدَمَ على أَهْلِها بِكَ، وأَخْطُبَها [عليك] ، وأُرَغِّبَهم فى المَهْرِ لها . قال : أَتُرَاكَ فاعِلًا ؟ قال : نعم . قال : أُنْظُرْ ما تَقُول ! قال : لكَ علىَّ أَنْ أَفْعَلَ ذلك . ودعا له بِثِيَابٍ فأَلْبَسه إِيَّاها . وراح معه المَجنُونُ كَأَصَحِّ أَصْحَابِه يُحَدِّثه ويُنْشِده . فبلغ ذلك رَهْطَها ، فلَقُوه بالسِّلاح ، وقالوا : يا بن مُسَاحِق ، لا والله لا يَدْخُلِ المَجْنُونُ مَنازِلَنا أَبَدًا أو نَمُوتَ ، وقد أَهْدر لنا السُّلطانُ دَمَه. فأَقْبَل بهم وأَدْبر . فأَبَوْا . فلما رأى ذلك قال للمجنون : انْصرفْ . فقال له المجنون : والله ما وَفَيْتَ بالعَهْد ! قال له : انْصرافُك بعد أَنْ آيَسني القَوْمُ من إجابتك أَصْلحُ من سَفْكِ الدِّماء. فقال المجنون :

أَيَاوَيْحَ مَنْ أَمْسَى تُخَلَّسَ عَقْلُه … فأَصْبَحَ مَذْهُوبًا به كُلَّ مَذْهَبِ
خَلِيًّا من الخُلَّانِ إلَّا[١] مُعَذِّرًا … يُضَاحِكُنى مَنْ كان يَهْوَى تَجَنُّبِى
إذا ذُكِرتْ لَيْلَى عَقَلْتُ وراجَعَتْ … عَوازِبُ عَقْلِى من هَوًى مُتَشَعِّبِ
وَقالُوا صَحِيحٌ ما بِه طَيْفُ[٢] جِنَّةٍ … ولا لهمُ إلَّا افْتِرَاء[٣] التكَذُّبِ
وَشاهِدُ وَجْدِى دَمْعُ عَيْنِى وحُبُّها … بَرَى اللَّحْمَ عن أحْنَاءِ[٤] عَظْمى ومَنْكِبِى
تجَنَّبت لَيْلَى أن يَلِجَّ بك الهَوَى … وَهَيْهاتَ كان الحُبُّ قبل التَّجَنُّبِ
وَلَمْ أَرَ لَيْلَى بعد مَوْقِفِ ساعَةٍ … بِبَطْنِ مِنًى تَرْمِى جِمَارَ[٥] المُحَصَّبِ
ويُبْدِى الحَصَى مِنْها إذا قَذَفَتْ به … من البُرْدِ أَطْرَافَ البَنَانِ المُخَضَّبِ
وأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغَداةَ كناظِرٍ … مَعَ الصُّبْحِ فى أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ
أَلَا إنَّما غَادَرتِ يا أُمَّ مَالِكٍ … صَدًى أَيْنَما تَذْهَبْ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ

(١) المعذر : المقصر الذى لا عذر له ، ولكنه يتكلف العذر .
(٢) طيف جنة ، أى مس من الجن .
(٣) فى بعض أصول الاغانى : «ولا الهم إلا بافتراء»
(٤) الأحناء : كل شيء فيه اعوجاج أو شبه اعوجاج ، وكذلك العظام ؛ الواحد : حنو .
(٥) المحصب : حيث ترمى الجمار .

من شعره

ومِمّا قاله المَجْنُون :

فوالله ثُمَّ اللهِ إنِّى لـدائِبٌ أُفكِّرُ ما ذَنْبى إليهـا وأَعْجَبُ
ووالله ما أَدْرى عَـلامَ قَتَلْتِنى وأىَّ أُمُورى فيك يا لَيْـلَ أَرْكَب
أأَقْطعُ حَبْـلَ الوَصْلِ فالموتُ دُونَه أمَ أَشْرَبُ رَنْقًا[1] منكمُ ليس يُشْرَب
أَمَ اهْرُبُ حتَّى لا أَرَى لى مُجَـاوِراً أَمَ اصْنَعُ ماذا أَمْ أَبُوحُ فَأُغْلَب
فأَيُّهما يا لَيْـلَ ما تَرْتَضِينَـه فإنِّى لَمَظْـلُومٌ وإنِّى[2] لَمُعْتِب

حجه بعد زواج ليلى

وقيل: إنّ أبَا المَجْنون وأُمَّه ورِجَالَ عَشِيرته اجتمعوا إلى أبى لَيْلَى ، فوعظُوه وناشَدُوه اللهَ والرَّحِمَ ، وقالُوا : إنَّ هـذا الرَّجُلَ هالِكٌ ، وقَبْـل ذلك فَفِى أقْبَحَ من الهَلاكِ بذَهاب عقله ، وإنّك فاجِـعٌ به أباه وأَهلَه ، فَنَشَدْناكَ اللهَ والرّحِمَ أَنْ تفعَـل ذلك ، والله ما هِى أشرفُ منـه ، ولا لَكَ مِثْلُ مَالِ أبيه ، وقد حَـكَّمَك فى المَهْرِ ، وإن شِئْتَ أن يَخْلَعَ لك نفسَه من مالِه فَعَـل . فَأَبَى وحَلَف بِطَلاق أُمِّهـا إنَّه لا يُزَوِّجه إيَّاها أَبداً ، وقال : أَفْضَحُ نَفْسى وعَشِيرتى وآتى ما لم يَأْتِه أَحَدٌ من العَرَب ، وأَسِمُ بِنْتى بِمِيسَم فَضِيحةٍ ! فانْصَرَفُوا ، وخَالَفَهم لِوَقْتـه فزوَّجهـا رَجُلاً من قَوْمِها ، وأَدْخَلَها إليـه . فما أَمْسَى إلّا وقد بَنَى بها . وبلَغَه الخبَرُ ، فَأَيِس منها حينئذٍ وزَال عقْلُه جُمْلَةً .

فقال الحىُّ لأبيـه : احْجُجْ به إلى مكَّة ، وادْعُ اللهَ عزَّ وجلَّ ، ومُرْه أن يَتعلَّق بأسْتَارِ الكَعْبة ، فيسأَلَ اللهَ أَنْ يُعافِيَه ممَّا به ، ويُبَغِّضَها إليـه ، فلعلَّ اللهَ أن يُخَلِّصه مِن هذا البَـلاء . فحجَّ به أبوه ، فلمـا صاروا بِمِنًى سَمِع صائحاً باللَّيل يصيح : يا لَيْلى . فصَرخ صَرْخةً ظنُّوا به أنَّ نَفْسَه قد تَلِفَتْ ، وسَـقَط مَغْشِيًّا عليـه . فلم يَزَلْ كذلك حتى أَصْبَح . ثم أَفاق حائلَ اللَّون ذاهلاً ، فَأَنْشَأَ يقول :

---

(١) الرنق : الكدر . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « وإنى لمتعب » .

عَرَضْتُ على قَلْبى العزاءَ فقال لِى ... مِن الآنَ فاْيأسْ لا أَغُرَّكَ[1] بالصَّبْرِ
إذا بانَ مَنْ تَهْوى وأُصبح نائيًا ... فلا شَىْءَ أَجْدَى من حُلُولك فى القَبْرِ
ودَاعٍ دعا إذ نحن بالخَيْفِ مِن مِنًى ... فهَيَّجَ أَطْرَابَ[2] الفُؤاد وما يَدْرِى
دَعَا بأَسم لَيْلَى ضَلَّلَ اللهُ سَعْيَه ... ولَيْلَى بأرضٍ عَنْه نازِحَةٍ قَفْر

قُلت : ومن هذه الأبيات :

دَعا بأسْمِ لَيْلَى غَيْرَها فكأنما ... أطَار بلَيْلَى طائراً كان فى صَدْرِى

قال : ثم قال له أبوه : تعَلَّقْ بأَسْتار الكعبة وسَل الله عز وجلّ أن يُعافيَك من حُبّ ليلى . فتعلّق بأستار الكَعْبة ، وقال : اللّهم زِدْنى بلَيْلَى حُبًّا ، وبها كَلَفاً ، ولا تُنسِنى ذِكْرَها أبداً . فهام حِينئِذٍ واخْتَلَط ، ولم يَضْبِطْ .

فكان يَهِيمُ فى البرِّيَّة مع الوَحْشِ ، لا يأْكُل إلّا ما يَنْبُت فى البَرِيَّة من بَقْلٍ ، ولا يَشْرَب إلّا مع الظِّبَاء إذا ورَدَت مَنَاهِلَها . وطال شَعرُ جَسَدِه ورأسِه ، وألِفَتْه الوُحوش فكانت لا تَنْفِر[3] منه . وجَعل يَهِيم حتى يبلغ حُدُود الشّأم ، فإذا ثاب إليه عَقْلُه سأل من يَمُرّ به مِن أحياء العَرب عن نَجْد ، فيُقال له : أين أنت من نجْد ! قد شارفْتَ الشّأم ! أنتَ بِموضع كذا . فيقول : فأَرُونى وِجْهَةَ الطريق . فيَرْحَمُونه ويَعرِضُون عليه أن يَحْمِلوه وأنْ يَكْسُوه ، فيَأْبَى . فيَدُلُّونه على طريق نجْد ، فيَتَوجَّه نحوَه .

وذكر بَعضُهم ، قال :

كُنتُ ببئر مَيْمُون[4] ، وإذا جَماعَةٌ فوقَ تلك الجبَال ، وإذا معَهم فَتًى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لا أعزك من صبر » .
(٢) أطراب : جمع طرب ، وهو الخفة تعترى الإنسان من شدة فرح أو حزن .
(٣) فى الأصل : « لا تفر » .
(٤) بئر ميمون : بمكة ، بين البيت والحجون . منسوبة إلى ميمون بن الحضرمى ، حفرها فى الجاهلية ، وعندها توفى أبو جعفر المنصور .

أبيضُ أقْنَى[1] طُوَالٌ[2] جَعْد[3] كأحسنِ مَنْ رَأَيْتُ من الرِّجَال ، على هُزَال منه وصُفْرة ، وإذا هم مُتَعَلِّقُون به . فسَأَلتُ عنه . فقيل لى : هذا قيْس المَجْنُون ، خَرج به أبوه يَسْتَجير له بالبَيْت ، وهو على أنْ يأتىَ به قبرَ النبىّ صَلّى الله عليه وسلّم ، يَدْعُو له هناك ، فلعلّه أن يُكْشَفَ ما به .

وقالوا : إنّه لَيَصْنع بنفسه صَنيعاً يرْحَمه منه عدوُّه . يقول : أَخْرِجُونى لَعَلّى أتَنَسَّم صبَا نَجْدٍ . فيُخْرِجُونه ، فيتَوَجَّه[4] نحوَ نَجْد . ونحْن أيضاً نخَاف أن يُلْقِيَ نَفْسه من الجَبَل ، فإن شِئْتَ الأَجْرَ دَنَوْتَ منه [فأَخْبَرْته أنّك أقبَلْتَ من نَجْد . فدَنَوْتُ منه] ، وأقبلُوا إليه ، وقالوا : يا أبا المَهْدىّ ، هذا الفتَى أقبلَ من نَجْد . فتنفَّس تنَفُّسَةً ظَنَنْتُ أنّ كَبِدَه قد انصَدَعَتْ . ثم جَعل يُسَائِلُنى عن وَادٍ وادٍ ، ومَوْضع مَوْضعٍ ، وأنا أُخبره ، وهو يَبْكى أَحَرَّ بُكاء وأَوْجَعه للقلْب ، ثم قال :

أَلا لَيْتَ شِعْرِى عَن عُوَارِضَتَىْ[5] قَنًا ... لطُولِ اللَّيَالى هَلْ تَغَيَّرتا بَعْدِى

وهل جارَتَانَا بالبَتِيلِ[6] إلى الحِمَى ... على عَهْدِنا أَمْ لم تَدُومَا على العَهْد

وعن عُلْوِيَّاتِ[7] الرِّياحِ إذا جرتْ ... بريحِ الخُزَامَى هَل تَهُبُّ على نَجْد

وعن أُقْحُوانِ الرَّمْلِ ما هو فَاعِلٌ ... إذا هو أَسْرَى لَيْلَةً بِثَرًى[8] جَعْد

---

(١) أقنى ، فى أنفه ارتفاع فى أعلاه بين القصبة والمارن ، من غير قبح .

(٢) طوال : مفرط فى الطول .

(٣) الجعد : المعصوب الجوارح الشديد الأسر والخلق ، فى غير استرخاء ولا اضطراب .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « فيتوجهون به » .

(٥) قنا : جبل ببلاد طيىء ، وعوارضة : جبل بأعلى ديار طيىء ، ذكره ياقوت ، ثم أنشد بيت قيس هذا .

(٦) البتيل : جبل بنجد .

(٧) علويات : جمع علوية ، نسبة إلى العالية ، وهى مافوق أرض نجد إلى تهامة ، نسبة نادرة ، والقياس : عالى .

(٨) الجعد : الندى .

وهل أنفضَنَّ الدَّهرَ أفنانَ لِمَّتى على لاحقِ المَتنَين مُندلقٍ[1] الوَخْدِ
وهل أسمعَنَّ الدَّهرَ أصواتَ هَجْمةٍ[2] تَحدَّرُ من نَشْزٍ[3] خَصيبٍ إلى وَهْد

سؤاله زوج ليلى عن حاليهما

وقيل : مَرَّ المجنونُ ذاتَ يومٍ بِزَوج لَيلَى ، وهو جَالسٌ يَصْطلى فى يَوْمٍ شاتٍ ، وقد أَتى ابنَ عمّ له فى حَيِّ المجنون لحاجةٍ ، فوقَف عليه ثم أنشأ يقول :

بِربِّكَ هل ضَممْتَ إليك لَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبح أو قَبَّلْتَ فَاهَا
وهَلْ رَفَّتْ عليك قُرُون[4] لَيْلَى رَفِيفَ الأُقْحُوانَةِ فى نَدَاها

فقال : اللّهم إذ حَلَّفْتَنى فنَعَمْ . قال : فقَبَض المجْنُونُ بكِلْتا يدَيْه قَبْضَتَيْن من الجمْر ، فما فارَقَهما حتى سَقَطَ مَغْشِيًّا عليه ، وسَقَط الجمْرُ مع لَحم راحتَيْه . فقَام زوجُ لَيْلَى مَغمُوماً بفِعْله مُتعجباً منه .

مروره بجبلى نعمان

وقيل : إن أهلَ المجنون خَرجوا به معهم إلى وادِى القُرَى[5] قبلَ تَوَحُّشِه لِيَمْتَارُوا[6] ، خوْفاً عليه من أن يَضيعَ ويَهْلِكَ ، فمرُّوا فى طريقهم بِجَبَلَىْ نَعْمان[7] . فقال له بعضُ فِتيَان الحىّ : هذان جَبَلَا نَعْمان ، وقد كانتْ لَيْلَى تَنزِل بهما . قال : فأىُّ الرِّيَاح يأتى من ناحيَتِهما ؟ قالوا : الصَّبَا . قال : فوالله لا أريم هذا الموضع حتى تهُبَّ الصبا . فأقام ، ومضَوْا فامتارُوا لأنفُسِهم ، ثم أتَوْا عليه فأقامُوا معه ثلاثةَ أيّام حتى هَبَّت الصَّبَا ، ثم انطَلق معهم وأَنْشأ يقول :

أيَا جَبَلَىْ نَعْمانَ باللهِ خَلِّيَا سَبِيلَ الصَّبَا يَخْلُصْ إلىَّ نَسِيمُهَا

(١) اللاحق : الضامر . والمتنان : جنبتا الظهر . والمندلق : السريع . والوخد : ضرب من سير الإبل والخيل ، معه سعة الخطو . (٢) الهجمة : القطعة الضخمة من الخيل .
(٣) النشز : المكان المرتفع .
(٤) القرون : ذوائب الشعر . ورفت : اهتزت نضارة وحسناً .
(٥) وادى القرى : بين الشام والمدينة .
(٦) الامتيار : جاب الطعام .
(٧) نعمان : هو نعمان الأراك ، واد بين مكة والطائف . وقيل : هو واد لهذيل على ليلتين من عرفات .

أَجِدْ بَرْدَها أو تَشْفِ منى حَرَارَةً   على كبدٍ لم يَبْقَ إلّا(١) صميمُها
فإنّ الصَّبَا ريحٌ إذا ما تَنَسَّمَت   على نفسِ مَهْمُومٍ تجلّتْ هُمُومُهَا

وقوفه على آثار بيت ليلى

وقيل: لما منع أبو لَيْلَى المجْنُونَ وعَشِيرتُه من تزوّجها إيّاه، كان لا يزال يَغْشَى بُيُوتَهم ويَهجُمُ عليهم، فشَكَوْه إلى السُّلْطان، فأهْدَر دَمَه لهم، فأَخْبَرُوه بذلك، فلم يَرْعه(٢) وقال: الموتُ أَرْوَحُ لى، فلَيتَهم قتلُونى. فلمّا علِمُوا بذلك وعلِموا أنّه لا يزَال يطلُب غِرَّةً(٣) منهم، حتى إذا تفرّقوا دَخَل دارَهم، ارْتحلُوا وأَبعَدُوا. وجاء المجنونُ عَشِيَّةً فأَشْرَف على دارهم، فإذا هى منهم بلاقعُ(٤)، فقصَد مَنزل لَيْلَى الذى كان بيتُها فيه، فألْصَق صدرَه به وجَعل يتمرَّغ على تُرَابه وَيَبْكى، ثم أنشأ يقول:

أيا حَرَجاتِ(٥) الحىّ يوم تحمَّلُوا   بذى سَلَمٍ(٦) لا جادَكُنّ رَبيعُ
وخَيْماتُك اللّاتى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى   بَلِينَ بِلًى لم تَبْلَهُنّ رُبُوعُ
نَدِمْتُ على ما كان مِنِّى نَدامَةً   كما يندم المَغْبُونُ حينَ يَبيعُ
فقَدْتُك من قَلْبٍ شَعَاعٍ(٧) فإنّنى   نَهَيْتُك عن هـذا وأَنتَ جَميعُ
فقَرَّبْتَ لى غيرَ القريب وأَشْرَفَتْ   هُنَاكَ ثَنَايا(٨) مالهنَّ طُلُوعُ

ليلى وقد أخلفته

وذُكر أنّ لَيْلَى وعدتْه قبل أن يَختلط أن تَسْتَزِيرَهُ لَيْلَةً إذا وَجَدَتْ فُرْصَة لذلك، فمكَثَ مُدّةً يُرَاسِلُها فى الوَفَاء، وهى تَعِدُه وتُسَوِّفُه، فأَتى

(١) صميمها: أصلها.
(٢) فى الأصل: «فلم يزعه».
(٣) غرة: غفلة.
(٤) بلاقع: خالية.
(٥) الحرجات: الغيضات، وهى الشجر الملتف؛ الواحدة: غيضة.
(٦) ذو سلم: موضع بالحجاز.
(٧) قلب شعاع: متفرق لا عزم له. وفى بعض أصول الأغانى: «نفس شعاع».
(٨) الثنايا: المراقى الصعبة فى الجبل؛ الواحدة: ثنية.

أَهلَها ذاتَ يَوْم والحىُّ خُلوف(١) ، فجلَس إلى نِسْوَةٍ من أَهْلِها حَجْرةً(٢) منها بحيْثُ تسْمَع كلامَه . فحادَثهُنّ طويلاً ، ثم قال : ألا أُنْشِدُكُنَّ أَبْيَاتاً أَحْدَثْتها فى هذه الأيّام ؟ قُلْن : بَلى . فأَنْشَدَهُن :

يا لَلرِّجال لِهَمٍّ باتَ يَعْرُونى مُسْتَطْرَف وقَديمٍ كاد يُبلِينى
مَنْ عاذِرى من غَرِيم غيرِ ذى(٣) عُسُر يأْبَى فيَمْطُلنى دَيْنى ويَلْوينى
لا يُبْعِدُ النَّقْدَ من حَقٍّ فيُنْكِره ولا يُحَدِّثُنى أَنْ سَوْف يَقْضِينى
فما كشُكْرِىَ شُكْرٌ لَوْ يُوافِقُنى ولا مُنَاىَ سِواه لو يُواتِينى
أَطَعْته وعَصَيْتُ النّاسَ كُلَّهم فى أَمْرِهِ وهَواهُ وهُو يَعْصِينى

فقُلْنَ له : ما أَنْصَفَك هذا الغَرِيمُ الذى ذكَرْتَه ، وجَعَلْنَ يتضاحكْنَ من قوله وهو يَبْكى ، فاُسْتَحْيَتْ لَيْلَى منهن ورَقَّتْ [له] حتى بَكَت ، وقامَتْ ودَخلَت بَيْتَها واُنصرف هو .

حديثه مع ليلى وقد أتى أهلها يسألهم أدما

وذُكر أنّه قيل لقَيْس بن المُلَوَّح المجنون قَبل أن يَخْتلِط : ما أَعْجَبُ شىء أصابك من وَجْدِك بلَيلَى ؟ قال : طَرَقَنا ذاتَ ليلة أَضْيافٌ ، ولم يكُنْ عندنا أُدْمٌ ، فبَعَثَني أَبِي إلى مَنْزِل أبى لَيْلَى ، وقال : اُطْلُبْ منهم لنا أُدْماً . فأَتَيْتُه فوَقَفْتُ على خِبائه وصِحْتُ . فقال : ماتشاء؟ فقلت : طَرَقَنا ضِيفَانٌ ولا أُدْمَ لنا ، فأرسَلنى أَبى أَطْلُب منك أُدْماً . فقال : ياليلى ، أَخْرِجى ذلك النِّحْىَ(٤) فاُمْلئى له إناءَه من السَّمْن . فأَخْرَجَتْه ، ومعى قَعْبٌ ، فجَعَلَتْ تَصُبُّ السَّمن لى فيه ونتحَدَّثُ ، فأَلْهانا الحديثُ وهى تَصُبُّ السَّمْن ، وقد اُمْتَلأَ القَعْبُ ولا نَعْلم جميعاً ، وهو يَسِيل حتى اُسْتَنْقَعَتْ أَرْجُلُنا فى السَّمن .

(١) حى خلوف : قد غاب رجاله وأقام نساؤه .
(٢) حجرة منها : أى ناحية منها .
(٣) العسر : بضمتين ، لغة فى العسر ، بالضم .
(٤) النحى : الزق الذى يوضع فيه السمن خاصة .

هو وليلى وقد أتى أهلها يطلب نارا

قال : وأَتَيْتُهم ليلةً ثانيةً أَطْلُب ناراً ، وأنا مُتَلَفِّعٌ ببُرْدٍ لى[١] . فأَخْرَجَتْ لى ناراً فى عُطْبَةٍ[٢] فأعطتنيها ، ووقفْنا نتحدَّث ، فلمَّا احْتَرَقَتْ العُطْبَةُ خرَّقْتُ من بُرْدِى خِرْقَةً ، وجَعَلْتُ النَّارَ فيها ، وكلَّما احترقتْ خَرَّقْتُ أُخْرَى وأَذْكَيْتُ بها النَّارَ ، حتَّى لم يَبْقَ علىَّ من البُرْدِ إلَّا ما وارَى عَوْرَتى ، وما أَعْقِلُ ما أَصْنَع .

شعر له يدعى لنصيب

وأَنْشد المجنون :

كأنَّ على أنيابِها الخمرَ[٣] شَجَّها بماءِ النَّدَى فى آخرِ اللَّيْلِ[٤] غابقُ
وما ذُقْتُها إلَّا بِعَيْنِى تفرُّساً كما شِيمَ[٥] من أعْلَى السَّحابة بارِق

ويُدعى هذا الشعر لنُصيب .

هو وليلى بعد أن سألتها أمه لقاءه

وقيل : لمّا اختلط عَقْل المجنون وترَك الطَّعامَ والشَّراب ، مَضَتْ أُمُّه إلى لَيْلى فقالت لها : إنّ قَيْسًا قد ذَهب حُبُّكِ بعَقْله ، وترَكَ المَطعَمَ والمَشْرب ، فلو جِئْتِه وقتاً لَرَجوتُ أن يَثُوبَ إليه بَعْضُ عَقْله. فقالت ليلى: أمَّا نهاراً فلا ، لأنّى لا آمَنُ قَوْمِى على نفْسى، ولكن ليلاً . فأتته ليلاً فقالت له : يا قَيْس ، إنّ أُمَّك تزْعُمُ أنَّك جُنِنْتَ من أَجْلى وتركتَ المَطعْم والمَشْرَب ، فاتَّقِ اللهَ وأَبْقِ على نَفْسِك . فبَكى وأَنْشَأَ يقول :

قالتْ جُنِنْتَ على رَأْسى[٦] فقُلْتُ لها الحُبُّ أَعْظَمُ ممَّا بالمجانِينِ
الحُبُّ لَيْسَ يُفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُه وإنَّما يُصْرَعُ المَجْنونُ فى الحِين

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ببردتى » .
(٢) العطبة : خرقة تؤخذ بها النار .
(٣) شجها : مزجها .
(٤) الغابق : الساقى فى الغبوق ، أى العشى .
(٥) شام : نظر .
(٦) كذا فى الأصل وبعض أصول الأغانى وتزيين الأسواق . وفى سائر أصول الأغانى : « على أيش » أى على أى شىء . قال الخفاجى : إنها سمعت من العرب ، ووردت فى شعر قديم .

قال : فبكَتْ معه . وتحدَّثنا حتى كاد الصُّبحُ يُسْفِر ، ثم ودَّعته وانْصرَفتْ . فكان آخِرَ عَهْدِه بها .

سبب تسميته بالمجنون

وقيل : إنه إنما سُمِّىَ المجنُونَ بقوله :

ما بَالُ قَلْبِكَ يا مَجْنُونُ قَدْ خُلِعَا … مِنْ حُبِّ مَنْ لاترَى فى نَيْلِه طَمَعَا
الحُبُّ والوُدُّ نِيطَا بالفُؤادِ لهــا … فأَصْبحَا فى فُؤَادِى ثابِتَيْنِ مَعا

ومن قوله فى جُنونه :

يُسَمُّوننى المَجْنُونَ حِينَ يَرَوْنَنى … نَعَم بىَ من لَيْلَى الغَـدَاةَ جُنُونُ
لَيَالِىَ يُزْهَى بى شَبَابٌ[1] وشِرَّةٌ … وإذْ بِىَ مِنْ خَفْضِ المَعِيشَةِ لِين

وقيل : بل سُمِّىَ المجنون بقوله :

وإنِّى لمجنونٌ بلَيْلَى مُوَكَّلٌ … ولَسْتُ عَزُوفاً[2] عن هَوَاها ولا جَلْدَا
إذا ذُكِرَتْ لَيْلَى بَكَيْتُ صَبَابَةً … لِتذْكارِها حتى يَبُلَّ البُكَا الخَدَّا

وقيل : بقوله :

وبى مِنْ هَوى لَيْلَى الَّذى لو أَبثُّه … جَمَاعة أَعدائِى بَكَتْ لى عُيُونُهــا
أرَى النَّفسَ عن لَيْلَى أَبَتْ أَنْ تُطِيعَنى … فقدْ جُنَّ مِنْ وَجْدٍ[3] بِلَيْلَى جُنُونُها

وقيل : بقوله :

يَقُول أُناسٌ عَلَّ مَجْنُونَ عامِرٍ … يَرومُ سُلُوًّا قُلْتُ أَنَّى لِمَا بِيَا
وقـد لامَنِى فى حُبِّ لَيْلَى قَرَابَتِى … أَخِى وأُبْنُ عَمِّى وأُبْنُ خالِى وخَالِيـا
يقولون لَيْلَى أَهْلُ بَيْتِ عَـدَاوَةٍ … بِنَفْسِىَ لَيْلَى مِن عَدُوٍّ ومَالِيا

من شعره

وقال أيضاً :

وشُغلتُ عن فَهْم الحديث سوى … ما كان منكِ فإنّه شُغْلِى
وأُديم لَحْظ مُحـدِّثى لـيرَى … أن قد فهمتُ وعنـدكم عَقلى

---

(١) الشرة : نشاط الشباب . (٢) العزوف : المنصرف عن الشيء زهدا فيه أو كراهية له .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وجدى » .

وقال أيضاً :

أَلاَ ما لِلَيْلَى لا تُرَى عِنْدَ مَضْجَعِى ... بِلَيْلٍ ولا يَجْرِى بذلك طَائِرُ
بَلَى إنَّ عُجْمَ الطَّيْرِ تَجْرِى إذا جَرَتْ ... بِلَيْلَى ولكن ما لِذَلك زَاجِرِ
أَزَالتْ عَنِ العهْدِ الذى كان بَيْننا ... بذى الأَيْكِ[1] أَمْ قد غَيَّرتْها المقَادِرِ
فواللهِ ما فى القُرْبِ لى مِنْكِ رَاحَةٌ ... ولا البُعْدُ يُسْلِينِى ولا أَنَا صَابِرِ
وواللهِ ما أَدْرِى بِأَيَّةِ حِيلَةٍ ... وأَىِّ مَرَامٍ أَوْ خِطَارٍ[2] أُخَاطِرِ
وتاللهِ إنَّ الدَّهْرَ فى ذاتِ بَيْنِنا ... عَلَىَّ لها فى كُلِّ حالٍ لَجَائِرِ
فَلَوْ كُنْتِ إِذْ أَزْمَعْتِ هَجْرِى تَرَكْتِنِى ... جَمِيعَ[3] القُوَى والعَقْلُ مِنِّىَ وَافِرِ
وقد أَصْبَحَ الوُدُّ الذى كان بَيْنَنا ... أَمَانِىَّ نَفْسٍ والمُؤَمَّلُ حَائِرِ
لَعَمْرِى لقد رَنَّقْتِ[4] يا أُمَّ مَالِكٍ ... حَيَاتى وساقَتْنِى إِلَيْكِ المقَادِرِ

وقال أيضاً :

نَهارِى نَهارُ النَّاسِ حتى إذا بَدَا ... لِىَ اللَّيْلُ هَزَّتْنِى إِلَيْكِ المَضَاجِعُ
أُقَضِّى نَهارِى بالحديث وبالمُنَى ... ويَجْمَعُنِى والهَمَّ باللَّيْلِ جَامِع
لَقَدْ ثَبَتَتْ فى القلب منكِ مَوَدَّةٌ ... كما ثَبَتَتْ فى الرَّاحَتَيْنِ الأَصَابِع

وقال أيضاً :

أَظُنُّ هَوَاها تَارِكِى[5] بِمَضَلَّةٍ ... من الأَرْضِ لا مَالٌ لَدَىَّ ولا أَهْلُ
ولا أَحَدٌ أَقْضِى إليه[6] وصِيَّتِى ... ولا صَاحِبٌ إِلَّا المَطِيَّةُ والرَّحْل
مَحَا حُبُّها حُبَّ الأُلَى كُنَّ قَبْلَها ... وحَلَّت مَحَلاً لم يَكُنْ حُلَّ مِن قَبْل

---

(١) وهى رواية تزيين الأسواق أيضاً (ص ٧٩). وفى بعض أصول الأغانى : « بذى الأثل ».
(٢) الخطار : الرهان . وأخاطر : أراهن . (٣) جميع : مجتمع .
(٤) رنقت : كدرت . (٥) المضلة ، بفتح الضاد وكسرها : المكان يضل فيه الإنسان .
(٦) أقضى إليه وصيتى : أنهيها إليه وأبلغه إياها . وفى الأصل : «أفضى» بالفاء، وهو مما يتعدى بالباء .

شعره وقد زوجت ليلى فى ثقيف

وقيل : زُوِّجت رجُلاً من ثقيف ، فقال :

دَعوْتُ إلٰهى دَعْوَةً ما جَهِلْتهـا ... وربى بِمَا تُخفِى الصُّدُورُ[1] خَبِيرُ

لئن كنتَ تُهْدِى بَرْدَ أنيابها العُلا ... لأَفْقَرُ مِنِّى إنّنى لَفقِير

فقد شاعَت الأَخْبارُ أَنْ قد تزَوَّجتْ ... فهَلْ يأْتينِّى بالطَّلاق بَشِير

وقال أيضاً :

ألا تِلْكَ لَيْلَى العَامِرِيَّةُ أَصْبَحَتْ ... تَقَطَّعُ إلّا مِنْ ثَقِيفٍ حِبالُها

هُمُ حَبَسُوها مَحْبَسَ البُدْنِ وأبْتَغَى ... بها المَالَ أَقْوَامٌ أَلاَ قَلَّ مالُها

وجَعَلَ يَمُرُّ ببيتها ولا يَسْأَلُ عَنْها ولا يَلْتَفِتُ إليه ، ويقول إذا جاوزه :

أَلَا أيُّها البَيْتُ الذى لا أَزُوره ... وإن حَلَّه شَخْصٌ إلَيَّ حَبِيبُ

هَجَرْتُكَ إشفاقاً وزُرْتُكَ خائفاً ... وفيك علَيَّ الدَّهرَ مِنْكَ رَقِيب

سأَسْتَعْتِبُ الأَيَّامَ فِيكَ لعَلَّها ... بِيَوْمِ سُرُورٍ فى الزَّمان تؤُوب

وبَلَغه أنّ أهْلَها يُرِيدُون نَقْلَها إلى زوْجِها الثّقَفِيّ ، فقال :

كأَنَّ القَلْبَ لَيلَةَ قِيلَ يُغْدَى ... بلَيْلَى العَامِرِيَّةِ أو يُرَاحُ

قَطَاةٌ عَزَّها[2] شَرَكٌ فباتَتْ ... تُجَاذِبُه وقدْ عَلِقَ الجَنَاح

فلمّا نُقِلَتْ إلى الثّقَفِيّ قال :

طَرِبْتَ وشَاقَتْكَ الحُمولُ الدَّوافعُ ... غَدَاةَ دَعَا بالبَيْنِ أَسْفَعُ[3] نَازِعُ

شَحَا فَاهُ نَعْباً بالفِراق كأنه ... حَرِيبٌ سَلِيبٌ نَازِحُ الدارِ[4] جَازِع

فقلتُ أَلا قد بَيَّنَ[5] الأَمْرُ فانْصَرِفْ ... فقَدْ راعَنَا بالبَيْن قَبْلَك رَائِع

---

(١) فى الأصل : « قدير » مكان «خبير» . (٢) عزها : غلبها .

(٣) الحمول : أى الإبل التى عليها الهوادج . والدوافع : المندفعة فى السير . والأسفع : الأسود. والنازع : المسرع ، يريد غراباً .

(٤) شحا فاه : فتحه . والنعب : الصياح والتصويت . والحريب : المسلوب . وفى الأصل : « غريب » مكان « سليب » .

(٥) بين الأمر : تبين .

سُقيتَ سِمامًا من غُرابٍ فإنّنى ... تبيَّنْتُ ماخبَّرْتَ مُذ أنتَ[١] وَاقِع
ألم ترَ أنِّى لا مُحِبٌّ أَلُومُه ... ولا ببَديلٍ بَعْدهم أنا قانِع
وقد يَتَنَاءَى الإِلْفُ من بَعْد قُرْبه ... وَيصْدَعُ ما بَيْنَ الخَليطيْن صادِع
وكم من هوًى أو جيرةٍ قد أَلِفْتهم ... زمانًا فلمْ يَمْنعْهُم البَيْنَ مانِع

ومنها :

فلمَّا استَوَتْ تحتَ الخُدورِ وقد جرَى ... عَبيرٌ ومِسْكٌ بالعَرانين[٢] رَادِعُ
أَشَرْنَ بأن حُثُّوا الجِمالَ فقد بَدَا ... من الصَّيْفِ يَوْمٌ لافِحُ الحرّ[٣] ماتِع
فلمّا لحِقْنَا بالحُمُول تَبَاشَرَتْ ... بنا مُقْصِراتٌ غابَ عنها المُطالِع
تعرَّضْنَ[٤] بالدَّلِّ المَليح و إن يُرِدْ ... جَناهُنَّ مَشْغُوفٌ فهُنَّ مَوانِع
فقلتُ لأصْحَابى ودَمْعِىَ مُسْبَلٌ ... وقد صَدَعَ الشَّمْلَ المُشَتَّتَ صادِع
أَلَيْلَى بِأَبْوَابِ الخُدورِ تعرَّضَتْ ... لِعَيْنَىَّ أَمْ قَرْنٌ من الشَّمْسِ طالِع

تردده على التوباذ حيث كان يلقى ليلى

وقيل : كان المجنون ولَيْلَى ، وهما صَبِيَّان ، يَرْعَيانِ غَنَماً لأَهْلهما عند جَبَلٍ فى بلادِها ، يقال له : التَّوْباذ[٥] ، فلمَّا ذَهَب عَقْلُه وتَوحش كان يَجىءُ إلى ذلك الجَبَل فيُقيم فيه ، فإذا تَذَكر زمن[٦] كان يُطيفُ به هو ولَيْلَى جَزِع واستَوْحَش ، وهَام على وَجْهِه حتى يَأْتِىَ نَوَاحِىَ الشَّأم ، فإذا ثَاب إليه عَقْلُه رأى بَلَداً لا يَعْرِفُه ، فيَقُولُ للنَّاس الذين يَلْقَاهُم : بأَبِى أنتم ! أَيْنَ التَّوْباذ مِن أرض بنى عامر ؟ فيقال له : وأَيْنَ أَنْتَ من أرض بَنى عامر ؟ أَنتَ بالشَّأم ، عليك بِنَجْمِ كَذا فأَمَّه . فيَمْضِى على وَجْهِه نَحو ذلك النَّجْم ، حتى يَقَعَ بأرض اليَمن ،

(١) واقع : قد حط على مكان .
(٢) رادع : أى مردوع به الجسد والثوب ، أى ملطخ .
(٣) ماتع : طويل .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « يعرضن » .
(٥) كذا فى ياقوت ، وضبطه البكرى بالدال المهملة ، وهو جبل بنجد .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « أيام » .

فيرى بلاداً يُنْكِرُها وقوماً لا يعرِفُهم ، فيَسْأَلهم عن التَّوْباذ وأَرْض بنى عامر ، فيَقُولون له : وأَينَ أنت مِن أرض بنى عامر ! عليكَ بِنَجْم كذا وكذا . ولا يزالُ كذلك حتى يقَع على التَّوْباذ ، فإذا رآه قال :

وأَجْهَشْتُ[1] لِلتَّوْباذ حينَ رَأَيْتَه ... وكَبَّر لِلرَّحمن حين رَآنِى
وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ العيْنِ لَمَّا عَرفْتُه ... ونَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فدَعَانى
فقلتُ له قد كان حَولَك جِيرَةٌ ... وعَهْدِى بذاكَ الصَّرْمِ مُنْذُ زَمان
فقال مَضَوْا واستَوْدَعُونى حَدِيثَهُم ... ومن ذا الذى يَبْقَى على الحَدَثَان
وإنّى لأَبْكى اليومَ من حَذَرى غداً ... فِراقَكَ والحَيَّان مُؤْتَلِفَان
سِجَالاً وتَهْتَاناً ووَبْلاً ودِيمَةً ... وسَحًّا وتَسْكَاباً[2] إلى هَمَلان

سبب مرضه

وقيل : إنه لمّا قال المجنون :

خَلِيلَىَّ لا واللهِ لا أَمْلِكُ الذى ... قَضَى اللهُ فى لَيْلَى ولا ما قَضَى لِيَا
قَضَاها لِغَيْرِى وَابْتَلانى بحُبِّها ... فهلَّا بشَىءٍ غيرِ ليْلى ابْتَلانيا

مَرِضَ .

عود إلى شعره

وقال المجنونُ أيضاً :

وأَحْبِسُ عَنْكِ النفْسَ والنَّفْسُ صَبَّةٌ ... بِذِكراكِ والمَمْشَى إليكِ قَرِيبُ
مَخَافَةَ أنْ يَسْعَى الوُشَاةُ بِظِنَّةٍ ... وأَحْرُسُكُم أن يَسْتَرِيبَ مُرِيب
لقد جَعَلَتْ نَفْسى ـ وأَنْتِ اجْتَرَمْتِها[3] ... وكُنْتِ أَعزَّ النَّاسِ ـ عنك تَطِيب
فلَوْ شِئْتِ لم أَغْضَبْ عَليْكِ ولم يَزَل ... لَكِ الدَّهرَ مِنِّى ما حَيِيت نَصِيب

---

(١) أجهش : تهيأ للبكاء .

(٢) فى الأصل : « وتنهملان » مكان « إلى هملان » . وما أثبتناه من الديوان .

(٣) الاجترام : الصرم والقطيعة . يريد : وأنت قطعتنى وهجرتنى . والاجترام أيضاً : كسب الذنب . يريد : اجترمت هذه القطيعة ، أو هذه الفعال من استماعك إلى الوشاة . وفى بعض أصول الأغانى : « اجترمته » . يريد : الذنب ، أى استماعك إلى الوشاة . والرواية فى الأصل : « اخترمتها » . بالخاء . والاخترام : الاستئصال والاقتطاع . يريد وصف العناء الذى بلغ به مبلغ هذا .

الببغاء وصديقه أحب قرشية

قُلْتُ : واُستَطْرَد أبو الفَرج بحكاية ليستْ من أخبار المجنون ظريفة ، تتعلّق بقوله :

« لقد جَعلت نَفْسى وأَنْت اُجترمتها[١] وكنت أعزّ النـاس عنك تَطيب »

وهى : حَكى[٢] أبو الحسن البَبَّغاء[٣] قال : بينا أنا وصديقٌ لى من قُريش نمْشى بالبَلاط[٤] ليلاً، إذا بِظلِّ نِسْوة فى القمر، فَسَمِعْتُ إحداهنّ تقول : هو هو؟ فقالت لها أخرى معها : إى والله لهو هو ! فدنتْ منّى ثم قالت : يا كَهْلُ ، قُلْ لهذا الذى معك :

ليستْ لياليكَ فى خاخٍ[٥] بعائدةٍ كما عَهِدتَ ولا أيّامُ ذى سَلَمِ

فقلتُ : أَجِبْ فقد سَمِعْتَ . فقال : قد والله قُطِع بى وأُرْتِج علىّ ، فأَجِبْ عنّى . فقلت :

فقلتُ لها يا عَزّ كُلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يَوْماً لها النَّفْسُ ذَلَّتِ

ثم مَضَيْنَا حتى إذا كُنّا فى مُفْتَرَقِ طَرِيقَيْن ، مَضَى الفَتَى إلى مَنْزِله ومَضَيْتُ إلى مَنْزِلى ، فإذا أنا بجُوَيْرِيةٍ تَجْذِبُ ردائى ، فالتَفَتُّ . فقالت [لى] : المرأةُ التى كَلَّمَتْهَا تَدْعوك . فمَضَيْتُ معها ، حتى دَخَلْتُ داراً واسعَةً ، ثم صِرْتُ إلى بَيْتٍ فيه حَصيرٌ ، وقد ثُنِيَتْ لى فيه وِسَادةٌ ، فجَلَسْتُ عليها . ثم جاءتْ الجارِيةُ بوسادة مَثْنِيّةٍ فطَرَحَتْها ، ثم جاءت المرأةُ فجلستْ عليها ، وقالت لى : أنتَ المُجيب ؟ قلتُ : نَعَم . قالت : ما كان أَفظَّ جَوابَك وأَغْلَظَه ! فقلتُ : ما حَضَرنى غيرُه . فسكتتْ ثم قالت : ما خلق الله خَلْقاً أَحَبَّ إلىَّ من إنسان كان معك ! فقلتُ : أنا الضَّامِنُ لك عنه ما تُحِبِّين . فقالت : هيهاتَ أن يقَع بذلك وفاءٌ !

---

(١) فى الأصل : « اخترمتها » . وانظر الحاشية (٣ ص ١٧٢) من هذا الجزء .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « حدث » .
(٣) فى الأصل : « الينبعى » . (٤) البلاط : موضع بالمدينة .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « جمع » وهى المزدلفة .

فقلتُ : أنا الضَّامِن وعلىَّ أنْ آتِيَك به الليلةَ القابلةَ . قال : فانصرفتُ ، فإذا الفَتى ببابى، فقلتُ: ماجاء بك ؟فقال : ظَنَنْتُ أنَّها ستُرْسِل إليك ، وسألتُ عنك فلم أعرف لك خبراً ، فظننتُ أنَّك عنـدها ، فجلستُ أنتظرك . فقلت : قد كان الذى ظننتَ ، وقد وعدتُها أنْ آتِيكَ فأَمْضِيَ بكَ إليها فى الليلة المُقبلة .

فلمّا أصْبحنا تهيّأْنا وانتظَرْنا المَساء . فلما جاء اللّيْـلُ رَحَلنا إليها ، فإذا الجاريةُ مُنْتَظِرةٌ لنـا ، فمضَتْ أمامَنا حِينَ رَأَتْنـا ، حتَّى دَخلتْ تِلك الدَّارَ ، ودخلنا معها ، فإذا رَائحةٌ طَيبـةٌ ومجلس قد أُعِدَّ ونُضِّد . فجلَسْنا على وسـائِدَ قد ثُنيتْ . وجلستْ مَليًّا ، ثمَّ أَقبلتْ عليه تعاتبُه مَلِيًّا ، ثم قالتْ :

وأنتَ الّذى أَخْلَفْتَنِى ماوعَدْتَنِى ... وأَشْمَتَّ بى مَن كان فيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِى للنَّاسِ ثم تَرَكْتَنِي ... لَهُم غَرَضاً أُرْمَى وأنتَ سَـلِيمُ
فَلَو كان قَولٌ يَكْلِمُ الجِلْدَقد بَدَا ... بِجِلْدِىَ مِنْ قَولِ الوُشَـاةِ كُلُومُ

— والأبيات لصاحبة ابن الدُّمَيْنة ، وهى أُمَيْمَة — قال: ثم سكتتْ، وسَكَت الفتى هُنَيْهةً ، ثم قال :

غَدَرْتِ ولم أَغْدِرِ وخُنْتِ ولم أَخُن ... وفى بَعْض هـــذا للمُحِبِّ عَزَاء
جَزَيْتُكِ ضِعْف الوُدِّ ثم صَرَمْتِنى ... فَحُبُّك من قَلْبِى إليـك أَدَاء

فالتفتتْ إلىّ وقالت : ألَا تَسْمع ما يقول ! قد خَبَّرْتُك ! قال : فغمزتُه : أنْ كُفَّ . فَكَفَّ . ثم أقبَلَتْ عليه ، وقالت :

تَجاهَلْتَ وَصْلِى حين لَجّتْ[1] عَمَـايَتى ... فهَلّا صَرَمْتَ الحَبْـلَ إذ أَنا أُبْصِرُ
ولِى مِن قُوَى الحَبْـلِ الّذى قد قطعْتَه ... نَصِيبٌ وإذ رَأْيِى جَمِيعٌ[2] مُوَفَّرُ
ولـكنّما آذنتَ بالصَّرْم بَغْتَـةً ... ولَسْتُ على مِثْلِ الذى جِئْتَ أَقْدِرُ

---

(١) لجت : دامت وبقيت . (٢) فى الأصل : « الجميع » .

فقال :

لقد جعلتْ نفسِى وأنتِ[1] اُجْتَرَمْتِها وكنتِ أَعزَّ النـاسِ عنكِ تَطيبُ

قال : فبكتْ ، ثم قالت . أَوَقد طابتْ نفسُك ! لا ! واللهِ ما فيك بعـد هذا خَيْر ! ثم اُلتفتتْ إلىّ فقالت : قد علمتُ أنك لاتَفِى بضَمانك ، ولايَفِى[به] عنك.

[ج ٢]

رجعة الى شعر المجنون

وممّا قاله المَجنون :

يَضُمُّ إلىّ اللَّيلُ أطرافَ حُبِّكم كما ضَمَّ أزرارَ القَميص البَنـائِقُ
وماذا عَسَى الواشُون أن يتحدَّثُوا سِوَى أن يقُولُوا إننى لَكِ عاشِق
نَعم صَدَق الواشُون أنتِ حَبيبةٌ إلىّ و إنْ لم تَصْفُ مِنْكِ الخلائق

شعره فيما كان بين ليلى وجارة لها من عقيل

وقيل : دَخلتْ ليْلى على جارة لها من عُقَيْل ، وفى يدها مِسْواكٌ تَسْتَاكُ به ، فتنفَّست ثم قالت: سَقَى اللهُ من أَهدى لى هذا المِسواكَ ! فقالت لها جارتُها : مَنْ هو ؟ قالت : قيْسُ بن الملوّح. ثم نزَعت ثيابها تَغْتَسِل،فقالت : وَيْحه ! لقد عَلِق به منّى ما أَهْلكه من غير أن أَسْتَحِقّ[2] ذلك، فنَشَدْتُكِ الله ،أصَدَق فى صِفَتى أم كَذَب ؟ فقالت : لا والله ، بل صَدَق . و بلغ المجنونَ قولُها فبـكَى ، ثم أَنْشأَ يقول :

نُبِّئْتُ لَيْلَى وقد كُنّا[3] نُبَخِّلُهـا قالتْ سَـقى اللهُ غَيْثاً مَنْزِلاً خَرِبَا
وحَبَّـذا راكِبٌ كُنَّا نَهَشُّ له يُهْدِى لَنَا مِن أَرَاكِ المَوْسم القُضُبا
قالتْ لجارتها يوماً تُسائِلُهـا لَمّا اُستحَمّتْ وأَلْقتْ عندها[4] السَّلَبا
يا عَمْرَكِ[5] الله أَلَّا قُلْتِ صـادقةً أصـدَّقَتْ صِـفَةُ المَجْنون أم كَذَبا

شعره وقد وعظه عامرى غب مطر

وذَكَر رَجُلٌ من بنى عامر قال :

مُطِرْنا مَطَراً شَـديداً فى رَبيع اُرْتَبَعناه ، ودام المَطَرُ ثَلاثاً ، ثم أصْبَحنـا

(١) فى الأصل : « اخترمتها » . وانظر الحاشية (رقم ٣ ص ١٧٢) من هذا الجزء .
(٢) فى الأصل : « يستحق » . (٣) فى الأصل : « نبجلها »مكان « نبخلها » .
(٤) السلب : كل ما على الإنسان من ثياب . (٥) فى الأصل : « أعمرك » .

فى اليوم الرّابع على صَحْوٍ ، وخَرج النـاسُ يَمْشُون على الوادِى ، فرأيتُ رَجُلاً جالِسًا حَجْرَةً [(١)] وحدَه ، فقصـدتُه ، فإذا هو المَجنون جالِسٌ وحدَه يبْكى ، فوَعَظْتُه وكَلَّمتُه طَوِيلاً ، وهو ساكت . ثم رَفَع رَأْسَه إلىَّ وأَنْشَـدَنى بِصَوْتٍ حَزِين ، لا أَنْساهُ أَبَدًا وحُرْقَته :

جرَى السَّـيْلُ فاُسْتَبْكَانِىَ السَّـيْلُ إذْ جَرَى
وفَاضَتْ له من مُقْلَتَىَّ [(٢)] غُـــرُوبُ

وما ذاك إلّا حِينَ خُــبِّرْتُ أَنَّه ... يَمُرُّ بوادٍ أَنْتِ منـــه قَرِيب
يكونُ أُجَاجًا دُونَكم فإذا أنْتَهَى ... إليكم تلَقَّى طِيبَكُم فيَطيب
أَظَلُّ غرِيبَ الدَّارِ فى أرْض عَامِرٍ ... أَلا كُلُّ مَهْجُورٍ هُنـاكَ غَريب
وإنّ الكَئيبَ الفَرْدَ من جَانبِ الحِمَى ... إلىَّ وإنْ لم آتِـهِ لَحَبيب
فلا خَـيْرَ فى الدُّنْيـا إذا أنتَ لم تَزُر ... حَبِيباً ولم يطْرَب إليـكَ حَبيب

وأوَّلُ هذه القصيدة :

أَلا أيُّهـا البَيْتُ الذى لا أَزُورُه ... وهِجْـرَانُه منّى إليـــه ذُنُوبُ
هَجَرْتُكَ مُشْـتاقاً وَزُرْتُكَ خَائفًـا ... وفيـك عَلَىَّ الدّهْرَ مِنْكَ رَقيب
سَأَسْـتَعْطِفُ الأيَّامَ فيـك لعَلَّهـا ... بيومِ سُرورٍ فى هَـواكَ [(٣)] تُثِيب
لَـئِنْ حَالَ يأسٌ دُونَ لَيْلى لَرُبَّمـا ... أَتى اليأْسُ دون الأَمْر وهو قَرِيب
ومَنَّيْتِنِى حتى إذا ما رأَيْتِنى ... على شَرَفٍ للنَّـاظِرِين يُرِيب
صَدَدْتِ واشْمَتِّ العَـدُوَّ بصَرْمِنـا ... أَثَابكِ يا ليلَى الجـــزَاءَ مُثِيب

وقد رُوى البيتانِ الأوّلان لمحمد بن أُميّة .

---

(١) حجرة : ناحية .

(٢) الغروب : الدموع .

(٣) فى الأصل : «تنيب» مكان « تثيب » .

لقاؤه ليلى فجأة

وذُكِر أنّ المجنون مرَّ فى بعض توحُّشه، فصادف حَيَّ ليلى راحلًا ولَقِيَها فَجأَةً، فعرفها وعرفَتْه، فصَعِقَ وسَقَط على وَجْهه، وأقبل فِتْيانٌ من حَىّ ليلى، فأخذوه ومَسَحُوا التُّراب عن وَجْهه، وأسْنَدُوه إلى صُدُورهم، وسألوا ليْلى أن تَقِفَ له وَقْفةً، فرَقَّت لما به وقالت: أمّا هذا فلا يَجُوز أنْ أفْتَضِحَ به، ولكن يا فُلانَة، لأمةٍ لها: اذْهَبِى إلى قَيس فقُولى له: ليْلى تقرأ عليك السَّلامَ وتقول لك: أعْزِزْ عَلَيَّ بما أنت فيه، ولو وجدتُ سبيلًا إلى شِفاء دائك لوقيتُك بنَفْسِى منه. فمَضَتِ الوليدةُ إليه، فأخبرتْه بقولها، فأفاق وجلس وقال: أبلغيها السَّلامَ، وقُولى: هيهات! إن دائى ودوائى أنتِ، و إنّ حياتى ووفاتى لَفِى يدَيْك، ولقد وُكِّلْتِ بى شقاءً لازماً و بلاءً طَويلا. ثم بكى وأنشأ يقول:

أقول لأصْحابِى هى الشَّمْسُ ضَوْءُها ... قَريبٌ وَلكِنْ فى تَناوُلِها بُعْدُ
لقد عارضَتْنا الريحُ منها بنَفْحَةٍ ... على كَبِدى مِن طِيب أرْوَاحِها بَرْدُ
فما زِلْتُ مَغْشِيًّا علىَّ وقد مَضَتْ ... أَناةٌ[1] وما عِندى جَوابٌ ولا رَدُّ
أُقَلَّبُ بالأيْدِى وأهْلى[2] بعوْلَةٍ ... يُفَدُّوننى لو يَسْتطيعون أنْ يَفْدُوا
ولم يَبْقَ إلّا الجِلْدُ والعَظْمُ عارياً ... ولا عَظْمَ لِى إنْ دَامَ ما بِى ولا جِلْد
أَدُنْيايَ مالِى فى انْقِطاعى[3] وغُرْبَتى ... إليكِ ثَوابٌ منكِ دَيْنٌ ولا نَقْد
وقد يُبْتَلَى قومٌ ولا كَبَلِيَّتى ... ولا مِثْلَ جَدِّى[4] فى الشَّقاء بكم جَدّ
غزَتْنى[5] جُنودُ الحُبِّ من كُلِّ جانبٍ ... إذا حانَ من جُنْدٍ قُفُولٌ[6] أَتى جُنْد

---

(١) الأناة: الانتظار.

(٢) العولة: رفع الصوت بالبكاء. (٣) فى الأصل: «رغبتى».

(٤) الجد: الحظ والنصيب. وفى الأصل: «وجدى ... وجد».

(٥) فى الأصل: «عرتنى». (٦) القفول: الرجوع.

نوفل بن مساحق والمجنون

وحَكَى نَوْفَل بن مُسَاحق قال :

قدمتُ الباديةَ فسألتُ عن المجنون ، فقيل: توَحَّش وما لنا به عَهْد ، ولا نَدْرى إلى أين صار . فخَرَجْتُ يَوْماً أتصيَّد الأَرْوَى[1] ، ومعى جماعةٌ من أصحابى ، حتى إذا كنتُ بناحية الحِمَى ، إذا نحن بأَراكةٍ[2] عَظيمة ، وقد بَدَا منها قِطيع ظِباء ، وفيها شَخْص إنسان يُرى من خَلَل تلك الأراكة[3] ،فعَجِبَ أَصْحابى من ذلك ، فعَرفتُه وأَتَيتُه وعرفتُ أنه المجنونُ الذى أُخْبرتُ عنه . فنزلتُ عن دابّتى وتخفَّفْتُ من ثِيابى وخَرجْتُ أَمْشى رُوَيْداً ، حتى أتَيْتُ الأراكةَ ، فارْتَقَيْتُ حتى صِرْتُ فى أَعْلاها ،وأَشْرَفْتُ عليه وعلى الظّباء ، فإذا به قد تدلَّى الشَّعرُ على وَجْهِه . فلم أكَدْ أَعْرِفُه إلّا بعدَ تَأَمُّلٍ شَديد ، وهو يَرْتعى من ثَمرِ تلك الأراكة ، فرَفع رأسَه ، فتمثَّلْتُ ببَيْتٍ من شِعْره :

أَتَبْكِى على لَيْلَى ونفسُك باعَدتْ مَزَارَكَ مِن لَيْلَى وشِعْباَ كُما مَعَا

قال : فنفَرَتِ الظِّباء ، واندَفَع فى باقى القَصيدة يُنْشِدُها ؛ فما أَنسى [حُسْن] نَغمَته وحُسْنَ صَوْته ، وهو يقول :

فما حَسَنٌ أَنْ تَأْتِىَ الأَمْرَ طائعا وتَجْزَعَ أَنْ داعِى الصَّبابة أَسْمَعَا
بَكَتْ عَيْنِىَ اليُسْرَى فلمّا زَجَرْتُها عَن الجَهْلِ بعد الحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعا
وأَذْكُر أَيَّامَ الحِمَى ثُمَّ أَنْثَنِى على كَبِدى من خَشْيَةٍ أن تَصَدَّعا
فليسَتْ عَشِيَّاتُ الحِمَى برَواجِعٍ عليكَ ولكنْ خَلِّ عينيكَ تَدْمَعا
معى كُلُّ غِرٍّ قد عصَى عاذِلاته بوَصْلِ الغَوانى من لَدُنْ أَنْ تَرَعْرَعا
إذا راح يمْشِى فى الرِّداءَيْن أَسْرَعَتْ إليه العُيُون النّاظِراتُ التَّطلُّعا

قال : فَسقط مغشيًّا عليه . فتمثَّلْتُ بقوله :

---

(١) الأروى : الوعول ، وهى تيوس الجبل ، الواحدة : أروية .
(٢) الأراكة : من الأشجار الكثيرة الورق والأغصان . تتخذ المساويك من أغصانها .
(٣) فى الأصل : « ذلك الأراك » .

يادارَ لَيْلَى بِسقْطِ[1] الحيِّ قد دَرَسَتْ إلّا الثُّمَامَ[2] وإلّا مَوْقِدَ النَّـــارِ
ما تَفْتَأُ الدَّهْرَ من لَيْلَى تموتُ كذَا في مَوقِفٍ وقفْتـــه أو على دار
أَبْلَى عِظَامَكَ بعـدَ اللَّحْمِ ذِكْرُكَها كما يُنَجَّبُ قِدْحُ الشَّوْحَطِ[3] البَـارى

فرَفَع رأْسَه إليَّ وقال : مَن أنتَ حيَّاكَ الله ؟ فقلتُ : أنا نَوْفلُ بن مُساحِق . فحيَّاني . فقلْتُ له : ما أَحْدَثْتَ بعدِي في يأسِكَ منها ؟ فأَنْشَدَني :

أَلاَ حُجِبَتْ لَيْلَى وآلَى أَمِـيرُها عليَّ يَميناً جاهِـداً لا أَزورُها
وأَوْعَدَني فيهـــا رِجالٌ أَبُوهُم أَبي وأَبُوها خُشِّنَتْ لي صُدُورُها
على غَيْرِ جُرْمٍ غَيْرَ أَنِّي أُحِبُّهـا وأَنّ فُؤَادِي رَهْنُها وأَسِـيرُها

قال : ثم سَنَحَتْ له الظِّبَاء ، فقام يَعْـدُو في آثارِها حتى مَضَى معها .

سبب توحش المجنون.

وقيل : لمَّا قال المَجْنون :

قَضَاها لِغَـيْرِي وأبْتَلاني بِحُـبِّهـا فهَلَّا بِشَيْءٍ غيرِ لَيْـلَى أبْتَـلانيا

نُودِيَ في اللَّيْـل : أَنْتَ المُتَسَخِّطُ لِقَضَـاء الله وقَدَره ، والمُعْـتَرِض في أَحكامه ! واختُلِس عَقْـلُه ، وتوَحَّش منـذ تلك السَّاعة ، وذَهب مع الوَحْش على وَجهه .

وهذا البَيْتُ من قصيدة منها الأبيات التي فيها الغناء ، وأُفْتتح بها أبو الفَرَج أَخْبَارَ المجنون ، وهي :

إذَا ما طَواكِ الدَّهْرُ يا أُمَّ مَالِكٍ فَشَأْنُ المَنَايا القاضِـياتِ وشَانِيَا
تمُرُّ اللَّيـــالِي والشُّهورُ وتَنْقَضِي وحُبُّـكِ لا يَزْدَادُ إلّا تمَـادِيا

(١) سقط الحى ، أى حيث انقطع الرمل ورق .

(٢) الثمام : نبت من نبات البادية لا يطول ، وكانوا يسدون به خصائص البيوت .

(٣) ينجب : يقشر . والقدح : السهم . والشوحط : ضرب من أشجار الجبال تتخذ منه القسى.

خَلِيلَيَّ أن دارت على أُمِّ مَالِكٍ صُرُوفُ اللَّيَالى فابْغِيَا لىَ ناعِيا
ولا تَتْرُكانى لا لِخَيْرٍ مُعَجَّلٍ ولا لِبَقَاءٍ تَنْظُرَانِ بَقَائيا

ومنها:

أَعُدُّ اللَّيَالى لَيْلَةً بعد ليلةٍ وقد عِشْتُ دَهْراً لا أَعُدُّ اللّياليا
أَرَانى إذا صلَّيتُ يَمَّمْتُ نَحْوَها بِوَجْهى وإنْ كان الْمُصَلَّى وَرائيا
وما بِىَ إشْرَاكٌ ولكنّ حُبَّهَا كَمِثْلِ (١) الشَّجَا أَعْيَا الطَّبيبَ الْمُدَاوِيا
أُحِبُّ من الأَسْماء ما وَافَقَ اسْمَها وأَشْبَهَه أو كان منه مُدَانيا
وخَبَّرْتُمانى أَنَّ تَيْمَاءَ مَنْزِلٌ لِلَيْلَى إذا ما الصيفُ أَلْقَى المَراسِيا
فهذى شُهُورُ الصّيف عنّا قد انْقضت فما للنَّوى تَرْمِى بلَيْلى المَرَامِيا
فلو كان واشٍ باليمامة دارُه ودارِى بأَعْلَى حضرموتَ اهْتدى لِيا
وماذا لهم لا أَحْسَنَ اللهُ (٢) حِفْظَهُم من الحظِّ فى تَصْرِيم لَيْلى حِبَاليا
فأنتِ التى إن شِئْتِ أشقيْتِ عيشتى وإن شِئْتِ بعد الله أنعمتِ باليا
وأنتِ التى ما مِنْ صَدِيقٍ ولا عِدًا يَرَى نِضْوَ (٣) ما أَبْقَيْتِ إلّا رَثَى لِيا
أَمَضْرُوبَةٌ لَيْلى على أَنْ أزورَها ومُتَّخَذٌ ذَنباً لها أَنْ تَرانيا
إذا سِرْتُ فى الأرض الفضاء رَأَيْتُنى أُصَانِعُ رَحْلِى أن تميلَ حِيَاليا
يَميناً إذا كانتْ يَميناً وإنْ تَكُنْ شِمالاً يُنازِعُنِى الهَوَى عن شِماليا
هى السِّحْرُ إلّا أنّ للسِّحْرِ رُقْيَةً وإنِّىَ لا أُلْفِى (٤) كَنَفْسِى (٥) راقيا

(١) فى بعض أصول الأغانى: «كعود».
(٢) فى الديوان: «حالهم» مكان «حفظهم».
(٣) نضوه: جسمه الذى أضناه الحب وابلاه.
(٤) فى الأصل: «لاألقى».
(٥) فى بعض أصول الأغانى: «وانى لا ألـ لها الدهر راقياً».

من شعر المجنون

ومما يُروى له :

تَكادُ يَدى تَنْدَى إذا ما لمستُها ... ويَنْبُتُ فى أطْرافها الورقُ الخضْرُ

أبى القَلْبُ إلّا حُبَّهـا عامِريّةً ... لها كُنْيَـةٌ عَمْرو وليس لها عَمْرو

وقيل :

المجنون ورجل مر به

مَرَّ رجلٌ بالمَجْنُونِ وهو جالسٌ يَخُطُّ فى الأرضِ ويَعْبَثُ بالحصَى، فسلَّم عليـه وجَلس عنده، فأقْبل يُخاطبه ويَعِظُه ويُسَلِّيه، وهو يَنظُر إليه ويَعْبَثُ بيَـدِه، كما كان يَعبثُ وهو مُفَـكِّرٌ قد غَمره ما هو فيه. فلمّـا طال خِطابُه إيّاه، قال له : يا أخى، أمَا لِـكَلامى جَواب ؟ فقـال له : والله يا أخى ما عَلِمْتُ أنَّكَ كلَّمتَنى، فاعْذُرنى، فإنى كما تَرى مَذهُوبٌ بى، وبَـكَى. ثم أنشأ يقول :

وشُغِلْتُ عن فَهْمِ الحديثِ سِوَى ... ما كانَ مِنْكِ فإنّه شُـغْلِى

وأُدِيمُ لَحْظَ مُحَـدِّثى لِيَرى ... أنْ قد فَهِمْتُ وعنـدكم عَقْلى

وقيل :

للمجنون وقد مر بوادي يتجاوب حمامه

مَرَّ المجنونُ بوادٍ فى أيّام الرَّبيع، وحَمامُه يتَجاوب، فأنشأ يقول :

ألَا يا حَمَـامَ الأَيكِ مَالَك باكِياً ... أفارَقْتَ إلْفًـا أمْ جَفـاكَ حَبِيبُ

دَعاكَ الهَوى والشَّوْقُ لمـا ترَنَّمتْ ... هَتُوفُ[١] الضُّحَى بين الغُصُون طَرُوب

تُجاوِبُ وُرْقًا قد أَذِنَّ[٢] لِصَوْتها ... فـكلٌّ لِـكُلٍّ مُسْـعِدٌ[٣] ومُجيب

له فى زوج ليلى

وقيل: لما بلغ المجنون، قبل توحشه، أن زوج ليلى ذكره وعَضهه وشتمه وقال : أو بلغ من قدر قيس بن الملوّح أن يدّعى محبة ليلى وينوه باسمها! فقال ليغيظه بذلك:

لئن كان فيكم بَعْلُ ليـلى فإننى ... وذى العرش قد قَبّلتُ ليلى ثمانيا

وأشهد عند الله أنى رأيتهـا ... وعشرون منها أصبعا من ورائيا

أليس من البلوى التى لاشوى[٤] لها ... بأن زُوجت كلباً وما بذلت ليا

(١) الهتوف : الحمامة تنوح .
(٢) أذن : استمعن وأصغين .
(٣) مسعد : أى ينوح لنوح غيره .
(٤) شوى لها ، أى لابقيا لها .

له وقد أبت رفقة أن تعدل معه الى طريق ليلى

وقيل :

خَرَج المَجنون فى عِدَّةٍ من قومه يُريدون سفراً لهم ، فمَرُّوا فى طَرِيق يَتشعَّبُ طَرِيقَيْن ، أحـدُهما ينزله رَهْطُ لَيلى ، فسَألهم أن يَعْدِلُوا معه فى تلك الجهـة . فأَبَوْا ، ومَضَى وحدَه ، وقال :

أأَترُكُ لَيْلى ليس بَيْنِى و بينها سِوَى لَيْـلَةٍ إنى إذاً لَصَبُورُ
هَبُونى امْرَأً منكمْ أَضَلَّ بَعِيرَه له حُرْمَةٌ إنَّ الذِّمام كَبِير
وللصَّـاحب المَتْروكُ أعظَمُ حُرْقَةً على صَاحِبٍ من أَنْ يَضِلَّ بَعِـير
عفَا الله عن لَيلى الغَـدَاةَ فإنَّهـا إذا وَلِيَتْ حُـكْمًا علىَّ تَجُور

له وقد هتفت حمامة

وذُكر : أنّ المجنونَ كان ذاتَ ليلةٍ جالساً مع أصحابٍ له من بَنِى عَمِّه ، وهو وَلِهٌ يتَلَظَّى و يتَمَلملُ ، وهم يَعِظُونه ويُحادثونه ، حتى هَتَفَتْ حَمَـامةٌ من سَرحَةٍ[1] كانت بإزائهم ، فوثب قائماً ، وقال :

لقد هتفتْ فى جُنْحِ لَيْـلٍ حَمامةٌ على إلْفِهـا تبـكِى و إنى لنَائمُ
كَذبتُ و بَيْتِ الله لو كنتُ عاشقاً لَمَا سَبَقَتْني بالبُـكاء الحمائم

ثم بكى حتى سـقط على وَجْهِهِ مَغْشِيًّا عليـه ، فما أفاق حتَّى حَمِيَتِ الشمسُ عليه من غدِه .

له وقد مر به نفر من اليمن

وذُكر: أنَّ نَفراً من اليمن مَرُّوا بالمجّنون،فوقفوا ينظرُون إليه ،فأنشأ يقول :

ألا أيُّها الركب اليمـانون عَرِّجوا علينا فقـد أمسى هَوانا يمانيَا
نُسائلـكم هل سال نَعمان بعدنا وحَبَّ إلينا بطن نَعمان واديا

---

(١) السرحة : من الشجر الذى لا شوك فيه ، وقيل : هو شجر يطول .

ومن هذه القصيدة :

أَلَا يا حَمَامَىْ قَصْرِ وَدَّان[1] هِجْتُمَا عَلَىَّ الهَوَى لمّا تَغَنَّيْتُما لِيَا
وأبكيتُمانى وَسْطَ صَحْبِى ولم أكُن أُبالِى دُموعَ العينِ لو كنتُ خاليا
أَلَا يا خليلىَّ حُبُّ لَيْلَى مُجَشِّمِى حِياضَ المنايا أَوْ مُقيدِى[2] الأَعادِيا
فيأيُّها القُمْرِيَّتان تجاوَبا بلحنَيْكما ثم أَسْجَعا عَلّانيا
فإن أنتُما استطرَبْتُما[3] وأردتُما لَحاقاً بأَطْرافِ الغَضَى فاتْبعانيا

له حين بلغه رحيل زوج ليلى بها

ذُكر أنه لما بَلَغَ المجنونَ أنّ زَوْجَ ليْلى قد أَزْمَع الرَّحيلَ إلى بلده ، قال :

أَمُزْمِعَةٌ لِلْبَيْنِ ليلَى وَلَمْ تَمُتْ كأنَّكَ عمّا قد أَظَلَّكَ غافِلُ
ستَعلم إن شَطَّتْ بهم غرْبَةُ النَّوى وزالُوا بليلَى أنّ لُبَّك زائِل

وقيل :

هو مع رجلين صادا ظبية وسألهما حلها

مَرَّ المجنونُ برجُلَين قد صادا ظَبيةً ، فربطاها بحبْلٍ وذهبا بها ، فلمّا نَظر إليها وهى ترْكُض فى حِبالِها دَمعتْ عيناه وقال لهما : حُلّاها وخُذا مكانَها شاةً من غَنَمى — وقيل : بل خُذا مكانها قَلُوصاً من إبلى — فأعطاهما ، وحَلّاها . فولّتْ تعْدُو هاربةً . وقال المجنُون للرَّجُلَيْن حِينَ رآها فى حِبالِها :

يا صاحبيَّ اللَّذَيْنِ اليومَ قد أَخَذا فى الحَبْلِ شِبْهاً لِلَيْلَى ثُمَّ[4] غَلّاها
إنّى أَرى اليومَ فى أَعطافِ شاتِكما مُشابِهاً أَشْبَهتْ لَيْلَى فحُلّاها

وقال فيها وقد نظر إليها تَعدو أشدَّ عَدوٍ هاربةً مَذعورة :

أيا شِبهَ لَيْلَى لا تُراعِى فإنّنى لكِ اليومَ من وَحْشِيَّةٍ لَصَديقُ
ويا شِبهَ ليلى لو تَلبَّثْتِ ساعةً لعلَّ فُؤادى من جَواهُ يُفيق
تَفِرّ وقَدْ أَطلقتُها من وَثاقِها فأنتِ لِلَيْلَى لو عَلمتِ طَليق

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٠٨) من هذا الجزء.
(٢) مقيدى الأعاديا ، أى جاعل قيادى فى يد الأعداء .
(٣) استطربتما : طلبتما الطرب . (٤) غلاها : وضعا الغل فى عنقها .

هو مع نسوة عزلنه فى حب ليلى

وذُكر أنّ نِسوةً جَلسنَ إلى المجنونِ فقلنَ له : ما الذى دعاكَ إلى أن أحللتَ بنفسكَ كُلَّ ما نرى فى هَوَى لَيْلى ، و إنمـا هى أمرأةٌ من النِّسـاء ؟ وهل لك فى أن تَصْرِف(١) هواكَ إلى إحدانا فَنُسَـاعِفَك ونَجْزِيَك بهواكَ ، ويَرجعَ إليك ما عَزَبَ من عقلك وجسمك ؟ فقـال لهنَّ : لو قَدرتُ على صَرْفِ الهوى عنهـا إليكنَّ لَصرفتهُ عنها وعن كُلِّ أَحَدٍ بعـدها ، وعِشتُ فى النَّاس سَوِيًّا مُستريحاً . فقلنَ له : فما أعجبكَ منها ؟ قال : كل شىء رأيتُه وسمعتُه وشاهدتُه منهـا أعجبنى . والله ما رأيتُ شَيْئاً منها قَطُّ إلّا كان فى عَينى حسناً ، و بقلبى عَلِقاً . ولقد جَهِدتُ أن يَقبُحَ عندى منها شىء ، أو يَسْمُج أو يُعاب ، لأسْلُوَ عنها فلم أجده . فقلن له : فَصِفْها لنا . فأنشأ يقول :

بَيضـاء خالصةُ البياضِ كأنّهـا ... قمرٌ تَوَسَّـطَ جُنْحَ لَيْـلٍ مُبْرَدِ
مَوسومةٌ بالحُسْنِ ذَاتُ حواسِدٍ ... إنّ الجمـالَ مَظِنَّةٌ للحُسَّدِ
وتُرى مدامعُهـا تَرَقرَقُ مُقْـلةٍ ... سَوْداءَ تَرْغَبُ عن سوادِ الإِثْمَد
خَوْدٌ(٢) إذا كَثُرَ الكلامُ تَعَوَّذَتْ ... بِحمَى الحياءِ وَإنْ تَكَلَّمْ تَقْصِد

وأنشد ابنُ الأعرابىّ هـذا الشِّعرَ ثم قال : هـذا والله من حَسَنِ الـكلام ومُنقَّح(٣) الشِّعر !

رسول بينه وبين ليلى

وقيل :

قال رجلٌ من عَشِيرة المَجنون له : إنّى أُريد الإلمامَ بحَىِّ لَيْـلى ، فهل تُودِعُنى إليها شيئاً ؟ قال : نعم . قِفْ بحيث تَسْمَعك ثم قُلْ :

اللهُ يعلم أنّ النَّفسَ قد هَلَـكتْ ... باليأسِ منك ولـكنِّى أُعَزِّيها(٤)

(١) فى الأصل : «نصرف» بالنون .
(٢) الخود : الفتاة الحسنة الخلق ما لم تصر نصفا .
(٣) فى الأصل : «وغنج» . (٤) فى بعض أصول الأغانى : «أعنيها» .

مَنَّيتُكِ النفسَ حتى قد أَضَرَّ بها وأُستيقنت (١) خَلفاً مما أُمَنِّيها
وساعةٌ منكِ أَلْهُوها و إن قَصُرتْ أَشهى إلىَّ من الدُّنيا وما فيها

فمضى الرجلُ ولم يترقّب خَلوةً حتى وقف على لَيْلى فقال . ياليلى ، لقد أحسن الذى يقول :

* الله يعلمُ أنّ النفسَ قد هلكتْ *

وأنشدها الأبيات . فبكتْ بُكاء طويلاً ، ثم قالت : أبلغه السَّلامَ وقل له:

نَفْسِى فِداؤكَ لو نَفْسِى ملكتُ إذاً ما كان غيركَ يَجْزِيها و يُرْضِيها
صَبراً على ما قضاه اللهُ فيكَ على مرارةٍ فى اصْطِبارى عنك أُخْفِيها

فأبلغه الفتى البيتَيْن وأخبره بحالها . فبكى حتى سَقط على وجهه مَغْشِيًّا عليه ، ثم أفاق وهو يقول :

عَجِبْتُ لِعُرْوَةَ العُذرىِّ أَضحى أَحاديثاً لقومٍ بعد قومِ
وعروةُ مَات موتاً مستريحاً وها أنا ميِّتٌ فى كل يوم

هو و رجل دسه اليه أبوه بذم ليلى

وقيل :

سأل المُلَوَّح ، أبو المَجنون ، رجلاً قَدِمَ من الطَّائف أن يمرَّ بالمجنون فيجلس إليه و يُخْبِره أنه لَقِىَ لَيْلى وجلس إليها ، ووصفَ له صفاتٍ منها ومن كلامها يعرفها المجنونُ ، وقال : حَدِّثه بها ، فإذا رأيته اشرأبَّ لحديثك واشْتهاه فعرِّفه أنك ذَكرتَه لها وَوصفتَ ما به فَشتمته وسَبَّتْه وقالت : إنه يَكْذِبُ عليها و يُشَهِّر بها بفعله ، و إنها ما اجْتمعت معه قطُّ كما يصف . ففعل الرَّجلُ ذلك ، وجاء إليه فأخبره بلقائه لها . فأقبل عليه وجعل يَسأله عنها ، فيُخبره بما أمره به المُلَوَّح ، فيزداد نشاطا و يثوب إلى عقله ، إلى أن أخبره بِسبِّها إيَّاه وشتمها له . فقال ، وهو غيرُ مكترثٍ لما حكاه عنها :

(١) فى الأصل : « وأبصرت » .

تمرُّ الصَّبا صَفْحاً بساكن ذى[1] الغضى ... ويَصدعُ قلبى أن يَهُبَّ هُبوبُها
إذا هبَّتْ الرِّيحُ الشَّمالُ فإنما ... جَوَاىَ بما تُهْدِى[2] إليه جَنوبُها
قَريبةُ عَهْدٍ بالحبيبِ وإنما ... هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ حلَّ حَبيبُها
وحَسْبُ الليالى أنْ طَرَحْنَك مَطرَحاً ... بدارِ قِلًى تُمْسِى وأنتَ غَريبُها
حَلالٌ لِلَيْلَى شَتْمُنا وانتِقاصُنا ... هَنيئاً ومَغفورٌ لِلَيْلَى ذُنُوبُها

ليلى ورجل من بنى مرة

وذُكر: أنه خَرج رجل من بَنى مُرَّةَ إلى ناحيةِ الشَّام والحِجاز، وما يَلى تَيْماءَ[3] والسَّرَاةَ[4] وأرضَ نَجْد، فى طَلَبِ بُغْيةٍ له، فإذاهو بِخَيْمةٍ قد رُفِعَتْ له، وأصابه المَطرُ فعَدَل إليها وتَنَحْنح، فإذا امْرأةٌ قد كلَّمتْه وقالت: انْزِلْ، فنزل. وراحتْ إبلُهم وغَنَمهم، فإذا أمرٌ عَظِيم. فقالت: سَلُوا هذا الرَّجلَ من أين أقْبل. فقلتُ: من ناحية تِهامةَ ونَجد. فقالت: ادخُل أيُّها الرَّجلُ. فدخلتُ إلى ناحية الخيمة، فأرختْ بَيْنى و بينها سِتْراً، ثم قالتْ: يا عبدَ الله، أىَّ بلاد نَجدٍ وطِئْتَ؟ فقلتُ: كلَّها. قالت: فيمن نزلتَ هناك؟ قلتُ: ببنى عامر. فتنفّست الصُّعَداءَ ثم قالتْ: فبأىِّ بنى عامر نزلتَ؟ فقلتُ: ببنى الحَرِيش. فاسْتعبرت ثم قالت: هل سمعتَ بذكر فتًى منهم يقال له: قيس بن الملوّح، ويُلقَّبُ بالمَجنون؟ قلت: بلَى والله، وعلى أبيه نزلتُ، وأتيتُه فنظرتُ إليه يَهيم فى تلك الفَيافى ويكونُ مع الوحش ولايَعقِل ولا يفهم، إلّا أن تُذكر له امرأةٌ يُقال لها: ليلى، فيبكى ويُنْشد أشعاراً فيها. قال: فرفعتِ السِّتْرَ بينى و بينها، فإذا فِلْقَةُ قَمرٍ لم ترَ عَيْني مِثْلَها. فبكتْ حتى ظننتُ والله أن قَلْبَها قد انصدع.

(١) فى بعض أصول الأغانى: «الغضى» مكان «الحمى».
(٢) فى بعض أصول الاغانى: «إلى» مكان «إليه».
(٣) تيماء: بليدة فى أطراف الشام.
(٤) السراة: أعلى الجبال التى تحجز بين تهامة ونجد.

فقلتُ : أيتها المرأةُ ! أتَّقِ اللهَ ! فما قلتُ بأساً . فمكثتْ طويلاً على تلك الحالِ من البُكاء والنَّحيب ، ثم قالت :

ألاَ ليتَ شِعْرِى والخطوبُ كثيرةٌ   متى رَحْلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلٌّ فراجِعُ
بِنَفْسِىَ مَن لا يَستقِلُّ بِنَفْسه   ومَن هو إنْ لم يَحفظِ اللهُ ضائِع

ثم بكتْ حتى سقطتْ مَغْشِيًّا عليها . فقلتُ لها : مَن أنت يا أَمةَ الله ؟ وما قِصَّتُكِ ؟ قالت : أنا ليلى صاحبتُه المشئومةُ واللهِ عليه ، غيرُ المُؤاسية له . فما رأيتُ مثلَ وَجْدِها وحُزنِها عليه قطُّ .

وقيل :

المجنون وقد مر بليلى

مَرَّ المجنونُ بعد اختلاطه بلَيْلى وهى تمْشى فى ظاهر البُيوت ، بعد فَقْدٍ لها طويل . فلما رآها سَقط على وجهه مَغْشِيًّا عليه . فانصرفتْ خَوْفاً من أهلها أن يَلْقَوْها عنده . فمكث كذلك مَلِيًّا ثم أفاق ، وأنشأ يقول :

بَكى فرحاً بِلَيْلَى إذ رآها   مُحِبٌّ لا يَرى حَسَناً سِوَاها
لَقَدْ ظَفِرتْ يداه وطاب عَيْشاً   لئن كانتْ تَراه كما يَراها

حديث رجل عامرى عن المجنون

وذَكر رجلٌ من بنى مُرّةَ أنّه خَرج إلى أرض بنى عامِرٍ لِيلقَى المجنونَ ، قال : فدُلِلْتُ على مَحلّته فأتيتُها[2] ، وإذا أبوه شيخٌ كبير وإخوةٌ له رجال ، وإذا نَعَمٌ كثيرةٌ وخَيْرٌ ظاهر ، فسألتُهم عنه . فاستعْبَروا جميعاً ، وقال الشيخُ : واللهِ لهو كان آثَرَ هؤلاءِ عندى وأحبّهم إلىَّ ، وإنه هَوِى امرأةً من قومه ، واللهِ ما كانت تَطمع فى مِثله ، فلما فشا أمرُه وأمرُها ، كره أبوها أن يزوِّجها منه بعد ظُهور الخبر ، فزوَّجها من غيره ، فذَهب عَقلُ ابنى ولَحِقه خَبَلٌ ، وهَامَ فى الفيافى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « المؤنسة » .
(٢) الأصل : « فأتيناه » .

وجدًا عليها . فحبسناه وقيّدناه، فكان يَعضّ لسانَه وشفتيه حتى خفنا عليه ، فخلينا سبيله . فهو يهيم فى هذه الفيافى مع الوُحوش ، يُذْهَبُ كلَّ يومٍ إليه بطعامه فيُوضَع حيثُ يَراه ، فإذا تَنَحَّوْا عنه جاء وأكل منه . فسألتهم أن يَدُلُّونى [عليه . فدلُّونى] على فتًى من الحيِّ كان له صديقاً ، وقالوا : إنّه لا يأنسُ إلا به ولا يأخذ أشعارَه عنه إلّا هو . فأتيتهُ فسألته أنْ يدُلَّنى عليه . فقال : إن كنتَ تُريد شِعْره فكلُّ شِعْرٍ قاله إلى أمْسِ عندى ، وأنا ذاهبٌ إليه غداً ، فإن كان قال شيئاً أتيتُكَ به . فقلتُ : بل تدُلّنى عليه لآتيَه . فقال : إنْ نَفر منك نَفر منِّى فيذهبُ شِعْرُه . فأبَيْتُ إلّا أنْ يدُلَّنى عليه . فقال : اُطْلُبْه فى هذه الصَّحارى ، فإذا رأيتَه فادْنُ منه مُسْتَأنساً ولا تُرِه أنّك تَهابه ، فإنه يتهدَّدك و يتوعَّدك أن يَرْمِيَك بشىء ، فلا يَرُوعنَّك ، واصرف بصرَكَ عنه والْحظه أحياناً ، فإذا رأيتَه قد سَكن مِن نِفَاره فأنْشِدْه شِعْراً غزِلاً ، وإن كنتَ تَرْوِى شِعْرَ قَيْسِ بنِ ذَرِيح فأَنْشِدْه إيّاه فإنّه مُعْجَبٌ به . فخرجتُ فطلبتُه يَوْمى إلى العصر ، فوجدتُه جالساً على رَمْلٍ قد خَطَّ فيه بإصْبعه خُطوطاً ، فدنوتُ منه غير مُنقبضٍ، فنفر منّى نُفورَ الوَحْش من الإنْسِ ،و إلى جانبه أحجارٌ ، فتناول حجراً فأعرضتُ عنه ، فمكث ساعةً كأنّه نافرٌ يريد القيامَ . فلما طال جلوسِى سَكن فأقبل يَخُطّ بإصبعه ، فأقبلتُ عليه فقلتُ : أَحسنَ واللهِ قَيْسُ ابن ذَرِيح حيثُ يقول :

أَلاَ يا غرابَ البَيْنِ وَيْحكَ نَبِّنى ... بعِلْمك فى لَيْلى وأنتَ خَبيرُ
فإن أنتَ لم تُخْبِر بشىء عَلِمْتَه ... فلا طِرْتَ إلّا والجناحُ كَسِير
ودُرْتَ بأعداء حَبِيبُكَ فيهمُ ... كما قد تَرانى لِلْحَبيب أَدُور

فأقبل علىّ وهو يبكى ، فقال : أَحسن والله ! وأنا أحسنُ قَوْلاً منه

حيثُ أقول :

كأنّ القَلْبَ ليلةَ قِيـلَ يُغْدَى بِلَيْلى العَـامِرِيَّة أو يُرَاحُ
قَطاةٌ عزَّها شَرَكٌ فبـاتتْ تُجاذِبه وقَدْ عَلِقَ الجنـاح

قال : فأمسكت عنـه هُنيهَة ، ثم أقبلتُ عليه فقلتُ : أَحسن والله قَيسُ بن ذَرِيح حيثُ يقول :

وإنّى لَمُفْنٍ دمعَ عَينىَّ بالبُـكَا حِذَارَ الذى قد كان أوْ هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعـد ذاك بليـلةٍ فِراقُ حَبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائن
وما كنتُ أَخشى أن تكونَ مَنِيَّتى بكَفَّيك إلّا أنّ من[1] حَانَ حائن

قال : فبكى والله حتى ظننتُ أن نفسَـه قد فاظتْ ، وحتى رأيتُ دُموعَه قد بَلّتْ الرملَ الذى بين يديه . وقال : أَحسنَ لَعَمْرُ اللهِ ، وأنا والله أَشعرُ منـه حيثُ أقول :

وأَدْنَيتِنِي حتَّى إذا ما سَبَيْتِنى بِقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ[2] الأَباطح
تنـاءيْتِ عنىّ حين لالِىَ حِيـلةٌ وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجـوانح

قال:ثم سَنحتْ له ظبيةٌ فوثب يَعدو خلفها حتى غاب عنّى ، وانصرفتُ وعُدتُ من غد فطلبتُه فلم أجدْه ، وجاءت امرأةٌ ، تصنع له طعاماً، إلى الطعام فوجدتُه بحاله . فلمَّا كان فى اليوم الثالث غدوتُ وجاء أهلُه معى فطلبناه يومَنا ، فلم نجده ، وغدونا فى اليوم الرابع نَسْتَقْرى أثرَه ، حتى وجدناه فى وادٍ كثير الحجارة خشن وهو ميِّت بين تلك الحجارة . فاحتمله أهله فغسَّلوه وكفَّنوه ودفنوه .

---

(١) فى الديوان : « ما » .

(٢) العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل الذى فى ذراعيه بياض . يريد أن قولها يستنزل العصم من مساكنها فى الجبال إلى الأباطح السهلة .

تجيعة أهله به

قيل :

إنّه لم تبق فتاةٌ من بنى جَعْدَةَ ولا بَنى الحَرِيش إلّا خرجتْ حاسرةً صارخةً عليه تنـدُبه . واجتمع فتيان الحىِّ يبكون عليه أحرَّ بكاء . ويَنْشِجُون أشدَّ نشيج ، وحضرهم حَىُّ لَيْلى معزِّين وأبوها معهم . فكان أشدَّ القوم جزعاً و بكاءً عليه، وجعل يقول : ماعلمتُ أنّ الأمر يبلغ كلَّ هذا ، ولكنى كنت امرأً عربيًّا أخاف العــار وقُبح الأُحْدُوثة وما يخافه مثلى ، فزوَّجتُها وخرجتْ عن يدى ؛ ولو علمتُ أنّ أمره يجرى على هـذا ما أخرجتُها عن يده ، ولاحتملتُ ما كان فى ذلك .

قال : فما رُئِى يومٌ كان أكثرَ باكياً و باكيةً على ميّت منه .

من شعره الذى وجدوه معه

وذُكر: أنه لما قلّبوه وجدوا خِرْقةً فيها مكتوب :

ألا أيُّهــا الشَّيخُ الذى ما بنـا يَرْضَى ... شَقِيتَ ولا هُنِّيت من عَيْشك الخفْضَا

شَـقِيتَ كما أَشْـقيتَنى وتركْـتَنى ... أهِيمُ مع الهُلَّاك لا أَطعم الغَمْضــا

كأنّ فؤادى فى مَخــالب طائر ... إذا ذُكرتْ لَيْلى يَشُدُّ[1] به قَبْضا

كأنّ فِجَـاج الأرض حَلْقـةُ خاتَم ... علىّ فما تزداد طُولاً ولا عَرْضــا

مما يروى له

وممّا يُروى للمَجنون :

وما أُشْرِفُ الأَيفاعَ[2] إلّا صَبابةً ... ولا أُنْشِد الأَشْـعار إلّا تَداوِيَا

وقد يَجْمَعُ اللهُ الشَّتيتَين بعـد ما ... يظنّان كلَّ الظَّن[3] أَلّا تلاقِيَـا

لَحَى اللهُ أقواماً[4] يقولون إنّنى ... وجدتُ[5] طَوَالَ الدَّهرِ للحُبِّ شافيا

---

(١) به ، أى بالفؤاد . وهو مذكر لا غير . وفى بعض أصول الأغانى : « بها » أى بالمخالب .

(٢) الأيفاع : جمع يفع ، وهو ما أشرف وعلا من الرمل .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : «جهد الظن» أى غايته .

(٤) لحى الله أقواما ، أى قبحهم ولعنهم وأبعدهم . (٥) فى الأصل : « أننا * وجدنا » .

أخبار عدىّ بن زيد

نسبه

هو عدىّ بن زَيد بن حَمّادبن زَيد بن أيّوب بن مَحْروف بن عامر بن عُصَيَّة ابن أُمرىء القيس بن زَيد مَناةَ بن تَميم بن مُرٍّ بن أُدٍّ بن طابِخَةَ بن اليأس بن مُضَر ابن نِزار بن مَعَدّ بن عَدْنان .

وكان أيّوب هذا أوّل من سُمّى من العرب أيّوبَ .

منزلته فى الشعر

وعدىّ هذا شاعرٌ فَصيح من الجاهليّة . وكان نَصْرانيًّا ، وكذلك أبوه وأهله ، وليس مَعدوداً من الفحول . وهو قَروىّ ، قد أَخذوا عليه أشياءَ عِيبَ بها .

وكان الأَصمعىّ وأبو عُبيدة يقولان :

عدىّ بن زَيد فى الشُّعراء بمنزلة سُهيل فى النُّجوم ، يُعارضها ولا يجرى معها .

وكذلك عندهم أُمَيَّة بن أبى الصَّلْت ، ومثلُهما عندهم من الإسلاميين : الكُميت والطِّرِمّاح .

سبب نزول آله الحيرة

وكان سَبَب نُزول آل عدىّ بن زيد الحِيرةَ أنّ جدَّه أيوب بن مَحْروف كان منزلهُ اليمامةَ فى بنى أُمرىء القيس بن زيد مناةَ . فأصاب دماً فى قومه فهَرب ، فَلَحِق بأَوْس بن قَلّام ، أحد بنى الحارث بن كعب بالحِيرة . وكان بين أيّوبَ ابن مَحْروف و بين أَوس بن قَلّام هذا نسبٌ من قِبَل النساء ، فلمّا قَدِم عليه أيّوب بنُ مَحروف أكرمه وأنزله فى داره ، فمكث معه ما شاء الله أن يمكُثَ . ثم إنّ أوساً قال له : يابنَ خالٍ ، أتريدُ المُقامَ عندى فى دارى ؟ فقال له أيّوب : نعم ، فقد علمتُ أنّى إنْ أتيتُ قَوْمى وقد أصبتُ فيهم دماً لم أَسْلَمَ ، ومالى دارٌ

إلا دارُكَ آخرَ الدَّهْر . قال أوسٌ : إنّى قد كبِرتُ وإنّى خائف أنْ أموتَ فلا يَعرِفُ ولدى لكَ من الحقّ مثلَ ما أعرفُ ، فأخشى أن يقَع بينكَ وبينهم ما يَقطعون فيــه الرَّحِمَ ، فانظُر أحبَّ مكانٍ فى الحِيرة إليكَ فأَعْلمنى به لأُقْطعِكَه أو أبتاعَه[١] لكَ . وكان لأيّوبَ صديقٌ فى الجانب الشّرقىّ من الحِيرة ، وكان منزلُ أَوْسٍ فى الجانب الغربىّ . فقال له : قد أحببتُ أن يكون المنزلُ الذى تُسكِنُنيه عند منزل عِصام بنِ عَبْدةَ[٢] أحدِ بنى الحارث بن كَعْب . فأبتاع له موضعَ داره بثلثمائة أُوقيّــة من الذّهب ، وأنفق عليها مائتى أوقيّــة ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل برِعائها وفرساً وقَيْنَةً . فمكث فى منزلِ أَوْسٍ حتى هَلَكَ ثم تحوّل إلى داره التى فى شرقىّ الحِيرة ، فهلك بها . [وكان أيّوب] قد اتّصل قبل مَهْلَــكه بالمُلوك الذين كانوا بالحِيرة وعرفوا حقّــه ، وحقَّ ابنه زَيد بن أيُّوب . فلم يَكُن منهم مَلِكٌ يملك إلّا ولِوَلَدِ أيّوبَ منه جوائزُ وحُمْلانٌ[٣] .

ثم إن زيد بن أيوبَ نكح امرأة من آل قَلّام ، فولدتْ له حمّادًا . فخرج زيدُ بن أيوب يوما من الأيام يُريد الصيدَ فى ناسٍ من أهل الحِيرة ، وهم مُتبَدُّون[٤] بِحَفير[٥] ، المكانِ الذى يذكره عدىّ بن زَيد فى شِعره ، فانفرد فى الصَّيْد وتباعد من أصحابه ، فلقيه رجُلٌ من بنى امرىء القيس الذين كان لهم الثأرُ قِبَل أبيه ، فقال له : وقد عَرَفَ فيه شَبَهَ أيوبَ : مِمَّنْ الرجلُ ؟ قال : من بنى تَميم . قال : من أيهم ؟ قال : مَرَئِىّ[٦] . قال له الأعرابىّ : وأَيْنَ مَنزِلُك ؟ قال : الحِيرة ؟ قال : من بنى أيّوب أنْتَ ؟ قال : نعم ! ومن أين تَعْرِف بنى أيوبَ ؟ واستوحش من الأعرابىّ

---

(١) فى الأصل : « وأتباعه » . (٢) فى الأصل : « عقدة » .

(٣) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب ، فى الهبة خاصة .

(٤) تبدى : خرج إلى البادية . وفى بعض أصول الأغانى : « منتدون » . وانتدى القوم : اجتمعوا . (٥) حفير : موضع بالحيرة . ذكره البكرى .

(٦) مرئى : نسبة إلى امرىء القيس .

وذكر الثأر الذى هَرب أبوه منه ، فقال له : سمعتُ بهم ، ولم يُعْلِمه أنه قد عرفه . فقال له زيدُ بن أيوبَ : فمن أيّ العرب أنت ؟ قال : أمرؤ من طيِء فأَمِنه زيدٌ وسكت عنه . ثم إنّ الأعرابىّ أغتفل[1] زيدَ بن أيّوب فرماه بسهم فوضعه بين كتفيْه ، ففلق قلبه . فلم يَرِمْ[2] حافرُ فرسه حتى مات . فلبثَ أصحابُ زَيد ، حتى إذا كان الليلُ طلبوه وقد أفتقدوه ، فظنّوا أنه قد أمعن فى طلب الصَّيْد، فباتوا يطلبونه حتى يَئِسُوا منه . ثم غدوا فى طلبه فأقتفوا أثرَه حتى وقعوا عليه ، ورأوْا معه أثرَ راكبٍ يُسايره . فأتبعوا الأثرَ حتى وجدوه قتيلا . فعرفوا أنّ صاحب الرَّاحلة قتله . فأتبعوه وأغذُّوا السَّير ، فأدركوه مساء الليلة الثانية ، فصاحُوا به ، وكان من أرمَى الناس ، فأمتنع منهم بالنَّبل حتى حال اللَّيلُ بينهم وبينه . وقد أصاب رجلاً منهم فى مَرْجِع كتفيْه[3] بسهم. فلمّا أجنَّه الليْلُ مات. وأفلتَ الرَّامى[4] . فرجعوا وقد قُتل زيدُ بن أيّوب ورجلٌ آخرُ معه من بنى الحارث بن كعب ، فمكث حَمَّاد فى أخواله حتى أيفَع ، فخرج يوماً من الأيام يَلْعَبُ مع غلْمَان بنى لِحيْان ، فلَطَمَ اللِّحيانى عينَ حمّاد فشجّه حماد . ، فخرج أبو اللّحيانى فضرَب حمّادا . فأتى حمّادَ أمّه يبكى ، فقالت له: ما شأنك ؟ فقال : ضَربنى فلان ، لأنّ أبنَه لَطمنى فشَجَجْته . فجَزعت من ذلك وحوّلتْه إلى دار زَيد بن أيّوبَ ، وعلّمتْه الكتابة فى دار أبيه . فكان حمّاد أولَ من كَتب من بنى أيوبَ ، فخرج مِن أكتب الناس ، وطُلب حتى صار كاتبَ الملك النُّعْمان الأكبر ، فلبِث كاتباً له حتى ولد له أبنٌ من امرأة تزَوَّجها من طيِء ، فسماه زيداً ، بأسم أبيه . وكان لحمّاد صديقٌ من الدَّهاقِين[5] العُظماء يقال له فرُّوخ ماهان، وكان مُحسِناً إلى حماد ، فلما حضرتْ حَمّاداً الوفاةُ أوصَى بأبنه زَيْد إلى الدِّهقان ، وكان مِن المرازبة .[6] فأخذه الدِّهقان

(١) اغتفل ، يريد : تغفل . ولم ترد فى المعاجم . (٢) لم يرم : لم يبرح .
(٣) مرجع الكتفين : أسفلهما . (٤) فى الأصل : « المرئى » .
(٥) الدهاقين : التجار ، فارسى معرب؛ الواحد : دهقان .
(٦) المرازبة : جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك . فارسىمعرب .

إليه ، فكان عنده مع ولده . وكان زيد قد حَذِق الكتابةَ والعربيةَ قبل أن يأخذه الدِّهْقانُ ، فعلَّمه لمّا أخذه الفارسيَّة ، فلَقِنها . فأشار الدِّهقان على كِسْرى أن يجعله على البَريد فى حوائجه . ولم يكُن كسرى يَفعل ذلك إلا بأولاد المَرازبة ، فمكث يَتولَّى ذلك لكسرى زماناً . ثم إن النُّعمان النَّصْريَّ اللَّخْمىّ هلك ، فاختلف أهْلُ الحِيرة فيمن يُمَلِّكونه إلى أن يَعقِدَ كسرى الأمرَ لرجلٍ يُنَصِّبه. فأشار المَرْزُبان عليهم بزيد بن حمَّاد بن زَيد بن أيوب ، فكان على الحِيرة إلى أن ملَّك كسرى المنذرَ بنَ ماء السماء . ونَكح زيدُ بن حمَّاد نِعْمة بنتَ ثَعْلَبة العَدَوية ، فولدت له عديَّ بن زيد . وملك المُنذرُ بن ماء السماء ، فكان لا يَعصيه فى شىء ، ووُلد للمرزبان ابن فسمّاه «شاهان مَرْد». فلما تحرَّك[1] عدىّ بن زيد وأيْفع طرحه أبوه فى الكُتّاب، حتى إذا حَذِق أرسله المَرْزبان مع ابنه «شاهان مَرد» إلى كُتَّاب الفارسية ، فكان يَختلفُ مع ابنه فيتَعلَّم الكتابة والكلامَ بالفارسيَّة ، حتى خرج من أفهم الناس وأفصحهم بالعَربيّة ، وقال الشِّعر ، وتَعلَّم الرّمىْ بالنُّشّاب . فخَرج من الأساورة[2] الرُّماة ، وتَعلَّم لعِبَ العجم على الخيل بالصَّوالجة[3] وغيرها . ثم إن المرزبان وفَد على كِسْرى ومعه ابنه «شاهان مَرْد» .فبينما هما واقفان بين يديه إذ سَقط طائران على السُّور ، فتَطاعما كما يتطاعم الذَّكر والأنثى ، فجعل كل واحد منهما مِنقارَه فى مِنقار الآخر . فغَضِب كسرى ولحقتْه غَيْرة ، فقال للمرزُبان وابنه : لِيَرْم كلُّ واحد منكما واحداً من هذين الطائرين ، فإن قتلتماهما أدخلتكما بيتَ المال وملأتُ أفواهكما بالجوهر، ومَن أخطأ منكما عاقبتُه . فاعتمد كلُّ واحد منهما طائراً منهما ورَمَيا، فقتلاهما جميعاً. فبعث بهما إلى بيت المال فمُلئت أفواهُهما جوهراً،وأثبت «شاهان مَرْد» وسائر أولاد المَرْزبان فى صَحابته . فقال فرُّوخ ماهان للملك : إن عندى

(١) فى الأصل : «تجرأ» .

(٢) الأساورة : جمع الأسوار ، بالضم والكسر ، وهو الجيد الرمى بالسهام .

(٣) الصوالجة : جمع صولجان ، عصا يعطف طرفها تضرب بها الكرة على الدواب . فارسى معرب.

غلاماً من العرب مات أبوه، وخلَّفه فى حِجْرى، وهو أفصحُ الناس وأكتبهم بالعربيّة والفارسية، والملكُ محتاج إلى مثله، فإنْ رأى الملكُ أنْ يُثْبِته فى وَلدى فَعل. فقال: اُدعه. فأرسل إلى عدىّ بن زيد، وكان جميلَ الوجه فائقَ الحُسْن، وكانت الفُرْس تتبرّك بالجميل الوجه، فلما كلّمه وجده أظرفَ الناس وأحضرَهم جوابا، فرَغبَ فيه وأثبته مع وَلد المرزُبان. فكان عَدِىٌّ أولَ مَن كَتب بالعربية فى ديوان كِسْرى، فرَغِب أهْلُ الحِيرة إلى عَدِىّ ورَهبوه. فلم يزل بالمدائن فى ديوان كِسْرى يُؤْذَن له عليه فى الخاصة، وهو مُعْجَبٌ به قريبٌ منه. وأبوه زيد بن حماد يومئذ حىّ، إلا أنَّ ذِكْر عدىّ قدارتفع وخَمل ذِكرُ [أبيه] زيد. فكان عدىّ إذا دَخل إلى المنذر بن ماء السماء مَلك الحيرة قام جميعُ مَنْ عنده حتى يقعدَ عدىّ. فعَلا له بذلك صوتٌ عظيم. فكان إذا أراد المُقام بالحيرة فى منزله ومع أبيه وأهْله استأذن كِسْرى فأقام فيهم الشهرَ والشهرين وأكثرَ وأقلَّ. ثم إن كسرى أرسل عَدِىّ ابن زيد إلى مَلِك الرُّوم بهديّة من طُرَف ما عنده. فلما أتاه عدىّ بها أكرمه وحَمله إلى أعْماله على البريد لِيُريه سَعَة مُلْكه. وكذلك كانوا يصنعون. فمن ثَمّ وقع عدىّ بدِمَشْق، وقال فيها الشِّعرَ. فممّا قاله بالشأم، وهو أول شِعر قاله:

رُبَّ دارٍ بأسْفلِ الجِزْعِ من دُو ... مَةَ أَشْهى إلىّ من جَيْرُونِ (١)

ونَدَامَى لا يَفرحون بما نا ... لُوا ولا يتّقُون صَرْفَ المَنُونِ

قد سُقيتُ الشَّمولَ فى دار بِشْرٍ ... قَهْوَةً مُزَّةً بماء سَخِينِ

زيد أبو عدى على الحيرة وبقاء اسم الملك للمنذر

وفَسد أمْرُ الحِيرة وعَدِىّ بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم، وذلك لأن أهل الحيرة حين كان عليهم المُنذِر، أرادوا قَتْله، لأنه كان لا يعدِلُ فيهم، وكان يأخذ من أموالهم مايُعجبه. فلمّا تيقن أن أهلَ الحيرة قد اجتمعوا على قَتْله، بعث إلى

(١) دومة هذه: من منازل جذيمة الأبرش، وهى دومة الحيرة. (عن البكرى). وجيرون: دمشق، وقيل: بناء كان عند باب دمشق حوله مدينة تطيف به.

زَيدِ بن حمّاد بن زَيد بن أيوب ، وكان قبلَه على الحِيرة ، فقال له : يازيد ، أنت خليفةُ أبى، وقد بَلغنى ما أجمعَ عليه أهلُ الحِيرة ،فلا حاجة لى فى مُلكهم ، دُونكموه مَلّكوه مَن شئتم . فقال زيد : إن الأمر ليس إلىّ ولكنى أَسْبُر لك هذا الأمرَ ولا آلُوكَ نُصْحا . فلما أصبح غَدَا إليه الناس فحَيَّوه تحية الملك ، وقالوا له : ألاَ تبعث إلى عَبْدِك الظالم ــ يعْنون المُنْذِر ــ فتُريحَ منه رعيّتك ؟ فقال لهم : أَوَلا خَيْرٌ من ذلك ؟ فقالوا : أشِرْ . فقال : تدَعونه على حاله ، فإنه من أهل بَيتِ مُلكٍ ، وأنا آتيه فأُخْبره أنّ أهلَ الحيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمر الحيرة اليه ، إلا أن يكون غَزْو أو قتالٌ ، فلك اسم المُلْك وليس إليك سوى ذلك من الأمور . قالوا : رأيُك أفضل . فأتى المنذرَ فأخبره بما قالوا . فقَبِل ذلك وفَرِح ،وقال : إن لك علىّ يازيد نعمةً لا أكفُرها ماعرفتُ حقّ سَبَد ــ وسبَد : صنم كان لأهل الحيرة ــ فولّى أهلُ الحيرة زَيداً على كلّ شىء سوى اسم المُلْك ،فإنهم أقرّوه للمنذر . وفى ذلك يقول عدىّ بن زَيد :

نحن كُنّا قد علِمْتم قبلكم عَمَدَ البيتِ وأوتادَ الإصَارِ(١)

مقدم عدى ولقاء المنذر له

ثم هَلك زَيْدُ بن حمّاد ، وابنه عدىٌّ يومئذٍ بالشّأم ، وكان لزيد ناقةٌ للحَمالات(٢)، وكان أهل الحيرة أعطوْه إيّاها حين ولّوه ما وَلَّوه . فلما هَلك أرادوا أخذَها ، فبلغ ذلك المنذرَ فقال : لا ، واللاتِ والعُزَّى ، لا يُؤخذ مما كان فى يد زيدٍ ثُفْرُوق(٣) وأنا أسمع الصوتَ . فى ذلك يقول عدىٌّ بن زيد لابنه النُّعمان ابن المُنْذِر :

وأبوكَ المرْء لم نَشْقَ(٤) به يومَ سِيمَ الخسفَ منّا ذوا الخسارِ

(١) الإصار : الطنب . أو هو جل الخباء والسرادق ونحوهما .

(٢) الحمالات : الديات والغرامات التى يحملها قوم عن قوم ؛ الواحدة : حمالة .

(٣) الثفروق : علاقة ما بين النواة والقمع من الثمرة . يكنى به عن القلة .

(٤) كذا فى الأصل . والذى فى بعض أصول الأغانى : « لم يشنأ به » .

ثم إنّ عديَّ بن زَيد قَدِم المدائنَ(١) على كسرى بهدِيَّةِ قَيصر ، فَصادف أباه والمَرْزُبانَ الذى ربَّاه قد هَلَكا جميعاً ، فاستأذن كسرى فى الإلمام بالحِيرة ، فأَذِن له ، فتوجَّه إليها . و بلغ المُنْذِرَ خَبرُه، فخرج فتلقّاه فى الناس ورجع معه .

وعَدِيٌّ أنبلُ أهلِ الحِيرة فى أنفسهم ، ولو أراد أن يُملِّكوه لَملَّكوه ، ولكنّه كان يومئذ يُؤْثِر الصَّيدَ واللّهْوَ واللَّعِبَ على المُلْك . فمكث سِنين(٢) يَبْدو فى فصْلَى السَّنة ، فيُقيم فى جَفير(٣) و يَشْتُو بالحيرة ، و يأتى المدائنَ فى خلال ذلك فيخدُم كسرى . فمكث كذلك سِنين، وكان لا يُؤْثِر على بلاد بنى يَرْبوع مَبْدًى من مَبادى العرب ، ولا ينزل فى حىّ من أحياء بنى تميم وغيرهم . وكان أَخِلّاؤه من العرب كلِّهم بنى جَعفر . وكانت إبلُه فى بلاد بنى ضَبَّة و بلاد بنى سَعْد . وكذلك كان أَبُوه يفعل لا يُجاوز هذين الحَيَّيْن بإبله .

ولم يزل على حاله تِلْك حتى تزوَّج هِنْدَ بنت النُّعمان الأَصْغَر ، ابن المُنذر الأكبر(٤)، ابن امرىء القيس بن النُّعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدىّ بن نَصْر بن ربيعة بن عَمْرو بن الحارث بن مَسْعود بن مالك بن غَنْم بن نُمارةَ بن لَخْم ، وهو مالك بن عدىّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد بن زَيْد بن يَشْجُبَ بن عَريب ابن زيد بن كَهْلانَ بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان . وفيها يقول عدىّ بن زَيد :

زواج عدى بهند

ياخَليلَىَّ يَسِّرَا التَّعْسِيرَا ... ثم رُوحَا فهجِّرا تَهْجِيرَا

عَرِّجا بى على ديارٍ لهندٍ ... ليس أنْ عُجْتُما المَطِيَّ كثيرا

وكانت هِنْد هذه من أجمل النساء . وأُمها ماريَة الكِنْدِيّة ، وكانت خَرجت

(١) المدائن : مسكن الملوك الأكاسرة ، كان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التى قبلها وسماها باسمه ، فسميت المدائن بذلك .

(٢) يبدو : أى يخرج إلى البادية . (٣) جفير : موضع . (معجم البلدان) . والذى فى الأصل : « بالبر » . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « المنذر بن المنذر » .

فى خَمِيس الفِصْح[1] تتقرَّب فى البيعة . ولها حينئذ إحدى عشرةَ سنة . وذلك فى أيام جدِّها المُنْذِر ، وقد قَدِم عدىّ بن زيد بهدية من كِسْرى إلى المنذر ، وأبوها النُّعمان يومئذ فتًى شابّ . فاتفق دخولُها البيعة وقد دَخلها عدىّ ليتقرَّب ، فرآها عدىٌّ وهى غافلةٌ ، فلم تَنْتَبِه له حتى تأمّلها . وقد كان جواريها رَأَيْنَ عديًّا وهو مقبل . فلم يقُلن لها ذلك لكى يراها عدىّ . و إنما فعلن هذا من أجل أَمَةٍ لهند يقال لها : مارِية . وقد كانت أحبت عديًّا فلم تَدْر كيف تتأتّى له . فلما رأت هندٌ عديًّا ينظُر إليها ، شَقَّ ذلك عليها وسَبَّتْ جواريها ونالت بعضهنّ بضرب . ووقعتْ هِنْد فى نفس عَدىّ ، فلَبث حَوْلًا لا يُخبر أحداً بذلك . فلما كان بعد حولٍ وظنّت مارية أنّ هِنداً قد أضربتْ عمّا جَرَى وصفتْ لها بيعة دُومة — وقيل : بيعة تُوما — ووصفت لها مَن فيها من الرَّواهب ومَن يأتيها من جَوارى الحِيرة ، وحُسنَ بنائها وسُرُجها ،وقالت لها : سَلِى أُمّكِ الإذنَ لك فى إتيانها . فسألتْها ذلك. فأذنتْ لها . و بادرتْ مارِيةُ إلى عَدِىّ فأخبرتْه الخبرَ . فبادر فلبس يَلْمقاً[2] كان « فَرْخَانْشَاهْ مرْد » قد كساه إيّاه ، وكان مُذْهباً لم يُرَ مِثْلُه حُسْناً . وكان عدىّ حَسَنَ الوجه مديد القامة حُلْو العينين حَسَن المَبْسِم[3] نقِيَّ الثَّغْر . وأخذ معه جماعةً من فِتيان الحِيرة . فدخل البيعة . فلمّا رأته قالتْ لهندٍ : أُنظُرِى إلى هذا الفتى ، فهو والله أحسنُ من كل ما تريْنَ من السُّرُج وغيرها ! قالت : ومن هو ؟ قالت : عدىّ ابن زَيد . قالت : أتخافين أن يَعْرفنى إن دنوتُ منه لأراه . قالت : ومن أين يعرفك ؟ وماراَكِ قطُّ حتى يعرفك ! فدنتْ منه وهو يمازح الفتيان الذين معه، وقد بَرَع عليهم بجماله وحُسن كلامه وفَصاحته ، وما عليه من الثِّياب . فذَهِلت لَمَّا رأَتْه و بُهِتتْ تنظُر إليه ، وعرَفت مارِيةُ مابها وتَبَيَّنَتْه فى وجهها . وانصرفت وقد تبعتْه نفسُها . وانصرف بمثل حالها. فلمّا كان الغدُ تعرّضت له مارِيةُ . فلما رآها هَشَّ لها، وكان قبل ذلك

(١) الفصح : عيد الإفطار : يصومون ثمانية وأربعين يوماً ، و يجعلون فصحهم يوم الأحد الذى يجىء بعد الصوم ، وقبل الفصح بثلاثة أيام : خميس العهد. وظاهر أنه المراد هنا. (انظر الآثار الباقية للبيرونى ، وصبح الأعشى) . (٢) اليلمق : القباء ، فارسى معرب . (٣) فى الأصل : « الجسم » .

لا يُكلِّمها ، وقال لها : ما غدا بك ؟ قالت : حاجةٌ إليك . قال : اُذكريها ، فوالله لا تسأليني شيئاً إلّا أعطيْتُك إيّاه . فعرّفته أنها تهواه وأن حاجتها الخلوةُ به ، على أن تَحتال له فى هِنـد ، وعاهدته على ذلك . فأدخلَها حانوتَ خمّارٍ بالحِيرة ووقع عليها . ثم أتتْ هِنْداً فقالت : أمَا تَشتهين أن تَرَىْ عَدِيًّا ؟ قالت: وكيف لى به ؟ قالت : أَعِدُه مكانَ كذا وكذا فى ظَهْرِ القَصْرِ وتُشْرِفين عليه . قالت : اُفعلى . فواعدتْه إلى ذلك المكان ، وأشرفت عليه هِنْـد . فكادت تموت . وقالت : إن لم تُدخليه إلىّ هلكتُ . فبادرتِ الأَمَةُ إلى النُّعمان وخبَّرته وصدقتْه وذكرتْ أنهـا قد شُغِفَتْ به ، وأن سببَ ذلك رُؤْيتها إيّاه فى يوم الفِصْح ، وأنه إن لم يزَوِّجها به افتضحتْ فى أمره أو ماتت . فقال لها : ويلك ! وكيف أبدؤُه ؟ فقالت : هو أرغبُ فى ذلك من أن تَبدأه ، وأنا أحتال فى ذاك من حيثُ لا يعلم أنك عرفتَ أمره . فأتتْ عديًّا فأخبرتْه الخبرَ ، وقالت : اُدْعه ، فإذا أخذ الشرابُ منه فاخطُب إليه فإنّه غيرُ رَادِّك . فقال: أخشى أن يُغضبه ذلك فيكونَ سببَ العداوة بيننا . قالت : ما قلتُ لك هذا حتى فرغتُ منه . فصَنع عدىٌّ طعاماً واحتفل فيه ، ثم أتى النعمانَ بعد الفِصْح ، وذلك يوم الاثنين . فسأله أن يتغدَّى عنده هو وأصحابه ، ففعل . فلما أخذ منهم الشرابُ خَطبها إلى النُّعمان ، فأجابه وزوّجه . فضمّها إليه بعد ثلاث[1] . فمكثت عنده حتى قتله النُّعمان . فترهّبت وحَبستْ نفسها فى الدَّيرِ المعروف بدَيرِ هِنْد فى ظاهر الحِيرة .

وقيل: بَلْ ترهبت بَعد ثلاثِ سنين من تَزويجه بها ومنعتْه نفسها . واُحتَبست فى الدَّير حتى ماتت .

وكانت وفاتها فى الإسلام فى خلافة معاوية بن أبى سُفْيان ، وكان المُغيرة إذ ذاك والياً على الكوفة .

خطبة ابن شعبة لهند بعد ترهبها

وذُكر أن المُغيرة بن شُعْبَة لما ولاّه معاوية ، مَرَّ بدَيْرِ هند هذه ، ودخل عليها

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ثلاثة أيام » .

بعد أن استأذن عليها ، فأَذِنتْ له وبَسطتْ له مِسْحاً[(1)] ، فجلس عليه ، ثم قالت : ماجاء بك ؟ قال : جِئْتُ خاطباً : قالت : والصَّليبِ ! لو علمتُ أن فىَّ خَصلةً من جَمال أو شبابٍ رَغَّبتْك فىّ لأجبتُك ، ولكنك أردتَ أن تقول فى المواسم : ملكتُ مملكة النُّعمان بن المُنذر ، ونكحتُ أبنته ، فبحقِّ معبودك ! هذا أردْتَ ؟ قال : إى والله . قالت : فلا سبيلَ إليه . فقام المغيرة وانصرف ، وقال فيها :

أدْركتِ ما منَّيتُ نفسِىَ خَالِيًا ... لله دَرُّكِ يابنةَ النُّعمَانِ
فلقد ردْدتِ على المُغيرة ذِهْنه ... إنَّ الملوك نَقِيَّةُ الأذْهان
ياهِندُ حَسْبُكِ قد صَدَقْتِ فَأَمْسِكى ... فالصِّدقُ خيرُ مقالة الإنسان

حديث ميلها إلى زرقاء اليمامة وبناء الدير

وذُكر أن هِنْدًا هذه كانت تَهْوى زَرقاءَ اليَمامة ، وأنها أوّلُ امرأة أحبتْ أمرأة فى العرب . وكانت الزرقاء ترى الجيش على مسيرة ثلاثين ميلاً . فغزا قومٌ من العربِ اليمامة . فلما قرُبوا من مسافة نظرها قالوا : كيف لكم بالوصول مع الزَّرقاء! فاجتمع رأيهم على أن يَقْتلِعُوا شجراً ، تستُر كلُّ شجرة منها الفارسَ إذا حملها . فقطع كلّ واحد منهم بمقدار طاقته وسارُوا . فأشرفتْ كما كانت تفعل . فقال لها قومُها: ما ترَيْن يازرقاء ؟ وذلك فى آخر النهار . قالت : أرى شجراً يَسير . فقالوا : كذبتِ ، أو كذبَتْكِ عينُكِ! واستهانوا بقولها. فلما أصْبحوا صَبَحهم القومُ، فاُستباحوا أموالَهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً . وأخذوا الزرقاء ، فقلعوا عَينها ، فوجدوا فيها عُروقاً سوداء . فسُئلتْ عنها ، فقالت : إنى كنت أُديمُ الاكتحالَ بالإثمد ، فلعلَّ هذا منه . وماتتْ بعد أيَّام .

وبلغ هنداً بنتَ النعمان خبرُها ، فترهّبتْ ولبستْ المُسُوح ، وبَنت الدَّير المعروف بدَيْر هِنْد ، فأقامت فيه حتى ماتت .

---

(1) المسح : كساء من شعر .

شعر عدى فى مصاهرته للنعمان

وقد ذكر عديُّ بن زيد مُصاهرته للنُّعمان فى قصيدة يُخاطبه بها، بعد أن حَبسه، أولها:

* أبصرتْ عينى عِشاءً ضوء نارِ *

النعمان فى حجر عدى

يقول فيها:

أَجْلَ نُعْمَى رَبِّهَا أَوَّلَكم ... ودُنُوِّى كان منكم واصْطِهارِى

ثم هَلك المُنْذِر بن ماء السماء، وهى أُمّه، وأبوه المنذر الأكبر. كما ذكرناه فى نَسبه، وخلّف ابنه النُّعمان. وكان مَضموماً إلى عدىّ بن زيد، وآلُ عَدِى هم الذينَ أرضعوه وربَّوه. وخلَّف أيضا الأَسْوَد، وأمّه ماريةُ بنت الحارث بن جُلْهُم ابن تيم الرَّباب، وكان أرضعه وربّاه قومٌ من أهل الحِيرة يُقال لهم: بنو مَرِينا، يَنْتسبون إلى لَخْم، وكانوا أشرافاً. وكان للمُنذر بن المنذر سوى هذين من الوَلد عشرةٌ. وكان يُقال لولده: الأَشاهب، من جَمالهم. وفى ذلك يقول أَعْشَى بن قَيْس بن ثعلبة:

وبنو المُنذر الأشاهبُ بالحِيـ ... ـرَةِ يَمْشون غُدْوَةً كالسُّيوفِ

سعى عدى فى تولية النعمان والخلاف بينه وبين ابن مرينا

وقيل: بل كانوا ثلاثةَ عَشَر. وكان النُّعمان من بينهم أحمرَ أبرش[1] قصيراً، وأُمه سَلْمَى بنتُ وائل بن عَطِيَّة الصّائغ، من أهل فَدَك[2]. وأوصى بهم أبوهم إلى [إياس بن] قَبيصةَ الطائى، وملّكه على الحِيرة إلى أن يَرَى كسرى رأيَه. فمكث عليها مُمَلَّكاً أشهراً، وكسرى فى طَلب رجل يُملِّكه عليهم — وهو كسرى أبرويز ابن هُرْمُز بن أنُوشِرْوان — فلم يجد أحداً يَرْضاه، فضَجِر وقال: لأبعثنَّ إلى الحِيرة اثنى عشر ألفاً من الأساورة، ولأُمَلِّكن عليهم رجلاً من الفرس، ولآمرنَّهم أن يَنزلوا على العرب فى دُورهم ويملكوا عليهم أموالَهم ونِساءَهم. فكان عدىّ بن

(١) الأبرش: الأرقط الأنمر، الذى يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان.

(٢) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان.

زيد واقفاً بين يديه ، فأقبل عليه وقال : ويحك ياعدىّ ! مَن بقى من آل المُنذر ؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خير؟ فقال: نعم أيها الملك، إن فى ولد المُنذر لبقيةً ، وفيهم[1] كلهم خير . فقال: أبعث إليهم. فبعث عدىّ إليهم وأحضرهم وأنزلهم جميعاً عنده . فلما نزلوا عليه أرسل إلى النُّعمان : لستُ أُملِّك غيرك فلا يُوحشنَّك ما أفضِّل به إخوتَك عليك من الكرامة ، فإنى إنما أغترُّهم بذلك . ثم كان يفضِّل إخوته جميعاً عليه فى النُّزول[2] والإكرام والملازمة، ويُريهم تنقُّصًا للنعمان، وأنه غيرُ طامعٍ فى تمام أمر على يديه . وجعل يخلو بهم رجُلاً رجلاً فيقول : إذا أُدخلتم[3] على الملك فالبَسوا أفخرَ ثيابكم وأجملها ، وإذا دعاكُم إلى الطَّعام لتأكلوا تَباطأوا فى الأكل ، وصغِّروا اللُّقَم، ونَزِّروا ماتأكُلون . فإذا قال لكم : أتكفُونني العرب ؟ فقولوا : نَعم . فإذا قال لكم : فإن شذَّ أحدكُم عن الطاعة أو فسد[4] أتكفُونَنيه ؟ فقولوا : لا ، إنّ بعضنا لا يَقدر على بعض ؛ ليهابَكم ولا يَطمع فى تفرّقكم ،ويَعلم أن للعرب مَنَعَةً وبأساً . فقبِلوا منه . وخلا بالنُّعمان فقال له : البِسْ ثِياب السَّفر وادْخل مُتَقَلِّداً سَيْفَك ، فإذا جلستَ للأكل فعظِّمْ اللُّقَمَ وأسْرِع المَضْغ والبَلْع وزِدْ فى الأكْل ، وتجوَّع قبل ذلك ؛ فإن كسرى يُعْجبه كَثْرةُ الأكل من العرب خاصَّة ، ويَرَى أنه لا خَيْرَ فى العربىّ إذا لم يكن أكُولا ، ولا سيّما إذا رأى غَيْرَ طَعامه وما لا عَهْدَ له بمثله . وإذا سألك : هل تَكْفينى العربَ ؟ فقُل : نعم . فإذا قال : فمَن لى بإخوتك ؟ فقل : إن عجزتُ عنهم فإنّى عن غيرهم لأَعْجَزُ .

وخلا ابنُ مَرينا بالأسْود بن المُنذر ، فسأله عمّا وصّاه به عدىّ . فأخبره . فقال : غشَّك والصَّليبِ والمَعْموديّة ! وما نَصحك ! ولئن أطعتنى لتُخالفَنَّ كلَّ ما أمرك به ولتُملَّكَنَّ ، ولئن عصيتَنى لَيُملَّكن النعمانُ . ولا يَغُرَّنك ما أراكه من الإكرام والتَّفضيل على النُّعمان ؛ فإن ذلك دَهاء فيه ومكر وحِيلة . فقال له : إن عَديًّا لم يأْلُنى

(١) فى الأصل : « كل » مكان « كلهم ».(٢)فى الأصل : « فى النزل».(٣) فى الأصل : «دخلتم» .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : «وأفسد» .

نُصْحًا ، وهو أعلمُ بكسرى منك ، و إن خالفتهُ أوحشتهُ فأفسد علىّ ، وهو جاءبنا ووصَفنا ، و إلى قوله يرجع كسرى . فلما يئس ابنُ مَرِينا من قَبوله منه ، قال : ستعلم !

ودعا بهم كِسْرى ، فلمّا دخلوا عليه أعجبه جمالُهم وكمالُهم ، ورأى رجالاً قلّما رأى مثلَهم . فدَعا لهم بالطعام ، ففعلوا ما أمرهم به عدىّ . فجعل ينظرُ إلى النُّعمان من بينهم و يتأمّل أَكله . فقال لعدىّ بالفارسيَّة : إن لم يكن فى أحد منهم خَير ففى هذا . فلما غَسلوا أيديَهم جعل يدعو رجلاً رجلاً فيقول له : أتكفيني العربَ ؟ فيقول : أكفيكها كُلَّها إلّا إخوتى . حتى انتهى إلى النُّعمان آخرهم ، فقال له : أتكفيني العربَ ؟ فقال : نعم . فقال : كلّها ؟ قال : نعم . قال : كيف بإخوتك ؟ قال : إن عجزتُ عنهم فأنا عن غيرهم أعجز . فملّكه وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمتهُ ستّون ألفَ دينارٍ ، فيه اللُّؤلؤ والذهب .

فلما خرج وقد مُلِّك النُّعمان . قال ابن مَرِينا للأَسود : دونك عُقْبى خِلافِك لى . ثم إن عديًّا صَنع طعاماً فى بِيعةٍ . فقال لابن مَرِينا . ائتنى بمن أَحببت فإنّ لى حاجةً . فأتى فى ناسٍ فتغدَّوا فى البِيعة . فقال عدىّ بن زيد لابن مَرِينا : ياعدىّ ، إن أحقَّ من عرف الحق ثم لم يَلُم عليه من كان مثلَك ، و إنى قد عرفتُ أنّ صاحبَك الأسودَ بن المُنذر كان أحبَّ إليك أن يُملَّك من صاحبى النُّعمان ، فلا تَلُمْنى على شىء كنتَ على مثله ، وأنا أحبّ ألّا تحقِدَ علىّ شيئاً لو قدرتَ عليه رَكِبْته ، وأُحب أن تُعطِينى مَن نفسك ما أُعطيك من نفسى ، فإن نَصيبى فى هذا الأمر ليس بأَوفر من نَصيبك ، وقام إلى البِيعة فحلف ألاّ يهْجُوه أبداً ، ولا يَبْغيه غائلةً أبداً . ولا يَزْوِى[1] عنه خيراً أبداً . فلما فرغ عدىُّ بن زيد، قام عدىّ بن مَرينا فَحلَف مثل يَمينه ألاّ يزالَ يهجُوه أبداً ، و يَبْغِيه الغوائلَ ما بَقِى .

وخَرج النعمانُ حتى نَزل منزلَ أبيه بالحِيرة . فقال عدىّ بن مَرِينا لعدىّ بن زيد:

---

(١) يزوى : يقبض .

ألاَ أُبلغْ عَدِيًّا عن عَدِيٍّ فلا تَجْزَعْ وإن رَثَّت[1] قُوَا كَا
فإن تَظفرْ فلم تَظفَرْ حَمِيدًا وإن تَعْطَبْ فلا يَبْعُدْ سِوَا كا
نَدِمْتَ نَدَامةَ الكُسَعِىّ[2] لمّا رَأت عَيناكَ ما صنعتْ يدَا كا

تدبير ابن مرينا للإيقاع بعدى ابن زيد

ثم قال عدىّ بن مرينا للأسود : أما إذا لم تَظفَر فلا تعجزَنّ أن تَطلُب بثأرك من هذا المَعدىِّ الذى فَعل بك ما فَعل . فقد كنتُ أُخبرك أنّ معدًّا لا ينام كيدُها ومكرها ، وأمرتك أن تَعصِيَه ، فخالَفتنى .

قال : فما تُريد ؟ قال : أريد ألاّ تأتيك فائدةٌ من مالك وأرضك إلاّ عرضتَها علىّ . ففَعل . وكان ابن مَرينا كثيرَ المال والضَّيعة . فلم يكن فى الدّهر يوم يأتى إلاّ على باب النُّعمان هدِّيةٌ من ابن مَرينا . فصار من أكرم الناس عليه ، حتى كان لا يَقْضى فى مُلكه شيئاً إلاّ بأمر ابن مَرينا . وكان إذا ذُكر عدىّ بن زيد عند النُّعمان أحسنَ الثّناء عليه وَشَيَّع[3] ذلك بأن يقُول : إن عدىّ بنَ زَيد فيه مَكْرٌ وخَدِيعة ، والمَعدّى لا يَصْلح إلاّ هكذا . فلما رأى مَنْ يُطيف بالنُّعمان منزلةَ ابن مَرينا عنده لَزِموه وتابعوه[4] ، فجعل يقول لمن يثِق به : إذا رأيتُمونى أذكُر عَدِيًّا عند الملك بخير فقُولوا : إنّه لكذلك ، ولكنّه لا يَسْلَمَ عليه أحد ، وإنه ليقول: إن الملك - يعنى النعمان - عَامِلهُ ، وإنه هو ولاّه . فلم يزالوا كذلك حتى أضْغَنُوه عليه. فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قَهْرَمان[5] له ، ثم دَسُّوا إليه حتى أخذوا الكتابَ منه وأتَوْا به النُّعْمانَ فقرأه . فاشتدّ غَضَبُه ، وأرسل إلى عدىّ بن زَيد : عزمتُ

(١) رثت : ضعفت .

(٢) الكسعى : نسبة إلى كسع ، حى من قيس ، عيلان - وقيل : من اليمن - رماة . والكسعى هذا الذى يضرب به المثل رجل رام رمى بعد ما أظلم الليل عيرا فأصابه ، وظن أنه أخطأ فكسر قوسه ، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه .

(٣) شيع : أتبع . (٤) فى الاصل : « وبايعوه » .

(٥) القهرمان : أمين الملك وخاصته ، وهو كذلك الخازن والوكيل . فارسى معرب .

عليك إلاّ زُرْتَنى . فإنى قد اُشتقتُ إلى رُؤْيتك . وعدىّ يومئذٍ عنـد كسرى . فاُستأذن كسرى ، فأَذِن له . فلمّا قَدِم عليه لم ينظُر إليه حتى حَبسه فى مَحْبسٍ لا يدخل عليه فيه أحد .

ثم كان من أمره معه ماسنذكره إن شاء الله تعالى[١] .

عدى وتنصر النعمان

وذُكر أنّ عدىّ بن زَيد كان سببَ تَنَصُّر النعمان بن المُنذر ، وكان يعبُد الأوثان قبل ذلك .

قيل : إنه خرج لَظْهر الحِيرة ، ومعه عدىّ بن زيد العِبادىّ ، فمَرَّ على المقابر من ظهر الحِيرة ونهرها . فقال له عدىّ بن زيد . أَبَيْتَ اللعن ! أتَدْرى ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا . فقال له : تقول :

أيُّهـا الرَّكْبُ المُخِبُّو نَعلى الأرض[٢] المُجِدُّونْ
وكما أنتُمْ كذا كُنّا وكما نحْن تكونُونْ

وقيل : بل قال : إنها تقُول :

كنّا كما كنتمُ حيناً فغَـيَّرنا دَهْرٌ فسوف كما صِرْنا تَصيرونَا[٣]

فاُنصرف وقد دخلتْه رِقّةٌ . فمكث بعد ذلك يَسيراً ، ثم خرج خَرجةً أُخرى ، فمرَّ على المقابر ومعه عَدِىٌّ ، فقال له : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ؟ أتدرى ما تقولُ هـذه المَقابر ؟ قال : لا . قال : فإنها تقول :

مَنْ رَآنا فَلْيُحَـدِّثْ نَفْسَه أنّهُ مُوفٍ على قَرْنٍ[٤] زَوَالِ
وصُرُوفُ الدَّهْرِ لا يَبْقَى لهـا ولِمَا تأتى به صُمُّ الجِبَـالِ
رُبَّ رَكْبٍ قد أَناخُوا حولنَـا يَشْربونَ الخمرَ بالماء الزُّلاَلِ

---

(١) انظر بقية أخبار «عدى» فيما سيأتى (ص٢١٢) من هذا الجزء . (٢) فى الأصل : «مجدون».
(٣) فى الاصل : «تكونونا». (٤) على قرن زوال ، أى على طرف زوال.

والأباريقُ عليهـــا فُـدُمٌ وجِيادُ الخيل تَرْدِى[١] فى الجِلال
عَمــرُوا دَهْراً بعيشٍ حَسَنٍ آمِنِى دَهْرِهِم غَـــيرَ عِجَـــال
ثم أَضحَوْا عَصَفَ الدَّهرُ بهم وكذاك الدهرُ يُودِى بالرِّجال
وكـذاك الدهرُ يَرْمى بالفتَى فى طِلابِ العَيشِ حالًا بعد حال

فرجع النُّعمان وتَنَصَّر. وهو الصَّحيح .

ورَوى الـكَلْبىُّ أنَّه قال لعدىّ :ائْتِنى الليلةَ إذا هدأت الرِّجْلُ لتعرفَ حالى . فأتاه فوجده قد لَبِسَ المُسُوحَ وتَنصَّر وترهَّب وخَرج سائحاً على وجهه ، فلا يُدْرَى ما كانت حالُه ، وتَنصّر ولدُه بعده ، و بَنَوا البِيعَ والصَّوامع .

قلتُ : وأنكر أبو الفَرج هذه الرِّواية جدًّا ؛ فإن الذى فعل هذا الفِعْلَ النُّعمانُ الأكبر جَدُّ النُّعمان الأصغر ، وعدىٌّ لم يدرك الأكبر ، وقد ذكره عدىٌّ فى شعره الذى خاطب به النُّعمان لمَّا حَبسه .

حديث خالد عن تنصر النعمان

ثمأورد أبو الفرج حِكَايةً تَشهد بِصحّة قوله و بُطْلان رواية الـكَلبىّ ، وهى :

حَكَى خَالدُ بن صَفْوان بن الأَهْتَم قال :

أَوْفدنى يوسفُ بنُ عُمر إلى هشام بنِ عبد الملك فى وَفْد أهل العِراق . قال : فقدمتُ عليـه وقد خَرج بِقَرَابته وحَشَمه وغاشيتِه[٢] وجُلَسائه ، فنزل فى أرضٍ قاعٍ صَحْصَحٍ[٣] مُنِيفٍ أَفيحَ[٤] ، فى عامٍ قد بَكَّر وَسْمِيُّه[٥] ، وتتابع وَلِيُّه[٦] ،

---

(١) الفدم : ما يوضع فى فم الإبريق لتصفية ما فيه من الشراب ؛ الواحد : فدام ، بفتح الفاء وكسرها . وتردى : تعدو وترجم الأرض بحوافرها .
(٢) غاشية الرجل : من ينتابه من زواره وأصدقائه .
(٣) الصحصح : الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغير .
(٤) الأفيح : الواسع .
(٥) الوسمى : مطر الربيع الأول .
(٦) الولى : المطر الذى يلى الوسمى .

وأخذت الأرضُ فيــه زينتها على اختلاف ألوان نَبْتِها ، من نَوْر ربيع مُونِق ، فهو فى أحسنِ مَنظر ومَخْبَرٍ ومُسْتَمْطَر ، بِصَعيدٍ كأنّ تُرابه قِطَع الـكافور ، ضُرِب له سُرادق من حِبَرَةٍ[1] كان يوسفُ بن عُمر صنعه له باليمن ، فيه فُسطاط فيه أربعة أفْرِشَة من خَزٍّ أحمرَ مثلُها مرافقُها ، وعليه دُرَّاعة من خزٍّ أحمرَ مثلُها عِمامتُها . وقد أخذ الناسُ مجالسَهم .

قال : فأخرجتُ رأسى من ناحية السِّماط[2] ، فنَظر إلىَّ شِبْهَ المُسْتَنطِق لى . فقلتُ : أتمَّ اللهُ عليك يا أميرَ المؤمنين نِعَمه ، وجَعَل ما قلّدك من هــــذا الأمر رُشْداً ، وعاقبةَ ما تؤول إليــه حَمْداً ، وأخلصَــه لك بالتُّقى ، وكثَّره لك بالنَّماء ، ولا كدَّر عليك منه ما صَفا ، ولا خالط سُرورَه بالرَّدَى ؛ فلقد أصبحتَ للمُـؤمنين ثِقَةً ومُسْتَرَاحا ، إليك يَقْصِدون فى مَظَالِمهم ، ويفزعون فى أُمورهم . وما أجـد شيئاً يا أميرَ المؤمنين هو أبلغُ فى قضاء حَقِّك ، وتَوْقير مَجلسك ، وما مَنَّ اللهُ عزّ وجلّ علىّ به من مُجالستك ، من أن أُذَكِّرك نِعَمَ اللهِ عليك ، وأُنَبِّهك لشكرها . وما أجِد فى ذلك شيئاً هو أبلغُ من حديث مَن سَلَفَ قبلك من المُلوك ؛ فإنْ أذن أمير المؤمنين أخبرتُه به .

قال : فاستوى جالساً ، وكان مُتَّكِئاً ، وقال : هَاتِ يا بن الأهتم . قال : قلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ مَلِكاً من المُلوك قبلك خَرج فى عامٍ مثلِ عامك هذا إلى الخَوَرْنق[3] والسَّدير[4] ، فى عامٍ قد بَكَّر وَسْمِيُّه ، وتَتابع وليُّه ، وأخذت الأرضُ فيــه زِينَتها على اختلاف ألوان نَبْتِهــا ، فى ربيع مُونِق ، فهو فى أبهج مَنظر وأحسن مَخبر ، بصَعيد كأنّ تُرابَه قِطَعُ الكافور ، وقد كان أُعطى فَتَاءَ السنّ

(١) الحبرة : ضرب من نسيج اليمن فيه نقط سود .

(٢) السماط : جمع سمط ، أو هو الصف من الناس وغيرهم .

(٣) سيأتى حديث الخورنق . (ص ٢١١) من هذا الجزء .

(٤) السدير : نهر بالحيرة . وقيل : قصر فى الحيرة من منازل آل المنذر .

مع الكثرة والغَلبة والقهْر ، فأبعد النَّظَر ثم قال لجلسائه : لمن مثلُ هذا ؟ وهل رأيتم مثلَ ما أنا فيه ؟ أو هل أعطى أحدٌ مثلَ ما أُعْطِيتُ . قال : وعنده رجلٌ من بَقايا حَمَلة الحُجَّة ، والمُضِىّ على أدب الحقّ ومِنهاجه ـ قال: ولم تَخْلُ الأرضُ من قائم لله عزّ وجلّ بحُجَّةٍ فى عباده ـ فقال : أيها الملك : إنّك سألتَ عن أمرٍ ، أفتأذنُ لى فى الجواب عنه ؟ قال : نعم . قال : أرأيتَ هذا الذى أنتَ فيه ؟ أشىء لم تزلَ فيه ، أم صار إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنكَ وصائرٌ إلى غيرك كما صار إليك؟ قال : كذلك هو . قال : فلا أراك أُعجبت إلّا بشىء[1] يسيرٍ تكون فيه قليلاً وتَغيب عنه طويلا ، وتكون غداً بحسابه مُرْتهناً . قال : ويحك ! فأيْن المَهربُ وأين المطلب ؟ قال: إمّا أن تُقيم فى ملكك فتعملَ بطاعة رَبِّك على ماساءك وسَرَّك، وأَمَضّك[2] وأرْمَضَك[3]؛ وإمّا أن تَضَعَ تاجك ، وتَخلع أطمارك ، وتَلْبس أمْسَاحك، وَتعبد رَبَّك حتى يَأتيك أجلُك . قال: فإذا كان السَّحر فاقْرَعْ علىَّ بابى فإنى مختارٌ أحدَ الرأيين ، فإن اخترتُ ما أنا فيه كُنتَ وزيراً لا يُعْصَى ، وإن اخترتُ فَلوَاتِ الأرض وقَفْرَ البلاد كنتَ رفيقاً لا تُخَالَف . قال : فقَرع عليه عند السَّحَر ، فإذا هو قد وضع تاجه ووضع أطْمَاره ولَبِس أمْسَاحه وتهيأ للسِّياحة . فلَزِمَا والله الجَبَلَ حتى أتاهما الأَجل . فهو حيثُ يقول عَدِىّ بن زيد أخو بنى تَميم :

أَيُّها الشَّامتُ المُعيِّر بالدَّهْـ ـر أأنت المُبرَّأ المَوفُورُ
أم لديكَ العَهْدُ الوثيقُ من الأيَّـ ـام بل أنتَ جاهلٌ مَغرور
مَن رأيتَ المَنُونَ أَبْقَين أم مَنْ ذا عليه من أن يُضَام خَفير
أين كِسْرى كسرى الملوك أَنُوشِرْ وانُ أم أين قبلَه سابُور

---

(١) عجب وأعجب، بمعنى ، يقالان فى الاستحسان . وقيل: أعجب ، فى الاستحسان ؛ وتعجب ، فى الإنكار .

(٢) أمضك : شق عليك .

(٣) أرمضك : أوجعك .

وأخو الحَضْر إذ بَناه وإذ دِجْـ ـلة تُجبَى إليـه(١) والخابُور
شَاده مَرْمَرًا وجَلَّله كِلْـ ـسًا فللطَّيرِ فى ذُراه وُكُور
لم يَهَبْه رَيْبُ المَنون فبَادالْـ ـمُلك عنـه فبـابُه مَهْجُور
وَتَذَكَّر ربَّ الخَوَرْنق إذا أَشْـ ـرَفَ يوماً وللهُدَى تذكير
سَرّه مالهُ وكَثْرةُ ما يَمْـ ـلكُ والبَحْرُ مُعْرِضاً(٢) والسَّدير
فارْعَوى قلبُه وقال وما غِبْـ ـطةُ حَيّ إلى المَمات يَصير
ثم بعد الفلاح والمُلكِ والإمَّـ ـة(٣) وارتْهُم هنـاك القُبور
ثم صارُوا كأنهم وَرَقٌ جفَّـ ـفألْوَتْ به الصَّبا(٤) والدَّبُور

قال: فبكى والله هشامٌ حتى أخضلَّت لحيته و بُلَّت عمامته، وأمر بنَزْع أبنيته، وانتقال قَرابتـه وأهله وغاشيته من جُلسائه، ولَزِم قَصْرَه. فأقبلت الموالى والحَشَم على خالد بن صَفْوان وقالوا: ماأردتْ إلى أمير المؤمنين! أفسدت عليه لذّته ونَغَصْتَ عليه مأدُبتَه(٥)! فقال: إليكم عنِّى، فإنى عاهدتُ الله عز وجلّ ألاّ أخلو بملك إلاّ ذكَّرته الله جلّ وعزّ.

ثم ذكر أبو الفَرج خَبَرَ الحَضْر وصاحبه، وخبر الخورنق وصاحبه، لجريان ذكرهما فى هذا الشعر. خبر الحضر

فأما ذكر الحضر وصاحبه

فقد ذُكر أن الحضر كان قصراً بجبال تَكْريت، بين دِجْلة والفُرات. وصاحبه الذى ذكره عدىّ بن زيد هو الضَّيْزَنُ بن مُعاوية بن العَبِيد بن الأجرام بن عمرو ابن النَّخَع بن سَليح، من بنى تَزِيدَ بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة. وأُمه جَيْهَلة(٦) امرأةٌ من بنى يزيد بن حُلْوان، أخى سَليح بن حُلْوان، وكان لا يُعرف إلا بأُمه هذه، وكان مَلِك تلك الناحية وسائرِ أرض الجزيرة، وكان معه من بنى الأجرام وسائر

(١) الخابور: نهر بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة.
(٢) معرضا: أى متسعا. (٣) الإمة: النعمة. (٤) ألوت به: ذهبت به.
(٥) فى بعض أصول الأغانى: «جبهلة». (٦) فى الأصل. «باديته»

قبائلِ قُضاعةَ مالا يحصى، وكان مُلْكه قد بَلغ الشَّأمَ . فأغار الضَّيْزنُ فأصاب أُخْتاً لسابور ذى الأكتاف[1]، وفَتح مدينة نهرشير وفَتك فيهم .

ثم إن سابور ذا الأكتاف جَمع لهم وسار إليهم ، فأقام على الحَضْر أربع سنين لا يَستغل منهم شيئاً . ثم إن النَّضيرة بنت الضَّيْزن عَرِكَتْ ـ أى حاضت ـ فأُخْرِجَت إلى الرَّبَض[2] . وكانت من أجمل أهل دَهرها ، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حِضْنَ . وكان سابور من أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته وعَشقها وعَشقَتْه . فأرسلتْ إليه : ما تجعل لى إن دللْتُك على ما تهدِمُ به هذه المدينةَ وتقتُل أبى ؟ قال : أُحَكِّمُكِ وأرفعُكِ على نِسائى وأخُصّكِ بنفسى دونهنّ . قالت : عليك بحمامةٍ مطوّقةٍ وَرْقاء فاكتُب فى رِجلها بحَيض جارية بِكرٍ تكون زرقاء ، ثم أرسلْها فإنها تقع على حائط المدينة ، فتتداعَى المدينةُ . وكان ذلك طِلَّسْمَها لا يَهْدِمها إلاّ هو . ففعل وتأهَّب لهم، وقالت له: أنا أسْقِى الحَرسَ الخمر، فإذا صُرعوا فاقتلْهم وادخُل المدينة . ففعل وتداعت المدينةُ ، وفتحها سابور عَنْوةً ، وقَتل الضَّيْزَنَ وأباد بَنِى العَبيد ، وأفْنى قُضاعةَ الذين كانوا مع الضَّيْزَن ، ولم يَبْقَ منهم باقٍ إلى اليَوْم يُعرف، وأُصيبت [قبائل] حُلْوَان ، وانقرضوا ودَرَجُوا . وأَخْرَب سابورُ المدينةَ واحتمل النَّضيرةَ بنت الضَّيْزَن ، وأعرس بها بِعَيْن التمر[3] . فلم تزل ليلتها تتضوّر من خُشُونة فى فُرُشِها ، وهى من حَرير محْشُوّة بالقزّ . فالتمَسَ ما كان يُؤذيها ، فإذا هى ورقةُ آسٍ ملتصقةٌ بعُكْنةٍ من عُكَنها ، قد أثَّرَتْ فيها . قال : وكان يُنظر إلى مُخِّها من لين بَشَرتها . فقال لها سابور : ويحكِ ! بأىّ شىء كان أبوكِ يَغْذُوكِ ؟ قالت : بالزُّبْدِ والمُخِّ

(١) ذكر ياقوت فى معجم البلدان فى رسم « الحضر » أن صاحب القصة إنما هو سابور ابن أردشير ، لا سابور ذو الأكتاف ، وهو سابور ابن هرمز . وقال: « إنما ذكرت ذلك لأن بعضهم يغلط ويروى أنه ذو الأكتاف » . وسيشير إلى ذلك ابن واصل صاحب التجريد فى نهاية القصة (ص ٢١) نقلا عن الطبرى من هذا الجزء » . (٢) الربض : ما حول المدينة من خارج .

(٣) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة .

وشُهْدِ الأبكار من النَّحل وصَفْوَة الخمر. فقال: وأبيكِ، لأنا أقربُ عهداً بمعرفتك، وآثرُ لك من أبيك الذى غذَّاكِ بما تذكرين! ثم أمر رجلاً فركب فرساً جَمُوحاً وضَفَرَ غدائرها بذَنبه، ثم استركضه فقطّعها قِطَعاً.

قلت: الذى ذكره أبو جعفر الطبريّ فى تاريخه: إن صاحب هذه الواقعة هو سابور بن أردشير بن بابك، وهو جدّ سابور ذى الأكتاف.

خبر الخورنق

وأما خبر الخورنق وصاحبه:

فإنه ذُكر أنّ النُّعمان الأكبر — وهو ابن امرئ القيس، الذى تقدّم نَسبُه فى ذكر نَسب النُّعمان الأصغر. وأمه الشَّقيقة وبها يُعرف — بنى الخَوَرْنق. وسَبب بنائه له أن يَزْدَجِرْد بن سابُور كان لا يَبْقى له ولد، فَسَأل عن مَنزل صَحيح من الأدْواء والأسقام، فدُلَّ على ظَهْر الحِيرة، فدفع ابنه بَهْرام جور بن يَزْدَجِرد إلى النُّعمان بن الشَّقيقة، وكان عامِلَه على أرض العرب، وأمره أن يَبْنى الخَوَرْنق مَسْكَناً له ولابنه ويُنزله إيّاه معه، وأمره بإخراجه إلى بَوَادِى العرب. وكان الذى بَنى الخورنق رجلاً يُقال له «سِنِمَّار». فلما فَرَغوا من بنائه عَجِبوا من حُسنه وإتقان عَمله. فقال: لو علمتُ أنكم تُوفُونى أجْرى وتَصْنعون بى ما أَستحقُّه لَبَنَيْتُه بناءً يدُور مع الشمس حيثما دارت. فقالوا: وإنك لتَبْنى ما هو أفضل منه ولم تَبنه! ثم أمر به فطُرِح من رأس الجَوْسق[1].

وفى رواية: إنه قال: أنا أعرِفُ فى هذا القصر موضعَ عَيْب إذا هُدِم تَداعى القصرُ أجمعُ. فقال له: أمَا والله لا تدلّ عليه أحداً أبداً! ثم رُمِى به من أعلى القَصْر. فقالت الشُّعراء فى ذلك أشعاراً كثيرة، منها قولُ أبى الطَّمَحان القَيْنىّ:

جَزَاءَ سِنِمَّارٍ جَزَوْها ورَبِّها وباللّاتِ والعُزّى جَزاءَ المُكَفِّر

(١) الجوسق: القصر.

وقال عبدُ العُزَّى بن أمرئ القيس الـكَلْبىّ :

جَـــزانِى جَزاه اللهُ شَرَّ جَـــزائه جَزاءَ سِنِمّار وما كان ذا ذَنْبِ
سوى رَصِّه البُنْيانَ عِشرين حِجَّـةً يُعَلِّى عليه بالقَراميـدِ[1] والسَّـكْب

وعلا أَمْرُ النُّعمان الأكبرُ هذا . وأعطاه يَزْدَجرد كَتيبتين عظيمتين، إحداهما من تَنُوخ : وتُسَمَّى دَوْسَر . والأُخرى من الفُرْس ، وتُسمَّى الشَّهْباء . كان يغزو بهما بلادَ الشَّــأم ، وكُلَّ مَنْ لم يَدِنْ له من العرب . فجلس يوماً يُشْرِف من الخَوَرْنق ،فأَعجبه ما رأى من مُلـكه . ثم جَرى له بعد ذلك ما تقدم ذكره فى خَبر خالد بن صَفْوان .

رجع الحديث

إلى بقية أخبار عدىّ بن زيد العبادى

حبسه وشعره الى النعمان

ولمّا حَبس النُّعمانُ الأصغر بن المُنذر عدىَّ بن زيد وطال حَبْسه ، جَعل يقول الشعر . فممّا قاله قصيدته التى تقدّم ذِكْرُها فى خبر خالد . ومن ذلك قوله :

ليتَ شِـعْرى عن الهُمام ويَـأْتيـ ـك بخُبْرِ الأَبناء عطفُ السُّؤالِ
أين عَنَّا إخطارُنا المالَ والأَنْـ ـفُسَ إذ ناهَدُوا لِيوم[2] المِحَال
ونِضَالِى فى جَنْبكَ النـاس يرمُو ن وأَرْمى وكُلُّنا غيرُ[3] آلِى
فأُصيبُ الذى تُريد بلا غِــشّ وأَرْبِى عليهـمُ وأُوالى

ومنها قوله فى قصيدة طويلة :

أَبلغِ النُّعْمانَ عَنِّى مَأْلُـكاً[4] أَنَّه قد طال حَبْسى وأنتظـارى

(١) القراميد : جمع قرمد ، وهو الآجر . والسكب : النحاس أو الرصاص .
(٢) إخطار المال والنفس : بذلها وجعلها خطراً . وناهدوا : ناهضوا . والمحال : الكيد أو المكر .
(٣) غير آلى : غير مقصر . (٤) المألك ، بفتح اللام وضمها : الرسالة.

لو بغـــير المـاء حلقى شَرِقٌ ... كنت كالغَصَّان بالماء[١] اُعتصارى

فى قصائدَ كثيرة كان يقولها و يكْتُب بها إليه ، فلا تُغْنى عنه شيئا .

ومما قاله فى الحَبْس:

ليسَ شىءٌعلى المَنُونِ ببَاقِ ... غيرُ وجـــه المُسبَّح الخَلّاقِ

إن نَـكُن آمنــين فاجأنا شَـــرٌّ ... مُصيبٌ ذا الوُدّ والإشـفاق

فبرىءٌ صـدرى من الظُّلْم للرّ ... بّ وحِنْثٍ بمُعْقَدِ[٢] المِيثاق

ولقـــد سـاءنى زيارةُذى قُرْ ... بىَ حبيبٍ لودّنا مُشـــتاق

سـاءه ما بِنا تبَيَنَّ فى الأيْـ ... ـدى وإشناقها[٣] إلى الأعنـاق

فاذْهِبى يا أُميم[٤] غـير بَعيـد ... لا يُوَاتى العِناقُ مَنْ فى الوَثَاق

واذْهَبى يا أُمَيم[٤] إن يشأ اللـ ... ـهُ يُنفس مِن أَزْمِ[٥] هذا الخناق

أوتـكن[٦] وجْهَةٌ فتلكَ سبيلُ النّـــــاس ... لا تَمْنع الحُتوفَ الرَّواقى

ومنهــا :

ياأبا مُسْهرٍ فأَبْلغ رسـولاً ... إخوتى إن أتيتَ صَحْنَ العِراق

أبلغَا عامـــراً وأبلغ أخاه ... أنَّنى مُوثقٌ شـديدٌ وَثاقى

فىحديد القِسْطاس[٧] يرقُبنى الحا ... رسُ والمرءُ كلَّ شىء يُلاَقى

فاركَبُوا فى الحَرام فُـكُّوا أخاكم ... إنّ عِيراً قد جُهِّزتْ لانطلاق

يعنى «بالحرام» : الشهر الحرام .

شعره إلى أخيه وسعى أخيه لإطلاقه وحديث ذلك

وكتب أيضاً إلى أخيه أُبىّ بن زيد ، وهو عند كسرى أبْروِيز :

أَبلغْ أُبيًّا على نأيهِ ... وهل ينْفع المرءَ ما قد عَلِمْ

---

(١) الاعتصار : أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء، وهو أن يشربه قليلا قليلا ليسيغه.

(٢) معقد الميثاق : أوكده .

(٣) الإشناق : أن تغل اليد إلى العنق . والذى فى الأصل : «وإيثاقها».

(٤) فى الأصل: «ياأمى». (٥) الأزم — الشدة . (٦) فى الأصل : «إن» .

(٧) حديد القسطاس ، أىحديد القبان. عن ابن منظور .

بأنّ أخاكَ شـقيقَ الفـؤا دِ كُنتَ به واثقاً[1] ما سَلِمْ
لدى مَلِكٍ مُوثَقٌ فى الحـديـ د إمّا[2] بحقٍّ وإمّا ظُلِمْ
فأرضَك أرضَك إن تَأتِنا تَنَمْ نومةً ليس فيها حُلُمْ

فلما قرأ أُبَىٌّ كتابَ عدىّ قام إلى كِسْرى فكلّمه فى أمره وعرّفه خبرَه. فكتب إلى النُّعمان يأمره بإطلاقه. وبَعث معه رجلاً، وكتب خليفةُ النُّعمانِ إليه: [إنه] قد كُتِبَ إليك فى أمره. وأتى النُّعمانَ أعداءُ عدىّ، فقالوا له: اُقتُلْه الساعةَ. فأبى عليهم. وجاء الرسولُ، وقد كان أخو عدىّ رشَا الرسولَ وتقدّم إليه أن يَبدأ بعدىّ فيدخلَ عليه وهو محبوس، فقال له: ادخُل عليه وانظر ما يأمرك به فامتثِلْه. فدخل الرسولُ على عدىّ، فقال له: إنّى قد جئتُ بإرسالك، فما عنـدك؟ قال: عندى الذى تُحب، ووَعده عدةً سنيّة وقال له: لا تخرجَنَّ من عندى، وأَعْطِنى الكتابَ حتى أرسلَه إليه، فإنك والله لئن خرجتَ لأُقتلنّ. فقال: لا أستطيع إلّا أن آتىَ الملك بالكتاب فأُوصِلَه إليه.

فانطلق بعضُ من كان هناك من أعدائه، فأخبر النعمانَ أن رسول كِسرى دخل على عدىّ وهو ذاهبٌ به، وإن فعل والله لم يَسْتبقِ منّا أحداً: أنت ولا غَيرك. فبعث إليه النعمانُ أعداءه فغمُّوه[3] حتى مات، ثم دَفنوه. ودخل الرسولُ إلى النُّعمان فأوصل الكتابَ إليه. فقال: نعم وكرامةً، وأمر له بأربعة آلاف مِثقال ذهباً وجارية حسناء، وقال له: إذا أصبحتَ فادخُل أنت بنفسك فأَخْرِجْه. فلمّا أَصْبح رَكب فدخل السجن. فأَعلمه الحرسُ أنه قد مات منذ أيام، ولم نجترىء على إخبار الملك خوفاً منه، فقد علمنا كراهَته لموته. فرجع إلى النُّعمان، فقال: إنّى كنتُ دخلتُ أمسِ على عدىّ وهو حىّ، وجئت اليوم فجَحَدَنى السَّجّان وبَهَتَنى[4] وذكر أنه

(١) فى الأصل: « والها». (٢) فى الأصل: « لحق» مكان « بحق».
(٣) غموه: أى غطوا وجهه. (٤) بهته: قابله بالكذب.

قد مات منذ أيام .فقال له النُّعمان:أيبعثُ بك الملك إلىّ فتدخلَ إليه قبلى! كذبت! ولكنك أردتَ الرّشوة والخُبثَ ، وتهدَّده . ثم زاده جائزةً وأكرمه ، وتوثَّق منه ألّا يُخبِر كسرى إلّا أنه قد مات قبل أن يَقْدَم عليه . فرجع الرسولُ إلى كسرى وقال: إنى وجدتُ عديًّا قد مات قبل أن أدخل عليه. ونَدم النعمانُ على قَتْل عدىّ ، وعرَف أنه أُحتيل عليه فى أمره ، واُجترأ أعداؤه عليه وهابهم هَيْبَةً شديدة .

ابن عدى يكتب للنعمان

ثم إنه خَرج الى الصيد ذاتَ يوم: فلقى ابناً لعدىّ يقال له : زَيد . فلمّا رآه عَرف شَبهَه فقال له : مَن أنت ؟ قال: أنا زَيد بن عدىّ . فكلَّمه ،فإذا غلامٌ ظريف ، ففرح به فرحاً شديداً وقرَّبه وأَعطاه ووَصله ، واُعتذر إليه من أمر أبيه وجَهَّزه . ثم كَتب إلى كسرى : إن عديًّا كان ممن أُعينَ به الملكُ فى نُصحه ولُبِّه ، فأصابه مالابُدّ منه ، وانقطعت مُدَّته وانقضى أَجَلُه ، ولم يُصَبْ به أحدٌ أشدّ من مُصيبتى ؛ وأمّا الملكُ فلم يكن ليَفقِد رجلاً إلّا جعل الله له منه خَلَفاً ، لِمَا عَظَّمَ الله من مُلكه وشأنه . وقد بَلغ اُبنٌ له ليس بدونه ،رأيته يصلُح لِخِدمة الملك فسَرَّحته إليه . فإن رأى الملك أن يجعله مكانَ أبيه فَلْيَفْعل ، وليصرف عَمَّه عن ذلك إلى عَمل آخر .

فكان هو الذى يَلى المُكاتبةَ عن الملك إلى ملوك العَرب فى أُمورها وفى خواصّ أُمور الملك . وكانت له وظيفةٌ مُوَظَّفة فى كل سنة : مُهْرانِ أشقران ، والكَمْأة الرَّطبة فى حِينها،واليابسةُ والأقِطُ ، وسائر تجارات العرب. وكان زيد بن عدى يلى ذلك له . وكان هذا عملَ عدىّ .

فلما وقع زيد بن عدىّ عند الملك هذا الموقَع ، سأله كسرى عن النُّعمان، فأَحسن الثناء عليه . ومَكث على ذلك سَنواتٍ على الأَمر الذى كان أبوه عليه، وأُعجب به كسرى . وكان يُكثر الدخولَ عليه والخدمةَ له .

كيد زيد للنعمان عند كسرى

وكانت لملوك العَجم صفةٌ من النِّساء مكتوبةٌ عندهم ، وكانوا يَبعثون فى تلك الأَرَضين بتلك الصِّفة ، فإذا وُجِدت حُملت إلى الملك ، غيرَ أنهم لم يكونوا يطلبونها فى أرض العرب .فأمر فكُتب بها إلى النواحى . ودَخل إليه زيد بن

عدىّ وهو فى ذلك القول ، فخاطبه فيما دَخل إليه فيه ، ثم قال : إنى رأيتُ الملك كَتب فى نِسوة يُطْلَبْن له ، وقرأت الصفةَ ، وكنتُ بآل المُنذر عارفاً ، وعند عبدك النُّعمان من بناته وأخواته و بنات عمِّه أكثرُ من عشرين امرأةً على هذه الصفة . قال : فاكتُب فيهنّ . قال : أيها الملك، إن شَرّ شىء فى العَرب وفى النُّعمان خاصّةً أنهم يتكرّمون — زَعَمُوا فى أنفسهم — عن العجم ، فأنا أكره أن يُغَيِّبهن عمَّن تبعث إليه ، أو يَعْرِض عليه غيرَهنّ ، و إن قَدِمتُ أنا عليه لم يَقْدر على ذلك . فابْعثنى وابعثْ معى رجلًا من ثِقاتك يفهم العربيةَ حتى أبلغَ ما تُحبه . فبعث معه رجلا فَهِماً . فخرج به زيد ، فجعل يُكرم الرّجلَ ويُلْطِفه ، حتى بلغ الحيرةَ . فلما دخل عليه أَعظم الملكَ ، وقال : إنه قد أُحتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصِهْره [فبعث إليك]. فقال : ماهؤلاء النِّسوة ؟ فقال : هذه صفتُهن قد جِئْنا بها .

وكانت الصِّفَةُ أن المُنذر الأكبر أهدى إلى أنُو شِرْوانَ جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبى شَمِر الغَسّانى . وكتب إلى أنو شروان بصفتها . وقال : إنّى قد وَجهتُ إلى الملك جاريةً معتدلة الخَلق ، نقيةَ اللّون والثَّغر ، بيضاء قَمْراء ، وطْفاء[(١)] كَحْلاَء ، دَعْجَاء[(٢)] حَوْراء ،عَيْناَء قَنْواء[(٣)]، شَمَّاء[(٤)] بَرْجَاء[(٥)] زَجَّاء[(٦)]، أَسِيلَةَ الخدِّ ، شَهِيَّة المُقبَّل ، جَثْلَةَ[(٧)] الشَّعَر ، عظيمة

(١) وطفاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين .

(٢) دعجاء : شديدة سواد العين ، شديدة بياضها .

(٣) قنواء : مرتفعة أعلى الأنف مع احديداب فى وسطه وسبوغ فى طرفه .

(٤) شماء : مرتفعة قصبة الأنف فى حسن .

(٥) برجاء : جميلة حسنة الوجه .

(٦) زجاء : دقيقة الحاجبين فى طول .

(٧) جثلة الشعر : كثيفته سوداؤه .

الهامة ، بعيدة مَهْوَى القُرط ، عَيْطاء(١) ، عَريضةَ الصَّدْر ، كاعبَ الثَّدى ، ضخمة مُشاَش المَنْكِب والعَضُد ، حسنةَ المِعْصم ، لطيفة الكفّ ، سَبْطه البَنان ، ضامِرَة البَطْن ، خميصةَ الخصر ، غَرْثى(٢) الوِشاح ، رَداح(٣) الأقبال(٤) ، رابيةَ الكَفل ، لفّاء الفَخذين(٥) ، ريّا الرَّوادف ، ضَخمة المأْكَمَتين(٦) ، مُفْعمة(٧) الساق ، مُشْبعة(٨) الخلخال ، لطيفةَ الكَعب والقدم ، قَطُوف المشى(٩) ، مِكْسالَ الضُّحى(١٠) ، بَضَّةَ المتجرد(١١) ، سَمُوعاً للسيّد ، ليست بخَنْساء(١٢) ولا سَفْعاء(١٣) ، رقيقة الأنف ، عَزيزة النَّفس ، لم تُغَذَّ فى بُؤْسٍ ، حيِيَّةً رَزينةً ، حليمةً ركينة ، كريمة الخال ، تقتصر على نَسَبِ أبيها دون فَصيلتها ، وتَستغنى بفَصيلتها دون جِماع قِبيلتها ، قد أَحكمَتْها الأُمور فى الأدب ، فرأيها رأى أهل الشَّرف ، وعملُها عملُ أهل الحاجة ، صَناعَ الكفَّين ، قَطيعة اللسان(١٤) ، رَهْوة الصَّوت(١٥) ، ساكِنَته ، تَزينُ الوَلِىَّ(١٦) ، وتَشين العدوّ ، إن أردتَها اشْتَهَتْ ، وإنْ تركْتَها انتهتْ ، تُحَمْلِقُ

(١) غيطاء : طويلة العنق .
(٢) غرثى الوشاح : دقيقة الخصر .
(٣) رداح : عجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلق .
(٤) الأقبال : ما استقبلك .
(٥) لفاء الفخذين : ضخمتهما .
(٦) المأكمتان : اللحمتان اللتان على رءوس الوركين .
(٧) مفعمة : ممتلئة .
(٨) مشبعة الخلخال : كناية عن السمن .
(٩) قطوف المشى : متقاربة الخطو .
(١٠) مكسال الضحى : أى لا تكاد تبرح مجلسها .
(١١) المتجرد : أى الجسم . والبضة : الناعمة .
(١٢) خنساء : لاحقة القصبة بالوجه ضخمة الأرنبة .
(١٣) سفعاء : سوداء .
(١٤) قطيعة اللسان : غير سليطة .
(١٥) رهوة الصوت : رقيقة سهلة .   (١٦) فى الأصل : « المولى » .

عيناها[1] ،وتَحمرُّ وَجْنتاها ، وتَذْبُلُ شَفَتاها ،وتُبادرك الوثبةَ إذا قُمتَ ، ولا تَجلسُ إلّا بأمرك إذا جلستَ .

قال:فَقَبِلها أنو شِروانُ وأمر بإثبات هذه الصِّفَة فى دواوينه . فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى أبرويز بن هُرْمز . فقرأ زيدُ بن عدى هذه الصفةَ على النُّعمان ، فشَقَّت عليه ، وقال لزيد ، والرَّسولُ يسمع : أمَا فى مَهَا السَّواد وعِين فارسَ ما يبلغُ به كسرى حاجَته ؟ فقال الرّسولُ لزيد بالفارسية : ما المَها والعِين ؟ فقال له بالفارسيّة : كاوان ، أى البقر . فأَمسك الرسول .

وقال زيدٌ للنُّعمان : إنما أراد الملكُ كرامتَك ، ولو يعلم أنّ هذا يشُقُّ عليك لم يكتُب إليكَ به . فأنزلهما يومين عنده ، ثم كَتب إلى كِسْرى : إنّ الذى طَلب كِسرى ليس عندى . وقال لزيد : أَعْذُرْنى عند الملك .

فلمَّا رَجَعا إلى كِسْرى قال زيدٌ للرسول الذى قدِم معــه : اصدُق الملك عمّا سمعتَ ، فإنى سأحدّثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه . فلمــا دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابُه [إليك]. فقرأه عليــه .فقال له كسرى : وأين الذى كنتَ خَبَّرتنى به ؟ قال : قد كنتُ خَبَّرتُك بضِنّتهم بنسائهم على غيرهم ؛ وإن ذلك من شقائِهم واختيارهم الُجوعَ والعُرْىَ على الشِّبَع والرِّياش ، وإيثارهم السَّمُوم والرِّياحَ على طيبِ أرضكَ هذه ، حتى إنهم ليُسمُّونها السِّجنَ . فسلْ هــذا الرسولَ الذى كان معى عمّــا قال ، فإنى أُكرم الملك عن مُشافهته بما قال وأجاب به . قال للرسول :وما قال ؟فقال له الرسولُ : [أيها الملك]،إنه قال:أما فى بَقر فارس والسَّواد ما يكفيه عن طلب ما عنــدنا . فعُرف الغضبُ فى وجهه ، ووَقع فى قَلْبه منــه ما وَقَع ، ولم يَزِد على أن قال : رُبَّ عَبْدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هــذا ، ثم صار أمرُه إلى التَّباب ! وشاع هذا الــكلامُ حتى بلغ النُّعمانَ ، وسكتَ كِسْرى أشهُراً

(١) المحملق من الأعين : ماحول مقلتيها بياض لم يخالطه سواد .

على ذلك ، وجعل النعمانُ يَسْتَعِدُّ ويتوقّع ، حتى أتى إليه أمرُ كسرى : أن أقبل ، فإنّ للملك حاجةً إليك .

استجارة النعمان بسادات العرب ثم تسليمه نفسه

فانطلق حين أتاه كتابُه . فحمل سلاحه وماقوِىَ عليه ، ثم لحق بجبلَىْ طيئ . وكانت فَرْعةُ[1] بنتُ سعد بن حارثة بن لأم عنده ، وقد ولدتْ له رجلاً وامرأة . وكانت أيضاً عنده زينبُ بنتُ أوس بنِ حارثةَ . فأراد النعمانُ طَيِّئاً على أن يُدخلوه الجَبَلين [ويمنعوه] ، فأبوا ذلك عليه وقالوا : لولا صِهْرُك لقتلناكَ ؛ فإنه لاحاجةَ بنا إلى مُعاداة كسرى ولا طاقةَ لنا به .

وأقبل يطوفُ على قبائل العرب ، ليس أَحدٌ منهم يقْبله ، غير أنّ بنى رَوَاحَة ابن قُطَيعة بن عَبْسٍ قالوا : إن شئتَ قاتلنا معكَ ، لمِنَّة كانت له عندهم . فقال : ما أُحِبّ أن أُهْلِكَكم ، فإنه لا طَاقة لكم بكسرى . فأقْبل حتى نزل بذى قارٍ[2] فى بنى شَيْبان سِرًّا ، فلقِىَ هانىء بن قَبيصة — وقيل: بل هانىء بن مَسْعود [ابن عامر] بن عمرو بن أبى ربيعةَ بن ذُهْلِ بن شَيبان ، وكان سيِّدا مَنيعاً ، والبيتُ يومئذٍ من رَبيعة فى آل ذى الجَدّين لِقَيْس بن مسعود بن قيس بن خالد ، ابن ذى الجَدَّين ، فأجاره هانىء وقال: قد لَزِمنى ذِمامُك ، وأنا مانعُك ممّا أَمنعُ نفسى وأهْلى وَوَلدى منه ، مابَقِىَ من عشيرتى الأَدْنين رَجُلٌ ، وإنّ ذلك غيرُ نافعكَ ، لأنه مُهْلِكى ومُهلِكُكَ ، وعندى رأىٌ لستُ أُشير به لأَدفعكَ عمّا تُريده من مُجاورتى ، ولكنّه الصوابُ . فقال : هاتِه . فقال : إنّ كُل أَمْر يجْمُل بالرَّجُل أن يكونَ عليه إلاّ أن يكون بعد المُلْك سُوقةً ، والموتُ نازلٌ بكل أحد ، ولأَنْ تموتَ كريماً خيرٌ من أن تتجرَّع الذلّ أو تَبقى سُوقةً بعد المُلْك ؛ هذا إن بَقِيتَ ، فامْضِ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « قزعة » . وفى بعض آخر : « قرعة » .

(٢) ذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط ، كانت فيه الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس .

إلى صاحبك وأحمل إليه هدايا ومالاً، وألقِ نفسَك بين يديه ، فإمّا أن أصفح عنك فعُدْتَ مَلكاً عزيزاً ، وإمّا أنْ أصابك، فالموتُ خَيْرٌ من أن يتلَعّب بك صعاليكُ العرب ، و يتخطَّفك ذِئابُها ، وتأكل مالكَ وتعيشَ فقيراً مُجاوِراً ، أو تُقتل مقهوراً. قال : فكيف بُحَرمي؟ قال : [هُنّ فى ذِمّتى لا يُخلص إليهن حتى يُخلص إلى بناتى] . فقال : هـذا وأبيكَ الرأىُ الصحيحُ ، ولن أُجاوِزه . ثم اُختار خَيْلاً وحُلَلاً من عَصْبِ[1] اليمن ، وجوهراً وطُرَفاً كانت عنده ، ووَجّه بها إلى كسرى ، وكتب إليه يَعتذر و يُعْلمه أنه صائرٌ إليه ، ووجَّه بها مع رسوله . فقَبلها كِسْرى منه وأمره بالقُدوم . فعاد إليه الرسولُ وأخبره بذلك ، وأنه لم يرَ عند كسرى سُوءًا. فمضى إليه ، حتى إذا وصل إلى ساباط[2]، لقِيه زيدُ بن عدىّ على قَنطرة سَاباط ، فقـال له : انْجُ نُعَيْمُ إن اُستطعتَ النَّجاة . فقـال له : أفعلتَها يا زيدُ ! أمَا والله لئن عشتُ لأَقْتُلَنَّك قِتْلةً لم يقْتلها عربىٌ قطُّ ، ولأُلحقنَّك بأَبيك ! فقـال له زَيد : أمْض لشأنك نُعيم ، فلقـد والله أَخْيَتُ لك أخِيَّةً[3] لا يَقْطعها المُهْرُ الأَرِنُ[4]. فلما بلغ كِسْرى أنّه بالباب بَعث إليه فقيَّده ، و بعث به إلى سِجْنٍ كان له بخانِقين.[5] فلم يزل فيه حتى وقع الطاعونُ هناك فمات فيه .

للأعشى فى موت النعمان

وقيل : بل مات بَساباط فى حَبْسه . وفى ذلك يقول الأعشى :

فذَاكَ وما أَنْجى من الموتِ ربَّه بساباطَ حتّى مات وهو مُحرزَقُ

---

(١) العصب : ضرب من برود اليمن يعصب غزله ، أى يجمع ويشد ، ثم يصبغ وينسج فيأتى موشيًّا ، لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

(٢) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز .

(٣) الأخية : العود يعرض فى الحائط ويدفن طرفاه ويصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة . وقد تخفف الياء ، كما قد تمد الهمزة مع تشديد الياء أيضاً .

(٤) الأرن : النشيط .

(٥) خانقين : بلد بسواد بغداد .

والمحرزق : المُضيَّق عليه .

وغضبتْ له العربُ ، وكان قتلُه سببَ وقعة ذِى قار .

ما تمثل به النابغة حين بلغه موته

وقيل : إنه لما نُعِى النعمانُ بن المنذر إلى النابغة الذُّبيانى وحُدِّثَ بما صَنع به كسرى قال : طَلَبه من الدَّهْرِ طالِبُ المُلوك ، ثم تَمثَّل :

مَنْ[(١)] يَطْلُبِ الدهرُ تُدرِكه مَخالبُه ... والدَّهر بالوِتْر ناجٍ غيرُ مطلوبِ

مامنْ أُناس ذَوِى مجدٍ ومَكْرُمة ... إلاّ يَشُدُّ عليهم شَدَّةَ الذِّيب

حتى يُبيدَ على عَمْدٍ سَرَاتَهم ... بالنافذاتِ من النَّبْل المَصَاييب

إنّى وجدتُ سِهام الموت مُغْرِضةً[(٢)] ... بكلّ حَتف من الآجال مكتوب

أبيات عدى التى فيها الغناء

والأبيات التى لعدىّ التى فيها الغناء ، وافتتح بها أبو الفرج أخباره ، هى :

* رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا عندنا[(٣)] *

وقد ذكرتُ من شعره الذى تُغُنِّى به وهو مَشهور ، قوله :

يا لُبَيْنَى أَوْقِدى النَّارَا ... إنّ من تَهْوَيْن قد حارَا[(٤)]

رُبَّ نارٍ بِتُّ أَرْمُقها ... تَقْضِمُ الهِنْدِىَّ والغَارا[(٥)]

عندها ظَبْىٌ يُؤَرِّثها ... عاقدٌ فى الجِيد تِقْصارا[(٦)]

---

(١) فى الأصل : «ما» .

(٢) مغرضة : مصيبة الغرض والهدف . وفى بعض أصول الأغانى : «معرضة» بالعين المهملة ، أى متعرضة .

(٣) فى الأصل : «حولنا» . وعجزه : * يشربون الخمر بالماء الزلال *

(٤) حار : ضل .

(٥) الغار : شجر طيب الريح .

(٦) يؤرثها : يوقدها ويكثر حطبها . والتقصار : المخنقة .

أخبار الحطيئة

نسبه

وأسمه جَرْوَلُ بن أوس بن مالك بن جُؤَيَّةَ بن مَخْزوم بن مالِك بن غالب ابن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان ابن مُضَر بن نِزَار بن معدّ بن عَدْنان .

منزلته في الشعر

وهو من فُحول الشُّعراء ومُتقدِّميهم ومن فُصحائهم ، مُتَصَرِّف في جميع فنون الشِّعر من المَديح والهجاء والفخر والنَّسيب ، مُجِيدٌ في ذلك أجمع .

وكان ذا شَرٍّ وسَفَهٍ ، ونَسَبُهُ مُتَدافِعٌ بين قبائل [العرب] . كان يَنتمى إلى كل واحدةٍ منها إذا غَضِب على الأخرى .

إسلامه وارتداده وشعره في ذلك

وهو مُخَضْرَمٌ ، أدرك الجاهلية والإسلام ، فأسلم ثم أرتدّ ، وقال في ذلك :

أطعنا رسولَ الله إذ كانَ بيننا ... فيالَعِبادِ الله ما لِأَبى بَكْرِ

أيُورِثُها بكراً إذا ماتَ بعدَه ... وتلك لعمرُ الله قاصمةُ الظَّهرِ

سبب تلقيبه بالحطيئة

ويُكْنى الحطيئةُ أبا مُلَيكة . و إنما لُقِّب الحُطيئة لِقِصَره وقُربه من الأرض . وقيل : بل لأنه ضَرط ضَرْطةً بين قوم ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : إنما هي حُطيئة[1] . فسُمِّيَ الحُطيئةَ .

تردده في نسبه

وذُكر أنه كان يدَّعى أنه ابنُ عمرو بن عَلْقَمة ، أحد بنى [الحارث بن] سَدُوس . وتارةً كان يَنتمى إلى ذُهْل بن ثَعْلَبَة .

---

(١) حطيئة : تصغير : حطأة ، وهي فعلة ، من قولهم : حطأ ، إذا ضرط .

رأى ابن الكلبى

وذَكر ابنُ الكلبيّ أنه كان مغموزَ النَّسب، وأنّه من أولاد الزِّنا الذين شَرُفُوا.

شعره فى هجاء أمه

وتزَوّج الكَلْبُ بن الكُنَيْس النَّهْشَلِيُّ أُمَّ الحُطيئة، واُسمُها الضَّرَّاء، فقال فيها الحطيئةُ يهجوها:

تَنَحَّىْ فاجلِسى منِّى بَعيداً أراحَ اللهُ منكِ العَالَمينَا
أَغِرْبالاً(١) إذا استُودعْتِ سِرًّا وكانُوناً(٢) على المُتَحَدِّثينا
حياتُك ما عَلِمتُ حياةُ سَوْءٍ وموتُكِ قد يَسُرُّ الصالحِينا

وسألها يَوْماً: من أبوه؟ فخلَطَتْ عليه فقال:

تقول لِىَ الضَّرَّاءُ لستَ لواحدٍ ولا أثنين فانظُر كيف شِرْكُ أُولئكَا
وأنتَ أمرُؤٌ تبغى أباً قد ضَلتَه هَبِلْتَ ألَمَّا تَستَفِق من ضَلالكا

بعض طباعه

وكان جَشِعاً سَؤُولا مُلْحِفاً دَنِىءَ النَّفْس، بخيلاً، قبيحَ المنظر، رثَّ الهَيْئة، فاسِدَ الدِّين، كثيرَ الهجاء، بذىءَ اللِّسان.

من ولعه بالهجاء

وذُكر أنّه التمس يوماً إنساناً يهجوه فلم يجده، وضاق عليه ذلكَ. فأنشأ يقول:

أَبَتْ شَفَتَاىَ اليومَ إلّا تَكَلُّما بِشَرٍّ فما أدْرى لمن أنا قائلُهْ

وجعل يُدَهْوِر هذا البيتَ فى أشداقِه ولا يَرى إنساناً، إذ اُطّلع فى رَكِيٍّ(٣) أو حَوْضٍ، فرأى وجهَه، فقال:

أرى لِىَ وَجهاً قَبّحَ(٤) اللهُ خَلْقَه فَقُبِّحَ من وجْهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

فى حفل لسعيد ابن العاص

وذُكر أنه بينا سَعيد بن العاص يُعَشِّى الناسَ بالمدينة، والناس يَخرجون أولاً

(١) الغربال: النمام.
(٢) الكانون: الثقيل الوخم.
(٣) الركى: البئر.
(٤) فى بعض أصول الأغانى: «شوه».

فأولا ، إذ نَظر على بساطه إلى رجل قبيح المَنظر ، رثّ الهيئة ، جالسٍ مع أصحاب سَمَره . فذَهب الشُّرَطُ يُقيمونه ، فأَبَى أن يقوم . وحانت من سَعيدٍ التفاتةٌ ، فقال : دعُوا الرَّجُلَ . فتركوه وخاضوا فى أحاديث العرب وأشعارها مَلِيًّا . فقال لهم الُحطيئة : والله ما أصبتم جَيِّدَ الشِّعر ولا شاعرَ العرب . فقال له سَعيد بن العاص : أفتعرفُ من ذلك شيئاً ؟ قال : نعم . قال : من أشعرُ العرب ؟ قال : الذى يقول :

لا أَعُدُّ الإِقْتار عُدْماً ولكن فَقْدُ من قد رُزِئْتُه الإعدامُ

وأنشدها حتى أتَى على آخرها . فقال : مَنْ يقولها ؟قال : أبو دُوَاد الإيادىّ . قال : ثم مَن ؟ قال : الذى يقول :

أَدْرِكْ[1] بما شئتَ فقد يُدرَكُ بالْـ ـجَهْل وقد يُخْدَعُ الأَرِيبُ

ثم أَنشدها حتى فَرَغ منها . قال : ومَن يقولها ؟ قال : عَبِيد بن الأبرص . قال : ثم مَن ؟ قال : والله لحسبُك بى عند رَهْبة أو رغبة ، إذا رفعتُ إحدى رِجْلَىّ على الأخرى ثم عويتُ عُواء الفَصِيل الصادى فى إثر القوافى . قال : ومَن أنت ؟ قال : الُحطيئة . فرَحَّب به سَعيد . ثم قال : أسأْتَ بكتمانِنا نفْسَك مُنذ الليلة . ووَصله وكساه .

هو وعتيبة بن النهاس

ومَضى لوجهه إلى عُتَيبة بن النَّهاس العِجْلىّ فسأله . فقال : ما أَنا على عَمَل فأُعطيَك من عَدَده ، ولا فى مالى فَضْلٌ عن قَومى . قال له : فلا عليك ، وانصرف. فقال له بَعْضُ قومه : لقد عَرَّضتنا ونفسكَ للشّر ! قال : وكيف؟ قالُوا : هذا الحطيئةُ وهو هاجينا أَخْبَثَ هجاء . فقال : رُدُّوه ، فردُّوه إليه. فقال له : لِمَ كتمتَنا نَفْسَك

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أفلج » أى فز واظفر . وفى بعض آخر : « أفلح » من الفلاح ، وهو الفوز .

كأنك كنت تطلب العِلَل علينا ! اُجلسْ فلك عندنا ما يَسُرك . فجلس ، فقال له : مَن أشعر الناس ؟ قال : الذي يقول :

ومَنْ يجْعَلِ المعروف من دُون عِرْضه يَفِرْهُ[1] ومَن لا يتَّقِ الشَّتم يُشْتَمَ

فقال له عُتَيبة: إن هذا من مُقدّمات أفاعيك ! ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى السُّوق فلا يطلبُ شيئاً إلّا اشتريتَه له . فجعل يَعرض عليه الخزَّ ورقيقَ الثياب فلا يُريدها ،و يُومِئ إلى الكرابيس[2] والأكسية الغِلاظ ،فيَشتريها له . حتى قضى أربَه ثم مضى . فلما جَلس عُتَيْبَةُ في نادي قومه أقبل الحُطيئةُ ،فلمّا رآه عُتيبة قال: هذا مقامُ العائذ بك ياأبا مُليكة من خيرك وشرِّك . قال : لقد كنتُ قلتُ بيتين فاسمَعْهما . ثم أنشأ يقول :

سُئِلْتَ فلم تبْخَلْ ولم تُعطِ طائلاً فسيَّان لا ذَمٌّ عليكَ ولا حَمْدُ
وأنتَ امرؤ لا الجُود منه سَجِيَّةٌ فتُعْطِى وقد يُعْدِى على النّائل[3] الوَجْدُ

ثم ركَض فرسه وذَهب .

للأحوزي في شعره

وقال أبو صَفْوان الأحوزيّ :

مامن أحدٍ إلاّ لو أشاء أن أجِدَ في شعره مَطعناً لوجدته ، إلاّ الحُطيئة .

فضله إسحاق على الشعراء بعد زهير

وأنشد إسحاق الموصليّ قولَ الحُطيئة :

وفِتيانِ صِدْقٍ من عَدِيٍّ عليهمُ صفائحُ بُصْرَى عُلِّقتْ بالعوَاتِقِ
إذا ما دُعُوا لم يَسألُوا مَنْ دعاهمُ ولم يُمْسِكُوا فوقَ القُلوب الخوافِق
وطارُوا إلى الجُرْدِ العِتاق فأَلجموا وشَدُّوا على أوساطهم بالمَناطق
أولئك آباءُ الغَريب وغَاثةُ الصَّ ريخ ومأوَى المُرْمِلين[4] الدَّرادق

(١) يفره : أي يبقيه موفراً طيباً لم ينتقص بشتم . وفرت العرض أفره ، ووفر هو : أكرم ولم يبتذل .
(٢) الكرابيس : ثياب من القطن . فارسي معرب .
(٣) يعدى : يعين . والوجد ، مثلثة الواو : اليسار والسعة .
(٤) الدرادق : الصبيان الصغار ؛ الواحد : دردق .

أَحَلُّوا حِياضَ الموت فَوْقَ جِباهِهم مكانَ النَّواصى من وُجوه السَّوابِقِ

ثم قال. أَمَا إنِّى ما أعلم أحداً بعد زُهير أَشْعَرَ من الحُطيئة.

من بخله

وذُكر أنه مرَّ ابنُ الحَمَامة بالحُطيئة، وهو جالسٌ بفناء بَيْتِه، فقال: السلامُ عليكم. فقال: قلتَ مالا يُنكر. قال: إنى خرجتُ من أهلى بغير زاد. فقال: ما ضَمِنْتُ لأهلك قِرَاك. قال: أفتأذن لى أن آتىَ إلى ظِلِّ بَيتك فأتفيَّأ به؟ قال: دونكَ الجبلَ يَفِىء عليك. فقال: أنا ابنُ الحَمامة. قال: انصرفْ وكُن ابن أىّ طائر شئتَ.

وقيل:

أتى رجلٌ الحطيئةَ وهو فى غَنم له، فقال: ياصاحبَ الغنم. فرفع الحُطيئةُ العصا وقال: إنها عَجْراء من سَلَم[1]. فقال الرجل: إنى ضَيف. فقال: للضِّيفان أعددتُها. فانصرفَ عنه.

شعر له فى ناقة فقدها

وقيل: خَرج الحطيئةُ فى سَفر ومعه امرأتُه أُمامةُ وابنتُه مُليكة، فنَزل منزلاً وسَرَّحَ ذَوْدًا[2] ثلاثاً. فلما قام فَقَد إحداها، فقال:

أَذِئْبُ القَفْرِ أم ذِئْبٌ أَنيسٌ أصاب البَكْرَ[3] أم حَدَثُ اللَّيالِى

ونحن ثلاثةٌ وثلاثُ ذَوْدٍ لقد جار الزَّمانُ على عِيالى

لكعب الحبر فى بيت للحطيئة

وقيل:

أنشد كَعبُ الحِبر[4] قولَ الحُطيئة:

---

(١) العجراء: العصا فيها عقد. والسلم: شجر.

(٣) البكر: الفتى من الإبل، والناقة التى ولدت بطناً واحدا.

(٢) الذود: الثلاث من الإبل إلى العشرة، مؤنثة لا واحد لها من لفظها.

(٤) الحبر، بالفتح ويكسر: العالم، وهو وصف لكعب. وإذا نونت «كعبا» قلت: كعب الحبر. وإذا لم تنون جاز لك أن تقول: كعب الأحبار.

مَن يفعَلِ الخيرَ لا يعدَم جوازيَه لا يذهَبُ العرفُ بين الله والنّاسِ

فقال : والذى نفسى بيده ، إن هذا البيتَ مكتوبٌ فى التّوراة .

وصى ابن شداد ابنه بشعره

وذُكر أنّ عُبيد[1] الله بن شدّاد ، لما حضرتْه الوفاةُ ، دعا ابنَه محمداً وأوصاه ، وقال : يا بُنىّ ، إن داعىَ الموت لا يُقلع ، و بحقٍّ أنّ من مَضَى لا يَرجع ، ومن بَقِى فإليه يَنزِع . يا بُنىّ ، ليكُن أولى الأُمور بك تقْوى الله فى السرِّ والعلانية ، وصِدْق الحديث والنيِّة ؛ فإنّ الشّكور مُزاد ، والتّقوى خيرُ زاد ، كما قال الحُطيئة :

ولستُ أرى السّعادةَ جمعَ مالٍ ولكنّ التقىَّ هو السعيدُ

وتقوى الله خيرُ الزّاد ذُخراً وعند الله للأتْقَى مَزيد

وما لا بُدّ أن يأتى قَريبٌ ولكنّ الذى يَمْضِى بَعيد

كذبه عمر فى بيت قاله

وقيل :

سَبق رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على فَرَسٍ له ، فَجَثَا على رُكبتَيْه وقال: إنه لَبَحْرٌ[2] ! فقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : كَذب الحُطيئة حيث يقول :

وإنّ جِيادَ الخيْلِ لا تَستفزُّنا ولا جاعِلاتُ الرَّيْطِ[3] فوقَ المَعاصِمِ

ولو تركَ ذلك أحدٌ لتركه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم .

استعطاف امرأته له وقد أراد سفراً

وقيل :

أراد الحُطيئة سفراً، فأتتْه امرأتُه ،وقد قُدِّمتْ راحلته [ليركبَ]، فقالت:

أُذْكرُ تحنُّنا إليك وشوقَنا واذْكُر بناتِك إنهن صِغارُ

(١) فى الأمالى : «عبد الله بن شداد» .

(٢) أى واسع الجرى.

(٣) الريط : جمع ريطة ، وهى الملاءة . ذات لفقين . وهى أيضاً كل ثوب لين رقيق .

فقال : حُطُّوا ، لا رَحلتُ لسفرٍ أبدا .

استحسان ابن شبرمة لشعره

وذُكر أن ابن شُبْرُمة قال : أنا والله عالم بجيِّد الشِّعْر ، لقد أحسن الحُطيئة حيث يقول :

أولئك قومٌ إن بَنَوْا أحسنُوا البِنَى ... وإن عاهدوا أَوْفَوْا وإن عقدوا شَدُّوا

وإنْ كانتِ النَّعماء فيهم جزَوْا بها ... وإنْ أَنْعموا لا كَدَّرُوها ولا كَدُّوا

وإن قال مَوْلاهم على جُلِّ حادثٍ ... من الدَّهر رُدُّوا فَضْلَ أحلامكم رَدُّوا

مدحه ابنى مقلد وقد أكرموا جواره

وقيل :

إنّ الحطيئة أقْحمتْه السنةُ (١) ، فنزل ببنى مُقَلَّد بنِ يَرْبُوع ، فمشَى بعضُهم إلى بعض فقالوا : إنّ هذا الرجلَ لا يَسْلَم من لسانه أحدٌ ، فتعالَوْا حتى نسأله عما يُحبُّ فنفعلَه ، وعمّا يكره فنَجْتَنِبه . فأَتَوْه وقالوا : يا أبا مُلَيكة ، إنك اخترتَنا على سائر العرب ، ووَجب حَقُّك علينا ، فمُرْنا بما تُحِب أن نَفْعَله ، وبما تُحِب أن نَنتهىَ عنه . فقال: لا تُكْثِروا زيارتى فَتمِلُّونى ، ولا تَقطعوها فتُوحشونى ، ولا تَجعلوا فِناء بيتى مجلساً لكم ، ولا تُسْمِعُوا بناتى غِناء شُبّانِكم ؛ فإن الغِناء رُقْيَةُ الزِّنا . فأقام عندهم ، وجمع كُلُّ واحد منهم ولدَه وقال: أُمُّكم الطَّلاقُ ، لئن تَغَنَّى أحدٌ منكم والحطيئة مُقيم بين أظهرِنا لأَضربنّه ضَرْبةً بِسَيْفى أخذتْ منه ما أخذتْ . فلم يزَلْ مُقيماً فيما يرضَى ، حتى انجلتْ عنه السَّنةُ ، فارتحل وهو يقول :

جاورتُ آلَ مُقَلَّدٍ فَحَمِدتُهم ... إذ لا يكاد أَخُو جِوارٍ يُحْمَدُ

أزْمانَ مَنْ يُرِدِ الصَّنيعةَ يَصْطَنِعْ ... فيها ومن يُرِدِ الزَّهادَةَ (٢) يَزْهَد

---

(١) السنة : الجدب . وأقحمته : أوقعته فى شدة وضيق .

(٢) رفع المضارع الواقع جوابا لفعل شرط مضارع جائز فى غير الضرورة ، وإن كان خلاف الأصح . ولو روى « يزهد » بالكسر دخل الشعر الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروى رفعا وجرا .

خبره مع الزبرقان ابن بدر

ولّى النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم الزِّبْرقانَ بنَ بَدر بنِ أمرىء القيس بنِ خَلَف ابن بَهْدلةَ بن عَوْف بنِ كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَنَاةَ بنِ تَميم عملًا — واسم الزِّبرقان الحُصَين ، وإنما سمِّى الزِّبرقان لحسنه ، شُبِّه بالقمر . وقيل : بل لأنه لَبِس عِمامة مُزَبْرَقَةً (١) بالزَّعفران فَسُمِّى الزِّبرقانَ بذلك . والزبرقان، فى اللغة القمر . والزبرقان أيضاً : الرجلُ الخفيف اللِّحية — فبقى على عمَله حتى تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقرّه أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه بعد النبى صلى الله عليه وسلم على عمله . ثم قَدِم على عمرَ بن الخَطَّاب رضى الله عنه ليؤدِّىَ صدقاتِ قومه . فلقيه الحُطيئةُ بقَرْقَرى (٢) ومعه أبناه : أوس ، وسَوادَة، وبناته وامرأته، وذلك فى سَنة مُجْدِبة . فقال له الزِّبرقانُ، وقد عرفه ولم يعرفه الحُطيئة: أين تُريد؟ قال : العراقَ، فقد حَطَّمَتْنا هذه السنةُ . قال : وتَصنع ماذا ؟ قال : ودِدْتُ أن أصادفَ بها رَجُلاً يَكفيني مُؤونة عِيالى وأُصْفيه (٣) مَدْحِى أبداً . فقال له الزبرقانُ : قد أصبتَه ، فهل لك فيه يُوسعك لبناً وتمراً ويُجاورك أحسنَ جِوار وأكرَمه ؟ فقال الحطيئة : هذا وأبيك العيشُ ! وما كنت أرجو هذا كلَّه . قال : فقد أصبتَه . قال : عند مَنْ ؟ قال : عندى . قال : ومن أنتَ ؟ قال : الزِّبرقانُ بن بدر . قال : وأين محلُّك ؟ قال : اُركبْ هذه الناقةَ واستقبلْ مَطْلَعِ الشمس، وسَلْ عن القَمر حتى تأتى منزلى ، فسِرْ إلى أُم شَذرةَ ، وهى أُمّ الزِّبرقان وعَمّة الفرزدق . وكتب إليها : أن أَحْسِنِي إليه وأكْثِرى له من اللّبن والتّمْر . وقيل : بل أرسله إلى زَوْجته ، وهى هُنَيدة بنتُ صَعْصعة بن ناجية المجاشعيّة . فأكرمَتْه المرأة وأحسنتْ إليه . فبلغ ذلك بَغِيضَ بن عامر بن شَمَّاس بن لأى بن جعفر ، وهو أنفُ الناقة بن قُرَيع ابن عَوْف (٤) بن كعب بن سَعْد بن زَيْد مَنَاةَ بن تَميم ، وبلغ إخوته وبنى عمّه،

(١) مزبرقة : مصبوغة بحمرة أو صفرة .
(٢) قرقرى : أرض باليمامة .
(٣) أصفيه : أخلصه .
(٤) فى الأصل : « عمرو » . تحريف .

وكانوا يَغضبون من تَلْقيبِ أباهم جعفراً بأَنف الناقة — و إنما سُمِّى جعفرٌ بأنف الناقة ، لأنّ أباه قُرَيعاً نَحر ناقةً فقسَمها بين نسائه ، فبعثتْ جعفراً هذا أُمُّه ، وهى الشَّمُوس، من وائل ثم من سَعد هُذَيم ، فأتى أباه ولم يَبْق من النَّاقة إلّا رأسُها وعُنقها ، فقال : شأنَك بهذا . فأَدخل يدَه فى أنفها وجَرَّ ما أعطاه . فكانوا لذلك يغضبون من هذا اللّقب ،حتى مَدحهم الحطيئةُ فقال :

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرهُمُ ومَن يُسوِّى بأنْف النَّاقةِ الذَّنبَا

فصار بعد ذلك فخراً لهم ومدحاً ، فكانوا يُنازعون الزِّبرقانَ الشرفَ — وكانوا أشرفَ من الزِّبرقان إلا أنّه قد كان استعلاهم بنَفْسه . وكان الحطيئةُ قبيحَ المَنْظر ، وكان عيالُه كذلك . فلما رأت أمُّ شَذْرة حالَه هان عليها وقصَّرت به . ورأى بنو أنْف الناقة و بَغِيضٌ ما تَصنَع به أُمُّ شَذْرة ، فأرسلوا إليه : أن ائْتِنَا . فأبى عليهم وقال : إنّ من شأن النّساء التَّقصيرَ والغَفْلة ، ولستُ بالذى أحمل على صاحبها ذَنْبَها ؛ فإن تُركتُ وجُفيتُ تحوّلتُ إليكم .فأَطمعوه ووَعدوه وعداً عظيما . وقيل : لمّا لم يُجِبْهم دسُّوا إلى هُنَيدة ، زوجةِ الزِّبرقان،أنّ الزِّبرقان يُريد أن يتزوّج ابنته مُليكة ، وكانت جميلةً . فظهرتْ من المرأة للحُطيئة جفوةٌ ، وهى فى ذلك تُداريه، ثم أرادُوا النُّجْعة .(١) فقالت له هُنيدةُ : قد حَضرت النُّجعةُ فاُركب أنت وأهلُك هذا الظَّهْرَ إلى مكان كذا وكذا ، ثم اُرْدُدْه إلينا حتى نَلْحقك ؛ فإنه لا يَسَعُنا جميعاً . فأرسل إليها : بل تقدَّمى فأنت أحقُّ بذلك . ففعلتْ وتثاقلتْ عن ردِّها(٢) إليه،وتركتْه يومين أو ثلاثةً ، وألَحَّ بنو أنف النَّاقة عليه ،وقالوا : قد تُركتَ بمَضْيعة . وكان أشدَّهم فى ذلك قولاً بغيضُ بن شمَّاس ، وعَلْقمة بن هَوذة . وكان الزبرقانُ قد قال فى عَلْقمة :

---

(١) النجعة : طلب الكلأ .

(٢) يريد : الظهر . وهو مذكر ، الا أنه أنث الضمير ملتفتاً إلى أن معناه : الدابة . وهى تقع على الأنثى والمذكر .

لِى أبنُ عَمٍّ لا يزا ل يَعِيبنى ويُعين عائبْ
وأعينهُ فى النـــائبا ت ولا يُعين على النّوائبْ
تَسْرِى عَقــاربُه إلــىَّ ولاتَدِبُّ له عقاربْ
لاهِ[1] ابنُ عَمّك لا يَخا فُ المُخْزِياتِ من العواقبْ[2]

وكان عَلْقمةُ ممتلئاً غيظاً عليه . فلما أَلَحُّوا على الُحطيئة أجابهم وقال : أمّا الآن فنعمْ ، أنا صائرٌ معكم . فتحمَّل معهم ، فضَربوا له قُبةً ، ورَبطوا بكُل طُنُب من أطنابها جُلَّة[3] هَجَرِيَّة ، وأراحوا[4] عليه إبلَهم ، وأَكثروا له من اللَّبن والتَّمْر ، وأَعطَوْه لِقَاحاً[5] وكُسوةً . فلما قَدِمَ الزِّبرقانُ سأل عنه ، فأُخْبر بقصّته ، فنادى فى بَهْدلةَ بن عَوْف . وركب الزِّبرقانُ فرسَه ، وأَخذ رُمْحه ، وســار حتى وقف على نادى بنى شَمَّاس القُرَيْعِيِّين فقــال : ردُّوا عليّ جارى . فقالوا : ما هو لك بجارٍ ، وقد أُطّرحتَه وضيَّعتَه . فألَمَّ[6] أن يكون بين الحَيَّيْن حربٌ . فحضَرهم أهلُ الحِجَا من قومهم ، فلامُوا بَغيضاً وقالوا : أُرْدُدْ على الرجل جارَه . فقال : لست مُخْرِجَه وقد آويتُــه ، وهو رجلٌ حرٌّ مالكٌ لأمره ، فخـيِّروه فإن أختارنى لم أُخْرِجْه ، و إن أختاره لم أُكْرِهْه . فخـيَّروا الُحطيئةَ ، فأختار بَغيضاً ورَهْطَه . فجاء الزِّبرقانُ فوقف عليــه وقال : أبَا مُليكة ، فارقتَ جِوَارِى عن سُخْط وذَمّ ؟ قال : لا . فأنصرفَ وتركه .

وقيل :

أُستعدَى الزِّبرقانُ عُمَرَ بن الخطّاب رضى الله عنــه على بَغِيضٍ ، فحكم عمرُ

(١) لاه : لله . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « المحزنات » .
(٣) الجلة : وعاء من خوص للتمر .
(٤) إراحة الإبل : ردها فى العشى .
(٥) اللقاح : جمع لقوح ، وهى الناقة الحلوب .
(٦) ألم : قرب وأوشك .

أن يُخْرَجَ الحطيئةُ حتى يُقَام فى موضعٍ خالٍ بين الحيَّيْن وحْدَه ، ويُخلَّى سبيلُه ، ويكون جارَ أيِّهما اُختار . ففُعل ذلك به ، فاختار القُرَيْعيّين . وجعل الحطيئةُ يَمدحهم من غير أن يَهْجُوا الزِّبرقان ، وهم يحضّونه على ذلك ويُحرِّضُونه ، فيأبى ويقول : لا ذنبَ للرجل عندى . حتى أرسل الزبرقانُ إلى رجل من النَّمِر بنْ قاسِط ، فهجا بَغيضاً ، فحينئذٍ قال الحطيئةُ ، يهجو الزِّبرقان ويُناضل عن بَغيض ، قصيدتَه التى يقول فيها :

والله ما مَعشرٌ لامُوا امرأً جُنُباً ... فى آل لأْىِ بن شَمَّاس بأكياسِ

ما كان ذنبُ بَغيضٍ لا أبالَكمُ ... فى بائسٍ جاء يَحْدو آخرَ الناس

لقد مريتُكمُ لو أنّ دِرّتَكم ... يوماً يَجىء بهامَسْحِى[1] وإبساسِى

وقد مدحتُكمُ عمداً لأُرْشِدَكم ... كيما يكونَ لكم مَتْحِى[2] وإمراسِى

لما بدا لىَ منكم غَيْبُ أنفسِكم ... ولم يكن لجراحى فيكمُ آسى

أزمعتُ يأساً مُبيناً من نَوالكمُ ... ولن يُرَى طارِداً للحُرِّ كاليأس

جارٌ لقومٍ أطالُوا هُونَ منزلِه ... وغادرُوه مُقِيماً بين أرْماس

مَلُّوا قِراه وهَرَّتْه كلابُهمُ ... وجَرَّحُوه بأنيابٍ وأضراس

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيَتِها ... واُقعُد فإنك أنت الطَّاعِمُ الكاسى

من يَفْعَلِ الخيرَ لا يَعْدَم جَوازِيَه ... لا يذهبُ العُرْف بين الله والناس

ما كان ذنبىَ أن فَلَّت مَعاوِلَكم ... من آل لأْىٍ صَفاةٌ أصلُها راسى

قد ناضَلُوك فسَلُّوا من كَنائنهم ... مَجْداً تَليداً ونَبْلاً غيرَ[3] أنْكاس

---

(١) المرى : مسح ضرع الناقة . يريد : داريتكم ومدحتكم لتدروا على بالعطاء . والدرة : اللبن . والإبساس : صوت الراعى تسكن به الناقة عند الحلب . (٢) المتح : جذب الدلو . والإمراس : إعادة الحبل إلى مجراه ، بعد أن يقع فى أحد جانبى البكرة ، بين الخطاف والبكرة .

(٣) أنكاس : جمع نكس ، وهو أضعف السهام . قال ابن منظور : ومعنى البيت : أن العرب كانوا إذا أسروا أسيراً خيروه بين التخلية وجز الناصية والأسر ، فإن اختار جز الناصية جزوها وخلوا سبيله ، ثم جعلوا ذلك الشعر فى كنائنهم ، فإذا افتخروا أخرجوه وأروه مفاخرهم .

فاُستعدَى عليه الزِّبرقانُ عُمَرَ بن الخطّاب رضى الله عنـه ، فَرفعه عمرُ إليه واُستنشده ، فأنشده . فقال عُمر رضى الله عنـه لحسّان بن ثابت : أتُراه هَجاه ؟ قال : نعم ، وسَلَح عليه . فَحبسه عُمر .

وقيل :

إنّ الزِّبرقان لما أتى عُمر رضى الله عنـــه بالحُطيئة ، قال : هَجانى . قال : وما قال فيك ؟ قال ، قال :

دَعِ المَكارمَ لا تَرحلْ لبُغْيتِها ... واُقعُدْ فإنّكَ أنت الطاعمُ الكاسِى

فقال عمر : ما أَسمع هجاء ولكنّها مُعاتبة . فقال الزبرقان : أوما تبلُغ مُروءتى إلّا أن آكُل وألبس ! وسأل عُمر رضى الله عنه لبيدَ بن رَبيعه عن ذلك .فقال : ما يَسرُنى أنه لَحِقنى من هـذا الشِّعر ما لَحِقـه وأنّ لى حُمُرَ النَّعَم . فأمر به عُمر رضى الله عنـه فجُعل فى نَقِـيرٍ[1] فى بئر ، ثم أُلقى عليه شىء . فقال فى الحَبس أبياتاً و بَعث بها إلى عُمر ، وهى :

أعوذ بجَـدِّك إنِّى اُمـرؤٌ ... سَقَتْنِى الأَعادىَ سَمًّا[2] سِجَالَا

فإنّك خـيرٌ من الزِّبرقان ... أَشَـدُّ نَـكالًا وأَرْجَى نَوالا

تَحَـنَّنْ علىَّ هـداك المَليكُ ... فإنّ لـكُلِّ مقـامٍ مَقَـالا

ولا تأْخُـذَنِّى بقول الوُشـاة ... فإنّ لـكُلِّ زمانٍ رِجَالا

فإنْ كان ما زَعموا صـادقاً ... فسِيقَتْ إليك نِسَـائى[3] رِجَالا

حَوَاسِرَ لا يَشْتَـكِينَ[4] الوَجَى ... يُخَفِّضْنَ آلًا ويَرْفَعن آلا

(١) النقير : ما نقر وحفر .

(٢) السجال : جمع سجل ، وهى الدلو الضخمة المملوءة .يريد : مرة بعد مرة . والرواية فى بعض اصول الأغانى : « سقتنى الأعادى اليك السجالا » .

(٣) رجال : راجلة تمشى . الواحدة : رجلة ، بفتح الراء وضم الجيم .(٤) الوجى : الحفى .

فلم يلتفت إليه عُمر . فكلّمه فيه عمرو بنُ العاص ، فأخرجه من الحَبس ، فأنشده قولَه فيه :

ماذا تقول لأَفْراخٍ بذى أَمَرٍ (١) زُغْبِ الحَواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ
غَادَرْتَ (٢) كاسِبَهم فى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فاغفر هداك مليكُ الناس يا عُمَر
أنت الإمامُ الذى من بعدِ صاحبه أَلْقتْ إليك مقاليدَ النُّهى البَشَر
لم يُؤْثِروك بها إذ قدَّموك لها لكن لأنفسِهم كانت بكَ الأُثَر (٣)
فامنُنْ على صِبْيةٍ بالرَّمل مَسْكَنُهم بين الأَباطِحِ تَغْشَاهم بها القِرَر (٤)
أهلى فِداؤُك كم بينى وبينهمُ من عَرْض داوِيَّة (٥) تَعْمَى بها الخُبَر

فبكى عُمر رضى الله عنه حين قال : « ماذا تقول لأفراخ » . فقال عمرو بن العاص : ما أَظَلَّتِ الخضراء ، ولا أَقَلَّتِ الغبراء ، أَعْدلَ من رجل يَبكى على تركه الحطيئةَ . ثم قال عمرُ رضى الله عنه : علىّ بالكُرسىّ . فأُتى به ، فجَلس عليه ثم قال : أَشيرُوا علىّ فى الشاعر ، فإنه يقول الهجْوَ ويَنْسُب بالحُرَم ويمدَح النَّاس ويذمّهم بغير ما فيهم ، ما أُرانى إلّا قاطِعاً لسانَه . ثم قال : علىّ بالطَّسْتِ . ثم قال : علىّ بالمِخْصَف (٦) ، علىّ بالسِّكّين ، لا بل علىّ بالمُوسَى ، فهو أَوْحَى (٧) . فقالوا : لا يعود يا أمير المُؤمنين . فأشاروا إليه أن قُل : لا أَعُود . فقال : لا أعود يا أمير المؤمنين . فقال له : النَّجاء . فلما ولَّى قال له عُمر : يا حُطيئة ، كأنّى بك عند فتًى من قريش قد بَسط لك نُمْرُقة (٨) وكَسر لك أخرى . وقال : غَنِّنا يا حُطيئة . فطفقتَ تُغَنِّيه بأعراض الناس .

(١) ذو أمر : موضع بنجد من ديار غطفان . قال ياقوت : « وهى الرواية المشهورة » . ويروى : « بذى مرخ » وهو واد بين فدك والوابشية . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « ألقيت »
(٣) الأثر : المكرمات ؛ الواحدة : أثرة .
(٤) القرر : جمع قرة ، بالكسر ، وهى البرد . (٥) الداوية والدوية : الفلاة الواسعة
(٦) المخصف : المخرز . (٧) أوحى : أسرع . (٨) النمرقة : الوسادة.

فحكى أسلم قال : ما انقضت الدُّنيا حتى رأيتُ الحُطيئة عند عُبَيد الله بن عُمر قد بَسط له نُمرقة وكَسر له أُخرى ، وقال: غَنّنا يا حُطيئة . فجعل يُغنّيه . فقلت له : يا حطيئة ، أتذكر قولَ عُمر ؟ ففَزِع وقال : يرحم الله ذلك المرء ، أما لو كان حَيًّا ما فعلتُ .

قال : وقلتُ لعُبيد الله : سمعتُ أباك يقول : كذا وكذا ، فكنتَ أنت ذلك الرجل .

وقيل: إنّ عُمر رضى الله عنه قال للحُطيئة : إيّاك وهجاء النَّاس . قال : إذاً يموت عِيالى جُوعاً ، هذا مكسَبى ومنه معاشِى . قال : إيّاك والمُقْذِعَ من القول . قال : وما المُقذع ؟ قال : أن تُخايِرَ بين النَّاس فتقولَ : فُلانٌ خَير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان . فقال : فأنتَ واللهِ أهجَى منّى . ثم قال : لولا أن تكون سُنَّةً لقطعت لسانَك ، ولكن اذهب فأنت له . خُذه يا زِبْرقان . فألْقَى الزِّبرقان فى رَقبته عمامتَه فاقتاده بها . وعارضتْه غَطَفَان ، فقالوا له : يا أبا شَذْرَة ، إخْوتُك و بنو عَمِّك ، هَبْه لنا . فوهبه لهم .

شراء عمر الأعراض منه

وذُكر أنّ عُمَر رضى الله عنه لمّا أطْلق الحُطيئةَ أراد أن يُؤَكِّد عليه الحجّة ، فاشترى منه أعراض المُسْلمين بثلاثةِ آلاف دِرْهم . فقال الحُطيئةُ :

وأخذتَ أطْرافَ الكلام فلم تَدَعْ ... شَتماً يَضرُّ ولا مَديحاً ينفَعُ
وحَمَيْتَنِى عِرْضَ اللَّئيم فلم يخَفْ ... ذَمِّى وأصبح آمِنًا لا يفْزَع

وصيته عند موته

وقيل :

لمّا حَضرت الحُطيئةَ الوفاةُ اجتمع إليه قومُه ، وقالوا : يا أبا مُلَيْكَة ، أَوصِ . فقال : وَيلٌ للشِّعْرِ من رِاوية السُّوء . قالوا : أَوْص يرحمك الله يا حُطَىْ .

قال : مَن الذى يقول :

إذا أنبض[1] الرّامون عنها ترَنّمتْ ... ترَنُّمَ ثَكْلَى أوجعتْها الجنَائزُ !

(١) أنبض القوس : جذب وترها لتصوت .

قالوا : الشّماخ . فقال: أبلغوا غطفان أنه أشعرُ العرب . قالوا : ويحك ! أهذه وصيّة ! أوْصِ . قال : أبلغوا أهلَ ضابىء[1] أنه شاعرٌ حيث يقول :

لكلِّ جديدٍ لذّةٌ غيرَ أنّنى رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لَذيذِ

فقالوا : أوْصِ ، ويحك بما ينفعك ! فقال : أبلغوا أهل امرىء القيس أنه أشعرُ العرب حيث يقول :

فيالكَ من ليلٍ كأنّ نجومَه بكلِّ مُغارِ الفتلِ شُدَّت[2] بيَذْبُلِ

فقالوا : اتّقِ الله ودَعْ عنك هذا ! فقال : أبلغوا الأنصار أن صاحبَهم أشعرُ العرب حيث يقول :

يُغْشَونَ حتى ما تَهِرّ كلابُهم لا يُسألون عن السَّوادِ المُقْبِلِ

فقالوا : إنّ هذا لا يُغْنِي عنك شيئاً ، فقُلْ غيرَ ما أنت فيه . فقال :

الشِّعر صعبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ إذا ارتقى فيه الذى لا يَعْلَمُهْ

زَلَّتْ به إلى الحَضيضِ قَدَمُهْ يريد أن يُعْرِبه فيُعْجِمُهْ

فقالوا : هذا مِثْلُ الذى كنتَ فيه . فقال :

قد كنتُ أحياناً شديدَ المُعْتَمَدْ وكنتُ ذا غَرْبٍ على الخَصْمِ الألَدّ

فوَرَدَتْ نفسى وما كادتْ تَرِدْ

فقالوا : يا أبا مُليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا ، ولكن أجزَع على المديح الجيِّد يُمدح به من ليس له أهلاً . قالوا : فمن أشعرُ النّاس؟ فأومأ بيده إلى فيه ، وقال : هذا الجُحَير[3] إذا طَمِع فى خَير ، واستَعبر باكياً . فقالوا له : قُلْ لا إله إلّا الله ! فقال :

---

(١) هو ضابئ بن الحارث البرجمى ، ثم اليربوعى ، الشاعر ، من بنى تميم .

(٢) مغار الفتل : محكمه ؛ أغار الحبل إغارة : شد فتله . ويذبل : جبل لباهلة .

(٣) يعنى : « فمه » .

قالت وفيها حَيْدَةٌ وذُعْرُ عَوْذٌ بربّي منكمُ[١] وحُجْرُ

فقالوا له : ما تقول فى عَبيدك ؟فقال: هم عَبيدٌ قِنٌّ ما تعاقب[٢] الليلُ والنهار . فقالوا : أَوْصِ للفقراء بشيء . فقال : أُوصيهم بالإلحاح فى المسألة فإنها تجارةٌ لا تبُور، وأَسْتُ المسئولِ أضيقُ[٣] . قالوا : فما تقول فى مالِك ؟ فقال : للأنثى من ولدى مِثْلَا حَظِّ الذَّكَر . فقالوا : ليس هكذا قضى اللهُ عزَّ وجل لهنَّ . قال : لكنى هكذا قضيتُ . قالوا : فما تُوصى لليتامى ؟ قال : كُلُوا أموالهم ونيكوا أُمهاتهم . قالوا : فهل شيء تَعهد فيه غير هذا ؟ قال : نعم . تَحْملوننى على أَتان وتتركوننى راكبها حتى أَموت ، فإن الكريم لا يموتُ على فِراشه ، والأَتانُ مَرْكَبٌ لم يَمُتْ عليه كَرِيمٌ قطُّ . فَحَملوه على أتانٍ وجعلوا يذهبون به ويجيئون وهو عليها حتى مات ، وهو يقول :

لا أحدٌ ألأَمُ من حُطَيْئهْ هجَا بَنيه وهَجا المُريَّهْ
من لُؤمهِ ماتَ على فُرَيَّهْ

والفُرَيَّة : الأتان .

وذُكر أنه أُنشد عمر بن الخطّاب رضى الله عنه قولَ الحطيئة :

تكذيب عمر له فى بيت سمعه

متى تَأْتِه تَعْشُو[٤] إلى ضَوْء نَارِه تجِدْ خَيْرَ نارٍ عندها خَيْرُ مُوقِدِ

فقال عُمر: كذب ! بل تلك نَارُ موسى صلّى الله عليه وسلم .

(١) حيدة : صدود و نفور. وحجر : دفع ومنع . (٢) فى الأصل : «ماعاقب»
(٣) كناية عن العجز . (٤) تعشو : تقصد فى الظلام .

أخبار ابن عائشة

اسمه وولاؤه

هو محمد، ويُكنى: أبا جعفر. ولم يكنْ يُعرف له أب. وإنما نُسب إلى أمه. وهو يزعم أن اسم أبيه جعفر، وليس يعرف ذلك. وأمُّه عائشة مَوْلاة لكثير بن الصَّلْت الكِنْدىّ، حَليفِ قُريش. وقيل: إنها مَوْلاة لآل المُطَّلِب بن وَداعة السَّهْمىّ.

منزلته فى الغناء

وأخذ الغناء عن مَعبد ومالك، ولم يَمُوتا حتى ساواهما، على تَقْدِيمه لهما وأعترافه بفضلهما. وكان أحسن النَّاس صوتاً، وكان أبتداؤه بالغناء أحسنَ أبتداء، حتى قيل: لو كان أوّلُ غِنَائه مثلَ آخره لقُدِّم على أبن سُرَيج.

من تيهه

وكان سَيِّءَ الخُلُق، إذا قال له إنسان: تغنَّ، قال: لِمِثْلى يُقال هذا! وإن قال إنسان، وقد أبتدأ بغناء: أحسنتَ! قال: لِمِثْلى يقال: أحسنتَ! ثم يسكُت. فكان قليلاً ما يُنتفع به.

أكرهه الحسن على الغناء فغناه

فسال العقيقُ، مرَّةً فدخل عَرْصَةَ سعيد بنِ العاصى الماءُ حتى ملأها، فخرج النَّاسُ إليها، وخرج ابنُ عائشة فجلس على قَرْن البئر. فبينا هم كذلك أقبل الحسنُ بنُ الحسن بن عليّ بن أبى طالب على بَغلةٍ، وخَلفَه غُلامان أسودان كأنّهما من الشّياطين، فقال لهما: أمضيا رُوَيْدًا حتى تَقِفا بأصْل القَرْن الذى عليه ابنُ عائشة. فخرجا حتى فعلا ذلك. ثم ناداه الحسنُ: كيف أصبحتَ يابنَ عائشة؟ قال: بخير، فِداكَ أبى وأُمى! قال: أُنظر مَنْ إلى جَنبك. فإذا العبدان. فقال لهُ: أتعرفهما؟ قال: نَعم. قال: فهما حُرّان لئن لم تُغَنِّنِى لآمُرَنّهما بطَرْحِك فى البئر، وهما حُرّان لئن لم يفعلا لأُقطعنّ أيديهما. فاندفع ابنُ عائشة، فكان أوّلُ ما أبتدأ به صوتاً لهُ، وهو:

ألَا للهِ دَرُّكَ مِن فَتى قَوْمٍ إذا رَهِبُوا
وقَالُوا مَنْ فَتًى للحرب[1] يرقُبنا و يرتقب
فكنتَ فتاهمُ فيها إذا تُدْعى لها تَثِب

ثم لم يسكُت حتى غَنَّى مائة صوت. فيقال : إن النَّاسَ لم يَسمعوا من ابن عائشة أكثرَ ممّا سمعوا ذلك اليوم . وكان آخرَ ما غنّى :

قُل للمنَازل بالظَّهْرَان[2] قد حانا أن تَنْطق وتُبينى القولَ تِبْيانَا
قالت ومَن أنت قُل لى قلتُ ذو شَغَفٍ هِجْتِ لهُ من دَواعى الشَّوق أحْزانا

فما رُئى يومٌ أحسنُ منه . ولقد سمع النَّاسُ شيئاً لم يَسمعوا مثلَه ، وما تشاغل النَّاس عن استماعه بشيء ، وما انصرف أحدٌ لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فَرغ . ولقد تبادر الناس من المدينة و مما حولها حيث بلغهم الخبرُ لاستماع غنائه، فما رُئى جمع فى ذلك الموضع مثل ذلك الجمع ، ولقد رَفع النَّاس أصواتَهم يقولون : أحسنتَ والله ! أحسنت والله ! ثم انصرفوا حولَه يَزُفونه إلى المدينَة زَفا .

غنى بالموسم فحبس الناس عن المسير

وقيل : إن ابن عائشة كان واقفاً بالموسم مُتحيِّراً ، فمَرَّ به بعض أصحابهُ فقال : ما يُقيمك هاهنا ؟ فقال : إنى أعرف رجلًا لو تكلّم حَبس النَّاسَ هاهنَا فلم يذهبْ أحدٌ ولم يَجىء . فقال له الرّجل : ومن ذاك ؟ قال : أنا ، ثم اندفع يُغَنِّى :

جَرتْ سُنُحاً[3] فقلتُ لها أجيزى نَوًى مَشْمولةً فمتى اللقاء
بنفسى مَنْ تذكُّره سَقَامٌ أُعَانيه ومَطْلَبُه عَنَاء

قال : فحُبس النَّاسُ واضطربتْ المحاملُ ومدَّت الإبل أعناقَها ، وكادت الفتنةُ تقع . فأُتِى به هِشام بن عبد الملك ، فقال لهُ : ياعدوّ الله ! أردتَ أن تفتن

---

(١) فى الأصل : «للحى» . (٢) الظهران : واد قرب مكة .

(٣) سنحا ، أى من الشمال . وأجيزى : انفذى . ومشمولة : سريعة الانكشاف . قال أبوالفرج : «أخذه من السحابة المشمولة وهى التى تصيبها الشمال فتكشفها ، ومن شأن الشمال أن تقطع السحاب . واستعارها هاهنا فى النوى، لسرعة انكشافهم فيها عن بلدهم ، وأجرى ذلك مجرى الذم للسانح ، لأنه يتشاءم به » .

النَّاسَ ! قال : فأمسك عنه وكان تيَّاهاً . فقال له هشام : أُرفُق بتِيهك . فقال : حَقّ لمن كانت هذه مَقْدرتَه على القلوب أن يكون تيَّاهاً[1] . فضحك منه وخلّى سبيلَه.

في حضرة الوليد بن يزيد

وحَكَى صاحبُ سِتْر الوليد بن يزيد بن عبدالملك قال : رأيتُ ابن عائشة عنده وقد غنّاه :

إنّى رأيتُ صَبيحة النَّفْرِ ... حُوراً نفَيْن عَزيمة الصَّبْرِ

مثلَ الكواكب فى مَطالعها ... بعد العشاء أَطَفْن بالبدر

وخرجتُ أبغى الأجْرَ مُحْتسباً ... فَرجعْتُ مَوْفوراً من الوِزْر

فطرِب الوليدُ حتى كَفَر وألحدَ وقال : يا غلام ، اسْقِنا بالسَّماء الرابعة . وكان الغِنَاء يعمل فيه عملًا ضلّ عنه مَن بعدَه ، ثم قال له : أحسنتَ والله يا أميرى ! أعد بحق عبد شمس . فأعاد . ثم قال :أعدْ بحق أُميَّة .فأعاد. ثم قال : أعدْ بحق فلان،أعد بحق فلان،حتى بلغ من المُلوك نفسَه ،فقال:أعد بحَياتى .فأعاد.قال :فقام إليه فأكبَّ عليه .فلم يَبْق عُضْوٌ من أعضائه إلّا قبَّله،وأهوى إلى هَنِه فجعل ابنُ عائشة يضمّ فخذيه عليه . فقال : والله العظيم لا تَرِيم حتى أُقبِّله . فأبداه لهُ . فقبَّل رأسَ ذكَره .ثم نَزع ثيابَه فألقاها عليه ،وبقى مجرّداً إلى أن أتوْه بمثلها . ووَهب له ألفَ دينار وحَمله على بغلة ، وقال : اركبْها بأبى أنت وانصرفْ ، فقد تركتَنى على مثل المَقْلى من حرارة غنائك . فركبها على بِساطه وانصرف .

هو ورجل من أهل وادى القرى يشتهى الغناء

وقيل : خرج ابنُ عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد غنَّاه :

أبعدكَ مَعْقِلا أرجو وحِصْنًا ... قد أعيتْنِى المعاقلُ والحُصونُ

فأطربَه ، وأمر له بثلاثين ألفَ دِرْهم و بمثل كارةِ القَصّارة كُسوةً . فبينا ابنُ عائشة يسير على بغلته ،إذ نظر إليه رجلٌ من أهل وادى القُرى كان يشتهى الغِنَاء ويَشرب النَّبيذ ، فدنا من غُلامه وقال : مَن هذا الراكب ؟ قال : ابنُ عائشة

---

(١) فى الأصل : «تائها» .

المُغنّى . فدنا منه وقال : جُعلتُ فداك ؟ أنت ابنُ عائشة أمِ المُؤمنين ؟ قال : لا ، أنا مولًى لقُريش وعائشةُ أُمّى ، وحَسْبك هذا ، ولا عليك أن تُكثر . قال : وما هذا الذى أراه بين يديك من المال والكُسوة ؟ قال : غَنّيت أميرَ المؤمنين صوتاً فأطربتُه ، فكَفر وترك الصلاةَ وأمر لى بهذا المال وهذه الكُسوة . قال : جُعلتُ فداك ! فهل تمُنّ علىّ بأن تُسمِعَنى ما أَسمعتَه إيّاه ؟ فقال له : ويحك ! أمثلِى يُكلّم بهذا فى الطريق ! قال: فما أصنَع . قال : اُلحقْنى بالباب . وحرّك ابنُ عائشة بغلتَه لينقطع عنه ، فعدَا معه حتى وافيَا البابَ كفرسَىْ رِهانٍ ، ودخل ابنُ عائشة فمكث طويلا طمعاً فى أن يَضْجَر فينصرفَ ، فلم يفعل . فلما أعياه قال لغُلامه : أَدخله . فلما دَخل قال له : ويلك ! من أين صَبَّك الله علىّ ؟ قال : أنا رجلٌ من أهل وادى القُرى أشْتهى هذا الغناء . فقال له : هل لك فيما هو أنفعُ لك منه ؟ قال: وماذاك؟ قال: مائتادينارٍ وعشرةُ أثواب تَنْصرف بها إلى أهلك . فقال له : جُعلتُ فداك ! والله إنّ لى لبُنَيّة مافى أذنها — علم الله — حَلقةٌ من الوَرِق فضلاً عن الذهب ، و إنّ لى لزوجةً ما عليها — يشهد الله — قميصٌ ، ولو أعطيتنى جميع ما أمر لك به أميرُ المؤمنين على هذه الخَلّة[1] والفقر اللذين عرّفتكهما، وأضعفتَ لى ذلكَ ، لكان الصوتُ أعجبَ إلىّ . وكان ابنُ عائشة تائهاً لا يغنّى إلّا لخليفةٍ أو لذى قَدْر جليل من إخوانه . فتعجّب ابنُ عائشة ورحِمه وغنّاه الصوتَ ، فطرب له طرباً شديداً وجعل يُحرّك رأسَه حتى ظنّ أنّ عُنُقه سيَنقصف . ثم خَرج من عنده ولم يَرْزأه شيئاً . و بلغ الخبرُ الوليدَ بنَ يزيد ، فسأل ابن عائشة عنه، فجعل يَغيب عن الحديث . ثم جدّ الوليدُ به ، فصدَقه عنه . وأمر بطلب الرجل ، فطُلب حتى أُحضر، ووَصله صلةً سنيّة، وجعله فى نُدمائه ووكّله بالسّقى . فلم يزل معه حتى قُتل.

غناؤه لفتية من بنى هاشم

وقيل : دعا فِتْيةٌ من بنى هاشم ابنَ عائشة فأجابهم . فلما دخل جعلوه فى صدر المجلس فتحدّثوا حتى حضر الطعام. فلما طَعِموا دعَوْا بالشراب فشربوا. وكان ابنُ عائشة

(١) الخلة : الحاجة والخصاصة.

إذا سُئل أن يُغنى أبى وغَضِب ، فإذا تحدَّث القوم بحَديث ومَضى فيه شعرٌ قد غُنى فيه ابتدأ هو فغنّاه ، فكان مَن فَطِن له يفعل ذلك به . فقال رجلٌ منهم : حدّثنى رجلٌ من الأعراب ممّن كان يَصحبُ جميلاً بحديث عَجيب . فقال القومُ : وماهو؟ قال : حدّثنى أن جميلًا بينا هو يحدِّثه ، كما كان يَفعل، إذ أنكره ورأى منه غَيْر ما كان يرَى . فثار نافراً ، مُقشعرّ الشعر مُتغيّر اللون ، إلى ناقة له مُجتمعة[(١)] قريبة من الأرض مُوثَّقة الخَلْق ، فشَدَّ عليها رَحْلَه ، ثم أتاها بمِحْلَب فيه لبنٌ فشربته، ثم ثنّى بآخر فشربتْ حتى رويتْ .ثم قال : أُشدُد أداة رَحْلك واُشرب واسقِ جَملك ، فإنى ذاهب بك إلى بعض مَذاهبى . ففعلتُ ، فجال فى ظَهْر ناقته وركبتُ معه جَملى . فسِرنا بياضَ يومنا وسَواد ليلتنا ، ثم أصبحنا فسِرْنا يومَنا ، لا والله ما نَزلنا إلّا لصلاة . فلما كان اليومُ الثالث دَفَعْنا إلى نسوة ، فمال إليهنّ. فوجدنا الرجالَ خُلوفاً[(٢)] ، و إذا قِدْرُ لبَأٍ ،[(٣)] وقد جُهدت جُوعاً وعَطشاً، فلمارأيتُ القِدْر اُقتحمتُ[(٤)] عن بَعيرى وتركتُهم جانباً، ثم أدخلتُ رأسى فى القِدر ما يَثْنينى حَرُّها حتى رَويتُ ، فذهبتُ أُخرج رأسى من القدر فضاقت علىَّ ، فإذا هى على رأسى قلنسوة . فضَحكنَ منّى وغَسَلْن ما أصابنى . وأُتى جَميلٌ بقرًى ، فوالله ما التفتَ إليه . فبينا هو يحدّثهن إذا رَواعى الإبل ، وقدكان السلطانُ أحلَّ لهم دَمَه إن وجدوه فى بلادهم . وجاء الناسُ فقُلن[(٥)] : ويحك ! اُنْجُ وتقدَّم ، فوالله ما أكبرَهم ذلك الإكبار ، فإذا بهم يرْمونه ويَطردونه ، فإذا غَشَوْه قاتلهم ورَمى فيهم . وقام بى جَملى ،فقال لى: يَسِّر لنفسك مَرْكباً خَلْفى. فأردفنى خَلْفه، لا والله

---

(١) مجتمعة : شديدة قوية .

(٢) خلوفا : غائبين عن الحى .

(٣) اللبأ : أول اللبن فى النتاج .

(٤) اقتحمت : بادرت بالنزول .

(٥) فى الأصل : « فقالوا » . وهى رواية أكثر أصول الأغانى .

ما انكسر حتى رَجع إلى أهله ، وقد سار ستَّ ليالٍ وستة أيام وما التفتَ إلى طعام ، وقال فى ذلك :

إنّ المنازل هيَّجتْ أطرابِى ۝ واُستعجمتْ آياتُها بجوابِى
قفْرٌ تلوح بذى اللُّجَيْن كأنها ۝ أنضاءُ رسْمٍ[1] أو سُطور كتاب
لما وقفتُ بها القَلُوصَ تبادرت ۝ منّى الدموعُ لفُرقةِ الأحباب
وذكرتُ عصراً يابُثَينة شاقَنى ۝ إذ فاتنى وذكرتُ شَرخ شبابى

وقال ، وهو من قصيدة :

وأحسنُ أيّامى وأبهجُ عِيشتى ۝ إذا هيجَ بِى يوماً ونحن[2] قُعودُ

فقال ابنُ عائشة : أفلا أُغنى لكم ذلك ؟ فقلنا : بلى والله . فاُندفع فغنّاه . فما سَمِع السامعون شيئاً أحسنَ من ذلك . وبقى الجماعةُ يتعجَّبون من الحديث وحُسْنه والغناء وطِيبه . فقالوا لهُ : يا أبا جعفر ، إنا مُستأذنون ، فإن أذنت لنا سألناك . وإن كرهتَ تركناك . قال : سَلوا . قالوا : نُحب أن تُغنِّينا فى مجلسنا هذا ما نَشطْتَ هذا الصوتَ . فقال لهم : نَعم ونعمةَ عينٍ وكرامةً . فما زِلنا فى غاية السرور حتى انقضى المجلس .

هو وجماعة من قريش جروه إلى الغناء

وحَكى يونُس الكاتب قال : كُنّا [يوما] متنزِّهين بالعَقيق أنا وجماعةٌ من قُريش ، فبينا نحن على حالنا إذ أقبل ابنُ عائشة يمشى ، ومعه غلام من بنى لَيْث وهو مُتوكِّيء على يده ، فلما رأى جماعَتنا وسَمِعنى أُغنِّى جاء فسلَّم ، وجلس [إلينا] وتحدّث معنا . وكانت الجماعةُ تَعرِف سُوء خُلقه وغَضَبه إذا سُئل أن يغنى ، فأقبل بعضُهم على بعض يتحدّثون بأحاديث كُثيِّر وجَميل وغيرهما من الشعراء ، يَسْتجِرُّون

(١) أنضاء رسم ، أى بقايا .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وهن » مكان « ونحن » .

بذلك أن يَطْرب فيُغنّىَ : فلم يجدوا عنده ما أرادوا ، فقلتُ لهم أنا : لقد حدّثنى اليومَ بعضُ الأعراب حديثًا يأكل الأحاديث ، فإن شئتم حدّثتكم إيّاه . قالوا : هات . قلتُ: حدّثنى هذا الرجلُ أنه مَرّ بناحية الرَّبذة[1] فإذا صِبْيان يتغاطسُون فى غَدير ، وإذا شابٌّ جميل منهوك الجسم عليه أثرُ العِلّة ، والنُّحول فى جسمه بَيِّن ، وهو جالسٌ ينظر إليهم ، فسلّمت عليه، فردّ علىّ السلام ، وقال لى : من أين وَضَح[2] الراكب ؟ قلت : من الحِمَى. قال : ومتى عَهْدك به ؟ قلت : رائحًا . قال : وأين كانَ مبيتُك ؟ قلت : ببَنى فلان . قال : أوّه ! وألقى بنفسه على ظهره وتنفّس الصُّعداء تنفُّسًا قلت إنّه قد خَرّق حجاب قلبه . ثم أنشأ يقول :

سقَى بلداً أمستْ سُلَيمى تحلُّه ... من المُزْن ما يَرْوَى به[3] ويُسيمُ
وإن لم أكُن مِن قاطنيه فإنه ... يحُلّ به شخصٌ علىّ كريم
ألَا حبّذا مَن ليس يَعْدِلُ قُرْبَه ... لَدىّ وإنْ شَطّ المَزارُ نَعيم
ومَن لامَنى فيه خليلٌ وصاحبٌ ... فَرُدّ بغَيظ صاحبٌ وحَميم

قال : ثم سكن كالمغشىّ عليه . فصحتُ بالأُصَيبية . فأتَوْا بماء فصَبْتُه على وجهه، فأفاق وأنشأ يقول :

إذا الصبُّ الغريبُ رأى خُشوعى ... وأنفاسى تَزَيَّن بالخُشوعِ
ولى عَيْن أضَرَّ بها التفاتى ... إلى الأجراع مُطْلقةَ الدُّموع
إلى الخَلَوات يأنس فيكِ قلبى ... كما أَنِس الغَريبُ إلى الجميع

فقلتُ له : ألا أنزلُ فأُساعدَك وأكُرّ عودى على بَدْئى إلى الحِمَى فى حاجة أو رسالة، إن كانت لك حاجة أو رسالة. فقال: جُزِيت خيراً وصحبتْك السلامةُ ، امض

---

(١) الربذة : قرية على ثلاثة أميال من المدينة .

(٢) وضح : بدا وطلع .

(٣) أسام : أرعى . يريد ما يجعله صالحاً للإسامة .

لطيّتك(١)، فلو علمتُ أنك تُغْنى عنى شيئاً لـكنتَ موضعاً للرغبة وحقيقاً بإسعاف المسألة، ولـكنك أدركتنى فى صُبَابة من حياتى يسيرة . فانصرفتُ وأنا لا أراه يُمسى ليله إلّا ميّتاً . فقال القوم : ما أعجب هذا الحديث ! واندفع ابنُ عائشة يغنِّى فى الشعرَيْن جميعاً .وطَرِب وشَرِب بقيّـة يومه ، ولم يزل يُغنِّينا إلى أن انصرفنا .

عند ابن هشام وقصة موته

وذُكر أنّ ابنَ عائشة أقبل من عند الوليد بن يزيد ، وقد أجازه وأحسن إليه ، فجاء بما لم يأت به أحدٌ من عنده ، فلما قرُب من المدينة نزل بذى خُشب(٢) على أربعة فراسخ من المدينة، وكان واليها إبراهيمُ بن هشام، ولّاه إياها [هشامٌ] وهو خالُه، وكان فى قَصره هناك . فقيل له : أصلح الله الأمير ، هذا ابنُ عائشة ورد من عند الوليد بن يزيد ، فلو سألته أن يقيم عندنا فيُطْربنا ويَنصرف من الغـد ؟ فدعا به فسأله المُقـام ، فأجابه إلى ذلك . فلما أخذوا فى شُربهم أخرج المخزومىّ جواريَه، فنظر إلى ابن عائشة وهو يَغْمز جاريةً منهن ، فقال لخادمه : إذا خرج ابنُ عائشة يُريد حاجة فارْمِ به . وكانوا يشربون فى سَطْح ليس له إفريز ولا شُرفات، يُشرف على بُستان . فلمـا قام ليبول رَمى به الخادمُ من فوق السطح فمات . فقبرهُ معروف هناك .

وقيل :

إنه أقبل من الشام حتى نزل بقصر ذى خُشب ومعه مالٌ وطيبٌ وكُساً ، فصعد إلى القَصر .ثم نظر فإذا بنسوة يتمشّين فى ناحية الوادى، فقال لأصحابه : هل لـكم فيهنّ ؟ قالوا : وكيف بهن ؟ فنَهض ولَبِس مُلاءة مَدْلوكة(٣)، ثم قام على شُرفة من شُرفات القَصر فتغنّى بشعر ابن أُذينة :

---

(١) لطيتك : لوجهك .

(٢) ذوخشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة فى الطريق إلى الشأم .

(٣) مدلوكة : مصقولة .

سُـلَيمى أزمعتْ بَيْنـاَ فأين تقولها [١] أينَاَ
وقــد قالت لأَتْراب لهــا زُهْرٍ تلاَقينــا
تعالَيْن فقــد طاب لنــا العيشُ تعالَيْنــا

فأقبلْن إليه . فطرب واستدار، فسقط فمات . ولما مات قال أشعب : قد قلتُ لـكم ! ولـكنه لا يُغنى حذرٌ من قدَر : زوِّجو ابن عائشة من رُبيحة الشّماسـيّة تخرج لـكم بينهما مزاميرُ داود ! فلم تَفعلوا . وجعل يبكى والناس يضحكون .

---

(١) تقولها ، أى تظنها .

أخبار ابن أرطاة

نسبه

هو عبدالرحمن بن أَرطاة.وقيل : عبدالرحمن بنُ سَيْحان بن أرطاة بن سيْحان ابن عمرو بن نُجَيد بن سعْد بن لاحِب بن ربيعة بن شُكم بن عبد الله بن عَوْف بن زيد بن بكر بن عُمَير بن علىّ بن جَسْر بن مُحارب بن خَصَفة بن قيْس بن عيْلانَ بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عدنان .

وشُكم بن عبد الله أولُ مُحاربىّ ساد قَوْمه وأفردَهم رأساً بنفسه . وكانوا جيراناً فى هوَازنَ . وآلُ سيْحان حلفاء حَرْبِ بن أُميَّة بن عبدِ شمس ، و بمنزلةِ بعضهم عندهم خاصّة ، وعند سائر بنى أُميَّة عامّة .

منزلته فى الشعر وحلفه فى أمية

وكان عبدُ الرحمن بن أرطاة شاعراً مُقلاً إسلامياً ، ليس من الفُحول المشهورين ، ولكنه كان يقول فى الشَّراب والغَزَل والفَخْر ومَدْح أحلافه من بنى أُميَّة . وهو أحدُ المُعاقرين للشَّراب والمحدودين فيه.وكان مع بنى أُميَّة كواحدٍ منهم، إلّا أنَّ اختصاصه بآل أبى سُفيان وآل عُثمان خاصّة كان أكثر . وخُصوصَه بالوليد بن عثمان ومُؤانسته إيّاه أزيدُ من خُصوصه بسائرهم ، لأنهما كانا يَتنادمان على الشَّراب .

قيل :

مدحه للوليد ابن عثمان

كان الوليد بن عُثمان بن عفّان ذا غَلّة فى الحجاز ، يخرج إليها فى زمان التَّمر بنفر من قومه ، يجنون له و يُعاونونه ، وكان إذا حضَر خروجُهم دفع إليهم نفقاتٍ لأهليهم إلى رُجوعهم. فخرج مرّةً كما كان يخرُج ،وفيهم ابنُ سَيْحان- وهو ابن أرطاة- فأتى ابنَ سَيحان كتابٌ من أهله يسألونه القُدوم لحاجةٍ لا بدَّ منها،فاستأذنه فأذِن له، فقال له

ابنُ سيْحان: زوِّدنى من شَرابكم هذا . فزوَّده إداوةً ملأها له من شرابهم . فكان يشربها فى طريقه ،حتّى قدِم على أهله ، فألقاها فى جانب البيت فارغةً مطروحةً . فمكث زماناً لا يذكرها ، ثم كَنسوا البيت فرآها مُلْقاةً فى الكُناسة ، فقال فى ذلك . ومن هذا الشعر الأبيات التى فيها الغناء ، وافتتح بها أبو الفرج أخبار ابن أرطاة :

بأبى الوليدُ وأمِّ نفسى كُلّما ... بدَتِ النُّجومُ وذَرَّ قرْنُ الشارقِ

كم عنده من نائلٍ وسَماحةٍ ... وشَمائلٍ ميمونةٍ وخَلائق

وكرامةٍ للمُعْتفين إذا اعتَفَوا ... فى ماله حقًّا ووَعْدٍ صادق

أَثْوَى فأكْرم فى الثَّواء وقُضِّيَتْ ... حاجاتُنا من عِند أرْوعَ باسِق

لما أتيناه أتيْنا ماجدَ الْـ ... أخلاق سبَّاقاً لقَرْمٍ[1] سابق

قال الوليدُ يَدِى لكم رهْنٌ بما ... حاولتُمُ من صامتٍ أو ناطق

فإلى الوليد إليه[2] حنَّت ناقتى ... تهْوِى بمُغْبرّ المُتُون[3] سَمالق

حنّتْ إلى بَرْق فقلتُ لها قِرِى ... بعضَ الحنين فإن شجْوك شائقى

لا تبعَدَنّ إداوةٌ مطروحةٌ ... كانت قديماً للشراب العاتق

إن تُصْبحى لا شِيءَ فيكِ فرُبّما ... أُترِعْتِ من كأسٍ تلذُّ لذائق

حده الوليد بن عثمان فى الخمر وأبطله عنه معاوية

وذُكر أنّ ابنَ سيْحان ، وهو عبد الرحمن بن أرطاة المُحاربى ، كان حُلوَ الأحاديث ، عنده أحاديثُ حسنةٌ غريبةٌ من أخبار العرب وأيّامها وأشعارها ، وكان على ذلك يُصيب من الشَّراب ، فكان كل مَن قدِم من وُلاة بنى أُميَّة وأَحداثهم ، ممن يُصيب الشراب يدعوه ويُنادمه . فلمّا وَلِى الوليدُ بن عُتبة

(١) القرم : السيد .
(٢) فى اللسان (سملق) : « اليوم » .
(٣) سمالق : جمع سملق ، وهى الأرض المستوية الجرداء التى لا شجر فيها .

ابن أبى سُفيان المدينةَ وعُزل عنها مروان بنُ الحكم ، وَجَد مروانُ فى نفسه . وكان الوليد يُصيب من الشراب ويَبعث إلى ابن سيْحان فيشرب معه ، وابن سيْحان لايظنّ أن مروان يفعل به الذى فَعله . وقدكان مَدَحه ابنُ سيْحان ووَصله مَرْوان . ولكنّ مروان أراد فضيحةَ الوليد ، فرَصده ليلةً من المسجد ، وكان ابنُ سيْحان يخرج فى السَّحر من عند الوليد ثَملاً فيمرّ فى المقصورة من المسجدِ حتى يخرج فى زُقاق عاصِم . وكان محمدبن عمرو يبيتُ فى المسجد يصلّى، وكذلك عبدالله بن حَنْظلة وغيرهما من القُرّاء . فلمّا خرج ابنُ سيْحان ثمِلاً من دار الوليد أخذه مَرْوان وأعوانُه ، ثم دعا له محمدَ بنَ عمرو، وعبدَ الله بن حنظلة، فأشهدهما على سُكْره، وقد سأله أن يقرأ أُمَّ الكتاب ، فلم يقرأها ، فدَفعه إلى صاحب شُرَطَه فحَبسه. فلمّا أصبح الوليدُ بلغه الخبرُ وشاع فى المدينة ، وعَلِم أنّ مرْوان إنما أراد أن يَفضحه ، وأنه لو لَقِى ابنَ سيْحان ثملاً خارجاً من عند غيره لم يَعْرض له . فقال الوليد : لا يُبرّئنى من هذا عند أهل المدينة إلّا ضربُ ابن سيْحان . فأمر صاحب شُرَطه فضَربه الحدّ ثم أرسله . فجلس ابنُ سيْحان فى بيته [لا يخرُج] حياءً من الناس . فجاءه عبدُ الرحمن بن الحارث بن هشام فى ولده ، وكان له جليساً ، فقال له : ما يُجلسك فى بيتك ؟ قال : الاستحياء من الناس . قال : اُخرُج أيُّها الرجل . وكان عبد الرحمن قد حَمل له معه كُسوة ، فقال له : البسها ورُحْ معنا إلى المسجد ، فهذا أحرى أن مُكذِّب به مُكذِّب ، ثم ترَحل إلى أمير المؤمنين فتُخبره بما صَنع بك الوليد ، فإنه يَصلك ويُبطل هذا الحدّ عنك . فراح مع عبد الرحمن فى جماعة وَلده متوسِّطاً لهم حتى دخل المسجد ، فصلّى ركعتين ، ثم تساند مع عبد الرحمن إلى الأُسْطوانة ، فقائل يقول : لم يُضرب ، وقائل يقول : أنا رأيتُه يُضرب ، وقائل يقول : عُزِّر أسْواطاً . ثم رحل إلى مُعاوية بن أبى سُفيان ، فدخل إلى يزيدَ بن مُعاوية فشرب معه . فكلَّم يزيدُ أباه مُعاوية فى أَمره ، فدعا به

فأخبره بقصّته وما صَنعه به مَروان . فقال : قَبح الله الوليـدَ ! ما أضعفَ عقلَه ! أما اُستحيا أن يضرِبك فيما شَرِب ! وأمّا مرْوان فإنّى كنتُ لا أحسَبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيه ومودّتك له ! ولكنّه أراد أن يضع الوليد عندى ولم يُصب، وقد وضع نفسه فى حدٍّ كُنّا نُنزِّهه عنه ، صار شُرطيا ! ثم قال لكاتبه : اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله مُعاوية أمير المؤمنين إلى الوليد ابن عُتبة . أما بعد . فالعجبُ من ضَربك ابن سيْحان فيما تَشرب منه ! مازِدْت على أن عرّفتَ أهل المدينة ما كنتَ تشرب به ممّا حرّم الله عليك . فإذا جاءك كتابى هذا فأبطل الحدَّ عن ابن سيْحان ، وطُف به فى حِلَق المسجد، وأَخبرهم أنّ صاحب شُرْطتك تعدّى عليه وظلمه ، وأنّ أمير المؤمنين قد أَبطل ذلك عنه . أليس ابن سيحان الذى يقول :

وإنّى امْرؤٌ أنْمَى إلى أَفْضل الورى ... عديداً إذا ارْفضَّتْ عصا المُتحلِّفِ
إلى نَضَدٍ من عبد شَمس كأنّهم ... هِضابُ أَجاً[1] أركانُها لم تَقَصَّف
مَيامينُ يَرْضوْن الكِفاية إنْ كُفوا ... ويكْفُون ما وُلُّوا بغير تكلُّف
غَطارفةٌ[2] ساسُوا البلاد فأَحْسنوا ... سياستها حتى أقرّت لمُرْدِف
فمن يكُ منهم مُوسراً يُغْشَ فضلُه ... ومن يكُ منهم مُعْسراً يتعفَّف
وإن تُبْسَطِ النُّعْمى لهم يَبْسطوا بها ... أكفًّا سِبَاطاً نَفْعُها غير مُقْرَف[3]
وإن تُزْوَ عنهم لا يَضِجُّوا وتُلفهم ... قليلِى التشكِّى عندها والتكلُّف
إذا انصرفُوا للحقّ يوماً تصرّفوا ... إذا الجاهلُ الحَيْران لم يتصرَّف
سَمَوْا فعَلَوْا فوق البريَّة كلّها ... ببُنيانِ عالٍ من مُنيفٍ ومُشْرِف

(١) النضد : الأعمام والأخوال المتقدمون فى الشرف . وأجا ، بالهمز وسهل : أحد جبلى طيئ ، والآخر يقال له : سلمى .

(٢) غطارفة : سادة شرفاء . الواحد : غطريف . ومردف : تابع .

(٣) سباط : جمع سبط ، وهو السمح . وغير مقرف : ليس فيه ما يشين .

وكتب له أن يُعْطَى أربعمائة شــاةٍ وثلاثين لِقْحةً ، وأمر له بخمسمائة دينار . وأعطاه يزيدُ بن مُعاوية مائتى دينار . ثم قدِم بكتاب مُعاوية إلى الوليد ، فطاف به فى المسجد ، وأبطل ذلك الحدَّ عنه ، وأعطاه ما كتب له به مُعــاوية . وكتب معاويةُ إلى مَرْوان يلومه فيما فعله بابن سَيْحان ، وما أراده بذلك . ودعا الوليــدُ عبدَ الرحمن بن سَيْحان أن يعود للشُّرب معــه . فقال : والله لا ذقتُ معك شراباً أبداً .

وقيل : إنّ مُعاوية كتب إلى مَروان بإبطال الحدّ عنه ، وإن مروان هو الذى أقام عليه الحدَّ فى ولايته ، وأن يخطب بذلك فوق المِنبر . فلما ورد عليه الـكتابُ عظُم عليــه ودعا بابنه عبد الملك فقرأه عليه ، وشاوره فيــه . فقال له عبد الملك : راجعْه ولا تـكذِّب نَفسك ولا تُبطل حكمك . فقال مروان : أنا أعلم بمُعـاوية إذا عَزم على شىء وأراده ، لا والله لا أُراجعه فيه . فلمّا كان يوم الجمعة وفرَغ من الخَطبة قال : وابنُ سَيحان ، فإنّا كشفنا أمره فإذا هولم يَشرب مُسْكِراً ، وإذا نحن قد عجّلنا عليه ، وقد أبطلتُ عنه الحدَّ . ونَزل وأرسل إليه بألفى دِرهم .

مقتل سعيد بن عثمان ورثاؤه له.

وذُكر أن سَعيد بن عثمان بن عفّان لمّا قدم المدينة بعد قفوله من الصُّغْد[1] ، كان معه غِلْمان جاء بهم من تلك الناحية ، فوثبوا به فى المَدينــة فقتلوه . . وكان معه يومئذ عبــدُ الرحمن بن أرطاة بن سَيحان ، فهَرب عنه . فقال خالد بن عُقبة ابن أبى مُعَيط — وقيل : بل قال ذلك أبو قَطيفة :

* يا عينُ جُودى بدمعٍ منك تَهْتانا *

البيتين اللذيْن تقدّم ذكرُهما فى أخبار أبى قَطيفة .

---

(١) الصغد ، بالصاد و بالسين : إقليم قصبته سمرقند . (عن ياقوت) .

فقال ابنُ سَيْحان يعتذر من ذلك :

فإن كان نادَى دَعْوةً فسمعتُها فشَلّتْ يدى واستَكّ منّى المَسامعُ
وإلّا فكانتْ بالذى قال باطلاً ودارتْ عليه الدّائراتُ القوارِع
يلومُوننى أن كنتُ فى الدار حاسراً وقد فرَّ عنه خالدٌ وهو[1] دارع

فقال بعضُ الشعراء يُجيبه :

فإنك لم تَسمع ولكن رأيتَه بعينَيك إذ مَجْراك فى الدّار واسعُ
وأسلمتَه للصُّغْد تَدْمَى كُلُومُه وفارقْتَه والصوتُ فى الدار شائع
فلا زلتُما فى غُلِّ سَوْءٍ بعِبْرةٍ ودارتْ عليكم بالشّمات القَوارع

ولما قُتل سعيد بن عثمان بن عفّان قالت أُمه[2] : أشتهى أن يرثيَه شاعرٌ كما فى نفسى حتى أُعطيه ما يحتكم . فقال أبنُ أرطاة :

إن كنتِ باكيةً فتًى فابكى هَبِلْتِ[2] على سَعيدِ
فارقتَ أهلَكَ بَغْتَةً وجلبتَ حَتْفك من بعيد
أَذْرِى دموعَكِ والدِّما ءَ على الشّهيد أبن الشهيد

فقالت : هكذا كنت أشتهى أن يُقال فيه ، ووصلت أبنَ أرطاة، وكانت تندُبه بهذا الشعر .

هو وابن أبى معيط فى رثاء سعيد بن عثمان

وقيل : جلس أبنُ أرطاة بن سَيحان وخالدُ بن عُقبة بن أبى مُعَيط بعد قَتْل سَعيد بن عُثمان بن عفّان يتحدّثان ، فجرى ذِكْرُه فبكيا عليه ، فقال ابن سَيحان يَرثيه :

ألَا إنَّ خَيرَ الناس إن كنتَ سائلاً سعيدُ بن عُثمانَ القتيلُ بلا[3] ذَحْلِ

(١) الدارع : لابس الدرع .
(٢) هبلت : ثكلت .
(٣) الذحل : الثأر .

تَداعتْ عليه عُصْبةٌ فارسيَّةٌ ... فأَضْحَى سعيدٌ لا يُمِرُّ ولا يُحْلِي

وقال خالد بن عُقبة :

ألاَ إنَّ خَيرَ الناسِ نفساً ووالداً ... سعيدُ بن عُثمانٍ قَتيلُ الأعاجمِ
بكتْ عينُ من لم يَبْكه وَسْطَ يَثْربِ ... يَدَ الدَّهر[1] منه بالدُّموع السواجم
فإن تكُن الأيامُ أرْدت صرُوفُها ... سعيداً فمَنْ هذا من الموت[2] سالم

أراد ابن عم له على شرب الخمر

وقيل : دخل ابنُ سَيحان على ابن عَمٍّ له يقال له : الحارث بن سَرِيع ، فوجده يَشرب نبيذاً لزبيب . فجعل يَعظه و يأمره بشُرب الخمر ، وقال له : يابن سَريع ، إن كنت تَشربه على أن نَبيذ الزبيب حلالٌ فأنت أحمق ، و إن كنت تَشربه على أنه حرام تَستغفر اللهَ منه وتَنْوى التوبة ، فاشرب أجوده ، فإن الوِزْر واحد . ثم قال :

دَعِ ابنَ سَرِيعٍ شُرْبَ ما مات مَرةً ... وخُذْها سُلافاً حيَّةً مُزَّةَ الطَّعْمِ
تَدعْك على مُلْك ابن ساسان والياً ... إذا حرَّمت قُرَّاؤنا حَلَبَ الكَرْمِ
فَشتّان بين الحيِّ والمَيْت فاعْتزمْ ... على مُزَّة صَهْباء رَاوُوقها يَهْمِي
فإنَّ سَرِيعاً كان أوصى بحُبِّها ... بَنيه وعَمِّي جاوز اللهُ عن عَمِّي
ألا ربَّ يومٍ قد شهِدتُ بنى أَبِى ... عليها إلى أن غابَ تاليةُ[3] النَّجم
حَسَوْها صلاةَ العَصْر والشمسُ حَيّةٌ ... تُدَار عليهم بالصَّغير و بالضَّخْم
فماتُوا وعاشُوا والمُدامة بينهم ... مُشَعْشعة كالنَّجْم تُوصَف بالوَهم

منادمته الوليد ابن عقبة

وقيل : كان ابن سَيْحان يُنادم الوليدَ بن عُقبة بن أبي مُعَيط و يشرب معه الخمر ، وهو القائل له :

---

(١) يد الدهر : كلمة يراد بها الدوام .
(٢) هذه رواية التجريد . وعليها الإقواء . وفى بعض أصول الأغانى :
* سعيدا فمن هذا عليها بسالم *
(٣) تالية النجم : آخرها .

إصْبَح نَدِيمَك من صَفْراء صافيةٍ حتّى يروح كريماً ناعمَ البالِ
واشربْ هُدِيت أبا وَهْبٍ مُجاهَرةً واُخْتَلْ فإنك من قوم أُولى[1] خالى
أنت الجوادُ أبا وَهْبٍ إذا جَمَدتْ أيدى الرجالِ بما تَحْوِيه من مال
لما تَواصَوْا بقَتْلِى قُمْتُ مُعتزماً حتى حَمَيْتُ من الأعداء أَوْصالى
عمَّ الوليدُ بمعروفٍ عَشيرتَه والأَبْعدون حَظُوا منه بإفضال

حماية الوليد له وشعره فيه

وكان ابن سَيحان قد ضرب رجلاً من أخواله بالسيف فقطع يده ، ولم تقم عليه بيِّنة ، فتآمر به القومُ ومَنع منه ابنُ خالٍ له ، وخاف الوليدُ بن عُقبة أن يرجع إلى المدينة هارباً منهم وخوفاً من جنايته عليهم فيفارقَه و ينقطع عنه ، فدعاهم وأرضاهم وأعطاهم ديةَ صاحبهم . فلم يزل عند الوليد حتى عُزل ، وهو نَديمُه وصفيّه . وهو القائل فى الوليد :

بات الوليدُ يُعاطينى مُشعشعةً حتى هَوَيْتُ صَريعاً بين أصحابِى
لا أستطيع نُهوضاً إن هممتُ به وما أُنَهْنَهُ عن حَسْو وتَشْراب
كأننى من حُمَيَّا كأسِه جَمَل صَحّت قوائمُه من بَعد أوصاب

هو وسعيد بن العاص فى وصفه للخمر وما كان من معاوية

وذُكر أنه دخل عبدُ الرحمن بن سَيحان بن أرطاة على سَعيد بن العاص ، وهو أمير المدينة ، فقال له : ألست القائل :

إنّا لنشربُها حتى تَميلَ بنا كما تَمايل وَسْنانٌ بوَسْنانِ

فقال له عبدالرحمن : مَعاذَ الله أن أشربَها وأنعتَها ! ولكنّى الذى أقول :

سَموتُ بحِلْفى للطِّوالِ من الذُّرَى ولم تَلْقَنى كالنَّسْر فى مُلْتَقَى جَدْبِ
إذا ما حَليفُ القوم أَقْعى مكانَه ودَبَّ كما يَمْشى الكَسيرُ[2] على[3] نَقْب

(١) الخال : الخيلاء والكبر .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « الحسير » . وهو المعي .
(٣) النقب : رقة الأخفاف .

وَهَصْتُ[1] الحَصَى لا أرهبُ الضيمَ قائماً　　إذا أنا راخَى لى خِنَــاقى بنو حَرْب

وقام يجُرُّ مِطْرَفَه بين الصفَّين حتى خَرج . فأقبل عمرو بنُ سعيد على أبيه فقال : لو أمرتَ بهـذا الـكلب فضُرب مائتى سَوْط لـكان خيراً له . فقـال : يا بُنى ، أَضربُه وهو حَليف حَرْب بن أُمية ! ومعاويةُ خليفةٌ بالشأم ! إذاً لا يرضى . فلمّا حجَّ معاويةُ بن أبي سفيان لقيه بمِنَى ، فقال : إيهٍ يا سعيد ! أَمرك أحمقُك أن تضرب حَليفى مائة سوط ! أمَا والله لو جلدتَه سوطاً لجلدتُك سوطين ! فقال له سعيد : ولم ذلك؟ أولم تجلدْ أنت حليفَك عمرو بن جَبَلة ؟ فقال له معاوية : هو لَحمى آكلُه ولا أُوكله . وكان ابنُ سَيْحان قد قال :

لا يَعْدَمنِّى نَديمى ماجــداً أَنِفاً　　لا قائلاً خالطاً زُوراً ببُهتــانِ

أُمْسِى أُعاطيــه كأساً لذَّ مَشْربُها　　كالمِسْكِ حُفَّت بِنِسْرينٍ ورَيْحان

سَبيئةً[2] من قُرى بَيْروت صافيةً　　أو التى سبِئَت من أرض[3] بَيْسان

إنا لنَشْربها حتى تَميـــل بنا　　كما تَمــايل وَسْنان بوَسْنان

(١) الوهص : الدق والكسر .

(٢) بيسان : مدينة بالأردن ، بين صوران وفلسطين .

(٣) السبيئة : الخمر تشتريها لتشربها .

أخبار ابن ميادة

نسبه

واسمه الرَّمَّاح بن أَبْرَد بن ثَرْيان[1] بن سُراقة بن حَرْملة . وقيل : ثريان ابن سُراقة بن قيس بن سَلْمى بن ظالم بن جَذِيمة بن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان بن بَغيض بن رَيْث بن زيد بن غطفان بن سعد بن قَيْس بن عَيلان بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان .

وأُمّه مَيّادة ، أم ولدٍ بَرْبريّة . وقيل : صَقْلَبيّة .

ويُكنى أبا شُرَحْبيل . وقيل : أبا شَرَاحيل .

وقيل : كانت أُمه فارسيّة . وفى ذلك يقول :

أنا ابنُ أبى سَلْمى وجَدّىَ ظالمٌ ... وأُمّى حَصَانٌ أَخْلصتْها الأعاجمُ

أليس غلامٌ بين كِسْرى وظالمٍ ... بأكرمِ مَن نِيطَتْ عليه التمائمُ

من خبر أمه

وكانت مَيَّادةُ هذه لرجل من كَلْب، زوجةً لعبدٍ له يقال له : نَهْبل. فاشتراها بنو ثَرْيان فأقبلوا بها من الشأم ، فلما قَدِموا وصَبَّحوا بها المُلَيْحةَ . ماءة لبنى سَلْمى نَظَر رجل من بنى سَلْمى إليها وهى ناعسة تمَايَلُ على بعيرها ، فقال : ما هذه ؟ قالوا :اشتراها بنو ثَرْيان . قال : وأبيكم ، إنّها لميّادة تَميد وتَميل على بعيرها . فغَلَب عليها « ميّادة » .فوقع عليها أبرد بن ثَرْيان فأتتْ بالرّمّاح ؛ وكان أبردُ يَرْعى على إخوته وأهله ، وكان ضِلّةً[2] من الضِّلَل ، ورِثّةً من الرِّثَث[3] ، جِلْفاً لا تَخْلُص إحدَى يديه من الأُخرى ، وإخوتُه كلّهم كانوا ظُرفاء غيرَه . ولمّا حَملت ميّادة

---

(١) هذه رواية الأصل . وفى أكثر أصول الأغانى : « ثوبان » هنا وفيما سيأتى .

(٢) الضلة : الذى لاخير فيه .

(٣) الرثث : سفلة الناس وضعفاؤهم .

بالرَّمَّاح سألوها : لِمَن ما فى بَطْنك ؟ قالت :لأَبْرد . وسألوا أَبْرَدَ ، فجعل يسكُت ولا يُجيبهم. ولمّا أتتْ بالرَّمَّاح، ورأَوْه نجيباً، أَقرّ به أَبردُ . فبنَوْا لميّادة بيتاً وأَقعدُوها فيه . فجاءت بعد الرّمّاح بثر يان ، وخليل، و بَشِير ، بنىأَبْرَدَ . وكانت أولَ نسائه وآخرَهنّ ، وكانت امرأةَ صِدْق ، وما رُميت بشىء ولا سُبَّت إلا بنَهْبل ، وهو العَبد الذى كانت مزوَّجة به .

لابن جهيم يهجوه ورده عليه وفخره بوالديه

وقال عبدُ الرحمن بن جُهَيم الأَسدىّ فى هجائه ابنَ ميّادة :

لعمرِى لئن شابتْ حَليلةُ نَهْبلٍ　　لبئس شَبابُ المرء كان شَبابُها
ولم تَدْرِ حَمْراءُ العِجانِ أَنَهْبلٌ　　أبوه أم المُرِّى تَبَّ تبَابُها[(١)]

وقال ابن ميّادة يفخر بأُمه :

أنا ابنُ ميّادةَ تَهْوِى نُجُبى　　صَلْتُ الجبين حَسَنٌ مُرَكَّبِى[(٢)]
تَرفعُنى أُمّى ويَنْمِينى أَبى　　فوق السَّحاب ودُوَيْن الكوكبِ

وقال أيضاً يفخر بنَسب أبيه فى العرب وأُمه فى العجم :

لو أنّ جميعَ النّاسِ كانوا بتَلْعةٍ　　وجئتُ بجدِّى ظالمٍ وابنِ ظالمِ
لظلّت رِقابُ الناسِ خاضعةً لنا　　سُجوداً على أقدامنا بالجَماجِمِ
أليس غلامٌ بين كِسْرى وظالمٍ　　بأَكرمِ من نِيطَتْ عليه[(٣)] التّمائمُ

وقد تقدّم ذكرُ هذا البيت الأخير[(٤)] .

---

(١) العجان : الدبر . وكان العرب إذا سبوا الأعجمى قالوا له : يابن حمراء العجان . وتب تبابها : دعاء عليها بالخسران والهلاك .

(٢) النجب : جمع نجيب ، وهو كل كريم عتيق ، بعيراً أو فرساً . وصلت الجبين : واضحه مشرقه . ومركبه ، أى جسمه .

(٣) فى البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى فى الإعراب .

(٤) انظر (ص ٢٥٦) من هذا الجزء .

وسمع الفرزدقُ البيتين الأوّلين ، فقال لراويته أَضْمُمهما إليك . وجعل مكان « ظالم » « دار ما » ، وأدعاها ، وذلك بمَحضر ابن ميّادة ، فلم يُنكر عليه[1] .

من وصفه

قيل :

وكان ابن ميّادة أحمرَ سَبْطاً[2] ، عظيمَ الخلْق، طويلَ اللِّحية ، لبَّاساً عَطِراً . وكان فصيحاً يُحتجُّ بشعره . وهو مُخضرم الدَّولتَين : الأُموية والعبَّاسيَّة . مَدح من بنى أُمية الوليدَ بن يزَيد ، وعبدَ الواحد بن سُليمان بن عبد الملك ؛ ومَدح من بنى العبَّاس أبا جَعفرٍ المنصور ، وجعفر بن سُليمان بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس .

نسبه بأم جحدر وشعره فيها

وكان يَنْسُب بأُم جَحْدر بنت حسّان المُرِّية ، إحدى نِساء بنى جَذِيمة . فحلف أبوها ليُخرجنَّها إلى رجلٍ من غير عشيرته ولا يزُوّجها بنَجد . فقَدِم عليه رجلٌ من أهل الشأم ، فزوّجه إيّاها ، فلَقِى عليها ابنُ ميّادة شدّة . فلما خرج بها زوجُها إلى بلاده اندفع ابن ميّادة يقول :

ألا ليتَ شِعْرِى هل إلى أُمِّ جَحْدَرٍ ... سَبيلٌ فأمَّا الصبرُ[3] عنها فلا صَبْرَا

إذا نزلت بُصْرَى تَراخَى مَزارُها ... وأغلقَ بَوّابانِ مِن دُونها قَصْرا

فلو كان نَذْرٌ مُدْنياً أُمَّ جَحْدَرٍ ... إليّ لقدْ أَوْجَبْتُ فى عُنقِى نَذْرا

ألَا لا تَلُطِّى السِّتْرَ يا أُمَّ جَحْدرٍ ... كفى بذُرَا الأَعلام مِنْ دُوننا سِتْرا

لعَمْرِى لئن أمسيتِ يا أُمَّ جَحدرٍ ... نأيتِ لقد أبليتُ فى طَلب عُذْرا

فَبهْراً لقومى إذ يَبيعون مُهْجتى ... بجاريةٍ بَهْراً لهم بَعدها بَهرا

---

(١) يريد بيتى الفرزدق :

لو ان جميع الناس كانوا بتلعة ... وجئت بجدى دارم وابن دارم

لظلت رقاب الناس خاضعة لنا ... سجوداً على أقدامنا بالجماجم

(٢) السبط : الطويل الحسن القد .

(٣) يجوز فى « الصبر » النصب على أن مفعول له ؛ والرفع على أنه مبتدأ . (انظر الكتاب لسيبويه ١ : ١٩٣) .

حديث عشقه لها

وحكى رجلٌ من غَطَفان قال :

كنّا بباب بعضِ الوُلاة بالمدينــة ، فغَرِضْنا(١) من طُول الثَّواء ، فإذا أعرابىّ يقول : يا معشرَ العرب ، أمَا فيكم رجلٌ يأتينى أُعلِّله إذ غَرِضْنا من هذا المكان ، فأُخبره عن أُمّ جَحْدرٍ وعنِّى ؟ فجئتُ إليــه فقلتُ : مَن أنتَ ؟ قال أنا الرّمّاح بن أبرد . قلتُ : فأَخْبرنى ببَدْءِ أَمركما . قال : كانت أُمّ جَحْدر من عَشيرتى فأعجبتْنى ، وكانت بينى و بينها خُلّة ، ثم إنّى عَتَبتُ عليها فى شىء بلغنى عنها ، فأتيتُها فقلتُ : يا أُم جحــدر ، إنّ الوَصْل عليك مَرْدود . قالت : ما قَضى الله فهو خَير . فلَبِثتُ على تلك الحال سنة ، وذهبتْ بهم نُجْعةٌ فتباعدوا ، واُشتقتُ إليها شوقاً شديداً ، فقلتُ لاُمرأة أخٍ لى : والله لئن دنتْ دارُنا من أُم جَحدرٍ لآتينّها ولأطلبنّ إليها أن تردَّ الوَصْل بينى و بينها ، ولئن ردّته لا نَقضتُه أبداً . ولم يكن يومانِ حتى رَجعوا . فلما أصبحتُ غدوتُ عليهم فإذا ببيتين نازلَين إلى سَنَدٍ أبرقَ(٢) طويلٍ ، و إذا اُمرأتان جالستان فى كِساء واحدٍ بين البيتين ، فجئتُ فسلّمت ، فردّت إحداهما ولم تَرُدّ الأُخرى . فقالت : ما جاء بك يا رمّاح إلينــا ؟ ما كنّا حَسِبنا إلّا أنه قد اُنقطع ما بيننا و بينك ! فقلتُ: إنّى جعلتُ علىّ نَذْراً لئن دَنتْ بأُم جَحــدر دارٌ لآتينّها ولأطلبنّ منها أن تَرُدَّ الوصلَ بينى و بينها ، ولئن هى فعلتْ لا نقضتُه أبداً . و إذا الذى تُكلّمنى اُمرأةُ أخيها ، و إذا الساكتةُ أُم جَحــدر . فقالت اُمرأةُ أخيها : فادخُلْ مُقَــدَّم البيت . فدخلتُ ، وجاءتْ فدخلتْ من مُؤَخَّره ، فدنتْ قليلا ، ثم إذا هى قد بَرَزَتْ . فساعةَ برزتْ جاء غُرابٌ فنَعب على رأس الأَبْرق . فنظرتْ إليه وشَهقتْ وتغيَّر وجهُها . فقلتُ : ما شأنكِ ؟ قالت : لا شىء . قلت : بالله إلا أَخْبرتِنى . قالت : أرى هذا الغراب يُخبرنى أنّا لا نجتمع بعد هــذا اليوم

(١) غرضنا : ضجرنا .

(٢) السند : ما ارتفع من الأرض . والأبرق : ما كان له لونان : سواد وبياض .

إلّا ببلد غير هــذا البلد . فتقبّضت نفسى ثم قلتُ : جاريةٌ والله ما هى فى بَيْت عِيَافة[١] ولا قِيَافة[٢] . فأقمتُ عنـدها ثم تروّحتُ إلى أهلى فمكثتُ عنـدهم يومين ، ثم أصبحتُ غادياً إليها . فقالت لى امرأةُ أخيها : وَيْحك يا رمّاح ! أين تذهب ؟ فقلت : إليكم . فقالت : وما تُريد ؟ قد والله زُوِّجتْ أُمُّ جَحْدر [البارحة] . فقلت : بمن ؟ ويحك ! فقالت : برجل من أهل الشأم من أهل بيتهـا ، جاءهم من الشأم فخَطبها فزُوِّجها وقد حُملت إليـــــه . فمضيتُ إليهم ، فإذا هو قد ضَرب سُرادقاتٍ . فجلستُ إليــه فأنشدتُه وحدّثته ، وعُدت إليه أيّاماً . ثم إنه احتملها فذهب بها . فقلت :

أجارتَنـــا إنّ الخُطوب تَنُوبُ ... علينـــا وبعضَ الآمنين تُصيبُ

أجارتَنا لستُ الغَـداةَ ببـارحٍ ... ولـكنْ مُقيمٌ ما أقام[٣] عَسِيب

فإن تسأليني هل صَـــبَرْتَ فإنّنى ... صَبُورٌ على رَيْب الزمانِ صَلِيب

جَرى بانْبتاتِ الحَبْل من أُمِّ جَحْدرٍ ... ظِبـــاءٌ وطـــيرٌ بالفِرَاقِ نَعُوب

فقالت حرامٌ أن نُرَى بعد هذه ... جَميعَيْن إلا أنْ يُلِمَّ غَريب

أجارتَنا صـــبراً فيـارُبَّ هالكٍ ... تَقَطّعُ من وَجْدٍ عليـــه قُلُوب

ثم انحدرتُ فى طلبها ، وطمعتُ فى كلمتها : « إلّا أن نجتمع فى بلد غير هذا البلد » فَدُرْتُ الشّأمَ زماناً ، فتلقّانى زوجُها . فقال : مالك لا تغسِل ثيابَك هذه ! أرسل بها إلى الدار تُغسل . فأرسلتُ بها . ثم إنى وقفتُ أنتظرخُروج الجارية بالثياب ، فقالت أُم جَحدر لجاريتها : إذا جاء فأَعْلِميني . فلما جئتُ إذا أُم جَحْدرٍ وراءَ البـاب ، فقالت : ويحكَ يا رَمّاح ! قد كنتُ أحسَب أنّ لك عقلًا ! أمَا تَرى أمراً قد حِيل

---

(١) العيافة : زجر الطير ثم التفاؤل بأسمائها وممرها . والمعروف بالعيافة من العرب : بنوأسد وبنو لهب ، من الأزد .

(٢) القيافة : تتبع الآثار ومعرفتها . والمعروف بالقيافة من العرب : بنو مدلج قبيلة من كنانة.

(٣) عسيب : جبل بعالية نخلة . ويقال : لا أفعل كذا ما أقام عسيب ، أى لا أفعله أبداً .

دونه وقد طابتْ أنفسُنا عنه ؟ انصرف إلى عَشيرتك فإنى أستحيي لك من هـذا المُقَام . فانصرفتُ وأنا أقول :

عَسَى إنْ حَجَجْنا أنْ نَرى أُمَّ جَحْدرٍ ... ويجمَعنا مِن نَخْلَتَيْن[1] طَريقُ
وتَصْطكَّ أعضـادُ المَطِيِّ و بَيْننا ... حَديثٌ مُسَرٌّ دونَ كلٍّ[2] رفيق

والبيتان الأوّلان، من الأبيات البائية، أغار ابنُ ميّادة على معنييهما[3] ، وهو بيت قاله امرؤ القيس بأَنْقرة ، وهو :

أجارتَنـا إنَّ الخطوب تَنُوبُ ... وإنِّى مُقِيمٌ ما أقام عَسِيبُ

والبيت الثالثُ لشاعر من شعراء الجاهليّـة أغار عليه ابنُ ميّادة فسرقه برُمّته ونَقَله نقلاً ، وقد تمثّل به علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى رسالة كتب بها إلى أخيه عَقِيل بن أبى طالب .

من شعره فى أم جحـدر

ومما قاله ابنُ ميّادة فى أُمّ جَحدر و يُغَنَّى فيه :

ألا يا لَقَوْمى للهوَى والتذكُّرِ ... وعينٍ قَذَى إنسانِها أُمُّ[4] جَحْدرِ
فلم تَرَ عَيْنِى مثـلَ قلبِيَ لم يَطِرْ ... ولا كضُـلوعٍ فوقَه لم تُـكَسَّر

ذكر

بعض ما وقع من التَّهاجى بين ابن ميّادة والحَـكَم الخضْرى .

قد طوّل أبو الفرَج القولَ فى ذلك ، فنذكُر بعضه :

تلاحيا فى بيتين

قيل : إنه حَـكَم بن مَعْمَر بن قَنْبَر بن جِحَاش بن سَلَمَة بن ثَعْلبة بن مالك ابن طَرِيف بن مُحارِبـ والخُضْر: ولدُ مالِك بن طَرِيف،[سُمُّوا بذلك] لأن مالكاً

(١) النخلتان : واديان عن يمين بستان ابن عامر وشماله .
(٢) فى البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى فى الإعراب .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « نصفيهما » .
(٤) يريد أن أم جحدر سبب جريان دموعه ، شأن القذى فى العين فإنه يسيلها .

كان شديدَ الأُدْمة ، وكذلك خرج ولدُه فسمُّوا الخُضْر لذلك — نزل بسُمَير ابن سَلَمة بن عَوْسَجة بن أَنَس بن يَزِيدَ بن مُعاوية بن ساعدةَ بن عَمْرو ، وهو خُصَيلة بن مُرّة . فأقبل ابنُ ميّادة إلى حَكَم الخُضْرِىّ ليعرضَ عليه شعرَه وليسمعَ من شعره . وكان حَكَم أسَنَّهما . فأنشدا جميعاً جماعةَ القوم . ثم قال ابنُ ميّادة : والله لقد أعجبنى بيتان قُلتَهما يا حَكَم . قال : أَوَما أعجبك من شِعرى إلّا بيتان ! فقال : والله لقد أعجبانى . يردِّد ذلك مراراً لا يزيد عليه . فقال له حَكَم : فأىُّ بيتَيْن هما ؟ قال : حين تُساهم بين ثَوْبَيْها وتقول :

فو الله ما أدرِى أَزِيدتْ مَلاحةً وحُسْناً على النِّسوان أم ليس لى عَقْلُ
تَساهَمَ ثوباها ففى الدِّرع رَأْدةٌ وفى المِرْط لفَّاوانِ رِدْفُهما عَبْلُ (١)

فقال له حَكَم : أوَما أَعْجَبكَ غيرُ هذين البيتَيْن ؟ فقال له ابنُ ميّادة : قد أَعْجبانى . فقال : أَوَما فى شِعْرى ما أَعْجبك غيرهما ؟ فقال: لقد أَعجبانى . فقال له حَكَم : فإنى سوف أَعيب عليك قولك :

ولا بَرِح المَدْور (٢) ريّانَ مُخْصِباً وجِيدَ (٣) أَعالِى شِعْبِه وأَسافلُهْ

فاستسقيتَ لأعلاه وأسفلَه [وتركتَ وسطَه ، وهو خير موضع فيه] . فقال: وأىَّ شىء تُريد ؟ تركتُه لا يزال ريّان مُخْصِبا . وتهاتَرَا . فغضِب حَكَم فارتَحل ناقتَه وهَدر (٤) ثم قال :

* فإنه يومُ قَريضٍ ورَجزْ *

فقال رجلٌ من بنى مُرة لابن ميّادة : اُهْدِر كما هَدَر يا رمَّاح . فقال : إنما يَغِطّ (٥) البَكْر .

---

(١) تساهم ثوباها : تقارعا وتقاسما . والرأدة : الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء . والمرط : كساء يؤتزر به . واللفاء : الفخذ الضخمة .
(٢) المدور : موضع فى ديار غطفان . (٣) جيد : سقى مطراً جودا ، أى غزيراً .
(٤) هدر : صوت كما يصوت الفحل . (٥) يغط : يهدر فى شقشقة .

ثم قال الرّماح :

فإنَّه يومُ قريضٍ ورَجــز مَن كان منكم نا كزاً فقد نَكَزْ
وبيَّن الطِّرْفُ النَّجيبُ فبرز

فهذا أول ما هَاج التَّهاجى بينهما .

قصيدته فى هجاء الحكم

ومما هجا ابنُ ميَّادة به الحَكَم الُخضرى قصيدتُه التى يَنْسُب فيها بأُم جَحْدر ، وأوّلُها :

يُمَنُّوننى منكِ اللِّقــاءَ وإنّنى لأَعْلَمُ لا أَلقــاكِ من دون قابلِ

يقول فيها :

مِن الصُّفرِ لا وَرْهاءِ سَمْجٌ دَلالُهــا وليستْ من السُّود القِصار(1) الحوائل
ولكنهــا ريحــانةٌ طاب نَشْرُها وردتْ عليهــا بالضُّحَى والأَصائل

ومنها :

فياليتَ رَثَّ الوَصْلِ من أُم جَحْـدر لنا بجــديدٍ مِن أُولاكَ البَــدائل
فلم يَبْقَ ممّا كان بينى وبينهــا من الوُدِّ إلّا مُخْفَيَـات الرسـائل
وإنّى إذا استَنْبَهتُ من حُلْوِ رَقْدةٍ رُميتُ بحُبِّيها كرَمْيِ المنَاضِل
فما أَنْس مِ الأشياء لا أنسَ قولَهــا وأدمُعهــا يُذْرِينَ حَشْوَ المَكاحِل
تَمَتَّعْ بذا اليوم القصــيرِ فإنّه رَهِـينٌ بأيّام الدُّهور الأَطاوِل
وكنتُ امرأً أَرْمِى(2) الزَّوائل مرّةً فأصبحتُ قد ودَّعتُ رَمْىَ الزَّوائل
إذا حلّ بيتى بين بَدْرٍ ومازنٍ ومُرَّةَ نِلتُ الشمسَ واشْتَدَّ كاهِلى
فَضَلْنا قُريشاً غيرَ رهْطِ محمــدٍ وغيرَ بنى مَرْوانَ أهلِ الفَضـائل

---

(1) الورهاء : الخرقاء الحمقاء . والسمج : الذى لا ملاحة فيه . والحوائل : جمع حائلة ، وهى المتغيرة اللون . (2) الزوائل ، يريد : النساء ، على التشبيه بالوحش . يقال : فلان يرمى الزوائل ، إذا كان طبا بإصباء النساء إليه .

وبلغ قولُه هذا إبراهيمَ بن هشام المخزومىّ ، فقال له : أنت فضلتَ قريشاً ! وجرّده فضرب به أسواطاً .

وقال له الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك : قدّمتَ آلَ محمدٍ قبلنا . قال : ما كان يمكن يا أميرَ المؤمنين غيْر ذلك .

فلمّا أفضتْ الخلافةُ إلى بنى هاشم وفَد ابنُ ميّادة إلى المَنصور ومدحه ، فقال المنصورُ، لمّادخل إليه : كيف قال لك الوليدُ ؟ فأخبره بما قال . فجعل المنصور يتعجّب .

من تهاجيهما

ومن قصائد ابن ميّادة التى يهجو فيها الحكَم قصيدتُه التى يقول فيها :

تَرى بوُجوه الخضرِ خُضْرِ مُحاربٍ طوابعَ لُؤمٍ ليس يَنْمَتُّ طِينُها
وما حَملتْ خُضريّةٌ ذاتَ ليلةٍ من الدّهر إلّا ازداد لُؤماً جَنينُها

وأجابه الخضرى بقصيدة منها :

فما حَملتْ مُرّية قط ليلةً منَ الدّهر إلّا ازداد لُؤماً جَنينُها
وما حَملتْ إلّا لِألأَم مَن مَشَى ولا ذُكِرتْ إلّا بأمرٍ يَشينها

من هجاء ابن ميادة

ومما قاله ابنُ ميّادة فى الحكَم الخضْرى قصيدتُه التى أوّلها :

لقد سَبقتْك اليومَ عيناكَ سَبقةً وأبكاكَ من عهد الشباب ملاعِبُهْ
فوالله ما أَدْرِى أَيَغلْبُنِى الهَوى إذا جَدَّ جِدُّ البَيْن أم أنا غالبُه
فإن أَستطع أَغْلِبْ وإن يَغلِبِ الهَوَى فمثلُ الذى لاقيتُ يُغْلَب صاحبُه

يقول فيها :

لقد طال حَبْس الوَفْدِ وَفْدِ مُحارِبٍ عن المَجد لم يَأْذَنْ لهم بَعْدُ حاجِبُه
وقال لهم كُرّوا فلستُ بآذنٍ لكم أبداً أو يُحصِىَ التُّرْبَ حاسبُه

وهى طويلة .

تمثل بعض ولد الحسن ولد له

وقيل : سبَّ رجلٌ من قُريش، فى أيّام بنى أُميّة، بعضَ ولد الحَسن بن علىّ ابن أبى طالب عليهما السلام ، فأغلظ له وهو ساكتٌ ، والناسُ يتعجّبون من

صَبْره عليه ، فلما أطال أقبل الحسَنِىّ عليه متمثّلًا بقول ابن ميّادة يهجُو الحكَم الخضرى المحاربىّ :

أَظنّتْ سَفَاهاً من سَفاهة رأيها أَنَ اُهجُوَها لمّا هَجَتْنى مُحاربُ
فلا وأَبيهــا إنّنى بعَشِــيرتى ونَفْسِىَ عن ذاك المقــام لراغِب

فقام القُرشىّ خَجِلاً وما ردّ عليه جواباً .

آخر ما كان بينهما وموت الحكم

وجرتْ بينهما أهاجٍ كثيرة ، وآخر ذلك أنهما اجتمعا واصطلحا وانصرفا راضيَيْن ، فركب بعضُ بنى مُرَّة إلى إبراهيم بن هِشام ، فاستغْضبه على الحكَم الخضْرى فى قوله :

وما وَلدتْ مُرِّيةٌ ذاتَ ليــلةٍ من الدّهر إلّا ازداد لُؤماً جَنِينُها

فأَطْرَده[1] وأَقسم : لئن ظَفِر به ليُسْرِجَنَّه ولَيحملِنَّ عليــه أحدَهم . فقــال ابنُ ميّادة — وساءه ما صَنعوا — : عَمَــدتم إلى رجل قد صَلح ما بينى وبينــه فاستعديتُم عليــه وجئتم بإطراده ! وبلغ الحكَمَ الخضْرىَّ الخبرُ فطار إلى الشأم فلم يَبْرحها حتى مات .

وقيل : مات فى بعض أنهارها غرَقاً ، وكان لا يُحسن العَوْم ، وهو وَجْهُه[2] الذى مَدح فيه أَسْوَد بن بلال المُحاربىّ فى قَصيدته التى يقول فيها :

واستيقنتْ ألّا رَوَاحَ من السُّرَى حتى تُنَاخ بأَسْوَدَ بنِ بلالِ
قَرْمٌ إذا نَزل الوُفــود ببــابه سَمتِ العُيونُ إلى أَشمَّ طُوَال

هو وشقران بين يدى الوليد ابن يزيد

وحكى ابنُ ميّادة قال : وصلتُ أنا والشعراء إلى الوليد بنِ يزيد وهو خليفة ، وكان مَوْلًى من مَوالى خَرَشة ، يقال له : شُقْران ، يعيب ابنَ ميّادة ويَحْسُده على

---

(١) أطرده : أمر بإخراجه وطرده .

(٢) وجهه ، أى رحلته وسفره .

مكانه من الوليد، فقال الوليد لشُقْران لمّا اجتمعت الشعراء : ما عِلْمكَ بأبن ميّادة ؟ قال : عِلْمى فيه يا أَميرَ المُؤمنين أنه :

لئيمٌ يُبَارِى فيه أَبْرَدُ نَهبلًا لئيمٌ أتاه اللُّؤمُ من كُلّ جانبِ

فقال الوليد : يأبن ميّادة ، ما عِلْمك فى شُقْران ؟ فقلت : كان عِلْمى يا أمير المُؤمنين أنه عبدٌ لعَجوز من خَرَشة كاتبته على أربعين درهماً ووعدتْه أن تُجيزه بعشرين درهماً ، فقبَّضْته إيّاها . فأَغْنِه عنّى يا أمير المؤمنين، فإنه ليس بأصلٍ أحتقره ، ولا بفَرْع أهْتصره . فقال له الوليد : أُجْتَنِبْه يا شُقْران ، فقد أُبلغ إليك فى الشَّتيمة . فقَصَر شُقْران صاغراً . ثم أنشدتُه ، فأُقيمت الشعراء [جميعاً] غيرى . فأمر لى بمائة لِقْحَةٍ وفَحلها وراعيها وجارية بِكْر وفَرَس عربىّ . فأختلتُ ذلك اليومَ وقلتُ :

أَعطيتَنى مائةً صُفْراً مدامعُها كالنَّخْل زيَّن أعلَى نَبْته الشَّرَبُ[1]

يَسُوقُها يافعٌ جَعْدٌ مَفارقُهُ مِثْلُ الغُرابِ غَذاه الصرُّ والحلب

وذا سَبِيبٍ[2] صُهَيْبِيًّا له عُرُفٌ وهامةٌ ذاتُ فَرْقٍ نابُها صَخِب

وهذه الأبياتُ من قصيدة يمدح بها أبنُ ميّادة الوليدَ بن يزيد ، أجاد فيها وأحسن ، وأولها :

هل تَعرِفُ الدار بالعَلْياء غَيَّرها سافى الرِّياحِ ومُسْتَنٌّ له[3] صَبَبُ

دارٌ لبيضاء مُسْوَدٍّ مسائحُها كأنها ظبيةٌ تَرعى وتَنْتَصِبُ

يقول فيها :

يا أَطْيَبَ الناسِ رِيقاً بعد هَجْعَتها وأملحَ الناسِ عَيْناً حين تَنْتَقِب

ليستْ تجودُ بنَيْلٍ حين أسألُها ولستُ عند خَلاء اللّهو أغْتصب

(١) المدامع : المآق . وذكر أبو حنيفة الدينورى أن الماشية تصفر إذا رعت ما يخضر من الشجر ، ترى مغابنها ومشافرها وأوبارها صفرا . والشرب : جمع شربة ، وهى ما يحفر حول الشجرة كالحويض ويملأ ماء فتتروى منه . (٢) السبيب : شعر الذنب والناصية . يريد الفرس المهدى إليه .

(٣) المستن : المنصب ، يريد مطراً . والصبب : الهاوى فى تدفق . وفى بعض أصول الأغانى : « طنب » مكان « صبب » .

في مِرْفَقَيْهـــا إذا ما عُونقت جَمَم ... على الضَّجيع وفى أَنْيــابها(١) شَنَب

ومنهـا :

إلى الوليــد أبي العبّاس ما عَجِلتْ ... ودونَه المُعْطُ من نَيَّــانَ(٢) والـكُثُب

لمـا أتيتُكَ من نَجدٍ وســاكِنه ... نَفحتَ لى نفحةً طارتْ بهـا العَرب

إنّى امرؤٌ أَعْتفِى الحـاجاتِ أطلُبهـا ... كما اعتفى سَنِقٌ يُلْقَى له(٣) العُشُب

ولا أُخادع نَدْماني لأخـــدَعَه ... عن ماله حين يَسْـترخى به(٤) اللَّبَب

ولا أُلِحّ على الخُلّان أسـألهُم ... كما يُلِحّ بعظْمِ الغــارب(٥) القَتَب

وأنتَ وأبنـاكَ لم يُوجد لـكم مَثَـلٌ ... ثلاثةٌ كلّـكم بالتّــاج مُعْتَصِب

الطيّبون إذا طابتْ نفوسُهم ... شُوسُ(٦) الحواجِبِ والأبصار إن غَضِبوا

قِسْنِى إلى شُـعراء النّـاس كلّهم ... وأدْعُ الرُّواة إذا ماغَبّ(٧) ما اجْتَلبوا

إنّى وإنْ قال أقوامٌ مـديحَهُمُ ... فأَحْسـنوه وما حابُوا وما كَذَبوا

أجرى أمامَهُم جَرْىَ امرىء(٨) فَلَجٍ ... عِنــانُه حين يَجْرِى ليس يَضْـطرب

شعره فى الحنين إلى وطنه وحديث الوليد معه

وحكى ابنُ ميّادة قال : قلت وأنا عنـد الوليد بن يزيد بأبَاين ، وهو موضع كان ينزله فى الرّبيع :

---

(١) الجمم : كثرة اللحم . والشنب : ماء ورقة يجرى على الثغر .

(٢) أبو العباس : كنية الوليد بن يزيد . والمعط : جمع معطاء ، وهى الأرض الجرداء . ونيان : موضع قرب تيماء . وفى بعض أصول الأغانى : « لبنان » .

(٣) أعتفى : أطلب . والسنق : الذى قد شبع حتّى بشم .

(٤) الندمان : المنادم على الشراب ، وكذلك هو كل رفيق ومصاحب . واللبب : البال . واسترخاء البال : دليل الرخاء والسعة . ومنه : فلان فى لبب رخى . وأصل اللبب : مايشد على صدر الدابة أو الناقة .

(٥) الغارب : الكاهل . والقتب : إكاف البعير .

(٦) شوس : ينظرون بمؤخر العين تكبراً وتغيظاً . الواحد : أشوس .

(٧) غب : فسد وردؤ . وما اجتلبوا ، أى ماساقوه .

(٨) فلج ، بالفتح وحرك الشعر : ظافر فائز .

لعَمْرك إنّى نازلٌ بأَبايِنٍ لصَوْءَرَ[١] مُشْتاقٌ و إنْ كنتُ مُكْرِماَ
أَبِيتُ كأنّى أرمَدُ العين ساهرٌ إذا بات أصحابى من اللّيل نُوّمَا

فقال لى الوليد : يأُبنَ ميّادة ، كأنك غَرِضْتَ[٢] من قُرْبنا ! فقلت : ما مثلك يا أمير المؤمنين يُغْرَض من قُربه ، ولكن :

ألا ليتَ شِعْرى هل أبيتنّ ليلةً بحرّةِ ليلَى حيثُ ربّبنى[٣] أهلِى
وهل أَسمعنّ الدهرَ أصواتَ هَجْمةٍ تَطَالَعُ من هَجْلٍ خَصِيبٍ[٤] إلى هَجْل
بلادٌ بها نِيطَتْ علىّ تمائمى وقُطِّعن عنّى حين أدركنى عَقْلى
فإن كنتَ عن تلك المَواطن حابِسى فأَيْسِرْ علىّ الرِّزْق وأجمع إذاً شَمْلى

فقال : كم الهَجْمة ؟ قلتُ : مائة ناقةٍ . قال : قد صَدَرْتَ بها كُلِّها عُشَراء[٥] . قال : أبنُ ميّادة : فذكرتُ وِلْداناً لى بنَجد إذا أستطعموا اللهَ عزّ وجلّ أطعمهم اللهُ وأنا ، و إذا استَسْقَوا اللهَ سقاهم اللهُ وأنا ، و إذا آستَكْسَوْا اللهَ كَساهُم اللهُ وأنا . فقال: يابنَ ميّادة ، وكم وِلْدانُك ؟ فقلتُ : سَبعةَ عَشَر ، منهم عشرةُ نَفَرٍ وسبعُ نِسْوة . فذكرتُ ذلك منهم ، فأَخذ بقلبى . فقال : يأبن ميّادة ، قد أَطعمهم اللهُ وأميرُ المؤمنين ، وسقاهم اللهُ وأميرُ المؤمنين ، وكساهم اللهُ وأميرُ المؤمنين . أمّا النّساء فأربعُ حُللٍ مُختلفاتُ الألوان ، وأمّا الرجالُ فثلاثُ حُلل مختلفاتُ الألوان . وأمّا السَّقْى فلا أرى مائة لِقْحةٍ إلّا ستُرويهم ، فإن لم تُرْوِهم زِدْتُهم عينَيْنِ من الحِجاز . قلتُ : يا أميرَ المُؤمنين ، لسنا بأصحاب عُيون يأكلُنا بها

(١) صوءر : ماء لكلب على مسافة يوم من الكوفة .
(٢) غرضت : ضجرت .
(٣) ربّبه : رباه .
(٤) الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل . والهجل : المطمئن من الأرض .
(٥) العشراء : الناقة أتى على حملها عشرة أشهر .

البَعُوض ، وتأخذنا بها الُحمَّيَات . قال : فقد أخلفها الله عليك ، لك كُلَّ عام فيه مثلُ ما أعطيتُك العامَ : مائة لِقْحةٍ وفَحْلُها وجارية وفرس عَتيق .

أراد بنو كلب إبدال ما أجازه الوليد فقال شعراً

وقيل : إنّ الوليدَ بن يزيد لمّا أمر لأبن ميّادة بالمائة من الإبل جَعلها على صَدَقات بنى كَلْب . فلمّا أتى الحَوْلُ أرادوا أنْ يبتاعوا له من الطّرائد ، وهى الغرائب ، وأنْ يُمسكوا التِّلاد[1] ، فقال ابنُ ميّادة :

ألم يَبْلُغْك أنّ الحىَّ كَلْباً أرادوا فى عَطيّتك ارتدادَا

وقالوا إنّها صُهْبٌ ووُرْقٌ وقد أَعْطيتَها دُهْماً[2] جِعادا

فعلموا أن الشعر سيبلغه فيُغضبه ، فقالوا : انطلق فخُذْها صُفراً جِماداً .

رثاؤه للوليد ابن يزيد

ولمّا قُتل الوليدُ بن يزيد قال ابنُ ميّادة يَرثيه :

ألَا يا لهفتَىَّ على وليدٍ غداةَ أصابه القَدر[3] المُتاحُ

ألَا تَبكِّى الوليدَ فتَى قُريش وأسمَحها إذا عُدَّ السِّماح

وأجبرَها لذى عُظمٍ مَهيضٍ إذا ضنَّتْ بدِرّتها اللِّقاح

لقد فَعلتْ بنو مَرْوان فِعْلاً وأمراً ما يَسوغ به[4] القَرَاح

للمؤلف فى مقتل الوليد

قلت : الذى قتل الوليدَ بن يزيد ابنُ عمّه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، واطأه على ذلك جَمعٌ كبير لأجل فِسْقه وتهتّكه . وسيأتى ذكر مَقْتله فى هذا الكتاب.

وكانت مدة خلافته سنةً واحدةً وأشهراً . وولى الخلافة قاتلُه نحو ستة أشهر . واضطرب حَبل بنى أمية بقَتلهم الوليد ، ولم ينتظم لهم أمر بعده ، حتى أفضى الأمرُ إلى بنى العبّاس .

---

(١) التلاد : ما نتج عندهم .

(٢) الصهب : التى فى ظاهر شعرها حمرة وفى أصوله سواد . والورق : التى لونها سواد فى بياض . والدهم : السود . والجعاد : الملتوية الوبر .

(٣) المتاح : المقدر. (٤) القراح : الماء الخالص لم يخالطه شىء .

هو وزينب بنت مالك

وحكى أبنُ ميّادة قال :

خرجتُ قافلاً من سَلْع(١) إلى نَجد حتى إذا كنتُ ببعض هِضاب الحرّة رُفِع لى بيتٌ كالطِّراف(٢) العظيم ، وإذا بفنـائه غَنم لم تَسرَح ، فقلت : بيت من بُيوت بنى مُرّة وبى من العَيْمة(٣) إلى اللبن ما ليس بأحد . فقلتُ : آتيهم وأُسلّم عليهم وأشْرب من لَبنهم . فلما كنتُ غيرَ بعيد سلّمتُ . فردّتْ علىّ أمرأةٌ بَرْزة(٤) بفِناء البيت، وحيّت ورحّبتْ وأستنزلتْنى، فنزلتُ . فدعتْ بلبن ولِبأٍ(٥)، ورِسْلٍ من رِسْل تلك الغَنم . ثم قالت : هَيَا فُلانة ، ٱلْبَسى شَفًّا(٦) وأخرُجى . فخرجتْ علىّ جاريةٌ ما رأيتُ فى الخلْق مثلَها قبلُ ولا بعدُ ، فإذا شَفُّها ذلك ليس يُوارى منها شيئاً، وقد نبَا عن رَكَبها(٧) ما وقع عليه من الثّوب، فكأنّه قَعْبٌ(٨) مُكْفَأ ، ثم قالتْ : يأبنَ ميّادة الخبيثة ، أأنت القائلُ :

وتُبدى الُحميسيّاتُ فى كُل زِينة فُروجاً كآثار الصِّغار من البَهم

فقلتُ : لا والله — جَعلنى الله فِداك يا سيدتى — ما قلتُ هـذا قطُّ ، وإنما قلت :

وتُبْدى الُحمَيْسيّاتُ فى كُلِّ زِينة فُروجاً كأمثال المُقَيسرةِ(٩) الدُّهْم

وكان يقال للجارية الُحمَيْسيَّة : زَينب بنت مالك . وفيهـا يقول أبن ميّادة قصيدتَه التى أولها : * ألَمَّا فزُورا اليومَ خَير مَزارِ *

(١) سلع : جبل قرب المدينة .
(٢) الطراف : البيت من أدم ليس له سترة فى مؤخره .
(٣) العيمة : شهوة اللبن .
(٤) البرزة : التى تبرز للناس ويجلس إليها القوم ، مع عفة وعقل .
(٥) اللبأ : أول اللبن عند النتاج . والرسل : اللبن .
(٦) الشف : الرقيق من الثياب .
(٧) الركب : الفرج . (٨) القعب : القدح الضخم . والمكفأ : المقلوب .
(٩) المقيسرة : الإبل المسان .

يقول فيها :

نظرنا فهاجتْنا على الشَّوق والهَوى ... لزينبَ نارٌ أُوقِدت بجُبَارِ
كأَنّ سَناها لاح لى مِن خَصاصة ... على غير قَصْدٍ والمطِىُّ سَوارِى
حُمَيْسِيّةٌ بالرَّملتَيْن مَحَلُّها ... تَمُدُّ بحِلْف بيننا وجِوَار
تُجاوِر مِن سَهْم بن مُرَّة نِسْوةً ... بمُجتَمع النقبين غيرَ عَوارى
نواعمَ أبكاراً كأَنّ عُيونَها ... عيونُ ظِباء أو عيونُ صُوار (١)

شعره فى جارية أعطاه إياها الوليد

وقيل : أعطى الوليدُ بن يزيد ابنَ ميَّادة جاريةً طَبَرِيّةً (٢) أعجميّة لا تُفْصح، حَسناء جميلةً كاملةً لولا العُجْمة ، فعَشِقها وقال فيها :

جزاكَ الله خيراً من أمير ... فقد أعطيتَ مِبراداً سَخُونَا
بأهلى ما ألذّكِ عند نفسى ... لو انّكِ بالكلام تُعَرِّبينا
كأنكِ ظَبيةٌ مَضَغتْ أراكا ... بوادي الجزْع حين تُبَغِّمينا (٣)

جوابه للوليد حين سأله عمن ترك عند نسائه

وذُكر أنّ الوليد بن يزيد قال لابن ميّادة فى بعض قَدَماته عليه : مَن تركتَ عند نسائك ؟ فقال : رَقيبين لا يُخالفانى طرفَةَ عَيْن : الجوع والعُرْى .

عدوله عن الخروج

وذُكر أن ابن ميّادة مَدح أبا جعفر المنصور بقصيدته التى يقول فيها :

* طلعتْ علينا العيسُ بالرَّمّاح *

ثم خَرج من عند أهله يُريده ، فمر على إبله ، فحُلبت له ناقةٌ من إبله ، وراح عليه راعيه بلَبَنها فشربه، ثم مَسح على بَطْنه ثم قال : سُبحان الله ! إنّ هذا لشَرَهٌ ! يَكفينى لبن بَكْرة وأنا شيخ كبير ، ثم أخرجُ وأغتربُ فى طلب المال ! ثم رَجع ولم يخرُج . وهذه القصيدة من أجود شعر ابن ميّادة ، وأولها :

---

(١) الصوار : القطيع من البقر .
(٢) طبرية : نسبة إلى طبرستان .
(٣) التبغيم : ترخيم الصوت .

وكواعبٍ قد قُلن يومَ تواعُدٍ قولَ المُجِدّ وهنّ كالمُزّاحِ
ياليتنا فى غير أمرٍ ثائرٍ طَلعتْ علينا العيسُ بالرمّاح
بينا كذاكَ رأيننى متعصِّباً بالخزِّ فوق جُلالةٍ[1] سِرْداح
فيهنّ صَفْراء المعاصِم طَفْلَةٌ بيضاء مِثلُ غَريضةِ[2] التفّاح
فنظرْن من خَلَل الحِجال بأعينٍ مَرْضَى يُخالطُها السّقامُ صِحَاح
وأرتَشْن[3] حين أردْن أن يَرْمِيننى نَبْلاً بلا رِيشٍ ولا بِقِداح

يقول فيها فى مَدْح المَنْصور وسائر بنى علىّ بن عبد الله بن العبّاس :

فلئن بقيتُ لألحقنّ بأبحُرٍ يَنْمِينَ لا قُطْعٍ[4] ولا أنزاح
ولآتينّ بنى علىٍّ إنهم مَنْ يأتِهم يَتَلقَّ بالإفْلاح
قومٌ إذا جُلبَ الثّناء إليهمُ بيع الثناء هناك بالأرباح
ولَأَجْلسنّ إلى الخليفة إنه رَحْبُ الفِناء بواسعٍ بَحْباح

وهى طويلة .

شعر له فى مطر أصاب الحاج وصواعق

وحكى بعضُهم قال :

اعتمرتُ فى رجب سنةَ خمس ومائة ، فصادفنى أبنُ ميّادة بمكة وقَدمها مُعْتمراً، فأصابنا مطرٌ شديد تهدّمت منه البيُوت وتوالتْ فيه الصَّواعق ، فجلس إلىّ ابنُ ميّادة الغَدَ من ذلك المطر ، فجعل يأتينى قومٌ من قومى وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغَيث ، فيقولون : صَعِق فلان ، وأنهدم منزلُ فلان . فقال أبنُ ميّادة : هذا العَيثُ[5] لا الغيثُ . فقلت : فما الغيث عندك ؟ فقال :

(١) الجلالة : الناقة العظيمة . والسرداح : الطويلة . وقيل : الكثيرة اللحم .
(٢) الطفلة : الجارية الرقيقة الناعمة . والغريضة : الطرية .
(٣) ارتشن : اتخذن لها ريشاً .
(٤) قطع : قد انقطع ماؤها . الواحد : أقطع . وأنزاح : قد نزح أكثر مائها . الواحد : نزح ، بالتحريك . (٥) العيث : الفساد .

سحائبُ لا من صَيِّبٍ ذى صَواعقٍ ولا مُحـرِقات ماؤهن حَميمُ
إذا ماهبطْنَ الأرضَ قد داء[1] عودُها بكَيْن بهـا حتى يَعيش هَشيم

وفوده على عبدالواحد ومدحه إياه

ووَفد ابنُ ميّادة على عبد الواحد بن سُليمان بن عبدالملك بن مَروان أميرالمدينة ، فمدحه بقوله :

مَن كان أخطأه الرّبيعُ فإنما نُصِرَ الحجازُ بغَيْثِ عبد الواحدِ
إنّ المدينـة أصبحتْ مَعمورةً بمُتوّجٍ حُلْو الشّمائل ماجـد
ولقـد بَلَغْتَ بغير أمرِ تكَلُّفٍ أعلَى الحُظوظ برغم أنفِ الحاسد
وملكتَ ما بين العِراق ويَثْرِبٍ مُلْكاً أجارَ لمُسلمٍ ومُعـاهِد
مالَيْهما ودَمَيْهما من بعـد ما غَشَّى الضعيفَ شُعاعُ سيفِ المارِد

مدحه جعفر بن سليمان معرضاً بالعفـو عن بنى أميـة

ومَدح ابنُ مَيادة جعفر بن سُليمان بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس ، وعرّض بإشارته عليه بالعَفْو عن بنى أُمية والتذكير بأرحامهم بقوله :

لَعَمْرُك ما سُيوفُ بنى علىٍّ بنابيـةِ الظُّباةِ[2] ولا كِلَالِ
همُ القـومُ الأُلَى وَرِثوا أباهم تُراثَ محمّدٍ غـيرَ انتحال
وهم تَركُوا المَقالَ لهم رفيعاً وما تركوا عليهم من مَقال
حَذَوتم قومَكم ما قد حذَوْكم كما يُحْذَى المِثال على المثال
فرُدُّوا فى جِراحـكُمُ[3] أساكم فقـد أبلغتُمُ مُرَّ النَّكال

وذُكر أنّ جعفر بن سُليمان قال لابن ميّادة : أنت الذى تقول :

بَنى أسَدٍ إنْ تَغضبُوا ثمّ تَغْضَبوا وتَغْضبْ قُريشٌ تَحْمِ قَيْساً غِضابُها

فقال : لا والله ما هكذا قلتُ . قال : فكيف قُلتَ ؟ قال : قلتُ :

بنى أسد إن تغضبوا ثم تغضبوا وتعدل قُريش تَحْمِ قيساً غِضَابها

(١) داء عودها : أصابه الداء .
(٢) الظباة : جمع ظبة ، وهى حد السيف والسنان والنصل . (٣) الأسى : المداواة .

قال : صدقتَ ، هكذا قلتَ . وهذا البيتُ من قصيدة يهجو بها أبنُ ميّادة بنى أسد و بنى تميم و يَفْتخر بقَيْس ، منها :

وأحقرُ محقُورٍ تميمٌ أخوكمُ ... و إن غَضبتْ يَرْبُوعها[1] ورِبَابُها
ألَا ما أُبالى أنْ تُخَنْدِف[2] خِنْدِفٌ ... ولستُ أبالى أن يطِنَّ ذُبابها
ولوأنّ قيساً قيْسَ عَيْلانَ أقْسَمتْ ... على الشَّمس لم يطلُعْ عليك حِجَابها
ولو حاربتْنا الجنُّ لم نَرفع القنَا ... عن الجنّ حتى لا تَهِرّ كِلَابها
لنا المُلْك إلّا أن شيئاً تَعدُّه ... قُريشٌ ولو شئنا لذلَّت رِقَابها
و إن غَضبتْ من ذا قُريشٌ فقُل لها ... مَعَاذَ الإله أن أكونَ أهابها
و إنّى لقَوّالُ الجواب و إنّنى ... لمُفْتجر[3] أشياء يُعْيِي جوابها
إذا غضبتْ قيس عليك تقاصَرتْ ... يداكَ وفات الرِّجلَ منك رِكابها

هو وعبد الصمد ابن على

وقيل : إن عبد الصمد بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس أحضر أبن ميادة ، فلما دَخل إليه سلّم عليه بالإمرة ، فقال له : لا سَلّم الله عليك ياماصّ كذا وكذا من أمه . فقال ابنُ ميّادة : ما أكثرَ الماصِّين ! فضحك عبدُ الصمد ودعا بدَفْتر فيه قصيدةُ أبن مَيّادة هذه ، ثم قال لأبن ميّادة : أُعتق ما أملك ، إن غادرت منها شيئاً ، إن لم أبلُغ غيظَك . فقال ابن ميّادة : أُعتق ما أملك إن أنكرتُ منها بيتاً قلته أو أقررتُ ببيت لم أقُلْه . فقرأها عبدُ الصمد ثم قال له : أنتَ قلت هذا ؟ — يعنى قوله :

لنا المُلْك إلّا أن شيئاً تَعدُّه ... قريشٌ ولو شئنا لذلَّتْ رقابُها —

فقال : نعم . قال : أفكنت أمنتَ يا بن ميّادة أن ينقضّ عليك بازٍ من قريش فيضربَ رأسكَ ! فقال : ما أكثر البازِين ! أفكان ذلك البازى آمِناً أن يلقاه

(١) يربوع والرباب : قبيلتان . (٢) تخندف : تهرول ، ومنه كان اسم القبيلة « خندف » .
(٣) الافتجار فى الكلام : اختراقه من غير أن تسمعه من أحد فتتعلمه .

بازٍ من قيس وهو يسير فيرميه فتَشُولَ رجْلَاه[1] ؟ فضحك عبدُ الصمد وأمر له بكُسوة .

وفاته

وتُوفى ابن ميّادة فى صدر خلافة المَنصور ، وقد كان مَدَحه ثم لم يفدْ إليه ولا أنشده ، لِمَا بَلَغهُ من قلّة رغبته فى مدائح الشعراء .

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغِناء لابن ميّادة وافتتح به أبو الفَرج أخبارَه هو :

يا خليــلَىَّ هجِّــرا كى ترُوحا　　هجِّرَا للرّواح قلبــاً قَريحا

إنْ تُريغا[2] لتعلَما سِرَّ سُعْدى　　تجدانى بسِرِّ سُعْدىَ شَحيحا

إنّ سُــعْدى لَمُنْيــةُ المُتَمَنِّى　　جَمَعتْ عِفّــةً ووَجْهاً صَبيحا

كلّمتْنى وذاك ما نِلْتُ منها　　إنّ سُعْدى ترَى الكلامَ رَبيحا[3]

(١) تشول رجلاه : ترتفع . كناية عن الموت .

(٢) تريغا : تبغيا وتريدا .

(٣) ربيح : ذو ربح .

أخبار حُنَين

نسبه وشيء عنه

وهو حُنين بن بَلوَع الحِيرىّ . وقد اُختلف فى نسبه ، فقيل: إنه من العِبَاديّين. وقيل : إنه من بنى الحارث بن كَعْب ، وقيل : إنه من قوم بقُوا من جَدِيس وطَسْم ، فنزلوا فى بنى الحارث بن كعب فعُدّوا فيهم . ويُكْنى أبا كعب . وكان شاعراً مغنيًّا فحلاً من فُحول المغنِّين . وله صَنْعة فاضلة متقدِّمة . وكان يسكُن الحِيرةَ ويُكْرِى الجِمالَ ، وكان نصرانيًّا ، ومنزلُه بها . وهو القائل :

أنا حُنَينٌ ومنزلى النَّجَفُ ... وما نَديمى إلّا الفتَى القَصِفُ[1]

أَقْرع بالكأسِ ثَغْرَ باطيةٍ[2] ... مُتْرَعةٍ تارةً وأَغْترف

من قهوةٍ باكَر التِّجارُ بها ... بيتَ يَهُودٍ قَرارُها الخَزَف

والعيشُ غَضٌّ ومنزلى خَصِبٌ ... لم تَغْذُنى شِقْوَةٌ ولا عُنُف

مع هشام فى الحج

وذُكر أنه حَجّ هشامُ بن عبد الملك بن مَروان ، وعديلُه[3] الأَبرش الكَلْبى ، فوقف له حُنَين بظَهر الكوفة ومعه عُود وزامرٌ له ، وعليه قُلَنْسِيَة[4] طَويلة . فلما مرّ به هشامُ عَرض له ، فقال : مَن هذا ؟ فقيل : حُنين . فأَمر به هشامٌ فحُمِل فى مَحْمِل على جَمل وعديلهُ زامره ، وسِير به أمامه وهو يتغنَّى :

أَمِنْ سَلْمى بظَهْرِ الكُو ... فةِ الآياتُ والطَّلَلُ

يلوحُ كما تلوحُ على ... جُفون الصَّيقل[5] الخِلَل

---

(١) القصف : حليف اللهو والعب . (٢) الباطية : إناء الخمر.

(٣) العديل : الذى يعادلك فى المحمل .

(٤) القلنسية : القلنسوة ، إن ضممت كسرت السين وقلبت الواو ياء .

(٥) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها . والخلل : جمع خلة ، وهى بطانة يغشى بها جفن السيف تنقش بالذهب وغيره .

فأمر له هشام بمائتى دينار ، وللزّامر بمائة .

وقيل بل غنّى :

صاح هل أبصرتَ بالخبْـ تَيْن من أسماء نارَا
مَوْهِناً شُبَّت لعينَيْـــكَ ولم تُوقَدْ نَهــارا
كتَــلالِى البَرْق فى المُزْ نِ إذا البرقُ أستَطارا
أذكرتْنى الوصلَ من سُعْـــدَى وأيَّاماً قِصَــارا

جوابه وقد سئل عن غلوه فى ثمن غنـائه

وقيل لحُنين : أنت تُغنّى منذُ خمسين سنةً ، ما تركتَ لـكريم مالاً ولا داراً ولا عَقاراً إلّا أتيتَ عليه ! قال : بأبى أنتم ! إنّما هى أنفاسى أقْسِمها بين الناس ، أفتَلُومُونَنى أن أُغْلِىَ بها الثَّمن !

فى حضرة بشر مع الشعبى

وحكى الشَّعبىُّ رحمه الله قال : لمّا وَلى بِشْر بن مَرْوان الـكوفة كنتُ على مَظالمه ، فأتيتُه عشيّةً وحاجُبه أعْيَن — صاحب حمّام أعْيَن — جالسٌ ، فقلتُ له : أستأذنْ لى على الأمير . فقال : يا أبا عَمْرو ، هو على حال ما أظُنك تَصل إليه معها . فقلت : أعْلِمْه ، وخَلاك ذَمٌّ ، فقد حدث أمرٌ لا بدَّ من إنهائه إليه — وكان لا يجلس بالعَشىّ — فقال :لا ، ولـكن اكتُب حاجتَك فى رُقعة . فما لَبِث أن خرج التَّوقيع على ظهرها : ليس الشَّعبىّ ممن يُحْتشم منه ، فأْذَن له . فاذن لى . فدخلتُ فإذا بِشْر بن مروان عليه غِلالةٌ[1] رقيقة صَفْراء ، ومُلاءةٌ تقوم قياماً من شدّة الصِّقال ، وعلى رأسه إكليل من رَيْحان ، وعلى يمينه عِكْرمة أبن رِبْعىّ ، وعلى يساره خالد بن عتّاب[2] بن وَرْقاء ، وإذا بين يديه حُنَين ابن بَلْوَع ومعه عودُه ، فسلّمت . فردّ علىَّ السلامَ ورحّب وقرّب ، ثم قال : يا أبا عمرو ، لوكان غيرُك لم آذنْ له على هذه الحال . فقلت : أصلح الله الأمير ،

(١) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .

(٢) فى الأصل : « خالد بن زياد بن ورقاء » . والتصويب من الطبرى .

لك عندى السترُ فى كل ما أرى منك والدخولُ معك فيما لا يجملُ والشكرُ على ما تُولينى . فقال : كذاك الظنُّ بك . ثم التفتُّ إلى حُنين وعودُه فى حجره وعليه قباء خُشْكَشوِى[1] ومُسْتُقَة[2] حمراء، وخُفّان مُكَعَّبان . فسلّم علىّ . فقلت : كيف أنت أبا كعب ؟ فقال : بخير . فقلت : أحْزِق الزِّير[3] وأرْخِ البَمّ[4] . ففعل وضرب. فأجاد. فقال بشر لأصحابه : تلومُوننى على أن آذَن له على كل حال ! ثم أقبل علىّ فقال : يا أبا عمرو ، من أين وقع لك حَزْق الزِّير ؟ فقلت : ظننتُ أنّ الأمر هناك . فقال : إن الأمر كما ظننتَ هناكَ كُلّه ، فمن أين تعرف حُنَيناً ؟ فقلت : هذا بَطّة أعراسِنا ، فكيف لا أعرفه. فضحك وغنّى حُنَين فأجاد . فطرب وأمر له بجائزة . ثم ودّعتُه وقمتُ بعد أن ذكرتُ له ما جئتُ فيه . فأمر لى بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب . فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منه .

نزوله بحنين متنكراً

وقيل : قَدم ابنُ سُريج الحيرةَ ومعه ثلثمائة دينار ، فأتى بها منزلَ حُنين ، وذلك فى ولاية بِشْر بن مَروان ، وقال : أنا رجلٌ من أهل الحجاز من أهل مكّةَ بلغنى طِيبُ الحيرة وجَوْدة خَمرها وحُسن غنائك فى هذا الشعر :

حنَتْنى حانياتُ الدّهر حتَّى كأنّى خاتل[5] يَدْنو لصَـيْدِ
قريبُ الخطْو يحْسَب من رآنى ـــ ولستُ مُقيّداً ـــ أنّى بقيْدِ

فخرجتُ بهذه الدنانير لأُنفقها معك وعندك ، ونتعاشر حتى تَنفَد وأنصرف إلى منزلى . فسأله حُنين عن اسمه ونَسبه . فغيّرهما وادعى ولاءَ بنى مخزوم . فأخذ حُنين المالَ منه وقال : هذا موفَّر عليك ، ولك عندنا كُل ما يَحتاج إليه مثلك

(١) خشكشوى : فارسية ، ومعناها : قميص خشن .
(٢) المستقة : الفرو الطويل الكم . فارسى .
(٣) احزق : اشدد . والزير : أرفع أوتار العود .
(٤) البم : أغلظ أوتار العود. (٥) فى الأصل : « حابل » مكان « خاتل » .

ما نَشِطْتَ للمُقام عندنا ، فإذا دعتْك نفسُك إلى بلدك جهّزناك إليه ، ورددنا عليك مالَك ، وأخلفنا ما أنفقته عليك إلى أن جئتَنا . وأسكنه داراً كان ينفرد فيها . فمكث عند حُنين شهرين لا يعلم حُنين ولا أحد من أهله أنه يُغنّى . فانصرف حُنين من دار بِشر بن مروان فى يوم صائف مع قيام الظَّهيرة ، فصار إلى باب الدار التى كان أَنزل ابنَ سُريج فيها ، فوجده مُغلقاً ، فارتاب بذلك ، ودقّ الباب فلم يفْتح له ولم يُكلِّمه أحد ، فصار إلى منازل الُحرَم ، فلم يجدْ فيها ابنته ولا جَواريها ، ورأى ما بين الدّار التى فيها الُحرم ودار ابن سُريج مَفْتوحاً ، فانتضى سيفَه ودخل الدار ليقتلُ ابنته . فلما دخل رأى ابنته وجواريَها وقوفاً على باب السّرْداب ، وهنّ يومئْن إليه بالسُّكوت وتَخْفيف الوطء ، فلم يلتفتْ إلى إشارتهنّ ، لماَ تداخله ، إلى أن سمع ترنُّم ابن سُريج فى الصوت المنسوب إليه ، وهو :

فتركْتُه جَزَر السِّباع[1] يَنُشْنَه ما بين قُلّة رأســه والمِعْصَمِ

فألقى السيفَ من يده وصاح به ، وقد عَرفه من غير أن يكون قد رآه ، ولكن بالنَّعت والحِذْق : أبا يحيى ! جُعلت فداك ! أتيْتَنا بلثمائة دينـار لتُنفقها عندنا فى جيرتنا ، فوحقِّ المسيح لاخرجتَ منها إلا ومعك ثلثمائة دينار ، وثلثمائة دينار ، وثلثمائة دينار ، سوى ما جئت به معك ! ثم دخل إليه فعانقَه ورحّب به ، ولقيه بخلاف ما كان يَلْقاه به ، وسأله عن هــذا الصوت . فأخبره أنه صاغَه فى ذلك الوقت . فصار معه إلى بشر بن مروان . فوصله بعشرة آلاف درهم أول مرة ، ثم وصله بعد ذلك بمثلها . فلما أراد الُخروج ردّ عليه حُنين ما لَه وجهّزه ووصله بمقدار نفقته التى أنفقها من مكة إلى الحيرة ، ورجع ابنُ سُريج إلى أهله وقد أخذ جميعُ من كان فى دار حُنين منه هذا الصوت .

قدومه على مغنى الحجاز وموته

وقيل: كان المغنُّون فى عصر حُنين أربعة : هو وحدَه بالعراق ، وثلاثة بالحِجاز ،

(١) يقال : تركه جزر السباع : وذلك إذا قطعه إرباً إرباً وصيره معرضاً لسباع الطير . وينشنه : يتناولنه .

هم : ابن سُرَيج ، والغَرِيض ، ومَعبد . وكان يَبْلغهم أن حُنيناً قد غنّى فى هذا الشعر :

هلّا بكَيْتَ على الشّباب الذّاهِب ... وكففْتَ عن ذَمِّ المَشِيب الآئِبِ

هذا ورُبَّ مُسوِّفين[1] سقيتُهم ... من خمر بابلَ لذةً للشارب

بَكَرُوا علىّ بسُحْرة فَصَبَحتُهم ... من ذاتِ كُوبٍ مثلَ قَعْب الحالب

بزُجاجةٍ ملءِ اليدَيْن كأنّها ... قِنْديلُ فِصْحٍ[2] فى كَنِيسةِ راهِب

فاجتمعوا فتذاكروا أمر حُنين ، وقالوا : ما فى الدنيا أهل صنعة شرٌّ منّا ! لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز لا نزوره ولا نَسْتزيره. فكتبوا إليه ووجّهوا إليه بنَفَقة وكتبوا يقولون : نحن ثلاثة وأنت وحدك ، فأنت أولَى بزيارتنا . فشَخص إليهم . فلما كان على مَرْحلة من المدينة بلَغهم خَبرُه ، فخرجوا يتلقَّوْنه . فلم يُرَ يومٌ كان أكثرَ حَشْداً ولا جَمْعاً من يومئذ . ودخلوا ، فلما صاروا فى بعض الطريق قال لهم مَعبد : صِيرُوا إلىّ . فقال له ابنُ سُرَيج : إن كان لك من الشَّرف والمروءة مثلُ ما لمَوْلاتى سُكينة بنت الُحسين عَطَفْنا إليك . فقال : مالى من ذلك شىء . وعَدلوا إلى منزل سُكينة ، فأذنتْ للناس إذناً عامًّا . فغَصَّت الدارُ بهم ، وصَعِدوا فوق السطح ، وأمرت لهم بالأطعمة . فأكلوا . ثم سألوا حُنيناً أن يُغنِّيهم صوتَه الذى أوله :

* هلّا بكيتَ على الشباب الذاهِب *

فغنّاهم إياه بعد أن قال لهم : أبدءوا أنتم . فقالوا : ما كنّا لنتقدمَ قبلك حتى نسمع هذا الصوت . فغنّاهم إياه . وكان من أحسن الناس صوتاً . فازدحم الناسُ على السَّطح وكثرُوا ليسمعوا . فَسقط الرِّواق على من تحته . فسلموا جميعاً وأُخرجوا أصحّاء ، ومات حُنين تحت الهدم . فقالت سُكينة : لقد كدّر علينا حُنين سُرورنا ! انتظرناه مدةً طويلة كأنّا كنّا نَسوقه إلى مَنيّته . وكان عُمره مائة سنة وسَبْع سنين .

(١) المسوف : الصبور. (٢) الفصح : من أعياد النصارى .

أخبار الغَريض

اسمه وكنيته وولاؤه

واسمه عَبد الملك . وكُنيته أبو زيد . وقيل : أبو مَروان . وهو مولى العَبلات . وكان مولَّداً من مولَّدى البَربر .

ومَوْلياته : الثريّا صاحبة عُمر بن أبى ربيعة ، وأخواتها الرُّضيّا ، وقُرَيبة ، وأُم عثمان ، بنات علىّ بن عبد الله بن الحارث بن أُمية الأصغر بن عبد شمس ابن عبد مناف .

لقبه

وإنما لُقِّب الغريض لأنه كان طرىّ الوَجه غضّ الشباب حَسَن المنظر . والغريض : الطَّرىّ من كل شىء . وقيل : سمى بالإغريض ، وهو الجُمّار . وثقُل ذلك على الأَلسنة فحُذفت الألف منه ، وقيل : الغريض .

حديث تعلمه الغناء

وكان يَضْرب بالعُود وينقُر بالدُّفّ ويُوقع بالقَضيب . وكان قبل أن يُغنِّىَ خيّاطاً . وأخذ الغناء عن ابن سُريج فى أول الأمر . فلما رأى ابن سُريج حذقَه وطَبْعه وظَرْفه وحلاوة مَنْطقه خَشِى أن يأخذ غناءه فيغلِبَه عليه عند الناس ، ويفوقَه بحُسن وجهه ، فحسده . فاُعتلّ عليه وشكاه إلى مَوْلياته ، وهُنّ كُنّ دفعنه إليه ليعلّمه الغناء . وجعل يَتجنّى عليه ثم اُطّرحه . وشكا ذلك إلى مَوْلياته وعرّفهن غرضَ ابن سُريج فى تنحيته إيّاه عن نفسه ، وأنه حَسده على تقدُّمه . فقُلْن له : هل لك أن نُسمعك نَوْحَنا على قَتلَانا فتأخذَه وتُغنى عليه ؟ قال : نعم ، فاُفعلْنَ ، فأَسمعنَه المراثى ، فاُحتذاها . وخَرّج غنـاءه عليها كالمراثى . وكان ينُوح مع ذلك فيدخل المآتم وتُضْرب دونه الحُجب ، ثم ينُوح فيَفتن كلّ من يَسمعه . ولما كثُر غناؤه اُشتهاه الناس وعدلُوا إليه ، لمـا كان فيه من الشَّجا[1] ، فكان لا يُغنِّى ابنُ سُرَيج صوتاً إلّا عارضه فيه

---

(١) الشجا : الحزن .

فغنّى فيه لحناً آخر . فلما رأى ابنُ سُرَيج موقع الغَريض اشتدّ عليه. فغنّى الأرمالَ والأهزاج ، فاشتهاها الناسُ ! فقال له الغريض : يا أبا يحيى . قصَّرت الغناء وحذفتَه . فقال : نعم يا مُخنَّث . حيث جعلتَ تنوح على أبيك وأمك .

خبر نفيه وغيره من المغنين عن مكة

وذُكر أن أميراً من أمراء مكة أمر بإخراج المُغنِّين بالحَرَم . فاجتمع مَعبدٌ وابنُ سريج والغريض وقالوا : هلمّ نبْكِ على أهل مكة . فلمّا كان فى الليلة التى عَزم بهم على النَّفى فى غَدِها، اجتمعوا على أبى قُبيس، وكان معبد قد زارهم ، فبدأ معبد فتغنّى :

أتِربَيّ مِن أعلَى مَعَدّ هُديتُما أجِدّا البُكا إن التفرُّقَ باكرُ
فما مُكْثُنا دام الجميلُ عليكما بثَهلان[1] إلا أنْ تُزَمّ الأباعر

فتأوه أهل مكة وأنّوا ، واندفع الغريض فغنّى :

أيها الرّائح المُجدّ ابتكارا قد قَضى مِن تِهامة الأَوْطارَا
مَن يكن قَلْبُه الغداةَ خَليًّا ففؤادِى بالخَيْف أمْسى مُعَارا
ليت ذا الحجّ[2] كان حتماً علينا كلّ شهرين حِجّةً واعتمارا

فارتفع البكاء والنَّحيب . واندفع ابنُ سُريج فتغنّى :

جَدِّدى الوصلَ يا قُريبُ وجُودى لمُحبٍّ فراقُه قد ألمّا
ليس بين الحياة والموت إلّا أن يردُّوا جِمالَهم فتُزَمّا

فارتفع الصُّراخ من الدُّور بالوَيْل والحَرب[3] . فاجتمع الناس إلى الأمير واستعْفَوه من نَفيهم ، فأعفاهم .

طرب ابن جعفر بغناء جارية له

وذُكر أنّ جاريةَ علىّ بن جَعفر غنَّته ذات يوم :

ليس بين الرَّحيل والبَيْن إلّا أنْ يردُّوا جمالهم فتُزَمّا

(١) ثهلان : جبل بنجد . وفى الأصل : « بنجران » .
(٢) فى الأصل : « ليت ذا الدهر » . (٣) الحرب : ما يصيب من مكروه .

فطرِب عليّ بن جعفر وصاح : سُبحان الله العَظيم ! ألَا يُوكُون[1] قِرْبةً ! ألَا يشدُّون مَحمِلا ! ألا يُعلِّقون سُفْرة[2] ! ألَا يُسلِّمون على جارٍ ! هذه والله العجلة !

تحاكم هو وابن سريج إلى سكينة فى الحج

وذُكر أنّ سُكينةَ بنت الُحسين عليه السلام حجّت، فدخل إليها ابنُ سُريج والغَريض ، وقد استعار ابنُ سريج حُلّةً لأمرأة من قُريش فَلبِسها . فقال لها ابنُ سريج : يا سيدتى ، إنّى صنعتُ صوتاً وحسّنته وتنوقْت فيه وخبأته لك فى حَرِيرة فى دُرْج مملوءٍ مِسْكاً، فنازعنيه هذا الفاسقُ — يعنى الغريض— فأردنا أن نتحاكم إليك فيه ، فأيّنا قدَّمتِه تقدَّم . قالت : هاتِه . فغنّاها :

عُوجِي علينا ربةَ الهَوْدج إنّك إلّا تفعلى تحْرَجِى

فقالت : هاته أنت يا غَريض . فغنّاها إياه . فقالت لابن سُريج : أعِدْه . فأعاده وقالت : يا غريض ، أعِدْه . فأعاده . فقالت : ما أُشبهكما إلا باللُّؤلؤ والياقوت فى أعناق الجوارى الحِسَان ، لا يُدْرَى أيهما أحسن .

صلة عائشة بنت طلحة له فى الحج لصوت غناه إياها

وذُكر أنه حجّت عائشةُ بنتُ طلحة بن عُبيد الله ، فجاءتْها الثريّا وأخواتها ونساء أهل مكة القرشيّات وغيرهنّ ، وكان الغريض ممّن جاء . فدخل النّسوة عليها. فأمرتْ لهن بكُسوة وأَلْطاف[3] كانت قد اتخذتْها لمن جاءها . فجعلت تخرج كل واحدة ومعها جاريتها ومعها ما أمرت لها به عائشةُ بنتُ طلحة ، والغريض بالباب. حتى خرج مَوْلياتُه مع جوارِيهنّ بالِخلع والأَلْطاف . فقال الغريضُ : فأين نَصيبى من عائشة ؟ فقلن له : أغفلناك وذهبتَ عن قُلوبنا . فقال : ما أنا ببارح عن بابها أو آخُذَ بحَظى منها ، فإنها كريمةٌ بنت كِرام . وأندفع يُغنِّى بشعر جميل :

(١) أوكى القربة : شدها بالوكاء ، وهو الرباط .

(٢) السفرة : طعام المسافر . هذا أصله . والمراد به : جلد مستدير يحمل فيه الطعام .

(٣) الألطاف : ما ألطفت به .

تذكّرتُ ليلَى والفـؤاد عَميد وشَطَّتْ نَواها والمزارُ بعيـدُ

فقالت : ويلـكم ! هذا مَوْلى العَبَلات بالباب يذكّر بنفسه ، هاتُوه . فدخل . فلمّـا رأتْه ضحكت وقالت : لم أعلم مكانَك . ثم دعتْ له بأشـياء أمرت له بها ، ثم قالت له : إن غنيتَنى صوتاً فى نفسى فلك كذا وكذا — لشىء سمّته — فغنّاها فى شعر كُثيِّر :

ومازلتُ من لَيْلى لَدُن طَرّ شاربى إلى اليوم أُخْفِى حُبَّها وأُداجنُ
وأحمل فى ليلى لقومٍ ضَغينةً وتُحمل فى لَيْلى علىّ الضغـائن

فقالت له : ما عَدوْت ما فى نفسى ، ووصلتْه وأجزلت إليه .

سبب طرب عائشة بهذا الصوت

وكان السبب الحامل لعائشة على ذلك ما حَـكَى الشعبىُّ قال : دخلت المسجد فإذا أنا بمُصْعب بن الزُّبير جالس والناسُ عنده ، فسلّمت ثم ذهبتُ لأنصرف . فقال لى : أُدْن . فدنوتُ حتى وضعتُ يدى على مَرافقـه[١] . ثم قال : إذا قمتُ فاُتْبعنى . فجلس قليلاً ثم نهض فتوجّه نحو دار موسى[٢] بن طلحة ، فتبعتُه . فلمّـا طَعَن فى الدار اُلتفتَ إلىّ فقال : ادخُلْ ، فدخلتُ معه . ومضى نحو حُجرته وتبعتُه . فالتفتَ إلىّ وقال : ادخل . فدخلتُ معه . فإذا حجَلة[٣] . وإنها لأول حَجَلة رأيتها لأمير، فقمتُ ودَخل الحَجَلة . فسمعتُ حركةً ، وكرهتُ الجلوسَ ولم يأمرنى بالاُنصراف . وإذا جارية قد خرجتْ وقالت : يا شعبىّ ، إنّ الأمير يأمرك أن تجلس . فجلستُ على وِسادة ، ورُفع سَجْف الحجلة ، وإذا أنا بمُصْعب ابن الزُّبير . ورُفع السِّجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة . فلم أر زوجاً قطُّ كان أجملَ منهما : مُصعب وعائشة . فقال مصعب . يا شَعبىّ ، هل تعرف هذه ؟ قلت :

(١) المرافق : المخدات ؛ الواحدة : مرفق ومرفقة . (٢) فى الأصل : « دار أبى موسى » .
(٣) الحجلة : مثل القبة .

نعم ، أصلح الله الأمير . قال : ومن هى ؟ قلتُ : سيدة نساء العالمين عائشة بنتُ طلحة . قال : لا ، ولـكن هذه لَيْلى التى يقول فيها الشاعر :

* وما زلتُ من ليلى لدُن طرّشار بى *

وذكر البيتين . ثم قال : إذا شئتَ فقم . فلما كان العشىّ رُحْتُ فإذا هو جالس على سَريره فى المسجد ، فسلَّمت . فلمّا رآنى قال : أُدْن . فدنوتُ حتى وضعتُ يدى على مَرافقه . فأصغى إلىّ[1] فقال : هل رأيت مثل ذلك لإنسانٍ قطّ ؟ قلت: لا والله . قال : أفلا تَدرى لِمَ أَدْخلناك ؟ قلت : لا . قال : لَتُحدّثَ بما رأيت . ثم التفت إلى عبد الله بن أبى فَرْوة فقال : أَعْطِه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً. فما انصرف أحدٌ يومئذ بمثل ما انصرفتُ به : بعشرة آلاف درهم، وبمثل كارةِ[2] القَصَّار ثياباً ، و بنظرة من عائشة بنت طلحة .

شىء عن عائشة بنت طلحة

وكانت عائشة هذه عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق ، وكان أبا عُذْرتها[3] . ثم هلك فتزوّجها مُصعب بن الزُّبير . فقُتل عنها . ثم تزوّجها عُمر ابن عُبيدالله بن مَعمر التَّيمى، فبَنى بها بالحيرة ، فمُهّدت له يومَ عُرْسه فُرُش لم يُرَ مثلُها : سبع أذرع فى عرض أربع . فانصرف تلك الليلة عن سَبْع مَرّات . فلقيتْه مولاةٌ لها حين أصبح فقالت : يا أبا حفص ، كَمُلتَ فى كل شىء حتى فى هذا ! فهلك عنها . ولما مات ناحتْ عليه وهى قائمة ولم تنُح على أحد منهم قائمةً غيره وكانت العرب إذا ناحت المرأة على زَوْجها قائمة عُلم أنها لا تُريد أن تتزوّج بعده . فقيل لها : يا عائشة ، ما صنعتِ هذا بأحدٍ من أزواجك ! قالت : إنه كان فيه خِلال ثلاث لم تكن فى أحـدٍ منهم : كان سيّد بنى تَيْم ، وكان أقربَ القوم بى قرابة ، وأردتُ ألّا أتزوّجَ بعده .

---

(١) أصغى إلى : أمال رأسه إلى .

(٢) كارة القصار : ما يجمعه ويكوره من الثياب فى ثوب يحمله ، فيكون بعضها فوق بعض .

(٣) أبو عذرتها : أى أول من تزوجها .

غنــاؤه يزيد ابن عبــد الملك فى مكة

وقيل :

قدم يزيدُ بن عبـدِ الملك بن مَروان إلى مكة : فبعث إلى الغريض سرًّا فأتاه فغنّاه بشعر كُثيِّر :

وإنى لأَرْعَى قومها من جَلالها   وإنْ أظهروا غِشًّا نَصحتُ لهم جَهْدِى
ولو حاربُوا قَوْمى لَكُنتُ لقومها   صديقاً ولم أحمل على قومها حِقْدى

فأشير إلى الغريض : أن اُسكُت . وفَطِن يزيد فقال : دعُوا أبا يزيد حتى يُغنِّينى بما يُريد . فأعادَ عليه الصوتَ مِراراً . ثم قال : زدْنى ممّا عندك . فغنّاه بشعر عَمرو بن شأس الأسدىّ :

فوانَدَمى على الشباب ووا ندمْ   ندمتُ وبان اليومَ منّى بغير ذَمّْ
أرادتْ عِرَاراً[1] بالهوَان ومن يُرِدْ   عِرَاراً لعَمْرى بالهـوَان فقد ظَلَمْ

فطرب يزيدُ وأمر له بجائزة سنيّة .

حديث بيتى كثير

ثم أتبع أبو الفرج هـذه الحكاية بأن ذكر السبب الذى من أجله أُشير إلى الغريض أن يسكت حين غنّاه بشعر كُثيِّر ، قال : كان عبـد الملك بن مَروان من أشدِّ الناس حُبًّا لعاتكة بنت يزيد بن مُعاية بن أبى سُفيان ، وهى امرأته . وهى أُم ابنه يزيد بن عبد الملك . وأُمها أم كُلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُريز . فغضبت مرةً على عبد الملك ، وكان بينهما بابٌ ، فحجبته وأغلقتْ ذلك الباب . وشق غَضَبها على عبد الملك وشكاها إلى رجل من خاصّته، يقال له: عُمرُ بن بِلال الأسدى : فقال له : مالى عندك إنْ رَضيتْ ؟ قال : حُكمك . فأتى عمر بابهاَ وجعل يتباكَى . وأرسل إليها بالسلام . فخرجتْ إليه حاضنتُها ومواليها وجَواريها وقُلْن : مالك ؟ قال : فَزِعتُ إلى عاتكة ورجوتُها ، فقد علمتْ مكانِى مِن أمير المؤمنين مُعاوية

(١) عرار : هو ابن عمرو بن شأس .

ومن أبيها بعده . قُلْن : ومالك ؟ قال : أبنان لم يكُن لى غيرهما قَتل أحدُهما صاحبَه ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتلٌ الآخر به . فقلتُ : أنا الولىّ وقد عفوتُ . فقال : لا أُعوِّدُ الناسَ هذه العادةَ . فرجوتُ أن يُنْجِىَ اللهُ أبنى هذا على يدها . فدخَلْنَ إليها فذكَرْن ذلك لها . فقالت : وكيف أَصنع مع غَضبى عليه وما أظهرتُ له ؟ قُلْن : إذًا واللهِ يُقْتَل . فلم يزَلْن حتى دعتْ بثيابها فأَجْمَرتْها[1] ، ثم خَرجت نحوَ الباب . فأَقبل حُدَيج الخصىّ، فقال : يا أمير المُؤمنين، هذه عاتكةُ قد أَقْبلت . قال : ويلك ! ما تقول ؟ قال : قد واللهِ طلعتْ . فأَقبلت وسلّمت . فلم يَرُدّ عليها . فقالت : أمّا والله لولا عُمر ما جئتُ . إن أحد أبنيه تَعدَّى على الآخر فقَتَلَه ، فأردتَ قَتْلَ الآخر ، وهو الولىّ ، وقد عفا . قال : إنّى أكره أن أُعوِّد الناسَ هذه العادةَ . قالت : أَنشُدك الله يا أمير المُؤمنين ، فقد عَرفتَ مكانَه من أمير المُؤمنين مُعاوية ومن أمير المُؤمنين يَزيد ، وهو ببابى . فلم تَزلْ به حتى أَخذت برجْله فقبَّلتها . فقال : هولك . ولم يَبْرحا حتى اصطلحا . ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال : ياأمير المؤمنين ، كيف رأيت ؟ قال : رأينا أثرَك ، فهات حاجتك . قال : مَزْرعة بعُدّتها وما فيها ، وألف دينار ، وفرائض لولدى وأهل بيتى وعيالى . قال : ذلك لك . وأندفع عبدُ الملك يتمثّل بشعر كُثيِّر :

* وإنى لأرعى قومها من جَلالها *

البيتين . فعلمتْ عاتكةُ ما أراد . فلمّا غنّى الغريضُ يزيدَ بن عبد الملك بهذا الشّعر كرهتْ مواليه ؛ إذ كان عبدُ الملك تمثّل به فى أُمه ، ولم يكرهْه يزيدُ وقال : لو قيل هذا الشّعر فيها ثم غُنّى به ما كان عَيْباً ، فكيف وإنما هو مَثَل تَمثَّل به أميرُ المؤمنين فى أجمل العالَمِين .

(١) أجمرتها : بخرتها .

حديث بيتى ابن شأس

ثم حكى أبو الفرج السَّبب الذى لأجله غنَّى الغريضُ ثانياً بشعر عَمرو بن شأس الأسدىّ ، وحكاية عِرَار بن عمرو ، فقال : إن ابن الأشعث لما قُتل بعث الحجّاجُ ابن يوسف برأسه إلى عبد الملك بن مَروان مع عِرار بن عمرو بن شأس . فلما وَرد به وأَوْصل كتابَ الحجّاج ، جعل عبدُ الملك يقرؤه ، وكلّما شكّ فى شىء سأل عِراراً عنه . فأخبره . فعَجب عبدُ الملك من بيانه وفصاحته ، فقال متمثِّلا :

وإنّ عراراً إن يكن غير واضحٍ فإنى أُحب الجونَ ذا المنْكِبِ[1] العَمَمْ

فضحك عرار من قوله ضَحِكا غاظ عبدَ الملك . فقال : مما ضحكت ؟ ويحك ! فقال : أتعرف عِراراً يا أمير المُؤمنين الذى قيل فيه هذا الشعر ؟ قال : لا . قال : أنا واللهِ هو . فضحك عبدُ الملك وقال : حظٌّ وافَق كلْمة . ثم أَحسن جائزته وسَرَّحه .

وإنما أراد الغريضُ أن يُغَنِّى يزيدَ بمُتَمثِّلات أبيه عبد الملك فى الأمور العِظام ، فلما تبيّن كَراهةَ مواليه غِناءه فيما تَمثَّل به فى عاتكة أَراد أن يُعْقِبه بما تَمثَّل به فى فَتْح عظيم كان لعبد الملك ، فغنّاه بشعر عَمرو بن شأس فى عرار .

خروج معبد إليه وسماعه غناءه

وحكى مَعبد قال : خرجتُ إلى مكة فى طلب لقاء الغريض ، وقد بلغنى حُسن غنائه فى لحن :

ومالأَنسَ مِ الأشياء لاأَنسَ شادناً بمكة مَكحولًا أَسيلاً مدامعُهْ

وقد كان بلغنى أنه أول لحن صَنعه ، وأن الجنّ نَهتْه أن يُغنِّيه، لأنه فتن طائفةً منهم ، فانتقلوا عن مكّة من أجل حُسْنه . فلمّا قدمتُ مكةَ سألت عنه فدُلِلْتُ على منزله . فأتيته فقرعتُ الباب . فما كلّمنى أحد . فسألتُ بعضَ الجيران فقلت : هل فى الدار أحد ؟ فقالوا لى : نَعم ، فيها الغَريضُ . فقلت : إنّى قد أكثرتُ

(١) منكب عمم : طويل .

دقّ الباب فما أجابني أحد . قالوا : إنّ الغَريض هناك. فرجعتُ فدققتُ الباب فلم يُجبني أحد .فقلت: إنْ نَفَعني غِنائي يوماً نفعني اليوم.فاندفعتُ فغنّيتُ لحني في شعر جميل:

عَلقتُ الهوى منها وليداً فلم يزلْ إلى اليوم يَنْمي حبُّها و يزيدُ

فوالله ما سمعتُ حركةَ الباب ، فقلْتُ : بَطل سِحْري[1] وضاع سفري وجئتُ أطلُب ما هو عسيرٌ عليّ ، واُحتقرتُ نفسي وقلتُ : لم يتوهّمني[2] لضَعْف غنائي عنده . فما شَعرتُ إلّا بصائح يَصيح : يا مَعْبدُ المُغنّي ، افْهم وتَلقّ عنّي شِعْر جَميل الذي تُغنّي فيه يا شَقِيّ البَخْت ، وغنّى :

وما أَنْسَ مِ الأشياء لاأَنْسَ قولَها وقد قرّبت نِضْوِي[3] أَمِصْرَ تُريدُ

ولا قولَها لولا العيونُ التي تَرى أتيتُك فاعذِرْني فَدَتْك جُدود

خليليّ ما أُخفي من الوجد باطِن ودَمعي بما قلتُ الغداةَ شَهيد

يقولون جَاهِد يا جميلُ بغزوة وأيّ جِهادٍ غيرهنّ أُريد

لكلّ حديثٍ عندهنّ بشاشةٌ وكلُّ قتيلٍ بينهنّ شَهيد

قال : فلقد سمعتُ شيئاً لم أسمع أحسَن منه ، وقَصّر[4] إليّ نفسي ، وعلمتُ فضيلته عليّ بما أحسّ من نفسه ، وقلت: إنّه لحرِيٌّ بالاُستتار من الناس ، تنزيهاً لنفسه وتعظيماً لقدره ، و إن مِثْله لا يستحقّ الابتذال ، ولا أن تَتداوله الرجال . فأردتُ الانصراف إلى المدينة راجعاً ، فلما كنتُ غيرَ بعيد إذا بصائح يَصيح بي : يا معبد ، انظُر[5] أكلّمك. فرجعتُ . فقال لي: إنّ الغريض يَدْعوك . فأسرعتُ فرِحاً ، فدنوتُ من الباب. فقال لي : أتُحب الدُّخول ؟ فقلت : وهل إلى ذلك مِن سَبيل ؟ فقَرع الباب ففُتح . فقال لي : اُدخُل ولا تُطِل الجلوسَ . فدخلتُ ، فإذا شمس طالعةٌ في بيت، فسلّمتُ . فَردّ السلام . فقال : اُجلس . فجلستُ ، فإذا أنبل

---

(١) بطل سحري ، أي ضاعت حيلتي وخاب مكري. والذي في الأصل : « بطل شعري » .

(٢) لم يتوهمني : لم يتبيني ولم يعرفني . (٣) النضو: المهزول من الإبل .

(٤) قصر : صغر. (٥) انظر : انتظر.

الناس وجهاً وخَلْقا وخُلقا . فقال:يا معبد ، كيف طرأتَ[١] إلى مكة ؟ قلتُ : جُعلت فداك ! فكيف عرفتَنى ؟ قال : بصوتك . قلتُ : وكيف وأنت لم تَسمعه قط ؟ قال : لما غنّيتَه عرفتكَ به وقلت : إن كان مَعْبد فى الدُّنيا فهذا . فقلتُ : جُعلت فِداك ! فكيف أجبتنى بقولك :

* وما أنس م الأَشياء لا أَنْس قولَها *

فقال : علمتُ أنك تُريد أن أُسمعك صوتى :

* وما أَنْس مِ الأَشياء لا أَنْس شادناً *

ولم يكن إلى ذلك سبيل ، لأنه صوتٌ قد نُهيت أن أُغنِّيه ، فغنَّيْتُك هذا الصوت جواباً لما سألتَ . فقلتُ : والله ما عدوتَ ما أردتُ ، فهل لك حاجةٌ ؟ فقال لى : ياأبا عبّاد ، لولا مَلالةُ الحديث وثِقل إطالة الُجلوس لاستكثرتُ منك ، فأُعذِرْ .فخرجتُ من عنده ، وإنه لأَجلُّ الناس عندى ، ورجعتُ إلى المدينة فتحدّثتُ بحديثه وعجبتُ من فِطْنته وقيافته . فما رأيتُ إنساناً إلّا وهو أجلُّ منه فى نَفْسى. وذكرتُ جَميلاً و بُثَينة فقلتُ : ليتنى أصبتُ إنساناً يُحدّثنى بقصّة جَميل وخبر[٢] هذا الشعر،فأكونَ قد أخذت بفَضيلة الأَمر كُلِّه فى الغِناء والشِّعر .فسألتُ عن ذلك فإذا الحديثُ مَشهور . وقيل لى : إن أردتَ أن تُخَبَّر بمشاهدته فأْتِ بنى حَنْظلة ، فإن فيهم شيخاً منهم يقال له فلان ، يُخبرك الخبر بمُشاهدته . فأتيتُ الشيخَ فسألتُه . فقال : نعم ، بينا أنا فى إبلى فى الرَّبيع إذا أنا برجل مُنْطوٍ على رَحْله[٣] كأنه جانٌّ، فسلَّم علىّ ثم قال : ممن أنت ياعبدَالله ؟قلت : أحدُ بنى حَنْظلة . قال : فنَسبنى[٤] ، فانتسبتُ حتى بلغتُ فَخذِى الذى أنا منه .ثم سألنى عن بنى عُذْرة أين نَزلوا . فقلت : هل تَرى ذلك السَّفح فإنهم نَزلوا من ورائه . فقال :

(١) طرأت : أقبلت إلى مكة فجأة .والذى فى الأصل: «تطرقت» . (٢) فى الأصل : « بقصة جميل وقوله هذا الشعر ، وليتنى كنت عرفت خبر ... الخ » .

(٣) فى الأصل : « راحلته » . (٤) نسبنى : سألنى أن أنتسب .

يا أخا بنى حَنظلة ، هل لك فى خَير تَصْطنعه إلىّ ؟ فوالله لو أعطيْتنى ما أصبحتَ تَسوق من هذه الإبل ما كنتُ بأشكر منّي لك عليه . فقلت : نعم ، ومَن أنت أولاً ؟ قال : لا تَسألنى من أنا ولا أُخبرك ، غير أنى رجل بينى و بين هؤلاء القوم مايكون بين بنى العمّ ، فإن رأيتَ أن تأتيهم فإنك تجد القومَ فى مجلسهم فتَنْشُدهم بَكْرةً أدماء تجرّ خُفَّيْها غُفْلاً من السِّمة ، فإن ذكروا لك شيئاً فذاك ، و إلّا استأذنتَهم فى البُيوت وقلت : إنّ المرأة والصبىّ قد يَرَيان ما لا يَرى الرِّجال ، فتَنْشُدهم ولا تَدَعْ أحداً تُصيبه عينُك ولا بيتاً من بيوتهم إلا نَشَدتَها فيه . فأتيتُ القومَ فإذا هم على جَزور يَقْتسمونها ، فسلَّمتُ وانتسبتُ لهم ونَشَدتهم ضالّتى . فلم يذكُروا لى شيئاً ، فاستأذنتُهم فى البيوت وقلت : إنّ الصبىّ والمرأة يَريان مالا يَرى الرجال . فأَذِنوا . فأتيتُ أقصاها بيتاً ثم استقريتُها بيتاً بيتاً أَنشُدهم ، فلا يذكُرون شيئاً . حتى إذا انتصف النهار وآذانى حَرُّ الشَّمس وعَطِشْتُ وفَرغتُ من البيوت وذهبتُ لأنصرف ، حانتْ منّى التفاتةٌ ، فإذا بثلاثة أبيات ، فقلت : ما عند هؤلاء إلّا ما عند غيرهم ، ثم قلت فى نفسى : سوءة ! وَثِق بى رجلٌ وزَعم أنّ حاجَته تعدْل مالى ، ثم آتيه فأقول: عَجَزتُ عن ثلاثة أبيات ! فانصرفت عامداً إلى أعظمها بيتاً ، فإذا هو قد أُرْخى مُقدَّمه ومؤَخَّره ، فسلّمت فرُدّ علىّ السلام ، وذكرتُ لهم ضالّتى . فقالت جارية منهم : ياعبد الله ، قدأصبتَ ضالَّتك، وما أظنّك إلّا قد اشتدّ عليك الحرّ واشتهيتَ الشراب ؟ قلت : أجل . فقالت : ادخل . فدخلتُ . فأَتَتْنى بَصْحفة فيها تَمر من تمر هَجر ، وقَدح فيه لَبن . والصَّحفة مِصْريّة مُفَضَّضة ، والقَدح مفضَّض . ولم أر قطُّ إناء أَحسنَ منه . فقالت: دونَك . فتجمَّعتُ وشربتُ من اللبن حتى رويتُ . ثم قلت : يا أمة الله ، والله ما أتيتُ اليوم أكرمَ منك ولا أحقّ بالفضل ، فهل ذكرتِ من ضالّتى ذكراً ؟ فقالت :

هل تَرى هذه الشجرةَ فوق الشَّرف ؟[١] قلتُ : نعم . قالت : فإن الشمس غَرَبتْ أمسِ وهى تُطيف حولَها ، ثم حال الليل بينى و بينها . فقمتُ وجزيتُها الخير ، وقلت: والله لقد تَغدّيتُ ورَويتُ . فخرجتُ حتى أتيتُ الشجرةَ ، فأطفتُ بها ، فوالله ما رأيتُ من أثرٍ . فأتيتُ صاحبى فإذا هو مُتَشّح فى الإبل بكسائه ورافعٌ عَقيرته يُغَنّى . فقلت : السلام عليك . قال : وعليك السلام ، ماوراءك ؟ قلتُ : ماورائى من شىء . قال : لا عليك ، فأَخْبرنى بما فعلْتَ . فاقتصصتُ عليــه القصّة حتى انتهيتُ إلى ذكر المرأة وأخبرتُه بالذى صنعتْ . فقال : قد أصبتَ طَلِبتَك . فعجبتُ من قوله وأنا لم أجد شيئاً . ثم سألنى عن صفة الإناءين : الصَّحفة والقدح. فوصفتُهما له . فتنفّس الصُّعداء وقال : أصبت طَلِبتك ، و يحك ! ثم ذكرتُ له الشجرة وأنها رأتْها تُطيف بها . فقال : حَسْبك ! فمكثتُ حتى إذا أوت إبلى فى مَباركها دعوتُه إلى العشاء . فلم يَذق منه وجلس منّى بمزجَر الكلب.[٢] فلما ظَنّ أنى قد نِمتُ رمقتُه، فقام إلى عَيْبة له فاستخرج منها بُرْدَين فاتّزر[٣] بأحدهما وتردّى بالآخر ، ثم انطلَق عامداً نحو الشَّجرة . واستبطنتُ الوادىَ وجعلتُ أُخفى نفسى، حتى إذا خفْت أن يرانى أنبطحتُ . فلم أزل كذلك حتى سبقتُه إلى شَجرات قريبٍ من تلك الشجرة حيث أسمع كلامَهما ، فاستترتُ بهنّ ، فإذ صاحبتُه عنـد الشجرة . فأقبل حتى إذا كان منها غيرَ بعيد . فقالت : أجلس . فوالله لكأنّه لَصق بالأرض. فسلّم عليها وسألها عن حالها أكرم سُؤال سمعتُ به وأبعده من كل ريبة . وسألته مثل مسألته . ثم أمرت جاريةً معها فقرَّبت إليه طعاماً . فلمّا أكل وفرَغ منه ، قالت : أَنْشدنى ما قلت . فأنشدها :

عَلقتُ الهوى منها وليداً فلم يزل إلى اليــوم يَنْمِي حُبُّها و يَزيدُ

فلم يزالا يتحدّثان ، ما يقولان فُحْشاً ولا هُجْراً ، حتى اُلتفتت اُلتفاتةً ،

(١) الشرف : المكان العالى . (٢) بمزجر الكلب ، أى غير بعيد .
(٣) فاتزر ، مثل : فأتزر ، أدغمت الهمزة فى التاء .

فنظرتْ إلى الصُّبح ،فودّع كلٌّ واحد منهم صاحبَه أحسنَ وداع ما سمعتُ به قطُّ . ثم انصرفا . فقمتُ ومضيت إلى إبلي واُضطجعت. وكل واحد منهما يَمشي خُطوة ثم يلتفت إلى صاحبه. فجاء بعد ما أَصبحنا ،فَرفع بُرْديه ثم قال : يا أخا بني تميم ، حتّى متى تنام ؟ فقمتُ وتوضّأت وصلّيت وحلَبت إبلي وأعانني عليها ، وهو أظهر الناس سُروراً ، ثم دعوتُه إلى الغَداء فتغدّى ، ثم قام إلى عَيْبته ففتحها ، فإذا فيها سِلاح و بُردان مما كستْه المُلوك .فأَعطاني أحدَهما وقال : أما والله لو كان معي شيء ما اُدْخرته عنك . وحدَّثني حديثَه وانتسب لي ، فإذا هو جَميـل والمرأة بُثَينة . وقال لي : إني قد قلتُ أبياتاً من بعد مُنْصرفي من عندها ، فهل لك إن رأيتَها أن تُنشدها ؟ قلت : نعم . وأَنشدني :

فما أَنْس م الأشياء لا أَنْس قولَها وقد قرَّبتْ نِضْوى أَمِصْر تُرِيدُ

الأبيات : ثم ودّعني واُنصرف. فمكثتُ حتى أخذتِ الإبل مراعيَهـا . ثم عمدتُ إلى دُهْنٍ كان معي فدهنتُ به رأسي ، ثم ارتَديتُ بالبُرْد وأتيتُ المرأة ، فقلتُ : السلامُ عليكم ، إنّي جئتُ أمسِ طالباً واليومَ زائراً ، أفتأذنون ؟ قالت : نعم . فسمعتُ جُوَيرِيةً تقول لها : يا بُثَينة ، عليه والله بُرْد جَميل ! فجعلت أُثني على ضَيفي وأذكر فَضْله ، وقلت : إنه قد ذكَركِ بأَحسن الذِّكر ، فهل أنتِ بارزةٌ لي حتى أنظُر إليك ؟ قالت : نعم . فلبست ثيابها ثم برَزت ودَعت لي بطَرَف ، ثم قالت : يا أخا بني تَميم ، والله ما ثَوباك هذان بمُشْتَبِهين ، ودعتْ بعَيْبتها فأَخرجت لي مِلْحفةً مُشْبَعةً من العُصفُر ، ثم قالت : أقسمتُ عليك لتقومَنّ إلى كِسْر البيت ولتخلعَنّ مِدْرَعتك[1] ثم لتتزرنّ بهذه المِلْحفة، فهي أَشبه ببُرْدك . ففعلتُ ذلك وأخذتُ مِدْرعتي بيدي وجعلتُها إلى جانبي ، ثم أنشدتُها الأبيات .

---

(١) المدرعة : ثوب من الصوف .

فَدَمعت عيناها ، وتحدّثنا طويلاً من النهار ، ثم انصرفتُ إلى إبلى بِملْحفة بُثينة وبُرْد جَميل .

قال مَعبد : فجزيتُ الشيخ خيراً ، وانصرفتُ من عنده ، وأنا والله أحسنُ الناس حَالاً بنَظْرة من الغَريض واستماع لغنائه ، وعِلْمٍ بحديثِ جَميل وبُثينة ، فيما غَنَّيتُ أنا به وفيما غَنَّى به الغَريض ، على حقّ ذلك وصِدْقه . فما رأيتُ ولا سَمِعْتُ بزوجين قط أحسن من جميل وبُثينة ، ومن الغَريض ومِنّى .

ومن هذه القصيدة التى لجَميل :

وأفنَيتُ عُمْرى فى انتظارى نَوالَها ... وأفنتْ بذاكَ الدهرَ وهو جَدِيدُ
فلا أنا مَرْدودٌ بما جئتُ طالِباً ... ولا حُبُّها فيما يَبِيد يَبِيد
إذا قلتُ مابى يا بُثينة قاتلِى ... من الحب قالتْ ثابتٌ ويزيد
وإن قلتُ رُدِّى بعضَ عَقْلى أعِشْ به ... تولَّت وقالتْ ذاكَ مِنْكَ بَعيد

ومنها ، وهو أولها :

ألا ليتَ رَيْعانَ الشَّباب[1] جَديدُ ... ودهراً تَوَلَّى يا بُثين يَعُودُ
فنَغْنَى كما كُنّا نكونُ وأنتمُ ... قَريبٌ وما قد تَبْذُلين زَهِيد
ألا ليتَ شِعْرى هل أبيتنّ ليلةً ... بوادى القُرى[2] إنِّى إذاً لَسعِيد
وهل ألقينْ سُعْدى من الدهر ليلةً ... وما رثّ من حَبل الصَّفاء جَدِيد
فقد تَلْتقى الأهواء بعد تفاوتٍ ... وقد تُطْلَب الحاجاتُ وهى بَعيد

نصيب يصف نفسه وجميلا وكثيرا وابن أبى ربيعة

وحكى بعضُهم ، قال : قَدم نُصيب الكوفة فأرسلنى أبى إليه ، وكان له صديقاً ، فقال : أَقْرِئه منّى السلامَ وقُل له : إن رأيت أن تُهدى لنا شيئاً مما قلتَ ؟ فأتيتُه فى يوم جُمعة وهو يصلِّى ، فلما فرغ أقرأته السلامَ وقلت له . فقال : قد عَلِم

(١) ريعان الشباب : أوله . (٢) وادى القرى : بين المدينة والشام .

أبوك أنّى لا أُنشد فى يوم الُجمعة ، ولـكن تلْقانى فى غيره ، فأَبلُغ ما تحب . فلما خرجت وانتهيتُ إلى الباب رُدِدْت إليه . فقال : أتروى شيئاً من الشعر ؟ قلت : نعم . قال : أنشدنى . فأنشدته قولَ جميل :

إنى لأحفظ سركم ويسُرّنى لو تعلمين بصالح أن تُذكرى
وَيكون يومٌ لا أرى لك مُرسَلا أو نلتقى فيـه علىّ كأشهر
ياليتَنى أَلْقى المنيّـــة بغتةً إن كانـ يومُ لقائكم لم يُقْدَر

فقال نُصيب : أَمسكْ ! أمسك ! لله درُّه ! ما قال أحدٌ إلّا دون قوله . ولقد لَحَب[1] للناس مِثَالا يَحتذون عليه. ثم قال: أمّا أصدَقُنا فى شعره فجَميل، وأمّا أوصفُنا لربَّات الحِجال فكُثيِّر، وأمّا أكذبُنا فعمر بن أبى رَبيعة، وأمّا أنا فأقُول ماأَعرف.

وقد رَوى أبو الفرج هذه الأبياتَ الثلاثةَ لعُمر بن أبى ربيعة ، وزاد فيها :

ما كُنتِ والوعدَ الذى تَعدِينَنى إلّا كـبرْقِ سَـحابةٍ لم تَمْطُرُ
تُقْضَى الدّيونُ وليس يُنْجزُ عاجلاً هـذا الغَريم لنا وليس بمُعْسِر

صنع لحنا عند سماعه أصوات رهبان

وذُكر أنّ الغَريض سَمع أصواتَ رهبان بالليل فى دَيْرِلهم، فاُستحسنها. فقال له بعضُ مَنْ كان معه : يا أبا يزيد، ضَع على مثل هذا الصوت لحناً . فصاغ مثلَه فى لحنه:

يا أُمَّ بَكْرٍ حُبُّكِ البـــادِى لا تَصْرِميــــنى إنّـنى غادِى
جَدَّ الرحيـــلُ وحثّنى صَحْبى وأُريد إمتاعاً مِن الزّاد

ثم اُستطرد أبو الفَرج بذكْر واقعة ظَريفة وهى :

حَكى عمرو بن عُقبة ، ويُعرف بابن الماشطة ، قال :

ابن أبى الهيثم وناسك

خرجت أنا وأصحابٌ لى ، فيهم إبراهيمُ بن الهَيثم ، إلى العَقيق ، ومعنا رجلٌ ناسك كُنّا نَحتشم منه ، وكان محموماً نائماً ، وأَحببنا أن نَسمع مَنْ معنا من الُمغنِّين ،

---

(١) لحب : أوضح وبين .

ونحن نَهابه ونَحْتشمه ، فقلت له : إنّ فينا رجلاً يُنشد الشعرَ فيُحْسن . ونحن نُحب أن نَسمعه ، ولكنّا نَهابك . قال : فما علىّ منكم ، أنا محموم نائم ، فاصْنَعوا ما بدالكم . فاندفع إبراهيم بن الهَيْثم يُغنِّى :

* يا أُمَّ بَكْرٍ حُبُّكِ البَادِى * البيتين

فأجاده وأحسنه . قال : فوثب الناسكُ فجعل يرقُص ويَصيح : أُريد إمتاعاً من الزاد ! والله أُريد إمتاعاً من الزاد ! ثم كَشف عن أمره ، وقال : أنا أَنيك أُمَّ الُحمَّى . قال : فقلت : أعتقت ما أملك إن كان ناكَ أُمَّ الُحمَّى أحدٌ قبله .

هربه الى اليمن وموته

وذُكر أن سُليمان بن عبد الملك بن مروان ولّى نافعَ بن عَلْقمة[1] مكةَ ، فخافه الغَريضُ ، لأنّه كان كثيراً ما يطلبُه ولا يَجيئه ،فاستخفَى فى بعض منازل إخوانه . فذكر رجلٌ كان يَخْدُمه من أهل مكة أنه دَفع إليه يوماً رَبعةً[2] له ، وقال : صِرْ بها إلى فُلانٍ العطّار يملؤها لى طِيباً . قال : فصِرت بها إليه ، فلقينى نافعُ بن عَلْقمة فقال : هذه رَبْعة الغَريض والله ! فلم أَقْدِر أن أكتُمه ، فقلت : نعم . قال : ما قِصَّته ؟ فأخبرتُه الخبر . فَضحك وقال صِرْ معى إلى المنزل . ففعلتُ . فملأها طِيباً وأعطانى دنانير . وقال : أَعْطه وقُل له : يَظْهر ولا بأس عليه . فصرتُ إليه مَسروراً فأخبرتُه بذلك فَجزِع ، وقال : الآن يَنبغى لى أن أَهرُب ! هذه حيلةٌ أُحتالها علىّ لأقَع فى يده . ثم خَرج من وقته إلى اليمن .

يَحكَى بعضُ بنى مَخْزوم أنه لمّا صار إلى اليمن وأقام بها ، اُجتزنا به فى بعض

(١) الذى ولى « نافع بن علقمة » هو الوليد . وسياقة الخبر فى الأغانى على هذا ، وكأن ابن واصل حين جرد أخل . والعبارة فى الأغانى : « وكانت وفاة الغريض فى أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها . والأشبه أنه مات فى خلافة سليمان ، لأن الوليد كان ولى نافع بن علقمة مكة » . (٢) الربعة : جونة العطر.

أسفارنا ، قال : فلمّا رآنى بكى . قلتُ له : ما يُبكيك ؟ قال : بأبى أنت ! وكيف يَطيب لى أن أعيشَ بين قوم يرونني أحمل عُودى ، فيقُولون لى : ياهَناه[١] ، أتبيع مُؤخرة الرَّحل[٢] ؟ فقلت له : ارجع إلى مكّة فبها أهلُك . قال : يابن أخى ، أنا كنتُ أستلذُّ مكة وأعيشُ بها مع أبيك ونحوه . وقد أوطنتُ هذا المكانَ ولست تاركه ما عشتُ . فقلنا له : فغنِّنا بشىء من غِنائك . فأبى . ثم أقسمنا عليه فأجاب . ثم عَمدنا إلى شاة فذَبحناها وخَرَطنا من مُصْرانها أوتاراً ، فشدّها على عوده واندفع يغنى فى شعر زُهير :

جَرَى دَمْعى فهيَّج لى شُجونَا فَقَلْبى يَسْتَجنُّ به جُنونَا

فما سمعنا شيئاً أحسنَ منه . فقلتُ له: ارجع إلى مكة، فكُل مَن بها يشتاقك . قال : ولم نزل نُرغِّبه فى ذلك حتى أجاب إليه . ومَضَينا لحاجتنا . ثم عُدْنا فوجدناه عليلاً ، فقُلنا : ما قصّتُك ؟ فقال : جاءنى مُنذ ليالٍ قومٌ ، وقد كنت أغنىِّ فى الليل ، فقالوا : غَنِّنا . فأنكرتُهم وخِفْتهم ، فجعلت أُغنِّيهم ، فقال لى بعضُهم : غَنِّني :

لقد حَثُّوا الجمالَ لِيَهْرُبوا منّا فلم يئِلوا[٣]

ففعلت . فقام إلىّ هَنٌ منهم أزَبُّ ، فقال لى : أَحسنتَ والله ! ودَقَّ رأسى حتى سقطتُ لا أدرى أين أنا . فأفقتُ بعد ثالثةٍ وأنا عليلٌ كما ترى ، ولا أُرانى إلّا سأموت . فأقمنا عنده بقيّةَ يومنا. ومات من غده، فدفنّاه وانصرفنا .

---

(١) الهن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان . وقد تزاد فى النداء الألف والهاء ، فيقال : ياهناه ، بالضم والكسر . فالضم على أنها آخر الاسم . والكسر لالتقاء الساكنين .

(٢) مؤخرة الرحل : ما يستند إليه الراكب ، أو هى خلاف قادمته .

(٣) لم يئلوا : لم يجدوا موئلا وملجأ يعتصمون به .

أخبار أخرى عن موته

وزعم المكيّون أنّ الغريض خرج إلى بلاد عكّ[١] فغنّى ليلاً :

هُمُ رَكْبٌ لقُوا رَكْباً[٢] كما قد تجمعُ السُّبُلُ

فصاح صائحٌ : اكفُفْ يا أبا مَرْوان ! فقد سفَّهت حُلَماءنا وأَصْبَيْتَ سُفهاءنا . وأَصبح ميتاً .

وذَكر آخر قال :

شهدتُ مَجْمعاً لآل الغريض ؛ إمّا عُرْساً وإمّا خِتَاناً . فقال له بعضُهم : غنّ . فقال : هو ابنُ زانية إن فعل . فقال له بعضُ مواليه : فأنت والله كذلك ! قال : أوَ كذلك أنا ! قال : نعم . قال : أنت أعلمُ بي والله ! ثم أخذ الدُّف فرمى به وتمشَّى مِشْيةً لم أَرَ أحسنَ منها ، ثم تغنَّى :

تَشرَّب لونَ الرّازقيّ[٣] بياضُه أو الزّعفرانِ خالَط المِسْكَ رادعُهْ

فجعل يُغنّيه مُقبلاً ومُدبراً حتى التوتْ عُنقه ، فخرّ صريعاً ، وما رَفعناه إلا ميتاً وظننا أنّ فالجاً عاجَله .

وكانت وفاتُه في خلافة عُمر بن عبد العزيز ، أو سُليمان بن عبد الملك . ورجّح أبو الفرج هذا الثاني .

(١) عك : قبيلة . والبلاد التي تضاف إليها : مخلاف باليمن .
(٢) في الأصل : « زادا » .
(٣) الرازقي : الأبيض من ثياب الكتان . وقيل : هو ضرب من عنب الطائف أبيض اللون .

أخبار الحكم بن عبدل

نسبه

وهو الحَكَم بن عَبْدل بن جَبَلة بن عَمْرو[1] بن ثَعْلبة بن عِقَال بن بِلال ابن سعد بن حِبَال بن نَصْر بن غاضِرة بن مالك بن ثَعْلبة بن دُودَان بن أسد ابن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن اليأس بن مُضَر بن مَعدّ بن عَدْنان .

شعره ونشأته وشىء عن عصاه

شاعر مُتقدِّم فى طَبَقته ، هجّاء خَبيث اللسان ، من شُعراء الدولة الأُموية . ومنشؤه بالكوفة ، وكان أعرجَ أحدبَ ، وكان لا تُفارقه العَصا ، فترك الوُقوفَ بأبواب المُلوك . وكان يكتب حاجَته على عصاه ، فيبعثُ بها مع رُسُله ، ولا يُحْبس له رسول ، ولا تُؤخَّر له حاجة . وفى ذلك يقول يحيى بن نَوْفل :

عصَا حَكَمٍ فى الدّار أولُ داخلٍ ... ونحنُ على الأبواب نُقْصَى ونُحْجَبُ
وكانتْ عصَا موسى لفِرْعونَ آيةً ... وهذى لعَمْرُ الله أدهى وأعجب
تُطاع ولا تُعْصَى ويُحْذَر سُخْطُها ... ويُرْغَب فى المَرْضاة منها[2] وتُرْهب

فشاعت هذه الأبياتُ بالكوفة وضَحِك الناسُ منها ، فكان ابن عَبْدل بعد ذلك يقول ليحيى : ياابنَ الزّانية ! ما أردتَ من عَصاى حتى تركتَها ضُحْكة ! وأجتنَب أن يَكتب عليها كما كان يفعل ، وكاتَب الناسَ بحوائجه فى الرِّقاع .

هو وأبو علية وصاحب العسس

وقيل :

كان للحَكَم بن عَبْدل صديقٌ أعمى ، يقال له : أبو عُليَّة ، وكان ابن عَبْدل قد أُقْعد ، فخرَجا ليلةً من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما ، والحَكَم يُحمل وأبو عُليّة يُقاد . فلقيهما صاحبُ العسس بالكوفة فحبسهما . فلما استقرّا فى الحَبْس

---

(١) فى الأصل : « عمر » . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « ويرهب » .

نَظر الحكَم إلى عصا أبى عُلَيّة موضوعةً إلى جانب عَصاه ، فضَحك وأنشأ يقول :

حَبْسى وحَبْسُ أبى عُلَيّـــةَ من أعاجيب الزّمانِ
أعْمى يُقـــاد ومُقْعَدٌ لا الرِّجْل منه ولا اليَدان
هذا بلا بَصَرٍ هُنـــا كَ وبى يَخُبّ الحامِلان
يا مَنْ رأى ضَبَّ الفَـلا ةِ قَرينَ حُوتٍ فى مَكان
طِرْفِى وطِرْفُ أبى عُلَيّـــةَ دَهْرَنا مُتوافقان
مَن يَفْتخر بجـــواده فَجِيادُنا عُكّازتان
طِرْفان لا عَلَفاهُمـــا يُشْرَى ولا يَتَصـــاولان
هَبْنى وإيّاه الحـــرِيقَ أكان يَسْطع بالدُّخان

شعره فى عرجان

وقيل :

وَلِى الشُّرطة بالكوفة رجلٌ أعرج ، ثم وَلِى الإمارة آخر أعرج ، وخرج ابنُ عَبْدل وكان أعرج ، فلقى سائلاً أعرج ، وتَعرَّض للأمير يسأله ، فقال ابنُ عبدل للسائل :

أَلْقِ العَصا ودَعِ[1] التّخامُعَ والْتَمِسْ عَمَـــلاً فهذِى دَوْلةُ العُرْجانِ
لأميرنا وأمـــيرِ شُرْطتنا معاً ياقَوْمنا لكِلَيْهِما رِجْـــلان
فإذا يكونُ أميرُنا[2] ووزيرُه وأنا فَرَابِعُنا إذاً[3] شَـــيْطانُ

فبلغت أبياتُه الأميرَ ، فبعث إليه بمائتى درهم وسأله أنْ يكُفَّ عنه .

(١) التخامع : التظاهر بالخمع ، وهو العرج .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ووزيرنا » مكان « ووزيره » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى :

* وأنا فإن الرابع الشيطان *

وعلى الروايتين فالإقواء . وهو اختلاف حركة الروى بالرفع والكسر .

هو وعبد الملك ابن بشر فى رؤيا

وقيل :

كانت لأبن عَبْدل حاجة إلى عبد الملك بن بِشْر بن مروان ، فجعل يدخل عليه ولا يتهيّأ له الكلامُ ، حتى جاءه رجلٌ فقال له : إنّى رأيت لك رُؤْيا . فقال : هاتِها . فقَصّها عليه . فقال ابنُ عَبْدل : وأنا قد رأيتُ أيضاً . فقال : هاتِ ما رأيتَ . فقال :

أغْفَيتُ قبلَ الصُّبح نوم مُسَهَّدٍ ... فى ساعةٍ ما كنتُ قبل أنامُها

فحَبَوْتَنى فيما أرى بوليدةٍ ... مَغنوجةٍ[1] حَسَنٍ علىّ قيامها

و ببَدْرةٍ حُمِلتْ إلىّ وبَغْلةٍ ... شَهْباءَ ناجيةٍ يَصِلُّ[2] لجامُها

ليت المَنابرَ يا ابْنَ بِشْرٍ أصبحتْ ... تُرْقَى وأنتَ خطيبُها و إمامُها

فقال له أبنُ بشر : إذا رأيتَ هذا فى اليَقَظة أتعرفُه ؟ قال : نعم . و إنما رأيته قُبيل الصُّبح . قال : يا غلام ، ادْعُ فلاناً . فجاء بوكيله . فقال : هاتِ فُلانة . فجاءتْ . فقال : أين هذه مما رأيتَ ؟ قال : هى هى ، و إلّا عليه وعليه . ثم دعا له ببَدْرة ، فقال : مثلَ ذلك . و ببَغلة فركبها . وخرج فلقيه قَهْرمان[3] عبد الملك . قال : أتبيعها ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال بستّمائة : قال : هى لك . فأعطاه ، ثم قال : أمَا والله لو أبيتَ إلّا ألفاً لأعطيتُك . قال : إيّاى تُندم ! لو أبيتَ إلّا ستةً لأعطيتُك[4] .

هو وابن هبيرة

وقيل :

قدم الحَكَم بن عَبْدل واسطاً[5] على أبن هُبَيرة ، وكان بَخيلاً ، فأقبل حتى وقف بين يديه ، ثم قال :

(١) مغنوجة : حسنة الدل . والمسموع : مغناجة أو غنجة .

(٢) ناجية : سريعة . ويصل : يصوت .

(٣) القهرمان : الوكيل ، أو أمين الدخل والخرج .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « تبعتك » .

(٥) واسط : بلد بين البصرة والكوفة ، يصرف ولا يصرف .

أتيتُك فى أمرٍ مِنَ أمر عَشيرتى وأعْيَا الأُمور المُفطعات[1] جَسِيمُها
فإنْ قلتَ لى فى حاجتى أنا فاعلٌ فقد ثَلِجت نَفْسى وولَّتْ هُمُومها

فقال : أنا فاعل إن اقتصدتَ ، فما حاجتُك ؟ قال : غُرْمٌ لَزِمنا فى حَمَالة[2]. قال : وكم هى ؟ قال : أربعة آلاف . قال : نحن مُنَاصِفُوكها . قال : أصلح الله الأمير ، أتخاف علىّ التُّخمة إن أتْممتَها ؟ قال : أكره أن أُعوِّد الناسَ هذه العادةَ . قال : أعطنى جميعَها سرًّا وامنَعْنى جميعَها ظاهراً ، حتى تُعوِّد الناسَ المَنْع ، وإلّا فالضَّرر عليك واقعٌ إنْ عوَّدتهم نصفَ ما يطلبون . فضَحك ابنُ هُبيرة وقال : ما عندنا غيرُ ما بذلناه لك . فجثا بين يَدَيْه وقال : امرأتُه طالقٌ لا أخذتُ أقلَّ من أربعة آلاف أو أنصرفُ وأنا غضبان . فقال : أعطوه إيّاها فإنه ما علمتُ حَلَّاف مَهِين[3] . فأخذها وانصرف .

هو وأبو المهاجر

وقيل :

دعا أبو المُهَاجر الحَكَم بن عَبْدل لِيشرب عنده ، وله جاريةٌ تُغنِّى ، فغنَّت . فقال ابنُ عَبْدل :

يا أبا المُهاجر قد أردتَ كَرامتى فأهَنْتَنى وضررتَنى لو تَعْلَمُ
عند التى لو مَسَّ جِلْدى جِلْدَها يوماً بقيتُ مُخلَّداً لا أهْرَم
أو كنتُ فى أعلى[4] جهنَّمَ بُقْعةً فرأيتُها بَرَدَتْ علىّ جهنّم

فجعل أبو المهاجر يَضحك ويقول : وَيْحك ! واللهِ لو كان إليها سبيلٌ لوهبتُها لك ، لكن لى منها وَلَد .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « المقطعات » .
(٢) الحمالة : الكفالة ، أى الضمان .
(٣) مهين : فاجر .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « فى أحمى » .

هو وابن يزيد الأسدى

وقيل :

كان عُمر بن يَزيد الأَسدىّ مُبخَّلاً ، ووَجـده أَبوه مع أَمةٍ له ، فكان يُعيَّر بذلك . فجاءه الحَكَم بن عَبْدل ومعه جَماعةٌ من قومه يسألونه حاجةً ، فدخلوا إليه وهو يأكل تَمراً ، فلم يَدْعُهم إليه ، وذكروا حاجَتهم فلم يَقْضِها ، فقال ابنُ عَبْدل :

جِئْنا و بين يَديْه التَّمرُ فى طَبَقٍ فما دَعَانا أبو حَفْصٍ ولَا كادَا
عَلاَ على جِسْمه ثَوْبانِ من دَنَسٍ لُؤْمٌ وجُبنٌ(١) ولولا أَيْرُه سادا

هو وامرأة سألته قضاء دينها

وذُكر أنّ امرأة كانت موسرةً بالكوفة، وكانت لها على الناس ديون بالسَّواد. فاستعانتْ بابن عَبْدل فى دَيْنها وقالت : إنّى امرأةٌ وليس لى زَوْج ، وجعلت تُعرِّض بأنها تُزوِّجه نَفْسها . فقام ابنُ عَبْدل فى دَيْنها حتى اقتضاه ، فلما طالَبها بالوَفاء كتبتْ إليه :

سيُخطئك الذى حاولتَ منِّى فقَطِّع حَبْل وَصْلك مِن حِبالِى
كما أَخطاك مَعروفُ ابن بِشْر وكنتَ تَعد ذلك رأسَ مال

وكان ابن عَبْدل أتى ابنَ بِشر بالكُوفة فسأله ، فقال: خمسمائة أحبُّ إليك الآن أم ألفٌ فى قابل ؟ فقال : ألف فى القابل . فلما أتاه قال : ألف أحبّ إليك الآن أم ألفان فى القابل ؟ فلم يزل ذلك دأبَه حتى مات ابن بِشْر وما أعطاه شيئاً .

وقيل :

دخل ابنُ عَبدل على عبد الملك بنُ بِشْر فقال : ما أَحدثتَ بعدى ؟ قال : خطبتُ امرأة من قومى فردّت على جوابَ رسالتى بيتين شعراً . قال : وما هما ؟ قال : قالت :

* سيُخطئك الذى حاولتَ منِّى *

(١) فى الأصل : « وكفر » .

وذكر البيتين . فضحك عبدُ الملك وقال: لجاد[١] ما أذْكرتَ بنفسك !وأمر له بألفى درهم .

هو وابن هبيرة وقد طلبه للغزو

وقيل :

أراد عُمر بن هُبيرة أن يُغْزِى الحَكَم بن عَبْدل ، فاُعتل بالزَّمانة[٢] ، فحُمِل وأُلقى بين يديه . فجرَّده فإذا هو أعرج مَفْلوج ، فوضع عنه الغَزْو وضمّه إليه ، وشَخص به معه إلى واسط ، فقال الحكم :

لَعَمْرى لقد[٣] جرَّدتَنى فوجدْتَنى كَثيرَ العُيوب سَيِّئَ[٤] المُتجرَّدِ

فأعْفَيْتَنى لمّا رأيتَ زَمانتى ووُفِّقت منّى للقضاء المُسدَّدِ

فلما صار عُمر إلى واسِط شكا إليه الحَكَمُ الضَّبْعة[٥] . فوهب له جاريةً من جواريه . فوَاثبها ليلةَ صارتْ إليه ، فنكحها تسعةً أو عَشرة طَلَقاً[٦] . فلما أصبحتْ قالت له : جُعلت فِداك ! من أىّ الناس أنت ؟ قال : امرؤٌ من أهل الشأم . قالت : بهذا العمل نُصِرْتم .

رثاؤه لبشر ابن مروان

وقيل :

كان الحَكم بن عَبْدل مُنقطعاً إلى بِشْر بن مروان ، وكان يأْنس به ويُحبه ويَسْتَطيبه ، وأخرجه معه إلى البَصرة لمّا وَليها ، فلما مات بِشْر جَزِع عليه الحَكم وقال يرْثيه :

أصبحتُ جَمَّ بَلابلِ الصَّدْرِ مُتعجِّباً لتصرُّف الدَّهْرِ

ما زلتُ أَطلُب فى البلاد فتًى ليكونَ لى ذُخْراً من الذُّخْر

ويكون يُسْعدنى وأُسْعدُه فى كُلّ نائبةٍ من الأمر

(١) فى بعض أصول الأغانى : «لحاك الله ما أذكرت ... الخ» .

(٢) الزمانة: العاهة . (٣) فى الأصل : «الذى» . (٤) سيىء المتجرد : سيىء الجسم .

(٥) الضبعة : شدة الشهوة . والذى فى الأصل : «الضيعة» . (٦) طلقا : شوطاً واحداً .

حتى إذا ظَفِرتْ يداىَ به جاء القضاء بحينه يَجْرى
إنى لفى هَمٍّ يُباكِرُنى منه وهَمٍّ طارقٍ يَسْرى
ولأَصْبرنَّ فما رأَيتُ دَوا ءَ الهمِّ مِثل عَزيمة الصَّبْر
واللهِ ما استعظمتُ[1] فُرْقَته حتى أَحاط بفَضْله خُبْرى

هو وعبد الملك بعد خروجه إلى الشام

وقيل :

لما ظَفِر عبدُ الله بن الزُّبير بن العوّام بالعِراق وأَخرج منها عُمّالَ بنى أُمية ، خرج ابنُ عَبْدل معهم إلى الشأم ، وكان فيمن يدخُل على عبد الملك بن مَروان و يَسْمُر معه ، فقال لعبد الملك ليلةً :

يا ليتَ شِعْرى وليتٌ رُبّما نَفعتْ هل أُبْصِرَنَّ بَنِى العوّام قد شُمِلُوا
بالذُّل والأَسْر والتَّشريد إنَّهمُ على البرِيّة حَتْفٌ حيثما نَزلوا
أَم هل أراكَ بأَكنافِ العِراق وقد ذلَّت لِعِزِّك أقوامٌ وقد نَكَلوا

فقال عبد الملك بن مَروان ، وقيل إنّه صاحبُ هذا الشعر :

إنْ يُمْكِنِ اللهُ من قَيْسٍ ومن جَدَسٍ[2] ومن جُذامٍ ويُقْتَلْ صاحبُ الحَرَمِ
نَضْربْ جَماجِمَ أَقْوامٍ على حَنَقٍ ضَرْباً يُنَكِّلُ عنّا سائِرَ الأُمَمِ

هو وصاحب العسس

وقيل :

مَرَّ صاحبُ العَسس ليلةً بأبن عَبدل وهو سَكران محمولٌ فى مِحَفَّة ، فقال له : مَن أنت ؟ فقال : يا بَغِيض ، أنت أعرفُ بى من أن تسألَنى مَن أنا ، أذهبْ إلى شُغلك فإنك تَعلم أنّ اللُّصوص لا يَخرجون باللَّيل للسَّرقة مَحْمولين فى مِحَفّة ! فضَحك الرجلُ وأنصرف عنه .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ما استطعمت » . (٢) هذه رواية الأصل . وجدس : بطن من كندة . وفى بعض أصول الأغانى : «جرش» وهى بطن من حمير . وفى بعض آخر : «جرش» . وهو اسم لعدة قبائل .

تفضيل الحجاج له على الشعراء

وقيل :

اُجتمع الشُّعراء عند الحجّاج بن يُوسف ، وفيهم اُبنُ عَبْدل ، فقالوا : إنما شِعر اُبن عَبْدل كُلّه هُجْر وسَخْف . فقال له : سمعتَ قولَهم فاستمعْ منِّى . قال : هات . فأَنشده قولَه :

وإنّى لأَسْتَغنِى فما أبْطَرُ الغِنَى ... وأَعْرِضُ مَيْسُورى لمن يَبْتَغى قَرْضِى

وأعْسِر أحيانًا فتَشتدُّ عُسْرتى ... فأُدْرِكُ مَيْسورَ الغِنَى ومَعى عِرْضى

حتى اُنتهى إلى قوله :

ولستُ بذى وَجْهَيْن فيمن عرفْتَه ... ولا البُخْلُ فاُعلَم مِن سَمائِى ولا أَرْضِى

فقال له الحجاج : أحسنتَ ! وفضَّله فى الجائزة عليهم بألف درهم .

والشِّعر الذى يُغَنَّى فيه لاُبن عبدل واُفتتح به أبو الفرج أَخباره ، هو :

لقد حَثُّوا الجمالَ ليه ... رُبُوا منّا فلم يَئِلُوا

على آثارهنّ مُقَ ... لَّص السِّربال[1] مُعْتَمِل

وفيهم قَلْبُك المَتْبو ... ل بالحسناء مُخْتَبَل

(١) مقلص : قد تشمر وارتفع . ومعتمل : قد أعمل نفسه .

أخبار قيس بن الخطيم

اسمه وكنيته

هو قَيْس بن الخطيم بن عدىّ بن عمرو بن سُود بن ظَفَر . ويُكْنى أبا يزيد .

خبر أخذه بثأر أبيه وجده

وكان أبوه قُتِل وهو صَغير ، قَتله رجلٌ من بنى حارِثة بن الحارث ، يقالُ له : مالك . قَتله غِيلةً . وكان عدىّ أبو الخطيم قَبل ذلك قَتله رجلٌ من عبد القَيس . فلما بلغ قَيْسُ بن الخطيم وعَرف أخبار قَومه وموضعَ ثأره ، لم يزَل يلتَمِس غِرَّةً من قاتل أبيه وجدّه فى المَواسم ، حتى ظَفر بقاتل أبيه بيَثْرِبَ فقَتله ، وظَفر بقاتل جدّه بذى المَجاز[1] . فلما أَصابه وَجَده فى رَكْب عَظيم من قومه ، ولم يكن معه إلا رَهْط من الأَوس . فَخَرج حتى أَتى حُذَيفةَ بن بَدْر الفَزارىّ ، فاستنجده ، فلَم يُنْجده . فأَتى خِدَاش بن زُهير ، فنَهض معه ببَنى عامر حتّى أتَوْا قاتل عدىّ ، فإذا هو واقفٌ على راحلة فى السُّوق ، فطَعَنه قيسٌ بحَرْبة فقتله ، فأَراده رَهْطُ الرَّجل ، فحالتْ بنو عامر دونه . فقال فى ذلك قَيْسُ بن الخطيم :

ثأرتُ عَديًّا والخطيمَ فلم أُضِعْ ... وِلايةَ أشياخٍ جُعلتُ[2] إزاءَها

ضَربتُ بذى الزِّرَّيْن رِبْقةَ[3] مالكٍ ... فأُبْتُ بنفسٍ قد أصبتُ شِفاءَها

وسامحنى[4] فيها ابنُ عمرو بنِ عامرٍ ... خِـداشٌ فأَدّى نِعْمةً وأَفاءَها

طعنتُ ابنَ عبد القَيْس طَعْنةَ ثائرٍ ... لها نَفَذٌ لولا الشُّعاع[5] أضاءَها

---

(١) ذو المجاز : موضع بعرفه : كانت تقام فيه فى الجاهلية سوق من أسواق العرب .

(٢) أى جعلت القيم عليها .

(٣) بذى الزرين ، يعنى سيفه . والزر : حد السيف . والربقة : العروة . يريد موضعها ، وهو العنق . (٤) سامحنى : وافقنى .

(٥) النفذ : الثقب . والشعاع ، بضم الشين : حمرة الدم ، وبالفتح : انتشاره .

مَلَكْتُ بها كَفِّى وأَنْهَرْتُ[1] فَتْقَها   يَرَى قائمٌ مِن دُونِها ما وراءَها

وذُكر أنّ أُمّ قيس كانت خَشِيت على ابنها أن يخرُج فيطلُب بثأر أبيه وجدّه فيهلِك، فعمدتْ إلى كُومة تُراب عند بابهم فوضَعتْ عليها أحجاراً وجعلت تقول لقيس: هذا قبر أبيك وجدّك. فكان قَيس لا يشُك أنّ ذلك كذلك. ونَشأ أيِّداً شديدَ الساعدَيْن، فنازع يوماً فتًى من فِتيان بنى ظَفَر، فقال له ذلك الفتى: والله لو جعلتَ شدَّة ساعدَيْك على قاتل أبيك وجدّك لكان خيراً لك من أن تُخرِجَها علىّ! قال: ومَن قاتل أبى وجدّى؟ قال: سل أُمك تُخْبِرْك. فأخذ السيفَ فَوَضع قائمه على الأرض وذُبَابَه[2] بين ثَدْييه، ثم قال لأُمه: أَخبرينى مَن قَتل أبى وجدّى. قالت: ماتَا كما يموت الناسُ، وهذان قبْراهما بالفِناء. فقال: والله لتُخْبِرِنَّنى مَن قَتلهما أو لأتحامَلَنّ على هذا السيف حتى يَخْرُج من ظَهرى. فقالت: أمّا جدُّك فقَتله رجلٌ من بنى عمرو بن عامر بن رَبيعة بن عامر ابن صَعْصعة، يقال له: مالك. وأمّا أبوك فقَتله رجلٌ من عبد القيس ممّن يسكُن هَجَر. فقال: والله لا أَنتهى حتى أقتُلَ قاتل أبى وجدّى. فقالت: يا بُنى، إنّ مالكاً قاتِلَ جدِّك من قومِ خِداش بن زُهير، ولأَبيك عند خِداش نِعْمةٌ هو لها شاكر، فَأْتِه فاُستَشِرْه فى أمرك واُستَعِنْه يُعِنْك. فخرج قيسٌ من ساعته حتى أتَى ناضِحَه[3]، وهو يَسْقِى نخْله، فضَرب الجَرِير[4] بالسَّيف فقطعه، فسقط الدَّلوُ فى البئر، فأخذ برأس الجَمل فحمل عليه غِرارَتَيْن من تَمر، وقال: مَن يَكْفِينى أمر هذه العَجوز؟ - يعنى أُمَّه - فإن مِتُّ أُنفق عليها من هذا الحائط[5]

(١) ملكت: شددت وضبطت. وأنهرت: أوسعت.
(٢) ذباب السيف: طرفه الذى يضرب به.
(٣) الناضح: البعير يستق عليه الماء.
(٤) الجرير: الحبل.
(٥) الحائط: البستان.

حتى تموت ، ثم هو له . و إن عشتُ فهو عائدٌ إلىّ وله منه ما يشاء أن يأكل من تمره ؟ فقال له رجل من قومه : أنا له . فأعطاه الحائط ، ثم خرج يسأل عن خِداش بن زُهير ، حتى دُلّ عليه بَمرّ الظَّهران[١] ، فأتى إلى خِبائه فلم يجدْه . فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافُه ، ثم نادى امرأةَ خِداش : هَل من طَعام ؟ فأطْلَعتْ عليه ، فأعجبها جمالُه ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، فقالت : والله ما عندنا من بِرّك[٢] مَا نَرضاه لك إلّا تَمْرا . فقال : لا أُبالى ، فأخرجى ما كان عندك . فأرسلت إليه بقُبَاع[٣] فيه تَمر . فأخذ منه تَمرة فأكل شِقّها وردّ شِقّها الباقى فى القُباع ، ثم أَمر بالقُباع فأُدخل على امرأة خِداش بن زُهَير ، ثم ذَهب لبعض حاجته . ورَجع خِداشٌ فأخبرتْه بخبر قَيس ، فقال : هذا رجل مُتحرِّم[٤] . وأقبل قيسٌ راجعاً ، وهو مع امرأته يأكل رُطَبا ، فلما رأى خِداشٌ رِجْلَه ، وهو على بعيره ، قال لامرأته : هذا ضيفُك ؟ قالت : نعم . قال : كأنّ قَدمه قَدمُ الخطيم صديقى اليَثْربىّ . فلما دنا منه قَرَع طُنُبَ البيتِ بسنان رُمْحه ، واستأذن . فأذن له خِداشٌ . فدخل ، فَنَسبه[٥] فانْتسب ، وأخبره بالذى جاء له ، وسأله أن يُعينه و يُشير عليه فى أمره . فرحّب به خِداشٌ وذكَر نِعمة أبيه عنده ، وقال : إنّ هذا الأمر ما زلتُ أتوقّعه منذُ حين ، فأما قاتلُ جدّك فهو ابن عمٍّ لى ، وأنا أُعينك عليه ، فإذا اجتمعنا فى نادينا جلستُ إلى جَنْبه وتحدّثتُ معه ، فإذا ضربتُ فَخِذه فثِبْ إليه فاقْتُله . قال قيس : فأقبلتُ نحوه حتى قمتُ على رأسه لمّا جالَسه خِداشٌ ، فحين ضَرب فخذه ضربتُ عُنقه . فثار إلىّ القومُ ليقتلُونى ، فحال خِداشٌ بينهم و بينى وقال : دعُوه فإنّه واللهِ ما قَتل إلّا قاتلَ جدّه .

---

(١) الظهران : واد قرب مكة . ومر : قرية قريبة منه تضاف إليه .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : نزل نرضاه » . والنزل : ما يهيأ للأضياف .

(٣) القباع : المكيال الضخم .

(٤) متحرم ، أى له عندنا حرمة وذمة .

(٥) نسبه : طلب إليه أن ينتسب .

ثم دعا خِداشٌ بجَمل من إبله فرَكبه وانطلق مع قَيس إلى العبْدى الذى قَتل أباه ، حتى إذا كان قريباً من هَجر ، أشار عليه خداشٌ أن ينْطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه ، فإذا دُلَّ عليه قال له : إنّ لصًّا من لُصوص قومك قد عارَضنى فأخذ متاعاً لى ، فسألتُ : مَنْ سيّدُ قومه ؟ فدُلِلْتُ عليك . فانطلقْ معى حتى تأخُذَ متاعى منه . فإن اتّبعك وحدَه فستنال منه ما تُريد ، وإن خَرج مع غيره فاضْحك ، فإن سألك : مِمّ ضَحِكْت ؟ فقل له : إنّ الشّريف عندنا لا يَصْنع كما صَنعت إذا دُعى إلى اللّص من قومه ، إنما يخرج وحدَه بسَوْطه دون سَيفه ، فإذا رآه اللِّص أعطى كُلّ شىء أخذ هَيبةً له . فإن أمر أهلَه بالرُّجوع فسبيلُ ذاك ، وإن أبى إلّا أن يَمضُوا معه فأْتنى به ، فإنى أرجو أن نَقْتله ونَقْتل أصحابَه . ونزل خداش تحت ظلّ شجرة ،وخَرج قيسٌ حتى أتى العَبْدىّ ، فقال له ما أمره خِداش . فأحفظه وأَمر أصحابَه فرجعوا ، ومَضى مع قيس . فلما طَلع على خِداش ، قال له : اُختر يا قَيس : إمّا أن أُعينك وإما أن أَكْفيك ؟ قال : لا أُريد واحدةً منهما ، ولكن إن قَتلنى فلا يُفْلِتنّك . ثم نازَله فطعَنه قيسٌ بالحربَة فى خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر ، فمات مكانَه . فلما فَرغ منه قال له خِداشٌ : إنّا إن فرَرْنا الآن طَلبنا قومُه ، ولكن ادخُل بنا مكاناً قريباً من مَقْتله ، فإنّ قومه لا يَظُنون أنك قتلتَه وأقمتَ قريباً منهم ، ولكنّهم إذا افتقدوه اقتصُّوا أثره ، فإذا وجدوه قتيلاً خَرجوا فى طَلبنا فى كُل وجه ، فإذا يَئسوا رَجعوا . قال : فدخَلا فى داراتٍ من رِمال ، وفُقد العبدىُّ فاقتصّ قومُه أثره ، فوجدوه قتيلاً . فخرجوا يطلبُونهما فى كُل وجه ، ثم رجعوا . فكان من أمرهم ما قال خِداش . وأقاما بمكانهما أيّاما ثم خَرجا ، فلم يتكلما حتى أَتيا منزلَ خِداش ، ففارقه عنده قيسُ بن الخطيم ورَجع إلى أهله .

وهذه الرواية تُفارق الروايةَ الأُولى فى قاتل أبى قَيس وجدّه .

وقال قيسٌ الأبيات المتقدم ذِكْرها ، من قصيدة طويلة ، منها :

تَذَكَّرَ ليلَى حُسنَها وصفاءَها ... وبانتْ فما إن يستطيع لقاءَها

ومِثْلُكِ قدأَصْبيتُ ليست[1] بكَنَّةٍ ... ولا جارةٍ أَفضتْ[2] إلىّ خباءَها

إذا مااصطبحتُأربعاً خَطَّمِئْزَرِى ... وأَتبعتُ دَلْوِى فى السَّماح[3] رِشاءَها

إعجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره

ورَوى أَنس بن مالك رضى الله عنه قال : جلس رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّمَ فى مجلس ليس فيه إلّا خَزْرجىٌّ ، ثم استنشدهم قصيدةَ قَيس بن الخطيم :

أَتعرفُ رسماً كاطِّراد[4] المَذاهِبِ ... لِعَمْرةَ وحشاً غيرَ موقِف راكبِ

فأَنشَده بعضُهم إياها ، فلما بلغ إلى قوله :

أُجالدهم يومَ الحديقــة حاسِراً ... كأنّ يدى بالسَّيف مِخْراقُ[5] لاعِبِ

فالتفت إليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : هل كان كما ذَكر ؟ فشَهد له ثابتُ بن قَيس بن شَمّاس وقال : والذى بَعثك بالحقّ يا رسولَ الله ، لقد خَرج إلينا يومَ سابع عُرْسه عليه غِلالةٌ ومِلْحفة مُورَّسة[6] فجالدنا كما ذَكر .

استجاد النابغة شعره

وقيل :

قدِمَ النابغةُ الذُّبيانى المدينةَ ، فتقدَّم قيسُ بن الخطيم فَجلس بين يدَيْه ، وذلك

(١) الكنة : امرأة الابن أو الأخ .

(٢) أفضت إلى خباءها ، أى ليس بينها وبينه ستر .

(٣) خط مئزرى ، أى إنه اختال حتى جرثوبه من الخيلاء . وأتبعت دلوى .. الخ : أى إنه يبلغ فى السماح منتهاه .

(٤) المذاهب : جمع مذهب ، وهو جلد تجعل فيه خطوط مذهبة بعضها فى إثر بعض . واطرادها : تتابعها .

(٥) الحديقة : قرية من أعراض المدينة فى طريق مكة . والمخراق : خرقة مفتولة يلعب بها الصبيان ، وهى ما تسمى فى مصر : « الطرة » .

(٦) مورسة : مصبوغة بالورس ، وهو نبت أصفر تصبغ به الثياب .

بعد أن أَنْشد النابغة قصيدةً له[١] ، وقال : ألَا رجلُ يُنشد ؟ ثم أنشده قيس :

* أتعرف رسماً كاطّراد المَذاهِب *

حتى فَرغ منها . فقال : أنت أشعر الناسِ يا بن أخى . قال حسّان بن ثابت : فَدَخلنى منه ، و إنّى فى ذلك لأَجد القُوة فى نَفسى عليهما ، ثم تقدَّمتُ فجلستُ بين يديه ، فقال : أنْشِد ، فوالله إنّك شاعرٌ قبل أن تتكلّم ، وكان يعرفنى من قبل ذلك . فأنشدتُه ، فقال : أنت أشعر الناس .

من جماله

وقيل :

كان قيس بن الخطيم مَقْرون الحاجبين ، أدعَج العينين ، أحمَرَ الشَّفتين، برَّاق الثَّنايا ، ما رأته حَلِيلة رجل قطُّ إلّا ذَهب عقلُها .

طلب حسان إلى الخنساء هجاءه فأبت

وقيل :

إنَّ حسّان بن ثابت قال للخَنساء : اُهْجِى قيسَ بن الخطيم . فقالت : لا أَهجو أحداً حتى أَراه . فجاءتْه يوماً فوجدتْه فى مَشْربة[٢] مُلتفًا فى كِساء له ، فنخستْه برجلها وقالت : قُم . فقام . فقالت : أَدبر . فأَدبر . ثم قالت : أَقبل. فأَقْبل . قال: والله لكأنها تَعترض عبداً تَشْتريه . ثم عاد إلى حاله ثانياً[٣] . فقالت : والله لا أَهجو هذا أبداً .

شعره فى يوم الربيع

وكانت بين الأوس والخزرج حُروب لم يكُن يومٌ من أيامها أعظمَ من يوم بُعَاث[٤] ، وفيه يقول قَيس بن الخطيم :

« أجالدهم يومَ الحديقة . . . البيت »

---

(١) له ، أى للنابغة .

(٢) المشربة : الغرفة التى يشرب فيها . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « نائما » .

(٤) بعاث : موضع فى نواحى المدينة ، وبه كانت هذه الوقعة .

وإنما كانُوا فى غَيره من الأيّام يترامَوْن بالحجارة ، ويتَضار بون بالخشب .

ومن تلك الأيّام اليوم الذى يقال له يوم الرَّبيع[١] . وفى هـذا اليوم يقول قَيسٌ الأبياتَ التى فيها الغناء ، وافتتح بها أبو الفرج أخبار قيس ، وهى :

أَجَـــدَّ بعَمْرة غُنْيانُها ... فتَهْجُرَ أم شأنُنا[٢] شانُها

فإنْ تُمْسِ شَطَّت بها دارُها ... و باحَ لكَ اليومَ[٣] هِجْرانُها

فما رَوضةٌ من رِياض القَطا ... كأنّ المَصابِيحَ[٤] حَوْذانها

بأَحسنَ منها ولا مُزْنةٌ ... دَلُوحٌ تَكَشَّفَ[٥] إدْجانُها

وعَمْرةُ من سَرَوات النِّسا ... ءِ تنفَحُ بالمِسْك[٦] أرْدانها

ومنها :

ونحنُ الفوارسُ يومَ الرَّبيـــعِ قد عَلِموا كيف فُرْسانُها

حِسانُ الوُجوه حِدادُ السيو ... فِ يَبتدِر المجدَ شُبَّانُها

وكان هذا اليوم للأوس على الخزرج ، فلذلك أُفتخر به قيس . وعَمْرة التى ذَكرها فى شعره ، هى عَمْرة بنت صامت بن خالد ، زوجة حسّان بن ثابت . وكان حسّان ذكر ليلَى بنت الخَطيم فى شعره ، فكافأه قيس بذلك .

حسان وليلى أخت قيس

ذُكر أن حسّان بن ثابت مرّ بليلى بنت الخَطيم ، وقيس أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحِلْف فى قريش ، فقال لها حسان : اظْعَنى فالْحَقى بالحىّ فقد ظَعنوا ، وليت شعرى ! ما خَلَّفكِ ؟ وماشأنُكِ ؟ أقلَّ ناصرُكِ أم راث[٧] رافدُكِ ؟ فلم تُكلِّمه وشتمتْه نساؤها . فذكرها فى شعره يوم الرَّبيع الذى يقول فيه حسّان :

(١) الربيع : موضع من نواحى المدينة .
(٢) جد : استمر . وغنيانها : استغناؤها . وشأننا شأنها ، أى أم هى على ما نحب .
(٣) شطت : بعدت . و باح : ظهر .
(٤) الحوذان : نبات سهلى حلو طيب الطعم .
(٥) دلوح : ثقيلة . وإدجانها : سوادها .
(٦) الأردان : ما يلى الذراعين جميعاً والإبطين من الكمين . (٧) راث : أبطأ .

لقد هاج نفسَك أشجانُها وعاودها اليومَ (١) أديانُها
تذكّرتَ ليلى وأنّى بها إذا قُطِّعتْ منك(٢) أقرانها
وحَجّل فى الدّار غِرْبانُها وخَفّ مِن الدار سُكّانها
وغيّرها مُعصِراتُ الرِّياح وسَحُّ الجُنوب وتَهْتانها
مَهاةٌ من العِين تَمْشى بها وتَتْبَعها ثمّ غِزْلانها
وقفتُ عليها فساءلتُها وقد ظَعن الحىُّ : ما شانها
فعيَّتْ وجاوبنى دونَها بما راع قلبىَ أعْوانها

وهى طويلة .

وعَمرة بنت رَواحة هى أمُّ النُّعمان بن بَشير .

غنـاء عزة الميلا للنعمان بشعره

وقد ذُكر أن النُّعمان بن بَشير قَدِم المدينةَ فى أيام يزيدَ بن مُعاوية وابن الزُّبير فقال : والله لقد أَخْفقتْ(٣) أُذناى من الغناء ، فأَسْمِعونى . فقيل له : لو وجَّهت إلى عَزّة فإنها مَن قد عرَفْتَ . فقال : إى وربِّ البِنْية ، إنها لَمن تَزيدُ النفْس طِيباً ، والعقلَ شَحْذاً ، ابعثوا إليها عن رسالتى ، فإنْ أبتْ صِرْنا إليها . فقال له بعضُ القوم : إن النُّقْلة تشتدّ عليها لِثقَل بَدنها ، وما بالمَدينة دابّةٌ تحملها . فقال النُّعمان : وأين النَّجائب عليها الهَوادج ! فوجَّه إليها بنَجيب . فذكرتْ علَّة . فلما عاد الرسولُ إلى النُّعمان بن بشير ، قال لجليسه : أنت كنتَ أَخْبَرَ بها ، قُوموا بنا . فقام هو مع خواصّ أَصحابه حتى طَرقوها . فأَذِنت وأكرمتْ واعتذرتْ . فقَبل النُّعمانُ عُذْرَها ، وقال : غنِّى . فغنَّته :

أجَـدّ بعَمْرةَ غُنْيانُها فتهجُرَ أَم شأنُنا شانها

فأُشير إليها أنّها أُمه . فسكتتْ . فقال : غنِّى ، فوالله ما ذَكرتِ إلّا كرماً

(١) الأديان : جمع دين ، وهو الداء . يريد : حبه القديم .
(٢) الأقران ، الحبال ، الواحد : قرن . (٣) أخفقت : أوحشت ، لطول العهد .

وطِيباً . لا تغنِّينى سائرَ اليوم غيرَه . فلم تزل تُغنِّيه هذا اللحنَ فقطْ حتى أُنصرف .

قضاء النعمان بين امرأة وزوجها

وقيل : إن النُّعمان بن بَشير لمـا انصرف من منزل عَزَّة ، إذا امرأة بالباب منتظرة له . فلمّـا خَرج شكتْ إليه غِشْيان زَوجها إيّاها . فقال لها النُّعمان بن بَشير : لأَقْضينّ بينكما بقضيّة لا تُردّ عليّ : قد أُحلّ له من النّساء مَثْنى وثُلاثَ ورُباع ، فله مَرّتان بالنّهار ومَرّتان[1] باللّيل .

شعر له وخبر الحرب بينهم و بين بنى جحجبى

ومن شعر قَيس بن الخطيم الذى يُغَنّى فيه قولُه :

حَـوْراء مَمْـكورةٌ منعمَّةٌ كأنما شفّ وجهَهَا[2] نُزُفُ

تَنامُ عن كُبْرِ شَـأْنها فإذا قامتْ رُويداً تَكاد تَنقَصِف

وهذا الشعر من قَصيدة يقولها قَيسٌ فى حربٍ كانت بينهم و بين بنى جَحْجَبى و بنى خَطْمة[3] ولم يَشْهدها قَيس ، ولا كانت فى عَصره ، و إنما أَجاب بها شاعراً يقال له : دِرْهم بن يزيد[4] .

وخبر هذه الحرب أن رجلاً من غَطفان من بنى ثَعلبة بن سَعد بن ذُبيان بَعث إلى يَثْرب بفرسٍ وحُلَّة مع رجل من غَطفان ، وقال : ادْفعهما إلى أَعز أَهل يَثْرب — وقيل : إنّ الباعث بهما عبدُ يالِيل بن عمرو الثَّقفى . وقيل : بل عَلْقمة ابن عُلَاثة — فجاء الرسولُ بهما حتى وَرد سوق بنى قَيْنُقاع ، فقال ما أُمر به . فوثب إليه رجلٌ من ثعلب[5] كان جاراً لمالك بن العَجْلان الخَزْرجىّ ، يقال له ، كَعْب الثَّعلبى ، فقال : مالك أعزُّ أهل يثرب . وقام رجل آخر فقال : بل أُحَيحة ابن الجُلَاح أعزُّ أهل يثرب . وكثُر الكلام . فقَبِل الرسولُ الغَطفانى قولَ الثَّعلبىّ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « امرأتان . . . وامرأتان » .

(٢) ممكورة : مدمجة الخلق . ونزف ، بالضم وسكن للشعر : خروج الدم . وقيل ، هو بياض اللون مع صفرة . . وفى بعض أصول الأغانى : « ترف » .

(٣) فى بعض الأصول : « حجناء و بنى خطمة » . (٤) فى الأصل : « درهم بن زيد » .

(٥) فى الأصل : « تغلب » . وفى بعض أصول الأغانى : « غطفان » .

الذى كان جاراً لمالك بن العَجْلان ودفعهما إلى مالك . فقال كعب : ألم أقل لكم إن حليفى أعزُّكم وأفضلُكم ، فغَضِب رجلٌ من بنى عمرو بن عَوف يقال له : سُمَير ، فرصد الثَّعلبيَّ حتى قتله . فأُخبر مالك بذلك، فأرسل إلى بنى عمرو بن عَوف ابن مالك بن الأَوْس : إنكم قد قتلتمُ منّا قتيلا ، فأرسلوا إلينا بقاتله . فلمّا جاءهم رسولُ مالك تَرامَوْا به . فقالت بنو زيد : إنما قتلتْه بنو جَحْجبى . وقالت بنو جَحجبى : إنما قتلتْه بنو زيد . ثم أرسلوا إلى مالك : إنه قد كان فى السوق التى قُتل فيها صاحبُكم ناسٌ كثير ، ولا يُدرى أيّهم قتله . فأمر مالكٌ أهلَ تلك السوق أن يتفرّقوا ، فلم يَبْق فيها غيرُ سُمَير وكَعب . فأرسل مالك إلى بنى عمرو ابن عَوْف بالذى بَلغه من ذلك ، وقال : إنما قَتله سُمير ، فأَرْسلوا به إلىَّ أقتلْه . فأرسلوا إليه : إنه ليس لك أن تقتُل سُميراً بغير بيّنة ، وكثُرت الرُّسل بينهم فى ذلك : يسألهم مالك أن يُعطوه سُميرا ، ويأبَوْن أن يعطوه إياه . ثم إنّ بنى عمرو بن عَوف كرهوا أن يُنْشِبوا بينهم وبين مالك حرباً ، فأرسلوا إليه يَعْرِضون عليه الدِّية ، فقبلها . فأرسلوا إليه : إنّ صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلا نصفُ الدِّية، فغضب مالك وأَبى أن يأخذ فيه إلّا الدية كاملة أو يقتل سُميرا . فأبت بنو عمرو بن عوف أن يُعْطوه إلّا ديةَ الحليف ، وهى نصف الدِّية ، ثم دعَوْه أن يحكِّم بينهم وبينه عمرو بن أُمرىء القيس ، أحد بنى الحارث بن الخزرج ، وهو جدّ عبد الله بن رَواحة رضى الله عنه ، ففعل . فانطلقوا حتى جاءوه فى بنى الحارث بن الخَزْرج ، فقضى على مالك بن العَجْلان أنه ليس له فى حليفه إلا دية الحليف ، وأَبى مالك أن يرضَى بذلك ، وآذن بنى عمرو ابن عَوف بالحرب ، واُستنصر قبائلَ الخزرج . فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصُره غضباً حين ردّ قضاءَ عمرو بن أُمرىء القيس . فقال مالك يذكُر خِذْلان بنى الحارث بن الخزرج له وحَدَبَ بنى عمرو بن عوف على سُمَير ، ويحُضّ بنى النّجار على نُصرته :

إنّ سُمَيراً لدى[١] عَشيرته قد حَدِبوا دونه وقد أَنِفُوا
إن يكن الظنُّ صادقاً ببنى النّـ جار لا يَطْعَموا الذى[٢] عُلِفوا
لا يُسْلِمونا لمعشرٍ أبداً ما دام منّا ببَطْنها[٣] شَرَف
لكنْ مَوالِىَّ قد بدا لهمُ رأىٌ سِوَى ما لدىَّ أو ضَعُفوا
بين بنى جَحْجبى وبين بنى زَيْدٍ فأنّى لجارِكَ التّلَف
يمشُون فى البَيْض والدُّروع كما تمشى جمالٌ مَصاعبٌ[٤] قُطُف
كما تَمشّى الأُسود[٥] فى رَهَج الْـ موت إليهم[٦] وكلُّهم لَهِف

وقال دِرْهم بن يزيد، أخو سُمير، فى ذلك:

يا قومِ لا تقتلوا سُمَيراً فإنّ الْـ قتلَ فيه البَوارُ والأَسفُ
إنْ تقتلوه ترِنَّ[٧] نِسْوتُكم على كريمٍ ويَفزَع السَّلَف
إنّى لعمرُو الذى يَحُجُّ له النّـ ـاس ومَن دون بَيته[٨] سَرِف
يَمينُ بَرٍّ بالله مُجتهدٍ يَحلِف إن كان ينفَع الحَلِف
لا يَرفع العبدَ فوق سُنّته ما دام منّا ببَطْنها شَرف

وقال دِرْهم فى ذلك:

يا مالِ لا تَبغِين ظُلامَتنا يا مالِ إنّا مَعاشِرٌ أُنُفُ
يا مالِ والحقُّ إن قَنِعْتَ به فينا وفيه لأَمرنا نَصَف

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: «أرى».
(٢) علف الضيم: أقر به. (٣) الشرف: الشريف.
(٤) البيض: جمع بيضة، وهى ما يلبس على الرأس كالخوذة، للوقاية فى الحرب. والمصاعب: جمع مصعب، وهو الفحل الذى لم يركب ولم يمسه حبل حتى صار صعباً. والقطف: السريع الخطو.
(٥) الرهج: الغبار. (٦) فى بعض أصول الأغانى: «إليه» مكان «إليهم».
(٧) ترن: ترفع أصواتها بالبكاء.
(٨) سرف: على ستة أميال من مكة، تزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث، وهناك بنى بها، وهناك توفيت.

إنّ سُمَيراً(١) عبدٌ فخُذ ثمناً فالحقُّ يُوفَى به ويُعترف

ثم اعلَمنْ إنْ أردتَ ضَيْم بنى زَيدٍ فإنّى ومَن له الحَلِف

لأُصْبِحَن دارَكم بذى لَجَبٍ جَوْنٍ له من أمامه(٢) عزَف

البَيْض حِصْنٌ لهم إذا فزِعوا وسابغاتٌ كأنّها(٣) النُّطَف

والبِيضُ قد ثُلِّمت مَضاربُها بها نفوسُ الكُماةِ تُختَطف

كأنّها فى الأكُفّ إذ لَمعتْ وَمِيض برقٍ يَبْدو ويَنكشِف

وقال قَيسُ بن الخطيم فى ذلك ، ولم يُدْرِكه ، وإنما قاله بعد انقضاء هذه الحرب بزمان :

رَدَّ الخَليطُ الجِمالَ فانْصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقَفُوا

فيهم لَعُوب العِشاء آنسةُ الـ دَّلّ عَرُوب(٤) يَسُوءها الخُلُف

حَوْراء جَيْداء يُسْتضاء بها كأَنها خُوطُ بانةٍ(٥) قَصِف

ومنها البيتان اللذان تقدّم ذكرها . ومنها :

نَفْلِى بحَدّ الصَّفيح هامَهمُ وفَلْيُنا هامَهم بها(٦) عُنُف

إنّ بنى عَمِّنا طغَوْا وبَغَوْا ولَجَّ منهم فى قومِهم سَرَف

فقال حسَّان بن ثابت ، ولم يُدْرِك ذلك ، يَرُدّ على قيس :

ما بالُ عَيْنيك دَمْعُها يَكِفُ مِن ذكر خَوْدٍ شَطَّت بها(٧) قَذَفُ

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بجير » .

(٢) العزف ، بالفتح ، وحرك للشعر : الصوت .

(٣) النطف ، جمع نطفة ، وهى اللؤلؤة الصافية اللون وقطرة الماء . تشبه بها الدروع لصفائها .

(٤) لعوب العشاء : تسمر مع السمار وتلهو . والعروب : الحسناء المتحببة إلى زوجها .

(٥) حوراء : ذات حور ، وهو سعة العينين . وجيداء : طويلة العنق . والخوط : الغصن .

(٦) فلاه بالسيف : علاه . والصفيح : السيوف العريضة ، الواحد : صفيحة . وعنف ، يريد أن قتلنا إياهم عنف منا لأنهم قومنا وبنو عمنا .

(٧) قذف : بعيدة .

بانتْ بها غَرْبةٌ تؤمّ بها أرضاً سِوانا والشّكل مُختلِفُ
ما كنتُ أدْرى بوَشْك بَيْنهمُ حتى رأيتُ الحُدوج تَنقذِف
دَعْ ذا وعَدِّ القَريض فى نفر يَرْجُون مَدْحى ومَدْحِيَ الشّرَف
إن تَدْعُ قَومى للمَجْد تَلْقِهمُ أهل فَعالٍ يَبْدو إذا وُصِفوا
إنّ سُمَيراً عبدٌ طَغَى سَفَهاً ساعده أعبدٌ لهم(١) نطَف

ثم أرسل مالكُ بن العَجْلان إلى بنى عمرو بن عَوْف يُؤْذنهم بالحرب ويَعِدهم يوماً يلتقون فيه ، وأمر قومه فتهيَّأوا للحرب ، وتحاشد الحيّان بعضهم لبعض ، وكانت يهود قد حالفتْ قبائل الأوس والخزرج ، إلّا بنى قُريظة و بنى النَّضير ، فإنهم لم يُحالفوا أحداً منهم حتّى كان هذا الجمع ، فأرسلت إليهم الأوسُ والخزرج ، كُلٌّ يدعوهم إلى نفسه ، فأجابوا الأوس وحالفوهم ، والتى حالفت قُريظةُ والنضير من الأوس أوس الله ، وهى خَطْمةُ وواقِف وأُميةُ ووائل ، فهذه قبائل أوس الله .

ثم زَحف مالكٌ بمن معــه من الخزرج ، وزحفت الأوس بمن معها و بحُلفائها من قُريظة والنَّضير ، فالتقَوْا بفضاء كان بين سالِمٍ وقُباء ، فكان أوّلَ يوم التقَوْا فيه . فاقتتلوا قِتالاً شديداً ، ثم انصرفوا وهم مُنْتَصفون جميعاً . ثم التقَوْا مرةً أُخْرى عند أُطم بنى قَيْنُقاع . فاقتتلوا حتى حَجز الليلُ بينهم ، فكان الظَّفر يومئذ للأوس على الخزرج . فقال أبو قَيْس بن الأَسْلت فى ذلك :

لقد رأيتُ بنى عَوْفٍ(٢) فما وَهَنوا عند اللِّقاء ولا هَمّوا بتكذيبِ
ألا فِدًى لهمُ أُمّى وما ولدتْ غَداةَ يَمْشُون إرقالَ(٣) المَصاعيب
بكُل سَلْهبةٍ(٤) كالأَيْم(٥) نامية وكُلِّ أَبيضَ ماضِى الحدِّ(٦) مخْشوب

---

(١) النطف : القرط . (٢) فى بعض أصول الأغانى : «عمرو» .

(٣) الإرقال : ضرب من العدو . والمصاعيب ، أراد «مصاعب» جمع مصعب ، وهو الفحل الذى لم يمسسه حبل ولم يركب ، فزاد الياء .

(٤) السلهبة : الطويل من الخيل ، والأيم : الثعبان الذكران من الحيات ، وهى التى لاتضر أحدا .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : «ماضية» مكان «نامية» . (٦) مخشوب : مصقول .

فلبثت الأوسُ والخزرج مُتحاربَيْن عِشرين سنةً فى أمر سُمير ، يتعاودون القِتالَ فى تلك السِّنين . وكانت لهم فيها أيّام ومواطن لم تُحفظ . فلما رأت الأوس طُول الشَّر ، وأنَّ مالكاً لا ينزِع[1] ، قال لهم سُويد بن صامت الأوسىّ ، وكان يُقال له الكامل فى الجاهليّة ـ وكان الرَّجلُ عند العرب إذا كان شاعراً شُجاعاً كافياً سابحاً رامياً سمّوه الكاملَ . فكان سويد أحد الكملة — : يا قومى، أرْضُوا الرَّجل من حليفِه . ولا تُقيموا على حَرب إخوتكم فيقتلَ بعضُكم بعضاً ، ويطمع هذا فيكم غيرَكم، وإن حملتم على أنفسكم بعضَ الحَمْل . فأرسلت الأوسُ إلى مالك ابن العَجْلان يَدْعونه إلى أن يحكُم بينه وبينهم ثابتُ بن المُنذر بن حَرام ، أبو حسّان ابن ثابت . فأجابهم إلى ذلك . فخرجوا حتى أتوا ثابت بن المُنذر ، وهو فى البئر التى يقال لها سُمَيحة[2] . فقالوا : إنّا قد حكّمناك بيننا . فقال : لاحاجةَ لى فى ذلك . قالوا : ولِمَ ؟ قال : أخاف أن تردُّوا حُكمى كما ردَدْتم حكم عَمرو بن امرىء القَيس . قالوا : فإذن لا نَرُدّ حُكْمك ، فاحكُم بيننا . قال : لا أحكم بينكم حتى تُعطونى مَوْثقاً وعهداً لتَرْضَوُنّ بحُكمى وماقضيتُ ولَتُسْلِمُنّ له . فأَعْطوه على ذلك عُقودهم ومواثيقَهم ، فحَكم أن يَدُوا حليفَ مالك ديةَ الصَّريح[3] ، ثم تكون السُنةُ بعده على ما كانت عليه : الصَّريحُ على ديته والحليف على ديته ، وأن تُعَدّ القَتْلى الذين أصاب بعضُهم من بعض فى حربهم ، ثم يكون بعضٌ ببعض ، ثم تُعطى الدية لمن كان له فَضل فى القَتْلى من الفريقين . فرَضى مالكٌ بذلك وسلَّمت الأوس ، وتفَرقوا على أن على بنى النّجار نِصْفَ دية جارِ مالك معونةً لهم ، وعلى بنى عمرو بن عوف نِصْفها . فرأت بنو عمرو بن عَوف أنهم لم يُخْرِجوا إلا الذى كان عليهم . ورأى مالك أنه قد أدرك ما كان يطلُب . ووُدى جارُه ديه الصَّريح . ويقال : بل الحكم المُنْذر أبو ثابت .

---

(١) لا ينزع : لا يكف. (٢) سميحة ، بالتصغير ، وبفتح السين : بئر بالمدينة.

(٣) الصريح : الرجل الخالص النسب .

مقتل قيس بن الخطيم

قتلته الخزرج فقتل به قومه أبا صعصعة

لمّا هدأت الحربُ بين الأوس والخزرج ، التى كانت فى أيّام قَيس ، تذكّرت الخزرجُ قَيس بن الخطيم ونِكايتَه فيهم ، فتآمروا وتواعدوا قتله ، فخرج عشيةً من منزله بين مُلاء تيْن يُريد مالاً له ، حتى مَرّ بأُطم[1] بنى حارثة . فرُمى من الأُطم بثلاثة أسهم ، فوقع أحدُها فى صَدره ، فصاح صيحةً أسْمعها رهطَه ، فجاءوا فحملوه إلى مَنزله . فلم يَرَوْا له كُفئاً إلّا أبا صَعصعة يَزيدَ بن عَوْف بن مُدْرك[2] النَّجَّارىّ. فاندسّ إليه رجلٌ حتى اُغتاله فى منزله ، فضرَب عُنقه واُشتمل على رأسه ، فأتى به قيساً وهو بآخر رَمق ، فألقاه بين يديه وقال : يا قيس ، قد أدركتُ بثأرك . فقال : عَضَضْتَ بأَيْرِ أبيك إن كان غيرأبى صَعصعة ! قال : هو أبو صَعصعة ، وأراه الرَّأسَ . فلم يلبث قَيس بعد ذلك أن مات .

وكان مَقْتلهُ قبل هِجرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة .

(١) الأطم : الحصن . (٢) فى الأصل : « بن مبدول » .

أخبار طويس

اسمه وكنيته ولقبه

وهو عيسى بن عَبد الله . وكُنيته أبو عبد المُنعم . وغَيّرها المُخنَّثون فجعلوها ، أبا عبد النَّعِيم .

وهو مولًى بنى مَخْزوم .

وطُوَيس ، لَقب غَلب عليه .

شيء عن غنائه وخلقه وعلمه

وهو أوّل من غَنَّى بالعربيّة فى المدينة . وأوّل من ألْقى الخَنَث بها . وكان أحولَ طويلاً . وكان لا يضْرب بالعُود ، إنما ينقُر بالدفّ . وكان ظريفاً عالماً بأَمر المدينة وأنساب أهلها . وكان يُتقّى للسانه .

من شؤمه

وذُكر أنه وُلد يومَ تُوفِّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وفُطم يوم تُوفِّى أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وخُتِن يوم قُتل عُمر رضى الله عنه ، وزُوِّج يوم قُتل عثمان رضى الله عنه ، ووُلد له يومَ قُتل علىّ رضى الله عنه . وقيل : وُلد له يوم مات الحسن بن علىّ عليهما السلام .

عن أمه

ورُوى عنه أنه قال : كانت أُمى تَمشى بين نساء الأَمصار بالنَّميمة .

تسميته بالذائب

وقيل : أوّل غِناء غنّاه :

كيف يأتِى من بَعيدٍ وهو يُخْفيه القَريبُ
نازحٌ بالشأم عنّا وهو مِكْسال هَيُوب
قد برانى الحبُّ حتى كِدْتُ من وَجْدى أَذُوب

فسُمِّى « الذائب » لذلك .

هيت المخنث وبادية بنت غيلان

وذُكر أنَّ هِيت المُخنَّثَ قال لعبد الله بن أبي أُميَّة المَخزومى، وهو أخو أُم سَلَمَة زَوْج النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، والنبيُّ صلّى الله عليه وسلّم يُحاصر الطائفَ: إن فتح الله عليكم الطائفَ فسلِ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم بادية بِنْت غَيْلان بن سَلَمَة ابن مُعتِّب، فإنها هَيفاء شَمُوع[1] نَجْلاء، إن تكلَّمت تغنَّت، و إن قامتْ تثنَّت، تُقبل بأربع وتُدْبر بثَمان[2]، مع ثَغر كأنه الأُقْحوان، و بين رجليها كالإناء المُكْفأ. كما قال قيسُ بن الخَطيم:

تَغْترق الطرفَ وهى لاهيةٌ ... كأنما شفَّ وجهَها نُزُفُ[3]

بين شُكول النِّساء خِلْقَتُها ... قصْدٌ فلا جَبْلةٌ ولا قَضَفُ[4]

فقال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: لقد غلْغلت النَّظرَ يا عدوَّ الله! ثم جَلاه عن المدينة إلى الحِمَّاء[5]. فلما فُتحت الطائفُ تزوَّجها عبدُ الرحمن بن عَوف رضى الله عنه، فولدتْ له بُريهة. ولم يزل هِيتٌ بذلك المكان حتى تُوفِّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، فلمّا وَلِى أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه كُلِّم فيه، فأَبى أن يرُدَّه. وقال: إن رأيتُه ضربت عُنقه. فلما وَلى عُمر رضى الله عنه كُلِّم فيه. فأبى أن يردَّه. فلمّا ولى عثمان رضى الله عنه كُلِّم فيه. فأبى أن يرُدَّه. فقيل له: إنّه كَبِر وضعُف واُحتاج. فأَذِن له أنْ يدخُلَ فى كُل جُمعة فيسأل ويَرْجع إلى منزله.

وكان هيتٌ مولًى لعبد الله بن أبي أُميَّة بن المُغيرة، وكان طُويس له، فمن ثَمَّ قيل: الخِنث.

(١) الشموع: اللعوب الضحوك. (٢) يريد أن عكن بطنها إذا أقبلت أربع وإذا أدبرت ثمان.

(٣) تغترق، أى تشغلهم بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها بحسنها. وشفه: جعله رقيقاً بادى المحاسن. والنزف، بالضم، وحرك للشعر: الاسم من نزف الدم، إذا أخرجه كثيراً حتى يضعفْ صاحبه، والنزف: الضعف الحادث عن ذلك. وقيل: النزف، ها هنا: الجرح الذى ينزف عنه دم الإنسان. يريد أنها رقيقة المحاسن حتى كأن دمها منزوف.

(٤) الشكول: الضروب، الواحد: شكل، بالفتح. وجبلة: غليظة. وقضف: دقيقة قليلة اللحم. (٥) الحماء: جبل بالمدينة على ثلاثة أميال من العقيق.

من إغرائه بين الأوس والخزرج

وقيل : كان طُويس ولعاً بالشِّعر الذى قالتْه الأوس والخزرج فى حُروبهم ، وكان يُريد بذلك الإغراءَ بينهم ، فقلَّ مجلسٌ أجتمع فيه هذان الحيَّان فغنَّى فيه طُويس إلا وقع فيه شيء ، فنُهِى عن ذلك ، فقال : والله لا تركتُ الغِناءَ بشعر الأنصار حتى تُوسِّدونى التراب ؛ وذلك لكثرة تولُّع القوم به . وكان يُبْدى السرائرَ ويُخرج الضمائر[1] ، فكان القوم يتشاءمون به . وكان يُستحسن غناؤه ولا يُصبر عن حديثه . فغنَّى يوماً بشعر قيس بن الخطيم ، حتى بلغ قولَه :

أَبلغْ بني جَحْجَبِي وقومَهمُ خَطْمَـةَ أنَّا وراءهم أُنُفُ

فتكلَّموا وانصرفوا ، وجرتْ بينهم دماء ، وأنصرف طُويس من عندهم سَالِماً لم يُكلَّم ولم يُقَل له شيء .

حديث نزول عبد الله بن جعفر به فى إخوان له

وقيل : كان عبدُ الله بن جَعفر بن أبى طالب معه إخوان له[2] فى عَشيَّة من عشايا الرَّبيع، فراحت عليهم السماء بمطر جودٍ فأَسال كُلَّ شيء . فقال عبد الله : هل لكم فى العَقيق ؟ وهو مُتنزَّه أهل المدينة فى أيَّام الرَّبيع والمطر . فركبوا دوابَّهم ثم أنتهَوْا إليه ، فوقفوا على شاطئه وهو يرْمى بالزَّبَد مثل مدِّ الفُرات . فإنهم لينظُرون إليه إذ هاجت السماء . فقال عبدُ الله لأصحابه : ليس معنا جُنَّة نَسْتجنُّ بها . وهى سماء خليقة أن تَبُلَّ ثيابَنا ، فهل لكم فى منزل طُوَيس فإنه قريبٌ منّا فنستكنَّ فيه ويحدِّثنا ويُضحكنا ؟ قال : وطُويس فى النظَّارة يَسمع كلامَ عبد الله بن جعفر . فقال له عبدُ الرحمن بن حسّان بن ثابت : جُعلت فداك ! وما تُريد من طُويس؟ عليه غَضبُ الله ! مخنَّثٌ شائن لمن عَرفه . فقال له عبد الله : لا تقُل ذاك ، فإنّه مَليح خَفيف لنا فيه أُنس . فلمّا استوفى طويسٌ كلامَهم تعجَّل إلى منزله فقال لامرأته : وَيحَكِ ! قد جاء عبد الله بن جعفر سيِّدُ الناس ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الضغائن » .
(٢) فى الأصل : « أحداث » مكان « إخوان له » .

فما عندكِ ؟ قالت : نذبح هـذه العناق(١) — وكانت عنـدها عُتَيِّقَة قد ربَّتها للّبن(٢) — ونختبز رُقاقاً . فبادر فذبحها واُختبزت هى . ثم خَرج فتلقّاه مُقبلاً إليه . فقال له طُويس: بأبى أنتَ وأُمى هذا المطر ! فهل لك فى المَنزل تستكنُّ فيه إلى أن تكُفَّ السماء ؟ قال : إيّاكَ أُريد . قال : فاُمضِ على بَركة الله . وجاء يمشى بين يديه حتّى نزلوا ، فتحدّثوا حتى أدركَ الطعام . فقال : بأَبى أنت وأُمى ! تُكرمنى إذا دخلت منزلى بأن تعشى عندى . قال : هاتِ ما عنـدكَ . فجاءه بعناقٍ سَمينة ورُقاق. فأَكل القوم حتى شَبعوا وأعجبه طِيبُ طعامه . فلما غَسَلوا أيديهم قال : بأبى وأُمى ! أَتَمشَّى لك(٣) وأُغنيك ؟ قال : افعـل يا طويس . فأَخذ مِلْحفةً فاتَّزر بها وأَرخَى لها ذَنَبين ، ثم خذ المُربَّع(٤) فتمشّى وأنشأ يغنّى :

يا خليلِي نابنى سُهـدى ... لم تَنَم عينِى ولم تَكَدِ
فَشرابى ما أُسِيغ وما ... أَشْتَكى ما بى إلى أَحـد
كيفَ تَلحونَ(٥) على رجُلٍ ... آنسٍ تَلتَـذُّه كَبِدِى
مثلُ ضوء البـدرِ صُورته ... ليس بالزُّمَّيـلة(٦) النَّـكد

فطرِب القوم وقالوا : أحسنتَ والله يا طُويس ! ثم قال : يا سيدى ، أتدرى لمن هذا الشعر ؟ فقال : لا والله ، لا أدرى لمن هو ؟ إلّا أنى سمعتُ شعراً حسناً . قال : هو لفارعة بنت ثابت أختِ حسّان بن ثابت ، وهى تتعشّق عبدَ الرحمن ابن الحارث بن هشام المَخزومى ، وتقول فيه هذا الشعر . فنكَّس القومُ رءوسَهم . وضَربَ عبدُ الرحمن بن حسّان برأسه على صدره ، فلو شُقَّت الأرض لدخل فيها .

(١) العناق : الأنثى من ولد المعز . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « باللبن » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « معك » .
(٤) المربع : يريد دفا . وسيأتى ذكرذلك (ص ٣٢٧) من هذا الجزء .
(٥) تلحونى : تلومنى وتعذلنى .
(٦) الزميلة : الرذل الجبان الضعيف ، يتزمل فى بيته خوفاً وجبناً .

هو وجارية تبعها فزجرته

وقيل : إنّ طويساً تبع جارية ، فراوغته فلم ينقطع عنها . فوقفت على مجلس لقوم ثم قالت : ياهؤلاء ، لى صديق ولى زوج ومولًى ينكحوننى . فسلوا هذا مايريد منى ؟ فقال : أُضيِّق ما وسَّعوه . ثم جعل يغنّى :

أَفِقْ يا قلبُ عن جُمْلِ ... وجُمْلٌ قطَّعت حَبْلِى
وكيف يُفيق مَحْزونٌ ... بجُمْلٍ هائمُ العقل
بَراه الحُبّ فى جُمْلٍ ... فحَسبى الحبُّ من ثِقْل
وحَسبى فيكِ ما أَلْقى ... من التَّفْنيد والعَذْل
وقد وَبَّخنى فيها ... فلم أَحْفِل بهم أَهلى

هو والرجل المسحور

وحكى بعضُهم قال :

خَرجنا فى سَفر ومعنا رجل ، فانتهينا إلى وادٍ، فدعَوْنا بالغَداء . فمدَّ الرجُل يده إلى الطعام فلم يقْدِر عليه ، وهو قبل ذلك يأكل معنا فى كُل منزل . فخرجنا نسأل عن حاله . فَلقينا رجلاً طويلاً أحولَ مضطربَ الخَلْق فى زىّ الأَعراب ، فقال لنا : ما لكم ؟ فأنكرنا سؤالَه لنا . فأَخبرناه خبرَ الرجل . فقال : ما أسمُ صاحبكم ؟ فقلنا : أسد[١] . فقال : هذا وادٍ قد أُخِّذت[٢] سِباعُه ، فأُرحلوا ، فلو قد جاوزتم الوادى أُستمرّ[٣] صاحبكم أسدٌ وأَكل . فقُلنا فى أنفسنا : هو[٤] من الجِنّ ، ودخلتنا فَزْعةٌ . ففهم ذلك وقال : ليُفْرِخ رَوْعكم[٥] فأنا طُويس . فقال له بعضُ من معنا من بنى غِفار — أو من بنى عَبْس — : مرحباً بك يا أبا عبد النَّعيم، فما هذا الزّىّ ؟ فقال : قد دَعانى بعضُ أودَّائى من الأَعراب فخرجتُ إليهم ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أسيد » .
(٢) أخذت : سحرت .
(٣) استمر : قوى واستقام أمره .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « هذا » .
(٥) ليفرخ روعكم : ليذهب رعبكم وفزعكم .

وأحببتُ أن أتخطّى الأحيـاء فلا يُنْـكرونى . فسألت الرجل أن يغنّينا . فاندفع ونَقر بدُفٍّ كان معه مُربَّع . فلقد خُيِّل إلىّ أنّ الوادى يَنْطق معه حُسناً ، وتعجّبنا من عِلْمه وما أخبرنا به من أمر صاحبنا .

وكان الذى غَنَّى به فى شِعر عُروة بن الوَرْد فى سَلْمى اُمرأته الغِفارِيّة ، حيث رَهنها على الشراب ، وهو :

سَـقَوْنى الخمرَ ثم تكنّفونى ... ألا للهِ(١) مِن كَذِب وزُورِ
وقالوا لستَ بعـدَ فداء سَلْمَى ... بمُغْنٍ ما لديك ولا فَقـير
فلا واللهِ لو مُلِّـكْتُ أمرى ... ومَنْ لى بالتـدبُّر فى الأُمور
إذاً لعصيتُهم فى حُبّ سَـلْمَى ... على ما كان من حَسَكِ(٢) الصُّدور
فيا للنّاس كيف غُلِبْتُ أمرى ... على شىء ويكرهُـه ضَميرى

حـديث عروة وامرأته سـلمى الغفارية

ثم ذكر أبو الفرج سَبب هذه الأبيات ، فقال :

لمـا غزا رسولُ الله صلّى الله عليـه وسلّم بنى النَّضير من اليهود وأجلاهم عن المدينة ، خَرجوا يُريدون خَيْبر يَضربون بالدُّفوف ويَزْمُرون بالمَزامير ، وعلى النِّساء المُعَصْفراتُ وحُلِىُّ الذّهب ، مُظْهرين بذلك تجلُّداً ، ومرّتْ فى الظُّعن(٣) يومئـذٍ سَـلمَى امرأة عُروة بن الوَرد ، وكان عُروة حَليفاً فى بنى عمرو بن عَوْف ، وكانت سَلمى من بنى غفار ، فسباها عُروة من قومها ، وكانت ذات جمال فولدتْ له أولاداً . وكان شديدَ الحُبّ لها ، وكان ولدُه يُعيَّرون بأُمهم ويُسَمَّوْن بنى الأَخيـذة ، أى السبيَّة . فقالت : ألا تَرى ولدك يُعـيَّرون ! قال : فماذا تَريْن ؟ قالت : أرى أن تَرُدَّنى إلى قومى حتى يكونوا هم الذين يزوِّجونك . فأنعم لهـا(٤) . فأرسلت

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عداة الله » مكان « ألا لله » .
(٢) الحسك : الشوك . ويريد بحسك الصدور ، الحقد والعداوة .
(٣) الظعن : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى هودجها . (٤) أنعم لها : قال لها : نعم .

إلى قومهـا : أنِ القَوْه بالخمر ثم اتركوه حتى يَسكَر و يَثْملَ ، فإنه لا يُسأل حينئذٍ شيئاً إلّا أعطاه . فلقُوه ، وقد نزل فى بنى النَّضير ، فسقَوْه الخمر . فلما سَكِر سألوه سَلْمى . فردَّها عليهم . ثم أنكحوه بعدُ . و يقال : إنما جاء بها إلى بنى النضير . وكان صُعلوكاً بغير مال[1] ، فسقوه الخمر. فلما انتشى منعوه ، ولاشىء معه إلا امرأته فرَهنها عندهم . ولم يزل يشرب حتى غَلِقَتْ[2] . فلما قال لها : انْطلقِى . قالوا[3] : لا سبيلَ إلى ذلك ، فقد أغْلقتها[3] . فبهذا صارت عند بنى النَّضير . فقال فى ذلك الشعرَ المُتقدِّم ذكرُه .

مروان بن الحكم والنغاشى المخنث وطويس

وذُكر أنه كان بالمدينة مُخنَّث يقال له النُّغَاشىّ ، فقيل لمروان بن الحكم : إنه لا يقرأ من أمِّ الكِتاب شيئاً . فبعث إليه ، وهو يومئذ والٍ على المدينة ، فاستقرأه أمَّ الكتاب . فقال : واللهِ ما معى من بناتِها شىء فكيف أقرأ أُمهم ! فقال : أتهزأ ! لا أُمَّ لك ! فأمر به فقُتل فى موضع يقال له : بَطِحَان[4] . وقال : مَن جاءنى بمخنَّث فله عشرة دنانير . فأُتى طُويسٌ ، وهو فى بنى الحارث ابن الخزرج من المدينة ، وهو يُغنِّى بشعر حسَّان بن ثابت الأنصارى :

لقد هاج نفسك أشجانُها وعاودها اليوم أَدْيانُها

فأُخبر بمقالة مَروان ، فقال : ما فضَّلنى الأميرُ عليهم بفَضل حين جعل فىّ وفيهم شيئاً واحداً ! ثم خَرج حتى نَزل السُّوَيداء — على ليلتين من المدينة فى طريق الشأم — فلم يزل بها عُمْرَه .

موته

ومات فى خلافة عبد الملك بن مَروان .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يغير » من الإغارة .
(٢) غلق الرهن فى يد المرتهن : استحقه ، ولم يقدر الراهن على افتكاكه فى الوقت المشروط .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « قالت ...... أغلقتنى » .
(٤) بطحان ، بفتح أول وكسر ثانيه : واد بالمدينة .

أخبار سعيد الدارمى

نسبه وحلفه وشىء عنه

وهو من ولد سُوَيد بن زيد . وحِلْفُه إلى بنى نَوفل بن عبد مَناف . وكان فى أيّام عُمر بن عبد العزيز . وكان له أشعار ونَوادر وأصوات من الغناء . وكان من ظُرفاء أهل مكّة . وهو القائل :

ولمّا رأيتُك أوليتنى الْـ ـقبيحَ وأبعدتَ عنّى الجَميلَا
تركتُ وِصالَك فى جانبٍ وصادفتُ فى النّاس خِلّا بَديلَا

حديث تنفيقه خمراً سودا

وقيل : قَدم تاجر من أهل الكوفة بخُمُرٍ[1] فباعها و بَقِيت السُّود منها فلم تَنْفُقْ[2] . وكان صديقاً للدارمىّ ، فشكا ذلك إليه ، وقد كان نَسك[3] وترك الغناء وقولَ الشِّعر ، فقال له : لا تهتمّ بذلك فإنّى سأُنَفِّقها[4] لك حتى تَبيعها أجمعَ ، ثم قال :

قُل للمَليحة فى الخِمار الأسودِ ماذا فعلتِ براهبٍ مُتعبِّدِ
قد كان شمّرَ للصَّلاة ثيابَه حتى وقفتِ له ببابِ المَسجدِ

وغنّى فيه أيضاً سِنانٌ الكاتب ، وشاع فى الناس وقالوا : قد فَتَك[5] الدارمىّ ورَجع عن نُسْكه . فلم تَبقَ فى المدينة ظَريفةٌ إلا ابتاعت خماراً أسودَ ، حتى نَفِد ما كان مع العراقىّ منها . فلمّا علم بذلك الدارمىُّ رَجع إلى نُسكه ولَزِم المسجدَ .

---

(١) الخمر : جمع خمار . وهو ما تغطى به المرأة رأسها .
(٢) تنفق : تروج ويرغب فيها .
(٣) نسك : تزهد وتعبد .
(٤) أنفقها : أروجها .
(٥) فتك : مجن .

ويَحكى أبو هَفّان قال : حضرتُ يوماً بعض مجالس قُوّاد الأتراك ، وكانت له سِتارةٌ فنُصبت ، فقال لها[١] : غنّ صوتَ الحِمار الأَسود المَليح . فلم نَدْر ما أراد حتى غنّت :

* قُل للمَليحة فى الحِمار الأسودِ *

ثم أَمسك ساعةً ، ثم قال لها : غنِّى :

* إنى خَريتُ وجئتُ أَنتقله *

فضحكتْ ثم قالت : هذا يُشبهك ! فلم ندر ما أراد حتى غنّتْ :

* إنّ الخليط أَجــدَّ مُنْتقله *

من بخله وظرفه

وحكى بعضهم قال : كان الدّارمىّ المَكىّ شاعراً ظريفاً ، وكانت[٢] مُتَفتّيات أهل مكّة لا يَطيب لهن مُتنزَّه إلا بالدّارمى ، فاُجتمع جماعةٌ منهنّ فى مُتنزَّه لهنّ ، وفيهنّ صديقةٌ له ، وكُل واحدة منهنّ قد واعدتْ هَواها[٣] . فخرجْن حتى أتين الجُحْفة[٤] وهو معهنّ . فقال بعضُهنّ لبعض : كيف لنا أن نَخْلُوَ مع هؤلاء الرجالِ من الدارمىّ ؟ فإنّا إنْ فعلنا قَطَّعَنا فى الأرض قِطَعا[٥] . فقالت لهنّ صاحبتُــه : أنا أَكفيكُنّه . قُلن : إنّا نريد ألّا يلومَنــا . قالت : علىّ أن ينصرفَ حامداً . وكان أبخلَ النــاس ، فأتتْه فقالت : يا دارمىّ ، إنّا قد تَفِلْنا[٦] فاجلُبْ لنا طِيباً . قال : نعم ، هو ذا ، آتِى سوقَ الجُحْفة آتيكنّ منها بطيبٍ . فأتى المُـكارين فاُكترى حِماراً فطار عليه إلى مكّة ، وهو يقول :

(١) كذا فيما بين أيدينا من أصول الأغانى ، يريد الجارية التى أمرها بالغناء . ولم يتقدم لها ذكر .

(٢) تفتت الجارية : راهقت فحبست ومنعت من اللعب مع الصبيان .

(٣) هواها : من تهواه وتحبه .

(٤) الجحفة : قرية بطريق المدينة على أربع مراحل من مكة . وهى ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة . فإن مروا بالمدينة فيقاتهم ذو الحليفة .

(٥) أى إنه يمزق أعراضهن وينشر ذلك فى الأرض بين الناس .

(٦) تفلنا ، أى تغيرت رائحتنا لطول العهد بترك الطيب .

أنَا باللهِ ذى العــــزّ ... وبالرُّكْنِ وبالصَّخْرَهْ
منَ اللّائى يُرِدْنَ الطِّيـ ... ـبَ فى اليُسرة والعُسْرَه
وما أقوَى على هــــذا ... ولو كنتُ على البَصْره

فمكث النسوةُ ما شِئن . ثم قَدِم مكة فلقيتْه صاحبتُه ليــلةً فى الطَّواف ، فأخرجته إلى ناحيــة المسجد فجعلت تُعاتبه على ذَهابه ويُعاتبها ، إلى أن قالت : يا دارمىّ ، بحق هذه البَنِيَّة[١] ، أتُحِبُّنى ؟ قال : نعم . فبحقِّ هذه البَنِيّة أتحبينى ؟ قالت : نعم . قال : فيالَكِ الخــــيراتُ ! أنت تُحِبِّينى وأنا أُحبك ، فما مَدْخل الدراهم بيننا !

هو عبد الصمد ابن على

وقيل :

كان الدارمىّ عند عبد الصَّمد بن علىّ بن عبد الله بن العبَّاس يُحدّثه ، فأَغْفَى عبدُ الصمــد . فعطَس الدارمىُّ عَطْسَةً هائلة ، ففزِع عبد الصمد فَزَعاً شــديداً وغَضِب غضباً شديداً ، ثم استوى جالساً وقال : يا عاضّ كذا من أُمه ، أتُفزِّعنى ، قال : لا والله ، ولــكن هكذا عُطَاسى ! قال : والله لأَنْقعنَّك فى دَمك أو لتأتينّى ببيّنة على ذلك . قال : فخرج ومعــه حَرَسِىٌّ[٢] لا يدرِى أين يَذهب به . فلقيه أبو الزِّناد المكّى[٣] ، فسأله . فقال : أنا أشهد لك . فمضى حتى دخل على عبد الصمد ، فقال له : بِمَ تَشهد لهــذا ؟ قال : إنّى رأيتُه مرةً عَطس عطسةً فسقط ضِرْسُــه . فضَحك عبدُ الصَّمد وخلَّى سبيلَه .

---

(١) البنية : الكعبة .

(٢) الحرسى ، نسبة إلى الحرس ، جعل علما على الجمع لهذه الحالة المخصوصة ، ولا يستعمل له واحد من لفظه ، ولهذا نسب إلى الجمع .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ابن الريان المكى » وهو أبو حامد محمد بن عبد الرحمن ابن هشــام .

هو ومحمد بن إبراهيم

وقيل :

قال محمدُ بن إبراهيم الإمام للدارمىّ : لو صلحت عليك ثيابى لكسوتك .
قال : فَديتُك ! إنْ لم تَصلُح علىّ ثيابُك صَلَحت علىّ دنانيرُك .

مع عبد الصمد ابن على وقد أحضر رجل من الشراة

وقيل :

مَدح الدارمىُّ عبدَ الصَّمد بن علىّ بقصيدة واُستأذنه فى الإنشاد، فأذن له . فلما فرغ أُدخل إليه رجلٌ من الشُّراة[1] ، فقال لغُلامه : أَعْطِ هذا مائة دينار ، واُضرب عُنقَ هذا . فوثب الدارمىُّ فقال : بأبى وأُمّى ! برُّك وعقوبتُك جميعاً نقْد ، فإن رأيتَ أن تبدأ بقتل هذا ، فإذا فرَغ منه أمرتَه فأعطانى ، فإنى لن أرِيم من حَضرتك حتى تفعل ذلك . قال : ولِمَ ؟ ويلك ! قال : أخشى أنْ يغلَط فيما بيننا ، والغلَط فى هذا لا يُستقال . فضَحك وأجابه إلى ما سأل .

كلامه وقد أصابته قرحة

وقيل :

أَصابت الدارمىَّ قُرحةٌ فى صدره ، فدَخل إليه بعضُ أصدقائه [يعوده] فرآه قد نَفَث مِن فيه نفثاً أخضرَ ، فقال له : أَبْشر فقد أخضرّت القَرحة وعوفيت .
فقال : هيهات ! والله لو نفثتُ كل زمرُّدة فى الدُّنيا ما أَفلتُّ منها .

شعره الذى فيه الغناء

وشعرُه الذى فيه الغناء واُفتتح أبو الفرج به أخباره ، هو :

أَفِقْ يا دارمىُّ فقد بُليتا وإنّك سوف توشك أن تموتا
أراك تَزيد غَشْياً[2] كُلَّ يومٍ إذا ما قلتَ إنك قد بَريتا

---

(١) الشراة : الخوارج .

(٢) غشى عليه ، بالبناء للمجهول ، غشيا ، بالفتح والضم : نابه ما غشى عقله . وفى بعض أصول الأغانى : « عشقا » .

أخبار هلال بن الأسعر المازنى

نسبه وشىء عنه

هو هِلال بن الأَسعر بن خالد بن الأَرْقم بن قُسَيْم بن ناشِرةَ بن سيّار بن رِزَام بن مازن بن مالك بن عمرو بن تَميم بن أُدّ بن طابخة بن اليأس بن مُضَر ابن نزار بن مَعدّ بن عَدْنان . شاعر إسلامىّ من شعراء الدولة الأموية — قال أبو الفرج : وأظنّه قد أدرك الدولةَ العبّاسيَّة — وكان رجلاً شديداً عظيمَ الخَلْق ، أ كولاً معدوداً من الأَكلة ، فارساً شُجاعاً عظيمَ الغَناء فى الحرب . وعُمِّر عُمراً طويلاً ، ومات بعد بَلَايا عظامٍ مرّت على رأسه .

رثاؤه لابن قنبر

وكان رجلٌ من قومه من بنى رِزام ، يقال له : المُغيرة بن قَنْبر ، يَعُوله ويُفْضِل عليه ويحتمل ثِقْله وثِقْل عِياله فهلك ، فقال هلالٌ يرْثيه :

ألا ليتَ المُغيرةَ كان حيًّا	وأَفْنَى قبلَه الناسَ الفَناء
لِيَبْكِ على المُغيرة كُلُّ خيلٍ	إذا أَفنى عَرائكَها[1] اللِّقاء
ويَبْكِ على المُغيرة كُلُّ جَيْشٍ	تَمُور[2] لدى مَعاركه الدِّماء
لقد وارَى جديدُ الأرضِ[3] منه	خِصالاً عَقْدُ عِصْمتها الوَفاء
فصبراً للنَّوائب إن أَلمّت	إذا ما ضاق بالحَدَث الفضاء[4]
هِزَبْرٌ تَنْجلى الغَمَراتُ عنه	نَقِىُّ العِرْض هِمَّتُه العَلاء
إذا شَهِد الكَرِيهةَ خاض منها	بُحوراً لا تُكدِّرها الدِّلاء

---

(١) العرائك : جمع عريكة ، وهى القوة والشدة .

(٢) تمور : تجرى وتسيل .

(٣) جديد الأرض : ظهرها .

(٤) فى الأصل : « النساء » مكان « الفضاء » .

جَسُورٌ لا يُرَوَّع عنـــد رَوْعٍ ولا يَثْنى عزيمَتَـــه أُتِّقـــاء
حَلِيمٌ فى مَشـــاهده إذا ما حُبَـا الحُلمـاء أَطلقهـا المِرَاء[1]
فإن تكن المَنِيَّة أَقْصَـدتْه وحُمَّ عليــه بالتَّلفِ القضاء[2]
فقـــد أَوْدَى به كرمٌ وخِيرٌ وعَوْدٌ بالفضـــائل وابتـــداء

من قوته

وذُكر أنّ هِلالَ بن الأَسْعر كان فى إبل له ، وذلك عند الظَّهيرة فى يوم شديدِ وَقْع الشَّمس مُحْتَدِم الهاجرة ، وقد عَمدَ إلى عَصاه فطرح عليها كِساءه ، ثم أَدخل رأسَـه تحت كسائه من الشَّمس . فبينا هو كذلك إذ مرَّ به رجلان : أحدهما من بنى نَهْشَل والآخر من بنى تَميم[3] ، كانا أشـدَّ تميميَّيْن فى ذلك الزمان بطشاً ، وقد أقبـلا من البحرَيْن معهما أَنْوَاطٌ[4] من تمر هَجَر . وأُنتهيا إلى الإبل ولا يَعرفان هِلالاً بوجهه ولا يَعرفان أنَّ الإبل له ، ثم نادَيا : يا راعِى . أعندك شرابٌ تسْقينا ؟ وهما يظُنانه عبداً لبعضهم . فنـاداهما هلالٌ ورأسُه تحت كسائه : عليكما الناقةَ التى صِفَتُها كذا فى موضع كذا فأُنتحياها[5] ، فإنّ عليها وَطْبَين[6] من لَبن ، فأُشربا منهـا ما بدا لـكما . فقال أحدُهما : انهض وَيْحك يا غلام ! فأْتِنـا بذلك اللَّبن . فقال : إنْ تكن لـكما حاجة فستأتيانها فتحدُران[7] الوَطْبين فتشربان . فقال أحدُهما : يأُبن اللَّخْناء ، إنك لغَلِيظ الـكلام ، قُم فأُسْـقنا . فقال : أراكما والله ستَلْقيان هواناً وصَغاراً . وسَمعا ذلك منه . فدنا أحدُهما فأَهْوى له ضرباً بالسَّوط

(١) الحبا : جمع حبوة : وهى الثوب يحتبى به . وإطلاق الحبا : كناية عن السفه والطيش . والمراء : المخاصمة والمجادلة .
(٢) أقصدته : أصابته . وحم : قضى وقدر .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فقيم » .
(٤) أنواط : جمع نوط ، وهو الجلة الصغيرة فيها التمر ونحوه .
(٥) انتحياها : اقصداها .
(٦) الوطب : سقاء اللبن .
(٧) تحدران : تدنيان . وفى بعض أصول الأغانى : « فتجدان » .

على عَجُزه . وهو مُضطجع . فتناول هلالٌ يدَه فاُجتذبه إليه فرَمى به تحت فَخذه ثم ضَغطه ضغطة . فنادى صاحبَه : ويحك ! أَغِثنى فقد قتلنى . فدنا صاحبُه منه ، فتناوله هلالٌ أيضاً فاُجتذبه فرَمىبه تحت فخذه الأخرى ، ثم أَخذ برقابهما فجعل يَصُك رأسَيْهما بعضاً ببعض ، لا يَستطيعان أن يَمْتنعا منــه . فقال أحدُهما : كُن هلالاً ولا نُبالى [ما صنعت] . فقال لهما : أنا والله هلالٌ ، ولا والله لا تُفلتان منّى حتى تُعطيانى عهداً وميثاقاً لا تَخيسان(١) به لتأتيانِّ المِرْبد(٢)،إذا قدمتُما البصرة ، ثم لتُناديانِّ بأعلَى صوتِكما بما كان منّى ومنكما . فعاهداه وأَعطياه نَوْطاً من التَّمر الذى معهما ، وقدما البصرةَ فأتيا المِربد فنادَيا بما كان منه ومنهما .

وحدّث كُنَيف بن عبد الله المازنىّ قال :

كنتُ يوماً مع هلال ونحن نبْغى إبلاً لنا ، فدَفعْنا إلى قوم من بكر بن وائل ، وقد لَغِبْنا(٣) وعطِشْنا . وإذا نحن بفتْية شبابٍ عند رَكيّة لهم ، وقد وَردت إبلُهم . فلمّا رأوا هلالاً اسْتَهولُوا خَلْقه وقامَته . فقام رجلان منهم إليه ، فقال له أحدُهما : يا عبد الله ، هل لك فى الصِّراع؟ فقال له هلالٌ : أنا إلى غير ذلك أحوجُ . قال : وما هو ؟ قال : إلى لَبن وماء فإنّى لَغِب ظمآنُ . قال : ما أنت بذائقٍ من ذلك شيئاً حتى تُعطِيَنا عهــداً لتُجيبنَّنا إلى الصِّراع إذا أَرحْتَ(٤) ورويت . فقال لهما هلال: إنّى لكما ضيفٌ ، والضيفُ لايُصارعآهِلَه(٥) ، ورَبَّ منزله ، وأنتم مُكْتفون من ذلك بما أقول لــكم : اُعمدوا إلى أشدّ فحْــل فى إبلــكم شدّةً وهيْبة وصوْلة ، وإلى أشــدّ رجل منكم ذراعاً ، فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يَد صاحبكم ،

---

(١) لا تخيسان : لاتغدران .

(٢) المربد : من أشهر محال البصرة .

(٣) لغبنا : تعبنا وأصابنا الإعياء .

(٤) أرحت : رجعت إليك نفسك بعد الإعياء .

(٥) آهله : أى المرحب به .

فلا يمتنع الرجلُ ولا البعيرُ حتى أُدخلَ يد الرجل فى فم البعير ، فإن لم أفعلْ ذلك فقد صرعتمونى ، و إن فعلتُه عرفتُم أن صِراع أحدكم أيسرُ من ذلك . فعجبوا من مقالته تلك ، وأَومأوا إلى فحل من إبلهم هائجٍ صائلٍ قَطِم [١] . فأتاه هلالٌ ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم ، فأَخذ بهامةِ الفحل مما فوق مِشْفره فضغطها ضَغطةً جَرْجر [٢] الفحل منها وٱستخذى ورَغَا . وقال : لِيُعْطِنى من أحببتُم يدَه حتى أُولجها فى فَم هذا الفَحل . فقال الشيخ : يا قوم ، تنكَّبوا عن هذا الشيطان ، والله ما سمعتُ أنّ فلاناً [٣] — يعنى الفحل — جَرْجر منذ بَزَل [٤] قبل اليوم . لا تَعْرضوا لهـذا الشَّيطان . وجعلوا يَتْبعونه و ينظرون إلى خطْوه و يعجبون من طُول أعضائه حتى جازهم .

وحكى هلال قال : قدمتُ المدينـةَ وعليها رجلٌ من آل مَروان ، فلم أَزل أضعُ عن إبلى وعليها أحمالٌ للتجّار ، حتى أُخِذ بيدى وقيل : أجب الأمير . فقلت لهم : وَيْحـكم ! إبلى وأحْمالى ! فقيـل : لا بأسَ على إبلك وأحمالها . قال : فٱنطُلِق بى حتى أُدخلت على الأمير . فسلّمْتُ عليـه ثم قلتُ : جُعلتُ فداكَ ! إبلى وأمانتى ! فقـال : نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤدّيها إليك . قال : فقلت عند ذلك : فما حاجةُ الأمير إلىّ ؟ جعلنى الله فداه ! فقال لى — و إلى جانبه رجل أصفر —: لا والله ما رأيتُ أشدَّ خلقاً منه ولا أغلَظ عُنقاً ، ما أدرى أطُولُه أكثر أم عرْضه — إنّ هذا العبد الذى تَرى لا والله ما ترك بالمدينة عربيًّا يُصارِع إلّا صَرعه ، و بلغنى عنك قُوة ، فأردتُ أن يُجْرِىَ الله صَرْعَ هذا العبدِ على

(١) القطم : الهائج .

(٢) جرجر : ردد صوته فى حنجرته .

(٣) المسموع أن « فلاناً » و « فلانة » بغير أل يكنى بهما عن الآدميين ؛ وأنهما مع « أل » يكنى بهما عن غيرهم .

(٤) بزل : فطرنا به ودخل فى سنته التاسعة .

يَدَيْك فتُدْرِكَ ما عنده من أوتار العرب . قال : فقلت : جَعلنى الله فداء الأمير ، إنّى لَغِبٌ نصِبٌ جائع ، فإن رأى الأميرُ أنْ يَدعنى اليوم حتى أضع عن إبلى وأُوَدِّى أمانتى وأُرِيحَ يومِي هـذا وأجيئَه غداً فليَفعل . فقال لأعوانه : انطلقوا معه فأعينوه على الوَضْع عن إبله وأداء أمانته ، وانطلقوا إلى المطبخ فأَشْبعوه . ففعلوا جميعَ ما أمرهم به . قال : فظَلِلْتُ يومى ذلك و بتُّ ليلتى تلك بأحسن حال شِبعاً وراحة وصـلاحَ أمر . فلمّا كان من الغد غدوتُ عليه وعلىّ جُبَّة لى صوفٌ [و بَتٌّ][1] وليس علىَّ إزار ، إلّا أنّى قد شددتُ بعمامتى وسَطى . فسلّمت عليه . فردَّ علىّ ، وقال للأصفر : قُم إليـه فقد أتاك الله بما يُخزِيك . فقال العبدُ : اتَّزِرْ يا أعرابىّ . فأخذتُ بَتِّى فاتَّزرتُ به على جُبَّتى . فقال : هيهات ! هذا لا يثبُت ، إذا قبضتُ عليـه جاء فى يدى . قال : فقلت : والله مالى من إزار . فدعا الأمير بمِلْحفة، ما رأيتُ قبلها ولا عَلا جِلْدى مثلُها، فشددتُ بها على حَقْوِى[2]، وخلعت الجبة . وجَعل العبـدُ يدُور حولى و يُريد خَتْلى ، وأنا منه وجِلٌ لا أدرى كيف أَصنع به ، ثم دنا منى دَنوةً، فنَقد[3] جَبْهتى بظُفْره نقدةً ظننتُ أنه قد شَجَّنى ، فأَوجعنى . فغاظنى ذلك ، فجعلتُ أنظر فى خَلْقه بم أقبض منـه ، فما وجدتُ فى خلقه شيئاً أصغر من رأسه ، فوضعتُ إبهامىّ فى صُدْغيه وأصابعى الأُخرى فى أصل أُذنيـه ، ثم غمزته غمزةً صاح منها : قَتلنى ! فقال الأمير : اُغمِس رأسَه فى التُّراب . فقلت له : ذلك لك علىّ. فغمستُ والله رأسه فى التُّراب، ووقع شبيهاً بالمَغشىّ عليـه . فضحك الأميرُ حتى استلقى ، وأمر لى بجائزة وكُسوة ، ثم انصرفتُ .

---

(١) البت : كساء غليظ مهلهل .

(٢) الحقو: الخصر .

(٣) نقد : نقر .

خبره مع الجلانى

وكان هلال بن الأشعر ضربه رجلٌ من بنى جَلَّان ، يقال له : عُبَيد ابن حَرِىّ ، فى شىء كان بينهما ، فشَجَّه وخَمَشه خُمَاشةً . فأتى هلالٌ بنى جَلَّان فقال : إنَّ صاحبكم قد فعَلَ بى ما تَرَوْن ، فخذُوا لى بحقِّى . فأوعدوه وزَبروه[1]. فخَرَج من عندهم وهو يقول : عسى أن يكون لهذا جزاء حتى آتيَ بلادَ قومه . فمضى لذلك زمنٌ طويل حتى درس ذِكْره . ثم إنَّ عُبيد بن حَرِىّ قدِم الوَقَبى — وهو موضع من بلاد مالك — فلمّا قدِمها ذكَر هلالاً وما كان بينه و بينه ، فتخوّفه ، فسأل عن أعزّ أهل الماء ، فقيل له : مُعاذ بن جَعْدة بن ثابت بن زُرارة ابن ربيعة بن سيّار بن رِزام بن مازن . فأتاه فوَجده غائباً عن الماء ، فعقد عُبَيد ابن حرىّ طرف ثيابه إلى جَنب طُنُبِ بيت مُعاذ — وكانت العربُ إذا فعلت ذلك وَجب على المَعقود بطُنُب بيته للمُستجير به أن يُجيره وأن يطلب بظُلامته — وكان يوم فعل ذلك غائباً عن الماء . فقيل : رجلٌ استجار بآل مُعاذِ بن جَعْدة . ثم خَرج عُبيد بن حَرىّ ليستقىَ ، فوافق قُدومَ هلالٍ بإبله يومَ وُروده . وكان هلال يأكل ما وجد عند أهله ثم يَرِد مع الإبل، ثم يَرجع إلى أهله بعد أيّام ولا يتزوّد طعاماً ولا شراباً . فلما نَظر هلالٌ إلى ابن حرىّ ذكر ما كان بينه و بينه . ولم يعلم باُستجارته بمُعاذ بن جَعدة ، فطلب شيئاً يَضربه به فلم يَجد ، فانتزع المِحْوَرَ من الساقية فعلاه به ضربةً على رأسه ، فصرعه وَقيذاً[2]. وقيل : قَتل هلالُ ابن الأشعر جارَ مُعاذ بن جَعدة ! فلما سَمِع ذلك هلالٌ تخوّف بنى عمّه الرِّزاميِّين، فأتى راحلتَه ليركَبها ، فتعلّقت به خولةُ بنت يَزيد بن ثابت ، وقالت : عدوّ الله ! قتلتَ جارَنا ! والله لا تفارقنى حتى يأتيك رجالُنا . قال هلال : والمِحْوَر فى يدى لم أضعه ، فهممتُ أن أعْلُو به رأس خَولة ، ثم قلت فى نفسى : عَجوزٌ لها سِنٌّ

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وزجروه » وهما بمعنى .

(٢) الوقيذ : الذى أشفى على الموت .

وقرابة . فضربتُها برجلى ضربة رميتُ بها من بعيد ، ثم أتيتُ ناقتى فأركبُها ثم أضربها هارباً . وجاء مُعاذ بن جَعدة وإخوتُه ، وهم يومئذ تسعة ، وعبد الله ابن مالك زَوج بنت مُعاذ ، وذلك فى آخر النهار ، فسمعُوا الواعية(١) على الجلّانيّ ، وهو دَنِفٌ [لم يمت] . فسألوا عن تلك الواعيـة ، فأُخبِروا بما كان من استجارة الجلّانى بمُعاذ بن جَعْدة ، وضَرْب هلال له بعد ذلك . فركب الإخوة التّسعة وعبد الله بن مالك عاشرُهم ، وكانوا أمثال الجبال فى شدّة خَلقهم مع نَجدتهم . وركبوا معهم بعشرة غِلْمة لهم أشدّ خِلْقة منهم ، لا يقع لأحدٍ منهم سهمُه فى غير موضعه الذى يُريده ، حتى تَبعوا هلالاً . وقد نَسل(٢) هلالٌ من الهرب يومَه ذلك كلّه وليلتَه ، فلما أصبح أمِنهم وظنّ أن قد أبعد فى الأرض ونجا منهم . فلما أصبحوا من تلك الليلة قَصُّوا أثَره ، وكان لا يَخفى أثَرُه على أحدٍ لِعظَم قَدَمه . فلحقوه من بَعد الغد . فلمّا أدركوه، وهم عِشرون ومعهم النَّبْل والقِسيّ والسُّيوف ، ناداهم : يا بنى جَعدة ، أنشدُكم الله ! أن أكونَ قتلتُ رجلاً غَريباً بترةٍ تقتلوننى وأنا ابنُ عمّكم ! وظَن أنّ الجلّانى قد مات ، ولم يكن مات إلى أن اتّبعوه وأخذوه . فقال مُعاذ : والله لو أيقنّا أنه مات ما ناظرنا بك القتلَ(٣) من ساعتنا ، ولكنّا تركناه ولم يَمُت ، ولسنا نحب قتلَك إلا إن تمتنع منّا ، ولا نُقدِمُ عليك حتى نَعلم ما يَصنع جارنا . فقاتلهم وامتنع منهم . وجعل مُعاذ يقول لأصحابه وغِلْمانه : لا ترْموه بالنَّبل ولا تَضربوه بالسُّيوف ، ولكن ارمُوه بالحِجارة واضربوه بالعصيّ حتى تأخذوه . ففعلوا ذلك ، فما قَدروا على أخذه حتى كسروا من [إحدى] يديه ثلاثَ أصابع ومن الأُخرى إصْبعين ، ودقُّوا ضِلَعينِ من أضلاعه، وأكثروا الشِّجاج فى رأسه ،

---

(١) الواعية : الصراخ على الميت .

(٢) نسل : أسرع فى سيره .

(٣) ما ناظرنا بك القتل ، أى ما أخرناه .

ثم أخذوه وما كادوا يقدرون على أخذه ، فوضعوا فى رجله أدْهم[١] ، ثم جاءوا به وهو مَعروض على بعيرٍ حتى انتهَوْا به إلى الوَقَبى، فدَفعوه إلى الجلّانى ولم يمُت . فقالوا : أنطلقوا به إلى بلادكم ولا تُحدثوا فى أمره شيئاً حتى تنظُروا ما يُصْنَع بصاحبكم، فإن مات فاقتلوه ، و إن حَيِيَ فأعلمونا حتى نحملَ إليكم أَرْش[٢] الجناية . فقال الجلّانيُّون : وَفَتْ ذمّتكم يا بَنى جَعْدة ، وجزاكم الله أفضلَ ما يَجْزى خِيار الجيران ، إنّا نتخوّف أن يَنْزِعه منّا قومُكم إن خلّيتم عنّا وعنهم وهو فى أيدينا. فقال لهم مُعاذ : فإنى أحمله معكم وأُشيعكم حتى تَردوا بلادَكم . ففعلوا ذلك . فحُمل معروضاً على جَمل ، ورَكبتْ أختُه جَماء بنت الأسعر معه ، وجعل يقول : قتلتْنى بنو جَعْدة . وتأتيه أختُه بالمَغْرة[٣] ليشربَها ، فيُقال : يُمْشِى[٤] بالدّم ، لأنَّ بنى جَعْدة فَرثوا[٥] كَبِدَه فى جَوْفه . فلمّا بَلغوا أدنى بلاد بكر بن وائل ، قال الجلّانيّون لمُعاذ وأصحابه : أَدام الله عزّكم ، فقد وفيتم فانصرفوا . وجعل هِلالٌ يُريهم أنه يُمْشى فى الليلة عشرين مرّة . فلمّا ثقُل الجلّانيّ وتَخوّف هلالٌ أن يموت من ليلته أو يُصبح ميّتاً ، تبرّز هلالٌ كما كان يصنع وفى رجله الأدهم كأنه يَقضى حاجةً ، ووَضع كساءَه على عَصاه فى ليلة مُظلمة ، ثم اعتمد على الأدهم فحطّمه ، ثم طار تحت ليلته على رجليه ، وكان أدلَّ الناس ، فتنكّب الطريق التى تُعرف و يُطلب فيها ، وجعل يَسْلُك المَسالك التى لا يُطمع فيها ، حتى انتهى إلى رجل من بنى أُثاثة بن مازن فحَمله على ناقة له ، فركبها ثم تجنّب بها الطريق ، فأخذ نحو بلاد قَيْس بن عَيْلان تخوُّفاً من بنى مازن أن يتبعوه أيضاً فيأخذوه .

---

(١) الأدهم : القيد .
(٢) الأرش : دية الجراحات .
(٣) المغرة : طين أحمر يصبغ به .
(٤) أمشى الرجل : استطلق بطنه من دواء تناوله .
(٥) فرثوا : فتتوا .

فسار ثلاثَ ليالٍ وأيامها ثم نَزل اليومَ الرَّابع ، فنَحر الناقةَ فأكل لحمَها كلَّه إلّا فَضلةً فَضَلت منها فاحتملها . ثم أتَى بلادَ اليمن فوقع بها ، فلبث بها زماناً ، وذلك عند مَقدم الحجّاج بن يوسف العِراق ، فبلغ إفلاتُه مَن بالبصرة مِن بَكر ابن وائل، فانطلقوا إلى الحجّاج فاستعدَوْه وأخبروه بقَتْله صاحبَهم . فبعث الحجاجُ إلى عبد الله بن شُعبة بن عَلْقمة ، وهو يومئذ عَريف بنى مازن حاضرتِهم وباديتِهم ، فقال له : لتأتينِّي بهلال ولأفعلنّ بك ولأفعلنّ . فقال له عبد الله ابن شُعبة : إنّ أصحاب هِلال و بنى عمّه قد صنَعوا كذا وكذا ، فاقتصّ عليه ما صَنَعوا فى طلبه وأخذِه ودفعه إلى الجلّانيّين وتَشييعهم إيّاه حتى وردوا بلادَ بكر بن وائل . فقال له الحجّاج : ويلك ! ما تقول ؟ فقال بعضُ البكريّين : صدق ، أصلح الله الأمير ! فقال الحجّاج : فلا يُرْغِم اللهُ إلا أنوفَكم ! اشهدوا أنّى قد آمنتُ كلَّ قريب لهلال وحَميم، ومنعتُ من أخذ أحدٍ به ومِن طَلَبه حتى يَظْفَرَ به البكريُّون أو يموت قبل ذلك . وبعث هلالٌ إلى بنى رِزام بن مازن يُعاتبهم ويعظّم عليهم حقَّه ويذكُر قرابته ، وذلك أنّ سائر بنى مازن قاموا ليحملوا ذلك الدَّم . فقال معاذ : لا أرضَى والله أن تَحملوا لجارى دماً واحداً حتى يُحمل له دَمٌ ولجوارى دمٌ آخر ، وإن أراد هلال الأمانَ وَسْطَنا حُمل له دم ثالث . وقال هلال فى ذلك قصيدتَه التى منها :

بَنى مازنٍ لا تطردُونى فإنّنى ... أخوكم وإن جرَّت جرائرَها يدِى
ولا تَجعلوا حِفْظى بظَهرٍ وتَحْفظوا ... بَعيداً ببَغْضاء يَروح ويَغتدى
فإنّ القريبَ حيثُ كان قَريبُكم ... وكيف بقَطْع الكفِّ من سائر اليد
وإنّ البَعيدَ إنْ دنا فهو جارُكم ... وإن شطّ عنكم فهو أبعدُ أَبعد
وإنّى وإن أَوْجدتُمونى[1] لحافظٌ ... لكم حِفْظَ راضٍ عنكمُ غير مُوجد

(١) أوجدتمونى : أغضبتمونى .

وأنّهُم[١] لمـا أرادوا هَضِيمتى مُنُوا[٢] بجميع القَلْب عَضْبٍ مُهنَّد
حُسامٍ متى يَعزِمْ على الأَمر يأته ولم يتوقَّف للعواقب فى غَـد

ولمّا طال مُقامُ هِلال باليمن نَهضتْ بنو مازنٍ بأجمعهم إلى بنى رِزام بن مازن، رَهْط هِلال ورهطِ مُعاذ بن جَعْـدة ، فقالوا : إنكم قد أسأتُم بابن عمّـكم وجُزْتُم الحدّ فى الطلب بدم جاركم ، فنحن نَحمل لـكم ما أردتُم . فحَمل دَيْسم بن المِنْهال ، الذى طَلَب مُعاذُ أن يُحَمل لجاره ، وذلك ثلثمائة بعير . فقال هلالٌ يمدحه :

تدارك دَيسمٌ حسباً ومجـداً رزاماً بعد ما انشقّتْ عَصَاهَا
همُ حَمـلوا المِئين وأَلْحقوها بأَهليها وكانـ لهم سَـنَاهَا

ما يحكى عن أكله

وممّا ذُكر من أكل هِلال أنه قال : جُعتُ مرةً ومعى بعير فنحرتُه وأكلته ، إلا ما حملتُ منه على ظهرى . ثم أردتُ أمرأتى فلم أقدر عليها ، فقالت . ويحك ! كيف تَصل إلىّ و بيننا بعير .

وقيل لهلال : كم تكفيك هذه الأَكلة ؟ قال : أربعة أيّام .

وقيل : إنه مرّ على رجل من بنى مازن بالبصرة ، وقد حَمل من بستانه رُطَباً فى زَوارِيق[٣] ، فجلس على زورق صغير منهـا ، وقد كَثُر الرُّطب فيـه وغُطِّى بالبَوارى[٤] ، فقـال له : يابنَ عَم ، آكُل من رُطَبك هـذا ؟ قال : نعم . قال : ما يكفينى ؟ قال : ما يكفيك . فجلس على صَـدر الزَّورق وجعـل يأكُل إلى أن اكتفى ، ثم قام فانصرف . فكُشف الزورقُ فإذا هو مِلْؤه نوًى ، وقد أكل رُطَبه وألْقى النَّوى فيه .

(١) البيت متصل ببيت سابق ، وهو :
وتعلم بكر أنكم حيث كنتم وكنت من الأرض الغريبة محتدى
(٢) منوا : ابتلوا . (٣) زواريق: جمع زورق ، أشبعت كسرته فولدت منها ياء .
(٤) البوارى : الحصر من القصب .

وحكى صَدقة بن عُبيد المازنىّ قال :

أَوْلَمَ علىَّ أبى (١) لما تزوَّجتُ ، فعَمِل عَشْرة جِفَانٍ من ثَريد من جَزور . فكان أولَ من جاءنا هلالُ بن أسْعر المازنىّ ، فقدَّمنا إليه جَفْنةً فأكلها ، ثم أُخرى حتى أتى على العشرة ، ثم أستسْقى بقِرْبةٍ من نَبيذ ، فوضع طرَفها فى شِدْقه ففرّغها فى جَوفه ، ثم قام وخرج . واستأنفنا عَمل الطعام .

خير الشعر الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى يُغَنَّى فيه لهلال وأُفتتح به أبو الفرج أخبارَه ، هو :

يا رَبْعَ سَلْمى لقد هَيَّجْتَ لى طَرَبَا ... زدْتَ الفؤادَ على عِلّاته وَصَبَا

ربعٌ تبدّل ممّن كان يسكُنه ... عُفْرَ الظِّباء وظُلْمانًا به (٢) عُصَبا

وذُكر أنّ إبراهيم الموصلىّ غنّى الرّشيدَ فى هذا الشعر ، فأُعجب به الرّشيدُ وطَرِب له وأستعاده مراراً . فقال له إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، كيف لو سمعتَه من عبدك مُخارق ! فإنه أخذه عنّى، وهو يفضُلُ فيه الخلقَ جميعاً و يفضُلُنى . فأمر بإحضار مُخارق ، فأُحضر . فقال له غنِّنى :

* يا رَبْعَ سَلْمى لقد هَيجتَ لى طَرَباً *

فغنّاه إيّاه. فبكى وقال: سَلْ حاجَتك . قال مُخارق: فقلتُ : تُعْتِقنى يا أميرالمؤمنين وتُشرِّفنى بولائك ، أعتقك الله من النّار . قال : أنت حُرٌّ لوجه الله ! أعد الصوتَ . فأعدتُه . فبكى وقال : سَلْ حاجتك . فقال : يا أميرالمؤمنين ، ضَيْعَةٌ تقيمنى غلّتُها . فقال : قد أمرتُ لك بها . أعد الصوتَ . فأعدتُه ، فبكى وقال : سَلْ حاجتك . قلتُ : يا أمير المؤمنين ، تأمُر لى بمنزلٍ وفُرش وما يُصلحه ، وخادمٍ فيه . قال : ذلك لك ، أعده . فأعدتُه. فبكى وقال : سَل حاجتَك . فقلتُ: حاجتى يا أميرالمؤمنين

(١) أولم على أبى : عمل لى وليمة زواجى .

(٢) الظلمان ، بالضم والكسر : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام . والعصب : الجماعات ؛ الواحدة : عصبة .

أن يُطيل الله بقاءك ، ويُديمَ عزّك ، ويَجعلَنى من كل سُوء فِداك . فكان مُخارق إذا غنّاه يقول : أنا مولى هذا الصوت .

وذكر مُخارق قال : أقبل الرّشيدُ يوماً على الُمغنِّين وهو مُضطجع ، وقال : مَن منكم يُغنِّى :

* يا رَبْع سَلْمى لقد هيَّجت لى طَرباً *

فقلت : أنا . فقال : هاتِه . فغنَّيتُه ، فطَرِب وشَرِب ، ثم قال : علىَّ بهَرثمةَ . فقلتُ فى نفسى : ما تُراه يُريد منه ! فجاءوا بهَرْثمة فأُدخل إليه ، وهو يَجُر سيفَه . فقال : ياهَرْثمة ، مُخارقٌ الشَّارى الذى قَتلناه بناحيـة الموصل ما كُنْيته ؟ فقال : أبو الُمهنَّأ . فقال : انصرف . فانصرفَ . ثم أقبـل علىّ فقال : كَنَّيتُك أبا الُمهنَّأ لإحسانك . وأمر لى بمائة ألفِ درهمٍ ، فانصرفتُ بها وبالـكُنْية .

أخبار عروة بن الورد

نسبه

وهو عُروة بن الوَرْد بن زيد . وقيل : ابنُ عمرو بن زَيد بن عبد الله بن ناشب ابن هَرِم بن لُدَيم بن عَوْذ بن غالب بن قُطَيعـة بن عَبْس بن بَغيض بن الرَّيث ابن غَطَفان بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عَدنان .

شاعر فارس

شاعرٌ من شُعراء الجاهليّة ، وفارسٌ من فُرسانها ، وصُعلوكٌ[1] من صَعاليكها المَعدودين المُقدَّمين الأجواد .

لقبه

ويُلقّب : عُروةَ الصَّعاليك ، لجَمْعه إيّاهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غَزواتهم ، ولم يكن لهم معاشٌ ولا مَغزًى . وقيل : إنما لُقِّب بذلك لقوله من أبيات :

وللهِ صُعلوكٌ صَفيحةُ وَجْهه   كضوء شهابِ القابِس المُتنوِّرِ

لعبد الملك فيه

وحُكى أنّ عبدَ الملك بن مَروان قال : ما يَسُرّني أحدٌ من العرب لم يلدْني أنه وَلدَني إلّا عُروةَ الصَّعاليك بن الوَرد ، لقوله :

إنّي امرؤٌ عافِي إنائيَ شِرْكةٌ   وأنت امرؤٌ عافِي إنائك واحدُ
أتهزأ منّي أن سَمِنتَ وأنْ ترى   بجسمي مَسَّ الحقِّ والحقُّ جاهِد
أُفرِّق جِسْمي في جُسومٍ كثيرةٍ   وأَحْسُو قَراح الماء والماءُ بارد

بين عمر بن الخطاب والحطيئة في حديث يتصل به

وقال عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه للحُطيئة : كيف كُنتم في حَرْبكم ؟ قال : كُنّا ألفَ حازم . قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيسُ بن زُهير وكان حازماً ، وكنّا لا نَعْصيه ، وكُنّا نُقْدِم بإقدام عَنْترة ، ونأتمّ بشعر عُروة بن الوَرْد ، وننقاد لأمر الرَّبيع بن زِياد .

(١) الصعلوك : الفقير . وصعاليك العرب : لصوصها .

لعبد الملك فى جوده

وقال عبدُ الملك : مَن زَعم أنّ حاتماً أسمحُ الناسِ فقد ظَلَم عُروة بن الوَرْد .

نهى ابن جعفر لمعلم ولده عن بيت له

وكان عبـدُ الله بن جَعفر يقول لمُعلِّم ولده : لا تُروِّهم قصيدةَ عُروةَ بن الوَرْد التى يقول فيها :

دَعِينى للغِنَى أَسـعى فإنِّى رأيتُ النـاسَ شرُّهم الفَقِيرُ

ويقول : إنّ هذا يَدْعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم .

خبره مع امرأة سباها

ذُكر أنّ عُروة سَبى امرأةً وولدتْ له ، وكانت تُعيَّر بالسِّباء . وقد تقدَّم ذِكْرُ ذلك[١] . وأنّ قومها سَقوه الخمر ، فلما سَكِر طلبوا منـه أن يُفادِىَ بها ، وأغْلوا له فى الفِداء ، فأجاب . فلما صَحا نَدِم . فشُهد عليه بالفداء، فلم يَقدر على الامتناع . وجاءت المرأةُ تُثْنى عليه ، فقالت : إنّك واللهِ ما علمتُ لضَحوكٌ مُقبلاً ، كَسُوبٌ مُدْبراً ، تُرْضى الأهل والجانب[٢] . ما أعلم امرأةً من العرب ألقتْ سِتْرها على بَعل خيرٍ منك ، أغَضَّ طَرْفاً ، وأقلَّ فُحشاً ، وأجودَ يداً ، وأَحمَى لحقيقته ، فاستوص ببَنيك خيراً . ثم فارقتْه . فتزوّجها رجلٌ من بنى عمّها . فقال لها يوماً من الأيّام : يا سَلْمى ، أَثْنى علىَّ كما أثنيتِ على عُروة — وقد كان قولُها فيه شُهِر — فقالت له : لا تُـكلِّفنى ذلك ، فإنى إن قلتُ الحقَّ غضبتَ ، ولا واللّاتِ والعُزَّى لا أكْذبُ . فقال : عزمتُ عليكِ لَتأْتينِّى فى مجلس قومى فَلَتُثْنِينَّ علىَّ بمـا تَعلمين . وخرج فجلس فى نَدِىّ القوم ، وجاءت ، فرماها الناسُ بأبصارهم ، فوقفتْ عليهم وقالت : أنْعموا صباحاً ، إنّ هذا عَزم علىّ أن أُثنى عليه بما أعلم . ثم أَقبلتْ عليه فقالت : واللهِ إنّ شِمْلَتك لالْتِحاف ، وإن شُرْبك لاشْتفاف[٣] ، وإنك لَتنام ليلةَ تَخافُ ، وتَشبع ليـلَةَ تُضاف ، وما تُرضى الأهلَ ولا الجانبَ . ثم انصرفت . فلامه قومُه وقالوا : ما كان أغناكَ عن هذا القولِ منها !

---

(١) انظر ص ٣٢٧ من هذا الجزء . (٢) الجانب : الغريب .

(٣) الاشتفاف : شرب كل ما فى الإناء .

كان يجمع إليه الصعاليك

وقيل : كان عُروة بن الوَرْد إذا أصابتِ الناسَ سنةٌ شديدةٌ تركوا فى دارهم المريضَ والكبيرَ والضَّعيف . وكان عُروة يجمع أَشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته فى الشدّة ثم يحْفر لهم الأَسرابَ وَيكنُف لهم الكُنفَ(١) ، و يكسُوهم . ومَن قوِى منهم — إمّا مريضٌ يبرأ من مرضه ، أو ضعيف تثُوب قُوتُه — خَرَج به معه فأغار ، وجَعل لأصحابه الباقين فى ذلك نَصيباً ، حتى إذا أخصب الناسُ وأَلْبنوا وذَهبت السنةُ ، ألحق كُلَّ إنسان بأهله ، وقَسم له نصيبَه من غَنيمةٍ ، إن كانوا غَنموها. فربما أتى الإنسانُ منهم أهلَه وقد استغنى ، فلذلك سُمِّى : عُروة الصَّعاليك. فقال فى ذلك فى بعض السنين ، وقد ضاقت حالُه :

لعَلَّ ارتيادى فى البلاد و بغْيَتى … وشَدِّى حيازيمَ المطيَّةِ بالرَّحْلِ
سيَدْفعُنى يوماً إلى ربِّ(٢) هَجْمة … يُدافع عنها بالعُقوق و بالبُخْلِ

وهى طويلة ، ومنها :

أليس ورائى أن أدِبَّ على العصا … فيَشْمَتَ أعدائى و يسأَمَنى أَهْلى
رَهينةَ قَعْر البيت كُلَّ عشية … يُطيف بىَ الوِلْدانُ أَهْدجَ(٣) كالرَّأْل
أَقيمُوا بَنى لُبْنَى صُدورَ رِكابكم … فكُلّ مَنَايا القوم خيرٌ من(٤) الهَزْل
فإنّكُم لن تبلغُوا كلَّ همَّتى … ولا أَربى حتى تَرَوْا مَنْبِتَ الأَثْل

فقيَض الله له ، وهو مع قوم من هُلّاكِ(٥) عَشيرته فى شتاء شديد ، ناقتين دَهْماوَيْن، فنَحر لهم إحداهما وحَمل متاعَهم وضُعفاءَهم على الأُخرى ، وجَعل يَنْتقل

(١) يكنف لهم الكنف : يتخذ لهم حظائر يؤويهم فيها .
(٢) الهجمة من الإبل : من أربعين إلى سبعين ، أو إلى مائة . فإذا بلغت المائة ، فهى هنيدة.
(٣) الرأل : ولد النعام . وهدجانه : أن يمشى فى ارتعاش . شبه الشيخ به فى مشيته .
(٤) الهزل : الضعف ، وهو نقيض السمن .
(٥) الهلاك : الصعاليك .

بهم من مكان إلى مكان . فنَزل بموضع يقال له : ماوان[(١)] . فقيّض الله له رجلاً صاحبَ مائة من الإبل قد فرَّ بها من حُقوق قومه ، وذلك أوّل ما ألبن الناسُ ، فقتله وأخذ إبلَه وامرأته ، وكانت من أحسن الناس . فأتى بالإبل أهلَ الكنيف فحلَبها لهم وحَملهم عليها ، حتى إذا دنَوْا من عَشيرتهم أقبل يقْسمها بينهم ، وأخذ مثلَ نصيب أحدهم ، فقالوا : لا واللاتِ والعُزَّى ، لا نرضى حتى تَجعل المرأة نصيباً ، فمن شاء أخذها . فغَضب وجعل يَهُم بأن يَحمل عليهم فيقتلَهم ، وينتزعَ الإبلَ منهم ، ثم يذكر أنهم صنيعتهُ ، وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يَصنع . فأفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يَرُدَّ عليهم الإبل إلّا راحلةً يحملُ عليها المرأةَ حتى يَلْحق بأهله . فأبَوْا ذلك عليه ، حتى انتدبَ رجلٌ منهم فجعل له راحلةً من نَصيبه .

بين ثمامة والمنصور فى حديثه

وحُكى أن ثمامة بن الوليد دَخل على المنصور فقال : يا ثمامة ، أتحفظ حديثَ ابن عمك عُروة الصَّعاليك بن الوَرْد العبسيّ ؟ فقال : أى حديثه يا أمير المؤمنين ؟ فقد كان كثير الحديث حسنَه . قال : حديثه مع الهذليّ الذى أخذ فرسه . قال : ما يحضُرنى ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين . فقال المنصور : خَرج عُروة حتّى دنا من مَنازل هُذيل ، وكان منها نحواً من ميلين ، وقد جاع ، فإذا هو بأرنب فرماها ، ثم أَوْرى ناراً فشَواها وأكلها ، ودَفن النار على مقدار ثلاثة أذرع ، وقد ذهب الليلُ وغارت النُّجوم . ثم أتى سَرْحةً[(٢)] فَصَعدها وتَخوّف الطَّلب . فلما تغيّب فيها إذا الخيلُ قد جاءت وتخوّفوا البَياتَ[(٣)] . فجاءت منهم جماعةٌ ومعهم رجل على فَرس، فجاء حتى رَكز رُمْحه فى موضع النار وقال : لقد رأيتُ النار هاهنا . فنزل رجلٌ فحفر قَدْر ذراع فلم يجد شيئاً . فأكبَّ القومُ على الرَّجل يَعذُلونه ويَعيبون

(١) ماوان : قرية من أرض اليمامة .
(٢) السرحة : من الشجر الكبير العظيم الطويل .
(٣) البيات : الإيقاع بالقوم ليلا دون ان يعلموا .

أمره ويقولون : عَنَّيتنا فى مثل هذه الليلة القَرَّة وزَعمت لنا شيئاً كذبتَ فيه ! فقال : ما كذبتُ ، ولقد رأيتُ النَّار فى موضع رُمْحى . فقالوا : ما رأيت شيئاً ، ولكنَّ تحَذْلُقك هو الذى حمَلك على هذا ، وما نَعْجب إلّا لأنفسنا حيث أطعنا أمركَ واتَّبعناك . ولم يزالوا بالرجل حتى رَجع عن قوله لهم . واتَّبعهم عُروة ، حتى إذا وردوا منازلهم جاء عُروة فكَمن فى كِسْر[١] بيت ، وجاء الرجلُ إلى أمرأته وقد خالفه إليها عبدٌ أسود ، وعُروة ينظرُ ، فأتاها العبدُ بعُلْبة فيها لبن ، فقال : تشربين ؟ فقالت : لا ، أوْ تبدأ . فبدأ الأسودُ فشَرب . فقالت للرجل حين جاء : لعن الله صَلَفك[٢] ! عنَّيت قومَك منذ الليلة . قال : لقد رأيتُ ناراً . ثم دعا بالعُلبة ليشرب ، فقال ، حين ذهب ليكرعَ : ريحُ رجلٍ وربِّ الكعبة ! فقالت المرأة : وهذه أُخرى ، أىَّ ريحِ رجلٍ تجده فى إنائك غيرَ ريحك ! ثم صاحتْ . فجاء قومُها ، فأخبرتهم بخَبَره وقالت : يتّهمنى ويظُنّ بى الظُّنون . فأقبلوا عليه يلُومونه حتى رَجع عن قوله . قال عُروة : هذه ثانية . ثم أَوى الرجلُ إلى فراشه ، فوَثب عُروة إلى الفرس وهو يُريد أن يَذهب به ، فضرب الفرسُ بيده ونَخر . فرجع عُروة إلى موضعه . ووَثب الرجلُ ، فقال : ما كنت لتكذَبنى[٣] ، فمالك ؟ فأقبلت امرأتُه عليه لوماً وعَذلا . قال : فصَنع عروةُ ذلك ثلاثاً . ثم أَوى إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقُوم ، فقال : لا أقوم إليكَ الليلة . فأتاه عروةُ فجال[٤] فى مَتْنه وخَرج ركضاً . وركب الرجل فرساً غيرَه أُنثى . قال عروةُ : فجعلتُ أسمعه خَلفى يقول : الحَقى فإنك من نَسله . فلما انقطع عن البيُوت، قال له عروة بن الَورد : أيها الرجل ، قِف ، إنك لو عرفتَنى لم تُقْدم علىّ ، أنا عروةُ ابن الورد ، وقد رأيتُ الليلةَ منك عجباً ، فأَخبرنى به وأَرُدُّ عليك فرسك . قال :

(١) كسر البيت : جانبه .
(٢) الصلف : مجاوزة الرجل قدرا الظرف وادعاؤه العجب والتكبر .
(٣) يريد الفرس . (٤) حال فى متنه : وثب وركب .

وما هو ؟ قال : جئتَ مع قومك حتى ركزت رُمحك فى مَوضع نار كنتُ أوقدتُها ، فتَثْنوك عن ذلك ، وقد صدقتَ ، ثم اتّبعتُك حتى دخلتَ منزلك و بينك و بين النار ميلان فأبصرتَها منهما . ثم شممتَ رائحةَ رجل فى إنائك ، وقد رأيتُ الرجلَ حين آثرتْه زوجتُك بالإناء ، وهو عبدكَ الأسودُ ، وأظنّ أن بينهما مالا تُحب . فقلتَ : ريح رجل ! فلم تزل تَثْنيك عن ذلك حتى اُنثنيت . ثم خرجتُ إلى فرسك فأردتُه ، فاُضطرب وتحرّك ، فخرجتَ إليه ، ثم خرجتَ وخرجتَ ، ثم أضربتَ عنه . فرأيتُك فى هذه الخصال أكملَ الناس ولكنّك تَنْثني وتَرجع . فضحك وقال : ذاك لأَخْوال السّوء ، والذى رأيتَ من[1] كَعَاعَتى فمن قِبل أخوالى ، وهم بَطن من خُزاعة . والمرأةُ التى رأيتَ عندى امرأةٌ منهم ، وأنا نازل فيهم ، فذلك الذى يَثنينى عن أشياء كثيرة، وأنا لاحقٌ بقومى وخارجٌ عن أخوالى هؤلاء ، ومُخَلٍّ سبيلَ هذه المرأة . ولولا ما رأيت من كعاعتى لم يَقْوَ على مناوأة قومى أحدٌ من العرب .

فقال عروة : خُذ فرسَك راشداً . فقال : ما كنتُ لآخذَه منك وعندى من نَسله جماعةٌ مثله . فخُذْه مُبارَكاً لك فيه .

قال ثمامة : إنّ له عندنا أحاديثَ كثيرة ما سمعنا له بحديثٍ هو أظرف من هذا . فقال المنصور : أفلا أُحدِّثك له بحديث هو أظرفُ من هذا ؟ قال : بلَى يا أمير المؤمنين ، فإنّ الحديث إذا جاء منك كان له فضلٌ على غيره . قال :

خرج عُروة وأصحابُه حتى أتى مَاوانَ ، فنزل أصحابهُ وكَنَف عليهم كَنيفاً من الشَّجر ، وهم أصحاب الكَنِيف الذى سمعتَه قال فيهم :

أَلَا إنّ أصحابَ الكَنيف وجدتُهم   كما الناسُ لمّا أَمرعوا وتَموّلُوا

(١) الكعاعة : الجبن والضعف .

وفى هذه الغَزاة يقول :

أقول لأصْحاب الكَنِيف تروَّحوا عَشيّةَ بِتْنا حَول ماوانَ[١] رُزَّح

وفى هذه القصيدة يقول :

ليَبْلُغَ عُذراً أو يُصيبَ غَنيمةً ومُبْلِغُ نفسٍ عُذْرَهامِثْلُ مُنْجِح

ثم مَضى يَبْتغى لهم شيئاً وقد جُهِدوا ، فإذا هو بأبياتِ شَعَرٍ وامرأة قد خَلا من سنِّها ، وشيخٍ كبيرٍ كالحِقَاء[٢] المُلْقَى. فكَمن فى كِسْر بيتٍ منها . وقد أجدب الناسُ ، فإذا هو فى البيت بسُحُورٍ ثلاثةٍ مَشْويّة — فقال ثمامة : وما السُّحور ؟ قال : الحلقوم بما فيه — والبيتُ خالٍ . فأكلها ، وقد مكث قبل ذلك يومَيْن لا يأكل شيئاً ، فأشبعتْه وقَوِى ، وقال : لا أبالى مَن لَقِيتُ بعد هذا . ونظرتِ المرأةُ فظنّت أنّ الكلب أكلها ، فقالت للكلب : أفعلتَها يا خبيثُ ! وطردتْه . فإنه لكذلك وإذا هو عند المساء بإبلٍ قد ملأتِ الأرضَ ، وإذا هى تَلْتفت فَرَقاً . فعلم أنّ راعيَها شديدُ الضَّرب لها . فلما أتت المُناخَ بركتْ . ومكث الرّاعى قليلاً ثم أتى ناقةً منها ، فمَرَى[٣] أخلافَها ، ثم وضع العُلْبة على رُكْبتيه وحَلب حتى مَلأها ، ثم أتى الشيخَ فسقاه ، ثم أتى ناقةً أخرى ففعل بها ذلك . ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك ، فشرب هو ، ثم التفع بثوب واضطجَع ناحيةً ، فقال الشيخُ للمرأة وأعجبه ذلك : كيف تَريْن ابنى ؟ فقالت : ليس بابنك . قال : فابن مَنْ وَيْلَك ؟ قالت : ابنُ عُروة بن الوَرْد . قال : ومن أين ؟ قالت : أتذكرين يومَ مَرَّ بنا ونحن نُريد سُوق ذى المَجاز ، فقلتَ : هذا عُروة ابن الوَرْد ، ووصفتَه لى بجَلَد ، فإنّى استطرفتُه[٤] . قال : فسكَت . حتى إذا نَوّم

(١) رزح : جمع رازح ، وهو الهالك هزالا . (٢) الحقاء : الإزار .
(٣) مرى أخلافها : مسح ضرعها لتدر .
(٤) استطرفته : عددته طريفاً .

وثَب عروةُ وصاح بالإبل فاُقتطع منها نحواً من النِّصف ومضى ، ورجا ألّا يَتْبعه الغُلام — وهو غلام حين بدا شاربه — فاتّبعه فَلحِقه . فعالجه فضَرب به الأرضَ فوقع قائماً . فتخوّفه على نفسه . ثم واثبه فضَرب به الأرضَ فبادره ، فقال : أنا عُروة بن الوَرد ، وهو يريد أن يُعْجِزه عن نَفسه . قال : فاُرتدع ثم قال : مالك ويلك ! لستُ أشك أنّك قد سمعتَ ما كان من أُمى . قال : قلت : نعم . فاُذهب معى أنت وأُمك وهذه الإبل ودَع هذا الشّيخ ، فإنه لا يَنهاك[1] عن شىء . فقال : الذى بَقِى من عُمر هذا الشيخ قليلٌ ، وأنا مُقيم معه ما بقى ، فإنّ له حقًّا وذِماماً ، فإذا هَلك فما أَسرعنى إليك ، وخُذ من هذه الإبل عيراً . قلت : لا يَكفينى ، إنّ معى أَصحابى قد خلَّفتُهم . قال : فاثنان . قلت : لا . قال : فثلاثة ، واللهِ لا زِدْتُك على ذلك . فأخَذها ومضى إلى أصحابه . ثم إن الغلام لَحِق به بعد هَلاك الشيخ .

فقال ثُمامة : واللهِ يا أمير المؤمنين ، لقد زيَّنته عندنا وعظَّمته فى قُلوبنا . قال : فهل أعقب عندكم ؟ قال : لا ، ولقد كُنا نَتشاءم بأبيه ، لأنّه هو الذى أوقع الحرب بين عَبْس وفَزارة بمُراهنته حُذيفة ، ولقد بلغنى أنه كان له ابنٌ أسنُّ من عُروة يُؤْثره على عُروة فيما يُعطيه ويُقرِّبه . فقيل له : أتُؤثر الأكبرَ مع غَنائه عنك على الأصغر مع ضَعْفه ! فقال : أترَوْن هذا الأَصغر ، لئن بقى مع ما أرى من شدّة نَفسه ليصيرنّ الأكبرُ عيالاً عليه .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغِناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ عُروة ، هو :

وخِلٍّ كنتُ عينَ الرُّشد منه … إذا نظرتْ ومُستمعاً سَمِيعَا
أطافَ بغَيِّه فعدلتُ عنه … وقلت له أرى أمراً فَظِيعا

(١) أى لا غناء فيه ، فلا ينهاك عن تطلب غيره .

أخبار ذى الإصبع العدوانى

نسبه وشىء عنه

وهو حُرثان بن عمرو بن بن الحارث بن مُحرِّث بن ثَعلبة بن سيّار بن رَبيعة ابن هُبيرة بن ثَعلبة بن ظَرِب بن عمرو بن عبّاد بن يَشْكر بن عَدْوان بن عمرو ابن سَعد بن قَيس بن عَيلان بن مُضَر بن نِزار بن مَعدّ بن عَدنان . أحد بنى عَدْوان ، وهم بطن من جَديلة . شاعر فارس من قُدماء الشعراء فى الجاهلية، وله غارات كثيرة فى العرب ووقائع مَشهورة .

شعره فى فناء عدوان

وكانت عَدْوان كثيرة العَدد ، فرُئى أنهم نَزلوا على ماء فأَحصوا فيهم سَبعين ألف غلام أغرل[1] ، سوى من كان مختوناً لكثرة عَددهم ، ثم وقع بأسُهم بينهم فتفانَوْا ، فقال ذو الإصبع :

عَذير الحىِّ من عَدْوا ... نَ كانوا حيةَ[2] الأَرْضِ
بغَى بعضُهم بَعضاً ... فلم يُبْقُوا على بَعض
فقد صاروا أحاديثَ ... بِرَفْع القول والَخفْض
فمنهم كانتِ السّادا ... تُ والمُوفونَ بالقَرْض
ومنهم مَن يُجيز النّا ... سَ بالسُّنةِ والفَرْض
ومنهم حَكَمٌ يَقْضى ... ولا يُنْقَض ما يَقْضى

شىء عن عامر ابن الظرب

والحَكم الذى عَناه أبو الإصبع فى شعره هو عامر بن الظَّرب العَدْوانى ، وهو الذى كانت العَصا تُقْرع له . وكان قد كَبِر، فقال له الثانى من ولده : إنك ربما أخطأتَ فى الُحكم فيُحمل عنك . قال : فاُجعلوا لى أَمارة أَعرفها، فإذا زغتُ فسمعتُها رجعتُ إلى الُحكْم والصّواب . فكان يجلس قُدّام بيته ويقعد أُبنُه فى البيت ومعه العصا ، فإذا زاغ أو هَفا قَرع له الَجفْنة، فَرجع إلى الصواب . وفى ذلك يقول المتلمِّسُ :

(١) الأغرل : الذى لم يختن . (٢) يقول : هات عذراً فيما فعل بعضهم ببعض من التباعد والتباغض والقتل ، بعد ما كانوا حية الأرض التى يحذرها كل أحد .

لذِي الحِلْمِ قبل اليوم ماتُقْرع العصا وما عُلِّم الإنسانُ إلّا ليَعْلَما

وربيعةُ تدّعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همّام . واليمنُ تدّعيه لربيعة ابن مُخاشن ، وهو ذو الأعواد ، وهو أول مَن جَلس على مِنبر أو سرير وتكلّم . وفيه يقول الأسود بن يَعْفُر :

ولقد علمتُ لَوَ اَنّ علمِيَ نافِعِى أنّ السَّبيلَ سبيلُ ذى الأَعوادِ

سؤال عبد الملك عنه

وذُكر أنّ عبد الملك بن مَروان لمّا قَدِم الكوفَةَ بعد قَتْله مُصعَبَ بنَ الزُّبير جَلس يَعْتَرِض أحياء العَرب ، فقام إليه مَعبدُ بن خالد الجَدَلىّ ، وكان قصيراً دَمِياً . قال معبد : فتقدّم إليه رجلٌ منّا حَسَنُ الهيئة . فنَظر عبدُ الملك إلى الرّجل فقال : من أنت ؟ فسكَت ولم يقُل شيئاً . فقلتُ مِن خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جَديلة . فأقبل على الرجل وتركنى، وقال : من أيّكم ذو الإصبع ؟ فقال الرجل : لا أدرى . فقلت : كان عَدوانيّا . فأقبل على الرجل وتركنى وقال: لِمَ سُمِّى ذا الإصبع ؟ قال الرجل: لا أدرى . فقلت : نهشتْه حيةٌ فى إصبعه فَيبست . فأقبل على الرجل وتركنى ، وقال : وبِمَ كان يُسمَّى قبل ذلك ؟ قال الرجل : لا أدرى . قلت : كان يُسمَّى حُرْثان . فمال إلى الرجل وتركنى، وقال : مِن أىّ عَدْوان كان ؟ قلت مِن خَلفه : من بنى ناجٍ الذى يقول فيهم الشاعر :

وأمّا بنو ناجٍ فلا تَذْكُرَنّهم ولا تُتْبِعَنْ عينيكَ ما كان هالكَا
إذا قلتُ معروفاً لأُصْلِحَ بينهم يقول وُهَيبٌ لا أُسالِمُ ذلكا

فأقبل على الرجل وتركنى ، وقال : أنشدنى قولَه :

عَذِيرَ الحىّ مِن عَدْوا نَ كانُوا حَيّةَ الأَرْضِ

فقال الرجلُ : لست أَرويها . قلت : يا أمير المؤمنين ، إن شئتَ أنشدتُك . فقال : اُدْن منّى ، فإنّى أراك بقومك عالمًا . فأنشدتُه :

وليس المرء فى شىء من الإبْرام والنَّقْضِ
إذا أبرم أمــراً خا له يَقضِى وما يَقْضى

وذكر بعد هذه الأبيات :

ومِمَّن وَلدُوا عامِـ ـرُ ذو الطَّول وذو العَرْض
وهم بَوَّوْا(١) ثَقِيفاً دا رَ لا ذُلٍّ ولا خَفْض

فأَقْبل على الرّجل وتركنى ، وقال : كم عطاؤُك ؟ قال : ألفان . فأقبل علىّ ، فقال : كم عطاؤك ؟ فقلتُ : خمسمائة . فأقبل على كاتبه وقال : أجعل الألفين لهذا خمسمائة ، والخمسمائة لهذا . فانصرفتُ بها .

وقوله « ومنهم من يُجيز الناس » فإنّ إجازة الحجّ كانت لخزاعةَ ، فأخذتْها منهم عَدوان ، فصارت إلى رجل منهم يقال له : أبو سيّارة ، وله يقول الراجز :

خلُّوا السَّبيل عن أبى سَيّارهْ وعَن مواليــه بنى فَزارهْ
حتى يُجيز ســالمًا حِمارهْ مُسْتَقبِل الـكَعْبةَ يَدْعو جارهْ

وكان أبو سيّارة يُجيز الناسَ فى الحج بأن يتقدَّمهم على حِمارٍ ، ثم يَخْطُبهم فيقول : اللهم أَصْلِح بين نسائنا ، وعادِ بين رِعائنا ، واُجْعل المـال فى سُمَحائنا . أوفُوا بعَهْدكم ، وأكرِمُوا جارَكم ، واقْرُوا ضَيفكم . ثم يقول : أشْرِقْ ثَبير ، كيما نُغيرِ(٢) . فكانت هذه إجازتَه .

هو وبناته الأربع

وذُكر أنّه كان لذى الإصْبع أَرْبعُ بناتٍ ، وكُنّ يُخْطَبنَ ، فَيعْرِض ذلك عليهنّ فيَسْتحيِين ، ولايُزوِّجهنّ . وكانت أُمهنّ تقول : لو زوّجتَهنّ !فلا يَفعل .

---

(١) بووا : أنزلوا ، الأصل فيه الهمزثم خفف .

(٢) ثبير : جبل مكة . وأشرق ، أى ادخل فى الشروق . ونغير : نسرع . ومعنى المثل : ادخل ياثبير فى الشروق حتّى نسرع للنحر . وكان المشركون يقولون ذلك ولا يفيضون حتّى تطلع الشمس ، فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمثل يضرب فى الإسراع والعجلة .

فخرجن ليلةً إلى متحدَّث لهنّ . فاُستمع إليهنّ ، وهنّ لا يعلمن . فقُلْن : تعالَيْن نتمنَّى ، ولنصْدُقْ . فقالت الكُبرى :

ألا ليْتَ زَوجى مِن أُناسٍ ذوِى غِنًى حديثُ الشَّباب طيِّب الرِّيح والعِطْرِ
طبيبٌ بأدواء النســاء كأنّه خليفةُ جانٍ لا ينامُ عَلَى[1] هُجْرِ

فقُلن لها : أنتِ تُحبِّين رجلاً ليس من قومك . فقالت الثانية :

ألَا هـل أراها مرّةً وضَجيعُها أشَمُّ كنَصْل السَّيْفِ غيرُ مُبلَّدِ
لَصُوقٌ بأكباد النِّساء وأصـلُه إذا ما اُنتمى من سِرِّ أهلى ومَحْتِدِى

فقُلن لها : أنت تُحبِّين رجلاً من قومك . فقالت الثالثة :

ألَا ليته يَملَأ الجفانَ لضَيْفه له جَفْنةٌ يَشْقى بها النِّيبُ[2] والجُزْرُ
له حَكَماتُ الدَّهرِ[3] من غَير كَبْرةٍ تَشِين ولا الفانِى ولا الضَّرِع[4] الغمر

فقلن لها : أنت تُحبِّين رجلاً شَريفاً .

وقُلن للصُّغْرى : تمنَّى . فقالت : ما أُريد شيئاً . قُلن : واللهِ لا تبْرحين حتى نَعلمَ ما فى نفسك . فقالت : زَوْجٌ مِنْ عُودٍ خَيْرٌ مِن القُعُودِ .

فلمَّا سَمع ذلك أبوهُنَّ ، زوّجهنّ أربعتَهن ، فكُنّ عنده . فقال للكُبرى : يا بُنَيَّة ، ما مالُكم ؟ قالت : الإبل . قال : فكيف تجدُونها ؟ قالت : خير مال ، نأكل لُحومها مُزَعا[5] ، ونَشرب ألبانَها جُرَعا ، وتَحملنا وضعيفَنا معا . قال :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وتر » مكان « هجر » .

(٢) النيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة . والجزر ، بضمتين وسكن للشعر : جمع جزور ، وهى الناقة المجزورة .

(٣) الحكمات : جمع حكمة ، وهى حديدة اللجام يكبح بها الفرس . والمراد بحكمات الدهر : تجاربه التى ترد الإنسان عن فعل ما يشين . والذى فى الأصل : « به محكمات الشيب» . وما أثبتنا من الكامل للمبرد . (٤) الضرع : الضعيف . والغمر ، مثلث الغين : غير المجرب .

(٥) مزعا : قطعاً : الواحدة : مزعة .

فكيف تجدين زوجَك ؟ قالت : خيرُ زوج ، يُكرم الحَليلة ، ويُعطى الوسيلة . قال : مالٌ عَميم ، وزوجٌ كريم .

ثم قال للثانية : يا بُنية ، ما مالُكم ؟ قالت : البَقر . قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : خير مال ، تألَف الفِناء ، وتُودِّك السِّقاء[1] ، وتملأ الإناء ، ونِساء مع نساء . قال : فكيف تجدين زوجَك ؟ قالت : خير زَوج ، يُكرم أهله ، ويَنْسى فضلَه . قال : حَظِيتِ وبَظِيت[2] .

ثم قال للثالثة : ما مالُكم ؟ قالت : المِعْزَى . قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : لا بأسَ بها ، نُولدها فُطُماً[3] ، ونَسلخها أُدَما . قال : فكيف تجدين زَوجك ؟ قالت : لا بأس به ، ليس بالبَخيل الحَكِر[4] ولا بالسَّمْح البَذِر . قال : جَدْوَى[5] مُغْنِية .

ثم قال للرابعة : ما مالُكم ؟ قالت الضَّأْن . قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : شرّ مال : جُوفٌ[6] لا يَشْبَعن ، وهِيمٌ[7] لا يَنْقَعن ، وصُمٌّ[8] لا يَسمعن ، وأَمْرَ مُغْوِيتهنّ يَتْبعن[9] . قال : فكيف تجدين زوجَك ؟ قالت : شرّ زوج ، يُكرم نفسَه ، ويُهين عِرْسه . قال : أشبه أمْرًا بعضُ بَزِّه .

---

(١) أى تجعل فيه الودك ، وهو الدسم .

(٢) الكلمة للإتباع ، وليس فى كلام العرب « بظى » .

(٣) فطم : جمع فطيم ، وهو ما يفصل عن الرضاع .

(٤) الحكر : المستبد بالشيء . والذى فى الأصل : « الحثر » وهو المقيم فى الحى لايخرج مع القوم للميرة .

(٥) الجدوى : الغناء . وفى الكامل : « جذو » . وجذو : جمع جذوة ، وهى الخشبة ما كانت فيها نار .

(٦) جوف : عظام الأجواف . (٧) هيم : عطاش . ولا ينقعن : لا يروين .

(٨) تشبه الضأن بالصم لبلادتها .

(٩) فى الكامل للمبرد : « قال على بن عبد الله : قلت لأبى عائشة : ما قولها : « وأمر مغويتهن يتبعن » ؟ فقال : أما تراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن فى ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها إليه » .

شعره وقد خرف

وحُكى ، أنه عُمِّر ذو الإصبع عُمْراً طويلاً ، حتى خَرِف وأُهْتِر[١] ، فكان يُفرِّق ماله . فعذَله أصهارُه ولامُوه ، وأخذوا على يديه . فقال قصيدتَه التى منها :

أَهْلَكَنا الليلُ والنهار معاَ والدَّهر يَعْدو مُصمِّماً[٢] جَذَعا
فليس فيما أصابنى عَجَبٌ إن كنتُ شَيباً أنكرتُ أو صَلَعا
وكنت إذ رَوْنق الشباب به ماءُ شَبابى تَخالُه شَرِعا
والحيُّ فيه الفتاةُ تَرْمُقنى حتّى مضَى شَأْوُ ذاكَ فانقَشَعا

ومنها :

آبَى فلَا أقرَبُ الخِباءَ إذا ما رَبُّه بعد هَدْأَةٍ هَجَعا
ولا أروم الفتاةَ زَوْرتَها إنْ نام عنها الحَليل[٣] أو شَسعا

وصيته لابنه فى احتضاره

ولمّا احتُضِر دعا ابنه أُسيداً[٤] ، فقال : يا بُنى ، إنّ أباكَ قد فَنِى وهو حَيّ ، وعاش حتى سَئِم العَيش ، وإنّى مُوصيك بما إنْ حفظتَه بلغتَ فى قومك ما بلغتُه : أَلِنْ جانبَك لقومك يُحبّوك ، وتواضعْ لهم يَرفعوك ، وابسُط لهم وجهَك يُطيعوك ، ولا تَستأثر عليهم بشىء يُسَوِّدوك ، وأكرم صِغارهم كما تُكرم كِبارَهم ، يُكْرِمْك كبارُهم ، ويَكْبَرْ على مودّتك صغارُهم ، وأسمح بمالك ، وأَحْمِ حريمَك ، وأعِزَّ جارَكَ ، وأعِنْ من استعان بك ، وأكرم ضيفَك ، وأسرع النَّهضة فى الصريخ ، فإنّ لك أجلاً لا يَعْدُوك ، وصُنْ وجهَك عن مَسألة أحدٍ شيئاً ، فبذلك يتم سُؤْدَدُك .

---

(١) أهتر : فسد عقله من الكبر وصار خرفا .
(٢) الجذع : الشاب الحدث .
(٣) شسع : بعد .
(٤) سموا : « أُسيدا » ، كزبير ، و « أَسيدا » ، كأمير .

ثم أنشأ يقول :

أأسيدُ إنْ مالاً ملكْـ ... ـتَ[1] فسِرْ به سَيْراً جميلَا
وأشرَبْ بكأسهمُ وإنْ ... شَربوا به السُّمّ[2] الثَّميلا
أهِنِ اللِّئامَ ولا تكنْ ... لإخائهم جَمَلاً ذَلُولا
ودَع الذى يَعِد العَشِيـ ... ـرةَ أن يَسيلَ ولن يَسيلا
أأسيدُ إنْ أزمعتَ مِنْ ... بلدٍ إلى بلدٍ رَحيلا
فاحفظْ وإنْ شَحط المَزا ... رُ أخا أخيك أو[3] النَّزيلا
وأرِكبْ بنفْسك إن هَمَمْـ ... ـتَ بها الحُزونةَ والسُّهولا
وصِلِ الكِرامَ وكُنْ لِمَنْ ... تَرجو مودَّته وَصولا
ودَعِ التَّوانىَ فى الأمو ... ر وكُن لها سَلِسًا ذَلُولا
وأبسُط يَمينَك بالنَّدَى ... وامدُدْ لها بَاعاً طَويلا
وأعزِمْ إذا حاولتَ أمْـ ... ـرًا يَفرِجُ الهمَّ الدَّخيلا
وابذُل لضَيْفك ذات رَحْـ ... ـلِكَ مُكْرِماً حتى يَزُولا
واحلُلْ على الأيفَاع لْلـ ... ـعافِينَ وأجْتنِب المَسيلا
وإذا القُروم تَخاطرتْ ... يوماً وأرْعدت[4] الخَصيلا
فاهصِرْ كهَصْر اللَّيْث خضَّـ ... ـب من فَريسته[5] التَّليلا
وأنزِل إلى الهَيْجا إذا ... أبطالُها كَرِهوا النُّزولا
وإذا دُعِيتَ إلى المُهِمِّ فكُنْ لفَادِحِه حَمُولا

(١) فى الأصل : « إما تنعمن » مكان « إن ما لا ملكت » .
(٢) الثميل : أى الناقع . لم ترد فى كتب اللغة .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الزميلا » مكان « النزيلا » .
(٤) الخصيل : جمع خصيلة ، وهى كل لحمة فيها عصب .
(٥) التليل : العنق .

تمثل معاوية بشعر له

وذُكر أنّه جَرى بين عبد الله بن الزُّبير وعُتبة بن أبى سُفيان لِحاءٌ[1] بين يدَى معاوية بن أبى سفيان ، فجعل ابنُ الزُّبير يَعْدِلُ عن عُتبة ويُعرِّض بمعاوية ، حتى أطال وأكثر من ذلك . فالتفتت إليه مُعاوية متمثِّلاً وقال :

ورَامٍ بعَوْراء الكَلام كأنّها ... نوافرُ صُبْحٍ نفَّرتها المَراتِعُ

وقد يَدْحَض[2] المرءُ المُوارِبُ بالخَنا ... وقد تُدرِكُ المرءَ الكريمَ المَصانِع

ثم قال لابن الزُّبير : من يقول هذا ؟ قال : ذو الإصبع . قال : أترويه ؟ قال : لا . قال : فمَن هاهنا يَروى هذه الأبيات ؟ فقام رجل من قَيس فقال : أنا أرويها يا أمير المؤمنين . قال : أَنشِدْنى. فأنشده حتى أتى على قوله :

وساعٍ برجليه لآخَر قاعدٍ ... ومُعْطٍ كريمٌ ذو يسارٍ[3] ومانِعُ

وبانٍ لأَحساب الكِرام وهادمٌ ... وخافضُ مولاه سَفَاهًا ورافع

ومُغْضٍ على بعض الخُطوب وقد بدَت ... له عَوْرةٌ من ذى القَرابة ضاجع

وطالب حُوبٍ باللِّسان وقَلْبُه ... سِوَى الحقِّ[4] لا تخفَى عليه الشرائع

فقال له معاوية : كم عطاؤك ؟ قال : سَبعمائة . قال : أجعلوها ألفاً . وقطع الكلام بين عبد الله وعُتبة .

سبب الفرقة بين عدوان

وكان سَبب تفرُّق عَدوان ، وقِتال بَعضهم بعضاً حتى تفانَوْا ، أن بنى ناج ابن يَشْكر بن عَدْوان أغاروا على بنى عَوْف بن سعد بن ظَرِب بن عمرو بن عبّاد ابن يَشْكر بن عَدْوان ، ونَذِرتْ[5] بهم بنو عَوف ، فاقتتلوا . فقَتل بنو ناجٍ ثمانيةَ نفرٍ من بنى عَوف ، منهم عُمَر بن مالك ، سيِّد بنى عوف . وقتل بنو عَوْف من بنى ناجٍ رجلًا منهم ، يقال له : سِنان[6] بن جابر . ثم اصطلحوا على دياتٍ

(١) اللحاء : المنازعة . (٢) يدحض : يزل . (٣) فى الأصل : « مقال » مكان « يسار » . (٤) سوى الحق : خيره ووسطه . (٥) نذرت : علمت .
(٦) فى الأصل هنا : « يسار » . وفيما سيأتى بعد قليل : « ياسر » .

يتعاطَوْنها ، ورضُوا بذلك . وأبى مَرِيرُ بن جابر أن يَقبلَ لأخيه سنان بن جابر دِيةً ، واعتزل هو و بنو أبيه ومَن أطاعهم ومالأَهم[١] . فمشى إليهم ذو الإصبع وسألهم قَبول الدِّية وقال : قد قُتل منّا ثمانيةُ نفر فقبِلْنا الدية ، وقُتل منكم رجلٌ واحد فاقبلوا ديتَه . فأَبَوْا ذلك وأقاموا على الحرب . فكان ذلك مبدأَ حرب بعضِهم بعضاً حتى تفانَوا وتقطَّعوا . فقال ذو الإصبع فى ذلك :

فيابُؤْس للأيّام والدهرِ هالكَا ... وصَرْفِ اللَّيالى يَختلفن كذلكَا
أبعدَ بنى ناجٍ وسَعْيِكَ فيهمُ ... ولاتُتْبِعَنْ عينَيْك من كان هالكَا
إذا قلتُ معروفاً لأُصْلِحَ بينهم ... يقولُ مَرِيرٌ لا أُحاول[٢] ذَلِكَا
فأضحَوا كظَهْرِ العَوْدِ جُبَّ سَنامُه ... تَحُوم عليه الطيرُ أحدبَ بارِكا
فإنْ تكُ عَدْوانُ بن عمرو[٣] تفرَّقت ... فقد غَنِيتْ دهراً مُلوكاً هُنالكا

شعره فى مرير وفيه الغناء

وفى مَرِير بن جابر يقول ذو الإصْبع قصيدتَه التى منها الشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ ذى الإصبع ، وهو :

أزْرى بنا أنّنا شالتْ نَعامتُنا ... فخالنى دُونه بل خِلْتُه دونى

ومنها :

فإنْ تُصِبْك من الأيام جائحةٌ ... لم أبْكِ منك على دُنْيا ولا دِينِ
لاهِ[٤] ابنُ عَمِّك لا أفضلتَ فى حَسبٍ ... شيئاً ولا أنتَ[٥] ديَّانى[٦] فتَخزونى
ولا تَقُوت عِيالى يوم مَسْغبةٍ ... ولا بنفسك فى العَزَّاء[٧] تَكْفِينى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « والاهم » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لاتحاول » .
(٣) فى الأصل : « عوف » تحريف .
(٤) لاه ، أصله : لله ، حذفت منه اللام الخافضة .
(٥) الديان : القائم بالأمر .
(٦) تخزونى : تقهرنى . (٧) العزاء : الشدة .

إنّ الذى يَقْبِض الدُّنيا ويَبْسُطها ... إن كان أغناكَ عنّى سوف يُغْنينى
الله يَعلمنى والله يَعلمكم ... والله يَجْزيكمُ عنّى ويَجْزينى
ماذا علىَّ وإن كنتم ذوى رَحِمِى ... ألّا أُحبَّكم إذ لم تُحبّونى
لو تَشربون دمى لم يَرْوَ شاربُكم ... ولا دِماؤُكمُ جَمْعاً تُرَوّينى
ولِى ابنُ عمٍّ لوَ انَّ الناسَ فى كَبِدى ... لَظَلَّ مُحتجزاً (١) بالنَّبل يَرْمِينى
يا عمرُو إنْ لا تَدَعْ شَتْمى ومَنْقَصتى ... أَضْرِبْكَ حتى تقول الهامةُ اسْقُونى
كل امرئٍ صائرٌ يوماً لشيمته ... وإن تَخلّق أخلاقاً إلى حين
إنّى لَعَمْرُك ما بابِى بذى غَلَقٍ ... على الصَّديق ولا خَيْرى بمَمْنُون
ولا لسانِى على الأدنى بمُنْطلِق ... بالمُنْكَرات ولا فَتْكى بمأْمون
لا يُخرج القَسْرُ منّى غيرَ مَغْضبةٍ ... ولا أَلينُ لمن لا يَبْتغى لِينى
وأنتمُ معشرٌ زَيْدٌ على مائةٍ ... فأَجْمِعوا أمْرَكم شتَّى فَكِيدُونى
وإن علمتم سبيلَ الرُّشْد فانطلِقوا ... وإن غَبِيتم طريقَ الرُّشْد فأْتُونى
ماذا علىّ إذا تَدْعونَنى (٢) ضَرَعاً ... ألاّ أُجيبَكم إذ لم تُجيبونى
قد كنتُ أُعطيكم مالِى وأَمْنحكم ... وُدّى على مُثْبَتٍ فى الصَّدْر مَكْنون
ياصاحِ (٣) لوكنتَ لى أَلْفَيْتَنى (٤) يَسَراً ... سَمْحاً كريماً أُجازى مَنْ يُجازينى

قصيدته فى رثاء قومه

ورثَى أبو الإصبع العدوانى قومه بالقصيدة الضاديّة التى تقدّم ذِكرُها (٥)، ومنها :

جديدُ العَيش مَلْبوسٌ ... وقد يُوشك أن (٦) يُنْقَضَى
فأَمْرَ اليوم أَصلحه ... ولا تَعرِض لما يَمضِى
فبينا المرء فى عَيش ... له من عِيشةٍ خَفْض

(١) المحتجز : الذى يشد مئزره على وسطه . وهو كناية عن التهيؤ للأمر والتشمر له .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فزعا » مكان « ضرعا » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « يا عمرو » .

(٤) اليسر : السهل الانقياد .

(٥) انظر (ص ٣٥٣) من هذا الجزء .

(٦) فى البيت إقواء.

أَتاه طَبَقٌ[١] يومـــاً على مَزْلقـــة دَحْض
وليس المــرء فى شيء من الإبرام والنَّقض

ومنها :

وهم كانوا فـلا تُكْذَبْ ذوى القُـــوَّة والنَّهض
وهم مَن ولد[٢] أَشْبَوْا بسِرِّ الحسب المَحْض
فمن ساجَلهم حَــرْباً ففى الخَيْبـــة والخَفْض
وهم نالُوا على الشَّـــنآ نِ والشَّحْناء والبُغْض
مَعـــالِىَ لم ينَلْهَا النا سُ فى بَسْطٍ ولا قَبْض

لأمامة بنته ترثى قومهـا

وقالت أُمامة بنت ذى الإصبع ، وكانت شاعرةً ، ترثى قومها :

قد لَقِيتْ فَهْمٌ وعَدْوانُها قَتْلاً وهُلْــكا آخرَ الغابرِ
كانوا ملوكاً سادةً فى الذُّرى دهراً لها الفَخْر على الفاخر
حتى تساقَوْا كأسَهم بينهم بَغْيا فيا لِلشَّارب الخاسر
بادوا فمن يَحْلُل بأوطانهم يَحْلُل برَسْم مُقفرٍ داثر

(١) الطبق : الشدة . (٢) أشبى فلان : ولد له كيس .

أخبار غريض اليهودى

نسبه

(*)هو غَرِيض بن السَّموءل بن غَرِيض بن عاديا اليهودىّ .

شعر له يغنى فيه

ذكر له أبو الفَرَج شِعراً يُغنَّى فيه ، وهو :

أُرفعْ ضَعِيفَك لا يَحُرْبك ضَعْفُه يوماً فتُدْرِكَه العواقبُ قد نَمَا
يَجْزيكَ أو يُثْنِي عليكَ وإنّ مَن أَثْنَى عليك بما فعلتَ كمَن جزَى

وقيل : هذا الشعرُ لابنه سَعْية . وقيل : إنه لزَيد بن عمرو بن نُفَيل . وقيل : إنه لوَرَقة بن نَوفل . وقيل: لزُهير بن جَنَاب .

لعائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى شعر لغريض

ثم رَوى أبوالفَرَج بإسناده عن عائشة رضى الله عنها قالت : دَخل علىّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأنا أتمثّل بهذين البيتَيْن — تَعْنى البيتَيْن اللّذين لغَرِيض — فقال النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم : رُدِّى علىَّ قولَ اليهودىّ ، قاتلَهُ اللهُ ! لقد أتانى جِبريلُ برسالةٍ من ربِّى : أيُّما رجل صنَع إلى أخيه صَنيعةً فلم يَجد له جَزاءً إلّا الثَّناء عليه والدعاءَ له ، فقد كافأه .

دخول اليهود الحجاز

ثم ذكر أبو الفَرح سببَ دُخول اليهود إلى الحجاز ومُقامهم بها إلى أن بُعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : إنّ موسى بن عِمْران عليه السلام وجَّه جيشاً إلى العَماليق ، وكانوا قد طغَوْا و بلغت غارتُهم إلى الشأم ، وأمرهم إن ظَفِروا بهم أن يَقتلوهم أجمعين . فظفِروا بهم فقَتلوهم أجمعين ، سوى ابنٍ لملكهم كان غُلاماً جميلا ، فرحِموه واستَبْقوه . وقَدِموا الشأم بعد وفاة مُوسى عليه السلام ،

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار الغريض هذا بعض كلمات عن قيل مولى العبلات ، لاتبلغ مبلغ التراجم وليست على سياقتها ، ويظهر أن ابن واصل اطرحها لهذا .

وأخبروا بنى إسرائيل بما فَعلوا . فقالوا : أنتم عُصاةُ الله ، لا تدخلون الشأم علينا أبداً ! وأخرجوهم عنها . فقال بعضُهم لبعض : ما من بلد غيرِ الذى ظَفِرْنا به وقتلنا أهلَه ! فرجَعوا إلى يَثْرب فأقاموا بها . وذلك قبل وُرود الأَوس والخزرج إيّاها عند وُقوع السَّيل العَرِم(١) باليمن . وهؤلاء اليهود هم بنو قُريظة والنَّضِير و بنو قَيْنقاع وغيرهم . وقُريظة والنَّضِير من ولد هارون عليه السلام ، وستأتى لهم أخبار وذِكْر فى هذه الكتاب .

تعقيب للمؤلف

قلت : هذا ما ذَكره أبو الفَرح . وقال الأكثرون : إنّ هؤلاء إنما وقعوا بالحجاز بعد أن أجْلاهم بُخْتنصّر عن بيت المَقْدس ، وكانت عندهم صِفَة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم و بَعْثه ، وأنه يُبْعث بمكة ويُهاجر إلى يَثرب . فأقاموا حول يثرب يتوكّفون(٢) ظهوره ليكونوا أولَ مُؤمنٍ به . فلما بَعثه الله تعالى وهاجر إلى المَدينة ، حَسدوه و بَغَوْا له الغوائل . فنصَره الله تَعالى عليهم ، فأجلَى بنى النَّضير و بنى قَيْنُقَاع ، وأوْقع ببنى قُرَيظة ، فقَتل مُقاتلهم وسَبى ذَرَاريهم ونِساءَهم .

---

(١) كذا فى الأصل . وفى بعض أصول الأغانى : « سيل العرم » . وعلى هذه الرواية ، فالعرم : اسم واد . وعلى رواية الأصل ، فالعرم : السيل الذى لا يطاق . وقيل : الشديد .

(٢) يتوكفون : يتوقعون .

أخبار ورقة بن نوفل

نسبه وشيء عنه

هو ورقة بن نَوفل بن أَسد بن عبد العُزَّى بن قُصىّ بن كِلاب . وأمه هِنْـد بنت أبى كَبير[1] بن قُصىّ بن كِلاب . وهو أحدُ المُعتزلين لعبـادة الأوثان فى الجاهليـة . وكان قرأ الـكُتب وامتنع من أكل الذَّبائح للأوثان .

للنبي صلى الله عليه وسلم فيه

وقد رَوى عُروة بن الزُّبير أنّ رسولَ الله صلّى الله عليـه وسلّم سُئل عن وَرقة ابن نَوفل ، فقال : « لقد رأيتهُ فى المَنام كأنّ عليه ثِياباً بِيضاً ، فقد أظُن أن لو كان فى النّار لم أرَ عليه البياضَ » .

وروت عائشةُ رضى الله عنها أن خديجةَ بنت خُويلد رضى الله عنها انطلقتْ بالنبىّ صلّى الله عليه وسلّم حتى أتت ورقةَ بن نوفل ، وهو ابن عمّها ، وكان تَنصّر فى الجاهليّة ، وكتب الـكتابَ[2] العِبرانىّ ، [فيكتب بالعبرانية] من الإنجيل ما يشاء أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عَمِى . فقالت له خديجة : يابن عمِّى ، اسمع ما يقولُ ابنُ أخيك . فقال ورقة : يابن أخى ، ماذا تَرى ؟ فأخبره رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خَبر ما رأى . فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزله الله تعـالى على مُوسى ، يا ليتنى فيهـا جَذَع[3] ! يا ليتنى أكون حيًّا إذ يُخرجك قومُك ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أوَ مُخْرِجىّ هم ؟ قال : نعم ، لم يأتِ رجلٌ قطُّ بما جئت به إلّا عُودى، وإن يُدركنى يومُك أنصرْكَ نصراً مُؤزَّراً . ثم لم ينْشَب ورقةُ أن مات .

---

(1) فى بعض أصول الأغانى : « كثير » .

(2) الكتاب : الكتابة ، مصدر .

(3) الجذع : الشاب الحدث . أى ياليتنى أكون حدثاً حين تظهر نبوتك فأبالغ فى نصرتك .

في تعذيب بلال وشعر له

وقيل : إن بلالاً رضى الله عنه كان لجارية من بنى جُمَح ، وكان المُشركون يُعذِّبونه لمّا أسلم برَمْضاء[١] مكة ، يُلْصِقون ظَهْرَه بالرَّمضاء ليُشْرِكَ بالله ، فيقول : أَحدٌ ! أَحدٌ ! فيمرّ عليه ورقةُ بن نوفل فيقول: أحدٌ ! أحدٌ والله يا بلالُ ! والله لئن قتلتموه لأتخذنّه حَنَانًا[٢] . كأنه يقول : لأتمسحنّ به . وقال ورقةُ بن نوفل :

لقــد نَصحتُ لأقوام وقلتُ لهم ... أنا النّــذيرُ ولا يَغْرُرْكُم أحــدُ
لا تَعْبُــدنّ إلهاً غــيرَ خالقكم ... فإنْ دَعَوْكم فقُولوا بيننا[٣] حَــدَد
سُبحانَ ذى العَرْش سُبحاناً[٤] نَعود له ... وقبلُ قد سبَّح الجُوديّ[٥] والجُمُد
مُسخَّرٌ كلُّ ما تحت السماء له ... لا يَنبغى أن يُنــاوِى مُلْكَه أَحد
لا شىءَ ممّا تَرى تبقى بَشاشَــتُه ... يبقَى الإلٰهُ ويُودِى المــالُ والوَلَد
لم تُغْنِ عن هُرْمُزٍ يوماً خزائنُــه ... والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدوا
ولا سُليمانَ إذ دانَ الشُّعوبُ له ... والجنُّ والإنْس تَجْرى بينها[٦] البُرُد

ورُوى أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لأخى وَرقة بن نَوفل ، أو لابن أخيه : « شَعرتُ أنّى رأيتُ لوَرقةَ جنّةً أو جنّتين » . شك الراوى ، وهو هِشام ابن عُروة بن الزُّبير .

---

(١) الرمضاء : الأرض الحامية من شدة حر الشمس.

(٢) الحديث ضعيف ، فإن ورقة مات قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم . ولم يعذب بلال إلا بعد أن أسلم .

(٣) حدد : منع .

(٤) نعود له ، نعاوده مرة بعد أخرى . وفى بعض أصول الأغانى : « نعوذ به » .

(٥) الجودى : جبل بالجزيرة ، استوت عليه سفينة نوح . والجمد : جبل بنجد .

(٦) البرد : جمع بريد ، وهو الرسول .

أخبار زيد بن عمرو

نسبه

هو زَيد بن عمرو بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزَاح بن عَدِىّ بن كَعْب بن لُؤىّ بن غالب . وأُمه جَيداء بنت خالد بن جابر بن أبى حَبيب بن فَهْم . وكانت جَيْداء هذه عند نُفيل بن عبد العُزَّى ، فولدت له الخطّابَ ، أبا عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه . ثم مات عنها نُفيل فتزوّجت ابنه عَمْراً ، فولدت له زيدَ بن عمرو . وكان هذا نِكَاحاً يَنْكِحه أهلُ الجاهليّة . فكان الخطّاب عمَّ زيد وأخاه لأُمه .

شىء عنه

وكان زَيد أحدَ من اُعتزل عبادةَ الأوثان ، واُمتنع من أكل ذبائحهم ، وكان يقول : يا معشرَ قُريش ، أيُرسل الله قَطْر السماء ، ويُنْبت بقلَ الأرض ، ويخلُق السائمة فترعى فيه وتَذبحونها[1] لغيره ! والله ما أعلم أحداً على ظَهر الأرض على دين إبراهيم غيرى .

إخراج أخيه له من مكة

وكان أخوه الخطّاب قد أخرجه من مكة هو وجماعةٌ من قُريش ومَنعوه أن يدخُلها حين فارق عبادةَ الأوثان ، وكان أشدّهم عليه الخطابُ . وكان زيد إذا خلصَ إلى البيت اُستقبله ثم قال : لبّيك حقًّا حقًّا ، تعبُّدًا ورِقًّا ، البِرَّ أرجو لا الخال[2] ، وهل مُهجِّرٌ[3] كمن قال . ثم يقول :

عُذْتُ بما عاذ به إبراهِمُ ... مُسْتقبلَ الكعبةِ وهو قائمُ

يقول أنفِى لك عانٍ راغِمِ ... مهما تُجَشّمنى فإنى جاشِمِ

ثم يسجد .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وتذبحوها » .

(٢) البر : الطاعة . والخال : الخيلاء . (٣) المهجر : السائر فى الهاجرة .

شعره فى ترك الأوثان

وقال زيد بن عَمرو بن نُفيل :

عزلتُ الجنَّ والجِنّانَ عنّى | كذلك يفعل الجَلْد الصَّبُورُ
ولا العُزَّى أَدِينُ ولا ابْنَتَيْها | ولا صَنَمَىْ (١) بنى غَنْمٍ (٢) أُدير
أربًّا واحداً أم ألفَ ربٍّ | أدينُ إذا تُقُسِّمتِ الأُمور
ألم تعلَمْ بأنّ الله أَفْنَى | رجالاً كان شأنَهمُ الفُجور
وأَبْقى آخرين ببرِّ قومٍ | فيَربو منهمُ الطِّفل الصَّغير

لورقة يخاطب زيداً

وقال ورقةُ بن نوفل يخاطب زيدَ بن عمرو بن نُفيل :

رَشَدْتَ وأَنعمت ابنَ عمرٍو وإنما | تجنَّبْتَ تنُّوراً من النار حامِياً
بدِينك ربًّا ليس ربٌّ كمثله | وترْكك جِنّانَ الجبال (٣) كما هيا
أقول إذا ما زُرْتُ أرضاً مَخوفةً | حنانَيْك لا تُظْهِر علىَّ الأَعاديا
أَدِينُ لربٍّ يَستجيب ولا أُرَى | أَدِينُ لمن لم يسمع الدَّهرَ داعيا
أقول إذا صلَّيتُ فى كُل بِيعةٍ | تباركتَ قد أكثرتَ (٤) باسمك داعيا

اعتناقه دين إبراهيم

ورُوِى أنّ زيد بن عَمرو خَرج إلى الشأم يسأل عن الدِّين ، فلقى عالماً من اليهود ، فسأله عن دينهم وقال : لعلِّى أدين بدينكم . فقال اليهودى : إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنَصيبك من غَضب الله . فقال زيد : ما أفرّ إلّا من غَضب الله ، ولا أَحمل من غَضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلُّنى على دينٍ ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلمه ، إلا أن يكون حَنيفاً . قال : وما الحَنيف ؟ قال : دينُ إبراهيم . فَخرج من عنده وترَكه وأتى عالماً من عُلماء النَّصارى ، فقال له نحواً

(١) فى الأصل : « بنى طسم » مكان « بنى غنم » . وما أثبتنا من الأصنام لابن الكلبى .
(٢) فى الأصنام : « أزور » مكان « أدير » .
(٣) جنان الجبال : الذين يأمرون بالفساد من شياطين الإنس والجن .
(٤) أى خلقت خلقاً كثيراً يدعون باسمك .

ممّا قاله لليهودى . فقال له النصرانى : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذَ بنصيبك من لعنة الله. فقال : لا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع، فهل تدلُّنى على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً مما قاله اليهودى : لا أعلمه إلّا أن يكون حنيفاً . فخرج من عندهما وقد رَضى بما أخبراه واتفقا عليه من دين إبراهيم عليه السلام . فلما بَرَز رفع يَدَيْه وقال : اللهم إنّى على دين إبراهيم .

إقباله ليسلم ومقتله

وقيل : إنّه بلغه ظُهور النبىّ صلّى الله عليه وسلم بمكة ، فأقبل يُريده ، فقتله أهلُ مَيْفَعَة(١) .

النبى صلى الله عليه وسلم فيه

وروى ابنُه سَعيد بن زيد رضى الله عنه ، وهو أحدُ العشرة المبشَّرين بالجنّة ، قال :

سألت أنا وعمرُ بن الخطّاب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم عن زَيد ، فقال : يأتى يومَ القيامة أُمةً وحدَه .

عمرو وورقة

وإنما أجرى أبو الفرج ذكر زَيد بن عمر ، وورقة بن نوفل ؛ لأنّ الشعر الذى فيه « أُرفع ضَعيفك(٢) » البيتين . قد رُوى لكلّ واحد منهما . ورُوى أيضاً عن زُهير بن جَناب . وعامر الجَرْمى مَدْرَج الرِّيح ، فذكرهما أيضاً .

شىء عن زهير ابن جناب

فأما زُهير بن جَناب الكَلْبىّ فقال : إنه أحد المُعمَّرين . عاش مائةً وخمسين سنة . فقال ذات يوم : إن الحىّ ظاعِن . فقال له ابن أخيه عبدُ الله بن عُلَيم ابن جَناب : إنّ الحىَّ مُقيم . فقال زُهير : إنّ الحىّ مُقيم . فقال عبدُ الله : إن الحىّ ظاعن . فقال زُهير : مَن هذا الذى يُخالفنى منذُ اليوم ؟ قيل . ابنُ أخيك عبد الله بن عُلَيم . فقال : أَوَ ما ها هنا أحدٌ يَنهاه عن ذلك ! قالوا : لا . فغَضِب

(١) ميفعة : قرية من أرض البلقاء من الشام .
(٢) انظر الشعر فى أخبار « غريض » (ص ٢٨٧) من هذا الجزء .

وقال : لا أُرانى قد خولفتُ ! ثم دَعا بالخمر فشَربها صِرفاً بغير مِزاج وعلى غير طعام حتى قَتلتْه . وهو الذى يقول :

الموتُ خيرٌ للفتى فَلْيهلِكَنْ و به بَقيّهْ
أَبَنِىّ إنْ أَهلِكْ فقد أورثْتُكم مجداً بَنِيّه
وتركتُكم أبناءَ سا داتٍ زِنادُكُم وَرِيّه
من كُلِّ ما نال الفتى قد نِلْتُهُ(١) إلا التَّحيّه

شىء عن مدرج الريح

وأما عامر الجَرْمى مَدْرج الرّيح، فإنما سُمِّى « مدْرَج الرِّيح » بشعر قاله فى اُمرأة كان يزعُم أنه يهواها من الجِنّ ، وأنها تسكُن الهواء وتتراءى له ، وكان محمَّقاً ، وشعرهُ هذا :

لأبنةِ الجِنّىّ فى الجوّ طَلَلْ دارسُ الآياتِ عافٍ كالخَلَلْ
دَرَسَتْه الرِّيحُ من بين صَباً وجَنُوبٍ دَرَجَتْ حِيناً(٢) وطَلّ

(١) التحية : الملك ، والبقاء . والمراد هنا الثانى ، لأن زهير بن جناب كان ملكاً .

(٢) وزاد أبو الفرج بعد هذين « سعية بن غريض » فساق عنه قليلا . ثم ترجم لابن صاحب الوضوء المغنى ترجمة صغيرة . ولكن ابن واصل أغفل هذا وذاك .

أخبار بشّار بن برد

نسبه

ألحق أبو الفرج نَسَبه بيسْتاسب بن لهراسف ، ملك الفُرس ، وذَكر أنّ جدّه يَرْجوخ من طُخَارُستان[1] من سَبْى المُهلَّب بن أبى صُفرة ؛ وأن زَوجة المُهلّب وهبتْ ابنه بُرْداً بعد أن زوّجته لأمرأة من بنى عُقَيل ، فولدت له امرأتُه ، وهو فى مِلْكها ، بشّاراً ، فأعتقته العُقَيلية .

وقيل : بل كان بُرْد مولًى لأمرأة سَدُوسيَّة ، فادّعى أنه مولى بنى عُقَيل ، لنزُوله فيهم .

كنيته ولقبه ومنزلته بين الشعراء

ويُكنى بشّار أبا مُعاذ . وهو مُقدَّم طبقة الشعراء المُحدثين ورئيسهم ، بلا خلاف . وهو مُخضرم الدَّولتين : الأموية والعباسيَّة . وكان يُلقَّب المُرعَّث . فقيل : إنما سُمِّى بذلك لقوله :

قال رِيمٌ مُرَعَّثٌ ... سامرُ الطَّرف والنَّظَرْ

لستَ واللهِ نائِلى ... قلتُ أو يَغلِبُ القَدَر

أنتَ إن رُمْتَ وصلنا ... فانْجُ هل تُدْرِكُ القمر

وقيل : إنما سُمى بذلك لأنه كان لقَميصه جَيْبان : جَيب عن يَمينه ، وجَيب عن يساره ، فإذا أراد لُبْسَه ضَمَّه عليه من غير أن يُدخِل رأسه فيه ، وإن أراد نَزْعه حَلَّ أزراره وخرج منه ، فشُبِّهت تلك الجُيوب بالرِّعاث ، لأسترسالها وتَدَلِّيها . وسُمِّى من أجلها المُرَعَّث .

وقيل : كان فى أُذنه ، وهو صَغير ، رِعاث ، وهى القِرَطة .

---

(١) ضبطها ابن خلكان بضم الطاء ، وضبطها ياقوت بفتحها .

وصفه وشعر الباهلى فى هجائه

وكان ضخماً عظيم الخَلق والوَجه ، مُجدوراً ، طويلًا ، جاحظ الحدقتين قد تَغشّاهما لحم أحمر ، وكان أقبح الناس عَمًى وأفظعهم مَنْظراً ، وكان إذا أراد أن يُنْشِد صَفّق بيديه وتَنحنح وبَصق عن يَمينه وشماله فيأتى بالعَجب . ووُلد وهو أعمى ، وهو الأكمه . وفى ذلك يقول أبو هِشام الباهلىّ يهجوه :

وعَبْدى فقا[1] عَيْنَيك فى الرَّحْم أيْرُه   فجئتَ ولم تَعلم لعينيك فاقيا
أأمُّك يا بشّار كانت عفيفةً   علىّ إذَنْ أمْشى[2] إلى البيت حافيا

ولم يَزل بشّار منذُ قال فيه هذين البيتين مُنكسراً .

بدء قوله الشعر

وذُكر أنه قال بشّار الشِّعر وله عَشر سنين ، ثم بلغ الحُلُم وهو مَخْشِىٌّ مَعَرَّة اللِّسان .

هجاؤه جريرا

وكان يقول : هجوتُ جريراً فأعرض عنّى واستَصْغرنى ، ولو أجابنى لكنت أشعرَ الناس .

رأى الأصمعى فيه

وكان الأصمعىّ يقول : بشّار خاتمةُ الشُّعراء ، والله لولا أن أيّامه تأخرتْ لفضَّلتُه على كثير منهم .

رأيه فى عيون شعره

وقال بشّار : لى اثنا عشرَ ألفَ بيتٍ عَيْنٍ . فقيل له : هذا مالم يَدّعه أحدٌ قطُّ سواكَ ! فقال : لى اثنتا عشرةَ ألفَ قصيدةٍ ، لعنها الله ولعن قائلَها إن لم يكن فى كل واحدة منها بيتٌ عَيْن .

دينه

وقيل : كان بشّار يَدين بالرَّجْعة[3] ، ويكفِّر جميعَ الأُمم[4] ، ويصوِّب رأىَ إبليس فى تَقديمه النارَ على الطِّين ، وذكر ذلك فى شعره فقال :

(١) يريد « فقأ » بالهمز ، فسهل .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « مشيى » .
(٣) الرجعة : الإيمان بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت . وهو مذهب قوم من عرب الجاهلية . وعليه طائفة من أهل البدع من المسلمين ، يقولون : إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيا .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « الأمة » .

الأرضُ مُظلمةٌ والنارُ مُشرقة والنارُ مَعْبودةٌ مُذ كانت النارُ

قلت : وقد رُوى له أيضاً :

إبليسُ أفضلُ من أبيكم آدم فتَنَبّهوا يا مَعشرَ الأشرارِ

النارُ عُنْصره وآدمُ طِينُه والطِّينُ لا يَسْمُو سُمّوَ النار

كذب ، لعنه الله إن كان قالها .

لواصل بن عطاء فيه

و بلغ إلحادُه وكفرُه أبا حُذيفة واصلَ بن عطاء . شيخَ المُعتزلة — وكان ألثغ بالراء ، فكان يتجنّبها ولا يَنطق بها — فقام خطيباً وقال : أما آنَ لهذا الاعمى المُلحد المُشنَّف المُكْنِيّ بأبى مُعاذ مَن يقتله ؟ أمَا والله لولا أن الغِيلة سجيّة من سَجايا الغَالية لدسَسْت إليه من يَبعج بطنَه فى جوف منزِله أو فى (١) حَفْله ، ثم كان لا يتولّى ذلك إلّا عُقيليّ أو سَدُوسيّ !

شيء عن واصل ابن عطاء

فقال « أبا مُعَاذ » ولم يقل «بشارا» . وقال «الأعمى» ولم يقل « الضرير » . وقال « الملحد » ولم يقل « الكافر » . وقال « المشنف » ولم يقل « المرعث » . وقال « الغالية » ولم يقل « الرافضة » . وقال « يبعج » ولم يقل « يبقر » . وقال « منزله » ولم يقل « داره » .

وحَذْف الراء من كلامه كلّه غاية الأقتدار على الكلام ، والتمكّن من العبارة . وفى ذلك يقول بعضُ الشعراء فى مَدْح الصاحب بن عَبّاد :

نَعم تَجنَّب لا يومَ العَطاء كما تَجنَّبَ ابنُ عَطاء لَثْغة الراء

هو أحد أصحاب الكلام الستة

وقيل : كان بالبصرة ستّة من أصحاب الكلام : عمرو بن عُبيد ، وواصل ابن عطاء ، وصالح بن عبد القُدُّوس ، وعبد الكريم بن أبى العَوْجاء ، وجرير ابن حازم ، و بشّار بنُ بُرد ، فكانوا يَجتمعون فى منزل جرير و يَختصمون عنده . فأمّا عمرو وواصل فصارا إلى القول بالاعتزال ، وأما عبدالكريم وصالح فقالا بمقالة

(١) الحفل : الجمع من الناس . « والعبارة فى بعض أصول الأغانى : « أو فى يوم حفلة » .

الثَّنَوية . وأمّا جابر فقال بمقالة السُّمَنيّة[١] . وأما بشّار فبقى متحيِّراً مخلِّطاً . وكان عبد الكريم يُفْسد الأَحداثَ . فقال له عمرو بن عُبيد : قد بلغنى أنك لا تزال تَخلو بالحدَث من أحداثنا فتفسده وتُدْخله فى دينك ، فإن خَرجتَ من مصرنا وإلّا قُمتُ فيك مَقاما آتِى فيه على نفسك . فلَحِق بالكوفة . فدُلَّ عليه محمدُ ابن سليمان فقتَله وصلَبه .

رأى ابن العلاء فيه

وذكر أنه لقى أبو عمرو بن العلاء بعضَ الرُّواة ، فقال له : يا أبا عمرو ، مَن أبدعُ الناس بيتاً ؟ قال : الذى يقول :

لم يَطُلْ ليلى ولكن لم أنَمْ ... ونَفَى عنِّى الكَرَى طيفٌ أَلَمْ
رَوِّحى عنِّى قليلاً وأعلمى ... أنّنى يا عَبْدَ من لحم ودَمْ
وإذا قلتُ لها جُودى لنا ... خرجتْ بالصَّمت عن لا ونَعم
إنّ فى بُرْدَىَّ جسماً ناحلاً ... لو توكّأتِ عليه لانْهدم
خَتم الحُبُّ لها فى عُنقى ... موضع الخاتَم من أهل الذِّمَم

قال : فمن أمدحُ الناس ؟ قال : الذى يقول :

لَمستُ بكفِّى كفَّه أبْتغى الغِنى ... ولم أدْرِ أنّ الجود من كفِّه يُعْدِى
فلا أنَا منه ما أفاد ذَوُو الغِنَى ... أفدتُ وأَعدانى فبدَّدتُ[٢] ماعِندى

— وذُكر أنّ هذا الشِّعر لابن الخيّاط فى المهدىّ . وسنذكره[٣] —

قال : فمن أهجى الناس ؟ قال : الذى يقول :

رأيتُ السُّهَيلَين استوى الجودُ منهما ... على بُعْد ذا من ذاك فى حُكْم حاكِمِ

(١) السمنية ، بضم ففتح : قوم من أهل الهند دهريون . وقيل : من عبدة الأصنام ، يقولون بالتناسخ ، وينكرون وقوع العلم بالأخبار . نسبة إلى « سومنات » بلد بالهند .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فأتلفت » . وفى بعض آخر : « فبذرت » .
(٣) هو فى الجزء (١٨ ص ٩٤ بلاق) ولا ندرى أين سيكون مكانه من كتابنا هذا .

سُهَيل بن عثمانٍ يجود بماله كما جاد بالوَجْعا[١] سُهَيلُ بن سالمِ

وهذه الأبيات كلها لبشّار .

له وقد سئل عن إحسانه فى تشبيه

وقيل لبشّار وقد أنشد :

كأنّ مُثار النَّقْع فوق رُءوسنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوَى كوا كبُهْ

ما قال أحدٌ أحسنَ من هذا التَّشبيه ! فمن أين لك هذا ولم ترَ الدُّنيا قطّ ولا شيئاً فيها ؟ فقال : إن عدم النظر يُقوِّى ذكاءَ القلب و يقطَع عنه الشغلَ بما يَنظر إليه من الأشياء ، فيتوفّر حِسّه وتذكو قريحتُه . ثم أنشدهم قولَه :

عَمِيتُ جَنِيناً والذَّكاءُ من العَمَى فجئتُ عَجيبَ الظنّ للعِلْم مَوْئلاَ

وغاضَ صفاء العَيْن للعلْم فاْقتدى بقلب[٢] إذا ماضَيَّع الناسُ حَصّلا

وشِعْرٍ كنَوْر الرَّوض لاءمتُ بينه بقولٍ إذا ما أحزن الشعرُ أسْهلا

عتابه لامرأة واعدته فأخلفت

وقيل : كان بشّار يهوى امرأة من أهل البصرة ، فراسلها يسألها زيارتَه . فوعدتْه بذلك وأخلفته . وجعل يَنتظرها ليلةً أجمعَ حتى أصبح . فلمّا لم تأته كتب إليها يُعاتبها . فاْعتذرت بمرض أصابها . فكتب إليها :

يا ليلتى تزداد نُكْرَا من حُبّ منأحببتُ بِكْرَا

حَوْراء إن نَظرت إليـ ـكَ سقتكَ بالعينين خَمرا

وكأنّ رَجْعَ حديثها قِطَعُ الرِّياض كُسِينَ زَهْرا

وكأنّ تحت لسانها هاروتَ يَنْفُث فيه سِحْرا

وتَخال ما جمعَتْ عليـ ـه ثيابَها ذَهباً وعِطْرا

وكأنّها بَرْدُ الشّرا ب صَفاً ووافق منك فِطْرا

---

(١) الوجعاء ، ممدودة ، وقصرت للشعر : السافلة ، وهى الدبر .

(٢) هذه رواية الأصل . وفى بعض أصول الأغانى :

« وغاض ضياء العين للعلم رافداً * لقلب » .

رأى إسحاق فيه

قيل : وكان إسحاق الموصلىّ لا يعتدّ بشعر بشّار و يقول : هو كثير التّخليط فى شِعره ، وأشعارُه مُختلفة لا يُشْبه بعضُها بعضاً . أليس هو القائل :

إنما عَظْمُ سُليمى حِبّتى قَصَبُ السُّكَّر لاعَظْمُ الجَمَلْ
وإذا أدنيتَ منها بَصَلاً غَلَبَ المِسكُ على ريح البَصَل

لو قال كُلَّ شىء جيّد ثم أُضيف إليه هـذا لزيّفه . وكان يُقدّم عليه مروان ابن أبى حفصة ، ويقول : هو أشدُّ استواءَ شِعْر منه ، وكلامُه ومذهبُه أشبهُ بكلام العرب ومذاهبها . وكان لا يَعُدّ أبا نُوَاس البتةَ ولا يرى فيه خيراً .

غير هجاء له فى المنصور وجعله فى أبى مسلم

وذُكر أنه دَخل بشّار على إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن على بن أبى طالب، عليهم السلام ، وأنشده قصيدةً يهجو فيها أبا جَعفر المنصور ، ويُشير عليه برأى يَستعمله فى أمره . فلما قُتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن خاف بشّار ، فقلب الكُنية وأظهر أنه كان قالها فى أبى مُسلم صاحب الدعوة ، فجعل مكان « أبا جعفر » «أبا مسلم» ومكان « سلامة » أم المنصور : «وشيكة» وهى أم أبى مُسلم . وحَذف منها أبياتاً صرّح فيها بولد فاطمة عليها السلام ، وأولها :

أبا جعفر ما طُولُ عَيْشٍ بدائم ولا سالمٌ عمّا قَليلٍ بسالمِ
على المَلك الجبّار يَقْتحِم الرَّدى ويَصرعه فى المأزِق المُتلاحم
كأنّك لم تَسمع بقتل مُتوَّج عظيمٍ ولم تَعلم بقَتْل[1] الأعاجم
تَقَسَّم كِسْرى رهطُه بسُيوفهم وأمسى أبو العبّاس[2] أحلامَ نائم
مُقيماً على اللذّات حتى بَدَت له وجوهُ المَنايا حاسرات العَمائم
ومَرْوانُ[3] قد دارتْ على رأسه الرَّحى وكان لِمَا أجرمْتَ نَزْر الجَرائم
فأصبحتَ تَجْرى سادراً فى طريقهم ولا تتَّقى أشباهَ تلك النَّقائم

(١) هذه رواية الأصل . والذى فى بعض أصول الأغانى : « ولم تسمع بفتك » .

(٢) أبو العباس : هو الوليد بن يزيد . (٣) مروان ، هو مروان الحمار ، آخر ملوك بنى أمية .

تجرَّدتَ للإسلام تَعْفُو[1] طريقه ... فتُعْرِى مَطاه[2] للُّيوث الضَّراغِمِ
فما زِلْتَ حتى اُستَنْصر الدينُ أهلَه ... عليك فعاذُوا بالسُّيوف الصَّوارِمِ
فَرُمْ وَزَراً يُنْجيك[3] يابن سَلامةٍ ... فلستَ بناجٍ من مَضِيم وضائِم
لحى اللهُ قوماً رأَّسوك عليهمُ ... وما زِلْتَ مَرْءوساً خَبِيثَ المَطاعم
أقولُ لبسَّامٍ عليه جلالةٌ ... غداً أرْيحيًّا عاشِقاً للمَكارم
مِن الفاطميِّين الدُّعاةِ إلى الهُدى ... جِهاراً ومَن يُنْجيك مثلُ ابْن فاطم[4]
سِراجٌ لعين المُستضىء وتارةً ... يكُون ظلاماً للعدوِّ المُزاحِمِ
إذا بلغَ الرأيُ المَشورةَ فاستعنْ ... برأيِ نَصِيح أو نَصيحة حازِمِ
ولا تَجعلِ الشُّورى عليك غَضاضةً ... فإنّ الخَوافى قُوَّةٌ للقوادم
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغلُّ أُختَها ... وما خيرُ سيفٍ لم يُؤَيَّد بقائم
وخَلِّ الهُوَينا للضَّعيف ولا تكُن ... نَؤوماً فإن الحزم ليس بنائم
وحارِبْ إذا لم تُعْطَ إلّا ظُلامة ... شَبَا الحربِ خيرٌ من قَبول المظالم

بينه وبين الأصمعى فى المشورة

وقال الأصمعىّ لبشار : يا أبا مُعاذ ، إن الناس يعجبون من أبياتك فى المَشورة فقال : يا أبا سَعيد ، إنّ المُشاورَ بين صوابٍ يفوز بثمرته أو خطأٍ يُشارِكُ فى مكروهه . فقلت : أنت واللهِ فى قولك هذا أشعرُ منكَ فى شعرِكَ .

بينه وبين بعض موالى المهدى فى تفسير بعض الآيات

وقيل : كان بشّار جالساً فى دار المَهدىّ والناسُ ينتظرون الإذنَ . فقال بعضُ موالى المهدى لمن حَضر : ما قولُكم فى قول الله عزَّ وجلَّ : (وأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً) ؟ فقال بشّار : النَّحلُ التى يعرفها الناسُ . فقال : هيهات يا أبا مُعاذ ! النحلُ : بنو هاشم . وقوله (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) يعنى العِلم . فقال له بشّار : أرانى اللهُ شرابَكَ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « سبيله » مكان « طريقه » . (٢) المطا : الظهر .
(٣) جعل مكانها : « بابن وشيكة » . (٤) يريد « فاطمة » فرخم .

وطعامَك وشِفَاءك فمما يخرج من بطون بنى هاشم ، فقد أوسعْتنا غثــاثةً . فغَضِب وشَتم بشَّاراً . و بلغ المهدىَّ الخبرُ ، فدعى بهما فسألهما عن القصّة ، فحدّثه بشّار بها ، فضحك حتى أمسك على بَطنـه ، ثم قال للرجل : أجلْ ! فجعل الله طعـامَك وشَرابَك ممّا يخرُج من بُطون بنى هاشم ، فإنك باردٌ غثٌّ .

هو و يزيد الحميرى والمهـدى

وقيل : دخل يزيدُ بن مَنصور الحِمْيرىّ ، خال المَهدى ، على المهدىّ و بشَّار بين يديه يُنشده قصيدةً يَمدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيدُ بن مَنصور ، وكانت به غفلة ، فقال له : يا شيخ، ما صِناعتُك ؟ فقال : أثقُب اللُّؤلؤ . فضَحك المهدىُّ . ثم قال لبشار : أتَتنادر على خالى ! فقال له : وما أصنع به ! يرى شيخاً أعمى يُنشد الخليفة شعراً و يسأله عن صناعته !

بينه و بين بعضهم فى شـعره

وقال بعضُهم : قلتُ لبشَّار : بينما تقول شعراً تُثير به النَّقع وتَخلع به القلُوب ، مثل قولك :

إذا ما غَضِبنـــا غَضْـــبةً مُضريَّةً ... هَتَـكنا حجابَ الشَّمس أو تُمْطِرِ الدَّما
إذا ما أعَرْنا سـيِّداً من قَبيـــلة ... ذُرى مِنْـــبرٍ صلّى علينا وسـلّما

تقول :

ربابةُ ربَّـةُ البيتِ ... تَصُبُّ الخلَّ فى الزَّيتِ
لهـــا عَشْرُ دَجاجاتٍ ... ودِيكٌ حَسَنُ الصَّوت

فقال : لـكُلِّ شىء وجهٌ وموضعٌ ، فالقولُ الأولُ جِدٌّ ، وهذا قلتهُ فى رَبَابة جاريتى، وأنا لا آكل البيضَ من السُّوق ، ور بابةُ هذه لها عَشر دجاجاتٍ وديكٌ، وهى تَجْمع لى البيضَ عندها ، فهذا عندها من قولى أحسنُ من :

* قِفَا نَبْك من ذِكْرى حَبيبٍ ومنزل *

عندك .

هو وقد سئل عن حشوه شعره

وقيل : كان بشّار يحشو شعرَه إذا أعوزتْه القافيـةُ والمعنى بالأشياء التى لا حقيقة لها ، فمن ذلك أنه أنشد يوماً شعراً له ، فقال فيه :

* غَنِّنى للغريض يابنَ قنانِ *

فقيل له : مَن ابنُ قنان هذا ؟ لسنا نَعرفه من مُغَنِّى البصرة ؟ فقال : وماعليكم منه ! ألكم قِبَله دَيْنٌ فتطلبُوه به ، أو ثأرٌ تريدون أن تُدركوه ، أو كَفلتُ لكم به فإذا غاب[1] طالبتُمونى بإحضاره ؟ فقالوا : ليس بيننا و بينه شىء من هذا ، و إنما أردنا أن نعرفه . فقال : هو رجل يُغَنِّى لى ولا يَخرُج من بيتى . فقالوا له : إلى متى ؟ فقال : من يوم وُلد إلى أن يموت .

قيل : وأنشدنا يوماً :

* . . . . ووافا نى هلالُ السماء بالبَرَدان *

فقُلنا : يا أبا مُعاذ ، أين البردان هـذا ؟ لسنا نعرفه فى البصرة . فقال : هو بيت فى دارى سميتُه البردان ، أفعليكم من تَسميتى دارى و بيوتها شى فتسألونى عنه ؟

وقال راويةُ بشّار : كُنّا عنده يوماً فأنشدنا قولَه :

وجاريةٍ خُلقتْ وحدَها . فكُلُّ[2] النِّساء لديها خَدَمْ
دُوَار[3] العَذارَى إذا زُرْنها أطَفْن بحَوْراءَ مِثل الصَّنم
ظَمِئتُ إليها فلم تَسْقنى بريّ ولم تَشْفِنى من سقَم
وقالت هَويتَ فَمُتْ راشِداً كما مات عُروةُ غمًّا بغَمّ
فلما رأيتُ الهوَى قاتلى ولستُ بجارٍ ولا ابنِ عَمّ

(١) فى التجريد : « جاء » .
(٢) رواية بعض الأصول : « كأن » .
(٣) دوار : صنم للعرب كانوا ينصبونه ويدورون به . وهو هنا على التشبيه .

دَسستُ إليهــا أبا مِجْلَزٍ ... وأىّ فتى إن أصاب أعــتَزم

فمــا زال حتى أنابتْ له ... فراح وحــلّ له ما حَرُم

فقال له رجل : من أبو مجلز هذا يا أبا مُعاذ ؟ قال : وما حاجتك إليه ! أَلك عليه دَين فتُطالبه به ! هــذا رجل يتردّد بيني و بين مَعارفى فى رسالة[1] .

قال : وكان كثيراً ما يحشُو شعرَه بمثل هذا .

شعره فى قينــة

وقيل : كانت بالبصرة قَينة لبعض ولد سُليمان بن علىّ ، وكانت مُحسنة بارعةَ الظَّرف ، وكان بشّار صديقاً لسيّدها ومدّاحاً له ، فحضر مجلسَه يوماً والجارية تُغنِّى ، فسُر بحُضوره فشَرب حتى سَكر ونام ، ونهض الناس ونَهض بشار ، فقالت له : يا أبا مُعاذ ، أُحِبّ أن تذكُر يومَنا هــذا فى قصيدة ولا تذكُر فيها اسمى ولا اسم سيّدى وتكتُب بها إليه . فانصرف وكتب إليه :

وذاتِ دلٍّ كأنّ البــدرَ صُورتُها ... باتتْ تُغنِّى عميدَ القَلْب سكرانا:

(إنّ العُيون التى فى طَرفها حَورٌ ... قتلننــا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا)

(يَصْرعْن ذا اللُّب حتى لاحَراكَ به ... وهُنّ أضعفُ خَلْق الله أركانا)

فقلت أحسنتِ ياسُؤلى و يا أملى ... فأسمِعينى جــزاكِ الله إحسانا :

(يا حبّذا جَبلُ الرَّيان[2] من جَبلٍ ... وحبّذا ساكنُ الريّان مَنْ كانا)

قالت فهلّا فدتْك النفسُ أحسن مِنْ ... هذا لِمَنْ كان صبَّ القلب حيْرانا:

(ياقوم أُذنى لبَعض الحىّ عاشقةٌ ... والأُذن تَعْشق قبل العَين أحيانا)

يا ليتنى كنتُ تفّاحا تُفلِّجه[3] ... أو كنتُ من قُضُب الرَّيحان ريحانا

حتى إذا وجدتْ ريحى فأعجبها ... ونحن فى خلوةٍ مُثِّلتُ إنسانا

فحركتْ عُودَها ثم انثنت طَرَباً ... تَشْدو به ثم لا تُخْفيــه كِتْمانا :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى رسائل » .

(٢) الريان : جبل فى ديار طيىء . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « مفلجة » .

(أصبحتُ أطوعَ خَلْق الله كُلِّهِمِ ... لأكثرِ الخلق لى فى الحب عِصْيانا)
فقلتُ أطربتِنا يا زينَ مجلسنا ... فهاتِ إنك بالإحسان أولانا
لو كنتُ أعلم أنّ الحب يقتلنى ... أعددتُ لى قبل أن ألقاكِ أكفانا
فغنَّت الشَّرْبَ صوتاً مُؤْنقاً[1] رَمَلاً ... يُذْكى السُّرورَ ويُبْكى العينَ ألوانا:
(لا يقتلُ اللهُ من دامتْ مودَّتُه ... والله يقتُل أهل الغدر أحيانا)

ووجّه بالأبيات إليها . فبعث إليه سيدُها بألفَىْ درهم[2] وسُرَّ بها سُروراً شديداً .

بينه وبين هلال ابن عطية

وذُكر أنّ هلالَ بن عطيـة قال لبشّار ، وكان صديقاً له يُمازحه : إنَّ الله لم يُذْهب بصرَ أحدٍ إلّا عوَّضه شيئاً ، فما عوَّضك ؟ قال : الطويلَ العريضَ . قال : وما هو ؟ قال : ألّا أراك ولا أمثالك من الثُّقلاء . ثم قال له : يا هلال ، أتُطيعنى فى نَصيحة أخصك بها ؟ قال : نعم . قال : إنك كنت تَسرق الحميرَ زماناً ثم تُبت وصِرت رافضيًّا ، فعُد إلى سرقة الحمير ، فهو والله خيرٌ لك من الرِّفْض[3] .

بينه وبين رجل من عكل

وقال بعضُهم : مَررت أنا ورجلٌ من عُكْل بقَصر أوس[4] ، و إذا نحن ببشَّار فى ظِلّ القَصر وحدَه ، فقال لى العُكْلى : لا بُدَّ لى من أن أعبث ببشَّار . فقلت : ويحك ! مَهْ ، لا تُعرِّض نفسَك وعِرْضك له . فقال : إنى لا أجده فى وقتٍ أخلَى منه فى هذا الوقت . فوقف ناحيةً ودنا منه وقال : يا بشَّار . فقال : من هذا الذى لا يَكْنينى و يَدعونى باُسمى ؟ قال : سأُخبرك من أنا ، فأَخبرنى أنت عن أُمك ، أولدتْك أعمى أم عَميتَ بعد أن ولدتْك ؟ قال : وما تُريد من ذلك ؟ قال : وددتُ لو فُسِح لك فى بَصرك ساعةً لِتنظُر إلى وجهك فى المرآة ، فعسى أن تُمسك

(١) مؤنقاً : معجباً . والرمل : ضرب من الأغانى . (٢) فى بعض الأصول : « دينار »
(٣) الرفض ، بالكسر : مذهب الرافضة . وهم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن على ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين ، فأبى فرفضوه وانفضوا عنه ، فسموا الرافضة .
(٤) قصر أوس بالبصرة ، وهو منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، ولى خراسان فى عهد الأمويين .

عن هِجاء الناس وتعرفَ قدرك . فقال : ويحكم ! مَن هذا ! أما أحدٌ يُخبرنى من هذا ؟ فقال له : على رِسْلِك ، أنا رجل من عُكْل وخالِى يبيع الفَحْم ، فما تقدر أن تقول فىّ ؟ قال : لا شىء ، بأبى أنت أذهب فى حِفْظ الله .

له فى مدح خالد البرمكى

وقيل : كان المُستَرْفِدون[1] يُسمَّون فى قديم الزَّمان السؤَّال ، إلى أيام خالد بن بَرمك ، فقال خالد : هذا والله اسم أَستقبحه[2] لطالب الخير ، وأرفع قَدر الكريم أن يُسمِّى به هؤلاء المؤمِّلين ، لأنَّ فيهم الأشرافَ والأحرارَ وأبناء النِّعِم ، ومن لعلّه خيرٌ ممن يقصِد وأفضلُ أدباً ، ولكنّا نُسميهم الزُّوار . فقال بشّار يَمدحه :

حذا خالدٌ فى فِعله حَذْوَ بَرْمكٍ ... فمجدٌ له مُستطرف[3] وأَثيلُ

وكان ذَوُو الآمالِ يُدْعون قبله ... بلفظ على الإعدام فيه دليل

يُسمَّون بالسُّؤَّال فى كلِّ موطن ... وإن كان فيهم نابهٌ وجَليل

فسمّاهم الزُّوارَ سَتْراً عليهمُ ... فأَستارُه فى المُجتدين سُدُول

وقال بشَّار هذا الشعر فى مَجلس خالد فى الساعة التى تَكلّم فيها خالد بهذا الكلام فى أمر الزوّار ، فأعطاه لكُل بيت ألف درهم .

هجاؤه جاراً له

وقيل : نَهق حمار ليلةً بقُرب بشّار ، فخَطر بباله بيتٌ ، فقال :

ما قام أيرُ حمارٍ فأمتلا شَبقاً ... إلّا تحرّكَ عرقٌ فى اُسْت « تَسْنيم »

ولم يُرِد تَسْنيماً بالهِجاء ، لكنه لمَّا بلغ إلى قوله « إلا تحركَ عرق » قال : فى اُست من ؟ فى اُست من؟ ومرَّ تسنيم بن الحوارى ، وكان صديقَه فسلّم . فضحك ثم قال : فى اُست تسنيم عَلِم الله . فقال له : أيش[4] ويحك ! فأَنشده البيتَ .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الزوار » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أستثقله » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وأصيل » مكان « وأثيل » .

(٤) أيش ، بمعنى : أى شىء . سمع عن العرب . وقيل : إنه مولد .

فقال له : عليك لعنة الله ! فما عنـدك فرق بين صديقك وعدوّك ! أىّ شىء حملك على هذا ؟ ألا قلتَ : فى اُست حمّاد الذى هجاك وفضحك وأعياك ، وليست قافيتك على الميم فأَعْذِرَك ! فقال : صدقتَ والله فى هـذا كُلِّه ، ولـكن ما زلتُ أقول : فى اُست مَن ؟ ولا يخطُر ببالى أحدٌ حتى مررتَ فسلّمت فرُزِقته . فقال له تسنيم : إذا كان هذا جوابَ السَّلام ، فلا سلَّم اللهُ عليك ولا علىّ حين سلّمتُ عليك . وجعل بشار يَضحك ويُصفِّق بيديه ، وتَسنيم يشتُمه .

بينه وبين زوجه فى هيبة الناس له

وقيل : قالت اُمرأة بشار : ما أَدْرى لِمَ يهابُك الناسُ مع قُبح وجهك ! فقال لها بشّار : ليس من حُسنه يُهاب الأسدُ .

بينه وبين عقبة ابن رؤبة فى الرجز

وقيل : دَخل بشّار على عُقبة بن سَلْم وعنده عُقبة بن رُؤْبة بن العجّاج، فأَنشده عُقبة بن رُؤبة رَجزاً يَمدحه به . فَسمعه بشّار وجَعل يَستحسن ما قال إلى أن فرغ . ثم أَقبل على بشّار فقال : هـذا طِراز لا تُحسنه أنت يا أبا مُعاذ . فقال بشّار : إلىّ يُقال هذا ! أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدِّك . فقال له عُقبة بن رؤبة : أنا والله وأبى فَتحْنا بابَ الغَريب والرَّجز ، وإنِّى لخليقٌ أن أسُدَّه عليهم . فقال له بشّار : اُرحمهم يرْحمك الله . قال عُقبـة : أتستخفٌّ بى يا أبا مُعاذ وأنا شاعر اُبن شاعر اُبن شاعر ! فقــال بشّار : فأنت إذن من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجْس وطهَّرهم تطهيراً ! ثم خَرج من عند عُقبةُ بن سَلْم مُغضَباً . فلما كان من الغدِ غدَا على عُقبة بن سلم وعنده عُقبة بن رُؤْبة ، فأَنشده أرجوزته التى أولها :

يا طَلَلَ الحىِّ بذاتِ[1] الصَّمْدِ بالله خَبِّر كيف كنت بعـدِى

يقول فيها :

قامتْ تَراءى إذ رأتْنى وحْدِى كالشَّمس بين الزِّبْرِج[2] المُنْقَدِّ

(١) الصمد : موضع فى ديار بنى يربوع . وقيل: هو ماء للضباب .

(٢) الزبرج : السحاب . والمنقد : المتقطع .

صدَّت بخدٍّ وجلَت عن خَدِّ … ثم أنثنت كالنَّفَس المُرتدِّ
عَهْدى بها سَقياً له من عَهد … تُخلف وعداً وتفى بوعد
فنحنُ من جَهْد الهوى فى جَهْد … وزاهرٍ من سَبِط وجَعْد

ومنها :

وافق حظًّا من سَعَى بجدِّ … ماضرَّ أهلَ النَّوْك ضَعْفُ[1] الكَدِّ
الحرُّ يُلْحَى والعَصا للعبدِ … وليس للمُلحف مثلُ الرَّدِّ
والنَّصْفُ يَكْفيك من التعَدّى … وصاحبٍ كالدُّمَّل[2] المُمِدِّ
حملتُه فى رُقعة من جِلْدِى … أرقُب منه مثل يوم[3] الوِرْد
حتّى مضى غيرَ فقيد الفَقْد … وما دَرَى ما رَغْبتى من زُهْدى

يقول فى مَديحها :

مُشترِكَ النَّيْل ورِىَّ الزَّند … أغرَّ لبّاسَ ثياب الحَمْد
ما كان منِّى لك غيرُ الوُدِّ … ثم ثناءٌ مثلُ ريح الوَرْد

فطرب عُقبة بن سَلْم وأجزل صِلَته ، وقام عُقبة بن رُؤْبة فخرج عن المجلس بخِزْى ، وهَرب من تحت ليلته فلم يَعُد إليه .

هو والمنصور فى الحج

وقال بعضهم :

حَجَّ المَنصورُ فاستقبلناه بالرَّضْم[4] الذى بين زُبالة[5] والشُّقوق[6] . فلما رحل من الشُّقوق رَحل فى وقت الهاجرة ، ولم يَركب القُبَّةَ[7] وركب نَجيباً ، فسار

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الجد ».
(٢) النصف : الإنصاف . والممد : الذى حدثت فيه المدة . (٣) الورد : من أسماء الحمى.
(٤) الرضم : الحجارة البيض المتراكبة . وهو يريد مكاناً بعينه .
(٥) زبالة : منزلة معروفة بطريق مكة من الكوفة .
(٦) الشقوق : منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة . (٧) القبة : الهودج .

بيننا ، فجعلت الشمسُ تصُكّ[(١)] بين عينيه . فقال : إنى قائل بيتاً فمن أجازه وهبتُ له جُبّتى هذه . فقلنا : يقول أمير المؤمنين . فقال :

وهاجرةٍ نَصبْتُ لها جَبِينِى يُقَطِّع حرُّها ظهرَ[(٢)] العِظايَهْ

فبدرَنا بشّار الأعمى فقال :

وقفتُ بها القَلُوصَ ففاضَ دَمْعى على خَدِّى وأَقْصر واعظايهْ

فنزع الجُبة وهو راكبٌ فدفعها إليه . قال : فقلت لبشّار بعد ذلك : ما فعلتَ بالجُبة ؟ فقال : بعتُها والله بأربعمائة دِينار .

حديث تأخر جائزة عقبة لبشارعنأرجوزته

وقيل : لمّا مَدح بشّار عُقبةَ بن سَلم بأرجوزته التى تقدّم ذكرُها أَمر له بخَمسين ألف دِرهم . فأَخَّرها عنه وكيلُه ثلاثة أيّام . فأمر بشّارٌ غلامَه أن يكتُب على باب عُقبة عن يمين الباب :

ما زالَ ما مَنَّينى من هَمِّى والوعدُ غَمٌّ فاُسترح[(٣)] مِن غَمِّى

* إن لم تُرِد مَدْحى[(٤)] فراقِبْ ذَمّى *

فلما خَرج عُقبة رأى ذلك ، فقال : هذه من فَعَلات بشّار ! ثم دعا بالقَهْرمان[(٥)] ، فقال له : هل حملتَ إلى بشّار ما أمرتُ له به ؟ فقال : أيها الأمير ، نحن مُضِيقونَ ، وغداً أحمله إليه . فقال : زد فيه عشرةَ ألف دِرْهم أُخرى واُحملْها الساعة . فحَمَلها من وقته .

وذُكر أنّ المَهدىّ نَهى بشّاراً أن يذكُر النِّساء فى شِعْره لاُفتتانهنّ به[(٦)] ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تضحك » بمعنى تتلألأ .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ظهرها » مكان «حرها» . والعظاية : دويبة تشبه سام أبرص.
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فأزح » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « حمدى » مكان « مدحى » .
(٥) القهرمان : الوكيل ، أو أمين الدخل والخرج . (٦) به ، أى بشعره .

هو والمهدى وقد نهاه عن ذكر النساء فى شعره

وكان المهديّ أشدّ الناس غَيْرةً . فقيل للمهديّ : ما أحسبُ هـذا يكون أبلغ من شعر جَميل ، وكُثيِّر ، وعُروة بن حِزَام ، وقيس بن ذَرِيح، وتلك الطَّبقة . فقال المهديّ : ليس كُل من يَسمع تلك الأَشعار يَفهم المُراد منها ، وبشّار يُقارب النساء حتى لا يَخفى عليهنّ ما يقول وما يُريد، وأى حُرّة حَصَانٍ تَسمع قولَ بشّار ولا يؤثّر فى قلبها ، فكيف بالمرأة الغزِلة والفَتاة التى لا هَمَّ لها إلا الرِّجال ! ثم أنشد المهديُّ قولَه :

قَد لامَنى فى خَليلتى عُمَـرُ ... واللَّومُ فى غَـير كُنْهه ضَجَرُ

قال أفِقْ قلتُ لا فقـال بلَى ... قد شَاع فى الناس منكمُ[1] الخبر

قلتُ وإنْ شاع ما اعتذارىَ[2] مـمّـا ... ليس لى فيـه عندهمُ عُـذُر

ماذا عليهم وما لهم خَرِسُـوا ... لو أنهم فى عُيـوبهم نَظَروا

أعشَق وَحْـدى ويُؤْخَذون به ... كالتُّرك تَغزو فيُقتَـل الخزر

حَسْبِى وحَسْبُ التى كَلِفْتُ[3] بها ... مـنّى ومنهـا الحديثُ والنَّظَر

أو قُبلة فى خِـلال ذاك وما ... بأسٌ إذا لم تُحَلَّلِ[4] الأُزر

أو عَضَّـة فى ذِراعها ولها ... فوق ذِراعى من عَضِّها أثَر

أو لَمْسة دون مِرْطها[5] بيـدى ... والبابُ قد حال دونه السُّتُر

والسـاقُ برّاقة[6] خَلاخلُها ... أو مَصُّ رِيقٍ وقد عَلا[7] البُهر

واسترختِ الـكفُّ للعِراك وقا ... لتْ إيهِ عنِّى والدّمعُ مُنْحَدر

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « منكما » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وإذ شاع ما اعتذارك » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الذى كلفت به » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « لم تحل لى » .

(٥) المرط : كساء من خز أو كتان يؤتزر به .

(٦) فى بعض أصول الأغانى : « مخلخلها » مكان « خلاخلها » .

(٧) البهر ، بالضم ، وحرك للشعر : تتابع النفس وانقطاعه من الإعياء .

أَنْهض فما أنتَ كالّذى زَعَموا ... أنت وربِّى مُغازلٌ أَشِرُ
قد غابتِ اليومَ عنكَ حاضِنتى ... واللهُ لى فيك مِنْك يَنْتصر
يا ربِّ خُذْ لى فقد ترى ضَرَعى ... مِن فاسقٍ جاء ما به سَكَر
أَهْوَى إلى مِعْضَدى(١) فَرَضَّضه ... ذو قُوة ما يُطاق مُقْتدِر
ألصقَ بى لحيةً له خَشُنت ... ذاتَ سَوادٍ كأنها الإبر
حتى عَلانى وأُسْرتى(٢) غُيَّبٌ ... وَيْلى عليهم لو أنّهم حَضَروا
أُقسم بالله لا نجوتَ بها ... فاُذهبْ فأنت المُساوِر الظَّفِر
كيف بأُمِّى إذا رأت شَفَتى ... أم كيف إن شاع منك ذا(٣) الأثر
قلتُ لها عند ذاك يا سَكَنى ... لا بأسَ إنِّى مُجَرَّب خَبِر
قُولِى لها بَقَّةٌ لها ظُفُر ... إن كان فى البَقِّ ماله ظُفُر

ثم قال المهدىُّ : مثلُ هذا الشّعر يُميل القُلوب ويُلين الصَّعب .

هو وخالد بن برمك وقد وعده فمطله

وقيل: ورَدَ بشّارعلى خالدبن برمك ، وهو بفارس، فاُمتدحه ، فَوعده ومَطله، فوقف على طريقه وهو يُريد المَسجد ، فأَخذ بلجام بَغلته وأنشده :

أظلّت علينا منكَ يوماً سحابةٌ ... أضاءت لنا برقاً وأبطا رِشاشُها
فلا غَيمُها يُجْلى فييأسَ طامعٌ ... ولا غيثُها يأتِى فيرْوَى عِطاشُها

فَحبس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال له : لن تنصرف السحابةُ حتى تَبُلَّك إن شاء الله تعالى .

هو وابن القعقاع

وقيل :

كان رجلٌ يُقال له سَعْد بن القَعْقاع يَتقدَّم بشاراً فى الخَلاعة(٤) . فقال

---

(١) المعضد : الدملج . وهو حلى يلبس فى المعصم . (٢) غيب : جمع غائب .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الخبر » مكان « الأثر » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « فى المجانة » .

لبشّار، وكان يُنادمه: ويحك يا أبا مُعاذ! وقد نَسبنا الناسُ إلى الزَّنْدقة، فهل لك أن تَحُج بنا حِجَّة تَنفى ذلك عنّا. قال: نِعْمَ ما رأيتَ! فاشتريا بعيراً ومَحْملاً، وركبا، فلما مرَّا بزُرارة قال له: ويحك يا أبا مُعاذ! ثلثمائه فرسخ متى نَقطعها! مِلْ بنا إلى زُرارة نتنعّم فيها، فإذا قَفل الحاجُّ عارضناهم بالقادسيّة وجزَزْنا رءوسَنا، فلم يَشُكَّ أحدٌ من الناس أنّا جئنا من الحجّ. فقال له بشّار: نِعْمَ ما رأيتَ لولا خبثُ لسانك، فإني أخاف أن تَفْضَحنا. قال: لا تخفْ. فمالا إلى زُرارة، فما زالا يَشْربان الخمر ويَفْسُقان، فلما نَزل الحاجُّ بالقادسية راجعين، أخذا بعيراً ومَحْملاً وجَزّا[1] شُعورهما وأقبلا، وتلقّاهما الناسُ يُهنِّئونهما. فقال سعدُ بن القَعقاع:

ألم تَرَني وبَشّاراً حَجَجْنا ... وكان الحجّ من خير التِّجارَهْ

خرجْنا طالبِيْ سَفَرٍ بعيدٍ ... فمال بنا الطريقُ إلى زُراره

فآب الناسُ قد حَجُّو[2] جميعاً ... وأُبْنا مُوقَرين من الخَساره

هو وقوم حضروه فعابوا عليه أشياء

وحَكى داود بن رَزِين قال:

أتينا بشّاراً فأذن لنا والمائِدة بين يديه، فلم يَدْعُنا إلى طَعامه، فلما أكل دَعا بطَسْت فكَشف عن سَوْءته فبال. ثم حضرتِ الظهرُ والعصرُ والمغرب[3] فلم يُصلِّ. فدنونا منه فقلنا له: أنت أستاذُنا وقد رأينا منك أشياء[4] نَكرهها. قال: وما هى؟ قلنا: دَخلنا والطعامُ بين يديك فلم تدعُنا إليه. فقال: إنما أذنتُ لكم لتأكلوا، ولو لم أُرد أن تأكلوا ما أذنتُ لكم؟ قلنا: ودعوتَ بالطَّسْت فَبُلْتَ فيه ونحن حُضور نَراك. فقال: أنا مكفوف وأنتم بُصراء، وأنتم المأمورون

---

(١) فى الأصل: «واستأصلا».

(٢) فى بعض أصول الأغانى: «وبروا» مكان «جميعاً».

(٣) هذه الكلمة «والمغرب» ساقطة من أكثر أصول الأغانى.

(٤) فى بعض أصول الأغانى: «أنكرناها» مكان «نكرهها».

بغَضّ الأَبصار دونى ، ثم مَه[١] ؟ قلنا: حضرتِ الظُّهر والعصرُ والمَغرب فلم تُصلِّ .
قال : إنّ الذى يَقْبلها تفاريقَ يَقْبلها جُملةً .

هو وثقيل جلس إليه

وقيل :

قَعد رجلٌ إلى جَنْب بشّار ، فاُستثقله بشّار .فضَرط عليه بشارضَرْطة ، فظنّ الرجلُ أنها أفلتت منه . ثم ضَرط أُخرى . فقال : أفلتت . ثم ضَرط ثالثة[٢] . فقال : يا أبا مُعاذ ، ما هـذا ؟ قال : مه ! أرأيتَ أم سمعت ؟ قال : بل سمعتُ صوتاً قَبيحاً . قال : فلا تُصدِّق حتى ترَى .

شعر له فى ثقيل

وأنشد بشّار فى ثَقيل يقال له أبو سُفيان :

ربما يثقُل الجليسُ وإن كا ... ن خفيفاً فى كِفّة المِيزانِ
كيف لاتَحمل الأمانةَ أرضٌ ... حَملتْ فوقها أبا سُفيان

طرب الوليد بشعر له

وقيل : أُنشد الوليدُ بن يزيد قولَ بشّار الأَعمى :

أيها السّاقيانِ صُبّا شَرابى ... واُسْقِيانى من رِيق بَيْضاءَ[٣] رُودِ
إنّ دائى الظّمَا وإنّ[٤] شِفائى ... شَرْبةٌ من رُضابِ ثَغْرٍ بَرُود
ولها مَضْحكٌ كغُرِّ الأَقاحى ... وحديثٌ كالوَشْىِ وَشْىِ البرُود
نزلتْ فى السّواد من حَبّة القَلْـ ... ـب ونالتْ زِيادةَ المُستزيد
ثم قالت نَلْقاكَ بعد ليالٍ ... واللّيالى يُبْلين كُلّ جديد
عندها الصبرُ عن لقائى وعندى ... زَافراتٌ يأْكُلْن قلبَ الجَليد

فطرب الوليدُ وقال : مَن لى بمزاجِ كأسِى هذه من رِيق سَلْمى فيَرْوَى ظَمئى وتَطْفأ غُلّتى ! ثم بكى حتى مَزج الكأْس بدَمعه وقال : إنْ فاتَنا ذاك فهذا .

(١) مه ، أصلها «ما» فأبدلت الألف هاء للسكت . (٢) فى بعض أصول الأغانى : «أخرى» .
(٣) الرود ، بالهمز وسهل : الشابة الحسنة الشباب . (٤) فى بعض أصول الأغانى: «وإنى» .

هو وصديق طلب منه ثيابا

وقيل : كان لبشَّار صديقٌ بزاز ، فبعث إليه ذات يومٍ يطلبُ منه شيئاً من الثِّياب بنَسيئة ، فلم يُصادفها عنده . فقال يهجوه :

ألا إنَّ أبا(١) بَدْر زَنَى فى ليلةِ القَدْرِ
ولم يَرْعَ تعالى اللـه حُرمة ذلك(٢) الشَّهر

وكتب بها فى رُقعة و بعث بها إليه . وكان أبو بدر ممن يقول الشِّعر . فقَلَبها وكتب فى ظهرها :

ألا إنَّ أبا بَدْر له فى ذلكم عُذْرُ
أتتـه أمُّ بشَّار وقد ضاق بها الأَمْر
فواثبها لجامعها وما ساعده الصَّبر

فلما قُرئت على بشَّار غَضب ونَدم على تعرُّضه لرجل لا نَباهَةَ له، فجعل يَنْطح برأسه غيظاً ، ثم قال : لا تعرَّضتُ لهجاء سَفِلَةٍ مثل هذا أبداً !

شعر له فى جارية للمهدى

وذُكر أن بشَّاراً دخل على المهدىّ ، وقد عُرضت عليه جاريةٌ مُغنّية ، فسَمع غناءها فأَطر به ، وقال لبشار : قُل فى صِفتها شعراً . فقال :

ورائحةٍ للعَيْن فيها(٣) مَخِيلةٌ إذا بَرقتْ لم تَسْقِ بَطْنَ صَعيدِ
مِن المُستهلات السُّرور على الفتى خَفَا(٤) بَرْقُها فى عُصفر(٥) وعُقود
كأنَّ لساناً ساحراً فى كَلامها أُعِين بصَوتٍ للقلوب صَيُود
تُميتُ به ألبابَنا وقلوبَنا مِراراً وتُحْيِيهن بعد هُمود

أنشد عقبة فوصله

وقيل : .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « زيد » مكان « بدر » هنا وفيما سيأتى .
(٢) فى بعض أصول الأغانى :
ولم يرع تعالى الله ربى حرمة الشهر
(٣) الرائحة : السحابة تجىء رواحا . والمخيلة : الظن . (٤) خفا البرق : لمع وظهر .
(٥) فى عصفر ، يريد ثيابها المعصفرة . وفى بعض أصول الأغانى : « فى عبقر » .

دخل بشَّار يوماً على عُقبة بن سَلْم فأنشده قولَه فيه :

إنمــا لذَّةُ الجَواد ابن سَلْمٍ   فى عَطاء ومَرْكَب للِقَــاء

ليس يُعطيك للرَّجاء ولا الخو   فِ ولـكنْ يلذُّ طَعْمَ العَطاء

يسقُط الطيرُ حيث يَنْتثر الحَـــبُّ   وتُغْشَى منازلُ الـكُرماء

فعلى عُقْبــة الســلامُ مُقيماً   وإذا سار تحت ظِلِّ اللِّواء

فوَصله بعشرة آلاف دِرْهم .

مدح خالد بن برمك فوصله

وقيل :

مَدح بشَّارٌ خالدَ بن بَرمك ، فقال فيه :

لَعَمْرِى لقد أَجْدَى علىَّ ابنُ بَرْمَك   وما كُلُّ من كان الغِنَى عنده يُجْدِى

إذا جِئْتَه للحَمـد أَشرق وجهُـه   إليك وأعطاك الـكريمةَ[1] بالحمد

له نِعَم فى الْحَمْــد[2] لا يَسْتَثيبها   جزاءً وكَيْلَ التـاجر المُدَّ بالمُدِّ

مُفِيــدٌ ومِتْــلافٌ سبيلُ تُراثه   إذا ما غدا أو راح كالجَزْر والمَـدِّ

أَخالد إن الحمـد[3] يَبْقى لأهله   جَمالاً ولا تَبقى الـكُنوز على الـكَدِّ

فأَطْعِم وكُلْ من عَارةٍ مُستردَّةٍ   ولا تُبْقِهــا إنّ العَوارِىَ للردِّ

فأعطاه خالدٌ ثلاثين ألف درهم ، وكان قبل ذلك يُعطيه فى كُل وِفادة خَمسة آلاف درهم . وأمر خالد أن يُكتب هذان البَيْتان فى صدر مجلسه الذى كان يَجلس فيه، وقال ابنهُ يحيى بن خالد : آخرُ ما أَوصانى به أبى العملُ بهذين البيتين[4] .

هو وأبو الشمقمق

وقيــل : إنّ بشّاركان يُعطى أبا الشَّمَقْمق فى كُل سنة مائتَى دِرهم ، فأتاه أبو الشَّمقمق فى بعض تلك السِّنين . فقال : هلم الجزيةَ يا أبا مُعاذ . فقال : ويحك !

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الكرامة » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فى القوم » مكان « فى الحمد » .

(٣) فى الأصل : المدح « مكان » « الحمد » . (٤) يريد البيتين الأخيرين .

أوَ جَزية منى أيضاً ! قال : هو ما تَسمع . فقال له بشَّار يُمازحه : أنت أفصح منّى ؟ قال : لا . قال : فأعلم منّى بمثالب النـاس ؟ قال : لا . قال : فأشعرُ منى ؟ قال : لا . قال : فلِمَ أُعطيك ؟ قال : لئلا أهجُوك . فقال : إن هجوتنى هجوتُك . فقال له أبو الشَّمقمق : وهكذا هو ؟ قال : نعم ، فقُل ما بدا لك . فقال أبو الشَّمقمق :

إنى إذا ما شـاعرٌ هَجانِيَـهْ ... ولجَّ فى القَول له لِسَانِيَـهْ
أدخلتُه فى اُستِ اُمِّه علانِيَهْ ... بشَّـار يا بشَّـار . . . .

وأراد أن يقول « يا بن الزَّانية » . فوثب بشّـار وأمسك فاه وقال : أراد والله أن يشتُمنى . ثم دفع إليه مائتى دِرهم وقال : لا يَسمعنَّ هذا منك الصِّبيان .

وقيل :

أمر عُقبة بن سَلم لبشَّار بعَشرة آلاف دِرْهم ، وأُخبر أبو الشَّمقمق بذلك، فوافى بشَّاراً فقال له : يا أبا مُعاذ ، إنِّى مررتُ بصبيان يَلعبون فسمعتُهم يُنشدون :

هَلِّلينَـهْ هَلِّلينَـهْ ... طَعْنَ قِثَّاةٍ لتينَـهْ
إنَّ بشَّـار بن بُرد ... تَيسٌ أعمى فى سَفينهْ

فأخرج إليه بشَّار مائتى درهم وقال : خُذ هذه ولا تكونن راويةً للصِّبيان .

هجاؤه للعبـاس ابن محمد

وقيل :

استمنح بشَّارٌ العبّـاسَ بن محمد بن علىّ بن عبـد الله بن العبّاس فلم يمنحه ، فقال يهجوه :

ظِلُّ اليَسار على العبّـاس مَمْدودُ ... وقَلْبُـه أبداً بالبُخل[1] مَعْقودُ
إنَّ الـكريمَ ليُخفى عنك عُسْرته ... حتى تَراه غنيًّا وهو مَجْهود
وللبخيــل على أمواله عِلَلٌ ... زُرْق العُيون عليها أوجُهٌ سُود

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى البخل » مكان « بالبخل » .

إذا تكرّهت أن تُعطى القليلَ ولم   تَقْدر على سَعَة لم يَنْفع[١] الجُودُ
أوْرِقْ بخَير تُرَجَّى للنَّوال فما   تُرْجَى الثمار إذا لم يُورِقِ العود
بُثَّ النَّوال ولا تمْنَعْك قِلَّتُه   فكُلُّ ما سَدَّ فَقراً فهو محْمود

بين إسحاق الموصلى وبعضهم فى شعر بشار

وقال بعضهم :

كان إسحاقُ الموصليُّ يضَع من شعر بشّار ويقول : إن كلامه مُختلف لا يُشبه بعضُه بعضاً . فقلت : أتقول هذا القولَ لمن يقول :

إذا كنتَ فى كُلّ الأُمور مُعاتباً   صديقَك لم تَلْقَ الذى لا تُعاتبُه
فعِشْ واحداً أوصِلْ أخاك فإنّه   مُقَارِفُ[٢] ذَنْبٍ مرةً ومُجانبه
إذا أنت لم تَشرب مِراراً على القَذَى   ظمئْتَ وأيُّ الناس تَصْفو مَشاربه

شعر له نسب للمتلمس

وهذه الأبيات من قصيدة يمدح بها بشّارٌ ابنَ هُبيرة ، منها :

أحلَّت به أُم المَنايا بَناتِها   بأسيافنا إنّا رَدَى مَن نُحاربه
وكنَّا إذا دَبَّ العدوُّ لسُخطنا   وراقبَنا فى ظاهرٍ لا نُراقبه
ركِبْنا له جَهْراً بكُل مثقَّفٍ   وأبيضَ تَستسقى الدِّماء مَضاربه

وذُكر أنه أدعى شُبَيل بن عَزْرة[٣] أن هذه الأبيات الثلاثة المذكورة للمتلمّس . وذكر ذلك لأبى عُبيدة . فأخبر أبو عُبيدة بذلك بشّاراً . فقال : كذب والله شُبيل ! لقد مدحت ابن هُبيرة بهذه القصيدة فأعطانى أربعين ألفاً .

سؤال طاهر عن عقب بشار ليبرهم

وذُكر أنه لما خَلع محمدٌ الأمين أخاه عبدَ الله المأمون عن ولاية عهده ، ونَدب لقتاله علىَّ بن عيسى بن ماهان ، نَدب المأمون للقاء علىِّ بن عيسى طاهرَ بن الحُسين

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لم يظهر » مكان « لم ينفع » .
(٢) مقارف : مرتكب .
(٣) فى الأصل : « عروة » . والتصويب من شرح القاموس والطبرى .

ابن مُصعب، وجلس لعَرْضه وعَرْض أصحابه . فمرّ ذو اليمينين[١] مُعترضاً وهو يُنشد :

رُوَيدَ[٢] تصاهَلْ بالعِراق[٣] خيولُنا كأنّك بالضحّاك قد قام نادبُهْ

فتفاءل المأمونُ بذلك ، وٱستدناه فدنا منه ، وٱستعاده البيت ، فأعاده عليه . فقال ذو الرّياستين : يا أمير المُؤمنين ، هو حَجَر العراق[٤] . قال : أجل . فلما صار ذو اليمينين طاهرُ إلى العراق سأله : ألَا هل بَقِى من ولد بشّار أحد ؟ فقالوا : لا . قال الراوى : فتوهّمْتُ أنه قد كان هَمّ لهم بخير .

رضاؤه عن سلم بعد غضب

وقيل :

غضب بشّار على سَلْم الخاسر ، وكان من تَلامذته ورُواته ، فٱستشفع عنده بجَماعة من إخوانه . فجاءوه فى أمره . فقال : كُل حاجة لكم مَقْضية إلا سَلْما . قالوا : ما جئناك إلّا فى سَلم ، ولا بُد أن تَرْضى عنه لنا . قال : فأين هو الخبيث ؟ قالوا : ها هو ذا . فقام إليه سَلم وقبّل رأسه ومَثَل بين يديه وقال له : يا أبا مُعاذ ، خِرّيجك وأَديبُك . قال : يا سَلْم ، من الذى يقول :

مَن راقب الناسَ لم يَظْفَر بحاجته وفازَ بالطيّبات الفاتكُ اللَّهِجُ

قال : أنت يا أبا مُعاذ ، جَعلنى الله فِداك . قال : فمن الذى يقول :

مَن راقب الناسَ مات غَمّا وفاز باللّذة الجَسُورُ

قال : خِرّيجك يقول ذلك — يعنى نفسه — قال : أفتأخذ معانىَّ التى قد عُنيت بها وتَعبت فى ٱستنباطها ، فتكسوها ألفاظاً أخفَّ من ألفاظى ، حتى يُرْوى

(١) قيل : لقب ذا اليمينين ، لأنه ضرب شخصا فى وقعته مع على بن ماهان فقده نصفين ، وكانت الضربة بيساره . فقال فيه بعض الشعراء :

* كلتا يديك يمين حين تضربه *

(٢) رويد ، إذا أردت بها الوعيد نصبتها بلا تنوين .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « جيادنا » مكان «خيولنا» . (٤) يريد أن عليه المعول .

ما تقولُ ويذهبَ شعرى ! لا أرضى عنك أبدا . قال : فما زال يتضرَّع إليه ويَشفع له القومُ حتى رَضِى عنه .

وهذا البيتُ الذى ذكره بشّار من قصيدة له ، منها :

لو كنتِ تَلْقَينَ مانَلْقَى قسمتِ لنا ... يوماً نعيش به منكم ونَبْتَهِجُ
لاخَيرَ فى العَيش إن كُنا[1] كذا أبداً ... لا نَلْتقى وسبيلُ المُلتقى[2] نَهَج
قالوا حرامٌ تلاقِينا فقُلت لهم ... مافى التَقاء[3] ولا فى قُبْلةٍ حَرَج

هو وحماد والأعشى مع عقبة فى مثل أراده

وحَكى بشار قال :

دعانى عُقبة بن سَلم ودَعى بحمّاد عَجْرد وأَعشى باهلة ، فلما اُجتمعنا عنده قال لنا : إنه خَطر ببالى البارحة مَثَل يتمثَّله الناسُ : « ذهب الحِمار يطلبُ قرنين فَرجع بلا أُذنين » فأَخْرجوه لى من الشعر ، ومَن أَخرجه فله خمسةُ آلاف دِرهم ، فإن لم تفعلوا جَلَدْتُكم خمسمائة . فقال حماد : أَجِّلنا أعزَّ الله الأمير شَهراً . وقال الأعشى : أَجِّلنا أعزَّ الله الأمير أسبوعين . و بشّار ساكتٌ لا يتكلّم . فقال له عُقبة : مالك يا أَعمى لا تتكلَّم ! أعمَى الله قَلبك ! قال : قد حَضرنى — أَصلح الله الأمير — شىء ، فإن أَمرتنى قلتُه . قال : قُل . فقال :

شَطَّ بسَلْمى عاجلُ البَيْنِ ... وجاورتْ أُسْدَ بَنى القَيْنِ
ورنَّتِ النفسُ لها رَنَّةً ... كادتْ بها تَنشقُّ نِصفْين
يا بِنْتَ مَن لا أَشْتهى ذكرَه ... أَخْشى عليه عُلَقَ الشَّيْن
والله لو أَلقاكِ لا أَتَّقى ... عيناً لقبَّلتُك أَلْفين
طالبْتُها دَيْنى فراغتْ به ... وعَلَّقتْ قَلْبى مع الدَّين

(١) فى معاهد التنصيص : « إن دمنا » .
(٢) نهج : بين واضح .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ما فى التلاقى » .

فصرتُ كالعَيْر غدا[1] يَبتَغى قَرْناً فلم يرْجِع بأُذْنين

فانصرف بشّار بالجائزة .

هو وإخوته

وقيل :

كان لبشّار أَخَوان يُقال لأحدهما : بِشْر ، والآخر : بشير ، وكانا قصّابين ، وكان أبوهما طَيّانا ، وكان بشّار برًّا بأخَويْه ، على أنه من ضَيِّق الناس صدراً مُتبرّماً بكل أحد ، فكان يقول : اللهم إنى قد تبرّمت بنفسى وبالنّاس جميعاً ، اللهم فأَرِحْنى منهم . وكان إخوتُه يَستعيرون ثيابه فيوسّخونها ويُنْتِنون ريحَها ، فاتخذ قميصاً له جَيْبان وحَلف ألّا يُعيرهم ثوباً من ثيابه ، فكانوا يأخذُنها بغير علمه ، فإذا دعا بثوبه فلَبسه فأنكر رائحته يقول ، إذا وجدَ رائحةً كريهةً من ثوبه : « أينما أتوجّهْ أَلْقَ سَعداً »[2] . فإذا أعياه الأمر خَرج على الناس فى تلك الثِّياب على نَتْنها ووسَخها ، فيقال : ما هذا يا أبا معاذ ؟ فيقول : هذه ثمرةُ صلة الرَّحم .

لأبيه فى تيمنه به

وقيل : إنّ بشاراً كان يقول الشِّعر وهو صَغير ، وكان أَبوه يقول : ما رأيت مولوداً أعظم بركةً منه ، لقد وُلد لى وما عندى دِرهم واحد ، فما حال الحَوْلُ حتّى جمعتُ مائتى درهم .

فى صباه

وكان بشار فى صغره إذا هجا قوماً جاءوا إلى أبيه فشكَوْه ، فَيضْربه ضرباً شديداً ، وكانت أُمه تقول له : لِمَ تَضْرب هذا الصغير ؟ أما ترحمه ! فيقول : بلى والله ، إنى لأَرحمه ولكنّه يتعرّض للناس فيشكُونه إلىّ . فسمعه بشار فطَمع فيه وقال له : يا أبتِ ، إنّ هذا الذى يشكونهُ إليك منّى قولى الشعر ، وإنّى إن أَلْممتُ عليه أَغنيتُك وسائرَ أهلى . فإذا شكَوْنى إليك فقُل لهم : أليس الله جلّ وعزّ

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « طالبا » مكان « يبتغى » .

(٢) هذا مثل يضرب لمن يلقى سوء المعاشرة فى كل مكان . أصله أن الأضبط بن قريع كان سيد قومه ، فرأى منهم جفوة فرحل عنهم إلى آخرين . فرآهم يصنعون بساداتهم مثل ذلك ، فقال هذا القول .

يقول : (ليسَ عَلى الْأَعْمى حَرَج) . فلمّا عاودوا شَكْواه قال لهم بُرد ما قاله له بشار ، فانصرفوا وهم يقولون : فِقْه بُرد أغيظُ لنا من شِعْر بشار .

بينه وبين بعض الشعراء وقد أباحه مالا له

وحكى بعضُ الشعراء قال:

أتيت بشاراً الأعمى و بين يديه مائتا دينار . فقال : خُذ منها ما شئتَ ، أو تَدْرى ما سببُها ؟ قلت : لا . قال : جاءنى فتًى فقال لى : أنت بشار ؟ فقلت : نعم . قال : إنى آليتُ أن أدفع إليك مائتى دينارٍ ، وذلك أنِّى عَشقتُ امرأةً وجئتُ إليها وكلَّمتُها ، فلم تَلتفتْ إلىّ ، فهممتُ بأن أتركَها . ثم ذكرتُ قولك :

لا يُؤْيسنَّكَ من مُخبَّأةٍ قولٌ تُغلِّظه وإن جَرَحَا

عُسْر النِّساء إلى مُياسرةٍ والصَّعبُ يُمكن بعدما جَمحا

فعدتُ إليها ولازمتُ فناءَها ، فلم أبرح حتى بلغتُ منها حاجتى .

هجاؤه يزيد ابن مزيد وسبب ذلك

وقيل :

وَرد بشّارٌ بغدادَ ، فقَصد يزيدَ بن مَزْيد ، وسأله أن يذكره للمهدىّ ، فسوَّفه أشهراً . ثم وَرد رَوْحُ بن حاتم ، فبلغه خبرُ بشار ، فذكره للمهدىّ من غير أن يلقاه . فأمر بإحضاره . فدَخل إلى المهدى فأنشده شعراً مَدحه به ، فوصَله بعشرة آلاف دِرهم ، ووهَب له عبداً وقَينة وكَساه كُسًا كثيرة . فقال بشار يهجو يزيد ابن مَزيد :

ولما التقَيْنا بالجُنَينة غَرَّنى بمعْروفه حتى خَرجتُ[1] أفُوقُ

حَبانِى بعبدٍ قَعْسَرىّ[2] وقَينةٍ ووَشْيٍ وآلافٍ لهن بَريقُ

فقُل ليزيدٍ يَلْعق الشُّهدَ خالياً لنا دونه عند الخليفة سُوق

رقدتَ فَنَم يا بن الخَبيثة إنّها مكارمُ لا يَسْطيعُهنّ لَصِيق

(١) أفوق : قد أصابنى الفواق . يشير إلى ما أثقله به من العطاء . (٢) القعسرى : الصلب الشديد .

أَبَى لك عِرْقٌ من فُلانة أن تُرَى جواداً ورأسٌ حين شِبْتَ حَلِيق

هو و بعض الكوفيين فى بيت لـه

وحكى بعضُ الكوفيّين قال :

مررتُ ببشار وهو مُتبطِّح فى دِهليز كأنه جاموس ، فقلت له : يا أبا مُعاذ ، مَن القائلُ :

فى حُلّتى جِسمُ فتًى ناحلٍ لو هَبَّت الريحُ له طَاحَا

قال : أنا . قلت : فما حَمَلك على هذا الكذب ؟ والله إنّى لأرى أن الله جلّ وعزّ لو بعث الرياحَ التى أهلك بها الأُمم الخالية ما حرّكتْك من مَوضعك !
فقال بشار : مِن أين أنت ؟ قلت : من أهل الكُوفة . فقال : يا أهل الكوفة ، لا تَدَعون ثِقَلَكم ومَقْتَكم على كُل حال !

هو والمهدى وقد طلب إليه أن يجيز شعراً له

وقيل :

دخل المهدىُّ إلى بعض حُجر الحُرَم فنظر إلى جارية منهنّ تغتسل ، فلما رأته أُستَحْيت ووضَعَت يدَها على فَرْجها . فأنشأ المهدىُّ يقول :

* نظرتْ عَيْنى لَحِيْنى *

ثم أُرتج عليه فقال : مَن بالباب من الشُّعراء ؟ فقالوا : بشار . فأذن له .
فدخل . فقال له : أجز :

* نظرتْ عَيْنى لَحيْنى *

فقال :

« نظرت عينى لحينى » نظراً وافق شَيْنى
سترتْ لما رأتْنى دونه بالرَّاحتَين
فَضَلتْ منه فُضُولٌ تحت طَيِّ العُكْنتَين

فقال له المهدى : قَبحك الله ! و يلك ! أ كُنت ثالثنا ؟ إيه ؟ ثم ماذا ؟ فقال :

فتمنّيتُ وقلْــبى للهوَى فى زَفْرَتَيْنِ
ليتنى[١] كنتُ عليه ساعةً أو ساعتَيْن

فضحك المهدىُّ وأمر له بجائزة . فقال له : أقنعت يا أمــير المؤمنين من مِثل هذه الصفة بساعة أو ساعتين ؟ قال : فـكم ويلك ؟ قال : سنةً أو سنتين . فقال : اخرجَ عنّى قبحك الله ! فخَرج بالجائزة .

هو وامرأة هويها فكادت له

وقيل : كان لبشار مجلسٌ يَجلس فيه بالعشى يقال له : البَرْدان . فَدخل إليه نِسوة فى مجلسه هذا فسمعْن شعره . فعشِق امرأةً منهن وقال لغُلامه : عَرِّفها محبَّتى لها ، واُتبعها إذا انصرفت لتعرف منزلَهَا . فَفعل الغلامُ وأخبرها بما أمره به . فلم تُجبه إلى ما أحبّ ، وتَبعها إلى مَنزلها حتى عَرفه . فكان يتردّد إليها حتى برمتْ به ، فشكتْه إلى زوجها . فقال لها . أجيبيه وعِديه أن يَجيئك إلى هاهنا . ففعلتْ . وجاء بشّار مع امرأة وجهتْ بها إليه . فدخل وزوجُها جالسٌ وهو لا يعلم ، فجعل يُحادثها ساعةً ثم قال لها : ما اسمك بأبى أنت ؟ قالت : أُمامة . فقال :

أُمامةُ قد وُصفتِ لنا بحُسن وإنّا لا نراكِ فأَلْمسِــــينا

فأخذتْ يَده فوضعتْها على أير زوجها وقد أنعظ . ففَزِع ووثب قائماً . وقال :

علىّ أليّــةٌ ما دمتُ حيًّا أمَسُّكِ طائعاً إلّا بعُــودِ
ولاأُهدِى لأَرضٍ أنت[٢] فيها سـلامَ الله إلّا من بَعيد
طلبتُ غَنيمةً فوضعت كفِّى على أيرٍ أشَدَّ من الحديد
فخيرٌ منكِ مالا خــيرَ فيه وخيرٌ من زيارتكم قُعودى

وقَبض زوجُها عليه. وقال: هممتُ بأن أفضحَك . فقال له : قد كفانى، فديتُك،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أننى » مكان « ليتنى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : * ولا أهدى لقوم أنت فيهم *

ما فعلتَ بى، ولستُ والله عائداً إليها أبداً، فحسبُك ما مضى . وتركه وانصرف .

شعره فى حبه

وقيل :

كان بشار مُغرماً بامرأة تجيئه إلى مجلسه ، فقال فيها :

يا قومُ أُذْنى لبعض الحىّ عاشقةٌ والأُذن تَعشق قبل العين أحياناَ
قالوا بمن لا ترى تهْذى فقلتُ لهم الأُذن كالعين تُوفى القلبَ ما كانا
هل من دواءٍ لمَشْغوف بجاريةٍ يلقَى برُؤْيتها[1] رَوحاً وريْحانا

وقال بشار أيضاً فى هذا المعنى :

قالت عُقَيل بن كعب إذ تعلَّقها قَلبى فأَضْحى به من حُبِّها أَثَرُ
أَنَّى ولم ترها تهْذِى فقلتُ لهم إنّ الفُؤاد يَرى مالا يرَى البَصر
أصبحتُ كالهائم[2] الحَيرانِ مُجتنباً لم يقضِ وِرْداً ولا يُرْجَى له صَدَر

وقال أيضاً فى هذا المعنى :

يُزهِّدنى فى حُبّ عَبْدَة مَعْشَر قلوبُهمُ فيها مخالِفةٌ قَلْبى
فقلتُ دَعوا قَلْبى وما اختاروارتَضى فبالقلبِ لا بالعَين يُبصر ذو الحُبِّ
فما تُبصر العينان فى مَوضع الهَوى ولا تَسمع الأُذْنان إلّا من القلب

أنشد المهدى فى غير الغزل فلم يجزه

قيل :

وكان المهدىُّ قد نَهى بشاراً عن قول الغَزل ، فاستأذن على المهدىّ يوماً . فقال له الرَّبيع : قد أَذِن لك وأمركَ ألّا تُنشد شيئاً من الغَزل والنَّسيب ، فادخُل على ذلك . فأنشد قوله :

يا منظراً حَسَناً رأيتُه من وجه جاريةٍ فديتُه

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بلقيانها » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « كالحائم » .

بعثتْ إلىّ تَسُومنى بُرْدَ الشَّباب وقد طويتُه
واللهِ ربِّ مُحمَّد ما إن غَدرتُ ولا نَويتُه
أمسكتُ عنك وربّما عَرض البلاء وما ابتغيته
إنّ الخليفة قد أَبَى و إذا أَبَى شيئاً أبيته
ومُخضَّبٍ رَخْص البنا ن بكَى علىَّ وما بكيتُه
ويُشوِّقُنى بيتُ الحبيـ ب إذاغدوتُ[(١)] وأين بَيْتُه
حالَ[(٢)] الخليفةُ دونه فصَبَرْتُ عنه وما قَلَيْته
ونَهانىَ الملكُ الهُما م عن النِّساء فما عَصَيتُه
وأنا المُطِلُّ على العِدَى و إذا غلا الحَمْدُ اشتَريْته
أُصْفِى الخليلَ إذا دَنا و إذا نأى عنّى[(٣)] رعيتُه

ثم أَنشده ما مدَحه به بلا تَشْبيب ، فحرَمه ولم يُعطه شيئاً . فقيل له : إنه لم يَستحسن شعرَك . فقال : والله لقد مدحتُه بشعر لو مُدح به الدَّهر لم يُخش صرفُه على أحد ، ولكنّه كذّب أملى لأنى كذَبت فى قولى . ثم قال فى ذلك :

خَليلىَّ إنّ العُسر سوف يُفيقُ و إنّ يساراً فى غدٍ لَخليقُ
وما كنتُ إلّا كالزّمان إذا صَحا صحوتُ و إنْ ماقَ[(٤)] الزمانُ أُموق
خليلىَّ إنّ المالَ ليس بنافعٍ إذا لم يَنلْ منه أَخٌ وصَديق
وكنتُ إذا ضاقتْ علىّ مَحَلّةٌ تَيممتُ أُخرى ما علىّ تَضيق
وما خاب بين الله والنّاس عاملٌ له فى التُّقى أو فى المَحامد سُوق
ولا ضاق فَضلُ الله عن مُتعفِّفٍ ولكنّ أَخلاق الرجال تَضيق

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ادكرت » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « قام » مكان « حال » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « نأيته » مكان « رعيته » .
(٤) ماق : حمق .

مدح المهدى ثم هجاه

ثم مَدح المهدىّ بعد ذلك بقصيدة يقول فيها :

إلى ملكٍ من هاشم فى نُبوّة ... ومن حِمْيَرٍ فى المُلك والعَدَدِ[١] الدَّثْرِ
مِنَ المشترين الحمد تَنْدى من النّدى ... يداه ويَنْدى عارضاه من العِطْرِ
بَنَى لك عبدُ الله بيتَ خلافةٍ ... نزلتَ بها بين الفَراقد والنَّسرِ
وعندك عهدٌ من وَصاة محمد ... فَرعت[٢] به الأملاكَ من وَلد النَّضرِ

فلم يَحْظَ منه بشىء ، فقال يهجُوه :

خليفةٌ يَزْنى بعمّاته ... يَلعب بالدَّبُّوق[٣] والصَّوْلجانْ
أبدلنا اللهُ به غيرَه ... ودسّ موسى فى حِرِ[٤] الخَيْزُران

هجاؤه المهدى ويعقوب بن داود

وكان بشّار قد قصد المهدىَّ ووزيرَه يَعقوب بن داود بن طُهمان ، فمَدح يعقوب فلم يُعطه شيئاً ، ومرّ يعقوب ببشّار يريد منزلَه ، فصاح به بشار :

بنى أُميةَ هُبُّوا طال نومُكمُ ... إنّ الخَليفةَ يعقوبُ بن داودِ
ضاعتْ خلافتكم يا قوم فالتَمِسوا ... خليفةَ الله بين الزِّق والعُودِ

هجاؤه صالح ابن داود

وكان المهدىّ ولّى صالحَ بن داود ، أخا يعقوب ، البصرةَ . فقال بشّار يهجوه :

هُمُ حَملوا فوق المَنابر صالحاً ... أخاك فضجّت من أخيك المنابرُ

سبب هجائه المهدى

ولازم بشّار بابَ يَعقوب مُدةً ، فلم يُعْطه شيئاً . فانصرف إلى البصرة مغضباً . فلما قدم المهدىّ البصرة أعطى عطايا كثيرة ووصل الشعراء . وكان ذلك كُله على يَدَى يعقوب . فلم يُعط بشارا شيئاً من ذلك . فجاء بشار إلى حَلقة يونُس النَّحوى . فقال : هل هاهنا أحد يُحْتَشَم ؟ فقالوا : لا . فقال: « خَليفة يَزْنى بعمّاته » . البيتين .

---

(١) الدثر : الكثير من كل شىء .
(٢) الوصاة : الوصية . وفرعت : علوت بالشرف .
(٣) الدبوق : من لعب صبيان العرب .
(٤) الخيزران : من جوارى المهدى ، وهى أم ولديه : موسى ، وهارون .

فبلغ ذلك يعقوبَ . فدخل على المهدى، فقال : يا أمير المؤمنين، أبَلَغ من قَدْرِ هذا الأعمى المُشرك أن يهجو أميرَ المُؤمنين ! قال : ويحك، وما قال : قال : يُعفينى أمير المؤمنين من إنشاده . فقال : لا بحياتى أنشدنى . فقال : والله لو خيَّرتنى بين إنشادى إيّاه وضَرب عُنق لاخترتُ ضَرب عنق . فَحلف عليه المهدىُّ بالأَيمان التى لا فُسحة فيها أن يُخبره . فقال : أمَّا لفظاً فلا ، ولكنّى أكتبُ بذلك . فكَتب ودَفعه إليه . فكاد يَنْشقّ غيظاً .

وقد قيل إنّ ذلك كان قبل أن يَنحدر المهدىُّ إلى البصرة . فَعزم على الانحدار إليها والنَّظر فى أمرها . وما وَكْدُه[1] غير بشار . فلما بلغ إلى البَطيحة سَمِع ذاناً فى وقت ضُحى النّهار ، فقال : انظروا ما هذا الأَذان ! فإذا بشار يؤذِّن سكران . فقال له: يا زِنْديق ! يا عاضّ بَظْر أُمه ! عجبتُ أن يكون هذا لغيرك . أتلهو بالأذان فى غير وقت الصلاة وأنت سكران . ثم دعا بأبن نَهيك فأمره بضربه بالسَّوط . فضُرب بين يديه على صَدر الحَرّاقة[2] سَبعين سوطاً أتلفه فيها . وكان إذا أصابه يقول : حَسِّ — وهى كلمة تقولها العربُ للشىء إذا أوجع — فقال له بعضهم : انظُر إلى زَنْدقته يا أمير المؤمنين ، يقول : حس ، ولا يقول : باسم الله . فقال : ويلك ! أطعامٌ هو فأُسمّى الله عليه . فقال له آخر : أفلا قلتَ : الحمد لله . فقال : أَوَنعمة هى حتى أحمد الله عليها ! فلما ضَربه سَبعين سوطاً بانَ الموتُ فيه ، فأُلقى فى سفينة حتّى مات ثم رُمى فى البَطيحة . فجاء أهلُه فحملوه إلى البصرة فدُفن بها .

وقيل : لما ضُرب بالسياط وطُرح فى السَّفينة قال : ليت عين أبى الشّمقمق رأتنى حيث يقول :

إنّ بشّار بنَ بُرْد تَيْسٌ أعمى فى سَفينَهْ[3]

(١) وكده : قصده . (٢) الحراقة : سفينة فيها مرامى نيران يرمى بها العدو .

(٣) قال الجاحظ فى الحيوان : كان العرب إذا هجوا إنساناً بالغباوة أو بالنتن قالوا : إنما هو تيس . فاذا أرادوا الغاية فى الغباوة : قالوا : ما هو إلا تيس فى سفينة .

وقيل : إنه لمّا ضُرب ما بقى بالبصرة شريفٌ إلا بَعث إليه بالفرَش والكُسوةَ والهدايا .

وفاته

وكانت وفاته وقد ناهز التِّسعين سنة .

وقيل : مات سنة ثمانٍ وستين ومائة ، وقد بلغ نَيِّفاً وتسعين سنة .

وحَكى سالمُ بن عليّ قال : كُنّا عند يونُس ، فنَعى بشّارا لنا ناعٍ . فأنكر يونُس ذلك وقال : لم يَمُت . فقال الرجل : أنا رأيتُ قَبره . فقال : أنت رأيته ؟ قال : نعم، و إلّا فعليّ وعليّ . وحلَف له حتى رَضِي . فقال يونُس: لليَديْن وللفم(١) .

وحَكى بعضهم قال : لما مات بشار أُلقيت جُثته فى البَطيحة . فحمله الماء فأخرجه إلى دِجلة البصرة . فأُخذ وأُتى به منزله ، فدَفنه أهلُه . وكان كثيراً ما يُنشدنى :

ستَرى حول سَريرى حُسَّراً يَلْطِمن لَطْما

يا قَتيلاً قتلتْه عَبْدةُ الحوراء ظُلما

فخرجت جنازتُه فما تَبعها أحدٌ إلا أَمة له سِندية عَجماء ، رأيتُها خلفَ جنازته تَصيح : وا سيّداه ! وا سيداه ! ما تَفُصح .

وحَكى سالم بن عليّ قال :

لما مات بشار ونُعى إلى أهل البصرة تباشَر عامّتُهم وهنّأ بعضُهم بعضاً وحَمدوا الله وتصدّقوا ، لما كانوا مُنُوا به من لسانه .

شعر الباهلى فى الشماتة بموته

قال أبو هاشم الباهلّى فى قَتله :

يا بُؤس مَيْتٍ لم يَبْكه أحدُ أجَل ولم يَفْتقده مُفْتَقِدُ

لا أُمٌّ أولاده بكتْه ولم يَبْك عليه لفُرقةٍ وَلد

ولا ابن أخت بكَى ولا ابن أخٍ ولا حَميمٌ رقّت له كَبد

(١) مثل يقال عند الشماتة بسقوط إنسان . والمراد : أسقطه الله على يديه ورجليه .

بل زَعموا أنّ أهــلَه فرحاً | لـمّـا أتاهم نَعيُه سَـــــجدوا

وقال أيضاً فى ذلك :

قد تبِـع الأَعمى قفَا عَجْرَدٍ | فأَصـبحا جارَيْن فى دَارِ
قالت بِقاع الأَرض لا مَرحباً | برُوح حمّـاد وبشّـــار
تجاوَرَا بعـــد تَنائيهما | ما أَبغض الجـارَ إلى الجار
صارَا جميعـاً فى يدَىْ مالكٍ | فى النّار والـكافرُ فى النّار

ندم المهدى على قتـله

وقيل :

لما قَتل المهدىُّ بشاراً بعث إلى منزله من يُفَتِّشه ، وكان يُتهم بالزّندقة ، فوُجد فى منزله طُومار[1] فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . إنّى أردتُ هجاء آل سُليمان ابن علىّ فذكرتُ قرابتهم من رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم فأمسكتُ عنهم إجلالاً له صلّى الله عليه وسلّم . على أنّى كنتُ قد قُلت فيهم :

دِينارُ آل سـليمانٍ ودِرْهمهمُ | كالبابليّين حُفّا بالعَفاريتِ[2]
لا يُبصران ولا يُرْجَى لقــاؤُهما | كما سمعتُ بهاروتٍ ومارُوت[3]

فلما قرأه المهدىُّ بكَى ونَدم على قتْله ، وقال : لا جَزَى الله يعقُوب بن داود خيراً ! فإنّه لمـا هَجاه لفّق عندى شُهوداً على أنه زِنديقٌ فقتلتُه ، ثم ندمتُ حين لا يُغنى النَّدم .

شعره الذى فيه الغنـاء

وقد ذكر أبو الفَرج أَخباراً لبشّار مع عَبْدة ، ومع حمّاد عَجرد ، ومع أبى هاشم الباهلى ، فى مواضع من كتابه تُذكر إن شاء الله فى مواضعها .

والشعر الذى فيه الغناء لبشار ، وافتتح به أبو الفرج أَخباره هو :

* حَوراء إن نظرت *

وقد تقدّم ذِكْر هذه الأبيات .

---

(١) الطومار : الصحيفة .

(٢) نسبة إلى بابل ، وهى ناحية فيها الكوفة والحلة ، تعرف بالسحر والخمر .

(٣) هاروت وماروت : ملكان . وقد ورد ذكرهما فى القرآن الكريم فى قوله تعالى (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) .

أخبار يزيد حَوْراء

ولاؤه وطبقته في الغناء

هو رجل من أهل المدينة . ثم من موالى بنى لَيث بن بَكْر بن عبد مَناة ابن كِنانة . ويُكنى أبا خالد . مُغنٍّ محسن كثير الصَّنعة . من طَبقة ابن جامع وإبراهيم الموصلىّ . وكان ممن قَدِم على المهدىّ فى خلافته وغنّاه . وكان حسنَ الصَّوت حُلْو الشمائل .

غنى المهدى فى شعر أبى العتاهية فى عتبة

وذُكر أنه كان صديقاً لأبى العتاهية . فقال أبو العتاهية أبياتاً فى أمر عُتبة يتنجّز بها المهدىّ ما كان وعده إيّاه من تزويجه بها ، فإذا وَجد من المهدىّ طِيب نفس غنّاه بها ، وهى :

ولقد تَنَسَّمتُ الرِّياح لحاجتى فإذا لها من راحتَيْك نَسيمُ
أعلقتُ[1] نفسى مِن رَجائِك ماله عَنَقٌ إليك يَخُبُّ بى[2] ورَسيمُ
ورَميتُ نحوَ سماءِ جَوْدِك[3] ناظرى أَرْعَى مخايلَ بَرْقها[4] وأَشِيم
ولربما أستيأستُ ثم أقول لا إنّ الذى وَعَد[5] النَّجاح كريم

فَصنع فيه لحناً وتوخّى لها وقتاً وجد المهدىّ فيه طيِّبَ النَّفس ، فغنّاه به . فدعا بأبى العتاهية وقال له : أمّا عُتبة فَلا سبيلَ إليها ، لأن مولاتَها قد مَنعت منها[6] ، ولكن هذه خمسون ألف درهم فاشتر ببعضها خيراً من عُتبة . فَحُملت إليه وأنصرف .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أشربت » .
(٢) العنق والوسيم : ضربان من ضروب السير .
(٣) الجود ، بالفتح : المطر الغزير . ويصح أن يكون بضم الجيم . والذى فى زهر الآداب : « صوبك » . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « برقه » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « ضمن » مكان « وعد » .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « من ذلك » مكان « منها » .

وكان أبو العتاهية قبل ذلك قد سأل يزيدَ حَوْراء أن يكلِّم المهدىَّ فى أمر عُتبة . فقال : إن الكلام لا يُمكننى ، ولكن قُل شعرا أُغنِّيه به . فقال :

نَفْسى بشىء من الدُّنيا مُعلَّقةٌ ... الله والقائمُ المَهدىُّ يكفيها
إنّى لأيأسُ منها ثم يُطْمعنى ... فيها احتقارُك للدُّنيا وما فيها

قال : فعملتُ فيه لحناً وغنّيتُه به . فقال : ما هذا ؟ فأخبرتُه خبرَ أبى العتاهية . فقال : نَنْظر فيما سأل . فأخبرتُ بذلك أبا العتاهية . ثم مَضى شهرٌ فجاءنى فقال : هل حَدث خبر ؟ فقلتُ : لا . قال : فاذكرنى للمهدىّ . فقلت : إن أحببتَ ذلك فقل شعراً تُحرّكه به وتُذكِّره وعدَه حتى أُغنِّيه به . فقال :

ليت شِعرى ماعندكم ليت شِعْرى ... فلقد أُخِّر الجوابُ لأمرِ
ما جوابٌ أولى بكُلّ جَميل ... من جوابٍ يُرَدُّ من بعد شَهر

قال يزيدُ : فغنَّيتُ به المهدىَّ . فقال : علىَّ بُعتبة . فأُحضرتْ . فقال : إن أبا العتاهية كلَّمنى فيك ، فما تقولين ، وعندى لك وله كل ما تُحبّان مالا تبلغهُ أمانيكما ؟ فقالت له : قد علم أميرُ المؤمنين ما أَوجب الله علىَّ من حقِّ مولاى ، وأُريد أن أذكُرَ هذا لها . قال : فافْعلى . وأعلمتُ أبا العتاهية . ومضتْ أيّام . فسألنى معاودة المهدىّ . فقلتُ : قد عرفتَ الطريقَ فقُل ماشئت حتى أُغنِّيه به . فقال الأبيات الميمية المُتقدمة[1] . قال يزيد : فغنَّيتُه الشعر . فقال : علىّ بعُتبة . فجاءتْ . فقال : ما صنعتِ ؟ فقالت : ذكرتُ ذلك لمولاتى فكرهتْه وأبتْه ، فَلْيفعل أميرُ المؤمنين ما يُريد . فقال : ما كنتُ لأفعل شيئاً تكرهه ، فأعلمتُ أبا العتاهية بذلك . فقال :

قَطَّعْتُ منكِ حبائلَ الآمالِ ... وأَرحتُ من حِلٍّ ومن تَرْحالِ

---

(١) انظر (ص ٤٠٧) من هذا الجزء .

ما كان أشأمَ إذ رجاؤكَ[1] قاتِلِي و بناتُ وَعْدكَ يَعْتلجْن[2] ببالِي
ولئن طمعتُ لَرُبَّ بَرقةِ خُلَّبٍ مالتْ بذى طمَع ولمَعـــةِ آل

هو وجارية أحبها

وحَكى يزيدُ حوراء قال: كنت أجلس بالمدينة على أبواب قُريش، فكانت تمرُّ بى جاريةٌ تختلف إلى الزرقاء تتعلّم منها الغناء، فقلت لها يوماً: أفهمى ورُدِّى جوابى وكونى عند ظنِّى. فقالت: هاتِ ما عندك؟ فقلتُ: بالله ما اُسمُك؟ فقالت: مُمنَّعة. فأطرقتُ طِيَرَةً[3] من اُسمها، مع طَمعى فيهـا. ثم قلت: بل باذلة أومبذولة[4] إن شاء الله، فاسمعى منّى. فقالت: وهى تبْتسم، إن كان عندك شيء فقُل. فقلت:

لِيَهْنك[5] منِّى أننى لستُ مُفْشِياً هواكِ إلى غيرى ولو مِتُّ من كَرْبِ
ولا مانِحاً خَلقاً ســـواكِ مودّتى ولا قائلاً ما عشتُ من حُبّكم حَسْبى

قال: فنظرت إلىّ طويلاً ثم قالت: أَنشُدك الله، أعن فرط مَحبَّة أم اُهتياج غُلْمة تكلمتَ؟ فقلت: لا والله، ولـكن عن فَرط محبة. فقالت:

فوالله ربِّ النـاس لا خُنْتك الهَوَى ولا زلْتَ مخصوصَ المحبَّـة من قَلْبى
فثِقْ بى فإنّى قد وثقتُ ولا تكنْ على غيرِ ما أظْهَرْتَ لى يا أخا الحُبِّ

قال: فوالله لـكأنما أضرمتْ قلبى ناراً. فكانت تلقانى فى الطَّريق التى كانت تَسلُكه فتحدّثنى وأتفرج[6] بها. ثم اُشتراها بعض أولاد الخُلفاء. فكانت تُكاتبنى وتلاطفنى دهراً طويلاً.

---

(١) فى زهر الآداب: «قادنى» مكان «قاتلى».

(٢) يعتلجن: يخطرن. (٣) طيرة: شؤما.

(٤) فى بعض أصول الأغانى: «ومبذولة».

(٥) المسموع: ليهنئك» و «ليهنيك» وعدوا «ليهنك» من كلام العامة. وقال الزبيدى: إنها وردت فى صحيح البخارى.

(٦) أتفرج بها، أى أصير بها ذا فرج.

وحكى عبدُ الله بن العبّاس بن الفضل بن الرّبيع قال :

من صفته

كان يزيدُ حَوراء نَظيفاً ظريفاً حسَن الوجه شَكِلًا[١] ، لم يَقْدَم علينا من الحجاز أنْظَفُ منه ولا أشكل ، وما كنتَ تشاء أن ترى خَصْلةً جميلة لا تراها فى أحد إلّا رأيتَها فيه ، وكان يتعصب لإبراهيم الموصلىّ على ابن جامع ، فكان إبراهيم يَرْفع منه وينبّه على مواضع تقدُّمه وإحسانه ويَبْعث ابنه إسحاق فيأخذُ عنه .

موته ورثاء أبى مالك له

وكان صديقاً لأبى مالكٍ التّميمى الأعرج لا يكاد يفارقه ، فمَرِض مرضاً شديداً واحتُضر ، فاُغتَمّ عليه الرشيدُ وبعث بمَسرورٍ مراتٍ يسأل عنه . ثم مات . فقال أبو مالك يَرْثيه :

لم يُمتَّع من الشّباب يزيدُ … صار فى التُّرب وهو غَضٌّ جديدُ
خانَه دهرُه وقابَله منـ … ـه بنَحْسٍ ودابرَته[٢] السُّعود
حين زُفت دُنْياه من كُلّ وَجْهٍ … وتَدانَى منها إليه البعيد
فكأنْ لم يكُنْ يزيدُ ولم يشـ … ـجُ نديمًا يَهُزُّه التغْريد

---

(١) شكل : ذو دل وغزل .
(٢) دابرته : ولته دبرها ولم تقبل عليه .

أخبار عكاشة العمّى

أصله وأصل قومه

هو عُكاشة بن عبد الصَّمد . من أهل البَصرة من بنى العمّ . وأصل بنى العمّ كالمَدفوع ، يقال: إنهم نزلوا فى بنى تَميم بالبصرة فى أيام عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأسلموا وغَزَوْا مع المُسلمين وحُمد[1] بلاؤهم . فقال النـاسُ لهم : أنتم و إن لم تكونوا من العرب ، إخواننا وأهلنا ، فأنتم الأنصار والإخوان و بنو العمّ . فلُقِّبوا بذلك . فصاروا فى جملة العرب .

مكانته فى الشعر

وعُكَّاشة شاعر مُقل من شُعراء الدولة العباسية ، ليس ممن شُهر وشاع شعره عند الناس ، ولا ممّن خَدم الخُلفاء ومَدحهم .

شعر فى امرأة هويها

وكان يَهوى أمرأة يقال لها : نُعيم . وله فيها :

علامَ حبلُ الوفاء[2] مُنصرمُ ... وفيمَ عنّى الصُّدود والصَّمُ
يا ربِّ خُذ لى من الوُشاة إذا ... قاموا وقُمنا لديك[3] نَختَصم
من حَلَّ[4] حَبْل الوفاء سيِّدتى ... مِنكِ ومَن سامنى له العَدَم
قد عِيل صَبْرى وأنتِ لاهيةٌ ... عنّى وقَلبى عليكِ يَضْطرم
دَبُّوا إليها يُوسوسون لها ... كى يستزلُّوا حَبيبتى زَعموا
هيهات مِن ذاكَ ضَلَّ سعيهمُ ... ما قلبها المستعارُ يُقْتَسم
يا حاسدينا موتُوا بغيظِكمُ ... حَبْلى متينٌ بقولها نَعَم
بالله لا تُشْمِتى العُداةَ بنا ... كُونى كقَلْبي فلستُ أتّهم

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وحسن » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « الصفاء » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « إليك » مكان « لديك » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « جد » مكان « حل » .

وله فيها من أبيات يصف مجلساً كان له معها :

إذا نحن نُسْقاها شَمولاً قَرْقَفا ... تدع الصَّحيحَ بعَقْلة مُرْتابا
حَمْراء مثل دم الغَزال وتارةً ... بعد المِزاج تخالُها زِرْيابا
من كفِّ جاريةٍ كأنّ بنانها ... من فِضَّة قد قُمِّعتْ عُنَّابا
والعودُ مُتَّبِعٌ غِناء خَريدةٍ ... غَرِداً يقول كما تقول صَوابا
وكأنّ يُمناها إذا نَطقتْ به ... تُمْلي(١) على يدها الشّمالِ حِسابا

هو والمهدى وقد أراد حده

وذُكر أن عُكّاشة أنشد المهدىّ قولَه فى الخمر :

حَمراء مثل دَم الغزَال وتارةً ... عند(٢) المِزاج تخالُها زِرْيابا

فقال له المهدىّ : لقد أحسنتَ فى وَصْفها إحسان من قد شربها ، ولقد أُستحققتَ الحدَّ . فقال : أيؤمِّننى أميرُ المُؤمنين حتى أتكلّم بحُجتى ؟ فقال : قد أمّنتك . قال : وما يُدريك يا أمير المُؤمنين أننى أحسنتُ وأجدتُ صِفتها إن كنتَ لا تعرفها ؟ فقال المْهدىُّ : اعْزب قَبحّك الله .

من شعره

ومن جيِّد شعره قولُه :

وجاءوا إليه بالتَّعاويذ والرُّقى ... وصَبُّوا عليه الماءَ من شِدة(٣) النُّكْسِ
وقالُوا به من أَعين الجنِّ نَظرةٌ ... ولو صَدقُوا قالوا به أعيُن الإنْس

وقال أيضاً :

طَرْفى يذُوب وماء طَرفِك جامدُ ... وعلىّ من سِيما هواكِ شَواهدُ
هـذا هواكِ قَسمتِه بين الورى ... ومنحتِنى أرقاً وطَرفُكِ راقد
فعلىّ منه اليومَ تسعةُ أَسْهُمٍ ... وعلى جميع الناسِ سَهمٌ واحد

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تلقى » مكان « تملى » .
(٢) فيما مر : « بعد » .
(٣) النكس ، بضم النون : العود فى المرض .

ذِكْرُ الحَادِرَة (*)

نسبه ولقبه

وهو قُطْبة بن أوس بن مِحْصَن بن جَرْول بن حَبيب الغَطفانى، ثم المازنى. والحادرة، والحُويدرة: لقبان له.

بعض شعره

وهو شاعر جاهلىّ مُقِلّ. ذكر أبو الفرج شيئاً من أخباره وأشعاره. ولم أرتض شيئاً منها. والشِّعر الذى يُغنَّى به وأُفتتح به أبو الفرج أخباره، هو:

بكرتْ سُميَّـةُ غُدوةً فتمتَّعِ ... وغدتْ غُدوَّ مُفارقٍ[1] لم يَرْبَعِ

وتعرَّضتْ لك فاسْتبَتْك[2] بواضحٍ ... صَلْتٍ كمُنْتصِبِ الغَزال الأَتْلعِ

وهذا من قصيدة، منها:

أسُميَّ ما يُدْريك كم من فِتْيةٍ ... باكرتُ[3] لذَّتهم بأدكن مُتْرَعِ

بَكَروا علىَّ بسُحرة فصَبَحتُهم ... من عاتقٍ كدَمِ الذَّبيح[4] مُشَعْشَعِ

وذكر بعضُ أهل المدينة أنه كان حسّان بن ثابت الأنصارى رحمه الله، إذا تُنوشدت الأشعار فى موضع كذا وكذا، يقول: فهل أُنشدت كلمة الحُويدرة:

* بكرتْ سُميَّة غدوةً فتمتّعى *

قيل: هذه القصيدة من مُختار الشِّعر، أصمعية مُفضَّلية[5].

(*) أسقط ابن واصل قبل أخبار الحادرة «أخبار عبد الرحيم الدفاف». وهو مغن كان فى أيام الرشيد. ولم يورد له أبو الفرج غير كلمات قليلة.

(١) فتمتعى، يخاطب نفسه. أى تمتعى منها قبل فراقها. ولم يربع: لم يقم.

(٢) استبتك: غلبتك. والواضح الصلت، أى عنقها الطويل. والمنتص: المنتصب.

(٣) فى بعض أصول الأغانى: «بادرت» مكان «باكرت». والأدكن المترع، يعنى الزق.

(٤) المشعشع: المرقرق.

(٥) أى ذكرها الأصمعى فى أصمعياته. والمفضل فى مفضلياته.

أخبار ابن مسجح

نسبه ومنزلته فى الغنـاء

هو سَعيد بن مِسْجح ، أبو عُثمان، مولى بنى جُمَح . وقيل : مولى بنى نَوفل بن الحارث بن عبد المُطلب . مكّى أسود ، مُغنٍّ متقدّم من فُحول المُغنّين وأكابرهم ، ومن أول مَن صنع الغِناء منهم . ونَقل غِنـاء الفُرس إلى غناء العرب ، ثم رحل إلى الشأم فأَخذ ألحان الرُّوم وتعلّم منهم الضَّرب ، ثم قَدم الحجاز وقد أخذ محاسنَ تلك النَّغم . وأَخذ عنه عُبيد بن سُريج ، وأخذ الغريضُ عن ابن سُريج .

سبب تعلمه الغناء

وقيل : لمّا حُصِر ابنُ الزُّبير بمكة ، وهو الحصار الأول فى زمن يزيدَ بن مُعاوية ، سمع ابنُ الزُّبير أصواتاً من الليل فوق الجبـل ، فخاف أن يكون أهل الشأم قد وصلوا إليه ، وكانت ليلةً ظلماء ذات رِيح صَعبة ورعد وبرق ، فرفع ناراً على رأس رُمح لينظرُ إلى النـاس . فأطارتْها الرِّيح فوقعت على أستار الكعبة فأَحرقتها ، واستطالت فيها ، وجَهد الناسُ فى إطفائها فلم يقدروا . فأصبحت الكعبة تتهافت[1] . وماتت امرأة من قُريش، فخَرج الناسُ كلّهم فى جنازتها خوفاً من أن ينزل العذابُ عليهم . وأصبح عبدُ الله بن الزُّبير ساجداً يدعو ويقول : اللهم إنّى لم أعتمد ما جَرى ، فلا تُهلك عبادَك بذَنبى ، وهذه ناصيتى بين يَدَيْك . فلما تعالى النّهار أَمِن وتراجع الناسُ ، فقال لهم : اللهَ اللهَ أن يَنْهدم فى بيت أحدكم حجرٌ أو ينزل عن مَوضعه فيبنيَه ويصلحـه وأترك الكعبةَ خراباً . ثم هَدم الكعبةَ مُبتدئاً بيده ، ثم تَبعه الفَعَلةُ حتى بلغوا قواعد إبراهيم عليـه السلام . ودعا ببنّائين من الفُرس والرُّوم فبناها . وكانوا يبنون الكعبة ويتغنَّون بالفارسيَّة ، فسمع ابنُ مِسجح ذلك ، فتعلَّم الغِناء منهم .

---

(١) تتهافت : تتساقط حجرا حجرا .

للمؤلف فى هدم ابن الزبير الكعبة

قلت : لمّا هدم ابنُ الزُّبير الكعبة أدخل فيها الحجر ، وجعل لها بابَيْن متقابلَين يُدخل من أحدهما ويخرج من الآخر ، وذلك لحديثٍ بلغه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو أنه قال عليه السلامُ لعائشة رَضى الله عنها : لولا أن قومك حديثُو عهد بالكفر لأدخلتُ الحجر فيها ، وجعلتُ لها بابَين يُدخل من أحدهما ويُخرج من الآخر . و بقى الأمرُ على ذلك إلى آخر أيام أبن الزّبير ، فلما قُتل وُصف الأمر لعبدِ الملك بن مروان ، ووَلى الحجازَ الحجّاجُ بن يوسف ، هَدم الحجاجُ الكعبة ثانياً وأَخرج منها الحجر وأبقى لها باباً واحداً ، على الأمر الذى كانت عليه فى زمن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ولم يَعرض للكعبة شرّفها الله بعد ذلك شيء إلى سنة سَبْعَ عشرة وثلثمائة ، فى خلافة المُقتدر ، فقَصدها أبو طاهر القَرْمطىّ الجَنّابى[1] ، لعنه الله ، صاحب هَجر ، فى الموسم ، فقتَل الناسَ فى الطّواف وألقى جُثث القَتلى بزَمزم ، واقتلع الحجر الأسود وحمله إلى هَجر ، و بقى عنده إلى أن هَلك ووَلِى أولادُه . ثم اشتُرى منهم بمبلغ كبير ورُدّ إلى مَوضعه[2] .

اتصاله بعبد الملك

وذُكر أنّ عبد الملك بن مروان بلغه أن عبداً أسود يقال له : سَعيد بن مِسجح ، قد أَفسد فِتيان قُريش وأنفقوا عليه أموالهم ، فكتب إلى عامله بمكة : أن أَقبض ما لَه وسيِّره . ففَعل . فتوجّه أبنُ مسجح إلى الشأم . فلما دَخل مسجدَها سأل : مَن أخصُّ الناس بأمير المؤمنين ؟ فقيل : هؤلاء النَّفر من قُريش و بنى عَمِّه . فوقف عليهم وسلّم . ثم قال : يا فِتيان ، هل فيكم من يُضيف رجلاً غريباً من أهل الحجاز ؟ فنَظر بعضُهم إلى بعض، وكان عليهم مَوعدٌ أن يذهبوا إلى قَينة يقال لها : « بَرْق الأُفق » فتثاقلوا به إلّا فتًى منهم تذمَّم[3] . فقال له : أنا أُضيفك ، وقال

---

(١) هو أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابى ، زعيم القرامطة . ينسب إلى جنابة ، بلد فى فارس . مات سنة ٣٣٢ هـ . (٢) كان ذلك سنة (٣٣٩ هـ) أيام المطيع لله .

(٣) تذمم : خشى الذم واللوم .

لأصحابه : انطلقوا أنتم وأنا أذهب مع ضَيفى . قالوا : بل تجىء معنا أنت وضيفُك . فذهبوا جميعاً إلى بيت القَينة . فلما أُتوا بالغَداء ، قال لهم سَعيد : إنى رجلٌ أسودُ . ولعلّ فيكم من يَقْذَرُنى ، فأنا أجلس وآكل ناحيةً ، وقام . فاستَحْيوا منه و بعثوا إليه بما يأكل . فلما صاروا إلى الشّراب قال لهم مثلَ ذلك فى أمر الشراب . ففعلوا به كذلك . وأخرجوا جاريتَين فجَلَستا على سَرير قد وُضع لهما . فغنَّتا إلى العشاء، ثم دَخلتا . وخَرجتْ جاريةٌ حسنةُ الوجه والهيئة ، وهى معهما ، فجلستا أسفل السَّرير عن يمينه وشماله ، وجلستْ هى على السَّرير . قال ابنُ مِسجح : فتمثّلت هذا البيتَ :

فقلتُ أشَمسٌ أم مَصابيحُ بِيعةٍ بدتْ لك خلفَ السِّجف أم أنت حالمُ

فغضبتْ الجاريةُ وقالت : أيَضْرب مثلُ هـذا الأسود بى الأمثال ! فنظروا إلىّ نظراً مُنكراً . ولم يزالوا يسكِّنُونها . ثم غنَّت صـوتاً . فقال ابنُ مِسجح : أحسنتِ والله ! فغَضِب مولاها وقال : أمثل هـذا الأسود يُقْدِم على جاريتى ! وقال لى الرجـل الذى أنزلنى عنده : قُم فانصرف إلى منزلى ، فقـد ثَقُلت على القوم . فذهبتُ أقوم ، فتذمّم القومُ وقالوا : بل أَقِم وأَحْسن أدبك . فأقمتُ ، وغنَّت . فقلتُ : أخطأتِ والله يا زانية وأسأتِ ! ثم اندفعتُ فغنَّيت الصوتَ . فوثبت الجاريةُ وقالت لمولاها : هـذا أبو عثمان سعيد بن مسجح ! فقلتُ : إى والله أنا هو ، ووالله لا أُقيم عندكم . فوثب القرشيّون ، فقال هذا : يكون عندى ، وقال هذا : يكون عندى ، وقال هذا : بل عندى . فقلت : والله لا أُقيم إلا عند سيّدكم — يعنى الرجلَ الذى أنزله منهم — وسألوه عما أقدمه ، فأخبرهم . فقال له صاحبه : إنى أسمُرُ الليلةَ مع أمير المومنين ، فهل تُحسن أن تحْدُوَ ؟ قلتُ : لا والله ، ولكنّى أستعمل(١) حُدَاء . قال له : فإنّ منزلى بحِذاء مَنزل أمير المُؤمنين ، فإذا

(١) فى الأصل : « أصنع » .

وافقتُ منه طِيب نَفس أرسلتُ إليك . ومضَى إلى عبد الملك بن مَروان ، فلما رآه طيِّب النَّفس أرسل إلى أُبن مِسجح ، فأَخرج رأسه من وراء شُرَف القَصر وحَدَا . فقال عبدُ الملك للقُرشىّ : مَن هـذا ؟ قال : رجلٌ حجازىّ قَدم علىّ . قال : أَحضرْه . فأَحضرَه . فقال له : أُحْدُ . فَحدا : ثم قال له : هل تغنِّى غِناء الرُّكبان ؟ قال : نعم . قال : غنِّه . فغنّى . فقال له : هل تُغنى الغناء الُمتْقَن ؟ قال : نعم . قال : غنِّه . فغنَّى . فاُهتزّ عبدُ الملك طرباً ثم قال له : أُقسم إنّ لك فى القوم أُسماً كبيراً[1] ، من أنت ؟ ويلك ! قال : أنا المَظلوم ، المَقبوض مالُه المُسيَّر عن وطنه ، سَعيد بن مِسجح ، قَبض مالى عاملُ الحجاز ، ونَفانى . فتبسّم عبدُ الملك وقال : قد وَضح عذرُ فتيان قُريش فى أن يُنفقوا عليك أموالهم . وأمَّنه ووصَله ، وكتب إلى عامله بردّ ماله عليه ولا يَعْرِض له بسوء .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لأسماء كثيرة » مكان « اسما كبيراً » .

أخبار ابن المولى

ولاؤه وصفته ومنزلته فى الشعر

هو محمد بن عبد الله بن مُسلم بن المَولى ، مولى الأنصار ، ثم من بنى عمرو ابن عوف . شاعر متقدّم مُجيد بن مُخضرَمى الدّولتين ومدّاحى أهلهما . قدِم على المهدىّ فَمدحه بعدّة قصائد ووَصله بصلاتٍ سنيّة ، وكان ظريفاً عفيفاً نظيفَ الثياب حسنَ الهيئة ، وكان مسكنُه بقُباء .

سئل عن ليلاه فأجاب

وذَكر عبدُ الملك بن عبد العَزيز قال : خرجتُ أنا وأبو السّائب المَخزومىّ ، وعبيدُ الله بن مُسلم بنُ جندب ، وأَصبغ بن عبد العزيز بن مروان إلى قُباء ، وابن المولى متنكّبٌ قوساً[1] عربيّة ، فأنشدنا ابنُ المولى لنفسه :

وأبكى فلا لَيلى بكتْ من صَبابةٍ   إلىّ ولا ليلَى لذى الوُد تَبذُلُ

وأخنع بالعُتبى إذا كنتُ مُذنباً   وإنْ أذنبتْ كنتُ الذى يتنصّلُ

فقال له أبو السائب وعُبيدُ الله بن مُسلم بن جُندب : مَن ليلى هذه حتى نقودها لك ؟ فقال ابنُ المولى : والله ما هى إلا قَوْسى هذه سميتُها لَيلى .

مدح يزيد بن حاتم فأجازه

وقيل : وَفد ابنُ المَولى على يزيدَ بن حاتم ، فَمدَحه بقصيدته التى يقول فيها :

يا واحدَ العرب الذى   أضحى وليس له نَظيرُ

لو كانَ مثلَكَ آخرٌ   ما كان فى الدُّنيا فقير

فدعا بخازنه وقال : كم فى بيت مالى ؟ فقال : فيه من العَيْن والوَرِق[2] قيمةُ عشرين[3] ألف دينار . فقال : ادفعها إليه . ثم قال له : يا أخى ، المَعْذرة إلى الله وإليك ، والله لو أن فى مِلكى أكثرَ ما احتجبتُه[4] عنك .

---

(١) تنكب القوس : ألقاها على منكبه . (٢) العين : الذهب . والورق : الفضة .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بقية عشرون » . (٤) لم يرد هذا الفعل فى كتب اللغة متعديا .

هو ويزيد بن حاتم في مصر

وقيل : كان ابنُ المَولى مدّاحاً لجعفر بن سُليمان ، وقُثَم بن العبّاس، الهاشميَّين ، ويزيدَ بن حاتم ، واستفرغ مدحَه في يزيد ، فقال فيه قصيدتَه التي يقول فيها :

يا واحدَ العرب الذي دانتْ له ... قَحطانُ قاطبةً وساد نِزَارَا

إنّي لأرجو إن لقيتُك سالماً ... ألّا أُعالج بعدَك الأَسفارا

رِشْتَ النَّدى[1] ولقد تكسَّر ريشُه ... فَعلا النّدى فوق البلاد وطارا

ثم قَصده بها إلى مصر وأنشده إياها ، فأعطاه حتى رَضى . ثم مرض ابنُ المَولى عنده مرضاً طويلا وثقُل حتى أشفَى[2] ، فلما أفاق من علّته ونَهض ، دَخل عليه يزيدُ بن حاتم مُتعرِّفاً خبرَه ، فقال له : لوددتُ والله يا أبا عبد الله ألّا تعالج بعدى الأسفار حقًّا ، ثم أَضعف له صِلتَه .

أعطاه يزيد ضيعتين

وحَكى ابنُ المَولى قال : كنتُ أَمدح يزيدَ بن حاتم من غير أن أعرفه ولا ألقاه ، فلما ولّاه المَنصور مِصْر ، أَخذ على طريق المدينة . فلقيتُه فأنشدتُه ، وقد خَرج من مَسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أن صار إلى مسجد الشَّجرة . فأعطانِى رِزْمتَى[3] ثياب وعَشرة آلاف دينار ، فاشتريتُ بها ضياعاً تُغِلّ ألف دينار ، أقوم فى أدناها وأصيح بقَيِّمى، فلا يسمعنى[4] وهو فى أقصاها .

حنينه إلى المدينة

وقيل : قَدم ابنُ المَولى العراقَ فى بَعض السِّنين ، فأَخفق وطال مُقامه وغَرِض[5] به وتشوّق إلى المدينة ، فقال فى ذلك :

ذهب الرجالُ ولا أُحسّ رِجالَا ... وأرى الإقامةَ بالعراق ضَلالَا

وأرى المرجِّى للعراق وأهله ... ظمآن هاجرةٍ يؤمِّل آلا

---

(١) راش : جعل له ريشا . (٢) أشفى : أشرف على الموت .

(٣) الرزمة من الثياب : ما شد فى ثوب واحد .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « يسمعنى » .

(٥) غرض : ضجر وقلق .

وطَربتُ إذ ذكر المَدينة ذاكرٌ يومَ الخميس فهاج[١] لى بَلْبالَا
فظللتُ أنظُر فى السماء كأننى أبغى بناحيـــة السَّماء هِلالا
طرباً إلى أهل الحجاز وتارةً أبكى بدمع مُسْبَلٍ إِســبالا

مدح المهدى فأجازه

وذُكر أنه قدم ابنُ المولى على المهدىّ وقد مَدحه بقصيدته التى يقول فيها :

وما قارَع الأعــداءَ مثــلُ محمدٍ إذا الحربُ أبدت عن حُجول الكواعب
فتىً ماجدُ الأعراق من آل هاشمٍ تبَحْبح[٢] منها فى الذُّرى والذَّوائب
أشمُّ من الرَّهط الذين كأنهم لدَى حِندس الظَّلماء زُهْر الكواكب
إذا ذُكرتْ يوماً مَناقبُ هاشم فإنكمُ منها بخَــير المَناصب
ومَن عِيب فى أخلاقه[٣] وصِــفاته فما فى بنى العبّاس عَيْبٌ لعائب
وإنّ أمــير المُؤمنين ورهطَـــه لأهلُ المَعالى من لُؤىّ بن غالب
أولئك أوتاد البــلاد ووارثوا الــنَّــبِىّ بأمر الحقّ غــير التَّكاذُب

ثم ذَكر أولادَ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال :

وما نَقَمــوا إلّا المودةَ منهمُ وأنْ غادروا فيهم جزيلَ المَواهب
وأنهمُ نالُــوا لهم بدمائهم شفاءَ النُّفـوس من قَتيـل وهارب
وقامُــوا لهم دُون العِــدا وكَفَوْهمُ بسُمْر القَنـا والمُرْهفـات القَواضب
وحامَوْا على[٤] أحســابهم وكرائم حسانِ الوُجــوه واضحاتِ التَّرائب
وإنَّ أمــيرَ المُؤمنين لعــائدٌ بإنعامـــه فيهم على كُلّ تائب
إذا ما دَنَوْا أدناهُمُ وإذا هَفَــوْا تجـاوز عنهم ناظراً فى العــواقب
شَفيقٌ على الأقْصَيْن أن يرِدوا[٥] الرَّدى فكيف به فى واشجات[٦] الأقارب

---

(١) البلبال : شدة الهم . (٢) تبحبح : تمكن .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ونصابه » مكان « وصفاته » . والنصاب : الأصل .
(٤) يريد «حاموا عن» فضمن . (٥) فى بعض أصول الأغانى : «يركبوا» مكان «يردوا» .
(٦) الواشجات : الصلات المتصلة .

فوصله المهدىُّ صلةً سنَيةً . وقَدم المدينةَ فأَنفق و بنَى دارَه ولَبس ثياباً فاخرة .
ولم يزل كذلك مُدةً حتى ذهب ما جاء به .

ثم دخل على الَحسن بن زَيد بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب ، وكانت له عليهم وَظيفة فى كُل سنة ، فأنشده قولَه فيه يَمدحه :

هوالحسن بن زيد

هاج شوقى تفرّقُ الجِـيرانِ وأُعـترتْنى طوارقُ الأَحزانِ

يقول فيها :

ولو أنّ امرأً ينالُ خُلوداً بمحلٍّ ومَنْسب[1] ومَكان
أو ببَيتٍ ذُراه تَلصق بالنَّجْـ ـم قِراناً فى غـير بُرج قِران
أو بمجـد الحيـاةِ أو بسماحٍ أو بحلمٍ أوفَى على[2] ثَهـلان
أو بفَضل لنـالَه حَسَنُ الخَيْـ ـر بفضلِ الرَّسول ذى البُرهان
فضْلُه واضحٌ بفضْل أبى القا سم رهطِ اليقينِ والإيمـان
هم ذَوُو النُّور والهُدَى ومَدى الأَمْـ ـر وأَهلُ البرهان[3] والفُرقان
مَعْدِن الحقِّ والنبوَّة والعدْ ل إذا ما تَنـازع الخَصْمان
وابنُ زَيدٍ إذا الرجال تَجارَوْا يوم حَفْـل وغايةٍ ورهان
سـابقٌ مُغْلِق مُجيز رِهانٍ وَرِث السَّبْق عن أَبيه[4] الهِجان

فلما أنشده إيّاها دَعى به خالياً ثم قال له : يا عاضّ كذا من أُمه ! إذا ماجئت إلى الحجاز تقول لى هذا ، و إذا ما مضيت إلى العراق تقول :

و إنّ أمير المُؤمنين وَرهطـه لأَهلُ المَعالى من لُؤىّ بن غالبِ
أُولئك أَوتادُ البـلاد ووارثُوا النَّـ ـبىّ بأَمر الحقّ غَير التكاذُب

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ومنصب » . (٢) ثهلان : جبل بالعالية .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « والعرفان » مكان « و الفرقان » .
(٤) مغلق : أى يوجب الخطر لنفسه . والهجان : الكريم الحسيب .

فقال : أتُنصفنى يا بن رسول الله أم لا ؟ قال : بلى . قال : ألم أقُل :

* و إن أمير المُؤمنين و رَهْطه *

ألستم رهطه ؟ قال: فدع هذا ، ألم تَقْدِر أن ينفُق شعرُك ومديحُك إلّا بتهجين أهلى ، والطَّعنِ عليهم حيث تقول :

وما نَقموا إلّا المــودّة منهمُ ... و إن غادروا فيهم جزيلَ المواهبِ

وأنهمُ نالوا لهم بدمائهــم ... شِفاء النُّفوس من قَتيلٍ وهارب

فوجمَ ابنُ المولى وأطرق، ثم قال . يابن رسول الله ، إن الشاعر يقُول و يتقرّب بجُهده . ثم قام فخَرج من عنــده مُنكسراً . فأمر الحسنُ وكيلَه أن يحمل إليــه وظيفَته و يزيدَه مثلَها . ففَعل ذلك . فقال : والله لا أَقبلهــا وهو علىَّ ساخطٌ ، فأمّا إن قَرَنها بالرضى قبلتُها ، وأما إن أقام على أمره فأرُدّها عليــه . فعاد الرسولُ إلى الحسن فأخبره . فقال : قُل له : رضيتُ ، فاقْبلها . فقَبلها .

قدومه على يزيد ابن حاتم الأهواز ومدحه له

وقيل: لما انصرف يزيدُ بن حاتم المُهلّبى من حَرب الأَزارقة[1] ، وقد ظَفِر ، خُلع عليه وعُقد له لواء على كُور الأَهواز وسائر ما افْتتحه . فدخل عليه ابنُ المولى وقد مَدحه . فاستأذن فى الإنشاد ، فأذن له . فأنشده قصيدتَه التى أولها :

ألا يا لَقومى هل لِمَا فات مَطْلبُ ... وهل يُعْــذَرنْ ذو صَبْوة وهو أَشْيَبُ

ومنها :

يَحِنُّ إلى لَيْلى وقــد شَطَّت النَّوى ... بليلَى كما حَنَّ اليراع[2] المُثقَّب

تقرَّبتُ منهــا[3] كى تُثيب فَزادنى ... بِعــاداً على بُعــدٍ إليها التقرُّب

فداويتُ وَجْدى باجتنــابٍ فلم يكُن ... شفاءًا لمــا أرجوه[4] منها التجنُّب

(١) الأزارقة : من الخوارج ، أصحاب نافع بن الأزرق .

(٢) اليراع : المزمار .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « تقربت ليلى » والفعل غير معدى بنفسه .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « ألقاه » مكان « أرجوه » .

يقول فيها فى مَدحه :

وليــلٍ خُدارِىّ (١) الرّواق جَشِمتُه إذا هابه الأعـــداء لا أتهيَّبُ
لأظفرَ يوماً من يزيد بن حاتم بجَبْـل جِوارٍ ذاكَ ما كنتُ أطلب
وصَـــعَّدنى هَمِّى وصَوَّب مَرةً وذو الهمّ يوماً مُصْـعَدٌ ومُصوِّب
لأعرفَ ما آتِى فلم أَر مثـــلَه من الناس فيمن (٢) حاز شرقٌ ومَغرب
أكَرَّ على جيشٍ وأعظم هَيبـــةً وأوهبَ فى جُودٍ لمـا ليس يُوهب

ومنها :

كواكبُ دَجْن كُلَّما انقضَّ كوكبٌ بدَا منهمُ بَدْرٌ مُنِـــيرٌ وكَوكب
وما زال إلحـاحُ الزّمانِ عليهمُ بنائبــةٍ كادت لهـا الأرض تَخرَب
فلو أبقتِ الأيّامُ حيًّا نَفاسةً لأبقــاهمُ للجُود نابٌ ومِخْلب
وكنتَ ليومَىْ نِعمة ونِكايةٍ كما فيهما للنَّاس كانَ المُهلَّب
ألَا حَبَّـذا الأحيـاء منكمُ وحَبَّـذا قُبورٌ بهـا موتاكُم حين غُيِّبوا

فأمر له يزيدُ بن حاتم بعشرة آلاف دِرهم ، وفَرس بسَرجه ولجامه ، وخِلْعة ، وأقسم على من بحَضْرته من أهله أن يُجيزه كُلٌّ واحد منهم بما أمكن . فانُصرف بملء يديه .

استحسان عمرو ابن أبى عمرو لشعره

وقيل : كان عَمرو بن أبى عمرو يَستحسن قول ابن أبى المَولى :

حَيِّ المَنـازلَ قد بَلِينا أَقْوَيْنَ عن مَرِّ السِّنينا
وسَــلِ الدِّيار لعلَّهـا تُخبِرْك عن أُمِّ البَنينا
بانتْ وكُل قرينـــةٍ يوماً مُفـارِقةٌ قَرينـا
وأخُو الحياةِ من الحيا ةِ مُعـالِجٌ غِلَظًا ولِينا

---

(١) خدارى : مظلم . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « فيما » مكان « فيمن » .

وتَرى المُوكَّل بالغوا — نى راكباً أبداً فُنونا
ومن البليّــة أن تُدا — نَ بما كرهتَ وأن تَدينا[1]
والمرء تُحرم نفسُــه — ما لا يزال به حَزينــا
وتَراه يَجمع مالَه — جَمْعَ الحريص لوارثينا
يسعَى بأفضــلِ سَعْيه — فيصيرُ ذاك لقاعدينا
لم يُعطِ للنَّسب[2] القَريـ — ـبِ ولم يَجُد للأبْعدينا
قد حلّ مــنزلَه الذَّميـ — ـمَ وفارق المُتنصِّحينا

مدحه للمهدى بعد ما ولى

وقيل : لمّا ولى المهدىُّ الخلافة بعد أبيه المنصور حَجَّ وفرّق فى قُريش والأنصار وسائر الناس أموالاً عظيمة ، فحسُنت أحوالُ الناس بعد جَهد أَصابهم من أيّام أبيه ، فكانت سَنَةُ ولايته سنةَ خِصْب ورِخَص ، فأحبَّه الناسُ وتبرّكوا به ، وقالوا : هذا هو المهدىُّ ! وهذا ابنُ عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسَميُّه ! فلما دخل المدينةَ تلقَّوه ودعَوا له وأثنوا عليه ومَدحه الشُّعراء . فمدَّ عينَه فى الناس فرأى ابنَ المولى ، فأمر بتقريبه ، فقُرِّب منه . فقال : هات يا مولى الأنصار ما عندك . فأنشده قولَه فيه :

يا ليلَ لا تبْخَــلِى يا ليلَ بالزّاد — وأَشفِى بذلك داءَ الحائم الصَّادى
وأَنْجزى عِــدَةً كانت لنا أملاً — قد جاء ميعادُها من بعدِ ميعادِ
ما ضَرَّه غــيرُ أن أبدى مَودَّته — إنَّ المُحبَّ هــواه ظاهرٌ بادى

يقول فيها :

تَطوى البــلادَ إلى جَمٍّ منافعُه — فعّالِ خَــيْرٍ لِفعْل الخير عَوّاد

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ولن » مكان « وأن » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ذا النسب » .

للمُجْتدين[١] إليه من مَنافعه ... خيرٌ يَروح وخيرٌ باكرٌ غادى
أَغْنَى قُريشاً وأنصارَ النبيِّ ومَنْ ... بالمَسْجدين بإسعاف[٢] وإحفاد

حتى أتى على آخرها. فأمر له بعشرة آلاف دِرهم وكُسوة، وأمر له بأن يُجرَى له ولعياله ما يكفيهم، وألحقهم في شرف العطاء.

شعره الذى فيه الغنـاء

والشِّعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخباره، هو:

سَلَا دار لَيْلَى هل تُبين فَتنطقُ ... وأنَّى تَرُدّ القَولَ بيداء سَمْلَقُ
وأنَّى ترُد القولَ دارٌ كأنها ... لطُول بِلاها والتقادمِ مُهْرَق

وهذا البيتان من أول قصيدة يَمدح بها ابنُ المولى المهديَّ، يقول فيها:

وإنسانُ عَيْني فى دوائرِ لُجّة ... من الدَّمع يبدو تارةً ثم يَغرَق

ومنها:

فلا تجْزعنْ للبَين كُلُّ جماعةٍ ... وجَدِّك مكتوبٌ عليها التفرُّق
وخُذ بالتعزِّى كُلَّ ماأنت لابسٌ ... جديداً على الأيام بالٍ ومُخْلِق
فصبرُ الفتَى عما تولَّى فإنه ... من الأمر أولى بالسَّداد وأوْفق

ومنها:

وقال خَليلى والبُكا لىَ غالبٌ ... أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّق
وقد طال تَوْقافِى أُكفكفُ عَبْرةً ... على دِمْنة كادتْ لها النفسُ تَزْهَق

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: «للمهتدين» مكان «للمجتدين».

(٢) إحفاد: إسراع فى مرضاتهم وقضاء حاجاتهم.

أخبار عطرد

ولاؤه وشيء عنه

هو مَولى الأَنصار . ثم مولى بنى عمرو بن عَوف . وكان يَنزل قُباء . وكان جَميلَ الوجه ، حَسنَ الغِناء ، طيِّب الصوت ، جيِّد الصَّنْعة ، حسنَ الزِّيّ والمُروءة . وكان فقيهاً قارئاً للقُرآن ، يُغَنِّى مُرتجلاً . أدرك دولةَ بنى أُميَّة . و بَقِى إلى أيّام الرَّشيد . وكان مُعدَّلَ الشهادة بالمَدينة .

غناؤه لعباد ابن سلمة

وحُكى أنّ سَلمة بن عبَّاد وَلِي القضاءَ بالبَصرة ، فقَصد ٱبنُه عبَّادُ بن سَلمة منزلَ عَطَرَّد ، وكان قد قَدِم البَصرةَ قاصداً آل سُليمان بن علىّ وأقام معهم . فأتى عبّادٌ بابَه ليلاً فدقّ عليه ومعه جماعةٌ من أصحاب القَلانس . فخَرج عَطَرَّدٌ إليه ، فلمّا رآه ومَن معه فَزِع . فقال : لا تُرَع :

إنِّى قصدتُ إليك من أهلى ... فى حاجةٍ يأتى لها مِثلِي

قال : وما هى ؟ أصلحك الله ! فقال :

لا طالباً شيئاً إليكَ سِوَى ... «حَىِّ الحُمُولَ بجانب[1] العَزْلِ»

فقال : ٱنزلُوا على بركة الله . فلم يزل يُغنِّيهم هذا وغيرَه حتى أصبحوا .

والذى طلبوا أن يُغنِّيهم فيه شعرُ ٱمرىء القيس الكِندىّ ، وهو :

حَىِّ الحُمُولَ بجانب العَزْلِ ... إذ لا يُوافق شَكْلُها شَكْلِي

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به ... والبِرُّ خيرُ حَقيبة الرَّحْلِ

إنِّى بحبلك واصلٌ حَبْلى ... و برِيش نَبْلك رائشٌ نبْلى

وشَمائلِى ما قد علمت وما ... نَبحتْ كلابُك طارقاً مِثلى

(١) العزل : موضع فى ديار قيس .

هو والوليد بن يزيد حين استقدمه

وذُكر أنه لمّا ولى الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك الخلافةَ كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بإشخاص عطَرَّد المُغنِّى إليه . قال عطرَّد : فأقرأنى العاملُ الكتابَ وزوَّدنى بنفقة وأشخصنى إليه . فأُدخلت عليه وهو جالسٌ فى قصره على شَفير بِرْكة مُرصَّصةٍ مملوءة خمراً ، ليست بالكبيرة ولكنها يدُور الرجلُ فيها سِباحةً ، فوالله ما تركنى أُسلِّم حتى قال : عَطَرد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : لقد كنتُ إليك مُشتاقاً يا أبا هارون ، غنِّنى :

* حَىِّ الُحمول بجانب العَزْل * الأبيات

قال : فغنَّيتُه إيّاه ، فوالله ما أتممتُه حتى شقّ حُلَّةَ وَشْى كانت عليه لا أدرى كم قِيمتُها ، فتجرّد منها كما ولدتْه أُمه ، وألقاها نصفين ورمى بنفسه فى البركة ، فنَهِل فيها حتى تبيَّنْتُ — علم الله — نقصانها ، وأُخرج منها كالميّت سُكْراً ، فأُضجع وغُطِّى ، وأخذتُ الحُلّة وقُمت . فوالله ما قال لى أحدٌ : دَعْها ولا خُذها . فانصرفتُ إلى منزلى متعجِّباً مما رأيتُ من ظَرْفه وفِعله . فلما كان من الغَد جاءنى رسولُه فى مثل الوقت فأحضرنى . فلما دخلتُ عليه قال : يا عَطَرّد . قلت : لبّيك يا أمير المؤمنين . قال : غنِّنى :

أيذهبُ عُمرى هكذا لم أنَلْ به	مَجالِسَ تَشفى قَرْحَ قلبى من الوَجْدِ
وقالوا تَداوَ إنّ فى الطبِّ راحةً	فعلّلتُ نفسى بالدواء فلم يُجْدِى

فغنَّيتُه إيّاه . فشَقّ حُلة وَشْى كانت عليه ، كانت تَلتمع عليه بالذّهب اْلتماعاً ، احتقرتُ والله الأُولى عندها . ثم ألقى نفسه فى البركة ، فنَهل فيها حتى تبيَّنتُ — علم الله — نُقصانها ، وأُخرج كالميّت سُكراً . فأُلقى وغُطِّى ونام . وأخذتُ الحُلة ، فوالله ما قال لى أحدٌ : دَعْها ولا خُذها ، وانصرفتُ . فلما كان اليومُ الثالث جاءنى رسولُه . فدخلت إليه وهو فى بَهْو قد أُلقيت سُتوره ، فكلّمنى من

وراء السُّتور وقال : يا عَطَرَّد . قلتُ : لبَّيك يا أمير المؤمنين . قال : كأنى بك قد أتيتَ المدينــة فقُمتَ فى مجالسها ومَحافلها وقعــدتَ وقلتَ : دعانى أميرُ المؤمنين فدخلتُ إليه، فاُقترح علىّ، فغنيتهُ فأطربتهُ ، فشقّ ثيابه وأخذتُ سَلَبه، وفَعل وفعل، والله يا بن الزّانية ، لئن تحرّكتْ شَفتاك بشىء مما جرى فبلَغنى لأَضربنّ ما فيـه عَيناك . ياغُلام ، أعطه ألفَ دينار . خُذها واُنصرف إلىالمدينة . فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى تقَبيل يده و يُزوّدنى نظرةً منه وأُغنّيه صوتاً ! فقال : لاحاجةَ بى ولا بك إلى ذلك ، فاُنصرف . قال عَطرّد : فخرجتُ من عنده وما أعلم أنّى ذكرتُ شيئاً مما جرى حتى مَضت من دولة بنى العبَّاس[1] مُدة .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بنى هاشم » .

أخبار الحارث بن خالد المخزومى

نسبه

هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كعب بن لؤى بن غالب . وأمه فاطمة بنت أبى سعيد ابن الحارث بن هشام . وأمها بنت أبى جهل بن هشام .

حديث مقامرة أبى لهب للعاص ابن هشام

وكان العاص بن هشام قامَر أبا لَهَب بن عبد المُطلب فى عشر من الإبل فقَمَره ، ثم فى عشر فقَمَره ، ثم فى عشر فقَمَره ، إلى أن خَلَعه من ماله فلم يَبق له شىء . فقال : إنى أرى القِداح قد حالفتْك يا بن عبد المُطلب ، فهلمّ أقامرك . فأيُّنا قُمِر كان عبداً لصاحبه . قال : أفعل . ففعل . فقَمَره أبو لهب ، فكره أن يسترقّه فتغضبَ بنو مخزوم ، فمَشى إليهم وقال : أفتدُوه منّى بعشرٍ من الإبل . فقالوا : لا والله ولا بوَبَرة . فاسترقّه . فكان يَرْعى له إبلاً إلى أن خرج المُشركون إلى بَدْر — وقيل : استرقّه وأجلسه قَيْناً يعمل الحديدَ — فلمّا خرج المُشركون إلى بَدر كان مَن لم يخرج أخرج بديلاً ، وكان أبو لَهَب عليلاً فأخرجه وقَعد، على أنه إن عاد أعتقه. فحضر بدراً وقَتَله علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ .

مذهبه فى الغناء وشىء عنه

وكان الحارث بن خالد أحدَ شعراء قُريش المَعدودين الغَزِليِّين ، وكان يذهب مذهبَ عُمر بن أبى ربيعة لا يتجاوز الغَزل إلى مديح ولا هجاء . وكان يهوَى عائشةَ بنت طلحة بن عُبيد الله و يَنْسُب بها . وولّاه عبدُ الملك بنُ مروان مكةَ . وكان ذا قَدْر وخَطر فى قُريش .

أخواه وشىء عنهما

وأخوه عِكرمة بن خالد مُحدِّث جليل القدر من وُجوه الناس ، وقد رَوى عن جماعة من الصحابة . وله أخ يقال له : عبد الرحمن بن خالد ، شاعر ، وهو الذى يقول :

رَحل الشبابُ وليتَه لم يرْحَلِ ... وغدا لِطِيَّةِ ذاهبٍ[1] مُتحمِّلِ
ولّى بلا ذمٍّ وغادَر بعدَه ... شَيباً أقام مكانَه فى المَنزل
ليت الشبابَ ثَوى لدينا حِقْبةً ... قبلَ المَشيب وليته لم يَعْجَل
فنُصِيبَ من لذّاته ونَعيمه ... كالعَهد إذ هو فى الزّمان الأوّل

من شعراء قريش الخمسة

وقيل : كانت العرب تُفضِّل قريشاً فى كلّ شىء إلّا الشِّعر ، فلما نَجم فيهم عُمر بن أبى ربيعة ، والحارثُ بن خالد المخزوميَّان ، والعَرْجىّ ، وأبو دَهْبَل ، وعبد الله[2] بن قَيس ، أقرّت لها العربُ بالشِّعر أيضاً .

هو وابن عمر وقد أنشده

وذُكر أنّ الحارث بن خالد أنشد عبدَ الله بن عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه قولَه :

إنّى وما نَحروا غداةَ مِنًى ... عند الجمار تَؤُودها[3] العُقْلُ
لو بُدِّلتْ أعلى مَساكنها ... سُفْلًا وأصبح سُفْلُها يَعْلو
فيكاد يَعرفها الخَبيرُ بها ... ويرُدّه الإقواءُ[4] والمَحْل

فقال له ابنُ عُمر : قُل: إن شاء الله . قال : إذن يَفْسُد الشعر يا عَم . فقال له : يا بن أخى ، إنّه لا خيرَ فى شىء يُفسده « إن شاء الله » .

تمثل أشعب بشعره فى تفضيل الزبيريين على العلويين

وقيل : دَخل أشعبُ مسجدَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فجعل يطُوف[5] الحِلَق . فقيل له : ما تُريد ؟ قال : أستَفْتى فى مسألة . فبينا هو كذلك إذ مَرَّ برجل من ولد الزُّبير ، وهو مُستند إلى سارية و بين يديه رجل عَلَوىّ، فخَرج أشعبُ مبادراً ، فقال له الذى سأله عن دُخوله وتَطوافه : أوجدت من أفتاك فى مسألتك ؟ قال :

---

(١) الطية : المنتأى ، والقصد ، والنية . والمتحمل : الراحل . (٢) فى بعض الأصول : « عبيد الله ». و ذكر البغدادى أن لقيس ابنين : عبيد الله ، وعبد الله ، واختلفوا فى الشاعر منهما .
(٣) تؤودها : تثقلها . والعقل : جمع عقال . (٤) الإقواء : المحل .
(٥) الحلق : جمع حلقة ، وهى دائرة القوم وحلقتهم ، جمع نادر .

لا ، ولكن علمتُ ما هو خيرٌ لى منها . قال : وما ذاك ؟ قال : وجدتُ المدينةَ قد صارت كما قال الحارثُ بن خالد :

قد بُدِّلت أعلَى مَساكنِها سُفْلًا وأصبح سُفلها يَعْلُو

رأيتُ رجلًا من ولد الزُّبير جالساً فى الصدر ، ورجلاً من ولد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه جالساً بين يديه ، فكفانى هذا عَجَباً وانصرفتُ .

كان مروانى الهوى ووفوده على عبد الملك وتوليه مكة وحديثه مع بنت طلحة

وقيل : إن بنى مَخزوم كُلهم كان هواهم مع ابن الزُّبير إلا الحارثَ بن خالد ، فإنّ هواه كان مع بنى مَروان . فلما قُتل عبد الله بن الزُّبير وصَفا الأمرُ لعبد الملك ابن مَروان ، وفَد إليه الحارثُ فى دَين كان عليه ، وذلك فى سنة خَمس وسبعين . فلما انصرف عبدُ الملك رحل معه الحارثُ إلى دمشق ، فظهرتْ له منه جَفوة ، فأقام ببابه شهراً لا يَصل إليه . فانصرف عنه وقال فيه :

صَحِبتُك إذ عَيْنى عليها غِشاوةٌ فلما انجلتْ قطَّعتُ نفسى ألومُها
وما بِى وإن أقْصَيتنى من ضَراعةٍ ولا افتقرتْ نفسى إلى مَن يَضيمُها
عَطفتُ عليك النفسَ حتى كأنما بكفَّيْك بُؤسى أو إليك نَعيمُها

وبلغ عبدَ الملك خبرُه ، وأُنشد الشِّعر ، فأرسل إليه مَن ردّه مِن طريقه . فلما دَخل عليه قال له : يا حارِ[1] ، أخبرنى عنك : هل رأيتَ عليك فى المُقام ببابى غَضاضةً أو فى قَصدى دناءةً ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : فما حَملك على ما قلتَ وفعلتَ ؟ قال : جَفوةٌ ظهرتْ لى وكنتُ حقيقاً بغيرها . قال : فاخْتَرْ : إن شئتَ أعطيتُك مائة ألف دِرهم ، أو قضيتُ عنك دَيْنَك ، أو وليتُك مكّة سنةً ؟ قال : بل تُولّينى مكة . فولاه إيّاها . فحجّ بالناس وحجّت عائشة بنت طلحة ، وكان يهواها ، فأرسلت إليه : أخِّر الصلاة حتى أفرُغَ من طَوافى . فأمر

(١) أى : يا حارث ، فرخم .

المُؤذّنين فأخّروا إقامة الصلاة حتى فرَغت من طوافها . وجعل الناسُ يَصيحون و يضجّون . ثم أُقيمت الصلاةُ وصلّى بالناس . وأنكر أهلُ الموسمِ ذلك من فِعله وأعظموه . و بلغ عبدَ الملك فعزَله ، وكتب إليه يؤنبه فيما فعله . فقال : ما أهونَ واللهِ غضبَه علىّ إذا رضيتْ . والله لو لم تفرغْ من طوافها إلى الليل لأخرتُ الصلاة إلى الليل . فلما قضتْ حجّها أرسل إليها : يا بنة عمّ ، أَلِمّى بنا أو عِدينا مجلساً نتحدثْ فيه . فقالت : فى غدٍ أفعل ذلك . ثم رحلتْ من ليلتها . فقال الحارث فيها:

ما ضَرَّكم لو قلتُم سَدَداً   إنّ المَطايا عاجِلٌ غَدُهاَ
ولها علينا نِعمةٌ سَلَفتْ   لسنا على الأيام نَجْحدها
لو تَمّمت أسبابَ نِعمتها   تَمّت بذلك عندنا يَدُها

الغريض بينه و بين بنت طلحة

وقيل : لما قال الحارث هذه الأبياتَ بعثَ بها مع الغَريض ، فلَحقها[1] بعُسْفان أو قريبٍ منه ، ومعه كتابُ الحارث وفيه هذه الأبيات . فلما قرأتْها قالت : ما يدَع الحارثُ باطلَه ! ثم قالت للغريض : هل أحدثْت شيئاً ؟ قال : نعم ، فاُسمعى . ثم اُندفع يُغنّى فى هذا الشعر :

زَعموا بأنَّ البَيْن بعد غدٍ   والقلبُ ممّا أحدثوا يَجِفُ
والعينُ منذ أُجِدّ بَيْنُهُم   مثلُ الجُمان دُموعُها تَكِف
تَشكو ونَشكوا ما ألَمّ[2] بنا   كُلٌّ بوشْك البَيْن مُعترف

فأمرتْ له بخمسة آلاف دِرْهم . ثم قالت له : غَنّنى فى غير شعره . فغنّاها بشعر عُمر بن أبى ربيعة :

أجمعتْ خُلّتى مع الفَجر[3] بَيْناَ   جَلّل الله ذلك الوَجهَ زَيْناَ

---

(١) عسفان : منهلة بين الجحفة ومكة . وقيل : هى قرية على مرحلتين من مكة .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ما أشت » أى ما فرق .
(٣) أجمعت : اعتزمت . والخلة : الصديقة . والبين : الفراق .

أجمعتْ بينَهـا ولم نَكُ منهـا ... لذةَ العيش والشّباب قَضَيْنا
فَتولّتْ حُمولُهـا وأُسْتقلّت ... لم نَنَلْ طائلًا ولم نُقْضَ دَينـا
ولقـد قلتُ يومَ مكة لمّـا ... أرسلتْ تقرأ السلامَ عَلَيْنا
أنعم اللهُ بالرّسول الذى أرْ ... سَلْتِ والمُرْسِلِ الرِّسالةَ عَيْنا

فضحكتْ ثم قالت : وأنت يا غَريض ! فأَنعم الله بك عَيْناً ! وأنعِمْ بأبن أبى ربيعة عَيناً ! لقد تلطّفتَ حتى أديت إلينا رسالته ، وإنّ وفاءك له لمّا يزيدنا رغبةً فيك وثقةً بك .

تتمة حديث الغريض مع عاتكة بنت يزيد

وقد كان عُمر سأل الغَريض أن يُغنِّيها هـذا الصوتَ ، لأنه قد تَرك ذِكرها لمّا غَضبت بنو تَميم من ذلك ، فلم يُحبّ التَّصريح بها وكَرِه إغفالَ ذكرها ، وقال له عمر : إنْ أبلغتَها هـذه الأبيات فى غناء فلَك خَمسةُ آلاف درهم . فوفى له بها ، وأمرت له عائشة بخَمسة آلاف درهم أُخرى . فأنصرف الغريضُ من عنـدها ، فلقى عاتكةَ بنت يزيد بن مُعاوية بن أبى سُفيان ، زوجةَ عبـد الملك بن مروان ، وقد كانت حجّت فى تلك السنة ، فقالت لها جَواريها : هـذا الغَريض . فقالت لهنّ : علىّ به . فجِئْن به إليها . قال الغريض : فلمّا دخلتُ وسلّمتُ ردّت وسألتنى عن الخبر . فأقتصَصْتُه عليها . فقالت : غنِّنى بما غَنّيتَها به . ففعلتُ . فلم أرها تَهشّ لذلك . فغنّيتُها مُعرِّضاً بها ومذكِّراً بنفسى فى شعر مُرّة بن مُحْكان السَّعدى يُخاطب أمرأته ، وقد نَزل به أضياف :

أقول والضّيفُ مَخشىٌّ[1] ذِمامَتُـه ... على الكريم وحقُّ الضّيف قد وَجبا
يا ربّةَ البيتِ قُومى غيرَ صـاغرةٍ ... ضُمّي إليـك رِحالَ القوم والقِرَبا
فى ليـلةٍ من جُمادى ذات أندية ... لا يُبصر الكلبُ فى ظَلمائها الطُّنُبا
لا يَنبح الكلبُ فيهـا غيرَ واحدةٍ ... حتى يَلُفَّ على خَيْشومه الذَّنبـا

(١) الذمامة ، بالكسر والفتح : العهد والذمة .

فقالت ، وهى مُتبسِّمة : نعم قد وجَب حقُّك يا غَريض ، فغَنِّنى . فغنَّيتُها :

يا دهرُ قد أكثرتَ فَجْعتنا بسَراتنا ووقَرْتَ[1] فى العَظْمِ
وسَلَبْتنا ما كنتَ[2] مُخْلِفَه يا دهرُ ما أنصفتَ فى الحُكْمِ
لو كان لى قِرْنٌ أُناضلُه ما طاش عند حَفيظةٍ سَهْمى
أو كان يُعطِى النَّصْف[3] قلتُ له أحرزتَ قِسْمك[4] فالْهُ عن قِسْمى

فقالت له : نُعطيك النَّصْف ولا يَطيش[5] سهمُك عندنا ، ويحقّ[6] لك قِسمك . وأمرت له بخَمسة آلاف درهم وثياب وغير ذلك من الألطاف . فأتيتُ الحارثَ بن خالد وقصصتُ عليه القصةَ ، فأمر لى بمثل ما أمرَتا به جميعاً . وأتيتُ ٱبن أبى ربيعة فأعلمتُه بما جَرى ، فأمر لى بمثل ذلك . فما ٱنصرف أحدٌ من الموسم بمثل الذى ٱنصرفتُ به ، وبنَظْرة من عائشة ونَظرة من عاتكة ، وهما أجلُّ نساء عالَمِهما .

هو ومكى حمله رسالة إلى بنت طلحة

وقيل : قدم المدينةَ قادمٌ من مكة فدَخل على عائشة بنت طلحة ، فقالت له : من أين أقبل الرجلُ ؟ فقال : من مكَّة . فقالت له : فما فَعل الأعرابىّ ؟ فلم يفهم ما أرادتْ . فلمّا عاد إلى مكة دَخل إلى الحارث بن خالد فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من المدينة . قال : فهل دخلتَ على عائشة بنت طلحة ؟ قال : نعم . قال : فعمّاذا سألَتْك ؟ قال : قالت لى : ما فعل الأعرابىّ ؟ فقال له الحارث : فعُد إليها

---

(١) وقر : صدع . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « مالست » مكان « ما كنت » .

(٣) النصف ، مثلثة : الانتصاف .

(٤) القسم . بالكسر : النصيب والحظة . والذى فى بعض أصول الأغانى : « سهمك ... سهمى » .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « ولا يضيع » .

(٦) فى بعض أصول الأغانى : « ونجزل » .

ولك هذه الحُلة والراحلة ونَفقتُك لطريقك ، وادفع إليها هذه الرُّقعة . وكتب إليها فيها :

مَن كان يَسأل عنّا أين منزلُنا ... فالأُقحوانةُ منّا منزلٌ (١) قَمَنُ

إذ نَلبس العيشَ صفواً ما يُكدِّره ... طَعْنُ الوُشاة ولا يَنْبو بنا الزّمن

(*) ليت الهَوى لم يُقرِّبنى إليك ولم ... أعرفْك إذ كان حظّى منكم الحَزَن

(١) الأقحوانة : موضع قرب مكة . وقمن : خليق .

(*) تبدو أخبار الحارث كأنها مقطوعة : فهى كما أوردها أبو الفرج تزيد كثيراً . ولم يختم ابن واصل الترجمة بما عودنا عنه من ذكر الشعر الذى فيه الغناء .

أخبار الأبجر

اسمه ولقبه وولاؤه وحسن غنائه

هو عُبيد الله بن القاسم . مولى بنى كِنانة ، ثمّ بنى بكر . ويُكنى أبا طالب . وكان مَدنيًّا منشؤه مكة . وقيل : مكيًّا منشؤه المدينة . وكان حسن الهيئة والبِزّة. وكانت حُلته بمائة دينار ، وفَرسه بمائة دينار ، ومركبه بمائة دينار . وكان حسنَ الصوت، جيّد الغِناء، يقف بين المَأْزِمَيْن[1] فيرفع صوتَه فيقف الناسُ له ، يركب بعضُهم بعضاً .

نشط الوليد لغنائه

وحَكى أشعبُ قال : دُعى ذاتَ يوم بالمُغنِّين للوليد بن يزيد ، وكنت نازلاً معهم ، فقلتُ للرسول : خُذنى فيهم . فقال : لم أُومَر بذلك ، إنما أُمرت بأَخْذ المُغنِّين ، وأنت بَطَّال لا تدخل فى جُملتهم . فقلت : أنا والله أحسن غناءً منهم . فأندفعتُ فغنَّيت . فقال : لقد سمعتُ حسناً ولكنّى أخاف . فقلتُ له : لا خوفَ عليك ، ولَكَ مع هذا شَرط . قال : وما هو ؟ قال : كُل ما أصبتُه فلك شَطْره . فقال للجماعة : أُشهدوا عليه . فشَهدوا . ومَضينا فدخلنا على الوليد ، وهو ضيِّق الصَّدر . فغنّاه المُغنون فى كُل فَنٍّ من ثقيل وخَفيف ، فلم يتحرَّك ولا نَشِط . فقام الأبجر ، وكان خَبيثاً داهياً ، فسأل الخادمَ عن خَبره و بأىّ سَبب هو خاثر . فقال : بينه و بين أمرأته شَرّ، لأنه عَشِق أُختها فغضبتْ عليه ، وهو إلى أُختها أَميل ، وقد عَزم على طَلاقها وألّا يذكُرها أبداً بمُراسلة ولا مُخاطبة ، وخَرج على هذه الحال من عندها . فعاد الأبجر إلينا وجَلس . فما أستقرّ به المجلسُ حتى أندفع فغنّى :

فبِينِى فإنّى لا أُبالى وأَيْقِنى ... أصعَّد باقى حُبِّكم أم تَصوَّبا

ألم تَعلمى أنّى عَزُوفٌ عن الهوى ... إذا صاحِبى من غير شىء تَغضّبا

---

(١) المأزمان : جبلا مكة .

فطرب الوليدُ وأُرتاح، وقال : أصبتَ والله يا عُبيد مافى نَفسى ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وشَرب حتى سَكر . ولم يحظ أحدٌ بشىء إلا الأبجر . فلما أيقنتُ بأُنقضاء المَجلس وثبتُ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنْ رأيتَ أن تأمر مَن يضر بنى الساعةَ بحَضرتك مائةَ سوط ! فضحك وقال : قبَحك الله ! وما السبب فى ذلك ؟ فأخبرتُه بقصّتى مع الرسول ، وقلت له : إنه بدأنى بالمكروه فى أول يومه بما اُتصل علىّ إلى آخره ، فأُريد أن أُضرب مائة سوط و يُضرب بعدى مثلَها . فقال : لقد لَطُفت ! أعطوه مائةَ دينار ، وأعطُوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا عوضاً من الخمسين التى أراد أن يأخذَها من أشعب . فقبضتُها . وقام . وما حَظى أحدٌ بشىء غيرى وغير الأبجر .

أخبار موسى شهوات

ولاؤه وكنيته وسبب تلقيبه

هو مُوسى بن يسار، مولى قُريش. وقيل: إنه مولى بنى سَهم. وقيل: مولى بنى تَيم. وقيل: مولى بنى عَدىّ. وكُنيته أبو محمد، وشهوات لقب غَلَب عليه، لأنه كان سَئُولا مُلِحًّا مُلْحِفا، فكان كلما رأى مع أحد ما يُعجبه من مالٍ أو مَتاع أو ثَوب أو فَرَس يَتبا كى، فإذا قيل له: مالك؟ قال: أشتهى هذا. فسُمِّى: شهوات. وهو من شُعراء الدولة الأُموية.

استعان ابن أسيد فى ثمن جارية فأعانه فدحه

وذُكر أنّ موسى شَهوات هَوِى جاريةً بالمدينة، فاستُهِيم بها وساوم مولاها فيها، فاُستام بها عشرةَ آلاف دِرهم. فجمع كُلّ مايملكه واُستماح إخوانَه. فبلغ ذلك أربعةَ آلاف درهم. فأتى سعيدَ بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان فأخبره بحاله واُستعان به، وكان صديقَه وأوثق الناس عنده، فدافعه[1]، واُعتلّ عليه. فخَرج من عنده، فلمّا ولّى تمثّل سعيدٌ بقول الشاعر:

كتبتَ إلىّ تَستهدى الجوارى لقد أنعَظْتَ من بلدٍ بَعيدِ

فأتى موسى شهوات سعيدَ بن خالد بن عبد الله بن أَسيد، فأخبره بقصّته. فقال: تعُود إلىّ. ثم أتاه. فسهّل من إذنه. فلما اُستقرّ به المجلس قال: يا غلام، قُل لقيِّمتى: هاتى وَديعتى. ففُتح باب بين بَيتين، فإذا بجارية. فقال له: أهذه بُغْيتك؟ قال: نعم، فِداك أبى وأُمى! ثم قال: يا غلام، قُل لقيِّمتى هاتى ظَبْية[2] نفقتى. فأُتى بظَبية، فنُثرت بين يديه فإذا فيها مائةُ دينار ليس فيها غيرها.

---

(١) دافعه: ماطله.

(٢) الظبية: جراب صغير من جلد ظبى.

فرُدّت إلى الظَّبية . ثم قال : عَتيدةَ[١] طِيبي . فأُتى بها . فقال : مِلْحفةَ فِراشي . فأُتى بها ، فصَرّ ما فى الظَّبية وما فى العَتيدة فى حواشي المِلْحفة . ثم قال : شأنَك بهواك . وأستعِن بهذا عليه . فقال يمدحه و يُعرِّض بالعُثمانى :

أبا خالد أعْنِي سعيدَ بن خالدٍ أخا العُرف لاأعنى أبن بنت سَعيدِ
ولكنّنى أعْنِي أبنَ عائشة الذى أبو أبَوَيه خالدُ بن أسِيد
عَقيدُ النَّدى ما عاش يَرْضى به النَّدى فإن مات لم يرضَ النَّدى بعَقيد
دَعوه دَعوه إنكم قد رقدتُم وما هو عن أحسابكم برقود
قتلتَ أُناساً هكذا فى جُلودهم من الغَيظ لم تقتلهم بحَديد

هو والسعيدان مع عبد الملك

فأتى سعيدُ بن خالد العُثمانىُّ سليمانَ بن عبد الملك مَروان فقال : يا أمير المؤمنين، أتيتُك مستعدياً . فقال : ومن بك؟ فقال : موسى شهوات . قال : وماله ؟ قال : سَمَّع بى وأستطال فى عِرْضى . فقال : يا غُلام ، علىّ بموسى . فأُتى به . فقال : يا عاضَّ كذا من أُمه ، أتهجو سعيدَ بن خالد ! فقال : ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ، ولكنّى مدحتُ أبن عمه ، فغَضب هو . فقال : وكيف ذلك ؟ فقال : علقتُ جاريةً لم يبلغ ثمنَها جِدَتى[٢] ، فأتيتُه وهو صديقى ، فشكوتُ إليه ذلك فلم أُصب عنده فيه شيئاً ، فأتيت أبن عمه سَعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فشكوتُ إليه ما شكوتُه إلى هذا ، فقال : تَعود إلىّ . وحَكى له القصة التى جَرت له معه وأنشده الشعر . فقال سليمان : يا غلام ، علىّ بسعيد بن خالد . فأُتى به . فقال : أحقٌّ ما وَصفك به موسى ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فأعاد عليه . قال : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين . قال : فما طوّقتْك عواقبُ هذه الأُمور ؟

(١) العتيدة : الحقة يكون فيها طيب الرجل أو العروس .
(٢) الجدة : اليسار والسعة .

فقال : دَيْن ثلاثين ألفَ دينار . فقال له : قد أمرتُ لك بها و بمثلها و بمثلها وثُلث مثلها . فحُمل إليه مائةُ ألف دينار .

سعيد بن خالد وقد سئل عن مال أفاده من سليمان ابن عبد الملك

وقال بعضهم : فلقيتُ سعيدَ بن خالد بعد ذلك فقلتُ له : ما فعل المال الذى وصلك به سليمان ؟ فقال ما أصبحتُ والله أملك منه إلا خمسين ديناراً . قلت : فما أغتاله ؟ . قال خَلَّة [1] من صديق ، أو فاقةٌ من ذى رَحِم .

لسليمان فى ابن أسيد

وكان سُليمان بن عبد الملك إذا نَظر إليه بعد ذلك يقول : لعمرى والله ، ما أنت عن أحسابنا برَقُود !

تعقيب على شعر موسى

وقول موسى « ابن بنت سعيد » يعنى أُم سعيد العُثمانى ، وهى آمنة بنت سعيد بن العاص . و« أُم عَقيد النَّدى » : عائشة بنت عبد الله بن خَلَف الُخزاعية ، أُخت طلحة الطلحات ، وأُمها صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبى طلحة ، من بنى عَبد الدار بن قُصى . ولما أشتبه المَمدوح والمهجوّ ، فى الأسم وأسم الأب ، فرّق بينهما بذكر أُمهاتهما ليرتفع الّلبس .

بينه وبين سليمان فى شعره فى خالد ابن سعيد

وقيل : لمّا أنشد موسى شهوات سُليمانَ بن عبد الملك شعرَه فى سعيد بن خالد قال له : أتفقت أسماؤهما وأسماء آبائهما ، فتخوفتُ أن يذهب شعرى باطلاً ، ففرّقتُ بينهما بأُمهاتهما ، فأَغضبه أن مدحتُ أبنَ عمّه . فقال له سليمانُ : بلى والله لقد هجوتَه ، وما خَفى ذلك علىّ ، ولكنّى لا أجد إليك سبيلاً ، وأَطلقه .

شعره فى حمزة وغناء معبد فيه

وقيل : قال موسى شَهوات لَمعبد : قد قلتُ فى حمزة بن عبد الله بن الزُّبير فغَنّ فيه ، حتى يكون أجزلَ لِصلتَيْنا : ففعل ذلك مَعبد .

والأبياتُ التى قالها موسى فى حَمزة هى التى فيها الغِناء ، وأُفتتح بها أبو الفَرج أخبار موسى ، وهى :

---

(١) الخلة : الحاجة والفقر .

حَمزةُ المُبْتاعُ بالمـال(١) النَّدى ... ويَرى فى بَيْعه أنْ قد غَبَنْ
فهو إنْ أعطى عَطاءً فاضـلًا ... ذا إخاء لم يُكـدِّرْه بمَنّْ
وإذا ما سَـنَةٌ مُجْحِفـةٌ ... بَرَتِ النَّاس كبَرْى(٢) بالسَّفَن
حَسَرتْ عنـه نَقيًّا عِرْضُه ... ذا بلاءٍ عنـد مُخْناها(٣) حَسَن
نُور صِدْقٍ بَيِّنٌ فى وَجهـه ... لم يدنِّس ثوبَه لونُ الدَّرَن
كنتَ للنَّـاس رَبيعاً مُغْـدِقاً ... ساقِطَ الأكناف إن راحَ أرْجَحَنّْ

شىء عن حمزة ابن عبد الله

ثم ذكر أبو الفرج بعض أخبار حَمزة هذا فقال :

كان فتًى جواداً كريماً على هَوَج وتَخليط كان فيه . وكان مُصعب بن الزُّبير والى العِراق من قِبَل أخيه عبد الله بن الزُّبير ، فتزوَّج سُكينة بنت الُحسين ابن على بن أبى طالب عليهم السلام ، وعائشةَ بنت طلحة بن عُبيد الله ، وكانتا أجملَ أهل عصرهما ، وأمهر كُلَّ واحـدة ألفَ ألفِ دِرهم . وبلغ أخاه عبدَ الله بن الزُّبير ذلك ، فغَضب عليه وقال: إنّا بَعثنا مُصعباً إلى العِراق فأغمد سيفه وسَلَّ أيْرَه . ودعا بابنـه حَمزة فولّاه البَصرة وعَزل مُصعباً . وبلغ عبدَ الملك بن مروان قولُ عبد الله فى مُصعب . فقال : ولـكنّ أبا خُبيب أغمد سيفه وأيْرَه وخَيره . فلمّا قدم حمزةُ البصرة أساء السِّيرة وخلّط تخليطاً شديداً . فوفدت إلى أبيه الوُفودُ فى أمره . وكتب إليه الأحنفُ بن قيس : إن كانت لك بالبصرة حاجةٌ فاصرف ابنك عنها وأعد إليهـا مُصعباً . ففَعل ذلك . وكانت أُم حمزة بنت مَنظور بن زَبّان ، وكان ابن الزُّبير يُحبها حُبًّا شـديداً . وسيأتى ذكرُها فى أخبـار الفرزدق الشاعر إن شاء الله .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الثنا » مكان « الندى » .
(٢) السفن : الفأس العظيمة .
(٣) مخناها ، من أخنى عليه الدهر ، إذا أهلكه .

تعقيب لابن واصل عن قتل مصعب

قلت :

ولم يزل مُصعب بعد ذلك على العراق إلى أن قدِمها عبدُ الملك بن مروان فملكها وقَتل مصعب ووضع رأسه بين يديه ، ثم سيَّر الجنود مع الحجّاج ابن يوسف إلى مكة ، فحصَر ابنَ الزُّبير بها إلى أن ظَفِر به وقتله وصَلبه مُنكَّسًا، وصفت الدُّنيا لعبد الملك بن مَروان .

انتهى الجزء الأول من القسم الأول

من كتاب تجريد الأغانى لابن واصل الحموى

يتلوه ان شاء الله

الجزء الثانى من القسم الأول

وأوله أخبار أبى العتاهية

فهرست أول
لتراجم الجزء الأول
من القسم الأول من تجريد الأغانى

صفحة

فهرست ثان

لتراجم الجزء الأول

من القسم الأول من تجريد الأغانى

تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموى

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

القسم الأول

الجزء الثانى

تحقيق

الدكتور طه حسين

و

ابراهيم الأبيارى

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة
١٣٧٤ — ١٩٥٥

أخبار أبي العتاهية

وهو إسماعيل بن القاسم بن سُوَيد بن كَيْسان ، مولى عَنَزة . وكُنيته أبو إسحاق . وأُمه أُم زَيد بنت زِياد ، مولى بنى زُهرة . وأبو العتاهية لقبٌ غَلب عليه . وفيه يقول أبو قابوس النَّصرانىّ ، وقد بَلغه أنّه فَضّل عليه العَتَّابى :

اسمه ولقبه وكنيته

قل للمُكَنِّى نفسَه ... مُتخيِّرًا بعتاهِيَهْ
والمُرسلِ الكَلِمِ القَبِيـ ... ـحِ وَعتْه أُذْنٌ واعِيه
فعليكَ لعنةُ ذى الجَلا ... لِ وأُمُّ زَيد زانيه

ومنشؤه بالكوفة . وكان فى أوّل أمره يتخنَّث ويَحمل زاملة المُخنَّثين . ثم كان يَبيع الفَخّار بالكُوفة . ثم قال الشعر ، فبَرع فيه وتقدَّم .

نشأته ومنزلته فى الشعر وشىء عنه

ويقال : أطبع الناس بشّار ، والسيِّد الحِمْيرىّ ، وأبو العتاهية . وما قَدر أَحدٌ قطُّ على جَمع شعر هؤلاء الثلاثة بأَسره لكثرته . وكان أبو العتاهية مع ذلك كثيرَ السَّقط والمَرذول ، وأكثر شعره فى الزُّهد والأمثال . ونُسب مع ذلك إلى الزَّندقة وإنكار البَعث . وكان أبخل النَّاس مع يَسارِه وكثرةِ ما جمعه من الأموال .

وقد قيل : إنّ أباه كان حجَّاماً ، وفى ذلك يقول أبو العتاهية :

أبوه وشعره فيه

أَلَا إنما التَّقْوى هو العِزُّ والكَرمْ ... وحُبُّك للدُّنيا هو الفقر[1] والنَّدَمْ
وليستْ على عبْدٍ تَقِيٍّ نَقيصةٌ ... إذا صَحَّح التقْوى وإن حاكَ أو حَجَمْ

وقد قيل : إنه كانَ يتشيَّع ويرى رأى الزَّيديّة والبَتَريّة[2] ، لا يتنقّص أحداً

عقيدته وما كان بينه وبين ثمامة فى حضرة المأمون

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « والعدم » مكان و « الندم » .

(٢) الزيدية : فرقة نسبت إلى زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، تقصر الإمامة على أولاد فاطمة ، ولا تجيز الإمامة فى غيرهم . والبترية : طائفة منهم ، أصحاب كثير الأبتر . توقفوا فى أمر عثمان ، أهو مؤمن أم كافر ، وفضلوا علياً على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا يرى الخروج على السلطان . وكان جَبَريّاً[١] . فذُكر أنه قال أبو العتاهية لثمامة بن أشرس بين يدى المأمون ، وكان كثيراً ما يعارضه فى الإجبار : أسألك عن مسألة ؟ فقال المأمون : عليك شِعْرَك . فقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى مسألته و يأمرَه بإجابتى ! فقال : أجبه إذا سألك . فقال له : أنا أقول : كُلٌّ ما فعله العِباد من خير وشرٍّ فهو من الله ، وأنت تأبى ذلك ، فمن حرّك يدى هذه ؟ وجعل أبو العتاهية يُحرِّكها . فقال له ثمامة : حرَّكها من أمه زانية . فقال : شتمنى والله يا أمير المؤمنين . فقال ثُمامة : ناقَض الماصُّ بظر أمه والله يا أمير المؤمنين ! فضحك المأمون وقال : ألم آمُرْك أن تشتغل بشعرك وتَدع ماليس من عَملك . قال ثُمامة : فلقينى بعد ذلك فقال : ما أغناك الجوابُ عن السَّفه ؟ فقلت : إنّ مِن أتمّ الكلام ما قَطع الحُجة ، وعاقَب على الإساءة ، وشَفى من الغَيظ ، وانتصر من الجاهل .

لبعضهم فيه حين أخذ نفسه بالحجامة

وقيل : إنه لما نَسك وتزهّد أخذ نفسَه بحجامة اليَتامى والفُقراء للسبيل ، وقال : إنّ غرضه بذلك التواضُع . فقال بعضُهم : ألم يكن يَبيع الجِرَار ! فقيل له : بلى . فقال : أمَا فى بَيع الجِرار من الذُّل ما يَكفيه ويَستغنى به عن الحجامة !

من وصفه وشيء عن صناعته

وقيل : كان أبو العتاهية قَضِيفاً[٢] أبيض اللّون أسود الشعر، له وَفْرة جَعْدة وهَيئة حَسنة وحَصافة ولباقة ، وكان له عَبيد من السُّودان ، ولأخيه زيد أيضاً عَبيد منهم يَعملون الخزف فى أتُّون لهم ، فإذا اجتمع منه شىء ألقوْه على أجير لهم يقال له : أبو عبّاد اليَزيدى ، كُوفىّ ، فيبيعه على يديه و يَردّ فضله إليهم .

رأى مصعب فى شعره

وحُكى عن مصعب بن عبد الله الزُّبيرى أنه قال : أبو العتاهية أشعرُ الناس . فقيل له : بأىّ شىء استحقّ ذلك عندك ؟ فقال : بقوله :

---

(١) الجبرى ، بالتحريك : المنسوب إلى الجبر ، وهو القول بأن الله يجبر العباد على الذنوب ، أى يكرههم عليها . (٢) القضيف : الدقيق العظم القليل اللحم .

تَعلّقتُ بآمـالٍ طوالٍ أىِّ آمالِ
وأقبلتُ على الدُّنيا مُلِحًّا أىَّ إقبـال
أيا هـذا تجهَّز لـ فراق الأَهل والمال
ولا بُدّ من الموتِ على حالٍ من الحال

ثم قال مُصعب : هذا كلام حَسن سَهل لا نُقصان فيه ، يَعرفه العـاقل ويُقِرّ به الجاهل .

للأصمعى فى شعره

وكان الأصمعىُّ يَستحسن قولَ أبى العتاهية :

أنت ما اُستَغْنيتَ عن صا حِبك الدّهـرَ أخـوهُ
فإذا اُحتجْت إليـــه ســـاعةً مجّك فُوه

بين الشهرزورى وسلم فى شعره

وحكى صالح الشَّهرزوريّ قال : أتيت سَلْماً الخاسر فقلت له : أنشدنى لنفسك. فقال : لا ، ولـكنْ أُنشدك لأشعر الجنّ والإنس ، لأبى العتاهية . ثم أنشدنى له :

سَـكنٌ يَبقى له سَـكَنُ ما بهـذا يُؤْذِن الزَّمَنُ
نحن فى دارٍ يُخبِّرنا ببِـلَاها ناطقٌ لَسِن
دارُ سَوْء لم يَدُمْ فَرَحٌ لاُمرىءٍ فيهـا ولا حَزَن
فى سـبيل الله أنفسُـنا كلُّنـا للموت مُرتَهن
كلُّ نفسٍ عنـد مِيتتها حظُّها من مالها الـكَفن
إنّ مال المَرء ليس له منـه إلّا ذكرُه الحَسن

رأى ابن رزين فيه

وقيل لداود بن زيد بن رَزِين : من أشعرُ أهل زماننـا ؟ فقال : أبو نُواس . فقلت : ما تقول فى أبى العتاهية ؟ قال : أبو العتاهية أشعرُ الجنّ والإنس .

له فى قوله الشعر

وقيل لأبى العتاهية : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردتُه قطُّ إلّا امتَثَل لى، فأقُول ما أُريد وأترك ما أُريد .

وكان يقول : لو شئتُ أن أجعل كلامى كُلَّه شعراً لفعلتُ .

هو و بشار وأشجع فى حضرة المهدى

وذُكر أنّ المهدىّ جَلس للشُّعراء يوماً ، وفيهم بشّار بن بُرد، وأَشجع — وكان أشجع يأخذ عن بشّار و يُعظمه — وغيرُ هذين . وكان فى القوم أبو العتاهية . قال أَشجع : فلمّا سمع بشّار بن بُرد كلامَه ، قال: يا أخا سُلَيم، أهذا ذاك الكُوفىّ الملقّب ؟ فقلت : نعم . فقال : لا جَزى اللهُ خيراً مَن جَمعنا معه ! ثم قال له المَهدى : أَنشد . فقال لى بشّار : ويحك ! و يُستنشد فيُنشد قبلنا أيضاً ! فقلت : قد ترى . فأَنشد :

أَلا ما لسيِّدتى ما لَهَـــا ... أدَلًّا فأَحمِـــل إدلالَهَـــا
و إلّا فَفِيـــمَ تجنَّت وما ... جَنيتُ سَـــقَى الله أَطلالها
أَلَا إنّ جاريةً للإما ... م قد أُسكن الحُسن[1] سِرْبالها
مَشتْ بين حُورٍ قِصارِ الخطا ... تُجـاذِب فى المَشْى أَكْفالهـا
وقد أَتعب اللهُ نَفسى بها ... وأَتعب باللَّـوم عُـــذَّالها

قال أَشجع : فقال لى بشّـار : ويحك يا أخا سُليم ! ما أدرى من أىّ أمرَيْه أعجب : أمن ضَعف شعره ، أمِمن تَشبيبه بجارية الخليفة ، يُسمعه[2] ذلك بأُذنه ! حتى أتى على قوله :

أَتتْـه الخــلافةُ مُنقـادةً ... إليـــه تُجرِّر أذيالهـــا
ولم تَكُ تَصْـــلُح إلا لَه ... ولم يَكُ يَصـــلُح إلّا لَهَـــا
ولو رامهـــا أَحـدٌ غـيرُه ... لزُلزلت الأرضُ زِلْزالهـــا
ولو لم تُطِعْـه بناتُ[3] القُلوب ... لَمــا قَبِل الله أَعمالهـــا
و إنّ الخليفةَ من بُغض « لا » ... إليـــه ليُبْغِض مَن قالهـــا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الحب » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « يسمع » .
(٣) بنات القلوب : النيات .

فقال له بشّار، وقد اهتزّ طرباً : ويحك يا أخا سُليم ! أترى الخليفةَ لم يَطِر عن فَرشه طَرباً لِمَا يأتى به هذا الكوفى !

شعره فى التوحيد وقد اتهم بالزندقة

وحكى الخليلُ بى أسد قال :

جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زَعم الناسُ أنِّى زِنْديق ، والله ما دِينى إلا التَّوحيد . فقلنا : قُل شيئاً نتحدَّثْ به عنك . فقال :

أَلَا إنّنا كُلّنا بائدُ ... وأىّ بَنى آدمٍ خالِدُ
و بَدْؤهمُ كان مِن ربّهم ... وكُلٌّ إلى ربّه عائد
فياعجباً كيف يُعْصَى الإلٰـ ... ـهُ أم كيف يَجْحده الجاحِد
وفى كُل شىءٍ له آيةٌ ... تدُلُّ على أنّه واحد

مزدوجة له

ولأبى العتاهية مُزْدوجة طويلة بديعة ، قد اشتملت على غرائب الحِكم والأمثال ، يقال إنها اشتملت على أربعة آلاف مَثل . وقد ذكرتُ جميعَ ما أورده أبو الفرج فى كتابه :

حَسْبك مما تَبْتغيه القُوتُ ... ما أكثرَ القُوتَ لمن يَموتُ
الفقرُ فيما جاوز الكَفَافَا ... مَن اتّقى الله رجا وخافَا
هى المقاديرُ فلُمْنى أو فَذَرْ ... إنْ كنتُ أخطأتُ فما أَخْطا القدَرْ
لكُل ما يُؤذِى وإن قلّ أَلَمْ ... ما أطولَ الليلَ على من لم يَنَمْ
ما انتفع المرء بمثل عَقْله ... وخيرُ ذُخر المرء حُسن فِعْله
إنّ الفَساد ضِدُّه الصلاحُ ... ورُبَّ جِدٍّ جَرّه المُزاحُ
مَن جعل النّمّامَ عيناً هلَكا ... مُبلغك الشَّرَّ كباغيه لكَا
إنّ الشَّباب والفَراغ والجِدَهْ ... مَفسدةٌ للمرء أىُّ مَفسَده
يُغْنيك عن كُلِّ قَبيحٍ تَرْكُهُ ... يرْتَهن الرَّأىَ الأصيلَ شَكُّهُ

ما عيشُ من آفتُه بقاؤُهُ نَغَّص عيشاً كلَّه[1] فناؤُهُ
يا رُبَّ مَن أسخطنا بجَهْدِهِ قد سَرَّنا اللهُ بغير حَمْدِهِ
ما تطلُع الشمسُ ولا تَغيبُ إلّا لأمرٍ شأنُه عَجيبُ
لكُل شىء مَعدنٌ[2] وجَوهرُ وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرُ
فكُل شىء لاحقٌ بجَوهرِهْ أصغرُه متَّصلٌ بأكبرِهْ
مَن لك بالمَحْض وكُلٌّ مُمتزِجْ وساوسٌ فى الصَّدر منك تَعتلجْ
ما زالت الدُّنيا لنا دارَ أذَى ممزوجةَ الصَّفْو بألوان القَذَى
الخيرُ والشرُّ بها أزواجُ لِذا نِتاجٌ ولذا نِتاجُ
مَن لك بالمَحض وليس مَحْضُ يَخبُث بعضٌ ويَطيب بَعْضُ
لكُل إنسانٍ طبيعتانِ خيرٌ وشرٌّ وهما ضِدّانِ
والخيرُ والشرُّ إذا ما عُدَّا بينهما بَوْنٌ بعيدٌ جدَّا
إنّك لو تَستنشق الشَّحِيحَا وجدتَه أنتَن شىء ريحَا
عَجِبتُ حتى غَمَّنى السُّكوتُ صِرتُ كأنّى حائرٌ مَبهوتُ
كذا قَضى اللهُ فكيف أصنعُ والصمتُ إن ضاق الكلامُ أوسعُ

هو ورجل سأله ماينقشه على خاتمه

وقيل : شاور رجلٌ أبا العتاهية فيما ينقُش على خاتمه . فقال : أنقُش عليه : « لَعنة الله على الناس » . ثم أنشد :

بَرِمتُ بالنّاس وأخلاقهم فصِرْتُ أستأنس بالوُحدَهْ
ما أكثَرَ الناسَ لعَمْرى وما أقلَّهم فى حاصل العِدَّهْ

ابن العلاء وبعض من عاب عليه صلته أبا العتاهية

وذُكر أنّ عُمر بن العلاء ، مولى عَمرو بن حُريث صاحب المهدىّ ، كان مُمدَّحاً ، فمدحه أبو العتاهية . فأمر له بسبعين ألفَ درهم . فأنكر ذلك بعضُ

---

(١) فى الديوان : « طيبا » مكان « كله » .

(٢) فى الأصل : « قدر » مكان « معدن » .

الشعراء وقال : كيف فَعَل هـذا بهذا الـكُوفى ! وأىّ شىء مقدارُ شعره ! فبلغه ذلك . فأحضر الرجلَ وقال له : والله إنّ الواحد منكم ليدُور على المَعنى فلا يُصيبه ، ويَتعاطاه فلا يُحسنه ، يُشبِّب بخمسين بيتاً ثم يمدحنا ببعضها . وهذا كأن المعانى تتجمّع له ، مدَحنى فقصّر التّشبيب وقال :

إنّى أمنتُ من الزمان ورَيْبـه ... لمّا عَلِقْتُ من الأمير حِبالا
لو يستطيع الناسُ من إجـلاله ... لَحذَوْا له حُرَّ الوُجـوه نِعالا
إنّ المطَايا تشْتَكيك لأنّها ... قَطعتْ إليك سَباسباً ورِمالا
فإذا وَرَدْن بنا وَرَدْن[1] مُخِفَّةً ... و إذا رَجعن بنا رَجعن ثِقالا

أَخذ هذا المعنى من قول نُصيب :

فعـاجُوا فأثنوا بالذى أنت أهلُه ... ولو سكتُوا أثنت عليك الحقَائِبُ

للأصمعى فى شعره

وكان الأصمعىّ يقول :

شعر أبى العتاهية مِثل كُساحة[2] المُلوك ، يَقع فيها الجوهرُ والذّهب والتُّراب والخزف والنَّوى .

شعره للرشيد فى مرضه

وقيل : حُمَّ الرشيدُ ، فصار أبو العتاهية إلى الفَضل بن الرَّبيع برُقعة فيها :

لو عَلِم الناسُ كيف أنت لهم ... ماتُوا إذا ما أَلِمْتَ أجمعُهمْ
خليفةَ الله أنت ترجَح بالنّـاس إذا ما وُزِنْت أنت وهُم
قد عَلِم الناسُ أنّ وجهك يَسْـ ... ـتَغنى إذا ما رآه مُعـدِمُهم

فأنشدها الفضلُ بن الرَّبيع للرَّشـيد . فأمر بإحضار أبى العتاهية . فما زال يُسامره و يحدِّثه إلى أن برَىء ، ووصل إليه بذلك السبب مالٌ جليل .

---

(١) مخفة : قليلة الحمل .

(٢) الكساحة : الكناسة . والذى فى بعض أصول الأغانى : « العتاهية كساحة » .

بين ابن الأعرابي وبعضهم في شعر أبي العتاهية

وذُكر أن ابن الأعرابي حدّث بهذا الحديث . فقال له رجلٌ في مجلسه : ما هذا الشِّعر بمُستحق لما قلت ! قال : ولم ؟ قال : لأنه شعر ضعيف . فقال ابن الأعرابيّ : الضعيفُ والله عقلُك لا شعر أبي العتاهية ! ألأبي العتاهية تقول : إنه ضعيف الشعر ! فوالله ما رأيتُ شاعراً قطُّ أطبعَ ولا أقدرَ على بيت شعر منه ، وما أحسب مذهبه إلا ضرباً من السِّحر . ثم أنشد له :

قطّعتُ منك حبائلَ الآمالِ ... وحططتُ عن ظَهْر المَطِيّ رِحالي

ووجدتُ بَرْد اليأس بين جوانحي ... فأرحتُ من حِلٍّ ومن تَرْحال

فالآن يا دُنيا عرفتُك فاذهبي ... يا دارَ كُل تنقُّل وزَوال

يأيها البَطِر الذي هو من غدٍ ... في قبره متمزِّق الأَوْصال

حذَف المُنى عنه المُشمِّرُ في الهُدى ... وأرى مُناك طويلةَ الأذيال

حِيَلُ ابنِ آدم في الأُمور كثيرةٌ ... والموتُ يقطع حيلةَ المُحتال

قِسْتُ السُّؤال فكان أعظمَ قيمةً ... من كُل عارفةٍ جَرت بسُؤال

فإذا ابتُليتَ ببذل وجهك سائلاً ... فابذُله للمتكرّم المِفضال

وإذا خَشيتَ تعذُّراً في بلدةٍ ... فاشدُدْ يدَيْك بعاجِل التَّرحال

واصبِرْ على غِيَرِ الزّمان فإنما ... فَرجُ الشَّدائد مثلُ حَلِّ عِقال

ثم قال للرجل : أتعرف أن أحداً يقول مثلَ هذا الشعر ؟ فقال له الرجل : يا أبا عبد الله ، جعلني الله فِداك ، إنِّي لم أردُدْ عليك ما قلتَ ، ولكن الزُهد مَذهب أبي العتاهية ، وشعره في المَديح ليس كشعره في الزُّهد . قال : أفليس الذي يقول في المديح :

وهارونُ ماء المُزن يُشفَى به الصَّدَى ... إذا ما الصَّدِى بالرِّيق غَصَّت حناجرُهْ

وأوسطُ بيت في قُريش لبَيْتُه ... وأولُ عِزٍّ في قريش وآخرُه

وزحْفٍ له تحكِي البُروقَ سُيوفُه ... وتحكي الرُّعودَ القاصفاتِ حوافرُه

إذا حَميتْ شمسُ النَّهار تَضاحكتْ ... إلى الشَّمس فيه بَيْضُه[1] ومَغافره
إذا نُكب الإسلامُ يوماً بنَكْبةٍ ... فهارونُ من بين البريةِ ثائره
ومَن ذا يفُوت الموتَ والموتُ مُدرِك ... كذا لم يَفُتْ هارونَ ضِدٌّ يُنافره

فخلص الرجلُ من شرّ ابن الأعرابي بأن قال له : القولُ كما قلتَ ، وما كنتُ سمعتُ له بمثل هذين الشعرين ، وكتبهما عنه .

بينه وبين ثمامة في البخل

وحكى ثُمامة بن أشرس قال : أنشدني أبو العتاهية :

إذا المرء لم يُعتِق من المال نفسه ... تَمَلَّكه المالُ الذى هو مالكه
ألَا إنما مالى الذى أنا مُنْفِق ... وليس لى المالُ الذى أنا تاركه
إذا كنتَ ذا مالٍ فبادرْ به الذى ... يَحقُّ وإلّا استَهلكتْه مَهالِكه

فقلت له : من أين قضيتَ بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيتَ ، أو لَبِست فأبليت ، أو تصدَّقت فأمضيت . فقلت له : أتؤمن أن هذا قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم ، وأنه الحق ؟ قال : نعم . قلت : فِلمَ تحبس عندك سبعاً وعشرين بَدْرة[2] فى دارك ، لا تأكل منها ولا تشرب ولا تُزكّى ، ولا تُقدِّمها ذُخراً ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقال : يا أبا مَعن ، والله إنّ ما قلتَ لهو الحقّ ، ولكنى أخافُ الفقرَ والحاجة إلى الناس . قلتُ : وبم تَزيد حالُ من افتقر على حالك ، وأنت دائمُ الحرص دائم الجمع ، تضَنّ على نفسك ، لا تَشترى اللحم إلّا من عيدٍ إلى عيد ! فترك جواب كلامى ثم قال : والله لقد اشتريتُ فى يوم عاشوراء لحماً وتوابِلَه وما يتبعه بخمسة دراهم . فلما قال لى هذا القول أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه ومُعاتبته ، فأمسكتُ عنه وعلمتُ أنه ليس ممّن شَرح الله صدرَه للإسلام .

(١) البيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة .
(٢) البدرة : عشرة آلاف درهم .

وحكى بعضُهم قال :

هو وسائل

وقف على أبى العتاهية سائلٌ من العيّارين(١) الظُّرفاء ، وجماعةٌ من جيرانه حوالَيْه ، فسأله مِن بين الجيران ، فقال : صَنع الله لك . فأعاد السؤال . فردّ عليه . فأَعاد عليه ثالثةً . فردّعليه مثلَ ذلك . فغَضب وقال له : ألستَ الذى تقول :

كل حَيٍّ عند مِيتته حظُّه من ماله الكَفَنُ ؟

قال : نعم . قال : فبالله عليك ، أتُريد أن تُعِدّ مالَكَ كله لثمن كفنك ؟ قال : لا . قال : فبالله كم قدّرت لكفنك ؟ قال : خمسة دنانير . قال : هى إذاً حظُّك من مالك ؟ قال : نعم . قال : فتصدَّق علىّ من غير حظّك بدِرهم واحد . قال : لو تصدَّقتُ عليك لكان حظّى . قال : فاُعمل على أنّ ديناراً من الخمسة الدنانير وَضيعة(٢) قيراط ، وادفع إلىّ قيراطاً واحداً ، وإلّا فواحدة أُخرى . قال : وما هى ؟ قال : القُبور تُحفر بثلاثة دَراهم ، فأَعطنى درهماً وأُقيم لك كفيلاً بأنى أحفر لك قبرك به متى متَّ ، وتربحَ دِرْهمين لم يكونا فى حِسابك ، فإن لم أحفر رددتُه على ورثتك ، أو ردّه كفيلى عليهم . فَخَجِل أبو العتاهية وقال : اُعْزُبْ لعنك الله وغَضب عليك ! وضَحك جميعُ مَن كان حاضراً . ومَرّ السائل يضحك . والتفت إلينا أبو العتاهية ، وقد اُغتاظ ، فقال : من أَجل هذا وأَمثاله حُرِّمت الصدقة . فقُلنا له : ومن حَرّمها ؟ ومتى حُرّمت ؟ فما رأيت أحداً قبله ولا بعده اُدّعى أنّ الصدقة حُرِّمت .

وداعه لأبى غزية

وقال أبو غَزِيّة :

كان أبو العتاهية إذا قدم المدينةَ يجلس إلىّ ، فأراد مرةً الخروج من المدينة ، فودّعنى ثم قال :

---

(١) العيار : الذى يتردد بلا عمل .

(٢) الوضيعة : الحطيطة .

إنْ نَعِش نجتمعْ و إلّا فما أَشْـ ـغلَ مَن مات عن جَميع الأنامِ

وقيل :

بينه وبين غلام لبعض التجار طالبه بمال

كان لبعض التجّار من أهل باب الطاق[١] على أبى العتاهيــة ثمنُ ثيابٍ أخذها منه، فمرّ به يوماً، فقال صاحبُ الدُّكان لغُلام ممّن كان يخدُمه حَسنِ الوجه : أَدرِك أبا العتاهية ولا تُفارقه حتى تأخُذَ منه مالنا عليه . فأدركه على رأس الجسر ، فأَخذ بعِنان حِماره ووَقفه . فقال له : ما حاجتُك يا غلام ؟ قال : أنا رسول فلان بَعثنى إليك لآخُذَ ما له عليك . فأمسك عنه أبو العتاهية ، وكان كُلُّ مَن رأى الغُلام متعلِّقاً به وقَف ينظُر ، حتى رضى أبو العتاهيــة جَمْع الناس وحَفْلهم ، ثم أنشأ يقول :

والله ربّى[٢] إنّنى لأُجِلُّ وجهك عن فِعالِكْ
لو كان وَجْهك مثــلَ فِعْـ ـلك[٣] كنتُ مُكتفياً بذلك

فخَجِل الغــلامُ ، ورَجع إلى صاحبه وقال : بعثْتَنى إلى شَـيطان ، جمع علىّ الناس وقال فىّ الشّعر حتى أخجلنى ، فهرَبتُ منه .

شعره لابن مسعدة وكان قد حجب عنـه

وذُكر أن أبا العتاهية كان يَختلف إلى عمرو بن مَسعدة ، لوُدٍّ كان بينه و بين أخيه مُجاشع ، فاستأذن عليه يوماً ، فحُجب عنــه ، فلزَم منزلَه . واستبطأه عمرو . فكتب إليه : إنّ الــكسل مَنعنى من لقائك . وكتب فى أسفل رُقعته :

كسَّلنى اليأسُ منكَ عنك فمــا أرفع طَرْفى إليك من كَسَلِ
أىّ أمرىء لم يكن أخا[٤] ثِقةٍ قطّعتُ منـــه حبـائلَ الأَملِ

(١) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقى .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ربك » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لو كان فعلك مثل وجهك » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « إنى إذا لم يكن أخى » .

وقيل : إنّه كتب إليه مَرة :

مالَكَ قد حُلت عن إخائك وٱسـ تَبْدلتَ يا عَمرُو شِيمةً كَدِرَهْ
إنّى إذا البـابُ تاه حاجبُــهُ لم يك عنـدى فى هَجْره نَظِره
لستُم تُرجَّونَ للوفاءِ [١] ولا يومَ تكون السَّماء مُنْفطره
لـكنْ لدُنيـا كالظِّل بَهْجتُهـا سريعـةُ الانقضـاء مُنْشمره
قد كان وجهى لديكَ معرفةً فاليومَ أضحى حَرْفاً من النَّـكره

هجاؤه جارية كان يهواها

وقيل :

كان أبو العتاهيـة يَهوى فى حداثته اُمرأةً نائحة من أهل الحِيرة ، لها حُسن ودَماثة ، يقال لها : سُعدى . وكان عبد الله بن معن بن زائدة الشَّيبانى ، المُكنّى بأبى الفضل ، يهواها أيضاً ، وكانت مولاةً لهم ، ثم اُتهمها أبو العتاهيـة بالنساء ، فقال فيها :

ألا يا ذَواتِ السَّحقِ فى الغَرب والشّرق أفِقْنَ فإنّ النَّيْك أشْفَى من السَّحْقِ
أفِقْنَ فإنّ الخُبز بالأُدم يُشْتَهى وليس يَسُوغ الخُبزُ بالخُبز فى الحَلْق
أرا كُنّ تَرْقعن الخُروق بمثلهـا وأىّ لبيبٍ يرقَع الخَـرْق بالخَرق
وهل يَصلُح المِهْراس [٢] إلّا بعُوده إذا اُحتِيج منـه ذاتَ يوم إلى الدَّق

هجاؤه لابن معن

وتهدَّد عبـدُ الله بن مَعن بن زائدة أبا العتاهيـة وخَوّفه ، ونهاه أن يُعرِّض لمولاته سُعدى . فقال أبو العتاهية يهجوه :

لقـد بُلِّغتُ ما قالَا فمـا باليتُ ما قا لَا
فلو كان من الأُسْـد لمـا صَـال ولا هَالا
فصُغْ من حلْية السَّيف الـذى أُلبست [٣] خَلْخالا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « للحساب » مكان « للوفاء » . (٢) المهراس : الهاون .

(٣) رواية البيت فى بعض أصول الأغانى :

فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخـالا

وبهذه الرواية أعاد ابن واصل البيت بعد قليل .

فما تَصنع بالسَّيف إذا لم تكُ قتَّالا
فلو مَدَّ إلى أُذْنَيْـه كفّيه لما نَالا
قَصيرُ الطُّول والطِّيلَـةِ (١) لا شَبَّ ولا طالا

وقال فيه يهجوه :

يا صاحبَىْ رَحْلىَ لا تُكثِرا فى شَتْم عبد الله من عَذْلِ
سُبحانَ من خَصَّ أبن معنٍ بما أرى به من قِلَّة العقل
قال أبنُ مَعْنٍ وجَلا نَفْسَه على مَنِ الجِلْوَةُ يا أَهْلى
أنا فتاةُ الحىّ من وائلٍ فى الشَّرَف الشّامخ والنُّبْل
وَيْلى ويالَهْفى على أمْردٍ يُلْصِق منّى القُرْطَ (٢) بالحِجْل
صافحْتُه يوماً على خَلْوةٍ فقال دَعْ كفِّى وخُذْ رِجْلى
أختُ بنى شَيْبان مرَّت بنا ممشوطةً كُوراً (٣) على بغْل
تُكْنَى أبا الفَضل فيامَن رأى جاريةً تُكْنى أبا الفضل
قد نقَّطت فى وجهها نُقْطةً مَخافةَ العين من الكُحل
إن زُرْتموها قال حُجَّابها نحن عن الزُّوَّار فى شُغل
مولاتُنا مشغولةٌ عندها بَعْلٌ ولا إذنَ على البَعل
يا بنتَ مَعْنِ الخير لا تجْهلى وأين تقصيرٌ (٤) عن الجهل
أتجْلِد الناسَ وأنت أمرؤٌ تُجْلَد فى دُبرك (٥) بالفَسْل
ما يَنبغى للنّاس أن يَنْسُبوا مَن كان ذا جُودٍ إلى البُخل
يَبْذُل ما يمنع أهلُ النَّدى هذا لَعمرى مُنتهى البَذْل

---

(١) الطيلة : العمر . (٢) الحجل : الخلخال . (٣) الكور : الرحل .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « إقصار » مكان « تقصير » .

(٥) الرواية فى بعض أصول الأغانى : * تجلد فى الدبر وفى القبل *
والفسل : قضبان الكرم . يورى .

ما قلتُ هــذا فيك إلّا وقد جَفَّت به الأقــلامُ من قَبلى

قيل : فاحْتال عبدُ الله بن مَعن على أبى العتاهية حتى أَخذه فى مكان فضَربه مائة سَوط ضَرباً ليس بالمُبرِّح غيظاً عليه . و إنما لم يُعنِّف به فى الضَّرب خوفاً مِن كثرة مَن يُعنى به . فقال أبو العتاهية يهجوه :

جَــلدتْنى بكفِّها بنتُ مَعن بن زائـدَهْ
جَــلدتْنى فأَوجعتْ بأَبى أنتِ[1] جالده
جَــلدتْنى وبالغتْ مائةً غـيرَ واحـدَه
أُجْلدى أُجلدى[2] أُجلدى إنمــا أنتِ والِـده

وغَضب من ذلك يزيدُ بن مَعن أخو عبـدُ الله وتوعّد أبا العتاهيــة . فقال أبو العتاهية يَهجوه ، من قصيدة أولها :

بَنَى مَعْنٌ ويَهــدمه يزيدُ كذاك الله يَفعــل ما يُريدُ
فمعنٌ كان للحُسّـاد غَيْظاً وهــذا قد يُسَرُّ به الحَسُود

وقيل : إن عبد الله بن مَعن أَحضر أبا العتاهية ودعا بغِلْمان له ، ثم أمرهم أن يَفْسقوا به . ففعلوا . ثم أَجلسه وقال : قد جازيتُك على قولك ، فهل لك بعد هذا فى الصُّلح ومعــه مَرْكبٌ وعشرة آلاف درهم ، أو تقيم على الحرب وما تَرى ؟ قال : بل الصُّلح . قال : فأَسمعنى ما تقوله فى معنى الصُّلح . فقال :

ما لعُــذّالى ومالِى أَمرونى بالضّــلال
عَذلونى فى أُغتفارِى لأُبن مَعْن واُحتمالى
إنْ يكُن ما كان منْـه فبجُرْمى وفِعـــالى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تلك » مكان « أنت » .

(٢) رواية هذا الشطر فى بعض أصول الأغانى :

* اجلدينى واجلدى *

أنا منـه كنتُ أسوا عِشرةً فى كلّ حال

قُل لمن يَعجب من حُسـ ـن رُجوعى ومَقالى

رُبّ صَفْح بعد[1] جُرم وهوًى بعد[2] تقالى

قد رأينـاك كبيراً جائزاً[3] بين الرّجال

إنمـا كانت يَمينى لطمتْ منى شِمالى

وقيل : إن عبد الله بن مَعن لما قال فيه أبو العتاهية :

فصُغ ما كنت حلّيْت به سيفَك خَلْخالاَ

فما تَصنع بالسّيف إذا لم تكُ قتّالا

قال : والله ما لبستُ سيفى قط ، فرأيتُ إنساناً يلمحنى إلّا ظننتُه يحفظ قولَ أبى العتاهية فى ذلك ، فأخجل .

تمثل الرشيد ببيت له عند رؤيته ابن معن

وكان الرشيدُ إذا رأى عبدَ الله بن مَعن تمثّل ببيت أبى العتاهية :

أُختُ بنى شَيبان مرّت بنا مَمشوطةً كُوراً[4] على بَغْلِ

بينه وبين مسلم ابن الوليد

وقيل :

اُجتمع أبو العتاهية ومُسلم بن الوليد صَريع الغَوانى ، فجرى بينهما كلامٌ . فقال له مسلم : والله لو كنتُ أرضى مثل قولك :

الحمـدُ والنِّعمةُ لكْ والمُلْك لا شَريكَ لَكْ

لبيك إنّ المُلْك لَكْ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « صد » مكان « جرم » .

(٢) التقالى : التباغض .

(٣) الرواية فى بعض أصول الأغانى :

« قد رأيناك كثيراً * جارياً »

(٤) الكور : الرحل .

لقلتُ اليوم عشرة آلاف بيت ، ولكنّى أقول :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذى رَهجٍ كأنه أجلٌ يَسعى إلى أملِ
يَنال بالرِّفق ما يَعيا الرِّجالُ به كالموتِ مُستعجلاً يأتى على مَهل
يكسو السُّيوفَ نفوسَ الناكثين به ويجعلُ الهامَ تيجانَ القَنا الذُّبُل
لله من هاشمٍ فى أرضه جَبَلٌ وأنت وأبنك رُكْنا ذلك الجَبَل

فقال أبو العتاهية : يا بن أخى ، قُل مثل قولى :

* الحمدُ والنِّعمةُ لك *

حتى أقول مثل قولك :

* كأنه أجلٌ يَسعى إلى أمل *

بينه و بين بشار

وقيل : قال بشّار لأبى العتاهية : أنا والله أستحسن أعتذارَك من دَمعك حيث تقول :

كم من صَديق لى أسا رقه البُكاءَ من الحَياء
و إذا تأمَّل لامَنى فأقول مابى من بُكاء
لكنْ ذهبتُ لأرتدى فطَرفتُ عينى بالرِّداء

فقال له أبو العتاهية : يا أبا مُعاذ ، ما لُذتُ إلا بمَعناك ، ولا أجتنيتُ إلا من غَرْسك ، حيث تقول :

شكوتُ إلى الغَوانى ما ألاقى فقلتُ لهن ما يومى بَعيدُ
فقُلْن بكيتَ قلتُ لهنّ كلاّ وقد يَبْكى من الشّوق الجَليد
ولكنِّى أصابَ سوادَ عَينى عُويدُ قَذًى له طَرَفٌ حَديد

بينه و بين الرشيد وقد وجد عليه

وذكر الفضلُ بن الرَّبيع قال :

وَجَد الرَّشيدُ ، وهو بالرّقة ، على أبى العتاهية فى شىء ، وأبو العتاهية بمدينة

السّلام . وكان أبو العتاهية يرجو أن أتكلّمَ فى أمره . فأبطأتُ عليه بذلك . فكتب إليه أبو العتاهية :

أَجفوتَنى فيمن جفانى وجعلتَ شأنَك غيرَ شانى
ولطالما أَمَّنْتَنى ممّا أرى كُلَّ الأَمان
حتى إذا انقلب الزّما نُ علىّ صرتَ مع الزّمان

فكلّمتُ الرشيدَ فيه ، فرضى عنه . وأرسلتُ إليه آمرُه بالشُّخوص وأذكر له أن أمير المُؤمنين قد رَضى عنه . فشَخص إلىّ بالرّقة . فلما دَخل إلىّ أنشدنى قولَه فيه :

قد دعوناه نائياً فوجدنا ه على نأيه قريباً سَميعاَ

فأدخلتُه إلى الرشيد . فرجَع إلى حالته الأُولى .

بينه و بين عبدالله ابن الحسن

وحَكى عبدُ الله بن الحسن قال :

جاءنى أبو العتاهية وأنا فى الديوان فجلس إلىّ ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، أما يصعُب عليك شيء من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائرُ الناس ممن يقول الشعر ، أو إلى لفظ مُستكره ؟ فقال : لا . فقلت له : إنى أحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافى السهلة . قال : فاُعرض علىّ ما شئت من القوافى الصعبة . فقلت : قُل أبياتاً على مثل « البلاغ » . فقال من ساعته :

أىُّ عيشٍ يكون أفضل من عَيْـ ـشٍ كَفافٍ قُوتٍ بِقَدْرِ البلاغِ
صاحبُ البغْى ليس يسلَم منه وعلى نَفْسِه بغَى كلُّ باغِى
رُبَّ ذى نِعمة تعرَّض منها حائلٌ بينه و بين المَساغ
أَبْلَغ الدهرُ فى مَواعظه بل زاد فيهنّ لى على الإبلاغ
غَبَنتْنى الأيامُ عقلى ومالى وشَبابى وصحّتى وفراغى

صلة الرشيد له من بين الشعراء

وقيل : أُجتمعت الشعراء بباب الرَّشيد ، فأُذن لهم فدخلوا وأَنشدوا ، وأَنشد أبو العتاهية :

يا من تَبَغَّى[1] زمناً صالحاً صلاحُ هارونَ صلاحُ الزَّمنْ
كُلُّ لسانٍ هُو فى مُلكه بالشُّكر فى إحسانه مُرْتَهن

فاهتزَّ الرشيدُ وقال : أحسنتَ والله ! وما خَرج فى ذلك اليوم أحدٌ من الشعراء بصلة غيرُه .

رثاؤه لابن ثابت

قيل :

وكان علىّ بن ثابت صديقاً لأبى العتاهية ، و بينهما مُجاوبات كثيرة فى الزُّهد والحكمة ، فتُوفِّى ابن ثابت قبله ، فقال يرثيه :

مُؤْنِسٌ كان لى هَلَكْ والسبيلُ التى سَلَكْ
يا علىّ بن ثابتٍ غَفر الله لى ولَك
كُلُّ حىٍّ مُملَّكٍ سوف يَفْنَى وما مَلَك

وحضر أبو العتاهية علىَّ بن ثابت وهو يجُود بنفسه ، فلم يزل يَلتزمه و يبكى حتى فاظ . فلما شُدَّ لَحياه بكى طو يلاً ، ثم أنشأ يقول :

يا شَرِيكى فى الخير قرَّبك اللـه فنِعمْ الشَّريكُ فى الخير كُنْتَا
قد لعَمْرى حَكَيْتَ لى غُصَص المو ت فحَرَّكْتنى لها وسَكَنْتا

ولما دُفن وقف على قبره يبكى بأحرّ بكاء و يردّد هذه الأبيات :

ألَا من لى بأُنسك يا أُخَيّا ومَن لى أن أبُثَّك ما لديّا
طوتْك خُطوبُ دهرك بعد نَشْرٍ كذاك خُطو بُه نَشراً وطَيّا

(١) تبغى : تطلب .

كفى حزناً بفقدك ثم إنّى نفضتُ تُرابَ قبرك مِن يديّا
بكيتُك يا علىّ بدمع عَينى فما أغْنى البُكاء عليك شيّا
وكانتْ فى حياتك لى عظاتٌ فأنتَ اليومَ أوعظُ منك حيّا

وهذه الكلمات أخذها أبو العتاهية من الحكماء الذى حضروا تابوت الإسكندر ذِى القَرْنين بن فيلبس لمّا مات. فقال أحدُهم : كان الملك أمسِ أهيبَ منه اليوم، وهو اليوم أوعظُ منه أمس.

وقال آخر : سكنتْ حركة الملك فى لذّاته، وقد حرّكنا اليوم بسُكونه جزعاً لفقده.

هو وفتيان قامرهم على قول الشعر

وقيل :

اجتاز أبو العتاهية فى أول أمره، وعلى ظَهره قَفصٌ فيه فخّار يدُور به بالكُوفة ويَبيع منه، بِفتْيان جُلوس يتذاكرون الشِّعر ويتناشدونه، فسلّم ووضع القفص عن ظَهره، ثم قال لهم : يا فِتيان، أراكم تتذاكرون الشِّعر وتقولونه، أفأقول شيئاً منه وتُجيزونه، فإنْ فعلتم فلكم علىّ عشرة دراهم، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ؟ فهزِئوا منه وسَخروا وقالوا : نعم، لا بُدّ أن يُشترى بأحد القَمْرين رُطبٌ يؤكل، فإنه قمْر[1] حاصل. وجعل رَهْنه على يد أحدهم[2]. ففعلوا. فقال : أجيزوا :

* ساكنِي الأجداث أنتم *

وجعل بينه وبينهم وقتاً وعلامة فى ذلك الموضع إذا بلغتْه الشمسُ ولم يُجيزوا البيتَ، وجب القَمْرُ عليهم. فلم يأتُوا بشىء. فأخذ الدراهم، وجعل يهزأ منهم وتمّمه :

. . . . مثلَنا بالأمس كنتم
ليت شِعْرى ما صَنعتُم أربِحتم أم خَسِرتم

(١) فى بعض أصول الأغانى : «القمارين . . . قمار».
(٢) فى بعض أصول الأغانى : «تحت يد أحدهم».

وهى قصيدة طويلة من شعره .

جائزة المأمون له على بيتين

وقيل :

وقعت رقعةٌ فى عسكر المأمون ، فجىء بها إلى مُجاشع بن مَسعدة ، فقال : هذا الكلامُ لأبى العتاهية ، وهو صديقى ، وليست المُخاطبة لى ولكنها للأمير الفَضل بن سَهل . فبعثوا بها إليه ، فقرأها فقال : ما أعرف هذه العلامة . فبلغ خبرُها المأمونَ ، فقال : هذه لى ، وأنا أعرف العلامةَ . والبيتان :

ما على ذا كُنّا اتفقْنا[1] بسَندا ... نَ وما هكذا عهِدْنا الإخاءَ

تَضرب الناسَ بالمُهنَّدة البِيـ ... ضِ على غَدْرهم وتَنْسى الوفاء

فبعث إليه المأمونُ بمال .

أطلقه الرشيد من الحبس لشعر سمعه له

وقيل :

حَبس الرشيدُ أبا العتاهية ليرجع إلى قول الغزل ، وكان تركه واقتصر على الزُّهديّات ، ولما لَجَّ فى امتناعه ضَربه وحَبسه ووكّل به صاحبَ خَبَرٍ يكتب إليه بكُل ما يَسمعه منه . فكتب إليه : إنه سَمعه يُنشد :

أمَا واللهِ إنّ الظُّلم لُومُ ... وما زال المسىء هو الظَّلومُ

إلى دَيّان يومِ الدِّين نَمضى ... وعند الله تجتمع الخُصوم

فبكى الرشيدُ وأمر بإحضار أبى العتاهية و إطلاقه .

إجابته لبعضهم وقد سأله عن أحسن ما قال

وقال بعضُهم :

قلتُ لأبى العتاهية : فى أىّ شعرك أنت أشعر ؟ قال : قولى :

الناسُ فى غَفلاتهمْ ... ورَحَى المَنيّة تَطْحَنُ

ما دُون دائرة الرَّدى ... حِصْنٌ لمن يَتحصَّن

(١) سندان : مدينة ملاصقة للسند . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « افترقنا بسندان » .

شعر له فى الموت أنشده المأمون

وذكر المُعلَّى بن أيوب قال :

دخلتُ على المأمون يوماً وهو مُقبل على شيخ حَسن اللِّحية خَضيب شديدِ بياض الثياب، على رأسه لاطئة[1]، فقلت للحسن بن أبى سعيد — وهو ابن خالة المُعلَّى بن أيوب ، وكان الحسن كاتبَ المأمون على العامّة — : مَن هذا ؟ فقال : أوَما تعرفه ؟ فقلت : لو عرفتُه ما سألتك عنه . قال : هذا أبو العتاهية . فسمعتُ المأمونَ يقول : أَنشدنى ما قلت فى الموتِ . فأَنشده :

أَنساكَ مَحْيـــاكَ المَماتَا | فطلبْتَ فى الدُّنيـا الثَّباتَا
أَوثِقْتَ بالدُّنيـــا وأنـْ | ـتَ ترى جَماعتهـا شَتاتا
وعزَمتَ منك على الحيـا | ةِ وطُولِهـا عَـزْماً بَتاتا
يا مَن رأى أبَوَيْه فيـ | ـمَنْ قد رأى كانا فماتا
هل فيهما لك عِـبرةٌ | أم خِلْتَ أنّ لك انفلاتا
ومَن الذى طلب التفلُّـ | ـتَ من منيّتـه ففاتا
كلٌّ تُصبِّحـه المَنيّـ | ـةُ أو تُبيِّتـه بَياتا

فلما نَهض تَبعتُه ، فقبضتُ عليه فى الصَّحن ، أو فى الدِّهليز ، فكتبتُها عنه .

أخذ عليه الرشياد معنى فى شعره فعله فأجاد فجازاه

وقيل :

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده :

ما أحسَن الدُّنيا وإقبالَها | إذا أطاع اللهَ مَنْ نالَها
مَن لم يُواسِ الناسَ فى فَضله | عَرَّض للإدبار إقبالَهـا

فقال له المأمون : ما أجودَ البيتَ الأول ! وأما الثانى فما صنعتَ فيه شيئاً ، الدُّنيا مُدبِرة عمّن واسى بها أو ضنّ منها ، وإنما تُوجب السَّماحةُ بها الأجرَ ، والضنُّ

(١) اللاطئة : قلنسوة صغيرة تلطأ بالرأس .

بها الوِزْرَ . فقال : صدقتَ يا أمير المؤمنين ، أهل الفضل أولى بالفضل ، وأهل النَّقص أولى بالنَّقص . فقال المأمون : يا ثابت ، أُدفع إليه عَشْرة آلاف درهم لاُعترافه بالحقّ . فلما كان بعد أيّام عاد فأنشده :

كم غافلٍ أُودى به الموتُ   لم يأخُذ الأُهبةَ للفَوْتِ
من لم تَزُلْ نعمتُه قبلَه   زال عن النِّعمة بالموت

فقال له المأمون : الآن أحسنت وطبَّقت[1] المعنى ، وأمر له بعشرين ألف درهم .

لم يبعث إليه المأمون على هديته فكتب إليه شعراً

وقيل :

كان أبو العتاهية يحُج فى كل سنة ، فإذا قَدم أَهدى إلى المأمون بُرداً ومِطْرفاً ومَساويكَ أراكٍ ونَعلاً سوداء ، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم . فأهدى إليه سنةً كما كان يُهدى ، فلم يَبعثْ إليه شيئاً . فكتب إليه :

خبَّرُونى أنّ مِن ضَرْب السَّنَهْ   جُدُداً بِيضاً وصُفْراً حسَنَهْ
أُحدِثتْ لكنّنى لم أَرها   مثلَ ما كنتُ أرى كلّ سنه

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف إليه . وقال : أغفلناه حتى أذكرنا .

تهنئته الهادى بمولود

وقيل :

وُلد لُموسى الهادى ولدٌ فى أول يومٍ وَلى فيه الخلافة ، فدخل عليه أبو العتاهية فأنشده :

أكثر مُوسى غيظَ حُسَّادِه   وزَيّن الأرضَ بأولادِه
وجاءنا من صُلْبه سيِّدٌ   أَصْيدُ فى تَقْطيع أجداده
واكتستِ الأرضُ به بهجةً   واستبشر الملكُ بميلاده

(١) فى بعض أصول الأغانى : « طيبت » .

وأبتسم المنبر عن فَرْحةٍ بقوم[١] صِدْقٍ فوق أعواده
كأنّنى بعد قليلٍ به بين مواليه وقُوَّاده
فى جَحْفَلٍ[٢] تخفق راياته قد طَبَّق الأرض بأجناده

فأمر له الهادى بألف دينار، وكان ساخطاً عليه لأنقطاعه إلى أخيه هارون الرشيد فى أيّام أبيهما المهدىّ، ورضى عنه.

تعقيب لابن واصل فى عهد المهدى لأولاده

قلت: كان المهدىُّ قد جَعل ولاية عهده إلى أبنه موسى الهادى، ثم بعده لأبنه هارون الرشيد. فلما مات المهدىُّ تقلّد موسى الهادى الأمر وتغيّر لأخيه هارون الرشيد وعَزم على خلعه من ولاية عهده، ونَقل ذلك إلى ولده جعفر بن الهادى. فلم تطُل أيامُه إلا سنةً وشهراً وأياماً. ثم مات الهادى وصفت الخلافةُ لهارون الرشيد وطالت أيامُه. ولم يَلِ الخلافةَ بعده إلا مَن هو مِن عَقِبه إلى يومنا هذا، ولم يُقدِّر الله للهادى إتمامَ ما نواه من الغَدْر.

أنشد المهدى فى غضبه على أبى عبيد الله

وقيل:

دخل أبو عُبيد الله على المهدىّ، وقد وَجد عليه فى أمر بلغه عنه، وأبو العتاهية حاضرُ المجلس، فجعل المهدىُّ يشتُم أبا عُبيد الله ويتغيّظ عليه، فجرَّ برجله وحُبس. ثم أطرق المهدىُّ طويلاً، فلما سكن أنشده أبو العتاهية:

أرى الدُّنيا لمن هى فى يديْه عَذاباً كُلما كثرت لدَيْه
تُهين المُكرِمين لها[٣] بصغْرٍ وتُكرم كلَّ من هانت عليه
إذا استغنيْت عن شىء فَدَعْه وخُذ ما أنت محتاجٌ إليه

فتبسّم المهدىُّ وقال لأبى العتاهية: أحسنت! فقام أبو العتاهية ثم قال: والله

(١) رواية هذا العجز فى بعض أصول الأغانى:
* علت به ذروة أعواده *
(٢) فى بعض أصول الأغانى: «فى محفل».
(٣) الصغر: الضيم والذل.

يا أمير المؤمنين ما رأيتُ أحداً أشدَّ إكراماً للدُّنيا ولا أصونَ لها ولا أَضَنَّ بها ولا أشحَّ عليها من هذا الذى جُرَّ برجله الساعةَ ، ولقد دخلتُ على أمير المؤمنين إذ دخل ، وهو أعز الناس ، فما برحتُ حتى رأيتُه أذلَّ الناس ، ولو رَضى من الدُّنيا بما يَكفيه لاستوتْ أحوالُه ولم تتفاوت . فتبسّم المهدىُّ ودعا بأبى عُبيد الله ورضى عنه . فكان أبو عُبيد الله يشكُر ذلك لأبى العتاهية .

تعقيب لابن واصل عن أبى عبيد الله وموته

قلت : كان أبو عُبيد الله وزيرَ المهدىّ فى أيام أبيه أبى جَعفر المنصور ، فلما أفضت إليه الخلافةُ غَلب عليه وصارت الأُمور كلها إليه ، ثم تغيَّرت أحوالُه عنده واُستوزر يعقوب بن داود بن طهمان ، الذى تقدّم ذكره فى أخبار هشام ، ثم غَضب عليه المهدىُّ وأَودعه المُطْبَق . فلم يزل فيه لا يُفرِّق بين الليل والنهار حتى انقضت أيّام المهدىّ وأيّام موسى الهادى وصدراً من خلافة هارون الرشيد ، فأَخرجه وأَطلقه ، فتوجّه إلى مكة فأقام بها حتى مات .

تفضيل ابن مناذر له

وحكى مَسعود بن بِشر المازنىّ قال :

لقيتُ ابنَ مُناذر بمكة فقلت له : من أشعر أهل الإسلام ؟ قال : من إذا شئتَ هَزل ، وإذا شئتَ جدّ . قلت : من ؟ قال : مثل جرير حيث يقول فى النَّسيب :

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّك غادَرُوا ... وشَلاً بعَينك لا يزال مَعِينَا
غَيَّضْن من عَبراتهنّ وقُلْن لى ... ماذا لَقِيتَ من الهَوى ولَقِينا

ثم قال حين جَدّ :

إنّ الذى حَرم المكارمَ تَغْلِباً ... جَعل النُّبوةَ والخلافةَ فينا
مُضَرٌ أبى وأبو المُلوك فهل لكم ... يا خُزْرَ[1] تَغْلِبَ من أَبٍ كأَبينا
هذا ابنُ عمِّى فى دِمَشْق خليفةٌ ... لو شئتُ ساقكُمُ إلىّ[2] قَطِينا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يا آل » مكان « يا خزر » .
(٢) القطين : الخدم والأتباع .

ومن المُحدَثين هـذا الخبيثُ الذى يتناول شـعرَه من كُمِّه . فقلت : من ؟ قال : أبو العتاهية . قلت : فبماذا ؟ قال : فى قوله :

اللهُ بينى و بين مَـــولاتى ... أبدتْ لنـا الصَّـــدَّ والملالاتِ
لا تَغفِرُ الذَّنب إن أسأتُ ولا ... تقبـــل عُذْرى ولا مُواتاتى
منحتُهـــا مُهجتى وخالصتى ... فـكان هِجْرانُهـا مُـكافاتى
أقلقنى حُبُّهـا وصَـــيَّرنى ... أُحـدوثةً فى جميع[1] حالاتى

ثم قال حين جَدّ :

ومَهْمهٍ قد قطعتُ[2] طامِسَـه ... قَفْرٍ على الهَوْل والمُحـــاماةِ
بحُـرَّةٍ جَسْرة عُـــذافرة ... خَوْصـاءَ عَـيْرانةٍ[3] عَلَنْـداة
تُبـــادر الشَّمسَ كلما طَلعتْ ... بالسَّـير تبغى بذاك مَرْضاتى
يا ناقُ خُبِّي بنا ولا تَعِـــدِى ... نفْسَـــك ممّـا ترَيْن راحات
حتى تُنـاخَىْ بنـا إلى مَلِكٍ ... توَّجَـــه الله بالمَهـــابات
عليـــه تاجان فوق مَفْرِقه ... تاجُ جَـلالٍ وتاجُ[4] إخبـات
يقُول للـرِّيح كلما عَصفتْ ... هل لكِ ياريحُ فى مُبـــاراتى
مَنْ مِثْـلُ مَنْ عَمُّه الرسولُ ومَنْ ... أخوالُه أكرَمُ الخؤولات

تمثل الفضل بشعر له

وقيل :

كانت مَرتبةُ أبي العتاهية مع مَرتبة الفضل بن الرَّبيع فى موضع واحد فى دار

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « جاراتى » مكان « حالاتى » .

(٢) الطامس : البعيد الذى لا مسلك فيه .

(٣) الحرة : الناقة العتيقة . والجسرة : العظيمة . والعذافرة : الشديدة . والخوصاء : الضيقة العينين . والعيرانة : النشيطة . والعلنداة : الطويلة .

(٤) الإخبات : الخضوع .

المأمون ، فقال الفضلُ لأبى العتاهية : يا أبا إسحاق ، ما أحسنَ بيتين لك وأصدقَهما ! قال : وما هما ؟ قال : قولُك :

ما الناسُ إلّا للكثيرِ المالِ أو ... لمُسلَّطٍ ما زال فى سُلطانه
فإذا الزمانُ رَماهما[1] بملمّةٍ ... كان الثِّقاتُ هناك من أعوانه

يعنى : من أعوان الزمان . وإنما تمثّل الفضلُ بن الرَّبيع بهذين البيتين لانحطاط مَرتبته فى دار المأمون . وكان المأمون أمر بذلك لتحبيذه العداوة له مع أخيه محمد الأمين .

تنسك فحبسه الرشيد ثم أطلقه

وحَكى محمد بن أبى العتاهية قال :

كان أبى لا يُفارق الرَّشيد فى سفر ولا حَضر إلا فى طريق الحجّ ، وكان يُجرى عليه فى كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمَعاوِن . فلما قدم الرَّشيد الرقّةَ لَبِس أَبِى الصوفَ وتزهّد وترَك حُضور المُنادمة والقولَ فى الغزل . فأمر الرشيدُ بحَبْسه ، فحُبس . فكتب إليه من مَحْبِسه :

أنا اليومَ لى والحمدُ لله أشهرُ ... يَرُوح علىّ الهمُّ منكم ويَبْكُرُ
تذَكَّرْ أمينَ الله حقِّى وحُرْمَتى ... وما كنتَ تُولينى[2] كذلك يُذكر
ليالىَ تُدنى منك بالقُرب مَجْلسى ... ووجهُك من ماء البَشاشة يَقْطُر
فمَن لىَ بالعَيْن التى كُنتَ مرةً ... إلىَّ بها ـ نَفْسى فِداؤك ـ تَنْظُر

قال : فلمّا قرأ الرشيدُ الأبياتَ قال : قُولوا له : لا بأس عليك . فكتب إليه :

أرِقْتُ وطار عن عَيْنى النُّعاسُ ... ونام الساهرون[3] ولم يُواسُوا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ببلية » مكان « بملمة » .
(٢) الرواية فى الديوان : « لعلك تذكر » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « السامرون » .

أَمِينَ الله أَمْنُكَ خيرُ[1] أمنٍ ... عليه من التُّقى فيه لِباس
تُساس من السَّماء بكُلّ برٍّ ... وأنت به تَسُوس كما تُساس
كأنّ الخلق رُكّبَ فيه رُوح ... له جَسد وأنت عليه راس
أمينَ الله إنّ الحَبْس بأسٌ ... وقد وَقَّعت[2] : ليس عليك باس

فأمر بإطلاقه .

إجازة الرشيد والفضل له

وقيل :

ورد على الرَّشيد مالٌ عظيم من جهة المَوصل ، فأَمر بصَرفه أجمع إلى بعض جَواريه ، وٱستعظم الناسُ ذلك وتحدّثوا به . فرُئى أبو العتاهية وقد أَخذه شبهُ الجنون . فقيل له : مالك ؟ ويلك ! قال : سبحان الله ! أيُدفع هذا المالُ الجليل إلى ٱمرأة ولا يتعلّق بكفّى منه شيء ! ثم دخل على الرشيد بعد أيام وأنشده :

الله هوّن عندك الدُّنيا وبَغَّضها إليكا
فأبيتَ إلّا أن تُصغِّر كلّ شيء فى يَديْكا
ما هانت الدُّنيا على ... أحد كما هانت عَليكا

فقال الفضلُ بن الرَّبيع : يا أمير المؤمنين ، ما مُدحت الخلفاء بأصدقَ من هذا المَدح . فقال : يا فضل ، أَعطه عشرين ألف درهم . فغدا أبو العتاهية على الفَضل فأَنشده :

إذا ما كنتَ متّخذاً خليلاَ ... فمثلَ الفَضل فٱتّخذ الخليلاَ
يَرى الشُّكر القليلَ له عَظيماً ... ويُعطى من مَواهبه الجَليلا
أرانى حيثما يمّمتُ طَرْفى ... وجدتُ على مكارمه دَليلا

(١) الرواية فى بعض الأصول : « أمرك خير أمر » .
(٢) فى بعض الأصول : « وقد أرسلت » .

فقال له الفضل : والله لولا أنى أكره أن أساوى أمير المؤمنين لأعطيتُك مثلَها ، ولكنّى سأُوصلها إليك فى دَفَعات . ثم أعطاه ما أَمر له به الرّشيد وزاده خمسة آلاف درهم من عنده .

حبس الرشيد له لامتناعه عن قول الغزل ثم إطلاقه إياه

وذُكر أنّ أبا العتاهية كتب إلى الرشيد لمّا حَبسه لامتناعه من قول الغَزل، وكان قد لَبِس كساءَ صُوف ودُرّاعة صُوف :

يا بْنَ عَمّ النّبىّ سمعاً وطاعَـهْ قد خَلعْنَا الكساءَ والدُّرّاعَـهْ
ورَجعنا إلى الصِّناعـة لمّا كان سُخْطُ الإمام تَرْكَ الصِّناعه

وقيل : لم يزل الرّشيدُ مُتوانياً فى إخراجه إلى أن قال :

لأَمرٍ مَا تصَرَّفتِ اللّيالى وأمرٍ ما تَقلَّبت النُّجومُ
تموت غداً وأنت قَريرُ عَيْنٍ من الغَفَلات فى لُجَج تَعُوم
تَنام ولم تَنَم عنك المَنايا تنبَّه للمنيّـة يا نَؤُوم
سَلِ الأيام عن أُمم تَقَضَّت ستُخبرك المَعالم والرُّسوم
تَروم الخُلْد فى دار المَنايا وكم قد رام قبلك[1] ما تَروم
ألا يأيُّها الملك المُرجَّى عليه نواهضُ الدُّنيا تَحوم
أَقِلْنى زَلَّةً لم أَجْرِ فيها إلى لومٍ وما مثلى مَلُوم
وخَلِّصْنى تُخَلَّص يومَ بَعْثٍ إذا للنّاسُ بُرِّزت الجَحِيم

فرقّ له وأمر بإطلاقه .

هو وابن أبى الأبيض وأبو نواس

وحكى ابنُ أبى الأَبيض قال :

أتيتُ أبا العتاهية فقلت له : إنى رجل أقول الشعر فى الزُّهد ، ولى فيه أشعار كثيرة ، وهو مَذهبٌ أرجو ألّا آثم فيه ، وقد سمعتُ شعرك فى هذا المَعنى

(١) فى بعض الأصول : « غيرك » مكان « قبلك » .

وأحببتُ أن أستزيد منه ، فأُحب أن تُنشدنى من جيّد ما قلتَ . فقال : أعلم أن أكثر ما قُلتَه ردىء . قلت : وكيف ! قال : لأن الشّعر ينبغى أن يكون مثل أشعار الفُحول المتقدّمين ، أو مثلَ شعر بشار أو ابن هرمة ، فإن لم يكن كذلك فالصّواب لقائله أن تكون ألفاظُه مالا تَخفى على جُمهور الناس مثل شعرى ، ولا سيما الأشعارُ التى فى الزُّهد ، فإنّ الزُّهد ليس من مَذاهب المُلوك ولا من مَذاهب رُواة الشعر وطُلاّب الغَريب ، وهو مَذهبٌ أشغفُ الناس به الزُّهاد وأصحابُ الحديث والفُقهاء وأصحاب الرأى[1] والعامّة ، فأعجبُ الأشياء إليهم ما فَهموه . فقلتُ : صدقتَ . ثم أنشدنى قصيدتَه التى يقول فيها :

لِدُوا للموت وابنُوا للخَرابِ ... فكلّكمُ يَصِيرُ إلى[2] ذَهابِ
ألا يا موتُ لم أر منك بُدًّا ... أتيتَ وما تَحَاف[3] وما تُحابى
كأنّك قد هَجمتَ على مَشِيبى ... كما هجم المَشيبُ على شَبابى

قال : فصرتُ إلى أبى نُواس فأعلمتُه ما دار بيننا . فقال : والله ما أحسب فى شعره[4] بعد ما أنشدك بيتاً آخر . فصرتُ إليه فأخبرتُه بقول أبى نواس . فأنشدنى قصيدتَه التى يقول فيها :

طُول التّعاشُر بين الناس مَمْلولُ ... مالأبن آدمَ إن كَشَّفت[5] مَعْقُولُ
يا راعىَ النَّفس لا تُغفلِ رعايتها ... فأنت عن كُل ماأسترعيت مَسْئول
إنّى لفى منْزلٍ ما زلتُ أعمرُه ... على يَقينٍ بأنّى عنه مَنْقول
وليس من مَوْضع يأتيه ذو نَفَسٍ ... إلّا وللموت سيفٌ فيه مَسْلول

---

(١) فى بعض الأصول : « الرياء » .

(٢) فى بعض الأصول : « تباب » ، وهو الهلاك .

(٣) فى بعض الأصول : « وما تحَابى » .

(٤) فى بعض الأصول : « مثل ما » مكان « بعد ما » .

(٥) فى بعض الأصول والديوان : « فتشت » مكان « كشفت » .

لم يُشْغَل الموتُ عنّا مُذْ أُعِـدّ لنا وكُلّنا عنـه باللّذات مَشْغول
ومن يَمُت فهو مَقْطوع ومُجْتَنَبٌ والحيُّ ما عاش مَغْشيٌّ ومَوْصول
كُلْ ما بدالك فالآجالُ فانيةٌ وكُلُّ ذِى أُكُل لابُدّ مأكول

ثم أنشدنى عِدّة قصائد، ما هى بدون هذه . فصرتُ إلى أبى نُواس فأخبرتُه. فتغيّر لونُه، وقال : لم خَبَّرته بما قلتُ ! قد والله أجاد ! ولم يقُل فيه سُوءاً .

هو والمهدى وقد ماتت له بنت

وحَكى أبو العتاهية قال :

ماتت بنتٌ للمهدىّ فَحزن عليها حُزناً شديداً حتى اُمتنع من الطعـام . فقلت أبياتاً أُعزِّيه فيها ، فوافيتُه وقد سَـلا وضَحِك وأَكل وهو يقول : لا بُدَّ من الصَّبر على مالا بُدَّ منه ، ولئن سلَوْنا عمن فقدناه ليسلُونّ عنّا من يَفْقدنا ، وما يأتى الليلُ والنهار على شىء إلا أبلياه . فلما سمعتُ هذا منه ، قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى أن أُنشدك ؟ قال : هات . فأَنشدتُه :

ما لْلجَديدَيْن لا يَبْلَى اُختلافُهما وكُلُّ غَضٍّ جـديدٍ فيهما بالِى
يا مَن سَلا عن حَبيبٍ بعد مِيتته كم بعد موتِك أيضاً من فتًى سالِى
كأنّ كُلَّ نَعيم أنت ذائقُـه من لذّة العيش يَحكى لُمْعَةَ الآلِ
لا تَلعبنَّ بك الدُّنيا وأنت ترى ما شئتَ من عِـبَرٍ فيها وأَمثال
ما حيـلةُ المَرء إلا كُلّ صالحة أو لاَ فما حيـلةٌ فيه لمُحْتال

فقال لى : أحسنت ! ويحك ! وأصبتَ ما فى نفسى ووعظتَ فأوجزت ! ثم أَمر لى لـكُل بيت بألفِ درهم .

شعر له فى سلم سمعه المأمون

وقيل :

أُنشد المأمون بيتَىْ[1] أبى العتاهية يُخاطب سَلْماً الخاسر :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بيت » بالإفراد . ولم يرد فيها غير الأول من البيتين .

تعالَى اللهُ يا سَلْمَ بنَ عمرٍو أذلَّ الحِرصُ أعناقَ الرِّجالِ
هَبِ الدُّنيا تُساق إليك جَمْعاً أليس مَصيرُ ذاك إلى زَوالِ

فقال المأمون : إنّ الحِرص لَمَفْسدةٌ للدِّين والمُروءة ، والله ما عرفتُ مِن رجلٍ قطُّ حِرْصاً ولا شَرَهاً فرأيتُ فيه مُصْطنعاً . فبلغ ذلك سَلْماً ، فقال : ويلى على المخنَّث الخرّاف الزِّنديق ! جمع الأَموال فكَنَزها ، وعبّأ[1] البِدَر فى بيته ، ثم تزهّد مُراآةً ونِفاقاً ، وأَخذ يهتف بى إذا أنا تصدَّيت للطَّلب .

هو والجماز فى حضرة قثم

وحكى بعضُهم قال :

كنت عند قُثَمَ بن جَعفر بن سُليمان ، وعنده أبو العتاهية يُنشده فى الزُّهد ، فقال : اطلُب الساعة الجمّازَ حيث كان ، ولك عندى ما شئتَ . فطلبتُه فوجدتُه عند رُكن دار جعفر بن سُليمان ، فقلت : أَجِب الأَمير . فقام حتى أَتى قُثَم ، وجلس فى ناحية مجلسه ، وأبو العتاهية يُنشده . فأنشأ الجمّاز يقول :

ما أقبَح التَّزْهيدَ من واعظٍ يُزهِّد الناسَ ولا يَزْهَدُ
لو كان فى تَزْهيده صادقاً أضحى وأَمسى بيتُه المسجد
يخاف أنْ تَنفَد أرزاقُه والرِّزق عند الله لا يَنفَد
والرِّزقُ مَقْسوم على مَن ترَى يناله الأَبيض والأَسود

فالتفت أبو العتاهية وقال : مَن هذا ؟ قالوا : هذا الجمّاز ، وهو ابن أخت سَلْم الخاسر ، اُقتصّ لخاله منك . فأقبل عليه وقال : يا بنَ أخى ! إنى لم أذهب حيث ظننتَ ولا حيثُ ظنّ خالُك ، ولا أردت أن أهتِف به ، وإنما خاطبتُه كما يُخاطب الرَّجل صديقَه ، والله يغفر لكما . ثم قام وخَرج .

(١) البدر : جمع بدرة . وهى كيس فيه ألف ، أو عشرة آلاف درهم .

أهدى الفضل نعلا فأهداها للأمين فجازاه

وقيل :

لما دخل عَوْنٌ، حاجب الفَضل بن الرَّبيع، على الفَضل، وقد عَزم على الرُّكوب إلى محمد بن زُبيدة الأمين ، فقال : هذا أبو العتاهية يُسلِّم عليك وقد قَدِم من مكة. فقال : أَعْفِنى منه ، فالساعةَ يشغلنى عن ركوبى . فخَرَج إليه عَون فقال : إنه على الرُّكوب إلى أمير المؤمنين . فأخرج من كُمه نعلاً على شِراكها كتابٌ. فأمر بقراءته ، فإذا هو :

نعلٌ بعثتُ بها لتَلْبسها ... قَدَمٌ[1] بها تَمشى إلى المَجْدِ
لو كان يَصْلُح[2] أن أُشَرِّكَها ... خَدِّى جعلتُ شِراكها خدِّى

فقال لحاجبه عَوْن : أَحْمِلها معنا . فلمَّا دخل بها على الأمين ، قال له : يا عبَّاسىّ ، ما هذه النَّعل ؟ قال : أهداها إلىّ أبو العتاهية وكَتب عليها بيتين ، وكان أمير المؤمنين أولى بلبسها لِمَا وُصف به لابسها . فقال : وما هما ؟ فقرأهما عليه . فقال : أجاد والله ! ما سَبقه إلى هذا المعنى أحد ، هَبُوا له عشرة آلاف درهم . فأُخرجت إليه فى بَدْرة وهو راكبٌ على حِماره . فقَبضها وانصرف .

شعره إلى ابن المعتمر فى حبسه

وقيل : كتب بكر بن المُعتَمِر إلى أبى العتاهية يشكو إليه ضِيق القَيْد وغَمّ الحَبْس ، فكتب إليه أبو العتاهية :

هى الأيّام والغِيَرُ ... وأَمْر الله[3] مُنْتَظَرُ
أتيأسُ أن تَرى فرجاً ... فأين اللهُ والقَدَر

هو وأعرابى مر به فى الحج

وقيل :

حَج أبو العتاهية فرأى أعرابيًّا فى ظِلّ مِيل[4] وعليه شَملةٌ ، إذا غطَّى

(١) فى بعض الأصول : « قرم » وهو السيد .
(٢) أشركها : أجعل لها شراكا .
(٣) فى بعض الأصول : « والعبر ... ينتظر » مكان « والغير .... منتظر » .
(٤) الميل : منار يبنى للمسافرين فى مرتفع من الأرض .

بها رأسه بَدتْ رجلاه ، و إذا غَطَّى بها رجلَيْه بدا رأسُه . فقال : مِن أين معاشُكم ؟ فقال : منكم معشر الحاجّ ، تمرُّون بنا فنَنال من فُضولكم ، وتَنْصرفون فيكون ذلك . فقال له : إنما نَمرُّ ونَنصرف فى وقت من السنة ، فمن أين معاشُكم فى سائر السَّنة ؟ فقال الأعرابىّ : لا أدرى ما أقول ، إلا أنّا نُرزق من حيث لا نَحْتسب أكثرَ مما نُرزق من حيث نَحتسب . فولَّى أبو العتاهية وهو يقول :

ألا يا طالبَ الدُّنيا دَعِ الدُّنيا لشانيكَ
وما تَصْنع بالدُّنيا وظِلُّ المِيل يَكْفيك

إعجابه بشعر ابن أبى أمية

وقيل :

حَضر أبو العتاهية عند جعفر بن يَحيى بن خالد بن بَرمك ، فقال لجعفر : جعلنى الله فِداكَ ! معكم شاعر يُعرف بابن أبى أُمَية ، أُحب أن أَسمعه يُنشد . فقال له جعفر : هو أقرب الناس منك . فأَقبل أبو العتاهية على محمد بن أبى أُمية ، وكان إلى جانبه ، وسأله أن يُنشده . فأَنشده لنفسه :

رُبَّ وعدٍ منك لا أَنساه لى أَوْجب الشُّكرَ و إن لم تَفعَلِ
أَقطع الدَّهرَ بوعدٍ حَسَنٍ وأُجلِّى غمرةً ما تَنْجلى
كلَّما أمّلتُ يوماً صالحاً عَرض المَكروه لى(١) فى أَملى
وأَرى الأَيّام لا تُدْنى الّذى أَرتجى منك وتُدنى أَجلى

فأَقبل أبو العتاهية يردِّد البيت الأَخير و يقبِّل رأس ابن أبى أُمية ، وقال : وَدِدْتُ واللهِ أنه لى بكثيرٍ من شِعْرى .

بنتاه وإباؤه تزويج إحداهما لابن المهدى

وقيل :

كان لأبى العتاهة بنتان ، اسم إحداهما « لله » والأُخرى « بالله » . فخَطب

(١) فى بعض الأصول : « دون الأمل » مكان « لى فى أملى » .

مَنْصور بن المهدىّ « لله » ، فلم يزوّجه ، وقال : إنما طَلَبها لأنها بِنْت أبى العتاهية ، وكأني بها قد مَلّها ، فلم يكن لى إلى الانتصاف منه سَبيل ، وما كنت أُزوِّجها إلّا ببائع خَزف وجرّار ، ولكنّى أختاره لها مُوسراً .

ابنه محمد

وكان لأبى العتاهية أبنٌ يقال له : محمد ، وكان شاعراً ، وهو القائل :

قد أفلح السالمُ الصَّمُوتُ كلامُ راعِى الكلام قُوتُ
ما كل نُطْقٍ له جوابٌ جوابُ مايُكْره السُّكوت
يا عَجباً لأمرىء ظَلومٍ مُسْتَيقِنٍ أنّه يَمُوت

استنشده ابن الحسن الكاتب

وحكى عبد الله بن الحَسن بن سَهل الكاتب قال :

قلت لأبى العتاهية : أنْشدني من شعرك ما تَستحسن . فأنشدنى :

ما أَسْرعَ الأيامَ فى الشّهرِ وأسرعَ الأشْهُرَ فى العُمْرِ
ليس لِما ليستْ له حيلةٌ موجودةٌ خيرٌ من الصَّبر
فاخْطُ مع الدّهر إذا ما خَطا وأجْرِ مع الدّهر كما يَجْرى
مَن سابَق الدّهر كَبا كَبْوَةً لم يَسْتَقِلْها آخرَ العُمر

أنشد الفضل فى البرامكة فتغير له

وذكر أبو العتاهية قال :

ما زال الفضلُ بن الرَّبيع من أَميل الناس إلىّ ، فلما رجَع من خُراسان بعد موت الرشيد دخلتُ إليه ، فاستنشدنى فأنشدته :

أفنيتَ عُمركَ إدباراً وإقبالَا تبْغى البَنين وتبْغى الأهلَ والمالَا
الموتُ هولٌ فكُن ما عِشْتَ مُلتمساً مِن هوله حيلةً إن كنتَ مُحْتالا
ألم ترَ المَلِك الأمْسِىَّ حين مَضى هل نالَ حيٌّ من الدُّنيا كما نَالا
أغناه مَن لم يزل يُغنى القُرون فقد أضحى فأَصبح عنه المُلْك قد زالا
كم مِن مُلوكٍ مَضى رَيْبُ الزّمان بهم قد أَصبحوا عِبَراً فينا وآمالا

فاستحسنها وقال : أنت تعرف شُغلى ، فعُــد إلىّ وقت فَراغى أقْعد معك وآنس بك . فلم أزل أُراقب أيامه حتى كان يومُ فراغه ، فصرتُ إليــه ، فبينا هو مُقبل علىّ يَستنشدنى فأُنشده ، و يسألنى فأُحدثه ، إذ أنشدتُه :

ولّى الشَّبابُ فما له من حيلةٍ وكسا ذُؤَابتىَ المَشيبُ خِمَــارا

أين البرامكةُ الذين عَهِدْتُهم بالأمس أعظمَ أهلهـــا أخطارا

فلما سمع ذكر البرامكة تغيَّر لونُه ورأيت الكراهية فى وجهه . فما رأيتُ منه خَيْراً بعد ذلك .

وكان أبو العتاهية يحدِّث بهذا الحديث أبا محمد بن سَهل ، فقال له : لئن كان ذلك ضرّك عند الفضل بن الرَّبيع لقد نفَعك عندنا . ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعَشرة أثواب ، وأجرى له كلّ شهر ثلاثة آلاف درهم . فلم يزل يَقْبضهــا دارَّةً حتى مات .

تعقيب لابن واصل عن الفضل بن الربيع

قلت :

وكان الفَضل بن الرَّبيع عدوًّا للبرامكه بسبب تقــدُّمهم عليه واستيلائهم على الرشيد ، وما زالَ يضرب عليهم عند الرشيد ، و يَسعى فى إفساد أمرهم . فلما أوقع بهم الرشيدُ ، وقَتــل جعفر بن يحيى ، استقلّ الفضلُ بأمر الرشيد فى آخر أيامه . ثم قام بأمر محمــد بن الأمين وأفسد بينه و بين أخيه المأمون . فلما ظهر المأمون استَخْفى الفضل ، ثم أمّنه المأمون ، وكان عنده نازلَ الرُّتبة .

مع داعية عيسى بن زيد فى السجن

وحكى أبو العتاهية قال :

حَبسنى الرشيدُ لما تركتُ قولَ الشعر ، فأُدخلت السجن وأُغلق الباب علىّ . فدَهِشت كما يَدْهش غيرى لتلك الحال ، فإذا أنا برجل جالسٍ فى جانب الحَبْس ، فجعلت أنظر إليه ساعةً وهو ينظر إلىّ ، ثم تمثّل :

تعوّدتُ مَسَّ الضُّرِّ حتى أَلِفْتُه ... وأَسلمنى حُسن العَزاء إلى الصَّبْرِ

وصيَّرنى يأسى من النـاس راجياً ... لُحسن صَنيع الله من حيث لا أَدرى

فقلت له : أَعد ، أعزّك الله ، هذين البيتين . فقال لى : و يلك يا أبا العتاهية ! ما أسوأ أدَبك ، وأقلَّ عقلك ! دخلتَ علىّ الحبس فما سلَّمت تسليم المُسْلم على المسْلم، ولا سألت مسألة الُحر للحُرّ ، ولا توجَّعت توجُّع المُبتلَى للمبتلى ، حتى إذا سمعتَ بيتين من الشّعر ، الذى لا فَضل فيك غيرُه ، لم تَصبر عن اُستعادتهما ، ولم تُقدِّم قبل مسألتك عنهما عُذْراً فى طلبهما . فقلت : يا أخى ، إنّى دَهِشْت لهذه الحال، فلا تَعْذُلنى واُعذِرنى متفضِّلاً بذلك . فقال : أنا والله أولى بالدَّهش والَحيْرة ، لأنك حُبِست فى أن تقول شعراً به ارتفعتَ و بلغت ، فإذا قلتَ أُمِّنت ، وأنا مأخوذ بأن أَدُل على اُبن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليُقتل أو أُقتل دونه ، والله لا أدُل عليه أبداً ، والساعةَ يُدْعى بى فأُقْتل ، فأيُّنا أحقُّ بالدَّهش ! فقلت : أنت والله ! سلّمك الله وكفاك ! ولو علمتُ أن هذه حالك ما سألتُك . فقال : فلا نَبخل عليك إذن . ثم أعاد البَيتين حتى حفظتُهما . قال . فسألتُه : من هو ؟ فقال : أنا داعيةُ عيسى بن زيد واُبنِه أحمد . ولم نَلْبث أن سمعنا صوتَ الأقفال . فقام فسكب عليه ماءً كان عنده فى جَرّة ، ولَبِس ثوباً نَظيفاً . ودخل الَحرسُ والُجند ومعهم الشَّمع فأخرجونا جميعاً ، وقُدِّم إلى الرشيد قَبلى ، فسأله عن أحمد ابن عيسى ، فقال : لا تسألنى عنه واُصنَع ما أنت صانع ، فلو أنه تحت ثوبى هذا ما كشفتُه عنه . فأَمر بضرب عُنقـه . ثم قال : أظنّك قد اُرْتعت بإسماعيل ؟ فقلت : دون ما رأيتُه تَسيل النُّفوس منه . فقال : ردُّوه إلى مَحْبسِه . فرُدِدْت واُنتحلت البيتين، وزدتُ فيهما :

إذا أنا لم أقبل من الدَّهر كُلَّ ما ... تكرَّهتُ منه طال عَتْبى على الدَّهْرِ

تمثل المعتصم ببيتين له

وقيل :

لما أَحسّ المُعتصم بالله أبو إسحاق بن الرَّشيد بالموت ، قال لابنه الواثق : ذهب والله أبوك يا هارون ! لله دَرُّ أبي العتاهية حيث يقول :

الموتُ بين الخلق مُشْتَرَكٌ لا سُوقةٌ يبقَى ولا مَلِكُ

ما ضَرّ أصحابُ القَليل وما أَغْنَى عن الأَملاكِ ما مَلَكوا

فضله أبو تمام بخمسة أبيات

وقيل :

قال أبو تمّام الطائي الشاعر : لأبي العتاهية خَمسة أبيات ما يَشْرَكه فيها أحد ، ولا قَدر على مثلها مُتقدِّم ولا متأخر ، وهي قولُه :

الناسُ في غَفَلاتهم ورَحَى المنيّة تَطْحَنُ

وقوله في موسى الهادي :

ولما اُستقلُّوا بأثقالهم وقد أَزمعوا بالذي أَزْمَعُوا

قَرنتُ التفاتي بآثارهم وأَتبعتُهم مُقلةً تَدْمع

وقوله لأحمد بن يوسف :

أَلم تر أَنّ الفَقْرَ يُرْجى له الغِنَى وأَنّ الغِنى يُخشى عليه من الفَقْرِ

وقوله :

هبِ الدُّنيا تَصير إليك عَفْواً أليس مَصيرُ ذاك إلى زوالِ

عزاؤه لبغدادى في أخيه

وقيل :

مات شيخ ببغداد ، فلما دُفن أَقبل الناس على أخيه يُعزُّونه . فجاء أبو العتاهية إليه و به جزع شديد ، فعزّاه ثم أنشده :

لا تأمن الدّهرَ وألْبس لكُلّ حين لباسا

لَيَدْفِنَنّا أُناسٌ كما دَفَنّا أُناسا

فانصرف الناس وما حَفِظوا غير قول أبى العتاهية .

جائزة ابن مزيد له وقد أنشده

وقيل :

قال أبو العتاهية : دخلتُ على يزيد بن مَزْيد فأنشدتُه قصيدتى التى أقول فيها :

وما ذاكَ إلا أننى واثقٌ بمـا لدَيْكَ وأنى عالمٌ بوفائِـكا
كأنك فى صَدرى إذا جئتُ زائراً تُقَـدِّر فيـه حاجتى باُبتدائكا
وإن أميرَ المُؤمنين وغـيرَه لِيَعْـلَم فى الهيجاء فضْـلَ غَنائكا
كأنَّك عنـد الـكَرِّ فى الحرْب إنما تَفِرُّ من السِّـلم الذى من وَرائكا
فما آفةُ الأملاكِ غَـيْرُكَ فى الوَغى ولا آفةُ الأموال غير حِبـائكا

قال : فأعطانى عشرة آلاف دِرْهم ودابّة بسَرجها ولجامها .

راهب يعظ بشعره

وقيل :

مرَّ عابد براهب فى صَومعة ، فقال: عِظنى . فقال : أعظك وعليكم نَزل القُرآن، ونبيُّكم محمّد صلّى الله عليه وسلّم قريب العَهد بكم ! قلت : نعم . قال : فاتّعظْ ببيت من شعر شاعركم أبى العتاهية حيث يقول :

تجرَّدْ من الدُّنيـا فإنك إنمـا وقعتَ إلى الدُّنيـا وأنت مُجَرَّدُ

بينه وبين إبراهيم ابن المهدى وقد رماه بالزندقة

وقيل :

بلغ أبا العتاهيـة أن إبراهيم بن المهدىّ رماه فى مجلسه بالزَّندقة وذكره بها ، فبَعث إليـه يُعاتبه على لسان إسحاق بن إبراهيم المَوصلى ، فأدّى إليـه إسحاق الرّسالة . فكَتب إليه إبراهيم أبياتاً منها :

إنّي رأيتُك مُظْهِـراً لزَهادةٍ تحتـاجُ منك لهـا إلى أشباهِ
ما الزُّهد من رجُل ألدَّ مُـكذب بالبعث غـير ضَـلالةٍ وسِـفاه

وأرى المَقَالة غيرَ صالحةٍ وإن | أظهرتَ سَمْتَ الصّالح الأوّاه
إن كان لُبْسُ الصُّوف حُجّتَك التى | ترجو فدَعْه فإنّنى لك ناهى
مافى يدَيْك من اللّباس إذا غوتْ | منك السّريرةُ غيرُ حَبل واهى
لا شىء يُقبَل منك إلا ما به | حَكمتْ عليك نواطقُ الأفواه
والأمر بعدُ عليك ويحك واسعٌ | ما لم تكن يالاهياً باللّاهى

شعره الذى غنى فيه الملاحون الرشيد

وقيل :

كان الرّشيد يعجبه غِناء المَلّاحين فى الزّلّالات[1] إذا ركبها ، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولَحْنهم . فقال : قُولوا لمن معنا من الشُّعراء يَعمل لهؤلاء شعراً يغنُّون فيه . فقيل له : ليس أحد أَقدرَ على هذا من أبى العتاهية ، وهو فى الحبس . فوجّه إليه الرّشيدُ : قُل شعراً حتّى أسمعه منهم . قال أبو العتاهية : ولمْ يأمر بإطلاقى ، فغاظنى ذلك وقلت : والله لأقولنّ شعراً يَحزنه ولا يَسرُّه . فعملتُ فيه شعراً ودفعتُه إلى مَن حَفظه من المَلّاحين . فلما ركب سَمِعه ، وهو :

خانك الطَّرْفُ الطَّموحُ | أيُّها القَلب الجَمُوحُ
لدَواعى الخَيْر والشَّرِّ | دُنُوٌّ ونُزُوح
هل لمَطلوب بذَنبٍ | تَوبةٌ منه نَصُوح
كيف إصلاحُ قُلوبٍ | إنّما هُنّ قُروح
أَحسنَ اللهُ بنا أنّ | الخطايا لا تفُوح
فإذا المَسْتُور منّا | بين ثَوْبيه فُضُوح
كم رأينا من عَزيزٍ | طُويت عنه الكُشوح
صاحَ منه برَحيلٍ | صائحُ الدّهر الصَّدُوح

(١) الزلالات : نوع من السفن .

موتُ بعضِ النّاسِ فى الأر ض على قـــوم فتُوح
سيَصير المـــرء يوماً جَسداً ما فيـــه رُوح
بين عينَىْ كُلِّ حيٍّ عَـــلَمُ المـــوت يلوح
كُلُّنا فى غفـــلةٍ والـ ـموتُ يغْـــدو ويرُوح
لبنى الدُّنيا من الدُّنْـ ـيا غَبوقٌ وصَـــبُوح
رُحْن فى الوَشْى وأَصبحـ ـن عليهنّ المُسُـــوح
كُلُّ نَطّاح من الدَّهـ ـر له يومٌ نَطُـــوح
نُحْ على نَفْســـك يا مِسْـ ـكينُ إن كُنت تنوح
لتموتَنَّ ولَوْ عُمِّـ ـرْتَ ما عُمِّـــر نُوح

فلما سَمعها الرشيدُ جعل يبكى و يَنتحب، وكان الرَّشيد من أغزر الناس دموعاً فى وقت المَوعظة ، وأشـدّهم عَسْفاً فى وقت الغضب والغِلْظة . فلمـا رأى الفضلُ ابن الرَّبيع كثرةَ بُكائه أوماً إلى المَلّاحين أن يَسكتوا .

شعره حين عقد الرشيد ولاية العهد لأبنائه

وقيل :

لما عَقد الرشيدُ ولايةَ العهد بعده لمحمد الأمين ، وعبـد الله المأمون ، والقاسم المؤتمن ، قال أبو العتاهية :

رحلتُ عن الرَّبْع المُحيـــل قَعودى إلى ذى زُحوفٍ [1] جَمّـــة وجُنودِ
وراعٍ يُراعى الليـــلَ فى حِفظ أُمّة يُدافع عنهـــا الشرَّ غـــيرِ رَقود
بألويةٍ جبريلُ يقـــدُم أهلَهـــا ورايات نصرٍ حـــولَه وبُنود
تَجافى عن الدُّنيـــا وأَيقن أنّهـا مُفـــارقةٌ ليست بدار خُـــلود
وشَـدَّ عُرى الإسـلام منـه بِفتْية ثلاثةِ أملاكٍ وُلاة عُهـــود

(١) زحوف : جمع زحف ، وهو الجيش .

هُمُ خـيرُ أولادٍ لهم خـيرُ والدٍ ... له خـيرُ آباءٍ مَضَت وجُـدود
بنو المُصطفى هارونَ حولَ سَريره ... فخـيرُ قيـامٍ حولَه وقُعود
تُقلِّبُ ألحاظَ المَهـابةِ بينهم ... عُيـونُ ظِباء فى قُلوب أُسـود

فوصله الرّشيد صلةً ما وصل بها شاعراً قطُّ .

تعقيب لابن واصل فى ولاة عهد الرشيد

قلت : إنّ الرّشيد جعل الأمر بعده لهؤلاء الثلاثة على التّرتيب ، وقَسم الدُّنيا بينهم ، وأَخذ عليهم المَواثيق والعُهود ألّا ينكُثوا ولا يَنقْضوا ما عَقـده . وأَنزل المأمون بخُراسان وضَمّ إليـه جُنوداً كثيرة . فلما بُويع محمد الأمين بالخلافة أَغراه الفضلُ بن الرّبيع بنقض عهد المأمون وتحويل العهد إلى اُبنه مُوسى ، ولَقبه الناطق ، وسيَّر محمد الأمين عسكراً كبيراً لقتال أخيـه المأمون ، وقَدّم عليهم علىَّ بن عيسى ابن ماهان . فسيّر المأمون للقـاء علىّ طاهَر بن الحُسين ، فقُتـل علىّ ، واحتوى طاهرٌ على عسكره . وبايعَ المأمونَ أهلُ خُراسان بالخلافة وخلعوا الأمين . فقدِم طاهرٌ العِراقَ وحاصَر الأَمين حتى ظَفِر به وقَتله وبَعث برأسه إلى المأمون ، وصفت الدُّنيا للمأمون .

طلب ملك الروم له

وقيل :

قَدم رسـولٌ لملك الرُّوم إلى الرشيد ، فسأَل عن أَبى العتاهيـة ، فلقيه أبو العتاهية. فأنشده شيئاً من شعره ، وكان يُحسن العربيّة ، فمَضى إلى بلاد الرُّوم وذَكره للملك . فكَتب ملك الرُّوم إلى الرّشيد يسأله أن يوجِّه إليه بأبى العتاهية ويأخذَ فيه رهائن مَن أراد، وألحّ فى ذلك . فكلّم الرّشيد أبا العتاهية فى هذا . فاُستعفى منـه وأباه . واُتصل بالرّشـيد أن ملك الرُّوم أمر أن يُكْتب بيتان من شعر أبى العتاهية على أبواب مجالسه وباب مدينته ، وهما :

ما اُختلف الليلُ والنّهار ولا ... دارتْ نُجوم السّماء فى الفَلَكِ
إلّا لنَقْل السُّلطان عن مَلِكٍ ... قدِ اُنقضى مُلْكه إلى مَلِكِ

بينه وبين الرشيد بعد ما أطلقه

وقيل :

إنّ الرَّشيد لما أطلق أبا العتاهية من الحَبس لَزم بيْتَه وقَطع النَّاس عنه . فذكره الرشيدُ فعُرِّف خبرُه . فقال : قُولوا له : صِرْتَ زِيرَ نِساء وحِلْس[1] بيت . فكتب إليه أبو العتاهية :

بَرِمْتُ بالنَّاس وأخلاقهم فصِرْتُ أستأنسُ بالوُحْدهْ
ما أكثرَ الناسَ لعَمْرى وما أقلَّهم فى حاصل[2] العِدّه

ثم قال : لا يَمْضى[3] شِعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مَدْح له . فقَرن هذين بأربعة أبيات مَدحه بها ، وهى :

عادَ لى من ذِكرها نَصَبُ فدُموع العَيْن تَنْسكبُ
وكذاك الحبُّ صاحبُه يَعْتريه الهمُّ والوَصَب
خيرُ ما يُرجَى ومن يَهب مَلِكٌ دانتْ له العَرب
وحقيقٌ أن يُدانَ له مَن أبوه للنبىِّ أَب

بينه وبين الرشيد وقد استوعظه

وقيل :

قال الرشيد لأبى العتاهية : عِظْنى . فقال له : أخافك . فقال : أنت آمن . فأنشده :

لا تَأْمنِ الموتَ فى طَرْفٍ ولا نَفَسٍ إذا تَستَّرْتَ بالأبواب والحَرسِ
واعلم بأن سِهام المَوت قاصدةٌ لكُلِّ مُدَّرِعٍ منَّا ومُتَّرس
ترجو النَّجاة ولا تَسلُك[4] مسالكَها إنّ السَّفينة لا تَجرى على اليَبَس

(١) حلس بيت : أى ملازمه . وهو مما يذم به الرجل .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فى منتهى » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لا ينبغى أن يمضى » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « طريقها » مكان « مسالكها » .

فبكى الرشيدُ حتى بَلَّ كُمَّه .

سئل عند الموت عما يشتهيه فأجاب

وقيل لأبى العتاهية عند الموت : ما تشتهى ؟ قال : أَشتهى أن يجىء مُخارق فيَضع فمَه على أُذنى فيُغنِّينى :

سَيُعْرَضُ عن ذكرى وتُنْسى مودَّتى ... ويَحدُث بعدى للخليل خَليلُ

إذا ما انقضتْ عنِّى من الدَّهر مُدَّتى ... فإنَّ غَناء الباكيات قليلُ

شعره فى مرضه الأخير

وقيل :

إن آخر شعر أبى العتاهية الذى قاله فى مرضه الذى مات فيه هو :

إلهى لا تُعذِّبنى فإنِّى ... مُقِرٌّ بالذى قد كان منِّى

فمالى حيلةٌ إلَّا رَجائى ... لِعَفْوك فاحطُط الأوزارَ[1] عنِّى

وكم من زَلَّةٍ لى فى الخطايا ... وأنت علىَّ ذو فَضْل ومَنِّ

إذا فكَّرتُ فى نَدمى عليها ... عَضِضْتُ أناملى وقَرَعتُ سنِّى

أُجَنُّ بزَهرة الدنيا جُنوناً ... وأَقطع طولَ عُمرى فى التمنِّى

ولو أنِّى صدقتُ الزُّهد عنها ... قلبتُ لأهلها ظَهر المِجَنّ

يظنُّ الناسُ بى خيراً وإنِّى ... لشرُّ النّاسِ إن لم تَعْفُ عنِّى

شعره الذى ندبته به ابنته

وقيل :

قال أبو العتاهية لابنته رُقيَّة فى علَّته التى مات فيها : يا بُنية ، ارْثى أباك واندُبيه بهذين البيتين . فندبتْه بقوله :

لَعِبَ البِلَى بمَعالِمِى ورُسومى ... وقُبِرتُ حيًّا تحت رَدْم هُمومِى

لَزم البِلَى جِسْمى فأوْهن قُوَّتى ... إنَّ البِلَى لمُوَكَّل بلُزومى

(١) رواية هذا الشطر فى بعض الأصول : « لعفوك إن عفوت وحسن ظنى » .

ما أمر أن يكتب به على قبره من شعره

وأمر أن يُكتب على قبره :

أُذْنَ حيٍّ تَسمَّعى ... أَسمعى ثم عِى وعِى
أنا رهنٌ بمَضْجعى ... فاحذرُوامثلَ[1] مَصْرعى
عِشْتُ[2] تِسعين حِجَّةً ... أَسْلمتْنى لَمَضْجعى
كم تَرى الحقَّ ثابتاً ... فى دِيار[2] التَّزعُزُع
ليس زادٌ سوى التُّقى ... فخُذى منه أوْ دَعِى

رثاء ابنه له

ورثاه محمد ابُنه بقوله :

رَحم اللهُ مَصْرعكْ ... برَّد الله مَضْجعكْ

أبياته التى فيها الغناء

والأبيات التى فيها الغناء، وأُفتتح بها أبو الفرج أخبارَ أبى العتاهية :

يا وَيْح قَلْبى لو أنه[3] أقْصَرْ ... ما كان عَيْش مما[4] أرى أَكْدَرْ
يا مَن عَذِيرى ممن كَلِفْتُ به ... يَشْهد قَلبى بأنه يَسْحَر
يا ربَّ يومٍ رأيتُنى مَرِحاً ... أخُوض[5] فى اللَّهو مُسبلَ المِئْزر
بين نَدامى تَحُثُّ كأسَهم ... عليهمُ كفُّ شادنٍ أحور

وقد أفرد أبو الفرج لأبى العتاهيــة أخباراً مع عُتبة صاحبته فأوردها فى موضع آخر .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فاحذرى » مكان « فاحذروا » .

(٢) الرواية فى بعض أصول الأغانى :

عشت تسعين حجة ... فى ديار التزعزع

(٣) أقصر : كف وانتهى .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « عيش كما » مكان « عيش مما » .

(٥) فى بعض الأصول : « آخذ » مكان « أخوض » .

أخبار فريدة

قال أبو الفرج :

هما أثنتان لهما صَنعة : إحداهما ، وهى الـكُبرى ، وكانت مولَّدة ، نشأت بالحجاز ثم وقعت إلى آل الرَّبيع فعُلِّمت الغناء فى دُورهم ، ثم صارت إلى البرامكة ، ثم إلى الأمين بن زُبيدة ، وماتت بعده .

الكبرى والصغرى

وأمّا الأُخرى فكانت للواثق ، ثم صارت إلى أخيه المتوكّل . وكانت من المَوْصوفات المُحْسنات ، وكانت حَسنةَ الوجه ، حادّة الفِطنة والفَهم .

حديث ابن الحارث عن قصتها مع الواثق و غيرته من المتوكل

وحكى محمدُ بن الحارث قال :

كانت لى نوبةٌ فى خِدمة الواثق فى كُل جُمعة ، إذا حضرتْ ركبتُ إلى الدار ، فإن نَشط إلى الشَّراب أقمتُ عنده ، و إن لم يَنْشط أنصرفتُ . وكان رَسْمنا ألا يحضُر أحدٌ منّا إلّا فى يوم نَوبته . فإنى لفى منزلى فى غير نَوبتى ، و إذا برُسل الخليفة قد هَجموا علىّ وقالوا : احضُر . فقلتُ : أَلخيْر؟ قالوا : خَير . قلتُ : إنّ هذا يومٌ لم يُحضرنى فيه أميرُ المؤمنين ، ولعلكم غَلِطْتم . فقالوا : الله المُستعان . قُم[1] و بادر ، فقد أُمرنا ألّا نَدَعَك تَستقرّ على الأرض . فدَخلنى فَزع شديدٌ ، وخِفْت أن يكون ساعٍ قد سَعى بى ، أو بليّةٌ قد حدثت فى رأى الخليفة علىّ . فتقدمتُ بما أردتُ وركبتُ حتى وافيتُ الدار ، فذهبتُ لأدخل على رَسْمى من حيث كنتُ أدخل ، فمُنعتُ وأُخذ بيدى الخدمُ فعَدلوا بى إلى ممرّاتٍ لا أعرفها، فزاد ذلك فى جَزعى وغمِّى . ثم لم يَزل الخدم يُسْلموننى من خادم إلى خادم حتى

---

(١) فى بعض الأصول : « لا تطل » .

أفضيتُ إلى دار مفروشة الصَّحن ، مُلْبسة الحيطان بالوَشى المَنسوج بالذّهب ، ثم أفضيتُ إلى رِواقٍ أرضُه وحيطانُه مُلْبسة بمثل ذلك ، و إذا الواثقُ فى صدره على سَريرٍ مُرصَّع بالجوهر ، وعليه ثيابٌ مَنْسوجة بالذّهب ، و إلى جانبه فريدةُ جاريته عليها مثلُ ثيابه ، فى حجرها عُود . فلما رآنى قال : جَوَّدتَ(١) والله يا محمد إلينا ! فقبّلتُ الأرضَ ثم قلتُ : يا أمير المُؤمنين ، خيراً ، قال : خيراً ، أما ترانا ! طلبتُ والله ثالثاً يُؤنسنا فلم أر أحقَّ بذلك منك ، فبحياتى بادِرْ فكُلْ شيئاً وبادرْ إلينا . فقلت : قد والله يا أمير المُؤمنين أكلتُ وشربتُ أيضاً . قال : اجلس . فجلستُ . وقال : هاتُوا لمحمّد رِطلاً فى قَدح . فأُحضرتُ ذلك . ثم اندفعتْ فريدةُ تُغنى :

أهابُكِ إجلالاً وما بكِ قُدرةٌ ... علىّ ولكنْ ملءُ نفسٍ(٢) حَبيبُها
وما هجرتْكِ النفسُ يا لَيلَ أنّها ... قَلَتْك ولا أن قَلّ منك نَصيبُها
ولكنّهم يا أحسنَ الناس أُولعوا ... بقولٍ إذا ما جئتُ : هذا حَبيبُها

فجاءتْ والله بالسِّحر ، وجعل الواثقُ يُجاذبها ، وفى خلال ذلك تُغنِّى الصوتَ بعد الصوت . وأُغنى أنا خلال غنائها . فمرّ لنا يومٌ أحسنُ ما مرّ لأحد . فإنّا لكذلك إذ رفع رجلَه فضرب بها صدر فريدة ضربةً تدحرجتْ منها من أعلى السرير إلى الأرض ، وتفتّت عودُها ، ومرّت تعدو ، وتَصيح و بَقيتُ كالمَنزوع الرُّوح ، ولم أشكّ فى أنّ عَينه وقعتْ عليها وقد نَظرت إلىّ أو نظرتُ إليها ، فأطرق ساعةً إلى الأرض مُتحيِّراً ، وأطرقتُ أتوقّع ضَرب العُنق . فإنِّى لكذلك إذ قال : يا محمد . فوثبتُ قائماً . فقال : ويحك ! أرأيتَ أعجبَ مما تهيّأ علينا ! فقلت : يا سيّدى ، الساعةَ والله تخرج رُوحى ، فعلى مَن أصابنا بعينٍ لعنةُ الله ! فما كان السبب ؟ ألذنبٍ ؟ قال : لا والله ، ولكن فكرتُ فى أن جعفراً يقعُد هذا المَقعد وتَقعد معه كما هى

(١) جودت : أسرعت .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « عين » مكان « نفس » .

قاعدة معى ، فلم أُطِقِ الصَّبر ، وخامرنى ما أخرجنى إلى ما رأيتَ . فسُرِّى عنّى وقلت : بل يقتُل الله جعفراً ويحيا أميرُ المؤمنين أبداً ، وقبّلتُ الأرض وقلت : يا سيدى ، اللهَ اللهَ ! أرْحمها ومُرْ بردِّها . فقال لبعض الخدم الوُقوفِ مَن يجىء بها . فلم يكُن بأسرعَ من أن خرجتْ وفى يدها عودُها وعليها غيرُ الثياب التى كانت عليها ، فلما رآها جَذبها إليه وعانقها . فبكتْ ، وجعل يبكى ، واُندفعتُ أنا فى البُكاء . فقالت : ما ذَنبى يا مولاى ؟ وبأى شىء اُستوجبتُ هذا ؟ فأعاد عليها ما قاله لى وهو يبكى . فقالت : سألتُك بالله يا أمير المُؤمنين إلّا ضربتَ عُنقى الساعةَ وأرحتَنى من الفِكر فى هذا ، وأرحتَ قلبك من الهمّ بى . وجعلتْ تبكى ويَبكى ، ثم مَسحا عينَيْهما ، ثم رجعتْ إلى الغناء . وأومأ إلى خدم وُقوف بشىء لا أعرفه . فمضَوْا وأحضروا أكياساً فيها عَيْنٌ ووَرِق[1] ورُزَماً فيها ثياب كثيرة . وجاء خادمٌ بدُرْجٍ ، ففتحه وأخرج منه عِقداً ما رأيتُ قطّ مثلَ جوهرٍ كان فيه ، فألبسه إيّاها ، وأُحضرتْ بَدْرة فيها عشرة آلاف دِرهم فحُلّت بين يدىّ ، وخمسةُ تُخوت فيها ثياب ، وعُدْنا إلى أمرنا وإلى أحسن ما كُنا . فلم نَزل كذلك إلى الليل ، ثم تفرّقنا ، وضَرب الدهرُ ضَرباته وتُوفّى الواثق وتقلّد المُتوكِّل الخلافةَ. فوالله إنّى لفى منزلى فى غير نَوبتى إذ هجم علىّ رسُل الخليفة ، فما أمهلونى حتى ركبتُ وصرتُ إلى الدار ، فأُدخلت والله الحجرة بعَينها ، وإذا المتوكل فى الموضع الذى كان فيه الواثقُ وعلى السّرير بعينه ، وإلى جانبه فريدةُ . فلما رآنى قال لى : ويحكَ ! أما ترَى ما أنا فيه من هذه ! أنا منذ غُدوة أُطالبها بأن تُغنّى ، فتأبى ذلك. فقلتُ : سبحان الله ! أتُخالفين سيّدك وسيّدنا وسيّد البَشر ! بحياته غنّى . فضربتْ والله ثم اُندفعت تُغنّى :

مُقيم بالمَجازةِ من قَنَوْنَى وأهلُك بالأُجَيْفر[2] فالثِّمادِ

---

(١) العين : الذهب . والورق : الفضة . (٢) المجازة : من منازل طريق مكة . وقنونى : واد من جهة مكة . والأجيفر : موضع فى بلاد قيس . والثماد : موضع فى ديار بنى تميم .

فلا تَبْعَدْ فكلُّ فتًى سيأتى   عليه الموتُ يطرُق أو يُغادِى

ثم ضربت بالعُود الأرض ورمتْ بنفسها عن السَّرير ، ثم مرّت تعدُو وتَصيح : وا سيداه ! فقال لى : ويحك ! ماهذا ؟ فقلت : لا أدرى والله يا سيّدى . قال : فما ترَى ؟ قلت : أرى والله يا سيّدى أن أنصرف وتحضُر هذه ومعها غيرُها ، فإن الأَمر يَؤُول إلى ما يُريد أميرُ المُؤمنين . قال : فانصرفْ فى حِفظ الله . فانصرفتُ ولم أَدر ما كانت القِصّة[1] .

---

(١) ساق ابن واصل بعد الحديث عن « فريدة » أخبار « ذى الطمحان القينى » وموضعها فى الجزء الحادى عشر من المطبوع . وهذا مكانها فى المخطوطات أيضاً . فآثرنا ما عليه الكثرة وأخرنا هذه الترجمة إلى مكانها .

أخبار أُميّة بن أبي الصَّلت

نسبه

وأسم أبى الصَّلت عبدُ الله بن أبى رَبيعة بن عَوْف بن عُقْدة بن عَنَزة ابن قَسِىّ ، وهو ثَقيف بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوازن . وأُمه آمنة بنت عبد شَمس ابن عَبد مناف .

شىء عن أبى الصلت

وكان أبو الصَّلت شاعراً ، وهو الذى يَمدح سيف بن ذى يَزَن بقوله :

لِيَطْلُبِ الثّأرَ أمثالُ ابن ذى يَزَنٍ ... فى البحر خَيَّمَ للأَعداء أَحوالَا

على ما يُذكر فى مَوضعه .

منزلة أمية فى الشعر وشىء عنه

وكان أُمية شاعراً مُجيداً ، لأنّه لقراءته الكُتب المُنزَّلة كان يأتى فى شعره بأشياء لا تَعرفها العربُ ، فلذلك العُلماء لا يَحتجّون بشعره . وكان قد نَظر فى الكُتب وقرأها ولبس المُسوح تعَبُّدا ، وأكثر من ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفيّة ، وحَرّم الخمر ، والْتمس الدِّين وطَمِع فى النُّبوة ، لأنه قرأ فى الكُتب أن نبيًّا يُبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكون هو ، فلما بُعث النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم قِيل له : هذا الذى كنتَ تَنتظر وتقول فيه . فَحسده عدوُّ الله وقال : إنما كنتُ أرجو أن أكونَه . فأنزل الله تعالى فيه : (واتْلُ عَلَيْهم نبأَ الّذِى آتَيْناهُ آياتنا فانْسَلَخَ مِنها) .

وأُميةُ الذى يقول :

كُلّ دين يومَ القيامة عند اللّـــهِ إلّا دينَ الحنيفةِ زُورُ

شعره فى رثاء مشركى بدر

ولما أوقع النبىُّ صلى الله عليه وسلم بالمُشركين ببدر ، وقُتل من قُتل وأُسر من أُسر ، قال عدوُّ الله أُمية يرثيهم بقصيدة ، منها :

مَنْذا ببــــدرٍ والعَقَنْــ قَل من مَرازبةٍ جَحاجِحْ[(١)]

وقد نَهى النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم عن رواية هذه القَصيدة .

ثم كان أُمية بعد وقعة بدر يحرِّض المشركين بالنبىّ صلى الله عليه وسلم .

طمعه فى النبوة

وقيل :

إن أُمية بن أبى الصلت كان خَرج فى بعض أسفاره إلى الشأم ، فمرّ بكنيسة ، وكان معه جماعةٌ من العرب وقُريش ، فقال أُمية : إن لى حاجة فى هذه الـكنيسة فانتظرونى . فدخل الـكنيسةَ فأَبطأ ، ثم رجع كاسفاً مُتغيِّراً ، فرمى بنفسه . فأقاموا عليه حتى تسرَّى عنه . ثم مضوْا وقضَوْا حوائجهم ، ثم رجعوا . فلما صاروا إلى الـكنيسة قال : انتظرونى ، ودخل أيضاً ، فأبطأ ثم خرج إليهم بأسوأ من حاله الأُولى . فقال له أبو سفيان بن حَرب : قد شَقَقت على رُفقائك . فقال : خلُّونى فإنى أرتاد لنفسى وأنظر لمَعادى ، إن هاهنا راهباً عالماً أخبرنى أنه يكون بعد عيسى ابن مَريم ستُّ رَجعات ، وقد مضتْ منهــا خَمس و بقيتْ واحدة ، فخرجتُ وأنا أطمع فى النُبوة وأخاف أن تُخطئنى ، فأصابنى ما رأيت ، فلمـا رجعتُ أتيته فقال لى : قد كانت الرَّجعــةُ ، وقد بُعث نبيٌّ العرب ، فأَيِستُ من النُّبوة ، فأصابنى ما رأيت ، إذ فاتنى ما كنت أطمع فيه .

وقيل :

خَرج أُميــة بن أبِى الصَّلت فى سَــفر فنزلُوا منزلاً ، فأَمَّ أُميةُ وجهاً وصَــعِد فى كَثيب ، فرُفعتْ له كَنيســةٌ فانتهى إليها ، فإذا شيخٌ جالس ، فقال لأُميَّــة حين رآه : إنك لَمتبوع ، فمن أين يأتيك رَئيُّك[(٢)] ؟ قال : من شِقِّى الأَيسر .

---

(١) العقنقل : كثيب رمل ببدر . ومرازبة : جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع . معرب . وجحاجح . جمع جحجح ، وهو السيد المسارع فى المكارم . والرواية فى أكثر أصول الأغانى : «ماذا» . مكان « منذا » .

(٢) الرئى : جنى ، زعمت العرب أنه كان يلهم صاحبه الكهانة والطب ويلقى عليه الشعر .

قال : فأى الثّياب أحبّ إليه أن يأتيك فيها ؟ قال : السّواد . قال : كِدْتَ والله تكون نبىّ العرب ، ولستَ هو ، هذا خاطرٌ من الجنّ وليس بمَلَك ، فإن نبىّ العرب صاحبَ هذا الإمر يأتيه من شِقّه الأيمن ، وأَحبّ الثياب إليه أن يلقاه فيها البَياض .

وأتى أُميةُ أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، عَمِى الخبرُ ، فهل أحسستَ شيئاً ؟ قال : لا . قال : قد وجدتُه يخرُج العامَ .

زعمه فى شاة ثغت

وذُكر أن أُمية بن أبى الصَّلت كان جالساً ومعه قومٌ ، فمرّت بهم غنمٌ [١] فثغَت ، شاة . فقال لقوم : هل تَدرون ما قالت الشاة ؟ قالوا : لا . قال : إنها قالت لسَخلتها : مُرِّى لا يجىء الذِّئب فيأكلك كما أكل أُختك عام أول فى هذا الموضع . فقام بعضُ القوم إلى الرَّاعى فقال : أخبرنا عن هذه الشاة التى ثَغت ، ألها سَخلة ؟ قال : نعم ، هذه سَخلتها . قالوا : فكان لها عامَ أول سَخلة ؟ قال : نعم ، وأكلها الذّئب فى هذا الموضع .

حديث توقيه من عظاية

وقيل :

خَرج رَكْب من ثقيف إلى الشأم ، وفيهم أُمية بن أبى الصَّلت ، فلما قَفلوا راجعين نَزلوا منزلاً ليتعشَّوا ، إذ قد أقبلت عَظَاية [٢] حتى دنتْ منهم ، فحَصبها بعضُهم بشىء فى وجهها فرجعت ، وكَفتُوا سُفْرتهم [٣] ، ثم قاموا يَرحلون مُمْسين . فطلعت عليهم عَجوز من وراء كَثيب مُقابل لهم تتوكّأ على عصا ، فقالت : مامنعكم أن تُطعموا رَحيمة ، الجارية اليتيمة ، التى جاءتكم عُتَيمة [٤] ؟ فقالوا : وما أنت ؟ قالت : أنا أُم العوّام ، إمْت [٥] منذ أعوام ؛ أما وربِّ العباد ، لتفترقُنّ فى البلاد .

---

(١) ثغت : صاحت وصوتت . (٢) العظاية : دويبة ملساء تشبه سام أبرص .

(٣) كفتوا : ضموا . والسفرة : ما يبسط تحت الخوان من جلد أو غيره .

(٤) عتيمة ، تصغير : عتمة ، وهى ثلث الليل الأول . والذى فى أكثر أصول الأغانى : « عشية » . (٥) آمت المرأة : فقدت زوجها .

وضَربت بعصاها الأرض ثم قالت : أَطيلى إيابهم ، ونَفِّرى رِكابهم. فوثبت الإبلُ كأن على ذِرْوة كل بعير شيطاناً ، فلم يُملَك منها شيء حتى افترقت فى الوادى . فجمعناها آخر النّهار ومن غدٍ فلم نكد. فلمـا أنخناها لنَرْحلها طلعت علينا العَجوز بعصاها وقالت كقولها بالأمس. ففعلت الإبل كفِعْلها بالأمس . فلم نجمعها إلّا الغدَ عشيًّا ، فلما أَنخناها لنَرْحلها أقبلت العجوز فقالت كقولها فى اليومين ، وتفرّقت الإبل. فقلت لأُمية : أين ما كنتَ تُخبرنا عن نفسك ؟ فقال: اذهبوا أنتم فى طلب الإبل ودَعوني . فتوجّه إلى الـكثيب الذى كانت العجوز تأتي منـه حتى عَلاه ، وهَبط منه إلى وادٍ فيه كنيسةٌ وقَناديل ، و إذا رجل مُضطجع مُعترض على بابها ، و إذا آخر أبيضُ الرأس واللِّحية ، فلما رأى أُمية قال : إنك لَمتبوع ، فمن أين يأتى صاحبُك ؟ وجرى بينهما فى ذلك ما تقـدّم ذِكْره[1] . ثم قال : ما حاجتُك ؟ فحدّثه بحديث العجوز . فقال : صدقتْ وليست بصادقة ، هى امرأة يهوديّة من الجِنّ هَلك زوجُها منـذ أعوام ، و إنها لا تزال تَصنع بكم ذلك حتّى تُهلكـكم إن استطاعتْ . فقال أُميـة : وما الحيلةُ ؟ قال : أَجمعوا ظَهْركم[2] ، فإذا جاءتْـكم ففعلت كما كانت تفعل ، فقُولوا : سبعٌ من فوق وسبعٌ من أسفل ، باسمك اللّهم . فلن تَضُرّكم . فرجع أُميـةُ إليهم وقد جمعوا الظَّهر . فلما أقبلت العجوز . قال لها ما أمر به الشيخ ، فلم تضُرهم . فلمـا رأت الإبلَ لم تتحرّك ، قالت : قـد عرفتُ صاحبَكم ، ليَبْيَضَنّ أعلاه ، وليَسْودنّ أسفلُه . فأَصبح أُمية وقد بَرِصَ فى عِذَارَيْه واسودَّ أسفلُه . فلما قَدِموا مكة ذكروا لهم الحديثَ . فـكان ذلك أولَ ما كتب أهلُ مكة « باسمك اللهم » .

حديث شق صدره

وقيل :

دَخل أُمية بن أبى الصّلت على أُخته ، وهى تُهيىء أدَماً لها ، فنام على سرير

(١) انظر (ص ٤٩٩) من هذا الجزء . (٢) الظهر : ما يحمل عليه من الإبل .

فى ناحية البيت، فأُنشقّ جانبٌ من السقف، فإذا بطائرَيْن، فوقع أحدُهما على صدره فشقّه وأَخرج قلبه ، ووقف الآخر مكانَه . فقال الطائر الواقف للطائر الذى على صدره : أَوَعى ؟ قال : وَعَى . قال : أَقَبِلَ ؟ قال : أَبَى . فردّ الطائرُ قلبه فى موضعه ثم نَهض . فأَتبعه أمية طَرْفَه وقال :

لبّيكما لبّيكما ها أنذا لدَيْكما

لا بَرِىءٌ فأَعتذر ، ولا ذو عَشيرة فأنتصر . فرجع الطائر فوقع على صَدره فشقّه، ثم أَخرج قلبه فشقّه . فقال الأَعلى : أَوَعَى ؟ قال : وَعَى . قال : أَقَبِل؟ قال : أَبَى. فنهَض. فأَتبعهما أُمية طَرفه وقال :

لبّيكما لبّيكما ها أنذا لدَيْكما

مَحفوف بالنّعم ، مَحفوظ من الرِّيب . فرجع الطائر فوقع على صَدره فشقّه . فقال الأعلى : أَوعى ؟ قال : وَعى . قال : أَقَبِل؟ قال : أَبَى . ونهَض. فأَتبعهما أُميَّة طَرفَه فقال :

لبّيكما لبّيكما ها أنذا لدَيْكما

إن تَغفر اللهم تَغفر جَمَّا وأىُّ عبدٍ لك لا أَلَمَّا[1]

قالت أُخته: ثم أُنطبق السقفُ وجلس أُمية يَمسح صدرَه . فقلتُ : يا أخى ، هل تجد شيئاً ؟ قال : لا ، ولكنِّى أَجد حرًّا فى صدرى . ثم أنشأ يقول :

ليتنى كنتُ قبل ما قَدْ بدا لِى فى رُءوس الجِبال أَرْعى الوُعولَا

اْجْعلِ الموتَ[2] بين عَيْنيك وأُحْذَرْ غَولةَ الدَّهْر إن للدّهر غُولا

وروى أُبن عبّاس أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صدّق أُمية فى قوله :

---

(١) ألم : وقع فى اللمم ، وهو صغار الذنوب .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « نصب » مكان « بين » .

رَجلٌ وثور[١] تحت رِجْل يَمينه والنَّسر للأُخرى وليثٌ مُرْصَدُ

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : صدَق .

النبي صلى الله عليه وسلم حين أنشد من شعره

وقيل :

أَنشد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قول أُمية بن أَبى الصَّلت :

الحمدُ لله مُمسانا ومُصْبَحنا بالخير صَبَّحنا ربِّى ومسَّانَا

ربُّ الحَنيفة لم[٢] تَنفد خزائنُها مَملوءةً طبَّق الآفاق سُلطانا

أَلَا نَبىٌّ لنا منّا فيُخبرَنا ما بعد غايتنا من رأس مَحْيانا

بينا يُرَبِّبنا آباؤنا هَلكوا و بينما نَقْتنى الأَولادَ أفنانا

وقد علمنا لو اُنّ العِلْم ينفعنا أنْ سوف يَلْحق أُولانا بأُخرانا

فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : إن كاد أمية ليُسلم .

شعره يعتب على ابن له

وقيل :

إن أُمية بن أَبى الصَّلت عَتب على ابنٍ له ، فقال :

غَذوتُك مولوداً وعُلْتُك يافِعًا تُعَلُّ بما أَجنى عليك[٣] وتَنْهَلُ

إذا ليلةٌ نابتْك بالشَّكْو لم أَبتْ لشَكْواك إلّا ساهراً أَتململ

كأنِّى أنا المَطروق دونك بالّذى طُرِقت به دونى فعينىَ تَهْمُل

تَخافُ الرَّدى نَفْسى عليك وإنَّها لَتعْلم أنّ الموتَ حَتْمٌ[٤] مؤجَّل

فلما بلغتَ السنَّ والغايةَ التى إليها مَدى ما كنتُ منك أُؤمِّل

جعلتَ جَزائى غِلْظةً وفَظاظةً كأنك أنت المُنْعِم المُتفضِّل

وسَمَّيتنى[٥] باسم المُفنَّد رأيُه وقلت ولم تصدُق أناسك أَفضل

(١) فى التجريد : « أسد ونسر » .

(٢) فى التجريد : « لم يفتت خواتمها » مكان : « لم تنفد خزائنها » .

(٣) أجنى ، عليك ، أى أكسب لك . (٤) فى التجريد : « وقت » مكان « حتم » .

(٥) لم تذكر أصول الأغانى هذا البيت والبيتين بعده .

فليتَك إذ لم تَرْع حقَّ أُبوتى ... كما يَفعل الجارُ المجاور تَفْعل
تَراه مُعــدًّا للخِـلاف كأنه ... برَغْمى على رَيْب الزَّمان موكَّل

حديث موته

وقيل :

إنه لما بُعث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أخذ أُميــة بن أبى الصَّلت ابنيه وهَرب بهما إلى اليمن ، ثم عاد إلى الطائف . فبينا هو يَشرب مع إخوانٍ له فى قَصر غَيلان[1] بالطائف إذ سَقط غُراب على شُرفة القَصر ، فنَعب نَعبةً ، فقال أمية : بفيك الـكَثْـكث — وهو التراب — فقال أصحابُه : ما يقول ؟ قال : إنه يقول : إذا شربتَ الـكاس التى بيــدك متَّ . فقلت له : بفيك الـكَثكث . ثم نَعب نَعبة أُخرى . فقال أُميــة نحو ذلك . فقال أصحــابُه : ما يقول ؟ قال : زَعم أنّه يقع على هذه المَزبلة أسفلَ القصر فيستثير عظماً فيَبتلعه فيموت ، فقلت له نحو ذلك . فوقع الغُراب أسفل القصر فأثار العظم فابتلعه وشَجِى به فمات . فانكسر أُميــة ووضع الـكأس من يده وتغيَّر لونُه . فقال له أصحــابُه : ما أكثر ما سمعنا مثل هذا وكان باطلاً ، وألحّوا عليه حتى شرب الـكأس . فمال فى شِقٍّ وأُغمى عليــه ، ثم أفاق فقال : لا برىءٌ فأعتذر ، ولا قوىٌّ فأنتصر . ثم خرجت نفسُه .

(١) هو غيلان بن سلمة بن معتب ، أعجب به كسرى حين وفد عليه فبنى له هذا القصر .

أخبار حسّان

نسبه

هو حسَّان بن ثابت بن المُنذر بن حَرام بن عمرو بن زَيد مَناةَ بن عدىّ بن عَمرو ابن مالك بن النجَّار . وهو تَيم الله بن ثَعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثَعلبة ، وهو العَنقاء — و إنما سُمى العَنقاء لطُول عُنقه — ابن عمرو ، وهو مُزَيقياء ، ابن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغِطريف بن أمرىء القيس البِطْريق بن ثعلبة البُهلول بن مازن بن الأَزد ، وهو دِرء[1] — وقيل : دِراء ، ممدود — بن الغَوث ابن نَبْت بن مالك بن زَيد بن كهلان بن سَبأ بن يشجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

و بنو عمرو بن عدىّ بن النجّار يُسَمّون بنى مَعالة . ومَعالة أُمهم ، وهى أمرأة من القَيْن ، و إليها كانوا يُنسبون . وأُم حسّان بن ثابت الفُريعة بنت خالد بن قيس بن لَوذَان بن عبد وُدّ بن زَيد بن ثَعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كَعْب ابن الخزرج .

وكان أسم النَّجار تيمَ اللات ، فجعله رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم « تيم الله » لئلا يكون فى أنساب الأنصار « تيم اللات » .

فحل من المعمرين

وحسَّان بن ثابت فَحل من فُحول الشُّعراء . وقد قيل : إنه أشعر أهل المَدر ، وكان من المعمَّرين ، عُمِّر مائةً وعشرين سنة ، ستِّين فى الجاهلية وستِّين فى الإسلام .

عمره

ورُوى عن حسّان بن ثابت قال : إنِّى لغُلام يَفَع أبن سَبع سنين أو ثمان ،

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ذرئ » بالذال . تصحيف .

إذا يهودىّ بيَثْرب يصرُخ ذات ليلة : يا معشر يهود . فلمّا أُجتمعوا قالوا : و يلك ! مالك ؟ قال : طَلَع نَجم أَحمد الذى وُلد به فى هذه اللَّيلة . وأدركه ولم يُؤمن به . وهذا يدلّ أنه عُمِّر فى الجاهلية ستين سنة ، لأنه ذَكر أنه أَدرك ليلة وُلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله يومئذ ثمانى سنين ، والنبىّ صلى الله عليه وسلم بُعث وله أربعون سنة، فأقام بمكة ثلاثَ عشرة سنة، وقدم المدينةَ ولحسّان يومئذ، على ما ذَكر، ستّون سنة ، أو إحدى وستون سنة . وحينئذ أسلم .

خضابه

وكان يَخضب شار به وعَنْفقته(١) بالحِنَّاء ، ولا يَخْضب سائر لحيته .

فضله على الشعراء

وكان يُفَضَّل حسّان على الشُّعراء بثلاث : كان شاعرَ الأنصار فى الجاهليّة ، وشاعر رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فى النُّبوّة ، وشاعر اليمن كُلها فى الإسلام .

استشهاده بأبى هريرة

وقيل :

جاء حسَّان إلى نَفر منهم أبو هُريرة رضى الله عنه ، فقال: أَنشُدك الله! أَسمعتَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول : أجِبْ عنِّى . ثم قال : اللّهم أيِّده برُوح القُدس ؟ فقال أبو هريرة : اللهم نَعم .

من الثلاثة الذين عارضوا شعراء قريش

وقيل :

كان يهجو رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم ثلاثةُ رَهْط من قُريش : عبدُ الله ابن الزِّبَعْرى ، وأبو سُفيان بن الحارث بن عبد المُطلب ، وعمرو بن العاص . فقال قائل لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : اهْجِ عنّا القوم الذين هَجَونا . فقال علىّ رضى الله عنه . إنْ أَذن لى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم فَعلتُ . فقال رجل : يا رسول الله ، إيذن لعلىّ كيما يَهجو عنّا هؤلاء القومَ الذين هَجَونا . فقال : ليس هناك ، أو ليس عنده ذاك . ثم قال للأنصار : ما يمنَع الذين نَصروا رسولَ الله

---

(١) العنفقة : شعرات بين الشفة السفلى والذقن .

بسلاحهم أن ينصُروه بألسنتهم ؟ فقال حسّان بن ثابت : أنا لها، وأخذ بطَرف لسانه وقال : والله ما يسُرّنى به مِقْوَلٌ من بُصْرى وصَنْعاء . فقال : كيف تهْجوهم وأنا منهم ؟ فقال : إنى أسُلّك منهم كما تُسَلّ الشّعرة من العَجين . فكان يهجوهم ثلاثةٌ من الأنصار : حسّان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رَواحة . فكان حسّان وكعب يُعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ، ويعيّرانهم بالمَثالب . وكان عبد الله بن رَواحة يعيّرهم بالكُفر ، ويُعلم أنّه ليس فيهم شرٌّ من الكُفر . وكان فى ذلك الزمان أشدُّ القول على الكُفار قولَ حسان بن ثابت، وأهونُ القول عليهم قولَ ابن رواحة . فلما أسلموا وتفقّهوا فى الإسلام كان أشدّ القول عليهم قول ابن رَواحة .

استئذانه النبى صلى الله عليه وسلم فى هجائه أبا سفيان

وقيل :

قام حسّان بن ثابت فقال : يا رسول الله ، إيذن لى فيه — يعنى أبا سُفيان ابن الحارث — وأخرج لساناً أسود ، وقال : يا رسول الله ، لو شئتُ لفَريتُ به المَزاد[1] ، إيذن لى فيه . فقال: اذهب إلى أبى بكر ليحدّثك بحديث القوم وأيامهم وأحسابهم ، ثم اهْجُهم وجبريلُ معك . فأتى أبا بكر رضى الله عنه فأعلمه بما قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . فقال : كُفّ عن فُلانَة واذكر فلانة . فقال حسّان:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاء

فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى ... لعِرض محمّد منكم وِقاء

أتهجُوه ولستَ له بكُفء ... فشرُّكما لخيركما الفِداء

وقيل :

لمّا أُنشدت قُريش شعر حسّان بن ثابت قالت : إن هذا الشّتم ما غاب عنه ابنُ أبى قُحافة .

(١) المزاد : جمع مزادة ، وهى التى يحمل فيها الماء .

وذُكر أنّ عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه فى أيّام خلافته نَهى الناس أن يُنشدوا شيئاً من مُناقضة الأنصار ومُشركى قُريش ، وقال : فى ذلك شَتم للحىّ والميت وتَجديدُ الضغائن ، وقد هدَم الله أمر الجاهليّة بما جاء من الإسلام . فقدم المدينةَ عبدُ الله بن الزِّبعرى السَّهمى ، وضِرار بن الخطّاب الفِهرى ثم المُحاربىّ ، فنزلَا على أحمد بن جَحش وقالا : نُحب أن تُرسل إلى حسّان بن ثابت حتى يأتيكَ فنُنشده ويُنشدنا ماقُلناه وما قاله . فأرسل إليه فجاء . فقال : يا أبا الوليد ، هذان أخَواكَ : أبن الزِّبعرى ، وضرار ، وقد أحبّا أن يُسْمعاكَ وتُسمعهما ما قالا لك وقلت لهما . فقال ابنُ الزِّبعرى ، وضِرار : نعم يا أبا الوليد ، إنّ شعركَ كان يُحتمل فى الإسلام ولا يُحتمل شعرنا ، وقد أحببنا أن نُسمعك وتُسمعنا . فقال حسان : أفتبدآن أم أبدأ ؟ قالا : نبدأ نحن . قال : أنشِدا . فأنشداه حتى فار فصار كالمِرجل غضباً ، ثم استويا على راحلتَيهما يُريدان مكة . فخرج حسّان حتى دَخل على عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه فقَصّ عليه قصّتهما وقصته . فقال له عُمر : لن يَذْهبا عنك بشىء إن شاء الله ، وأرسل من يرُدّهما ، وقال له عمر : إن لم تُدركهما إلا بمكة فارددْهما علىّ . وخرجا ، فلما كان بالرَّوْحاء[1] رَجع ضِرار إلى صاحبه وقال له : يابن الزِّبعرى ، أنا أعرف عُمر وذَبَّه عن الإسلام وأهله ، وأعرف حسّان وقلّة صبره على ما فعلنا به . وكأنّى به قد جاءه وشكا إليه ما فعلنا ، فأرسل فى آثارنا وقال لرسوله : إن لم تَلْحقهما إلا بمكة فاُرددهما علىّ ، فاُرْبَح بنا ترك العَناء وأَقِم بنا فى مكاننا هـذا ، فإن كان الذى ظننتُ فالرُّجوع من الرَّوحاء أسهلُ منه من أبعدَ منها ، وإن أخطأ ظنّى فذلك الذى نُحب ونحن من وراء المُضىّ . فقال ابنُ الزِّبعرى : نِعْم ما رأيتَ . فأقاما بالرَّوحاء ، فما كان إلا كمَرّ طائر حتى وافاهما رسولُ عُمر بن الخطّاب ، فرَجعا إليه[2] . فدعا لهما بحسّان ، وعُمر فى جماعة من

---

(١) الروحاء : موضع بين مكة والمدينة على نحو ثلاثين ميلا من المدينة .

(٢) فى بعض الأصول : « فردها إليه » .

أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال لحسان : أَنْشدها ما قلتَ لها . فأَنشدها حتى فَرَغ ممّا قال لها . فقال عمر : أفرغت ؟ قال : نعم . قال : أَنْشداك فى الخلاء وأنشدتَهما فى الملأ . وقال لهما عمر : إن شئتُما فأَقيما و إن شئتُما فانصرفا . وقال لمن حَضره من الأنصار : إنّى قد نهيتُكم أن تَذْكروا ممّا كان بين المُسلمين والمُشركين شيئاً دفعاً للتضاغُن عنكم ، و بَثِّ القَبيح فيما بينكم . فأمّا إذ أَبَوْا فاكتُبوه واُحفظوه . فدوّنوا ذلك عنهم[1] .

من هجائه لأبى سفيان بن الحارث

وممّا قاله حسانُ فى أبى سُفيان بن الحارث يهجوه :

و إن سناء[2] المَجد من آلِ هاشِمٍ بنو بِنْتِ مَخزومٍ[3] ووالدُك العَبْدُ

ومن ولدتْ أبناءُ زُهْـرة منهمُ كرامٌ ولم يبلُغ عجـائزَك[4] المجدُ

و إنْ آمرأً كانت سُمَيّةُ[5] أُمَّه وسَمْراءُ[6] مغلوبٌ إذا بلغ الجَهْد

وأنت هَجينٌ[7] نِيطَ فى آل هاشمٍ كما نِيطَ خلفَ الرَّاكبِ القَدَحُ الفَرْد

فقال العبّاس رضى الله : مالى أنا وحسّان ! يعنى فى ذِكْره نُتيلة[8] أمه . فقال حسّان فيها :

ولَسْتَ كعبّاس ولا كابن أُمِّه ولكنْ هَجينٌ ليس يُورَى له زَنْدُ

---

(١) فى بعض الأصول : « عندهم » . (٢) فى أصول الأغانى : « سنام » .

(٣) بنت مخزوم ، هى فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وهى أم عبد الله ، أبى النبى صلى الله عليه وسلم ، والزبير ، وأبى طالب ، أبناء عبد المطلب . و« والدك العبد » : يريد به : الحارث ابن عبد المطلب ، وهو ابن أبى سفيان المهجو ، وكانت أمه أم ولد .

(٤) يمدح آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم ، وهالة أم حمزة ، وصفية ، وكلتاهما زهرية . و« لم يلحق عجائزك المجد » يهجو أبا سفيان بأن أمهاته لسن أحراراً ، فأم أبى سفيان أم ولد ، وأم أبيه كذلك أم ولد .

(٥) سمية : هى أم الحارث بن عبد المطلب . والذى فى الأصل : « نتيلة » تحريف .

(٦) سمراء : أم أبى سفيان . (٧) الهجين : من أبوه عربى وأمه ليست عربية .

(٨) هى نتيلة بنت كليب بن مالك بن جناب ، أم العباس وضرار ، ابنى عبد المطلب .

حداؤه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل :

قال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ليلةً وهو فى سَفر : أين حسّان بن ثابت ؟ فقال حسان : لبَّيك يا رسولَ الله وسَعْديك . قال : أُحْدُ . فجعل يُنْشد ويُصْغى إليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ويَستمع ، فما زال يَسمع إليه وهو سائقٌ راحلَته حتى كاد رأسُ راحلته يَمسّ الوَرِكَ ، حتى فرَغ من نَشيده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَهَذا أشدُّ عليهم من وَقْع النَّبْل .

مجاوبته شاعر وفد تميم

وقيل :

لمّا قَدِم على النبىّ صلى الله عليه وسلم وفدُ بنى تَميم ، وهم سَبعون رجلاً ، منهم الأقرعُ بن حابس ، والزِّبْرقان بن بَدر ، وعُطارِد بن حاجب ، وقيس أبن عاصم ، وعَمرو بن الأهتم ، وانطلق معهم عُيَينة بن حِصْن ، فقدِموا المدينةَ فدخلوا المسجد، فوقَفوا عند الحُجُرات، نادَوْا بصوتٍ عالٍ جافٍ : أُخرُج يا محمد ، فقد جئنا لنُفاخرَك ، وجئنا بشاعرنا وخَطيبنا . فخرج إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فجلس . فقام الأقرعُ بن حابس فقال : والله إن مَدحى لزَيْن ، وإن ذَمِّى لشَيْن . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ذلك الله . فقالوا : إنّا لأَكرمُ العرب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكرمُ منكم يوسُف بن يعقوب أبن إسحاق بن إبراهيم . فقالوا : إيذَن لشاعرنا وخطيبنا . فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجَلس معه الناسُ . فقام عُطارد بن حاجب فقال : الحمد لله الذى له الفضلُ علينا بهدايته ، الذى جَعلنا مُلوكاً وجعلنا أعزَّ أهل الشَّرق[1] ، وأتانا أموالاً عظاماً نفعل فيها المَعروف ، وليس فى الدُّنيا مثلُنا ، أوَ لسنا برُءوس الناس وذَوى فَضْلهم ! فمن فاخرنا فَلْيعُدَّ علينا مثلَ ما عَدَدْناه ، ولو نشاء لأَكثرنا، ولكنّا نستحى من الإكثار فيما خَوّلنا الله وأَعطانا . أقول قولى هذا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « المشرق » .

فَأْتُوا بقولٍ أفضلَ من قولنا ، أو أمرٍ أَبْين من أمْرنا . ثم جلس . فقام ثابت ابن شَمّاس فقال : الحمد لله الذى السمواتُ والأرض خَلْقُه ، قَضى فيهن أمرَه ، ووَسِع كُرسيَّه علْمُه ، ولا يَقْضى شيئاً إلا من فَضله وقُدرته ، وكان من قُدرته أن اصطفى لنا رسولاً أكرمهم حَسَباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأحسنَهم رأياً . وأنزل عليه كتاباً ، وائتمنه على خَلْقه ، وكان خِيرةَ الله من العالَمين . ثم دعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الإيمان ، فأجابه من قومه وذَوى رَحمه المُهاجرون : أكرمُ الناس أنساباً ، وأصبحُ الناس وجُوهاً ، وأفضل الناسُ أفعالاً . ثم كان أول من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب واستجاب له نحن مَعْشَر الأَنصار . فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نُقاتل الناسَ حتى يؤمنوا أو يقولُوا : لا إله إلا الله . فمن آمن بالله ورسوله مَنع منّا مالَه ودمَه ، ومَن كفر جاهَدْناه فى الله وكان جهادُه علينا يسيراً . أقول قولى هذا وأستغفر الله للمُؤمنين والمؤمنات . فقام الزِّبرقان فقال :

نحن المُلوكُ فلا شيء[1] يقارِبُنــا ... منّا المُلوك وفينا يُؤْخَذ[2] الرُّبُعُ

ونَنْحر الكُومَ[3] عُبْطًا فى منازلنا ... للنّازلين إذا ما استَطْعموا شَبِعوا

ونحن نُطْعِم عند القَحْط ما أكلوا ... من العَبيط إذا لم يَظهر[4] القَزَع

تلك المكارمُ حُزْناها مُقارَعةً ... إذا الكرامُ على أمثالها اقترعوا

كم قدقَسَرْنا[5] من الأحياء كلِّهم ... عنــد النِّهاب وفضــل العزِّ يتبع

وتُبصر الناسَ تأتينا[6] سَراتُهم ... فى كُلِّ أمرٍ فنَمْضى ثم نُتَّبــع

---

(١) فى الأغانى : « قلاص ».

(٢) كان من عادة العرب فى الجاهلية أن يأخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصاً دون أصحابه .

(٣) الكوم : جمع أكوم ، وهو البعير الضخم . والأنثى : كوماء . والعبط ، بضمتين ، وقد تسكن عينه : جمع عبيطة ، وهى الناقة تنحر عن غير داء .

(٤) القزع : السحاب . يشير إلى إطعامهم أيام المحل .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « نشدنا » . (٦) رواية أصول الأغانى :

* وننصر الناس تأتينا سراتهم *

فأرسل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم إلى حسّان بن ثابت فجاء ، فأمره أن يُجيبه . فقال حسّان :

إنّ الذّوائب من فِهْر وإخوتهم قد بَيّنوا سُنّةً للناس تُتّبَعُ

يَرْضَى بها كُلُّ مَن كانت سريرتُه تَقْوى الإله وبالأمر الذى شَرَعوا

قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهمُ أو حاولوا النَّفعَ فى أشياعهم نفعوا

سجيةٌ تلك فيهم غيرُ مُحدثةٍ إنّ الخلائق فاعْلم شرُّها البِدَع

لا يَرْقَع الناسُ ما أوهت أكفُّهم عند الدِّفاع ولا يُوهون ما رَقعوا

إنْ كان فى النَّاس سبَّاقون بعدهمُ فكلُّ سَبْقٍ لأدْنى سَبْقهم تبَع

أعفَّةٌ ذُكرتْ فى الوَحْى عِفَّتُهم لا يَطْبعون[1] ولا يُزْرِى بهم طبَع

ولا يَضَنُّون عن جارٍ بفَضْلهمُ ولا يَمسُّهمُ من مَطْمَعٍ طَمع

يَسْمُون للحَرْب تَبْدُو وهى كالحةٌ إذا الزَّعانفُ[2] من أظفارها خَشَعوا

لا يَفْرحون إذا نالُوا عدوَّهمُ وإن أُصيبُوا فلا خُورٌ ولا جُزُع

كأنّهم فى الوَغَى والموتُ مُكْتَنع أُسُودُ بِيشَةَ فى أرْساغها[3] فَدَع

خُذ منهمُ ما أتَوْا عفواً وما[4] غضبُوا فلا يكُن هَمُّكَ الأمرَ الذى مَنعوا

فإنّ فى حَرْبهم فاتْرُكْ عَداوتهم سُمّاً عليه يُخاض الصَّابُ[5] والسَّلَع

أكْرِم بقَوْمٍ رسولُ الله قائدهم إذا تفرّقت الأهواءُ والشِّيَع

أهْدَى لهمْ مِدَحى قَلْبٌ يُؤازِره فيما أراد لسانٌ حاذِقٌ[6] صَنَع

---

(١) لايطبعون ، أى لا يأتون مايدنسهم و يعيبهم و يشينهم . والطبع : الدنس والعيب والشين .

(٢) الزعانف : أرذال الناس .

(٣) مكتنع : قريب . و بيشة : من أعمال مكة مما يلى اليمن ، كثيرة الأسد . والفدع : اعوجاج فى الرسغ .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « خذ منهم ما أتى عفواً وإن » .

(٥) يخاض : يخلط . والصاب والسلع : من الأشجار المرة .

(٦) فى بعض أصول الأغانى : « حائك » .

وإنّهم[١] أفضلُ الأحيـاء كُلهمُ إنْ جدَّ بالنّاس جِدُّ القول[٢] أو شَمَعوا

فقام عُطارد بن حاجب فقال :

أتيناكَ كيما يَعلَمَ النـاسُ فضلَنا إذا اجتمعوا وقت احتضـار المَواسِمِ
بأنّا فُروعُ النّاسِ فى كُلِّ موطنٍ وأنْ لَيْسَ فى أرض الحجاز[٣] كدَارِمِ

فقام حسّان فقال :

مَنَعْنا رسولَ الله من غَضَبٍ له على أنفِ راضٍ من مَعَـدٍّ وراغِمِ
هل المجدُ إلا السُّودَدُ الفَرْدُ[٤] والنَّدَى وجاهُ[٥] الملوكِ واحتمال العظائم

فقال الأقرع بن حابس : والله إنّ هـذا الرّجلَ لمُؤَتَّى له[٦] ، والله لشاعره أشعرُ من شاعرنا ، ولخَطيبه أخطبُ من خَطيبنا . فنزل قولُه تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . ثم إنّ القوم أسلموا وأقاموا عند النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يتعلّمون القُرآن ويتفقّهون فى الدِّين ، ثم أرادوا الخُروج إلى بُيوتهم ، فأعطاهم رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وكَساهم وقال : أما بَقِي منكم أحدٌ ؟ وكان عَمرو بن الأهتم فى رِكابهم . فقال قيسُ بن عاصم ، وكان من رَهْطه وكان مُشاحناً له : لم يبْق إلا غُلام حديثُ السِّن فى ركابنـا . فأعطاه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلّم مثل ما أعطاهم . فبلغ عمرواً ما قال قَيسٌ . فقال عمرو لقيس :

ظَلِلْتَ مُفْـتَرِشَ الهَلْبـاء[٧] تَشْتُمنى عنـد الرّسول فلم تَصْدُق ولم تُصِبِ

(١) فى الديوان : « فإنهم » .
(٢) شمعوا : مزحوا .
(٣) دارم : أبوحى من تميم .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « العود » وهو القديم .
(٥) فى الأصل : « وجار » .
(٦) مؤتى له : ميسر له مسهل .
(٧) الهلباء : الاست .

إنْ تُبغضونا فإنَّ الرُّوم أَصْلُكمُ والرُّوم لا تملِك البَغْضاءَ للعَرَبِ
فإنَّ سُؤْدَدَنا عَوْدٌ وسُؤْددكم مُؤخَّر عند أصل العَجْبِ[1] والذَّنب

ما كان بين جهجاه وفتية من الأنصار وشعر حسان

وذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا غزا بنى المُصْطلِق[2] من خُزاعة، كان فى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلٌ من بنى غِفار يقال له: جهْجاه، فخرج بفَرسٍ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفرسٍ له يومئذٍ يَسقيهما، فأوردها الماء، فوَجد على الماء فِتْيةً من الأنصار، فتنازَعوا عليه فاقْتتلوا، فقال عبدُ الله ابن أُبىّ بن سَلُول المُنافق: هذا ما جَزَوْنا به، آوَيناهم ثم هم يُقاتلونا!

قلت: وفى هذه الوَقعة يقول عبد الله بن أُبىّ ـ لعنه الله ـ: (لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) . و بلغ ذلك رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فأشار عمر بن الخطّاب رضى الله عنه على رسول الله صلّى الله عليه وسلم بضَرْب عُنُق عبد الله، فأبى ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم.

قال أبو الفَرَج:

و بلغ حَسّانَ بن ثابت الذى جرى بين جَهجاه والفِتيَـة من الأنصار فغضب وقال، وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قَدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومنهم صَفْوانُ بن مُعطِّل السُّلَمى:

أَمسى الجَلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا وابْنُ الفُرَيعـة أمسى بيضةَ[3] البَـلدِ

(١) العجب: أصل الذنب.
(٢) اسمه جذيمة بن سعد. ولقب المصطلق لحسن صوته.
(٣) الجلابيب: سفلة الناس. وكان المنافقون يسمون المهاجرين: الجلابيب. وابن الفريعة، هو حسان بن ثابت. وبيضة البلد، كما يراد بها المدح يراد بها الذم. فعلى الأولى فالمراد بها بيضة الظليم لأنه يحضنها و يقيها وفيها فرخه. وعلى الثانى، فالمراد بها البيضة المنبوذة بالعراء التى لا حائط لها. وقيل: إذا كانت النسبة إلى مثل المدينة ومكة فبيضة البلد مدح، وإذا نسب إلى بلد أهلها على ضعة، فهو على الذم.

يَرْمُونَ بالقَول سِرًّا فى مُهادنةٍ تَهَدُّدًا لِى كأنّى لستُ من أَحَد
قد ثَكِلتْ أُمُّه مَن كنتُ صاحِبَه أو كانَ مُنْتشباً فى بُرْثُن الأَسَد
ما للْقتيلِ الذى أَسْمُو فأَقْتُلُه مِن دِيةٍ فيه أُعطيها ولا قَوَد
ما البحرُ حين تَهُبُّ الرِّيحُ شامِيةً فَيَغْطئِلّ ويَرْمِى العَبْرُ[1] بالزَّبَد
يوماً بأَبلغ[2] منِّى حين تُبصرنى أَفْرِى من الغَيْظ فَرْىَ العارض البَرِد
أَمَّا قُرَيشٌ فإنّى لستُ تاركَهم حتى يُنيبوا من الغَيَّاتِ للرَّشَد
ويَتْرُكوا اللّاتَ والعُزّى بمَعْزِلَة ويَسْجُدوا كُلُّهم للواحدِ الصَّمَد
ويَشْهدوا أنَّ ما قال الرسولُ لَهم حقٌّ ويُوفُوا بعَهدِ الله فى[3] سَدَد
أَبْلغ بَنِىَّ بأنِّى قد تركتُ لهم مِن خَيْر ما يَتْرُكُ الآباءُ للوَلَد
الدارُ واسطةٌ والنَّخْل شارعةٌ والبِيضُ يَرْفُلن فى القَسِّىِّ[4] كالبَرَد

فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا حسّان ، نَفِسْتَ علىّ إسلامَ قَومى ! وأَغضبه كلامُه .

وحسّان أحدُ أهل الإفْك الذين رَمَوا عائشة رضى الله عنها .

تعقيب لابن واصل عن الإفك

قلت : كانت قِصة الإفك فى هذه الغَزاة ، وكانت عائشة رضى الله عنها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيها ، وكان قد وقع عِقْدٌ لها فذَهبت تطلُبه ، فرحل الجيش وحَملها الذى عليه هودجُها وظَنَّ أنها فيه . فلما وجدت العِقْد جاءت تطلُب هودجَها فوجدته قد ذَهب ، ووجدها صَفوان بن المُعطِّل السُّلمى ، فأَناخ لها جَمله وأدار وجهه عنها حتى ركبتْه ولحق بها الجيشَ . فقال أهلُ الإفك ما قالوا من

(١) يغطئل : يركب بعضه بعضا . والعبر : الساحل .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بأغلب »
(٣) السدد : القصد .
(٤) القسى : ثياب من كتان مخلوط بحرير ، منسوبة إلى قرية كانت على ساحل البحر قريبة من تنيس ، بمصر .

الإفك . والذى تولّى كِبْره منهم عبدُ الله بن أُبَىّ . فأنزل الله سبحانه براءتها من السماء بآياتٍ من القرآن ، وهى (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ) الآيات . فغَضب صَفوانُ لِما قَذفه به حسّان ، ولهذه الأبيات .

غضب الرسول على حسان ثم رضاؤه عنه

قال أبو الفَرج :

فعَدا[1] صفوانُ بن المُعطِّل على حسّان فضَربه بالسَّيف . وقال صفوان :

تَلقَّ ذُبابَ السّيف عنّى[2] فإنّنى غلامٌ إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

فوثب قومُ حسّان على صَفوان فحبَسوه ، ثم جاءوا سعدَ بن عُبادة بن دُلَيم أُبن حارثة بن أبى حَزِيمة بن ثعلبة بن طَرِيف بن الخَزْرج بن ساعدة بن كَعْب ابن الخَزْرج بن حارثة بن ثَعلبة بن عمرو بن عامر ، فذكروا له ما فعل حسّان وفعلوا به . فقال لهم : أشعرتُم[3] بذلك رسولَالله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قالوا : لا . فقَعد إلى الأرض وقال : وانقطاعَ ظَهراه ! تأخذون بأيديكم ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بين ظَهْرانَيْكم ! ودعا بصَفْوان ، فأُتى به ، فكساه وخلّاه . فجاء صفوان إلى النبىِّ صلّى الله عليه وسلّم . وقيل : إنَّ النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم دخل المسجدَ ليصلِّى فرآه فقال : مَن كساك كساه الله من ثياب الجنة ! وقال حسّان لأصحابه : أَحملونى إلى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أترضّاه . ففعَلوا . فأَعرض عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فردّوه . ثم سألهم، فحملوه ثانيةً . فأعرض عنه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . فانصرفوا به. ثم قال لهم : عُودوا بى على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقالوا : جئنا بك مرّتين ، كُلُّ ذلك يُعْرِض عنك ، فلا نُبْرِمه بك . فقال : أَحملونى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فغدا » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « عنك » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « أشاورتم فى ذلك » .

إليه هـذه المرةَ . فحماوه . فأعرض عنــه رسولُ الله صلّى الله عليه وسـلّم ، فقال : يا رسولَ الله ، بأبى أنت وأُمى ! احفظ قولى :

هجوتَ مُحمداً فأجبتُ عنه   وعند الله فى ذاكَ الجزاء
فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى   لِعِرْض محمّـد منكم وِقَاء

فرضى عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ووَهب له سِيرينَ القِبْطيّة ، أُخت مارية ، أُم إبراهيم ، ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فولدت سيرينُ لحسّان عبدَ الرحمن بن حسّان .

تعقيب لابن واصل

قلت : إنّ مارية وأختها سيرين أهداهما المُقوقس جُرَيج بن مَتَّى صاحبُ مِصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما كتب إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام ، وأهدى معهما له حمارَه « يَعْفور » و بَغْلته « دُلْدل » .

لعائشة عن صفوان

قال أبو الفرج :

وكانت عائشةُ رضى الله عنها تقول : لقد سُئِل عن صَفوان بن المُعطّل فَوجدوه رجلاً حَصُوراً ما يأتى النّساء ، ثم قُتل بعد ذلك شهيداً .

لحسان يعتذر عن قوله فى عائشة

وقال حسّان يَعتذر من الذى قاله فى عائشة رضى الله عنها :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبةٍ   وتُصْبح غَرْثَى من لُحوم الغَوافِلِ
فإن كنتُ قد قلتُ الذى قد زعمتُمُ   فلا رفعتْ سَوْطى إلىّ أناملى
وكيف ووُدّى ماحَييتُ ونُصْرَتى   لِآلِ رسـول الله زَيْن المَحافل
وإنّ الذى قد قيل ليس بِلَائِطٍ   ولكنّه قولُ امرىء بىَ[1] ماحِل

بين عروة وعائشة وقد مرت جنازة حسان

وحَكى عُروة بن الزُّبير قال :

كنت قاعداً عند عائشة فُمرَّ بجنازة حسّان بن ثابت فنِلْتُ منه . فقالت :

---

(١) لائط : لا تق . وماحل : ساع .

مهـــلاً . فقلتُ : أليس الذى يقول فيكِ ويقُول ! قالت : فكيف بقوله :

فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى لعِرْضِ محمّـد منكم وِقَاء

ورُوى عنها رضى الله عنها أنها كانت تقول : إنى لأرجو أن يُدخله الله الجنة بقوله هذا .

صفية وحسان فى يهودى أطاف بالحصن

وقيل :

كانت صفيّة بنت عبد المُطَّلب فى فارع ، حِصْن حسان بن ثابت ، يوم الخَنْدق . قالت صفيةُ رضى الله عنها : وكان حسّان معنا فيه مع النِّساء والصِّبيان ، فمرّ بنا رجلٌ من اليهود ، فجعل يُطيف بالحِصْن ، وقد حار بتْ بنو قُريظة وقَطعت ما بينها و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا و بينه أحدٌ يدفع عنّا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى نُحور عدوِّهم لا يَستطيعون أن يَنْصرفوا إلينا عنهم ، إذ أتانا آتٍ . قالت : فقلت : يا حسان ، إنّ هـذا اليهودى كما ترى يُطيف بالحِصْن ، و إنِّى والله ما آمَنُه أن يدُلّ على عَوْراتنا مَن وراءنا من اليهود ، وقد شُغل عنّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما تَرى وأصحابُه ، فانْزِل إليه فاقْتُله . فقال : يَغفِر الله لك يا بنت عبد المُطلب ، لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا . قالت: فلما قال ذلك ، ولم أر عنده شيئاً ، اعتجرتُ(١) ثم أخذتُ عوداً ثم نزلتُ من الحصن إليه ، فضربتُه بالعمود حتى قتلتُه ، فلما فرغتُ منه رجعتُ إلى الحِصن فقلت : يا حسّان ، انْزل إليه فاسلُبْه فإنه لم يَمنعنى من سَلْبه إلا أنه رجل . فقال : مالى بسَلْبه حاجةٌ يا بنت عبد المُطلب .

وحدّث عبدُ الله بن الزُّبير بن العوّام أنه كان فى فارع، أُطُم حسّان بن ثابت يوم الخندق ، ومعهم عُمَرُ بن أبى سَلمة . قال ابن الزُّبير : ومعنا حسّـان بن ثابت

(١) الاعتجار : لف الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك .

ضاربًا وَتِداً فى ناحية الأُطم ، فإذا حَمل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المُشركين حَمل على الوَتِد فضَربه بالسَّيف، فإذا أَقْبل المُشركون انحاز عن الوَتِد حتى كأنه يُقاتِل قِرْنًا له ، كأنه يرى أنه يُجاهد حين جَبُن .

ابن الزبير وابن أبى سلمة يوم الخندق

قال ابنُ الزُّبير : و إنى لأَظْلِم ابن أبى سَلمة وهو أكبر منِّى بسنَتين، فأقول له : تَحملنى على عُنقك حتى أنظر، فإنى أحملك إذا نزلتُ . فإذا حَملنى وسألنى أن يركب قلتُ : هذه المرّة أيضاً .

تعقيب لابن واصل

قلت : كان سنّ ابن الزُّبير يومئذٍ نحو خمس سنين ، لأن مولده بعد الهجرة ، وكانت غزوة الخندق سنة خَمس .

قال أبو الفرج :

قال ابنُ الزُّبير : و إنى لانظُر إلى أبى مُعْلَماً بصُفْرة ، فأخبرتُها أبى بعدُ ، فقال : أين كنتَ حينئذٍ ؟ فقلت : على عُنق ابن أبى سَلمة يَحْملنى . فقال : أَمَا والذى نَفْسى بيده ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجمع لى أبَوَيْه[1] .

قال ابنُ الزُّبير : وجاءنا يهودىّ يَرْتقى إلى الحِصْن ، فقالت صَفيّة له : أعطنى السَّيف . فأعطاها . فلما ارتقى ضربتْه حتى قتلتْه ، ثم أخذت رأسه وقالت : طَوِّح به ، فإن الرَّجل أشدُّ من المرأة ، تُريد أن تُرْعِبَ به أصحابَه .

ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أنشده حسان

وقيل : أنشد حسانُ بن ثابت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

لقد غدوتُ أمامَ القومِ[2] مُنْطلقاً بصارِمٍ مثل لون المِلْح قَطَّاعِ
يُميط عنّى نِجادَ السَّيفِ سابغةٌ فَضْفاضةٌ مثل لَون النِّهْى[3] بالقَاع

(١) يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول لى : فداك أبى وأمى .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « منتطقا » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « يدفع » مكان « يميط » . والسابغة : الدرع . والنهى : الغدير .

فضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فظنّ حسّان أنه يَضْحك من صِفته نَفْسَه مع جُبْنه .

بين الحطيئة وحسان

وقيل :

وقف الُحطيئة على حسّان بن ثابت ، وحسّان يُنشد من شعره ، فقال له حسانُ ، وهو لا يعرفه : كيف تَسمع هذا الشعر يا أعرابىّ ؟ قال الُحطيئة : لا أرى به بأساً . فغَضب حسّان وقال : اُسمعوا إلى كلام الأعرابىّ ! ما كُنيتك ؟ قال : أبو مُليكة . قال حسّان : ما كنتَ قطُّ أهونَ علىَّ منك حين اُكتنيتَ باُمرأة ! فما اُسمك ؟ قال : الحطيئةُ : قال اُمْضِ بسلام .

شعر حسان الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغِناء واُفتتح به أبو الفَرج أخبار حسّان ، هو :

تَبَلتْ فُؤادكَ فى المَنام[1] خَريدةٌ ... تَشْفِى الضَّجيعَ ببــاردٍ بَسّامِ
كالمِسْك تَخْلِطُه بماء سَحابةٍ ... أو عاتِقٍ[2] كدَمِ الذَّبيح مُدام

وهذه القصيدة يقولها حسّان بن ثابت فى وَقعة بدر، و يَفْخر بها، و يُعيِّر الحارثَ اُبن هشام المَخزومىّ بفراره عن أخيه أبى جهل بنِ هشام :

ترك الأحبَّةَ أن يُقاتل دُونهم ... ونَجا برأس طِمِرَّةٍ[3] ولِجام

فأجابه الحارثُ بن هشام ، وهو يومئذٍ مُشرِكٌ :

الله يعلم ما تركتُ قِتــالَهم ... حتى عَلَوْا فَرسِى بأشْقر[4] مُزْبِدِ
وشَممتُ رِيح الموت من تِلقائهم ... فى مأزِقٍ والخيــلُ لم تَتَبدَّد
وعلمتُ أنّى إن أُقاتل واحــداً ... أُقْتلْ ولا يَضْرُرْ عدوِّىَ مَشْهدى

ثم استطرد أبو الفَرج بذكر غَزوة بدر ، فنَذكرها على سياقتها ، لما فيها من الفوائد .

(١) تبلت : أسقمت . والخريدة : الحيية .
(٢) عاتق، أى خمر قديمة .
(٣) الطمرة : الأنثى من الجياد المستفزة للوثب والعدو .
(٤) الأشقر : الدم صار علقا .

غزوة بدر

كانت فى رمضان يوم الجمعة لسبعَ عشرةَ ليلةً مضتْ من رمضان ، سنة أُثنتين من الهجرة ، وهى أول حَرب حَضرها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهى الغَزاة التى أعزَّ الله بها الدِّين وأعلى كلمة المُؤمنين .

قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبى سُفيان صخر بن حَرب مُقْبلاً من الشأم بعِيرٍ عظيمة ، فنَدب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المُسلمين إليها ، وقال : هذه عِيرُ قُرَيش فيها أموالُهم، فاُخرجوا إليها فلعلّ الله أن يُنَفِّلـكموها[1] . فاُنتَدب الناسُ ، فخفّ بعضُهم وثَقُل بعضٌ ، وذلك أنهم لم يظنُّوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يَلْقى حرباً .

وكان أبو سُفيان اُستنفر[2] حين دنا من الحجاز ، وجعل يَتجسَّس الأَخبارَ ويسأل مَن لَقِى من الرُّكبان تخوفاً على أموال الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الرُّكبان أنّ محمداً قد اُستنفر أصحابَه لكَ ولِعيرك ، فجدّ عند ذلك واُستأجر ضَمضم بن عمرو الغِفاريّ ، فبعث به إلى مكة وأمره أن يأتى قُريشاً يَستنفرهم إلى أموالهم، ويُخبرهم أنّ محمداً قد عَرض لها فى أصحابه . وكانت عاتكةُ بنت عبد المُطلب قد رأت قبل قُدوم ضَمْضم رُؤيا أَفْزعتها ، فبعثتْ إلى أخيها العبّاس بن عبد المُطَّلب وقالت : يا أخى ، قد رأيتُ الليلةَ والله رُؤيا قد أَفزعتْنى وتخوّفتُ أن يدخُل بها على قومك شرٌّ أو مُصيبة ، فاكتُم علىّ ما أُحدّثك . قال لها : ما رأيتِ ؟ قالت : رأيت راكباً قد أقبل على بعيرٍ له حتى وقَف بالأَبطح ، ثم صَرخ بأَعلى صوته : أن

---

(١) ينفلكموها : يجعلها لكم غنيمة .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « استقدم » .

أُنفروا يا آل غُدَرَ[١] إلى مَصارعكم، فى ثلاث . وأرى الناس قد اُجتمعوا إليه . ثم دخل المسجدَ الحرام ، والناسُ يتبعونه ، فبينما هم حولَه إذ مَثَل به بعيرُه على ظهر الكعبة ، ثم صَرخ بأعلى صوته بمثلها : أُنفروا يا آل غُدَر إلى مصارعكم ، فى ثلاث . ثم مَثَل به بعيرُه على أبى قُبيس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صَخرة فأرسلها ، فأقبلتْ حتى إذا كانت بأسفل الجبل اُرفَضَّت[٢] تهْوِى ، فما بقى بيتٌ من بُيوت مكة إلا دخلتْه منها فِلْذة[٣] . قال العبّاس : إن هذه لَرُؤيا عجيبة ، فأنت فاُكتميها ولا تُظْهريها لأَحد . ثم خَرج العبّاس فلَقى الوليد بن عُتبة ، وكان صديقاً له ، فذكرها له واُستكتمه إيّاها . فذكرها الوليد لأبيه عُتبة . ففشا الحديثُ حتى تحدّثت به قُريش . قال العبّاس : فغدوتُ أطُوف بالبيت ، وأبو جهل بن هشام ورَهْطٌ من قريش يتحدّثون برُؤيا عاتكة ، فلما رآنى أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فَرَغْتَ من طوافك فأقْبل إلىّ . فلما فرغتُ أقبلتُ إليه حتى جلستُ معهم . فقال لى أبو جهل : يا بَنى عَبد المطلب ، متَى حَدَثت فيكم هذه النَّبيَّة ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : الرُّؤيا التى رأت عاتكةُ . قال : قلت : وما رأتْ ؟ قال : يا بَنى عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبّأ رجالُكم حتى تنبّأت نساؤُكم ! وقد زعمت عاتكةُ فى رؤياها أنه قال : أنفروا ، فى ثلاث . فسَنتربّص بكم هذه الثلاث ، فإنْ يَكُ حقًّا ما قالت فسيكون ، وإن تَمض الثلاثُ ولم يكن من ذلك شىء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذبُ بيت فى العرب . قال العبّاس : فوالله ما كان منّى إليه نَكير ، إلا أنّى جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأتْ شيئاً . ثم تفرّقنا ، فما بقيتْ اُمرأة من بنى عبد المُطلب إلا أتَتْنى فقالت : أقْررتُم لهذا الفاسق الخبيث

---

(١) غدر : من غادر ، للمبالغة ، وأكثر مايستعمل فى النداء فى الشتم . تقول للمفرد : ياغدر . وللجمع : يا آل غدر .

(٢) ارفضت : تكسرت و تفرقت .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فلقة » .

أن يقع فى رجالكم ثم يتناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرةٌ لِما تسمع ! قال : قد والله فعلتُ ما كان منّى إليه من نُكر(١) ، وايم الله لأتعرّضن له ، فإن عاد لأَكْفِيكُموه(٢) . قال : فغدوتُ فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حَدِيدٌ مُغْضَب أرى أن قد فاتنى منه أمرٌ أُحِب أن أُدْرِكه منه . فدخلتُ المسجد فرأيتُه . فوالله إنّى لأمشى نحوه أتعرّضه ليعود لبعض ما قال فأَقَع(٣) به ، وكان رجلاً خَفيفاً حَديدَ الوجه حديد اللسان حديد النظر ، إذ خَرج نحو باب المسجد يشتدُّ ، فقلت : ماله لَعنه الله ! أَ كُل هذا فرقاً منّى أن أُشاتمه ! فإذا هو قد سَمع ما لم أسمعْه : صوتَ ضَمضم الغِفارىّ وهو يصرُخ ببطن الوادى : يا معشر قُريش ، اللَّطيمة(٤) ! اللَّطيمة ! أموالكم ! أموالكم ! قد تعرّض لها محمد فى أصحابه، لا أرى أن تدركوها ! الغوث ! الغوث ! قال : فشغلنى عنه وشَغله عنّى ما جاء من الأمر . فنفَر الناسُ سراعاً وقالوا : لا يظُنُّ محمدٌ وأَصحابُه أن تكون كعِير ابن الحَضرمى(٥) ! كلا والله ! ليعلمُنَّ غير ذلك . فكانوا بين رجلَيْن: إما خارج أو باعث . وأوعبتْ قريشٌ فلم يتخلَّف من أشرافها أحدٌ إلا أبو لهب بن عبد المطلب ، فبعث مكانه العاصَ بن هشام . وكان أُمية بن خَلف قد أجمع القُعود ، وكان شيخاً ثقيلاً ، فأتاه عُقبة بن أبى مُعَيط ، وهو جالس فى المسجد بين ظَهْرَانَىْ قومه ، بِمِجْمرة فيها نارٌ ومِجْمر(٦) حتى وَضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علىّ ، استَجْمر فإنما أنت من النِّساء . ولما أجمعت قريشٌ المسيرَ ذكرتْ الذى بينها و بين بنى بكر(٧) ، فكاد

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « كبير » .

(٢) فى السيرة : «لأكفيكنه» . والكلام يتجه بهذا وذاك . فعلى رواية الأغانى فالمراد : آل عبد المطلب رجالا ونساء . وعلى رواية السيرة فالخطاب للنسوة اللاتى جئنه .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : «فأوقع به» . (٤) اللطيمة : العير عليها الطيب والتجارة .

(٥) هو عمرو بن الحضرمى . (٦) المجمر : العود يتبخر به .

(٧) كانت الحرب بين قريش وبين بنى بكر بن عبد مناة فى ابن لحفص بن الأخيف ، أحد بنى معيص بن عامر بن لؤى. قتله بنوبكر ، بإيعاز من سيدهم عامر بن يزيد . فثار للغلام أخوه مكرز بن عامر ابن يزيد ، قتله ثم أتى الكعبة فعلق السيف بأستارها . فلما أصبحت قريش ورأت السيف عرفت أنه سيف مكرز .

ذلك أن يُثَبِّطهم ، فتبدَّى لهم إبليسُ فى صُورة سُراقةَ المُدْلِجىّ ، وكان من أشراف كنانة ، فقال : إنِّى جارٌ لكم أن تأتيكم كنانةُ بشىء تكرهونه .

وخرج رسولُ صلّى الله عليه وسلّم فى أصحابه ، وكانوا ثلثمائة وثلاثةَ عشر : المُهاجرون منهم سبعة وسَبعون رجلاً ، والأنصار مائتان وستة وثلاثون رجلاً . وصاحبُ راية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . وصاحب راية الأَنصار سعدُ بن عُبادة . وعلى الساقة قيسُ بن أبى صَعصعة ، أخو بنى مازن بن النَّجار . وكان خُروجه صلّى الله عليه وسلّم من المدينة لليالٍ مضتْ من شهر رَمضان . فسار حتى إذا كان قريباً من الصَّفراء بعث بَسبس بن عَمرو الجُهنىّ ، حليف بنى ساعدة ، وعدىّ بن أبى الزَّغْباء ، حليف بنى النَّجار، إلى بدر يتحسّسان له الأخبار . ثم اُرتحل وقد قدّمهما . فلما اُستقبل الصَّفراء ، وهى قريةٌ بين جَبلين ، فسأل عن جبليهما : ما اسماهما ؟ فقيل : يقال لأحدهما : مُسْلِح ، وللآخر : مُخْرِىء . وسأل عن أهلهما ، فقالوا : بنو النّار ، و بنو حُرَاق — بَطْنان من بنى غِفار — فكرههما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم والُمرورَ بينهما[1] تفاؤلاً باسميهما وأسماء أهليهما، فتركهما والصفراءَ بيَسار، وسَلك ذاتَ اليمين على وادٍ يقال له : ذَفِران[2]. فخرج منه، حتّى إذا كان ببعضه نَزل. وأتاه الخبرُ عن قريش بمَسيرهم ليمنعوا عِيرَهم . فاُستشار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الناس ، وأخبرهم عن قُريش . فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال فأحسن . ثم قام عُمر رضى الله عنه فقال فأحسن . ثم المِقدادُ بن عمرو رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ، اُمض لِمَا أَمرك الله ، فوالله لا نقول لك ما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام : (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) ، ولكن اُذهب أنت وربُّك فقاتلا

(١) التفاؤل ، فيما يحسن ويسوء .
(٢) الذفران : واد قرب الصفراء .

إنا معكما مُقاتلون . فوالذى بَعثك بالحقِّ لو سِرْتَ بنا إلى بَرْكِ الغِماد — يعنى مدينة الحبشة — لجالَدْنا معك من دونه حتى تَبْلُغه . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له . ثم قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أشيروا علىّ أيها الناسُ . و إنما يريد الأنْصار . وذلك لأنهم كانوا عددَ الناس ، ولأنهم حين بايعوه على العَقبة قالوا : يا رسول الله إنّا بُرآء من ذِمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلتَ إلينا نمنعُك ممّا نَمنع منه أبناءنا ونِساءنا . فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتخوّف ألا تكون الأنصار ترى عليهم نُصرته إلّا ممّن دَهَم المدينةَ من عدوّه ، وأن ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوّ فى غير بلادهم . فلما قال ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم قال له سعدُ بن مُعاذ ، رضى الله عنه : والله لكأنك تُريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل . قال : فإنّا قد آمنّا بك وصدّقناك وشَهدنا أن ماجئتَ به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عُهودنا ومواثيقَنا على السّمع والطّاعة . فامض بنا يارسولَ الله لما أردتَ ، فوالذى بَعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخُضته لخضناه معك ، ما تخلّف منّا رجل واحد ، وما نكره أن تَلقى بنا عدوّنا غداً ، و إنا لصُبر عند الحرب ، صُدْق عند اللقاء ، لعلّ الله أن يُريك ما تقرّ به عينُك ، فسِرْ بنا على بركة الله . فسار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ونَشّطه ذلك القول ، ثم قال : سيروا على بركة الله وأبْشروا ، فإن الله عزّ وجل قد وَعدنى إحدى الطّائفتَيْن ، والله لكأنى أنظرُ إلى مَصارع القوم الآن . ثم ارتحل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من ذَفِران ، فَسلك ثَنايا يُقال لها : الأصَافر[1] ، ثم انتهى به السيرُ إلى قَريبٍ من بَدر ، فنزل وركب هو ورجلٌ من أصحابه حتّى وقَف على شيخ من العَرب ، فسأله عن قُريش وعن محمّد وأصحابه وما بلغه عنهم . فقال الشيخ : لا أُخبركما حتى تُخبرانى من أنتما . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتَنا

(١) الأصافر : جبال قرب الجحفة .

أَخبرناك. قال : أوذاك بذاك ؟ قال : نعم . قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابَه خَرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صَدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، و إنّ قُريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أَخبرنى صَدقنى، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، يعنى المكان الذى به قُريش . فلما فَرَغ من خَبره قال : من أنتما ؟ فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلم : نحن من ماء . ثم انصرف عنه . قال : يقول الشيخ : ما من ماء ! أم من ماء بالعراق ؟

ثم رَجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أَمسى بعث عليَّ ابن أبي طالب رضى الله عنه ، والزُّبير بن العوّام ، وسَعد بن أَبى وقّاص ، فى نفر من أصحابه إلى بدر يكشفون له الخبر ، فأصابوا راوية[1] لقُريش، فيها أَسْلَمُ، غُلام بنى الحجّاج ، وعَريضُ بن يسار[2] ، غلام بنى العاص بن سَعيد ، فأتَوْا بهما رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالا: نحن سُقاة لقُريش. فضَربوهما ، فلما [3]أَذْلقوهما قالا : نحن لأَبى سُفيان . فتركوهما . فركع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وسجد ، ثم سَلّم فقال : إذا صَدقاكم ضربتُموهما ! و إذا كذبا كم تركتُموهما ! صَدقا كم والله إنهما لقُريش ! أخبِرانى: أين قُريش ؟ قالا : هُم وراء الكَثيب الذى ترى بالعُدْوة القُصْوى ـ والكَثيب : العَقَنقل ـ فقال رسول الله صلّى عليه وسلّم : كم القوم ؟ قالا : كثير . قال : ماعِدَّتهم ؟ قالا : لا نَدرى . قال : كم يَنْحرون كُلَّ يوم ؟ قالا : يوماً تِسعاً و يوماً عشراً . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : القوم ما بين التِّسعمائة إلى الألف . ثم قال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فَمَن فيهم من قُريش ؟ قالا : عُتبة بن رَبيعة ، وشَيبة بن ربيعة ، وأبو البَختريّ بن هشام ،

(١) الراوية : القوم الذين يستقون الماء على الدواب .

(٢) فى السيرة لابن هشام والطبرى : «عريض أبو يسار » .

(٣) أذلقه : أضعفه وأقلقه .

وحَكيم بن حِزام، ونَوفل بن خُويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعيمة بن عَدىّ ، والنَّضر بن الحارث ، وزَمَعة بن الأسود ، وأبو جَهل بن هشام ، وأُميــة ابن خَلف ، ونُبيه ومُنَبِّه ، ابنا الحجّاج ، وسُهيل بن عمرو ، وعَمرو بن عبد وُدّ . فأقبل رسُولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على النّاس فقال : هذه مكة قد أَلقت إليكم أفلاذ كَبدها ! وقد كان بَسْبس بن عمرو ، وعدىّ بن أبى الزَّغْباء مَضَيا حتى نَزَلا بدراً ، فأناخا إلى تلّ قَريب من الماء، ثم أخذا شَنًّا(١) يَستقيان فيه، وعليه مجدىٌّ ابن عَمرو الجُهنىّ ، فَسمع عَدِىٌّ و بَسبس جاريتَيْن من جوارى الحاضر وهما تَتلازمان(٢) على الماء ، والمَلْزومةُ تقول لصاحبتها : إنما تأتى العِير غداً أو بعــده ، وأعمل لهم ثم أَقْضيكِ الذى لك . قال مجدىّ : صدقتِ . ثم خَلَّص بينهما . وسَمع ذلك بَسبسٌ وصاحبُه فجلسا على بعيرهما ، ثم انطلقا حتى أتَيا النَّبىَّ صلى الله عليه وسلم، فأخبراه بما سَمعا . وأقبل أبو سُفيان يقدُم العِير حَذراً حتى وَرد المـاء . فقال لمجدىٍّ بن عمرو : هل أحسستَ أحداً ؟ قال : لا ، ما رأيتُ أحداً، إلا أنّى رأيتُ راكبَيْن أناخا إلى هــذا التّل ، ثم استقيا فى شَنٍّ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُناخَهما فأخذ من أبعار بعيرَيْها ففتّه فإذا فيه نَوًى . فقال : هذه والله عَلائفُ يَثْرب ! ورجع إلى أصحابه سريعاً . فضَرب وجه عِيره عن الطَّريق ، وتَرك بَدراً يساراً ، ثم انطلق حتى أسرع . وأقبلت قُريش ، فلما نَزلوا الجُحفة رأى جُهيم بن أبى الصَّلت بن مَخْرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف رُؤيا ، فقال : إنى رأيتُ فيما يرى النائمُ ، وإنى لبين النائم واليَقْظان ، إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فَرسٍ حتى وَقف ومعه بعير له ثم قال : قُتل عُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة ، وأبو الحَكم بن هشام ، وأُمية بن خَلف ، وفُلان وفلان ، يعدِّد رجالاً ممن قُتل

---

(١) الشن : القربة الخلق الصغيرة .

(٢) أى تعلقت إحداهما بالأخرى .

يومئذ من أشراف قُريش . ورأيتُه قد ضَرب فى لَبَّة[1] بعيره ، ثم أرسله فى العَسكر ، فما بَقِى خِباءٌ من أخبية العسكر إلا وأصابه نَضْحٌ من دمه . و بلغتْ أبا جهل ، فقال : وهذا أيضاً نبىٌّ آخر من بَنى عبد المطلب ! سيعلم غداً من المَقتول إن نحن اُلتقينا ! فلما رأى أبو سُفيان أنه قد أَحرز عِيَره ، أرسل إلى قُريش : أنتم إنما خرجتم لتَمنعوا عِيرَكم ورِحالَكم وأَموالَكم ، وقد نَجَّاها الله ، فأرجعوا . فقال أبو جهل، لَعنه الله : والله لا نَرجع حتى نَرد بدراً ـ وكانت بَدْر موسماً من مواسم العرب تَجتمع فيها فى كُل سنة ـ نُقيم عليها ثلاثاً ونَنْحر الإبل ، ونُطعم الطعام ، ونَسقى الخمر ، وتَعزف علينا القِيان وتَسمع بنا العرب ، فلا يزالون يَهابُوننا ، فامضُوا. فقال الأخنس بن شَريق بن عمرو الثَّقفى ، وكان حليفاً فى بنى زُهرة ، وهم بالُجحْفة : يا بنى زُهرة ، قد نَجّى الله عِيرَكم وخَلَّص لكم صاحبَكم مَخْرمة بن نَوْفل ، و إنما خَرجتم لتَمنعوه ومالَه ، فأرجعوا فلا حاجةَ لكم فى أن تَخْرجوا فى غير ضَيْعة لما يقول هذا — يعنى أبا جهل — فرجعوا ، فلم يَشْهدها زُهرىٌّ واحد . وكان فيهم مُطاعاً، فرجعتْ بنو زُهرة مع الأَخنس . ولم يَشهدها من بنى عدىٍّ إلا رجل واحد. وأمّا سائر البطون فخَرج من كُل بَطن ناسٌ ، وطالبُ بن أبى طالب أخو علىّ رضى الله عنه ، قيل : إنه رَجع ، وقيل : إنه شَهدها مُكْرهاً ، وعُدم يومئذ فلم يُوجد فى القتلى ولا الأَسرى ولا رَجع إلى أهله ، وكان شاعراً ، وهو الذى يقول :

يا ربِّ إمّا يغْزُونّ طالبْ ... فى مِقْنَب[2] من هذه المَناقبْ
فليكن المَسْلوبَ غيرَ السالبْ ... وليكن المغلوبَ غيرَ الغالب

ونزلت قُريش بالعُدْوة القُصوى ، و بَعث الله سُبحانه السَّماء ، وكان الوادى دَهْساً[3] . فأَصاب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ما لبّد لهم الأرض فلم يَمنعهم

(١) اللبة : المنحر. (٢) المقنب : الجماعة من الخيل والفرسان .
(٣) الدهس : الأرض السهلة يثقل فيها المشى .

المسيرَ . وأصاب قريشاً منه ما لم يقدِروا معه على المَسير . وخَرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم يُبادرهم إلى الماء، حتى إذا حاذَى أدنى ماء من بَدْر نَزل فيه . فقال الحُبَاب ابن المنذر بن الجَموح : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ؟ أمنزلٌ أنزلكه الله عزّ وجلّ وليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى فى الحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأىُ فى الحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ، إن هذا ليس بمَنزل، فانهض بالنّاس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فتَنْزِله . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرتَ بالرأى . ونَهض صلى الله عليه وسلم ومَن معه مِن الناس حتى أَتى أدنى ماء من القوم ، فنزلوا عليه . ثم أمر بالقُلُب فعُوِّرت(١) ، و بنى حَوضاً على القَليب الذى نَزل عليه فمُلئ ماء ، ثم قذفُوا فيه الآنية . وقال سعد ابن مُعاذ رضى الله : يا رسول الله ، أنَبْنى لك عَريشاً من جَريد فتكونَ فيه، ونُعدّ لك رَكائبك ثم نَلقى عدوّنا ، فإن نحن أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا كان ذلك ما أَحببنا ، و إن كانت الأُخرى جلستَ على ركائبك فلحقتَ بمن وراءنا من قومنا ؟ فقد تخلَّف عنك أقوامٌ يا نبيّ الله ما نحن بأَشدَّ حُبًّا لك منهم ، ولو ظنُّوا أنك تَلقى حرباً ما تخلَّفوا عنك ، يَمنعك الله بهم فيُناصحونك و يجاهدون معك . فأثنى عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خيراً ودعا له بخير . ثم بُنِى لرسول الله صلّى الله عليه وسلم عَريشٌ فكان فيه . وقد ارتحلت قُريش حتى أَصبحتْ وأقبلتْ ، فلما رآها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تَصوَّب من العَقَنْقل — وهو الكثيب الذى منه جاءوا — إلى الوادى ، قال : اللهم هذه قُريش قد أَقبلت بخُيَلائها وفَخْرها تُحادُّك وتكذِّب نبيَّك ورسُولَك ، اللهم فَنصرَك الذى وعدتَنى ، اللهم فأحِنْهم(٢) الغداةَ . وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وقد رأى عُتبة بن رَبيعة مع

(١) القلب : الآبار . الواحد : قليب . وعورت : ردمت وطمرت .
(٢) أحنهم : أهلكهم .

القوم على جمل له أحمر : إن يكن عند أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يُطيعوه يَرْشدوا . فلما نزل أقبل نفرٌ من قُريش حتى وردُوا حَوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حَكيم بن حِزام على فَرس له . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دعُوهم . فما شَرب منهم رجلٌ إلاّ قُتل يومئذ ، إلا حكيم بن حِزام فإنه لم يُقتل ، نَجا على فَرسٍ له يُقال له : الوَجيه ، وأسلم بعد ذلك وحَسُن إسلامُه . وكان إذا اُجتهد فى يَمينه قال : والذى نجّانى يومَ بدر . ولمّا اُطمأن القومُ بعثوا عُمير بن وَهْب الجُمحىّ فقالوا له : اُحزُر[1] لنا أصحاب محمد . فاُستجال بفَرسه حول العسكر ثم رَجع إلى القوم ، فقال : ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصونه . ولكن أمهلونى حتى أنظُر : هل للقوم كَمِين أو مَدد ؟ فضَرب فى الوادى حتى أمعن فلم ير شيئاً ، فرجع إلى القوم وقال : إنّى لم أرَ مدداً ، ولكنّى يا معشر قُريش قد رأيتُ الوَلايا[2] تحمل المَنايا ، نَواضِح يَثْرب تَحمل الموتَ الناقع ، قوم ليس لهم مَخلص ولا ملجأ إلا سيوفُهم ، والله ما أرى رجلاً منهم يُقْتَل حتى يقتل رجلاً منكم ! فما خَير العيش بعد ذلك !

فلمّا سَمِع حَكيم بن حِزَام ذلك مَشى فى الناس فأتى عُتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد ، إنك كبير قُريش الليلة وسيِّدها والمُطاع فيها ، هل لك إلى أمر لا تزال تُذكر منه بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تَرجع بالناس وتَحمل دَم حليفك عمرو بن الحَضْرمى . قال : قد فعلتُ ، أنت علىّ بذلك شهيد . إنما هو حليفى فعلىّ عَقْلُه[3] ، وما أُصيب من ماله ، فأتِ اُبن الحَنْظلية فإنّى لا أَخْشى أن يُفسد أَمر الناس غيرُه ، يعنى أبا جهل بن هشام . ثم قام عُتبة بن ربيعة خطيباً

---

(١) الحزر : التخمين والتقدير .

(٢) الولايا : البراذع . الواحدة : ولية .

(٣) العقل : الدية .

فقال : يا معشر قُريش ، إنكم والله ما تَصنعون بأن تَلْقَوا محمداً وأصحابه شيئاً، ولئن أصبتموه فلا يزال الرجُل ينظرُ فى وجه الرَّجل يكره النَّظر إليه ، رجلٍ قتل ابنَ عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلُّوا بين محمد وسائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذى أردتُم ، و إن كان غير ذلك ألفاهم ولم تعدموا منه ما تُريدون . قال حَكيم بن حِزام: فانطلقتُ أؤُمّ أبا جَهل بن هشام ، فوجدتُه قد نَثل(١) درعاً من جِرابها وهو يُهَيِّئها ، فقلت له : أبا الحَكم ، إن عُتبة قد أرسلنى إليك بكذا وكذا . قال : انتفخ والله سَحْره حين رأى محمداً وأصحابَه ، وما بعُتبة ما قال ، ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه أكلةَ جَزُور(٢) ، وفيهم ابنُه ، فقد تخوّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحَضْرمىّ فقال : هذا حليفُك يريد أن يَرجع بالناس ، وقد رأيتَ ثأرك بعينك ، فقم وانشُد خُفْرتك(٣) ومقتَل أخيك . فقام عامر بن الحَضْرمىّ فاكتشف(٤) ثم صاح : واعَمْراه ! واعَمْراه ! فحَمِيت الحربُ وحَقِب(٥) أمرُ الناس واستَوْسقوا(٦) على ما هم عليه من الشَّر . وأفسد أبو جهل على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عُتبة بن ربيعة . فلمّا بلغ عُتبة قولُ أبى جَهل ، قال : سَيعلم مُصفِّر استِه من انتفخ سَحره ، أنا أم هو ؟ ثم التمس بيضةً يُدخلها فى رأسه، فما وجد فى الجيش بيضةً تَسعه من عِظم رأسِه . فلما رأى ذلك اعتجر(٧) على رأسِه بُبرد ، ثم خَرج الأَسْود بن عبد الأَسَد المَخزومىّ ، وكان رجلاً شرساً سيِّىء الخلُق ، فقال : أُعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدمنّه أو لأموتن دونه . فلما خَرج عرض له حمزةُ ابن عبد المطلب رضى الله عنه ، فلمّا التقيا ضَربه حمزةُ فأَطَنّ(٨) قدمه بنِصف ساقه ، وهو دون الحَوض ، فوقع على ظهره تشْخب رجلُه دماً . ثم حَبا إلى الحوض

(١) نثل : أخرج . (٢) يريد أنهم قلة تكفيهم جزور واحدة لطعامهم .
(٣) الخفرة : الذمة والعهد . (٤) اكتشف ، أى أشرف على مرتفع حتى بان للناس وظهر .
(٥) حقب : فسد . (٦) استوسقوا : اجتمعوا .
(٧) الاعتجار : لف العمامة على الرأس . (٨) أطن : قطع .

حتى اُقتحم فيه يريد أن يُبِرَّ يَمِينَه ، وأَتبعه حمزةُ فضرب به حتى قتله فى الحوض .
ثم خَرج بعده عُتبة بن رَبيعة بين أخيه شَيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتبة ، حتى إذا فَصَل من الصفّ دعا إلى المُبارزة ، فَخرج إليـه فِتيةٌ من الأنصار ثلاثة نفر ، منهم : عَوف ومُعوِّذ ، ابنا الحارث ــ وأُمهما عَفْراء ــ ورجلٌ آخر يقال له : عبد الله ابنَ رَواحة . فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رَهط من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى مُناديهم : يامحمد ، أَخرج إلينا أكفاءنا من قومنا . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : قُم يا حمزة بن عبد المُطلب ، قُم يا عُبيدة بن الحارث ، قُم يا علىّ ابن أبى طالب . فلما قاموا ودَنَوْا منهم قالوا : من أنتم ؟ قال عُبيدة : عُبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال علىّ : علىّ . فقالوا : نعم ، أكفاء كِرام . فبارز عُبيدة — وكان أَسَنَّ القوم — عُتبةَ بن ربيعة ، وبارز حمزةُ شيبةَ بن ربيعة ، وبارز علىٌّ الوليدَ بن عُتْبة . فأمّا حمزة فلم يُمهِل شَيبَة أن قتله . وأمّا علىٌّ فلم يُمهل الوليـدَ أنْ قتله . واُختلف عُبيدة وعُتبة بينهما بضَربتين ، كلاهما أَثبت[1] صاحبَه ، فكرَّ علىٌّ وحمزةُ بأسيافهما على عُتبة فقتلاه ، واُحتملا صاحبَهما عُبيـدة ، فجاءا به إلى أصحابه ، وقد قُطعت رِجلُه فمُخُّها يَسِيل . فلما أتَوْا بعُبيدة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : لستُ شهيـداً يا رسول الله ؟ قال : بلى . فقال أبو عُبيدة : لو كان أبو طالب حيًّا لعَلِم أنى أحقُّ بما قال منه حيث يقول :

ونُسْلِمـه حتى نُصرَّع حولَه ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائل

ثم تزاحف الناسُ ودنا بعضُهم من بعض ، وأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ألّا يَحْملوا حتى يأمرَهم ، وقال : إن اُكتنفكم القومُ فاُنْضَحوهم عنكم بالنَّبـل . ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العَريش ، ومعه أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه ، وقد اُستقبل القِبلةَ يدعو ويقول : اللّهم إنْ تَهْلِك هذه العصابة من أهل الإسلام

(١) أثبت صاحبه : أثخنه بالجراح .

لا تُعْبَـد فى الأرض . فلم يزل كذلك حتى سَقَط رداؤُه . فأخذ أبو بكر فوضع رداءَه عليه ثم قال له : كفاكَ يا نبيَّ الله ! بأبى أنت وأُمى ! بعضَ مُناشدتك لربّك ، فإنه سيُنْجِز ماوعدك . فأنزل الله سُبحانه وتعالى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) . وخَفق رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم خَفْقة وهو فى العريش ثم أُنتبه فقال : يا أبا بكر ، أتاكَ نَصرُ الله ، هذا جبريلُ آخذٌ بعنان فَرَسِه يقودُه وعلى ثَناياه النَّقْعُ(١) . ثم خَرج رسُول الله صلى الله عليه وسلم إلى النَّاس فحرّضهم ، ونَفَّلَ كُلَّ أمرىء منهم ما أصاب ، وقال : والذى نَفْسُ محمد بيده لا يقُاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقْتَلَ صابراً مُحْتسِباً مُقْبلاً غيرَ مُدبر إلّا أدخله الله الجنة . فقال عُمير بن الحُمام ، أخو بنى سَلِمة ، وفى يده تمراتٌ يأكلها : بَخٍ بَخٍ ! أمَا بينى و بين أن أدخلَ الجنّة إلّا أن يَقْتُلنى هؤلاء . ثم قَذف التَّمراتِ من يده وأخذ سيفَه فقاتل القومَ حتى قُتل ، وهو يقول :

رَكْضاً إلى الله بغـير زادِ ... إلا التُّقى وعَمَل المَعادِ
والصَّبْرَ فى الله على الجِهادِ ... وكلُّ زادٍ عُرضَـةُ النَّفادِ

وقال عوفُ بن الحارث ، وهو أبن عَفْراء : يا رسولَ الله ، ما يُضْحِك الربَّ من عَبده ؟ قال : غَمْسُه يدَه فى العدوِّ حاسراً . فنَزع دِرْعاً كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفَه فقاتل حتى قُتل .

ولما التَقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض ، قال أبو جهل : اللهم أَقطعُنا للرَّحم وآتانا بما لا يُعْرف فأَحِنْه الغَداة . فنزل قولُه تعالى : (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ) الآية .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفنةً من الحَصْباء فاُستَقْبل بها

(١) النقع : الغبار .

قُريشاً ثم قال : شاهتِ الوُجوه ! ثم نفحهم بها . فنزل قولُه تعالى : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولَـكِنَّ اللهَ رَمَى) . ثم قال لأصحابه : شُـدُّوا . فكانت الهزيمةُ . فقَتَل اللهُ مَن قتل من صناديد قُريش ، وأَسر مَن أَسر منهم . فلما وَضع القومُ أيديَهم يَأسِرون ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العَريش ، وسعدُ بن مُعاذ متوشِّح السَّيفَ فى نفر من الأنصار يحرُسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافُون عليه كرَّة العدوّ ، رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى وجه سَـعد بن مُعاذ الـكراهيةَ لما يَصنع ، فقال : كأنَّك كرهتَ ما يُصنع بالمُشركين ؟ قال : نعم يا رسُولَ الله ، وكان الإثخانُ فى القَتل أعجبَ إلىّ من اُسْتبقاء الرِّجال .

وقاتلت الملائكةُ يومَ بَدْر . فحَـكى رجلٌ من بَنى غِفار قال : أقبلتُ أنا وابنُ عمٍّ لى حتى أصعدنا فى جَبل يُشرف بنا على بَدر ، ونحن مُشركان نَنتظر الوقعةَ على من تكون الدَّبرة (١) فنَنْهب مع من يَنهب . فبينا نحن فى الجَبل إذ دَنت منّا سحابةٌ فسمعنا فيها حَمْحمة الخيل ، فسمعتُ قائلاً يقول : أَقْدم حَيْزوم (٢) ! فأمّا ابنُ عمِّى فانكشف قِناع قَلْبه فمات مكانه ، وأمّا أنا فكِدْتُ أَهْلِك ، فتماسكتُ .

وقال رجلٌ من مازن ، وكان شَهِد بدراً : إنِّي لأتبع رجلاً من المُشركين يوم بَدر لأَضْربَه ، إذ وقع رأسُه من قبل أن يَصل إليه سيفى ، فعلمتُ أنه قد قَتله غيرى .

وقال ابنُ عبّاس : كانت سِيما المَلائكة يومَ بدر عمائم بيضاً وقد أَرسلوها على ظُهورهم ، ويومَ حُنَين عمائم حُمْراً . ولم تُقاتل الملائكة فى يوم من الأيّام سوى يوم بَدْر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيّام عدداً ومَدداً لا يَضْربون .

---

(١) الدبرة : العاقبة .

(٢) حيزوم : اسم فرس جبريل .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم لا يُعجزنَّك — يعنى أبا جهل — فكان أولَ مَن لَقيه مُعاذُ بن عمرو بن الجموح . قال مُعاذ : فسمعتُ القوم ، وأبو جَهل فى مثل الحَرَجة ، وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخْلَص إليه ! فلما سمعتُها جعلتُها من شأنى ، فعَمدتُ نحوَه . فلما أمكننى حملتُ عليه ، فضربتُه ضربةً أَطنَّت[(١)] قَدمه بنصف ساقه . فوالله ما شبّهتُها حين طاحتْ إلّا كالنواة تَطِيح من تحت مِرْضخة[(٢)] النَّوى حين يُضرب بها . قال : وضَربنى ٱبنُه عكرمةُ على عاتقى فطَرح يدى فتعلّقتْ بجلدة من جَنبى . وأَجهضنى القِتالُ عنها . ولقد قاتلتُ عامةَ يومى و إنِّى لأَسحبها خَلفى ، فلما آذتْنى جعلتُ عليها رِجلى ثم تمطيتُ بها حتى طرحتُها . ثم عاش مُعاذ بعد ذلك حتى مات فى خلافة عُثمان رضى الله عنه .

ثم مَرّ بأبى جهل ، وهو عَقير[(٣)] ، مُعوِّذ بن عَفراء فضَربه حتى أَثْبته ، وتركه وبه رمَق . وقاتل مُعوِّذ حتى قُتل . ومَرّ عبدُ الله بن مسعود رضى الله عنه بأبى جَهل ، وقد أَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلتمس فى القَتْلى وقال : انظُروا إن خَفى عليكم فى القتْلى إلى أثر جُرح بُركْبته ، فإنى ٱزدحمتُ أنا وهو يوماً على مأدبةٍ لعبد الله بن جُدْعان ، ونحن غُلامان ، وكنتُ أشبَّ منه بيَسير ، فدفعتُه فوقَع على رُكبته فجُحش[(٤)] فى إحداهما جَحْشاً لم يَزل به أثَرُه فيها بعدُ . فقال عبدُ الله بن مَسعود : فوجدتُه بآخِر رَمَقٍ فعرفتُه ، فوضعت رجلى على عُنقه ، وقد كان ضَبَث[(٥)] بى مرةً بمكة ولكَزنى ، ثم قلتُ : هل أخْزاك الله يا عدوَّ الله ؟ قال : و بماذا أخزانى ! أعْمدُ[(٦)] من رجلٍ قتلتموه ! لمن الدَّبْرةُ ؟ قلت :لله ولرسوله .

---

(١) أطنت : قطعت . (٢) المرضخة : حجر يرضخ به النوى . (٣) العقير : الجريح .

(٤) جحش : خدش . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « خدش » ... خدشا .

(٥) ضبث بالشىء : قبض عليه بكفه .

(٦) أعمد : أعجب . يريد : هل زاد على سيد قتله قومه ! وهل كان إلا هذا ! أى إن هذا ليس بعار .

وقيل : إنه قال له أبو جهل : رُوَيعى غَنم ! لقد ارتقيتَ مُرتقًى صَعْبا . ثم قال : احتززتُ رأسه ثم جئتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدوِّ الله أبى جَهل . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أَللهِ الذى لا إله غيرُه ! وكانت هذه يمينَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلتُ : نعم ، والله الذى لا إله غيره . ثم ألقيتُ رأسَه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحمد الله جلّ وعزّ .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه يومئذٍ : إنى عرفتُ أن رجالاً من بنى هاشم قد أُخرجوا كُرْهاً لا حاجةَ لهم بقتالنا ، فمن لَقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقى العبّاس بن عبد المُطّلب فلا يقتُلْه ، فإنه إنما أُخرج مُستكرهاً . فقال أبو حُذيفة بن عُتْبة بن رَبيعة : أنَقتل آباءنا وإخوانَنا وعَشيرتَنا ونَتركُ العبّاس ! أمَا والله لئن لقيتُه لأُلجمنّه السيفَ . فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول لعُمر بن الخطّاب رضى الله عنه : يا أبا حَفْص ، أما تَسمع إلى قول أبى حُذيفة : أضربُ وَجه عمّ رسول الله ! فقال عُمر : يا رسول الله ، دَعْني فَلأضرب عُنقه بالسَّيف ، فوالله لقد نافَق . قال عمر : فوالله إنّه لأول يوم كنّانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى حَفص . وكان أبو حُذيفة رضى الله عنه يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلتُ يومئذٍ ، ولا أزال خائفاً إلى أن يكفِّرها الله عنِّى . فقُتل يومَ اليمامة شَهيداً فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه .

ونَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قَتل أبى البَخْترىّ . وإنما نَهى عن قتله لأنه كان أكفَّ الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان لا يُؤذيه ولا يَبلغه عنه شىء يكرهه . وهو الذى قام فى نَقض الصَّحيفة التى كَتبت قُريشٌ على بنى هاشم وبَنى المُطلب . فلقيه المُجذَّر بن ذِياد ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نَهى عن قتلك — ومع أبى البَخترىّ زميلٌ له خَرج من مكة —

قال : وزَميلى ؟ فقال المُجذَّر : لا والله ، ما نحن بتاركى زميلكَ ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلّا بك وحدَك . قال : إذن والله لأموتنّ أنا وهو جميعاً ، لا تحدَّثتْ عنّى نساء قُريش وأهلُ[1] مكة أنى تركتُ زَميلى حِرْصاً على الحياة !
وقال أبو البَخترىّ حين نَازله المُجذَّر وأبىَ إلّا القتالَ ، وهو يرتجز :

لَن يُسْلِمَ ٱبنُ حُرَّة زَميلَه   حتى يموتَ أو يَرى سَبيلَه

فاقتتلا . فقَتله المُجذَّر بن ذياد . ثم أتى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : والذى بَعثك بالحق يا رسول الله ، لقد جَهدتُ عليه أن يَستأسر ، فأبى إلّا القتال ، فقاتلتُه فقتلتُه .

وكان أُميــة بن خَلف الجُمَحىّ يُعذِّب بلالاً بمكة على أن يتركَ الإسلامَ ، فيُخْرجه إلى رَمضاء مكة إذا حَميت فيُضْجِعه، ثم يأمر بالصَّخرة العَظيمة فتُجعل على صَدره ، فيقول : لا تزالُ هكذا حتى تُفارق دينَ محمد . فيقول بلال : أَحد ! أَحد !

فحَكى عبــدُ الرّحمن بن عَوف رضى الله عنه قال : كان أُميــة بن خَلف صديقاً لى بمكة ، وكان ٱسمى عبد عَمرو . فلما أسلمتُ سُمِّيت : عبد الرحمن . فكان يَلقانى ونحن بمكة فيقول : ياعبد عمرو ، أَرغبتَ عن ٱسم سمّاك به أبوكَ ؟ فأقول : نعم . فيقول : إنى لا أعرف عبــد الرحمن ، ٱجْعل بينى و بينك شيئاً أدعوك به . أمَّا أنت فإنك لا تُجيبنى باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوكَ إلا بما أعرف . وكان إذا دعانى: عبد عمرو، لا أُجيبه . فقلتُ: ٱجْعل بينى و بينك يا أبا علىّ ماشئتَ . قال : فأنت عبدُ الإلٰه . قلتُ : نعم . فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبد الإلٰه . فأُجيبه فأَتحدَّث معه . حتى إذا كان يوم بَدْر مررتُ به ، وهو واقفٌ مع ٱبنه علىّ بن أُمية آخذ بيــده ، ومعى أَدْراع قد ٱستلبتُها وأنا أَحملها ، فلما رآنى قال : يا عبد عمرو ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بين أهل » مكان « وأهل » .

فلم أجبه . فقال لى ، وأنا بينه و بين أبنه آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، مَن الرجلُ المُعلَم بريش النَّعامة فى صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزةُ بن عبد المطلب . قال : الذى فَعل بنا الأَفاعيل ! قال : فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلالٌ معى، فقال بلال ، حين رآه : رأس الكُفر أميــة بن خَلف ! لا نجوتُ إن نجا ! فقلتُ : يا بلال ، أبأسيرى ؟ قال : لا نجوتُ إن نجا ! قلتُ : أبأسيرى تُسمِّع يا بن السَّوداء ! قال : لا نجوتُ إن نجا . ثم صاح بأعلى صوته : رأسُ الكُفر أمية بن خَلف ! لا نجوتُ إن نجا ! قال : فأحاطوا بنا، وأنا أَذُبُّ عنه ، فضَرب رجلٌ أبنَه فوقع . وصاح أُمية صيحةً ما سمعتُ مثلها قطُّ . فقلت : أُنْجُ بنَفسك ولا نَجاء ! فوالله ما أُغْنى عنك شيئا. فهَبَروهما بأسيافهم حتى فَرغوا منهما . فكان عبدُ الرحمن يقول : رحم الله بلالاً ، ذَهب بأدراعى وفَجعنى بأسيرى !

ثم أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بطَرح القَتْلى فى قَليب هُناك ، فطُرحوا فيه ، إلّا ما كان من أُميــة بن خَلف فإنّه أنتَفخ فى دِرْعه حتى ملأَها ، فذهَبوا ليَجُرُّوه ، فتزَايل ، فألْقوا عليه ما غيَّبه من التُّراب والحجارة .

ولما أَمر بهم النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أن يُلقوا فى القَليب أُخذ عُتبة بن رَبيعة فسُحب إلى القَليب . فنظَر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى وجه أبى حُذيفة بن عُتبة ، فإذا هو كَئيب قد تغيّر . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لعلّك دخَلك مِن حال أَبيك شيء ؟ قال : فقلت : لا والله يا رسولَ الله ، ماشككتُ فى حال أبى ولا مَصْرعه ، ولكنى كنتُ أعرف له رأياً وفضلاً وحِلْماً ، فكنتُ أرجو أن يَهديه الله بذلك إلى الإسلام، فلما رأيتُ ما أَصابه ، وذكرتُ ما صار إليه من الكُفر بعد الذى كُنت أرجو ، أَحزننى ذلك . فدعا رسولُ الله صلّى الله عليــه وسلم له بخير وقال له خيراً . فلما أُلقوا فى القَليب وَقف رسولُ الله صلى الله عليــه وقال : يأهل القليب ، هل وجدتُم ما وَعد ربُّكم حقًّا ، فإنى وجدتُ ما وَعـدنى ربى

حقًّا ؟ فقال له أصحابُه : يا رسول الله ، أتُكلم قوماً موتَى ؟ قال : لقد علموا أنّ ما وَعدهم ربُّهم حقًّا .

وفى رواية : أنه قال صلّى الله عليه وسلَّم : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يَستطيعون أن يُجيبونى .

وجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأَسارى ، فكانوا أربعةً وأربعين ، وكان من القتلى مثلُ ذلك . وكان فى الأَسَارى عُقبةُ بن أبى مُعَيط ، والنَّضر بن الحارث ، فضُربت أعناقهما بين يَدَيْه صَبْراً . وقد تقدَّم ذكر ذلك فى أَخبار أبى قَطيفة .

وكان فى الأَسارى العبّاس بن عبد المُطلب رضى الله عنه . فرَوى ابنُ عبّاس قال : لما أمسى القومُ من يوم بَدر ، والأَسارى محبوسون فى الوَثاق ، بات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ساهراً أولَ ليلة . فقال له أصحابُه : يا رسول الله ، مالك لاتَنام ؟ فقال : سمعتُ تَضوُّر العبّاس فى وثاقه . فقاموا إلى العباس فأطلقوه . فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمّه العباس ، حين اُنتُهى به إلى المدينة : اُفْدِ نَفْسك وابنى أخيك : عَقيل بن أبى طالب ، ونَوفل بن الحارث ، وحليفَك عُتْبة بن عمرو بن جَحدم ، فإنك ذو مال . فقال : يا رسول الله ، إنى كنتُ مُسلماً ، ولكن القوم استكرهونى . قال : الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تقول حقًّا فالله يَجْزيك به ، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا ، فافْدِ نفْسك .

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد أخذ منه عشرين أُوقيـة من ذَهب . فقال العبَّاس : يا رسول الله ، احسُبْها لى فى فدائى . قال : ذاك شىء أعطاناه الله منك . قال : فإنه ليس لى مال . قال : فأين المال الذى وضعتَه بمكة حين خرجتَ

من عنـد أُم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحد ؟ ثم قلتَ لها : إن أُصبتُ فى سفرى هذا فللفضل كذا ، ولعبد الله كذا ، ولقثم كذا ، ولعُبيد الله كذا . قال : والذى بعثك بالحق ما علم بهذا أحدٌ غيرى وغيرها ، و إنّى لأعلم أنك رسولُ الله . ففدا نفسَه وأبنى أخيه وحليفَه .

وقيل :

أول من قَدم مكة بمُصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله الخزاعىّ ، فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : قُتل عُتبة ، وشيبة ، وأبو الحكم ، وأُمية بن خلف ، وفلان . وجَعل يعدّد أَشراف قُريش . فقال صَفوان بن أُمية ، وهو قاعدٌ فى الحِجْر : والله إن يَعقل هـذا فَسلوه عنّى . فقالوا : ما فَعل صَفوان بن أُميـة ؟ قال : هو ذا جالسٌ فى الحِجر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا .

وحدث أبو رافع مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال :

كنت غلاماً للعبّاس بن عبد المُطلب ، وكان الإسلامُ قد دَخلنا أهلَ البيت ، وأسلمتْ أُمُّ الفضل . وكان العبّاس يَهاب قومَه ويكره أن يُخالفهم ، وكان يكتُم إسلامه ، وكان ذا مالٍ كثيرٍ متفرِّق فى قومه . وكان أبو لهب عدوُّ الله قد تخلَّف عن بَدر و بَعث مكانَه العـاص بن هشام بن المغيرة . وكذلك صـنعوا لم يتخلف رجل إلا بعث . فلما جاء الخبر عن مصاب بدر من قريش ، كبتـه الله فأخزاه ، ووجدْنا فى أنفسنا قُوة ومَنعة وعِزة ، وكنت رجلاً ضعيفاً أعمل القِداح وأَنْحتها فى حُجرة زَمزم . فوالله إنّى لجالسٌ فيها أَنْحت القِداح ، وعندى أُم الفَضل جالسةٌ ، وقد سرّنا ماجاءنا من الخبر ، إذ أقبل الفاسقُ أبو لهب يَجُرّ رِجْليه بشرّ[1] ، حتى جَلس على طنُب الحُجرة ، وكان ظهره إلى ظهرى . فبينا هو جالسٌ إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المُطلب قد قَدم . فقال له أبو لهب : هلم إلىّ يا بن أخى ، فعندك الخبر . قال : فجلس والناسُ قيامٌ عليه : فقال ، يابن أخى ، أخبرنى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يسير » مكان « بشر » .

كيف كان الناسُ؟ قال: لا شيء والله، إن هو إلا لَقيناهم فَمَنحناهم أكتافنا يقتلون ويَأْسِرون كيف شاءوا. وأيمُ الله ما لُمْتُ الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خَيل بُلْقٍ بين السَّماء والأرض ما تُليق شيئاً[1] ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعتُ طُنُب الحجرة بيدى، وقلتُ: تلك الملائكةُ. فرفع أبو لهب يَده فضرب وَجهى ضربةً شديدةً. فساورتُه، فاحتملنى فضَرب بى الأرض وبَرك علىّ يَضربنى، وكنتُ رجلاً ضعيفاً. فقامت أُم الفَضلِ إلى عَمود من عُمُد الحجرة فضَربتْه به ضربةً فلقتْ رأسه شجّةً مُنكرة، وقالت: تَسْتَضعفه أنْ غاب سيده! فقام مولّياً ذَليلا. فوالله ما عاش بعدها إلّا سَبع ليالٍ حتى رماه الله[2] بالعَدَسة فقَتلتْه. فلقد تركه ابناه ليلتَين أو ثلاثاً لم يَدْفناه حتى أنْتن فى بيته — وكانت قُريش تَتَّقى العدسة كما يتّقى الناسُ الطاعون — حتى قال لهما رجلٌ من قُريش: ويحكما! لا تَستحييان أن أباكما قد أنتن فى بيته لاتُغَيِّبانه! قالا: نَخشى هذه القَرحة. قال: فانطلِقا وأنا معكما، فما غسّلوه إلا قَذْفاً بالماء عليه من بَعيد، ما يمسُّونه. ثم احتملوه يَدْفنونه بأعلى مكة على جِدار. وقذفوا عليه الحجارةَ حتى وارَوْه.

وروت عائشةُ رضى الله عنها قالت:

لمّا بعث أهلُ مكة فى فداء أسراهم، بعثت زينبُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء زوجها أبى العاص بن الرَّبيع بِقلادة لها. وكانت خديجةُ رضى الله عنها أدخلتها بها على أبى العاص حين تبنَّى بها. فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رَقّ لها رِقَّةً شديدة وقال: إن رأيتم أن تُطْلقوا لها أسيرها وتردُّوا عليها الذى لها فافعلوا. فقالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه وردُّوا عليها الذى لها. ولما انقضت نَوبة بدر ناحت قُريش على قتلاها ثم قالوا: لا تفعلوا

(١) ما تليق شيئاً، أى ما تبقى على شىء.

(٢) العدسة: بثرة قاتلة تخرج فى البدن.

فيبلغ محمداً وأصحابه فَيشْمتوها[1] . وكان الأسود بن عبد المُطلب[2] قد أُصيب له ثلاثة من ولده : زَمعة ، وعَقيل ، والحارث . وكان يُحب أن يبكى على بَنِيه . فبينا هو كذلك إذ سَمع نائحةً من اللَّيل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظُر هل أُحل النَّحيب وهل بكتْ قُريش على قتلاها ، فلعلِّى أبكى على أبى حَكيمة — يعنى زَمعه — فإنّ جَوفى قد اُحترق ! فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هى امرأةٌ تبكى على بعيرٍ لها أضلَّته ، فذلك حين يقول الأسود :

أَتبكى أنْ يَضِلَّ لها بعيرٌ ... ويَمنعها من النَّوم[3] السُّهودُ

ولا تَبكى على بَكْرٍ ولكنْ ... على بَدْرٍ تَقاصرت[4] الجُدود

ألا قد ساد بعدَهمُ رجالٌ ... ولولا يومُ بدرٍ لم يسودُوا

وقالت هِند بنت عُتبة :

مَن حَسَّ لى الأَخوَيْن كالْـ ... غُصْنين أم مَن راهُمَا

قَرْمانِ لا يتَظالمـا ... نِ ولا يُرام حِماها

وَيْلى على أبوىّ والْـ ... قَبر الذى وَاراهما

لا مِثْل كَهْلى فى الكُهو ... لِ ولا فتًى كفتاهما

أسَدانِ لا يتذلّلا ... نِ ولا يُرامُ حِماهما

رُمحَيْن خَطّيين فى ... كَبَد السَّماء تراهما

ما خَلَّفا إذ وَدَّعا ... فى سُودَدٍ[5] شَرْواهما

سادَا بغَير تكلُّفٍ ... عفواً يَفِيض نداهما

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فيشمتوا بكم » .
(٢) فى الأصول : « الأسود بن عبديغوث » . والتصويب من السيرة والحماسة والاشتقاق .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ويمنعها البكاء من الهجود » .
(٤) البكر : الفتى من الإبل . وتقاصرت الجدود : أى تواضعت الحظوظ . يستهين فقد المال ويستعظم فقد النفوس . (٥) شرواهما : مثلهما .

هند والخنساء

وقيل : بلغ هنداً بنت عُتبة تَسْويمُ[1] الخنساء هَوْدجها فى الموسم، ومُعاظمتُها للعرب بمُصيبتها بأبيها عمرو بن الشَّريد ، وأخويها : صَخر ومُعاوية ، وأنها جعلت تَشهد المَوسمَ وتَبكيهم، وأنها سوَّمت هَودجها براية ، وأنَّها تقول : أنا أعظم العرب مُصيبةً ، وأن العرب قد عرفت لها بعضَ ذلك . فلما أُصيبت هِنْد بما أُصيبت به ، وهو قتل أبيها عُتبة ، وعمّها شيبة ، وأخيها الوليد ، وولدها حَنْظلة بن أبى سفيان ، يومَ بدر ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مُصيبةً ، وأمرت بهَوْدجها فسوَّمتْه براية وشهدتْ الموسم بعُكاظ ، وكانت سُوقاً يجتمع فيها العرب ، فقالت : أقْرِنوا جَملى بجمل الخنساء . ففعلوا . فلما دنت منها قالت لها الخنساء : يا اخيَّة ، من أنت ؟ قالت : أنا هند بنت عُتبة أعظم العرب مُصيبة ، وقد بَلغنى أنك تُعاظمين العرب بمُصيبتك ، فبم تُعاظمينهم ؟ قالت الخنساء : بأبى عمرو بن الشَّريد ، وأخوىّ : صَخر ، ومُعاوية ، وأبنى عمرو ، فبم تُعاظمينهم أنت ؟ قالت : بأبى عُتبة ، وعمّى شَيبة ، وأخى الوليد . قالت الخنساء : أو سواءٌ هم عندك ؟ ثم أنشأت تقول :

أبكِّى أبى عمراً بعَينٍ غزيرةٍ ... قليل إذا نام الخلىُّ هُجودُها
وصِنْوَىَّ لا أنْسى مُعاوية الذى ... له من سَراة الحَرَّتَيْن[2] وُفودها
وصَخراً ومَن ذا مِثْلُ صَخرٍ إذا غَدا ... بَسلْهبة الآطال قَبَّاً[3] يَقودها
فذلِك يا هنــدُ الرزيَّةُ فاْعلمى ... ونيرانُ حَرب حين شَبَّ وَقُودها

فقالت هند تُجيبها :

أبكّى عَميد الأبْطَحيْن[4] كِلَيهما ... وحاميِهما من كُل باغٍ يُريدُها
أَبى عُتْبة الخيرات ويحكِ فاْعلمى ... وشيبةُ والحامِى الذِّمار وليدها (*)

(١) التسويم : أن تجعل لشىء سومة ، أى علامة يعرف بها ويتميز .

(٢) الحرتان : هما حرة بنى سليم وحرة بنى هلال ، بالحجاز . والحرة : الأرض ذات الحجارة السود .

(٣) السلهبة : الطويلة من الخيل . والآطال : جمع أطل ، وهو الخاصرة . وقباء ، بالمد وقصرها للشعر : دقيقة ضامرة .

(٤) العميد : السيد : والأبطحان : بطحاء مكة وسهل تهامة . والأبطح : المسيل الواسع .

(*) ذكر أبو الفرج بعد هذا شيئاً عن نسب « علس ذى جدن » ثم عاد فترجم لطويس . وقد مرت ترجمته فى الجزء الأول .

أخبار الأحوص

نسبه ولقبه

هو عبدُ الله . وإنما لُقِّب الأَحوص لحَوَص كان فى عينَيْه . وهو ابنُ محمد ابن عبد الله بن عاصِم بن ثابت بن الأَقلح . واسم أبى الأَقلح قَيس بن عُصيمة ابن النُّعمان بن أُميــة بن ضُبَيعة بن مالك بن عَوف بن مالك بن الأوس .

خبر جده عاصم

وكان يُقال لجدّه عاصم بن ثابت : حَمِيُّ الدَّبْر ، لأنه لما أُستشهد حمت الدّبر ، وهى النَّحل ، جُثَّته .

ذكر مقتل عاصم :

قيل : قَدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد « أُحُد » رَهْطٌ من عَضَل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله ، إنّ فينا إسـلاماً وخيراً ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يُفقِّهوننا فى الدِّين ويُقرئوننا القُرآن ، ويُعلِّموننا شرائع الإسلام . فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم نفراً ستةً من أصحابه : مَرْثد بن أبى مَرْثد الغَنوىّ ، حليفَ حمزة بن عبد المطّلب ، وخالدَ بن البُـكَير ، حليفَ بنى عدىّ بن كعب ، وعاصمَ بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى ، وزيدَ بن الدَّثِنَّة ، أخا بنى بيَاضَة بن عامر ، وعبدَالله بن طارق ، حَليف بنى ظَفَر ، من بَـلِىّ ، وخُبيب بن عدىّ . وأمَّر رسولُ الله صلّى الله عليــه وسلّم عليهم مَرْثد بن أبى مَرْثد . فخرجُوا مع القوم ، حتى إذا كانوا بالرَّجيع ـ ماء لبنى هُذيل ـ غدرُوا بهم وأُستصرخُوا عليهم هُذيلاً ، فلم يُرَع القوم وهم فى رِحالهم إلّا بالرجال فى أيديهم السُّيوف قد غَشُوهم . فأخذوا أسيافَهم ليُقاتلوا القوم . فقـالوا : إنّا والله ما نُريد قتلَـكم ، ولـكنّا نُريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولـكم عهـدُ الله وميثاقه ألّا نقتلَـكم . فأمّا مَرثد بن أبى مَرثد ، وخالدُ بن البُـكَير ، وعاصمُ بن ثابت ، فقالوا : لا نَقبل والله من مُشرك عهـداً

ولا عقداً . فقاتلوهم حتّى قُتلوا جميعاً . وأمّا زيدُ بن الدَّثِنَّة ، وخُبَيب بن عدىّ ، وعبد الله بن طارق ، فلانوا ورقّوا ورَغبوا فى الحياة ، فأعطوا بأيديهم[1] . فأسروهم وخَرجوا بهم إلى مكة ليَبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظَّهْران[2] انتزع عبدُ الله ابن طارق يدَه من القِرَان ثم أَخذ سيفَه واستأخر عن القوم ، فرَمَوْه بالحجارة حتى قَتلوه، فقَبْره بالظَّهران . وأما خُبيب بن عدىّ، وزيد بن الدَّثِنَّة . فقَدِموا بهما مكّة فباعُوهما . فابتاع خُبيباً حُجَيرُ بن أبى إهاب التّميمى ، حليفُ بنى نوفل ، لعُقْبة ابن الحارث بن عامر بن نوفل ـ وكان حُجير أخا الحارث بن عامر لأُمه ـ ليقتله بأبيه الحارث . وقد كانت هُذيل حين قُتِل عاصم بن ثابت أرادوا أخذ رأسَه ليبيعوه من سُلافةَ بنت سعد بن شُهيد[3] . وكانت قد نَذرت ، حين أُصيب ابنُها يومَ أُحد، لئن قدرتْ على رأس عاصم لتشربَنّ فى قِحفه الخمرَ، فمنعتْه الدَّبر . فلما حالت بينهم و بينه قالوا : دعوهُ حتى نُمسى فتذهب الدَّبْر عنه فنأخذه . فبعث الله عزَّ وجل الوادى فاحتمل عاصماً رضى الله عنه فذهب به . وكان عاصم قد أعطى الله عهداً لا يمسه مشركٌ أبداً ولا يمسُّ مشركاً أبداً فى حياته . فمنعه الله بعد وفاته .

وكان عُمر بن الخطّاب يقول ، حين بلغه أنّ الدّبر منعتْه : عجباً لحفظ الله العبدَ المُؤمن ! وفى ذلك يقول الأَحوص :

وأنا ابنُ الّذى حَمت لحمَه الدَّبْـ ـرُ قَتيل اللَّحْيان[4] يومَ الرَّجيعِ

مقتل خبيب

وأُنزل خُبيب فى دار الحارث بن عامر ليُقتل به ، فاستعار يوماً من إحدى بنات الحارث موسى ليستحدَّ[5] بها للقتل ، فما راع المرأةَ ، ولها صبىٌّ يَدْرُج ، إلّا بخُبيب

(١) أعطى بيده : انقاد .

(٢) الظهران : واد بين مكة وعسفان .

(٣) فى أصول الأغانى : « سهيل » خطأ . والتصويب عن الطبقات ، والطبرى ، والسيرة .

(٤) اللحيان : حى من هذيل .

(٥) يستحد : يحلق شعر عانته .

قد أجلس الصبيَّ على فَخِذه والمُوسى فى يده ، فصاحت المرأةُ . فقال خبيب : أتخشَيْن أن أقتُلَه ! إنّ الغدر ليس من شأننا . فقالت المرأةُ بعد ذلك : ما رأيتُ أسيراً أكرمَ من خُبيب ، لقد رأيتُه وما بمكة من ثمرة و إن فى يده لقِطْفاً من عِنَب يأكُله، إن كان إلا رزقاً رَزَقه الله خُبيباً . ولما خَرجوا بخُبيب ليقتُلوه قال : ذرونى أُصلِّ ركعتَيْن . فصلَّى ركعتين ، فجرتْ سُنةً لمن قُتل صبراً أن يُصلِّى ركعتين . ثم قال : لولا أن يُقال جَزِع لزدتُ ، وما أُبالى :

* على أىِّ شِقٍّ كان لله مَصْرعى *

وقال :

وذلك فى ذاتِ الإلٰه و إنْ يَشأْ يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمزَّعِ

اللهم أَحصِهم عَدَداً ، وخُذهم بِدَداً [1] ، ولا تُفْلت منهم أحداً . ثم خَرج أبو سِرْوعة [2] بن الحارث بن عامر بن نَوْفَل بن عبد مناف ، فقتَله .

وحدّث أُمية قال :

بعثنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وَحْدى عيناً إلى قُريش . قال : فجئتُ إلى خَشبة خُبيب ، وأنا أتخوّف العيون ، فرَقِيتُ فيها ، فحلَلتُ خُبيباً فوقع إلى الأرض . فانتبذتُ غيرَ بعيد ثم اُلتفتُّ فلم أرَ لخُبيب أثراً ، كأنّ الأرض اُبتلعتْه . فلم تُذكر لخُبيب رمّة إلى الساعة .

مقتل ابن الدثنة

وأما زَيد بن الدَّثِنَّة فإنّ صَفوان بن أُمية بعث مولًى له إلى التَّنعيم ، فأَخرجه من الحَرم ليقتُلَه ، فاُجتمع رهطٌ من قُريش ، منهم أبو سفيان بن حَرب . فقال له

(١) أحصهم عددا ، أى أهلكهم بحيث لاتبق من عددهم أحداً . وخذهم بدداً ، أى . اقتلهم حصصا مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه . هذا على كسر « بدد » فتكون جمع : بدة ، وهى الحصة والنصيب . ويروى « بدداً » بالفتح ، من التبديد ، أى اقتلهم متفرقين فى القتل واحدا بعد واحد .

(٢) كنية عقبة بن الحارث النوفلى .

أبو سُفيان حين قُدِّم ليُقتل : يا زيد ، أَنشُدك الله، أتُحب أن محمداً يكون مكانَك تُضرب عُنقـه وأنك فى أهلك ؟ فقال : لا والله ، ما أُحب أن محمـداً فى مكانه الذى هو فيه تُصيبه شوكةٌ تؤذيه وأنا جالس فى أهلى . قال : يقول أبو سُفيان : ما رأيتُ من الناس أحداً يُحب أحداً كحُبِّ أصحاب محمّد محمداً . ثم قُتل زَيد .

كنية الأحوص واسم أمه

وقيل :

كان الأَحوصُ يكنى أَبا محمد . وأمه أُثيلة بنت عُمير[1] بن مَخْشىّ ، وكان أَحْمر أحوصَ العينَين .

منزلته فى الشعر

وهو شاعر مُجيد فى طبقة ابن قيس الرُّقيات ، ونُصيب ، وجَميل .

وقيل : إنه لولا ما وَضع الأحوَص من دنىء الأفعال والأخلاق لـكان أشدَّ تَقدُّماً منهم عند أهل الحجاز وأكثر الرُّواة . وهو أَسمج طبعاً ، وأسهل كلاماً ، وأصحُّ معنًى ، ولِشعْره رَوْنق ، وديباجةٌ صافية وحلاوة ، وعُذوبةُ ألفاظه ليست لواحدٍ منهم . وكان قليل المُروءة والدّين ، هجّـاءً للناس مأبوناً .

مفاخرته سكينة

وذُكر أنه كان يوماً عند سُـكينه فأذَّن المؤذن ، فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسولُ الله ، فخرت سكينة بما سمعت . فقال الأحوصُ :

فَخرتْ وأُنتمتْ فقلتُ ذَريني ... ليس جهـلٌ أتيتِه ببَديعِ
وأنا ابنُ الذى حَمتْ لحمَهَ الدَّبْـ ... رُ قَتيلِ اللَّحيان يومَ الرَّجيع
غسَّلت خالىَ الملائكةُ الأَبـ ... رارُ مَيْتاً طُوبَى له من صَريع

ولقد فَخر بفخر عظيم لو كان على غير سُـكينة فَخر به . وأمّا سُكينة فإن بأبيها صلواتُ الله عليه حَمت لحمَ عاصم الدَّبْرُ ، وغسّلت الملائكةُ حنظلة الشَّهيد ، خال الأَحوص . فمَا ذكره بعضُ مناقب الرسولِ صلّى الله عليه وسلّم . ففَخْر الأحوص به على سُـكينة حماقةٌ منه ورقاعة .

(١) فى الأصل : « عمرو » .

جلد الوليد له وسبب ذلك

وذُكر أن الأحوص وفَد على الوليد بن عبد الملك بن مَروان ، فأنزله منزلاً وأَمر بمَطْبخه أَن يُمال عليه . ونَزل على الوليد شُعيب بن عبد الله بن عمرو ابن العاصى . وكان الأَحوص يُراود وُصفاء الوليد ويُريد أن يفعلوا به . وكان شُعيب قد غَضب على مولًى له ونحّاه . فلما خاف الأحوصُ أن يفتَضح بمُراودته الغِلْمان أندسّ لمولَى شُعيب فقال له : ادخُل على أمير المُؤمنين ثم اُذكُر له أن شُعيباً راودك عن نفسه . ففَعل المولى ذلك . فالتفت الوليدُ إلى شُعيب وقال : ما يقول هذا ؟ فقال : لكلامه غَوْر[1] ، فاشْدُد به يَدَيْك يا أَمير المُؤمنين يصدُقْك . فشدَّد عليه . فقال : أمرنى بذلك الأحوصُ . وقال قَيِّم الخبّازين : أَصلحك الله ، إن الأحوص يُراود غلمانَك على أنفسهم . فأَرسل به الوليدُ إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم والى المدينة وأَمره أن يَجلده مائةً ويَصُبّ على رأسه زيتاً ويُقيمه للنّاس . ففعل ذلك به ونَصبه للناس فى السُّوق ، فكان يَصيح ويقول :

ما من مُصيبة نَكبةٍ أُمْنَى بها ... إلا تُشَرِّفنى وتَرفع شانِى
وتَزول حين تزولُ عن مُتخمِّط[2] ... تُخْشى بَوادرُه على الأَقران
إنِّى إذا خَفِى اللِّئام رأيتَنى ... كالشَّمس لا تَخفى بكُلِّ مكان
إنى على ما قد تَرَوْن مُحسَّدٌ ... أَنمِى على البَغْضاء والشَّنآن
أصبحتُ للأَنصار فيما نابَهم ... خَلَفاً وللشُّعراء من حسَّان

وقال الأحوصُ يهجو ابن حَزم :

أقول وأبصرتُ ابنَ حَزم بن فَرْتَنى ... وُقوفاً له بالمأزِمَيْن[3] القَبائلُ
تُرى فَرتنى كانت بما بَلغ ابنُها ... مُصدّقةً لو قال ذلك قائل

---

(١) غور ، أى شىء خفى غير واضح .

(٢) المتخمط : المتكبر . (٣) المأزمان : جبلا مكة .

نفاه سليمان إلى دهلك ولم يرده عمر ثم رده يزيد

وذُكر أن الأحوص كان ينسُب بنساء ذواتِ أخطار من أهل المدينة ، ويتغنّى فى شعره معبدٌ ومالك ، ويَشيعُ ذلك فى النّاس . فنُهِى فلم يَنْتَه . فشُكى إلى عامل سُليمان بن عبد الملك بالمدينة ، وسألوه الكتابَ فيه إليه . ففعل ذلك . وكتب سُليمان إلى عامله يأمره أن يَضرِبه مائةَ سوط ويُقيمَه على البُلُس[١] للناس، ثم يسيِّره إلى دَهْلَك[٢] . ففعل ذلك . فثوى هنالك مدةَ خِلافة سُليمان ، ثم وَلِى عُمرُ بن عبد العزيز رضى الله عنه الخلافةَ ، فكتب إليه يستأذنه فى القُدوم يمدحه ، فأبى أن يأذن له ، وكان فيما يكتُب إليه به :

أيا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغن هُديتَ أميرَ المُؤمنين رَسائِلِى

وقُل لأبى حَفْصٍ إذا ما لَقِيتَه لقد كنتَ نَفّاعاً قليلَ الغوائل

فكيف ترى للعَيْش طيباً ولذّةً وخالُك أمسى مُوثقاً فى الحبائل

فأتى رجالٌ من الأنصار عُمرَ بن عبد العزيز رحمه الله ، فكلّموه فيه وسألوه أن يُقْدِمَه . فقالوا : قد عرفتَ نَسبه وموضعه وقديمه ، وقد أُخرج إلى أرض الشِّرك ، فنطلُب إليك أن تَرُدَّه إلى حَرَم رسول الله صلى الله عليه وسلّم ودارَ قومه . فقال لهم عُمر : من الذى يقول :

أدُور ولولا أنْ أرى أُمَّ جَعفر بأبياتكم ما دُرْتُ حيثُ أدورُ

وما كنتُ زَوّاراً ولكنّ ذا الهوى إذا لم يُزرْ لا بُدَّ أن سَيزُور

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

كأنّ لُبْنى صَبيرُ[٣] غاديةٍ أو دُميةٌ زُيِّنت بها البِيَعُ

اللهُ بَيْنى وبين قَيِّمها يَفِرّ منى بها وأتّبع

---

(١) البلس : غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التين ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه .

(٢) دهلك : جزيرة فى بحر اليمن ، أو هى مرسى بين بلاد اليمن والحبشة .

(٣) الصبير : السحاب الأبيض . والغادية : السحابة تنشأ غدوة .

قالوا : الأحوص . قال : بل الله بين قَيِّمها و بينه . قال : فمن الذى يقول :

سيبقى لها فى مُضْمَرِ القلب والحَشى سَريرةُ حُبٍّ يوم تُبْلَى السَّرائرُ

قالوا : الأحوص . قال : إنّ الفاسق عنها يومئذٍ لَمشغول . والله لا أرُدّه مادام لِى سلطان . فمكث هناك بقيَّةَ خلافة عمر بن عبد العزيز ، وصدراً من خِلافة يزيد بن عبد الملك . فبينا يزيدُ وجاريته حَبابةُ ذاتَ ليلة على سطح تُغَنِّيه بشعر من شعر الأحوص — قيل : إن الشعر :

أيُّهــذا المُخْبِرى عن يزيدٍ بصلاحٍ فِدَاكَ أهلى ومالِى
ما أُبالى إذا تَبقَّى[1] يزيدٌ من تولَّت به صُروفُ اللَّيالى

— فقال لها : مَن يقول هــذا الشِّعر ؟ قالت : لا وعَيْشك ما أَدرى . وكان قد مَضى من الليل شَطْره . فقال: أبعثُوا إلى أبن شِهاب الزُّهرى، فعسى أن يكون عنده عِلْم من ذلك . فأُتى فقُرِع عليه البابُ ، فخَرج مُروَّعاً إلى يزيد . فلما صَعِد إليه قال له : لا تُرَعْ ، لم نَدْعُك إلا لخير ، أجلس . من الذى يقول هذا الشعر ؟ فقال: الأحوصُ بن محمد يا أمير المؤمنين . قال : ما فَعل ؟ قال : طال حَبْسه بدَهْلك . فقال : عجبتُ لعُمر كيف أغفله ! وأمر بتَخليته ووَهبَ له أربعمائة دينــار . وأَقبل الزُّهرى من ليلته إلى قَومه من الأنصار ، فبشَّرهم بذلك .

وقيل : إن الشعر الذى غنَّته حبابةُ ليزيد من شعر الأحوص ، هو :

كريمُ قُريشٍ حين يُنْسَب والذى أَقرَّت له بالمُلك كهلاً وأَمردَا
وليس و إن أَعطاكَ فى اليــوم مانعاً إذا عُدْتَ من إعطاء[2] أضعافه غَدا
أَهانَ تِلادَ المـال فى الحَمْـد إنه إمامُ هُــدًى يَجْرِى على ما تَعوّدا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ما أبالى إذا يزيد بقى لى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أضعاف أضعافه » .

وقيل : إن الأَحوص دَخل على يزيدَ بن عبد الملك ، وهو خليفة ، فقال له يزيد : والله لو لم تَمُتَّ إلينا بحُرمة ، ولم تَصِرْ إلينا بدالّة ، ولم تُجدد لنا مدحة ، غير أنك مقتصر على البيتين اللذين قلتهما فينا لـكنتَ مُستوجباً لجزيل الصِّلة منى حيث قلت :

وإنّى لأَسْتحييكُم أن يقودَنى ... إلى غيركم من سائر النّاس مَطْمَعُ
وأن أَجتدِى للنَّفع غيرَكَ منهمُ ... وأنتَ إمامٌ للرعيَّةِ[1] مَقْنَعُ

وهذان البيتان فى قصيدة مدح الأحوصُ بها عُمر بن عبد العزيز رحمه الله .

وقيل : إن يزيدَ بن عبد الملك لما أقدم الأحوصَ أكرمه وأجازه بثلاثين ألف درهم . فلما قدم قُبَاء صبّ المالَ على نِطْع ودَعا بجماعةٍ من قومه ، وقال لهم : إنّى قد عملتُ لـكم طَعاماً ، فلما دَخلوا عليه كَشف لهم عن ذلك المال ، وقال : (أَفَسِحْرٌ هٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) .

مدحه ليزيد

ومَدح يزيدَ بن عبد الملك بقصيدة أولها :

صَرَمَتْ حبلَكَ الغداةَ نَوَارُ ... إنّ صَرْماً لـكُل حَبل[2] قُصَارُ
بَشَرٌ لو يَدِبُّ ذَرٌّ عليه ... كان فيه لِمَشْيه آثار
إنّ أَرْوى إذا تذكّر أروى ... قلبُه كاد قلبُه يُسْتطار

يقول فيها :

من يكُن سائلًا فإنّ يزيداً ... مَلِكٌ من عطائه الإكثار
عَمَّ معروفُه فعزَّ به الدِّيـ ... ـن وذَلّت لمُلْكه الـكُفّار
وأقام الصِّراطَ فابْتَهج الحـ ... ـقُّ مُنيراً كما أنار النَّهار

(١) مقنع : يقنع به ويرضى برأيه وقضائه .
(٢) القصار : الغاية .

تمثل عبد الملك بشعره حين خطب أهل المدينة

وذُكر أنه لما قَدم عبدُ الملك بن مروان حاجًّا سنة خمس وسبعين ، وذلك بعد ما أجتمع عليه الناسُ بعامَين ، جلَس على المِنبر فشَتم أهلَ المدينة وو بّخهم ، ثم قال : إنّى والله يأهل المدينة ، قد بلوتكم تَنفَسون القليلَ وتحسُدون الكثير ، وما وجدتُ لكم مثلًا إلا قول مُخنَّثكم وأخيكم الأحوص :

وكم نزلتْ بى من خُطوب[1] مُلمّة ... صبرتُ[2] عليها ثم لم أتخشَّعِ

وأدبَرَ عنّى شرُّها لم أبَلْ[3] بها ... ولم أدْعُكم فى كَرْبها المُتطلّعِ

فقام إليه نوفل بن مُساحق فقال : يا أمير المؤمنين ، أقررنا بالذَّنْب ، وطَلبنا المَعذرة ، فعُدْ بحلمك ، فذلك ما يُشبهنا منك ويُشبهك منّا ، فقد قال من ذكرتَ بعد بيتيه الأوّلين :

وإنّى لَمُستأنٍ ومنتظرٌ بكم ... وإن لم تقولوا فى المُلمّات[4] دَعْدَعِ

أؤمِّل منكم أن ترَوْا غير رأيكم ... وَشيكا كيما تَنزِعوا خيرَ مَنْزَعِ

للفرزدق وجرير وقد سئلا عنه

وقيل . إنه قيل للفرزدق : من أنسبُ الناس ؟ قال الذى يقول :

لى لَيْلتان فليلَةٌ مَعْسولة ... ألْقَى الحبيبَ بها بنجمِ الأسْعُدِ

ومُريحةٌ[5] همّي علىَّ كأنّنى ... حتى الصباح مُعلّقٌ بالفَرْقَد

وقيل لجرير : من أنسب الناس ؟ قال : الذى يقول :

ياليتَ شعرى عمّن كَلِفْتُ به ... من خَثْعم إذ نأيتُ ما صَنعُوا

---

(١) فى بعض الأصول : « مهمة » مكان « ملمة » .

(٢) فى بعض الأصول : « خذلتم » مكان « صبرت » .

(٣) أبل ، أصله : أبالى . حذف آخره للجازم ، ثم سكنت اللام للتخفيف ، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين .

(٤) دع دع : كلمة تقال للعاثر . ومعناها : دع العثار وقم . وقد تجعل اسما فتعرب ، ومنه قول الشاعر :

لحى الله قوما لم يقولوا لعاثر ... ولا لابن عم ناله العثر دعدعا

(٥) مريحة : من أراح الإبل ، إذا ردها إلى المرعى من العشى . والمراد أنها تسوق إليه همه .

قومٌ يَحُلُّون بالسَّـدِير وبالْـ حِيرة منهمْ مَرأًى ومُسْتَمع
أن شَـطَّت الدارُ عن دِيارهمُ أأمسكوا بالوصـال أَمْ قَطعوا
بل هُم على خيرِ ما عَهِدْتُ وما ذاكَ إلَّا التأميـلُ والطَّمع

والشعر للأحوص .

أبوعبيدة بن عمار وقد سمع شعره

وقيل :

أنشد إنسانٌ إبراهيم بن هشام المَخزوميّ ، وهو والى المدينة ، وعنده أبو عُبيدة ابن عمّار بن ياسر ، قولَ الأحوص :

سَقْياً لرَبْعك من رَبْع بذى سَلَمٍ وللزّمان به إذ ذاكَ من زَمنِ
إذ أنتِ فينا لمن يَنْهاك عاصيةٌ وإذ أَجُرّ إليكم سادِراً رَسَنِى

فوثب أبو عُبيدة بن عمّار قائماً ، ثم أَرخى رِداءه ومَضى يَمشى على تلك الحال ويجرُّه إلى أن بلغ العِرْض[1] ، ثم رَجع . فقال له إبراهيم بن هشـام ، حين جلس : ما شأنك ؟ فقال : أيها الأمير ، إنى سمعتُ هـذا البيتَ مرةً فأعجبنى ، فحلفتُ ألَّا أَسمعه إلا جررتُ رَسنى .

طرب المخزومى بشعره

وحكى عبدُ الملك بن عبد العزيز قال : قالى لى أبو السائب المَخزوميّ : أنشدنى للأحوص . فأنشدتُه قولَه :

قالتْ وقلتُ تَحرَّجى وَصِلِى حَبْـلَ امرىء بوصالكم صَبِّ
صـاحبْ[2] إذاً بَعْلِى فقلتُ لهـا الغَـدْر شىء ليس من[3] شَعْبى
أما الخليـلُ فلستُ فاجِعَـه والجـار أَوصـانى به رَبِّى
عُوجوا كذا نَذْكُرْ لغانيــة بعضَ الحديث مَطِيَّكم صَحْبى

(١) العرض : مكان بعينه . (٢) فى بعض الأصول : « واصل » مكان « صاحب » .
(٣) فى بعض الأصول : « ضربى » مكان « شعبى » .

ونَقُل لها فِيم الصُّـــدودُ ولم نُذْنِبْ بل أنتِ بدأتِ بالذَّنب
إنْ تُقْبِلى نُقْبل ونُنْزلكم منّـــا بدارِ السَّهل والرُّحب
أو تُدبِرى تَـكْدُرْ معيشـتُنا وتُصـدِّعى متـــلائمَ الشَّعْب

قال : فأقبـل علىّ أبو السائب وقال : يابن أخى ، هـذا والله المُحب عيناً ، لا الّذى يقول :

وكنتُ إذا خليـلٌ رامَ هَجْرى وجدتُ وراىَ مُنفَسَحاً عَريضَـا

أذهب، لا صَبحكَ[1] الله بخير ولا وسّع عليك . يعنى قائل هذا البيت .

سؤال المهدى عن أنسب بيت ورضاؤه عن بيت الأحوص

وحَكى عبدُ الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صَفوان الُجمحىّ قال :

حملتُ دَيْناً بعسكر المهدىّ ، فركب المهدىّ بين أبى عبيد الله وعمر بن بَزيع ، وأنا وراءه على بِرْذون قَطوف[2] ، فقال : ما أنسب بيت قالته العرب ؟ فقال أبو عُبيد الله : قولُ أمرىء القيس :

وما ذَرفتْ عينـاكِ إلّا لتَضربِى بسَهْمَيك فى أعشار قَلْب مُقَتّلِ

فقال : هذا أعرابىّ قُح . فقال عُمر بن بَزيع : قول كُثير بن عبد الرحمن :

أُريد لأنْسَى ذِكْرها فكأنمـا تمثَّـــلُ لى لَيلى بكُل سَبيلِ

فقال : ما هـذا بشىء ! وما له يريد أن ينسى ذِكْرها حتى تمثَّل له ! فقلتُ : عندى حاجتك يا أمير المُؤمنين، جعلنى الله فداك ! قال : أُلحقْ بى . قلت : لا لَحاق بى، جعلنى الله فِداك ، ليس ذاك فى دابّتى . قال : أُحملوه على دابةّ . قلتُ : هـذا أول الفَتح . فحُملتُ على دابّة ، فلَحِقتُ به ، فقال لى : ما عندك ؟ قلت : قول الأحوص :

إذا قلتُ إنِّى مُشْتَفٍ بلقائهـا وحُمَّ التَّلاقى بيننا زادنى سُـقْمَا

(١) فى بعض الأصول : « فلا صحبك الله ولا وسع عليك » .
(٢) القطوف : المبطىء .

فقال : أحسن والله ؛ اُقضُوا عنه دينَه . فقُضى عنّى دينى .

وتمامُ هذه الأبيات التى لـكُثير :

ألا حيِّيا ليلَى أَجـدَّ رَحيلى وآذَنَ أَصحابى غداً بقُفولِ

ولم أرَ من لَيلى نوالاً أُعُدّه ألَا ربّمـا طالبتُ غيرَ مُنيـل

وليس خَليلى بالمَلُول ولا الّذى إذا غِبتُ عنـه باعنِى بخليـل

ولـكن خليلى مَن يدُوم وصالُه و يَحفظ سِرِّى عند كل دَخيل

و بيت الأحوص من قصيدة أولها :

ألا قِفْ بِرَسْم الدّار وأسْتَنْطق الرَّسْما فقـد هاج أحزانى وذكَّرنى نُعْمَى

فبتُّ كأنّى شـاربٌ من مُدامةٍ إذا أذهبت هَمًّا أتاحتْ له هَمَّا

أخبار الدّلال

اسمه وولاؤه

واسمُه ناقد . وكُنيته أبو زَيد . وهو مَدنىّ ، مولى بنى فَهم .

شىء عنه

ولم يكن فى المُخَنَّثين أحسنُ وجهاً ولا أنظفُ ثوباً ولا أظرفُ منه . وهو أحد من خَصاه ابنُ حَزم من المُخنَّثين . فلما فُعل به ذلك قال : الآن تمّ الخُنث .

وكان كثيرَ النّوادر . نَزْر الحديث ، فإذا تكلم أضحك الثّكلى .

وكان غناؤه ضَعيفاً . وسُمّى الدّلالَ لظَرْفه وشَكله وحُسن دَلّه وحَلاوة مَنطقه . وكان مَشْغوفاً بمُخالطة النِّساء ، ويُكثر وصفَهن للرِّجال . وكل مَن أراد خِطْبة امرأة سأله عنها وعن غيرها ، فلا يزال يَصف النِّساء واحدةً واحدةً حتى يَنْتهى إلى وَصْف ما يُعجبه ، ثم يتوسّط بينه وبين من يُعجبه منهنّ حتى يتزوجها . وكان يُشاغلُ كلَّ مَن يُجالسه عن الغناء بتلك الأَحاديث ، كراهة منه للغناء .

سبب خصائه

وذُكر أنه كَتب سُليمان بن عبد الملك إلى أبى بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزم ، فخَصى تسعة ، أحدُهم الدلال .

وقيل :

كان السببُ فى ذلك أنّ سُليمان بن عبد الملك كان مُستلقياً ليلة على فراشه ، وجاريةٌ له إلى جَنبه وعليها غِلالةٌ ورِداء مُعَصْفران ، وفى عُنقها فَصلان من لُؤلُؤ وزَبرجد وياقوت . وكان سُليمان بها مشغوفاً . وفى عسكره رجلٌ يقال له سُمَير يُغنِّى ، فلم يفكِّر سليمانُ فى غِنائه شُغلاً بها وإقبالاً عليها ، وهى لاهيةٌ عنه لا تُجيبه مُصغيةً إلى الرجل ، حتى طال ذلك عليه ، فحوّل وجهه عنها مُغْضباً . ثم عاد إلى ما كان مَشغولاً عن فَهمه بها ، فسَمع سُميراً يُغنِّى بأحسن صوت :

مَحجوبة سمعتْ صَوْتى فأرّقها من آخر الليل لما طلّها[1] السَّحَرُ

تُدْنى على جِيدها ثِنْيَيْ مُعَصْفَرَةٍ والحَلْىُ منها على لبّاتها خَصِر

فى ليلة النِّصف ما يَدرى مُضاجعها أوجهُها عنده أبهى أم القَمر

لو خُلِّيتْ لَمَشَتْ نحوى على قَدمٍ تكاد من رِقةٍ للمَشْى تَنفطر

فلم يشُكّ سليمان أن الذى بها ممّا سمعتْ ، وأنها تَهوى سُميراً . فوجّه من وقته مَن أحضره وحَبسه ، ودعا بالجارية ودعا بسَيف ونِطع وقال : والله لئن لم تَصْدُقينى لأضربنّ عُنقك . قالت : سَلْ ما بدا لك . قال : أخبرينى عما بينك و بين هذا الرَّجل . قالت : والله ما أعرفه ولا رأيتُه قطُّ ، وأنا جارية مُنْشَئى الحجاز ، ومِن هُناك حُملت إليك ، ووالله ما أعرف بهذا البلاد أحداً سواك . فرقّ لها وأحضر الرجلَ وجالسه وتلطّف فى المسألة . فلم يَجِد بينه و بينها شيئاً . ولم تطب نفسُه بتَخْلية سُمير سويًّا ، فخَصاه .

وذُكر أن سَليمان بن عبد الملك قال يومئذ : هَدر الجمل فضَبِعتْ الناقة[2] ، ونَبَّ التَّيْس فاُستَحْرمت[3] الشَّاة ، وهَدل الطائر فزَافت[4] الحمامة ، وغنّى الرجل فطربت المرأة . ثم سأل عن الغناء : أين أصلُه ؟ فقالوا : بالمدينة فى المُخنَّثين ، وهم أئمتُه والحُذّاق فيه . فكتب يأمر بخِصائهم .

حديث هربه من المدينة إلى مكة

وقيل :

كان الدَّلال ملازماً لأُم سعيد الأسلميَّة ، و بنتٍ ليحيى بن الحكم بن أبى العاصى ، وكانتا من أمجن النِّساء ، وكانتا تخرجان فتركبان الفرسَيْن ثم تَستبقان

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « حتى شفها السهر » . (٢) ضبعت : اشتهت .

(٣) استحرمت : أرادت الفحل . وفى بعض أصول الأغانى : « شكرت » . وشكرت الشاه : امتلأ ضرعها ، ويكنى بذلك عن حنيها .

(٤) زافت : تبخترت فى مشيتها .

عليهما حتى تَبْدُوَ خَلاخيلُهما . فقال معاويةُ بن أبى سفيان لمَرْوان بن الحكم : كْفنى بنتَ أخيك . قال : أفعل . فأمر ببئر فحُفرتْ فى طريقها وغُطِّيت بحَصير . فاستزارها، فلما مشتْ عليه سقطتْ فى البئر ، فكانت قبرَها . وطُلب الدَّلال فهرب إلى مكة . فقال له نساءُ أهل مكة : قتلتَ نساء أهل المدينة وجئْت لتقتلَنا ! فقال : والله ما قتلهنّ إلا الحُكَاك . فقلن : اُعزُب أخزاك الله ولا أَدنى بك . قال : من لكنّ بعدى يُدل على دائكن ، ويعلم موضع شفائكن ؟ والله ما زَنيتُ قَطُّ ولا زُنى بى ، وإنى لأشتهى ما تَشتهى نساؤكم ورجالكم .

هو والوالى وقد وجد سكران مع غلام

وقيل :

وُجد الدلال مع غُلام وهما سكرانان . فأمر الوالى أن يُدار بهما فى السِّكك . فقيل : ماهذا يا دلال ؟ قال : اُشتهى الأَميرُ أن يَجمع بين رأسين فجَمع بينى و بين هذا ، ولو قيل له : إنّك قَواد ! غَضبَ . فقال : خَلُّوا سبيلَهما . لعنةُ الله عليهما !

غنى نائلة فأجازته

وقيل :

جاء الدَّلال يوماً إلى منزل نائلة بنت عمّار الكَلْبى ، وكانت عند مُعاوية بن أبى سُفيان فطلَّقها ــ وسبب طلاق معاوية لها أنه قال لفاختة بنت قَرَظة : اُذهبى فانظرى إليها . فذهبتْ ونظرتْ ، فقالت له : ما رأيتُ مثلَها ، ولكن رأيتُ تحت سُرتها خالاً ليُوضَعنّ منه رأسُ زوجها فى حِجرها . فطلّقها . فتزوّجت بعده رجلان، أحدهما حَبيب بن مَسلمة ، والآخر النُّعمان بن بشير الأنصارى . فقُتل أحدهما ووُضع رأسه فى حجرها ــ فقرع الدلالُ بابها فلم تفتح له، فغنّى بشعر مجنون بنى عامر، ونَقر بُدفه عليه:

خليلىَّ لا والله لا أملك البُكا إذا عَلَمٌ من أرض ليلى بَدَاليَا
خليلىَّ إن بانُوا بليلى فهيِّئا لِىَ النَّعشَ والأكفان واُستغفرا ليا

فخرج خَدمُها فزجروه وقالوا : تَنَحَّ عن الباب. وسمعتِ الجلبةَ فقالت : ما هذه

الضجَّة بالباب ؟ فقالوا : الدّلال . فقالت : إيذنُوا له. فلما دَخل عليها شقّ ثوبه وطَرح التراب على رأسه وصاح بوَيْله وحَرَبه . فقالت له : لك الويلُ ! مالك ؟ ومادهاك؟ قال : ضَربنى حَشَمك . قالت : ولِمَ ؟ قال : غنّيتُ صوتاً أُريد أن أُسْمعك إياه. قالت : أُفٍ لهم وتُف ! نحن نبلغ ما تحبّ ونُحسن تأديبَهم . ياجارية ، هاتى ثياباً مقطوعةً . فلما طُرحَت عليه الثِّياب ، قالت : ما حاجتُك ؟ قال : لا أسألك حاجةً حتى أُغنِّى لك . قالت : فذلك إليك . فاندفع يُغنِّى بشعر جَميل :

أُرحمينى فقــد بَليتُ فحَسْبى بعضُ ذا الداء يا بُثَينــةُ حَسْبِى
لامَنى فيــكِ يا بُثينــةُ صَحْبى لا تَلُوموا قدقَرَّح الحُزنُ[١] قَلْبِى
زَعم النــاسُ أنّ دائىَ طِبِّى أنتِ واللهِ يا بُثينــــة طِبِّى

ثم جلس ، فقال : هل من طعام ؟ فقالت : علىّ بالمائدة . فأُتى بها كأنها كانت مهيَّأة ، عليها أنواعُ الأطعمة . فأَكل ثم قال : هل من شَراب ؟ قالت : أمّا نبيذ فلا ، ولــكنْ غيره . فأُتى بأنواع الأَشربة . فشَرب ثم قال : هل من فاكهــة ؟ فأُتى بأنواع الفاكهه فتفكّه . ثم قال: حاجتى خمسة آلاف درهم ، وخَمس حُلل من حُلل معاوية ، وخَمس حُلل من حُلل ابن مَسلمة، وخَمس حُلل من حُلل النُّعمان بن بَشير . قالت : وما أردتَ بهذا ؟ قال : هو والله ذاك، والله والله ما أَرضى ببعضٍ دون بعض . فإما الحاجة و إمّا الرّدّ . فدعت له بما سأل . فقبضَه ثم قام . فلمــا توسَّط الدار غنَّى ونَقر بدُفِّه :

ليت شعرى أجفوةٌ أم دَلالٌ أم عدوٌّ أتى بثُينةَ بَعــدِى
فمُرِينى أُطِعْــكِ فى كُل أمر أنت والله أوجهُ الناس عندى

سبب تركه الخمر

وذُكر أنّ الدلال كان لايشرب النبيذَ ، فخرج مع قوم إلى مُتنزَّه لهم ، ومعهم نبيذ ، فشَربوا ولم يَشْرب منه ، وسَقوه عسلا مَجْدوحاً[٢] ، وكان كلما تَغافل صيَّروا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أقرح الحب » . (٢) المجدوح : المخلوط .

فى شرابه نبيذاً فلا يُنكره ، حتى كثُر ذلك فسكر وطَرب ، وقال : اسقُونى من شَرابكم . فسقَوه حتى ثَمِل ، وغنَّاهم فى شعر الأحوص :

طاف الخيالُ وطال الليلُ فاُعتكَرا ... عنـد الفِراش فآب الهمُّ مُحْتَضِرَا

أُراقبُ النَّجم كالحَيْران مُرتقِباً ... وقَلَّص النَّومُ عن عينىّ فاُنْشمَرَا

من لوعةٍ أورثتْ قَرْحاً على كَبِدى ... يوماً فأَصبح منهـا القلبُ مُنفَطِرا

ومَن يَبِتْ مُضمِراً حُبًّا[1] كما ضمِنتْ ... منّى الضلوعُ يَبِتْ مُستبطِناً غِـيَرا

واُستحسن القومُ وطربوا وشربُوا . ثم غنَّى :

طربْتَ وهاجك من تَذَكُّرْ ... ومن لستَ من حُبّه تَعتـذِرْ

فإن بان[2] منهـا الّذى أرْتجى ... فذاك لَعَمْرى الذى أَنْتظر

وإلا صـبرتُ فلا مُفْحِشاً ... عليهـا بسُوء ولا مُنْتَهِر[3]

وسَكر الدّلالُ حتى خَلع ثيابَه ونام عُرياناً ، فغطّاه القومُ بثيابهم وحَملوه إلى منزله ليلاً فنوَّموه واُنصرفوا عنه . فأَصبح وقد تقيَّأ ولوَّث ثيابَه بقيئه ، فأنكر نفسَه، وحلف لا يُغَنِّى أبداً ولا يُعاشر مَن يَشرب النَّبيذ . فوفّى بذلك إلى أن مات . وكان يُجالس المَشيخة والأَشراف فيُفيض معهم فى أخبار النّاس حتى قَضى نَحبه ، رحمه الله .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « هما » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « نلت » مكان « بان » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « مبتهر » . « والابتهار : قول الكذب واللف عليه .

أخبار طُريح

نسبه

وهو طُريح بن إسماعيل بن عبيد بن أَسِيد بن عِلَاج بن أبى سَلَمة بن عبد العُزَّى ابن عَنَزة بن عَوف بن قَسِيّ . وهو ثقيف بن مُنبِّه بن بكر بن هَوازن .

ومن النَّسابين من يقول : إن ثقيفاً هو قَسِىّ بن مُنبِّه بن النَّبيت بن مَنصور ابن يَقْدُم بن أَفصى بن دُعْمِىّ بن إياد بن نِزار .

ومنهم من يقول : إنّ ثقيفاً من أبى رِغال . وقيل : عَبدُ أبى رغال ، وأنّه من بقايا ثمود .

الحجاج ونسب ثقيف

وذُكر أن الحجاج بن يوسف الثقفى قال فى خُطبة خَطبها بالكوفة : بلغنى أنكم تقولون : إن ثقيفاً من ثمود . وهل نجا من ثمود إلّا خيارهم ومَن آمن بصالح فبقى معه . قال الله عزّ وجل : (وثمُودَ فَمَا أَبْقَى) . فبلغ ذلك الحسَن البصرىّ رحمه الله فتضاحك به وقال : حكم اللُّكَع لنفسه ! إنما قال عزّ وجلّ : (فَمَا أَبقَى) أى لم يُبقهم ، أى أهلكهم . فرُفع ذلك إلى الحجاج فطَلبه . فتوارى حتى هلك الحجّاج .

وقد طوّل أبو الفرج القول فى نَسب ثقيف ، فرأيتُ الاُقتصار على ما ذكرتُ .

أمه

وأُم طُريح بنت عبد الله بن سِبَاع بن عبد العُزَّى ، من خُزاعة . وسِباع قَتله حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه يوم أُحد . وسيأتى ذِكره فى موضعه .

كنيته وشىء عنه

ويُكنى طُريح بأبى الصّلت ، لابنٍ له يُسمَّى صَلْتاً . وكان طُريح قد نشأ فى دولة بنى أُمية واُستفرغ شعره فى مدائحهم ، وخاصة فى الوليد بن يزيد بن عبدالملك . وأدرك دولة بنى العبّاس . ومات فى خلافة الهادى . وكان الوليدُ مُكرِماً له مقدماً ، لا يُقاطعه ، لخؤولة الوليد فى ثقيف .

رضى الوليد بن يزيد عنه بعد غضب

وذكر أنّ الوليد كان يُدْنِى مَجْلسه، وجعله أولَ داخل وآخر خارج . وكان لا يُصدر إلا عن رأيه، فاستفرغ مدائحه كلها وعامة شعره فيه . فحَسده أُناس من أهل بيت الوليد . وقَدِم حمّاد الراوية من العِراق إلى الشام، وذلك فى خلافة هشام ابن عبد الملك، والوليد بن يزيد إذ ذاك ولىّ العهد لعمّه هشام . فشكَوْا إليه ذلك وقالوا : والله لقد ذَهب طُريح بالأمير، فما لنا منه ليلٌ ولا نهار . فقال حمّاد : أبغونى من يُنْشد الأمير بَيتَيْن من شعر فأُسقِط منزلته . فطلبوا إلى الخصِىّ الذى كان يقوم على رأس الوليد، وجعلوا له عشرة آلاف درهم، على أن يُنْشد الأمير البيتين فى خَلوة، فإذا سأله : مِن قول مَن هذا ؟ قال : مِن قول طُريح . فأجابهم الخصىّ إلى ذلك — وعلّموه البيتين — فلما كان ذات يوم دخل طُريح على الوليد، وفُتح الباب وأُذن للناس، فجلسوا طويلًا، ثم نهضوا . وبَقِىَ طُريحٌ مع الوليد، فدعا بغدائه فتغدّيا جميعاً . ثم إن طُريحاً خرج ورَكب إلى منزله وترك الوليدَ فى مجلسه ليس معه أَحد . فاستلقَى على فِراشه . واُغتنم الخصىُّ خَلوته فاندفع يُنْشد :

سِيرِى رِكابى إلى مَن تَسعَدين به ... فقد أَقمتِ بدار الهُون ما صَلَحَا

سِيرِى إلى سيِّد سَمْحٍ خلائقُه ... ضَخْمِ الدَّسيعة[1] قَرْمٍ يَحمل المِدَحا

فأَصغَى الوليدُ إلى الخصىِّ يَسمعه، وأعادها الخصىُّ غيرَ مرة . ثم قال الوليد : ويحك يا غلام ! مِن قول من هذا ؟ قال : من قول طُريح . فغَضب الوليدُ حتى امتلأ غيظاً وغضباً، ثم قال : والهفتاه على أُم لى لم تلدنى ! جعلتُه أول داخل وآخر خارج، ثم يزعم أن هشاماً يحمل المِدَح ولا أحملها ! ثم قال : علىّ بالحاجب . فأتاه . فقال : لا أعلم ما أذنتُ لطُريح ولا رأيتُه فى بَسيط الأرض، فإن حاولك فاخْطَفْه بالسَّيف . فلما كان العشىُّ وصُلّيت العصر، جاء طُريح للساعة التى كان يُؤذن له فيها، فدنا من الباب ليدخل، فقال له الحاجب : وراءك ! فقال : مالك ؟ هل

(١) الدسيعة : العطية الجزيلة .

دَخل على ولىِّ العهد أحدٌ غيرى ؟ قال : لا . ولـكن ساعة ولَّيْتَ من عنده دَعانى وأمرنى ألّا آذن لك ، و إن حاولْتنى فى ذلك خطفتُك بالسّيف . قال : لك عشرة آلاف وَأْذن لى فى الدُّخول عليه . فقال له الحاجب : والله لو أعطيتَنى خَراج العراق ما أذنتُ لك ، وما لك من خيرٍ فى الدُّخول، فاُرجع . فقال : و يحك ! هل تعلم مَن دَهانى عنده ؟ قال الحاجب : لا والله ، لقد دخلتُ عليه وما عنده أحد ، ولـكنّ الله يحدِثُ ما يشاء فى الليل والنهار . فرجع طريح فأقام بباب الوليد سنةً لايخلص إليه ولا يقدِر على الدخول عليه . فأراد الرُّجوع إلى بلده وقومه ، فقال : والله إنّ هذا لعجزٌ بى أن أرجع ولم أَلْق ولىَّ العهد وأعلَم من دهانى عنـده . ورأى أناساً كانوا له أعداءً قد فَرِحوا بما كان من أمره ، فكانوا يدخلون على الوليد و يحدِّثونه و يَصدُر عن رأيهم . فلم يزل يلطُف بالحاجب و يُمنِّيه حتى قال له الحاجب : أمّا إذ أطَلتَ الُمقام فأكره أن تنصرفَ على حالك هذه ، ولـكنّ الأمير يومَ كذا وكذا يدخُل الحمّام ثم يأمرُ بسريره فيبرُز عليه ، وليس عليه يومئذ حجابٌ ، فإذا كان ذلك اليوم أعلمتُك فتكون قد دخلتَ عليـه وظفِرت بحاجتك ، وأكون أنا على حال عُذر . فلما كان ذلك اليومُ دَخل الحمّام وأمر بسريره فأُبرِز ، وجلسَ عليه وأذن للناس فدخلوا عليه، والوليدُ ينظر إلى مَن أقبل . و بعث الحاجبُ إلى طُريح ، فأقبل، وقد تتامّ الناسُ . فلما نَظر الوليدُ من بعيـد حوّل وجهه عنه واُستحيا أن يردَّه من بين الناس . فدنا وسلّم ، فلم يُردّ عليه السلام . فقال طُريح يستعطفه و يتضرّع إليه ، قصيدتَه التى أولُها :

نام الخلِى من الهُموم و باتَ لى	ليـلٌ أُكابده وهَمٌّ مُضْلِعُ
وسَهِرْتُ لا أَسْرى ولا فى لذَّةٍ	أَرِقى وأغفَـلُ ما لقِيتُ الهُجّع
أَبغى وُجوهَ مَخارجى من تُهْمَةٍ	أَزَمَتْ علىَّ وسُـدَّ منهـا الَمطْلع
جَزعاً لَمعْتَبَـة الوليـد ولم أكُن	من قبلِ ذاك من الحوادث أَجزع
يا بنَ الخلائف إنّ سُخطك لأمرىءٍ	أمسيتَ عِصْمَتَه بلاءٌ مُفْظِع

إن كنتَ فى ذَنبٍ عتبتَ فإنّنى … عمّا كرهتَ لنازِعٌ مُتضرِّع

ويَئستُ منك فكلُّ عُسْرٍ باسطٌ … كفًّا إلىَّ وكل يُسْرٍ أَقْطع

مِن بعد أَخْذى من حِبالِك بالّذى … قد كُنْتُ أَحسبُ أنّه لا يُقْطع

فأْرِبُبْ[1] صَنيعَك بى فإنّ بأعينٍ … للكاشحين وسَمْعهم ما تَصنع

أَدفعْتنى حتى أنقطعتُ وسُدِّدتْ … عنِّى الوُجوه ولم يكُن لِىَ مَدْفَع

ورُجيتُ وأُتُّقِيتْ يداىَ وقيل قد … أمسى يَضُرُّ إذا أحبَّ ويَنْفَع

ودخلتُ فى حَرَم الذِّمام وحاطَنى … خَفَرٌ أخذتُ به وعهدٌ مُولِع

أفَاَ هادِمٌ ما قد بنيتَ[2] وناقضٌ … شَرَفى وأنت لِغَيرِ ذلك أوسع

ومَدَحه بقصيدة أُخرى منها :

يابن الخلائفِ مالى بعدَ مَقْرَبةٍ … إليك أُقْصَى وفى حالَيْك لى عَجَبُ

ما لى أُذادُ وأُقْصى حين أَقْصِدكم … كما تُوُقِّىَ من ذى العُرّة[3] الجَرِب

كأنّنى لم يكُن بينى وبينكمُ … إلٌّ[4] ولا خُلّةٌ تُرْعَى ولا نَسَب

لو كان بالوُدِّ يُدْنَى منك أَزْلَفنى … بقُرْبك الودُّ والإشْفاق والحَدَب

وكنتُ دونَ رجالٍ قد جعلتَهمُ … دونى إذا ما رَأَونى مُقْبِلًا قَطبُوا

إنْ يَسْمعوا الخَيْرَ يُخفوه وإن سَمِعوا … شَرًّا أذاعوا وإن لم يَسْمعوا كَذَبوا

رأَوْا صُدودَك عنِّى فى اللّقاء فقد … تحدَّثوا أنَّ حَبْلى منك مُنْقَضِب

فأدناه الوليدُ وقرّبه وضَحك إليه، وعاد إلى ما كان عليه.

أجازه الوليد فى مدحه له

وقيل :

جلس الوليدُ بن يزيد يوماً فى مجلس له عامّ، ودخل إليه أهلُ بيته ومواليه والشُّعراء وأَصحابُ الحوائج، وكان أشرف يوم رُئى له. فقام بعضُ الشُّعراء فأنشد،

(١) أربب : زد.
(٢) فى بعض الأصول : «وخافض».
(٣) العرة : الجرب.
(٤) إل : عهد.

ثم قام طُرَيح ، وهو عن يسار الوليد ، وكان أهلُ بيته عن يمينه ، وأخواله عن شِماله وهو فيهم ، فأنشده :

أنت ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطاحِ ولم   تُطْرِقْ عليك الحُنِيُّ[1] والوُلُجُ
طُوبَى لفَرْعَيْكَ مِن هُنا وهُنا   طُوبى لأعراقك التى[2] تَشِجُ
لو قُلتَ للسَّيل دَعْ طريقَك والْـ   ـمَوجُ عليه كالهَضْب[3] يَعْتلج
لسَاخَ وارتدَّ أو لكان له   فى سائر الأرضِ عنك مُنْعَرَج

فطرب الوليدُ بن يزيد حتى رُئِى الارتياحُ منه ، وأمر له بخمسين ألف دِرهم ، وقال : ما أرى منكم أحداً يجيئنى اليومَ بمثل ما قال لى خالى ، ولا يُنشدنى أحدٌ شيئاً بعده . وأمر لسائر الشُّعراء بصلاتٍ ، وانصرفوا . واحتبس طُريحاً عنده، وأمر ابن عائشة فغنّى فى هذا الشِّعر .

بينه وبين المنصور فى مدحه للوليد

وقيل :

لما أفْضت الخلافةُ إلى بنى العبَّاس وولى أبو جعفر المَنصور ، دَخل عليه طُريح فى الشُّعراء ، فقال : لا حيَّاكَ الله ولا بيَّاكَ ! أما اتَّقيتَ الله ! ويلك ! حيث تقول للوليد بن يزيد :

لو قلت للسيل ....   البيتين

فقال طُريح : قد علم الله أنّى قلتُ ذلك ويدى مَمْدودة إليه عزّ وجل ، وإيّاه تبارك وتعالى عنيتُ . فقال المنصور : يا ربيع ، أما ترَى هذا التخلُّص !

(١) المسلنطح من البطاح : ما اتسع واستوى . وتطرق : تطبق وتضيق . والحنى : ما انخفض من الأرض . والولج : كل متسع من الوادى . أى لم تكن بين الحنى والولج فيخفى مكانك . يريد أنه ليس فى موضع خفى من الحسب .

(٢) تشج : تشتبك وتلتف . يريد أن أعراقه واشجة فى الكرم ، أى نابتة فيه ، وأنه كريم الأبوين .

(٣) يعتلج : يلتطم . يقول : أنت ملك هذا الأبطح والمطاع فيه ، فكل من تأمره يطيعك .

من جيد مدحه في الوليد

ومن جيِّد مَديح طُرَيح في الوليد بن يزيد قصيدتُه التي يقول فيها :

لَمْ أَنْسَ سَلمى ولا لَيالِيَنا بالحَزْن إذ عَيْشُنا بها رَغَدُ
إذ نحن في مَيْعة الشَّباب وإذ أيّامُنا تلك غَضَّةٌ جُدُد
في عِيشةٍ كالْفِرِنْدِ عازبةِ الشِّقْوةِ خَضْراءَ غُصْنها[1] خَضَد
نُحْسَد فيها على النَّعيم وما يُولَع إلّا بالنِّعمة الحَسَد
أيّام سَلْمى غَرِيرةٌ أُنُفٌ كأنها خُوطُ بانَةٍ[2] رُؤُد
وَيْحى غداً إن غَدَا عليَّ بما أَكْره من لَوْعَةِ الفِراق غَد
قد كنتُ أبكي من الفِراق وَحيَّانَا جميعاً ودارُنا[3] صَدَد
فكيف صَبْري وقد تَجاوب بالْفُرقة منها الغُرابُ والصُّرَد

يقول فيها من المديح :

أنت إمامُ الهُدى الّذي أَصلح اللّهُ به الناسَ بعد ما فَسدوا
لما أتى الناسَ أنّ مُلكَهمُ إليك قد صار أَمْرُه سَجدوا
واُسْتَبْشروا بالرِّضى تَباشُرَهم بالخُلْد لو قِيل إنكم خُلُد
وعَجَّ بالحمد أهلُ أرضك حتّى كاد يَهتزّ فرحةً أُحُد
رُزِقتَ من وُدّهم وطاعتهم ما لم يَجِدْه لوالدٍ وَلد

ومنها :

قد طَلَب الناسُ ما بلغتَ فما نالوا ولا قاربوا وقد جَهَدوا
يَرْفَعك الله بالتكرُّم والتّقوى فتَعْلُو وأنت مُقْتصِد

(١) عازبة الشقوة : بعيدتها . وخضد : رطب .

(٢) غريرة : بلهاء . وأنف : عذراء . والخوط : الغصن . والرؤد : الغصن أرطب ما يكون وأرخصه .

(٣) صدد : بصددها وقبالتها .

حَسْبُ أمرىءٍ من غِنًى تَقرُّبُه منـك و إنْ لم يكُن[١] له سَبَد
فأنت حِرزٌ[٢] لمن يخاف ولِلْـ ـمَخْذُول أُودى نصيرُه عَضُـد

ومنها :

قـد صدَّق الله ما دِحِيك فمـا فى قـولهم فِريةٌ ولا فَنَـد

هو وأبو ورقاء فى سفر

وحكى أبو وَرْقاء الحنفىّ قال :

خرجتُ من الكوفة أُريد بغداد ، فلما صرتُ بأول خان نزلتُه ، وَ بسط غلمانُنا وهيأوا غِداءهم ولم يجىء أحدٌ بعدُ ، إذ رمانا البـابُ برجل فاره البِرْذون حَسن الهيئة . فصِحْتُ بالغِلمان ، فأَخذوا دابَّته ، فدفعها إليهم . ودعوتُ بالغداء ، فَبسط يَده غيرَ مُحتشِم . فجعلتُ لا أُكرمه بشىء إلّا قَبله . ثم جاء غلمانُه بعد ساعة فى ثَقَل[٣] سرىّ وهيئة حَسنة . فتناسَبْنا فإذا الرجلُ طُرَيح بن إسماعيل الثَّقفى . فلما ارتحلنا ارتحلنا فى قافلة غَنَّاء لا يُدركُ طَرفاها . فقال لى : ما حاجتُنا إلى زِحام هؤلاء، وليستْ بنا إليهم وَحْشة ولا علينا خوف ، نتقدّمهم بيوم فيخلو لنا الطَّريق ونُصادف الخاناتِ فارغةً ونُودِع أنفسَنا إلى أن يُوافُوا . قال : قلت : ذلك لك . فأصبحنا من الغَد فنزَلْنا الخانَ ، فتغدَّينا و إلى جانبنا نهرٌ ظليل ، فقال : هل لك أن نَستنقع فيه ؟ فقلت له : شأنَك . فلمـا سَرَا[٤] ثيابَه إذا ما بين عُصْعُصه إلى كُرْده[٥] ذاهب ، وفى جنبيه أمثالُ الجرذان : فوقع فى نَفسى منه شرٌّ عظيم . فَنظر إلىّ وفَطِن ، فتبسّم ثم قال : قد رأيتُ ذُعرك مما رأيتَ ، وحديثُ هذا إذا

(١) السبد : الشعر . يقال : مال سبد ولا لبد ، أى ليس له شىء . وفى بعض أصول الأغانى : « سند » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أمن » مكان « حرز » .
(٣) الثقل : متاع المسافر وحشمه .
(٤) سرا ثيابه : ألقاها عنه .
(٥) الكرد : العنق . وقيل : أصله .

سِرْنا العشيةَ أذكره لك إن شاء الله . فلما ركبْنا قلتُ : الحديثَ . قال : نعم . قدمتُ من عند الوليد بن يزيد بالدُّنيا ، وكَتب إلى يوسُف بن عمر فملأ يديَّ أصحابُه . فخرجت أُريد الطائف ، فلما امتدّ بى الطريقُ ، وليس يَصْحبَنى فيه خَلق، عَنّ لى أعرابىٌّ على بعير فحدّثنى ، فإذا هو حسنُ الحديثُ ، ورَوى الشّعر فإذا هو راويةٌ ، وأنشدنى لنفسه فإذا هو شاعر . فقلت : من أين أقبلت ؟ فقال : لا أدرى . قلتُ : فأين تُريد ؟ فذكر قصّةً يُخبر فيها أنه عاشقٌ لمُرَيئة قد أفسدت عليه عقلَه ، وسَترها عنه أهلُها وخَلعه أهلُه . فإنما يستريح إلى الطريق يَنحدر مع مُنحدريه ويُصعد مع مُصْعِديه . فقلت : وأين هى ؟ قال : غداً نَنزل بإزائها . فلما نزلنا رأى جبلاً صغيراً عن يسار الطريق ، فقال لى : أترى ذلك الجبل ؟ قلت أراه . قال : إنها فى مَسقطه . فأدْركَتْنى أَريحيّة الشباب ، فقلت : أنا والله آتيها برسالتك . فخرجتُ وأتيتُ الجَبل ، وإذا بيتٌ حَريدٌ[1] وفيه امرأةٌ ظريفة جميلة ، فذكرتُه لها ، فَزفرتْ زَفرةً كادت أضلاعُها تَسَّاقطُ ، ثم قالت : أَوَحَىٌّ هو ؟ قلت : نعم ، تركتُه برَحْلى وراءَ هذا الجَبل ، ونحن بائتون ومُصبحون . فقالت : يا أبى ، إنّ لك وجهاً يدُلّ على خير ، فهل لك فى الأجر ؟ فقلت : أنا والله فقير إليه . قالتْ : فألْبس ثيابى ودَعْنى حتى آتيه ، وذلك مُغَيْربان الشّمس . قلت : أفعلى . قالت : إنك إذا أظلمتَ أتاك زوجى فى هَجْمةٍ[2] من إبله ، فإذا بركتْ أتاك فقال : يا فاجرة ! يا هَنتاه[3] ! فأوسعك سبًّا ، فأَوْسعه صَمْتاً . ثم يقول : أَقْمَعى[4] سقاءك . فضَع القِمَع فى هذا السِّقاء حتى يُحْقَن[5] فيه ، وإيّاك وهذا

---

(١) حريد . منعزل .

(٢) الهجمة من الابل : من الأربعين إلى ما زادت . أو ما بين السبعين إلى المائة .

(٣) ياهنتاه ، أى ياهذه . وقيل : يابلهاء .

(٤) قمع الإناء : إذا وضع القمع فى فمه .

(٥) يحقن : يجتمع .

الآخَرَ فإنّه واهِى الأسـفل . فجاء زوجُها وفعلتُ ما أمرتْنى ، ثم قال : أُقْعِى سقاءك . فحيَّننى(١) الله عزّ وجلّ ، فتركتُ الصَّحيح وقمتُ الواهى ، فما شعرتُ إلّا واللبنُ بين رجلَيْه ، فعَمد إلى قِدٍّ مَربوع(٢) فثناه بأُثنين فصار على ثمانى قُوًى ، ثم جَعل لا يتَّقى منِّى رأساً ولا رِجْلاً ولا جَنْباً ، فخشيتُ أن يبدُوَ له وجهى فتكون الأُخرى ، فألزمتُ وجهى الأَرض ، فعَمل فى ظَهرى ما ترى .

---

(١) حينه الله : لم يوفقه للرشاد .

(٢) القد : السير من الجلد . ومربوع : ذو أربع قوى .

أخبار أبي سعيد

مولى فائد

اسمه وولاؤه

هو أسمه إبراهيم . وفائدٌ هو مولى عَمرو بن عثمان بن عفّان . وهو يعرف فى الشعراء بأبن أبى سِنّة ، مولى بنى أُمية . وفى المُغنّين بأبى سعيد مولى فائد .

شىء عنه

وكان شاعراً مُجيداً . ومغنيّاً ناسكاً ، فاضلاً ، مقبولَ الشَّهادة بالمدينة معدَّلا .

عاش إلى خلافة الرَّشيد ، ولقى إبراهيم بن المَهدىّ ، و إسحاق الموصلىّ .

وله قصائدُ جِيادٌ فى مَراثى بنى أُمية الذين قَتلهم عبدُ الله ، وداوُد ، أبنا علىّ أبن عبد الله بن العبّاس ، فى أول الدولة العباسيّة .

هو والمهدى وقد أراده على الغناء

وذُكر أن المهدى أستحضر أبا سعيد وأمره أن يُغنّى له :

لقد طُفْتُ سَبعاً قلتُ لما قَضيتُها ... أَلَا ليت هـذا لا علىّ ولا ليَا

وقد كان أبو سـعيد نَسك . فقال : أوَ أُغنّيك يا أمير المُؤمنين أحسنَ من هذا ؟ قال : أنت وذاك . فغنّاه من شعره بقوله :

إنّ هذا الطَّويلَ من آل حَفْصٍ ... نَشر المجد بعد ما كان ماتَا

و بَناه على أَســاسٍ وَثيق ... وعِمَادٍ قد أُثْبتتْ إثبـاتا

مثلَ ما قـد بَنى له أوّلوه ... وكذا يُشْبه البُناةُ[1] البُناتا

فقال له المهدىّ : أحسنت يا أبا سعيد ! فغنّنى « لقد طفت سبعاً » . فقال : أَوَ أُغنّيك أحسن من هذا ؟ قال : أنت وذاك . فغنّاه :

---

(١) فى التجريد : « النبات النباتا » وهى رواية بعض أصول الأغانى .

قِدم الطويلُ فأشرقتْ وأستبشرتْ أرضُ الحجاز وبانَ فى الأَشْجارِ
إنّ الطَّويل من آل حَفْصٍ فاُعلموا سادَ الحضورَ وساد فى الأسفار

فأَحسن فيه . فقال : غنِّنى : « لقد طفتُ سبعاً » . قال : أَوَ أُغنِّيك أحسنَ منه ؟ قال : أَفْعل . فغنّاه :

أيّها السائلُ الذى يَخْبط الأرْ ضَ دَعِ النّاسَ أجمعين وَرَاكَا
وأْتِ هذا الطويلَ من آلِ حَفْصٍ إنْ تخوّفت عَيْلةً[1] أو هَلاكا

فأحسن . فقال له : غنِّنى : « لقد طفت سبعاً » فقد أحسنت فيما غنّيت ، ولكنّا نُحبّ أن تُغنِّينا ما دَعوناك إليه . فقال : لاسبيلَ إلى ذلك يا أمير المُؤمنين، لأنى رأيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فى مَنامى وفى يده شىء لا أدرى ما هو ، وقد رَفعه ليضربَنى ، وهو يقول : يا أبا سعيد ، لقد طفتُ سبعاً ! لقد طفت سبعاً ! لقد طفت سبعاً ! ما صنعتَ بأُمتى فى هذا الصوت ؟ قلت : بأبى وأُمى ، اُغفر لى ، فو الذى بعثك بالحقّ ، واَصطفاك بالنُّبوة ، لا غَنَّيْتُ هذا الصوت أبداً . فردّ يده عنّى وقال : عفا الله عنك . ثم اُنتبهت ، وما كنتُ لأُعطىَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم شيئاً فى منامى وأَرجعَ عنه فى يقظَتى . فبكا المهدىُّ وقال : أحسنتَ يا أبا سعيد ! أحسن الله إليك ! لا تَعُد فى غِنائه . وحَباه ووصله .

شىء عن عبد الله المخزومى

والطويلُ المذكور فى هذه الأسفار هو عبد الله بن عبد الحميد المَخزومىّ . وكان ممدَّحاً . وهذا البيتُ الذى هو « لقد طفت سبعاً » من أبيات لأبى سعيد مولى فائد ، وهى :

يُسائلنى صَحْبى فما أعقِلُ الذى يقُولون من ذِكْرِ لليْلَى اعترانيا
إذاجئتَ بابَ الشِّعْب شِعب ابنِ عامر فأَقْرِئ غَزال الشِّعْب منّى سلاميا

---

(١) العيلة : الفقر .

وقل لغَزال الشّعب هل أنتَ نازلٌ بشِعْبك أم هل تُصبِح القلبَ ثاويا
لقد زادنى الُحجّاجُ شَوْقاً إليكمُ وإنْ كنتُ قبل اليوم للحجّ قاليا
وما نظرتْ عينى إلى وَجه قادمٍ من الحجّ إلّا بَلَّ دَمْعِى ردائيا

سأله إبراهيم بن المهدى أن يغنيه فى المسجد

وحكى إبراهيمُ بن المهدىّ قال :

كنتُ بمكة فى المسجد الحرام ، وإذا شيخٌ قد طَلع ، وقد قَلب إحدى نعلَيْه على الأُخرى وقام يُصلِّى . فسألتُ عنه ، فقيل : هذا أبو سعيد مولى فائد . فقلتُ لبعض الغلمان : أحصِبوه . فَحصبه أحدُهم . فأقبل عليه وقال : ما يظُن أحدُكم إذا دخل المسجد إلا أنه له ! فقلتُ للغلام : قُل له : يقول لك مولاى : أَبْلُغْنى . فقال ذلك له . فقال أبو سعيد : مَن مولاك ؟ حَفِظه الله ! قال : مولاى إبراهيم ابن المهدىّ ، فمن أنت ؟ قال : أبو سعيد مولى فائد ، وقام فجلس بين يدىّ، وقال : لا والله — بأبى أنت وأُمى — ما عرفتُك ! فقُلت : لا عليك ، أخبرنى عن هذا الصَّوت :

أَفاض المدامعَ قَتْلَى كُدًى وقَتْلَى بكُثْوة(١) لم تُرْمَسِ

فقال : هو لى . فقلتُ : وربِّ هذه البَنِيَّة لا تَبرح حتى تُغنِّيه . فقال : وربِّ هذه البَنِيَّة لا تَبرح حتى تَسمعه . ثم قَلب إحدى نعليه ، وأخذ بِعقب الأُخرى ، وجعل يَقرع بحرفها على الأُخرى ويُغنيه ، حتى أتى عليه . فأخذتُه منه . وهذا البيتُ من شعر لعبد الله العَبْلى يرثى بنى أُمية ، وهو :

أَفاض المَدامِعَ قَتلَى كُدًى وقَتْلَى بكُثْوة لم تُرْمَسِ
وقَتْلَى بوَجٍّ وباللّابتَيْنِ من يَثْرِبٍ(٢) خيرُما أَنْفُس

(١) كدى، وكثوة : موضعان .
(٢) وج : واد بالطائف . واللابتان : حرتان تكتنفان المدينة .

وبالزّابِيَيْن نفوسٌ ثَوت ... وأُخْرى بنَهر[(١)] أبى فُطْرس

أولئك قومى أناختْ بهم ... نوائبُ من زَمنٍ مُتْعِس

إذا ركبوا زيّنوا الموكبَيْن ... وإن جلسوا الزّينُ فى المَجْلس

ومنها: تقول أُمامةُ لمّا رأتْ ... نُشوزِى عن المَضجع الأنفس

وقِلّةَ نَوْمى على مَضْجعى ... لدى هَجْعة الأَعْيُن النُّعَّس

أبِى، ماعَراك؟ فقلتُ الهُموم ... عرَيْنَ[(٢)] أباك فلا[(٣)] تيْأَسى

عرَيْنَ أباك فحبَّسْنه ... من الذُّلِّ فى شَرِّ ما مَحْبِس

لِفقْدِ الأَحبَّة إذ نالها ... سِهامٌ من الحَدَث المُبْئس

رمتْها المَنُون بلا نُكّلٍ ... ولا طائشات ولا نُكَّس

بأسْهُمها المُتْلفاتِ النُّفوسِ ... متى ما تُصب مُهجةً تَخْلِس

فصرّعْنَهم فى نواحى البلاد ... مُلقًّى بأرضٍ ولم[(٤)] يُرْسَس

تقيٌّ أُصيب وأثوابُه ... من العَيبِ والعارِ لم تَدْنَس

وآخرُ قد دُسَّ فى حُفرة ... وآخر قد طار لم يُحْسَس

إذا عنّ ذِكرهُمُ لم ينم ... أبوكِ وأَوْحش فى المَجْلس

فذاك الذى غَالنى فاعْلمى ... ولا تَسألى بأمرىءِ مُتْعَس

همُ أَضرعونى لرَيْب الزَّمان ... وهُمْ أَلصقوا الرَّغْم[(٥)] بالمَعْطِس

ثم استطرد أبوالفرج بذكر قَتلى بنىأُمية، فذكره، وأُقدِّم عليه مقدِّمةً تفهِم ما ذكره من الأخبار والأشعار.

(١) الزابيان: الأعلى، والأسفل. والأول بين الموصل وإربل، وفيه كانت وقعة بين مروان الحمار وبنى العباس. والثانى بينه وبين الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة، وفيه كان مقتل عبيد الله بن زياد. وأبو فطرس: نهر قرب الرملة من فلسطين، وبه كانت الوقعة بين عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس وبين بنى أمية سنة ١٣٢ هـ.

(٢) فى بعض الأصول: «عرون» وهما بمعنى.

(٣) فى بعض الأصول: «فلا تبلسى» أى لا تحزنى.

(٤) الرس: الدفن. (٥) الرغم، مثلثة الراء: التراب. والمعطس: الأنف.

خبر مقتل بنى أُميَّة

تمهيد لابن واصل فى العداوة بين عبد شمس وهاشم

أُتفق أصحاب الأخبار على أن عَبد شمس بن عَبد مناف بن قُصى كان أخا هاشم ابن عَبد مناف ، جدّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لأبيه وأُمه . وذُكر أنهما كانا توأمين ، وأنهما خَرجا ملتصقَيْن ، ففُصل بينهما فجرى منهما دَمٌ ، فتُطيّر من ذلك ، وقيل : إنه يكون بين الأخوَين دَمٌ ، فكان كذلك . فكان أُمية بن عبد شمس ينافس أبن عمّه عبد المطلب بن هاشم ويَحْسُد مكانته . وكان عبد المطلب أجلّ وأعظم . ولما جاء الإسلامُ و بُعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم محمد بن عبد الله بن عبد المُطلب بن هاشم ، كان أشدَّ البطون عداوة له بنو عبد شمس . كان منهم عُتبة ، وشَيبة ، والوليد ، صناديد الكُفْر ؛ وأبو سُفيان بن حَرب قائد قريش . ومَنَّ الله سبحانه على جَماعةٍ منهم بالإسلام والسَّبْق والهجرة ، وهم عثمان ، وأبو حُذيفة ابن عُتبة ، وخالد بن سعيد ، رضى الله عنهم . ثم أظهر الله رسولَه وفتَح له مكةَ وأسلم أبو سفيان ومن بقى من أهل مكة . ثم تُوفى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ووَلى بعده الخلفاء الرّاشدون ، وقَمع الله بهم إحَن الجاهليّة . فلما أنقضت أيامُ الخلفاء الراشدين وصارتْ الخلافةُ إلى بنى أُمية أَظهروا عداوةَ بنى هاشم و إبعادهم ، وأكّد ذلك فى نُفوسهم خوفُهم أن يَسْلبوهم مُلْكهم ، إذ كان الناس إلى بنى هاشم أميلَ . فقُتل فى أيامهم الحُسين بن على رضى الله عنهما ، وجماعة من أهل بيته بكَرْبلاء ، ثم قُتل يزيد بن علىّ بن الحُسين بالكُوفة وصُلب بها وأُحرق ، ثم قتل أبنه يحيى بن يزيد بخُراسان . فقويت بسبب ذلك الإحَن بين البيتَيْن وصارت لبنى العبّاس شيعةٌ بخُراسان ، وأضطرب فى آخر الأمر مُلك بنى أُمية

ووقعت الفتن بينهم ، فقويتْ شِيعةُ بنى هاشم بخُراسان وظهر بها أبو مسلم صاحبُ الدعوة ، واُستولى على خُراسان وعظُمت جنودُه وجعلوا شعارهم السوادَ . ثم قصدتْ المُسوّدةُ العراقَ و بايعوا بالخلافة السفَّاح أبا العبَّاس عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العبَّاس ، وكان هو وأهل بيته مُقيمين بالشام بقَرْية يقال لها الُحميمة . وكان صاحبَ الأمر الذى الدَّعوة له أُخوه إبراهيم الإمام . فظَفر به مروان بن محمد الحِمار ، وهو آخر خلفاء بنىأمية ، وحَبسه بحرّان ثم قتَله فى الحَبس . ولما قُبض على إبراهيم أوصى إلى أخيه أبى العبّاس . ولما بويع أبو العباس بَعث عمّه عبد الله بن علىّ فى الجُنود لقتال مَروان الحمار ، فالتقَوا بزاب المَوْصل . فاُنهزم مروان هَزيمةً قبيحة ، وأُتبعته الجُيوش . فقَصد دمشق ثم مِصر .

مقتل مروان الحمار

قال أبو الفرج : فأتبعه عبد الله بن علىّ بقائد من قُوّاد خُراسان ، يقال له : عامر أبو إسماعيل ، فلحقه بقَرية من قُرى مِصْر يقال لها : بُوصِير . فقَتله يوم الأَحد لثلاث بَقين من ذى الحجّة سنة اُثنتين وثلاثين ومائة . ووجه برأسه إلى عبد الله اُبن علىّ ، فأنفذه إلى أبى العبّاس السفّاح . فلما وُضع الرأسُ بين يديه خَرَّ ساجداً وقال : الحمد لله الذى أظهرنى عليك وأظفرنى بك ، ولم يُبْق ثأرى قِبلَك وقِبلَ رَهْطك أعداء الدِّين . وتمثّل بقول ذى الإصبع العَدْوانىّ :

لو يَشْربون دَمِى لم يُرْوِ شاربَهم ... ولا دِماؤُهمُ للغَيظ تُرْوِينِى

عبد الله بن على وابن مسلمة فى الحرب

وقيل :

نظر عبدُ الله بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس إلى فتًى عليه أُبّهة الشَّرف وهو يُقاتل مُستقتلاً[1] ، فناداه : يا فتى ، لك الأمان ولو كنتَ مروان بن محمد . فقال : إلّا أ كُنْه فلستُ بدونه . قال : فلك الأَمان ولو كُنتَ مَن كنت . فأطرق ثم قال :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « مستنتلا » والمستنتل : الخارج عن الصف .

أذُلَّ الحياة وكُرْهَ الممات وكُلّا أراه طعاماً وَبيلا
فإنْ لم يكُنْ غيرُ إحداهما فَسيْراً إلى الموت سيراً جَميلا

ثم قاتل حتى قُتل ، فإذا هو ابنٌ لَمسلمة بن عبد الملك بن مَروان .

شعر سديف يغرى العباس ببنى أمية

وقيل :

جلس أبو العبّاس بن السفّاح يوماً على سريره ، و بنو هاشم دونه على الكراسىّ ، و بنو أُمية على الوسائد قد ثُنيت لهم . وكانوا فى أيام دولتهم يَجلسون هم والخليفةُ منهم على السَّرير ، و يجلس بنو هاشم على الكراسىّ . فدخل الحاجبُ فقال : يا أمير المُؤمنين ، بالباب رجل حجازىّ أسود راكبٌ على نَجيب متلثّمٌ يستأذن ولا يُخْبِر باسمه ، وحَلف ألّا يَحْسِر اللِّثام عن وَجهه حتى يراك . فقال : هذا مولاى سُدَيف ، يدخُل . فدَخل . فلمّا نظر إلى العبّاس و بنو أُمية حوالَيه ، حَدَر اللِّثام عن وَجهه وأنشأ يقول :

أَصبح المُلك ثابتَ الأساس بالبَهاليل[1] من بنى العبّاس
بالصُّدور المُقدَّمين قَديماً والرُّءوس القَماقم[2] الرُّؤّاس
يا أَمير المُطَّهرين من الذَّ مِّ و يارأس مُنتَهى كُلِّ راس
أنتَ مهدىُّ هاشمٍ وهُداها كم أُناسٍ رجَوْك بعد أُناس
لا تُقيلنَّ عبد شَمْس عِثاراً وأْقطَعن كُلَّ رَقْلةٍ[3] وغِراس
أَنزِلوها بحيثُ أنزلها اللَّـه بدار الهَوان والإِتْعاس
خَوفُها أظهر التَّودُّد منها وبها منكمُ كحزِّ المَواسى
أَقْصِهم أيُّها الخليفةُ واْحسِم عنك بالسَّيف شأفةَ الأَرْجاس

(١) البهاليل : جمع بهلول ، وهو العزيز .
(٢) القماقم ، بالضم : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .
(٣) الرقلة : النخلة الطويلة .

وأُذْكُرن مَصْرعَ الحسين وزَيدٍ   وقتيلٍ بجانب[1] المِهْراس
والإمامَ[2] الذى بحرَّان أمسى   رَهْنَ قبر فى غُربةٍ وتَناسى
فلقد ساءنِى وساء سَوائى   قُرْبهم من نَمارقٍ وكَراسِى
نِعْمَ كَلْب الهِرَاشِ مَولاكَ لَوْلا   أَوَدٌ[3] مِن حَبائل الإفْلاس

فتغيَّر لون أبى العبّاس وأخذه الزَّمع والرِّعدة ، والتفت بعضُ ولد سُليمان ابن عبد الملك إلى رجل منهم كان إلى جَنبه فقال : قَتلنا والله العبدُ ! ثم أقبل أبو العبّاس عليهم وقال : يا بَنى الفَواعل ! أَرى قتلاكم من أهلى قد سَلفوا وأنتم أحياء تتلذّذون فى الدُّنيا ! خُذوهم . فأخذتْهم الخراسانيّة بالكافر كوبات[4] فأهمدوهم ، إلا ما كان من عبد العزيز بن عُمر بن عبد العزيز ، فإنه استجار بداودَ بن علىّ وقال له : إن أبى لم يكُن كآبائهم ، وقد علمتَ صنيعَه إليكم . فأجاره واستوهبه من السفّاح وقال : قد علمتَ يا أمير المؤمنين صَنيع أبيه إلينا . فوَهبه له وقال : لا تُرينى وجهَه وليكن بحيث نأمنه . ثم كتب إلى عُمّاله بالنواحى بقَتل بنى أُمية .

السفاح بعد قتله بنى أمية

وقيل :

إن السفّاح أمر بالغَداء حين أمر بقتل بنى أُمية ، وأمر ببساطٍ فبُسط عليهم ، وجَلس فوقه يأكل وهم يَضْطربون تحته . فلما أكل قال : ما أعلمنى أكلتُ أكلة قطُّ كانت أهنأ ولا أطيب فى نفسى منها . فلما فَرغ من الأكل قال : جُرّوا بأَرْجلهم وألقوهم فى الطريق ليلعَنَهم الناس أمواتاً كما لَعنوهم أحياء . قال[5] :

(١) الهراش : ماء بأحد . ويريد بالقتيل : حمزة بن عبد المطلب ، قتل يوم أحد .
(٢) الإمام ، هو إبراهيم ، رأس الدعوة العباسية ، قتله مروان بن محمد .
(٣) الأود : الكد والجهد .
(٤) الكافر كوبات : آلات كالعمد يضرب بها . فارسية .
(٥) المتحدث من إليه أسند الخبر ، وهو المعيطى ، كما ذكر أبوالفرج .

فرأيتُ الكِلاب تجرُّ بأرجلهم وعليهم سراويلاتُ الوَشى حتى أنْتنوا ، ثم حُفرت لهم حفائر فألقوا فيها .

لسديف يحرض السفاح

وذُكر أن سُدَيفاً مولى بنى هاشم أنشد السفّاح ، وعنده جماعة من بنى أُمية :

يا بن عَمّ النبىّ أنت ضياءٌ أُسْتبِنّا بك اليَقين الجليّا
لايغرَّنْكَ ما تَرى من رجالٍ إنّ تحت الضُّلوع داء دويًّا
جرِّد السَّيفَ وارفع العَفْو حتَّى لا تَرى فوق ظَهرها أُموِيّا
بَطن البُغْضُ فى القَديم وأضحى ثابتاً[1] فى قُلوبهم مَطْوِيّا

وهى قصيدة طويلة . فقال : يا سُديف ، خُلق الإنسان من عَجل . ثم قال السفّاح مُتمثِّلا :

أَحيا الضغائنَ آباءٌ لنا سَلَفوا فلن تَبِيد وللآباء أبناءُ

ثم أمر بمَن عنده فقُتلوا .

قتل سليمان بن على لجماعة من الأمويين

وقيل :

حضر جماعةٌ من بنى أُمية عند سُليمان بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس ، وعليهم الثّياب الموشّاة المُرتفعة ، فأمر بهم فقُتلوا .

قال الرّاوى : فكأنى أنظر إلى أحدهم وقد أسودّ عارضاه من الغالية[2] . ثم جُر بأرجلهم وأُلقوا على الطريق ، وإنَّ عليه لسَراويلاتِ الوشْى وإنَّ الكلاب لتجرّ بأرجلهم .

وفود عمرو بن معاوية على سليمان

وحكى المُبارك قال :

جاءنى رسولُ عمرو بن مُعاوية بن عمرو بن عُتبة بن أبى سُفيان ، فقال :

(١) فى الأصل : « ثاويا » .

(٢) الغالية : ضرب من الطيب .

يقول لك عمرو : قد جاءت هذه الدولةُ وأنت حديثُ السِّنّ كثيرُ العيال مُنتشر الأموال ، فما أكون فى قَبيلة إلّا شُهِر أمرى وعُرفتُ ، وقد عزمتُ على أن أَفدى حُرَمى بنفسى ، وأنا صائر إلى باب الأمير سُليمان بن علىّ ، فصِرْ إلىَّ . فوافيتُه ، فإذا عليه طَيْلسان أبيض مُطْبق وسَراويل وَشْيٍ مَسدول ، فقلت : سبحان الله ! ما تَصنع الحداثةُ بأهلها ! أبهذا اللّباس تَلقى هؤلاء القوم لِمَا تُريد لقاءهم فيه ! قال : لا والله ، ولكنّه ليس عندى ثوب إلا أشهر مما ترى . فأعطيتُه طَيْلسانى وأخذتُ طيلسانه ، ولويتُ سَراويله إلى رُكبته . فدخل إلى الأمير ثم خَرج مسروراً . فقلت له : حدِّثنى ما جرى بينك و بين الأمير . قال : دخلت عليه ولم يَرنى قطُّ ، فقلت : أصلح الله الأمير ، لفَظَتْنى إليك البلاد ، ودلّنى عليك فضلُك ، فإما قتلتَنى غانماً ، و إما رددْتنى سالماً . قال : ومَن أنت ؟ ما أعرفك . فانتسبتُ له . فقال : مرحباً بك ، اُقعُد فتكلَّم غانماً . ثم أقبل علىّ فقال : ما حاجتُك يابن أخى ؟ قلت : إن الحُرَم اللّواتى أنت أقربُ الناس إليهن معنا ، وأولى الناس بهنّ بعدنا ، قد خِفْن بخَوْفنا ، ومن خاف خِيف عليه . فوالله ما أجابنى إلّا بدُموعه على خدَّيه . ثم قال لى : يابن أخى ، يَحقُن اللهُ دَمَك ، و يَحفظك فى حُرمك ، و يُوفِّر عليك مالَك ، ووالله لو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلتُ ، فكن متوارياً كظاهر ، وآمناً كخائف ، ولتأتنى رقاعُك . قال : فكنتُ والله أكتُب إليه كما يكتب الرجلُ إلى أبيه وعمّه . فلما فرغ من الحديث رددتُ عليه طَيْلسانَه . فقال : مَهْ ! إنّ شأننا إذا فارقتْنا ثيابُنا ألّا تَرْجِع إلينا .

من شعر سديف فى تحريض السفاح

ومن شعر سُديف الذى فيه يُحرِّض السفّاح على قتل بنى أُمية :

كيف بالعَفو عنهمُ وقديماً ... قَتلوكم وهتَّكوا الحُرُماتِ
أين زَيدٌ وأين يحيى بن زَيد ... يا لهَا من مُصيبةٍ وتِرات
والإمامُ الذى أُصيب بحَرَّا ... ن إمامُ الهُدى ورأسُ الثِّقات

قتلوا آل أحمـــدٍ لا عفا اللـــه لمَرْوانَ غابرَ(١) السَّيئات

لرجل من الشيعة فى مثله

وقال رجل من شيعة بنى العبَّاس يحرِّضهم على قتل بنى أُمية :

إيَّاكُمُ أن تَلِينوا لاعتذارهمُ فَليس ذلك إلا الخوفُ والطَّمَعُ

لو أنّهم أمِنوا أبدَوْا عَـداوتَهم لـكنّهم قُمِعوا بالذُّل فانْقمعوا

أليس فى ألف شهرٍ قد مضت لهمُ سقَوكمُ جُرعاً من بعـدها جُرَع

حتى إذا ما انقضت أيامُ دولتهم مَتُّوا إليكمْ بالأرحام التى قَطعوا

هيهات لا بُدّ أن يُسْقَوْا بكأسِهمُ رَيّاوأن يَحْصُد الزُّرّاع(٢) مازَرعوا

إنّا و إخوانَنا الأنصارَ شيعتُكم إذا تَفرّقت الأهواء والشِّيَع

(١) فى بعض أصول الأغانى «سافر» مكان «غابر» والبيت يروى:

قتلوا آل أحمد لا عفا الذ * ب لمروان غافر السيئات

(٢) فى بعض أصول الأغانى : «الزرع الذى زرعوا» .

خبر حُميد بن ثور

نسبه

هو حُميد بن ثور بن عبد بن عامر بن أبى ربيعة بن نَهِيك بن هِلال بن عامر ابن صَعْصَعة بن مُعاوية بن بَكر بن هَوَازن بن مَنْصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة ابن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار .

مخضرم

وهو شاعر من شُعراء الإسلام ، وقد أدرك الجاهليَّة .

شعره بعد نهى عمر عن النسيب

وذُكر أنه تقدَّم عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه فى الشُّعراء ألّا يَنْسُبَ(١) رجلٌ بأمرأة إلا جُلِد . فقال حُميد بن ثور :

أبَى الله إلّا أنّ سَرْحَةَ مالكٍ ... على كُلّ أفنانِ العِضَاهِ(٢) تَرُوقُ

وقد ذَهبتْ عَرضاً وما فوق طُولها ... من السَّرحِ إلّا عَشَّةٌ(٣) وسَحوق

فلا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتطِيعُه ... ولا الفَىْءُ(٤) من بَرْد العَشِىّ تَذُوق

وهل أنا إنْ عَلَّلْتُ نفسى بسَرْحةٍ ... مِن السَّرح موجودٌ(٥) علىَّ طَريق

وهى قصيدةٌ طويلة ، أولها :

نَأتْ أُم عمرٍو فالفُؤاد مَشُوقُ ... يَحِنّ إليها والهًا ويَتُوق

وفوده على بعض الخلفاء

وقيل :

وفد حُميد بن ثَور على بعض خُلفاء بنى أُمية ، فقال له : ما جاء بك ؟ فقال :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يشبب » .

(٢) السرحة : الشجرة الطويلة ، يكنى بها عن المرأة . والعضاه : أعظم الشجر ؛ الواحدة : عضاهة . وتروق : تزيد عليها بحسنها .

(٣) العشة : القليلة الأغصان والورق . والسحوق : المفرطة فى الطول .

(٤) الظل : من أول النهار إلى الزوال . والفىء : من بعد الزوال إلى الليل .

(٥) ويروى : « مأخوذ على » و « مسدود على » .

أتاكَ بِيَ الله الذى فوق مَن ْ ترى وخيرٌ ومَعروفٌ إليك دَليـــلُ
ومَطْويةُ الأقْراب أمّا نهـــارها فنَصٌ وأمَّا ليلُها[1] فذَميـــل
ويَطْوى عليَّ الليـــلُ حِضْنَيْه إنّنى لذاك إذا هاب الرِّجالُ فَعُول

فوصلَه وصَرَفه شاكراً .

(١) الأقراب : جمع قرب ، وهو الخاصرة . وللفرس قربان ، ولكنهم يجمعون . يريد وصفها بالضمور . والنص : أقصى السير . والذميل : السير اللين . والذى فى التجريد : « فرقل » مكان « فنص » .

أخبار فُليح بن العَوْراء

ولاؤه

هو من أهل مكة . مولًى لبنى مَخزوم .

قال أبو الفَرَج : ولم يَقع إلينا اسمُ أبيه .

محله فى الغناء

وهو أحدُ المغنِّين فى الدَّولة العباسيَّة ، وله مَحلٌّ كبير من صِناعته ، وموضع جَليل .

منزلته عند المهدى

وحَكى الفضلُ بنُ الرَّبيع قال :

كان المهدىُّ يَسْمع المُغنِّين جميعاً ، ويحضُرون مجلسَه ، ويتغنَّوْن من وراء السِّتارة ، إلّا فُليح بن العَوْراء ، فإن عبد الله بن مُصعب الزُّبيرىّ كان يُروِّيه شِعرَه فى مدائحه للمهدىّ ليُغنِّيه فيه . فدسّ فى أضعافها بيتَين يسأله فيهما أن يُنادمه ، وسأل فُليحاً أن يغنِّيهما فى أضعاف أغانيه ، وهما :

يا أمينَ الإلٰه فى الشَّرق والغَر ... بِ على الخَلْقِ وابْنَ عمِّ الرَّسولِ

مجلساً بالعَشىِّ عندك فى المَيْـ ... ـدانِ أبْغِى والإِذْنَ لى فى الوُصُول

فغنّاه فُليح إيّاهما . فقال المهدى : يا فَضل ، أَجِبْ عبد الله إلى ما سأل . وأَحضِرْه مَجلسِى إذا حَضره أهلى ومَوالىَّ وجلستُ لهم ، وزِدْه على ذلكَ أن ترفع بينى و بين روايته فُليح الستارةُ . فكان فُليح أولَ مُغنٍّ عايَن وجهه فى مجلسهم .

صلته بمحمد بن سليمان

وحكى بعضهم قال :

دَعانى محمد بن سُليمان بن علىّ ، فقال لى : قد قَدِم فُليح بن العوراء من الحجاز ونَزل عند مسجد ابن رَغْبان [1] فصِرْ إليه ، وأَعْلمه أنّه إن جاءنى قبل أن يدخُل

(١) فى غربى بغداد . والذى فى التجريد : « ابن عتاب » تحريف .

على الرَّشيد خلعتُ عليه خِلْعةً سنيَّةً من ثيابى ، ووهبتُ له خمسةَ آلاف درهم . فمضيتُ إليــه فخبَّرتُه بذلك . فأجابنى إجابةَ مَسرور به نشيط له ، وخَرج معى . فعَدل إلى حمّام كان بقُرب ، فدعا القَيِّمَ وأعطاه درهمين وسأله أن يجيئه بشىء يأ كله ، و بنَبيذٍ يشربه . فجاءه برأس كأنه رأسُ عِجل ، و بنَبيذ دُوشابىّ[1] غَليظ ردىء . فقلت : لا تفعل . وجَهَدتُ به ألا يأ كل ولا يشرب إلّا عنــد محمّد بن سليمان . فلم يلتفتْ إلىّ ، وأ كلى من ذلك الرأس وشرب من النَّبيذ الغَليظ ، حتى طابتْ نفسُه وغنَّى ، وغنَّى القيمُ معه مليًّا ، ثم خاطب القَيمَ بما أَغضبه ، وتَلاحيا وتواثبا ، فأخذ القيِّمُ شيئاً فضَرب به رأسه فشجَّه حتى جرى دمُه . فلما رأى الدمَ على وجهــه اُضطرب وجَزِع . ثم قام وغَسل وجهه وجُرحه وعالجه بصُوفةٍ مُحرقةٍ وزَيت ، وعَصبه وتعمَّم وقام معى . فلمــا دخلنا دارَ محمد بن سُليمان ، ورأى الفُرشَ والآلةَ، وحضر الطعامُ فرأى سَرْوَه[2] وطِيبه، ورأى النبيذَ ، ومُدّت الستائر وغنّت الجوارى ، أقبل علىَّ وقال : يا مجنون ، سألتك بالله : أيّما أحقُّ وأولى بالعَرْبدة : مجلس القيِّم أو مجلس الأمير ؟ فقلت : وكأنه لا بدّ من عَربدة ! قال : لا والله ، مالى منها بُد، فأخرجتُها من رأسى هناك . فقلت: أمّا علىهذا الشرط فالذى فعلتَ أحوطُ . فسألنى محمد عمّا كنّا فيه، فأخبرتُه . فضَحك ضحكاً عالياً وقال : هذا الحديثُ والله أظرف وأطيبُ من غنائه . وخلع ثيابه عليه[3] ، وأعطاه خمسة آلاف دِرهم .

هو وفتى عاشق

وحَــكى فُليح قال :

كان بالمدينة فتًى يَعْشق اُبنة عمٍّ له ، فوعدتْه أنها تَزوره ، وشكا إلىّ أنها تأتيه ولا شىء عنــده . فأعطيتُه ديناراً للنَّفقة . فلمــا زارتْه قالت له : من يُلهِّينا ؟ قال : صديق لى ، ووَصفنى لها ، ودعانى فأتيتهُ . فكان أول ما غنَّيته :

(١) دوشابى : نسبة إلى دوشاب ، وهو نبيذ التمر . فارسى معرب .

(٢) سروه ، أى جودته وكثرته . والذى فى بعض أصول الأغانى : «سروره» .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وخلع عليه » .

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضح أخاها ولم تَرْفع لوالدها[١] شَنَارَا

فقامتْ إلى ثوبها فلبستْه لتنصرفَ . فتعلَّق بها وجهد كُل الجَهد فى أن تُقيم . فلم تَفْعل ، وانصرفت . وأقبل علىّ يلومنى فى أن غَنَّيتُها ذلك الصوت . فقلت : والله ما هو شىءٌ اعتمدتُ به مساءَتك ، ولكنّه شىء اتّفق . قال : فلم نَبرح حتى عاد رسولُها ومعه صُرَّة فيها ألفُ دينار فَدفعها إلى الفَتى وقال : تقول لك ابنةُ عمّك : هذا مَهْرى فادْفعه إلى أبى واخطُبنى . ففعل وتزوَّجها .

والشعر لسُليك بن السُّلَكة السَّعدىّ :

كأنّ مجامع الأرداف منها نَقًا درجتْ عليه الرِّيحُ[٢] هارَا

يعافُ وِصالَ ذاتِ البَذْل قَلْبى وأتَّبع المُنَعَّة[٣] النَّوارا

(١) الخفرات : الشديدة الحياء . والشنار : العيب والعار .

(٢) النقا : الكثيب من الرمل . وهار : سقط وتهدم .

(٣) النوار : المرأة النفور من الريبة .

أخبار ابن هَرْمة

نسبه

هو إبراهيمُ بن عليّ بن سَلَمة بن عامر بن هَرْمة بن الهُذَيل بن الرَّبيع بن عامر بن صُبَيح بن كِنانة بن عديّ بن قَيْس بن الحارث بن فِهر . وإلى فِهر يَنتهي نَسب قُرَيش . وقيل إنهم ينتهون إلى النَّضْر بن كِنانة .

وولدُ قيس بن الحارث يقال لهم : الخُلُج . وكانوا في عَدْوان، ثم انتقلوا عنهم إلى بنى نَصْر بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن . فلما أفضت الخلافةُ إلى عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أتَوْه ليفرِض لهم ، فأنكر نَسبهم . فلما استُخلف عثمان بن عَفّان رضى الله عنه أتوه فأثْبتهم فى بنى الحارث بن فِهر ، وجعل لهم ديواناً . وإنما سُمُّوا الخُلُج لأنهم اختلجوا ممن كان معهم من عَدوان ومن بنى نَصر بن مُعاوية . وأهلُ المدينة يقولون : إنما سُمّوا الخُلج ، لأنهم نزلوا بالمدينة على خُلج فسمُّوا بذلك . ولهم بالمدينة عَدَد .

عتابه بنى الحارث

وقيل : نَفَى بنو الحارث بن فِهرٍ نسبَ ابن هَرمة ، فقال :

أحارِ بنَ فِهْرٍ كيف تَطَّرِحوننى ... وجاء العِدامِن غيركم تَبتغى نَصْرِى

فصار من وَلد فِهْر فى ساعته .

وصفه نفسه باللؤم

وكان ابنُ هَرْمة دعيًّا فى الخُلج ، والخُلج أدعياء فى قُرَيش . وكان ابنُ هَرْمة يقول : ألأم العربِ دعىّ أدعياء ! ويعنى نفسه .

حديثه مع أسلمى

وحكى عبدُ الله بن أبى عُبيدة قال :

زرتُ عبد الله بنَ حسن ببادِيته ، وزاره ابنُ هَرمة ، فجاء رجلٌ من أسلم ، فقال ابنُ هرمة لعبد الله بن حسن : أَصلحك الله ! سَل الأسْلميّ أن يأذن لى

أن أُخبرك خَبرى وخَبره . فقال له عبدُ الله بن حسن : إيذن له . فأَذن له الأسلمىُّ . فقــال إبراهيمُ بن هَرمة : إنِّى خرجتُ — أصلحك الله — أبغى ذَوداً [١] لى ، فأوحشتُ [٢] ، وضِفتُ هذا الأسلمىَّ ، فذبح لى شاةً وخَبز لى خُبزاً وأكرمنى . ثم غدوتُ من عنده ، فأقمت ما شاء الله . ثم خرجتُ أيضاً فى طلب ذَوْدٍ لى ، فأوحشتُ وقلتُ : لو ضفتُ الأسلمىَّ ؟ فملتُ إليه . فجاءنى بلبن وتَمر . ثم خرجتُ بعد ذلك فقلت: لو ضفتُ الأسلمىَّ؟ فاللّبن والتّمر خيرٌ من الطَّوى. فضِفتُه، فجاءنى بلبن حامض . فقال الأســلمىُّ : قد أجبتَه — أصلحك الله — إلى ما سأل ، فسَلْه أن يأْذن لى أن أُخبرك لِمَ فعلتُ . فقــال : إيذن له . فأَذن له . فقال الأسلمى : ضافنى فسألتُــه من هو ؟ فقال : رجل من قُريش . فذبحتُ له الشاة التى ذكرها . والله لو كان لى غيرُها لذبحتُها له حين ذكر أنه من قُريش . ثم غَدا من عنــدى وغدا علىَّ الحىُّ ، فقالوا : مَن كان ضيفَك البارحةَ ؟ فقلت : رجل من قُريش . فقالوا : ليس هذا من قُريش ، ولـكنه دعىٌّ فيها . ثم ضافنى الثانيةَ على أنّه دعىٌّ فى قُريش ، فجئتُه بلبن وتمر وقلت : دعيُّ قريش خيرٌ من غيره . ثم غدا من عنــدى وغدا الحىُّ علىَّ فقالوا : من كان ضيفَك البارحةَ ؟ فقلت : الرجلُ الذى زَعمتُم أنه دعىٌّ فى قريش . فقالوا : لا والله ما هو دَعىٌّ فى قُريش ، ولـكنه دعىُّ أدعياء قُريش . ثم جاءنى الثالثة، فقريتُه لبناً حامضاً . ووالله لو كان شرٌّ منه عندى لقريتُه إياه . فانخذل ابنُ هَرمة ، وضَحك عبد الله وضَحِكنا معه .

لم يرض من المنصور إلا إباحة الشرب له

وكان ابنُ هرمة مُخضرم الدَّولتين ، وهو أحد الشُّعراء الفحول المُجيــدين ، وكان مُدْمِناً للشراب ، وامتدح أبا جعفر المنصور فوصله بعشرة آلاف دِرهم . فقال : لا تَقع هذه منِّى موقعاً . فقال : ويحك ! إنها كثيرة . فقال : إن أردتَ أن تَهْنِئَنى

(١) الذود من الإبل : من الثلاث إلى التسع . وقيــل : مابين الثلاث إلى الثلاثين ، ولا يكون إلا من الإناث . (٢) أوحش : جاع ونفذ زاده .

فأَبِح لى الشَّراب فإنِّى مُغرم به . فقال: ويحك ! هذا حَدٌّ من حُدود الله . فقال : احتلْ لى يا أمير المُؤمنين . قال : نعم . فكتب إلى والى المَدينة : من أتاك بأبن هَرمة سكران فأضرِبْه مائة سوط وأضرب أبن هرمة ثمانين . فجعل الجَلْواز[1] إذا مَرّ بأبن هَرمة وهو سكران قال : من يشترى الثّمانين بالمائة ! فلا يعرض له أحد .

وحكى ابنُ هرمة قال :

هو بين ابراهيم ابن عبدالله وابراهيم ابن طلحة

ما رأيتُ قطُّ أسخى ولا أكرم من رجلين : إبراهيم بن عبد الله بن مُطيع ، وإبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله بن مَعمر . أمَّا إبراهيم بن طَلحة فأتيتهُ فقال : أحْسِنوا ضِيافة أبى إسحاق . فأُتيت بكُل شيء من الطَّعام . فأردتُ أن أُنْشده، فقال : ليس هذا وقتَ الشِّعر . ثم أخرج إلىَّ الغلامُ رُقعةً ، فقال : إيتِ بها الوكيلَ . فأتيتُه ، فقال : إن شئتَ أخذتُ لك جميع ما كتب به ، وإن شئت أعطيتُك القيمةَ. فأعطانى مائتى دينار . وأمّا إبراهيم بن عبد الله فأتيتُه فى منزله بمُشَاش[2] على بئر أبن الوليد[3] بن عثمان بن عفّان ، فدخل منزله ثم خرج إلىَّ برُزمة فيها ثياب ، وصُرَّة دراهم ودنانير ، ثم قال : والله ما بقَّينا فى منزلنا ثوباً إلا ثوباً نُوارى به أمرأة ، ولا حَلْياً ولا ديناراً ولا درهماً . وقال أبن هَرْمة يمدح إبراهيم :

أرّقتْنى تلُومنى أمُّ بكرٍ ... بعد هَدْءٍ واللَّومُ قد يُؤْذِينِى
حذَّرتْنى الزمانَ ثُمتَ قالت ... ليس هذا الزَّمانُ بالمأمون
قلتُ لمّا هَبَّت تحذّرنى الدّهـ ... ـر دَعِى اللَّومَ عنكَ وأسْتَبقِينى
إنّ ذا الجود والمَكارِم إبرا ... هيمَ يَعنيه كُلُّ ما يَعْنينى
قد خَبرناه فى القديم فألْفيـ ... ـنا مَواعيدَه كعَيْن اليَقين

(١) الجلواز : الشرطى . (٢) مشاش : موضع على نصف مرحلة من مكة .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بئر الوليد » .

قلتُ ما قلتُ للذى هو حقٌّ ... مُســتبينٌ لا للّذى يُعْطينى
نَضحتْ أرضنا سماؤُك بعد الْـ ... جَدب منها و بعد سُوء الظُّنون
فرعَيْنــا آثارَ غَيْثٍ أراقتْـ ... ـه يدَا مُحْكَم القُوى مَيْمون

مدحه للسرى

وقيل :

قصد ابنُ هَرْمة السريَّ بنَ عبـد الله الهاشميّ باليمامة لدَيْن لزِمه ، فمـدَحه بأشعارٍ كثيرة ، منها قولُه :

وقُل للسَّرّى الواصلِ البرِّ ذى النَّدى ... مديحاً إذا ما بُث صُـــدِّق قائلُهْ
جوادٌ على العِـلَّاتِ يَهتزُّ للنَّـدى ... كما اهتزَّ عَضْبٌ أخلصتْه صَياقلُه
نَفَى الظُّلمَ عن أهل اليمامة عَدْلُه ... فعـاشُوا وزَاح[1] الظُّلْمُ عنهم و باطلُه
وناموا بأَمْنٍ بعـد خَوف وشِـدَّة ... بسيرةِ عَـدْلٍ ما تُخـاف غوائلُه
وأنت تُرجَّى للذى أنت أهـلُه ... وتَنفع ذى القُرْبى لديك وسـائله
بِك اللهُ أحيا أرضَ حَجْرٍ[2] وغيرَها ... من الأرض حتّى عاش بالبَقْل آكله

ومدحه بقصيدة أولها :

* عُوجَا نُحيِّ الطُّلول[3] بالـكَثَب *

يقول فى مديحها :

دَعْ عنك سَلْمَى وقُلْ[4] مُحَبَّرةً ... لِماجد الجَـدِّ طيِّبَ النَّسَبِ
مَحْضٍ مُصَفًّى العُروق يَحْمَـده ... فى العُسْر واليُسْر كُلُّ مُرْتقب
الواهبِ الخَيْـلَ فى أعِنَّتهـا ... والوُصَـفاءَ الحِسانَ كالذَّهب

(١) زاح : انزاح وذهب .
(٢) فى الأصل : * بك الله أحيا الأرض حجراً وأهلها *
(٣) الكثب : موضع بديار طيء .
(٤) المحبرة : المقالة المجودة والمحسنة .

مجـداً وحمـداً يفيده كرماً والحمدُ فى الناس خيرُ مُكتَسب

فأمر له بسبعمائة دينار لقضاء دَينه ، ومائة دينـار يتجهّز بها إلى أهله ، ومائة دينار يأخذ بها هديّةً لهم .

بينه وبين رجل سأله عن بيتين

وقيل : قال رجلٌ لأبن هرمة : من قائل هذين البيتين :

ومهما أُلامُ(١) على حُبِّهم فإنِّى أُحبُّ بنى فاطمَــهْ

بَنى بِنْت مَن جاء بالمُحْكَما تِ والدِّين والسُّنّة القائمه

والبيتان لأبن هرمة . فقال أبنُ هرمة : قائلُهما مَن عَضَّ بَظْر أمه . فقـال له بُنَه : يا أبت ، ألستَ قائلَهما ؟ قال بلى . قال : فلم شتمتَ نفسك ؟ قال : أليس أن يَعَضَّ المرء بَظر أمه خيرٌ من أن يأخذَه أبنُ قَحْطبة(٢) .

تعقيب لابن واصل فى بطش المنصور بالعلويين

قلت : وإنما خاف ابنُ هرمة من نسبة الشِّعر، لأنّ المَنصور كان شديدَ الطَّلب لمن يَميـل إلى العلويِّين ، والتّتبع لمن يُحبهم لخروجهم عليه . وكان خَرج عليه محمد ابن عبد الله بن الحَسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب بالمدينـة ، وأخوه إبراهيم بالبصرة ، سنة خمس وأربعين ، فهزما وقُتلا وحُمل رأساهما إليه .

نزوله برجل يقود على ابنتيه

وقيل :

نزل أبنُ هَرمة على رجل ، له زَوجـة وأبنتان كأنهما ظبيتان يقود عليهما ، ودَفع إليه دراهم ليُنفقها عليهم فى طَعام وشراب . وأقام ابنُ هرمة مع أبنتيه حتى خفّ ذلك المالُ . وجاء قوم آخرون ومعهم مال، فأخبرهم الرجلُ بمكان أبن هرمة ، فأستثقلوه وكَرهوا أن يَعـلم بهم . فأمر أبنتيه ، فقالتا : يا أبا إسحاق . ما دَريتَ ما الناسُ فيـــه : زُلْزل بالرّوضة ؟ فتغافلَهما . ثم جاء أبوهما مُتفازعاً ، فقال له :

---

(١) لم يجزم الفعل هنا شذوذاً .

(٢) هو حميد بن قحطبة ، ولى مصر للمنصور .

أى أبا إسحاق ، ألا ترى إلى ما الناس فيه ؟ قال : وما هم فيه ؟ قال : زُلزل بالرَّوضة . فقال : قد جاءكم الآن إنسان معه مال،وقد نفضتُ ما جئتُكم به وثقُلت عليكم، فأردتَ إدخاله و إخراجى ، أيُزَلزل بروضة من رياض الجنّة و يُترك منزلك وأنت تجمع فيه الرّجالَ على أُبنتَيْك ! والله لا عُدتُ إليك ! وخرج من عنده .

هو وابن عمران وأبو ثابت

وقيل :

مدح أبنُ هرمة محمدَ بن عِمران الطَّلْحى ، فألفاه روايتُه وقد جاءته عِيرٌ له تحمل غَلّة قد جاءتْه من[1] الفُرْع أو خَيبر . فقال له رجل كان عنده : أعلم والله أن أبا ثابت عِمْران بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضرٌ عنده ، وأخبره بعيرك هذه . فقال : إنما أراد أبو ثابت أن يعرِّضنى للسانه ، قُودوا القِطار إليه .

ليم فى مدحه أبا الحكم

وقيل :

مدح ابنُ هَرمة أبا الحكم المُطَّلب بن عبد الله بقوله :

لمّا رأيتُ الحادثاتِ كَنَفْنَنى ... وأَوْرثْننى بُؤْسَى ذكرتُ أبا الحَكَمْ
سَليلُ مُلوكٍ سَبْعةٍ قد تتابعوا ... هم المُصطفَوْنَ والمُصَفَّوْن بالكَرم

فلامُوه وقالوا : أتمدح غلاماً حديثَ السِّنِّ بمثل هذا ؟ وكانت لأبن هرمة أبنةٌ كان يلقِّبها عُيينة ، فقال مُجيباً لهم :

كانت عُيينة فينا وهى عاطلةٌ ... بين الجَوارى فَحَلَّاها أبو الحَكَم
فَمنْ لَحانا على حُسن المَقال له ... كان المُليمَ وكُنَّا نحن لم[2] نُلِم

سبب هجائه لعبد العزيز بن المطلب

وقيل :

أرسل ابنُ هَرمة إلى عبد العزيز بن المُطَّلب بكتاب يشكو فيه بعض حاله

---

(١) الفرع : قرية قرب الربذة على ثمانية برد من المدينة .

(٢) ألام الرجل : وقع فيما يلام عليه .

فبعث إليه بخَمسةَ عشر ديناراً . فمكث شهراً ثم بعث يطلُب شيئاً آخر بعد ذلك . فقال : أنا والله لا أقوى على ما كان يَقوى عليه الحكمُ بن المُطلب . وكان عبدالعزيز هذا قد خَطب إلى امرأة من ولد عُمر ، رضى الله عنه، فردَّته ، فخطب إلى اُمرأة من بنى عامر بن لُؤىّ ، فزوَّجوه . فقال ابنُ هرمة يهجوه :

خَطبْتَ إلى كَعبٍ فردُّوكَ صاغراً ... فحوَّلتَ من كَعبٍ إلى جِذْم عامرِ

وفى عامرٍ عزٌّ قديم و إنما ... أجازكَ فيهم هزلُ أهل المقابرِ

وقال فيه أيضاً :

أَبا لبُخْلِ تَطْلُب ما قدّمتْ ... عَرانينُ جادتْ بأموالِها

فهيهات خالفتَ فِعْل الكرام ... خلافَ الجِمال بأبْوالِها

وقيل :

أغراء قوم بالحكم فسأله فأجابه

جلس ابنُ هَرمة مع قوم على شَراب ، فذُكر الحكمُ بن المُطَّلب فأطنب فى مَدحه . فقيل له : إنك لتُكثر ذكر رجلٍ لو طرقْته الساعةَ فى شاةٍ يقال لها «غَرّاء» تسأله إيّاها لردَّك عنها . فقال : أهو يفعل هذا ؟ قالوا : إى والله . وكانوا قد عَرفوا أن الحكم بها مُعْجب . وكان فى داره سبعون شاةً تُحلب . فخرج وفى رأسه ما فيه ، فدقّ باب الحكم، فخَرَج إليه غُلامُه . فقال : أَعْلِمْ أبا مروان بمكانى . وكان أَمرَ أَلّا يُحجب اُبنُ هَرمة عنه ، فأعلمه به . فخَرَج إليه مُتَشَّحاً ، فقال : أفى هذه الساعة ! قال : نعم . جُعلت فداك ، وُلد لأخٍ لى فى هذه الساعة مَولود فلم تدِرّ عليه أُمه ، فطلبوا شاةً حلوبةً فلم يجدوها ، فذُكرت لى شاةٌ عندك يقال لها « غراء » فسألنى أن أسألكها . فقال : تجىء فى هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة ! والله لا بَقِىَ فى الدار شاةٌ إلا اُنصرفْت بها ، سوقُوهنّ معه . فخَرَج بهن

إلى القوم ، ثم قال لهم : ويلكم ! أى شىء صنعتم ! [١] وقَصَّ عليهم القصَّة .
وقال : فيهن والله ما ثمنُه عشرة دنانير وأكثر من عشرة .

هو وجيرانه وقد أفرط فى السكر

وقيل :

بلغ من غرامه بالنَّبيذ أنه مرَّ يوماً على جيرانه وهو مُنْبتٌّ [٢] سكراً حتى دَخل منزله ، فلما كان من الغد دخلوا إليه فعاتبُوه على الحال التى رأوه فيها . فقال لهم : أنا فى طَلَب مثلها منذُ دهرٍ ، أَما سمعتمُ قولى :

أسْألُ اللهَ سكرةً قبـل موتى … وصِياح الصِّبيان يا سكرانُ

فنفَضوا ثيابهم وخرجوا . وقالوا : ليس يُفلح هذا والله أبداً !

شعر له صدقته جنازته

وحكى الزُّبير بن بكّار قال :

أنشدنى عمِّى لاُبن هَرمة :

ما أظُن الزَّمانَ يا أُم عمرٍو … تاركاًإنهلكتُ مَن يَبْكينِي

قال : فكان والله كذلك ، لقد مات فأخبرنى من رَأى جنازَته ما يحملها إلا أربعةُ نَفر حتى دُفن فى البَقيع .

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرَج أخبار اُبن هَرمة ، هو :

أَفاطم إن النَّأْىَ يُسْلِي من [٣] الهوى … ونَـأْيكِ عنّى زادَ قلبى بكم وَجْـدَا
أرى حَرجاً ما نلتُ من حُبِّ غيركم … ونافلةً من حُبِّكم نلتُها [٤] رُشْدا
وما نَلْتقى من بعـد نَـأْيٍ وفُرْقةٍ … وشَحْطِ نَوًى إلَّا وجـدتُ له بَرْدا
على كَبِد قد كاد يُبْـدى بها الهَوى … نُدُوباً و بعضُ القوم يَحْسبنى جَلْدا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فقالوا : ويحك ! أى شىء صنعت ! فقص » .
(٢) أى منقطع . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « ذوى » مكان « من » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « ونافلة ما نلت من ودكم » .

أخبار يونس الكاتب

وابن رهيمة الشاعر

نسب يونس

أما يونس ، فهو ابن سُليمان بن كُرْد بن شِهْرِيار ، من ولد هُرْمُز .

وذُكر أنه مولًى لعَمرو بن الزُّبير . ومَنشؤه بالمَدينة . وكان أبوه مُقيماً[1] بها ، فأسلمه فى الدِّيوان وكان من كُتابه .

أساتذته فى الغناء

وأخذ الغِناء عن مَعبد ، وابن سُريج ، وابن مُحرز ، والغَريض . وأكثر روايته عن مَعْبد . وهو أحذقُ من أخذ عنه .

ابن رهيمة وتشبيبه بزينب

وأمّا ابنُ رُهَيمة فهو شاعر ، كان فى أيّام الدَّولة الأَموية ، وكان ابن رُهيمة يُشبِّب بزَينب بنت عِكْرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المَخزوميّ ، ويُغنِّى فيه يُونس الكاتب ، فافْتضحت بذلك واستعدَى عليه أخوها هشامَ ابن عبد الملك ، فأمر بضَربه خَمْسمائة سَوْط ، وأن يُباح دَمُه إن وُجد قد عاد لذِكْرها ، وأن يُفعل ذلك بكُل من غَنَّى فى شيء من شعره . فهرب ابنُ رُهيمة ويونُس الكاتب فلم يُقْدر عليهما . فلما وَلى الوليدُ بن يزيد الخلافةَ ظهر ابن رُهيمة ويُونس . وقال ابنُ رُهيمة :

لئن كنتَ أطْرَدتنى ظالماً ... فقد كَشَف الله ما أرْهبُ

ولو نِلْتَ منِّىَ ما تَشْتهى ... لَقَلَّ إذا رضيتْ زَينب

وما شئتَ فاْصنَعْه بى بعد ذا ... فحُبِّى لزَينب لا يَذهب

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فقيها » .

وممّا قاله ابنُ رُهيمة فى زينب ، وهو الشِّعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبارَها :

أَقصدتْ زينبُ قَلبى بَعد ما ... ذَهب الباطلُ عنِّى والغَزَلْ
وعَلا المَفْرِقَ شيبٌ شاملٌ ... واضحٌ فى الرأس منِّى فاشْتعل

ومن ذلك قولُه :

أَقصدت زينبُ قَلبى ... وسَبَتْ عَقْلى ولُبِّى
تركتْنى مُسْتهاماً ... أَسْتغيث الله ربِّى
ليس لى ذَنبٌ إليها ... فتُجازينى بذنْبى
ولها عندى ذنوبٌ ... فى تَنائيها وقُرْبى

ومن ذلك قولُه :

إنما زَينبُ هَمِّى ... بأَبى تلكَ وأُمِّى
بأبى زَينبُ لا أَكْـ ... ـنِى ولكنِّى أُسمِّى
بأبى مَن ليس فى ... قَلْبه قِيراطُ[1] رُحْم

ومن ذلك قوله :

يا زينبُ الحسناء يا زَينبُ ... يا أكرمَ الناسِ إذا تُنْسبُ
تَقيك نفسى حادثاتِ الرَّدى ... والأُمُّ تَفْديك معاً والأَب
هل لكِ فى وُدِّ امرئ صادقٍ ... لا يَمْذُق الوُدَّ ولا يَكْذِب
لا يَبتغى فى وُدّه[2] مَحْرَماً ... هيهاتَ منكِ العملُ[3] الأَغْيب

ومن ذلك قولُه :

فليتَ الذى يَلْحى على زينب المُنَى ... تَعلَّقه ممّا لقيتُ[4] عَشِيرُ
فحسبى له بالعُشْر ممّا لقيتُه ... وذلك فيما قد تَراه يَسِير

---

(١) الرحم : الرحمة . (٢) المحرم : الحرام .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الأريب » وهو ذو الريب . (٤) عشير ، أى جزء من عشرة .

أخبار إسماعيل بن يسار

النسائى

انقطاعه إلى آل الزبير ومدحه خلفاء بنى أمية

يُكنى أبا فائد . وهو مولًى لبنى تَيم بن مُرّة . تيم قُريش . وكان مُنْقطعاً إلى آل الزُّبير . فلما أفضت الخلافةُ إلى عبد الملك بن مَروان وفد إليه مع عُروة بن الزُّبير رحمه الله ومَدحه، ومَدح الخُلفاء من وَلده بعده . وعاش عُمراً طويلاً إلى آخر سُلطان بنى أُمية . ولم يُدركْ الدولة العبَّاسية .

نادرته وسبب تسمية أبيه بالنسائى

وكان مليح النادرة ، وإنما سُمّى أبوه يَسارٌ النِّسائىَّ لأنه كان يصنع طعام العُرْس ويَبيعه ، فيَشتريه منه مَن أراد التَّعريس من المُتجمِّلين ، ومن لا تَبلغ حالُه اصطناعَ ذلك .

أصله وشعره فى شعوبيته

وكان أصلُه من الفُرس . وكانت فيهم شُعوبيَّة شديدة وتعصُّب للعجم على العرب ، وله فى ذلك أشعار كثيرة يَفخر بها الأعاجم . من ذلك القصيدة التى أولها :

ما على رَسْم منزلٍ[1] بالجَناب ... لو أبان الغداةَ رَجْعَ الجَوابِ
غَيَّرتْه الصَّبا وكلُّ مُلِثٍّ ... دائم الوَدْق مُكْفَهِرٍّ[2] السَّحاب
دارَ هِندٍ وهل زَمانى بهندٍ ... عائدٌ بالهَوى وصَفْوِ الجَناب
كالّذى كان والصَّفاء مَصُونٌ ... لم تَشُبْه بهجرةٍ واجتناب
ذاكَ منها إذ أنتَ كالغُصْن غَضٌّ ... وهى رُؤْدٌ كدُمْية[3] المِحْراب

---

(١) الجناب : موضع . (٢) الملث : الدائم أياما لا ينقطع . والودق : المطر .
(٣) الرؤد : الحسنة . والدمية : الصورة .

غادةٌ تَسْتبى العُقول بعَــذْبٍ طَيِّب الطَّعم باردِ الأنيــاب
وأثيثٍ من فوق لَون نَقِيٍّ كبياضِ اللُّجين فى[1] الزرْياب
فأقِلِّ المَلام فيهــا وأقْصِرْ لَجَّ قَلبى من عَوْلتى[2] واكتئابى
صاحِ أبصرتَ أو سمعتَ براعٍ ردَّ فى الضَّرع ماقَرى فى[3] العِلاب
انقضتْ شِرَّتى وأقصر جَهْلى واستراحتْ عَواذِلى من عِتَابى

يقول فيها يفتخر بالعَجم :

رُبَّ خالٍ مُتوَّجٍ لى وعَمٍّ ماجدٍ مُجْتدًى كريم النِّصاب
إنمــا سُمِّى الفوارسُ بالفُرْ سِ مُضاهاةَ رِفْعــةِ الأنْساب
فاتْركى الفخر يا أُمامَ علينــا واتركى الجَوْر وانطِقى بالصَّواب
واسألى إن جَهِلْتِ عنَّا وعنكم كيف كُنَّا فى سالف الأحقاب
إذ نُربِّى بناتِنــا وتَدُسُّو ن سَفاهاً بناتِكم فى التُّراب

هو وأشعب فى بيت له

وسمع أشعبُ هذا البيت بحُضور جماعة فقال : صدقتَ والله يا أبا فائد ، أراد القومُ بناتِهم لغير ما أردتموهنَّ له . قال : وما ذاك ؟ قال : دَفن القومُ بناتِهم خوفاً من العار عليهن ، ورَبَّيتموهنّ لتَنيكوهن . فضَحك الحاضرون حتى استغربوا[4] . وخَجل إسماعيلُ بن يَسار حتى لو قَدَر أن يَسيخ فى الأرض لفعل .

افتخر بقومه عند هشام فعذبه ونفاه

وقيل :

دخل إسماعيلُ بن يسار على هشام بن عبد الملك فى خلافته ، وهو بالرُّصافة جالسٌ على بركة له فى قصر ، فاستنشده وهو يرى أنه يُنْشده مديحاً له ، فأنشده قصيدةً يفخر فيها بالعجم على العرب ، أولها :

(١) الأثيث : الشعر الكثير ، والزرياب : الذهب .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لوعة » مكان « عولتى » .
(٣) قرى : جمع . والعلاب : الإناء يحلب فيه .
(٤) استغربوا : بالغوا فى الضحك .

يا رَبْعَ رامةَ بالعَلْيــاء من [١] رِيم هل تَرْجِعَنَّ إذا حَيَّيْتُ تَسْليمى

حتى انتهى إلى قوله :

إني وجدِّك لا عُودى بذى خَوَرٍ عنــد الحِفَاظِ ولا حَوْضِى بمَهْدوم
أَصْلى كريمٌ ومَجْــدى لا يُقاس به إلى لسانٍ كحدِّ السَّيْفِ مَسْموم
من مِثْلُ كسرَى وسابورِ الجُنود معاً والهُرْمُزان لفخرٍ أو لتَعْظيم
جَحاجحٍ ســادةٍ بُلْجٍ [٢] مَرَازبةٍ جُرْدٍ عِتــاقٍ مَساميحٍ مَطاعيم
أُسْد الكتائب يومَ الرَّوع إنْ زَحفوا وهم أذلُّوا مُلوكَ التُّرك والرُّوم
يمشُون فى حَلَق المَاذِىِّ سابغــةً مَشْىَ الضَّراغِمــة الأُسْــد [٣] اللَّهاميم
هنـاك إنْ تَسأَلى تُنْبَىْ بأنّ لنــا جُرثومةً قَهَــرتْ عِزَّ الجَرَاثيم

فغضب هشام وقال : يا عاضّ بَظْر أُمه ! علىَّ تفخر و إيّاى تُنشد قصيدةً تَمدح بها نفسك وأعلاجَ قومك ! غُطُّوه فى المـاء . فغَطُّوه فى البركة حتى كادت نفسُه تخرج . ثم أمر بإخراجه وهو بشرّ ، ونَفَاه من وقتـه عن الرُّصافة . وأُخرج من وقتـه إلى الحجاز . وكان مُبتلًى بالعصبيّة للعَجم والفخر بهم ، فكان لا يزال مَحروماً مضرو باً مَطْروداً .

استقدمه الوليد فأنشده فأجازه

وقيل :

استقدم الوليدُ بن يزيد إسماعيلَ بن يسار من الحجاز ، فقَدِم عليه . فلما دخل إليه أُستنشده قصيدتَه الميمية التى منها :

كُلْثَمُ أنتِ الهمُّ يا كُلْثَمُ وأنتمُ الداءُ الذى أكتمُ

---

(١) رامة : منزل فى طريق البصرة إلى مكة . والريم ، يهمز ولا يهمز : واد قرب المدينة .
(٢) جحاجح : سادة ؛ الواحد : جحجح . والمرازبة : رؤساء الفرس ؛ الواحد : مرزبان .
(٣) الحلق : جمع حلقة ، وهى الدرع . والماذى : الدروع اللينة السهلة. واللهاميم : جمع لهميم ، وهو السابق الجواد .

أُكاتِم الناسَ هوًى شَفَّنى ... وبعضُ كِتمان الهَوى أحْزم
قد لُمتنِى ظُلماً بلا ظِنَّة ... وأنتِ فيما بيننا أَلْوم
أُبدِى الذى تُخفينه ظاهراً ... أرتدُّ فيه عنك أو أُقْدم
إمّا بيأس منك أو مَطْمع ... يُسْدَى بحُسن القَول(١) أو يُلْحَم
لا تترُكينى هكذا ميّتاً ... لا أُمْنَحُ الوُدّ ولا أُصرَم
أَوْفِى بما قلتِ ولا تَنْدمى ... إنَّ الوفِيَّ القولِ لا يَنْدم
آية ما جئتُ على رِقْبة ... بعد الكَرَى والحيُّ قد نَوَّموا
ودون ما حاولتُ إذ زُرتكم ... أخوكِ والخالُ معاً(٢) والحَم
أُخافت المَشْى حِذارَ الرَّدَى ... والليلُ داجٍ حالكٌ مُظْلِم
وليس إلّا اللهَ لى صاحبٌ ... إليكمُ والصارمُ(٣) اللَّهْذَم
حتى دخلتُ البيتَ فاُسْتَذْرفتْ ... عيناكِ لى من شَفَقٍ تَسْجُم
ثم أنجلَى الحُزن ورَوْعاتُه ... وغُيِّب الكاشح(٤) والمُبْرِم
فبِتُّ فيما شئتُ من نَعْمَة ... يَمْنَحُنيها نَحْرُها والفَم
حتى إذا الصُّبح بدا ضوءه ... وغابت الجوزاء والمِرزم
خرجتُ والوَطْء خَفِيٌّ كما ... يَنْساب من مَكمنه الأَرْقم

فطرب الوليدُ بن يزيد حتى نزل عن فَرْشه وسريره ، وأمر المغنِّين فغنَّوا الصوتَ وشَرب عليه أقداحاً ، وأمر لإسماعيل بجائزة سنيَّة وكُسوة ، وسَرَّحه إلى المدينة .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الود » مكان « القول » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « والعم » .
(٣) اللهذم : القاطع .
(٤) المبرم : الجليس الثقيل .

أنشد عبد الملك بعد مقتل ابن الزبير فأجازه

وقيل :

دخل إسماعيلُ بن يَسار على عبد الملك بن مَروان لما أفضت الخلافةُ إليه ، بعد مَقتل عبد الله بن الزُّبير ، فسلّم ووقف موقف المُنشد واُستأذن فى الإنشاد ، فقال له عبدالملك : الآن يا بن يسار ! إنما أنت امرؤٌ زُبيرىٌّ ، لسنا نُريد أن تُنشدنا . فقال : يا أمير المُؤمنين، أنا أصغر شأناً من ذلك ، وقد صفحتَ عمن هو أعظمُ جُرماً وأكثر غَناء لأعدائك منّى ، وإنما أنا شاعر . فتبسّم عبدُ الملك ، وأومأ إليه الوليدُ ابن عبد الملك أن يُنشده . فأنشده قولَه ، وهو الشعر الذى فيه الغناء :

ألَا يا لَقومى للرُّقاد[1] المُشَرَّدِ ... وللماء مَمنوعاً من الحائم الصَّدِى

وللحال بعد الحال يرْكبها الفتى ... وللحُبِّ بعد السَّلْوة المُتمرِّد

وللمرء يُلْحى فى التَّصابى وقبلَه ... صبا بالقَوافى كُلُّ قَرْم مُمجَّد

وكيف تَناسِى القَلْبِ سَلْمى وحُبُّها ... كجمرِ الغَضى تحت الشَّراسيف[2] مُوقَد

حتى انتهى إلى قوله :

إليك إمامَ الناس من أرض يَثْرِبٍ ... ونِعْمَ أخُو ذى الحاجة المُتعمِّدِ

رَحَلْنا لأنّ الجُود منك خَليقةٌ ... وأنّك لم يَذْمُمْ جنابَك مُجْتدى

ملكتَ فزِدْتَ الناسَ ما لم يَزِدْهُمُ ... إمامٌ من المَعروف غيرِ[3] المُصرَّد

وقلتَ[4] فلم تَنْقُضْ قضاءَ خليفةٍ ... ولكن بما ساروُا من العَدْل[5] تَقْتدى

فلمّا وَليتَ الأمر ضاربتَ دُونه ... وأسندْتَه ما تأتلى خَير مُسْنَد

جعلتَ هشاماً والوليدَ ذَخيرةً ... ولِيَّيْن للعَهد الوثيق المُؤكَّد

(١) فى بعض أصول الأغانى : « المسهد » مكان « المشرد » .
(٢) الشراسيف : الأضلاع .
(٣) المصرد : القليل .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « وقمت » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « من الفعل » .

فنظر إليهما عبدُ الملك متبسِّما ، والْتفت إلى سُليمان فقال : أخرجك إسماعيل من هذا الأمر . فقطّب سليمانُ ونَظر إلى إسماعيل نظر مُغْضب . فقال إسماعيل : يا أمير المؤمنين ، إنما وَزْن الشعر أَخرجه من البيت الأول ، وقد قلت بعده :

وأمضيتَ عزماً فى سُـليمان راشـداً ... ومَن يَعْتصم بالله مثلَك يَرْشُـد

فأمر له بألفى دِرهم ، وزاد فى عَطائه ، وفَرَضَ له ، وقال لأولاده : أعطوه . فأَعْطوه ثلاثة آلاف درهم :

أخبار النابغة الجعدى

نسبه

وهو حِبَّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَس بن ربيعة بن جَعدة ابن كَعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور ابن عِكْرمة بن خَصفة بن قَيس بن عَيْلان بن مُضَر. ويُكْنَى أبا لَيلى.

وأُمُّه فاخرة بنت عَمرو الأسديّة.

تسميته بالنابغة

وسُمِّى النابغةُ لأنه أقام مُدَّة لا يقول الشِّعر ثم نَبَغ فقاله.

وقيل: أقام ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلّم بالشِّعر.

عمره

وقيل: كان قديماً شاعراً مُفْلِقاً طويلَ البقاء فى الجاهلية والإسلام، وإنه أكبرُ من النابغة الذُّبيانى. وهو القائل:

ومَنْ يكُ سائلاً عنِّى ... من الفِتْيان أيامَ [1] الخُنَانِ

أتتْ مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه ... وعَشْرٌ بعد ذاك وحِجَّتان

فقد أبقتْ صُروفُ الدَّهر منِّى ... كما أبقتْ من السَّيْفِ اليمانى

وعُمِّر بعد ذلك عُمراً طويلاً. وأراد النابغةُ بأيّام الخُنان وَقْعة كانت لهم، فقال قائل منهم، وقد لقُوا عدوَّهم: خُنُّوهم [2] بالرِّماح. فسُمِّى ذلك العامَ عامَ الخُنان.

ومما يدُلُّ على أنه أقدمُ من النابغة الذُّبيانى أنه عُمِّر مع المُنْذر بن المُحرِّق قبل النُّعمان بن المُنذر، وكان النابغة الذُّبيانى مع النُّعمان بن المُنذر وفى عَصره، فلم يكن له

---

(١) الخنان: داء يأخذ فى حلوق الطير وعيونها، والإبل فى مناخرها. ويشير إلى ما كان أيام المنذر بن ماء السماء.

(٢) خنوهم: اقطعوهم.

قِدَم ، إلّا أنّه مات قبل الجَعدىّ ، ولم يُدرِكِ الإســلام . وأدركه النابغةُ الجَعدىُّ الذى يقول :

تذكَّرتُ شَيئاً قد مَضى لسبيله ومِنْ عادةِ المَحزون أن يَتذكَّرا
كُهولٌ وفِتيــانٌ كأنّ وُجوهَهم دنانيرُ ممّا شِيفَ⁽¹⁾ فى أرض قَيصرا

وعُمِّر مائة وثمانين سنة ، وقال :

لبستُ أُناساً فأفنيتُهم وأفنيتُ بعــد أُناسٍ أُناسَا
ثلاثةَ أهلين أفنيتُهم وكان الإلٰه هو المُسْــتآسا

وهى قصيدة طويلة يقول فيها :

وكنتُ غلاماً أقاسِى الحُرو ب يَلْقى المُقاسون منّى المِراسَا
فلمــا دَنَوْنا لجَرْسِ النُّبا ح لم نَعرف الحىَّ إلّا التماسا
أضاءتْ لنا النارُ وجهاً أغــــرّ مُلتبساً بالجمال[2] ٱلتباســا

وقيل : إنّ النابغة الجعدىّ أنشد عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أبياته السّينيّة التى يقول فيها :

* ثلاثة أهلين أفنيتُهم *

فقال له عُمر : كم لبثتَ مع كُل أهل ؟ قال : ستّين سنة .

وذَكر ابنُ قُتيبة أنه عاش مائتين وعشرين سنة ، ومات بأصبهان .

قال أبو الفَرج :

وما ذاك بمُنــكر ، لأنه قال لعُمر رضى الله عنــه إنه أفنى ثلاثةَ قُرون ، كلُّ قرن ستّين سنة ، فهذه مائةٌ وثمانون سنة ، ثم عُمِّر بعده فمــكث إلى أيام عبد الله

---

(١) ساف السيف : جلاه . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « بالفؤاد »

ابن الزُّبير ، وقَدِم عليــه بمكة ، وقد دعا لنفسه واُسْتماحه ومدحه . و بين عبد الله ابن الزُّبير و بين عُمر نحوٌ مما ذَكر ابنُ قُتيبة . فلا شك أنه بلغ هــذه السنين .

هاجى ابن مغراء فغلبــه

وهاجَى أوس بن مَغْراء بحضرة الأَخطل، والعجّاج، وكعب بن جُعيل ، فغَلبه أوس ، وكان(١) مُغلَّباً .

قدومه على النبي صلى الله عليــه وسلم ومدحه

وقيل : قدم النابغةُ الجعـدىّ على رسول الله صلَّى الله عليه وسـلَّم ومَدحه بقصيدة ، منها :

بلغنا السماءَ مَجْـدُنا وجُدودُنا و إنا لنَرجو فوق ذلك مَظْهَرا

فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : فأين المَظهر يا أبا لَيلى ؟ فقال : إلى الجنة . فقال صلى الله عليه وسلم : قل إن شاء الله . فقال : إن شاء الله . ومن هذه القصيدة :

ولا خَـيْرَ فى حِلْمٍ إذا لم يكُن له بَوادرُ تَحْمى صَفْوه أن يُـكَدَّرَا
ولا خيرَ فى جَهْـلٍ إذا لم يكُن له حَليمٌ إذا ما أَوْرد الأمرَ أَصدرا

فقال صلَّى الله عليــه وسلَّم : لا يَفضُض الله فاكَ . فلقد أتت عليه مائةُ سـنة أو نحوُها وما اُنفضّ من فيه سِنّ .

فى جاهليته

وكان النابغة ممّن أنكر الخَمر والسُّكر فى الجاهلية ، وهَجر الأصنام والأزلام .

استئذانه عثمان فى سكنى البادية

ورُوى أنه دَخل على عثمان بن عفَّان رضى الله عنــه فقال : أَستودعك الله يا أمير المُؤمنين . قال : وأين تُريد يا أبا لَيلى ؟ قال : أَلحق بإبلى فأَشرب من ألبانها ، فإنِّى أُنـكر نَفسى . قال : أتعرُّباً(٢) بعـد الهِجرة يا أبا ليلى ! أما علمتَ أن ذلك مكروه ؟ قال : ما علمتُه ، وما كنت لأَخرج حتى أُعْلِمك . فأَذِن له وأجّله فى ذلك

(١) مغلب : يغلب كثيراً .

(٢) تعرب الرجل : صار أعرابيا بعد أن كان عربياً . وفى الحديث : ثلاث من الكبائر ، منها : التعرب بعد الهجرة . وهو أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً .

أجلاً . فدخل على الحَسن والحُسين رضى الله عنهما فودَّعهما . فقالا له : أَنْشِدْنا من شعرك يا أبا ليلى . فأنشدهما :

الحمدُ لله لا شريكَ له ... مَن لم يقلْها فنفسَه ظَلَمَا

فقال له الحسن : ما كُنّا نَروِى هذا الشّعر يا أبا ليلى إلاّ لأُمية بن أبى الصَّلت . فقال : يا ابن رسول الله ، إنّى لصاحبُ هذا الشّعر ، وإن السَّروق عينَ السَّروق مَن سَرق شعر أُمية .

شهد صفين مع على

وحَضرَ النابغةُ الجعدىُّ مع علىّ رضى الله عنه حَربَ صفِّين .

مهاجاته أوس بن مغراء وليلى

وقيل : إن النابغة هاجَى أَوس بن مَغراء ، ولم يكن أوس مثله ولا قريباً منه فى الشِّعر . فقال النَّابغةُ : إنّى وإياه لنبتدر بيتاً ، أيُّنا يَسبق إليه يغلب صاحبَه . فلما بلغه قولُ أوس :

لَعَمْرُكَ ما تَبْلَى سَرابيلُ[1] عامرٍ ... مِنَ اللُّؤْم مادامت عليها جُلودُها

قال النابغة : هذا البيتُ الّذى كُنّا نَبْتَدر إليه ، فغُلِّب عليه أوس[2] .

وهاجَى النابغةُ ليلى الأَخيلية :

ألاَ حَيِّيا ليلَى وقُولاَ لهـا هَلَا ... فقـد ركبتْ أيراً أغَرَّ مُحجَّـلَا

وكيفَ أُهاجى شاعراً رُمحه اُستُه ... خَضِيبَ البَنان لا يزال مُـكَحَّلَا

فأجابتْه ليلى الأخيلية فقالت :

أنابغُ إنْ تَنبغ بلُؤْمك لا تَجِـدْ ... للُؤمك إلّا وسْط جعـدةَ مَجْعَلَا

تُعَـيِّرنى داءً بأُمك مثـلُه ... وأىّ حَصَانٍ لا يُقَـال لهـا هَلا

فغلبتْه .

---

(١) السرابيل : جمع سربال ، وهو القميص والدرع .

(٢) سبق شىء (ص : ٦١٥) عن مهاجاته لأوس .

وفوده على ابن الزبير

وذُكر أنه أقحمتِ السنةُ[1] نابغةَ بنى جَعدة ، فدخل على ابن الزُّبير المسجد الحرام ، فأنشده :

حكيتَ لنا الصِّدِّيقَ لمَّا[2] أتيتَنا وعُثمانَ والفاروقَ فاُنْزاح[3] مُعْـدِمُ
أتاك أبو لَيْلى يَجُوب به الدُّجى دُجَى اللَّيل جَوَّابُ الفَلاة[4] عَثَمْثَمَ
لتجبُرمنـه جانباً ذَعْـذعَت به صُروفُ اللَّيـالى والزمانُ المُصمِّ

فقال له ابن الزُّبير : هوِّن عليك أبا ليلى ، فإن الشِّعر أهونُ وسائلك عندنا ، أمّا صفوةُ مالنا فلآل الزُّبير ، وأما عِفْوته[5] فإن بنى أسد بن عبد العُزَّى تشغلُها عنك . ولـكنْ لك فى مال الله حقّان : حقّ برؤيتك رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم ، وحقّ بشركتك أهل الإسلام فى فَيْئهم . ثم أَخذ بيـده فدَخل به دار النَّعم فأعطاه قلائصَ سبعاً وجَمَلًا رَجيلًا[6] ، وأَوْقَر له الرِّكابَ بُرًّا وتمراً وثياباً . فجعل النابغـةُ يَستعجل فيأكل الحبَّ صِرْفاً . فقال ابنُ الزُّبير : ويح أبى ليلى ! لقد بلغ به الجهدُ . فقال النابغة : أشهد لقد سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم يقول : ما وليتْ قُريش فعـدلتْ ، واُستُرحمت فرَحمت ، وحدَّثت فصـدقت ، ووعدت فأنجزت ، فأنا والنبيُّون فُرَّاط لها ضُمَّن . وفى رواية : فُرَّاط القاصفين[7] .

مع علىّ ومعاوية

وقيل :

لمَّـا خَرج علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى صِفِّين خَرج ومعـه نابغة بنى جعدة ، فساق به يوماً فقال :

(١) السنة : الجدب والقحط . وأقحمته : قذفت به . يريد نزوحه من البادية إلى الريف حيث الخضرة والماء . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « وليتنا » مكان « أتيتنا » .
(٣) فانزاح معدم ، أى لم يبق معدم . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « فارتاح معدم » .
(٤) العثمثم : الجمل الشديد الطويل .
(٥) العفوة : أحل المال وأطيبه . (٦) الرجيل : القوى على السير .
(٧) الفراط : المتقدمون . والقاصفون : المزدحمون .

قد عَلِم المِصْران والعِرَاقُ أَنَّ عليًّا فَحْلُها[(١)] العُتاقُ
أبيضُ جَحجاح له رُواق وأُمُّه غالَى بها الصَّداق
أكرمُ من شُدَّ بها النِّطاق إن الأُلَى جارَوْكَ لا أفاقوا
لكم سِياقٌ ولهم سِياق قد علمتْ ذلكمُ الرِّفاق
سُقتم إلى نَهج الهُدى وساقُوا إلى التى ليس لها[(٢)] عِراق
فى مِلَّةٍ عادتها النِّفاق

فلمّا قَدِم معاويةُ بن أبى سُفيان الكوفةَ ، قام النابغةُ بين يديه فقال :

ألم تأت أهل المَشْرقين رِسالتى برأى[(٣)] نَصيح لايبيتُ على العَتْبِ
مَلَكتُم فكان الشرُّ آخر عَهدكم لئن لم تَداركْكم حُلومُ[(٤)] بنى كَعْب

وقد كان معاويةُ كتب إلى مَروان بن الحكم ، فأخذ أهلَ النابغة ومالَه . فدخل النابغةُ على معاوية ، وعنده عبد الله بن عامر ومَروان ، فأنشده :

مَنْ راكبٌ يأتى ابن هند بحاجتى بكُوفان[(٥)] والأَنباء تُنْمى وتُجْلَبُ
فيُخبر عنّى ما أقول ابنَ عامر ونِعْم الفَتى يأْوِى إليه[(٦)] المُعصَّب
فإن أخذُوا أَهلى ومالِى بظِنَّةٍ فإنِّى لحَرَّابُ الرِّجال[(٧)] مُحَرَّب
صَبُورٌ على ما يَكره المرء كلِّه سِوى الظُّلم إنِّى إن ظُلِمْتُ سأَغْضَب

فالْتفت معاويةُ إلى مروان وقال : ماترى ؟ قال :أرى ألاترد عليه شيئاً . قال: ما أهوَن والله عليك أن يَنْجحر هذا فى غارٍ ثم يقطع عِرْضى علىّ ثم تأخذه العرب

(١) المصران : الكوفة والبصرة . والعتاق ، أى الكريم .
(٢) أى إلى مضلة لا نهاية لها . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « وأى » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « حرب » .
(٥) كوفان : الكوفة . وفى بعض أصول الأغانى : « على النأى » مكان « بكوفان » .
(٦) المعصب : الذى عصبته السنون وأكلت ماله .
(٧) حراب محرب ، أى شديد الكيد والنكاية .

فترويه . أمَا والله إن كنتَ لمن يرويه ! أُردد عليه كل شيء أخذتَ منه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار النابغة الجعدىّ، شعرٌ قاله النابغةُ يُخاطب به عِقال بن خُويلد العُقيلي يحذّره غِبَّ الظُّلم، لما أجار بنى وائل ابن مَعن الباهليّين ، وكانوا قتلوا رجلاً من بنى جَعدة ، فحذّرهم مثلَ حَرب البَسوس إن أقاموا على مثل ذلك فيهم ، وهو :

فأبْلغ عِقالاً أنّ غاية داحسٍ   بكفّيكَ فاُستأْخرْ لها أو تقدَّمِ
تُجِير علينا وائلاً فى دمائنا   كأنّك عمّا ناب أشياعَنا عَمِ
كُليبٌ لعمرى كان أكثَر ناصراً   وأيسرَ جُرماً منك ضُرِّج بالدَّم
رمَى ضَرْعَ نابٍ فاُستمرّ بطَعنةٍ   كحاشية البُرْد اليَمانِى المُسهَّم

ثم اُستطرد أبو الفرج بذكر وقعة البَسوس ، فذكرها مختصرةً .

ذكر حرب البسوس

سببها

قالت الرُّواة :

كان كُليب بن رَبيعة بن سِنان بن مَرْثد بن عبد بن عمرو بن بِشر بن مَرْثد، أخو بنى قيس بن ثعلبة ، قد ساد ربيعةَ ، فبغا بغياً شديداً . وكان هو الذى يُنزلهم منازلَهم ويُرحِّلهم ، فلا يَنزلون ولا يَرْحلون إلا بأَمره . فبلغ من عزّه وبَغْيه أنّه اتّخذ جَرْو كَلْبٍ ، فكان إذا نزل منزلاً فيه كلأٌ قَذف ذلك الجَرْوَ فيعْوى ، فلا يَرْعى أحدٌ ذلك الكلأَ إلا بأَمره . وكان يفعل ذلك بحياض الماء، فلا يَرِدُها أحدٌ إلا بإذنه ، أو من آذن بحرب . فضُرب به المثلُ فقيل : أعزُّ من كُليب وائل . وكان يَحمى الصَّيد فيقول : صيدُ ناحية كذا وكذا فى جوارى . فلا يَصيد أحدٌ منه شيئاً . وكان لا يمُرّ بين يديه أحد إذا جلس ، ولا يَحتبى فى مَجلسه غيرُه . وكان لِمُرَّة بن ذُهل بن شَيبان عَشرة بَنين ، جسّاس أصغرهم . وكانت أختُهم زوجةَ كُليب . وكانت البَسوس خالةَ جسّاس بن مُرّة . وهى التى يَضرب العربُ المثلَ بشُؤْمها فيقولون : أشأَم من البَسوس . فنزَلت على ابن أُختها جسّاس . وكانت جارةً لبنى مُرة ، ومعها ابنٌ لها ، ولها ناقة خَوّارة[1] من نَعم بنى سَعد ، ولها فَصيل معها . فبينا زوجةُ كُليب ، وهى أُخت جسّاس بن مُرة ، يوماً تغسل رأس كُليب بن ربيعة وتُسرِّحه إذ قال لها : من أعزُّ وائل ؟ فَصمتت . فأعادها . فلما أكثر عليها قالت : أخواى : جسّاس وهَمّام . فَنزع رأسَه من يدها وأَخذ القوس فرَمى فَصيل ناقة البَسوس ، خالةِ جسّاس وجارةِ بنى مُرّة ، فقتله . فأَغمضوا على ما فيها وسكتوا على ذلك . ثم لَقِى كُليبُ بن ربيعة جسّاسَ بن مُرَّة[2] ، فقال : ما فَعل

(١) خوارة : حسنة جميلة . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « ابن البسوس » .

فصيلُ ناقتكم ؟ قال : قتلتَه وأخليتَ لنا لبن أمه . فأَغمضوا على هذه أيضاً . ثم إن كُلَيباً أعاد على امرأته فقال :من أعزُّ وائل ؟ قالت : أخواى . فأَضْمرها وأَسرّها وسكت، حتى مرّت به إبل جسّاس، فرأى الناقة فأنكرها ، فقال : ماهذه الناقةُ؟ قالوا: لخالة جسّاس . فقال : أَوَقد بلغ من أمرا بن السعديّة أن يُجير علىّ بغير إذنى ! فأَخذ القوس فرمى ضرع الناقة . فاختلط دمُها بلبنها . فراحت الرُّعاةُ إلى جسّاس وأَخبروه بالأمر . فقال : احلُبوا مِكْيالَىْ لَبن لها ولا تذكروا لها من هـذا شيئاً . ثم أَغمضوا على ذلك أيضاً . وسكت جسّاس حتى ظَعن بنو بكر و بنو تَغلب ، ابنى وائل . فمرّت بكر بن وائل على نِهْى[1] يقال له: شُبَيث ، فنهاهم[2] كُلَيب عنه، وقال : لا يذُوقون منه قَطرة . ثم مرُّوا على نِهْى آخر يقال له : الأَحصّ . فمنعهم إيَّاه أيضاً . فمضَوْا حتى نزلوا الذّنائب . وأتبعهم كُلَيب وحيُّه حتى نزلوا عليــه . ثم مرّ عليه جسّاس وهو واقفٌ على غدير الذّنائب ، فقال : طردتَ أهلنا عن المياه حتى كِدْت تقتلهم عَطشاً ! فقال كُليب : ما منعناهم من ماء إلا نحن له شاغلون . فناداه جسّاس فقال : هذا كفِعْلك بناقة خالتى ! فقال : أَوَقد ذكرتَهـا ! أما إنّى لو وجدتُها فى غير إبل مُرة لاستحللْتُ تلك الإبلَ بها . فعَطف عليه جسّاس بن مُرّة فرسَه فطعَنه بالرُّمح فأنفذ حِضْنَيه . فقال : ياجسّاس ، اسْقنى الماء . فقال: ماعقلتُ استسقاءك الماء منذ ولدتْك أُمك إلا هذه الساعة . وعَطف عليه المُزدلف بن عمرو ابن أبى ربيعة فاحتزّ رأسَه .

همـام و جساس بعد مقتل كليب

وكان همّام أخو جسّاس صديقاً لمُهلهل بن ربيعة ، أخى كُلَيب ، وكان عاقَده ألا يَكْتُمه شيئاً . ولما قَتل جسَّاسٌ كليباً كان همّام ومُهلهل جالسين ، ومرّ جسَّاس بعدأن قتل كُلَيباً يركُض فرسَه مُخرجاً فخذيه . فقال همّام أخوه : إنله لأمراً ! والله ما رأيته كاشفاً فخذَيْه فى ركض قطُّ . فلم يلبث قليــلاً حتى جاءته خادمُه فسارّته

(١) النهى : الغدير . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « فنفاهم » .

بأنّ جسَّاساً قتل كُليباً . فقال: ما أخبرتْك ؟ قال : أَخبرتْنى أن أخى قَتَل أخاك .
فقال : هو أَضيقُ اُستاً من ذلك !

جساس وأبوه مرة

وجاء جسَّاس إلى أبيه مُرَّة . فقال : ماوراءك يابُنى ؟ فقال :ورائى أنِّى طعنتُ طعنــةً لتشْغلنّ بها شُيوخ بنى وائل زَمناً . قال : أقتلت كُليباً ؟ قال : نعم . قال : وَدِدْتُ أنّك و إخوتَك مِتُّم قبل هذا ! ما بى إلا أن يَتشاءم بى أبناء وائل .

بنو تغلب ومرة بن ذهل

ولما قُتل كُليب ، قالت بنو تَغلب قومُه بعضُهم لبعض : لا تَعجلوا على إخوتكم حتى تُعذروا بينكم و بينهم . فانْطلق رهطٌ من أشرافهم وذوى أسنانهم حتى أَتوا مُرة بن ذُهل ، أبا جسَّاس ، فعظَّمُوا مابينهم و بينه وقالوا : اختر منّا خِصَالاً : إمّا أن تدفع إلينا جسَّاساً فنقتلَه بصاحبنا ، فلم يظلم من قتــل قاتلَه ؛ و إمّا أن تدفع إلينا همّاماً ؛ و إما أن تُقيــدنا من نفسك . فسكت ، وقد حضرتْه وُجوه بنى بكر بن وائل، فقالوا : تَــكلَّم غير مَخذول. قال : أمّا جسَّاس فإنه غُلام حديثُ السنّ رَكب فَرسه فَهرب حين خاف، فلاعِلْم لى به . وأمّا همّام فأَبوعشرة، وعم عشرة ، لو دفعتُه إليكم لصَيَّح بنوه فى وَجهى وقالوا : دفعت أبانا ليُقتــل بجريرة غيره . وأما أنا فلا أتعجَّل الموت ، وهل تَزيد الخيــلُ على أن تجول جولة فأَكونَ أوَّل قتيل ! ولــكن هل لــكم فى غير ذلك : هؤلاء بنىّ فخذُوا أحدَهم فاقتُلوه به ، و إن شئتُم فلــكم ألف ناقةٍ تَضْمنها لــكم بكر بن وائل . فغَضبوا وقالوا : إنّا لم نأْتك لتُرذِلَ لنا بَنيك[1]، ولا لتَسومنا اللَّبن ! فتفرّقوا ، ووقعت الحربُ بينهم .

كلمة الحارث ابن عباد

وتُــكلم فى ذلك عند الحارث بن عُباد فقال : لا ناقةَ لى فى هذا ولا جَمل . وهو أوَّل من قالها . فذَهبت مثلاً .

الحرب بين الحيين

وكانت الحرب بينهم أر بعين سنة . وكان بينهم فى تلك السِّنين خَمس وَقَعات

(١) أى تعطينا رذال بنيك .

مُزاحفات ، وفيما بين تلك الوقعات مُغاورات[١] : كان الرَّجلُ يَلْقى الرجلَ ، والرَّجلان الرَّجلَيْن ، ونحو هذا . وكانت تارة يكون الظُّهور لبكر ، وتارة لتغلب ، وتارة يَنْتصف كلٌّ منهم من صاحبه .

مقتل همام

وفى بعض تلك الحُروب قُتل همّام بن مُرة أخو جسَّاس . وكان من حديث قَتْله أنه وَجدغُلاماً مَطْروحا ، فالتقطه وربّاه وسمّاه : ناشرة ، فكان عنده لقيطاً . فلما شَبَّ فإذا هو من تَغلب . فلما التقَوا جعل همَّام يُقاتل ، فإذا عَطش رَجع إلى قِربة فشَرِب منها ، ثم وضع سلاحه . فوجد ناشرةُ من همّام غَفلةً ، فشدّ عليه[٢] بالعَنَزة فأَقْصده فقَتله ، ولحق بقومه تَغلب .

مشاركة الحارث ابن عباد

فكان رئيسَ بكر ، بعد همّام بن مُرة ، الحارثُ بن عُباد ، وكان قد اعتزل الحَرب لما قُتل كُليب واستعظم قَتْل كُليب فى سُؤدده لناقة . فقَتل مهلهلُ بن ربيعة بُجيراً ، ابن أخى الحارث — وقيل : بل هو ابن الحارث نفسه — وقال حين قتله : بُؤ بشِسْع نَعل كُليب ! وبلغ قتلُه الحارثَ فقال : نِعم الغُلامُ غُلام أصلح بين أبنى وائل ! فلما سمعتْ بكرٌ قولَ الحارث قالوا له : إنّ مُهلهلاً لما قَتله قال : بُؤ بشِسْع نعل كُليب ! فغضب الحارثُ عند ذلك ونادى بالرَّحيل ، وقال :

قرِّبَا مَرْبَطَ النَّعامة منِّى … لَقِحَتْ حربُ وائل عن[٣] حِيالِى

لا بُجيرٌ أغنَى قتيلاً ولا رَهْـ … ـطُ كُليبٍ تزاجرُوا عن ضَلال

لم أكُن من جُناتها شَهد اللّٰـ … ـهُ وإنِّى بحرِّها اليومَ صَالى

أسر الحارث لمهلهل

ثم كانت بين الفريقَين وقعةٌ أسر فيها الحارثُ بن عُباد مُهلهلاً وهو لا يعرفه، فقال

---

(١) مغاورات : يغير فيها بعضهم على بعض .

(٢) العنزة : شبه العكازة ولها زج من أسفلها .

(٣) النعامة : فرسه . ولقحت : حملت . والحيال : ألا تحمل الأنثى . يريد : هاجت الحرب بعد سكون .

له : دُلَّنى على مُهلهل . فقال: ولى دَمِى؟ قال : ولك دمُك . قال: ولى ذمّتك وذمةُ أبيك ؟ قال : نعم . قال : فأنا مُهلهـل . قال : فدُلَّنى على كُفء لبُجير . قال : لا أَعلمه إلا امرأَ القيس بن أَبان، هذاك عَلَمُه . فجَزَّ الحارثُ ناصيةَ مُهلهل وأَطلقه، وقَصد قَصْد أمرىء القيس فقَتله ببُجير .

خروج مهلهل وإكراهه على تزويج ابنته

وخَرج مُهلهل بعـد الأَسر فَلحق بأَرض اليمن، فـكان فى جَنْب (١) . فخَطب إليه أحدُهم ابنته . فأَبى أَن يفعل . فأَكرهوه . فأَنكحها إيَّاه ، وقال فى ذلك :

أَنكحها فَقْـدُها الأَراقِمَ (٢) فى جَنْبٍ وكان الحِباء من أَدَمِ
لو بأَبانَـيْن (٣) جاء يَخْطُبهـا ضُرِّج ما أَنفُ خاطبٍ بدَم
أَصبحتُ لا مُنْفِسًا (٤) أَصبتُ ولا أَبت كريمًا حُرًّا من النَّـدم
هانَ على تَغْلبٍ بما لقيتْ أُختُ بنى المالـكين من جُشَم
ليسوا بإخواننا (٥) الكِرام ولا يُغْنُون من عَيْـلَةٍ ولا عَدَم

ومات جسّاس بن مُرة — فيما ذُكر — حَتْفَ أَنفه .

ترحيل جليلة عن مأتم كليب

وقيل :

لما قَتل جسَّاس كُليباً اجتمع نساء الحىّ فقُلن لأُخت كُليب: رحِّلى جَليلة بنت مُرة ، أُخت جسَّاس ، عن مأْتمنا ، فإن قيامَها فيه شَماتة وعارٌ علينا عنـد العرب . فقالت لها : اُخرجى عن مأتمنا، فأَنت أختُ واترنا وشقيقةُ قاتلنا . فخرجتْ وهى تجرُّ أَعْطافَها . فلقيها أَبوها مُرَّةُ فقال : ما وراءك يا جليلة ؟ قالت : ثُـكْل العَـدَد ، وحُزن الأَبد ؛ وفَقْد خَليل ، وقَتل أخٍ عمّا قليل ؛ و بين ذَيْن غرسُ الأَحقاد ،

---

(١) جنب : حى باليمن من مذحج .
(٢) الأراقم : حى من تغلب .
(٣) أبانان : جبلان .
(٤) المنفس : المال الكثير .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « بأكفائنا » .

وتفتّت الأكباد . قال : أوَ يكُف عن ذلك كرمُ الصَّفح و إغلاء الدِّيات ؟ فقالت : أُمنيَّة مَخدوع وربِّ الكعبة ، إنك لتعلم أنّ تغلب لا تدع دَم ربّها لك .

وقيل : قالت أُخت كُليب لمّا رحّلت جليلةَ : رِحلةُ المُعتدى، وفِراق الشامت، ويلٌ غداً لآل مُرة ، من الكَرَّة بعد الكرة . فبلغ قولُها جليلةَ ، فقالت : كيف تَشمت الحُرة بهَتْك سِتْرها ، وترقُّب وِتْرها . وأنشأت تقول :

يَابنــة الأقوام إن شئتِ فلا تَعْجلى باللَّوم حتى تَســأَلِى
فإذا أنت تبيَّنت الذى يُوجب اللَّومَ فلُومى واعْـذِلى
إنْ تكُن أختُ امرىءٍ لِيمتْ على شفق منها عليـــه فافعلى
جَلَّ عندى فعلُ جسَّاس فيا حَسْرتِى عما انجلتْ أو تَنْجلى
فعلُ جسَّاس على وَجْدِى به قاطعٌ ظَهرى ومُدنٍ أَجلى
لو بعَــينٍ فُقِئتْ عينى سوى أُختها فانفقأتْ لم أَحْفــل
يا قَتيـــلاً قَوَّض الدهرُ به سَــقف بيتىَّ جميعاً من عَل
هَدم البيتَ الذى استحدثتُهُ وانْثنى فى هَــدْم بَيْتى الأول
ورَمانى قتــلُه من كَثَبٍ رميــةَ المُصْمِى به المُستأْصل
يا نِســائى دونكنَّ اليومَ قد خصَّنى الدهرُ برُزْءٍ مُعْضــل
خصَّنى قتــلُ كُليبٍ بلظًى من ورائى ولظًى مُســتَقْبلى
ليس مَن يبكى ليومَيْه كمَن إنمــا يَبكى ليومٍ يَنْجلى
يَشــتفى المدركُ بالثّــأْر وفى دَرَكى بالثأْرِ ثُــكْلُ[1] المُثْكل
ليتَه كانَ دمى فاحْتلبوا بدلاً منــه دماً من[2] أَكحلى
إنَّنى قاتـــلةٌ مَقْتولةٌ فلعــلَّ الله أنْ يرتاحَ لى

(١) المثكل : التى لازمها الحزن .
(٢) الأكحل : عرق فى الذراع .

أخبار ابن قيس الرقيات (*)

نسبه

هو عُبيد الله بن قيس بن شُرَيح بن مالك بن ربيعة بن أُهيب بن ضِبَاب بن حُجير بن عَبد بن مَعيص بن عامر بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر .

أمه ولقبه

وأُمه قتيلة بنتُ وَهب بن عبد الله . من بنى بكر بن عبد مناة بن كِنانة .

و إنما لُقب بالرُّقيَّات لأنه شَبَّب بثلاث نسوة سُمِّين جميعاً رُقيَّة ، منهن : رُقيةُ بنت عبد الواحد بن أبى سعد بن قيس ، من بنى عامر بن لؤى ؛ وابنة عمٍّ لها يقال لها : رقيَّة ؛ وأخرى من بنى أُمية ، يقال لها : رُقية .

وفوده على عبد الملك بعد مقتل مصعب الزبيرى

قيل :

كان عُبيد الله بن قيس الرقيَّات مُنقطعاً إلى مُصعب بن الزُّبير بن العوَّام ، ولم يزل فى صُحبته إلى أن قُتل .

قال عُبيد الله :

خرجْتُ مع مُصعب بن الزُّبير حين بَلَغه شُخوصُ عبد المَلك بن مَروان إليه ، فلما نَزَل مُصعب بن الزُّبير بمَسْكِن[1] ورأى معالم الغَدْر ، دَعانى ودعا بمالٍ ومَناطق ، فملأ المَناطق من ذلك المال وألبسنى منها وقال لى : انطلق حيثُ شئت فإنِّى مقتول . فقلتُ : والله لا أَريم حتى أرى سبيلَك ، فأقمت معه حتى قُتل . ثم أقبلتُ إلى الكوفة ، فأول بيت صرتُ إليه دخلتُه . فإذا فيه امرأة لها ابنتان كأنهما ظَبيتان ، فرقِيتُ فى درجة لها إلى مَشْربة[2] فقعدتُ فيها . فأمرتْ لى المرأةُ

(*) جرد ابن واصل تجريده من « أخبار الهذلى » . وقد أورد أبو الفرج لسعيد الهذلى المغنى بعض أخبار قليلة قبل أخبار ابن قيس الرقيات .

(١) مسكن : موضع على نهر دجيل . كانت به الوقعة بين عبد الملك ومصعب سنة ٧١ هـ .

(٢) المشربة : الغرفة .

بما أحتاج إليه من الطّعام والشّراب والفرش والماء للوضوء . فمكثتُ كذلك عندها أكثر من حول تُقيم لى ما يُصلحنى ، وتغدو علىّ فى كل صباح فتسألنى بالصّباح[1] والحاجة . ولا تسألنى من أنا ، ولا أسألها من هى ، وأنا فى ذلك أسمع الصّياح فىّ والجُعْلَ . فلما طال المُقام وفقدتُ الصياح فىّ وغرِضْتُ بمكانى غدتْ علىّ تسألنى بالصّباح والحاجة . فأعلمتُها أنّى قد غرِضْتُ وأحببتُ الشّخوص إلى أهلى . فقالت لى : نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله . فلمّا أمسيتُ وضرب الليلُ بأرواقه رقيتْ إلىّ وقالت : إذا شئت ؟ فنزلتُ . فأعدّت لى راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ومعهما عبد ، وأعطت العبد نفقةَ الطريق ، وقالت : العبد والراحلتان لك . فركبتُ وركب العبد معى حتى طرقتُ أهلى بمكّة ، فدققتُ منزلى . فقالوا : من هذا ؟ فقلتُ: عُبيدالله بن قيس الرقيّات . فوَلولوا و بكَوْا وقالوا : مافارقَنا طلبُك إلا فى هذا الوقت . فأقمتُ عندهم حتى أسحرتُ ، ثم نهضتُ ومعى العبد حتى قدمتُ المدينةَ ، فجئتُ عبد الله بن جَعفر بن أبى طالب عند المساء ، وهو يُعَشّى أصحابه ، فجلستُ معهم وجعلت أتعاجم وأقول : يار ، يار ، ابن طيار[2] . فلمّا خرج أصحابُه كشفتُ له عن وجهى . فقال : ابن قيس الرقيات ؟ قلتُ : ابن قيس ، جئتك عائذاً بك . فقال : ويحك ! ما أجدَّهم فى طَلَبك وأحرصهم على الظَّفر بك ، ولكنّى سأكتُب إلى أمّ البَنين بنت عبد العزيز بن مَروان ، وهى زوجةُ الوليد ابن عبد الملك ، وعبد الملك أرقُّ شىء عليها . فكتب إليها يسألها أن تَشفع إلى عمّها . وكان عبدُ الملك يدخل إليها و يسألها: هل من حاجةٍ؟ فدخل إليها عبدُ الملك كما كان يفعل وسألها : هل من حاجة ؟ قالت له : نعم ، لى حاجة . قال : قُضيت

(١) أى كيف أصبحت وما حاجتك .

(٢) يار : كلمة فارسية بمعنى: صاحب، وشفيق، ومعين . وطيار : لقب جعفر بن أبى طالب ، والد عبد الله . وكان قد قطعت يداه فى غزوة مؤتة فأثابه الله بذلك جناحين يطير بهما إلى حيث شاء فى الجنة . والذى فى بعض أصول الأغانى : « تيار ، تيار ، أى طيار » .

كُلُّ حاجة لك إلا ابنَ قيس الرقيات . فقالت : لا تَستثن علىَّ شيئاً . ونَفح بيده فأَصاب وَجهها . فوضعتْ يدها على خَدّها . فقال : ياُ بنتى، اُرفعى يدك ، فقد قضيتُ كل حاجة لك وإن كانت اُبن قيس الرقيَّات . فقالت : إنَّ حاجتى اُبن قيس تؤمّنه ، كتب إلى أبىَ يسألنى أن أسألك ذلك . قال : فهو آمن ، فمُريه أن يحضُر مجلسى العشيَّة . فحضر اُبنُ قيس ، وحَضر النـاسُ حين بلغهم مجلس عبـد الملك . وأخَّر الإذن، ثم أذن للناس . وأخَّر إذن اُبن قيس الرقيَّات حتى أخذوا مجالسهم ، ثم أذن له . فلمّا دخل عليه . قال عبدُ الملك : يأهل الشام ، أتعرفون هذا ؟ قالوا : لا . قال : هذا عُبيد الله بن قيس الرقيات الذى يقول :

كيف نَومى على الفِراش ولمّـا تَشمل الشـأْمَ غارةٌ شَـعواء
تُذْهل الشَّيخ عن بَنيه وتُبـدِى عن خِدام[1] العَقيـلة العَـذراء

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، اُسقنا دَم هذا المُنافق . قال : الآن وقد أمَّنتُه وصار فى منزلى ! وقد أخرتُ الإذنَ لتقتلوه فلم تَفعلوا . فاستأْذنه اُبنُ قيس أن يُنشده . فأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

عادَ له من كَثيرةَ الطَّربُ فَعينُه بالدُّموع تَنسكبُ
كُوفيَّـــةٌ نازحٌ مَحلّتُهـا لا أَمَمٌ دارُها ولا صَـقَب
والله ما إن صَبتْ إلىَّ ولا إن كان بينى و بينهـا سَبب
إلّا الذى أورثت[2] كَثيرةُ فى الْـ قلب وللحُبِّ سَوْرةٌ عجب

حتى قال فيها :

---

(١) الخدام : جمع خدمة ، بالتحريك ، وهو الخلخال . وهوهنا فى نية : عن خدامها . وعدى « تبدى » بعن ، لأن فيه معنى : تكشف .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أثارت » مكان « أورثت » .

إنَّ الأغرَّ الذى أبوه أبو الـ   ـعاصى عليه الوَقار والحُجُب
يعتــدِل التّاج فوق مَفْرِقه   على جَبينٍ كأنه الذَّهب

فقال عبدُ الملك : تمدحنى بالتاج كأنى من العجم ، وتقول فى مصعب :

إنمـا مُصعبٌ شهابٌ من اللـــه تجلّت عن وَجهــه الظَّلماء
ملــكُه مُلك رحمةٍ[1] ليس فيه   جَبروتٌ يُرى[2] ولا كِبْرياء

أمّا الأمان فقد سَبق لك ، لـكن والله لا تأْخذ مع المُسلمين عطاءً أبداً .

ومن هذه القصيدة البائيّة :

ما نَقموا من بنى أُميَّــة إلَّا   أنهم يَحْلمون إن غَضِبوا
وأنَّهم سَـــادةُ المُلوك فلا   تصلحُ إلّا عليهمُ العَرب

مدح ابن جعفر على إحسانه إليه

وقال ابن قيس لعبدالله بن جعفر : ماينفعنى أمانى ، تُركتُ حيًّا كميت، لا آخذ مع الناس عَطاء ! فقال له عبـدُ الله بن جعفر : كم بلغتَ من السنّ ؟ قال : ستّين سَنة . قال : فعمرِّ نفسك . قال:عشرين سنة مِن ذى قِبَلٍ[3] . قال : عشرين سَنة ، فذلك ثمانون . قال: كم عطاؤك ؟ قال: ألف درهم . قال: فأمر له بأربعين ألف درهم، وقال: ذلك لك حتى تموت على تعميرك نفسك. فعند ذلك قال عُبيدالله بن قيس يَمدحه:

تقدَّتْ بىَ[4] الشَّهباء نحو ابن جَعفرٍ   سواءٌ عليهـــا ليلُها ونَهـــارُها
تزُور امرأً قــد يَعــلم الله أنّه   تجود له كفٌّ بَطىءٌ[5] غِـــرارها
أتينــاك نُثْنى بالّذى أنت أهـــلُه   عليك كما أثنى على الأرض جارها

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عزة » مكان « رحمة » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « منه » مكان « يرى » .
(٣) أى فى المستقبل .
(٤) تقدت : أى سارت سيراً ليس بعجل ولا مبطىء .
(٥) الغرار : أن تمنع الناقة درتها . يريد أن منعها المعروف بطىء . وفى رواية : « قليل قرارها » .

فوالله لولا أن تَزُرر ابنَ جَعفرٍ لكان قليلاً فى دِمَشْق قَرارُها
إذا مِتَّ لم يُوصَلْ صَديق ولم تُقَمْ طريقٌ من المعروف أنت مَنارها
ذكرتُك أن فاض الفُراتُ بأرضنا وفاض بأعلى الرقّتَيْن[1] بحارها
وعندىَ ممّا خوّل اللهُ هَجمةٌ عَطاؤك منها شَوْلُها[2] وعِشارها
مُباركةٌ كانت عطاءَ مُباركٍ تُمانِحُ[3] كُبْراها وتَنْمِى صِغارها

وقيل :

أَمر له عبدُ الله بن جعفر بجاريةٍ حَسْناء بعد أن أَمَّنه عبدُ الملك : فقال يمدحه ويذكر إحْسانَه إليه :

إذا زُرتُ عَبدَ الله نفسِى فداؤُه رجعتُ بفضلٍ من نَداهُ ونائلِ
وإن غِبْتُ عنه كان للوُدِّ حافظاً ولم يَكُ عنِّى فى المَغيب بغافلِ
تَداركنى عبدُ الإله وقد بدتْ لذى الحِقْدِ والشَّنْآن منِّى مَقاتلى
وأنقذنى من غَمرة الموت بعد ما رأيتُ حِياضَ الموت جَمَّ المناهل
حَبانِىَ لما جئتُه بعطيّةٍ وجاريةٍ حسناءَ ذاتِ خَلاخل

بين ابن المسيب ونوفل فى المفاضلة بينه وبين ابن أبى ربيعة

وحكى سَعيد بن مُسلم بن وَهب قال :

دخلتُ مسجد رسُول الله صلَّى الله عليه وسلم مع نَوفل بن مُساحق ، فإنه لمُعتمدٌ علىَّ ، إذ مررنا بسعيد بن المُسيِّب فى مجلسه ، فسلّمنا عليه فردَّ علينا سَلامَنا ، ثم قال لنوفل : يا أبا سَعيد ، من أشعر : أَصاحبنا أم صاحبُكم ؟ يعنى عُبيد الله

(١) الرقتان : الرقة والرافقة ، بلدان على الفرات متصلا البناء .

(٢) الهجمة : الأربعون من الإبل إلى ما زادت . أو ما بين السبعين إلى المائة . والشول : جمع شائلة ، وهى من الإبل ما أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وخف لبنها . والعشار : جمع عشراء ، وهى التى مضى لحملها عشرة أشهر .

(٣) تمانح : تدر فى الشتاء .

ابن قَيس الرقيَّات ، أو عمر بن أبى ربيعة . فقال نَوفَل : حين يقُولان ماذا ؟ فقال : حين يقول صاحبُنا :

خليليَّ ما بالُ المَطىّ كأنما   نَراها على الأدبار بالقَوم تَنْكُصُ
وقد أَبعد الحادى سُراهُنَّ وأَنْتحى   بهن وما يَأْلو عَجُولٌ مُقَلِّص
وقد قُطِّعَتْ أَعْناقُهنَّ صَبابةً   فأنفُسنا ممّا تُكلَّف تَشْخص
يَزِدْن بنا قُرباً فيزدادُ شوقُنا   إذا زاد طُول العَهد والبعدُ يَنْقُص

ويقول صاحبُكم ما شئت . فقال نَوفل : صاحبكم أشهر بالقول فى الغَزل ، وصاحبُنا أكثر أفانينَ شِعْر . قال : صدقتَ . فلما انقضى مابينهما من ذكر الشِّعر جعل سَعيد بن المُسيِّب رَحمه الله يَستغفر الله ويَعْقد بيده ويَعُد بالخمس كلها حتى وَفَّى المائة . فلما فارقْناه قلت لنوفل : أَتراه استغفر الله من إنشاده الشِّعر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كلا ، هو كثير الإنشاد والاستنشاد ، ولكنى أحسبه للفَخْر بصاحبه .

فضله ابن أبى عتيق هو وابن أبى ربيعة على كثير

وحكى إبراهيم بن أبى عُبيد الله[1] قال :

أَنشد كُثيِّرٌ ابنَ أبى عَتيق كلمته التى يقول فيها :

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ   قليلٍ ولا أَرضى له بقليلِ

فقال له : هذا كلامُ مكافىء ليس بعاشق ! القُرشيّان أصدقُ وأقنع منك : ابن أبى ربيعة حيث يقول :

ليت حَظِّى كطَرفة العين منها   وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنَّا

وقولُه :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « إبراهيم بن أبى عبد الله » . وفى بعض آخر : « إبراهيم ابن عبد الله » .

فعِــدِى نائلاً و إنْ لم تُنيلِى إنَّه يُقْنِــع الُمحبَّ الرَّجاء

وابن قيس الرقيّات حيث يقول :

رُقَىَّ بعَيْشِكم لا تَهْجُرينــا ومَنِّينـا الُمنَى ثم امْطُلينَا
عِدينـا فى غَــدٍ ما شئتِ إنَّا نُحب و إن مَطَلْتِ الواعِدينا
فإمّا تُنْجزى عِــدَتى و إمّا نَعيش بمـا نُؤمل منك حِينا
أَغرّكِ أنّنى لا صَبْرَ عِنْدى على هَجرٍ وأنّك تَصْبرينـــا
و يومَ تبعتُــكم وتركتُ أَهلى حنين العَوْدِ[1] يَتّبع القَرِينا

قال : فذكرتُ ذلك لأبى السائب المَخْزومىّ ، ومعه ابن المَولى . فقال : صَدق ابن أبى عَتيق وفَّقه الله ! ألا قال المَدْيون كُثيِّر كما قال هذا حيث يقول :

وأبكى فلا لَيْلى بكتْ من صَبابةٍ لباكٍ ولا لَيلى لذى الوُدِّ تَبْــذُلُ
وأَقْنع[2] بالعُتْبَى إذا كنتُ مُذنباً و إن أذنبتْ كنتُ الذى أَتنصلَ

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفَرج أخبار اُبن قيس الرقيَّات ، هو :

عَلِّلِ القومَ يَشْرَبُوا كى يَلَذُّوا و يَطْرَبُوا
إنمـــا ضَـلَّل الفُؤا دَ غَـــزالٌ مُرَبَّب
فَرشَـــته على النَّمـا رِق سُعْدَى وزَيْنب
حالَ دون الهوى ودو ن سُرى اللَّيل مُصعب
وسِـــياطٌ على أكُـ ـفٍّ رِجالٍ تَقَلَّب

خبر مصعب بن عبد الرحمن على المدينة

وهــذا الشعر قاله ابنُ قيس الرقيَّات فى مُصعب بن عبــد الرحمن بن عوف الزُّهرى ، وكان مروان بن الحَكم ، لمّا كان والياً على المدينة ،ولّاه شُرطته ، فقال :

---

(١) العود : الجمل المسن وفيه بقية .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وأخنع » .

إنّى لا أَضبط المدينةَ بحَرس المدينة ، فابغنى رجالاً من غيرها . فدعا له بمائتى رجل من أهل أَيلة[١] ، فضَبطها ضبطاً شديداً . فبقى إلى أن وَلِى عمرو بنُ سَعيد ابن العاص المدينةَ ، وخَرج الحسينُ بن علىّ رضى الله عنهما ، وعبد الله بن الزُّبير . فقال له عمرو : اُهدم دُور بنى هاشم وآلِ الزبير . فقال : لا أفعل . فقال : انتفخ سَحرك[٢] يابن أُم حُرَيث ! أَلْقِ سَيْفَنا . فأَلْقاه ولَحق بابن الزُّبير . وولّى عمرو ابنُ سعيد شُرطَته عَمرو بنَ الزُّبير بن العوّام ، وأمره بهَدْم دُور بنى هاشم وآل الزُّبير . ففعل ، و بلغ منهم كُل مبلغ ، وهدم دار ابن مُطيع التى يقال لها : العَنْقاء . وضرب ابن أخيه محمد بن المُنذر بن الزُّبيرمائةَ سوط . ثم دَعا بأخيه عُروة بن الزُّبير — رحمه الله — لِيَضربه . فقال له محمد : أَتضرب عُروة ؟ قال : نعم يا سَبَلانىّ[٣] ، إلا أن تَحتمل ذلك عنه . قال : أنا أحتمله . فضَربه مائةَ سوط أُخرى . ولحق عُروة بأخيه عبد الله بن الزُّبير . وضَرب عمرٌو الناس ضرباً شديداً ، فهربوا منه إلى ابن الزُّبير . فلما أَفضى الأَمرُ إلى ابن الزُّبير ظَفِر بأخيه عَمرو بن الزُّبير ، فضربه بالسِّياط ضرباً مُبرِّحاً ، فمات من الضَّرب . فدفَنه فى غير مَقابر المُسلمين ، وقال للناس : إنّ عَمرًا مات مرتدًّا عن الإسلام .

استشهاد للمؤلف بشعر لأبى فراس

قلت :

و إلى مُفارقة عمرٍو أخاه ابن الزُّبير ، وصَيرورته مع أعدائه ، و إلى مُفارقة عَقيل بن أبى طالب أخاه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وصَيرورته مع مُعاوية ، وحضوره معه حَرب صِفِّين، أشار أبو فِراس بقوله :

نَعم دَعت الدُّنيا إلى الغَدر دَعوةً ... أجاب إليها عالمٌ وجَهولُ
وفارق عمرو بنُ الزُّبير شَقيقَه ... وخَلَّى أميرَ المُؤمنين عَقيل

(١) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام .
(٢) السحر : الرئة . وهذه كلمة تقال للجبان .
(٣) السبلانى : الطويل السبلة ، وهى شعرات تكون فى المنحر .

أخبار مالك بن أبي السمح

نسبه وكنيته وشيء من صفاته

هو مالك بن أبي السَّمْح . واسم أبي السَّمح : جابر بن ثعلبة الطَّائيّ ، أحد بني ثُعَل ، ثم أحد بني عمرو بن دَرْماء . ويُكنى أبا الوليد . وأُمه قُرشيَّة من بني مَخزوم . وكان أبوه مُنقطعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . وكان مالك يَتيماً فى حِجْره ، أَوصى به أبوه إليه . وكان ابن جعفر يكفُله ويَمُونُه ، وأدخله وسائر إخوته فى دَعْوة بنى هاشم .

عمن أخذ الغناء وعمره

وأخذ الغناء عن جَميلة ، ومَعْبد . وعُمِّر حتى أَدرك الدَّولة العبَّاسيَّة . وكان مُنقطعاً إلى سُليمان بن عليّ بن عبد الله بن العبَّاس . ومات فى خلافة أبي جعفر المنصور .

شعر للحسين بن عبيد الله فيه

وفى مالك هذا يقول الحُسين بن عُبيد الله بن العبَّاس :

لا عَيْشَ إلا بمالك بن أبي السَّـ ـمْح فلا تَلْحَنى ولا تَـلِم
أبيضُ كالبـدر أو كما يَـلْمع الْـ ـبارقُ فى حالك من الظُّلَم
مَن ليس يَعْصيك إنْ رَشَدتَ ولا يَهْتِكُ حقَّ الإسلام والحُرَم
يُصيبُ من لذَّة الكريم ولا يَجهل آىَ التَّرخيص فى[1] اللَّمَم
يا رُبَّ يوم لنا كحاشية الْـ ـبُرد ويومٍ كذاك لم يَدُم
نعمتُ فيه ومالكَ بن أبي السَّـ ـمح الكريمَ الأخلاق والشِّيَم

وقيل : إن مالكاً لما سمع هذا الشعر قال : لا والله ، ولا إن غَويتَ أيضاً أعصيك .

---

(١) اللمم : مقاربة الذنب من غير مواقعة . قال تعالى : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) .

غنى للوليد فلم يطرب ثم غناء ثانية فطرب

وحُكي أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لمعبد المُغنّي : قد آذَتْني وَلْوَلَتُك هذه ! وقال لابن عائشة : قد آذاني استهلالك هذا ! فاطلُبا لى رجلاً يكون مذهبُه متوسِّطاً بين مذهبَيْكما . فقالا له : مالك بن أبي السَّمح . فكتب فى إشخاصه إليه وسائر مُغنِّى الحجاز المذكورين . فلمّا قَدم مالكٌ على الوليد ، فيمن معه من المُغنِّين ، نزل على الغَمْر بن يزيد . فأدخله على الوليد ، فغنّاه فلم يُعجبه . فلمّا انصرف الغَمر قال: إن أمير المُؤمنين لم يُعجبه شيء من غنائك . فقال له : جعلنى الله فِداك ! اطلُب لى الإذن عليه مرة أُخرى ، فإن أَعجبه شىء مما أُغنِّيه و إلا انصرفتُ إلى بلادى . فلمّا جَلس الوليدُ مجلس اللَّهو ذَكره الغَمر ، فطلب له الإذن وقال له : إنّه هابك فَحصِر ، فأذن له . فبعث إليه . فأمر مالكٌ الغُلام فَسقاه ثلاث صُراحيّاتٍ[1] صِرْفاً ، وخَرج حتى دخل عليه يَخْطِر فى مِشيته . فلما بلغ باب المجلس وقف ولم يُسلِّ ، وأخذ بحَلْقة الباب فَقَعْقَعها ، ثم رفع صوتَه فغنَّى :

لا عَيش إلا بمالك بن أبي السَّـ ـمْح فلا تَلْحَنى ولا تَلُمِ

فطرب الوليدُ ورفع يديه مادًّا لها إليه حتى بان إبطاه ، وقام فاعتنقه وقال له : اُدْن يابن أخى . فدنا حتى اعتنقه . ولما انتهى مالكٌ إلى قوله :

أَبيضُ كالسَّيف أوكما يلمع الـ ـبارقُ فى حالِك من الظُّلَمِ

قال له الوليد بن يزيد :

أَحولُ كالقِرد أوكما يرقُب السَّـ ـارقُ فى حالكٍ من الظُّلَم

وكان مالك طويلاً أحنى فيه حَوَل .

ثم أخذ مالكٌ فى صوته ، فلم يزالوا فيه أيَّاماً . ثم أَجزل له العطيَّة حين أراد الانصراف .

---

(١) الصراحيات : آنية للخمر .

بين ابن عائشة وابن أبي السمح فى مقتل الوليد

وحكى ابن عائشة قال :

حضرنا الوليد بن يزيد يوم قُتل ، وكان معنا مالك بن أبى السَّمح ، وكان من أحمق الخَلق ، فلما قُتل الوليد قال : اهرُب بنا . فقُلت : وما يُريدون منّا ؟ قال : وما يُؤمنك أن يأخذوا رأسَيْنا فيجعلوا رأسه بينهما ليحسِّنوا بذلك أمرهم .

قال ابن عائشة : فما رأيت منه عقلاً قطُّ قبل ذلك اليوم .

أخبار النهدىّ والوليد بن عقبة

ابن أبى معيط

حديث إيغار زهير صدر الحارث الغسانى على النهديين

أمَّا النَّهدىُّ، فذُكر أنّ الحارث بن مارية الجَفْنِىّ الغسَّانى كان مُكرِماً لزُهير ابن جَنَاب الكَلْبى، يُنادمه ويُحدِّثُه[1]. فقدِم على المَلِك رجلان من بنى نَهْد ابن زَيد، يُقال لهما: سَهْل، وحَزْن، ابنا رِزاح. وكان عندهما حديثٌ من أحاديث العرب وأخبارها. فاجتباهما الملكُ، ونَزَلا منه المكانَ الأثير. فَحسدهما زُهير بن جَناب، فقال: أيها الملك، هما والله عَينُ المُنذر عليك — يعنى المُنذر الأكبر جَدَّ النُّعمان بن المُنذر — وهما يكتُبان إليه بعَوْرتك وخَلَل ما يريان منك. فقال: لا. فلم يزل به زُهير حتى أوغر صدرَه. وكان إذا رَكب يَبعث إليهما بعيرَيْن. فبعث إليهما بناقةٍ واحدة، فعَرفا الشرَّ، فلم يركب أحدُهما، فقال له الآخر:

فإلّا تَجلَّلْها يُعالُوكَ[2] فوقَها ... وكيف توَقَّى ظهرَ ما أنت راكِبُهْ

فركِباها هو وأخوه، ومُضى بهما فقُتلا.

وهذا البيتُ من أبياتٍ للوليد بن عُقْبة، وهو الشِّعر الذى فيه الغِناء، وافتتح به أبو الفَرج أخبار النَّهدىّ والوليد. وأبيات الوليد:

نعم[3] قتَلوه كى يكونُوا مكانَه ... كما غَدرتْ يوماً بكسرى مَرازِبُه

بنى هاشمٍ خَلُّوا[4] سِلاحَ ابنِ أُختكم ... ولا تَنهبُوه لا تَحِلُّ مَناهبُه

---

(١) فى بعض الأصول من الأغانى: «يحادثه».

(٢) تجللها، أى تتجللها، مضارع حذفت تاؤه. وتجلل الشىء: علاه. وعالاه: رفعه.

(٣) فى بعض أصول الأغانى: «هم» مكان «نعم».

(٤) فى بعض أصول الأغانى: ردوا» مكان «خلوا».

حديث مقتل رزاح

قيل : إنّ الملك الحارث بَحث عن أمر النَّهديَّيْن بعد ذلك فوجده باطلاً ، فشَتم زُهيراً وطَرده . فانصرف إلى بلاد قومه . وقَدم رِزاح أبو الغُلامين ، فأكرمه المَلك وأعطاه دِيَةَ ابنَيه . و بَلغ زهيرَ بن جَناب مكانُه ، فدعا ابناً له يقال له : عامر ، وكان من فِتْيان العرب لساناً و بياناً ، فقال له : إنّ رِزاحاً قد قَدِم على الملك ، فالْحق به واحتَلْ فى أن تكفِيَنيه ، واذْمُمْنى عند الملك ، وتبرّأْ منّى . وأثّر به آثاراً . فخرج الغلامُ حتى قَدِم الشأمَ ، فتلطَّف للدُّخول على الملك حتى وَصل إليه. فأعجبه ما رأى منه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا عامرُ بن زُهير بن جَناب . قال : فلا حيَّاكَ الله ولا حيّا أباكَ الغادرَ الكَذُوب الساعىَ ! فقال له : نعم ، فلا حيّاه الله ! انظُر أيها المَلك ما صَنع بظَهرى . وأراه الضَّرْبَ . فقَبِل منه ذلك وأدخله فى نُدمائه . فبينا هو يوماً يُحدِّثه إذ قال له : أيها الملك ، إن أَبى و إن كان مُسيئاً فلستُ أَدَع أن أقول الحقَّ ، قد والله نَصحك أبى . ثم أنشأ يقول :

فيالكِ نَصْحةً لمّا نَذُقْها ... أراها نَصحةً ذهبتْ ضَلالَا

ثم تركه أيّاماً ، وقال له بعد ذلك : أيها الملك، ماتقول فى حَيَّة قَطعتَ ذَنبها و بقى رأسُها ؟ قال : ذاكَ أبوكَ وصَنيعه بالرَّجُلين ما صنع . قال : أبيتَ اللَّعن ! والله ما قَدم رِزاح إلّا ليثأر بهما . فقال : وما آيةُ ذلك ؟ قال : اسْقه الخمر ثم ابعث إليه عيناً يَأْتك بخبره . ففَعل ، فلما انتشى صَرفه إلى بيته ومعه بنتٌ له ، و بعث إليه عُيوناً . فلما دخل قُبَّته ، قامت ابنتهُ تُسانده ، فقال :

دَعينى من سِنادكِ إنّ حَزْناً ... وسَهلاً ليس بعدهما رُقُودُ
ألا تَسلين عن شِبْلىَّ ماذا ... أصابهما إذا اهْترش(١) الأُسود
فإنّى لو ثأرتُ المرءَ حَزناً ... وسَهلاً قد بدا لكِ ما أُريد

(١) اهترشت الأسود : تقاتلت وتواثبت .

فرجع القومُ إلى المَلك فأخبروه بما سَمِعوا ، فأمر بقَتْل النَّهـدى ، وردَّ زُهيراً إلى موضعه .

وأما الوليد بن عقبة

نسب الوليد بن عقبة

فيُكنى أبا وهب . وهو أخو عُثمان بن عفَّان رضى الله عنه لأُمه أَروى بنت كُريز . وأُمهما البَيضاء ، عمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

توليه الكوفة

وكان من فِتيان قُريش وشُجعانهم وكُرمائهم ، وكان فاسقاً . ولَّاه عُثمان رضى الله عنه الكُوفةَ ، فشَرب الخمر ، وشُهد عليه بذلك ، فحدَّه عثمانُ رضى الله عنه وعَزله .

وذُكر أنّ سَبب توليته الكُوفة أن عُثمان رضى الله عنه لم يكُن يجلس معه على سَريره إلا العبّاس بن عبد المطلب ، وأبو سُفيان بن حَرب ، والحَكم بن أبى العاص ، والوليد بن عُقبة . فأقبل الوليدُ يوماً فجلس ، ثم أقبل الحكم ، فلمّا رآه الوليدُ زَحَل[1] له عن مَجلسه . فلما قام الحَكم قال الوليد : والله يا أميرَالمُؤمنين لقد تلَجلج فى صَدْرى بَيْتان قلتهما حين رأيتُك آثرت عمَّك على اُبن أُمك .
فقال له عثمان : إنه شَيخ قُريش ، فما البيتان اللذان قلتَ ؟ قال : قلتُ :

رأيتُ لعمِّ المرء زُلْفَى قَرابةٍ ... دُوَينَ أَخيه حادثاً لم يكن قِدْمَا
فأمَّلتُ عَمراً أن يَشِبّ وخالداً ... لكى يدعُوانى يومَ مَرْحمةٍ[2] عمّا

يعنى : عمراً ، وخالداً ، ابنى عُثمان . فرقّ له عثمان وقال : قد وليتُك العراق ، يعنى الكوفة .

سيرته فى الكوفة

قيل :

---

(١) زحل : تنحى و تباعد .
(٢) فى بعض الأصول : « يشيب » مكان « يشب » و « مزحمة » مكان « مرحمة » .

لما ولاه عُثمان رضى الله عنه الكوفةَ ، وعليها سعدُ بن أبى وقّاص ، فأُخبر بقُدومه فقال : وما صَنع ؟ قال : وقف فى السُّوق فهو يحدِّث الناسَ هناك ، ولسنا نُنكر شيئاً من شأنه . فلم يَلبث أنْ جاءه نصفَ النَّهار ، فاستأذن على سعد ، فأذِن له ، فسلَّم عليه بالإمْرة وجلس معه . فقال له سعد : ما أَقدمك أبا وهب ؟ قال : أحببتُ زيارتك . قال : وعلى ذلك أجئتَ بريداً ؟ قال : أنا أرزنُ من ذلك ، ولكنَّ القوماحتاجوا إلى عملهم فسرَّحونى إليه ، وقد استعملنى أمير المُؤمنين على الكوفة . فمكث طويلاً ثم قال :

خُذينى وجُرِّينى ضباعُ وأَبْشرِى بلحمِ امرىءٍ لم يَشْهدِ اليومَ ناصِرُهْ

فقال الوليد : أَمَا والله لأنا أقْول للشِّعر وأَرْوى له منك ! وإن شئتَ لأَجبتُك ، ولكنى أَدع ذلك لما لا تَعلم[1] . نعم والله ، وقد أُمرتُ بمُحاسبتك والنَّظرِ فى أمرعُمّالك . ثم بَعث إلى عُمّاله فحَبسهم وضيَّق عليهم . فكتبوا إلى سعد يَسْتغيثون . فكلمه فيهم ، فقال : أَوَ لِلمعروف عندك موضع ؟ قال : نعم والله ! فخلَّى سبيلَهم .

وذُكر أنّ الوليد صلَّى بأهل الكُوفة الغداةَ أربع رَكعات ، ثم التفت إليهم فقال : أَزيدكم ؟ فقال عبدُ الله بن مَسعود رضى الله عنه : ما زِلْنا معك فى زيادة منذُ اليوم .

شعر الحطيئة فى شربه الخمر

وقال الحطيئة فيه ، حين شُهد عليه بشُرب الخمر :

شَهد الحُطيئةُ حين يَلْقى رَبَّه أَنَّ الوليدَ أَحقُّ بالعُذْرِ
نادَى وقد تمَّت صلاتُهمُ أَأَزيدكم سُكْراً وما يدرى
فأبَوا أَبا وَهْبٍ ولو أَذِنوا لقَرنْتَ بين الشَّفع والوَتْر
كَفُّوا عِنانَك إذ جرَيْت ولو تركُوا عِنانَك لم تَزل تَجْرى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لما تعلم » .

وقال الحُطيئة أيضاً :

تكلّم فى الصَّلاة وزاد فيها   عَلانيةً وجاهَر بالنِّفاقِ
ومَجَّ الخمر فى سَنَن المُصلَّى   ونادَى والجميعُ إلى افتراق
أزيدكمُ على أن تَحمدونى   وما لكمُ وما لى من خَلاق

حده وحديث ذلك

وذُكر أنَّ الوليد تقيَّأ الخمر فى المِحراب وقرأ فى الصلاة رافعاً صَوْته :

عَلِق القلبُ الرَّبابَا   بعد ما شابتْ وشابَا

فشَخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه بخَبره ، وشَهدوا عليه بشُرب الخمر . فأَتى به وأَمر رجلاً ليضربه الحدَّ . فلما دَنا منه قال : نَشدتُك الله وقَرابتى من أمير المُؤمنين . فخاف عليٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه أن يُعطِّل الحدُّ ، فقام إليه فحدَّه . فقال الوليد : نَشدتُك الله والقرابة ! فقال له علىٌّ : اسكت يا أبا وَهْب . فإنما هلكتْ بنو إسرائيل بتَعطيلهم الحُدود ! وقال : لتَدْعونِّى قُريش بعد هذا جلاَّدها .

وقيل :

إنَّ عُثمان رضى الله عنه لمَّا قال لعلىّ رضى الله عنه : قُم فاضربه . فقال له الحسن : مالك ولهذا ؟ يَكفيك غيرُك . فقال علىٌّ لعبد الله بن جعفر : قُم فاضربه . فضربه بمِخْصرة[1] فيها سيرٌ لها رأسان . فلما بلغ أَربعين قال : حَسْبُك ! أَمْسك ، جَلد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَربعين ، وجَلد أبو بكر أَربعين ، وكمَّلها عُمر ثمانين ، وكُلٌّ سُنَّة .

شعر أبى زبيد فى هذا

وقيل :

كان أبو زُبيد الطَّائى نديماً للوليد بن عُقبة أَيَّام ولايته الكُوفة . فلما شُهد عليه بالسُّكر من الخمر وخَرج عن الكوفة ، قال أبو زبيد الطائى :

(١) المخصرة : العصا ، والمقرعة ، ونحوهما .

مَن يَرى العِيرَ لابن أروى على ظَهـ ـرِ المَرَوْرَى حُـداتُهن عِجَالُ
يعرف الجاهلُ المُضلَّل أنّ الـ ـدَّهر فيه النَّكراء والزِّلزال
ليت شِعرى كذا كم العهدِ أم كا نُوا أناساً كمن يزول فزَالوا
بعد ما تَعْلمين يا أُم زَيْد كان فيهم عِزٌّ لنا وجَمال
ووُجوهٌ تودُّنا[1] مُشرِقاتٌ ونَوالٌ إذا يُمَدُّ النَّوال
ولعمرو الإله لو كان للسَّيْـ ـف مَصالٌ وللسان مَقال
ما تناسيتُك الصَّفاءَ ولا الوُ دَّ ولا حَال دونك الأشْغال
قولهُم شُربك الحَرامَ وقد كا ن شرابٌ سوى الحَرام حَلال
وأبَى الظَّاهرُ العَداوةِ إلاّ شَنآناً وقولَ ما لا يُقال
مَن يَخُنْك الصَّفاء أو يتبدَّل أو يزُل مثل ما تزول الظِّلال
فاعلَمنْ أنَّنى أخوك أخو الوُ دِّ حياتِى حتى تزول الجِبال
ولك النَّصر باللِّسان وبالكَـ ـفِّ إذا كان لليدَيْن مَصال

مثل من تقريبه لأبى زبيد

وذُكر أنَّه لما قَدم الوليدُ بن عُقبة الكوفةَ ، قَدم عليه أبو زُبيد الطائى ، وهو نَصْرانىّ ، فأنزله دار عَقيل بن أبى طالب على باب المَسجد . فكان مما احتَجّ به على الوليد أهلُ الكوفة أنَّ أبا زُبيد كان يخرُج إليه من داره يخترق المَسجد فيجعله طريقاً ، ويسمُر عنده ويشرب معه ، ثم يخرُج فيشقّ المَسجد وهو سكران .

ما نزل فيه من القرآن

وقد ذُكر أنّ قولَ الله تعالى : (يأيُّها الَّذين آمَنُوا إنْ جاءكم فاسِقٌ بنَبأٍ فتبيَّنوا أن تُصِيبوا قوماً بجَهالةٍ فتُصْبحوا على ما فَعلتُم نادمين) إنما نزل فى الوليد ابن عُقبة هذا . كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم بَعثه إلى بنى المُصطلق مُصدّقاً ، فلمّا رأوه أقبلوا نحوه ، فهابهم . فرجع إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم فأخبره أنهم

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بودنا » مكان « تودنا » .

قد ارتدُّوا عن الإسلام . فبعث النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم خالدَ بن الوليد وأمره أن يتثبَّت ولا يَعْجل . فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً ، فبعث عُيونه ، فجاءوه فأخبروه أنهم مُتمسِّكون بالإسلام ، وسمعوا آذانَهم وصلاتهم . فلما أَصبحوا أتاهم خالدٌ فرأى ما أعجبه ، فرَجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأَخبره .

الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين امرأته

وحدَّث عليُّ بن أبى طالب رضى الله عنه : أنّ امرأة الوليد بن عُقبة جاءت إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم تَشتكى الوليد ، وقالت : إنه يَضربها . فقال لها : ارجعى وقُولى له : إنّ رسول الله قد أَجارنى . فانطلقت فمكثت ساعةً ثم رجعتْ ، فقالت : ما أقلع عنى . فقطع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هُدبة من ثوبه ثم قال : امضى بها ثم قولى : إن رسول الله أجارنى . فانطلقت ، فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت : يا رسول الله ، ما زادنى إلا ضرباً . فرفع صلَّى الله عليه وسلم يَده وقال : اللهم عليك الوليد ! مرّتين أو ثلاثاً .

قدوم أمه به على النبى صلى الله عليه وسلم وهو صبى

وقيل :

إنّ الوليد بن عُقبة قال : لما فَتح رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مكة ، جعل أهل مكة يأتُونه بصِبْيانهم ، فيدعو لهم بالبركة ويَمسح بيده على رُءوسهم . فجىء بى إليه وأنا مُخَلَّق[1] ، فلم يَمسَّنى ، وما مَنعه إلا أن أُمى خلَّقتْنى بخَلُوق ! فلم يَمسَّنى من أجل ذلك .

حديثه مع جندب حين قتل الساحر

وقيل :

كان عند الوليد بن عُقبة ، وهو والى الكوفة ، رجلٌ ساحر ، فجعل يدخُل فى جَوف بقرة ويخرُج . فرآه جُنْدَب بن كَعب ، فذَهب إلى بيته فاشتمل على سَيْفٍ ، فلما دخل الساحرُ فى البقرة قال جُنْدب : أتأتُون السِّحر وأنتم تُبصرون !

(١) مخلق : مطيب بالخلوق ، وهو الزعفران .

ثم ضَرب وسطَ البقرة فقطَعها وقطع الساحر . فانذعر الناسُ . فسجنه الوليـدُ ، وكتب بذلك إلى عثمان رضى الله عنه . وكان السجَّان يفتح له باللَّيل فَيذهب إلى أهله ، فإذا أصبح دخل السجن . وكان على السِّجن رجلٌ ، فلما رأى جُنْدباً يقوم ويُصبح صائماً ، قال : والله إنّ قوماً هذا شرُّهم لقومُ صِدْقٍ . فوكَّل بالسجن رجلاً ودخل الكوفةَ ، وكان السجنُ خارجاً ، فسأل عن أفضل أهل الكوفة . فقالوا : الأشعثُ بن قيس . فاستضافه . فجعل الأشعثُ ينامُ الليل ثم يُصبح فيدعو بغَدائه . فخَرج من عنـده فسأل : أى أهل الكوفة أفضل ؟ فقالوا : جرير بن عبد الله . فوجده ينام الليـل ثم يُصبح فيدعو بغَدائه . فاستقبل السجّانُ القبلة وقال : ربِّى ربُّ جُنْدب ، ودينى على دين جُندب ، وأَسلم .

ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لابن صوحان وجندب

وقيل :

لـمّا انصرف رسولُ الله صلَّى الله عليـه وسلَّم من غَزاة بنى المُصطلق ، نَزل رجلٌ فسَاق بالقوم ورَجز ، ثم آخر فساق ورَجز . ثم بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُواسى أصحـابه ، فنزَل فَساق بالقَوْم ورَجز ، وجعـل يقول : جُنْدَبٌ وما جُنْدب ! والأَقْطعُ الخيرُ زَيد ! فدنا منه أصحابُه فقالوا : يا رسول الله ، ما يَنفعنا مَسيرُك مخافةَ أن تلسعك دابة أو تُصيبك نكبةٌ . فركب. ودَنَوْا منه وقالوا : قُلت قَولاً ما نَدرى ما هو ! قال : وما ذاك ؟ قالوا : قولك : جُندب وما جُندب ، والأقطع الخَير زيد . قال : رجلان يكونان فى هذه الأُمة يَضرب أحدُهما ضَربةً تَفْرق بين الحق والباطل ، وتُقطع يد الآخر فى سبيل الله فيُتبع اللهُ آخرَ جَسده بأوّله .

وكان زَيد بن صُوحان قُطعت يده فى سبيل الله يوم جَلُولاء[1] ، وقُتـل يوم الجَمل مع علىّ رضى الله عنه . وجُنْدب هو الذى تقدَّم ذكره .

(١) جلولاء : يوم للمسلمين على الفرس .

ابن العاص بن أمية بعد الوليد على الكوفة

ولمّا عزل عُثمانُ رضى الله عنه الوليدَ بن عُقْبة عن الكوفة أمَّر عليها سعيد ابن العاص بن أُميَّة ، ولما أقبل عائداً إلى الكُوفة جعل يَرتجز فى طريقه :

ويلٌ لشبّان[1] العراق منِّى كأننى سَمَعْمَعٌ[2] من جنِّ

فلما قَدم الكوفةَ قال : اغسلوا هذا المِنْبر ، فإن الوليد كان رِجْساً نَجساً . فلم يَصْعده حتى غُسل ، عَيباً على الوليد . وكان الوليد أسنَّ منه وأسخى وألين جانباً وأرضى عندهم . فقال بعضُ شعرائهم :

وجاءنا من بعده سَعيدُ ينقُص فى الصّاع ولا يزَيدُ

شعر الوليد فى مقتل عثمان والنعى على على فيما أخذ

ولما قُتل عثمان رضى الله عنه ، أرسل علىٌّ رضى الله عنه فأخذ ما كان فى داره وإبلاً من إبل الصّدقة . فقال الوليدُ بن عُقبة يَرثى عُثمان أخاه ويُعرِّض بعلىٍّ رضى الله عنه ، وهو الشِّعر الذى فيه الغناء :

ألا مَن لليلٍ لا تَغور كواكبُه إذا غار[3] نَجمٌ لاح نَجم يُراقبُه

بنى هاشمٍ رُدُّوا سلاحَ ابن أُختكم ولا تَنهبوه لا تَحِلُّ مَناهبُه

بنى هاشمٍ لا تَعْجَلونا فإنّه سواءٌ علينا قاتلاه وسالبُه

فقد يُجبر العَظمُ الكَسير ويَنْبرى لذى الحقِّ يوماً حقُّه فيُطالبُه

وإنّا وإيّاكم وما كان منكمُ كصَدْع الصّفَا لا يَرأب الصّدعَ شاعبه

لعمرُك لا أنسى ابنَ أروى وقتْلَه وهل يَنْسينّ الماءَ ما عاش شاربه

همُ قَتلوه كى يكونُوا مكانَه كما فَعلت[4] يوماً بكسرى مَرازبه

وإنّى لمُجتابٌ إليكم بجَحْفل يُصِمُّ السَّميعَ جَرْسُه[5] وجَلائبه

(١) فى بعض أصول الأغانى : «ويل نسيات» .
(٢) السمعمع : السريع الخفيف .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : «لاح» مكان «غار» .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : «غدرت» مكان «فعلت» .
(٥) الجرس : الصوت .

للفضل فى الرد عليه

فأجابه الفضلُ بن العباس بن عُتبة بن أبى لهب :

فلا تسألونا بالسلاح فإنّه أُضيع وألقاه لدى الرّوع صاحبه
وشبّهته كسرى وقد[1] كان مثلَه شبيهاً بكسرى هَدْيه ومَذاهبه

شعر الوليد فى التحريض على الأخذ بثأر عثمان

وقال الوليدُ يرثى عُثمان ويُحرّض معاوية بن أبى سُفيان على أخذ ثأره :

والله ما هندٌ بأُمك إن مضى النّـ ـهارُ ولم يثأر بعُثمانَ ثائرُ
أيقتُل عبدُ القوم سيِّدَ أهلِه ولم تَقتلوه ليت أُمّك عاقر
وإنّا متى نَقتُلهمُ لا يُقِدْ بهم مُقِيدٌ فقد دارتْ علينا الدّوائر

لأشجع السلمى فيه وفى أبى زبيد وقد مر بقبريهما

وتُوفى الوليد بن عُقبة فُويق الرقّة ، ومات أبو زُبيد صديقه هناك ، فدُفِنا جميعاً فى موضع واحد ، فمرّ بقَبْريهما أشجع السُّلمى فقال :

مررتُ على عظام أبى زُبيدٍ وقد لاحتْ ببَلْقعة[2] صَلُودِ
وكان له الوليد نديمَ صِدْقٍ فنادم قبرُه قبرَ الوليد

الأمين فى آخر عهده

ثم استطرد أبو الفرج بذِكْره حكايةً تتعلّق بقول الوليد « هم قتلوه » فنذكرها :

حَكى إبراهيم بن المهدىّ قال :

أرسل إلىّ الأمينُ محمد بن زُبيدة فى ليلة من ليالى الصّيف مُقمرة ، فقال : يا عَم ، إنّ الحرب بينى وبين طاهر قد سكنت ، فصِرْ إلىّ ، فإنى إليك مُشتاق . فجئتُه وقد بُسط له على سَطح زُبيدة ، وعنده سليمانُ بن جعفر ، وعليه كساء رُوذَبارِىّ[3] وقَلنسوة طويلة ، وجَواريه بين يديه ، وضَعفٌ جاريتُه عنده . فقال لها : غَنّى ، فقد سُررتُ بعُمومتى . فاندفعت تُغنيه :

همُ قتلوه كى يكونُوا مكانَه كما فعلتْ يوماً بكسرى مرازبُه
بنى هاشم كيف التّواصُل بيننا وعند أُخيه سيفُه ونجائبه

(١) فى الاستيعاب : «وما» . (٢) البلقعة : الأرض القفر . والصلود : الفلاة الصلبة التى لا تنبت شيئاً .
(٣) روذبارى : نسبة إلى روذبار : مكان .

فغَضب وتطيَّر وقال : ويحكِ ! ما قصّتك ؟ انثنى وانتبهى وغنّيني ما يسُرنى . فاندفعت وغنَّت :

هـــذا مَقامُ مُطرَّدٍ[١]   هُدِمت منازله ودُورُهْ

فازداد تطيُّراً . ثم قال : ويحك ! أنتبهى وغَنِّى غير هذا . فغنَّت :

كُليبٌ لَعمرى كان أكثرَ ناصراً   وأيْسر جُرْماً منك ضُرِّج بالدَّمِ

فقال لها : قُومى إلى لعنة الله ! فوثبتْ ، وكان بين يديه قَدحُ بِلَّور كان لحُبِّه إيَّاه سَمَّاه « محمداً » باسمه ، فأصابه طرفُ ذَيلها فسقط على بعض الصَّوانى فانكسر وتفتَّت . فأَقبل علىَّ وقال : أرى والله يا عم أن هذا آخر أمرنا . فقلتُ : كلا ، بل يُبقيك الله يا أمير المُؤمنين ويسُرّك . قال : ودِجلة والله هادئةٌ ما فيها صوت مِجْداف ولا أحد يتحرّك ، ولا هى إلا كالطَّست هادئة ، فسمعتُ هاتفاً يَهْتف : (قُضى الأَمر الذى فيه تَسْتفتيان) . فقال لى : أسمعتَ يا عمِّ ما سمعتُ ؟ فقلت : وما هو ؟ وقد والله سمعتُه . فقال :الصوتُ الذى جاء الساعةَ من دِجلة . فقلت : ما سمعت شيئاً ولا هذا إلا توهُّم . وإذا الصوت قد عاد يقول : (قُضى الأمر الذى فيه تَستفتيان) . فقال : انصرف يا عَم إلى بيتك أثابك الله بخير ، فمُحالٌ إلا أن تكون الآن قد سمعتَ ما سمعتُ . فانصرفتُ ، وكان آخر العهد به .

(١) مطرد : مطرود .

أخبار إبراهيم الموصلي

نسبه وأصله

هو إبراهيم بن مَاهان . وأَصله من الفُرس ، وله بيتٌ شريف فى العَجم . وكان يقال له : إبراهيم بن مَيْمون . وسببُ نِسبته أنّه كَتب إلى صديق له فعَنْون كتابَه : « من إبراهيم بن ماهان » . فقال له بعض فِتيان الكُوفة : أما تستحى من هذا الاسم ؟ فقال : هذا اسم أَبى . قال : فغَيِّره . قال : كيف أُغيّره ؟ فأخذ الكِتاب فمحا « ماهان » وكتب مَيمون .

أمه

وأُمه من بنات الدَّهاقين الذين هَربوا من فارس لَمّا هرب أبو إبراهيم . فنزلوا جميعاً الكُوفةَ ، فتزوَّجها « ماهان » بالكُوفة فولدت له إبراهيم . ومات فى الطاعون الجارف ، وخلَّف إبراهيم طفلاً .

مولده ووفاته

وكان مَولده سنة خمسٍ وعشرين ومائة . وتُوفِّى ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة . وعُمِّر ثلاثاً وستّين سنة .

ولاؤه

وكان مُقام إبراهيم مع أُمه وأَخواله حتى تَرعرع ، فكان مع ولد خُزَيمة ابن خازم . فبهذا السَّبب صار ولاؤه لبنى تَميم .

سبب تلقيبه بالموصلى

وإنما قيل له : الموصلىّ ، لأنه لما نشأ وأَدرك صَحِب الفِتْيان واشْتهى الغِناء ، فطَلبه . واشتدّ أخوالُه عليه فى ذلك و بَلغوا منه ، فهرب إلى الموصل فأَقام بها نحواً من سنة ، فلمّا رَجع إلى الكوفة قال له إخوانُه من الفِتيان : مرحباً بالفَتى المَوصلى . فغلبتْ عليه .

أول من صحب وغنى عنده

وأوّل هاشمىّ صَحِبه إبراهيمُ وغَنَّى عنده : عيسى بن سُليمان بن علىّ ، أخو جَعفر ، ومحمّد ، وكان فَتاهم ظَرْفاً ولَهْواً وسماحةً . وأول خليفة سَمِع غناءه المَهدىُّ ، وُصف له فأخذه من عِيسى .

حبس المهدى له فى شربه الخمر ومنعه إياه من الدخول على ابنيه

وحَكى إبراهيمُ الموصلىّ قال :

كان المَهدىُّ لا يَشرب ، فأرادنى على مُلازمته وتَرْك الشُّرب ، فأبيتُ عليه . وكنتُ أَغيب عنه الأيَّامَ ، فإذا جئتُه جئتُه مُنْتشياً . فغاظه ذلك ، فضَربنى وحَبسنى ، فَحذقت الكتابةَ والقراءَة فى الحَبس ، ثم دَعانى يوماً فعاتبنى على شُربى فى منازل النَّاس والتبذُّل مَعهم . فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنما تعلمتُ هذه الصنعةَ للذَّتى وعِشْرة إخوانى ، ولو أَمكننى تركُها وجميعَ ما أنا فيه لتركتُها والله(1) . فَغضب غضباً شديداً وقال : لا تدْخُل على مُوسى وهارون ، فوالله إن دخلتَ عليهما لأفعلنَّ ولأصنعنَّ . فقلتُ له : نَعم . ثم بلغه أنِّى كنتُ معهما فى نُزهة لهما ، ومعهما أبان الخادم ، فسعى بهما وبى إلى المَهدىِّ وحدّثه بما كُنَّا فيه . فدعانى فسألنى ، فأنكرتُ . فأَمر بى فجُرِّدتُ ، فضَربنى ثلثمائة وستِّين صوتاً . فقلتُ له ، وهو يَضربنى : إنّ جُرمى ليس من الأَجرام التى يحلُّ بها سَفْكُ دَمى ، والله لو كان سرُّ ابنَيْك تحت قَدمىّ مارفعتُهما عنه ولو قُطِّعتُ ، ولو فعلتُ ذلك كنتُ فى حال أبان السَّاعى العَبد ! فلما قلتُ له هذا ، ضَربنى بالسَّيف فى جَفْنه ، فسقطتُ مغشيًّا علىَّ ساعةً ، ثم فَتَّحتُ عينَىَّ فوَقعتا على عينَى المهدىِّ ، فرأيتُهما عينَى نادم . وقال لعبد الله بن مالك : خُذه إليك . فأَخرجنى عبدُ الله إلى داره ، وأنا أرى الدُّنيا فى عَينىَّ صَفراء وخَضراء وحَمراء ، من حَرِّ السَّوط ، وأَمره أن يتَّخذ لى شَبيهاً بالقَبر فيَحبسنى فيه . فدعا عبدُ الله بكَبْشٍ فذُبح وسُلخ وألبسنى جِلْده ليَسْكُن ألمُ الضَّرب ، ودَفعنى إلى خادم له فصيَّرنى فى ذلك القَبر ، ووَكل بى جاريةً . فتأذَّيتُ بنزٍّ كان فى ذلك القبر وبالبقِّ ، وكان فيه خَلاء أستريح إليه . فقلتُ للجارية : اطلُبى لى آجرَّةً عليها فَحم وكُنْدُر يذهب عنّى هذا البقّ . فلما دَخَنْتُ أظلَم القبرُ علىَّ حتى كادت نَفْسى تخرُج ، فاسترحتُ إلى النّز وألصقتُ أنفى به حتى خَفَّ الدُّخان . فلما ظننتُ أنى قد استرحتُ مما كنتُ فيه ، إذا حيَّتان

---

(1) فى بعض أصول الأغانى : « لله جل وعز » .

مُقبلتان نحوى من شقِّ القَبر يَدوران حولى بحَفيف شَديد . فهمَمْت أن آخذ واحدةً بيدى اليُمْنى والأُخرى بيدى اليُسرى ، فإمّا علىّ و إمّا لى ، ثم كُفيتهما . فدَخلتا فى الثَّقْب الذى خرجتا منه . فمكثتُ فى ذلك القبر ما شاء الله .

وقال إبراهيم فى مَحبسه ذلك :

ألا طال لَيْلى أُراعى النُّجوم أُعالج فى السَّاق كَبْلاً ثقيلَا

بدارِ الهُموم[1] وشَرِّ الدِّيار أُسامُ بها الخَسْفَ صَبراً جَميلا

كثيرَ الأخلّاء عند الرَّخاء فلمَّا حُبستُ أراهم قَليلا

لطُول بلائىَ قلَّ الصَّديقُ فلا يأمنَنَّ خَلِيلٌ خَليلا

قال :

ثم أخرجنى المهدىُّ وحلَّفنى بالطَّلاق والعِتاق وكلّ يَمين لا فُسحةَ فيها ألا أَدْخُل على ابنَيْه : موسى وهارون أبداً ، ولا أُغنيهما . وخلَّى سبيلى .

طلب الهادى له

فلما مات المَهدىُّ ووَلِى موسى الهادى الخلافةَ استتر إبراهيمُ منه ولم يظهر له ، بسبب الأَيمان التى حلَّفه بها . وكان منزلُه ومنازل أهله تُكبس فى كل وقت . وأهله يُرَوَّعون بطَلَبه ، حتَّى أصابوه ، فمضَوْا به إليه . فلما حَضر عنده غنَّاه لحناً فى شِعره :

يابن خَير المُلوك لا تَتْركَنِّى غَرضاً للعدُوِّ يُرْمَى حِيالِى

إنَّنى فى هَواك فارقتُ أَهلى ثم عَرَّضتُ مُهْجتى للزَّوال

ولقد عِفْتُ فى هَواك حَياتى وتَغرَّبتُ بين أَهلى ومَالى

فموَّله الهادى وخوَّله ، وأَخَذ منه فى يوم واحدٍ مائة ألف وخَمسين ألف دينار .

حديث حماد عن غناء ابراهيم وكرمه

وحُكى أنّ إسحاق بن إبراهيم قال لابنه حمَّاد :

(١) فى بعض الأصول : « الهوان » .

نظرتُ إلى ما صار إلى جَدِّك من الأَموال والصِّلات ، وثمن ما باع من جوائزه ، فوجدته أربعةً وعشرين ألفَ ألفِ دِرهم، سوى أرزاقه الجارية ، وهى عشرةُ آلاف درهم فى كل شهر ، سوى غَلَّات ضياعه ، وسوى الصِّلات النَّزرة التى لم يُحصها . ولا والله ما رأيتُ أكرمَ منه ، كان له طعامٌ مُعدٌّ أبداً فى كلّ وقت . قال حماد : يا أبى ، كيف يُمكنه ذلك ؟ قال : كان له فى كل يوم ثلاثُ شِياهٍ : واحدة مقطَّعة فى القُدور ، وأُخرى مَسْلوخَة معلَّقة ، وأُخرى حيَّة ، فإذا أتاه قَوم طَعِموا ما فى القُدور ، وإذا فَرغتْ قُطعت الشاة المُعلَّقة ونُصبت القُدور ، وذُبحت الشَّاة الثالثة وعُلِّقت ، وأُتى بأُخرى وهى حَية فى المطبخ . وكانت وَظيفته لطعامه وطِيبه وما يُتَّخذ له فى كل شَهر ثلاثين ألف دِرْهم ، سوى ما كان يُجرى وسوى كُسوته . ولقد اتَّفق عنده مرةً مِن الجوارى الوَدائع لإخوانه ثمانون جاريةً ، ما منهنَّ واحدةٌ إلا ويُجْرَى عليها من الطعام والكُسوة والطِّيب مثلُ ما يُجرى لأخَصِّ جواريه ، فإذا رُدَّت الواحدةُ منهن إلى مولاها وَصلها وكساها . ومات وما فى مِلكه إلا ثلاثه آلاف دِينار ، وعليه سبعُمائة دِينار ، قُضِيتْ منها .

حديث الجارية التى اشتراها منه الرشيد

وقال إسحاق بن إبراهيم :

اشترى الرَّشيدُ من أبى جاريةً بستَّة وثلاثين ألف دينار ، فأقامتْ عنده ليلةً ، ثم أَرسل إلى الفَضل بن الرَّبيع : إنّا اشترينا هذه الجارية من إبراهيم ، ونحسب أَنها من بابَتِنا[1] ، وليست كما ظَنَنَّا ، وما قَربتُها ، وقد ثقُل علىّ الثَّمن ، وبينك وبينه ما بينكما ، فاذهب إليه واسأله أن يحُطَّنا من ثمنها ستةَ آلاف دينار . فصار الفَضل إليه فاستأذن . فخَرج فتلقَّاه . فقال : دَعْنى من هذه الكرامة التى لا مَؤُونة فيها ، لستُ ممن يُخْدَع ، وقد جئتُك فى أمر أصدُقك عنه . ثم أخبره الخبرَ كُلَّه . فقال له إبراهيم : إنما أراد أن يَبْلُوَ قدرَك عندى . ثم قال : ما لى

(١) أى تصلح لنا .

فى المساكين صدقةٌ إن لم أُضعِّفه لك ، قد حططْتُك اثنى عشر ألف دينار . فرجع الفضل إليه بالخبر ، فقال : ويلك ! احمل إلى هذا ماله ، فما رأيتُ سُوقَةً قطُّ أنبلَ نفساً منه . قال إسحاق : وكنتُ قد أتيتهُ وقلتُ له : ما كان لحطيطة هذا المال معنًى وما هو بقليل . فقال لى : أنت أحمق ! أنا أعرفُ الناس به . والله لو أخذتُ المال منه مكمَّلًا ما أخذتُه إلَّا وهو كارهٌ له ، ويَحقد علىّ ذلك ، وكنت أكون عنده صغيرَ القَدْر ، وقد مَنَنْتُ عليه وعلى الفَضل ، وانبسطتْ نفسُه ونَشِط وعظُم قدرى عنـــده ، وإنما اشتريتُ الجاريةَ بأربعين ألف دِرهم ، وقد أخذتُ بها أربعةً وعشرين ألف دينـار . فلمَّا حُمل المـال إليه بدون حطيطة دعانى وقال : كيف رأيت يإسحاق ! مَن البصيرُ أنا أم أنت ؟ فقلت: جعلنى الله فِداك ! أنت .

أخرجه الرشيد من الحبس فغناه فوصله

وقيل :

غَضب الرَّشيدُ عليه يوماً مرَّةً فقيَّده وحَبسه بالرَّقة . ثم جَلس للشُّرب يوماً فى مَجلس ، قد زَيَّنه وحَسَّنه ، فقال لعيسى بن جعفر : هل لَمجلسنا عَيْب ؟ قال : نعم ، غيبةُ إبراهيمَ الموصلى عنه . فأمر بإحضاره ، فأُحضر فى قُيوده ، ففُــكَّت عنه بين يَدَيْه ، وأَمرهم فناولوه عُوداً ، وقال : غنِّنى يإبراهيم ، فغنَّاه :

تَضوَّع مِسْــكاً بَطْنُ نَعْمانَ أنْ مَشَتْ   به زَيْنَبٌ فى نِسْوةٍ خَفِــراتِ

فاستعاده وشَرب وطَرب وقال : هَنأتنى يومى وسأهْنِئك بالصِّلة ، قد وهبتُ لك الهَنِيء والمَرِىء ، وهما قريتان عظيمتان من قُرى الرقَّة . فلما أَصبح عوَّضه عنهما مائتى ألف درهم .

ثنى بيتاً أنشده يحيى وغناه فيه فأجازه

وحَكى إبراهيم قال :

رأيتُ يحيى بن خالد خارجاً من قَصره الذى عند باب الشَّماسيَّة يُريد قصره الذى بباب البرَدَان[1] ، وهو يَتمثَّل :

(١) البردان : قرية من قرى بغداد .

هوًى بتهامةٍ وهوًى بنَجْـدٍ   فأتْلفنى[1] التهـائم والنُّجودُ

فزدتُه عليه :

أُقيم بذا وأذكر عَهْد هـذا   فلِي ما بين ذاك هوًى جَدِيدُ

وصنعتُ فيـه لحناً ثم صرتُ إليه فغنَّيتُه . فأمر لى بألف دينارٍ وبدابّته التى كانت تحته يومئذ بسَرجه ولجامه . فقلتُ : جزاك الله من سيِّد خيراً ! فإنك تأتى الأَنْفُس وهى شوارد فتُقِرها ، والأهواء وهى سقيمة فتُصحّها . فأمر لى بألف دينار أُخرى . قال إبراهيم : ثم ضَرب الدّهر من ضَربه[2] ، فبينا أنا أُسير معه ، إذ لَقِيه العبّاس بن الأَحنف ، وكان ساخطاً عليه لشىء بلغه عنه ، فترجّل له وأنشده :

بالله يا غضـبانُ إلّا رَضِيتْ   أذاكرٌ للعهـد أم قد نسِيتْ

فقلت : بل ذاكرٌ يا أبا الفضل . وأضفتُ إليه هذا البيت :

لو كنتُ أبغِى غير ما تَشتهى   دعوتُ أن تُبْـلَى كما قد بُليتْ

وصنعتُ فيـه لحناً وغنَّيته به . فأمر لى بألف بنار ، وضَحِك . فقلتُ : مِن أى شىء تضحك يا سيدى ؟ لا زلتَ ضاحكاً مسروراً . قال : ذكرتُ ما جرى فى الصّوت الأول ، وأنه كان مع الجائزة دابّة بسَرْجه ولجامه ، ولن تَنصرف الليلةَ إلا بمثله . فقُمت فقبّلت يدَه . فأمر لى بألف دينار أُخرى وقال : تلك الـكرّة شكرتَ على الجائزة بكلام وزِدْناك ، والآن شكرتَ بفعل أُوجب الزِّيادة ، ولولا أنِّى مُضيق فى هذا الوقت لضاعفتُها ، ولـكن الدّهر بيننا مُستأنف .

قيل : شىء عنه

وكان إبراهيم فى براعتـه فى الغِناء وتقدُّمه فيـه كالرَّجل المُفوّه ، إن خَطب أحسن ، وإن كتب أحسن ، وإن قال شعراً أَحسن ، بخلاف غيره من المُغنِّين .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فأبلتنى » . (٢) أى مر من مروره ومضى بعضه .

شعر أبي العتاهية له فى حبسه

وذُكر أنه لما حَبس الرشيدُ إبراهيم الموصلىّ قال أبو العتاهية يُخاطبه :

أيا غَمِّى لغمِّك يا خَليلى ... و ياوَيْلى عليك و ياعَويلِى
يَعِزُّ علىّ أنك لا تَرانى ... وأنِّى لا أراك ولا رَسُولى
وأنَّك فى مَحلٍّ أذًى وضِيقٍ ... وليس إلى لقائك من سَبيل
وأنِّى لستُ أملك عنك دَفْعاً ... وقد فُوجئتَ بالخَطب الجليل

وقال أيضاً فى حَبْسه :

سَلْمُ يا سَلْمُ ليس دُونك[1] سِرٌّ ... حُبِس المَوصلىُّ فالْعَيْشُ مُرٌّ
ما استطاب اللّذّاتِ مُذْ غاب فى المُطْـ ... ـبِق رأسُ اللّذّات فى النّاس حُرُّ
تَرك الموصلىُّ مَن خلق اللّـه ... جميعاً وعَيشُهم مُكْفهِرّ
حُبس اللهوُ والسُّرور فما فى الْـ ... أرض شىءٌ يُلْهَى به أو يُسَرّ

هو ومخارق وأخذهما دراهم من يحيى البرمكى وأولاده

وحَكى مُخارقٌ قال :

اشتغل الرَّشيدُ يوماً واصطبح مع الحُرَم ، وقد أصبحت السماء مُتغيِّمة تطِشُّ طشًّا خَفيفاً . فقلتُ : والله لأذهبنّ إلى أُستاذى إبراهيم فأعرف خبره ، ثم أعود . فأمرتُ مَن عندى أن يسوُّوا مجلساً لنا إلى وقت رُجوعى ، فجئتُ إلى إبراهيم الموصلىّ ، و إذا الباب مَفتوح والدِّهليز قد كُنس والبوّاب قاعد ، فقلت : ما خبر أستاذى ؟ فقال : أُدخل . فدخلتُ ، فإذا هو جالسٌ فى رِواق له و بين يَدَيْه قُدورٌ تُغَرْغِر وأباريق تَزْهَر ، والسِّتارة مَنصوبة والجَوارى خلفها ، و إذا قُدّامه طَسْت فيه رِطْليّة وكُوز وكأس . فدخلتُ أترنّم ببعض الأصوات ، وقلتُ له : ما بالُ السّتارة لستُ أسمع من ورائها صوتاً ؟ فقال : اقعد ويحك ! إنِّى أصبحتُ على الذى ظننتَ ، فجاءنى خبرُ ضَيعة تُجاورنى ، وقد والله طلبتُها زَماناً وتمنَّيتها

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ستر » مكان « سر »

ولم أملكها . وقد أُعطى بها صاحبُها مائةَ ألف دِرْهم . فقلتُ له: ما يَمْنعك منها ؟ فوالله لقد أَعطاكَ الله أَضعاف هذا المال وأَكثر . فقال : صدقتَ ، ولـكن لستُ أطيبُ نَفْسًا بأن أُخرج هذا المال . فقلتُ : فمن يُعطيك الساعةَ مائةَ ألف درهم ؟ والله ما أطمع فى ذلك من الرّشيد فكيف بمن دونه ! فقال : اجلس ، خُذ هذا الصوت . ثم نَقَر بقضيبٍ على الدَّواة وأَلقى هذا الصوتَ علىّ :

نام الخَليُّون عن همٍّ وعن[1] سَقمِ ... وبِتُّ من كثرة الأَحزان لم أَنَمِ
يا طالبَ الجُود والمَعروف مجتهـداً ... اَعْمِد ليحيى حليفِ الجُود والكَرم

والشِّعر لأبى النَّضير[2] يَمدح به يَحيى بن خالد بن برمك . قال : فأخذتُه وأحكمتُه . ثم قال لى : امضِ الساعةَ إلى الوزير يحيى بن خالد فإنك تجد الناس عليه قبل أن يُفتح الباب ، ثم تَجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعدُ ، فاستأذنْ عليه قبل أن يصل إليه أحد ، فإنه سيُنكر مجيئك ويقُول : من أين أقبلت فى هذا الوقت ؟ فحدِّثه بقَصْدكَ إيّاى وما أَلقيتُ إليك من خبر الضَّيعة ، وأَعلمه أنّى قد صنعتُ هذا الصوتَ وأَعجبنى ، ولم أر أحداً يستحقُّه إلا جاريته فُلانة ، وأنّى أَلقيتُه عليك حتى أحكمتَه لتطرحَه عليها . فسَيدعوها ويأمر بالسّتارة فتُنصب ويُوضع لها كرسى ويقُول لك : اُطْرحه عليها بحَضرتى . فافعل وأْتنى بما يكُون بعد ذلك من الخبر . قال : فجئتُ بابَ يحيى بن خالد ، فوجدتُه كما وَصف . وسألنى، فأعلمتُه بما أمرنى به . ففعل كل شىء قال لى إبراهيمُ. وأَحضر الجاريةَ فألقيتُه عليها . ثم قال : تُقيم عندنا يا أَبا المُهنأ أو تَنصرف ؟ فقلت : أنصرفُ ، أَطال الله بقاءك ، فقد علمتَ ما أُذن لنا فيه . فقال : يا غلام ، احمل مع أبى المُهنَّأ عشرة آلاف

(١) فى بعض أصول الأغانى : « من هم ومن سقم » .

(٢) هو عمر بن عبد الملك البصرى ، شاعر من شعراء البصرة ، وكان يغنى على جوار له مولدات ، وكان صديقاً لأبان اللاحق ثم افترقا وتهاجيا . وانقطع أبو النضير إلى البرامكة إلى أن مات . وسترد ترجمـته .

دِرهم ، واحمل إلى أبى إسحاق مائة ألف درهم ثمن هذه الضَّيعة . فحملتُ العشرة آلاف معى ، وأتيتُ منزلى وقلت : أُسَرُّ يومى وأَشرب وأَسُرُّ مَن عنـدى . ومَضى الرسول بالمـال إلى إبراهيم . فدخلتُ مَنزلى ونثرتُ على مَن عنـدى مِن الجوارى دَراهم من تلك البَـدْرة ، وتوسدتُها وأ كلتُ وشربتُ يومى كلّه . فلما أصبحتُ قلت : والله لآتينَّ أستاذى و لأَعرفنّ خَبره . فأتيتُه فوجدتُ الباب كهيئته بالأمس . ودخلتُ فوجدتُه على مثل ما كان عليه ، فترنمتُ وطَرّبت ، فلم يَتَلَقَّ ذلك بما يجب . فقلتُ : ما الخبر ؟ ألم يأتك المال ؟ قال : بلى . فما كان خبرك أنت ؟ فأخبرتُه بما كان وُهب لى ، وقلت : ما يُنْتَظر من خلف الستارة ؟ فقال : ارفع السِّجف . فرفعتُه فإذا عشرُ بِدَر . فقلتُ : فأيُّ شىء بَقِى عليك فى أمر الضَّيعة ؟ فقال : ويحك ! ما هو والله إلا أن دخلتْ منزلى حتى شَحِحتُ عليها وصارتْ مثل ما حَويتُ قديماً . فقلتُ : سبحان الله العظيم ! فتصنع ماذا ؟ قال : قُم حتى أُلقى عليك صوتاً صنعتُه يفُوق ذلك . فقُمتُ فجلستُ بين يديه . فألقى علىّ :

ويَفْرح بالمَوْلود من آل بَرْمك ... بُغاة النَّدى والسّيفُ والرُّمْحُ والنَّصْلُ
وتَنْبسط الأَموالُ فيـه لفَضْله ... ولا سيما إنْ كان من وَلَد الفَضْل

والشِّعر لأبى النَّضير .

قال : فلما أَلقى علىّ الصوتَ سمعتُ ما لم أَسمع بمثله قَطُّ وصَغُر فى عينىَّ الأَوّل ، فأحكمتُه . ثم قال : امض السّاعةَ إلى الفَضْل بن يحيى ، فإنك تجده لم يأذن لأحد بعدُ ، وهو يريد الخَلوة مع جواريه اليومَ ، فاُستأذن عليه وحدِّثه بحديثنا أمسِ . وما كان من أبيه إلينا و إليك . وأَعلمه أَنِّى قد صنعتُه بالأَمس وأَنى ألقيتُه عليك حتى أحكمتَه . ووجّهتُ بك قاصداً لتُلقيه على فُلانة جاريتـِه . فصرتُ إلى باب الفَضل فوجدتُ الأَمرعلى ما ذَكره ، واستأذنتُ فوصلتُ ، وسألنى عن الخبر ، فأَعلمتُه بخبرى وما وَصل إلىّ و إليهِ من المال . فقال : أَخزى الله إبراهيم ! ما أَبخله

على نفسه ! ثم دعا خادماً فقال : اضرب السِّتارةَ ، فضَربها . ثم قال : أَلْقه . فلما غنَّيتُه لم أُتمَّه حتى أَقبل يجر مِطْرفه ، ثم قَعد على وسادةٍ دون السِّتارة وقال : أَحسن والله أُستاذك ! وأَحسنت أنت يا مُخارق ! فلم أَبرح حتى أَخذتْه الجاريةُ فأَحكمتْه . فسُرّ بذلك سُروراً شديداً وقال : أَقِم عندى اليومَ . فقلتُ : ياسيدى ، إنما بقى لنا يومٌ واحد ، ولولا أَنِّى أُحب سُرورك لم أَخْرُج من منزلى . فقال : يا غلام، احمل مع أبى المُهنأ عِشرين ألف دِرهم ، و إلى أبى إسحاق مائتى ألف دِرهم . فانْصرفتُ إلى منزلى بالمال . وفتحتُ بدرةً فنثرتُ منها على الجوارى وشربتُ أنا ومَن عندى . فلما أصبحتُ بكَّرتُ إلى إبراهيم أتَعرّف خبره وأُعرّفه خبرى . فوجدتُه على الحال التى كان عليها أولاً وآخراً . فدخلتُ أترنَّم وأُصفِّق . فقال لى : اُدْنُ . فقلتُ : ما بَقِى ؟ فقال : اجلس وارفع سِجْف هـذا الباب . ففعلتُ، فإذا عشرون بَدْرة مع العَشْرة . فقلتُ : ماتَنتظر ؟ فقال : ويحك ! ماهو والله إلا أن حصلتْ حتى جَرتْ مجرى ما تقدَّم . فقلتُ : والله ما أظن أن أحداً نال فى هذه الدَّولة ما نلتَ ، فلِم تَبخل على نفسك بشىء تمنَّيته دهراً ، وقد ملَّكك الله أضعافه ؟ فقال : اجلس فخُذ هذا الصوتَ . فجلست ، فألقى علىّ صوتاً أنسانى صوتىَّ الأَوّلَيْن ، وهو :

أفى كُلّ يومٍ أنتَ صَبٌّ وليلةٍ ... إلى أُمِّ بَكْرٍ لا تُفِيق فتُقْصِرُ

أُحِبُّ على الهِجران أَكنافَ بَيْتها ... فيالَكَ من بيتٍ يُحَبّ ويُهْجَر

إلى جعفرٍ سارتْ بنا كُلُّ[1] جَسْرةٍ ... طَواها سُراها نحوَه والتهجُّر

إلى واسعٍ للمُجْتَدين فِناؤه ... تَرُوح عَطاياه عليهم وتَبْكُر

والشعر لمَروان بن أبى حَفْصة .

(١) الجسرة : الناقة العظيمة .

قال مخارق : ثم قال لى إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هـذا ؟ فقلتُ : ما سمعت قطُّ مثلَه . فلم يزل يُردِّده علىَّ حتى أخذتُه . ثم قال لى : امضِ إلى جعفر فافعل به كما فعلتَ بأبيه وأخيه . قال : فمضيتُ ففعلتُ مثل ذلك، وخبّرتُه ما كان، وعرضتُ الصوتَ ، فسُرَّ به . ودعا خادماً فأمره بضرب السِّتارة ، وأحضر الجاريةَ وقعد على كُرسىّ ثم قال : هاتِ يا مُخارق . فاندفعتُ فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذتْه . فقال : أحسنت يا مُخارق ! وأحسن أستاذك ! فهل لك فى المُقام عندنا اليوم ؟ فقلت : يا سيدى ، هذا آخر أيّامنا ، و إنما جئتُ لموقع الصّوت منّى حتى ألقيتُه على الجارية . فقال: ياغُلام ، تَحمل مع مُخارق ثلاثين ألف درهم ، و إلى الموصلىّ ثلثمائة ألف درهم . فصرتُ إلى منزلى بالمـال ، وأقمتُ ومَن عنـدى مسرورين ، نَشْرب طُول يومنا ونَطرب . ثم بكّرتُ إلى إبراهيم فتلقّانى قائماً ، ثم قال : أحسنتَ يا مُخـارق ! فقلت : ما الخَبر ؟ فقال : اجلس . فجلستُ . وقال لمن خَلف السّـتارة : خُذوا فيما أنتم فيـه . ثم رُفع السِّجف . فإذا المالُ . فقلت : ما خَبر الضَّيعة . فأدخل يده تحت مِسْورة[1] وهو مُتّـكِيء عليها ، فقال : هذا صَكٌّ بالضَّيعة ، سُئل عن صاحبها فوُجد ببغداد ، فاشتراها منه يحيى بن خالد وكَتب إلىّ : قد علمتُ أنك لا تَسْخو نفسُك بشراء هـذه الضيعة من مالٍ يحصُل لك ولو حَوَيْت الدُنيـا كُلَّها ، وقد ابْتعتُها لك من مالى . ووجّه إلىّ بصكِّها وهذا المال كما ترى . ثم بكى وقال : يا مُخارق ، إذا عاشرتَ فعاشرْ مثـل هَؤلاء ، و إذا احتكرت فاحتكر[2] مثل هؤلاء ، ستمائة ألف ، وضَيعة بمائة ألف ، وستّون ألف دِرهم لك . حصَّلنا ذلك أَجمع وأنا جالسٌ فى بيتى لم أَبرح منه ، فمتى يُدْرَك مثلُ هؤلاء .

أعطاه الفضل بن يحيى بعد أن حبس الخليفة عنه يده

وحـكى إبراهيم المَوصلى قال :

(١) المسورة : الوسادة .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « خنكرت فخنكر لمثل هؤلاء » . وخنكر ، أى غنى ، فارسى .

أتيتُ الفَضل بن يحيى يوماً فقلتُ له : يا أبا العبَّاس ، جُعلت فِداك ! هبْ لى دَراهم فإن الخليفة قد حَبس يدَه عنِّى . فقال : يا أبا العباس ، ماعندى ما أَرضاه لك . ثم قال : هاه ، إلّا أنّ هاهنا خَصْلةً[1] : أتانا رسولُ صاحبِ اليمن فقضَينا حوائجه ، ووجَّه بخمسين ألف دينار يشترى لنا بها محبَّتنا ، فما فعلتْ فلانةُ جاريتُك ؟ قلتُ : عندى ، جُعلت فِداك . قال : فهوذا ، أقول لهم يشترونها منك ، فلا تَنْقُصْها من خمسين ألف دينار . فقبَّلت رأسَه ثم انصرفتُ . فبكّر علىّ رسولُ صاحب اليمن ومعــه صديقٌ له ولى ، فقال : جاريتُك فلانة عنــدك ؟ فقلت : عندى . قال : اعرضْها علىّ . فأخرجتُها . فقال : بكم ؟ فقلتُ : بخمسين ألف دينار ، ولا أنقُص منها ديناراً واحداً . وقد أعطانى الفضلُ بن يحيى أمسِ هذه العطيّـة . فقال لى : هل لك فى ثلاثين ألف دينار مُسلَّمة لك ؟ وكان شرائى الجارية بأربعمائة دينار . فلما وقع فى أُذنى ذِكرُ ثلاثين ألفَ دينــار ، أُرتج علىّ ولحقنى زَمَع[2] . وأشــار علىّ صديقى الذى معه بالبيع ، وخِفتُ والله أن يحدُث بالجارية حَدَث أو بى أو بالفَضل ابن يحيى ، فسلّمتُها وأخذت المال . ثم بكَّرت على الفضل ، فإذا هو جالسٌ وحدَه . فلمـا نظر إلىّ ضَحك وقال لى : يا ضيِّقَ العطَن والحَوْصَــلة[3] ، حَرَمْت نفسك عشرين ألف دينار . فقلتُ له : جُعلتُ فِداك ! دع ذا عنك فو الله ، لقد دخلنى شىء أَعجِزُ عن وَصْفه ، وخفتُ أنْ يحدُث بى حادث أو بالجـارية أو بالمُشترى أو بك ، أعاذك الله من كل سُوء ، فبادرتُ بقَبول الثلاثين ألف دينار . فقال : لا ضَير ، يا غُلام ، جِىء بالجارية . فجىء بها بعَيْنها . فقال : خُذ بيدها وانصرف مبارَكاً لك فيها . فما أردنا إلا منفعتك ولم نُرِد الجارية . فلمـا نهضتُ قال لى :

---

(١) الخصلة : إصابة الهدف . يريد : حلا ومحرجا .

(٢) زمع : شبه رعدة .

(٣) العطن : مبرك الإبل . والحوصلة ، من الطير معروفة . ويكنى بضيقهما عن قلة الصبر ، كما يكنى بها عن البخل .

مكانَك ، إنّ رسول صاحب أرمينية قد جاءنا فقَضَيْنا حوائجه ونفّذنا كُتبه . وقد ذكر أنه جاءنا بثلاثين ألف دينار يشترى بها لنا ما نُحب ، فاعرض عليه جاريتك ولا تنقْصها من ثلاثين ألف دينـار . فانصرفتُ بالجارية . وبكَّر علىّ رسولُ صاحب أرمينية ومعه صديقٌ لى آخر . فقاوَلنى بالجارية ، فقلتُ له : لستُ أنقُصها من ثلاثين ألف دينار . فقال لى : معى عشرون ألف دينار مُسلّمة ، خُذها بارك الله لك فيها . فدخَلنى والله مِثْل الذى دخلنى فى المرة الأُولى وخفتُ مثل خَوفى الأول . فسلَّمتُها وأخذتُ المـال . وبكّرت على الفَضل بن يحيى فإذا هو وحدَه . فلما رآنى ضَحك وضَرب برجله ثم قال : ويحك ! حرمتَ نَفسك عشرةَ آلاف دينـار ! فقلت : أصلحك الله ! خِفتُ والله مثلَ ما خفتُ فى المَرة الأُولى . فقال : لا ضَير ، يا غلام ، جاريتَه . فجىء بها . فقال : خُذها ، ما أردناها ولا أُردنا إلا منفعتك . فلما ولَّت الجاريةُ صِحْتُ بها : اُرجعى . فرجعتْ . فقلت : أُشهدكَ ، جُعلتُ فداكَ ، أنها حُرة لوجه الله وأنى قد تزوجتُها على عشرة آلاف دِرهم ، كَسبتْ لى فى يومين خَمسين ألف دينار ، فما جزاؤها إلّا هذا . فقال : وُفِّقتْ إن شاء الله .

هو ومحمد بن يحيى فى يوم مهرجان

وذُكر أنـ إبراهيم المَوصلىّ أتى محمدَ بن يحيى بن خالد بن بَرْمك فى يومِ مِهْرجان ، فسأله محمدٌ أن يُقيم عنده . فقال : ليس يُمكننى ، لأن رسولَ أمير المُؤمنين أتانى . قال : فتمرُّ بنا إذا انصرفتَ ولك عندنا كُلُّ ما يُهدَى إلىَّ اليومَ. فقال : نعم . وتَركَ فى المجلس صديقاً له يُحْصى مايُبعث به إليه . قال : فجاءت هدايا عجيبةٌ من كل ضَرب . وأُهدى له تِمثـالُ فِيل من ذَهب عَيْناه ياقوتتان . فقال محمد للرجل : لا تُخبره بهذا لِنَبعث به إلى فلانة . ففعل . وانصرف إبراهيم إليه فقال : أَحْضِرْنى ما أُهـدى إليك . فأحضره ذلك كُلَّه إلا التِّمثال . ثم قال له : لا بُدَّ من صِـدْقك ، كان الأمر كذا وكذا . فقال : لا . إلّا على الشَّريطـة وكما ضَمِنت . فجىء بالتِّمثال . فقال إبراهيم : أليس الهديَّة لى أعمل فيها ما أُريد ؟ قال :

بلى . فردَّ التِّمثال على الجارية ، وجعل يُفرِّق الهدايا على جُلساء محمد شيئاً فشيئاً ، وعلى جميع مَن حَضر من إخوانه وغلمانه ، وعلى مَن فى دُور الحُرَم ، حتى لم يَبْقَ منها شىء . ثم أَخذ من المجلس تُفَّاحتَين لمَّا أراد الانصراف وقال : هـذا لى ، وانصرف . فجعل محمد يَعجب من كِبَر نَفْسه ونُبْله .

هو والرشيد فى ليلة بلغه فيها ما أغضبه فغناه حتى سرى عنه

وحَكى إبراهيم قال :

بينا أنا عشيةً فى بيتى إذ أتانى خادم من خَدَم الرَّشـيد ، فاستحثّنى برُكوبى إليـه . فخرجت شبيهاً بالرَّاكض . فلمَّاصِرْتُ إلى الدَّار عُدل بى عن المَدخل إلى دار لا أَعرفهـا ، فانتهى بى إلى دارٍ جديدةِ البِناء . فدخلتُ صَحناً واسعاً ، وكان الرشـيد يَشتهى الصُّحون الواسـعة . فإذا هو جالس على كرسىّ فى وسط ذلك الصَّحن ليس عنـده أحدٌ إلّا خادم يَسْقيه ، وإذا هو فى لِبْسته التى كان يَلْبسها فى الصَّيف : غِلالةٌ رقيقة متوشِّح عليها بإزار رَشيدىّ عَريض القَلم أحمر . فلما رآنى هَشّ لى وسُرّ وقال : يا موصلىّ ، إنِّى اشتهيتُ أن أجلس فى هذا الصَّحن فلم يتفَّق لى إلّا اليوم ، وأحببتُ ألّا يكون معى ومعك أحد . ثم صاح : ياغلام ، فأتاه مائةُ وَصيف . وإذا هم فى الأَرْوقة مُستترون بالأساطين[1] حيث لا يراهم ، فلما ناداهم جاءوا جميعاً . فقال : مُقطَّعة لإبراهيم . وكان هو أول من قطع المُصلّيات . فأُتيت بمقعد فأُلقى لى تُجاه وجهه بالقُرب منـه . ودعا بعُود وقال : بحياتى أطربنى ماقدرت . قال : ففعلتُ واجتهدتُ فى ذلك ونشطتُ له ورجوتُ الجائزةَ فى عَشيَّتى . فبينا أنا كذلك إذ جاء مَسرور الـكبير فقام مقاماً كان إذا قامه عُلم أنه يريد أن يُسارَّه بشىء . فأومأ إليه، فألقى فى أُذنه كلمةً خفيفة ثم تَنحَّى. فاستشاط غضباً واحمرت وَجْنتاه وانتفخت أوداجُه ، ثم قال : حتَّام أَصـبر على آل بنى أبى طالب ! والله لأقتلنَّهم ولأقتلنَّ شِيعتهم ولأفعلنَّ ! فقلتُ : إنا لله ! ليس والله عنـد هذا أحدٌ يُخرج غضبَه عليه غيرى ، أحسبه والله سيُوقع بى ، فاندفعتُ فغنّيتُ :

(١) الأساطين : الأعمدة .

نِعْمَ عوناً على الهُموم ثلاثُ ... مُتْرعاتٌ من بعدهنّ ثلاثُ

بعــــدها أربعٌ تتمّةُ عَشْرٍ ... لا بِطاءٌ لكنّهن[1] حِثَاث

فإذا ناولتْــكهُنّ جوارٍ ... عَطِراتٌ بيضُ الوجوه خِنَــاث

تَم فيهـــا لك السُّرور وما طَيِّـــب عيشاً إلّا الخِنــاثُ الإناث

فقال : و يحك ! اسْقنى ثلاثاً لا أموت[2] همًّا . فشَرِب ثلاثاً مُتتابعةً ، ثم قال : أَعِدْ . فغنّيتُ . فلما قلتُ :

* ثلاث * مترعات من بعدهن ثلاث *

قال : هات و يلك ثلاثاً ! ثم قال لى : غنِّ . فلما غنّيتُه ، قال : حُثَّ علىّ بأربع تتمّةَ العشر . ففعــل . فوالله ما استوفَى آخرهن حتى سَكِر ونام . فنَهض ليدخل وقال : قُم يا موصليّ فانْصرف ، يا مَسرور ، أَقسمتُ عليك بحياتي و بحقّى إلا سبقتَه بمائة ألف درهم ، لا أُستأمرُ فيها ولا فى شىء منها . فخرجتُ والله وقد أمنتُ خوفى ، وأدركتُ ما رجوتُ ، ووافيتُ منزلى وقد سَبقنى بمائة ألف درهم .

حديث مع الرشيد فى جارية عرض بها فى مجلسه

وحكى إبراهيم قال :

قال لى الرشــيدُ يوماً : يا إبراهيم ، بكِّر علَيّ غداً حتى نَصطبح . فقلتُ له : أنا والصُّبح كفرسَىْ رِهان . فبكّرتُ فإذا أنا به خالياً و بين يديه جارية كأنهــا خُوط بانٍ أو جَدْلُ عنان ، حُلْوة المنظر ، دَمِثة الشمائل ، وفى يدها عودٌ . فقال لها : غَنِّى . فغنَّت فى شعر أبى نُواس :

تَوهَّمَــه قلبي فأصبح خـــدُّه ... وفيه مَكان الوهم من نظرى أثْرُ

ومرَّ بقلبي[3] خاطراً فجرحتُــه ... ولم أَرَ جِسماً قطُّ يَجرحه الفِكْر

وصــافحه كفِّى فآلَم كفَّه ... فمِن غَمْز كفِّي[4] فى أنامله عَقْر

---

(١) حثاث : مسرعات .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لا أمت » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بوهمى » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « قلبى .. قلبى » .

قال إبراهيم : فذهبتْ والله بعقلى حتى كدتُ أفتضح ، فقلتُ : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذه التى يقول فيها الشاعر :

لها قَلْبِى الغداةَ وقَلْبُها لى ... فنحن كذاك فى جَسَدَيْن رُوحُ

ثم قال : غَنِّى . فغنَّت :

تقول غداةَ البَيْن إحدى نِسَائهم ... لِى الكَبِدُ الحَرَّى فسِرْ ولك الصَّبْرُ

وقد خنقَتْها عَبرةٌ فدُمُوعها ... على خَدِّها بِيضٌ وفى نَحرها صُفْر

والشعر لأبى الشِّيص الخُزاعىّ .

قال : فشَرِب ، ثم سقانى وسقاها . وقال : غَنِّ يا إبراهيم . فغنَّيتُ :

تَشَرّب قَلبى حُبَّها ومَشَى به ... تَمَشِّى حُمَيَّا الكأس فى جِسم شَارِبِ

ودبَّ هواها فى عِظامى فشَفَّها ... كما دبَّ فى المَلْسوع سمُّ العَقارب

ففَطِن لتَعريضى ، وكانت جهالةً منّى . فأمرنى بالانصراف ولم يَدْعُنى شهراً ولا حضرتُ مجلسه . فلما كان بعد شهر دسَّ إلىَّ خادماً معه رقعةٌ فيها مكتوب :

قد تخوّفتُ أن أموت من الوَجْـ ... ـد ولم يَدْر مَن هَويتُ بما بِى

يا كتابى فاقْرَ السّلام على مَن ... لا أُسمِّى وقُل له يا كِتابى

إنّ كفًّا إليكَ قد[1] بعَثَتنى ... فى شَقاء مُواصَلٍ وعَذاب

فأتانى الخادمُ بالرُّقعة ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : رقعةُ فلانة الجارية التى غنَّتك بين يدى أمير المُؤمنين . فأحسَسْتُ بالقصة ، فشتمتُ الغُلام ووثبتُ إليه فضربتُه ضرباً شفيتُ به نفسى وغيظى . وركبتُ إلى الرشيد من فَورى فأخبرتُه ، وأعطيتُه الرُّقعة . فضَحِك حتى كاد يَستلقى وقال : على عَمْد فعلتُ ذاك بك لأمتحنكَ وأعرف مذهبك وطريقتك . ثم دعا بالخادم ، فخرج ، فلما رآنى قال :

(١) فى الأصل : «كتبتنى» مكان «بعثتنى» .

قطع الله يدَيْك ورجلَيْك ! قتلتنى ! فقلتُ : القتلُ والله كان بعض حقِّك لِمَا وردْتَ به علىَّ ، ولكنّى رحمتُك فأبقيت عليك وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتى فى عُقو بتك بما تَسْتحقه . فأمر لى الرشيدُ بصلة سَنِيَّة . والله يعلم ما فعلت ذلك عفافاً ولكن خوفاً .

هو و إبليس

وحكى إبراهيم قال :

استأذنتُ الرشيدَ فى أن يَهب لى يوماً من الجُمُعة لا يبعث إلىّ فيه بوَجْه ولا سَبب ، لأخلُوَ فيه بجوارىّ و إخوانى . فأذن لى فى يوم السَّبت وقال: هذا يومٌ أستثقله ، فالْهُ فيه بما شئت . فقعدتُ فى منزلى وتقدّمت بإصلاح طعامى وشَرابى وما أحتاج إليه ، وأمرت بوَّابى فأغلق الأبواب ، وتقدمت إليه ألَّا يأذنَ لأَحد علىَّ البتة . فبينا أنا فى مجلسى والحُرم قد حَفُّوا بى وجَوارىَّ يتردَّدْن بين يدىَّ ، إذا أنا بشيخ ذى هَيئة وجمال ، عليه خُفَّان قصيران وقَميصان ، وروائح الطِّيب تفُوح منه حتى ملأ البيت والدارَ . فدَخلنى لدُخوله علىَّ مع ما تقدَّمتُ فيه غيظٌ ما دخلنى قطُّ مثله ، وهَمَمْتُ بطَرْد بوَّابى ومَن يحجُبنى لأجله . فسلَّم علىَّ أحسن سلام . فرددتُ عليه وأمرتُه بالجلوس . ثم أخذ فى أحاديث النـاس وأيام العرب وأشعارها حتى سَلَّ ما كان بى من الغَضب ، وظننتُ أن غِلمانى تخيروا مَسرَّتى بإدخال مثله علىَّ لأدبه وظَرفه . فقلتُ له : هل لك فى الطعام ؟ فقال : لاحاجة لى فيه . فقلت : هل لك فى الشَّراب ؟ قال : ذاك إليك . فشربتُ رطلاً وسقيتُه مثلَه . فقال لى : يا أبا إسحاق ، أُريد أن تُغَنِّى لنا شيئاً فنسمعَ من صَنعتك ما نَفَقْتَ به عند المُلوك والخاصّ والعامّ . فغاظنى قولُه ، ثم سهّلتُ الأمر على نفسى، فأخذتُ العُود وجَسَسْته ، ثم ضربتُ وغنَّيتُ . فقال : أحسنتَ يإبراهيم ! فازداد غيظى . وقلت : ما رَضى بما فَعله من دُخوله علىَّ بغير إذنى ، واقتراحه أن أُغنِّيه ، حتى سمَّانى ولم يُكَنِّنى ولم يجمل مُخاطبتى ! ثم قال : هل لك فى أن تزيد ؟ فتذَمَّمت

وأخذتُ العُود فغنَّيت. فقال: أجدتَ يا أبا إسحاق. فأتِمَّ حتى نكافئك ونغنِّيك. فأخذت العود وتغنَّيت وتحفَّظت، وقُمت بما غنَّيته إيَّاه قياماً تامًّا ما تحفَّظتُ مثله، ولا قُمت بغناء كما قُمتُ به له بين يدَى خليفة قطُّ ولا غيره، لقوله: أُكافئك. فطَرِب وقال: أحسنتَ يا سيدى ويا أَوْثق عُددى. ثم قال: أتأذن لعبدك فى الغِناء؟ فقلت: شأنَك. واستضعفْتُ عقلَه فى أن يُغنِّى بحضرتى بعد ما سَمِعه منِّى. فأخذ العُود وجَسَّه، فوالله لقـد خِلْتُ أنه ينطق بلسان عربىّ، لحسن ما سمعتُه من صوته. ثم غنَّى:

ولى كَبِـدٌ مقروحةٌ من يَبيعنى ... بها كَبِـداً ليستْ بذاتِ قُروحِ
أَباها علىَّ النَّـاسُ ما يشْتَرونهـا ... ومَن يَشْتَرِى ذا عُرة[1] بصَحيح
أئِنُّ مِن الشَّوق الذى فى جَوانحى ... أنِينَ غَصِيصٍ بالشَّراب جَرِيح

قال إبراهيم: فوالله لقـد ظننتُ أنّ الحِيطان والأبواب وكُلَّ ما فى البيت يُجيبه ويُغنِّى معه من حُسن غنائه، حتى خِلتُ أنى أسمع أعضائى وثيابى تُجاوبه، وبَقيتُ مَبهوتاً لا أستطيع الكلامَ ولا الجواب ولا الحركة بما خالط قلبى. ثم غنَّى:

ألا يا حماماتِ اللِّوَى عُدْنَ عَوْدَةً ... فإنِّى إلى أصواتكنَّ[2] حـزينُ
فعُدْنَ فلما عُدْن كِدْن يُمِتْننى ... وكِدْت بأسرارٍ[3] لهن أُبين
دَعَوْنَ بتَرداد الهَـــدِيل كأنما ... شَرِبْن[4] سُـلافا أو بهنّ جُنون
فـلم تَر عَيْنى مثلَهنّ حمـائماً ... بكَيْن ولم تَدْمع لهنّ عُيون

قال: فـكاد عَقلى أن يذهب طرباً وارتياحاً لِمَا سمعتُه. ثم غنَّى:

ألا يا صَـبَا نَجْدٍ متى هِجْتَ من نَجْدِ ... لقـد زَادنِى مَسْراك وجداً على وَجْدِ

(١) العرة: الجرب. وفى بعض أصول الأغانى: «علة».
(٢) فى الأصل: «حنين» مكان «حزين».
(٣) فى بعض أصول الأغانى: «بأسرارى».
(٤) فى بعض أصول الأغانى: «الهدير ... سقين».

أأن هَتفتْ فى جُنْح ليلٍ حمامةٌ على غُصُنٍ غَضِّ النَّبات من[1] الرَّند
بكيت كما يبكى الوليدُ[2] صَبابةً وذُبتَ من الحزن المُبرِّح والجَهْد
وقد زَعموا أنّ المُحبَّ إذا دنا يَملّ وأن النَّأى يَشْفِى من الوَجْد
بكُلٍّ تداوينا فلم يُشْفَ ما بنا على أنّ قُرب الدَّار خيرٌ من البُعد

ثم قال : يإبراهيم ، هذا الغناء الماخُورىّ ، فخُذْ وأنْحُ نحوَه فى غنائك وعلِّمه جواريك . فقلت : أعِده علىّ . فقال : لستَ تحتاج ، قد أخذتَه وفرغتَ منه . ثم غاب عنِّى . فارتعتُ وقُمتُ إلى السَّيف فجرَّدتُه وعدوتُ إلى الأبواب فوجدتُها مُغلقةً ، وقلت للجوارى : أى شىء سمعتُنّ عندى ؟ فقلن : سمعنا أحسنَ غناء سُمع . فخرجت متحيِّراً إلى باب الدار ، فوجدتُه مُغلقاً ، فسألتُ البوّاب عن الشَّيخ . فقال : أى شيخ ! والله ما دخل البابَ اليومَ أحدٌ . فرجعتُ لأتأملَ أمرى ، فإذا هو قد هَتف بى من بعض جوانب البيت : لا بأس عليك يا أبا إسحاق ، أنا إبليس ، وأنا كنتُ نَديمَك اليومَ .

فركبتُ إلى الرشيد وقلت : لا أُطرفه أبداً بطُرفة مثلِ هذه . فدخلتُ إليه وحدَّثته الحديثَ ، فقال : ويحك ! تأمَّل هذه الأصوات : هل أخذتَها ؟ فأخذتُ العود فامتحنتُها ، فإذا هى راسخةٌ فى قلبى كأنها لم تزل . فطَرِب الرشيدُ عليها وجَلس يشرب ، ولم يكن عَزم على الشَّراب . وأمر لى بصلة وحُمْلان[3] ، وقال : الشَّيخ كان أعلمَ بما قال من أنك أخذتَها وفرغتَ منها ، فليته أمتعنا بنَفسه يوماً واحداً كما أمتعك .

---

(١) الرند : شجر طيب الرائحة . والرواية فى بعض أصول الأغانى :
أأن هتف ورقاء فى رونق الضحى على فنن غض النبات من الرند
(٢) فى بعض الأصول : « الحزين » .
(٣) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .

حديث اختصاصه بشعر ذى الرمة يغنى فيه الرشيد

وحكى إبراهيم الموصلى قال :

قال لى جعفر بن يحيى ، وقد علم أنّ الرشيدَ قد أذن لى والمُغنّين جميعاً فى الانصراف يومئذ : صِرْ إلىّ حتى أهب لك شيئاً حسناً . فصرتُ إليه ، فقال : أيّما أحبُّ لك : الشيء الحَسن ، أو أُرشدك إلى شيء تكسب به ألفَ ألفِ درهم ؟ فقلت : لا بل يُرشدنى الوزير — أعزه الله — إلى هذا الوجه ، فإنّه يقوم مُقام إعطائه إياى هذا المال . فقال : إنّ أمير المؤمنين يحفظ شِعر ذى الرُّمة حِفظ الصبىّ ويُعجبه ويُؤثره ، فإذا سَمع فيه غناء أطرِبه أكثرَ مما يُطرِبه غيرُه ممّا لا يَحفظ شعره ، فإذا غنّيتَه فأطربتَه وأمر لك بجائزة، فقم على رجلَيك وقبِّل الأرض بين يديه وقُل : إنَّ لى حاجةً غيرَ الجائزة أريد أن أسألها أميرَ المُؤمنين ، وهى حاجة تقوم عندى مُقام كُلّ فائدة ، ولا تضُرُّه ولا ترْزؤه. فإنه سيقول لك : أىّ شىء حاجتك ؟ فقل : قَطيعة تقطعنيها سهلةٌ عليك ولا قيمة لها ولا مَنفعة لأحد فيها . فإذا أجابك إلى ذلك فقل : تقطعنى شعر ذى الرُّمة أُغنّى فيه ما أختاره ، وتَحْظُر على المُغنِّين جميعاً أن يُداخلونى فيه ، فإنى أُحب شعره وأستحسنه ، ولا أُحب أن يُنغِّصه علىّ أحدٌ منهم . وتَوثّق منه فى ذلك . فقَبِلْتُ ذلك القول منه ، وما انصرفتُ مع ذلك القول إلّا بجائزة . وتوخَّيتُ وقتاً للكلام فى هذا المَعنى حتى وجدتُه ، فقمت فسألت كما قال لى، فرأيت السُّرور فى وَجهه ، وقال : ما سألتَ شَططاً ، قد أقطعتُك ما سألت . فجعلوا يتضاحكون من قولى ويقُولون : لقد استضخمتَ القَطيعة ! وهو ساكتٌ . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى فى التوثّق ؟ فقال : توثَّق كيف شئتَ . فقلت : بالله وبرسوله وتُربة أمير المُؤمنين المهدىّ إلّا جعلتَنى على ثقة من ذلك ، بأن تحلف أنك لا تُعطى أحداً من المُغنّين جائزةً على شىء يُغنّيه من شعر ذى الرُّمة ، فإن ذلك وثيقتى . فحلف عليها مُجتهداً لئن غنّى أحدٌ منهم فى شعر ذى الرُّمة لا أثابه ولا برّه ولا سَمع غِناءه . فشكرتُ فِعله وقبّلتُ الأرض بين يديه ، وانصرفنا .

فغنَّيته مائةَ صوتٍ وزيادة عليها فى شعر ذى الرُّمة ، فكان إذا سَمع منها صوتاً طَرِب وزاد طربُه ووصلنى وأَجزل . ولم يَنتفع أحدٌ منهم به غيرى . فأخذتُ منه ألفَ ألفِ درهم ، وألفَ ألفِ درهم .

ترضى الرشيد ماردة بشعر غناه هو فيـه

وذُكر أن الرشيد كان يَجِد بماردةَ ، أُم ولده المُعتصم ، وجداً شديداً ، فغضبتْ عليه وغَضب عليها ، وتمادى بينهما الهجرُ . فأمر جَعفرُ بن يحيى العبَّاسَ بن الأَحنف ، فقال :

رَاجعْ أحبَّتك الذين هجرتَهم إنَّ المُتيَّم قلَّما يَتجنّبُ
إن التجنُّبَ إنْ تطاول مِنكما دَبَّ السلوُّ وعزَّ منك المَطلب

وأَمر إبراهيم المَوصلىّ أن يُغنِّى به الرشيدَ . فلما سمعه بادَر إلى ماردةَ فترضَّاها . فسألت عن السبب فى ذلك فعرفته . فأمرتْ لـكُل واحد من العبّاس و إبراهيم بعشرين ألف درهم ، وسألتْ الرشيدَ أن يُكافئهما . فأمر لهما بأربعين ألف دِرهم .

أول جائزة خرجت من الرشيد لشاعر كانت له

وقيل :

أول جائزة خَرجت لشاعر من الرَّشيد ، لمّا وَلى الخلافة، جائزةُ إبراهيم الموصلى؛ فإنه قال يمدحه لما وَلى :

أَلم تر أنَّ الشَّمس كانت مريضةً فلمّا وَلِى هارونُ أشرق نُورُهَا
تلبّست[1] الدُّنيا جمالاً بوجهـه فهارونُ واليها ويَحيى وَزيرها

فأَمر له بمائة ألف دِرهم . وأمر له يحيى بن خالد بخَمسين ألف دِرهم .

هو والرشـيد وقصة الزنبيل

وحَكى إبراهيم المَوصلىّ قال : قال لى الرشيدُ يوماً : إنى قد جعلتُ غداً للحُرم ، وجعلتُ ليلته للشرب مع الرِّجال ، وأنا مُقتصر من المُغنّين عليك، فلا تَشتغل غداً بشىء ولا تَشرب نبيذاً ، وكُن بحضرتى فى وقت عشاء الآخرة . فقلتُ: السَّمعُ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فألبست » .

والطاعة لأمير المؤمنين . فقال : وحقِّ أبى لو تأخَّرت أو اُعتللت بشىء لأضربنّ عُنقك ! أفهمتَ ؟ قلتُ : نعم . وخرجتُ . فما جاءنى أحدٌ من إخوانى إلا احتجبتُ عنه،ولا قرأتُ رُقعةً لأحدٍ، حتى إذا صلَّيتُ المغرب ركبتُ قاصداً إليه . فلما قرُبت من داره مررتُ بفناء قصرٍ ، فإذا زِنْبيل كبير مُستوثَق منه بحبال وأربع عُرًى ، قد دُلِّى من القصر ، وجاريةٌ قائمةٌ تنتظر إنساناً قد وُعد ليجلس . فنازعتْنى نفسى إليه ، فقلتُ : هذا خطأ ، فلعله يعُوقنى عن الخَليفة فيكون الهلاك . فلم أزل أُنازع نفسى وتُنازعنى حتى غَلبتْنى . فنزلتُ فيه ، ومُدَّ الزَّنبيل حتى صار بأعلى القصر . ثم خرجتُ فنزلتُ . فإذا جوارٍ كأنهن المَها جُلوسٌ ، فضحكْن وطَرِبْن وقُلن : قد جاء والله ! فلما رأيننى من قريب تبادَرْن الحِجاب وقُلن : يا عدو الله ! ما الذى أَدخلك علينا ؟ فقلتُ : يا عدوّاتِ الله! من الذى أردتُن إدخالَه ؟ ولِمَ صار أولَى منِّى بهذا ؟ فلم يزل ذلك دأبَنا ، وهُن يضحكن وأضحك معهن . فقالت إحداهن : أمّا من أردناه فقد فات ، وما هذا إلا ظريف ، فهلُم نُعاشرْه عشرةً جَميلة . فأُخرج لى طعام فدُعيتُ إلى أكله ، ولم يكن فىّ فَضْلة ، إلا أنِّى كرهتُ أن أُنسب إلى سُوء العِشرة، فأصبتُ منه إصابةَ مُعذِّر[1] . ثم جىء بالشراب فجعلنا نَشرب، وأخرجْن إلىَّ ثلاثَ جوارٍ لهن ، فغنَّين غِناءً مَليحاً ، فغنَّت إحداهن صوتاً لَمعبد . فقالت إحدى الثلاث من وراء السِّتارة : أحسن إبراهيمُ الموصلى ! هذا له . فقلتُ : كذبتِ ! ليس هذا له، هذا لمعبد . فقالت : يا فاسق ، ومايُدريك الغِناء ما هو ! ثم غنَّت الأُخرى صوتاً للغَريض . فقالت تلك : أحسن إبراهيم ! هذا أيضاً له . فقلت : كذبتِ ! هذا للغريض . فقالت : اللهم أخزه ، ويلك ! ومايُدريك ! ثم غنّت الجاريةُ صوتاً لى . فقالت تلك : أحسن ابنُ سُريج ! هذا له . فقلت : كذبتِ ، هذا لإبراهيم ، وأنت تنسُبين غناء الناس إليه وغِناءه إليهم . فقالت :

(١) المعذر : المعتذر .

ويلك ! وما يُدريك ؟ فقلت : أنا إبراهيم . فتباشَرْن بذلك جميعاً وظَهَرْن كُلُّهن وقُلن : كتمتَنا نفسَك وقد سَررتنا . فقلت : أنا الآن أستودعكنّ الله . فقلن : وما السببُ ؟ فأخبرتُهن بقصّتى مع الرَّشيد . فقُلن : الآن طاب حَبْسك ، علينا وعلينا إن خرجتَ أسبوعاً . فقلتُ : هو والله القتل . فقُلن : إلى لعنةِ الله ! فأقمتُ عندهم أُسبوعاً لا أزول . فلما كان بعد أُسبوع ودَّعننى ، وقُلْن : إن سلّمك الله فأنت بعد ثلاثة عندنا . فأَجلسننى فى الزَّنبيل وسُرِّحتُ . فمضيتُ من وَجهى[1] إلى دار الرَّشيد ، فإذا النِّداء فى طَلبى فى بغداد ، وأنَّ من أحضرنى فقد سُوِّغ مِلكى وأُقطع مالى . فاستأذنتُ . فتبادر الخدمُ حتى أدخلونى على الرَّشيد ، فلما رآنى شَتمنى وقال : السَّيفَ والنِّطْع ! إيه يإبراهيم ! تَهاونتَ بأمرى وتشاغلتَ بالعوامّ عما أمرتُك به ! وجلستَ مع أشباهك من السُّفهاء حتى أفسدت علىَّ لذَّاتى ! فقلتُ : يا أمير المُؤمنين، أنا بين يديك، وما أُمرتَ به غيرُ فائت ، ولى حديثٌ عَجيبٌ ما سُمع بمثله قطُّ ، وهو الذى قَطعنى عنك ضرورةً لا اختياراً ، فإن كان عذراً فاقبله وإلا فأَنت أعلم . فقال: هاتِه، فليس بمُنْجيك . فحدَّثته . فوَجم ساعةً ثم قال : إن هذا لَعجبٌ ! أفتُحضرنى معك هذا الموضعَ ؟ فقلت : نعم ، وأُجلسك معهن إذا شئتَ قبلى حتى تَحْصُل معهن ، وإن شئت فعلى موعد . قال : بل على موعد . قلتُ : أفعلُ . فقال : انظُر . قلتُ : ذلك حاصلٌ لك متى شئتَ . فعدل عن رأيه وأَجلسنى وشرب وطَرب . فلما أَصبحنا أَمرنى بالانصراف وأن أَجيئه من الغد . فمضيتُ إليهنّ فى وقت الموعد . فلما وافيتُ الموضعَ إذا الزَّنبيل مُعلَّق ، فجلستُ فيه ، ومدَّه الجوارى فصعدتُ . فلما رأَيْننى تباشَرْن وحَمِدْن الله على سلامتى . فأقمتُ ليلتى . فلما أردتُ الانصراف قلتُ : إنَّ لى أخاً هو عِدْلُ نفسى عندى، وقد أحبّ مُعاشرتكنّ ووعدته بذلك . فقُلن : إن كنتَ تَرضاه فمرحباً به . فوعدتهن ليلةِ غدٍ ، وانصرفتُ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لوجهى » .

فأتيتُ الرشـيدَ فأخبرتُه . فلما كان الوقتُ خَرج معى متخفِّياً حتى أتينا المَوضع . فصَعدتُ وصَعد بعــدى ، ونزلنا جميعاً . وقد كان الله وفَّقنى لأن قلتُ لهنّ : إذا جاء صَديقى فاستَتِرْن عنــه وعنّى ولا يَسْمَعنّ لـكن نَطْقةً ، وليَكن ما تَخْتَرْنه من غناء أو تَقُلْنه من قول مُراسلةً . فلم يتعدَّيْن ذلك ، وأَقَمْن على أتمّ سِتْر وخَفَر. وشَرِبْنا كثيراً . وقد كان أَمَرنى ألّا أُخاطبه بأمير المُؤمنين . فلما أخذ منِّى السُّكر قلتُ سهواً : يا أمير المؤمنين . فتواثَبْنَ من وراء الستارة حتى غابت عنّا حركاتُهنّ. فقــال لى : يإبراهيم ، قد أفلتَّ من أمرٍ عظيم ، والله لو برزتْ لك واحــدةٌ منهنّ لضربتُ عُنُقك ! قُم بنا . فانصرفنا . فإذا هُنّ جوارى له قدغَضِب عليهنّ فَحبسهنّ فى ذلك القَصر . ثم وجّه من غدٍ بخَدَمٍ له فردَّهن إلى قصره ، ووَهب لى مائة ألف درهم . وكانت الهدايا والألطاف تأتينى بعد ذلك منهن .

شعره فى مرضه

وحكى إسحاقُ بن إبراهيم الموصلى ، قال :

لمـا دخلتْ سنةُ ثمانٍ وثمانين ومائة اشتدّ أمرُ القُولَنْج على أبى ولزمه ، وكان يعتاده فى الأحيان ، فقَعد عن خدمة الخليفة وعن نَوْبته فى داره ، وقال فى ذلك :

مَــلَّ واللهِ طَبيبى عن مُقاساةِ الّذى بِى
سوف أُنْعَى عن قَريب لعـــــدوّ وحَبِيب

ووَضع فيه لحناً . وكان آخرَ شعر قاله ، وآخرَ لحنٍ وضعه .

زيارة الرشيد له فى علة الموت

وحُـكى أنَّ الرَّشـيد رَكب حِماراً ودخل إلى إبراهيم وهو فى الأَبْزَن[1] جالسٌ ، فقال : كيف أنت يإبراهيم ؟ قال : أنا والله يا سيدى كما قال الشاعر :

سَـقِيمٌ مَلَّ منه أَقْربوه وأَسْلمه المُداوى والحَمِيمُ

فقال الرشيدُ : إنا لله ! وخرج . فما بَعُـد حتى سَمِع الواعيةَ[2] عليه .

---

(١) الأبزن : حوض من نحاس يستنقع فيه ، معرب . (٢) الواعية : الصراخ على الميت .

تقديم المأمون لابن الأحنف عليه فى الصلاة عليهما

ومات إبراهيم فى هذه السنة — أعنى سنة ثمان وثمانين ومائة — ومات فى ذلك اليوم العبّاس بن الأحنف ، وهُشيمة الخمّارة . فرُفع ذلك إلى الرّشيد ، فأمر المأمونَ أن يُصلّى عليهم . فخرج فصفّوا بين يديه ، فقال : من هذا الأول ؟ قالوا: إبراهيم المَوصلى . فقال : أخِّروه وقدِّموا العبّاس بن الأحنف . فقُدِّم فصَلَّى عليهم . فلما فرغ دنا منه هاشمُ بن عبد الله بن مالك الخُزاعى فقال له : يا سيدى ، كيف آثرتَ العبّاس بالتّقْدِمة على من حَضَر ؟ قال لقوله :

وسعَى بها ناسٌ وقالوا إنّها ... لهى التى تَشْقَى بها وتُكابدُ
فجحدتُهم ليكونَ غيرَكِ ظنُّهم ... إنّى ليُعجبنى المُحبُّ الجاحد

ثم قال : أتحفظها ؟ قلت : نعم . قال : فأنْشدنى باقيها . فأنشدتُه :

لما رأيتُ الليلَ سَدَّ طريقَه ... عنّى وعذّبنى الظّلامُ الرّاكدُ
والنّجم فى كَبِد السّماء كأنّه ... أعْمى تحيَّر ما لدَيه قائِد
ناديتُ من طَرَد الرُّقاد بصدّه ... عمّا أعالج وهو خِلْوٌ هاجد
ياذا الذى صَدع الفُؤاد(١) بهَجْره ... أنْت البَلاء طريفُه والتّالد
ألقيتَ بين جُفون عَيْنى(٢) حُرقةً ... فإلى متى أنا ساهِرٌ يا راقد

فقال لى المأمونُ : أليس من قال هذا حَقِيقٌ بالتّقدمة ؟ قلت : بلى والله يا سيدى .

شعر ابنه إسحاق فى رثائه

ولما تُوفى إبراهيم الموصلى رثاه ابنُه إسحاق بقَوْله :

سلامٌ على القَبر الذى لا يُجيبنا ... ونحن نُحيِّى تُربه ونخاطبُه
ستَبْكيه أشرافُ المُلوك إذا رأَوْا ... محلَّ التّصابى قد خلا منه جانبُه
ويَبكيه أهلُ الظَّرف طرًّا كما بَكى ... عليه أميرُ المُؤمنين وحاجِبه

(١) فى الأصل : « بصده » مكان « بهجره » .
(٢) فى الأصل : « جفوة » مكان « حرقة » .

ولمّا بدا لى اليأسُ منه وأنزفتْ عيونٌ[١] بواكيه وملَّت نوادبُه
وصار شِفاء النَّفس من بعد[٢] فَقْده إفاضةَ دَمْعٍ تَسْتهلُّ سَواكبه
جعلتُ على عَيْنىّ للصُّبح عَبرةً ولِلَّيل أُخرى ما بدتْ لى كواكبه

وقال أيضاً يرثيه :

عليك سلامُ الله مِن قبرٍ فاجعٍ وجادَكَ من نَوْء السّماكَيْن وابلُ
هل أنت مُحيِّي القَبر أم أنت سائل وكيف تُحيَّا تُربةٌ وجَنادل
أظَلُّ كأنّى لم تُصِبْنى مُصيبةٌ وبالصَّدْر من وَجْدٍ عليك بَلابل
وهوّن عندى فقدُه أنّ شَخْصَه على كُلّ حالٍ بين عينىَّ ماثِل

الرشيد يعزى إسحاق ابنه فيه ويصله

وحكى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال :

دخلت إلى الرّشيد بعَقب وفاة أبى ، وذلك بعد شهر من يوم وفاته ، فلما جلستُ ورأيتُ موضعَه الذى كان يجلس فيه دمعتْ عيناى ، فكفكفتُهما وتصبَّرت . ولَحنى الرشيد فدعانى إليه فأدنانى منه . فقبَّلتُ يدَه ورجلَه والأرض بين يديه . فاستعبر ، وكان رقيقاً . فوثبتُ قائماً بين يديه وقلت :

فى بَقاء الخليفة المَيمونِ خلفٌ من مُصيبة المَحزونِ
لا يَضِير المصابَ حُزنٌ[٣] إذا ما كان ذا مَفْزعٍ إلى هارون

فقال لى : كذاكَ هو والله ، ولن تَفقد من أبيك ما دُمتُ حيًّا إلا شَخْصَه. وأمر بإضافة رِزْقه إلى رِزْقى . فقلتُ : بل يأمر به أميرُ المُؤمنين لوَلده، ففى خِدمتى إيّاه ما يُغنينى . فقال : اجعلوا رِزْق إبراهيم لولده وأَضْعفوا رِزْق إسحاق .

(١) أنزفت العيون : نفد ماؤها .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بعض ما بها » مكان « بعد فقده » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « رزء » .

أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي

كنيتــه

ويُكنى أبا محمد . وكان الرشيدُ يولَع به فيكنِّيه أبا صَفوان . وهــذه كنيةٌ أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب مَزْحاً .

منزلته فى العلم والغنــاء

وموضعه من العِلْم ، ومكانُه من الأدب ، ومحلُّه من الرِّواية ، وتقدُّمه فى الشعر ، ومنزلتــه فى سائر المَجالس ، أشهرُ من أن يُدلَّ عليه فيها بوصف . أما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به ، و إن كاب الغالبَ عليه وعلى ما كان يُحسنه ، فإنه كان له فى سائر أدواته نُظراء وأكفاء ، ولم يكن له فى هــذا نَظير ، لَحِق بمن مضى فيــه وسَبَق من قد بَقِى ، فهو إمام أهل صِناعته وقُدوتهم ورأسُهم ومعلِّمهم ، وكان يكره أن يُنْسبَ إلى الغِناء غايةَ الكراهية .

تمناه المأمون للقضـــاء

وذُكر أن المأمون قال : لولا ما سبَق لإسحاق على ألسنة النَّـاس وشُهرته عندهم من الغِناء لوليتُه القَضاء بحضرتى ؛ فإنه أعفُّ وأَصــدق وأكثر ديناً وأمانةً من هؤلاء القُضاة .

مشايخه فى الحديث

وروَى الحديثَ ولَقِى أهله ؛ مثل : مالك ، وسُفيان بن عُيينة ، وهُشيم بن بَشير ، و إبراهيم بن سَعد ، وأبى مُعاوية الضَّرير ، ورَوْح بن عُبادة ، وغيرهم من شُيوخ العِراق والحجاز .

ضنه بالغناء وما أحدثه فيــه

وكان مع كراهيته الغنــاء أضَنَّ خَلق اللهِ به ، وأشدَّهم بُخْلاً به على كل أحد ، حتى على جواريه وغِلْمانه ومَن يأخــذ عنه ويُنسب إليه ، فضلاً عن غــيرهم . وصحَّح أجناس الغِناء وطرائقه وميَّزها تمييزاً لم يَقْــدر عليه أحد بعده .

أمــه

وأُم إسحاق امرأةٌ من أهل الرىّ ، يقال لها : شاهك .

نهجه فى يومه

وحكى إسحاق قال : بقيتُ دهراً من دهرى أُغلِّس كلَّ يوم إلى هُشيم فأسمع منه ، ثم أصير إلى الكسائى ، والفرّاء ، وابن غزالة ، فأقرأ عليه جزءا من القرآن . ثم آتى منصوراً ، المعروف بزلزل ، فيضارب بنى طرقين[1] أو ثلاثة ، ثم آتى عاتكة بنت شُهدة فآخذ منها صوتاً أو صوتين ، ثم آتى الأصمعىّ وأبا عبيدة فأناشدهما وأحدّثهما وأستفيد منهما ، ثم أصير إلى أبى فأُعْلِمه ماصنعتُ ومَن لقيتُ وما أخذتُ ، وأتغدّى معه ، فإذا كان العِشاء صرتُ إلى أمير المؤمنين الرشيد .

رأى الواثق فيه

وحُكى أن الواثق بالله كان يقول : ما غنّانى إسحاقُ قطُّ إلا ظننتُ أنه قد قد زيد فى مُلكى ، ولا سمعتُه قطُّ يغنِّى غناء ابن سُريج إلّا ظننتُ أن ابن سُريج فيه نُشِر ، و إنّه ليحضُرنى غيره ، اذا لم يكن حاضراً ، فيتقدمه عندى بطِيب الصوت ، حتى إذا اجتمعا عندى رأيتُ إسحاق يعلو ورأيت من ظننتُ أنه يتقدّمه ينقُص . و إنّ اسحاق لنعمةٌ من نِعم المُلوك التى لا يُخصُّ[2] أحدٌ بمثلها ، ولو أن العُمر والشَّباب والنَّشاط مما يُشترى لاشتريتُهن له بشطر مُلكى .

هو والمأمون وقد سأله الدخول مع العلماءثم مع الفقهاء

وذُكر أنه سأل إسحاقُ الموصلىّ المأمونَ أن يكون دُخوله إليه مع أهل العِلْم والأدب والرُّواة ، لا مع المُغنِّين ، فإذا أراد الغناء غنّاه . فأجابه إلى ذلك . ثم سأله بعد مُدة طويلة أن يأذن له فى الدُّخول مع الفقهاء ، فأذن له . فقيل : إنَّ محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر وعَلّويه ومُخارقاً كانوا فى حُجرة لهم جلوساً ينتظرون جُلوس المأمون لهم وخروج الناس من عنده ، إذ دخل القاضى يَحيى بن أكثم وعليه سَواده وطويلتهُ[3] ويده فى يد إسحاق يُماشيه ، حتى جلس معه بين يدى المأمون. فكاد عَلّويه أن يُجَنَّ ، وقال : ياقوم ، سمعتم بأعجب من هذا ! يدخُل قاضى القُضاة ويدُه فى يد مُغنٍّ حتى يجلسا بين يدى الخليفة ! ثم مضتْ مدةٌ على ذلك . فسأل إسحاق

---

(١) الطرق : الصوت والنغمة . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « لم نحظ » .

(٣) السواد : شعار العباسيين . والطويلة : القلنسوة .

المأمون فى لُبس السَّواد يومَ الجمعة والصلاة معه فى المَقْصُورة . فضحك المأمونُ وقال : ولا كُل هذا يإسحاق ! وقد اشتريتُ منك هذه المسألة بمائة ألف درهم، وأمر له بها .

شأنه بين المغنين فى حضرة الواثق

وذُكر أن المُغنِّين كانوا يحضُرون مجلس الواثق وعيدانُهم معهم ، إلّا إسحاق فإنه يحضُر بلا عُود للشُّرب والمُجالسة . فإذا أمره الخليفةُ أن يُغنّى أُحضر له عُود ، و إذا فَرغ وغنَّى سُلّ من بين يديه إلى أن يطلُبه .

وكان الواثق كثيراً ما يكنِّيه ، رفعاً له أن يدعُوَه باسمه . وكان إذا غَنَّى وفَرغ الخليفةُ من شرب قَدَحه قطع الغناءَ ولم يُعِدْ منه حرفاً، إلّا أن يكون فى بعض بيتٍ فيُتمه ، ثم يقطع و يَضع العود من يده .

غنى المأمون فى شعر لذى الرمة فأجازه وحديث ذلك

وحَكى إسحاق قال :

خرجت مَخْموراً من دارى أتنسَّم الهواء ، فمررتُ برجُل يُنْشد رجلاً معه لذى الرُّمَّة :

أَلم تَعلمى يا مَىُّ أنّى و بيننا ... مَهاوٍ لطَرْف العَيْن فيهنّ[1] مَطْمَحُ

ذكرتك أن مرَّت بنا[2] أُمُّ شادنٍ ... أمامَ المَطايا تَشرئبُّ وتَسْنح

من المُؤْلِفات الرَّمْلَ أدماء حُرَّةٌ ... شُعاعُ الضُّحَى فى مَتنها يَتوضَّح

هى الشِّبهُ أعطافاً وجيداً ومُقْلةً ... ومَيَّةُ منها بعدُ أَبهى وأَمْلح

لئن كانت الدُّنْيا علىّ كما أرى ... تَباريحَ من مَىٍّ فَلَلموتُ أَروح

فأعجبنى وصنعتُ فيه لحناً غنَّيت به المأمونَ ، فأخذتُ منه مائة ألف دِرهم .

هو وإبراهيم بن المهدى فى صوت غناه عند الرشيد

وحكى إسحاقُ الموصلى قال :

كنتُ عند الرّشيد يوماً وعنده نُدماؤه وخاصّته و إبراهيم بن المهدى ، فقال الرشيد : غَنِّ :

(١) فى غير التجريد : « مطرح » مكان « مطمح » . (٢) أم شادن : الظبية .

شَربتُ مُدامةً وسُقيتُ أُخرى ... وراح المُنْتَشون وما أُنْتَشيتُ

وقبل هذا البيت :

أعاذلُ ما كَبِرتُ وفيَّ مَلْهًى ... ولو أدركتُ غايتكِ أُنتهيتُ

فغنَّيته . فأقبل عليّ إبراهيم بن المهدىّ فقال لى : ما أَصبتَ يإسحاق ولا أحسنت ! فقلت: ليس هذا مما تَعرفه ولا تُحسنه ! وإن شئتَ فغنِّه ، فإن لم أجدك أنك تُخطىء فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك فدَمِي حلالٌ . ثم أقبلتُ على الرّشيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتى وصناعة أبى ، وهى التى قَرَّبتنا منك واستخدمتنا لك ، فإذا نازعنا أحد بلا عِلْم لم نجد بُدًّا من الإيضاح والذَّبِّ . فقال : لا غَزْو ولا لَوْم عليك . وقام الرشيدُ ليبول ، فأقبل علىّ إبراهيم بن المهدىّ وقال : يإسحاق ، ويحك ! تجترىء علىّ وتقول لى ما قلتَ يابن الفاعلة ! لا يَكْنى . فدخلنى ما لم أملك نفسى معه ، فقلتُ له : أنت تَشْتُمنى ولا أقدر على إجابتك، وأنت ابن الخليفة ، ولولا ذلك لكنت أقول لك: يابن الزانية ، كما قلت لى: يابن الزانية ! أوَتُرانى كنت لا أُحسن أن أقول: يابن الزانية ، ولكن قَولى فى ذمك يَنصرف كلُّه إلى خالك الأعلم[1] ، ولولاك لذكرتُ صناعته ومَذهبه — قال إسحاق : وكان بيطاراً — قال : ثم سكتُّ وعلمت أن إبراهيم سوف يشكونى إلى الرشيد ، وسوف يسأل مَن يحضُر عما جرى ، فيُخبرونه . فتلافيتُ ذلك بأن قلت : أنت تظُن أن الخِلافة تصير لك ، فلا تزال تتهدّدنى بذلك وتُعادينى كما تُعادى سائر أولياء أخيك حسداً له ولولده على الأَمر ، وأنت تَضْعُف عنه وعنهم ، وتَستخف بأوليائهم تشفِّياً ، وأرجو ألّا يُخرجها الله عن الرّشيد وولده ، وأن يقتُلَك دونها . فإن صارت إليك — والعياذُ بالله من ذلك — فحرام علىّ يومئذ العيشُ ، والموتُ أطيبُ لى من الحياة معك ، فاصنع حينئذٍ ما بدا لك . قال : فلما خَرج الرشيد

(١) الأعلم : المشقوق الشفة العليا .

وَثب إبراهيم وجلس بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين ، شَتمني وذكر أمي واُستخفّ بى . فغَضب وقال لى : ويلك ! ما تقول ؟ قلت : لا أعلم ، فسَلْ مَن حضر . فأقبل على مَسرور وحُنَين وسألهما عن القِصّة — فجعلا يُخبرانه ووجهُه يتربَّد[1] إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة — فسُرِّى عنه ورجع لونه . وقال لإبراهيم : لا ذَنب له ، شتمتَه فعرَّفك أنه لا يَقدر على جوابك ، ارجع إلى موضعك وأَمسك عن هذا . فلما انقضى المجلسُ وانصرف الناس أمر بألّا أبرح . وخرج كلُّ من حضر حتى لم يَبْق غيرى . فساء ظَنِّى وأهمَّتنى نفسى . فأقبل علىَّ وقال : يإسحاق ، أتُرانى لم أفهم قولك ومرادك ! قد والله زنَّيته ثلاث مرات . أتُرانى لا أعرف وقائعك وأقدامَك وأين ذهبت ! ويلك ! لا تَعُدْ . حدِّثنى عنك : لو ضربك إبراهيم أ كنتُ أقتصُّ لك منه فأضربه يا جاهل وهو أخى ! أتُراه لو أمر غلمانه فقتَلوك أ كنتُ أقتله بك ! فقلت : والله يا أمير المؤمنين قد والله قتلتَنى بهذا الكلام ، ولئن بلغه ليقتلنِّى ، وما أشك فى أنه قد بلغه الآن . فصاح بمَسرور وقال : علىَّ بإبراهيم . فأُحضر . فقال لى : قُم فانصرف . فقلتُ لجماعة من الخدم، وكُلهم كان لى محبًّا وإلىَّ مائلاً مُطيعاً : أخبرونى بما يجرى من غدٍ . فأخبرونى أنه لما دخل عليه وبَّخه وجَهَّله وقال : أتستخفُّ بخادمى وصَنيعتى، وابن خادمى وصَنيعتى، وصنيعة أبى فى مَجلسى ، وتُقدم على ذلك ، وتستخفُّ بمجلسى وحَضرتى ! هاه ! هاه ! هاه ! أتُقدم على هذا وأمثاله ! وأنت مالك وللغِناء ؟ وما يُدريك ما هو ؟ ومن أخذك به وطارحك إياه حتى تتوهّم أنك تبلُغ مبلغ إسحاق الذى غُذى به وعُلِّمه وهو من صِناعته ؟ ثم تظُن أنك تُخطِّئه فيما لا تَدريه ، ويدعوك إلى إقامة الحُجة عليه فلا تثبُت لذلك وتَعتصم بشَتْمه ، هذا مما يدُل على السُّقوط وضَعف العقل وسُوء الأدب مِن دخولك فيما لا يَنْسُبك إلا إلى فرط الجهل . ألا تَعلم — ويحك — أن هذا سُوء أدب وقلّة معرفة وقلّة مُبالاة بالخطأ والتكذيب

---

(١) يتربد : يتغير .

والردّ القبيح ! ثم قال : والله العظيم وحقّ رسوله، و إلا فأنا برىء من المهدى، لئن أصابه أحدٌ بسوء، أو سقط عليه حجر من السّماء، أو سقط من دابّته، أو سقط عليه سقف، أو مات فجأة، لأقتلنك به . والله، والله، والله، وأنت أعلم، فلا تعرّض له . قم الآن فاخرج . فخرج وقد كاد أن يموت .

فلما كان بعد ذلك دخلتُ عليه و إبراهيمُ عنده، فجعل ينظرُ إليه مرةً و إلىّ مرة و يضحك، ثم قال له : إنى أعلم محبّتك لإسحاق وميلك إليه و إلى الأخذ عنه، وأن هـذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى، والرّضى لا يكون بمكروه، ولكن أحسن إليه وأكرمه وأعرف حقّه و برّه وصِله، فإذا فعلتَ ثم خالف ما تهواه عاقبتُه بيدٍ مستطيلة مُنبسطة ولسانٍ مُنطلق . ثم قال لى : قم إلى مولاك وابن مولاك فقبّل رأسه . فقمتُ إليه وقام إلىّ وأصلح الرّشيد بيننا .

صنع فى بيتين ودع بهما الفضل بن يحيى غناء فأجازه

وحكى إسحاق الموصلى قال :

لمّا أراد الفضل بن يحيى بن خالد الخروج إلى خُراسان ودّعتُه، ثم أنشدته بعد التّوديع :

فراقُك مثلُ فِراق الحياةِ وفَقْدُك مثـلُ افتقادِ الدِّيَمْ

عليك السّلامُ فكم من وفاء أُفارق فيك وكم من كَرَم

قال : فضمّنى إليـه وأمر لى بألف دينار وقال : يا أبا محمد، لو حلّيتَ هذين البيتين بصَنعة وأودعتَهما مَن يَصحبنا لأهديتَ لى بذلك أُنساً وأذكرتنى بنفسك . ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المُغنّين . فأمر لى بألف دينار . وكان كتابُه لا يزال يَرد علىّ ومعـه ألفُ دينار، يصلنى بذلك كلّما غُنّى بهذا الصوت .

أنشد المعتصم يهنئه بالخلافة فأجازه

وحَكى إسحاق قال :

لمّا ولى المُعتصم الخلافةَ دخلتُ إليه فى جُملة الجُلساء والشُّعراء ، فهنَّأه القوم نَثْراً ونظماً ؛ وهو ينظر إلىّ مُستنطقاً ، فأَنشدتُه :

لاح بالمَفْرق منك القَتِيرُ ... وذوى غُصْنُ الشَّباب النَّضِيرُ
هزئتْ أسماءُ منّى وقالت ... أنت يا بن المَوصلىِّ كبير
ورأت شَيباً عَلانى[1] فصدَّت ... وابنُ ستِّين بشَيْب جَدير
قد يُفَلُّ السَّيفُ وهو جُرَازٌ ... ويَصولُ الليثُ وهو[2] عَقير
يا بَنى العبَّاس أنتم شِفاءٌ ... وضِياءٌ للقُلوب ونُور
أنتم أهلُ الخِلافة فينا ... ولكم مِنْبرُها والسَّرير
لا يزال المُلك فيكم مَدى الدَّهْـ ... ـر مُقيماً ما أقام[3] ثَبِير
وأبو إسحاق خيرُ إمامٍ ... ما له فى العالَمين نَظِير
ما له فيما يَريش ويَبْرى ... غير توفيق الإله وَزِير
واضح الغُرَّة[4] للخير فيه ... حين يَبْدو شاهدٌ وبشير
زانه هَدْىٌ تُقًى وجلالٌ ... وعفافٌ وَوفاء[5] وخِير
لو تُبارى جُودَه الريحُ يوماً ... نَزَحت وهى طَليحٌ[6] حَسير

قال : فأمر لى بجائزةٍ فضّلني فيها على الجماعة .

هو وعلّويه فى مجلس الفضل ابن الربيع

وحَكى أحمد بن يحيى المكى قال :

دعانى الفضلُ بن الرَّبيع ودعا عَلَّويه ومُخارقاً ، وذلك فى أيّام المأمون بعد

(١) فى بعض أصول الأغانى : « برأسى » مكان « علانى » .
(٢) يفل : يثلم . وجراز : قاطع . وعقير : مجروح .
(٣) ثبير : جبل بمكة . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « والخير » مكان « للخير » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « ووقار » . (٦) طليح : هزيل تعب . وحسير : كايل . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « نزعت وهى . . . » .

رجوعه له ورضاه عنه ، إلّا أن حاله كانت ناقصةً مُتضعضعة . فلما اجتمعنا عنده كَتب إلى إسحاق الموصليّ يسأله أن يصير إليـه ويُعلمه الحالَ فى اجتماعنا عنده . فكتب إليه : لا تنتظرونى بالأكل فقد أكلتُ ، وأنا أصير إليكم بعـد ساعة . فأكلنا وجلسـنا نَشرب حتى قَرُب الظهر[١]. ثم وافَى إسحـاق وجاء غلامُه بقَطْرميز[٢] نَبيذ فَوضعه ناحيةً ، وأَمر صاحب الشَّراب بإسقائه منه . وكان عَلّويه يُغنِّى الفضلَ صوتاً . فقال له إسحاق : ياأبا الحسن ، أخطأت فى أداء هذا الصوت وأنا أُصلحه لك . فجُن عَلّويه واغتاظ وقامت قيامتُه . فأقبل إسحاق على عَلّويه وقال له : يا حبيبى ، ما أردتُ الوضعَ منك بما قلتُه لك ، وإنما أردتُ تَهذيبك وتَقويمك لأَنك مَنْسوب الخطأ والصواب إلى أبى ، فإن كرهتَ ذلك تركتُك وقلت لك : أجملتَ وأحسنت ! فقال عَلّويه : والله ما أردتَ هذا ، ولا أردتَ إلّا ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك ! أخبرنى عنك حين تجىء هذا الوقتَ لَمّا دعاك الأميرُ وعرّفك أنه قـد نَشط للاصطباح ، فما حَملك على الترفُّع عليه فى مُباكرته وخِدْمته ؟أشُغل شَغلك عنه مع صَنائعه عندك ؟ ولا يقطعك عنه قاطع إلّا أن يكون الخليفةُ ! ثم تَجيئه ومعك قَطْرَميز نَبيـذ ترفُّعاً عن شرابه كما ترفَّعت عن طَعامـه ومُجالسته ، إلا كما تشتهى وحين تَنشط ، كما يَفعل الأكفاء ، بل تَزيد على فِعل الأكفاء ! ثم تَعمد إلى صوت قد اشتهاه واقترحه وسَمعه كُلُّ مَن حضر ، فما عابه منهم أحد، فتَعيبه ليتمّ تَنغيصُك إياه لذّته ! أمَا والله لو الفضلُ بن يحيى أو أخوه جعفر، لا والله بل بعضُ أتباعهم، دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأَمير، لبادرتَ وما تأخّرت ولا اعتذرت ! فأَمسك الفضلُ عن الجواب إعجاباً بما خاطب به عَلّويه إسحاقَ : فقال له إسحاق : أمّا ما ذكرتَه من تأخُّرى عنه إلى هـذا الوقت الذى ذكرتَ

---

(١) هذه رواية الأصل . والذى فى الأغانى : « العصر » .

(٢) القطرميز : القلة الكبيرة من الزجاج .

وحضرتُ فيـه ، فهو يعلم أنِّى لا أتأخّر فيه إلّا بعائق قاطع ، فإن وَثِق بذلك منّى وإلّا ذكرتُ له الحُجة سرًّا من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيـه مَدخل . وأما ترفُّعى عنـه فكيف أترفَّع عنه وأنا أنتسب إلى صَنائعه وأَستمنحه وأعيشُ فى فَضله مذ كنت أنا وأبى ، وهذا تَضريب[1] لا أُبالى به منك . وأما حَملى النَّبيذ معى ، فإن لى فى النَّبيـذ شَرطاً من طَعمه وريحه إن لم أَجده لم أقدر على الشُّرب وتنغَّص علىّ يومئـذ ، وإنما حملتهُ معى ليتم نَشاطى فيَنتفع بى . وأمّا طَعنِى على ما اُختاره ، فإنّى لم أَطعن على اُختياره ، وإنما أردتُ تَقويمك ، ولستَ والله ترانى مُتتبِّعاً لك بعد هذا اليوم ولا مُقوِّماً شيئاً من خطئك ، وأنا أُغنى له — أعزّه الله — هذا الصوتَ فيعلم وتَعـلم ويَعلم الحاضرون أنك قد أخطأت فيـه وقصَّرت . وأما البرامكة فأمرهم أَشهر من أن أجحده ، وإنى لحقيقٌ فيـه بالمَعذرة ، وأَحرى أن أشكرهم على صَنيعهم وبأن أُذيعـه وأنشُره ، وذلك والله أقلُّ ما يَستحقّونه منّى . ثم أقبـل على الفَضل — وقد غاظه مدحُه للبرامكة — وقال : اُسمع منِّى شيئاً أُخبرك به مما فعلوه بى ، ليس بكثير فى صنائعهم عندى ولا عنـد أبى قَبلى ، فإن وجدت لى فى ذلك عُذراً وإلا فلُمْ : كنتُ فى اُبتداء أمرى نازلاً مع أبى فى داره ، فكان لا يزال يَجرى بين غِلمانى وغلمانه وجَوارىّ وجواريه الخُصومة ، كما يجرى بين هذه الطَّبقات ، فيشكونهم إليه ، فأتبيّن الضَّجر والتنكُّر فى وجهه . فاستأجرتُ داراً بقُربه اُنتقلت إليها أنا وغِلمانى وجوارى ، وكانت داراً واسـعة ، فلم أَرْضَ ما معى من الآلة لها ولا لمن يدخل إلىّ من إخوانى أن يرَوْا مثله عندى ، ففكرتُ فى ذلك وكيف أَصنع فيه،وزاد فِكرى حتى خَطر بقلبى قُبح الأُحدوثة من نزول مثلى فى دارٍ بأجرة ، ولا آمن فى وقت أن يستأذن علىّ صاحبُ دارى وعنـدى من أحتشمه ولا يعلم حالى ، فيقول لى غُلامى : صاحب دارك على الباب . أو يوجّه

(١) التضريب : الإغراء .

فى وقتٍ فيطلُب أُجرة الدار وعنــدى من أَحتشمه ، فضـاق بذلك صَدرى ضِيقاً شديداً حتى جاوز الحدّ . فأمرتُ غلامى أن يُسرج لى حماراً كان عندى لأمضىَ إلى الصحراء أَتفرّج فيها ممّا دخلنى . فأَسرجه . فركبتُ برداء ونَعل . فأَفضَى بى المسيرُ ، وأنا مفكر لا أَميز الطريق التى أسلُك فيهـا ، حتى هجم بى على باب يحيى ابن خالد ، فوثب غِلْمانُه وقالوا : أين هذا الطريق ؟ فقلت : إلى الوزير . فدَخلوا وأُستأذنوا لى ، وخَرج الحـاجبُ فأمرنى بالدخول ، و بقيتُ خَجِلاً قد وقعتُ فى أمرين قبيحَيْن : إن دخلتُ عليه فى رداء ونعل وأَعلمتُه أنّى قصدته فى تلك الحال كان سُوءَ أدب ، و إن قلتُ له : كنتُ مُجتازاً ولم أقصدك فجعلتُك طريقاً ، كان قبيحاً . ثم عزمتُ على صِدْقه فدخلتُ . فلما رآنى تبسّم وقال : ما هذا الزّى يا أبا محمد ! احتسبنا لك بالبرّ والقَصد والتفقّد ، ثم علمنا أنك جعلتَنا طريقاً . فقلت : لا والله أيها الوزير ولـكنّى أصدُقك . قال : هات . فأخبرتُه القصةَ من أولها إلى آخرها . فقال : هذا حقٌّ مستوٍ ، أفهـذا شَغل قلبك ؟ فقلت : إى والله ! وزاد فقال : لا تَشغل قلبك بهذا ، ياغلام ، ردُّوا حمارَه وهاتُوا له خِلْعة . فجاءونى بخِلعة تامّة من ثيابه فلبستُها ، ودعا بالطّعـام فأكلتُ ، ووُضع النبيذ فشربتُ وشرب ، فغنّيتُه . ودعا فى وسط ذلك بدواة فكتب أربع رِقاع ظننتُ بعضَها جائزة لى ، فإذا هو قد دعا بعضَ وُكلائه فدَفع إليــه الرّقاع وسارّه بشىء ، فزاد طمعى فى الجائزة . ومضى الرجلُ وجلسنا نَشرب وأنا أنتظر ، فلا أرى شيئاً إلى العَتَمة . ثم اُتكأ يحيى فنام ، وقمتُ من عنده منكسراً خائباً ، فخرجتُ وقُدِّم إلىَّ حِمارى . فلمـا تجاوزتُ الدار قال لى غُلامى : إلى أين تَمضى ؟ قلت : إلى البيت . قال : قد والله بيعت دارُك وأُشهد على صاحبها وأُبتيع الدَّرب كُلُّه ووُزن ثمنُه ، والمُشترى جالسٌ على بابك ينتظرُك ليُعرّفك ، وأظُنه اُبتيع ذلك كُله للسُّلطان ، لأنى رأيتُ الأَمر فى عَجلته واستحثاثه أمراً سلطانيًا . فوقعتُ من ذلك فيما لم يكن فى حِسابى ،

وأنا لا أَدرى ما أعمل . فلما نزلتُ على باب دارى إذا أنا بالوكيل الذى سارّه الوزير يحيى قد قام إلىَّ فقال : أُدخل دارَكَ حتى أدخل إليك فى أمر أَحتاج فيه إلى مُخاطبتك . فطابتْ نفسى بذلك ، فدخلتُ . فأقرأنى الكتاب وتوقيعَ يحيى : يُطلق لأبى محمد مائة ألف درهم يُبتاع له بها دارُه وجميع ما يُجاورها و يُلاصقها . والتوقيعُ الثانى إلى أبنه الفَضل : قد أمرتُ لأبى محمد بمائة ألف درهم يُبتاع له بها دارُه ، فأَطلقْ له مثلَها ليُنفقها على إصلاح الدار كما يريدو بنائها كما يَشتهى . والتوقيع الثالث إلى جعفر : قد أمرتُ لأبى محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له بها منزل يَسكنه ، وأمر له أخوك بمائة ألف درهم يُنفقها على بنائها ومَرمَّتها على مايريد ، فأطلق له أنت مائة ألف درهم يُبتاع له بها فَرش لمنزله .والتوقيع الرابع إلى محمد : قد أمرت أنا وأخواك لأبى محمد إسحاق بثلثمائة ألف درهم لمنزل يَبتاعه ، ونَفَقة يُنفقها عليه ، وفَرش يَبتذله فيه ، فأْمر له بمائة ألف درهم يَصرفها فى سائر نَفقته . وقال لى الوكيل : قد حملتُ المال فابتعتُ كُل شىء جاورك بتسعين ألف درهم ، وهذه كُتب الأبتياعات بأسمى و الإقرار لك . وهذا المال بُورك لك فيه فاقْبضه . فقَبضتُه وأصبحتُ أحسن حالاً من أبى فى منزلى وفَرشى وآلتى ، ولا والله ما هذا بأكبر شىء فَعلوه معى ، أفأُلام على شكرهم ! فبكى الفضلُ ابن الرّبيع وكُل من حضر وقالوا : لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء .

ثم قال له الفضل : بحياتى غَنِّ الصوتَ ولا تبخل على أبى الحَسن عَلّويه بأن تُقَوِّمه له . فقال : أفعل . فغنّاه ، وتبيّن علّويه أنه كما قال . فقام فقبّل رأسه وقال : أنت أُستاذنا وابن أُستاذنا وأولى بتقويمنا وأُحتمالنا من كل أحد . وردّده إسحاق مراتٍ حتى أُستوى لعَلّويْه .

ذكره الواثق بالشيب ، فبكى وقال شعراً غنى فيه

وحكى إسحاق الموصلى قال :

قال لى الواثق : لقد ضَحك الشَّيب فى عارضَيْك . فقلت : نعم ، وبكيتُ . ثم قلت أبياتاً فى الوقت وغنّيتُ فيها ، وهى :

تولَّى شـبابُك إلَّا قليـلَا وحَلَّ المَشيبُ فصـبراً جميلاَ
كفى حَزناً بفِراق الصِّـبَا وإن أصبح الشَّيبُ منه بَديلا
ولمـا رأى الغانيـاتُ المَشيـبَ أغضينَ دونك طَرْفاً كليلا
سأندُب عهـداً مضَى للصِّبا وأبكى الشَّبابَ بُكاءً طَويلا

قال : فبكى الواثق وحَزن وقال : والله لو قدرتُ على رَدِّ شـبابك لفعلتُ ولو بشَطْر مُلكى . فلم يكن لكلامه عندى جواب إلا تقبيل البِساط بين يديه .

غير الأصمعي رأيه فى شعر علم أنه له

وحكى إسحاق قال :

قلتُ فى ليلة من اللّيالى :

هل إلى نظرةٍ إليكِ سبيلُ يُرْوَ[1] منها الصَّدَى ويُشْفَى الغَليلُ
إن ما قَلّ منك يكثرُ عنـدى وكثيرٌ ممن تُحب القليـلُ

فلما أصبحت أنشدتُهما الأصمعى ، فقال : هذا الدِّيباجُ الخُسْروانىّ[2] ! هذا الوشى الإسكندرانى ! لمن هذا ؟ فقلتُ : إنه اُبن ليلته . فتبيّنتُ الحَسد فى وجهه وقال : أفسدته ! أفسدته ! أما إنّ التوليد فيه بيّن .

بينه وبين على ابن يحيى فى معنى كان يستجيده

وذكر علىّ بن يحيى أن إسحاق الموصلى كان يُعجب بمعنى هذين البيتين المَذكورين ويكرره فى شعره ويرى أنه ما سُبق اليه . فمن ذلك قوله :

أيهـا الظَّبى الغَريرُ هل لنـا منك مُجيرُ
إن ما نَوَّلْتنى منْـك وإن قَلّ كثير

قال : فقلت له : إنك سُبقتَ إلى هـذا المعنى . فقال : ما علمتُ أن أحداً سَبقنى إليه . فأنشدتُه لأعرابى من بنى عُقيل :

---

(١) جزم الفعل هنا لضرورة الشعر .

(٢) نسبة إلى خسروشاه ، من الأكاسرة ، وكان ينسب إليه نوع من الثياب .

قِفِى ودِّعينــــا يا مُليحَ بنَظرةٍ فقــد حان منّا يا مُليح رَحيــل

أليس قليــلاً نظرةٌ إن نَظرتُها إليكِ وكَلّا ليس منك قَليـــل

عُقيليّـــةٌ أَمّا مَلاثُ (١) إزارِها فَدِعْصٌ (٢) وأمّا خَصْرُها فنَحيل

أيا جنَّــة الدُّنيــا و ياغاية الْمُنَى و يا سُؤْل نَفْسى هل إليك سَبِيل

أراجعــةٌ نَفسى إلىّ فأَغتــدى مع الرَّكْب لم يُكْتَب عليكِ قَتيل (٣)

فما كُلَّ يوم لى بأرضك حاجةٌ ولا كُلَّ يوم لى إليــك رسول

قال : فحلف أنه ما سَمع بذلك قطُّ . قال على بن يحيى : صدق ، ما سَمِع بها .

نال جائزة الرشيد دون الأصمعى

وحكى الأصمعىُّ قال :

دخلتُ أنا و إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ يوماً على الرّشــيد ، فرأيتُه لَقِس النَّفْس (٤) فأنشده إسحاق :

وآمرةٍ بالبُخْل قلتُ لهـــا اُقصِرى فــذلك شىءٌ ما إليـــــه سَبيلُ

أرى الناس خُلّان الــكريم ولا أرى بَخيـــلاً له حتى المَمات خَليــــل

و إنّى رأيتُ البُخــل يُزْرِى بأَهْـله فأ كرمتُ نفسى أن يُقال بَخيل

ومن خير خَلّات الفتى قد(٥) علمتِــه إذا نال خيراً أن يُقال نَبيــــل

فَعــالى فَعــالُ الُمكثرين تجمُّــلاً ومالى كما قــد تَعلمين قَليـــــل

وكيف أخاف الفقر أو أُحرمُ الغِنى ورأىُ أمــير المُؤمنين جَميـــــل

فقال الرشــيد : لا تَخف إن شاء الله . ثم قال : لله درُّ أبيات تأتينا بهــا ! ما أشد أُصولَها ! وأَحسن فُصولَها ! وأَقلَّ فُضولها ! وأمر له بخمسين ألف درهم .

---

(١) ملاث الإزار : ما دون الخصر .

(٢) الدعص ، بالكسر : القور من الرمل . والرواية فى الأغانى : « فوعث » . والوعث : اللين .

(٣) فى الأغانى : « لم يقتل » .

(٤) لقس النفس : غثها .

(٥) الرواية فى الأغانى والأمالى (١ : ٧١) : « ومن خير حالات الفتى لوعلمته » .

فقال له إسحاق : وَصْفُك والله يا أمير المُؤمنين لشِعرى أحسنُ منه ، فعلام آخُذ الجائزة ! فضحك الرشيدُ وقال : أجعلوا لهذا القول مائة ألف درهم .

قال الأصمعى : فعلمتُ يومئذ أن إسحاق أحذق بِصيد الدَّراهم منِّى .

حضر عند الفضل دخول ابن ابنه عبد الله عليه فقال شعراً سره به

وحكى إسحاق الموصلى قال :

كنتُ عند الفَضل بن الرَّبيع يوماً ، فدخل إليه ابنُ ابنه عبدُ الله بن العباس ابن الفَضل ، وهو طِفل ، وكان يَرِقّ عليه لأنّ والده مات فى حياته . فأجلسه فى حجره وضَمَّه إليه ودمعتْ عيناه ، فأنشأتُ أقول :

مَدَّ لك الله الحيــاةَ مَدَّا حتى ترى [1] ابنك هذا جَدَّا
مُؤتزراً بمَجــده [2] مُرَدَّى ثم يفَـدَّى مثل ما تفَـدَّى
أشـبه منك سُنةً [3] وخدَّا وشِيَماً مَرْضـيَّةً ومَجـــدا
كأنه أنت إذا تبـــدَّى شَمائـلاً محمـودةً وقَـدَّا

قال : فتبسَّم الفضلُ وقال : أمتعنى الله بك أبا محمد ، فقد عُوضتُ من الحُزن سُروراً ، وتيمَّنتُ [4] بقولك ، وكذلك يكون إن شاء الله .

غضب عليه الفضل بسبب ابن دحمان فترضاه بشعر

وحكى إسحاق قال :

أتانى الزُّبير بن دَحْمان يوماً مُسلِّماً فاحتبستُه ، فقال لى : قد أمرنى الفضلُ ابن الرَّبيع بالمَصير إليه . فقلت له :

أقِمْ يا أبا العبّاس ويحكَ نَشرب ونَلهو مع اللَّاهين يوماً ونَطربِ
إذا ما رأيتَ اليومَ قد بان خيرُه فخُذه بشُكرٍ واُتْرك الفضلَ يَغضبِ

(١) فى الأغانى : « يكون » .
(٢) مؤتزر : من الإزار . ومردى : من الرداء . والرواية فى غير التجريد : « مؤزراً ... » .
(٣) السنة : الوجه .
(٤) فى الأغانى : « وتسليت » .

قال : فأقام عندى وشربْنا يَومنا . ثم صار إلى الفضل بن الرَّبيع ، فسأله عن سبب تأخيره عنه . فحدثه الحديثَ وأَنشده الشعر . فغَضب علىّ وحوّل وجهه عنّى وأَمر حاجبه عوناً ألّا يُدخلنى ، ولا يَستأذن لى عليه ، ولا يُوصل لى رقعة إليه . فقلت :

حرامٌ علىَّ الراحُ[1] ما دمتَ غضبانَا   وما لم يَعُد عنّى رضاك كما كانَا
فأَحسِنْ فإنِّى قد أسأتُ ولم تزَلْ   تُعوّدنى عند الإساءة إحسانا

قال : فأنشدتُه إياها . فرضى عنّى وعاد إلى ما كان عليه لى .

هو وجعفر ابن يحيى وغلامه نافذ وقد حجبه

وذُكر أن جعفر بن يحيى عَتب على إسحاق الموصلى فى عَدم غِشيانه له . فاعتذر بأنّ حاجبَه — وكان اسمه نافذاً — لا يأذن له عليه ، وأنه كلما جاء يَحجبه عنه . فقال له جعفر : إذا حَجبك فَنَلْ منه[2] . قال إسحاق : فأقمتُ أيّاماً ثم كتبتُ إلى جعفر :

جُعلتُ فداءكَ من كُل سُوءٍ   إلى حُسن رأيك أشكو أُناسَا
يَحولون بينى و بين السَّلام   فلست أسلِّمُ إلَّا اختلاسَا
وأَنفذتُ أَمرك فى نافذٍ   فما زاده ذاك إلّا شِماسَا

فلما وقف عليها جعفر بعث فأَحضرنى . فلما دخلتُ إليه ، أَحضر نافذاً وقرأ الأبيات عليه وقال لى : فَعلتها يا عدوّ الله ! فغضب نافذ حتى كاد يَبكى ، وجَعفر يُصفِّق ويَضحك . ثم لم يعد نافذ إلى التعرُّض لى .

شعره فى غلام قبيح للمصعبى أبى القدح منه

وذُكر إن إسحاق الموصلى كان عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ، فلما جَلس للشراب جعل الغِلمان يَسْقُون مَن حَضر . فجاء غلام قَبيح الوجه إلى إسحاق بقَدح فيه نَبيذ ، فلم يأخذه منه ، ورآه إسحاق المُصعبى فقال له : لم لا تَشرب ؟ فكتب إليه إسحاق الموصلى :

(١) فى الأغانى : « الكأس » .

(٢) مكان هذه الكلمة فى الأصول أخرى صريحة .

اِصبحْ نَديمك أَقداحاً مُسلسـلةً ... من الشَّمول[١] وأَتبعها بأَقْداحِ
مِن كفِّ رِيم ٍ مَليح الدَّلِّ رِيقتُه ... بعد الهُجوع كمِسْك أو كتُفّـاح
لاأَشربُالرَّاحإلا مِنيدَى رَشَـأٍ ... تَقْبيلُ راحتـه أشهى من الرَّاح

فضحك ثم قال : صدقتَ والله ! ثم دعا بوَصيفةٍ كأنها صُورة ، تامةُ الحُسن ، لطيفة الخَصر ، فى زِى غُلام ، عليها أَقبيةٌ[٢] ومِنطقة ، فقال لها : تَولَّى سَقْى أبى محمد . فما زالت تَسقيه حتى سكر ، ثم أمر بتوجيهها إليه وجميع مالها . فحُملت معه .

هو وطلحة بعد وقعة الشراة وجوائزه إليه

وحَكى إسحاق الموصلى قال :

بعث إلىّ طلحةُ بن طاهر بن الحُسين ، وقد اُنصرف من وقعـة الشُّراة[٣] ، وقد أصابتْه ضَربة فى وجهه ، فقالى لى الخادم : أَجب الأَمير . فقلتُ : وما يعمل ؟ قال : يشرب.فمضيتُ إليه ، فإذا هو جالسٌ قد عَصب ضربته وتقلنس بقَلَنسوة . فقلت له : سبحان الله ! ما حَملك على لُبس هذا أيها الأمير ! قال : التبرُّم بغيره . ثم قال : غَنِّى :

إنى لأَكنى بأَجبالٍ عن اُجْبُلها ... وبأُسم أوديةٍ عن اُسم واديِهـَا
عَمـداً ليحسبها الواشُون غانيـةً ... أُخرى وتَحسب أنِّى لا أُباليهـا
ولا يُغيِّر وُدِّى أنْ أُهاجرَها ... ولا فِراقُ نوًى فى الدار أَنْويها
وللقَلُوص ولى منهـا إذا بَعُـدت ... بوارحُ الشَّوق تُنْضِينى وأُنْضيها

قال : فغنّيتُه إياه . فقال : أحسنتَ والله ! أعِد . فأعدتُ عليه وهو يشرب ، حتى صلَّى العَتَمة ، وأنا أُغنيه إياه . فأقبل على خادمٍ له بالحضرة وقال له: كم عندك ؟ قال : مقدار سَبعين ألف درهم . قال : تُحمل معه . فلما خرجتُ من عنـده تَبعني

(١) الشمول : الخمر . والرواية فى بعض الأصول : « يسلسلها » مكان « مسلسلة » .
(٢) الأقبية : ثياب تلبس فوق الثياب . الواحد : قباء .
(٣) الشراة : الخوارج .

جماعةٌ من الغلمان يسألوننى ، فوزّعت المـال بينهم . فرُفع الخبر إليه فأغضبه ، ولم يُوجِّه إلىّ ثلاثاً . فجلستُ وتناولت الدواة والقرطاس فقلت :

علّمنى جُـــودُك السماحَ فما أبقيتُ شيئاً لدىّ من صِلَتِكْ
لم أُبق شيئاً إلا سمحتُ به كأنّ لى قُدرةً كمَقــدرتك
تُتلف فى اليوم بالهِبات وفى السّـ ـاعة ما تجتنيـــه فى سَنتك
فلستُ أدرى من أين تُنفق لو لا أنّ ربى يَجزى على هِبتك

فلما كانـ فى اليوم الرابع بعث إلىّ ، فصرتُ إليه فدخلتُ عليه وسلّمت . فرَفع بصره إلىّ وقال : أَسقُوه رِطْلاً . فسُقيته . فأمر لى بآخر . فشربت ثلاثةً . ثم قال : غننى :

* إنى لأَكنى بأَجبال عن أُجبُلها *

فغنيتُه إياه ،ثم أتبعتُه الأبيات التى قُلتها . وقد كنتُ غنيتُ فيها لحناً فى طريقة الصَّوت . فقال لى : اُدْن . فدنوتُ . فقال : اجلس . فجلستُ . فاُستعاد الصوتَ الذى صنعتُه . فأعدتُه . فلما فهمه وعَرف المَعنى فى الشعر قال لخادم له : أَحضر لى فلاناً . فأَحضره . فقال : كم قِبلك من مال الضِّياع ؟ قال : ثمانمائة ألف درهم . قال : أَحْضرنيها الساعةَ . فجىء بثمانين بَدْرة . فقال للخادم : جِئنى بثمانين غلاماً مملوكاً . فأُحضروا . فقال : أَحملوا المالَ . ثم قال لى : يا أبا محمد ، خُذ المال والمَماليك حتى لا تَحتاج إلى أحد تُعطيه شيئاً (١) .

شكا إليه المأمون أصحابه، ثم غناه فأجازه

وحكى إسحاق قال :

اسـتدنانى المأمونُ يوماً وهو مُستلقٍ على فراشٍ حتى صـارت رُكبتى على الفراش ، ثم قال : يا أبا إسحاق ، أشكو إليك أصحـابى : فعلتُ بفلان كذا ففَعل كذا ، حتى عدَّد جماعةً من خواصّه . فقلت له : أنت يا سـيدى بتفضُّلك علىّ وحُسن رأيك فىّ ظننتَ أنِّى ممن يُشاور فى مثل هذا ، فجاوزتَ بى حدِّى ، وهذا

(١) الرواية فى الأغانى : « حتى لا تحتاج أن تعطى لأحد منهم شيئا » .

رأيٌ يَجلّ عنّي ولا يبلغه قَدرى . فقال : ولِمَ وأنت عالم عاقل ناصح ؟ فقلت : هذه المنزلةُ عند سيدى علّمتْني ألا أقول إلّا ما أعرف ولا أَطلبَ إلّا ما أَنال . فضحك وقال : قد بلغني أنك صنعتَ فى هذه الأيام لحناً فى شعر الرّاعى ولم أَسمعه منك . فقلت : يا سيدى ، ما سمعه أحدٌ إلا جواريّ ، ولا حضرتُ عندك منذ صنعتهُ . فقال : غنِّه . فقلت : الهَيْبة والصَّحو يمنعانى أن أُؤديه كما أُريد ، فلو آنس أَميرُ المؤمنين عَبدَه بشيء يُطر به ويقوّى طبيعته كان أجود . فأَمر لى بالغَداء ، فتغدّينا. ومُدّت الستارة وتَغنى مَن وراءها ، وشَربنا أَقداحاً . فقال : ياإسحاق ، أَمَا جاء أوان الصوت ؟ فقلت : بلى يا سيدى . وغنيتهُ لحنى هذا فى شعر الراعى :

ألم تسأَل بعــارمة[1] الدّيارا عن الحيّ المُفارق أين ســارَا
بلى ســاءلتُها فأَبتْ جواباً وكيف تُسـائِل الدِّمنَ القِفارا

فاُستحسنه ،وما زال يشرب عليه سائر يومه ، وقال لى : ياإسحاق ، لا طلبَ بعد وجود البُغية ! ما أَشرب بقية يومى إلا على هــذا الصوت . ثم وَصلني وخَلع علىّ خلعةً من ثيابه .

صلة الواثق له وقد خرج معه إلى النجف

وحكى إسحاق قال :

ما وصلني أحدٌ من الخلفاء قطُّ بمثل ما وصلنى الواثق ، وقد اُنحدرتُ معه إلى النَّجف ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، قد قلتُ فى النّجف قصيدة . فقال : هاتها . فأَنشدتهُ :

لم يَنزل الناسُ فى سَهلٍ ولا جَبلٍ أَصفى هواءٍ ولا أَعْذَى[2] من النَّجفِ
حُفَّت ببَرٍّ وبَحرٍ من جوانبهـا فالبَرُّ فى طَرفٍ والبحر فى طَرف
وما يَزال نسيمٌ من يَمانيــةٍ يأتيك منهــا برَيَّا رَوضــةٍ أُنُف

(١) عارمة : موضع فى ديار بنى عامر بنجد .
(٢) أعذى : أطيب هواء .

فقال : صدقت ياإسحاق ، هى كذلك . ثم أنشدتُه حتى انتهيتُ إلى قولى فى مَدحه :

لا يَحسب الجودَ يفْنى ماله أبداً ولا يَرى بَذل ما يَحْوِى من السَّرف

ومضيتُ فيها حتى أتممتُها . فَطرب وقال : أحسنتَ والله يا أبا محمد ! وكنأنّى يومئذ ، وأمر لى بمائة ألف دِرهم . فانحدرنا إلى الصالحيَّـة ، فذكرت الصِّبيان و بغداد فقلت :

أَتبكى على بَغــدادَ وهى قريبةٌ فكيف إذا ما ٱزددتَ عنها غداً بُعْدَا
لَعَمْرُك ما فارقتُ بغـداد عن قِلًى لو أنّا وَجدنا عن فِراق لهـا بُدَّا
إذا ذَكرتْ بغــدادَ نَفسى تقطعتْ من الشَّوق أو كادتْ تَهيم بها وَجـدا
كفى حَزناً أن رُحْتُ لم أَستطع لهـا وَدَاعاً ولم أُحدِث لساكنها عهــدا

قال : فقال لى : يا موصلى ، أشتقت إلى بغداد ؟ فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولـكن من أجل الصِّبيان قد حَضرنى بيتان . فقال : هاتهما . فأَنشدتُه :

حَننتَ إلى أُصيبيةٍ صِغار فشـاقك منهمُ قُربُ المَزارِ
وأَبرحُ ما يكون الشوقُ يوماً إذا دَنتِ الدِّيار من الدِّيار

فقال لى : ياإسحاق ، صِرْ إلى بغدادَ فأَقم مع عيالك شهراً ثم سِر إلينا ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم .

صنع الواثق لحناً وصنع هو خيراً منه

قيل :

وكان الواثق عالماً بصناعة الغِناء ، فعمل لحناً فى قول بعض الأعراب :

فيا مُحْيِىَ الموتى أَعِنِّى على[1] التى بها نَهِلت نفسى سَقاماً وعَلَّتِ

(١) الرواية فى الأغانى : « أيا منشر الموتى أقدنى من التى » .

وهذا البيت من أبيات غَزِلة رَقيقة ، وهى :

ألَا قاتل اللهُ الحمامةَ غُدوةً ... على الأَيْك ماذا هَيَّجتْ حين غَنَّتِ
تَغَنَّتْ بصوت أعجمىّ فهيَّجَتْ ... من الوَجد ما كانت ضُلوعى أجنَّت
فلو قطَرَتْ عينُ امرىءٍ من صَبابةٍ ... دَماً قطرتْ عَيْنى دَماً أو ألَمَّت
فما سكتت حتى أَوَيْتُ لصَوْتها ... وقلتُ أَرى[1] هذى الحمامةَ جُنَّت
ولى زَفَراتٌ لو يَدُمْن قَتَلْننى ... بشَوقٍ إلى نأىِ التى قد تولَّت
إذا قلتُ هذى زَفرةُ اليوم قد مضتْ ... فمَن لى بأخرى فى غدٍ قد أظلَّت
فيا مُحْيِي المَوتى أعِنِّى على[2] التى ... بها نَهِلت نفسى سَقاماً وعَلَّت
فقد بَخلت حتى لو انِّى سألتُها ... قَذَى العين من سافِى التُّراب لضَنَّت
فقلتُ ارحلَا يا صاحبىّ فلَيْتنى ... أرى كُلَّ نَفْسٍ أُعطيت ما تمنَّت
حلفتُ لها باللّه ما أُمُّ واحدٍ ... إذا ذكرتْه آخرَ اللَّيل[3] أنَّت
وما وَجْدُ أعرابيّة قذفتْ بها ... صُروفُ النَّوى من حيث لم تكُ ظنَّت
تمنَّتْ[4] أحاليبَ الرِّعاء وخَيمةً ... بنَجْد فلم يُقْدَر لها ما تمنّتِ
إذا ذكرتْ ماءَ العِضاه وطِيبَه ... وبَرْدَ الحِمى من بَطن خَبْتٍ[5] أرَنَّت
بأكثر منِّى لوعةً غيرَ أنَّنى ... أُجَمْجِم أَحشائى على ما أجَنَّت

وكان الواثِق إذا صَنع فى شعر غناءً قال لإسحاق المَوْصلى : هذا وَقع البارحةَ فاْسمعه . فكان ربما أَصلح فيه الشىء بعد الشىء .

---

(١) فى أصول الأغانى : « ترى » .

(٢) فى أصول الأغانى : « أقدنى من » .

(٣) فى أصول الأغانى : « حنت » مكان « أنت » .

(٤) هذا البيت ساقط من أصول الأغانى . والأحاليب : جمع إحلاب ، وهو اللبن المحلوب .

(٥) العضاه : ضرب من الشجر له شوك . والخبت : ما اطمأن من الأرض .

فكاده مُخارق عند إسحاق وقال : إنما يَستجيد صنعتَك إذا حضر ليُقار بك ويَستخرجَ ما عندك ، فإذا فارق حضرتَك قال فى صنعتَك غير ما تَسمع : فقال الواثق : فأنا أُحب أن أقف على ذلك . قال مخارق : فأنا أُغنِّيه : « أيا مُحيي الموتى » فإنه لم يعلم أنه لك ولا سَمعه من أحد . فلما دَخل إسحاق غنّاه مُخارق وتعمّد لأن يُفسده بجَهده ، وفَعل ذلك فى مواضع خفيّة لا يَعرفها الواثق من قسْمته . فلما غنّاه ، قال الواثق لإسحاق : كيف تَرى هذا الصوت ؟ قال : فاسدٌ غير مَرضيّ . فأَمر به فسُحب من المجلس حتى أُخرج عنه ، وأَمر بنَفْيه إلى بغداد . ثم جَرى ذكرُه يوماً ، فقالت له فَريدة : يا أمير المُؤمنين ، إنما كاده مُخارق فأفسد الصوتَ من حيث أَوهمك أنّه زاد فيه بحِذْقه نَغَماً وجَوّده ، وإسحاق يأخذ نفسَه بقول الحق فى كُل شيء ساءه أو سرّه . ويَفهم من غامض عِلل الصِّناعة مالا يَفهمه غيرُه ، فَلْيُحْضره أمير المُؤمنين ولْيحلِّفه بغَليظ الأَيمان أن يَصْدُقَه عمّا يَسمع ، وأُغنّيه إياه حتى يقف على حقيقة الصَّوت ، فإن كان فاسداً فصدَق عنه لم يكن عليه عَتْب ، ووافقناه عليه حتى يستوى ، فليس يجوز أن نتركه إن كان فيه فَساد . وإن كان صحيحاً قال فيه ما عنده . فأمر بالكتاب بحَمله ، فحُمل وأُحضر ، وأظهر له الرِّضى عنه ، ولَزمه أيّاماً ، ثم أحلفه أن يَصْدُقه عمّا يمُر فى مجلسه . فحلف له . ثم غَنى الواثق أصواتاً يسأله عنها أجمع ، فيُخبره فيها بما عنده . ثم غنّته فريدةُ هذا الصوتَ ، وسأله الواثقُ عنه ، فرَضيه واُستجاده وقال : ليس على هذا سمعتُه المرةَ الأُولى ، وأَبان عن المواضع الفاسدة ، وأخبر بإفساد مُخارق إياها. فسكن غَضبُه الذى كان ، ووصل إسحاقَ وتنكَّر لمُخارق مُدة.

غنى الأمين بشعر مدحه به فأجازه

وقيل :

إن إسحاق غَنَّى محمداً الأَمين بن الرَّشيد لحناً صَنَعه فى شعر له يَمدحه به :

يأيّها القائم الأَمينُ فدتْ نفسَك نَفْسى بالمال والوَلَدِ
بَسطتَ للناس إذ وَليتَهمُ يداً من الجود فوق كُل يد

فأَمر له بألفِ درهم . فأُدخلت إلى منزله يحملها مائة فرّاش .

أنشد مروان بن أبي حفصة فشغله عن حديث أبيه

وذُكر أنه دخل مروان بنُ أبى حَفصة على إبراهيم المَوصلى ، فجعلا يتحدّثان، إلى أن أَنشد إسحاق بن إبراهيم مروانَ لنفسه :

إذا مُضَر الحمراء كانت أَرْومتى[1] وقام بنَصرى خازمٌ وابن خازِم
عطستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ يداى الثُّريّا قاعداً غـيرَ قائم

وجعل إبراهيم يُحدِّث مَروان ، وهو عنه مَشغول ساهٍ لا يفهم عنه شيئاً . فقال له : مالك لا تُجيبنى ؟ فقال : لأنك والله لا تَدرى ما أُفرغ ٱبنُك فى أُذنى .

طرب لشعر أعرابي وسكر عليه

وحكى يَعقوب بن بَشير قال :

كنتُ مع إسحاق المَوصلىّ فى نُزهة ، فمرّ بنا أَعرابىٌّ ، فوجّه إسحاقُ خَلْفه بغُلام ، فوافاه الأعرابىّ . فلمّا شَرب وسَمِع حَنين الدَّواليب قال :

بَـكرتْ تَحِنُّ وما بها وَجْدِى وأَحِنُّ منْ وَجْـدٍ إلى نَجْدِ
فدمُوعُها تَحيـا الرِّياضُ بها ودُموعُ عينى أقرحت خَدِّى
و بساكِنِى نَجـدٍ كَلِفْتُ وما يُغْنِى لهم كَلَفى ولا وَجْدِى
لَوْ قِيس وَجْدُ العاشقين إلى وَجْدى لزاد عليـه ما عِنْدى

فما ٱنصرف إلى بيته إلّا محمولاً سُكْراً ، وما شَرب إلّا على هذه الأبيات .

من شعره فى الواثق

وحكى إسحاق قال :

قدمتُ على الواثق فى بعض قَدَماتى ، فقال لى : أَمَا ٱشتقتَ إلىّ ؟ فقلتُ : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وأَنشدتُه فى ذلك :

---

(١) فى رواية :
إذا كانت الأحرار أصلى ومنصبى ودافع ضيمى خازم وابن خازم

أشكو إلى الله بُعدى عن خَليفته ... وما أُعالج من سُقْم ومِن كِبَرِ
لاأستطيع رَحيلاً إنْ هَممتُ به ... يوماً إليه ولا أَقوى على السَّفر
أَنْوِى الرَّحيل إليــه ثم يَمْنعنى ... ماأَحْدث الدهْرُ والأيامُ فى بَصرى

وقال ، وقد أشخصه إليه ، قصيدتَه الدالية التى أولها :

ضَنَّت سُعاد غداةَ البَيْن بالزَّادِ ... وأَخلفتْك فمــا تُوفِى بِميعادِ
ما أَنْسَ لا أَنْسَ فيها إذ[1] تُودِّعنى ... والُحزن منها و إن لم تُبْدِه بادِى
لمّا أمرتَ بإشخاصى إليك هَفَا ... قَلبى حَنيناً إلى أَهـلى وأَولادى

يقول فيها :

ثم اعتزمتُ ولم أُحْفــل ببَينِهمُ ... وطابتِ النَّفسُ عن فَضْل وحَمّاد
كم نِعمةٍ لأَبيك الخيرِ أَفردنى ... بها وعَمّ بأُخْرى بعـد إفراد
فلو شُـكرتُ أياديكم وأَنْعُمَكم ... لمــا أحاط بها وَصْفى وتَعْدادى
لأَشكرنّك ما ناح الحَمـامُ وما ... حَدَا على الصُّبح فى إثْر الدُّجى حادِى

قصة خروجه إلى تل عزاز

وحكى إسحاق المَوصلىّ قال :

كنتُ مع الرَّشـيد حين خَرج منها إلى الرَّقة ، فدخل يوماً إلى النِّساء ، وخرجتُ فمضيتُ إلى تل عَزاز ، فنزلتُ عند خَمَّارة هناك ، فسقتْنى شراباً لم أرَ مثله حُسناً وطيباً ورائحة، فى بيت مَرْشوش ورَيْحان غَضّ ، و برزتْ بنتٌ لها كأنها خُوط بانٍ[2] أو جَدْل[3] عِنان ، لم أَر أحسنَ منها قدّاً ، ولا أَمْيَل منها خَدّاً ، ولا أعتق وجهاً ، ولا أبرع ظَرفاً ، ولا أفتن طَرفاً ، ولا أحسن كلاماً ، ولا أتمّ تماماً . فأقمتُ عندها ثلاثاً والرَّشيدُ يَطْلُبنى ولا يقدر علىّ . ثم انصرفتُ فذهبتْ

(١) فى أصول الأغانى : « تودعنا » مكان « تودعنى » .
(٢) الخوط : الغصن الناعم .
(٣) الجدل : الحبل المفتول .

بى رسلُه ، فدخلتُ عليه وهو غَضبان ، فلما رأيتُه خطرتُ فى مِشْيتى ورقصتُ ، وكانت فىّ فَضْلةٌ من السُّكر ، وغنّيتُ :

إنّ قلبى بالتَّل تلِّ عَـزَاز   عِند ظَبْى من الظِّباء[1] الجوازِى
يا لَقَوْمى لبنت قَسٍّ أصابتْ   منك صَفْو الهوى وليست تُجازى
حلفتْ بالمَسيح أنْ تُنجز الوَعْـد وليست تهمّ[2] بالإنجاز

فسكن غضبُه ، ثم قال : فأين كُنت ؟ فأخبرتُه . فضحك ثم قال : إن مثل هذا إذا اُتفق لطَيِّبٌ . أعد غناءك ، فأعدتُه . فأُعجب به وأَمرنى أن أُعيده ليلةً من أولها إلى آخرها . فأخذه المُغنّون منِّى جميعاً ، وشربنا إلى طُلوع الفجر . ثم اُنصرفنا . فصلّيتُ الصُّبح ثم نِمْت . فما اُستقررنا حتى أتانى رسولُ الرّشيد يأمرنى بالحضور . فركبتُ ومضيتُ ، فلما دخلتُ وجدتُ اُبن جامع قد طَرح نَفسه يتمرّغ على دُكّان[3] فى الدار لغَلبة السُّكر عليه ، فقال : أتدرى لِمَ دُعينا ؟ قلتُ : لا والله . قال : لـكنى أدرى ، بسبب نَصرانيّتك ، عليك وعليها لعنةُ الله ! فضحكتُ . فلما دخلتُ على الرّشيد اُخبرتُه بالقصة . فضحك وقال : صَدق ، عُودوا فيه ، فإنى اُشتقتُ إلى ما كُنا فيه لمّا فارقتُمونى . فعُدْنا فيه يومَنا كُلَّهُ حتى اُنصرفنا .

جفاه المأمون فدس عليه علوية فغناه فرضى عنه

وحكى إسحاق الموصلى قال :

لما قدم المأمونُ ، يعنى العراقَ ، من خُراسان . أقام بعد قُدومه عشرين شهراً لم يَسمع حرفاً من الأغانى . ثم كان أَول من تغنّى بحَضرته أبوعيسى بن الرّشيد . ثم واظَب على السَّماع مُستتراً ، متشبِّها فى أول أمره بالرّشيد . وأقام على ذلك أربع حِجَجٍ . ثم ظَهر للنُّدماء والمُغنِّين ، وكان حين أَحبّ السَّماع سأل عنِّى . فجُرحتُ بحضرته ، وقال الطاعن علىّ : ما يقول أميرُ المُؤمنين فى رجل يَتيه على الخلافة !

(١) الجوازى ، بالهمز وسهل : الظباء استغنت بالرطب عن الماء ؛ الواحدة جازئة .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « تجود » .
(٣) الدكان : المصطبة .

فقال : ما أبقَ هذا شيئاً من التّيه إلا استعمله . فأمسك عن ذِكرى وجَفانى من كان يُقرِّبنى . حتى جاءنى عَلّويه فقال : أتأذن لى فى ذكرك ، فإنا قد دُعينا اليوم؟ فقلت : لا ، ولـكن غنِّه بهذا الشعر :

يا سَرْحةَ الماء [1] قد سُدَّت موارِدُه ... أمَا إليكِ طريقٌ غيرُ مسـدودِ
لحائمٍ حامَ حتّى [2] لا حِيَامَ له ... مُحلَّأٍ [3] عن طريق الماء مَطْرود

قال : فمضى عَلّويه . فلما اُستقرّ به المجلسُ غنّاه الشِّعر الذى أمره به . فما عدا المأمونُ أن سمع الغِناء حتى قال: ويلك يا عَلّويه ! لمن هذا الشِّعر؟ فقال: ياسيدى، لعبدك وابن عَبدك الذى جفوته واطَّرحته لغـير جُرم . فقال : إسحاق تَعنى ؟ فقال : نعم . فقال : يحضُر الساعةَ . فجاءنى رسولُه، فصِرتُ إليه . فلما دخلتُ عليه ، قال : اُدْنُ . فدَنوتُ منه ، فرفع يديه مادًّا لهما إلىّ ، فأكببتُ عليه ، فاحتضنى بيديه ، وأظهر من برِّى وإكرامى ما لو أظهره صديقٌ مُؤانس لصديقه لسَرَّه .

فساد ما بينه وبين الأصمعى وحـديث ذلك

وقيل :

كان إسحاق الموصلىّ يأخذ الرِّواية عن الأَصمعىّ ويذكر عنه [4] ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه إسحاق وثلبه وكشف للرّشـيد معايبَه ، وأَخبره بقلّة شُـكره وبُخله وضَعة نفسه ، وأنّ الصَّنيعة لا تزْكو عنده ، ووصف له أبا عُبيدة مَعمر بن المُثنَّى بالثِّقة والصِّدق والسَّماحة والعلم ، واُستعان بالفضل بن الرَّبيع فى ذلك . ولم يزل حتى وَضَع مَرْتبة الأَصمعىّ وأَسقطه عندهم . وأَنفذوا إلى أبى عُبيـدة مَن أقْدمه . فقال الأصمعىُّ فى إسحاق :

(١) سرحة الماء ، يكنى بها عن المرأة .
(٢) الرواية فى اللسان : « لا حراك به » مكان « لا حيام له ».
(٣) المحلأ : المطرود .
(٤) فى أصول الأغانى : « يأخذ عن الأصمعى ويكثر الرواية عنه » .

إئن تغنّيتَ للشَّرب الكرامَ[١] « ألا ... ردّا لخليطُ الجمالَ اليـوم فانطلقوا »
وقيل أنت حُسَـانُ النَّاس كُلِّهم ... وأبنُ الحسان فقد قالوا وقد صدقوا
فما بهـــذا تقوم النّادباتُ ولا ... يُثْنَى عليك إذا ما ضمَّك الخِرق

ومما قاله إسحاق فى الأصمعىّ :

أليس من العجائب أن قِرْداً ... أُصَيْمِـعَ باهليًّا يَسْتطيلُ
ويزعُم أنه قد كان يُفتى ... أبا عمرو ويسأله[٢] الخليل
إذا ما قال قال أبى عجبْنا ... لِمَـا يأتى به ولِما يَقُول
وما إن كان يَدْرى ما دَبِيرٌ ... أبوه إن سألتَ[٣] وما قَبِيل

بينه وبين غلامه فتح

وذُكر أنه كان لإسحاق غلام يقال له : فَتْح ، يَستقى الماء [لأهل داره] على بَغلين من بغاله . فقال إسحاق : فقلتُ له يوما : أىّ شىء خبرُك يا فتح ؟ قال : خَبرى أنه ليس فى هذه الدار أشقى منّى ومنك ، أنت تُطعم أهل الدار الُخبز وأنا أسقيهم المـاء . فاستظرفْتُ قولَه وضحكتُ منـه ، فقلت له : فأىَّ شىء تُحب ؟ قال : تُعْتقنى وتَهب لى البَغْلين أَستقى عليهما . فقلت له : قد فعلتُ .

سأله الفضل أن يغنيه وكان الرشيد نهاه وقصة ذلك

وحُـكى أن إسحاق قال :

نهانى الرشيدُ أن أُغني أحداً غيرَه . ثم اُستوهبنى جعفرُ بن يحيى وسأله أن يأذن لى أن أُغنيه ، ففعل . واُتفقنا يوماً عند جعفر ، وعنده أخـــوه الفضل ، والرشيدُ يومئذ بَعقب عـلَّة قد عُوفى منها وليس يَشرب . فقال لى الفضـلُ : انصرف الليلةَ إلىّ حتى أهب لك مائة ألف درهم . فقلتُ له : إن الرشـيد قد

(١) فى الأغانى : « ألا رد الخليط جمال الحى فانفرقوا » .
(٢) أبو عمرو ، هو ابن العلاء ، أعلم الناس بالقراءات العربية . مات سنة ١٥٩ هـ . والخليل ، هو ابن أحمد اللغوى النحوى العروضى . مات سنة ١٧٥ هـ .
(٣) يقال : فلان لا يعرف ما قبيله وما دبيره ، أى لا يعرف ما قدامه وما خلفه .

نَهانى أن أُغنى إلّا له أو لأَخيك، وليس يَخفى عنه خَبرى، وأنا مُتَّهم بالميل إليكم ، ولستُ أتعرّض له ولا أُعرّضك . فلما نكب الرشيدُ البرامكة قال : إيه ياإسحاق ! تركتَنى بالرقَّة وجلستَ ببغداد تُغنِّى الفضلَ بن يحيى ! فحلفتُ بحياته أنى ماجالستهُ قَطُّ إلا على الحديث والمُذاكرة ، وأنه ما سمعنى قطُّ إلا عند أخيه . وحلّفته بتُربة المهدىّ أن يسأل عن هذا مَن فى داره من نسائهم. فسأل عنه ، فحُدِّث بما ذكرتهُ ، وعرَف خَبر المائة الألف التى بذلها فرددتُها . فلما دخلتُ عليه ضَحك إلىّ ثم قال: قد سألتُ عن أمرك فعرفتُ منه مثلَ مَا عرَّفتنى ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عِوضاً عمَّا بذله لك الفَضل .

بينه و بين أعرابى أنشده شعره

وحَكى إسحاق قال :

أنشدت بعض الأعراب شعراً لى أَقول فيه :

أَجَرتْ سوابقُ دَمْعكَ المُهْرَاقِ ... لمّا جرى لك سانحٌ بفِرَاقِ
إنّ الظَّعائن يومَ[1] صائغة اللِّوى ... هاجتْ عليك صبابةَ المُشتاق
لم أَنس إذ أَلْمَحْنَنا فى رِقْبــةٍ ... منهنّ بيضَ ترائب وترَاق
وأَشَرْنَ إذ ودَّعْننـــا بأنامل ... حُمْرٍ كهُدَّاب الدِّمقْس[2] دِقاق
ورمتْك هِندٌ يوم ذاك فأَقْصَدتْ ... بأَغرَّ عَــذْبٍ باردٍ برّاق
وتَنفَّست لمّا رأتْك صَبابةً ... نَفَســا تَصعَّد فى حَشًى خَفَّاق
ولقد حَذِرتُ فما نجوتُ مسلِّما ... حتى صُرِعْتُ مَصارِع العُشَّاق
إنّ الخلافة أُثبتتْ أوتادُهــا ... لمّا تَحمَّلها أبو إســحاق
مَلِكٌ أغرُّ يَلوح فوق جَبينــه ... نورُ الخــلافة ساطعَ الإشْراق
كُسِىَ الجلالَ مع الجمال وزَانَه ... هَدْىُ التُّقَى ومكارِمُ الأَخلاق

(١) صائغة : من نواحى المدينة . وقيل: موضع حجازى قريب من ذى طوى . وفى الأغانى : « ناصفة اللوى » .

(٢) فى الأغانى : « رقاق » .

صَحَّت عُروقُك فى الجِياد وإنما ... يَجرى الجوادُ بصحّة الأَعراق
ذَخَرَ الملوكُ فكان أفضلُ ذُخرِهم ... للمُلْك ما جمعوا (١) من الأَوْراق
وذَخرتَ أبناءَ الحُروب كأنهم ... أُسْدُ العَرين على مُتون عِتاق
كم من كريمةِ مَعشرٍ قد أُنكِحتْ ... بسيُوفهم قَسْرًا بغير صَداق
وعزيزةٍ فى أهلها (٢) وقَطِينها ... قد فارقتْ بعْلاً بغير طَلاق

قال : فقال لى : أَفْلَيت والله يا أَبا محمد ! فقلت : وما أفليت ! قال : رَعيت فلاةً لم يرْعها غيرُك .

ذكره الفضل ابن الربيع بالشيب فقال شعرا

وحكى إسحاق قال :

دخلتُ على الفَضل بن الرّبيع فقال لى : ياإسحاق ، كثُر والله شَيْبك! فقلت: أنا وذاك — أصلحك الله — كما قال أخو ثقيف :

الشيبُ إن يَظْهَرْ فإنّ وراءَه ... عُمراً يكون خِلالَه مُتنفَّسُ
لم يَنْتَقِصْ منّى المَشيبُ قُلامةً ... ولَنَحنُ حين بدا أَلبُّ وأكْيس

فقال : هات يا غلام دواةً وقرطاساً ، أكتُبهما لى لأتسلَّى بهما .

حدث عن غائب فى مجلس المعتصم فأجازه

وحكى إسحاق قال :

ذكر المُعتصم يوماً بعضَ أصحابه وقد غاب عنه ، فقال : تعالوا حتى نقولَ ما يَصنع فى هذا الوقت . فقال قوم : يلعب بالنّرد . وقال قوم : يغنّى . و بلغتْنى النَّوبةُ . فقال : قل ياإسحاق . قلت : إذن أقول فأُصيب . فقال : أتعلم الغَيْب ؟ فقلت : لا ، ولكنى أفهم ما يَصنع وأَقدر على مَعرفته . قال : فإذا لم تُصب : قلت : فإن أصبتُ؟ قال: لك حُكمك. قال: و إن لم تُصب ؟ قلتُ : لك دمى . قال: وَجب.

---

(١) الأوراق : الدراهم .
(٢) قطينها : إماؤها وحشمها .

قلت : وَجب . قال : فقُل . قلت : يتنفَّس . قال :فإن كان ميّتاً ؟ قلت : تُحفظ الساعة التى تكلمتُ فيها ، فإن كان مات فيها أو قَبلها فقد قَمرتنى . قال : قد أنصفتَ . قلت : فالُحكم . قال : أحتكم ما شئتَ . قلت : ما حُكمى إلاّ رِضاك يا أمير المؤمنين . قال : فإنّ رضاى لك ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم ، أترى مَزيدا ؟ قلت : ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين . قال :فإنها مائتا ألف درهم . أترى مَزيدا ؟ قلت : ما أحوجنى يا أمير المؤمنين إلى ذلك . قال : فإنها ثلثمائة ألف درهم ، أترى مزيدا ؟ قلت: ما أولاك يا أمير المؤمنين بذلك . فقال : ياصَفيق الوجه ، من يزيد على هذا ؟

أجازه المخلوع على أبيات فى سفينة له

وحكى إسحاق قال :

عمل محمد المَخلوع ـ يعنى الأمين بن الرشيد ـ سفينة ، فأُعجب بها وركب فيها يُريد الأنبار ، فلما أُمعن وأنا مُقبل على بعض أبواب السَّفينة صاحوا : إسحاق! إسحاق! فوثبتُ فدنوتُ منه . فقال لى : كيف ترى سفينتى؟ فقلت . حَسنة يا أمير المؤمنين ، عمّرها الله ببقائك . فقام يُريد الخلاء وقال لى : قُل فيها أبياتاً . فقلت . وخَرج ، وقمتُ بالأبيات إليه ، فاشتهاها جدا وقال : أحسنت ياإسحاق ! وحياتك لأهبنّ لك عشرة آلاف دينار . فقلت : متى يا أمير المؤمنين ؟ إذ وسع الله عليك ! فضحك ودعا بها على المكان .

حديث دخول عبدالملك بن صالح على جعفر بن يحيى وهو ينادمه

وحكى إسحاقُ قال :

لم أر قطُّ مثلَ جعفر بن يحيى ، كانت له فُتوّة وظَرف وأَدب وحُسن غناء وضَرب بالطبل ، وكان يأخذ بأجزل حظّ من كُل فنٍّ من الأدب والفُتوّة . فحضرتُ دار أمير المؤمنين ، فقيل لى : إنه نائم ، فانصرفتُ ، فلقينى جعفر بن يحيى فقال لى : ما الخبر ؟ فقلت : أميرُ المؤمنين نائم . فقال لى : قِف مكانَك . ومضى إلى دار أمير المؤمنين . فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنه نائم . فرجع وقال : قد نام

أمير المؤمنين فصِرْ بنا إلى المنزل حتى نخلو جميعاً بَقِيّـة يومنا ، وأُغنيك وتُغنينى ونأخذ فى شأننا من وقتنا هذا . فقلت : نعم . فصِرْنا إلى مَنزله ، فطرحنا ثيابَنا ، ودعا بالطَّعام فطَعِمْنا ، وأمر بإخراج الجَوارى وقال : لِتَبْرُزْنَ ، فليس عندنا مَن نَحْتَشمه . فلما وُضع الشَّراب دعا بقَميص فلبسه ، ودعا بخَلوق فتخلَّق به ، ودعا لى بمثل ذلك . وجعل يُغنّينى وأُغنّيه . ثم دعا بالحاجب ، فتقدَّم إليه ، وأمره ألاّ يأذن لأحد من الناس كُلهم ، وإن جاء رسولُ أمير المؤمنين أعلمه أنه مَشغول . واحتاط فى ذلك وتقدّم فيه إلى جَميع الحُجّاب والخَـدم ، ثم قال : إن جاء عبد الملك فَأْذنوا له — يعنى رجلاً كان يأنس به ويُمازحه ويحضُر خلواته — ثم أخذْنا فى شأننا . فوالله إنّا لَعلى حال سارّة عجيبة إذ رُفع السِّتر ، فإذا عبدُ الملك بن صالح الهاشمى قد أقبل . وغَلِط الحاجبُ فلم يفُرِّق بينـه وبين الذى يأنس به جَعفر بن يحيى . وكان عبدُ الملك بن صالح من جلالة القَدْر والتقشُّف والامتناع من منادمة الخُلفاء على أمر جليل ، وكان الرّشيـد قد اُجتهد به أن يَشرب معه أو عنده أقداحاً ، فلم يَفْعل رَفْعاً لنفسه . فلما رأيناه مُقبـلاً أقبل كُلُّ واحدٍ منا ينظرُ إلى صـاحبه ، وكاد جَعفر أن يَنشقّ غيظاً . وفَهِم الرجلُ حالَنا ، فأقبل نحونا ، حتى إذا صـار إلى الرِّواق الذى نحن فيه نَزع قَلَنْسِيَته فرَمى بها مع طَيْلسانه جانباً ، ثم قال : أَطعمونا شيئاً . فدعا له جَعْفر بالطَّعـام ، وهو منتفخ غَيْظاً وغَضباً ، فَطعم ، ثم دعا برِطل فشَربه ، ثم أَقبل إلى المجلس الذى نحن فيه فأخـذ بعضَادَتَىْ الباب ، ثم قال : أشركونا فيما أنتم فيه . فقال جعفر : اُدخُل . ثم دعا بقَميص حرير وخَلوق ، فَلَبِس وتخلَّق ، ثم دعا بِرِطْل ورِطل حتى شرب عِدة أَرطال ، ثم اُندفع يُغَنِّينا . فكان والله أَحسنَنا جميعاً غِنـاء . فلما طابت نفسُ جَعفر وسُرِّى عنه ما كان به اُلتفت إليه وقال له : اُرفع حوائجك . قال : ليس هذا موضعُ حوائج . قال : لتفعلنّ ، ولم يَزل يلُحّ عليه حتى قال له : أَميرُ المُؤمنين علىّ واجد وأُحبّ أن تترضّاه . قال :

فإنّ أَمير المؤمنين قد رَضى عنك ، فهات حوائجك . قال : هذه كانت حاجتى . قال : ٱرفع حوائجك كما أقول لك . قال : فإنعلىّ دَيناً فادحاً قدرُه أربعةُ آلاف درهم . قال : هذه أربعة آلاف ألف درهم ، فإن أحببتَ أن تقبضها فٱقبضهـا من منزلى الساعة ، فإنه لم يَمنعنى من إعطائك إياها إلا أنّ قدرك يجلّ عن أن يصـل مثلى مثلَك ، لـكنّى ضامنٌ لها حتى تُحمل إليك من مال أمير المؤمنين غداً ، فسل أيضاً حوائجك . قال : ٱبنى ، تُـكلّمُ أَمير المُـؤمنين حتى ينوّه بٱسمه . قال : قد ولّاه أميرُ المُـؤمنينمصر وزوّجه ٱبنته العَالية ومَهرها ألفَىْألفدِرهم. قال إسحاق: فقلت فى نفسى : سَكر الرجل ـ يعنى جعفرا ـ فلما أصبحتُ لم تـكن لى هِمّـة إلا حُضورَ دار الرّشيد ، فإذا جعفر بن يحيى قد بكّر ، ووجدتُ فى الدار جَلَبَـة ، فإذا أبو يوسف القاضى ونظراؤه قد دُعى بهم . ثم دُعى بعبد الملك بن صالح وٱبنه فأُدخلا على الرشيد . فقال الرشيد لعبد الملك : إن أمير المؤمنين كان واجدا عليك وقد رضى عنك ، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم ، فاقبضها من جعفر بن يحيى الساعة . ثم دعا بٱبنه فقال : ٱشهدوا علىّ أنى قد زوّجتهُ العاليةَ بنت أمير المؤمنين وأمهرتُها عنه من مالى ألفى ألفِ درهم ، ووليّته مصر . فلمـا خَرج جعفر بن يحيى سألته عن الخبر ، فقال : بكرتُ إلى أمير المؤمنين فحـكيتُ له جميع ما كان بيننـا وما كُنا فيه حَرفاً حرفاً ، وحكيتُ له دُخول عبد الملك وما صنع . فعَجِب لذلك وسرّه . ثم قلت له : إنّى قد ضمنتُ له عنك يا أمير المُـؤمنين ضَمانا . قال : ماهو؟ فأعلمتهُ . فقال : أوفِ بضمانك . وأمر باحضاره ، فكان ما رأيتَ .

شعر كتب به وهو معتل إلى ابن هشام

وحكى إسحاق قال :

كتَبتُ إلى علىّ بن هشام ، وقد اعتللت أيّاماً ، فلم يأتنى رسولُه :

أنا عليـلٌ منـذ فارقتَنى وأنت عمّن غاب لا تَسألُ

ما هكذا كنتَ ولا هكذا فيما مضى كنتَ بنا تفعل

فلما وصلْت رُقعتى إليه رَكب وجاءنى عائداً .

شعر له فى خرجته الأولى إلى البصرة

وحكى حمّاد بن إسحاق قال :

لمّا خرج أبى إلى البصرةَ خَرْجتــه الأُولى وعاد ، أَنشدنى لنفسه فى ذلك :

ما كنتُ أعرف مافى البين من حَزَنِ حتى تنادَوْا بأن قد جىء بالسُّفُنِ

قامتْ تُودِّعنى والعينُ تَغْلِبها فجمجمتْ[1] بعضَ ماقالت ولم تُبِنِ

مالت علىّ تُفدِّينى وَتَرْشُفُنى كما يَميــل نَسيمُ الريح بالغُصُن

وأَعرضت ثم قالت وهى باكيــةٌ يا ليتَ معــرفتى إيّاكَ لم تَــكُن

لمّا اُفترقنــا على كُرْهٍ لفُرقتهــا أيقنْتُ أنى رَهينُ الهمِّ والحَزَن

هــو و جماعة من المغنين عند إسحاق المصعبى

وحكى إسحاق الموصلى قال :

دعانى إسحاق بن إبراهيم المُصعبىّ ، وكان عبــد الله بن طاهر عنــده يومئذ ، فوجّه إلىّ ، فحضرتُ وحَضر عَلّويه ومُخارق وغيرُهم من المُغنين ، فبيناهم على شَرابهم وهم أسرُّ ما كانوا ، إذ وافى رسولُ المأمون فقال له : أجب أميرَ المُؤمنين . فقال : السَّمع والطاعة . ودعا بثيابه فلَبِسها ، ثم اُلتفت إلى محمد بن راشد الخَنّاق فقال له : قد بلغنى أنك أحفظُ الناس لِمـا يدور فى المجالس ، فاحفظ كُلّ صوت يَمُر ، وما يشرب به كُل أحد ، حتى إذا عُدتُ أَعدتَ علىّ الأصــوات ، وشربتُ ما فاتنى. فقال : نعم . أَصلح الله الأمير . ومَضى إلى المأمون ، فأَمره بالشخوص إلى بابك[2] من غدٍ ، وتقدّم إليه بما يحتاج إليه ، ورجع من عنده . فلما دَخل ووضع ثيابه قال : يا محمد ، ما صنعتَ فيما تقدمتُ به إليك ؟ قال : قد أحكمتُه ، أصلح الله الأمير . ثم أخبره بما شرب به القومُ وما استحسنوه من الغناء بعده . فأمر أن يُجمع له أكثر

(١) جمجمت : لم تفصح .

(٢) هو بابك الخرمى . وكان قد خرج على الدولة العباسية . وتبعه خلق كثير بأذربيجان . فلما كانت أيام المعتصم ، أخذ هو وأخوه إسحاق وصلبا .

ما شَرِبه واحد منهم فى قدح ، وأن يُعاد عليه كُل صوت مما حَفظ ، حتى أُستوفى النبيذَ والأصوات . ثم قال لى : يا أبا محمد ، إنى قد عملتُ فى مُنصرفى من عند أمير المؤمنين أبياتاً ، فاسمعها . فقلت : هاتِها أعزَّك الله . فأنشدنى :

ألا مَن لقَلْبٍ مُسْلَمٍ للنَّوائبِ أَحاطتْ به الأَحزانُ من كُل جانبِ
تَبيَّن يوم البَيْن أن اعتزامَه على الصَّبر من إحدى الظُّنون الكواذب
حرامٌ على رامِى فُؤادى بسَهمه دَمٌ صبَّه بين الحَشَى والتَّرائب
أراق دماً لولا الهوى ما أراقه فهل بدَمى من ثائرٍ أو مُطالب

قال : فقلتُ له : ما سمعتُ أحسنَ من هذا الشعر قطُّ . فقال لى : فاُصنع فيه لحناً ، وأَحضرنى وصيفةً له ، فألقيتهُ عليها حتى أخذتْه . وقال : إنما أردتُ أن أتسلَّى به فى طريقى وتُذكِّرنى الجاريةُ أمرك إذا غنَّته . فكان كلما ذكر أتانى برُّه ، إلى أن قدم ، عدة دَفَعات .

خروجه مع الرشيد إلى الرقة وقصته بدير القائم وتل عزاز

وحَكى إسحاق قال :

خرجنا مع أمير المؤمنين هارون الرّشيد يريد الرَّقة ، فلما صِرْنا بالموضع الذى يقال له : دير القائم [1] نزلنا وخَرج يتصيّد وخرجنا معه ، فأبعد فى الصيد وطَلَبه ، ولاح لى دَيْر فقصدتُه وقد تعبتُ . فأشرفتُ على صاحبه ، فقال : هل لك فى النُّزول بنا اليومَ ؟ فقلت : إى والله ، وإنى إلى ذلك لُمحتاج . فنزل ففَتح لى البابَ وجلس يُحَدِّثنى ، وكان شيخاً كبيراً قد أدرك دولة بنى أمية ، فجعل يُخبرنى عمَّن نَزل به من القوم ومَواليهم وحَشَمهم [2] ، وعَرض علىّ الطَّعام . فأجبتُه . فقدَّم إلىّ طَعاماً من طعام الدِّيارات نَظيفاً طيِّباً ، فأكلتُ منه . وأتانى بشراب ورَيْحان طَرِىٍّ ، فشربتُ

(١) فى الأغانى : « القائم » مكان « دير القائم » . ودير القائم : على شاطىء الفرات من جانبه الغربى .

(٢) فى الأغانى : « وجيوشهم » .

منه . ووكّل بى وبخِدْمتى جاريةً راهبةً لم أر أحسن منهـا وجهاً ولا أشكل . فشربتُ حتى سكرتُ . ونمْتُ فانتبهتُ عشاءً ، فقلت فى ذلك :

بدَيْر القـائم الأَقْصى غزالٌ شـاردٌ أحوَى

بَرى حُبِّى له جِسْمى ولا يَعـلم ما أَلْقى

وأُخـفى حُبَّـه جُهْدى ولا واللّه ما يَخْـفى

وركبتُ ولحقتُ بالعسكر، والرشيدُ قد جلس للشرب وطلبنى فلم أُوجد. فأُخبرت بذلك . فغنّيت فى الأبيات ودخلتُ إليه . فقال لى: أين كنتَ ؟ ويحك ! فأخبرتُه الخبر وغنّيته الصوتَ . فطَرب وشَرب عليه حتى سكر وأخّر الرحيلَ فى غد ، ومَضينا إلى الدّير فنزَله ، ورأى الشيخَ فاستنطقه ، ورأى الجارية التى كانت بالأمس تخدُمنى . فدعا بالطعام فأَصاب منه، ودعا بالشراب ، وأَمر الجاريةَ أن تتولّى خِدمَته وسَقيه ، ففعلتْ وشربَ . حتى طابتْ نفسه . ثم أمر للدّيرانى بألف دينار ، وأمر باُحتمال خراج مزارع كانت له سَبْع سنين ، ورحلنا .

دخل على الرشيد مغنياً فأجازه

وحكى إسحاقُ قال :

دخلتُ على الرّشيد يوماً فى عِمامة قد كوّرتُها على رأسى ، فقال : ما هـذه العمامة ؟ كأنك من أهل الأنبار . فلما كان من غدٍ دعا بنا إليـه ، فأمهلتُ حتى دخل المُغنّون جميعاً . ثم دخلتُ عليه فى آخرهم، وقد شددتُ وسطى بشَدّة حرير، ولبستُ لباساً مُشتَهِراً ، وأخذتُ بيـدى صَفّاقتَيْن ، وأقبلتُ أَخطِر وأَضرب بالصفّاقتين وأُغنى :

أُسمعْ لصـوتٍ مليحٍ من صَنْعة الأَنبـارِى

صوتٍ خَفيفٍ ظريفٍ يطـيرُ فى الأَوتار

فبسط يديه إلىّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول : أحسنتَ وحياتى ! أحسنت !

أحسنت ! حتى جلستُ . ثم شَرب عليه بقيّـة يومه ، ما أُستعاد غَيره ، وأمر لى بعشرين ألف دِرهم .

اغتم لصوت أخذه عنه أحد العامة

وحكى إسحاقُ قال :

ما اغتممتُ بشىء قطُّ كما أُغتممتُ بصوت مليح صنعتهُ فى هذا الشعر :

كان لى قلبٌ أعيش به ... فأُكتوى بالنَّار فأُحترقَا

أنا لم أُرزَقْ مَحبّتهـــا ... إنما للعبـــد ما رُزِقا

مَن يكن ما ذاق طَعْم رَدًى ... ذاقه لا شكَّ إن عَشِقا

فإنى صنعتُ فيه لحناً وجعلت أُردِّده فى جَناح لى سَحَراً ، فأظُن أن إنســاناً مَرّ بى فَسمعه فأخذه منّى . و بكّرتُ من الغد إلى المُعتصم لأُغنيه به ، فإذا بسَوَّاط يَسُوط الناطف(1) و يُغنى اللحن بعينه ، إلا أنه غِناء فاسد . فعجبتُ وقلت : تُرى من أين لهذا السَوَّاط هذا الصوت ! ولعلِّى إذ غنيته أن يـكون قد مرَّ بى هذا فسمعنى أغنيه ! و بقيت متحيراً . ثم قلت : يا فتى ، ممن سمعت هذا الصوت ؟ فلم يُجبنى ، واُلتفت إلى شريكه ، فقال : هذا يسألنى ممن سمعتهُ ! هذا غنائى ! والله لو سمعه إسحاق لَخَرِىءَ فى سراو يله . فبادرتُ والله هار باً خوفاً من أن يَمُر بى إنسان فيسمع ما جَرى علىَّ فأفتضح ، وما عَلم الله أنى نطقت بذلك الصوت بعدها .

دخوله بيتاً متطفلا

وحكى إسحاق الموصلى قال :

غدوتُ يوماً وأناضَجِرٌ من مُلازمة دارِ الخليفة والخِدْمة فيها . فخرجتُ وركبتُ بُكْرةً وعزمتُ على أن أَطوف الصحراء وأتفرَّج ، وقلتُ لغلمانى : إن جاء رسولُ للخليفة أو لغيره فعرِّفوه أنى بكّرت فى بعض مُهِمّاتى ، وأنـكم لا تعـرفون أين

---

(1) السواط ، من ساط الشىء ، إذا خلطه . والناطف : ضرب من الحلوى ، لأنه ينطف قبل استضرابه .

توجّهت . ومَضَيت فطُفْت ما بدالى ، ثم عُدت وقد حَمِي النهار ، فوقفتُ فى شارع المُخرَّم (١) فى فِناء شديد الظّل وجَناح رَحْب على الطريق لأستريح ، فلم ألبث أن جاء خادمٌ يقود حماراً عليه جاريةٌ راكبة، تحتها مِنْديل دَبِيقىّ (٢)، وعليها من اللّباس الفاخر ما لا غاية بعده ، ورأيتُ لها قَوَاماً حَسَناً وطَرْفاً فاتراً وشمائل حسنة . فخَرَصْتُ (٣) عليها أنها مُغنية . فدخلتِ الدار التى كنتُ واقفاً عليها . ثم لم ألبث أن أقبل رجلان شابّان جميلان ، فاستأذنا فأُذن لهما . فنزلا ، ونزلتُ معهما ودخلتُ . فظنّا أنّ صاحب البيتَ دعانى، وظنّ صاحبُ البيتَ أنّى معهما. فجلسنا. وأُتى بالطّعام فأَكلنا ، و بالشَّراب فوُضع . وخرجت الجاريةُ وفى يدها عودٌ ، فغنَّت وشَرِبْنا ، وقمتُ قومةً . فسأل صاحب الدار الرجلَين عنّى . فأخبراه أنهما لا يعرفانى . فقال : هذا طُفيلى ولكنه ظَريف ، فأَجملوا عِشْرته . وجئتُ فجلستُ ، فغنَّت الجاريةُ فى لحن لى :

ذكرتُكِ أَن مرَّت بنا أُم شادنٍ أمامَ المطايا تشرئبّ وتَسْنَحُ

فأدَّته أداء صالحاً ، وشربتُ . ثم غَنَّت أصواتاً شتى ، وغنَّت فى أضعافها من صَنعتى :

الطُّلولُ الدَّوارسُ فارقتها الأَوانسُ
أقفرتْ بعد أهلها فهى قفرٌ بسَابِسُ

فكان أمرها فيه أصلحَ من الأول . ثم غنّت أصواتاً من القديم والحديث ، فى أَضعافها من صنعتى:

قُل لمن صَدَّ عاتبَا ونأى عنك جانبَا
قد بلَغْت الذى أَردْ تَ و إن كنتَ لاعبَا

---

(١) المخرم : بالجانب الغربى من بغداد .

(٢) نسبة إلى دبيق ، بليدة بمصر كانت بين الفرما ومنفيس .

(٣) خرصت : ظننت وخمنت .

فكان أصلحَ ما غنَّته . فاستعدتُه منها لأُصلحه لها . فأقبل علىّ رجلٌ من الرجلَين فقال: ما رأيتُ طفيليًّا أَصفق وجهاً منك، لم ترض بالتَّطفل حتى اُقترحت، وهذا غايةُ المثل : طُفيلى مُقترح ! فأطرقتُ ولم أُجبه ، وجعل صاحبُه يكُفّه عنّى . ثم قاموا للصلاة وتأخّرتُ قليلاً ، وأخذتُ العُود وشددتُ طَبقته وأصلحتُه إصلاحاً مُحكَماً ، ثم عدتُ إلى موضعى فصلَّيت ، وعادوا . فأخذ ذلك الرجلُ فى عَربدته علىّ وأنا صامتٌ . ثم أخذتِ الجاريةُ العودَ فجسَّتْه وأنكرتْ حاله ، وقالت : من مَسَّ عُودى ؟ قالوا : ما مَسّه أحَدٌ . قالت : بلى ! والله قد مسّه حاذقٌ متقدّم وشدَّ طبقته وأَصلحه إصلاحَ متمكِّنٍ من صناعته . فقلتُ لها : أنا أَصلحته . فقالت : بارك الله عليك ! فخُذْه واُضرب به . فأخذتُه وضربتُ به مبدأً ظريفاً عجيباً صَعْبا ، فيه نقراتٌ مُحكمة .[(١)] فما بقى منهم أحدٌ إلاّ وَثَب وجَلس بين يدىّ وقال : بالله يا سيّدنا أتُغنِّى ؟ قلتُ : نَعم ، وأُعرِّفكم نفسى : أنا إسحاقُ ابن إبراهيم المَوصلىّ ، ووالله إنى لأَتيهُ على الخليفة إذا طَلَبنى وأنتم تُسمعوننى ما أكره منذ اليوم لأنى تَملّحْتُ معكم ، ووالله لا نطقتُ بحرفٍ ولا جلستُ معكم حتى تُخرجوا هذا المُعربد المَقيتَ الغَثَّ . فقال له صاحبُه : مِن هذا حَذرتُ عليك. فأخذ يعتذر . فقلتُ : والله لا نطقتُ بحرف ولا جلست معكم حتى يُخْرَج . قال : فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا . فغنَّيت الأصواتَ التى غنَّتها الجاريةُ من صنعتى . فقال لى الرجُل : هل لك فى خَصلة ؟ فقلت : وما هى ؟ قال : تُقيم عندى شهراً والجاريةُ والخادمُ والحمارُ لك ، مع ما عليها من حُلىّ ؟ قلت: أفعل . فأقمتُ عنده ثلاثين يوماً لا يعرف أحد أين أنا ، والمأمونُ يَطلبنى فى كل موضع فلا يَعرف لى خبراً . فلما كان بعد ثلاثين يوماً سلَّم إلىّ الجاريةَ والحمارَ والخادمَ . فجئتُ بذلك إلى منزلى وركبتُ إلى المأمون من وقتى . فلما رآنى قال : إسحاق ؟ ويحك !

(١) فى الأغانى : « محركة » .

أين تكون ؟ فأخبرتُه . فقال : علىّ بالرّجل الساعةَ . فدللتُهم عليه ، فأَحضروه .
وسأله المأمون عن القصة ، فأخبره . فقال له : أنت رجلٌ ذو مروءة وسبيلُك أن
تُعان على مرُوءتك . فأمر له بمائة ألف درهم . وأمر لى بخمسين ألف درهم . وقال :
أَحضرنى الجارية فأَحضرتُها . فغنّته . فقال لى : قد جعلتُ عليها نوبةً فى كُل
يوم ثُلاثاء تُغنينى من وراء الستارة مع الجوارى . وأمرتُ لها بخمسين ألف درهم .
فربحتُ والله بتلك الرّكْبة وأَرْبحتُ .

هو والواثق فى دير مارت مريم

وحكى إسحاق الموصلى قال :

لما خرجتُ مع الواثق إلى النَّجف دُرْنا بالحِيرة ومَررنا بدياراتها . فرأيتُ دير
مارت مَريم بالحِيرة ، فأعجبنى موقعُه وحُسن بنائه ، فقلتُ :

نِعْمَ المحلُّ لمن يسعى للذّته ... دَيْرٌ لمريم فوق الظَّهر مَعْمُورُ
ظِلٌّ ظَليلٌ وماء غيرُ ذى أَسَنٍ ... وقاصراتٌ كأَمثال الدُّمَى حُور

فقال الواثق : لا نَصطبح والله إلّا فيه غداً ، وأمر بأن يُعَدَّ ما يَصلُح من
الليل فيه . وباكرناه واُصطبحنا فيه على هذا الصوت . فأمر بمالٍ يُفرّق على أهل
ذلك الدّير ، وأمر لى بجائزة .

غنى عبد الله ابن طاهر فوصله

وحكى إسحاق قال :

خرج إلىّ عبدُ الله بن طاهر ببيتى شعر فى رُقعة وقال : هذان البيتان وجدتُهما
على بساط طَبَرىّ أَصْبَهْبُذِىّ[1] أُهدى إلىّ من طَبَرِستان ، فأُحب أن تُغنِّى لى
فيهما . فقرأتهما فإذا فيهما :

لجَّ بالعَيْن واكفُ ... مِن هَوًى لا يُساعِفُ
كُلّما كفَّ[2] غَرْبُها ... هيَّجَتْه المعازِفُ

(١) نسبة إلى أصبهبذان : بلد بالديلم .
(٢) الغرب : الدمع .

قال : فغنَّيت فيهما وغدوت بهما إليه . فأُعجب بالصوت ووصَلنى صلةً سنيّة. وكان يَشتهيه ويَقترحه . وطرحتُه على جواريه ، وشاع خبر إعجابه . فبينا المُعتصم جالسٌ يُعرض عليه فرشُ الرَّبيع إذ مرّ به بساطُ ديباج فى نهاية الُحسن عليه هذان البيتان ، ومعهما :

إنمـا الموتُ أن تُفا رقَ من أنت آلِفُ

لك حُبّان فى الفؤا د تليـدُ وطارِف

فأَمر بالبساط يُحمل إلى عبد الله بن طاهر . وقال للرسول : قُل له : إنى عرفتُ شَغفك بالغناء فى هـذا الشعر ، فلما وقع هذا البساطُ أحببتُ أن يتمَّ سرورُك به . فشكر عبدُ الله بن طاهر ما تأدَّى إليه من هذه الرسالة وأَعظم مقدارَه، وقال لى : يا أبا محمد ، لسُرورى بتمام الشِّعر أحبُّ إلى من سُرورى بكل شىء ! أَلحقهما بالغناء فى البيتين الأولين . فألحقتُهما .

هو بعد أن كف فى حضرة المتوكل

وحُكى أن إسحاق كُفّ بصرُه فى آخر عمره . ولما أفضت الخلافةُ إلى المتوكّل ابن المُعتصم سـأل عنه ، فعرف أنه كُف بصره وأنه فى مَنزله ببغداد ، فكتب فى إحضاره . فلما دخل إليه رَفعه حتى أجلسه قُدّام سريره وأعطاه مِخدَّة وقال له : بَلغنى أن المعتصمَ دفع إليك مخدةً فى أول يوم جلست بين يديه وهو خليفة وقال: إنه لا يُستجلب ما عند حُرٍّ بمثل الكرامة . ثم سأله : هل أكل؟ قال :نعم . فأمر أن يُسْقَى . فلما شَرب أقداحاً قال : هاتُوا لأبى محمد عُوداً . فجىء به . فاندفع يُغنِّى بشعره ولَحنه :

ما عِلَّة الشّيخ عيناه [1] بأَربعةٍ تَغْرَورقان بدَمْعٍ ثم تَنْسكبُ

فما بَقى غلامٌ من الغِلمان الوقُوف على الحَيْر [2] إلا وجدتُه يرقُص طرباً وهو لا يعلم

(١) أى عيناه تدمعان بأربعة آماق ، وذلك أشد البكاء .

(٢) الحير : قصر للمتوكل بسر من رأى . وفى التجريد : « الحيل » .

بما يفعل . فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال المتوكل لابن حَمدون : تُحسن أن تُغنى هذا الصوت ؟ فقال : نعم . فقال : غنه . فترنَّم به . فقال إسحاق : من هذا الذى يَحكينى ؟ فقال حمدون : أنت عرّضّتنى له يا أمير المؤمنين . ثم انحدر المتوكل إلى رَقّة بُوصَرا ،[١] وكان يَستطيبها لكثرة تغريد الطَّير فيها . فغنّاه إسحاق :

أأن هَتفتْ وَرقاء فى رَوْنق الضُّحَى ... على غُصُنٍ غَضِّ النَّبات[٢] من الرَّنْدِ

بكيتَ كما يبكى الوليدُ ولم تكُن ... جليداً وأبديت الذى لم يَكن[٣] يُبْدى

فضحك المتوكل ثم قال له : ياإسحاق . هذه أُخت فَعْلتك بالواثق لمّا غنيتَه[٤] بالصالحيه :

طَربتُ إلى الأُصيْبِية الصِّغار ... وذكَّرنى الهوى قُرْب المَزارِ

. فكم أعطاك لمّا أذِن لك فى الانصراف ؟ قال : مائة ألف درهم. فأمر له بمائة ألف درهم ، وأذن له بالانصراف إلى بغداد . فكان آخر عهده به .

مرضه ولونه

وذُكر أن إسحاق كان يسأل الله ألّا يَبتليه بالقُولنج ، لما رأى من صُعوبته على أبيه إبراهيم . فأُرى فى منامه كأن قائلاً يقول له : قد أُجيبت دعوتُك ولست تموت بالقُولنج ولكنّك تموت بضدِّه . فأَصابه ذَرَب فى شهر رمَضان سنة خَمس وثلاثين ومائتين. فكان يتصدّق فى كل يوم يمكنه صَوْمه بمائة درهم ، ثم ضَعُف من الصوم فلم يُطقه . ومات فى شهر رمضان من هذه السنة .

حزن المتوكل عليه وعلى أحمد بن عيسى

ولما نُعى إسحاق إلى المتوكل غَمّه وحَزِن عليه وقال : ذَهب صدرٌ عظيم من

(١) بوصرا : من قرى بغداد .
(٢) فى الأغانى : « الشباب » .
(٣) الرواية فى الأغانى :
بكيت كما يبكى الحزين صبابة ... وشوقاً وتابعت الحنين إلى نجد
(٤) الصالحية : قرية قرب الرها اختطها عبد الملك بن صالح .

جَمال المُلك وبَهائه وزِينته . ثم نُعى إليه بعده أحمدُ بن عيسى بن زَيد بن علىّ ابن الُحسين ، فقال؟ تكافأت الحالان ، وقام الفتح بوفاة أحمد — وما كنت آمن وثبته علىّ — مقامَ الفجيعة بإسحاق ، والحمد لله على ذلك .

لبعضهم عن وفاته

وحكى بعضُهم قال :

رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول :

مات الُحسان ابن الُحسا ن ومات إحسانُ الزّمانِ

فأصبحتُ من غدٍ فركبتُ فى بعض حوائجى، فتلقّانى خبر وفاة إسحاق الموصلى .

شعر أحمد بن إبراهيم فى رثائه

ورثاه أحمدُ بن إبراهيم بقوله :

لله أىّ فَتًى إلى دار البِلَى حَمل الرجالُ ضُحًى على الأَعوادِ
كم من كريمٍ ما تَجِفُّ دمُوعُه من حاضرٍ يَبْكى عليه وبادِى
أمسى يُؤَبِّنُه ويعرف[1] قدرَه من كان يَثلبه من الُحسّاد
فسقتْك يا بن المَوْصلىّ روائحٌ تُرْوِى صَداكَ بصَوْبها وغَوادِى

(١) فى بعض الأصول : « فضله » مكان « قدره » .

أخبار الصِّمَّة القشيري

نسبه

هو الصِّمَّة بن عَبد الله بن الطُّفيل بن قُرة بن هُبيرة بن عامر بن مَسلَمة الخَير بن قُشير بن كَعب بن رَبيعة بن عامر بن صَعصعة بن مُعاوية بن بَكر ابن هَوازِن بن مَنصور بن عِكْرمة بن خَصَفَة بن قَيس بن عَيْلان بن مُضر ابن نِزَار .

طبقته

شاعر إسلاميّ من شُعراء الدَّولة الأُموية .

شيء عن جده

وجدُّه قُرَّة بن هُبيرة ، له صُحبة بالنبيّ صلّى الله عليه وسلم ، وهو أحد الوافدين عليه صلّى الله عليه وسلّم .

حديث حبه وزواجه

قيل : كان الصِّمة القُشيري يَهْوى امرأةً من قومه ، ثم بني عمّه ، يقال لها : العامرية بنت غُطَيف بن حَبيب بن قُرّة ، فخطبها إلى أبيها ، فأَبى أن يزوِّجه إياها. وخَطبها عامرُ بن بِشر بن أبي بَرَاء عامر بن مالك مُلاعب الأَسنَّة بن جعفر بن كِلاب ، فزوَّجه إياها . وكان عامرٌ قصيراً قَبيحاً ، فلما بَنى بها عامرٌ وَجد عليها الصِّمة وجداً شديداً ، فزوَّجه أهلُه امرأةً منهم، فأقام معها ، ثم رحل إلى الشام ، وقال :

لَعمْرِي لئن كنتم على النأى والقِلَى ... بكم مثلُ ما بي إنكم لصَديقُ

إذا زَفراتُ الحبِّ صَعَّدْن في الحَشَى ... رُدِدْنَ فلم يُنْهَج لهنّ طَرِيق

وقال أيضاً :

إذا ما أتتْنا الرِّيحُ من نحو أرضكم ... أتتْنا بريَّاكم فطاب هُبوبُها

أَتتْنا بريح المِسْك خالطَ عَنْبَراً ... وريحِ الخُزامى باكرتْها جَنُوبها

وقال أيضاً :

ألاَ تسألان اللهَ أن يَسْقِىَ الحِمَى بَلَى فسقَى اللهُ الحِمَى [١] والمَطَالِيَا

وأسألُ من لاقيتُ هل مُطِر الحِمَى فهل يسألنْ أهلُ الحمى [٢] كيفَ حاليا

موته بطبرستان

وذُكر أن الصِّمَّة خرج فى عسكر للمُسلمين لغزْوِ الدَّيلم ، فمات بطَبَرِسْتان . فحكى رجلٌ من أهل طَبَرستان قال : بينا أنا أمشى فى ضيعة لى فيها ألوانٌ من الفاكهة والزَّعفران وغير ذلك من الأشجار ، وإذا أنا بإنسان فى البُستان مَطروح ، عليه أثوابٌ خُلْقان ، فدنوتُ منه فإذا هو لا يتحرَّك ولا يتكلَّم ، فأصغيتُ إليه ، وإذا هو يقول بصوت خَفِىّ :

تَعَزَّ بصبرٍ لا وجَدِّك لا ترَى بَشَامَ [٣] الحِمَى أُخْرى الليالى الغَوابِرِ

كأنَّ فؤادى من تذكُّره الحِمَى وأهلَ الحِمَى يَهْفُو به ريشُ طائرِ

فما زال يردِّد هذين البيتين حتى فاضتْ نفسُه . فسألتُ عنه ، فقيل لى : هذا الصِّمّة بن عبد الله القُشيرىّ .

أبيات له كان يستحسنها ابن الأعرابى

قيل :

وكان ابنُ الأعرابىّ يَستحسن قولَ الصمة :

أمَا وجَلالِ الله لو تذكُرِيننى كذِكْرِيكِ ما كفكفتِ للعين مَدْمَعَا

بلى وجلالِ الله [٤] ذكراً لو أنه يُصَبّ على صُمِّ الصَّفَا لتصدَّعا

(١) المطالى : الروضات ؛ الواحدة : مطلى ، بالقصر . وقيل : هى المواضع التى تغذو فيها الوحش أطلاءها .

(٢) رواية الأغانى : « فهل يسألن عنى الحمى » .

(٣) البشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به .

(٤) فى الأغانى : « فقالت بلى والله » .

وهذا الشِّعر من قَصيدة يقول فيها :

حَنَنْتَ إلى ريَّا ونفسُك باعدتْ مزَارَكَ من ريَّا وشَعْبا كُما مَعَا

ومن هذه القصيدة أبياتٌ ذُكرت فى أخبار المجنون ، عَزاها أبو الفرج إليه.

شعره الذى فيه الغنـاء

والشِّعر الذى فيه الغِناء له ، وافتتح به أبو الفَرج أخبارَه ، هو :

ألا قاتل الله اللِّوى من مَحـلَّةٍ وقاتل دُنْيانا بها كيف[1] ذَلَّتِ

غَنِينا زَمانًا باللِّوى ثم أَصبحتْ عِرَاصُ اللِّوى مِن أهلها قد تَخلّت

---

(١) فى التجريد : « ولت » مكان « ذلت » .

أخبار داود بن سلم

ولاؤه ونسبه

هو مولى آل تَيْم بن مُرَّة . فقيل : إنّه مولى آل أبى بكر رضى الله عنه . وقيل: إنّ أباه رجلٌ من النَّبط، وقيل : مولى آل طَلحة . وأُمه بنت حَوْط، مولى عُمر بن عُبيد الله بن مَعْمر التّيمى . فأنتسب إلى ولاء أُمه .

طبقته

وهو شاعر مُخضرم الدَّولتين : العبّاسية والأُموية .

سبب كنيته بالأدلم

وكان يقال له : الأَدلم ، لشدّة سواده .

شىء عن بخله

وذُكر أنه كان من أبخل الناس ، فَطرقه قومٌ وهو بالعَقيق فصاحوا به : العَشاءَ والقِرى يا بن سلم ! فقال لهم . لا عَشاء لكم عندى ولا قِرى . قالوا : فأَين قولُك فى قصيدتك :

يا دارَ هِندٍ ألاَ حُيِّيتِ من دارِ لم أَقْضِ منك لُباناتِى وأَوْطارِى

إذ تقول فيها :

عودتُ نَفسى إذا ما الضَّيفُ نَبَّهنى عَقْرَ العِشَارَ[1] على يُسْرِى و إعْسارى

فقال : لستُم من أولئك الذين عنيتُ .

شعره يمدح قثم بن العباس

وقيل :

كان داود بن سَلْم مُنقطعاً إلى قُثم بن العبّاس الهاشمىّ ، وفيه يقول :

يا ناقُ إن أَدنيتنِى من قُثَمْ أُعْتِقتِ من حِلٍّ ومن[2] رِحلةٍ

(١) العشار : من النوق ما مضى لحملها عشرة أشهر ؛ الواحدة عشراء . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « عودت فيها » مكان « عودت نفسى » .

(٢) فى الأغانى :

* عتقت من حلى ومن رحلتى *

إنّك إن أدْنيتَ منه غداً حالفني اليُسر ومات العَدَم
في وجهه بدرٌ وفي كفِّه بحرٌ وفي العِرْنِين منه شَمَم
أصمُّ عن قيل الخَنا سمعُه وما عن الخير به من صَمَم
لم يدر ما «لا» و «بلى» قد درَى فعافَها واعتاض منها «نعم»

شعره في جارية هويها قثم وفاته شراؤها

وحكى داود قال:

كنتُ يوماً جالساً مع قُثَم بن العبّاس قبل أن يُملّكوا بغنائه، فمرتْ بنا جاريةٌ فأُعجب بها قُثم وتمنّاها، فلم يُمكنه ثمنُها. فلما ولِي قُثم اليمامةَ اشترى الجاريةَ إنسانٌ يقال له: صالح. فكتبتُ إلى قُثم:

يا صاحبَ العِيسِ ثم راكبَها بلِّغ إذا ما لقيتَه قُثَما
أنّ الغزال الذي أجاز بنا مُعارِضاً إذ توسَّط الحَرَما
حوّله صالحٌ فصار مع الْ إنْس وخَلَّى الوحُوش والسَّلَما

فأرسل قُثم في طلب الجارية ليشتريها، فوجدها قد ماتت.

مدح حرب بن خالد فأجازه

وقيل: أتى داوُد بن سَلْم إلى حَرب بن خالد بن يزيد بن مُعاوية بن أبي سُفيان. فلما نزل به حَطّ غلمانُه متاع داود وحلُّوا عن راحلته، فلما دخل عليه قال:

ولما دَفعتُ لأبوابهم ولاقيتُ حرباً لَقيتُ النَّجاحَا
رأيناه (١) يَحمده المُجتدون ويأبَى على العُسر إلّا سَماحا
ويُغشَون حتى يُرى كَلْبُهم يَهابُ الهَرِير ويَنسَى النُّباحا

فأجازه بجائزة عظيمة. ثم استأذنه في الخروج، فأذن له وأعطاه ألف دينار. فلم يُعِنْه أحدٌ من غِلمانه ولم يقوموا إليه، فظنّ أن حَرباً ساخطٌ عليه، فرجع إليه

(١) في الأغاني: «وجدناه».

فأخبره بما رأى من غِلمانه. فقال له: سَلْهم لِمَ فَعلوا بك ذلك؟ فسألهم. فقالوا: إنا نُنزل من جاءنا ولا نُرْحِل مَن يخرج عنّا. فسمع الغاضرىّ حديثَه، فأتاه فحدّثه، فقال: أنا يهودى إن لم يكن الذى قال لك الغلمانُ أحسنَ من شعرك!

من جيد شعره

ومن جيد شعر داود قولُه:

وما ذَرّ قَرن الشَّمس إلا ذكرتُها	وأذكرها فى وقت كُلّ غُروبِ
وأذكرها ما بين ذاك وهذه	وباللّيل أَحلامى وعند هُبوبى
وقد شَفّنى شَوقى وأَبلانىَ (١) الهوَى	وأعيا الذى بى طِبَّ كُلِّ طَبيب
وأَعجبُ منِّى (٢) لا أموتُ صَبابةً	وما كَمَدٌ من عاشقٍ بعَجيب
وكُل مُحبٍّ قد سَلا غير أنّنى	غريبُ الهَوى يا وَيْحَ كُلِّ غَريب
وكم لامنى (٣) فيها أخٌ ذو نَصيحةٍ	فقلتُ له أَقْصِر فغيرُ مُصيب
أتأمر إنساناً بفُرقة قَلْبه	أَتصلحُ أجسامٌ بغير قُلوب

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار داود بن سلم، هو:

قُل لأسماء أَنجزى المِيعادا	وانظُرى أن تُزَوِّدى منك زادَا
إن تكونى حللتِ رَبعاً من الشأ	م وجاورت حِمْيراً أو مُرَادا
أو تناءتْ بك النَّوَى فلقد قُدْ	تِ فُؤادى لحَيْنه فانْقادا
ذاك أنِّى علقتُ منك جَوَى الحُبِّ	وَليداً فزِدْتُ سِنّاً فَزادا

(١) فى الأغانى: «وأبعدنى».
(٢) فى الأغانى: «أنى».
(٣) فى الأغانى: «وكم لام فيها».

أخبار دحمان

اسمه وولاؤه وشىء عنه

وهو عبد الرحمن بن عمرو ، مولى بنى لَيث بن بكر بن عَبد مَناة بن كِنانة . ويكنى : أبا عَمرو . ودَحمان لقب لُقِّب به . وكان يقال له : دَحمان الأَشقر. وكان مُعدَّلاً مَقبول الشهادة عند القُضاة بالمدينة . وكان من رُواة مَعبد وغِلمانه المتقدِّمين .

ما أفاده من المهدى مرة

وقيل :

إنه وفد إلى المهدىّ ورجع من عنده وحاصلُه مائة ألف دينار .

هو والمهدى وضيعتان وهبهما له

وغنَّى المهدىَّ ليلةً فى شعر الأحوص :

قطُوف المَشْى إذ تَمشى ۝ ترى فى مَشْيها[1] خَرَقَا

فطرب واُستخفَّه السرورُ حتى قال لدَحْمان: سَلْنى. فقال : ضَيعتان بالمَدينة يقال لهما : ريّان وغَالِب . فأَقطعه إياهما . فلما خَرج التَّوقيع بذلك إلى أبى عُبيد الله ،[2] وعُمر بن بَزِيع ، راجعا المهدىَّ فيه وقالا : إن هاتَيْن الضيعَتين لم يملكهما قَطُّ إلّا خَليفة ، وقد اُستَقطعهما وُلاةُ العهود فى أيّام بنى أُمية فلم يُقْطَعوها . فقال : والله لا أَرجع فيهما إلا بعد أن يَرضى . فصُولِح على خَمسين ألفَ دينار .

حديثه مع الوليد فى جارية اشتراها منه ثم ردها إليه

وقيل :

كان دَحمان جمَّالاً يُكْرِى إلى المواضع ويَتَّجر ، وكانت له مُروءة ، فبينا هو ذاتَ يوم قد أكْرى وأَخذ مالَه إذ سمع رنَّة . فأَتبع الصوتَ فإذا جارية قد خرجتْ تبكى ، فقال لها : أمملوكةٌ أنت ! قالت : نعم . قال : لمن أنت ؟ قالت : لاُمرأة

---

(١) قطوف المشى : بطيئة . والخرق : التحير والدهش . يصفها بالخفر والحياء .

(٢) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعرى الكاتب الوزير .

من قُريش ، نَسبتْها له . فَدخل فسامها بهـا حتى ٱستقرّ أمرُ الثمن بينهما . ثم ٱشتراها منها بمائتى دينار ، ونَقَدها الثَّمن ، وٱنصرف بالجـارية . قال دَحمان : فأقامت عندى مُدةً أَطرح عليها ويَطرح عليها مَعبد والأَبجر ونُظراؤُهما من المُغنِّين. ثم خرجتُ بها بعد ذلك إلى الشأم ، وقد حَذِقتْ ، فكنتُ لا أزال إذا نزلنـا أُنزل الأكرياء ناحيةً ، وأُنزل بها معتزلاً ناحيةً فى مَحْمِل ، وأُطرح على المَحمل من أَعْبِية[1] الجمّالين ، وأجلس أنا وهى معى تحت ظلّها ، فأُخرج شيئاً فنأكله ، وأضع رَكْوةً[2] فيها شرابٌ ، فنَشرب ونتغنّى حتى نَرحل . فلم نزل كذلك حتى قَرُبنا من الشام ، فبينا أنا ذاتَ يومٍ نازلٌ ، وأنا أُلقى عليها لَحنى :

لو رَدّ ذو شَفقٍ حِمـامَ مَنيّةٍ لرددتُ عن عبد العزيز حِماماَ
صـلّى عليك اللهُ من مُستودعٍ جاورتَ رِمّاً[3] فى القبور وهاما

والشعر لإسماعيل بن يسار .[4] قال : فرددتُه عليهـا حتى أخذتْه وٱندفعت تُغنيه ، فإذا أنا براكبٍ قد طلع يسلّم علينا . فرددنا عليه السلام . فقال : أتأذنون لى أن أنزل تحت ظلّكم هذا سـاعةً ؟ قلنا : نعم . فنَزل . وعَرضْنا عليه طعامنـا وشَرابنا فأجاب . فقدّمنا إليه السُّفرة ، فأكل وشَرب معنا ، وٱستعاد الصوتَ مراراً. ثم قال للجارية : أتُغنِّين لدَحمان شيئاً ؟ قالت : نعم . قال : فغنِّينى صوتاً من صنعته . فغنَّته أصواتاً من صَنعتى ، وغمزتُها ألّا تُعرفه أنّى دَحمان . فطَرِب وٱمتلأ فرحاً وسُروراً ، وشَرب أقداحاً ، والجارية تُغنّيه ، حتى قَرُب وقتُ الرَّحيل . فأَقبل علىّ وقال : أتَبيعنى هذه الجارية ؟ فقلت : نعم . فقال : بكم ؟ فقلت له ، كالعابث : بعشرة آلاف دينار . فقال : قد أخذتُها ، فهلُمّ قِرطاساً ودواة . فجئتُ بذلك .

(١) الأعبية : الأكسية : جمع : عباء .
(٢) الركوة : إناء صغير من جلد .
(٣) فى الأغانى : « بوما » .
(٤) روى هذا الشعر فى الأغانى لكثير . وقيل : هو لعبد الصمد بن على الهشامى .

فكتب : أُدفع إلى حامل كتابى هذا ساعةَ تقرؤه عشرةَ آلاف دينار ، واُستوْص به خيرا ، وأَعْلِمنى بمكانه . وختم الكتاب ثم قال : أتدفع لى الجارية أم تكون معك حتى تقبض مالَك ؟ قلت : بل أدفعها إليك . فحملها ثم قال : إذا جئتَ البَخْراء (١) فاسأل عن فلان واُدفع كتابى هذا إليه واُقبض منه مالَك . واُنصرفَ بالجارية . قال : ومضيتُ ، فلمّا وردتُ البَخْراء سألتُ عن اُسم الرجل ، فدُلِلْتُ عليه ، فإذا دارُه دارُ مُلك ، فدخلتُ عليه ودفعتُ التَّوقيع إليه . فقبَّله ووَضعه علي عَيْنيه ودعا بعَشرة آلاف دينار وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ، وقال : اُجلس حتى أُعلِم أميرَ المُؤمنين بك . فقلت له : حيث كنتُ فأنا عبدُك و بين يدَيْك . وكان أَمر لى بأَنزال ، (٢) وكان بَخيلاً ، فاُغتنمتُ ذلك فارتحلتُ . وقد كنتُ أُصبتُ بجَملين . وكانت عِدّة أجمالى خمسة عشر فصارتْ ثلاثةَ عشر . وسأل عنّى الوليدُ فلم يَدْر القَهرمان أين يطلُبنى . فقال له الوليد : عدةُ أجماله خمسةَ عشر جملاً ، فاُردُدْه إلىّ ، ولم يعرف اُسْمى فيسأل عنى . وأقامت الجاريةُ عنده شهراً لا يسأل عنها ، ثم دعاها ، بعد أن اُستُبْرِئت (٣) وأُصلح شأنُها . وظَلّ معها يومَه ، حتى إذا كان فى آخر النّهار قال لها : غَنِّى لدَحمان . فغنَّت . فقال لها : زيدى . فزادتْ . ثم أقبلت عليه وقالت : يا أمير المؤمنين ، أوَمَا سمعتَ غناء دَحمان منه ؟ قال : لا . قالت : بلى والله لقد سمعتَه ؟ قال : وما ذاك ؟ ويحك ! قالت : إنّ الرجل الذى اُشتريتَنى منه هو دَحمان . قال : أوَ ذلك هو ؟ قالت : نعم . هو هو . قال : وكيف لم أعلم ! قالت : غَمزنى ألّا أُعلمك . فأَمر فكُتب إلى عامل المدينة بأن يُحمل إليه دَحمان . فحُمل إليه . فلم يَزل أثيراً عنده .

---

(١) البخراء : على ميلين من القليعة فى طرف الحجاز .
(٢) الأنزال : جمع نزل ، بضمتين ، أو ضم فسكون ، وهى ما يهيأ للضيف لينزل عليه .
(٣) استبراء الجارية : ألا تمس بعد ملكها حتى تبرأ رحمها ويتبين أحامل هى أم لا .

أخبار أعشى همدان

اسمه

هو عبدُ الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن ظَالِم [١] بن جُشَم بن عَمرو بن الحارث بن مالك بن عَبد الجنّ [٢] بن جُشَم بن حاشِد بن جُشَم بن خَيْران بن نَوْف بن هَمْدان بن مالك بن زَيد بن نزار بن أوْسِلة بن رَبيعة بن الخبَاب [٣] ابن مالك بن زَيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان .

كنيته

ويكنى : أبا المُصبّح .

طبقته وشىء عنه

شاعر فَصيح كُوفى من شُعراء الدَّولة الأُموية . وكان زوجَ أُخت الشَّعبى الفَقيه ، والشَّعبى زوج أُخته . وكان الأعشى الهمدانى أَحد القُرَّاء والفُقهاء ، ثم ترك ذلك وقال الشِّعر .

رؤيا أولها له الشعبى

وحُكى أنه قال للشَّعبى يوماً :

إنى رأيتُ فى منامى كأنى أدخُل بيتاً فيه حِنطة وشعير ، فقيل لى : خُذ أيهما شئت . فأخذتُ الشعير . فقال له الشَّعبى : إن صدقَت رؤياك تركتَ القُرآن وقراءته وقلتَ الشعر . فكان كما قال .

أسره وحديثه مع بنت الملك

وذُكر أن الحجّاج بن يُوسف أَغْزاه الدَّيلم فأُسر، فلم يزل أسيراً فى أيدى الدَّيلم مُدَّة . ثم إن بنتاً للعِلْج الذى أَسره هويتْه وصارت إليه ليلاً ومكَّنته من نَفسها، فأَصبح وقد واقَعها ثمان مرّات . فقالت الدَّيلميّة : يا معشر المسلمين، هكذا تَفعلون

(١) فى الأغانى : « نظام » .
(٢) فى الأغانى : « عبد الحر» .
(٣) فى الأغانى : « الخيار » .

بنسائكم ؟ فقال لها : هكذا نفعل كُلنا . فقالت : بهذا العمل نُصرتُم ، أفرأيتَ إنْ خلّصتُك أتَصطفيني لنفسك ؟ فقال : نعم ، وعاهدها . فلما كان الليل حلَّت قُيوده وأخذتْ به طريقاً تَعرفها حتى خلّصته . فقال شاعرٌ من أسرى المُسلمين :

فمن كان يَفْديه من الأسْر مالُه ... فهَمْدانُ تَفديها الغَدَاةَ أُيورُها

وقال الأعشى قصيدتَه فى أَسره ، التى أولها :

لمن الظَّعائنُ سيرُهُن تَرجُّفُ ... عَوْمَ السَّفين إذا تقاعس[1] تَجْذِفُ

مرّت بذى خُشُبٍ[2] كأنَّ حمُولَها ... نَخْلٌ بيَثرب حَمْلُه مُتضعِّفُ

ومنها :

بانَ الخليطُ وفاتنى برَحيلهِ ... خَوْدٌ إذا ذُكرتْ لقلبك يُشْغَف

تَجلو بمِسْواكِ الأَراكِ مُنظّماً ... عَذْباً إذا ضَحكت تَهلَّل يَنْطُف

وكأنَّ رِيقَتها على عَلَل الكَرَى ... عَسلٌ مُصفًّى فى القِلاَل[3] وقَرْقَف

وكأنها نَظرت بعَينى ظَبيةٍ ... تَحْنُو على خِشْفٍ لها وتَعَطَّف

وإذا تَنُوء إلى القِيام تَدافعتْ ... مثلَ النَّزِيف[4] ينُوء ثُمَّت يَضْعُف

ثَقُلت روادفُها ومال بَخَصْرها ... كَفَلٌ كما مال النَّقَا المُتقصِّف

ومنها :

تلك التى كانتْ هَوايَ وحاجتى ... لو أنَّ دارًا بالأَحبَّة تُسْعِف

وإذا تُصِبْك من الحوادث نَكبةٌ ... فاْصبر فكُلّ مُصيبة سَتكَشَّف

---

(١) تجذف : تسرع . وفى بعض أصول الأغانى : « مجذف » .

(٢) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة .

(٣) القلال : جمع قلة ، وهى الكوز الصغير ، أو الجرة ما كانت . والقرقف : الخمر .

(٤) النزيف : السكران .

ولئن بكيتُ من الفِراق صَبابةً ... إنّ الكبير إذا بكى ليُعَنَّف
عجباً من الأيام كيف تصرّفت ... والدارُ تدنو مرةً[1] وتقذّف
أصبحتُ رهناً للعُداة مُكبَّلاً ... أُمسى وأُصبح فى الأَداهم أَرْسُف
وأُستنكرتْ ساقِ الوَثاق وساعِدِى ... وأنا امرؤٌ بادى الأَشاجع[2] أَعْجف
ولقد تُضرّسنى الحرُوبُ وإنّنى ... أُلْفَى بكُل مخافة أتعسّف

ومنها يفتخر .

إنّى لطلاّب التِّرات مُطلَّبٌ ... وبكُل أسباب المنية أُشرف
باقٍ على الحدْثان غيرُ مكذَّبٍ ... لا كاسفٌ بالِى ولا مُتأسّف
إنْ نِلْتُ لم أفْرح بشىء نِلتُه ... وإذا سُبقتُ به فلا أتلهَّف
إنى لأَحمى فى المَضيق فوارسى ... وأكُرُّ خَلْف المُستَضاف[3] وأَعْطف
وأشُدّ إذ يَنْبو[4] الجَبان وأَصْطَلى ... حَرَّ الأَسنَّة والأَسنّة تَرْعُف
فلئن أصابتْنى الحرُوب فإنّنى ... أُدعى إذا مُنع الرِّداف فأُرْدِف
ولرّبما يَرْوَى بكفِّى لَهْذَمٌ ... ماضٍ ومُطَّرِد الكُعوب[5] مُثقَّف
وأُغير غارات وأَشهد مَشهداً ... قلبُ الجَبان به يَطير ويَرجُف
وأَرى مَغانمَ لو أَشاء حَويتُها ... فيصُوننى[6] عنها غِنًى وتعفُّف

مدح النعمان ابن بشير لوساطته فى عطاء

قيل :

إن أعشى همدان خَرج إلى الشام فى خلافة مروان بن الحكم ، فلم يَنل فيها

(١) تقذف : تبعد .
(٢) الأشاجع : أصول الأصابع . وأعجف : قليل اللحم .
(٣) المستضاف : من يفزع إليه غيره ويلتجىء إليه . يريد الشجاع الحامى لما وراءه .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « يكبو » .
(٥) اللهذم : السيف . ومطرد الكعوب : الرمح المتتابعة كعوبه . والمثقف : المسوى .
(٦) فى الأغانى : « فيصدنى » .

حظًّا ، فجاء إلى النُّعمانِ بن بَشير الأَنصارى ، وهو عامل على حمص ، فكلم له النُّعمان اليمانيةَ وقال لهم : هذا شاعر اليمن ولسانُها ، واستماحهم له . فقالوا : نعم ، يُعطيه كُل رجل منّا دينارَيْن من عطائه . فقال: لا ، بل أعطُوه ديناراً ديناراً واجعلوا ذلك مُعجَّلا . فقالوا: أعطه إيّاه من بيت المال واُحتَسِبها على كُل منّا من عطائه . ففعل النُّعمان . فكانوا عشرين ألفَ رجل ، فأَعطاه عشرين ألفَ دينار ، واُرتجعها منهم عند العَطاء . فقال الأعشى يَمدح النُّعمان بن بَشير :

فلم أَرَ للحاجات عنــد اُلتماسها كنُعمانَ نُعمانِ النَّــدَى ابن بَشِيرِ
إذا قال أوفى ما يَقُولُ ولم يكُن كَمُـدْلٍ إلى الأقوام حبـلَ غُرور
متى أكفرِ النُّعمانَ لم أُلْفَ شاكراً وما خيرُ من لا يقتــدِى بشَكُور
فلولا أخو الأَنصـار كنتُ كنازلٍ ثَوى ما ثَوى لم يَنقْلب[1] بنقـير

طلق زوجه وتزوج أخرى

وذُكر أنَّ الأَعشى كانت عنده اُمرأة من قومه ، يقال لها : أُم الجلال ، فطالت مُدتها عنده فأَبغضها . ثم خَطب اُمرأةً يقال لها : جَزلة ، فقالت : لا، حتّى تُطلِّق أُم الجَلال . فطلَّقها وقال فى ذلك :

تَقــادم وُدّكِ أُمَّ الجَــلالِ فطاشتْ نِبالُكِ عنــد النِّضالِ
وطال لزُومك لِى حِقْبَـــةً فرثَّتْ قُوَى الحَبْل عند[2] الوِصال

ومنها :

وكان الفؤاد بها مُعجَبًـا فقد أَصبح اليومَ عن ذاك سالِى
فبعضَ العِتــاب فلا تَهْلِكِى فَلا لكِ فى ذاكَ خـيرٌ ولا لى
ولمّـا بدا لىَ منهـا البَـذا ءُ صبّحتُها بثَــلاثٍ عِجَـال

(١) النقير : النكتة فى ظهر النواة . يضرب بها المثل للقليل .
(٢) فى الأغانى : « بعد » .

ثلاثٍ [١] خرجْنَ جميعاً بهـــا ... فخلَّيتهـــا ذاتَ بيتٍ ومال
إلى أهلهـــا غـيرَ مخلوعةٍ ... وما مَسَّها عندنا من نَكال
فحِنِّى حَنِينَـك واشْـتيقِى ... بأنّا أطَّرحنـاكِ ذاتَ الشمال
وأنْ لا رُجوع فلا تُـكْذَبِيـ ... ـنَ ما حَنَّتِ النِّيبُ إثْر الفِصال
ولا تحسبِى أنّنى [٢] قـد نَدِمْـ ... ـتُ كلَّا وخالِقنا ذِى الجلال

فقالت له أم الجلال : بئس والله بعلُ الحُرة وقرينُ الزوجة المُسلمة أنت ! أعَدَدْتَ طُول الحُرمة والصُّحبة ذنباً تسُبنى به وتَهجونى له ! ثم دعت عليه أن يُبغِّضه الله إلى زَوجته التى اختارها ، وفارقتْه . فلما انتقلتْ « جَزلة » إليه ودخل بها لم يَحْظ عندها ، وتَركتْه وتنكَّرت له ، واشتدّ شغفُه بها ، وقال فيها قصيدتَه التى منها الأبياتُ التى فيها الغناء ، وافتتح بها أبو الفرج أخباره ، وأوّلها :

حَيِّيـا جَزْلةَ منِّى بالسَّـــلامِ ... دُرَّةَ البَحر ومِصباحَ الظَّلامِ
لا تَصُــدِّى بعــد وُدٍّ ثابتٍ ... واسمَعِى يا أمّ عِبسى من كَلامى
إن تَـدُومى لى فوصلِى دائمٌ ... أو تَهُمِّى لى بهَجْـرٍ وانْصرام
أو تَكونى مثــلَ بَرْقٍ خُلَّب ... خادعٍ يَلمع فى عُرض الغَمام
أو كتَخْيِيــلِ سَرابٍ مُعْرِضٍ ... بفَلاة أو طُروقٍ فى المَنــــام
فاعلمى إن كنت لمّـا تَعلمى ... ومتى ما تَفْعلى ذاك تُلامى
بعـــد ما كان الذى كان فلا ... تُتْبعى الإحســـانَ إلّا بالتّمام
واذكرى الوعـدَ الذى واعدتِنِى ... ليــلةَ النِّصف من الشَّهر الحَرام
لا تناسَىْ كُلَّ ما أعطيتِنى ... من عُهود ومَواثيق عِظام

---

(١) فى الأغانى : « ثلاثاً » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ولا تحسبينى بأنى ندمت » .

راجعى الوصـلَ وردّى نظرةً لا تَـلَجِّى فى طِمَـاحٍ وأثام
وإذا أنكرتِ منّى شـيمةً فلقـد يُنْـكَر ما ليس بذَام
فاُذكريها لى أُزُلْ عنها ولا تُسْفِحى عينيك بالدّمع السِّجام
وأرى حبلَك رثًّا خَلَقًـا وحبـالى جُـدُداً غيرَ[1] رِمَام
ورأت جِسمى عليه[2] كـَبْرَةٌ وصُروفَ الدَّهر قد أبلت عِظامى
وهى بيضـاء على مَنْـكِبها قَطَطٌ جَعْـدٌ ومَيّال[3] سُحامى
وإذا تَضْحك تُبْـدى حَبَباً كرُضاب المِسْك فى الرّاح المُدام
كَمَلَتْ ما بين قَرْنٍ فإلى مَوضع الخَلخال من تحت[4] الخِدام
وأراها اليوْمَ لى قد أحـدثتْ خُلُقاً ليس على العهـد القُـدام

أملق فمدح ابن عتاب فأجازه

وقيل :

أملق أعشى هَمدان ، فأتى خالدَ بن عتّاب بن وَرقاء ، وأنشده :

رأيتُ ثنـاءَ النـاس بالغَيْب[5] طيباً عليكَ وقالوا ماجـدٌ وابنُ ماجدِ
بَنِى الحـارثِ السّامين للمَجـد إنكم بَنيتم بنـاءً ذِكرُه غـيرُ بائد
هَنيئاً لِمـا أعطاكمُ اللهُ وأُعْلموا بأنى سأُطرى خالداً فى القَصـائد
فإنْ يَكُ عَتّـابٌ مَضى لسبيلـه فما مات مَن أبقى[6] له مثـلَ خالد

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

---

(١) رمام : بالية .

(٢) فى الأغانى : « علاه » .

(٣) القطط : القصير . والسحامى : الأسود ، على النسبة ، وخفف للشعر . وفى الأغانى : « سخام » بالخاء المعجمة . وهو اللين الحسن من الشعر . وعلى هذه الرواية فى البيت إقواء .

(٤) الخدام : الخلخال . والرواية فى الأغانى : « الخلخال منها والخدام » .

(٥) فى الأغانى : « بالقول » مكان « بالغيب » .

(٦) فى الأغانى : « يبقى » .

أنشد سابق لعمر ابن عبد العزيز من شعره فأبكاه

وقيل :

إنّ عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال يوماً لسابق البَربرىّ، وقد دخل عليه : أَنشدنى يا سابق شيئًا من شعرك تذكِّرنى به . قال : أوَ خيراً من شعرى ؟ قال : هات . فأَنشده للأعشى الهَمدانى :

و بينا المرءُ يُمسى ناعمًا جَـذِلاً ... فى أهله مُعجَباً بالعيش[1] ذا أَنَقِ

غِرًّا أُتيح له من حَيْنـه عَرَضٌ ... فمـا تلبَّث حتى مات كالصَّعِق

ثُمَّتَ أَضحى ضُحًى من غِبِّ ثالثةٍ ... مُقنَّعاً غـيرَ ذى رُوح ولا رَمَق

فمـا تزَوَّدَ ممَّا كان يَجْمعُـه ... إلا حَنُوطًا وماواراه من[2] خِرَق

وغيرَ نَفْحَـــةِ أعواد تُشَبُّ له ... وقَلَّ ذلك من زادٍ لمُنْطلق

فبكى عُمر رحمه الله تعالى حتى اُخضَلّت لحيتُه .

مقتله

ذكر مقتل الأعشى

قيل : بعث الحجّاج بن يوسف الثَّقفى ، وهو يومئذ أميرُ العراق ، لعبد الملك ابن مَروان . عبدَ الرَّحمن بن محمد بن الأَشعث بن قَيس الكِنْدىّ ، فى عسكر كَثيف لقتال التُّرك ، وفى ذلك الجيش الأعشى وخَلْق من القُرّاء والوجُوه وأَهل النَّباهة . وكانت وطأة الحجّاج قدثقُلت على الناس. فأَجمعوا على خَلع الحجّاج. فخَلعوه و بايعوا عبدَ الرحمن بن الأشعث . فأَقبـل بالناس يُريد العراق للاُستيلاء عليه وطَرْد الحجّاج منه . وجعل الأعشى يقـول الشِّعر فى اُبن الأَشعث يَمدحه ويُحرِّض أَهلَ الـكُوفةَ بأشعاره على القتال . فـكان ممّا قاله فى ذلك :

(١) الأنق : الفرح والسرور .

(٢) رواية الأصل : « إلا حنوطاً غداة البين أو خرق » . والحنوط : طيب يعد للموتى .

يأبَى الإله وعــــزةُ ابن محمّدٍ وجدودُ مَلْكٍ قبـل آل ثمودِ
أن تأنسوا بمُذَمَّمين عُروقُهم فى الناس إن نُسبوا عروقُ عَبيد
كم من أبٍ لك كان يعقِد تاجَه بجَبين أبلجَ مِقْولٍ صِـنْديد
و إذا سـألت المَجد أين محلُّه فالمجـدُ بين محمَّد وسَــــعيد
بين الأشجِّ و بين قيسٍ باذخٌ بَخْ بَخْ لوالده وللمـوْلود
ما قصَّرت بك أنْ تنال مَدى العُلاَ أخلاقُ مكرُمة و إرثُ جُدود
قَرْمٌ إذا سـامَى القُرومَ ترى له أعراقَ مَجْدٍ طارفٍ وتَليـد
و إذا دعا لِعظيمةٍ حُشِـدت له هَمْدان تحت لوائه المَعْقــود
يمشُون فى حَلق الحديد كأنّهـم أسْد الأَباء [1] سَمِعْن زَأْر أُسود
و إذا دعوتَ بآل ِكنْدة أجْفـلوا بكُهول صِدْقٍ سـيِّدٍ ومَسُود
وشبابِ مأسَـدة كأنّ سُيوفَهم فى كُل مَلْحمـة بُروقُ رُعود
ما إن ترى قيساً يُقارب قَيسَكم فى المَـكْرُمات ولا ترى كسعيد

وجاءت الحجاجَ الأمدادُ من الشأم ، وكانت بينه و بين ابن الأشعث الوَقْعة العظيمة المَعروفة بوقعة الجماجم ، وغيرها . وكان الأعشى شـديد التَّحريض على الحجّاج فى تلك الحُروب . فذُكر أنّ أصحاب ابن الأشعث جالوا جوْلةً ثم عادوا ، فنزل الأعشى عن سَرجه ونزَعه عن فَرسه ونَزع دِرْعه فوضعها فوق السَّرج ثم جلس على الدِّرع فأَحـدث فى السَّرج ، والنـاس يرَوْنه ، ثم قال لهم : لعلـكم أنكرتُم ما صنعتُ ؟ قالوا : أوَليس هذا بمُنـكر ؟ قال : كُلـكم قد سَلَح فى سَرْجه ودِرعه خوفاً وفرقاً ، ولـكنكم سَتَرْتُموه وأظهرتُه . فَحمِيَ القومُ وقاتلوا قتالاً شديداً

(١) الأباء : جمع أباءة ، وهى الأجمة .

يومَهم إلى الليل. وشاع فيهم الجراحُ والقَتل . وأنهزم أصحاب الحجّاج يومئذ . ثم عاودوهم من غدٍ وقد نكأتْهم الحربُ وجاءهم مَدد من الشّأم ، فباكروهم القِتال وهم مُستريحون، فأنهزم ابن الأشعث أقبحَ هزيمة .

هو والحجاج ومقتله

قيل :

وأُتى الحجاجُ بالأعشى أسيراً ، فقال له الحجاج : الحمد لله الذى مكّن منك ، ألستَ القائل :

لمّا سَموْنا[1] للكَفُور الفتّانْ بالسيِّد الغِطْريف عبد الرحمنْ

سار بجَمْعٍ كالقطَا مِن قَحْطان ومِن مَعَدٍّ قد أتى ابنُ عَدْنان

أمكن ربِّى من ثقيف هَمْدان يوماً إلى اللَّيل يُسَلِّى ما كان

إنّ ثقيفاً منهم الكذّابان كذّابُها الماضِى وكذّاب ثان

أوَلست القائل :

يابن الأشجِّ قَريع[2] كِنْـ ـدة لا أُبالى فيك عَتْبَا

أنت الرّئيسُ ابن الرّئيـ ـس وأنتَ أعْلَى الناسِ كَعْبا

نُبِّئْتُ حجّاجَ بن يو سفَ خَرَّ مِن زَلَق فتبّا

فأنهضْ هُدِيت لعلّه يَجْلو بك الرحمنُ كَرْبا

وابعث عَطِيّة فى[3] الجُنـ ـود يَكُبّهن عليه كَبّا

كلّا يا عدوّ الله ، عبد الرحمن هو الذى خَرّ من زَلَق فتبّ ، وخار[4]

(١) فى بعض أصول الأغانى : « سفونا » . و سفا : خف وأسرع .

(٢) الأشج : الأشعث بن قيس الكندى ، جد عبد الرحمن بن محمد ، مخاطب الأعشى فى هذا الشعر . والقريع : السيد .

(٣) عطية ، هو ابن عمرو العنبرى . كان على مقدمة جيوش عبد الرحمن بن الأشعث ، وكان لا يلقى خيلا إلا ضربها .

(٤) خار : انكسر وضعف . ورواية الأغانى : « حار » .

وأُنكِبّ ، وما لقى ما أحبّ . ورفع بها صوته وأر بدّ بها وجهه واُهتز منكباه . فلم يبْقَ فى المجلس أحدٌ إلّا همّته نفسُه وأرتعدت فرائصُه . فقال له الأعشى : أنا القائل أيها الأمير :

أَبَى اللهُ إلّا أن يُتَمِّم نُورَه ... ويُطفِىء نار الفاسقين فتَخْمُدَا

ويُنزل ذُلًّا بالعراق وأهله ... كما نَقضوا العهدَ الوثيق المُؤكَّدا

وما لَبِثَ الحجَّاجُ أن سَلَّ سَيفَه ... علينا فولَّى جمعُنا مُتبدِّدا

وما زاحف الحجّاجُ إلّا رأيتَه ... حُساماً مُلَقًّى للحُروب مُعوَّدا

فكيف رأيتَ اللهَ فرّق جَمْعهم ... وفرّقهم عُرْضَ البِلاد وشرّدا

بما نَكثُوا من بَيْعةٍ بعد بَيْعةٍ ... إذا ضَمِنوها اليوم خاسُوا بها غَدا

وما أَحدثوا من بِدعةٍ وعَظيمةٍ ... من القَوْل لم تَصْعد إلى الله مَصْعدا

فضَار بنا[1] الحجّاجُ دون صُفوفنا ... كِفَاحاً ولم يَضْرب لذلك مَوعِدا

بِجُنْد أَمير المُؤمنين وخَيْله ... وسُلطانُه أمسى مُعاناً مُؤيَّدا

لِيَهنِىء أَميرَ المُؤمنين ظُهورُه ... على أمة كانوا بُغاةً وحُسَّدا

وَجَدنا بنى مَرْوان خيرَ أئمة ... وأَعظمَ هذا الخَلق حِلْماً وسُؤدُدا

وخَيرَ قُريش من قُريش أُرومةً ... وأكرمَهم إلّا النبىَّ محمَّدا

إذا ما تدبَّرنا عَواقب أمرِنا ... وجدنا أمير المُؤمنين المُسدَّدا

سيُغلب قومٌ غالبوا اللهَ[2] جهلةً ... وإنْ كايدوه كان أَقوى وأَكْيَدا

كذاكَ يُضِلُّ اللهُ مَن كان قَلْبُه ... مَريضاً ومَن وَالى النِّفاق وأَلْحدا

وقد تركوا الأَموال والأَهلَ خلفهم ... وبِيضاً عليهنَّ الجَلابيبُ[3] خُرَّدا

---

(١) فى الأغانى : « فصادمنا » .

(٢) ويروى : « سيغلب قوماً غالبوا الله جهرة » .

(٣) الخرد : الخفرات من النساء . جمع نادر لخريدة .

يُنادينهم مُستعبراتٍ إليهمُ ويُذْرِين دَمْعًا فى الخُدود و إثمِدا
فإلّا تنَاوَلْهن منك(١) برَحمةٍ يكُنَّ سَبايا والبُعولةُ أعْبُدا
تَعَطَّف أميرَ المُؤمنين عليهمُ فقد تَركوا أمرَ السَّفاهة والرَّدَى
لعلّهمُ أن يُحدِثُوا العامَ تَوبةً وتَعرفَ نُصْحًا منهمُ وتَودُّدا

فقال من حَضر من أهل الشأم : قد أَحسن أيها الأمير ، فخَلِّ سبيلَه . فقال : أتظُنون أنه أَراد المَدح ؟ لا والله ! ولكنّه قال هذا أسفاً لغَلبتكم إيّاه ، وأراد أن يحُض أصحابه . ثم أقبل عليه فقال : أظننتَ يا عدوَّ الله أنك تخدعنى بهذا الشِّعر وتُفلت منِّى حتى تنجو ! ألستَ القائل و يلك :

بين الأَشجّ و بين قَيس باذخٌ بَخْ بَخْ لوالده وللمَولُودِ

والله لا تَنجح بعدها أبداً ! ألست القائل :

وأصابنى قومٌ وكنتُ أُصيبهم فاليومَ أَصبرُ للزَّمان وأَعرفُ

كذبتَ والله ! ما كنتَ صبوراً ولا عَرُوفاً! ثم قلتَ بعده:

و إذا تُصبْك من الحوادث نكْبةٌ فأصبر فكُل غَيابة ستَكشَّفُ

أما والله لتكونن نكبة لا تَنْكشف غَيَابتُها أبداً . يا حَرسىّ ، اُضربْ عُنُقه . فضُربت عُنقه .

مصيرابن الأشعث

قلت :

وكان آخر أمر ابن الأَشعث أَنْ هَرب إلى ملك التُّرك فاستجار به. فكاتب الحجاجُ ملكَ التُّرك فى تَسليمه إليه و بَذل له بذلاً ، والتزم أنه لا يَغزوه مُدَّةً . فسلَّمه ملكُ التُّرك إلى مَن وَرد إليه من عند الحجّاج . فمضَوْا به إليه . فبات ليلةً

(١) فى الأصل : « فإلاتنالوهن منكم » .

على سَطح عالٍ فى بعض المَنازل ، وأُغتنم غفلةً ممن يحْرُسه ، ثم رَمى بنفسه من السَّطح ، فمات أنفةً وحميَّـةً لئلا يقَع فى يد الحجّــاج . وفى ذلك يقول أبو بكر ابن دُريد :

وأبنُ الأشجِّ القَيل[1] قاد نَـفْسه ... إلى الرّدى حِذارَ إشماتِ العِـدا

(١) القيل : الملك .

أخبار حماد الراوية

نسبه وولاؤه

هو حماد بن مَيسرة . وقيل : أبن سابور ، مولى بنى شَيبان .

علمه وصلة بنى أمية له عليه

وكان من أعلم الناس بأيَّام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولُغاتها . وكانت مُلوك بنى أُمية تُقدِّمه وتؤثِره وتستزيره . ويَقدم عليهم ويُنادمهم ، ويسألونه عن أيام العرب وعُلومها ويجزلون صِلته .

بينه وبين الوليد ابن يزيد وقد سأله عن لقبه

وذُكر أن الوليد بن يزيد قال له : بما استحققْتَ هذا اللَّقب ، فقيل لك : حماد الرَّاوية ؟ قال : بأنى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعتَ به ، ثم أَروى لأكثر منهم ممن تعرف بأنك لم تعرفهم ولم تسمع بهم ، ولا أُنْشَد شعراً لقديم ولا مُحدث إلَّا ميزت القديم منه من المُحدث . فقال : إن هذ العِلْم وأبيك لكثير ! فكم مقدارُ ما تَحفظ من الشِّعر ؟ قال : كَثير ، ولكنى أُنشدك على أىّ حَرف من حُروف المُعجم مائة قَصيدة كبيرة سِوى المُقطَّعات من شعر الجاهلية ، دون شعر الإسلام . قال : سأَمتحنك فى هذا الأَمر . وأمره بالإنشاد . فأَنشد حتى ضَجر الوليد ، ثم وكَّل به من أستحْلفه أن يَصْدُقه عنه ويستوفىَ عليه . فأنشده ألفين وتِسعمائة قَصيدة للجاهليين . وأُخبر الوليد بذلك . فأَمر له بمائة ألف .

الحمادون الثلاثة

وقيل :

كان بالكوفة ثلاثةُ نَفَر يقال لهم : الحمَّادون — حمّاد عَجرد ، وحمّاد الراوية ، وحماد بن الزِّبْرقان — يتنادمون على الشَّراب ، ويتناشدون الأَشعار ، ويتعاشرون مُعاشرة جَميلة ، وكانوا كأنَّهم نفسٌ واحدة ، وكانوا يُرْمَون بالزَّندقة جميعاً .

(١) وقبل أخبار حماد ساق أبو الفرج « أخبار أحمد النصبى » المغنى فى صفحات قليلة ، ولكن ابن واصل أضرب عن ذكرها .

وفوده إلى هشام بن عبد الملك

وحَكى حَمّاد قال :

كان أنقطاعى إلى يزيدَ بن عبد الملك ، وكان هشام يَجْفونى لذلك دون سائر أهله من بنى أُمية فى أيّام يزيد ، فلما مات يزيدُ وأَفضت الخلافةُ إلى هشام جَفانى، ومكثت فى بَيْتى سنة لا أخرج إلّا لمن أثق به من إخوانى سرًّا ، فلمّا لم أسمع أحداً يذكُرنى سنةً أمِنْتُ وخرجتُ فصلَّيتُ الجُمعة ، ثم جلستُ عند باب الفِيل، فإذا شُرَطيّان قد وَقفا علىّ وقالا : يا حَماد،أَجِب الأمير يُوسفَ بن عُمر[1]. فقلتُ فى نفسى : مِن هذا كنتُ أحذر . ثم قلتُ للشرطيَّيْن : هل لكما أن تدعانى آتى أهلى فأُودّعهم وَداع مَن لا يرجع إليهم أبداً ، ثم أَصير إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك مِن سبيل . فأستسلمتُ فى أيديهما وصِرت إلى يوسف بن عُمر ، وهو فى الإيوان الأحمر ، فردّ علىّ السلامَ ورَمى إلىّ كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هِشام أمير المُؤمنين إلى يوسف بن عُمر . أما بعد . فإذا قرأتَ كتابى هذا فأبعثْ إلى حمّاد الرّاوية من يأتيك به غير مُروَّع ولا مُتَعْتَع ، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مَهْريًّا[2] يَسير عليه أثنتى عشرةَ ليلةً إلى دمشق .

قال : فأخذت الخمسمائة الدينار ، ونظرتُ فإذا جَمل مَرْحول ، فوضعتُ رِجلى فى الغَرْز[3] وسِرْتُ أثنتى عشرةَ ليلةً ، حتى وافيتُ بابَ هِشام ، فأستأذنتُ فأُذن لى ، فدخلتُ عليه فى دار قَوْراء[4] مَفروشة بالرُّخام ، و بين كل رُخامتَيْن قضيبُ ذَهبٍ ، وحيطانُه كذلك ، وهشام جالسٌ على طِنْفِسَةٍ حمراء ، قد تَضمَّخ

(١) لعله خالد بن عبد الله القسرى ، لأنه عندما تولى هشام الخلافة سنة ١٠٥ ﻫ عزل عمر بن هبيرة عن ولاية العراق وولى مكانه خالد بن عبد الله القسرى ، فبقى على العراق حتى سنة ١٢٠ ﻫ . فعزله هشام وولى العراق يوسف بن عمر .

(٢) نسبة إلى : مهرة بن حيدان ، حى من قضاعة من عرب اليمن .تنسب إليهم نجائب الإبل .

(٣) الغرز : ركاب الرحل .

(٤) قوراء : واسعة .

بالمِسك والعَنبر، و بين يديه مِسْك مَفْتوت فىأوانى الذّهب، يُقلّبه بيـدَيه فتفوح روائحه، فسلّمتُ فَردّ علىّ السلامَ، وأُسـتدنانى، فدنوتُ حتى قبّلت رجلَه، و إذا جاريتان لم أَرَ مثلَهما، فى أُذنَىْ كُلّ واحدةٍ منهما حَلْقتان من ذهب فيهما لُؤلُؤتان تتوقّدان. فقال: كيف أنت ياحمّاد؟ وكيف حالُك؟ فقلت: بخيريا أمير المُؤمنين. قال: أتدرى فيم بعثتُ إليك؟ قلت: لا. قال: بعثتُ إليك لبيتٍ خَطرِ ببالى لم أدْرِ مَن قاله؟ قلت: وما هو؟ فقال:

فدعَوْا بالصَّبُوح يوماً فجـاءت قَيْنـةٌ فى يَمينهـا إبريقُ

فقلت: هذا يقوله عَدِىّ بن زَيد فى قصيدة له. قال: فأنشدنيها. فأنشدتُه:

بَكر العـاذلون فى وَضَح الصُّبْـ ـح يقُولون لى أمَا تَستفيقُ
لستُ أدرى إذ أكثروا العَذْل عندى أعـدوٌّ يلُومنى أو صَـديق
ويلُومون فيك يأبنـة عبـد اللّـه والقلبُ عنـدكم[1] مُوَهُوق
زانهـا حُسْـنُها وفَرْعٌ عَميمٌ وأَثيثٌ صَلْتُ الجَبـين[2] أَنيق
وثَنـايا مُفلّجـات عِـذاب لا قِصارٌ تُرى ولا هُنَّ[3] رُوق
فدعَوْا بالصَّـبُوح يوماً فجـاءت قَينـةٌ فى يَمينهـا إبْريق
قدَّمتْـه على عُقـار كعَين الدّ يك صَفَّى سُـلافَها[4] الرّاوُوق
ثم كان المِزاجُ ماءَ سمـاء غـيرَ ما آجنٍ ولا مَطْروق

فطرب وقال: أحسنت والله ياحمّاد! يا جارية أسقيه. فسقتْنى شَرْبةً ذهبت بثُلث عقلى، وقال: أعد. فأعدتُ. فاُستخفّه الطَّرب حتى نَزَل عن فَرْشه. ثم قال: للجارية الأخرى: اُسقيه شَربة. فسقَتْنى، فذهبت بثُلث عقلى. فقلتُ: إن سُقيت الثالثة

(١) موهوق: مشدود بالوهق، وهو الحبل المغار.
(٢) الفرع: الشعر. والأثيث: الكثير. والصلت: الواضح. (٣) روق: طوال.
(٤) الراووق: المصفاة.

أُفتضحتُ . فقال : سَل حوائجك . فقلت : كائنةً ما كانت ؟ قال : نعم . قلت : إحدى الجاريتَيْن . قال : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما . ثم قال للأُولى : أُسقيه . فسقتْنى شَربة سقطتُ معها ، فلم أعقل . فلما أصبحتُ إذا بالجاريتين عند رأسى ، وإذا عشرةٌ من الخَدم مع كُل واحدٍ منهم بَدْرة . فقال لى أحدهم : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلامَ ويقول لك : خُذ هذه فأنتفع بها فى سَفَرك . فأخذتُها والجاريتَيْن وأنصرفتُ .

ثم ذكر أبو الفرج روايةً أُخرى لم يذكُر فيها أنه سقاه . ورجَّحها أبو الفرج ، لأن هشام بن عبد الملك لم يثبُت عنه أنه كان يشرب مُسكراً ولا يَسقيه بحَضرته، وكان يَعيب السُّكر ويُعاقب عليه .

توسط مطيع له عند جعفر وسوء حظه

وذُكر أن جَعفر بن أبى جعفر المَنصور ، المعروف بأبن الكُرْديّة ، كان يَستخفّ مُطيع بن إياس ويُحبه ، وكان منقطعاً إليه ، وله معه منزلةٌ حَسنة . فذَكر مُطيع حماداً الراوية لجعفر ، وكان صديقَه ، وكان حمَّاد مُطَّرَحاً فى أيّام بنى العبّاس ، وإنما كانت سعادتُه فى أيام بنى أُمية . فقال له جَعفر : أْئتنا به لنَراه . فأَتى مُطيعٌ حمَّاداً فأَخبره بذلك ، وأمره بالمَسير إليه معه . فقال له حماد : دَعنى ، فإن دولتى كانت مع بنى أُمية ، ومالى عند هؤلاء خَير . فأَبى مُطيع إلّا الذَّهابَ إليه . فأستعار حمّاد سواداً وسيفاً ثم أتاه . فمَضَى به مُطيع إلى جَعفر ، فلما دَخل عليه سلَّم سلاماً حَسناً وأثنى عليه وذَكر فَضله . فردّ عليه وأمره بالجُلوس ، فجلس . فقال له جعفر : أَنشدنى . فقال : لمن أيها الأمير ؟ لشاعر بعينه أو لمن حَضر ؟ قال : لجرير . قال : فَسلخ الله شعر جَرير من قَلبى إلا قولَه :

بانَ الخَليطُ برامتَيْن فودَّعوا ... أَوَكُلَّما أعْتزموا لبَيْنٍ تجزَعُ

(١) رامتان : رامة ، منزل فى طريق البصرة إلى مكة . يأتى فى الشعر مثنى ومجموعاً .

فاندفعتُ أُنشده إيّاها حتى أنتهيتُ إلى قوله :

وتقول بوزَعُ قد دَببتَ على العصا هلّا هَزِئتِ بغيرنا يا بَوْزَعُ

قال حماد : فقال لى جعفر : أعد . فأعدته . فقال لى : بوزع ، أى شىء هو ؟ فقلت : أمرأة أسمها بوزع . فقال : هو برىء من الله ورسوله ، ونفىٌّ من العبّاس أبن عبد المطلب إن كان بوزع إلّا غُولاً ! تركتنى والله يا هذا لا أنام الليلةَ من فَزع بوزع ! يا غِلمان ، قفاه ! فصُفِعْتُ والله حتى لم أدر أين أنا . ثم قال جُرُّوا برجله . فجرُّوا برجلى حتى خَرجتُ من بين يديه مَسْحوباً ؛ فتخرّق السَّواد ، وأنكسر جفنُ السّيف ، ولقيتُ شرًّا عظيما مما جرى علىّ . وكان أغلظَ من ذلك كلِّه وأشدَّه بلاءً إغرامى ثمنَ السّواد وجفنِ السّيف . فلما أنصرفتُ أتانى مُطيع يتوجَّع لى . فقلتُ له : ألم أُخبرك أنّى لا أُصيب منهم خيراً ، وأن حظّى مَضى مع بنى أُمية .

طلب من بعض الرؤساء حاجة فقضاها له

وقيل :

كتب حمّاد إلى بعض أشراف الرُّؤساء :

إنّ لى حاجةً فرأيك فيها لك نَفسى فِدًى من الأَوْصابِ

وهى ليستْ مما يُبلِّغها غيْـ ـرى ولا يَستطيعها فى كتاب

غيرَ أنى أقولُها حين ألقا ك رُوَيْدًا أُسِرُّها فى حِجاب

فكتب إليه الرَّجلُ : أُكتُب بحاجتك ولا تَشْهرنى بشعرك . فكتب إليه حمّاد :

إنّنى عاشقٌ لجُبَّتك الدَّكْـ ـناء عِشْقاً قد حال دون الشَّرابِ

فاكسُنيها فدتْك نفسى وأهلى أتباهى بها على الأَصحاب

ولك اللهُ والأَمانةُ أن أجـ ـعلَها عُمرَها أميرَ ثِيابى

فبعث إليه بها .

بدء حياته

وذُكر أنّ حمّاداً كان فى أوّل أمره يتشطَّر ويَصحب الصَّعاليك واللُّصوص ، فنَقَب ليلةً على رجل وأَخذ مالَه ، فكان فيه جُزء من شعر الأنصار ، فقرأه حمّاد وأستحلاه وتحفَّظه ، ثم طلب الأَدب والشِّعر وأيّام الناس ولغاتِ العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه ، فبلَغ فى العِلم ما بلغ .

رأى المفضل فيه

وذُكر أن المُفضَّل الضَّبى كان يقول :

قد سُلِّط على الشعر من حمّاد ما أَفسده فلا يَصلح أبداً ! فقيل له : وكيف ذلك ؟ أَيُخطىء فى روايته أو يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العِلم يردُّون مَن أخطأ إلى الصواب ، لا ، ولكنّه رجلٌ عالم بلُغات العرب وأشعارها ، ومَذاهب الشعراء ومَعانيهم ، فلا يزال يقول الشِّعر يُشبه به مذهَب رجلٍ ، ويُدخله فى شعره ، ويُحْمَل عنه ذلك فى الآفاق ، فيختلط بأشعار القدماء ، ولا يَتميّز الصَّحيح منها إلّا عند عالم ناقد ، وأين ذاك !

رأى المهدى فيه وفى المفضل

وحكى بعضهم قال :

كُنَّا فى دار أمير المُؤمنين المَهدىّ بعيساباذ[1] ، وقد أُجتمع فيها عدَّةٌ من الرُّواة والعُلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولُغاتها ، إذ خَرج بعض أصحاب المهدىّ ، فدَعا بالمُفضَّل الضَّبى الرّاوية ، فَدخل . فمكث مليًّا . ثم خرج ذلك الرجلُ بعينه فَدعا بحمّاد الرّاوية . فدخل . فمكث مليًّا . ثم خَرج إلينا ومعه حمَّاد والمُفضَّل جميعاً ، وقد بان فى وَجه حمَّاد الأنكسار ، وفى وجه المُفضَّل النشاطُ . ثم خَرج حُسين الخادم بعدها ، فقال : يا معشرَ من حَضر من أهل العِلم ، إن أمير المُؤمنين يُعلمكم أنه قد وَصل حماداً الشاعرَ بعشرين ألف درهم ، لجودة

(١) كانت شرقى بغداد .

شِعره ، وأبطل روايتــه لِزيادته فى أشعار العرب ما ليس فيهـا ، ووَصل المُفضَّل بخَمسين ألفاً لصِدْقه وصحَّــة روايته ، فمن أراد أن يَسمع شعراً جيداً مُحدثاً فلْيسمع من حمَّاد ، ومن أراد رواية صحيحة فَلْيأْخذها من المُفضَّل .

فسألنا عن السَّبب فى ذلك ، فأخبرنا أن المَهـدىَّ قال للمُفضل ، لمّـا دعا به وحدَه : إنى رأيت زُهيرَ بن أبى سُلْمى قد اُفتتح قصيـدته بأن قال :

دَع ذا وعَـدِّ القولَ فى هَرِم خَيرِ الـكُهول وسَيِّد الحَضْرِ

ولم يتقدَّم قولٌ قبـل ذلك ، فما الذى أمر نفسَه بتركه ؟ فقال له المُفضَّل : ما سمعتُ فى هـذا يا أمير المؤمنين شيئاً ، إلا أنى توهّمتُـه يُفكر فى قول ليقوله ، أَو يُروِّى فى أن يقول شعراً ، فعدل عنه إلى مَدح هَرِم ، فقال : دَع ذا . أوكان مفكِّراً فى شىء من شأنه فتركه ، وقال : دع ذا ، أى دع ما أنت فيه من الفِـكر وعَدِّ القولَ فى هرم . فأمسك المهدىُّ عنه . ثم دعا بحمّاد فسأله عن مثـل ما سأل عنه المُفضل . فقال : ليس هكذا قال زُهير يا أمير المُؤمنين . قال : فـكيف قال ؟ فأنشده :

لمن الديار بقُنَّـــة الحَجْر أَقْوَيْنَ من حِجَجٍ ومن[1] دَهْرِ
قَفْر بمُنْدَفع النَّحـائت من ضَفْوَى بذات الضَّال[2] والسِّدْر
دَع ذا وعَـــدِّ القولَ فى هَرِم خـيرِ الـكُهول وسَـيِّد الحَضْر

فأطرق المهدىُّ ساعةً ، ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لا بُدَّ من استحلافك عليـه . ثم اُستحلفه بأيمان البَيْعة وكُلِّ أيمان مُحْرِجة

(١) القنة : أعلى الجبل ، وما أشرف من الأرض . والحجر : موضع . ورواية الأغانى : « مذ حجج ومذدهر » .

(٢) النحائت : آبار بعينها . وضفوى : دون المدينة . والضال : السدر البرى ، فإن نبت على شطوط الأنهار ، فهو عبرى . وهو يريد به الأول ، فعطف عليه للمغايرة . والرواية فى الأغانى : « ضفوى أولات » .

لَيَصْدُقَنَّه عن كُل ما يسأله عنه ، فحلف له . فلما توثَّق منه قال : أصدُقنى عن حال هذه الأَبيات ومَن أَضافها إلى زُهير ؟ فأقرّ له حينئذ أنه قائلُها . فأمر فيه وفى المُفضَّل بما أمر به من شُهرة أمرِهما وكَشْفه .

الشعرالذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ حماد ، هو :

تَنكَّر من سُعْدَى وأَقفرَ من هِنْدِ ... مُقامُهما بين الرَّغامَيْن[1] فالْفَرْدِ
مَحَلٌّ لسُعْدى طالما سكنتْ به ... فأَوْحش ممَّن كان يسكُنه بعدى

* * *

الصوت الذى فيه غناء عبادل

قلت :

ثم أَتبع أبو الفرج أخبار حمّاد الراوية بأخبار عَبادل المُغنى ، ولم أجد فيها ما أختاره . ثم أتبع ذلك بذكر صوت فيه الغناء ، وهو :

ليست نَعمْ منك للعافين[2] مُسْجَلةً ... من التخلُّق لكنْ شيمةٌ خُلُقُ
يكادُ بابُك من عِلْمٍ بصاحبه ... من دُون بوّابه للناس[3] يَندلقُ

وذُكر أن البيت الأول من هذين البيتين لطُريح الثَّقفى من قَصيدة يمدح بها الوليدَ بن يزيد ، والثانى لإبراهيم بن هَرمة .

قصيدة طريح

فأما القصيدة التى لطريح فإنه يقول فى تَشبيبها :

تقول والعِيسُ قد شُدَّت[4] بأرْحُلنا ... أَلْحَقَّ أنك منّا اليومَ مُنطلِقُ
قلتُ نعم فاُكظِمى قالت وما جَلَدى ... ولا أظُن اجتماعاً حين نَفترق
فقلت إنْ أَحْىَ لا أُطوِلْ بِعادَكمُ ... وكيف والقلبُ رهنٌ عندكم[5] غَلَق
فارقتُها لا فؤادى من تذكُّرها ... سالِى الهُمومِ ولا حَبْلى لها خَلَق

(١) الرغام : رملة من نواحى اليمامة . وثناه الشاعر للضرورة . والفرد : موضع .
(٢) مسجلة : مبذولة أو مرسلة .
(٣) يندلق : ينفتح فى خفة وشدة .
(٤) فى رواية : « بأرحلها » .
(٥) غلق : أى لا فكاك له .

فاضتْ على إثرهم عيناكَ[(١)] أدْمُعها ... كما تتابع يجرى اللؤلؤ النَّسَق

فاْستبْقِ عينَك لا يُودى البُكاءُ بها ... واْكفُفْ بوادرَ من عَيْنيك[(٢)] تَستبق

ليس الشُّؤون وإن جادت بباقيةٍ ... ولا الجُفونُ على هذا ولا الحَدَق

يقول فى المديح :

وما نَعَمْ منك للعافين مُسْجَلةٌ ... من التخلُّق لكنْ شيمةٌ خُلُقُ

ساهمتَ فيها وفى «لا» فاْختصصتَ بها ... وطار قومٌ بلا والذَّمِّ فاْنطلقوا

قومٌ همُ شَرَف الدُّنيا وسُؤددُها ... صَفْوٌ على الناس لم يُخْلَط بهم رَنَق

إن حاربُوا وَضَعوا أو سَالموا رَفَعوا ... أو عاقدوا أحْكموا[(٣)] أو حدَّثوا صَدقوا

* * *

[رجع إلى أخبار ابن هرمة] .

ابن هرمة والعباس ابن الوليد

وأما البيت الثانى المَنسوب إلى اْبن هَرمة ، فذكر أبو الفَرج أن العبّاس اْبن الوليد بن عَبد الملك بن مَروان كان بَخيلاً لا يُحبُّ أن يُعطى أحداً شيئاً ، فقال : ما للشُّعراء تمدح أهل بيتى أجمع ولا تَمدحنى ! فبلغ ذلك اْبنَ هرمة ، وكان قد مَدحه فلم يُثبه ، فقال يُعرِّض به ويَمدح عبدَ الواحد بن سُليمان بن عبد الملك ابن مَروان :

ومُعْجَب بمديح الشِّعر يَمنعه ... من المديح ثوابُ الشِّعر[(٤)] والشَّفَقُ

يا آبِيَ المَدْح من قولٍ يُحبِّره ... ذو نِيقةٍ فى حَواشى شعره[(٥)] أَنَق

إنَّك والمدحَ كالعَذْراء يُعجبها ... حُسْنُ الرِّجال ويَثْنى قَلْبها الفَرَق

---

(١) فى الأغانى : « دمعهما » .

(٢) فى الأغانى : « بوادر دمع منك » .

(٣) فى الأغانى : « ضمنوا » .

(٤) فى الأغانى : « المدح » .

(٥) يحبره : يجوده ويحسنه . والنيقة : التجود فى الأمر والمبالغة فيه . والأنق : الروعة والحسن .

لـكنْ بمَدْين من مُفْضَى (١) سُوَيْمرة ... من لا يُذَمُّ ولا يُشْنَأ له خُلُق
أهلُ المـدائح تأتيـه فتَمْدحه ... والمـادحُون إذا قالوا له صَـدَقوا

يقول فيها :

يكاد بابُك من جُودٍ ومن كَرم ... من دُون بوّابه للنـاس يَنْدَلق

حَكى ابنُ هرمة قال :

ابن هرمة وعبد الواحد ابن سليمان

كان أولُ من رفعنى فى الشعر عبدُ الواحد بن سُليمان بن عبد الملك ، فأخذ علىّ ألّا أمدح غيرَه ، وكان والياً على المدينة ، فكان لا يَدَع برّى وصِلتى والقيام بمؤونتى . فلم يَنْشَب أن عُزِل ووُلِّىَ غيره مكانَه . وكان الوالى من بنى الحارث ابن كَعب . فدَعَتْنى نَفْسى إلى مَدْحه طمعاً أن يَهب لى ، كما كان عبدُ الواحد يهب لى ، فمدحتُه ، فلم يَصنع بى ما ظننتُ . ثم قَدم عبدُ الواحد المدينةَ فأُخبر أنى مدحتُ الذى عُزل به . فأمر بى فحُجبت عنه ، ورُمت الدُّخول عليه ، فمُنعتُ . فلم أَدَعْ بالمدينة وجهاً ولا رجلاً له نَباهة وقَدْر من قُريش إلّا سألته أن يشفع لى فى أن يُعيدَنى إلى منزلتى ، فيأبى ذلك ولا يفعله . فلما أعوزتْنى الحِيلُ أتيتُ عبدَ الله بن الحَسَن بن الحسَن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فقلتُ : يابن رسول الله ، إن هـذا الرجل قد أكرمنى وأخذ علىّ ألّا أَمدح أحداً غيرَه ، فأعطيتُه بذلك عهـداً ، ثم دعانى الشَّره والنَّكَدُ إلى أن مدحتُ الوالى بعـده . وقَصصتُ عليـه قصّتى وسألته أن يَشفع لى . فرَكِب معى . فأخبرنى الواقفُ على رأس عبد الواحد أنّ عبد الله لمّا دخل ، قام عبدُ الواحد فعانقَه وأجلسه إلى جَنْبه ثم قال : أحاجةٌ غدت بك أصلحك الله ؟ قال : نعم . قال : كُل حاجة مَقْضية إلّا ابنَ هرمة . قال : إن رأيت ألّا تَستثنى فى حاجتى فأفعل . قال : قد فعلتُ .

(١) مدين : تجاه تبوك بين المدينة والشام . وسويمرة : فى نواحى المدينة .

قال : لحاجتى أبنُ هرمة . قال : قد رَضِيتُ عنه وأعدته إلى منزلته . قال : فتأذن له أن يُنشدك ؟ قال : فتُعْفينى من هذه ؟ قال : أسألك أن تفعل . قال أئتوا به . فدخلتُ عليه وأنشدتُه قولى فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةَ الجَناحِ

فغضب عبدُ الله بن الحَسن حتى أنقطع رِزُّه[1] ، ثم وثب مُغضَباً . وأوجزت فى الإنشاد ، ثم لحقتُه فقلت : جزاك الله خيراً يا بن رسول الله ! قال : لكن لا جزاك خيراً ياماصَّ بَظْر أُمه ! تقول لأبن مَرْوان :

* وكان أبوك قادمة الجَناح *

بحَضرتى ، وأنا أبنُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأبن على بن أبى طالب ؟ فقلت : جَعلنى الله فِداك ! إنى قلتُ قولاً أخدعه به طلباً للدُّنيا ، ووالله ما قِسْتُ بكم أحداً قَطُّ ، ألم تَسمعنى قد قلتُ :

* و بعض القول يذهب بالرِّياح *

فضَحك عبدُ الله وقال : قاتلك الله ! ما أظرفك !

قال أبو الفرج :

وهذه القصيدة الحائية ، التى مَدح بها أبنُ هرمة عبدَ الواحد بن سُليمان ، من فاخر الشِّعر ونادر الكلام ومن جيِّد شعر أبن هَرمة خاصّةً ، وأولُها :

صَرَمْتَ حَبائلاً من حُبِّ سَلْمى لهندٍ ما عَمَدتَ لمُسْتَراحِ
فإنك إن تُقِم لم تَلْق هِنْداً و إن تَرْحل فقلبُك غيرُ صاحى
يَظَلُّ نهارَه يَهذِى بهندٍ و يأْرَق ليلَه حتّى الصّباح
أعبدَ الواحد المَحْمُودَ إنّى أَغَصُّ حِذار سُخطك بالقَراح

(١) الرز : الصوت .

فشُلَّت رَاحتَاى ومال مُهرى   وألقانى بمُشْتَجر الرِّماح
وأقعدنى الزَّمانُ فبِتُّ صِفراً   من المال المُعزَّب[١] والمُراح
إذا فَخَّمْتُ غيرَكَ فى ثَنائى   ونُصْحى فى المَغيبة وامْتداحى
كأنّ قصائدى لك فاصْطنعنى   كرائمُ قد عُضِلْنَ[٢] عن النِّكاح
فإن أكُ قد هَفَوْتُ إلى أمير   فعَنْ غير التطوُّع والسَّماح
ولكن سَقْطةٌ كُتبتْ[٣] علينا   و بعضُ القول يَذهب فى الرِّياح
لعمرك إنّنى وبَنى عَدىٍّ   ومَن يَهوى رَشادِى أو صَلاحى
إذا لم تَرْض عنِّى أو تَصِلْنى   لفى حَيْنٍ أُعالجه مُتَاح
و إنك إن حَطَطْتُ إليك رَحْلى   بغَرْبِىِّ الشَّرَاة[٤] لذُو ارْتياح
هَششتَ لحاجةٍ ووعدتَ أخرى   ولم تَبْخل بناجزة السَّراح
وجَدْنا غالباً كانت جَناحاً   وكان أبوك قادمةَ الجَناح
إذا جَعل البخيلُ البُخْل تُرْساً   وكان سلاحَه دُون السِّلاح
فإنَّ سِلاحك المَعروفُ حتى   تَفوزَ بعِرْض ذى شِيَم صِحَاح

بين الجمحى و بينه فى مدحه عبد الواحد

وذَكر عبدُ الله بن إبراهيم الجُمحيّ قال :

قلتُ لابن هَرْمة : أتمدح عبد الواحد بن سُليمان بشعر ما مدحتَ به أحداً غيره ، فتقول فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً   وكان أبوك قادمةَ الجَناحِ
أعبد الواحد المَحْمودَ إنى   أغصُّ حِذَار سُخْطك بالقَراح

(١) المال : الإبل . والمعزب : الذى يبيت فى المرعى ولم يرح . والمراح : الذى رد إلى مأواه .
(٢) عضلن : منعن . (٣) فى رواية : « عيبت » . (٤) الشراة : صقع بالشام .

فبأى شىء أستوجب هـذا منك ؟ فقال : أُخبرك بالقصّة لتعذُرنى : أصابتنى أزمة وقَحْمة[(١)] بالمدينة ، فاستنهضتْنى ابنـةُ عمِّى للخُروج ، فقلت لها : إنه ليس عندى ما يُقِلُّ جَناحى . فقالت : أنا أُنهِضك بما أمكننى.وكانت عندى نابٌ لى، فنهضتُ عليها حتى دفَعْتُ إلى دمشق ، فأويتُ إلى مسجد عبد الواحد فى جَوف الليل ، فجلستُ فيه أنتظره ، إلى أن نظرتُ إلى بُزوغ الفجر ، فإذا البـاب ينْفلق عن رجل كأنه البدر ، فدنا فأذَّن وصـلّى ركعتين ، فتأمّلتُه فإذا هو عبـد الواحد ، فقُمت فدنوتُ منـه وسلّمت عليه . فقال : يا أبا إسحاق ، أهلاً ومرحباً . فقلتُ : لَبَّيك ، بأبى أنت وأمى ،حيَّـاك الله بالسَّلام وقرّبك من رضوانه. فقال : أما آن لك أن تَزُورنا! فقدطال العَهد واشتدّ الشوق ، ما وراءك ؟ فقلت : لا تسألنى بأبى أنت وأمى ، فإنّ الدهر قد أَخْنَى علىّ ، فما وجدتُ مُستغاثاً غيرَك . فقال: لا ترُعْ ، فقد قدمتَ على ما تُحبّ إن شاء الله . فوالله إنى لأُخاطبه إذا بثلاثة فِتْيَة كأنّهم الأشطان[(٢)] ، فسلّموا عليه. فاستدنى الأكبر منهم فهَمَس إليه بشىء دُونى ودون أخوَيْه . فمضى إلى البيت ثم رَجع فجلس إليـه فكلّمه بشىء ثم ولَّى . فلم يلبث أن خَرج ومعه عبدٌ ضابط[(٣)] يَحمل عِبْئاً من الثّيـاب حتى ضَرب به بين يدىّ . ثم هَمس إليه ثانية ، فعاد . وإذا به قد رجع ومعـه مثلُ ذلك ، فضَرب به بين يدىّ . فقال لى عبدُ الواحد: اُدْن أبا إسحاق، فإنى أعلم أنك لم تَصر إلىّ حتى تَفاقم صَدْعك ، فخُذ هذا وارجع إلى عيالك ، فوالله ما سَلَلْنا لك هذا إلّا من أشداق عِيالنا، ودفع إلىّ ألف دينار ، وقال لى: قُم فارحل فأَغِثْ مَن وراءك . فقُمت إلى

(١) القحمة : القحط والسنة الشديدة .

(٢) الأشطان : جمع شطن ، وهو الحبل .

(٣) ضابط : قوى شديد .

الباب ،فلما نظرتُ إلى ناقتى ضِقْت . فقال لى : ما أظُن هذه مُبْلغتك ! يا غُلام ، قَدِّم إليـه جَملى فلاناً . فوالله لـكنتُ بالجمل أشـدَّ سُروراً منى بكُل ما نِلْته . فلا تَلومنِّى أن أغَصّ حِذار سُخط هذا بالقَراح .

بين المهدى وأبيه المنصور وقد قصر فى جائزته

وذُكر أن ابن هرمة دخل على المَنصور فقال : يا أمير المُؤمنين ، إنّى قد مدحتُك مدحةً لم يَمدح أحدٌ أحداً بمثلها .فقال : وما عسى أن تقول فىّ بعد قول كَعب[1] فى آل المُهلب :

بَراكَ اللهُ حين براكَ بَحْـراً ... وفَجَّر منك أنهـاراً غِزارَا

فقال له : قد قلتُ أحسن من هذا . قال : هاتِ . فأنشده :

له لَحَظاتٌ عن حِفـافَىْ سَريره ... إذا كَرَّها فيهـا عِقـابٌ ونائلُ

فأُمُّ الذى أمَّنتَ آمنـةُ الرَّدى ... وأُمُّ الذى خَوَّفْتَ بالثُّكل ثاكِل

فأمرَ له بأربعـة آلاف دِرهم . فقال له ابنه المَهـدىّ : يا أميرالمؤمنين ، قد تكلّف إليك فى سَـفره نَحوها . فقال له المَنصور : يا بُنى، قد وهبتُ له ما هو أعظم من ذاك ، وهبت له نَفسه ، أليس هو القائل لعبد الواحد بن سُليمان :

إذا قيـل مَن خَيرُ مَن يُرتَجى ... لمُعـترٍّ[2] فهْرٍ ومُحْتاجِهـا

ومن يُعجل الخَيلَ يومَ الوَغى ... بإلجامهـا قبـل إسراجهـا

أشارتْ نِسـاء بنى مالكٍ ... إليكَ بها قَبْـل أزواجهـا

وهذا الشِّعر من فاخر شِعر ابن هَرمة ، وأولها :

أجارتَنـا رَوِّحى نَغْمةً ... على هائمِ النَّفس مُهْتاجهـا

فلا خَـيْر فى وُدِّ مُسْـتكرِهٍ ... ولا حاجةٍ قبـل إنْضاجهـا

---

(١) هو كعب بن معدان ، من الأزد ، وأمه من عبد القيس . وستأتى ترجمته .

(٢) المعتر : المتعرض للمعروف دون أن يسأل .

يقول فى المديح :

إلى مَلِكٍ لا إلى سُـوقةٍ كَسَته المُلوك ذُرَا تَاجهـا
تَحُـلُّ الوُفـودُ بأبوابهِ فتلْقى الغِنَى قبـل إرْتاجهـا
رَكُود الجِفان غداةَ الصَّبا ويومَ الشَّمال[1] و إرْهاجها

هو ورسول المنصور وقد دسه عليه

وحَـكى محمدَ بن سُليمان بن المنصور قال :

وجَّه المنصور رسولاً قاصـداً إلى ابن هَرْمة ودَفع إليه ألف دينـار وخِلعة ، ووَصفه له وقال : امْض إليه ، فإنك تراه فى مجلس كذا من المَسجد ، فانْتسب له إلى بنى أُمية ومواليهم ، واسأله أن يُنشدك قصيدتَه الحائية التى يَمدح بها عبدَ الواحد ابن سُليمان :

وجدنا غالباً كانت جَنـاحاً وكان أبوك قادمةَ الجَنـاح

فإن أنشدكها فأخرجه من المسجد واضْرب عُنقه وجئنى برأسه ، و إن أنشدك قصيدتى اللاميـة التى يَمدحنى فيها ، فادفع إليـه الألف الدينار والخِلعة ، وما أراه يُنشدك غيرها ، ولا يعترف بالحائية . وأتاه الرسولُ فوجده كما قال المنصور ، فجلس فاستنشده قصيدتَه فى عَبد الواحد . فقال : ما قلتُ هـذه القصيدةَ ولا أعرفها ، و إنما نَحلها إياى من يُعادينى . ولـكن إن شِئتَ أنشدتُك أحسن منهـا . فقال : قد شئتُ فهات . فأنشده :

* سَرى ثوبَه عنك الصِّبا المُتخايل *

حتى أتى على آخرها . ثم قال : هات ما أمر لى به أميرُ المؤمنين أن تَدفعـه إلىّ . فقال : أى شىء هو يا هذا ؟ فقال : دَع ذا عنك ، فوالله ما بَعث بك إلّا

(١) الركود من الجفان : الثقيل المملوء . والإرهاج : الامطار .

ومعك مالٌ وكُسوة ، وأمركَ أن تسألني عن هـذه القصيدة ، فإن أنشدتُك إيّاها ضربتَ عُنق وحَملت رأسي إليه ، وإن أنشدتُك هذه دفعتَ إليّ ما حَمَّلك إياه . فضحك الرّسولُ وقال : صدقتَ لَعَمْرى ! ودفع إليه الألف دينار والخِلعة .

قال : فما سمعنا شيئاً أعجبَ مِن حديثهما (١) .

---

(١) وجاء هنا آخر مخطوطة المتحف البريطاني : « والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

تم كتاب الأغاني بحمد الله تعالى على يد العبد الفقير محمد بن عبد الله
خطيب جامع الشيخ علوان بحماه المحمية ، من كل بلية ، غفر الله له ولمالكه وللمسلمين أجمعين
فى العشر للآخر من شهر رمضـــان المعظم من شهور سنة ألف ومائة وعشر . والحمد لله على التمام
وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام

أخبـار المرقشين
الأكبر والأصغر

الأكبر وشىء عنه

أما الأكبر منهما فاسمُه عمرو — وقيـل : عَوف — ابن سَـعد بن مالك ابن ضُبيعة بن قَيس بن ثعلبـة بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل . و إنما لُقِّب المرقِّش لقوله :

الدارُ وحشٌ والرُّســوم كما رقَّش فى ظَهر الأَديم قَـلَمْ

وهو أحدُ من قال شعراً فلُقِّب به . وهو أحد المُتيَّمين ، كان يهوى اُبنة عمه أَسماء بنت عَوف بن ضُبيعة .

الأصغر وشىء عنه

وأما الأصـغر فهو اُبن أخى المُرقِّش الأكبر . وهو رَبيعة بن سُفيان بن سَـعد ابن مالك — وقيل : عمرُو بن حَرملة بن سَعد بن مالك — وهو أحد المتيَّمين أيضاً ، كان يهوى فاطمةَ بنت الملك المُنذر ويُشبِّب بها .

من شجاعتهما

وكان للمرقِّشَيْن معاً موقع ، فى بكر بن وائل وحُروبها مع بنى تَغلب ، وبأسٌ وشجاعة ، ونَجدة وتقدُّم فى المَشاهد ، ونِـكاية فى العدوّ وحُسن أثر .

عم الأكبر وشىء من شجاعته

وكان عَوف بن مالك بن ضُبيعة ، عمُّ المرقِّش الأكبر ، من فُرسان بكر ابن وائل ، وهو القائل يوم قِضِة ، وهو أحد الأيام التى كانت فيها الحربُ بين بكر وتغلب : أفى كل يوم فِرار ! أَمَا ومَحْلوفى لا يَمُرّ بى رجلٌ من بكر بن وائل منهزماً إلا ضربتُه بسيفى . فسُمِّى « البُرَك » يومئذٍ .

أخو الأكبر وشىء من شجاعته

وكان أخوه عمرُو بن مالك من فُرسان بَـكر . وهو الذى أَسر مُهلهل بن ربيعة ، أخا كُلَيْب : التقيا فى خَيْلين من غير مُزاحفـة ، فى بعض الغـارات بين بكر

وتغلب،فى موضع يقال له : نقَا الرَّمل.فانهزمت خيلُ مُهلهل،وأدركه عمرُو بن مالك فأسره ، فانطلق به إلى قومه، وهم فى نواحى هَجَر، فأحسن إساره. ومر عليه تاجر يبيع الخمر قَدِم بها من هَجَر ، وكان صديقاً لمُهَلْهِل يَشترى منه الخمر . فأهدى إليه وهو أسير زِقّ خَمر ، فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بكراً وشربوا عند مهلهل فى بيته . وقد أفرد له عمرٌو بيتاً يكون فيه . فلما أخذ فيهم الشرابُ تَغنّى مُهلهل فيما كان يقوله من الشِّعر و ينُوح به على كُليب . فسَمع ذلك عمرُو بن مالك ، فقال : إنه لريّان ، والله لايَشرب عندى ماء حتى يَرِدَ رَبيبٌ — يعنى جملاً كان لعمرو بن مالك ، كان يتناول الدِّهاسَ [1] من أجواف هَجر فيرعى فيها غِبًّا بعد عَشر فى حَمارَّة القيظ — فطلبت رُكْبانُ بنى مالك رَبيباً ، وهم حِراصٌ على ألّا يُقتل مُهلهل ، فلم يقدروا على البعير حتى مات مُهلهل عطشاً . وكان هَبَنَّقةُ القَيسىّ ، أحد بنى قيس بن ثعلبة، واسمه يزيد بن ثَرْوان، مُحمَّقاً، وهو الذى تَضرب به العرب المَثل فى الحُمق ، يقول : لا يكون لى جَمل أبداً إلّا سميتهُ ربيباً . يعنى أن ربيباً مُباركاً لقتله مُهلهلاً .

تعشقه ابنة عمه و حديث زواجها وموته

وذُكر أن المُرقِّش الأكبر عَشِق ابنة عمِّه أسماء بنت عَوف بن مالك ، وهو البُرَك ، فخطبها إلى أبيها ، فقال : لا أُزوِّجك حتى تُعرَف بالبأس — وهذا قَبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن — وكان يَعده فيها المَواعيد . ثم انطلق مُرقِّش إلى مَلك من المُلوك ، فكان عنده زماناً ، ومَدحه فأجازه . وأصاب عوفاً زمانٌ شديد ، فأتاه رجلٌ من مُراد،أحد بنى غُطيف، فأرغبه فى المال ، فزوّجه أسماء على مائة من الإبل ، ثم تنحَّى عن بنى سَعد بن مالك . ورجع مرقِّش . فقال إخوتُه : لا تُخبروه إلا أنها ماتت . فذَبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودَفنوا عِظامه ولفُّوها فى مِلْحَفة ثم قبروها . فلما قَدِم مُرقِّش عليهم أخبروه أنها ماتت ، وأتَوْا به

(١) الدهاس : المكان السهل ليس برمل و لا تراب .

موضعَ القبر ، فنظَر إليــه . وكان بعد ذلك يعتاده ويَزُوره . فبينا هو ذاتَ يوم مُضطجع وقد تغطَّى بثوبه ، وابنا أخيه يلعبان بكَعْبين لهما ، إذ اُختصما فى كَعب ، فقال أحدُهما : هذا كعبى أعطانيه أبى من الـكَبش الذى دفنوه ، وقالوا : إذا جاء مُرقِّش أخبرناه أنه قبر أسماء . فكَشف مُرقِّش عن رأسه ودعا الغُـلام ، وكان قد ضَنِىَ ضَنًى شـديداً ، فسأله عن الحديث . فأَخبره بتزْويج المُرادىّ أسمـاء . فدعا مُرقِّش وليدةً له ولها زَوج من غُفَيلة ، وكان عَسيفاً[1] لمرقِّش ، فأمرها أن تدعوَ له زوجَها ، فدعتْه ، وكانت له رَواحل ، فأَمره بإحضارها ليطلب المُرادىّ . فأَحضره إياها. فرَكبها ومَضى فى طَلَبـه ، فمرَض فى الطريق حتى ما يُحمل إلا معروضاً . وإنهما نزلا كهفاً بأسـفل نَجران ، وهى أرض مُراد ، ومع العُقيلىّ اُمرأته وليـدةُ مرقِّش ، فسمع مرقِّش زوجَ الوليـدة يقول لها : اتركيه فقد هَلك سقماً وهلـكنا معه ضُرًّا وجُوعاً . فجعلت الوليـدةُ تبكى من ذلك . فقال لها زوجُها : أطْعنى[2] فإنّى تاركُك وذاهبٌ . وكان مرقِّش يكتب — كان أبوه دفعه وأخاه حَرملة ، وكانا أحب ولده إليـه ، إلى نَصرانىّ من أهل الحيرة فعلَّمهما الخَط — فلما سمع مرقِّش قول العُقيلى كَتب مرقِّش على مُؤخَّرة الرَّحل هذه الأبيات :

يا صـاحبىّ تلبَّثا لا تَعْجَــلَا ... إنّ الرَّواح رهينُ ألا تفْعَــلَا
يا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغــا ... أَنَس بن سَعدٍ إن لقيتَ[3] وحَرْملا
لله دَرُّكما ودَرُّ أبيـكما ... أن يُفلت الغفَلِىُّ[4] حتى يقْتـلا
من مُبلغُ الأَقْوام أنّ مُرقِّشـا ... أضحى على الأصحـاب عِبئاً مُثْقـلا
وكأنمـا تَرِدُ السِّـباعُ بشِـلْوه ... إذ غاب جمعُ بنى ضُبَيْعة مَنْهَـلا

(١) العسيف : الأجير .
(٢) فى الأغانى : « أطيعينى » .
(٣) أنس وسعد : أخوا المرقش .
(٤) فى المفضليات : « إن أفلت » . والرواية فى الأغانى : « إن أفلت العبدان » .

وانطلق الغفَلى وامرأتُه حتى رجعا إلى أهلهما، فقالا : مات المرقِّش. ونظر حرملةُ إلى الرَّحل فجعل يقلِّبه ، فقرأ الأبيات ، فدعاهما وخوَّفهما وأمرهما أن يَصْدُقاه ، ففَعلا ، فقَتلهما . وقد كانا وَصفا له الموضعَ . فركب فى طلب المُرقِّش حتى أتى المكان ، فسأل عن خَبره ، فعَرف أن مرقِّشاً كان فى الكهف ولم يزل فيه، حتى إذا هو بغنم تَنزو على الغار الذى هو فيه، فأقبل راعيها إليها، فلما بَصُر به قال له : من أنت ؟ وما شأنك ؟ فقال له المُرقِّش : أنا رجل من مُراد ، فراعى من أنت ؟ قال : راعى فلان . فإذا هو راعى زَوج أَسماء . فقال له المرقِّش : أتستطيع أن تُكلم أسماء امرأة صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتينى جاريتُها كلَّ ليلة فأَحلُب لها عَنزاً فتأتيها بلَبنها . فقال له : خُذ خاتمى هذا فإذا حلبتَ فأَلْقه فى اللَّبن ، فإنها تعرفه ، وإنك ستُصيب به خيراً لم يصبه راعٍ قَطُّ إن أنت فعلت ذلك . فأَخذ الرَّاعى الخاتَم . ولما راحت الجاريةُ بالقَدح وحَلب لها العَنْز طَرح لها الخاتم فيه . فانطلقت به الجاريةُ وتركته بين يديها . فلما سكنت الرّغوة أخذتْه فشربته . وكذلك كانت تفعل ، فقرع الخاتَم ثَنيَّتها . فأخذتْه واستضاءت بالنار ، فعرفتْه . فقالت للجارية : ما هذا ؟ فقالت : ما لى به عِلْم. فأَرسلتها إلى مولاها فأَقبل فزعاً ، فقال : لم دعوتِنى ؟ فقالت : ادْع عبدَك راعى غَنمك. فدعاه . فقالت : سَلْه أين وجد هذا الخاتَم ؟ فقال : وجدتُه مع رجل فى مَوضع كذا ، فقال: اطرحه فى اللَّبن الذى تَشربه أسماء ، فإنك تُصيب به خيراً ، وما أدرى مَن هو ، ولقد تركتُه بآخر رمَق . فقال لها زوجها : وما هذا الخاتَم ؟ فقالت : خاتَم مرقِّش ، فأَعجل الساعةَ فى طلبه . فركب فرسَه وحَملها على فرس آخر حتى طرقاه من ليلتهما ، فاحتملاه إلى أهلهما ، فمات عند أسماء . وقال قبل موته :

سَرى نحوى[1] خيالٌ من سُلَيمى فأرّقنى وأصحـابى هُجودُ
فبتُّ أُدير أمرى كُلَّ حالٍ وأذكر أهلَهـا وهمُ بَعيـد
على أن قد سَمـا طَرْفى لنـارٍ يُشَبُّ لها بذى الأَرْطَى[2] وَقُود
حوالَيْهـا مَهاً بيضُ التَّراقِى وآرامٌ وغِزلانٌ رُقـود
نواعمُ لا تُعـالج بُؤْس عَيشٍ أوانسُ لا تروحُ[3] ولا تَرُود
يَرُحْن معاً بِطاءَ المشى[4] روداً عليهن المَجاسـد والبُرود
سَكنَّ ببـلدةٍ وسكنتُ أُخرى وقُطِّعَتِ المـواثقُ والعُهود
فما بالى أَفِى ويُخان عَهْـدى وما بالى أُصـاد ولا أَصِـيد
ورُبَّ أَسـيلة الخدَّين بِكرٍ مُنعَّمة لهـا فرعٌ وجيـد
وذو أُشُرٍ[5] شَتِيتُ النَّبت عذبٌ نَـقِىُّ اللَّونِ بَرَّاقٌ بَرود
لهوتُ بهـا زماناً فى شَـبابى وزارتْهـا النَّجـائب والقَصـيد
أُناسٌ كلمـا أُخلقتُ وصـلاً عَنـانى منهمُ وصلٌ جَـديد

الشعر الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغِناء، واُفتتح به أبوالفرج أخبار المُرقِّش الأكبر، هو :

النَّشر مسكٌ والوُجوه دنا نيرٌ وأطرافُ الأكُفِّ عَنَمْ
والدارُ وحشٌ والرُّسـوم كما رَقَّش فى ظَهـر الأَديم قَـلَم

فهذه أخبار المُرقِّش الأكبر.

الأصغر وخبره مع فاطمة

فأما خَبر الأصغر ، وهو الذى تقـدم ذكر نَسبه ، وهو ابن أخى الأكبر ، وعمّ طَرَفة بن العَبـد . وهو أشعر المُرقِّشين وأطولُهما عمراً . وهو الذى عَشِق فاطمة بنت الملك المُنذر .

(١) فى الأغانى : « ليلا » مكان « نحوى » .
(٢) الأرطى : شجر ينبت بالرمل ، عصيا من أصل واحد ،ويطول قدر قامة .
(٣) تروح . من الرواح . وهومع العشى. وترود : تسعى طالبة باحثة . وكأنه جعله فى مقابل الرواح نهاراً . أى لايعنين أنفسهن مع الإمساء والإصباح .
(٤) رودا : على مهل . وفى الأغانى : « بدا » أى كثيرات لحم الفخذين .
(٥) الأشر : تحزز فى الأسنان .

وخبره معها: أنه كانت فاطمة هذه لها وليدة يقال لها: بنت عَجْلان . وكان لها قصر بكاظمة وعليه حَرس . وكان الحرسُ كُلَّ ليلة ينثُرون التراب حول القَصر الذى فيه فاطمةُ ويَجُرُّون عليه ثوباً حتى يستوى، فلا يدخل عليها إلا ابنةُ عَجلان . فإذا كان الغد بَعث الملكُ بالقَافة فينظرون أثر من دخل عليها ويعودون فيقولون : لم نَر إلى ابنة عَجلان .

وكان لبنت عَجْلان كلَّ عُشية رجل ممن يُعجبها يبيت معها . وكان مرقِّش ترْعية [(١)] لا يفارق إبله. فأقام يوماً، وترَك إبله ظمأى . وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شَعراً . وكانت فاطمة بنت المنذر تقْعد فوق القصر تنظر إلى الناس . فجاء مرقِّش فبات عند ابنة العَجلان ، حتى إذا كان الغد تجرّدت عند مولاتها ، فقالت : ما هذا بفَخذيك ؟ فإذا نُكَتٌ كأنها آثار السِّياط من شدة حَفْزه إياها عند الجماع . فقالت : آثار رجل بات معى الليلة . وكانت فاطمةُ قالت لها : قد رأيتُ رجلاً جميلاً راح نحونا العشيةَ لم أره قبل ذلك . قالت : فإنه فتًى قَعد عن إبله وكان يرعاها ، وهو الفتى الجميلُ الذى رأيتِه ، وهو الذى بات معى الليلةَ فأثَر فىَّ هذه الآثار . فقالت لها فاطمة : إذا كان غدٌ وأتاك فقدِّمى له مِجمراً ومُريه أن يجلس عليه وأعطيه سِواكاً ، فإن استاك به أو رَدَّه فلا خَير عنده ، وإن قعد على المِجمر أو رَدَّه فلا خير عنده . فأتته بالمِجمر فقالت : اجلس عليه . فأبى وقال : أدْنيه منِّى، فدخَّن لحيته وجُمَّته وأبى أن يقعد عليه ، وأخذ السواكَ فقَطع رأسه واستاك به . فأتت ابنةُ عجلان فاطمةَ بنت الملك فأخبرتْها بما صنع . فازدادتْ به عجباً وقالت: ائتنى به. فتعلَّقت به كما كانت تتعلّق. فمضى معها وحملتْه على ظَهرها، وحزمت على بطنها بثوب وأدخلتْه [(٢)] إليها . فبات معها . فلما أصبح الملك بعث

---

(١) الترعية ، مثلثة التاء : الذى يحسن رعية الإبل .

(٢) الرواية فى الأغانى : « حملت بنت عجلان مرقشاً على ظهرها وحزمته إلى بطنها بثوب » .

بالقَافة فنظروا ، ثم عادوا إليه فقالوا : رأينا آثار ابنة العجلان وهى مُثقلة . فمكث كذلك حيناً يدخُل إليها . وكان عمرو بن جَناب بن عوف بن مالك يَرى ما يفعل ولا يعرف مَذْهبه . فقال له : ألم تكن عاهدْتنى عهداً ألّا تكتمنى شيئاً ولا أكتُمك ولا نتكاذب ؟ فأخبره مُرقِّش الخبرَ . فقال له : لا أرضى عنك ولا أكلمك أبداً أو تُدْخلَنى عليها ، وحلف على ذلك . فانطلق مرقِّش إلى المكان الذى كان يواعد فيه ابنة عَجلان ، فأجلسه فيه وانصرف ، وأخبره كيف يصنع . وكانا مُتشابهيْن ، غير أن عمراً كان أشعر . فأتتْه ابنة عَجلان فاحتملتْه وأدخلته إليها . وصَنع ما أمره به مرقِّش . فلما أراد مُباشرتها وجدتْ مسّ شعر فَخذيه واستنكرته، فإذا هو يُرْعَد . فدفعتْ صدرَه وقالت : قَبحَ الله سرًّا عند المُعَيْدىّ ! ودعت بنت عَجلان ، فذهبتْ به . فلما رأى صاحبُه أنه قد أسرع الكرّة ولم يلبث إلّا قليلاً ، علم أنه قد افتضح . فعضّ على إصبعه فقَطعها . ثم انطلق إلى أهله وترك إبله التى كان مُقيما فيها ، حياءً مما صنع ، وقال فى ذلك قصيدةً أولُها :

ألَا يا سَلْمَى لا صُرْمِ لِى اليومَ فاطمَا ... ولا أبداً ما دام وصلُكِ دائمَا

ومنها :

صحا قلبُه عنها على أنّ ذِكرةً ... إذا خَطرتْ دارتْ به الأرضُ قائما

ومنها :

وإنى لأَستحيى فُطَيمةَ جائعًا ... خَميصاً وأستحيى فُطيمةَ طاعِما

وإنى وإنْ كَلَّت قَلُوصى لراجمٌ ... بها وبنَفسى يا فُطَيم المَراجما

ومنها :

أفاطمَ لو أنّ النِّساء ببلدةٍ ... وأنتِ بأُخرى لاُتبَعتُك هائما

متى يشأ ذو الودّ يَصْرِم خليلَه ... ويَغْضَبْ عليه لا محالةَ ظالما

فمن يلق خيراً يحمد الناسُ أمره ومن يَغو لا يَعدم على الغيّ لائما
وآلى جَنابٌ حِلفَةً فأطعتَه فنفسَك وَلِّ اللَّوْمَ إن كنتَ[١] نادما
ألم تر أنّ المرء يَجْذم كفّه ويَجْشَم من لَوْم الصَّديق[٢] المَجاشما
أمن حُلُم أصبحتَ تنكُت[٣] واجماً وقد تَعْتَرِى الأحلامُ مَن كان نائما

ثم ذكر أبو الفرج وقعة «دُولاب» لتعلّقها بشعر فيه الغِناء، فنذكرها مُختصرة.

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: « لائما » .

(٢) يجذم : يقطع . ويجشم : يركب المكروه .

(٣) الواجم : الحزين المغتم ، وهو كثيراً ما ينكت الأرض ويخطط فيها بعود .

وقعة دولاب

الخوارج

لما حَكَّم أميرُ المُؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ومعاوية بن أبى سُفيان الحكَمين : أبا موسى الأشعرىّ وعمرو بن العاص، فارق عليًّا رضى الله عنه جماعةٌ من أصحابه وأكفروه بسبب التَّحكيم ، وقالوا : إنه حكَّم الرجال فى دِين الله ، ولا حَكَم إلا الله عزّ وجلّ . فدعاهم ووَعدهم ووَعظهم وأقام عليهم الُحجة . فأَصرّوا على ضَلالهم وعِنادهم. إلا فِرقة عَرفت الحق ورجعت إليه . ثم قاتل علىّ رضى الله عنه من أَصَرّ على الخرُوج عليه بالنَّهروان فأبادهم. وهذه الفرقة هى المارقة الذين أخبر عنهم رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أنهم يَمْرقون من الدّين كما يَمرق السهمُ من الرَّمية . ومَذْهبهم تولِّى أبى بكر وعُمر رضى الله عنهما خاصةً ، والتَّبرى من عثمان وعلىّ ، وطلحة ، والزُّبير ، وعائشة ، ومعاوية ، وأهل الشام والعراق ، وكُل من لم يَقُل بقولهم . ويُكفِّرون أهل دار الإسلام ، ويَستبيحون الدماء والأموال . وكانوا مع ذلك يُظهرون التعبُّد والتقشُّف . وسمَّوا أنفسهم الشّراة ظنًّا منهم أنهم قد شَرَوْا أنفسهم لله وبذلوها فى اتّباع مَرضاته. ومن هؤلاء القوم: عبدُ الرحمن بن مُلجم ، قاتل علىّ رضى الله عنه .

نافع بن الأزرق والحرب بينه وبين أهل البصرة

ولما أفضت الخلافةُ إلى مُعاوية صار يَخرج عليه منهم الطائفةُ بعد الطائفة . وظهر فيهم بعد موت معاوية وابنه يزيد ، رجلٌ يقال له : نافع بن الأزرق ، فأحدث فيهم مقالةً لم تكن قبل ذلك ، وأَباح قَتْل أطفال المُخالفين ، واُحتجّ بقوله تعالى: (وَلاَ يَلِدُوا إلا فَاجِراً كَفَّاراً) . واُتبعتْه طائفةٌ منهم يقال لهم الأزارقة، نِسبةً إليه . وخالفه فى ذلك سائر الخوارج وتَفرّقوا فرقاً كثيرة ، تُذكر فى كُتب المقالات .

وكان أهل العِراق لما مات يزيد بن معاوية قد أمّروا على أنفسهم عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المُطلب المَعروف بِبَبّة (١). فقصد نافعُ بن الأزرق ومن معه من الخوارج العراق وبَذلوا السيف وقتلوا الرجال والنّساء والولدان. وكانوا كلما وطئوا بلداً فعلوا به هذا، فإن أجابهم أهلُ ذلك البلد إلى الدُّخول في ملّتهم رفعوا السيف عنهم ووضعوا عليهم الجِباية. فاشتدت شوكتُهم، وعظُم أمرهم. فحرّض الأحنفُ بن قيس الناسَ بالبصرة على حَربهم، وطَلَب منه عبدُ الله بن الحارث أن يؤمِّر أميراً يَنهر الناس على فعالهم. فأمّر مُسلم بن عُبيس بن كُريز بن ربيعةَ، واجتمع إليه عشرة آلاف، وكان فارساً شجاعاً ديِّنا. فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال: إني ما خرجتُ لامتيار ذهب ولا فضة، وإني لأحارب قوماً إن ظفرتُ بهم فما وراءهم إلّا سُيوفهم أو رماحهم، فمن كانت نيّته الجِهاد فَلْينهض، ومن أحب الحياة فَلْيرجع. فرجع نَفر يسير ومَضى الباقون معه. وذلك في سنة خمس وستين. فلما صاروا بدُولاب، وهي قَرية من قُرى الأهواز بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ، خَرج إليهم نافع، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسّرت الرِّماح، وعُقِرت الخيل، وكثُرت الجِراح والقَتلى، وتَضاربوا بالسُّيوف والعَمَد. فقُتل في المَعركة ابن عُبيس أمير جيش البَصرة، ونافع بن الأزرق أمير الخوارج. وكانت الخوارج يومئذٍ نحو ستمائة رجل. فقام بأهل البصرة الربيعُ بن عمرو الغُداني، وقام بأمر الخوارج عبدُ الله بن بِشر بن الماحُوز — وكان الرّبيع يقال له: الأجذم، لأنّ يده كانت أُصيبت بكابُل مع عبد الرحمن بن سَمُرة — فبقيت الحربُ بينهم نيِّفاً وعشرين يوماً، فأصبح الرَّبيع بن عمرو ذاتَ يومٍ فقال لأصحابه: إنِّي مقتول لا محالة. قالوا: وكيف؟ قال: إني رأيتُ البارحةَ كأن يدي التي أُصيبت بكابُل انحطّت من السماء، فاستَشلتْني (٢). فلما كان من الغد قاتل إلى اللّيل، ثم غاداهم

(١) لقب به لكثرة لحمه في صغره.
(٢) استشلتني: استنقذتني.

القِتال . فقُتل يومئذٍ . فقام بأمر أهل البصرة الحجّاج بن باب الحميرىّ . وقد اُقتتل الناسُ يومئذٍ وقَبله بيومين قِتالاً شـديداً ، لم يَقْتتلوا مثلَه ، تَطاعنوا بالرِّماح حتى تقَصَّفت ، ثم تَضاربوا بالسُّيوف والعَمد حتى لم يَبْق لأحد منهم قُوة ، وحتى كان الرَّجل يَضرب الرجل فلا يُغنى شيئاً من الإعياء ، وحتى كانوا يترامَوْن بالحجارة ويتكادمون [1] بالأفواه . وقاتل الحجّاجُ بن باب قتالاً شديداً . ثم اُختلف هو وعِمْران بن الحارث الرَّاسبّى بضَرْبتين ، كُل واحد منهما قَتل صاحبه . ثم تحاجزوا، وأصبح أهلُ البصرة وقدهَرب عامّتهم. وقام بأمر أهل البصرة حارثةُ بن بدر الغُدانى. وجاء للخوارج مَدد من اليمامة فقوَُوا به ، واُنهزم حارثة بمن معه من أهل البصرة . وتبعتْهم الخوارجُ ، فألقى أهل البصرة أنفسهم فى دُجيل ، فغَرق منهم خَلْق كثير، وسلمت بقيّتُهم . فى ذلك يقول قَطرىُّ بن الفُجاءة المازنى من الخوارج — وقيل: قائله صالح بن عبد الله العَبْشمّى . وقيل: عَمرو القَنا . وقيل: حَبيب بن سهم — وهو الشعر الذى فيه الغناء واُفتتح به أبو الفرج خَبر وقعة دولاب ، وهو :

لعمرك إنِّى فى الحياة لزاهـدٌ … وفى العيش مالم أَلقَ أُمَّ حَـكِيم
مِن الخَفِرات البِيض لم أَر مِثْلَهـا … شِفـاءً لِذى بَثٍّ ولا لِسَقِيم
لعمرُك إنّى يومَ أضرب وَجْهها … على نائبات الدَّهر غـيرُ حَليم
فلوشهدتْنى يومَ دُولاب أبصرتْ … طِعانَ فتىً فى الحرب غير [2] ذَميم
غَداة طَفَتْ عَلْماء [3] بكرُ بن وائلٍ … وأُلافها مِن حِمْيرٍ [4] وسَلِيم
ومال الحجازيّون نحـوَ بلادهم … وعُجْنا صُدورَ الخيـل نحو تَميم
وكان لعبد القَيْس أول جدِّها … وولّتْ شُيوخُ الأَزد فهى [5] تَعوم

(١) يتكادمون : يتعاضون .
(٢) فى الأغانى : « لئيم » .
(٣) يريد : على الماء .
(٤) هو سليم بن منصور بن عكرمة ، بالتصغير ، وكبر للوزن .
(٥) فى البيت إقواء .

ولم أرَ يوماً كان أكثر مُقْعَصًا ... يَمُجّ دَماً من فائظٍ[1] وكَليم

وضاربةً خدًّا كريماً على فتىً ... أغرَّ نجيبِ الأمهات كَريم

فلو شَهِدتْنا يومَ ذاك وخيلُنا ... تُبيح من الكُفّار كُلَّ[2] هَزيم

رأت فِتيةً باعُوا الإلهَ نفوسَهم ... بجنّات عَدْنٍ عنده ونَعيم

شىء عن أم حكيم

وذُكر أن أم حكيم التى عناها الشاعر كانت امرأة من الخوارج مع قَطرىّ بن الفُجاءة، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً. فخَطبها جماعةٌ منهم فردّتهم ولم تُجِبهم إلى ذلك. فأخبر مَن شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز:

أحمِل رأساً قد سئمتُ حَمْلَهَ ... وقد مَلِلْتُ دَهْنَه وغَسْلَه

ألا فتًى يَحمل عنى ثِقْلَه

قال:

وهم يُفَدُّونها بالآباء والأمهات. فما رأيت قبلها ولا بعدها مثلَها.

* * *

كلمة عن العروضى

ثم ذكر أبو الفرج عبد الله بن هارون العَروضىّ. ولم يذكر له أخبارا. وشِعره الذى فيه الغناء.

يأيها الرجلُ الذى ... قد زان منطقَه البيانُ

لا تَعتِبنّ على الزَّما ... ن فليس يُعْتِبك الزَّمان

بعض من ذكرهم الأصفهانى من المغنين وأهملهم ابن واصل

ثم ذكر أبو الفرج جماعةً من المُغنين وهم: سِياط، ونُبيه، وسُليم، وابن عبّاد ويحيى المكّى. ولم أجد لهم شيئاً يُنتفع بذكره، إذ كان كل ما ذُكر فيما يتعلّق بأصوات الغناء والنَّغم والصناعة. وهذا الكِتاب فقد شُرط فيه التَّجريدُ من ذلك كُله.

(١) المقعص: الذى طعن بالرمح فمات مكانه. والفائظ: الميت. والكليم: الجريح.

(٢) فى الأغانى: «حريم» مكان «هزيم».

أخبار النميرى

نسبه ومنشؤه وهواه بزينب

هو محمد بن عبد الله بن نُمير بن خَرَشة بن رَبيعة بن حُبَيِّب بن الحارث بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قَسِىّ ، وهو ثقيف . شاعرٌ غَزل . مَولده ومَنشؤه بالطائف . من شُعراء الدَّولة الأَموية . وكان يَهوى زَينب بنت يوسف ، أُخت الحجّاج بن يُوسف، أمير العراقين،لأَبيه وأُمه. وله فيها أشعارٌ كثيرة يَنْسب فيهابها.

شىء عن الفارعة أم زينب

وأُم زينب والحجّاج الفارعةُ بنت همّام بن عُروة بن مَسْعود الثّقفىّ . وكانت عند المُغيرة بن شُعبة ، فرآها المُغيرة يوماً بُكْرةً وهى تَتخلّل ، فقال : والله لئن كان من غَداء لقد أَجْشَعت ! [1] و إن كان من عَشاء لقد أنْتنت ! ولَفظها وطَلّقها . فقالت : أَبعدك الله ! فبئس بعلُ الحُرة أنت ! والله ما هو إلا من شَظِيّة مِسواكٍ استمسكتْ بين أسنانى .

وقوع الحجاج فيه وهو غلام لذكره أخته

وحكى مُسلم بن جُندب قال: إنّى لمع مُحمد بن عبد الله بن نُمير بنَعْمان [2] ، وغُلام يَشتدّ خلفه يشتمُه أقبح الشّتيمة . فقلت : مَن هذا ؟ فقال : هذا الحجّاج ابن يوسف ، دَعْه فإنّى ذكرتُ أُخته فى شعرى فأَحفظه ذلك .

الحجاج فى ميراث لأخته مع عروة عند ابن زياد

وحُكى أنه وَلدت الفارعةُ أم الحجّاج من المُغيرة بن شُعبة بنتاً ، فماتت . فنازع الحجاجُ عُروة بن المُغيرة فى مِيراثها ، فأَغلظ الحجاج لعُروة ، فأَمر به عُبيد الله ابن زِياد فضُرب أسواطاً على رأسه وقال : أَلأبى عبد الله تقول هذه المَقالة ! وكان الحجّاج حاقداً على آل زياد و ينفيهم عن آل أبى سُفيان .

(1) المسموع فيه : جشع ، من باب فرح .

(2) هو نعمان الأراك : واد بينه و بين مكة نصف ليلة .

أول شعره فى زينب

وذُكر أن الفارعة أم الحجاج كانت نَذرت لئن عُوفى يوسف أبو الحجّاج ، وكان أُعتلّ فطالت عِلّته ، أن تَمشى إلى الكعبة معه . فعُوفى ، فخرجتْ فى نِسوة فقطعْن بطن وَجٍّ (١) — وهو ثلثمائة ذِراع — فى يومٍ جعلتْه مرحلةً ، لِثقل بَدنها ، ولم تَقطع ما بين مكة والطائف إلا فى شَهر . فبينا هى تسير إذ لقيها إبرهيمُ بن عبد الله النُّميرى ، أخو محمّد بن عبد الله ، مُنصرفاً من العُمرة ، فلما قَدم الطائف أتى محمداً يُسلِّم عليه ، فقال : ألك عِلْم بزَينب ؟ قال : نَعم ، لَقيتُها بالهَماء (٢) فى بَطن نَعْمان. فقال : ما أَحسبك إلّا وقد قلتَ شيئاً ؟ قال : نعم ، قلتُ بيتاً واحداً وتناسيتُه كراهةَ أن يَنْشَب بيننا و بين إخوتنا شرّ . فقال محمد هذه القصيدة ، وهى أولُ ما قاله :

تَضوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعمانَ أن مَشَتْ ... به زَينبٌ فى نِسوةٍ عَطِراتِ
فأَصبح ما بين الهَمَاء (٣) وجَذوة ... إلى الماء ماء الجِزْع (٤) ذى العُشَرات
له أَرجٌ من مِجْمر الهِنْدِ ساطِعٌ ... تطلّع رَيّاه من (٥) الكَفِرات
تَهادَيْن ما بين المُحصَّب (٦) من مِنًى ... وأَقْبلن لا شُعْثاً ولا غَبِرات
أعان الذى فوق السَّموات (٧) بيتُه ... مَواشِىَ بالبطحاء (٨) مُؤْتجِرات
مَرَرْن بفَخٍّ ثم رُحْن عشيةً ... يُلبِّين للرحمن مُعْتمِرات
يُخمِّرن (٩) أطرافَ البَنان من التقى ... ويَخْرجن جُنْح اللّيل (١٠) مُعْتجِرات

(١) واد بالطائف .وقد ساق أبو الفرج الحديث وجعل التى نذرت زينب .وعلى رواية ابن واصل فكأن زينب فى ركب أمها .
(٢) الهماء : موضع بنعمان .
(٣) وفى رواية : «فحزوة ». وليس فى معجم البلدان مكان بهذا الاسم أو ذاك. وفى رواية أخرى: « فصاعداً » .
(٤) العشرات : من كبار الشجر ، جمع عشر . (٥) الكفرات : الجبال العظيمة .
(٦) المحصب : موضع قريب من منى ، بينه و بين مكة .
(٧) فى الأغانى : « عرشه » مكان «بيته» .
(٨) مؤتجرات : طالبات للأجر . وفى رواية : « معتجرات ، أى لابسات المعاجر ، وهى أثواب تلفها النساء على رءوسهن .
(٩) فى الأغانى : « يخبئن » .
(١٠) الرواية فى الأغانى : ويقتلن بالألحاظ مقتدرات .

تقسّمن لُبِّى يومَ نعْمانَ إننى ... رأيتُ فؤادى عارمَ (١) النظّرات
جَلَوْن وُجوهاً لم تَلُحْها سَمائمٌ ... حَرُورٌ ولم يُسْفَعْن (٢) بالسَّبَرات
فقلتُ يعافيرُ الظِّباء تناولتْ ... نِياعَ (٣) غُصون المَرْد مُهْتَصِرات
ولما رأتْ رَكْبَ النُّميرىّ راعَها ... وكُنّ مِنَ انْ يَلْقَيْنه حَذِرات
فأدنين حتى جاوز الركبُ دونها ... حجاباً من القَسِّىّ (٤) والحِبَرات
فكِدْتُ اشتياقاً نحوها وصَبابةً ... أقطِّع (٥) نفسى إثْرها حَسَرات
فراجعتُ نفسى والحَفيظةَ بعد ما ... بَلَلْتُ رِداء العَصْب (٦) بالعَبَرات

هو وعبد الملك والحجاج فى هذه القصيدة

وذُكر أنّ هذه القصيدة بلغتْ عبد الملك بن مَروان ، فكَتب إلى الحجّاج ابن يوسف :

قد بلغنى قولُ الخبيث فى زَينب ، فالْهُ عنه وأَعرض عن ذكره ، فإنك إن أدنيتَه أو عاتبتَه أطمعتَه ، وإن عاقبتَه صدّقته .

وذُكر أن النُّميرى هَرب من الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان واستجار به .

فقال له عبد الملك : أنشدنى ما قلتَ فى زينب . فأنشده . فلمّا انتهى إلى قوله :

ولمّا رأتْ رَكْبَ النُّميرى أعرضتْ ... وكُنّ مِنَ ان يَلْقينه حَذِراتِ

فقال له عبد الملك : ما كان ركبُك يا نُميرى ! قال : أربعة أحمرة لى كنتُ أجلبُ عليها القَطِران ، وثلاثة أَحمرة صُحبتى تحمل البَعر . فضحك عبدُ الملك حتى استغرب ضحكا ، ثم قال : لقد عظُم أمرُك وأمر رَكبك ! وكتب إلى الحجّاج :

(١) عارم : شارد .
(٢) السبرات : جمع سبرة ، وهى شدة البرد .
(٣) النياع : المتمايلة . والمرد : ناضج الأراك .
(٤) القسى : ثياب منسوبة إلى « قس » بلدة كانت بين العريش والفرما .
(٥) فى رواية : « تقطع » .
(٦) العصب : ضرب من البرود .

لا سبيلَ لك عليه . فلمّا أتاه الكتابُ وضعه ولم يقرأه . ثم أقبل على يزيدَ بن أبى مُسلم فقال له : أنا برىء من بَيعة أمير المُؤمنين ، لئن لم يُنشدنى ما قال فى زَينب لآتين على نفسه ، ولئن أنشدنى لأعفونّ عنه ، وهو إذا أنشدنى آمن . فقال له يزيد : و يلك ! أنشده . فأنشده قوله :

تَضوّع مسكاً بطنُ نَعمان أن مشتْ ... به زينبٌ فى نِسْوة عَطِرات

فقال له : كذبت والله ! ما كانت تَعطّر إذا خرجتْ من منزلها . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

ولما رأت رَكْب النُّميرى أعرضتْ ... وكُنّ منْ أن يَلْقينه حَذِرات

فقال : يحقٌ لها أن ترتاع لإنّها من نسوة خَفِرات صالحات . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

مَرَرْن بفخٍّ رائحاتٍ عشيةً ... يُلبِّين للرّحمٰن مُعْتمرات

فقال : صدقتَ ! لقد كانت حجّاجة صوّامة ما علمتها . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

يخمِّرن أطرافَ البَنان من التُّقى ... ويَخرجن جُنْح اللَّيل مُعتجرات

فقال له : صدقت ! هكذا تفعل المرأة الُحرة المُسلمة . ثم قال له : ويحك ! إنى أرى أرتياعك أرتياع مُريب ، وقولك قول برىء ، وقد أمّنتك . ولم يعرض له .

من شعره فى زينب

ومما قاله النُّميرى فى زينب أخت الحجّاج :

طَرِبْتَ وشاقتْك المنازلُ من[1] جَفْن ... ألاَ ربما يعتادك الشوقُ بالُحزْنِ

نظرت إلى أظعان زينبَ باللِّوى ... فأعولْتها [2] لو كان إعوالها يُغنى

فوالله لا أَنْساكِ زينبُ ما دعتْ ... مُطوّقةٌ وَرْقاء شَجْواً على غُصن

---

(١) جفن : واد بالطائف لثقيف

(٢) الإعوال : رفع الصوت بالبكاء .

وإن أحتمال الحىّ يومَ تحمَّلوا عَنَاك وهل يَعْنيك إلا الذى يَعْنى
ومُرْسِلة فى السرّ أن قد فَضَحْتنى وصرَّحت بأسمى فى النَّسيب فما تَكْنى
وأشمتَّ بى أهلى وجُلَّ عشيرتى لِيَهْنئْك ما تَهواه إنْ كان ذا يَهْنى
وقد لامنى فيها أبنُ عمِّىَ ناصحاً فقلتُ له خُذ لى فؤادىَ أوْ دَعنى

ويقال : إنه بلغ زينبَ قولُه هذا ، فبكتْ . فقالت لها خادمتها: ما يُبكيك؟ فقالت : أخشى أن يَسمع بقوله هــذا جاهلٌ لا يَعرفنى ولا يَعلم مَذهبى فيظُنّه حقًّا .

ومما قاله فيهــا أيضاً ، وهو الشعر الذى فيه الغناء وأفتتح به أبو الفرج أخبار النُّميرى:

أهاجتْــك الظعائنُ يومَ بانُوا بذى الزِّىِّ الجَميل من الأَثاثِ
ظعائنُ أُسلكت نَقْبَ[1] المُنَقَّى تُحَثُّ إذا ونتْ أىَّ أحتثاث
تُؤمِّل أن تُلاقِىَ أهلَ بُصْرى فيا لك من لقاء[2] مُسْتراث
كأنّ على الحَدائج يومَ بانُوا نِعاجاً تَرتَعى بَقْل[3] البِرَاث
يُهيِّجنى الحَمــامُ إذا تَداعى كما سَجع النَّوائح فى[4] المراثى
كأنّ عُيونَهنّ من التبكِّى فُصوصُ الجَزْع أو يُنْعُ[5] الكَباث
أَلاقٍ أنت فى الحِجَج البَواقى كما لاقيتَ فى الحِجَج الثلاث

ما أخذه عبدالملك على الحجاج بشأنه حين بعثه لحرب ابن الزبير

وذُكر أن عَبد الملك بن مَروان لما بَعث الحجاجَ بن يوسف إلى حرب عبدالله

(١) نقب المنقى : بين مكة والطائف .
(٢) مستراث : بطىء .
(٣) الحدائج : من مراكب النساء ، مثل الهودج . والنعاج : البقر الوحشى . والبراث : الأماكن السهلة .
(٤) فى الأغانى : « بالمراثى » .
(٥) الجزع : الخرز فيه سواد وبياض . وينع : جمع يانع . والكباث : النضيج من ثمر الأراك.

أبن الزُّبير قام إليه يوسفُ بن الحكم أبو الحجاج ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن غُلاماً منّا قال فى أبنتى زينب ما لا يَزال الرجلُ يقولُ مثلَه فى أبنة عمّه ، و إن هذا — يَعنى الحجاج — لم يزل يتتوّق إليه و يَهُم به ، وأنت الآن تبعثه إلى ما هنالك ، وما آمنه عليه . فدعا عبدُ الملك الحجّاجَ فقال له : إن محمداً النُّميرى جارِى ولا سُلطان لك عليه ، فلا تَعرض له .

تهديد الحجاج له وهربه وشعره فى ذلك

وذُكر أن الحجّاج كان يتهدّد النُّميرى و يقول: لولا أن يقول قائل: صدق، لقطعتُ لِسانَه . فهرب إلى اليمن ثم ركب بحر عَدَن ، وقال فى هربه :

أتتْنى عن الحجّاج والبحرُ بيننا ... عقاربُ تَسْرى والعيُون هواجِعُ

فضِقْتُ بها ذَرْعاً وأجهشتُ خِيفةً ... ولم آمَنِ الحجّاجَ والأمرُ فاظع

فبِتُّ أُدير الأمر والرأىَ ليلتى ... وقد أخضلتْ خدّىَ الدُّموع التَّوابع

فلم أرَ خيراً لى من الصَّبر إنّه ... أعفُّ وخَيرٌ إذ عَرتْنى الفواجع

وما أَمِنَتْ نفسى الذى خِفْتُ شَرّه ... ولا طاب لى مما خَشِيتُ المضاجع

إلى أن بدا لى رأسُ إسْبِيلَ[1] طالعاً ... و إسبيلُ حِصْنٌ لم تَنله الأَصابع

ففى الأرض ذاتِ العَرض عنك أبنَ يُوسف ... إذا شئتُ مَنْأًى لا أبا لك واسع

فإن نِلْتنى حجّاجُ فاشْتفِ جاهداً ... فإنّ الذى لا يَحفظ اللهُ ضائع

فطلبه الحجّاج فلم يَقدر عليه ، وطال على النُّميرى مقامَه هارباً ، واشتاق إلى وطنه ، فجاء حتى وقف على رأس الحجّاج . فقال له : إيه يا نُميرى! ألستَ القائل:

* فإن نِلْتنى حجّاج فاشتف جاهداً *

فقال : بل أنا الذى أقول :

أخاف من الحجّاج ما لستُ خائفا ... من الأسد العِرْباض[2] لم يَثْنِه ذُعْرُ

(١) إسبيل : جبل فى مخلاف ذمار .

(٢) العرباض : العظيم .

أخاف يدَيْه أن تنالا مَقاتلى بأبيضَ عَضْبٍ ليس من دونه سِتْر

وأنا الذى أقول :

فهأنذا طوّفتُ شَرقاً ومغرباً وأُبْتُ وقد دوَّختُ[1] كُلَّ مَكانِ

فلو كانت العَنقاء يوماً تَطير بى لَخِلْتُك إلّا أن تَصُدّ تَرانى

فتبسم الحجّاج وأمّنه وقال له : لا تُعاود ما تَعلم . وخلّى سبيلَه .

شئ عن زواج زينب ثم وفاتها ورثاء النميرى لها

وذُكر أن الحجّاج عَرض على زينب أُخته أن يُزوِّجها محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عَقيل ، وهو ابن سبعَ عَشرة سنة ، وهو يومئذ أَشرفُ ثقفىّ فى زَمانه ؛ أو الحَكم بن أيوب بن الحَكم بن أبى عَقيل ، وهو شيخ . فاختارت الحَكم . فزوّجها إياه . فلما ولى الحجّاج العراقَ استعمل الحَكم زوجَ أُخته زَينب على البَصرة . فلما خَرج على الحجّاج عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث وجّه الحجاجُ بزينب مع حُرمه إلى الشام ، خوفاً عليهنّ . فلما قُتل ابنُ الأشعث كَتب إلى عبد الملك بن مروان بالفَتح ، وكتب معه كتاباً إلى زَينب يُخبرها الخبر. فأعطاها الرسولُ الكتابَ وهى راكبةٌ على بَغلة فى هَودج، فنشرتْه تقرؤه، فسمعت البغلةُ قَعْقعة الكِتاب ، فنفرتْ وسَقطت زينبُ عنها ، فانْدقّ عَضُدُها وتَهرّأ جوفُها ، فماتتْ . وعاد إليه الرسولُ ، الذى نَفذ بالفَتح ، بوفاة زينب . فقال النميرى يَرثيها :

لزينبَ طيفٌ تَعتَرينى طوارقُه هُدوءاً إذا النَّجم ارجحنّت[2] لواحقُهْ

سيَبْكيك مِرْنانُ العشىّ يُجيبه لَطيفُ بنان الكَفّ دُرْمٌ[3] مَرافقه

إذا ما بِساطُ اللّهو مُدّ وأُلقيت لِلذّاته أنماطُه ونَمارقه

(١) دوخت كل مكان : سرت فيه حتى عرفته فلم تخف على طرقه .

(٢) ارجحن النجم : مال إلى الغروب .

(٣) مرنان العشى : يريد الصنج ذا الأوتار . والدرم : التى لا حجم لعظامها ، الواحد : أدرم .

أعجب ابن المسيب بشعره و زاد عليه

وذُكر أن سَعيد بن المُسيِّب رحمه الله مرّ فى بعض أزقّة مكة ، فسمع الأخضر الجربىّ يتغنّى فى دار العاص بن وائل :

تَضوّع مسكاً بَطنُ نَعْمان أن مَشتْ ... به زينبُ فى نِسْوة عَطِراتِ

فضرب سعيدٌ برجله وقال : هذا والله مما يلذّ أستماعُه ! ثم قال :

وليستْ كأُخرى أوسعتْ جَيبَ دِرْعها ... وأبدت بَنان الكَفِّ للجَمَرات

وعلَّت بَنان المِسك وَحْفاً [١] مُرجَّلاً ... على مِثل بَدْرٍ لاحَ فى الظلمات

وقامت تَراءى يومَ جَمْعٍ [٢] فأفْتنت ... برُؤيتها مَن رَاح من عَرَفات

فكانوا يَرْوون [٣] هذا الشعر لسعيد بن المُسيِّب .

استنشدته عائشة بنت طلحة شعره فى زينب

وذكر أنه لما تأيّمت عائشةُ بنت طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً و بالمدينة سنة ، وتَخرج إلى مالٍ لها عظيم بالطائف وقَصرٍ كان لها هناك تَتنزّه فيه ، وتجلس بالعشيات ، فيتناضل بين يديها الرُّماة . فمرّ بها النُّميرى الشاعر . فسألت عنه فنُسب لها . فقالت : أئتُونى به . فأتوها به . فقالت له : أَنشدنى ما قُلت فى زَينب. فأمتنع عليها ، وقال: بنت عَمِّى قد صارت عِظاماً باليةً . فقالت : أَقسمت عليك إلّا فعلتَ . فأنشدها قوله : « تضوّع مسكا » الأبيات . فقالت : والله ما قُلتَ إلّا جميلاً ، ولا ذكرت إلا كرماً وطيبا ، ولا وصفت إلا دِينا و تُقًى ! أعطوه ألف دِرهم . فلما كانت الُجمعة الأُخرى تعرّض لها. فقالت : علىّ به. فأُحضر . فقالت: أَنشدنى من شعرك فى زَينب . فقال لها : أَوَ أُنشدك من شعر الحارث بن خالد [٤]

(١) الوحف : الشعر الغزير . وبنان المسك : أصابعها المغمورة به ، فكأنها هو . وعلت : أى سقت بأصابعها شعرها الطيب مرة ومرة . يشير إلى تكرار مرور الأصابع بالشعر .

(٢) جمع : المزدلفة .

(٣) فى الأغانى : « يرون أن » .

(٤) سبقت ترجمته (ج ١ ص ١٢٩) .

فيك ؟ فوثَب مواليها إليــه . فقالت : دعُوه فإنه أراد أن يَسْتقيد لأبنة عَمِّه . هات ممّا قال الحارث فىّ . فأَنشدها :

ظَعن الأمــيرُ بأحسن الخلْق وغدوْا بلبِّك مَطْلَعَ الشَّرقِ

فقالت : والله ما ذَكر إلا جَميلا ، ذكر أنّى إذا صبَّحتُ زوجاً بوجهى غدا بكوكب الطَّلْق،[1] وأنى غدوتُ مع أميرٍ تزوَّجنى إلى الشَّرق ، وأنى أحسنُ الخلْق فى البيت ذى الحَسب الرفيع . أعطُوه ألف درهم، واكسُوه حُلَّتين ، ولا تَعُدْ لإتياننا بعد هذا يا نُميرىّ .

من شعره فى زينب

ومن شعر النُّميرى فى زينب :

ألاَ مَن لقَلْبٍ مُعنًّى غَـزِلْ أحبَّ المُحلَّة أُخت المُحِـلّ

تراءتْ لنــا يــومَ فَرْعِ الأرا كِ بين العَشِىّ[2] وبين الأُصُل

كأنّ القرَنْفُل والزَّنجبيلَ وريحَ الخُزامَى وذَوْب العَسل

يُعَــلّ به بَرْدُ أنيابهـــا إذا النَّجْم وسْط السَّماء[3] اعْتدل

وعَنى النُّميرى « بالمُحل » أخاها الحجّاج ، وكان يُسمى[4] بذلك لإحلاله الكعبة بمُحاصرته ابن الزُّبير ورَميها بالمجانيق . وكان أهلُ الشام يُسمّون ابن الزبير بذلك ، لأنه أحلّ الكعبة بمقامه فيها .

---

(١) تشير إلى بيت الحارث فيها :

ما صبحت أحداً برؤيتها إلا غدا بكواكب الطلق

(٢) فى رواية : « العشاء » .

(٣) ويروى العجز :

* إذا ما صفا الكوكب المعتدل *

(٤) فى الأغانى : « وكان أهل الحجاز يسمونه بذلك » .

أخبار الوضاح

اسمه ونسبه ولقبه

وهو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كُلال بن داذ بن أبى جَمَد .

واُختلفوا فى تحقيق نَسبه ، فقيل : إنه من أولاد الفُرس الذين قَدِموا معوَهْرِز لنُصرة سَيف بن ذى يَزَن على الحَبشة .

وقيل : إنه من آل خَولان بن عمرو بن قيس بن مُعاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوث بن قَطن بن عَريب بن زُهير بن أيمن بن الهَمَيْسع بن حِمْير ابن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان .

والوضّاح لَقب غَلب عليه لجماله و بهائه .

قيل : مات أبوه وهو طِفل ، فاُنتقلت أُمه إلى أَهلها ، واُنقضتْ عِدتُها ، وتزوّجت رجلاً من أهلها من أولاد الفُرس . وشَبّ وضّاح فى حِجر زوج أُمه . فجاء عَمُّه وجدّته أُم أبيه ، ومعهم جماعةٌ من أهل بيته من حِمْير ، ثم من آل ذى جَدَن ، يطلبُونه . فادعى زوجُ أُمه أنه ولدُه . فحا كَموه فيه ، وأقاموا البينةَ أنه وُلد على فراش إسماعيل بن عبد كُلال أبيه . فحكم به الحاكمُ للحِمْيريين . ومَسح على رأسه وأعجبه جمالُه وقال له : اُذهب فأنت وضّاح اليمن ، لا مِن أتباع ذى يَزن — يَعنى الفُرس الذين قدم بهم اُبنُ ذى يَزن لنُصرته — فعلقت به هذه الكلمةُ يومئذ ، فلُقِّب وضّاحَ اليمن .

هو والمقنع والطائى

وقيل :

كان وضّاح اليَمن والمُقنَّع الكِنْدىّ وأبو زُبيد الطائىّ يَرِدون مواسمَ العَرب مُقنَّعين يستُرون وجُوههم خوفاً من العَين وحَذَراً على أنفسهم من النِّساء لجمالهم .

هو وروضة وشعره فيها

وذُكر أن وضّاح اليمن كان يهوى امرأة يقال لها : رَوْضَة من أهل اليمن ، ثم أصابها الجُذام من بعد ذلك ، فانقطع ما بينهما . وفيها يقول :

يا رَوْضةَ الوضّاحِ قد عَنّيتِ وضّاح اليَمَنْ
فاسقِي خليلَك مِن شرا بٍ لم يُكدِّره الدَّرَن
الريحُ ريح سَفَرْجلٍ والطعمُ طعم سُلَافِ دَنْ
إنّى تُهيِّجنى إليـ ـكِ حمامتان على فَنَن

ومن هذه القصيدة :

دَسَّتْ حُبَيْبة مَوْهِناً إنّى وعيشِك يا سَكَن
أُبلغتُ عنكِ تبدُّلاً وأتى بذلك مُؤْتَمن
وظننتُ أنك قد فعلـ ـتِ فكِدْتُ من حَزَنٍ أُجَنْ
ذَرَفتْ دُموعى ثم قُلـ ـت بمَنْ يُبادلنا (١) بمَن

ومنها :

أبغضت فيه أحبّتى وقَلَيتُ أَهْلى والوطَن
أتركتنى حتى إذا عُلِّقت أبيضَ كالشَّطَن
أنشأتَ تطلُب وَصْلَنا فى الصَّيف ضَيَّعتِ (٢) اللّبن
لو قيل يا وضّاح قُم فاخترْ لنفسك أو تَمَنْ
لم أَعْد روْضةَ والذى ساق الحجيجُ له البُدُن

وله فيها أشعار كثيرة . ومما قاله فيها قصيدته التى أولها :

يا لَقَوْمى لكثرة العُذّالِ ولِطَيفٍ سَرى مَليحِ الدّلالِ

---

(١) فى رواية : « يبادلنى » .
(٢) هذا مثل . وأصله أن امرأة كانت تحت شيخ كبير موسر فكرهته ، فطلقها . فتزوجها فتى جميل مملق . فبعثت إلى الأول تستميحه . فقال ذلك المثل .

زائر فى قصور صَنْعاء يَطْوى[(١)] كُلَّ أرضٍ مَخُوفةٍ وجِبالِ

ومنها :

يَقطع الحَزْنَ والمَهامه والبيـ ـد ومن دونه ثمانُ لَيال
عاتبٌ فى المَنام أحْبِبْ بعُتْبا ه إلينا وقولِه مِن مَقال
قلتُ أهلاً ومرحباً عددَ القَطْـ ر وسهلاً بطَيف هذا الخيال
حبّذا مَن إذا خلونا نَجِيًّا قال : أهلى لك الفِداء ومالى
فهى الهمُّ والمُنَى وهوى النَّفْـ س إذا اعتلّ ذو هَوًى باعتلال
لم أجِدْ حُبَّها يُشا كله الحُـ ـبّ ولا وَجْدَنا كوجد الرِّجال
كُل حبٍّ إذا استطال سيَبْلى وهَوى رَوْضةِ المُنى غيرُ بالى

ومنها :

كيف عَذْلى على التى هى منّى بمكانِ اليمين أُخت الشِّمال
والذى أحرموا له وأحَلُّوا بمِنًى صُبْحَ عاشراتِ[(٢)] اللَّيالى
ما ملكتُ الهوَى ولا النفسَ منّى مُنذ عُلِّقْتُها وكيف[(٣)] احتمالى
إن نأتْ كان نأيُها الموتَ صِرْفاً أو بدتْ[(٤)] لى فثَمَّ يبدو خَيالى

حبه لأم البنين

ثم هَوى وضّاح اليمن أمّ البَنين بنت عبد العزيز بن مَروان ، زوجةَ الوليد بن عبد الملك بن مروان، وأكثر من التَّشبيب بها. وكان سَبب حُبّه لها أنها استأذنت زوجَها الوليد بن عبد الملك فى الحج ، فأذن لها ، وهو يومئذٍ خليفة . فقدمتْ مكة ومعها من الجوارى مالم يُرَ مثله حُسنا وكتب الوليد يتوعد الشعراء جميعاً إن ذكرها أحد منهم أو ذكر أحداً من تبعها .فقَدِمت ، فتراءت للناس . وتصدّى لها أهل الغَزَل والشُّعراء ، ووقعت عينُها على وضّاح اليمن فهويَتْه .

---

(١) فى رواية : « يسرى » .
(٢) أى جمع الليلة العاشرة من ذى الحجة .
(٣) فى رواية : « احتيالى » .
(٤) فى رواية : « أو دنت » .

أم البنين وكثير ووضاح

وقيل: إنها بعثت إلى كُثيِّر وإلى وضّاح: أن أنْسُبا بى. فأما وضّاح فإنه ذكرها وصرّح فى النَّسيب. وأما كُثير فعدل عن ذِكرها ونَسَب بجاريتها غاضرة.

أعانته أم البنين عند الوليد بن عبد الملك

وقيل: مدح وضّاح اليمن الوليدَ بن عبدالملك، ووعدتْه أُم البنين أن ترْفِده (١) عنده وتُقوِّى أمره – فقدم عليه وضّاح اليمن، فأنشده قولَه فيه:

صَبا قلبى ومال إليك مَيْلاً ... وأرّقنى خيالك يا أُثَيْلا
يمانيةٌ تُلِمّ بنا فتُبْدى ... دَقيقَ محاسنٍ وتُجِنّ (٢) غَيْلا
دَعينا ما أَمَمْنا (٣) بناتِ نَعْش ... من الطَّيفِ الذى يَنْتاب لَيْلا
ولكنْ إن أردتِ فهيِّجينا ... إذا رَمقتْ بأعينها (٤) سُهَيلا
فإنكِ لو رأيتِ الخيل تعدو ... عوابِسَ (٥) يتّخذن النَّقعَ ذَيْلا
إذاً لرأيتِ فوق الخيل أُسْداً ... تُفيد مَغانماً وتُفيتُ نَيْلا
إذا سار الوليدُ بنا وسِرْنا ... إلى خَيل نَلُفّ بهن خَيْلا
ونَدخل بالسُّرور ديارَ قَوم ... ونُعقب آخرين أذًى ووَيْلا

فأحسن الوليد رِفْده وأعظم جائزته.

نكاية الوليد به

ومَدحه بعد ذلك بعدة قصائد. ثم نُمى إليه أنه يُشبب بزَوجته أُم البنين. فجفاه وأمر بأن يُحجب عنه ودَبّر فى قتْله. فمدَحه بقوله:

ما بالُ عَيْنك لا تَنام كأنما ... طلب الطبيبُ بها قَذًى فأضَلَّه
أمْ ما لِقَلْبك لا يَزال كأنه ... نَشوانُ أَنْهله النَّديم وعَلَّه
ما كنت أحسَب أن أبيتَ ببلدةٍ ... وأَخى بأُخرى لا أَحُل مَحلَّه

---

(١) ترفده: تعينه.
(٢) الغيل: الساعد الريان.
(٣) بنات نعش: من الكواكب الشامية، وكان غزوه نحو الروم، وفى رواية «ما أَمت».
(٤) ويروى:
ولكن إن أردت فصبحينا ... إذا أمت ركائبنا سهيلا
(٥) فى رواية: «سراعاً» مكان «عوابس».

كُنا لعَمْرُك ناعِمين بغبطةٍ مع مَن نُحب مَبيتَه ومَظَلَّه

يقول فيها :

وأْلْق أبن مَرْوانَ الذى قد هَزَّه عِرْقُ الْمَكارم والنَّدى فأَقله
وأُشْكُ الذى لاقيتَه من [١] جَفْوةٍ وأْنْشُر إليه داء قَلبك كُلَّه
فعلى أبن مَرْوانَ السلامُ من أمرىءٍ أمسى يذُوق مِن الرُّقاد أَقلَّه
فإليك أعملتُ المطايا ضُمَّراً وقطعتُ أرواح الشِّتاء [٢] وظلّه

وقيل :

حكاية مقتله

لمّا عَزم الوليدُ على قَتل الوضّاح ، قال له أبنه عبدُ العزيز بن الوليد —وأُمه أم البنين— : لا تفعل يا أمير المُؤمنين فتُحقق قولَه ، ولكن أُفعل به كما فَعل مُعاوية بن أبي سُفيان بأبى دَهْبل ، فإنه لما شَبّب بأبنته شَكاه يزيد أبنه وسأله أن يقتلَه، فقال : إذاً تُحقِّق قولَه ، ولكن تَبرّه وتُحسن إليه فيَستحى ويكُفّ ويُكذِّب نَفْسه . فلم يَقبل منه ، وجَعله فى صُندوق ودَفنه حيًّا .

وحكى ابنُ الكَلبي قال :

عشقتْ أُم البَنين وضّاح اليمن ، فكانت تُرسل إليه فيدخُل إليها ويُقيم معها ، فإذا خافت وارتْه فى صُندوق عندها وأَقفلت عليه . فأُهدى للوليد جَوْهر له قيمة ، فأَعجبه وأُستحسنه ، فدعا خادما له فبعث به إلى أُم البنين وقال : قل لها : إن هذا الجوهر أَعجبنى فآثرتُك به . فدَخل الخادمُ عليها مُفاجأة ووضّاح اليمن عندها ، فأَدخلتْه الصُّندوق وهو يرى ، فأَدّى إليها رسالةَ الوليد ودفع إليها الجوهر وقال لها : يا مولاتى ، هَبى لى منه حَجَراً . فقالت : لا يأبن اللَّخناء ولا كَرامة ! فرَجع إلى الوليد فأخبره . فقال : كَذبتَ يأبن اللَّخناء . وأَمر به فوُجئت عُنقه .

(١) فى رواية : « من دونه » .
(٢) فى رواية : « وظله » .

ثم لَبس نَعْليه فدَخل على أم البنين وهى جالسةٌ فى ذلك البيت تَمتشط ، وقد وَصف له الخادمُ الصُّندوق الذى أدخلتْه فيه . فجلس عليه ثم قال لها : يا أُم البَنين. ما أَحبَّ إليك هذا البيتَ من بين البُيوت ! فلم تَختارينه ؟ فقالت : أجلس فيه وأختاره لأنه يَجمع حوائجى كلها فأَتناولها منه كما أُريد من قُرب . فقال لها : هَبى لى صُنْدوقا من هذه الصَّناديق. فقالت : كُلها لك يا أمير المؤمنين . فقال : ماأُريد كُلها إنما أُريد منها واحداً . قالت : خُذ أيها شئت . قال : هذا الذى جلستُ عليه . قالت: خُذ غيره، فإن لى فيه أشياء أحتاج إليها . قال : ماأُريد غيره . قالت : خُذه يا أمير المؤمنين . فدعا بالخدم وأمرهم بحمله ، فحملوه حتى انتهى به إلى مجلسه ، فوضعه فيه . ثم دعا بعَبيدٍ له عَجم فأمرهم بحَفر بئر فى المجلس عميقة ، فنُحِّى البِساط وحُفرت إلى الماء ، ثم دعا بالصُّندوق فوُضع على شَفير البئر ، ودنا منه وقال : يا صاحب الصُّندوق ، إنه بلغنا شىء إن كان حقًّا فقد كَفَّنَّاك ودَفنَّاك ودفنَّا أَثرك إلى آخر الدَّهر ، وإن كان باطلاً فإنما دفنَّا الخشب ، وما أهونَ ذلك . ثم قَذف به إلى البئر وهِيل عليه التُّراب وسُوِّيتَ الأرض ، وردَّ البساط إلى حاله وجَلس عليه . ثم ما رُئى لوضّاح بعد ذلك أثر فى الدُّنيا إلى هذا اليوم، وما رأت أم البنين لذلك أثراً فى وجه الوليد حتى فَرّق الموتُ بينهما .

حكاية الوليد به التشبيه بفاطمة أخته

قلت : وقد ذكر أبو الفرج عن خالد بن كُلثوم أن هذه الحكاية وضعها بعضُ الشُّعوبية لمّا تلاحى هو وبعضُ ولدِ الوليد . وأن الحقّ هو الرواية الأُولى. والله أعلم أىّ ذلك كان .

وقد ذُكر أن الوليد كان قد أمسك عن قَتْل وضّاح اليمن على غَيظ وحَنق ، لمّا نهاه ابنُه عبد العزيز عن قَتْله خوفَ الفَضيحة ، حتى بلغه أنه تعدّى أُمَّ البنين إلى أُخته فاطمة بنت عبد الملك ، وكانت زوجة ابن عمّه عُمر بن عبدالعزيز، رضى الله عنه ، وقال فيها :

بنتُ الخليفة والخليفةَ جدُّها ... أخت الخليفة والخليفةُ بَعلُها

فرحتْ قَوابلُها بها وتباشرتْ ... وكذاك كانُوا فى المَسرّة أهلُها

فاُختلط واُشتد غيظهُ ودَفنه حيًّا .

وله فى أم البنين وقد اعتلت

وذُكر أن أُم البَنين مَرِضتْ ، ووضّاح مُقيم بدمشق ، وكان نازلاً بها ، فقال فى علّتها :

حتّام نَكْتُمُ حُزْننا [1] حتّامَا ... وإلاَم نَسْتَبقى الدُّموعَ [2] إلاَما

إنّ الذى بى قد تفَاقم واُعتلَى ... ونَما وزاد وأَوْرَث الأَسْقاما

قد أَصبحت أُم البنين مَريضةً ... نَخشى ونُشفق أن يَكون حِمَاما

يا ربّ أَمْتِعنا بطُول بَقائها ... واُجْبر به الأَرمال والأَيتاما

واُجْبُر بها الرجلَ الغَريب بأرضها ... قد فارق الأَخوالَ والأَعماما

كم راغبين وراهبين وبُؤَّسٍ ... عُصموا بقُرب جَنابها إعْصاما

بجَناب ظاهرة الثَّنا محمودةٍ ... لا يُستطاع كلامُها إعظاما

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار وضّاح اليمن ، هو :

يا قلبُ ويحك لا يذهبْ بك الُخرُق ... إنّ الأُلَى كنتَ تَهواهم قد اُنطلقُوا

ما بالُهم لم يُبالوا إذ هجرتَهُم ... وأنت مِن هَجرهم قد كِدْتَ تَحْترق

---

(١) فى التجريد : « حبنا » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وعلام تستبقى الدموع علاما » .

خبر بشار مع عبده

لبشار فى عبدة

قد تقدّمت أخبار بشار ، وذكر أبو الفَرج هنا شعراً لبشار يُغَنَّى فيه ممَّا قاله فى عبدة ، فاقتضى ذلك أن نذكر خَبر بشّار مع عبدة خاصّة . والشعر هو :

ألاَ طَرَد الهوى عنّى رُقادِى ... فحسْبِى ما لقيتُ من السُّهادِ

لعبدةَ إنَّ عَبدة تيَمَّتْنى ... وحلَّت من فؤادى فى السَّواد

روايته بينه و بينها

وذَكر هشام بن الأحنف روايةً بشار قال :

إنى عند بشّار ذات يوم إذ أتته امرأةٌ فقالت : يا أبا مُعاذ ، عبدةُ تُقرئك السلام وتقول لك : قد اشتد شوقُنا إليك ولم نَرك منذُ أيام . فقال : عن غير مَقْلية كان . ثم قال : اكتب عنّى ما أقولُ . وأمْلَى عليه :

عَبْدَ إنّى إليك بالأشواق ... لِتَلاقٍ وكيف لى بالتلاقى

أنا والله أشتهى سِحْرَ عَيْنيـ ... ـك وأخشى مَصارِعَ العُشَّاق

وأخاف الحَرْسِىّ[1] مُحْتَسب الجُنْـ ... ـد يلُفّ البرىء بالفُسَّاق

من شعره فيها

ومن قوله فيها :

يا عَبْد إنّى قد ظُلِمْتُ وإننى ... مُبْدٍ مقالةَ راغبٍ أو راهِبِ

وأتُوب مما تكْرهين لتَقْبلى ... والله يَقْبل حُسن فِعْل التائب

ومن قوله :

يا عَبْد زُورينى تَكُنْ مِنّةً ... لله عندى يومَ ألقاكِ

والله ثم اللهِ فاسْتَيْقنى ... إنى لأرجوكِ وأخْشاكِ

---

(١) الحرسى ، بالتحريك : حرس السلطان ، وسكن للضرورة .

يا عَبْد إنِّى هالكٌ مُدْنفٌ إن لم أذُق بَرْدَ ثنـــاياك
فـــلا ترُدِّى عاشقاً مُدْنفا يَرضَى بهذا القَدْرِ[(١)] عن ذاك

حديث حبه عبدة

وكان أول أمره معها أن النِّساء كن يحضُرن مجلسه ، إذ سمع كلام عَبْدة هذه فعَشقها ، فدعا غُـــلامه فقال : إنِّى قد عُلِّقتُ امرأة ، فإذا تكلمتْ عرَّفتُك ، وانْظُر مَن هى فاعرفهـــا ، فإذا انقضى المجلسُ وانصرف أهلُه فاتبعها وكلِّمهـــا وأَعلمها أَننى مُحبٌّ لها ، وأنشدها هذه الأبيات ، وعَرِّفها أننى قلتُها فيها :

قالوا بمَن لا تَرى تَهْـذِى فقلتُ لهم الأُذن كالعَين توفى القَلْبَ ما كانا
ما كنتُ أوّلَ مَشْغوفٍ بجـــاريةٍ يَلْقى بلُقْيانهـــا رَوْحاً ورَيْحانا
يا قومُ أُذْنى لبعض الحىّ عاشـــقةٌ والأُذن تَعْشق قَبْلَ العَـــين أحيانا

فأَبلغها الغلامُ الأبيات . فهشَّت لها ، وزارتْ بشَّارا فى نِسْوة ، فأَكلن عنده وشَرِبْن ، ولم تُطْمعه فى نفسها . وأكثر من قَول الغَزَل فيها .

---

(١) فى التجريد : « القول » .

أخبار الأحوص مع أم جعفر

شعره فيها الذى يغنى به

قد تقدَّم أيضاً نَسب الأحوص الأنصاريّ وأخبارُه . وذكر أبو الفرج هنا خَبره مع أُم جَعفر خاصة ، لقوله فيها مما يُغنَّى به :

أرسلتْ أُم جَعفر : [1] لا تزُرْنا ليت شِعْرى بالغَيْب منذا دَهاها

أأتاهـا مُحـرِّشٌ بنَمِيمٍ كاذبٍ ما أراد إلاّ رَدَاهـا

وأُم جعفر هذه امرأة من الأنصار من بنى خَطْمة .

هو وأخوها وعمر بن عبد العزيز

وذُكر أن الأحوص لما أكثر التَّشْبيب بأُم جعفر وشاع شعرُه فيها أوعده أخوها أَيْمَن وتَهدَّده ، فلم يَنْته . فاُستعدى عليه عُمرَ بن عبد العزيز رضى الله عنه . فَربطهما فى حَبل ودَفع إليهما سَوْطين ، وقال لهما : تجالدا . فغَلب أخوها .

وقيل : إن الأحوص سَلح فى ثيابه وهَرب ، وتَبعه أخوها حتى فاته الأحوص هرباً ، وقد كان الأحوص قال فيها :

لقد منعتْ معروفَها أُمُّ جَعفرٍ وإنّى إلى مَعروفهـا لفقـيرُ

وقد انكرتْ بعد اُعترافٍ زيارتى وقد وَغِرتْ فيها علىّ صُدور

أَدُور ولولا أنْ أرى أُمَّ جَعفر بأبياتكم ما دُرْتُ حيثُ أَدور

أزور البُيوتَ اللّاصقات بيتها وقَلبى بالبيت [2] الذى لا أزور

وما كنت زَوّاراً ولكنّ ذا الهوى إذا لم يَزُر لا بُد أن سيزُور

للسائب يعيره بفراره و رده عليه

وقال السائب بن عمرو بن عَوف يُعيره بفراره ويُعارضه فى هذه الأبيات :

لقد مَنع المعروفَ من أُم جعفر أخو ثِقةٍ عنـد الجِلاد صَبُور

---

(١) فى رواية : « لاتزور »

(٢) فى الأغانى : « وقلبى إلى البيت » .

عَلاكَ بمتْن السَّوط حتى اتَّقيتَه بأصفر من ماء الصِّفاق (١) يفُور

رد الأحوص

وقال الأحوص :

إذا أنا لم أَغْفــر لأَيْمن ذَنبَه فمَن ذا الذى يَعفو له ذَنبَه بَعْدِى

أُريد انْتقــامَ الذَّنب ثم تَرُدُّنى يَدٌ لأدانيه مُبــاركة عنــدى

اقتداء عمر بعثمان فيما فعل

و إنما أعطاهما عُمر رحمه الله السَّوطين وأمرهما أن يَتضاربا بهما إقتداءً بعُثمان بن عفان رضى الله عنه ، فإنه لما تهاجَى سالمُ بن دَارة ومُرة الغَطفانى لَزَّهما عثمان بحَبل وأعطاهما سَوْطين ، فتجالدا بهما .

من شعره فى أم جعفر

ومما قاله الأحوص فى أُم جعفر هذه :

و إنّى لَيَدْعونى هوَى أُمّ جَعفر وجاراتها من ســـاعةٍ فأُجيبُ

و إنى لآتى البيتَ ما إن أُحبُّـه وأُكثِرهَجر البيت وهو حَبيب

وأُغضِى على أشياءَ منــكم تَسُوءنى وأُدْعَى إلى ما سَرَّكم فأُجيب

هَبِينى امرأً إمّا بَرِيئاً ظلمتِــــه و إمّا مُســيئاً مُــذنباً فيتُوب

أَبُثُّــك ما أَلقى وفى القَلب حاجةٌ لهــا بين جِلْدى والعِظام دَبِيب

لكِ اللهُ إنى واصــلٌ ما وصلتنى ومُثْنٍ بمــــا أَوْليتِنى ومُثيب

وآخُذ ما أَعطيتِ صفواً (٢) و إننى لأَزْوَرُ عمّا تكرهين هَيُوب

ولا تَتْركى نَفْسى شَعاعا فإنهـــا من الحُزن قدكادت عليك تذوب

هو وأم جعفر وقد جاءته متنقبة

وذُكر أن الأحوص لمــا أَكثر من ذِكر أُم جَعفر جاءت مُتَنقِّبةً فوقفتْ عليه فى مجلس قَومه ، وهو لا يعرفهــا ، وكانت امرأةً عفيفة ، فقالت : اُقْض ثمن الغَنم التى ابتعتَها منّى . فقال لها : ما ابتعتُ منك شيئاً . فأظهرت كتاباً قد وضعتْه عليه و بكتْ وشكت حاجةً وضُرًّا وفاقةً وقالت : يا قوم ، كلِّموه . فلامه قومُه

(١) الصفاق : جمع صفق . وهو الجلد الجديد يصب عليه الماء فيخرج أصفر .

(٢) فى رواية : « عفوا » .

وقالوا له : أقض المرأةَ حقَّها . فجعل يحلِف أنه ما يَعرفها ولا رآها قطُّ . فكشفت وَجهها وقالت : وَيلك ! ما تعرفني ؟ فجعل يَحلف مُجتهداً أنه ما رآها قطُّ ولا يَعرفها، حتى أستفاض قولُها وقولُه ، واُجتمع الناسُ وكثُروا وسَمعوا ما دار بينهم وكثر لغَطهم . ثم قامت وقالت: ياعدو الله ! صدقتَ ، والله مالى حَقٌّ ولا تَعرفنى، وقد حلفتَ على ذلك ، وأَنا أُم جعفر ، وأنت تقول : قلتَ لأُم جعفر ، وقالت لى أُم جعفر ، فى شعرك . فخجل الأحوصُ وأُنكسر عن ذلك ، و برئتْ أُم جعفر عندهم [1].

---

(١) ثم ساق أبو الفرج أيضاً شيئاً من أخبار عاتكة بنت شهدة . وهى مغنية لها ألحان . فربها ابن واصل ولم يجرد لها ، للسبب الذى ذكره قبل فى هذا الجزء .

أخبار أبى ذؤيب الهذلى

نسبه

هو خُويلد بن خالد بن مُحرِّث بن زُبَيد بن مَخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تَميم بن سعد بن هُذيل بن مُدركة بن اليأس بن مُضر بن نِزار .

طبقته وإسلامه

وهو أحد المُخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم وحَسُن إسلامه .

وكان من فُحُول الشُّعراء ، فصيحاً كثير الغَريب ، متمكِّناً فى الشِّعر .

تقدمه على الشعراء

ويقال : إن أبا ذُؤيب تقدَّم على جميع شُعراء هُذيل بقصيدته العينيّة التى يَرثى بها بَنيه ، وأولها :

أمِنَ المَنون ورَيْبه تَتوجَّعُ ... والدَّهرُ ليس بمُعْتِبٍ من يَجْزَعُ

يقول فيها :

قالت أميمةُ ما لجسمك شاحباً ... منذ ابتُذلتَ ومثلُ مالك يَنفع

أم ما لجنبك لا يُلائم مضجعاً ... إلّا أقضَّ عليك ذاك المَضجع

فأجبتُها أنْ ما بجسمى أنه ... أوْدى بَنيّ من البلاد فودَّعوا

وهذه يقولُها فى بنين له خمسة أصيبوا فى عام واحد بالطاعون .

خروجه مع عبد الله بن سعد لغزو إفريقية ثم عودته وموته بمصر

وذكر أنه خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخٍ له حتى قَدموا على عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال له : أى العَمل أفضل ؟ قال : الإيمان بالله ورسوله . قال : قد فعلتُ ، فأيُّه أفضلُ بعده ؟ قال: الجهاد فى سبيل الله . فقال : ذلك كان علىّ و إنى لا أرجو جنّة ولا أخاف ناراً . ثم خَرج فغزا أرض الرُّوم مع المُسلمين فى جُند عبد الله بن سَعد بن أبى سَرح ، أحد بنى عامر بن لؤى ، وذلك فى سنة ست وعشرين، فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ففتَح الله عليهم إفريقية .

حديث ابن الزبير فى هذه الحرب

فحكى عبدُ الله بن الزُّبير رضى الله عنهما ، وكان فى ذلك الجَيش وعُمره ستّ

وعشرون سنة — وقيل : أربع وعشرون سنة — قال : أحاط صاحبُ إفريقية ، وهو ملك إفرنجة ، بنا فى مائة ألف وعشرين ألفاً ، ونحن فى عشرين ألفا ، فضاق المسلمون من ذلك واختلفوا فى الرأى . فدخل عبد الله بن سعد فُسطاطه يخلو فيه ويفكّر. قال عبدُ الله بن الزُّبير : فرأيت عَوْرة من صاحب إفريقية ، والناس على مَصافهم ، رأيتُه على بِرْذون أشهب خلف أصحابه مُنقطعاً عنهم ، ومعــه جاريتان تُظِلاَّن عليــه من الشَّمس بريش الطَّواويس . فجئتُ فُسطاط عبــد الله بن سَعد فطلبتُ الإذن عليه من حاجبه . فقال : إنه فى شأنكم وقد أمرنى أن أمسك الناسَ عنه . قال : فدُرْت فأتيتُ مُؤخَّــر فُسطاطه فرفعتُه ، فإذا هو مُستلق على فراشه . ففَزِع وقال : ما أَدخلك علىّ يابن الزُّبير؟ فقلت : إنى رأيتُ عورةً من عــدوّنا فرجوتُ الفُرصة فيها وخَشِيتُ فَوَاتَها ، فاندب النــاسَ إلىّ . فقال : وما هى ؟ فأخبرتُه . فخرج فقال : أيها الناس ، انتدبوا مع ابن الزُّبير إلى عدوّكم . فاخترتُ ثلاثين فارساً ، فقلت : إنّى حاملٌ فاضربوا عن ظَهرى ، فإنى سأكفيكم مَن ألقى إن شاء الله تعالى. فحملتُ فى الوجه الذى هو فيه ، فحملوا فذبُّوا عنّى حتى خَرقتُ صفوفهم إلى أرض خالية. وتبينته فصمَدْتُ صَمْده . فوالله ماحسب إلّا أنى رسولٌ ، ولا ظَن أكثرُ أصحابه إلا ذاك ، حتى رأى ما بى من أثر السّلاح ، فثَنى بِرْذونه هارباً ، فأدركتُه فطعنتُه فسقط ، ورميتُ بنفْسى عليــــه ، واتقتْ جاريتاه عنه السَّيفَ فقُطعت يدُ إحداهما . وأَجهزتُ عليه . ثم رفعتُ رأسَــه فى رُمحى ، وجال أصحابُــه وحَمل المسلمون فى ناحيتى وكبَّروا ، فقتَّلوهم كيف شاءوا وكانت الهزيمةُ . فقال لى عبدُ الله بن سعد : ما أجد أحداً أحقّ بالبشارة منك . فبعثنى إلى عُثمان. وقَدِم مَروان(١) بعدى على عثمان حين اطمأنوا وباعوا المَغْنم وقسموه. ووضَع عثمانُ عن مَروان خمسمائة ألف ، كان اشترى بها خُمس المَغنم . وكان ذلك مما تكلّم الناسُ فى عثمان بسَببه .

---

(١) هو مروان بن الحكم بن أبى العاص .

فقال عبدُ الرحمن بن حَنْبل بن مُليل ، أخو صَفوان بن أُمية بن خَلَف الُجمحى لأُمه ، يذكر ما نقم به على عثمان ، رضى الله عنه :

أحلف بالله جَهـد اليميـن ما ترك الله شيئاً سُدَى

ولـكن خُلقتَ لنـا فِتْنـةً لـكى نُبْتَلى فِيك أو تُبتلى

دعوتَ الطَّريد [1] فأَدْنيتَه خـلافاً لسُنة مَن قد مضَى

وأعطيت مَروان خُمْس العبـاد ظُلمـاً لهم وحَمَيْتَ الِحمَى

ومالاً أَتاك به الأشعرىّ مِن الَفىء أعْطيتَـه مَن دنا

وإنّ الأمينَيْن قـد بَيّنا مَنارَ الطَّريق عليـه الُهدى

فمـا أخـذَا دِرْهماً غِيلةً ولا قَسّما دِرهماً فى هَـوى

والمال ، الذى ذُكر أن الأشعرى جاء به ، مالٌ كان أبو موسى قَدم به من العِراق على عثمان ، فأَعطى عبدَ الله بن أَسِيد بن أبى العِيص منه مائة ألف درهم — وقيل : ثلثمائة ألف درهم — فأنكر الناس ذلك .

وذُكر أن عبد الله بن الزُّبير لمّا قَدِم بالبشارة فى هذه السنة — أعنى سنة ست وعشرين — بُشِّر عند مَقدمه بابنه خُبيب بن عَبد الله ، وبأَخيه عُروة بن الزُّبير . وخُبيب أكبرهما .

خبر آخر فى موته

وذُكر أن عبد الله بن سَعد لمّا بَعث ابنَ الزَّبير بخَبَر البشارة بَعث معه أبا ذُؤيب الهُذلى فى جماعة ، فلما قَدموا مِصْر مات أبو ذُؤيب بها — وقيل: بل مات أبو ذؤيب بإفريقية ، وأنه أخذه الموتُ لمّا قَفل المسلمون من الغَزاة — فأراد ابنه وابن أخيه أن يتخلّفا عليه جميعاً ؛ فمنَعهم صاحبُ السّاقة وقال : ليتخلَّف عليـه أحدُكما وليعلمْ أنه مقتول . فكلاهما أراد أن يتخلّف عليه . فقال لهما أبو ذؤيب :

---

(١) الطريد : هو الحكم بن العاص بن أمية ، وكان يفشى سر النبى صلى الله عليه وسلم فنفاه عن المدينة ، فنزل الطائف فلم يزل به حتى رده عثمان .

اُقترعا . فوقعت القُرعة على اُبن أخيه ، فتخلّف عليه ، ومضى اُبنهُ مع الناس .

فكان أبوعبيد ، اُبنأخيه يُحدث، قال:قال لى أبو ذُؤيب: اُحْفِر ذلك الُجرف برُمحك ، ثم اَعضِد[1] من الشّجر بسيفك ، ثم اُجْرُرْنى إلىهذا النَّهر فإنك لا تَفْرغ حتى أفرغ ، فاُغسلنى وكفِّنى بكَفنى ، ثم اُجعلنى فى حُفرتى واُنثِـل[2] علىّ الُجرفُ برُمْحك ، وأَلْقِ علىّ الغُصون والِحجارة ، ثم اُتْبع الناسَ فإنلهم رَهْجةً[3] تَراها فى الأفق إذا أمسيت كأنها جَهَامة .[4] قال : فما أخطأ مما قال شيئاً . ولولا نعْتُه لم أَهْتد لأثر الجيش .

شعره فى موته

وقال وهو يجود بنفسه :

أبا عُبيــد رُفــع الـكِتابُ   واُقترب الموعــدُ والِحسابُ
وعنـد رَحْلِى جَمـلٌ نُجـاب   أحمـرُ فى حارِكه[5] اُنصباب

ثم مضيتُ حتىلحقتُ الناس. فكان يقال : إن أهل الإسلام أبعدوا الأثر فى بَلد الرُّوم ، فما كان وراء قَبر أبى ذُؤيب قبرٌ يُعلم لأحد من المُسلمين .

* * *

شىء عن حكم الوادى

ثم ذكر أبو الفرج حَكم الوادى ، وهو الحَـكم بن مَيمون ، مولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وعاش إلى أيام الرّشيد . ولم أختر من أخباره شيئاً.

---

(١) عضد : قطع .
(٢) انثل على الجرف ، أى أخرج ترابه فأهله على .
(٣) الرهجة : ما أثير من الغبار .
(٤) الجهامة : السحابة لا ماء فيها . والعبارة فى أصول الأغانى : « إذا مشيت كأنها جهامة »
(٥) الحارك : أعلى الكاهل .

أخبار ابن جامع

نسبه

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطَّلب بن أبى وَدَاعة بن ضُبيرة بن سُعيد بن سَعد بن سَهم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعب بن لُؤى ابن غالب بن فِهر .

أبو وداعة والمطلب ابنـه

وكان أبو وداعة بن أبى ضُبيرة أسيراً كافراً يوم بدر ، وفداه ابنُه المُطلب . وكان المُطلب بن أبى ودَاعة رجلَ صِدْق . ورَوى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحديثَ .

كنية ابن جامع وشىء من أخبار أمه

ويُكنى ابن جامع أبا القاسم .وأمه امرأة من سَهم، وتزوَّجت بعد أبيه رجلاً من أهل اليمن، فذُكر أنها أتت مَعن بن زائدة الشَّيبانى ، وابن جامع معها وهو صغير يَتبعها ويَطأ ذَيلها ، ومَعن يومئذ على اليمن ، فقالت : أصلح الله الأمير ، إنّ عَمِّى زوَّجنى زوجاً ليس بكُفء ، ففرِّق بينى و بينه . فقال : ومَن هو ؟ قالت : ابنُ ذى مُناجب . قال : علىّ به . فدَخل أقبحَ من خَلْق الله تعالى وأشوْهه خَلقاً . فقال : مَن هذه منك ؟ قال : امرأتى . قال : خَلِّ سبيلَها . ففعل . فأطرق معنٌ ساعةً ثم رفع رأسه ، فقال :

لَعمرى لقد أصبحتَ غيرَ مُحبَّبٍ ... ولا حَسَنٍ فى عَيْنها ذا مُناجِبِ

فما لُمْتُها لمّا تبيّنتُ وجهَه ... وعيناً له حَوْصاءَ مِن تحت حاجب

وأنفاً كأنف البَكْر يقطرُ دائباً ... على لحية عَصْلاء[1] شابتْ وشارب

---

(١) عصلاء : معوجة .

أتيتَ بها مثل المَهاة [١] تسُومها فيا حُسْن مَجلوب و يا قُبح جالب

وأمر لها بمائتى دينار وقال : تجهَّزى بها إلى بلادك .

من ورعه

وكان أبنُ جامع من المُغنين المُجيدين، وكان من أحفظ خَلق الله لـكتاب الله تعالى ، وأعلمه بما يحتاج إليه ، وكان يخرج من منزله مع الفَجر يوم الجمعة فيصلِّى الصُّبح ثم يُصفّ قدَميه حتى تَطلُع الشمس ، ولا يُصلِّى الناسُ الجمعة حتى يختم القرآن ، ثم ينصرف إلى منزله .

مع أبى يوسف القاضى بباب الرشيد

قيل : وكان أبن جامع حسنَ السَّمت كثيرَ الصلاة ، قد أخذ السجودُ جبهتَه . وكان يَعتمّ بعمامة سوداء على قَلَنْسوة ويَلبس لباس الفُقهاء [٢] وعليه زىّ أهل الحجاز . فَقدِم قَدْمةً من مكة على الرشيد . فبينا هو واقفٌ على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذن عليه ، فوقف على ما كان يَقف النـــاسُ عليه فى القَديم حتى يأذنَ لهم أو يَصْرفهم. فأقبل أبو يوسف القاضى صاحب أبو حنيفة رحمهما الله بأصحابه أهل القَلانس. فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبــه و يُحادثه ، فوقعت عينُه على أبن جامع ، فرأى سَمْته وحلاوة هيئته. فجاء أبو يوسف فوقف إلى جانبه ثم قال: أمتع الله بك، توسّمتُ فيك الحجازيّـة والقُرشية . قال: أصبت. قال: فمن أى قُريش أنت؟ قال : من بنى سَهم. قال : فأى الحرَمين منزلك ؟ قال . مكة . قال : فمن لقيتَ من فُقهائهم؟ قال : سل عمّن شئت . ففاتحه الفِقهَ والحديث فوجد عنده ما أَحب، فأُعجب به . ونظر الناس إليهما فقالوا : هذا القاضى قد أقبل على المُغنِّى ! وأبو يوسفُ لا يعلم أنه أبنُ جامع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه ! ثم قالوا : لا ، لعلّه لا يعود إلى مُواقفته بعد اليوم ، فلِمَ نَغُمُّــه . فلما كان الإذن الثـانى ليحيى، غدا عليه الناسُ

---

(١) فى الأغانى : « تسوقها » .

(٢) العبارة فى الأغانى : « و يركب حمارا مريسيا فى زى أهل الحجاز » .

وغدا عليه أبو يوسف ، فنظر يطلُب ابنَ جامع فرآه ، فذهب فوقف إلى جانبه ، فحادثه كما فعل . فلما انصرف قال له بعضُ أصحابه : أيها القاضى ، أتعرف هذا الذى تُواقف وتحادث ؟ قال : نعم ، رجل من قُريش من أَهل مكة من الفقُهاء . فقالوا : هذا ابن جامع المُغنى . قال : إنّا لله ! قالوا : إن الناس قد شهَروك بمُواقفته ، فأنكروا ذلك مِن فعلك . فلما كان الإذن الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكّبه ، وعرف ابنُ جامع أنه قد أُنذر به ، فجاء حتى وقف ، فسلّم عليه . فردّ عليه السلام بغير ذلك الوجه الذى كان يَلقاه به ، ثم انحرف عنه . فدنا منه ابنُ جامع ، وعرف الناسُ القِصة . وكان ابنُ جامع جهيراً ، فرفع صوتَه ثم قال : يا أبا يوسف ، ما لك تَنحرف عنّى ! أىّ شىء أنكرت ؟ قالوا ، لك : ابنُ جامع المُغنى فكرهتَ مواقفتى ! أسألك عن مسألة ثم اُصنع ما شئت . ومال الناسُ فأقبلوا نحوهما يَسمعون. فقال : يا أبا يوسف ، لو أن أعرابيًّا جِلفا وقف بين يديك فأنشدك بجَفاء وغِلظة من لسانه فقال :

يا دارَمية بالعَلياء فالسَّنَد أقوت وطال عليها سالفُ الأبدِ

أكنتَ ترى بذلك بأساً ؟ فقال : لا ، قد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه سمع الشِّعر ــ ورَوى فى الحديث ــ قال ابن جامع : فإن قلتُ أنا هكذا ، ثم اندفع يتغنّى فيه حتى أتى عليه ، ثم قال : يا أبا يوسف ، هل رأيتَنى زِدْتُ فيه أو نقصتُ منه ؟ قال : عافاك الله ! أَعفنا من هذا . فقال : يا أبا يوسف ، أنت صاحب فُتْيا ، ما زِدْتُه على أن حسَّنتُه بألفاظى فحسُن فى السماع ووصل إلى القَلب . ثم تَنحَّى عنه ابن جامع .

جاء به ابن الربيع لما ولى الهادى

وذكر أنّ ابن جامع والحرّانى[1] كانا مُنقطعَيْن إلى موسى الهادى فى أيام أبيه

(١) هو ابراهيم الحرانى ، كان من ندماء الهادى وقيمه على خزائن الأموال .

المهدىّ ، وكَره المهدىُّ انقطاعَهما إلى ابنه فضَربهما وطَردهما . فلما أفضت الخلافةُ إلى الهادى أعطى الفضلُ بن الربيع لبريدٍ له دَنانير ، وقال : الحق بمكة فأْتنى بابن جامع واحمله فى قُبة ولا تُعلمنّ به أحداً . ففعل ذلك وحَمله إليه . فأَنزله الفضلُ بن الرَّبيع واشترى له جاريةً . وكان ابن جامع صاحبَ نساء . فذكره موسى الهادى ذاتَ ليلة فقال لجلسائه : أما فيكم أَحد يُرسل إلى ابن جامع ، وقد عَرفتم موقعَه منِّى! فقال له الفضلُ بن الرَّبيع : هو والله عندى يا أمير المؤمنين ، وقد فعلتُ الذى أردتَ . فبَعث إليه فأُتى به فى اللَّيل . فوصل الفضلَ فى تلك الليلة بعشرة آلاف دينار ، وولّاه حِجابته .

أطرب الرشيد بصوت أخذه عن سوداء فأجازه

وحكى إسماعيل بن جامع قال :

بينا أنا بغُرفة لى باليمن وأنا مُشرف على مَشْرَعة[1] إذ أقبلتْ أَمةٌ سوداء على ظهرها قِرْبة ، فملأتْها ووضعتْها عند المَشرعة لتَستريح ، وجلستْ فغنتْ :

فرُدِّى مُصابَ القَلب أنتِ قَتلته	ولا تُبْعِدى فيما تجشَّمتِ كُلْثُمَا
إلى الله أشكوا بُخْلَها وسَماحتى	لها عَسَلٌ منِّى وتَبذُل عَلْقما
أَبى الله أن أُمسى ولا تذكُرينى	وعَيْناى مِن ذكراكِ قد ذَرفتْ دَما
أَبِيتُ فما تَنفكّ لى منكِ حاجةٌ	رَمى الله بالُحبّ الذى كان أَظْلما

قال : ثم أخذت قِربتها لتمضى ، فاستفزّنى من شهوة الصوت مالا قِوام لى به ، فنزلتُ إليها وقلت لها : أعيديه . فقالت : أنا عنك فى شُغل بخَراجى . قلت: وكم هو ؟ قالت : دِرهم فى كُل يوم . فقلت : هذان دِرهمان ، ورُدّيه علىّ حتى آخُذه منك . فأعطيتُها درهمين . فقالت : أمّا الآن فنَعم ، فلم تبْرح حتى أخذتُه منها . وانصرفتُ فلهوتُ به يومى . وأصبحتُ من غد لا أذكر منه حرفاً ، فإذا

(١) المشرعة : مورد الشاربة .

أنا بالسوداء قد طَلَعت ففعلتْ كفِعلها بالأمس ، فلما وضعت القربة تغنَّت غيرَه . فغدوتُ فى إثرها ، فقلت : يا جارية ، بحقِّى عليك رُدِّى علىّ الصوتَ فقد ذَهبت عنِّى منه نَغْمة . قالت : لا والله ، ما مثلُك تَذهب عنه نَغمة ، أنت تَقيس أولَه على آخره ، ولـكنك أُنسيتَه ، ولستُ أفعل إلّا بدرهمين آخرَيْن . فدفعتُهما إليها ، فأعادته علىّ حتى أَخذتُه ثانيةً . فقالت: إنك تَستكثر أربعة دراهم ، وكأنى بك قد أصبت به أربعة آلاف دينار .

فكنتُ عند هارون الرشيد يوماً ، وهـو على سريره ، فقال : مَن غنّانى فأَطربنى فله ألف دينار . وقُدّامه أكياس فى كُل كيس ألف دينار . فغنَّى القومُ وغنيتُ ، فلم يَطرب . حتى دار الغناء إلىّ ثانيةً ، فغنيتهُ صوتَ السّوداء ،فَرمى إلىّ بكيس وقال : أعِدْه . ففعلتُ . فَرمى إلىّ بثانٍ ، ثم قال : أعده . فأعدتهُ . فرمى إلىّ بثالث ، وأمسك . فضحكتُ . فقال : ما يُضحكك ؟ فقلت : لهذا الصوت حديثٌ عَجيبٌ يا أمير المُؤمنين. فحدّثته به وقَصصتعليه القصة . فرمى إلىّ برابع، وقال : لا تُكذِّب قولَها .

شعر للسموءل فيه لابن جامع غناء

قلت : وذَكر أبو الفَرج من الشِّعر الذى لابن جامع فيـه صنعةٌ ، شـعرَ السموءل بن عادياء الغسّانى اليهودىّ ، صاحب تَيماء،(١) بالحِصْن المَعروف بالأَبْلق — وقيل : إن الشعر لابنه شُريح — وهو :

تُعيِّرنا أنّا قليـلٌ عديدُنا فقلتُ لهـا إنّ الـكِرام قَليلُ
وما ضَرّنا أنّا قليـلٌ وجارُنا عَزيزٌ وجارُالأكثرين ذَليل
وإنّا لقـومٌ لا نَرى القَتْل سُبَّةً إذا ما رأته عامـرٌ وسَـلول

---

(١) تيماء : بليدة فى أطراف الشام .

يُقرِّب حُبُّ المَوت آجالَنا لنا وتَكرهه آجالُهم فتَطُول

فاُقتضى ذلك ذِكر خبر السَّموءل واُبنه شُريح ، فنذكره :

خبر السموءل وابنه شريح

كان السموءل من يَهود يَثْرب ، وهو الذى يُضرب به المثل فى الوفاء . وخَبره : أن اُمرأ القيس بن حُجر الكِندىّ أودع السَّموءل أدراعا ، فأتاه الحارثُ بن ظَالم — وقيل : الحارث بن أبى شَمر الغسّانى — ليأخذها منه ، فتحصّن منه السَّموءل ، فأخذ اُبناً له غُلاماً وناداه : إمّا أن تُسلم الأدراع وإما أن أقتُل اُبنك . فأبى السموءلُ أن يُسلِّم الأدراع إليه . فضرب الحارث وسَط الغلام بالسيف فقَطعه بنصفَيْن . فقال السموءلُ فى ذلك :

وفيتُ بأدرُع الكِندىّ إنِّى إذا ما ذُمَّ[1] أقوامٌ وَفيتُ
وأَوصى عادِياَ يوماً بألّا تُهدِّمَ يا سموءلُ ما بَنيت
بَنى لى عاديا حِصْناً حَصِينا وماءً[2] كلما شِئتُ اُستقَيْت

ومنها :

أعاذلتى ألاَ لا تَعذُلينى فكم من أَمر عاذلة عَصَيتُ
دَعينى وأُرشُدى إن كنتُ أُغوَى ولا تَغْوَىْ زَعمتِ كما غَويْت
أعاذلَ قد طَلبتِ اللَّومَ[3] حتى لو اُنِّى مُنْتَهٍ لقد اُنْتهيت
وصَفراءِ المَعاصم قد دَعَتْنى إلى وَصْلٍ فقلتُ لها أَبيت
وزِقّ قد جَررتُ إلى النَّدامَى وزِقٍّ قد شربتُ وقد سقيت
وحتى لو يكون فتَى أُناسٍ بكى من عَذل عاذلةٍ بكَيت

أسر الأعشى وشفاعة شريح فيه

وذُكر أنْ الأعشى هجا رجلاً من كَلب ، فقال :

(١) فى الأغانى : « ما خان » .
(٢) ويروى : « عيناً » و « بئراً » .
(٣) طلبت اللوم ، أى جعلته شغلك وأكثرت فيه .

بنو الشَّهر الحَرام فلستَ منهم ولستَ من الكرام بنى عُبَيْدِ
ولا مِن رَهْط جبّار بن قُرْط ولا من رَهْط حارثة بن زَيد

وهؤلاء كُلهم من كَلْب . فقال الكلبى : أنا ، لا أبالك ! أشرفُ من هؤلاء . فَسبّه الناسُ بعدُ بهجاء الأعشى . وكان مُتغيِّظاً عليه . فأغار الكلبىُّ على قوم قد بات بهم الأعشى ، فأسر منهم نفراً ، وأسر الأعشى وهو لا يعرفه . فجاء حتى نزل بشُرَيح بن السَّموءل بن عادِياء الغسّانى ، صاحب تَيماء ، بحِصْنه الذى يقال له : الأبلق ، فمر شُرَيْح بالأعشى . فنادى به الأعشى بقوله :

شُرَيْحُ لا تَتْركَنّى بعد ما عَلِقَتْ حِبالَك اليومَ بعد القِدِّ[1] أظفارى
قد جُلْتُ ما بين بانِقْيا[2] إلى عَدَنٍ وطال فى العُجْم تَكْرارى[3] وتَسْيارى
وكان أكرمَهم عهداً وأوثقهم عَقداً أبوكَ بعُرف غير إنكار
كالغيثِ ما آستمطروه جادَ وابلُه وفى الشدائد كالمُستأسد الضّارى
كُنْ كالسَّموءل إذ طاف الهُمام به فى جَحْفلٍ كسَوَاد الليل جرّار
إذ سامه خُطَّتَىْ خَسْفٍ فقال له قُلْ ما تشاء فإنّى سامعٌ حار
فقال غَدْرٌ وثُكْلٌ أنتَ بينهما فآختَرْ وما فيهما حَظٌّ لمُختار
فشَكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له أُقتُل أسيرَك إنّى مانعٌ جارى
وسوف يُعقِبُنيه إن ظَفِرتَ به ربٌّ كريمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطهار
لا سِرُّهن لدينا ذاهبٌ هَدَراً وحافظاتٌ إذا استُودِعْن أسرارى
فآختارَ أدراعَه كى لا يُسَبَّ بها ولم يكنْ وعدُه فيها بخَتّار[4]

---

(١) القد : القيد .
(٢) بانقيا : ناحية بالكوفة .
(٣) فى الديوان : « تردادى » .
(٤) الختار : الغادر .

قال : فجاء شُريح إلى الكَلبى فقال له : هَب لى هذا الأَسير المغرور.[١] فقال : هو لك . فأَطلقه وقال له : أقم عندى حتى أُكرمك وأَحْبوك . فقال له الأعشى : إن من تمام صَنيعتك أَن تُعطينى ناقةً ناجيةً[٢] وتُخلِّينى الساعةَ . فأَعطاه ناقةً فركبها ومَضى من ساعته . وبَلغ الكَلبيَّ أن الذى وهب لشُرَيْح هو الأعشى ، فأرسل إلى شريحْ : ابعث لى بالأسير الذى وهبتُ لك حتى أحبوه وأُعطيه . فقال : قد مَضى . فأرسل الكَلبيُّ فى طَلبه ، فلم يَلْحقه .

(١) فى الأغانى : « المضروب » . وصححها الشنقيطى بقلمه : « المضرور » .
(٢) ناجية : سريعة .

أخبار أبي سفيان بن حرب

اسمه

هو صَخر بن حَرب بن أُمية بن عبد شَمس بن عبد مَناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرة .

أم حرب

وأُم حَرب بنتُ أبى هَمْهمة بن عبد العزَّى بن عامر بن عميرة بن وَديعة بن الحارث بن فِهْر .

أمه

وأُم أبي سُفيان صفيّة بنت حَزن بن بُجير بن الهُزَم بن رُوَيْبة بن عبدالله بن هلال بن عامر بن صَعصعة . وهى عمة أُم المؤمنــين مَيمونة . وأُختها أُم الفَضل أُم بنى العبّاس بن عبد المُطلب .

شيء عن حرب ووفاته

وكان حَرب بن أُمية قائدَ بَنى أُمية فى الجاهلية .

وذُكر أن سبب وَفاة حَرب بن أُمية أنه لما انصرف هو وإخوتُه من حَرب عُــكاظ مَرّ بالقُرَيَّة [1] ـ وهى إذ ذاك غيضة شجرمُلتفّ لا يُرام ـ فقال له مِرداس ابن أبى عامر : أما تَرى هذا الموضع ؟ قال : بلى . فما له ؟ قال : نِعْم المُزْدرع هو ! فهل لك أن نَــكون شَريكين فيه ونُحرِّق هذه الغَيضة ثم نَزدرعــه بعد ذلك ؟ قال : نَعم . فأضرما النار فى الغيضة . فلما استطارت وعلا لهبُها سُمع من الغَيضة أنينٌ وضجيجٌ كثير . ثم ظَهرت حيّاتٌ بِيضٌ تَطير حتى قطَعتْهــا وخرجتْ منها . فقال مرداس بن أبى عامر فى ذلك :

إنّى انتخبتُ لها حرباً وإخــوتَه ... إنّى بحَبْلٍ وثيقِ العَهد [2] دَسّاسُ

إنى أُقَوِّم قبــل الأمر حُجَّته ... كيما يقــالَ ولىُّ الأمر مِرداس

---

(١) القرية : موضع فى ديار بنى سليم . (٢) فى الأغانى : « العقد » .

قيل : وسَمِعوا هاتفاً يقول لما أحترقت الغَيضةُ :

ويلٌ لحربٍ فارساَ مُطاعناً مُخالساَ
ويل لعمرو فارسا إذ لبسوا [(١)] القَلانسا
لنقتُلنْ بقتله جَحاجحاً عنابسا

فلم يلبث حربٌ ومرداسٌ أن ماتا .

مكانته فى قريش وفقء عينيه

وكان أبو سُفيان بن حَرب سيّداً من سادات قُريش فى الجاهليّة ، ورأساً من رءوس الأحزاب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل إسلامه . وهو صاحب العَير يوم بدر ، وقائد المشركين يوم أحد والخندق ، وأسلم يوم فتح مكة ، وشهد مع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يوم حُنين والمَشاهدَ كُلها بعده . وفُقِئت عينُه يوم الطائف ، فلم يَزل أعور إلى يوم اليَرموك ، ففُقِئت عينُه الأُخرى يومئذ فعمِى .

قوله فى زواج ابنته أم حبيبة من النبى صلى الله عليه وسلم

وكانت أبنته أُم حبيبة إحدى أزواج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأبو سفيان يومئذ مُشركٌ يُحارب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقيل له : إنّ محمداً قد نَكح أبنتك . فقال : ذاك الفَحل الذى لا يُقْدَع أَنفُه .

واسم أُم حَبيبة رَملة . وقيل : هند . والأول أصح .

وذُكر أنه بعد إسلامه سُمع يُمازح النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى بيت أبنته أُم حبيبة ويقول : إن هو إلا أن تركتُكَ فتركَتْكَ العربُ ، فما أنتطحتْ جمّاء [(٢)] ولا ذاتُ قَرن . ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يَضحك ويقول له : أنت تقول ذلك يا أبا حَنظلة !

هو والنبى صلى الله عليه وسلم وقد أبطأ إذنه

وقيل : أذن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يوماً للناس ، وكان آخر مَن دخل

(١) فى رواية : « القوانسا » : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة .
(٢) الجماء : الشاة لا قرن لها .

عليه أبو سُفيان بن حَرب ، فقال : يا رسول الله ، لقد أذنت للناس قَبلى حتى ظننتُ أن حِجَارة الخَنْدمة (١) ليُؤذن لها قَبلى . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أما والله إنك والناسَ لكما قال الأول : كُل الصَّيد فى جَوف الفَرا (٢) . أى كل شىء لهؤلاء من المَنزلة فإن لك وحْدَكَ مثله .

هو وهرقل عن النبى صلى الله عليه وسلم

وحدث ابن عبّاس قال : حدّثنى أبو سفيان قال :

كُنّا قوماً تجاراً ، وكانت الحربُ بيننا و بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد حصرتْنا حتى نَهكت أموالنا . فلما كانت الهُدنة ، هُدنة الُحديبيــة ، بيننا و بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، خرجتُ فى نفر من قُريش إلى الشام، وكان وَجْهُ مَتْجرنا غَزّة ، فقَدِمْناهــا حين ظَهر هرقلُ على من كان فى بلاده من الفُرس، فأخرجهم منها ورُدّ عليه صليبُه الأعظم ، وقد كانوا أستلبوه إياه . فلما بلغه ذلك ، وكان منزله بحِمْص من أرض الشام ، خرج منها يَمشى إلى بيت المَقدس ليصلِّى فيه شكراً لله ، تُبسط له البُسط ويُطرح له عليها الرَّياحين ، حتى انتهى إلى إيلياء فصلَّى بها . فأصبح ذَات غَداة وهو مَهموم يُقلِّب طرفَه إلى السماء . فقالت بَطارقته : أيها الملك ، لقد أصبحتَ مهموماً . فقال : أجل . فقالوا : وما ذاك ؟ قال : أُريت فى هذه الليلة أن مُلْك الِختان ظاهر . فقالوا : فوالله ما نَعــلم أُمةً من الأُمم تختتن إلا اليَهود ، وهم تحت يَديك وسلطانِك ، فإن كان قد وَقع هذا فى نَفسك منهم فابعث فى مَملــكتك كُلِّها ولا يبقى يهودىّ إلا ضُربتْ عنقه ، فتستريح من هذا الهمّ . فإنهم فى ذلك من رأيهم يُدبِّرونه إذ أتاهم رسولُ صاحبِ بُصْرى برجلٍ من العرب قد وَقع إليهم . فقال : أيها الملك ، إن هذا رجل من أهل العرب من أهل

(١) الخندمة : جبل بمكة .

(٢) الفرا : الحمار الوحشى .

الشاء والإبل يحدّثك عن حَدَثٍ كان فى بلاده ، فاسـألْه عنه . فلما انتهى قال لتَرْجُمَانه : سَلْه ما هذا الخبر الذى كان فى بلاده ؟ فسأله . فقال : رجلٌ من العَرب من قُريش خَرج يزعُم أنه نبىّ ، وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم مَلاحمُ فى مَواطن كثيرة ، فخرجتُ من بلادى وهم على ذلك . فلما أخبره الخبر قال : جَرِّدوه ، فإذا هو مَختون . فقال : هـذا والله الذى أُريت لا ما يقولون . أعطوه ثَوبه . انطلق لشأنك . ثم دعا صاحب شُرطتـه فقال له : اقْلب لى الشأم ظهراً لبطن حتى تأتينى برجل من قَوم هذا أسأله عن شأنه .

قال أبو سفيان : فوالله إنى وأَصحابى لبغَزة إذ هَجم علينا صاحبُ شرطته فسألنا : من أنتم ؟ فأخبرناه . فساقنا إليه جميعاً . قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت رجلاً قطُّ أزعم أنه كان أدهى من ذلك الأقلف – يُريد هرقل – فلما انتهينا إليه قال : أيكم أمسّ به رحماً ؟ فقلت : أنا . فقال : أَدنوه منِّى . فأَجلسنى بين يديه ، ثم أَمر أصحابى فأَجلسهم خلفى ، وقال : إن كذب فردُّوا عليه . قال أبو سفيان : فلقد عرفتُ أن لو كذبت ما ردّوا علىّ ، ولـكن كنتُ امرأً سيّداً أتكرم[1] وأَستحى من الـكَذب ، وعرفت أنّ أَدنى ما يكون فى ذلك أن يردّوا علىّ ثم يتحدثوا عنّى بمكة ، فلم أكذبه . فقال : أخبرنى عن هذا الرجل الذى خَرج فيكم . فزهَّدت له شأنه وصغّرت له أمره ، فوالله ما التفت إلى ذلك منِّى وقال : أخبرنى عما أسألك عنه من أَمره . فقلت : سَلنى عما بدا لك . فقال : كيف نَسبه فيكم ؟ قلت مَحضٌ ، من أوسطنا نسباً . قال : فأخبرنى هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فيتشبّه به ؟ فقلت : لا . قال : فأخبرنى هل كان له فيكم مُلك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردُّوا عليه مُلكه ؟ فقلت : لا . قال : أخبرنى عن أتباعه منكم من هم ؟ قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء ، فأما ذوو الأسنان

(١) فى الأغانى : « أتبرم عن الكذب » .

من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد . قال : فأخبرنى مَن يَصحبه : أيُحبه وَيلزمه أم يَقْليه و يفارقه ؟ قلت : قلما يَصحبه رجلٌ ففارقه . قال: فأخبرنى عن الحرب بينكم و بينه . فقلت : سجال ، يُدال علينا ونُدال عليه . قال : فأخبرنى : هــل يَغدر ؟ فلم أجد شيئاً أغتمزُ فيه إلاهى ، فقلت : لا ، ونحن منه فى هُدنة [1] لا نأمن غَدره. قال: فوالله ماالتفت إليهامنّى. فأعادعلىّ الحديث، فقال: زعمتَ أنه من أمحضكم نسباً ، وكذلك يأخذ الله النبىَّ ، لا يأخذه إلا من أوسط قومه . وسألتك : هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله يتشبّه به ؟ فقلتَ : لا . وسألتك : هل كان له مُلك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه ملــكه ؟ فقلتَ: لا. وسألتك عن أتباعه ، فزعمتَ أنهم الأحداث والمَساكين والضعفاء ، وكذلك أتباع الأنبياء فى كُل زمان . وسألتك عمّن يَتبعه : أيُحبه و يَلزمه أم يَقْليه و يُفارقه ؟ فزعمتَ أنه قَلَّ من يَصحبه فيُفارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتَخرج منه . وسألتك كيف الحربُ بينكم ؟ فزعمتَ أنها سجال يُدال عليكم وتُدالون عليــه . وكذلك تكون حُروب الأنبياء ولهم العاقبة . وسألتك : هل يَغدر ؟ فزعمتَ أنه لا يَغدر. ولئن صدقْتنى ليغلبنّى على ما تحت قَدمى، ولوددتُ أنى عنده فأغسل قدميه . الحقْ بشأنك . فقمت وأنا أضرب بإحدى يدى على الأُخرى وأقول : عبادَ الله ، لقد أَمِرأَمْرُ ابن أبى كَبشة ! [2] أصبح ملوك بنى الأصفر يخافونه فى سُلطانهم .

---

(١) يريد هدنة الحديبية ، وفى الأغانى : « فى مدة »

(٢) أمر : عظم . وابن أبى كبشة : رجل خالف قريشاً فى عبادة الأوثان فسموا النبى صلى الله عليه وسلم باسمه لخروجه عليهم .

إسلام أبي سفيان

رَوَى ابن عبّاس قال :

لما عَزم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على فتح مكة خَرج لعَشر مَضَيْن من شَهر رمضان — قلت : يعني سنة ثمانٍ من الهجرة — فصام وصام الناسُ معه ، حتى إذا كان بالكُديد أَفطر . ثم مَضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى نَزل مَرَّ الظَّهران [١] في عشرة آلاف من المُسلمين ، وقد عميت الأخبار عن قُريش ، ولا يأتيهم خَبر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولا يَدرون ماهو فاعل . فخرج في تلك الليلة أبو سُفيان بن حَرب ، وحَكيم بن حِزام ، و بُديل بن وَرقاء ، يتجسّسون و ينظرون هل يجدون خبراً ، أو يسمعونه .

قال العباس : فقلت : واصباح قُريش ! لئن دخل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم مكة عَنوة قبل أن يأتوه فَيستأمنوا إليه ، إنه لهلاك قُريش إلى آخر الدهر .

قال العباس : فركبتُ بغلةرسولالله صلّى اللهعليهوسلّم البيضاء فخرجتُ عليهاحتى جئتُ الأراك ، [٢] أقول: لعَلّي أرى بعض الحطّابة ،أو صاحب لَبن أوذا حاجة يأتيهم فيُخبرهم بمكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . قال : فوالله إني لأسير عليها وألتمس ماخرجتُله إذسمعتُ كلامأبيسفيان،وحكيم بنحزامو بديل بنرقاء،يتجسسون الخبر عنرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعنا أبو سفيان يقول : مارأيت كالليلة نيراناً قطّ ولاعسكرا !قال : فعرفتُ صوتأبيسفيان .فقلت: أبا حنظلة ! فعرف صوتي فقال : أباالفضل! قلت : نعم.قال:مالك ؟ فداكأبي وأُمي ! قلت: و يلك! هذا رسولالله صلّى الله عليهوسلّم في الناس ، واصباحَ قُريش ! فقال : ما ترى؟ فقلت : تَركب عَجُز هذهالبغلة فأستأمنلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فوالله لئن ظفر بك ليضربنّ

(١) من الظهران : واد قرب مكة .

(٢) الأراك : قرب مكة .

عُنقك . فرَدِفنى . فخرجتُ به أركض بغلة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نحو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فكلما مررتُ بنارٍ من نيران المُسلمين فنظروا إلىّ قالوا : عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . حتى مررتُ بنار عُمر بن الخطّاب . فقال : أبو سفيان ! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عَقد ولا عهد . ثم أشتد نحو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وركضتُ البغلة حتى اُقتحمت على باب القُبة، وسبقتُ عُمر بما تَسبق به الدابة البطيئة الرجلَ البطىء. فدخل عُمر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان أمكن الله عزّ وجلّ منه بغير عَقد ولا عَهد ، فدعنى أضرب عُنقه . فقلت : يا رسول الله ، إنى قد أجرتُه . ثم جلست إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأخذت برأسه وقلتُ : والله لا يُناجيه اليومَ أحد دونى . فلما أكثر فيه عُمر قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله ما تَصنع هذا إلّا لأنه رجل من بنى عَبد مَناف ، ولو كان من بنى عدىّ بن كَعب ما قلتَ هذا ! فقال : مهلا يا عبّاس ، فوالله لإسلامك يومَ أسلمت كان أحبَّ إلىّ من إسلام الخطّاب لو أسلم ، لأنى أعلم أن إسلامك أحبُّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم من إسلام الخطّاب لو أسلم. فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : اُذهب فقد أمّناه حتى تَغدو به علىّ الغَداةَ. فرجعتُ به إلى منزلى . فلمّا أصبح غدا به على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . فلما رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ! أما آن لك أن تَعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأُمى ، ما أوْصلك وأحلمك وأكرمك ! والله لقد ظننتُ أنه لو كان مع الله عزّ وجلّ غيره لقد أغنى عنّى شيئاً . فقال : ويحك يا أبا سفيان ! أما آن لك أن تعلم أنى رسولُ الله ؟ قال : بأبى أنت وأُمى ، ما أَوصلك وأَحلمك وأكرمك! أمّا هذه فإن فى النّفس منها شيئاً . قال العبّاس : فقلتُ له : ويحك! تَشهد شهادة الحقّ قبل أن تُضرب عُنقك . قال : فتشهّد . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للعبّاس حين تشهّد أبو سفيان : اُنصرف يا عبّاس

فأحبسه عند خَطْم الجبل بمَضيق الوادى ، حتى تمُر عليه جُنود الله عزّ وجل . فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان يُحب الفَخر فاجعل له شيئاً . فقال : نعم ، مَن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن دخل المَسجد فهو آمن ، ومَن أَغلق عليه بابه فهو آمن . فخرجتُ حتى أجلسته عند خَطم الجبل بمَضيق الوادى . فمرتْ عليه القبائل ، فجعل يقول : من هؤلاء يا عباس ؟ فأقول : سُليم . فيقول : مالى ولسُليم ! فتمر به قبيلة ، فيقول : مَن هؤلاء ؟ فأقول : أسلم . فيقول : مالى ولأسلم ! وتمُر جُهينة . فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : جهينة : فيقول : مالى ولجهينة ! حتى مَرّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الخضراء ، كتيبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المُهاجرين والأنصار ، فى الحديد لا يُرَى منهم إلا الحدَق . فقال : مَن هؤلاء يا أبا الفضل ؟ فقلت : هذا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى المُهاجرين والأنصار . فقال : يا أبا الفضل ، لقد أَصبح مُلك ابن أخيك عظيماً . فقلت : ويحك ! إنها النبوّة . فقال : نعم . فقلت : الحق الآن بقومك فحذِّرهم . فخرَج سريعاً حتى أتى مكةَ ، فصَرخ فى المَسجد : هذا محمد قد جاءكم بمالا قِبَل لكم به . قالوا : فَمَه ! قال : فمَن دخل دارى فهو آمن . فقالوا : ويحك ! ماتُغنى دارك عنا ! قال : ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .

أبو سفيان يوم اليرموك

وتحدث عبدُ الله بن الزُّبير قال :

لما كان يوم اليَرموك خلَّفنى أبى ، فأخذتُ فرساً له وخرجتُ ، فرأيتُ جماعةً من الطُّلقاء ، منهم أبو سفيان بن حَرب ، فكانت الرُّوم إذا هَزمت المُسلمين قال أبو سفيان بن حَرب : إيها بنى الأصفر ! فإذا كَشفهم المُسلمون قال أبو سفيان :

و بنو الأصفر الكرامُ ملوكُ الرُّ وم لم يَبق منهُم مذكُور

فلما فَتح الله على المُسلمين حدّثتُ أبى فقال : قاتله الله ! أَبى إلّا نفاقاً ، أو لسنا خيراً له من بنى الأصفر ! ثم كان يأخذ بيدى فيطوف بى على أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيقول : حدِّثهم . فأُحدثهم . فيَعجبون من نِفاقه .

هو وعلى لما ولى أبو بكر

وقيل : لما تُوفى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وولى الخلافةَ أبو بكر الصِّديق رضى الله عنه ، جاء أبو سفيان بن حَرب إلى علىّ بن طالب رضى الله عنه فقال : يا أبا الحسن ، ما بالُ هذا الأمر فى أضعف قُريش وأقلِّها ! فوالله لئن شئت لأملأنّها عليهم خيلاً ورجالاً . فقال على رضى الله عنه : طالما عاديتَ الله ورسولَه والمُسلمين، فما ضرّهم ذلك شيئاً ، إنّا وجدنا أبا بكر لها أهلاً .

شعر له لما ولى أبو بكر

وقال أبو سفيان ، لما ولى أبو بكر رضى الله عنه :

وأضحت قُريشٌ بعد عِزٍّ ومَنْعة ... خُضوعاً لتَيْم[1] لا بضَرب القَواضبِ
فيا لَهف نَفْسى للذى ظَفِرتْ به ... وما زال منها فائزاً بالرّغائب

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبو سفيان، هو أبيات قالها فى سَلاَم بن مِشكم اليهودىّ ، لما نزل عليه أبو سفيان فى غَزاة السَّويق، وهى :

سَقانى فَرَوّانى كُمَيْتاً مُدامةً ... على ظَمأٍ منّى سَلامُ بن مِشْكَمِ
تخيّرتُه أهلَ المدينة واحِداً ... سواهم فلم أُغْبَن ولم أتندّم
فلما تقضَّى الليلُ قلتُ ولم أكُن ... لأُفْرِحَه أبشر بعُرف ومَغْنم
وإنّ أبا غُنْم يجود وداره ... بيثرب مأوى كُل أبيضَ[2] خِضْرِمِ

هو فى غزوة السويق

وذُكر أنه لمّا أنقضت غزوةُ بدر نَذر أبو سفيان ألاّ يَمس رأسَه ماءٌ من جنابة حتى يَغزو رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم . فخرج فى مائتى فارس من قُريش ليُبرّ يَمينه ،فسَلك النجديّةَ حتى نَزل بصَدر قَناة إلى جَبل يُقال له تَيَب،[3] من المَدينة على بريد أو نحوه . ثم خَرج من الليل حتى أتى بنى النّضِير من اليهود ، تحت

(١) هو تيم بن مرة بن كعب . وإليه قبيلة أبى بكر .

(٢) الخضرم : الجواد الكثير العطية .

(٣) تيب ، بالتحريك والباء آخراً ، ويقال فيه : تيت ، بسكون الياء ، وتشديدها مع الفتح والكسر .

الليل ،فأتى حُيَىّ بن أخطب فضَرب عليه بابَه ، فأَبى أن يفتح له وخافه . فمضى إلى سَلَام بن مِشْكم ، وكان سيِّد بنى النَّضير فى زَمانه ذلك وصاحب كنزهم ، فاُستأذن عليه . فأذن له . فقَراه وسَقاه الخمر ونَظر له خَبَر الناس ، ثم خَرج فى عقب ليلته حتى جاء أَصحابه ، فبعث رجالاً من قُريش إلى المدينة . فأَتوا ناحيةً منها يقال لها : العُرَيض ، فحرّقوا فى نَخل لها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحايفاً له فى حَرْث لهما ، فقتلوهما ، ثم اُنصرفوا راجعين . ونَذِر بهم الناسُ. فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى طلبهم حتى بلغ قَرْقرة الكُدْر [1] ،ثم اُنصرف راجعاً لم يَلْق كَيْداً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه ، وقد رأَوْا من مَزاود القوم ما قد طرحوه فى الحَرْث، يتخففّون به للنَّجاة ، وفيها سَويق ، فلذلك سُمِّيت الغَزوة: غزوةَ السَّويق.

وذكر أبو الفَرج أنها إنما سُميت بذلك لأن قُريشاً عَيَّرت أبا سفيان بكونه خَرج فلم يَصنع شيئاً ، وقالوا : إنما خرجتم تَشربون السَّويق .

وقال المُسلمون ، حين رجع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أَنطمع أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

---

(١) على ستة أميال من خيبر .

أخبار الوليد بن يزيد

نسبه و كنيته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مَروان بن الحَكم بن أبي العاصِ بن أُمية ابن عبد شمس بن عبد مناف . ويكنى : أبا العباس .

أمه

وأُمه أُم الحجّاج بنت محمد بن يوسف بن الحَكم بن أبي عَقيل الثَّقفي . وهي بنت أخي الحجّاج بن يوسف . وفيه يقول أبو نُخَيلة :[1]

بين أبي العاصِ و بين الحجّاجْ يا لَكُما نُورًا سِراجٍ وهّاجْ

عليه بعد عَمِّه عِقدُ التاجْ

أم يزيد

وأُم يزيد بن عبد الملك بن مَروان عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية بن أبي سُفيان بن حَرب بن أُمية . وأُمها أُم كُلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُريز بن ربيعة بن حَبيب بن عبد شمس . وأُم عبد الله بن عامر بن كُريز أُم حَكيم البَيضاء بنت عبد المُطلب بن هاشم ، عَمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولذلك يقول الوليدُ بن يزيد :

نَبِيُّ الهُدى خالِي ومن يكُ خالُه نَبِيَّ الهُدى يَقْهَرْ به من يُفاخـرُ

شيء عن الوليد و ولايته الخلافة

وكان الوليدُ بن يزيد من فِتْيان بني أُمية وظُرفائهم وشُعرائهم وأجوادهم وأشدّائهم ، وكان مع ذلك خليعاً مُنهمكاً في الشرب واللّهو وسَماع الغِناء ، وولي الخلافةَ بعد عَمِّه هِشام بن عبد الملك بن مَروان بعهدٍ من أبيه يزيدَ بن عبد الملك .

ولايته العهد بعد هشام وطمع هشام في خلعه

ذُكر أنه لما خَرَج بالعراق يزيدُ بن المُهلَّب بن أَبي صُفرة الأَزدي على يزيدَ

(١) ستأتي ترجمته .

ابن عبد الملك بن مروان ، ووجَّه يزيدُ بن عبد الملك الجيُوشَ لقتاله ، وعقد لأخيه مَسْلمة بن عبد الملك على الجيش ، و بعث ابنَ أخيه العباسَ بن الوليد بن عبد الملك وعَقد له على أهل دمشق ، قال له العبّاس : يا أمير المُؤْمنين ، إنّ أهل العراق أهل غَدْر و إرجاف ، وقد وجهتَنا مُحاربين والأحداثُ تحدُث ، ولا آمَن أن يُرْجِفَ أهلُ العراق و يقولوا : مات أميرُ المُؤْمنين ولم يَعهد ، فيفُتُّ ذلك فى أعضاد أهل الشأم . فلو عَهِدْتَ عهداً إلى عبد العزيز بن الوليد ؟ فقال : غدا . و بلغ ذلك مَسلمةَ بن عبد الملك ، فأتى يزيدَ فقال : يا أمير المؤمنين ، أيما أحبُّ إليك : ولدُ عبد الملك أو ولد الوليد ؟ فقال : بل ولدُ عبد الملك . فقال له : فأخوك أحقُّ بالخلافة أم ابن أخيك ؟ قال : إذا لم تكن فى ولدى فأخى أحقُّ من ابن أخى . قال : فابنك لم يبلُغ ، فبايِعْ لهشام ثم لابنك بعد هشام. والوليدُ بن يزيد يومئذٍ ابن إحدى عشرة سنة . قال: غدا أُبايع . فلما أصبح فعل ذلك و بايع لأخيه هشام بن عبد الملك بولاية العهد و بعده لابنه الوليد . وأخذ على هشام ألاّ يَخلع الوليدَ بعده ،ولا يُغيِّر عهده ، ولا يَحتال عليه . فلما بلغ الوليدُ بن يزيد نَدِم أبوه على تَقْديم هشام عليه ، فكان يقول: الله بينى و بين مَن جعل هشاماً بينى و بينك. ثم تُوفى يزيد بن عبد الملك سنة خمس ومائة ، وعُمْر الوليد ابنه خمسَ عشرة سنة . وولى الخلافةَ هشامُ بن عبد الملك بن مروان ، والوليد ولىّ عهده ، فلم يزل الوليدُ مُكرَّماً عند عمِّه هشام رفيعَ المَنزلة مدة ، ثم طَمع هشام فى خَلع الوليد وعَقد العهد بعده لابنه مَسلمة بن هشام ، فجعل يذكر الوليدَ بن يزيد وتَهتُّكه و إدمانه على الشَّراب ، و يُظهر ذلك فى مَجلسه ، و يقوم به و يقعد. وولّاه الحجّ ليُظهر ذلك منه بالحرَمَيْن فيسقطَ . فحجّ فَظهرمنه فِعْلٌ كثير مَذْموم،وتَشاغل بالمُغنِّين والشَّراب ، وأمر مولًى له فحجّ بالناس . فلما رَجع طالبه هشامٌ بأن يَخلع نفسَه ، فأبى ذلك ، فحرمه العَطاء وحَرم سائر مواليه وأسبابَه وجفاه جَفاءً شديداً . فخرج مُتبدِّياً .(١)

(١) خرج متبدياً ،أى إلى البادية .

وخَرج معه عبدُ الصمد بن عبد الأَعلى مُؤدِّبه ، وكان يُرمَى بالزَّندقة . ودعا هشامٌ الناسَ إلى خَلع الوليد والبيعة لأبنه مَسلمة .

—وأُمُّه أُم حكيم بنت يَحيى بن الحكم بن أبي العاصى . وكان يُكنى : أبا شاكر . كُنِّي بذلك لمَولًى كان لمَروان يكنى : أبا شاكر . وكان ذا رأى وفضل ، وكانوا يُعظِّمونه ويتبرّكون به —

فأجابه إلى خَلع الوليد والبيعة لمَسلمة بن هشام : محمدٌ ، و إبراهيم – أبنا هشام بن إسماعيل المَخزومىّ – وعبدالعزيز ، وخالد، والوليد ، بنو القَعقاع بن خُويلد العَبْسى ، وغيرهم من خاصّة هِشام . وكتب هشام إلى الوليد : ما تَدع شيئاً من المُنكر إلّا أرتكبْته ، فليتَ شِعرى ما دِينُك ؟ فما أَدرى أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ فكتب إليه الوليدُ بن يزيد :

يا أيها السائلُ عن دِيننا ... نحن على دين أبي شاكرِ
نَشربُها صِرْفاً وممزوجةً ... بالسُّخْن أحياناً و بالفاترِ

فغَضب هشامٌ على أبنه مَسْلمةَ وقال : يُعيِّرنى بك الوليدُ وأنا أُرشِّحك للخلافة ! فألزم الأدب وأحضُر الصلوات . وولّاه الموسمَ سنةَ سبعَ عشرةَ ومائة . فأَظهر النُّسك وقَسم بمكة والمدينة أموالاً . فقال رجلٌ من أهل المدينة :

يا أيها السائلُ عن دِيننا ... نحنُ على دين أبي شاكرِ
الواهبِ البُزْلَ (١) بأَرْسانها ... ليس بزنديقٍ ولا كافرِ

يُعرِّض بالوليد .

إباء خالد القسرى بيعة مسلمة

و بلغ خالدَ بن عبد الله القَسرىّ ما عزم عليه هشامٌ ، فأباه وقال : أنا برىء من خليفة يكنى : أبا شاكر . فبلغت هشاماً عنه . فكان ذلك سبب إيقاعه به .

الوليد والعباس فى مجلس هشام

وذُكر أن الوليد بن يزيد دَخل يوماً على مجلس هشام ، وقد كان فى ذِكره قَبل أن يدخل . فحمقه مَن حَضر من بنى أُميــة . فلما جَلس قال له العبّاس بن

(١) البزل من الإبل : التى استكملت الثالثة وطعنت فى التاسعة ؛ الواحد : بازل . والأرسان : الحبال تقاد بها الإبل ؛ الواحد : رسن .

الوليد بن عبد الملك ، وعُمر بن الوليد : كيف حُبُّك يا وليد للرُّوميّات ، فإن أباك كان يُحبّهن وكان بهنّ مشغوفاً ؟ قال : إنى لأُحبهنّ ، وكيف لا أُحبهنّ ولن تزال الواحدة منهنّ قد جاءت بالهجين مِثْلك . وكانت أُم العبّاس روميّة . فقال : أُسكتْ !فلست (١) الفحلَ يأتى عَسْبُه (٢) بمثلى . فقال له الوليد : أُسكتْ يابن البَظْراء ! فقال : أتَفْخر علىّ بما قُطع من بَظْر أُمك . وأقبل هشام على الوليد فقال له : ما شرابك ؟ قال : شرابُك يا أمير المؤمنين ، وقام مُغْضَباً فخرج . فقال هِشام : أهذا الذى تَزْعُمون أنه أحمق ! ما هو أحمق ، ولكنى ما أظُنه على الملّة .

هوسعيد بن هشام وإبراهيم المخزومى فى مجلس هشام

وذُكر أنّه دَخل الوليدُ بن يزيد يوماً مجلسَ هِشام بن عبد الملك ، وفيه سعيدُ ابن هِشام بن عبد الملك ، و إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى ، وأبو الزُّبير ، مَولى مروان ، وليس هشام حاضراً . فجلس الوليدُ مجلسَ هشام . ثم أقبل على سَعيد ابن هشام ، فقال له : من أنت ؟ وهو به عارف . قال : سعيد ، ابن أمير المؤمنين . قال : مرحباً بك . ثم أقبل على أبى الزُّبير فقال : مَن أنت ؟ فقال : أبو الزُّبير مولاك أيها الأمير . فقال : مرحباً بك . ثم أقبل على إبراهيم بن هشام فقال : من أنت ؟ قال : إبراهيم بن هشام بن إسماعيل . فقال : مَن إسماعيل ؟ فقال : إسماعيل ابن هشام بن الوليد بن المُغيرة . فقال : مَن الوليدُ بن المُغيرة ؟ قال : الذى لم يكن جَدُّك يُرَى أنه فى شىء حتى زَوّجه أبى ، وهو بعضُ ولدِ ابنته . فقال : يابن اللَّخناء ! أتقول هذا ! وانتخذا (٣) . وأقبل هشامٌ ، فقيل لهما : قد جاء أمير المؤمنين . فجلسا وكفّا . فما كاد الوليدُ يتنحَّى عن صَدر مجلسه ، إلا أنه زَحَل له قليلاً . فجلس هشامٌ فقال : كيف أنت يا وليد ؟ فقال : صالحٌ . قال : ما فعلتْ

(١) فى الأغانى : « فليس » .
(٢) العسب : ماء الفحل .
(٣) انتخذا : تصارعا .

برابطك (١) . قال مُعْمَلَةٌ . قال : فما فعل نُدماؤك ؟ قال : صالحون ، ولَعنهم الله إنْ كانوا شرًّا ممّن يحضُرك . فقال هشام : يأبن اللّخناء ! جؤُوا عُنقه . فلم يفعلوا ودَفعوه رُويداً . فقال الوليدُ :

أنا أبن أبي العاصي وعثمانُ والدي ... ومروانُ جَدّي ذو الفَعَال وعامرُ

أنا ابنُ عَظيم القَرْيتين وعزُّها ... ثَقيفٌ وفِهرٌ والعُصاةُ الأكابر

نبيُّ الهُدَى خالي ومن يَكُ خالُه ... نبيَّ الهُدى يَفْخر به (٢) ويُكاثر

شعره لهشام لما أراد خلعه

وقيل : لمّا أراد هشام بن عبد الملك أن يَخلع الوليدَ بن يزيد من ولاية عَهده ، قال الوليد يُؤنبه ويَذكر إحسان والده إليه ويحذِّره سُوء عاقبة فِعْله :

كفرتَ يداً من مُنعِمٍ لو شكرتَها ... جَزاك بها الرحمنُ ذو الفَضل والمَنّ

رأيتُك تبنى جاهداً فى قَطيعتى ... ولو كنتَ ذا حزم (٣) لهدَّمتَ ما تَبْنى

أراك على الباقين تَجنى ضَغينةً ... فيا وَيْحهم إن مِتَّ من شَرِّ ما تَجْنى

كأنّى بهم يوماً وأكثرُ (٤) قيلهم ... أيا ليت أنّا حين يا ليت لا تُغْنى

ذم هشاماً بشعر لعبثه بخاصته

وذُكر أن هشام بن عبد الملك عَبث (٥) بالوليد بن يزيد وخاصّته ، فخرج الوليدُ فى نَفرٍ من أصحابه فَنزل بالأبرق ، وخَلّف فى الرُّصافه كاتبَه عِياضَ بن مُسْلم ، مولى عبد الملك ، ليُكاتبه بما يحدُث . فقال الوليدُ لمؤدِّبه عبد الصمد بن عبد الأعلى ، وقد شَربوا يوماً : قُل أبياتاً نُغنّى فيها . فقال أبياتاً وأمر عُمر الوادى فغنّى فيها ، وهى :

ألم تَر للنَّجم إذ (٦) سَبَّعا ... يُبادر فى (٧) بُرْجه المَرْجِعَا

---

(١) البرابط : جمع بربط ، وهو العود .
(٢) فى الأغانى : « يقهر به ويفاخر » .
(٣) فى الأصل : « أرب » مكان « حزم » .
(٤) فى الأغانى : « قولهم » مكان « قيلهم » . (٥) فى الأغانى : « عتب على الوليد »
(٦) سبع : أقام سبعا .
(٧) فى الأصل : « عن » . مكان « فى »

تحـيَّر عن قَصْـد مَجْراته إلى الغَوْر والْتمس المَطْلَعا

فقلتُ وأعْجبنى شـأنُه وقد لاح إذ لاح لى مُطْمِعا

لعلّ الوليدَ دنا مُلْـكُه فأمسَى إليه قد اُسْتَجمعا

عَقَدْنا له مُحْكَمات الأُمو رِ طَوْعاً وكان لها مَوْضِعا

فرُوى هذا الشعرُ ، و بلغ هشاماً ، فقَطع عن الوليد ما كان يُجرى عليه وعلى أصحابه وحَرمِهم . وكتب إليه : بَلغنى أنك قد اتخذتَ عبد الصمد خِدْناً ومُحدِّثاً ونديماً ، وقد حقَّق ذلك ما بلغنى عنك ، ولن أُبرّئك من سُوء ، فأَخرج عبد الصمد مَذْموماً مَدْحوراً . فأَخرجه الوليدُ وقال :

لقـد قذفـوا أبا وَهْبٍ بأَمرٍ كبيرٍ بل يزيدُ على الـكَبيرِ

فأَشْهد أنهم كَذَبوا عليه شهـادةَ عالمٍ بهـمُ خَبـير

وكتب الوليدُ إلى هشام بأنه قد أَخرج عبد الصمد ، واُعتذر إليه من مُنادمته، وسأله أن يأذن لاُبن سُهيل فى الُخروج إليه . وكان من خاصّة الوليد .فضَرب به هشام ونَفاه وسيَّره . وكان اُبن سُهيل من أهل الشَّرف والنُّبـل ، وَلى دِمشق مراراً ، وولى غيرَها . وأخذ عياضَ بن مُسلم ، كاتب الوليد فضَربه ضرباً مُبرِّحًا، وأَلْبسه المَسُوح وقَيّده وحَبسه . فغَمّ ذلك الوليدَ وقال : مَن يَثق بالنـاس ! ومَن يَصطنع المَعروف ! وهذا الأحـولُ المشئوم قدَّمه أبي على وَلده وأهل بيته وأولاده، وهو يَصنع ما ترَوْن ، ولا يَعلم أنّ لى فى أحدٍ هوًى إلا ضَربه وأَضرَّ به . كتب إلىّ بأن أُخرج عبدَ الصمد ، فأَخرجتُه . وكتبتُ إليه فى أن يأذن لاُبن سُهيل فى الُخروج إلىّ ، فضَربه وطَرده ، وقد عَـلِم رأيي فيه . وعَرف مكان عياض منِّي واُنقطاعه إلىّ فضَربه وحَبسه ، يُضارُّنى بذلك . اللهم أَجِرْنى منـه . ثم قال الوليدُ :

أنا النَّذيرُ لمُسْدِى نعمــةٍ أبداً إلى المَقاريفِ[1] لمّا يَخْبُرِ الدَّخَلاَ

أَتشـمخون ومنّا رأسُ نعمتـكم ستعلمون إذا أبصرتُم الدُّوَلا

إنْ أنت أكرمتَهم ألفيتَهم بَطِرُوا وإنْ أهنتَهمُ ألفيتَهم ذُلُلا

اُنظُر فإن أنت لم تقدر على مَثَـلٍ لهم سِوَى الكلْبِ فاُضربْه لهم مَثَلا

بينا يُسمِّنه للصَّيْد صـاحبُه حتى إذا ما اُستوى من بعد ما هُزِلا

عدا عليه فلم تضرُرْه عَـدْوتُه ولو أطاق له أكلاً لقد أكلا

شعره فى الفخر على هشام

وقال الوليدُ أيضاً يفتخر على هشام :

أنا الوليـد أبو العبّاس قد علمت عُلْيا معَدٍّ مَدَى كَرِّى وإقْدامى

إنِّى لفى الذِّرْوة العُلْيا إذا اُنْتَسبوا مُقَابَلٌ[2] بين أخوالى وأعمامى

بَنى لىَ المجدَ بانٍ لم يكُن وَكِلاً على مَنارٍ مُضيئاتٍ وأعلام

حللتُ من جوهر الأَعْياص قد علمُوا فى باذخٍ مُشمخرِّ العزِّ قمْقام[3]

صَعْبِ المَرام يُسامِى النَّجمَ مَطلعُه يَسْمو إلى فَرْعِ طَوْدٍ شامخٍ سامى

وقيل : إن الوليد بَعث براويته إلى هشام فأنشده هذه الأبيات. فقال : هشام: والله ما علمتْ له مَعَدٌّ كَرًّا ولا إقداماً ، إلا أنه شَرب مرةً مع عمِّه بكّار بن عبد الملك فعَرْبد عليه وعلى جواريه ، فإن كان يَعْنى ذاك بكَرِّه وإقدامه فعسى .

هو وأبو الزناد فى حديث هشام بعد موته

وحكى أبو الزِّناد قال :

دخلتُ على هشام بن عبد الملك، وعنده الزُّهرىّ ،وهما يَعيبان الوليدَ ، فأعرضتُ عنهما ، ولم أدخُل فى شىء من ذِكْره . فلم ألبث أن اُستُؤْذن للوليد ، فأُذن له . فدَخل وهو مُغضب ، فجلس قليلاً ثم نهض . فلما مات هشامٌ وَلى الوليدُ كَتب إلى المدينة فحُملت ، فدخلت إليه ، فقال لى : أتذكر قولَ الأحول والزُّهرى ؟

(١) المقاريف : الأنذال . (٢) المقابل : الكريم النسب من قبل أبويه .

(٣) الأعياص : العـاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، أولاد أولاد أميـة بن عبد شمس الأكبر . والقمقام : العدد الكثير .

فقلت : نَعم . وما عَرضتُ فى شىء من أمرك . فقال : صدقتَ ، أتدرى مَن أبلغنى ذاك ؟ قلت : لا . قال الخادمُ الواقفُ على رأسه ، وأيمُ الله ، لو بَقِىَ الفاسقُ الزُّهرى لقتلتُه — قيل : وكان الزُّهرى أجمع على أن يدخُل إلى بلاد الرُّوم إن وَلِى الوليد بن يزيد . فمات الزُّهرى قبل ذلك — ثم قال الوليد : ذَهب هشام بعُمرى . فقلت : بل يُبقيك الله يا أمير المُؤمنين . وقام فصلّى العَصر ثم جَلس يتحدّث إلى المَغرب ، ثم صلَّى ودعا بالعَشاء ، فتعشيتُ معه ثم جَلس يتحدّث حتى صلَّى العَتَمه ، ثم قال : أسقينى . فأتينه بإناء مُغطًّى ، وجاء جوارٍ فقُمْن بينى و بينه، فشَرب وانصرفْن ،ومكث قليلاً ثم قال : أسقينى .ففعلن مثل ذلك . وما زال والله ذلك دأبَه حتى طَلَع الفجر ، فأَحصيتُ له سبعين قَدحاً .

شعره فى الرد على من عابه بشرب الخمر

وقيل : بلغ الوليدَ أن ابن عمّه العبّاس بن الوليد بن عبد الملك ، وغيرَه من بنى مَروان ، يَعيبونه بالشَّراب ، فلَعنهم وقال : إنهم ليَعيبون علىّ أمراً لو كانت لهم اللذّة فيه لما تَركوه ، وقال هذه الأبيات ، وهى من جيد شعره :

ولقد قَضيتُ وإن تَجلَّل لِمَّتى شَيبٌ على رَغْم العِدَى لَذّاتى
من كاعباتٍ كالدُّمَى ومَناصِفٍ ومَراكب للصَّيد والنَّشوات
فى فِتيةٍ يأبَى الهوانَ وجُوهُهم شُمِّ الأُنوف جَحاجح سادات
إنْ يطلبوا بتِراتهم يُعْطَوْا بها أو يُطْلبوا لا يُدْركوا بتِرات

كتابه إلى هشام وكتاب هشام إليه

وذُكر أن الوليد بن يزيد كَتب إلى عمّه هِشام : بلغنى الذى أحدث أميرُ المؤمنين من قَطع ما قَطع عنَّى ، ومَحو مَن مَحا من صحابتى ، وأنه حَرمنى وأهلى ، ولم أكُن أخاف أن يبتلى اللهُ عزّ وجلّ أمير المُؤمنين بذلك فىّ ، ولا ينالنى مثلُه منه ، ولم يبلغ أستصحابى لابن سُهيل ومسألتى فى أمره أن يَجْرى عليه[1] ماجَرى، فإن كان ابن سُهيل على ما ذكر أمير المؤمنين فبَحْسب العَيْر أن يقرُب من الذئب،

(١) فى الأغانى : «على» .

وعلى ذلك فقد عقد اللهُ جلّ وعزّ لى من العهد ، وكتب لى من العُمر ، وسبَّب لى من الرزق ، ما لا يقدر أحدٌ دونه — تبارك وتعالى — على قَطْعه عنّى دون مُدَّته، ولا صَرْفه عن مواضعه المحتومة له . فقدرُ الله يَجرى على ما قدَّره فيما أَحبَّ الناسُ وكرهوا ، لا تَعجيلَ لآجله ولا تأخير لعاجله ، والناسُ بعد ذلك يكتسبون (١) الأوزار ويَقترفون الآثام على أنفسهم بما يَستوجبون من الله عزّ وجلّ العُقوبة عليه . وأمير المؤمنين أحقُّ بالنظر فى ذلك والحفظِ له . والله يُوفِّق أَمير المؤمنين لطاعته ، ويُحسن القَضاء له فى الأُمور بقُدرته . وكتب فى آخر كتابه :

أَليس عظيماً أن أَرى كُلَّ واردٍ حِياضَك يوماً صادراً بالنَّوافِل

وأَرجعَ مَحْدود الرجاء مُصَرَّداً بتَحلئةٍ عن وِرد تلك المَناهل

فأصبحتُ مما كنت آمُل منكُم وليس بلاقٍ مارجا كُلُّ آمل

كمُقْتَبض يوماً على عُرْض (٢) هَبْوةٍ يَشُدّ عليها كفَّه بالأَنامل

فكتب إليه هشام بن عبد الملك : قد فهم أميرُ المؤمنين ما كتبتَ به من قَطْع ما قَطع عنك وغير ذلك . وأمير المؤمنين يَستغفر الله من إجرائه ما كان يُجرى عليك ، ولا يتَخوّف على نفسه اقتراف المآثم فى الذى أَحدث من قَطْع ما قَطع ، ومَحْو من مَحا من صَحابتك ، لأمرين : أمّا أحدهما فإن أمير المؤمنين يَعلم مواضعك التى كنت تَصرف إليها ما يُجريه عليك . أما الآخر فإثبات صحابتك وأرزاقُهم دارَّةً عليهم لا ينالهم ما ينَال المُسلمين عند قَطع البُعوث عليهم ، وهم مَعك تَجول بهم فى سَفهك . وأمير المُؤمنين يرجو أن يكفِّر اللهُ عزّ وجلّ عنه ما سَلف من إعطائه إياك باستئنافه قَطْعَه عنك . وأما ابنُ سُهيل ، فَلَعمرى لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جَرى عليه لما جعله الله تعالى لذلك أهلا . وهل زاد ابن سُهيل —

(١) فى الأغانى : « يحتسبون » .

(٢) الهبوة : الغبرة .

لله أبوك — على أن كان (١) زفّاناً مُغنّياً قد بلغ من السّفه غايته ، وليس مع ذلك أبن سُهيل بشرٍّ ممن كنتَ تَصحبه مع الأمور التى يُنزّه أميرُ المُؤمنين نفسَه عنها ، مما كنتَ لعمرى أهلاً للتّوبيخ فيه . وأما ما ذكرتَ مما سبّبه الله عزّ وجلّ لك، فإن الله تبارك وتعالى قد أبتدأ أمير المُؤمنين بذلك وأصطفاه له ، والله بالغ أمره . ولقد أصبح أميرُ المُؤمنين ، وهو على اليقين من رأيه ، إلا أنه لا يملك لنفسه ، مع ما أعطاه الله من كرامته ، ضُرًّا ولا نفعا . وإن الله جلّ وعزّ وَلِىّ ذلك منه ، وإنه لا بُدّ له من مُفارقته . وإن الله أرأف بالعِباد وأرحم من أن يُولِّى أمرَهم مَن لا يَرتضيه لهم منهم . وإن أمير المؤمنين مع حُسن ظنه بربّه لعلى أفضل الرّجاء لأن يولِّيه بسبب ذلك لمن هو أهله فى الرِّضَى به لهم. فإن بلاء الله عند أمير المؤمنين لأعظمُ من أن يَبلغه ذِكرُه ، أو يُوازَيه شُكره ، إلّا بعَون منه. ولئن كان قدّر الله لأمير المؤمنين تعجيل وفاةٍ ، فإن فى الذى هو مُفْضٍ وصائرٌ إليه من كرامة الله جلّ وعز لخلفاً من الدُّنيا . ولعمرى إنّ كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبتَ به لغيرُ مُستنكر من سَفَهك وحُمْقك ، فأبْقِ على نفسك ، وقصِّر من غُلوائها ، وأرْبعْ على ظَلَعك ، فإن لله جَلّ وعز سطواتٍ وغِيَراً يُصيب بها من يشاء من عباده . وأمير المؤمنين يسأل الله العِصْمة والتّوفيق لأحبّ الأمور إليه وأرضاها له . وكتب فى أسفل الكتاب .

إذا أنت سامحتَ الهوى قادك الهوى   إلى كُل ما فيه عليك مَقالُ

والسلام .

تبشيره بالخلافة بعد هشام

وحَكى أبو الزُّبير المُنذرُ بن عمرو ، وكان كاتباً للوليد بن يزيد ، قال :

أرسل إلىّ الوليدُ صَبيحةَ اليوم الذى أتتْه فيه الخلافةُ ، فأتيتُه . فقال : يا أبا الزُّبير ، ما أتتْ علىّ ليلة أطولُ من هذه الليلة ، عرضتْ لِى أمور وحدّثتُ فيها

(١) الزفان : الراقص .

نفسى بأمور ، وهذا الرجلُ — يعنى هشام بن عبد الملك — قد أُولع بى ، فاُركبْ بنا نتنفَّس . فركب وسِرتُ معه ميلين ، ووَقف على تلٍّ وجعل يشكو هشاماً ، إذ نَظر إلى رَهْج قد أَقبل ، وسَمع قَعْقعة البَريد ، فتعوَّذ بالله من شَرِّ هشام وقال : إن هذا البريد قد أَقبل بموتٍ وَحِيّ (١) أو بُملك عاجلٍ . فقلت : لا يسوءك اللهُ أيها الأمير بل يسرُّك ويُبقيك أبداً . إذ بدا رجلان على البريد يقُبلان ، أحدهما مولًى لآل أبى سُفيان بن حَرب . فلما قرُبا رأيا الوليدَ فنزلا يعدُوان حتى دنَوا ، فسلَّما عليه بالخلافة . فوَجم . وجعلا يكرِّران التَّسليم عليه بالخلافة . فقال . ويحكما ! أمات هشام ؟ قالا : نعم . قال : فمرحباً بكما ، ما معكما ؟ قال : كتاب مولاك سالم ابن عبد الرحمن . فقرأ الكتاب . وانصرفنا . وسأل عن عياض بن مُسلم كاتبه ، الذى كان هشام ضَربه وحَبسه . فقالا : يا أمير المؤمنين ، لم يَزل محبوساً حتى نَزل بهشام أمرُ الله . فلما صار إلى حالٍ لا تُرجَى الحياة لمثله معها أرسل عياضٌ إلى الُخزَّان : احتفظوا بما فى أيديكم ولا يصلنَّ أحد إلى شىء . وأفاق هشام إفاقةً ، فطلَب شيئاً فمُنعه . فقال: أرانا كُنَّا خُزَّانا للوليد! وقضى من ساعته . فخرج عِياضٌ من السجن ساعةَ قَضى هشام ، فخَتم الأَبواب والخزائنَ ، وأَمر بهشام فأُنزل عن فِراشه ، ومَنعهم أن يُكفنوه من الخزائن . فكفَّنه غالب مولى هشام . ولم يجدوا قُمْقُماً (٢) حتى استعاروه .

قلتُ : ذُكر أن هشام بن عبد الملك كانت تُحمل ثيابه على أربعمائة ظهر ، وأفضى الحال عند موته إلى أن لم يُوجد له كَفن حتى كفَّنَه غالب ، هذا . فسبحان من لا يَزول مُلكه .

لا تعقيب لابن وصل

وكانت وفاته سنة خمس وعشرين ومائة . وكانت مُدة خلافته نحواً من عشرين سنة .

---

(١) الوحى : السريع .

(٢) القمقم : إناء من نحاس يسخن فيه الماء .

الوليد وابنا هشام المخزومى

قال أبو الفرج :

وأمر الوليد بأخذ أبنى هشام بن إسماعيل المخزومى ، فأُخذا بعد أن عاذ إبراهيم ابن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك . فقال الوليد : ما أُراه إلا قد نجا . فقال له يحيى ابن عُروة بن الزُّبير ، وأخوه عبد الله بن عُروة : إن الله لم يَجعل قبرَ أبيك معاذاً للظالمين ، فخُذْه برَدّ ما فى يده من مال اللهِ تعالى . فقال : صدقتَ . فأَخذهما ، فبعث بهما إلى يُوسف بن عمر والى العراقَيْن وكتب إليه بأن يَبْسُط عليهما العذابَ حتى يَتْلفا . ففعل ذلك بهما ، وماتا جميعاً فى العذاب ، بعد أن أُقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى اُقتضوْا منه المظالم .

شعر الوليد حين نعى إليه هشام

وذُكر أنه لما نُعى هشام إلى الوليد ، قال : والله لأتلقَيَنَّ هذه النِّعمةَ بسَكْرة قبل الظهر ، ثم قال :

طاب يَومى ولَذَّ شُربُ السُّلافَه ... إذ أتانا نَعِيُّ مَن بالرُّصافه

وأتانا البريدُ ينعَى هِشاماً ... وأتانا بخاتمٍ للخِلافه

فاْصطبحنا من خمرِ عانةَ[1] صِرْفاً ... ولهَوْنا بقَيْنةٍ عَزّافه

ثم حَلف ألاّ يَبرح موضعَه حتى يُغنَّى فى هذا الشعر . فغُنى له فيه وشَرب حتى سكر ، ثم دَخل فبُويع له .

قيل : وسَمع صياحاً فسأل عنه ، فقيل : هذا من دار هشام تبكيه بناتُه. فقال :

إنّى سمعتُ بليلٍ ... وَرَا المُصلَّى برَنَّهْ

إذا بناتُ هشامٍ ... ينْدُبْن والدَهُنَّه

يندُبْن قَرْماً جَليلا ... قد كان يَعْضُدهُنَّه

أنا المخنَّثُ حقّاً ... إن لم[2] ....

(١) عانة : بلد على الفرات مشهورة بالخمر .

(٢) مكان هذا النقط كلمة صريحة .

وقال الوليد أيضاً :

ليت هشـاماً عاش حتى يَرى ـمِكيـالَه الأوفرَ قد أُتْرِعَا

كِلْنـا له الصّاعَ الـتى كالَها وما ظَلَمنـاه بها أَصْوُعا

لم نَأتِ ما جئناه (١) من بِدْعة أحـلّه القرآنُ لى أجمعا

من شعره المطرب

ومن شِعر الوليد بن يزيد، وكان أبو غسّان يكاد يرقُص إذا أنشده :

أُصدع نَجِىّ الهمُوم بالطـرب وأُنْعِم على الدّهر بابنة العِنَبِ

واُستقبل العَيش فى غَضارته لا تَقْفُ منـه آثارَ مُعْتقِب

من قهوةٍ زانهـا تقادُمها فهى عَجوز تَعْلو على الحِقَب

أشهَى إلى الشَّرْب يوم جلوَتها من الفتـاة الكَريمة النَّسب

فقد تجلَّت وراق جَوهرُهـا حتى تبدَّت فى جَوهر (٢) عَجب

فهى بغـير المِزاج من شَرَر وهى لدى المَزْج سائل الذَّهب

كأنهـا فى زُجاجهـا قَبَسٌ تذكو ضياءً لعَـين مُرْتقب

فى فتيةٍ من بنى أُميـةَ أهـ ـلِ المَجد والمَأثُرات والحَسب

وله أيضا عندما نعى هشام إليه

وقال الوليد أيضا لما أتاه نعىُ هشام :

طال ليلى وبِتُّ أُسقَى المُداما إذ أتانى البريدُ يَنْعَى هِشـامَا

وأتـانى بحُـلّة وقَضيب وأتانى بخـاتَم ثم قاما

فجعلتُ الولىّ من بعد فقدى أفضل (٣) الناس ناشئاً وغُلاما

ذلك أبـنى وذاك قَرْم قُريش خـيرُ قَرم وخـيرُهم أعماما

غناه عمر الوادى بشعره فى موت هشام

وحكى عُمر الوادى قال :

---

(١) فى الأغانى : « ماتأتيه » .

(٢) فى الأغانى : « فى منظر » .

(٣) فى الأغانى : « يفضل » .

كنت يوماً عند الوليد إذ ذكَر هشاماً ، فقال لى : غَنِّى بهذه الأبيات . فقلت : ما هى يا أمير المؤمنين ؟ فقال :

هَلك الأحولُ المَشُو … مُ فقد أُرسل المَطرْ

ثُمَّت اُستُخلف الولي … دُ فقد أُورق الشَّجر

ما أخذه أبو نواس من معانيه

قال أبو الفرج :

وللوليد فى ذِكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة ، قد أخذها الشعراء فأدخلوها فى أشعارهم، وسلخوا معانيها ، وخاصّة أبو نُواس فإنه سَلخ معانيه كُلها فجعلها فى شعره، وكرّرها فى عدة مواضع . ومن جيِّد شعره قولُه :

إذا لم يكن خيرٌ مع الشر لم تجدْ … نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزعُ

وكانوا إذا همُّوا بإحدى هَناتهم … حسرتُ لهم رأسى ولا أَتقنع

من شعره فى هشام

ومن نادر شعره قوله يخاطب هشاما :

فإن تكُ قد مَلِلتَ القُرب منِّى … فسوف تَرى مُجانبتى و بُعدى

وسوف تلوم نفسَك إن بَقينا … وتبلو الناس والإخوان (١) بعدى

فتَندمُ فى الذى فرّطت فيه … إذا قايستَ فى ذَمى وحمدى

شعره لما بويع

وحكى الهيثم بن عِمران قال : لما بويع الوليد بن يزيد سمعتهُ يقول على المنبر:

ضمِنتُ لكم إن لم تَعقُنى (٢) منيّتى … بأن سماء الضُّر عنكم ستُقلعُ

وقيل : إنه كتب بذلك إلى أهل المدينة ، وهذا من أبيات أولها :

ألا أيها الركب المُخبّون أَبلغوا … سلامِى سُكانَ البلاد فأسمِعوا

ومنها :

وُقولوا أتاكم أشبهُ الناس سنةً … بوالده فاُستبشِروا وتوقّعوا

سيُوشك إلحاقٌ بكم وزيادة … وأعطيةٌ تأتى تباعاً فتُشفع

وقيل: لما ولى الوليد الخلافة بعث إلى جماعة من أهله، فلما حضروا قال: أتدرون

(١) فى الأغانى : « الأحوال »
(٢) فى الأغانى : « لم ترعنى » .

لم دعوتكم ؟ قالوا : لا . قال : ليقل قائلكم . فقال رجل منهم : أردت يا أمير المؤمنين أن ترينا ما جدد الله عز وجل لك من نعمه وإحسانه . فقال: نعم، ولكنى :

أُشهد اللهَ والملائكةَ الأبْـ ... ـرار والعابدين أهل الصَّلاحِ

أننى أشتهى السَّماع وشُرْب الـ ... ـكأس والعضّ للخُدود المِلاح

والنَّديمَ الكريمَ والخادمَ الفا ... ره يَسعى إلىّ بالأقداح

قُوموا إذا شئتم .

من شعره

قلت : ومن شِعره :

أشربُ الرَّاح وأهوى ... كُلَّ مضفور الذُّؤابَهْ

أنا للناس إمامٌ ... غير أنى ذو صَبابَهْ

غنت جارية فاشتراها

وذُكر أنه عُرِضت على الوليد بن يزيد جاريةٌ صفراء كوفيّة مولَّدة ، يقال لها: سعاد . فقال لها : أى شىء تُحسنين؟ قالت : أنا مُغنية . فقال لها: غَنِّى. فغنَّت :

لولا الذى حُمِّلتُ من حُبّكم ... لكان فى إظهاره مَخْرَجُ

أو مَذهبٌ فى الأرض ذو فُسحة ... أجَلْ ومن حَجَّت له مَذْحج

لكنْ سَبانى منكمُ شادنٌ ... مُرَبَّبٌ ذو غُنَّةٍ أدعج

أغرُّ ممكورٌ هَضيم الحَشَى ... قد ضاق عنه الحِجْل والدُّمْلُج

فطرب طرباً شديداً ، وقال : يا غلام ، اُسقنى . فسقاه عشرين قدحاً ، وهو يَستعيدها . ثم قال لها : لمن هذا الشِّعر ؟ فقالت : للحارث بن خالد . فقال : وممّن أخذتِه ؟ قالت : من حُنين . فقال : وأين لقيتِه ؟ قالت : رُبِّيت بالعِراق وكان أهلى يجيئون به فيُطارحنى . فدعا صاحبَه وقال : اُذهب فابْتَعها بما بلغتْ ولا تُراجعنى فى ثمنها . ففَعل . ولم تَزل حظيّة عنده .

شرب هو ومحمد بن سليمان بجرن

وذُكر أنه فى أيام الدولة العباسيّة خَرج عبدُ الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد ابن علىّ بن عبد الله بن العبّاس يوماً إلى بعض الدّيارات ، فنزل فيه ، وهو والٍ

على الرَّملة . فسأل صاحب الدَّير : هل نَزل بك أحد من بنى أُمية ؟ قال : نعم ، نزل بى الوليدُ بن يزيد ، ومحمد بن سُليمان بن عبد الملك . قال : فأى شىء صَنعا ؟ قال : شَربا . قال : أين شربا ؟ قال : فى ذلك المَوضِع ، ولقد رأيتُهما شربا فى آنيتهما ، ثم قال أحدهما لصاحبه : هلم نشرب بهذا الجُرن [1] — وأومأ إلى جُرن عظيم من رخام — قال : أفعلُ. فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويَشربان به حتى ثَمِلا . فقال عبدُ الوهاب لمولًى له أسود: هاته . قال الراوى : فلقد رأيته ، وكان يُوصف بالشدة ، فذهب يحركه فلم يقدر . فقال له الراهب: والله لقد رأيتُهما يتعاطيانه وكُل واحد منهما يملؤه لصاحبه ، فيرفعه ويَشرب به غير مكترث .

طلاقه سعدة وهيامه بأختها سلمى

ذُكر أنه كانت تحت الوليد بن يزيد أُم عبد الملك ، واسمها سَعْدة بنت سَعيد ابن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فمرض سَعيد ، وكان ذلك فى حياة يزيد ابن عبد الملك . فأتاه الوليدُ عائداً فدَخل فلَمح سَلْمى بنت سَعيد ، أُختَ زوجته سَعْدة ، فسترها حواضنُها وأختها ، وقامت ففرعتهن طُولاً ، فوقعتْ بقَلب الوليد . فلما مات يزيد طَلَّق أُم عبد الملك زَوجته ، وخَطب سلمى إلى أبيها ، وكانت لها أُخت يقال لها : أُم عثمان، تحت هشام بن عبد الملك ، فبعثت إلى أبيها : أتريد أن تَسْتَفحل الوليدَ لبناتك، يُطلِّق هذه وينكح هذه — وقيل : الذى بعث بذلك إلى أبيها هشامٌ — فلم يُزوِّجه سعيدٌ وردَّه أقبح ردْ . وهَويها الوليدُ ورام السُّلو عنها ، وكان يقول : العَجب لسعيد ! خطبتُ إليه فردَّنى، ولو مات هشام ووَلِيتُ لزوَّجنى ، وهى طالق ثلاثاً إن تزوجتُها حينئذ ، وإن كنت أهواها .

أشعب بينه وبين سعدة

وقيل : إنه لما طلّق سَعْدة نَدم على ذلك وغَمَّه ، وكان لها من قَلبه محلٌّ ، ولم تحصُل له سلمى ، فاغتمَّ لذلك وجَزع وراسل سَعدة ، وقد كانت تزوَّجت غيرَه ، فلم ينتفع بذلك . فذُكر أنه بَعث إلى أشعب بعدما طلّق امرأته ، فقال: يا أشعب،

(١) الجرن : حجر منقور يصب فيه الماء فيتوضأ به .

لك عندى عشرة آلاف درهم على أن تبلِّغ رسالتى سَعدة . فقال : أحضر العشرة الآلاف درهم ، حتى أنظر إليها . فأحضرها الوليد . فوضعها أشعبُ على عُنقه وقال: هاتِ رسالتك يا أمير المؤمنين . فقال : قل لها : يقول لك أمير المؤمنين :

أَسَعدةُ هل إليكِ لنا سَبيلٌ وهل حتى القيامة مِن تَلاقِ
فأُصبحَ شامتاً وتقَرَّ عَيْنى ويُجْمعَ شَمْلُنا بعد افتراق

فأتى أشعبُ البابَ ، فأُخبرتْ بمكانه، فأمرت بفُرشٍ لها ففُرشت، وجلست ، فأذنت له . فلما دخل أنشدها ما أمره به . فقالت لخدَمها : خُذوا الفاسق. فقال: يا سيدتى ، إنها بعشرة آلاف درهم . قالت : والله لأَقتلُنَّك أو تُبلِّغه كما بلَّغتنى. قال : وما تَهبين لى ؟ قالت : بساطى الذى تحتى. قال : قُومى عنه . فقامت عنه ، فطَواه ، ثم قال : هاتى رسالتك ، جُعلتُ فِداك . قالت : قل له :

أَتَبْكِى على لُبْنَى وأنتَ تركْتَها فقد ذهبتْ لُبْنى فما أَنت صانعُ

فأقبل أشعب فدَخل على الوليد، فقال : إيه . فأنشده البيتَ . فقال : أَوَّهْ ، قتلتَنى يابن الزانية ! اختَر: إما أن أُدَلِّيكَ على رأسك مُنكَّسا فى بئر ، أو أرمى بك منكَّساً من فوق القصْر ، أو أضرب رأسك بعَمودى هذا ضربةً ، هذا الذى أنا صانع ، فاختر أنت الآن ما أنت صانع . قال : ما كنتَ لتَفعل شيئاً من ذلك. قال: ولِمَ يابن الزَّانيـه ؟ قال : ما كُنتَ لتُعذِّب عينَين نظرتا إلى سَعدة . قال : صدقت والله ، أفلتَّ والله بهذا منّى يا بن الزَّانية ، اُخرُج عنِّى .

حيلته لرؤية سلمى وشعره فى ذلك

وذُكر أن الوليد بن يزيد خَرج يوماً يتوقّع أن يرى سَلمى أُخت سَعدة . فلَقيه زيّات معه حِمار عليه زَيت . فقال : هل لك أن تأخُذ فَرسى هذا وتُعطينى حِمارك وما عليه ، وتأخذ ثيابى وتُعطينى ثيابك ؟ ففعل الزيّات ذلك . وجاء الوليدُ وعليه الثياب ، وبين يديه الحمارَ يسوقه متنكِّراً ، حتى دخل قصر سعيد ، فنادى :

مَن يشترى الزيتَ ؟ فاُطَّلع بعضُ الجوارى فرأينه ،فدخَلْن إلى سَلمى فقُلن لها : إن بالباب زيّاتاً أشبه الناس بالوليد ، فاُخرجى فانظُرى إليه . فخرجت فرأتْه ورآها، فرجعت القَهْقرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد ! وقد رآنى . فقلن له : لاحاجة بنا إلى زيتك. فانصرف الوليدُ وقال :

إننى أبصرتُ [1] شخصاً ... حسنَ الوجه مليحِ
ولباسِى ثوبَ [2] شيخ ... من عَباء ومُسوح
وأبيع الزَّيت بيعاً ... خاسراً غيرَ رَبيح

وقال أيضاً :

فما مِسْكٌ يُعَلُّ بزَنْجبيلٍ ... ولا عَسلٌ بألبان اللِّقاحِ
بأشهَى من مُجاجة ريقِ سَلْمى ... ولا مافى الزِّقاق من القَراح
ولا والله ما أنسى حياتى ... وَثاقَ الباب دُونى واطِّراحى

فلما ولى الخِلافة أحضر المُغنين ، فحضَروه ، وفيهم معَبد وابن عائشة وذووها ، فقال لابن عائشة : يا محمد ، إنْ غنَّيتنى صوتَيْن فى نفسى فلك عندى مائة ألف درهم . فغنّاه :

* إننى أبصرتُ شخصاً *

وغنّاه :

* فما مِسك يُعلّ بزَنجبيل * الأبيات

فقال الوليد : والله ما عدوتَ ما فى نفسى ، وأمر له بمائة ألف درهم وألطاف وخِلع ، وأمر لسائر المُغنين بدون ذلك .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « شيخا » مكان « شخصاً »

(٢) فى الأصل : « سوء » مكان « شيخ » .

زواجه بسلمى وموتها وشعره في رثائها

وذُكر أنه لما طال بالوليد ما به ، كتب إلى أبيها سعيد :

أبا عُثمان هل لك في صَنيعٍ   تُصيب الرُّشدَ في صلتي هُدِيتَا
فأشكر منك ما تُسدى[1] وتُحيي   أبا عثمانَ مَيِّتةً ومَيْتا

فلم يُجبه إلى ذلك حتى ولى الخلافة ، فلما وليها زوَّجه إياها . فلم تَلبث معه إلا مدة يسيرة حتى ماتت . وقال في ليلةِ زفافها إليه :

خفَّ من دار جِيرتي   يا بْنَ داود أُنْسُها

وهي طويلة ، يقول فيها :

أوَلا تخرج العَرو   س فقد طال حَبْسُها
قد بدا الصبحُ أو دنا   وَهْي لم يُقْضَ لُبْسُها
بَرزتْ كالهلال في   ليلةٍ غاب نَحْسُها
بين خمس نواعمٍ   أكرمُ الجِنس[2] جِنْسها

وقيل :

كانت مدة مُقامها عنده أربعين يوماً ، ثم ماتت . فقال يرثيها :

ألمّا تَعلما سَلْمى أقامت   مُضَمَّنةً من الصَّحراء لحدَا
لعمرك يا وليدُ لقد أجنّوا   بها حَسَباً ومكرُمة ومجْدا
ووجهاً كان يقصُر عن مداه   شُعاع الشَّمس أهلاً أن يُفَدَّى
فلم أرَ ميّتاً أبكَى[3] لِعَيْنٍ   وأكثر جازعاً وأجلّ فقدا
وأجدرَ أن ترى ملكا[4] لديه   يُريك جَلادةً ويُسِرّ وَجْدا

(١) في الأصل : « ماتهدى » مكان « ما تسدى » .
(٢) في الأغاني : « كواعب * أكرم الخمس » .
(٣) في الأصل : « لعيني » .
(٤) في الأغاني : « وأجدر أن تكون لديه ملكا » .

شعره فى سلمى

وللوليد بن يزيد فى سَلْمى هذه أشعار كثيرة ، منها قوله :

أُســقِنِى يا بْنَ سَالِمٍ قــد أنارَا كوكبُ الصُّبح وانْجلى واُستنارَا
أُسـقِنِى من سُلافِ رِيق سُليمى واُسق هذا النَّديمَ كأساً عُقارا

وقوله :

قــد تمنَّى معشرٌ إذ أُطْربوا من عُقَار وسَــوَامٍ وذَهَبْ
ثم قالوا لى تمنَّه (١) نَسْتمع كيف تَنْحوفى الأَمانى والطَّلب
فتمنّيتُ سُليمى إنهــــا بنت عمِّى مِن لَهامِيم العَرب

وحكى أبو الفَرَج عن الوليـد أنواعاً من السّخف والتهتّك، فكرهتُ ذكره لفرط قُبحه ، والغالب على الظن عدم صحة أكثره .

من تهتكه

وحكى أنه واقع جارية من جواريه وهو سكران، فلما فَرَغ منها آذَنه المُؤذن بالصلاة ، فحلف أَلا يُصلى بالناس غيرُها . فخرجت وهى متلثّمة فصلّت بالناس.

مع ابن الزندبوذ

وذكر أنه بعث الوليد بن يزيد إلى شراعة بن الزّندبوذ . (٢) فلما قَدِم عليه قال : يا شُراعة ،إنى لم أُحضرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيك فى الفِقه ، ولا لتُحدثنى ولا لتُقرئنى القرآن . فقال له شراعة : لو سألتنى عن هذا لوجدتَنى فيــه حماراً . قال : كيف عِلمك بالفتوة ؟ قال : أبن بجدتها ، وعلى الخبير بها سقطت ، فسَل عما شئت . قال : كيف عِلمك بالأشربة ؟ قال : يسألنى أمير المؤمنين عما أَحبّ . قال : ما قولُك فى الماء ؟ قال : هو الحياة ويَشركنى فيه الحمار . قال : فاللبن ؟ قال: ما رأيته قط إلا ذكرت أمى فاستحييت . قال : فالخمر ؟ قال : تلك السارّة البارّة ، وشراب أهل الجنة . قال : لله دَرُّك ! قال : فأى شىء أحسن ما يُشرب عليه ؟

(١) فى الأغانى : « تمن واستمع » .
(٢) كان من المجان الندماء .

قال : عجبت لمن قدَر أن يشرب على وجه السماء فى كِنٍّ من القُرّ والحرّ كيف يختار عليها شيئاً !

هو والمصحف

وحكى أبو الفرج عنه ما لو صحّ كان محكوماً بكُفره . وغالب ظَنِّى عدمُ صحته، لـكنّه مَشهور عند أهل الأخبار ، وهو :

أن الوليد دعا ذاتَ ليلة بمُصْحف ، فلما فتحه صادف ورقةً فيها :

(واُسْتَفْتَحوا وخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيد . مِنْ ورائه جَهنّم و يُسْقَى مِنْ ماء صديد .)

فقال : أسجعاً ! سَجْعا ! علقّوه . ثم أَخذ القوس والنّبل فرماه حتى مزّقه ، ثم قال :

أتُوعِــــد كُلَّ جبّارٍ عَنيـد فهـا أنا ذاك جبّار عَنيـــدُ
إذا ما جئتَ(١) ربّك يوم حَشْرٍ فقُل يا ربّ(٢) مزّقنى الوَليد

وما لبث بعد ذلك إلّا قليلا حتى قُتل .

هو والقاسم ابن الطويل

وذُكر أن الوليــد بن يزيد كان يُنادم رجلاً يقال له : القاسم بن الطويل العِبادىّ ، وكان أديباً ظَريفاً شاعراً ، فـكان لا يَصـبر عنه . فغنّاه معبدٌ ذاتَ يوم بشعر عدىّ بن زيد العِبادى :

بَكر العاذلون فى وَضَح الصُّبْــــح يقولون لى ألاَ تَستفيقُ

فاُستحسنه الوليد وأُعجب به وطَرب عليه ، وجَعل يَشرب إلى أن غَلب عليه السـكر ، فنام فى موضعه ، واُنصرف اُبنُ الطويل . فلما أفاق الوليدُ سأل عنه ، فعَرف خَبر اُنصرافه . فغضب وقال وهو سـكران لغلام كان واقفاً على رأسه ،

---

(١) فى رواية : « لاقيت » .
(٢) فى رواية : « لله » .

يقال له : سَبْرة : ائتنى برأسه . فمضى الغـلامُ حتى ضَرب عُنقه وأتاه برأسه . فجعله فى طَسْت بين يديه . فلما رآه أنكره ، وسأل عن الخبر فعرّفه ، فأسترجع وندم على ما فَرط منه ، وجعل يُقلِّب الرأس بيديه ويَبكى ، ثم قال يرثيه :

عَيْنَىَّ للحدَث الجليل جُودَا بأربعةٍ[1] هُمُولِ
جُـودا بدَمع إنّه يَشفى الفُؤادَ من الغَليل
لله قـبرٌ ضُمِّنت فيه عظامُ ابن الطَّويل
ماذا تَضمَّن إذ ثَوى فيه من اللبّ الأصيل
قد كنتُ آوى مِن هوا كَ إلى ذُرَى كَهْفٍ ظَليل
أصبحتُ بعدك واحداً فرداً بمَدْرجة السُّيول

ثم دخل على جواريه فقال : ما أبالى متى جاءنى الموت بعد ابن الطويل . فيقال : إنه لم يَعش بعده إلا مُديدة ، ثم قُتل .

ذكر مقتل الوليد بن يزيد

يزيد الناقص والعباس بن الوليد فى شأنه

لما أعلن الوليد بالفِسق والفُجور ، و بالغ فى التهتّك وزاد على من تقدّمه فى ذلك ، و بايع لولديه عُثمان والحكم بولاية العهد بعده ، ولم يبلغا الحُلُم ، وبَسط المكروه على أولاد عمّيه : الوليد ، وهشام ، ابنى عبد الملك ، وأفرط فى ضَلاله وغيّه ، ملّه الناسُ عامةً ، و بنو أمية خاصة ، وكرهوا دولته وسئموا أيامَه ، فمشى بعضهم إلى بعض فى خَلعه . وكان أقواهم فى ذلك يزيدُ الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فمشى إلى أخيه العبّاس بن الوليد ، وكان أمرأ صدْق ، ولم يكن فى بنى أمية مثله ، فشكا إليه مايجرى على الناس من الوليد . فقال له : يا أخى ، إن الناس قد ملّوا بنى مروان ، فإن مَشى بعضكم فى أمر بعض أكلتُم ، وللرجُل أجلٌ

(١) يعنى : اللحاظين والموقين .

لا بُدَّ أن يبلغَه ، فانتظره . فخرج من عنده ومَشى إلى غيره ، فبايعه جماعةٌ من اليمانية الوُجوه . فعاد إلى أخيه العبّاس وأعاد عليه القول ، وعَرَّض له بأنه قد دُعى له بالخلافة . فقال : والله لولا أنى لا آمنه عليك ، لِمَا أعلمه من تخليطه [1] ، لوجّهتُك الساعةَ إليه مشدوداً ، فنشدتُك الله ألاّ تَسعى فى شىء من هذا . فانصرف من عنده وجعل يدعو الناسَ إلى نفسه .

وذُكر أن يزيد بن الوليد الناقص دخل هو وأخوه بِشْر على أخيهما العبّاس ابن الوليد، وأخذا يَقعان فى الوليد ويُحرِّضان أخاهما العبّاس فى خَلعه ، فأبى ذلك عليهما وقال : يا بنى مَروان ، أظن أن الله جلّ وعزّ قد أذن فى هلاككم ، ثم قال :

إنِّى أعيذُكُمُ بالله من فِتَنٍ ... مثلِ الجبالِ تَسامَى ثم تَنْدفِعُ
إنَّ البريةَ قد مَلَّت سياستَكم ... فاستمسكوا بعَمودالدِّين وارْتدعوا
لاتُلْحِمُنّ [2] ذئابَ الناسِ أنفسَكم ... إن الذِّئاب إذا ما أُلْحِمت رَتَعوا
لا تَبْقُرن بأيديكم بُطونَكُمُ ... فثَمَّ لا حِيلةٌ [3] تُغْنِى ولا جَزَع

اجتماع الأمر ليزيد الناقص

فلما استجمع ليزيد الناقص أمرُه ، وهو مُتبَدٍّ ، أقبل إلى دمشق ، و بين مكانه الذى كان فيه و بين دِمشق أربع ليالٍ ، فأقبل متنكِّراً فى سَبعة أنفُس على حُمُر ، وقد بايع له أكثرُ أهل دمشق و بايع له أهلُ المِزَّة .

فذكر مولًى لعبّاد بن زياد ، قال : إنى لَبِجَرُود ، و بين جرود ودمشق مرحلة ، إذ طلع علينا سبعةٌ مُعتمُّون على حُمر ، فنزلوا ، وفيهم رجلٌ طويل جَسيم ، فرمى بنفسه فنام ، فألقوا عليه ثوباً ، وقالوا لى : هل عندك شىء نَشْتريه

(١) فى الأغانى : « لا آمنه عليك من تحامله » .
(٢) أى لا تطعمن لحمكم ذئاب الناس .
(٣) فى الأغانى : « لا فدية » .

من الطعام ؟ فقلت : أما بيعٌ فلا ، وعندى من قِرا كم ما يُشبعكم . قالوا : عجِّله . فذبحتُ لهم دَجاجاً وفِراخاً ، وأتيتهم بما حَضر من عَسل وسَمن ، وقُلت لهم : أَيقظوا صاحبَكم للغداء . فقالوا : هو محمومٌ لا يأكل . فسفَروا للغداء ، فعرفتُ بعضَهم، وسفَر النائم ، فإذا هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك، فعرفتُه ، فلم يُكلِّمنى . ومضوا فى نَفر من أصحابهم مُشاةٍ إلى معاوية بن مَصاد ، وهو بالمِزّة ، وبينها وبين دمشق مِيل ، فأصابهم مطرٌ شديد، فأتوا منزلَ معاوية بن مَصاد ، فضربوا بابَه وقالوا : يزيد بن الوليد . فدخلوا . فقال معاوية: الفِراشَ، ادخل أصلحك الله. فقال : فى رجلى طين وأخاف أن أُفسد عليك بساطَك. فقال : ما تُريدنى عليه أفسدُ . فمشى على البِساط وجلس على الفراش . ثم كلّم معاويةَ بن مَصاد ، فبايعه . ثم خرج يزيد إلى دمشق فدخلها ، ونَزل دار ثابت بن سُليمان الخُشنىّ ، وعلى دمشق، من قبل الوليد بن يزيد عبدُ الملك ، محمدُ بن الحجاج بن يُوسف ، وكان خرج منها خوفاً من الوباء فنزل قَطَناً ، واُستخلف اُبنه على دمشق . وعلى شرْطته أبو العاج كثيرُ بن عبد الله السُّلمى . وأَجمع يزيد على الظُّهور وقد تم أمره. وقيل لعامل دمشق : إن يزيد خارج فلم يُصدق . وأرسل يزيد إلى أصحابه بين المَغرب والعشاء ، من ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة ، فكَمنوا فى ميضأة عند باب الفَراديس ، (١) حتى إذا أذَّنوا العَتَمةَ دخلوا المسجد على الناس فصلُّوا ، وللمسجد حَرس قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل ، فإذا خرج الناسُ خرج الحرسُ وأَغلق صاحب المسجد الأبوابَ ، ودخل الدارَ من باب المَقصورة ، فدَفع المفاتيح إلى من يحفظُها ويخرج . فلما صلّى الناسُ العتمةَ صاح الحرسُ بالناس فخرجوا ، وتباطأ أصحاب يزيد الناقص ، فجعلوا يُخرجونهم من باب ويَدخلون من باب ، حتى لم يَبق فى المسجد إلا الحرسُ وأصحاب يزيد ، فأخذوا

(١) من أبواب دمشق .

الحرس. ومَضى يزيد بن عَنْبسة إلى يزيد الناقص فأخبره وأخذ بيده وقال: قُم يا أمير المؤمنين وأبشر بعون الله تعالى ونَصره . فأقبل فى اُثنى عشر رجلاً . فلما كانوا عند سُوق القَمح لحقهم فيها مائتا رجل من أصحابهم ، فمضَوْا حتى دخلوا المسجد، وأتوا باب المقصورة فقالوا : نحن رسل الوليد . ففَتح لهم الخادمُ الباب ، فدخلوا وأخذوا الخادم ، فإذا أبو العاج خليفة عامل البلد سكران ، فأَخذوه وأخــذوا خُزَّان بيت المال وصاحب البريد ، وأَرسل إلى كل من كان يَحذره فأَخذه، وأرسل من ليلته إلى محمد بن عُبيدة، مولى سَعيد بن العاص، وهو والى بَعلبك، وإلى عبد الملك بن محمد ، عامل دمشق ، فأَخذهما ، وبَعث أصحــابه إلى الخَشبيّة [1] فأَتوه . وقال للبوابين : لا تفتحوا الباب غُدوة إلا لمن أَخبركم بشعار كذا وكذا — للشعار الذى بينهم — فتركوا الأبواب فى السلاسل . وكان فى المَسجد سِلاح كثير قَدِم به سليمان بن هشام من الجزيرة ، ولم يكن الخُزّان قبَضوه ، فأَخذوه وأصبحوا ، وقد جاء أهلُ المِزّة مع حُريث بن أبى الجَهم ، فما اُنتصف النهار حتى بايع الناسُ يزيدَ ، وهو يتمثّل بقول النابغة :

إذا استُنْزلُوا عنهنّ للطَّعن أَرقلوا إلى الموت إرقالَ الجمال المَصاعِبِ

فجعل أصحابهُ يتعجّبون ويقولون : انظروا إلى هذا ، كان قُبيل الصبح يُسبِّح، وهو الآن يُنشد الشعر . ثم أمر يزيد الناقص اُبنَ عمّه عبدَ العزيز بن الحجّاج ابن عبد الملك بن مروان ، فوقف بباب الجابية فنادى : ألا من كان له عطاء فَلْيأت إلى عطائه، ومن لم يكن له عطاء فله ألف دِرهم معونة . فبايع له الناسُ، وأَمر بالعطاء . ونَدب الناسَ إلى قتال الوليد بن يزيد مع عَبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك ، ونَادى مُناديه : من سارع مع عبد العزيز فله ألفان . فاُنتدب ألفا رجلٍ . فأَعطاهم

---

(١) أصحاب المختار بن أبى عبيد .

وقال : موعدكم ذَنَبَةُ (١) . فوافاها ألف ومائتا رجــل . فقال : ميعادكم مَصْنعة بالبريّة ، وهى لبنى عبد العزيز بن الوليد . فوافاه ثمانمائة رجل . فسار فوافاهم ثَقَلَ (٢) الوليد فأخذوه . وتقدّم عبد العزيز بن الحجّاج فيمن معه حتى نزلوا قريباً من الوليد وهو بقصره ، بموضع يقال له : البَخْراء ، بالبرية . فقال الوليــد : أخرجوا لى سريراً . فأخرجوه ، فصعد عليه ، وأتاه خبرُ (٣) العبّاس بن الوليد : إنى أجيئك . وأُتى الوليد بفرَسين يقال لهما: الذائد والسِّنْدىّ . وقال: أعلىّ يَتواثب الرجالُ وأنا أثب على الأسد وأعضّ (٤) الأفاعى . وهم يَنتظرون العبّاس أن يأتيهم . فلم يكن بينهم كبير قتال . فقُتل عثمان الخشبىّ (٥) . وكان من أولاد الخشبية الذين كانوا مع المُختار . و بلغ عبدَ العزيز بن الحجّاج أن العبّاس بن الوليد يأتى الوليد ، فأرسل منصورَ بن جُمْهور فى جَريدة خَيل، فقال: إنكم تلقون العبّاس بن الوليد، ومعه بنوه بالشِّعب ، فخُذوه . فخرج منصورٌ فى تلك الخيل وتقدّموا إلى الشِّعب ، فإذا العبّاس ومعه ثلاثون قد تقدّموا أصحابَه . فقالوا له : أعــدل إلى عبد العزيز . فشتَمهم . فقال له منصور : والله لئن تقدّمت لأُنفُذَن حَصينك (٦) بالرُّمح . فقال : إنا لله! فأقبلوا به يسوقونه إلى عبد العزيز. فقال له عبد العزيز: بايعْ ليزيد. فبايع ووقف، ونصبتْ راية ، وقالوا : هذا العبّاس قد بايع . ونادى مُنادى عبد العزيز : مَن لحَق بالعبّاس بن الوليد فهو آمِن. فقال العبّاس : خُدعة من خُدع الشيطان . إنّا لله ! هَلك والله بنو مَروان : فتفرّق الناس عن الوليد وأتوا العبّاس . وظَاهر الوليدُ فى

(١) من أعمال دمشق .

(٢) الثقل : المتاع .

(٣) فى الأصل : « رسول » .

(٤) فى الطبرى : « أتخصر » . والتخصر : الإمساك بالمخصرة . وهى العصا . يريد أنه يقبض عليها بيديه كما يقبض على المخصرة .

(٥) فى الأصل : « يزيد بن عثمان » . « والتصويب من الطبرى » .

(٦) يريد : درعه .

درعين وقاتلهم ، ونادى الوليد : من جاء برأسٍ فله خمسمائة درهم . فجاء جماعةٌ بعدّة رءوس ، فقال : اكتبوا أسماءهم . فقال له رجلٌ من مواليه : ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يُعمل [1] فيه بنسيئة . وناداهم رجالٌ : اقتُلوا اللُّوطىَّ ، قِتْلةَ قوم لُوط . فرمَوْه بالحجارة . فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق بابه ، وقال :

دَعُوا لى سُلَيْمى والطِّلاء وقَيْنةً وكأساً ألاَ حَسْبى بذلك مالاَ

إذا ما صَفا عيشٌ برَمْلةِ عالجٍ وعانقتُ سَلمى لا أُريد بِدالا

خُذوا مُلْككم لاثبّت اللهُ مُلْككم ثباتاً يُساوى ماحييتُ عِقالا

ثم قال لعُمر الوادى : يا جامع لذّتى ، غنِّى بهذا الشِّعر . فغنّاه به . وأحاط الُجند بالقصر ، فقال لهم الوليد من وراء الباب : أما مِنكم رجلٌ شريفٌ له حَسب وحياء أُكلِّمه ! فقال له يزيد بن عنبسة السَّكْسكىّ : كلِّمني . فقال الوليدُ : ياأخا السَّكاسك ، ما تنْقمون منِّى ؟ ألم أزد فى أعطياتكم وأعطية فُقرائكم ، وأخدمتُ زَمْناكم ، ورَفعت [2] عنكم المُؤن ؟ قال : ما نَنقم عليك فى أنفسنا شيئاً ، ولكن نَنقم عليك انتهاكَ ما حرّم الله ، وشُرب الخمور ، ونِكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله عز وجل . فقال : حَسْبك يا أخا السَّكاسك ، فَلعمرى لقد أغرقتَ وأكثرتَ ، وإن فيما أحل الله سبحانه لسعةً عمّا ذكرت . ورجع إلى الدار فجلس وأخذ المُصحف وقال : يوم كيوم عُثمان . ونَشر المصحف يقرأ . فعلَوا الحائط ، وكان أول مَن علاه يزيد بن عنبسةَ . فنزل وسيفُ الوليد إلى جَنبه . فقال له يزيد : نحِّ سيفَك . فقال له الوليد : لو أردتُ السيفَ لكانت لى ولك حالٌ غير هذه . فأخذ بيده وهو يريد أن يُدخله بيتاً ويُؤامِرَ فيه . فنزل من الحائط عشرةٌ ، منهم : منصُور بن جُمهور ، وعبد الرحمن بن رواحة [3] مولى يزيد بن عبد

(١) فى الأغانى : « يعامل » .

(٢) فى الأغانى : « دفعت » .

(٣) فى الطبرى : « عبد الرحمن بن عجلان » . وفى الأغانى : « عبد الرحمن وقيس مولى ... الخ » .

الملك ، والسرىّ بن زياد بن أبى كبشة . فضربه عبد الرحمن بن رواحة على رأسه ضربةً ، وضَربه السرىُّ بن زياد على وجهه ضربة ، وجرُّوه بين خمسة ليُخرجوه . فصاحت أمرأة كانت فى الدار ، فكفُّوا عنه فلم يخرجوه . واحتز رأسه أبو عِلاَقة القُضاعى ، وخاط الضربة التى فى وجهه بالعَقَب [1] . وقدم بالرأس على يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وهو بدمشق ، روْح بن مُقبل ، فقال : أبشر يا أمير المُؤمنين بقَتل الفاسق . فأحسن صلته .

تمثيلهم به بعد موته

ولما قُتل الوليدُ جعل أبو مِحْجن ، مولى خالد القَسرىّ ، يُدخل سيفه فى إست الوليد وهو مَقتول . وجاء يزيد بن خالد القَسرىّ فضَربه تسع ضَربات وهو مقتول .

عمر الوادى ساعة مقتله

وحكى عُمر الوادى قال :

كنت أغنِّى الوليد :

كذبتْك عينُك [2] أم رأيتَ بواسطٍ غَلَس الظلامِ من الرَّباب خَيالاَ

فما أتممتُ الصوت حتى رأيتُ رأسه فارق جَسده .

ابنا الوليد ويزيد ابن هشام

قيل :

وكان عثمان ، والحكم ، أبنا الوليد بن يزيد ، قد بايعهما الوليدُ بالعهد بعده . فلما قُتل الوليد وأفضت الخلافةُ إلى أبن عمّه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، أخذهما فحبَسهما فى الخضراء [3] . فدَخل عليهما يزيد بن هشام بن عبد الملك ، المَعروف بالأفقم ، فجعل يشتُم أباهما الوليدَ ، وكان قد ضَربه وحَلقه . فبكى الحكمُ . فقال له أخوه عثمان : أسكت يا أخى ، وأقبل على يزيد فقال : أتشتُم أبى ! قال : نعم . قال :

(١) العقب : العصب تعمل منه الأوتار .

(٢) فى الأغانى : « نفسك » . (٣) لعله : موضع بالشام .

لكنى لا أشتُم عمّى هشاماً ، ووالله لو كنتَ من بني مَروان ما شتمتَ أحداً منهم . فانظُر إلى وجهك ، فإن كنتَ رأيت حَكَمِيًّا (١) يُشبهك فأنت منهم . لا والله ، ما فى الأرض حَكَمِىّ يُشبهك .

الرشيد وابن للغمر ابن يزيد

وذُكر أن ابناً للغَمْر بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرَّشيد ، فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من قُريش . قال : من أيِّها ؟ فأمسك . قال : قل وأنت آمن ، ولو أنك مَروانى . قال : أنا ابن الغَمر بن يزيد . قال : رَحم الله عمَّك ولَعن يزيدَ النَّاقص وقَتلةَ عمّك جميعاً ، فإنهم قتلوا خليفة مُجْمَعاً عليه ! اُرفع إلىّ حوائجك ، فقَضاها .

المهدى وابن علاثة فى شأن الوليد ابن يزيد

وذكر شَبيب بن شَيْبَة قال :

كنّا جلوساً عند المهدىّ ، فذكروا الوليد بن يزيد ، فقال المهدى : إنى لأحسبه زنديقاً . فقال ابن عُلاثة الفقيه : يا أمير المُؤمنين ، الله أعظم وأجلّ من أن يولِّى خلافةَ النبوّة وأمرَ الأُمة من لا يُؤمِن به ، لقد أخبرنى من كان يَشهده فى مَلاعبه وشُربه عنه بمُروءة فى طهارته وصَلاته ، وحدّثنى أنه كان إذا حضرت الصلاةُ يَطرح ثياباً كانت عليه من مُطَيَّبةٍ ومُصبَّغة ويتوضأ فيُحسن الوضوء ، ويُؤتى بثياب بِيض نِظاف من ثياب الخلافة ، فيصلِّى فيها أحسن صلاة ، وأحسن سكوت وسكون ورُكوع وسُجود ، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثِّياب التى كانت عليه قبل ذلك ، ثم يعود إلى شربه ولَهوه ؛ أفهذه أفعالُ من لا يُؤمن بالله تعالى ؟ فقال المهدى : صدقتَ ، بارك الله عليك يا بن عُلاثة .

تعقيب لابن واصل فى زوال ملك بنى أمية

قلت : إن مُلك بنى أُمية اُضطرب بقتل الوليد ، وإن يزيد لما بُويع له لم يلبث فى الخلافة إلا ستة أشهر . وكان مروان بالجزيرة ، فعَصى عليه ولم يُبايع له . وتُوفِّى يزيد فى هذه السنة ــ أعنى سنة سبع وعشرين ومائة ــ وكان يلقَّب بالناقص ،

(١) نسبة إلى حكم بن أبي العاص والد مروان ، رأس هذه الأسرة .

لأنه نَقَص الجند أعطياتِهم فلُقِّب بذلك . و بُويع بالخلافة أخوه إبراهيم بن الوليد ، وكان ضعيفاً ، تارةً يُسلَّم عليه بالخلافة ، وتارةً بالإمرة ، وتارةً بأسمه . فمكث ثلاثة أشهر والدُّنيا مضطربة عليه . وقَصده مروان بن محمد الملقَّب بالحمار ، و بعث إبراهيمُ ومَن معه إلى الغُلامَيْن ــ ولدَى الوليد ــ مَن قتلهما فى الحبس . وفى ذلك يقول ابن أبي عَقِب ، صاحب الملاحم :

إذا قُتل الخَلْف المُديم لِسكره ... بقفرمن البَخْراء(١) أُسّس فى الرَّمْلِ
وسِيق بلاجُرْمٍ إلى الحَتْف والرَّدَى ... بُنيّاه حتى يُذْبحا مذبح(٢) السَّخْل
فويح(٣) بنى مَروان مما أصابهم ... بأيدى بنى العبّاس بالأسر والقَتل

ودخل مروان دمشق فبُويع له بالخلافة ، وخلع إبراهيم ، و بقى إبراهيم إلى وقعة الزّاب فغَرق فى الزاب لما أنهزم مروان من بنى العبّاس . وزال مُلك بنى أُمية ، وجرى عليهم من بنى العبّاس ما تقدم ذِكره .

* * *

عمر الوادى

ثم ذكر أبو الفرج عُمر بن داود الوادى ، وهو من موالى عمرو بن عثمان بن عفّان . ونِسبته إلى وادى القُرى . وكان مُختصًّا بالوليد بن يزيد ، ولم يزل يُطربه ويُغنِّيه إلى أن قُتل .

أبو كامل المغنى

ثم ذكر أبا كامل المُغنِّى . وأسمُه الغُزَيِّل ، مولى الوليد بن يزيد . وكان مُغنياً مُحسناً وطيِّباً مُضحكاً . لم يُسمع له بخَبر بعد بنى أُمية . ولعله مات فى أيامهم ، أوقُتل معهم . ولم أختر لهذين خبراً فأذكره .

(١) البخراء : بالشام .
(٢) السخل : جمع سخلة ، وهى ولد الشاة ، من المعز والضأن ، ذكراً كان أو أنثى .
(٣) فى الأغانى : « فويل » .

أخبار يزيد بن ضَبَّة

نسبه وولاؤه

واسم أبيه مِقسم . وضبَّة أُمه غلبتْ على نَسبه ، لأن أباه مات وخلّفه صغيراً . وكانت أُمه تحضُن أولاد المغيرة بن شُعبة ، ثم أولاد ابنه عُروة بن المغيرة ، فكان يُنسب إليها يزيد لشهرتها ، أيامئذ . وولاؤه لبنى مالك بن حُطَيط .

هو بين ولاية هشام والوليد

وكان يزيد بن ضَبة مُنقطعاً إلى الوليد بن يزيد فى حياة أبيه يزيد بن عبد الملك ، فلما أفضت الخلافةُ إلى هشام بن عبد الملك دَخل إليه يزيد بن ضبة مُهنئاً بالخلافة ، فلما استقرّ به المجلس ، ووصلت إليه الوفود ، وقامت الخطباء تُثني عليه ، والشُّعراء تمدحه ، مَثل يزيد بن ضبة بين السِّماطين فاستأذنه فى الإنشاد . فلم يأذن له ، وقال : عليك بالوليد فامدحه وأنشده . وأَمر بإخراجه . فبلغ الوليدَ خبرُه ، فبعث إليه بخمسمائة دينار وقال له : لو أمنتُ عليك هشاماً لما فارقتَنى ، ولكن اخرُج إلى الطائف ، وعليك بمالى هناك ، فقد سوّغتك جميع غلَّته ، ومهما احتجتَ إليه من شىء بعد ذلك فالْتمسه منّى . فخرج إلى الطائف ، فلم يَزل مُقيماً بها إلى أن مات هشام ، وولى الوليدُ بن يزيد الخلافةَ ، فوفد عليه . فلما دَخل عليه والناسُ بين يديه جلوسٌ ووقوفٌ على مَراتبهم ، سلّم عليه وهنّأه بالخلافة . فأدناه الوليدُ وضمّه إليه، وقَبّل ابنُ ضَبة رجلَه والأرض بين يديه . فقال الوليد لأصحابه : هذا طريدُ الأحول لصُحبته إياى، وانقطاعه إلىّ. فاستأذنه يزيدُ فى الإنشاد ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هذا اليومُ الذى أمرنى[1] عمُّك هشام بالإنشاد فيه ، قد بلغتُه بعد يأس ، والحمد لله على ذلك . فأذن له . فأنشده قَصيدةً ، أولُها :

---

(١) فى الأغانى : « نهانى »

سُلَيمى تلك فى العِـيرِ قِفِى أُخبرك[1] أَو سيرِى
إذا ما بِنتِ لم تأوِى لصَبٍّ القَلب مَغمـور

يقول فى مَديحها :

ويُعطى الذَّهبَ الأَحْمـــــر وَزْناً بالقَناطير
بَـلَوْناه فأَحمــدنا ه فى عُسْر ومَيْســور
كريمُ العُود والعُنْصـ ر غَمرٌ غـير مَنْزور
إمامٌ يُوضِــح الحقَّ له نُور عـلى نُور
بإحكامٍ وإخــلاص وتَفْهــيم وتَحْبِير

فأمر الوليدُ بعدّ أبيات القَصيدة ويُعْطى لـكُل بيت ألف درهم . فكانت خمسين بيتاً ، فأُعطى خمسين ألفاً .

وكان أولَ خليفة عدّ أبيات الشعر فأعطى على عددها بكُل بيت ألف درهم ، ثم لم يفعل ذلك بعده أحد إلا هارون الرَّشيد ، فإنه بلغه خبرُ يزيد بن ضبة مع الوليد ، فأعطى مروان بن أبى حفصة ومَنصورا النَّمرىَّ ، لمّا مَدحاه وهَجَوا آل أبى طالب ، لـكل بيت ألف درهم .

* * *

إسماعيل بن الهربذ

ثم ذكر أبوالفرج: إسماعيل بن الهر بذ ، مولى آل الزُّبَير بن العوّام ، وكان مُغَنِّياً ، غنَّى الوليد بن يزيد ، وعُمِّر إلى أيام الرشيد وغناه ، ولم أَختر شيئاً من أخباره .

(١) فى الأغانى : « أسألك » .

أخبار نابغة بني شيبان

نسبه

وهو عبد الله بن المُخارق بن سُلَيم بن حُضْرة بن قيس بن سِنان بن حمّاد ابن حارثة بن عَمرو بن أبي ربيعة بن ذُهل بن شَيبان بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار .

شاعر بدوى

شاعر بدويّ من شُعراء الدولة الأُموية . وكان يفد إلى الشام إلى خُلفاء بني أُمية فيمدحهم ويُجزلون عطاءه .

دينه

قال أبو الفرج :

وكان فيما أرى نصرانيًّا ، لأني وجدتُه في شعره يَحلف بالإنجيل والرُّهبان والأيمان التي يحلف بها النَّصارى .

ممدوحوه

ومدح عبد الملك بن مَروان ، وولده، وولد ولده [1] . وله في الوليد بن يزيد ابن عبد الملك مدائحُ كثيرة .

مدحه لعبد الملك عند همه بخلع أخيه وتولية ابنه

وذُكر أن عبد الملك بن مَروان لما هَمّ بخَلع أخيه عبد العزيز من ولاية عَهده ونقل ذلك إلى وَلده الوليد بن عبد الملك ، وكان نابغة بني شيبان مدّاحاً لعبد الملك ومُنقطعاً إليه ، دخل إليه في يومٍ حَفل بالناس والناسُ حواليه ، وولده قُدّامه ، فمثل بين يديه وأنشده قولَه :

أَشْتقتَ وانْهل دمعُ عينك أن ... أَضحى قِفاراً من أهله [2] طَلَحُ

أزحْتَ عنّا آلَ الزُّبير فلو ... كانوا همُ المالكين ما صَلَحوا

(١) في الأغاني : « ومدح عبد الملك بن مروان ومن بعده من ولده » .

(٢) طلح : موضع دون الطائف .

إنْ تَلْق بَلْوَى فأنتَ مُصْطَبِرٌ ... وإن تُلاقِ النُّعْمَى فلا فَرِح
آلَ أبى العاصِ أهلُ مأثُرة ... غُرٌّ عِتاقٌ بالخير قد نَفَحوا
خيرُ قُريش وهم أفاضلُها ... فى الجِدِّ جِدٌّ وإن هُمُ مَزَحوا
أرحبُها أذْرُعاً وأصبرُها ... أنتم إذا القوم فى الوَغَى كَلَحوا
أمّا قُريش فأنتَ وارثُها ... تكُفُّ من شَغْبهم[(١)] إذا طَمحوا
حفِظتَ ما ضَيَّعوا وزَنْدهمُ ... أوريتَ إن أصْلدوا[(٢)] وقد قَدحوا
آليتُ جهداً وصادقٌ قَسمى ... بربِّ عبدٍ لله[(٣)] يَنْتصِح
لَابنُك أوْلى بمُلك والده ... ونجم من قد عصاك مُطَّرِح
داود عَدْلٌ فاحكم بسيرته ... ثم ابنُ حَرْب فإنّهم نَصحوا
وهم خيارٌ فاعمل بسُنّتهم ... وأحْيَ بخير واكْدح كما كَدحوا

فتبسّم عبدُ الملك ولم يتكلم فى ذلك بإقرار[(٤)] ولا دَفع. فعلم الناس أنّ رأيه خَلعُ عبد العزيز أخيه. وبلغ عبدَ العزيز قولُ النابغة. فقال: أدخل ابنُ النَّصرانية نفسه مُدْخلاً ضيِّقاً، وأوردها مَوْرداً خَطِراً، ولله علىّ إن ظفرتُ به لأخضِبنّ قَدمه بدمه.

وله يهنئ يزيد بمقتل ابن المهلب

وذُكر أنه لما قُتل يزيد بن المهلب بن أبى صُفرة، الخارج على يزيد بن عبد الملك، دخل النابغةُ الشيبانى على يزيد بن عبد الملك، فأنشده قولَه فى تهنئته بالفَتح:

ألاَ طال التَّنظر والثَّواء ... وجاء الصَّيف وانكشف الغِطاء
وليس يقيم ذو شَجَنٍ مقيمٍ ... ولا يَمْضى إذا ابتُغى المَضاء

(١) فى الأغانى: «صعبهم».
(٢) أصلد الزند: قدحه ولم يور.
(٣) فى الديوان: «برب عبد تجنه الكرح». والكرح: بيوت للرهبان.
(٤) فى بعض أصول الأغانى: «بإنذار». وفى سائرها: «بإقدار».

طَوَالَ الدَّهرِ إلّا فى كِتابٍ بمقدار[1] يوافقه القضاء
فما يُعْطَى الحريصُ غِنًى لحرصٍ وقد يَنْمى لذى الجود الثَّراء
وكلُّ شديدةٍ نزلت[2] بقوم سَيَتبعُها إذا انتهت الرخاء

يقول فيها:

أؤُمُّ فتًى من الأعياص مَلْكاً أغــرَّ كأن غُرَّته ضِيـاء
لأُسْمِعه غريبَ الشِّعر مدحاً وأُثني حيث يتَّصل الثَّناء
يزيد الخيرِ فهو يزيد خيراً ويَنْمِى كلَّما ابتُغى النَّماء
فَضَضْتَ كتائب الأزدىّ فَضًّا بكَبْشك حين لَفَّهما اللِّقاء
سَمَكْتَ[3] المُلْكَ مُقْتَبَلاً جديداً كما سُمِكتْ على الأرض السَّماء
نرجِّى أن تدوم لنا إماماً وفى مُلك الوليد لنا رَجاء
هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفس تُريد لك الفَناء لك الفِداء

وهى طويلة. فأمر له بمائة ناقة من نَعم كَلْب، وأن تُوقَر بُرًّا وزَبيباً، وكَساه وأجزل صلته.

وفوده على الشام حين ولى هشام

ولما وَلى الخلافةَ هشامُ بن عبد الملك وَفد عليه، فلما رآه قال: يا ماصّ. ما أبقت المواسِى من بَظر أمه، ألست القائل:

هشامٌ والوليدُ وكلُّ نَفْس تُريدُ لك الفَناء لك الفِداء

أخرجوه عنِّى، فوالله لا يَرْزَؤنى[4] شيئاً أبداً. فلم يزل طول أيّامه طريداً حتى ولى الوليد. فوفد إليه ومَدحه مدائح كثيرة، فأجزل صلته.

---

(١) فى الأغانى: «ومقدار».
(٢) فى الأغانى: «بجى» مكان «بقوم».
(٣) سمك: رفع.
(٤) أى لا يصيب منى شيئاً.

وشعر النابغة الذى فيه الغِناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

أيها الساقى سَقتهْ[١] مُزنةٌ ... من رَبيعٍ ذى أهاضِيبَ[٢] وطَشّْ

أُمدح الكأس ومَن أعملها ... وأُهْجُ قوماً قتلونا بالعَطَش

إنما الكأس ربيعٌ باكرٌ ... فإذا ما غاب عنّا لم نَعِش

وكأنّ الشَّرْب قومٌ مُوِّتوا ... من يَقُم منهم لأمرٍ يرْتعش

خُرُس الألسُن ممّا نالهم ... بين مَصروع وصاحٍ مُنْتعش

مِن حُميّا قَرْقف حُصِّيةٍ ... قهوة حَوْليــة[٣] لم تُمتَحش

يَنفع المزكومَ منها رِيحُها ... ثم تَنفى داءه إن[٤] لم تُنَشّ

كُل من يَشربها يألفُها ... يُنفق الأموال فيها كُلَّ هَشّ

وهى قصيدة طويلة .

---

(١) فى الأغانى : « سقتك » .

(٢) الربيع : المطر فى أول فصل الربيع . والأهاضيب : ما تحلب من القطر بعد القطر. والطش : المطر الضعيف .

(٣) الحميا : دبيب الشراب . والقرقف . الخمر . والحصية : نسبة إلى الحص، وهو الزعفران . والحولية : التى مضى عليها حول . ولم تمتحش ، أى لم تصبها النار .

(٤) لم تنش ، أى لم تسكر .

أخبار أبى دهبل

نسبه

وهو وَهب بن زَمْعة بن أسيد بن أُحيحة بن خَلف بن وَهب بن حذافة ابن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤى بن غالب بن فِهْر .

أمه

وأم أبى دَهبل هُزيلة بنت سَلَمة ، من هُذيل .

من جماله وأول قوله الشعر

وكان أبو دَهبل رجلاً جميلاً ، شاعراً ، وكانت له جُمَّة يُرسلها تَضرب مَنْكِبيه . وقال الشِّعر فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه . ومَدح مُعاوية ابن أبى سُفيان ، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب . وولّاه ابن الزبير بعض أعمال اليمن .

هو وعمرة

وقيل : كان أبو دَهبل سيّداً من سادات بنى جُمح ، يَحمل الحمالات ، ويُعطى الفقراء ، ويَقْرِى الضيف . فهوى امرأةً من قومه يقال لها : عَمْرة . وكانت جَزْلة يجتمع إليها الرجالُ للمُحادثة . فكان أبو دَهبل لا يُفارق مجلسها مع كُل من يَجتمع إليها ، وكانت هى أيضاً مُحبة له .

ذُكر أنه تزوّجها بعد ذلك . وقيل. لم يصل إليها. وكانت عَمْرة تُوصيه بحفظ ما بينهما وكِتمانه . فضَمن لها ذلك . واتصل ما بينهما ، فوقفتْ على ذلك زوجتُه . فدسّت إلى عَمرة امرأةً داهيةً من عجائز أهلها ، فجاءتها فحادثتْها طويلاً . ثم قالت لها فى عُرض حديثها : إنى لأَعجب لك كيف لا تتزوّجين أبا دَهبل مع ما بينكما ! قالت : وأى شىء بين مثلى وبين مثل أبى دَهبل ! فتضاحكت وقالت : أتسترين عنى شيئاً قد تحدّثت به أشراف قُريش فى مَجالسها . وسُوقة أهل الحجاز فى أسواقها ، والسُّقاة فى مواردها ! فما يتدافع اثنان فى أنه يهواكِ وتَهوينه . فوثبتْ

عن مجلسها واحتجبت ومنعت كلَّ من يجالسها من المَصير إليها . وجاء أبو دَهبل على عادته . فحجبته ، وأرسلت إليه بما يكره . فى ذلك يقول :

تطاول هـذا الليـلُ ما يتبلَّجُ ... وأعيتْ غَواشِى عَبْرتى ما تفرَّجُ

وبتُّ كئيباً ما أنام كأنما ... خِلالَ ضُلوعى جمرةٌ تتوهَّج

فطوْراً أُمنِّى النَّفس من عَمْرة المُنَى ... وطَوراً إذا ما لجّ بى الحُزن أَنْشِج

لقد قطع الواشُون ما كان بيننا ... ونحن إلى أن يُوصَل الحبلُ أحوج

همُ مَنعونا ما نُحب وأوقدوا ... علينا وشَبُّوا نار صُرم تَأَجَّج

ولو تركونا لا هَدَى اللهُ[1] أمرهم ... ولم يُلْحِموا قولاً من الشر يُنْسَج

لأَوْشك صَرْفُ الدَّهر يفرُق بيننا ... ولا يَستقيم الدَّهرُ والدهرُ أعوج

عسى كُرْبةٌ أمسيتِ فيها مُقيمةً ... يكون لنا منها نجاةٌ ومَخرج

فيُكْبَتَ أعداءٌ ويَجْذَل آلفٌ ... له كَبِدٌ من لوعة الحُبِّ تُلْعَج

وإنى لمَذْعورٌ[2] عشيّة زُرتُها ... وكنتُ إذا ما جئتُها لا أُعرِّج

أُخطِّط فى ظَهر الحَصير كأَننى ... أسيرٌ يخاف القتل لَهْفان[3] مُلْفَج

وأَشفَق قلبى من فراق خريدةٍ ... لها نَسَبٌ فى فرع فِهْرٍ مُتوَّج

يَجُول وَشاحاها ويَغْتصّ[4] حَجْلها ... ويَشْبَع منها وقْفُ عاج[5] ودُملج

فلما التقينا لَجْلَجت فى حديثها ... ومن آية الصَّد الحديثُ المُلَجلج

وقال فيها أيضاً :

يلومُوننى فى غير ذَنب جنيتُه ... وغيرىَ بالذَّنب الذى كان أَلْوَمُ

---

(١) فى الأغانى : « سعيهم » مكان « أمرهم » .

(٢) فى الأغانى : « لمحزون » . مكان « لمذعور » .

(٣) فى الأغانى : « ولهان » مكان « لهفان » . والملفج : الفقير المحتاج .

(٤) يغتص : يمتلىء .

(٥) الوقف : السوار .

أمنّا أُناساً كنتِ تأتمنينهم ... فَزادوا علينا فى الحديثِ(1) وأَوْهَموا
وقالوا لنا ما لم نَقُل ثم كَثَّروا ... علينا و باحُوا بالذى كنت أ كتُم
وقد مُنحتْ عَينى القَذى لِفراقهم ... وعاد لها تَهتانُها فهى تَسْجُمُ
وصافيتُ نِسْواناً فلم أرَ فيهمُ ... هوایَ ولا الوُدُّ الذى كنتُ أعلم
أليس عظيماً أن نكون ببلدةٍ ... كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلم

هو وعاتكة

وذكر أن عاتكة بنت معاوية بن أبى سُفيان حَجَّت فنزلتْ من مكة بذِى طُوًى . فبينا هى ذاتَ يومٍ جالسةٌ ، وقد اُشتدّ الحرُّ وانقطع الطريقُ ، وذلك فى وقت الهاجرة ، فأمرت جواريها فرفَعْن السِّتر ، وهى جالسة فى مجلسها ، عليها شُفوف لها ، تنظُر إلى الطريق ، إذ مرّ بها أبو دَهْبل الجُمحىّ ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، وأجملهم منظراً ،فوقف طويلاً ينظُر إليها و إلى جمالها ، وهى غافلةٌ عنه . فلما فَطِنتْ له سَترت وجهها وأمرت بطَرْح الستر وشَتمتْه . فقال أبو دَهْبل :

إنّى دَعانى الحَيْنُ فاُقتادنى ... حتى رأيتُ الظَّبي بالبابِ
يا حُسْنه إذ سَبَّنى مُدْبراً ... مُستتراً عنّى بجِلْبابِ
سُبحان من وقَّفها حسرةً ... صُبَّتْ على القَلْبِ بأَوْصابِ
يذُود عنها إن تطلّبتُها ... أبٌ لها ليس بوهّابِ
أَحلَّها قصراً منيعَ الذُّرى ... يُحْمَى بأبوابٍ وحُجّابِ

وأنشد أبو دَهْبل هذه الأبيات بعضَ إخوانه ، فشاعت بمكّة وشُهرت . وغَنّى فيها المُغنُّون حتى سمعتها عاتكةُ إنشاداً وغناءً ، فضحكتْ وأعجبتها ، و بعثت إليه بكُسوة . وجَرت الرُّسُلُ بينهما ، فلما صَدرت عن مكة خَرج معها إلى الشام ،

(1) أوهموا : نقصوا .

فنزل قريباً منها .فكانت تعاهَدُه بالبرِّ واللُّطف ، حتى وَرَدت دِمشق ووَرد معها. فانقطعت عن لقائه وعجز عن أن يراها ، ومَرِض بدمشق مرضاً طويلاً ، فقال فى ذلك :

طال لَيلى وبتُّ كالمَحْزونِ ومَلِلْتُ الثَّواء فى جَيْرُونِ[1]

وأطَلتُ المُقــام بالشّأم حتّى ظَنّ أهلى مُرَجَّمــاتِ الظُّنون

فبــكتْ خَشــيةَ التفرُّق جُمْلٌ كبكاء القَرين إثْر القَرين

ولقَــدْ قُلْتُ إذ تطاول سُقْمى وتَقَلَّبْتُ ليلتى فى فُنونِ

ليت شِعرى أعن هَوًى طار نَوْمى أم بَرانى البــارى قَصِيرَ الجُفون

وهى زهراء مثــل لُؤلؤة الغوّا ص مِيزتْ من جوهر مَــكْنون

وإذا ما نَسبْتَهــا لم تجِــدْها فى سَناءٍ من المَكارم دُون

تَجعــل المِسْك والألُوّة والنَّــدّ صلاءً لها[2] على الــكانون

ثم خاصرتُهــا إلى القُبــة الخَضْـــراء تَمْشى فى مَرْمَرٍ[3] مَسْنون

قُبَّـــة من مَراجلٍ ضَربوها عنــد بَرْد الشــتا فى قَيْطون

عن يَسارى إذا دخلتُ من البا ب وإن كنتُ خارجاً عن يَمينى

هو ومعاوية

وشاع هذا الشِّعرُ حتى بلغ معاوية بن أبى سُفيان ، فأمسك عنه، حتى إذا كان فى يوم الجمعة دَخل عليه الناسُ وفيهم أبو دَهْبل ، فقال معاوية لحاجبه : إذا أراد أبو دَهْبل الخُروج فامْنعه وارْدُدْه علىّ . فجعل الناسُ يُسلِّمون ويَنصرفون ، فقام أبو دَهْبل لينصرف ، فناداه مُعاوية : يا أبا دَهبل ، هلُمّ إلىّ . فلما دنا منــه أجلسه حتى خلا به ، ثم قال له : ما ظننتُ أن فى قُريش أشعر منك ، حيث تقول :

* ولقد قلتُ إذ تطاول سقمى *

---

(١) جيرون : حصن بدمشق . وقيل : هو دمشق بعينها .

(٢) الألوة : العود . والذى فى الأغانى : «وليلنجوج » . وهو عود البخور والصلاء : ما تصطلى به .

(٣) المسنون : ما كان على استواء.

وأنشده هـذا البيت والأبيات الثلاثة بعده ، ثم قال : والله إن فتـاةً أبوها معاوية، وجدُّها أبو سفيان ، وجدّتها هِندبنتعُتبة ، لكما ذكرتَ، فأىَّشىء زدتَ فى قَدرها ! ولقد أسأت فى قولك :

ثم خاصرتُهـا إلى القُبـة الخَضْـــراء تمشى فى مَرمرٍ مَسـنون

فقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ هـذا ، وإنما قيل على لسانى . فقال : أما مِن جهتى فلا خوف عليك ، لأنى أعلم صيانة أبنتى نَفْسها ، وأعلم أن فِتيان الشَّعراء لم يتركوا أنْ يقولوا فى النَّسيب فى كُل مَن جاز أن يقولوه فيـه ، وكُلِّ من لم يَجُز ، وإنما أكره لك جِوار يزيد وأخاف عليك وَثَبـاته ، فإن له سورة الشّباب وأنفة المُلوك . وإنما أراد معـاوية أن يَهْرُب أبو دَهْبل فتنقضى المقالةُ عن أبنته . فحذِر أبو دَهبل وخَرج إلى مكة هاربًا على وَجهـه ، فكان يُكاتب عاتكة . فبينا معـــاويةُ ذاتَ يوم فى مجلسه ، إذ جاءه خَصِىّ له ، فقال : يا أمير المُؤمنين ، لقد سَقط اليومَ إلى عاتكةَ كتابٌ ، فلما قرأته بكت ، ثم أخذتْه فوضعتْه تحت مُصلَّاها ، وما زالت خاثرةَ النفس منـذ اليوم . فقال له : أذهب فالطُف لهذا الكتاب حتى تأتينى به . فانطلق الخصىّ فلم يَزل حتى أصاب منها غِرّة ، فأخذ الكتاب فأقبل به على معاوية ، فإذا فيه :

أعاتِكُ هـلّا إذ بَخِلْت فـلا تَرَىْ ... لذى صَبْوَةٍ زُلْفَى لديك ولا حَقّـا
رَددتِ فؤاداً قـد تولَّى به الهَوى ... وسكَّنْتِ عيناً لا تَمَلُّ ولا تَرْقا
ولـكنْ خلبت القَلْب بالوَعد والمُنَى ... ولم أَرَ يوماً منك جُوداً ولا صِـدْقا
أَتَنْسَين أيامى برَبْعـك مُـدْنَفاً ... صَريعاً بأرض الشام ذا سَقَمٍ مُلْقى
وليس صـديقٌ يُرْتَضى لوصـيَّة ... وأدعو لدائى بالشَّراب فلا أُسْـقى
فوا كبِـدِى إذ ليس لى منك مجلسٌ ... فأشكو الذى بى مِن هَواك وما أَلْقى
رأيتُك تزدادين للصَّبّ غِلْظَـةً ... فيزداد قَلبى كُلَّ يومٍ لـكم عِشْـقا

فلما قرأ مُعاوية الشِّعر بعث إلى ابنه يزيد . فأتاه فدخل عليه ، فوجد معاويةَ مُطرقاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما هـذا الأمر الذى شَجاك ؟ قال : أمر أمرضنى وأقلقنى منذ اليوم ، وما أدرى ما أعمل فى شأنه . قال : وما هو ؟ قال : هذا الفاسقُ أبو دَهْبل ، كتب بهـذه الأبيات إلى أختك فلم تزل باكيـةً إلى اليوم ، وقد أفسدها ، فما ترى فيه ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين إن الشأن فى أمره لهيِّن . قال : وما هو ؟ قال : عَبد من عَبيدك يَكْمُن له فى بعض أزقة مكّة فيُريحنا منـه . فقال معـاوية : والله إن امرأً يُريد بك ما يُريد ، ويَسمو بك إلى ما يسمو ، لغـير ذى رأى ! وأنت قد ضاق ذَرعك بكَلمة وقَصُر فيها باعُك حتى أردتَ أن تقتُل رجلاً من قُريش ، أوَما تعلم أنك إذا ما فعلتَ ذلك صدّقت قولَه ، وجعلْتنا أُحدوثة أبداً . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه قال قَصيدة أُخرى تَناشَدها أهلُ مكة . قال : وما هى ؟ قال : قال :

ألَا لا تَقُل مهلاً فقـد ذَهب المَهْـلُ	وما كُل من يَلْحى مُحِبًّا له عَقْـلُ
لقـد كان فى حَوْلَين حالَا فلم أزُرْ	هَواى وإن خُوِّفتُ عن حُبِّها شُغل
حَمَى الملكُ الجبَّـار عَنِّى لقـاءها	فمِن دونها تُخْشَى المَتالفُ والقَتل
فلا خـيرَ فى حُبٍّ يُخاف وَبالُه	ولا فى حَبيبٍ لا يكون له وَصْـل
فوا كبـدى إنّى شُهرتُ بحُبها	ولم يك فيما بيننا سـاعةً بَذْل
ويا عجباً إنى أكاتم حُبَّهـا	وقد شاع حتى قطِّعت دونها السُّبْل

فقال معاوية : قد والله رفَّهت عنّى ، فوالله ما كنتُ آمنُ أن يكون قد وصل إليها ، فأما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وَصل ولا بَذْل ، فالخطبُ يسـير . قُم . فقام يزيد فانصرف . وحج معاويةُ فى تلك السنة ، فلما انقضتْ أيام الحجّ كَتب أسماءَ وجُوه قُريش وأشرافهم وشُعرائهم ، وكتب فيهم اسم أبى دَهْبـل ، ثم دعاهم ، ففرّق فى جميعهم صِـلاتٍ سنيّة وأجازهم جوائز كثيرة . فلما قَبض

أبو دَهْبل جائزته وقام لينصرف ، دعا به معاوية فرجع إليه . فقال له : يا أبا دَهْبل ، ما بالى رأيت أبا خالد يزيدَ ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً فى قوارِصَ تأتيه عنك، وشعرٍ لا تزال قد نطقتَ به وأنفذتَه إلى خصمائنا وموالينا ، لا تَعرض لأبى خالد . فجعل يَعتذر إليه ويَحلف أنه مَكْذوب عليه . فقال له معاوية : لا بأس عليك ، وما يَضُرّك هذا عندنا . هل تأهّلت ؟ قال : لا . قال : فأىّ بنات عمِّك أحبُّ إليك ؟ قال : فلانة . قال : قد زَوَّجكها أمير المُؤمنين وأَصدقها ألفى دينار ، وأَمر لك بألف دينار . فلما قَبضها قال : إن رأى أميرُ المؤمنين أن يَعْفُو لى عما مَضى ، فإن نطقتُ ببيتٍ فى معنى ما بَلغه وسَبق منّى فقد أبحتُ به دَمى ، وفلانةُ التى قد زوَّجنيها أميرُ المؤمنين طالقٌ البتةَ . فسُر بذلك معاوية وضَمن له رِضا يزيد عنه ، ووعده بإدرار ما وَصله فى كُل سنة ، وانصرف إلى دِمَشق ، ولم يحج معاوية فى تلك السنة إلا من أجل أبى دَهْبل .

هو وشامية تزوجها

وذكر أن أبا دَهْبل خَرج يريد الغَزو ، وكان رجلاً صالحاً عفيفاً ، وكان جميلاً ، فلما كان بجَيرون جاءته امرأة فأعطتْه كتاباً وقالت له : اقرأ هذا الكتاب . فقرأه لها . ثم ذهبتْ فدخلت قصراً ، ثم خرجت إليه وقالت : لو بلغتَ القَصْر فقرأت الكِتاب على امرأة كان لك فيه خير كثير ، فإنه من غائب لها يَعنيها أمرُه . فبلغ معها القَصْر ، فلما دخل إذا فيه جَوارٍ كثيرة ، فأغلقْن القَصر عليه ، وإذا امرأة وضيئة الوجه ، فدعتْه إلى نفسها ، فأبى ، فأمرت به فَحُبس فى بَيت فى القَصر ، وأُطعم وسُقى قليلاً قليلاً ، حتى ضَعُف وكاد يموت ، ثم دعتْه إلى نفسها ، فقال : أما حَراماً فلا يكون ذاك أبداً ، ولكن أتزوّجك . قالت : نعم . فتزوَّجها . فأمرت به فأُحسن إليه حتى رجعت نفسُه إليه . فأقام معها زماناً طويلاً لم تَدَعْه يخرج ، حتى أيس منه أهلُه وولدُه ، وتزوّج بنوه وبناتُه ، واقتسموا مالَه ، وأقامت زوجتُه تبكى عليه حتى عَمِشَتْ ، ولم تُقاسمهم مالَه . ثم قال لامرأته التى

هو عنـدها : قد أَثمت فىّ وفى وَلدى وأهلى ، فَأْذَنى لى أُطالِعهم وأعود إليك . فأخذت عليه أيمانا ألّا يُقيم إلا سنةً ثم يعود إليها : فخرج من عندها يقطع البلادَ(١) ، حتى قَدِم على أهله ، فرأى حال أمرأته وما صار إليه ولدُه . وجاء إليه ولدُه ، فقال لهم : لا والله ما بينى و بينكم عَمل ، أنتم قد ورثتمونى وأنا حىّ ، والله لا يَشْرك زَوْجتى فيما قدمتُ به أحد . وقال لهـا : شأنَك به فهو لك كُلُّه . وقال قَصيدته النُّونية التى تقدَّم ذكرُها . فلما جاء الأجل أراد الخُروجَ إلى أمرأته التى تزوّجها بالشام ، فجاءه خبرُ موتها ، فأقام .

من شعره فى مدح ابن الأزرق

ومن جيّد شعر أبى دَهْبل قولَه فى أبن الأزرق ، وهو عبد الله بن عبد الرّحمن ابن الوليد بن عبد شَمس بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر المخزومى ، يَمدحه فى أبيات :

لئن كفرتُكَ ما أوْليتَ من نِعَم ... إنّى لفى اللُّؤم أحظى منك(٢) بالكَرم
وكيف أنْسَاكَ لا نُعْماكَ واحــدةٌ ... عندى ولا بالّذى أسْديتَ من قِدَم

وكان أبن الأزرق هـذا قد ولّاه ابن الزُّبير بعضَ أعمال اليمن ، فمدّ يده فى أموالها وأعطى عَطايا سنيّة ، و بثّ فى قُريش منها أشياء جَزيلة ، فتهافتتْ قُريش عليه ، ووَفدوا إليه ، فأسنى لهم العطايا . و بلغ ذلك أبن الزُّبير فعَزله بإبراهيم بن سَعد ابن أبى وقَّاص . فلمّا قَدِم عليه أراد أن يُحاسبه ، فقال له : مالك عندى حِساب ، ولا بَيني و بينك عَمل . فخافت قُريش أن يُفتِّشه أبنُ الزبير أو يَكْشِفه ، فلبست السلاحَ وخَرجت إليه لتَمنعه . فلما لَقيهم نزلتْ قُريش فسلّمت عليه ، و بَسطت له أرْديتها ، وتلقّتْه إماؤهم وولائدهم بمَجامر الأَلُوّة والعُود المَنْدلىّ يُبَخِّرون بين يديه ، حتى أنتهى إلى المسجد ، فطاف بالبيت، ثم جاء إلى أبن الزُّبير فسلّم عليه ، وهم به

(١) فى الأغانى : « يجر الدنيا » . يريد أنه خرج بخير كثير .
(٢) رواية هذا البيت فى الأغانى :
ماذا رزئنا غداة الخل من رمع ... عند التفرق من خيم ومن كرم
(والخل : موضع باليمن فى وادى رمع) .

يُطيفون . فعلم اُبنُ الزُّبير أنه لا سَبيل إليـه ، فما عَرض له ولا صَرّح له بشيء . ومَضى إلى منزله . فقال أبو دَهْبل :

فمن يَكُ شانَ العزلُ أو هدّ رُكنَـه ... لأعـــدائه يوماً فما شـانكَ العزْلُ
وما أصبحتْ من نعمةٍ مُستفادةٍ ... ولا رَحِمٍ إلا عليهـا لك الفَضْـل

وقال فيه أيضاً :

عُقِم النِّسـاء فلم يَـلِدْن شبيهَهُ ... إنّ النِّسـاء بمثـــله عُقْمُ
مُتهلِّل بنَعَم بلا مُتبـــاعِدٌ ... سِـيَّانِ منه الوَفْر والعُــدْم
نَزْر الـكلام من الحَياء تخاله ... ضَمِناً[1] وليس بجسمه سُـقْم

من جيد شعره

ومن جيِّد شِعر أبى دَهْبل :

أأَتْرُك ليلَى ليس بينى و بَيْنها ... سِوَى ليــلةٍ إنِّى إذاً لَصبُورُ

وهذا البيتُ من أبيات تقدَّم ذِكْرُها ونُسبت إلى المَجنون ، والصحيح أنهـا لأبى دَهْبل .

(١) الضمن : المريض .

أخبار الحسين بن الضحاك

نسـبه — قيل: إنه باهليٌّ صَلِيبةٌ [(1)] . وقيل : بل مولَى باهلة .

قال أبو الفرج : وهو الأَصح .

منشؤه وشعره — وهو بَصْرِىّ المَولد والمَنشأ . من شُعراء الدولة العباسية ، وأحد نُدماء الخلفاء من بنى العبّاس ، وأول من جالس منهم محمد الأمين بن زُبيده . وهو شاعر أديب ظريف مَطبوع غَزِل ، حَسن التصرّف فى الشعر ، حُلْو المَذهب ، لشعره قبول ورَونق صافٍ .

انتفاع أبى نواس بمعانيه — وكان أبو نُواس يأخُذ معانيه فى الخَمر فيُغير عليها ، و إذا شاع له شعر نادر فى هذا المعنى نَسبه الناسُ إلى أبى نُواس .

لقبه وموته — وكان يُلقَّب بالخَليع والأشقر . وعُمِّر عُمراً طويلاً حتى قارب المائة السنة،ومات فى خلافة المُستعين ، أو المُنتصر .

هو وأبو نواس — وحَكى الحُسين بن الضحَّاك الخَليع قال : أنشدت أبا نُواس لما حججتُ قصيدتى التى قلتُها فى الخمر ، وهى :

بُدِّلتُ من نَفحات الوَرْد بالآء ... ومِن صَبُوحك دَرَّ الإِبْل والشاء

حتى اُنتهيت إلى قولى :

حتى إذا أُسْندتْ فى البيت واحتُضِرتْ ... عنـد الصباح [(3)] بِبسّامين أكفاء

فُضَّت خواتمُها فى نَعْت واصفها ... عن مثل رَقْراقةٍ فى جَفْن [(2)] مَرْهاءِ

(1) صلیبة : خالص النسب .

(2) فى الأغانى : « الصبوح » .

(3) الرقراقة : الدمعة تترقرق فى العين ولا تسيل . والمرهاء : المرأة لم تكتحل .

قال : فصَعِق صَعْقةً أَفزعتنى ، وقال : أحسنت والله يا أشقر ! فقلت : و يلك يا حسن ! لقد أفزعتنى والله . فقال : بل أنت والله أفزعْتنى ورُعْتَنى ، هذا معنًى من المعانى التى كان فِكْرى لا بُدَّ أن يَنْتهى إليها و يَغُوص عليها ، وقد سبقْتنى إليه واُختلسْته منِّى ، وستَعلم لمن يُرْوى : إلىّ أم لك ؟ فكان والله كما قال ، سمعتُ من لا يعلم يَرو يها له .

مع المأمون بعد الأمين

وقيل :

كان الحُسين الخَليع مُنقطعاً إلى محمد الأَمين ، فلما قُتِل محمد الأَمين وأفضت الخلافةُ إلى أخيه المأمون ، وقَدِم بغداد من خُراسان أمر أن يُسمَّى له قومٌ من أهل الأدب ليُجالسوه و يُسامروه . فذُكر له جماعةٌ منهم الحُسين بن الضحَّاك الخليع ، فقرأ أسماءهم حتى بلغ اُسم حُسين . فقال : أليس هو الذى يقول فى محمد :

هلَّا بَقِيتَ لسَدِّ فاقتنا ... أبداً وكان لغيرك التَّلَفُ

فلقد خلفتَ خلائفاً سلَفُوا ... ولسوفَ يُعْوِز بعدك الخَلَفُ

لا حاجةَ لى فيه ، والله لا يرانى أبداً إلا فى طريق . ولم يعاقبْه على ما كان من هجائه له وتعريضه به . فاُنحدر الحُسين إلى البصرة وأقام بها طول أيام المأمون .

صالح ابن الرشيد والمأمون فى أمره

وحَكى صالح بن الرَّشيد قال :

دخلتُ على المأمون ومعى بيتان للحُسين الضحاك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أُحب أن تَسْمع منِّى بيتين ، قال : أنشدهما . فأنشدته :

حَمِدْنا اللهَ شُكْراً إذ حَبانا ... بنَصْرك يا أمير المُؤمنينا

فأنت خليفةُ الرَّحْمٰن حقًّا ... جمعتَ سماحةً وجمعتَ دينا

فقال : لمن هذان البيتان يا صالح ؟ فقلت : لعبدك يا أمير المؤمنين حُسين

ابن الضحّاك . فقال : قد أحسن ! فقلت : وله يا أمير المؤمنين أجودُ من هذا .
قال : وما هو ؟ فأنشدتُه قولَه :

أيَبْخَلُ فَرْدُ الحُسْنِ فَرْدُ صِفاته ... علىّ وقد أفردْتُه بهوًى فَرْدِ
رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عِباده ... فملّكه واللهُ أعلَمُ بالعبد

قال : فأطرق ساعةً ثم قال : ما تَطيب نفسى له بخَير بعد ما قاله فى أخى محمد
وقاله فىّ .

وقوف المأمون على شعر له غنى به ابن بانة عند صالح بن الرشيد

وحُكى أن صالح بن الرّشيد قال لعمرو بن بانة يوماً ، وهو عنده : لستَ
تَطرح على جوارىّ وغِلْمانى ما أَستجيده ! فقال له : ويلك ! ما أَبغضك ! أُبعث
إلى مَنزلى فجِيء بالدّفاتر التى فيها الغِنـاء واُختر منها ما شئت حتى أُلقيَه عليهم .
فبعث إلى منزله فجِيء بدفاتر الغِناء ، فأخذ منها دفتراً ليتخيّر ممّا فيه ، فمرّ به شعرُ
الحُسين بن الضحاك يَرثى محمداً الأمين ويَهجو المأمون ، وهو :

أَطِلْ جَزَعاً وأُبْكِ الإمامَ محمداً ... بحُزن وإن خِفْتَ الحُسام المُهنّدَا
فلا تمّت الأشياءُ بعد محمدٍ ... ولا زال شَملُ المُلك فيه مُبدّدا
ولا فَرِح المأمونُ بالمُلك بعده ... ولا زال فى الدُّنيا طَريدا مُشرّدا

قال عمرو بن بانة : فقال لى صالح : أنت تَعلم أن المأمون يجيء إلىّ فى كُل
ساعة ، فإذا قرأ هذا ما تُراه يكون فاعلاً ؟ ثم دعا بسكّين وجعل يحكُّه ، وصَعد
المأمون من الدّرجة ورَمى صالح بالدّفتر . فقال المأمون : يا غلام ، الدفتر . فأُتى به ،
فنَظر فيه ووقف على الحَكّ وقال : إن قلتُ لكم ما كنتم فيه تَصْدقُونى ؟ قلنا :
نعم . قال : ينبغى أن يكون أخى قال لك : ابعث فجِيء بدَفاترك لنتخيّر ما نَطرحه
على الجوارى . فوقف على هذا الشِّعر فكَرِه أن أراه ، فأمر بحكّه . قلنا : كذا
كان . قال : غنّه يا عمرو . فقلت : يا أمير المؤمنين ، الشعر لحُسين بن الضحّاك

والغناء لسعيد بن جابر. قال: وما يكون! غنه. فغنيتُه. قال: أرْدُده. فرددتُه ثلاث مرات. وأمر لى بثلاثين ألف درهم وقال: حتى تعلم أنه لم يضُرْك عندى.

حزنه على الأمين ومن مراثيه فيه

قيل:

وكان الحسين بن الضحّاك كثيرَ المَراثى فى محمد الأمين، شديد الجزع عليه. وكان لفَرْط محبّته وجَزعه لقتله أنه خُولط فى عَقله، فكان يُنكر قَتله، ويَدفعه ويقول: إنه مُستتر، وإنه قد بَثّ دُعاتَه فى الأمصار يدعون إلى مُراجعة أمره. فكان يَطمع فى عَوده إلى مُلكه والاجتماع به. ومن جيد مراثيه فيه:

سألونا أنْ كيف نحن فقلنا ... مَنْ هوَى نجمُه فكيف يكونُ

نحن قومٌ أصابنا حَدَثُ الدّهـ ... ـر فظَلْنا لرَيْبه نَسْتكين

نتمنّى من الأمين إياباً ... لَهْفَ نَفْسى وأين منّا الأَمين

ومن جيد مراثيه فيه قوله:

أعزِّى يا محمد عنك نفسى ... معاذَ الله والأيدى الجِسامِ

فهلاّ مات قومٌ لم يموتُوا ... ودُوفع عنك لى يومُ الحِمام

كأن الموتَ صادف منك غُنْماً ... أو استشفى بقُربك من سَقام

تهنئة المعتصم بفتح عمورية

وذُكر[1] أنه لما افتتح المُعتصم بن الرّشيد عَمُّوريةَ من بلاد الرُّوم امتدحه الشُّعراء بذلك وذكروا حُسن فِعله، وكان أحسن ما مدح به يومئذ، وما قدّمه أهلُ العِلْم على سائر ما قاله الشعراء قولَ الحسين بن الضحاك:

قل للأُلى صَرفوا الوُجوه عن الهدى ... مُتعسِّفين تَعسُّفَ المُرّاق

إنى أُحذّركم بوادرَ ضَيْغم ... دَرِبٍ بحَطْم موائل الأَعناق

مُتأهبٍ لا يَستفزّ جَنانَه ... زَجَلُ الرُّعود ولامعُ الإبْراق

لم يَبْق من مُتعرِّمين[2] توثّبوا ... بالشّام غيرُ جَماجِمٍ أَفْلاق

(١) ساق أبو الفرج هذا الخبر فى ولاية المعتصم و تهنئة الشعراء له بها

(٢) المتعرمون: ذووا العرامة والشراسة.

من بين مُنْجدل تَمُجّ عروقُه ... عَلَق الأَخادع أو أسيرِ وَثاق
وثنى الخيولَ إلى مَعاقل قَيْصر ... تختال بين أَسنةٍ (١) ورِقاق
يَحْمِلن كُلَّ مُشمِّر مُتَغَشِّمٍ ... لَيْثٍ هِزَبْرٍ أَهْرت (٢) الأَشداق
حتى إذا أَمَّ الحصونَ مُنازلاً ... والموتُ بين تَرائبٍ وتَراقى
هَرَّت بطارقُها هَريرَ قَساوِرٍ ... بُدهتْ بأَكْرَه مَنْظرٍ ومَذَاق
ثم أستكانتْ للحصار ملوكُها ... ذُلاً وناط حلوقَها بخِناق
هَربتْ وأَسلمت الصليبَ (٣) حُماتُها ... لم يَبق غيرُ حُشاشة الأَرماق

فأَمر له المُعتصم لكُل بيت بألف درهم، وقال له: أنت تعلم يا حُسين أن هذا أكثر ما مدحنى به مادح فى دولتنا. فقبّل الأرض بين يديه وشَكره، وحَمل المال معه.

استجاد الرياشى شعراً له فى الخمر

وقيل: وكان الرِّياشى يَستجيد قولَ الحسين بن الضحاك فى الخمر:

إذا ما الماء أمكننى ... وصَفْوُ سُلافةِ العنَبِ
صَببتُ الفِضَّةَ البَيضا ... ء فوق قُراضة الذَّهب

أخذ أبو نواس معنى له فى الخمر

وحكى الحُسين بن الضحّاك قال: أنشدت أبا نُواس قصيدتى التى أولُها:

وشاطِرِىِّ اللِّسان مُخْتَلقُ التَّكْـ ... ـريهِ شابَ المَجونَ بالنُّسُكِ

حتى بلغتُ إلى قولى:

كأنما نُصْبَ كاسه قمرٌ ... يَكْرع فى بعض أَنْجُم الفَلَكِ

قال: فأَنشدنى أبو نُواس بعد أيام لنفسه:

إذا عَبّ فيها شاربُ القوم خِلْتَه ... يُقَبِّل فى داجٍ من اللّيل كوكبَا

(١) كذا فى التجريد: يريد الرماح والسيوف. والذى فى بعض أصول الأغانى: «أحرة» وفسروها فقالوا: الغليظ من الأرض. كما فسروا «الرقاق» بالمستوية منها.
(٢) المتغشم: الغضوب. وأهرت الأشداق: واسعها.
(٣) فى الأغانى: «عشية» مكان «حماتها».

فقلت له : يا أبا عليّ ، هذه مُصالتةٌ [١] . قال: فقال : أتظُن أنه يُروى لك فى الخمر معنًى جيّد وأنا حيّ !

قلتُ : و بيت أبى نُواس ، و إن كان معناه مسروقاً من الُحسين ، أحسنُ ، فإن لفظ « يقُبل » ألطف من لفظ « يكرع » .

تهنئة الواثق بالخلافة

وقيل :

لما تُوفِّى المُعتصم ، وولى أبنه الواثقُ الخلافةَ ، دَخل عليه الُحسين بن الضحّاك وأنشده قصيدتَه التى أولها :

أَلَم يَرُعِ الإسلامَ موتُ نَصيرِه ... بَلَى حَقّ أن يَرتاعَ مَن مات ناصرُه
هو الملكُ المَجبول نفساً على التُّقَى ... مُسلَّمَةٌ من كُل سُوء عَساكره
سيُسليك عمّا فات دولَةُ مُفْضِلٍ ... أوائلُه محمودةٌ وأواخره
ثَنى اللهُ عِطْفَيْه وألَّف شَخصَه ... على البرِّ مُذْ شُدَّتْ عليه مآزره
يَصَبُّ [٢] بَبْذل المال حتى كأنما ... يَرى بذلَه للمالِ نَهْباً يُبادِره
فما قدّم الرحمٰنُ إلاَّ مُقدَّما ... مَواردُه محمودةٌ ومَصادره

فقال الواثق : إن كان الُحسين ليَنطق عن صحّة طويّة ، و يمدح بخُلوص نية . ثم أمر بأن يُعْطَى لكُل بيْت قاله من هذه القصيدة ألفَ درهم . وأعجبته هذه الأبيات حتى أمر فصُنع فيها عِدةُ ألحان .

وحكى الُحسين بن الضحاك قال :

أنشد الواثق فى يوم غيم

دخلتُ على الواثق ذاتَ يوم وفى السماء لَطْخ غَيم [٣] . فقال : يا حُسين ، ما الرأىُ عندك فى هذا اليوم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما حَكم به وأشار إليه

---

(١) المصالتة : أن يأخذ الشاعر البيت لغيره لفظاً ومعنًى .
(٢) يصب : يولع .
(٣) أى قليل غيم .

قبلى أحمد بن يوسف ، فإنه أشار بصوابٍ لا يُرد ، وجعله فى شعر لا يُعارض.

قال : وما قال ؟ قلت : قال :

أرى غَيماً تُؤلِّفه جَنوبٌ وأَحسبه سيأتينا بهَطْلِ
فعينُ الرَّأىِ أن تَدْعو برِطْلٍ فَتشربه وتَدْعو لى برِطْلْ

فقال : أصبتُما ، ودعا بالطَّعام والشراب والمُغنِّين والجلساء واُصطبحنا .

وقيل :

وصف ليلة مع الواثق

كان الُحسين بن الضحاك ليلةً عند الواثق ، وقد شربوا إلى أن مضى ثُلث الليل ، فأمر أن يَبيت مكانَه . فلما أصبح خَرج إلى النُّدماء وهم مُقيمون ، فقال لُحسين : هل وصفتَ ليلَتنا الماضيةَ وطيبهَا ؟ فقال : لم يَمض شىء، وأنا أقول الساعةَ . وفكّر هُنيهة ، ثم قال :

حَثَّت صَبُوحى فكاهةُ اللَّاهِى وطاب يَومى بقُرب أَشباهِى
فاُستَثِر اللهوَ من مَكامنه مِن قبل يومٍ مُنغِّصٍ ناهِى
باُبنة كَرْمٍ من كَفِّ[1] مُنْتطِق مُؤتزر بالمُجون تَيّاه
يَسْقيك من طَرفه ومِن يده سَقْىَ لَطيفٍ مُجرِّب داهِى
كأساً فكأساً كأن شاربهَا حيرانُ بين الذَّكور والساهى

فأمر الواثق بردّ المجلس كهيئته ، واُصطبح يومَه ذلك معهم، وقال : نُحقِّق قولَك يا حُسين ونَقضى لك كُل أرب وحاجة .

هو وجارية للواثق غضبت عليه

وحكى حُسين بن الضحّاك قال :

كانت لى نوبةٌ فى دار الواثق أحضُرها ، جَلس أو لم يَجلس . فبينا أنا نائم ذاتَ ليلة فى حُجرتى إذ جاءنى خادم من خَدم الُحرَم فقال لى : قُمْ فإن أَمير المؤمنين يَدعوك . فقلتُ له : ما الخبر ! فقال : كان نائماً وإلى جَنْبه حَظيَّةٌ له ،

(١) المنتطق : الذى شد وسطه بمنطقة .

فقام وهو يظنُها نائمة ، فألم بجارية أُخرى له ، ولم تكن ليلةَ نَوْبتها ، وعاد إلى فراشه . فغضبتْ حَظيَّته وتركَتْه حتى نام ، ثم قامت ودخلت حُجرتها ، فانتبه وهو يظنُها عنده، فلم يَجدها ، فقال: اختُلست عزيزتى ، ويحكم !أين هى ؟ فأخبرناه الخبر وأنها غَضبت ودخلت حُجرتها ، فدعا بك . فقلت فى طريقى :

غضبتْ أن زُرتُ أُخرى خِلْسةً فلها العُتْبَى لدينا والرِّضَا
يا فدَتْك النَّفسُ كانت هفوةً فاْغفريها واُصْفَحى عمّا مَضى
واُتْرُكى العذلَ على من قاله وانسُبى جَوْرِى إلى حُكم القَضا
فلقد نَبَّهتِنى من رَقْدتى وعلى قَلبى كنيرانِ الغَضا

فلما جئتُه خبَّرنى بالقصة وقال لى : قُل فى هذا شيئاً . ففكَّرتُ هُنيهةً كأنى أقول شعراً ، وأنشدته الأبيات . فقال : أحسنت وحياتى ! أعدها يا حُسين . فأعدتُها عليه حتى حَفِظها ، وأمر لى بخمسمائة دينار ، وقام ، فَمضى إلى الجارية . وخرجتُ أنا إلى حُجرتى .

شعره فى جارية للواثق ماتت فرآها فى النوم

وحَكى حُسين الضحّاك قال :

كان الواثقُ يتحظَّى جاريةً فماتتْ فَجزِع عليها جزَعاً شديداً ، وترك الشُّرب أياماً ، ثم تَسلَّاها وعاد إلى حاله . فدعانى ليلةً وقال لى : يا حسين ، رأيت فلانة فى النَّوم ، فليت نَومى كان قد طال لأتمتّع بلقائها ، فقُل فى هذا شيئاً . فقلتُ :

ليت عَينَ الدَّهر عنَّا غَفلتْ ورقيبَ اللَّيل عنّا رَقَدَا
وأقام النومُ فى مُدّته كالذى كان وكُنَّا أبدا
بأبى زَوْرٌ[1] تلفَّتُّ له فتنفَّسْتُ إليه الصعَدُا
بينما أضحك مَسروراً به إذ تقطَّعتُ عليه كَمدا

فقال الواثق : أحسنت ! ولكنّك وصفتَ رقيبَ الليل فشكوتَه ولا ذنبَ له : وإنما رأيتُ الرُّؤيا نهاراً . ثم عاد إلى مَنامه فرَقد .

(١) الزور : خيال يرى فى النوم

بينه و بين ابن المهدى وكان عربد عليه

وحُكى أن الحسين بن الضحّاك شَرب يوماً عند إبراهيم بن المَهدىّ ، فجرت بينهما مُلاَحاةٌ فى أَمر الدين والمَذهب ، فدعا له إبراهيم بِنطْع وسَيف ، وقد أَخذ منه الشراب . فانصرف الحسين وهو غضبان . فكتب إليه إبراهيم يعتذر و يسأله أن يجيئه . فكتب إليه :

نديمى غيرُ مَنسوبٍ ... إلى شىء من الحَيْفِ
سقانى مثلَ ما يشر ... ب فِعْلَ الضَّيْف بالضَّيف
فلما دارت الكأسُ ... دعا بالنِّطْع والسَّيف
كذا مَن يَشرب الراح ... مع التِّنِّين فى الصَّيف

فلم يعد إلى مُنادمته مدةً . ثم إن إبراهيم تَحمَّل عليه (١) ووَصله . فعاد إلى مُنادمته .

توسله بابن سعدة ليشفع له عند المأمون

وذُكر أنه لما أعيت الحسينَ بن الضحّاك الحيلةُ فى رضا المأمون عنه، رمَى بأَمره إلى عمرو بن مَسْعده وكتب إليه :

أنت طَوْدى من بين هذى الهضَابِ ... وشِهابى من دون كُلِّ شِهابِ
أنتَ يا عمرو قُوتى وحيَاتى ... ولسانى وأنت ظُفْرى ونَابى
أتُرانى أنسَى أياديكَ البيـ ... ـضَ إذ اسود نائلُ الأَصحاب
أين عطف الكرام فى مأقط (٢) الحا ... جة يحمون حَوزة الآداب
أين أخلاقُك الرضيّة حالت ... فىّ أم أين رِقّة الكُتّاب
أنا فى ذمّة السحاب وأظما ... إن هذا لوصمةٌ فى السَّحاب
قُم إلى سيِّد البريّة عنِّى ... قومةً تَسْتجِرُّ حُسْنَ خِطاب
فلعلّ الإله يُطفِىء عنِّى ... بك ناراً علىّ ذاتَ التهاب

(١) تحمل عليه : ترضاه . (٢) المأقط : به الضيق .

فلم يزل عمرو بن مَسعده يتلطّف للمأمون حتى أوصله إليه وأُدرّ عليه أرزاقه .

بينه و بين المأمون فى شعر قاله فى رثاء الأمين

وذُكر أنه لمّا دخل على المأمون ، قال له : أخبرنى عنك : هل عرفتَ يوم قُتل أخى محمد هاشميّةً قُتِلت أو هُتِكت ؟ قال : لا . قال : فما مَعنى قولك :

(١) وممّا شَجا قَلْبى وكَفْكف عَبْرتى … محارمُ مِن آل النبىّ اُستُحِلَّتِ

ومنهوكة بالخلد عنها سُجوفها … كَعَاب كقَرن الشَّمس حين تَبدَّت

إذ حفزتها لوعةٌ من منازع … لها الفرط عاذت بالخشوع ورَنَّت

وسِرب ظباءٍ من ذُؤابه هاشمٍ … هَتَفْن بدَعْوى خير حىٍّ وميّت

أرُدّ يداً منّى إذا ما ذكرته … على كبدٍ حرَّى وقلب مُفتّت

فلا بات ليلُ الشامتين بغبْطةٍ … ولا بلغتْ آمالهم ما تَمنَّت

فقال : يا أمير المُؤمنين ، لوعةٌ غلبتْنى ، وروعة فاجأتنى ، ونعمةٌ سُلبتها (٢) بعد أن غمرتْنى ؛ وإحسانٌ شكرتُه فأنطقنى ، وسيِّد فقدتُه فأقلقنى ؛ فإن عاقبتَ فبحقّك ، وإن عفوتَ فبفضلك . فدمَعت عينا المأمون وقال : قد عفوتُ عنك وأمرتُ بإدرار رِزقك عليك ، وإعطائك ما فات منها ، وجعلتُ عقوبةَ ذَنْبك اُمتناعى من اُستخدامك .

شعره فى غلام لصالح بن الرشيد غنى فيه عمرو بن بانة

وحكى عمرو بن بانة قال :

كُنّا عند صالح بن الرَّشيد ليلة ، ومعنا حُسين بن الضحّاك ، وذلك فى خلافة المأمون ، وكان صالح يَهْوى خادماً له ، فغاضبه فى تلك الليلة فتنحَّى عنه ، وكان جالساً فى صَحنٍ حوله نرجس كثير ، فى قمر طالع حَسن. فقال للحُسين: قُل فى مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتاً يُغنِّى فيها عمرو بن بانة . فقال حُسين :

وصف البدرُ حُسن وجهك حتّى … خِلْتُ أنّى وما أَراكَ أَراكا

---

(١) لم ترد الأبيات الثلاثة الأولى فى الأغانى .

(٢) فى الأغانى : « فقدتها » .

وإذا ما تنفَّس النَّرجِسُ الغَضُّ توهَّمتُه نَسيمَ شَـذا كا

خُـدَعٌ للمُنَى تُعلِّلنى فيضُـك بإشراق ذا وبَهجة[(١)] ذا كا

لأدُومَنّ يا خليلى على العهـد[(٢)] لهذا وذاك إذ حَكَيا كا

فقال لى صالح : تغنّ فيها . فغنَّيتُ فيها من ساعتى .

هو والمتوكل وشفيع خادمه

وحُكى أن المتوكل على الله أحب أن يُنادمه حُسين بن الضحّاك ، وأحب أن يرى ما بَقى من ظَرفه وشَهوته ، لما كان عليه ، وكان قد كَبِر وضَعُف ، فسقاه حتى سَكر ، وقال لخادمه شَفيع : أسْقه . فسَقاه وحيّاه بوَردة ، وكانت على شَفيع ثيابٌ مورَّدة . فمدّ الُحسين يدَه إلى ذراع شَفيع . فقال له المتوكل: وَيحك ياحُسين! أتُجَمِّش أخصّ خَدمى عندى بحضرتى، فكيف لو خلوتَ ! ما أحوجك إلى أدب! وقد كان المتوكل غَمز شَفيعاً على العَبث به : فقال الُحسين بن الضحّاك : ياسيدى ، أريد دواةً وقِرطاساً . فأمر له بذلك . فكتب بخطِّه :

وكالوردة الحَمراء حيَّا[(٣)] بوردة من الورد يَمشى فى قَراطِقَ[(٤)] كالوَرْدِ

له عَبَثاتٌ عند كل تَحيّة بكفَّيه تَستدعى الحليمَ إلى الوَجـد

تمنّيتُ أن أُسقى بكفَّيه شَرْبةً تُذكّرنى ما قد نَسيتُ من العَهد

سقى الله عيشاً لم أبت فيه ليلةً من الدّهر إلاّ[(٥)] مِن حَبيب على وَعد

ثم دفع الرُّقعة إلى شَفيع وقال له : أدفعها إلى مَولاك . فلما قرأها أستملحها وقال : أحسنت والله يا حُسين ! ولو كان شَفيع ممن تجوز هبتُه لوهبتُه لك . ولكن بحياتى يا شَفيع إلا كُنت ساقيه بقية يومه هذا ، وأخْدُمه كما تَخدُمنى . وأمر له بمال كثيرٍ . يُحمل معه لما أنصرف .

---

(١) فى الأغانى : « ونفحة » . (٢) فى الأغانى : « لأقيمن ماحييت على الشكر » .

(٣) فى الأغانى : « بأحمر » مكان « بورده » .

(٤) القراطق : جمع قرطق . وهو قباء ذو طاق واحد.

(٥) فى الأغانى : « سقى الله دهراً . . . : خلياً ولكن » .

شعره فى غلام

وحُكى أن الحسين بن الضحّاك مرّ به يوماً غلامٌ حَسن الصورة، فقال له بعضُ أصحابه : أتُحبه ؟ قال : نعم ، والله . قال : فأَعْلِمه . قال : هو أعلم بحُبى له منّى به . ثم قال :

عـــالمٌ بحُبيِّـــهِ مُطْرِقٌ من التِّيهِ
يوسفُ الجمالِ وفِر عونُ فى تَعـدِّيه
لا وحقِّ ما أنا مِن عَطْفِـــه أُرجِّيه
ما الحيـاةُ نافعةٌ لى على تأبِّيـــه
النَّعيمُ يَشْـــغله والجمـالُ يُطْغيه
فهو غـير مُكترِثٍ للَّذى أُلاقيـــه
تائهٌ تُزهِّـــــده فىّ رغبتى فيـــه

هو وصالح بن الرشيد وغلام أخيه يسر

وحُكى أن صالح بن الرَّشيد كان يتعشَّق يُسْرًا خادمَ أخيه أبى عيسى بن الرشيد ، وكان يُراوده عن نَفسه ، فيعده ولا يَفِى له . فأَرسـله أبو عيسى يوماً إلى أخيه فى السَّحر يقول له : يا أخى ، إنِّى قد أُشتهيت اليوم أن أصطبح ، فبحياتى لمَا ساعدتَنى وصرتَ إلىّ لنصطبح اليوم جميعاً . فسار يُسر إلى صالح وهو مُنْتَشٍ ، وقد شَرب فى السـحر ، فأبلغه الرِّســالة . فقال : نَعم وكرامةً ، اُجلس أولا. فجلس . فقال : يا غــلام ، أَحضرنى عشرة آلاف دِرهم . فأحضرها . فقال له : يا يُسر ، دَعْنى من مواعيدك ومَطْلك ، هـذه عشرة آلاف درهم فخُذها واْقض حاجتى ، وإلا فليس هاهنا إلا الغَصْب . فقال له : يا سيدى ، أنا أقضى الحاجة ولا آخذ المال . ثم فعل ما أراده وطاوعـه . فقَضى حاجته . وأمر صالحٌ بحمل العشرة الآلاف معه . ثم خرج صالحٌ من خَلوته فقال للحُسين بن الضحّاك : يا حسين ، قـد رأيتَ ما كُنّا فيه ، فإن حَضرك شىء فقُل . فقال :

أيا من طَرفُه سِحْرُ ومَن رِيقتُه خَمْرُ
تجاسرتُ فكاشفتُك لما غُلب الصَّبْرُ
وما أحسنَ فى مثلك أن يَنْهتِكَ[1] السِّتْرُ
وإن لامَنِى الناس ففى وَجهك لى عُذر
فدعنى من مواعيدك إذ حيَّنك الدَّهر
فلا والله لا أبرح أو يَنفصل[2] الأمر
فإما الغضبُ والذَّم وإما البَذل والشُّكر
فلو شئت تَيَسّرت كما سُمِّيت يا يُسْر
فكُن كاسمك لا تَمْنعُك النَّخوةُ والكِبْر
فلا فُزْتُ بحظِّى منك إن ذاع له ذِكْر

فضحك صالحُ وقال: لعمرى لقد تَيَسّر يُسر كما قلت. فقال الحُسين: نعم، ومن لا يتَيسّر بعد أخذ الدِّية! ولو أردتَنى أنا أيضاً لتيسّرتُ. فضحك ثم قال: نُعطيك يا حُسين الدِّية لحضُورك ومساعدتك، ولا نُريدك لما أردنا له يُسرا، فبئست المطية أنت!

شعره فى تهنئة الواثق بالخلافة

وذكر أنه لما ولى الواثق الخلافةَ جَلس للناس ودَخل إليه المُهنِّئون والشُّعراء، فمَدحوه وهنَّئوه، ثم أستأذن الحُسين بن الضحّاك فى الإنشاد، وكان من الجلساء فترفَّع عن الإنشاد مع الشُّعراء، فأذن له. فأنشده قصيدته التى أولها:

أكاتمُ وَجدى فما ينْكتم بمَنْ لو شكوتُ إليه رَحِمْ
وإنِّى على حُسن ظنِّى به لأَحْذر إن بُحت أن يَحْتشم
ولى عند نَظرته[3] رَوعةٌ تُحقِّق ما قاله[4] المُتَّهِم

(١) فى بعض أصول الأغانى: «ينتهك».
(٢) فى الأغانى: «فلا والله لا نبرح * أو ينقضى».
(٣) فى الأغانى: «لحظة».
(٤) فى الأغانى: «ما ظنه».

وقد عَلِم الناسُ أنِّى له مُحِبٌّ وأحسبه قد عَلِم
وإنى لَمُغْضٍ على لَوعةٍ من الشَّوق فى كَبدى تَضْطرم

يقول فى مديحه :

يَضيق الفضاء به إن غدا بطَوْدَىْ أعاريبه والعَجم
ترى النصرَ يقدُم راياتِه إذا ما خَفَقْن أمام العَلم
وفى الله دوّخ أعداءه وجرّد فيهم سيوفَ النقَم
وفى الله يَكْظم من غَيْظه وفى الله يصفَح عمّن ظَلَم
رأى شِيمةَ الُجود محمودةً وما شِيَمُ المجد[1] إلا قِسَم
فراح على « نَعَم » واغتدى كأنْ ليس يُحسن إلاّ نَعم

فأمر له الواثق بثلاثين ألف درهم ، واتصلت أيامُه معه بعد ذلك ، ولم يزل فى نُدمائه .

بينه وبين أحد جند الشام

وحَكى الُحسين بن الضحّاك قال :

كان يألفنى إنسان من جُند الشام عَجيب الخِلقة والزىّ والشكل ، غَليظ جِلْف، فكنت أحتمل ذلك له ، ويكون حظّى التعجبَ به . وكان يأتينى بكُتب من عشيقة له ما رأيت كُتباً أحلى ولا أظرف منها ، ولا أبلغ ولا أشكل من معانيها ، ويسألنى أن أُجيب عنها ، فأَجْهد نفسى فى الجوابات وأصرف عنايتى إليها ، على عِلْم بأن الشامى يجهله ، لا يُميّز بين الخطأ والصواب ، ولا يفرّق بين الابتداء والجواب . فلما طال ذلك علىّ حسدتُه وتنبّهت إلى إفساد حاله عندها . فسألته عن اسمها ، فقال : بَصْبص . فكتبتُ إليها عنه فى جواب كتابٍ منها كان جاءنى به :

(١) فى الأغانى : « الجود » .

أَرْقصنى حُبّك يا بَصْبص والحبّ يا سيّدتى يُرْقِصُ
أَرْمصْتِ أَجفانى بطُول البكا فما لأجفانك لا تَرْمَص
وا بأبى وجهك ذاك الذى كأنه من حُسنه عُصْعُص

فجاءنى بعد ذلك فقال : يا أبا على ، جعَلني الله فِداكَ ، ما كان ذنبي إليك ، وما أردت بما صنعت ؟ فقلت له : وما ذاك ؟ عافاك الله ! قال : ما هو إلا أن وصل إليها ذلك الكتاب حتى بعثتْ إلىّ : إنى مُشتاقة إليك ، والكتاب لا ينوب عن الرؤية . فتعال إلى الرَّوْشن [1] الذى بالقُرب من بابنا فقِفْ بحياله حتى أراك . فتزينتُ بأَحسن ما قدرتُ عليه وصرتُ إلى الموضع . فبينا أنا واقفٌ أنتظر مُكلِّماً لى أو مشيراً إلىّ إذا شيء قد صُب علىّ فملأنى من قَرْنى إلى قدمى ، فأفسد ثيابى وسَرْجى وصيَّرنى وجميعَ ما علىّ ودابتى فى نهاية السَّواد والنَّتْن والقَذر ، و إذا هو ماء قد خُلط ببول وسواد وسِرْجين. [2] فانصرفتُ بخزْى . وكان مامرّ بى من الصبيان وسائر من مررتُ به من الضّحك والطَّنْز [3] والصِّياح بى أغلظَ مما جَرى لى ، ولَحقنى من أهلى ومن فى مَنزلى شرٌّ من ذلك، وأوجعُ وأعظم من ذلك أن رُسُلها انقطعتْ عنى جملةً .

قال : فجعلتُ أعتذر اليه وأقول له : إن الآفة أنها لم تَعلم معنى الشِّعر لجودته وفَصاحته ، وأنا أحمد الله تعالى على ما قاله ، وأُسرُّ الشماتةَ به .

شعر له أعجب بن الأمين لما غنى به

وذكر أن محمداً الأمين غنّاه بعضُ المُغنِّين بشعر الحُسين بن الضحّاك ، وهو غائب عن مجلسه ، وهو :

أَلستَ تَرى دِيمةً تَهْطِلُ وهذا صباحُك مُسْتقبَلُ

---

(١) الروشن : النافذة .
(٢) السرجين : الزبل .
(٣) الطنز : السخرية .

وهذى العُقار وقد راعنا ... بطَلعته الشادنُ الأكحل

فعاد بنا وبه سكرةٌ ... تُهوِّن مكروهَ[(١)] ما ينزل

فإنى رأيتُ له نظرةً ... تُخبِّرنا أنه يفعل

فطرب محمدٌ وأمر بإحضار الحسين ، فحضر .

هو وغلام أبى أحمد بن الرشيد

وذكر أنه كان الحُسين بن الضحّاك يتعشّق خادماً من خَدم أبى أحمد ابن الرَّشيد ، فعمل فيه شعراً وغنّى فيه عمرو بن بانة . فغَضب الخادم وعاتب الحُسين على قول ذلك الشعر . فقال الحُسين :

فدَّيتُ مَن قال لى على خَفَرِهْ ... وغَضّ جفناً له على حَوَرِه

سمَّع بى شعرُكَ المليح فما ... ينفكّ شاديه على وَتَره

فقلتُ يامستعيرَ سالفة الخِشـ ... ـف وحُسنِ الفُتور من نَظَره

لاتُنكرنّ الحنين من طَرَبٍ ... عاود قلبى[(٢)] الصِّبا على كِبَرِه

هو وغلام جميل

وحكى أبو العَيناء قال :

وقف علينا حُسين بن الضحّاك يوماً ، ومعنا فتى جالسٌ من أولاد الموالى ، جميل الوجه ، فحدّثنا طويلاً وجعل يُقبل على الفتى بحديثه ، والفتى مُعرض عنه ، حتى طال ذلك . ثم أقبل عليه حُسين فقال :

تَتيه علينا أن رُزِقتَ ملاحةً ... فمَهْلاً علينا بعضَ تِيهك يا بَدْرُ

لقد طالما كُنَّا مِلاحاً وربما ... صَدَدْنا وتِهْنا ثم غيَّرنا الدَّهر

فقام وانصرف .

لم يرث الأمين استماعا لأبى العتاهية

وحكى الحُسين بن الضحّاك قال :

---

(١) فى الأغانى : « ما تسأل » مكان « ما ينزل » .

(٢) فى الأغانى : « فيك » مكان « قلبى » .

كنت عازماً على أن أرثى محمداً الأَمين بلسانى كُله ، وأشفى لوعتى ، فلقينى أبو العتاهية فقال لى : يا حُسين ، أنا إليك مائل ولك مُحب ، وقد علمتُ بمكانك من الأَمين ، وأنت حقيق بأن ترَثيه ، إلا أنك قد أطلقتَ لسانك فى التلهّف عليه والتوجُّع له بما صار هجاءً لغيره ، وثلباً له ، وتحريضاً عليه . وهذا المأمون مُنصبٌّ إلى العراق قد أقبل عليك ، فأبق على نَفسك . ويحك ياحسين ! أتجْسُر على أن تقول :

تركوا حريمَ أبيهمُ[1] نَفَلاً والمُحْصَناتُ صَوارخٌ هُتُفُ
هيهاتَ بعدك أن يدوم لهم عزٌّ وأن يبقى لهم شَرَف

اكفُف لسانَك ، واطْوِ ما قد انتشر عنك ، وتَلافَ ما فَرط منك . فعلمتُ أنه قد نصح لى ،فجزيتُه الخير،وقطعتُ القول .فنجوتُ برأيه ،وما كدت أن أنجو .

هو وعلى بن يحيي وقد سأله عن أمسه

وحكى علىّ بن يحيى قال :

جاءنى يوماً الحُسين بن الضحّاك ، فقلت له : أىّ شيء كان خبرك أمس ، فقال لى : أُسمعه شعراً ولا أزيدك على ذلك . فقلت : هات يا سيدى . فقال :

زائرةٌ زارت على غَفلة يا حبَّذا الزَّورةُ والزَّائرهْ
فلم أزل أخدعها ليلتى خديعةَ السّاحر للسّاحره
حتى إذا ما أذعنتْ بالرِّضا وأنعمتْ دارتْ بها الدائره
بتُّ إلى الصُّبح بها ساهراً وباتتْ الجَوزاء بى ساهره
أفعل ما شئت بها ليلتى ومِلْءُ عينى نعمةٌ ظاهره
فلمْ نَنم إلّا على تِسعة من غُلْمة بى وبها ثائره

---

(١) النفل : الغنيمة .

سَقْياً لها لا لأخى شِعْرة ... شِعْرتُه كالشّعرة الوافره
و بين رِجْليه له حَرْبةٌ ... مَشهورةٌ فى حَقْوه شاهره
وفى غدٍ تتبعها لحيةٌ ... تُلحقه بالكَرَّة الخاسره

قال : فقلت له : زنيتَ يعلم الله إن كنت صادقاً . فقال : قل أنت ما شئت .

هو و جارية تشكو

وذكر أن الحُسين بن الضحاك حَجَّ فمرّ فى مُنصرفه بموضع يُعرف بالقَريتين ، فإذا جارية تَطَّلع فى ثيابها وتنظُر فى حِرِّها وتقول : ما أضيعنى وأضيعك ! فأنشأ يقول :

مررتُ بالقَرْيتين مُنصرفاً ... من حيث يَقْضى ذوو النُّهى النُّسُكا
إذا فتاةٌ كأنها قمرٌ ... للتِّم لما توسَّط الفَلَكا
واضعةٌ كفّها على حِرِّها ... تقول وضَيْعتى وضَيْعَتكا

فلما سمعتْ قوله ضحكت وغطّت وجهها ، وقالت : وافضيحتاه ! أوقد سمعتَ ما قلتُ !

هو وشفيع خادم المتوكل

وحكى مَيمون بن هارون قال :

كان حُسين بن الضحّاك صديقاً لأبى ، فكنت ألقاه معه كثيراً ، وكانت نفْسُه قد تَتَبَّعت شفيعاً خادم المُتوكل بعد انصرافه من مجلسه ! فأنشدنا لنفسه فيه :

وأَبيض فى حُمْر الثّياب كأنه ... إذا ما بدا نِسْرينةٌ [1] فى شقائقِ
سقانى بكَفَّيه رحيقاً وسامنى ... فُسوقاً بعينيه ولستُ بفاسق
وأَقسم لولا خشيةُ الله وحدَه ... ومن لا أُسمِّى كنتُ أولَ عاشق
و إنى لَمعذورٌ على وَجَناته ... و إنْ وَسَمَتنى شَيبةٌ فى المَفارق

---

(١) النسرين : ضرب من الرياحين .

ولا عِشْقَ لى أو يُحْدِثَ الدهرُ شِرَّةً تَعود بعادات السَّواد[1] المُفارق
ولو كنتُ شكلًا للصبا لأتبعَتْه ولكن سنّى بالصّبا غيرُ لائق

له يسأل المتوكل رزق ابن له مات

وذكر أنه كان للحُسين الضحاك ٱبنٌ يُسمى محمد، له أرزاق، فمات فقُطعت أرزاقه. فقال يُخاطب المُتوكل ويسأله أن يجعل رِزق ٱبنه المُتوفى لزوجته وأولاده:

إنى أتيتُك شافعاً بولىّ عهد المُسلمينا
وشَبيهك المُعتز أو جهِ شافعٍ فى العالَمينا
يا بن الخلائف الأوّلين ويا أبا المُتأخّرينا
إن ابن عَبدك مات والْ أيام تَختَرِق القَرينا
ومَضى وخلَّف صِبيةً بعِراصه[2] مُتلدِّدينا
ومُهَيْرةً عَبْرى خِلاف أقارب مُسْتَعْبِرينا
أصبحنَ فى رَيب الحوادث يُحسنون بك الظُّنونا
قَطع الوُلاةُ جِرايةً كانُوا بها[3] مُتَمَسِّكينا
فٱمْنُن بردّ جَميع ما قَطعوه غيرَ مُراقبينا
أعطاك أفضلَ ما تُؤمِّل أفضلُ المُتفضّلينا

فأمر له المتوكل بما سأل. فقال يشكره:

يا خَير مُسْتَخلَف من آل عبَّاس اِسْلَم فليس على الأيّام من باسِ
أحييتَ من أملى نِضواً تَعاوَرَه تَعاقُبُ اليأس حتى مات باليأس

من ضربه من الخلفاء

وحكى الحُسين بن الضحَّاك قال:

---

(١) فى الأغانى: «الشباب».
(٢) المتلدد: المتحير.
(٣) فى الأغانى: «مستمسكينا».

ضَربنى الرشيدُ فى خلافته لصُحبتى ولَده ، ثم ضَربنى محمدٌ الأمين لمُمايلة أبنه عبد الله ، ثم ضَربنى المأمون لمَيلى إلى أخيه محمد ، ثم ضَربنى المُعتصم لمودّة كانت بينى وبين العبّاس بن المأمون ، ثم ضَربنى الواثق لشىء بلَغه من ذهابى إلى المتوكل ، وكُل ذلك يَجرى مَجرى الوَلع بى والتحذير لى . ثم أحضرنى المُتوكِّل يريد أن يضربنى ، وأمر شفيعاً بالوَلع بى ، فتَغاضب المتوكل علىّ . فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إن كنت تُريد أن تضربنى كما ضربنى أباؤك فاُعلم أن آخر ضَرب ضُربتُه بسببك . فضحك وقال : بل أُحسن إليك يا حُسين وأصونك وأكرمك .

وحَكى محمد بن محمد بن مَرْوان الأَبزارىّ قال :

هو فى أواخر أيامه

دخلتُ على الحُسين بن الضحاك فقلت له : كيف أنت ؟ جعلنى الله فِداءك ! فبكا ، ثم أنشأ يقول :

أصبحتُ من أُسراء الله مُحْتَبَسًا ... فى الأرض نحو قَضاء الله والقَدَر

إنّ الثمانين إذ وفّيتُ عِدّتها ... لم تُبْق باقيةً منى ولم تَذَرِ

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الحسين بن الضحاك ، هو :

ألا أيها الشادنُ الأكحلُ ... إلى كم تقُول ولا تَفعلُ

إلى كم تَجود بما لا نُريـ ... ـد منك وتَمنع ما نسأل

أبو زكار الأعمى

من قدماء المغنين

ثم ذكر أبو الفرج أبا زكار الأعمى ، وهو رجلٌ من قُدماء المُغنين ، وكان مُنقطعاً إلى آل برْمك .

فى مقتل جعفر ابن يحيى

وذكر مَسرور الكَبير قال:

لما أمرنى الرشيد بقَتل جَعفر بن يحيى دخلتُ عليه وعنده أبو زكار الأعمى الطُّنبورى يُغنِّيه :

ولا تَبْعد فكُلّ فتًى سيأتى عليه الموتُ يَطْرُق أو يغادى

فقلتُ : فى هذا والله أتيتُك . ثم أخذتُ بيده وأقمتُه وضربتُ عُنقَه . فقال أبو زكار : نَشدتُك الله إلّا ألحقتنى به . فقلتُ له : وما رغبتُك فى ذلك ؟ فقال: إنه أغنانى عمّن سواه بإحسانه ، فما أحب أن أبقى بعده . فقلت : أستأمر أميرَ المُؤمنين فى ذلك . فلما أتيتُ الرَّشيد برأس جَعفر أخبرتُه بقصة أبى زكار ، فقال : هذا رجل فيه مُصطنع ، فاضْمُمه إليك ، وانظُر ما كان جعفر يُجريه عليه فأتمِمْه له .

أخبار السّيد الحميرى

نسبه

هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن رَبيعــة الحِمْيرىّ ، المعروف بأبن مُفرِّغ . والسَّيد ، لقبٌ غَلب عليه .

شىء عن جده

ويزيد بن مُفرِّغ جـدُّه ، هو الذى كان يَهجو آلَ زِياد وينْفيهــم عن آل حرب . وحَبسه عُبيد الله بن زياد من أجل ذلك ، ثم أطلقه معاوية بن أبى سفيان. وسنذكر ذلك فى أخباره إن شاء الله تعالى .

وقال أبن عائشة :

مفرِّغ ، هو ربيعة نفســه ، لقب بذلك لأنه راهن أن يُفرِّغ عُسًّا من لَبن ، فشَربه حتى فرَّغه ، فلقِّب مُفرِّغا . وكان شَعَّاباً [1] بسيالة [2] ، ثم أنتقل إلى البصرة .

قال : ومن قال : يزيد بن ربيعة بن مُفرغ ، فقد أخطأ .

كنيته وأمه

ويكنى السيّد أبا هاشم . وأُمه أمرأة من الأَزد .

قدره فى الشعر

وكان شاعراً مَطبوعاً مُكثراً . ويقال : إن أكثر الناس شعراً فى الجاهليــة والإسلام بشّار ، وأبو العتاهية ، والسيد . فإنه لا يُعلم أن أحداً قَدر على جَمع شعر واحدٍ منهم حتى يَستوعبه كـلَّه .

هجران الناس شعره

وإنما مات شعرُه ، وهَجر الناسُ ذكره ، لإفراطه فى سبِّ أصحاب رسول الله صلّى عليه وسلم وبعض أزواجه — رضى الله عنهم ، ولَعن سابِّهم وقاذفَهم والطاعنَ عليهم — فتحامَى الرُّواة شِعره ، وهَجروه لهــذا خوفاً وتحُّوباً [3] وليس له شىء

---

(١) الشعاب : مصلح الشعب ، وهو الصدع ، يكون فى الإناء .
(٢) سيالة : أول مرحلة لإهل المدينة إذا أرادوا مكة .
(٣) التحوب : التأثم

من الشِّعر ، على كثرة تَصَرُّفه فيه وقولِه له، إلا وهو موصول بمدح أهل البيت عليهم السلام وذَمّ غيرهم من السَّلف .

أبواه

وذُكر أن أبوَى السيّد كانا إبَاضيَّيْن — والإباضيّة : فرقة من الخوارج — وكان منزلُهما بالبصرة فى غُرفة بنى ضَبَّة ، فكان يقول : طالما سُب أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى هذه الغُرفة . فإذا سُئل عن التشيُّع : من أين له ، قال : غاصت علىّ الرحمةُ غَوصاً .

مذهبه

وحكى السيّدُ أن أبويه لمّا عَلِما بمذهبه همّا بقتله ، فأتى عُقبةَ بن سَلْم الهُنائىّ فأخبره بذلك . فقال : اُلزَمْنى ولا تَقْربهما . وأعطاه منزلاً وَهبه له ، فكان فيه حتى ماتا ، فَورِثهما .

وذُكر أن السيّد كان يقول بمذهب الكَيْسانية — ومذهبُهم أنّ الإمامة صارت بعد الُحسين بن على عليهما السلام إلى أخيهما محمد بن الحنفية ، وأنه حىٌّ منتظر لا يموت ، حتى يظهر فيملأُ الأرضَ عدلاً ، كما مُلئت جوراً — وله فى ذلك شعرٌ كثير .

ورَوى بعضُ من لا تصحّ روايته أنه رجع عن مَذهبه ، وأنه لقى جَعفر بن محمد الصادق ، فقال بإمامته ، ورَجع عن مذهب الكيسانيّة ، ورووا فى ذلك أشعاراً منها :

تجعفرتُ باُسم الله والله أكْبرُ   وأيقنتُ أن الله يَعفُو ويَغْفِرُ

قال أبو الفرج :

ولم نَجد ذلك فى روايةٍ صحيحةً ولا قولَ مُحصِّل ، وإنَّ القصائد التى نُقلت عنه فى ذلك لا تُناسب فى جزالتها أشعارَه التى فيها الكيسانية .

من وصفه

وذُكر أن السيّد كان أسمر ، تامَّ القامة ، أشنب ، ذا وَفْرة ، حَسن الألفاظ ، جميل الخطاب ، إذا تحدّث فى مجلس قومٍ أعطى كُلَّ رجل فى المجلس نَصيبَه من حديثه .

وقيل : إنه كان أشدّ الناس نَـتَن إبطَـيْن ، لا يكاد أحد يقدر على الجلُوس معه لنتن رائحتهما .

رأى الأصمعى فيه

وحكى[(١)] النَّهدى قال : رأى معى الأصمعىُّ دفتراً فيه شعر السيِّد الحميرى، فقال : ما هذا ؟ فسترتُه عنه لِعلْمى بما عنــــده . فأقسم علىّ أن أُخبره ، فأخبرتُه . فقال : أَنشدنى قصيدةً منه . فأنشدتُه قصيدةً ، ثم أُخرى ، وهو يَستزيدنى . ثم قال : ما أَسلـكه لطريق الفُحول ! لولا مَذهبُه ولولا ما فى شعره ما قدّمت عليه أحداً من طبقته .

مدح السفاح فحكمه

وقيـــل : إنه لما أَفضت الخـلافةُ إلى بنى العبّاس قام السيِّد إلى السفَّاح أبى العباس ، حين نزَل من المِنبر، فقال :

دُونكمـــوهَا يابنى هاشمٍ ... فجدِّدوا من عَهدها الدَّارسَا
دُونكموها لاعلا كعبُ مَن ... كان عليكم مُلْـكَها نافِسا
دُونكموهــا فاْلبسوا تاجَهـا ... لا تَعْدَ موامنكم لهلابسا
قد ساسها قبلكمُ ساسةٌ ... لم يتركوا رَطْبا ولا يابسَا
لو خُيِّر المِنْبرُ فُرســــانَه ... ما اُختار إلّا منكمُ فارسا
فلستُ من أن تَملكوها إلى ... مَهبْط عِيسى فيـــكمُ آيسا

فسُرّ أبو العباس ، وقال : أحسنت ياإسماعيل ! سَلنى حوائجك .

أنشد جعفر بن محمد فأبكاه

وحكى بعضُهم قال :

كنت عند أبى عبد الله جَعفر بن محمد ، عليهما السلام ، إذ اُستأذن آذنه للسيد ، فأمر بإيصاله وأَقعد حُرمه خَلف سِتْر ، ودَخل ، فسلّم وجَلس. فاُستنشده ، فأنشده قوله :

اُمْرُرْ على جَدَث الحُسَيْ ... ن وقُلْ لأَعْظُمه الزَّكيّهْ

(١) فى الأغانى : « التوزى» .

يا أعظماً لا زلت من وَطْفاءَ[1] ساكبةٍ رويّه
وإذا مررتَ بقَبره فأطِلْ به وَقْف المَطيّه
وابْك المُطَهَّر للمُطَهَّر والمطهَّرة التَّقيّه
كبُكاء مُعْولة أتت يوماً لواحدها المَنيَّه

قال : فرأيتُ دموع جعفر بن محمد تَنحدر على خدَّيه ولِحْيته ، وارتفع الصُّراخ والبُكاء من داره ، حتى أمره بالإمساك ، فأمسك .

هو ورجل سأله عما يدين به

قيل :

وكان السيِّد يَدين بالرَّجعة، فجاء رجلٌ إليه ، فقال: بلغنى أنك تقول بالرَّجعة ؟ فقال : صَدق الذى أخبرك ، وهذا دِينى . قال : فتُعطينى ديناراً بمائة دينار إلى الرجعة ؟ قال السيد : نَعم ، وأكثر من ذلك إن وثَّقْتَ لى بأنك تَرجع إنساناً . قال : وأىَّ شى أرجع ؟ قال : أخشى أن ترجع كلباً أو خِنزيراً فيذهبَ مالى . فأفحمه .

شعر نسب له ولكثير

والسيِّد هو الذى يقول فى إمامة ابن الحنفيّة — ورُوى لكُثير ، عَزَّه ، وكان أيضاً كيسانيًّا — :

ألا إن الأئمة من قُريش وُلاةُ الحقّ أربعةٌ سَواء
علىٌّ والثلاثة من بَنيه هُمُ أَسباطُه والأَولياء
فأنَّى فى وصيته إليهم يكون الشكُّ منّا والمِراء
به أوصاهُم ، ودعا إليه جميعَ الخلق لو سُمع الدُّعاء
فسِبْطٌ سِبْط إيمانٍ وحِلْمٍ وسِبْطٌ غيَّبته[2] كَرْبلاء
وسبطٌ لا يَذوق الموتَ حتى يقُود الخيل يَقدُمها[3] اللِّواء

استجاد العتبى قصيدته اللامية

وحكى أنّ العُتبى قال يوما :

(١) الوطفاء : السحابة الثقيلة بما تحمل . (٢) سبط الايمان : الحسن بن على . والسبط الذى غيبته كربلاء : الحسين بن على وقد قتل بكربلاء بالعراق . (٣) هو محمد بن الحنفية .

ليس فى عصرنا هذا أحسن مذهباً فى شعره ، ولا أنقى ألفاظاً ، من السيد .
ثم قال لبعض من حضر : أنشدنا قصيدته اللامية التى أنشدتناها اليوم . فأنشده :

هل عند من أحببتَ تَنْويلُ ... أم لا فإن اللَّوم تَضليلُ
أم فى الحَشَى منك جوًى باطنٌ ... ليس تُداويه الأباطيل
عُلِّقتَ يا مَغرورُ خَداعةً ... بالوَعد منها لك تخْييل
يَشْفيك منها حين تَخْلو بها ... ضَمٌّ إلى النَّحر وتَقْبيل
وذَوْقُ رِيقٍ طيِّبٍ طعمُه ... كأنّه بالمِسك مَعْلُول
فى نِسْوةٍ مِثْل المَهَا خُرَّدٍ ... تَضيقُ عنهن الخَلاخيل
أُقسم بالله وآلائه ... والمرء عمّا قال مَسْئول
إنّ علىّ بن أَبى طالبٍ ... علىٰ التُّقَى والبِرِّ مَجْبول

فقال العتبى :
أحسن والله ما شاء ! هذا والله الشعر الذى يهجُم على القلوب بلا حجاب .

جمعه لفضائل على كرم الله وجهه وشعره فى حادثة العقاب

وذُكر أن السيد كان يأتى الأعمشَ فيكتب عنه فضائلَ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ويخرج من عنده ويقول فى تلك المعانى شعراً . فخرج ذاتَ يومٍ من عند بعض أُمراء الكوفة ، وقد حمله على فرس وخَلع عليه خِلعة ، فوقف بالكُناسة [1] ثم قال : يا معشر الكوفيين ، من جاءنى منكم بفَضيلة لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لم أقل فيها شعراً فله فرسى هذا وما علىّ . فجعلوا يُحدثونه ويُنشدهم ، حتى أتاه رجل فقال : إن أميرَ المُؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه عَزم على الرُّكوب ، فَلبس ثيابه وأراد لُبْس الخفّ ، فَلبس أحد خُفَّيه ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه ، فانقضّ عُقابٌ من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه أسودُ ، فانساب فدخل جُحْراً . فَلبِس علىٌّ رضى الله عنه الخف . ولم يكن قال السيّد فى ذلك شيئاً ، ففكّر هُنيهةً ثم قال : قد قلت :

(١) الكناسة : محلة بالكوفة .

ألا يا قَـومِ للعَجب العُجابِ　　لخفٍّ أبى الُحسين [١] وللحُبَاب
أَتى خُفًّا له فانساب فيه　　لينهش رجلَه منه بناب
فخرّ من السماء له عُقابٌ　　من العِقْبان أو شِبْهُ العُقَاب
فطار به فحلّق ثم أهوَى　　به للأرض من دون السّحاب
إلى جُحْرٍ له وانساب فيه　　بعيدِ القَعْرلم يُرْتج بباب
كريهُ الوَجه أسودُ ذو بَصيصٍ　　حديدُ الناب أزرقُ ذو لُعَاب
ودُوفِع عن أبى حسن علىٍّ　　نَقيعُ سِمامه بعد انسياب

ثم حرّك فرسه ومَضى ، وجعل تشبيبها بعد ذلك:

صبوتُ إلى سُليمى والرَّبَابِ　　وما لأَخِى المَشيب وللتَّصَابِى

مثله مما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم

قال أبو الفرج :

وقد رُوى مثل ذلك عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . رَوى ابنُ عباس قال :

كان النبىُّ صلى الله عليه وسلّم إذا أراد حاجةً تباعد حتى لا يَراه أحد، فنزَع خُفَّه فإذا عقاب قد تدلّى فرفعه ، فَسقط منه أسودُ سالخ . فكان النبىّ صلى الله عليه وسلّم يقول : اللهم إنّى أعوذ بك من شر ما يَمشى على رجلَيْن ، ومن شر ما يَمشى على أربع ، ومن شر الجن والإنس.

شعره فى تدليل رسول الله صلى الله عليه وسلم للحسن والحسين

وقيل :

سمع السيدُ الِحميرىُّ محدِّثاً يحدِّث أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ساجداً ، فركب الَحسن والُحسين عليهما السلام ظَهره ، فقال عمر رضى الله عنه : نِعْم المطىّ مطيّكما ! فقال النبى صلّى الله عليه وسلم : نعم الراكبان هما ! فانصرف السيد من فَوره فقال فى ذلك :

---

(١) الحباب : الحية .

أتى حَسناً والُحسينَ النبىُّ وقد جلسا حَجْرةً[(١)] يَلعبانِ
ففدّاهما ثم حيّاهما وكانا لديه بذاكَ الَمكانْ
فَراحَا وتحتهما عاتقاه فنِعْمَ المطيّةُ والراكبان
وَليدان أُمهما بَرّةٌ حَصَانٌ مُطهَّرة للحصَان
وشيخُهما ابن أبى طالبٍ فنِعْم الوليدان والوَالدان

عارضه سوار وهو ينشد المنصور فهجاه

وذُكر أن أبا جعفر المَنصور جلس با لجِسر الأكبر، حين عُقد له على دجلة البصرة، [(٢)]، وسوّار بن عبد الله قاضى البصرة جالس عنده، والسيّد الِحمْيرى بين يديهِ يُنشده قولَه :

إنّ الإلٰهَ الذى لا شىءَ يُشبهه أعطاكمُ الملْك للدُّنيا وللدِّينِ
أعطاكمُ اللهُ مُلكاً لازَوال لَه حتّى يُقادَ إليكم صاحبُ الصِّين
وصاحبُ الهِنْد مأخوذاً برُمَّته وصاحبُ التُّرك محبوساً على هُون

والمنصورُ يَضحك مسروراً بما ينشده. فحانت منه اُلتفاتةٌ فرأى وجه سَوّار يترَبَّد غيظاً ويَسْودّ حَنَقاً، ويدلُك إحدى يديه بالأُخرى ويتحرّق. فقال له المنصورُ : مالك ! أرابك شىء؟ فقال : نعم، هذا الرجل يُعطيك بلسانه ما ليس فى قَلبه ! والله يا أمير المؤمنين ما صَدَقك عمّا فى نفسه، إن الذين يواليهم غيرُكم. فقال له المنصور : مهلاً، هذا شاعرُنا وولّينا، وما أعرف منه إلّا الصدق والمحبّة والإخلاص فى الطاعة. فقال له السيد : يا أمير المؤمنين، ما زلتُ مشهوراً والله بمُوالاتكم فى أيام عدوكم، ولكنّ هذا وأهْلُوه أعداء الله ورسوله قديماً، والذين نادَوْا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم من وراء الُحجرات[(٣)]، فنزل فيهم القرآن (إن أكثرَهم لا يَعْقلون). وقال السيد قصيدته، التى أولها :

قِفْ بنا ياصاحِ وأربَعْ بالمَغانى الُموحشاتِ

---

(١) حجرة : ناحية.
(٢) العبارة فى الأغانى : «وهو بالجسر وهو قاعد مع جماعة على دجلة البصرة».
(٣) يعنى وفد تميم

ومنها :

يا أمين الله يا منـ ـصور يا خير الوُلاةِ
إن سوّار بن عبـد اللـ ـه من شرّ القضاةِ
نَعْثَلِىٌّ[1] جَمَلِىٌّ لكمُ غيرُ مُواتى
جَدُّه سارقُ[2] عنزٍ فَجْرةً من فَجَرات
لرسولِ الله والقا ذِفِه بالمُنْكَرات
وابنُ من كان يُنادى من وراء الحُجرات
يا هناةُ اُخرُجْ إلينا إننا أهلُ هَنات
مَدْحنا المدحُ ومَن نَرْ مِ يُصَبْ[3] بالفاقرات
فاكْفِناه[4] لا كَفاه الله شَرَّ الطارقات

فشكاه سوّار إلى المنصور ، فأمره بأن يصير إليه مُعتذراً ، فصار إليه فلم يَعْذِرْه . فقال :

أتيتُ دَعِيَّ بنى العَنْبر أروم اعتذاراً فلم يُعْذِرِ
فقلتُ لنفسى وعاتبتُها على اللُّؤم فى فِعلها أقْصرى
أيعتذر الحُرُّ مما أتى إلى رُجلٍ من بَنى العَنْبر
أبوك ابنُ سارقِ عنز النبىّ وأمك بنت أبى جَحْدر
ونحن على رَغْمك الرافضو ن لأهل الضلالة والمُنْكر

هو وسوار وقد طلب إلى شهادة عنده

وذكر أن السيد تَقدّم إلى سوّار القاضى ليشهد عنده ، وقد كان دافع المَشهودَ

---

(١) نعثلى : نسبة إلى نعثل ، يهودى من أهل المدينة . وقيل : هو رجل طويل اللحية من أهل مصر ، كان يشبه به عثمان . رضى الله عنه إذا نيل منه . وجملى : نسبة إلى وقعة الجمل .

(٢) يعنى : جده : عنزة بن نقب . وكان يقال له : سارق العنز . وكانت لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) فى الأغانى : « بالزفرات » مكان « بالفاقرات » . والفاقرات : الدواهى .

(٤) فى الأغانى : « فاكفنيه » .

له بذلك ، وقال : أَعفنى من الشّهادة عند سوّار ! وبَذل له مالاً ، فلم يُعْفِه . فلما تقدَّم إلى سوّار فشهد ، قال له : ألست المعروفَ بالسيّد ! قال: بلى . قال : أستغفر الله من ذَنب تجرّأت به على الشّهادة عندى ، قُمْ لا أرضَى بك . فقام مُغضباً من مجلسه ، وكتب إلى سوّار رُقعةً ، فيها يقول :

إنّ سوّار بن عبد اللّـه من شَرّ القُضاةِ

فلما قرأها سوّار وَثب من مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور ، وهو على الجسر ، وسَبقه السيّد إليه فأنشده :

قُل للإمام الذى يُنْجَى بطاعتــه ... يومَ القيـامة مِن بُحْبوحةِ النّـارِ
لا تَستعينَنْ جَزاكَ الله صالحــةً ... يا خـيرَ من دَبّ فى حُـكم بسوّار
لاتَستعينَنْ بواهى الرّأى[1] ذى صَلَفٍ ... جَمّ العُيوب عظيم الكِبر جَبّار
تُضْحى الخصـوم لديه من تَجبُّره ... لا يَرفعون إليه لَحْظ أبصار
تِيهاً وكِبراً ولولا ما رفعتْ له ... من ضَبعه[2] كان عينَ الجائع العارى

ودخل سوّار ، فلما رآه المَنصور تَبسم وقال : أما بلغك خبرُ إياس بن معاوية حين قَبل شهادة الفرزدق [3] واُستزاد من الشهود ، فما أحوَجك إلى التعرُّض إلى السيّد ولسانه ! ثم أمر السيدَ بمصالحته .

منع المنصور سواراً أن يحكم له أو عليه

وذُكر أن السيد بلغه أن سوّاراً القاضى قد لَفّق جماعةً يشهدون عليه بالسَّرق أن ليقطعه. فشكاه إلى المَنصور. فدعا بسوّار وقال : قد عزلتُك عن الحُـكم للسيّد أو عليه ، أو النظر فى شىء من أمره ، فلا تَعْرِض له بسُوء . فلم يَعْرِض له سوّار بشىء حتى مات .

هو وامرأة إباضية تزوجها

وحَكى إسماعيل بن الساحر قال :

(١) فى الأغانى : « لا تستعن بخبيث الرأى » . (٢) الضبع : العضد. ورفع بضبعه ، أى نوه باسمه.
(٣) يشير إلى رفق إياس فى رفض شهادة الفرزدق فلم يغن بها وطلب شهوداً . وسيأتى خبر ذلك.

خرجتُ من منزل نَصر بن مسعود ، أنا وكاتب عُقبة بن سَلم والسيد ، ونحن سكارى ! فلما كُنّا بزَهْران لقيتْنا بنتُ الفُجاءة بن عمرو بن قطرىّ بن الفجاءة ، وكانت امرأة بَرْزة حسناء فصيحةً ، فواقَفَها السيد وتَخاطب عليها ، وأنشدها شعراً من شعره بتَجْميش . فأعجب كلٌّ واحد منهما صاحبَه . ثم خَطبها ، فقالت : كيف يكون هذا ونحن على ظَهر الطريق ؟ قال : يكون كنكاح أُم خَارجة ، إن قيل لها : خِطْب . قالت : نِكْح ·فاستضحكتْ وقالت : ننظر فى هذا ، وعلى ذلك فمن أنت ؟ فقال :

إن تسألينى بقومِى تسألى رجلاً ... فى ذِرْوة العِزّ من أحياء ذى يَمَنِ
حَوْلِى بها ذو كَلَاعٍ فى مَنازلها ... وذو رُعَيْنٍ وهَمْدانٌ وذو يزَنِ
والأزْدُ أزدُ عُمَانَ الأكرمون إذا ... عُدَّت مآثرهم فى سائر[(١)] الزَّمنِ
بانت كريمتُهم عنى فدارُهمُ ... دارِى وفى الرَّحب من أوطانهم وَطَنِى
لى مَنزلان بِلَحْجٍ منزلٌ وَسَطٌ ... منها ولى منزلٌ فى العِزّ من[(٢)] عَدَنِ
ثم الوَلاء الذى أرجو النجاةَ به ... من كَبَّة النار للهادى أبى حَسَنِ

فقالت : قد عرفناك ، ولا شىء أعجبُ من ذلك : يَمانٍ وتميميّةٌ ، ورافِضىّ وإباضيّة ، فكيف يجتمعان ! فقال : بحُسن رأيك فىّ تَسخو نفسُك ، ولا يذكر أحدُنا سَلَفاً ولا مذهبا . قالت : أفليس التزويجُ إذا تجلّى انكشف معه المستور ، وظهرت خفيّات الأُمور . قال : فأنا أعرض عليك أُخرى . قالت : وما هى ؟ قال : المُتْعة[(٣)] التى لا يَعلم بها أحد . قالت : تلك أُخت الزِّنا . قال : أُعيذك بالله

(١) فى الأغانى : « سالف » .
(٢) فى الأغانى : « ولى منزل للعز فى عدن » .
(٣) المتعة : أن يتزوج الرجل امرأة على شرط بأجل معلوم ، ثم يخلى سبيلها ، من غير تزويج ولا طلاق . وكانت مباحة صدر الإسلام ثم حرمت . وهى مباحة جائزة عند الشيعة .

أن تكفرى بالقرآن بعد الإيمان ! قالت : فكيف؟ قال: قال الله تعالى: (فما اُستمتعتم به منهن فآتوهن أُجورهن فريضةً ولا جُناحَ عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) . فقالت : أستخير الله وأُقلّدك أنْ كنت صاحبَ قِياس . ففعلتْ . وانصرفتْ معه وبات مُعرِساً بها . و بلغ أمرُها أهلَها من الخوارج ، فتوعّدوها بالقتل وقالوا : تزوجتِ بكافر ! فجحدت ذلك . ولم يعلموا بالمُتعة . فكانت مدةً تختلف إليه على هذه السبيل و يُواصلها [1] حتى افترقا .

في مرضه

وحكى أبو داود و إسماعيل بن الساحر أنهما حضَرا السيّد عند وفاته بواسط ، وقد أصابه شَرًى [2] وكَرب . فجلس ثم قال : اللهم هذا كان جزائى فى حُب آل محمد ! فكأنها كانت ناراً فطُفِئتْ عنه .

المنصور وقد بلغه موته

وذُكر أن أبا جعفر المَنصور قال :

بلغنى أنّ السيد مات بواسط فلم يَدْفنوه ، والله لئن كان هذا حقًّا لأحْرقنّها .

جعفر بن محمد وقد بلغه موته

وحكى عبّاد بن صُهيب ، قال :

كنت عند جَعفر بن محمد ، وأتاه نَعى السيّد ، فدعا له . فقال له رجل : يا ابن رسول الله ، تدعو له وهو يَشرب الخمر و يُؤمن بالرّجعة ! فقال : حدّثنى أبى عن جدّى: أن مُحبِّى آل محمد لا يموتُون إلّا تائبين ، وقد تاب . ورَفع مصلًّى كان تحته ، فأخرج كتاباً من السيّد يُعرِّفه أنه قدتاب و يسأله الدُّعاء له :

موته

وقيل :

مات فى خلافة الرّشيد .

حديث تكفينه

وحَكى بَشير بن عمّار قال:

(١) فى الأغانى : « وتواصله » .
(٢) الشرى : داء يأخذ فى الجلد أحمر على هيئة الدراهم .

حضرتُ وفاة السيّد فى الرُّميلة ببغداد ، فوجّه رسولاً إلى صفّ الخرازين [١] الكوفيّين ، يُعلمهم بحاله و وفاته . فغلِط الرسولُ فذَهب إلى صفّ السنُّوسيين ، فشتموه ولعنوه . فعلم أنه قد غَلِط، فعاد إلى الكُوفيين . فوافاه سبعون رجلاً معهم سَبعون كفناً . قال : وحضَرناه جميعاً ، و إنه ليتحسّر تحسُّراً شديداً ، و إن وجهه لأسودُ وما يتكلّم ، إلى أن أفاق إفاقةً ، وفَتح عينيه و نَظر إلى ناحية القِبلة وقال : يا أمير المؤمنين ، أتفعل هذا بوليّك ! قالها ثلاث مَرّات ، مرّة بعد أُخرى . قال : فتجلّى والله فى وجهه [٢] عِرْق بَياض ، فما زال يتّسع ويَلْبس وَجْهَه حتى صار كُلَّه كالبدر . وتُوفِّى . وقمْنا فأخذنا فى جِهازه ، فدفنّاه فى الجُنينة ببغداد، وذلك فى خلافة الرشيد .

اطراح ابن واصل لبعض شعره

قلت :

وَقد ذكر أبو الفرج أشعاراً وأخباراً فيها تَعريض بالسَّلف رضى الله عنهم ، فطرحتُها تنزيهاً للكتاب عنها ، وإن كان حاكِى الكُفر ليس بكافر .

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغِناء واُفتتح به أبو الفرج أخبار السيد هو:

ما جرَتْ خَطرةٌ على القَلب منّى ... فيكِ إلّا اُستترتُ عن أَصحابى
من دُموعٍ تَجرى فإن كنتُ وحدى ... خالياً أسعدتْ دُموعى اُنتحابِى
إن حُبِّى إيّاكِ قد سَلّ جسمى ... ورمانى بالشيب قبل الشَّباب
أُرحمى اليوم هائماً بكِ [٣] صبّاً ... هائمَ القلب قد ثَوى فى التراب

(١) فى الأغانى : « الجزارين »
(٢) فى الأغانى : « فى جبينه »
(٣) فى الأغانى : « لومنحت اللقا شفى بك »

البردان

(١) ثم ذكر أبو الفرج البردان ، وهو مغنٍّ من أهل المدينـة ، ولم أختر من أخباره شيئاً .

(١) ليس هذا مكان البردان فيما هو بين أيدينا من أصول الأغانى المطبوع منها والمخطوط وظاهر من هذا وما سبق من خلاف بين التجريد وأصول الأغانى فى ترتيب التراجم ان ابن واصل كان يعتمد على أصل آخر يختلف عن هذه الأصول .

انتهى الجزء الثانى

من القسم الأول من تجريد الأغانى

ويليه الجزء الثالث من القسم الأول وأوله

أخبار عبد الله بن علقمة

فهرست أول

لتراجم الجزء الثانى

من القسم الأول من تجريد الأغانى

(١) ذكر خطأ باسم : فليح بن العوراء

فهرست تام

لتراجم الجزء الثانى

من القسم الأول من تجريد الأغانى

تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموى

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

القسم الأول — الجزء الثالث

تحقيق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبيارى

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة
١٣٧٦ - ١٩٥٧

أخبار عبد الله بن علقمة

نسبه

وهو أحد بنى عامر بن عبد مَناة بن كنانة .

هو وحبيشة

ذُكر أن عبد الله بن عَلقمه هذا خَرج مع أمِّه ، وهو إذ ذاك غلامٌ يَفَعة[1] دون المُحتلِم، لتزور جارةً لها، وكانت لها بنتٌ يقال لها: حُبيشة بنت حُبيش ،أَحدِ بنى عامر بن عبد مناة . فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبتْه ووقعت فى نفسه ، فانصرف وترك أُمَّه عند جارتها ، فلبثت عندها يومين . ثم أتاها عبدُ الله ليَرْجعها إلى منزلها ، فوجد حُبيشة قد زُيِّنت لأَمرٍ كان فى الحىّ ، فازداد بها عَجَباً ، فانصرف بأمه فى غداةٍ تُمطر ، فمشى معها وأَنشأ يقول :

وما أَدرى بَلَى إنِّى لأَدْرِى ... أَصَوْبُ القَطْرِ أحسنُ أم حُبَيْشُ

حُبَيْشةُ والذى خلق الهَدايا ... وما إنْ عندها[2] للصَّبِّ عَيْش

فسمعتْ ذلك أمُّه ، فتغافلت عنه وكَرِهت قولَه. ثم مَشَيا مليًّا ، فإذا هو بظَبْيٍ على رَبْوَةٍ من الأرض ، فقال :

يا أُمَّتا خَبِّرينى غيرَ كاذبةٍ ... ومايُريد مَسُولُ الحقِّ بالكَذِبِ

أَتِلْكَ أحسنُ أم ظَبْىٌ برابيةٍ ... لابل حُبَيْشةُ فى عينى وفى أَرَبى

فزجرتْه أمه وقالت له : ما أنت وهذا ! أنا مُزوِّجتك ابنة عمك فهى أجملُ من تلك . وأتتْ امرأة عمِّه فأخبرتْها خبرَه ، وقالت : زَيِّنى ابنتَك له . ففعلت . فأَدْخلتْها عليه . فلما رآها أطرق . فقالت له أمه : أَيُّهما الآن أحسن ؟ فقال :

---

(١) يفعة : شاب .

(٢) فى الأغانى : «وما عن بعدها» .

إذا غُيِّبتْ عــنِّى حُبيشةُ مَرةً ... من الدّهرِ لم أَمْلِك عَزاءً ولا صَبْرَا

كأنّ الحشَى حرُّ السَّعير (١) يَحُشُّه ... وَقودُالغضَى والقلبُ مُضطرمٌ... (٢)

وجعل يُراسل حبَيْشَة وتُراسله ، حتى علقتْه كما عَلقها ، وكثُر قولُه من الشعر فيها ، فمن ذلك قولُه :

حُبيشةُ هل جَدِّى وجَـدُّك جامعٌ ... بشَمْلِكمُ شَمْلِى وأهلِكمُ أَهْلِي

وهل أنا مُلتفٌّ بثوبكِ مَـرَّةً ... بصَحْراء بين الأَثْلتَيْن (٣) إلى النّخل

ومُرتشفٌ مِن رِيق ثَغْـرك مَرَّةً ... كرَاح ومِسْكٍ خالطاضَرَبَ (٤) النَّحْل

فلما بلغ خبرُهما أهلَها حَجبوها عنه مُدة ، وهو يزيد غراماً بها . فقالوا لها : عِديه السَّرْحةَ ، فإذا أتاك فقُولى : نَشدتُك الله إن كنت أحببتنى فما على الأرض شىءٌ أبغض إلىّ منك ! ونحن قريبٌ نَسمع ما تقولين . فوعدتْه ، وجلسوا قريباً يَسمعون ، وجلستْ عند السَّرحة ، وأَقبل عبدُ الله لموعدها ، فلما دنا منها دمعتْ عينُها ، والتفتت إلى حيث أهلُهــا جلوسٌ ، فعرف أنهم قريبٌ ، فرَجع . و بلغه ما أمروها به أن تقولَه ، فأنشأ يقول :

فلو قلتِ ماقالوا لزِدْتُ بكم جوًى ... على أنه لم يَبْق سِتْرٌ ولا صَبْرُ

ولم يكُ حُبّى عن نوال بذلتـه ... فيُسلِيَنى عنه التجنُّبُ (٥) والهجر

وماأَنْسَ مِ الأشياء لاأنْسَ دَمْعَها ... ونَظْرتَها حتى يُغَيِّبنى القَبْر

سرية خالد بن الوليد إلى بنى عامر

وفَتح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم على إثْر ذلك مكة ، وبَعث خالدَ بن الوليد إلى بنى عامر بن عبد مَناة بن كنانة ، قومِ عبد الله بن عَلْقمة ، وأمره أن

(١) يحشه : يوقده .

(٢) كذا فى الأصل . وفى الكلام نقص ، لعله تقديره : « جمرا » . وفى الأغانى : « والقلب مستعر » . وفى رواية أخرى : « والقلب مصفرا » . ولا يتزن بهما الشعر .

(٣) فى الأغانى : « الأليتين » . وألية : ماء لبنى سليم .

(٤) الضرب : العسل . (٥) فى الأغانى : « التجهم » .

يدْعوهم إلى الإســـلام ، فإن أجابوا و إلّا قاتلهم[١] . فَصَبحهم خالدُ بن الوليـد بالغُمَيْصاء[٢]،وقد علِموا به،فظَعنوا وخافُوه . وكانوا قتلوا أخاه الفاكه بن الوليد، وعمَّه الفاكه بن المُغيرة ، فى الجاهليّة ، وكانوا من أشد حَيٍّ فى كنانة بأساً ، وكانوا يُسمَّوْن لَعقة الدَّم . وكان مع خالد بنو سُلَيم ، وكانت سُـليم تطلبهم بمالكِ بن خالد بن صَخر بن الشَّريد ، و إخوته : كُرْز ، وعَمْرو ، والحارث ، وكانوا قتـلوهم فى مَوطن واحد . فلما صَبَحهم خالد فى ذلك اليوم ، ورأوا معه بنى سُلَيم ، زادهم ذلك نفورا. فقال لهم خالد : أَسْلموا تسلموا . فقالوا : نحن قومٌ مُسلمون . قال : فأَلْقُوا سِلاحكم وأنزِلوا . فقالوا : لا والله . فقال : جَذِيمة بن الحارث ، أحـد بنى أَقرم : يا قوم ، لا تَضعوا سلاحكم ، فوالله ما بعد وَضْع السلاح إلّا القَتْـل . قالوا : والله ما نُلقى سلاحَنا ولا ننزل ، ما نحن لك ولا لمن معك بآمنـين . قال خالد : فلا أَمان لـكم إلّا أنْ تنزلوا . فنزلت فرقةٌ منهم فأَسرهم . وتَفرّق بقيةُ القوم فِرْقتين ، فأَصْعدت فرقةٌ وسَفَلت أُخرى .

خبر ابن علقمة مع حبيشة فى مقتله

قال عبد الله بن أبى حَدْرد الأَسلمىّ : كنتُ يومئذ فى جُند خالد ، فبَعثنا فى إثر ظُعُنٍ[٣] مُصعْدةٍ يسُوق بهنّ فتيةٌ ، فقال : أَدركوا أولئك . قال : فنحن فى إثرهم حتى إذا أدركنـاهم وقد مضَوْا ، وقف لنا غلام شابٌّ على الطريق . فلما أنتهينا إليه جعل يقُاتلنا ويَرتجز و يقول :

أَرخين[٤] أطراف الذُّيـول وأَرْبعْنْ
مَشْى حَيِيّـاتٍ كأنْ لم يَفزَعْن
إن يُمْنع اليــوم نسـاء يُمْنعْن

(١) انظر التنبيه والإشراف للمسعودى (ص ٢٦٨ ليدن) ففيه ما يخالف هذا .
(٢) موضع قرب مكة . (٣) الظعن : النساء فى الهوادج ؛ الواحدة : ظعينة .
(٤) فى الأغانى : « بين » .

فقاتلناه طويلاً فقتلناه ، ومَضينا حتى لحقْنا الظُّعن . فخرج إلينا غلامٌ كأنه الأول يُقاتلنا ، ويقول :

أُقسم ما إنْ خادرٌ ذو لِبْدَهْ
يُرزم(١) بين أيكةٍ ووَهْده
بأصدقَ الغداةَ مِنِّى(٢) شَدَّه

فقاتلناه حتى قَتلناه . وأدركنا الظُّعن . وإذا فيهن غلامٌ وَضىء ، به صُفرة فى لونه كالمَنْهوك .

قلتُ :

وهذا الغلام هو عبد الله بن عَلقمة الذى جَرى له مع حُبيشة ما تقدّم ذكره .

قال عبد الله بن أبى حَدْرد :

فربطناه بحَبل وقدّمناه لنقتُله . فقال : هل لكم فى خَير ؟ قلنا : وما هو؟ قال: تُدركون بى الظُّعن أسفلَ الوادى ثم تَقتلوننى . قُلنا : نَفعل . فخرجنا حتى نعارض الظعن أسفل الوادى ، فلما كان بحيث يُسمعهن الصوتَ ، نادى بأعلى صوته : اسلمى حُبيش ، عند نفاد العَيش ! فأقبلت إليه جاريةٌ بيضاء حُسّانة وقالت : وأنت فاُسلم على كثرة الأعداء ، وشدة البلاء ! فقال : سلامٌ عليك دهراً ، وإن بقيتُ عصراً ! قالت : وأنت سلامٌ عليك عشراً ، وشَفْعاً ووتْراً ، وثلاثة تَترى !

فقال :

إن يَقْتُلونى ياحُبَيْشُ فلم يَدَعْ هَواكِ لهم منِّى سِوى غُلَّة الصَّدْرِ
فأنتِ التى أَخليتِ لحمِىَ من دَمِى وعَظْمى وأَسْبلت الدُّموع على نَحْرى

فقالت له :

---

(١) يرزم : يصيح . ومنه : الرزيم ، وهو الزئير . والذى فى الأغانى : « يزأر » .
(٢) فى الأغانى : « نجده » مكان « شده » .

ونحن بــكينا مِن فراقك مرةً ... وأُخرى وواسيناكَ فى العُسرِ واليُسْرِ
وأنتَ فلا تبعُد فنِعْم فتَى الهوى ... جميلُ العَفاف والمودّة فى(١) سِتْرِ

فقال لها :

أَرَيتَكِ إنْ طالبتُكم فوجدتُكم ... بحَرّةَ(٢) أو أدركتُكم(٣) بالخَوانِقِ
ألم يكُ حقًّا أن يُنوَّل عاشقٌ ... تكلَّفَ إدلاجَ السُّرَى(٤) والوَدائق

فقالت : بلى والله . فقال :

ولا ذنبَ لى قد قلتُ إذ نحن جيرةٌ ... أَثِيبى بُودٍّ قبل إحدَى(٥) الصَّفائق
أَثيبى بُودٍّ قبل أن تَشْحط النَّوى ... ويَنْأَى الخليطُ بالحبيب المُفارق

شعره الذى فيه الغنـاء

وهذا البيت (٦) مع بيت آخر ، وهو قوله :

فلا زِلْن حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنَها ... إلى بلد ناء قَليــل الأَصادق

هو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله بن علقمة.

تتمة خبر مقتله

قال ابن أبى حَدْرد : فضر بنا عُنقه . فتقحّمت الجاريةُ من خِدرها حتى أهوت نحوه ، فالتقمتْ فاه ، فنزعنا منها رأسَه ، وإنها لتَكْسع (٧) بنفسها حتى ماتت مكانَها . وأفلت من القوم غلامٌ من بنى أُقرم يقال له : السَّميدع ، حتى اقتحم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبره بما صنع خالد ، وشكاه .

---

(١) فى الأغانى : « فى المودة والستر » .

(٢) فى الأغانى فى نسخة الشنقيطى مصححة بخطه : « بحلية » وهى رواية شرح المواهب اللدنية (٣ : ٥) . وحلية : واد بتهامة .

(٣) الخوانق : موضع بتهامة .

(٤) الودائق : جمع وديقة ، وهى شدة الحر .

(٥) الصفائق : صوارف الخطوب وحوادثها . والرواية فى الأغانى : « البوائق » .

(٦) يريد : « ولا ذنب لى ... » .

(٧) تكسع : تضرب .

إنكار رسول الله صلى الله عليه وسلم على خالد ما فعل

فحدّث صالح بن كيسان أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال : هل أنكر عليه أحدٌ ما صنع ؟ قال : نعم ، رجل أصفرُ رَبْعةٌ ، ورجل طويل أحمر . فقال : عُمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنا والله يا رسول الله أعرفهما ، أما الأول فهو أبنى وصِفَتُه ، وأما الآخر فسالم مولى أبى حُذيفة .

وكان خالد قد أمر كُلَّ من أسر أسيراً أن يَضرب عُنقه . فأطلق عبدُ الله بن عمر ، وسالم مولى أبى حُذيفة ، أسيرين كانا معهما . فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، بعد فراغه من حُنين ، وبَعث معه بإبلٍ وورِقٍ ، وأمره أن يَدِيَهم ، فوَداهم . ثم رجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فسأله . فقال علىٌّ رضى الله عنه : قدمتُ عليهم فقلت لهم : هل لكم أن تَقبلوا هذا الجملَ بما أُصِيب منكم من القَتلى والجَرحى وتُحَلِّلوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم ؟ قالوا : نعم . فقلت لهم : فهل لكم أن تقبلوا الثانى بما دخلكم من الرَّوع والفزع ؟ قالوا : نعم . فقلت لهم : فهل لكم أن تقبلوا الثالث وتحللوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا عَلِم ومما لم يعلم ؟ قالوا : نعم . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : أفقبلوها ؟ قال : نعم . قال : فوالذى أنا عبدُه لذاك أحبُّ إلىّ من حُمْر النَّعم .

***

شىء من أخبار متيم الهشامية

ثم ذكر أبو الفرج مُتَيَّم الهشامية ، جارية علىّ بن هشام ، وهى مولّدة صفراء من مولّدات البصرة ، وبها نشأت وتأدبت وغنّت ، وأخذت عن إسحاق الموصلى ، وأبيه قبله . وكانت من أحسن الناس وجهاً وغنــاء وأدباً . وكانت تقول الشعر المُستحسن من مثلها . وحظيت عند علىّ بن هشام حُظوة شديدة وتقدّمت جواريه أجمع ، وهى أم ولده كُلّهم .

أخبار جرير

نسبه وكنيته ولقبه

هو جرير بن عطيّة بن الخطَفَى . واسمه حُذيفة بن بَدْر بن سَلمة بن عَوف بن كُليب بن يَربوع بن حَنْظلة بن مالك بن زَيد مَناة بن تَميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضر بن نزار . ويكنى أبا حَزْرة . ولُقِّب : الخطَفَى ، لقوله :

يَرْفعن للّيل إذا ما (1) أَسْدَفَا
أعناقَ جِنّانٍ وهَاماً رُجَّفا
وعَنَقاً بعد الكَلال (2) خَيْطَفَا

ويُروى : خطفى .

هو والفرزدق والأخطل

وجرير والفرزدق والأخطل هم المُقدَّمون على شُعراء الإسلام الذين لم يُدركوا الجاهلية جميعاً . واختُلف أيهم المُقدَّم . ولم يبق أحد من شُعراء عَصرهم إلّا تَعرض لهم فافتَضح وسَقط . على أن الأخطل إنما دخل بين جَرير والفرزدق وقد أسنّ ونَفِدَ أكثر عُمره . وهو وإن كان له فضلُه وتقدُّمه ، فليس نَجره من نِجَار هذين في شيء .

نسب أمه

وأم جرير : أم قيس بنتُ مُعَيد بن عُمَير بن مَسعود بن حارثة بن عوف بن كُليب ابن يَربوع . وأم عطية أبي جرير : النَّوارُ بنت يَزيد بن عبد العُزَّى بن مَسعود ابن حارثة بن عوف بن كُليب .

---

(1) أسدف : أظلم .
(2) العنق : السير المنبسط . والخيطف : سير بسرعة انجذاب .

رأى أبى عمرالشيبانى فيه وفى الفرزدق والأخطل

وكان أبو عمرو يُشبِّه جريراً بالأعشى ، والفَرزدق بزُهير ، والأخطل بالنابغة .

رأى ابن دأب فيه وفى الفرزدق

وقال ابنُ سلاّم : قال ابن دأب :

الفرزدق أشعر عامةً ، وجرير أشعر خاصّة .

رأى أبى عبيدة فى تقديمه

وقال أبو عُبيدة :

يحتجّ مَن قدَّم جريراً بأن جريراً كان أكثر هؤلاء الثلاثة فنونَ شعر ، وأسهلَهم ألفاظاً ، وأقلَّهم تكلُّفاً ، وأرقَّهم نسباً ؛ وكان ديِّناً عفيفاً .

بين ابن سلام وأعرابى فى جرير والفرزدق

وذكر محمد بن سلاّم قال :

رأيتُ إعرابيًّا من بنى أسد — ثم أحد بنى سلامة — أعجبنى ظَرفه وروايتُه ، فقلت له : أيهما عندك أشعر ؟ ـ يعنى جريراً والفرزدق ـ فقال : بيُوت الشِّعر أربعة : فخر ، ومَديح ، وهجاء ، ونَسيب ؛ وفى كُلها غَلب جرير ، قال فى الفخر :

إذا غَضبتْ عليك بنو تَميمٍ حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهمُ غِضابَا

والمديح :

ألستُم خَيرَ مَن ركب المطايا وأندَى العالَمين بُطونَ رَاحِ

والهجاء :

فغُضَّ الطَّرف إنك من نُمَيْرٍ فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلاَبا

والنسيب :

إن العيُون التى فى طَرفها[1] مَرضٌ قَتلْننا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا

بين جرير وابنه فى أشعر الناس

وحكى عِكرمة بن جَرير قال :

قلت لأبى : يا أبت ، من أشعر الناس ؟ قال : ألجاهليةَ تُريد أم الإسلام ؟ قال : قلت : خَبِّرنى عن الجاهليّه . قال : شاعر الجاهليّة زُهير . قلتُ : فالإسلام ؟ قال :

(١) فى رواية : « حور » مكان « مرض » .

نَبعة الشعراء الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد صِفة المُلوك ويُصيب نعت الخمر . قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : دَعنى فإنى نحرتُ الشِّعر نحْرا .

هو والفرزدق وقد وقف عليه بمربد البصرة

وذُكر أنه وقف الفرزدق على جرير بمِرْبد البَصرة ، وهو يُنشد قصيدته التى هجا بها الرّاعى النُّميرى ، فلما بلغ إلى قوله :

فغُضّ الطَّرف إنّك من نُمَيْرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلاَبَا

أقبل الفرزدقُ على راويته وقال : غَضَّه والله فلا يُجيبه أبداً ولا يُفلح بعدها ! فلما بلغ إلى قوله :

* بها برَصٌ بجانب [1] إسْكَتيْها *

وضع الفرزدقُ يدَه على فيه وغَطّى عَنْفقَته . [2] فقال جرير :

* كعَنفقة الفرزدق حين شابا *

فانصرف الفرزدقُ وهو يقول : اللهم أخْزه ! والله لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا ، ولكنى طمعتُ فى ألّا يأبه [3] ، فغطيتُ وجهى ، فما أغنانى ذلك شيئاً .

وفوده على يزيد ابن معاوية

وحكى جرير قال :

وفدتُ على يزيد بن مُعاوية بن أبى سفيان ، وأنا شاب ، فاُستؤذن لى عليه فى جُملة الشعراء ، فخرج الحاجبُ إلىّ وقال : يقول لك أمير المؤمنين : إنه لا يَصل إلينا شاعر لا نَعرفه ولا نسمع بشىء من شعره ، وما سمعنا لك بشىء فنأذنَ لك على بصيرة . فقلت له : تقول لأمير المؤمنين : أنا القائل :

---

(١) الإسكتان : جانبا الفرج .

(٢) العنفقة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن .

(٣) فى الأغانى : « طمعت ألا يأبه » .

وإنى لَعفُّ الفَقر مُشتَرِكُ الغِنَى سريعٌ إذا لم أَرضَ دارى اُنتقاليا
جَرىءُ الجَنان لاأُهاب من الرَّدى إذا ماجعلتُ السيفَ قَبْضَ بَنانيا
وليس لسَيْفِى فى العِظام بقيّــةٌ وللسَّيْفُ أشوى وَقعةً مِن لسانيا

فدخل الحاجبُ إليه فأنشده الأبيــات ، ثم خرج إلىّ وأذن لى . فدخلتُ وأنشدتُه وأخذتُ الجائزة مع الشعراء ، وإنها لأول جائزة أخذتُها من خليفة . وقال لى : لقد فارق أبى الدُّنيا وما يَظُن أبياتك التى توسّلت بها إلىّ إلاّ لى .

رأى حماد فيه وفى الفرزدق

وحكى حمّاد الراوية قال :

أتيتُ الفرزدق فأنشدنى ، ثم قال لى : هل أتيت الـكلب جريرا ؟ قلت : نعم . فقال : أنا أشعر أم هو ؟ فقلت : أنت فى بعض الأُمر وهو فى بعض . فقال: لم تُناصحنى . فقلتُ : هو أشعر إذا أُرخِى من خِناقه ، وأنت أشعر منه إذا رَجوت أو خِفت . فقال : وهل الشعر إلا فى الخوف والرجاء !

هو وسكينة بنت الحسين

وذُكر أنّ جريراً جاء إلى باب سُكينة بنت الحُسين بن علىّ ، عليهم السلام ، يستأذن ، فلم تأذن له ، وخرجتْ جاريةٌ لها فقالت: تقول لك سيّدتى: أنت القائل:

طرقتْك صائدةُ القُلوب وليس ذا وقتَ[1] الزيارةِ فاُرجِعى بسَلامِ

قال : نعم . قالت : هلّا أخذت بيدها فرحَّبْت بها وأدنيت مجلسَها وقلتَ لها ما يُقال لمثلها ! أنت عَفيف وفيك ضَعف . خُذ هذه الأَلفى الدِّرهم فاُلحق بأهلك .

فضلته سكينة على الفرزدق

وذُكر أن الفرزدق خَرج حاجًّا ، فلما قَضى حجَّه عدل إلى المدينة فدخل إلى سُكينة بنت الحُسين فسلّم ، فقالت له : يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ! أشعر منك الذى يقول :

بنَفسى مَنْ تَجنُّبه عَــزيزٌ علىّ ومَن زِيارتُه لِمَــامُ
ومَن أُمْسِى وأُصْبــح لا أَراه ويَطرُقنى إذا هَجَــع النِّيام

(١) فى رواية : « حين » .

فقال : والله لو أذنتِ لى لأسمعتُك أحسَن منه . قالت : أَقيموه ، فأُخرج . ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها . فقالت : يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ! صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول :

لولا الحيـــاء لعادنى أُســتعبارُ ولزُرْت قــبركِ والحبيب يُزارُ

كانت إذا هجر الضجيع فراشها كُتم الحــديثُ وعَفّت الأسرار

فقال : والله لئن أذنت لى لأسمعتك أَحسن منه . فأمرت به فأخرج . ثم عاد إليها فى اليوم الثالث ، وعندها مولّدات كأنهن التّماثيل ، فنظر الفرزدقُ إلى واحدة منهن فأُعجب بها وبُهت ينظرُ إليها . فقالت له سكينة : يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ! صاحبُك أشعر منك ، حيث يقول :

إنّ العُيون التى فى طَرفهـا حَورٌ قَتلْننـــا ثم لم يُحيـين قَتْلانَا

يَصْرعن ذا اللُّب حتى لاحَراكَ به وهُنّ أضعفُ خَلْقِ الله أرْكانا

أَتْبعتُهم مُقلةً إنســـانُها غَرِقٌ هل ما تَرَى تاركٌ للعين إنسانا

فقال : والله لو تركْتِنى لأسمعتُكِ أحسن منه . فأمرت بإخراجه . فالتفتَ إليها وقال : يا أبنة رسول الله ، إنّ لى عليك حقًّا عظيماً ، ضربتُ إليك آباطَ الإبل من مكة إرادة التّسليم عليك ، فكان جزائى من ذلك تكذيبى وطَرْدى وتَفضيل جرير علىّ ، ومَنْعك إياى أن أُنشدك شيئاً من شعرى ، وبى ما قد عِيل صَبرى منه ، وهذه المَنايا تَغدو وتَروح ، ولعلّى لا أُفارق المدينةَ حتى أموت ، فإذا مِتُّ فمُرى بى أن أُدرج فى كَفنى وأُدفن فى حِرِ هذه الجارية — يعنى التى أعجبته — فضحكت سُكينة وأمرت له بالجارية . فخرج بها آخـــذاً برَيْطتها[1] . وأمرت الجوارىَ فدَفَعْن فى أَقْفيتهما . ونادَتْه : يا فرزدق ، أحتفظْ بها وأحسن صحبتها فإنى آثرتُك بها على نفسى .

---

(١) الريطة : الملاءة .

شعره الذى فيه الغناء

وهذه الأبيات النُّونية هى التى فيها الغناء ، وأُفتتح بها أبو الفرج أخبار جرير .
ومن هذه القصيدة :

بان الخليطُ ولو طُووعتُ ما[1] بانا ... وقطَّعوا من حِبال الوصل[2] أقْرانا
حَيِّ المنازلَ إذ لا نَبتغى[3] بَدلاً ... بالدَّار داراً وبالجيران جيرانا
قد كنت فى أثر[4] الأظعان ذا طَربٍ ... مُروَّعاً من حِذار البَين مَحزانا

خبر وفوده على عمر بن عبد العزيز

وذُكر أنه لمَّا ولى الخلافةَ عمرُ بن عبد العزيز رضى الله عنه ، جاءه الشُّعراء فجعلوا لا يَصلون إليه . فجاء عَوْن بن عبد الله بن عُتبة بن مَسعود ، وعليه عِمامةٌ قد أَرخى طرَفيها ، فدخل ، فصاح به جرير :

يأيُّها القارئ[5] المُرْخِى عِمامَته ... هذا زمانُك إنِّى قد مضَى زَمنِى
أبلغْ خليفتَنا إن كنتَ لاقيَه ... أنِّى لدَى الباب كالمَصْفود فى قَرَن

فدخل على عُمر فاُستأذن له ، فأَدخله عليه ، وقد كان هيأ له شعراً ، فلما دَخل عليه غيَّره وقال :

إنَّا لنَرجو إذا ما الغيثُ أَخلفنا ... مِن الخليفةِ ما نَرجو من المَطرِ
نال الخلافةَ إذ كانت له قَدَراً ... كما أتَى ربَّه موسى على قَدَر
أأذكُر الجَهْدَ والبَلْوَى التى نزلتْ ... أمْ أَكتفى[6] بالذى بُلِّغتَ من خَبرى
ما زِلْتُ بعدكَ فى دارٍ[7] تَعرَّقُنى ... قد طال بعدكَ إصْعادِى ومُنْحدرى
لا يَنفع الحاضرُ المَجهودُ بادِيَنا ... ولا يَجود لنا بادٍ على حَضَر

(١) فى رواية : « بان الأخلاء ما ودعت من » .
(٢) فى رواية : « أركانا » مكان : « أقرانا » .
(٣) فى رواية : أصبحت « لا أبتغى من بعدهم » .
(٤) فى رواية : « وصرت مذ ودع » . (٥) فى الديوان : « يأيها الرجل » .
(٦) فى رواية : « أم تكتفى » .
(٧) تعرقنى ، أى تسلبنى ما عندى وتستصفيه .

كم بالمواسمِ من شَعْثَاء أَرْمَـلةٍ ومن يَتيمٍ ضَعيفِ الصوتِ والبَصر
يدعوكَ دعوةَ مَلْهوف كأنّ به خَبْلاً من الجنّ أو مسًّا من النُّشَر[1]
ممّن يَعُدُّك تَكْفِي فقْد والدِه كالفَرْخ فى العُشّ لم يَنْهَض ولم يَطِر

فبكى عُمر رضى الله عنه وقال: يا بن الخَطَفى، أمن أبناء المُهاجرين أنت فنعرفَ لك حقَّهم، أم من أبناء الأنصار فيَجبَ لك ما يجب لهم، أم من فُقراء المُسلمين فنأمرَ صاحب صدقات قَومك فيَصِلَك بمثل ما يَصلُ به قومَك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء، وإنى لمن أكثر قومِى مالاً، وأحسنهم حالا، ولكنى أسألك ما عوّدنيه الخلفاء: أربعة آلاف درهم وما يَتبعها من كُسوة وحُملان. فقال له عُمر: كل أمرىء يَلْقى فعلَه، وما أرى لك فى مال الله من حق، ولكن أنتظر يخرج عطائى، فأنظرُ ما يكفى عيالى سنةً منه فأدّخره لهم، ثم إن فضل فَضْلٌ صَرفناه إليك. فقال جرير: لا، بل يُوفَّر أميرُ المؤمنين ويُحْمَد، وأخرجُ راضياً. قال: فذلك أحبُّ إلىّ. فخَرَج. فلما ولَّى، قال عمر: إنّ شَرّ هذا ليُتَّقى! رُدُّوه إلىّ. فردُّوه. فقال: إن عندى أربعين ديناراً وخِلْعتين، إذا غُسلت إحداهما لبستُ الأُخرى، وأنا مُقاسِمك ذلك؛ على أن الله عزّ وجل يعلم أن عُمرَ أحوجُ إلى ذلك منك. فقال: قد وفَّرك الله يا أمير المؤمنين، وأنا والله راضٍ. فقال: أمّا وقد حلفتَ فإنّ ما وفَّرته علىّ ولم تُضيِّق به معيشتنا آثرُ فى نفسى من المَدح، فامض مُصاحَباً. فخرج. فقال له أصحابُه، وفيهم الفرزدقُ: ما صنَع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزْرة؟ قال: خرجتُ من عند رجل يقرِّب الفُقراء ويُباعد الشعراء، وأنا على ذلك عنه راضٍ. ثم وَضع رِجْله فى غَرْز ناقته وأتى قومَه. فقالوا له: ما صنع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزرة؟ فقال:

(١) النشر: جمع نشرة، وهى الرقية.

تركتُ لكم بالشأم حَبْلَ جماعةٍ أمينَ القُوَى مُستَحصِدَ[1] العَقْدِ باقيا
وجدتُ رُقَى الشَّيطانِ لا تَستفِزُّه وقد كان شَيطانى من الجِنّ راقيا

رؤيا أمه وهى حامل به

وحدّث أبو عبيدة قال:

رأتْ أمُّ جرير، وهى حامل، كأنها ولدت حَبلاً من شَعَر أسود، فلما سقط منها جَعل يَنزُو فيقع فى عُنُق هذا فيَخْنُقه، ويقع فى عُنق هذا فيخنُقه، حتى فعل ذلك برجالٍ كثير. فانتبهتْ فزعةً، فأَولت الرُّؤْيا، فقيل لها: تَلدين غُلاماً شاعراً ذا شرّ وشدّةٍ شَكيمة وبلاء على الناس. فلما ولدته سمَّتْه جريراً، بأسم الحبل الذى رأتْ أنه خَرج منها.

والجرير: الحبل.

بينه وبين رجل سأله من أشعر الناس

وحكى بلالُ بن جرير أن رجلاً قال لجرير: من أشعر الناس؟ فقال: قُم حتى أعرّفك الجوابَ. فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطيّة، وقد أخذ عَنْزا له فاعتقلها، وجَعل يَمُصّ ضَرْعها، فصاح به: أُخرج يا أبتِ. فخرج شيخٌ دَميمٌ رثّ الهيئة، وقد سال لبنُ العَنْز على لحيته. فقال: أترى هذا؟ قال: نعم. قال: أو تعرفه؟ قال: لا. قال: هذا أبى. أفتدرى لم كان يَشرب من ضَرع العَنز؟ قال: لا. قال: مخافةَ أن يُسمع صوتُ الحلب فيُطلب منه لَبن. ثم قال: أشعرُ الناس مَن فاخر بمثل هذا الأبِ ثمانين شاعراً وقارَعهم به فغلبهم جميعاً.

عيره الفرزدق ميلاده لسبع

وقيل:

إن جريراً وُلد لسبعة أشهر، فكان الفرزدق يُعيِّره ذلك، وفيه يقول:

* وأنت ابنُ صُغْرى لم تَتِمَّ شُهورُها *

هو وأخواه

وكان له أخوان: عمرو، وأبو الورد. فأمّا أبو الورد فكان يحسُد جريراً، فذهبت لجرير إبلٌ فَشَمِت به أبو الورد، فقال له جرير:

(١) مستحصد: مستحكم.

أبا الوَرد أبقى الله منها بقيةً   كفتْ كُلَّ لَوَّام خَذُولٍ وحاسِدِ

وأما عمرو فكان أكبر من جرير، وكان يُقارضه الشعر، فقال له جرير:

وعَمرو قد كرهتُ عتابَ عمرٍو   وقد كثُر المَعاتِبُ والذُّنوبُ

وقد صَدَّعتُ صَخرةَ مَن رَماكم   وقد يُرْمَى بىَ الحجر الصَّلِيب

وقد قَطع الحديدَ فلا تُمارُوا   فِرِنْدٌ لا يُفَلُّ ولا يَذُوب

هجاؤه بنى الهجيم

وذُكر أن الفرزدق أتى مجلس بنى الُهجَيم فأنشدهم، و بلغ ذلك جريراً فأتاهم الغدَ ليُنشدهم، كما أنشدهم الفرزدق. فقال له شيخ منهم: يا هذا، اُتّقِ الله، فإن هذا المسجد إنما بُنِىَ لذكر الله والصلاة! فقال جرير: أقررتُم للفرزدق ومَنعتُمونى! وخَرج مُغضباً وهو يقول:

إنّ الُهجيم قبيلةٌ ملعونةٌ   حُصُّ اللِّحَى[1] متشابِهُو الألْوانِ

هم يتركون بَنيِهمُ و بناتِهم   صُعْرَ الأُنوف لريح كُلِّ دُخان

لو يَسمعون بأكلة أو شربةٍ   بعُمانَ أصبح جَمْعُهم بعُمَان

وخفة اللحى فى بنى الُهجيم ظاهرة. وقيل لرجل منهم: ما بالكم يا بنى الُهجيم حُصّ اللحى؟ فقال: إنّ الفحل واحد.

هو والأخطل فى حضرة عبد الملك

وذُكر أنه وقف جرير على باب عبد الملك بن مَروان، والأخطل داخلٌ عنده، وقد كانا تَهاجيا ولم يَرَ أحد منهما صاحبَه، فلما استأذنوا عليه لجرير، أُذن له. فدخل فسلَّم ولم يجلس، فعرفه الأخطلُ، فطَمَح طَرْفُ جرير إلى الأخطل، وقد رآه ينظُر إليه نظراً شديداً،[2] فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذى منعتُ نومَك، وتهضَّمت قومَك. فقال له جرير: ذاك أشقَى لك كائناً من كنتَ. ثم أقبل على عبد الملك بن

(١) حص اللحى: قليل شعرها.

(٢) فى الأصل: «شزرا».

مروان فقال : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ جعلنى الله فداك ! فضحك ثم قال : هذا الأخطلُ ، يا أبا حَزْرة . فردّ إليه بصرَه ، ثم قال : فلا حيّاكَ الله يا بن النَّصرانية ! أمّا مَنْعك نَوْمى ، فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك ! وأما تهضُّمك قومى ، فكيف تهضَّمهم وأنت ممن ضُربت عليهم الذِّلّةُ ، وباء بغضب من الله ، وأدّى الجزية عن يدٍ وهو صاغر . وكيف تهضَّم ـ لا أمّ لك ـ قوماً فيهم النبوّة والخلافة ، وأنت لهم عبدٌ مأمورٌ محكومٌ عليه لا حاكم ! ثم أقبل على عبد الملك فقال : أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى ابن النصرانية . فقال : ليس يجوز ذلك فى مجلسى .

وفوده مع ابن الحجاج على عبد الملك

وحُكى أن الحجاج بن يوسف أوفد ابنَه محمد بن الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، وأوفد معه جريراً وأوصاه به ، وأمره بمسألة عبد الملك فى الاستماع منه ومعاونته عليه . فلمّا وردا استأذن له محمد على عبد الملك . فلم يأذن له . وكان لا يستمع من شُعراء مُضر ولا يأذن لهم ، لأنهم كانوا زُبيريّة الهوى . فلما استأذن له محمد على عبد الملك فلم يأذن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله فى أمره ويقول له : إنه لم يكن ممّن مالأ ابنَ الزُّبير ولا نَصره بيده ولا لسانه . وقال له محمد: يا أمير المؤمنين، إن العرب تتحدّث أنّ عبدك وسيفَك الحجاج شفَع فى شاعر قد لاذ به وجعله وسيلتَه ، ثم رددتَه . فأذن له . فدَخل عليه . فاستأذن فى الإنشاد . فقال له : وما عساك أن تقول فينا بعد قَولك فى الحجّاج ؟ ألست القائل :

مَن سَدّ مُطّلَعَ النِّفاق عليكمُ أم من يَصُول كصولة الحجّاجِ

إن الله لم ينصرنى بالحجاج ، وإنما نصر دينه وخليفته ! أوَلستَ القائل :

أَم مَن يَغار على النِّساء حَفيظةً إذ لا يَثقْن بصَوْلة[1] الأزواج

يا عاضّ كذا وكذا من أمه ! والله لهممتُ أن أطير بك طَيْرةً بطيئاً سقُوطها،

---

(١) فى الأغانى : « بغيرة » .

أُخرُج عنِّى! فخرَج بشرِّ . فلما كان بعـد ثلاثٍ شفَع إليه محمد بن الحجاج وقال : يا أمير المؤمنين ، إنما أديتُ رسالة عبدِك الحجّاج وشفاعَته فى جرير ، فلما أذنتَ له خاطبتَه بما أطار لُبّه وغَضَّ منه وأشمت به عدوَّه ، ولو لم تأذن له لـكان خيراً له ، فإن رأيتَ أن تَهَب كُلَّ ذنب له لعبدك الحجّاج ولِى فافعل . فأَذِن له . فاستأذنه فى الإنشاد . فقال : لا تُنشدنى إلا فى الحجّاج ، فإنما أنت للحجاج خاصّة . فسأله أن يُنشده مديحَه فيه . فأَبى وأقسم ألاّ يُنشده إلا من قوله فى الحجّاج . فأنشده ، وخرَج بغير جائزة . فلما أَزِف الرحيلُ ، قال جرير لمحمـد : إن دخلتُ على أمير المؤمنين ولم يَسمع منِّى ولم آخُذ له جائزةً سقطتُ آخرَ الدَّهر ، ولستُ بارحاً بابَه أو يأذنَ لى فى إنشاده . فأمسك عبد الملك عن الإذن له.فقال جرير لمحمد : أرحل أنت وأُقيم أنا . فدخل محمد على عبد الملك فأخبره بقول جرير ، واستأذنه وسأله أن يسمع منه ، وقَبّل يده ورجلَه . فأَذن له . فدخل فاستأذن فى الإنشاد . فأمسك عبدُ الملك عن الإذن . فقال له محمد : أَنشـــد وَيْحك ! فأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

ألستُم خيرَ مَن رَكب المَطايا وأَندى العالَمِين بطُونَ رَاحِ

فتبسّم عبد الملك وقال : كذلك نحن ، وما زلنا كذلك ؛ ثم اعتمد على ابن الزُّبير فقال :

دعوتَ المُلْحدين أبا خُبَيْبٍ جِماحاً هل شُفِيت من الجِمَاحِ
وقد وجدوا الخليفةَ هِبرزِياًّ أَلفَّ العِيصِ[1] ليس من النَّواحى
وما شجراتُ عِيصك فى قُرَيش بعشّاتِ الفرُوعِ[2] ولا ضَواحى

ثم أنشده إياها . ثم ذكر زوجته فيها فقال :

(١) الهبرزى : الخالص . وألف : ملتف . والعيص : الأصل ، والشجرة أيضاً . يريد أنه من وسط العز لا من أطرافه .

(٢) عشات : جمع عشة ، وهى الشجرة الدقيقة القضبان اللئيمة المنبت . والضواحى : جمع ضاحية ، وهى البادية العيدان لا ورق لها .

تعزّت أم حَزْرة ثم قالت رأيتُ المُوردين ذوى لِقَاحِ

تُعلِّل وهى ساغبةٌ بَنيها بأنفاسٍ[١] من الشَّبِمِ القَراح

ثِقِى بالله ليس له شَريكٌ ومِن عنـد الخليفةِ بالنَّجاح

فقال له عبد الملك : هل تُرْوِيها مائةُ لِقْحة ؟ قال : إن لم يُروِها ذلك فلا أرواها الله ! فهل إليها — جعلنى الله فداك — من سبيل ؟ فأمر له بمائة لِقحة وثمانية من الرِّعاء . وكان بين يديه جاماتٌ من ذَهب . فقال له جرير : يا أمير المؤمنين ، تأمر لى بواحدةٍ منهن تكون مِحْلَباً ؟ فضحك ودَحا[٢] إليه واحدة منهن بالقَضيب وقال : خُذْها لا نَفعك الله بها . فأَخذها وقال : بلى والله يا أمير المؤمنين ، لينفعنِّى الله بكُل ما مَنَحتنيه . وخَرج من عنده .

من مدحه يزيد ابن عبد الملك

وذَكر ذلك جرير فى شعره ، فقال يمدح يزيد بن عبد الملك :

أعطَوْا هُنَيدةَ[٣] يَحْدُوها ثمانيةٌ ما فى عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

خبر تفضيل سراقة البارق الفرزدق عليه

وذُكر أن مُحمد بن عُمير بن عطارد بن حاجب بنُ زرارة بذل أربعة آلاف درهم وفرساً لمن فضّل من الشُّعراء الفرزدق على جرير ، فلم يُقدم عليه أحد منهم إلا سُراقة البارقىّ ، فإنه قال يُفضِّل الفرزدق :

أَبلِغ تميماً غثَّها وسَمينَها والحُكم يَقصد مرةً ويَجُورُ

أنّ الفرزدق برّزت أعراقُه سَبقاً وخُلِّف فى الغُبار جرير

ذَهب الفرزدقُ بالقصائد[٤] والعُلَى وابنِ المَراغةِ مُخَلَّفٌ مَحْسور

هذا قضاء البارقىّ وإننى بالمَيْلِ فى ميزانهم لبَصِير

---

(١) الأنفاس : جمع نفس ، وهو جرعة الماء .

(٢) فى ديوانه المخطوط : « وندس » . والندس : الطعن الخفيف .

(٣) هنيدة : اسم للمائة من الإبل وغيرها .

(٤) فى رواية : « بالفضائل » .

شعره فى هجاء البارق

وقيل :

أتى رسولُ بِشر بن مروان بكتابٍ فيه هذه الأبيات إلى جرير ، وقال : قد أمرنى الأميرُ أن أُوصلَه إليك ولا أبرح حتى تُجيب عن الشعْر فى يومك ، إن لقيتُك نهارا، أو ليلَتك إن لقيتُك ليلاً. وأخرج له كتاب بشر ، وقد نسخ له القصيدة ، وأمره أن يُجيب عنها . فأخذها جرير ومكث ليلته يجتهد أن يقول شيئاً، فلا يمكنه . فهتف به صاحبُه من الجنّ من زاوية البيت ، فقال له : أزعمت أنك تقول الشعر ! ما هو إلّا أن غِبْتُ عنك ليلة حتى لم تُحسن أن تقول شيئاً ، فهلاّ قلت :

يا بِشْرُ حَقّ لوجهك التبْشيرُ ... هَلاّ غضبتَ [1] لنا وأنت أميرُ

فقال جرير : حسبك ! كُفيتُك ! وسمع قائلاً يقول لآخر : قد أنار الصُّبح . فقال جرير :

يا صاحبىّ هل الصباح مُنير ... أم هل للَوْمِ عواذلى [2] تَقْصيرُ

ومن هذه القصيدة :

بِشرٌ أبو مروان إن عاسرتَه ... عَسِرٌ وعند يساره مَيْسورُ

إن الكريمة ينصر الكَرمَ ابنُها ... وابنُ اللئيمة للئام نَصُور

قد كان حقّك أن تقول لبارقٍ ... يا آل بارقَ فِيمَ سُبَّ جرير

يُعْطَى النِّساء مُهورَهنّ كَرامةً ... ونِساء بارقَ ما لهنّ مُهور

فأخذها الرسولُ ومضى بها إلى بشر ، فقُرِئت بالعراق، وأُفْحم سُراقة فلم يَنْطق بعدها بشىء من مُناقضته .

رثاؤه ابنه سوادة

وذُكر أن جريراً تُوفى ولدُه بالشام ، واسمه سَوَادة ، فقال يرثيه :

(١) فى رواية : « قضيت » .

(٢) فى رواية : « تقتير » مكان « تقصير » .

قالوا نصيبَك من أجرٍ فقلتُ لهم كيف العزاءُ وقد فارقتُ أشبالى
فارقْتنى حين كفّ الدهرُ من بَصَرى وحين صِرْتُ كعظم الرِّمة البالى
أمسى[1] سوادةُ يجْلُو مُقْلَتَىْ لَحِمٍ بازٍ يُصرصر فوق المَربأ العالى
إنّ الثَّوِيّ[2] بذى الزّيتون فاحتَسِبى قد أسرع اليومَ فى عقْلى وفى حالى
إلاّ تكُنْ لكَ بالدَّيْرَيْن باكيةٌ فرُبَّ باكيةٍ بالغَوْر[3] مِعْوال
كأُم بوٍّ عَجُولٍ عند مَعْهده حنَّت إلى جَلَدٍ منه وأوْصال
حتى إذا عرفتْ أن لا حياةَ به ردّت هَمَاهِمَ[4] حرَّى الجوفِ مِثْكال

هجاؤه الفرزدق

وقيل :

كان بين الفرزدق وجرير أهاجٍ ومُناقضات كثيرة، فمما قاله جرير فى الفرزدق، وقد أعان عليه البُعيثُ :

تمنّى رجالٌ من تميم لِىَ الرَّدَى وماذاد عن أحسابهم ذائدٌ مِثْلِى
كأنهم لا يَعلمون مواطِنى وقد عَلِموا أنِّى أنا السابقُ المُبْلِى
فلو شاء قومى كان حِلْمِىَ فيهمُ وكان على جُهّال أعدائهم جَهْلى
وقد زَعموا أنّ الفرزدق حيّةٌ وما قَتَل الحيّاتِ من أحدٍ قَبْلى

هجاؤه الأخطل

وهجا الأخطلُ التَّغْلبىّ جريراً بقوله فيه يُفضّل عليه الفرزدق :

أخسأ إليكَ كُليبُ إنّ مُجاشعاً وأبا الفوارس نَهْشَلاً أخَوانِ
وإذا ورَدْتَ الماء كان لدارمٍ جُمّاتُه وسُهولةُ[5] الأعطان
وإذا قَذَفْتَ أباكَ فى مِيزانهم رَجَحوا وشال أبوكَ فى الميزان

فأجابه جرير بقوله يُعيّره فيه بقَتل كُليب وائل بناقة :

(١) فى رواية : « أودى » . (٢) الثوى : المقيم .
(٣) فى رواية : « بالرمل » . (٤) الهماهم : جمع همهمة .
(٥) الجمات : جمع جمة، وهى مجتمع الماء . والأعطان : جمع عطن، وهو مناخ الإبل حول وردها .

يا ذا العَبَاءة إنّ بِشْراً قد قَضَى ... ألاّ تجُوز حكومةُ النَّشْوانِ

فدعُوا الحكومةَ لستُمُ من أهلها ... إنّ الحكُومة فى بَنى شَيْبان

قتلوا كُلَيْبكُمُ بلقْحة جارِهم ... ياخُزْرَ تَغْلِبَ لستُمُ بهِجَان

رثاؤه الفرزدق

وذُكر أنه نُعى الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله، وجرير عنده، فقال:

مات الفرزدقُ بعد ما جدَّعتهُ ... ليت الفرزدقَ كان عاش قليلاَ

فقال له المُهاجر: بئس لعَمْرُ الله ما قلتَ فى ابن عمك! أتَهجو ميِّتاً! أمَا والله لو رثيتَه لكنت أكرمَ العرب وأشعرَها. فقال: إن رأى الأمير أن يكتُمها علىّ فإنها سوءة. ثم قال من وقته:

فلا وضعتْ بعد الفرزدق حاملٌ ... ولا ذاتُ بَعْلٍ من نِفَاسٍ تَعلَّتِ

هو الوافدُ المَيمونُ والراتقُ الثَّأَى[1] ... إذا النعلُ يوماً بالعَشيرة زَلَّت

ثم بكى وقال: أمَا والله إنّى لأعلم أنى قليلُ البقاء، ولقد كان نجمُنا واحداً، وكان كُل واحد منّا مشغولاً بصاحبه، وقلما مات ضدٌّ إلا تبعه صاحبُه، فكان كذلك، مات بعد سنة.

(١) الثأى: الفساد.

أخبار جميل

نسبه

هو جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظَبيان بن قيس بن جَزء بن رَبيعة ابن حَرَام بن ضِنَّة بن عَبْد بن كَثير بن عُذْرة بن سعد — وهو هُذَيم ، سُمى بذلك إضافةً لاسمه إلى عبدٍ لأبيه يقال له : هُذيم ، وكان يحضُنه فغلب عليه — ابن زيد بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة . واختلف فى قضاعة ، فقيل : هو ابن معدّ بن عدنان . وقيل : هو ابن مالك بن مُرة بن زيد بن مالك بن حِمْير بن سبأ بن يشجُب بن يَعْرب بن قحطان . وهو الأصح .

شعره فى نسبه إلى معد

وقد ذكر جميل نَسبه إلى معدّ فقال :

أنا جميلٌ فى السَّنامِ من مَعَدّْ فى الأُسرة الحَصْداء(1) والعِيص الأشدّْ

راجز ينسبه إلى حمير

وقال راجز من قُضاعة ينسُبهم إلى حمير :

قضاعةُ الأثْرَوْن خيرُ مَعْشرِ قُضاعةُ بنُ مالك بن حِمْيرِ
النَّسب المعروف غيرُ المُنكرِ

منزلته فى الشعر

وجميل شاعر فصيح مقدَّم ، جامع للشعر والرواية . وكان راوية هُدبة بن خَشْرم ، وكان هُدبة شاعراً راويةً للحُطيئة ، وكان الحُطيئة شاعراً راوية لزُهير وابنه كعب .

أحب بثينة

وكان جميل يَهوى بُثينة بنت حَبأ بن ثعلبة بن الهَوذ بن عمرو بن الأحبِّ بن حُنّ بن ربيعة . تَلتقى هى وجميل فى « حُن بن ربيعة » فى النَّسب .

لكثير فيه

وذكر أن كُثيِّراً الخُزاعى كان راويةَ جميل ، وكان يقدِّمه على نفسه ويَتَّخذه إماماً ، وإذا سُئل عنه قال : وهل علَّم اللهُ عزّ وجلّ ما تَسمعون إلا منه !

---

(1) الحصداء : القوية .

هو وكثير

وكان لكُثيِّر حظٌّ فى النَّسيب وافر ، وجميل مُقدَّم عليه وعلى أصحاب النَّسيب فى النَّسيب . وكان جميلٌ صادق الصَّبابة والعِشْق ، ولم يكن كُثيِّر بعاشقٍ ، ولكنّه كان يتقوَّل .

أول حبه بثينة

وذُكر أن أول ماعلق جميلٌ بُثينة أنه أقبل يوماً بإبله حتى أوردها وادياً يقال له: بَغيض . فاضطجع وأرسل إبله مُصْعِدةً ، وأهلُه[1] بذَنب الوادى . فأقبلت بُثينةُ وجارةٌ لها واردتَيْن الماء ، فمرّتا على فِصَال له بُروكٍ فنفرتْهن[2] ، وهى إذ ذاك جُويريةٌ صغيرة ، فسبّها جميل ، فافترَتْ عليه ، فمَلُح إليه سِبابُها ، فقال :

وأولُ ما قاد المــودةَ بيننا ... بِوادِى بَغيضٍ يا بُثَين سِبابُ

وقلت لها قولاً فجاءت بمثـله ... لـكُل كلامٍ يا بُثَيْنَ جَواب

وذُكر أنّ جميل بن مَعمر خَرج فى يوم عيـد والنساء إذ ذاك يَتزيَّنَّ ويَبْدو بعضهُن لبعض، ويَبْدون للرِّجال فى كُل عيد . وإن جميلاً وقف على بُثينة وأُختها أم الجُسير فى نساء من بنى الأحبّ . فرأى منهنّ منظراً فأعجبه ، وعَشق بُثينة ، وقَعد معهن . ثم راح ، وقد كان معه فِتْيان من بنى الأحب ، فعـلم أن القوم قد عَرفوا فى نَظره حُبّ بُثينة ، ووجدوا عليه . فراح وهو يقول :

عَجِل الفِراقُ ولَيْته لم يَعْجـل ... وجَرَتْ بوادرُ دَمْعـك المُتهـلِّلِ

طَرَباً وشاقكَ ما لقيتَ ولم تَخَفْ ... بَيْنَ الحبيبِ غداةَ بُرقةِ مِجْول

وعرفتَ أنك حين رُحْتَ ولم يكن ... بعدُ اليقينُ وليس ذاك بمُشْـكِل

لن تَستطيع إلى بُثينة رَجْعةً ... بعد التفرُّق دون عامٍ مُقْبل

وقيل : لما أُخبرت بثينةُ أن جميلاً قد نَسب بها، حلفت بالله لايأتيها على خلاء إلّا خرجتْ إليه ولا تَتوارى منه . فكان يأتيها عند غَفلات الرِّجال فيتحدث

(١) فى الأغانى : « وأهل بثينة » .

(٢) فى الأغانى : « فعرمتهن » أى أصابتهن بشر .

إليها ومع أخواتها ، حتى نُمى إلى رجالها أنه يتحدّث إليها إذا خلا منهم . وكانوا غُيُراً ، فرَصدوه بجماعةٍ نحوٍ من بِضعةَ عشرَ رجلاً ، وجاء على الصَّهباء ناقتِه حتى وقف على بُثينةَ وأُم الجُسير ، وهما يُحدّثانه وهو يُنشدهما :

حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنًى ... هُوِيَّ القطا يَجْتزْنَ بطنَ[1] دَفِينِ

لقد ظنّ هذا القلبُ أن ليس لاقياً ... سُلَيمى ولا أُمَّ الجُسيرِ لحين

فليت رجالاً فيكِ قد نَذرُوا دَمِى ... وهَمُّوا بقَتْلى يا بُثينَ لَقُونى

إذا ما رأونى طالعاً من ثَنِيَّةٍ ... يقولون مَن هـذا وقد عرَفونى

يقولون لى أهلاً وسهلاً ومرحباً ... ولو ظفروا بى ساعةً قتلونى

وكيف ولا تُوفى دماؤُهمُ دَمِى ... ولا مالُهم ذو كَثْرةٍ فَيدُونى

لِىَ اللهُ من لا ينفع الودُّ عنده ... ومَن حَبْله إن مُدّ غيرُ متين

ومَنْ هو ذو لونَيْن ليس بدائم ... على العهد خَوّان لكُلّ أَمين

المهاجاة بينه وبين ابن قطبة

فكان هذا أول سبب المُهاجاة بين جَميل و بين عُبيد الله بن قُطْبة ، ابن عَمّ بُثينة لَحًّا . ومرّ به الذين أُرصدوا ليأخذوه فى مَضيق ، ولما مرّ بهم وثبوا ، فرماهم بناقته ، فتعلّق أحدُهم بشَليلها[2] ، فنَهضت وانقطع الشَّليل ، فقال جميل فى ذلك :

[3] إذا رَصدوها مَرصداً جاهرتهُمُ ... برا كبها حتى تُخَلَّى سبيلُها

تَئج أجيجَ الرِّيح لما تحسّرتْ ... مَناكبُها وابتُزّ عنها شَليلها

هو ونبيه و بثينة

وذُكر أن جميلاً خَطب بُثينة ، وكان نُبيه ابن عمّها قد سَبق إلى خُطبتها ، فوعده أبوها ولم يَعقد له نكاحا ، لأنها كرهتْه ، وكان قبيحاً ذمياً ، فى إحدى عينيه

(١) دفين : موضع . ولم تورد نسخ الأغانى غير الأبيات الثلاثة الأولى .

(٢) الشليل : الكساء الذى تحت الرحل . وفى الخبر إطالة ليست فى نسخ الأغانى .

(٣) رواية الأغانى : « إذا جمع الإثنان جمعا رميتهم * بأركانها » .

نُكتة بَياض قبيحة ، فخرج جميلٌ وأبنا عمّه : مَسعدة ، ورَوق ، وخرج معهما نُبيه إلى الصَّيد ، فمر بهم رجلٌ من خُزاعة كان شديداً يتعاطى الصِّراع ، فقال له نُبيه : هل لك فى مُصارعتى ؟ قال : ذلك إليك . فاتّخذا[1] . فصرعه الُخزاعى وجلس على صَدره . فضحك جميلٌ وصاحباه من ذلك . فقام نُبيه إلى الُخزاعى فقال له : عاوِدْنى . فقال : لا أفعل . فتعلّق به . فقال له جميل : ماذا تُريد من الرجل ؟ طالبته بالصراع فصرعك ، والمعاودةُ إليه إن أرادها ، و إلا فلا سبيل لك عليه . قال : أفتصارعنى يا جميل ؟ قال : وما تريد بذلك ! قال : أُحبه وأشتهيه . قال : فوالله مالك فيه خيرٌ ، فإن أحببته على ذلك فهلُمّ . فاتّخذا . فصرعه جميل . ثم سأله المُعاودة فصَرعه ثانية . ثم سأله المُعاودة ثالثة فصَرعه . وضرط نُبيه من تحته ، ثم قام فانصرف إلى الحى مُغضباً . وأقام القومُ على صيدهم . فسأله فتيان العَشيرة عن سبب رُجوعه ، فقال : دعانى جميل إلى الصراع فكرهتُ ذلك ، ثم ألحّ علىّ فصارعته فصَرعته ، فوثب علىّ أبنا عمّه فنحّيانى عنه وألقياه على صدرى ، فرجعتُ مغضبا . فقالوا له : ما كان يَنبغى لك أن تُصارع أبن عمك وهو نازل حَيّك ، و إذ قد جرى هذا فلا ينبغى لك أن تُفيض فى ذكره ولا تُعيده . فقالت بُثينةُ : كذب والله نُبيه ! لو صَرع جميلاً لا غُم وجهه ، ولكنّ جميلاً صرعه فغضب ، فانصرف . وتضاحكت به هى ونساء الحىّ . وعاد جميل وصاحباه فتحدّثوا بالحديث على جهته . وألح نُبيه منذ يومئذ فى تزوج بُثينة ، وبَذل لهم مالاً عظيما ، وكان كثير المال ، فتزوّجها ودخل بها على كُره منها . ففى ذلك يقول جميل :

أعاذل قد أكثرتِ جهلاً من الجهل ... على غير شىء من مَلامِى ومن عَذلِى
كأنك لا تَدْرين ما حال ذى الهَوى ... ولم تَعرفى فى الناس ذا صَبْوة قَبلى
فلو تركت عَقْلى معى ما طلبتُها ... ولكن طِلابيها لِمَا فات من عَقْلى
بُثينة قالت يا جَميل وسَوّدت ... مَجال القَذى منها بُثينة بالكحل

(١) الاتخاذ فى القتال : أن يأخذ بعضهم بعضا ، افتعال من الأخذ ، وأصله : الائتخاذ ، بهمزتين إلا أنه أدغم بعد تليين الهمزة و إبدال التاء .

أتصرم حَبلى يا جميـلُ وقادنى ... إليك الهوى قَوْد الجنيبة[١] بالحبل
فيا ربِّ ما وقَّيتَ شيئاً فَوَقِّها ... حُتُوفَ الرَّدى يارب واجمع بها شملى
و يارب إن تَهلك بثينةُ لا أَعِشْ ... فُواقا[٢] ولا أفرح بمال ولا أهل
فلستُ على بَذل الصَّفاء هويتَها ... ولـكن سَبَتْنى بالدَّلال مع البُخل
وقيل التمسْ بالنأى للحُب سلْوةً ... ولم أَلْفِ طُول النأى عن حبها يُسلى
فأنتِ حديثُ النَّفس إن كنتُ خالياً ... وجُلُّ حديثى أنتِ فى الجدِّ والهزل
لها مُقلتا أدماء تَقْرو[٣] خَميلةً ... وجيدٌ كجيد الشادن الرَّشأ الطِّفل
مُهَفْهفة الأعلى كأن إزارهـا ... يُلاث على قُور دَميثٍ[٤] من الرَّمل
لقد أنكحوا حرْبِى نُبيهاً ظعينةً ... أسيلةَ[٥] مَجْرى الدَّمع ذاتَ شوًى عَبْل
فلا تَقْتُليني يا بُثين فلم أُصب ... من الأمر ما فيه يحلُّ لـكم قتْلى
فأَصبحتُ منها فى الهوى ذا علاقةٍ ... كعارٍ غريبٍ مُوثَق لُزَّ فى كَبْل
فيا ربّ لا تجعل بُثينةَ شقْوةً ... علىّ ولا تجعل بهجرانها قَتْلى

حيلته لرؤية بثينة بعدز واجها

وذُكر أن بُثينة لما تزوّجت نُبيها أسِف جميل وجَزع جزعاً شديدا، فقطع زيارةَ بُثينة وهجرها. فطالت المدةُ فى هجره إياها، ثم قال لَمسعدة ورَوق، ابنى عمه، وكانا له صفيَّيْن: قد طال هجرى بثينة وتجلُّدى على بعدها، و إن ذلك لقاضٍ علىّ، أو دافعى إلى أن أرى منها ما يُسخن عَينى. فقالا له: فأَبق على نفسك إن كنت لا تُطيق السُّلو عنها، واصبر على بعض ما تكره، وأَلِمْ بها إلمامةً فلعلّك تَستريح إليها. فأَجمع على ذلك ومَضى معهما، فلقى جاريةً لها حَبشيّة فلم يُكلِّمها ولا أَعلمها أنه قَصد بُثينة، ولـكنه جلس مع ابنى عمّه مستظلاًّ بشجرة، ومَطاياهم

(١) الجنيبة: الدابة تقاد. (٢) الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت. ولم يذكر فيما بين أيدينا من نسخ الأغانى إلا القليل من هذه الأبيات. (٣) تقرو، أى تألف.
(٤) القور: الآكام. والدميث: اللين السهل.
(٥) فى الأغانى: «لطيفة طى الكشح ذات شوى خدل».

معقولة كأنهم يُريدون أن يُريحوا . فبادرتْهم الأمةُ إلى بُثينة فأعلمتها . فجاءت هى وأم الُحسين ، وليلى ، وأُم منظور ، فلما رأينه سلَّمن عليه وعلى صاحبيه . وجلس إليهن . فقالت له أم منظور : أين كنت بعدنا وأين كانت غيبتك؟ لقد طال شوقُنا إليك . فقال : اغتربتُ عنكن فى أهلى وافترقنا ، فرأيت التباعدعمَّا حَدث أَجمل. فبكت بثينةُ وقالت : لكنّا والله ما تباعدنا منك ولا زادتْنا الليالى إلا شوقاً إليك وتجديداً لمودتك . وتحدّثا بقية يومهما وليلَتهما وتشاكيا حتى أصبحا . وقال جميل فى ذلك :

ألا طال كِتمانى بُثينةَ حاجةً … من الحاج ما تَدْرى بُثينةُ ماهِيَا

أخاف إذا أنبأتُها أن تُضِيعَها … فتتركها ثِقلاً علىّ كما هِيا

أغرَّكِ أنى لابخيلٌ عليكمُ … ولا مُفْحِشٌ فيما لديك التَّقاضيا

ذكرتُك بالدَّيرين يوماً فأشرفت … بَناتُ الهوَى حتى بلغنَ التَّراقيا

وذكر أبو الفرج فى هذا الشعر أبياتاً كان نسبها من قبل إلى المجنون ، منها

* وخبَّرْتُمانى أنّ تيماء منزل *

هوو بثينة ببرقة ذى ضال

وذُكر أنه وعد جميلٌ بُثينةَ بُرْقةَ ذى ضال ، فتحادثا ليلاً طويلاً حتى أسحرا، ثم قال لها : هل لكِ أن ترقدى ؟ قالت : ما شئتَ ، وأنا خائفةٌ أن نكون قد أصبحنا . فوسَّدها جانبه ، ثم اضطجعا فنامت . وانسل واستوى على راحلته فذهب . وأصبحت فى مضجعها . فلم يرُعِ الحىَّ إلّا بها راقدةٌ عند مُناخ راحلة جميل. ولما انتبهت بُثينةُ علمت ما أراده جميل بها . فهجرتْه وآلت ألاّ تظهر له . فقال جميل :

فمن يَكُ فى حُبِّى بُثينةَ يَمْتِرى … فبُرْقة ذى ضالٍ علىّ شهيدُ

وقال أيضاً :

ألاَ هَل إلى إلمامةٍ أَنْ أُلِمَّها … بُثينةُ يوماً فى الحياةِ سَبِيلُ

فإنْ هى قالتْ لا سبيلَ فقُلْ لها … عَناءٌ على العُذْرىّ منكِ طَوِيل

على حين يسلو الناسُ عن طَلَبَ الصِّبا ... ويَنْسى أُتِّباعَ الوصلِ كُلُّ[(١)] خليل

شكاه أهل بثينة فلامه أهله وشعره فى ذلك

وقيل :

شكى زوجُ بُثينة إلى أبيها وأخيها إلمامَ جميل بها ، فوجَّهوا إلى جميل وأعذروا إليه وشكوه إلى عشيرته وتوعّدوه . وأتاهم فلامه أهلُه وعنَّفوه وقالوا : إنّا[(٢)] نَستحلف إليهم ونتبرّأ منك ومن جَريرتك . فأقام مُدَّةً لا يُلِم بها . ثم لَقِيَ ابنى عمّه رَوْقاً ومَسعودا ، فشكا إليهما ما به ، وأنشدهما قولَه :

زُورَا بُثينةَ والحبيبُ مَزُورُ ... إنّ الزِّيارةَ للحَبيب[(٣)] يَسيرُ

إنِّى عشيةَ رُحتُ وهى حَزينةٌ ... تَشْكو إلىَّ صَبابةً لصَبُور

وتقول بِتْ عندى فديتُك ليلةً ... أشْكو إليكَ فإن ذاكَ يَسير

غرّاء مِبْسامٌ كأنّ حَديثَها ... دُرٌّ تَحدَّرَ نَظْمُه مَنْثُور

مَحْطوطةُ[(٤)] المَتْنين مُضْمَرة الحَشى ... رَيَّا الرَّوادف خَلْقُها مَمْكور

لا حُسْنُها حُسنٌ ولا كدَلالها ... دَلٌّ ولا كوَقارها تَوْقير

إن اللِّسان بذكرها لمُوَكَّل ... والقَلب صادٍ والنَّواظر[(٥)] صُور

ولئن جَزَيْتِ الوُدَّ منِّى مثلَه ... إنِّى بذلك يا بُثَيْن جَدير

فقال له رَوق : إنك لعاجزٌ ضعيف فى استكانتك لهذه المرأة وتركك الاستبدالَ بها ، مع كثرة النساء ووجود مَن هو أجمل منها ، و إنك منها بين فُجور أرفعك عنه ، أو ذُلّ لا أحبّه لك ، أو كمَدٍ يؤدِّيك إلى التَّلف ، أو مُخاطرة بنفسك لقومها إنْ تعرَّضت لها بعد إعذارهم إليك ؛ و إن صرفتَ نفسك عنها ، وغَلبت هَواكَ فيها ، وتجرَّعت مَرارة الحَزْم حتى تألفها وتَصْبِر نفسك عليها[(٦)] ، طائعةً أو

(١) فى الأغانى : « منه » مكان : « كل » . (٢) فى الأغانى : « استخلص إليهم » .
(٣) فى الأغانى : « للمحب » . (٤) محطوطة : ممدودة .
(٥) صور : مائلات . والرواية فى الأغانى : « والخواطر صور » .
(٦) فى الأصل : « بنفسك عنها » .

كارهة ، ألفتَ ذلكَ وسلوت . فبكى جميل وقال : يا أخى ، لو ملكتُ اختيارى لكان ما قُلتَ صواباً ، ولكنى لا أملك الاختيار ، ولا أنا إلا كالأسير لا يَملك لنفسه نَفعا ، ولقد جئتك لأمرٍ أسألك ألاّ تُكدِّر ما رجوته عندك فيه بلَوْم ، وأن تَحْمِل على نفسك فى مُساعدتى . فقال له : فإن كنتَ لا بدَّ مُهْلِكاً نفسَك فاعمل على زيارتها ليلاً ، فإنها تخرج مع بنات عمِّها إلى ملعب لهنّ ، فأجىء معك حينئذ سرًّا ، ولى أخ من رَهط بُثينة من بنى الأحبّ ، نأوى عنده نهاراً ، وأسأله مساعدتك على هذا ، فتقيم عنده أياما نهارك ، وتجتمع معها بالليل إلى أن تقضى أربك . فشكره . ومضى روق إلى الرجل الذى من رهط بُثينة فأخبره الخبرَ ، واستعهده كتمانَه وسأله مساعدتَه فيه . فقال له : لقد جئتَنى بإحدى العظائم ، ويحك ! إنّ فى هذا مُعاداتى الحىّ جميعاً إن فُطِن به . فقال : أنا أتحرّز فى أمره من أن يَظْهر . فوعده بذلك . ومَضى إلى جميل فأخبره بالقصّة . فأتيا الرجلَ ليلاً فأقاما عنده ، وأرسل إلى بُثينةَ بوليدة له بخاتَم جَميل ، فدَفعته إليها . فلما رأتْه عرفتْه ، وتبعتْها ، فجاءته فتحدّثا ليلتَهما ، وأقام بموضعه ثلاثة أيام ، ثم ودّعها وقال لها : عن غير قِلًى والله ولا مَلَل كان وَداعى إياكِ ، ولكنى قد تذمَّمتُ من هذا الرجل وتعريضه نفسَه لقومه ، وقد أقمتُ عنده ثلاثاً ولا مزيدَ على ذلك ، ثم انصرف ، وقال فى رَوق ابن عمه ومَلامه إياه :

لقد لامنى فيها أخٌ ذو قَرابةٍ ... حبيبٌ إليه فى مَلامته رُشْدِى

وقال أَفِقْ حتى مَتى أنت هائمٌ ... ببَثْنةَ فيها قد تُعيد وقد تُبْدِى

فقلت له فيما قَضى الله ما تَرى ... علىّ وهل فيما قَضى الله من رَدِّ

فإن يَكُ رُشْداً حُبُّها أو غَوايةً ... فقد جئتُه ما كان منّى على عَمْد

لقد لَجّ ميثاقٌ من الله بيننا ... وليس لمن لم يُوفِ لله من عَهْد

فلا وأبيك[1] الخيرِ ما خُنتُ عهدَها ولا لىَ عِلْمٌ بالذى فعلتْ بعدى
وما زادهـا الواشُون إلاّ كرامةً علىّ ولا زالتْ مودّتُها عندى
أفى الناسِ أمثالى أحبُّوا[2] فحُبُّهم كحُبِّىَ أم أحببتُ من بينهم وَحْدى
وهل هكذا يَلْقى المُحبُّون مثل ما لَقيتُ بهـا أم لم يجد أحدٌ وجْدى
إذا ما دنتْ زِدْتُ اشتياقاً وإن نأت جَزعتُ لنأى الدّار منهـا وللبُعْد[3]
أبى القلبُ إلاّ حُبَّ بَثنـة لم يُرد سواها وحُبُّ القَلب بَثْنةَ لا يُجدى
سَلِى الرَّكْب هل عُجْنا لمغناكِ مَرةً صُدورَ المَطايا وهى مُوقرةٌ تَخْدِى
وهل فاضتِ العينُ الشَّرُوقُ بمائها مِن أجلكِ حتى أخضلَ من دَمعها بُرْدى
وإنّى لأَسْتَجْرِى لكِ الطيرَ جاهداً لتَجرى بيُمْنٍ من لقائكِ أو سَعد
فهل تَجْزِيَنّى أمُّ عمرو بوُدِّها فإنّ الذى أُخْفى بها فوقَ ما أبدِى
وكلُّ مُحبٍّ لم يَزد فوق جَهده وقد زِدْتُها فى الحبّ منّى على الجَهْد

جاء بثينة متنكراً فى زى راع

وذُكر أن جميلاً جاء إلى بُثينة، وقد أخذ لباسَ راعٍ لبعض الحىّ، فوجد عندها ضِيفاناً لها، فانتبذ ناحية. فسألته: من أنت؟ فقال: مسكين مُكاتَبٌ[4]. فجلس وحدَه، فعشّت ضِيفانها وعشته وحدَه. ثم جلست هى وجاريةٌ على صِلائهما. واضطجع القومُ مُنتحين. فقال جميل:

هل البائس المَقرورُ دانٍ فمُصْطَلٍ من النار أو مُعْطًى لِحافاً فلابسُ

فقالت لجاريتها: صوت جميل والله! اذهبى فانظُرى. فرجعت إليها فقالت: هو والله جميل! فشهقت شهقةً سمعها القومُ، فأقبلوا يَهرعون إليها، وقالوا: مالكِ؟ فطرحتْ بُرداً لها من حِبَرة فى النار، وقالت: احترق بُردى. فرجع القومُ.

(١) فى الأغانى: «وأبيها». (٢) فى الأغانى: «أحبوا فحالهم».
(٣) لم يرد هذا البيت ولا الأبيات التى بعده فيما بين أيدينا من نسخ الأغانى.
(٤) المكاتب: العبد يكاتبه سيده على مال يدفعه منجماً، فإن أداه أصبح حراً.

وأرسلت جاريتها إلى جميل ، فأتتها به . فحبسته عندها ثلاث ليالٍ ، ثم سلّم عليها وخرج .

واعدته بثينة ومنعها أهلها فقال شعراً

وذُكر أن بُثينة واعدت جَميلاً للالتقاء فى بعض المَواضع، فأتى لوعدها . وجاء أعرابىّ يَستضيف القوم فأنزلوه وقَرَوْه . فقال لهم : إنى قد رأيت فى بطن هذا الوادى ثلاثة نفرٍ متفرِّقين متوارين فى الشَّجر ، وأنا خائف عليكم أن يَسلّوا بعض إبلكم . فعرفوا أنه جميل وصاحباه ، فحرسوا بثينة ومَنعوها من الوفاء بوعده . فلما أسفر له الصُّبح اُنصرف كئيباً سيىء الظن بها ، ورجع إلى أهله . فجعل نساء الحىّ يُقَرِّعنه بذلك ويقُلن له : إنما حَصلت منها على الباطل والكذب والغَدر ، وغيرها أولى بوصلك منها ، كما أن غيرك يَحْظَى بها . فقال:

أبثينَ إنك قد مَلكتِ فأَسْجحى … وخُذِى بحظِّك من كَريمٍ واصلِ
فلرُبَّ عارضةٍ علينا وصلَها … بالجِدِّ تَخلطُه بقول الهازلِ
فأجبتُها بالقول بعد تستُّرٍ … حُبِّى بُثينةَ عن وصالِك شاغلى
لو كان فى قلبى كقَدر قُلامةٍ … فضلاً وصلتك أو أتتك رسائلى
ويقُلْن إنك قد رَضيتَ بباطلٍ … منها فهل لكَ فى اُجتناب الباطل
ولباطلٌ ممّن أُحبُّ حديثَه … أشهَى إلىّ من البغيض الباذل
(1) لِيَزِلْن عنكِ هواى ثم يَصلْننى … فإذا هويتُ فما هواىَ بزائل
صادتْ فؤادى يا بُثينُ حِبالُكم … يوم الحَجُون وأخطأتْك حَبائلى
مَنّيتِنى فلويتِ ما منّيتِنى … وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجل
وتثاقلتْ لما رأت كَلَفى بها … أَحْبِبْ إلىّ بذاك مِن مُتثاقل
وأطعتِ فىّ عواذلاً فهجرتِنى … وعَصيتُ فيكِ وقد جَهدْنَ عواذلى
حاولْنَنى لأَبُتَّ حَبلَ وِصالكم … منِّى ولستُ وإن جَهدْن بفاعل

(1) لم يرد هذا البيت وما بعده فيما بين أيدينا من نسخ الأغانى .

فرددتُهن وقد سَعيْن بهجركم ... لمّا سعَيْن له بأفْوقَ (١) ناصِل

فعَضَضْن من غيظٍ علىّ أناملاً ... فودِدْتُ لو يَعْضَضن صُمّ جَنادل

ويقُلن إنك يا بُثَين بخيلةٌ ... نَفْسى فداؤكِ من ضَنين باخل

وله فى تأخرها عنه

وقال جميل ، فى وعد بثينة إياه بالتّلاقى وتأخّرها عنه ، قصيدةً أولها :

يا صاح عن بعض المَلامة أقْصِرِ ... إنّ المُنَى لِلقاء أمّ المِسْوَرِ

وكأنّ طارقَها على عَلَل الكَرَى ... والنّجمُ وَهْناً قد دنا لتَغَوُّر

يستافُ (٢) رِيحَ مُدامةٍ مَعْلولةٍ ... بذَكِىّ مِسكٍ أو سَحيق العَنْبر

ومنها :

إنّى لأحفظُ سرّكم ويسرُّنى ... لو تَعلمين (٣) بصالحٍ أن تَذكُرى

ويكون يومٌ لا أرى لكِ مُرْسَلاً ... أو نَلتقى فيه علىّ كأشْهُر

يا ليتنى ألقَى المنيّةَ بَغتةً ... إن كان يومُ لقائكم لم يُقْدَر

أو أستطيع تجلُّداً عن ذكركم ... فيُفيقَ بعضُ صَبابتى (٤) وتفكّرى

ومنها :

لو قد تُجِنُّ كما أُجِنُّ مِنَ الهوَى ... لعَذَرْتَ أو لظلمتَ إن لم تَعْذِر

والله ما للقلب من عِلمٍ بها ... غيرُ الظُّنون وغيرُ قَول المُخبر

لا تَحسبى أنّى هجرتُكِ طائعاً ... حَدَثٌ لعمرُكِ رائعٌ أن تُهْجَرى

يهواكِ ما عشتُ الفؤادُ فإنْ أمُتْ ... يَتْبَع صَداى صداكِ بين الأَقْبُر

إنّى إليكِ بما وعدتِ لناظرٌ ... نظرَ الفقيرِ إلى الغنىّ المُكْثِر

يَعِدُ الديونَ وليس يُنجزُ موعداً ... هذا الغريمُ لنا وليس بمُعْسِر

---

(١) الأفوق : السهم الذى به ميل فى فوقه ، وهو حيث يقع الوتر . والناصل : الذى لا نصل له .

(٢) يستاف : يشم . (٣) فى الأغانى : « إذ تذكرين » .

(٤) فى تزيين الأسواق (ص ٤٦) : « فأفيق بعد » .

ما أنتِ والوعدَ الذى تَعِدِينَني إلاّ كبَرق سحابةٍ لم تُمْطر
قلبى نَصحتُ له فرَدّ نَصيحتى فَتَى أَسُمْهُ هَجْر بَثْنة(1) يُنْكر

وله فيها

وقال أيضاً فى ذلك قصيدةً منها :

ألا ليت رَيعان الشباب جَديدُ ودهراً تولّى يا بُثَين يَعُودُ
فنَغْنَى كما كُنّا جميعاً وأنتمُ قريبٌ وإذ ما تبذُلين زَهِيد
ألا ليت شِعرى هل أبيتَنّ ليلةً بوادِى القُرَى إنى إذاً لسَعِيد
وهل أَلقَيَنْ فَرْداً بُثينةَ مرّةً تَجُود لنا من وُدِّهـا ونَجُود
عَلَقتُ الهوى منها وليداً فلم يزل إلى اليوم يَنْمِى حُبُّها ويَزيد
وأفنيتُ عُمرى بانتظارىَ وَعْدَها وأبليت فيها(2) الدهرَ وهو جَديد
فلا أنا مَردودٌ بما جئتُ طالبا ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيد

ومنها أبيات تقدّم ذكرها ، وبعضُ ما ذكرناه تقدّم أيضاً ، وإنما ذكرته لاتصاله بما لم أذكره .

بينه وبينها

وذُكر أن جميلاً لقى بُثينةَ بعد تَهاجُر بينهما طالتْ مُدته ، فتعاتبا طويلاً ، فقالت له : ويحك يا جميل ! أتزعم أنك تَهوانى وأنت الذى تقول :

رَمى الله فى عَينَىْ بُثينةَ بالقَذَى وفى الغُرّ من أنيابها بالقَوادح

فأطرق طويلاً يبكى ، ثم قال : بل أنا القائل :

ألا ليتنى أعمى أصمُّ تَقُودنى بُثينةُ لا يَخْفى علىّ كلامُها

فقالت : ما حَملك على هذه المُنى ؟ أوليس فى سَعة العافية ما كفانا جميعاً !

هما وأبواها

وذُكر أنه سعت أَمةٌ لبُثينةَ بها إلى أخيها وأبيها وأخبرتهما أن جميلاً عندها

---

(1) فى الأغانى : « فتى هجرتيه فنه تكثرى » .
(2) فى الأصل : « وأبلت بذاك » .

الليلةَ . فأتياها مُشتملَين على سَيفين ، فرأيا جميلاً جالساً حَجْرة [١] منها تُحدثه ويشكو إليها بَثَّه ، ثم قال لها : يا بُثينة ، أرأيت وُدِّى إياكِ وشَغفى بك ! ألا تَجزينيه ؟ قالت : بماذا ؟ قال : بما يكون بين المُتحابِّين . فقالت : يا جميل ، أهذا تَبغى ؟ والله لقد كنتَ عندى بعيداً منه ، ولئن عاودت تَعريضاً بريبةٍ لا رأيتُ وجهك أبداً ! فضحك ثم قال : والله ما قلتُ هذا إلا لأعلم ما عندكِ فيه ، ولو أجبتنِى إليه لعلمتُ أنك تُحبين غيرى ، ولو رأيت منك مُساعدةً عليه لضربتُك بسيفى هذا ما استمسك قائمُه فى يدى ، وإن أطاعتْنى نفسى لهجرتُك هِجرةَ الأبد ، أوَ مَا سمعت قولى :

وإنِّى لأرضى من بُثينة بالذى لو اُستيقن [٢] الواشى لقرَّت بَلابلُه
بلاَ وبأنْ لا أستطيعَ وبالمُنَى وبالأَمل المرجوِّ قد خاب آمله
وبالنَّظرةِ العَجْلَى وبالحَوْل ينقضى أواخـرُه لا نَلتقى وأَوائله

فقال أبوها لأخيها : قُم بنا ، فما يَنبغى لنا بعد اليوم أن نَمنع هذا الرَّجل من لقائها . فانصرفا وتركاهما .

أعجب يوم له مع بثينة

وذُكر أنه اجتمع جميلٌ مع جماعة من رَهطه ذاتَ يوم يتحدّثون ، فقال له بعضهم : بالله حدّثنا عن أَعجب يومٍ لك مع بُثينة . قال : نعم ، مُنعتُ من لقائى مدةً وتعرّضتُ لها جَهدى، فلم أصل إليها، فبينا أنا ذاتَ ليلة جالسٌ فى خَمَر [٣] من شجرات بالقُرب من حَيِّها ، وقد أقمتُ فيها ثلاثاً أنتظرها ، فإذا بشخص قد أَقبل إلىّ فجلستُ ، وانتضيتُ سَيفى ، فلم أَلبث أن غَشينى الشخص . فإذا هى بُثينة قد أَكبّتْ علىّ فالتزمتْنى ، فأَدهشنى ذلك وبَقيتُ مُتحيِّراً لا أستطيع أن أُحير جواباً

(١) حجرة : ناحية .
(٢) فى الأغانى : « لو ابصره » .
(٣) الخمر : ما سترك من شجر .

إليها ولا أُراجعها كلمةً ، حتى برَق الصُّبح وما أستطعت أن أُكلمها . قالوا : فهل قلتَ فى ذلك شيئاً ؟ فأنشدهم قولَه :

أهاجك أم لا بالتَّناضُبِ[1] مَرْبعُ ... ورسْمٌ بأجراع الغَديرَيْن َبلْقَعُ
ديارٌ لليلَى[2] إذ نَحُلُّ بها معاً ... و إذ نحن منها فى المودَّة نَطْمع
فيا ربِّ حبِّبنى إليها وأَعطِى الـ ... مودة منها أنتَ تُعطى وتَمْنع
و إلا فصبِّرنى و إن كنتُ كارهاً ... فإنِّى بها ياذا المَعارج مُولَع
فإن تكُ قَدْ شَطَّت نَواهاوقد نأت ... فإن النَّوى مما تُشِتُّ وتَجمع
جَزِعتُ غداةَ[3] البَيْنِ لما تَحمَّلوا ... وما كان مثلى إثْر مَن بان يَجزع
وفى مِثْل ما جرَّبت منذُ عَلِقتَها ... قنعتَ به يا قلبُ لو كنت تَقْنع
تمتعت منها يومَ بانوا بنَظرةٍ ... وهل عاشقٌ من نَظرة يتمتع
فإن يَكُ طُول الحب ياقلب نافِعِى ... فقد طالما أحْبَبْت والصبرُ أَنفع
و يا قلبُ لا تجزع عليها فإنها ... وإن كنتَ تَهواهاإلى البُخْل ترجع
وفى الصَّبر عن بَعْض المَطامع راحةٌ ... إذا لم يكُن فى الشىء ترجوه مَطْمع
إذا ماأتى من نحو أرضك راكبٌ ... تعرَّضتُ واستَخْبَرت والقلبُ مُوجع
وأُبْدَا إذا استخبرتُ عنكم بغيركم ... ليَخْفى حديثى والمُخادع يَخْدع
ولست كمَن يُفشى على الخِدْن سِرَّه ... وعندى له فى الصَّدر سرٌّ ومَوْضع
وأَنسَى إذا لاقيتُها بخلائها ... من القول ماقد كنتُ بالأمس أجمع
فما فى حياتى بعد موتكِ راحةٌ ... ولا فى وصالٍ بعد فقدك مَطمع

عائشة وكثير فى شأنه

وذُكر أن عائشة بنت طلحة أرسلت إلى كُثيِّر، فأتاها، فلما أتاها أدخلتْه إليها وقالت له : يا بن أبى جُمعة ، ما الذى يَدْعوك إلى أن تقول فى عزَّة من الشعر ما قُلتَ ، وليست من الُحسن على ما تَصف ، ولو شئتَ صرفتَ ذلك عنها إلى

(١) التناضب : موضع . وفى الديوان : « بالمداخل » . وهذه القصيدة لم ترد فيما بين أيدينا من أصول الأغانى . (٢) فى الديوان : « لسلمى » . (٣) فى الديوان : « حذار » .

غيرها ممن هى أوْلى به منها ، أنا أو مثلى ، فإننى أشرف وأجمل وأوصل من عَزّة . وإنما أرادت أن تختبره بذلك . فقال :

إذا ما أرادت خَلّةٌ أن تُزيلَنا … أبَيْنا وقُلنا الحاجبيّةُ أوّلُ

لها مَنْهلٌ لا يُستطاع دِرَاكه … وشائعةٌ فى الُحب لا تتحوّل

فقالت عائشة: أخطأت اُستُك الُحفرة يا أبا صخر! لقد سمّيتنى خَلّة، وما أنا لك بخَلّة! وعرضتَ علىّ وصلَك وما أُريده، ولو أردتَه لكرهتُه أنا! وإنما أردتُ أن أبلو ما عندك قولاً وفعلا، فما أفلحتَ ولا أنجحت! هلاّ قلت كما قال سيّدك جميل:

ويقُلْن إنك قد رَضيتَ بباطلٍ … منها فهل لك فى اُجتناب[1] الباطلِ

ولباطلٌ ممّن أُحبُّ حـــديثَه … أشهى إلىّ من البَغيض الباذل

ليلة له مع بثينة

وذُكر أن جميلاً رَصد بُثينةَ ذات ليلة فى نُجعة لهم، حتى إذا صادف منها خلوة تنكّر ودنا منها، وذلك فى ليلة ظلماء ذات غَيم ورَعد وريح، فحَذفها بحصاةٍ، فأصابت بعضَ أترابها، ففزعتْ وقالت: والله ما حَذَفنى فى هذا الوقت بحَصاة إلا الجنُّ! فقالت لها بثينة، وقد فطنت: إن جميلاً فعل ذلك، فاُنصرفى يا أُخية إلى منزلك حتى ننام، فانصرفت. وبقيت مع بُثينة أُم الُجسير، وأم منظور. فقامت إلى جميل فأَدخلته الِخباء معها وتحدّثا طويلا، ثم اُضطجع واُضطجعت إلى جنبه، فذهب النومُ بهما حتى أصبحا. وجاءها غلامُ زوجها بصَبُوح من اللبن بَعث به إليها، فرآها نائمةً مع جميل، فَمضى لوجهه حتى يُخبر سيّده، ورأتْه ليلى والصَّبوحُ معه، وقد عَرفت خَبر جميل وبُثينة، فاُستوقفتْه كأنها تسأله عن حاله، وبعثت بجاريةٍ لها وقالت: حَذّرى جميلاً وبُثينة. فجاءت الجاريةُ فنبّهتْهما. فلما تبيّنت بُثينة الصبحَ قد أضاء والناسَ مُنتشرين، اُرتاعت وقالت: ياجميل، نفسَك! نفسَك! قد جاء غلام نُبيه بصَبوحى من اللبن فرآنا نائمين! فقال لها جميل، وهو غير مُكترث لما خوّفته منه:

---

(١) فى الديوان: « فى اعتزال ».

لَعُمرِكِ ما خَوَّفتِنِي من مَخافَةٍ بُثَين ولا حذَّرتني موضعَ الحَذَرْ
وأُقسم لا تُلقَى لِيَ اليومَ غِرَّةٌ وفى الكَفِّ مِنِّى صارمٌ قاطعٌ ذَكَر

فأقسمتْ عليه أن يُلقِى نَفْسه تحت النَّضد ، وقالت : إنما أسألك ذلك خوفاً من الفضيحة لا خوفاً عليك . ففعل ذلك ونامتَ كما كانت . واُضطجعت أم الحُسين إلى جانبها . وذهبت خادم ليلى إليها فأخبرتها الخبر . فتركت العبدَ يمضى إلى سيِّده . فمضى والصَّبوح معه ، فقال : إنِّى رأيتُ بثينة مُضطجعة مع جَميل . فجاء زوجُها إلى أبيها وأخيها فأَخذ بأيْديهما وعرَّفهما الخبر . وجاءوا بأجمعهم إلى بُثينة وهى نائمة ، فكشفوا عنها الثَّوب ، فإذا أُم الحسين إلى جَنبها نائمة . فخجل زوجُها وسبَّ عَبده . وقالت ليلى لأخيها وأبيها: قَبَحكم الله ! أفى كُل يوم تَفضحان فتاتَكما ويَلقا كما هذا الأعورُ بكُل قبيح ! قَبحه الله وإيا كما ! وجَعلا يُسبَّان زَوجها ويقولان له كُل قبيح . وأقام جميلٌ عند بُثينة حتى أَجَنَّه الليل ، ثم ودَّعها واُنصرف . وحَذِرتْهم بُثينةُ فتحامت جميلاً مُدة . فقال فى ذلك :

أأن هَتفتْ وَرْقاء ظَلْتَ سَفَاهةً تُبَكِّى على جُملٍ لوَرْقاءَ تَهْتِفُ
فلو كان لى بالصَّرم يا صاحِ طاقةٌ صَرمتُ ولكنِّى عن الصَّرم أَضعف
وما ذَكَرتْكِ النَّفس يا بَثْنُ مَرةً مِن الدَّهر إلا كادتِ النفسُ تَتلف
وإلاَّ اُعترتْنى زَفرةٌ واُستكانةٌ وجاد لها سَجْلٌ من الدَّمع يَذْرِف
وما اُستطرفتْ نَفْسى حديثاً لخُلَّة أُسَرُّ به إلَّا حديثُكِ أَظرف

وأول هذه القصيدة :

أمِن منزلٍ قَفر تَعفَّت رُسومَه شَمالٌ تُغادِيه وَنَكْباءُ[1] حَرْجَفُ
فأصبح قَفْراً بعد ما كان آهلاً وجُمْلُ المُنَى تَشْتُو به وتُصيِّف

---

(١) النكباء: الريح انحرفت عن مهب الريح القوم ووقعت بين مهب ريحين. والحرجف : الباردة .

ظَلِلْتُ ومُستَنٌّ[(١)] من الدَّمع هامِلٌ ... من البَين لما عُجْتُ بالدَّار يَنْزِف
أمُنْصِفَتِى جُمْلٌ فتَعـــدِلَ بيننا ... إذا حكمتْ والحاكمُ العَـدْلُ يُنْصِف
تعلَّقْتُهــــا والجسمُ منِّى مُصحَّحٌ ... فمـا زال يَنْمى حُبُّ جُمْل وأَضْعُف
إلى اليوم حتى سَلَّ جِسمى وشَفَّنى ... وأنكرتُ من نفسى الذى كنتُ أعرف
فتــاةٌ من المُرّان[(٢)] ما فوقَ حَقْوها ... وما تحتــــه منها نقًا يتقصَّف
ولستُ بناسٍ أهلَها حين أقبـــلوا ... وجالوا علينـا بالسُّـيوف وطَوَّفوا
وقالوا جميلٌ بات باللَّيل عنـــدها ... وقد جَرَّدوا أسـيافَهم ثم وقَّفوا
وفى البيت لَيْثُ الغـابِ لولا مخافةٌ ... على نَفس جُمْلٍ والإلٰه[(٣)] لأُرْعِفوا
هممتُ وقد كانتْ مِراراً تَطلَّعت ... إلى حَربهم نفسى وفى الـكفِّ مُرهَف
وما سَرَّنى غـــيرُ الذى كان منهمُ ... ومنِّى وقـــد جاءوا إلىَّ وأَوْجَفوا
وكم مُرْتَجٍ أمراً أُتيح له الرَّدى ... ومن خائفٍ لم يَنْتَقصْه التَّخوُّف

بيت له نصفه أعرابى ونصفه مخنث

وحكى الهيثم بن عدىّ قال:

قال لى صالح بن حسَّان: هل تَعرف بيتاً نصفُه أعرابىٌّ فى شَملة وآخرُه مُخنث يتفكَّك من مُخَنَّثى العَقيق؟ فقلت: لا أدرى. فقال: قد أجَّلتُك فيه حولاً. فقلت: لو أجَّلتنى حَوْلَين ما علمتُ. فقال: قولُ جميل:

ألا أيُّهـــا النُّوَّام ويحكُم هُبُّوا ... أسائلُكم هل يقتُل الرجُلَ الحُبُّ

* ألا أيّهـا النُّوام ويحكم هُبـــوا *

هذا أعرابى فى شَملة. ثم قال:

* أسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحُبُّ *

---

(١) مستن: منصب.
(٢) المران: الرماح.
(٣) أرعفوا: أعجلوا.

كأنه والله من مُخَنثى العَقيق .

و بعد هذا البيت :

ألا رُبَّ رَكْبٍ قد دفعتُ وَجيفَهم[١] إليكِ ولولا أنتِ لم يُوجِفِ الرَّكْبُ

علقت حجنة فجفاها

وذُكر أن بُثَيْنة علقت حُجْنة الهِلالىّ ، فجفاها جميلٌ وقال فى ذلك :

بَيْنا حِبالٌ ذاتُ عَقْدٍ لبثْنَةٍ أُتيح لهــا بعضُ الغُواة فحلَّهــا

فعُدْنا كأنا لم يكن بيننا هَوًى وصار الذى حَلَّ الحبالَ هَوًى لها

وقالوا نراها يا جميــلُ تبدَّلتْ وغيَّرها الواشى فقلتُ لعلَّهــا

[٢] وذُكر أن حُجنة الهلالى كان ابنَ سُرِّيَّة[٣] . فلمّا عَلقتْه بثينةُ قال لها: لا أرضى أو تُعلمى جميلاً أن قد اُستبدلتِ به . فجاءها جميل ، فقالت :

ألم ترَ أن المـاء غُيِّر[٤] حاضراً وأن شِعاب القلب بعدك حُلّتِ

فقال جميل :

فإن تكُ حُلّت فالشِّعاب كثيرةٌ وقد نَهلتْ منها قَلوصِى وعَلّت

فقالت بُثينة لحُجنـة : عَرَّضتنى لجميل فجعلنى حديثاً و يُسَمِّع بى ! لا أُطيعك فيه بشىء بعد هـذا أبداً . وقالت لجميل : إنه اُستزلّنى ، فأنشدك الله أنْ تكشف ما تحت ثوبى وتذكره ، فإنها كانت هفوة ، وأثرك تعفوه الرّياح أحبّ إلىّ منه .

وقال جميل :

يا بَثْنُ إن واصلتِ حُجنـة فاُصرمى حبالِى و إن صارمتِـــه فصِلينِى

ولا تجعلينى أُسوةَ العبـــد واُجعلى مع العَبـــد عبداً مثلَه وذَرِينى

رأيت بعينىَّ اليقين فمـا الذى يُعمِّى على عَينىَّ بعـــد يَقين

(١) الوجيف : سرعة السير . (٢) هذا خبر لم يرد فى أصول الأغانى .

(٣) السرية : الجارية المتخذة للملك والجماع .

(٤) فى الديوان : « بعدكم » مكان « حاضرا » .

وأظن هذا من قصيدة ، منها :

لحا اللهُ من لا يَنفع الوُدُّ عنده ... ومَن حَبْلُه إن مُدّ غير متين
ومَن هو ذو لَونين ليس بدائم ... على العهد خَوّانٍ لكُل أمين

كثير والنهدى فى شأنه

وحكى أبو مالك النَّهدى قال :

جلس إلينا كُثيِّر ذاتَ ليلة ، فتذاكرنا جميلاً فقال : لَقِيني مرةً فقال لى : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند أبى الحبيبة — أعنى بُثينة — فقال لى : و إلى أين تمضى ؟ فقلتُ : إلى الحبيبة — أعنى عزة — فقال : لا بُدَّ من أن ترجع عَوْدَكَ على بدئك فتستجدّ لى موعداً من بُثينة . فقلت : عهدى بها الساعةَ وأنا أستحى أن أرجع . فقال : لا بُدَّ من ذلك . فقلت له : فمتى عهدُك ببُثينة ؟ قال : فى أول الصَّيد(١) ، وقد وقعت سحابةٌ بأسفل وادى الدَّوم ، فخرجتْ ومعها جاريةٌ لها تغسل ثياباً ، فلما أبصرتْنى أنكرتْنى ، فضربتْ بيديها إلى ثوب فى الماء فالتحفتْ به . وعرفتْنى الجاريةُ ، فأعادت الثوب فى الماء ، وتحدَّثنا حتى غابت الشمس . فسألتُها الموعد ، فقالت : أهلى سائرون . وما لقيتُها بعد ذلك ولا وجدتُ أحداً آمنه فأُرسلَه إليها . فقال كثيّر : فهل لك أن آتىَ الحىّ فأقول أبياتاً من الشعر أذكر فيها هذه العلامةَ ، إن لم أَقدر على الخلوة بها ؟ قال : ذلك الصوابُ . فخرج كُثيِّر حتى أَناخ بهم . فقال له أبوها : ما رَدَّكَ يابن أخى ؟ قال : قلت أبياتاً عرضتْ فأحببتُ أن أَعرِضها عليك . قال: هاتِها . قال كُثيِّر . فأنشدتُه ، و بُثينة تسمع :

فقلتُ لها يا عَزُّ أُرْسِلُ صاحبى ... إليكِ رَسُولاً والمُوكَّلُ مُرْسَلُ
بأن تَجعلى بينى و بينك موعداً ... وأن تأمُرينى بالذى فيه أَفعل
وآخِرُ عَهدى منكِ يومَ لَقيتِنِي ... بأسفل وادى الدَّوْمِ والثوبُ يُغْسَل

(١) فى الأصل : « الصيف » .

فضربت بُثينةُ جانب خِدرها وقالت : اُخسأ ! اُخسأ ! فقال لهـا أبوها : مَهْيَمْ[١] يا بُثينة ؟ قالت : كلبٌ يأتينا إذا نوَّم الناسُ من وراء الرَّابية . ثم قالت للجارية : أبغينا من الدَّومات حَطَباً لنذبح لـكُثيِّر شاةً ونشويَها له . فقال كُثيِّر : أنا أعجل من ذلك . وراح إلى جَميل فأخبره . فقال له جَميل : المَوعد الدَّومات . وقالت بثينة لأُم الحُسين وليلى ، ونُجَيّا ، بنات خالتها ، وكانت قد أنِست بهن واُطمأنت إليهن : إنى قد رأيتُ فى لحن[٢] كُثيِّر أن جميلاً معـه . وخرج كثيِّر وجميل حتى أتيا الدَّومات . وجاءت بُثينة ومَن معها ، فما بَرحوا حتى بَرق الصُّبح . فـكان كثيِّر يقول : ما رأيت مجلساً قطُّ أحسن من ذلك المَجلس ، ولا مثل عِلْم أحدهما بِضَمير صاحبه ، وما أدرى أيهما كان أفهم .

تهاجرا زمناً ثم اصطلحا

وذُكر أنه وقع بين جَميل و بُثينة هَجْر فى غَيرة كان غارها عليها من فتًى كان يتحدَّث إليهـا من بنى عمّها ، وكان جميل يتحدّث إلى غيرها ، فيشُق ذلك على بُثينة وعلى جميل ، وجعل كل واحد منهما يكره أن يُبدى لصاحبه شأنه . فدخل يوماً ، وقد غلبه الأمر ، إلى البيت الذى كان يجتمع فيه مع بُثينة ، فلما رأته بُثينة جاءت إلى البيت ولم تبرُز له . فجزِع لذلك جميل ، وجعل كُل واحدٍ منهما يطالع صاحبه . وقد بلغ الأمر من جميل كُل مبلغ ، فأنشأ يقول :

لقـد خِفْتُ أن يَغتالنى الموتُ عَنْوَةً وفى القَلْب[٣] حاجاتٌ إليكِ كما هِيَا

وإنّى لتَثْنينى الحفيظـةُ كلما لقيتُك يوماً أن أبُثَّكِ[٤] حاليا

ألم تَعلمى يا عَـذْبَةَ الرِّيق أننى أظَلُّ إذا لم أُسْقَ ريقَكِ صـادِيا

(١) مهيم : ما أمرك ؟ وما شأنك ؟ وما الذى أرى بك ؟ يمانية .
(٢) فى الأغانى : « فى نحو نشيد » .
(٣) فى الأغانى : « وفى النفس » .
(٤) فى الأغانى : « مابيا » مكان « حاليا » .

فرقّت له بُثينةُ وقالت لمولاة لهـا كانت معها : ما أحسنَ الصِّـدق بأهله ! ثم اصطلحا . فقالت له بُثينة : أنشدنى قولك :

تَظَلُّ وراء السِّـتر تَرْنو بلَحْظها إذا مَرّ من أترابها مَنْ يَرُوقهـا

فأنشدها إياه . فبكتْ وقالت : كلّا يا جميل ، ومَنْ ترى يَرُوقنى غيرك ؟

موته وحزن بثينة عليه

وحكى بعضهم قال :

خرجتُ من تَيماء فى أغباش السَّحر ، فرأيتُ عجوزاً على أتان ، فتكلّمتْ ، فإذا أعرابيـةٌ فصيحة . فقلتُ : من أنت ؟ قالت : عُذْرية . فأجريتُ ذِكْر جَميـل و بُثينة . فقالت : والله إنّا لَعلى ماء لنا بالجناب ، وقد تنكَّبنا الجادَّةَ لجُيوشٍ كانت تأتينا من قِبل الشأم تُريد الحجاز ، وقد خَرج رجالُنا لسَفرٍ وخلَّفوا معنا أحداثاً ، فانحدروا ذاتَ عشية إلى صِرْم[1] قريبٍ منّا يتحدَّثون إلى جَوارٍ منهم ، فلم يَبْق غيرى وغيرُ بُثينة ، إذ انحدر علينا مُنحدر من هَضْبة تِلْقاءنا ، فسلّم ونحن مُستوحشون وَجِلون . فردَدْتُ السلام عليه ، فإذا جميل . فقلتُ : أجميل ؟ فقال : إى والله ، فإذا به لم يتماسك جُوعاً . فقمتُ إلى قَعْب[2] لنا فيه أَقِط[3] مطحون ، و إلى عُكَّة[4] فيها سَمن ورُبٌّ[5] ، فعصرتُها على الأَقِط ثم أدنيتُها منه وقلت : أصِبْ من هذا . فأصاب منه . وقمتُ إلى سقاء فيه لَبن فصببتُ عليه ماء بارداً . فشَرب منـه وتراجعتْ نفسُه . فقلتُ له : لقـد تعبتَ ولقيت شرًّا ، فما أمرك ؟ فقال : أنا والله فى هـذه الهَضبة التى تَرَيْن منذ ثلاثٍ ما أَريم ، أنتظر أن أرى فُرْجة ، فلما رأيتُ مُنْحدَر فِتْيانـكم أتيتُـكم لأُودّعكم ، وأنا عائد إلى مِصر .

---

(١) الصرم : الجماعة من الناس .
(٢) القعب : القدح الضخم الغليظ .
(٣) الأقط : اللبن المجفف اليابس .
(٤) العكة : زق صغير للسمن .
(٥) الرب : ما يطبخ من التمر .

قالت : فتحدَّثنا ساعةً ثم ودَّعنا وشَخص . فلم تَطُل غيبتُه أن جاءنا نَعيُـه .

فزَعموا أنه حين حضرتْه الوفاةُ قال :

صَدَع[١] النَّعِيُّ وما كَنَى بجميلِ ... وثَوَى بمِصْرَ ثَواء غـيرِ قُفُولِ

ولقد أجُرُّ الذَّيل فى وادى القُرى ... نَشْوانَ بين مَزارع ونَخيـل

قُومى بُثَينـــةُ فاُندُبِى بعَويل ... وأبْكِى خليلَكِ دون كُلِّ خَليـل

[٢] بَكر النعيُّ بفارسٍ ذى بَهجة ... حُــــلْو الشمائل للرجال قَتُول

بَكر النعيُّ ولستُ أبغى فاُعلمى ... غَيرَ المُهــذَّب يا بُثين جَميــل

وحكى الأصمعى قال :

حدثنى رجلٌ شهد جميلاً لـما حضرتْه الوفاةُ بمصر ، أنَّه دعاه فقال : هل لك أن أُعطيك كُلَّ ما أُخلِّفــه على أن تفعل شيئاً أَعهده إليك ؟ قال : فقلتُ : اللهم نعم . قال : إذا أنا مِتُّ فخُذ حُلَّتى هذه التى فى عَيبتى فاعْزِلْها جانباً ، وكُل شىء سواها هو لك ، وارحل إلى رَهط بنى الأحبّ من عُذْرَة ــ وهم حى بُثينة ــ فإذا صرتَ إليهم فاُرتحل ناقتى هذه واُركبها ، ثم اُلبس حُلَّتى هذه واُشقُقها ، ثم اُعْلُ على شَرف وصِح بهذه الأبيات ، وخَلاكَ ذَمٌّ . وأنشدَنى :

صَــدعَ النَّعِيُّ وما كَنَى بجَميــلِ ... وثوى بِمِصْر ثَواء غـــيرِ قُفُولِ

وذكر الأبيات المُتقدّمة .

قال : فلمـا قَضَى وواريتُه أتيتُ رَهط بُثينة ففعلتُ ما أمرنى به جميـــل ، فما استتممتُ الأبيات حتى برزتْ لى اُمرأةٌ يتبعها نسوة ، وقد فرعتْهن طولاً أمامهن ، كأنها بدرٌ قد بَرق فى دُجُنَّة ، وهى تتعثَّر فى مِرْطها[٣] ، حتى أتتنى .

---

(١) صدع : جهر وصرح . (٢) هذا البيت والذى بعده لم يردا فى أصول الأغانى . وروايتها فى الديوان تختلف عنها هنا فى كثير . (٣) المرط : كساء من الصوف .

فقالت : يا هذا ، والله لئن كنت صادقاً لقد قتلتنى ، ولئن كنت كاذباً لقد فَضحتَنى . قلت : والله ما أنا إلّا صادق . وأخرجتُ عَيْبته . فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها ، وصكّت وَجْهها . فاجتمع نساء الحىّ يَبْكين وهى تندُبه ، حتى صَعِقتْ ، فمكثتْ مغشيًّا عليها ساعةً ، ثم أفاقت وقامت وهى تقول :

وإن سُلُوِّى عن جميل لساعة ٌ من الدَّهر ما آنت[1] ولا حان حِينُها

سواء علينا ياجميل بن مَعْمَرٍ إذا مُتَّ بأساء الحياةِ ولينُها

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار جميل ، هو :

رَحَل الخليطُ جِمالَهم بسَوادِ وحَدَا على إِثْر البَخيلةِ حَادِى

ما إن شَعرتُ ولا علمتُ ببينهم حتى سمعتُ به الغُرابَ يُنادى

(١) فى الأغانى : « ما حانت » .

أخبار يزيد بن الطثرية

نسبه

اختلف فيه فقيل : يزيد بن الصِّمَّة ، أحد بنى سَلَمة الخير بن قُشَير .

وقيل : إنه من ولد الأعور بن قُشير .

وقيل : هو يزيد بن سَلَمة بن سَمُرة بن سَلَمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة ابن صَعصعة .

و إنما قيل لجدّه سلمة الخير ، لأنه كان لقُشير ابنٌ آخر يقال له : سلمة الشر .

وقيل : هو يزيد بن المُنتشر بن سَلَمة .

نسب أمه

والطَّثْرِيّة أُمه ، وهى امرأةٌ من طَثْر . وهم حَىٌّ من اليمن ، عِدادهم فى جَرْم .

وقيل : إن طَثْراً من عَنَز بن وائل بن قاسط .

وقيل : إن الطَّثرية ، أُم يزيد ، كانت مُولعة بإخراج زُبد اللَّبن ، فسُمِّيت الطَّثرية . وطَثْرة اللَّبن : زُبدته .

كنيته و لقبه

ويكنى يزيد هذا : أبا المَكشوح . وكان يلقَّب: مُوَدَّقًا ، لحُسن وجهه وحُسن شَعره وحلاوة حديثه . فكانوا يقولون : إنه إذا جَلس بين النِّساء أودَقَهُنّ [1] .

وكان يتحدّث إلى النساء كثيراً . وذُكر أنه كان عنِّينا .

هو و مياد مع نساء الحيين

وحُكى أن الناس أمحلوا سنةً ، فأقبل جَمعٌ من بنى جَرْم ساقتهم السنةُ والجدبُ من بلادهم إلى بلاد بنى قُشير، وكان بينهم و بين بنى قُشير حَرب عظيمة، فلم يجدوا بُدًّا من أن رَمَوْا بأنفسهم إليهم ، لمَا لحقهم من الجَدب والمجاعة ورقَّة الأحوال، وأشرفوا عليه من الهَلَكة . و وقع الرَّبيع فى بلاد بنى قُشير ، فانتجعها

---

(١) أودقهن : أى فتنهن بجماله وحلاوة حديثه .

الناسُ وطَلبوها . فلما لقيت بنو جَرم قُشيراً نصبت قُشيرٌ لهم الحرب . فقالت لهم بنو جرم : إنما جئنا مُستجيرين غيرَ مُحـارِبين . فقالوا : ممّا ذا ؟ فقالوا : من السنة والجدب والهلكة التى لا باقية لها . فأجارتهم قُشير وسالمتهم وأرْعتهم طَرَفاً من بلادها . وكان فى جَرم فتًى يقال له : ميّاد ، وكان غَزِلاً حسن الوجه تامّ القامة آخذاً بقُلوب النساء . وكان الغَزَل فى جَرْم جائزاً حَسنا ، وهو فى قُشير مـكروه . فلما نازلتْ جَرم قُشيراً وجاورتْها أصبح ميّادٌ الجرمى فغدا إلى القُشيريّات يطلبُ منهن الغَزل والصِّبَا والحديث ، واُستبرازَ الفَتيات عند غِيْبـة الرِّجال واُشتغالِهم بالسَّقى والرِّعْية، وما أَشبه ذلك . فدفعنَه عنهن وأَسمعنه ما يكره . وراحت رجالهن عليهن وهن مُغضبات . فقالت عجائز منهن : والله ما ندرى : أأرعيتُم جَرْماً المَراعى أم أرعيتُموهم فتَياتـكم ! فاُشتدّ ذلك عليهم وقالوا : ماذا كُنّه (١) ؟ قُلن : رجلٌ منذ اليوم ظَلَّ مُحْجِراً لنـا ما يطلُع منّا رأسُ واحدة ، يدور بين بيـوتنا . فقال بعضُهم : بيِّتوا جَرْماً فاُصْطلموها (٢) . وقال بعضُهم : قبيح ! قومٌ قد سَقَيتموهم مناهلَـكم (٣)، وأرعيتموهم مراعيَكم ، وخَلطتموهم بأنفسكم ، وأجرتموهم من القَحط والسنة ، تفتْاتُون عليهم هذا الافتيات ! لا تفعلوا ، وأَصْبِحُوا (٤) وتَقدَّموا إلى هؤلاء القوم فى هذا الرّجل ، فإنه سَفيه من سُفهائهم، فَليأخذوا على يديه ، فإن يفعلوا فأَتِمُّوا لهم إحسانـكم ، و إن يَمتنعوا و يُقرُّوا ما كان منه ، فذاكَ يَحلُّ (٥) لـكم البَسْطُ عليهم وتَخرجُوا من ذمّتهم . فأجمعوا على ذلك . فلما أَصبحوا غدا نَفرٌ منهم إلى جَرم فقالوا : ما هذه الرِّعية التى جاورتمونا بها ! إن كانت هذه الرِّعية (٦) لـكم سجية فليس لـكم عندنا إرعاء ولا إسـقاء ، فبرِّزوا عنّا أنفسكم وأْذَنوا بحرب . و إن كان افتتاناً فغيِّروا (٧) على مَن فعـله . فقام نفرٌ من جرم

(١) فى أصول الأغانى : «ما أدرا كنه» . (٢) اصطلموها : استأصلوها . (٣) فى الأغانى : «مياهكم».
(٤) فى الأغانى : « ولكن تصبحوا » . (٥) فى الأغانى : « منه يحل » .
(٦) فى الأغانى : « البدعة » . (٧) أى ازجروه وأنكروا عليه .

فقالوا : وما هذا الذى نالـكم ؟ قالوا : رجل منكم أمسِ ظلّ مجرِّراً أذياله بين بُيوتنا ، ما كان أمره ؟ فقهقهت جَرم من جفاء القُشيريين وعَجْرفيّتها ، وقالوا : إنكم لتُحسُّون من نسائكم ببلاء ، وإلا فاْبعثوا إلى بُيوتنا رجلاً ورجلا . فقالوا : والله مانُحس من نسائنا ببلاء ، وما نعرف منهن إلا العفة والـكرم ، ولـكن فيكم الذى قلتم ! قالوا : فإنّا نبعث رجلاً إلى بيوتـكم يا بنى قُشير إذا غَدت الرجال وأُخلف النِّساء ، وتَبعثون رجلاً إلى بُيوتنا ، نتحالف أنه لا يتقدّم رجلٌ منّا إلى زوجةٍ ولا إلى أُخت ولا ابنة ولا يُعلمها بشىء مما دار بيننا ، فيظلّ كلاهما فى بُيوت أصحابه حتى يَرِدَا علينا عشاءَ الماء ، وتُخلَى لهما البيوت ، ولا تبرز عليهما امرأة ولا تُصادق منهما واحداً إلا بمَوْثق يأخذه عليها وعلامةٍ تكون معه منها . فقالوا : اللهم نعم . فظلّوا يومَهم ذلك وباتُوا ليلتهم ، حتى إذا كان من الغد تواعدوا الماء ، وتحالفوا أنه لا يعود إلى البيت منهم أحد دون الليل . وغدا ميّاد الجَرمىّ إلى القُشيريات ، وغدا يزيد بن الطَّثْرية إلى الجرميات ، فظل عندهن بأكرم مَظَلّ ، لا يصير إلى واحدة منهن إلا افتتنت به وبايعتْه على المودة والإخاء ، وقَبض منها رهناً ، وسألته ألاّ يدخل من بُيوت جَرم إلاّ بيتَها . فيقول لها : وأىّ شىء تَخافين وقد أخذتِ منِّى المواثيق والعُهود ، وليس لأحد بعدك فى قلبى نصيب . حتى صُلِّيت العصر وانصرف بأشياء كثيرة ، من ذُبول وبَراقع وفَتَخ[1] وغيرها . وانصرف مكحولاً مدهوناً شبعان ريّانُ مرجَّل الُجمّة[2] . وظل ميّاد الجَرمىّ يدور بين القُشيريات مَرْجوماً مَقْصيًّا لا يتقرّب إلى بيت إلا استقبلتْه الولائد بالعَمَد والجَندل . فتهالك لهن وظَن أنه تلاعبٌ منهن معه ، حتى أخذه ضربٌ كثير بالجَندل .

---

(١) ذبول : جمع ذبل ، وهو جلد السلحفاة . وقيل : عظام بعض دواب البحر ، تتخذ منه النساء الأسورة والأمشاط . والفتخ : جمع فتخة ، وهى الحلقة من فضة لا فِص لها ، وإلا فهى الخاتم .

(٢) الجمة : الشعر تجاوز المنكبين .

ورأى البَأس منهن وجَهَده العطش . ثم انصرف حتى جاء إلى سَمُرةٍ [١] قريباً من نصف النهار، فتوسّد يَده ونام نوَيمةً تحتها حتى أفرجت عنه الظهيرةُ، وفاءت الأظلال، وسكن بعضُ ما به من ألم الضرب، وبَرد عطشُه قليلاً، ثم ورد الماء حتى قَرُب من القوم قبل يزيد بن الطَّثرية . فوجد أَمةً تذُود غنماً فى العَطن، [٢] فأخذ بُرْقعها فقال : هذا بُرقع واحدة من نسائكم، فطرحه بين يدى القوم . وجاءت الأَمة تعدوا فتعلّقت ببُرقعها، فردّه عليها، وخَجل ميّاد خجلاً شديداً . وجاء يزيد بن الطَّثْرية مُمسياً، وقد كاد القوم أن ينصرفوا، فنثر كمه بين أيديهم ملآن براقع وذَبْلاوفتَخا. وقد حَلف القومُ ألاّ يعرف رجلٌ شيئاً إلارَفعه. فلما نَثر ما معه اُسودّت وجُوه جَرم وأمسكوا بأيديهم إمساكةً . فقالت قُشير : أنتم تعرفون ما كان أمسِ بيننا من العُهود والمواثيق وتحريم [٣] الأموال والأهل، فمن شاء أن ينصرف إلى حَرام فَلْيُمسك يده . فبسط كُل واحدٍ منهم يده إلى ماعَرف وأخذه، وتفرّقوا على حَرب، وقالوا : هذه مكيدة يا قُشير ! فقال فى ذلك يزيد بن الطثرية :

فإنْ شئتَ يا ميّاد دُرْنا [٤] ودُرْتُمُ ... ولم نَنْفس الدُّنيا على من يُصيبُها
أيذهب ميّاد بألباب نِسْوتى ... ونسوةُ ميّاد صِحاحٌ قُلوبها

وقيل :

حبه وحشية ومعونة ابن عم له

وبُلى يزيد بن الطّثرية يومئذ بعشق جارية من جَرم، يقال لها: وحشية، وكانت من أحسن النساء . ونافرتْهم جرم فلم يَجد إليها سبيلا . فصار من العشق لها إلى أن أشرف على الموت واشتدّ به الجهد، فجاء إلى ابن عم له، فقال له : يابن العم،

(١) السمرة : من شجر العضاه .
(٢) العطن : المناخ حول الورد .
(٣) فى الأغانى : « وتحرج » .
(٤) فى الأغانى : « زرنا وزرتم » .

قد تعلم أنه ليس إلى هذه المرأة من سبيل ، وأن التعزِّى أجمل ، فما أربُك فى أن تَقتل نفسَك وتأثم بربِّك ؟ فقال : ما هى يا بن العم بنَفسى ، ومالى فيها أمر ولا نهى ، وما همِّى إلا نفس الجَرمية ، فإن كنت تُحب حياتى فأر نيها . فقال : كيف الحيلة ؟ قال : تحملنى إليها . فحمله إليها ، وهو لا يطمع فى الجَرْمية، إلا أنهم كانوا إذا قالوا له : نَذهب بكَ إلى وَحْشية ، أَبلّ قليلاً وراجع وطَمع . فإذا يئس منها أُشتدّ به الوجع . فخرج به أُبن عمِّه يتخلّل به اليمنَ ، حتى إذا دخل إلى قبيلة أُنتسب إلى أُخرى ، ويُخبر أنه طالب حاجة . وأَبلّ حتى صلَح بعض الصَّـلاح ، وطَمع فيه أُبنُ عمِّه ، وصارا بعد زمان إلى حى وحشية ، فلقيا الرُّعيان ، فكَمَنا فى الجبـل ، فجعل أُبنُ عمّه ، وهو خَليفة بن بورك[1] يتعرّض لرُعيان الشاء فيسألهم عن راعى وحشيّة ، حتى لَقِى غُلامَها وغَنمها ، فسأله عنها ، فقال : هى بشرّ ، لا حَفِظ اللهُ بنى قُشير ولا يوماً رأيناهم فيه ! فما زالت عليلةً منذ رأيناهم . وكان بها طَرَفٌ ممّا بيزيد ابن الطَّـثْرية . فقال : ويحك ! فهاهنا إنسان يُداويها ولا تَقُل لأحـدٍ غيرها . فقال : نعم، إن شاء الله . فأَعلمها ما قال له الرجُل حين صار إليها . فقالت : ويلك ! فجىء به . وخَرج الراعى من الغَد فلقيه فأَعلمه . وظَلّ عنده يَرعى غَنمها ، وتأخّر عن الشاء حتى تقـدّمته الشاء وجَنح الليل ، وأُنحـدر يزيد فى غَنمه حتى أَراحها . ومَشى فيها يزيدُ حتى قَرُب من البيت على أربع ، وتَجلَّل شَملةً سوداءَ بلون شاةٍ من الغَنم، وصار إلى وحشيّة، فسُرّت به سُروراً شديداً ، وأَدخلته ستراً لها ، وجَمعت عليه من الغد من تَثق به من صواحباتها وأَترابها . وقد كان عهد إلى أُبن عمه أن يُقيم فى الجبل ثَلاث ليالٍ ، فإن لم يرَه فَلْينصرف . فأَقام يزيدُ عندها ثلاث ليالٍ، ورَجع إلى أصَحِّ ما كان عليه ، ثم انصرف فصار إلى صاحبه ، فقال : ما وراءك يا يزيد ؟ ورأى من سروره وطيب نَفسه ما سَرّه . فقال :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بوزل » .

لَوَ أنّك شاهدتَ الصِّبا يا بن بَوْرَكٍ ... بفَرْع الغَضى إذ راجعتنى غَياطلُه (١)
لشاهدتَ لَهواً بعد شَحْطٍ من النّوى ... على سَخَطِ الأعداء حُلْوًا شمائلُه
ويوماً كإبهام القَطاةِ مزيَّناً ... لِعينى ضُحاه غالباً لى (٢) أصائله

ومنها :

بِنفسىَ مَن لو مَرّ بَرْدُ بَنانه ... على كَبِدى كانت شِفاءً أناملُه
ومَن هابنى فى كُل شىء وهِبْتُه ... فلا هو يُعطينى ولا أنا سائِله

وذُكر أن أبا محيصة(٣) الأعرابّى أُنشد هذين البيتين فطَرِب بهما وقال : هذا والله من مغنج الكلام !

ومنها :

وكنتُ كأنّى حين كان كلامُها ... وَداعاً وخَلَّى مَوثِقَ العهدِ حامِلُه
رهينٌ بنفسٍ لم تُفَكَّ كُبُولُه ... عن الساقِ حتى جَرَّد السيفَ قاتله
فقال دَعُوا لى (٤) سَجْدتَيْن وأُرْعدت ... حِذَارَ الرَّدَى أحشاؤه ومَفاصله

شعره فى امرأة ذات سبعة

وذُكر أنّ يزيد بن الطَّثْرية كان يتحدّث إلى امرأة ويُعْجَب بها ، فبَيْنا هو عندها إذا حدَث لها شابٌّ قد طلع عليه ، ثم جاء آخر ، فلم يزالوا كذلك حتى تمُّوا سبعةً وهو الثامن ، فقال :

أرى سبعةً يَسْعَوْن للوَصْل كُلُّهم ... له عند ليلَى دِينةٌ يَسْتدينُها
فألقيتُ سَهْمى وَسْطَهم حين أَوْخَشوا (٥) ... فما صار لى من ذاك إلا ثَمينُها

(١) الغياطل : جمع غيطلة ، وهى الظلمة المتراكة .
(٢) فى الأغانى : « لى باطله » . (٣) فى الأغانى : « أبا محضة » .
(٤) فى الأغانى : « دعونى » .
(٥) أوخشوا : صاروا إلى الوخاشة ، وهى الرذالة .

وكنتُ عَزُوفَ النَّفس أَشنأُ أن أُرى ... على الشِّركِ من وَرْهاء[1] طَوْع قَرِينُها
فيوماً تراهــا للعُهود وفيّــةً ... ويوماً على دين ابن خاقانَ دِينُها
يداً بيــدٍ مَن جاء بالعَــين منهمُ ... ومَنْ لم يَجِئ بالعَين حِيزتْ رُهونها

وقال فيها، وقد صارَمها:

أَلاَ بأَبي مَن قد بَرَى الجِسمَ حُبُّه ... ومَن هُــو مَوموقٌ إليّ حبيبُ
ومَن هو لا يَزداد إلاّ تَشَــوُّقاً ... وليس يُرَى إلاّ عليــه رَقِيب
وإِنِّي وإِنْ أَحْمَوْا[2] عليَّ كلامَها ... وحالت أعادٍ دونها وحُروب
لمُثْنٍ على ليــلَى ثنــاءً[3] تزينه ... قوافٍ بأَفــواه الرِّجال تَطيب
أليلَى احذرِي نَقْضَ القُوى لا يَزلْ لنا ... على النَّأْيِ والهِجران منكِ نَصيب
وكُوني على الواشــين لَدّاءَ شَغْبةً ... كما أنَا للــواشي أَلَدُّ شَغُوب
فإنْ خِفْتِ ألا تُحكِمِي مِرّةَ القُوَى ... فرُدِّي فُؤادي والمَرَدُّ[4] قَريب

شعره وقد حلق الوالي لمته تأديباً له

وذُكر أن يزيد بن الطَّثْرية لما أكثر التَّشبيب في وَحشية الجَرمية، استعدتْ عليه جَرمٌ صاحبَ اليمامة. فكتب بها صاحبُ اليمامة إلى ثور أخي يزيد وأمره بأدبه، وجعل عُقوبته حَلْقَ لِمتَّه، فحلقها. فقال يزيدُ من أبيات:

أقول لثَوْرٍ وهــو يَحلِق لِمَّتي ... بِحَجْناءَ مَرْدودٍ عليهــا نِصابُهــا
ترفَّق بهــا يا ثَور ليس ثوابُهــا ... بهذا ولكنْ غيرُ هــذا ثوابها
أَلاَ رُبما ياثَور قد غَلَّ[5] وَسْطها ... أناملُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضابها

---

(١) الورهاء: الحمقاء. وطوع قرينها، أي إن قرينها يطيعها، ولا تخضع هي لقرين، لأنها تستبدل بكل قرين من شاءت متى شاءت، فقرينها يطيعها وهي لاتطيع قريناً.

(٢) أحموا: حرموا ومنعوا.

(٣) في الأغاني: «يزيدها» مكان: «تزينه».

(٤) في الأغاني: «والمزار» مكان: «والمرد».

(٥) غل شعره بالطيب: أدخله في أصوله. والرواية في الكامل (ص ٣٣٤): «ياثور فرق بينها».

فأَصبح رأسى كالصُّخَيْرة أَشْرفت عليها عُقابٌ ثم طارت عُقابها

طخيم الأسدى فى مثله

ثم ذكر أبو الفرج فى نظير ذلك أن طُخَيْماً الأَسدىّ شَرب بالحِيرة ، فأَخذه العبّاس بن مَعبد المُرِّى ، وكان على شُرْطة يوسف بن عمر ، فحلَق رأسَه ، فقال :

وبالحِيرةِ البَيْضاءِ شَخْصٌ[1] مُسلَّطٌ إذا حَلف الأَيمانَ باللهِ بَرَّتِ

لقد حلَقوا منها غُدَافاً كأَنها عناقيدُ كَرْمٍ أَيْنعت[2] فاَسْبطرَّت

يَظَلّ العَذارى حين تُحْلَق لِمَتِى على عَجَل يَلْقُطْنها حيث[3] جُزَّت

خبر مقتله

ذِكْر مقتل يزيد بن الطّثْرية .

قيل : أغارت بنو حَنيفة على طائفة من بني عُقَيل ، ومعهم رجلٌ من بنى قُشير جارٌ لهم ، فقُتل القُشَيْرىّ ورجلٌ من بنى عُقَيل ، واُطَّرَدتْ[4] إبلٌ من العُقَيليِّين . فأَتى الصّريخُ عُقيلاً ، فلحِقوا القومَ فقاتلوهم ، فقَتلوا من بنى حَنيفة رجلاً وعَقروا أفراساً ثلاثةً من خَيل حنيفة ، فاُنصرفوا ولَبثوا سنة .

ثم إنّ عُقيلاً اُنحدرت مُنتجعةً من بلادها ، بلاد بنى تَميم ، وعلمت بهم حَنيفة فغَزَتْهم ، وحَذِر العُقيليّون وأَتتهم النُّذُر من نُمير ، فانكشفوا ، فلم يَقدروا عليهم . و بلغ ذلك من بنى عُقَيل وتلهفّوا على بنى حَنيفة ، فجمعوا جمعاً ليغزوا حنيفة ، ثم تشاوروا، فقال بعضُهم: لاتَغزوا قوماً فى مَنازلهم ودُورهم فيَمتنعوا منكم ، و يتحصّنوا دونكم ، ولا نأمن أن يَفضحوكم . فأقاموا بالعَقيق .

وجاءت حَنيفةُ غازيةً كعباً لا تتعدّاها، حتى وقعت بالفَلَج . فتطاير الناسُ. ورأسُ حنيفة يومئذٍ المُنْدَلِف. وجاء صَريخُ كَعب إلى أبى لَطيفة بن مُسلم العقَيلى،

(١) فى الأغانى : « شيخ » .
(٢) اسبطرت : طالت وامتدت .
(٣) فى الأغانى : « حين » .
(٤) اطردت : انساقت .

وهو بالعَقيق أميرٌ عليها ، فضاق بالرسول ذَرْعاً وأتاه هولٌ شديد . فأرسل فى عُقَيل يستمدُّها . فأتته ربيعةُ بن عُقَيل ، وقُشير بن كعب ، والحَريش بن كعب ، وأفناء خَفاجةَ ، وجاش إليه (١) الناسُ . فقال : إنّى أرسلت طليعةً فانتظروها حتى تجىء ونعلمَ ما تُشير به . ثم أصبح صُبْحَ ثالثةٍ وهو على فرسه يَهْتف : أعزّ الله نَصركم وأمتعنا بكم ، انصرفوا راشدين فلم يكن بأس . فانصرف الناسُ . فسار فى بنى عمِّه ورهطه دِنْيَةً .

وإنما فعل ذلك لتكون له السُّمعة والذِّكر ، فكان فيمن سار معه القُحيف ابن حُمَيِّر ، ويزيد بن الطَّثْرِية ، الشاعران . فساروا حتى واجهوا القومَ فواقعوهم ، فقتلوا المُنْدَلِف ، رمَوْه فى عَينه ، وسَبَوْا وأسروا ومثّلوا بهم ، وقطعوا أيدى اثنين منهم ، ثم أرسلوهما إلى اليمامة وصَنعوا ما أرادوا . ولم يُقْتل ممن كان مع أبى لَطيفة غيرُ يزيدَ بن الطَّثْرِية ، نَشِب ثوبُه فى جِذْل من عُشَرَة (٢) فانقلب ، وخَبطه القومُ بأسيافهم فقُتل .

شعر أخته فى رثائه

فقالت أختُه زينبُ بنت الطَّثْرِية ترثيه . وقيل : بل قائلها وَحشية الجَرمية صاحبته :

أرى الأَثْلَ من بَطن العَقيق مُجاوِرى	مُقيماً وقد غالت يزيدَ غوائلُهْ
فتًى لا ترى قَدَّ القَميص بخَصْره	ولكنما تُوهى القميصَ كواهلُه
إذا نَزل الأضيافُ كان عَذَوَّراً	على الحىّ حتى تَستقر (٣) مَراجلُه
يَسرُّك مَظْلوماً ويُرضيك (٤) ظالماً	وكُلُّ الذى حَمّلتَه فهو حامله
إذا جَدّ عند الجِدّ أرضاك جِدُّه	وذو باطلٍ إن شئتَ ألهاك باطلُه

(١) جاش إليه الناس : ساروا إليه ليلا .

(٢) الجذل : أصل الشجرة . والعشرة : من شجر العضاه ، وهى من كبار الشجر .

(٣) العذور : البرم . والمراجل : القدور . وفى الأغانى : « تستقل » مكان : « تستقر » واستقلال المراجل : انتصابها على الأثافى .

(٤) أى يحميك ويمنعك .

إذا القومُ أَمُّوا بيتَه فهو عامِــــدٌ لأفضلِ ما أَمُّوا له فهــو فاعـــله
ترى جازريه يُرعَـــدان ونارُه عليها عَدَاميــلُ الهَشيمِ (١) وصامِله
مضَى وورثْناه دَرِيسَ (٢) مُفـاضةٍ وأبيضَ هِنديًّا طويلاً حَمـــائله
فـتًى كانَ يحمى المُحْجَرين بسَيفه ويبلغ أقصى حَجْرةِ (٣) الحىّ نائله
فتًى ليس لابن العم كالذّئب إن رأى بصاحبـــه يوماً دماً فهـو آكله
سَيَبْـكيه مــــولاه إذا ما ترفّعت عن الساق عند الرّوع يوماً (٤) ذَلاذِله

الشعر الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغِنـاء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبارَ يزيد بن الطثرية ، هو قولُه :

أمسى الشبابُ مودَّعاً محمودَا والشيبُ مُؤْتنِفَ المحلّ جديدَا
وتغيَّر البيضُ الأوانسُ بعد ما حَمَّلْتُهنّ مَواثقاً وعُهودا

ما يغنى فيه من شعره

ومما يُغَنَّى فيه من شعره قولُه :

بنفسىَ من لا أُخبر الناسَ باُسمه وإن حَملت حِقْداً علىّ عشائرُهْ
بنفسى ومالى مَن حَملت (٥) له الرَّدَى ومَن ذِكْره منّى قريبٌ أُسامِره
ومن لو جرتْ شَحناه بينى وبينه وحاوَرَنى لم أَدْرِ كيف أُحاوره

(١) عداميل : جمع عدمول ، وهو الشىء القديم . والصامل ، اليابس .
(٢) الدريس : الخلق من الدروع وغيرها . والمفاضة : الدرع الواسعة . يريد أنه أنفق ماله فيما أكسبه حمدا ، ولم يترك إلا هذه الدرع وذلك السيف .
(٣) المحجر : الملجأ المضطر . والحجرة : الناحية .
(٤) الذلاذل : أهداب الثياب .
(٥) فى الأغانى : « بأهلى ... جلبت له الأذى » .

أخبار جميلة

ولاؤها

هى مولاةُ بنى سُلَيم ، ثم مولاة بطنٍ منهم يقال لهم : بنو بَهْز .

وكان لها زوج من موالى بنى الحارث بن الخزرج . وكانت تنزل فيهم ، فغلب عليها ولاء زوجها ، فقيل : إنها مولاة الأنصار .

منزلتها فى الغناء

وهى أصل من أُصول الغناء . أخذ الغناء عنها مَعبد ، وابن عائشة ، وحَبابة ، وسلاّمة، وعَقيلة العَقيقيّة ، والشّمّاسيّتان : خُليدة ، ورُبيحة .

حديث أبى عباد عن مجلس لابن جعفر عندها

وحكى أبو عبّاد قال :

أتيتُ جميلةَ يوماً ، وكان لى موعدٌ ، وظننتُ أنّى سبقتُ الناسَ إليها ، فإذا منزلُها غاصٌّ ، فسألتُها أن تُعلّمنى شيئاً . فقالت : إن غيرَكَ قد سَبقك ولا يَجمل تقديمُك على مَن سواكَ . فقلت: جُعلتُ فداكِ ! متى تفرُغين ممّن سَبقنى ؟ قالت: هو ذاك ، الحقُّ يَسعك ويَسعهم .

فبينا نحن كذلك، إذ أقبل عبدُالله بن جَعفر بن أبى طالب ، وإنه لأوّل يوم رأيتُه وآخرُه ، وكنتُ صغيراً كيِّساً ، وكانت جميلةُ شديدةَ الفرح ، فقامت وقام الناس ، فتلقّته وقبّلت رجليْه ويديه . وجَلس فى صدر المجلس على كوْمٍ لها ، وتحوّق[1] أصحابُه به، وأشارت إلى من عندها بالانصراف، فتفرّق الناسُ،وغمزتنى ألاّ أبرح ، فأقمتُ . وقالت : يا سيدى وسيد آبائى وموالىّ ، كيف نَشِطْتَ إلى أن تنقُل أقدامك إلى أَمَتك ! قال : يا جميلة ، قد علمتُ ما آليتِ على نفسك ألاّ تُغنِّى أحداً إلا فى منزلك ، وأحببتُ الأسماعَ .

---

(١) تحوق أصحابه به : أحاطوا واستداروا .

فقالت : جُعلت فداك ! فأنا أصيرُ إلى منزلك وأُكفِّر . قال : لا أُكلِّفك ذلك . و بلغنى أنّك تغنين بيتين لأمرىء القَيس تُجيدين الغناء فيهما ، وكان الله جلّ وعزّ قد أنقذ بهما جماعةً من المُسلمين من الموت .

قالت : يا سيدى ، نعم . وأندفعتْ فغنّت بعُودها . فما سمعتُ منها قبل ذلك اليوم ولا بَعده إلى أن ماتت مثلَ ذلك الضَّرب ، ولا مِثل ذلك الغناء . فسبَّح عبدُ الله بن جعفر رحمه الله والقومُ معه . وهما :

ولمّا رأتْ أنّ الشَّريعة همُّها وأنّ البياضَ مِن فَرائصها (١) دامِي

تَيمَّمتِ العَينَ التى عند ضارجٍ يَفِىء عليها الفَىء عَرْمَضُها (٢) طامِى

فلما فرغتْ قالت جميلة : أىْ سيدى ، أزيدك ؟ قال : حسبى . فقال : بعض القوم الذين كانوا معه : بأبى جُعلت فداك ! كيف أنقذ الله تبارك وتعالى بهذين البيتين جماعةً من المُسلمين ؟ قال : نعم . أقبل قومٌ من أهل اليمن يُريدون النبىَّ صلَّى الله عليه وسلّم ، فضلوا الطريقَ و وقعوا على غيرها ، ومكثوا ثلاثاً لا يَقدرون على الماء ، وجَعل الرجلُ منهم يَستذرى (٣) بفَىْء السَّمُر والطَّلْح يائساً من الحياة ، إذ أقبل راكبٌ على بعير له ، فأنشد بعضُ القوم هذين البيتين . فقال الراكب : من يقول هذا ؟ قالوا : أمرؤ القيس . قال : والله ما كذب ، هذا ضارجٌ عندكم . فأشارلهم إليه . فحَبَوْا على الرُّكب فإذا ماءٌ عِدٌّ ، (٤) و إذا عليه العَرْمَض ، والظلُّ يَفِىء عليه . فشربوا منه رِيَّهم وحَملوا ما اكتفَوْا به حتى بَلغوا الماء . فأتوا النبىَّ

(١) الشريعة : مورد الماء . والهم : الطلب . والفرائص : جمع فريصة ، وهى اللحم بين الكتف والصدر .

(٢) ضارج : موضع فى بلاد بنى عبس . والعرمض : الطحلب . وطامى : مرتفع . يريد أن الحمر لما أرادت الماء خافت على أنفسها من الرماة وان تدمى فرائصها من سهامهم فعدلت إلى ضارج .

(٣) يستذرى : يستظل .

(٤) عد : دائم لا انقطاع له .

صلّى الله عليه وسلّم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله ، أحيانا الله عز وجل ببيتين من شعر أمرىء القيس ، وأنشدوه الشعر . فقال صلّى الله عليه وسلم : ذلك رجلٌ مذكور فى الدُّنيا شريف فيها، مَنْسىٌّ فى الآخرة خاملٌ فيها ، يجىء يومَ القيامة معه لواء الشُّعراء إلى النار .

فكلٌّ أستحسن الحديثَ . ونَهض عبد الله بن جَعفر ونَهض القوم معه . فما رأيت مجلساً كان أحسنَ منه .

ما اختاره ابن واصل وما اطرحه من أخبار جميلة

قلت :

لم أختر من أخبار جَميلة غير ما أوردتُه ، وما عدا ذلك فإنى أطَّرحته لغَثاثته وعدم فائدته .

أخبار عنترة العبسي

نسبه

هو عَنترة بن شَدّاد . وقيل : عَنترة بن عَمرو بن شدّاد . وقيل : عَنترة بن شَدّاد بن عمرو بن مُعاوية بن قُرَاد بن مَخزوم بن رَبيعة . وقيل : مَخزوم بن عوف ابن مالك بن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيث بن غَطَفان بن سَعد ابن قيس بن عَيْلان بن مُضَر .

و يقال له : عنترة الفَلْحاء ؛ وذلك لتشقُّق شَفتيه .

أمه وإخوته

وأُمه حبشيّة ، يقال لها : زَبيبة . وكان لها ولدٌ عَبيدٌ من غير شدّاد ، فكانوا إخوتَه لأُمه .

نفى أبيه له ثم رده إليه

وكان أبوه نَفاه مَرَّةً ثم اعترف به فألحقه بنَسبه . وكانت العربُ تَفعل ذلك، تَستعبد بنى الإماء ، فإن أنجب اعترفت به و إلاّ بَقِى عبداً .

امرأة أبيه وتحريشها أباه وشعره فى ذلك

وذُكر أن عنترة قبل أن يَدَّعيه أبوه حَرَّشتْ عليه امرأة أبيه وقالت : إنه يُراودنى عن نَفْسى. فغَضب من ذلك شدّاد وضَربه ضرباً شديداً مُبرِّحا ، وضَربه بالسيف ، فوقعتْ عليه امرأة أبيه وكفّته عنه . فلما رأت ما به من الجراح بكتْ . وكان اسمها سُمَيَّة — وقيل سُهَيّة — فقال عنترةُ فى ذلك :

أمِن سُمَيّة دَمْعُ العَين مَذْروفُ ... لو أن ذا منك قَبل اليوم مَعْروفُ

كأنّها يومَ صدَّت ما تُكلّمنى ... ظَبْىٌ بعُسْفان ساجِى الطَّرْف[1] مَطْروف

تَجَلَّلتْنىَ إذ أهْوَى العَصا قِبَلى ... كأنها صَنَمٌ يُعتاد[2] مَعْكوف

---

(١) عسفان: منهلة بين الجحفة ومكة . والساجى: الساكن . والمطروف : الذى أصابت عينه طرفة ؛ وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه .

(٢) تجللتنى : ألقت نفسها على . ويعتاد : يؤتى مرة بعد مرة . ومعكوف : يعكف عليه .

العَبدُ عَبدُكمُ والمالُ مالُكمُ فهل عذابُك عنِّى اليومَ مَصْروف
تَنْسى بلائِى إذا ما غارةٌ لَحِقتْ تَخرُجِ منها الطُّوالاتُ [(١)] السَّراعيف
يَخرُجنَ منها وقد بُلَّت رَحائلُها بالماء تَركُضها الشُّمُّ [(٢)] الغَطاريف
قد أَطعَنُ الطَّعنةَ النَّجْلاءَ عن عُرُضٍ تَصْفِرُ كفُّ أَخيها وهو [(٣)] مَنْزوف

سبب استلحاق أبيه إياه

وذُكر أنّ سببَ استلحاق أبيه إيّاه أن عبساً أغارت على طَيِّء فأصابوا نَعماً. فلما أرادوا القِسْمة قالوا لعنترة : لا نَقْسِم لك نصيباً مثلَ أنصبائنا لأنك عَبْد . فلما طال الخطْبُ بينهم كَرَّت عليهم طيِّء . فاعتزلهم عنترة وقال : دُونكم القومَ ، فإنكم عَدَدُهم . واستنقذت طيِّء الإبلَ . فقال له أبوه : كُرَّ يا عنترة . فقال: أوَ يُحسن العبدُ الكَرَّ ! فقال له أبوه : العبدُ غيرُك . فاعترف به . فكرّ واستنقذ النَّعَمَ ، وجعل يقول :

أنا الهجينُ عَنْتَرَهْ كلُّ امرىءٍ يَحْمى حِرَهْ
أسودَه وأحمرَه والشَّعراتِ المُشْعَره
الوارداتِ مِشْفَرَه

أحد أغربة العرب

وعنترةُ أحد أغربةِ العرب ، وهم ثلاثة : عَنترة ، وأمه زَبيبة ؛ والسُّلَيك بن عُمَير السَّعْدى ، وأمه السُّلَكة ؛ وخُفَاف بن عُمَير الشَّريدىّ ، وأمه نُدْبة .

شعره فى الرد على قيس بن زهير وهو الذى فيه الغناء

وذُكر أن بنى عَبس أغارت على بنى تَميم ، وعليهم قَيس بن زُهير بن جَذيمة العَبسىّ ، فانهزمت عَبس ، وطلبتْهم بنو تميم ، فوقف لهم عنترةُ ، ولحقتْهم كَبْكبةٌ من الخيل ، فحامَى عنترةُ عن الناس فلم يُصَبْ مُدْبِر . وكان قيس بن زُهير سيِّدَهم ، فساءه ما صَنَع عنترةُ يومئذ وحسده ، فقال حين رجع: والله ما حَمى الناسَ إلا ابنُ

---

(١) الطوالات : الخيل . والسراعيف : السراع ؛ واحدتها : سرعوف .
(٢) الرحائل : السروج . والشم : التى بأنوفها ارتفاع . والغطاريف : السادة الكرام .
(٣) النجلاء : الواسعة . وعن عرض : عن شق وحرف .

السَّوداء ! وكان قيس أكولاً . فبلغ عنترةَ ما قال . فقال يُعرِّض به قصيدتَه ، التى منها الشعرُ الذى فيه الغناء وافتتح به الفرج أخبار عَنترة ، وهى :

يا دار عَبْلةَ من مَشارِقِ مَأْسَلِ [1]	دَرَسَ الشُّؤونُ وعهدُها لم يَنْجلِ
فاستبدلتْ عُفْرَ الظِّباء كأنما	أبعارُها فى الصَّيف حَبُّ الفُلفُل
تَمشى النَّعامُ بها خلاءً حولَه	مَشْىَ النَّصارى حولَ بيت الهَيْكل
احذَرْ محلَّ السَّوْء لا تحْلُلْ به	وإذا نَبابكَ منزلٌ فتحوَّل

ومنهـا :

بَكرتْ تُخوِّفنى الحُتُوفَ كأنّنى	أصبحتُ عن غَرض الحُتوف بمَعْزِل [2]
فأجبتُها أنّ المَنيّة [3] مَنهلٌ	لا بُدَّ أن أُسقَى بكأس المَنْهل
فاقْنَىْ حياءكِ [4] لا أبالك واعلمى	أنّى امرؤٌ سأموت إن لم أُقْتَل
إنّ المَنيّة لو تُمثَّلُ مُثِّلت	مِثْلى إذا نَزلوا بضَنْكِ المَنْزل
إنّى امرؤٌ من خير عَبْسٍ مَنْصِباً	شَطْرِى وأحمى سائرى بالمُنْصُل [5]
وإذا الكَتيبةُ أحجمتْ وتلاحظتْ [6]	أُلْفيتُ خيراً من مُعَمٍّ مُخْوَل
والخيلُ تَعلم والفوارسُ أنّنى	فرَّقتُ جمعهم بضَربةِ فَيْصل [7]
إذ لا أُبادر فى المَضيق فوارسى	أو لا أُوَكِّلُ بالرَّعيل الأوّل [8]
إنْ يُلْحقوا أَكْرُرْ وإن يُسْتَلْحَموا	أَشْدُدْ وإن يُلْفَوْا بضَنْكٍ أَنْزِل

(١) مأسل : رملة ؛ وقيل : جبل .
(٢) الحتوف : المكاره والمتالف . وعن عرض : ما يعرض منها .
(٣) المنهل : المورد .
(٤) اقنى حياءك : احفظيه ولا تضيعيه .
(٥) المنصل : السيف .
(٦) تلاحظت : نظر بعضهم إلى بعض .
(٧) الفيصل : الذى يفصل بين الناس .
(٨) إذ لا أبادر فى المضيق فوارسى ، أى لا أكون أول منهزم ولكنى أكون حاميتهم . والرعيل : القطعة .

حين النزولُ يكون غايةَ مِثلنا ويَفِرّ كل مُضَلَّلٍ[1] مُسْتَوْهِلِ
والخيلُ ساهمةُ الوُجوه كأنما تُسْقَى فوارسُها نقيعَ الحنظل
ولقد أَبيتُ على الطَّوى وأَظلُّه حتى أنالَ به كَرِيمَ المأْكل

للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أنشد بيتاً له

ورُوى أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أُنشد قولَ عَنترة العبسيّ :

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأَظلّه حتى أنال به كريمَ المأْكل

فقال صلّى الله عليه وسلّم : ما وُصف لى أعرابيٌّ قطُّ فأحببتُ أن أراه إلا عَنترة .

قوله عن شجاعته

وذكر أنه قيل لعنترة العَبسى : أنت أشجعُ العرب وأشدُّها ؟ قال : لا . قيل : فبماذا شاع لك هذا فى الناس ؟ قال : كُنتُ أُقدم إذا رأيتُ الإقدام عَزْماً، وأُحجم إذا رأيتُ الإحجام حَزما ؛ ولا أَدخل موضعاً لا أرى لى مخرجاً منه . وكنت أَعتمد الضَّعيفَ الجبان فأَضربه الضربةَ الهائلة يَطير لها قلبُ الشجاع فأَثنِّى عليه فأَقتله .

خبر مقتله

وقد اُختلف فى كيفية مَقتل عنترة : فمما ذُكر أنه غَزا طَيِّئاً مع قومه بنى عَبس فانْهزمت عَبس، فخَرّ عن فَرسه ولم يَقْدر من الكِبَر أن يَعُود فيركب ، فدخل دَغْلاً وأَبصره رَبيئةُ[2] طيّء، فنزل إليه وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه، فقتله .

(١) المستوهل : الضعيف الفزع .
(٢) الربيئة : الطليعة .

أخبار أبى دلف العجلى

نسبه — وهو القاسم بن عيسى بن إدريس ، أحد بنى عِجْل بن لُجَيم بن صَعب بن علىّ ابن بكر بن وائل .

مكانته — ومحلُّه من الشَّجاعة وعُلو المَنزلة عند الخلفاء ، وعِظَم الغَناء فى المَشاهد، وحُسن الأدب ، وجَودة الشِّعر ، محلٌّ ليس لأحدٍ من نُظرائه .

قال أبو الفرَج : وذِكْر ذلك أجمع ممّا لا مَعنًى له لطُوله ، وفى الغُرر [1] من أخباره مَقنع .

من جيد شعره — وله أشعار جيّدة وصَنعة كثيرة حَسنة . فمن جيّد شعره :

بنفسى ياجِنَانُ وأنتِ منِّى ... مكانَ الرُّوح من جَسَدِ الجَبانِ

ولو أنِّى أقُول مكانَ نفسى ... لِخفْتُ عليكِ بادرةَ الزَّمانِ

لإقْدامى إذا ما الخيلُ حامتْ ... وهابَ كُماتُها حَرَّ الطِّعان

وله فى الشيب — ومن جيِّد شعره قولُه فى الشَّيب :

فى كُلِّ يومٍ أرى بيضاءَ قد طلعتْ ... كأنّما أُلقيت [2] فى ناظر البَصَرِ

لئن قَصصتُكِ بالمِقْراض عن نَظَرى ... فما قَصصتُك عن هَمِّى وعن فِكَرى

أراد الإفشين قتله فأرسل المعتصم ابن أبى فأنقذه — وذُكر أنّ أبا دُلف العِجْلىّ كان فى جُملة مَن كان مع الإفشين [3] خَيْذر

---

(1) فيما بين أيدينا من أصول الأغانى : « وفى هذا القدر » .

(2) فى بعض أصول الأغانى : « أنبتت » .

(3) بالكسر كما ضبطه الزبيدى فى شرح القاموس . وشعر أبى تمام يزكيه :

لم يقر هذا السيف هذا الصبر فى ... هيجاء إلا عز هذا الدين

قد كان عذرة مغرب فافتضها ... بالسيف فحل المشرق الإفشين

غير أن عبارة رسالة الغفران (ص ١٦٦) تدل على أنه بفتح الشين وإسكان الياء .

ابن كاووس لما خَرج فى الجيُوش المُعتصميّة لمُحاربة بابك الخُرَّمىّ، حين قَتله وفتح بلاده . ثم إن الإفشين تنكّر لأبى دُلَف فوجّه يوماً بمن جاءه به ليقتلَه . وبلغ المعتصمَ الخبرُ فبعث إليه بالقاضى أحمد بن أبى دُوَاد وقال له : أدركه، فما أُراكَ تلحقه، واُحتل فى خَلاصه منه كيف شِئْت .

قال أحمد : فمضيتُ راكضاً حتى وافيتُه ، فإذا أبو دُلف واقفٌ بين يديه ، قد أخذ بيده غُلامان له تركيّان . فرميتُ بنفسى على السِّماط — وكنتُ إذا جئته دعا لى بمُصلّى — فقال لى : سبحان الله ! ما حَملك على هذا ؟ فقلتُ : أنتَ أجلستنى هذا المجْلس . ثم كلمتُه فى القاسم وسألتُه فيه وخَضعت له . فجعل لا يزداد إلا غلْظة . فلما رأيتُ ذلك قلتُ : هذا قد عَرف منّى الرِّفق به ، ولَيس يَنفع ألاّ أخذُه بالرَّهبة والصِّدق. فقمتُ وقلت: كم تُراكَ قدَرتَ فى نفْسك ! تقتُل من أولياء أمير المؤمنين واحداً بعد واحد ، وتُخالف أمرَه فى قائد بعد قائد ! قد حملت إليك هذه الرسالةَ عن أمير المؤمنين فهاتِ الجواب . قال : فذلَّ حتى لَصِق بالأرض وبان لى الاُضطراب فيه . فلما رأيتُ ذلك نهضتُ إلى أبى دُلَف فأخذتُ بيده وقلتُ له : قد أخذتُه بأمر أمير المؤمنين . فقال : لا تفعل يا أبا عبد الله . فقلت : قد فعلت . وأخرجتُ القاسم فحملتُه على دابّة ووافيتُ المُعتصم .

فلما بصُر بى ذكر لى خَبرى مع الإفشين حَدْسا وفِطْنة ، فما أخطأ فيه حَرْفاً . ثم سألنى عما ذكره لى وهل هو كما قال . فأخبرتُه أنه لم يُخْطىء حَرفاً .

تعقيب ابن واصل على أخبار الإفشين

قلت :

إن الإفشين كان قد تمكّن عند المُعتصم تمكُّنا كثيراً ، لأنه كان خَرج على المُعتصم بابكُ الخُرَّمى فى الخُرَّمية — وهم طائفة من الباطنية — واستولى على حُصون كثيرة ومَعاقل عظيمة ، واُستفحل أمره ، فجهّز المُعتصم إليه الجيُوش العظيمة ، وقدم عليها الإفشين، فحارب بابك حتى ظَفر به ، وتمكّن الإفشين بسبب ذلك .

وكان المُعتصم قد صلب بابك الخُرَّمى بسُر من رأى ، لمّا أتاه به الإفشين ، ثم غضب المُعتصم بعد ذلك على الإفشين وحَبسه ، ثم قَتله وصَلبه على خَشبة إلى جانب خَشبة بابك .

إنكار ابن أبى دواد الغناء عليه

وذُكر أن القاضى أحمد بن أبى دُوَاد كان يُنكر أمر الغناء إنكاراً شديداً . فأخبره المُعتصم أنّ صديقه أبا دُلف يُغنِّى ، فقال : ما أُراه مع عقله يفعل ذلك . فسَتر المُعتصم أحمد بن أبى دُوَاد فى موضع وأَحضر أبا دُلف وأمره أن يُغنِّىَ . ففعل ذلك وأَطال . ثم أخرج ابن أبى دُوَاد عليه من موضعه والكراهةُ ظاهرةٌ فى وجهه. فلما رآه أحمد قال : سَوْءةً لهذا من فِعل ! بعد هذه السن وهذا المَحلّ تَضع نفسك كما أرى ! فخجل أبو دُلف من ذلك وقال : إنهم أكرهونى عليه . فقال : هَبْهم أكرهوك على الغِناء ، أفأكرهوك على الإحسان فيه والإصابة .

شعر على بن جبلة فى ملحه

وأبو دلف هو الذى قال فيه علىُّ بن جَبلة ، المعروف بالعَكَوَّك :

إنّما الدُّنيا أبو دُلفٍ … بين مَغزَاه ومُحْتَضَرِهْ

فإذا وَلَّى أبو دُلفٍ … ولّت الدُّنيا على أثَره

وأَحقد هذان البيتان المأمونَ حتى سَلّ لسان علىّ بن جَبلة من قَفاه . وسيأتى ذكر ذلك فى أخبار علىّ بن جَبلة .

هو وأبو البخترى

وحُكى أن أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال :

كُنا عند أبى العبّاس المُبرّد يوماً ، وعنده فتًى من ولد أبى البَخْتَرىّ القاضى أمردَ حَسن الوجه ، وفتًى من ولد أبى دُلف العِجْلىّ شَبيه به فى الجَمال ، فقال المُبرِّد لابن أبى البَخترىّ : أعرف لجدِّك قصةً ظَريفة فى الكَرم حَسنة لم يُسْبق إليها . فقال : وما هى ؟ قال : دُعى رجلٌ من أهل الأدب إلى بعض المواضع ، فسَقَوْه نبيذاً غير الذى كانوا يَشْربون منه ، فقال فيهم :

نَبيذان فى مجلسٍ واحدٍ ... لإيثار مُثْرٍ على مُقْتِرِ
فلو كان فِعْلك ذا فى الطَّعامِ ... لَزِمْتَ قياسَك فى المُسْكِرِ
ولو كنتَ تطلُب شأو الكِرام ... صنعتَ صَنيع أبى البَخْترى
تَتَبَّع إخوانَه فى البلاد ... فأغنى المُقِلَّ عن المُكثر

و بلغت الأبياتُ أبا البَخترىّ فبعث إليه بثلاثمائة دينار .

قال ابن عمار : فقلتُ: قد فعل جَدُّ هذا الفتى ما هو أحسنُ من هذا . فقالوا : وما فعل ؟ قلتُ : بلغه أن رجلاً افتقر فقالت له امرأته : افْتَرِضْ فى الجند . فقال :

إليكِ عنِّى فقد كَلَّفتنى شَطَطاً ... حَمْلَ السِّلاح وقولَ[1] الدَّارعين قِفِ
تَمشِى المَنايا إلى قومٍ فأَكرهُها ... فكيف أَسْعى إليها عارِى الكَتِف
حَسبتِ أنّ نَفادَ المال غَيَّرنى ... وأنّ رُوحِىَ فى جَنْبَىْ أبى دُلَف

فأحضره أبو دلف وقال له : كم أمَّلت امرأتك أن يكون رزقك ؟ قال : مائة دينار . قال: وكم أمّلت أن تَعيش ؟ قال : عشرين سنة . قال : ذلك لك علىّ على ما أمّلتْ امرأتُك فى مالنا دون مال السلطان . وأمر بإعطائه إيّاه . قال : فرأيتُ وجه ابن أبى دُلف تهلّل ، وانكسر ابن البَخْترىّ .

عتابه لابن جبلة على انقطاعه عنه ورده عليه

وحَكى علىّ بن جبلة العَكوَّك قال :

زُرت أبا دُلف بالجبل ، فكان يُظهر من بِرِّى وإكرامى والتَّحفِّى بى أمراً مُفرطا ، حتى تأخرتُ عنه حيناً حياءً . فبعث إلىّ مَعْقل بن عيسى فقال : يقول لك الأمير : قد انقطعتَ عنِّى ، وأحسبُك قد استقللتَ بِرِّى و إكرامى، فلا يُغضبنك ذلك ، فسأزيدك فيه حتى تَرضى . فقلت : والله ما قَطعنى إلا إفراطُه فى البِرِّ ، وكتبت إليه :

هجرتُكَ لم أَهْجُرْك من كُفر نِعْمةٍ ... وهل يُرْتَجى نيلُ الزيادة بالكُفرِ
ولكنّنى لمّا أتيتُك زائراً ... وأَفرطتَ فى بِرِّى عجزتُ عن الشُّكر

(١) فى الأغانى : « وقيل » .

فمـلآن لا آتيك إلا مُسَلِّماً أزورك فى الشَّهرين يوماً أو(١) الشَّهر

فإن زِدْتنى بِرًّا تزايدتُ جَفـوةً ولم تَلْقنى طُولَ الحياة إلى الحَشْر

فلمـا قرأها مَعقل اُستحسنها وقال : أحسنتَ والله ! أما إن الأمير لتُعجبه هذه المَعانى .

فلما أوصلها إلى أبى دُلف قال : قاتلَه الله ! ما أَشعره وأدقَّ معانيَه ! وأَعجبتْه . وأجابنى لوقته ، وكان حَسن البديهة حاضرَ الجواب :

ألا رُبَّ ضَيفٍ طارقٍ قد بَسطتُه وآنستُه قبـل الضّيافة بالبِشْرِ

أتانى يُرجِّينى فما حال دونه ودون القِرَى والعُرْفِ من نائلى سِتْرى

وجـدتُ له فضـلاً علىّ بقَصْده إلىّ و بِرًّا زاد فيـه على بِرِّى

فـزوّدتُه مالاً يقِـلُّ بقـاؤه وزوّدنى مَدحاً يدُوم على الدَّهر

قال: و بعث الأبيات إلىّ مع وصيف، و بعث إلىّ ألف دينار . فقلت حينذاك:

إنما الدنيا أبى دلف . . . الأبيات

اعتراف ابن جبلة بالتقصير فى حقه

وحكى إبرهيم بن خلف قال :

بينا أبو دُلف يَسير مع مَعقل ، ونحن إذ ذاك بالعِراق ، إذ مرّ بقَصر، فأشرفت منه جاريتان . فقالت إحداهما للأُخرى : هذا أبو دُلف الذى يقُول فيه الشاعر :

إنما الدنيا أبو دلف . . .

فقالت الأُخرى : أو هذا هو ؟ قد واللهِ كنتُ أُحبّ أن أَراه منـذ سمعتُ ما قِيل فيه . فالتفت أبو دُلف إلى مَعْقل وقال : ما أَنصفْنا علىَّ بن جَبـلة ولا وفّيناه حقّه .

(١) فى الأصل : « وفى » مكان « أو » .

أخبار سعيد بن عبد الرحمن

طبقته فى الشعر

قد مَضى نسبُ جدِّه حسّان ، وهو شاعر من شُعراء الدَّولة الأمويّة، متوسّط فى طَبقته ، ليس معدوداً من الفُحول .

هو وخلفاء بنى أمية

وفد إلى الُخلفاء من بنى أُميّة فمدَحهم ووَصلوه ، ولم تكن له نَباهة أَبيه وجدِّه .

هو وهشام وابن عبد الأعلى

وذُكِر أنّ سعيد بن عبد الرحمن وَفد على هشام بن عبد الملك ، وكان جميلَ الوجه . واُختلف إلى عبد الصَّمد بن عبد الأَعلى ، مؤدِّب الوليد بن يزيد ، وكان لُوطيًّا زِنْديقاً ، فأراده على نفسه . فدخل سَعيدٌ على هشام مُغضَباً وهو يقول :

إنه واللّه لولا أنت لم يَنْجُ منِّى سالمًا عبدُ الصَّمَدْ

فقال هشام . ولم ذا ؟ فقال :

إنه قد رام منِّى خُلةً لم يَرُمْها قَبله منِّى أَحَدْ

فقال : وما هى ؟ فقال :

رام جهلاً بى وجهلاً بأبى يُدخل الأَفْعى إلى غِيل الأَسَدْ

فضحك هشامٌ وقال : لو فعلتَ به شيئاً لم أُنكر عليك .

لم يقض له ابن حزم حاجة وقضاها غيره فهجاه

وذُكِرَ أنّ سعيد بن عبد الرحمن سأل أبا بكر محمد بن عَمرو بن حَزم حاجةً له . فكلّم فيها سليمان بن عبد الملك ، فلم يَقْضها له . ففزِع فيها إلى غيره ، فقَضاها . فقال :

سُئلتَ فلم تَفْعل وأدركتُ حاجتى تَولَّى سواكم حَمْدَها واُصطناعَها

أَبَى لك كَسْبَ الحمد رأىٌ مُقصِّرٌ ونفسٌ أضاق اللهُ بالخير باعَها
إذا ما أرادتْه على الخير مرةً عَصاها و إن هَمَّت بشرٍّ أطاعها

أوصى ابن الرقاع رجلا من الأنصار بشعره

وحُكى أن رجلاً من الأنصار قال لعدىّ بن الرِّقاع : اكتُبنى شيئاً من شعرك . قال : ومِن أىّ العرب أنت ؟ قال : رجلٌ من الأنصار . قال : مَن منكم القائل :

إنّ الحَمامَ إلى الحجاز يَهيج لى طَرَباً تَرَنُّمه إذا يترنَّمُ
والبرقُ حين أشيمُه مُتيامِناً وجنائبُ الأَرواح حين تَنسَّم

فقال له : سعيدُ بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت . فقال له : عليكم بصاحبكم فاُكتُبْ شعره ، فلستَ تحتاج معه إلى غيره .

من شعره

وهذا الشعرُ من قصيدة ، منها :

بَرِحَ الخفاء فلست[1] مابك تكتُمُ والشَّوقُ يُظهر ما تُسِرّ فيُعْلَمُ
وحملتَ سُقْماً من علائق حُبِّها والحبُّ يَعْلَقه الصحيحُ فيَسْقَم
علويّةٌ أَمست ودون مَزارها مِضمارُ مصرَ وعابدٌ[2] والقُلْزُم
خَوْدٌ تُطيف بها نواعمُ كالدُّمَى مما أصطفى ذو النِّيقة[3] المُتوسِّم
حُلِّين مَرْجانَ البحُور وجوهراً كالجمر فيه على النُّحور يُنظَّم

ومنها :

لو لَجّ ذو قَسَم على أن لم يكن فى الناس مُشْبُهها لَبَرَّ المُقسِم
من أجلها تَرْكى القرارَ وخَفْضَه وتَجشُّمى ما لم أكن أتجشَّم

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فأى » مكان « فلست » .
(٢) عابد : جبل بمصر . والقلزم : بلد قرب جبل الطور ، إليها يضاف بحر القلزم .
(٣) النيقة : التخير .

ولقد كتمتُ غـداةَ بانتْ حاجةً ... فى الصَّدر لم يعـلم (١) بها مُتكلِّمِ

رَقراقةٌ فى عُنفوان شَبابهـــا ... فيهـا عن اُلخُلُق الدَّنِىِّ تَـكرُّم

ضَنَّت على مُغْرًى بطُول سُؤالها ... صَبٍّ كما يَسَلُ الغـنىَّ الُمْعـدِمِ

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، واُفتتح به أبو الفرج أخبـــار سعيد بن عبد الرحمن ابن حسان، هو قولُه :

عَتَق الفؤادُ من الصِّبَا ... ومن السَّفاهة والعَـلَاقِ

وحططتُ رحـلى عن قَلُو ... صِ الغىِّ فى قُلُصٍ عِتَاق

ورفعتُ فضـلَ إزارىَ الـ ... ـمَجرور عن قَدمى وساقى

وكَففتُ غَرْب النَّفس حـتَّى ما تتوق إلى مَتـاق

(١) فى الأصل : « لم يك لى » مكان « لم يعلم » .

أخبار الأخطل (*)

نسبه

هو غِياث بن غَوْث بن الصَّلْت بن طَارقة بن (1) سَيْحان بن عَمرو بن الفَدَوْكس بن عمرو بن مالك بن جُشَم بن بكر بن حَبيب بن عَمرو بن غُنْم بن تَغلب . ويكنى : أبا مالك .

وقيل : هو غِياث بن غَوث بن سَلمة بن طارقة .

ويقال لسلمة : سَلَمَةُ اللحّام .

جده أحد فرسان العرب

ويقال : إن النُّعمان بن المُنذر بَعث بأَربعة أرماح لفُرسان العرب . فأَخذ أبو بَرَاء عامرُ بن مالك رُمحاً ، وسَلَمة بن طارقة اللحّام — جد الأخطل — رُمْحاً، وأَنس بن مُدركة (2) رُمحاً ، وعَمرو بن مَعد يكرب رُمحاً .

سبب تلقيبه بالأخطل

والأخطل لقبٌ غَلب على غِياث بن غَوث . قيل : إنه هجا رجلاً من قومه ، فقال : يا غلام ، إنك لأَخطل . فغَلبت عليه . والأَخطل : السَّفيه .

محله فى الشعر

وكان الأخطل نَصرانيًّا من أهل الجَزيرة : ومحلُّه فى الشِّعر أكبرُ من أن يَحتاجَ إلى وَصف .

هو وجرير والفرزدق

وهو وجَرير والفَرزدق طبقةٌ واحدة . جعلها ابنُ سلّام أولَ طَبقات الإسلام . ولم يَقع إجماعٌ على أحدهم أنه أفضلُهم . ولكُل واحدٍ منهم طبقةٌ تُفَضِّله على الجماعة .

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار الأخطل حديثاً قصيراً عن « البردان » المغنى . مرعنه ابن واصل.

(1) فى بعض أصول الأغانى : « ويقال : ابن » .

(2) فى بعض أصول الأغانى : « مدرك » .

طريقته فى الشعر

وذكر الأصمعىُّ أن الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيُظهرها[1].

بين نوح بن جرير وأبيه فى شأنه

وحكى نُوح بن جَرير قال :

بينا أنا آكُل مع أبى يوماً ، وفى فيه لُقمة وفى يده أُخرى ، إذ قلتُ : يا أَبى، أنت أشعرُ أم الأخطل ؟ فجَرِض بالتى فى فيه ورَمى بالتى فى يده ، وقال : يا بُنىّ ، لقد سرَرْتَنى وسُؤتنى ، فأمّا سُرورك إيّاى فَلِتَعَهُّدك لمثل هذا وسُؤالك عنه ؛ وأما ما سُؤتَنى به فلِذكرك رجلاً قد مات ! يا بُنىّ ، أدركتُ الأخطل وله نابٌ واحد ، ولو أدركتُه وله ناب آخر لأَكلنى به . وأعاننى عليه خَصلتان : كِبَرُ سِنٍّ ، وخُبْث دِين .

لحماد وقد سئل عنه

وسُئل حمّاد الراوية عن الأخطل فقال : ما تَسألوننى عن رجل قد حَبَّب إلىّ شعرُه النَّصرانيةَ .

لأبى عمرو فيه

وقال أبو عُبيدة : قال أبو عمرو :

لو أدركَ الأخطلُ يوماً من أيام الجاهليّة ما قدّمتُ عليه أحداً .

ويقال : إن الأخطل أدركه جريرٌ وقد تحطّم . وكان الأخطل أسنَّ من جرير .

لأبى عبيدة فيه

وكان أبو عُبيدة يقول :

أشعرُ[2] أهل الإسلام : الأخطل ، ثم جرير ، ثم الفرزدق .

وكان أبو عمرو يُشبِّه الأخطل بالنابغة ، لصحّة شِعره .

هو وعبد الملك ابن مروان

وذُكِر أن الأخطل قال يوماً لعبد الملك بن مَروان : أمير المؤمنين ، زَعم ابنُ المراغة أنه يبلُغ مِدْحتك فى ثلاثة أيام ، وقد أقمت فى مِدْحتك :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فيطيرها » . (٢) فى الأغانى : « شعراء » .

* خَفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا *

سنة ، فما بلغتُ كُلَّ ما أردتُ . فقال له عبد الملك : فأَسْمعناها يا أخطل .
فأنشده إياها .

قال الراوى : فرأيتُ عبد الملك يتطاول لها . ثم قال : ويحك يا أخطل ! تُريد
أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعرُ العرب ؟ قال : أَكتفى بقول أمير المؤمنين .
فأَمر له بجَفْنة كانت بين يَديْه فمُلئت دَراهم ، وأُلقيت عليه خِلْعة[1] . وخَرج به
مولًى لعبد الملك على الناس يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين ! هذا أشعرُ العرب !

وقيل : لما أنشد الأخطلُ عبد المَلك هذه القصيدةَ و بلغ إلى قوله :

شُمسُ العَـــداوة حتى يُستقادَ لهم   وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا

قال عبد الملك : هذه المُزمِّرة ! والله لو وَقعت على زُبَر الحديد لأَذابتها ! ثم أمر
له بخِلَع . فخلعت عليه حتى غاب فيها ، وجعل يقول : إن لكل قوم شاعراً ، و إنّ
الأخطل شاعر بنى أُمية .

أعجب عبد الملك ببيت لكثير فأنشده خيراً منه

وقيل : أُنشد عبدُ الملك قولَ كُثيّر :

فما تركوها عَنوةً عن مَودَّة   ولكنْ بحدِّ المَشرفىِّ أستقالَهَا

فأُعجِب بها . فقال الأخطل : ما قلتُ لك والله يا أمير المؤمنين أحسنُ منه .
قال : وما قلت ؟ قال : قلتُ :

أَهَلُّوا من الشَّهر الحَرام فأصبحـوا   موالِىَ مُلْكٍ لا طَرِيفٍ ولا غَصْبِ

جعلتهُ لك حقًّا وجَعلك ذاك أنّك أخذتَه غَصْباً . قال : صدقتَ .

تفضيله نفسه على جرير والفرزدق

وحكى شيخٌ من قُريش قال :
رأيتُ الأخطل خارجاً من عند عبد الملك بن مروان ، فلما اعتزل[2] دنوتُ

(١) فى الأغانى : « وألقى عليه خلعاً » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « انحدر » .

منه فقلت : يا أبا مالك ، مَنْ أشعرُ العرب ؟ قال : هذان الكلْبان المُتعاقران من بنى تَميم — يعنى جريراً والفرزدق — فقلت له : فأين أنت منهما ؟ فقال : أنا واللاتِ أشعرُ منهما . فحلف باللات هُزُؤا واستخفافاً بدينه .

نصيحة رجل من شيبان له أن يهجو جريراً

وذُكر أنّ رجلاً من بنى شَيبان جاء إلى الأخطل فقال : يا أبا مالك : إنّا وإن كُنا بحيث تعلم من افتراق العَشيرة واتصال الحرب والعداوة ، تجمعنا ربيعةُ ؛ وإن لك عندى نُصحاً . قال : هاته ، فما كذبتَ . قلتُ : إنك هجوتَ جريراً ودخلتَ بينه وبين الفرزدق وأنت غنىٌّ عن ذلك ، والإسلامُ [1] يبسُط لسانه بما يَقبض لسانَك عنه . ويَسُب ربيعةَ سبًّا لا تَقدر على سبّ مُضَر بمثله ، والمُلك فيهم والنُّبوة قبله . فلو شئتَ أمسكتَ عن مُشارّته ومُهارّته . فقال : صدقت فى نُصحك وعرفتُ مرادك ، وصلتْكَ رحِمٌ ! فوالصَّليب والقُربان لأتخلَّصن إلى بنى كُليب خاصةً دون مُضَر بما يَلْبَسهم خِزْيُه ويَشملهم عارُه . ثم اعلم أن العالِمَ بالشعر لا يُبالى — وحقِّ الصليب — إذا مر به البيتُ السائر الجيِّد أمُسلمٌ قاله أم نَصرانىّ .

هو وعبد الملك فى الإسلام

وحُكِى أنَّ الأخطل قَدم على عبد الملك بن مروان ، فنزل على سَرجون [2] كاتبه . فقال عبدُ الملك : على مَنْ نزلتَ ؟ فأخبره . فقال : قاتلك الله ! ما أعلمك بصالح المنازل ! فما تريد أن يُنزلك ؟ [3] قال : دَرْمَكٌ [4] من دَرْمَككم ، ولَحم وخَمر من بَيْت رأس [5] . فضحك عبد الملك وقال له : ويلك ! وعلى أىّ شىء

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ولا سيما أنه » مكان « والإسلام » .

(٢) كذا فى الأصل ، وهى رواية الطبرى أيضاً . والذى فى العقد الفريد (٢ : ٣١٧) : « سرحون » بالحاء المهملة .

(٣) أى ما يبرك به .

(٤) الدرمك : دقيق الحوارى .

(٥) بيت رأس : اسم لقريتين معروفتين بالكروم والخمر .

أقتلنا إلا على هذا ! ثم قال : ألا تُسلم فنَفرِضَ لك فى الفَىء ونُعطيك عشرة آلاف دِرهم ؟ قال : وكيف بالخمر ؟ قال : وما تصنع بها ، فإن أولها لمُرّ وإن آخرها لسُكر ! قال : أمّا إذ قلت ذاك ، فإن فيما بين هاتين المنزلتين لمنزلةً ما مُلكك فيها إلا كعُلقة من ماء الفُرات بالإصبع . فضحك ثم قال : ألا تزور الحجّاج فإنه كتب يَستزيرك ؟ قال : أطائعٌ أم كاره ؟ قال : بل طائع . قال : ما كنتُ لأختار نوالَه على نوالك ، ولا قُربه على قُربك ، إنى إذاً لكما قال الشاعر :

كمُبتاعٍ بمَرْكبه (١) حماراً تخيّره عن (٢) الفرَس الكريمِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأمره بمديح الحجّاج ، فمدحه بقوله :

صَرَمتْ حبالَك زينبٌ ورَعُومُ وبدا المُجَمْجَمُ منهما المَكتومُ

ووجّه القصيدة مع أبنه إليه ، وليست من جيّد شعره .

شعره يخوف عبد الملك من زفر بن الحارث

وكان زُفر بن الحارث الكِلابىّ عاصياً لعبد الملك بن مروان بقِرْقِيسيا . (٣) فاستنزله منها عبدُ الملك وأمّنه . فقال الأخطلُ يُخوّفُ عبدَ الملك منه :

بنى أُميةَ إنّى ناصحٌ لكمُ فلا يَبيتنّ فيكم آمناً زُفَرُ
مُفترشاً كافتراش الكَلْب (٤) كَلْكلَه لوقعةٍ كائنٍ فيها لكم (٥) جَزَر

هو وعبد الملك وذو الكلاع فى أمر زفر

وذُكر أن عبدالملك لما استنزل زُفر من قِرْقِيسيا وأمّنه أقعده معه على سريره . فدخل عليه ابنُ ذى الكَلاَع ، فلما نَظر إليه مع عبد الملك بكى . فقال له : مايُبكيك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أبكى وسيفُ هذا يقطرُ دماً من دماء قَومى فى طاعتهم لك وخلافِه عليك ، ثم هو معك على السَّرير وأنا على الأرض !

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ليركبه » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « من » .
(٣) قرقيسيا : بلد على الفرات .
(٤) فى رواية : « الليث » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « فيها له » .

فقال : إنّى لم أُجْلسه معى أن يكون أكرمَ علىَّ منك ، ولكنّ لسانَه لسانى وحديثه يُعجبنى . فبلغت الأخطلَ وهو يشربُ ، فقال : أما والله لأقومن فى ذلك مقاماً لم يقُم فيه ابنُ ذى الكَلاَع . ثم خَرج حتى دخل على عبد الملك ، فلما ملأ عينَه منه قال :

وكأسٍ مثلِ عينِ الدِّيك صِرفٍ ... تُنسِّى الشاربين لها العُقولاَ
إذا شَرب الفتى منها ثلاثاً ... بغير الماء حاول أن يَطُولا
مَشى قُرشيّةً لا شك فيها ... وأَرخى من مآزره الفُضولا

فقال له عبد الملك : ما أَخرج هذا منك إلا خُطّة فى رأسك . قال : أجل والله يا أمير المؤمنين ، حين تَجلس هذا عدوّ الله معك على سريرك ، وهو القائل بالأمس :

وقد يَنْبُت المَرعى على دِمنَ الثّرى ... وتَبقى حَزازاتُ النُّفوس كما هِيَا

فقبض عبدُ الملك رجلَه وضَرب بها صدر زُفر فقَلبه عن السرير ، وقال : لا أذهب الله حَزازات تلك الصُّدور ! فقال: أنشُدكَ الله يا أمير المؤمنين والعَهدَ الذى أعطيتَنى ! فكان زُفر يقول : ما أيقنتُ بالموت قطُّ إلا تلك الساعةَ حين قال الأخطل ما قال .

قوله فى فضله الشعراء

وذُكر أن الأخطل قال :

فضلتُ الشعراء فى المديح والهجاء والنسيب بما لا يلحقوننى فيه . فأما النَّسيب فقولى :

ألا يا اُسلمى يا هِنْدُ هندَ بنى بَدْر ... وإن كان حيَّانا عِدًى آخرَ الدَّهرِ
من الخَفِرات البيض أمّا وشاحُها ... فيَجرى وأما القُلْبُ [1] منها فلا يَجرى

(١) القلب : السوار .

تموت وتحيا بالضَّجيع وتلتــوى بمُطَّردِ المَتْنَــيْن مُنْبَــتِرالخَصْر

وقولى فى المديح :

نفسى فــداءُ أميرِ المؤمنــين إذا أبدَى النَّواجذ يوماً عارمٌ [(١)] ذَكَرُ

الخائضُ الغَمرةِ الميمــونُ طائرُه خليفةُ الله يُسْتَسقى به المَطَــر

وقولى فى الهجاء :

وكنتَ إذا لقيتَ عَبيد تَيْم وتَيماً قلتَ أيُّهم العَبيدُ

لئيمُ العــالَمين يَسُــود تيماً وسيِّدُهم وإن كَرِهوا مَسُودُ

قال عبد الخالق بن حَنظلة الشَّيبانى ، راوى هذا الخبر :

وصَدق لعَمرى ، إنّه فَضلهم .

شعره فى مطلقة تزوجها

وذُكر أنّ أعرابيًّا طلَّق زوجته فتزوّجها الأخطل . وكان الأخطلُ قبل ذلك قــد طَلَّق امرأته . فبينا هى معه إذ ذَكرت زوجها الأول ، فتنفَّست ، فقال الأخطل :

كلانا على هَمٍّ يبيتُ كأنمــا بجَنْبيه من مَسِّ الفِراش قُروحُ

على زَوجها الماضى تَنوح وإنَّنى على زَوْجتى الأُخرى كذاك أَنُوح

شعره فى امرأة من قومه هجته

وذُكر أن الأخطل هجتْه جاريةٌ من قومه ، فقال لأبيها : يا أبا الدَّلْماء ، إن ابنتــك تعرَّضت لى فاكْفنيها [(٢)] . فقال له : هى امرأة مالــكة لأمرها . فقال الأخطل :

ألا أَبْلغ أبا الدَّلْماء عــنِّى بأنّ سِنانَ شــاعرِكم قَصيرُ

فإنْ يَطْعُنْ فليس بذى غَنــاء وإن يُطْعَن فمَطعنه يَســير

(١) العارم : الشديد .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فاكففها » .

مـتى ما أَلْقـه ومعى سِـلاحى يخرّ على القفـا وله (١) نَخِير

فمشى أبوهـا فى رجال قومه إلى الأخطل ، فكلّموه . فقال : ما مضى قد مضى ولا أزيد .

الهجاء بينه وبين جرير فى حضرة عبد الملك وقصة أبى سواج

وذكر أنّ الأخطلَ دخلَ على عبد الملك بن مروان وعنده جريرٌ ، فقال : يا أخطل ، هذا — يعنى جريراً — يَسُبك ! وجريرٌ جالس . فأقبل عليه جرير وقال : أين تركت خنازير أُمّك ؟ قال : راعيةً مع أعيار أبيك (٢) ، وإن أتيتنا قَرَيناك منها . فأقبل جرير على عبد الملك فقال : يا أمير المُؤمنين ، إن رائحة الخمر لتفوح منه . فقال : صَدق يا أمير المؤمنين ، وما أعتذر من ذلك . ثم قال :

تَعيبُ الخمر وهى شرابُ كِسْرى ويشرب قومُك العَجبَ العَجيبا

مَنِيُّ العَبْد عبدِ أبى سُوَاجٍ أحقُّ من المُـدامة أن تَعيبا

والبيت الثانى للأخطل إنما يُفهم بذكر حكاية عجيبة أوردها أبو الفرج ، وهى : أن أبا سُوَاج عبّاد بن خَلَف الضَّبّى جاور بنى يَرْبوع ، وكانت له فرسٌ يقال لها : بَذْوة ، وكانت لصُرَد بن جَمْرَة اليَربوعىّ فرسٌ يقال لهـا : القَضيب ، فتراهنـا عشرين بعشرين ، فسبقت بَذْوة ، فظَلَمه صُرد بن جَمْرَة حقّـه ومَنعه سَبَقَه ، وجعل صُرد يفجُر بامرأة أبى سُواج . ثم إن أبا سُواج ذَهب إلى البحرين يَمتار ، فلما أقبل راجعاً ، وكان رجلاً مُعجَباً بنفسه ، جعل يقول وهو يَحْدو :

* ياليت شعرى هل بَغَت من بَعْدى *

فسمع قائلاً يقول من خَلفه :

* نعم بمكوىٍّ قَفـاه جَعْـدى *

فعاد إلى قوله : فأجابه بمثل ذلك . وقَدم إلى منزله فأقام مُدة . فتغاضب صُرد

(١) وهى رواية الديوان . والذى فى الأغانى المطبوع : * يخر على قفاه فلا يحير * .
(٢) فى الأغانى : « أمك » .

ابن جَمرَة على امرأة أبى سُواج وقال لها : لاأرضى أو تقُدِّى لى من اُست أبى سُواج سَيراً . فأخبرت زوجها بذلك . فقام إلى نَعجة له فذبحها وقدَّ من باطن أَلْيتها سيراً فدفعه إليها . فجعله صُرد بن جَمرَة فى نعله ، وقال لقومه : إذا أقبلتُ وفيكم أبى سُواج فسَلُونى : من أين أقبلتَ ؟ ففعلوا . فقال : مِن ذى بِليّان[1] ، وأريد ذا بِليّان . وفى نعْلى شراكان من اُست إنسان . فقام أبو سُوَاج فطرَح ثوبه وقال : أنشُدكم الله ! هل ترون بأساً ؟ ثم أمر أبو سُواج غُلامين له راعيين أن يأخُذا أمةً له فيتراوحاها ، ودفع إليهما عُسًّا وقال : لئن قطرتْ منكما قطرةٌ فى غير العُسّ لأقتلنّكما . فباتا يتَراوحانها و يصُبّان ما جاء منهما فى العُسّ . وأمرها أن يحلُبا عليه . فحلَبا حتى ملآه . ثم قال لامرأته : والله لتسقينّه صُرداً أو لأقتلنّك . واُختبأ وقال : ابعثى إليه حتى يأتيَك . فأتاها كعادته ، كما كان يأتيها . فرحّبت به وأستبطأتْه . ثم قامت إلى العُسّ فناولتْه إيّاه . فلما ذاقه رأى طعماً خبيثاً وجعل يتَمطَّق[2] من اللبن الذى شَرب ، وقال : إنى أرى لبنكم خاثراً ، أحسب إبلكم رعت السّعدان . قالت: إن هذا من طول مُكثه فى الإناء، أقسمتُ عليك إلّا شربته. فلما وقع فى بطنه وجد الموت . فخرج إلى أهله ولا يَعلم أصحابه بشىء من أمره . فلما جَنّ على أبى سُواج الليل أمر أهلَه وغلمانه فانصرفوا إلى قومه، وخَلّف الفرس وكلبه فى الدار ، فجعل الكلبُ يَنبح والفرس يَصهل ، وذلك ليظن القومُ أنه لم يَرحل . فساروا ليلتهم والدارُ ليس فيها غيرُه وكلبه وفرسه وعُسه . فلما أصبح ركب فرسه وأخذ العُس ، فأتى مجلس بنى يَربوع فقال : جزاكم الله من جِيران خيراً ، لقد أحسنتمُ الجوار وفعلتم ما كنتم أهلَه . فقالوا : يا أبا سُواج ، ما بدا لك فى الانصراف عنّا ؟ فقال : إن صُرد بن جَمرَة لم يكن فيما بينى و بينه مُحْسناً ، وقد قلتُ فى ذلك :

---

(١) ذو بليان : موضع .

(٢) يتمطق : يتذوق .

إنّ المَنِيَّ إذا سَرى ... فى العَبد أصبح[1] مُسمغدًا

أتُنـــال سَـــلْمى باطلاً ... وخُلِقتُ يوم خُلقتُ جَلْدَا

صُردَ بن جَمْرَة هل لقيـ ... ـتَ رثيئةً لبناً[2] وعَصْدَا

ألا واُعلموا أن هذا القَدح قد أحبل منكم رجلاً ، وهو صُردبن جَمْرَة . ثم رمى بالعُسّ على صخرة فاُنكسر . وركض فرسَــه وتنادَوْا : عليكم الرجلَ ، فأعجزهم . ولحق بقومه . فقال فى ذلك عُمر بن لجأ التَّيمى :

تُمسِّح يَربوعٌ سِــبالاً لئيمةً ... بها من مَنِيٍّ العَبد رَطْبٌ و يابسُ

و إيّاه يعنى الأخطل بقوله يُعير جريراً :

تَعيب الخمر وهى شرابُ كسرى ... و يَشرب قومُك العجبَ[3] العَجيباَ

مَنِيُّ العبد عبــدِ أبى سُواج ... أحقُّ من المُدامة أن تَعيبا

حبس القس له ثم إطلاقه إياه

وحكى إسحاق بن عبد الملك النَّوفلى قال :

قدمتُ الشام وأنا شابٌّ أطوفُ كنائسها ، فدخلتُ كنيسةَ دِمَشق ، فإذا الأخطلُ بها محبوس ، فجعلتُ أنظر . فسأل عنّى ، فأُخبر بنَسبى . فقال : يا فتى ، إنك رجلٌ شريف ، و إنِّى أسأَلك حاجةً . فقلتُ : حاجتُك مقضيَّة . قال : إن القَسّ حَبسنى هاهنا . فتُكلِّمه ليُخلِّى عنِّى . فأتيتُ القَسّ فاُنتسبتُ له . فرحَّب بى وعظَّم . وقلت : إن لى إليك حاجةً . قال : وما حاجتــك ؟ قلت : الأخطل . قال : أُعيذك بالله من هذا ! مثلُك لا يتكلّم فى فاسق يأخذ أعراض النــاس و يهجوهم ! فلم أزل أطلُب إليــه حتى مَضى متكئاً على عصاه ، فوقف عليه ورَفع عصاه وقال : يا عدو الله ، أتعود تشتُم النــاس وتهجوهم وتقذِف المُحصنات ! وهو

(١) المسمغد : المرتوى من اللبن .

(٢) الرثيئة : اللبن الحامض . والعصد : تحريك العصيدة .

(٣) فى الأصل : « العجابا » .

يقول : لستُ بعائد ولا أفعل ، ويَستخذى له . فقلت له : يا أبا مالك ، الناس يهابونك ، والخليفةُ يُكرمك ، وقدرُك فى الناس قدرُك ، وأنت تخضع لهذا هذا الخُضوع وتَستخذى له ! فجعل يقول : إنه الدِّين .

هو وامرأته وأسقف مر بهما

وذُكر أن امرأة الأخطل كانت حاملاً ، فمر الأُسْقُف يوماً ، فقال لها : الْحَقيه فتمسحى به . فعَدَتْ فلم تَلْحق إلّا ذَنَب حماره ، فتمسّحت به ورجعتْ فأخبرتْه . فقال لها : هو وذَنَب حماره سواء .

هو وهشام فى الإسلام

وقيل : سمع هشامُ بن عبد الملك الأخطلَ يقول :

وإذا افتقرتَ إلى الذَّخائر لم تجدْ ... ذُخراً يكون كصالح الأعمالِ

فقال : هنيئاً لك يا أبا مالك هذا الإسلام ! فقال : يا أمير المؤمنين ، ما زلتُ مُسلماً فى دينى .

هو وثقيل

وذُكر أن الأخطل بينما هو جالسٌ يتحدّث مع امرأة من قومه ، وبين يديه باطيةٌ من شراب ، والمرأة تتحدّث وهو يشرب ، إذ دخل رجلٌ فجلَس . فثقُل على الأخطل وكَرِه أن يقول : قُم ، استحياءً منه . وأطال الرجل الجلوسَ إلى أن أقبل ذُباب فوقع فى الباطية فى شرابه . فقال له الرجل : يا أبا مالك ، الذباب فى شرابك . فقال :

وليس القَذى بالعُود يسقُط فى الإنَا ... ولا بذُباب خَطْبُه أيسر الأَمرِ

ولكنّ شخصاً لا نُسَرُّ بقُربه ... رمتْنا به الغِيطانُ من حيث لا ندرى

فقام الرجلُ وانصرف .

مدحه عكرمة بن ربعى

وذُكر أن الأخطل قدم الكوفةَ فأتى حَوْشب بن رُوَيْم الشَّيبانى ، فقال : إنى تحمّلتُ حَمَالتين لأحقِن بهما دماء قومى . فَنهره . فأتى سيّارَ بن القريعة[1] ، فسأله ، فاعْتذر . فأتى عِكْرمة الفَيّاض ، وكان كاتباً لبِشْر بن مَروان والى العراقيْن

(١) فى بعض أصول الأغانى : « البزيعة » .

لأخيه عبد الملك ، فسأله وأخبره بما رَدَّ عليه الرجلان . فقال : أمّا إنّى لا أنهرك ولا أعتذر إليك ، ولكنّى أُعطيك إحداهما عيناً والأُخرى عَرَضاً .

أول مدحه عكرمة بن ربعى

وحدَث أمر بالكوفة فاجتمع له الناسُ فى المسجد ، فقيل للأخطل : إذا أردت أن تُكافىء عِكرمة يوماً فاليوم . فلَبس جُبَّة خزّ ورَكب فرساً وتقلّد صَليباً من ذهب ، وأتى باب المسجد فنزَل عن فرسه . فلما رآه حَوْشب وسيّار نَكَّسا رأسيهما . فقال له عِكْرمة الفيّاض : إلينا يا أبا مالك . فٱبتدأ يُنشده قصيدته التى أولها فيها الغناء ، وٱفتتح بها أبو الفرج أخبار الأخطل ، وهى :

لمن الدِّيارُ بحائلٍ[1] فُوعالِ ... دَرَستْ وغيَّرها سِنونُ خَوالى

دَرَج البوارحُ فوقها فتنكَّرت ... بعد الأَنيسِ معارفُ الأَطلال

دِمَنٌ تُزَعزعها الرياحُ وتارةً ... تعفو بمُرْتجِز السَّحاب ثِقال

فكأَنما هىَ من تقادُم عهدها ... وَرَقٌ نُشِرْن من الكتاب بَوالى

حتى ٱنتهى إلى قوله :

إنّ ٱبن رِبْعِىٍّ كفانى سَيْبُهُ ... ضِغْنَ العُداة ونَبْوة[2] البُخّال

أغليتَ حين تواكلتْنى وائلٌ ... إنّ المكارمَ عند ذاك غَوالى

ولقد مَننتَ على ربيعةَ كُلِّها ... وكفيتَ كُلَّ مُواكِلٍ خَذّال

كٱبن الفريعة[3] أو كآخرَ مثلِه ... أَوْلى لك[4] ٱبنَ مُسيمةِ الأجمال

إنّ اللَّئيم إذا سألتَ بَهرْتَه ... وترى الكريمَ يَرَاح كالمُختال

وإذا عدلتَ به رجالاً لم تجدْ ... فيضَ الفُرات كراشحِ الأَوشال

فجعل عِكْرمه يَبتهج ويقول : هذا واللهِ أحبُّ إلىّ من حُمْر النَّعم !

---

(١) حائل : موضع باليمامة . ووعال : جبل بسماوة كلب بين الكوفة والشام .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ضغن العدو وغدرة المحتال » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « البزيعة » .وفى الديوان (ص ١٥٩) : « مثل ابن بزعة » .

(٤) أولى لك : ويل لك .

ثم ذكر أبو الفرج :

أخبار سائب خاثر

ولاؤه

وهو مولى بنى لَيث . وأصله من فَىء كِسْرى . وٱشترى عبدُ الله بن جَعفر ابن أبى طالب ولاءه من مواليه .

وقيل : بل ٱشتراه فأَعتقه .

وقيل : بل كان على ولائه لبنى لَيْث ، وإنما ٱنقطع إلى ٱبن جعفر ولزمه وعُرف به .

نشأته

وكان يَبيع الطعام بالمدينة . واسم أبيه الذى أعتقه بنو ليث « يسار[1] » .

أوليته فى الغناء

قيل : وهو أوّل من عَمِل العُود بالمدينة وغنَّى به .

وأَخذ عنه ابنُ سُريج ، وجميلة ، ومَعبد ، وعَزَّة الميلاء ، وغيرهم .

مقتله

وقُتل يومَ الحرّة ، وهو اليوم الذى قَتل فيه عسكرُ يزيدَ بن معاوية أهلَ مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلم وٱستباحوها فيه . وقد تقدّم ذكر ذلك فى أول الكتاب .

من غناه

وكان سائب خاثر قد آلى على نفسه ألّا يُغنى أحداً سوى عبد الله بن جعفر ، إلّا أن يكون خليفة أو ولىّ عهد أو ٱبن خليفة ، فكان على ذلك إلى أن قُتل .

وفوده على معاوية مع ابن جعفر

وذُكر أن عبد الله بن جعفر وَفد على معاوية بن أبى سُفيان ، ومعه سائب خاثر ، فوقّع له فى حوائجه . ثم عَرض عليه عبدُ الله حاجةً لسائب خاثر ، وسأله أن يصلَه . فسأله عنه مُعاوية . فقال : إنه رجلٌ من أهل المدينة لَيْثىّ يَروى

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بشا » .

الشعر . قال : أوكل من يروى الشعر أرادَنا أن نَصلَه ! قال : إنه يُحسِّنه . قال : و إن حَسَّنه ! قال: أفأُدخله عليك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . فألبسه مُمصَّرتين(١) : إزاراً ورداء . فلما دخل قام على الباب فغنّى :

لمن الديارُ رُسومُها قفْرُ   لعبتْ بها الأرواح والقَطْرُ
وخَلا لها من بعد ساكِنها   حِجَجٌ مضَيْن ثمانٍ أو عَشْر
والزّعفرانُ على ترائبها   شَرِقٌ به اللّباتُ والنّحْر

فالتفت معاوية إلى عبدالله بن جعفر وقال : أشهدُ لقد حسَّنه ! وقضى حوائجه وأحسن إليه .

حديث مقتله يوم الحرة

وذُكر أنه لما كان يوم الحرّة خَرج مع أهل الشام ، وكان يخشى على نفسه منهم ، وجَعل يحدِّثهم ويقول : أنا مُغنٍّ ومن حالى ومن قِصتى كَيْتَ وكَيْت، وقد خدمتُ أمير المُؤمنين يزيد وأباه قبله . فقالوا : فغَنِّ لنا . ففعل . فقام إليه أحدُهم فقال : أحسنت والله ! ثم ضَربه بالسيف فقتَله .

ليزيد فى مقتله

و بلغ يزيدَ بن معاوية خبرُه ، ومرّ به أسمه فى أسماء من قُتل يومئذ ، فلم يعرفه ، فقال : من سائب خاثر هذا ؟ فقيل له : هو سائب خاثر المغنّى . فعرفه فقال : و يله ! مالنا وله ! ألم نُحسن إليه ونَصلْه ونَخلطْه بأنفسنا ! فما الذى حمله على عَداوتنا ! لا جَرم أن بَغيْه صَرعه !

وقيل : إنه قال : إنّا لله ! أو بلغ القتلُ إلى سائب خاثر وطبقته ! ما أُرى أنه بقى بالمدينة أحدٌ . ثم قال : قبحَكم الله يأهل الشام ! تجدهم صادفوه فى حديقة أو حائط مُستتراً منهم فقتلوه .

---

(١) الممصر من الثياب : الذى فيه صفرة خفيفة .

ذكر جرادتي عبد الله بن جدعان
وشيء من أخبار ابن جدعان

أصلهما

كان لعبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كَعب بن سَعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب ابن لُؤىّ أَمَتان تُسمَّيان الجرادتَيْن، تتغنَّيان فى الجاهليّة ، سمّاها بجرادتَىْ عادٍ .

شيء عن ابن جدعان

وكان عبدُ الله بن جُدْعان سيِّداً مُمدَّحاً فى قُرَيش ، وهو ابن عَمِّ أبى قُحافة ، أبى أبى بكر الصِّدّيق رضى الله عنه . وأدركه النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم وحضر مَأْدُبته قبل النبوة .

قدوم أمية على ابن جدعان وأخذه الجرادتين

وذُكر أن أُمية بن أبى الصّلت الثَّقفىّ قَدِم على عبد الله بن جُدْعان ، فلما دَخل عليه ، قال له عبد الله : أَمرٌمّا أتى بك ؟ فقال أُميــة : كلابُ غُرَماءَ قد نبَحَتنى ونَهشتْنى . فقال له عبدُ الله : قَدِمْتَ علىّ وأنا عليلٌ من حُقوق لَحقتْنى ولَزِمتْنى ، فأَنْظِرنى قليلاً يَجُمّ(1) ما فى يدى ، وقد ضَمنتُ قضاءَ دَينك ، ولا أسألُ عن مَبلغه . فأَقام أُميةُ أياماً ثم أتاه ، فقال :

أأذكُر حاجتى أم قد كَفانى ... حياؤُك إنّ شيمَتك الحَياء
وعِلْمُك بالأُمــور وأنت قَرْمٌ ... لك الحَسبُ المُهذَّب والسَّناء
كريمٌ لا يُغـيِّره صَباحٌ ... عن الخُلق السَّنِىّ ولا مَساء
يُبارى الرِّيحَ مَكْرُمةً(2) ومجداً ... إذا ما الكلبُ أَجْحره الشِّتاء
إذا أَثنى عليك المرءُ يوماً ... كَفاه من تَعرُّضه الثَّناء
إذا خَلَّفتَ عبدَ الله فاعلم ... بأنّ القَوم ليس لهم (3) جَداء

---

(1) يجم : يجتمع ويكثر .
(2) فى بعض أصول الأغانى : « وجودا » .
(3) الجداء : الغناء . وفى بعض أصول الأغانى : « جزاء » .

فأَرضُك كُلُّ مَكرُمة بناها بنو تَيْمٍ وأنت لهم (١) سَماء
فأَبْرَز فضلَه حقًّا عليهم كما برزت لناظرِها السماء
وهل تَخْفى السماء على بَصيرٍ وهل بالشمس طالعةً خَفاء

فلما أنشده أُميةُ هذا الشعرَ كانت عنده الجرادتان ، فقال لأُمية : خُذ أَيَّتَهما شئتَ . فأَخذ إحداهما وانصرف . فمرّ بمجلسٍ من مَجالس قُريش فلامُوه على أَخذها وقالوا له : لقد لَقيتَه عليلاً ، فلو رددْتَها عليه ، فإنّ الشيخَ يحتاج إلى خِدمتها ، كان ذلك أقربَ لك عنده وأكثرَ مِن كُل حقّ ضَمِنه لك . فوقع الكلامُ مِن أُمية موقعاً ونَدم . فرَجع إليه ليردّها عليه . فلما أتاه بها ، قال ابنُ جدعان : لعلك إنما رَدَدْتَها لأنّ قُريشاً لامُوك على أَخذها . ووَصف لأُمية ما قال القومُ له . فقال أُمية : والله ما أخطأتَ يا أبا زُهير ! فقال عبدُ الله : فما الذى قلتَ فى ذلك ؟ فقال أُمية :

عَطاؤُك زَينٌ لأمرىءٍ إنْ حَبَوتَه ببَذْلٍ وما كُلُّ العَطاء يَزِينُ
وليس بشَيْنٍ لأمرىءٍ بَذْلُ وجهه إليكَ كما بعضُ السؤال يَشِين

فقال عبدُ الله لأُمية : خُذ الأُخرى . فأَخذهما جميعاً وخرج . فلما صار إلى القوم بهما أنشأ يقول :

وما لِى لا أُحيِّيه وعندى مواهبُ يَطّلِعْن من (٢) النِّجادِ
لأَبْيَضَ من بَنى (٣) عمرو بن تَيم وهُم كالمَشْرفيّات (٤) الحِداد

(١) فى الأصل : « بهم » .
(٢) النجاد : جمع نجد ، وهو ما أشرف وارتفع واستوى من الأرض . يصف مكانه بالشرف والسمو .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بنى تيم بن كعب » .
(٤) المشرفيات : جمع : مشرفى ، وهو السيف ، نسبة إلى : مشرف ، واحد المشارف — قرى من أرض اليمن — لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن ، فلا يقال : مهالبى ، ولا جعافرى ، ولا عباقرى .

لـكل قَبيــلةٍ هادٍ (١) ورأسٌ ... وأنت الرأسُ يَقْدُم كُلَّ هادِى
عِمَاد (٢) الخَيْف قد علِمَتْ مَعدٌّ ... وإنَّ البَيْتَ يُرفَــع بالعِمَاد
له داعٍ بمــكّة (٣) مُشْمَعِلٌّ ... وآخَــرُ فوق دارتِه يُنــادى
إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى (٤) مِلَاءٍ ... لُبابَ البُرِّ يُلْبَكُ (٥) بالشِّهاد

حديث صنع ابن جدعان الفالوذ بمكة

ذُكر أنّ عبد الله بن جُدعان وَفد على كِسْرى فأكل عنده الفالُوذ، فسأل عنه، فقيل له: هذا الفالوذ. فقال: وما الفالوذُ؟ فقالوا: لباب البُرّ يُلْبك مع عَسل النَّحل. فقال: أبغُونى غُلاماً يَصْنعه. فأتَوْه بغُلام يَصنعه. فابتاعه، ثم قدم به مكة معه، فصَنع له الفالوذ بمكّة. فوَضع الموائد من الأَبْطح إلى باب المَسجد، ثم نادى مناديه: ألا مَن أراد الفالُوذ فَليَحْضر. فحَضر الناسُ. وكان فيمن حَضر أُميةُ بن أبى الصَّلت. فهذا مَعنى قول أمية:

له داع بمكة مُشْمعل ... ... البيتين

من شعر أمية فى ابن جدعان

وقال فيه أيضاً:

ذُكرُ ابن جُدْعانٍ بخَيْرٍ ... كلّما ذُكِر الكرامُ
مَن لا يَخُون ولا يَعُــقُّ ولا تُبخِّــلُه (٦) اللِّئام
يَهبُ النَّجيبةَ والنَّجِيبَ له الرِّحالةُ (٧) والزِّمام

---

(١) الهادى: كل متقدم.
(٢) الخيف: ما ارتفع عن مسيل الماء وانحدر عن غلظ الجبل. وفى بعض أصول الأغانى: «له بالخيف».
(٣) مشمعل: مبادر.
(٤) ردح: جفان عظام؛ الواحدة: رداح. والشيزى: خشب أسود تتخذ منه القصاع.
(٥) الشهاد: العسل؛ جمع: شهد.
(٦) فى بعض أصول الأغانى: «تغيره».
(٧) النجيبة والنجيب: الكريمة والكريم من الإبل، والخيل. والرحالة: السرج. والزمام: المقود. والرواية فى غير التجريد: «نجب النجيبة».

حديث آخر عن أخذ أمية الجرادتين

وقيل :

إن أُميّة بن أبى الصَّلت رآه عبدُ الله بن جُدْعان ينظر إلى الجرادتين وهو عنده فوهبه إياهما .

سؤال عائشة النبى صلى الله عليه وسلم عن شأن ابن جدعان

وروت عائشةَ رضى الله عنها قالت :

قلتُ : يا رسول الله ، إن ابن جُدْعان كان فى الجاهليّة يصل الرَّحمَ ويُطعم المسكين ، فهل ذلك نافعُه ؟ فقال صلّى الله عليه وسلّم : لا ، إنه لم يقُل يوماً : رَبِّ اغفر لى خَطيئتى يوم الدين .

استشهد ابن عيينة بشعر لأمية فى تفسير حديث

وحَكى الُحسين بن الحسن المَرْوزىّ قال :

سألتُ سُفيان بن عُيينة فقلتُ : أبا محمد ، ما تَفسير قولِ النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم : « كان مِن دُعاء[1] الأنبياء قَبلى بعرَفة :[2] لا إله إلا الله وحدَه لاشريكَ له ، له المُلك وله الحمد وهو على كُل شىء قدير » . وإنما هو ذِكْر وليس فيه من الدُّعاء شىء ؟ فقال لى : أعرفتَ حديثَ مالك بن الحارث : يقول الله جلّ ثناؤه : إذا شَغل عَبدى ثناؤه علىّ عن مسألتى أعطيتُه أفضلَ ما أُعطى السائلَ ؟ قلت : نعم ، أنتَ حدَّثْتَنيه عن مَنصور عن مالك بن الحارث . فقال: هذا تفسيرُ ذلك . ثم قال : أمَا علمتَ ما قال أُميّة بن أبى الصَّلت حين خَرج إلى ابن جُدْعان يطلُب نائلَه وفَضْلَه ؟ قلت : لا أدرى . قال : قال :

إذا أثنى عليك المرءُ يوماً كَفاه من تَعرُّضه[3] الثناءُ

ثم قال سُفيان بن عُيينة : فهذا عبدٌ مَخلوق يُنْسَب إلى الُجود ، فقيل له : يكفينا من مَسألتك أن نُثْنِيَ عليك ونسكتَ حتى تأتىَ على حاجتنا ، فكيف بالخالق سبحانه !

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « كان من أكثر دعاء » .

(٢) زيادة انفرد بها التجريد .

(٣) فى التجريد : « تعرضك » .

شعر أمية فى احتضار ابن جدعان

ذُكِر أن أمية بن أبى الصَّلت دَخل على عبد الله بن جُدْعان وهو يجود بنَفسه . فقال له أمية : كيف تجدك يا أبا زُهير ؟ فقال : إنّى لُمدابر ـ أى ذاهب ـ فقال أمية :

عَلِم ابنُ جُدْعانَ بن عمـرو أنّه عنّا (١) مُدَابِرْ
ومسافرٌ سَفراً بعيداً لا يَؤُوب به المُسافِر
فقُدورُه بفِنائه للضَّيْف مُتْرَعةٌ زَوَاخِر
تَبْدو الكُسورُ مِن انْضِراجِ الغَلْى فيها (٢) والكَرَاكِر
فكأنّهنّ بما حَمِينَ وماشَجِين (٣) به ضَرائر
بَذَّ المَعاشِرَ كُلَّها بالفَضْل قد عَلِم المَعاشِر
وعَلا عُلُوَّ الشَّمس حتَّى ما يُفاخِرُه مُفاخر
دانت له أفناء (٤) فِهْرٍ من بنى كَعبٍ وعامر
أَنت الجوادُ ابن الجوادِ بكم يُنافِر مَن يُنافر

لابن جدعان فى تركه الخمر

وحَكى ابن أبى الزِّناد قال :
ما مات أحدٌ من كُبراء قُريش فى الجاهليّة حتى ترك الخمرَ استحياءً ممّا فيها من الدَّنس ، ولقد عابها ابنُ جُدعان قبل موته فقال فيها :

شَرِبتُ الخمرَ حتّى قال قَومى أَلستَ عن السَّفاه بمُسْتَفيق
وحتى ما أُوسَّدُ فى مَبيتٍ أَنام به سوى التُّرْب السَّحِيق

(١) فى رواية : « يوماً ».
(٢) الكسور : أنصاف العظام بما عليها من اللحم . والانضراج : الانفراج . ويريد بانضراج الغلى : تفاريق الماء إذا غلا فبان ما فيه . والكراكر : أصوات الماء فى غليه .
(٣) حميت القدر : فارت وغلت . وشجين : غصصن امتلاءً ، والضرائر : المختلفات . جعل اضطراب القدر بما فيها من هذا . وفى بعض أصول الأغانى : « وما شحن بها » مكان « وما شجين به » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « أبناء » .

وحتى أَغْلقَ الحانوتُ (١) رَهْنى وآنستُ الهوانَ من الصَّديق

وكان سببُ تركه الخمر أنّ أُمية بن أبى الصَّلت شَرِب معه ، فأصبحت عينُ أُمية مُخضرَّة يُخاف عليها الذَّهاب ، فقال له : ما بال عينك ؟ فسكت . فأَلحّ عليه . فقال : أنت صاحبُها ، أصبتَها البارحة . فقال له : أَو َبلغ منّى الشرابُ ما أَبلُغ معه مِن جليسى هذا ! لا جرَم ، لأَدِينَّها لك دِيَةَ عَيْنين . (٢) فأعطاه عشرة آلاف درهم . وقال : الخمر علىّ حَرام أنْ أذُوقها أبداً . وتركها من يومئذ .

(١) أغلق الرهن : استحقه . والحانوت : الخمار . وهو أيضاً : دكانه .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لأدينها لك ديتين » .

أخبار سلاّمة القسّ

شيء عنها وعمن أخذت الغناء

هى مُولَّدة من مُولَّدات المَدينة ، بها نشأت . وأخذت الغناء عن معبد ، وابن عائشة ، وجَميلةَ ، ومالك بن أبى السَّمح . ومَهرت فى الغناء .

سبب تلقيبها

وإنما سُمِّيت سلاَّمةَ القَسّ لأن رجلاً ، يُعرف بعبد الرحمن بن أبى عَمّار الجُشَمِىّ من قُرّاء أهل المدينة ، كان يُلقَّب بالقَسِّ لعبادته ، شُغف بها وشُهر حتى غَلب عليها (1) .

اشتراها يزيد وعاشت بعد موته

واشتراها يزيدُ بن عبد الملك فى خِلافة سليمان بن عبد الملك أخيه . وعاشت بعده . وكانت تَندُبه لما مات بهذا الصوت :

قد لَعمْرى بِتُّ لَيْلِى كأخِى الدَّاء الوَجِيـع

وقد تقدّم هذا البيتُ وما بعده من الأبيات فى أخبار الأحوص .

إحدى من اتهم بهن الوليد

وكانت سلاّمة إحدى من اُتّهم بهنّ الوليدُ بن يزيد مِن جوارى أبيه حين قال له قَتَلتُه : نَنقِم عليك أنّك تَطأ جَوارِى أبيك . وقد تقدّم ذِكْر ذلك فى خبر مَقتل الوليد بن يزيد .

هى وحبابة

وذُكر أنّ حَبابة وسلاّمة القس كانتا حاذقتين ظريفتين ضاربتين سلاّمة أحسنهما غناء ، وحَبابة أحسنهما وجهاً . وكانت سلاّمة تقول الشِّعر . وكانت حَبابة تَتعاطاه ولا تُحسنه . وكانت سلاّمة لسُهيل بن عبد الرحمن ، ولها يقول ابنُ قيس الرُّقيات :

لقد فَتنتْ ريَّا وسَلاّمةُ القَسَّا فلم تَتْرُكا للقسِّ رُوحاً (2) ولا نَفْسا

فتاتانِ أمّا منهما فشبيهةُ الـ هلالِ وأخرى منهما تُشبه الشَّمسا

---

(1) فى بعض أصول الأغانى : « فغلب عليها لقبه » .

(2) فى بعض أصول الأغانى : « عقلا » مكان « روحاً » .

حديث افتتان القس بهـا وشعره فيها

وكان مَنزل القَسّ بمكّة ، وكان من أَعْبَد أهلها ، يُشَبَّه بعَطاء بن أبي رَباح ، وأنه سَمِع غِناء سَلاَّمة علي غير تعمُّد لذلك ، فبلغ غناؤها منه كُلَّ مَبلغ . فرآه مولاها ، فقال له : هل لك أن تَدْخُل ؟ فأَبى . فقال مولاها : أنا أُقعدها بحيث تَسمع غناءها ولا تراها ولا تراك . فأَبى . فلم يزل به حتى دَخل ، فأسمعه غناءها، فأَعجبه . فقال له : هل لك أن أُخرجها إليك ؟ فأَبى . فلم يَزل به حتى أَخرجها ، فأَقعدها بين يديه ، فغنَّت . فشُغف بها وشُغفت به . وعَرف كُلَّ ذلك أهلُ مكة . فقالت له يوماً : أنا والله أُحبُّك ! فقال لها : وأنا والله الذى لا إله إلا هو أُحِبّك! فقالت : وأنا والله أَشتهى أن أُعانقك وأُقبّلك ! قال: وأنا والله أَشتهى مِثْل ذلك! قالت : فأشتهى أن أُضاجعك وأَضع فمى على فَمِك ، وصَدرى على صدرك ! قال : وأنا والله كذلك ! قالت : فما يمنعك من ذلك ، فوالله إنّ المكان لخال ؟ قال : يمنعنى قولُ الله عز وجلّ : (الأَخِلاَّء يَوْمئذٍ بعضُهم لبعضٍ عَدُوٌّ إلاّ المُتَّقين) وأكره أن تتحول مودّتى إياك عداوةً يوم القيامة . ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النُّسك ، ولم يَعُد إليها بعد ذلك ، وقال :

إنّ التى طَرَقتْك بين ركائبٍ ... تَمْشى بِمزْهَرِها وأنت حَرامُ

لِتَصِيدَ قَلْبَك أو جزاءَ مودّةٍ ... إنّ الرَّفيق له عليك ذِمام

باتت تُعلّلنا وتَحسب أننا ... فى ذاك أيقاظٌ ونحن نِيام

حتى إذا سَطع الضِّياء لناظرٍ ... فإذا وذلك بيننا أَحلام

قد كنتُ أَعذُل فى السَّفاهة أهلَها ... فاعجبْ لما تأتى به الأيام

فاليومَ أَعذِرهم وأَعلم أنما ... سُبُل الضَّلالة والهُدى أقسام

شراء يزيد لها وغناؤها له

ولما قَدِم يزيدُ بن عبد الملك بن مروان مكةَ ، وأراد شِراء سَلاّمة وعُرِضتْ عليه ، أمرها أن تُغنّيه ، فكان أولَ صوتٍ غنّته هذا الشِّعر . فاستحسنه يزيدُ واشتراها . وكان أولَ صوتٍ غنّته به لما اشتراها قولُ القَسِّ فيها :

أَلَا قُل لهذا القلب هل أنت مُبصِرُ ... وهل أنت عن سَلاَّمة اليوم مُقْصِرُ

ألا ليت أنِّى حيث صارتْ بها النَّوى ... جَليسٌ لسَلْمَى كلما عَجَّ مِزْهر

فقال لها يزيد : يا حَبيبتى ، لمن هذا الشعرُ ؟ فقصَّت عليه القصَّةَ . فرقّ له وقال : أحسن وأحسنتِ !

ماتت حبابة قبلها

وقيل : كانت عند يزيدَ : حَبابةُ وسلاَّمة ، فتوفِّيت حَبابة فى حياته و بقيت سلاَّمة بعده .

شىء عن حبابة

قلت : وحَبابة هى التى حَزِن عليها الحُزْن الشديد وتركها عنده أياماً حتى أنْتنت، وعاتبه أخوه مَسْلمة على ذلك ، فأَخرجها وخَرج فى جنازتها ماشياً ، وتمثَّل عند دفنها :

فإن تَسْلُ عنك النفسُ أو تترك الصبا ... فباليأس تَسْلو عنك لا بالتجلدِ

وكُلُّ خليلٍ لامَنى فهو قائلٌ ... من أجلِك هذا هامةُ اليومِ[1] أو غَد

---

(١) البيتان لكثير . والهامة – زعموا – : روح القتيل الذى لم يدرك بثأره ترقد عند قبره تقول : اسقونى ، اسقونى . فإذا أدرك بثأره طارت . ويقال : هذا هامة اليوم أو غدا ، أى يموت اليوم أو غدا .

أخبار العباس بن الأحنف

نسبه

هو العبّاس بن الأحنف بن الأسود بن طَلحة بن جَدّان بن كَلَدة ، من بَنى عَدِىّ بن حَنِيفة .

وقيل : هو العبّاس بن الأحنف بن الأسود بن قُدامة من هفّان بن الحارث بن الذُّهل بن الدُّول بن حَنيفة .

وكان حاجبُ بن قُدامة ،عمُّه ، من رجال الدولة العباسيّة .

شعره وطبقته

وكان شاعراً غَزِلاً ظريفاً مَطبوعا ، من شُعراء الدولة العباسية . وله مَذهب حَسن . ولدِيباجة شِعره رَوْنق ، ولمعانيه عُذوبة ولُطف . ولم يكن يَتجاوز الغَزل إلى مَدْح أو هجاء ، ولا يتصرّف فى شىء من هذه المَعانى .

رأى المبرد فيه

وقدّمه أبو العبّاس المُبرِّد فى كتاب « الرَّوضة » على نُظرائه ، وأطنب فى وصفه . وكان من الظرفاء ولم يكن من الُخلعاء . وكان غزلاً ولم يكن فاسقاً . وكان ظاهرَ النِّعمة ، مُلوكىّ المَذهب ، شديد التَّترُّف ، (١) وذلك بيِّن فى شعره .

أصله ومنشؤه

وقيل : كان من عَرب خراسان ، ومَنشؤه ببغداد .

رأى الحرمازى فيه

وذُكر أنه أنشد أبو علىّ الحِرْمازىّ قولَ العبّاس بن الأحنف :

لا جَزى اللهُ دَمْع عَينَىَ خَيراً ... وجَزى اللهُ كُلَّ خيرٍ لسانى
نَمَّ دَمْعى فليس يكتُم شيئاً ... ووجدتُ (٢) اللِّسان ذا كِتْمان
كنتُ مثلَ الكِتاب أخفاه طَىٌّ ... فاستدلُّوا عليه بالعُنْوان

---

(١) التترف : التنعم .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ورأيت » .

ثم قال الحِرمازىّ : هذا والله طِرازٌ يَطلب الشعراء مثلَه .

لعنه العلاف فرد عليه

وكان أبو الهُذَيل العَلاَّف ، شيخ المُعتزله ، يَلعنه كثيراً لمُجانبته القولَ بالقَدر فى قوله :

إذا أردتُ سُلُوًّا كانَ ناصركم قلبى وما أنا مِن قلبى بمُنتصرِ

فأكثِرُوا أو أقلُّوا من إساءتكم فكُلُّ ذلك محمولٌ على القَدَرِ

فبلغ ذلك العبّاس بن الأحنف ، فقال :

يامن يُكذِّبُ أخبارَ الرَّسول لقد أخطأتَ فى كُلِّ ما تأتِى وما تَذَرُ

كذَّبْتَ بالقَدر الجارى عليك فقد أتاكَ منِّى بما لا تَشتهى القَدرُ

رأى الأصمعى والصولى فيه

وقيل للأصمعى : ما أحسنُ ما تحفظ من أشعار المُحْدَثين ؟ فقال : قولُ العبّاس بن الأحنف :

لو كنتِ عاتبةً لسَكَّن[1] لَوْعتى أَملى رِضاكِ وزُرتُ غيرَ مُراقَبِ

لكنْ مَلِلْتِ فلم تكُن لىَ حِيلةٌ صَدُّ المَلول خلافُ صَدِّ العاتب

وحُكى أنّ الأصمعىّ أنشد للعبّاس بن الأحنف :

أتأذنون لصَبٍّ فى زِيارتكم فعندكم شَهواتُ السَّمعِ والبَصرِ

لايُضمِرُ السُّوءَ إن طال الجلوسُ به عَفُّ الضَّمير ولكن فاسقُ النَّظر

فقال الأصمعى : ما زال هذا الفتى يُدخل يده فى جِرابه ولا يُخرج شيئاً ، حتى أَدخلها فأخرج هذا . ومَن أدمن طَلَبَ شىء ظَفِر ببعْضه . فقال إبرهيم بن العبّاس الصُّولى ، لمّا سمع هذا : ما أَدرى ما قال الأصمعىُّ ، ولكنِّى أُنشدك[2] للعبّاس بن الأحنف ما لا تَدفع أنت ولا غيرُك فضلَه ، ثم أَنشدنى للعبّاس :

واللهِ لو أنّ القُلوبَ كقَلْبِها ما رَقَّ للوَلد الضَّعيفِ الوالدُ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « روعتى » مكان « لوعتى » .

(٢) الخطاب لابن مهرويه ، وبينه وبين الصولى يدور الحديث .

وقوله :

لكنْ صَددتِ[١] فلم تكن لى حيلةٌ صَدَّ المَلُولِ خلافُ صدِّ العاتبِ

وقوله :

حتى إذا اُقتحم الفَتى لُجج الهوَى جاءت أُمورٌ لا تُطاق كِبارُ

ثم قال : هذا والله مالا يَقدر أحدٌ على أن يقولَ مثلَه أبداً !

رأى سعيد بن حميد فيه

وذُكر أن سَعيد بن حُميد [٢] كان يقول :

ما أعرف أحسنَ من شِعر العبّاس بن الأحنف فى إخفاء أمره ، حيث يقول فى ذلك :

أُريدُكِ بالسَّلام فأتقيهم فأَعْمِدُ بالسلام إلى سِواكِ
وأُكثر فيهم ضَحكى ليَخْفَى فسِنّى ضاحكٌ والقلبُ باكى

رأى إسحاق الموصلى فيه

وكان إسحاق بن إبرهيم المَوصلىّ يقول :

لقد ظَرُف ابنُ الأحنف فى قوله ، يَصف طُول عهده بالنَّوم ، حيث يقول :

قِفَا خبِّرانى أيُّها الرّجلان عن النَّوم إن الهجر عنه نَهانى
وكيف يكون النومُ أو كيف طَعْمُه صِفَا النومَ لى إن كُنتما تَصفان
وإنى لَمُشتاقٌ إلى النَّوم فاعلما ولا عَهْد لى بالنَّوم منذُ زمان

رأى سلمة بن عاصم فيه

وذُكر أنّ سَلَمة بن عاصم رُئِى ، ومعه شعرُ العبّاس بن الأحنف ، فقيل له : مثلُك — أعزّك الله — يَحمل هذا ! فقال : ألا أَحمل شِعْر مَن يقول :

أسأتُ إذْ [٣] أحسنتُ ظَنّى بكم والحَزمُ سُوء الظنِّ بالناسِ

(١) فيما سبق : « مللت » .
(٢) هذه رواية التجريد . والذى فيما بين أيدينا من أصول الأغانى : « جنيد » و « حنيذ » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « أن » .

يَقلقنى شوقى[1] فآتيكُم والقلبُ مملوءٌ من الياس

كان الضحاك يعجب ببيتين له

وكان الحسين بن الضحّاك يُعجبه قولُ العبّاس بن الأحنف :

الُحبُّ أملكُ للفؤاد بقهره من أنْ يُرى للسرِّ[2] فيه نَصيبُ

وإذا بدا سِرُّ اللَّبيب فإنه لم يَبْدُ إلاّ والفَتى مَغلوب

بيت له كان يحسده عليه أبو العتاهية

وذُكر أنّ أبا العتاهية كان يقول :

ما حَسدتُ أحداً على شِعرٍ إلاّ العبّاسَ بن الأحنف ، فإنّى والله قد حسدتُه على قوله :

إذا امتنع القريبُ فلم تَنَلْه على قُرْبٍ فذاك هو البَعِيدُ

فإنّى كنتُ أولى به منه ، وهو بشعرى أشبه منه بشعره .

إشادة الواثق بشعره

وحَكى محمد بن عَمرو الرُّومى قال :

كُنّا عند الواثق ، فقال : إنّى أُريد أن أَصنع لحناً فى شعرٍ ، معناه : أنّ الإنسان ، كائناً ما كان ، لا يَقدر أن يحترسَ من عدوّه ؛ فهل تعرفون فى هذا شيئاً ؟ فأنشدنا ضُروباً من الأشعار . فقال : ما جئتُم بشىء مثلَ قول أبى الفَضل العبّاس بن الأحنف حيثُ يقول :

قَلبى إلى ما ضَرَّنى داعِى يُكْثِر أَحزانى وأَوجاعِى

كيف احتراسِى من عدوّى إذا كان عدوّى بين أَضْلاعِى

أَسلمنى للحُبِّ أشياعى لمّا سعى بى عندها السّاعى

لقلّما أَبْقَى على ما أرى لابُدّ[3] أنْ يَنْعانِىَ النّاعى

وحَكى أبو محمد الحَسن بن مَخْلد قال :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الشوق » .

(٢) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « للستر » .

(٣) رواية غير التجريد : « لقلما أبقى على كل ذا * يوشك » .

أَنشدنى إبراهيمُ بن العبّاس الصُّولى للعبّاس بن الأحنف :

إنْ قال لم يفْعل و إنْ سِيل لم يَبْذُل و إن عُوتب لم يُعْتِبِ

صَبٌّ بعِصْيانى ولو قال لى لا تَشْربِ الباردَ لم أَشْرب

إليكَ أَشكو رَبِّ ماحلّ بى مِن ظُلْم هذا المُذْنب المُغضَب

ثم قال إبرهيم ؟ هذا واللهِ الكلامُ الحَسن المَعنى ، السَّهل المَورد ، القَريب المُتناول ، المَليح اللَّفظ ، العَذْب المُستَمع !

شعر له عمل فى وزنه على بن يحيى المنجم

ومِن رَقيق شعر العبّاس المَحفوظ فى الغِناء قولُه :

نام مَن أَهدى لِىَ الأَرَقَا مُستريحاً سامَني [1] قَلَقَا

كان لى قلبٌ أَعيشُ به فاْصطلَى بالنَّار فاْحترَقا

أنا لم أُرْزق [2] مودَّتها إنما للعبد ما رُزِقا

وهذا الشعرُ عَمِل على وَزنه علىٌّ بن يحيى [3] المُنجِّم قولَه :

بأَبِى واللهِ مَن طَرقا كاْبْتسامِ البَرْق إذْ خَفَقَا

زادنى شَوقاً [4] برُؤْيته ومَلاقَلبِي به حُرَقا

مَنْ لقلبٍ هائمٍ دَنفٍ كلّما سكَّنْتُه [5] قَلِقا

زَارنى طيفُ الحبيبِ فما زادأن أَغْرى بِىَ الأَرقا

وما حَمله على مُوازنة شِعر العبّاس بن الأحنف إلّا اْستحسانُه له .

رأى ابن المعتز فيه

وذُكر أنّ عبدَ الله بن المعتز كان يقول :

لو قِيل : ما أحسنُ شىء تعرفه ؟ لقلت : شعرُ العبّاس بن الأحنف :

قد سَحَّب الناسُ أذيالَ الظُّنون بنا وفرَّق الناسُ فينا قولَهم فِرَقَا

---

(١) فى غير التجريد : « زادنى » . (٢) فى الأغانى : « مودتكم » .

(٣) فى الأصل : « يحيى بن على » .

(٤) فى غير التجريد : « وبزورته » مكان « برؤيته » .

(٥) فى غير التجريد : « سليته » .

فكاذبٌ قد رَمَى بالظَّنِّ (١) غيرَكُمُ وصادقٌ ليس يَدْرى أنّه صدَقا

غضب الفضل على جارية له فذكره الموصلى بشعر ابن الأحنف

وحَكَى إسحاقُ بن إبرهيم الموصلى قال :

غَضِبَ الفضلُ بن الرَّبيع على جارية له ، وكانت أحبَّ الناس إليه ، وتأخرتْ عن اُسترضائه، فغَمَّه ذلك؛ فوجّه إلى أبى يُعلمه ويَشكو إليه. فكتب إليه أبى : لك العِزُّ والشرف ، ولأعدائك الذُّل والرَّغم (٢) ؛ اُستعملْ قولَ اُبن الأحنف :

تحمَّلْ عَظِيمَ الذَّنب ممّن تُحبُّه وإن كنتَ مظلوماً فقُل أنا ظالمُ

فإنّك إلّا تَغْفِرِ الذنبَ فى الهَوى يُفارِقْك مَن تهوى وأنفُك راغِمِ

فقال : صدقتَ . فبعث إليها فترضّاها .

دفاع مصعب الزبيرى عن شعره

وقيل لمُصعب الزُّبيرى : إنّ الناس يستبردون شِعْرَ العبّاس . فقال : ويحك ؟ أتقول هذا ! لقد ظَلموه ، أليس هو الذى يقول :

قالت ظَلُومُ سميّةُ الظُّلمِ ما لى رأيتُك ناحلَ الجِسْمِ

يا مَن رَمى قلبى فأَقصده أنت العليمُ بموقع السَّهم

من رقيق شعره

ومن رقيق شعر العبّاس قولُه:

سَلبتْنى من السُّرور ثِياباَ وكستْنى من الهُموم ثِياباَ

كلما أَغلقتُ من الوصل باباً فتحتْ لى إلى المَنيّة بابا

عذّبينى بكُل شىء سوى الصدِّ فما ذقتُ كالصُّدود عذابا

إعجاب الرياشى ببيتين له

وذُكِر أنّ الرِّياشى قال :

لو لم يقُل العبّاس بن الأحنف مِن الشعر إلا هذين البيتين لكَفياه :

أَحْرَمُ منكم بما أقول وقد نالَ به العاشقُون من عَشِقُوا

صِرْتُ كأنّى ذُبالةٌ نُصِبتْ تُضىء للنّاس وهى تحْترق

---

(١) فى غير التجريد : « بالحب » .

(٢) الرغم ، بالضم وبالفتح : الذلة .

أنشد الرشيد فى حنينه إلى بغداد فرده وجازاه

وذُكِر أنّ الرّشيد لمّا خرج إلى خُراسان ، كان العبّاس بن الأحنف فى صُحبته . فطال مُقامه بهـا . ثم خَرج إلى أَرمينيـة ، والعبّاس بن الأحنف معه ، فاْشتاق (١) العبّاس إلى بغداد ، فلما رَكب عارضه فى طريقه وأَنشده :

قالوا خُراسانُ أقصى (٢) ما يُراد بنا ... ثم القفُول فقد جِئْنـا خُراسـانَا

ما أَقدَر اللهُ أن يُدْنى على شَحَطٍ ... سُكّانَ دِجْلَةَ من سُكّان (٣) جَيْحانا

متى يكون الّذى أَرجو (٤) وآمُله ... أمّا الذى كنتُ أَخشاه فقد كانا

عينُ الزّمان أصـابتْنا فلا نَظَرتْ ... وعذّبتْ بصُنوف الهجر أَلْوانا

فقال له الرشيدُ : قد اْشتقتَ يا عبّاس ! قد أذنتُ لك خاصّةً . وأَمر له بثلاثين ألفَ دِرْهم ، واْنصرف .

شعره الذى فيه الغنـاء

والشِّعر الذى فيه الغِناء ، واْفتتح به أبو الفرَج أَخبارَالعبّاس بن الأحنف، قولُه:

وإنّى ليُرْضِينى قليلُ نَوالـكم ... وإن كنتُ لا أَرضى لـكم بقَليلِ

بحُرْمة ما قد كان بَينى وبَينكم ... من الوُدِّ (٥) إلا عُدْتُمُ بجَميل

---

(١) فى غير التجريد : « والعباس معه ماشياً إلى بغداد » .

(٢) فى التجريد : « أدنى » .

(٣) جيحان : نهر بالمصيصة بالثغر الشامى . (ياقوت) .

(٤) فى غير التجريد : « متى الذى كنت أرجوه » .

(٥) رواية غير التجريد : « من الوصل » .

أخبار كثير عزة

نسبه

هو أبو صَخر كُثيِّر بن عبد الرحمن بن الأَسود بن عامر بن عُوَيمر بن مَخْلد ابن سَعيد بن سُبَيع[1] بن جِعْثمة[2] بن سَعد بن مُلَيح بن عمرو ، وهو خُزاعة ابن رَبيعة، [وهــو يحيى] بن حارثة بن عمرو ، وهو مُزَيْقيا بن عامر ، وهو ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن أمرىء القَيس البِطْريق بن ثَعْلبة البُهلول بن مازن بن الأَزْد — زَاد الرَّاكب[3] — بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زَيد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

وأمه جُمُعة بنت أبى جُمُعة[4] بن خالد بن عُبيد بن مُبشِّر بن رِياح بن سيالة ابن عامر بن جِعثمة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة .

ولذلك كان يقال لكُثيِّر : ابن أبى جُمُعة .

طبقته فى الشعر

وهو من فُحُول الشعراء . وجَعله ابنُ سَلّام فى الطبقة الأُولى منهم ، وقَرن به جريراً والفرزدق والأخطل والرَّاعى .

مذهبه وشىء عنه

وكان غالياً فى التشيُّع يَذهب مَذهب الكَيسانيِّة[5] ، ويقول بالرَّجعة والتَّناسُخ . وكان مُحمَّقاً مشهوراً بذلك .

وكان آل مَروان يَعلمون مذهبه ولا يُغيِّرهم ذلك عليه ، لِجلالته فى أعيُنهم ولُطف محلِّه عندهم . وكان من أتيَهِ الناس وأَذْهبهم بنفسه على كل أحد .

رأى ابراهيم بن سعد فى شعره

وذَكر بعض أهل الحديث قال :

---

(١) فى شرح السيرة لأبى ذر الخشنى (١ : ٨٠) : « يتيع » بالمثناة التحتية والثاء المثلثة .

(٢) فى التجريد : « خثعمة » تحريف .

(٣) يريد أنه إذا سافر وخرج معه الناس لم يتخذوا زاداً معهم ، لأنه يكفيهم ويغنيهم . ومكان هذه العبارة فى غير التجريد : « وهو درء ، وقيل : دراء ، ممدوداً » .

(٤) فى الأغانى : « بنت الأشيم » .

(٥) الكيسانية : أصحاب كيسان ، مولى على بن أبى طالب .

كُنّا نأتى إبرهيمَ بن سَعْد، وهو خَبيث [1] النَّفس، فنسأله عن شِعر كُثيِّر، فيطيب نفساً ويُحدِّثنا.

وقال إبرهيمُ بن سعد:

إنى لأَروى لِكُثيِّر ثلاثين قصيدةً، لو رُقى بها مجنون لأَفاق.

كان قصيراً

وقيل:

إنه كان قصيراً لا يبلُغ ضُروع الإبل. وكان إذا دَخل على عبد العزيز بن مروان يُقال له: تقاصَرْ لا يُصِب رأسَك السقفُ.

عاب جرير خلقته فرد عليه

وقال له جرير: أى رجل أنت لولا دمامتك! فقال كثيِّر:

إنْ أَكُ قَصْداً فى الرِّجال فإنّنى ... إذا حلّ أمرٌ ساحتى لطَويلُ

نسبه وشعره فى ذلك

وقيل:

كان كُثيِّر يعتقد أنّ محمدَ بن الحنفيّة بجبال رَضْوى، وأنه لا بُدّ أن يَظْهر ويَملك الأرضَ، وأنه قائل الأبيات المَنسوبة إلى السيد الحِمْيرى، التى منها:

وسِبْطٌ [2] لا يَذُوق الموتَ حتى ... يَقُود الخيلَ يَقْدُمها اللِّواء

ويَرى الرَّجعةَ.

هو وعبد الله ابن حسن وقد عاده فى مرضه

وذُكر أنه دَخل عليه عبدُ الله بن الحَسن بن الحسن بن علىّ - عليهم السلام - يَعُوده فى مرضه الذى مات فيه، فقال له كُثيِّر: أَبشر، فكأَنّك بى بعد أربعين ليلةً قد طلعتُ عليك على فَرس عَتيق. فقال له عبد الله بن حسن: مالك عليك لعنة الله! فوالله لئن متَّ لا أشهدُك، ووالله لا أعودك ولا أُكلِّمك أبداً.

هو وأبو هاشم

وذُكر أن كُثيِّر جرى بينه وبين رجل كلام، وبلغ ذلك أبا هاشم، فلما

(١) أى به غثيان.

(٢) هذه رواية التجريد والديوان (٢ : ٦٨). وفى غيرهما:

* وسبط لا تراه العين حتى *

أُجتمع به كُثيِّر : قال له أبو هاشم : كنتَ الساعة مع فلان فقلت كذا وكذا ، وقال لك : كذا وكذا . فقال له كُثيِّر : أشهد أنك رسولُ الله .

غلوه فى تمجيد بنى حسن

وكان ينظُر إلى بنى حَسن بن حَسن وهم صِغار فيقول : بأبى أنتم ! هؤلاء الأنبياء الصغار !

وذُكر أنه كان إذا أَخذ عطاءه وَهب لهم الدَّراهم ، فيقول له أخوهم لأُمهم محمد بن عبد الله بن عَمرو بن عُثمان بن عفّان : يا عمّ ، هَبْ لى . فيقول : لا ، لستَ من الشجرة .

من حمقه مع عمة له

وذُكر من أنواع حُمقه وجُنونه أنه كان يدخُل على عَمَّة له بَرزة ، (١) فتُكرمه وتَطرح له وسادةً يَجلس عليها. فقال لها يوماً : ما تَعرفيننى ولا تُكرميننى حقَّ كَرامتى ! فقالت : بلى والله ، إنّى لأَعرفك . قال : فمن أنا ؟ قالت : أبنُ فلان وابن فلانة . وجعلتْ تَمدح أباه وأُمّه . فقال : قد علمتُ أنّك لا تَعرفيننى . فقالت : ومَن أنت ؟ فقال : أنا يُونس بن مَتّى النبيّ .

قال له قوم إنه الدجال فصدق

وحَكى طلحةُ بن عُبيد الله قال :

ما رأيتُ قطُّ أحمق من كُثيِّر ! دخلتُ عليه فى نَفر من قُريش ، وكُنّا كثيراً ما نهزأ به ، وكان يتشيّع تَشيُّعاً قَبيحاً ، فقلت له : كيف تجدك يا أبا صَخر ؟ فقال : أَجدنى ذاهباً . فقلتُ : كلا . فقال : هل سمعتُم الناس يقولون شيئاً ؟ فقلتُ : نعم ، يتحدّثون أنك الدَّجال . قال : أما لئن قلتَ ذاك إنّى لأجد فى عَينى هذه ضَعفاً منذُ أيام .

أراد عبد الملك الخروج لحرب مصعب فنعتته عاتكة فذكر شعراً لكثير فخرج

وحُكى أن عبد الملك بن مَروان ، لمّا أراد الخروج إلى قتال مُصعب بن الزُّبير ، لاذتْ به عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية ، وهى أم أبنه يزيد ، وقالت : ياأمير المؤمنين ، لا تَخْرج السنةَ لحرب مُصعب ، فإنّ آل الزُّبير قومٌ قد ذكروا خُروجك ،

---

(١) البرزة : التى لا تحتجب لسنها ، وتجلس إلى الناس تحدثهم ، مع عقل وعفة .

وأبعث إليهم الجيُوش ، و بكت و بكى جواريها معها . فجلس وقال :قاتل الله ابن أبى جُمُعة — يعنى كُثيِّرا — فأين قولُه :

إذا ما أراد الغزْو لم تَثْنِ همَّه حصَانٌ عليها نَظْمُ[١] دُرٍّ يَزِينُها
نَهتْه فلما لم ترَ النَّهْى عاقَه بكت فبكى ممّا شَجاها[٢] قطِينُها

لكأنّه يرانى ياعاتكة ، ثم خرج .

هو وعبد الملك فى حرب مصعب

وذكر أنّه لما خَرج لحرب مُصعب نَظر إلى كُثيِّر ، وهو فى ناحية العسكر يسير مُطرقاً[٣] ، فدعا به وقال له : إنى لأعلم ما أسكتك وألقى عليك بثَّك ، فإن أخبرتُك عنه تَصْدُقنى ؟ قال : قُل : وحقِّ أبى تُراب — يعنى علياًّ عليه السلام — إنك تصدُقني . قال : والله لأصدُقنّك . قال : لا ، أو تحلفَ به . فحلف به . قال: تقول : رجلان من قُريش يَلْقى أحدُهما صاحبَه فيحار به ، والقاتلُ والمقتول منهما فى النار ، فما مَعْنى مسيرى مع أَحدهما إلى الآخر ، لا آمن سهماً عائراً لعلّه أنْ يُصيبنى فيقتُلَنى فأكونَ معهما . فقال : والله ما أخطأتَ ما فى نفسى . قال : فارجعْ من قريب . وأمر له بجائزة .

سبب نسبته إلى عزة

وأكثر نَسيب كُثيِّر فى عَزّة بنت حُميل بن وقّاص الضَّمرية ، و إليها يُنسب كثير ، فيقال له : كُثيِّر عزة .

أول عشقه لعزة

وذُكِر أن أول عِشْقه لعزّة أنّ كُثيِّراً مرّ بنِسْوة من بنى ضَمرة ، ومعه جَلَبُ غَنَمٍ ، فأرسلن إليه عزّة وهى صغيرةٌ ، فقالت : يقُلْن لك النِّسوة : بِعْنا كَبشاً من هذه الغَنم وأَنْسِئنا بثمَنه إلى أن ترجع . فأعطاها كبشاً . وأعجبتْه . فلما رَجع جاءتْه امرأةٌ منهن بدَراهمه . فقال : أين الصبيةُ التى أخذتْ منِّى الكَبْش ؟ قالت :

(١) وفى رواية : « عقد در » .
(٢) القطين : الخدم والأتباع والحشم .
(٣) فى الأصل : « متطرفاً » ، أى مبتعداً .

وما تَصنع بها ! هذه دراهمُك . فقال : لا آخُـذ دراهمى إلاّ ممّن دفعتُ الـكبش إليها . وخرج وهو يقول :

قَضى كُلُّ ذى دَيْنٍ فوفَّى غَرِيمَه وَعزَّةُ مَمطولٌ مُعَنًّى غَرِيمُهـا

وكان هذا أولَ لقائها له .

وقال فيها أيضاً :

نظرتُ إليها نظرةً وهى [1] عاتقٌ على حين أن شَبَّتْ وبانُ نُهودُهـا

من الخَفِـرات البيض ودَّ جَليسُهـا إذا ما أُنقضتْ أُحـدوثةٌ لو تُعيدهـا

نظــرتُ إليهـا نظرةً ما يسُرنى بها حُمْر أَنْعـامِ البلاد وسُودُهـا

وكنت إذا ما جئتُ سُعْدَى [2] أزورها أرى الأرضَ تُطْوى لِى ويَدْنو بَعيدُها

وذُكِرأنه لما أبى أنْ يأخذ الدراهمَ إلّا أن يراها ، أبرزَتْها النسوةُ وهى كارهة لذلك . ثم أحبّته عزةُ بعد ذلك أشدَّ من مَحبّته لها .

عزة وعبد الملك وقد كبرت

وذُكِر أن عَزة دخلت على عبد الملك بن مَروان ، وقد عَجَزت ، فقال لها : أنت عزّة ؟ قالت : أنا عَزّةُ بنت حُمَيل . قال : أنت الذى يقول لك كُثيِّر :

لعزّةَ نارٌ ما تَبُــوخ [3] كأنّهـا إذا ما رَمَقْناها على [4] البُعد كوكبُ

تَعجّبَ أصحــابى لها [5] ولضوئهـا وللمُصْطَلِيها آخرَ الليــل أعجبُ

فما الذى أعجبه منك ؟ فقالت : كَلّا يا أميرَ المؤمنين، فلقد كنتُ فى وقته ذلك كالنار المُوقدة فى الليلة القَرّة [6] .

---

(١) العاتق : الجارية أول ما تدرك .

(٢) فى الديوان : « وكنت إذا ما زرت سعدى بأرضها » .

(٣) تبوخ : تسكن .

(٤) فى الديوان : « من » .

(٥) فى الديوان : « لها حين أوقدت » .

(٦) العبارة فى بعض أصول الأغانى : « فوالله لقد كنت فى عهده أحسن من النار فى الليلة القرة » .

وقيل : بل قالت له : أعجبه منى ما أعجبَ الناسَ منك حتى صيَّروك خليفة .

— وكان لعبد الملك سنٌّ سوداء يُخفيها — فضحك حتى بدتْ . فقالت له : هذا الذى أردتُ أن أُبديه . فقال لها . تَروين قولَ كُثيِّر فيك :

وقد زعمتْ أنّى تغيرتُ بعدها ... ومَن ذا الذى يا عزُّ لا يتغيَّرُ

تَغيَّر جِسْمى والخليقةُ[1] كالذى ... عَهِدْتِ ولم يُخْبَرْ بسرِّك مُخْبَر

فقالت : لا ، ولكنّى أَروى له :

كأنّى أُنادى صخرةً حين أعرضتْ ... من الصُّمِّ لو تَمْشى بها[2] العُصْمُ زَلّتِ

صَفُوحاً[3] فما تلقاك إلّا بَخيلةً ... فمَنْ مَلَّ منها ذلك الوصلَ مَلّتِ

فأَمر بها فأُدخلت على زوجته عاتكةَ بنت يزيد بن معاوية . فقالت لها : أرأيتِ قولَ كُثيِّر :

قَضى كلُّ ذى دَينٍ فوفَّى غريمَه ... وعزّة ممطولٌ مُعَنًّى غريمُها

ما هذا الدَّين الذى ذكره ؟ قالت : قُبلةٌ وعدتُه إياها . قالت : أَنْجِزيها له وعلىّ إثمُها .

عزة وغلام لكثير مطلته حقه

وذُكِر أن كُثيِّراً كان له غُلام تاجر ، فباع لعزّة بعضَ متاعه ، ومَطلتْه مُدةً وهو لا يَعرفها . فقال لها يوماً : أنت والله كما قال مولاى :

قَضى كلُّ ذى دَينٍ فوفَّى غريمَه ... وعزّةُ ممطولٌ مُعَنًّى غَريمُها

فأنصرفت خَجِلةً . فقالت له امرأة . أتعرف عزّة ؟ قال : لا والله . قالت : فهذه عزّة . قال . فلا جرَم والله ، لا آخذ منها شيئاً أبداً . ورَجع إلى مولاه فأخبره بذلك . فأَعتقه ووَهب له المالَ الذى كان فى يده .

---

(١) كذا فى الأصل و الديوان . و فى أصول الأغانى : «كالتى» مكان «كالذى» .

(٢) العصم من الظباء : التى فى أذرعتها بياض وسائر جسدها أسود أو أحمر ؛ الواحدة : عصماء .

(٣) صفوحاً : صادة معرضة .

هو وعبد الملك فى أعجب خبر له مع عزة

وذُكر أن عبد الملك بن مروان سأل كُثيِّراً عن أعجب خبرٍ له مع عَزَّة . فقال : حَججتُ سنة من السِّنين ، وحَجّ زوجُ عزّة بها ، ولم يعلم أحدُنا بصاحبه. فلمّا كان ببعض الطريق أمرها زوجُها بابتياع سَمن تُصلح به طعاماً لأهل رُفقته . فجعلت تدُور الخيامَ خَيمةً خيمةً ، حتى دخلتْ إلىّ — وهى لا تَعلم أنها خيمتى — وكنت أبرى سهماً لى ، فلما رأيتُها جعلتُ أبرى وأنظرُ إليها وأنا لا أعلم ، حتى بريتُ ذِراعى مرّاتٍ وأنا لا أشعرُ به ، والدمُ يجرى . فلما تبيّنتْ ذلك دخلتْ إلىّ وأمسكتْ بيدى وجعلتْ تَمسح الدمَ بثَوبها. وكان عندى نِحْيٌ [1] من سَمن، فحلفتُ لتأخذنّه . فأخذتْه وجاءت إلى زوجها بالسمن . فلما رأى الدمَ سألها عن خبره ، فكاتمتْه ، حتى حَلف عليها لتصدُقنّه ، فصدقتْه . فضَربها وحلف لتشتمنِّي فى وجهى . فوقفتْ علىّ وهو معها ، فقالت لى : يابن الزانية ، وهى تَبكى ، ثم انصرفا . فذلك حيث أقول :

خَليلىّ هذا رَبْع عَزّة فاعقِلاَ ... قَلُوصَيْكما ثم ابكِيَا حيثُ حَلَّتِ
وما كنتُ أدرى قبل عزّة ماالبُكا ... ولا مُوجعاتِ القَلب حتى تولَّت
فليت قَلُوصى عند عزّة قُيِّدت ... بحبلٍ ضَعيفٍ بانَ منها فضلَّت
فأصبح فى القوم المُقيمين رحلُها ... وكان لها باغٍ سوایَ [2] فولَّت
فقلتُ لها يا عزّ كُلُّ مصيبةٍ ... إذا وُطِّنتْ يوماً لها النفسُ ذلَّت
أسيئى بنا أو أَحْسِنِى لا مَلُومةٌ ... لَدينا ولا مَقْلِيّةٌ إنْ [3] تَقلَّت
هَنيئاً مَريئاً غيرَ داءٍ مُخامرٍ ... لِعزّةَ من أعراضنا ما استحلَّت
تَمنَّيتُها حتى إذا ما رأيتُها ... رأيتُ المَنايا شُرَّعاً قد أظلَّت

(١) نحى : زق .

(٢) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « فبلت » . وبلت المطية على وجهها ، إذا ذهبت فى الأرض ضالة .

(٣) تقلت : تبغضت .

و بعده البيتان المُتقدمان[1] ، و بعدهما :

أصاب الرَّدَى من باتَ يَنوِى لكِ الرَّدى وجُنّ اللواتى قُلْنَ عَزَّةُ جُنَّتِ

لقاؤه عزة ليلة

وحَكى أبو عمرو الُجهنى قال :

سارت علينا عزةُ فى جماعة من قومها ، فَنزلت حِيالنا . فجاءنى كُثيِّر ذاتَ يوم ، فقال لى : أُريد أن أكونَ عندكَ اليومَ حتى أُمسى وأذهب إلى عزة . فصرتُ به إلى مَنزلى . فأقام عندى حتى كان العِشاء ، ثم أرسلنى إليها وأعطانى خاتَمه ، وقال : إذا سلَّمتَ فستخرج إليك جاريةٌ ، فادفع إليها خاتَمى وأعلمها بمكانى . فجئتُ بيتَها فسلَّمتُ ، فخرجت الجاريةُ ، فأعطيتُها الخاتَم ، فقالت : أين الموعدُ؟ فقلتُ : صَخرات أبى عُبيد اللَّيلةَ . فرجعتُ إليه فأعلمتُه . فلما أمسى قال لى : انهض . فنهضتُ معه . وجلسنا هناك نتحدث حتى جاءت من الليل ، فجلستْ فتحدَّثا فأطالا . فذهبتُ لأقوم ، فقال لى : إلى أين تذهب ؟ فقلت : أُخلِّيكما ساعةً فلعلَّكما أن تتحدّثا ببعض ما تكتُمان . فقال : اجلس ، فوالله ما كان بيننا شىء قطُّ . فجلست وهما يتحدّثان ، و إن بينهما لثُمامةً[2] عظيمةً ، وهى من ورائها جالسةٌ ، حتى أسحرنا . ثم قامتْ فانصرفتْ ، وقمتُ أنا وهو ، فظلّ عندى حتى أمسى وانطلق .

لم يكن صادق الهوى

وذَكر بعضُهم أنّ كُثيِّرًا لم يكن صادقَ المحَبة ، بخلاف جَميل بُثَينة . ومما يدُل على ذلك أنّ كثيِّراً رأى عَزَّة يوماً وهى تمشى وتميس فى مِشْيتها مُتنقِّبة ، فلم يعرفها كُثيِّر ، فاتبعها كُثيِّر وقال : ياسيدتى ، قِفِى حتى أُكلِّمك فإنّى لم أرمثلَك قط ، فمَن أنت ؟ قالت : ويحك ! هل تركتْ عَزّةُ فيك بقيّةً لأحد ؟ فقال : بأبى أنتِ ! لو أنّ عزةَ أَمةٌ لى لوهبتها لك . قالت : فهل لك فى المُخاللة ؟ قال : وكيف لى بذلك ؟ قالت : أنّى وكيف بما قلتَ فى عزّة ؟ قال: أَقْلبه كُلَّه وأُحوِّله

(١) يريد قوله (ص ١٠١٣) : «كأنى أنادى» .

(٢) الثمامة : واحدة الثمام ، وهو نبت ضعيف قصير لا يطول .

إليك . فسفَرت عن وجهها وقالت : أغدراً يا فاسق ! إنك لهكذا ! فأَبْلس [١] ولم يَنْطق ، وذهبتْ . فلما مَضت أنشأ يقول :

ألَا ليتنى قبل الذى قلتُ شِيب لى ... من السّمِّ جَدْحاتٌ بماء [٢] الذَّرارِحِ

فمتُّ ولم تعلم علىَّ [٣] جناية ... وكم طالبٍ للرِّبح ليس برَابح

أبوءُ بذَنبى إننى قد ظلمتها ... وإنى بباقِى سرِّها غيرُ بائح

حديث لقائه عزة فى طريقه إلى مصر

وحكى سائبٌ راويةُ كُثيِّر قال :

خرجتُ مع كُثيِّر نُريد مِصْرَ ، فمررنا بالماء الذى فيه عزّة ، فإذا هى فى خِباء ، فسلَّمنا جميعاً ، فقالت : وعليك السلامُ يا سائب ، ثم أقبلتْ على كُثيِّر فقالت : ويحك ! ألا تتَّقى الله ! أرأيت قولَك :

بآية ما أتيتُكِ أمَّ عمرو ... فقمتِ بحاجتى والبيتُ خالى

أخلوتُ معك قطُّ فى بيتٍ أو غير بيت ؟ قال : لم أقُله ، ولكنِّى قلتُ :

فأُقسِم لو أتيتُ البحرَ يوماً ... لِأَشربَ ما سقتْنى من [٤] بلالِ

وأُقسِم أنَّ حُبَّك أمَّ عمرو ... لداء عند [٥] مُنقَطع السُّعَال

فقالت : أمّا هذا فنعَم . قال : فأَتينا عبدَ العزيز بن مروان ثم عُدنا . فقال كُثيِّر : عليكِ السلام يا عزّة . فقالت : عليك السلام يا جَملُ . فقال كُثيِّر :

حيَّتك عزَّةُ بعد البَيْن فانصرفتْ ... فحَىِّ ويحكَ مَن حيَّاك ياجملُ

لو كنت حيَّيتَها ما زِلْتَ ذامِقَةٍ ... عندى وما مسَّك الإدلاجُ والعمل

---

(١) أبلس : سكت وتحير .

(٢) الجدحات : أقدار من السويق يخلط بالماء ويلت . والذراريح — وحذفت ياؤه — : جمع : ذروح ، وهى دويبة أعظم من الذباب شيئاً ، مجزعة مبرقشة بحمرة وسواد وصفرة ، لها جناحان تطير بهما ، وهى سم قاتل .

(٣) وفى رواية : « خيانة » مكان «جناية » .

(٤) البلال : كل ما يبل به الحلق من الماء ونحوه .

(٥) منقطع السعال ، أى الصدر . والرواية فى الديوان نقلا عن الشعر والشعراء : « لدى جنبى ومنقطع السعال » .

ليتَ التحيّة كانت لى فأشْكُرَها مكانَ «يا جملُ» حُيِّيتَ يا رجل

أغرت به عزة بثينة لتتبين حاله

وذُكِر أنّ عزة قالت لبُثينة صاحبة جَميل : تَصدَّىْ لِكُثيِّر وأَطمعيه فى نفسك حتى نَسمع ما يُجيبك به . فأقبلتْ إليه ، وعزةُ تمشى وراءها مُتخفِّية ، وعَرَضت عليه الوصلَ ، فقاربها ، وقال فى ذلك :

رمتْنى على عَمْدٍ بُثَيْنةُ بعد ما تولّى شَبابِى وأُرجحنّ[(١)] شبابُها

بعَيْنين نَجلاوَيْن لو رَقرقتْهما لِنَوْء الثُّريّا لأستهلّ سحابُها

فكشفت عزةُ وجهها ، فبادرها الكلامَ وقال:

ولكنّما تَرْمين نفساً مريضةً لعزّة منها صَفْوُها ولُبابُها

فضحكت ثم قالت : أولى لك بها ! نجوتَ . وانصرفتا يتضاحكان .

حديث عشقه لأم الحويرث

وذُكِر أن عزّة تُوفيت وكُثيِّر حَىّ ، وأنه بعد موتها تعشّق أُمرأة من خُزاعة، يقال لها: أُم الُحويرث ، فنَسب بها ، وكَرِهت أن يُسمِّع بها ويَفضحها كما فعل بعزّة ، فقالت له : إنك رجلٌ فقير ، فأُبتغِ مالاً يُعفِّى عليك ،[(٢)] ثم تعالَ وأُخطُبنى كما يخطُب الكِرام . فقال : فأَحلفى لى وَوثِّقى أنك لا تتزوّجين حتى أَقْدَم . فحلفتْ ووثّقت له . فَمدح عبدَ الرحمن بن الأبرش[(٣)] الأَزدىّ . وخَرج إليه ، فلقيتْه ظِباءٌ سَوانح، ولقى غُراباً يَفحص التراب برأسه[(٤)] ، فتطيّر من ذلك حتى دَخل على حىٍّ من لِهْب[(٥)] : فقال : أيكم يَزْجُر ؟ قالوا: كُلّنا ، فمن تُريد ؟ قال : أعلمُكم بذاك . قالوا : ذلك الشيخُ المُنحنى الصُّلْب . فأَتاه فقصّ عليه القصّة . فكره ذلك له ، وقال : قد ماتت أو تزوّجت رجلاً من بنى عَمِّها . فقال :

تيمّمتُ لِهْباً أَبتغى العِلْمَ عندهم وقد رُدَّ عِلمُ العائفين إلى لِهْبِ

---

(١) أى اهتز نضارة .

(٢) يعفى عليك ، أى يمحو آثار فاقتك ويغيرها إلى غنى .

(٣) فى غير التجريد : « عبد الرحمن بن إبريق الأزدى » .

(٤) فى الأغانى : « بوجهه » . (٥) لهب : قبيلة من اليمن ، معروفة بالزجر .

تيمّمتُ شيخاً منهــمُ ذا (١) بَجالةٍ   بَصيراً بزَجْر الطــير مُنحنِيَ الصُّلب
فقلتُ له ماذا ترَى فى سَــوانحٍ   وصوتِ غُرابٍ يفحص الرأسَ(٢) بالتُّرب
فقال جَرى الطيرُ (٣) السَّنيح ببيْنِها   وقال غرابٌ جَدَّ مُنْهَمِرُ السَّكْب
فإلّا تكُن ماتت فقد حال دونهـا   سِواكَ خليلٌ باطنٌ من بنى كَعب

فأتى الرجلَ الأزدىَّ فمدحه ، فأصاب خيراً . ثم قدم عليها فوجدها قد تزوّجت رجلاً من بنِي عمّها ، فأخذ كُثيِّرًا الهُلاَسُ (٤) ، فـكُشِح (٥) جَنباه بالنار . فلما اْندمل و برئ من عِلّته وضَع يدَه على ظَهره ، فإذا هو برَقْمتين . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أَخذكَ الهُلاَس وزَعم الأطباء أنه لا عِلاج له إلا الـكَشْح بالنار ، فكُشِحتَ بالنار . فقال :

عَفا اللهُ عَن أم الُحويرث ذَنْبها   علامَ تُعنِّينى وتَـكْمِى (٦) دوائيَا
فلو آذنُونى قبل أن يرقُوا بها   لقُلت لهم أُمُّ الُحويرث دائيـا

وفاته وعكرمة الفقيه

وذُكِر أن كُثيِّر عزة ، وعِكْرمة الفقيه ، صاحب ابن عبـاس ، تُوفِّيا فى يوم واحد ، وذلك فى سنة خمس ومائة ، فأُخرجت جِنازتاهما .

قال الراوى :

فما علمتُه تخلّفت امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازتيهما . وقيل : مات اليومَ أعلمُ الناس ، وأشعرُ الناس . وغَلب النساء على جنازة كُثيِّر يبـكينه و يندُبْن عزّة فى نَدْبهن له . فقال أبو جعفر محمد بن علىّ الباقر ــ عليهما السلام ــ : أفرجوا لى عن جِنازة كُثيِّر لأرفعها .

(١) البجالة : النبل والعظم . بجل بجالة وبجولا . لا توصف بذلك المرأة .
(٢) فى بعض أصول الأغانى والديوان (١ : ٢١٥) : « الوجه » .
(٣) فى الديوان : « الظبى » .
(٤) الهلاس : الهزال عن داء ، أو هو السل .
(٥) الكشح : الكى .
(٦) تكمى : تستر .

قال الراوى : فجعلنا ندفع عنها النساء ، وجعل محمد بن علىّ يضربهن بكُمّه ويقول : تَنَحَّين يا صُويحبات يُوسف . فا نتدبتْ له امرأة منهنّ وقالت : يابن رسول الله ، لقد صَدقتَ ، إننا لصُويحباته ، وقد كُنّا خيراً منكم له . فقال محمد بن علىّ لبعض مواليه : احتفظ بها حتى تجيئنى بها إذا انصرفنا . فلما انصرف أُتى بتلك المرأة كأنها شَرارةُ النار . فقال لها محمد بن علىّ : إيهِ ، أنت القائلة : إنكن ليُوسف خيرٌ منّا ؟ قالت : نعم ! تؤْمننى غضبك يا بن رسـول الله ؟ قال : أنت آمنة من غَضبى ، فأَبِينى . قالت : يابن رســول الله ، نحن دعوناه إلى اللذّات من المَطعم والمَشرب والتمتُّع والتنعُّم ، وأنتم معـاشرَ الرجال ألقيتُموه فى الُجب ، وبِعتُموه بأبخس الأَثمان ، وحَبستموه فى السجن ، فأَيُّنا كان عليه أَحْنَى وبه أرأف ؟ فقال محمد : لله دَرُّكِ ! لن تُغالَب امرأةٌ إلاّ غلبت. ثم قال لها : ألكِ بَعْل ؟ فقالت : لى من الرِّجال مَن أنا بعلُه . فقال لها محمد : ما أَصدقَكِ ! مثلُك من تَملك زوجها ولا يَملكها . فلمـا انصرفتْ ، قال رجل من القوم : هذه زينبُ بنت مُعَيْقيب (١) الأَنصارية .

الشعر الذى فيه الغنـاء

والشعرُ الذى فيه الغِناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار كُثيِّر ، هو :

توهَّمت بالَخيف رَبعاً مُحيـلاَ ... لِعزّة تَعرِفُ منه الطُّلولاَ (٢)

تَبدَّل بالحىِّ صوتَ الصَّدَى ... ونوحَ الحَمامة تَدعو هَديلا (٣)

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « معيقب » .

(٢) قال أبو الفرج : « الخيف الذى عناه كثير ليس بخيف منى ، بل هو موضع آخر فى بلاد ضمرة . والطلول : جمع : طلل ، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الديار » .

(٣) الصدى : طائر — زعموا — يخرج من رأس القتيل فلا يزال يصيح : اسقونى ، حتى يدرك بثأره . والهديل : صوت الحمام .

أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
ابن الحسين بن مصعب

شىء من صفته

ويُكنى أبا أحمد . وهو أمير جليل ، عَظيم القَدر والمحَلّ هو وأهل بيته . وكان أديباً مُتصرِّفاً فى فُنون الأدب ، راوية للشعر، قائلاً له، عالماً بأيام الناس وأخبارهم، عالماً بالموسيقى والهَندسة ، وغير ذلك مما يجلّ عن الوَصف ويكثُر .

قدره فى الغناء

وله فى الغِناء صَنعة عجيبة مُتقنة. وكان الخليفةُ المُعتضد بالله ربما أراد أن يَصنع فى بعض الأشعار غِناء ، وبحضرته أكابرُ المُغنِّين ، فيَعْدل عنهم إليه ، فيُحسن أحسن صَنعة ، ويترفَّع عن إظهاره نَفسه بذلك ، فيومىء إلى أنه من صَنعة جاريته شاجِى .

مولاته شاجى وشعره فى رثائها

وكانت إحدى المُحسِنات المُتقنات ، وكان المُعتضد إذا استحسن شيئاً بعث به إلى شاجى فتُغنِّى فيه .

وكانت صَنعتها فى عَصره تُسمَّى : غناء الدّار . وتُوفيت شاجى فى حَياة مولاها عُبيد الله بن عَبد الله بن طاهر ، فقال يَرثيها :

يَميناً يَقيناً لو بُليتُ بفَقْدها وبى نَبْضُ عِرْقٍ بالحياة أوالنُّكْسِ
لأوشكتُ قَتْل النفس قبل فِراقها ولـكنّها ماتتْ وقد ذَهبت نَفْسى

من شعره

وضاقت أحوالُ عُبيد الله فى آخر عُمره ، وكان جواداً . ومن جيِّد شعره قولُه :

فأَنْفِق إذا أيسرتَ غيرَ [(١)] مُقصِّر وأَنفِق إذا خَيَّلت أنك [(١)] مُعْسِرُ
فلا الجود يُفنِى المالَ والجَدُّ [(٢)] مُقبل ولا البُخل يُبقى المالَ والجَدُّ مُدْبِر

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « مقتر * وأنفق على ما خيلت حين تعسر » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « والمال » .

هو والزبير بن بكار حين أرسل المعتز يوليه القضاء

وذُكر أن كتاب المعتز بالله وَرد إلى مُحمد بن عبد الله بن طاهر ، وهو نائب الخليفة ببغداد ، يأمرُه بإحضار الزُّبير بن بكّار ليولِّيه القضاء ، فأَخبر عُبيد الله ابن عبد الله الزُّبيرَ بورُود كتاب الخليفة إلى أخيه بذلك . فقال الزُّبير : قد بلغتُ هذه السِّنَّ وأتولَّى القضاء ! أوَ بعد ما رويتُ أنّ من تولَّى القضاء فقد ذُبح بغير سِكِّين ! فقال له : فتَلْحق بأمير المُؤمنين بسُرَّ مَن رأى . فقال : أَفعل . فأَمر له بمالٍ ونَفَقة [1] ، وبظَهر يَحمله ويَحمل ثَقَلَه [2] ، ثم قال : إن رأيتَ يا أبا عبدالله أن تُفيدنا شيئاً قبل أن نفترق ! قال : نعم ، انصرفتُ من عُمرة المُحرّم ، فبينا أنا بأُثاية [3] العَرْج ، إذا أنا بجماعة مُجتمعة ، فأقبلتُ إليهم ، فإذا رجل كان يَقْنص الظِّباء ، وقد وقع ظَبى فى حِبالته فذَبحه ، فانتفض فى يده ، فضَرب بقَرنه صدرَه ، فنَشب القرنُ فيه فمات . فأَقبلتْ فتاةٌ كأنها المَهاة ، فلمّا رأت زوجَها ميتاً شَهِقت ثم قالت :

يا حُسْنُ لو بَطَلٌ لكنّه أجلُ ... على الأُثاية ما أَوْدَى به البَطلُ
يا حُسْنُ جُمِّع أحشائى [4] وقَلْقلها ... وذاك يا حُسنُ لولا غيرُه جَلَل
أضحتْ فَتاةُ بنى نَهْد علانيةً ... وبَعْلُها فوق أَيدى القوم يُحْتمل

ثم شَهقت فماتت . فما رأينا أعجب من الثلاثة : الظبى مَذْبوح، والرجلُ ميّت ، والفتاة ميِّتة حَرَّى .

فأمر له عبيدُ الله بمال آخر ، ثم أقبل على أخيه محمد بعد خُروج الزُّبير وقال : أمّا الذى أخذناه من الفائدة فى خبر حُسْنٍ وقولها :

* أضحت فتاة بنى نهد علانية *

— تريد : ظاهرة — أكثرُ عندى مما أعطيناه من الحِباء والصِّلة .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ينفقه » . (٢) الثقل : المتاع .
(٣) أثاية : موضع فى طريق الجحفة بين الرويثة والعرج . (ياقوت) .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « وأقلقها » مكان « وقلقها » .

أخبار مسافر بن أبي عمرو

نسبه

مُسافر بن أبي عمرو بن أُمية بن عبد شَمس بن عبد مناف . ويكنى أبا أُمية .

أمه

وأُمه آمنة بنت أبان بن كُلَيب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصعة ، وهى أُم أبى مُعَيط أبان بن أبى عمرو . فأبو مُعَيط والد عُقبة ، ومُسافر ، أخوان لأبٍ وأُمّ . وهما أخَوا عُمومتهما أبى العاص و إخوته[1] ، من بَنى أُمية الذين أُمهم آمنة ، لأنّ أبا عمرو بن أُميّة تزوّج آمنة هذه بعد أُميّة .

أحد أزواد الركب

وكان مُسافر سيّداً جواداً ، وهو أحد أَزْواد الرّكب[2] . و إنما سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا لا يَدعون غريباً ولا مُحتاجاً ولا مارًّا فى طريق مُجتازاً بهم إلّا أنزلوه وتكفّلوا به حتى يَظْعَن .

هو وهند بنت عتبة

ولِمُسافر شعر حَسن ليس بالكثير . وكان يَهوى هِنْدَ بنت عُتبة بن رَبيعة بن عبد شَمس ، وخَطبها بعد فراقها زَوجَها الفاكهَ بن المُغيرة ، فلم يَرض أبوها ثَرْوته . فوفد إلى النُّعمان بن المُنذر يَسْتعينه على أمره .

وذُكر أن هِند بنت عُتبة كانت مُزوَّجة للفاكه بن المُغيرة ، وكان من فِتْيان قُريش ، وكان له بيتٌ للضِّيافة ، بارز من البُيوت ، يَغشاه الناسُ من غير إذن . فخلا البيتُ ذاتَ يوم ، فاضْطجع هو وهِنْد فيه ، ثم نَهض لبعض حاجاته ، وأَقبل رجلٌ ممّن كان يَغشى البيت فولَجه ، فلما رآها رَجع هارباً ، وأَبصره الفاكهُ ، فأَقبل إليها فضَربها برجله ، وقال لها : مَن هذا الذى خَرج من عندك ؟ قالت : ما رأيتُ

(١) فى الأغانى : « وأخويه » .

(٢) أزواد الركب : ثلاثة نفر من قريش : مسافر هذا ، وزمعة بن الأسود ، وأبو أمية ابن المغيرة .

أحداً ولا أنتبهتُ حتى أنبهتَنى. فقال لها: أرجعى إلى أبيك. وتكلّم الناسُ فيها. فقال لها أبوها عُتبة بن ربيعة: إنّ الناس قد أكثرُوا فيكِ، فأَنْبئينى نَبأكِ، فإن يكن الرجلُ عليك صادقاً دسستُ عليه مَن يقتلُه فتنقطع عنكِ المقالةُ، وإن يكُ كاذباً حاكمتُه إلى كُهّان اليمن. فقالت: لا والله ما هو علىّ بصادق. فقال له: يا فاكه، إنَّك قد رميتَ أبنتى بأمرٍ عظيم، فحاكِمْنى إلى بعض كُهّان اليمَن. فخرج الفاكهُ فى جَماعة من بنى مَخْزوم، وخرج عُتبة فى جماعة من عبد مَناف، ومعهم هِنْد ونِسْوةٌ. فلما شارفُوا البلادَ وقالوا: غداً نَرِد على الرجل، تنكّرت حالُ هند. فقال لها عُتبة: إنِّى أَرى ما بك من تنكر الحال، وما ذاك إلا لمكروهٍ عندك. فقالت: لا والله يا أبتاه، ما ذاك لمكروه عِندى، ولكنى أعرف أنكم تأتُون بَشَراً يُخطىء ويُصيب، ولا آمنه أن يَسِمَنى مِيسَماً يكون علىّ سُبَّةً. فقال لها: إنى سوف أختبره لك. فصَفر بفرسه حتى أَدْلَى[1]، ثم أدخل فى إحْليله حبّة بُرّ وأوكأ عليها بسَير. فلما أَصبحوا قَدِموا على الرّجل، فأكرمهم ونَحر لهم. فلما تغدَّوا قال عُتبة: قد جئناك فى أمر، وقد خبأتُ لك خَبيئةً أختبرك بها، فأنظُر ماهو؟ فقال: ثَمرة فى كَمَرة. فقال: إنى أُريد أَبْيَنَ من هذا. فقال: حَبّة بُرٍّ فى إحليل مُهْر. قال: صدقتَ. أنظُر فى حالِ هؤلاء النِّسوة. فجعل يَدْنو من إحداهن ويقول لها: أنهضى. حتى دنا من هِنْد فقال: أنْهَضى غيرَ رَسْحاء[2] ولا زَانية، ولتَلِدِنّ مَلِكا يقال له مُعاوية. فنَهض إليها الفاكه فأَخذ بيدها. فنَبزت يدَها من يده وقالت: إليكَ، فوالله لأَحرصنّ على أن يكونَ ذلك من غيرك. ثم خَطبها مُسافر بن أبى عمرو بن أُمية، وكان أَحبَّها، فلم يُزوِّجه أبوها به لفَقره. فقَدِم الحيرَة ليحصُل له ما يَستعينُ به على تزْويجها. وخَطب أبو

---

(١) أدلى: أخرج جرذانه ليبول أو يضرب.

(٢) الرسحاء: الخفيفة العجيزة.

سفيان بن حَرب بن أُمية هِنداً من أبيها . فزوّجه إياها . ثم لقىَ أبو سفيان أبن عمه مُسافراً . فسأله مُسافر عن حال قُريش والناس . فأخبره وقال له فيما يقول : وتزوجتُ هِنْد بنت عُتبة . فدَخله من ذلك ما أعتلّ معه، حتى أستسقى بطنُه[1] .

فقال مُسافر فى ذلك :

ألا إنّ هِنداً أصبحت منك مَحْرَماَ وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتها حَمَا

وأصبحتَ كالمَساوب[2] جَفْنَ سِلاحه يُقلِّب بالكَفّين قَوساً وأسْهُمَا

فدُعى له بالأطبّاء . فقالوا : لا دواءَ له غير الكَىّ . فأجاب إليه . فأحمى الذى يعالجه مَكاويه وقال : أدعوا له أقواماً يُمسكونه . فقال له مُسافر : لستُ أحتاج إلى ذلك . فلما رأى الطبيبُ صَبْره ضَرَط . فقال مُسافر :

* قد يَضْرط العَيْر والمِكْواة فى النار *

فذهبت مثلا . فلم يزدَدْ إلا ثِقَلاً .

موته ورثاء أبي طالب له

فخرج يُريد مكة ، فلما أنتهى إلى مَوضع يقال له هُبَالة مات ، فدُفن بها . ونُعى إلى قُريش ، فقال أبو طالب بن عبد المطلب يَرثيه :

ليتَ شِعْرِى مُسافِرَ بنَ أبى عمرٍو وليتٌ يقولها المَحزون

رَجع الرَّكبُ سالمين جميعاً وخليلى فى مَرْمَسٍ[3] مَدْفون

بُورِكَ الميّتُ الغريبُ كما بُو رِكَ غَضٌّ[4] الرَّيحان والزَّيتون

مَيت صِدْق[5] على هُبالة قد حا لتْ فَيافٍ من دونه وحُزون

مِدْرَهٌ يدفع الخُصومَ بأيدٍ وبوجهٍ يَزِينه العِرْنين

(١) أى اجتمع فيه ماء . وهو داء الاستسقاء .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « كالمقمور » .

(٣) المرمس : القبر .

(٤) فى معجم البلدان فى رسم هبالة والأغانى : « نضر » .

(٥) فى الأغانى : « بيت » .

ذكر خبر عمارة بن الوليد

ابن المغيرة المخزومي

ما كان بين قريش وأبي طالب بشأن النبي صلى الله عليه وسلم وشأنه

قلتُ : وهو أحدُ فتيان قُريش . وكان حسنَ الصُّورة . وكانت قُريش قد طلبوا من أبي طالب تَسليم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم لمّا أظهر نُبوّته ودعا قُريشاً إلى التوحيد وتَرْك ما كان يعبد آباؤهم. فامتنع عمُّه أبو طالب من ذلك وذَبَّ عنه وقام بنُصرته . فمَشَوْا إلى أبي طالب بعُمَارة بن الوليد ، وقالوا : خُذ هذا بدلَ محمد وادفع إلينا محمداً . فقال : يا عَجباً منكم ! أدفع إليكم ابني تقتُلونه وآخُذ منكم ابنكم أمُونه ! فأصرَّ على نُصرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومَنَعه منهم .

هو وعمرو بن العاص في الحبشة

و بعد ذلك خَرج عُمارة بن الوليد ، وعَمرو بن العاص بن وائل السَّهميّ ، وكانا كلاهما تاجرَيْن ، إلى أرض الحَبشة ، ومَلِكُها النَّجاشيّ ، وكانت أرضُ الحَبشة لقُريش متجراً ووجهاً . وكلاهما يومئذ مُشْرِك شاعر فاتك . وكان عُمارة بن الوليد مُعْجَباً بالنِّساء وصاحبَ مُحادثة . فرَكِبا في السَّفينة لياليَ ، فأصابا من خَمرٍ معهما . فلما انتشَى عُمارة قال لامرأة عمرو بن العاص : قَبِّليني . فقال لها عمرو : قَبِّلي ابنَ عمِّك . فقبَّلته . وحَذِر عمرو على زَوجته ، فرَصدها ورَصده ، فجعل إذا شَربا أقلَّ عمرو من الشَّراب وأرَقَّ لنفسه بالماء مخافةَ أن يسكَر فيغلبَه عُمارة على زَوجته . وجعل عُمارة يُريدها على نفسها ، فامتنعت منه . ثم إنّ عَمرو بن العاص جَلس في ناحية السَّفينة يبُول ، فدفعه عُمارة بن الوليد في البَحر ، فلمَّا وَقع سَبح حتى أخذ بالقَلْس [1] ، فارتفع فَظهر على السَّفينة . فقال له عُمارة : أمَا والله يا عَمرو

(1) القلس : حبل غليظ من حبال السفينة .

لو علمتُ أنك تُحسن السِّباحة ما فعلتُ . فلمّا قال عُمارة ذلك لعمرو أضطغنها ، وعَرف أنه أراد قَتْله . ومَضَيا على وجهَيْهما حتى قَدِما أرضَ الحبشة ونَزَلاها . وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص : أن اُخْلَعني وتبرَّأ منّي ومن جَريرتى إلى بني المُغيرة وجَميع بنى مَخزوم . وخَشِي على أبيه أن يُتَتَبَّع بجَريرته وهو يترصّد لعُمارة ما يترصّد[1] . فلمّا وَرد الكتابُ على العاص بن وائل مَشى فى رجالٍ من قومه ، منهم : نَبيه، ومُنبّه ، أبنا الحجّاج ، إلى بنى المُغيرة وغيرهم من بَنى مَخزوم، وقال : إنّ هذَين الرجلَين قد خَرجا حيث علمتُم ، وكلاهما فاتكٌ صاحبُ شرّ ، وهما غير مأمونَيْن على أنفسهما ، ولا ندرى ما يكون ، وأنا أبرأُ إليكم من عَمرو ومن جَريرته ، وقد خلعتُه . فقالت بنو المُغيرة و بنو مَخزوم : أنت تخافُ عَمراً على عُمارة ! قد خَلعنا عُمارة وتبرأنا إليك من جَريرته ، فخلِّ بين الرَّجلين . فقال السَّهميّون: قد قَبِلْنا، فأبعثُوا مُنادياً يُنادى بمكة : إنا قد خَلعناهما . وتبرَّأ كُلُّ قومٍ من صاحبهم ومما يجُر عليهم . فبعثوا منادياً نادَى بمكة بذلك . فقال الأسودُ بن المُطَّلب : طَلَّ[2] والله دمُ عُمارة بن الوليد آخرَ الدّهر! فلما أطمأنّا بأرض الحبشة ، لم يلبث عُمارة أن دَبّ لأمرأة النَّجاشىّ ، فأدخلتْه ، فأختلف إليها . فجعل إذا رَجع من مَدخله يُخبر عمرو بن العاص بما كان من أَمره . فجعل عمرو يقول : ما أُصدِّق أنك قَدرت على هذا الشأن ! إنّ المرأةَ أرفعُ من ذلك . فلمّا أكثر على عَمرو مما كان يُخبره ، صدَّقه ،[3] ولـكنّه أحبّ التثبُّت . وكان عُمارة يغيب عنه حتى يأتيَه فى السَّحر ، وكانا فى منزل واحد . وجعل عُمارة يدعوه إلى أن يَشرب معه، فيأبى عَمرو و يقول : هو يَشغلك عن مَدخلك . وكان عمرو يريد أن يأتيه بشىء

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وهو يرصد لعمارة ما يرصد » .

(٢) طل : أهدر . وفى بعض أصول الأغانى : « بطل » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وقد كان صدقه » .

لا يَستطيع دَفْعَه ، إن هو رَفعه إلى النجاشى . فقال فى بعض ما يذكُر له من أمرها: إن كنتَ صادقاً فقل لها فَلْتَدْهنك من دُهن النَّجاشى الذى لا يَدَّهنُ به غيرُه ، فإنِّى أعرفه ، وأْتنى به لأُصدِّقَك . ففعل عُمارة ، فجـاء بقارورة من دُهنه . فلمّا شمَّها عمرو عَرفها وقال : أشهد أنك صادق ، ولقد أصبتَ شيئاً ما أصابه أحدٌ من العرب ، من امرأة المَلِك ، ما سمعنا بهذا ! (١) وسكت عنه ، حتى إذا اطمأنّ دخل إلى النَّجاشى فقال : أيها الملك، أنّ ابن عمى سَفيه ، وقد خشيتُ أن يَعُرَّنى عندك أمرُه ، وقد أردتُ أن أعلمَك شأنه ، ولم أَفعل حتى استثبتُّ أنّه قد دخل على بعض نسائك فأكثر ، وهذا من دُهنك قد أُعْطِيَه ودَهننى منـه . فلما شَمَّ النَّجاشىُّ الدُّهن قال له : صدقتَ ، هذا دُهْنى الذى لا يكون إلا عند نسائى . ثم دعا بعُمارة ودعا بالسَّواحر فجرّدوه من ثيابه ، ثم أمرهنّ فنفخْن فى إحليله ، ثم خلّى سبيلَه . فخرج هارباً هائماً على وجهه مع الوَحش ، ومتى رأى الإنس هَرب منهم ، وطَلع له شَعرٌ غطَّى جميع بَدَنه . ولم يزل كذلك مُدةَ أيّام النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، وأيامَ أبى بكر رضى الله عنه ، وصدراً من خلافة عُمر رضى الله عنه . فخرج إليه ابنُ عمّه عبد الله بن أبى رَبيعة ـ وكان اسمه قبل أن يُسلم « بَحيراً » ، فسمّاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عبدَ الله ـ فرَصده على ماء بأرض الحبشة ، وكان يَرِده مع الوحش، إذا ورَدْنه . فلما وَجد ريح الإنس هَرب ، حتى إذا أجهده العطشُ وَرد فشَرِب حتى تملّأ (٢) . وخرجوا فى طلبـه . قال عبدُ الله بن أبى رَبيعـة ، فسعَيْتُ إليه فالتزمتُه ، فجعل يقول لى : يا بَحير ، أرْسِلنى فإنى أموت إن أمسكتمونى . قال عبدُ الله : فضبَطْتُه ، فمات فى يدى مكانَه ، فواريتُه ثم انصرفتُ .

(١) فى بعض أصول الأغانى: « لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحد مثله قط من العرب ونلت من امرأة الملك شيئاً ما سمعنا بمثل هذا » .

(٢) تملأ : امتلأ .

شعر لعمرو فى ذلك

وقال عمرو بن العاص ، يذكر عُمارة بن الوليد وما صنع :

تَعلّم عُمــارَ أنّ من شَرِّ شيمةٍ … لمثلك أنْ يُدْعَى ابنُ عمٍّ له ابنَمَا

فإن كنتَ ذا بُرْدَيْن أحوَى مُرَجَّلاً … فلستَ براعٍ لابنِ عمِّك مَحْرَما

إذا المرء لم يترك طعاماً يُحبُّه … ولم ينْهَ قلباً غاوياً حيثُ يَمَّما

قضَى وَطراً منه يَسيراً وأصبحت … إذا ذُكرتْ أمثالُها تملأُ الفَما

فليس الفَتى [1] ولو أتمّت عروقُه … بذى كَرمٍ إلّا بأن يتكرّما

فَمَلْآنَ [2] فانزِعْ عن مَطاعمَ جَمَّةٍ … وعالجْ أُمورَ المَجد لا تتندَّما

(١) أتم الشيء : اكتمل وبلغ الغاية . والعروق : الأصول والأحساب ؛ الواحد : عرق .

(٢) فلآن : أى فمن الآن ، فحذف ووصل .

أخبار امرئ القيس الكندى (*)

نسبه

ذكر ابن الكلبى أنه امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو المَقْصور ابن حُجر آكل المُرار بن عَمرو بن مُعاوية بن الحارث بن يَعرُب بن ثور — وثَور هو كِندة — بن مُرتِّع بن عُفَير بن الحارث بن مُرَّة بن عدىّ بن أُدَد بن زيد ابن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب ابن قَحطان.

وقيل غير ذلك.

أمه

وأُمه فاطمةُ بنت رَبيعة بن الحارث بن زُهير، أُخت مُهلهل وكُليب، ابنى رَبيعة التغلبيَّيْن. وقيل: إنها مَذْحجيّة. وقيل: إنها كندية.

كنيته ولقبه

ويكنى امرؤ القَيس أبا وَهْب. ويقال له: المَلِك الضِّلِّيل، وذو القُروح.

شيء عن تسمية أجداده

وإنما سُمى «ثور»: كندة، لأنه كَند أباه، أى عَقَّه.

وإنما سُمى «مُرتّع»: مُرَتِّعاً، لأنه كان يَجعل لمن أتاه من قومه مَرْتعاً لماشيته.

وإنما سُمِّى «حُجر»: آكلَ المُرار، لأنه لما أتاه الخبرُ بأسر الملك الحارث بن جَبلة كان رأسه فى حِجْر امرأته وهى تَفْليه، فجعل يأكل المُرار — وهو نَبت شديد المرارة — غيظاً وحَنقا.

وقيل: سُمِّى بذلك، لأنّ هنداً زوجة الحارث قالت له: كأنك بحُجر قد أدركك فى الخيل، وهو كأنه بعيرٌ يأكل المُرار.

(*) ساق قبل هذا أبو الفرج «الأرمال الثلاثة المختارة». ومثلها مما تخفف منه صاحب التجريد.

وإنما سُمِّىّ عمرو: «المقصور» لأنه قُصر على مُلك أبيه، أى أُقعد فيه كَرْهاً.

منزل امرئ القيس

وكان أمرؤ القيس يَنزل المُشَقَّر باليمامة. وقيل: بل كان ينزل فى حِصْن بالبحرين.

الحارث بن عمرو ومزدك

وكان جَدُّه الحارثُ بن عَمرو مَلِكاً شديدَ المُلك بعيدَ الصَّوت، وكان مَلكَ الفُرس فَيروزُ بن يزْدَجرد بن بَهرام حور، ثم هلك وولى بعده أبنه قُباذ بن فَيروز، أبو كسرى أنو شِرْوان. وظَهر فى أيّامه رجلٌ يقال له: مَزْدك. فدَعا إلى الزَّندقة، وأن تكونَ الأموالُ والنِّساء مُشتَركا فيها بين الناس، وألاَّ يَمنع واحدٌ من الناس أخاه ما يريد من ذلك، وأباح المُحرَّمات. فدخل قُباذ ملك الفرس فى دينه، فعَظُمت البليّة بذلك. وذُكر أن أم أنو شِروان كانت يوماً بين يدى زوجها الملك قُباذ، فدخل عليه مَزْدك، فلما رأى أمَّ أنو شروان أعجبتْه، فقال لقباذ المَلك زَوْجها: أدْفعها إلىّ لأطأها. فقال: دونَكها. فوَثب إليه أنو شروان أبْنُها، فلم يَزل يسأل مَزْدك ويتضرع إليه أن يَهب له أمَّه، حتى قَبَّل رجلَه، فتركها له. وبقيتْ تلك فى نفس أنو شروان. فلما هلك قُباذ وقام بالمُلك أنو شروان لم تكُن له همّة إلاّ قَتْل مَزْدك ومن أتبعه من الزَّنادقة.

أنو شروان ومزدك

وكان المُنذر بن ماء السماء عاملاً على الحِيرة ونواحيها. وكان قُباذ لمّا دخل فى الزَّندقة دعاه إليها فأَبَى، فدعا إلى ذلك الحارثَ بن عمرو، جدَّ أمرىء القيس، فأَجابه إلى الدُّخول فى الزَّندقة. فشدَّد له قُباذ مُلْكه، وأَطْرد [1] المُنذر عن مَمْلكته.

فلما مات قُباذ وجلس أبنُه أنو شروان فى مجلس مُلكه، وكان أسْمه خُسْرو، دَخل عليه مَزدك، ثم دخل عليه المُنذر بن ماء السماء، ووُجوه أهل مملكته.

---

(١) أى أمر بطرده.

فقال أنو شروان : إنى كنتُ تمنَّيت اُثنتـين ، أرجو أن يكون الله جلّ وعزّ قد جَمعهما لى . فقال مَزدك : وما هما أيها الملك ؟ قال : تمنيت أن أملك فأستعملَ هذا الرجلَ الشريف — يعنى المنذر — وأن أقتل هؤلاء الزنادقة . فقال له مزدك : أَوَ تستطيع أن تَقْتُل الناس جميعاً ؟ فقال: و إنّك لها هنا يا بن الزّانية ! والله ما ذهب نَتْن ريح جَوْر بك من أنفى من يوم قبَّلت رجلَك إلى يومى هذا ! ثم أمر بقَتْله . فقُتِل وصُلب . وأمر بقَتل الزّنادقة . فقَتل منهم ما بين جازر [١] والنَّهْروان إلى المَدائن فى ضَحوة واحدةٍ مائةَ ألفِ إنسان وصَلبهم . وسُمِّى يومئذٍ أنو شروان .

أنوشروان والحارث ابن عمرو وشعر امرىء القيس فى ذلك

وطلب أنو شروان يومئذٍ الحارثَ بن عمرو ، جدَّ امرىء القيس. فبلغه ذلك وهو بالأنبار، فخرج هارباً فى هَجائنه وماله وولده، وتبعه المُنذر بن ماء السماء فى الخيل من تَغْلِب و إياد وبَهْراء . وأخذت بنو تَغلب ثمانيةً وأربعين نفساً من بنى آكل المُرار ، فقَدِموا بهم على المُنذر ، فضُربت رقابُهم . فذلك قولُ عمرو بن كُلْثوم:

فآبُوا بالنِّهاب وبالسَّبايَا ... وأُبْنا بالمُلوكِ مُصـفَّدينَا

وفى ذلك يقول أُمرؤُ القيس :

ملوكٌ من بنى حُجْـرِ بن عمرو ... يُساقُون العَشيَّـةَ يُقْتَلونَا

فلو فى يوم معـركةٍ أُصيبوا ... ولكنْ فى دِيار [٢] بَنى مَرِينا

فلم تُغْسل جمـاجمُهم بِغِسْلٍ ... ولـكنْ فى الدِّماء [٣] مُرَمَّلينـا

تَظَلُّ الطَّـيرُ عاكفـةً عليهم ... وتَنـتزع الحواجبَ والعُيونا

موت الحارث ابن عمر

ومَضى الحارثُ فأَقام بأرض كَلْب. فكلب تزعُم أنهم قتلوه ، وعُلماء كِنْدة تَزعُم أنه خَرج إلى الصَّـيد فألظَّ [٤] بتَيْس من الظباء فأَعجزه ، وآلَى أَليَّـةً

(١) جازر : قرية من نواحى النهروان .
(٢) بنو مرينا : من أهل الحيرة .
(٣) الغسل : ما يغسل به . ومرملين : ملطخين .
(٤) ألظ به : ألح عليه ليصطاده .

ألّا يأكل أوّلَ أكلةٍ[١] إلّا من كَبده. فطلبته الخيلُ ثلاثاً، فأُتِى به بعد ثالثة وقد هلك جُوعاً، فشُوى له بَطنُه، فتناول فِلْذةً من كبده، فأكلها حارّةً فمات.

ملك حجر

وذُكر أنّ الحارث لمّا هَلك مَلك وَلدُه حُجْر بن الحارث على بَنى أَسد وغَطَفان، وشُرَحْبيل على بكر بن وائل، وأخوهما مَعد يكرب على تَغْلب والنَّمِر ابن قاسط وغيرهم.

حجر وبنو أسد

وكان لُحجْر بن الحارث، أبى امرىء القَيْس، إتاوةٌ على بنى أَسد يَحملونها إليه فى كُل سنة لمَؤُونته[٢]. فعَمِر[٣] بذلك دَهراً، ثم بعث إليهم جابيَه الذى كان يَجْبيهم، فمنعوه ذلك وضَربوه، وحُجر يومئذ بتهامةَ، وضَربوا رُسُلَه وضَرّجوهم بِدمائهم. وبلغ ذلك حُجْراً، فسار إليهم بجُندٍ من ربيعة وجُندٍ من جُنـد أبيه من قَيس وكِنانة، فأتاهم فأخذ سَراتَهم، وجعل يقتُلهم بالعَصا، وأباح الأموال، وسيّرهم[٤] إلى تِهامةَ، وآلى ألّا يُساكنوه أبداً فى بَلدٍ، وحَبس منهم عمرو ابنَ مَسعود بن كَلدة[٥]، وعَبيدَ بن الأَبرص. فسارت بنو أَسد ثلاثاً. ثم إنّ عَبيد بن الأَبرص أنشده:

يا عينُ فابْـكِى ما بَنى ... أسدٍ فهم أهلُ النّدامهْ
أهلَ القِبـاب الحُمْر والنَّـ ... ـعم المُؤثَّل[٦] والمُدامه
وذَوى الجِيـاد الجُرْدِ والْـ ... أَسَلِ المُثقَّفة المُقـامه
فى كُلِّ وادٍ بين يَثْـ ... ـربَ والقُصور إلى اليَمامه

(١) هذه رواية التجريد. وفى غيره: «ألا يأكل أولا إلا من كبده».
(٢) هذه رواية التجريد. وفى غيره «مؤقتة». والمؤونة: هى ما يتكلف من القوت.
(٣) عمر: عاش. وفى بعض أصول الأغانى: «فغبر» أى لبث وبقى.
(٤) فى بعض أصول الأغانى: «وصيرهم».
(٥) فى بعض أصول الأغانى: «بن كندة».
(٦) المؤثل: المزكى. وفى بعض أصول الأغانى: «المؤبل» هو المقتنى.

تَطَرِيبُ عانٍ أو صِيا ح مُحرَّقٍ أو صوتُ هامه
إمَّا تركتَ تركتَ عَفْـ ـواً أو قتلتَ فلا مَلامـه
أنت المليـكُ عليهمُ وهمُ العَبيـدُ إلى القِيامه

مقتل حجر

فرقّ لهم حُجر حين سمع قولَه ، فبعث فى إثرهم فأقبلوا ، حتى إذا كانوا على مَسيرة يوم من تِهامة تكهّن كاهنُهم ، وهو عوفُ بن رَبيعة بن عامر[١] الأسدىّ ، فقال : مَن الملك الصَّلْهب[٢] ، الغلّاب غير المُغلَّب ، هـذا دَمُه يَنْثَعِب[٣] ، وهو غداً أولُ من يُسْلَب ؟ فقالوا : ومَن هو هو يا ربَّنـا ؟ فقال : لولا أن تَجيش[٤] نفسٌ جائشـة لأخبرتكم أنه حُجر ضاحية[٥] . فركبوا كُلَّ صَعْب وذَلول حتى انتهَوْا إلى عَسكر حُجر ، فهجَموا على قُبَّته ، وكان حُجَّابه من بنى الحارث بن سَعد ، وكان حُجر قد أعتق أباهم من القَتل ، فلمـا نَظروا إلى بنى أسد يُريدون قتلَه ، جَثَموا عليـه ليمنعوه ويُجيروه . فأقبل عِلْباء بن الحَارث الـكاهلىّ ، وكان حُجر قد قتل أباه ، فطَعنه من خَلَلهم فأصاب نَسَاه[٦] فقتله . فلمّا قتلوه قالت بنو أسد : يا معشر كِنانة وقيس ، أنتم إخوانُنا و بنو عَمِّنا ، والرجلُ بعيدُ النَّسب منّا ومنكم ، وقد رأيتم سِيرتَه وما كان يَصْنع بكم هو وقومُه . فانتهبُوهم ، فشدُّوا على هَجائنـه فمزّقوهـا ، ولفُّوه فى رَيْطة بَيْضاء وطرحوه على ظهر الطَّريق . فلمـا رأتْه قيسٌ وكنانة انتهبوا سلاحَه[٧] ، ووثب عمرو بن مسعود فضمّ عيالَه وقال : أنا لهم جارٌ .

وقد رَوى أبو الفرج فى كيفيّة قتله وسببه رواياتٍ غيرَ هذه ، لـكنّنى اقتصرتُ على إحدى الرِّوايات طلباً للاختصار .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « سوادة » .
(٢) الصلهب : الطويل . وفى بعض أصول الأغانى : « الأصهب » .
(٣) ينثعب : يجرى .
(٤) تجيش : ترتاع . وفى بعض أصول الأغانى : « تجيش نفس جاشية » .
(٥) ضاحية : علانية . (٦) النسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين .
(٧) فى الأغانى : « أسلابه » .

كتاب حجر إلى أولاده وما كان من امرئ القيس

وذُكر أنّ حُجر بن الحارث لمّا طُعن كتب كتاباً ودَفعه إلى رجل وقال : انطلق إلى ابنى نافع ، وكان أكبر بَنيه ، فإن بَكى وجَزع فالْهُ عنه . واستَقْرِهم واحداً واحداً حتى تأتىَ إلى امرىء القيس ، وكان أصغرهم ، فأيّهم لم يَجزع فادفع إليه خَيْلى وسِلاحى وقُدورى ووصِيّتى . وقد كان بَيَّن فى وصيّته مَن قتله وكيف كان خَبره .

وقَضى حُجر نَحْبه ، فانطلق الرجلُ بوصيّته إلى نافعٍ ابنه. فأخذ الترابَ فوضعه على رأسه . ثم استقراهم واحداً واحداً ، فكلّهم فعل مِثْل ذلك ، حتى أتى امرأ القَيس ، فوجده مع نَديم له يَشرب الخَمر ويلاعبه بالنَّرد ، فقال : قُتِل حُجْر . فلم يَلتفت إلى قوله . فأمسك نديمُه . فقال له امرؤ القيس : اضرب . فضَرب ، حتى إذا فرغ قال له : ما كُنت لأُفسِد عليك دَسْتَك. ثم سأل الرسولَ عن أمر أبيه . فأخبره . فقال : الخمرُ علىّ والنِّساء حَرام حتى أَقتُل من بنى أَسد مائة . وفى ذلك يقول :

أرقتُ ولم يأرَقْ لذلك[(١)] نافعُ ... وهاج لى الشوْقَ الهُمومُ الرَّوادِعُ

وذُكر أن حُجْراً كان طَرد ابنه امرأ القَيس وآلَى ألّا يُقيم معه ، أنفةً من قوله الشِّعر . وكانت المُلوك تأنف من ذلك . فكان يسير فى أحياء العَرب من طيئ وكَلْب وبَكْر ، فإذا صادف غَدِيراً أو رَوضة أو موضع صَيْد أقام ، فذَبح لمن معه فى كُل يوم ، وخَرج إلى الصيد فتصيّد ، ثم عاد وأكل وأكلوا معه ، وشَرب الخمر وسقاهم وغنّته قِيانُه ، ولا يزال كذلك حتى يَنْفَد ماء الغدِير ثم ينتقل إلى غيره . فأتاه خبرُ أبيه ومَقتله ، وهو بدَمُّون من أرض اليمن ، فلما أخبره المُخبر بقَتله ، قال :

تَطاولَ الليلُ على دَمُّونْ ... دَمُّونُ إنّا مَعشرٌ يمانونْ

وإننا لأهلها مُحِبُّونْ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لما بى » .

ثم قال : ضَيَّعنى صغيراً ، وحَمَّلنى دمَه كبيراً ، لا صَحْو اليوْم ولا سُكْر غداً . اليومَ خمْرٌ وغداً أمر . فذهبت مثلاً . ثم قال :

خَليليّ لا فى اليوم مَصْحًى لشــارب ولا فى غــدٍ إذ كان ما كان يُشْرَبُ

ثم شَرِب سبعاً ، فلما صحَا آ لَى ألِيّــة ألّا يأ كل لحماً ، ولا يَشرب خمراً ، ولا يَدَّهن بدُهن ، ولا يَغْسِلَ رأسه من جَنــابة حتى يُدرك بثأره . فلما جَنَّه الليلُ رأى بَرْقاً ، فقال :

أَرِقتُ لــبرقٍ بليــلٍ أَهَلْ يُضىء سَــناه بأعلَى الجَبَــلْ
أَتانى حــديثٌ فــكذَّبتُــه بأمرٍ تَزَعزعُ منــه(١) القُلَل
بقَتْــل بنى أَســدٍ ربَّهم ألا كُل شىء سواه(٢) جَلَل
فأين رَبيعــةُ عن ربِّهــا وأين تَميــمٌ وأين الخَوَل
ألا يَحضُرون لدَى بابه كما يَحضُرون إذا(٣) ما اُستَهَلْ

وذُكر أنه لما قُتل حُجر بن الحارث اُنحازت اُبنته هِنْد وقَطينُه(٤) إلى عُوَيْر اُبن شَجْنة . فقال له قومُه : كُلْ مالَهم فإنهم مأ كولُون . فأبَى . فلما كان الليلُ حَمل هنــداً بنت حُجر وقَطينَها ، وأَخذ بخِطام جَملها وسار بهم(٥) فى ليلة طَخْياء مُدْلَهِمّة . فلما أضاء البرقُ أبدَى عن ساقيْه ، وكانتا حَمْشَتَيْن(٦) . فقالت هند بنت حُجر : ما رأيتُ كالليلة ساقَىْ وافٍ . فسمعها فقال : يا هند ، هما ساقا غادرٍ شرّ . فرمَى بها الفِجاجَ(٧) حتى أطلعها نَجران ، وقال لها : إنِّى لستُ أُغنى عنك شيئاً

(١) القلل : رءوس الجبال ؛ الواحدة : قلة .
(٢) جلل ، هنا بمعنى هين .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « إذا ما أ كل » مكان « إذا ما استهل » .
(٤) القطين : الآباء والأتباع والحشم .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « وأشأم بهم » .
(٦) أى دقيقتين .
(٧) فى بعض أصول الأغانى : « النجاد » .

وراءَ هــذا الموضع ، وهؤلاء قومُك ، وقد برئتْ خَفـارتى . فمدَحه امرؤ القيس فى قصيدة ، منها :

عُوَيرٌ ومَن مثلُ العُوير ورَهْطِهِ أبرَّ بأيمــانٍ[1] وأوفَى لجِــيرانِ

همُ أبْلغُوا الحىَّ المُضَيَّع أهــلَه وساروا بهم بين الفُرات ونَجران

انتصاره لأبيه

قيل :

وارتحل امرؤ القيس حتى نزل ببنى بـكْر وتغلب ، فسألهم النَّصر على بنى أسد قَتَلةِ أبيــه ، فأجابوه . فبعث العُيونَ على بنى أسد ، ونَـذِروا بالعُيون فلجئوا إلى بنى كِنانة ، وكان الذى أنذرهم بهم عِلْباء بن الحارث . فلما كانــ الليلُ قال لهم عِلْباء : يا مَعشر بنى أسد ، تعلمون والله أنّ عُيون امرىء القيس قد أتوْكم ورَجعوا بخبركم ، فارحلوا بليل ولا تعلم بكم بنو كِنانة . ففعلوا . فأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكْر وتَغلب حتى انتهى إلى بنى كِنانة ، وهو يَحسبهم بنى أسد . فوضع السلاحَ فيهم ، وقال : يالِثَارات المِلك ! يالِثارات الهُمام ! فخرجت عليــه عَجوزٌ من كِنانة فقالت : أبيت اللَّعنَ ، لَسْنا لك بثأر ، إنما نحن بنو كنانة ، فاطلب بثأرك ، فإن القوم قد ارتحلوا بالأمس . فقال امرؤ القيس :

ألا يالَهْف هِنْــدٍ إثْر قوم همُ كانوا الشِّـفاء فلم يُصابُوا

وقاهم جَــــدُّهم ببنى أبيهم وبالأَشْقَيْنَ[2] ما كان العِقاب

فاتبع امرؤ القيس آثار بنى أسد ، فلما أصبح رأى آثارهم مُنطلقين ، فاتبــع آثارهم فأدركهم ظُهراً ، وقد تقطَّعت خيلُه واشتدّ به و بأصحابه العطش ، و بنو أسد جاثمُون[3] على الماء ، فقاتلهم حتى كثُرت الجرحى والقَتْلى ، وحَجز الليــلُ بينهم

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بميثاق » .
(٢) الجد : الحظ . والأشقين : جمع : أشقى . يريد بنى كنانة ، الذين وقع بهم العقاب.
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « جامون » أى مجتمعون مستريحون .

وهَربت بنو أسد . فلما أصبحت بَكْرٌ وتَغْلب أبَوْا أن يتَّبعوهم وقالوا لامرىء القيس : قد أصبتَ ثأرك . فقال : لا والله ، ما فعلتُ ولا أصبتُ من بنى كاهل ولا مِن غيرهم ولا[1] بنى أسد أحداً . قالوا : بلى والله ، ولكنّك رجلٌ مَشْئوم . وكرهوا قتالَهم بنى أسد وانصرفوا عنه . ومَضى امرؤ القَيس هارباً على وجهه ، حتى لَحق بحِمْير ، فنزل بقَيْل يُدْعى : مَرْثَد الخَيْر بن ذى جَدَن الحِمْيرى ، وكانت بينهما قَرابة ، فاستنصره واستمدّه على بنى أسد . فأمدّه بخمسمائة رجل من حِمْير . ومات مَرْثد قبل رَحيل امرىء القيس بهم ، وقام بالمملكة بعده رجلٌ يقال له : قَرْمَل ابن الحَميم . وكانت أُمّه أَمَةً سَوداء ، فردّد امرأ القَيس وطَوّل عليه حتى همّ بالانصراف ، فقال :

وإذ نحن نَدْعو مَرْثَد الخير ربَّنا وإذ نحنُ لا نُدْعَى عبيداً لقَرْمَلِ

فأنفذ له ذلك الجيشَ . واستأجر من قبائل العرب رجالاً ، فسار بهم إلى بني أسد، ومرّ بتَبَالةَ ،[2] وبها صنمٌ للعرب تُعظِّمه، يقال له : ذو الخَلَصة ، فاستقسم عنده بقِداحه — وهى ثلاثة : الآمر، والناهى ، والمتربِّص — فأجالها ، فخرج الناهى . ثم أجالها ، فخرج الناهى . فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصَّنم وقال له: مَصِصتَ بَظْر أُمك ! لو أبوك قُتل ما عوَّقْتنى ! [3] ثم خَرج فظفِر ببنى أسد . فيقال : إنه ما استَقْسم عند ذى الخَلَصة أحدٌ بقِدْح بعد ذلك ، حتى جاء الإسلام ، وهَدمه جريرُ بن عبد الله البَجَلىّ .

طلبه المنذر فهرب حتى انتهى إلى السموءل

قيـل :

وألحّ المَنذرُ بن ماء السماء فى طَلَب امرىء القيس ، ووجَّه بالجيوش فى طلبه ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : من » مكان « ولا » .
(٢) تبالة : على مسيرة سبع ليال من مكة . (ياقوت) .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ماعقتنى » .

من إياد وبَهْراء وتَنُوخ، وأمدّه كِسْرى أنو شَرْوان بجيشٍ من الأساورة، فسرّحهم فى طلبه. وتفرّقت عن أمرىء القيس حِمْيرُ ومن كان معه، فمَضى فى عُصبة من بنى آكل المُرار حتى نَزَل بالحارث بن شِهاب اليَرْبوعىّ، ومع أمرىء القيس أدراع خمس [(١)] — وهى الفَضْفاضــة، والضَّافية، والمُحصَّنة، والحريق، [(٢)] وأمّ الذيول — كُنّ لبنى آكل المُرار يتوارثونها ملكاً عن ملك. فما لَبِث عند الحارث ابن شِهاب إلا قليلاً حتى بَعث إليه المُنــذر بن ماء السماء مائةً من أصحابه يتوعّده الحربَ إن هو لم يُسلم إليه بنى آكل المُرار [(٣)]. فأعلمهم الحارثُ بذلك [(٣)]. ونجا أمرؤ القيس، ومعه يزيدُ بن مُعاوية بن الحارث، وبنتُه هِنْد بنت أمرىء القَيس، والسلاحُ. فخَرج على وجهه حتى وَقع فى أرض طيىءٍ. وقيل: نزل قبلَهم على سَعد بن الضِّباب الإيادىّ سيِّد قومه، فأجاره. وكانت أمّ سَعد تحت حُجر المَلك، أبى أمرىء القَيس، فطلَّقها، وكانت حاملاً بسَعد وهو لا يَعلم، فتزوّجها الضِّباب، فولدت سعداً على فراشه، فلَحِق به. فقال أمرؤ القيس بن حُجر يذكر ذلك:

يُفا كهنا ســعدٌ ويُنْعِم بالَنا ... ويَغْدُو علينا بالجِفَان وبالجُـزُرْ

ونَعرف فيه من أبيه شمــائلاً ... ومِن خاله ومن يزيدَ ومن حُجُر

سماحةَ ذا وحِـلْمَ [(٤)] ذا ووفاء ذا ... ونائلَ ذا إذا صحـا وإذا سَكِر

ثم تحوّل أمرؤ القيس عَنهم فنَزل بأرض طيىءٍ على رجل من بنى جَدِيلة، يقال له: المُعَلَّى بن تَيْم. ففى ذلك يقول:

كأنى إذ نزلتُ على المُعَــلَّى ... نزلتُ على البَواذخ من [(٥)] شَمَامِ

---

(١) هذه رواية التجريد. وفى غيره: «خمسة». والدرع، التى هى لبوس الحديد، تذكر وتؤنث.

(٢) فى بعض أصول الأغانى: «والحربق». وفى بعض آخر: «والخريق».

(٣) – (٣) مكان هذه العبارة فى الأغانى: «فأسلمهم».

(٤) فى بعض أصول الأغانى: «وبر».

(٥) شمام: جبل لباهلة.

فما مَلِكُ العِراق على المُعَـــلَّى بمُقتـــدِرٍ ولا مَلِكُ الشَّآمِ
أَقرَّ حَشَى أمرىء القيس بن حُجْرٍ بنو تَيْمٍ مَصابيحُ الظـــلام

فلبث أمرؤ القيس عنده واتخذ إبلاً هناك . فعَدا قومٌ من بنى جَدِيلة ، يقال لهم : بنو زيد ، فطَردوا الإبل ، وكان لأمرىء القيس رواحلُ مُقيَّدة عند البُيوت، مخافةَ أن يَدْهَمه أمرٌ ليَسبْق عليهنّ. فخرج حينئذٍ فنزل على بنى نَبْهان من طيئ . فخرج نَفرٌ منهم فركبوا الرّواحل ليطلُبوا الإبل ، فأخذتهن جَدِيلة ، فرجعوا إليــه بلا شىء . فقال فى ذلك :

وأعجبنى مَشْىُ الحُـزُقَّةِ خالدٍ كمَشْى أتانٍ حُلِّئت عن[1] مَناهلِ
فدَعْ عنك نَهباً صِيحَ فى حَجَراته ولكن حديثاً ما حديثُ[2] الرّواحل

ففرّقت عليه بنو نَبْهان فِرْقاً[3] من مِعزًى[4] يَحتلبها . فأخـــذ ذلك وأنشأ يقول :

إذا ما لم يــكن[5] إبلٌ فمِعْزًى كأنّ قُرون جِلّتها[6] العِصىُّ
إذا ما قام حالبُهــــا[7] أَرنَّت كأنّ القــــوم صَبّحهم نَعِىُّ
فتملأ بيتَنا أَقِطاً[8] وسَمْناً وحَسْبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِىُّ

(١) الحزقة : القصير بقارب الخطو . وحلئت : طردت ومنعت . والرواية فى الأصل : « عجبت له يمشى الحبقة » . والحبق ، بالقصر : ضرب من السير . ولم يسمع « الحبقة » .

(٢) الحجرات : النواحى . والرواحل : الإبل . وصدر البيت مثل للعرب ، يضرب لمن ذهب من ماله شىء ، ثم ذهب بعده ما هو أجل منه . يقول : دع النهب الذى نهب من نواحيك وحدثنى حديث الرواحل التى ذهب بها ما فعلت .

(٣) الفرق : القطيع يكون دون المائة .

(٤) الأرجح أن ألف « معزى » للإلحاق فتصرف ، وتكون للتأنيث فلا تصرف .

(٥) فى الأغانى : « إذا ما لم يجد » .

(٦) الجلة : المسان .

(٧) أرنت : صوتت ، أى المعزى . وقد يكون ذلك عن صوت اللبن وهو يقع فى الإناء من كثرته .

(٨) الأقط : شىء مثل الجبن يتخذ من اللبن المخيض .

فكان عندهم ما شاء الله . ثم خَرج فنزل بعامر بن جُوَين واتخذ عنده إبلاً . وكان عامر أحد الخلعاء الفُتّاك ، قد تبرّأ قومُه من جرائره . فهمّ عامرٌ أن يغْلِب امرأ القيس على أهله وماله ، وفطِن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به ، وهو :

فكم بالصَّعيد من هِجَانٍ مُؤَبَّلَهْ تَسير صِحَاحاً ذاتَ قَيْدٍ ومُرْسَلهْ
أردتُ بها فَتْكاً فلم أرْتَمِضْ (١) له ونَهْنَهتُ نفسى بعد ما كدتُ(٢) أفعلَه

وعرّض عامر أيضاً بهند بنت امرىء القيس بقوله :

ألا حَىٍّ هنداً وأطلالَهَا وتَظْعانَ هِندٍ وتَحْلالَهَا
هَممتُ بنفسىَ كلَّ الهموم فأَوْلَى لنفسىَ أولى لَهَا
سأَحمل نَفسى على(٣) آلةٍ فإمّا عليها و إمّا لهَا

وقد قيل : إنّ الشعر للخَنساء . والله أعلم .

قيل :

فلمّا عَرف امرؤ القيس ذلك من عامر ، وخافه على نفسِه ومالِه وأهله ، تَغفّله ، ثم انتقل إلى رجل من بنى ثُعَل يقال له : حارثةُ بن مُرّة (٤) فاستجار به منه . فوقعت الحربُ بين عامر و بين ثُعَل ، فكانت فى ذلك أمورٌ كثيرة . فخَرج امرؤ القيس فنَزل برجُل من فَزارة يقال له : عمرو بن جابر ، فطَلب الجوارَ حتى يَرى ذاتَ عَيْبه (٥) ، فقال له الفَزارىّ : يابن حُجْر ، إنّى أنفَس (٦) بمثلك من

(١) لم أرتمض : لم أحزن .
(٢) نصب الفعل « أفعله » على تقدير « أن » .
(٣) الآلة : الحالة .
(٤) فى غير التجريد : « حارثة بن مر » .
(٥) أى ينظر فى أمره و يصلح من شأنه .
(٦) أنفس : أضن .

أهل الشَّرف ، وقد كدتَ أمسِ تُؤكل فى دار طيئٍ ، وأهلُ الباديه أهلُ بَزّ[1] ، لا أهلُ حُصون تَمنعهم ، وبَينــك و بين اليمن ذُؤْبانٌ من قَيس ، أَوَلا أدلُّك على بَلد ؟ فقد جئتُ قَيصر وجئتُ النُّعمان ، فلم أرَ لضيفٍ نازلٍ ولا مُجتد مثلَه ولا مثلَ صاحبه .

قال : ومن هو ؟ وأين منزله ؟ قال : السَّموءلُ ، وهو بتَيماء ، وهو يَمنع عنك حتى تَرى ذات عَيبك، وهو فى حِصْن حَصين . فقال أمرؤ القيس : وكيف لى به ؟ فقال : أُوصلك إلى مَن يُوصلك إليه . فصَحبه إلى رجــل من بنى فَزارة يقال له : الرَّبيع[2] بن ضَبُع . فأوصله الرَّبيعُ إلى السموءل . فأكرم السموءلُ أمرأ القيس ، وضَرب لابنته هِنــد قُبةً ، وأنزل القومَ فى مجلس له بَرَاحٍ . وكان عنده ما شاء الله .

انتهاؤه إلى قيصر وحديثه معه

ثم إنّ امرأ القيس طَلب من السموءل أن يكتُبَ له إلى الحارث بن أبى شَمِر الغسّانى بالشام أن يُوصله إلى قَيصر . فأَصحبه رجلاً يُوصله إليــه ، وأستودع أمرأ القيس السموءلَ بن عاديا أبنته والأدراعَ والمــالَ . وأقام معها يزيدُ بن معاوية ابن الحارث ، ابن عمه ، ومَضى أمرؤ القيس إلى الحارث ، فبعَثه الحارث إلى قيصر .

قلت :

وفى ذلك يقول أمرىء القيس .

بَكى صاحبى لمّارأى الدَّرْب دونَه ... وأيقنَ أنّا لاحِقان بقَيْصَرا

فقلتُ له لا تَبْكِ عينُك إنمــــا ... نُحاول مُلْكاً أو نَموت فنُعْذَرا

قيــــل :

ولما وصل أمرؤ القيس إلى قيصر ملكِ الروم ، قَبِــله وأكرمه ، وكانت له

(١) هذه رواية التجريد . والبز : السلاح يدخل فيه : الدرع والمغفر والسيف . يريد أن وزرهم سلاحهم لا معاقل ولا حصون . والرواية فى غير التجريد : « أهل بر » بالراء المهملة .

(٢) ذكر الذهبى فى المشتبه أنه مختلف فيه ، هل هو بضم الراء أو فتحها .

عنده منزلةٌ ، فاندسَّ رجلٌ من بنى أسد ، يقال له : الطمّاح ، وكان امرؤ القيس قتل أخًا له من بنى أسد ، حتى أتى بلادَ الروم فأقام هناك مُسْتخفياً . ثم إن قَيصر ضَمَّ إلى امرىء القيس جيشاً كبيراً ، وفيهم جماعةٌ من أبناء الملوك . فلما فَصل قال لقيصر قومٌ من أصحابه : إن العرب قَومُ غَدر ولا نأمن أن يَظفر بما يُريد فيغزوك بمن بعثت معه .

وقيل : بل الطمّاح الأسدى قال لملك الروم : إن امرأ القيس غوىٌّ عاهر ، وإنه لمّا انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يُراسل ابنتك ويُواصلها ، وهو قائل فى ذلك أشعاراً يشهّرها بها فى العرب فيَفْضحها ويفضحك . فبعث إليه الملك حينئذ حُلَّةً من وشى مَنسوجة بالذّهب مَسمومة ، ثم قال : إنى أرسلتُ إليك بحُلّتى التى كنتُ ألبسها تَكْرِمةً لك ، فإذا وصلتْ إليك فالبسها باليُمْن والبركة ، واكتب إلىَّ بخَبرك من منزلٍ منزلٍ . فلما وصلتْ إليه لَبِسها واشتد سرورُه بها ، فأسرع فيه السّمُّ وسَقط جلدُه . فلذلك سُمِّى ذا القُروح ، وفى ذلك يقول :

لقد طَمح الطمّاح من بُعد أرضه ... ليُلبِسنى من دائه ما[1] تَلبّسَا
وبُدِّلتُ قَرْحاً دامياً بعد صِحّة ... لعلّ مَنايانا تحوّلن أبْؤسا
فلو أنّها نفسٌ تَموت سَويّةً ... ولكنّها نفسٌ تَساقَط أنْفُسا

موته

فلما صار إلى بَلدٍ من بلاد الروم يُدعى : أنقِرة ، احتُضِر بها . ورأى قبر امرأة من بنات المُلوك ماتت هناك فدُفنت فى سَفح جبل يقال له : عَسيب ، فسأل ، فأُخبر بقصّتها ، فقال :

أجارتَنا إنّ المَزار قريبُ ... وإنّى مُقيمٌ ما أقام عَسِيبُ
أجارتَنا إنّا غَريبان هاهنا ... وكُلّ غريبٍ للغَريب نَسِيب

ثم مات فدُفن إلى جنب المرأة ، فقبره هناك .

---

(١) هذه رواية الديوان والتجريد . وفى غيرهما : «بما يلبس أبؤسا» .

الشعر الذى فيه الغنـاء

والشعرُ الذى فيه الغِناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار أُمرىء القيس ، هوقولُه :

* قِفَا نبْكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزل *

وأبيات أُخرى من هذه القصيدة ، وهى قصيدة يُضرب بها المَثل بشُهرتها ، فلا حاجة إلى ذكر شىء منها .

أخبار الأعشى الأكبر

نسبه

هو مَيمون بن قيس بن جَنْدل بن شَراحيل بن عَوف بن سَعد بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة بن الحِصْن بن عُكَابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل بن قاسِط ابن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَديلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار .

كنيته

ويكنى أبا بَصير .

شىء عن أبيه

وكان يُقال لأبيه قيسِ بن جَنْدل : قَتيلُ الجوع . سُمِّى بذلك لأنه دَخل غاراً ليستظلّ به من الحرّ فوقعتْ عليه صخرةٌ عظيمةٌ من الجبل، فسدَّت فَم الغار، فمات فيه جُوعاً .

منزلته فى الشعر

وهو أحدُ الأعلام من شُعراء الجاهليّة وفُحُولها .

رأى يونس فيه

وسُئل يُونس النَّحوىّ : مَن أشعرُ الناس ؟ فقال : لا أُومِىء إلى رجل بعَيْنه ، ولكن أقول : أمرؤ القيس إذا غَضِب ، والنابغة إذا رَهِب ، والأعشى إذا طَرِب، وزُهير إذا رَغِب .

رأى أبى عبيدة

وقال أبو عُبيدة :

يَحتج مَنْ قَدَّم الأعشى بكَثْرة طِواله الجياد ، وتَصرُّفه فى المَديح والهِجاء ، وسائر فُنون الشِّعر ، وليس ذلك لغَيْره .

ويقول :

هو أولُ من سأل بشِعْره ، وأُنتجع به أقاصى البلاد . وكان يُغَنِّى فى شعره ، فكانت العربُ تُسمِّيه : صَنَّاجةَ العرب .

للشعبى فيه

وحُكى عن الشَّعبى أنه كان يقول :

الأعشى أغزلُ الناس فى بيت واحد ، وأخنثُ الناسِ فى بيتٍ واحد ، وأشجعُ الناس فى بيت واحد :

فأمّا أغزلُ بيتٍ فقولُه :

غَرّاءُ فَرْعاءُ مَصْقولٌ عَوارِضُها تَمْشِي الهُوَيْنَى كما يَمشى الوَجِى [1] الوَحِلُ

وأما أخنث بيتٍ فقولُه :

قالت هُريرةُ لمّا جِئْتُ زائرَها وَيْلِى عليك ووَيْلِى مِنْكَ يا رَجُلُ

وأما أشجعُ بيتٍ فقولُه :

قالوا الطِّرادَ فقلنا تلكَ عادتُنا أَوْ تَنزلون فإنّا مَعشرٌ نُزُلُ

حماد فيه

وسُئل حمّاد الراوية عن أشعر الناس [2] ؟ فقال : الذى يقول :

نازعتُهم قُضُبَ الرَّيحان مُتَّكئاً وقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقها [3] خَضِلُ

كان قدريا وكان لبيد مثبتا

وحَكى سِماك بن حَرْب قال : قال لى يحيى [4] بن متّى ، راوية الأعشى ، وكان نَصرانيًا عِباديًّا مُعمَّرًا :

كان الأعشى قَدرِيًّا ، [5] وكان لَبيد مُثْبِتاً . قال لَبيد :

مَن هَدَاه سُبُلَ الخير اهتدَى ناعمَ البالِ ومَنْ شاء أضَلْ

وقال الأعشى :

اُستأْثر اللهُ بالوَفاء وبالعَدْل ووَلَّى المَلامةَ الرَّجُلاَ

فقلت : مِن أين أخذ الأعشى مَذهبه ؟ قال : مِن قول العِباديِّين نَصارى الحيرة ، وكان يأتيهم يَشترى منهم الخمر ، فلقَّنوه ذلك كُلَّه .

(١) الوجى : من يجد ألماً فى رجليه إذا مشى . والوحل : الماشى فى الوحل .

(٢) فى الأغانى : « العرب » .

(٣) الراووق : المصفاة تصفى بها الخمر . وقد تطلق على الباطية ، أى إناء الخمر . وخضل : ندى .

(٤) رواية التجريد : « يحنس بن متى » .

(٥) القدرى : جاحد القدر ، ينكر أن الله تعالى قدر على عباده الشر .

اتصاله بالمحلق

وذُكر أنّه كان لأبى المُحلَّق شَرفٌ، فمات وقد أتلف مالَه، فبقى المُحلَّق — وهو وعبد العزيز بن حَنتم بن شَدّاد بن رَبيعة بن عبد الله بن عُبيد بن كِلاب — وثلاثُ أخواتٍ له، ولم يترك لهم أبوهم إلاّ ناقةً واحدة وحُلّتَىْ بُرود حِبَرة كان يَشهد فيهما الحُقوق. فأقبل الأعشى فى بعض أسفاره يُريد منزلَه باليمامة، فنزل الماء الذى به المُحلَّق، وقَراه أهلُ الماء فأَحسنوا قِراه. فأقبلت عَمّة المُحلَّق إليه وقالت: يابن أخى، هذا الأعشى قد نَزل، وقد قَراه أهلُ الماء، والعربُ تزعُم أنه لم يَمدح قوماً قَط إلا رَفعهم، ولم يَهْجُ قوماً قَطُّ إلاّ وضعهم، فانظُر ما أقول لك: احتلْ فى زِقٍّ من خَمر من عند بعض التُّجار، وأرسل إليه بهذه الناقة والزِّق وبُرْدَى أبيك، فوالله لئن اعتلج الكَبِدُ والسنام والخمرُ فى جوفه، ونظر إلى عِطْفيه فى البُرْدين، ليقولَنّ فيك شعراً يَرفعك به. فقال: ما أَمْلِك غيرَ هذه الناقة، وأنا أَتوقع رِسْلَها[1]. فأقبل يَدخل ويَخرُج ويَهُمّ ولا يَفعل، وكلما دَخل على عمّته حضَّتْه، حتى دَخل عليها، فقال: قد ارتحل الرجلُ ومَضى. فقالت: الآن والله أجودُ ما كان القِرَى! تُتبعه ذلك مع مولَى أبيك فلان — مولًى له أسود شَيخ — فحيثما لَحقه أَخبره أنك كنت غائباً عن الماء عند نُزوله إيّاه، وأنّك لمّا وردتَ الماء فعلمتَ أنه كان به كرِهتَ أن يفوتك قِراه؛ فإنّ هذا أحسنُ لِمَوقعه عنده. ولم تزل تحضُّه، حتى أتى بعضَ التجّار فكلمه أن يُقْرِضه ثَمن زِقٍّ خَمرٍ، وأتاه بمن ضَمِن ذلك عنه، فأعطاه. فوجّه بالناقة والخمر والبُرْدين مع مولَى أبيه. فخرج يَتبعه، فكلّما مرّ بماء قيل: ارتحل أمسِ عنه. حتى صار إلى مَنزله[2] باليمامة، فوَجد عنده عدّة فِتْيان قد غدّاهم بغَير لَحم، وصَبّ لهم فَضِيخاً[3] فهم يَشربون منه، إذ قُرِع الباب،

(١) الرسل: اللبن.

(٢) أى منزل الأعشى.

(٣) الفضيخ: شراب يتخذ من البسر بعد أن يصب عليه ماء حار وتخرج حلاوته.

فقال : أُنظُروا مَن هذا ؟ فإذا رسولُ المحلَّق يقول كذا وكذا . فدَخلوا عليه فقالوا: هذا رسول المُحلَّق الكِلابىّ أتاك بكذا وكذا . فقال : ويحكم ! أعرابىٌّ ! والذى أَرسل إلينا[1] لا قَدر له! والله لئن أُعتلج الكبدُ والسَّنام والخمر فى جَوفى لأقولنّ فيه شعراً لم أقُل مثلَه قط . فواثبه الفِتيان فقالوا : غِبْتَ عنّا فأطلتَ الغَيبة ، ثم أَتيناك فلم تُطْعمنا لحماً وسقيتَنا الفَضيخ ، واللحمُ والخمرُ ببابك ! والله لا نَرضى بهذا منك ! فقال : أئذنوا له . فأَذِنوا له . فدَخل فأَدَّى إليه الرِّسالةَ وأَناخ الجزور بالباب ووَضع الزِّق والبُرْدين بين يديه . فقال : أَقْرِه منِّى السلامَ وقل له : وصلتْك رَحِم ، وسيأتيك ثناؤُنا . فقام الفِتْيان إلى الجزور فنَحروها ، وشقُّوا خاصرتَها عن كبدها ، وجِلْدَها عن سَنامها ، ثم جاءوا بهما فأقبلوا يَشْوُون ، وصَبُّوا الخمر فشربوا ، وأكل معهم وشَرب ، ولَبِس البُرْدين ، ونَظر إلى عِطْفيه فيهما فقال :

أَرِقتُ وما هذا السُّهادُ المُؤرِّقُ ... وما بِىَ من سُقْمٍ وما بى مَعْشَقُ
ولكنْ أُرانى لا أَزال بحادثٍ ... أُغادَى بما لم يُمْسِ عندى وأُطْرَق

ومنها :

لَعَمْرى لقد لاحتْ عُيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضَوء نارٍ باليَفاع تَحرَّق
تُشَبُّ لمَقْرورَيْن يَصْطَليانها ... وبات على النّار النَّدى والمُحلَّق
رَضيعَىْ لَبانٍ ثَدْىَ أُمٍّ تَحالفا ... بأَسْحَمَ داجٍ عَوْضُ[2] لا نتفرَّق

حتى انتهى إلى قوله :

أبا مِسْمَعٍ سار الذى قد فعلتمُ ... فأَنجد أقوامٌ به ثم أَعْرقُوا
به تُوضعُ الأَحلاسُ فى كل مَنزل ... وتُعقد أطرافُ النُّسوع[3] وتُطْلَق

(١) فى الأغانى : « إلى » . (٢) عوض : أى أبد الدهر .

(٣) الأحلاس : جمع حلس ، وهو مايوضع تحت الرحل بينه وبين ظهر المطية حتى لايؤذيها ؛ الواحد: حلس. وإذ رفع الحلس فقد رفع معه الرحل . يريد الإقامة والإراحة . والأنساع : السيور التى يشد بها الرحل ويربط . والرواية فى الديوان : به تنقض الأحلاس . وفى بعض أصول الأغانى : « به تعقد الأحمال » .

فشاع الشعرُ وسار فى العرب . فما أتتْ على المُحلق سنةٌ حتى زَوَّج أخواتِه الثلاثَ ، كلٌّ واحدةٍ منهن على مائة ناقة ، وأَيسر وشَرُف .

خبر وفوده على النبى صلى الله عليه وسلم

وذُكر أن الأعشى وفَد إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وقد مَدَحه بقصيدته التى يقول فيها :

ألم تَغتَمض عيناك ليلةَ أَرْمَدَا ... وعادك ما عاد السَّليمَ (١) المُسهَّدَا

وما ذاكَ من عِشْقِ النِّساء و إنما ... تناسيتَ قبل اليوم خُلَّةَ (٢) مَهْددا

وفيها يقول لناقته :

فآليتُ لا أرثِى لها من كَلالةٍ ... ولا من وَجًى (٣) حتى تُلاقى مُحمَّدا

متى ما تُناخِى عند باب ابن هاشم ... تُراحِى وتَلْقَىْ من فواضِله يدا

نبىٌّ يرى مالا تَرَوْن وذِكرُه ... أَغار لعَمْرِى فى البلاد وأَنْجدا

فبَلغ خبرُه قريشاً فرَصدوه على طريقه وقالوا : هذا صَنَّاجة العرب ، ما مدح أحداً قطُّ إلاّ رَفع قَدره . فلمّا بلغه ورَد عليهم ، فقالوا : أين أردتَ أبا بَصير ؟ قال: أردتُ صاحبَكم هذا لأُسلم . فقالوا له : إنه يَنهاك عن خِلال ويُحرِّمها عليك ، وكُلُّها بك رافق ولك موافِق . قال : وما هُنَّ ؟ فقال أبوسفيان بن حَرب: الزِّنا . قال : لقد تركنى الزِّنا وما تركتُه . ثم ماذا ؟ فقالوا : القِمار . قال : لعلِّى إن لقيتُه أصبتُ عِوضاً من القمار . ثم ماذا ؟ قالوا : الرِّبا . قال : ما دِنْتُ ولا أَدَّنْتُ قَطُّ . ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر . قال : أَوّه ! أَرْجع إلى صُبابةٍ لى بقيتْ فى المِهْراس (٤) فأَشربُها . فقال له أبو سفيان : هل لك فى خَير ممّا هممت به ؟ قال :

(١) الأرمد : الذى بعينيه وجع . والسليم : الذى لدغته الحية .
(٢) مهدد : معشوقته .
(٣) فى الديوان و بعض أصول الأغانى : « حفى » وهما بمعنى .
(٤) المهراس : حجر منقور يسع كثيرا من الماء .

وما هو ؟ قال : نحن وهو الآن فى هُدْنة ، فتأخذ مائةً من الإبل وتَرجع إلى بلدك سَنَتك هذه وتنظُر ما يصير إليه أمرُنا ، فإن ظهرْنا عليه كنتَ قد أخذتَ خلفاً ، وإن ظَهر علينا أتيتَه . فقال : ما أكره ذاك . فقال أبو سفيان : يا معشر قُريش ، هذا الأعشى ! والله لئن أتى محمداً وأتّبعه ليُضرِمَنَّ عليكم نيرانَ العرب بشعره ، فاُجمعوا له مائةً من الإبل . ففعلوا . فأخذها وانطلق إلى بلده . فلما كان بقاع مَنْفوحَةَ [1] رَمى به بعيرُه فقتَله .

قبره

وحكى سُليمان النَّوفلى قال :

أتيتُ اليمامةَ والياً عليها ، فمررتُ بمَنفوحة — وهى قرية الأعشى — فقلت: هذه قريةُ الأعشى ؟ فقالوا : نعم . قلت : فأين منزله ؟ قالوا : ذاك ، وأشاروا إليه. فقلت : وأين قبره ؟ قالوا بفناء بيته . فإذا هو رَطْب ، فقلت : مالى أراه رَطْباً ؟ قالوا : إن الفِتْيان يُنادمونه ويَجعلون قبرَه مكانَ رجلٍ منهم ، فإذا صدر القدَحُ إليه صَبُّوه على قَبره لقوله : أَرْجع إلى اليمامة فأشْبع من الأَطْيَبَيْن : الزِّنا والخمر .

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغِناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الأعشى ، هو :

هُريرةَ وَدِّعها وإنْ لام لائمُ ... غداةَ غدٍ أم أنتَ للبَيْن واجِمُ

لقد كان فى حَوْلٍ ثَواءٍ ثويتُه ... تَقَضِّى لُباناتٍ ويَسأمُ سائِمُ

مُبَتَّلة هَيْفاءُ رُودٌ شَبابُها ... لها مُقْلتا رِئمٍ وأسودُ فاحِمُ

ووَجهٌ نقىُّ اللَّون صافٍ يَزينه ... مع الحَلْى لبّاتٌ لها ومَعاصِمُ

---

(١) منفوحه : قرية باليمامة .

أخبار عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة

نسبه وخلفه

هو عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مَسعود بن غافل بن حَبيب بن شَمْخ بن فأر بن مَخْزوم بن صاهِلة بن كاهل بن الحارث بن تَميم بن سَعْد بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن ألياس بن مُضَر بن نِزار. وهو من حُلفاء بنى زُهرة، من قُريش، وعِدادُه فيهم.

لجده صحبة

وكان عبد الله بن مَسعود البَدْرىّ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وعُتْبة بن مَسعود، أخوَيْن. ولعُتبة صُحبة أيضاً، وليس من البدريِّين.

شيء عن أبيه

وكان عبد الله بن عُتبة بن مَسعود رجلاً صالحاً، واستعمله عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه فأَحمد أثرَه.

شيء عن أخويه

ولعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبه أخوان: عون، وعبد الرحمن. وكان عَوْن من أهل الفِقْه والأدب، وكان ملازماً لعُمر بن عبد العزيز. وصَحِب قبله محمدَ بنَ مروان بن الحكم. وقد تقدم ذكره فى أخبار جرير، حيث قال له:

يأيها القارىء المُرخى عِمامَته ... هذا زمانُك إنِّى قد مَضى زَمنِى

أحد الفقهاء السبعة

ولم يكن لعبد الرحمن نَباهة ولا ذِكْر.

وأما عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة فهو أحد وُجوه الفقُهاء السَّبعة من أهل المدينة، الذين لم يكن فى زَمنهم أعلمَ منهم، وهم: القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، وعُرْوَة بن الزُّبير بن العوّام، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث

(١) ساق أبو الفرج قبل أخبار عبيد الله أسطرا عن « عمرو بن سعيد» ولم يمض فى الترجمة: ثم أتبعها ببعض أخبار لمغنين وشعراء متفرقة، مر عنها ابن واصل.

ابن هشام ، وسَعيد بن المُسيِّب ، وخارجة بن زَيد بن ثابت ، وسليمان بن يسار ، وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود . رضى الله عنهم .

شيوخه وتلامذته

وكان عُبيد الله ضريراً . وروَى عن جماعة من الصحابة ، مثل : أبن عبّاس ، وأبن مسعود . وروى عنه الزُّهرىّ ، وأبن أبى الزِّناد ، وغيرهما .

تقريب ابن عباس له

وكان أبنُ عبّاس يُقرِّبه ويُؤثره .

تقدير عمر ابن عبد العزيز له

وتُوفِّى عُبيد الله قبل أن يُستخلف عمر بن عبد العزيز . فذُكر أنه كان يقول: لو كان عُبيد الله حيًّا ما صَدرتُ إلاّ عن رأيه ، ولوددْتُ أنّ لى بيوم من عُبيد الله غُرْماً .

رده حاجب عمر فقال شعراً

وذُكر أن عبيد الله جاء إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قبل خلافته يَستأذن عليه ، فردّه الحاجب وقال : عنده عبدُ الله بن عَمرو بن عثمان بن عفّان. فانصرف غضبانَ . فقال :

وإنى أمرؤ مَن يُصْفِنى الوُدّ يَلْقَنى ... وإن نَزحتْ دارٌ به دائمَ الوَصْلِ
عزيزٌ إخائى مايَنال مودّتى ... من الناس إلا مُسلمٌ كاملُ العقل
ولولا أتقائى الله قلتُ قصيدةً ... يسيرُ بها الرُّكبانُ أبْرَدُها يَغْلى
كفانى يَسيرٌ أن أراك بحاجتى ... كَليلَ اللِّسان لا تُمِرُّ ولا تُحْلِى
تُلاوذ (١) بالأبواب منِّى مخافةَ الـمَلامة والإخلافُ شرٌّ من البُخل
أبِنْ لى تكُن مِثلِى أوِ أبْتغِ صاحباً ... كمثلك إنِّى مُبتغٍ (٢) صاحباً مِثلى
ومَا يلبثُ الإخوانُ (٣) أن يتفرّقوا ... إذا لم يُؤلِّف روحُ شكل إلى شَكل

(١) تلاوذ : تراوغ .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « تابع » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الفتيان » .

هو وعراك وابن حزم وقد مرا به ولم يسلما

وذُكر أن عِرَاكَ بن مالك ، وأبا بكر بن حزم ، وعُبيد الله بن عبد الله ابن عُتْبة كانوا يتجالسون بالمدينة زماناً ، ثم إن ابن حزم وَلِى إمْرتها ، وولى عِراكٌ القضاءَ ، فكانا يمُرّان بعُبيد الله بن عبد الله ولا يُسلِّمان عليه ولا يقفان ، وكان ضريراً ، فأُخبر بذلك فأنشأ يقول :

ألاَ أبْلغا عنِّى عِرَاكَ بنَ مالكٍ ... ولا تدَعا أن تَثْنِيا بأبى بَكْرِ
فقد جعلتْ تَبدو شَوَا كلُ منكما ... كأنكما بى مُوقَرَان من الصَّخْر
وطاوعتُما بى داعِكاً [(١)] ذا فَظاظة ... لَعمْرى لقد أَزْرى وما مثله يُزْرِى
ولولا اتقائى ثم بُقْيَاى فيكما ... لَلُمْتُكما لوماً أحرَّ من الجمْر
فَشَمَّا [(٢)] تُرابَ الأرض منها خُلقتما ... ومنها المَعادُ والمَصيرُ إلى الحَشْر
فلو شئتُ أن أُلْفِى عدوًّا وطاعناً ... لألفيتُه أو قال عندىَ فى السرِّ
فإنْ أنا لم آمُر ولم أنْهَ عنكما ... ضحكتُ له حتى يَلجَّ ويَستْشرى

من شعره

قيل : ومن جيِّد شعره قولُه :

إذا كان لى سِرٌّ وحدَّثته العِدا ... وضاق به صَدْرى فَلَلنَّاسُ أعذَرُ
وسِرُّك ما أستودعتَه وكتمتَه ... وليس بسرٍّ حين يَفشو ويَظْهر

أجازه ابن مرخية على شعر له

وقيل :

أنشد عبيدُ الله بن عبد الله جامعَ بن مُرْخِيةَ الكلابىّ لنفسه :

لَعمْرُو أبى المُحْصِينَ أيامَ نَلْتقى ... لَمِاَ لا نُلاقيها من الدَّهر أَكثرُ
يَعُدُّون يوماً واحداً [(٣)] إن لَقيتُها ... ويَنْسَوْن ما كانت على الدَّهر تهجُر
وإنْ أُولع الواشون عَمداً [(٤)] ببَيْنِها ... فإنّا [(٥)] بتَجديد المودّة أبصر

(١) الداعك : الأحمق . والرواية فى بعض أصول الأغانى : «داعكا ذامعاكة». والمعاكة : الحمق .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فسا » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « إن أتيتها » مكان « إن لقيتها » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « بوصلنا » مكان « ببينها » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « فنحن » .

فأعجبت أبياتُه هذه جامعاً ، فسَر بذلك عُبيد الله وكساه وحَمله .

من أخبار جامع ابن مرخية

وجامع بن مُرْخية هذا من شُعراء الحجاز ، وهو الذى يقول :

سألتُ سعيدَ بن المُسيِّب مُفتِىَ الـ مدينة هل فى حُبِّ ظَمْياء من وِزْر؟
فقال سعيدُ بن المُسيِّب إنما يُلام الفَتى فيما أُستطاع من الأمر

فبلغ قولُه سعيداً فقال : كَذب والله ! ما سألنى عن هذا ولا أَفتيته بما قال .

من شعر عبيد الله

قال : ومن جَيِّد شعر عُبيد الله قولُه :

أعاذلَ عاجلُ ما أشتهى أحبُّ إلىّ من (١) الرَّائثِ
سأُنفِق مالى على لذّتى وأُوثِر نَفسى على الوارث
أُبادر إهلاكَ مستهلِكٍ لما لِىَ أو عبثَ العابث

وقوله :

إنْ يَكُ ذا الدهرُ قد أضَرّ بنا فى غير بُخل (٢) فرُبما نفعَا
أَبكى على ذلك الزَّمان ولا أحسَب شيئاً قد فات مُرْتَجعا
إذ نحنُ فى ظلّ نعمةٍ سلفت كانت لها كلُّ نعمة تبَعا

شعره فى مكية فتنته

وذُكر أن أمرأة قَدِمت المدينةَ من ناحية مكة ، وكانت من هُذيل ، وكانت جميلةً ، فخطبها الناسُ وكادت تَذهب بعُقول أكثرهم . فقال فيها عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، وأستشهد على حُبها بفقُهاء المدينة الذين هو سابعُهم :

(٣) أُحبُّك حُبًّا لا يُحبك مثله قريبٌ ولا فى العالَمين بَعيدُ
وحُبُّك يا أمَّ الصَّبىّ مُدلِّهى شَهيدِى أبو بكر فنِعْم (٤) شَهيد

---

(١) الرائث : البطىء . والرواية فى الأغانى : « أحب من الآجل الرائث » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : «من غير زحل» .

(٣) الرواية فى بعض أصول الأغانى :

أحبك حباً لو علمت ببعضه لجدت ولم يصعب عليك شديد

(٤) فى الأغانى : « فأى » مكان « فنعم » . وعليها يكون فى البيت إقواء .

ويعلم وَجْدِى القاسمُ بن محمد ... وعُروةُ ما أَلقى بكم وسَعيد

ويَعلم ما أُخْفِى سليمانُ عِلْمَه ... وخارجةٌ يُبْدِى بنا ويُعيد

متى تسأَلِى عمّا أَقُول فتُخبَرى ... فللُحبِّ عندى طارفٌ وتَليد

فبلغت أبياتُه سعيدَ بن المُسيِّب فقال : والله لقد أَمِن أن تسأَلَنا وعَلِم أنها لو استُشهدتْ بنا لم نَشهد عليه بالباطل عندها .

شعره فى عثمة بعد طلاقها وهو الذى فيه الغناء

وذُكر أنه كان لعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة زوجةٌ تُسمَّى عَثْمة ، فطلَّقها لعَتْبه عليها فى بَعض الأُمور . وله فيها أشعارٌ كثيرة ، منها شعره الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَه ، وهو :

لَعمرى لئن شَطَّت بعَثْمَة دارُها ... لقد كنتُ[1] من وَشْك الفِراق أُلِيحُ

أَرُوحُ بِهَمٍّ ثم أغدُو بمثله ... ويُحْسَبُ أنِّى فى الثِّياب صَحيح

من شعره فيها

وقال فيها أيضاً :

ألا مَن لنفسٍ لا تَموت فَينْقَضى ... عناها ولا تحيا حياةً لها طَعْمُ

أأَتْرُكُ إتْيانَ الحبيب تأثُّماً ... ألا إنّ هِجْران الحبيب هو الإثم

فذُقْ هَجرها قد كنتَ تزعم أنه ... رَشادٌ ألا يا رُبّما كَذَب الزَّعم

وقال فيها أيضاً :

تغلغل حُبُّ عَثْمةَ فى فؤادى ... فباديه مع الخافى يَسيرُ

تَغلغل حيثُ لم يَبلُغْ شرابٌ ... ولا حُزْنٌ ولم يبلُغ سُرور

صَدعتِ القلْبَ ثم ذَرَرْتِ فيه ... هواكِ فَلِيمَ والتَأَم[2] الفُطُور

أَكادُ إذا ذَكرتُ العَهد منها ... أَطيرُ لوْ أنّ إنساناً يَطِير

(١) فى بعض أصول الأغانى : «لقد كدت» .

(٢) الفطور : الشقوق .

غناء[١] النَّفس أن أزدادَ حُبًّا ولـكنِّى إلى صِـلَةٍ فقـير
وأَنْفَذَ قادحاكِ[٢] سوادَ قلبى فأنتِ علىّ ما عِشْنا أمـير

هو وعمر ابن عبد العزيز وقوله الشعر

وذُكر أن عُمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال لعُبيـد الله : مالكَ وللشِّعر ؟ فقال : وهل يَستطيع المَصدور إلا أن يَنفُثُ .

وهو ورجل كان يقع فى الصحابة

وذُكر أن رجلاً كان يأتى عُبيد الله بن عبد الله فيجلس إليه . فبلغ عبيدَ الله أنه يقع فى بعض أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فجاءه الرجـلُ فلم يلتفت إليه ، وكان الرجلُ سـديدَ[٣] العقل . فقال : ياأبا محمد ، إنّ لك لشأنا ، فإن رأيتَ لى عُذراً فاُقبل عُذرى . فقال له : أتَتَّهم الله عزّ وجـل فى عِلْمه ؟ قال : أعوذ بالله ! قال : أَتتَّهم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم فى حَديثه ؟ قال : أعـوذ بالله ! قال : يقول الله عز وجل : (لَقد رَضِى الله عن المُؤمنين إذ يُبايِعُونَك تحت الشَّجرة) . وأنت تقع فى فُلان ، و إنه ممّن بايع ، فهل بلغك أن الله سَخط عليـه بعد أن رَضى ؟ فقال : والله لا أعود أبداً .

وفاته

وتُوفى عُبيد الله سنة تسع وتسعين .

وقيل : سنة ثمان وتسعين .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « غنى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « جارحاك » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « شديد » .

أخبار الشماخ [*]

نسبه — وهو ابن ضِرار بن سِنان بن أُمامة [1] بن عمرو بن جِحاش بن بَجالة بن مازن بن ثَعلبة بن سَعد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان .

أمه — وأُمه أنمارية من بنات الخُرْشُب . ويقال : إنهن أنجبُ نساء العرب . واسمها مُعاذة بنت بُجَير بن خَلَف [2] بن إياس .

مخضرم هجا عشيرته — والشّماخ مُخضرَم ممّن أدرك الجاهليّة والإسلام . وهو أحد مَن هجا عشيرتَه ، وهجا أضيافَه ومَنّ عليهم بالقِرَى .

لقبه وشيء عن أخويه — والشّماخ لقبٌ ، واسمه مَعْقِل . وللشّماخ أخَوان لأُمّه وأبيه شاعران ، أحدُهما مُزرِّد ، واسمه يزيد ، والآخر : جَزْء بن ضِرار ، وهوالذى رثى عُمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله :

عليك سلامٌ مِن أميرٍ وباركتْ ... يدُ الله فى ذاك الأديمِ المُمزَّقِ

فمَن يَسْعَ أو يركبْ جَناحَىْ نَعامةٍ ... ليُدرك ما قدّمت [3] بالأمس يُسْبَقِ

قضيتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها ... بوائجَ فى أكمامها لم [4] تُفتَّقِ

وما كنتُ أخشى أن تكون وفاته ... بكَفَّىْ سَبَنْتَى أزرقِ العَين [5] مُطْرِقِ

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار «الشماخ» أصواتا من مدن معبد .

(1) فى بعض أصول الأغانى : « أمية » .

(2) هذه رواية التجريد . وفى الأغانى : « خالد » .

(3) فى بعض أصول الأغانى : «ماحاولت» .

(4) البوائج : الدواهى . ولم تفتق : لم تنكشف . وفى بعض أصول الأغانى : « بوائق » . والبوائق : الشرور .

(5) سبنتى : أى جرىء . وأزرق العين : يريد : أعجمياً . ومطرق : فى عينيه استرخاء .

وقد رُوى عن عائشة رضي الله عنها أن الجنّ ناحتْ على عُمر رضى الله عنه قبل أن يُقتل بثلاثة أيّام بهذا الشعر .

طبقته عند ابن سلام

وجَعل مُحمد بن سلاّم الشمّاخ فى الطبقة الثالثة ، وقَرنه بالنابغة ، ولَبيد ، وأبى ذُؤيب الُهذلىّ ، ووَصفه فقال : كان شديدَ مُتون الشِّعر ، أشدّ كلاماً من لَبيد ، وفيه كزَازة ، ولَبيد أسهلُ منه مَنْطِقاً .

شهادة الحطيئة له

وقال الُحطيئة فى وصيّته : أبْلِغوا الشمّاخ أنه أشعرُ غَطَفان . وقد ذُكر ذلك فى أخبار الحطيئة .

وذُكر أنّ الشمّاخ تزوّج أمرأة من سُلَيم فأساء إليها وضربها وكسر يدها ، فعَلِقتْ به بنو تَميم يطلُبونه بظُلامة صاحبتهم . فأنكرها . فقالوا : أُحلف ، فجعل يطلُب إليهم أن يَرفعوا عنه اليمين ، ويُغلِّظ أمرها وشِدّتها عليه ليرضَوْا بها منه ، حتى رَضُوا . فحلف لهم وقال :

ألاَ أصبحتْ عِرْسِي من البيتِ جامحاً ... بغير بلاء أى أمْر بدالَها
على خَيْرةٍ كانتْ أم العِرْسُ جامحُ ... فكيف وقد سُقْنا إلى الحىِّ مالَها
ستَرجع غَضْبَى نَزْرة الحَظِّ [(١)] عندنا ... كما قَطعتْ فينا بلَيْلٍ وصالَها
أتتْنى سُلَيم قَضُّها [(٢)] وقَضيضُها ... تُمسِّح حولى بالخضيض [(٣)] سِبالَها
يقولون لى يا أُحْلفْ ولستُ بحالف ... أُخاتِلهم [(٤)] عنها لكيما أنالها
ففرّجتُ همَّ النَّفس عنِّى بحَلْفةٍ ... كما شَقَّت الشَّقراء عنها [(٥)] جِلالَها

(١) هذه رواية التجريد ، وفى الأغانى : «رثة الحال» .
(٢) القض : الحصى الكبار . والقضيض : الحصى الصغار . أى جاءوا كبيرهم وصغيرهم .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بالبقيع » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : «أخادعهم » .
(٥) الشقراء : فرس رمحت ابنها فقتلته . وقيل إنها جمحت بصاحبها يوما فأتت على واد فأرادت أن تثبه فقصرت ، فاندقت عنقها وسلم صاحبها . فسئل عنها فقال : إن الشقراء لم يعد شرها رجلها . والجلال : جمع جل : وهو ماتلبسه الدابة لتصان به . وشقه كناية عن توطها على ابنها ، أو على ترديها وهلاكها .

شعر له من أشعر ما قالت العرب

وقيل : أشعرُ ما قالت العربُ قولُ الشمّاخ :

وأشعثَ قد قدّ السفارُ قميصَه يجُرُّ شِواءً بالعَصا غيرَ مُنْضَجِ
دعوتُ إلى ما نابنى فأجابنى كريمٍ من الفِتْيان غيرِ(١) مُزَلَّجِ
فتًى يملأُ الشِّيزَى(٢) ويُرْوِى سِنانَه ويَضرب فى رأس الكَمِىِّ المُدجَّجِ
فتًى ليس بالرّاضى بأدنَى معيشةٍ ولا فى بُيوتِ الحىِّ بالمُتولِّجِ

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الشماخ ، هو قولُه :

رأيت عَرَابَةَ الأوسىَّ يسمو إلى الخَيراتِ مُنقطعَ القَرينِ
إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ تلقَّاها عَرَابةُ باليمينِ

من أخبار عرابة وأبيه وأخيه

وعرابة الذى عَناه الشمّاخُ بمدحه هو أحدُ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وهو عَرابة بن أوس بن قَيْظىٍّ بن عَمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج . وإنما قال له الشمّاخ عَرابة الأوسىّ ، وهو من الخزرج ، لأنه أراد النِّسبة إلى أبيه «أوس» لا النِّسبة إلى القَبيلة .

وعرابةُ أحد الذين ردّهم النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم استصغاراً لسِنِّهم(٣) . ومنهم: ابنُ عمر ، وزَيد بن ثابت ، وأبو سَعيد الخُدرىّ .

وأوس أبو عَرابة أحدُ المنافقين الذين شَهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أُحدا ، وهو الذى قال : إن بيوتنا عورة ، وما هى بعورة .

وأخوه أوس بن مِرْبَع بن قَيظىّ مُنافق أيضاً ، وهو الذى حثَا فى وجه النبىّ صلّى الله عليه وسلّم التُّراب لما خرج إلى أُحد ، وقد مر فى حائطه(٤) ، وقال له :

(١) المزلج : الناقص المروءة ، والرجل يلصق بالقوم وليس منهم .
(٢) الشيزى : قصاع من خشب ، هذا اسمه وبه تعرف .
(٣) يريد الذين أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة أحد لينفروا معه ، فردهم لصغر سنهم .
(٤) الحائط : البستان .

إن كُنت نبيًّا فما أُحِلُّ لك أن تدخُل حائطى! فضَرَبه سعد بن زيد الأشْهلىّ وقال: يا رسول الله ، دَعْنى أقتلْه قِتْلة [١] مُنافق . فقال صلّى الله عليه وسلّم : دَعْه فإنه أعمى القَلب أعمى البَصر . فقال أخوه أوس بن قَيظىّ : لا والله ، ولكنّها عداوتُكم يا بَنى عبد الأَشهل ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا والله ، ولكنّه نفاقُكم يا بنى قَيظِىّ !

سبب مدحه عرابة

وذُكر أنّ الشمّاخ قَدِم المدينة فلقيه عَرابةُ بن أوس ، فسأله عما أقدمه المدينةَ . فقال : أردتُ أن أمتار لأهلى . وكان معه بَعيران ، فأوقرهما له عَرابةُ بن أوس بُرًّا وتمرا ، وكساه وبَرّه وأكرمه . فخرج عن المدينة وامتدحه بالقصيدة التى يقول فيها هذا الشعر .

بين عرابة ومعاوية وقد سأله كيف ساد قومه

وذُكر أنّ مُعاوية بن أبى سُفيان قال لعَرابة بن أوس: بأى شىء سُدْت قومَك؟ قال : أعفُو عن جاهلهم ، وأُعطى سائلهم ، وأسعى فى حاجاتهم ، فمن فعل كما أفعل فهو مثلى ، ومن قَصّر عنه فأنا خيرٌ منه ، ومَن زاد فهو خيرٌ منّى .

تفضيل أبى نواس للفرزدق على الشماخ

وقيل :

إنّ أبا نواس قال : ما أحسنَ الشمّاخُ فى قوله :

إذا بلّغتِنى وحَملتِ رَحْلى ... عَرَابَةَ فاشْرَقِى بدَم [٢] الوَتين

ألا قال كما قال الفرزدق :

علام تلفّتين وأنتِ تحتى ... وخيرُ الناس كُلهم أمامى

متى تَردِى الرُّصافةَ تستريحى ... من التّهْجير والدَّبَر الدَّوامى

(١) فى غير التجريد : « فإنه منافق » .

(٢) الوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه . يريد نحرها .

وقال أبو الفرج .

أخذ هذا المعنى داوُد بن سَلْم فقال يَمدح قُثَم بن العبّاس :

غَنِيت[1] عن حَلِّى وعن رِحْلتى يا ناقُ إن أدْنَيْتِنِى من قُثَمْ

إنك إن أدنيت منه غداً حالفنى اليُسر ومات العَدَم

لعبد الملك بن مروان وقد أنشد قول الشماخ فى عرابة

وقيل : أُنشد عبدُ الملك بنُ مروان قولَ الشماخ فى عَرابة :

إذا بَلَّغتِنى وحَملت رَحْلى عَرابَة فاُشْرَقى بدَم الوَتين

فقال : بئست المكافأة كافأها ! حَملت رحلَه و بلّغته بغُيته فجعل مكافأتَها نَحرها !

لشاعر مع المهلب فى مثل ما كان من الشماخ مع عرابة

ومثل هذا ما حكَى ابنُ دأب أن رجلاً لقى المُهلَّب بن أبى صُفرة فنَحر ناقته فى وَجهه ، فتطيّر من ذلك وقال : ما قصّتك ؟ فقال :

إنى نَذرتُ لئن لقيتُك سالمًا أن تَستمرّ بها شِفارُ الجازرِ

فقال المُهلب : فأَطعمونا من كَبد هذه المَظلومة . ووَصله .

ولبعض الشعراء فى مثله

قلت :

ومثل قول الشمّاخ قول الآخر يَمدح بلالَ بن أبى بُردة الأشعرىّ :

إذا ابنَ أبى موسى بلالاً بلغتِه فقام بفأسٍ بين وِصْلَيْك[2] جازرُ

و إنما قصد هؤلاء أنهم إذا وَصلوا إلى مَمدوحيهم استغنَوْا عن مطيّهم لوُصولهم إلى حيث لا بَراح لهم عنه .

وأحسن من هذا كُلِّه قول القائل :

أقول لناقتى إذ بَلَّغتْنى لقد أَصبحتِ عندى بالثَّمِينِ

---

(١) فى الأغانى : « نجوت من » .

(٢) الوصلان : العجز والفخذ .

حَرِمْتِ على الأَزِمَّةِ والوَلَايَا وأَعْلَاقِ الرِّحالةِ [(١)] والوَضِينِ
فلَمْ أجعلْكِ للغِرْبانِ [(٢)] نُحْلاً ولا قُلتُ أُشرِقِي بدَمِ الوَتِينِ

المهلب وامرأة نذرت نذراً

وذُكر أنّ امرأة من الأزد لقيت المُهلّب بن أبي صُفرة، وقد قَدِم من حرب كان نهَضَ إليها، فقالت: أيها الأمير، إني نذرتُ إن لقيتُك سالماً أن أُقبّل يدك، وأصوم يوماً، وتَهب لي جارية وثلثمائة درهم. فضحك المُهلّب، وقال: قد وفَّينا لك بنذرك ولا تُعاودي مثلَه، فليس كُل أحد يفي لك به.

أبو دلامة والمهدى

وذُكر أن أبا دُلامة لقي المَهدي لمَّا قدم بغداد، فقال له:

إنّي نذرتُ لئن رأيتُك وارداً أرضَ العِراق وأنتَ ذو وَفْرِ
لتُصلِّيَن على النَّبيّ محمدٍ ولتملأَنَّ دراهماً حِجْرِي

فقال المهدي: أما النبيّ محمد، فصلّى الله عليه وسلّم. وأما الدَّراهم فلا سبيلَ إليها. فقال له: أنت أكرمُ من أن تُعطيني أسهلَهما! فضحك وأمر له بما سأل.

وإنما ذكرتُ هذه الأشياء، وإن لم تكن من الباب، لأنّ الشيء يُذكر بمثله.

---

(١) الأزمة: جمع: زمام، وهو المقود. والولايا: جمع ولية، وهي البردعة تكون تحت الرحل. والرحالة: السرج. والوضين: بطان منسوج بعضه على بعض يشمر به الرحل على البعير.

(٢) نحلا: عطية وهدية.

أخبار قيس بن ذريح (*)

نسبه — [هو قيس بن ذَريح] بن سُنة بن حُذَافة بن طَرِيف بن عُتْوَارة بن عامر ابن لَيْث بن بَكْر بن عَبد مَناة ، وهو علىّ بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدركة ابن اليأس .

أمه — وأُمه بنت سُنّة بن الكاهل (1) بن عمرو الُخزاعىّ .

كان رضيع الحسين — وذُكر أنّ قَيْساً كانَ رَضِيعَ الُحسين بن علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، أَرْضعته أُمّ قيس .

أول الهوى بينه وبين لبنى — وذُكر أنّ منزل قَوم قَيس بن ذَريح كان بظاهر المدينة ، وكان هو وأبوه مِن حاضرتها . فمرّ قيس يوماً لبعض حاجته بخِيام كَعب بن خُزاعة ، والحىّ خُلوف ، (2) فوقف على خَيمة لِلُبنى بنت الُحبَاب الكَعْبية ، فاُستسقى ماءً ، فسقَتْه وخرجت إليه به ، فرآها أمرأةً مديدةَ القامة ، شَهلاءَ (3)، حُلوة المنظر والكَلام . فلما رآها وقعتْ فى نفسه ، وشَرِب الماء . فقالت له : أَتنزل فتَتبرّد عندنا ؟ قال : نعم . وجاء أبوها فنَحر له وأَكرمه . فاُنصرف قيسٌ وفى قَلبه من لُبنى حَرٌّ لا يُطفأ ، فجعل يَنطق الشِّعر فيها حتى شاع .

زواجه بها ثم طلاقه إياها — وذُكر أنّ قيساً أتاها يوماً آخر وقداشتد وجدُه بها ، فسلّم فظهرت له وردّت سلامَه وتحفّت به . فشكا إليها ما يَجد بها وما يَلْقى من حُبّها ، وشَكتْ مثلَ

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار « قيس » صوتا من مدن معبد .

(1) هذه رواية التجريد . وفى الأغانى : « الذاهل بن عامر »

(2) خلوف : غيب .

(3) شهلاء : يخالط سواد عينيها زرقة .

ذلك فأطالتْ ، وعَرف كُلٌّ واحد منهما ما لَه عند صاحبه ، فانصرف إلى أبيه وأعلمه حالَه وسأله أن يزوِّجه إيّاها . فأبَى عليه وقال : يا بُنى ، عليك بإحدى بنات عمِّك وهى أحقُّ بك . وكان ذَريح كثيرَ المال مُوسِراً ، فأحبَّ ألاّ يَخرُج ابنُه إلى غَريبة . فانصرف قيسٌ وقد ساءه ما صَنع أبوه به . فأتى أُمّه فشكا ذلك إليها واستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها ما يُحب ، فأتى الحُسين بن علىّ — عليهما السلام — وأتى ابن أبى عَتيق — وكان صديقه — فشكا إليهما ما به وما رَدّ عليه أبواه . فقال له الحُسين عليه السلام : أنا أَكفِيك . فمشى إلى أبى لُبنى ، فلما بَصُر به عظَّمه ووثب إليه وقال له : يابن رسول الله ، ما جاء بك ؟ ألاَ بعثتَ إلىّ فأتيتُك ! فقال : إنّ الذى جئتُ فيه يُوجب قصدَك ، وقد جئتُك خاطباً ابنتَك لقيس بن ذَريح . فقال : يابن رسول الله ، ما كُنّا لنَعصِىَ لك أمراً وما بنا عن الفتى رَغبة ، ولكنّ أحبَّ الأمرَيْن إلينا أن يَخطُبها ذَريح أبوه ، وأن يكون ذلك عن أَمره ، فإنّا نخاف إنْ لم يَسْعَ أبوه فى هذا أن يكون عاراً وسُبَّة علينا . فأتى الحسينُ ذَريحاً وقومَه وهم مُجتمعون ، فقاموا إليه إعظاماً له، وقالوا له مثلَ قول الخزاعيّين . فقال الحُسين لذَريح : أقسمتُ عليك إلا خطبتَ لُبنى على ابنك قَيس . فقال : السمعَ والطاعةَ لأمرك . فخرج معه فى وُجوهٍ من قومه حتى أتَوْا حىَّ لُبنى ، فخطبها ذَريح على ابنه إلى أبيها ، فزوّجه إيّاها وزُفّت إليه بعد ذلك . فأقام معها مُدة لا يُنكر أحدٌ منهما من صاحبه شيئاً . وكان أبرَّ الناس بأمه ، فألهته لُبنى وعكوفُه عليها عن بعض ذلك ، فوجدتْ أُمّه فى نفسها وقالت لأبيه : لقد شغلت هذه المرأةُ ابنى عن برِّى ، ولم تَر للكلام فى ذلك موضعاً . حتى مَرض قيسٌ مرضاً شديداً ، فقالت أُمه لأبيه : لقد خَشِيتُ أن يموت قيس ولم يَترُك خَلفاً ، وقد حُرم الولدَ من هذه المرأة ، وأنت ذو مال ، فيَصير مالُك

إلى الكَلَالة[1]، فزوِّجه بغيرها فلعلّ الله أن يَرْزُقه ولداً ، وأَلَحت عليه فى ذلك . فأمهل قيساً حتى إذا اُجتمع قومُه دعاه ثم قال له : يا قيس ، إنك اُعتلَلْتَ هذه العِلّة فَخِفْتُ عليك ولا وَلدَ لك ولا لى سواك ، وهذه المرأة ليست بوَلُود ، فتزوّج إحدى بناتِ عمِّك لعلّ الله أن يَهب لك ولداً تقرُّ به عينُك وأعيُننا . فقال له قيس : لستُ متزوِّجاً غيرَها أبداً . فقال له : فإنّ فى مالى سعةً فتسَرَّ بالإماء . فقال : ولا أسوءها والله بشىء أبداً . فقال له أبوه : فإنّى أُقسِم عليك إلاّ طَلّقتها . فأَبى وقال : الموتُ والله أسهلُ علىّ من ذلك ، ولكنّى أُخيِّرك خصلة من ثلاث خصال. قال : وما هى؟ قال تتزوّج أنت فلعلّ الله أن يَرْزُقك ولداً غيرى . قال : ما فىّ فضلٌ لذلك . قال : دَعْنى أرْحَل عنك بأهلى وأصنع ما كنتَ صانعاً لو مِتُّ فى عِلّتى هذه . قال : لا ، ولا هذه . قال : فأَدَعُ لُبْنى عندك وأرتحل عنك فلعلّى أَسْلوها، فإنى ما أحب بعد أن تكونَ نفسى طيبةً أنها فى خيالى . فقال : لا أرضَى أو تُطلِّقها . وحَلف ألاّ يَكُنّه سَقْفُ بيتٍ أبداً حتى يُطلِّق لُبنى ، فكان يخرج فيقِف فى حَرِّ الشمس ، ويجىء قيسٌ فيقف إلى جانبه ، فيُظِلّه بردائه ويَصْلَى هو بحر الشمس حتى يَفِىء الفَىْء ، فيَنْصرف عنه ، ويدخُل إلى لُبنى فيُعانقها ويَبكى وتبكى معه وتقول له : ياقيس ، لا تُطِع أباك فتَهْلِكَ وتُهلِكنى. فيقول : ما كنت لأُطيعَ فيك أحداً أبداً . فيقال : إنه مكث كذلك سنة .

ورُوى أنّ قيساً قال: هَجرنى أبواى فى لُبنى عَشرَ سنين ، أستأذن عليهما فيُردّانى . ولم يزالا به حتى طلّقها .

بين ابن صفوان وذريح حين فرق بين قيس وذريح

وذُكر أنّ عبد الله بن صَفوان لَقِىَ ذَرِيحاً فقال له : ما حَملك على أن فرّقت بينهما ؟ أمَا بلغك أن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول : ما أُبالى أفرّقتُ بين الرجل وامرأته أم مَشيتُ بينهما بالسَّيف .

(١) الكلالة : مالم يكن من النسب لحا ، أى لاصقا . أو هم الإخوة لأم .

قيس بعد طلاق لبنى

قيـــل :

فلما بانت لُبنى بطلاق قيس إيّاها ، وفُرغ من الـكلام ، اُستُطير عقـلُه لوَقته وذُهب به ولَحقه مثلُ الجُنون ، وتذكر لُبنى وحالها معه ، وجَعل يتأسّف ويَبكى أشدّ بُـكاء . وبلغها الخبرُ فأرسلت إلى أبيها ليحْملها ، فأقبل أبوها بهَوْدج على ناقة وبإبل تحمل أثاثَها . فلما رأى ذلك قيسٌ أقبل على جاريتها يسألُها . فقالت: لاتَسألنى وسَل لُبنى . فذَهب ليُلِمّ بخبائها فيسألها ، فمَنعه قومُها . وأقبلت عليه امرأةٌ من قَومه فقالت له : مالك تَسأل كأنك جاهلٌ أو تتجاهل! وهذه لُبنى ترتحل الليلة أو غداً . فسَقط مغشيًّا عليه لا يَعقل ، ثم أفاق وهو يقول :

و إنى لَمُفْنٍ دمـعَ عينىَ بالبُـكا ... حِذَارَ الّذى قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعـد ذاك بليـلة ... فراقُ حَبيبٍ لم يَبِنْ وهـو بائن
وما كنتُ أخشَى أن تكون منيّتى ... بكفَّيْكِ إلاّ أنّ ما حان حائِن

وقال أيضاً :

يقولون لُبنى فتنـــةٌ كنتَ قبلهـا ... بخـير فلا تَندَم عليهـــا وطَلِّقِ
فطاوعتُ أعـدائى وعاصيتُ ناصحى ... وأقررتُ عـينَ الشامت (١) المُتخلِّق
وَدِدْتُ وبيتِ الله أنّى عَصيتُهـــم ... وحُمِّلتُ فى رِضْوانها كُلّ (٢) مُوبِق
وكُلِّفتُ خوضَ البحْرِ والبحرُ زاخرٌ ... أَبِيتُ على أَثْباج (٣) مَوْجٍ مُغرِّق
كأنّى أرى الناسَ المُحِبِّين بعـــدها ... عُصــارةَ ماء الحَنْظـل المُتفلِّق
فتُنْكر عَينى بعدهـــا كُلّ مَنظرٍ ... ويَـكره سمعى بعدَهـا كُلّ مَنْطق

(١) المتخلق : المتكلف ما ليس فيه .

(٢) موبق : مهلك .

(٣) أثباج : جمع ثبج ، وهو معظم الشىء وأوسطه وأعلاه .

وسقط غرابٌ قريباً منه فجعل يَنْعب مِراراً ، فتطيّر وقال :

لقد نادى الغُرابُ ببَيْن لُبْنَى — فطار القلبُ من حَذَر الغُراب
وقال غداً تباعَدُ دارُ لُبْنى — وتَنْأى بعد وُدٍّ واقتراب
فقلتُ تَعِستَ وَيْحكَ من غُرابٍ — وكان الدهرَ سعيُك فى تَباب

وقال أيضاً ، وقد منعه قومُه من الإلمام بها :

ألا يا غُرابَ البَيْن ويحك نَبِّنى — بعلمك من لُبْنى وأنت خَبيرُ
فإنْ أنت لم تُخْبِر بما قد علمتَه — فلا طِرْتَ إلاّ والجَناح كَسير
ودُرْتَ بأعداء حبيبُك فيهمُ — كما قد تَرانى بالحبيب أدور

وقال أيضاً ، وقد أُدخلت هَودجها ورَحلت وهو يَتبعها ويبكى :

ألا ياغُراب البَيْن هل أنت مُخْبِرى — بخيرٍ كما خبَّرتَ بالنَّأْى والشَّرّ
وقلتَ كذاك الدهرُ ما زال فاجعاً — صدقتَ وهل شىءٌ بباقٍ على الدَّهر

فلما ارتحل بها قومُها اتّبعها مَليًّا ، ثم علم أنّ أباها سيَمْنعه من المَسير معها ، فوقف ينظرُ إليهم حتى غابُوا عن عَينه ، فكرّ راجعاً ، ونَظر إلى خُفِّ بَعيرها ، فأكبّ عليه يُقبِّله ، ورَجع يقبِّل موضعَ مَجلسها وأثَر قَدمها . فَليمَ على ذلك ، وعَنَّفه قومُه على تَقبيل التُّراب ، فقال :

وما أحببتُ أرضَكُم ولكنْ — أُقبِّل إثْرَ مَن وَطِىء التُّرابا
لقد لاقيتُ من كَلَفى بلُبْنى — بلاءً ما أُسِيغ به الشَّرابا
إذا نادَى مُنادٍ باسم لُبْنَى — عَييتُ فما أُطيقُ له جَوابا

وقال وقد نَظر إلى آثارها :

ألا يا رَبْعَ لُبْنَى ما تقولُ — أبِنْ لى اليومَ ما فَعل الحُلولُ
فلو أنّ الدِّيارَ تُجيب صَبًّا — لَردَّ جوابىَ الرَّبْعُ المُحِيل

ولو أنّى قَدرْتُ غداةَ قالتْ : غَدرتَ وماءُ مُقْلتها يَسِيلُ

نحرتُ النفسَ حين سمعتُ منها مقالتها وذاكَ لهـا قليل

فصـبراً كُلُّ مؤتلفَيْن يوماً من الأيّام عيشُهما يزُول

ولما جَنّ عليه الليلُ انفرد وأَوَى إلى مَضْجعه فلم يتقارّ فيه ،(١) وجعل يتململ فيه تَململ السَّليم ، ثم وَثب حتى أتى موضعَ خِبائها فجعل يتمرّغ فيـه ، ويقول :

بِتُّ والهمُّ يا لُبَيْنَى ضَجيعى وجرتْ مُذْ نأيتِ عنّى دمُوعِى

وتنفّستُ إذ ذكرتُكِ حـتى زالت اليومَ عن فؤادى ضُلوعى

أَتنـاساكِ كى يُرِيغ(٢) فؤادى ثم يَشتدُّ عنـد ذاكَ وَلُوعى

يالُبَيْنَى فـدتْكِ نَفسى وأهـلى هل لدهرٍ مضَى لنا من رُجـوع

وذُكر أن قيس بن ذَريح مرَض ، فسـأل أبوه فتيـاتِ الحىّ أن يَعـدْنه ويُحدِّثْنه لعـلّه أن يَتسلَّى بهن أو يَعْلَق بعضَهنّ ، ففعلن ذلك . وأتوْه بطبيبٍ ليداوِيَه ، فدَخل إليه والفتياتُ معه ، فلما اجتمعن عنده جعلن يُحادثْنه ، وأطَلْن السؤال عن سَبب علّته ، فقال :

عِيدَ قَيْسٌ من حُبّ لُبْنى ولُبْنَى داءُ قيسٍ والحبُّ داءٌ شَديدُ

فإذا عادنى العـوائدُ يوماً قالت العينُ لا أَرَى من أُريد

ليت لُبْنَى تَعُودنى ثم أَقْضِى إنهـا لا تَعـود فيمن يَعـود

وَيْحَ قيسٍ لقـد تضمَّن منها دَاءَ خَبْـلٍ فالقلبُ منه عَمِيـد

فقال له الطبيبُ : منـذ كم هذه العلّةُ بك ؟ ومنـذ كم وجَـدتَ بهذه المرأة ما وجدت ؟ فقال :

تَعلّق رُوحى رُوحَها قبـل خَلْقنا ومن بعدِ ما كُنّا نِطافاً وفى المَهْدِ

(١) لم يتقار فيه ، أى لم يسكن . والذى فى بعض أصول الأغانى : « لم يأخذه القرار » .

(٢) يريغ : يميل .

فزاد كما زِدْنا فأَصْبح نامياً ... وليس إذا مُتنا بمُنفَصِم[(١)] العَقْد
ولكنّه باقٍ على كُلّ حادثٍ ... وزائرُنا فى ظُلْمة القَبْرِ واللَّحْد

فقال له الطبيبُ: إنّ مما يُسَلِّيك عنها أن تَذْكُر مساوِيَها ومَعايبها وما تَعافه النفسُ من أقذار بنى آدم؛ فإن النفس تَنْبو حينئذٍ ويخفّ ما بها. فقال:

إذا عِبْتُها شَبَّهتُها البدرَ طالعاً ... وحَسْبكَ مِن عَيْبٍ لها شَبَهُ البَدْر
لقد فُضِّلت لُبْنى على الناس[(٢)] مثلَ ما ... على ألفِ شهرٍ فُضِّلت ليلةُ القَدْر
لها كَفَلٌ يَرْتجُّ منها إذا مَشَتْ ... ومتنٌ كغُصْن البانِ مُضْطَمِرُ الخَصْر

وَدخل عليه أبوه، وهو يُخاطب الطبيبَ بهذه المُخاطبة، فأنَّبه ولامه وقال له: يا بُنى، اللهَ اللهَ فى نفسك! فإنَّك ميِّتٌ ما دُمْت على هذا! له فقال:

وفى عُرْوةَ العُذْرىّ إن متُّ أُسوةٌ ... وعمرِو بن عَجلانَ الذى قتلتْ[(٣)] هِنْدُ
وبى مثلُ ما ماتَا به غيرَ أنّنى ... إلى أجلٍ لم يأتِنى وقتُه بَعْدُ
هل الحُبّ إلا زَفْرةٌ[(٤)] بعد زَفْرةٍ ... وحَرٌّ على الأحشاء ليس له بَرْد
وفيضُ دُموعٍ تَستهِلُّ إذا بدا ... لنا عَلَمٌ من أرضكم لم يكن يَبْدو

حديث زواجه بأخرى تدعى لبنى

فلما طال على قَيس ما به أشار قومُه على أبيه أن يُزوِّجه امرأةً جميلة فلعلّه أن يَسْلُو بها عن لُبنى. فدعاه إلى ذلك، فأَباه وقال:

لقد خِفْتُ ألاّ تَقْنَع النفسُ بعدها ... بشىءٍ من الدُّنيا وإن كان مَقْنَعَا
وأزجُر عنها النَّفسَ إذ حِيل دُونها ... وتأبَى إليها النفس إلاّ تَطلُّعا

(١) فى بعض أصول الأغانى: بمنصرم العهد».
(٢) فى بعض أصول الأغانى: «كالذى» مكان «مثل ما».
(٣) عروة العذرى، هو ابن حزام، شاعر إسلامى، ممن قتلهم الهوى. وله شعر فى عفراء بنت عمه. وستأتى ترجمته. وابن عجلان: شاعر جاهلى، أحب زوجته هند، ثم طلقها وندم على ذلك. وستأتى ترجمته.
(٤) فى الأغانى: عبرة».

فأعلمهم أبوه بما ردّ عليه. فقالوا : مُرْه بالمسير فى أحياء العرب والنُّزول عليهم، فلعلّ عينَه أن تَقع على امرأة تُعجبه فتزوِّجه إياها . فأقسم عليه أبوه أن يَفعل . فسار حتى نَزل بحىّ من فَزارة ، فرأى جارية حَسناء قد حَسرت بُرْقعها عن وَجهها ، وهى كالبَدر ليلة تِمّه . فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ فقالت : لُبنى . فَسقط على وجهه مغشيًّا عليه ، فنَضحت على وجهه ماء ، وارتاعت لِمَا عراه ، ثم قالت : إن لم يكن هذا قَيْس بن ذَريح إنه لمجنون . فأفاق . فنَسبتْه ، فانتسب لها . فقالت : قد علمتُ أنك قَيس ، فنَشَدْتُك الله وحَقّ لُبنى إلا أصبتَ مِن طعامنا . فأصاب منه بإصبعه . وركب ، وأتى على أثره أخٌ لها كان غائباً فرأى مُناخ ناقته ، فسأل عنه فأخبروه . فردّه إلى مَنزله وحَلف ليُقيمن عنده شهراً . فقال : لقد شَقَقْتَ علىّ ولكنّى سأتّبع هواك . فأقام عنده شهراً ، والفزارى يَزداد إعجاباً بحديثه وعَقله ورِوايته . فعرَض عليه الصِّهرَ . فقال له : يا فتى ، إنّ فيك لرغبةً ، لكنّى فى شغل لا يُنتفع بى معه . فلم يَزل يُعاوده والحىّ يلُومونه ويقولون : قد خَشِينا أن يصير علينا فعلُك سُبَّة . فقال : دَعوني، ففى مثل هذا الفتى يَرغب الكرام. فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصِّهْرَ بينه و بينه على أُخته المُسمّاة لُبنى ، وقال له : أنا أسُوق عنك صَداقها . فقال : أنا والله أكثر قومى مالاً ، فما حاجتُك إلى تكلُّف هذا ! أنا سائرٌ يا أَخى إلى قَومى وسائقٌ إليها المَهر . ففعَل . وأعلم أباه الذى كان منه . فسَرَّه وساق المَهر عنه . ورَجع به إلى الفَزاريِّين حتى أُدخلت زوجتُه عليه . فلم يَرَوْه هشّ لها ولا دنا منها . فأقام على ذلك أيّاماً كثيرة ، ثم أعلمهم أنه يُريد الخروج إلى قومه . فأذِنوا له فى ذلك . فمضى لوجهه إلى المَدينة . وكان له صديقٌ من الأنصار بها ، فأعلمه الأنصاريُّ أنّ خَبر تزوُّجه بلغ لُبْنى فغَمّها ، وقالت : إنه لغَدّار ، ولقد كنتُ أمتنع من إجابة قَومى إلى التّزويج فأنا الآن أُجيبهم .

زواج لبنى وحديث قيس

وقد كان أبوها شَكا قيساً إلى مُعاوية بن أبي سُفيان وأعلمه تعرُّضه لها بعد الطلاق . فكتب مُعاويةُ إلى مَروان بن الحكم يُهْدِر دَمَه إن تعرَّض لها ، وأَمر أباها أن يُزوِّجها رجلاً يُعرف بخالد بن حِلِّزة ، من غَطفان ، فزوَّجها أبوها منه . فجَعل النساء ليلةَ زِفافها يقُلْن :

لُبَيْنى زوجها أصبح لا حُرٌّ[1] بواديهِ
له فضلٌ على الناس بما باتت تُناجيه
وقيسٌ ميِّتٌ[2] حقًّا صريعٌ فى بَواكيه
فلا يُبعده الله وبُعداً لنَواعيه

فجَزِع قَيس لما سَمِع ذلك جزعاً شديداً وجعل يَنْشِج أشدَّ نَشِيج ويبكى أحرَّ بكاء . ثم رَكِب من فَوْره حتى أتى محلة قومها ، فناداه النساء : ماتَصنع الآن ها هنا ؟ قد نُقِلتْ لُبنى إلى زَوجها ! وجعل الفتيانُ يُعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها ، وهو لايُجيبهم ، حتى أتى موضع خِبائها ، فنزل عن راحلته وجَعل يتمعّك[3] فى موضعها ويُمرِّغ خدَّه على تُرابها وَيبكى أحرَّ بكاء ، ثم قال :

إلى الله أَشكو فَقْدَ لُبْنى كما شكا إلى الله فقدَ الوالدَيْن يَتيمُ
يتيمٌ جفاه الأَقربون فجسمُه نَحيلٌ وعهدُ الوالدَيْن قَديم
بكت دارُهم من نأيهم فتهلّلتْ دُموعى فأىَّ الجازعَين أَلُوم
أَمُستعبراً يَبْكى من الحرِّ[4] والجوى أم آخَر يبكى شَجْوَه ويَهِيم
تَهيَّضنى من حُبِّ لُبْنى علائقٌ وأصنافُ حُبٍّ هَوْلُهنّ[5] قَديم
ومن يتعلَّق حُبَّ لُبْنى فؤادُه يَمُتْ أو يَعِشْ ما عاش وهو كَليم

---

(١) فى تزيين الأسواق (١ : ٥٦) : «يوازيه» . مكان « بواديه » .
(٢) فى الأغانى : «حى» مكان «حقا» .
(٣) فى الأغانى « والهوى » مكان « والجوى » . (٤) يتمعك : يتمرغ .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « عظيم » مكان « قديم » .

وإنّي وإن أزمعتُ[١] عنكِ تجلّداً ... على العهد فيما بيننا لمُقيم
وإنّ زماناً شتّت الشملَ بيننا ... وبينكمُ فيه العِدَا لَمشُوم
أفى الحقِّ هذا أنّ قلبكِ فارغٌ ... صحيح وقلبى فى هواكِ سَقيم

له وقد عاتبه أبوه فى إهدار معاوية دمه

وقال أيضاً ، وقد عاتبه أبوه وتجهّمه ، لمّا بلغه أنّ مُعاوية أهدر دمَه ، وقال : انتهى بك الأمرُ إلى أن يُهدر السلطانُ دمَك :

فإنْ يَحجبوها أو يَحُلْ دون وَصْلها ... مَقالةُ واشٍ أو وَعيدُ أمير
فلن يَمنعوا عَيْنىَّ من دائم البُكا ... ولن يُذْهِبوا ما قد أجَنَّ ضَميرى
إلى الله أشكو ما أُلاقى من الهوى ... ومِن شَجنٍ يَعتادُنى[٢] وزَفير
ومن حَرَقِ للحُبِّ فى باطن الحَشى ... وليلٍ طويلِ الحُزن غيرِ قصير
سأبكى على نَفسى بعينٍ غزيرةٍ ... بُكاءَ حَزينٍ فى الوَثاق أَسير
وكُنّا جميعاً قبل أن يَظهر الهوَى ... بأَنْعَمِ حالَىْ غِبْطةٍ وسُرور
فما بَرِح الواشُون حتى بدت لهم ... بُطونُ الهَوى مَقْلوبةً لظُهور
لقد كنتِ حَسْبَ النفس لودام وصلُنا ... ولكنّما الدُّنيا متاعُ غُرور

وله فى مثله

وقال أيضاً فى إهدار مُعاوية دمه إن زارها :

إن تكُ لُبْنى قد أتى دون قُربها ... حجابٌ مَنيعٌ ما إليه سَبيلُ
فإنّ نَسيم الجوّ يَجمع بيننا ... ونُبصر قَرْنَ الشَّمس حين تَزُول
وأرواحنا فى الحىّ باللَّيل تلتقى ... ونَعلم أنّا بالنّهار نَقيل
وتَجمعنا الأرضُ القَرارُ وفوقنا ... سماءٌ نَرى فيها النُّجوم تَجول
إلى أن يعود الدهر سَلْماً وتنقضى ... تِراتٌ بَغاها عندنا وذُحول

(١) فى الأغانى : « أجمعت » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ومن حرق تعتادنى » .

هو فى حجه وقد لقى لبنى

وذُكر أنه حجّ قيسُ بن ذَريح . وحجّت لُبنى فى تلك السنة ، فرآها ومعها امرأة من قومها ، فدَهِش و بقى واقفاً مكانَه ، ومضت لسبيلها . ثم أرسلت المرأةَ تُبلغه السلامَ وتسأله عن خبره ، فألفَته جالساً مكانه وحدَه يبكى و يقول :

ويومَ مِنًى أعرضتِ عنى فلم أقُل ... بحاجةِ نَفْسٍ عند لُبْنَى مقالهُا
وفى اليأسِ للنَّفس المريضة راحةٌ ... إذا النفسُ رامتْ خُطّةً لا تنالُها

فدخلتْ خباءه وجعلتْ تحدِّثه عن لُبنى ويُحدِّثها عن نفسه مَلِيًّا . ولم تُعلمه أنّ لُبنى أرسلتْها إليه . فسألها أن تُبلغها عنه السلامَ ، فامتنعتْ عليه ، فأنشأ يقول :

إذا طلعتْ شمسُ النَّهار فسلِّمى ... فآيةُ تَسْليمى عليكِ طُلوعُها
بعَشْرِ تحيّاتٍ إذا الشمسُ أشرقتْ ... وعشرٍ إذا اصفرّت وحان رجوعُها
ولو أبلغتْها جارةٌ قولىَ اسْلمى ... طوتْ حَزَناً[1] وارفضّ منها دُموعها
وبانَ الذى تُخْفِى من الوَجد فى الحَشَى ... إذا جاءها عنّى حديثٌ يَرُوعها

وقضى الناسُ حَجَّهم وانصرفوا ، فمرَض قيسٌ فى طريقه مرضاً أشفى منه على الموت ، فلم يأته رسولها عائداً ؛ لأنّ قومها رأَوه وعلِموا به ، فقال :

أَلُبْنَى لقد جَلَّت عليكِ مُصيبتى ... غداةَ غدٍ إذْ حَلّ ما أتوقَّعُ
تُمنِّيننى نَيلاً وتَلْوِينَنى به ... فنفسىَ شوقاً كلّ يومٍ تَقَطَّع
أُخبِّرتُ أنّى فيكِ[2] مِتُّ بحَسْرتى ... فما فاضَ مِن عينَيْك للوجد مَدْمع
ولكنْ لعَمْرى قد بكيتُكِ جاهداً ... وإن كان دائى كُلُّه منكِ أجمع
صَبيحةَ جاء العائداتُ يَعُدْنَنِى ... فظلّتْ علىّ العائداتُ تفجّع

---

(١) هذه رواية التجريد . وفى الأغانى : « بكت جزعا » .

(٢) فى الأغانى : « ميت حسرتى » . مكان « مت بحسرتى » .

فقائلةٌ جئنا إليـــه وقد قضى ... وقائلةٌ بل قد تركناه [١] يَنْزِع

فما غَشِيتْ عينيكِ من ذاك عَبرةٌ ... وعينى على ما بى لذكراك تدْمَع

إذا أنتِ لم تبكى علىّ [٢] جِنازةً ... لديكِ فلا تبكى غداً حين أُرْفَع

فبلغتْها الأبياتُ ، فجَزِعتْ وبكتْ بُكاءً شديدا . ثم خرجت إليه ليلاً على موعد ، واعتذرت وقالت : إنما أُبْقى عليك وأخشى أن تُقْتَل ، فأنا أتجافاك لذلك، ولولا هذا ما تفرّقنا ، وودّعتْه وانصرفت .

شعره الذى فى بعضه الغناء

وقيـــل :

بلغه أنّ أهلَها قالوا لها : إنه عَليل لما به ، وإنّه سيموت فى سفره هذا . فقالت لهم ، لتدفعَهم عن نفسها : ما أُراه إلّا كاذباً فيما يدّعى ومُتعلِّلاً . فقال شعره الذى فى بعضه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَه :

تــكاد بــلادُ الله يا أمّ مَعْمَرٍ ... بمـــا رَحُبت يوماً علىّ تَضِيقُ

تُــكذّبنى بالوُدِّ لُبنى وليتهـــا ... تُــكَلَّف مــــنِّى مثلَه فتَذُوق

ولو تَعْلمــين الغيْبَ أيقنتِ أنّنى ... لــكمْ والهدايا المُشْعَراتِ [٣] صَديق

تَتُوق إليكِ النفسُ ثم أرُدُّهــا ... حياءً ومِثْلى بالحيـــاء حَقيق

أذُود سَوَامَ الطَّرف [٤] عنك وماله ... على أحـدٍ إلا عليكِ طَريق

وإنّى وإن حاولتِ صُرْمى وهجْرَتى ... عليكِ مِن أحداث الرّدَى لشَفيق

ولَمْ أرَ أيّاماً كأيّامنــــا التى ... مَرَرْن علينا والزمانُ أنيق

---

(١) فى الأغانى : « وقائلة لا بل تركناه » .

(٢) جنازة ، أى مشرفاً على الموت .

(٣) الهدايا : ما يساق إلى مكة من النعم ؛ الواحدة : هدية . والمشعرات : المعلمات ، إذ كانوا يطعنونها فى سنامها الأيمن حتى يظهر الدم ويعرف أنها هدايا .

(٤) فى الأغانى : « النفس » .

ووعدُكِ إيّانا وقد[١] قلتِ عاجلٌ ... بعيدٌ كما قد تعلمين سَحيق
وحدّثتَنى يا قلبُ أنك صابرٌ ... على البُعد من لُبْنَى فسوف تذُوق
فمتْ كمداً أو عِشْ سقيماً فإنما ... تُكلِّفُنى ما لا أُراك تُطيق
أطعتَ وُشاةً لم يكُن لك فيهمُ ... خليلٌ ولا حانٍ[٢] عليك شفيق
بلُبْنى أُنادَى عند أول غَشْيةٍ ... ويَثْنى بها الدّاعى لها فأُفيق
شَهِدتُ على نفسى بأنكِ غادةٌ ... رَدَاحٌ وأنّ الوجه منك[٣] عَتيق
وأنَّكِ لا تَجْزِينَنى بصحابةٍ ... ولا أنا للهِجرانِ منك مُطيق
وأنكِ قسّمتِ الفُؤاد فنصفُه ... رَهينٌ ونصفٌ فى الحِبال وَثيق
صَبُوحى إذا ما ذَرّتِ الشمسُ ذكرُكم ... ولى ذكرُكم عند المَساء غَبُوق
إذا أنا عزّيتُ الهوى أو تركتُه ... أتت عَبَراتٌ بالدُّموع تَسُوق
كأنّ الهَوى بين الحَيازيم والحَشَى ... وبين التَّراقِى واللَّهاةِ[٤] حَريق
وإن كنتِ لمّا تَعلمى العِلْمَ[٥] فاعلَمى ... وبعضٌ لبعض فى الفَعال[٦] يفوق
سَلى هل قَلانى من عَشيرٍ صَحِبْتُه ... وهل ذَمَّ[٧] رَحْلى فى الرِّفاق رَفيق
وهل يَجْتوى القومُ الكرامُ صَحابتى ... إذا اُغْبرّ مَخْشِىٌّ الفِجاج عَميق
سَعى الدّهرُ والواشُون بينى وبينها ... فقُطِّع حَبلُ الوَصل وهو وَثيق
هل الصبرُ إلا أن أَصُدّ فلا أُرَى ... بأَرضك إلاّ أنْ يكونَ طَريق

(١) فى الأغانى : « ولو » .

(٢) فى الأغانى : « جار » .

(٣) الرداح : الثقيلة الأوراك . والعتيق : الجميل الكريم .

(٤) الحيازيم : جمع حيزوم ، وهو وسط الصدر . والتراق : العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق ؛ الواحدة : ترقوة . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم .

(٥) فى الأغانى : « فاسألى » . (٦) فى الأغانى : « فؤوق » مكان « يفوق » .

(٧) فى الأغانى : « مل » .

باع زوج لبنى ناقة وهو لا يعرفه وحديث ذلك

ثم أتى قيسُ بن ذَريح قومَه فاقتطع قطعةً من إبله ، وأعلم أباه أنه يُريد المدينة ليبيعَها ويَمتار لأهله بقيمتها . فعرف أبوه أنه إنّما يُريد لُبنى ، فعاتبه وزَجره عن ذلك ، فلم يقبل منه ، وأخذ إبلَه وقَدِم بها المدينة . فبينا هو يَعرضها إذ ساومه زوجُ لُبنى بناقةٍ منها ، وهما لا يتعارفان ، فباعه إيّاها وقال : إذا كان في غدٍ فأْت مكانَ كذا فاقْبض الثمن . قال : نعم . ومَضى زَوجُ لُبنى إليها ، فقال: إنّي ابتعتُ ناقةً من رجل من أهل البادية ، وهو يأتينا غداً ليَقْبض الثَّمن ، فأعِدّى له طعاماً . ففعلتْ . فلما كان من الغد جاء ، فصوَّت بالخادم : قُولى لسيّدكِ : صاحبُ الناقة بالباب. فعرفتْ لُبنى نَغْمَته . فلم تَقُل شيئاً . فقال زوجُها للخادم : قُولى له : يدخل. فدَخل فجلس . فقالت لُبنى للخادم : قُولى له : يافتى، مالى أراكَ أشْعثَ ! فقالت له ذلك . فتنفَّس ثم قال: هكذا حالُ مَن فارق الأحبَّة واختار الموت على الحياة ، وبكا . فقالت لها لُبنى : قُولى له : حدِّثنا حديثَك. فلما ابتدأ يُحدِّثهم ، كشفت الحجابَ وقالت : حَسْبك ! قد عرفنا حديثَك ! وأسبلت الحجابَ . فبُهِت ساعةً لا يتكلَّم ، ثم انفجر باكياً ، ثم نَهض فخرج . فناداه زوجُ لُبنى : ويحك ! ماقِصّتك ؟ ارجع فاقبض ثمنَ ناقتك ، وإن شئت زِدْناك . فلم يُكلِّمه ، وخَرج ورَكب راحلتَه ومَضى . فقالت لُبنى لزوجها : ويحك ! هذا قَيس بن ذَريح ، فما حَملك على ما فعلتَ به . فقال : ما عرفتُه . وجعل قَيسٌ يبكى فى طريقه ويندُب نفسَه ويوبِّخها على فِعله ، وقال :

أتبكى على لُبنى وأنت تركتَها ... وكُنت عليها بالمَلا أنتَ أقدرُ

فإن تكنِ الدُّنيا بلُبنى تفرَّقت ... فللدَّهر والدُّنيا[1] بُطونٌ وأظْهُر

لقد كان فيها للأمانة موضعٌ ... وللكفّ مُرتاد وللعَين مَنْظر

وللحائم العطشان رِيٌّ بريقِها ... وللمَرِح المُختال خَمْرٌ ومُسْكِر

كأنّىَ فى[2] أُرجُوحةٍ بين أحبُلٍ ... إذا ذُكْرةٌ منها على القلب تَخطُر

(١) فى الأغانى : « تقلبتا على فللدنيا » .

(٢) فى الأغانى : « لها » .

مرضه

وعاد قيسٌ إلى قومه بعد رُؤْيته إيَّاها ، وقد أنكر نفسه وأَسِف ، ولحَقه أمرٌ عظيم . فأنكروه وسألوه عن حاله ، فلم يُخبرهم . ومَرِض مَرَضاً شديداً أشرف منه على الموت . فدخل إليه أبواه ورجالٌ من قومه فكلَّموه وعاتبوه وناشدوه الله . فقال : ويحكم ! أتُرَوْنى أَمرضتُ نفسى أو وجدتُ لها سَلوةً بعد اليأس فاُخترتُ الهَمّ والبلاء ، أوْ لِى فى ذلك صُنع ؟ هذا ما اُختاره لى أبواى وقَتلانى به ! فجعل أبوه يَبكى ويدعو له بالفَرَج والسَّلْوة . فقال قيس :

لقد عذَّبْتَنِي يا حُبّ لُبنى ... فقَعْ إمّا بمَوْتٍ أو حَياةِ
فإنّ الموتَ أروحُ من حياةٍ ... تَدُوم على التّباعُد والشَّتات
وقال الأَقربون تَعزَّ عنها ... فقلتُ لهم إذا حانت وَفاتى

رسول لبنى إليه يسأله عن زواجه بعدها

ودَسّت إليه لُبنى رسولاً بعد خُروجه وقالت : اُستَنْشده ، فإذا سألك عن نَسبك، فاُنتسب له خُزاعيًّا ، فإذا أنشدك فقل له : لِمَ تزوّجت بعدها حتى أجابت إلى أن تتزوّج بعدك ؟ واُحفظ ما يقوله حتى تَرُدّه علىّ . فأتاه الرسولُ ، فسلّم واُنتسب خُزاعيًّا ، وذَكر أنه من أهل الشام ، واُستنشده ، فأنشده :

أيا كَبِداً صارت[1] صُدوعاً نوافذاً ... ويا حَسْرتَا ماذا تَغلْغَل فى القَلْبِ
وأُقسِم ما عُمْشُ العُيونِ شَوارِفٌ ... روائمُ بَوٍّ حائماتٌ على[2] سَقْب
تَشمَّمْنَه لو يَسْتطعنَ اُرتَشَفْنه ... إذا سُفْنه يَزْدَدْن نَكْباً على[3] نَكْب
رَئِمْن فما تَنْحاش منهنّ شارفٌ ... وحالَفْن حَبساً فى المُحول وفى الجَدْب

(١) فى الأغانى : « طارت » .

(٢) الشوارف : المسان من النوق : ؛ الوحدة ، شارفة . والروائم : التى تعطف على غير أولادها ؛ الواحدة : رائمة . والبو : جلد الحوار يحشى ويقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر . والسقب . ولد الناقة .

(٣) ساف : شم. والنكب ، بالتحريك وسكن للشعر : داء تظلع منه الإبل .

بأوْجدَ منّى يومَ ولَّت حُمُولُهــا وقدطلعتْ أُولَى الرِّكاب على[1] النَّقب
وكُلُّ مُلِمّات الزَّمان وجـدتُها سوى فُرقةِ الأحباب هَيِّنةَ الخَطْب

فقال له الرجلُ : فلِمَ تزَوجتَ بعدها ؟ فأخبره خبَره ، وحَلف له أنّ عينه ما اكتحلت بالمرأة التى تزوّجها ، وأنه لو رآها فى نِسْوة ماعَرفها ، وأنه مامَدَّ يدَه إليها ولا كلّمها ولا كشف لها عن ثوب. فقال له : فإنِّى جارٌ لها ، وإنها من الوَجد بك على حال قد تمنَّى زوجها معها أن تكون بقُربها لتصلُح حالها بك ، فحمِّلنى إليها ما شئت أن أُؤدِّه إليها . قال : تعُود إلىّ إذا أردتَ الرحيل . فعاد إليه ، فأنشده :

ألاَ حَيِّ لُبنى اليوَم إن كنتَ غادِياَ وألْمِمْ بهــا من قبــلِ أنْ لا تَلاقِياَ
وأَهْــدِ لها منك النصيحةَ إنّهــا قليــلٌ ولا تخْش الوُشاةَ الأَدانيا
وقُل إنّنى والراقصــاتِ إلى مِنًى بأَجْبُـل جَمْعٍ[2] يَنْتَظِرْنَ المُناديا
أصونُكِ عن بَعضِ الأُمور مَضَنَّةً وأَخشَى عليكِ الكاشحين الأعاديا
تَسَـاقَطُ نفسى حين ألقــاكِ أنفُساً يَرِدْنَ فمـا يَصْدُرْن إلّا صَواديا
فإن أَحْيِ أو أَهْلِكْ فلستُ بزائلٍ لـكم حافظاً ما بَلّ رِيقى[3] لسـانيا
أقول إذا نَفسى من الوَجْـدِ أصعدتْ بها زَفرةٌ تَعتـادنى هىَ ما هيـا
و بين الحَشى والنَّحر منِّى حـرارةٌ ولوعةُ وَجْـدٍ تترُكُ القلبَ ساهِيـا
ألاَ ليت لُبنى لم تكُ لىَ[4] خُـلَّةً ولم تَرنى لُبنى ولم أَدْرِ ما هِيـا
سَلِى النـاسَ هل خَبّرتُ سِرّك منهمُ أخاَ ثِقــةٍ أو ظاهرَ الغِشِّ باديا
لَعمرى لَفيكِ اليوم[5] حُمِّلتُ ما أرى وأُنذرت من لُبنى الذى كنتُ لاقيـا
خليلَيّ مالى قــد بَليتُ ولا أرى لُبَيْنَى على الهِجْرانِ إلّا كما هيـا

(١) فى الأغانى : « من » .
(٢) جمع : المزدلفة .
(٣) فى الأغانى : « ريق » .
(٤) خلة : صديقة .
(٥) فى الأغانى : « لقبل اليوم حملت ما ترى » .

ألا يا غُرابَ البَيْنِ ما لكَ كُلّما ذكرتُ لُبَينى طِرْتَ لِى عن شِماليا
أعِنْدكَ علمُ الغَيبِ أم لستَ [(١)] مُخْبِرى عن الحقّ إلا بالّذى قد بَدا ليا
جَزِعتُ عليها لو أرى لىَ مَجْزعاً وأفنيتُ دَمعَ العَين لو كان فانيا
حياتَك لا تُغْلَبْ عليها فإنه كَفى بالذى تَلْقى لنَفسك ناهيا
تَمُرُّ الليالى والشُّهور ولا أرى وَلُوعى بها يَزداد إلّا تَماديا

قال أبو الفرج :

وهذه القصيدةُ تختلط بقصيدة المَجنون التى على وَزنها وقافيتها ، ولتشابههما قلّما يتميزان .

بريكة بينه و بينها وشعره فى ذلك

وذُكر أنّه كانت امرأة من موالى بنى زهرة يُقال لها : بُرَيكة من أظرف النّساء وأكرمهن ، وكان لها زَوج من قُريش له دار ضيافة . فلما طالت عِلّة قَيس قال له أبوه : إنّى لأعلم أنّ شفاءك فى القُرب من لُبنى ، فارحل إلى المدينة . فرَحل إليها ، حتى أتى دار الضيافة التى لزَوج بُريكة ، فوثب غِلْمانها [(٢)] إلى رَحْل قيس ليُحطّوه . فقال : لا تَفعلوا، فلستُ نازلاً أو ألقى بُرَيكة، فإنى قصدتُها فى حاجة ،فإن وجدتُ لها عندها موضعاً نزلتُ بكم و إلا رحلتُ . فأتَوْها فأخبروها . فخرجت إليه وسلّمت عليه ورحّبت به وقالت : حاجتُك مقضيَّة فانزل. فنَزل ودنامنها وقال: أذكر حاجتى؟ فقالت:إن شئتَ . فقال : أنا قَيس بن ذَريح. قالت : حَيّاك الله وقرّبك! إنّ ذكرك عندنا لجَديد فى كُل وقت . قال : فحاجتى أن أرى لُبنى نظرةً واحدة . قالت : ذاك لك عَلىّ . فنَزل عندهم وأقام ، وأخْفت خَبَره . ثم أهدى لها هَدايا كثيرةً وقال : لاطِفيها و زَوْجَها بهذه حتى تأنَس بك . ففَعلت ، وزارتْها مراراً ، ثم قالت لزَوجها : أخبرنى عنك : أنت خيرٌ من زَوجى؟ قال : لا . قالت : فلُبْنى

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: « أم أنت » . (٢) فى الأغانى : « غلمانه » .

خيرٌ مني؟ قال: لا. قالت: فما بالى أزورها ولا تزورنى! قال: ذاك إليها. فأتتها وسألتها الزيارةَ وأعلمتها أن قيساً عندها. فسارعت إلى ذلك وأتتها، فلما رآها ورأته بكيا حتى كادا يَتْلَفان. ثم جعلتْ تسأله عن خبره وعلّته، فيُخبرها. ويسألها فتُخبره. ثم قالت: أنشدنى ما قُلتَ فى علّتك. فأنشدها قولَه:

أُعالج مِن نفسى بَقاياَ حُشاشةٍ ... على رَمَقٍ والعائداتُ تعُودُ

فإنْ ذُكِرتْ لُبنى هَشِشْتُ لذكرها ... كما هَشَّ للثَّدْى الدَّرُور وَليد

أُجيب بلُبنى مَن دَعانى تجلُّداً ... ولى (١) زَفراتٌ تَنْجلى وتَعود

ومنها:

ألاَ ليتَ أياماً مَضَيْن تعود ... فإن عُدْن يوماً إنّنى لَسعيد

سَقى دارَ لُبنى حيث حلّت وخَيَّمت ... من الأرض مُنْهلُّ الغَمام رَعُود

فلا اليأسُ يُسْلِيني ولا القُربُ نافعى ... ولُبنَى مَنُوعٌ ما تكاد تَجود

رمتْنِي لُبَينى فى الفؤاد بسَهْمها ... وسَهمُ لُبَينى للفؤاد صَيُود

سَلاَ كُلُّ ذى شَجْوٍ علمتُ مكانَه ... وقلبى للبُنى ما حَيِيتُ وَدُود

وقائلةٍ قد مات أو هو مَيِّتٌ ... وللنَّفس مِنّى أن تَفِيظ (٢) رَصِيد

وعاتبتْه على تزوّجه. فحَلف أنّه لم ينظرْ إليها مِلْء عينيه ولا دَنا منها. فصدّقته. وقال:

ولقد أردتُ الصَّبرَ عنكِ فعاقنى ... عَلَقٌ بقَلْبى مِن هواكِ قَديمُ

يَبقَى على حَدَثِ الزمان ورَيْبه ... وعلى جَفائكِ إنه لكريم

فصَرَمتِه وصَححتِ وهو بدائه ... شتَّان بين مُصحَّح وسَقيم

قاربْته (٣) زمناً فعاد بحِلْمه ... إنّ المُحبّ على (٤) الحَبيب حَليم

(١) فى بعض أصول الأغانى: «وبى». (٢) فى الأغانى: «تفيض».

(٣) فى الأغانى: «واربته». والمواربة: المخادعة والمخاتلة.

(٤) فى بعض أصول الأغانى: «عن».

فلم يزل يومَه معها يحدِّثها و يَشكو إليها أكرمَ حديث وأعفَّ شكوى ، حتى أمستْ وانصرفت . ووعدته الرُّجوع إليه من غد . فلم ترجع إليه . وشاع خبرُه ، فلم تُرسل إليه رسولاً . فـكتب هذه الأبياتَ فى رُقعة ودفعهـا إلى بُرَيـكة وسألها أن تُوصلها إليها . ورَحل متوجِّها إلى مُعاوية بن أبي سُفيان . والأبيات :

بنَفسىَ مَنْ قلبى له الدهرَ ذاكرُ ومَنْ هو عَنِّى مُعرِضُ القلبِ صابرُ
ومَن حُبُّه يزداد (١) عندى تجدُّداً وحُبِّى لديه مُخْلَقُ العَهـد دائر

ثم ارتحل إلى مُعاوية ، فدَخل إلى يزيد بن مُعاوية وشكا ما به وامتدحه ، فرقَّ له وقال : سَل ماشئتَ ، إن شئت أكتب إلى زَوجها فأُحتِّم عليه أن يطلِّقها ، فعلتُ ؟ قال : لا أريد ذلك، ولـكن أحب أن أُقيم حيث تُقيم من البلاد، فأعرف أخبارَها من غير أن يُهْدَر دمى . فقال : لو سألتَ هذا من غير أن ترحل إلينا فيه لما وَجب أن نَمنَعه، فأَقم حيثُ شئت . وأَخذ كتاب أبيه له بأن يُقيم حيث أَحبّ ، لا يَعترض عليه أحدٌ ، وأَزال ما كان كُتب به من إهدار دمه . فقَدِم إلى بلده . و بلغ الفَزاريِّين خبرُه و إلمامُه بلُبنى ، فكاتَبوه فى ذلك وعاتبوه، فقال للرسول : قل للفتى — يعنى أخا الجارية التى تزوجها — : يا أخى ، ما غَررتُك من نفسى ، وقد أعلمتُك أنى مَشغول عن كُل أحد ، وقد جعلتُ أمر أُختك إليك فأَمض فيه من حُـكمك ما أردت .

فتـكرَّم الفتى عن أن يُفرِّق بينهما . فمـكثت فى حِباله (٢) مُدةً حتى ماتت .

أنشد عياشاً السعدى من شعره فى لبنى

وحكى عيَّاش السَّعدىّ قال :

أقبلتُ ذاتَ يوم من الغابة (٣) ، فلمـا كنتُ بالمَذاد (٤) ، إذا رَبْعٌ حديثُ عَهد بالساكن فيه ، و إذا رجلٌ مُجتمع فى جانب ذلك الرَّبع يبكى ويُحدِّث نفسه ،

(١) فى الأغانى : « عندى جدة » مكان «عندى تجددا» .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فى خباء له » . (٣) الغابة : بريد من المدينة على طريق الشام .
(٤) المذاد : موضع بالمدينة .

فسلَّمتُ عليه، فلم يرُد السلامَ علىّ، فقلتُ فى نفسى: رجلٌ مُلتَبَسٌ به![1] فولَّيتُ عنه. فصاح بى بعد ساعة: وعليك السلام، هلُم يا صاحب السلام. فأتيتُه. فقال: أما والله لقد فهمتُ سلامَك، ولكنِّى رجل مُشْتَرَكُ اللُّب يَضِلُّ عنِّى أحيانًا ثم يعود إلىّ. قلت: ومَن أنت سلَّمك الله؟ قال: أنا قيس بن ذَرِيح اللَّيْثى. قلت: صاحب لُبنى؟ قال: لَعمرى وقَتيلُها! ثم أرسل عَينيه كأنهما مزادتان، فما أنسى حُسن قوله:

أبائنةٌ لُبنى ولم تَقطع المَدَى ... بوصلٍ ولاصُرْمٍ فييأسَ طامِعُ
نَهارِى نَهارُ الوَالهين صَبابةً ... ولَيلِىَ تَنْبو فيه عنِّى المَضاجِعُ
وقد كنتُ قبل اليوم خِلْوًا وإنما ... تُقَسَّم بين الهالكين المَصارع
فلولا رجاءُ القَلب أن تُسعِف النَّوى ... لَمَا حبسَتْه بينهنّ الأَضالع
له وَجَباتٌ إثْر لُبنى كأنها ... شَقائقُ بَرْق فى السَّماء لَوَامِع
أبَى اللهُ أن يَلقى الرشادَ مُتيَّمٌ ... ألَا كُلُّ أمرٍ حُمَّ لا بُدَّ واقِع
هما تركانى[2] مُعوِلَيْن كلاهما ... فؤادٌ وعينٌ جفنُها الدهرَ دامع

استنشده ابن أبى عتيق أحسن ماقاله فى لبنى

وذُكر أنّ ابن أبى عَتيق قال لقيس يومًا: أَنشدنى أحسنَ[3] ما قُلت فى لُبنى. فأَنشده قولَه:

وإنِّى لأَهْوى النومَ من غير[4] نَعْسةٍ ... لَعلّ لقاءً فى المَنام يكونُ
تُحدِّثنى الأحلامُ أنِّى أراكُمُ ... فيا ليتَ أحلامَ المَنام يَقِين
شَهدتُ بأنِّى لم أحُلْ عن مَودَّة ... وأنِّى بكم لو تَعلمين ضَنِين
وأنّ فؤادى لا يَلينُ إلى هَوَى ... سواكِ وإن قالُوا بَلى سَيلين

(١) أى خولط فى عقله.
(٢) فى الأغانى: «هما برحابى».
(٣) فى الأغانى: «أحر».
(٤) فى الأغانى: «حينه».

فقال له ابنُ أبى عَتيــــق : لقلّ ما رضيتَ به منها يا قيس ! فقال : ذا جَهد المُقِــلّ .

من جيد شعره

ومن حَسن شعر قَيس قولُه من قصيدة :

إذا أمرتْنى العــاذلاتُ بهَجرها أبتْ كبِــدٌ عمّا يقلْن صَديعُ

وكيف أُطيع العاذلاتِ وحُبُّهــا يُؤرّقنى والعــاذلاتُ هُجوع

ومِن جَيِّد شعره قصيدتُه العينية التى منها :

أَتبكى على لُبْنَى وأنت تركتَهــا فــكنتَ كآتٍ حَتْفَه وهو طائعُ

فيا قلبُ صَــبْراً واُعترافاً بحُبها ويا حُبَّهــا قعْ بالّذى أنتَ واقِع

ويا قلبُ خَبِّرنى إذا شَطَّت النَّوى بلُبْنى وبانت عنك ماأنتَ صانِع

أتصبر للبَــيْن المُشتِّ مع الجَوى أَم أنت أمرؤٌ ناسِى الحياء فجازِع

كأنّك بِدْعٌ[1] لم تَرَ النّاس قبلَها ولم يَطّلِعْك الدهرُ فيما يُطــالع

ألايا غُرابَ البَيْن قد طِرْتَ بالذى أُحاذِرُ من لُبنى فهل أنت واقِع

فما مِنْ مُحبٍّ دائمٌ[2] لحَبيبــه ولا ثِقَةٌ إلّا له الدهرَ فاجِــع

كأنّ بلادَ الله ما لم تــكُن بها وإنْ كان فيها الناسُ وحشٌ[3] بلاقع

ومنها أبياتٌ ثلاثة تقدّمت فى أخبار المجنون منسوبةٌ إليه .

قال أبو الفرج : والصحيحُ أنها لاُبن الدُّمينة ، وهى :

أُقَضِّى نهارى بالحــديث وبالمُنَى ويَجْمعــنى والهمَّ بالليــل جامع

نهارِى نهارُ النّاس حتى إذا بدا لِىَ اللّيلُ هزّتْنى إليكِ المَضاجع

لقد ثَبتت فى القَلْب منك مودّةٌ كما ثَبتت[4] فى الراحتَيْن الأَصابع

(١) بدع : لم يجرب الأمور .
(٢) فى الأغانى : « فليس محب دائما » .
(٣) فى الأغانى : « قفر » .
(٤) فى الأغانى : « رسخت » .

ومن قصيدة قيس بن ذريح :

ألاَ إنّما أَبكى لمـا هو واقِع ... فهل جَزَعى من وَشْك ذلك نافِع
وقد كنتُ أبكى والنّوى مُطمئنّةٌ ... بنا وبكم من عِلم ما البينُ صانع
وأَعمِد للأرض التى لا أريدها ... لِترْجعَنى يوماً إليكِ الرّواجع
وأهجرُكم هَجْر البَغيض وحُبُّكم ... على كَبدى منه شُؤون(١) صَوادع
وأُشفِق من هِجرانكم وتَرُوعنى ... مخافةُ وشكِ البَيْن والشملُ جامع
فما كُل ما مَنَّتْك نفسُك خالياً ... تُلاقِى ولا كُل الهوى أنت تابِع
فتِلْك لُبَيْنَى قد تَراخَى مَزارُها ... وتلك نَواها غُرْبةٌ ما تُطاوع
وليس لأمرٍ حاول اللهُ جَمعَه ... مُشتٌ ولا ما فَرّق اللهُ جامع
فلا تبكيَنْ فى إثْر لُبْنَى نَدامةً ... وقد نَزعتْها من يدَيْك النّوازع

ذكر عود لبنى إلى قيس

وساطة الحسن والحسين وابن جعفر

ذُكر أنَّ ٱبن أبى عَتيق صار إلى الحَسن والحُسين ، ٱبنى علىّ بن أبى طالب، عليهم السلام ، وعبدِ الله بن جعفر بن أبى طالب ، رضى الله عنهم ، وجماعةٍ من قُريش ، وقال لهم : إنّ لى حاجةً إلى رجل أخشى أن يَرُدَّنى ، وإنى أستعين بجاهكم وأموالكم عليه . قالوا : ذلك مَبذول منّا . فاجتَمعوا ليوم وَعدهم فيه . فمضى بهم إلى زَوج لُبنى . فلما رآهم أعظم مَصِيرهم إليه وأكبرهم . فقالوا : قد جئناك بأجمعنا فى حاجة لابن أبى عَتيق . فقال : هى مَقضيّة كائنةً ما كانت . قال ٱبن أبى عتيق : قد قضيتَها كائنةً ما كانت من أهل أو ملك أو مال ؟ قال : نعم . قال : تَهَب ولهم ولى لُبنى زَوجتَك وتُطلِّقها . قال : فإنّى أُشهدكم أنها طالقٌ ثلاثاً . فٱستحيا القومُ وٱعتذروا وقالوا : والله ما عرّفنا حاجَته ، ولو عرّفنا أنها هذه ما سألناك إياها .

(١) فى بعض أصول الأغانى : «كلوم» .

فعوّضه الحسنُ من ذلك مائةَ ألف درهم ، وحملها ابنُ أبى عتيق إليه ، فلم تزل عنده حتى انقضت عِدّتها . فسأل القومُ أباها فزوّجها قيساً ، ولم تزل عنده حتى ماتا . فقال قيس يمدح ابن أبى عتيق :

جَزى الرحمٰن أفضلَ ما يُجازِى على الإحسان خَيراً من صَدِيقِ
فقد جَرّبتُ إخوانى جميعاً فما ألفيتُ كابن أبى عتيق
سَعى فى جَمْع شَمْلى بعد صَدْعٍ ورأيٍ جُرْت فيه عن[1] طَريقى
وأطفأ لوعةً كانت بقَلْبى أغصّتْنى حرارتُها بريقى

فقال له ابنُ أبى عتيق : يا حبيبى ، أمسك عن هذا المَديح ، فما يَسمعه أحد إلّا ظَنّنى قوّاداً .

موتهما

هذا ما ذهب إليه بعضُ العلماء . وذهب بعضهم إلى أنهما ماتا على تهاجرهما . و بعضُهم ذكر أنها ماتت أولاً ، وخَرج قيس ومعه جماعة من أهله فوقَفوا على قبرها ، فقال :

ماتت لُبينى فموتُها موتِى هل تَنفَعَنْ حَسْرتى على الفَوْتِ
فسوف أبكى بُكاء مُكتئبٍ قضى حياةً وَجْداً على مَيْت

ثم أكبّ على القبر يبكى حتى أُغمى عليه ، فرفَعه أهلُه إلى منزله وهو لا يعقل ، فلم يزل عليلاً لا يُفيق ولا يُجيب مُتكلِّماً ، ثم مات فدُفن إلى جنبها .

قلت :

وهذه الرِّواية لا تَنفى أنها رجعتْ إليه ، فإنّ من الجائز أنها تُوفيت وجرى ذلك وهى فى حِباله .

وذكر بعضُهم أنه توفى أولاً ، و بلغها ذلك فماتت أسفاً عليه . والله أعلم أىّ ذلك كان .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ورأى حدت فيه عن الطريق » .

أخبار عمر بن عبد العزيز (*)

نسبه

هو عمرُ بن عبد العزيز بن مَرْوان بن الحكم بن أبي العاصى بن أميّة بن عبد شَمس بن عبد مناف. ويكنى أبا حَفْص.

أمه

وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه.

أشج قريش

ويقال له: أشجّ قُريش، لأنه كان فى جبهته أثرُ ضَربة حافر.

رقة عبد الملك له

وكان عمّه عبدُ الملك بن مَروان يرِقّ له ويُدْنيه، وإذا دخل إليه رفعه فوق ولده جميعاً، إلّا الوليدَ بن عبد الملك. فعاتبه بعضُ بنيه على ذلك، فقال: أوما تعلم لمَ فعلتُ ذلك؟ قال: لا. قال: إن هذا سَيَلى الخلافةَ يوماً، وهذا أشجُ بنى مروان الذى يملأ الأرض عدلا بعد أن تُملأ جوْراً، فمالى لا أحبّه وأُدْنيه!

خبر شجه وما كان بين أبيه وأمه

وقيل:

خرج عُمر بن عبد العزيز يوماً يلعب، فرمحتْه بغلة على جنبيه، وبلغ أمّه أمَّ عاصم الخبرُ، فخرجت فى خَدَمها، وأقبل عبدالعزيز إليها، فقالت: أمّا الكبير فيُكرم[1]، وأما الصّغير فيُرْحم، وأما الأوسط[2] فيَضيع، لمَ لا تتخذ لأبنى حاضناً حتى أصابه ما ترى! فجعل عبدُ العزيز يَمسح الدمَ عن وجهه، ثم نظر إليها وقال: ويحك! إنْ كان أشجَّ بَنى مروان، أو أشجَّ بنى أمية: إنه لسَعيد.

نظرته إلى أموال أهله لما ولى

ولما أفضت الخلافةُ إلى عمر بن عبد العزيز سَلك طريق العدل، وخالف

(*) وقبل هذا ذكر أبو الفرج صوتا من مدن معبد فى شعر عنترة. ثم ذكر شيئاً من أخبار الحارث ابن خالد، ثم عاد إلى أصوات معبد فى قتيلة، ثم ذكر سبعة ابن سريج، ثم أغانى الخلفاء وأولادهم.

(١) فى بعض أصول الأغانى: «أما الكبير فيخدم، وأما الصغير فيكرم»

(٢) فى بعض أصول الأغانى: «وأما الوسط».

بذلك طريقة أهله من بنى أُميـة ، وأَخذ نفسه بردّ المظالم ، و بدأ بلُحْمته وأَقاربه وأخذ ما فى أَيديهم ، وسمَّى أموالهم[1] المظـالم . ففزِعت بنو أُمية إلى عَمّته فاطمةَ بنت مروان، فأَرسلت إليه : إنه قد عنانى أمرٌ لا بُدّ من لقائك فيه . فأَتتْه ليلاً . فأنزلها عن دابّتها . فلما أخذت مجلسَها، قال : يا عَمّة، أنت أولى بالكلام لأنّ لك الحاجةَ، فتكلمى . فقالت : تكلَّم أنت يا أمير المؤمنين . قال : إن الله تبارك وتعالى بعث مُحمداً صلَّى الله عليــه وسلَّم رحمةً ، ولم يبعثه عذاباً ، إلى النـاس كافّة ، ثم اُختار له ما عنده فقَبضه إليه ، وتَرَك لهم نهراً شِرْبُهم فيه سواء . ثم قام أبو بكر رضى الله عنه فترَك النهر على حاله . ثم وَلِى عُمر رضى الله عنه فعَمِل على أمر صاحبه . فلمـا وَلِى عُثمان رضى الله عنه اُشتق من ذلك النهر نهراً . ثم ولى معاوية بن أبى سفيان فَشقّ منه الأنهار . ثم لم يزل النهرُ يَشُق منه يزيدُ ومَروانُ وعبدُ الملك والوليدُ وسليمان حتى أفضى الأمرُ إلىّ وقد يَبِس ذلك النهرُ الأعظم ، ولن يَرْوَى أصحابُ النهر حتى يعود إليهم النهرُ الأعظم إلى ما كان عليه . فقالت له : قد أردتُ كلامَك ومُذاكرتك ، فأمّا إذا كانت هـذه مقالتَك ، فلستُ بذاكرةٍ لك شيئاً أبداً . ورجعت إليهم فأبلغتْهم كلامَه وقالت : ذُوقوا مَغبَّـة أمركم فى تَزويجكم آلَ[2] عمر بن الخطاب .

هو وكثير والأحوص ونصيب

وحكى حمّاد الرّاوية قال :

دخلتُ المدينـةَ أَلتمس العِلْم ، فـكان أوّل مَن لقيتُ كُثيِّر عَزّة ، فقلت : يا أبا صَخر ، ما عِندك من بضاعتى ؟ فقال : إنّه لمّا كان من أمر عُمر بن عبد العزيز ما كان ، قدِمْتُ أنا ونُصيب والأحوص ، وكُلّ واحدٍ منّا يمُت بسابقته عند عبد العزيز ، و إخائه لعمر ، وكان أولَ مَن لقيناه مَسْلمةُ بن عبـد الملك ، فأَحسن ضيافتَنا وأَكرم مَثوانا ، ثم قال : أمَا علمتُم أنّ إمامكم لا يُعطى الشُّـعراء شيئاً ؟

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أعمالهم » . (٢) فى التجريد : « إلى » .

قلنا : قد جئنا الآن ، فافتح لنا فى هذا الأمر وجهاً . فقال : إن كان ذو دِين من آل مَروان قد وَلِي الخلافة فقد بَقِي مِن ذوى دُنياهم مَن يقضى حقَّكم و يفعل بكم ما أنتم له أهل . فأقمنا على بابه أربعةَ أشْهُرٍ لا نَصِل إليه ، وجَعل مَسلمة يَستأذن فلا يُؤْذن له . فقلت : لو أتيتُ المسجدَ يومَ الجمعة فتحفَّظت من كلام عُمر شيئاً ! فأتيتُ المَسجد ، فأنا أوّل من حَفِظ من كلامه ، سمعتُه يقول فى خطبته : لكُلّ سَفر زاد لا محالة ، فتزوّدوا من الدُّنيا إلى الآخرة التقّوى ، وكُونوا كمن عايَن ما أعدَّ اللهُ من ثوابه وعِقابه ، فعَمِل طلباً لهذا وخوفاً من هذا ، ولا يطُولنّ عليكم الأمد فتَقْسُوَ قلوبُكم وتنقادوا لعدوِّكم ؛ وأعلموا أنه إنما يَطمئنّ بالدُّنيا مَن وثق بالنجاة مِن عَذاب الله فى الآخرة ، فأمّا من لا يداوى جُرحاً إلّا أصابه جرحٌ من ناحية أخرى ، فكيف يطمئنّ بالدنيا ! أعوذ بالله أنْ آمرَكم بما أنهى نفسى عنه فتَخسَر صَفْقتى ، وتبدُوَ عَيْلتى. وتَظهر مَسكنتى، يوم لا يَنفع إلّا الحقُّ والصدق . فارتجّ المسجد بالبُكاء . وبكى عمر حتى بلّ ثوبه وحتى ظَننا أنه قاضٍ نَحْبَه .

قال كُثيِّر : فبلغت إلى صاحبيّ فقلت : جَدِّدا لعُمَر من الشِّعر غيرَ ما أعددتماه ، فليس الرجل بدُنيوى .

ثم إن مَسلمة أستأذن لنا يومَ الجمعة بعد ما أُذِن للعامة . فدخلنا كافَّة ، فسلَّمنا عليه بالخلافة . فرَدَّ علينا . فقلتُ له : يا أمير المؤمنين ، طال الثَّواء وقَلَّت الفائدة ، وتحَدَّثت بجفائك إيّانا وفودُ العرب . فقال : يا كُثيِّر ، أما سمعتَ إلى قول الله عزَّ وجلّ فى كتابه : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

أفمن هؤلاء أنت ؟ فقلت له : وأنا ضاحك : أنا ابنُ سبيل ومُنقَطعٌ به . فقال : أولستَ ضيفَ أبى سَعيد ؟ فقلت : بلى . قال : ما أحسب مَن كان ضيفَ

أبى سعيد أبنَ سبيل ولا مُنقطعاً به . ثم استأذنتُه فى الإنشاد . فقال : قُل ولا تَقُل إلّا حقًّا ، فإن الله يسألك . فقلت :

وَليتَ فلم تَشْتُمْ عليًّا ولم تُخِف ... بَرِيئاً ولم تَتْبَع مقالة مُجْرِمِ
وقلتَ فصدَّقت الذى قلتَ بالذى ... فعلتَ فأَمسى راضياً كُلُّ مُسلِمِ
أَلَا إنّما يَكفِى الفتَى بعد زَيْغه ... من الأَوَد البادى ثِقَافُ المُقَوِّمِ
وقد لبستْ لُبْسَ الهَلُوك [1] ثِيابَها ... وأبدت لك الدُّنيا بكَفٍّ ومِعْصمِ
وتُومِض أحياناً بعينٍ مَريضةٍ ... وتَبْسِم عن مِثْلِ الجُمان المُنَظَّمِ
فأعرضتَ عنها مُشمئِزًّا كأنّما ... سقَتْك مَدوفاً من سِمَام [2] وعَلْقمِ
وقد كنتَ من أجبالها فى مُمَنَّع ... ومن بَحرها فى مُزْبِدِ الموج مُفْعَمِ
وما زِلْتَ سبَّاقاً إلى كُلِّ غايةٍ ... صَعِدْتَ بها أَعلى البناء المقدَّمِ
فلمّا أتاك المُلْكُ عفواً ولم يكن ... لطالبِ دُنيا بعده مِن تَكَلُّمِ
تركتَ الذى يَفْنَى و إن كان مُونِقاً ... وآثرتَ ما يَبقى برأيٍ مصمِّمِ
فأضررْتَ بالفانى وشمَّرتَ للذى ... أمامَك فى يومٍ من الشَّرِّ [3] مُظْلِمِ
ومالَك أن كنتَ الخليفة مانعٌ ... سوى الله من مالٍ رغيبٍ ومِن [4] دَمِ
سَمَا لك هَمٌّ فى الفُؤاد مؤرِّقٌ ... صعدْتَ به أعلى المَعالى بسُلَّمِ
فما بين شرقِ الأرض والغرب كلِّها ... مُنادٍ ينادِى من فصيح وأعجمِ
يقول أميرُ المُؤمنين ظلمتَنى ... بأخذٍ لدينارٍ ولا أخذِ دِرْهمِ
ولا بَسطِ كفٍّ لأمرىء ظالمٍ له ... ولا السفكِ منه ظالماً مِلْءَ مِحْجَمِ
فلو يَستطيع المُسلمون لقسَّموا ... لك الشَّطر من أعمارهم غيرَ نُدَّمِ
فعِشْتَ به ما حَجَّ لله راكبٌ ... مُغِذٌّ مُطِيفٌ بالمَقام وزَمْزَمِ

(١) الهلوك : المرأة الفاجرة المتساقطة .
(٢) المدوف : المخلوط . والسمام : السم .
(٣) فى غير التجريد : « من الهول » .
(٤) فى غير التجريد : « ولا دم » .

فأَرْبِحْ بها من صَفْقَةٍ لِمُبايِعٍ   وأَعْظِمْ بها أَعْظِمْ بها ثم أَعْظِمِ

فقال لى : يا كُثَيِّر ، إنّ الله سائلك . فأَنشده :

وما الشعرُ إلَّا خُطبةٌ من مُؤلِّفٍ   بِمَنطق حقٍّ أو بِمَنطق باطلِ
فلا تَقبلنْ إلّا الذى وافق الرِّضا   ولا تَرْجِعَنَّا كالنِّساء الأَرامل
رأيناك لم تَعْدِلْ عن الحقِّ يَمْنةً   ولا يَسْرَةً فِعْلَ الظَّلوم(١) المُخاتِل
ولكن أخذتَ القَصْدَ جهدكَ كُلَّه   وتَقْفُو مثالَ الصالحين الأَوائل
فقُلنا ولم نَكْذب لما قد بَدا لنا   وَمن ذا يرُدّ الحقّ مِن قول عاذِل
ومن ذا يرُد السهمَ بعد مُروقه   على فُوقه إن عار(٢) مِن نَزْع نابل
ولولا الّذى قد عوّدتْنا خلائفٌ   غَطاريفُ كانوا كاللُّيوث البَواسل
لَما وَخدتْ شَهراً برَحْلِى جَسْرةٌ   تَفُلّ مُتونَ البِيد بين الرَّواحل
ولكنْ رجَوْنا منك مثل الذى به   صُرفنا قديماً من ذَويكَ الأَفاضل
فإن لم يكن للشِّعر عندك موضعٌ   وإن كان مثلَ الدُّرّ مِن قول قائل
وكان مُصيباً صادقاً لا يَعيبه   سِوى أنه يُبْنَى بِناءَ المَنازل
فإنّ لنا قُرْبى ومَحْضَ مَودّةٍ   وميراثَ آباءٍ مشَوْا بالمَناصل
فذادُوا عدوّ السِّلْم عن عُقْر دارهم   وأَرْسَوا عِماد(٣) الدِّين بعد تمايُل
فقبلَك ما أعطَى الرسولُ هُنيدةً   على الشِّعر كَعْباً من سَدِيس(٤) وبازل
رسولُ الإِلٰه المُصطفى(٥) برسالةٍ   عليه سلامٌ بالضُّحى والأَصائل
فكُلّ الذى عدَّدتُ يَكفيك بعضُه   ونَيلُك خيرٌ من بُحور سوائل

(١) فى غير التجريد : « المجادل » مكان « المخاتل » .   (٢) عار : طاش .
(٣) فى غير التجريد : « عمود » .
(٤) الهنيدة : المائة من الإبل . والسديس : ما دخل من الإبل فى السنة الثامنة . والبازل : ما انشق نابه ، وذلك فى التاسعة . والرواية فى غير التجريد : «فقبلك ما أعطى الهنيدة جلة » .
(٥) فى غير التجريد : « بنبوة » مكان « برسالة » .

فقال عمر : يا أحوص ، إن الله سائلُك عمّا قلتَ .

ثم تقدّم نُصيب فاستأذنه فى الإنشاد . فأَبى أن يأذن له وغَضب غضباً شديداً وأَمره باللحاق بدَابِق[1] ، وأَمر لى وللأحوص ، كُلّ واحد منّا بمائة وخمسين درهماً .

وفى رواية أنه قال :

ما عندى ما أُعطيكم ، فانتظروا حتّى يَخرج عطائى فأُواسيكم منه . فانتظرناه حتى خَرج عطاؤه ، فأمر لى وللأحوص لكل واحد بثلاثمائة درهم ، وأمر لنُصيب بمائة وخمسين درهماً . فما رأيت أعظم بركةً من الثلاثمائة التى أعطانى إيّاها ، ابتعتُ بها وصيفةً وعلَّمتها الغناء ، فبعتُها بألف دينار .

تعقيب لابن واصل على بيت لكثير

قلت :

ومعنى قول كُثيِّر : «وليت فلم تشتم عليا ... ...» : أن مُعاوية بن أبى سُفيان كان هو وولاته على البلاد يسُبون علىّ بن أبى طالب على المَنابر آخر الخُطبة كل يوم جمعة ، وعُتب على معاوية فى ذلك وأنكره عليه جماعة . فامتنع من تركه، وقال : والله لا تركته حتى يكبُر عليه الصغيرُ ويَشيب عليه الكبير ، فإذ تُرِك ، قيل : تُركت السنَّة ! فاستمر الحال على ذلك مُدة أيامَ مُعاوية ، ويزيد ابنه ، وأيام مروان بن الحكم ، وابنه عبد الملك، وأيام ابنيه: الوليد، وسليمان، ابني عبد الملك . فلما وَلى عُمر بن عبد العزيز رضى الله عنه رَفع السبَّ وأبدله بقوله تعالى : (إنّ الله يأمُر بالعَدْلِ والإحْسَان وإيتاء ذِى القُرْبَى ويَنْهى عن الفَحْشَاء والمُنْكر والبَغْى يَعِظُكم لعلكم تذكرون) .

(١) دابق : قرية قرب حلب .

فخرج أهلُ دمشق من المسجد وهم يقولون : تُركت السنة ! تُركت السنة !
فقال كُثير يمدحه :

وليت فلم تشتم عليا ... ... الأبيات

هو ودكين الراجز

وحكى دُكين الراجز قال :

امتدحتُ عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة ، فأمر لى بخمس عشرة ناقة ، فكرهتُ أن أرمى بهنّ الفِجاج ولم تَطبْ نفسى ببيعهن ، فقدمتْ علىّ رُفقةٌ من مصر ، فسألتُهم الصُّحبة . فقالوا : ذاك إليك ، ونحن نخرج الليلةَ . فأتيتُه فودّعته ، وعنده شيخان لا أعرفهما . فقال لى : يا دُكين ، إنّ لى نفساً توّاقة ، فإنْ صِرْتُ إلىأ كثرمما أنا فيه فصِرْ إلىّ ولك الإحسانُ . قلت: أَشهد لى بذلك. قال: أُشهدُ اللهَ عزّ وجل به . قلت : ومن خَلْقه ؟ قال : هذين الشيخَين . فأقبلتُ على أحدهما فقلت : مَن أنت أعرفك ؟ قال : سالمُ بن عبد الله بن عُمر بن الخطّاب . فقلتُ : لقد اُستسمنت الشاهد . وقلت للآخر: مَن أنت أعرفك؟ قال: أنا أبو يحيى مولى الأَمير . فخرجتُ إلى بلدى بهنّ ، فرَمى الله فى أذنابهنّ بالبركة، حتى اعتقدتُ [1] منهن الإبلَ والعَبيد . فإنّى لبضحراء فَلْج [2] إذا ناعٍ يَنعَى سُليمانَ بن عبد الملك . قلت: فمن القائمُ بعده ؟ قال:عُمر بن عبد العزيز . فتوجَّهت نحوه . ولَقينى جريرٌ مُنصرفاً من عنده ، فقلت : يا أبا حَزْرة ، مِن أين ؟ قال : مِن عند من يُعطى الفقراء ويَمنع الشُّعراء . فانطلقتُ فإذا هو فى عَرْصة دارٍ قد أحاط به الناسُ ، فلم أخلُص إليه ، فناديتُ :

يا عُمَرَ الخيراتِ والمَكارمِ   وعُمَرَ الدَّسائع [3] العَظائمِ
إنِّى امرؤ من قَطَنِ بن دارم   طلبتُ دَيْنى من أخى مَكارم

(١) اعتقدت : اقتنيت . (٢) فلج : بين البصرة وحمى ضرية .
(٣) الدسائع : الشمائل ، أو العطايا .

إذ تَنْتحِى والليلُ[١] غيرُ نائم عنـد أبى يَحيى وعنـد سـالِم

فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ عندى لهذا البدوىّ شهادةً عليك. قال . أعرفُها ، اُدْنُ يا دُكين ، أنا كما ذكرتُ لك ، إن نفسى توّاقةٌ ، لم تنل شيئاً إلّا تاقت لما هو فوقه ، وقد نلتُ غايةَ الدُّنيا فنفسى تتوق إلى الآخرة . والله ما رزأتُ من أموال الناس شيئاً ، وما عندى إلا ألفا[٢] درهم، فخُذ نِصفها . قال : فوالله ما رأيتُ ألفاً كان أعظم بركةً منه .

شعر متنازع بين دكين والسموءل

وقد قيل إن دُكيناً هو القائل :

إذا المرء لم يَدْنَس من اللُّؤم عِرْضَه فكُلُّ رِداءٍ يَرْتديه جَميـلُ
وإن هو لم يَحمل عن النفس[٣] ضَيْمَها فليس إلى حُسْن الثَّنـاء سَبيل

وقيل إنهما للسموءل .

بينه وبين عبد الله ابن الحسن

وذُكر أنه دَخل عبدُ الله بن الحَسن بن الحَسن بن علىّ بن أبى طالب، رضى الله عنهم ، على عُمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وهو حديثُ السّن ، وله وَفْرة[٤] . فَرفع مجلسَه وأقبل عليه وقَضى حوائجه ، ثم أخذ عُكْنة[٥] من عُكَنه فغَمزها حتى أوجعه ، وقال له : أذكرْها عندك للشَّفاعة . فلما خَرج لامه أهلُه على هذا وقالوا : فعلتَ هذا بغُلام حَدَث . فقال : إنَّ الثِّقة حدَّثنى حتى كأنّى أسمعه مِن فِى رسول الله صلّى الله عليـه وسلم ، قال : « إنّما فاطمةُ بَضْعةٌ منِّى يسُرّنى ما يَسُرها » . وأنا أعلم أنَّ فاطمة لو كانت حَيّـةً لسرّها ما فعلتُ بابنها . قالوا :

---

(١) فى التجريد : « والله » . وما أثبتنا عن العقد الفريد .
(٢) فى غير التجريد : « ألف » . تحريف .
(٣) هذه رواية الحماسة والأمالى أيضاً . والرواية فى غيرهما .
* وإن هو لم يرفع عن اللؤم نفسه *
(٤) الوفرة : الشعر الكثير . (٥) العكنة : من أطواء البطن .

فما معنى غَمزك بطنَه وقولِك ما قلتَ ؟ قال : إنه ليس أحدٌ من بنى هاشم إلّا وله شفاعة ، فرجوتُ أن أكون فى شفاعة هذا .

وحَكى يزيد بن عمر بن مُورِق قال :

كنتُ بالشام زمنَ وَلِى عُمر بن عبد العزيز ، وكان بخُناصرة .(١) وكان يُعطى الغُرباء مائتى درهم . قال : فجئتُه فأجِده مُتّكئاً على إزار وكِساء من صُوف . فقال لى : ممَّن أنت ؟ قلت : من أهل الحجاز . قال : من أىّ أهل الحجاز ؟ قلتُ : من أهل المدينة . قال : من أيِّهم ؟ قلت : من قُريش . قال : من أىّ قُريش ؟ قلت : من بنى هاشم . قال : من أىّ بنى هاشم ؟ قلت : مولى علىّ . فقال : مَنْ علىٌّ ؟ فسكتُّ . فقال : ابنُ أبى طالب ؟ قلت : نعم . فجلس وطَرح الكساء ثم وَضع يدَه على صدره وقال : وأنا والله مولى علىّ . ثم قال : أشهدُ على عددٍ ممن أدرك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه » . أين مُزاحم ؟(٢) كم تُعطِى مثلَه ؟ قال : مائتا درهم . قال . أعطه خمسين ديناراً لولائه من علىّ . ثم قال : أفِى فَرْضٍ أنت ؟ قلت : لا . قال : فافرِضْ له. ثم قال . الْحقْ ببلادك ، فإنه سيأتيك إن شاء الله ما يأتى غيرَك .

هو ومسلمة فى احتضاره

وحكى العُتبى عن أبيه قال :

لما حضرتْ عمرَ بن عبد العزيز الوفاةُ جمع ولدَه حولَه ، فلما رآهم استعبر ثم قال : بأبى وأمى مَن خلّفتُهم بعدى فُقراء ! فقال له مَسلمةُ بن عبد الملك ابن مَروان : يا أمير المؤمنين ، فتعقَّب فِعْلك وأَغْنهم ، فما يَمنعك أحدٌ فى حياتك ولا يرتجعُه الوالى بعدك . فنظَر إليه نَظر مُغْضَب مُتعجِّب ثم قال : يا مَسلمة ،

(١) خناصرة من أعمال حلب . (٢) هو مزاحم بن أبى مزاحم ، مولى عمر بن عبد العزيز .

منعتهم إيّاه فى حياتى وأَشقى به بعد وفاتى ! إنّ ولدى بين رجلَين : إما مُطيعٍ لله فالله مُصلحٌ له شأنَه ورازقه ما يَكفيه ، أو عاصٍ له فما كنتُ لأُعينه على معصية .

يا مَسلمة ، إنّى حضرتُ أباك — يعنى عبد الملك بن مروان — لمّا دُفن، فحملتْنى عيني عند قبره ، فرأيتُه قد أَفضى إلى أمرٍ من أمر الله راعنى وهالنى ، فعاهدتُ الله ألّا أعمل بمثل عمله إنْ وَليتُ ، وقد اجتهدتُ فى ذلك طول حياتى ، وأرجو أن أُفْضى إلى عَفوٍ من الله وغُفران .

قال مَسلمة بن عبد الملك : فلما دُفن حضرتُ دفنَه ، فلما فُرغ من شأنه حملتْنى عينى فرأيتُه فيما يرى النائم وهو فى رَوضة خضراء نَضِرة فيحاء وأنهار مُطَّرِدة وعليه ثيابٌ بِيض . فأَقبل علىّ وقال : يا مَسلمة ، لمثل هذا فَلْيعمل العاملون .

لمسلمة بعد وفاته

وقيل :

لمّا تُوفّى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وَقف مَسلمةُ بن عبد الملك عليه بعد أن أُدرج فى كَفنه فقال : يَرحمك الله يا أمير المؤمنين ، فلقد أورثتَ صالحِنا بك اقتداء وهُدى ، وملأت قلوبَنا بمواعظك وذكرِك خشيةً وتُقى ، وأثَّلت لنا بفَضلك شرفاً وفخراً ، وأبقيتَ لنا بعدك فى الصالحين ذِكْرا .

وحكى مَسلمة بن عبد الملك قال :

كُنّا عند عُمر بن عبد العزيز فى اليوم الذى مات فيه، أنا وفاطمةُ بنت عبد الملك — يَعنى زوجة عُمر — فقُلنا : يا أمير المؤمنين ، إنّا نرى أنّا قد مَنعناك النوم ، فلو تأخّرنا عنك شيئاً حتى تنام ؟ قال : ما أُبالى لو فعلتُما . قال ! فتنحَّيتُ أنا وهى ، و بيننا و بينه سِتراً ، فما نَشِبْنا أن سمعناه يقول : حَيِّ الوُجوه ، حَيِّ الوُجوه . فابتدرناه أنا وهى ، فجِئْناه وقد أُغمِض ميّتاً ، و إذا هاتفٌ يهتِف فى البيت لا نراه : (تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

تعقيب لابن واصل في موت عمر بن عبد العزيز

قلت :

إن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وَلِى الخلافة بعهد من أبن عمّه لَحًّا[1]: سليمان أبن عبد الملك بن مروان إليه و إلى يزيد بن عبد الملك بعده . فولى الخلافة سنة تسع وتسعين . وتُوفى سنة إحدى ومائة ، وكانت خلافته نحو سنتين، لم يتمكّن من إقامة منار العدل كما يريد . وخافت بنو أمية أن يَنْقُضَ قواعدهم فدسُّوا إليه من وضع على إبهامه سُمًّا ، فكان إذا أستسقى الماء وضع إبهامه فى الماء . فمات مسموماً رضى الله عنه[2] .

(١) أى لازق النسب . (٢) وجاء بعد هذا :

« تم القسم الأول من تجريد الأغانى ويتلوه فى أول الثانى أخبار عدى بن الرقاع العاملى . والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وكتب بحماة المحروسة ببقاء مالكها خلد الله سلطانه . وكان الفراغ منه لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ٦٦٦ هـ (ست وستين وستمائة) هجرية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكاتبه الفقير إلى عفو الله ومغفرته محمد بن محمد بن النصيبى الحلبى عفا الله عنه . يسأل من نظر فيه أن يقف على الورق المكتوب فيه ليعذره فى عدم التمكن من تحرير أصول الكتابة » .

القسم الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

حسبي الله ونعم الوكيل

أخبار عدى بن الرقاع (*)

نسبه

هو عديّ بن زَيد بن مالك بن عَدِيّ بن الرِّقاع . ويَنْتهى نسبُه إلى مُعاوية: ابن الحارث بن عدىّ بن الحارِث بن مُرّة بن أُدَد .

وأُم مُعاوية بن الحارث : عاملةُ بنت وَدِيعة، من قُضاعة . وبها سُمِّى وَلدُ معاوية عاملة . ونُسب « عَدىّ » إلى « الرِّقاع » وهو جَدُّ جدِّه ، لشُهرته .

منزلته فى الشعر

وعَدىٌّ بن الرِّقاع شاعرٌ مُتقدِّم عند بنى أُمية ، مَدَّاح لهم ، خاصٌّ بالوليد ابن عبد الملك . وله بِنت شاعرة يقالُ لها :سَلْمى . وجَعَله ابنُ سَلّام فى الطَّبقة الثالثة من شُعراء الإسلام . وكان منزلُه بدمشق . وهو من حاضرة الشُّعراء ، لا من باديتهم .

بينه وبين جرير فى حضرة الوليد ابن عبد الملك

وذُكر أنّ جريراً دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده عدىٌّ بن الرِّقاع العَامِلىّ ، فقال له الوليد : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، فمن هو ؟ قال : هذا عدىّ ابن الرِّقاع . قال فشَرُّ الثِّياب الرِّقاع ! فمِمَّن هو ؟ قال : مِن عاملة . قال : أمِن الذين قال الله عزّ وجلّ فيهم : (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلَى ناراً حامية) ؟ ثم قال :

(*) وقبل هذا ساق أبو الفرج نسب الأشهب بن رميلة وأخباره ، ثم عاد إلى أخبار عمر بن عبد العزيز . ثم ذكر غناء الوليد ، ثم غناء الواثق ، ثم غناء المنتصر ، ثم غناء المعتز بالله .

يُقَصِّرباعُ العاملىِّ عن[1] العُلا ... ولكنَّ أيرَ العاملىِّ طويلُ

فقال عدىُّ بن الرِّقاع :

أأمّك كانت أخبرتْك بُطوله ... أم أنت امروءٌ لم تدْر كيف تقُولُ

فقال : لا ، بل أدرى كيف أقول .

فوَثَب عدىُّ بن الرِّقاع إلى رجل الوَليد بن عبد الملك فقبَّلها وقال : أَجِرْنى .

فقال الوليد لجرير : لئن شتمته لأُسْرِجنَّك ولأُلْجمنّك حتى يَركبك فيُعيِّرك بذلك الشُّعراء . فلم يُصرِّح بهجائه وعرَّض به ، فقال قصيدتَه التى أولُها :

* حَىِّ الهِـدَمْلة من ذات المَواعيس[2] *

وقال فيها يُعرِّض به :

قد جرَّبت عَرْكَتى فى كُل مُعْترَكٍ ... غُلْبُ الأُسودِ فما بالُ[3] الضَّغابيسِ

ومنها :

أَقصِرْ فإنَّ نزاراً لن[4] يُفاخرها ... فَرعٌ لئيمٌ وأَصلٌ[5] غيرُ مَغْروسِ

وابْنُ اللَّبُون إذا ما لُزَّ فى قَرَنٍ ... لم يَسْتطع صَوْلَة البُزْلِ[6] القَناعيس

فضل عليه جرير كثيراً عند بعض الخلفـاء

وقيل :

ذُكر كُثيِّر عزّة ، وعدىّ بن الرَّقاع العاملىّ فى مَجلس بعض خُلفاء بنى أُمية ،

---

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « الندى » مكان « العلا » .

(٢) الهدملة والمواعيس : مكانان .

(٣) الغلب : الأسود الغلاظ الرقاب ؛ الواحد : أغلب . والضغابيس : الضعفاء ؛ الواحد : ضغبوس .

(٤) فى الديوان و بعض أصول الأغانى : « يفاضلها » مكان « يفاخرها » .

(٥) الذى فى التجريد : « أصل لئيم وفرع ... » .

(٦) ابن اللبون : ولد الناقة إذا استكمل سنتين وطعن فى الثالثة ؛ لأن أمه وضعت غيره فصار لها لبن . وهو نكرة و يعرف بالألف واللام . والأنثى : ابنة لبون . والجماعات : بنات لبون، للذكر والأنثى . والقرن : الحبل يقرن به البعيران . ولز فيه ، شد . والبزل ، بضمتين وسكن تخفيفاً : جمع بزول ، وهو البعير استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة وفطر نابه ؛ من البزل ، وهو الشق ، لأن نابه إذا طلع يشق اللحم عن منبته شقا . والقناعيس : الجمال العظيمة الضخمة ؛ الواحد : قنعاس ، بالكسر .

فاَمتَرَوْا فيهما أيّهما أشعر ، وفى المجلس جريرٌ ، فقال : أعجبكم عدىّ ! لقد قال كُثيِّر بيتاً هو أشهر وأعرف فى الناس من عدىّ بن الرِّقاع نفسه ، ثم أنشد قول كُثيِّر :

أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ وصاح غُراب البَيْن أنتَ حزينُ

فحلف الخليفةُ لئن كان عدىٌّ بن الرِّقاع أعرفَ فى الناس من بيت كُثيِّر ليُسرِجنَّ جريراً وليُلْجمنّه وليَحملنّ عدىّ بنَ الرِّقاع على ظَهره . فكتب إلى وَاليه بالمدينة : إذا فَرغتَ من الخُطبة فَسل الناسَ : من الذى يقول :

أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ وصاح غُراب البَين أنت حَزينُ

وعن نَسب عدىّ بن الرقاع . فلما فرغ الوالى من خطبته قال : إن أمير المؤمنين كتب إلىَّ أن أسألكم : مَن الذى يقول :

* أأن زُمّ أجمال وفارق جيرةٌ *

فاَبتدرُوا من كُل جانب يقولون : كُثير ! كُثير ! ثم قال : وأمرنى أن أسألكم عن نَسب عدىّ بن الرقاع. فقالوا : لا نَدرى ، حتى قام أعرابى من مُؤخَّر المَسجد فقال : هو من عاملة .

رأى ابن المنجم فيه

وذُكر عدىّ بن الرِّقاع عند محمد بن موسى المُنجِّم ، فقال :

ما أحدٌ ذُكر لى فأحببتُ أن أراه فإذا رأيتُه أمرتُ بصَفعه ، إلا عدىّ بن الرقاع . قال الراوى[1] : فقلتُ : و لِمَ ذلك ؟ قال لقوله :

وَعلمتُ حتّى ما أُسائل عالماً عن عِلْمِ واحدةٍ لكى أزدادَها

فكنتُ أَعرض عليه أصنافَ العُلوم ، فكلما مَرّ به شىء لا يُحسنه أمرتُ بصَفْعه .

---

(١) هوعلى بن يحيى ، يروى هذا الخبر عن ابن المنجم .

حديث ابنته مع الشعراء الذين أرادوا معارضة أبيها

وذُكر أنّ عدىّ بن الرِّقاع كان ينزل الشام ، وكانت له بنتٌ تقول الشعر . فأتاه ناسٌ من الشُّعراء ليُماتِنوه[1] ، وكان غائباً . فسمعت ابنتُه ، وهى صغيرة لم تبلغ ذَرْواً من وعيدهم[2] ، فخرجت إليهم وأنشأت تقول :

تجمّعتُم من كُلّ أَوبٍ و بلدةٍ ... على واحدٍ لا زلتمُ قِرْنَ واحدِ

فأفحمتهم .

بين أبى عمرو بن العلاء ورجل فى استحسان شعره

وقيل :

أُنشد أبو عمرو بن العلا ، قولَ عدىّ بن الرِّقاع :

لولا الحياءُ وأنّ رأسى قد[3] عَسَا ... فيــه المَشيبُ لزُرتُ أُمَّ القاسمِ

وكأنّهــا وَسْطَ النّســاءِ أعارَها ... عَينيه أحورُ مِن جآذر جاسِمِ

وَسْـنانُ أقصده النُّعاس فرنَّقتْ ... فى عَينه سِـنَةٌ وليس بنــائمِ

فقال أبو عمرو : أحسنَ والله ما شاء ! فقال رجل يحضُر مجلسَه : والله لو رأيتَه مَشْبوحاً[4] بين أربعة ، وقُضْبان الدِّفْلَى[5] تأخُذه ، لكنتَ له أشدَّ استحساناً . يعنى إذا غُنِّى به على العود .

جفاه الوليد ثم رضى عنه لمدحه عبيدة بن عبد الرحمن

وذُكر أنّ الوليد بن عبد الملك عَزل عُبيدةَ بن عبد الرحمن عن الأُرْدُنّ ، وضَربه وحلَقه وأقامه للناس ، وقال للمُوكَّلين به : مَن أتاه مُتوجِّعاً أو أثنى

---

(١) ليماتنوه : ليعارضوه .

(٢) ذروا : يسيراً . لغة فى : ذرء . يقال : أتانا ذرو من خبر ، أى يسير منه . وفى حديث سليمان بن صرد ، لعلى كرم الله وجهه : بلغنى عن أمير المؤمنين ذرو من قول تشذر لى فيه بالوعيد ، فسرت إليه جوادا . والعبارة : فى المطبوع من الأغانى : « دور وعيدهم » .

(٣) عسا : اشتد . (٤) الشبح : المد .

(٥) الدفلى : شجر حسن المنظر يكون فى الأودية ، وهو مما يقتدح به . وفى المثل : اقدح بدفلى أو مرخ . ولعل « ريشات » العود كانت تتخذ من قضبانه وهى غضة .

عليــه فأْتونى به . فأَتاه عدىّ بن الرّقاع ، وكان عُبيدة إليــه مُحسِناً ، فوقف عليه وأنشأ يقول :

فما عَزلوكَ مَســبوقاً ولــكنْ إلى الغَايات[١] سَبّاقاً جوَادَا
وكنتَ أخِى وما ولدتْك أُمّى وَصُولًا باذلًا لى مُسْــترادا
فقد هِيضتْ بنَــكْبتك القُدامى كذاك الله يَفعــل ما أرادا

فوثَب إليه المُوكَّلون به فأَدخلوه على الوليــد ، وأَخبروه بما جرى . فتغيَّظ عليه الوليــدُ وقال : أَتمدح رجلًا قد فعلتُ به ما فعلتُ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كان إلىَّ مُحْسِناً ، ولى مُؤْثراً ، ففى أىّ وقتٍ كنتُ أُكافئه بعــد هذا اليوم ! فقال : صدقتَ وكَرُمت ، قد عفوتُ عنك وعنــه لك ، فخُذْه وانصرفْ به إلى منزله[٢] .

---

(١) فى بعض الأصول : « الخيرات » .

(٢) إلى هنا ينتهى حديث ابن واصل عن «عدى بن الرقاع» . ويبدو أن ثم نقصاً، أقله الشعر الذى فيه الغناء ، وقد عودنا ابن واصل أن يختم به أخبار من يترجم له . وشعر عدى بن الرقاع الذى فيه الغناء هو :

لعمرى لقــد أصحرت خيلنا بأكناف دجــلة للمصعب
فمن يك منــا يبت آمنـاً ومن يك من غــيرنا يهرب

ذكر بعض أخبار المعتز بالله

نسبه

هو أبو عبد الله محمد — وقيل : الزُّبير — بن المُتوكِّل على الله أبى الفضل جَعفر بن المُعتصم بالله أبى إسحاق محمد بن هارون الرشيد .

من وصفه

وكان أجملَ بنى العبّاس . وله شِعْر حَسن .

هو ويونس بن بغا

وذَكر يزيدُ المُهلَّبى قال :

كان المُعتزّ يَشرب على بُستان مَملوء من النمّام[1]، و بين النمّام شقائق النعمان . فدَخل عليه يونُس بن بُغَا ، وكان جميل الصورة ، وكان المُعتزّ يَعشقه ، وعليه قُباء أَخضر . فقال المُعتزّ :

شَبَّهتُ حُمرةَ خدِّه فى ثَوبه ... بشَقائق النُّعمان فى النَّمَّامِ

ثم قال : أَجيزُوا . فبدَر بَنَانٌ المُغنِّى، فقال :

والقَدُّ منه إذا بَدَا فى[2] قَرْطَقٍ ... كالغُصْن فى لِينٍ وحُسْنِ قَوَامِ

فقال له المعتز : فَغنِّ الآن فيه لحناً .

وذُكر أنَّ المُعتز شَرب . ويونُس بن بُغا هذا بين يديه يَسقيه ، والجُلساء والمغنُّون بين يديه ، إذ دَخل بُغَا والد يونُس ، فقال : يا أمير المُؤمنين ، والدة عبدك يونُس فى الموت ، وهى تُحب أنْ تراه ، فَأَذِن له . فَخرج . وفَتر المُعتزُّ بعده ونَعس ، وقام الجُلساء وتفرّق المُغنُّون ، إلى أنْ صُلِّيت المَغرب . وعاد المعتز إلى

---

(١) النمام : نبت عطرى قوى الرائحة ، ولانتشار رائحته سمى : نماما .

(٢) القرطق : قباء ذو طاق واحد . معرب .

مجلسه ، ودَخل يونُس بن بُغا و بين يديه شُموع ، فلما رآه المُعتزُّ دعا بِرطْل فَشرِبه ، وسَقى يونس رطلاً . وعاد المجلسُ إلى أحسن ما كان . فقال المُعتزّ :

تَغِيبُ فَـلا أفرح	فليتك لا تَـبْرحُ
وإن جئت عذَّبْتنى	بأنّك لا تَســمح
فأصبحتُ ما بين ذَيْـ	ـن ولى كَبِدٌ تُجْرَح
على ذاك يا سـيِّدى	دُنُوك لى أَصـلح

ثم قال: غَنُّوا فيه . فجعلوا يُفكِّرون . فقال المُعتز لسُليمان بن القَصَّار الطُّنبوريّ : ألحان الطُّنبور أملحُ وأخفُّ . فغنِّ فيــه . فغنّى فيه لحناً . فدَفع إليــه دنانيرَ الخريطة ، وهى مائة دينار وزنها مائتان [١] ، مكتــوب على كُل دينـار منها : ضُرب هذا الدِّينار بالجَوْسق لخريطة [٢] أَمير المُؤمنـين المُعتز بالله . ثم دعا بالخِلَع والجوائز لسائر الناس ، فـكان ذلك المجلسُ من أحسن المجالس .

هو وابن بغا بعد مقتل بغــا

وَحكى عبدُ السَّميع الهاشمىّ قال :

لمّا قُتل بُغا دَخلنا فهنَّــأنا المُعتزَّ بالظَّفر ، فاصــطبح ومعه يونُس بن بُغَا ، وما رأينا وجهَيْن أحسنَ من وجهَيْهما . فما مضتْ ثلاثُ ساعات حتى سَـكِر ، وخَرج علينا المعتزّ فقال :

ما إنْ ترَى مَنظراً إنْ شئتَه حَسناً	إلّا صَرِيعاً يُهادَى [٣] بين سُكْرَيْنِ
سُكْرِ الشراب وسُكْرٍ من هوى رَشأٍ	تخــاله والذى يَهْواه غُصْنَين

ثم أمر فغَنّى فيهما بعضُ المُغنِّين.

---

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « دينار مكية ومائتان » .
(٢) أى ضربت لخزانته الخاصة .
(٣) يهادى : يتمايل .

هو وابن بغا مع ديرانى

وحكى العبّاس بن الفَضل (١) بن المأمون قال :

كنتُ مع المُعتزّ فى الصَّيـد وانقطاعٍ (٢) عن الموكب : وأنا و يونُس بن بُغَا معه ، ونحن بقُرب قَنْطرة وَصيف ، وكان هناك دَيْر فيه دَيْرانىّ يَعرفنى وأعرفه ، نَظيف ظَريف مَليح الأدب واللَّفظ ، فشكا المُعتزُّ العَطش. فقلت: يا أمير المؤمنين، فى هذا الدَّير دَيْرانىٌّ أعرفه، خفيفُ الرُّوح، لا يخلو من ماء بارد ، أفترى أن تَميل إليه ؟ فقال : نعم . فجئناه ، فأخرج لنا ماءً بارداً ، وسألنى عن المُعتز و يونُس . فقلت: فتيان من أبناء الُجند . فقال : بل مُفْلِتان من حُور الجنّة . فقلت له : هذا ليس فى دينك . فقال : هو الآن فى دينى . فضَحك المُعتز . فقال لى الدَّيرانى : أتأكلون شيئاً ؟ قلنا : نعم . فأخرج شطيراتٍ و إداماً نظيفاً ، فأكلنـا أطيَب أكل وجاءنا بأطراف أُشْنان (٣) . فاستظرفه المُعتز وقال لى : قُل له فيما بينك و بينه : من تُحب أن يكون معك من هذين لا يُفارقك ؟ فقال : كلاهما وتَمراً . فضحك المُعتز حتى مال على حائط الدَّير . فقلتُ للدَّيرانى : لا بُد أن تختار . فقال : الاختيار والله فى هذا دَمار ، وما خَلق الله عزَّ وجل عقلاً يُميز بين هذين . ولحقهما الموكبُ ، فارتاع الدَّيرانى . فقال له المُعتز : بحياتى لاتَنقطع عمّا كُنّا فيه ، فإنى لِمَن ثَمّ مولًى ، ولِمَن ها هنا صديق . فمزَحنا ساعةً ، ثم أمر له بخمسمائة ألف دِرهم ، فقَبِلها وقال : والله ما أَقبلها إلا على شَرط . قال : وما هو ؟ قال : يُجيب أمير المؤمنين دعوتى مع مَن أراد . قال : ذلك لك . فاتعدنا ليومٍ جئناه فيه، فلم يُبْقِ غايةً ، وأقام للمَوكب كُلِّه ما احتاج إليه ، وجاءنا بأولاد النصارى يخدُمونَنا ، ووصله المُعتز يومئذ صـلةً سريّـة ، ولم يزل يعتاده ويُقيم عنده .

---

(١) فى بعض الأصول : « الفضل بن العباس » .

(٢) فى بعض الأصول : « فانقطع » .

(٣) الأشنان : نبات من الحمض ، تكسر همزته وتضم ، والضم أعلى .

له لما بويع

وذُكر أن المُعتز بالله بُويع بالخِلافة وعُمره سبعَ عشرةَ سنة وشهورا ، فلمّا انقضت البَيعة قال :

توحّدنى الرحمنُ بالعزِّ والعُلاَ فأَصبحتُ فوقَ العالَمين أَميرَا

تعقيب لابن واصل

قلت :

إن المتوكل كان قد جَعل المُنتصر ولىّ عَهده ، و بعده المُعتزّ ، و بعده المؤيّد. وهؤلاء الثلاثة أولاد المُتوكل . فلما قَتلت التركُ المُتوكل بمواطأة أبنه المُنتصر على ذلك ، بويع المُنتصر بالخِلافة ، فلم يَبق فيها إلا ستةَ أَشهر ومات مَسموماً — على ماقيل — وخافت التُّرك، إن ولى المُعتز أن يقتلهم بأبيه المُتوكل ، فعدَلوا عنه إلى أبن عمّه المُستعين بالله أحمد بن محمد المُعتصم ، فأقام مدةً ، ثم جرت أمور أقتضت خوفَه من الترك فهرَب من سُرَّ من رأى إلى بغداد ، و بايع الأتراكُ بسُرّ من رأى المُعتزّ بالله ، و بَعث الجيوش إلى بغداد فحاصروا المُستعين بها ، ثم وقع الصلحُ على أنْ خَلع المُستعين نفسَه ، ووقع الإجماعُ على المُعتز بالله ، ثم حُمل المستعين إلى واسط فقُتل بها ، وحُمل رأسُه إلى المُعتزّ بالله ، ولم تَطُل أيام المُعتزّ إلا نحوَ ثلاث سنين ، ثم قَبضت الأتراكُ عليه فخَلعوه وقَتلوه وولّوا أبن عمّه المُهتدى بالله محمدَ بن الواثق، وكان يَتشبّه بعُمر بن عبد العزيز فى ديانته وزُهده . وأقام خليفةً سنةً ، ثم قَتله الأتراكُ وولّوا أبن عمّه المُعتمد على الله أحمد بن المُتوكل .

ذكر بعض أخبار الفرزدق

نسبه

وهو همّام بن غالب بن صَعْصعة بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع ابن دَارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناةَ بن تميم

لقبه

والفرزدقُ لقبٌ غَلب عليه .

حديث زواجه من النوار

وهو وجرير والأخطل أشعرُ طبقات الإسلاميّين . وأخبارُه تُذكر فى موضع آخر من هذا الكتاب . وإنما ذكر أبو الفرج ها هنا أخباراً تتعلق بشعر فيه الغناء ، وهو :

ليس الشَّفيع الّذى يأتيك مُؤتزراً   مثلَ الشَّفيع الذى يَأْتيك عُرْيانَا

ذُكر أنّ رجُلاً من بنى أميــة خَطب النَّوار بنت أَعْيَن المُجاشعيّة ، فرضيتْه وجعلتْ أمرَها إلى الفرزدق . فقال لها : أَشْهدِى على نَفسك شُهودا . ففعلتْ . واجتمع الناسُ لذلك . فتكلّم الفرزدقُ وقال : أشهدوا أنى قد تزوّجتُها وأَصدقتُها كذا وكذا ، فإنِّى أنا ابْن عمِّها وأحقُّ بها . فبلغ ذلك النَّوارَ ، فَأبتْه واستترت من الفرزدق ولجأت إلى بنى قَيس بن عاصم المِنْقرىّ ، فقال فيها :

بَنى عاصمٍ لا تُلجِئوها فإنكم   ملاجىءُ للسَّوآتِ(1) دُسْمُ العمائمِ

بنى عاصمٍ لو كان حيًّا أبوكُمُ   للاَمَ بَنيه اليومَ قيسُ بن عاصمِ

فقالوا للفرزدق : واللهِ لئن زِدْتَ على هـذين البَيْتين بيتاً واحـدا لنقتُلنَّك غِيلةً . فنافرتْه النوارُ إلى عبد الله بن الزُّبير ، فلمّا قدمتْ مكةَ نزلتْ على زَوجته

(1) يكنى بدسامة العمامة عن الوسخ والقذارة .

تُماضر بنت مَنظور بن زَبّان ، فاستشفعت بها إلى زَوجها عبد الله بن الزُّبير .
فقَصد الفرزدقُ حمزةَ بن عبد الله بن الزُّبير ، وأُمه بنت منظور هذه ، ومَدحه الفرزدقُ فقال :

أصبحتُ قد نزلتْ بحمزةَ حاجتى ... إنّ المُنوَّه باسمه المَوْثوقُ

فجعل أَمر النَّوار يَقْوى ، وأمرُ الفرزدق يضعفُ ، فقال الفرزدقُ :

أمّا بنَوه فلم تُقْبل شفاعتُهم ... وشُفِّعت بنتُ مَنْظورِ بن زَبّانَا

ليس الشَّفيع الذى يأتيك مُؤتزراً ... مثلَ الشَّفيع الذى يأتيك عُرْيانا

فبلغ ذلك الزُّبيرَ ، فدعا النَّوارَ فقال : إن شئت فرقتُ بينكما وقتلتُه فلا يهجونا أبدا ، وإن شئتِ سيّرتُه إلى بلاد العدوّ ؟ فقالت : ما أُريد واحدةً منهما . قال : فإنه أبنُ عَمِّك وهو فيك راغب ، فأُزوّجه إياك . قالت : نعم. فزوّجه إياها. فكان الفرزدقُ يقول دَخلنا مُتباغضين وخَرجنا مُتحابَّين .

وقد قيلَ إنّ تُماضر التى عناها الفرزدق ، أُم خُبَيب وثابت، أبنى عبد الله بن الزُّبير . وماتت عند عبد الله ، فتزوّج أُختها أُمَّ هاشم ، فولدت له حَمزَة وهاشماً وعبّاداً ، وفى أُم هاشم يقول الفرزدق ، يَستعينها على أبن الزبير و يشكو طُول مُقامه :

ترَوّحتِ الرُّكبان يا أُمَّ هاشمٍ ... وهُنّ مُناخاتٌ لهنّ حَنينُ

وخُيِّسْنَ(١) حتى ليس فيهنّ نافقٌ ... لبَيع ولا مركوبُهنّ سَمينُ

وهذا يدُلّ على أنّ النَّوار كانت أستعانت بأُم هاشم لا بتُماضر . فلما أَذِنتْ النوارُ لأبن الزُّبير فى تَزْويجها بالفَرزدق حَكم عليه لها بمَهرِ مِثلها عشرةِ آلاف درهم . فسأل : هل بمكة أحدٌ يُعينه على ذلك . فدُلّ على سَلْم بن زِياد بن أبيه ، وكان أبن الزبير حَبسه ، فقال فيه :

(١) خيسن : لم يسرحن .

دَعِى مُغْلِقِى الأبواب دون فعالهم ومُرِّى تَمَشَّىْ بى ـ هُبِلْتِ ـ إلى سَلْمِ
إلى مَن يرى المعروفَ سهلاً سبيلُه ويَفعل أفعالَ الكِرام التى تَنْمِى

ثم دَخل على سَلْم فأنشده . فقال : هى لك، ومثلُها لِنَفقتك.فأمر له بعشرين ألف دِرْهم . فقالت له زوجتُه أُم عثمان بنت عبد الله بن عَمرو بن العاص : أتُعطى عِشرين ألفَ درهم وأنت مَحْبوس ! فقال :

ألاَ بكَرَتْ عِرْسى تَلُوم سَفاهةً عَلَى ما مضَى منِّى وتأمُر بالبُخْلِ
فقلتُ لها والُجودُ منِّى سجيةٌ وهل يَمنع المعروفَ سُؤَّالَه مِثْلى
ذَرِينى فإنِّى غيرُ تاركٍ شيمتى ولا مُقْصِرٍ عن السَّماحة والبَذْل
ولا طاردٍ ضيْفى إذا جاء طارقاً وقد طَرَق الأضيافُ شَيْخى َمِن قَبلى
أأبخَلُ ! إنّ البُخل ليس بمُخْلِدِى ولا الُجود يُدْنينى إلى الَموت والقَتْل

زواجه بحدراء

فاصطلح الفرزدق ونَوار ورضيتْ به ، وساق إليها مَهرها ، ودَخل بها وأحبلها قبل أن يخرُج من مكة . ثم خَرج بها وهما عَدِيلان فى مَحْمِل ، فكانت لا تزال تُشارُّه وتُخالفه ، لأنها كانت صالحةً حسنةَ الدين ، وكانت تكره كثيراً من أمره . فتزوّج عليها حَدْراء بنت زِيق بن بِسْطام بن قَيس بن مَسعود بن قَيس ابن خالد بن عبد الله بن عَمرو بن الحارث بن هَمّام بن مُرة بن ذُهل بن شَيبان، على مائة من الإبل . فقالت له النَّوار : ويلك ! أتزوَّجت أعرابيةً دقيقةَ السَّاقين بوّالة على عَقِبَيْها على مائة بعير ! فقال الفرزدق ، يفضِّلها عليها ويُعيِّرها بأُمها ، وكانت أَمةً :

لجاريةٌ بين السَّليل عُروقها وبين أبى الصَّهباء[1] من آل خالدِ
أحقُّ بإغلاء المُهور من التى رَبَتْ وهى تَنْزُو فى حجُور الوَلائد

(١) السليل : ابن قيس ، أخو بسطام . وأبو الصهباء : بسطام بن قيس .

وقال أيضاً يمدحها :

عَقيلةٌ من بـنى شَيبانَ ترفعهـا ... دعائمُ للعُـلاَ من آل همّـامِ
مِن آل مُرّة بين المُستضاء بهم ... من رَهْطِ صِيدٍ مَصاليتٍ وحُكّام
بين الأحاوِص(١) من كَلْب مُركَّبها ... و بين قَيس بن مَسعودٍ و بِسْطام

موت حدراء

فاشترى الإبل وساقها . فلمّا كان فى بعض الطريق ، ومعه أَوْفى بن خِنْزِير ، أحدُ بنى التَّيْم بن شَيبان ، دليله ، رأى كبشاً مَـذْبوحاً ، فقال : هلكتْ واللهِ حَدْراء ! فقال : مالك بذلك من عِلْم ! فلما بَلغ، قال له بعضُ قومها : هذا البيتُ فانْزل ، فأمّا حَدراء فهلكتْ ، وقد عرفنا الذى يُصيبكم فى دِينكم من ميراثهـا ، وهو النِّصف ، وهو لك عندنا . قال : لا والله لا أَرزأ من ذلك قِطْميرا ، وهذه صَدقتُها(٢) فاقبضوها . فقالوا : واللهِ يا بَنى دارم ما صاهرْنا أكرمَ منكم . وكانت حَدراء هذه نَصرانية ، وهى التى يقول فيها الفرزدق :

عَزفْتَ بأَعشاشٍ(٣) وما كِدْتَ تَعزف ... وأَنكرتَ من حَدْراء ما كُنتَ تَعرفُ
ولجّ بك الهِجرانُ حـتى كأنمـا ... تَرى الموتَ فى البيتِ الذى كنتَ تأْلَف

بينه وبين أنصارى عارضه بشعر لحسان

وكان فتى من الأنصار اعترض الفرزدَق بالمدينة فقال له : بَلغنى أنك أشعرُ العرب ! وتزعُم مُضر ذلك لك ، وقد قال صاحبُنا حسّان بن ثابت شعراً ، فأردتُ أن أَعرضَه عليك وأُؤجِّلك سنةً ، فإنْ قُلت مثلَه فأنت أشعرُ العرب، وإلا فأنتَ كذّاب مُنْتحل . ثم أنشده قولَ حسّان :

لنا الجَفنات الغُرّ يَلْمعن بالضُّحى ... وأَسيافُنا يَقْطُرن من نجدةٍ دَمَا
متى ما تَزُرنا من مَعدٍّ(٤) عصابةٌ ... وغَسّانَ(٥) نَمْنعْ حوضَنا أن يُهدَّما

---

(١) الأحاوص ، أولاد الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وهم : عوف ، وعمرو ، وشريح ، وربيعة . (٢) الصدقة : المهر . (٣) أعشاش : موضع . (٤) فى التجريد : « بعصبة » .
(٥) غسان ، هنا : فى موضع المقسم به ، لأنها لم تكن تغزوهم مع معد .

فعَمل الفرزدقُ القصيدةَ الفائية ، ففلج بها .

حسان والخنساء والأعشى فى سوق عكاظ عند النابغة

ثم ذكر أبو الفرج حكايةَ للخنساء تتعلّق بشعر حسّان هذا ، فنذكرها .

قيل : إن نابغة بنى ذُبيان كانت تُضرب له قُبة من أدم بسُوق عُكاظ ، ويَجتمع إليه فيها الشُّعراء ، فدخل حسّان بن ثابت ، وعنده الأعشى ، وقد أنشده شعرَه ، فأنشدته الخنساء قولَها :

* قذًى بعينك أم بالعَيْن عُوّار *

حتى انتهت إلى قولها :

وإن صخراً لمولانا وسيدنا وإنّ صخراً إذا نَشْتُو لنَحّارُ
وإنّ صخراً لتأتّم الهُداة به كأنّه عَلَمٌ فى رأسه نَار

فقال : لولا أنّ أبا بصير أنشدنى قبلَك لقلتُ : إنك أشعرُ العرب ! أنتِ والله أشعرُ من كُل ذات مَثانة [1] . فقالت : إى والله ، وأشعر من كل ذى خُصْيتين . فقال حسّان : أنا والله أشعرُ منك ومنها ومن أبيك ! قال: حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :

لنا الجفناتُ الغُرّ يَلمعن فى الضُّحى وأسيافُنَا يَقْطُرْن من نَجدةٍ دَمَا
ولَدْنا بنى العَنقاء وابنَىْ مُحرِّق فأَكْرِمْ بنا خالاً وأَكرِم بنا ابْنَما

فقالت الخنساء : إنك لشاعر لولا أنك قُلت « الجفنات » فقلّلت العدد ، ولو قلت « الجفان » لكان أكثر . وقلت: « يلمعن فى الضحى» . ولو قلت «يبرقن فى الدجى » لكان أبلغ فى المديح ، لأنّ الضيف باللّيل أكثر . وقلت « يقطرن من نجدة دما » فدللت على قلّة القَتل ، ولو قلت « يجرين » لكان أكثر

(١) يريد موضع الولد من الأنثى .

لأنصباب الدم . وفخرت بمن ولدتَ ولم تفخر بمن وَلَدك . فقـام حسّان منكسراً منقطعا .

تعقيب لابن واصل

قلت : أُنظر إلى هذا النقد البديع من هذه المرأة وجَودة معرفتها بالشعر !

وذُكر أنهـا كانت تُنشد الأبياتَ الرائيّـة المذكورة وهى تهتزّ فى مِشيتها وتنظر فى أعطافها .

ومن هذه القصيدة

حامِى الحَقيقة مَرْضىّ الطَّريقة مَحْـ مـود الخَليـقة نفّـاع وضَرّارُ

بينه و بين كثير

وذُكر أن الفرزدق لقِى كُثيِّراً فقال له : ما أشعرَك يا كُثـيِّر فى قولك :

أُريد لأَنسى ذكرها فكأنما تمثّل لى ليـلى بكُل سَبيلِ

يُعرِّض له بسَرقته إياه من جَميل :

أُريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لى ليلى على كُل مرقَبِ

فقال له كُثير : أنت أشعرُ منّى يا فرزدق فى قولك :

ترى الناسَ ما ساروا يسيرون خلفنا و إن نحن أومأنا إلى النـاس وقَّفُوا

وهذا البيت لجميل ، سرقه الفرزدق منه . فقال الفرزدق لكُثيِّر : هل كانت أُمك مرّت[1] بالبصرة ؟ فقال : لا . ولكنْ أبى كان نزيلاً لأُمك .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ترد البصرة » .

أخبار دريد بن الصمة

[ج ٩] نسبه

واسم الصِّمَّة مُعاوية الأصغر بن الحارث بن مُعاوية الأكبر بن بكر بن عَلْقَمة[1] بن خُزاعة بن غَزِيّة بن جُشَم بن بكر بن هَوَازن .

وهو فارس شُجاع شاعر فَحْل . وكان أطولَ الفُرسان الشعراء غزوا[2]، وأبعدهم سفراً ، وأكثرهم ظفراً ، وأيمَنهم نَقيبةً عند العرب . وأشعرَهم ، دريدُ بن الصِّمَّة .

موته يوم حنين

وذُكر أنه غَزا مائةَ غَزاة ما أَخفق فى واحدة منها ، وأَدركَ الإسلام فلم يُسلِم ، وخَرج مع قومه مُظاهراً للمُشركين يوم حُنَين ، ولا فَضل فيه للحرب ، لـكِبَر سنّه ، وإنما أُخرجوه تيمُّناً به وليَقْتبسوا من رأيه ، فمَنعهم مالك بن عوف قَبول مَشُورته وخالَفه لئلا يكونَ له ذِكْر . فقُتِلَ دُريد يومئذٍ على شِرْكه .

وسيأتى ذِكر ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى .

إخوته ومقتلهم

وكان لدُريد إخوة ، وهم : عبد الله، الذى قَتلتْه غطفان ؛ وعبد يغوث ، قتلتْه بنو مُرة ؛ وقيس ، قَتلتْه بنو أبى بكر بن كِلاب ؛ وخالد ، قتلتْه بنو الحارث ابن كَعْب .

أمهم

أُمهم جميعاً ريحانةُ بنت مَعديكرب الزَّبيدى ، أُخت عمرو بن مَعديكرب . وكان الصمة سَباها ثم تزوّجها ، فأَولدها بَنيه . وإيّاها يعني عمرو بن مَعديكرب بقوله :

---

(١) ويقال : « علقة » .

(٢) فى التجريد : « غزية » .

أَمِن رَيْحانةِ الدّاعى السَّميع يُؤَرِّقنى وأصحابى هُجُوعُ
إذا لم تَسْتطع شيئاً فَدَعْه وجاوِزْه إلى ما تَسْتطيع

ابنه وبنته

وكان لدُريد ابْنٌ يقال له : سَلَمة . وكان شاعراً ، وهو الذى قَتل أبا عامر الأشعرىّ (١) رحمه الله يوم حُنين . وكان لدُريد بنتٌ شاعرة ، ولها فيه مراثٍ كثيرة .

رأى أبى عمرو فى شعر له فى الصبر على النوائب

وذُكر أن أبا عمرو بن العلاء كان يقول :

أحسن شِعرٍ قيل فى الصبر على النوائب قولُ دُريد بن الصمة :

تقول ألا تبكى أخاكَ وقد أرى مكانَ البُكا لكن بُنيتُ على الصَّبر
لَمقتلِ عبد الله والهالك الذى على الشَّرف الأعلى قتيلِ أبى بكْر
وعبدِ يغوث أو خليلِيَ خالدٍ وعَزَّ مُصاباً حَثْوُ قبرٍ على قَبر
أبَى القتلَ إلّا آلُ صِمَّة إنهم أبَوْا غيره والقَدْرُ يَجْرى إلى القَدْر
فإمّا تَرَيْنا لا تزال دماؤنا لدى واترٍ يشقى (٢) بها آخرَ الدَّهر
فإنّا لَلَحْم السَّيف غيرَ نَكِيرةٍ ونَلْحَمُه (٣) حيناً وليس بذى نُكْر
يُغَار علينا واترين فيُشْتَفَى بنا إن أُصِبْنا أو نُغيرَ على وِتْر
بذاك قَسَمْنا الدَّهر شَطْرَيْن (٤) بيننا فما يَنْقضى إلّا ونحن على شَطْر

وكان السبب فى قَتل عبد الله أنه غَزا غَطفانَ يوم اللِّوى ، ومعه بنو جُشَم و بنو نَصْر بن مُعاوية ، فظَفِر بهم وساق أموالَهم ، ومَضى بها . فلما كان غيرَ بعيد قال : أنزلوا بنا . فناشده أخوه دُريدٌ اللهَ ألّا ينزلَ ، فإن غَطفان ليست بغافلة عن أموالها . فأقسم لا يَرِيم حتى يأخذ مِرْباعه (٥) ، ويأكل ويُطْعِم ويَقْسِم

(١) هو ابن عم أبى موسى . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « يسقى » .
(٣) نلحمه : نطعمه اللحم . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « قسمة » مكان « بيننا » .
(٥) المرباع : ربع الغنيمة ، وهو حظ الرئيس فى الجاهلية .

البقيَّة بين أصحابه . فبينا هم فى ذلك ، وقد سَطَعت الدَّواخِن ، إذ أقبلت إليهم عَبس وفَزارة وأشجع ، فالتقوا بالمُنْعَرج من رُمَيلة اللِّوى واقتتلوا ؛ فقُتل عبد الله ابن الصِّمّة ، وذَب عنه أخوه دُريد فلم يُغْنِ شيئاً . وجُرِح دُريد فسَقط ، فكفّوا عنه ، وهم يرون أنه قد قُتل . واستنقذوا المال ونجا مَن هَرب . فلما كان الليلُ مَشى دُريد وهو ضَعيف قد نزَفه الدمُ . فمرّ فى جماعة تسير ، فدَخل بين عُرْقوبى بَعيرِ ظَعينة ، فنفَر البعيرُ ، فقالتْ : أعوذ بالله منك ! فانتسب لها ، فأعلمت الحيّ بمكانه . فغُسِل عنه الدّم وزُوِّد زاداً وسُقِي ، فنَجا .

وذُكر أنّ المرأة كانت فَزَاريّة ، وأنّ الحَيّ عَلِموا بمكانه فتَركوه ، فداوته المرأةُ حتى بَرأ ولَحِق بقومه .

شعره فى رثاء أخيه

وقال دُريد بن الصمّة يَرْثى أخاه عبدَ الله بقَصيدة طويلة أولُها :

أَرَثَّ جديدُ الحَبلِ مِن أُم مَعبدِ ... بعاقِبةٍ[1] وأَخلفتْ كُلّ مَوْعدِ

وبانت ولم أُحْمَد إليك جِوارَها ... ولم تَرْجُ منّا رِدَّةَ اليوم أو غَدِ

ومنها .

أعاذلتِي كلُّ امرىءٍ وابنُ أُمِّه ... متــاعٌ كزاد الراكب المُتزوِّد

أعاذل إن الرُّزء أمثـالُ[2] خالد ... ولا رُزْء ممّا أهلك المرء عن يَد

نَصَحتُ لعارضٍ وأصحاب عارض ... ورَهط بنى السّوداء والقومُ شُهَّدى[3]

فقلت لهم ظُنُّوا بألفَى مُـدَجَّج ... سَراتُهم فى الفارسىّ[4] المُسرَّد

أمرتُهمُ أمرى بمُنْعَرج اللِّوى ... فلم يَسْتبينوا الرُّشْد إلّا ضُحَى الغد

فلما عَصَوْنى كنتُ منهم وقد أرى ... غَوايتَهم وأنّنى غيرُ مُهتَـدى

(١) بعاقبة : أى بأخرة .

(٢) خالد ، من أسماء عبد الله ، وسيأتى أنه كان يسمى أيضاً : عارضاً ومعبداً .

(٣) هم أصحاب أخيه .

(٤) فى الأصل : «السابرى المسود» . والمسرد : المتتابع الحلق فى النسج . يعنى دروعا .

وهل أنا إلّا من غَزِيّة إن غوتْ غويتُ وإن ترْشُد غَزِيّةُ أَرْشُد
دعانى أخى والخيلُ بينى وبينه فلما دَعانى لم يَجِدنى بقُعْدُد
تنادَوْا فقالُوا أَرْدَتِ الخيلُ فارساً فقلتُ أعبدُ الله ذلكمُ الرَّدِى
فإنْ يكُ عبدُ الله خلّى مكانَه فما كان وقّافاً ولا طائشَ اليد
ولا بَرِماً إذا الرّياحُ تناوحتْ برَطْبِ العِضَاه والهَشِيم[1] المُعضَّد
نظرتُ إليه والرِّماح تَنوشُه كوقْع الصَّياصِى[2] فى النَّسِيج المُمدَّد
فما رِمْتُ حتى خرَّقتْنى رماحُهم وغُودرتُ أَكْبُو فى القَنا[3] المتقصِّد
قِتال امرىء واسَى أخاه بنفسه ويَعلْم[4] أنّ المرء غيرُ مُخلَّد
صَبور على وَقْع النّوائب[5] حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديث فى غَد

تمثل على بن أبى طالب ببيت له

وذُكر أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لما اختلفت كلمةُ أصحابه فى أمر الحكَمَيْن : أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص ، وتفرّقت الخوارج وقالوا له : إنّا كفرنا نحن وأنت فى تحكيم الحكَمَيْن ، فتُب من ذلك وارجع عن تحكيم الحكَمَيْن ، وعُدْ بنا إلى قتال عدوّك واعترف بأنك كفرت إذ حكّمت . فلم يقبل منهم ، وفارقوه وخالفوه ، تمثّل رضى الله عنه بقول دُريد بن الصمّة :

* أمرتُهم أمرى بمُنْعرج اللِّوى *

والبيتَيْن اللذين بعد هذا البيت .

أسماء عبدالله وكناه

وقيل :

كان لعبد الله بن الصمّة ثلاثة أسماء وثلاثة كنى : عبد الله ، ومعبد،[6] وخالد ،

(١) البرم : الضجر . وتناوح الرياح : هبوبها مرة يميناً ومرة شمالا . والعضاه : شجر عظيم له شوك . والهشيم : النبت اليابس المتكسر . والمعضد : المقطع .

(٢) تنوشه : تتناوله . والصياصى : جمع صيصية ، وهى شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة . (٣) المتقصد : المتكسر . (٤) فى بعض أصول الأغانى : «وأيقن» .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : «المصائب» . (٦) الذى فى شرح الحماسة (٢ : ١٥٦) : «عارض» .

وأبو ذُفافة ، وأبو فُرْعان ، وأبو أوْفى . وقد ذَكر دُرَيد كُل ذلك فى شعره .

وقيل : إن أُم معبد التى ذكرها دُرَيد فى القصيدة ، هى زوجتُه ، وكانت رأتْه شديدَ الجَزع على أخيه عبد الله ، فعاتبتْه على ذلك وصغّرت شأن أخيه وسبّته . فطلّقها وقال فيها :

* أرثّ جديدُ الحَبل من أم مَعْبد *

البيتين اللذين هما أول هذه القصيدة .

حربه غطفان ثأراً لأخيه وشعره فى ذلك

وذُكر أن دُرَيد بن الصمّة أغار بعد قتل أخيه عبد الله على غَطفانَ يُطالبهم بدَمه ، فاستَقْراهم (1) حيًّا حيًّا ، وقَتَل من بنى عَبْس ساعدةَ بن مُرّة ، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زَيْد بن قارب ، أَسره مُرّة بن عوف الجُشمىّ . فقالت بنو جُشَم : لو فاديناه (2) ! فأبى ذلك دُرَيد وقتَله بأخيه عبد الله . وقتَل من بنى فَزارة رجلاً يقال له : حِزام ، وإخوةً له ؛ وأصاب جماعةً من بنى مُرّة ، ومن بنى ثَعلبة بن سَعد ، ومن أحياء غَطفان . فقال دُرَيد فى ذلك من قصيدة :

جَزينا بنى عَبْس جزاءً مُوفَّرًا ... بمَقتل عبد الله (3) يومَ الذَّنائبِ
ولولا سوادُ الليل أدركَ رَكْضُنا ... بذى الرِّمْثِ والأَرْطَى (4) عِياضَ بنَ ناشِب
قَتلنا بعبد الله خيرَ لِدَاته ... ذُؤابَ بنَ أسماء بنِ زَيد بن قارب

عبدالملك بن مروان وشعر لدريد

وذُكر أنه أُنشد عبدُ الملك بن مروان هذا البيتَ الأخير ، فقال : كاد دُرَيد أن يَنْسُب ذُؤابَ بن أسماء إلى آدم ! ولمّا أُنشد البيت الأوسط قال : ليت الشمس كانت ثَبتت له قليلاً حتى أَدركه .

من شعره فى هذه الوقعة

وقال أيضاً :

قَتلنا بعبد الله خيرَ لداته ... وخيرَ شَباب الناس لو ضُمّ أجمعَا

(1) استقراهم : تتبعهم .
(2) فاداه : أطلقه وقبل فديته .
(3) يوم الذنائب : من أيام العرب .
(4) الرمث والأرطى : نبتان . وذو الرمث : موضع .

ذُؤابَ بنَ أسماءَ بنِ زيد بنِ قارب　　منيّتَه أَجْرَى إليها[1] فأَوْضعا

هو وأمه في ثأر قيس

وذُكر أنّ ريحانَةَ بنت مَعديكرب قالت لابنها دُريد بن الصمة، بعد سنة من مقتل أخيه عبد الله: يا بُنى، إن كنت عجزتَ عن طلب الثأْر بأخيك فاستعن بخالك وعَشيرتك من زُبيد. فأَنِف من ذلك وحَلف لا يَكتحل، ولا يَدَّهن، ولا يَمسّ طِيباً، ولا يأكل لحماً، ولا يشرب خَمراً، حتى يُدرك ثأره. فغزا هذه الغَزاة وجاءها بذُؤاب ابن أسماء فقَتله بفنائها، وقال: هل بلغت ما فى نفسك؟ قالت: نعم، مُتِّعتُ بك.

مقتل قيس بن الصمة

وأما السبب فى قتل قيس بن الصمة، فإنه غَزا فى جماعة من رَهطه من بنى جُشَم، فأغاروا على إبلٍ لبنى كَعب بن أبى بكر بن كِلاب، فانطلقوا بها. وخَرج بنو أبى بكر ابن كِلاب فى طَلبها، حتى إذا دنَوْا منها، قال عمر بن سُفْيان الكِلابى، وكان حازماً عاقلاً: امكثوا. ومَضى هو مُتنكِّراً حتى أتى رجلاً من رَهط قيس بن الصمّة، فسلّم عليه واستسقاه وانتسب له هِلاليًّا، وسأله عن قومه وأين مَرعى إبلهم، وأعلمه أنه قد جاء رائداً لقومه يُريد مجاورتَهم. فخبَّره الرجلُ بكُل ما أراد. ورَجع إلى قومه، وقد عرف بُغيته. فصَبح القومَ بنو كِلاب فظفروا بهم، وقَتلوا قيس بن الصمَّة، وارتجعوا أموالهم، وذَهبوا بإبل آل الصمَّة.

فقَيس هذا هو الذى ذَكره دُريد فى شعره، وهو قَتيل أبى بكر[2]، أى آل أبى بكر.

مقتل عبد يغوث

وأما عبد يَغوث بن الصمّة، فإنه كان يَنزل بين أَظهُر بني الصَّادر فقَتلوه. وذَكره أيضاً دُريد فى شعره.

مقتل خالد

وأما خالد، فإن بنى الحارث بن كَعب غزتْ بنى جُشَم بن مُعاوِية، فخرجوا إليهم فقاتلوهم، فقتلت بنو الحارث خالدَ بن الصمّة، قتلتْه أَحْمَسُ بطنٌ من شنوءة، وكان دُريد بن الصمّة أغار عليهم فظفَر بهم، واستاق إبلَهم وأموالَهم، وسَبى

(١) أجرى إليها: قصد إليها. والإيضاع من السير: السريع.

(٢) انظر شعر دريد (ص ١١١٨) من هذا الجزء.

نساءهم وملأ يديه وأيدى أصحابه ، ولم يُصَب أحدٌ ممن كان معـه إلّا خالداً عمّه ، رماه رجلٌ منهم بسَهم فقتله . وخالد بن الصمّة هو المذكور فى شعر دُريد فى قوله : « أو خليلى خالد[1] » .

حديث خطبة الخنساء

وذُكر أنّ دريد بن الصمة مَرّ بالخَنساء الشاعرة ، واسمها تُماضر بنت عمرو ابن الشَّريد ، وهى تَهنأ بعيراً لها ، وقد تبذّلت ، حتى فرغت منه ، ثم نَضت عنها ثيابها فاغتسلت ، ودُريد بن الصمة يراها وهى لا تشعر به، فأعجب بها ، وانصرف إلى رجاله وأنشأ يقول :

حَيُّوا تُمـاضِرَ وارْبَعوا صَحْبِى ... وقِفُوا فإنّ وُقوفَـكم حَسْـبِى

أخُنَـاسُ قد هام الفؤادُ بكم ... وأصابه تَبْـلٌ من الحُبّ

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ به ... كاليوم طالىَ أينُقٍ جُـرب

مُتبـذّلاً تَبْـدو محاسـنُه ... يَضَع الهِناء مَواضِـعَ[2] النُّقْب

مُتحسِّراً نَضَح الهِنـاء به ... نَضْحَ العَبِـير برَيْطةِ[3] العُطْب

فَسلِيهمُ عنّى خُنـاسُ إذا ... عَضّ الجميعَ الخَطْبُ ما خَطْبى

فلما أصبح غدا على أبيها فخطبها منـه . فقال له أبوها : مرحباً بك أبا قُرّة ! إنك لَلْـكريم لا يُطعَن فى حَسبه ، والسّيد لا يُردّ عن حاجته ، والفَحل لا يُقْدَع أنفُه ![4] ولـكن لهـذه المرأة فى نَفسها ما ليس لغيرها ، وأنا ذاكرُك لها ، وهى فاعلةٌ . ودَخل إليها فقال : ياخنساء ، أتاك فارسُ هَوازنَ وسيّد بنى جُشَم ، دُريد ابن الصمّة يخطُبك ، وهو مَن تَعلمين . فذُكر أنها قالت له : أنظِرْنى حتى أُشاور

(١) انظر شعر دريد (ص ١١١٣) من هذا الجزء .

(٢) الهناء : القطران . والنقب : قطع الجرب المتفرقة .

(٣) العطب ، بالضم وبضمتين : القطن . وفى بعض أصول الأغانى : « العصب » .

(٤) يقدع أنفه : يضرب بالرمح وغيره ؛ يفعل هذا بالفحل غير الكريم إذا أراد الناقة ، ليحمل عليها غيره . يريد أنه كريم .

نَفسى ، فإن وجدتُ بَولَه قد خَرق الأرض ففيه بقيّـة ، و إن وجدتُه قد ساحَ على وجهها فلا فضلَ فيـه . فأتْبعتْه وليدتُها ، ثم عادت إليها فقالت : وجدتُ بولَه قد ساحَ على وجه الأرض . فأمسكت . فعاود دُريد أباها . فعاودها أبوها . فقالت له: يا أبة ، أترانى تاركة بنى عمّى مثل عوالى الرِّماح وناكحةً شَيخَ بنى جُشم هامةَ اليوم أو غد[١] ! فخرَج إليه أبوها وقال : يا أبا قُرّة ، قد امتنعتْ ، ولعلّها أن تُجيب فيما بعد . وكان دُريد يسمع قولَها حين قالت لأبيها هـذه المقالةَ ، فقال : قد سمعتُ قولَـكما ، وانصرف .

هو فى آخر عمره وشعره فى ذلك

وذُكر أن دُريد بن الصمة أسنّ وجَعـل له قومُه بيتاً مُنفرداً عن البُيوت ، ووكّلوا به أَمةً تَخدُمه ، فـكانت إذا أرادت أن تُبْعد فى حاجةٍ قيّـدته بقيد الفرس . فدَخل إليه رجلٌ من قومه ، فقال له : كيف أنت ؟ فأنشأ يقول :

أصبحتُ أقذِفُ أهدافَ المَنُون[٢] كما ... يَرْمى الدَّريئـةَ[٣] أدْنَى فُوقةِ الوَتَرِ

فى مَنْصَفٍ[٤] من مَدَى تِسعين من مائة ... كَرمْية الـكاعِبِ العَـذْراء بالحَجر

فى منزلٍ نازحِ م الحىّ مُنتَبـــذٍ ... كَمرْبَط العَـيْر لا أُدْعى إلى خَـبر

يُمضون أمرهمُ دونى وما فَقَــدوا ... منّى عزيمــةَ أمرٍ ما خَلا كِبَرى

ونَومةً لست أقضيها و إن[٥] مَتُعت ... وما مَضى قبلُ من شَـأْوى ومن عُمُرى

وأنّنى رابَنى قَيــدٌ حُبِسْتُ به ... وقد أكونُ وما يُمشَى على أثَرى

إن السِّنين إذا قرّبْن من مائة ... لَوَيْن مِرّة[٦] أحوالٍ على مِرَر

بينه وبين زوجته بعد ما أسن

وذُكر أنّ زَوجة دُريد بن الصمّة قالت له : قد أسْنَنْتَ وضَعُف جِسْمك ،

(١) الهامة : روح القتيل– فيما تزعم العرب – الذى لم يدرك بثأره تزقو عند قبره تقول : اسقونى اسقونى . فإذا أدرك بثأره طارت . و يقال : هامة اليوم أوغد . أى يموت اليوم أو غدا .

(٢) فى الأصل : «المتون» .

(٣) الدريئة : الحلقة يتعلم عليها الرامى الرمى . . وفوقة السهم . حيث يقع الوتر من رأسه .

(٤) منصف : وسط . (٥) متعت : طابت . (٦) المرة : طاقة الحبل .

وقُتل أهلُك ، وفَنِي شبابُك ، ولا مالَ لك ولا عُدّة[1] ، فعَلَى أىّ شىء تُخلِّف أهلَك إنْ قُتلت ؟ فقال دُريد :

أعاذلَ إنما أفنَى شَبابِي	رُكوبِي فى الصَّريخ إلى المُنادِى
مع الفِتْيان حتّى كَلّ جِسْمى	وأَقْرح عاتِقى حَمْلُ النِّجاد
أعاذلَ إنّه مالٌ طَرِيفٌ	أحبُّ إلىَّ من مالٍ تِلاد
ويَبْقَى بعد حِلْم القوم حِلْمى	ويَنْفَد[2] قبل زاد القَوم زادى

غزوة حنين ومقتل دريد

ذكر غزوة حُنين ومقتل دريد بن الصمة :

قيل : لمّا افتتح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مكةَ أقام بها خمسَ عشرةَ ليلة يقصُر الصلاة ، وكان فَتْح مكة لعَشْر ليالٍ بَقِين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة . ولما سمعت هَوازن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، جَمعها مالك ابن عَوف النَّصرى ، واجتمعت إليه ثقيف مع هوازن . ولم يجتمع إليه من قيس إلّا هوازنُ وناسٌ قليل من بنى هِلال ، وغابت عنها كَعْب وكِلَاب ، فجمعت نَصْرٌ وجُشَمُ وسَعْد وبنو بكر وثَقيف واحتشدت ، وفى بنى جُشَمَ دريدُ بن الصمة شيخٌ كبير فانٍ ، ليس فيه إلّا التَّيمن برأيه ومَعرفته بالحرب ، وكان شُجاعاً مُجرِّباً . وفى الأحلاف قاربُ بن الأسود بن مَسعود ، وفى بنى مالك ذو الخِمار سُبيع ابن الحارث ، وجِماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصرى . فلمّا أجمع مالكٌ المسيرَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حَطَّ مع الناس أموالهم وأولادهم . فلما نزلوا بأوطاس[3] اجتمع إليه الناسُ وفيهم دُريد بن الصمة فى شِجَارٍ[4] له . فقال لهم دُريد : بأى وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأَوطاس . قال : نِعْمَ مَجال الخَيل ، ليس بالحَزْن

(١) فى الأصل : « جدة » . وهى اليسار والسعة . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « ويفنى » .
(٣) أوطاس : واد بديار هوازن . (٤) الشجار : مركب أصغر من الهودج .

الضَّرِس ، [١] ولا السَّهل الدَّهِس [٢] . مالى أَسمع رُغاء البعير [٣] ، ونُهاق الحَمير ، و بُـكاء الصَّغير ، وثُغاء الشاء ! قالوا : ساقَ مالكُ بن عَوف مع النّاس أبنـاءَهم ونساءَهم وأموالَهم . فقال : أين مالكٌ ؟ فدُعى له به . فقال : يا مالك ، إنك أصبحتَ رئيسَ قومك ، و إن هذا يومٌ كائن له ما بعده من الأيام ، مالى أَسمعُ رُغاء البعير ، ونَهيق الحَمير ، و بُـكاء الصِّبيان ، وثُغاء الشاء ؟ قال : سُقت مع النـــاس نساءَهم وأبناءَهم وأموالَهم . قال : و لِمَ ؟ قال : أردتُ أن أجعلَ خَلف كُل رجلٍ أهلَه ومالَه ليقاتل عنهم . قال : فأَنْقَض به [٤] وو بَّخه ولامه ، وقال : راعى ضَأْنٍ والله ! — أىْ أحمق — وهل يَرُد المُنهزم شىء ! إنها إن كانت لك لم يَنْفعك إلا رجل بسَيفه ورُمحه ، و إن كانت لهم عليك فُضِحت فى أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلتْ كَعبٌ وكلاب ؟ قال : لم يَشهدها منهم أَحـــد . قال : قال : فاتَ [٥] الجِدّ والحَدّ [٦] ! لو كان يومَ علاءٍ ورفعة لم تَغِب عنه كَعب وكِلاب ، ولوددْتُ أنكم فعلتُم مثلَ مافعَلوا ، فَمَن شَهدها منهم ؟ قالوا : بنو عَمرو بن عامر ،و بنوعَوف بن عامر . قال : ذانك الجَذَعان [٧] من عامر ، يضُرّان ولا ينفعان . ثم قال : يا مالك ، إنك لم تَصنع بتَقديم البَيْضة [٨] بَيضة هَوازنَ إلى نُحور الخَيـل شيئاً ، اُرفعهم إلى أعلى بلادهم وعَلْياء قَومهم ، ثم اُلق القوم بالرِّجال على مُتون الخَيـل ؛ فإن كانت لك لَحِق بك مَن وراءك ، و إن كانت عليك كنتَ قد أحرزت أهلَك ومالَك ولم تُفْضَح فى حَريمك . فقال : لا والله ، لا أفعـل ذلك أبداً ، إنك قد خَرِفْت وخَرِف رأيُـك وعلمُـك ، والله لتُطيعُنَّنى يا معشرَ هوازن ، أو لاتكِئنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظَهرى — ونَفِس على دُريد بن الصمة أن يكون له فى ذلك اليوم

(١) الضرس : الصعب .
(٢) الدهس : اللين السهل .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الإبل » .
(٤) أنقض به : صاح .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : «غاب » .
(٦) الحد ، أى الشجاعة والحدة .
(٧) الجذع : الحدث الشاب .
(٨) البيضة : أصل القوم .

ذِكْر ورَأْى — فقالوا : أطعناك وخالفنا دُريداً . فقال دُريد : هذا يومٌ لم أَشْهده ولم أَغِبْ عنه ! وقال رجَزه الذى فيه الغناء ، وٱفتتح به أبو الفرج أخبار دُريد ابن الصمة ، وهو :

يا ليتنى فيها جَذَعْ ... أَخُبُّ فيها وأَضَعْ[١]
أَقُود وطْفاء الزَّمَعْ ... كأنها شاةٌ صَدع[٢]

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى لقائهم من مكة ومعه ٱثنا عشر ألفاً ، منهم عشرة آلاف هم الذين فَتح بهم مكة ، ومنهم ألفان هم مُسْلمة الفتح من قُريش وغَيرهم .

ولما رأى بعضُ المسلمين كثرة جَيش رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال : لن يُغلب هؤلاء من قلّة . فلما لَقِيهم المشركون ٱنهزم المسلمون ، وثبت رسولُ الله صلّى الله عليه ، وهو راكبٌ بَغلته الدُّلدل، ومعه العبّاس عمّه رضى الله عنه . فأمره أن ينادى الأنصار ليرجعوا ، وكان جَهِير الصوت، فنادى بأعلى صوته : يا أنصارَ الله ! فرجَعوا رضى الله عنهم كارِّين على عدوِّهم كالإبل تعطف على أولادها مائةً مائةً ، وتَراجع المُسلمون ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَخذ من حَصْباء الوادى فحَصب به وجوه المشركين وقال : «شاهت الوجوه !» وٱستعرت الحرب، وَتطاول رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم على بَغلته ينظُر مُجتلد القوم . فقال : « الآن حَمِى الوطيس » . وهذا من أمثاله صلّى الله عليه وسلم المُختَصّة به ، وأَنزل الله نَصره ، وأيّده بالملائكة ، وٱنهزم المُشركون أقبح هزيمة . فأتوا الطائف ومعهم مالكُ ابن عوف ، وعَسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجّه بعضُهم نحو نَخلة[٣] . وتبعت خيلُ

(١) الخبب والوضع : ضربان من السير .

(٢) وطفاء : كثيرة الشعر . والزمع : الشعر المدلى فى مؤخر رجل الشاة والعنز . وصدع : فتية قوية .

(٣) هى نخلة اليمانية . (ياقوت) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن سلك نَخلة ؛ فأَدرك ربيعةُ بن رُفيع السُّلمى — أحدُ بنى يَرْبوع بن سَمَّال بن عَوْف ، وهو غلام شاب — دُريدَ بن الصمة ، فأخذ بخِطام جَمله ، وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه كان فى شِجارٍ له ، فأَناخ به ، فإذا هو رجل شيخٌ كبير ؛ ولم يعرفه الغلام . فقال له دريد : ماذا تُريد ؟ قال : أَقتلُك . قال : ومَن أنت ؟ قال : ربيعةُ بنُ رُفيع السُّلمى . فأنشأ دُريد يقول :

وَيْحَ ابن تَكمةَ[1] ماذا يُريد ... من المُرْعَشِ الذَّاهب الأَدْردِ

فأُقسم لو أنَّ بى قوةً ... اظلّت[2] فرائصه تُرْعَد

ويا لَهْفَ نفسىَ ألا تكونَ ... معى قوّةُ الشامخ[3] الأَمرد

ثم ضَربه السُّلمىّ بسيفه ، فلم يُغنِ شيئاً . فقال له دُريد : بئس ما سَلَّحَتْك أُمُّك ! خُذ سيفى هذا من مُؤخَّر رَحلى فى القِراب فاضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدِّماغ ، فإنى كذلك كنتُ أضربُ الرجال ؛ فإذا أتيتَ أُمك فأَخبرها أنك قتلت دُريد بن الصمّة ، فربَّ يومٍ قد منعتُ فيه نساءك .

وحُكى عن ربيعة أنه قال :

لما ضربتُ دُريد بن الصمّة بالسيف سقط فتكشّف ، فإذا عِجانُه[4] وبطن فَخِذَيه مثل القَراطيس من رُكوب الخَيل .

فلما رجع ربيعةُ إلى أُمه أخبرها بقَتله إياه . فقالت له : لقد أعتق قَتيلُك ثلاثاً من أُمهاتك .

وبَعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، فى آثار مَن توجَّه قِبَلَ أوطاس، أبا عامر

(١) فى غير التجريد : « أكمة » . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « لولت » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الشارخ » وهو الشاب .

(٤) العجان : الدبر . وقيل : هو ما بين الدبر والقبل .

الأشعرىّ - عم أبى موسى الأشعرى - فهزَمهم الله وفَتح على المُسلمين . ورَمى سلمةُ ابن دُريد بن الصمة أبا عامر بسهم فأَصاب رُكبته فقتله .

شعر عمرة ابنتــه فى رثائه

وقالت عمرة بنت دُريد بن الصمّة تذكُرقتل السُّلمى أباها :

جَزى عنّا الإلٰهُ بنى سُـليم وأَعقْبهم بمـا فَعلوا[1] عَقَاقِ

وأَســقانا إذا سِرْنا إليهم دِماءَ خيــارهم يومَ التَّـلاقى

فرُبَّ مُنَوِّهٍ بك من سُـلَيم أُجيبَ وقد دعاك بلا[2] رَماق

ورُبَّ كريمـةٍ أعتقتَ منهم وأُخرى قد فككتَ من الوَثاق

(١) العقاق ، بالبناء على الكسر : العقوق .

(٢) الرماق من العيش : البلغة والقليل يمسك الرمق .

أخبار إبراهيم بن العباس الصولى (*)

هو إبراهيم بن العبّاس بن محمد بن صُول . وكان صُولُ رجلاً من الأتراك ، ففتَح يزيدُ بن المُهلَّب بن أبى صُفْرة بلدَه ، وأسلم على يَده . فهم مَوالى يزيد .

نسبه وولاؤه

ولمّا ظهر يَزيدُ بن المهلَّب بالعراق ودَعا إلى نفسه وخَلَع يزيد بن عبد الملك ، أتاه صُول لينصُرَه ، فصادفه وقد قُتل . وكان يُقاتل كُلَّ مَن بينه و بين يَزيد من جيش بنى أُمية ، ويكتُب على سِهامه : صُولٌ يدعوكم إلى كتاب الله وسُنّة رسوله . فبلغ ذلك يزيدَ بن عبد الملك ، فاغتاظ وجعل يقول : ويلى على ابن الغَلفاء ! وماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه ! ولعلّه لا يَفقه صلاته .

وكان محمّد بن صُول من رجال الدَّولة العباسية ودُعاتها ، وقد كان بعض أهليهم ادّعوا أنهم عربٌ ، وأنّ العبّاس بن الأحنف خالُهم .

شىء عن محمد بن صول

وقيل : كان صُول و فَيْروزُ أخوَيْن ملكَيْن[1] على جُرْجان ، وكانا تُركيَّيْن ، تَمجَّسا وتَشبَّها بالفُرس . فلما حَضر يزيدُ بن المُهلَّب جُرْجانَ أَمَّنهما ، فأَسلم صولٌ على يده ، ولم يَزل معه حتى قُتل يوم العَقْر[2] .

صول وفيروز

وكان محمد بن صُول ، ويُكنى أبا عُمارة ، أحدَ الدُّعاة . وقتله عبد الله بن علىّ ابن عبد الله بن العبّاس لما خالف مع مُقاتِل بن حَكيم العَكّى وعدّةٍ آخرين .

تتمة الحديث عن محمد بن صول

وكان إبراهيم بن العبّاس بن محمد بن صُول ، وأخوه عبد الله ، من وجُوه

إبراهيم وأخوه عبد الله

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار «إبراهيم» طائفة من أخبار المعتضد فى خن ، وهى لا تعدو الصفحة .

(1) فى بعض أصول الأغانى : « ملكا » . (2) موضع عند كربلاء .

الكُتّاب ، وكان عبد الله أسنّهما وأشدّهما تقدُّماً ، وكان إبراهيم آدبهما وأحسنَهما شعراً ، وكان هو وأخوه من صنائع ذى الرياستين الفَضل بن سَهل ، أتصلا به فرَفع منهما ، وتَنقَّل إبراهيمُ فى الأعمال الجليلة إلى أن مات وهو يتقلّد ديوان الضِّياع والنَّفقات بسُرَّ مَن رأى فى نِصف شعبان سنةَ ثلاثٍ وتِسعين ومائتين .

ما كان يستحسنه دعبل من شعر إبراهيم

وكان دِعبل يَستحسن قولَ إبراهيم بن العبّاس :

إنّ امرأً ضَنّ بمعروفه ... عنِّى لَمبذولٌ له عُذْرِى
ما أنا بالرَّاغب فى عُرفه ... إنْ كان لا يَرغب فى شُكرى

ما كان بين إبراهيم ومحمد الزيات وهجاء إبراهيم

وذكر أن إبراهيم الصولى كان صديقاً للوزير محمد بن عبد الملك الزيّات ، ثم آذاه وقصده ، وصارت بينهما شَحناء عظيمة لا يُمكن تلافيها ، فكان إبراهيم يَهجوه . فمن قوله فيه :

أبَا جَعفرٍ خَفْ خَفضةً بعد رِفعةٍ ... وقَصِّر قليلاً عن مدَى غُلَوائكا
لئن كان هذا اليومُ يوماً حويتَه ... فإنّ رجائى فى غدٍ كرجائكا

وله فيه :

دعوتُك فى بَلوَى ألمَّت صروفُها ... فأوقدتَ من ضِغْنٍ علىَّ سَعيرَها
وإنّى إذا أدعوك عند مُلمّةٍ ... كداعيةٍ عند القبُور نَصيرَها

وقال فيه لما مات :

لمّا أتانى خَبَرُ الزّيّاتِ ... وأنّه قد صار فى الأموات
أيقنتُ أنّ موتَه حياتى

شعره لبعض من هجره

وقيل :

لما انحرف محمدُ بن عبد الملك الزيّات عن إبراهيم بن العبّاس تحاماه الناسُ أن يلقَوْه ، فكتب إلى بعضِ إخوانه ، وقد هجره فيمن هجره :

تَغــيّرَ لى فيمن تَغــيّر حارثُ ... وكم من أخٍ قد غيرته الحوادثُ
أحارثُ إن شوركتُ فيك فطالما ... غَنِينا وما بَينى و بينــك ثالث

من جيد شعره

ومن جيد شعر إبراهيم :

خَــلِّ النِّفاق لأهــــله ... وعليـــك فالْتمس الطَّريقا
وأذهبْ بنفســك أن ترَى ... إلا عــدوًّا أو صـــديقا

ومن جيد شعره :

أميلُ مع الذِّمام على أبن[(١)] عمِّى ... وأحمِل للصَّديق على[(٢)] الشَّقيقِ
أُفرِّق بـين مَعـروفى ومَـنِّى ... وأجمـع بين مالِى والحُقـوق
و إن ألفيتَنى حُـرًّا مُطـاعاً ... فإنك واجدِى عبـدَ الصَّديق

شعره إلى رجل معتــذر

وأعتذر إليه رجلٌ بعذر ، فلم يَقبل عُذره وكتب على ظهر ورقته :

أبداً مُعتذرٌ لا يُعْـذَر ... ورُكوبٌ للذى[(٣)] لا يُغفَرُ
ومُلقًّى بمساوٍ كُلّهــــــا ... منه تَبدو و إليـــه تَصْدُر
هى من كُل الوَرى مُنــكَرةٌ ... وهى منه وحدَه لا تُنْكَر

رثاؤه ابنــه

وقيل إنه كان لإبراهيم بن العبّاس أبن قد يفَع وترعرع ، وكان به مُعجَباً ، فمات فقال فيه :

مَن شاء بعدك فَلْيمُتْ ... فعليك كنتُ أحاذرُ
كنت السـوادَ لمُقلتى ... فبكى عليكَ النـاظر

شعره فى هبــة عبد الله الصولى

وذُكر أن عبد الله بن العبّاس الصُّولى وهَب لأخيـه إبراهيم ثُلث ماله ، ووهَب لأُخته الثُّلث الآخر ، وأبقى لنفسه الثلث . فقال إبراهيم فى ذلك :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ابن أمى » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وآخذ للصديق من » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « للتى لا تغفر » .

ولكنّ عبدَ الله لما حَوى الغِنى وصار له من بين إخوته مالُ
رأى خَلّةً منهم تُسَدُّ بمــــاله فساهَمهم حتى اْستوتْ بهمُ الحال

وقد عِيب على إبراهيم اْبتداؤه فى الشعر بلفظة « ولكن » وقد كرّره فى موضع آخر ، فقال :

ولكنّ الجواد أبا هشــام وفىُّ العَهد مأمونُ[1] الغُيوبِ
بَطِىءٌ عنك ما اْستغنيْت عنه وطَلّاعٌ عليك مع الخُطوب

وهذا شعر فى غاية الحُسن ، ولم يَشِنْه إلا الابتداء بلفظة « لكن » فإنها تَقتضى مُقدَّم كلام .

بينه و بين المتوكل وقد طلب إليــه وصف القــدور الإبراهيمية

وذكر على بن يحيى :

أن المُتوكل بعث إلى إبراهيم بن العبّاس يأمُره أن يَصف له القُدور الإبراهيميّة — وقد كان اْبتدعها — فكتب إليه صفتها ، وكتب فى آخرها فى ذكر الأبازير : «ووزن دانَق» ، وأُنسى أن يكتُب من أى شىء . فلما وصلت إليه الصِّفة، اْغتاظ ثم قال لعلى بن يَحيى : اُحلف بحَياتى أن تقول ما أمُرك به . ففعل . فقال : قل له : وزن دانق أى شىء ؟ أمن بَظْر أُمك ؟ قال علىُّ بن يحيى : فدخلتُ إليه فقلتُ : إنّى قد جئتُك فى رسالةٍ عزيزٍ علىّ أن أُؤدِّيها . فقال : هاتِها . فأدّيتُها. قال : فاْرجع إليه فقل له : يا سيدى ، إن علىّ بن يحيى صَديقى وأخى ، وقد أدّى الرسالةَ ، فإن رأيتَ أنْ تَجعل وزن الدّانق من بَظر أُمى و بظر أُمــه جميعاً تفضّلت ؟ فقلت : قَبحك الله ! وأنا أيْشٍ ذَنْبى ! قال : قد أدّيتَ الرِّسالة وهذا جوابُها . قال : فدخلتُ إلى المُتوكل ، فقال : إيهِ ، ما قال لك ؟ فقلت : قَبح الله ما جئتُك به ! وأخبرتُه بالجواب . فضَحك حتى فَحص برِجْله ، وجعل يَشْرب

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : «المغيب» مكان « الغيوب » .

عليه بقيّة يومه ، فإذا لقيتهُ قال لى : يا علىّ ، وزن دانق أَيش ؟ فأقول : لعنةُ الله على إبراهيم !

شعره فى الحسن بن وهب وهو مخمور

وقيل : نَظر إبراهيمُ بن العبّاس إلى الحسن بن وَهْب ، وهو مخمور ، فقال له :

عينـاكَ قد حَـكَتا مَبيـ ... تَكَ كيف كنتَ وكيف كانَا

ولرُبّ عـينٍ قـد أرتـ ... ـك مَبِيتَ صاحبهـا عِيانَا

من جيد شعره

ومن جيّد شعر إبراهيم بن العبّاس ما كتب به إلى مُحمد بن عبد الملك الزيات:

وكنتَ أخى بإخاء الزمانِ ... فلمّا نَبا صِرْتَ حَرباً عَوانَا

وكنتُ أُذمّ إليـك الزمانَ ... فأصبحتُ فيك أذمُّ الزّمانا

وكنتُ أُعِـدّك للنائبـات ... فهأنا (١) أطلُب منك الأمانا

ومن جيّد شعره قولُه :

رَدّ قولى وصـدّق الأقوالا ... وأَطاع الوُشاة والعُـذّالا

أتُراه يـكون شهرَ صُـدود ... وعلى وَجْهه رأيتُ الهِـلالا

معنى شعر سرقه ابن دريد وابن الرومى منه

وقال أبو الفرج :

أنشدتُ عمّى أبياتاً لابن دُريد يمدح بها رجلاً من أهل البصرة :

يا مَن يُقبِّل كفّ كُلِّ مُخرِّق ... هـذا ابنُ يحيى ليس بالمِخْراقِ

قَبِّـل أناملَه فلسن أناملاً ... لـكنّهن مفاتحُ الأرزاق

فقال : يا بُنى ، هذا سَرقه هو وابن الرُّومى جميعاً من إبراهيم بن العبّاس ، قال إبراهيم يَمدح الفَضلَ بن سَهل :

لفضلِ بن سهل يَدٌ ... تقاصَر منها الأملْ

فباطنُهـا للندَى ... وظاهرُها للقُبَـل

وبَسْطتُها للغنَى ... وسطوتُها للأَجل

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فأصبحت » .

وسَرقه ابنُ الرومى فقال :

أصبحتُ بين خَصاصةٍ ومَذلّةٍ والُحرّ بينهما يَموت هَزِيلاَ
فامْدُد إلىّ يداً تعوّد بَطنُها بَسْطَ النّوالِ وظَهْرُها[1] التّقبيلا

رأى ثعلب فيه

وحَكى الصُّولىّ قال : سمعتُ أحمد بن يحيى ثعلباً يقول :

كان إبراهيم بن العبّاس من أَشعر المُحدثين ، وما روى ثعلبٌ شعرَ كاتبٍ قطُّ غيرَه ، وكان يَستحسن كَثيراً قوله :

لنا إبلٌ كُومٌ[2] يَضيق بها الفَضا ويَفترّ عنها أرضُها وسَماؤها
فمِن دُونها أن تُستباح دِماؤنا ومن دوننا أن تُستباح دِماؤها
حِمًى وقِرًى فالموتُ دون مَرامها وأَيسرُ خطبٍ يومَ حقّ فَناؤُها

ثم قال : والله لو كان لبعض الأوائل لا ستُجيد له .

رأى ابن طاهر فيه

وذُكر أن عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر كان يقول :

لا نعلم لقديمٍ ولا مُحدث فى قِصَر الليل أحسنَ من قول إبراهيم بن العبّاس :

وليلةٍ من اللّيالى الزُّهْرِ قابلتُ فيها بدرَها ببَدْرِ
لم تك غير شَفَقٍ وفَجْرِ حتى تولّت وهى بِكْر الدهر

من شعره فى الفضل ابن سهل

ومن جيّد شعر إبراهيم بن العبّاس فى الفَضل بن سهل ذى الرِّياستين :

فلو كان للشّكر شخصٌ يَبينُ إذا ما تأمّله النّاظرُ
لمثّلته لك حتى تراه فتعلم أنّى امرؤٌ شاكر
ولكنّه ساكنٌ فى الضّمير يُحرِّكه الكَلِمُ السّائر

مدحه للمتوكل وولاة عهده

ولما عَقد المُتوكّل ولايةَ العهد بعده لبنيه الثلاثة : المُنتصر ، والمُعتز ، والمُؤيّد ، مَدحه ومَدحهم إبراهيم بن العبّاس بقوله :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بذل الندى وظهورها » .

(٢) كوم : ضخمة عظيمة السنام ؛ الواحد : أ كوم ، والأنثى كوماء .

أضحت عُرى الإسلام وهى مَنوطةٌ بالنّصر والإعزاز والتّأييدِ
بخليفةٍ من هاشمٍ وثلاثةٍ كَنفوا الخلافةَ من وُلاة عُهود
قمرٌ توافتْ حولَه أقمارُه فَحَفَفْن مطلَع سَعده بسُعود
رَفعتهمُ الأيامُ وارْتفعت(١) بهم فسمَوْا بأكرمِ أنفسٍ وجُدود

فأمر له المُتوكِّل بمائة ألف دِرْهم ، وأمر له وُلاة العُهود بمثلها .

ومن جيِّد شعر إبراهيم بن العبّاس قولُه : ومن جيد شعره

أسدٌ ضارٍ إذا هَيَّجتَه وأبٌ برٌّ إذا ما قَدَرَا
يعرف الأبعدَ إن أثرى ولا يعرِف الأدْنى إذا ما افتقَرا

وله ، وهو فى غاية الُحسن :

تَلِجِ السّنون بيوتَهم وترى لهم عن جار بيتهمُ ازورارَ مَناكِبِ
وتراهمُ بسُيوفهم وشِفارهم مُستَشْرِفين لراغبٍ أو راهب
حامِين أو قارِين حيث لقِيتَهم نَهْبَ العُفاة ونُهْزَةً للرّاغب

وله إلى بعض أصحاب الأطراف وهو شعره الذى فيه الغناء

وذُكر أنّ إبراهيم بن العبّاس كتب فى رسالة عن المُعتصم إلى بعض أصحاب الأطراف ، فقال فى فصل منها : وإن عند أمير المؤمنين فى أمرك أناةً ، فإن لم تُغْنِ عقب بعدها وعيدا ، فإن لم يُغن أغنت عزائمه .

وكتب ذلك وهو يظُنه نثراً ، فلما تأمّله رآه شِعْراً وأنه بيت نادر ، وعُمل فيه لحن وغُنّى به .

وهذا البيتُ هو الذى افتتح به أبو الفرج أخبار إبراهيم بن العبّاس(٢) .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وارتفعوا به » .
(٢) البيت : أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيدا فإن لم يغن أغنت عزائمه

أخبار مروان بن أبى حفصة (*)

نسبته وكنيته

هو مَرْوان بن سُليمان بن يَحيى بن أبى حَفْصة . ويكنى أبا السِّمط . وأسم أبى حَفْصة يزيد .

أصله

وذُكر أنّه كان يهوديًّا فأَسلم على يدى مَرْوان بن الحكم . وأهلُه يُنكرون ذلك ويذكرون أنه من سَبْى إصْطخر ، وأنّ عُثمان بن عفّان رَضى الله عنه اُشتراه فوَهبه لمَرْوان بن الحكم .

حديث عتق أبى حفصة وكنيته

وشهِد أبو حَفْصة الدّارَ [1] يوم قُتل عُثمان رضى الله عنه مع مَولاه مَروان بن الحكم ، وقاتل قتالاً شديداً، وقَتل رجلاً من أَسْلَمَ - يقال له : بَنان - وجُرح مَرْوان يومئذ ؛ أصابتْه ضَربةٌ قطَعت عِلباوَيه [2] فَسقط ، فذَبّ عنه أبو حَفْصة وأحتمله ، فجعل يَحمله مرةً على عُنقه ومرةً يجُرّه ، فيتأوّه ، فيقول له : أُسكت وأصبر ؛ فإنهم إن علموا أنك حىّ قَتلوك . فلم يزل به حتى أَدخله دارَ أمرأة من عَنَزة ، فدَاواه فيها حتى برىء ؛ فأعتقه مروانُ ونَزل له عن أُمّ ولد كانت له منها بِنْت - يقال لها : حَفْصة - تَحضُنها ، فكُنِّى بأبى حَفْصة . فحفصة بنت مروان .

زواجه وأولاده

وكان مروان إذا ولى المدينة فى خلافة مُعاوية وجّه أبا حَفصة إلى اليمامة ليَجمع ما فيها من المال ويَحمله إليه ؛ فمرّ أبو حفصة بقَرية من قُرى اليَمامة ، فوَقف على

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار « مروان » صفحة وبعض الصفحة عن صنعة أولاد الخلفاء، الذكور منهم والإناث .

(١) أى يوم دار عثمان ، وبها قتل . (٢) العلباء : عصبية فى صفحة العنق .

باب فاُستسقى ماء، فخرجتْ إليه جارية مُعْصِر(١)، فسقتْه فأعجبتْه. فسأل عنها ليشتريَها، فقيل له: هى حُرة، وهى مولاة لبنى عامر بن حَنيفة. فتبعتْها نفسُه ومضى إلى اليمامةَ، فلم يخرُج منها حتى تزوّجها؛ فأتت منه بيحيى، ومحمد، وعبد الله، وعبد العزيز.

في فتنة ابن الزبير

ولما وقعت فتنةُ ابن الزبير خرج أبو حفصة مع مولاه مروان إلى الشام.

هو يوم الجمل بين مروان وعلى

وذُكر أن أبا حَفصةَ شَهِد مع مروان يوم الجمل، وقاتل قتالاً شديداً. فلما ظَفِر علىٌّ رضى الله عنه، نَجا مروانُ إلى مالك بن مِسْمع فدخل داره، ومعه أبوحَفصة؛ فقال لمالك: أغلق بابك. فقال له مالك: إن لم أمنعك والباب مفتوح لم أمنعك والباب مُغلق. فطَلب علىٌّ عليه السلام مروَان منه، فلم يَدْفعه إليه إلاّ برَهينة. فدَفع مالكٌ الرهينةَ إلى أبى حَفصة، ومَضى بمروان إلى علىٍّ عليه السلام؛ فكَساه كُسوةً، فكساها مروانُ أبا حَفصة. فغدا فيها أبو حفصة. وبَلغ ذلك عليًّا عليه السلام، فغَضِب وقال: كسوتُه كُسوة فوهبها عبدَه!

في مرج راهط

وشَهِد أبو حَفصة مع مروان مَرْجَ راهط(٢)، وكان له بَلاء. وكان شاعراً.

من شعره يوم الدار

ومن شعره يومَ الدار:

وما قلتُ يومَ الدار للقَوم صالِحُوا ... أجَلْ لا ولا اخترتُ الحياة على القَتْلِ
ولكنَّنى قد قلتُ للقوم جالِدُوا ... بأسيافكم لا يُخْلَصنّ إلى الكَهل

أبو حفصة بين عكل والعجم

وذُكر أن عُكْلاً تَدَّعى أن أبا حَفصة منهم، يقولون: هو من كِنانة بن عَوف بن عبد مَناة بن أُدّ بن طَابخة بن اليأس بن مُضَر، وقد كانوا اُستعدَوْا عليه مروانَ بن الحَكَم، وقالوا: إنما باعتْه عَمّته لمجاعةٍ! فأَبى هو أن يُقرّ بذلك. ثم

---

(١) معصر: قد بلغت شبابها وأدركت.

(٢) مرج راهط: فى غوطة دمشق من ناحية الشرق. وفيه كانت الوقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس – داعية ابن الزبير – فقتل مروان فيها الضحاك وخلت له الخلافة.

أستَعدَوْا عليه عبدَ الملك بن مَروان أيضاً ، فأَبى إلاّ أنه رجلٌ من العَجم من سَبْى فارس ، نَشأ فى عُكْل وهو صغير .

ادعاء غسان له

وولَدُ السموءل بن عادياء يَدّعونه . والسموءل من غسّان .

أخوه مروان

وذُكر أنه كان لأبى حَفْصة ابنٌ يقال له : مروان ، سمّاه مروانُ بن الحكم باسمه ، وليس بالشاعر ، وكان شُجاعاً ، أَمدّ به عبدُ الملك الحجّاجَ بن يُوسف وقال: بعثتُ إليك مولاى مَروان بن أبى حَفْصة ، وهو يَعْدِل ألفَ رجلٍ . فشهد معه حَرْب ابن الأشعث ، وأَبلى فيه بَلاءً حسناً .

شىء عن يحيى جد مروان

وكان يَحيى بن أبى حَفْصة ، جدّ مروان الشاعر ، جواداً مُمدَّحاً ، وله أشعار حَسنة .

يحيى يهنىء عبد الملك ويعزيه

وذُكر أنّ عبد الملك بن مَروان لما تُوفى ، ووَلِى ولدُه الوليدُ بن عبد الملك ، دَخل عليه يحيى بن أبى حَفْصة فهنأه وعزّاه وأنشده :

إنّ المَنايا لا تُغادر واحداً ... يَمشى ببزّته ولا ذا جُنَّهْ

لو كان خَلْقٌ للمنايا مُفْلِتاً ... كان الخليفةُ مُفْلِتاً مِنْهُنَّه

بَكتِ المَنابرُ يومَ مات وإنما ... بكتِ المنابرُ فَقْدَ فارسُهنّه

لما علا هُنّ الوليدُ خليفةً ... قُلْن أبنُه ونظيرُه فسَكَنَّه

لو غيرُه قَرَع المَنابر بعده ... لَنكِرْنَه وطَرَحْنه عَنهُنَّه

منزلة مروان فى الشعر وبخله

وكان مَروان بن سُليمان بن يَحيى بن أبى حَفصة شاعراً مُجيدا مُحلاً من شُعراء الدولة العباسية ، وكان من أبخل الناس ، على يساره وكثرة ما أَصابه من الُخلفاء ، وكان بنو العبّاس يُعطونه لكُل بيت يَمدحهم به ألفَ درهم .

من بخله وجود سلم

وذُكر أنّ المهدىّ كان يُعطى مروانَ بن أبى حفصة وسَلْماً الخاسرَ عطيةً واحدة، فكان سَلم يأتى إلى باب المَهدىّ على البِرْذون قيمتُه عشرة آلاف درهم ، والسَّرجِ

واللجام المَقْذُوذين (١) ، ولباسُه الخزُّ والوَشيُ ، وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ، ورائحةُ المِسك والغالية والطِّيب تفُوح منه ؛ ويجيء مروانُ بن أبي حَفْصة وعليه فَرْو كَبْش وقميصُ كَرابيس (٢) ، وعمامةُ كَرابيس ، وكساء غليظ مُنتن الرائحة ، وكان لا يأكل اللَّحم بُخلاً حتى يَقْرَم (٣) ، فإذا قَرِم أرسل غُلامَه فيشترى له رأساً فيأكله. فقيل له : نَراكَ لا تأكل إلا الرُّءوس فى الصَّيف والشتاء! فلِمَ تختار ذلك ؟ قال : نعم ، الرأسُ أعرِفُ سعره فلا يَستطيع الغُلام أن يَغْبِنَني فيه ، وليس بلَحم يطبُخه الغُلام فيقدر أن يأكل منه ، إنْ مسَّ عيناً ، أو أخذ أُذناً أو خدًّا وقفتُ على ذلك ، وآكُل منه ألواناً ، آكل عينَيه لوناً ، وأُذنيه لوناً ، وغَلْصمته لوناً ، ودماغه لوناً ، وأُكْفَى مؤونة طَبْخه ؛ فقد اجتمعت لى فيه مَرافق كثيرة .

من نوادره فى البخل

ويَحكى موسى بن يحيى بن خالد بن بَرْمك قال :

أوصلنا إلى مروان بن أبي حَفصة فى وقت من الأوقات سبعينَ ألف درهم ، فجمع إليها مالاً حتى تمّت مائة ألف درهم ، وأَودعها يزيدَ بن مَزْيد . قال : فبينا نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مَزْيد ، وكانت فيه دُعابة ، فقال : يا أبا علىّ ، أَودَعَنى مروانُ بن أبي حَفصة خمسينَ ومائة ألف درهم ، وهو يَشترى الخبز من البقّال . فغضب يحيى ثم قال : علىَّ بمَروان . فأُتى به . فقال له : أخبرنى أبو خالد بما أَودعتَه من المال وما تَبتاعه من البقّال ، ووالله لما يُرى من أثر البُخل عليك أَضرُّ من الفقر لو كان بك .

وحُكى عن مروان بن أبي حفصة أنه قال :

ما فَرحتُ بشيء قطُّ فرحى بمائة ألف دِرهم وَهبها لى أميرُ المؤمنين المهدى ، فوزنتُها فزادت درهماً ، فاشتريت به لحماً .

---

(١) المقذوذ : المزين المسوى. (٢) الكرابيس : الثياب الخشنة ؛ جمع : كرباس .
(٣) أى تشتد شهوته إليه .

وحكى جَهم بن خلف قال :

نزلنا على مروان بن أبى حَفصة باليمامة ، فأَطعمنا تَمراً ، وأرسل غُلامه بفَلْس وسُكُرّجَة [١] ليشترَى لنا زيتاً . فلما جاء بالزيت قال : خُنْتَنى ! قال : مِن فَلس كيف أخونُك ! قال : أخذتَ الفَلس لنفسك واُستوهبت الزيت .

وقيـــــل :

مرَّ مروانُ بن أبى حفصة فى بعض أسفاره ، وهو يُريد معنَ بن زائدة، باُمرأة من العرب ، فأَضافته ، فقال : لله علىّ إنْ وَهب لى الأميرُ مائةَ ألفِ درهم أن أَهَب لكِ درهماً . فأعطاه ستّين ألفَ درهم . فأعطاها دَوَانِق [٢] .

وقيـــــل :

اَشـترى مروانُ لحماً بنِصف دِرهم ، فلمّا وضعه فى القِدر ، وكاد يَنضج ، دعاه صديقٌ له ، فردَّه على القصّاب بنُقْصان دَانق ؛ فشَـكَّه [٣] القصّاب وجَعل يُنادى : هـذا لحمُ مَروان ! وظَن أنه يأنف لذلك . و بلغ الرشيدَ ذلك فقال : و يلك ! ما هذه الفَعلة ! فقال : أَكره الإسراف .

وقيل : فرّق المهدىُّ على الشُّعراء جوائزَ ، فأَعطى مروانَ بن أبى حَفصة ثلاثين ألفاً . فجاءه أبو الشَّمَقْمق فقال : أَجِزْنى من الجائزة . فقال : أنا وأنت نأخذ ولا نُعطى . قال : فاُسمع بيتَيْن . قال : هات . فقال أبو الشَّمقمق :

لِحْيةُ مروانَ تَقِى عَنــبرَا ... خالطَ مِسْكاً خالصاً [٤] أَذْفرَا
فمــا يقُيمان بها ســـاعةً ... حتى [٥] يعــودان جميعاً خَرَا

(١) السكرجة : الصفحة . (٢) دوانق : جمع : دانق ، وهو سدس الدرهم .
(٣) شكه ، أى انتظمه فى شوكة : يريد : علقه . والرواية فى غير التجريد : « فشكاه » .
(٤) تقى ، أى « تقىء » بالهمز ، فسهل . والأذفر : الجيد من المسك .
(٥) فى غير التجريد : « إلا » .

فأمر له بدرهمين .

مع الهادى

وذُكر أنّ مروان بن أبى حفصة دَخل على موسى الهادى ، فأنشده قولَه فيه :

تَشابه يوماً بُؤسه ونَواله فما أحدٌ يَدرِى لأيّهما الفَضْلُ

فقال له الهادى : أيما أحبّ إليك : ثلاثون ألفاً مُعجَّلَةً، أم مائةُ ألف تُدوَّن فى الدواوين ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنت تُحسن ما هو خيرٌ من هذا ، ولكنّك أُنسيته ؛ أفتأذن لى أن أذكِّرك ؟ قال : نعم . قال : تُعجِّل لى الثلاثين ألفاً وتُدوِّن المائة الألف فى الدّواوين . فضحك وقال : بل يُعجَّلان جميعاً . فحُمل المال إليه أجمع .

احتكامه إلى يونس فى شعره وتفضيله على الأعشى

وذُكر أنّ مروان بن أبى حَفصة جاء إلى حَلْقة يُونس فسلّم، ثم قال لهم : أيكم يُونس ؟ فأومئوا له إليه . فقال له : أصلحك الله ! إنى أرى قوماً يقولون الشعر ؛ لأنْ يَكشف أحدُهم سوءتَه ثم يَمشى كذلك فى الطريق أحسنُ له من أن يُظهر مثلَ ذلك الشعر ! وقد قلتُ شعراً أَعرِضه عليك ، فإن كان جيِّداً أظهرتُه ، وإن كان رديئاً سترتُه . فأنشده :

طرقَتْك زائرةً فَحَىّ خَيالَها بيضاء تَخلط بالحَياء [1] دلالَها

فقال له يونس : يا هذا ، اذهب فأَظْهر هذا الشعر ، فأنت والله فيه أشعرُ من الأعشى فى قوله :

* رحلتْ سُميَّة غُدوةً أجمالَها *

فقال له مَروان : سررتَنى وسُؤْتنى ؛ فأما الذى سرّنى فارتضاؤك الشعرَ ، وأما الذى ساءنى فتقْديمك إياى على الأعشى ، وأنت تعرف محلَّه . فقال له : إنما قدَّمتُك عليه فى تلك القصيدة لا فى الشِّعر كله ؛ لأنه قال فيها :

* فأصاب حبّة قلبها وطِحالَها *

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بالدلال جمالها » .

والطّحال لا يدخل فى شىء إلا أفسده ، وقصيدتُك سليمة من هذا وشِبْهه .

اتصاله بمعن وانتحاله شعر الباهلى

وحُكى أنّ مروان بن أبى حَفصة مرّ برجل من باهلةَ من أهل اليمامة ، وهو يُنشد قوماً كان جالساً إليهم ، شعراً مَدح به مروانَ بن مُحمد ، وأنه قُتل قبل أن يلقاه ، ويُنْشده إياه ، أوله :

مَروانُ يابن محمدٍ أنت الذى زِيدتْ به شَرَفاً بنو مروانِ

فأعجبتْه القصيدةُ ، فأمهل الباهلىّ حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه فى منزله فقال له : إنّى قد سمعتُ قصيدتَك وأعجبتْنى ، ومروانُ قد مَضى ومضى أهلُه ، وفاتك ماقدّرتَ عنده ؛ أفتبيعُنى القصيدة حتى أنْتحلها ، فإنه خيرٌ لك من أن تبقى عليك وأنت فقير ! فقال : بكم ؟ فقال : بثلثمائة درهم . قال : قد بِعْتُها . فأعطاه الدراهمَ ، وحلّفه بالطلاق ثلاثاً و بالأيمان المُحْرِجة ألّا يَنْتحلها أبداً ولا ينسبُها إلى نفسه ولا يُنْشدها . وانصرف إلى منزله ، فغيّر منها أبياتاً وزاد فيها ، وجعلها فى مَعن بن الشّيبانى ، وقال :

مَعنْ بن زائدةَ الذى زِيدت به شَرفاً إلى شَرف بنو شَيبانِ

ووفد بها إلى مَعن بن زائدة ، فملأ يديه ، وأقام عنده مدةً حتى أثرى واتسعت حاله . فكان مَعنٌ أولَ مَن رفع ذكره ونوّه به . وله فيه مدائحُ بعد ذلك شريفة ومراثٍ حَسنة .

حديثه عن معن وسعى المنصور فى طلبه

وحَكى مروانُ بن أبى حَفصة قال :

كان أبو جَعفر المَنصور قد طَلب مَعن بن زائدة طلباً شديداً ، وجعل فيه مالاً . قال مروان : فحدّثنى معنُ بن زائدة باليمن أنه اُضطرُ لشدّة الطلب إلى أن قام فى الشّمس إلى ان لوّحت وجهَه ، وخفّف عارضيه ولِحْيته ، ولَبِس جُبة صُوف غليظة، وركب جملاً من الجمال النّقّالة ، وخَرج عليه ليَمْضى إلى البادية فيُقيم بها ؛ وكان قد

أَبلى فى حرب يَزيد بن عُمر بن هُبيرة [1] بلاءً غاظ المنصورَ وجدَّ فى طلبه . قال مَعن : فلما خرجتُ من باب حَرْب [2] تبعنى أسودُ متقلِّدا سيفاً ، حتى إذا غِبتُ عن الحرس قَبض على خِطام الجمل فأناخه ، وقَبض علىّ . فقلت : مالك ؟ قال : أنت طَلِبةُ أمير المؤمنين . قال معن بن زائدة : فقلت : يا هذا ، اتّق الله ! وأين أنا من مَعن ! فقال : دَع هذا عَنك ، أنا والله أعرفُ به منك . فقلت له : فإن كانت القصّة كما تقول فهذا جوهرٌ حملتُه معى يفى بأضعاف ما بذله المنصورُ لمن جاءه بى ، فخُذْه ولا تَسْفك دمى . فقال : هاتِه . فأخرجتُه إليه . فنظر إليه ساعةً وقال : صدقتَ فى قيمته ، ولستُ قابلَه حتى أسألك عن شىء ، فإن صدقتَنى أطلقتُك . فقلت : قل . قال : إن الناس قد وصَفوك بالجود ، فأخبرنى : هل وهبتَ مالَك كله ؟ قلت : لا . قال : فنصفَه ؟ قلت : لا . قال : فثُلثه ؟ قلت : لا . حتى بلغ العُشر . فاستحييتُ وقلت : أظُنّ أنى قد فعلتُ هذا . فقال ما ذاك بعَظيم ، أنا والله راجل ، ورِزقى من أبى جعفر عشرون درهما ، وهذا الجوهر قيمتُه آلافُ دنانير ، وقد وهبتُه لك ووهبتُك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس ، ولتعلم أنّ فى الدُّنيا مَن هو أجود منك ، فلا تُعجبك نفسُك ولْتَحقر بعد هذا كُلَّ شىء تَفعله ، ولا تتوقَّف عن مَكْرُمة ؛ ثم رَمَى بالعقد فى حِجْرى وخلَّى خِطام البعير وانصرف . فقلت له : يا هذا ، والله فضحْتَنى ! ولَسَفْكُ دمى أهونُ علىّ ممّا فعلتَ ! خُذ ما دفعتُ إليك فإنى غَنِىٌّ عنه . فضَحك ثم قال : أردتَ أن تكذّبنى فى مَقامى هذا ، والله لا آخذه ولا آخُذ لمعروفٍ ثمناً أبداً ، ومَضى . فوالله لقد طلبته بعد أن أمنتُ ، وبذلتُ لمن جاءنى به ما شاء ، فما عرفتُ له خبراً ، وكأنّ الأرض ابتلعته .

---

(١) من رجالات بنى أمية وفرسانهم . أبلى مع مروان بن محمد ، ثم قتله أبو جعفر سنة ١٣٢ هـ . (الطبرى فى حوادث هذه السنة) .

(٢) موضع ببغداد ، ينسب إلى حرب بن عبد الله البلخى ، أحد قواد المنصور . (ياقوت) .

قال : وكان سبب رِضا المنصور عن مَعن أنه لم يزل مُستتراً حتى كان يوم الهاشميّة(١) :

تعقيب لابن واصل

قلت : هذا يوم وثبتْ فيه جماعةٌ على المَنصور - و يقال لهم: الرّاوندية ، كانوا يَعتقدون أن المَنصور إلٰه خالق رازق - و بلغ المنصورَ ذلك عنهم فأمر بقَتلهم ، فوثبوا به فى المدينة التى بناها أخوه السَّفّاح وسمّاها الهاشمية .

عود لحديث مروان عن معن

قال مروان : فلما وَثب القومُ على المَنصور وكادوا يقتُلونه ، وثب معنُ بن زائدة وهو متلثّم فانتضَى سيفَه وقاتل ، فأبلى بلاءً حسناً ، وذَبّ القومَ عنه حتى نَجا ، وهم يُحاربونه بعدُ . ثم جاء والمنصورُ راكب على بَغلة ولجامُها بيد الرَّبيع ، فقال له : تَنحَّ فإنى أحقُّ باللجام منك فى هذا الوقت وأعظمُ فيه غناءً . فقال له المَنصور : صَدَق ! فادفعه إليه . فأخذه ، فلم يزل يُقاتل حتى انكشفت تلك الحالُ . فقال له المنصور : من أنت ؟ لله أبوك ! قال : أنا طَلِبتك يا أميرَ المُؤمنين : مَعن بن زائدة . فقال : قد أمَّنك الله على نَفسك ومالك ، ومِثلك يُصطنع . ثم أخذه معه ، فخَلع عليه وحَباه و زيّنه(٢) . ثم دعا به ، فقال : إنّى قد أهّلتك لأمرٍ فكيف تكون فيه ؟ قال : كما يُحبّ أميرُ المؤمنين . قال : قد ولَّيتك اليَمن ، فابسُط فيهم السيفَ حتى ينقَض حِلْف ربيعة واليمن . قال : أبلُغ من ذلك ما يُحب أمير المُؤمنين . فولّاه اليمنَ . وتوجّه إليها فبَسط فيهم السيفَ .

قال مروان : وقَدم معنُ بن زائدة بِعقِب ذلك فدَخل على المنصور . فقال له بعد كلام طويل : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك شىء ، لولا مكانُك عنده ورأيه فيك لغَضِب عليك . قال: وما ذلك يا أميرَ المُؤمنين ، فوالله ما تعرّضتُ لك منك . قال: إعطاؤُك مروانَ بن أبى حَفْصة ألفَ دينار ، لقوله فيك :

---

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح بالكوفة ، وزاد فيها المنصور ؛ وسيعرض ابن واصل لهذا اليوم . (ياقوت) . (٢) فى التجريد : « ورتبه » .

مَعْنُ بن زائدةَ الذى زِيدتْ به ... شرفاً على شَرفٍ بنو شَيبانِ
إنْ عُدّ أيامُ الفَخار[1] فإنما ... يوماهُ يومُ ندًى ويومُ طِعانِ

فقال: والله يا أميرَ المُؤمنين ما أعطيته ما بَلغك لهذا الشعر، وإنما أعطيتُه لقوله:

ما زِلتَ يومَ الهاشميةِ مُعلَماً ... بالسيف دون خليفة الرحمٰنِ
فمنعتَ حَوْزَته وكنتَ وِقاءه ... من وَقْعِ كُلِّ مُهنَّدٍ وسِنانِ

فاستحيا المنصور وقال: إنما أعطيتَه ما أعطيته لهذا القول؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، ووالله لولا مَخافة الشَّناعة[2] عندك لأمكنتُه من مفاتيح بيت المال، وأبحتُه إيّاها. فقال المنصور: لله دَرُّك من أعرابىّ! ما أهونَ عليك ما يَعِزُّ على الرجال وأهل الحزم!

هو والمهدى وقد وفد عليه يمدحه

وحَكى الفضلُ بن الرَّبيع قال:

رأيتُ مروانَ بن أبى حَفْصة، وقد دَخل على المهدىّ بعد وفاة مَعن بن زائدة فى جُملة الشُّعراء، فيهم سَلْم الخاسر وغيرُه، فأنشده مديحاً له فيه؛ فقال له: من أنت؟ فقال: شاعرُك يا أميرَ المُؤمنين مروانُ بن أبى حَفصة. فقال له المَهدىّ: ألست القائل:

أَقَمْنا بالمدينة[3] بعد مَعْنٍ ... مُقاماً لا نُريد به زَوالَا
وقُلنا أين نَرحل بعد مَعْنٍ ... وقد ذَهب النَّوالُ فلا نَوالا

قد ذهب النّوال فيما زعمتَ، فلم جئتَ تطلُب أموالَنا؟ لا شىء لك عندنا! جُرُّوا برجله. فجُرُّوا برِجْله، حتى أُخرج. فلما كان العامُ المُقبل تلطَّف حتى دَخل

(١) فى غير التجريد: «الفعال».
(٢) فى بعض أصول الأغانى: «النقمة». وفى بعض آخر: «الشنعة».
(٣) فى غير التجريد: «باليمامة».

مع الشُّعراء — و إنما كانت الشُّعراء تدخُل على الخُلفاء فى كل عام مرة — فمَثَل بين يديه وأَنشده بعد رابع ، أو بعد خامس ، من الشعراء :

طرقتْك زائرةً فحيِّ خيالَهَــا بيضاء تَخلط بالحَيـاء دَلالَهَـا
قادتْ فؤادَك فاستقاد ومثلُها قاد القُلوبَ إلى الصِّبا فأمالهـا

فأنصت لها المهديُّ ، حتى بلغ مروان إلى قوله :

هل تَطْمِسون من السماء نُجومَها بأكفِّكم أو تَسْتُرون هِلالَهَـا
أو تَجْحدون مقـالةً من ربِّكم جبريلُ بَلَّغها النبيَّ فقالَهَا
شهدتْ من الأنفال آخرُ[1] آية بتُراثِهم فأَردتُمُ إبْطالَهَـا

هو والرشيد وقد وفد عليه يمدحه

قال : فرأيتُ المهـديَّ وقد زَحف من صَدر مُصلَّاه حتى صار على البِساط ، إعجاباً بمـا سَمع ، ثم قال : كم هى ؟ قال : مائةُ بيت . فأَمر له بمائة ألفِ درهم . فكانت أوّلَ مائة ألف دِرهم أُعطيها شاعرٌ فى أيام بنى العبّاس .

قال : ومَضت الأيامُ وَولى هارون الرشيد الخلافةَ ، فدَخل إليه مروان ، فرأيتُه واقفاً مع الشُّـعراء ، ثم أَنشده قصيدةً امتـدحه بها . فقال : من أنت ؟ فقال : شاعرُك وعبـدُك يا أميرَ المُؤمنين مَروانُ بن أبى حفصة . فقال له : ألستَ القائلَ فى معن بن زائدة ؟ وأنشده البيتين اللذين أنشده إياهما المَهـدى ، ثم قال : خُذوا بيـده فأَخرجوه ، لا شىء لك عندنا ! فلمـا كان بعد ذلك بيومين تلطَّف حتى دَخل ، فأَنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

لعمرك ما أَنسى غـداةَ المُحصَّب إشارةَ سَـلْمى بالبَنان المُخضَّبِ
وقد صَـدر الحُجَّاج إلّا أقلَّهم مَصادر شَتَّى مَوكباً بعد مَوْكِبِ

(١) يشير إلى قوله تعالى : (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم. وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله . إن الله بكل شىء عليم) .

فأعجبته . فقال : كم قصيدتُك ؟ فقال : ستُّون ـ أو سبعون ـ بيتاً . فأمر له بعدد أبياتها أُلوفاً . فكان ذلك رَسْمَ مروان عندهم حتى مات .

صلة المهدى له

وقال مروانُ بن أبي حفصة :

دخلتُ على المهديّ في قصره بالرُّصافة ، فأنشدتُه قولي فيه :

أَمَرُّ وأحْلَى ما بلا الناسُ طعمَه عـذابُ أميرِ المُؤمنين ونائلُه
وإنّ طَلِيقَ الله من أنت مُطْلِقٌ وإنّ قَتيـلَ الله من أنت قاتلُه
كأنّ أميرَ المُؤمنين محمـداً أبو جعفر في كُلِّ أمرٍ يُحاوله

قال : فأُعجب بها وأمر لى بمـال عظيم . وكانت تلك الصلةُ أوّلَ صلةٍ سَنِيَّة وصلتْ إليّ في أيّام بني هاشم .

حديثه مع الجنى

وحكى محمدُ بن حَفْص بن عَمْرو بن الأَيهم الحَنَفيّ قال :

مرّ مروانُ بن أبي حَفصة برجلٍ من تَيم اللَّات بن ثَعلبـة ، يُعْرَفُ بالجِنِّيّ . فقال له مروان : زَعموا أنّك تقول الشِّـعر . فقال له : إن شئتَ عرَّفْتُك ذلك . فقال له مَروان : وما أنتَ والشِّعر ! ما أرى ذلك من طريقتك ولا تقوله ! فقال له الجنّيّ : اجلس فاسمع . فجلس . فقال الجِنّي يهجوه :

ثَوى اللُّؤم في عَجْلانَ يوماً وليـلةً وفى دار مَروانٍ ثَوى آخر الدَّهرِ
غـدا اللؤمُ يَبغى مَطْرَحاً لرِحاله فنقَّب فى بَرِّ البـلاد وفى البَحرِ
فلمّـا أتى مروانَ خيَّم عنـده وقال رَضِينا بالمُقـام إلى الحَشْرِ
وليست لمروانٍ على العِرْسِ غَيرةٌ ولـكنّ مرواناً يَغار على القِـدْرِ

فقال له مروان : نَشدتُك الله إلّا كَففتَ ، فإنك أشعرُ الناس . فحلف الجِنّي بالطلاق ثلاثاً أنه لا يكفّ حتى يَصير إليه بنَفر من رؤساء أهـل اليمامة ، ثم يقول

بحَضرتهم : قاق ! فى أستى بيضة . فجاءهم مروانُ وفعل ذلك بحَضرتهم — وكان فيهم جَدِّى يحيى بن الأيهم — فانصرفوا وهم يضحكون من فِعله .

وفوده على الهادى مهنئاً ومعزياً

وذُكر أنه لمـا مات المهدىُّ وفدتِ العربُ على ابنـه مُوسى الهادى يهنئونه بالخِلافة ، ويُعزُّونه عن المهدىّ . فدَخل مروانُ بن أبى حفصـة ، فأخذ بعَضادتى الباب ، ثم قال :

لقد أصبحتْ تَختال فى كُل بلدةٍ ... بقبر أمير المُؤمنين المَقـــابرُ

ولو لم تُسَكَّن بابنه فى[1] مقامه ... لمـا برِحَت تبْكى عليه المَنـابرُ

فخرج الناس بالبيتين .

تهنئته ابن مسعدة بإبلاله من مرضه

وذُكر أنه مرض عمرو بن مَسعدة ، فدَخل عليه مروانُ بنُ أبى حفصة ، وقد أبلّ من مرضه ، فأنشأ يقول :

وصحّ الجِسْمُ يا عمرو ... لكَ التَّمْحِيصُ والأَجرُ

ولله علينـــا الحَمْـ ... ـدُ والمِنَّة والشُّكر

فقد كان شكا شوقاً ... إليك النَّهىُ والأمرُ

لصريع الغوانى فى نحوه

فَنحا نحوه مُسلم بن الوليد صريعُ الغوانى فقال :

قالوا أبو الفَضل محمومٌ فقلت لهم ... نَفسى الفِداءُ له من كُلِّ محْذورِ

يا ليت عِلَّتـــه بى غير أنَّ له ... أجرَ العَليـل وأنِّى غيرُ مأجور

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيـه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ مروانَ بن أبى حفصة ، هو :

* هل تَطْمِسون من السماء نُجومَها *

والبيت الذى بعده ، وقوله : « طرقتك زائرة » . وقد تقدّم ذكرها[2] .

(١) فى غير التجريد : «فى مكانه » .
(٢) انظر (ص ١١٣٧ و ١١٤٢) من هذا الجزء .

أخبار إبراهيم بن المهدى

نسبه

هو أبو عبد الله محمد بن المنصور أبى جعفر عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله ابن العبّاس بن عبد المُطلب .

أمه

وأمه شَكْلة ، أمةٌ مولَّدة . كان أبوها رجل من أصحاب المازِيار ، يقال له : شاه أفْرند . فقُتل مع المازيار ، وسُبيت شَكِلة وحُملت إلى المنصور ، فوَهبها لمُحيّاةَ أمّ ولده ، فربّتها و بعثتْ بها إلى الطائف ، فنشأت هناك وتفصَّحت . فلما كَبرتْ رُدّت إليها ، فرآها المهدىّ عندها فأعجبتْه ، فطلبها من مُحَيَّاة، فأعطتْه إيّاها ، فولدت منه إبراهيم .

من صفته

وكان رجلاً عاقلاً فَهِماً أديباً [1] شاعراً ، راويةً للشِّعر وأيام العرب ، خطيباً فصيحاً حسنَ العارضة .

لإسحاق الموصلى فيه

وكان إسحاق الموصلى يقول :

ما وَلد العبّاسُ بن عبد المطلب ، بعد عبد الله بن العباس ، رجلاً أفضلَ من إبراهيم بن المَهدىّ . فقيل له : مع ما تَبذَّل به من الغناء ؟ فقال : وهل تَمَّ فضلُه إلّا بذلك .

منزلته فى الغناء

وكان إبراهيم ، مع فَضله وشرفه ، بارعاً فى صناعة الغِناء متقدِّماً فيها . وكان يقول : لولا أنى أرفع نفسى عن هذه الصناعة لأظهرتُ فيها ما يَعلم الناس معه أنهم لم يَرَوْا قَبلى مِثلى .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « دينا » .

غناؤه لسليمان بن أبى جعفر و جعفر ابن يحيى

وكان رُبما غنَّى لأخيه الرشيد المرّةَ بعد المرّة . فحُكى عنه أنه قال :

كان الرشيدُ يُحب أن يسمعنى ، فخلا بى مرّاتٍ إلى أنْ سَمِعنى . ثم حضرتُه مرّةً وعنده سليمانُ بن أبى جعفر المَنصور ، فقال لى : عمُّك وسيدُ ولدِ المَنصور بعد أبيك ، وقد أَحبّ أن يَسمعك . فلم يتركْنى حتى غَنَّيتُ بين يديه :

سَقْياً لربْعكِ من رَبعٍ بذى سَلَمٍ ... وللزَّمان به إذ ذاكَ من زَمنِ
إذ أنتِ فينا لمن ينهاكِ عاصيةٌ ... وإذ أُجُرّ إليكم سادراً رَسَنِى

فأمر لى بألف ألف درهم . ثم قال لى ليلةً أخرى ، ولم يَبقَ عنده فى المجلس إلّا جعفر بن يحيى ، فقال : أنا أُحبُّ أن تشرِّفَ جعفراً بأن تُغنِّيه صوتاً . فغنيته لحناً صنعتهُ فى شعر الدّارمىّ :

كأنّ صُورتها فى الوصف إذ وُصفتْ ... دينارُ عينٍ من المَضْروبة[1] العُتُقِ
أو دُرَّةٌ أُعْيَت الغوّاصَ فى صَدَفٍ ... أو ذَهبٌ صاغَه الصوّاغ فى وَرِقِ

فأمر لى بألف ألف درهم .

حبسه الأمين ثم رضى عنه وأطلقه

وحَكى إبراهيم بن المهدىّ قال :

غَضِب علىّ محمدٌ الأمين فى بعض هَناته ، وسلّمنى إلى كَوْثر[2] ، وحَبسنى فى سِرْداب وأَغلقه علىّ . فمكثتُ فيه ليلتى . فلما أصبحتُ إذا أنا بشيخٍ قد خَرج علىّ من زاويةِ السِّرداب ، فدَفع إلىّ رَبِيطاً[3] وقال : كُلْ . فأكلت . ثم أخرج لى قِنِّينة شراب ، فقال : اشرب . فشربتُ . ثم قال لى غَنّ فغنيتُ :

لى مُدةٌ لا بُدَّ أَبلغهـــا ... معلومةٌ فإذا انقضتْ مُتُّ
لو ساورتْنى الأُسد ضاريةً ... لغلبتُهـــا ما لم يَجِ الوَقْت

(١) فى غير التجريد : « المصرية » . (٢) هو كوثر خادم الأمين .
(٣) الربيط : التمر اليابس .

وسمعني كَوْثر . فصار إلى محمد وقال له : قد جُنّ عَمُّك ! هو جالسٌ يُغَنّي بكَيت وكَيت . فأمر بإحضارى . فأُحضرت . فأخبرتُه بالقصّة . فأمر لى بسبعمائة ألف دِرهم ، ورَضى عنّي .

أبو أحمد بن الرشيد والمأمون ومطارحة علية له

وحَكى أبو أحمد بن الرشيد قال :

كنتُ يوماً بحضرة المأمون وهو يشرب ، فدعا بياسِرٍ فسارّه بشيء . فمَضى وعاد . فقام المأمونُ وقال لى : قُم . فدَخل دار الحُرم ودخلتُ معه ، فسمعتُ غِناءً أذهل عقلي . وفَطِن المأمونُ لما بى ، فضَحك وقال : هذه عَمّتك عُلَيّة تُطارح عمّك إبراهيم . والشعرُ لعُليّة بنت المهدىّ ، وكذلك الصّنعة :

ما لى أرى الأبصارَ بى جافِيَهْ ... لم تَلْتَفِتْ منّى إلى ناحيهْ
لا ينظر النـاسُ إلى المُبتلَى ... وإنما الناسُ مع العافيه
صَحْبِى سلُوا ربكُم العافيهْ ... فقد دهتْنى بعدكمُ داهيه
وقد جفانى ظالماً سيدى ... فأدمُعى مُنهـلّةٌ[1] جاريه

ابن بسخنر بينه وبين جاريته شارية

وحكى محمدُ بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال :

وجّه إلىّ إبراهيمُ بن المهدىّ يوماً يدعونى ، وذلك فى أول خلافة المُعتصِم ، فصرتُ إليه وهو جالس وحدَه، وشاريةُ جاريته خلف السِّتارة، فقال : إنّى قلتُ شعراً وغنيتُ فيه ، فطرحتُه على شارية فأخذتْه ، وزعمتْ أنها أحذقُ به منّى ، وأنا أقول : إنى أحذق به منها ، وقد تراضينا بك حَكَماً بيننا لموضعك فى هذه الصناعة ، فاسمعه منّى ومنها وأحكم ، ولا تَعجل حتى تَسمعَه ثلاثَ مرّات . فقلت : نعم . فاندفع يغنّى :

أَضَنُّ بلَيلى وهى غيرُ سخيةٍ ... وتَبخل ليلى بالهَوى وأَجودُ

فأحسن وأَجاد . ثم قال لها : تغنّىْ . فغنّتْه ، فبرّزت فيه حتى كأنه كان معها

(١) فى بعض أصول الأغانى : « هامية » مكان « جارية » .

فى « أبى جاد » . ونظر إلىّ فعرف أنى قد عرفتُ فضلَها عليــــه . فقال : على رِسْلِك ! وتحدَّثنا وشرِبْنا ، ثم اندفع فغنّاه ثانيةً ، فأضعف فى الإحسان . ثم قال لها : تغنَّىْ . فغنَّت، فبرعت وزادت أضعافَ زيادته ، وكدتُ أشُقّ ثيــابى طرباً . فقال لى : تثبَّت ولا تَعجل . ثم غنَّاه ثالثةً ، فلم يُبْقِ غايةً فى الإحكام . ثم أمرها ، فغنَّت . فكأنه إنما كان يلعب . ثم قال لى : قُل . فقضيتُ لها . فقال : أصبتَ . فكم تُساوى عندك الآن ؟ فحملنى الحسدُ له عليها ، والنفاسةُ بمثلها أنْ قلت : تُساوى مائة ألف دِرهم . فقال : أوَ ماتُساوى على هذا الإحسان وعلى هذا التفضيل إلّا مائة ألف ! قَبحَ الله رأيَك ! والله ما أَجِد شيئاً أبلغ فى عُقوبتك من أن أصرفَك ، فقم فانصرفْ إلى منزلك مَذْموماً . فقلت له : ما لقولك : « أُخرج من منزلى» جوابٌ ! وقمتُ فانصرفتُ ، وقد أحفظنى كلامُه وأرمضنى[1] . فلما خطوتُ خُطواتٍ التفتُّ إليــه فقلت : يإبراهيم ، أتطرُدنى من مَنزلك ! فوالله ما تُحسن أنت ولا جاريتُك شيئاً ! وضَرب الدهرُ ضربانَه ، ثم دعانى المُعتصم بعد ذلك وهو بالوزيريّة فى قصر التّل ، فدخلتُ أنا ومُخارق وعَلّويه ، وإذا أميرُ المؤمنين مُصطبح وبين يديه ثلاث جاماتٍ : جامُ فضّــة مملوءةٌ دنانير جُدُداً ، وجام ذهب مملوءةٌ دراهم جُدداً ، وجام قواريرَ مملوءةٌ عنبراً . فظننّا أنها لنا ، بل لم نَشُك فى ذلك . فغنّيناه وأجهـــدنا أنفُسنا ، فلم يَطرب ولم يَتحرك لشىء من غنائنا . ودخل الحاجبُ فقــال : إبراهيمُ ابن المهدىّ . فأذِن له . فدَخل فغنّاه أصواتاً أحسنَ فيها ما شاء . ثم غنّاه بصوت من صَنعته — والشعر لإبراهم الموصلى — وهو :

ما بالُ شَمسِ أبى الخَطّاب قد غَرَبتْ يا صــاحبىّ أظُنّ الســاعةَ اقتربتْ

فاستحسنه المُعتصم وطَرب له ، وقال : أَحسنتَ والله ! فقــال إبراهيم : يا أميرَ المُؤمنين ، فإن كنتُ قد أَحسنتُ فهَب لى إحدى هذه الجامات . فقال :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وأمضنى » .

خُذ أيتها شئت . فأَخذ التي فيها الدّنانير . فنَظر بعضنا إلى بعض . ثم غنّاه إبراهيمُ بشعر له ، وهو :

فمـــا مُزَّةٌ قهوةٌ قَرقَفٌ شَمُولٌ تَروق براوُوقها(١)

فقال : أحسنت والله يا عم ، وسَررتَ ! فقــال : يا أميرَ المؤمنين ، إن كنتُ أحسنتُ فهَبْ لى جاماً أخرى . فقال : خُذ أيتهما شئت . فأَخذ الجام التى فيها الدَّراهم . فعندها أُنقطع رجاؤنا منها . وغنّاه بعد ساعة بشعر العبّاس بن الأَحنف :

ألا ليتَ ذا الخـال تَلْقَى مِن الهوى عَشِـيرَ(٢) الذى أَلْقَى فيلتئمَ الحُبُّ
وِصالـكُمُ صَــدٌّ وقُربكُمُ قِلًى وعطفـكُمُ سُخْطٌ وسِـلْـمُكُمُ حَرْب

فقام المُعتصم على رجلَيْـه طَرباً ، وأُرتجّ بنا المَجلس الذى كُنّا فيه . ثم جَلس المُعتصم وقال : أحسنتَ والله يا عَم ما شئت ! فقال : إن كنتُ أحسنتُ يا أمير المؤمنين فهَبْ لى الجام الثالثة . فقال : خُذها . فأَخذها . وقام أميرُ المؤمنين . فدعا إبراهيمُ بمِنْديل فثناه طاقتَيْن ووضع الجاماتِ فيه وشَدّه ، ودعا بطين فختمه ودَفعــه إلى غُلامه . ونَهضنا للأنصراف ، وقُدِّمت دوابُّنا . فلمـا ركب إبراهيمُ أَلتفت إلىّ وقال : يا محمــد بن الحارث ، زعمتَ أنِّى لا أُحسن أنا وجاريتى شيئاً ، وقد رأيتَ ثمرة الإحسان ! فقلتُ فى نفسى : قد رأيتُ ، فخذها لا بارك الله لك فيها ! ولم أُجبه بشىء .

(١) المزة ، والقهوة ، والقرقف ، والشمول : كلها من أسماء الخمر . والراووق : الباطية للخمر . (٢) العشير : العشر ، وهو الجزء من عشرة .

ذكر خروج إبراهيم بن المهدى على المأمون

ثم ظفر المأمون به وعفوه عنه

تمهيد لابن واصل

ذكر أبو الفرج عَفْو المأمون عنه ولم يذكُر خُروجه ، فأردت أن أذكُر ذ ٤ ملخصاً ؛ لأبنى عليه ما ذَكر أبو الفرج :

لما قُتل محمد الأمين بن الرّشيد ، وَصَفَت الدُّنيا للمأمون ، وأجمع الناس على البَيعة له ، وهو إذ ذاك بخُراسان بمَرْو ، أستوزر الفضلَ بن سَهل ذا الرِّياستين . فغَلب على المأمون غلبةً شديدة وحَجبه ، وصارت الأمور كُلها إليه . فأشار على المأمون أن يَجعل وليَّ عهده والخليفةَ بعده الرِّضَى أبا الحَسن علىّ بن موسى ابن جَعفر بن محمد بن علىّ بن الحَسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم . وأن يُغيِّر السوادَ الذى هو لُبْس آبائه ، ويَلبس الخُضرة ويأمر الناسَ بلِباسها . فأجابه المأمونُ إلى ذلك . وأستقدم المأمونُ علىَّ بن موسى . فقدم عليه . فأمر الناسَ بالبَيعة له ، ولَقَّبه الرِّضى من آل محمد . وكَتب إلى الآفاق ببَيعته ، وأمر بأن يُخطب له على المَنابر بعده . وأَمر الناسَ بلُبس الخُضرة ونَزْع السَّواد . ولما بلغ أهلَ بغداد ومَن بها من بَنى العبَّاس كَرهوا نَقل الأمر عنهم إلى آل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، وتَرْكَ الشِّعار الذى هو شعارُهم . فخَلعوا المأمون من الخلافة، وبايعوا بها عمَّه إبراهيم بن المهدى ، ولقّبوه المُبارك ؛ ووقعت الحربُ بين إبراهيم ابن المهدىّ وبين الحَسن بن سَهل نائب المأمون بالعراق ، وأضطربت الدُّنيا على المأمون . ولما بلغ المأمونَ ذلك نَدِم على ما فعل وعَلم أن الفَضل بن سهل هو الذى عليه الأُمور . فرَحل طالباً العِراق . فلما وصل إلى سَرْخس تواطأ جماعة على الفَضل بن سهل ، ففتكوا به وهو فى الحَمّام . ولما وصل إلى طُوس تُوفِّى علىّ

ابن موسى الرِّضى ولىّ عهده . فدَفنه عند أبيه الرَّشيد . وقد قِيل إن المأمون سَمَّه . والله أعلم . ولمّا وصل المأمونُ إلى بغداد تفرّق عن إبراهيم بن المهدىّ أصحابُه ، واْستتر إبراهيم خوفاً على نفسه من المأمون . وكانت مُدة أيامه بالعراق سنةً وعشرة أشهر . ودَخل المأمونُ بغداد ، وقد أنتظمت له الأُمور ، ولم يبق له مُنازع ، وعليه وعلى أصحابه الخُضرة . وأمر أهل بغداد بلُبسها ، فلَبِسوها . وأقام على ذلك أسبوعاً ، ثم نزع الخُضرة ولبس السَّواد ، وأمر الناس بلُبسه ، وعادت الأُمور كما كانت عليه أولاً . وكان دُخول المأمون بغدادَ سنةَ أربعٍ ومائتين .

هو والمأمون لما ظفر به

وفى سنة عشرة ظَفِر بعمِّه إبراهيم بن المهدى . ولما ظَفر به أَحَبَّ أن يُوبِّخه على رُءوس الناس . فجِىء بإبراهيم بن المهدىّ يَحجُل فى قُيوده . فوقَف على طَرَف الإيوان فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته . فقال : لا سَلَّمَ الله عليك ولا حَفِظك ولا رعاك ولا كلأك يإبراهيم ! فقال إبراهيم : على رِسْلك يا أمير المؤمنين ، فلقد أصبحتَ ولىَّ ثأرى ، والقُدرةُ تُذهب الحَفِيظةَ ، ومن مَدَّ له الاْغترارُ فى الأَمل هجمتْ به الأَناةُ على التَّلف ، وقد أَصبح ذَنبى فوق كُلِّ ذنب ، كما أنَّ عَفوك فوق كُل عفو . فإن تُعاقِبْ فبحقِّك ، وإن تغفر[١] فبفضلك . فأَطرق المأمونُ مليًّا ، ثم رفع رأسه فقال : إن هذين أشارا علىّ بقتلك . فاْلتفتَ فإذا المُعتصم والعبّاس بن المأمون . فقال : يا أمير المؤمنين ، أمّا حقيقة الرأى فى معظَم تدبير الخِلافة والسياسة فقد أشارا عليك به ، وما غَشّاك إذ كان منى ما كان ، ولكنّ اللهَ عوّدك من العَفو عادةً جريتَ عليها دافعاً ما تخافُ بما ترجو ، فكفاك الله يا أمير المؤمنين . فتبسّم المأمونُ وأقبل على ثُمامة بن أشرس ، ثم قال : إنّ من الكلام لما يفُوق الدرّ و يغلب السِّحر ، وإن كلام عمِّى منه ، أَطلقوا عن عمِّى حديدَه ورُدُّوه إلىَّ مُكرَّماً . فلمّا رُد إليه قال : يا عمّ ، عُد إلى المُنادمة وأرجع

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وإن تعف » .

إلى الأُنس ، فلن ترى منّى أبداً إلّا ما تُحب . فلما كان من الغد بعث إليه بدَرْج [(١)] فيه هذه الأبيات :

يا خيرَ من ذَمَلَتْ [(٢)] يمانيةٌ به ... بعد الرّسول لآيسٍ أو طامعِ
وأبرَّ مَن عَبَد الإلٰه على الهُدى ... نَفساً وأحكمه بحقٍّ صادعِ
عُسْلُ الفَوارع ما أُطِعْتَ [(٣)] فإن تُهَجْ ... فالموتُ فى جُرَع السِّمام الناقع
مُتيقِّظاً حَذِراً وما تخشى العِدا ... نَبْهانَ مِن وَسنات ليلِ الهاجِع
والله يعلمُ ما أقول فإنها ... جَهْدُ الأَلِيَّة من حَنيفٍ راكع
قَسماً وما أُدلى إليك بحُجَّة ... إلّا التضرُّعَ من مُحبٍّ خاشع
ما إن عصيتُك والغُواة تَمُدّنى ... أسبابُها إلّا بنِيّة طائع
حتى إذا عَلقتْ حبائلُ شِقْوتى ... بِرَدًى إلى حُفَر المَهالك دافِعى
لم أدْرِ أنَّ لِمثل ذَنْبى غافراً ... فأقمتُ أرقُب أىَّ حَتْفٍ صارعى
رَدَّ الحياةَ إلىّ بعد ذَهابها ... وَرَعُ الإمام القاهر المُتواضع
أَحياك مَن ولّاك أطولَ مدّة ... ورَمى عدوَّك فى الوَتين [(٤)] بقاطِع
إنّ الذى قَسَم الفضائلَ حازها ... فى صُلْب آدمَ للإمام السابع
كم مِن يدٍ لك لا تُحدِّثنى بها ... نَفسى إذا آلتْ إلىّ مَطامعى
أَدَّيتَها [(٥)] عفواً إلىّ هَنيئةً ... فشكرتُ مُصْطَنَعاً لأكرمِ صانِع
ورَحمتَ أطفالاً كأفراخ القَطا ... وعَويلَ عانسةٍ كقوس النازع
وعفوتَ عمَّن لم يكن عن مثله ... عفوٌ ولم يَشفع إليك بشافع
إلا العُلوّ عن العقوبة بعد ما ... ظَفِرت يداك بمُستكين خاضع

---

(١) الدرج : بالفتح ويحرك : ما يكتب فيه . (٢) ذملت : سارت سيراً سريعاً ليناً .
(٣) أى حلو العطايا . (٤) الوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « أسديتها »

فبكى المأمونُ ، ثم قال : علىَّ به . فأُتى به . فخَلع عليه وحَمله وأمر له بخمسة آلاف دينار . ودعا بالفرّاش فقال له : إذا رأيت عَمّى مُقبلاً فاُطرح له تُكَأَة . فكان يُنادمهُ ولا يُنكر عليه شيئاً .

وقيل : إن إبراهيم لما خاطب المأمون بما خاطبه به ، دَفعه إلى ابن أبى خالد الأَحول وقال : هو صديقُك ، فخُذه إليك . فقال : وما تُغْنى صداقتى عنه وأميرُ المؤمنين ساخطٌ عليه ، أمَا إنى و إن كنتُ صديقاً له لا أمتنع من قول الحقّ فيه . قال : قُل ، فإنك غيرُ مُتَّهم . فقال ، وهو يريد التسلُّق إلى العفو عنه : إن قتلتَه فقد قتلتِ المُلوكُ قَبلك مَن هو أقلُّ جُرماً منه ، و إن عفَوتَ عنه عفوتَ عمَّن لم يُعفَ قبلك عن مثله . فنكت المأمونُ ساعةً بيده ، ثم قال[١] مُتمثّلاً :

قَومى همُ قتلُوا أُميم أخى ... فإذا رميتُ أَصابنى سَهمِى
فلئن عفوتُ لأعفوَنْ جَللاً ... ولئن ثأرتُ[٢] لأُوهنَنْ عَظمى

خُذه إليك يا أحمد مُكرَّماً . فاُنصرف به .

وذُكر أنّ المأمون تقدّم إلى محمد بن يَزْداد[٣] ، لما أَطلق إبراهيم بن المهدىّ ، أن يَمنعه دارَىِ الخاصّة والعامة ، ويُوكّل به رجلاً من قِبَله يَثق به ليُعرّفه أخبارَه . فكتب إليه الموكَّل به : إن إبراهيم لمّا بلغه مَنعُه من دارَىِ الخاصّة والعامّة تمثَّل :

[٤]يا سَرحةَ الماء قد سُدَّت مَواردُه ... أَمَا إليكِ طريقٌ غيرُ مَسْدُودِ
لِحائمٍ حامَ حتّى لا حِيامَ له ... مُحَلَّأٍ عن طريق الماء[٥] مَرْدود

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « فسكت المأمون ساعة ثم قال » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ولئن سطوت » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « مزداد » تحريف .
(٤) الشعر لإسحاق الموصلى . (٥) فى بعض أصول الأغانى : «مطرود» مكان « مردود» .

فلما قرأها المأمونُ بكى ، وأمر بإحضاره من وقته مُـكرَّماً ، وأنزله منزلته[١] . فصار إليـه محمد فبشّره بذلك وأمره بالرُّكوب ، فركب . فلمَا دخل على المأمون قبّـل البساط ثم قال :

البرُّ بى منك وَطا العُذْرَ عنـدك لى ... دون اعتـذارى فلم تعـذل ولم تَلُم
وقام علمُك بى فاحتجَّ عنـدك لى ... مقـامَ شاهدٍ عَدْلٍ غيرِ مُتَّهَم
رددتَ مالى ولم تَبْخَـل[٢] علىّ به ... وقبـلَ ردِّك مالى قد حقنتَ دمى
فبؤتُ منك وقد كافأتها بيـد ... هى الحيـاتان من موتٍ ومن عَدم
لئن كفرتُك ما أوليتَ من نِعَم ... إنِّىَ باللُّوم أولى منك بالكَرم
تَعفو بعَـدْلٍ وتسْطو إن سطوت به ... فلا عدمنـاكَ مِن عافٍ ومُنْتَقم

فقال له المأمون : اجلس يا عمّ آمناً مطمئنا ، فلن ترى منّى أبداً ما تـكره ، إلا أن تُحْدث حدَثا أو تتغيّر عن طاعة ؛ وأرجو ألّا يكون ذلك إن شاء الله .

هو وابن بسخنر ومخارق مع المأمون

وحـكى محمدُ بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال :

لمّا قدم المأمونُ من خُراسان لم يَظهر لمُغنٍّ بمدينة السلام غيرى ، فكنتُ أُنادمه سرًّا ، ولم يَظهر للنُّدماء حتى ظَفِر بإبراهيم بن المهدى ، فلما ظَفر به وعفا عنه ظَهر للنُّدماء . ثم جمعنا ووجّـه إلى إبراهيم . فحضر فى ثياب بِذْلته[٣] . فلمـا رآه المأمونُ قال : ألْقِ عمِّى رداء الـكِبْر عن مَنْـكِبيه . ثم أمر له بخِلَع فاخرة وقال : يا فَتْح ، غَدِّ عَمِّى . فتغدَّى إبراهيم بحيث يراه المـأمون . ثم تحوّل إلينا . وكان مُخارق حاضراً ، فغنَّى مخارق بشعر عدىّ بن زيد :

هذا ورُبَّ مُسوِّفين[٤] صبحتُهم ... من خَمر بابلَ لذةً للشاربِ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وإنزاله فى مرتبته » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ولم تمنن » . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « مبتذلة » .
(٤) المسوف : الصابر .

بَكروا علىّ بسُحرة فصبَحتُهم بإناء ذى كَرَم كقعْب الحالِب
بزُجاجةٍ مِلْء اليَدين كأنها قِنْديلُ فِصْحٍ فى كنيسة راهب

فقال إبراهيم بن المهدى : أسأت ! فأعده . فأعاده . فقال : قاربتَ ولم تُصب . فقال له المأمون : إن كان أساء فأَحْسِن أنت . فغنّاه إبراهيمُ . ثم قال لمُخارق : أعده . فأعاده . فقال : أحسنت ! ثم قال للمأمون : كم بين الأمرين؟ قال : كثير . فقال لمخارق : إنما مثلُك مثلُ الثوب الفاخر إذا غَفل عنه أهلُه وقع عليه الغُبار فأحال لونَه ، فإذا نُفِض عاد إلى جوهره . قال: ثم غنّى إبراهيم :

يا صاحِ ياذا الضامرِ العَنْسِ والرَّحْل ذى الأقتاد والحِلْس[(١)]

قال : وكانت لى جائزةٌ قد خَرجت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر سيِّدى بإلقاء هذا الصوت علىّ مكانَ جائزتى ، فهو أحبُّ إلىّ منها . فقال : يا عم ، أَلْقِ هذا الصوتَ على مُحمد[(٢)] . فألقاه علىّ ، حتى إذا كدت أن آخُذه ، قال : اذهب ، فأنت أحذق الناس به . فقلت : إنه لم يَصِحّ لى بعد . قال : فاغْدُ علىّ . فغدوتُ عليه ، فغنّاه متلوِّياً . فقلت : أيها الأمير ، لك فى الخلافة ما ليس لأحد ، أنت ابنُ الخليفة وأخو الخليفة وعَمّ الخليفة ، تجود بالرغائب وتبخل علىّ بصوت ! فقال : ما أحمقك، إن المأمون لم يَسْتَبقنى محبةً لى ولا صلةً لرحمى ولا ارباءً للمعروف عندى ، ولكنّه سَمع من هذا الجِرْم ما لم يَسمعه من غيره . قال : فأعلمتُ المأمون بمَقالته ، فقال : إنّا لا نُكدِّر على أبى إسحاق عَفْونا عنه ، فدَعْه .

فلما كانت أيامُ المعتصمُ نَشِط للصَّبوح يوماً . فقال : أحضروا عمِّى . فجاء فى

(١) الضامر : يوصف به الجمل والناقة . والعنس : الناقة الصلبة القوية . والحلس : ما يوضع تحت الرحل والقتب والسرج .

(٢) هذه رواية التجريد . ومحمد ، هو ابن بسخنر ، راوى الحديث . وفى غير التجريد : « مخارق » .

دُرّاعة بغير طَيْلسان . فأعلمتُ المُعتصم خبر الصوت سرًّا . فقال : يا عم ، غَنِّنى :

* يا صاحِ ياذا الضامر العَنْس *

فغنّاه . فقال : أَلْقه على محمد . فقال : قد فعلتُ ، وسَبق منّى قولٌ ألاّ أُعيده عليه . ثم كان يتجنّب أن يغنّيه حيث أحضرُه .

هو والأمين ولحن أخذه عن اسحاق

وحَكى عبدُ الله بن عيسى الماهانى ، قال :

دخلتُ يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ فى حاجةٍ فرأيتُ عليه مِطْرف خزٍّ أسود ما رأيتُ قطُّ أحسنَ منه ، فتحدّثنا إلى أن أخذْنا فى أمر المِطرف ، فقال : لقد كانت لكم أيامٌ حَسنة ودولةٌ عجيبة ، فكيف ترى هذا ؟ فقلت له : مارأيت مثلَه . فقال: إن قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب . فقلت له: ما أقوّمه إلا بمائة دينار . فقال لى إسحاق: اسمع حديثه : شربتُ يوماً من الأيام فبتُّ وأنا مُثْخَن، فانتبهت لرسول محمد الأمين ، فدَخل علىّ فقال :يقول لك أمير المؤمنين: عَجِّل إلىّ ــ وكان بخيلاً على الطَّعام ، فكنت آكُل قبل أن أذهب إليه ــ فقمتُ فتسوّكتُ وأَصلحتُ أمرى ، وأعجلنى الرسولُ عن الغِداء ، فدخلتُ عليه ، وإبراهيمُ ابن المهدىّ جالسٌ عن يمينه، وعليه هذا المِطرف وجُبّة خزّ دَكناء . فقال لى محمد : يإسحاق ، تغدّيت؟ فقلت : نعم ، ياسيدى . فقال : إنك لنَهِم، أهذا وقتُ غَداء ! فقلتُ : أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبى خُمار ، فكان ذلك ممّا حَدانى على الأكل . فقال لهم : كم شربنا ؟ فقالوا : ثلاثة أرطال. فقال : أسقوه إياها . فقلت: إن رأيتَ أن تفرّقها علىّ ! فقال : يُسقى رِطْلين ورِطلاً . فدُفع إلىّ رطلان ، فجعلتُ أشربهما وأنا أتوهّم أنّ نفسى تَسيل معهما . ثم دُفع إلىّ رِطلٌ آخر ، فشربتُه ، فكأن شيئاً انجلى عنّى . فقال :غَنِّ .

كُليبٌ لَعمرى كانأكثر ناصراً وأيسر جُرْماً منك ضُرِّج بالدَّمِ

فغنَّيتُه . فقال : أحسنتَ ! وطَرِب وشرب . ثم قام فدَخل ، وكان يفعل ذلك كثيراً ، يدخُل إلى النِّساء ويَدعنا . فقمْتُ فى إثر قيامه ، فدعوتُ غلاماً لى فقلتُ : أذهب إلى بيتى وجِئْنى ببزْماوَرْدَتَيْن(١) ولُفَّهما فى منديل، وأذهب ركضاً وعَجّل . فمضَى الغلام فجاءنى بهما . فلما وافى البابَ ونزل عن الدَّابة انقطع البرذونُ فنَفق من شدَّة ما ركَضه ، وأدخل إلىّ البزْماوَرْدَتين، فأكلتهما ، ورجعتْ إلىّ نفسى ، وعدتُ إلى مجلسى . فقال لى إبراهيم : إنّ لى إليك حاجةً أحبّ أن تقضيَها لى . فقلت: إنما أنا عبدُك وأبنُ عبدك ، فقُل ما شئتَ . فقال : ترُد علىّ :

* كُليبٌ لعمرى كانَ أكثرَ ناصرا *

وهذا المِطْرف لك . فقلت : أنا لا آخُذ منك مِطْرفاً على هذا ، ولكنّى أصير إليك إلى منزلك وألقيه على الجوارى وأردّه عليك مراراً . فقال : أُحب أن تردّه علىّ الساعةَ وأن تأخذ هذا المِطْرف ، فإنه من لُبْسك ومن حاله كذا وكذا . فرددتُ عليه الصوتَ مراراً حتى أَخذه . ثم سَمِعنا حركة محمد ، فقُمنا حتى جاء فجلس ، ثم قَعد وقَعدنا ، فشَرب وتحدّثنا . فغنّاه إبراهيم :

* كليبٌ لعمرى كان أكثر ناصرا *

فكأنى واللهِ لم أسمعه قبلَ ذلك حسناً . وطَرِب محمد طرباً عجيباً وقال : أحسنت والله يا عم ! يا غلام ، أعطه عَشْر بِدَر الساعة . فجاءوا بها . فقال: يا أمير المؤمنين، إن لى فيها شريكاً . قال : ومَن هو ؟ قال : إسحاق . قال : وكيف ؟ قال : إنما أخذتهُ الساعةَ منه لمّا قُمتَ . فقلت له : ولِمَ ! أضاقت الأموالُ على أمير المؤمنين حتى يُشركك فيما تُعطاه ! فقال : أمّا أنا فأُشركك ، وأميرُ المؤمنين أعلم . فلما انصرفنا من المجلس أعطانى ثلاثينَ ألفَ درهم وأَعطانى هذا المِطرف . فهذا أخذتُه بمائة ألف درهم ، وهى قيمته .

(١) البزماورد : طعام يصنع من اللحم المقلى بالزبد والبيض ، ويسمى : « لقمة القاضى » و « لقمة الخليفة » .

وهو الرشيد وجارية على بئر عروة

وحكى إبراهيم بن المهدىّ قال :

حججتُ مع الرشيد ، فلما صِرْنا بالمدينة خرجتُ أدور فى عَرَصاتها ، فانتهيتُ إلى بئر ، وقد عطشتُ ، وجاريةٌ تَستقى منها . فقلت : يا جارية ، امتَحى لى دلواً . فقالت : أنا والله عنـــك فى شُغل بضريبةٍ لموالىّ علىّ . فنقرتُ بسوطى على سَرْجى وغنَّيت :

رام قلبى السُّلوَّ عن أسماءِ … وتعزَّى وما به من عَـزاءِ

سُخْنَةٌ فى الشتاء باردةُ الصَّيـ … ـف سِراجٌ فى اللَّيلة الظَّلْماء

كفِّنانى إن مُتُّ فى دِرْعِ أروى … وامتَحا لى من بِئر عُروة مائى

والشعرُ للأحوص بن محمد الأنصارى . وتمام الأبيات :

إنَّنى والذى تَحُجّ قــريشٌ … بيتَه سالــكين نَقْبَ[1] كَداءِ

لَمُلِمٌّ بها و إن أُبْتُ منهــا … صادراً كالذى وَردتُ بداءِ

ولهـا مَرْبَعٌ ببُرْقه خاخٍ[2] … ومَصيفٌ بالقصر قصرِ قُباءِ[3]

قلبتْ لى ظَهْرَ المِجَنّ فأمستْ … قد أطاعتْ مقالةَ الأعـداء

قال : فرفعت الجارية رأسها إلىّ وقالت : أتعرف بئر عُـرْوة ؟ قلت : لا . قالت : هذه والله هى بِئر عُروة . ثم سقتنى حتى رَويتُ ، وقالت : إن رأيتَ أن تُعيــده ؟ ففعلتُ . فطَربتْ وقالت : واللهِ لأحملنّ قِربَةً إلى رَحلك . فقلت : افعلى . ففعلتْ وجاءت معى تَحملها . فلما رأتِ الجيش والخــدَم فزعتْ . فقلتُ : لا بأس عليك ! وكسوتُها ووهبتُ لهـا دنانيرَ وحبستُها عندى . ثم صِرْتُ إلى الرشــيد ، فحدَّثته حديثَها . فأمر بابتياعها وعِتْقها . فما برحتْ حتى اشتُريت وأعتقت . وأخذتُ لها صلةً منه وافترقنا .

(١) كداء : بأعلى مكة . (ياقوت) . (٢) برقة خاخ : قرب المدينة .
(٣) قباء : موضع قرب المدينة .

حديث رؤيته علياً فى النوم

وذُكر أن إبراهيم بن المهدىّ كان شديد الانحراف عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فحدّث المأمونَ يوماً أنه رأى فى المنام علياً رضى الله عنه ، فقال له : مَن أنت ؟ فأخبره أنه علىّ بن أبى طالب . قال : فمشَينا حتى جِئْنا إلى قنطرة فذهب يتقدّمنى لعبُورها . فأمسكتُه وقلت له : إنما أنت رَجلٌ تدَّعى هذا الأمر بامرأة ، ونحن أحقُّ به منك ! فما رأيتُ له فى الجواب بلاغةً كما يُوصف عنه . فقال المأمون : وأىّ شىء قال لك؟ قال : ما زادنى على أن قال : سلاماً . فقال المأمون : قد والله أجابك أبلغَ الجواب. قال : وكيف؟ قال:عرّفك أنك جاهل لا تُجاب . قال الله عز وجل : (وإذا خاطَبهم الجاهلون قالوا سَلاماً) . فخجل إبراهيمُ وقال : ليتنى لم أحدِّثك بهذا .

هو والرشيد فى شؤم اسمه

وحكى إبراهيم بن المَهدىّ قال :

كنت بين يدى الرّشيد جالساً على ظهر حرّاقة، وهو يريد الموصلَ، وقد بلغنا إلى السَّواد، فأنبه[1] ، والمدّادون يَمُدّون السُّفن، والشَّطْرنج بينى وبينه ، والدَّستُ متوجِّه له ، إذ أطرق هُنيهةً ثم قال لى : يابن أمّ ، ماأحسَنَ الأسماء عندك ؟ قلت: محمد، اسم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . قال : ثم أى شىء بعده ؟ قلت : هارون ، اسم أمير المؤمنين . قال : فأقبح[2] الأسماء ما هو ؟ قلت : إبراهيم . فزجرنى ثم قال: ويحك ! أتقول هذا ! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرّحمن ؟ فقلت : بشؤم هذا الاسم لقى من نَمْرودَ ما لقى ، وطُرح فى النار . قال : فإبراهيم ، ابنُ النبىّ صلى الله عليه وسلم ؟ قلت: لا جرمَ ! إنه لم يُعمَّر من أجله . قال : فإبراهيم الإمام . قلت : بشؤم اسمه قتله مروانُ فى حرّان . وأزيدك يا أمير المؤمنين : إبراهيم بن الوليد ، خُلع ؛ وإبراهيم بن عبد الله بن حسن ، قُتل؛ وعمه إبراهيم بن حسن ، سقط عليه

---

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « السودقانية » على أنها كلمة واحدة لموضع من المواضع.

(٢) فى بعض الأصول : « فأسمج » .

السجن فمات؛ وما رأيت والله أحداً بهذا الاسم إلّا قُتل أو نُكب، أو رأيته مضروباً أو مَقذوفا أو مَظلوما . فما أنقضى كلامى حتى سمعتُ ملّاحاً يَصيح بآخر : يإبراهيم، مُدَّ ويلك ! ثم أعاد : ويلك يإبراهيم مُد ! ثم أعاد : يإبراهيم يا عاضّ بظر أمه مُدّ ! فقلت له : أبقى لك شىء بعد هذا ! ليس والله فى الدنيا أسم أشأم من إبراهيم والسلام. فضحك والله حتى أشفقتُ عليه .

تعريضه بالحسن ابن سهل وهو يغنى فى حضرة المأمون

وذُكر أنه دخل الحسنُ بن سهل على المأمون وهو يشرب ، فقال له : بحياتى وبحقّى عليك يا أبا محمد ، إلّا شربتَ معى قَدَحاً ـ وصبَّ له من نَبيذه قدحاً ـ فأخذه بيده وقال له : مَن تُحبّ أن يُغنّيك ؟ فأومأ إلى إبراهيم بن المهدىّ . فقال له المأمون : غَنّ يا عمّ . فغنّاه :

* تَسمع للحَلْى وَسواساً إذا أنصرفت *

يُعرِّضُ به لِما كان لحقه من السَّوداء والاختلاط . فغضب المأمونُ حتى ظن إبراهيمُ أنه سيُوقع به . ثم قال له : أبيتَ إلا هُزؤاً يا أكفر خَلق الله لنعمه ! والله ما حَقَن دَمك غيرُه ، ولقد أردتُ قتلَك فقال لى : إن عَفوتَ عنه فعلتَ فعلاً لم يَسبقك إليه أحد . فعفوتُ عنك لقوله ، أفحقُّه أن تُعرِّض به ولا تَدع كيدك ودَغَلك ، أو أنِفتَ من إيمائه إليك بالغناء . فوثب إبراهيم قائماً وقال : يا أمير المؤمنين ، لم أذهب حيثُ ظننتَ ، ولستُ بعائد . فأعرض عنه .

هو وجارية لبعض أهله

وَذُكِرَ أن إبراهيم بن المهدى لما أستتر خوفاً من المأمون كان عند بَعض أهله من النِّساء ، فوكّلت بخدمته جاريةً جميلة وقالت لها : إن أرادك لأمرٍ فطاوعيه وأعلميه ذلك حتى يتّسع له . فكانت تُوفّيه حقه فى الخِدمة والإعظام ولا تُعلمه بما قالت لها . فَجلّ مقدارُها فى نفسه إلى أن قَبّل يوماً يدَها . فقبّلت الأرضَ بين يديه ، فأنشد :

يا غزالاً لى إليه ... شافعٌ من مُقلتيه
والذى أجْلَلْتُ خَدَّ ... يه فقبَّلتُ يدَيْه
بأبى وجهُك ما أكـ ... ـثر حُسّادى عليْه
أنا ضيفٌ وجزاء الضَّـ ... ـيف إحسانٌ إليه

غنى المأمون فرق له

وذُكر أن إبراهيم بن المهدى غنَّى يوماً والمأمونُ مُصطبح ، وقد كان خافه و بلغه عنه تَنَكُّره :

ذَهبتُ من الدُّنيا وقد ذهبتْ منِّى ... هَوَى الدهرُ بى عنها وولَّى بها عنِّى

فرَقَّ له المأمونُ لمَّا سَمِعه وقال له : لا والله لا تذهب نفسُك على يد أمير المؤمنين ، فطِبْ نفساً ، فإن الله عزّ وجلّ قد أمّنك ، إلّا أن تُحدِث حَدَثاً يشهد عليك فيه عَدْلٌ ، وأرجو ألاّ يكون منك حَدَث إن شاء الله .

أجازه الأمين وقد غناه فى شعر أبى نواس

وذُكر أن إبراهيم بن المهدى غنّى محمداً الأمين ليلة فى شعر أبى نُواس ، وهو:

يا كَثيرَ النَّوحِ فى الدِّمَن ... لا عليها بل على السَّكَنِ
سُنّة العُشّاق واحــدةٌ ... فاذا أحببت (١) فأسْتَبِنِ
ظَنَّ بى من قــد كَلِفْتُ به ... فهــو يَجْفُونى على الظِّنَن
رَشــأٌ لولا مــلاحتُه ... خلَتِ الدُّنيا من الفِتَن
كلَّ يوم يســترقُّ له ... حُسنُه عبداً بلا ثَمن

وهذه الأبيات يمدح بها أبو نُواس محمداً ، وتمامها :

فأسقِنى راحاً على عذل ... كرهتْ مَسْموعه أُذنى
من كُميتِ اللون صافية ... خير ما سَلسلت فى بدنى
تضحك الدُّنيــا إلى ملك ... قام بالآثار والسُّــنن

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فاستكن » .

أنت تبقى والفناء لنـــا فإذا أفنيتنـــا فكُن
كيف تسخو النفس عنك وقد قُمْتَ بالغـــالى من الثمن

فأمر محمد لعمّه إبراهيم بثلثمائة ألف درهم. فقال له إبراهيم: يا أمير المؤمنين، قد أجزتني إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف درهم. فقـــال محمد: وهل هي إلّا خَراج بعض الـكُوَر!

وقد حُـكى عن إبراهيم أنه قال:

لما أردتُ الانصراف قال: أَوقروا زَورقَ عَمِّى دنانيرَ، فأنصرفتُ بمال كثير.

وفاته وحديث ابنه مع المعتصم عنـــه

وتوفى إبراهيم بن المهدى فى خلافة ابن أخيه المُعتصم بالله. فحكى إبراهيمُ بن هبة الله بن إبراهيم بن المهدى قال:

قلتُ للمعتصم: كانت لأبى أشياء لم يـكن لأحدٍ مثلها. فقـــال: وما هى؟ فقلت: شارية وزامرتُها مَعْمَعة. فقال: أما شارية فعندنا، فمـــا فعلت الزامرة؟ فقلت: ماتت. قال: وماذا؟ قلت: وساقيته مكنونة، ولم يُر أحسنُ وجهاً منها، ولا ألينُ ولا أظرف. قال: فما فعلت؟ قلت: ماتتْ، قال: وماذا؟ قلتُ: نخلةٌ كانت تحمل رُطَباً طولُ الرُّطَبة منها شبر. قال: فما فعلت! قلت: جَمَّرتُها (١) بعد وفاته. قال: وماذا؟ قلت: قَدَحه الضَّحْضاح. قال: وما فعل؟ قلت: الساعةَ والله حَجمنى فيه أبو حَرْملة، فسألتُه أن يهبه لى ففَعل. فوجّهتُ به إلى منزلى فغُسل ونُظِّف وأُعيد إلى خزانتى. فرأيتُ أبى فيما يرى النائمُ فى ليلتى تلك، وهو يقول لى:

أَيُتْرع ضَحْضاحِى دماً بعدما غَدتْ علىّ به مكنونةٌ مُتْرَعاً خَمْرَا
فَإنْ كنتَ منِّى أو تحب (٢) مبرتى فلا تُغْفلنْ قبل الصَّباح له كَسرا

قال: فأنتبهتُ فزِعاً، وما فَرَق (٣) الصبح حتى كسرتُه.

(١) أى قطعت جمرها. (٢) فى بعض أصول الأغانى: «مسرتى». (٣) فرق: اتضح وتبين.

أخبار أبى النجم العجلى

نسبه

أسمه المُفضَّل — وقيل : الفَضل — بن قُدامة بن عُبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إياس[1] بن عَوف بن رَبيعة بن مالك بن رَبيعة ابن عِجْل بن لُجَيم بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلة بن أَسد بن رَبيعة بن نِزار .

منزلته فى الرجز

وهو من رُجّاز الإسلام الفُحول المتقدِّمين[2] ، وفى الطبقة الأولى منهم .

رأى ابن العلاء فيه

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول :

هو أبلغ فى النَّعت من العجَّاج .

رأى أبى عبيدة فيه

وقال أبو عُبيدة :

ما زالت الشُّعراء تَقْصر[3] بالرُّجَّاز حتى قال أبو النجم :

* الحمدُ لله الوَهوب المُجْزِل *

وقال العجاج :

* قد جَبر الدِّينَ الإلهُ فجَبرْ *

وقال رؤبة :

* وقاتم الأَعماق خاوى المُخْتَرَقْ *

---

(١) فى غير التجريد : « الياس » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « المقدمين » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « تغلب » مكان « تقصر بالرجاز » .

فأنتصفوا منهم .

إعظام رؤبة له

وذُكر أنّ فِتياناً من بنى عِجْل قالوا لأبى النَّجم : هــذا رُؤْبة بن العجّاج بالمِرْبَد[1] يَجلس يُسمع شعرَه ويُنشد الناسَ ، ويَجتمع إليه فتيانٌ من بنى تميم ، فما يَمنعك من ذلك ؟ فقال : أوَ تُحبون هذا ؟ قالوا : نعم . قال : فـأْتونى بعُسٍ[2] من نَبيذ . فأتَوْه به . فشَربه ثم نَهض ، وقال :

إذا اصطبحتُ أربعاً عَرفْتَنِى ثم تجشّمتُ الذى جَشّمتنى

فلما رآهُ رُؤْبة أعظمه وقام له عن مكانه ، وقال : هذا رَجّاز العرب . وسَألوه أن يُنشدهم . فأنشدهم أبو النجم :

* الحمدُ لله الوَهوب المُجزل *

وكان إذا أنشد أزبد ورَمَى بثيابه . وكان مِن أحسن الناس إنشاداً . فلمّا فرغ منها قال : هذه أمّ الرَّجز . ثم قال : يا أبا النَّجم ، قد قرّبت مَرعاها إذ جَعلتَها بين رجل وأبنه . يُوهِم عليه رؤبةُ أنه حيث قال :

تبقّلتْ مِن أول التّبقُّلِ بين رِمَاحَىْ مالكٍ ونَهشلِ

أنه يريد نَهشلَ بن مالك بن حَنظلة بن زيد مناة بن تميم . فقال له أبو النجم : هيهات ! إنما أُريد مالكَ بن ضُبيعة بن قَيس بن ثَعلبــة بن عُــكابة بن صعب ابن علىّ بن بكر بن وائل . ونَهشل قبيلة من ربيعة[3] .

---

(١) يريد : مربد البصرة : وهو من أشهر محالها ، كان سوقاً للإبل ، ثم كانت به مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء . (٢) العس : القدح الكبير .

(٣) وكان سبب ذكر هاتين القبيلتين – فيما ذكر أبو عمرو الشيبانى – أن دماء كانت بين بنى دارم وبنى نهشل ، فتحامى جميعهم الرعى بين فلج والصمان مخافة الشر ، حتى عفا كلؤه وطال . فجاءت تسير بنوعجل لعزها إلى ذلك الموضع فرعته ، ولم تخف من هذين الحيين . ففخر بهم أبوالنجم.

مناجزته العجاج وهرب العجاج

وذُكر أن العجّاج خَرج مُتحفلاً(١) ، عليه جُبة خَز وعمامة خَز ، على ناقة له قد أجاد رَحْلها ، حتى وقف بالمِرْبد والناس مجتمعون ، فأنشدهم قولَه :

* قد جَـبر الدينَ الإلٰهُ فجَـبَر *

فذَكر فيها ربيعةَ وهَجاهم . فجاء رجلٌ من بنى بكر بن وائل إلى أبى النّجم ، وهو فى بيته ، فقال له : أنت جالسٌ وهذا العجّاج يَهجونا فى المِرْبد قد اُجتمع عليه الناسُ ! فقال : صف لى حالَه . فوَصفه له . فقال : اُبْغِنى جَملاً طَحّاناً قـد أُكثر عليه من الهِناَء(٢) . فجاء بالجمَل إليه . فأخذ سراويلَ له ، فجَعل إحدى رجلَيْه فى السّراويل وأتزر بالأخرى ، ورَكب الجمل ودَفع خِطامَه إلى مَن يقوده . فاُنطلق حتى أتى المِرْبد . فقال : اُخْلع خِطامه . فخَلعه . فأنشد :

* تذكَّر القلبُ وجهـلاً ما ذَكَرْ *

فجعـل الجملُ يدنو من الناقة يتشمّمها ، ويتباعد عنه العجّاج لئلّا يُفسد ثيابَه ورَحْلَه بالقَطِران . حتى إذا بلغ إلى قوله :

* شيطانُه أُنثى وشَـيطانى ذَكَر *

تَعلّق الناسُ هذا البيتَ وهَرب العجّاج منه .

بز الشعراء عند عبد الملك وظفر بالجارية

وذُكر أنه كان عند عبد الملك بن مروان — أو اُبنـه سليمان — جماعةٌ من الشُّعراء ، وفيهم أبو النَّجم والفرزدقُ ، فقال : مَن صبَّحنى بقَصيدة يفتخر فيها وصدَق فى فَخره فله هذه الجاريةُ . قالوا : نعم . فقاموا على ذلك ، ثم قالوا : إن أبا النَّجم يَغلبنا بمُقطَّعاته ! ـ يعنون الرجز ـ فقال : فإنّى لا أقول إلّا قصيداً . فقال مِن ليلته قصيدتَه التى يَفخر فيها ، وهى :

* عَلِقَ الفؤادُ حبائلَ(٣) الشَّعثاء *

(١) متحفلا : متزيناً .　(٢) الهناء : القطران .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « علق الهوى بحبائل » .

ثم أصبح فدَخل عليه ، ومعه الشُّعراء ، فأنشده ، حتى إذا بلغ إلى قوله :

منّا الذى رَبَع الجُيُوشَ[١] لصُلبه عِشْرُون وهو يُعَـدُّ فى الأَحياء

فقال له : قِفْ ، إن كنتَ صدقتَ فى هذا البيت فلا نُريد ما وراءه . فقال الفرزدق : أنا أعرف منه ستةَ عشر ، ومن وَلَد وَلَده أربعة ، كلُّهم قد رَبَع . فقال عبدُ الملك ــ أو سُليمان ــ : وَلَد وَلَده هم ولدُه ، أُدفع إليه الجاريةَ يا غُلام . فغَلبهم يومئـــذ .

حديث أخذه جارية من خالد القسرى

وذكر أنه بَعث الجُنَيدُ بن عبد الرحمن المُرِّى إلى خالد بن عبد الله القَسْرىّ بسَبْىٍ من الهنـد بِيضٍ . فجَعل يَهب لأهل البيت كما هو للرَّجل من قُريش ومن وُجوه النـاس ، حتى بقيتْ جاريةٌ منهنّ جميلةٌ كان يدّخرها وعليها ثيابُ أرْضِها فُوطتان . فقال لأبى النجم : هل عندك فيها شىء حاضر وتأخذها الساعة ؟ قال : نعم ، أصلحك الله . فقال العُرْيان بن الهَيثم النَّخَعِىّ : كذَب ! والله مايقدر على ذلك — وكان على شُرَط خالد بن عبد الله — فقال أبو النَّجم :

عَلِقتُ خُوداً من بنات[٢] الزُّطِّ ذاتَ جَهـازٍ مُضْغَطٍ[٣] مُلَطِّ

رابِى المَجَسِّ جَيِّـد المَحطِّ كأنما قُطَّ على مِقَـــطِّ

إذا بَدا منـــه الذى تُغَطِّى كأنّ تحتَ ثوبها[٤] المُنْعَطِّ

شَـطًّا رميتَ فوقه[٥] بشَطِّ لم يَعْـلُ فى البطْنِ ولم يَنْحَطِّ

فيـــه شِفاء من أذى التَّمطِّى كهامةِ الشَّيخ اليمَانى[٦] الثَّطِّ

وأومأ بيده إلى هامة العُريان بن الهيثم . فضَحك خالدٌ وقال للعُريان : هل تُراه احتاج أن يُروِّى[٧] فيها ياعُريان ؟ فقال : لا والله ، ولـكنّه مَلْعون ، ابن مَلعون !

(١) ربع : أخذ ربع الأموال ، وكان ذلك حظ الرئيس . والرواية فى غير التجريد : «لظهره» مكان « لصلبه » . (٢) الزط : جيل من أهل الهند .
(٣) الجهاز ، هنا : فرج المرأة . وملط : مستور . (٤) المنعط : المنشق .
(٥) الشط : جانب السنام . (٦) الثط : الخفيف اللحية . (٧) يروى : يفكر .

غضب هشام عليه ثم رضى عنه

وذُكر انّ أبا النّجم ورد على هشام بن عبد الملك فى الشُّعراء . فقال هشام : صِفوا إبلاً فقطِّروها[١] ، وأَوْردوها وأَصدروها ، حتى كأَنى أنظرُ إليها . فأَنشدوه . وأَنشده أبو النجم قصيدته :

* الحمدُ لله الوَهوب المُجزل *

حتى بلغ إلى ذكر الشَّمس فقال :

* فهى على الأُفْق كعين ... *

وأراد أن يقول « الاحول » ، ثم ذَكر حَوْلَة هِشام ، فلم يُتم البيتَ وأُرْتِج عليه . فقال هشام : أَجِز . فقال : « كعين الأَحول » وأَتمّ القصيدة . فأَمر هشام بوَجْء[٢] عُنقه و إخراجه من الرُّصافة . وقال لصاحب شرطته : يا ربيع ، إياكَ وأن أرى هذا ! فكلّم وجوهُ الناس صاحبَ شُرطته أن يُقرّه ، ففعل . فكان يُصيب من فُضول أَطعمة الناس و يأوى إلى المساجد .

قال أبو النَّجم : ولم يكن بالرُّصافة أحدٌ يُضيفُ إلّا سُلَيمَ بن كَيْسان الكَلْبى ، وعَمرو بن بِسْطام التَّغلَبى ، فكنت آتى سُلَيما فأَتغدّى عنده ، وآتى عَمْراً فأَتعشى عنده ، وآتى المسجدَ فأَبيت فيه . فأَهمّ هشامٌ ليلةً وأمسى لَقِسَ النَّفس ، وأراد مُحدِّثاً يُحدِّثه ، فقال لخادم له : ابغنى مُحدِّثاً أعرابيّاً أهوجَ شاعراً يَروى الشعر . فخرج الخادمُ إلى المسجد ، فإذا هو بأبى النَّجم ، فضَربه برجله وقال : قُم أَجب أميرَ المؤمنين . قال : إنى أعرابىٌّ غريب . قال : إياكَ أبغى ، هل تروى الشعر ؟ قال : نعم ، وأقولُه . فأَقبل به حتى أَدخله القَصر ، وأَغلق البابَ . فأَيقن الشرَّ . ثم مَضى به فأَدخله على هشام فى بَيت صغير ، بينه و بين نسائه سِترٌ رقيق، والشَّمع بين يديه تزْهَر . فلما دَخل، قال له هِشام : أبو النَّجم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ،

(١) قطروها : أى اجعلوها قطاراً على نسق . (٢) الوجء : الضرب .

طريدُكَ . قال : اجلس . فسأله وقال له : أين كنت تأوى ؟ وأين منزلُك ؟ فأخبره الخبرَ . فقال : وكيف اجتمعا لك ؟ قال : كنت أتغدّى عند هذا ، وأتعشّى عند هذا . قال : فأين كنت تَبيت ؟ قال : فى المسجد حيث وَجدنى رسولُك . قال : وما لَكَ من الولد والمال ؟ قال : أما المال فلا مال لى ، وأمّا الولد فثلاث بَنات ، و بُنىّ يُقال له : شَيبان . فقال : هل زَوّجتَ من بناتك أحداً ؟ قال : نعم ، زوّجت اثنتين و بقيتْ واحدة تَجْمِز [١] فى أبياتنا كأنها نَعامة . قال : وما وَصّيت به الأُولى ؟ فقال : قلت :

أُوصيتُ من بَرّةَ [٢] قلباً حُرّا ... بالكلب خيراً والحماةِ شَرّا
لا تَسأمى ضَرباً لها وجَرّا ... حتى ترىْ حُلو الحياة مُرّا
وإن كستْك ذهباً ودُرّا ... والحىَّ عُمّيهم بشَرٍّ طُرّا

فضحك هشام ، وقال : فما قلت للأخرى ؟ فقال : قلت :

سُبِّى الحماة وابْهَتى [٣] عليها ... وإن دَنَتْ فازدلفى إليها
وأوجعى بالفِهْر [٤] رُكبَتيْها ... ومِرْفقيها واضربى جَنْبَيها
وظَاهِرى النُّذْرَ [٥] لها عليها ... لا تُخبرى الدَّهرَ به ابنَتَيْها

فضحك هشام حتى بدت نَواجذُه وسَقط على قَفاه ، وقال : ويحك ! ما هذه وصية يعقوبَ ولدَه ؟ فقال : لا ، وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين ! قال : فما قلتَ للثالثة ؟ قال : قلت :

أُوصيكِ يا بنتى فإنّى ذاهبُ ... أُوصيك أن تَحْمَدك القرائبُ
والجارُ والضيفُ الكريم الساغب ... لا يُرْجَع المِسكينُ وهو خائب

(١) تجمز : تعدو وتسرع . (٢) برة ، هواسمها . (٣) ابهتى : افترى .
(٤) الفهر : الحجر . (٥) النذر ، بالضم : الاسم من « أنذر » ، أى توعد .

ولا تَني أظفارُكِ[1] السَّلاهِبُ منهنّ في وجه الحَماة كاتِب

والزَّوجَ إن الزوج بئس الصاحب

فقال : وكيف قلت لها هذا ولم تتزوّج ! وأى شيء قلت فى تأخير تَزْويجها ؟

قال : قلت :

كأَنَّ ظَلَّامةَ أُختَ شَيْبانْ يَتيمةٌ ووالداها حَيَّانْ

الرأسُ قَمْلٌ كُلّه وصِئْبانْ وليس فى الساقَيْن إلا خَيْطان

تلك التى يفزع منها الشَّيطان

فضحك هشام حتى ضحك النساء لضَحِكه، وقال للخَصِىّ : كم بقى من نفقتك ؟ قال : ثلثمائة دينار . قال : فأعطه إياها ليَجعلها فى رِجْل ظَلَّامة مكان الخيطين .

رأيه لهشام فى النساء

وذُكر أن أبا النَّجم دخل على هشام بن عبد المَلك ، وقد أتت له سبعون سنة ، فقال له هشامُ : ما رأيُك فى النساء ؟ فقال : إنّى لأنظرُ إليهنّ شَزْرا ، وينظُرن إلىّ خَزْراً[2] . فوَهب له جاريةً ، وقال له : أُغدُ علىّ فأَعْلمنى بما كان منك . فلما أَصبح غدا عليه . فقال له : ما صنعتُ شيئاً ولا قَدرتُ عليه ، وقد قلتُ فى ذلك أبياتاً ؛ ثم أنشده :

نظرتْ فأَعجَبها الذى فى دِرْعها من حُسْنه ونَظرتُ فى سِرْباليا

فرأتْ لها كَفَلاً يَميل بخَصْرها وَعْثاً[3] روادفُه وأَجْثَمَ رابيا

ورأيتُ مُنْتَشِرَ العِجان[4] مُقلِّصاً رِخْواً مفاصلُه وجِلْداً باليا

أُدْنِى له الرَّكَبَ[5] الحَليقَ كأنما أُدنى إليه عَقارباً وأَفاعيا

(١) السلاهب : الطويلة .

(٢) الشزر : النظر بجانب العين فى إعراض . والخزر : النظر بمؤخر العين .

(٣) الوعث : اللين . (٤) العجان : القضيب . (٥) الركب : الفرج .

ما بالُ رأسِك من ورائىَ طالعاً أظننتَ أنّ حِرَ الفَتــاة ورائيا
فاْذهبْ فإنّك ميّتٌ لا تُرتجَى أبَدَ الأَبيــد ولا عَمِرْتَ لياليا
أنت الغَرُور إذا خُبِرْتَ وربما كان الغَرورُ لمن رَجاه شـافيا
لكنّ أَيرى لا يُرجَّى نفعُـــه حتى أَعُود أخا فَتَــاء ناشــيا

فضَحك هشام ، وأمر له بجائزة أخرى .

رجزه الذى فيه الغناء

والرّجز الذى فيـه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبـار أبى النّجم العجلى ، هو قولُه :

تَضحك عمّا لو سَقَتْ منـه شَفَا مِن أُقحُوانٍ بَلَّه[1] طَلُّ الضُّحَى
أغرَّ يجلو عن غِشَا العين العَشَا حُلْوٍ بعَيْنَىْ كُلِّ كَهْــلٍ وفتى
إنّ فؤادى لا تُسلّيــه الرُّقَى لو كان عنها صاحياً لقــد صَحَى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « قطر الندى » مكان « طل الضحى » .

أخبار عَليّة بنت المهدى

نسبها وأمها

نَسَبُها إلى العبّاس قد تقدّم فى ذِكر نَسب أخيها إبراهيم بن المهـدى . وأُمّها أُمّ ولد ، مُغنِّية يقال لها : مَـكْنونة . كانت من جوارى المَرْوانيّـة المغنية .

تعقيب لابن واصل

قلت : وليست المَروانيـة ، من آل مَروان بن الحـكم ، هى زَوجة الحُسين ابن عبد الله بن عُبيد الله بن العباس[1] .

شيء عن أمها

وكانت مكنونة أحسنَ جارية بالمدينة وجهاً . وكانت رَسْحاء[2] ، وكان من يمازحها يَعبث بها فيَصيح : طَسْت ! طَسْت ![3] وكانت حسنةَ الصدر والبَطن ، تُوضح بهما ، وتقول : ولـكنّ هـذا ! فاشتُريت للمَهدىّ فى حياة أبيـه المنصور بمائة ألف درهم . فغَلبت عليه ، حتى كانت الخَيزران أُم الهادى والرّشيد تقول : ما مَلك أَمةً أغلظَ علىّ منها . واستتر أمرُها عن المنصور حتى مات .

من صفة عليـة

فولدتْ له عُليّـة بنت المهدى ، مِن أجمل النـاس وأظرفهم ، تقول الشـعر الجيّد ، وتَصوغ فيه الألحان الحسنة . وكان فيها عيب ، كان فى جَبينها فَضلُ سَعة حتى تَسمج . فاتخذت العصائب المكلّلة بالجَوهر لتستُر بها جبينها . فأحدثتْ والله شيئاً لم يُحدث النِّساء أبدع منه ولا أحسن .

من دينها وأدبهـا

وذُكر أنها كانت حسنةَ الدِّين، لا تُغنِّى ولا تَشرب النبيذ إلا إذا كانت مُعتزلة الصلاة ، فإذا طَهُرت أقبلتْ على الصـلاة ، وقَرأت القرآن ، وقرأت الـكتب . فلا تَـلذّ بشىء غير قول[4] الشِّعر فى الأحيان ، إلّا أن يَدْعُوَها الخليفةُ إلى شىء

---

(١) ظاهر القول أنه من مقول ابن واصل ، وهو من كلام أبى الفرج ، وقد ورد فى الأغانى .

(٢) الرسحاء : القليلة لحم العجز والفخذين .

(٣) أى إنها كالطست استواء .

(٤) فى التجريد : « قراءة » .

فلا تَقدر على مُخالفته . وكانت تقول : ما حَرَّم الله شيئاً إلا وقد جَعل فيما حَلّل منه عِوَضاً ، فبأىّ شىء يحتجُّ عاصيه والمُنتهك لحُرُماته ! وكانت تقول : لا غَفَر الله لى فاحشةً ارتكبتُها قطُّ ، ولا أقول فى شِعرى إلّا عبثاً .

لابن الربيع فيها وفى أخيها

وكان عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع يقول :

ما اجتمع فى الإسلام أخٌ وأختٌ أحسن غناءً من إبراهيم المهدى وأخته عُلَيّة ، وكانت تقدَّم عليه .

هى وطل والرشيد

وذُكر أنّ عُلية بنت المَهدىّ كانت تُحِبُّ أن تُراسل بالأشعار من تَختصّه . فاختصّت خادماً يقال له : طَلّ ، من خَدم الرّشيد ، فكانت تُراسله بالشِّعر . فلم تَره أيّاماً . فمَشت على مِيزاب وحدَّثته ، ثم قالت فى ذلك :

قد كان ما كُلِّفْتُهُ زمناً	يا طَلُّ من وَجْدِى بكم يَكْفِى
حتى أتيتُكَ زائراً عَجِلاً	أمشى على حَتْفٍ إلى حَتْفِ

فحلف عليها أخوها الرّشيدُ ألّا تُكلِّم « طَلّا » ولا تُسميه باسمه . فضَمِنت له ذلك . فاستمع عليها يوماً وهى تدرُس آخر سورة البقرة ، حتى بلغت إلى قوله عز وجل : (فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ) وأرادت أن تقول « فطل » فقالت : فالذى نهانا عنه أميرُ المؤمنين . فدَخل فقبّل رأسها وقال : قد وهبتُ لك طَلّاً ، ولا أمنعك من شىء تُريدينه .

من شعرها فى طل

ولعُليّة فى « طَل » هذا شعر ، وصَحَّفت اسمه فى أوّل بيتٍ ، وذلك لمّا حُجب عنها :

أيا سَرْوَةَ[1] البُستان طال تشوُّقى	فهل لِى إلى ظِلٍّ لديك مَقيلُ
متى يَلتقِى مَن ليس يُقضَى خُروجه	وليس لمن يَهْوَى إليه[2] سَبيل

---

(١) السرو : شجر قويم الساق حسن الهيئة .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « دخول » مكان « سبيل » .

عَسى الله أن نَرتاح من كُربةٍ لنا فيَلْقى اُغْتباطاً خُلَّةٌ وخَليــل

ولها فيه أيضاً ، وصحّفت اسمه فى ثالث بيت :

سَلِّمْ على ذاكَ الغزالِ الأغيدِ الحسنِ الدَّلالِ

سَلِّمْ عليه وقُل له يا غُلَّ ألبابِ الرِّجال

خَلَّيت جِسْمى ضاحياً وسكنتَ فى ظِلِّ الحِجال(١)

وبلغتَ منِّى غايةً لم أَدْرِ فيها ما احتيالى

وذُكِر أنّ عُلية كانت تقول الشعر فى خادم لها يقال : له « رشأ » وتُكَنِّى عنه فى شعرها فيه ، وكَنَتْ عنه بزينب : هى وخادمها رشأ

وَجِد الفؤادُ بزَينباَ وَجداً شديداً مُتْعِبَا

أصبحتُ من كَلَفٍ بها أُدْعَى شَقِيًّا(٢) مُنْصَبا

ولقد كَنيتُ عن اُسمها عَمداً لِكى لا تَغْضَبا

وجعلتُ زينب سُترةً وكتمتُ أَمراً مُعْجِبا

قالت وقد عَزَّ الوِصا لُ ولم أَجِدْ لى مَذْهبا

والله لا نِلْتَ المَوَ دَّةَ أو تنالَ الكوكبا

قيل :

ولما عُلم أنها تَكْنِى عن « رشأ » بزينب ، قالت :

القلبُ مُشتاقٌ إلى رَيْبِ يا رَبِّ ما هذا من العَيْبِ

قد تيَّمتْ قلبى فلم أستطع إلّا البُكا يا عالِمَ الغَيْب

خبأتُ فى شعرى سرِّى(٣) الذى أردتُه كالخَبْء فى الجَيْب

فصحّفت اسمه فى « ريب » فى البيت الأول .

(١) الحجال : جمع حجلة ، وهى ستر العروس فى جوف البيت .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « سقيما » . (٣) فى غير التجريد : « اسم » .

هجاؤها جارية لها سعت بينها وبين رشأ

وقيل : وشت جارية يقال لها : « طُغْيان » بعُلية إلى « رشأ » وحكمت عنها ما لم تَقُل . فقالت عُلية تهجوها :

لطُغيانَ خُفٌّ مذ ثلاثين حِجّةً ... جـديدٌ فما يَبلى ولا يتخَرّقُ
وكيف بِلَى خُفٍّ هو الدهرَ كُلَّه ... على قدَمَيها فى السماء[1] مُعَلّق
فما خَرقتْ خُفًّا ولم تُبْلِ جَوْرباً ... وأمّا سَراويلاتها فتُمزَّق

ولها فى رشأ وقد ترك النبيذ

وحلف « رشأ » ألّا يَشرب النبيذ . فقالت عُلية :

حَرّمتُ شُرب الراح إذ عِفْتَها ... فلستُ فى شىءٍ أُعاصيكِ
فلو تَطوّعتِ لعـوّضتِنى ... منه رُضابَ الرِّيق من فيك
يا زينباً قـد أرّقَتْ مُقْلتى ... أَمْتعنى الله بحُبِّيك

غضب المعتصم عليها لشعر غنى به قيل إنه لها

وحكى محمد بن إسماعيل بن موسى بن الهادى قال :

كنّا عند المُعتصم ، وعنده عَلَّويه ، ومخارق ، ومحمد بن الحارث ، وعَقيد ؛ فتغَنّى عَقيد ، وكُنت أضربُ عليه :

نام عُـذّالى ولم أَنَمِ ... واشْتفَى الواشُون من سَقَمِى
وإذا ما قلتُ بى ألمٌ ... شَكَّ مَن أهواه فى ألَمى

فطَرِب المُعتصمُ وقال : لمن هذا الشعر والغناء ؟ فأَمسكوا . فقُلت : لعُلَيّة . فأعرَض عنّى . فعرفتُ غَلطتى وأنّ القوم أمسكوا عَمداً . فقُطِع بى[2] . فتبيَّن حالى ، فقال : لا تُرَع يا محمد ، فإنّ نَصيبك منها مثلُ نصيبنا .

المأمون فى لحن بينها وبين إسحاق

وحكى إسحاقُ بن إبراهيم الموصلىّ قال :

عملتُ لحناً فى أيام الرشيد ، وهو :

---

(١) فى غير التجريد : « فى الهواء » . (٢) أى أرتج عليه ولم يعرف وجه القول .

سَقْياً لأرضٍ إذا ما نِمْتُ نبَّهنى ... بعــد الهُدوِّ بها قَرْعُ النَّواقيسِ
كأنَّ سَوْسَنها فى كُلِّ شــارقةٍ ... على المَيــادين أذنابُ الطَّواويس

قال : فأعجبنى ، وعملتُ على أن أُباكِر به الرشــيدَ . فلَقِينى فى طريقى خادمٌ لعُليّــة بنت المهــدىّ . فقال : مولاتى تأمرك بدُخول الدِّهليز لتَسْمع مِن بعض جواريها غناءً أخذتْه عن أبيك وشكَّت فيــه الآن . فدخلتُ معه إلى حُجرة قد أُفردت لى كأنها كانت مُعدَّة ، فجلستُ ، وقُدِّم لى طَعامٌ وشراب ، فنِلْتُ منهما حاجتى . ثم خَرج إلىّ الخادمُ فقال : تقول لك مولاتى : أنا أعلمُ أنك قد غدوتَ إلى أمير المؤمنين بصوتٍ قد أعددتَه له مُحْــدَثٍ ، فأَسمعنيه ولك جائزة سنيّــة تتعجّلها ، ثم ما يأمر به لك بين يديك ، ولعــلَّه لا يأمر لك بشىء ، أو لا يَقع الصوتُ منــه بحيثُ توخَّيتَ ، فيذهبَ سَعْيُك باطلاً . فاندفعتُ فغنَّيتُها إياه ، ولم تزل تَستعيده . ثم أخرجتْ إلىّ عشرين ألفَ دِرهم ، وعشرين ثوباً ، وقالت : هذه جائزتُك . ولم تزل تَستعيده مراراً . ثم قالت : اسمعه الآن . فغنّته غناءً ما خَرق سَمعى مثــلُه ، ثم قالت : كيف تَراه ؟ قلت : أرى واللهِ ما لم أَرَ مثــلَه : قالت : يا فلانة ، أعيدى له مثلَ ما أخذ . فأَحضرت عشرين ألفاً أُخرى ، وعشرين ثوباً . فقالت : هــذا ثمنُه ، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين وأُخبره أنّه من صَنعتى ، وأُعطى الله عهــداً لئن نطقتَ أنّ لك فيه صنعةً لأقتلنّك ، هذا إن نجوتَ منــه إن عَــلِم بمَصيرك إلىّ . فخرجتُ من عندها ووالله إنّى لــكالمُوقن[1] بما أَكره من جائزتها ، أسفاً على الصوت . فما جَسَرْتُ بعد ذلك أن أتنغَّم به فى نفسى فضــلاً عن أن أُظهره ، حتى ماتت . فدخلتُ على المأمون فى أول مَجلس جلسه للهو بعدها ، فبدأتُ به فى أول ما غنَّيت . فتغيّر لونُ المأمون وقال : مِن أين لك ويلك هذا ؟ قلت : ولِىَ الأمان على الصِّــدق ؟ قال : ذلك لك . فحدَّثته الحديثَ . فقــال :

(١) فى التجريد : « لكالموقر بما » .

يا بغيض ! فما كان لك فى هذا من النَّفاسة حتى شهرْتَه وذكرتَ هذا منه ، مع ماقد أخذتَه من العِوَض ! وهَجَّنَنى فيــه هُجْنة وَدِدْتُ معها أنّى لم أذكره . فآليتُ ألّا أُغنِّيه بعد هذا أبداً .

مودة الرشيد إلى أم جعفر بشعر لها غنته فيه

وذُكر أنه أُهديت إلى الرَّشيد جاريةٌ فى غاية الجَمال والكمال ، فخَلا معها يوماً ، وأخرج كُلَّ قَينة فى داره ، فاصطبح . وكان مَن حَضر من جواريه للغِناء والخِدمة فى الشَّراب زُهاء ألفَى جارية ، فى أحسن زِىّ ، من كُل نوع من أنواع الثياب والجَوهر . واتصل الخَبرُ بأُمّ جَعفر زُبيدة . فغَلُظ عليها ذلك . فأرسلت إلى عُلَيّة بنت المهــدىّ تشكو إليها . فأرسلت إليها عُلية : لا يَهُولَنّك هذا ، فوالله لأَرُدّنه إليك ؛ وقد عزمتُ على أن أصنع شعراً وأَصُوغ فيه لحناً وأطرحه على جوارىّ ، فلا يَبقى عنــدك جاريةٌ إلا بعثتِ بها إلىّ ؛ وألبسيهنّ ألوان الثّياب ليأخُذْن الصوتَ مع جوارىّ . ففعلتْ أُم جَعفر ما أمرتْها به عُلَيَّة . فلما جاء وقتُ صلاة العَصر لم يشعُر الرشيدُ إلّا وعُلية قد خرجتْ عليه من حُجرتها ، وأُم جعفر من حُجرتها ، معهما زُهاء ألفَىْ جارية من جواريهما وسائر جوارى القصر ، عليهنّ غرائب اللِّباس ، وكُلّهن فى لحن واحد من صَنعة عُليّــة :

مُنفصــلٌ عنّى وما ... قلبىَ عنــه مُنفصلْ
يا هاجرى[1] اليومَ لمن ... نويتَ بعدى أن تَصِلْ

فطَرِب الرشيدُ وقام على رِجْليه حتى أستقبل أُمّ جعفر وأُختَه عُلية ، وهو على غاية السُّرور . وقال : لم أَرَ كاليوم قطُّ ! يا مسرور ، لا يَبقى فى بيت المال دِرْهم إلّا نثرتَه . فـكان مَبْلغ ما نثره يومئـذ ستةَ آلاف ألف درهم . وما سُمع بمثـل ذلك اليوم قطُّ .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يا قاطعى » .

الرشيد و جاريتان لما سمعهما عنـد ابراهيم الموصلى ثم عندهـا

وحُكى أنّ الرشيدَ اُشتاق إلى إبراهيم الموصلىّ يوماً ، فركب حماراً يقرُب من الأرض ، ثم أمر بعضَ خَدم الخاصّة بالسعى بين يديه . وخَرج من داره حتى دَخل على إبراهيم . فلما أحسّ به إبراهيمُ ، اُستقبله وقبّل رجلَيْه . وجلس الرشـيد ، فنَظر إلى مواضعَ قد كان فيها قومٌ قد مضَوْا ، ورأى عيداناً كثيرة . فقال : يإبراهيم ، ما هـذا ؟ فجعل يدافع . فقال : ويلك ! اُصدُقنى . فقـال : نعم يا أمير المؤمنين ، جاريتـان أطرح عليهما . قال : هاتهما . فأحضر جاريتين ظَريفتين — وكانت الجاريتان لعُليّة ، بعثتْ بهما ليَطرح عليهما — فقال الرشيد لإحداها : غنّى . فغنّت :

بُنِىَ الْحبُّ على الجَوْر فـلو	أنصف المعشوقُ فيـه لسَمُجْ
ليس يُسْتحسن فى وَصف[1] الهوى	عاشقٌ يُحسن تأليفَ الحُجَج
لا تَعيبنْ من مُحبّ ذِلةً	ذِلّة العاشـق مِفْتاحُ الفَرج
وقليل الحب صِرْفاً خالصاً	لك خيرٌ من كثيرٍ قد مُزِج

فأحسنت جدًّا . فقال : الرشـيد . يإبراهيم ، لِمن الشعر ؟ ما أملحـه ! ولمن اللحن ؟ ما أظرفه ! فقال : لا عِلْم لى . فسأل الجارية . فقالت : لستّى . قال : ومَن سِتُّك ؟ قالت : عُلية أخت أمير المؤمنين . قال : الشعرُ واللحن ؟ قالت : نعم . ثم أَطرق ورفعَ رأسه إلى الأُخرى ، فقال : غنّى . فغنّت :

تَحبّب فإنّ الحبّ داعيةُ الحب	وكم من بعيدِ الدار مُستوجبُ القُربِ
تَبصّر فإنْ حُدِّثْتَ أنّ أخا هوًى	نجا سالمًا فارجُ النّجاة من الحب
إذا لم يكُن فى الحبّ سُخْطٌ ولا رِضًى	فأين حلاواتُ الرّسائل والكُتْب

فسأل إبراهيمَ عن الغِناء والشعر . فقال : لا عِلْم لى يا أمير المؤمنين . فقـال

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى حكم » .

للجارية : لمن الشعرُ واللحن ؟ فقالت : لسِتِّى . فقال : ومَن سِتُّك؟ قالت : عُلية أُخت أميرالمؤمنين . فوثب الرشيد وقال : يإبراهيم ، أُحتفظ بالجاريتَيْن . ومضى فركب حِمَاره، وأنصرف إلى عُليـة فقال : قد أحببتُ أنْ أشربَ عندكِ اليوم . فتقدمتْ فيما تُصلحه . وأخذا فى شأنهما . فلما كان آخر الوقت حَمل عليها بالنبيذ ، ثم أخذ العُود من حِجر جارية ودَفعه إليها . فأكبرت ذلك . فقال : وتُربة المَهدىّ لَتُغنِّين . قالت : وما أُغنى ؟ فقال : غَنِّى :

* بُنِى الُحب على الجور فلو *

فعلمتْ أنه قد وقف على القصّة ، فغنتَّه . فلما أتت عليه . قال : غَنِّى :

* تَحبَّبْ فإن الُحبّ داعيةُ الحبّ *

فلَجْلَجت ، ثم غنتّه . فقام وقبَّل رأسها وقال : يا سيدتى ، هذا عندكِ ولا أعلم! وتَمَّ يومَه عندها .

غنت الرشيد وكان معـه جعفر

وحَـكى محمد بنُ جعفر بن يحيى بن خالد بن بَرمك قال :

شهدتُ أبى جعفراً ، وأنا صغـير ، يُحدِّث جدِّى يحيى بن خالد فى بعض ما كان يُخبره به من خَلَواته مع هارون الرشيد . قال: يا أبةِ ، أخذ بيدى أميرُ المؤمنين، ثم أقبل بى على حُجرة يخترقهـــا ، حتى أنتهى إلى حجرة مُغلقة ، ففَتحها بيديه ، ودَخلنا جميعاً ، وأَغلقها من داخلٍ بيده ، ثم صِرْنا إلى رِواق ففَتحه ، وفى صَدره مجلسٌ مُغْلَق، فقعد على باب المجلس . فنقر الرشيدُ البابَ بيده نقرات . فسَمِعْنا حِسًّا . ثم أعاد النَّقر . فسمعْنا صـوتَ عُود . ثم أعاد النقر ثالثةً . فغنَّت جاريةٌ ، ماظننتُ والله أن الله خَلق مثلَها فى حُسن الغنا ءوجَودة الضَّرب . فقال أمير المؤمنين لها — بعد أن غنَّت أصواتاً — : غنِّى صوتِى. فغنَّت صوته ، وهو :

ومُخنَّثٍ شَهِد الزِّفافَ وقبـله غَنَّى الجوارىَ حاسراً ومُنقَّبَا

لَبِس الدَّلالَ وقام يَنقر دُفَّه ... نَقْراً أقرَّ به العُيونَ وأطْربا

إنَّ النِّساء رأينــه فعشِقْنه ... فشكونَ شِدَّة ما بهنَّ فأَكذبا

فطربتُ والله طرباً هممتُ معه أن أنطح برأسى الحائط . ثم قال لها : غنِّى :

* طال تــكذيبى وتصديقى *

فغنّت :

طال تكذيبى وتَصْديقى ... لم أجِدْ عهداً لمَخلوقِ

إنّ ناساً فى الهوى غَدَروا ... حسَّنوا[1] نقْضَ المواثيق

فَرقص الرشيدُ ورقصتُ معه . ثم قال : أُمض بنا فإنى أخشى أن يبدُوَ منّا ماهو أكثرُ من هذا . فمضينا ، فلما صِرْنا إلى الدّهليز قال ، وهو قابض على يدى: أعرفتَ هذه المرأة ؟ قلتُ : لا ، يا أمير المؤمنــين . قال : فإنى أعلم أنك ستسأل عَنها ولا تــكتمُ ذلك ، وأنا أُخبرك بها : هذه عُلية بنت المهدى! ووالله لئن لفظتَ بين يدَى أحــدٍ وبَلغنى لأقتُلنّك . قال : فسمعتُ جدِّى يقول له : فقد والله لفظتَ به ، ووالله ليقتُلنّك ! فاْصنعْ ما أنت صانع .

تعقيب لابن واصل فى نكبة الرشيد للبرامكة

قلت : إنه بلغ من شدّة تقريب الرّشيد لجعفر ــ على ما حكاه الطبرى ــ أن الرشيد كانت له أختٌ أُخرى يقال لها العبّاسة بنت المهدىّ، وكان الرّشيد لا يَصبر عنها ولا عن جعفر ، فرأى تزْويجها لجعفر حتى يَحلَّ له النظرُ إليها عندما يجتمعان عنــده . فزوّجه إياها سرًّا . وكانا يَشربان معه . فشَربا يوماً معــه وثَملا، وقام الرشيدُ لحاجة له ، وكانت قــد أحبّت جعفراً وأحبَّها ، فوَاقعها فَحَبلت منه . فلما وَضعت خافت الرشــيدَ . فسيرت الولدَ إلى مكة و بالغت فى كِتمان أمره . فنُمى خبرُه إلى الرشيد . فحجّ سنةَ سبع وثمانين ومائة ، فوقف على القضيّــة تحقيقاً . فــكان ذلك سبب إيقاعه بجعفر ونــكبته البرامكة .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أحدثوا » .

وقد قيل فى سبب نكبته لهم أمورٌ كثيرة غير هذا ، والله أعلم .

تأخرها فى الحج وغضب الرشيد عليها

وذُكر أنّ عُلية بنت المهدى حجّت فى أيام الرشيد . فلما انصرفت من الحج أقامت بِطِيزَنَا بَاذ [1] أياماً ، فانتهى ذلك إلى الرشيد ، فغضب . فقالت عُلية :

أىُّ ذنبٍ أذنبتُه أىُّ ذنبٍ ... أىُّ ذنبٍ لولا رجائى لرَبِّى
بمُقامى بطِيزَنَا باذَ يوماً ... بعده ليلةٌ على غير شُرب
ثم باكرتُها عُقاراً شَمُولاً ... تَفْتِنُ النّاسِكَ الحَليمَ وتُصْبِى
قَهوةٌ قَرْقَفاً تَراها جَهُولاً ... ذاتَ حِلمٍ فرّاجةً كُلَّ كَرب

وصنعت فيه لحناً . فلما جاءت وسمع الشعرَ واللّحن رضى عنها .

حنينها إلى العراق ورد الرشيد لها إليه

وذُكر أنّ الرّشيد لمّا خرج إلى الرّىّ أخذ أخته عُلية معه ، فلما صار بالمَرْج [2] عملتْ شِعراً وصاغت فيه لحناً ، وهو :

ومُغتربٍ بالمَرْجِ يَبكى لشَجْوه ... وقدغاب عنه المُسْعِدون على الُحبِّ
إذا ما أتاه الرَّكْبُ من نحو أرضهم ... تَنشَّق يَسْتَشفى برائحة القُرْب

فلما سمع الصوتَ علم أنّها اشتاقت إلى العِراق وأهلِها به ، فردّها .

غناؤها الرشيد فى يوم عيد فطر

وذُكر أنّ عُلية غنّت الرشيد فى يوم عِيد فطر :

طالتْ علىّ ليالى الصَّومِ واتّصلتْ ... حتى لقد خِلْتُها زادتْ على الأبَدِ
شوقاً إلى مجلسٍ يُزْهَى بصاحبه ... أُعيذه بجَلالِ الواحِدِ الصَّمد

وذُكر أن عَريب غنّته للمُعتمد على الله . فأمر لها بثلاثين ألف درهم .

تركها الغناء لموت الرشيد وعودتها إليه

وذُكر أنه لما تُوفى الرّشيدُ جَزِعت أُخته عليه جزعاً شديدا ، وتركت النّبيذ

(١) موضع نزه بين الكوفة والقادسية .
(٢) هو مرج القلعة ، بينه وبين حلوان منزل إلى جهة همذان .

والغناء ، فلم يزل بها محمد الأمين حتى عادت فيهما [1] على كُره ، وقالت فيه شعراً وعملت فيه لحناً ، وهو :

أَطَلْتِ عاذلتى لَوْمى وتفنيدى وأنتِ جاهلةٌ شوقى وتَسْهيدِى
لا تَشْرب الراحَ بين المُسمعات وزُرْ [2] ظَبْياً غريراً نقىَّ الخدِّ والجيد
قد نَخَّته شَمُولٌ فهو مُنْجدل يَحكى بوَجْنته ماء العَناقيد
قام الأمينُ فأغنى الناسَ كُلَّهمُ فما فقيرٌ على حالٍ بمَوْجود

شعرها إلى أختها لبانة

وذُكر أنها كتبتْ يوماً إلى بنت أخيها لُبانةَ بنت علىٍّ بن المَهدىّ :

وحدّثنى عن مجلس كنتِ زَيْنَه رسولٌ أمينٌ والنِّساء شُهودُ
فقلت له كُرَّ الحديث الذى مضى وذِكْرُكِ من بين [3] الحديث أريد

غنت هى وأخوها وزمر عليهما يعقوب

وحكت عَريب قالت :

أحسنُ يومٍ رأيته فى الدنيا وأطيبه يومٌ اجتمعتُ فيه مع إبراهيم بن المهدى ، عند أخته عُلية ، وعندها أخوها يعقوب بن المهدى ، وكان أحذَقَ الناس بالزَّمر . فبدأت عُلية فغنَّت من صَنعتها ، وأخوها يعقوب يَزْمُر عليها :

* تحبَّب فإنّ الحب داعية الحبِّ *

وغنّى إبراهيم بن المهدى وزَمر عليه أخوه يعقوب :

لم يُنْسِنيك سُرورٌ لا ولا حَزَنٌ وكيف لا كيفَ يُنْسَى وجْهُك الحسَنُ
ولا خَلا منك قَلْبى لا ولا جَسدى كُلّى بكُلِّك مَشْغولٌ ومُرتَهن
يا واحدَ الحسن [4] مالى منك مُذ كَلِفَت نَفسى بحُبّك إلا الهَمُّ والحَزَن
نورٌ تولّدَ من شَمس ومن قَمرٍ حتّى تكامل فيه الرُّوح والبَدن

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « منهما » . (٢) فى التجريد : « وذر » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ذاك » . (٤) فى بعض أصول الأغانى : «يا واحد الحب» .

فما سمعتُ مثلَ ما سمعتهُ منهما قط ، وأعلم أنّى لا أسمع مثله أبدا .

مولدها ومماتهـا

وذُكر أن عُلية بنت المهدى ولدت سنة ستّين ومائة ، وتُوفيت سـنة عشر ومائتين ، فى خلافة المأمون ، وعُمرها خمسون سـنة . وكانت زوجـة لموسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس ، وصلى عليها المأمون ، وكان سَبب وفاتها أن المأمونَ ضمّها إليه وجعل يُقبّل رأسها ، وكان وجهها مُغطًّى ، فشرقت من ذلك وسعلت ، ثم حُمَّت بعقب هذا أياماً يسيرة وماتت .

أخبار أبي عيسى بن الرشيد

اسمه وأمه

أسمه أحمد . وقيل : صالح . وأمه بَرْبريّة .

من خلقه وخلقه

وكان مِن أحسن الناس وجهاً ومُجالسةً وعِشرة ، وأحدّهم نادرة ، وأشدّهم عَبثاً . وكان يقول شعراً طيِّباً من مثله .

وكان يُقال : أنتهى جمالُ وَلَد الخلافة إلى أولاد الرشيد ، ومِن أولاد الرشيد إلى محمد الأمين ، وأبي عيسى . وكان أبو عيسى إذا عَزم على الرُّكوب جلس له الناسُ حتى يروه ، أكثر ممّا كانوا يَجلسون للخُلفاء ، وكان حسنَ الغِناء .

هو وأبوه في المأمون

وذُكر أن الرشيد قال لأبنه أبي عيسى ، وهو صبيّ : ليت جمالَك لعبد الله المأمون ! فقال : على أنّ حظَّه منك لي ! فعَجِب من جوابه على صِباه ، وضمّه إليه وقبَّله .

هو والمأمون وشهر الصيام

وذُكر أنه شَهد المأمونُ ليلةً وهم يتراءَوْنَ هلالَ رمضان ، وأبوعيسى أخوه معه مُستلقٍ على قفاه ، فرأى المأمونُ ومن معه الهلالَ وجعلوا يَدْعون ، فقال أبو عيسى قولاً أُنكر عليه في ذلك المعنى ، كأنه كان مُتسخِّطاً لُورود الشهر ، فما صام بعده .

وقيل إن أبا عيسى لما قال :

دَهانيَ شهرُ الصَوم لا كان من شَهر ... ولا صُمتُ شهراً بعده آخرَ الدّهرِ

فلو كان يُعْدِيني الإمامُ بقُدرةٍ ... على الشَّهر لأستعديتُ جهدي على الشَّهر

ناله بعَقِب هذا القول صَرْعٌ ، فكان يُصْرَع في اليوم مرّاتٍ إلى أن مات ، ولم يبلغ شهراً مثله .

عبثه مع طاهر فى حضرة المأمون

وذُكر أن أبا عيسى بن الرشيد، وطاهرَ بن الُحسين، كانا يَتغدّيان مع المأمون، فأخذ أبو عيسى هِنْدباءة(١) فغمسها فى الخَلّ وضرب بها عينَ طاهرٍ الصحيحةَ، فغَضِب طاهرٌ وشَقّ ذلك عليه وقال: يا أمير المُؤمنين، إحدى عَيْنَىّ ذاهبةٌ، والأُخرى على يدى عَدْل، يُفعل بى هذا بين يديك! فقال المأمون: يا أبا الطيِّب، إنه والله ليَعبث بى أكثر من هذا العَبَث.

هو والمأمون ويعقوب بن المهدى

وذُكر أنّ المأمون بينا كان يخطُب يومَ الُجمعة على المِنبر بالرُّصافة، وأخوه أبو عيسى تلقاءَ وجهه فى المَقصورة، إذ أقبل يعقوب بن المهدىّ، وكان أفْسى الناسِ، قد عُرف بذلك، فلما أقبل وضع أبو عيسى كُمه على أنفه، وفَهِم المأمون ما أراد، فكاد يَضحك. فلما انصرف بَعث إلى أبى عيسى فأحضره، وقال: والله لَهممتُ أن أبطحك وأضربَك مائةَ دِرّة، ويلك! أردتَ أن تَفضَحنى بين أيدى الناس يومَ الُجمعة وأنا على المِنبر! إياك أن تعود لمثل هذا!

يعقوب بن المهدى وداية له

قيل: وكان يعقوب بن المهدىّ لا يقدر أن يُمسك الفُساء إذا جاءه، فاتخذتْ له دايةٌ مُثلَّثةً وطيَّبتها وتنوّقت فيها. فلما وضعتْها تحته فسا. فقال: هذه ويلك ليست بطيِّبة! فقالت الدايةُ: فديتُك، قد كانت طيِّبة وهى مثلّثة، فمُذ ربَّعتَها فسدت.

من حماقة يعقوب

وكان يعقوب هذا محمَّقاً، كان يخطُر بباله الشىء فيشتهيه، فيُثبته فى إحصاء خزائنه. فضجّ خازنهُ من ذلك، فكان يُثبت الشىء ثم يُثبت تحته أنه ليس عنده، وإنما أثبته ليكون ذكرُه عنده إلى أن يَملكه. فوُجد فى دفتر له فيه ثَبَتُ ثياب: ثَبَتُ ما فى الخزانة من الثِّياب المثقَّلة الإسكندرانية الهاشميّة لا شىء، أستغفر الله! بلى عندنا منها زِرٌّ من جُبَّة(٢) كانت للمهدىّ. الفُصوص الياقوت

(١) الهندباء: نبات كالخس عريض الورق.

(٢) هذه رواية التجريد. والزر: العروة. والذى فى غيره: «زرحية». وظاهر أن الصواب فيها: «زرجبة» كما فى التجريد.

الأحمر ، التى من حالهـا وقِصّتها كذا وكذا ، لا شيء . أستغفر الله ! بلى عنـدنا دُرْج[1] كان فيه للمهدىّ خاتَم هذه صِفتهُ . فحُمِل هـذا إلى المأمون ، فضَحِك لما قرأه حتى فَحص برجليه ، وقال : ما سمعتُ مثل هذا قطُّ !

من محبة المأمون له

وقيل : كان المأمون أشدَّ الناس حُبًّا لأبى عيسى أخيه ، وكان يُعِدّه للخلافة بعده ويُذاكر أصحابه ذلك . وقال يوماً : إنه ليَسْهُل علىّ أمر الموت وفَقْدُ المُلك ، وما يَسْهل شيء منهما على أحد ، ذلك لمحبّتى أن يَلى أبو عيسى الأمر من بعدى، لشدّة حُبّى إياه .

موته

وحكى أن سبب موته أنه كان يُحب صيدَ الخنازير ، فوقع عن دابّته فلم يَسْلَم دِماغُه . فكان يتخبّط فى اليوم مراتٍ حتى مات .

تعزية المهلبى للمأمون فيه

وحَكى محمد بن عبّاد المُهلّبى قال :

لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلتُ إلى المأمون وعمامتى علىّ، فخلعت عمامتى ونبذتُها ورائى ــ والخلفاء لا تُعزَّى فى العمائم ــ ودنوت . فقال لى : يا محمد ، حال القَدَر دون الوَطر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كُلُّ مصيبةٍ أخطأتْك تهون ، فجعل الله الحزن لك لا عليك .

حزن المأمون عليه

وذُكر أنّ أبا عيسى توفى سنة تسع ومائتين . وصلّى عليه أخوه المأمون ، ونزل فى قبره ، وامتنع من الطعام أياماً حتى خاف أن يضُرَّ ذلك به .

وحكى القاضى أحمد بن أبى دُوَاد قال :

دخلتُ على المأمون فى أول صُحبتى إياه ، وقد تُوفى أخوه أبو عيسى، وكان له مُحبًّا ، وهو يبـكى ويَمسح عينيه بمنـديل ، فقعدتُ إلى جَنب عمرو بن مَسعدة وتمثّلتُ قول الشاعر :

---

(١) الدرج ، بالضم : سفيط صغير .

نَقصٌ من الدُّنيا وأسبابِها نَقصُ المنايا من بنى هاشمِ

فلم يزل على تلك الحال ساعةً يبكى ، ثم مَسح عينيه وتمثّل :

سأبكيك ما فاضت دُموعى فإن تَغِضْ فحسبُك منّى ما تُكِنّ(١) الجوانحُ
كأنْ لم يَمُت حَىٌّ سواك(٢) ولم تقُم على أحدٍ إلّا عليك النّوائح

ثم التفت إلىّ فقال : هيه يا أحمد ! فتمثّلتُ قول عَبْدة بن الطَّبيب :

عليك سلامُ الله قيسَ بن عاصمٍ ورحمتُه ما شاء أن يترحّمَا
تحيّةَ مَن أوليتَه منك نعمةً إذا زار عن شَحْطٍ بلادَك سَلّمَا
وما كان قَيسٌ هُلْكه هُلْكَ واحدٍ ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدّمَا

فبكى ساعةً ثم التفت إلى عمرو بن مَسعدة فقال : هيه يا عمرو ! فقال : نعم يا أمير المؤمنين :

بكَوا حُذيفةَ لم تبكوا مثلَه حتى تعودَ قبائلٌ لم تُخلَقِ

قال : فإذا عَريبٌ وجوارٍ معها يَسْمَعن ما يدور بيننا ، فقالت : اجعلوا لنا معكم فى القول نَصيباً . فقال المأمون : قُولى ، فرُبَّ صوابٍ منك كثير . فقالت :

(٣) كذا فَلْيجلّ الخَطْبُ ولْيَفْدحِ الأمرُ فليس لعَينٍ لم يَفِضْ ماؤها عُذْرُ
كأنّ بَنى العبّاس(٤) يوم وفاته نُجوم سماءٍ خَرّ مِن بينها البَدْرُ

فبكى وبكينا . ثم قال لها المأمون : نُوحى به . فناحت وردّ عليها الجوارى . فبكا المأمونُ حتى قلتُ : حانت(٥) نفسه . وبكينا معه أحَرَّ بُكاء . ثم أمسكت .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ما تجن » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ولم تتح » مكان « ولم تقم » .
(٣) هذا الشعر لأبى تمام فى رثاء محمد بن حميد الطوسى . وكان مقتله فى حرب كانت بينه وبين أصحاب بابك الخرمى سنة ٢١٤ هـ . وقد ذكره أبو الفرج وأخذ عنه ابن واصل أن أبا عيسى مات سنة ٢٠٩ هـ .
(٤) فى ديوان أبى تمام : « كأن بنى نبهان » . (٥) فى بعض أصول الأغانى : «خرجت» .

فقال لها المأمون : اُصنعى فيه لحناً وغنّى فيه . فصنعتْ فيه لحناً على مَذهب النوح وغَنَّته إياه على العُود . فوالذى لا يُحْلَف بأعظم منه ، لقد بكَيْنا عليه غِناءً أكثر مما بكَيْنا عليه نَوْحاً .

أبو العتاهية يسلى المأمون عنه

وحكى عمرو بن مسعدة قال :

لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخل عليه أبو العتاهية فقال: حدِّثنى يا أبا إسحاق بحديث بعض المُلوك ممّن كان فى مثل حالنا وفارقَها . قال : يا أمير المؤمنين ، لَبس سليمانُ بن عبد الملك أفخر ثيابه ، ومَسَّ أطيب طيبه ، وركب أفره خَيله ، وتقدَّم إلى جميع مَن معه أن يركب فى مِثْل زيّه وأكمل سلاحه ، ونَظر فى مِرآته فأعجبته نفسُه وهَيئته وحُسنه ، فقال : أنا الملك الشابّ ! ثم قال للجارية له : كيف ترَين ؟ فقالت :

أنت نِعْم المَتاعُ لو كنتَ تبقى غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ
أنت خِلْوٌ من العيوب ومما يكره الناسُ غيرَ أنّك فانى

فأعرض بوجهه ، فلم تَدُر عليه الجمعة إلا وهو فى قبره . قال : فبكى المأمون والناسُ ، فما رأيتُ أكثرَ باكياً من ذلك اليوم .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبارَ أبى عيسى بن الرشيد ، هو:

قام بقلبى وقَعدْ ظبىٌ نَفى عنّى الجلَدْ
خَلّفنى مُدَلَّهاً أهيمُ فى كُل بَلَدْ
أسْهرنى ثم رَقد وما رَثى لى من كَمَدْ
ظبىٌ إذا اُزددتُ له تذلُّلاً تاه وصَدّ
واعطَشاً إلى فَمٍ يمُجّ خمراً من بَرَد

أخبار عبد الله بن موسى

شيء عنه

وكان أضرَب الناس بالعُود ، وأحسَنهم غناء . وله شعرٌ .

شعره في خادم لصالح بن الرشيد

فحكى سليمانُ بن داود ، كاتب أبي جعفر ، قال : كنتُ جالساً مع عبد الله ابن مُوسى الهادى فمرّ به خادمٌ لصالح بن الرشيد ، فقال له : ما أسمك ؟ فقال : أسمى « لا تسل » . فأعجبه حُسنه وحُسن منطقه . فقال لى : قُم بنا حتى نُسَرّ اليومَ بذكر هذا البدر . فقمُت معه ، ، فأنشدنى فى ذلك اليوم :

وشادنٍ مرّ بنا ... يجرح باللّحظ المُقَلْ

مَظلوم خَصْر ظالمٍ ... منه إذا يمشى الكَفَل

أعتدلت قامتُه ... واللحظُ منه ماعدَل

بدرٌ تراه أبدا ... طالِعَ سَعْدٍ ما أفَل

سألتُه عن أسمه ... فقال لى أسمى «لا تَسل»

وأطلعتْ فى وجنتيه ... وَردتان من خَجَل

فقلتُ ما أخطأ من ... سمّاك بل[1] نال الأمل

لا تسألن عن شادنٍ ... فاق جمالاً وكَمَل

وقال فيه أيضاً — وقيل إنه من هذه الأبيات :—

عَزّ الذى نَهوى وذَلّْ ... صَبُّ الفُؤاد مُختَبلْ

جَدّ[2] به الهجرُ وذا الـ ... ـهجرُ إذا جَدّ[2] قتل

---

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « قال المثل » مكان « نال الأمل » .

(٢) فى غير التجريد : « لج » فى الموضعين .

من شادنٍ مُنتطِقٍ فاق جمـالاً وكَمَل
تناصف الُحسن به فلا تَسل عن «لا تَسل»

لبعض الشعراء فى جوده

وذُكر عن عبد الله بن موسى أنه كان جواداً كريماً مُمدَّحاً، وفيه يقول الشاعر:

أعبـدَ الله أنت لنا أمـيرُ وأنت من الزَّمان لنا مُجيرُ
حكَيت أباك موسى فى العَطايا إمامُ الناس والملكُ الكبير

شعره الذى فيه الغنـاء

والشعر الذى لعبد الله فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخباره، هو:

تقاضـاكَ دهـرُكَ ما أسلفا وكَدّر عيشَكَ بعـد الصَّفا
فلا تجزعنّ فإن الزمانَ رهينٌ بتَشْتيت ما ألَّفـا
ولما رآك قليـل[1] الهُموم كثير الهَوَى ناعمـاً مُترَفا
ألحّ عليـك برَوْعاته وأقبل يَرْميـك مُستهدِفا

حديث موته

وذُكر أن عبد الله بن موسى الهادى كان مُعربِداً، وكان قد أعضل[2] المأمونَ مما يُعربد عليه إذا شرب معه، فأمر به أن يُحبس فى منزله فلا يخرجَ منه، وأقعد على بابه حرساً. ثم تذمَّم من ذلك، فأظهر له الرِّضا وصرف الحرس عن بابه. ثم نادمه فعرْبد عليه أيضاً، وكلَّمه بكلام أحفظه. وكان عبـد الله مُغرماً بالصيد، فأمر المأمونُ خادماً من خواص خدمه يقال له: حسين، فسمَّه فى دُرَّاج وهو بموسَياباذ[3]. فدعا عبدُ الله بالعشاء، فأتاه حُسين بذلك الدُّراج، فأكله. فلما أحسّ بالسمّ ركب فى الليل وقال لأصحابه: هو آخر ما تروْننى. وأكل معـه من الدُّراج خادمان، فأما أحدهما فمات من وقته، وأما الآخر فبقى مدة ثم مات. ومات عبدُ الله بعد أيام.

(١) فى غير التجريد: «وما زال قلبك مأوى» مكان «ولما رآك قليل».
(٢) أى أعياه. والرواية فى بعض أصول الأغانى: «أحفظ المأمون».
(٣) موسيا باذ: قرية من نواحى همذان. وأخرى بالرى، منسوبة إلى موسى الهادى، وهذه الأخيرة هى المرادة. (ياقوت). والذى فى بعض أصول الأغانى: «بمرسى أباد». تحريف.

أخبار عبد الله بن محمد الأمين

اسمه

هو عبد الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد .

أم الأمين

وأم الأمين أمُّ جعفر زُبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور . واسمها أَمَة العزيز ، وزُبيدة لقبٌ غلب عليها . وكان جدُّها أبو جعفر المنصور يُرَقِّصها وهي صغيرة — وكانت سمينةً حسنةَ البدن — فيقول : يا زُبيدة ! يا زبيدة ! فغَلب عليها ذلك .

أم عبد الله وشيء عنه

وأم عبد الله أم ولد . وكان ظريفاً غزلاً ، يقول شعراً ليِّناً ، ويَصنع في الغناء صنعةً صالحةً ، وكان يُنادم الواثق ، ثم نادم بعده سائر الخلفاء إلى المعتمد . وله في المعتمد :

رأيتُ الهلالَ على وجهكا ... فما زلتُ أدعو إلٰهي لَكا

فلا زلتَ تحيا وأحيا معاً ... وآمنني الله من فَقْدكا

من شعره

ومن شعره :

يامَن به كلُّ خَلْقٍ ... تراه صَبًّا مُتيَّمْ

ومَن تجالَلَ تيهاً ... فما تَراه يُكلِّم

لاشيءَ أعجبُ عندي ... ممّن يراك فيَسْلَم

شعره إلى أبي نهشل في جارية أراد شراءها

وذُكر أنه كان بين عبد الله بن محمد الأمين وبين أبي نَهْشل بن حُميد مودةٌ ، فاعترض عبدُ الله جاريةً مغنيةً لبعض نساء بني هاشم فأعطى بها مالاً عظيماً . فعرفت منه رغبةً فيها فزادت عليه في السَّوم ، فتركها ليكسرهم . فجاء أخٌ لأبي نَهشل فاشتراها وزاد . فتتبَّعتْها نفسُ عبد الله ، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النُّزولَ عنها ، فسأله ذلك ، فوعده ودافعه ، فكتب عبدُ الله إلى أبي نَهشل :

يا بن حُميدٍ يا أبا نَهشلٍ مِفتاحَ باب الحَدَث المُقْفَلِ
يا أكرمَ النـاس وداداً وأر عاهم لحقٍّ ضـائعٍ (١) مُغْفَـلِ
أحسنتَ فى ودِّى وأجملتَ بل جُزْتَ فِعـال المُحْسِن المُجْمِلِ
بيتُك فى ذى يَمَنٍ شـامخٌ تَقْصُرعنه قُنّتـا (٢) يَذْبُـلِ
خَلَفْتَ فينـا حاتماً ذا النّدى وجُدْتَ جَوْدَ العارض المُسْبِلِ
أىُّ أخٍ أنتَ لذى وَحْـدةٍ تركتَـه بالعِزِّ فى جَحْفَـلِ
نُجـومُ حظِّى منك مَسعودةٌ فيما أُرجِّى لَسْنَ بالأُفَّـلِ
فَصدِّقِ الظنَّ بمـا قُلتَـه وسَهِّـل الأمرَ به يَسْهُـلِ
لا تحرِمنِّى ولديك المُـنَى بالله صَيْدَ الرَّشـأ الأَكْحلِ
رُميتُ منـه بسهام الهـوى وما دَرى بالرَّمْى (٣) فى مَقْتـلى
أدْنيتني بالوعـد فى صَيْـده إدناءَ عَطْشـانٍ من المَنْهـلِ
ثم تنـاسيتَ وأسـلمتَنى إلى مِطَالٍ مُوحشِ المَـنْزِلِ
تركتَـنى فى لُجَّـةٍ عائماً لا أعرف المُدْبرَ من مُقْبِـلِ
صَرِّح بأمرٍ واضحٍ (٤) بيننـا لا خَيرفى ذِى لَبَس (٥) مُشْكلِ

فلم يزل أبو نَهْشل بأخيه حتى نَزل له عنها .

وقيـل :

بينـه وبين أبي نهشل حين أقام بضيعـة له

كانت لعبد الله بن محمد الأمين ضيعةٌ بالسَّواد تُعرف بالعَمْرِيّة ، فخرج إليها وأقام بها ثلاثاً (٦) ، فـكتب إليه أبو نَهشل :

سَقى الله بالعَمْرِيّة الغيثَ منزلاً حللتَ به يا مُـؤْنِسى وأمـيرِى
فأنتَ الذى لا يَخلُق الدهرَ ذِكرُه وأنت أخِى حقًّا وأنت سُرورى

(١) فى غير التجريد : « مهمل » مكان « مغفل » . (٢) يذبل : جبل بنجد .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ما الرمى » . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « بين » مكان « بيننا » . (٥) اللبس ، بإسكان ثانيه ، وحرك للشعر .
(٦) فى غير التجريد : « أياما » .

فأجابه عبد الله :

لئن كنتُ بالعَمْرية اليومَ لاهياً … فإنّ هواكم حيثُ كنتُ ضميرِى

فلا تحسبنِّى حيث كُنتُ[1] مُقصِّراً … وكُنْ شافِعِى مِن سُخْطكم ومُجِيرِى

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به الفرج أخبار عبد الله بن محمد الأمين، هو:

ألا يا دَيْرَ حَنْظلةَ المُفدَّى … لقــد أورثتنى سَقَماً وكَدَّا

أَزُفُّ من الفُرات إليك[2] زِقًّا … وأجعل تحته الوَرَق المُندَّى

شىء عن دير حنظلة

وهذا الدير هو بالجزيرة . وصاحبه هو حَنظلة بن أبى عَفراء ، أحد بنى حيَّة الطائيين ، رهط أبى زُبيد ، ورهط إياس بن قَبيصة . وكان حنظلة هذا قد تعبَّد فى الجاهلية وتفكّر فى أمر الآخرة ، فتنصّر و بنى هذا الديرَ فعُرف به . وهو القائل:

ومهما يكن رَيبُ الزمانِ فإننى … أرى قمرَ الليل المُعذِّب[3] كالفَتَى

يَهِلُّ صَغيراً ثم يعظُم ضَــوءه … وصُورته حتى إذا ما هو استوى

تقارب يَخْبو ضَــوءه وشُعـاعُه … ويَمْصَح[4] حتى يَسْتَسِرّ فلا يُرى

كذاك تمامُ[5] المرء ثم انتقاصه … وتكرارُه فى دَهره بعد ما مَضى

نُصبِّح أهلَ الدار والدارُ زينةٌ … ونأتِى الجبالَ من شَماريخها العُلا

فلاذا غِنًى يُرجِئْن عن فَضل ماله … وإن قال أَخِّرنى وخُذْ رِشوةً أبى

ولا عن فَقــيرٍ يأتخرن لفقــره … فتنفعه الشَّكوى إليهنّ إن شَــكا

---

(١) فى غير التجريد : فى هواكم » مكان « حيث كنت » .

(٢) هذه رواية التجريد . وفى غيره :

« أزف من العقار إليك دنا »

(٣) هذه رواية التجريد ومعجم البلدان (دير حنظلة) . وفى غيرهما : « المغرب » .

(٤) يمصح : يذهب وينقطع .

(٥) فى غير التجريد : «كذلك زيد » .

أخبار علي بن الجهم

نسبه

هو عليّ بن الجَهم بن بَدْر بن الجَهْم بن مَسعود بن أَسيد بن أُذينـة بن كَرّاز ابن كَعب بن مالك بن عُتبة [1] بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامَة بن لُؤيّ بن غالب .

شيء عن سامة جده

هكذا يدَّعون . وقُريش تَدفعهم عن النَّسب وتُسمِّيهم : بنى ناجية ، يَنسبونهم إلى أُمهم ناجية ، وهى زوجة سامةَ بن لُؤى بن غالب . وكان سامة — فيما يقال — خَرج إلى ناحية البحرَيْن مُغاضِباً لأخيه كعب بن لُؤى فى مُماظَّةٍ [2] كانت بينهما ، فطأْطأتْ ناقتُه رأسَها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العُشب بمِشْفرها ، فعَلق بمشفرها أفعى ، ثم عَطفته على قَتَبها فحكَّته به ، فدبّ الأفعى على القَتَب حتى نَهش ساقَ سامةَ فقتَله . فقال : أخوه يَرثيه :

عينُ جُودِى لسامةَ بن لُؤىٍّ عَلِقَتْ ساقَ سامةَ العَلّاقهْ

رُبَّ كأسٍ هَرقْتَها ابنَ لُؤىٍّ حذرَ الموتِ لم تكن مُهْرَاقه

وقال مَن يَدْفع بنى سامة من نَسَّابِى قُريش : إنه كانت معه امرأتُه ناجيـة ، فلما مات تزوّجت رجلاً من أهل البحرين، فولدت منه الحارث . ومات أبوه وهو صغير ، فلما تَرعرع طَمِعت أُمه فى أن تُلْحِقه بقُريش ، فأَخبرته أنه ابن سامةَ ابن لُؤى . فَرحل من البحرَيْن إلى كَعب بن لُؤى ، وأخبره أنه ابن أخيه سامةَ ، فعَرف كعبٌ أُمَّـه وظنّه صادقاً فى دعواه ، فقَبله ومكث عنده مُدّةً ، حتى قدم مكةَ رَكْبٌ من أهل البَحْرَين ، فرأوا الحارثَ فسلَّموا عليـه وحادثوه ساعةً ، فسألهم

---

(١) هذه رواية التجريد وابن خلكان . وفى غيرهما . «عيينة» .

(٢) المماظة : المخاصمة .

عنه كعب بن لُؤى ومن أين يعرفونه . فقالوا له : هـذا ابنُ رجلٍ من أهل بلدنا يقال له : فلان ، وشرحوا له خبَره . فنفَاه كعبٌ ونفَى أُمّه . فرجعا إلى البَحْرَين وكانا هناك . وتزوّج الحارثُ وأعقب هذا العَقِب .

ورَووا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « عَمِّى سامةُ لم يُعْقِب » . وأرتدّ بنو ناجية عن الإسـلام بعد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . ولمّا وَلِى علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنـه الخلافةَ دعاهم إلى الإسلام ، فأسلم بعضُهم وأقام الباقون على الردّة ، فسَباهم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وأسترقّهم ، فاشتراهم مَصْقلةُ ، وأدّى ثُلث ثمنهم وأشهد بالباقى على نفسه ، ثم أعتقهم وهَرب من تحت ليلته إلى مُعاوية ، وصـاروا أحراراً ، ولَزمه الثمنُ . فهَدم علىٌّ رضى الله عنـه دار مَصقلة بالكوفة ، فلم يَدْخلها[1] مَصقلةُ حتى قُتل علىّ رضى الله عنه .

وأثبت الزُّبير بن بَكّار نسَبهم فى قُريش . وَردّ عليه أبو الفرج قولَه وقال : إنما فعل الزُّبير بن بكار ذلك لأنحرافه عن علىّ رضى الله عنـه وتعصُّبه عليه ، فأثبت نَسب هؤلاء لعَداوتهم عليًّا رضى الله عنه . والله أعلم بحقيقة ذلك .

صلته بالمتوكل

وكان علىّ بن الجَهم شاعراً فَصيحاً مَطبوعاً . وخُصّ بالمُتوكّل حتى صار من جُلسائه . ثم أبغضه لأنّه كان كثيرَ السِّعاية إليه بنُدمائه والذِّكْر لهم بالقبيح عنده ، فإذا خلا به عَرّفه أنهم يَعيبونه ويَثْلِبونه ويتَنقّصونه ، فيَكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة ، فنفَاه بعد أن حَبسه مُدة .

شعره فى هجاء آل أبى طالب

وكان علىٌّ بن الجهم ينحو نحو مروان بن أبى حَفصة فى هِجاء آل أبى طالب وذَمّهم والإغراء بهم ، وهو القائل :

ورافضـةٍ تقول بشِعْب رَضْوى ... إمامٌ خاب ذلك من إمامِ
إمامِى[2] من له عشرون ألفاً ... من الأتراك مُشْرَعةُ السِّهـام

(١) أى الكوفة . (٢) فى غير التجريد : « إمام » .

هجاء البحترى له

وفيه يقول البُحْترىّ :

إذا ما حُصِّلتْ عُليـا قُرَيش   فلا فى العِـير أنت ولا النَّفيرِ
ولو أعطـاك ربُّك ما تَمَنَّى[1]   لزاد الخَلقَ فى عِظَمِ الأُيور
علامَ هَجَوْت مُجتهِـداً عَليًّا   بما لفَّقت من كَذِب وزُور
أما لكَ فى اُستِكَ الوَجْعاء شُغْلٌ   يكُفُّك عن أَذَى أهل القُبور

بين أبى العينـاء وبينـه

وذكر أن أبا العَيناء سمع علىَّ بن الجَهم يَطعن على علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنـه ، فقال له : أنا أدرى لِمَ تَطعن على علىّ أمير المؤمنين . فقال له : أَتعنى قصّة بَيعه أهلى من مَصقلة بن هُبيرة ؟ قال : لا ! أنت أَوضعُ من ذلك، ولـكن لـكونه قَتل الفاعلَ فِعل قوم لُوط والمفعولَ به ، وأنت أَسفلُهما .

حبس المتوكل له والقصة فى ذلك

وذُكر أنه كَتب صاحبُ الخَبر إلى المُتوكل : إن الحَسن بن عبـد الملك ابن صالح اُحترق فمات . فقال علىُّ بن الجهم للمتوكل : قد بلغنى أنّ العاملَ قَتله ، وصانَع صاحبَ الخبر حتى كَتب بهذا — وكان يَسعى بالجُلساء إلى المتوكِّل — فأَبغضه وأَمره بأن يَلْزم بيتَه . ثم بلغه أنه هَجاه فحَبسه . فقال فى الحَبس أشعاراً كثيرة حسنةً . وأحسنُ شعر قاله فى الحبس قصيدتُه التى أولها :

قالت حُبستَ فقلتُ ليس بضائرى   حَبْسى وأىُّ مُهنَّـدٍ لا يُغْمَدُ
أَوَما رأيتِ الليثَ يألف غِيـلَه   كِبْراً وأَوباشُ السِّـباع تَرَدَّدُ
والبدرُ يُدركه السِّرار[2] فتَنْجلى   أيّامُـه وكأنّه مُتجـدِّدُ
والشمسُ لولا أنّهـا مَحجوبةٌ   عن ناظرَيْك لَمَا أضاء الفَرْقَدُ
والغيثُ يَحصُره السَّحاب[3] فما يُرى   إلّا ورِيِّقـه يَروع ويَرْعُـدُ

(١) الرواية فى ديوان البحترى :
ولو أعطاك ربك ما تمنى   عليه لزاد فى غلظ الأيور
(٢) السرار ، بالفتح والكسر : آخر أيام الشهر .
(٣) فى غير التجريد : « الغمام » .

والزّاعبيّـة[(١)] لا يُقيم كُعوبَهـا إلّا الثِّقافُ وجَمرةٌ[(٢)] تتوقّـد
والنـارُ فى أحجارها مَخبوءة لا تُصطلَى إن لم تُثِرْها الأَزْنُد
والحَبْسُ ما لم تَغْشَه لِدَنِيّـةٍ شَـنعاء نِعْمَ المنزلُ[(٣)] المُتورَّد
بيتٌ يُجـدِّد للـكرام كرامةً ويُزار فيـه ولا يَزور ويُحْمَد
لو لم يكُن فى الحَبْس إلّا أنه لا يَستذِلُّك بالحِجاب الأَعْبُد
كم من عَليـلٍ قد تخطّاه الرّدى فنجا ومات طبيبُه والعُوَّد
يا أحمـدُ بنَ أبى دُوَاد إنما تُدْعى لـكُلِّ عظيمة يا أحمـد
أَبلغ أمـيرَ المُؤمنين فدُونه خَوْضُ الرّدى ومَخاوفٌ لا تَنفَد
أَنتم بنو عَمِّ النبىِّ محمـدٍ أَولى بمـا شَرَع النبىُّ محمـد
ما كان من كَرمٍ فأنتم أهـلُه كَرُمَت مَغارِسُكم وطاب المَحْتِد
أَمِنَ السَّويّةِ يابن عَمِّ محمـدٍ خَصْمٌ تُقرِّبه وآخرُ تُبْعِـد
إنّ الذين سَـعَوْا إليك بباطلٍ حُسّادُ نِعمتِك التى لا تُجحَـد
شَهِدوا وغِبْنا عنهمُ فتحكّمـوا فينا وليس كغائبٍ مَن يَشهد
لو يَجمع الخُصماءَ عنـدك مَجلسٌ يوماً لبان لك الطريقُ الأَقصد
فبأىّ جُرمٍ أصبحتْ أعراضُنا نَهْباً تَقسَّمها اللئيمُ الأَوغـد

صلب المتوكل له وشعره فى ذلك

وذُكر أنه لما حُبس علىّ بن الجَهم ما زال أعداؤه يُوغِرون صدر المتوكّل عليه، وقالوا للمتوكل: إنه يَهجوك! فتقدَّم بنَفْيه إلى خُراسان، وكتب إلى عامله بخُراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحُسين بأن يصلب ابنَ الجهم، إذا وَردها يوماً إلى الليل. فلما وصل علىُّ بن الجَهم إلى الشّاذياخ[(٤)] حَبسه بها، ثم أُخرج فصُلب يوماً إلى اللّيل مُجرَّداً، ثم أُنزل. فقال فى ذلك:

(١) الزاعبية: رماح تنسب إلى رجل من الخزرج، يقال له: زاعب، كان يعمل الأسنة.
(٢) فى غير التجريد: «وجذوة». (٣) المتورد: الذى يزار ويورد.
(٤) الشاذياخ: من ضواحى نيسابور، كانت قديماً بستاناً لعبد الله بن طاهر بن الحسين، فبنى هو بها، ثم عمرت حتى اتصل بناؤها بنيسابور. (ياقوت).

لم ينصبوا بالشاذياخ عشيَّة الـ ... إثنين مسبوقاً ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله مِلْء قلوبهم ... شرفاً ومِلْء صدورهم تبجيلا
ما ازداد إلا رفعة بنكوله ... وازدادت الأعداء عنه نكولا
ما كان[1] إلا الليثَ فارق غيلَه ... فرأيته في محمَلٍ محمولا
لا يأمن الأعداء من شَدّاته ... شدًّا يُفصِّل هامَهم تفصيلا
ما عابه أن بُزّ عنه لباسُه ... فالسيفُ أهولُ ما يُرى مسلولا
إن يُبتذل فالبدرُ لا يُزْرِى به ... أن كان ليل تمامه[2] مبذولا
أو يسلُبوه المالَ يحزُنْ فقدُه ... ضيفاً ألمَّ وطارقاً ونزيلا
أو يحبِسُوه فليس يُحبَسُ سائرٌ ... من شِعره يدعُ العزيزَ ذليلا
إنّ المصائب ما تعدَّتْ دينَه ... نِعَمٌ وإن صعُبت عليه قليلا

شعره فى طاهر لما أطلقه المتوكل

وذُكر أنّ المتوكِّل كتب إلى طاهر بن عبد الله بإطلاق عليّ بن الجهم ، فلمّا أطلقه قال له ابنُ الجهم :

أطاهرُ إنِّى عن خُراسانَ راحلُ ... ومُستخْبَرٌ عنها فما أنا قائلُ
أأصدُق أم أَكنى عن الحق[3] أيُّما ... تخيَّرتَ أدَّته إليك المحافل
وسارت به الرُّكبانُ واصطفقت به ... أكُفُّ قِيانٍ واجتَبَتْه القبائل
وإنِّى بغالِى الحمد والذمِّ عالمٌ ... بما فيهما نامِى الرميَّة[4] ناضِل
وحقًّا أقول الصِّدْق إنى لمائلٌ ... إليك وإن لم يحْظ بالوُدِّ مائل
ألَا حُرمةٌ تُرْعَى ألا عقدُ ذِمةٍ ... لجارٍ ألا فِعلٌ لقَوْلٍ مُشاكل
ألا مُنْصِفٌ إن لم نجِد مُتفضِّلاً ... علينا ألا قاضٍ من الناس عادِل
فلَا تَقْطعنْ غيظاً علىّ أناملاً ... فقبلك ما عُضَّت علىّ الأنامِل

(١) فى غير التجريد : « هل كان » .
(٢) فى غير التجريد : « ليلة تمه » . (٣) فى غير التجريد : « الصدق » .
(٤) نامى الرمية ، التى تصيبها فتموت بعيدة عنك . وناضل : غالب فى الرمى .

أطاهرُ إن تُحسن فإنّىَ مُحْسنٌ إليك و إن تبْخَل فإنّىَ باخِل

فقال له طاهر : لا تقُل إلا خيراً ؛ فإنّى لا أفعل بك إلا ما تُحب . ووصله وكَساه .

شعره فى قينة

وذُكر أنّ علىّ بن الجَهم كان فى مجلس فيه قَينة ، فعابثها وجَمَّشها . فباعدتْه وأعرضت عنه ، فقال :

خَفِي[1] اللهَ فيمن قد تبَلَتِ فؤادَه وغادرْتِه نِضْواً كأنّ به وَقْرَا

دَعِي البُخلَ لا أسمعْ به منك إنما سألتُك أمراً ليس يُعرِى لكم ظَهْرَا

فقالت له : صدقت يا أبا الحسن ! هـذا أمرٌ ليس يُعرِى لنا ظهراً ، ولكنه يملأ لنا بَطْنا .

شعره فى علة المتوكل بعد ما ضرب جاريته قبيحة

وحَكى علىُّ بن الجهم قال :

دخلتُ على المُتوكل ، وقد بلغنى أنه كَلَّمَ قَبيحةَ جاريتـه ، فأجابتْه بشىء أغضبه ، فرَماها بمخَدَّة فأصابتْ عينَها فأثَّرت فيها . فتأوَّهت و بكت ، و بكى ابنه المُعتز لبكائها . فخَرج المُتوكل وقد حُمَّ من الغم والغَضب . فلما بصُر بى دعانى ، و إذا الفَتح[2] يُرِى بَخْتيشوع القارورة و يُشاوره فيهـا . فقال لى : قُل فى عِلّتى هذه شيئاً وصِفْ أنّ الطّبيب ليس يَدرى ما بى . فقلتُ :

تنكَّر حال عِلّتىَ الطبيبُ وقال أرى بجسمك ما يَرِيبُ

جَسَسْتُ العِرْقَ منك فَدل جَسِّى على ألم ٍله خَـبَرٌ عَجيب

فما هـذا الذى بكَ هاتِ قُلْ لى فكان جوابَه مِنّى النَّحيب

وقلتُ : أيا طبيبُ ، الهجرُ دائى وقلبى يا طبيبُ هو الكئيب

فحرّك رأسَـه عَجباً لقولى وقال الحُب ليس له طَبيب

(١) كذا فى التجريد والأغانى . والخطاب للواحدة .

(٢) هو الفتح بن خاقان ، وزير المتوكل .

وأعجبنى الذى قد قال جـدًّا　　فقلتُ بلى إذا رَضِى الحبيب
فذاك[١] هو الشِّفـاء فلا تُقصِّر　　فقلتُ أجل ولـكنْ لا يُجيب
ألاَ هل مُسْعِدٌ يَبكى لشَجْوى　　فإنِّى هائمٌ فَرْدٌ غـريب

فقال : أحسنتَ وحياتى ! يا غُلام أسقنى قَدَحاً . فجاءه بقَدَحٍ فَشرِب، وسُقِيت الجماعةُ مثلَه . وخَرجت إليه فَضْلُ الشاعرةُ بأبياتٍ أمرتْها قَبيحةُ أن تقولها عنها . فقرأها فإذا هى :

لأ كتُمنّ الذى فى القلب من[٢] غُصَص　　حتى أموت ولم يَعْلَمَ بىَ النـاسُ
ولا يقال شَكا مَن كان يَعْشقه　　إنّ الشَّكاة لِمن تَهْوى هى الياس
ولا أبوح بشىء كنتُ أكتُمـه　　عند الجَليس[٣] إذا ما دارت الكاس

فقال المتوكل : أحسَنتِ يا فَضْلُ ! وأمر لى ولها بعشرين ألفَ دِرهم ، ودَخل إلى قَبيحة فصالحها[٤] .

من شعره

ومن رقيق شعر ابن الجهم :

أعلمِى يا أحبَّ شىء إليَّـا　　أنّ شوقى إليكِ قاضٍ عليَّا
إنْ قَضى الله لى رُجوعاً إليكم　　لا ذكرتُ الفِراق مادمتُ حيّا
إنّ حَرّ الفِراق أنحلَ جِسمى　　وكَوى القلبَ منكِ بالشّوق كيَّا

شماتته بالرخجى وشعره فى ذلك

وذُكر أن علىّ بن الجهم كان سأل عُمر بن الفَرج الرُّخَّجى[٥] معاونَتَـه، واسترفده فى نَكبته ، فلم يُعاونه ولم يَرْفِده . ثم قَبض المُتوكل على عُمر بن الفَرج وأُسْلِم إلى نَجاح[٦] ليُصادره . فقال علىّ بن الجهم له :

---

(١) فى غير التجريد : « فقال هو » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « حرق » مكان « غصص » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الجلوس » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « فترضاها » .
(٥) كان هو وأبوه فرج من أعيان الكتاب أيام المأمون وأيام المتوكل .
(٦) هو نجاح بن سلمة ، كان على ديوان التوقيع أيام المتوكل .

أبلغْ نجاحاً فتى الفِتْيان(١) مَأْلُكةً ... تمضى بها الرِّيحُ إصداراً و إيرادَا
لن يخرج المالُ عفواً من يدَىْ عُمَرٍ ... أو يُغْمَدَ السيفُ فى فَوْديه إغمادا
الرُّخَّجيُّون لا يُوفون ما وَعدوا ... والرُّخَّجيّاتُ لا يُخْلِفن مِيعادا

وقال فيه أيضاً :

جمعتَ أمرَيْن ضاع الحزمُ بينهما ... تِيهَ المُلوك وأفعالَ المماليكِ
أردتَ شُكراً بلا بِرٍّ(٢) ومَرزِئةٍ ... لقد سلكتَ طريقاً غير مَسْلوكِ
ظَننْتَ عِرْضَك لا يُرْمَى بقارعةٍ ... وما أُراكَ على حالٍ بمَتروكِ

استشفع نديم لسليمان بشعره

وذُكر أنه كان لسُليمان بن وَهب نديمٌ يأنس به ، فعَربد عليه ليلةً من اللَّيالى عربدةً قبيحةً ، فاُطَّرحه وجفاه مُدةً . فوقف له على الطريق ، فلما مرّ به وثب إليه وقال له : أيها الوزير ، ألاَ تكون فى أمرى كما قال علىّ بن الجَهم :

القومُ إخوانُ صِدْقٍ بينهم نَسبَ ... من المودَّة لم يُعْدَلْ به نَسبُ
تراضعُوا دِرَّةَ الصَّهباء بينهمُ ... فأوجبوا لِرَضيع الكأس ما يَجِب
لا تحفظنّ على السَّكران زَلَّتَه ... ولا تَريبك من أخلاقه رِيَب

فقال له سليمان : قد رضيتُ عنك رضًى صحيحاً ، فعُد إلى ما كنتَ عليه من مُلازمتى .

وأول هذه الأبيات :

الوَردُ يَضحك والأوتارُ تصطخبُ ... والنّاىُ يَندُب أشجاناً و يَنْتَحِبُ
والرّاحُ تُعْرَض فى نَوْرِ(٣) الربيع كما ... تُجلَى العَروس عليها الدُّرّ والذَّهب
وكلّما اُنسكبت فى الكأس آونةً ... أقسمتُ أنّ شُعاع الشَّمس ينْسكب

---

(١) مألكة : رسالة . (٢) المرزئة ، من رزأه ماله : إذا أصاب منه خيراً .
(٣) فى التجريد : « ثوب » .

وذُكر أن علىّ بن الجهم دخل على عبد الله بن طاهر بن الُحسين يوماً فى غُدوة من غُدوات الربيع ، وفى المساء غَيم رقيق ، والمطرُ يجىء قليلا و يسكن قليلا ، وقد كان عبد الله بن طاهر عَزم على الصَّبوح ، فغاضبته حَظيَّةٌ له ، فتنغص عليه عَزْمُه وفتر . وخُبِّرعلىّ بن الجهم بالخبر، وقيل له : قُل فى هذا المعنى شيئاً لعلّه يُنشّط الأمير للصَّبوح . فأنشده :

أَمَا تَرى اليومَ ما أحلَى شمائلَه ... صَحوٌ وغَيْمٌ و إبراق و إرعادُ
كأنّه أنتَ يا مَن لا شبيه لَه ... وَصْلٌ وهَجْرٌ وتَقريبٌ و إبعاد
فباكِرِ الرَّاح واُشرَبْها مُعتَّقةً ... لم يَدَّخر مِثْلَها كِسْرَى ولاعاد
واُشربْ على الرَّوض إذلاحت زَخارفُه ... زَهرٌ ونَوْرٌ وأوراق وأوْراد
كأنّما يومُنا فِعلُ الحَبيب بنا ... بَذْلٌ وبُخل و إبعادٌ وميعاد
وليس يَذهب عنِّى كلُّ فعلكمُ ... رُشدٌ وغَىٌّ و إصلاحٌ وإفساد

فاُستحسن الأبياتَ ، وأمر له بثلثمائة دينار . وحَمله وخَلع عليه ، وأمر بأن يُغنّى فى الأبيات .

شعره فى سبب جلوسه على المقابر

وحكى رجلٌ من أهل خُراسان قال :

رأيت علىّ بن الجهم ، بعد أن أُطلق من مَحبسه ، جالساً على المَقابر، فقلت له : ما يُجلسك ها هنا ؟ فقال :

يَشتاق كُلُّ غريبٍ عند غُربته ... ويذكر الأهلَ والجِيرانَ والوَطنَا
وليس لى وطنٌ أمسيتُ أذكره ... إلّا المقابر إذ كانت لهم[1] سَكنا

شعره فى هجاء ابن الرشيد لبخله

وذُكر أن علىّ بن الجهم مَدح أبا أحمد بن الرشيد ! فلم يُعطه شيئاً فقال يهجوه :

---

(١) فى غير التجريد : « إذ صارت لهم وطناً » .

يا أبا أحمـــدَ لا يُنـ جِى من الشّعر الفِرارُ
لبَنى العبّاس أحـلا مٌ عِظـــامٌ ووَقار
ولهم فى الحرب إقـدا مٌ ورأىٌ واصـطبار
ولهم ألســنةٌ تبـ رِى كما تبرى الشـفار
ووجـوهٌ كنُجوم الْـ لَيل تَهدِى من يَحار
ونَسيمٌ كنَسيم الرَّ وض جادتْه القِطـار
ولعِطْفيك عن المَجـ دِ شِمـــاسٌ وازْوِرار
إن تـكن منهم بلا شـــكٍّ فللعُود (١) قُتَار

رثاؤه عبد الله ابن طاهر

وحكى عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

دَخل إلينا علىٌّ بن الجهم بعقِب موت أبى ، والمجلسُ حافلٌ بالمعزِّين ، فمَثل قائماً وأنشد يَرثيه :

أىُّ رُكْنٍ وَهَى من الإسلامِ أىُّ يومٍ أخْنَى على الايّامِ
جَلّ رُزْء الأميرِ عن كُلِّ رُزْءٍ أدركتْه خواطرُ الأوهـام
سَلَبتنـا الأيّام ظِلاًّ ظَليـلاً وأباحتْ حِمًى عزيزَ المَـرام
يا بَنى مُصْعبٍ حَلَلْتم من النا سِ مَحلَّ الأرواحِ فى الأجسام
وإذا رابكم من الدّهر رَيْبٌ عَمَّ ما خَصَّكم جميعَ الأنام
انظُروا هل تَروْنَ إلا دُموعاً شـاهداتٍ على قُلوبٍ دوامِى
من يُداوِى الدُّنيا ومن يكلأ المُلْـ كَ لدى فادحِ الخُطوب العِظام
نحن مِتْنـا بموته وأجلُّ الـ خَطْبِ موتُ الساداتِ والأعلام
لم يَمُت والأميرُ طاهرُ حَىٌّ دائمُ الإنتقـام والإنعام
وهو من بعده نظامُ المَعالى وقِوامُ الدُّنيا وسـيفُ الإمام

(١) القتار : ريح العود المحرق .

قال : فما أذكر أنى بكيتُ أو رأيتُ فى دُورنا باكياً أكثر من يومئذ .

غناء عريب للمعتز بشعره

وحكى أبو الدِّهقانة النديم قال :

دخلنا يوماً على المُعتز، وهو مُصطبح على صوت أُختاره واقترحه على عَريب، وأظُن الصنعة لها، فلم يَزل يشرب عليه بقيةَ يومه، وأمر لها بثلاثين ألف دِرهم، وفرّق على الجُلساء كُلّهم الجوائز والطِّيب والخِلع . والصوتُ هو :

العينُ بعدكِ لم تنظر إلى حَسَنٍ والنَّفسُ بعدكِ لم تسكُن إلى سَكَنِ

كأنّ رُوحى[1] إذا ما غبتَ غائبةٌ حتى إذا عُدتَ لى عادت إلى بَدَنى

والشعرُ لعليّ بن الجَهم .

شعره إلى المتوكل من الحبس

وذُكر أنّ عليّ بن الجهم كتب إلى المُتوكل، وهو محبوس :

أَقِلْنى أَقَالَكَ مَن لم يَزَلْ يَقِيكَ ويَصْرِفُ عنك الرَّدَى

ويَغْذُوك بالنِّعم السابغات وليداً وذا مَيْعةٍ أَمْردا

وتَجرى مقاديرُه بالذى تُريد[2] إلى أن بلغتَ المَدى

ويُعْليك حتى لو أنّ السماء تُنال لجاوزتَها مُصْعِدا

فما بين ربِّك جلّ اسمُه وبينك إلّا نبيّ الهُدَى

فشكراً لأنعُمه إنه إذا شُكرت أنْعُمٌ[3] جَدَّدا

وعفوَك عن مُذنبٍ خاضعٍ قَرَنْتَ المُقيمَ به المُقْعِدا

إذا ادَّرع الليلَ أفضَى به إلى الصُّبح من قبلِ أن يَرْقُدا

عفا اللهُ عنك ألا حُرمةٌ تَعُوذ بفضلك أن أبْعَدا

لئن جَلّ ذنبٌ ولم أعتمد لأنت أَجَلُّ وأَعلَى يَدا

---

(١) فى غير التجريد : « نفسى » . (٢) فى غير التجريد : « تحب » .
(٣) فى غير التجريد : « نعمة » .

ألم ترَ عبداً عـــدَا طَوْرَه ... ومولًى عفا ورشيداً هَدى
ومُفْسِدَ أمْرٍ تلافيتَـــه ... فعـــاد فأصلح ما أفْسدا
فـلا عُدْتُ أعصيك فيما أمر ... تَ حتى أزور الثَّرى مُلْحَدا
وإلّا لخالفتُ ربَّ السماء ... وخُنتُ الصديقَ وعِبْتُ النَّدى (١)
وكنتُ كعَزُّونَ أو كابن عمرٍو ... مُبيحِ العِيال لمن أولدا
يُـكثِّرُ فى البيت صِبيـانَه ... يَغيظ بهم مَعشراً حُسَّدا

شعره فى الشماتة بابن أبى دواد

وكان علىّ بن الجهم قد استشفع بالقاضى أحمد بن أبى دُواد إلى المتـوكل واستعان به، فلم يُعِنه ولم يَشفع له. فلما أُطلق علىّ بن الجهم، وأصاب ابنَ أبى دُواد الفالجُ شَمِت به وأظهر ذلك له، وقال فيه:

لم يَبْقَ منك سوى خيالك لامعاً ... فوق الفِراش مُوسَّداً (٢) بوسادِ
فرحتْ بمَصرعك البريةُ كلُّها ... مَنْ كان منهم مُوقِناً بمَعاد
كم مجلسٍ لله قـــد عطَّلتـه ... كى لا يُحـدَّث فيـه بالإسْنـاد
ولـكم مصابيحٍ فـــا أطفأتَها ... حتى يزول من الطَّريق الهادى
ولـكم كريمةِ مَعشرٍ أرملتَهـــا ... ومُحدِّثٍ أوثقتَ فى الأقياد
إنّ الأسارى فى السُّجون تفرَّجوا ... لمَا أتتك مواكبُ العُوَّاد
وغَدا لمَصرعك الطبيبُ فلم يجد ... شيئاً لدائك حيلةَ المُرْتاد
فذُقِ العذابَ مُعجَّلاً ومؤجَّلا ... واللهُ ربُّ العَرش بالمِرْصاد

مما يغنى فيه من شعره

ومما يُغنّى فيه من شِعره:

نَطق الهوى بجوًى هو الحقُّ ... وملـكتنى فَليَهْنِكَ الرِّقُّ
رِفْقـاً بقَلبى يا مُعـذِّبُ به ... رفقاً وليس لظالِمٍ رِفْقُ

---

(١) فى غير التجريد: «وعفت».   (٢) فى غير التجريد: «ممهدا».

وإذا رأيتك لا تكلّمنى ضاقت علىّ الأرضُ والأُفْق

المنجم بينه وبين المتوكل بقصيدة مدحه بها

وحكى محمد بن عبد السلام قال :

رأيتُ مع علىّ بن يحيى المُنجّم قصيدةَ علىّ بن الجهم ، يَمدح المُتوكّل ويَصف الهارونىّ[1] . فقال له المُتوكل : يا أبا الحسن، ماهذه القصيدة معك؟ فضَحك وقال: قصيدةٌ لعلىٍّ بن الجهم سألنى عَرْضَها على أميرالمؤمنين، فعرضتُها . فلما سَمع قولَه :

وقُبّة مُلْكٍ كأنّ النّجو مَ تُفضى[2] إليها بأسرارِهَا

تخِرُّ الوفودُ لها سُجّداً إذا ما تجلّت لأَبصارها

وفَوّارة ثأرُها فى السماء فليست تُقَصّر عن ثارها

تَرُد على المُزن ما أنزلت على الأرض من صَوْب مِدْرارها

فاستحسنها . فلما انتهيتُ إلى قوله :

تبوّأتُ بعدك قَعْرَ السُّجون وقد كنتُ أرثى لزُوّارها

غضب وتربّد وجهه ، وقال : هذا بما كسبت يداه ! ولم يَسمع تمام القصيدة .

حيلته فى إيصال قصيدة له إلى المتوكل من الحبس

وحكى عبدُ الله بن المعتز قال :

لما حَبس أميرُ المؤمنين المتوكلُ علىّ بن الجهم ، واجتمع الجلساء على عداوته وإبلاغِ الخليفة عنه كُلّ مكروه ووَصْفهم مساويه ، قال القصيدةَ التى يَمدحه فيها ويذكر حُقوقه عليه ، وهى :

عفا الله عنك ألاَ حُرمةٌ تعوذ بفضلك[3] أن أبعَدَا

وقد تقدّم ذكرُها . ووجّه بها مع بيدون الخادم . فدخل بها إلى قَبيحةَ ، وقال لها : إنّ علىّ بن الجهم قد لاذ بك ، وليس له ناصرٌ سواك ، وقد قصده هؤلاء

(١) الهارونى : قصر قرب سامراء ، ينسب إلى هارون الواثق بالله .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « تصغى » . (٣) فى غير التجريد : « بعفوك » .

النُّدماء والكتّاب ، لأنه رجل من أهل السُّنة وهم روافضُ، فقد أجتمعوا على الإغراء بقتله . فدَعت المعتز وقالت له : أذهب بهذه الرُّقعة يا بُنَىّ إلى سيِّدك وأوْصلها إليه . فجاء بها ووقف بين يدَى أبيه . فقال له : ما هذا معك ؟ فديتُك ! فدنا منه وقال : هذه رُقعة دفعتْها إلىّ أُمى . فقرأها المُتوكل وضَحك ، ثم أقبل عليهم وقال لهم : قد أصبح أبو عبد الله — فديتُه — خصَمكم ! هذه رُقعة علىّ ابن الجهم يَستقيل (١) ، وأبو عبد الله شفيعُه ، وهو لا يُرد . وقرأها عليهم . فلما بلغ إلى قوله :

وإلا فخالفتُ ربَّ السماء وخُنتُ الصديقَ وعِبتُ النَّدى (٢)

وكنت كَعزُّون أو كابن عمرو مُبيحِ العيالِ لمن أوْلدا

وثب ابنُ حمدون وقال : يا سيدى ، مَن دفع هذه الرُّقعة إلى السيدة ؟ فقال . بيدون الخادم : أنا . فقالوا له : أحسنتَ ! تُعادينا وتوصل رقعة عدوّنا فى هجائنا ! فانصرف بَيدون ، وقام المُعتز فانصرف . وجعل ابن حمدون يُنشد قولَه :

وكنتُ كَعزُّون أو كابن عمرو مُبيح العيال لمن أولدا

وهم يشتُمون ابن حمدون ويَضحكون ، والمتوكل يَضحك ويُصفِّق ويَشرب ، حتى سكر ونام . وسَرقوا قصيدَته من بين يدى المتوكل وانصرفوا ، ولم يُوقِّع الخليفةُ بإطلاقه ونَسيه . فقالوا لابن حمدون : ويلك ! تُعيد هجاءنا وتَشتمنا ! فقال : يا حَمْقى ، والله لو لم أفعل ذلكَ فيضحك ويشربَ حتى يَسكر وينام لوقَّع بإطلاقه ، ولوقَعْنا معه فى كُلّ ما نكره .

مقتله

وذُكر أنه لما شاع فى الناس مذهبُ علىّ بن الجهم وشرُّه وذِكْرُه كُلَّ أحدٍ بسوء من صديقه وعدوه ، تحاماه الناس ، فخرج عن بغداد إلى الشام فى قافلة يَقصِد

(١) يستقيل : يطلب الإقالة من ذنبه والعفو عنه . (٢) فى غير التجريد : « وعفت »

حلب . فخرج عليه نفرٌ من الأعراب . فتسرَّع إليهم قومٌ من المُقاتلة[١] . وخرج فيهم علىٌّ بن الجهم. فقاتل قتالاً شديدا وهَزم الأعراب . فلما كان من الغد خَرج على القافلة خلقٌ كثيرمنهم . فتسرّعت إليهم المقاتلة [١] ، وخرج فيهم ، فأصابته طعنةٌ قتلتْه . فحكى الُحسين بن موسى قال : جئنا إليه فاُحتملنـاه وهو يَنْزف دمُه ، فلما رآنى بَـكا وجعل يُوصينى بما يُريد . فقلت له : ليس عليك بأس . فلما أُمسينا قَلِق قلقاً شديدا وأَحسّ بالموت ، فجعل يقول :

أَزِيدَ فى الليل ليـــلُ أم سـال بالصُّبح سَيْلُ
ذكرتُ أهل دُجيـــل وأين مـنِّى دُجَيْـــلُ

فأَبكى كُلَّ من كان فى القافلة ، ومات فى السَّحَر ،ودُفن فى ذلك المنزل على يوم من حلب.

آخر شـعر له

وذُكر أن آخر شعر قاله :

يا رحمةً للغريب بالبـلد النـ ـــازح ماذا بنَفسه صَنعَا
فارق أحبابَه فمــا اُنتفعوا بالعَيش من بعده وما اُنتفعا

شعره الذى فيـه الغنـاء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به الفرج أخبار علىّ بن الجهم ، هو :

هى النَّفس ما حمّلتها تتحمّـــل وللدَّهر أوقاتٌ[٢] تجور وتَعْدِلُ
وعاقبةُ الصَّبر الجميـــل جميلةٌ وأفضلُ أخلاق الرجال[٣] التفضُّل

(١) فى التجريد : « القافلة » .
(٢) فى غير التجريد : « أيام » .
(٣) فى غير التجريد : « التجمل » مكان « التفضل » .

أخبار أبى دلامة

اسمه وولاؤه

وٱسمه زَنْد بن الجَون . ومن الناس مَن يُصحِّف ويقول : زيد ، بالياء . وإنما هو بالنون . وهو أسود . وكان مولًى لبنى أسد ، كان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له : فضافض [1] ، فأعتقه . وسُمى أبا دُلامة ، بجَبَلٍ بمكة بأعلاها ، فسُمى بذلك ، كانت قُرَيش تئِدُ فيه بناتِهم .

بين الأمويين هو والعباسيين

وأدرك آخرَ أيام بنى أمية ، ولم يكن له نَباهة فى أيّامهم ، ونبغ فى أيام بنى العباس فٱنقطع إلى أبى العبّاس السفّاح ، وأبى جعفر المنصور ، والمهدىّ ، وكانوا يُقدِّمونه ويُفضِّلونه ويَستطيبون مُجالسته ونوادره . وكان ٱنقطع إلى رَوْح بن حاتم أيضاً فى بعض أيّامه . ولم يَصل إلى أحد من الشعراء ما وصل إلى أبى دُلامة من المَنصور خاصة .

فساد دينه

وكان فاسدَ الدِّين ردىء المَذهب ، مُرتكباً للمَحارم مُضيِّعاً للفُروض ، مُجاهراً بذلك . فكان يُعلَم هذا منه ويُعرف به فيُتجافَى عنه للُطْف محلِّه .

أول شعره

وكان أولُ ما حُفظ من شعره ، وأُسنيت الجائزة له به ، قصيدةً مَدح بها أبا جعفر المنصور ، وذَكر قَتْلَه أبا مُسلم صاحبَ الدّعوة ، يقول فيها :

أبا مُسلم خَوَّفْتنى القتلَ فٱنتحَى ... عليك بما خَوَّفتنى الأسدُ الوَرْدُ

أبا مُسلم ما غيَّرَ اللهُ نعمةً ... على عبده حتى يُغيِّرها العبد

قيل : إنه أنشدها المنصورَ فى مَحْفل من الناس . فقال : أَحتكم ، فٱحتكم [2]

---

(١) فى التجريد : « قصاقص » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « قال » مكان « فاحتكم » .

عشرة آلاف درهم . فأمر له بها . فلما خلا به قال له : أما والله لو تعدَّيتَها لقتلتُك.

هو والمنصور فى لبس السواد

وذُكر أن المَنصور كان أمر أصحابَه بلُبْس السواد وقلانسَ طِوال تُدْعم بعيدانٍ من داخلها ، وأن يُعلِّقوا السُّيوفَ بالمناطق ، ويكتبوا على ظُهورهم (فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله وهو السَّميع العليم) . فدخل عليه أبو دُلامة فى ذلك الزّى . فقال له المنصور : ما حالُك ؟ قال : شرُّ حالٍ ، وجهى فى نِصفى وسيفى فى أُستى ، وقد صبغتُ بالسواد ثِيابى ، ونبذتُ كتابَ الله وراء ظَهرى . فضحك المنصور ، وأعفاه وحدَه من ذلك الزىّ ، وقال له : إيّاك أن يَسمع هذا منك أحد ! وقال أبو دلامة فى ذلك :

(١) وكُنّا نُرجِّى منحةً من إمامنا ... فجاءت بطُولٍ زاده فى القَلانسِ

تَراها على هامِ الرِّجال كأنّها ... دِنَانُ يَهودٍ جُلِّلت بالبَرانس

هو والسفاح وقد سأله أشياء

وذُكر أنّ أبا دُلامة وقف بين يدَى السَّفّاح، فقال له السَّفاح: سَلْنى حاجتَك. قال : كَلْب صَيد . قال : أعطوه إياه . قال : ودابّة أتصيّد عليها . قال : أعطوه . قال : وغُلام يقود الكَلب ويَصيد به . قال : أعطوه غُلاماً . قال : وجارية تُصلح لنا الصيدَ وتُطعمنا منه . قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عِيال ولا بُدّ لهم من دار يَسْكنونها قال : أعطوه داراً تجمعهم قال: إن لم تكن لهم ضَيعة فمن أين يَعيشون ؟ قال : قد أقطعتك مائةَ جريب (٢) عامرة ومائةَ جريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : ما لا نباتَ فيه . قال : قد أقطعتُك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فَيافى بنى أسد . فضحك وقال :

---

(١) الرواية فى غير التجريد :

وكنا نرجى من إمام زيادة ... فجاد بطول زاده فى القلانس

(٢) الجريب : نحو من ثلاثة آلاف ذراع وستمائة .

اُجعلوا المائتين عامرة (١). قال : فأذَنْ لى أن أُقبِّل يدك . قال : أمّا هذه فدَعْها، فإنى لا أفعل . قال والله ما منعتَ عِيالى شيئاً أقلّ عليهم ضرراً منها .

حديث شهادته لجارة له على أتان

وذُكر أن أبا دُلامة شَهد عند القاضى ابن أبى لَيلى (٢) لجارةٍ له على أتانٍ نازعها فيها رجلٌ . فلما فَرغ من الشهادة قال لابن أبى ليلى : اسمع قولى أولاً ثم اقض بما شئتَ . قال : هات . فأنشده :

إنِ الناسُ غَطَّونى تغطَّيتُ عنهمُ ... وإنْ بحثُوا عنِّى ففيهم مَباحثُ
وإن حَفروا بئرى حفرتُ بئارهم ... ليُعلم يوماً كيف تلك (٣) النَّبائث

فأقبل القاضى على المرأة فقال : أتبيعيننى الأتان ؟ قالت : نعم . قال : بكم ؟ قالت : بمائة درهم . قال: ادفعوها اليها . ففعلوا . فأقبل على الرجل فقال : قد وهبتُها لك . وقال لأبى دلامة . قد أمضيتُ شهادتَك ولم أبحث عنك، وابتعتُ ممّن شهدتَ له ، ووهبتُ مِلكى لمن رأيتُ، أفرضيتَ ؟ قال : نعم . وانصرف .

هو والسيد الحميرى فى قبح ابنته ثم مع المنصور

وذُكر أنه اجتمع أبو دُلامة والسيّد الحِمْيرى، إذ خرجتْ بنتٌ لأبى دُلامة ، فقال فيها أبو دُلامة :

فماولدتْكِ مريمُ أمّ عيسى ... ولا ربّاكِ لُقمانُ الحكيمُ

وقال : أجز يا أبا هاشم . فقال السيد :

ولكن قد تَضُمّك أمُّ سَوْء ... إلى لَبّاتها وأبٌ لَئيمُ

فضَحِك مَن حضر لذلك . ثم غدا أبو دلامة إلى المَنصور فأخبره بقصّته مع ابنته وأنشده البيتين ، ثم اندفع فأنشده بعدها :

---

(١) الرواية فى غير التجريد : « اجعلوها كلها عامرة » .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، ولى القضاء على الكوفة ليوسف بن عمر ، ثم وليه بعد ذلك لبنى العباس .

(٣) النبائث : ما يستخرج من تراب البئر . يريد بها : خفايا الناس وعيوبهم .

لو كان يَقْعدفوق الشمس من كرمٍ ... قومٌ لقيل أُقعدوا يا آل عبّاسِ
ثم ارتقُوا فى شُعاع الشمس كلُّكمُ ... إلى السماء فأنتم أكرمُ (١) الناس
وقدِّموا القائمَ المنصور رأسَكمُ ... فالعينُ والأنفُ والأُذْنان فى الرّاس

فاستحسنها وقال له : بأىّ شىء تحبُّ أن أُعينَك على قُبْح ابنتِك ؟ فأَخرج خريطةً قد كان خاطها من الليل ، وقال : تملأ لى هذه دراهمَ . فَمُلِئت ، فوَسِعت أربعةَ آلاف درهم .

شعره المنصور يعزيه فى السفاح وما كان بينه وبينه

وذُكر أنّه لما تُوفى أبو العبّاس السفّاح ، دَخل أبو دُلامة على المنصور ، والناسُ عنده يُعزونه ، فأنشأ أبو دلامة يقول :

أمسيتَ بالأنبار يا بنَ محمد ... لم تَستطع عن عُقْرها تحْويلاَ
وَيْلى عليك ووَيْل أهلى كُلِّهم ... ويلاً وعَوْلاً فى الحياة طَويلا
فَلتبكيَنّ لك النساء بعَبْرة ... ولَتبْكينّ لك الرجالُ عَويلا
مات النَّدى إذ مِتَّ يا بن محمد ... فجعلتَه لك فى التُّراب (٢) عَدِيلا
إنِّى سألتُ الناس بعدك كُلَّهم ... فوجدتُ أسمحَ مَن وجدتُ (٣) بَخيلا
ألِشقْوتى أُخِّرتُ بعدك للّتى ... تَدع العزيزَ من الرِّجال ذَليلا
فلأَحلفنّ يمينَ حَقٍّ بَرَّةً ... بالله ما أُعطيتُ بعدك سُولا

فأَبكى الناسَ قولُه . وغَضب المنصور غضباً شديداً ، وقال : لئن سمعتُك تُنشد هذه القصيدة لأَقطعنّ لسانَك . قال : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لى مُكرِماً ، وهو الذى جاء بى من البدو كما جاء الله تعالى بإخوة يوسف إليه ، فقُل كما قال يوسف : (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) . فسُرِّى عن المنصور ، وقال : قد أقلناك يا أبا دُلامة، فَسَل

(١) فى غير التجريد : « أظهر » . (٢) فى غير التجريد : « فى الثراء » .
(٣) فى غير التجريد : « سألت » .

حاجتك . قال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض ، ولم أقبضهما . فقال المنصور : ومَن يعلم ذلك ؟ قال : هؤلاء ، وأشار إلى جماعة ممّن حضر . فقام سليمانُ بن مُجالد وأبو الجهم ، فقالا : صدق أبو دُلامة ، فنحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبى أيّوب الخازن ، وهو مَغيظ : يا سليمان ، ادفعها إليه وسَيِّره إلى هذا الطاغية — يعنى عَمَّه عبدَ الله بن علىّ بن عبد الله بن العباس ، وكان قد خَرج عليه بالشام وأظهر الخلاف — فوثب أبو دُلامة وقال : يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن أخرُج معهم ، فوالله إنى مَشئوم . فقال المنصور له : امض فإنّ يُمنى يَغلب شُؤمك ، فاخرج . فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أُحب لك أن تُجرِّب ذلك منِّى على مثل هذا العَسكر ، فإنِّى لا أَدرى أيُّهما يَغْلب : أشؤمى أم يُمنك ؟ إلّا أنّى بنفسى أوثقُ وأعرفُ وأطولُ تجربة . فقال : دَعْنى مِن هذا ، فما لك من الخُروج بُدّ . قال : فإنى أَصْدُقك الآن . شَهِدتُ والله تسعةَ عشر عسكراً ، كُلُّها هُزمت وكنتُ سببَها ، فإنْ شئتَ الآن على بصيرة أن يكون عسكرُك العِشْرين فافعل . فاستغرب أبو جعفر ضَحِكاً ، وأمر بأن يتخلَّف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

وحَكى أبو دلامة قال :

ما كان منه مع روح فى حرب الشراة

أُتى بى المنصور — أو المهدىّ — وأنا سكران ، فحَلف ليُخرجَنِّى فى بَعْثِ حربٍ . فأخرجنى مع رَوْح بن حاتم المُهلَّبى لقِتال الشُّراة[1] . فلما التقى الجَمْعان قلت لِرَوْح : أما والله لو أنّ تحتى فرسَك ومعى سلاحَك لأثَّرتُ اليومَ فى عدوّك أثراً ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعنّ ذلك إليك ولآخذنّك بالوفاء بشَرطك . ونزل ، ونزع عن فرسه، ونَزَع سلاحَه ودفعهما إلىّ ، ودَعا بغيرهما واستبدل

(١) الشراة : الخوارج .

بهما . فلما حَصل ذلك فى يدى وزالت عنّى حلاوةُ الطمع ، قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلتُ بيتين فاسمعهما . قال : هات . فأنشدتُه :

إنِّى أُستجرتُك أن أُقدَّم فى الوغَى ... لِتَطاعُنٍ وتنـــازُلٍ وضِرابِ
فهَبِ السُّيوفَ رأيتها مشهورةً ... فتركتُها وذهبتُ[1] فى الهُرّاب
ماذا تقول لِمـا يَجىء وما يُرَى ... من بادرات[2] الموت فى النُّشّاب

فقال : دع عنك هذا وستَعلم . وبَرز رجلٌ من الخوارج يَدعو إلى المُبارزة . فقال : والله لتخرُجَنّ . فقلتُ : أيها الأمير ، إنه أول يوم من الآخرة وآخرُ يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ما تَنْبعث[3] لى جارحة من الجوع ، فمُر لى بشىء آكلْه ثم أخرُج . فأمر لى برَغيفين ودَجاجة . فأخذت ذلك وبرزتُ عن الصفّ . فلما رآنى الشارىّ أقبل نحوى، وعليه فَرْوٌ قد ابتلّ، وأصابته الشمسُ فاقفعلّ[4]، وعيناه تَقِدان ، فأسرع إلىّ . فقلتُ له: على رِسْلك يا هذا ، أتقتُل مَن لا يُقاتلك ؟ قال : لا . قلت : أفتستحلّ أن تقتُل رجلاً على دينـك ؟ قال : لا . قلت : أفتستحلّ ذلك قبل أن تدعو من تُقاتله إلى دينك ؟ قال : لا . فاذهب عنّى إلى لعنة الله ! قلت : لا أفعل أو تسمع منى . قال : قل . قلت : هل كان بيننا قطّ عداوة أو تِرةٌ ، أو تَعرفنى بحال تُحفظك علىّ ، أو تعلم بين أهلى وبين أهلك وِتراً ؟ قال : لا والله . فقلت له : ولا أنا لك والله إلا على جَميل ، وإنّى لأهواك، وأنتحل مَذْهبك، وأدين بدينك ، وأريد السُّوء لمن أرادك . فقال : يا هذا ، جَزاك الله خيراً ، فانصرفْ . فقلت : إنَّ معى زاداً أُريد أن آكلَه معك وأريد مُؤاكلتك لتتأكّد المودةُ بيننا . قال : فافعل . فتقدَّمت إليه حتى اختلفتْ أعناقُ دوابّنا وجَمعنا أرجلَنا على مَعارفها ، وجعلنا نأكل ، والناسُ قد غُلبوا ضَحكاً . فلمـا استوفينا ودّعنى . ثم قلت له :

(١) فى غير التجريد : « ومضيت » . (٢) رواية غير التجريد : « واردات » .
(٣) فى غير التجريد : « ما شبعت » . (٤) اقفعل : تقبض .

إنّ هـذا الجاهلَ إن أقمتَ على طلب المُبارزة ندبنى لك ، فتَتعب وتُتعبنى ، فإن رأيتَ ألّا تَبْرُز اليومَ فافعل . قال : قد فعلتُ . ثم انصرف وانصرفتُ . فقلتُ لرَوح : أما أنا فقـد كفيتُك قِرْنى ، فقُل لغيرى يَكْفيك قِرْنه كما كفيتُك . فأمسك . وخَرج آخرُ يدعو إلى البراز . فقال لى : اخرج إليه . فقلت :

إنّى أعوذ برَوْح أن يُقرِّبنى[1] إلى القِتال فتَخْزَى بى بنو أَسَدِ
إنّ البرازَ إلى الأقـران أعـلمُه مما يفرِّق بين الرُّوح والجَسـد
إنّ المُهلَّب حُبَّ الموت أورثكم وما وَرِثتُ اختيار الموت عن أحد
لو أنّ لى مُهجةً أخرى لجُدت بها لـكنّها خُلقت فرداً فلم أَجُـد

فضحك وأعفانى .

هو وموسى بن داود لقد أراده على الحج

وذُكر أنه عَزم موسى بن داود بن علىّ بن عبـد الله بن العبّاس على الحجّ ، فقال لأبى دُلامة : حُجّ معى ولك عشرة آلاف درهم . فقال : هاتهـا . فدُفعت إليه . فأخذها وهَرب إلى السّواد ، فجعل يُنفقها هناك ويَشرب بها الخَمر . وطَلبه موسى فلم يَقدر عليه . وحان وقتُ الحج ، فخَرج موسى ، فلما شارف القادسيّة إذا هو بأبى دُلامة خارجاً من قَرية إلى أخرى وهو سكرانُ . فأَمر بتقييده وأَخْذه وطَرْحه فى المَحْمِل . ففُعل ذلك به . فلما سار غيرَ بعيدٍ أقبل على موسى فناداه :

يأيها النـاسُ قُولوا أجمعون معاً صلّى الإلٰه على مُوسى بن دَاوُدِ
كأنّ ديباجَتَى خدَّيه مِن ذهبٍ إذا بدا لك فى أثوابه السُّود
إنى أعُوذ بداودٍ وأعظُمـه مِن أن أُكلَّف حَجًّا يابن داود
خُبِّرت أن طريق الحج مَعْطشةٌ لقاصديه وما شُربى[2] بتَصْريد

(١) فى غير التجريد : « يقدمنى » .
(٢) التصريد : الشرب دون الرى . والرواية فى غير التجريد : « من الشراب » مكان « لقاصديه » .

والله ما بِىَ[١] من أجرٍ فتَطلُبَــه ... ولا الثنـــاء على دِينى بمحمود

فقال موسى : أَلقُوه ـ لَعنه الله ـ عن المَحْمل ودَعُوه ينصرف . فأُلقى وعاد إلى حاله بالسواد حتى نَفِدت العشرةُ الآلاف .

هو والمنصور وقد أراده على صلاة الجماعة

وذُكر أنَّ أبا جعفر المَنصور كان يحب العَبث بأبى دُلامة ، وكان يسأل عنه فيوجد فى بُيوت الخمّارين وهو سكران لا فضلَ فيه ، فعاتبه على انقطاعه عنه ، فقال : إنما أفعل ذلك خوفاً أنــ تملَّنى . فعلم أنه يُحاجزه[٢] ، فأمر الربيعَ أن يُوكِّل به من يُحْضِره الصلواتِ الخَمْسَ معــه فى جماعةٍ فى الدار . فلما طال ذلك عليه قال :

ألم ترَيَا أنــ الخليفةَ لزَّنى ... بمَسجده والقَصرِ مالى وللقَصْرِ

وقد صَدَّنى عن مجلس[٣] أستلذّه ... أُعلَّل فيـــه بالسَّماع وبالخمر

يُــكلِّفنى الأُولى جميعاً وعصرَها ... فويلى من الأُولى وويلى[٤] من العَصْر

وقد كان فى قَومِى مساجدُ جَمَّةٌ ... ولم يَنْشرح يوماً لغِشيانها صدرى

ووالله ما لى نِيَّة[٥] فى صلاتكم ... ولا البِرُّ والإحسانُ والخيرُ من أمرى

وما ضَرَّه واللهُ يغفر ذنبَــه ... لو أنّ ذُنوبَ العالمين على ظَهرى

فبلغت المنصورَ الأبياتُ ، فضحك وقال : صــدق ! ما يضُرنى والله ذلك ، ولا يُفلح هذا أبداً ، دعُوه يفعل ما يشاء .

حبسه المنصور لسكره فاستعفاه بشعر له

وقيل :

وقع العَسَسُ يوماً بأبى دُلامة وهو سكرانُ فخرقوا ثيـــابَه وساجَه وأتَوا به المنصور ، فأمر بحبسه يوماً مع الدّجاج . فلمّا أفاق من سُــكره جعل يُنادى غلامَه

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ما فى » .

(٢) يحاجزه ، أى يتخلص منه وينتحل المعاذير الباطلة لانقطاعه عنه .

(٣) فى غير التجريد : « مسجد » . (٤) فى غير التجريد : « وعولى » .

(٥) فى غير التجريد : « فى صلاته » مكان « فى صلاتكم » .

مرةً وجاريته أخرى ، فلا يُجيبه أحدٌ ، وهو مع ذلك يسمع صوت الدَّجاج وصِياح الدُّيوك . فلما أكثر قال له السّجان : ما شأنك ؟ قال : ويلك ! من أنت ؟ وأين أنا ؟ قال : أنت فى الحَبس ، وأنا فلان السّجان . قال : ومن حَبسنى ؟ قال : أميرُ المؤمنين . قال : ومَن خَرق طَيْلسانى ؟ قال : العَسس . فطلب له من يأتيه بدواة وقِرطاس ، ففعل . فكتب إلى المَنصور :

أمـيرَ المُؤمنين فدَتْك نفسى ... عَلَام حبستَنى وخَرقْتَ ساجِى

أمِن صَهباء[1] صافيةِ المِزاج ... كأنّ شُـعاعها لَهَبُ السِّراج

وقد طُبخت بنـار الله حتى ... لقد صارت من النُّطَفِ النِّضاج

تَهشُّ لها النُّفوس[2] وتَشتهيها ... إذا بَرزتْ تَرقرقُ فى الزُّجاج

أُقاد إلى السُّجون بغـير جُرم ... كأنِّى بعضُ عُمَّال الخَراج

ولو معهم حُبست لكان سهلاً ... ولـكنِّى حُبست مع الدَّجاج

وقد كانت تخـبِّرنى ذُنوبى ... بأنِّى من عِقابك غيرُ ناجى

على أنِّى وإن لاقيتُ شَرًّا ... لخَيْرك بعـد ذاك الشرِّ راجى

فدعا به فقال : أين حُبست يا أبا دلامة ؟ قال : مع الدَّجاج . قال : فما كنت تصنع ؟ قال : كنت أُقَوْقِى معهنّ حتى أصبحتُ . فضَحك وخَلّى سبيـلَه ، وأمر له بجائزة . فلمـا خرج قال له الربيع : إنه قد شرب الخمر يا أمير المؤمنين ، أمَا سمعتَ قوله : « وقد طبخت بنار الله » ـ يعنى : الشمس ـ فقال أبو دُلامة : لا والله ، ما أردتُ إلّا نار الله المُوقـدة التى تَطّلع على فؤاد الرَّبيع . فضَحك المنصور وقال : خُذها يا ربيع ولا تُعاود التعرُّض له .

خداعه المهدى بموت زوجته وخداع زوجته الخيزران بموته

وذُكر أنّ أبا دُلامة دَخل على المهدىّ وهو يبكى ، فقال : مالك ؟ فقال : ماتت أم دُلامة . وأنشده لنفسه فيها :

(١) فى غير التجريد : « أمن صفراء » . (٢) فى غير التجريد : « القلوب » .

وكنا كزوجٍ من قطاً فى مَفـازةٍ لدى خَفْض عيشٍ ناضرٍ[1] مُونِقٍ رَغْدِ
فأفردنى رَيْبُ الزّمانِ بصَرْفه ولم أَرَ شيئاً قطُّ أوحشَ من فَرد

فأمر له بثياب وطيبٍ ودنانير ، فخرج . ودخلت أُم دلامة على الخَـيزران وأعلمتْها أنّ أبا دُلامة قد مات . فأعطتها مثلَ ذلك وخرجت . فلما اُلتقى المهـدىُّ والخَيزران عَرفا حِيلَتهما ، فجعلا يضحكان لذلك و يَعْجبان .

مداعبته عافيـة القـاضى

وذُكر أنّ أبا دُلامة خاصم رجلاً فى داره ، فارتفعا إلى عافيةَ القاضى ، فأنشأ أبو دُلامة يقول :

لقـد خاصمتْنى دُهاةُ الرِّجالِ وخاصمتُها سَنةً وافيـــهْ
فما أَدْحض اللهُ لى حُجَّـةً ولا خَيَّب اللهُ لى قافيـــه
ومَن خِفْتُ من جَوْرِه فى القضاء فلستُ أخافُك يا عافيـــه

فقال له عافية : أَمَا والله لأشكونّك إلى أمير المؤمنين ولأُعلمنّه أنك هجوتَنى . فقال : إذنْ والله يَعزِلَك . قال : ولِمَ ؟ قال لأنّك لا تَعرف المَديح من الهجـاء . فبلغ ذلك المنصورَ ، فضحك وأمر لأبى دُلامة بجائزة .

طلب إليه المهدى أن يهجو فهجا نفســه

وذُكر أنّ أبا دُلامة دخل على المهـدىّ ، وعنده جماعة من أهل بيته من بنى هاشم ، فقال له : أنا أُعطى الله عهـداً لئن لم تَهْجُ لى واحداً ممّن فى البيت لأقطعن لسانك . فنَظر إليه القوم ، وكلما نظر إلى واحد منهم غَمزه بأنّ عليـه رضاه . قال أبو دُلامة : فعلمتُ أنى قد وقعتُ ، وأنهـا عَزمةٌ من عَزماته لا بُدَّ منها ؛ فلم أرَ واحداً أحقَّ بالهجـاء منّى ، ولا أَدعى إلى السـلامة من هِجاه نفسى . فقلت :

ألَا أَبلغ لديك أبا دُلامـــهْ فلستَ[2] من الكِرام ولا كرامَهْ

---

(١) فى غير التجريد : « ناعم » . (٢) فى غير التجريد : « فليس » .

إذا لَبِس العمامةَ قلت قِرْدًا ... وخِنْزيرًا إذا وَضع(١) العِمامه
جمعتَ دَمامةً وجمعت لُؤماً ... كذاك اللُّؤم تَتبعه الدَّمامه
فإنْ تكُ قد أصبتَ نَعِيم دُنيا ... فلا تفرَح فقد دَنَت القِيامه

فضحك القومُ ، ولم يَبق منهم أحدٌ إلّا أجازه .

شعره فى المهدى وابن سليمان وقد خرجا للصيد

وذُكر أنّ المهدىّ خَرج إلى الصيد ، ومعه علىّ بن سليمان بن علىّ بن عبد الله ابن العباس ، فسَنح لهما قَطيع من ظباء ، فأُرسلت الكلاب وأُجريت الخيل ، فرَمى المهدىُّ سهماً فصَرع ظبياً ، ورمى علىّ بن سليمان سهماً فأصاب بعضَ الكلاب . فقال أبو دُلامة :

قد رَمى المهدىُّ ظَبياً ... شَكَّ بالسَّهم فُؤادَهْ
وعلىُّ بن سُليما ... ن رَمى كلباً فصَاده
فهنيئاً لكما كُـ ... لُّ أمرئٍ يأكُل زاده

فضحك المهدىُّ حتى كاد يسقُط عن سَرجه ، وقال : صَدق والله أبو دُلامة ! وأمر له بجائزة سَنيّة .

شعره للمنصور وقد أراد هدم بيته

وذُكر أن المَنصور كان قد أَطلق لأبى دُلامة داراً تجاور قصرَه ، ثم أُحتاج إلى زيادة فى القَصر وهَدْم تلك الدار ، فَدخل عليه أبو دُلامة وأَنشده :

يا بنَ عَمِّ النبىّ دعوة شَيخٍ ... قد دنا هَدْمُ داره ودَمارُهْ
فهو كالماخض التى أعتادها الطَّلْـ ... ـق فقرَّت وما يَقرُّ قَرارُه
إن(٢) تحزْ عُسْرَهُ بكفَّيْك يوماً ... فبكفَّيك عُسْرُه ويسارُه
أو تدَعْه فللبَوارِ وأنَّى ... ولماذا وأنت حَىٌّ بَواره

(١) فى غير التجريد : « إذا لبس العمامة كان قرداً * وخنزيراً إذا نزع » .
(٢) فى التجريد : « إن تحن عسرة » .

هل يخاف الهلاكَ شاعرُ قومٍ　　قَدُمتْ فى مَديحهم أشعاره
لكُم الأرضُ كلُّها فأعيروا　　شيخَكم ما احتوى عليه جِداره
فكأنْ قد مَضى وخلَّف فيكم　　ما أعرتُم وأقفرتْ منه داره

فاستعبر المنصورُ، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله .

مداعبته المنصور فى جنازة بنت عمه

وذُكر أنه توفِّيت حَمّادة بنت عيسى بن علىّ ، وحَضر المنصور جنازتها . فلما وقف على حُفْرتها قال لأبى دُلامة : ما أعددتَ لهذه الحُفرة ؟ فقال : بنتَ عَمِّك يا أميرَ المُؤمنين حمّادة بنت عيسى يُجاء بها الساعةَ فتُدْفَن فيها . فضَحِك المنصور حتى غُلب وسَتر وجهه .

سؤاله الخيزران جارية وحديث ذلك

وذُكر أن الخَيزُران حجّت ، فلمّا خرجتْ صاح أبو دُلامة : جَعلنى الله فِداكِ ! الله الله فى أمرى ! فقالت : مَن ؟ قالوا : أبو دُلامة . قالت : سَلُوه ما أَمرُه . فقالوا : ما أمرُكَ ؟ فقال : أدْنُونى من مَحْمِلها . قالت : أدْنُوه . فدنا ، فقال لها : أيتها السيدة ، إنى شيخٌ كبير وأجرُكِ فىّ عظيم . قالت : فمَهْ . قال : تَهَبين لى جاريةً من جواريك تؤنسنى وترفُق بى وتُريحنى من عجوز عِندى ، قد أكلتْ رِفْدى[1] ، وأطالت كدِّى ، فقد عاف جِلْدى جلدَها ، وتمنَّيتُ بُعْدَها ، وتشوَّقت فَقْدَها . فضحكت الخيزرانُ وقالت : سوف آمرُ لك بما سألتَ . فلما رجعت تلقَّاها وأذْكرها ، وخرج معها إلى بغداد ، فأقام حتى غَرِض[2] ، ثم دَخل على أمّ عَبيدة ، حاضنةِ الهادى والرَّشيد ، فدَفع إليها رُقعةً قد كَتبها إلى الخَيْزُران ، فيها :

أَبْلغِى سيِّدتى بالله يا أمَّ عَبيدهْ
أنها أرْشدها اللهُ وإن كانت رَشيده

(١) فى التجريد : « زندى » .　(٢) غرض : ضجر ومل .

وَعَدتْنى قبل أن تَخْـ ـرج للحجِّ وَليده
فتأنَّيتُ وأرسلـ ـت بعشرين قَصيده
كلما أخلقْن أخلفـ ـتُ لها أخرى جَديده
ليس فى بَيتى لتمهيـ ـد فِراشى مِن قَعيده
غيرُ عَجْفاء عجوزٍ ساقُها مثلُ القَديده
وجهُها أقبحُ من حُو تٍ طَرِىٍّ فى عَصيده
ما حياةٌ مع أنثى مثلِ عِرْسى بسَعيده

فلما قُرئت عليها الأبيات ضحكت . ثم استعادت قولَه :

وجهها أقبح من حُو ت طَرِىٍّ فى عَصيده

فجعلت تَضحك . ثم دعت بجارية من جواريها فائقةٍ ، فقالت لها : خُذى كُلَّ مالك فى قصرى . ففعلت . ودعت ببعض الخَدم وقالت له : سَلِّمها إلى أبى دُلامة . فانطلق الخادم بها ، فلم يُصادفه فى منزله ، فقال لامرأته ، إذا رَجع فادفعيها له وقولى له : تقول لك السيدةُ : أحسنْ صُحبة هذه الجارية فقد آثرتُك بها . فلما خَرج دخل ابنها دُلامة ، فوجد أُمه تَبكى ، فسألها عن خَبرها فأخبرته ، وقالت : إن أردتَ أن تَبرَّنى يوماً من الدَّهر فاليوم . فقال : قولى ما شئتِ فإنّى أفعله . فقالت : تدخل وتُعلمها أنك مالكها وتطؤها وتُحرِّمها عليه ، وإلا ذهبتْ بعَقله وجفانى وجفاك . ففعل ، ودَخل إلى الجارية فوَطئها ووافقها ذلك منه . وخرج ودخل أبو دلامة ، فقال لامرأته : أين الجارية ؟ فقالت : فى ذلك البيت . فدخل إليها شيخٌ محطَّم ذاهبٌ ، فمدَّ يده إليها وذهب ليقبِّلها . فقالت له : مالك ! ويحك! تنحّ وإلا لطمتُك لطمةً دققْتُ بها أنفك . فقال : أبهذا أوصتك السيدة ؟ فقالت : إنها بعثتْنى إلى فتًى من حاله وهيئته كَيت وكيت ، وقد كان عندى آنفاً ونال منّى حاجتَه . فعَلِم أنه قد دُهِى مِن أم دُلامة وابنها . فخرج إليه أبو دُلامة

فلَطمه وتَلَبَّب به(١) وحلف ألّا يفارقَه إلا عند المهدىّ . فمَضى به مُلبَّباً حتى وقف على باب المهدىّ . فعُرِّف خبرَه وأنه قد جاء بأبنه على تلك الحال . فأمر بإدخاله . فلما دخل قال له : مالك ؟ ويلك ! قال : عَمِل بى هذا ابنُ الخَبيثة ما لم يَعمله ولدٌ بأبيه ، ولا يُرضينى إلّا أن تَقتله . فقال : ويلك ! مافعل ؟ فأخبره الخبر . فضَحك حتى أستلقى ، ثم جلس . فقال له أبو دلامة : أعجبك فعلُه فتضحَك منــه ؟ فقال المهدىّ : علىّ بالسَّيف والنِّطع . فقال دُلامة : قد سمعتَ قولَه يا أمير المؤمنين فاسمع منِّى . قال : هات . قال : هذا الشَّيخ أصفقُ الناس وجهاً ، هو ينالُ من(٢) أُمى منذ أربعين سنة ما غضبتُ ، ونلتُ(٢) أنا من جاريته مرة واحدة فغَضِب وصنع بى ما ترى . فضحك المهدىُّ أشد من ضحكه الأول ، ثم قال : دَعها له يا أبا دلامة وأنا أُعطيك خيراً منها . قال : على أن تخبأها لى بين السماء والأرض ، وإلّا نال منها واللهِ كما نال من هذه . فتقدَّم إلى دُلامة ألّا يُعاود مثلَ فعله ، وحَلف أنه إن عاود قتله . ووهب له جاريةً أُخرى كما وَعد .

أنشد المهدى يستوهبه بغلة

وذُكر أنّ أبا دُلامة أنشد المهدىَّ قصيدتَه المشهورة فى بَغلته التى يُضرب بها المثل ، يَهجوها ويذكر مَعايبها . فلما أنشده قولَه :

أتانى خائبٌ(٣) يستام منِّى	عَريقٌ فى الخَسارة والضَّلالِ
فقال تَبيعها قلت ٱرتبطْها	بحُكمك إن بيْعى غير غالى
فأقبل ضاحكاً نحوِى سُروراً	وقال أراكَ سهلاً(٤) ذا جَمال
هَلُمَّ إلىّ يَخلو بى خداعاً	وما يَدْرى الشقىُّ بمن يُخَالى
فقلتُ بأربعين فقال أحسنْ	إلىّ فإن مثلَك(٥) ذو سِجال

(١) تلبب به ، أى أخذ بتلابيبه .

(٢) فى الأصل كلمة أصرح من هذه .

(٣) فى غير التجريد : « أتانى بغلة » .

(٤) فى غير التجريد : « سمحا » .

(٥) ذو سجال ، أى ذو مماكسة فى الثمن .

فأَتْرُكُ خمسةً منهــا لعلمى ... بما فيه يَصير من الخَبال

فقال المهــدىّ : لقد أَفلتَّ من بَـلاء عظيم . فقال : والله يا أميرَ المُؤمنين لقد مكثتُ شهراً أتوقّع صاحبَها أن يَرُدّها . ثم أنشد :

فأَبْدِلْنى بها يا ربِّ[1] طِرْفاً ... يكونُ جَمالُ مَرْكبـه جَمالى

فقال المهـدىُّ لصاحب دوابّه : خَيِّره مركوبَين[2] من الأُصـطبل . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان الأختيار إلىّ وقعتُ فى شرٍّ من البغلة ، ولـكن مُره أن يختار لى . فقال له : أختَرْ له .

هو والمهدى فى بخل العبـاس

وذُكر أنّ أبا دُلامة دخل على المهدىّ فحادثه ساعةً وهو يَضحك ، فقال له : هل بَـقِى من أهلى أحدٌ لم يَصِلْكَ ؟ قال : إنْ أمَّنتنى أخبرتُك ، و إن أعفيتَنى فهو أحبُّ إلىّ . فقــال : بل تُخبرنى وأنت آمن . فقال : كُلهم قد وَصلنى إلا حاتِمَ بنى العبّاس . قال : ومن هو ؟ قال : عمُّك العبّاس بن مُحمد . فالتفت المهدىّ إلى خادم واقف على رأسه وقال : جأْ[3] عُنُق العاضِّ بَظْر أمه . فلما دنا منه صاح به أبو دُلامة : تَنحَّ يا عبدَ السَّوْء لا تُحْنِث مولاكَ وتَنْـكُثْ عَهْده وأمانه ! فضحك المهدىُّ وأمر بالخادم فَتَنَحَّى عنه . ثم قال لأبى دُلامة : و يلك ! عمِّى أبخلُ الناس . فقال أبو دلامة : بل هو أَسخى الناس . فقــال له المهدىّ : والله لو متَّ ما أعطاكَ شيئاً . قال : فإنْ أتيتهُ فأَجازنى ؟ فقال : لك بكُل درهم تأخذه منه ثلاثةُ دراهم . فأنصرف أبو دلامة فحَبَّر للعبّاس بن محمد قصيدةً ، ثم غدا بها عليه فأَنشده :

قِفْ بالدِّيار وأىَّ الدهرِ لم تَقِفِ ... على المنـازل بين الظَّهر[4] والنَّجَفِ

وما وقوفُك فى أطـــلالِ منزلةٍ ... لولا الذى أستدرجتْ من قَلبك الـكَلِف

(١) الطرف : الكريم من الخيل . (٢) فى غير التجريد : « مركبين » .
(٣) الوجء : اللكز . (٤) الظهر والنجف : موضعان بالكوفة . و بالقرب من ثانيهما قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

إنْ كنتَ أصبحْتَ مشغوفاً بساكنها ... فلا وربِّك لا تَشْفيك من شَغَف
دَعْ ذا وقُلْ للذى قد فاز من مُضَرٍ ... بالمَكْرُمات وعِزٍ غيرِ(١) مُقْتَرَف
هذى رسالةُ شيخٍ من بنى أسد ... يُهدى السلامَ إلى العبّاس فى الصُّحُف
تخُطها من جَوارى المِصْر كاتبةٌ ... قد طالما ضَرَبتْ فى اللّام والألِف
حتى إذا نَهَد الثَّديان وامتلآ ... منها وخِيفَتْ على الإسْراف فى(٢) القَرَف
صِينتْ ثلاثَ سنينٍ ما تَرى أحداً ... كما تصون بِحارٌ(٣) دُرَّةَ الصَّدف
فبينما الشيخُ يَهْوِى نحو(٤) مَسجده ... مُبادراً لصلاة الصُّبح(٥) بالسَّدَف
حانت له لَمحةٌ منها فأبصرها ... مُطِلَّةً بين سَجْفَيْها من الغُرَف
فخرَّ والله ما يَدْرى غداتئذٍ ... أخرَّ مُنكشِفاً أو غير مُنكشِف
وجاءه الناسُ أفواجاً بمائهمُ ... ليَغسلوا الرجل المغشِىَّ(٦) بالنُّطف
وَوَسْوسوا بقُرانٍ فى مَسامعه ... مَخافةَ الجنّ والإنسانُ لم يَخَف
شيئاً ولكنّه من حُب جاريةٍ ... أمسى وأصبح(٧) من موتٍ على شَرف
قالوا لك الويلُ ما أبصرتَ قلتُ لهم ... جِنِّية أقصدتْنى من بنى خَلَف(٨)
أبصرت جاريةً مملوكةً لهمُ ... تطلَّعت من أعالى القَصر ذى الشُّرف
فقلتُ أيُّكمُ والله يأجرُه ... يُعين قُوَّته فيها على ضَعَف
فقام شيخٌ بَهِىٌّ من رجالهمُ ... قد طالما خَدع الأقوامَ بالحَلِف
فابتاعها لى بألفَىْ دِرْهمٍ وأتى ... بها إلىَّ وألقاها على كَتِفى
فبِتُّ ألثُمها طوراً وألزَمُها ... طوراً وأصنع بعضَ الشَّىء فى اللُّحُف

(١) مقترف: مكتسب . (٢) القرف: التهمة . (٣) فى غير التجريد: «يصون تجار».
(٤) فى غير التجريد: «مجلسه» مكان «مسجده» . (٥) السدف: «الظلمة».
(٦) النطف: جمع نطفة، وهى الماء الصافى، قل أو كثر.
(٧) فى غير التجريد: «موقوفاً على التلف» مكان «من موت على شرف» .
(٨) سقط هذا العجز فى غير التجريد، كما سقط صدر البيت التالى، وجاء البيتان بيتاً واحداً .

فبين ذاك كذا إذ جاء صاحبها يَبغى الدَّراهم بالمِيزان ذى الكِفَف
وذِكْرَ حَقٍّ على زَنْدٍ وصاحبه والحقُّ فى طَرَفٍ والطِّينُ فى طَرف
وبَين ذاك شُهودٌ لا يَضُرُّهم أكنتُ معترفاً أو غيرَ مُعترف
فإن يكن منك شىء فهو حقُّهمُ أو لا فإنِّىَ مَدفوعٌ إلى التَّلف

فضَحِك العباسُ وقال: ويحك! أصادق أنت؟ قال: نعم والله. فقال: يا غلام، ادفع إليه ألفى درهم. فأخذها، ودَخل على المهدىّ فأخبره بالقصّة، وما احتال له به. فأمر له المهدىُّ بستة آلاف درهم.

هو وأبو مسلم فى رجل دعاه للمبارزة

وذَكر أنّ أبا دُلامة كان مع أبى مُسلم صاحب الدعوة فى بعض حُروبه لبنى أُمية، فدعا رجلٌ إلى المُبارزة. فقال له أبو مُسلم: أبرُز إليه. فقال أبو دلامة:

أَلَا لا تَلُمْنى إنْ فررتُ فإننى أخاف على فُخَّارتى أن تَحطَّمَا
فلو أنَّنى فى السُّوق أبتاع مِثلَها وجدِّك ما باليتُ أن أتقدَّما

فضحك وأعفاه.

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى دُلامة، هو قولُه:

« إنِ الناسُ غَطَّونى ».

البيتين اللذين تقدَّم ذكرهما[1].

---

(١) انظر (ص١٢١٠) من هذا الكتاب.

أخبار عبد الله بن المعتز بالله

اسمه وكنيته

[هو عبد الله بن المعتز بالله] أبى عبد الله محمد ـ وقيل : الزبير ـ وقد تقدّم ذِكْر ذلك وذِكْر النَّسب فى أخبار المُعتزّ . ويكنى « عبد الله » : أبا العباس .

شىء عنه

وكان ابن المُعتزّ فاضلَ بنى العبّاس وشاعرَهم . وشعره ، وإن كان فيه رقّة المُلوكية وغَزل الظُّرفاء ، فإن فيه أشياء كثيرةً تجرى فى أُسلوب المُجيدين ولاتقصُر عن مَدَى السابقين . وهو صاحبُ التَّشبيهات البديعة التى لم يَشُقَّ فيها أحدٌ غُبارَه . وكانت له فضائلُ أخرى وعلومٌ غير الأدب . وكان عالماً بصناعة المُوسيقى وعِلَلِ الغنـاء . وبُويع بالخلافة له ببغداد يوماً واحداً ، سـنة ستٍّ وتسعين ومائتين ، فلم يَتِمّ له الأمر وتفرّق عنه أصحابه ، ثم قُبض عليه وقُتل خنقاً . فقال فيه ابنُ بسّام :

لله دَرُّكَ من مَيْتٍ بمَضْيعةٍ ... ناهيكَ فى العِلْمِ والآدابِ والحَسبِ
ما فيه «لوٌّ» ولا «ليتٌ» فتنقصَه ... وإنما أدركتْه حرفةُ الأدب

شعر فى غلام له جـدر

وذُكر أنه كان لعبد الله بن المُعتز غلامٌ كان يُحبّه ، وكان يُغنّى غناءً صالحاً ، فجُدر . وجَزع عبدُ الله لذلك جزعاً شديداً ، ثم عُوفى ولم يُؤثّر الجُدَرِىّ فى وجهه أثراً قبيحاً . فقال فيه عبدُ الله بن المعتز :

لى قَمرٌ جُدِّر لمّا استوى ... فزاده حُسناً فزالت[1] هُمومْ
أظنّه غَنّى لشمس الضُّحى ... فنقَّطتْه طَرباً بالنُّجـوم

(١) الرواية فى غير التجريد : « فزادت » .

شعره فى ترضيه وقد غضب عليه

وذُكر أن هذا الغُلام غَضب على عبد الله بن المُعتز ، فجَهِدَ فى أن يرضى ، فلم يكن له فيه حيلةٌ ، فقال فيه :

بأبِى أنتَ قد تما ... ديتَ فى الهَجر والغَضبْ
وأصطبارِى على صُدو ... دِكَ يوماً من العَجبْ
ليس لى إن فقدتُ وجـ ... ـهكَ فى العَيش من أَربْ
رَحم الله من أعا ... ن على الصُّلح وأحتسب

قال جعفر بن قُدامة : لمّا سمعتُ هذا الشعرَ مضيتُ إلى الغُلام ولم أزل أُداريه وأرفُق به حتى ترضّيتُه وجئته به ، فمرّ لنا أطيبُ يوم وأحسنُه .

شعره فى سيل أصاب داره

وذُكر أنه جاء سَيلٌ أحدث فى دار عبد الله بن المُعتز ما أَحوجه إلى غَرامة وكُلفَةَ فى إصلاحها ، فقال فى ذلك :

ألا مَن لنفسٍ وأحزانِها ... ودارٍ تداعَى بحيطانِها
أَظَلُّ نهارِىَ فى شمسها ... شَقِيًّا مُعنًّى بِبُنْيانها
أُسوِّدُ وجهى بتَبييضها ... وأُخرب[1] كِيسى بعُمرانها

وذُكر أنَّ رجلاً نبيهاً فاضلاً أحتاج إلى تَزويج أبنته من دنئ ، فقال أبنُ المعتز فى ذلك :

وبِكْرٍ قلتُ مُوتى قبل بَعْلٍ ... وإنْ أَثْرى وعُدَّ من الصَّميمِ
أأمزُج باللِّئام دَمِى ولَحمِى ... فما عُذْرِى إلى النَّسب الكَريم

شعره فى رجل أطال السجود فى صلاته

وذُكر أن رجلا صلّى بحضرة أبن المُعتز صلاة خفيفة جدًّا ، ثم دعا عُقيب صلاته وسَجد سجدةً طويلة أستثقله جميعُ مَن حضر بسببها . فقال فى ذلك أبن المعتز :

(١) فى غير التجريد : « وأهدم » .

صلاتُك بين الورَى نَقرةٌ كما اُختلس الجَرعةَ الوالِغُ
وتسجُد من بعدها سجدةً كما خُتِم المِزْوَدُ الفارغ

شعره فى جارية قبيحة تعلق بها

وذُكر أنَّ ابن المُعتز لاعب امرأة قبيحةَ الصُّورة وتعلَّق بها ، فعُوتب على ذلك ، فقال :

قلبيَ وثَّابٌ إلى ذا وذا ليس يَرى شيئًا فيأباهُ
يَهيم بالحُسن كما يَنبغى ويَرحم القُبْح فيَهْواه

تعقيب لابن واصل فى مثله

قلتُ : وسمعتُ لبعض الشُّعراء اعتذاراً فى حُبِّ قَبيحِ الصورة :

وما حُبِّي له رِجْساً لأنِّى تركتُ الحُسن واُخترتُ القَبيحَا
ولكنْ غِرْتُ أن أهوى مليحاً وكُل الناس يَهْوَوْن المَليحا

بينه وبين جارية تركت النبيذ

وذُكر أنّ ابن المُعتزّ كان يُحب مُغنِّية مُحسنة شاعرة ظريفة ، فتركتِ النَّبيذ ، فكتب إليها :

رأيتُك قد أظهرتِ زُهداً وتَوبةً فقد سَمُجتْ من بعد تو بتكِ الخَمرُ
فأهديتُ وَرْداً كى يُذَكِّر عِيشةً بمن[1] لم يُمتِّعنا ببهجتها الدَّهر

فأجابتْه :

أتانى قريضٌ يا أميرى مُحَبَّرٌ حَكى لِىَ نَظْم الدُّرّ فُصِّلَ[2] بالشَّذْرِ
أأنكرتَ يا بنَ الأكرمين إنابَتِى وقد أفصحتْ لى ألسُن الدَّهْر بالزَّجر
وآذنَنِى شَرْخُ الشَّباب ببَيْنه فياليتَ شِعْرى بعد ذلك ما عُذرى

شعره فى الربيع

وحَكى جعفر بن قُدامة قال :

كنتُ أشرب مع عبد الله بن المُعتز فى أيام الرَّبيع ، والدُّنيا كالجَنّة المُزخرفة ، فقال عبدُ الله :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لمن » . (٢) الشذر : خرز تفصل به الجواهر فى النظم .

حبَّـذا آذار شهراً فيـه للنَّور انتشارُ
ينقصُ الليلُ إذا حـ ـلّ[١] ويمتدُّ النَّهار
وعلى الأرض اصفرارٌ واحمـرار واخضرار
وكأنّ الأرض[٢] وشْىٌ بالغتْ فيه التجّار
نَقْشُه آسٌ[٣] ونِسر ينٌ ووَرْدٌ وبَهار[٤]

---

(١) فى غير التجريد : « جاء » .
(٢) فى غير التجريد : « الروض » .
(٣) النسرين : ورد أبيض عطرى قوى الرائحة . معرب .
(٤) كأن الحديث عن ابن المعتز لم ينته ، فلم يختمه ابن واصل بما يختم به تراجمه من ذكر الشعر الذى فيه الغناء .

أخبار زهير بن أبي سلمى

واسم أبى سُلمى ربيعة بن رِياح بن قُرّة بن الحارث بن مازن بن ثَعلبة بن ثَور بن هَرْمة بن الأصمّ بن عُثمان بن مُزينة .[1] وهو عمرو بن أُدّ بن طابخة بن اليأس بن مُضر بن نِزار .

أحـد الثلاثة المقدمين فى الشعر

وهو أحدُ الثلاثة المُقدَّمين على سائر الشُّعراء باُتفاق ، وهم : اُمرؤ القيس ، وزُهير ، والنابغة الذُّبيانى . و إنما اُختُلف فى تقديم بعضهم على بعض .

بين عمر وابن العباس فى تفضيله

وحدّث عبدُ الله بن العبّاس قال : قال عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ليـلةً فى مسيره إلى الجابية :[2] أين ابنُ العبّاس ؟ فأتيتهُ ، فشكا إلىّ تخلُّف علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . فقلتُ له : أولم يعتذر إليك ؟ قال : بلى . قلت : فهو ما اُعتذر به . ثم قال : أوّل من رَيَّثكم عن هذا الأمر أبو بـكر ، إنّ قومكم كَرِهوا أن يجمعوا لـكم بين الخلافة والنبوّة — قال أبو الفرج : ثم ذَكر قصةً طويلة ليست من هذا الباب فتركتها —[3] ثم قال : هل تَروى لشاعرِ الشُّعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال الذى يقول :

ولو أنّ حَمداً يُخلِد الناسَ أُخْلِدوا ... ولـكنّ حَمد الناسِ ليس بمُخلِدِ

قلت : ذاك زهير . قال : فذاك شـاعر الشُّعراء . قلت: وبم كان شاعر

---

(١) هذا سياق التجريد . وأصول الأغانى على غيره ، ففيها : « ... بن عثمان بن عمرو » . ثم زادت : « ومزينة أم عمرو بن أد ، هى بنت كلب بن وبرة » . ويقول ابن حزم فى « الجمهرة » : « وهؤلاء بنو عمرو بن أد ، وهم مزينة ... فنسب ولدها إليها » .

(٢) الجابية : قرية من أعمال دمشق .

(٣) انظر الطبرى (ق ١ ص ٢٧٦٨ - ٢٧٧١) .

الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يُعاظِل[1] فى الكلام ، وكان يتجنَّب وَحْشِىَّ الكلام ، ولا يَمدح أحداً إلا بما فيه .

بين معاوية والأحنف فى تفضيله

وذُكر أن مُعاوية بن أبى سُفيان سأل الأحنف بن قيس عن أشعر الناس . فقال : زُهير . فقال: وكيف ذلك ؟ قال : ألقى عن المادحين فضولَ الكلام. قال: مثل ماذا ؟ قال : بقوله :

فما يَكُ من خيرٍ أتَوْه فإنما تَوارثه آباء آبائهم قَبْلُ

استعاذة النبى صلى الله عليه وسلم منه

ورُوى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم أنه نَظر إلى زُهير بن أبى سُلمى ، وله مائة سنة ، فقال : اللهم أعِذْنى من شَيطانه ! فما لاكَ بيتاً حتى مات .

معلقته وسببها

وذُكر أنّ رجلاً من بنى عَبس ، ثم من بنى غالب ، يقال له: وَرْد بن حابس ، قَتل هَرِم بن ضَمضم المُرِّى فى حرب عَبس وذُبيان قبل الصُّلح ، وحلف حُصين بن ضَمضم ألّا يَغسِلَ رأسه حتى يَقْتل وَرْدَ بن حابس أو رجلاً من بنى عَبس ، ثم من بنى غالب ، ولم يُطْلع على ذلك أحداً . وكان قد حَمل الحَمالَة[2] الحارثُ بن عَوف بن أبى حارثة المُرِّى . فأقبل رجُلٌ من بنى عَبس، ثم أحد بنى مَخزوم ، حتى نزل بحُصين بن ضمضم . فقال له حُصين : مَن أنت أيها الرجل ؟ قال : عَبْسِىٌّ. قال : مِن أىّ عَبس ؟ فلم يزل يَنْتسب له حتى انتسب إلى بنى غالب . فقتله حُصين . و بلغ ذلك الحارثَ بن عَوف ، وهَرِمَ بن سنان، المُرِّيَيْن ، فاشتدّ عليهما. و بلغ بنى عَبس فركبوا نحو الحارث . فلما بلغه ركُوبهم إليه ، وما قد اُشتدّ عليهم من قَتل صاحبهم ، وأنهم يريدون الحارثَ به ، بَعث إليهم بمائة من الإبل معها أبنه ، وقال للرسول : قُل لهم: الإبل أحبُّ إليكم أم أبنى تقتلونه مكانَ قتيلكم ؟ قالوا : بل نأخُذ الإبل ونُصالح قومَنا ويتمّ الصُّلح . فقال زُهير يمدح الحارث بن

(١) أى يحمل بعضه على بعض ، ويكرر اللفظ والمعنى . (٢) الحمالة : الدية .

عَوف، وهَرِمَ بن سنان ، المُرِّيين ، ويذكر سَعْيهما فى صُلح قومهما . وهى قصيدتُه التى أولها الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار زُهير بن أبى سلمى ، وأولُها :

أمن أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكلَّمِ ... بحَوْمانةِ الدَّرَّاجِ (١) فالمُتثَلَّمِ
لها العِينُ والآرام يَمْشِين خِلْفةً ... وأطلاؤُها يَنْهَضن من كُلِّ (٢) مَجْثَمِ
وقفتُ بها من بعد عشرين حِجَّةً ... فلَأْياً عرفتُ الدارَ بعد (٣) توهُّمِ
فلمَّا عرفتُ الدار قلتُ لِرَبْعها ... ألا أنْعِمْ صَباحاً أيُّها الرَّبعُ وأسلمِ

ومنهـــا :

ومَن يَعْصِ أطرافَ الزِّجاج فإنه ... يُطيع العَوالى رُكِّبت كُلَّ (٤) لَهْذم
ومَن هاب أسبابَ المَنايا ينَلْنَه ... ولو نال (٥) أسبابَ السَّماء بُسلَّمِ

يقول فيها فى مَدح الحارث ، وهَرِم :

سَعى ساعياً غَيْظ بن مُرّة بعد ما ... تبزَّل ما بين العَشيرة (٦) بالدَّم
تداركْتُما عبساً وذُبيانَ بعـــد ما ... تفانَوا ودقُّوا بينهم عِطْرَ (٧) مَنْشَمِ
فأصبح يُحْدَى فيهُم مِن تِلادكم ... مَغانمُ شَتَّى من إفالٍ (٨) مُزَنَّمِ

(١) الدمنة : آثار الناس وما سودوا بالرماد . والحومانة : المكان الغليظ . والدراج والمتثلم : موضعان .

(٢) العين : البقر . والآرام : الظباء . وأطلاؤها : أولادها . والمجثم : الموضع يجثم فيه ويقام .

(٣) الحجة : السنة . واللأى : البطء .

(٤) الزجاج : جمع زج ، وهو أسفل الرمح . والعوالى : جمع عالية ، وهى أعلى الرمح . يريد أن من لم يقبـــل الأمر الصغير فسيضطر إلى قبول الأمر الكبير . واللهذم : القاطع من كل شىء .

(٥) الرواية فى المعلقات : « ولو رام » . (٦) تبزل : تشقق .

(٧) منشم : امرأة عطارة ، تحالف قوم فغمسوا أيديهم فى عطرها ليتحرموا به ، ثم خرجوا للحرب فقتلوا جميعاً ، فتشاءمت العرب بها .

(٨) التلاد : ما ولد عندك . وهذا أصله . ثم أطلق على كل ما يملك الرجل . والإفال : الفصلان . والمزنم : الذى جعل فيه علامة تميزه ، وكذلك كان يفعل بكرام الإبل ، كان يسحى ظاهر الأذن — أى يقشر — ثم يفتل ، فتبقى زنمة تضطرب . والرواية فى غير التجريد والمعلقات : « فأصبح يجرى » . مكان « فأصبح يحدى »

يُنجِّمها[1] قومٌ لقومٍ غرامةً ولم يُهَرِيقوا بينهم مِلْءَ مِحْجَم

زواج الحارث من بنت أوس

وذُكر أن الحارثَ بن عوف بن أبى حارثة المُرِّى قال لخارجة بن سِنان بن أبى حارثة ، وهو ابن عمِّه : أترانى إن خطبتُ إلى أحدٍ رَدَّنى ؟ قال : نعم . قال : ومَن ذاك ؟ قال أوسُ بن حارثة بن لَأم الطائىّ . فقال الحارث لغُلامه : آرحل لنا.[2] ففعل. فركب الحارثُ وخارجةُ حتى أتيا أوسَ بن حارثة فى بلاده ، فوجداه فى فِناء منزله . فلما رأى الحارثَ بن عوف قال : مرحباً بك يا حارِ . قال : وبك . قال : ماجاء بك يا حارِ ؟ قال : جئتُك خاطباً . قال: لستَ هناك . فانصرفَ ولم يُكلِّمه . ودَخل أوسٌ على امرأته مُغضَباً ، وكانت من عَبس ، فقالت : مَن رجُلٌ وقف عليك فلم يُطل ولم تُكلِّمه ؟ قال : ذلك سيِّد العرب الحارثُ بن عَوف بن أبى حارثة المُرّى . قالت : فما لك لم تَستنزله ؟ قال : إنه استحمَق . قالت : وكيف ؟ قال : إنه جاءنى خاطباً . قالت : أفتُريد أن تزوِّج بناتِك ؟ قال : نعم . قالت : فإذا لم تُزوِّج سيدَ العرب فمن ؟ قال : قد كان ذلك. قالت : فتداركْ ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : بأن تَلحقه فترُدَّه . قال : وكيف وقد فرط منى ما فَرط إليه ؟ قالت : تقول له : إنكَ لقيتَنى وأنا مُغضَب بأمرٍ لم تُقدِّم فيه قولاً ، ولم يكن عندى من الجواب إلا ما سمعتَ ، فانصرفْ ولك عندى كل ما أحببتَ ، فإنه سيفعل . فَركب فى إثرهما .

قال خارجةُ بن سِنان: فوالله إنّا لنَسير إذ حانت منّى التفاتةٌ فرأيتُه . فأقبلتُ على الحارث — وما يُكلِّمنى غمًّا — فقلتُ له : هذا أوسُ بن حارثةَ فى أثرنا . قال : وما نَصنع به ، امض . فلما رآنا لا نقف صاح : يا حار ، اربعْ علىّ ساعةً . فوقفنا له . فكلّمه بذلك الكلام ، فرجع مَسروراً .

(١) ينجمها : يجعلها نجوماً ، أى أقساطاً .

(٢) هذه رواية التجريد . ورحل البعير : وضع عليه الرحل . وفى غير التجريد : «ارحل بنا» .

ودخل أوسٌ إلى منزله فقال لزوجته : أُدعى لى فلانة ، أكبرَ بناته ، فأَتته ، فقال : يا بنية ، هذا الحارث بن عَوف سيّدٌ من سادات العرب قد جاءنى خاطباً ، وقد أردتُ أن أُزوِّجك منه ، فما تقولين ؟ فقالت : لا تَفعل ذلك . قال : ولم ؟ قالت : لأنّى امرأة فى وجهى رَدَّة [1] ، وفى خُلُقى بعض العُهْدة [2] ؛ ولستُ بابنة عمّه فَيرْعَى رَحِمى ، وليس بجارك فى البلد فيَسْتحى منك ، ولا آمنُ أن يَرى منّى ما يكره فيُطلِّقنى ، فيكون علىّ فى ذلك ما فيه . فقال : قُومى بارك الله فيك ! أُدعوا لى فلانةَ ـ لابنته الوسطى ـ فدَعَوْها ، فقال لها مثلَ قوله لأُختها ، فأَجابته بمثلها ، فقالت : إنّى خَرقاء ، ولستُ صناعاً بيدى ، ولا آمن أن يَرى منّى ما أكره فيطلِّقنى ، فيكون علىّ فى ذلك ما تعلم ، وليس بابن عمٍّ فيرعى حقِّى ، ولا جارَك فى بلدك فيستحىَ منك . فقال : قُومى بارك الله فيك ! أُدعوا لى بُهَيْسة . يريد الصُّغرى ، فأُتى بها ، فقال لها كما قال لهما . فقالت : أنت وذاك ، فقال لها : إنِّى قد عرضتُ ذلك على أُختَيْكِ فأَبَتاه . فقالت — ولم يذكر لها مقالتهما — : لكنِّى والله الجميلة وجهاً ، الصناع يداً ، الرقيقة خُلقاً ، الحسيبة أبا ، فإنْ طلَّقنى فلا أخلف الله عليه بخَير . فقال : بارك الله عليك .

قال : ثم خَرج إلينا فقال : قد زَوَّجتك بُهَيسة بنت أوس ، قال: قد قَبلتُ. فأَمر أُمها أن تُهيِّئها وتُصلح من شأنها ، ثم أَمر ببيتٍ فضُرب له وأَنزله إياه ، فلما أُدخلت إليه لبث هُنَيهة ثم خرج إلىّ ، فقلت له : أفرغتَ من شأنك ؟ قال : لا والله ! قلت : وكيف ؟ قال : لما مددتُ يدى إليها قالت : مه ! أعند أبى وإخوتى ! هذا والله لا يكون !

قال : فأَمرنا بالرِّحلة ، فارتحلنا مرحلة بها ، فسِرْنا ما شاء الله ، ثم قال لى :

---

(١) الردة : القبح مع شىء من الجمال .

(٢) العهدة : الضعف .

تقدّم ، فتقدمتُ ، وعَدل بها عن الطريق . فما لَبث الحارث من وقته أن لِحَقنى ، فقلت : أفرغت ؟ قال : لا والله . قلت : ولم ذاك ؟ قال : قالت : تَفعل بى كما يُفعل بالأَمة الَجليبة ، أو السبيّة الأَخيذة ! لا والله حتى تَنْحَر الُجزُر ، وتَذبح الغَنم ، وتَدعو العرب ، وتَعمل ما يُعمل لمثلى . فقلت له : والله إنّى لأَرى هيئةً وَعقلا ، وإنى لأرجو أن تكون المرأةَ النَّجيبة إن شاء الله . فرحلنا حتى جئنا بلادنا ، فأَحضر الإبل والغَنم ، ثم دخل عليها ، فلما خرج ، قلت : أفرغتَ ؟ قال: لا . قلت : ولم ذاك ؟ قال : دخلتُ عليها أُريدها، فقلت : قد أحضرنا من المال ماتَرين . فقالت: والله لقد ذُكر لى من الشرف مالا أراه فيك : قلت : وكيف ؟ قلت : أتفرُغ لِنكاح النساء والعربُ تقتُل بعضُها بعضا ! ـ وذلك فى أيام حرب عَبس وذبيان ـ قلت : فتقولين ماذا ؟ قالت : أُخرج إلى هؤلاء القوم فأَصْلح بينهم ثم أُرجع الى أهلك ، فلن يفوتك . فقلت : إنّى والله لأرى عقلاً وهمّة ، ولقد قالت قولا . قال : فأُخرج بنا . فخرجنا حتى أتينا القومَ ، فمشينا فيما بينهم بالصُّلح . فاصطلحوا على أن يحتسبوا القَتلى ، ثم يُؤخذ الفضلُ ممّن هو عليه . فحملنا عنهم الدِّيات ، وكانت ثلاثةَ آلاف بعير فى ثلاث سنين . فانصرفنا بأجمل الذِّكر . فمُدح بذلك ، وقال زُهير قصيدته اللامية التى ذكرت ، وقال أيضاً قصيدته التى أولها :

* صحا القلبُ عن سَلْمَى وقد كاد لا يَسْلو *

يقول فيها :

تداركتُما الأَحلافَ قد[1] ثُلَّ عَرْشُها ... وذُبْيانَ قد زَلّت بأقدامِها النَّعْلُ

وحصل للحارث بذلك الشرفُ العظيم ، ورَجع فدخل بزوجته ، فولدت له بنين و بنات .

(١) الأحلاف : أسد وغطفان وطيء . وثل عرشها : أى أصابها ماكسرها وهدمها وذهب بعزها .

من مدحه هرماً

ومدح زُهير هرماً بقصائد كثيرة . منها قصيدتُه التى أولها :

إنّ الخليطَ أجدَّ البيْنَ فانفرقا ... وعُلِّق القلبُ من أسماءَ[1] ما علِقا

وأخلفتْك ابنةُ البَكرىّ ماوعدتْ ... فأصبح الحبلُ منها واهناً[2] خَلَقا

قامتْ تَبدَّى بذى ضالٍ[3] لتحزُنَنى ... ولا محالَةَ أن يشتاقَ مَنْ عشِقا

بجيدِ مُغْــزِلةٍ أدْماءَ خاذلةٍ ... من الظِّباء تُراعِى شادناً[4] خَرِقا

يقول فيها فى مَدح هَرم :

قد جَعل المُبتغون الخيرَ فى هَرِمٍ ... والسَّــائلون إلى أبوابه طُرُقا

مَن يَلْقَ يوماً على عِلاّته هَرِماً ... يلقَ السماحةَ منه والنَّدى خُلُقا

لَيثٌ بعَثَّرَ[5] يصطاد الرجالَ إذا ... ما الليثُ كذّب عن أقرانه صدَقا

يطعَنُهمُ ما ارتمَوْا حتى إذا اطَّعنوا ... ضارَب حتى إذا ما ضارَبوا اعْتنقا

وقال زُهير يذكر فَقْد سنان بن أبى حارثة . وكان فُقِــد فلم يُعرف له خبر ، فذُكر أنه كان قد بلغ مائة وخمسين ســنة ، فذَهب على وجهه خَرَفاً . وقيل : استطارته الجنّ فذَهبت به ــ وقيل غير ذلك ــ :

إنّ الرزيّةَ لا رَزِيّةَ مثلُهــا ... ما تَبتغى غَطفــانُ يومَ أضلَّتِ

إنّ الرِّكابَ لتَبْتغى ذا مِرَّةٍ ... بجَنُوبِ نَخْلَ إذا الشُّهورُ[6] أَحَلَّت

---

(١) الخليط : المخالط . وأجد البين : اعتزمه وأخذ فيه . وانفرق : انقطع .

(٢) الحبل : العهد . والواهن : الضعيف . كالواهى . وبهذه الأخيرة جاء الديوان .

(٣) ذو ضال : موضع .

(٤) بجيد ، أى تبدى بجيد . ومغزلة : ظبية معها غزالها . وأدماء : خالصة البياض . وخاذلة : متخلفة عن الظباء . والخرق : الضعيف الصغير لا يقوى على شىء .

(٥) عثر : بلد .

(٦) المرة : العقل . ونخل : موضع . وهى رواية التجريد والديوان . وفى غيرهما : « بجنوب نجد » . وأحلت : صارت حلالا .

يَنْعَيْنَ خيرَ الناسِ عند شديدةٍ ... عظُمت مُصيبتُه هناك وجَلّت
ولَنِعم حَشْوُ الدِّرع كان إذا سطا ... نَهِلَت من العَلَقِ الرِّماحُ (١) وعَلَّت

ومن مدائح زُهير فى هَرِم :

لمن الدِّيارُ بقُنَّة الحِجْرِ ... أقْوَيْن من حِجَجٍ ومِن (٢) دَهْرِ
لَعِب الرِّياحُ بها وغَيَّرها ... بَعدى سَوافِى الرِّيح (٣) والقَطْر
دَع ذا وعَدِّ القولَ فى هَرِمٍ ... خيرِ الكُهول وسَيِّد الحَضْر
لو كنتَ مِن شىءٍ سوى بَشَرٍ ... كنتَ المُنوِّرَ (٤) ليلةَ البَدر
ولَنِعْم حَشْو الدِّرع أنت إذا ... دُعيت نَزالِ ولُجَّ (٥) فى الذُّعْر
وأُراك تَفْرِى ما خَلقت وبعـ ... ـضُ القوم يَخْلُق ثم لا (٦) يَفْرى
أُثنِى عليك بما علمتُ وما ... أسلفتَ فى النَّجدات (٧) من ذِكْر
والسِّتْرُ (٨) دون الفاحشات وما ... يَلقاك دون الخير مِن سِتر

وذُكر أن عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه لما أُنشد هذا البيت الأخير، قال : ذاك رسُول الله صلّى الله عليه وسلم .

---

(١) العلق : الدم . والنهل : أول الشرب . والعلل : الثانى والثالث .

(٢) الحجر : حجران ، حجر ثمود ، وحجر اليمامة ، أولهما بالكسر والثانى بالفتح . وأقوى : خلا .

(٣) سوافى الريح : ما تسفيه . والرواية فى الديوان : « سوافى المور » . وهو التراب .

(٤) فى الديوان : « المنير لليلة » .

(٥) يقول : نعم لابس الدرع أنت ، إذا اشتدت الحرب وتزاحمت الأقران ، فتداعوا بالنزول عن الخيل والتضارب بالسيوف ، وكذلك كانوا يفعلون ، إذا ازدحموا فلم يمكنهم التطاعن تداعوا : « نزال » فنزلوا عن الخيل وتقارعوا بالسيوف .

(٦) الفرى : القطع . والخلق : التقدير والتهيئة للقطع . يقول : أنت إذا تهيأت لأمر مضيت فيه . والرواية فى الديوان : « ولأنت » مكان « وأراك » .

(٧) فى الديوان : « والذكر » مكان « من ذكر » .

(٨) فى الديوان : « الستر » دون « واو » .

بين عمر وبعض أولاد هرم فى شأن زهير

وقال عُمر رضى الله عنه لبعض أولاد هَرِم: أنشدنى بعضَ مامَدح به زهيرٌ أباك . فأنشده الأبيات المتقدِّمة . فقال عمر : إن كان ليُحسن فيكم القول . فقال : ونحن والله إن كُنَّا لنحسن إليه العطيّة . فقال : ذَهب ما أعطيتُموه و بقى ما أعطاكم .

من حياء زهير من هرم

وذُكر أنّ هرماً كان حَلف ألّا يمدحه زُهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يُسلِّم عليه إلا أعطاه : عبداً أو فرساً أو وليدة . فاستحيا زُهير ممّا كان يقبَل منه ، ، فكان إذا رآه فى ملأ قال : عِمُو صباحاً غير هرم ، وخيرَكم استثنيتُ .

بين عمر وابن زهير فى شأنه

وقيل : إنّ عمر رضى الله عنه قال لابن زُهير : ما فَعلت الحُلل التى كساها هَرِمٌ أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكنّ الحُلل التى كساها أبوك هرماً لم يُبْلها الدّهر .

استجاد عبدالملك شعره فى آل أبى حارثة

وذكر أنّ عبد الملك بن مروان قال : ما يضُر مَن مُدح بما مَدح به زُهيرٌ آل أبى حارثة من قوله :

عَلى مُكْثِريهم حَقُّ مَن[1] يَعتريهمُ ... وعند المُقلِّين السماحةُ والبَذْلُ

ألّا يَملك أمورَ الناس ــ يعنى ألا يكون خليفة ــ ومن هذه القصيدة :

وهل يُنبِت الخَطِّىَّ إلّا وشيجُه ... وتُغرس إلا فى مَنابتها[2] النَّخْل

ثم قال عبدُ الملك : ما ترك فيهم زُهير غنيًّا ولا فقيراً إلّا مَدحه .

استجادة عثمان لشعره

وقيل :

أنشد عثمانُ بن عفّان رضى الله عنه قولَ زُهير :

ومهما تكن عند امرىء من خَليقة ... وإن خالها تَخْفَى على الناس تُعلَمِ

---

(١) يعتريهم : يقصدهم . والرواية فى غير التجريد والديوان : « رزق من يعتريهم » .

(٢) الخطى : الرماح ، نسبة إلى الخط : جزيرة بالبحرين . والوشيج : القنا . يعنى أنهم لا يلدون إلا كراماً .

فقال : أحسن زُهير وصَدق ! لو أنّ رجــلا دَخل بيتاً فى جَوف بيت لتحدّث به الناس . قال : وقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : لا تَعمل عملاً تكره أن يُتحدَّث به عنك .

تمثل عروة بن الزبير ببيت له فى استخفاف عبد الملك به

وذُكر أنّ عُروة بن الزبير كان لِحَق بعبد الملك بن مروان بعد قَتــل أخيه عبد الله بن الزُّبير ، فكان إذا دخل عليه منفرداً أكرمه ، و إذا دخل عليه وعنده أهلُ الشام اُستخفّ به . فقال له يوماً : يا أمــير المؤمنين ، بئس المَزُور أنت ! تُكرم ضيفك فى الخَلاء وتُهينه فى الملأ . ثم قال : لله دَرُّ زهير حيث يقول :

فَقِرِّى فى دِيارك إنّ قــوماً متى يَدَعُوا ديارَهمُ [1] يهونُوا

ثم اُستأذنه فى الرُّجوع إلى المدينة . فقَضى حوائجه وأذن له .

ذكره فى شعره غطفان وأخواله

وذُكر أنّ زُهيرا كان هو وأبوه و ولده فى بنى عبد الله بن غَطفان ، فلذلك كان زُهير يذكُر فى شعره فَعالَ بنى مُرة وغَطفان ويُكثر مَدحهم . وكان زُهير فى الجاهليّه سيداً كثيرَ المال حليماً معروفاً بالورع . وكانت اُمرأته من بنى سَهم ابن عَوف بن سَعد بن ذُبيان .

هو و خاله وميراثه

وكان بَشامة بن الغَدير الشاعر خالَه ، وكان زهير منقطعاً إليه ، وكان يُعجبه شعره . وكان بشامة رجلاً مُقْعَداً ، ولم يكن له وَلد ، وكان مُكثراً من المال، وكان أحزم الناس رأياً . وكانت غَطفان إذا أرادوا أن يغزُوا أتَوْه فاُستشاروه وصدَروا عن رأيه ، فإذا رَجعوا قَسموا له مثل ما يَقْسمون لأفضلهم ؛ فمن أجل ذلك كَثُر ماله . وكان أشعرَ [2] غطفان فى زمانه . فلما حضره الموتُ قسَم مالَه فى أهل بيته و بنى إخوته . فأتاه زُهير فقال : يا خالاه ، لو قسمتَ لى من مالك ؟ فقال : قد والله يا بن أُخت قسمتُ لك أفضلَ من ذلك وأجزله . قال : وما هو ؟ قال : شِعرى ورِثْتَنيــه .

(١) ويروى : « فقرى فى بلادك ... بلادهم » . (٢) فى غير التجريد : « أسعد » .

وكان زُهير قبل ذلك قد قال الشِّعر، وكان أولَ ما قال. فقال له زُهير: الشعر شىء أنا قلتهُ فكيف تعتدّ به علىّ؟ فقال له بَشامة: ومِن أين جئتَ بهذا الشّعر! لعلّك ترى أنك جئتَ به من مُزَينة! لقد علمت العرب أنّ حَصارتها وعينَ مائها فى الشعر لهذا الحى من غَطفان، ثم لِى منهم، وقد ورثتَه عنّى! ثم أحــذاه (١) نصيباً من ماله، ومات.

من شعر بشامة

و بشامةُ شاعر مُجيد، وهو الذى يقول:

ماذا (٢) تَرَيْن وقد قطَّعتنى قِطعاً ... ماذا من الفَوْتِ بين البُخل والجُودِ

إلّا يكُن وَرَقٌ يوماً أراح به ... للخابطين فإنّى ليِّنُ العُود

هو وأم أوفى

وذُكر أن أم أوفى، التى يذكرها زُهير فى شعر، امرأةٌ ولدت منه أولادا وماتُوا، وتزوّج بعد ذلك امرأة أخرى ــ وهى أم أبنيه: كعب، و بُجير ــ فغارت من ذلك أُم أوفى وآذته، فطلَّقها، ثم ندم فقال فيها:

لعمركَ والخطوب مُغيِّراتٌ ... وفى طُول المُعاشرة التَّقالِى

لقد باليْتُ مَظعَنَ أمّ أوفى ... ولكنْ أُمُّ أوْفى لا تُبالِى

فأمّا إذ نأيتِ فلا تقولِى ... لذِى صِهرٍ أُذِلْتُ ولم (٣) تُذَالى

أَصبتُ بَنِىَّ منك ونلتِ منِّى ... من اللّذات والحُلَل الغَوالى

رثاؤه لابن له عانته امرأة

وذُكر أنه كان لزُهير ابنٌ يقال له: سالم، جميل الوجه، حسن الشَّعر. فأهدى رجلٌ لزُهير بُرْدين، فلبسهما الفتى وركب فرساً له، فمرّ بامرأة من العرب بماء يقال له: النُّتاءة. فقالت: ما رأيتُ قطُّ كاليوم رجلاً ولا بُرْدين ولا فرسا! فعثرت به الفرسُ فاندقّت عُنقه وعُنق الفرس وانشقّ البُردان. فقال زُهير يرثيه:

(١) أحذاه: أعطاه.

(٢) فى غير التجريد: «ألا».

(٣) أذاله: هزله وأهانه.

رأتْ رجلاً لاقى من العيش غِبطةً ... وأخطأه فيها الأُمور العَظائمُ
وشَبّ له فيها بَنون وتُوبعتْ ... سَلامةُ أعوامٍ له وغَنائم
فأصبح مَحبُوراً يُنظَّر حوله ... بِغِبْطَته لو أنّ ذلك دائم
وعندِى من الأيّام ما ليس عنده ... فقلتُ تعلَّمْ أنما أنتَ حالم
لعلّك يوماً أن تُراعِى بفاجِع ... كما راعنى يوم الثُّناءة سالم

الشعراء من قومه

وقيل :

كان لزُهير فى الشِّعر مالم يكُن لغيره ، كان أبوه شاعرا ، وخاله شاعرا ، وأخته سلمى شاعرة ، وأبناه كعب وبُجير شاعرين .

إسلام بجير وإسلامه وبردة النبي صلى الله عليه وسلم له حين وفد عليه

وكان بُجير وَفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم على يده ، ثم وَفد بعد ذلك كعب فمَدح النبيّ صلى الله عليه وسلم بالقصيدة المشهورة التى أولها : « بانت سعاد » وأجازه النبىُّ صلى الله عليه وسلم بُردته ، فاشتراها مُعاوية بن أبى سفيان منهم بأربعين ألفا ، وهى البُردة التى توارثها الخُلفاء إلى زمننا هذا .

شعر المضرب بن كعب بن زهير

وكان المُضرِّب بن كعب بن زُهير شاعراً أيضاً ، وهو القائل فى مُصعب ابن الزبير :

إنى لأحبسُ نَفسى وهى صادِيةٌ ... عن مُصعبٍ ولقد بانت لِىَ الطُّرُقُ
رُعْوَى عليه [(١)] كما أرعَى على هَرِمٍ ... جَدِّى زُهير وفينا ذلك الخُلق
مَدْحُ المُلوك وسَعىٌ فى مَسرتهم ... ثم الغِنى ويدُ المَمدوح تَنطلق

---

(١) رعوى عليه ، أى بقيا عليه .

أخبار المرار الأسدى

نسبه

وهو المرّار بن سَعيد بن حَبيب بن خالد بن نَضلة بن الأَشْيم بن جَحْوان ابن فَقعس بن طَريف بن عمرو بن قُعين بن الحارث بن ثَعلبة بن دُودان بن أَسد بن خُزَيمة بن مُدْركة بن اليأس بن مُضر بن نِزار .

أمه

وأُم المرّار بنتُ مروان بن مُنقذ ، الذى أغار على بنى عامر بَثْهلان، فقتَل منهم مائةً بحَبيب بن مُنقذ عمّه ، وكانوا قتلوه .

من خلقه

وكان المَرّار قصيراً مُفرطَ القِصر ، ضئيل الجسم .

مخضرم

وهو مُخضرم الدّولتين . وقيل : إنه لم يُدرك الدولة العبّاسية .

هو والمساور فى التهاجى

وكان يُهاجى المُساوِرَ بن هند بن قَيس بن زُهير بن جَذيمة العَبسى . وفيه يقول المرّار :

شَقِيتْ[1] بنو أسدٍ بهَجْو مُساوِرٍ ... إن الشقىَّ بكُل حَبل يُخنَقُ

وفيه يقول مُساور :

ما سَرّنى أنّ أُمى من بنى أسدٍ ... وأنّ ربِّى يُنَجِّينى من النّارِ

أو أنّهم زَوّجونى من بناتهمُ ... وأنّ لى كُلَّ يوم ألفَ دينار

الحرب بين فقعس وعبس وشعر المرار فى رثاء أخيه

وذُكر أنّ المرّار كان أتى حيًّا من بنى عَبس ، فوقَف على بعض بُيوتهم ، فجعل يُحدِّث نساءهم ويُنشدهن الشعر ، فأنكر الرجالُ ذلك عليه ، وجرى بينه وبينهم كلام عظيم ، فوثبوا عليه وضَربوه وخرقوا ثيابَه وعَقروا بعيره . وانصرف من عندهم إلى قومه من بني فقَعس ، فأخبرهم الخبَر ، فركبُوا معه حتى أتوا بنى

(١) فى غير التجريد : « بنو سعد » .

عَبس ، فقاتلوهم فهزموهم . وفقأت بنو فقعس من بنى عَبْس عيناً وقتلوا رجلا ، ثم انصرفوا . فحملت بنو فقعس إلى بنى عبس مائتى بَعير وغَلَّظت فى الدِّية . ثم إن بدر بن سَعيد ، أخا المرّار ، قال : أتستوفى [(١)] بنو عبس حقَّها ! فعلام أترك ضَرْبَ أخى وعقْرَ جمله ! وخرج حتى أتى خيلاً [(٢)] لبنى عَبس فى المرعى ، فرَمى بعضها فعقره ، ثم انصرف . فقال المرّار : إنه والله ما يُقنعنى هذا ، ولكن اُخرُج بنا . فخرجا حتى أغارا على إبل لبنى عَبس فطرداها ، وتوجَّها بها نحو تَيماء [(٣)] ، فلما كانا ببعض الطريق انقطع بطانُ راحلة بدر ، فَنَدر [(٤)] عن رَحْله . فقال المرّار : يا أخى ، أطِعْنى وانصرف ودَع هذه الإبل فى النار . فأَبَى عليه . ثم سارا ، فلما كانُوا ببعض الطريق عَرض لهما ظَبى أَعْضبُ [(٥)] أحدِ القَرنين . فقال المرّار لبَدر : قد تطيّرتُ من هذا السَّفر ، ولا والله ما نَرجع من هذا السَّفر أبدا ! فأَبى عليه بَدر . فتفرّقت عبس فِرْقتين فى طلب الإبل ، فعمدت فِرقةٌ إلى وادى القُرى ، وفرقة إلى تَيماء ، فصادفوا الإبل بتيماء تُباع ، فأَخذوا المرّار وبَدْراً فرفعوهما إلى الوالى . وعُرفت سِمات عَبْس على الإبل، فدُفعت إليهم . ورُفع المَرّار وأخوه إلى المدينة فضُربا وحُبسا ، فمات بَدر فى الحَبس . فكلَّمت عِدَّةٌ من قريش زيادَ بن عبد الله النَّصْرىّ فى المَرّار ، فخلاّه . وقال المَرّار يرثى أخاه ، وهو فى الحَبس ، بقصيدة أولها :

ألا يا لقومى للتجلُّد والصَّبرِ ... وللقَدَر السارى إليكَ وما تَدرى

وللشىء تَنْساه وتذكُر غيره ... وللشىء لا تَنساه إلا على ذُكْر

يقول فيها :

ألاَ قاتل اللهُ المقاديرَ والمُنَى ... وطيراً جرتْ بين السُّعافات والحِبْر [(٦)]

(١) فى غير التجريد : « قد استوفت » . (٢) فى غير التجريد « أجمالا » .

(٣) تيماء : فى أطراف الشام ، بين الشام ووادى القرى .

(٤) ندر : سقط . (٥) أعضب : مكسور .

(٦) السعافات والحبر : موضعان . والرواية فى غير التجريد وياقوت : « السعافات والحجر » .

وقاتل تَكْذيبى العِيافَةَ بعد ما ... زجرْتُ فما أغنى اعتيافى ولا زَجْرى

ومنها :

تُذكِّرنى بدراً زَعازعُ(١) لَزْبةٍ ... إذا عَصفتْ إحدى عشيّاتها الغُبْرِ

إذا شَوْلُنا لم نُؤْتَ منها بمِحْلبٍ ... قَرى الضيفَ منها بالمُهنَّد ذى الأَثْرِ

وأضيافُنا إن نَبَّهونا ذكرتُه ... فكيف إذا أنساه غابرةَ الدَّهرِ

إذا سَلَّمَ السارى تَهلّل وجهُه ... على كُل حالٍ من يَسار ومن عُسْرِ

تذكّرتُ بدراً بعد ما قيل(٢) عارفٌ ... لِمَا نابه يا لَهفَ نَفسى على بَدْرِ

إذا خَطرتْ منه على النَّفس خَطرةٌ ... مَرتْ دمعَ عَيْنى(٣) فاستهلّ على نَحرى

وما كُنت بَكَّاءً ولكن يَهيجنى ... على ذِكْره طِيبُ الخلائق والخُبْرِ

أعينىَّ إنّى شاكرٌ ما فعلتما ... وحُقَّ لما أبْليتُمانِىَ بالشُّكرِ

سألتُكما أن تُسْعِدانى فجُدْتما ... عَرانِينَ بالتَّسْجامِ باقيةَ(٤) القَطْرِ

فلمّا شَفانى اليأسُ عنه بسَلوة ... وأعذرتُما لا بَلْ أجلُّ من العُذْرِ

نهيتُكما أن تُسعدانى فكنتُما ... صَبُورَيْن بعد اليأس طاويتَىْ(٥) غُبْرِ

وقال المرّار فى الحبس قصيدتَه التى أولُها :

شعره فى الحبس وهو الذى فيه الغناء

عزَفتَ(٦) ولم تَصْرِم وأنت صَرُومُ ... وكيف تَصابى مَن يُقال حَليمُ

صَددتَ فأطْولتَ(٧) الصُّدودَ ولا أرى ... وِصالاً على طُول الصُّدود يَدُوم

وهذا الشعرُ هو الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار المرّار .

---

(١) لزبة ، أى سنة شديدة . والرواية فى غير التجريد ومعجم البلدان : « حجرة » .

(٢) عارف : صابر . (٣) مرت دمع عينى : أسيلته . واستهل : سال .

(٤) العرانين : أوائل المطر . ورواية هذا الشطر فى أصول الأغانى والشعر والشعراء :

* عوانين بالتسجام باقيتى قطر *

(٥) الغبر : بقية الدمع . قال أبو الفرج : « يقول : طويتما أغبار دمعكما . والأغبار : البقايا ، كأغبار اللبن » . (٦) عزفت عن الشىء ، إذا تركته وأبته نفسك .

(٧) أطولت : أطلت ، قالها للضرورة . يقول : لم تصرم صرم بتات ، ولكن صرم دلال.

أخبار النابغة الذبيانى

نسبه

وهو زِياد بن مُعاوية بن ضِباب بن جابر[1] بن يَربوع بن غَيظ بن مُرّة بن عَوف بن سَعد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيث بن غَطفان بن سَعد بن قَيس عَيلان بن مُضر بن نِزار . ويُكنى : أبا أُمامة ، لقوله :

* فقد نَبغت لهم منّا شُؤونُ *

طبقته فى الشعر

وهو أحدُ الأشراف الذين غَضَّ الشعرُ منهم . وهو من الطبقة الأُولى المقدَّمين على سائر الشُّعراء .

بينه وبين حسان

وذُكر أن حسان بن ثابت الأنصارى قال للنابغة : أنا أشعر منك . فقال له النابغة : يابن أخى ، أنت لا تُحسن أن تقول :

فإنك كالَّيــــل الذى هو مُدركى ... وإن خِلْتُ أنّ المُنتأَى عنك وَاسعُ

خَطاطيفُ حُجْنٌ فى حِبــالٍ مَتينةٍ ... تَمُدُّ بهـــا أيدٍ إليك[2] نَوازع

فسكت حسّان ولم يُجب .

شعره الذى فيه الغناء

وهذان البيتان مع بيت قبلهما ، وهو :

فإن كُنت لا ذا الضِّغْن عنِّى مكذِّباً ... ولا حَلِفى عند الـــبَرَاءة نافع

هو الشعر الذى فيه الغِناء، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار النابغة . وهو من قصيدة يعتذر فيها النابغةُ إلى النعمان بن المُنذر .

حديث غضب النعمان وإعتذاره إليه

وكان السبب فى أعتذاره بهذا الشِّعر أن النابغة كان أثيراً عند النعمان بن المُنذر

(١) هذه رواية التجريد والتبريزى على المعلقات . وفى غيرهما : « جناب » .

(٢) حجن : معوجة . ونوازع : جواذب .

خاصًّا به ، وكان من نُدمائه وأهل أُنسه ، فرأى المُتجرِّدة زوجَة النعمان يوماً وغَشِيها شَبِيهاً بالفُجاءة ، وسَقط نَصِيفُها ، فاستترت بيـدها وذِراعها ، وكادت ذراعها تستر وجهَها لعَبالتها وغِلَظها . فقال النابغةُ فيها قصيدتَه التى أولها :

أمن آلِ مَيَّـةَ رائحٌ أو مُغتـدِى … عَجلانَ ذا زادٍ[1] وغـيرَ مُزوَّدِ
زَعم البوارحُ أنّ رِحلَتنا غـداً … و بذاك تَنْعابُ الغُرابِ[2] الأَسود
لا مرحباً بغـدٍ ولا أهلاً به … إن كان تفريقُ الأَحبَّـة فى غد
أَزِفَ الترحُّلُ غـيرَ أنّ رِكابَنا … لمّـا تَزُلْ بِرحالنا وكأَنْ قَد
فى إثْرِ غانيـةٍ رمتْك بسَهمها … فأَصابَ قلبَك غيرَ أَنْ[3] لم تُقصِد
بالدُّر واليـاقوت زُيِّن نَحرُها … ومُفصَّلٍ من لُؤلؤ وزَبَرْجَـد
سَقط النَّصيفُ[4] ولم تُرد إسقاطه … فتناولتْـه واتَّقتنا باليَـد
بمُخضَّبٍ رَخْصٍ كأَنّ بَنانَه … عَنَمٌ على أغصانه[5] لم يُعْقَـد
و بفَـاحِمٍ رَجْلٍ أثيثٍ نَبْتُـه … كالـكَرْم مال على الدِّعام المُسْنَد
نظرتْ إليـك بحاجة لم تَقضِهـا … نَظَرَ السَّقيم إلى وُجوه العُوَّد

قيل : فأنشد هـذه القصيدةَ مُرَّةَ بن سَعد القُريعىّ . فأنشدها مُرةُ النُّعمانَ ابنَ المُنذر . فامتلأ غيظاً وأوعد النابغةَ وتهدَّده . فهَرب منه وأَتى قومَه، ثم شَخص إلى مُلوكِ غَسّان بالشأم فامتدحهم . وقيـل : إنّ عِصَام بن شهْبَر الجَرْمِىّ ، حاجبَ النُّعمان ، أنذره وعرّفه ما يُريده النُّعمان ، وكان صديقَه ، فهرب . وعصام هذا الذى يقول فيه الراجز :

---

(١) الزاد ، هنا : التحية . (٢) تنعاب الغراب : صياحه .
(٣) لم تقصد : لم تقتل . يقال : أقصد الشىء ، إذا رماه فات مكانه .
(٤) النصيف : الخمار .
(٥) العنم : ضرب من الشجر له نور أحمر ، تشبه به الأصابع المخضوبة . ولم يعقد ، أى لم يغلظ ولم ييبس .

نَفسُ عِصامٍ سوَّدت عِصامَا وعَلَّمتـــه الكَرَّ والإقدامَا
وجعلتْه مَلِـكاً هُمَـــامَا

وقيل : كان السببُ فى هَرب النابغــة من النُّعمان أنَّ عَبد القَيس بن خُفاف التَّميمىّ، ومُرة بن سَعد بن قُريع السَّعدى، عَمِلا هجاءً فى النُّعمان على لسانه ، وأنشداه النُّعمان . فمنه أبياتٌ[1] يقال فيها :

مَلِكٌ يُـلاعب أُمَّه وقَطِينَـه رِخْوُ المفَاصل أَيرُهُ كالمِرْوَدِ

ومنه :

قَبَّح اللهُ ثم ثَنَّى بلَعْنٍ وارثَ الصائغ الجبــانَ الجَهُولا
مَن يَضُرُّ الأَدْنَى و يعْجِز عن ضَـرِّ الأَقاصى ومَن يَخُون الخَليلا
يَجمع الجيشَ ذا الألوف و يغزو ثم لا يَرزأ العـــدوَّ فَتيــلا

يعنى بوارث الصائغ : النعمانَ . وكان جدُّه لأُمه صائغاً بفَدَك[2] ، يقال له : عطية : وأُمُّ النُّعمان سلمى بنت عطيّــة .

وذُكر أن مُرة بن سَعد ، الذى وشَى بالنابغة ، كان له سَيف قاطع يقال له : ذو الرِّيقة ، من كثرة فِرِنده وجَوهره، فذَكره النابغةُ للنُّعمان ، فأَخذه ، فاضطغن ذلك مُرةَ حتى وشَى به إلى النعمان وحَرَّضه عليه .

وقيل :

كان السبب فى هَربه أنه كان هو والمُنخَّل بن عُبيد بن عامر اليَشكرىّ جالسَيْن عند النُّعمان ، وكان النعمان ذميماً أبرش[3] قبيحَ المنظر ، وكان المُنخَّل من أجمل العرب ، وكان يُرْمَى بالمُتجرِّدة زوجة النعمان . و يُحدِّث العربُ أن أبنى النُّعمان كانا

(١) فى غير التجريد : « وأنشد النعمان منه أبياتاً » .
(٢) فدك : قرية بالحجاز من نواحى خيبر .
(٣) الأبرش : الذى فى وجهه نقط مختلفة الألوان .

من المُنخَّل . فقال النُّعمان : يا أبا أُمامة ، صِفْ المُتجرِّدة فى شِعرك . فقال قصيدته التى وَصفها فيها ، ووَصف بطنَها ورَوادِفها وفَرجها . فلَحقت المُنخَّلَ من ذلك غَيرةٌ ، فقال للنُّعمان : ما يَستطيع أن يقول هذا الشِّعر إلا من جَرَّب . فَوقَر ذلك فى نفس النُّعمان ، و بَلغ النابغةَ ، فخافه وهَرب فصار فى غَسّان .

المنخل وهواه لهند بنت عمرو ومقتله

وقيل : إنّ المُنخَّل هذا كان يَهوى هِنْداً بنت عمرو بن هِند ، وفيها يقول :

ولقد دخلتُ على الفتــــاةِ الخِــدْرَ فى اليوم المَطــير
الـكاعِب الحَســناء تَرْ فُل فى الدِّمَقْس وفى الحَرير
فدفعتُهـــا فتـــدافعت مَشْىَ القَطاةِ إلى الغَــدير
ولثَمَتُهـــــا فتنفست كتنفُّس الظَّبْى[1] البَهِــير
ولقـــد شَربتُ من المُدا مة بالـكَبــير و بالصَّـــغير
فإذا سَكِرتُ فإنــنى ربُّ الخَوَرْنق والسَّــدير
و إذا صحــوتُ فإننى ربُّ الشُّوَيْهة والبَعــير
ياهِنْـــدُ هل من نائلٍ ياهِنــد للعانى الأَسـير
وأُحبُّهـــا و تُحبــنى ويُحب ناقتَهـا بعــيرى

و بلغ عمرَو بن هند ذلك ، فقتله .

عود إلى حديث النابغة مع النعمان

قيل : فلما صار إلى غسَّان نَزل بعَمرو بن الحارث الأَصغر بن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر بن أبى شَمِر . وأُم الحارث الأَعرج ماريةُ بنت ظالم بن وَهْب ابن الحارث بن مُعاوية بن ثَور بن مُرتع[2] الـكِنْدية . وهى ذاتُ القُرْطين التى يُضرب بها المثلُ ، فيقال لما يُغْلَى به الثمن : خذه ولو بقُرطَىْ مارية . وأُختها هِند

(١) البهير : المتتابع النفس إعياء وتعبا .

(٢) هو كمحسن ، وكمحدث ، بالتشديد فى الثانى . (انظر القاموس وشرحه) .

الهُنود ، أمرأة حُجْر آكل المُرَار . وإياها عَنى حسّان بن ثابت بقوله فى جَبلة ابن الأَيهم :

أولاد جَفْنَةَ حول قبر أبيهم   قَبْرِ ابن مارية الجَوادِ المُفْضِلِ

مدحه عمرو بن الحارث وأخاه النعمان

فمَدحه النابغةُ ومَدح أخاه النُّعمان ، ولم يَزل مُقيماً مع عمرو حتى مات ومَلك أخوه النُّعمان ، فصار معه إلى أن أستطلعه[1] النُّعمان بن المنذر ، فعاد إليه . فممّا مَدح به النابغةُ عمرو بن الحارث قصيدتَه التى أولُها :

كِلينى لهمّ يا أُميمَة ناصبِ   وليلٍ أُقاسيه بَطىء[2] الكواكبِ
وصَدْرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همّه   تضاعف فيه الحُزْنُ من كُل[3] جانب
تَقاعس حتى قلتُ ليس بمُنْقضٍ   وليس الذى يَهْدِى النُّجومَ[4] بآئب
علىّ لِعمرٍو نِعمةٌ بعد نِعْمة   لوالده ليست[5] بذاتِ عَقارب

ومنها :

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سُيوفهم   بهنّ فُلولٌ من قِرَاعِ[6] الكتائب
إذا أستُنْزِلوا عنهنّ للطعن أرقلوا   إلى الموتِ إرقالَ الجِمال[7] المَصاعب

(١) أى طلب صعوده إليه .

(٢) كليني : دعيني . وناصب : متعب . وبطىء الكواكب : طويل ، فلا تجرى كواكبه ولا تغور .

(٣) أراح : رد . أى إن هذا الليل قد رد إليه ما عزب من همه بالنهار ، لأنه يتعلل نهاراً بمحادثة الناس ، فإذا خلا بالليل راح إليه همه .

(٤) تقاعس : تأخر . والذى يهدى النجوم : أولها ، إذ هادى كل شىء ما يتقدمه . أى إن أول النجوم غير راجع إلى مسقطه ومغيبه . وقيل : المراد بهادى النجوم : الشمس ، لأنها تتقدم النجوم فى المغيب . وكونها غير آئبة ، أى غير راجعة إلى مشرقها ؛ فكأنه ليل لا نهار بعده .

(٥) ليست بذات عقارب ، أى لا يكدرها ولا يمنها .

(٦) فلول : ثلوم . والقراع : المجالدة والمضاربة .

(٧) الإرقال : مشى سريع . والمصاعب : الإبل لم يمسسها الحبل وإنما تقتنى للفحلة .

شعره فى النعمان وهو غلام

وذُكر أنَّ النابغةَ نظر إلى النُّعمان بن الحارث أخى عمرو ، وهو يومئذ غلام ، فقال :

هذا غلامٌ حَسن وجهُه مُقتبِلُ الخيرِ سريعُ التَّمام
للحارث الأكبر والحارث الـ أصغر والأعرج خير الأنام
ثم لهندٍ ولهندٍ فقد أسرع فى الخَيرات منه إمام
خمسةُ آباء هُم ماهُمُ هم خيرُ من يَشرب صَوبَ الغمام (١)

من شعره فى الاعتذار

ومما اُعتذر به النابغةُ ، وهو من أجود الشعر قوله :

حَلَفتُ فلم أترُك لنفسك رِيبةً وليس وراء الله للمرء مَذْهَبُ
ولستَ بمُستبْقٍ أخاً لا تلُمّه على شَعَثٍ أىّ الرِّجال المُهذَّب
لئن كنتَ قد بُلِّغت عنّى جنايةٌ لمُبْلغك الواشى أغشُّ وأكذب

حسان والنعمان فى شأنه

وحَكى حسّان بن ثابت الأنصارى رحمه الله قال : قدمتُ على النُّعمان بن المُنذر وقد اُمتدحتُه ، فأتيتُ حاجبَه عِصاماً فجلستُ إليه . فقال : إنى لأرى عربيًّا ، أفمن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم . قال : فكُنْ قَحْطانيًّا . قلت : فأنا قَحطانىّ . قال : فكُن يثربيًّا . قلت فإنّى يثربىّ . قال : فكُن خزرجيًّا . فقلت: فإنّى خَزرجى . قال : فكن حَسّان بن ثابت . قلت : إنّى حسّان بن ثابت . قال : جئتَ بمِدْحة الملك ؟ قلت : نعم . قال فإنى سأرشدك إذا دخلتَ إليه ، فإنه سيسألك عن جَبَلة بن الأيهم ويسُبّه ، فإياك أن تُساعده على ذلك ، ولكن أمِرَّ ذِكْره إمراراً لا تُوافق فيه ولا تخالف ، وقل : ما دُخول مثلى أيها الملك بينك وبين جَبلة بين الأيهم، وهو منك وأنت منه ! وإن دعاك إلى الطَّعام فلا تُؤاكله ، وإن أقسم عليك فأصِبْ منه اليسيرَ إصابة مُبرٍّ قَسَمَه مُتشرِّف بمُؤاكلته ،

---

(١) الرواية فى الشعر والشعراء : « صفو المدام » .

لا أ كلَ جائعٍ سَغِب ، ولا تَبدأه بإخبار عن شىء حتى يكون هو السائل لك ، ولا تُطل الإقامة فى مجلسه . فقلت : أحسنَ الله رِفْدك ! قد أوصيتَ واعياً . ودخل ، ثم خرج إلىّ فقال : أُدْخُل . فدخلتُ ، فسلّمت وحيّيت تحيةَ الملك . فجارانى من أمر جَبلة ما قاله لى عِصام ، كأنّه كان حاضراً ، وأجبتُ بما أمرنى به . ثم استأذنتُه فى الإنشاد فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلتُ ما أمرنى به عصام ، وبالشراب ففعلت مثلَ ذلك . وأمر لى بجائزة سنيّة ، وأذن لى ، فخرجتُ . فقال لى عصام : بقيتْ علىّ كلمةٌ واحدة لم أُوصك بها : قد بلغنى أنّ النابغة الذُّبيانى قادم عليه ، فليس لأحدٍ منه سواه حظٌّ ، فاْستأذِنْ حينئذ وانصرفْ مُكرَّماً خير من أن تنصرف مَجْفُوًّا . فأقمتُ ببابه شهراً ، ثم قدم عليه الفزاريّان ، وكان بينهما و بين النعمان دُخْلل — أى خاصّة — وكان معهما النابغةُ قد استجار بهما ، وسألهما مُساءلة النُّعمان أن يرضى عنه ، فضَرب عليهما قُبة من أدم ، ولم يشعر بأنّ النابغة معهما ، ودَسّ النابغة قينةً تُغنّيه بشعره :

* يا دارَ ميّة بالعلياء فالسَّند *

فلما سمع الشعر قال : أُقسم بالله إنه لشعر النابغة ! فأُخبر أنه مع الفزاريَّيْن . وكلّماه فيه فأمّنه .

ثم خَرج النُّعمان فى غِبّ سَماء ، فعارضه الفَزاريّان والنابغةُ بينهما قد خُضِب بحِنّاء وقَنَأ [1] خضابُه . فلما رآه النُّعمان قال : هى بدَمٍ كانت أحرى أن تُخضب . فقال الفزاريّان : أبيت اللعن ! قد أَجرناه ، والعفو أجمل . فأَمَّنه . واستنشده أشعاراً بعد ذلك .

---

(١) قنأ خضابه : اشتدت حمرته .

قال حسّان بن ثابت : فحسدتهُ على ثلاث ، لا أدرى على أيّهن كنتُ أشدَّ : على إدناء النُّعمان له بعد المُباعدة ، ومُسامرته[١] له و إصغائه إليـه ، أم على جَودة شعره ، أم على مائة بعير من عَصافيره[٢] أَمَر بها له .

وقيل لأبى عمرو : أفمن مَخافة النُّعمان امتدحه النابغـة وأتاه بعد هَرَبه منه ، أم لغير ذلك ؟ قال : لا ، لعمرُ الله ما لِمَخافته فَعل ، إنْ كان لآمناً من أن يُوجِّه إليـه النعمانُ جيشاً ، وما كانت عشيرته لِتُسلمه لأوّل وَهلة ، ولـكنّه رَغب فى عَطاياه وعَصافيره .

من يساره

وكان النابغة يأكل ويَشرب فى آنية الفضّة والذهب ، من عَطايا النُّعمان وأبيه وجده ، لا يستعمل غيرَ ذلك .

سبب آخر فى رجوعه إلى النعمان

وذُكر أنّ السببَ فى رجوعه إلى النُّعمان بعد هَرَبه منـه أنّه بلغه أنه عليلٌ ، فأقلقه ذلك وما خافه عليه ، وأشفق من حُدوثه به ، فصار إليه ، فألفاه محمولاً على سرير يُنقل ما بين الغَمْر وقُصور الحِيرة . فقال لعصام حاجبه :

أَلَمْ أُقسم عليك لتُخْـبِرَنّى ... أمحمولٌ على النَّعش الهُمـامُ

فإنّى لا أَلومك[٣] فى دُخولى ... ولـكنْ ما وراءك يا عصـام

فإن يَهلِك أبو قابُوس يَهْـلِك ... رَبيعُ الناس والشَّهر[٤] الحَرام

ونُمْسِك بعده بذِناب عيشٍ ... أَجبِّ الظَّهرِ ليس له سَـنام

(١) فى بعض الأصول : « مسايرته » .

(٢) العصافير : إبل نجائب كانت للملوك .

(٣) أى لا ألومك فى ترك الإذن لى فى الدخول ، ولكن أخبره بكنه أمرى .

(٤) يريد أنه كالربيع فى الخصب لمجتديه ، وكالشهر الحرام لجاره ، لا يوصل إلى من أجاره كما لا يوصل فى الشهر الحرام إلى أحد .

وكانت ملوك العرب إذا مَرض أحدٌ منهم حملتْه الرجال على أكتافها يتعاقبونه ، لأنه عندهم أوطأ من الأرض .

من داليته

ومن قصيدة النابغة الدالية التى يعتذر فيها :

نُبئت أنَّ أبا قابوس أَوعدنى ولا قَرار على زأْرٍ من الأَسدِ

مَهلاً فداءٌ لك الأقوامُ كلهمُ وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن وَلد

إن كنتُ قلتُ الذى بُلِّغْتَ مُعتمداً إذاً فلا رفعتْ سَوطى إلىّ يدى

[ج ١٠] أخبار أوس بن حجر (*)

نسبه

هو أوس بن حَجَر بن مالك بن حَزْن بن عُقيل بن خَلَف بن نُمَير بن أسد بن عمرو بن تميم بن أُدّ بن طابخة بن اليأس (١).

وكان شاعراً من شُعراء الجاهليّة وفُحولها.

طبقته

وجَعله أبو عُبيدة من الطبقة الثالثة وقرنه بالحُطيئة ونابغة بنى جَعدة.

وكان أبو عمر يقول: أوس بن حَجر شاعر مُضر، حتى أسقطه النابغةُ وزُهير. فهو شاعر تَميم فى الجاهليّة غيرَ مُدافَع.

مدحه فضالة

وذُكر أنّ أوساً هذا كان غزلاً مُولَعاً بالنساء، فخَرج فى سَفر حتى إذا كان بأرضٍ لبنى أسد، فبينا هو يسير ظلاماً إذ جالت به ناقتهُ فصرعتْه، فاندقّت فَخِذاه، فبات مكانَه، حتى إذا أصبح غدا جَوارى الحىّ يجتنين الكَمْأة وغيرَها من نَبات من الأرض، والناسُ فى ربيع. فبينا هُنّ كذلك إذ بَصُرن بناقته تجُول وقد عَلِق زمامها بشجرة وأبصرْنَه مُلْقًى، ففزِعْنَ فهرَبْن. فدعا بجارية منهنّ فقال لها: من أنت؟ فقالت: أنا حليمةُ بنت فَضَالة بن كَلَدة. وكانت أصغرهن. فأعطاها حَجَراً وقال لها: اذهبى إلى أبيك فقولى: ابنُ هـذا يُقرئك السلام. فأتته فأخبرتْه. فقال: يا بُنَيّة، لقد أتيتِ بمَدحٍ طويل أو هجاء طويل.

(*) مر ابن واصل عن ترجمتين قصيرتين: إحداهما للحارث بن حلزة: والثانية لعمرو بن كلثوم. فلم يذكر منهما شيئاً ولم يذكر علة ذلك. كما أغفل شيئاً آخر عن الهجاء بين جرير والأخطل وسببه، وقد تحدث عنه أبو الفرج فى غير إطالة.

(١) وساق نسبه ابن حزم فى «جمهرة أنساب العرب» (ص ٢٠٠) فقال: أوس بن حجر بن عتاب بن عبد الله بن عدى بن نمير بن أسيد بن عمرو بن تميم «وتميم هو ابن مر بن أد بن طابخة».

ثم أحتمل هو وأهلُه حتى بنى عليه بيتَه حيث صُرع ، وقال : لا أتحوّل أبداً حتى تبرأ . فأقام عنده وحليمةُ تقوم عليه حتى أستقلّ و برىء . فمدحه مدائحَ كثيرةً .

رثاؤه فضالة

ورثاه لما مات بقصيدة أوّلُها :

* يا عينُ لا بُدّ من سَكْبٍ وتَهْمَالِ *

يقول فيها :

أبَا دُلَيجـــةَ مَن تُوصى بأرمـــلة ... أم من لأَشعثَ ذى طِمْرَيْن مِمْحالِ

أبا دُليجـــة من يكفى العشـــيرةَ إذ ... أمسَوْا من الأمرِ فى لَبْسٍ و بَلْبـال

لا زالَ مِسْكٌ ورَيحانٌ له أَرِجٌ ... على صَـداكَ[1] بصافِى اللّون سَلْسَال

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء وأفتتح به أبو الفرج أخبار أوس بن حَجر، هو :

إنّى أرِقْتُ ولم يأرَق معى صـاحِ ... لمُسْتَكفٍّ[2] بُعَيْـد النَّوم لَوّاحِ

دانٍ مُسِفٍّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيدبُه ... يكاد يدفعــــه مَن قام[3] بالرّاح

إنْ أشربِ الخمرَ أو أُغلى بهـا[4] ثمناً ... فلا مَحـــالةَ يوماً أنّنى صـــاحى

---

(١) الصدى ، هنا : الجثة حيث تأوى فى قبرها . وصافى اللون : ماء المطر . يدعو لقبره بالسقيا .

(٢) مستكف : مستدير .

(٣) مسف : قد أسف على وجه الأرض ودنا وقرب . والهيدب : ما يرى كالمتعلق بالسحاب. يصف السحاب بالثقل حتى إن القائم يكاد يمسه براحته .

(٤) فى التجريد « أو أرزأ لها ثمناً » .

أخبار ورقاء بن زهير العبسي

ومقتل أخيه شأس، وأبيه زهير، وخالد قاتل أبيه

نسبه

هو وَرقاء بن زُهير بن جَذِيمة بن رَوَاحة بن رَبيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغيض بن رَيث بن غَطَفان بن سَعد بن قَيس عَيلان بن مُضر ابن نزار.

مقتل شأس

وذُكر أنّ شأس بن زُهير أقبل من عنــد الملك النعمان بن المُنذر، وكان بينه و بين أبيه زُهير صِهْر، كانت أبنةُ زُهير عنده. فأقبل شأسٌ من عنده وقد حَباه الملك وكساه أفضلَ الحِباء. وممّا حَباه به قطيفةٌ حمراء ذات هُدب، وطِيب. فمرّ بخِباء لرِياح بن الأشَلّ، [1] أحدِ بنى عُبيد بن سَعد، فيه أهلُه، وذلك وقتَ الظَّهيرة. فألقى شأسٌ رَحلَه بفنائه ثم قَعد يُريق الماء، وأمرأة رِياح قريبةٌ منه. فقال رِياح لأمرأته: أنْطِينى [2] قَوْسى. فألقت إليه قوسَه وسهماً قد أنتزعت منه نصلَه لئلّا يقتُلَه، فرماه بالسَّهم فوقع بين فَقارتين من ظهره ففصلهما، وخرّ ساقطاً. فحفرَ له حَفراً فدَفنه فيه، ونَحر جملَه فأكله. فأقبلت عَبس تقُصّ أثره، فلم يتّضح لهم أمرُه، فمكثوا كذلك ما شــاء الله حتى رأَوْا أمرأة رِياح باعت بعُكاظ قطيفةً حمراء، أو بعض ما كان من حِباء الملك. فتيقّنوا حينئذ أنّ رِياحاً قتله. ولَحِق رياحٌ بخاله من بنى الطّمّاح من بنى أسد بن خُزَيمة، فكان يكون اللَّيل عنده، وإذا أحسّ بالصُّبح ذَهب يتصيّد الأرْوَى. فأصبح ذاتَ يوم عند

(١) هذا رواية التجريد والكامل لابن الأثير (١ : ٤١١). وفى غيرها: «رياح بن الأسك».
(٢) أى أعطينى.

خاله ، و بنو عَبس تُريغه (١) ، فركب خالُه جملاً وأركبه وراءه . فبينما هما كذلك إذ دنت عَبس ، فقالوا : هذه خيل عَبس تطلبك . فقصد رِياحٌ شجرةً فحفر له حُفرة فى أصلها وتوارَى فيها . ولقيت الخيلُ خالَه فقالوا : هل كان معك أحــدٌ ؟ قال : لا . قالوا : فما هذا المَركب خلفك ؟ لتخبّرنا أو لنقتلنّك . قال : لا كذِبَ، هو رِياح ، ودلّهم عليه . فلما دنَوْا منه، قال الُحصين بن زُهير بن جَذيمة ، أخو شأس، وابن عمه الُحصين بن أسد بن جَذيمة : يا بنى عَبس ، دعُونا وثأرَنا . فَخَنَسُوا (٢) عنهما . وأخذ رياح نعلَيْن فصيَّرهما على صدره حِيالَ كبدِه . وحمل عليه أحدُهما فطَعنه فأزلّت النعلُ الرُّمحَ وأخذ الرُّمحُ جَنْبَ شاكِلته (٣) فشَلّه . ورماه رياحٌ مولِّيًا فجذم صُلْبَه ، ثم جاء الآخر فطَعنه، فلم يُغنِ شيئاً ،ورماه رياحٌ مولِّيا فصرعه. فقالت عَبس : إلى أين تذهبون ؟ إلى هذا ؟ والله ليقتلنّ منكم عدَد قوائمه (٤) ، وقد جرحاه فسيموت : وأخذ رياحٌ رُمحيهما وسَلَبَيْهما وخرج يشتدّ ، فرأته عجوزٌ من بَغيض وقد دَنا من (٥) حوض ماء ليشرب ، وهو شديد العَطش ، فطمعتْ فيه ، فقالت : اُســتأسر . فقال : دَعينى ويحك أشرب . فأَبت عليه . فأخــذ مِشْقصاً (٦) وقطع به رواهشَهــا (٧) ، فماتت. وعَبّ فى المــاء حتى رَوِى ، ثم أتى قومَه .

ذكر قتل زهير بن جذيمة العبسى

قيل كان بين مَقتل شأس بن زُهير وأبيــه زُهير ما بين عِشرين سنةً إلى ثلاثين سنة . وكانت هوازن بن مَنصــور لا ترى زُهيرا إلا ربًّا لها ، وكان قد

(١) تريغه : تطلبه . (٢) خنسوا : تأخروا وتنحوا .
(٣) الشاكلة : الخاصرة . (٤) فى غير التجريد : « مراميه ».
(٥) فى بعض أصول الأغانى: « وهو يستدمى على الحوض » أى وقد طأطأ رأسه يقطر منه الدم.
(٦) المشقص : النصل العريض . (٧) الرواهش : عصب وعروق فى باطن الذراع .

أُستذلّها زُهير وقهرها ، فكان زُهير يعشُرهم ، [(١)] فكان إذا كان سُوق عُكاظ أتاها زُهير ، ويأتيها الناسُ من كل جانب ، فتأتيه هوازن بالإتاوة التى كانت له فى أعناقهم من السَّمن والأَقِط والغَنَم ، فأتته عجوز من بنى مُضر بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بسَمن فى نِحْيٍ ، واعتذرت إليه وشَكت السِّنين اللواتى تتابعْن على الناس . فذاقه فلم يَرْض طعمَه ، فضَرب صدرَها بقَوسٍ كانت فى يده ، فوقعت على ظَهرها وبدت عورتُها ، فغضبتْ لذلك هوازن على زُهير واشتدّ حقدُها عليه ، مع ما كان عندها له من الغيظ والحَسد . وقال خالد بن جعفر بن كلاب : والله لأجعلنّ ذِراعى وراء عنُقه حتى أُقتل أو يُقتل . وانفرد زُهير عن قومه ببَنيه وبَنى أخويه ، وهم أَسيد وزِنباع ، [(٢)] ومعه إبلٌ له ، فنَزل منزلاً يقربُ من بنى عامر وهو لا يشعر بقُربهم منه ، وكانت زوجتُه تُماضر بنت عمرو ابن الشَّريد السُّلمى ، وهى أم ولده ، فمرّ بها أخوها الحارثُ بن عمرو بن الشَّريد، فقال زُهير لبَنيه : إنّ هذا الحِمار لطليعةٌ عليكم فأَوثقوه . فمنعتْهم أُمهم من ذلك ، وقالت لأخيها : إنه ليَريبُنى أمرُك . ثم حلبوا له وَطْباً من لبن وأَحلفوه يميناً ألّا يُنْذِر بهم أحدًا . فخرج حتى أتى بنى عامر فى ناديهم ، فأَتى شجرةً فأَلقى وَطْبَ اللبن تحتها. والقوم ينظرون إليه ، ثم قال : أيتُها الشجرة الذّليلة ، اُشربى من هذا اللبن فانظُرى ما طَعْمُه . فقال أهلُ المجلس : هذا رجل مأخوذ عليه عهد وهو يخبركم خبراً . فأتوه ، فإذا هو الحارث بن عمرو ، فذاقوا اللبن فإذا هو حُلو لم يَقْرُص بعد . فقالوا : إنه ليُخبرنا أنّ مَطلبنا قريبٌ . فركب معه ستةُ فوارسَ لينظُروا ما الخبر ، وهم : خالد بن جعفر بن كلاب، على فرسه المُسمّاة حَذْفة، وحُندج بن البَكّاء، ومُعاوية بن عُبادة بن عُقَيل ، فارس الهرّار ، وهو الأخيل جَدّ ليلى الأخيلية ، وهو

(١) عشيرهم : يأخذ عشر أموالهم .
(٢) فى التجريد : « ضباع » .

يومئذ غُلام له ذؤابتان ، وهو أصغر مَن رَكِب ؛ وثلاثُ فوارس من سائر بنى عامر . فاقتصُّوا أثر الحارث بن الشَّريد ، فلما رأوا إبلَ بنى جَذيمة نزلوا عن الخيل . فقالت النساء : إنّا لنَرى حَرَجةً من عِضاهٍ أو غابةَ رماح بمكانٍ لم نكُن نرى به شيئاً . ثم راحت الرِّعاء فخبّروا بمثل ما قالت النساء . وأخبرت راعيةُ أَسِيد بن جذيمة أَسِيداً بذلك . فأتى أَسيد أخاه زُهيرا فأخبره بما أخبرتْه به الراعية ، وقال : إنها إنما رأتْ خيلَ بنى عامر ورماحَها . فقال له زُهير : كُلّ أزبّ نَفُوز [(١)] — فذهبت مثلاً. وكان أَسِيد كثيرَ الشَّعر — وأين بنو عامر ! أمّا بنو كِلاب فكالحيّة إن تركْتَها تركتْك ، وإن وطئتها عضّتك ؛ وأما بنو هلال فيبيعون العِطر . فتحمّل عامةُ بنى رَواحة ، وآلى زُهير لا يبرح مكانَه حتى يُصبح . وتحمّل مَن كان معه غيرَ ابنيه : ورقاء، والحارث . فصَبحهم القوم غُدوةً ، فركب أَسيد فَرسه ونجا بها . ووثَب زُهير على القَعساء فرسه فركبها ، وهى يومئذ عَقُوق متمرِّدة . واعرورى [(٢)] ورقاء والحارث ابناه فَرَسيْهما ، ثم خالفوا جهةَ مالِهم ليُعَمُّوا على بنى عامر جهةَ ما لهم فلا يأخذُوه . ونادى بعضُ بنى عامر بشعار أهل اليمن ليُعَمِّى على الجذَميّين من القوم . فقال زُهير : هذه اليمن قد أعلمت أنّها أهل اليمن . وتمرّدت القعساء بزُهير ، وأتبعه خالد بن جعفر على فرسه حَذْفة . فلما رأى خالدٌ فرسه حَذفة لا تَلحق القَعساء قال لمعاوية الأخيل بن عُبادة ، وهو على فرسه الهَرّار : أدرِكْ مُعاويَ . فأدرك معاويةُ زُهيراً ، وجعل ابناه وَرقاء والحارث يذُبّان عن أبيهما. فقال خالد لمعاوية : اطعُن يا معاوية فى نَساها [(٣)] ، فطَعَنها فى إحدى رجليها ، فانخزلت القعساء بعضَ الانخزال، وهى فى ذلك تَعدو أشدَّ عدو . فقال له

---

(١) الأزب : الذى كثرت شعرات حاجبيه ، فإذا ضربتها الريح نفر .

(٢) اعرورى الفرس : ركبها عارية من غير سرج .

(٣) النسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر .

زُهير : اطعُن الأُخرى ، يكيده بذلك لكى تَستوى رجلاها فتحامَلَ (١) .
فناداه خالد : أُطعُن مكاناً واحداً . فطعَنها فى رجلها المَطعونة ، فانخزلت ، ولحَقه
خالدُ بن جعفر على حَذْفة ، فجعل يدَه وراء عُنقه فقلبه ، وخَرّ خالدٌ عن فَرسه ،
فوقع فوقه ، ورفع المِغفر عن رأس زُهير بن جَذيمة ، ونادى : يا آل عامر ، اقتلُونا
معاً . فعرف زُهير وأبناه أنهم بنو عامر ، وكانوا يظُنونهم من اليَمن . فقال ورَقاء
ابن زُهير : وانقطاعَ ظَهراه ! إنها لبَنو عامر ! سائرَ اليوم . ولحق خُندج بن
البَكّاء ، وقد حَسَر خالدٌ المِغفر عن رأس زُهير ، فقال لخالد : نَحِّ رأسَك يا أبا
جَزْء ، لم يَحِن يومُك . فنَحَّى خالدٌ رأسَه . فضَرب خُندجٌ رأس زُهير ، وضربَ
ورقاء بن زُهير رأسَ خالد بالسيف ، وعليه دِرْعان ، فلم يُغْن شيئاً . وانتزع ابنا زُهير
أباهما من القوم . ورَجع القوم ومَضى ابنا زُهير بأبيهما . وكان السيفُ قد بلغ دِماغَه .
ومنع بنو زُهير أباهم من شُرب الماء خوفاً عليه ، فاستسقاهم فمنعوه . واشتدّ به
العطشُ . والمَأموم يُخاف عليه من شُرب الماء . فألحّ عليهم فى طَلب الماء .
فسقَوْه . فمات لثالثة .

شعر ورقاء فى مقتل زهير

فقال ورقاء بن زُهير :

رأيتُ زُهيراً تحت كَلكل خالدٍ ... فأقبلتُ أسعى كالعَجُول (٢) أُبادِرُ
إلى بطلَيْن يَنهضان كلاهما ... يُريغان نَصْلَ السَّيف والسيفُ (٣) نادر
فشَلَّت يَمينى إذ ضربتُ ابنَ جَعفرٍ ... وأحرزه منِّى الحديدُ المُظاهَر
فيا ليتنى مِن قبل أيّام خالدٍ ... ويومِ زُهير لم تَلِدْنى تُماضِر

شعر خالد بن جعفر فى مقتل زهير

وقال خالد بن جَعفر يَمُنّ على هَوازن بقَتله زُهير بن جَذيمة :

بل كيف تكفُرنى هوازنُ بعد ما ... أعتقتُهم فتوالدُوا أحرارَا

(١) أى فتتحامل ، حذف إحدى التاءين .
(٢) العجول : التى فقدت ولدها ، فهى عجلة جيئة وذهاباً لجزعها .
(٣) يريغان : يطلبان . ونادر : ساقط .

وقتلتُ ربهمُ زُهيراً بعد ما جَدع الأُنوف وأكثر الأوتارا
وجعلتُ مَهر بَناتِهم ودمائهم عَقْلَ المُلوك هجائناً أبكارا
وجعلتُ حَزْنَ بلادهم وجبالهم أرضاً فضاءً سهلةً وعِشارا

للفرزدق فى مقتل خالد

وفى ضربة ورقاء رأسَ خالدٍ يقول الفرزدقُ :

إن يكُ سيفٌ خانَ أو قدَرٌ(١) أتى لتأخير نفسٍ حَتْفُها غيرُ شاهد
فسيفُ بنى عَبْسٍ وقد ضربوا به نَبَا بيدَىْ وَرْقاءَ عن رأسِ خالد
كذاك سيوفُ الهِند تَنْبو ظُباتُها وتقطَع أحياناً مناطَ القلائد

ذكر مقتل خالد بن جعفر

قاتل زهير

ذُكر أنّ خالدَ بن جعفر كان أغار على رَهط الحارث بن ظالم ، من بنى يَربوع بن غَيْظ بن مُرّة ، وهم بوادٍ يقال له : حُرَاض . فقَتل الرجالَ حتى أسرف فيهم . والحارثُ بنظالم يومئذ غلامٌ . وبَقيت النساء . ويقال : إنّ ظالماً هَلك فى تلك الوَقعة من جِراحة أصابته يومئذ . ونشأ الحارث على بُغض خالد ، وأردف ذلك قتلُ خالدٍ زُهيراً ، فاُستحقّ العداوةَ فى غَطفان . فمكث خالدُ بن جعفر بُرهةً من دهره ، وهو يومئذٍ رأسُ هوازن . ثم إنه وفَد على النّعمان بن المُنذر وأهدى إليه فرساً . فألفى عنده الحارث بن ظالم المُرّى . فقَدّم لهم النعمان تمراً . فطَفِق خالدُ ابن جَعفر يأكل ويُلْقِى النّوى قُدَّام الحارث . فلما فَرغ القومُ قال خالد : أبيتَ اللعن ! أنظُر إلى ما بين يدى الحارث من النّوى . ثم قال : إن الحارث لم يترُك لنا تمراً إلا أكله . فقال الحارث : أمّا أنا فأكلتُ التمر وألقيتُ النّوى ، وأما أنت يا خالد فأكلْته بنواه . فغَضب خالدٌ ، وكان لا يُنازَع . فقال : أتُنازعنى

(١) فى البيت خرم ، وهو حذف الحرف المتحرك من أول البيت . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « أتى » مكان « أبى » .

يا حارث وقد قتلتُ حاضرتَك وتركتُك يتيماً فى حُجور النساء . فقال : ذلك يومٌ لم أشهده ، وأنا مُغنٍ اليومَ بمكانى . قال خالد : فهلاّ تشكُر لى إذ قتلتُ زهيرَ ابن جَذيمة وجعلتُك سيدَ غطفان . فقال الحارث : سأشكرك على ذلك . فخرج الحارثُ بن ظالم إلى بيت قَينة ، فشَرِب عندها وتغنَّى . فقال :

تعلَّم أبيتَ اللعنَ أنِّىَ [1] قاتلٌ ... من اليومِ أو من بعده لا بنَ [1] جَعْفر

أخالدُ قد نَبَّهتنى غيرَ نائم ... فلا تأْمَنَنْ فَتْكى يدَ الدهرِ واحذر

أعيَّرتَنى أنْ نِلْتَ منّا فوارساً ... غداةَ حُراضٍ مثلَ جِنّان [2] عَبْقَر

أصابهمُ الدهرُ الخَتُور [3] بعثْرةٍ ... ومَن لا يَقِ اللهُ الحوادثَ يَعْثُر

فعلّك يوماً أن تبُوء [4] بضَربة ... بكفِّ فتًى من قومه غير [5] جَيْدر

يُغصّ [6] بها عُلْيا هوازن ، والمُنَى ... لقاء أبى جَزْء [7] بأبيض مِبْتَر

فبلغ خالدَ بن جعفر قولُه فلم يَحْفِل به . فقال عبدُ الله بن جَعدة ــ وهو ابن أُخت خالد ، وكان رجلَ قيسٍ رأياً ــ لابنه : يا بُنى ، ائت أبا جَزء فأخبره أنّ الحارث سفيهٌ موتور . فأخْفِ مبيتك الليلةَ فإنه قد غلبه الشرابُ . فإن أبيتَ فاجعل بينك و بينه رجلاً يَحرُسك . فوضعوا رجلاً بإزائه . ونام ابنُ جعدة دون الرَّجل . وخالدٌ من خلف الرجل . فأقبل الحارثُ بن ظالم فانتهى إلى ابن جعدة فتعدّاه . ومضى إلى الرجل الذى يحرُس خالداً فعجنه بكَلْكله حتى كسره ، ثم مَضى إلى خالد بن جعفر فضَربه بالسَّيف حتى قتله، ثم قال لعُروة، [8] وهو الذى كان يحرس خالداً : أخبر الناسَ أنى قد قتلتُ خالدا . وقال فى ذلك :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أنى فاتك » ... بابن جعفر .
(٢) عبقر : موضع ، تزعم العرب أنه كثير الجن .
(٣) الختور : الغادر الخادع . (٤) فى غير التجريد : « تنوء » .
(٥) الجيدر : القصير . (٦) فى التجريد : « يفض » .
(٧) أبو جزء : كنية خالد بن جعفر .
(٨) هو عروة بن عتبة ، ابن أخى خالد ، وكان يحرس عمه خالداً مع ابن جعدة .

ألا سائلِ النُّعمانَ إن كنتَ سائلاً وحَيَّ كِلابٍ هل فتكتُ بخالدِ
عَشوتُ إليه وابنُ جعدَة دونه وعُروة يَكْلا عَمَّه غيرَ راقدِ
فأضربُه بالسَّيف يأفوخَ رأسه فصمّ حتى نال نُوطَ [(١)] القلائد
وأفلتَ عبدُ الله مِنِّى بذُعره وعُروةُ من بعد أبن جَعدةَ شاهدى

ثم لحق الحارثُ بن ظالم المُرِّى بحاجب بن زُرارة . فاستجار به فأجاره. ووعَده أنْ يمنعه من بنى عامر . وبلغ بنى عامر مكانه فى بنى تميم ، فساروا فى عُلْيا هوازن ، فلما كانوا قريباً من القوم فى أول وادٍ من أوديتهم ، خرج رجلٌ من بنى غَنِىّ ، فإذا هو بامرأة من بنى تميم ، ثم من بنى حَنظلة ، تجتنى الكَمأة . فأخذها فسألها عن الخبر. فأخبرتْه بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زُرارة ، وما وعَده من نَصره ومَنْعه .فانطلق بها الغَنوىُّ إلى رَحله . ثم انسلّت فى وسط من الليل . فأتى الغنوىُّ الأحوصَ بن جعفر فأخبره أن المرأة قد ذَهبت ، وقال : هى مُنذرةٌ عليك . فقال له الأحوصَ : ومتى عهدُك بها ؟ قال : عهدى بها والمنىُّ يقطُر من فرجها . قال : وأبيك إن عهدك بها لقريب . وتبع المرأةَ عامرُ بن مالك يقُصّ أثَرها حتى انتهى إلى بنى زُرارة ، والمرأة عند حاجب ، وهو يقول لها : أخبرينى أىُّ قوم أخذوك ؟ قالت : أخذنى قومٌ يُقبلون بوجُوه الظِّباء ، ويُدبرون بأعجاز النساء . قال : أولئك بنو عامر . قال : فحدِّثينى مَن فى القوم . قالت : رأيتُهم يَغدون على شيخٍ كبير لا ينظرُ بمأْقَيْه [(٢)] حتى يَرفعوا له مِن حاجبَيْه . قال : ذاك الأحوص بن جعفر .قالت : ورأيتُ شابًّا شديدَ الخَلق كأنّ شَعْر ساعديه حَلَق الدِّرع . قال : ذاك عُتبة بن بَشِير بن خالد . قالت : ورأيتُ كهلاً إذا أقبل ، معه فتَيان، يشرئبّ القوم إليه ، وإذا نطق أنصتوا . قال : ذاك عمرو بن خُوَيلد ،

(١) يأفوخ الرأس : ملتقى عظم المقدم والمؤخر . وصمم : مضى . ونوط : جمع نياط ، وهو من كل شىء : معلقه. (٢) مأق العين وموقها : مؤخرها ، أو مقدمها .

والفَتيان أبناه . قالت : ورأيتُ شابًّا طُوالاً حُساناً إذا تكلّم بكلمة أنصتوا له ثم يَئولُون[١] إليه كما تؤولُ الشَّولُ[٢] إلى فحلها . قال : ذاك عامر بن مالك . فدعا حاجبٌ الحارثَ بن ظالم فأخبره خبرَ القوم . وقال: يا بن ظالم ، هؤلاء بنو عامر قد أتوْك ، فما أنت صانعٌ . قال الحارث : ذاك إليك ، إن شئت أقمتُ و إن شئتَ تنحّيت . فقال حاجبٌ تَنحَّ عنى غيرَ ملوم .

فغَضِب الحارث من ذلك ، وقال :

لَعمرى لقد جاورتُ فى حَىٍّ وائلٍ ... ومِن وائل جاورتُ فى حَىِّ تَغلِبِ
فأصبحتُ فى حىِّ الأراقم لم يقُل ... لِىَ القومُ يا حارِ بنَ ظالمٍ اُذهَب
وقد كان ظَنّى إذ علقتُ إليكُمُ ... بنى عُدُس ظَنِّى بأصحاب يَثْرِب
غداةَ أتاهم تُبَّعٌ فى جُنوده ... فلم يُسْلِموا المَرَّار من حَىِّ يَحْصُب
فإن تكُ فى عُلْيا هوازنَ شوكةٌ ... تُخاف ففيكم حَدُّ نابٍ ومِخْلَب
فإن يَمنع المرءُ الزُّرارىُّ جارَه ... [٣] فما حاجبٌ فى خِنْدِف بمُسيَّب
و إن يُسلِم المرءُ الزُّرارىُّ جارَه ... فأَعْجِب بها من حاجبٍ ثم أعجِب

فغَضب حاجبٌ ثم قال :

لعَمْرُ أبيك الخيرِ يا حارِ إنّنى ... لأَمنعُ جاراً من كُلَيبِ بن وائلِ
وقد عَلِم المرءُ المَعدِّىُّ أنّنا ... على ذاك كُنّا فى الخطوب الأوائل
وأنّا إذا ما خاف جارٌ ظُلامةً ... لَبِسنا له ثوْبَىْ وَفاء ونائل
وأنّ تَميماً لم تُحارب قبيلةً ... من النّاس إلا أُولعتْ بالكواهل
ولو حاربتْنا عامرٌ يابْنَ ظالمٍ ... لَعضَّتْ علينا عامرٌ بالأَنامل
ولاستيقنت عُلْيا هوازنَ أنّنا ... سنُوطِئُها فى دارها بالقنَابل

(١) يئول : يسرع . (٢) الشول : الناقة خف لبنها وارتفع ضرعها .
(٣) هذا العجز ساقط فيما بين أيدينا من أصول الأغانى وكذلك صدر البيت التالى .

ولـكنّنى لا أبعثُ الحَرْب ظالمـاً ولو هِجْتُها لم أُلْفَ شَحْمَةَ آكِل

فتنحّى الحارثُ بن ظالم عن بنى زُرارة فلَحق باليمامة . ودعا حاجبٌ مَعبداً ولَقيطاً ، ابنى زُرارة ، فقال : سِيرَا فى الظُّعْن فإنّ موعدكا رَحرحان ، وإنّا مُقيمون فى حامية الخيـل حتى تأتينا بنو عامر . وخرج عامر بن مالك إلى قومه بالخبر . فقالوا : ما تَرى ؟ قال : أن تَدعوهم بمكانهم وتَسبقوهم الى الظُّعن . فلقَوها برَحْرحان ، فاُقتتلوا قتالاً شديدا ، فأصابوها ، وأُسر مَعبد وجُرح لقيط . وبَعثوا بمَعْبد إلى رجُل بالطائف من أهلها كان يُعذِّب الأَسرى ، فقطّعه إرْباً إرْباً ، حتى قتله . وقال عامرُ بن مالك يُجيب حاجباً :

أَلِـكْنى[1] إلى المَرء الزُّرارىّ حاجبٍ رئيسِ تَميم فى الخُطوب الأَوائـلِ
وفارِسهـا فى كُل يومِ كـريهةٍ وخـيرِ تَميمٍ بين حَافٍ وناعِـل
لعَمْرى لقد دافعتُ عن حَىّ مالكٍ شآبيبَ من حَرْبٍ تَلقّح[2] حائل
على كُلّ جَـرداءِ السَّراةِ طِمِرَّة وأجْرَدَ خَـوَّارِ العِنـان[3] مُنـاقِل
نصحتُ له إذْ قلتُ إنْ كنتَ لاحقاً بقَوْمٍ فلا تَعْدِل بأبنـاء وائل
ولو ألجـأتْه عُصـبةٌ تَغلبيّـةٌ لسِرْنا إليهـم بالقَنـا والقنَابل
ولو رُمتُمُ أنْ تمنعـوه رأيتُمُ هناك أُموراً غِبُّها[4] غير طائل
لشابَ وَلـيدُ الحىّ قبل مَشيبه وعضَّت تميمٌ كُلُّهـا بالأَنامل
وقامتْ رجال منـكُم خِنْدِفيّةٌ يُنـادون جَهـراً ليتنـا لم نُقاتِل

---

(١) ألكنى ، أى كن رسولى .

(٢) شآبيب : دفعـات . وتلقحت الناقة : شالت بذنبها ترى أنها لاقح لئلا يدنو منها الفحل . والحائل : التى لم تحمل .

(٣) الجرداء : القصيرة الشعر ، وهو مدح لها . والسراة : الظهر . والطمرة : المتوثبة للعدو . وخوار العنان : سهل الانقياد . والمناقل : الذى يحسن نقل رجليه ويتقى الحجارة فى عدوه .

(٤) فى غير التجريد : « غيها » .

ذكر مقتل الحارث بن ظالم

قيـــل :

وخرج الحارث بن ظالم فَوْره ذلك حتى أتى سَلْمى بنت ظالم ، وفى حِجْرها ولدُ النُّعمان بن المُنذر ، فقال لها : إنه لن يُجيرنى من النُّعمان إلا تَحَرُّمى بابنه ، فادفعيـــه إلىّ . وقد كان النُّعمان بعث إلى جارات للحارث بن ظالم فسباهُنّ . فدفعتْ سلمى ابنَ النُّعمان إلى الحارث . فقتله الحارث . فوثب النُّعمان على عمّ الحارث ابن ظالم ، فقال : لأقتلنَّك أو لتأتينّى بابن أخيك . فاعتذر إليه . فخلّى سبيله . وقال الحارث فى قتله ابن النُّعمان :

حَسِبت أبا قابوس أنك ظـالمى ... ولَـمَّا تُذُق فَتْكى[1] وأنفُك راغِمُ

فإنْ تكُ ذَوداً قد[2] أصبتَ ونسوةً ... فهـــذا ابنُ سَلْمى أمرُه مُتفاقِمُ

علوتُ بذِى الحيّات[3] مَفْرِقَ رأسه ... وكان سِلاحى تجْتويه[4] الجَماجم

فتكتُ به فَتكاً كفَتْكى[5] بخالد ... وهل[6] يركبُ المَكروهَ إلّا الأكارم

بدأتُ بهـذِى ثم أثْنى[7] بمثلهـا ... وثالثــةٍ تَبيضُّ منها المَقادم

ثم إنَّ النُّعمان بن المُنذر آمنـه ، فأقام حيناً . ثم إنَّ مُصدِّقاً للنُّعمان أخذ إبلاً لامرأة يقالُ لَها : ذاهب[8] . فأتت الحارثَ بن ظالم فعلَّقت دَلْوها بدَلْوه ، ومعها بُنَىّ لَها ، فقالت : أبا ليلى ، إنى أتيتُك مُضافة[9] . فقالَ لَهـا الحارث : إذا أورد القومُ النَّعَم فنادِى بأعلَى صوتك :

---

(١) الرواية فى بعض أصول الأغانى : « حسبت أبيت اللعن أنك فائت * ولما تذق نكلا » .

(٢) فى غير التجريد : « فإن تك أذوادا أصبت » : (٣) ذو الحيات : سيفه .

(٤) فى المفضليات : وتجتويه أى لا توافقه . والذى فى التجريد وأصول الأغانى : « تحتويه » .

(٥) فى التجريد : « فتكت به كما فتكت بخالد » .

(٦) فى بعض أصول الأغانى « ولا » .

(٧) فى التجريد : « بدأت بتلك وانثنيت بهذه » .

(٨) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « دهث » . (٩) المضافة : الملجأة .

دَعَـــوتِ بالله ولم تُراعى ذلك راعيـــكِ فنعم الرَّاعى
وتلك ذَوْدُ الحارث[1] الـكَسَّاع يَمشى لهَـــا بصارمٍ قطَّاع
يَشفى به مَجامع الصُّـــداع

وخرجَ الحارث بن ظالم فى إثرها ، وهو يقول :

أنا أبو ليلَى وسَـيفِى[2] المَعْلوبْ كم قد أجرنا مِن حَريبٍ مَحْروبْ
وكم رَدَدْنا مِن سَليبٍ مَسـلوب وطَعنـــةٍ طعنتُهـــا بالمَنْصوب
ذاكَ جهيزُ الموت عند المَــكروب

ثم قالَ لها : لا تردنَّ عليك ناقة ولا بعيرٌ تَعرفينه إلا أخذتِه ، ففعلت . فأتَتْ على لَقُوحٍ لها يحلِبُها حبشىٌ ، فقالتْ : يا أبا ليلى ، هذه لى . فقالَ الحَبشىّ : كذبتِ . فقال الحارث ؟ أَرْسلها لا أمَّ لك . فضَرط الحبشىّ . فقال الحارث : أُست الحالب أعلم . فأَرسلها مثلا . وأَسِف النُّعمان بن المُنذر على فَوت الحارث بن ظالم ، فلُطف له وراسله وأَعطاه الأمانَ ، وأشهد على نفســه فيه وُجوهَ العرب مِن رَبيعة ومُضَر واليمن أنه لا يطلُبُــه بذَحْل ولا يسوءه بحال ، وأَرسل به مع جماعـــة له يسكُن إليهم ، وأَمَرهم أن يتكفَّلوا له بالوفاء ، ففعلوا ذلك ، وسكن إليهم الحارث . فأتى النُّعمانَ ، وهو فى قصر بنى مُقاتل ، فقال للحاجب: اُستأذن لى ـ والناسُ يومئـذ عند النعمان مُتوافرون ـ فاُستأذن له . فقال النعمان : إيذن له وخُذ سيفه . فقال : ضَع سيفك وأُدخل . فقال الحارث : ولم أضعُ سيفى ؟ قال: ضعْه ولا بأس عليك . فلما أَلحَّ عليه ، وَضعه ودخل عليه ومَعَـه الأمان . فقال لما دخل : أَنعم صباحاً ، أَبيتَ اللعن . فقال : لا أنعم الله صباحك ! فقال الحارث : هذا كتابُك . فقالَ : إى والله ما أُنـكره ، وأنا كتبتهُ إليك ، وقد غَـدَرتَ وفتكتَ مِراراً ، فلا ضير

(١) الـكساع : مبالغة من كسعهم بالسيف ، إذا اتبع أدبارهم فضربهم به .
(٢) المعلوب : سيفه .

أن أغدر بك مَرّةً واحدة . ثم نادى : مَنْ يقتُل هذا ؟ فقام ابنُ الخِمْس التَّغلبي ـ وكان الحارث فَتَك بأبيه ـ فقال : أنا أقتلُه . فقال الحارث : يابن شرِّ الأظْماء ، أنتَ تقتلني ! فقتله وأخذ ابنُ الخِمس سيف الحارث بن ظالم المَعلوب ، فأتى به سُوق عكاظ ، فجعل يَعرضه على البيع ويقول : هذا سيف الحارث بن ظالم . فرآه قيس بن زهير بن جَذيمة ، فطلبَ منه أن يُريه إياه . فعلاه به فى الحَرَم حتى قَتَله . وإنما فعل ذلك أنتقاماً للحارث بن ظالم ، جزاءً له على فتكه بقاتل أبيه زُهير[1] .

ذكر يوم شعب جبلة

هذا يوم من أعظم أيام العرب وأشهرها .

ذُكر أن عبساً لمّا حاربت بنى ذُبيان أتوا بنى عامر وقَصدوا الأتفاق معهم على حرب ذُبيان وأن يوقعوا الحِلف معهم على ذُبيان . فأتى قيسُ بن زُهير ، ابن جَذيمة والرّبيع بن زياد العبسيّان ، بيت الأحْوص بن جعفر ، وتقدَّم إليه قيسٌ وأخذ بمَجامع ثَوبه من وراء ظهره وقال : هذا مقام العائذ بك ! قتلتم أبى فما أخذتُ له عَقْلاً ولا قتلتُ به أحداً ، وقد أتيتُك لتُجيرَنا . فقال الأحْوص : نَعم، أنا لك جارٌ مما أُجير منه نفسى . وعوفُ بن الأحْوص عن ذلك غائب . فلما سمع عوفٌ بذلك أتى الأحْوص وعنده بنو جَعفر ، فقال : يا معشر بنى جعفر ، أَطيعونى اليومَ وأعصونى أبداً ، وإن كنتُ والله فيكم مَعصيًّا . إنهم والله لو لقُوا بنى ذُبيان لولَّوكم أطرافَ الأَسنة ، فابدءوا بهم فاقتلُوهم . فأَبَوْا عليه وحالفوهم . وسمعتْ بهم بنو ذُبيان ، فحَشَدُوا وأستعدُّوا ، وخرجوا وعليهم حِصْن بن حُذَيفة بن بَدْر ، ومعه الحليفان أَسد وذُبيان ، يطلُبون بدم حُذَيفة بن بدر . وأقبل معهم شُرَحبيل ابن أخضر بن الجَوْن — وهو معاوية ، ويُسمى الجون لشدة سواده — بن آكل

(١) ساق أبو الفرج قبل « يوم شعب جبلة » خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة فى صفحات قليلة.

المُرار الكِنْدىّ فى جمع من بنى كِنْدة . وأقبلت معهم بنو حنظلة التَّميميون يَطلبون بدم مَعبد بن زُرارة ، ويثربىّ بن عُدُس ، الذى أخذته بنو عامر يوم رَحْرحان وبعثوا به إلى الطَّائف فقُطع إرْباً . وقد تقدم ذكر ذلك . وجامعهم حسّان بن عمرو ابن الجَون فى جمع عظيم من كِنْدة ، ومعهم من رؤساء تميم حاجبُ بن زُرارة ، وأخوه لَقيط ، والحارث بن شِهاب ، وجمع عظيم من أوباش العرب يطلبون الغنيمة . فجمعوا جمعاً لم يكن فى الجاهلية قطُّ مثله . فلم تشكُ العرب فى هَلاك بنى عامر .

استشارتهم الأحوص

فلما سمعتْ بنو عامر بمَسيرهم اجتمعوا إلى الأَحْوص بن جعفر بن كِلاب — وهو يومئذ شيخٌ كبير قد وَقع حاجباه على عينَيْه وترك الغَزْو ، غير أنه يُدبِّر أمرَ الناس ، وكان مُجرَّباً حازماً ميمونَ النَّقيبة — فأخبروه الخبر . فقال لهم الأحْوص : كبرْتُ فما أستطيع أن أجىء بالحَزْم ، وقد ذهب الرأى منِّى ، ولكنِّى إذا سمعتُ عرفتُ ، فأَجْمعوا آراءكم ثم بِيتُوا ليلتكم هذه ، ثم اغدُوا علىّ فاعرِضوا علىّ آراءكم . ففعلوا . فلما أصبحوا غدَوْا عليه ، فوُضعت له عَباءة بفنائه فجلس عليها ، ورَفع حاجبيه عن عينيه بعصابة ، ثم قال : هاتُوا ما عندكم . فقال قيسُ بن زُهير العَبسىّ : بات فى كِنانتى الليلة مائةُ رأى . فقال الأَحوص : يَكفينا منها رأىٌ واحد حازم مُصيب ، هات فانثُر كنانتَك . فجَعل يَعرِض عليه كلَّ رأى رآه حتى أنفد . فقال الأَحوص : ما أرى بات فى كِنانتك الليلةَ رأىٌ واحد حازم مُصيب . وعرض الناسُ آراءهم حتى أنفدوا . فقال : ما أَسمع شيئاً وقد صِرْتم إلىّ ، احملوا أثقالكم وضُعفاءكم . ففَعلوا . ثم قال : احملوا أَظعانكم . فحَملوها . ثم قال ! اركبوا . فركبُوا ، وجعلوه فى مِحفَّة . وقال : انطلقوا حتى تَعْلوا فى اليَمَن . فإن أدرككم أحدٌ حملتُم عليهم ، وإن أعجزتموهم مضيتُم . فسار الناسُ . ثم إنّ عمرو بن عبد الله بن جعدة أنكر على عمِّه الأحوص هذا الرأىَ وقال : أردتَ أن تفضَحنا وتُخرجنا هاربين من بلادنا ، ونحنُ أعزُّ العرب وأكثرها عدداً وجلداً وأحدُّهم شوكةً ! وتُريد أن

تجعلنا موالى فى العَرب إذ خرجتَ بنا هارباً ! قال : فكيف أفعلُ وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به ! فما الرأى ؟ قال : نَرْجع إلى شِعْب جَبلة فنُحرِز النساءَ والضَّعَفة والذَّرارىَّ والأَموال فى رأسه ونكونُ فى وَسَطه ، ففيه خِصْبٌ وماء ؛ فإن أقام من جاءك أسفَلَ أقاموا على غير ماء ولا طَعَام لهم ، و إن صَعدوا إليك قاتلتَهم من فوق رُءوسهم بالحجارة ، وكنتَ فى حِرْز وكانوا فى غير حِرْز ، وكنتَ على قِتالهم أقوى منهم على قتالك . فقال : هــذا والله الرأىُ ، فأين كان هـذا الرأى عنك حين استشرتُ الناسَ ؟ فقال : إنما جاءنى الآن . فقال الأحوصُ للناس : اُرجعوا . فَرجعوا إلى شعب جَبلة ، وهو جَبـل عظيم له شِعب عظيم لا يُرى الجبل إلا من قِبل الشِّعب ، والشعب مُتقارب المدخل ، وداخله مُتَّسع . فدخلتْ بنو عامر شِعْباً منه يقال له : مُسلِّح ، فحَصنوا الذَّرارى والنِّساء والأَموال فى أعلى الجبل ، وحَلَّئوا الإبل عن الماء ، واقتسمت القبائلُ شِعاب الوادى بالقُرعة والقِداح ، فحَصل لكل منهم جانب منه .

من شهدها

وشهد هذه الحربَ من العَرب بنو عَبْس بن رفاعة ، من سُليم ، وكان لهم بأس وحَزم ، وعليهم مرادسُ أبو العبَّاس بن مِرادس ، وكانوا حُلفاء بنى عمرو بن كلاب . وشهدتْها غَنِىٌّ وباهلة ، وناسٌ من بنى سَعد بن بكر ، وقبائلُ بَجيلة كلُّها . فبلغ جمعُهم ثلاثين ألفاً . وعُمِّى على بنى عامر الخبرُ فجعلوا لا يَدْرون ما قُرْب القوم من بُعدهم . وأقبلت تَميم وذُبيان وأَسد وذبيان ولفيفُهم[1] نحو جبلة . ولقُوا كَرِب بن صَفوان بن شِجْنة بن عُطارد ، فقالوا له : أين تذهبُ ؟ أتريد أن تُنْذِر بنا بنى عامر؟ قال : لا . قالوا : فأَعطنا عهـداً ومَوْثقاً ألّا تفعلَ . فأَعطاهم ، فخَلَّوا سَبيله . فمضى مُسرِعاً على فَرس له عُرْىٍ[2] ، حتى إذا نَظر إلى مَجلس بنى عامر وفيهم الأحوصُ ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ولفهم » .

(٢) عرى : لا سرج عليه . وفى بعض أصول الأغانى : « عربى » .

نزل تحت شجرة حيث يَرَوْنه . فأرسلوا إليـه يدْعونه . فقال : لستُ فاعلاً ، ولكن إذا رحلتُ فأتُوا منزلى فإن فيـه الخبر . فلما جاءوا منزلَه إذا فيه تُرابٌ فى صُرّة وشوكٌ قد كُسر رُءوسه وفرّق جِهَته ، و إذا حنظلةٌ موضوعة ، و إذا وَطْب مُعلَّق فيه لَبن . فقال الأحوص بن جَعفر : هـذا رجلٌ قد أُخذ عليه المواثيق ألّا يتكلّم ، وهو يُخبركم أن القوم مثلُ التُّراب كثرةً ، وأنّ شوكتهم كَليلةٌ ، وأنهم متفرقون ، وجاءتكم بنو حَنظلة . انظُروا ما فى الوطب فاصطبّوه . فإذا فيـه لَبن حَزَرَ — قَرَص — فقال : القومُ منكم على قَدْر حِلاب اللبن إلى أن يَخْثُر[١] .

فلما أُستيقنت بنو عامر بإقبالهم صَعِدوا الشِّعب ، وأمر الأحوصُ بالإبل التى قد ظُمِّئت ، فقال : أعقلوها كُلَّ بعـير بعقالَين فى يديه جميعاً . وأصبح لَقيطُ ابن زُرارة أخو حاجب ، والنـاس نُزولٌ بالشِّعب . وكانت مَشورتهم إلى لَقيط . فاستقبلهم جَملٌ عَوْدٌ[٢] أجربُ أحـذُّ أعصل[٣] كاشرٌ عن أنيابه . فقـال القافهُ[٤] من بنى أسد : أعقروه . فقال لَقيط : والله لا يُعقَر حتى يكون فَحلَ إبلى غداً . وكان البعير من عَصافير النُّعمان بن المنـذر[٥] التى أخذها قُرة بن هُبـيرة أبن عامر بن سَـلَمة بن قُشَير . ثم أُستقبلهم مُعاويه بن عُبـادة بن عُقيل ، وكان أعسرَ ، فقال :

أنا الغلامُ الأعسرْ والخيرُ فىَّ والشرّْ
والشرُّ فىَّ أكثر

فتشاءمت به بنو أسـد وقالوا : أرجعوا عنهم وأطيعونا . فرجعتْ بنو أسد . فلم يَشهد جَبلة مع لقيط إلا نفر يسير، منهم : شأس، أبو عمرو بن شأس الشاعر .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يحزر » . (٢) العود : المسن .
(٣) الأحذ : الخفيف شعر الذنب . والأعصل : الملتوى الذنب .
(٤) القافة : الذين يعرفون الآثار : الواحد : قائف .
(٥) فى بعض الأصول : « عصافير المنذر » . والعصافير : من نجائب الإبل .

وقال الناسُ للقيط : ما ترى ؟ قال : أرى أن نَصعد إليهم . فقال شأس : لا تدخُلوا على بنى عامر ، فإنِّى أعلمُ الناس بهم ، قد قاتلتُهم وقاتلونى ، وهزمتُهم وهزمونى ، فما رأيتُ قوماً قطُّ أقلقَ بمنزلٍ من بنىعامر ! والله ماوجدتُ لهم مثلا إلا الشُّجاعَ ، فإنه لا يَقرُّ فى جحره قلقاً ، وسيخرجون إليكم ، والله لئن بتُّم هذه الليلةَ لا تشعُرون بهم إلا وهم مُنحدرون عليكم . فقال لَقيط : والله لندخُلن عليهم . وأتوهم وقد أخذوا حِذْرهم . وجَعل الأحوص ابنَه شُريحاً على تَعبئة الناس . وأقبل لَقيطٌ بأصحابه مُدِلِّين ، فأسندوا[١] إلى الجبل حتى ذَرَّت الشمس . فَصعِد لَقيط فى الناس وأخذ بمحافَتَى الشِّعب . فقال بنو عامر للأحوص : قد أَتَوكَ . فقال : دَعُوهم . حتى إذا نَصَفوا الجَبل وانتشروا فيه ، قال الأحوص : حُلُّوا عُقُل الإبل ثم أحدِروها واتَّبعوا آثارها ، وليُتْبِعْ كلُّ رجل منكم بعيرَه حجَرين أو ثلاثة . ففعلوا وصاحوا بها ، فلم يفجأ الناسَ إلا والإبلُ تُريد الماءَ والمَرعى . وجعلوا يرمُونهم بالحجارة والنَّبل . وأقبلت الإبلُ تَحطِم كلَّ شيء مَرّت به . وجعل البعيرُ يُدَهْدِى بيديه كذا وكذا حجراً . وقد كان لَقيطٌ وأصحابُه سَخِروا منهم حيث صَنعوا بالإبل ما صنعوا . فقال رجلٌ من بنى أسد :

زعمتَ أنَّ العِيرَ لا تُقاتِلُ ... بلى إذا تَقعقعَ[٢] الرحائلُ

واختلف الهِندىّ والذَّوابلُ ... وقالت الأبطال مَن يُنازل

بَلَى وفيها حَسَبٌ ونائل

وانحطَّ الناس مُنهزمين فى الجبل . فلما بلغ الناسُ السهلَ ، لم يكن لأحدٍ هِمةٌ إلا أن يَذهب على وجهه . فجعل بنو عامر يَقتلونهم ويَصرعونهم بالسُّيوف فى آثارهم ، وانهزموا شَرَّ هزيمة . وأخذ شُريح بن الأحوص فى فُرسان معه الجُرْفَ ، فقتلوا الناسَ قتلا شديداً هناك . وكان لَقيطُ بن زُرارة يومئذ على الجُرف

(١) أسندوا : اعتمدوا . (٢) تقعقع : تضطرب .

على بِرْذون له مُجَفَّف[1] بديباج ، أعطاه كسرى إياه — وكان أولَ عربىّ جَفَّف — فلم يمُر به أحد من الجيش إلا قالوا : أنتَ واللهِ قتلتنا وشتمتنا ! فجعل يرتجز و يقول :

يا قومِ قد أحرقتمونى باللَّوْمْ ولم أُقاتلْ عامراً قبلَ اليوْمْ

فاليومَ إذ قاتلتُهم فلا لَوْمْ تقَدَّموا وقدِّمونى للقَوم

شتَّانَ هذا والعناقُ والنَّوم والمَضجع الباردُ فى ظِلٍّ الدَّوم

فقال شأس يُجيبه :

لكننى قاتلتُها قبلَ اليوم إذ كنتُ لاتُعْصَى أُمورى فى القوم

وجعل لقيطٌ يقول : مَن كَرَّ فله خمسون ناقة . ثم إن لقيطاً ضَرب فرسه فأقحمه عليه الجُرفَ ، فَطعنه شُريح — وقيل طعنه جزء بن خالد بن جعفر . وقيل : عوف بن المُنتفق العُقَيلى — فقتله يومئذ . والأصح الأول . وأُرتُثّ[2] و به طعنات . فبقى يوماً ثم مات . وقُتل يومئذ قُريظ بن مَعبد بن زُرارة ، وزيد بن عمرو بن عُدُس . قَتلهما[3] الحارث بن الأبرص العُقيلى . وأُسر حسان بن عامر بن الجَون الكندى ، أسره طُفيل بن مالك بن جعفر . وشَد عوف بن الأحوص على مُعاوية بن الجون الكندى فأسره وجَزّ ناصيته وأعتقه . فلقيته بنو عبس ، فأخذه قيس بن زُهير فقتله . فأتاهم عوف فقال : قتلتم طَليقى ، فأحْيوه أو ائتونى بمِلْكٍ مثله . فتخوَّفت بنو عبس شرَّه ، وكان مَهيباً . فقالوا . أمهلنا . وانطلقوا حتى أتَوْا أبَا بَراء عامر بن مالك بن جعفر يَستعينونه[4] على عَوف ، فقال : دونكم سَلْمى أبن مالك ، فإنَّه نَديمُه وصديقُه — وكانا مُشتبهَيْن أحمرَيْن أشقرين ، ضخمةً أنوفُهما ، وكان فى سَلْمى حياء — فأتوه . فقال : سأُكلِّم لكم الطُّفَيل بن مالك

(١) مجفف : عليه تجفاف ، وهو ما يجعل على ظهر الفرس ليقيه الأذى .

(٢) أى حمل وهو مجروح . (٣) فى بعض أصول الأغانى « مقتله » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « يستغيثونه » .

حتى يأخذ منه حَسَّان بن الجون ، أخا معاوية بن الجون[1] ، فإنه لا يُنجيكم من عوف إلا ذلك . وايمُ الله ليأتينَّ شَحيحاً . فانطلقوا إلى طُفيل . فقال طُفيل لسَلمى : قد أتونى بك ، ما أعرفَنى بما جئتُم له ! أتيتمونى تُريدون منّى ابن الجَون تَفْتَدون[2] به من عَوف ، خُذوه . فأعطاهم إيَّاه . فأتوا به عَوْفاً ، فجَزَّ ناصيته وأعتقه ، فسُمِّى الجَزّاز .

وشهد هذه الوقعةَ لَبيدُ بن ربيعة الشاعر ، وهو ابن تسع سنين ، وقيل : ابن بضعَ عشرة سنة .

وقيل : إن بنى عامر قتلتْ يومئذٍ من تميم ثلاثين غُلاماً . وخَرج يومئذ الحاجبُ بن زُرارة مُنهزماً فلحقه الزَّهْدمان — وهما : زَهدم ، وقيسٌ ، ابنا حَزْن ابن وَهْب العبسيَّان — فجعلا يطرُدان حاجباً ويقولان : استأسر — وقد قَدرا عليه — فيقول : مَن أنتما ؟ فيقولان : الزَّهدمان . فيقول : لا أستأسر . فبينما هم كذلك إذ أدركهم مالكٌ ذو الرُّقيبة بن سَلَمة بن قُشير ، فقال لحاجب : استأسرْ . فقال حاجبٌ : من أنت ؟ قال : أنا مالك ذو الرُّقيبة . فقال : أفعلُ ، فلعمرى ما أدركتَنى حتى كدتُ أكون عبداً . فألقى رُمحه إليه ، فاعتنقه زَهدم فألقاه عن فَرسه ، وصاح حاجب : ياغوثاه ! وجعل زَهدم يُريغ[3] قائمَ السَّيف . فنزل مالكٌ ذو الرُّقيبة فاقتلع زَهْدماً عن حاجب . فمَضى زَهدم وأخوه حتى أتيا قيس ابن زُهير بن جَذيمة ، فقالا : أخذ مالكٌ أسيرَنا . فقال : ومَن أسيرُكما ؟ قالا : حاجب بن زُرارة . فخَرج قيسٌ حتى وقف على بنى عامر ، فقال : إن صاحبكم أخذ أسيرَنا . قالوا : ومَن صاحبُنا ؟ قال : مالك ذو الرُّقَيبة أخذ حاجباً من الزَّهْدمَيْن . فجاءهم مالكٌ فقال : ما أخذتُه منهما ، ولكنَّه استأسر لى ، وتركهما . فلم يَبرحوا

---

(١) العبارة فى غير التجريد : « سأكلم لكم طفيلا حتى يأخذ أخاه فإنه لا ينجيكم ... الخ » .

(٢) فى غير التجريد : « تقيدون » .
(٣) يريغ : يطلب .

حتى حكّموا حاجباً فى ذلك، وهو فى بَيت ذى الرُّقيبة ، فقالوا : مَن أسرك يا حاجب : فقال ؟ أما مَن ردَّنى عن قَصدى ومَنعنى أن أنجوَ ورأى منّى عورةً فتركها فالزّهدمان ، وأمّا الذى أستأسرتُ له فمالك ، فحكّمونى فى نفسى . فقال له القوم : قد جعلنا إليك الحُكْم فى نَفسك . فقال : أمّا مالكٌ فله ألفُ ناقة ، وللزّهدمين مائة .

وذُكر أنه لمّا أنهزم الناس يومئذ أتبعتْهم بنو عامر وحُلفاؤهم يقتلون ويأسرون ، فأسر عُتيبة بن الحارث بن شهاب يومئذ ، فقُيِّد فى القِدّ ، فكان يبول على قِدِّه حتى عَفِن . فلما دخل الشهرُ الحرام هَرب فأفلت منهم بغير فِداء .

وذُكر أن يوم شِعب جبلة هذا كان قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة ، وقبل مولد النبيّ صلى الله عليه وسلم بتسعَ(١) عشرة سنة . ووُلد النبيُّ صلى الله عليه وسلّم عامَ الفِيل ، و بُعث صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين سنة من مولده ، وقُبض وهو أبن ثلاثٍ وستّين سنة .

وذُكر أن عامر الطُّفيل وُلد يوم شعب جبلة عند فَراغ الوقعة ، وقَدِم على النبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو أبنُ ثمانين سنة ، وكان قُدومه عليه فى السنة التى قُبض فيها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم .

وقال المُعقِّر بن أوس بن حِمَار البارقىّ فى يوم شِعب جَبلة :

أمِن آل شَعثاءَ الحُمولُ البَواكرُ ... من(٢) اللَّيل أم زالتْ قُبيلُ الأَباعرُ
وحلّت سُليمى فى هِضابٍ وأَيكة ... وليس عليها يوم ذلك قادر
وألقت عَصاها واستقرّت بها النَّوَى ... كما قَرَّ عيناً بالإياب المُسافر
وصَبَّحها أملاكُها بكَتيبةٍ ... عليها إذا أمستْ من الله ناظِر

---

(١) فى النقائض : « بسبع » . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « مع » .

معاويةُ بن الجَون ذُبيانُ حوله ... وحَسّانُ فى جَمْعِ الرِّباب مُكاثِر
فمرُّوا بأطراف(١) البيوت فردَّهم ... رجالٌ بأطراف الرِّماح(٢) مَساعِر
وقد جَمعوا جمعاً كأنّ زُهاءه ... جَرادٌ هَوى فى هَبْوةٍ مُتطايِر
فباتُوا لنا ضَيْفاً وبِتْنا بنَعْمةٍ ... لنا مُسْمِعاتٌ بالدُّفوف وسامِر
ولم نَقْرِهم شيئاً ولكنّ(٣) قَصْرَهم ... صَبوحٌ لنا من مَطلع الشَّمس حازِر
صَبحناهمُ عند الشُّروق كَتائباً ... كأركان سَلْمى شَبْرُها(٤) مُتواتِر

ذكر خبر عفيرة وعمليق الملك

شىء عن عمليق

كان عِمْليق مَلِك طَسْم بن لَاوَذَ بن إرم بن سام بن نُوح عليه السلام . وكان يَحكم على طَسم ، وجَديس ؛ وهم ولد جديس بن عابر(٥) بن إرم بن سام ابن نوح . وكانت منازلهم فى موضع اليمامة . وكان ملكاً ظالماً غاشماً ، بلغ ظُلمه أنه أمر ألّا تُهدى بِكر من جَديس إلى زَوجها حتى يَفترعها المَلك أولاً قبل زَوجها . فلَقيت جَديس من ذلك بلاءً وجَهداً وذُلاً .

خبره مع عفيرة

فلم يزل الأمر كذلك حتى زُوِّجت الشَّمُوس — وهى عَفيرة بنت عبَّاد الجديسيَّة — فلما أرادوا أن يُهدوها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عِمْليق المَلِك لينالها قبله ، ومعها القِيان يتغنَّين :

اِبْدَىْ بعِمْليقٍ وقُومى وارْكبى ... وبادرِى الصُّبحَ لأمرٍ مُعْجِبِ
فسوف تَلْقَين الذى لم تَطلُبى ... وما لِبِكْرٍ عنده من مَهرب

فلما دخلت عليه افترعها وخَلَّى سبيلها . فخرجت إلى قومها فى دِمائها ، شاقّةً

(١) فى بعض أصول الأغانى : «بأطناب» وهى الحبال تشد بها البيوت . يريد أطرافها ونواحيها .
(٢) مساعر : يؤرثون الحرب فتحمى بهم ؛ الواحد : مسعر .
(٣) قصرهم : جهدهم وغايتهم . وفى بعض أصول الأغانى : « قصدهم » .
(٤) الشبر : الإعطاء . وفى التجريد : « سيرها » .
(٥) فى غير التجريد : « لاوذ » . تحريف . فثمود وجديس ، ابنا عابر . وطسم وعملاق وأميم ، أبناء لاوذ . (انظر السيرة لابن هشام ج ١ ص ٨) .

دِرْعها من قُبُل و من دُبُر ، والدم يسيل ، وهى فى أقبح مَنظر ، وهى تقول :

لا أحدٌ أذَلُّ من جَديسِ ... أهكذا يُفعل بالعَرُوسِ
يَرضَى بهذا يا لَقومى حُرُّ ... أهدَى وقد أعطى وَسِيقَ المَهْرُ
لأَخْذةُ الموت كذا لنفسِهِ ... خيرٌ مِن أن يُفعل ذا بِعِرْسِهِ

شعر عفيرة فى تحريض قومها وهو الشعر الذى فيه الغناء

وقالت تُحرض قومها فيما أُتِى إليها — والبيت الأول والثالث هو الشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عِملاق وعَفيرة :

أيجمُلُ ما يُؤْتَى إلى فَتَياتِكم ... وأنتم رِجالٌ فيكمُ عَددُ النَّمْلِ
وتُصبِحُ تَمْشى فى الدِّماء عَفيرةٌ ... عفيرةُ[1] زُفَّت فى الدِّماء إلى البَعل
فلو أننا كُنا رجالاً وكنتمُ ... نِساءً لكُنَّا لا نُقِرُّ بذا الفِعْل
فموتُوا كِراماً أو أميتوا عدوَّكم ... ودِبُّوا لنار الحَرب بالحَطَب الجَزْل
وإلا فخَلُّوا بطنَها وتحمَّلوا ... إلى بَلدٍ قَفْرٍ ومُوتُوا من الهُزْل
فللبَيْنُ خيرٌ من مُقَامٍ على أذًى ... ولَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ على ذُلّ
فإن أنتمُ لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساءً لا تُعاب من الكُحل
ودونكمُ طِيبَ العَروس فإنما ... خُلقتمْ لأثواب العَرُوس[2] وللغِسْل
فبُعداً وسُحْقاً للذى ليس دافعاً ... ويَختال يمشى بيننا مِشْيَةَ الفَحْل

غدر جديس بعمليق

فلما سمع الأسودُ أخوها قولَها ، وكان سيِّداً مُطاعاً ، قال لقومه : يامعشر جَديس ، إنّ هؤلاء القوم ليسوا بأعزَّ منكم فى دِيارِكم إلّا بما كان من مُلك صاحبهم علينا ، ولولا عجزُنا وإدهانُنا[3] ما كان له فضلٌ علينا ، ولو امتنعنا لكان لنا منه النَّصَف ؛ فأطِيعونى فيما آمرُكم به ، فإنه عزُّ الدَّهر ، وذَهاب ذُل العُمر ،

---

(١) فى الكامل لابن الأثير (١ : ٢٥١) : « جهارا » . وفى الصبح المنير فى شعر أبى بصير (ص ٧٤) : « عشية » .
(٢) الغسل : ما يغتسل به .
(٣) الإدهان : المصانعة واللين .

وأقبلوا رأيى . فقالوا — وقد أحماهم ما سمعوا من قوله ـ : إنا نُطيعك ، ولكنّ القوم أكثر وأقوى وأحمى . قال : فإنى أصنعُ للمَلِك طَعاماً ثم أدعوهم إليه جميعاً ، فإذا جاءوا يرفُلون فى الحُلل ثُرنا إلى سُيوفنا وهم غارُّون[1] فأَهمدناهم بها . قالوا : نَفعل . فصَنع لهم طعاماً كثيراً وخَرج به إلى ظَهر بلدهم ، ودَعا عِمليقاً وسأله أن يتغدَّى هو وأهلُ بيته . فأجابه إلى ذلك . فخَرج إليه مع أَهله يرفُلون فى الحُلل ، حتى إذا أَخذوا مجالسَهم ومدُّوا إيديهم إلى الطعام ، أَخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم . فشدَّ الأَسود على عِمْليق المَلك فقتله ، وكُل رجل على جَليسه حتى أماتوهم . فلما فرَغوا من الأشراف شدُّوا على السِّفلة ، فلم يدعوا منهم أحداً .

هلاك جديس بغزو حسان لها وهرب الأسود وموته

ثم إن بقيَّةً من طَسم لجئوا إلى حسَّان بن تُبَّع ملك اليمن ، فغزا جديساً وأَخرب بلادها . فهرب الأسود قاتل عِمْليق فأَقام بجبلَىْ طيئ ، قبل نُزول طيئ إياها ، وطيئ يومئذ تسكن بعض نواحى اليمن ، وسيدهم يومئذ أُسامة بين لُؤى ابن الغَوث بن طيئ ، وكان الوادى الذى نزلوا به مَسبعةً ، وهم قليلٌ عددهم ، وكان ينتابهم بعيرٌ فى أول زمان الخريف، ثم يذهب فلا يَدرون أين يذهب ولا يَرونه إلى قابلٍ . وكانت الأزد قد خَرجت من اليمن فى أيام سَيل العَرِم الذى ذكره الله فى كتابه . فاُستوحشت طيئ لذلك وقالت: قد ظَعن إخواننا فصاروا إلى الأرياف . فلما همُّوا بالظَّعن قالوا لأسامة : إنّ هذا البعير يأتينا من بلاد ريفٍ وخِصب ، وإنا لنرى فى بَعَره النَّوى ، فلو أننا نتعهَّده عند اُنصرافه فشَخصنا معه لعلَّنا نُصيب مكاناً خيراً من مكاننا هذا . وجمعوا أَمرهم على هذا . فلما كان الخريف جاء البعيرُ فضرب فى إبلهم . فلما اُنصرف اُحتملوا فاُتبعوه يَسيرون بسَيره ويَبيتُون حيث يَبيت ، حتى هَبط على الجَبلين ، فهجمت طيئ على النَّخل فى الشِّعاب ، وعلى مواشٍ كثيرة . فإذا هم برجلٍ فى شِعب من تلك الشعاب ،

(١) غارون : غافلون .

وهو الأسود بن عَبّاد الجَديسى ، فهالهم ما رأوا من عِظم خَلْقه وتخوّفوه ، ونزلوا ناحيةً من الأرض واستَبروها[1] هل يرون فيها أحداً غيره ، فلم يروا . فقال أُسامة لابن له - يقال له : الغوث - : أى بُنى ، إنّ قَومك قد عَرفُوا فضلَك عليهم فى الجَلَد والبأس والرّمى ، فإن كفيتَنا هذا الرّجل سُدْتَ قَومك آخرَ الدّهر ، وكنتَ الذى أنزلتَنا هذا البلد . فانطلق الغوثُ حتى أتى الرجل ، فكلّمه وساءله . فعجب الأسودُ من صِغر خلق الغَوث ، فقال له : من أين أقبلتم ؟ قال : من اليَمَن . وأخبره بخَبر البعير ومَجيئهم معه وأنّهم رهبوا ما رأوا مِن عِظَم خَلقه وصِغَرهم عنه . وشَغلوه بالكلام ، فرماه الغوث فقتله . فأقامت طيئٌ بالجبلَيْن بعده .

(١) أى اختبروها ونظروا فيها ؛ من « السبر » الذى هو الاختبار .

أخبار عائشة بنت طلحة (*)

نسبها

عائشة بنت طلحة بن عُبيد الله بن عُثمان بن عامر بن عَمْرو بن كَعْب بن سعد ابن تَيم بن مُرَّة بن كَعب بن لُؤى . وأُمُّها أُمُّ كلثوم بنت أبى بكر الصدِّيق رضى الله عنه .

بينها وبين زوجها فى ستر وجهها

وكانَت أجملَ نساء عَصرها . وكانَت لا تستر وجهَها من أحدٍ ، فعاتبها زوجُها مُصعب بن الزُّبير على ذلك . فقالَت : إن الله تعالى وَسَمنى بمِيسَم جَمال أحببتُ أن يراه الناسُ و يَعرفُوا فَضْلى عليهم ، فما كنتُ لأستُرَه ، والله ما فىَّ وَصمةٌ يقدِر أن يذكُرَنى بها أحد . وطالت مُرادَّة مُصعب إياها فى ذلك . وكانت شرسةَ الخُلق .

نساء تيم

وكذلك نساء بنى تَيم هنَّ أشرسُ خلق الله وأحْظاه عند أزواجهن .

أختها مع زوجها الحسين بن على

وكانَت عند الحُسين بن علىّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنهما ـ أختُها أم إسحاق بنتُ طَلحة ، فكان يقول : والله لرُبَّما حملتْ ووضعتْ وهى لى مُصارمةٌ لا تُكلِّمنى .

مغاضبة عائشة زوجها مصعبا وتوسط الشعبى بينهما

وذُكر أن عائشة بنت طلحة قالت لمُصعب : أنتَ علىَّ كظَهر أمى ! وقَعدت فى غُرفةٍ هيَّأت فيها ما يُصلحها . فجَهَد مُصعب أنْ تُكلِّمه ، فأبَت . فبعث إليها ابن قَيس الرُّقيَّات ، فسألها كلامَه . فقالَت : كيفَ بيمينى ؟ قال : هاهنا الشَّعبىّ

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار عائشة بعض أخبار لابن أبى ربيعة وصاحبه العذرى لا تعدو صفحات .

فقيهُ أهل العراق ، فاُستفتيه . فدخل عليها فأخبرته . فقال : ليس هـذا بشىء . فقالت له : أتُحلِّنى وتخرج خائباً ! فأمرت له بأربعة آلاف درهم .

شعر ابن الرقيات فيها وهو الشعر الذى فيه الغناء

وقال ابنُ قيس الرقيات لمّا رآها ، الشِّعرَ الذى فيه الغناء واُفتتح به أبو الفرج أخبار عائشة ، وهو :

جِنِّيــةٌ بَرزتْ لتقتُلنـا مَطليَّةُ الأَقراب(١) بالمِسْكِ

عَجباً لمثلك لا يكونُ له خَرْجُ العِراقِ ومِنْبرُ المُلْك

ترضاها أشعب لمصعب

وذُكر أنَّ عائشة بنت طَلحة غضبتْ يوماً على مُصعب ، وكان أشعبُ يألفه ، فشَكا ذلك مُصعب إلى أشعب ، فقـال : ما لى إنْ رضيتْ ؟ قال : حُكمك . قال : عشرة آلاف درهم ؟ قال : هى لك . فاُنطلق أشعبُ حتى أتى عائشة ، فقال : جُعلتُ فداءك ! قد عرفتِ حُبِّى لك ومَيْلى قديماً وحديثاً إليك من غير فائدة ولا مَنالة ، وهـذه حاجةٌ قد عرضتْ تَقْضين بها حقِّى ، وترتهنين بها شكرى . قالت : وما عندك ؟ قال : قد جَعل لى الأَميرُ عشرةَ آلاف دِرهم إن رضيتِ عنه . قالت : ويحك ! لا يُمكننى ذلك . قال : بأبى أنتِ وأُمى ! فاُرضَى عنـه حتى يُعطِيَنى ثم عُودى إلى ما عَوَّدك الله من سُوء الخُلق . فضحكت منـه ، ورضيتْ عن مُصعب .

زواجها من عبد الله ابن عبد الرحمن وأولادها

وذُكر أنَّ أول أَزواج عائشة بنت طلحة اُبنُ خالها عبد الله بن عبد الرحمن اُبن أبى بكر الصدِّيق رضى الله عنـه ، زوجتْها إيَّاه أُمّ المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وهى خالتها . وهو أبو عُذرتها(٢) . ولم تَلد من أحدٍ من أَزواجها سِواه ، ولدتْ له عِمرانَ ، وبه كان يُكنى ، وعبد الرحمن ، وأبا بكر ، وطَلحة ، ونَفيسة —

(١) الأقراب : جمع قرب ، بالضم وبضمتين : الخاصرة . والجمع هنا للتوسع .
(٢) أى أول من افتضها وافترعها .

تزوّجها الوليدُ بن عبد الملك ــ ولكلٍّ عقب ــ وكان طلحة بن عائشة من أجواد قُريش .

إيلاء زوجها منها

قيل : فصارمتْ عائشةُ بنت طلحة زوجَها عبدَ الله وخرجتْ غَضبى عن داره ، فمرّتْ بالمَسجد وعليها مِلْحفة تُريد خالَتها أُم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، فرآها أبو هُريرة رضى الله عنه فسبّح وقال : سبحان الله ! كأنها من الحُور العين ! فمكثتْ عند عائشة رضى الله عنها قريباً من أربعة أشهر . وكان زوجُها قد آلى منها . فأرسلت إليه عمتهُ عائشة رضى الله عنها : إنى أخاف عليك الإيلاء[1] . فضمَّها إليه . وكان مُولِياً منها . فقيل له : طَلِّقها . فقال :

يقولون طلِّقها لأُصبح ثاوياً ... مُقيما علىّ الهمُّ ، أحلامُ نائمِ

وإن فراقى أهل بيتٍ أُحبّهم ... لهم زلفةٌ عندى لإحدى العظائم

فتُوفى عبد الله بعد ذلك وهى عنده ، فما فَتحتْ فاها عليه . وكانت عائشة أُم المُؤمنين ــ رضى الله عنها ــ تعُد هذا عليها فى ذُنوبها التى تُعدِّدها .

زواجها بمصعب بعد وفاة عبدالله

ثم تزوَّجها بعد عبدِ الله مُصعبُ بن الزُّبير بن العوَّام ــ وكان والى العِراقين لأخيه عبد الله بن الزُّبير ــ فأمهرها خمسمائة ألفِ دِرْهم ، وأهدى لها مثل ذلك .

ما كان من عبدالله أخى مصعب وعبد الملك بن مروان

وبلغ ذلك أخاه عبدَ الله ، فقال : إنَّ مُصعباً قَدَّم أيره وأَخَّر خَيْره . فبلغ ذلك عبدَ الملك بن مَروان ، فقال : لكنَّه أخّر خيره وأَيرَه .

وكتب ابنُ الزُّبير إلى مُصعب يؤنِّبه ويُقسم عليه أن يلحق به بمكة ، ولا ينزل بالمدينة ولا ينزل إلّا بالبيداء ، وقال له : إنّى لأرجو أن تكون الذى يُخسَف به بالبيداء ، فما أمرتُك بنُزولها إلا لهذا . فصار إليه وأرضاه من نفسه ، فأمسك عنه .

---

[1] الإيلاء : أن يقسم الرجل ألا يقرب امرأته . وحكمه أن يتربص الرجل أربعة أشهر ثم يوقف ، فإما أن يطلق بعد ذلك أو يرجع .

معاشرتها مصعبا وحيلة ابن أبى فروة

قيل :

كان مُصعب لا يَقدر عليها إلا بتَلاحٍ ينالُها منه و بضَرْبها . فشَكا ذلك إلى عبد الله بن أبى فَرْوة كاتبه . فقال : أنا أكفيك هذا إن أذنتَ لى . فقال : نعم ، أفعل ما شئتَ فإنها أفضلُ شىء نلتهُ فى الدُّنيا . فأَتاها ليلاً ومعه أَسودان ، فاستأذن عليها . فقالت: أَفى مثل هذه الساعة ! قال : نعم . فأدخلتْه . فقال للأسودين : أحفرا هاهنا بئراً . فقالت له جاريتُها : وما تَصنع بالبئر ؟ فقال : شُؤم مولاتِك ، أمرنى هذا الفاجرُ أن أدفنَها حيَّةً ، وهو أسفكُ خَلق الله لدمٍ حرام . فقالت عائشة : فأَنظرنى أذهب إليه . فقال : هيهات ! لا سبيلَ إلى ذلك . وقال للأسودين : أحفرا . فلما رأت الجِدَّ منه بكتْ وقالتْ لابن أبى فَروة : إنَّك لقاتِلى ؟ قال : مامنه بُدّ ، و إنى لأعلم أن الله سيَجزيه بعدك ، لكنه قد غَضب ، وهو كافر الغَضَب . قالت : وفى أى شىء أغضبتُه ؟ قال : فى امتناعك عنه ، وقد ظنَّ أنك تُبغضينه وتتطلَّعين إلى غيره . قالَت : أنشدك الله إلّا عاودتَه ! قال : إنّى أخاف أن يقتُلنى . فبكتْ ، و بكى جواريها . فقال : قد رَققتُ لك ، وحلَف لها أنه يُغرِّر بنفسه، وقال لها : فما أقول ؟ قالت : تَضمن عنّى أنى لا أعود أبداً . قال لها : فمالى عندك ؟ قالتْ: قيامٌ بحقك ماعشتُ . قال : فأَعطينى المواثيق . فأعطتْه . فقال للأسودين : مكانَكما . وأَتى مُصعباً فأخبره . فقال له : استوثق منها بالأَيمان . ففعلتْ وصلحتْ بعد ذلك لمُصعب .

آثرت النوم على لؤلؤات قدمها مصعب

وقيل :

دَخل عليها مُصعبٌ يوماً وهى نائمة ، ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتُها عشرون ألف دينار . فأنبهها ونثر اللُّؤلؤ فى حِجرها . فقالتْ له : نَومتى كانت أحبَّ إلى مِن هذا اللُّؤلؤ .

زواجها بعمر بن عبيد الله

ولما مَلك عبدُ الملك بن مَروان العراقَ ، وقُتل مُصعب بن الزُّبير ، ولّى

عبدُ الملكِ العراقَ أخاه بِشْر بن مروان . فخَطب عائشةَ بنت طلحة . وَقدِم عمرُ ابن عُبيد الله بن مَعمر التَّيميّ من الشام فنزل الكوفة ، و بلغه أن بشر بن مروان خَطب عائشة بنت طلحة، فأنفذ إليها جاريةً له وقال : قولى لبنت عَمِّى: ابنُ عمّك يُقرئك السلام و يقولُ لك : أنا خيرٌ من هذا المَبسور المَطحول(١) ، وأنا ابنُ عمّك وأحقُّ بك ، و إن تزوجتُك ملأتُ بيتَك خيراً . فتزوّجته ، و بنَى بها بالحِيرة ، ومَهّدت له سبعةَ أفرشةٍ عرضُها أربعةُ أذْرع فأصبح ليلةَ بَنى بها عن تِسع. فلقيتْه مولاةٌ لها فقالت : أبا حَفص ، فديتُك ! قد كَمُلْت فى كُل شىء حتى فى هذا . !

الحديث عن زواجها من عمر ابن عبيد الله

وذُكر أن عُمر بن عبيد الله حمل إليها ألفَ ألفِ درهم : خمسمائة ألف درهم مهراً ، وخمسمائة ألف درهم هدية . وكان وَعد مولاتها بألف دينار وقال : هذا لك إن دخلتُ عليها الليلةَ . فحُمل المال وأُلقى فى الدار وغُطّى بالثياب . وخرجت عائشة فقالت لمولاتها : ما هذا ، أفرش أم ثياب ؟ فقالت : انظُرى إليه . فنَظَرت ، فإذا هو مالٌ . فتبسّمتْ . فقالت مولاتُها : أجزاء من حمل هذا أن يَبيتَ عَزَباً ؟ قالت : عائشة : لا والله ، ولكن لا يجوز دخُوله إلّا بعد أن أتزيّن وأستعدّ . قالت : بماذا ؟ فوالله لوجهك أحسنُ من كُل زينة ، وما تَمُدّين يدَك إلى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلّا وهو عندك ، وقد عزمتُ عليك أن تأذنى له . قالت : أفعلى . فذهبتْ إليه فقالت : بِتْ بنا الليلةَ . فجاءهم عند العشاء الآخرة . فأُدنى منه طعام ، فأكل الطعام كُلَّه حتى أعرى الخِوان ، وغَسل يديه ، وسأل عن المُتوضأ ، فأخبرتُه فقام فتوضأ . قالت المولاة ؟ ثم قام فصلّى حتى ضاق صَدْرى . ثم قال : أعليكم إذنٌ ؟ قلتُ : نعم ، فادخُلْ . فأدخلته وأسبلتُ السِّتر عليهما . فعددتُ له فى بقيّة الليلة على قِلّتها سبعَ مرّاتٍ(٢) دَخل المتوضأ فيها . فلما أصبحنا وقفتُ

(١) المبسور : الذى به داء البواسير . والمطحول : الذى أصيب طحاله .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « سبع عشرة مرة » .

على رأسه ، فقال ؟ أتقولين شيئاً ؟ قلتُ : نعم ، ما رأيتُ مثلكَ ، أ كلتَ أ كْلَ سَبعة ، وصلَّيتَ صلاة سَبعة ، وفعلتَ فعل سَبعة فضحك وضَرب بيده على مَنْكِب عائشة وقال : كيف رأيتِ أبن عمك ؟ فضحكت وغطَّت وجهَها ، وقالت :

قد رأينــاكَ فلم تَحْلُ لنــا وخَبرناكَ فلم نرضَ الخَــبرْ

وفاة عمر بن عبيد الله وشأنها بعده

وتُوفى عنها عمر بن عبيد الله هذا ، فندبتْه قائمة ، ولم تندُب أحداً من أزواجها إلّا جالسة . فقيل لها فى ذلك . فقالت : إنه كان أ كرمَهم علىَّ ، وأمسَّهم بى رَحِماً ، فأردتُ ألّا أتزوَّج بعده . وكانتْ نُدْبة المرأة زوجَهـا قائمة ممَّا تفعله مَن لا تُريد أن تتزوَّج بعده .

وذُكر أن وفاةَ عمر كانت فى سنة أثنتين وثلاثين ومائة ، وأنه خَطبها جماعةٌ ، فلم تَقُم لأحد منهم (١) .

هى وسكينة فى الحج

وذُكر أن عائشة بنت طلحة حجَّت سنة ، وحجَّت تلك السنة سُكَينةُ بنت الحُسين بن على ، وكانَت ضَرَّتها عنـد مُصعب بن الزُّبير ، وكانت عائشة أحسنَ منها ثَقَـلاً (٢) وآلة ، فقال حاديها :

عائشَ يا ذاتَ البغال السِّتِّينْ لازِلْتِ ما عِشْتِ كذا تحُجِّينْ

وشَق ذلك على سُكينة ، فنزَل حاديها فقال :

عائشَ هـذى ضَرَّةٌ تَشكوكِ لولا أبوها ما أهتـدى أبوكِ

فأمرت عائشة حاديها أن يكُفَّ .

هى وعاتكة بنت يزيد فى الحج

وذُكر أن عاتكة بنت يزيد بن مُعـاوية بن أبى سُفيان أستأذنتْ زوجَهـا عبدَ الملك بن مروان فى الحجِّ ، فأذن لها وقال : أرفعى حوائجك وأستظهرى ، فإن

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « فردتهم ولم تتزوج بعده أحداً » .
(٢) الثقل : المتاع .

عائشة بنت طلحة تحُج . ففعلت، فجاءت بهيئة جَهَدت فيها . فلما كانت بين مكة والمدينة إذا مَوكِبٌ عظيم قد جاء فضَغطها وفرّق جماعتها . فقالت : أرى هذه عائشةَ بنت طلحة ! فسألت عنه ، فقالوا : هذه جاريتها [1] . ثم جاء موكبٌ آخر أعظم من ذلك الموكب . فقالوا : عائشة ! عائشة ! فضَغطهم . فسألت عنه . فقالوا : هذه ماشطتُها . ثم جاءت مواكبُ على هذه الحالة بحاشيتها ، ثم أقبل موكبٌ فيه ثلاثمائة راحلة عليها القِباب والهوادجُ ، فقالت عاتكة : ما عند الله خيرٌ وأبقى .

وفودها على هشام ابن عبد الملك

وذُكر أن عائشة بنت طلحة وَفدت على هشام بن عبد الملك فقال لها : ما أوفدك ؟ قالت : حَبَست السماء قَطْرها ، ومَنع السلطانُ الحقّ . فقال : إنى أصل رَحمك ، وأعرف حقَّك . ثم بعث إلى مشايخ بنى أُمية . فقال : إنَّ عائشة عندى ، فأسمُروا معى الليلةَ . فحضروا ، فما ذكروا شيئاً من أَخبار العرب وأشعارها وأيّامها إلّا أفاضت فيه ، وما طلع نَجم ولا غار إلّا سَمَّته . فقال هشام : أما الأوّل فلا أُنكره ، وأما النُّجوم فمن أين لك عليها ؟ فقالت : أخذتُها عن خالتى عائشة — تعنى أم المؤمنين رضى الله عنها — فأَمر لها بمائة ألف درهم وردَّها إلى المدينة .

شيء عن عمرو بن شأس

ثم ذكر أبو الفرج عمرو بن شأس الأسديّ ، وشعره فى أبنه عِرار ، وهو :

أرادت عِراراً بالهَوان ومن يُرِدْ عِراراً لعمرى بالهَوان فقد ظَلَمْ

وقد كان تقدَّم منّا ذِكر ذلك ، فلا فائدة فى الإعادة .

(١) فى غير التجريد : « خازنتها » .

أخبار ليلى الأخيلية

وتوبة بن الحميِّر

نسبها

هى ليلى بنت عبد الله بن الرَّحَّال بن شَدَّاد بن كعب بن مُعاوية ، وهو الأخيل فارسُ الهرّار ، ابنُ عُبادة بن عُقيل بن كَعب بن رَبيعة بن عامر بن صَعصعة .

طبقتها فى الشعر

وهى من النِّساء المُقدَّمات فى الشِّعر ، من شُعراء الدولة الأموية[1] .

زواجها فى بنى الأدلع وزيارة توبة لها وما كان من قومها معه

وكان توبة بن الحُميِّر بن حَزن بن كَعب بن خَفاجة بن عمرو بن عُقَيل بن كَعب بن رَبيعة بن عامر بن صَعصعة يَهواها ، فخَطبها إلى أبيها ، فلم يُزوِّجه إيَّاها وزوَّجها فى بنى الأَدلع . وكان توبة إذا جاء لزيارتها تخرُج إليه مُتبرقعة . فجاء بعد تَزويجها لزيارتها ، كما كان يجىء ، فخَرجت إليه سافرةً ، ولم يَر منها إليه بشاشةً كما كان يرى ، فعلِم أن ذلك لبعض ما كان . فرجَع إلى راحلته فركبها ومَضى . وبلغ بنى الأَدلع أنه أتاها وانصرف ، فتتبَّعوه ، ففاتهم . فقال فى ذلك قصيدتَه التى أولُها :

نأتْك بلَيْلَى دارُها ما تَزورُها ... وشَطَّت نَواها واسْتَمر[3] مَريرُها

وهى طويلة . ومنها

حمامةَ بَطنِ الواديَيْن تَرنَّمى ... سقاكِ من الغُرِّ الغوادِى مَطيرُها

---

(١) فى غير التجريد : « من شعراء الإسلام » .

(٢) فى جمهرة أنساب العرب (ص ٢٧٤) : « توبة بن الحمير بن ربيعة بن كعب بن خفاجة » . وفى بعض الأصول من الأغانى : « حزم » مكان « حزن » .

(٣) استمر : استحكم . والمرير : العزيمة .

أَبِينى لنـــا لا زال ريشُكِ ناعماً ولا زلتِ فى خَضراءَ دانٍ[١] بَريرُها
وأُشرف بالقَوزِ اليَفـــاعِ لعلّنى أرى نارَ لَيلى أو يرانى[٢] بَصيرُها
وكنتُ إذا ما جئتُ ليــلى تبرقعت فقد رابنى منها الغـــداةَ سُفورها
علىَّ دِماءُ البُدْنِ[٣] إن كان بعلُها يرى لِىَ ذَنباً غيرَ أنّى أزُورها
وأنّى إذا ما زُرتهـا قلتُ يا اسْـلمى وما كان فى قولى اسْلمى ما يَضيرُها
وغَـيّرنى إن كنتِ لمّا تَغـيّرى هَواجرُ تَكْتَنّينها[٤] وأَسـيرُها
وأَدْماءَ من سِرّ المَهارَى كأنها مَهاةُ صِوَارٍ[٥] غيرَ ما مَسّ كُورُها
قَطعتُ بهـا أجوازَ كُلِّ تنُوفةٍ مَخُوفٍ رَداها كلّما اسْتنّ[٦] مُورُها

جوابها للحجاج عما كان بينها وبين توبة

وذُكر أنّ الحجّاج بن يوسف قال لليلى الأَخيليـة : إنّ شبابك قد مَضى فولّى ، واضمحلّ أَمرك وأمر توبة ، فأُقسم عليك إلا صَدَقْتنِي : هل كان بينكما ريبةٌ قطُّ ، أو خاطبك فى ذلك قَط ؟ فقالت : لا والله أيها الأمير ، إلا أنه قال لى ليلةً وقد خلونا كلمةً ظننتُ أنه قد خَضع فيها لبعض الأمر ، فقلتُ له :

وذى حاجةٍ قُلنا له لا تَبُح بها فليس إليها ما حَييتَ سَبيلُ
لنا صاحبٌ لا يَنبغى أنْ نَخونه وأنتَ لأُخرى فارغٌ وحَليل

ولا والله ما سمعتُ منه من بعدها ريبةً حتى فرّق بيننا الموت . قال الحجّاج :

(١) البرير : ثمر الأراك . وفى بعض أصول الأغانى : « نمـيرها » . وفى الأمالى : « غض نضيرها » .

(٢) القوز : الكثيب من الرمل . واليفاع : المشرف . وبصيرها ، أى الذى جلس إلى النار يتعرف القاصدين . (٣) البدن : جمع بدنة ، وهى الناقة ، والبقرة تسمن وتذبح بمكة .

(٤) تكتنينها : أى تستترين منها .

(٥) الأدماء : التى أشربت سواداً وبياضاً . والمهارى : إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان ، أبى حى من العرب . والمهاة : البقرة الوحشية . والصوار : قطيع البقر .

(٦) أجواز : جمع جوز ، وهو الوسط . والتنوفة : الفلاة . واستن : هاج . والمور : الغبار تثيره الرياح .

فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت : وجَّه صاحباً له إلى حاضرنا ، فقال : إذا أتيتَ الحاضرَ من بنى عُبادة فاُعْلُ شَرَفاً ثم اُهتف بهذا البيت :

عفا الله عنها هَل أبيتنَّ ليلةً مِن الدهرِ لا يَسْرِى إلىَّ خَيالُها

فلمَّا فَعل الرجُل ذلك عرفتُ المعنى ، فقلت :

وعنه عفا ربِّى وأحسن حِفْظَه عزيزٌ علينا حاجةٌ لا ينالُها

ذكر مقتل توبة بن الحمير

مختصراً

قيل :

كان مروان بن الحكم ، وهو يتولّى المدينة لمُعاوية بن أبى سُفيان ، قد ولّى همَّام بن مُطرِّف العُقيلى صَدقات بنى عامر ، فاُختصم بنو خَفاجة و بنو عُقيل عند همَّام فى بعض أُمورهم ، وتوبةُ بن الحُمَيِّر حاضرٌ يومئذ . وقد كانت جَرت بين تَوبة و بين بنى عوف بن عُقيل ملاحاةٌ ، فوثب يومئذ ثَورُ بن أبى سِمْعان بن كَعب بن عَوف بن عامر بن عُقَيل على توبة فضَربه بجُرْزٍ[1] ، وعلى تَوبة الدِّرعُ و البَيْضة ، فجَرح أنفُ البيضة وجهَ توبة . فأمرَ همَّامٌ بثَوْر بن أبى سِمْعان فأُقْعِدَ بين يدى توبة ، فقال : خُذ بحقِّك يا توبة . فأَبى توبةُ أن يَقْتصَّ واُتهم هَماماً بأن ذلك عن أَمره . ثم بَلغَ توبةَ أن ثوراً أخرج فى نَفر من رَهطه يُريد ماءً لهم ، فأتبعه توبةُ وسأل عنه ، فقيل له : إنه عند رجل من بنى عامر بن عُقَيل يقال له : ساريةُ ، وكان صديقاً لتوبة . فكره أن يَطْرُقهم عنده وأراد أن يخرُجوا عنه . فأَقعد لهم توبةُ رجلَين من أصحابه ، فغفلا . وقال ساريةُ لهم : ادَّرعوا الليلَ فإنِّى لا آمن عليكم توبةَ . فلما فرغ الليلُ فَزِع توبةُ وعَلِم أنَّ ثوراً وأصحابه لا يَبيتون

(١) الجرز : العمود من الحديد .

بتلك الناحية ، وأنَّ صاحبَيه اللذين أرصدهما غَفَلا ولم يَصنعا شيئاً ، واقتص آثارَ القوم فوجدها . فبعَث إلى صاحبَيْه فأتياه ، فقال : دونكما هذا الجمَلَ فأوقراه من الماء فى مزادَتَيْه ، ثم اتَّبعا أثرى ، فإنْ خَفِى عليكما فإنِّى سأوقد لكما إن أمسيتما ناراً . وخرج فى إثر القوم فأدركهم مُنتصف النهار . فبدر إليهم أخوه عبدُ الله بن الحُمَيِّر فرُمى بسَهم فعُقر فرسه وجُرح ساقه . ورمى توبة ثوراً فى حَلمة ثَدْيه فصرعه . وجال القوم ، فغَشِيهم توبة وأصحابُه ووضعوا فيهم السلاحَ حتى تركوهم صَرعَى ، وهم سبعةُ نفر . فقال ثور : انتزعوا هذا السهم عنِّى . فقال توبة : ما وَضعناه لِنَنزعه . فقال أصحاب توبة لتوبة : انجُ بنا فإنا قد أدركنا ثأرنا . فقال تَوْبة : ما أنا بفاعل وما هم إلّا عشيرتكم ، ولكن تجىء الرّاوية فأضع لهم ماءً وأغسِل عنهم دماءهم وأوذن قومَهم . وأقام تَوبةُ حتى أتتهم الراوية قبلَ الليل . فسقاهم وغَسل عنهم الدماء ، وترَك فى أسقيتهم ماءً ، ثم جلَّلهم بالثياب على الشجر ، وأتى ساريةَ ليلاً فعرّفه ، ثم انصرف إلى قومه . وصبَّح ساريةُ القوم فاحتملهم ، وقد مات ثورٌ وحدَه وسلم الباقون . ولم يزل توبةُ خائفاً ، وكان لثَوْر ابنٌ يقال له : السَّليل ، كثير البَغْى والشَّر ، فبقى مُتتبِّعاً لغِرّات تَوبة بن الحُميِّر بأَبيه . فأُخبر بغرّة منه وأنه فى قُنَّة يقال لها: قُنَّة بنى الحُميِّر . فركِب نحوه فى ثلاثين فارساً حتى طَرَقه . فرقى تَوبةُ الجبلَ ، فلم يقدِر عليه ، وأخذوا أفراساً له ولإخوته ، ثم انصرفوا عنه . ثم إنَّ تَوبة غَزاهم فوجدَ إبلًا واردةً لبنى عَوف على ماء لهم ، فطَردها وخلَّى طريقَ راعيها . وكان صاحبَها هُبيرة بن السَّمين، أحد[1] بنى عوف ، وقال لراعيها : إذا أتيتَ ضرعَ البقرة[2] — يعنى هُبيرة — فأخبره أن تَوبةَ أخذ الإبل . وطَرد تَوبةُ الإبل يومه . وأخبر العبدُ مولاه بذلك ، فقال : حتى متى هذا ! ونادى فى عَوف . فاجتمع إليه منهم ثلاثون فارساً فأدركوه . فقام تَوبةُ

(١) فى غير التجريد : « أخى » . (٢) فى غير التجريد : « صدغ البقرة » .

إلى فرســه ، فغلبتْه ولم يَـقدر أن يُلجمها ولم تقِرّ له ، فخلَّى طَريقهـا . وغَشِيه القوم فقَتلوه . وطاعنهم عبدُ الله أخوه بالرُّمح حتى أنكسر ، فلمـا فَرَغوا من تَوبة مالوا على عبد الله بن الحُمَيِّر فضربوا رِجلَه فقَطعوها . فلمَّا وَقع على الأرض أنتزع سيفَه ثم جَثا على رُكبتيه وجَعل يقول : هلمُّوا ، ولم يشعُر القوم بما أصابه . ثم أنصرف القوم . وأنهزم أبنُ عمٍّ لتوبة فلحق بعبـد العزيز بن زُرارة الـكِلابى فأخـبره الخبر . فأتى عبـدُ العزيز تَوبةَ فدفَنه ، وضَمَّ أخاه . ثم ترافع القومُ إلى مروان أبن عبد الحـكم ، فـكافأ بين الدَّمَيْن ، وحُملت الجِراحات .

رثاء ليلى له

وقالت ليلى الأخيلية ترثى تَوبة بن الحُميِّر من قصيدة طويلة منها :

فإن تكن القَتلى بَوَاءً فإنكم ... فتًى ما قتلتُم آل عَوْفِ بن عامرِ
فَتًى كان أحيا من فتاةٍ حَيِيَّـةٍ ... وأشجعَ من لَيث بخَفَّان[١] خادر
فنِعْمَ الفتى إن كان تَوبةُ فاجِراً ... وفوق الفتى إن كان ليس بفـاجِرِ
كأن فتى الفتيـان تَوبةَ لم يُنِخ ... قلائصَ يَفْحَصْن الحَصا[٢] بالـكَراكِرِ

هى وأسماء بن خارجة عند الحجاج

وذُكر أن ليلى أنشدت الحجَّاج هذه الأبيات ، وعنده أسمـاءُ بن خارجةَ ، فقال لهـا أسماء : أيتها المرأة ، إنك لتَصِفين هـذا الرجل بشىء ما تعرفه العرب ! فقالت : أيها الرجُل ، هل رأيتَ تَوبةَ قطُّ ؟ قال : لا . فقالت : أما والله لو رأيتَه لودِدْتَ أن كل عاتقٍ[٣] فى بيتك حاملٌ منـه . فـكأنما فُقِئَ فى وجهِ أسماء حَبُّ الرُّمَّان . فقال الحجاج : مالك ومالها !

عود إلى مرثيتها

ومنهـــا :

فتًى كان للمولَى سَـناءً ورفعـــةً ... وللطارق السارِى قِرًى غيرَ[٤] فاترِ

---

(١) خفان : مأسدة قرب الكوفة . وخادر : مقيم . الرواية فى بعض أصول الأغانى : « وتوبة أحيا ... * وأجرأ » . (٢) الكراكر : جمع : كركرة ، وهى الصدر من كل ذى خف .
(٣) العاتق : الشابة . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « باسر » .

فتالله تبنى بيتَهــا[١] أمُّ عامر على مِثْــله أُخْرى الليالى[٢] الغَوابِر
فليس شِهابُ الحرب تَوبةَ بعــدها بغــازٍ ولا غادٍ برَكْبٍ مُســافِر
وكنتَ إذا مَولاك خاف ظُلامةً دعاك ولم يَعْـدِل[٣] سواك بناصر

مرثية لها أخرى

ولها فيه من أخرى :

كأنَّ فتى الفِتيان تَوبةَ لم يَسِرْ بنَجْــدٍ ولم يَطلُع مع[٤] المُتغــوِّرِ
ولم يرِد المــاءَ السِّدامَ[٥] إذا بدا سَنا الصُّبْح فى بادى الحواشى[٦] مُنوِّر
ولم يَغْلب الخَصْمَ الضِّجَاجَ ويَملأ الـ ـجِفانَ سَديفاً يومَ نَــكْباء[٧] صَرْصَر

ومنهـا :

قتلتم فتًى لا يُسْقِطُ الرَّوعُ رُمحَــه إذا الخيلُ جالتْ فى القَنــا المُتَكسِّر
فياتَوبُ للهيجا ويا تَوبُ للنَّــدى ويا تَوبُ للمُسْتَنبِح[٨] المُتَنَــوِّر
فيــا رُبَّ مكروهٍ أجبتَ ونائلٍ بذلتَ ومَعروفٍ لديك ومُنْكَر

مرثية لها أخرى

ولها فيه :

أقسمتُ أَرثى[٩] بعــد تَوبةَ هالــكاً وأحفِلُ مَن دارتْ عليــه الدَّوائرُ
لَعمــرك ما بالموتِ عارٌ على الفَتى إذا لم تُصِبْه فى الحيــاةِ المَعايِر
وما أحدٌ حَىٌّ وإنْ عاش سالمًــا بأَخــلدَ ممن غَيَّبته المَقــابر

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أم عاصم » . (٢) الغوابر ، أى الباقيات . يقول : إن هذه المرأة لا يشتمل بيتها على مثله آخر الدهر ؛ فإن الدهر بمثله بخيل .

(٣) فى منتهى الطلب : « ولم يهتف » .

(٤) المتغور : الذى يأتى الغور ، وهو المنخفض من الأرض .

(٥) السدام : المندفن القديم . (٦) رواية هذا العجز فى الكامل :

* سنا الصبح فى أعقاب أخضر مدبر *

والأخضر : الليل . والعرب تسمى الأسود أخضر .

(٧) الضجاج : المشاغب ذو الشدة . والسديف : قطع السنام . والنكباء : الريح تنحرف عن مهبها فتقع بين ريحين . والصرصر : الشديدة الصوت أو البرد .

(٨) المستنبح : الذى يضل فينبح نباح الكلب فتنبح لنباحه كلاب الحى فيهتدى إليه . والمتنور : الذى يبصر النار من بعيد . (٩) أى أقسمت لا أرثى ... ولا أحفل ، فحذف ، وهو كثير .

ومَن كان ممَّا يُحدث الدَّهرُ جازعاً ... فلا بُدَّ يوماً أن يُرَى وهو صابر
وليس لِذِى عيشٍ من الموتِ مَقْصَرٌ ... وليس على الأيَّام والدهر[1] غابِر
ولا الحىُّ ممَّا يُحدِث الدهرُ مُعتَبٌ ... ولا المَيْتُ إن لم يَصبِر الحىُّ[2] ناشِر
فكُل شَباب أو جديدٍ إلى بِلًى ... وكُل أمرىء يوماً إلى الله صائر
وكُل قرينَىْ أُلفةٍ لتفرُّقٍ ... شَتاتاً وإن ضَنَّا وطال التعاشُر
فلا يُبعِدَنْك الله حيًّا وميِّتاً ... أخا الحرب أن جارتْ[3] عليك الدَّوائر
فآليتُ لا أنفكّ أبكيك ما دَعَتْ ... على فَننٍ وَرْقاء أو طار طائر

مرثية لها أخرى

ولها فيه :

كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكيةٍ ... يا تَوبُ للضيف إذ تُدْعَى وللجارِ
وتَوْبُ للخَصْم إن جارُوا وإن عَدلوا ... وبدَّلوا الأمرَ نَقضاً بعد إمْرار
إن يُصدِرُوا الأمر تُطلِعْه مَوارِدَه ... أو يُوردوا الأمرَ تُطْلِعْه بإصْدار

بينها وبين معاوية فى شأنه

وذُكر أن مُعاوية بن أبى سُفيان سأل لَيلى الأخيليَّة عن تَوبة بن الحُميِّر، فقال : ويحك يا ليلى ! أكما يقول الناسُ كان تَوبة ؟ فقالتْ : يا أمير المؤمنين ، ليس كل ما يقول الناس حَقًّا ، والناس شجرةُ بَغى يحسُدون أهلَ النِّعم حيث كانت[4] وعلى مَن كانت ! والله لقد كان يا أمير المُؤمنين سَبْطَ البَنان ، حدِيدَ اللِّسان ، شَجًى للأقران ، كريمَ المَخْبر ، عفيفَ المِئْزر ، جميلَ المَنظر . وهو يا أمير المؤمنين كما قلتُ له . قال : وما قُلتِ له ؟ قالت : قلتُ ، ولم أَتعدَّ الحق وعِلْمى فيه :

بَعيدُ الثَّرَى لا يبلُغ القومُ قعرَه ... أَلدُّ مُلِدٌّ[5] يَغلِبُ الحقَّ باطلُهْ
إذا حَلَّ رَكبٌ فى ذَراه وظِلِّه ... لِيمنَعهم مما تَخاف نوازلُه

---

(١) غابر : باق .
(٢) معتب : أى راض ، من أعتبته ، إذا أرضيته . وناشر : مبعوث ، يكون متعدياً ولازماً .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : «دارت» . (٤) فى بعض أصول الأغانى : «حيث كانوا» .
(٥) ألد : كثير الجدل لا يزيغ إلى الحق . وملد : عسر فى الخصومة .

حَماهم بنَصل السّيف من كُل فادحٍ يخافُونه حتى تموتَ خصـائله

فقال لها معاوية : ويحك ! زعم الناس أنه كان عاهراً خارباً [١] . فقالت من ساعتها :

مَعاذَ إلٰهى كان واللهِ سَيِّداً جَواداً علي العِلّات [٢] جَمًّا نوافلُهْ

أغرّ خَفاجيًّا [٣] يرى البُخْل سُبَّةً تحلَّبُ كفَّاه النَّـدى وأناملُه

عَفيفاً بعيـدَ الهمِّ صُلباً قنـاتُه جَميـلاً مُحيَّـاه قليـلاً غوائله

وكان إذا ما الضيفُ أرغى بعيرَه لديه أتتْه دُسـعه [٤] وفَواضـله

وقد عَلم الجُوعُ الذى بات سارياً على الضَّيف والجيران أنَّك قاتله

وأنك رَحْبُ الباع ياتَوْبُ بالقِرَى إذا ما لئيمُ القَوم ضاقتْ مَنـازِله

فقال لها معـاوية : ويحك ! لقـد جُزْتِ بتوبة قدرَه ! فقالت : والله يا أمير المُؤمنين لو رأيتَـه وخبرتَه لعرفتَ أنِّى مُقصِّرة فى نَعته ، أو أنِّى لا أبلُغ كُنه ما هو أهلُه . فقال لها مُعاوية : أىُّ الرجال كان ؟ فقالت :

أتتْه المَنــايا حينَ تمَّ تمامُه وأقصر عنـه كُلُّ قِرْنٍ يُطاولُهْ

وكان كلَيث الغابِ يَحْمِى عَرينَه وتَرضى به أشـبالُه وحلائله

غَضوبٌ حَليمٌ حين يُطلَبُ حِلْمُه وَسُمٌّ زُعافٌ لا تُصاب مَقاتِله

فأَمر لها مُعاوية بجائزة عظيمة وقال : أَخبرينى بأَجود ما قلتِ فيه من الشعر . فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ فيه شيئاً إلا والذى فيه من خِصال الخَير أكثر ، ولقد أجَدتُ حين قلتُ :

جَزاكَ الله خَـيراً والجزاء بكفِّه فتًى من عُقَيـلٍ سـاد غيرَ مُـكلَّفِ

(١) الخارب : اللص . (٢) على العلات : أى على كل حال من عسر أو يسر .

(٣) نسبة إلى خفاجة بن عمرو ، أحد أجداد توبة .

(٤) أرغى الرجل بعيره : إذا حمله على أن يرغو ليلا فيضاف . ودسعه : عطاياه .

فتًى كانتِ الدُّنيا تهُون بأسرها عَليـه ولا ينفك جَمَّ التصرُّف
ينـالُ عَلِيَّات الأُمُور بهَوْنةٍ إذا هى أعْيتْ كُلَّ خِرْقٍ[1] مُشَرَّف
فياتَوبُ ما فى العَيش خَيرٌ ولا نَدًى يُعَدُّ وقد أمْسيتَ فى تُربِ[2] نَفْنَف
ومانِلتُ منك النِّصْفَ حتى أرتمتْ بك الـ ـمَنـايا بسَهمٍ صائب الوَقْع أعجف
فيا ألفَ ألفٍ كنتَ[3] حيًّا مُسلَّماً لألقـاك مِثـلَ القَسْور[4] المُتطرِّف
كما كُنتَ إذ كُنتَ المُنحَّى مِن الرَّدى إذا الخيـلُ جالَت فى القَنا المُتقصِّف
فـكم مِن لَهيفٍ مُحْجَرٍ قد أجبتَه بأبيضَ قَطَّاعِ الضَّريبـة مُرْهَف
فأنقـذتَه والموتُ يَحْرِقُ نابَه عليـه ولم يُطْعَن[5] ولم يَتَسيَّف

هى وعبد الملك وقد أسنت

وذُكر أنَّ ليلى الأخيليّـة دَخلَت على عبـد الملك بن مَروان ، وقد أسنَّت وعَجزت ، فقال لها : ما رأى تَوبةُ فيك حتى هَوِيك ؟ قالت : ما رآه الناس فيك حين ولَّوْك . فضَحِك عبدُ الملك حتى بَدت له سِنٌّ سوداء كان يُخفيها .

هى والحجاج

وذُكر أن ليلى وَفَدت على الحَجَّاج بن يوسف ، فأنشدَته قولها فيه :

إذا نَزل الحَجَّاجُ أرضاً مَريضـةً تَتبَّع أقصى دائهـا فشَـفاها
شَفاها من الدَّاء العُضال الذى بها غُلامٌ إذا هَزَّ القَنـاة سـقاها

فقال : لا تقُولى : « غلام » ولـكن قُولى : « همام » . وقال الحجاج : هذه التى تقول :

نحن الأخايلُ لا يزال غُلامُنـا حتى يَدِبَّ على العصا مَشهورَا
تَبكى الرِّماح إذا فَقَدْن أكفَّنا جَزعاً وتُلْفينا[6] الرِّفاقُ بُحورا

---

(١) بهونة : أى فى رفق وسهولة . والخرق : الكريم السخى . (٢) النفنف : المفازة .
(٣) فى التجريد : « فيالك أن لو كنت » مكان « فيا ألف ألف كنت » .
(٤) القسور : الأسد : والمتطرف : المغير .
(٥) فى غير التجريد : « ولم يتنسف » . (٦) فى غير التجريد : « وتعرفنا » .

ثم قال الحجّاج لحاجبه : أذهب فاقطع لسانها . فدعا لها بالحجّام ليقطع لسانَها . فقالت له : ويلك ! إنما قال الأميرُ لك : أقطع لسانَها بالعَطاء ، فأرجع إليه فأستأمره[1] . فرجع إليه فأستأمره . فأستشاط وهَمَّ بقطع لسانه . ثم أمَر بها فأُدخلت عليه . فقالت : كاد وعهدِ الله أيها الأمير أن يقطع لسانى . ثم أنشدته :

حجّاج أنتَ الذى ما مِثلَه أحدُ إلّا الخليفةُ والمُستعظَم[2] الصّمدُ
حَجّاج أنتَ سِنانُ الحَرب إنْ نَهجتْ وأنتَ للنّاسِ نُورٌ فى الدُّجى يَقِد

وذُكر أن الحجّاجَ أمَر لها بمائتين . فقالت : زِدْنى . فقال : أجعلوها ثلاثمائة. فقال بعضُ جُلسائه : إنها غَنَم . فقالت : الأمير أكرم من ذلك وأعظمُ قدراً من أن يأمُر لى إلا بالإبل . فأستحيا فأمر لها بثلاثمائة بَعير .

أول شعرها فى الحجاج

وأوّل الشِّعر الذى لليلى فى الحجّاج :

أحجّاجُ لا يُفْلَلْ سلاحُك إنما الـ ـمَنايَا بكفِّ الله حيثُ يراها

و بعده البيتان اللذان مرّا . و بعد هذين البيتين[3] :

سَقاها دِماءَ المارقين وعلّها إذا جَمحتْ يومًا وخِيف أذاها
إذا سَمِع الحجّاجُ صوت[4] كتيبةٍ أعدَّ لها قبل النُّزول قِراها
أعدَّ لها مَصقولةً فارسيّةً بأيدى رِجالٍ يَحْلُبون[5] صَراها
أحجّاجُ لا تُعْطِ العُصاة مُناهُمُ ولا الله يُعطى للعُصاة مُناها
ولا كُلَّ حَلّافٍ تقلّدَ بَيعةً فأعظمَ عهدَ الله ثم شَراها

وفاتها كيف كانت

وذُكر أنّ ليلى الأخيليّة أقبلت مِن سفر ، فمرّت بقَبر توبة بن الحُميِّر ، ومَعها زوجُها وهى فى هَودج لها ، فقالت : والله لا أبرح حتى أُسلِّمَ على تَوبة . فجعل

(١) استأمره : استشاره . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « ما فوقه أحد ... والمستغفر » .
(٣) انظر (ص ١٢٩٤) من هذا الجزء .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « رز » وهو الصوت . (٥) الصرى : بقية اللبن .

زوجُها يَمنعها من ذلك ، وتأبى إلا أن تُسلِّمَ به . فلما كثُر ذلك منها تركها . فصَعِدت أَكمةً عليها قبرُ تَوبة ، وقالت : السلام عليك يا تَوبة . ثم حوّلت وجهها إلى القوم ، وقالت : ما عَرفتُ له كَذِبةً قطُّ قبل هذه . قالوا : كيف ؟ قالت : أليس القائلَ :

ولو أنَّ ليلَى الأخيليَّة سلَّمتْ ... علىَّ ودُونى تُربةٌ وصَفائحُ
لسلمتُ تسليمَ البَشاشة أو زقا ... إليها صَدًى[1] من داخل التُّرب[2] صائحُ
وأُغبَطُ من ليلى بما لا أناله ... ألا كُلُّ ما قَرَّت به العينُ صالحُ

فما بالُه لا يُسلِّمُ علىَّ كما قال ! وكان فى جانب القبر بومة كامِنة ، فلما رأت الهَودج واُضطرابَه فَزِعت وطارت فى وجه الجمل ، فنفر فرمَى ليلَى على رأسها ، فماتت مِن وَقتها . ودُفنَت إلى جانبه .

شعرها الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار ليلى الأخيلية ، هو :

فإن تكن القتلى ... ...

وقد تقدَّم ذكر ذلك[3] .

(١) زقا : صاح . والصدى : طائر كالبومة ، زعمت العرب أنه يخرج من رأس القتيل ويصيح : اسقونى ، اسقونى ، حتى يؤخذ بثأره .

(٢) فى غير التجريد : « من جانب القبر » .

(٣) انظر (ص ١٢٩٠) من هذا الجزء .

أخبار الأقيشر الأسدى

نسبته وكنيته ولقبه

وهو المُغيرة بن عبد الله بن مُعْرِض ، مِن ولد أسد بن خُزَيمة . ويكنى أبا مُعْرِض ، والأُقيشر لقبٌ لُقِّب به ؛ لأنه كان أحمرَ الوجه أقشر .

منزلته وعمره

وكان أقعدَ بنى أسد نسباً . وعُمِّر عُمراً طويلا .

مخضرم

قال أبو الفرج :

وما أخلقَه أن يكون وُلد فى الجاهلية ، ونَشأ فى أوّل الإسلام .

مذهبه وشيء من خلقه

وكان مسكنه الكوفة . وكان عُثمانيًّا . وأهل محلّته كذلك . وكان خليعاً ماجناً مُدْمِناً شُرْب الخمر .

من شعره فى مجونه

وهو الذى يقول عن نفسه :

وإنَّ أبا مُعرِضٍ إذ حَسَا ... مِنَ الرَّاح كأساً على المِنْبَرِ
خَطِيبٌ لبِيبٌ أبو مُعْرِض ... وإن لِيم فى الخمر لم يَصْبِرِ
يُحبّ[1] اللِّئام ويَلْحَى الكرام ... وإن أقصرُوا عنه لم يُقْصِرِ

هجاؤه عبسيا وسبب ذلك

وذُكر أن الأقيشر اجتاز على مَجلس لبنى عَبس ، فناداه أحدُهم : يا أُقيشر ! وكان يغضب منها . ومَضى الأُقيشر ثم عاد ومَعه رجلٌ ، وقد قال له : قِف مَعى ، فإذا أنشدتُ بيتاً فقل لى : ولِم ذاك ؟ ثم انصرف ، وخُذ هذين الدرهمين . فقال : أنا أصيرُ معك يا أبا مُعْرِض إلى حيث شئتَ ، وما أُريد شيئاً . قال : فافعل . وأقبل مَعه حتى أتى مَجلس القوم ، فوقف عليه ثم تأمّلهم ، وقد عرف الشابَّ فأقبل عليه ، وقال :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : «يجل» . وفيها غير هذا زيادة عجز وصدر زاد بهما الشعر بيتاً .

أتدعونى الأُقيشرَ ذلك اُسمى   وأدعوك اُبنَ مُطفئة السِّراجِ

فقال له الرجل : ولم ذاك ؟ قال :

تُناجى خِدْنها بالليل سرًّا   وربُّ الناس يعلمُ ما تُناجى

فلُقب ذلك الرجل : اُبن مُطفئة السِّراج .

من دعابته مع رجل من قيس

وذُكر أن الأُقيشر كان عِنِّيناً لا يأتى النساء ، وكان كثيراً ما يصف من نفسه ضدَّ ذلك . فجَلس إليه يوماً رجلٌ مِن قَيس ، فأنشده الأُقيشر :

ولقد أَرُوح بمُشْرِفٍ(١) ذى مَيعة   عَسِرِ المَكَرَّة مَاؤه يَتفَصَّدُ
مَرِحٍ يَطير مِنَ المِرَاح لُعابُهُ   ويكاد جِلْد إهابه(٢) يَتقدَّد

ثم قال للرجل : أتعرف الشعرَ ؟ قال : نعم . قال : فما وصفتُ . قال : فرساً . قال : أفكنتَ تَركبه ؟ قال : إى والله وأثنى عِطفَه . فكشف عن أيره وقال: هذا ما وصفتُ فقُم فاُركبه . فوثَب الرجلُ عَن مجلسه ، وجَعل يقولُ : قَبَحك الله من جَليس ! سائرَ اليوم .

هو والشرطة وقد اتهموه بالشرب

وذُكر أن الأُقيشر شَرب يوماً عند خمَّار ، فجَاء الشُّرطة ليأخذوه ، فتحرَّر منهم وأغلق بابه وقال : لستُ أشرب فما سَبيلكم ؟ قالوا : فقد رأينا العُسَّ(٣) فى كَفِّك وأنتَ تَشرب . قال : إنما شَربتُ مِن لبن لِقْحة(٤) عند صاحب هذه الدار . فما بَرِحوا حتى أخذوا منه دِرْهمين . فقال :

إنمـا لِقْحتُنا باطيـةٌ   فإذا ما مُزِجتْ كانتْ عَجَبْ
لَبنٌ أصفرُ صافٍ لونُه   ينزِع الباسورَ مِن عَجْب الذَّنَبْ
إنمـا نَشرب من أموالنا   فسَلُوا الشُّرْطِىَّ ماهذا الغَضب

(١) فى غير التجريد : « ذى شعرة » .
(٢) فى غير التجريد : « وتكاد جلدته به تتقدد» .
(٣) العس : القدح العظيم . (٤) اللقحة : الناقة الحلوب .

من شعره فى تفرق أصحابه

وقيل :

كان للأُقيشر نَدامى ، فبعث الحجّاجُ بعضَهم إلى بَعْث فمات ، ونَسك بعضهم ، وهَرب بعضهم . فقال الأُقيشر :

غُلِبَ الصبرُ فاُعترتْنى هُمومٌ لِفراقِ الثِّقاتِ مِن إخوانى
مات هذا وغاب هذا وهذا دائبٌ فى تِلاوة القُرآن
ولقد كان قَبل إظهاره النُّسْـ ـك قديماً من أظرف الفِتيان

خداع امرأة له على خمر وحديث ذلك

وذُكر أن الأُقيشر كان يأتى بيتَ خَمَّار بالحِيرة يَشرب عنده الخمر ، وكان لا يسأل أحداً من الناس أكثرَ من خمسة دراهم ، يَجعل درهمين فى كِراء حِمار إلى الحِيرة ، وفيها بيتُ ذلك الخمار الذى كان يتعاهده ، ودرْهمين لثمن الخمر الذى يَشرب به ، ودِرهماً لطعامه . فإذا وصل إلى الخمَّار رَبط حماره الذى اُكتراه بلجامه ، وشَرب حتى يُمسى ، ثم يركبه فينصرف . فكان هذا دأبَه . فأتى يوماً من الأيام بيتَ الخمَّار فلم يُصادفه ، فجعل ينتظره ، ودَخلت الدارَ امرأةٌ عِباديّة[1] ، فقال لها : ما فَعل فلان ؟ قالت : قد مَضى لحاجته وأنا امرأتُه ، فما تُريد ؟ قال : نَبيذ . قالت : بكم ؟ قال : بدرهمين . قالت : هَلُمَّ درْهَميك واُنتظرنى . قال : بل أكون معك . قالت : أنتَ وذاك . فمضت وتبعها . فدَخلت داراً لها بابان وخرجَت مِن أحدهما وتركتْه . فلما طالَ جُلوسه خَرج إليه بعضُ أهل الدار ، فقالوا : ما يُجلسك ؟ فأخبرهم . فقالوا له : تلك امرأةٌ مُحتالة يقال لها أم حُنين مِن العِباديّين . فعلم أنه قد خُدع . فاُنصرف إلى خمَّاره فأخبره بالقِصّة ، وقال له : أَنسِئْنى اليوم واُسقنى . ففعل . وكان اُسم الحمار حُنيناً . فأنشأ الأُقيشر يقول :

لا تَغُرَّن ذاتُ[2] خُفٍّ سوانا بعد أُختِ العِبَاد أُمِّ حُنَيْنِ

(١) نسبة إلى : عباد ، قبائل اجتمعت على النصرانية بالحيرة .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لم يغرر بذات » .

وعدتْنا بدرهَمَيْن نَبيــذاً أو طِلاءً مُعجَّلاً غَـير دَيْن
ثم ألوتْ بالدِّرهمين جميعاً يا لَقومى لضَـيْعةِ الدِّرهمين
عاهدتْ زوجَهـا وقد قال إنى سوف أغدُو لحاجتى ولدَيْنى
فدعَتْ كالحِصان أبيضَ جَلْداً وافر الأَير مُرسَل الخُصْيتَيْن
قال ما أجره(١) هُديتِ فقالت سوف أُعطيك أجرَه مرّتين
فابدإ الآنَ بالسِّفاح فلما سالختْـه أرضتْه بالأُخْرَيين
تَلَّهـا(٢) للجَبين ثم امتطاها عارمُ الأَير أفحجُ(٣) الحَالبين
بينما ذاك منهما وهى تَحوى ظهرَه بالبَنــان والمِعْصَمين
جاءها زوجُهـا وقد شِيم منها ذوانتصاب مُوثَّقُ(٤) الأَخدعين
فتأسَّى وقال ويلٌ طَويل لحُنينٍ مِن عار أم حُنَـين

فقال الخمَّار : ياهذا ، ما أردتَ إلّا هجائى وهجاء أُمى . قال : أخذت مِنّى دِرْهمين ولم تعطنى شراباً . قال : لا والله ! ما تَعرفُك أُمى ولا أَخـذت مِنك شيئاً قط ، فإن كانت هى صاحبَتك غَرِمْتُ لك الدرهمين . قال : لا والله ، ما أعرف إلا أُم حُنين وأُبنهـا ، فإن كانت أُمك فإياها أعنى ، و إن كانت أُم حُنين أخرى فإياها أَعنى . قال : إذن لا يُـفَرِّق الناس بينهما . قال : فما عَلَيَّ إذن ! أَتُرَى أنَّ دِرْهَمَيَّ يَضيعان ؟ قال : فهلمَّ إذن أَغْرَمْهما لك ، وأقِمْ ما تحتاج إليه ، لا بارك الله لك ! ففعل .

> هو وعمته وقد أرادته على الصلاة

وذُكر أن عَمَّـة الأُقيشر قالتْ له : اُتَّقِ الله وقُم فصَلِّ . فقال : لا أُصلِّى . فلما كَثَّرت عليه ، قال : قد أبرمتِنى ، فاُختارى خَصلةً مِن خَصْلتين : إمَّا أُصلِّى ولا أتوضأ ، أو أتوضأ ولا أُصلى ؟ فقالت : قَبَحك الله ! فإن لم يكن غير هاتَـيْن فصلِّ بلا وُضوء . فقام فصلى بلا وُضوء .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « قال ما أجر ذا » . (٢) تلها : ألقاها على الجبين .
(٣) أفحج : متباعد . (٤) الأخدعان : عرقان فى جانبى العنق .

هو وامرأته وقد نهته عن الشرب

(١) وذُكر أن الأُقيشرَ شَرب وسَكر ، فَسقط فبدت عورتُه ، وامرأته تنظرُ إليه . فضحكت منه وأقبلتْ عليه تلومه وتقولُ : ألا تَستحى يا شيخ من أن تبلغ بنفسك هذه الحال ! فرفع رأسه إليها وأنشأ يقول :

تقول يا شيخ ألا تَستحى … منْ شُربك الخمر على المَكْبرِ

فقلتُ لو باكرتِ مَشمولةً … صهباءَ مثلَ الفرَس الأَشقر

رُحتِ وفى رجلَيْك عُقَّالة … وقد بدا هَنْك (٢) مِنَ المِئزر

استنشده عبد الملك أبياته فى الخمر

وذُكر أن عبد الملك بن مَروان قال للأقيشر : أنشدنى أبياتك فى الخمر . فأنشده قوله :

تُريك القذَى مِنْ دونها وهى دونه … لوجهِ أَخيها فى الإناء قُطوبُ

كُميتٌ إذا فُضَّت وفى الكأس وَردةٌ … لها فى عِظام الشَّار بين دَبيب

فقال له : أحسنتَ يا أبا مُعْرِض ! ولقد أجَدْتَ فى وَصفها ، وأظُن أنك شربتَها . فقال : والله يا أمير المُؤمنين إنه لتَريبني مَعرفتُك بها .

مما أنشده الأصمعى له فى الخمر

(١) وأنشد الأصمعىُّ للأُقيشر فى الخمر :

وباطيةٍ تُرْوى الشَّروب شبيهة … بطُوفان نُوح حين فاض وأزبدَا

ترى وسطَها الأقداحَ تهوى كأنَّها … نُجومٌ هوتْ للغَرْب مَثْنَى ومَوْحدا

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الأقيشر ، هو شِعرٌ مَدح به الأقيشرُ زكريا بن إسحاق بن طلحة بن عُبيد الله ، وكان جواداً ممدَّحاً ، وهو :

سالَنى الناسُ أين يَعْمِد هذا … قلتُ آتِى فى الدار قَرْماً سَرِيًّا

(١) لم يرد هذا الخبر إلا فى التجريد .

(٢) العقالة : من العقال ، وهو داء يأخذ فى قوائم الدواب . والهن : الفرج ، وسكنت نونه للضرورة . ورواية البيت فى اللسان (هو) : « ما فيهما » مكان « عقالة » .

ما قطعتُ البلاد قطُّ[1] ولا يَمَّـ ـمتُ إلَّا إلى زكريّا

كَم عَطـاء ونائلٍ وجزيلٍ كان لى منـكُمُ هَنيئاً مَرِيَّا

خبر موته

[2]وذُكر أن الأُقيشر كان مُولَعاً بمـدح زكريا هذا وهجاء أخيه عبـد الله أبن إسحاق . فقال عبد الله لغلمانه : ألا تُريحوننى منـه . فانطلقوا فجمعوا بَعراً وقَصباً بظهر الـكُوفة وجَعلوه فى وسط حُفرة ، وأقبل الأُقيشر سكران مِن الحِيرة على بغل ، فأنزلوه عن البغـل وأخذوه فشدُّوه رباطاً ثم وَضعوه فى ذلك البعر والقَصب وألهبوا النار فيه ، وجعلت الريح تَسفع وجهه وجسمَه بتلك النار ، فأصبح ميتاً لم يُدرَ مَنْ قتَله .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أسرى » .

(٢) لم يرد هذا الخبر إلا فى التجريد .

أخبار أعشى تغلب (*)

نسبه

اسمه رَبيعة . وقيل : النُّعمان بن مُعاوية ، أحد بنى مُعاوية بن جُشم بن بَكر ابن حُبَيْب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغْلب بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمىّ بن جَدِيلة بن أسد بن رَبيعة بن نزار .

عصره ومنزله ودينه

شاعر مِن شُعراء الدَّولة الأَمَوية . وكان يسكُن الشام إذا حَضر ، وإذا بدا نَزل فى بلاد قوْمِه بنواحى المَوْصل وديارِ رَبيعة . وكان نَصرانيًّا .

شعره فى شمعلة وقسره على الإسلام

وذُكر أنَّ شَمعلة بن عامِر بن عمرو بن بكر كان نصرانيًّا ، فدَخل على بعض خُلفاء بنى أُمَية ، فقال له : أَسْلِم يا شَمعلة . فامتنع . فأَمَر به فقُطعت قطعةٌ مِن لحم فخذه وسُوِّيَت وأُمِر بأكلها . فقال أعشى تَغلب فى ذلك :

أَمِن جِذْمَة[1] بالفَخْذ مِنك تباشرتْ ... عِداك فلا عارٌ عليك ولا وِزْرُ

وإنَّ أَمِيرَ المُؤمنين وجَرْحَه ... لكالدَّهر لا عارٌ بما فَعل الدَّهر

[2]ثم مات شمعلة من ذلك الجُرح . فقال أعشى تغلب من أبيات :

ألا يا بَنِى مَرْوان هل تُوفِّيَنَّكم ... فُروضَكمُ مِنْ قَبل أن يأتىَ الحَشْرُ

ألم يكُ غدراً ما فعلتُم بشَمْعلٍ ... وقد خاب مَن كانت سريرتَه الغَدْر

(*) لم يجرد ابن واصل شيئاً من أخبار ابن الغريزة ، شاعر مخضرم ، وأخباره فى الأغانى لا تعدو الصفحة وبعض الصفحة ، وقد ذكرت قبل أخبار أعشى تغلب .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « حذة » وهى القطعة أيضاً .

(٢) لم يرد هذا فيما بين أيدينا من أصول الأغانى . وقد وردت الأبيات الآتية فى (الصبح المنير) تتمة للبيتين السابقين .

فإن تكفُروا ما قد علمتم فربما أُتيح لكم قسراً بأسيافنا النّصر

لنحن عليكم لا لكم إن عثرتمُ من الصكّة[١] الأولى إذا قُضى الأمر

وكم قد دَفعنا عنكم مِن مُلمّة ولكن أبيتم لا وفاء ولا شُكر

ألم نَكْفكم قيساً وقيسٌ مَهيبة وبَرّيّة [٢] قُلْباً حواجبُها صُعْر

فما أقبلت للسّلم حتى تمرّست بها الأُسرة الحَصْداء والعَدد[٣] الدَّثْر

ونحنُ قتَلنا مُصعباً قد علمتمُ بمَسْكِن يوم الحَرب أنيابُها كُشْر

فما ربٌّ ذاك الفضل كاسرَ عينه هشامٌ ولا عبدُ العزيز ولا بِشْر

فبعث إليه بِشْرَ بن مَروان خاصّةً[٤] فأرضاه ووصله صلة سنيّة ، وحمله على فَرس جواد وكساه كُسوة فاخرة . فقال الأعشى يمدحه :

[٥] متى يقولوا أبو مَروان سيدنا وخَيرُ من يُرتجَى بِشْرٌ فقد صدقوا

هو الجوادُ قديماً كان سابقَهم حتى أقرُّوا ولو لم ينزعوا سُبقوا

ترجو ثعالبُ قاعٍ أن يوازيَهم بِشْرٌ وكُلٌّ إليه ضارِع مَلِق

يَرجون أن يَجمعوا مَن ليس مُتَّفقا وكيف تُجمع شتَّى ليس تتّفق

وكُلَّ ذلك قد جاءت يداك وإنّ خُلُقك لا يجرى به خُلُق

وهذه القصيدة من جَيد شعره ونادره ، وهى طويلة أولها :

* إنّ الخَليط أجدَّ البينَ فانطلقوا *

يقول فيها يفتخر بالنزارية :

أبناء شيخٍ بَنى للمَجد قُبّته فالمجدُ منه ومن أبنائه خُلُق

---

(١) فى الصبح المنير (ص ٢٩٠) : « الصرعة » . (٢) فى التجريد : « زبيرية » .

(٣) الحصداء ، أى القوية الشديدة . وفى الصبح المنير : « الحصناء » . والدثر : الكثير .

(٤) الخاصة : من تخصه لنفسك . (٥) لم يرد هذا فى أصول الأغانى . وانظر الصبح المنير (ص ٢٩١) ولم يرد فيه غير البيتين الأولين .

إنْ جاهلوا الناسَ بزّت جاهليّتهم … أو خاطروا الناسَ عن أحسابهم سَبَقوا

الوارثون نبيَّ الله سُـــنَّته … فى دينــه وعليهم نُزِّل الوَرَق

وله يهجو ابن العباس بن جزء

[١] وذُكر أنه كان بين أعشى تَغلب وبين أُبن العباس بن جَزء ـ خال الوليد وسليمان ، ابنى عبد الملك بن مروان ـ شَحناء ، فمرّ به الأعشى وهو يَخطر فى حُلة قد كساه اياها ابن أخته . فقال الأعشى :

تَعلَّمُ عبسٌ مشيةً قُرشيــةً … تميل بها أستاهُها لا تَحيدُها

فآخرُ عَبْسٍ فى المَعالى نساؤها … وأوّلُ عَبْسٍ فى المَعالى عَبِيدُها

يَعنى أن عبسا افتخرت قديماً بعنترة العَبسى ، وهو ابن أَمة ! وافتخرت آخرا بولادة بنت العبّاس بن جزء العَبسية ، أُم الوليد وسُليمان أبنى عبد الملك .

شعره الذى فيه الغناء

[٢] والشعر الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار أعشى تَغلب ، هو من قصيدة يمدح بها الأعشى مَسلمة بن عبد الملك بن مروان ، ويهجو جريراً ويُعين الأخطل عليه ، وأول القصيدة :

حَثَّت[٣] سَلاَمةُ للفِراق جِمالَها … كيما تَبينَ وما نُحب[٤] زِيالَهَا

فلئن سَلامة[٥] فارقتْ وتبدّلت … صُرماً بوَصل ما صَرمتُ حِبالَهَا

سَلِّم على دِمَنٍ تَقادم عهدُهـــا … بالخَوف[٦] وأُستلب الزمانُ حلالَها

رَبْعٌ لقانصة الغُرانِقِ[٧] ما به … إلاّ الوحُوش خَلتْ له وخَلا لها

يا رُب آنســةِ الحَديث مَليحة … قــد حَلَّت بعِراصــه أثقالَها

ظَلَّت تُســائل بالمُتيَّم أهلَه … وهى التى فعلتْ به أفعالَهَــا

---

(١) هذا من أخبار التجريد ولم يرد فى أصول الأغانى .

(٢) لم يرد من الشعر إلا بيتان فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

(٣) فى الصبح المنير (ص ٣٤٤) : « رحلت أمامه »

(٤) فى الصبح المنير : « تريد » . (٥) فى الصبح : « أمانة » .

(٦) فى الصبح : « بالحوف » . (٧) الغرانق : الشابة الممتلئة ؛ وكذلك الشاب .

دَع ما مَضى منها فرُبَّ مُدامة ... صَهباء ما خَلط القَذى سَلْسالها

باكرتُها عند الصَّباح إذا بدا ... ووضعتُ عند خِلالها أثقالَها

وصَبحتُها غُرّ الوجوه أعزة ... من تَغلب العَلياء لا أسفالَهَا

يقول فيها فى هَجو جرير والافتخار عليه :

فاخسأ جَريرُ إليك إنّا معشرٌ ... نِلْنا السماء نُجومها وهِلالهَا

ما رامنا مَلِكٌ يقُيم قناتَنا ... إلا استبحنا خيلَه ورجالَهَا

ومنها فى مَدح مَسلمة :

حَبْرٌ لمَسلمة الثناء فإنه ... طالتْ أناملُه الأكفَّ فطالها

فَلنُتبعنَّك مِدْحةً قد حُبِّرت ... أعشى بنى غَنم بن تَغْلب قالها

وإذا أراد بنو أُميــة (١) سُورةً ... نَظروا إليك فقلّدوك جَمالَهَا

وإذا أراد اللهُ خِزْىَ عِصابة ... ولاّك قتلَ مُلوكها وزوالها

ولقد وَطئت الرُّوم وطئاً مُعضلا ... وقَسمت حولَ قُصورها أموالها

وعلى بَلَنْجرقد (٢) وَطئت بجَحْفل ... حتى استبحت قُصورها وجِبالها

هو وعمر بن عبد العزيز

وذُكر أنه لما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الخلافةَ وفد إليه أعشى تغلب ومَدحه ، فلم يُعطه شيئا ، وقال : ما أرى للشعراء فى بيت المال حقًّا ، ولو كان لهم حق لما كان لك ، لأنك امرؤ نصرانى . فانصرف الأعشى وهو يقول :

لعمرى لقد عاش الوليد حياتَه ... إمامَ هُدًى لا مُستزاد ولا نَزْرُ

كأن بَنى مروان بعد وفاته ... جَلاميدُ ما تَنْدَى ولو بَلَّها القَطْرُ

---

(١) السورة : المنزلة .

(٢) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر . وملحوظ أنه لم يرد من هذه الأبيات فى الصبح إلا أربعة عشر بيتاً . على خلاف كثير فى الرواية .

أخبار أبي النضير

نسبه

هو عُمر بن عبد الملك ، بَصرىّ ، مولَى جُمح .

شاعر مغن وصلته بالبرامكة

كان شاعراً من شُعراء أهل البَصرة . ليس من المَعدودين المتقدِّمين ، ولا من المَرْذولين (١) . وكان يُغنِّى (٢) بالبصرة على جوارٍ له مولَّدات صُفْر ، وكان خَليعاً ماجنا ، وكان يُعاشر أَبَانًا اللاحقىّ ثم تَصارما ، وهجاهُ أبان وهجا جواريه . ثم أنقطع إلى البرامكة فأَغنَوْه إلى أن مات .

هو والفضل بن يحيى فى تهنئته بمولود

وذُكر أنّ الفضل بن يحيى بن خالد وُلد له مَولود ، فدَخل إليه أبو النَّضير ، ولم يكن عَرف الخبر فيُعد له تَهنئة ، فلما مَثل بين يديه ورأى الناسَ يُهنئونه نظماً ونثراً قال أرتجالا فى ذلك :

ويفرح بالمَولود من آل برمك بُغاةُ النَّدى والسيفِ والرُّمح والنَّصْلِ

وتنبسط الآمالُ فيه لفضله ... ...

ثم أُرتج عليه فلم يَدْر ما يقول . فقال الفَضل بن يحيى يُلقِّنه :

* ولا سيّما إن كان من وَلد الفَضْلِ *

فأستحسن الناسُ بديهةَ الفضلِ . وأمر له بصلة .

شعره الذى فيه الغناء

وهذان البيتان هما الشعرُ الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار أبي النضير .

---

(١) فى غير التجريد : « ولا من المولدين الساقطين » .

(٢) فى التجريد : « يمين » .

هو والفضل فى بيت له

وذُكر أنّ الفضل بن يحيى قال لأبى النَّضير : أنت القائل فينا :

إذا كنتُ من بغدادَ فى رأس فَرسخٍ وجدتُ نَسيم الُجود من آل بَرْمكِ

لقد ضَيَّقت علينا جدا ! قال: أفلأجلِ ذلك أيها الأميرُ ضاقت علىّ صلتُك، وضاقت عنى مُكافأتُك؟ وأنا الذى أقول :

تَشاغل الناسُ ببُنيانهم والفَضلُ فى بُنيانه جاهدُ
كُلٌّ ذوى الفَضلِ وأهلِ النُّهى للفَضْلِ فى تَدبيره حاسد

وعلى ذلك فما قلتُ البيتَ الأول كما بلغ الأميرَ ، وإنما قلتُ :

إذا كنتُ من بَغداد منقطع الثرَى[1] وجــدتَ نَسيم الُجود فىآل بَرمك

فقال الفضل : إنما أخذتُ ذلك عليك لأُمازحك . وأمر له بثلاثين ألفَ درهم .

بينه وبين عنان

وذُكر أنّ أبا النَّضير كان يَهوى عِنان جاريةَ النّاطفى ، فكتَب إليها :

إنّ لى حاجةً فرأيَكِ فيها لكِ نَفسى الفِدَا من الأوصابِ
وَهْى ليستْ ممــا يُبلِّغه غيـ رى ولا أستطيعُها فى كِتاب
غيرَ أنّى أقولُها حين ألقا كِ رُويداً أُسِرُّها[2] مِن ثِيابى

فأجابتــــه :

أنا مشغولةٌ بمَن لست أهوا هُ وقَلبى من دُونه فى حِجابِ
فإذا ما أردتَ أمراً فأَسرِرْ ه ولا تَجعلنّــه فى كِتاب

بينه وبين مكنونة

وذُكر أن أبا النَّضير كان يُغنِّى غناءً صالحا ، فغنَّى ذاتَ يوم صوتاً كان استفاده ببغداد . فقالت له قَينةٌ يقال لها مكنونة : أُطرح علىّ هذا الصوتَ يا أبا النَّضير . فقال : لا تَطيب نَفسى به مجاناً[3] ، ولــكن أَبيعك إيّاه . قالت : بكم ؟ قال :

(١) الثرا ، أى الثراء ، بمعنى الغنى . والرواية فى التجريد : « فى مقطع الثرى » .
(٢) فى التجريد : «أسلها » . (٣) فى غير التجريد : « محابياً » .

برأس مالهِ . قالت : وما رأس ماله ؟ قال : فَعل بى الذى أخذتُه منــه وصَنع . فغطّت وجهها وقالت : عليك وعلى هذا الصوت الدَّمار .

وذُكر[1] أنّ أبانا اللاحقيّ جاء يستأذن يوماً على أبى النَّضير ، فحجَبه ، وكان قد سَمع كلامَه وغِناء جواريه وكلام قوم كانوا عنده . فانصرف مغاضبا له ، وقال يهجوه :

أتيتُ أبا النَّضــــير فسدّ بابَا كأنّى جئتُ أســــأله ثوابَا
وما إنْ جِئتُ أســــأله طَعاما وما إنْ جئت أســــأله شَرابا
رأيتُ أبا النَّضير له حجابٌ فسُبحان الذى حَجب الكلابا
فبابُ الدار تُبصره جَــــديدا وتُبصر داخــلَ البيت الخرابا
إذا ما المرء كانــ له قِيــانٌ أحبَّ بأن يُجازَ وأنــ يُثابا
ومَن قَبِــل الثَّواب من النَّدامى تسمّح فى القِيادة وأســتجابا

أنشد الفضل بن الربيع شعراً له فى امرأة تزوجهــا وطلقهــا

وحكى أبو النضير قال :

دخلتُ على الفضل بن الربيع ، فقال لى : هل أحدثتَ بعدى شيئا ؟ قلت : نعم . قال : وما هو ؟ قلت: أبياتاً قلتُها فى امرأة تزوجتُها وطلّقتها لغير علة ، إلا لبُغضى لها ، وإنها لبيضاء بضّة كأنَّها سَبيكة فضة . قال لى : وماقلتَ فيها ؟ فقلت : قلت :

رحلتْ أُنيسة[2] بالطَّلاقِ فأَرحتُ من غُلِّ الوَثاقِ
رحلتْ فــلم تألمْ لهــــا نَفسى ولم تَبْــــك المآقِى
لولم تَبِنْ بطَلاقهــــا لأرحتُ نَفسى بالإباق
وشــــفاه ما لا تشتهيـــــه النفسُ تَعجيلُ الفــراق

فقال : يا غلام ، الدَّواةَ والقرطاس . فأُتى بهما . وأَمرنى فــكتبتُ له هــذه الأبيات . ثم قلتُ له : أنتَ والله تُبغض بنت أبى العبّــاس الطُّوسىّ ! فقال : اُسكت أخزاك الله ! ثم ما لبث أن طلّقها .

---

(١) لم يذكر هذا الخبر والأبيات فى الأصول التى بين أيدينا من الأغانى .
(٢) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « سكينة » .

أخبار العبلى

نسبه

وهو عبدُ الله بن عُمر بن عبد الله بن عليّ بن عديّ بن ربيعة بن عبد العُزّى ابن عبد شمس بن عبد مَناف .

عبلى وليس من العبلات

ويقال لعبد الله هذا : العَبْلى ، وليس منهم ؛ لأن العَبَلات من ولد أُمية الأصغر ابن عبد شمس . سُمُّوا بذلك باسم أُمهم عَبلة . وقد تقدَّم ذِكْر ذلك . وأمّا عبدُ العُزّى ابن عبد شمس جدّ هذا ، فكان يقال له : أَسَد البطحاء . وإنما أَدخلهم الناسُ فى العَبلات لمّا صارت الخلافةُ إلى بنى أُمية الأكبر ، ابن عبد شمس ، وسادوا وعُظم أمرهم فى الجاهلية والإسلام وكثر أشرافهم ، فجعل مَن لا يعلم سائرَ[1] بنى عبد شمس طبقةً[2] واحدة ، فسمَّوهم أُمية الصُّغرى . ثم قيل لهم : العَبَلات ، لشُهرة الاسم .

شيء عن جده

وكان عليّ بن عديّ بن رَبيعة بن عبد العُزّى شَهد مع عائشة رضى الله عنها يوم الجمل ، وفيه يقول شاعرُ بنى ضَبّة يومئذ :

يا ربِّ أعْقِر[3] بعليٍّ جملَهْ ... ولا تُبارِكْ فى بَعيرٍ حَمَلَهْ

إلاّ عليَّ بن عَدِيٍّ ليس له

هاشميته

وكان العَبْلى شاعراً مُجيداً من شُعراء قُريش، من مُخَضْرمى الدَّولتين الأُمويّة والعباسيّة . وكان فى أيّام بنى أُميةَ يميل إلى بنى هاشم ويذُم بنى أُمية ، إذ لم يكن لهم إليه صُنْعٌ جميل ، فسَلِم بذلك فى أيّام بني العبّاس بهذا السبب .

لم يبره هشام فقال شعراً

وذُكر أن هشام بن عبد الملك قَسّم أموالاً وأجاز جوائز ، فلم يُعْطِ العَبْلىّ شيئا ، وبَرّ أخوالَه من بنى مَخزوم ، فقال العَبلى فى ذلك :

---

(١) فى التجريد : « من لا يعلم عدلهم من بنى » . (٢) فى غير التجريد : « قبيلة » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « اكبب » . وفى بعض آخر : « اكسر » .

خَسَّ حَظِّى أنْ كنتُ من عبد شمسٍ ليتني كنتُ من بنى مَخزومِ
فأفوزَ الغداةَ منه بقَسْمٍ وأبيعَ الأبَ الكريمَ (١) بشُومِ

استقدمه المنصور فأنشده فغضب عليه فعاد إلى المدينة

فلمّا وَلى أبو جعفر المَنصور الخلافَةَ كتب إلى السَّرِىّ بن عبد الله أن يُوجِّه به إليه ، ففعل . فلما قَدِم عليه قال له : أنشدنى ما قلت فى قَومك حين تفرّقوا وأختلفوا . فقال : أعْفِنى يا أمير المُؤمنين . فقال : لا أُعفيك . فقال:فأَعطنى الأَمان. فأَمّنه . فأنشده قوله :

ما بالُ عَيْنك جائلاً أقذاؤُهـا شَرِقتْ بعَبْرتها وطال بُكاؤُها

حتى أنتهى إلى قوله :

فبَنُوا أُميّة خيرُ مَن وَطِىءالحصَى شَرَفاً وأفضلُ سادةٍ (٢) أمراؤُها

فقال له : أخرُج عنّى لا قرّب الله دارَك ! فخرج حتى قَدِم المدينةَ ، فوجد محمدَ بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنهم ، قد خرج بالمدينة على المَنصور و بايعه الناسُ بها بالخلافة ، فبايعه العَبلىُّ وصار معه .

شعره فى إنكاره على بنى أمية سبهم عليا على المنابر

وذُكر أنّ العَبْلىّ كان يكره فى أيام قومه من بنى أُميّة ما يَفْعلونه من سَبّ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه على المَنابر ويُظهر الإنكار لذلك ، فشَهِد عليه قومٌ من بنى أُمية بمكة بذلك ، فنفَوْه منها . فأنتقل إلى المدينةِ وقال فى ذلك :

شَرّدوا بى عند أمتداحِى عليّاً ورأوا ذاك فىّ داءً دَوِيّا
فو رَبِّى لا أبرحُ الدهرَ حتى تُختلَى (٣) مُهجتى أُحِبّ عَلِيّا

---

(١) الرواية فى غير التجريد :
فأفوز الغداة منهم بسهم وأبيع الأب الشريف بلوم
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ساسة » .
(٣) تختلى ، أى تقطع . وفى غير التجريد : « بحِبّى » مكان « أحب » .

وَبنيه لحبّ أحمدَ إنّى ... كنتُ أحببتُهم بحُبّى النّبيّا
حُبُّ دِينٍ لا حُبُّ دُنيا وشَرُّ ال ... حُبِّ حُبٌّ يكون دُنْياويّا
صاغنى الله فى الذُّؤابة منهم ... لا زَنياً ولا سَنِيداً(١) دَعِيّا
عَدويّاً خالى صريحاً وجَدّى ... عبدُ شمس وهاشمٌ أبوَيّا
فسواءٌ علىّ لستُ أبالى ... عَبْشميّاً دُعيتُ أو هاشميّا

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار العَبلى ، هو :

ما بالُ عينك جائلاً أقذاؤها ... شَرِقتْ بعَبْرتها وطال بُكاؤها
ذكرتْ عَشيرتَها وفُرْقةَ أهلها ... فطوتْ لذلك غُلّةً(٢) أحشاؤها

وهذان من قصيدة للعَبلى طويلة ، وهى التى تقدم أن المنصور أُستنشده إياها ، وأنه غَضب لمّا أنشده وأمر بإخراجه . وهى قصيدة جيدة يَذكر فيها العبلى أُختلاف قومه بنى أُمية ووقوع الفِتنة بينهم ، ويندُب فيها مَن قُتل مِن خلفائهم ويَبكيهم ، ويُحذرهم ذَهاب مُلكهم لاختلاف ذات بينهم . وهذه القصيدة قالها فى أيام دولتهم . يقول فيها :

وأعتادها ذِكْرُ العشيرة بالأسى ... فصَباحُها نابٍ بها ومَساؤُها
شَرِكوا العِدا فى أمرهم فتفاقمت ... منها الفُتوق وفُرِّقت(٣) أهواءها

ومنها :

ماذا أُؤمّل إنْ أُميّةُ ودّعت ... وبقاء سُكّان البلادِ بَقاؤُها

(١) الزنيم ، الدعى الملصق بالقوم وليس منهم ؛ ومثله : السنيد .
(٢) الغلة ، هنا : حرارة الحزن . وطوت : أضمرت . يريد : انطوت أحشاؤها على غلة من الحزن .
(٣) فى بعض أصول الأغانى :
شرك العدا فى أمرها فتقابلت ... فيها الفتوق وفرقت أهواؤها

أهلُ الرِّياسة والسِّيادة والنُّهى ... وأُسودُ حَرْبٍ لا يَخِيم [(١)] لقاؤُها

غيث البلاد همُ وهمْ أمراؤها ... سُرُجٌ يضىء دُجَى الظلام ضياؤها

فلئن أُمَيَّةُ ودَّعت [(٢)] وتتايعت ... لغَوايةٍ حَمِيَتْ لها خُلفاؤها

ايُودِّعَنَّ من البريَّة عزُّها ... ومن البلاد جَمالُها ورَجاؤها

لَهْفى على حَرْب العَشيرة بينها ... هلَّا نَهَى جُهَّالَهَا حُلماؤها

هَلَّا نُهًى تَنهى الغَوِىَّ عن التى ... يُخشى على سُلطانها غَوغاؤها

لمَّا رأيتُ الحربَ تُوقَد بينها ... ويَشُبُّ نارَ وَقودها إذكاؤها

نوّهتُ بالملكِ المُهيمنِ دعوةً ... ورَواحُ [(٣)] نفسى فى البلاء دُعاؤها

ليرُدَّ أُلفتها ويَجمع أمرَها ... بخِيارها فخِيارُها رُحماؤها

فأجاب ربِّى فى أُمَيَّة دعوتى ... وحَمَى أُميةَ أن يُهَدَّ بِناؤها

وحَبَا أُميةَ بالخلافة إنهم ... نُور البلادِ وزَينُها [(٤)] وسَناؤها

فبنو أُميةَ خيرُ مَن وطىء الثَّرى ... شَرفاً وأفضلُ ساسةٍ أُمراؤها

---

(١) لا يخيم : لا ينكص ولا يضعف . وفى بعض أصول الأغانى : « والسياسة والندى » مكان « والسيادة والنهى » .

(٢) تتايعت : أسرعت .

(٣) رواح نفسى : راحتها .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « وبهاؤها » .

أخبار أبي جلدة

نسبه

هو أبو جِلْدة بن عُبَيد بن مُنْقذ بن حُجْر بن عُبيـد الله بن مَسْلمة بن حُبيِّب ابن عَدِىّ بن جُشَم بن غَنْم بن حُبيِّب بن كَعب بن يشكُر بن بكر بن وائل .

شاعر أموى

وهو شاعر إسلامى من شُعراء الدَّولة الأُمَوية . وكان مَسكَنُه الـكُوفة .

كان مع الحجاج ثم خرج عليه مع ابن الأشعث

وكان ممّن خَرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأَشعث بن قيس الـكِندى على الحجّاج بن يوسف ، وقاتلَه فى وقعة الجماجم و يوم الزَّاوية[1] . وقد تقدَّم ذكرها فى أخبار أعشى هَمدان[2] . فقتله الحجّاج . وكان قبل ذلك أخصَّ الناس بالحجّاج ، حتى إنه بَعثه إلى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، فخَطب الحجّاجُ منـه أبنتَه أمّ كُلثوم . ثم إنه بعد ذلك خرج مع أبن الأشعث ، وصار مع ذلك من أشدّ الناس تحريضاً على الحجّاج . فلما أُتِى برأسه إليه وُضع بين يديه ، فنظر إليـه طويلاً ثم قال : كم من سِرٍّ قد وضعتُه فى هذا الرأس فلم يخرج منه حتى أُتيتُ به مَقطوعاً .

وكان صَحِب القَعقاع بن سُويد المِنْقرىّ ، وهو على سِجستان ، فولّاه بعضَ الأعمال . وصَحب بعده مِسْمع بن مالك ، فولّاه وأَحسن إليه .

شعره فى خليعة حين تزوجت غيره

وذُكر أنّ أبا جِلْدة خَطب أمرأةً مِن عِجْل يقال لها : خَليعة بنت صَعب ، فأبتْ أن تتزوّجه وقالت : أنت صُعلوكٌ فقـير لا تحفظ مالَك ولا تلَقى[3] شيئاً إلا أنفقته فى الخَمر ، وتزوّجت غيرَه . فقال أبو جِلْدة فى ذلك :

---

(1) الزاوية : موضع قرب البصرة .

(2) انظر (ص ٧٣١) من الجزء الثانى من القسم الأول .

(3) فى بعض أصول الأغانى : « لا تلق » .

لما خَطَبَتُ إلى خليعـةَ نفسَها قالت خَليعـةُ لا أرى لك مالَا

أوْدَى بمـالِى ياخَليعُ تَكرُّمى وتَخـرُّقى وتحمُّلى الأثقـالا

إنى وَجـدِّكِ لو شَهدتِ مَواقِفى بالسَّفْح يومَ أُجَلِّل الأَبطالا

سَيفى ، لَسَرَّكِ أن تكُونى خادماً عنـدى إذا كَرِه الكُماةُ نِزالا

حديثه مع قوم ضحكوا حين ضرط

وذُكر أنَّ أبا جِلْدة اليَشكريَّ كان فى قَريةٍ مِن قُرى بُسْت يقال لها : الخَيْزران ، ومعهـم عَمرو بن صُوحان ، أخو صعصعة بن صُوحان ، فى جَماعة يتحـدَّثون ويَشربون ، إذ قام أبو جِلْدة ليبـول ، وكان عظيم البَطن ، فضَرِطَ ، فتضاحك القومُ به ، فسَلَّ سـيفَه وقال : لأضربنَّ كُلَّ مَن لم يَضْرِط فى مجلسه هـذا ضربةً بسيفى ، أمِنِّى تَضحكون لا أُمَّ لكم[1] ! فما زال حتى ضَرِطوا جميعاً غير عمرو بن صُوحان . فقـال له : قد علمتَ أن عبد القيس لا تَضْرِط ، ولك بَدَلها عشرُ فَسوات . فقال : لا والله أو تُفْصِحَ بها . فجعل عمرو ينحنى و يتكلَّف فلا يقـدر عليها . فتركه . فقال أبو جِلدة فى ذلك :

أمِنْ ضَرْطَةٍ بالخَيْزران ضرطتُها تَشـدَّدُ منِّى تارةً وتَلينُ

فما هُو إلَّا السيفُ أو ضَرطَةٌ لها يثور دُخانٌ سـاطعٌ وطَنين

شعره فى امرأة دهقانة

وذُكر أنَّ أبا جلدة عَشق امرأةً ببُسْت . وكانت المرأة دِهْقانةً ، فكان يختلف إليها ويكون عندها دائماً . وقال فيها :

وكأسٍ كأنَّ المِسْك فيها حَسوتُها ونازَعنيهـا صاحبٌ لى مُلَوَّمُ

أغرُّ كأنَّ البـدر سُنَّةُ وجهه له كَفَلٌ رابٍ وفَرْعٌ ومَبْسِمُ

يُضىء دُجى الظَّلماء رونقُ خدِّه ويَنجاب عنه الليلُ والليلُ مُظلم

وبَطنٌ طواه اللهُ طَيًّا ومَنطقٌ شَهِىٌّ ورِدفٌ نِيط بالحِقْو[2] مُفأَم

(١) فى التجريد : « لا أرضى لكم » .

(٢) نيط : علق . والحقو : الكشح . والردف المفأم : السمين .

به تَبلتْنى وأستبتْنى وغادرتْ بناتِ فُؤادى (١) نارُها تتضرّم
أَبيتُ بها أَهذِى إذا الليل جَنَّنى فأُصبح مَبهوتاً فما أَتكلَّم
وعَهْدى بها والله يُصلح (٢) شأنها تجودُ على مَنْ يَشتهيها وتُنْعم
فما بالُها ضَنَّت علىّ بوُدِّها فقلبى بها يا قوم عانٍ مُتيَّم

فبلغها هذا الشعرُ، وسألت عن تفسيره ففُسِّر لها. فلما انتهى التفسيرُ إلى البيتين الأخيرين قالت: أنا زانية كما زعم إنْ كلمته أبدا! أَوَ كلما اشتهانى إنسان بذلتُ له نفسى! إنى إذَنْ زانية. فصرمتْه فلم يقدر عليها. فعُذّب بها زمانا، ثم قال فيها لما يَئس منها:

صَحا قلبى وأقصر بعد غَىٍّ طويلٍ كان فيه من الغَوانِى
رأى قَصْدَ (٣) السبيل فباع جهلاً برُشْدٍ وارتجى عُقبى الزَّمان
وخاف الموتَ فاعتصم ابنُ حُجْر بقرآن المُفصَّل والمَثانى (٤)
وقِدْماً كان مُعتَرِماً (٥) جَمُوحاً إلى لذّاته سَلِس العِنَان
فأقلع بعد صَبْوته وأضحى طويلَ الباع (٦) يَهْرف بالقُران
ويدعو الله مُجتهداً لكيما ينالَ الفوزَ فى غُرَف الجِنان

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى جلدة، هو:

مَهلاً ذَرِينى فإنّى غالِبى (٧) خُلُقى وقد أرى فى بلاد الله مُتَّسعَا
ما عَضَّني الدَّهرُ إلاّ زادنى كَرماً ولا استلنتُ له (٨) إن جارَ أو خَدعا

(١) فى غير التجريد: « لظى فى فؤادى ».
(٢) فى غير التجريد: « بالها » مكان « شأنها ».
(٣) فى غير التجريد: « بأن قصد ».
(٤) رواية هذا العجز فى غير التجريد:
* من الحب المبرح بالجنان *
وحجر: من آباء أبى جلدة.
(٥) معترماً: شرساً.
(٦) فى غير التجريد: « طويل الليل ».
(٧) فى غير التجريد: « غالنى ».
(٨) فى غير التجريد: « ولا استكنت له ».

أخبار علّويه

هو علىّ بن عبد الله بن سَيْف . وكان جَـدُّه سَيف من الشُّغْد الذين سَباهم سَعيد بن عُثمان بن عفّان رضى الله عنه ، وأسترقّ منهم جماعةً أختصّهم بخِدْمته ، وأعتق بعضَهم بعد مُدة ، ولم يُعتق الباقين فقتلوه .

نسبه

ويُـكنى علّويه أبا الحسن . وكان مُغنّياً حاذقاً ، وصـانعاً مُتقِناً ، وضـار با مُتقدِّما ؛ مع خِفّة رُوح ، وطِيبِ مُجالسة ، ومَلاحة نَوادر .

كنيته وشىء عنه

وكان الذى عُـنِي بتَخريجه وتَعليمه إبراهيم الموصلىّ . وغنّى لمحمّد الأمين بن الرشيد . وعاش إلى خِلافة المُتوكل . ومات بعد إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ بمُدة يسيرة . وكان إسحاق يتعصَّب له فى أكثر أوقاته على مُخارق .

نشأته فى الغنـاء وحياته وموته

وكان الواثق يقول :

وصف الواثق له

علّويه أصحُّ الناس صنعةً بعد إسحاق ، وأطيب الناس صوتاً بعد مُخارق ، وأحسن الناس ضَرباً بعد زَلزل [1] ومُلاحظ ، فهو مُصلى كُلِّ سابِق نادر ، [2] وثانى كُل أول فاضل [3] متقدِّم .

وكان أيضاً يقول:

غناء علّويه مثل نَقر الطَّست يبقى ساعةً فى السَّمع بعد سُكوته .

وذُكر أنَّ الخَلَنْجىَّ القـاضى ـ وأسمه عبد الله بن محمـد ـ كان أبنَ أُخت

عزل المأمون لابن أخته الخلنجى عن القضاء لغناء علويه بشعره

(١) فى غير التجريد : « زبرب » . (٢) فى غير التجريد : « قادر » .

(٣) فى غير التجريد : « واصل » .

عَلّويه ، وكان قاضى الشَّرْقيّة [١] ببغداد فى أيّام الأمين . وكان عَلّويه يُعاديه لمُنازعةٍ كانت بينهما . فآذاه عَلّويه بأنْ عَمِل له حكايةً أعطاها الزَّفّانين [٢] وللمُخنّثين ، فأحرجوه فيها ، فأوجب ذلك للقاضى أن استعفى من القضاء ببغداد فأُعفى . ثم سأل أن يُولّى بعض الكُور البَعيدة ، فولى قَضاء دِمشق . فلمّا ولى المأمونُ الخلافةَ غنّاه عَلّويه بشعر القاضى الخَلَنْجىّ ، وهو :

بَرِئتُ من الإسلام إن كان [٣] ذا الذى أتاكِ به الواشُون عنّى كما قالُوا
ولكنّهم لما رأوكِ [٤] غَرِيّةً بهَجْرى تواصَوْا بالنَّميمة واحتالُوا
فقد صِرْتِ أُذْناً للوُشاة سميعةً ينالُون من عِرْضى ولولاكِ [٥] ما نالُوا

فقال له المأمون : من يقول هذا الشعرَ ؟ فقال له علّويه : قاضى دمشق . فأمر المأمون بإحضاره وكتب إلى والى دِمشق بإشخاصه ، فأُشخص . وجلس المأمونُ للشُّرب ، وأُحضر علّويه ، ودعا القاضى وقال : أَنشدنى قولك :

برئتُ من الإسلام إن كان ذا الذى أتاكِ به الواشُون عنّى كما قالُوا

فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذه أبياتٌ قلتُها منذ أربعين سنةً وأنا صبىّ ، والذى أكرمك بالخلافة وورّثك ميراث النبوّة ما قلتُ شعرا منذ أكثر من عِشرين سنةً إلا فى زُهد أو فى عِتاب صديق . فقال له : اجلس . فجَلس . فناوله قَدح نبيذٍ كان فى يده . فقال : والله يا أميرَ المُؤمنين ما غيَّرتُ الماء بشىء قطُّ مما يُختلف فى تَحليله . فقال : لعلّك تُريد نبيذَ التَّمر أو الزَّبيب ؟ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرِف شيئاً منهما . فأَخذ القدح من يده وقال : أمَا واللهِ لو شربتَ شيئاً من هذا لضربتُ عُنقك ، ولقد ظننتُ أنك صادق فى قولك

---

(١) الشرقية : محلة بالجانب الغربى من بغداد . (٢) الزفانون : الراقصون .
(٣) فى التجريد : « إن كان كلما » . (٤) غرية : مولعة .
(٥) فى غير التجريد : «وإن شئت» مكان « ولولاك » .

كُلِّه ، ولكنْ لا يتولّى لى القضاءَ رجلٌ بدأ فى قوله بالبراءة من الإسلام ! أُنصرف إلى منزلك . وأمر علّويه فغيّر الكلمةَ وجعل مكانَها : « حُرِمتُ مُناىَ منك » .

ضربه الأمين ولم يقربه المأمون

وحُكى أن علّويه كان يُغنّى بين يدى الأمير ؛ فغنّى فى بعض غنائه :

ليتَ هنداً أنجزتْنا ما تَعِدْ وشَفتْ أنفسَنا مما تَجِدْ

وكان الفضلُ بن الرَّبيع يَضْطغن على علّويه شيئا ، فقال للأمين: إنما يُعرِّض بك و يستبطىء المأمونَ فى مُحاربته إياك ، . فأَمر الأمينُ بعلّويه فضُرب خمسين سوطاً، وجُرَّ برجله حتى أُخرج . وجفاه مُدَّة ، حتى أَلقى نَفسه على كَوْثر. فترضّاه له، فردّه إلى خِدمته وأمر له بخمسة آلاف دينار . فلما قَدِم المأمونُ تقرَّب إليه بذلك، فلم يَقع له بحيث يُحب ، وقال له . إنَّ الملك بمنزلة الأسد فلا تتعرض لما يُغضبه ، فإنه ربما جَرى منه ما يُتلفك ثم لا تَقدر بعد ذلك على تَلافى ما فَرط منه ! ولم يُعطه شيئا .

غضب الأمين على ابراهيم الموصلى ثم ترضاه ابنه إسحاق

قال أبو الفرج :

ومثل هذا مِن فِعل الأمين ما حَكى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : دخلتُ يوماً على الأمين فرأيتهُ مُغضباً كالِحاً . فقلت له : ما لأمير المؤمنين — أتمَّ الله سُروره ولا نَغَّصه إياه — كالخاثر [1] ! فقال : غاظَنى أبوك الساعةَ لا رَحِمه الله ! واللهِ لو كان حياً لضربتُه خمسمائة سوطٍ ، ولولاك لنبشتُ الساعةَ قبره وأحرقتُ عظامه . قال إسحاق : فقمتُ على رِجلى وقلت : أعوذ بالله من سُخط أمير المؤمنين ، ومَن أَبى وما مِقدارُه حتى تَغتاظ منه ! وما الذى غاظك ، فلعلّ له فيه عُذراً ؟ فقال : شِدّة محبّته للمأمون وتقديمه إياه حتى قال فى الرَّشيد شعراً يُقدِّمه

---

(١) هذه رواية التجريد . والخاثر : الثقيل النفس غير الطيب ولا النشيط . وفى غير التجريد : « الحائر » .

علىَّ وغنّاه فيه ، فغُنيته الساعةَ فأورثنى هذا الغيظَ . فقلت : والله ما سمعتُ بهذا ولا كان لأبى غناء إلا وأنا أرويه ، فما هو ؟ فقال قوله :

أبو المأمونِ فينا والأمينِ   له كَنَفانِ من كَرمٍ ولِينِ

فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إنه لم يُقدِّمه فى هذا الشعر لتَقديمه إياه فى المُوالاة، ولكن الشعر لم يصح وزنه إلا هكذا . فقال : كان ينبغى إذا لم يَصِحّ الشعرُ إلا هكذا أن يدعه إلى لعنة الله ! فلم أَزل أُداريه وأَرفُق به حتى سَكن . فلما قدم المأمونُ سألنى عن هذا الحديث ، فحدّثتُه به . فجعل يَضحك و يعجب منه .

تخلف عن المأمون لموعد له مع عريب ثم غناه بما صنعاه فطرب

وحكى علَّويه قال :

أمرنا المأمونُ أن نُباكره لنَصْطبح . فَلقينى عبدُ الله بن إسماعيل ، مولى عَريب ، فقال : أيها الظالمُ المُعتدى ! أَمَا تَرحم ولا ترقّ ! عَريبُ هائمةٌ من الشَّوق إليك تدعو الله وتستحكمه عليك ، وتحلُم بك فى نَومها كُلَّ ليلة ثلاثَ مرات ! قال عَلويه : فقلتُ له : أُم الخليفة (١) زانية ! ومضيتُ معه . فحين دخلتُ قلت : أَستوثِقْ من الباب ، فإنى أعرف فُضول الحُجّاب . و إذا عَريب جالسةٌ على كرسىّ تطبُخ ثلاثَ قُدور من الدَّجاج . فلمّا رأتْنى قامت فعانقَتْنى وقبَّلتنى وقالت : أىَّ شىء تَشتهى ؟ قلتُ : قِدراً من هذه القُدور . فأَفرغت قدراً بينى و بينها، ثم دَعت بالنَّبيذ فصبَّت رطلاً، فشربتْ نصفَه وسقتنى نصفه، ثم قالت: يا أبا الحسن ، غنيتُ البارحةَ فى شعرِ أبى العَتاهية ، أفتسمعه وتُصلحه ؟ فغنَّت :

عَذِيرى مِنَ الإنسان لا إن جَفَوْتُه   صَفا لى ولا إن صِرْتُ طَوْعَ يدَيْهِ
وإنّى لَمُشتاقٌ إلى ظِلِّ صاحبٍ   يَرِقُّ (٢) ويصفُو إنْ كَدَرتُ عليه

(١) فى غير التجريد : « أم الخلافة » .
(٢) فى غير التجريد : « يروق » .

فلم أزل أنا وهى حتى أصلحناه . ثم قالت : أحبّ أن تغنّى أنت فيه أيضاً لحناً . ففعلتُ . وجعلنا نشرب على اللّحنين مَلِيًّا . ثم جاء الحُجّاب فكسروا الباب واستَخرجونى . فدخلتُ على المأمون وأقبلتُ أرقُص من أقصى الإيوان وأُصفّق وأُغنّى الصوت . فسمع المأمونُ والمغنُّون ما لم يَعرِفوه واستظرفوه . وقال المأمون . أُدْنُ يا عَلّويه ورُدَّه . فرددتُه عليه سبعَ مرات . فقال لى فى آخرها ، عند قولى :

* يرق ويصفو إن كدرت عليه * :

يا علّويه ، خُذ الخِلافة وأَعطني مثلَ هذا الصاحبَ .

حسده ابن المهدى على صوتين سمعهما منه

وذُكر أن علّويه اُجتمع بإبراهيم بن المَهدىّ بعد غَيبته عنه مدةً ، فقال له إبراهيم : ما الذى أحدثت بعدى من الصنعة يا أبا الحسن؟ قال : صنعتُ صوتين. قال : هاتِهما . فغنّاه :

ألاَ إنّ لى نَفسَيْن نفساً تقولُ لى ... تَمتَّع بليلَى ما بدا لك لِينُها
ونفساً تقول اُستبْقِ وُدَّك واُتَّئِدْ ... ونفسَك لا تَطرَح على من يُهينها

فكاد إبراهيم يموت من الحسد ولم يَدْرِ ما يقول ؛ لأنه لم يَجِد فى الصوت مَطعناً ، فَعدل عن الكلام فى هذا المَعنى وقال : هذا يدُل على أن لَيلى كانت من لِينها مثلَ المُوم (١) بالبَنَفْسَج . فسكتَ علّويه . ثم سأله عن الصوت الآخر ، فغنّاه . والشعر لحاتِم الطائىّ :

إذا كان لى شيئان يا أُمّ مالك ... فإنّ لجارِى منهما ما تخيّرا
وفى واحدٍ إنْ لم يكُن غيرُ واحد ... أُراه له أهلاً إذا كان مُقْترا

فبرّز به على الأول ، وكاد إبراهيم يموت غيظاً وحسدا . ثم قال إبراهيم له :

(١) الموم : الشمع .

فإن كان لك أمرأتان يا أبا الحسن حبوتَ جارك منهما واحدةً ؟ فخجل علّويه وما نَطق بصوت بقيّةَ يومه .

نزل له المأمون عن حراقة لصوت غناه إياه

وحَكى علّويه أنه غَنى هذا الصوت الأخير المأمونَ وهو راكبٌ معه فى حَرّاقة ، وجواريه فى الحراقة يشربن معه ـ وما كانوا يَحجُبون جواريهم ما لم يَلِدْن ـ وأنّ المأمون طَرِب طرباً شديدا وقال : لمن هذا الصوت ؟ قال: فقلتُ : صوتٌ صَنعته وأهديتهُ إليك . فقال لمُتيم جاريته : خُذيه عنه . فألقيتهُ عليها حتى حفظتْه . فسُرّ بذلك وطرب ، وقال : ما أجد مكافأةً لك على هذا إلا أن أتحوّل عن هذه الحرّاقة بما فيها وأُسلِّمها إليك . فتحوّل عنها إلى حَرّاقة أُخرى ، وتسلمتُها بجميع ما فيها ، و بِعْتُ ذلك بمائة وخمسين ألفَ درهم ، فاشتريتُ بها ضَيعتى المعروفة بالصالحيّة .

غنى المأمون بما أساءه فغضب عليه

وَحَكى علّويه قال :

كنتُ مع المأمون لمّا خَرج إلى الشام ، فدخلنا دِمَشْق فطُفْنا فيها ، وجَعل يطوف عَلى قُصور بنى أُمية ويَتَتَبَّع آثارهم . فدخلنا صَحناً من صُحونهم ، فإذا هو مَفروش بالرُّخام الأخضر كُلِّه . وفيه بِركةُ ماء يدخلها ويخرج منها من عين تَصُبّ إليها ، وفى البركة سمكٌ ، و بين يدى البركة بُستانٌ ، على أربع زواياه أربعُ سَرَوات [1] كأنها قُصَّت بمِقْرض من ٱلتفافها ، أحسنُ ما رأيتُ قطُّ من السَّرو قدًّا وقدرا ، فٱستحسن ذلك وعَزم على الصَّبوح وقال : هاتُوا لى الساعةَ طعاماً خفيفا . فأُتى ببَزْ ماوَرْد ، [2] فأكله . ودَعا بالشَّراب ، فأَقبل علىّ وقال : غنِّنى ونَشِّطنى . فكأن الله أنسانى الغِناء إلا هذا الصوت :

(١) السروات : جمع سروة ، وهى شجرة قويمة الساق .

(٢) البزماورد : طعام يتخذ من اللحم المقلى بالزبد والبيض .

لو كان حَولى بنــو أُميّة لم ... يَنطق رجالٌ إذا هُمُ (١) نَطقُوا

من كُل قَرْمٍ مَحضٍ ضرائبُه ... عن مَنْكِبيه القَميصُ (٢) يَنْخرق

قال : فَنظر لى مُغضباً وقال : عليك وعلى بنى أُمية لعنة الله ! ويلك ، أقلت لك: سُرَّنى أو سُؤْنى ! ألم يكن لك وقتٌ تذكُر فيه بنى أُميّة إلا هـذا الوقتَ تعرِّض بى ! فتجلَّدتُ عليه (٣) وعلمتُ أنّى قد أخطأت ، فقلت : أتلومنى على أن أذكُر بنى أُمية ! وهذا مولاكم زِريابٌ عندهم يَركب فى مائتى غلام ممْـلوك له ، و يملك ثلاثمائة ألف دينار وهَبوها له ، سوى الضياع والخيل والرَّقيق ، وأنا عندكم أموت جوعاً ! فقال : أو لم يكن لك شيء تذكِّرنى به نفسك غير هذا ؟ فقلت : لا ، هكذا حَضرنى حين ذكرتُهم . فقال : عَدِّ عن هذا وتَنبّه لإرادتى ، وغَنِّ . فأنسانى الله كُل شيء أُحسنه إلا هذا الصوت :

الحَيْنُ ساق إلى دِمَشْقَ وما ... كانت دِمشــقُ لأهلنا بلدَا

قادتْك نفسُك فاْستقدتَ لها ... وأرتْك (٤) أمرَ غَواية رَشَدَا

قال : فرمانى بالقَدح ، فأخطأنى وانكسر القدح ، وقال : قُم عَنّى إلى لعنة الله! وقام فركب . وكانت تلك الحال آخر عهدى به .

تعقيب لابن واصل

قلت : زِرياب ــ الذى ذكره علّويه ــ هو مولى بنى العبّاس، مضى إلى الأندلس وبها ملوك بنى أُمية ، وكانوا صاروا إليها بعد زوال دَولتهم بالمشرق ، فملَـكوهـا إلى بعد سنة أربعمائة ، فخدمهم زرياب وأَحسنوا إليه . وعلويه هو مولى بنى أُمية،

---

(١) فى غير التجريد : « أراهم » مكان « إذا هم » .

(٢) انخراق القميص : كناية عن جذب العفاة له ، أو أنه يؤثر بجيد ثيابه فيكسوها غيره ويلبس هو منخرقها .

(٣) فى غير التجريد : « فتحيلت عليه » .

(٤) فى غير التجريد : « وأريت » .

فلما غَلط علّويه وذكر بنى أُمية أَوْهم المأمون أنه إنما ذكرهم ليذكّر بنفسه، وليُحسن المأمون اليه كما أُحسنت بنو أُمية إلى زِرياب .

وفاة المأمون

وتُوفى المأمون فى تلك السنة فى تلك السفرة ، لأنه مضى إلى بلاد الروم غازياً فمات بالبَذَنْدون ، [1] ودُفن بطَرسوس سنة ثمان عشرةَ ومائتين .

موت علويه

وذكر أنه كان سبب موت علّويه أنه ظهر على جسده جرب ، فشكاه إلى يحيى بن ماسويه الطبيب ، فبعث اليه بدواء مُسهل وطِلاء ، فشرب الطلاء وأُدّهن بالدواء المُسهل ، فمات من ذلك .

(١) بذندون : قرية بينها وبين طرسوس يوم .

أخبار إسماعيل بن عمّار

نسبه

هو إسماعيل بن عمّار بن عُيينة بن الطُّفيل، أحد بنى أسد بن خُزيمة.

عن شعره ومنزله

وهو شاعرٌ مُقِلٌّ مُخضرم من شُعراء الدّولتين الأموية والعبّاسية. ومَنزله بالكُوفة.

شعره فى جوارى ابن رامين

وذُكر أنه كان بالكُوفة صاحبُ قِيَان، يقال له: ابن رامين، قَدِمها من الحِجاز، وكان يَسمع الغِناء و يَشرب النَّبيذ، و يأتيه النُّدمان فيُقيمون عنده[1]. وكان نازلاً فى جِوار إسماعيل بن عمّار. وفى جواريه يقول ابنُ عمّار:

هَل مِن شِفاء لقَلْبٍ لَجَّ مَحزونِ ... صَبَا وصَبَّ[2] إلى رِئْمِ ابن رامينِ
إلى رُبيحةَ إنّ الله فَضلها ... بحُسْنها وسَمَاعٍ[3] ذى أفانين
وهاجَ قلبكَ[4] منها مَضْحكٌ حَسَنٌ ... ولَثغةٌ بعدُ فى راء[5] وفى سِين
نَفْسِى تأبَّى لكم إلا طَواعيةً ... وأنتِ تأبَيْن يوماً[6] أن تُطيعينى
يا ربِّ إنّ ابنَ رامينٍ له بَقَرٌ ... عِينٌ وليس لنا غيرُ البَراذين
لو شئتَ أعطيتَه مالاً على قَدَرٍ ... يرضَى به منكَ غيرَ الرَّبْرَب العِين

شعره فى جارية ابتاعها ابن سليمان من ابن رامين وهو الشعر الذى فيه الغناء

ذُكر أنّ ابن رامين حَجَّ سنةً وحَج بجواريه معه، وكان محمد بن سُليمان ابن علىّ بن عبد الله بن العبّاس إذ ذاك على الحجاز، فاشترى من ابن رامين جاريةً من جواريه ـ يقال لها الزّرقاء ـ بمائة ألف درهم، فقال إسماعيل بن عمّار فى

(١) العبارة فى غير التجريد: «فكان من يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده».
(٢) صبا: مال. وصب: عشق.
(٣) سماع، أى غناء.
(٤) فى غير التجريد: «قلبى».
(٥) فى غير التجريد: «فى زاى».
(٦) فى غير التجريد: «لؤما».

ذلك ، وهو الشعر الذى فيـــه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار إسماعيل :

أيّةُ حالٍ يابنَ رامـينِ … حالُ المحبِّين المساكينِ

تركتَهم مَوتَى وما مُوِّتوا … قد جُرِّعُوا منك الأمرَّين

حججتَ بيتَ اللهِ تبغى به الـ … ـبرَّ ولم تَرْثِ لمحزون

ياراعىَ الذَّوْدِ لقد رُعتَهم … ويلك مِن رَوْعِ المُحبِّين

فرّقت قوماً لا يُرى مثلهُم … ما بين بغدادَ(١) إلى الصِّين

هجاؤه لجارية له

وذكر أن إسماعيل بن عمّار كانت له جارية قد ولدتْ منه ، وكانت سيئة الخُلق قَبيحة المنظر ، وكان يبغضها وتُبغضه ، فقال فيها :

بُليتُ بزَنمَرْدةٍ كالعَصا … ألصَّ وأخبثَ من(٢) كُنْدُش

تُحبُّ النساءَ وتأبَى الرجالَ … وتَسعى مع الأَسْفَهِ الأَطْيَش

لها وجهُ قِردٍ إذا أُزيِّنتْ … ولونٌ كبَيْض القَطا الأبْرش

ومن فوقه لِمَّةٌ جَثْلةٌ … كريش الخوافى من(٣) المَرْعَش

وبَطنٌ خَواصرُه كالوِطا … ب زاد على كَرِش الأكْرش

وإن نكَهت(٤) كِدْتُ مِن نَتْنِها … أخِرُّ على جانبِ المَفرش

وثَدْىٌ تدلَّى على بَطنها … كقِربةِ ذى الثَّلَّة(٥) المُعطِش

وفَخْذان بينهما بَسْطةٌ … إذا ما مَشت مِشيةَ(٦) المُنْتَشى

وساقٌ يُخَلخلها خاتم … كساق الدَّجاجة أو(٧) أحمش

---

(١) فى غير التجريد : «كوفان» وهى الكوفة . وهى أيضاً قرية بهراة .

(٢) الزنمردة : المرأة تشبه الرجال خلقاً وخلقا . فارسية معربة . وكندش : لص كان معروفاً بالمنكر . وهو العقعق أيضاً ، طائر على قدر الحمامة ، يوصف بالسرقة والخبث .

(٣) المرعش : جنس من الحمام أبيض . وهو أيضاً النسر إذا هرم .

(٤) نكهت : تنفست .

(٥) الثلة : القطعة من الغنم . والمعطش : الذى عطشت غنمه . يصفها بضمور الثدى .

(٦) المنتشى : السكران . (٧) فى هذا البيت إقواء .

وفى كُلِّ ضِرْسٍ لها(١) فَرْجَة ... أصلُّ(٢) من القَبر ذى المَنْبَش
إلى ضامرٍ(٣) مثل ظِلفِ الغزال ... أشَدَّ اصفراراً من المِشْمِش
وأوسعُ من باب جِسْر الأمير ... تَمُرُّ المَحاملَ لم تَخْدِش
فهذى صِفاتى فلا تأتها ... فقدقلتُ طَرداً لها(٤) كَشكشى

هجاؤه جاراً له بنى مسجداً

وذكر أن إسماعيل بن عمّار كان فى جوار رجلٍ من قومه ينهاه عن السُّكر وهِجاء النـاس ، وكان إسماعيل له مُبغضاً ، فبنى ذلك الرجلُ مسجداً يُلاصق دار ابن عمّار ، فكان يجلس فيه هو وقُرّاء قومه وأهلُ الصلاح منهم ، فلا يَقدر ابنُ عمّار أن يشرب فى داره ولا يدخل إليه مُغنٍّ أو مُغَنِّية أو غيرُهما من أهل الرِّيبة . فقال ابنُ عمّار يهجوه ، وكان الرجلُ يتولّى شيئاً من الوُقوف لقاضى الكوفة :

بَنى مَسجداً بُنيانه من خِيانة ... لَعَمْرى لقِدْماً كنتَ غيرَ مُوفَّقِ
كصاحبةِ الرُّمّان لمّا تَصدّقت ... جَرتْ مَثَلاً للخائن المُتصدِّق
يقول لها أهلُ الصلاح نصيحةً ... لكِ الويلُ لا تَزْنِى ولا تتَصدَّق

(١) فى غير التجريد : « أكلة » وهى داء يقع فى العضو فيأتكل منه .
(٢) أصل : أنتن . (٣) يريد فرجها . (٤) كشكشى ، أى اهربى .

ذكر قصـــة المباهلة

و بعض أخبار بنى عبد المدان

إنما جرَّ ذِكر هـذا ، لأنّ أبا الفرج ذَكر شِعر الأعشَى الأكبر الذى يُغنَّى فيه ، وهو :

وكعبةُ نَجران حتمٌ عليـــكِ حتى تُناخِى بأبوابِهَا
نَزورُ يزِيدَ وعبـدَ المَسِيح وقَيساً همُ خيرُ أربابِهـا

فاقتضى ذلك ذِكر أخبار هؤلاء .

قصة المباهلة

فأمّا قِصة المُباهلة فنذكرها أولاً . وهى تتضمَّن مُعجزة عظيمة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال سبحانه وتعالى فى كتابه :

(فمَن حاجّك فيه مِن بَعد ما جاءكَ من العِلْم فقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكم ونِسَاءَنا ونِسَاءَكم وأنفُسَنَا وأنفُسكم ثمَّ نَبْتهِلْ فنَجْعلْ لَعْنَةَ الله عَلَى الـكاذِبين) .

قال أهل العلم : لمّا قَدِم صُهيب[1] من نَجْران مع أهل نَجران ، وفيهم العاقبُ ، وأبو حَبَش ، والأُسقُفُّ ، والسَّيِّد ، وقَيس ، وعبد المَسيح ، وابنُه الحارث ــ وهو غلام ــ وهم أربعون حَبراً ، جاءوا حتى وَقفوا على اليهود فى بيت المِدْراس[2] ، فصاحوا ، يابنَ صُوريًّا ، يا كَعب بن الأشرف، انزلوا يا إخوةَ القِرَدة والخنازير ! فنزلوا إليهم . فقالوا لهم : هـذا الرجل عندكم مُنذ كذا وكذا سنةً قد غَلبـكم ! أُحضُروا حتى نَمْتحنه غداً . فلمّا صلّى النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم صلاةَ الصُّبح قاموا فبركوا بين يديه ، ثم تقدَّمهم الأُسقفُّ فقـال : يا أبا القاسم ، مُوسى من أبوه ؟ قال : عِمْران . قال : فيوسُف من أبوه ؟ قال : يعقوب . قال : فأنت من أبوكَ ؟

(١) كذا فى الأغانى والتجريد ولم يعرف أن صهيباً كان ممن قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مع وفد نجران .
(٢) هو البيت الذى يتدارس اليهود فيه كتابهم .

قال : عبدُ المُطّلب . قال : فعيسى ، من أبوه ؟ فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم . فانقضّ عليه جبريلُ عليه السلام فقال :

(إنّ مَثَلَ عِيسَى عَنْدَ الله كَمَثَلِ آدم خَلَقه مِن تُراب ثم قال له كُنْ فَيَكُون). فتلاها عليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . فنزا (١) الأُسقف ثم سَقط مَغشيًّا عليه ، ثم رَفع رأسه إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له : أتزعُم أنّ الله عزّ وجل أُوحى إليك أن عيسى خُلق من تُراب ! ما نجد هذا فيما أُوحى إليك ، ولا نَجده فيما أوحى إلينا ، ولا يجده هؤلاء القوم فيما أوحى إليهم — يعنون اليهود — فأُوحى الله إليه : (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيه مِن بَعْدِ ما جَاءَكَ مِن العِلْمِ) الآية .

فقال الأُسقف : أَنصفتنا يا أبا القاسم ، فمتى نُباهلك ؟ قال : بالغَداة إن شاء الله . فانصرفَ النَّصارى وانصرف اليهود وهم يقولون : والله ما نُبالى أيَّهما أهلك الله : الحَنيفيّة أو النَّصرانية ؟ فلما صارت النَّصارى إلى بيُوتها قالوا : والله إنكم لَتعلمون أنه نبيّ ، ولئن باهلناه إنّا لنَخشى أن نَهْلِك ، ولكن استقيلوه لعلّه يُقيلنا . وغدا النبيُّ صلّى الله عليه وسلم من الصُّبح ، وغدا معه بعليٍّ بن أبي طالب ، وفاطمةَ ، والحَسن ، والحُسين ، رضى الله عنهم أجمعين . فلمّا صلّى النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم الصُّبح استقبل القِبْلة بوَجهه ، ثم بَرك بارِكاً ، وجاء بعليّ رضى الله عنه فأقامه بين يديه ، وجاء بفاطمة فأقامها بين كَتِفيه ، وجاء بالحَسن فأقامه عن يَمينه ، وجاء بالحُسين فأقامه عن يساره . فأقبل النَّصارى يَستترون بالخُشُب فى المَسجد فرَقًا أن يبدأهم بالمُباهلة إذا رآهم ، حتى بَركوا بين يديه ، ثم قالوا : أقلْنا يا أبا القاسم أقالك اللهَ عثرتك . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم — قالوا : ولم يُسأل النبيُّ صلّى الله عليه وسلم شيئاً قطُّ إلا أعطاه — وقال : قد أقلتُكم . فوَلَّوْا . فلما ولَّوْا

---

(١) نزا : وثب .

قال النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم : أمَا والذى بَعثنى بالحقّ لو باهلتُكم ما بقى على وجه الأرض نصرانى ولا نصرانية إلا أهلكهم الله تعالى .

تعقيب لابن واصل

قلت : ووجه الإعجاز أنه تحدّاهم بهذا الأمر العظيم فى ذلك الجمع العظيم ، فلو لم يكن على ثقة من ربّه تعالى أنه يُظهر بإهلاكهم صِدقَه وكَذِبهم ، لمَا أقدم على أمرٍ يُوجب ردّ قوله .

وأيضاً فلو لم يتحقّقوا صِدْق نبوته ويَعلموه من كتبهم لمَا جَبُنوا عن مُباهلته .

فهذه قصّة المباهلة .

خبر قبة نجران

وأما ذكر خبر بنى عبد المَدان ، فقد ذُكر أن عبد المسيح بن دارِس كانت له قُبة بنَجران ، كان فيها ثلثمائة جِلْد من أدم ، وكانوا يُسمّونها الكَعبة، وجعلوها على مُضاهاتها وعَظّموها تَعظيما . وكان يقال لها : كَعبة نَجران . وقيل : ولم يأت تلك القُبة خائف إلا أَمِن ، ولا جائع إلا شَبع . وكان بإزائها نهر كان يَستغلّ منه فى كُل سنة عشرة آلاف دينار . وكانت القُبة تَستغرق ذلك كُلّه . وكان أولَ من سكن نَجران من بنى الحارث بن كعب ، يزيدُ بن عبد المَدان ؛ وذلك أن عبدَ المسيح بن دارس زوّج أبنتــه رُهيمة من يزيدَ بن عبد المدان ، فولدت له عبدَ الله بن يزيد . فهُم بالكوفة . ومات عبدُ المسيح بن دارس ، فانتقل مالهُ إلى يزيد . وإلى يزيد هذا أشار الأعشى بقوله :

نزور يزيدَ وعبدَ المسيح   وقيساً هُمُ خيرُ أربابها

زواج يزيد بن عبد المدان ببنت أمية

وذُكر أنه اجتمع يزيد بن عبد المدان ، وعامرُ بن الطُّفيل، بموسم عُكاظ، وقَدِم أُميةُ بن الأسكر الكنانىّ ، ومعه أبنةٌ له من أجمل الناس ، فخطبها يزيدُ وعامر . فقالت أُم كِلاَبٍ، امرأة أُمية بن الأسكر: مَن هذان الرجلان ؟ فقال : هذا يزيد بن عبد المَدان بن الدّيان ، وهذا عامر بن الطُّفيل . فقالت : أعرف

بنى الدّيان ولا أعرف عامراً . فقال : هل سمعت بمُلاعب الأسنّة ؟ قالت : نعم . قال : فهذا ابنُ أخيه . وأقبل يزيدُ بنُ عبد المَدان فقال : يا أُمية ، أنا ابنُ الدّيان صاحبُ الكثيب [1] ، ورئيس مَذحج . مُكلِّم [2] العُقاب ، ومَن كان يُصوِّب أصابعَه فتَنْطِف [3] دماً ، ويدلُك راحتَيه فتُخرجان ذهبا . فقال أمية : بَخْ بَخْ ! فقال عامر : جَدِّى الأخرم ، وعَمِّى مُلاعب الأسنة ، وأبى فارس قُرْزل . فقال أمية : بَخْ بخ ! مرعًى ولا كالسَّعْدان [4] . فأرسلها مثلا . فقال يزيد لعامر : هل تعلم شاعراً من قومى رَحَل بمدحَةٍ إلى رجل من قومك ؟ قال : اللهم لا . قال : فهل تعلم أن شُعراء قومك يَرحلون بمَدائحهم إلى قومى ؟ قال : اللهم نعم . قال : فهل لكم نجمٌ يمانٍ ، أو سيف يمان ، أو بُرد يمان، أو رُكن يمانٍ ؟ قال : لا . قال : فهل مَلَكنا كم ولم تَملكونا ؟ قال : نعم . فنهض وأنشأ يقول :

لا تَجعلنْ هَوازناً كمُذحِجِ	إنّك إن تَلْهج بأمرٍ تَلْجِجِ
ما النَّبعُ فى مَغْرِسه كالعَوْسَجِ	ولا الصَّريحُ المحْضُ كالمُزَّجِ

فزوّج أميةُ يزيدَ بن عبد المدان ابنَته .

بين ابن جفنة ويزيد بن عبد المدان والقيسيين

وذُكر أنَّ يزيدَ بن عبد المدان ، وعمرو بن مَعديكرب ، ومكشوح المُراديّ ، قَدِموا على ابن جَفنة زُوّارا ، فلَقُوا عنده وجُوه قيس : مُلاعب الأسنة ، وعامر بن الطُّفيل [5] ، ويزيد بن عمرو بن الصَّعِق ، ودُريد بن الصِّمّة . فقال : ابنُ جفنة ليزيد ابن عبد المدان : ماذا كان يقول الدّيان إذا أصبح ، فإنه كان دَيّانا ؟ قال : كان يقول : آمنت بالذى رفع هذه — يعنى السّماء — ووضع هذه — يعنى الأرض — وشق هذه — يعنى أصابعه — ثم يخرّ ساجدا ، ويقول : سَجَد وجهى لمن خَلَقه

(١) الكثيب : موضع بساحل بحر اليمن . (٢) فى التجريد : « ومعلم » .
(٣) تنظف : تقطر . (٤) السعدان : نبت من أنجع المراعى للإبل .
(٥) فى غير التجريد : « ملاعب الأسنة عامر بن مالك » .

وهو عاشم [١] ، وما جَشَّمنى من الأمر فإنّى جاشم . فإذا رفع رأسه قال :

إن تَغفر اللهم تَغفر جَمّا وأى عبدٍ لك [٢] ما ألَمّا

فقال ابنُ جَفنة : إن هذا لذو دِين . ثم أقبل على القَيْسيين فقال : ألاَ تُحَدِّثونى عن هذه الرياح : الشَّمال والجَنوب والصَّبا والدَّبور والنَّكباء ، لمَ سُميت بهذه الأسماء ، فإنه قد أعيانى عِلمها ؟ فقال القوم : هذه أسماء وجدنا عليها العرب ، لا نَعلم غير ذلك . فضحك يزيدُ بن عبد المدان ثم قال : يا خَير الفتيان ، ما كنتُ أحسب أن هذا يسقُط عِلْمه على هؤلاء ، وهم أهلُ الوَبَر ! إن العرب تضرب أبياتها [٣] فى القِبلة مُستقبلةً مَطلع الشمس ، لتُدفئهم فى الشتاء وتزولَ عنهم فى الصيف ، فما هَبَّ من الرِّياح عن يَمين البيت فهى الجَنوب ، وما هَب عن شماله فهى الشَّمال . وما هب عن أمامه فهى الصَّبا ، وما هَب من خلفه فهى الدَّبور ، وما استدار من الرِّياح بين هذه الجهات فهى النكباء . فقال : ابن جَفنة : إن هذا للعِلْمُ يا بنَ عبد المدان! وأقبل على القَيسيين فسألهم عن النُّعمان بن المنذر . فعابوه وصَغَّروه . فنَظر ابنُ جفنة إلى يزيد بن عبد المدان ، فقال : ما تقول يابن عبد المدان ؟ فقال يزيد: يا خير الفتيان ، ليس صغيراً من مَنعك العراق ، وشَرِكك فى الشام ، وقيل له : أبيت اللعن ، وقيل لك : يا خير الفتيان ، وألفى أباه مَلِكاً كما ألفَيت أباك ملكا ؛ فلا يسرّنّك من يغرُك ، فإنّ هؤلاء لو سألهم النعمانُ عنك قالوا فيك مثلَ ما قالوا فيه. وايمُ الله ، ما فيهم رجلٌ إلا ونعمة النُّعمان عنده عظيمة ! فغضب عامر بن مالك مُلاعب الأسنة وقال له : والله يابن الدّيان لتَحتلبنّ بها دماً . فقال له : ولِمَ ؟ أزيدَ فى هوازن من لا أعرفه ؟ قال: بل هم الذين تَعرف. فضحك يزيد ثم قال : لا جرم ! ما لهم جَمرة [٤] بنى الحارث ، ولا فَتْك مُراد ، ولا بأس زُبَيد ،

---

(١) عاشم : طامع . (٢) ألم ، أى باشر اللمم ، وهو صغار الذنوب .

(٣) فى التجريد : « أبنيتها » . (٤) الجمرة: الكثرة والعدد . وفى غير التجريد : « جرأة » .

ولا كَيد جُعْفِىّ ، ولا مُغارُ طَيِء ! وما نحن وهم يا خيرالفتيان بسواء ، وما قتلنا أسيراً قط ، ولا أستهمْنا [١] حُرَّة قط ، ولا بكينا قتيلا حتى نثأر به ، و إن هؤلاء ليَعْجزون عن ثأرهم حتى يقْتل السَّمِىُّ بالسَّمِىّ ، والكَنِىّ بالكَنِى ، والجار بالجار . وقال يزيد بن عبد المدان فى ذلك :

تمَالاَ على النُّعمان قومٌ إليهمُ مواردُه فى مُلكه ومَصادِرُهْ

على غَير ذَنب كان منه إليهمُ سوى أنه جادتْ عليهم مَواطِرُه

فباعَدهم من كُل شرّ يخافُه وقرّبهم من كُل خيرٍ يُبادره

فظنُّوا وأعراضُ الأمور [٢] كثيرة بأَنّ الذى قالُوا من الأمر ضائرُه

فلم ينقُصوه بالذى قيل شَعرةً ولا فُلِّلَتْ أنيابه وأَظافره

ولَلْحارثُ الجفنىّ أعلم بالذى يَنوء به النُّعمانُ إنْ خَفّ طائرُه

فيا حارِ كَمْ فيهم لِنُعمانَ نعمةٍ من الفَضل والمَنِّ الذى أنا ذاكره

ذُنوباً عَفا عنها ومالاً أفاده وعَظْماً كَسيراً قوَّمته [٣] جَوابره

ولوسال عنك العائبين [٤] ابنُ مُنذر لقالوا له القولَ الذى لا تُحاذره

ولما سَمع النُّعمان قولَه عظُم يزيد فى عينه ، وأَجلسه معه على سريره ، وأَسقاه نبيذه ، عطيّةً لم يُعطها أحداً ممن وفَد عليه .

---

(١) كذا فى التجريد . والاستهام الاقتراع . أى إنهم لم يهينوا الحرات بذلك . وفى غير التجريد : « اشتهينا » .
(٢) فى غير التجريد : « الظنون » .
(٣) فى التجريد : « جبائره » .
(٤) فى التجريد : « العائدين » .

أخبار عبد الله بن الحشرج

نسبه

هو عبد الله بن الحَشْرج بن الأشهب بن وَرد بن عمرو بن رَبيعة بن جَعدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعصعةَ بن مُعاوية بن بكر بن هوازن .

شيء عنه

وكان سيّداً من سادات قَيس ، وأميراً من أُمرائهم . وَولى أكثر أعمال خُراسان ، ومن أعمال فارس ، وكَرْمان . وكان جواداً مُمدَّحا .

شيء عن أبيه

وكان أبوه الحَشْرج سيداً شاعراً وأميراً كبيرا . وكان غلب على قُهِسْتان فى زمن عبد الله بن خازم ، فبعث إليه عبدُ الله بن خازم المُسيَّبَ بن أوفى القُشيرىَّ ، فقَتل الحَشرج وأخذ قُهِستان .

شيء عن عمه

وكان عَمُّه زيادُ بن الأشهب سيّداً شريفا ، وكان قد صار إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ليُصلح بينه وبين مُعاوية على أن يولِّيه الشام ، فلم يفعل ذلك عليه السلام .

شعر لابن الحشرج فى ابن عمه

وذُكر أن عبد الله بن الحَشرج كان له ابنُ عَمٍّ يبلُغه عنه أنه يَعيبه ، فقال فيه :

أطِلْ حَمْل الشَّناءة لى وبُغْضِى ... وعِشْ ما شِئتَ فانظُرْ مَن تَضِيرُ

فما بيدَيْك خيرٌ أرتجيه ... وغيرُ صُدودك الخطبُ الكَبير

إذا أبصرتَنى أعرضتَ عنّى ... كأنّ الشَّمس من قِبَلى تدُور

وكيف تَعيبُ من تُمْسِى فقيراً ... إليه حين تحزُبك الأُمور

شعره الذى فيه الغناء

والبيتان الأولان من هذه الأبيات هما الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار ابن الحَشرج .

شعره إلى امرأته وقد لامته على التبذير

وذُكر أن ابن الحشرج كان مُفرِطَ السَّخاء لا يُبقي على شيء، فلامتْه امرأتُه على ذلك ونسبتْه إلى التبذير، فقال:

سأجعلُ مالى دون عِرْضى وقايةً | من الذَّمِّ إنّ المالَ يَفنى ويَنْفَدُ
ويُبْقِى لِىَ الجودُ اصطناعَ عَشيرتى | وغَيرِهمُ والجودُ عِزٌّ مؤبَّد
ومُتَّخِذٍ ذَنباً علىَّ سَماحتى | بمالى ونارُ البُخل بالذَّمِّ تُوقد
يَبيدُ الفتى والحمدُ ليس ببائدٍ | ولكنّه للمرء فضلٌ مُؤكَّد
ولا شىءَ يَبقى للفتى غيرُ جوده | بما مَلكتْ كفّاه والقومُ شُهَّد
ولائمةٍ فى الجود كفكفتُ[1] غَرْبَها | وقلتُ لها بَنْىُ المَكارم أحمد
فعِشْ ناعماً واتُرُكْ مقالةَ عاذلٍ | يلومك فى بَذْل الندى ويُفنِّد
وحَسْبُ الفتى مجداً سماحةُ كفِّهِ | وذو المجد محمود الفِعال مُحسَّد

شعره إلى زياد وجائزته عليه

وذُكر أن زياداً الأعجم وفَد على ابن الحشرج، وهو بسابور أميراً عليها، فأمر بإنزاله وإلطافه وبعث إليه ما يحتاج إليه، ثم غدا زيادٌ عليه فأنشده:

إنّ السَّماحة والمُروءة والنَّدى | فى قُبَّةٍ ضُربت على ابن الحَشْرجِ
مَلِكٌ أغرُّ مُتوَّج ذو نائل | للمُعْتَفين يَمينُه[2] لم تَشْنَجِ
يا خَيْرَ مَن صَعِد المَنابر بالتُّقى | بعد النَّبىِّ المُصطفى المُتحرِّج
لما أتيتُك راجياً لنوالكم | ألفيتُ بابَ نَوالكم لم يُرْتَج

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

---

(١) الغرب: الحدة. والرواية فى غير التجريد: «نهنهت».
(٢) لم تشنج: لم تتقبض. وتقبض اليد كناية عن البخل، وبسطها كناية عن الكرم.

أخبار الطرماح

نسبه

هو الطِّرِمّاح بن حَكيم بن الحَكَم بن نَفْر بن قَيْس بن جَحْدر بن ثَعلبة ابن عَبد رِضاً بن مالك بن أُمان بن عَمرو بن رَبيعة بن جَرْول بن ثُعَل بن عَمرو بن الغَوْث بن طَيِّء .

كنيته ولقبه

ويُكنَى أبا نَفْر ، وأبا ضَبِينة . والطرمّاح : الطويلُ القامة .

شاعريته ومذهبه

وهو من فُحُول الشُّعراء الإسلاميِّين وفُصحائهم . ومَنشؤه بالشأم . وأنتقل إلى الكوفة مع من وردها من جُيوش أهل الشأم . ولمّا قَدِم الكوفة نزل فى بنى تَيم الله بن ثَعلبة ، وكان فيهم شيخٌ من الشُّراة الأَزارقة له سَمت وهَيئة ، وكان الطرمّاح يُجالسه ويَسمع منه ، فرَسخ كلامُه فى قَلبه ، ودعاه الشيخُ إلى مذهبه فقَبِله وأعتقده ومات عليه .

للكميت عن صلته به

وذُكر أنّ الكُميت كان صديقاً للطرمّاح لا يكاد يُفارقه فى حال من أحواله . فقيل للكُميت : لا شىء أعجبُ من صفاء ما بينك و بين الطرمّاح، على تَباعد ما يَجمعكما من النَّسب والمَذهب والبلاد ! هو شأمىٌّ قحطانىٌّ شارىٌّ ، وأنت كوفىٌّ نِزَارى شِيعىٌّ ! فكيف أتفقتما مع تبايُن المذهب وشدة العصبيّة ؟ قال : اتفقنا على بُغض العامّة .

وأَنشد الكميتُ قولَ الطرمّاح :

إذا قُبضت نفسُ الطرمّاح أَخلقتْ ... عُرَى المَجْدِ وأسترخَى عِنانُ القَصائدِ

فقال : إى والله ! وعِنانُ الخطابةِ والرواية والفَصاحة والشجاعة .

وفوده والكميت على مخلد بن يزيد

وذُكر أن الطرمّاح بن حكيم والكميت بن زيد وفدا على مَخْلد بن يزيد

ابن المُهلَّب ، فجلس لهما وداعيهما[(١)] . فتقدّم الطرمّاحُ ليُنْشد . فقيل له : أَنشد قائماً . فقال : كلاّ والله ، ما قَدْرُ الشِّعر أن أقوم له فيحُطَّ منِّي بقيامى وأحُطَّ منه بضَراعتى ، وهو عَمود الفخر و بيتُ الذِّكْر لمآثر العرب . فقيل له: تَنَحَّ . ودُعى بالكُميت . فأنشد قائما . فأمر له بخمسين ألفَ درهم . فلما خرج الكُميتُ شاطَرها الطرمّاحَ وقال له : أنتَ أبا ضَبينة أبعد همّةً وأنا ألطف حِيلَة .

شعره فى رجل استنكر عليه خطراته فى المسجد

وذُكر أن الطرمّاح مرّ يوماً فى مسجد البصرة وهو يخطِر فى مِشْيته . فقال رجل : مَن هذا الخطّار ؟ فسمعه الطرمّاح ، فقال : أنا الذى أقول :

لقد زادنى حُبًّا لِنفسىَ أنّنى ... بَغيضٌ إلى كُلِّ امرىء[(٢)] غيرِ طائلِ
وأنّى شَقِىٌّ باللِّئام ولا ترى ... شَقِيًّا بهم إلا كريمَ الشَّمائل
إذا ما رآنى قَطَّع الطَّرف[(٣)] بينه ... و بينى َفِعْلَ العارف المُتَجاهل
ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنها ... من الضِّيق فى عَينيه كِفّةُ[(٤)] حابِلِ

شعره لخالد القسرى حين وفد عليه

وذُكر أن الطرمّاح دخل على خالد بن عبد الله القَسرىّ ، فأنشده قولَه :

وشَيَّبنى أنْ لاأزال[(٥)] مُناهضاً ... بغير غِنًى أسمُو به[(٦)] وأَبوعُ
وأنّ رِجالَ المال أضحَوْا ومالُهم ... لهم عند أبواب المُلوك شَفيع
أَمُخْتَرِمى ريبُ المَنُون ولم أَنَلْ ... منَ المال ما أَعْصِى به وأُطِيع

فأمر له بعشرين ألفَ درهم ، وقال : أُمضِ الآن فَاعِص بها وأَطِع .

رأى المفضل فى هجائه

وذُكر أن المُفضَّل الضَّبِّى كان يقول : إذا ركب الطرمّاح الهجاء فكأنما يُوحى إليه . ثم أنشد له :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ودعاهما » .
(٢) غير طائل ، أى دون خسيس . (٣) فى غير التجريد : « اللحظ » .
(٤) الحابل : الصائد . وكفته : حبالته ومصيدته .
(٥) فى غير التجريد : « ما لا أزال » .
(٦) أبوع ، أى أبسط يدى للإنفاق والبذل .

لو حان(١) وِرْدُ تميم ثم قيل لها ... حوضُ الرسولِ عليه الأَزْدُ لم تَرِدِ
أو أنزل الله وحياً أَنْ يُعذّبها ... إنْ لم تَعُدْ لقتال الأَزْدِ لم تَعُد
لو كان يَخْفَى على الرحمن خافيةٌ ... من خَلقِه خَفِيتْ عنه بنو أَسد

خبر موته

وحكى ابنُ شبرمة قال :

كان الطرمّاح لنا جليساً ، ففقدناه أياماً كثيرةً ، فقُمنا جميعاً لننظُرَ ما فَعل وما دَهاه ، فلما كُنّا قريباً من منزله إذا نحن بنعش عليه مُطْرَفٌ أخضر ، فقُلنا : لمن هذا النعش ؟ فقيل : نعشُ الطرمّاح . فقُلنا والله ما أستجاب اللهُ له حيث يقول :

وإنّى لَمُقتاد جوادى فقاذفٌ ... به و بِنفسى العامَ إحدى المَقَاذِفِ
فيارَبِّ إنْ حانتْ وفاتى فلا تَكُن ... على شَرْجَعٍ(٢) يُعْلَى بخُضْرِ المَطارف
ولكنّ قَبْرى بطنُ نَسرٍ مَقيلُه ... بجَوّ السماء فى نُسورٍ عَوا كِف
وأُمسى شهيداً ثاوياً فى عِصابةٍ ... يُصابون فى فَجٍّ من الأرض خائف
فوارسُ من شَيبان أَلّفَ بينهم ... تُقَى اللهِ نَزّالون عند التّزاحُف
إذا فارقُوا دُنياهُمُ فارقوا الأذى ... فصارُوا إلى مِيعاد مافى المصاحف

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الطرمّاح ، هو :

أَصاحِ ألا هَلْ مِن سبيلٍ إلى نَجْدِ ... وريحِ الخزامَى غَضَّةً من ثَرَى جَعْدِ
وهل لليالِينا بذى الرِّمْثِ(٣) مَرْجِعٌ ... فَنَشْفِى جَوَى الأحزان من لاَعِجِ الوَجْد

---

(١) فى التجريد : « لو جاء » . (٢) الشرجع : النعش .
(٣) ذو الرمث : واد لبنى أسد .

تم الجزء الثالث من القسم الأول من تجريد الأغانى
ويليه الجزء الأول من القسم الثانى
وأوله أخبار معن بن أوس

فهرست أول لتراجم

الجزء الثالث من القسم الأول من تجريد الأغانى

مرتب على الحروف

فهرست ثان للتراجم

القسم الثانى

تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموي

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

القسم الثاني — الجزء الأول

تحقيق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبياري

الناشر

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

[illegible]

١٣٧٦ ١٩٥٧

أخبار معن بن أوس (*)

نسبه

هو مَعْن بن أوس بن نَصر بن زِياد بن أَسحم بن زياد بن أسعد بن أسحم بن رَبيعة بن عَدِىّ بن ثَعلبة بن ذُوَيب بن عدَاء بن عُثمان بن مُزينة بن أدّ بن طابخة ابن اليأس بن مُضر بن نِزار .

نسبتهم إلى مزينة

ونُسبوا إلى مُزينة ، وهى امرأة ، وهى ابنة كَلب بن وَبْرة . وأبوهم فى الحقيقة عَمرو بن أدّ بن طابخة .

مخضرم ووفوده على عمر بن الخطاب

ومعن بن أوس شاعرٌ مُخَضْرم ، فحْل مُجيد ، من مُخضرمى الجاهليــة والإسلام . وله مدائحُ فى جمــاعة من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . ووَفد على عُمر بن الخطاب رضى الله عنه مُستعيناً على بعض أمره ، وخاطبه بقصيدة أولها :

تأوّبه طيفٌ[1] بذاتِ الجرائمِ فنــامَ رَفيقاه وليس بنــائمِ

زمنه

وامتدّ عُمره إلى زمن الفِتنة بين عبد الله بن الزُّبير ومروان بن الحكم .

معاوية وتفضيله مزينة فى الشعر

وكان مُعــاوية بن أبى سُفيان يفضِّل مُزينة فى الشعر ، ويقول : كان أشعرُ أهل الجاهلية منهم ، وهو زهير ؛ وكان أشــعرُ أهل الإسلام منهم ، وهو ابنُه كعب ، ومعن بن أوس .

كان مئناثاً وشعره فى شىء من ذلك

وذُكر أن معن بن أوس كان مِئناثاً[2] . وكان يُحسن صُحبَة بناته وتربيتهن ، فوُلدت لبعض عَشيرته ابنة ، فكرهها وأظهر جزعاً من ذلك ، فقال معن :

(*) مر ابن واصل عن أخبار بيهس ، وهو شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية ، ذكره أبو الفرج فى أسطر ؛ كما مر على أخبار محمد بن الحارث بن بسخنر المغنى .

(1) ذات الجرائم : موضع .

(2) أى من عادته أن يلد الإناث ، وكذلك المرأة مئناث أيضاً .

رأيتُ رجالاً يكرهون بناتِهم ... وفيهنّ - لا تُكذَبْ - نساءٌ صَوَالِحُ
وفيهنّ - والأيام تعثُر بالفتى - ... نوادبُ لا يَمْلَلْنَه ونَوائح

بينه و بين عبيدالله ابن العباس فى دين عليه

وذُكر أنّ معن بن أوس مرّ به عُبيدُ الله بن العبّاس بن عبد المُطلب ، وقد كُفّ بصره ، فقال له : يا مَعْن ، كيف حالُك ؟ فقال له : ضَعُف بصرى ، وكثُر عِيالى ، وغَلبنى الدّين . قال : وكم دَينك ؟ قال: عشرةُ آلاف درهم . فبعث بها إليه . ثم مَرّ به من الغد ، فقال له : كيف أصبحت يا معن ؟ فقال :

أخذتُ بعَينِ المال حتّى نَهِكْتُه ... وبالدّين حتى ما أكاد أُدَانُ
وحتى سألتُ القَرْضَ عند ذوى الغِنَى ... فَردَّ فلانٌ حاجتى وفُلان

فقال له عُبيد الله : اللهُ المُستعان ، إنا بعثنا إليك بالأمس لُقمةً فما لُكتَها حتى أُنتُزِعت من يدك . قال : فأىُّ شىء للأهلِ والجيران والقرابة ؟ فبعث إليه بعَشرة آلافِ درهم أُخرى . فقال مَعن يمدحه :

وإنّك فَرْعٌ من قريش وإنّما ... تَمُجّ النّدى منها البُحور[1] الفَوارِعُ
ثَووا قادةً للناس ، بَطحاءَ مكةٍ ... لهم وسِقاياتُ الحَجِيج الدّوافع
فلمّا دُعُوا للموت لم تَبْكِ منهمُ ... على حادثِ الدّهر العُيونُ الدّوامع

تمثل أحد أبناء روح بشعر له على فاحشة

وحكى الأصمعىُّ قال :

دخلتُ خَضراء رَوْح ، فإذا رجلٌ من ولده عَلَى فاحشةٍ يُؤتَى . فقلتُ : قَبحك الله ! هذا مَوضع كان أبوك يَضرب فيه الأعناق و يُعطى اللُّهَى وأنت تفعل فيه ما أرى ! فالتفت إلىّ من غَير أن يزول عن الفاحشة ، ثم قال :

وَرِثْنا المَجْد عن آباء صدقٍ ... أسأْنا فى ديارهُمُ الصَّنِيعَا
إذا الحسبُ الرّفيعُ تواكلتْه ... بناةُ السَوْء أوشك أنْ يَضِيعا

---

(١) فى التجريد : « النجوم » مكان « البحور » .

والشعرُ لمعن بن أوس .

فضله عبد الملك ابن مروان على الشعراء

وذكر أنّ عبد الملك بن مروان قال يوماً ، وعنده جماعة من أهل بيته وولده : لِيقُلْ كُلُّ واحدٍ منكم أحسنَ شعر سَمع به . فذكروا لامرىء القيس، وطَرَفة ، فأكثروا ، حتى أتوْا على محاسن ما قالوا . فقال عبد الملك : أشعرهم والله الذى يقول :

وذِى رَحِمٍ قَلَّمْتُ أظفار[1] غَيظه ... بحِلْمِىَ عنه وَهْوَ ليس له حِلْمُ
إذا سُمْتُه وَصْلَ القرابة سامنى ... قَطِيعتَها ، تلك السفاهةُ والظُّلْم
وأسعى لكى أبنى ويَهْدِمُ صالحى ... وليس الذى يَبْنى كمن شأنه الهَدْم
يُحاول رَغْمِى لا يُحاول غيرَه ... وكالموت عِندى[2] أن ينالَ له رَغْم
فما زِلْتُ فى لِينٍ له وتعطُّفٍ ... عليه كما تَحْنُو على الوَلد الأُمّ
لأستلَّ منه الضِّغْن حتى سَلَلتُه ... وقد كان ذا ضِغْنٍ يَضِيق به الحِلْم

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار معن بن أوس ، هو :

وأىُّ أخٍ تَبْلُو فتَحْمَدَ أمرَه ... إذا لَجَّ خَصْمٌ أو نَبَا بك مَنزلُ
إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدتَه ... على طرف الهِجْران[3] إن كان يَعقل
ستَقْطع فى الدُّنيا إذا ما قطعتَنى ... يَمِينَك فانظُر أىَّ كَفٍّ تُبدِّل
إذا انصرفتْ نفسى عن الشىء لم تَكد ... إليه بوجْهٍ آخِرَ الدَّهر تُقْبِل

---

(١) فى غير التجريد : « ضغنه » .

(٢) فى ديوان معن طبعة أوربة : « أن يمر به الرغم » . وفى الأمالى للقالى (٢ : ١٠٢) : « أن يحل به الرغم » . وفى خزانة الأدب (٣ : ٢٣٩) : « أن يحل به رغم » .

(٣) فى التجريد : « إن كنت تعقل » .

أخبار الحسين بن عبد الله

نسبه

هو الحسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المُطلب بن هاشم .

شيء عنه

كان من فِتيان بنى هاشم وظرفائهم وشعرائهم ، ورَوى الحديث ، وحُمل عنه . وله شِعر صالح .

من روايته

ومما رَوى من الحديث أنه رَوى عن عكرمة عن ابن عبّاس ، قال : مرّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على حسّان بن ثابت وهو فى ظل فارع [1] ، وحوله أصحابُه ، وجارية حسّان شِيرين تغنّيه :

هل علىّ ويحكما   إن لهوتُ من حَرَج

فضحك النبيّ صلّى الله عليه وسلم وقال : لا حَرج إن شاء الله .

حديث زواجه عابدة

وذُكر أن عمرة بنت عبيد الله بن العبّاس ــ وهى عمة الحسين بن عبد الله ــ تزوجها شُعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، فولدت له محمداً ، وشُعيباً ، وعابدَة ــ وكان يقال لها : عابدة الحُسن . وعابدة الحسناء ــ وخَطب عابدةَ هذه بكّارُ بن عبد الملك ، وأنّ خالها الحُسين بن عبد الله ، فامتنعت على بكّار وتزوجت الحسين فقال له بكار كيف تزوجتْك عابدةُ واختارتك مع فقرك ؟ فقال له الحسين بن عبد الله : أتعيّرنا بالفقر وقد نَحلَنا الله تعالى الكوثر !

بينه وبين ابن معاوية

وكان الحسين أمُّه أم ولد . وتزوّج عابدةَ بنت شُعيب ، ورُدّ بسَببها على ولد عمرو بن العاص أموالهُم فى دولة بنى العبّاس

وكان عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب صديقاً للحسين هذا ، ثم تنكّر ما بينهما ، فقال فيه ابنُ معاوية :

---

(١) فارع : حصن كان لحسان بالمدينة .

إنّ ابنَ عمِّك وابنَ أُ ... ـك مُعْلَمٌ شاكى السِّلاحِ
يَقِصُ[1] العدوّ وليس يرْ ... ضَى حين يَبْطِش بالجِراحِ
لا تحسبنّ أذى ابن عمّـ ... ـك، شُرْبَ ألبانِ اللِّقاحِ
بل كالشَّجاة ورا اللَّهـا ... ةِ إذا تسوَّغ[2] بالقَراحِ
فاخترْ لنفسك مَنْ يُجِيـ ... ـبك تحت أطراف الرِّماحِ
من لا يزال يسوءه ... بالغَيب أن يلحاك لاحِي

فأجابه الحسين بن عبد الله:

أرْعِدْ لمن يخشى وأبْـ ... ـرِق غيرَ قومك بالسِّلاحِ
لسْنا نقِرّ[3] لقائلٍ ... إلّا المقرَّط[4] بالصَّلاحِ

والشعرُ الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار الحسين بن عبد الله، يقوله في زوجته عابدةَ الحسن بنت شُعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، وهى التى تقدّم ذكرها، وهو:

شعره الذى فيه الغناء

أعابدَ حُيِّيتم على النَّأى عابدًا ... سقاكِ إلهى المُبْرِقاتِ[5] الرَّواعدا
أعابدُ ما شمسُ النّهار إذا بدت ... بأحسنَ ممّا بين عَيْنَيك عابدا

وله فيها قبل أن يتزوجها:

وله فى عابدة قبل زواجه بها

أعابدَ[6] إن الحبّ لا شك قاتِى ... لئن لم تُقارِضْنى هوى النّفس عابدَهْ
فإن لم تُريدى فىَّ أجرًا ولا هوًى ... لكم غيرَ قتلى يا عُبيدُ فراشِده
فكَمْ ليلةٍ قد بِتُّ أرعى نجومها ... وعَبْدةُ لا تدرى بذلك راقده

(١) يقص: يكسر.
(٢) الشجاة: ما يعترض فى الحلق. واللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق. والقراح: الماء الخالص.
(٣) فى التجريد: «العامل». (٤) المقرط: الموسوم.
(٥) الرواية فى غير التجريد: «سقاك الإله المنشآت».
(٦) فى بعض أصول الأغانى: «أعاذل».

أخبار فضالة بن شريك

نسبه

هو فَضالة بن شَريك بن سَلْمان [1] بن خُويلد بن سَلمة بن عامر ، مُوقد النار ، ابن الحَرِيش بن نُمَير بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بن مُضر بن نزار .

وكان شاعراً فاتكاً صُعلوكاً . وكان مُخَضْرَماً ، أدرك الجاهلية والإسلام .

أبناؤه

وكان له ابنان شاعران ، أحدهما : عبدُ الله بن فَضالة ، وهو الذى قال له ابنُ الزُّبير : إنّ وراكبها — وقد ذكر ذلك [2] .

والثانى : فاتك [3] بن فضالة ، وكان جواداً ممدّحا .

هجاؤه عاصم بن عمر وسبب ذلك

وذُكر أنّ فضالةَ بن شَريك مرّ بعاصم بن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو مُتَبَدٍّ [4] بناحية المدينة ، فنزل به فلم يَقْرِه شيئاً ولم يَبعث إليه ولا إلى أصحابه بشيء ، وقد عَرف بمكانهم [5] ، فارتحلوا . والتفت فَضالةُ إلى مولًى لعاصم وقال له : قل له : أما والله لأُطوِّقنَّك طوقاً لا يَبلى . وقال يهجوه :

ألا أيُّها الباغى القِرَى لستَ واجداً ... قِرَاكَ إذا ما بِتَّ فى دار عاصمِ
إذا جئتَه تبغى القِرَى بات نائماً ... بَطِيناً وأمسى ضيفُه غيرَ [6] طاعمِ

---

(١) كذا فى بعض أصول الأغانى . وهى رواية ابن عساكر (٣٤ : ٥٤١) ومعجم الشعراء للمرزبانى . والذى فى سائر الأصول : « سليمان » .

(٢) انظر الجزء الأول .

(٣) فى الأصل : « وشريك » . تحريف . وله يقول الأقيشر :

وفد الوفود فكنت أفضل وافد ... يافاتك بن فضالة بن شريك

(٤) متبد : مقيم بالبادية .

(٥) فى غير التجريد : « وقد عرفوه مكانهم » .

(٦) فى بعض أصول الأغانى : « غير نائم » .

فدَعْ عاصماً أفٍّ لأفعال عاصمٍ إذا حُصِّل الأقوامُ أهلُ المكارم

فتًى من قُريش لا يجود[1] لسائل ويحسب أنّ البُخلَ ضَربةُ لازِم

فلولا يدُ الفاروق قلّدْتُ عاصماً مُطوَّقةً يُحْدَى بها فى المَواسم

فلما بلغت أبياتُه عاصماً استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص ، وهو يومئذ أميرُ المدينة . فهرب فَضالةُ إلى دمشق وعاذ بيزيد بن مُعاوية بن أبى سفيان ، وعرّفه ذنبه وما يخاف من عاصم . فأعاده وكتب إلى عاصم يُخبره أنّ فضالة بن شريك أتاه مُستجيراً به ، وأنه يُحب أنْ يَهبه له ، ولا يذكر لمعاوية شيئاً من أمره ، ويَضمن له أنه لا يعود لهجائه . فقبل ذلك عاصم، وشفّع يزيدَ بن معاوية. فقال فضالةُ يمدح يزيدَ بن معاوية :

إذا ما قُريشٌ فاخرت بقديمها أتيتَ[2] بمجدٍ يا يزيدُ تليدِ

بمجد أميرِ المُؤمنين ولم يَزل أبوك أمينُ الله غيرَ بَليدِ

به عَصم اللهُ الأنامَ من الرَّدى وأدرك تَبْلاً من معاشرَ[3] صِيد

ومَجدِ أبى سُفيان ذى الباع والنَّدى وحَرْبٍ وما حربُ العُلا بزَهيد

فمَن ذا الذى إن عدَّد الناسُ مجدَه يَجىء بمَجدٍ مثلِ مَجد يزيد

شعره الذى فيه الغناء

وله أيضاً فيه . وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار فضالة :

إنّ حَرْباً وإنّ صَخْراً أبا سُفْ يانَ حازَا مجداً وعِزًّا تَليدَا

فهما وارثا العُلا عن جُدود وَرِثوها آباءَهم والجُدودا

ومنها :

وحَوى إرثَها مُعاويةُ القَرْ مُ[4] وأعطَى صفوَ التّراثِ يَزيدا

(١) فى غير التجريد : « بنائل » مكان « لسائل » .
(٢) فى غير التجريد : « فخرت » . (٣) التبل : الثأر . والصيد : المزهوون لا يلتفتون يميناً أو شمالا ؛ الواحد : أصيد .
(٤) القرم : السيد .

بعض أخبار مروان الأصغر

نسبه — مِن آل أبي حفصة .

قال أبو الفرج : قد مَضى نسبُه و نَسب أبيه وأهله .

آخر آله شعراً — وكان مروان هذا آخِر مَن بقى منهم يُعَدّ فى الشعراء. وبقى بعده منهم مُتَوّج ، وكان ساقطاً باردَ الشِّعر .

رأى أبى هفان فيهم — وحُكى أن أبا هِفّان كان يقول :

شِعر آل أبى حفصة بمنزلة الماء الحارّ ، أبتداؤه فى غاية الحرارة ، ثم تلين حرارته ، ثم يفتُر ثم يبرُد ، وكذلك كانت أشعارهم ، إلا أن ذلك الماء لما أنتهى إلى مُتوّج جَمَد .

شعره الذى فيه الغناء وسببه — وذُكر أن المُنتصر بالله كان قد أظهر الخِلاف لأبيه المُتوكِّل فى كُل شىء حتى فى التشيُّع . وكان أبوه المتوكِّل فى غاية الأنحراف عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، والبُغض له . وكذلك كان مَروان بن أبى حفصة الأصغر وسائر بنى أبى حَفصة . فطَرد المُنتصر مروانَ الأصغر وأقصاه وأخرجه عن جُلسائه

فقال الشعر الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار مروان الأصغر ، وهو:

لقد طـال عَهْدِى بالإمام محمدٍ ... وما كنتُ أخشى أن يطُولَ به عَهدِى

فأصبحتُ ذا بُعْدٍ ودارى قريبةٌ ... فواعَجَبا من قُرْبِ دارى ومن بُعْدِى

وسأل بُنانَ بن عمرو المُغنّى ، فغنّى فيها المُنتصر يستعطفه .

قصة هجائه ابن الجهم فى حضرة المتوكل

وذكر أنّ مروان الأصغر طَعن عليه علىُّ بن الجهم عند المتوكل وثَلبه ، حسداً على موضعه منه . فقال المتوكل يوماً لمروان ، وعلىُّ بن الجهم حاضر : أهْجُ علىّ ابن الجهم ولا تُبْقِ عليه . فقال مروان :

لعَمرك ما الجَهمُ بن بدر بشاعرٍ   وهذا علىٌّ بعده يَدّعى الشِّعرا

ولكنْ أبى قد كان جاراً لأمّه   فلما ادّعى الأشعار أوْهمنى أمْرا

فضحك المتوكل وقال : زِدْه بحياتى . فقال فيه :

بِنْتَ[1] بدْرٍ ياعَليّه   قُلتِ إنى قُرشيّه

قلتِ ما ليس بحقّ   فاسكُتِى يا نَبطيّهْ

اسكُتى يا بنت جَهم   اسكُتى يا[2] حَلَقيّهْ

فأخذ عَبادة المُخنث الأبيات فغنّاها على الطَّبل ، وجاء به مَن كان يُغنى ، والمتوكلُ يَضحك ويضرب بيديه ورجلَيه ، وعلىٌّ مُطرق كأنه مَيّت . ثم قال : علىّ بالدّواة . فأُتى بها ، فكتب :

بَلاءٌ ليس يُشبهه بلاءٌ   عداوةُ غير ذى حَسبٍ ودِينِ

يُبيحك منه عرضاً لم يَصُنْه   ويَقدحُ منك فى عِرضٍ مَصُونِ

هو وابن الجهم وابن المدبر فى شعر بعضه منتحل أنشده المتوكل فى مرضه

وذكر أنّ عبد الله بن طاهر بن الحسين كان اعتل علّة ، فقال فيه عوفُ ابن مُحلّم :

فإن تكُ حُمّى الرِّبع[3] شفّك وِرْدُها   فعُقباك منها أن يطول لك العُمْرُ

وَقيناك لو نُعطَى المُنَى فيك والهوى   لكان بنا الشّكوى[4] وكان لك الأجر

(١) فى غير التجريد . « يابن » .   (٢) وصف للأتان التى تشتهى السفاد .

(٣) حمى الربع : هى التى تنوب فى اليوم ثم تدع المريض يومين ، ثم ترده فى اليوم الرابع .

(٤) فى التجريد : « الحمى » .

ثم حُمَّ المُتوكل حُمَّى الرِّبع، فدَخل إليه مروان الأصغر فأنشده قصيدةً على هذا الرويِّ، وأدخل هذين البيتين فيها، فسُر بها المتوكل. فقال له عليٌّ بن الجهم: ياأمير المؤمنين، هذا شعرٌ مقول. والتفت عليٌّ إلى إبراهيم بن المُدبِّر وقال: يا أمير المؤمنين، هذا يعلم. فالتفت إليه المتوكل، وقال: أتعرفه؟ فقال إبراهيم: ما سمعتُ هذا قبل اليوم. فشتم المتوكلُ عليَّ بن الجهم وقال: هذا مِن حسدك وشَرِّك وكذبك! فلما خرجوا قال عليٌّ بن الجهم لإبراهيم بن المدّبر: ويحك! أما تعرف هذا الشعر؟ فقال: بلى! وأنشده إياه. فلما كان من الغد قال عليٌّ بن الجهم للمتوكل: يا أمير المؤمنين، قد اُعترف إبراهيم بالشعر وأنشده، فقال المُتوكل لإبراهيم: أكذاك هو؟ فقال: كذب يا أمير المؤمنين، ما سمعتُ به قطّ. فازداد المتوكل على عليّ غيظاً وله شَتماً. فلما خرجوا، قال عليٌّ بن الجهم لإبراهيم: ما فى الأرض شرٌّ منك! فقال له إبراهيم: أنت أحمق، أتريدنى أجىء إلى شعر قاله فيه شاعر يُحبه ويُعجبه شعره فأقول له: إنى أعرفه، وأُوقع نفسى وعرضى فى لسان الشاعر، لترتفع أنت عنده، ويسقط ذاك، ويُبغضنى أنا!

أخبار ابن سيابة

هو إبراهيم بن سَيَابه، مولى بنى هاشم . ويقال : إن جَدّه حَجّام أعتقه بعضُ الهاشميّين .

ولاؤه وشىء عن جده

وليست له نَباهة ولا شِعرٌ شريف . وكان مُنقطعاً بمودّته ومَدحه إلى إبراهيم الموصلى وابنِه إسحاق ، وكانا يذكُرانه للخُلفاء والوزراء ويُذكّرانهم به إذا غنّيا فى شعره ، فينفعانه بذلك . وكان خليعاً ماجناً طيبَ النادرة .

صلته بإبراهيم الموصلى وابنه

وذُكر أنه عَشِق جارية سوداء ، فلامه أهلُه فى ذلك وعابوه ، فقال :

شعره فى سوداء لامه أهله على حبه لها

يكونُ الخالُ فى وجهٍ قَبيحٍ ... فيكسوه المَلاحةَ والجَمالاَ

فكيف يُلامُ مَشغوفٌ[1] على مَن ... يراها كلَّها فى العَين خالا

وذُكر أن إبراهيم بن سَيَابه لقى ابناً لسَوّار بن عبد الله القاضى ، أمردَ ، فقبّله إبراهيم وعانقه ، وكان معه داية له يقال لها : رُحَاص . فقيل لها : إنه لم يُقبّله تقبيل السلام وإنما قبّله تقبيل الشّهوة . فلحقتْه الدايةُ فشتمتْه وسَمّعته كُلَّ ما يكره . فقال إبراهيم :

هو وابن لسوار قبله ودابة له

أإن لثَمْتُك سِرًّا ... فأبصرتْنى رُحاصُ

وقال فى ذاك قومٌ ... على انتقاصى حِراص

فهاكَ فاقتصَّ منِّى ... إن الجُروح قِصاص

هجرْتَنى وأتتْنى ... شَتِيمةٌ وانتقاص

وذُكر أنه سخط الفضلُ بن الربيع على ابن سَيابة ، فتوسّل إليه أن يرضى عنه ، فامتنع . فكتب إليه هذه الأبيات :

شعر له فى استرضاء الفضل بن الربيع

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « معشوق » . وفى بعض آخر « مفتون » .

إن كان جُرمى قد أحاط بحُرْمتى — فأَحِطْ بجُرمى عَفوكَ المأمولا
فكَمِ ارتجينُك للتى لا يُرتَجى — فى مثلها أحدٌ فنِلْتُ السُّولا
وقُطعتُ [1] عنك فلم أجد لىَ مَذهبا — ووجدتُ حِلْمك لى عليك دَليلا
هَبْني أسأتُ وما أسأتُ أُقِرُّ كى — يَزدادَ عفوُك بعد طَوْلِك [2] طُولا
والعَفو أجملُ والفضْل بأمريء — لم يَعْدم الرّاجُون منه جَميلا

فلما قرأها الفضلُ دَمَعت عيناه ورضى عنه وأَوصله إليه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

ابن سيابة وبشار وقد هيجه لهجائه

وذُكر أنه جاء إبراهيمُ بن سَيَابة إلى بشّار بن بُرد ، فقال : ما رأيت أعمى قَطُّ إلا وقد عُوِّض من بصره . إما الحفظ والذكاء ، وإمّا حُسن الصوت ، فبأىِّ شىء عُوضت أنت ؟ قال : ألّا أَرى ثقيلاً مثلك . ثم قال له : من أنت ؟ ويحك ! قال : إبراهيم بن سَيابة . فتضاحك بشّار ثم قال : لو نُكح الأسد ما افترس وذَل . وكان ابنُ سيابة يُرمى بذلك . وتمثّل بشار :

لو نُكح الليثُ فى أسته خَضَعا — ومات جُوعاً ولم ينل شِبَعا
كذلك السيفُ عند هِزّته — لو بَصق الناسُ فيه ما قَطعا

---

(١) فى غير التجريد : « وضللت » .

(٢) الطول : الفضل .

ذكر مقتل الوليد بن طريف الشارى

توجيه الرشيد إليه ابن مزيد

قيـــــل :

كان الوليد بن طريف رأسَ الخوارج وأشدَّهم بأسا وصولةً ، فاشتدت شوكتُه وطالت أيّامه ، وأَهمّ هارونَ الرشيد أمرُه ، فوجّه إليه الرشيدُ يزيدَ بن مَزيد بن زائدة الشَّيبانى ، ابن أخى مَعن بن زائدة ، فجعل يُخاتله ويُماكره . وكانت البرامكة مُنحرفةً عن يزيد بن مَزيد ، فأغروا به الرشيدَ وقالوا : إنما يتجافى عنه للرحم ، لأنه من عشيرته ، وإلّا فشوكةُ الوليد يسيرة ، وهو يُواعده وَينتظر ما يكون من أمره . فكتب إليه الرشيدُ كتابَ مُغضب ، يقول فيه : « لو وَجّهتُ بأحد خَدَمى لقام بأكثر مما تقوم به ! ولكنّك مُداهن ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخّرت مُناجزة الوليد ليوجّهن إليك مَن يأخذ رأسك إلى أمير المؤمنين » .

ابن مزيد والوليد والخوارج

فلقى يزيدُ بن مَزيد الوليدَ بن طريف عشيةَ خميس فى شهر رمضان . فيقال : إن يزيد جُهد عطشاً حتى رَمى بخاتَمه فى فيه وجَعل يَلوكه ويقول : اللهم إنها ليلةٌ شديدة [1] فاسترها . وقال لأصحابه : فِداكم أبى وأُمّى ، إنما هى الخوارجُ ولهم حَمْلةٌ ، فاثبتوا لهم تحت التِّراس ، فإذا انقضتْ حَمْلتُهم فاحملوا ، فإنهم إذا انهزموا لم يَرْجعوا . فكان كما قال ، حَملوا حملةً وثَبَت يزيدُ ومَن معه من عَشيرته وأصحابه ، ثم حَمل عليهم فانكشفوا .

شبه أسد بأبيه يزيد

فيقال : إن أسد بن يَزيد بن مَزيد كان شَبيهاً بأبيه جِدًّا ، وكان لا يَفصل

(١) فى بعض أصول الأغانى : « شدة شديدة » .

بينهما إلا المُتأمِّل ، وكان أكثرُ ما يُباعده منه ضربةً فى وجه يزيد تأخُذ من قَصاص شَعْره مُنحرفةً على جَبْهته . فكان أسدٌ يتمنَّى مثلها . فهوتْ له ضربةٌ ، فأخرج وجهَه من التُّرس فأصابتْه فى ذلك الموضع . فيقال : إنها لو خُطَّت على مثال ضربة أبيه يزيد ما عدا ، [١] جاءت كأنها هى .

قتل يزيد الوليد وخروجه لأخته

وأُتبع يزيدُ الوليدَ بن طريف ، فَلحِقه بعد مسافة بعيدة ، فأخذ رأسَه . وكان الوليدُ خَرج إليهم حيث خرج وهو يقول :

أنا الوليدُ بن طَرِيف الشارى　　قَسْورةٌ لا يُصطلَى بنارِى

جَورُكُمُ أخرجنى من دارى

فلما وقع فيهم السيفُ وأُخذ رأسُ الوليد ، صبَّحتهم أختُه ليلى بنت طريف مستعدةً ، عليها الدِّرعُ والجَوْشن ، فجعلت تَحمِل على الناس ، فعُرفت . فقال يزيد : دَعوها . ثم خرج إليها فضَرب بالرُّمح قَطاةَ فرسها . [٢] ثم قال : اغرُبى غرَّب الله عليك ! فقد فَضَحْتِ العشيرة ! فاستحييتْ وانصرفتْ وهى تقول :

أيا شَجَر الخابور ما لك مُورِقًا　　كأنّك لم تَحزَنْ على ابن طَرِيفِ

فتًى لا يُحِبُّ الزاد إلّا مِن التُّقى　　ولا المالَ إلّا من قَنًا وسُيوفِ

شعره الذى فيه الغناء

وهذان البيتان هما الشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر الوليد ويزيد بن مَزيد . وأولُ هذه الأبيات :

بتَلِّ نُباتَي [٣] رسمُ قبرٍ كأنه　　على عَلمٍ فوق الجِبال مُنيفِ

تَضمَّنَ جُوداً حاتميًّا ونائلا　　وسَوْرَةَ مِقدامٍ وقَلْبَ حَصِيفِ

(١) ما عدا ، أى ما جاوز خط ضربته مثال ضربة أبيه . وقوله بعد « جاءت كأنها هى » هى بيان لقوله « ما عدا » .　(٢) قطاة الفرس : العجز حيث مقعد الرديف .

(٣) هذه رواية التجريد وبعض أصول الأغانى ومعاهد التنصيص (ص : ٤١٤) . والذى فى حماسة البحترى والكامل لابن الأثير . (٦ : ٩٨) : « تباق » . وفى وفيات الأعيان : « بتل نهاكى » . قال ابن خلكان : وتل نهاكى ، أظنه فى بلد نصيبين ، وهو موقع الواقعة المذكورة » .

ألاَ قاتل اللهُ الجُثا(١) كيف أضمرت فتًى كان بالمعروف غيرَ عَفِيف
فإنْ يَكُ أرْداه يزيدُ بن مَزْيدٍ فيا رُبَّ خَيْلٍ فَضَّها وصُفُوف
ألاَ يا لَقَومٍ للنّوائب والرَّدى ودَهْرٍ مُلِحٍّ بالكرام عَنِيف
ولِلْبَدْر من بين الكواكب قد هَوى(٢) وللشمس همَّت بعده بكُسوف
فيا شجرَ الخابُور ما لك مُورِقاً كأنك لم تحْزَن على ابن طَريف
فتًى لا يُحِبُّ الزاد إلّا من التُّقى ولا المالَ إلاّ من قَناً وسُيوف
ولا الخيلَ إلا كُلَّ جَرْداء شِطْبةٍ وكُلَّ حِصَان باليدين غَروف(٣)
فلا تجزَعَا يا ابْنَى طَرِيف فإنّنى أرى الموتَ وَقَّاعا(٤) بكُل شَرِيف
فَقَدْناك فِقْدانَ الرَّبيع وليتَنا فَدَيناك من دَهمائنا بأُلوف

ولما انصرف يزيد بن مَزيد بالظَّفر حُجب عن الرشيد برأى البرامكة ، وأظهر الرشيدُ السخطَ عليه . فقال : وحقِّ أمير المُؤمنين لأَصيفَنَّ ولأَشتُوَنّ على ظهر فرسى أو أدخلَ . فارتفع الخبرُ بذلك ، فأذن له فدخل . فلما رآه الرشيدُ ضحك وسُرَّ وقال : مرحباً بالأعرابىّ ! وأجلس وأكرم ، وعُلِم نَقاء صدره و بلاؤه ، وأحسن الرشيدُ إليه ، ومدَحه الشعراء بذلك وهَنَّئوه ، وكان أحسنَهم مِدْحة ليزيد بن مَزيد مُسلمُ بن الوليد صريعُ الغوانى ، فقال فيه القصيدة البَديعة التى لم يُسمع بأحسن منها ، وأولها :

أُجْرِرْتُ ذَيل(٥) خَليعٍ فى الصِّبا غَزِلٍ وشمَّرتْ هِمَمُ العُذال فى عَذَلِى

(١) الجثا : جمع جثوة ، مثلث الجيم ، وهى ما يتجمع من حجارة أو تراب . والرواية فى غير التجريد : « حيث أضمرت » . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « إذ » .

(٣) الجرداء : القصيرة الشعر ، وصف مستحب . والشطبة : السبطة اللحم ، وقيل : الطويلة . والغروف : التى تغرف الجرى غرفاً فتنهب الأرض نهباً فى سرعتها .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « نزالا » .

(٥) هذه رواية التجريد . وفى الديوان وأصول الأغانى : « حبل » . أى أجررت حبل خليع فى الصبا ، أى حبل من خلع عذاره فى الصبا .

هاج البُكاءَ على العَين الطَّمُوحِ هَوًى ... مُفرَّقٌ بين تَوديع [(١)] ومُرْتَحَل

كيف السلوُّ لقَلْبٍ راح مُخْتَبَلاً ... يَهْذِي بصاحب قَلْبٍ غيرِ مُخْتَبَل

يقول فيها :

يَفْترُّ عند افْترارِ الحَرْب مُبتسماً ... إذا تَغيَّر وجهُ الفارس البَطلِ

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يَوم ذى [(٢)] رَهَجٍ ... كأنه أجلٌ يَسعَى إلى أمل

ينالُ بالرِّفق ما يعيا الرِّجالُ به ... كالموت مُستعجلاً يأتى على مَهَل

لا يَرحلُ الناسُ إلّا نحو حُجرته ... كالبيت يُفضِى إليه مُنتهى [(٣)] السُّبل

يَقْرِى المَنِيّةَ أرواحَ الكُماة [(٤)] كما ... يَقرى الضُّيوفَ شُحومَ الكُوم [(٥)] والبُزُل

يكسو السُّيوفَ نفوس [(٦)] الناكثين به ... ويَجعلُ الهامَ تيجان القَنا [(٧)] الذُّبُل

إذا انتضى سيفَه كانت مسالكُه ... مَسالكَ المَوت فى الأبدان [(٨)] والقُلَل

لا تَكذبنّ فإنّ المجد معدنُه ... وِراثةٌ فى بَنِى شَيبان لم تَزل

أسلَمْ يزيدُ فما فى المُلك من أَوَدٍ ... إذا سَلِمْتَ وما فى الدّين من خَلَل

لولا دفاعُك بأسَ الرُّوم إذ مكرتْ ... عن بَيْضة الدّين لم تأمن من الثَّكَل

---

(١) فى الديوان : «ومحتمل» . والطموح : المرتفعة فى النظر إلى الأحبة ، وهم سائرون . يقول : هاج البكاء على العين هوى مفرق بين توديع ومحتمل ، أى مقسم ، بعضه فى توديع الأحبة وبعضه فى احتمالهم .

(٢) الرهج : الغبار . يقول : يوفى على المهج بالقتل فى يوم قد ثار نقعه من شدة القتال ، فهو يعمل عمل الأجل فى الأمل .

(٣) فى الديوان : «ملتقى» . يقول : لا يرحل الناس لطلب عطاء إلا نحو بيته ، كالبيت — يعنى بيت الله الحرام بمكة — يفضى إليه ملتقى السبل ، أى عنده ملتقى الطرق كلها .

(٤) فى الديوان : «العداة» .

(٥) الكوم : العظام الأسنمة . واحدتها : كوماء . والبزل : جمع بزول ، وهو ما بلغ من الإبل تسع سنين .

(٦) فى الديوان . «رءوس الناكثين» .

(٧) الذبل : الرماح الرقيقة .

(٨) القلل : الرءوس . وهى فى الأصل : أعالى الأشياء .

والمارق ابنُ طَريفٍ قد دلفتَ له ... بعارضٍ للمنايا مُسْبِلٍ هَطِل

ما كان جمعهمُ لمّا لقيتهمُ ... إلا كجمع جرادٍ ريعَ مُنْجَفل

كم آمنٍ لك نائى الدار مُمتنع ... أخرجتَه من حُصون المُلك والخَوَل

ومنها :

تراه فى الأمن فى دِرْعٍ مُضاعَفةٍ ... لا يأمنُ الدهرَ أنْ يُدْعَى على عَجَل

لا يَعْبَق الطِّيبُ خَدَّيه ومَفْرِقَه ... ولا يُمَسِّح عَينيه من الكُحُل

بين معن وامرأته في تقديمه ابن أخيه وتأخيره بنيه

وقول مُسلم فى شعره : « تراه فى الأمن فى درع مضاعفة » . له خبر ، وهو أن زوجة مَعن بن زائدة عاتبت مَعْناً فى تقديم ابن أخيه يزيد بن مَزيد وفَرْط إيثاره له ، فقالت : إنك لتقدِّمه وتؤخِّر بَنيك ، وتُشيد بذكره وتخمل ذكرهم ، ولو نَبَّهتهم لانتبهوا ، ولو رَفعتهم لارتفعوا . فقال مَعن بن زائدة : إنّ يزيد قريبٌ لم تَبعُد رَحِمُه ، وله علىّ حقُّ الولد إذ كنتُ عمَّه ، وبعدُ فإنهم ألْوَط[1] بقلبى وأدنى من نفسى على قَدر ما تُوجبه واجبة الأبوة من تقديمهم ، ولكنّى لا أجد عندهم ما أجد عنده ، ولو كان ما يَضطلع به يزيدُ فى بَعيدٍ لصار قريباً ، وفى عدوّ لصار حَبيباً ، وسأُريكِ فى ليلتى هذه ما يتبيّن به عُذرى ويَنفسح به اللوم عنى : يا غلام ، أُدع لى جَسّاسا وزائدة وعبدَ الله ، وفلاناً وفلانا ، حتى أتى على أسماء ولده . فلم يلبث أن جاءوا فى الغَلائل المُطيَّبة والنِّعال السِّندية ، وذلك بعد هدأة من الليل ، فسلّموا ثم جلسوا . ثم قال : يا غلام ، أُدع لى يزيد ، وقد أسبل ستراً بينه وبين المرأة ، فإذا به قد دخل مُعجِلاً وعليه السلاحُ كلُّه . فوضع رُمحه بباب المجلس ثم أتى يُحْضِر[2] . فقال له مَعن : ماهذه الهيئة أبا الزُّبير ؟ — وكان يزيد يُكنى أبا الزبير وأبا خالد — فقال : جاءنى رسولُ الأمير فسَبَق إلى نفسى أنه يريدنى لوجهٍ ، فقلت :

---

(١) ألوط : ألصق . (٢) يحضر : يسرع .

إن كان مضيتُ ولم أُعرِّج ، و إن يكن الأمر على غير ذلك فنَزْعُ هـذه الآلة عنّى أيسرُ الخطب . فقال لهم : أنصرفوا فى حِفظ الله . فقالت المرأة : قد تبيّن عُذرك . فأنشد معنٌ متمثّلاً :

نفسُ عِصامٍ سوّدت عِصاماَ وعَلَّمته الكَرَّ والإقداما
وجعلتْه مَلِكاً(١) هُماما

من شعر ليلى فى رثاء أخيها ابن طريف

ومما رثتْ به ليلى بنتُ طريف أخاها الوليد بن طَريف الشارى :

ذكرتُ الوليدَ وأيامَه إذِ الأرضُ من شخصه بَلْقَعُ
وأقبلتُ أطلبُه فى السماء كما يَبتغى أنفَه الأجدع
أضاعكَ قومُك فَلْيطلبوا إفادةَ مثلِ الذى ضيّعوا
لو أنّ السيوف التى حَدُّها يُصيبك تعلمُ ما تَصنع
نَبتْ عنك أو جعلتْ هيبةً وخوفاً لصَولك لا تَقْطع

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بطلا » .

ذكر بعض

أخبار عبد الله بن طاهر بن الحسين

لأبي الفرج في التعريف به

قال أبو الفرج :

كان عبد الله له من علوّ المنزلة وعظم القدْر ولُطف المكان من الخلفاء ما يستغنى به عن تقْريظه والدّلالة عليه . وأمرُه فى ذلك مشهور عند الخاصّة والعامّة . وله مع ذلك فى الأدب المحل الذى لا يُدفع ، وفى السّماحة والشّجاعة ما لا يُقار به فيه كبيرُ أحد .

غضب عليه المأمون لتفريقه خراج مصر ثم رضى عنه حين سمع شعره

ذُكر أنّ المأمون أعطى عبدَ الله بن طاهر خراجَ مصر وضياعها كلّها لسنة ، فوهبه كلَّه وفرّقه فى الناس، فرجع صِفْراً من ذلك . فغاظ المأمونَ فِعْلُه . فدخل إليه عبد الله يومَ مَقْدَمه عليه وأنشده لنفسه :

نفسى فداؤكَ والأعناقُ خاضعةٌ ... للنّائبات أبيًّا غيرَ مُهْتَضَم
إليكَ أقبلتُ من أرضٍ أقمتُ بها ... حولَيْن بعدك فى شوْقٍ وفى ألم
أَقفُو مساعيكَ اللّاتى خُصصتَ بها ... حذْوَ الشِّراك على مِثْلٍ من الأَدم
فكان فضْلِىَ فيها أننى تَبَعٌ ... لِمَا سننتَ من الإنعام والنِّعم
ولو وُكلتُ إلى نفسى عَييتُ[1] بها ... لكنْ بدأتَ فلم أَعجِزْ ولم أَلُم

فضحك المأمون وقال : والله ما نفِسْتُ عليك مَكْرُمةً نلْتَها ولا أُحدوثة حَسُن عنك ذِكْرُها ، ولكن هذا شىءٌ إذا عوّدتَه نفسك افتقرتَ[2] ولم تقدر على لَمِّ شعَثك وإصلاح حالك . وزال ما كان فى نفسه .

---

(١) فى غير التجريد : « غنيت » .   (٢) فى التجريد : « اقتصرت » .

وذُكر أن عبد الله بن طاهر لما افتتح مصر سوّغه المأمونُ خَراجَها . فصَعِد المنبر فلم ينزل حتى أجاز بها كلّها : ثلاثة آلاف ألفِ دينار أو نحوها . فأتاه مُعَلَّى الطائىُّ ــ وقد أعلموه ما صَنع عبدُ الله بن طاهر بالناس فى الجوائز ، وكان عليه واجداً ــ فوقف بين يدى المِنبر وقال : أصلح الله الأمير ! أنا المُعَلَّى ، قد بلغ مِنّى ما كان بى[1] إليك من جَفاء وغِلَظ ، فلا يغلُظَنّ علىّ قلبك ، ولا يستخفَّنّك الذى بلغك ، أنا الذى أقول :

يا أعظمَ الناسِ عفواً عندَ مقدرةٍ ... وأظلمَ الناسِ عند الجود للمالِ

تُغْلِى بما فيه رِقُّ الحمْد تَملِكه ... وليس شىءٌ أعاضَ الحمدَ بالغَالى

لو يُصبح النِّيلُ يجرى ماؤه ذَهباً ... لمَا أشرتَ إلى خَـزْنٍ بِمِثْقال

تَفك باليُسْرِ كَفَّ العُسرمن زَمن ... إذا استطالَ على قومٍ بإقلال

لم تَخْلُ كَفُّك من جُود لمُختَبطٍ ... أو مُرْهَفٍ فاتك فى الرّأس[2] قَتّال

وما بَثَثْت رَعِيلَ الخيل فى بَلَدٍ ... إلاّ عَصَفْنَ بأرزاقٍ وآجال

إن كنتُ منكَ على بالٍ مَقَتْتَ به ... فإنّ شُكرك مِن قلبى على بال

ما زِلْتُ مُنْقَضِباً[3] لولا مُجاهرةٌ ... من ألسُنٍ خُضْنَ فى صَدْرى بأقوال

فضحك عبدُ الله وسُرّ بما كان منه ، وقال : يا أبا السَّمراء ، أقْرِضنى عشرةَ آلاف دينار ، فما أمسيتُ أملكها . وأقْرضه إياها . فدَفعها إليه .

خبر محمد بن يزيد الأموى

ذُكر أن عبد الله بن طاهر كان قال قصيدةً يفتخر فيها بمآثر أبيه وأهله ، ويَفتخر بقَتلهم محمداً الأمين بن الرشيد . فعارضه فيها محمدُ بن يزيدَ الأمويّ

---

(١) فى غير التجريد : « قد بلغ منى ما كان منك إلى » .

(٢) الرواية فى غير التجريد : « أو مرهف قاتل فى رأس قتال » .

(٣) منقضباً ، أى منقطعا .

الحصْنىّ ، وكان رجلاً من ولد مَسْلمة بن عبد الملك بن مَروان ، فأفرط فى السَّبّ وتجاوز الحدّ فى قُبح الرد . ومن جُملة قوله :

مَنْ حُسينٌ مَن أبوكَ ومَن مُصعبٌ غالَتهمُ[1] غُولُ
نَسبٌ فى الفخر[2] مُؤتَشَبٌ وأبُوّاتٌ أراذِيلُ
قاتلُ المخلوعِ مَقتولُ ودَم المَقتول مَطلولُ

وهى قصيدة طويلة .

حديث العباس الخراسانى مع الحصنى

فحكى العبّاسُ بن الفضل الخُراسانىّ ، وكان من وجوه قُوّاد طاهر وابنه عبد الله ، وكان أديباً عاقلا فاضلا ، قال :

إنّ عبدَ الله بن طاهر لمّا وُلّى مصر ورُدّ إليه تدبير أمر الشام ، عَلِم الحِصْنىّ أنه لا يُفلت منه إن هَرب ، ولا يَنجو من يده حيث حَلّ ، فثَبت فى موضعه ، وأحرزَ حُرَمه ، وترَك أمواله ودوابّه ، وكُلّ ما يملكه فى موضعه ، وفَتح بابَ حِصنه وجَلس عليه ، ونحن نتوقّع من عبد الله بن طاهر أن يُوقِع به . فلما شارَفْنا بلدَه ، وكُنّا على أن نَصبّحه ، دعانى عبدُ الله فى الليل فقال لى : بِتْ عندى الليلة ، وليكُن فرسُك مُعَدًّا عندك لا يُرَدّ ، ففعلتُ . فلما كان فى السَّحر أمر أصحابَه وغِلْمانَه ألاّ يَرحلوا حتى تطلُعَ الشمس ، وركب فى السَّحر وأنا وخمسةٌ من خواصّ غلْمانه معه ، فسار حتى صبَّح الحِصْنيّ ، فرأى بابَه مفتوحاً ورآه جالساً مُسترسلاً ، فقصده وسلّم عليه ونزل عنده ، وقال له : ماأجلسك ها هنا وحَملك على أن فتحتَ بابك ولم تتحصّن من هذا الجيش المُقبل ، ولم تَتَنحّ عن عبد الله بن طاهر مع ما فى نفسه عليك وما بَلغه عنك ؟ فقال له : إنّ ما قلتَ لم يَذهب علىّ ، ولكنّى تأملتُ أمرى وعلمتُ أنّى قد أخطأتُ خطيئةً حملني عليها نَزَقُ الشباب وغِرّةُ

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « غالتكم » . (٢) مؤتشب : غير صريح .

الحداثة ، وأنى إن هربتُ منه لم أَفُته ، فباعدتُ البناتِ والحُرم ، واستسلمتُ بنفسى وكلِّ ما أملكه ؛ ونحن أهلَ بيت قد أسرع القتلُ فينا ، ولى بمن مضى أسوة ، ، وإنى أثق أن الرجل إذا قتلنى وأخذ مالى شَفى غَيْظه ولم يتجاوز ذلك إلى الحُرَم ولا له فيهنّ أرب ، ولا يُوجب جُرمى إليه أكثرَ مما بذلتُه . قال : فوالله ما أتقاه عبدُ الله إلا بدمُوعه تجرى على لِحيته . ثم قال له : أتعرفنى ؟ قال : لا والله ! قال : أنا عبدُ الله بن طاهر ، وقد أَمَّن اللهُ رَوْعك ، وحقَن دَمَك ، وصان حُرَمك ، وحَرس نِعْمتك ، وعفا عن ذَنبك ؛ وما تعجَّلتُ إليك وحدى إلاّ لتأمنَ من قبل هُجوم الجيش ، لئلا يُخالط عَفْوى عنك روعةٌ تَلْحقُك . فبكى الحِصْنِيّ وقام فقبَّل رأسَه . وأدناه إليه عبدُ الله بن طاهر وضَمّه ، ثم قال له : إمّا[1] لا فلا بُدّ من عِتاب . يا أخى ، جَعلنى الله فداك ، قلتُ شعراً فى قومى أفخر بهم لم أطعن فيه على حَسَبك ، ولا ادّعيت فضلاً عليك ، وفخرتُ بقَتل رجلٍ هو وإن كان من قومك ، فهو من القوم الذين ثأرك عندهم ، وقد كان يَسعك السُّكوت ، أو إن لم تسكُت لا تُغرق ولا تسرف . فقال : أيها الأمير ، قد عفوتَ ، فاجعله العفوَ الذى لا يشو به تثريب ، ولا يُكدِّر صفوه تأنيب . قال : قد فعلتُ ، فقم بنا ندخُل إلى مَنزلك لنُوجب عليك حقًّا بالضِّيافة . فقام مسروراً فأدخلنا منزله ، فأتى بطعام كان قد أعَدّه ، فأكلْنا وجلسْنا نشرب فى مُسْتَشرَف له . وأقبل الجيشُ . فأمرنى عبدُ الله بأن ألقاهم وأُرحِّلهم ، ولا ينزلَ أحدٌ منهم إلا فى المنزل ـ وهو على ثلاثة فراسخ ـ فنزلتُ فأرْحلتهم . وأقام عنده إلى العَصر . ثم دعا بدواةٍ وكتب له بتسويغه خَراجَه ثلاثَ سنين، وقال له : إنْ نَشطتَ فالحقْ بنا وإلا فأقم مكانَك . فقال : أنا أتجهزّ وألحقُ بالأمير . ففعل ولَحِق بنا بمصر . فأقام مع عبد الله لا يفارقه حتى رحل إلى العراق ، فودّعه وأقام ببلده .

---

(١) أى إن كنت لا أؤاخذك بما وقع منك ، فلا بد من عتاب . فحذفت « كان » واسمها وخبرها ، وبقيت « لا » النافية ، وعوض عن المحذوف « ما » .

أخبار أبى زُبَيد الطائى (*)

نســبه

هو حَرملةُ بن المُنذر بن مَعْــدِيكرِب بن حَنظلة بن النُعمان بن حَيَّــة بن سَعْنة (1) بن الحارث بن الحُويرث بن رَبيعــة بن مالك بن مِسكين (2) بن هَنِيء ابن الغَوث بن طِيِّء بن أُدد بن زيد بن يَشجب بن عَريب بن زيد بن كَهلان .

دينه وعصره

وكان نصرانيًّا ، وعلى دينه مات . وهو ممّن أَدركَ الجاهليّة والإسلام فعُدَّ من المُخَضرمين . وأَلحقه ابنُ سلام بالطَّبقة الخامسة فى الإسلام . وقد مضى أكثرُ أَخباره فى أخبار الوليد بن عُقبة .

عمره وشىء من وصفه

وكان من المُعمَّرين . ذُكر أنه عُمِّر مائة وخمسين سنة . وذُكر أنه كان طُوله ثلاثةَ عَشَر شِبْراً .

وصفه النعمان بن المنذر

وحَكى عمارة بن قابُوس قال :

لقيتُ أبا زُبيــد الطائى فقلت له : هل رأيتَ النعمان بن المُنذر ؟ قال : إى والله ، قد أتيتُه وجالستُه . قال : فقلت : فَصِفْه لى . فقــال : كان أحمرَ أزرقَ أبرش قصيراً . فقلت : أَخبرنى: أيسُرك أنه سَمِع مقالتَك هذه وأنّ لك حُمرَ النَّعَم ؟ قال : لا والله ، ولا سُودَها ، فقد رأيتُ مُلوكَ حِمْير فى مُلكها ، ومُلوكَ غسّان فى مُلكها، فما رأيتُ أحداً قطُّ كان أشدَّ عِزًّا منه . وكان ظَهرُ الكُوفة يُنبت الشَّقائق، فحمى ذلك المكانَ فنُسب إليه ، فقيل : شقائق النُّعمان . فجلس ذاتَ يومٍ هناك وجلسنا بين يديه ، وكأن على رُءوسنا الطير ، وكأنه بازٍ . فقام رجلٌ من الناس فقال له : أبيتَ اللعن ! أعطنى فإنِّى مُحتاج . فتأمّله طويلاً ثم أَمر به فأُدنى إليه

(*) وقبل أخبار أبى زبيد ساق أبو الفرج أخبار متفرقة عن عمر بن أبى ربيعة والأحوص .

(1) فى التجريد : « ابن سعية » . (2) فى الأغانى : « سكر » . وفى جمهرة أنساب العرب (ص ٣٧٧) : « سفر » .

حتى قعد بين يديه ، ثم دعا بكِنانةٍ فاستخرج منها مَشاقِصَ [1] فجعل يجَأُ [2] بها فى وَجهه حتى سمعنا قَرْع العِظام ، وخُضِبت لحيته وصدرُه بدمه ، ثم أمر به فنُحِّى . ومكثنا مليًّا . ثم نَهض آخرُ فقال له : أبيتَ اللعن ! أعطنى . فتأمّله ساعةً ثم قال : أعطوه ألفَ درهم . فأخذها وانطلق . ثم التفت النعمان عن يَمينه وشماله وخَلفه وقال : ما قولُكم فى رجل أزرقَ أحمرَ يُذْبح على هذه الأكمة ترون دَمه سائلاً حتى يَجرى إلى الوادى ؟ فقلنا له : أنت ــ أبيت اللعن ــ أعلَى برأيك عيناً . فدعا برجل على هذه الصِّفة فذُبح . ثم قال : ألا تسألوننى عما صَنعتُه ؟ فقلنا : ومن يسألك ــ أبيت اللعن ــ عن أمرك وما تَصنع ؟ فقال :

أما الأول ، فإنى خرجتُ مع أبى نتصيّد فمررتُ به وهو بفِناء بابه ، و بين يديه عُسٌّ من شراب أو لبن ، فتناولتُه لأشربَ منه ، فثار إلىّ فهَراقَ الإناء مِلأَ وجهى وصدرى ؛ فأعطيتُ الله عهداً لئن أمكننى منه لأخضبنّ بوجهه وصدرَه من دم لحيته .

وأما الآخر ، فكانت له عندى يَدٌ فكافأتُه .

وأما الذى ذبحته ، فإن عيناً لى بالشام كتب إلىّ : إن جبلة بن الأيهم قد بعث إليك رجلاً من صفته كذا وكذا ليغتالك ؛ فطلبته أياماً فلم أقدر عليه ، حتى كان اليوم .

منادمته للوليد بالرقة

وذُكر أنّ الوليد بن عُقبة بن أبى مُعيط كان انقطع بالرّقة مُعتزلاً لعلىّ ــ عليه السلام ــ ومُعاوية ، ولم يحضُر شيئاً من الحُروب التى وقعت بينهما ؛ وأقام أبو زُبيد معه بالرقّة ، فكان يُحمل فى كُل أحدٍ إلى الكنيسة فيحضُر مع النصارى و يشرب

(١) مشاقص : جمع مشقص ، وهو نصل عريض ، أو سهم فيه ذلك .
(٢) يجأ : يضرب .

بها ، ثم يُحمل إلى منزله. فبَقِى على هذا الحال مُدةً ، ثم تُوفى فدُفن على البَلِيخ ، وهو نهـــر بالرقّة .

رثاء صديق له

وذُكر أنه كان له نَديم يشرب معه بالكُوفة ، فلما تُوفى أبو زُبيد بالرقّة أُخبر بوفاته ، فجاء إلى قبره فوقف عليه ثم قال :

يا هاجرى إذ جئتُ زائرَهُ ⁂ ما كان من عاداتك الهَجْرُ

يا صاحبَ القبر السلامُ على ⁂ مَن حال دُون لقـائه القَبْرُ

وصاة الوليد بأن يدفن إلى جنبه

ولما حضرت الوليدَ الوفاةُ أوصى أن يُدفن إلى جنب أبى زُبيد .

وقيل : بل مات أبو زبيد بعده [1] .

---

(١) يظهر أن فى الترجمة نقصاً . فلم يذكر ابن واصل الشعر الذى فيه الغناء ، وهو ما يختم به ترجمة من يترجم لهم . وقد ذكره أبو الفرج ، وأوله :

قد كنت فى منظر ومستمع ⁂ عن نصر بهراء غير ذى فرص

(بهراء : قبيلة)

أخبار محمد بن أمية (*)

ابن أبى أمية

شىء عنه

كان كاتباً شاعراً ظريفاً . وكان يُنادم إبراهيم بن المهدىّ ، وربما عاشر علىّ ابن هشام ، إلاّ أنه كان انقطاعه إلى إبراهيم بن المهدىّ أكثر ، وربما كتب بين يديه . وكان حسن الخطّ والبيان . وكان يكتب للمهدىّ على بيت المال ، وكان إليه خَتْم الكُتُب بحضرته . وكان يأنس به لأدبه وفضله . وزامله أربعَ دَفَعات حجّها فى ذَهابه[1] ورُجوعه .

إعجاب أبى العتاهية بشعر له

وذُكر أن أبا العتاهية سمع مُخارقا يُغنِّى :

أُحبُّكِ حبًّا لو يُفَضُّ[2] يَسِيرُه ... على الخَلْق مات الخَلْقُ من شِدّة الحبِّ

وأعلمُ أنِّي بعد ذاك مقصِّرٌ ... لأنَّكِ فى أعلى المَراتب من قَلْبي

فطَرِب وقال : يا أبا المُهنّأ ، من يقول هذا ؟ فقال : فتًى من الكُتّاب يخدُم إبراهيمَ بن المَهدىّ . قال: تَعْنِي محمد بن أمية ؟ قال : نعم فقال : أحسن والله ! ما يزال يأتى بالشىء المَليح يبدو له .

تطير ابن المهدى بشعر له غنى فيه الغزال وكانت معه نكبة البرامكة

وذَكر بعضُ من كان يَختلط بالبرامكة قال:

كنتُ عند إبراهيم بن المهدىّ ، وقد أصطبحنا ونحن فى أطيب ما كُنّا فيه ، إذ غنّى عمرو الغزّال ، وكان إبراهيم بن المهدى يَستثقله ، فى شعر محمد بن أمية :

ما تمّ لى يومُ سرورٍ بمن ... أهواه مُذ كنت إلى اللّيلِ

أُغبطَ ما كنتُ بما نلتهُ ... منه أتتنى الرُّسْلُ بالوَيْلِ

لا والذى يَعلم كُلَّ الذى ... أقول ذى العِزّة والطَّوْلِ

ما رُمْتُ مذ كنتُ لكم سَخطةً ... بالغَيب فى فِعل ولا قَوْلِ

(*) وقبل هذا ساق أبو الفرج أخباراً متفرقة مر عنها ابن واصل.

(1) فى غير التجريد : « فى ابتدائه » . (2) يفض : يفرق .

فتطيّر إبراهيم ووضع القدح من يده، وقال: أعوذ بالله من شرّ ما قلتَ! فوالله ما سكت ـ وأخذنا نتلافى إبراهيم ـ حتى دخل حاجبُه يعدو. فقال له: ما الخبر؟ قال: خرج الساعةَ مسرورٌ من دار أمير المؤمنين حتى دخل دارَ جعفر ابن يحيى، فلم يَلبث أنْ خرج ورأسُ جعفر بين يديه، وقبض على أبيه وإخوته وأصحابه. فقال إبراهيم: (إنّا لله وإنا إليه راجعون)! يا غلام، ارفع مابين أيدينا. وتفرّقنا. ثم ما رأيتُ عَمْراً بعدها فى داره.

شعر له فى تفاحة أهدتها إليه جارية

وذُكر أن محمد بن أمية كان يُحب جاريةً يقال لها: خِداع، فأهدت إليه يوماً تفاحة مُطيبَّة مَنقوشة، فكتب إليها:

خِداعُ أهديتِ لنا خُدعةً ... تُفاحةً طيبةَ النَّشْرِ
ما زلتُ أرجوك وأخشى الهوى ... مُعتصماً بالله والصَّبْرِ
حتى أتتْنى منك[1] تفاحةٌ ... زَحزحتِ الأحزانَ من صَدرى
حَشوُها مِسْكاً ونَقَّشتِها ... ونَقْشُ كَفَّيكِ من السِّحر
سَقياً لها تفَّاحةً أُهديت ... إن لم[2] تكُن من خُدَع الدَّهر

ومن شعره فى خداع

ومما قاله محمد بن أمية فى «خِداع» هذه:

عَجباً عجبْتُ لمُذنبٍ مُتغضِّبٍ ... لولا قَبيحُ فعَاله لم أعجبِ
أخِداعُ طال على الفراش تَقلُّبى ... وإليك طولُ تشوُّقى وتَطرُّبى
لَهْفِى عليكِ وما يُردّ تلهُّفى ... قَصُرت يداى وعَزّ وجهُ المَطْلبِ

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار محمد بن أمية:

رُبَّ وَعْدٍ منكِ لا أنساه لى ... أوْجبَ الشُّكرَ وإن لم تَفْعَلى
أقطعُ الدهرَ بوعدٍ[3] حَسَنٍ ... وأُجلِّى غَمرةً ما تَنْجلى
كلَّما أمّلتُ يوماً صالحاً ... عَرَض المَكروهُ لى فى أملى
وأرى الأيّام لا تُدْنِى الذى ... أرتجى منكِ وتُدْنى أجلى

(١) فى غير التجريد: «فى ساعة» مكان «تفاحة».
(٢) فى بعض أصول الأغانى: «لوم».
(٣) فى غير التجريد: «بظن».

أخبار المتوكل الليثي (*)

نسبه وكنيته

هو المتوكّل بن عبد الله بن نَهْشَل بن مُسافع بن وَهْب بن عمرو بن لَقِيط بن يَعمَر بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر بن عَبْد مَناة بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدرِكة بن الياس بن مُضَر بن نِزار. ويُكنى: أبا جَهْمة.

عصره

شاعر من شُعراء الإسلام من أهل الكوفة. وكان في عصر مُعاوية بن أبي سُفيان وابنه يَزيد، ومَدحهما واجتمع معه الأخطلُ وناشده.

مناشدة الأخطل إياه

وذُكر أنّ الأخطل قَدِم الكوفة، فقال المتوكل بن عبد الله الليثي لرجل من قومه: انطلِقْ بنا نُنشده ونَسمع من شِعره. فأتَياه فقالا له: أنشدنا يا أبا مالك. فقال: إني لخائِر (1) يومي هذا. فقال له المتوكل: أنشدنا أيُّها الرجل، فوالله لا تُنشدني قصيدةً إلاّ أنشدتك مِثلها وأشعرُ منها من شِعري. قال: ومَن أنت؟ قال: أنا المتوكل. قال: ويحك! أنشدني من شعرك. فأنشده:

للغانياتِ بذي المَجاز (2) رُسُومُ ... فبِبَطْنِ مكّةَ عهدُهنّ قَدِيمُ

فبِمَنْحَرِ البُدْنِ المقلَّد من مِنًى ... حِلَلٌ تَلُوح كأنّهن (3) نُجوم

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَه ... عارٌ عليك إذا فعلتَ عَظِيم

والهمُّ ما لم تُمْضِه لسَبيله ... داءٌ تضمَّنه الضُّلوع مُقيم

وأنشد أيضاً:

الشِّعْرُ لُبُّ المرْءِ يَعرِضُه ... والقولُ مثلُ مَواقع النَّبْلِ

(*) وقبل أخبار المتوكل ذكر أبو الفرج بعض أخبار لابن أبي عتيق.

(1) خثرت نفسه: غثت وثقلت. (2) ذو المجاز: موضع سوق بعرفة، وماء لهذيل بعرفة.

(3) حلل: جمع حلة، وهي الجماعة من بيوت القوم. وشبهها بالنجوم لتفرقها، ولضآلتها.

منها المُقَصِّر عن رَمِيَّتِه ... ونوافذٌ يَذهبْن (١) بالخَصْل

وأنشد أيضاً :

إنّنا معشرٌ خُلِقْنا صُدوراً ... من يُسوِّى الصُّدورَ بالأَذناب

فقال له الأخطل : يا مُتوكل ، لو نَبحت الخمرُ فى جوفك كنتَ أشعرَ الناس.

شعره فى زوجته وقد طلبت الطلاق

وذُكر أنّ المتوكل اللّيثى كانت له امرأة يقال لها : رُهيمة ، وتكنى : أمَّ بَكر ، كانت أُقعدت . فسألته الطلاقَ . فقال لها : ليس هذا حين الطلاق . فأَبت عليه . فطلقها . ثم بَرئت بعد الطلاق . فقال فى ذلك قصيدةً أولُها :

طَرِبْتُ وشاقنى يا أُمّ بَكرٍ ... دُعاء حَمامةٍ تدعو حَماما

فبِتُّ وبات هَمّي لى نجِيًّا ... أُعَزّى عنكِ قلباً مُستهاما

ومنها :

أبَى قلبى فما يَهوَى سواها ... وإن كانت مودّتها (٢) غَراما

ينام الليلَ كلُّ خلِيٍّ همٍّ ... وتأبَى العينُ منِّى أنْ تناما

أُراعى التّاليات من الثُّريّا ... ودمعُ العين يَنسجم انسجاما

على حين ارعويتُ وكان رأسى ... كأنّ على مَفارقه (٣) الثَّغاما

سَعى الواشون حتى أزعجوها ... ورثّ الحَبْلُ فانجذَم انجذاما

ومنها :

خَدلجّةٌ (٤) لها كَفَلٌ وَثير ... يَنُوء بها إذا قامت قِياما

مُخصَّرةٌ (٥) ترى فى الكَشْح منها ... على تثقيل أسفلها انهضاما

إذا ابتسمت تلألأ ضوء برقٍ ... تهلّل فى الدُّجنّة ثم داما

(١) الخصل : الخطر ، وهو السبق الذى يتراهن عليه .

(٢) الغرام : العذاب . (٣) الثغام : نبت أبيض .

(٤) الخدلجة : الممتلئة الذراعين والساقين . (٥) مخصرة : ضامرة الخصر .

شعره اللى فيه الغناء

وقال أيضاً ، وهو الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار المتوكل الليثى ، وهو :

أجَدَّ البينَ[1] جيرتك احتمالا وحَثَّ حُداتهم بهمُ عِجالا
وفى الأظعان آنسةٌ لعوب ترى قتلى بغير دمٍ حلالا

وهذان البيتان من قصيدة يمدح بها حَوْشَباً الشيبانى ، ومنها :

إذا وعدتْك معروفاً لوته وعجَّلت التجرُّم[2] والمطالا
لها بَشَرٌ نقيّ اللون صافٍ ومَتْنٌ خُطَّ[3] فاعتدل اعتدالا
إذا تمشى تأوّد جانباها وكاد الخصر ينخزل[4] انخزالا
تنوء بها روادفها إذا ما وِشاحاها[5] على المتنين جالا
فإن تُصبح أميمة قد تولّت وعاد الوصل صرْماً واعتلالا
فقد تدنو النوى بعد اغتراب بها وتُفرّق الحىّ[6] الحلالا
تعبّس لى أميمةُ بعد أنس فما أدرى أسُخطاً أم دلالا
أبينى لى فرُبّ أخٍ[7] مُصافٍ رُزِئتُ وما أحِبّ به بدالا
أصرمٌ منك هذا أم دَلال فقد عَنّى الدّلالُ إذاً وطالا
أم استبدلت بى وسئمت[8] وصلى فبوحى لى به ودعى[9] المِحالا
فلا وأبيكِ ما أهوى خليلا أقاتله على وصلى قتالا
رأيت الغانيات صددن لما رأين الشيب قد شمل[10] اشتمالا

(١) فى غير التجريد : « اليوم » .
(٢) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم .
(٣) خطه : امتد .
(٤) تأود : انعطف . وينخزل : ينقطع .
(٥) الوشاح : ما تشده المرأة على وسطها من أديم عريض مرصع بالجواهر .
(٦) الحلال : القوم الحالون .
(٧) المصافى : المخلص .
(٨) فى غير التجريد : « ومللت » .
(٩) المحال : الكيد والمكر .
(١٠) فى غير التجريد : « القذالا » مكان : « اشتمالا » .

من شعره فى مدح يزيد بن معاوية

ومن شِعر المُتوكل اللَّيثى قصيدةٌ يمدح بها يزيد بن مُعاوية بن أبى سُفيان، أولها:

خليلىّ عُوجا اليومَ وانتظرانى ... فإنّ الهَوى والهمَّ أُمُّ أبانِ

هى الشمسُ يدنولى قريباً بعيدُها ... أرى الشمس ما أسْطيعها وترانى

نأتْ بعد قُربٍ دارُها وتبدّلت ... بنا بَدَلاً والدَّهرُ ذو حَدَثان

فهاج الهوى والشوقَ لى ذكرُ حُرَّةٍ ... من المُرجحنّات الثِّقال[1] حَصَان

يقول فيها فى مَدح يزيد بن معاوية :

أبا خالدٍ حَنّت إليك مطيّتى ... على بُعد مُنْتابٍ وهَوْل جَنانِ

تناهت قَلُوصى بعد إسآدِى السُّرى ... إلى مَلِكٍ جَزْلِ العَطاء[2] هِجان

ترى الناسَ أفواجاً ينوبُون بابَه ... لبِكْرٍ مِن الحاجات أو[3] لعَوان

(١) المرجحنات : السمان ؛ الواحدة : مرجحنة . والحصان : العفيفة .

(٢) الإسآد : الإسراع فى السير . والسرى : السير آخر الليل . والهجان الرجل الحسيب .

(٣) العوان : الثيب . يريد الحاجات التى طلبت مرة بعد مرة .

أخبار الأفوه الأودى

نسبه ولقبه

وهو صَلاءة بن عَمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عَوف بن مُنَبِّه بن أَوْد بن الصَّعب بن سَعد العَشيرة . والأفوه لقبٌ غَلب عليه .

لقب أبيه وشعره فيه

وكان يُقال لأبيه عمرو : فارس الشَّوهاء ، وفى ذلك يقول الأفوه :

أَبِى فارسُ الشَّوهاء عمرو بن مالك ... غداةَ الوَغى إذ مال بالجَدِّ عاثِرُ

مقامه بين قومه

وكان الأفوه من كِبار الشُّعراء القُدماء فى الجاهليّة ، وكان سيِّد قومه ، وقائدَهم فى حُروبهم ، وكانوا يصدُرون عن رأيه . والعربُ تعدُّه من حُكّامها .

شعره فى الفخر على بنى عامر وقد أودى قتلاهم

وذُكر أنه كانت بين الأفوه وقوم من بنى عامر دماء ، فأدرك الأفوه ثأره منهم ، وزاد فأعطاهم دِياتِ من قُتِل ، فضلاً على قَتلى قومه ، فقَبِلوا وصالحوه . فقال فى ذلك قصيدةً يفخر بها عليهم ، أولُها :

* سقَى دِمْنَتَين لم نَجِد لهما أهلا [1] *

يقول فيها :

وإنّا لنُعطى المال دون دمائنا ... ونأبَى فما نَستام دون دَمٍ [2] عَقْلَا

نقُود ونأبَى أن نُقاد وأن [3] نَرى ... لقوم علينا فى مُكارمة فَضْلا

(١) عجزه : « بحقلٍ لكم ياعز قد رابنى حقلا » . وحقل : مكان .

(٢) العقل : الدية . (٣) فى غير التجريد : « ولا » .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الأفوه ، هو البيت الأول من قصيدته ، مع أبيات لـكُثير عزة .

وذكر أبو الفــرج أن كُثيّرا ضَمّ بيت الأفوه مُنتحلا له إلى شعره . ومن أبيات كُثير :

فيا عزَّ إنْ واشٍ وشَى بىَ عندكم ... فلا تُكرميه أن تقولى له[1] أهْــلا

كما نحن لو[2] واشٍ وشَى بكِ عِندنا ... لقُلنــا تَزحزحْ لا قريباً ولا سَهلا

---

١) فى غير التجريد : « مهلا » مكان « أهلا » .

(٢) فى التجريد : « كما أن واش لو» .

ذكر خبر أبي النشناش (*)

هو واللهبي بعد فراره من الحبس

ذُكر أنه كان لصّاً من تميم، وكان يَعترض القوافل [1] في شُذّاذ من العَرب، بين طريقي الحجاز والشام، فظفَر به بعضُ عمّال مَروان فحَبسه وقيّده مُدة، ثم أمكنه الهربُ في وقت غِرّة فهرب. فمر بغُراب على بانة يَنتِف ريشه ويَنعَب، فجزِع من ذلك. ثم مرّ بحيٍّ من لِهْب فقال لهم: إنّ رجلاً كان في بلاء وشرّ وحبسٍ وضيقٍ فنجا من ذلك، فلقي في طريقه غُراباً على بانة يَنتف ريشَه ويَنعَب. فقال له اللِّهْبيّ: يُؤخذ فيُعاد إلى حَبسه وقَيْده، ويطُول ذلك به، ثم يقتَل ويُصلب. فقال: بفِيك التراب. فقال: بل بفيك. وأنشأ أبو النّشناش يقول:

وسائلةٍ أين ارتحالي وسائلٍ ... ومن يسأل الصُّعلوكَ أين مذاهبُه
مَذاهِبه أنّ الفِجاج عريضةٌ ... إذا ضَنّ عنه بالنّوال أقاربُه
إذا المرءُ لم يَسرح سَوَاماً ولم يُرِح ... سَواماً ولم يَبسُط له الوجهَ صاحبه
فَللموتُ خيرٌ للفتى من قُعوده ... فقيراً ومِن مَولًى [2] تَدِبُّ عَقاربه
ودَوِّيّةٍ قوراء يُخشى بها [3] الرَّدَى ... سَرتْ بأبي النَّشناش فيها ركائبه
ليُدركَ ثأراً أو ليَكسِب مَغنَماً ... ألا إنّ هذا الدهرَ جَمٌّ [4] عجائبه

(*) ساق أبو الفرج أخبار أبي النشناش تكاد تتصل بأخبار الأفوه.

(1) في التجريد: «القبائل».

(2) في بعض أصول الأغاني: «عديما . . . تعاف مشاربه».

(3) الدوية: المفازة. وقوراء: واسعة. وفي غير التجريد: «ودوية قفر يحار بها القطا».

(4) في غير التجريد: «تترى».

فلم أرَ مثلَ الهمِّ [١] ضاجَعه الفتى ولا كسَوادِ الليل أخفَق طالبُه

فعِشْ مُعذِراً [٢] أومُتْ كريماً فإننى أرى الموت لا يُبقِى على مَن يُطالبه

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، وأُفتتح به أبو الفرج خبر أبى النَّشناش، هو :

كأنْ لم تَرَىْ قبلى أسيراً مُكبَّلاً ولا رجُلاً يُرمَى به [٣] الرَّجَوانِ

كأنَّ جوادٌ ضَمّهُ القيدُ بعد ما جرى سابقاً فى حَلْبةٍ ورِهانِ

---

(١) فى غير التجريد : « الفقر » . (٢) المعذر : الذى له عذر .

(٣) الرجوان : مثنى رجا ، وهى ناحية كل شيء . وخص به بعضهم ناحية البئر من أعلاها إلى أسفلها . ويرجى به الرجوان ، أى استهين به فكأنه يرمى به هنالك ويطرح فى المهالك .

ذكر خبر الجحاف السلمى (*)

وبعض الحروب الواقعة بين قيس وتغلب

نسبه

هو الجحّاف بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سِباع بن خُزاعىّ بن مُحاربىّ ابن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة بن سُلَيم بن منصور .

وقعة الحرجية

لما انقضت وقعةُ راهط ، كانت بين قيس وتَغلب ، بنواحى الجزيرة والموصل ، حُروب كثيرة فى وَقعات متعدِّدة ؛ قُتل فى بعض تلك الوَقعات عُمَير بن الحُباب السُّلمى . فأتى أخوه تميمٌ زُفَرَ بن الحارث الكلابىّ وسأله القيامَ بنُصرته والأخذَ بثأر أخيه ، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع . ووجّه زُفرُ بنُ الحارث يزيدَ بن حُمْران فى خَيل . فأساء إلى بنى الفَدَوكس ــ رَهط الأخطل الشاعر ــ فقتل رجالَهم واستباح أموالَهم . وبَعث خيلاً أخرى إلى بنى كَعب بن زُهير ، وخَيلاً أخرى إلى ناحية أُخرى ، فأكثروا من القتل . وبَلغ ذلك بنى تغلب ، فارتحلوا يُريدون عُبور دِجلة ، فَلقيهم أصحابُ زُفر بالكُحَيْل — وهو نهر أسفل من الموصل — فاقتتلوا قتالاً شديدا . وترجّل أصحابُ زفر أجمعون ، و بقى زُفر بن الحارث على بغلة له . فقتلوهم من لَيلتهم ، وبَقروا ما وجدوا من النِّساء . وذُكر أنّ مَن غَرق فى دِجلة أكثرُ ممّن قُتل بالسَّيف ، وأنّ الدم كان فى دِجلة قريباً من رَمْية سهم . فلم يزالوا يقتُلون مَن وجدوا حتى أصبحوا . فذُكر أنّ زُفر دخل معهم دجلةَ ، وكانت فيه بُحّة ، فجعل يُنادى ولا يُسمع صوتُه ، ففَقده أصحابُه وحَسبوا أنّه قُتل ،

(*) ساق أبو الفرج قبل خبر الجحاف « خبر كثير وخندق الأسدى » ثم أخبار «منظور بن زبان» .

فتذامروا (١) وقالوا : لئن قُتل شيخُنا فما صَنَعْنا شيئاً ! فأتبعوه ، فإذا هو فى الماء يَصيح بالناس ـ وتَغلب قد رَمت بأنفسها تَعبُر فى الماء ـ نخرج من الماء فأقام بموضعه . وهذه الوقعةُ تُسمَّى الحَرَجيّة ، لأنهم أُحْرِجوا فألقوا أنفسهم فى الماء .

ليلة الهرير وشعر زفر

ثم وجّه زُفر جمعاً من أصحابه وأمرهم ألّا يلقَوا أحداً إلّا قتلوه . فقتلوا منهم قَتْلاً ذَريعاً . ثم مضى زُفر فى جماعة من أصحابه حتى أتى رأس الأُثيل (٢) ، فوجد عسكراً من اليمن وتَغلب ، فقاتلهم بقيةَ ليلتهم ، فهربت تغلب وصَبرت اليمن . وهذه الليلة تُسمِّيها تغلب : ليلةَ الهَرير . وفى ذلك يقول زُفر بن الحارث :

ولمّا أنْ نَعى النّاعى عُميراً حسبتُ سماءهم دُهيت بلَيْلِ
فلو نُبش المقابرُ عن عُمير يُخبِّر (٣) عن بَلاء أبى الهُذَيل
غداةَ يُقارع الأبطالَ حتى جَرى منهم دماً مَرْجُ (٤) الكُحَيْل
قَبيلٌ يَنْهدون (٥) إلى قَبيلٍ تَساقَى المَوتَ كيلاً بعد كَيل

شعر جرير

وفى ذلك يقول جرير ، يُعيِّر الأخطل :

أنسيتَ يومَك بالجزيرة بعد ما كانت عواقبُه عليك وَبالاَ
حملتْ عليك حُماةُ قيسٍ خيلَها شُعْثاً عوابسَ تَحمِل الأبطالا
ما زلتَ تحسِبُ كُلَّ شىء بعدهم خيلاً تَصُبّ (٦) عليكم ورِجالا
زُفر الرئيسُ أبو الهُذيل أبادكم فسَبَى النِّساء وأحرز الأَموالا

استنهاض الجحاف قومه لشعر الأخطل

فلما كانت سنة ثلاثٍ وسَبعين ، وقُتل عبد الله بن الزُّبير بمكة ، وهَدأت الفتْنة ، واجتمع الناس على عَبد الملك بن مروان ، وتَكافَّت قيسٌ وتَغلبُ عن

(١) تذامروا : حض بعضهم بعضاً على القتال . (٢) الأثيل : موضع .
(٣) فى غير التجريد : « فيخبر » .
(٤) المرج : الفضاء . والكحيل : موضع فى بلاد هذيل .
(٥) ينهدون : ينهضون . (٦) فى غير التجريد : « تكر » .

المَغازى بالشام والجزيرة ، وظَن كلٌّ واحدٍ من الفريقين أن عنده فضلاً لصاحبه ، وتكلّم عبدُ الملك فى ذلك فلم يُحْكم الصُّلح بينهم ؛ فبينما هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطلُ عند عبد الملك بن مروان ، وعنده وُجوه أصحابه ، قصيدةً يقول فيها :

ألا سائل الجحّاف هل هو ثائرٌ بقتلَى أُصيبت من سُلَيم وعامرِ

فوثب الجحّاف السُّلمى يجرّ مُطْرَفَه وما يَعلم من الغضب . فقال عبدُ الملك ابن مروان للأخطل : ما أحسبك إلا قد كَسبتَ قومك شرًّا ! ومضى الجحّاف من فَوره ذلك ، فوَضع (١) عهداً من عبد الملك له على صدقات بكر وتغلب ، وصحبه من قومه ألفُ فارس .

وقعة البشر

قيل : فسار الجحّاف بهم حتى بلغ الرُّصافة ، ثم كَشف لقومه أمرَه وأنشدهم شعرَ الأخطل . وقال لهم : إنما هى النارُ أو العار ، فمن صَبر فَلْيَقْدم ، ومَن كره فَلْيرجع . فقالوا له : ما بأنفسنا عن نَفسك رغبةٌ . فأخبرهم بما يُريد . فقالوا : نحن معك فيما كُنتَ فيه من خَير وشَرّ . فارتحلوا ، فطَرقوا صُهَين ، بعد رُؤْبة (٢) من الليل . ثم صبَّحوا البِشْر ، وهو واد لبنى تَغلب ، وأغاروا على بنى تغلب ليلاً ، وبَقروا من النِّساء من كانت حاملاً ، ومَن كانت غيرَ حامل قَتلوها . فقُتل فى تلك الليلة ابنٌ للأخطل يقال له : أبو غِياث . ففى ذلك يقول جَرير له :

شَرِبْتَ الخمر بعد أبى غِياثٍ فلا نَعِمتْ لك النَّشوات (٣) بالاَ

وذُكر أنّ الأخطل وقع فى أيديهم ، وعليه عَباءةٌ دَنِسة . فسألوه ، فذَكر أنه عبدٌ فأطلقوه .

(١) فى غير التجريد : « فافتعل » .
(٢) الرؤبة : القطعة .
(٣) فى التجريد : « السوءات » . وما أثبتنا من الديوان (ص ٤١٤) وبعض أصول الأغانى .

وجعل الجحّاف ينادى : من كانت حاملاً فإلىّ . فصَعِدْن إليه ، فجعل يبقَرُ بُطونهن . ثم إن الجحّاف هَرب بعد هذه الفِعلة ، وفرّق عنه أصحابُه ولحق بالروم. فلحقه عُبيدة بنُ هَمّام التّغلبى ، دون الدّرْب . فكرّ عليه الجحّاف فهزَمه وهزم أصحابه وقتَلهم . ومَكث زمانا فى الرُّوم ، وقال فى ذلك :

فإن تَطرُدونى تَطرُدونى وقد مضى ... من الوِرْد يومٌ فى دِماء[(١)] الأَراقمِ

لَدُن ذرّ قرْنُ الشمس حتى تَلَبّستْ ... ظلاماً بر كْضِ المُقرَبات[(٢)] الصّلادمِ

قدوم الجحاف على عبد الملك بعد الأمان

حتى إذا سكن غضبُ عبد الملك بن مَروان كلّمته القيسيّة فى أن يُؤمِّنه ؛ فَلَانَ وتلكّأ . فقيل له : إنّا والله لانأمنهُ على المُسلمين إن طال مُقامه أن يأتى بالرُّوم . فأمّنه ، فأقبل . فلما قدم على عبد الملك بن مروان لَقيه الأخطل . فقال له الجحّاف :

أبا مالكٍ هل لُمْتَنى إذ حَضضتَنى ... على القَتْل أم هل لامَنى لك لائمِى

أبا مالكٍ إنّى أطعتُك فى التى ... حضضتَ عليها فِعْلَ حَرّانَ[(٣)] حازم

فإن تَدعُنى أخرى أُجِبْك بمثلها ... وإنّى لطَبٌّ بالوغَى جِدُّ عالِم

فقال الأخطل له : أراكَ والله شيخَ سَوْء ! وقال فيه جرير :

فإنك والجحّافَ يوم تَحُضّه ... أردتَ بذاك المُكْثَ والوِرْدُ أَعجلُ

بكى دَوْبلٌ[(٤)] لا يُرْقِئ اللهُ دَمْعَه ... ألاَ إنما يَبكى من الذُّلّ دَوْبل

فما زالت القَتلى تَمُجّ[(٥)] دماءها ... بدِجلةَ حتى ماءُ دِجلةَ[(٦)] أَشْكل

(١) الأراقم : حى من تغلب ، سموا بذلك لشبه عيونهم بعيون الأراقم .

(٢) المقربات من الخيل : التى ضمرت للركوب ، فهى قريبة معدة . والصلادم : الشديدة الصلبة ، الواحد : صلدم ، كزبرج .

(٣) حران ، أى ظامىء متعطش . (٤) الدوبل : ولد الخنزير .

(٥) فى الديوان (ص ٤٥٧) وأصول الأغانى : « تمور » ، أى تجرى .

(٦) أشكل : يضرب بياضه إلى الحمرة والكدرة .

فقال الأخطل : ما لجرير لعنه الله ! والله ما سَمَّتنى أُمِّى دَوبلاً إلّا وأنا صبىٌّ صغير، ثم ذَهب ذلك عنى . وقال الأخطل :

لقد أوقع الجَحّافُ بالبِشر وقعةً إلى الله منها المُشتكى والمُعوَّلُ
فسائل بَنى مَروان ما بالُ ذِمَّةٍ وحبلٍ ضَعيف لا يزال يُوصَّل
فإلّا تُغَيِّرها قريشٌ بمِلْكها يكُن عن قُريش مُستَماز[1] ومَزْحل

فقال له عبد الملك ، لمّا أنشده هذه القصيدة : إلى أين يا بن النَّصرانية ؟ قال : إلى النار . قال : أولَى لك لو قلتَ غيرها !

حمل الوليد الدماء والجحاف القتلى

ورأى عبدُ الملك أنه إن تركهم على حالهم لم يكُن أحكَمَ الأمر ، فأمر ابنه الوليدَ بن عبد الملك تَحمل الدِّماء التى كانت قبل ذلك بين قَيس وتَغلب ، وضَمَّن الجحّافَ قَتلى البِشر وألزمه إياها ، عُقوبةً له . فأدّى الوليدُ الحمالات . ولم يكن عند الجحّاف ما يَحمل ، فلحق بالحجّاج بالعِراق يسأله ، لأنّه من هَوازن. فأبى مُساعدته وقال له : أعهدْتَنى خائناً لا أبا لك ! فقال له الجحّاف : أنت سيِّد هوازن، وقد بدأنا بك ؛ أنت ابن عظيم القريتين ، وأمير العراق، وعَمالتك فى كُل سنة خمسمائة ألف درهم ، وما بك بعدها حاجة إلى خِيانة . فأعطاه ، وأدَّوا البقية .

خروج الجحاف إلى الحج

ثم إن الجحّاف نَسك واستأذن فى الحجّ ، فأذن له ، فَخرج حاجًّا فى المَشيخة الذين شَهدوا معه ، قد لَبِسوا الصوف وأحرموا وأبْرَوْا أنوفهم — أى خَرموها وجعلوا فيها البُرَى [2] — ومشَوا إلى مكّة . فلما قَدِموا مكة والمدينة جَعل الناسُ ينظرون إليهم و يعجبون منهم .

وذُكر أن الجحاف تعلّق بأستار الكعبة وجعل يقول : اللّهم اغفر لى وما أراك تَفعل ! فسمعه ابنُ عمر رضى الله عنه ، فقال له : يا هذا ، لو كنتَ الجحّاف

(١) بملكها ، أى بقدرتها . ومستماز : مرتحل . ومزحل : متحول . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « مستراد » مكان « مستماز » . (٢) البرى : جمع برة ، وهى الحلقة فى أنف البعير.

لما زِدت على هذا ! فقال : فأنا الجحّاف . فسكت . وسَمِعه محمدُ بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما يقول ذلك ، فقال له : يا عبد الله ، قُنوطك من عفو الله أعظم من ذَنبك .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الجحّاف وحُروب تغلب وقيس ، هو شعرُ الجحّاف ، وهو :

لله دَرُّ عِصابة (1) نادمتُهم يومَ الرُّصافة مثلُهم لم يُوجَدِ
مُتقلِّدين صفائحاً هنديّةً يتركْن مَن ضَربُوا كأنْ لم يُولد
وغدا الرجالُ الثائرون كأنما أحداقُهم (2) قِطَعُ الحديد المُوقد

(1) فى غير التجريد : « صاحبتهم » .
(2) فى غير التجريد : « أبصارهم » .

ذكر يوم الكلاب الأول

قبـاذ والمنذر

وكان من حديث الكُلاب الأول أنّ قُباذ بن فيروز ملك الفُرس لمّا مَلَكَ كان ضعيفَ المُلك، فوثبت ربيعةُ على المُنذر الأكبر بن ماء السماء — وهو ذو القَرنين بن النُّعمان — فأخرجوه — وإنما سُمِّى ذا القَرنين لأنه كان له ذُؤابتان — فخرج هارباً منهم حتى مات فى إياد، وترك ابنَه المُنذرَ الأصغر فيهم، وكان أذكى ولده. فانطلقت ربيعةُ إلى كِندةَ، فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حُجْرآكل المُرار، فملّكوه، وحَشَدوا له وقاتلوا معــه. فظَهر على ما كانت العرب تَسكُن مِن أرض العِراق. وامتنع قُباذ أنْ يُمِدَّ المُنذر بجيش. فلما رأى ذلك كتب إلى الحارث بن عمرو الغَسّانى: إنِّى فى غير[1] قومى، وأنت أحقُّ مَن ضَمَّنى، وأنا مُتحوِّل إليك. فزوّجه ابنتَه هنداً.

تفريق الحارث أولاده فى القبائل وما كان منهم

ففرّق الحارثُ بَنيه فى قبائل العرب: فصار شُرَحبيل بن الحارث فى بكر بن وائل والرِّباب، وصار مَعْدِيكرب بن الحارث فى قَيس، وصار سَلمة بن الحارث فى بنى تَغْلب والنَّمِر بن قاسط وسَعد بن زيد مَناة. فلما هلك الحارثُ تشتّت أمرُ بنيه وتفرّقت كلمتهم، وكانت المُغاورة بين الأحياء الذين معهم، وتفاقم الأمر حتى جمع كُل واحدٍ منهم لصاحبه الجُموع؛ فسار شُرَحبيل ومن معــه من بنى تَميم والقبائل فنزلوا الكُلاَب ـ وهو ماء بين الكوفة والبَصرة على سَبع ليالٍ من اليمامة ـ وأقبل سَلمة بن الحارث فى بنى تَغلب والنَّمر يُريدون الكُلاب.

الحرب بين شرحبيل وسلمة

وكان أصحابُ[2] شُرحبيل وسَلمَة يَنْهونهما عن الحَرْب والفَساد والتحاسُد

(١) الرواية فى التجريد: «فى عز من قومى». (٢) فى غير التجريد: «فصحاء».

ويُحذّرونهما غِرّات الحرب وشُؤمها . فأبيا إلّا التحاسُد واللّجاجة . ثم إنّ الفريقَيْن التقَوْا بالكُلاب فاقتتلوا قتالاً شديدا ، وثبت بعضُهم لبعض ، حتى إذا كان آخر النّهار من ذلك اليوم خَذَلت بنو حَنظلة ، وعمرُو بن تَميم ، والرِّبابُ ، بكرَ بن وائل . فانصرفت بنو سعد وألفافُها عن بنى تَغلب ، وصَبر ابنا وائل : بكرٌ وتَغلب ، ليس معهم غيرهم ، حتى إذا غَشِيهم الليلُ نادى مُنادى سَلمة : من أتى برأس شُرَحبيل فله مائةُ بعير . فقَصده أبو حَنَش — وهو عُصْم بن النُّعمان ابن مالك بن غِياث بن سَعد بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب — فاحتزّ رأسه وأتى به . وقيل : إن بنى حَنظلة و بنى عمرو بن تَميم والرِّباب لمّا انهزموا خَرج معهم شُرَحبيل ، فقَصده ذو السُّنَيْنة — واسمه حَبيب بن عُتَيْبة ، أحد بنى جُشَم بن بكر ، وكانت له سنٌّ زائدة — فالتفت شُرحبيل، فضرب ذا السُّنينة على رُكْبته فأطَنّ رِجْلَه(١) — وكان ذو السُّنينة أخا أبى حَنَش لأُمه ، أُمهما سلمى بنت عدىّ ابن رَبيعة ، بنت أخى كُليب ومُهاهل ـ فقال ذو السُّنينة :قَتلنى الرجل ! فقال أبو حَنش : قَتلنى الله إن لم أقتلْه ! فحَمل عليه ، فلمّا غَشِيه قال : يا أبا حَنش ، اللّبن اللبن ! قال : قد هَرقت لنا لبناً كثيرا . فقال : يا أبا حنش ، أمَلِكاً بسُوقه ؟ فقال : إنه قد كان مَلِكى . فطعنه أبو حنش فأصاب رادفةَ السّرج(٢) ، فورَّعت عنه(٣). ثم تناوله فألقاه عن فَرسه ، ونزل إليه فاحتزّ رأسه ، و بعث به إلى سَلمةَ مع ابن عم له يقال له : أبو أجأ بن كَعب . فألقاه بين يدى سَلَمة . فقال له سلمة : لو كنت ألقيتَه إلقاءً رَفيقا ؟ فقال : ما صَنع بى وهو حىٌّ أشدُّ من هذا . وعرف أبو أجأ النّدامة فى وجه سَلمة والجَزع على أَخيه ، فهرب أبو أجأ وأبو حَنَش .

رثاء معديكرب لشرحبيل وهو الشعر الذى فيه الغناء

فقال مَعْديكرب بن الحارث — وكان صاحب سَلَامةِ مُعتزلا للحرب —

---

(١) أطن رجله : قطعها . (٢) رادفة السرج : مؤخرته .

(٣) ورعت عنه : منعت .

يرثى أخاه شُرحبيل ، وهو الشعر الذى فى بَعضه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج ذِكْر يوم الكُلاب :

إنَّ جَنبى عن الفِراش لَنابِى ... كتَجافِى الأَسَرِّ فوق(١) الظِّرابِ
من حديث نَمَى إلىَّ فما ترْ ... قأُ عينى(٢) ولا أُسيغ شَرابى
مُرَّةٌ كالذُّعاف أكتُمها النا ... سَ على حَرِّ مَلَّةٍ(٣) كالشِّهاب
مِن شُرَحبيلَ إذ تَعاوره الأَر ... ماحُ فى حال لَذَّة وشَباب
يابنَ أُمِّى ولو شَهِدْتُك إذ تد ... عو تميماً وأنت غيرُ مُجاب
لتركتُ الُحسام تجرى ظُباه(٤) ... من دماء الأعداء يوم الكُلاب
ثم طاعنتُ مِن ورائك حتى ... تَبْلُغَ الرَّحبَ(٥) أو تُبَزَّ ثِيابى
أين مُعطيكمُ الَجزيلَ وحابيـ ... ـكم على الفقر بالمِئين(٦) اللُّباب
فارس يَضرب الكَتيبة بالسَّيـ ... ـف على نَحره كنَضْحِ(٧) المَلاَب
فارسٌ يَطعُن الكُماة جرىء ... تَحته قارحٌ كلَون الغُراب

ولما قُتل شُرَحبيل قامت بنو سَعد بن زيد مناة بن تَميم دون عِياله فمنعوهم وحالوا بين الناس و بينهم ، ودافعوا عنهم حتى أَلحقوهم بقومهم ومأمنهم .

---

(١) الأسر : البعير الذى يكون به السرر ، وهو قرحة تخرج فى كركرته ، لا يقدر أن يبرك إلا على موضع مستو من الأرض . والظراب : الحجارة الناتئة .
(٢) فى رواية : « فما أطعم غمضا » .
(٣) الملة : الرماد الحار .
(٤) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف .
(٥) أو تبز ثيابى ، أى تنزع عنى بموتى .
(٦) اللباب : الخيار . وفى رواية : « الكباب » وهو الكثير من الإبل .
(٧) الملاب : ضرب من الطيب أو الزعفران .

أخبار عبد الله بن معاوية

نسب

هو عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جَعفر بن أبي طالب بن عبد المُطلب ابن هاشم .

نسب أم عبد الله ابن جعفر

وأم عبد الله بن جعفر ، وسائرِ بني جعفر ، أسماء بنت عُميس الخَثْعمية ، وأُمها هِنْد بنت عمرو [1] ، امرأةٌ من جُرَش ، يقال لها الجُرَشيّة ، يقال إنها أكرمُ الناس أحماء ، أحماؤها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأبو بكر الصدِّيق ، وعليّ ابن أبي طالب ، وحَمزة ، والعبّاس ، وجعفر ذو الجَناحَيْن ، رضى الله عنهم .

وإنما صار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم وهؤلاء السادة من أحمائها لأنه كان لها أربعُ بنات : ميمونة بنت الحارث ، زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ وأم الفضل، زوج العبّاس بن عبد المطلب ، وهى أم بَنيه ؛ وسَلمى ، زوج حَمزة بن عبد المطلب وهؤلاء بنات الحارث . وأسماء بنتُ عُميس ، أختهنّ لأُمهن ، كانت عند جَعفر ابن أبي طالب ، فلما قُتل بمُؤتة شَهيداً خَلَفَ عليها أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه . وهى أم ابنه محمد بن أبي بكر ؛ تُوفِّي عنها أبو بكر ، فخلف عليها عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، ووَلدت من جميعهم .

الرسول صلى الله عليه وسلم فى الأخوات المؤمنات

وقد روى ابنُ عبّاس قال :

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : الأخواتُ المُؤمنات: مَيمونة ، وأُم الفضل، وسَلمى ، وأسماء بنت عُميس أختهن لأُمهنّ .

---

(١) فى غير التجريد : « بنت عوف » .

رواية ابن جعفر عن النبى صلى الله عليه وسلم

وأدرك عبدُ الله بن جَعفر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وروى عنه : فممّا رُوى عنه أنه قال : رأيتُ النبيَّ صلّى الله عليه وسلم يأكل البِطّيخ بالرُّطَب .

مرور النبى صلى الله عليه وسلم به وهو يلعب ودعوته له

وروى أنه مرّ النبيُّ صلّى الله عليه وسلم بعبد الله بن جَعفر ، وهو يَصنع شيئاً من الطين من لُعب الصِّبيان ، فقال : ما تَصنع بهذا ؟ قال : أَبيعه . فقال : ماتَصنع بثمنه ؟ قال : أَشترى به رُطَباً فآكُله . فقال النبيُّ صلّى الله عليه وسلم: اللهم بارك له فى صَفْقةِ يمينه . فكان يقال : ما اشترى شيئاً إلّا رَبح فيه .

سأله أعرابى فأعطاه راحلته بما عليها

وحُكى أنّ أعرابيّاً وقف على مَروان بن الحكم أيامَ المَوسم بالمدينة يسأله ، فقال : يا أعرابىّ، ما عندنا ما نَصِلك ، ولكن عليك بابن جَعفر . فأَتى الأعرابىُّ بابَ عبد الله بن جعفر ، فإذا ثَقَله[1] صار نحو مكة، وراحلتُه بالباب عليها متاعُه وسيفٌ معلَّق . فخرج عبدُ الله بن جعفر من داره ، فإذا الأعرابىُّ يقول :

أبو جعفرٍ من أهل بيت نُبوّة ... صلاتهُم للمُسلمين طَهورُ
أبا جعفرٍ إنّ الحَجيج ترحّلوا ... وليس لرَحلى فاعلمنّ بَعير
أبا جعفر ضَنّ الأميرُ بماله ... وأنت على ما فى يَديك أمير
وأنت امرؤٌ من هاشم فى صَميمها ... إليك يَصير المجدُ حيث تَصير
أبا جعفر ما مثلَك اليوم أرتجى ... فلا تتركَنِّى بالفَلاة أَدُور

فقال : يا أعرابى ، سار الثَّقَل فدُونك الراحلةَ بما عليها ، وإياك أن تُخدَع عن السيف ، فإنى أخذتُه بألف دينار . فأنشأ الأعرابىُّ يقول :

حَبانِىَ عبدُ الله نفسِى فداؤُه ... بأعْيَسَ موّار سِباطٍ[2] مَشافِرُهْ
وأبيضَ مِن ماء الحديد كأنه ... شهابٌ بدا والليلُ داجٍ[3] عَساكِره

(١) الثقل : الحشم .
(٢) أعيس : جمل أبيض يخالط بياضه شقرة . والجمع : عيس . والموار : النشيط فى سيره . وسباط : لينة . (٣) عساكر الليل : ظلامه .

وكلُّ أمرىءٍ يرجو نوالَ ابن جعفرٍ ... سيَجْرِى له باليُمْنِ واليُسْرِ[1] طائِره
فيا خيرَ خَلق الله نفساً ووالدًا ... وأكرمَه للجار حين يُجاوره
سأثنى بما أوليتَنى يابن جعفر ... وما شاكرٌ عُرْفاً كمن هو كافِره

هو ورجل يبيع سكراً

وذُكر أنّ رجلاً جَلب إلى المدينة سُكَّراً ، فكَسَد عليه ، فقيل له : لو أتيتَ ابن جَعفر قَبِله منك وأعطاك الثَّمن . فأتى ابنَ جَعفر فأخبره ، فأمر بإحضاره ، وبَسط له بِساطاً ووَضعه عليه ، وقال للناس : انتهبوا . فلمّا رأى الناسَ يَنْتهبون ، قال : جُعلت فداءك ! آخُذ معهم ؟ قال : نعم . فجعل الرجلُ يَهِيل فى غَرائره . ثم قال لعبد الله : أعطنى الثَّمنَ . فقال له عبدُ الله : كم ثمنُ سُكَّرك ؟ فقال : أربعة آلاف دِرهم . فأمر له بها . ثم جاءه بعد ذلك فطلب ثمن سُكَّره . فأعطاه أربعة آلاف درهم أُخرى . فقال الرجُل: والله ما يَدرى هذا ما يَفعل : أَعطى أم أَخذ ! لأُطالبنّه بالثمن ! فغدا عليه فقال : أصلحك الله ، ثمن سكّرى . فأطرق عبدُ الله مليًّا ، ثم رفع رأسَه إلى رجل ، فقال : ادفع إليه أربعة آلاف درهم . فلمّا ولَّى ليقبَضها ، قال له : ابنُ جعفر : يا أعرابىّ ، هذه تَمام اثنى عشَر ألف درهم . فانصرف الرجُل وهو يَعجب من فِعله .

سؤاله ربه حين أحس جفوة عبد الملك

وذُكر أنّ عبد الملك بن مروان لمّا وَلِى الخلافةَ جفا عبدَ الله بن جعفر ، فَراح يوماً إلى الجُمعة وهو يقول : اللهمّ إنك عوّدتنى عادةً جريتُ عليها ، فإن كان ذلك قد انقضى فاقْبِضْنى إليك . فتُوفِّى فى يوم الجُمعة الأُخرى .

وفاته ورثاء أبان له

وكانت وفاتُه سنةَ ثمانين ، وهو عام الجُحاف ــ وهو سَيْلٌ كان بمكّة يَجحف الناسَ ، فذَهب بالإبل عليها الحُمولة ــ وكان الوالىَ يومئذٍ على المدينة أبانُ بن عُثْمان ابن عفّان ــ فى خلافة عبد الملك بن مروان ــ وهو الذى صلَّى عليه . وشَهِده أهلُ المدينة كُلهم .

(١) فى غير التجريد : « والبشر » .

وكان رضى الله عنه مَأوى المساكين ومَلجأ الضُّعفاء . فلما فرغوا من دَفْنه قام أبانُ بن عُثمان على شَفِير القَبر فقال : رَحِمك الله يابنَ جَعفر ! إنّك كُنت لِرَحِمك مُواصلا ، ولأهل الرِّيبة قاليا ، ولقد كنتَ فيما بينى وبينك كما قال الأعشى :

رعيتَ الّذى قد كان بينى و بينكم   من الوُدّ حتى غَيَّبتك المَقابرُ

فرحمك الله يوم وُلدت ، ويوم كُنت رجلا ، ويوم متّ ، ويوم تُبْعث حَيًّا. والله إن كانت هاشم أصيبت بك لقد عَمّ قُريشاً كُلَّها هُلْكُك ، فما نَظن أن يُرى بعدك مِثْلُك .

تعقيب لابن واصل حول رثاء الأشدق لابن جعفر وسنه

قُلت :

ثم ذكر أبو الفرج أن عمرو بن سَعيد الأشدق قام فأثنى عليه ، وجَرى بينه وبين المُغيرة بن نوفل كلامٌ . وذكر أيضاً أن ابن جَعفر كان عمره سَبعين سنة . وهاتان غلطتان . أما الأشدق فكان قد قَتله عبدُ الملك قبل ذلك يقيناً ، فإن عَمراً قُتل وابنُ الزُّبير حَىٌّ ، وذلك قبل سنة ثمانين قَطْعاً . وأمّا أنّ عُمره سبعون، فهذا يدُل على أنه وُلد سنة عَشْر للهجرة . وهذا غَلط ، فإن أباه قُتل سنة ثمان ، وكان عبدُ الله مُميِّزا . والرواية الصحيحة تَشهد به ، والأحرى أن يكون عمره نحو الثمانين . فهاتان غَلطتان لا شك فيهما من أبى الفَرج .

مولد معاوية بن عبد الله بن جعفر

قال أبو الفرج :

وأم مُعاوية بن عبد الله بن جَعفر بن أبى طالب أمّ ولد . وكان من رِجالات قُريش ، ولم يكن فى وَلد عبد الله مثلُه . وذُكر أنه وُلد وأبوه عبد الله بن جعفر عند مُعاوية بن أبى سُفيان ، فأتاه البَشير بذلك ، وعَرف مُعاوية الخبر ، فقال : سَمِّه معاوية ولك مائةُ ألف دِرهم . ففَعل . فأعطاه المال . وأعطاه عبدُ الله للذى بَشَّره به .

ابن جعفر وشأنه فى تأديب أولاده

وذُكر أنّ ابن جَعفر كان لا يُـؤدِّب ولَده ويقول : إنْ يُرِد الله بهم خيراً يتأدّبوا . فلم يَنْجُب منهم غيرُ مُعاوية .

معاوية بن عبدالله وابن هرمة

وذُكر أن مُعاوية بن عبد الله بن جَعفر كان قد عَوّد إبراهيم بن هَرمة البِرّ، فجاءه يوماً وقد أضاق وأخذ خمسين ديناراً بدَيْن ، فدَفع(١) إليه مع جارية رقعةً فيها مديحٌ له ، يسأله فيه بِرًّا . فقال للجارية : قُولى له : أَيدينا ضَيِّقة ، وما عندنا شىء إلا شىء أَخذناه بكُلْفة . فرجعت الجاريةُ بذلك . فأَخذ الرُّقعةَ فكتب فيها :

فإنّى ومدحَك غـــيرَ المُصيـ ب كالكَلب يَنبح ضوءَ القمَرْ

مدحتُك أرجــو لديك الثوابَ فكنتُ كعاصِر جَنْبِ الحَجَرْ

وبعث الجارية ومعها الرُّقعة . فدفعتْها إلى مُعاوية بن عبـــد الله . فقال : ويحكِ ! هل عَلِم بهذا أحدٌ ؟ قالت : لا والله ، إنمــا دَفعها مِن يده إلى يدى . قال : خُذى هذه الدّنانير فادْفعيها إليه . فخرجَت بها إليه . فقال : كلاّ ، أليس زعم أنه لا يدفع إلىّ شيئاً ؟

سمى ابنه يزيد لصداقته ليزيد ابن معاوية

وذُكر أن مُعاوية بن عبد الله كان صديقاً ليزيد بن مُعاوية بن أبى سُفيان ، فوُلد له ولدٌ ، فسمّاه يزيدَ . فهو يزيد بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر .

ام عبد الله بن معـاوية

وأُم عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر أُمّ عَوْن بنت عبّاس (٢) بن رَبيعة بن الحارث بن عبد المُطلب . وقد رَوى عبّاس (٢) عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكان معه يوم حُنين ، وهو أحد مَن ثَبت معه .

شىء عنـه

وكان عبد الله بن مُعاوية من فِتيان بنى هاشم وأَجوادهم وشُعرائهم ، ولم يكُن محمودَ المذْهب فى دِينه ، كان يُرْمَى بالزّندقة ويَستولى عليـه من يُعْرف بها ويَشتهر أمرُه فيهـا . وكان خَرج بالكوفة فى آخر أيام بنى مَروان ، ثم انتقل

---

(١) فى غير التجريد : « فرفع » . (٢) ويقال : « عباش » .

عنها إلى نَواحى الجبـل ، فَملك بلاداً وأستولى عليها ، ثم صـار إلى خُراسان ، فأخذه أبو مُسلم صاحبُ الدعوة فقتله . وكان يُكنى : أبا مُعاوية .

مدح ابن هرمة له

ومَدحه إبراهيمُ بن هَرْمة بقصيدة أولُها :

عاتِبِ النفسَ والفُؤادَ الغَوِيّا في طِلابِ الصِّبا فلستَ صَبِيّا

يقول فيها :

أُحبُّ مَدْحاً أبا مُعـاويةَ الما جدَ لا تَلْقه حَصُـوراً عَيِيّا
بل كَرِيماً يَرتاح للمَجْد بَسّا ماً إذا هزّه السُّـؤال حَيِيّا

ومنهـا :

ذُو وَفاء عند العِدات وأوصا ه أبوه ألّا يزالَ وَفِـيّا
فرَعى عُقدة الوَصاة فأكْـرِم بهما مُوصِياً وهذا وَصِيّا
يا بن أسماء فاسْقِ دَلْوِى فقدأوْ ردتُها مَنْهَلا يَمُجّ رَوِيّا

يعنى أمه أسماء ، وهى أم عون المذكورة [١] .

قصده ابن هرمة والغرماء على بابه فأنشده فأجازه

وحَكى ابنُ هَرمة قال :

أتيتُ عبدَ الله بن مُعاوية بن جَعفر ، فوجدتُ الناسَ بعضَهم على بعض على بابه ، فرآنى بعضُ الخدم فعرفنى ، فسألته عمّن رأيتُهم ببابه . فقال : عامّتهم غُرماء له . فقلتُ : ذلك شرٌّ ! وأستُؤذن لى ، فدخلتُ عليه ، فقلت : لم أعلم والله بهؤلاء الغُرماء ببابك . فقال: لا عليك، أَنشدنى. فقلتُ : أُعيذك بالله ،وأستحييتُ أن أُنشد . فأبى إلا أن أُنشده . فأنشدتُه قصيدتى التى أقولُ فيها :

حَللْتَ مَحَلَّ القَلبِ من آل هاشمٍ فعُشُّك مأوَى بَيضِها المُتفلِّقِ
ولم تكُ فيها بالمُعرَّى نِصابُه إليها [٢] ولا ذا المَركب المُتَعلِّقِ

(١) يعنى أم عون بنت العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ولم تك بالمعرى إليها نصابه * لصاقا » .

فمَن مِثلُ عبدِ الله أو مِثلُ جعفر ... ومِثل أبيك الأريحىّ[1] المُرهَّق

فقال: مَن ها هنا من الغُرماء؟ فقيل: فلان وفلان. فدعا باثنين منهم فسارّهما وخرجا. وقال لى: اتبَعهما. فأعطيانى مالاً كثيرا.

من مدح ابن هرمة له

ومن مَدحه فيه قولهُ:

فإلّا تُواتِ اليومَ سَلمى فربما ... شَرِبنا بحَوض اللّهو غيرِ المُرنَّقِ

فدَعْها فقد أعذرتَ فى ذِكر وَصْلها ... وأجريت فيها شأوَ غَرْبٍ[2] ومَشرِق

ولكنْ لعبدِ الله فانْطِق بمِدْحةٍ ... تُجيرك مِن عُسْرِ الزّمان[3] المُطبِّق

شديدُ التأنِّى فى الأُمور مُجرّب ... متى يَعْزُ أمرُ القَوم يَفرِ[4] ويخلُق

ترى الخيرَ يَجْرِى فى أَسِرَّة وجهه ... كما لألأتْ فى السَّيف جرية رَوْنق

كريم إذا ما شاء عَدَّله أباً ... له نسبٌ فوق السِّماكِ المُحلِّق

وأمًّا لها فضلٌ على كُل حُرة ... متى ما تُسابقْ بابنها اليوم تَسْبق

ذكر خروج عبد الله بن معاوية بالكوفة وما آلت إليه حاله

وفوده على عبدالله ابن عمر بن عبد العزيز والدعوة لنفسه

قيل: إنّ عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قَدِم الكُوفة زائراً لعبد الله بن عُمر بن عبد العزيز، وهو إذ ذاك أميرُ العراق، ومُستميحاً[5] له، فتزوّج بالكُوفة بنتَ الشَّرقىّ بن عبد المؤمن بن شَبَث بن رِبْعىّ الرّياحىّ، فلما وقعت العصبيّةُ أخرجه أهلُ الكوفة على بنى أُمية، وقالوا له: اُخرُج فأنت أحقُّ بهذا الأمر مِن بنى أُمية[6]. فاجتمعت إليه جماعةٌ، فلم

(١) المرهق: الكريم الجواد الذى يغشاه الناس.
(٢) أعذر: بلغ غاية العذر. والشأو: الغاية. (٣) المطبق: العام.
(٤) يفرى: يقطع. ويخلق: يقدر ويسوى.
(٥) مستميحا له: سائلا إياه العطاء.
(٦) فى غير التجريد: «من غيرك» مكان «من بنى أمية».

يشعرُ عبدُ الله بن عُمر بن عبد العزيز إلاّ وقد خَرج عليه . فدعا الناسَ إلى بَيعته على الرِّضى من آل محمد صلى الله عليه وسلّم ، فبايعــوه . ولم يَجتمع أهلُ المِصر كُلُّهم عليه ، وقالوا له : ما فينــا بقيَّة ، فقد قُتل جُمهورنا مع أهل هــذا البيت . وأشاروا عليه بقَصد فارسْ نواحى المَشرق .

الوقعة بينه وبين عبد الله بن عمر

وقد ذُكر أنّ ظُهور عبد الله كان فى أيّام يزيدَ بن الوليد ، المَعروف بالناقص ، وأنه خَرج إلى ظَهر الكوفة ممّا يَلى الحِيرةَ ، فقاتل قتالاً شديدا ؛ وأن عبد الله ابنُ عمر بن عبد العزيز دَسّ إلى رجلٍ من أصحــاب ابن مُعاوية ـ يقال له : ابن حَمزة ـ ووعده مواعيدَ ، على أن يَنهزم عنه وينهزمَ الناسُ بهزيمتــه . فبلغ ذلك ابنَ مُعاوية ، فذَكره لأصحابه وقال : إذا انهزم ابنُ حمزة فلا يَهولنّــكم. فلما التقوا انهزم ابنُ حمزة وانهزم الناسُ معه ، فلم يبق غيرُ ابن مُعاوية وحدَه ، فقال :

تفرَّقتِ الظِّباءُ على خِداشٍ فما يَدْرِى خِداشٌ ما يَصيدُ

تجمع الناس حوله

ثم ولّى وجهَه مُنهزماً فنجا ، وجَعل يَجمع من الأطراف والنَّواحى مَن أجابه ، حتى صار فى عِدّة ، فغلب على ماهِ الكُوفة وماهِ البَصرة[1] وهَمَدان وقُمّ وقُومَس والرَّىّ وأصبهان وفارس ، وأقام بأصبهــان . وكان الذى أخــذ له البيعةَ بفارس محاربُ بن موسى ، مولَى بنى يَشْكُر . فدَخل دار الإمارة بنَعل ورِداء ، واجتمع الناس إليه ، فأخذهم بالبيعة . فقالوا : علاَم نُبايع ؟ فقال : على ما أحببتُم وكَرِهتم. فبايعوا على ذلك . وكتب عبدُ الله بن مُعاوية بن جعفر كُتباً إلى الأمصار يدعو الناسَ إلى نفسه ، لا إلى الرِّضا من آل محمد صلّى الله عليه وسلّم . واستعمل أخاه الحَسن على إصْطَخر ، وأخاه يزيدَ على شِيراز ، وأخاه عليًّا على كَرْمان ، وأخاه صالحاً على قُمّ ونواحيها . وقصدتْه بنو هاشم جميعاً ، منهم السفّاحُ ، والمَنصــور ، وعيسى بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس ؛ وقصــدتْه وجُوهُ قُريش من بنى أميــة

(١) ماه الكوفة : الدينور . وماه البصرة : نهاوند .

وغيرهم . فممّن قصده من بنى أميــة ، سليمانُ بن هِشام بن عبد الملك بن مَروان ، وعَمرو بن سُهيل بن عبد العزيز بن مروان . فمَن أراد منهم عملاً قلّده ، ومَن أراد صلةً وَصله .

الحرب بينه وبين مروان الحمار

فلم يزل مُقيماً فى هذه النَّواحى التى غَلَب عليهـا حتى وَلِى مروانُ بن محمد ، الذى يقال له : الحمار ، فوجّه إليه عامرَ بن ضُبَارة فى عَسكر كَثيف ، فسار إليـه . فلما قَرُب من أَصبهان نَدب عبدُ الله بن مُعاوية أصحابَه للخُروج إليه و إلى قتاله . فلم يَفعلوا ولا أجابوه .

حبس أبى مسلم له

فخرج على دَهَشٍ ومعـه إخوتُه قاصدين خُراسان ، وقد ظَهر بهـا أبو مُسلم — صاحبُ دعوة بنى العبّاس — ونَفى عنها نصرَ بن سيّار ، الوالىَ بها من قِبل بنى أُمية . فلما صار عبدُ الله بن مُعاوية فى بعض طريقه نَزل على رجل ذى نِعْمة ومُروءة وجاهٍ ، فسأله مَعُونته . فقال له ذلك الرجلُ : أنت من ولد رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم ؟ قال : لا . قال : فأنت إبراهيمُ الإمام الذى يُدْعَى له بخُراسان ؟ قال : لا . قال : لا حاجةَ لى فى نُصرتك . فخرج عبدُ الله بن مُعاوية إلى أبى مُسلم ، فحَبَسه عنده وجَعل عليه عَيناً يرفع إليه أخبارَه . فرفع إليه أنه يقول : ليس على الأرض أحمقُ منكم يأهل خُراسان فى طاعتكم هذا الرجلَ وتَسليمِكم إليه مقاليدَ أموركم من غير أن تُراجعوه فى شىء أو تسألوه عنه ! والله ما رضيتْ الملائكة بهذا من الله تعالى حتى راجعتْه فى أمر آدم عليـه السلام ، فقالت : (أَتَجْعَـلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فيهـا ويَسْفِكُ الدِّماء) حتى قال لهم : (إِنِّى أَعلم ما لا تَعْلَمون) .

كتابه إلى أبى مسلم ومقتله

ثم كتب إليه عبدُ الله بن مُعاوية يَستعطفه برسالته المشهورة التى يقول فيها :

إلى أبى مُسلم ، من الأسير فى يدَيه ، أمّا بعد : فإنك مُستودَع ودائع ، ومُولِى صنائع ؛ وإن الودائع مرعيّـة ، وإن الصنائع عاريّة ؛ فاذكُر القِصاص ، واُطلب

الخلاص ؛ ونَبِّه للفكر قلبك ، واتق الله ربك ؛ وآثر طاعَته فيما يلقاك غدا ، على ما لا يلقاك أبدا ؛ فإنك لاقٍ ما أسلفت ، وغير لاقٍ ما خلَّفت . وفّقك الله لما يُنجيك ، وأتاك شُكر ما يُوليك[1] .

فلما قرأ كتابه رَمى به ، ثم قال : قد أفسد علينا أصحابَنا وأهلَ طاعتنا وهو مَحبوس فى أيدينا ، فلو خَرج ومَلك أمْرنا لأهلكنا . ثم أمضى تدبيرَه فى قَتله .

وقيل : بل دسّ إليه سمًّا ، فمات منه ، ووجّه برأسهِ إلى ابن ضُبارة ، فحمله إلى مَروان .

سؤال سعيد عن مروان الحمار

[2]وحكى سعيدُ بن عمرو بن جَعدة بن هُبيرة أنه حَضر مروان الحِمار يوم الزاب، وهو يقاتل عبدَ الله بن علىّ بن عبيد الله بن العبّاس ، فسأل عنه ، فقيل له : هو الشابّ المُصْفَرّ الذى شتم عندك عبدَالله بن مُعاوية لماجىء برأسه إليك . فقال : والله لقد هممتُ بقَتله مراراً ، كُل ذلك يُحال بينى و بينه ، وكان أمر الله قدراً مَقدورا .

من قسوة عبد الله ابن معاوية

وذُكر أن عبد الله بن مُعاوية كان يَغضب على الرجل ، فيأمر بضَربه بالسِّياط وهو يتحدّث ، و يتغافل عنه حتى يموت تحت السِّياط . وأنه فَعل ذلك برجل ، فجعل يَستغيث ، ولا يلتفت إليه . فناداه : يا زِنديق ! أنت الذى تزعُ أنه يُوحى إليك ! فلم يلتفت إليه ، وضَربه حتى مات .

وذكر بعضُهم قال :

كان ابنُ معاوية أقسى خَلق الله ، فغَضِب على غلام له وأنا جالس عنده فى غُرفة بأصبهان ، فأمر أن يُرْمى منها إلى أسفل . ففُعِل ذلك ، فسَقط ، فتعلّق بدَرَابَزِين كان على الغُرفة ، فأمر بقَطع يده التى أمسك بها ، فقُطعت ، ومَرّ الغُلام يهوى حتى بلغ الأرض فمات .

---

(١) فى غير التجريد : « ما يبليك » . ويريد بالابلاء : الإنعام والإحسان .

(٢) هذا خبر لم يرد فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

من شعره

وكان مع هذه الحالة من ظُرفاء هاشم وشُعرائهم ، وهو الذى يقول :

ألاَ تزَعُ[(١)] القلبَ عن جهله ... وعما تُؤنّب مِن أجلِهِ

تَبدَّلُ[(٢)] بعد الصبا حِلْمُه ... وأَقْصر ذو العَذْل عن عَذْله

فلا تركبنّ الصنيعَ الذى ... تلُوم أخاكَ على مِثْله

ولا يُعجبِنّك قولُ أمرىء ... يُخالِف ما قال فى فِعْله

ولا تُتْبِع الطَّرف مالا تَنال ... ولكن سَلِ الله مِن فَضله

فكم من مُقِلٍّ ينالُ الغِنَى ... ويَحمد فى رِزقه كُلِّه

وله :

إذا افتقرتْ نَفسى قَصَرْتُ افتقارَها ... عليها فلم يظهر لها أبداً فقْرِى

و إن تَلْقنى فى الدَّهر مَندوحةُ[(٣)] الغِنَى ... يكُنْ لأخلاَّئى التوسُّع فى اليُسْر

فلا العُسر يُزْرى بى إذا هو نالنى ... ولا اليُسْر يوماً إنْ ظَفِرْتُ به فَخْرِى

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله بن مُعاوية ، قاله عبدُ الله يُخاطب به الُحسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس ، وكان صديقاً له ، ثم وَقع بينهما شرٌّ فتهاجرا ، وهو :

رأيت حُسيناً[(٤)] كان شيئا مُلفقّا ... فكشّفه التّمحيص[(٥)] حتى بَدا ليَا

وعينُ الرِّضى عن كُلِّ عَيب كَليلةٌ ... ولكنّ عينَ السُّخط تُبدِى المَساويا

وأنت أخى مالم تكُن لىَ حاجة ... فإنْ عرضتْ أيقنت أن لا أخَاليا

---

(١) تزع : تكف . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « فأبدل » .
(٣) المندوحة : السعة . (٤) فى غير التجريد : « رأيت قصيا » .
(٥) فى التجريد : « فحصه التكشيف » .

أخبار أبي وجزة

نسبه والتحاقه ببني سعد

وهو يزيد بن عُبيد . وقيل : أبن أبي عُبيد . وأُنتسب إلى بني سَعد بن بكر ابن هَوازن ، لولائه فيهم . وأصلُه من سُليم ، من بني ضَبِيس بن هِلال بن قُدَم بن ظَفَر بن الحارث بن بُهْثَة بن سُلَيم ، ولكنّه لحق أباه سِباءٌ وهوصبيٌّ في الجاهليّة ، فبيع بسُوق ذي المَجاز ، فأبتاعه رجلٌ من بني سَعد وأستعبده . فلما كَبِر أستعدى عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه وأعلمه قِصّته . فقال له : إنه لا سِباء على عربيّ ، وهذا الرجلُ قد أمتنّ عليك ، فإن شئتَ فأقم عنده ، و إن شئتَ فالحق بقومك. فأقام في سَعد وأنتسب فيهم هو وولدُه .

في بني سعد استرضع النبي صلى الله عليه وسلم

و بنو سَعد هم أظآر[1] رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، كان مُسترضَعاً فيهم عند أمرأة يقال لها : حَليمة . فلم يزل صلّى الله عليه وسلم فيهم حتى يَفَع . ثم أخذه جدُّه عبد المُطلب بن هاشم فردّه إلى مكة . وجاءت حَليمة بعد الهجرة فأكرمها النبيُّ صلّى الله عليه وسلم وبَسط لها رداءه فجلست عليه . و بنو سَعد تَفتخر بذلك على سائر هَوازن . و حَقِيقٌ بكلّ فخر ومَكرُمة من أتصل منه صلّى الله عليه وسلم بأدنى سَبب أو وسيلة .

طبقته وروايته

وأبو وَجزة من التابعين ، رَوى عن جماعة من الصحابة ، و رأى عُمر رضي الله عنه ولم يَرْوِ عنه . وَروى عن أبيه حديثَ الأستسقاء ، قال : شَهدتُ عُمر بن الخطّاب وقد خَرج بالناس يَسْتسقي عامَ الرَّمادة ، فقام وقام الناسُ خلفه ، فجعل

---

(١) أظآر : جمع ظئر : وهي المرضعة .

يَستغفر الله رافعاً صوته ، لا يزيدُ على ذلك . فقلت في نفسي : ما له لا يَأخذ فيما جاء له ! ولم أعلم أنّ الاستغفار هــو الاُستسقاء . فما برحنا حتى نَشأت سحابةٌ وأَظلّتنا ، فسَقى الناس : وَقَلدَتْنا [(١)] السماء قَلْداً ، كُلّ خمس عشرة ليــلة ؛ حتى رأيتُ الأَرينة [(٢)] تأكلها صِغار الإبل من وراء حِقَاق العُرْفُط [(٣)] .

موته وهو أحد من شبب بعجوز

ومات أبو وَجزة سنة ثلاثين ومائة . وهو أحد من شَبَّب بعَجوز حيث يقول:

يأيُّها الرجـــلُ المُوكَّل بالصِّبا ... فيم ابنُ سَبعينَ المُعمَّرُ من [(٤)] دَدِ

حَتَّــام أنت مُوكَّل بقَديمـــةٍ ... أمستْ تَجـدَّدُ كاليمَانى الجَيِّـد

زان الجلالُ [(٥)] كمالَها ورَسابهــا ... عقــلٌ وفاضــلةٌ وشِيمة سَيِّد

ضَنَّت بنائِلها عليـــك وأنتما ... غِرّان في طلب [(٦)] الشَّباب الأَغْيد

فالآنَ ترجُو أنْ تُثيبك نائلاً ... هيهاتَ ! نائلُها مكانَ الفَرْقَد

هجاؤه أبا المزاحم

وذُكر أن أبا وَجزة هجا أبو المُزاحم حين عَيَّره بنَسبه، فقال :

دعتك سُليمٌ عبــدَها فأجبتَهــا ... وسعدٌ فما يدرى لأيهمــا العَبْدُ

فأجابه أبو وَجزة فقال :

أعيَّرتمونى أنْ دعتنى أخاهمُ ... سُليمٌ وأعطتْنى بأَيمانهــا سَعدُ

فكنتُ وسيطاً [(٧)] في سُلَيم مُعاقِداً ... لسَعدٍ وسعدٌ ما يُحَــلُّ لها عَقْد

رجزه حين ندب لقتال أبي حمزة الشاري

وذُكر أنّ عبد الملك بن يزيد بن مُحمد بن عطيّة السَّعدىّ كان قد نُدب لقتال أبي حَمزة الأزدى الشَّارى ، لمّا لجَأ [(٨)] إلى المدينة فغَلب عليها ، و بعث إليــه

---

(١) قلدتنا : مطرتنا . (٢) الأرينة : نبت عريض الورق .

(٣) العرفط : شجر العضاه . وحقاقه ، أى نبت سنتين وثلاث ، يريد : صغاره .

(٤) الدد : اللعب واللهو.

(٥) في التجريد : « الجمال » .

(٦) في التجريد : « في طرف » .

(٧) الوسيط : الحسيب في قومه . (٨) في غير التجريد : « لما جاء » .

مروانُ بن محمد بمـالٍ ، ففرّقه فيمن خَفّ معه من قومه . وكان ممّن فُرِض له منهم أبو وجزة وأبناه ، فخرج مُعترضاً للعسكر على فَرَس وهو يقول :

قُل لأَبى حَمزة[1] هِيدِ هِيـدِ ... جئناكَ[2] بالعادية[3] الصِّنديدِ

بالبطـلِ القَرْمِ أبى الوَليـــــدِ ... فارسِ قيسٍ نَجِدِها[4] المَعْدود

فى خيلِ قيسٍ والـكُماة[5] الصِّيدِ ... كالسَّيف قد سُـلَّ من الغُمود

محضٍ هِجانٍ[6] ماجدِ الُجدود ... فى الفَرْع من قَيسٍ وفى العَمُود

فِدًى لعَبْدِ الملك الحَميـــــدِ ... مالى من الطارف والتّليـــــد

يوم تَنادى الخيـــلُ بالصَّعيد ... كأنه فى جُنَن[7] الحـــــديد

سِيدٌ مُدِلٌّ عزَّ كُلَّ[8] سِيد

وسار ابنُ عطيّـة فى قومه ، ولَحقت به جيوشُ أهل الشام ، فلَقِى أبا حَمزة فى اثنى عشر ألفاً ، فقاتله يوماً إلى الليل حتى أصاب صَناديد عسكره ، فنادَوْا : يا ابن عطيّـة ، إن الله عزَّ وجلّ قـد جعل الليلَ سَـكَناً ، فاسكنوا حتى نَسْكن . فأَبى وقاتلهم حتى قَتلهم جميعاً .

من مدحــه لابن عطيــة

وكان أبو وجزة كثيرَ المَدحِ لابن عطية هذا ، ومما مَدحه به قصيدتُه التى أولُها :

حَنّ الفؤادُ إلى سُعدى ولم تَنُبِ ... فيم الـكثيرُ من التَّحْنانِ والطَّربِ

قالت سعادُ أرى من شَيبه عجباً ... فقلتُ مهلاً فما[9] فى الشَّيب من عجب

(١) هيد هيد ، أى النجا النجا .
(٢) فى التجريد : « أتاك » . (٣) الهاء فى «العادية» للمبالغة .
(٤) القرم : السيد العظيم . والنجد : الشجاع الشديد البأس .
(٥) الصيد : جمع أصيد ، وهو الذى يرفع رأسه كبرا .
(٦) المحض : الخالص . والهجان : الكريم الحسب .
(٧) جنن الحديد ، يريد الدروع وما ستر .
(٨) السيد : الأسد . وعز : غلب .
(٩) فى غير التجريد : « مهلا سعاد فما » .

إمّا ترَيْنى كسانى الدهرُ شيبتَه … فإنّ ما مرّ منه عنكِ لم يَغِب

سَقياً لسُعدى على شَيبٍ ألمّ بنا … وقبل ذلك حين الرأسُ لم يَشِب

كأنّ رِيقتَها بعد الكَرى أغتبقت … صوبَ الثُّريا بماء الكَرْم[١] من حَلب

يقول فى مديحها :

يَقصِدْنَ سيِّد قَيسٍ وأبنَ سيِّدها … والفارسَ العِدّ[٢] منها غيرَ ذى كَذِب

محمد وأبوه وأبنه صنعُوا … له صنائعَ من مَجدٍ ومن حَسب

إنى مَدحتهُم لمّا رأيتُ لهم … فضلاً على غيرهم مِن سائر العَرب

إلّا تُثْبِنى به لا يَجْزِنى أحدٌ … ومَن يُثيب إذا ما أنت لم تُثِب

مدحه عبد الله ابن الحسن

وذُكر أن أبا وجزة قَدم على عبد الله بن الحسن بن علىّ بن أبي طالب ، فمدَحه وإخوته ، وقد أصابت قَومه سَنَةٌ مُجدبة ، وأنشده قولَه يمدحه :

أُثنى على أَبنَىْ رسول الله أفضلَ ما … أثْنى به أحدٌ يوماً على أحدِ

ذُريةٌ بعضُها من بعضها عَمِرَتْ … فى أصل مجدٍ رفيع السَّمْك والعَمَد

ماذا بنَى لهمُ من صالح حَسَنٌ … بعد علىّ ليوم وأبتنَوْا[٣] لغَد

فكرّم الله ذاك البيتَ تَكْرِمةً … تَبقى وتخلُد فيه آخرَ الأبد

مُهذّبون هِجانٌ أمهاتهمُ … إذا نُسِبْن زُلالُ البارق[٤] البَرِد

مِن[٥] الفواطم ماذا ثَمّ من كرمٍ … إلى العَواتك مجد غيرُ[٦] مُنْتَقَد

(١) أغتبق : شرب الغبوق ، وهو شراب العشى ، والصوب : المطر .

(٢) العد : الذى لا تنفد شجاعته . والرواية فى غير التجريد : « غير ذى الكذب » .

(٣) فى غير التجريد : « وحسن وعلى وابتنوا لغد » .

(٤) هجان : كرام . والبارق : السحاب ذو البرق . والبرد : ذو البرد .

(٥) فى غير التجريد : « بين » .

(٦) الفواطم ، وذلك لأن أم الحسن والحسين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدتها فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أم أبيهما على ، وكانت أسلمت . وجدة النبى صلى الله عليه وسلم لأبيه =

الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى وجزة ، هو من قصيدة يَمدح بها عبدَ الملكِ بن عطية ، وهو

طاف الخيالُ من أمّ شَيبةَ فاعترى فالقومُ من سِنَةٍ نَشاوَى بالكَرَى

طافت بخُوصٍ (١) كالقِسِىّ وفِتْيةٍ هَجعوا قليلاً بعد ما مَلُّوا السُّرى

يقول فيها :

فلأمدَحنَّ بنى عطيـــةَ كُلَّهم مَدْحاً يُوافِق فى المَواسم والقُرَى

الأكرمين أوائــلاً وأواخــرا والأحْلمين إذا تُخُوجِلت (٢) الُحبا

والمانعين من الهَضيمة جارَهم والجامعـين الرّاقعين (٣) لما وَهَى

والعاطفين على الضَّريك (٤) بفَضْلهم والسّابقين إلى المكارم مَن سَعى

ـــ فاطمة بنت عبد الله بن عمران بن مخزوم . والعواتك جدات النبى صلى الله عليه وسلم : عاتكة بنت هلال بن فالح بن ذكوان ، أم عبد مناف بن قصى ، جـد هاشم ؛ وعاتكة بنت مرة بن هلال ، أم هاشم بن عبد مناف ؛ وعاتكة بنت الأوقص ، أم وهب بن عبد مناف بن زهرة ، جد النبى صلى الله عليه وسلم .

(١) الخوص : جمع أخوص ، وهو الغائر العينين . يريد خيلا .

(٢) تخوجلت : تنوزعت . والحبا : جمع حبوة . والاحتباء : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة به ونحوها وتنازع الحبا يكون عند الخصومة . أى إنهم يحلمون حين يجهل غيرهم .

(٣) الهضيمة : الظلم والبغى . ووهى : تخرق وتشقق .

(٤) الضريك : الذى أصابه الزمن ، فافتقر وساءت حاله .

أخبار عقيل بن عُلَّفة (*)

نسبه

هو عَقِيل بن عُلَّفة بن الحارث بن مُعاوية بن ضِباب بن جابر بن يَربوع بن غَيْظ ابن مُرة بن سَعد بن ذُبيان بن بَغيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سَعد بن قَيس عَيلان بن مُضر بن نِزار. ويكنى: أبا العَمَلَّس، وأبا الجَرْباء.

أمه وجدته

وأم عَقيل بن عُلَّفَة: العَوراء، وهى عَمرة بنتُ الحارث بن عَوف بن أبى حارثة بن مُرّة بن نُشْبة بن غَيظ بن مرّة. وأمها زَينب بنت حِصن بن حُذيفة.

وذُكر أنّ عَمرة العَوراء أم عَقيل بن عُلَّفه، والبَرْصاء أم شَبيب بن البَرْصاء، أختان.

من صفته

وعَقيل بن عُلَّفه شاعر مُجيد مُقِلّ إسلامى، من شُعراء الدولة الأموية. وكان أعرجَ، شديدَ الجفاء والعَجْرَفيّة والبَذَخ (1) بنَسبه فى بنى مُرة، لا يَرى أنّ له كُفئا. وهو فى بيتٍ شَرَف فى قومه من كلا طرفيه. وكان شديدَ الغَيرة، وكانت قُريش ترَغب فى مُصاهرته.

مصاهرة الخلفاء له

وتزوّج إليه خلفاؤها وأشرافها: فتزوّج يزيدُ بن عبد الملك بن مروان ابنته الجَرْباء؛ وتزوّج سَلَمة بن عبد الله بن المُغيرة ابنته عَمْرة، فولدت له يَعقوب بن سَلمة، وكان من أشراف قُريش وأجوادها؛ وتزوّج أمّ عمرو بنتَه ثلاثةُ نفر من بنى الحَكَم بن أبى العاصى بن أمية: يحيى، والحارث، وخالد.

هو وعثمان بن حيان

وذُكر أنه دخل عَقيل بن عُلَّفه على عُثمان بن حَيّان، وهو أمير المدينة،

(*) فى هامش الأصل: «هو آخر المجلد الثالث من أصل المؤلف — أبقاه الله — المنقول منه، وهو بخطه».

(1) البذخ: الكبر.

فقال له عثمان : زوِّجنى أُبنتك . فقال : أَبَكرةً من إبلى تعنى ؟ فقال له عثمان : ويحك ! أمجنون أنت ؟ قال : أىَّ شىء قلت لى ؟ قال : قلت : زوِّجنى أُبنتك . فقال ! إن كنتَ عنيت بكرة من إبلى فنعم . فأمر به فُوجئت عُنقه . فخرج وهو يقول :

لحى الله دهراً ذَعذع المال كُلَّه ... وسوَّد أمثالَ الإماء [١] العَوارِكِ

هو وسلامانى حين خطب إليه ابنته

وذُكر أنه كان لعَقِيل بن عُلَّفة جارٌ من بنى سَلامان بن سعد ، فخطب إليه أُبنته ، فغَضِب عليه عَقيل ، وأخذ السَّلامانىَّ فكتَّفه ، ودَهن أُستَه بشحم وألقاه فى قَرية النَّمل [٢] ، فأَكلن خُصاه حتى وَرِم جسده ، ثم حَلّه وقال : أيخطُب إلىّ عبدُ الملك بن مروان فأردّه ، وتجترىء أنت علىّ ! ثم أجدبتَ مراعى بنى مُرة ، فأنتجع عَقيلٌ أرضَ جُذام ، وقُربهم بنو عُذرة . قال عَقيل : فجاءنى هَنىٌّ مثلُ البعَرة ، فخطب إلىَّ أُبنتى أُمَّ جعفر ، فخرجتُ إلى أَكمة قريبةٍ من الحىّ ، فجعلتُ أَنبح كما يَنبح الكلبُ ، ثم تحمَّلت وخرجتُ ، فأتبعنى جمعٌ من حُنّ - بطن من عُذرة - فقالوا : أختر : إن شئتَ حَبسناك ، وإن شئتَ حَدرْناك وبُعَيرةً من رأس الجبل ، فإن سبقتَها خَلَّينا عنك . فأرسلوا بُعَيرةً فسبقتُها . فخلُّوا سبيلى . فقلت لهم : ما طَمِعتم بهذا من أحد ! فقالوا : أردنا أن نضع منك حيثُ رغبتَ عنَّا . فقلت فيهم :

لقد هزئتْ حُنٌّ بنا وتلاعبتْ ... وما لعبتْ حُنٌّ بذى حَسبٍ قَبْلِى
رويداً بنى حُنٍّ تَسيحوا وتأمنوا ... وتَنتشر الأنعامُ فى بَلد سَهل

والله لأموتنَّ قبل أن أَضع كرائمى إلا فى الأكفاء .

---

(١) ذعذع المال : فرقه وبدده . وسود : جعله سيداً . والعوارك : الحيض . ويروى « اشباه » مكان « أمثال » . والبيت فى اللسان « ذعع » منسوب لعلقمة بن عبدة .

(٢) قرية النمل : مجتمع ترابها .

بينه وبين عمر بن عبد العزيز فى شأن بناته

وذُكر أنّ عُمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ قال لعَقيل بن عُلَّفة : إنّك تخرج إلى أقاصى البلاد وتَدع بناتِك فى الصحراء لا كالِئَ لهن ، والناسُ يَنْسُبونك إلى الغَيْرة وتأبى أن تُزوِّجهن إلا الأكفاء ! قال : إنِّى أستعينُ عليهنّ بخَلّتين تكلآنهن . قال : وما هما ؟ قال : العُرى والجُوع .

وبينه وبينه أيضاً وقد عاتب ابن أخته

وذُكر أنّ عُمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ عاتب رجلاً من قُريش ، أُمه أخت عَقِيل بن عُلَّفة ، فقال له : قبّحك الله ! أشبهت خالك فى الجفاء . فبلغت عَقيلاً ، فجاء حتى وقف على عُمر فقال له : ما وجدتَ لابن عمك شيئاً تُعيّره به إلا خُئولتى ، فقَبّح الله شرّكما خالاً ! فغضب عمر بن عبد العزيز . فقال له صُخَير بن أبى الجهم العَدوى ، وأُمه قرشية أيضاً : آمين يا أمير المؤمنين ، فقبّح الله شرّكما خالا ، وأنا معكما أيضا . فقال عُمر لعَقِيل : إنّك لأعرابىٌّ جافٍ جِلْف ، أمَا لو كنتُ تقدّمتُ إليك لأدّبتك ! والله لا أراك تقرأ من كتاب الله تعالى شيئاً ؟ قال: بلى ، إنى لأقرأ . قال : فاقرأ . فقرأ (إذا زُلْزلت الأرضُ زِلْزالها) حتى إذا بلغ آخرها قرأ (فمَن يَعْمل مِثْقال ذَرَّة شَرًّا يره . ومَن يعمل مِثْقال ذَرَّة خيراً يره) فقال له : عمر : ألم أقل لك إنك لا تُحسن أن تقرأ . قال : أو لم أقرأ ! قال : لا والله ، إنّ الله جلّ وعز قدّم الخير وأنت قدمت الشر . فقال عَقِيل :

خُذَا بَطْن هَرْشَى [1] أوقَفاها فإنه ... كلا جانبىْ هَرْشَى لهنّ طَريقُ

فجعل القومَ يضحكون من عَجْرفيّته .

هو ويحيى بن الحكم وقد راوده على أن يزوج ابن خاله من ابنته

وذُكر أن عَقيل بن عُلَّفة دخل على يحيى بن الحَكَم ، وهو يومئذ أميرُ المدينة ، فقال له يحيى : أَنْكِح ابنَ خالى ــ يعنى ابن أوفى ــ ابنَتك . فقال له : إنّ ابن خالك ليَرْضى منّى بدون ذلك . قال : وما هو ؟ قال : أن أكُفّ عنه

(١) هرشى : ثنية فى طريق مكة قريبة من الجحفة .

سَنَنَ الخيل (١) إذا غَشِيتْ سَوَامَه (٢) . فقال يحيى لحرسيَّيْن بين يديه : أَخرجاه . فلما ولّى قال : أَعيداه إلىّ . فأَعاداه . فقال له عَقيل : ما لك تُكرِّنى إكرارَ الناضِح (٣) ! قال : أمَا والله إنّى لأُكرّ (٤) أعرجَ جافيا . فقال عَقيل : كذلك قلتُ :

تَعجّبتْ أنْ رأتْ رأسى تَجلَّله … من الرّوائع شَيبٌ ليس من كِبَرِ
ومن أَديمٍ تولّى بعد جِدّته … والجفْن تخْلُق فيه شَفْرةُ (٥) الذّكَر

فقال له يحيى : فأَنشدنى قصيدتَك هذه كُلّها . قال : ما انتهيتُ إلا إلى ما سمعتَ . قال : أمَا والله إنك لتقُول فتقْصر . فقال : إنما يكفى من القلادة ما أَحاط بالرّقبة . قال : فأَنكحنى إحدى بناتِك . قال : أمّا أنت فنعَم . قال : أمَا والله لأملأَنّك مالاً وشرفا . فقال : أمّا الشرفُ فقد حمّلتُ ركائبى منه ما أطاقت، وكَلّفتها تَجَشُّم ما لم تُطق ؛ ولكن عليك بهذا المال ، فإنّ فيه صلاحَ الأيِّم ، ورضا الأَبِيّ . فزوّجه ثم خرج . فأَهداها إليه (٦) . فلما قَدِمت إليه بَعث إليها يحيى مولاةً له لتنظرَ إليها . فجاءتها فجعلتْ تَغمِز عَضُدَها . فرَفعت يَدها فدقّت أنفها . فرجعت إلى يحيى وقالت : بعثْتَنى إلى أعرابية مجنونةٍ صَنعت بى ما ترى . فنَهض إليها يحيى ، فقال لها : مالك ؟ قالت : ما أَردتَ أنْ بَعثت إلىّ أمة تنظر إلىّ! ما أردتُ بما فعلتُ إلا أن يكون نَظركَ إلىّ قبل كُل ناظر ، فإن رأيتَ حسناً كُنت قد سبقتَ إلى بهجته ، و إن رأيتَ قَبيحاً كنتَ أحقّ مَنْ سَتره . فسُرّ بقولها ، وحَظيت عنده .

---

(١) سنن الخيل : عدوها لمرحها ونشاطها .

(٢) السوام : المال يخلى يرعى حيث شاء . (٣) الناضح : الدابة يستقى عليها الماء .

(٤) فى غير التجريد : « إنى لأكرك » .

(٥) الذكر : أجود السلاح وأيبسه . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « يخلق فيه الصارم الذكر » . وبها يدخل الإقواء البيت .

(٦) فى بعض أصول الأغانى : « فهداها » . وهدى العروس وأهداها واهتداها ، بمعنى .

وفى رواية : أنها قالت : إن كان ما تراه حسناً كنتَ أول من رآه ، وإن كان قبيحاً كنتَ أول من واراه .

تزوج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء

وذكر أنّ يزيد بن عبد الملك بن مروان خَطب إلى عَقيل بن عُلَّفة ابنته الجرباء ، فقال له عقيل : قد زوّجتكها على ألاّ يَزُفّها إليك أعلاجُك(١) ، أكون أنا الذى أجىء بها إليك . قال : ذلك لك . فتزوجها . ومكثوا ما شاء الله ، ثم دَخل الحاجب على يزيد فقال له : بالباب أعرابىّ على بَعير ومعه امرأة على هَودج . فقال : أراه والله عَقيلا . فجاء بها حتى أناخ بعيره على بابه . ثم أخذ بيدها فأذْعنت . فدَخل بها على الخليفة . فقال له : إن أنتما وُدِم(٢) بينكما فبارك الله لكما ، وإن كرهت شيئا فضع يدَها فى يدى كما وضعتُ يدَها فى يدك ، ثم بَرِئت ذِمَّتك . فحملت الجرباء بغلام من الخليفة ، فَفرِح به ونَحَلَه(٣) وأعطاه . ثم مات الصبىّ ، فورثت أمه منه الثلث . ثم ماتت الجِرباء فورثها زوجُها وأبوها . فكَتب يزيد بن عبد الملك إلى أبيها : إنّ ابنَك وابنتك هلكا ، وقد حسبتُ ميراثَك منه فوجدتُه عشرة آلاف دينار ، فهلُم فاقْبضه . فقال : أنّ مُصيبتى بابنى وابنتى تَشْغلنى عن المال وطَلَبه ، فلا حاجةَ لى فى ميراثهما ، وقد رأيتُ عندك فرساً سَبقتَ عليه الناس فأَعْطنيه أجعله فحلاً لخيلى . وأبى أن يأخذ المال . فبعث إليه يزيدُ بالفرس .

شعر ابنه علفه حين شد هو علية

وذُكر أنّ عَقيل بن عُلَّفة أتى يوماً منزلَه ، فإذا بَنُوه مع بناته وأمّهم مُجتمعون ، فشدّ على ابنه عَمَلّس ، فحاد عنه ، وتغنّى ابنُه عُلَّفة :

قِفى يا ابنةَ المرّىّ أسألْك ما الذى ... تُريدين فيما كنتِ مَنَّيتِنا قبلُ
نُخَبِّرْك إن لم تُنجزى الوعد أننا ... ذَوَا خُلّة لم يَبق بينهما وَصْل

(١) الأعلاج : جمع علج ، وهو الرجل الشديد الغليظ .

(٢) هذه رواية التجريد . وودم ، أى أدم ، قلبت الهمزه واوا ، وهذا جائز . يريد : الاتفاق والأمة . يقال : أدم الله بينهما ، أى وفق وألف . وفى غيره : « ودن » . والودن والودان : حسن القيام على العروس .

(٣) نحله : وهب له .

فإنْ شئتَ كان الصُّرم ما هَبَّت الصَّبا وإن شِئتَ لا يَفْنَى التكارُم والبَذْل

فقال عَقيل : يا بن اللخناء ، متى مَنَّتْك نفسُك هذا ! وشدّ عليه بالسَّيف ، فحال عَمَلَّس بينه وبينه . فشــدّ على عَملَّس بالسيف وترك عُلَّفة لا يلتفت إليه ، فرماه بسَهم ، فأصاب رُكبته ، فسقطَ عَقيل وجعل يَتمعَّك (١) فى دمه ويقول :

إنّ بَــنِىّ (٢) زَمَّلونى بالدَّمِ مَنْ يَلْقَ أبطالَ الرِّجال يُكْلَمِ
ومَن يكُن ذا أَوَدٍ يُقَــوَّمِ شِنْشِنَةٌ (٣) أعرفهــا من أَخْزَم

وذُكر أنّ أصل هذا المثــل : أن أَخزم كان فَحْلاً لرجل من العرب ، وكان مُنْجِباً ، فضَرب فى إبل رجلٍ آخر ، ولم يعلم صاحبُه ، فرأى بعد ذلك من نَسله جَملاً ، فقال : شِنْشنة أَعرفها من أَخزم .

شعره فى تحريض بنى سهم على القتال

وذُكر أنّ الحرب نَشبت بين بنى سَهم بن مُرة ، وهم رَهط عقيل ، وبين بنى جَوشن بن غَطَفان ، وكان عَقيل بن عُلَّفة غائباً عنهم بالشام ، فكتب إلى بنى سَهم يُحرِّضهم على القتال :

فإمّا هلــكتُ ولم آتِــكم فأَبلغْ أماثلَ سَهْمٍ رَسُــولاَ
بأنّ التى ســامكم قومُــكم همُ جَعلوها عليكم (٤) دَليلا
هَوانُ الحيــاة وضَيْمُ المات وكُلاًّ أراه طعاماً وَبيلا
فإن لم يكن غيرُ إحداهما فسِيرُوا إلى الموت سيراً جَميلا

فلما وردت الأبياتُ عليهم تكفَّل بالحرب الُحصين بن الُحمام المُرّى ، أحد بنى سَهم ، وقال : إلىَّ كتب وبى نَوّه ، خاطب أماثلَ سهم وأنا من أماثلهم . فأَبلى فى تلك الُحروب بلاءً شديدا . فقال الُحصين من قصيدة طويلة :

(١) يتمعك : يتمرغ .
(٢) هذه رواية التجريد واللسان « سنن » . والذى فى الأغانى : « سربلونى » .
(٣) الشنشنة : الخليقة . (٤) فى غير التجريد : « لقد جعلوها عليكم عدولا » .

يطأن من القتلى ومن قِصَد القنا خَباراً (١) فما يَنهضن إلا تقحُّما
عليهن فتيان كساهم (٢) مُحرّق وكان إذا يكسو أجاد وأكرما
صفائحَ بُصْرَى أخلصتْها قيونُها ومُطَّرِداً (٣) من نسج داودَ مُحْكَما
تأخرتُ أستبقى الحياة فلم أجد لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدَّما
فلسْنا على الأعقاب تَدْمَى كُلومُنا ولكنْ على أقدامنا تقطُرُ الدِّما
نُفَلِّق هاماً من رجالٍ أعزّةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

رثاؤه علفة ابنه

وذُكر أنّ عُلَّفة بن عقيل مات بالشام، وبلغ ذلك أباه عَقيلا فقال يرثيه، وهو من جيد الشعر:

لَعَمْري لقد جاءت قوافل خَبَّرت بأمرٍ من الدنيا علىّ ثَقيلُ
وقالوا ألا تبكى لمصرع فارسٍ بَغتْه (٤) جُنودُ الشام غيرِ ضَئيل
فأقسمتُ لا أبكى على هُلْك هالكٍ أصاب سبيلَ اللهِ خيرَ سَبيل
كأنّ المنايا تبتغى من خيارنا لها نَسبا أو تهتدى بدَليل
تَحُلّ المنايا حيث شاءت فإنها مُحلّلةٌ بعد الفَتَى ابن عَقيل
فتًى كان مولاه يَحُلّ برَبْوةٍ تَحُلّ الموالى بعده بمَسِيل

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار عَقيل بن عُلفة، هو ثلاثة أبيات، أولها لعَقيل، والثانى والثالث لشَبيب بن البَرْصاء، والشعر:

ألا هل أسيرُ المالكيّةِ مُطلَقٌ فقد كاد لو لم يُعفِه اللهُ (٥) يَغْلَقُ
سَلا أمّ عمرو كيف أمسَى (٦) أسيرُها يُفادَى الأسارى حولَه وهو مُوثَق
فلا هو مقتولٌ ففى القتل راحةٌ ولا مُنْعَمٌ يوماً عليه فمُعْتَق

(١) القصد: جمع قصدة، وهى القطعة. والخبار: مالان من الأرض واسترخى.
(٢) محرق: لقب عمرو بن هند، لقب به لأنه حرق مائة من تميم.
(٣) قيون: جمع قين، وهو الحداد. ومطردا، أى درعا تبع بعضه بعضاً، أى إن حلقاته متصلة.
(٤) فى غير التجريد: «نعته».
(٥) يغلق: من غلق الرهن، وذلك إذا بقى فى يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه.
(٦) فى الأغانى: «فيم أضحى». مكان «كيف أمسى».

أخبار شبيب بن البرصاء

نسبه

هو شَبِيب بن يَزِيد بن جَمْرة بن عَوف بن أبى حارثة بن مُرة بن نُشْبة ابن غَيْظ بن مُرة بن سَعد بن ذُبيان . وبقية النَّسب ذكرناه فى نَسب عقيل ابن عُلَّفة .

أمه

والبَرْصاء أُمه ، وأسمها قِرْصافة بنت الحارث بن عَوف . وهى خَالة عَقِيل ، كما تقدّم ذكره . وإنما سُمِّيت البَرصاء لبياضها ، لا لأنّه كان بها بَرَص.

شىء عنه

وشَبيب شاعرٌ فَصيح إسلامىّ من شُعراء الدولة الأُموية ، بدوىٌّ لم يَحْضُر إلاّ وافداً أو مُنْتجعا . وكان يُهاجى عَقِيل بن عُلَّفة ويُعاديه لشراسة كانت فى عَقيل وشَرّ عظيم . وكلاهما كان شريفاً سيِّدا فى قومه ، فى بيت شَرفهم وسُؤددهم . وكان شبيبٌ أعورَ ، أصاب عينَه رجلٌ من طيىء فى حرب كانت بينهم .

من جيد شعره

ومن جيِّد شِعر شَبيب قولُه من قصيدة :

ومُستَنبِحٍ يَدعو وقد حال دونه ... من اللَّيل سَجْفَا ظُلمة وستُورُها
رفعتُ له نارِى فلما اهتدى لها ... زجرتُ كِلابى أنْ يَهِرَّ عَقُورها
فباتَ وقد أسرى من الليل[1] عُقبةً ... بليلةِ صِدْقٍ غاب عنها شُرورها
وإنّى لتَرّاكُ الضَّغينة قد أرى ... ثَراها من المَولى[2] فما أَسْتَثيرها

---

(١) العقبة : قدر فرسخين ، وقيل هى مقدار ما تسيره .

(٢) الثرى : الأثر ، والمولى : الصاحب وابن العم . والرواية فى غير التجريد : « قد بدا .... فلا أستثيرها » .

إذا قِيلت العَوراء ولَّيتُ سمعَها ... سِوای ولم أسأل بها[١] ما دَبِيرُها

وحاجةِ نَفْسٍ قد بلغتُ وحاجـةٍ ... تركتُ إذا ما النفسُ شحَّ ضَمِيرهـا

حيـاءً وصَبراً فى المواطن إنّنى ... حَـيِيٌّ لدى أمثالِ تلك[٢] سَتِيرها

وأحبِس فى الحقِّ[٣] الـكريمةَ إنما ... يقوم بحقِّ النائبات صَبورهـا

ألم تَرَ أنَّا نُور قوم وإنمـا ... يُبَـيِّن فى الظَّلْماء للناس نُورُها

شعر له كان يتمثل به عبد الملك بن مروان

وكان عبد الملك بن مروان يتمثّل بقول شَبيب بن البَرصاء فى بَذْل النفس عند اللقـاء ويُعجَب به :

دعانِىَ حِصْنٌ للفرار فسـاءنى ... مواطِنُ أن يُثْنَى علىَّ فأُشْتَمَا

فقلتُ لحِصْنٍ نَحِّ نفسك إنما ... يذُود الفتى عن حَوضه أن يُهَدَّما

سيكفيك أطرافَ الأسنّة فارسٌ ... إذا رِيعَ نادَى بالجواد[٤] وبالحِمَى

إذا المرءُ لم يَغشَ المكارهَ أوشكت ... حبالُ الهُوَينى بالفتى[٥] ان تَجذَّما

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار شَبيب ، هو البيتُ الثانى والثالث ، من الأبيات الثلاثة المذكورة فى أخبار عَقيل بن عُلَّفة[٦] .

---

(١) العوراء : الكلمة القبيحة . والدبير : ما خالفك ، ضد القبيل ، وهو ما وليك . ويقال : هو ما يدرى قبيلا من دبير ، أى ما يدرى شيئاً . والمعنى هنا : أنه لا يعقب على قول السوء ولا يسترسل فيه . والرواية فى الأغانى : « ولم أسمع لها » مكان « ولم أسأل » .

(٢) الستير : العفيف .

(٣) الكريمة : أى الناقة الكريمة

(٤) وبالحمى ، أى وبأهل الحمى ، يستنفرهم . والرواية فى التجريد : « فأنجما » مكان « وبالحمى » .

(٥) تجذم ، أى تتجذم : تتقطع .

(٦) يريد الأبيات القافية (ص ١٤٠٥) من هذا الجزء .

أخبار يزيد بن الحكم (*)

نسبه

هو يزيدُ بن الحَكم بن أبى العاص بن بِشر بن عَبد دُهْمان بن عبد الله ابن هَمّام بن أَبان بن يَسار بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قَسىّ، وهو ثقيف.

شىء عن عثمان عمه

وعثمان عمّه، أحدُ من أسلم يومَ فَتح الطائف من ثَقيف، هو وأبو بَكْرة. وشَطُّ عُثمان بالبصرة مَنسوب إليه، وكانت له هناك أرض أَقطعها وابتاعها. وقد رَوى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحديثَ، ورَوى عنه الحسنُ البصرى - رحمه الله - وغيرُه من التابعين.

رواية عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم

روى مُطَرِّف بن عبد الله قال: سمعتُ عثمان بن أبى العاصى الثَّقفى يقول: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

أَمَّ قومَك واْقْدُرْهم بأَضعفهم، فإن منهم الضعيفَ والكبير وذا الحاجة.

ورَوى عثمان بن أبى العاصى قال: قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

اتّخذوا مؤذِّنا لا يأخذ على أذانه أجرا.

نسب أمه

وأُم يزيد بن الحكم بَكرة بنت الزِّبرقان بن بدر، وهى أولُ أعرابية رَكبت البحر. وأُمها هُنيدةُ بنت صَعصعة بن ناجية.

خبر يزيد مع الحجاج وقد ولاه فارس

وذُكر أنّ الحجاج بن يوسف ولّى يزيدَ بن الحكم الثَّقفى كُورةً من فارس، ودَفع إليه عهدَه بها، فلما دَخل عليه ليودِّعه قال الحجاج له: أَنشدنى

(*) وقبل أخبار « يزيد بن الحكم » ساق أبو الفرج أخبار « دقاق » المغنية فى صفحتين إلا قليلا.

بعضَ شعركَ . وإنّما أراد أن يُنشده مديحًا له ، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول :

وأَبِي الذى استلب[1] ابنَ كسرى رايةً بيضاءَ تَخفِقُ كالعُقاب[2] الكاسرِ

فلما سَمع الحجّاج فخرَه نَهض مُغضَباً ، وخرج يزيدُ من غير أن يُودِّعه ، فقال الحجاج لحاجبه : أَرتجع منه العهدَ ، فإذا ردَّه فقُل له : أيما خيرٌ لك: ما ورّثك أبوك أم هذا ؟ فردّ على الحاجب العهدَ وقال : قُل له :

وَرِثتُ جدِّي مجدَه وفَعالَه وورثتَ جدَّك أعنُزاً بالطائفِ

خروجه إلى سليمان ابن عبد الملك

وخَرج عنه مُغضَباً فلحق بسُليمان بن عبد الملك بن مروان ، فمدَحه بقصيدته التى أولها :

أَمسى بأسماءَ هذا القلبُ[3] مَعموداَ إذا أقول صحَا يَعتادُه عِيدَا

كأنّ أحورَ من غِزلانِ ذى بَقَرٍ أَهدَى لها شَبَهَ العَينين[4] والجِيدا

أَجرِى على مَوعد منها فتُخْلِفنى فلا أَملُّ ولا تُوفِى المَواعيدا

كأنّنى يومَ أُمسِى لا تُكلِّمنى ذو بُغْيَة يَبتغى ما ليس مَوْجودا

يقول فى المديح :

سُمِّيتَ باسم امرىء أشبهتَ شِيمتَه عَدلاً وفَضلا سليمانَ بن[5] داوُدا

أَحمِدْ به فى الوَرَى الماضين من مَلِكٍ وأنتَ أصبحتَ فى الباقين مَحْمودا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « سلب » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « الطائر » مكان « الكاسر » .

(٣) المعمود : الذى هده العشق .

(٤) الأحور : الذى بعينيه حور ، وهو شدة سواد المقلة فى شدة بياضها ، وذو بقر : موضع . والجيد ، أى وشبه الجيد ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

(٥) الرواية فى اللسان « عدل » :

سميت باسم نبى أنت تشبهه حلماً وعلماً سليمان بن داودا

فقال له سليمان : كم كان أجرَى لك لعِمالة فارس ؟ قال : عشرون ألفاً . قال: فهى لك علىّ ما دُمتَ حيًّا .

شعره لابن المهلب لما خرج على يزيد ابن عبد الملك

وذُكر أنّ يزيد بن المُهلَّب بن أبى صُفرة لمّا خَرج بالعِراق على يزيدَ بن عبد الملك بن مروان أنشده يزيدُ بن الحكم الثّقفى :

أبا خالدٍ قد هِجْتَ حرباً مَريرةً وقد شمّرتْ حربٌ عَوانٌ فشمِّرِ

فقال يزيدُ بن المُهلَّب : أَستعين بالله . ثم أنشده ، فلمّا بلغ إلى قوله :

وإنّ بَنى مروانَ قد زال مُلكهم فإنْ كنتَ لم تَشعُر بذلك فاشعُرِ

فقال يزيد : ما شعرت . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

فمتْ ماجداً أوعِشْ كريماًفإن تَمُتْ وسيفُك مَشهورٌ بكفِّك تُعْذَرِ

فقال : هذا ما لا بُد لى منه .

نزل له ابن المهلب عن مال وهو فى السجن

وذُكر أنّ يزيد بن الحكم دَخل على يزيدَ بن المُهلَّب ، وهو فى سِجن الحجّاج وهو يُعذَّب ، وقد حَلّ عليه نَجْمٌ[1] ، وكانت نجومه فى كُل أسبوع ستةَ عشر ألف درهم ، فقال له :

أَصبح فى قَيدك السماحةُ والجُو دُ وفَضلُ الصّلاح والحَسَبُ

لا بَطِرٌ إنْ تَتابعَتْ نِعَمٌ وصابرٌ فى البلاء مُحتسِبُ

بَرَزتَ سَبْقَ الجياد[2] فى مَهَلٍ وقَصَّرتْ دون سَعْيك العَرب

فالتفت يزيدُ بن المُهلَّب إلى مولًى له ، وقال: أَعطه نجمَ هذا الأُسبوع ، ونصبر على العذاب إلى السبت الآخر .

---

(١) النجم : الدفعة من الدين .

(٢) فى التجريد : « الجراد » .

شعره الذي فيه الغناء

والشعرُ الذي فيه الغناء ، وافْتتح به أبو الفرج أخبار يزيد بن الحكم الثقفي ، هو :

تُكاشرني كَرْهاً كأنك ناصحٌ وعينُك تُبْدِي أنّ صدرك لي دَوِى[1]

لسانُك لي حلوٌ وعينُك عَلقمٌ وشَرُّك مَبسوط وخيرُك[2] مُنْطوى

(١) كاشره : ضحك فى وجهه وباسطه . ودوى صدره : مرض .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ملتوى » مكان « منطوى » .

أخبار أبي الأسود الدؤلي

نسبه

هو ظالم بن عمرو بن سُفيان بن جَنـدل بن يَعْمَر بن حِلْس بن نُفَاثة بن عَدِيّ بن الدِّئل بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس ابن مُضرَ بن نِزار .

شيء عنه

وهو من وُجوه التابعين وفُقهائهم ومُحدِّثيهـم . روَى عن عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه ؛ وعن علىّ بن أبي طالب ، وأبن عبّاس ، رضى الله عنهما . وأستعمله عُمر وعُثمان وعلىّ ، وولاّه علىّ رضى الله عنه البصرةَ بعد أبن عباس .

وضعه النحو

وأبو الأسود هو الأصل فى وَضع علم النّحو وعَقْد أُصوله ، وأَخَذ ذلك عن أمير المُؤمنين علىّ رضى الله عنه .

ذُكر أن أبا الأسود الدؤلى دَخل على أبنتـه بالبصرة ، فقالت له : يا أبةَ ، ما أشدُّ الحرّ ! — رفعت « أشد » وجرت « الحر » — فظن أنها تَستفهم منه : أىُّ زمانِ الحر أشد ؟ وإنمـا قصدت التعجب ، فلَحنت . فقال لهـا : يا بُنية . شهر ناجر . فقالت : يا أبة ، إنما أُخبرك ولم أسـألك . فقال : إنّا لله ! فَسدت ألسنةُ أولادنا ! ودَخـل على علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين، ذهبت لُغة العرب لمّا خالطت العجم ، وأوشكت إنْ تطاول عليها زمانٌ أنْ تَضمحلّ . فقال له : وما ذاك ؟ فأخبره خَبرَ أبنته . فأمره أن يَشترى صُحفاً بدرهم ، وأملى عليه : الـكلام كُلّه لا يخرج عن أسم وفعـل وحرف ، جاء لمعنى . وهـذا القولُ أول كتاب سِيبويه . ثم رسم أُصول النحو كُلها ، فنَقلهـا النّحويون وفرّعوها .

هو و زياد فى نقط المصاحف

وذُكر أنّ زياداً أمر أبا الأسود الدؤلى أن ينقُط المَصاحف . فَنقطها ورَسم فى النحو رُسوما . ثم جاء بعده مَيمون الأَقرن فزاد عليه فى حُدود العربية ، ثم زاد بعده فيها عَنبسةُ بن مَعْدان المَهْرِىّ ، ثم جاء عبدُ الله بن أبى إسحاق الحضرمىّ ، وأبو عمرو بن العلاء ، فزادا فيه ؛ ثم جاء الخليلُ بن أحمد الأزدى البصرى ، وعلىّ بن حمزة الكسائى الكوفى ، مولى بنى كاهل من أسد ، فأَخذ عنهما البصريون والكوفيون وتفرّع وكَثُر .

رأى الجاحظ فيه

وذَكر الجاحظُ أنّ أبا الأسود معدودٌ فى طبقات من الناس ، وهو فى كُلها مقدّم مأثور عنه الفضلُ فيها جميعها[1] : كان معدوداً فى التابعين والفُقهاء والشُّعراء والمُحدِّثين والأشراف والفُرسان والأُمراء والدُّهاة والنَّحويين والحاضِرى الجواب والشِّيعة[2] والبُخلاء والصُّلع الأَشراف والبُخر الأَشراف .

روايته عن عمر ابن الخطاب

فممّا رَوى من الحديث : قال أبوالأسود : قَدِمتُ المدينةَ فوافيتُها[3] وقد وقع فيها مرضٌ فهم يمُوتون موتاً ذريعا ، فجلستُ إلى عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فمرّت به جنازة ، فأُثنِى على صاحبها خيراً . فقال عُمر: وجَبتْ . ثم مُرَّ بأُخرى ، فأُثنى على صاحبها شرّا ، فقال عمر: وجبتْ . قال أبو الأسود : ما وجبتْ يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلتُ كما قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : أيُّما مُسلم شَهد له أربعةٌ بخَير أَدخله الله الجنّة . فقُلنا : وثلاثة ؟ فقال : وثلاثة . فقلنا : واُثنان ؟ فقال : واُثنان . ولم نسأله عن الواحد .

وروى أبو الأَسود الدُّؤلى قال : خَطب عُمر بن الخطّاب يومَ الجمعة فقال : إن نَبيّ الله صلَّى الله عليه وسلّم قال : لا تزال طائفة من أُمتى على الحقّ منصورة حتى يأتى أمرُ الله جلّ وعزّ .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى جميعها » . (٢) فى التجريد : « والشعراء » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فوافقتها » .

هو وأعرابي جاء يسأله

وذكر أن أبا الأسود كان جالساً فى دِهليزه، و بين يديه رُطَب، فجاءه رجلٌ من الأعراب يقال له : ابن أبى الحمامة، فقال : السلام عليك . فقال له أبو الأسود: كلمة مَقُولة . فقال . أدخل ؟ فقال : وراءك أوسعُ لك . قال : إنّ الرمضاء أحرقت رجلى . قال : بُلْ عليها أو ائت الجبلَ يَفِئْ عليك . قال : هل عنـــدك شىء تُطعِمنيه ؟ قال : نأكل ونُطعم العِيال ، فإنْ فضل شىء فأنت أحقُّ به من الكلب. فقال : ما رأيت قطُّ ألأمَ منك . فقال أبو الأسود : بلى قد رأيت ، ولـكنك قد أُنسيت . قال : أنا ابن أبى الحمامة . قال : انصرف وكُن ابن أى طائر شئت . قال : أسألك بالله إلّا أطعمتَنى مما تأكل . فألقى إليه أبو الأسود ثلاثَ رُطَبات ، فوقعت إحداهن فى التُّراب ، فأخذها فمَسَحها بثَوبه . فقال أبو الأسود : دَعها فإن الذى تَمسحها منه أنظفُ من الذى تَمسحها به .قال : إنما كرهتُ أن أَدعها للشيطان . فقال : لا والله ، ولا لجبريل وميكائيل تدعُها .

[...]رية له [...]بها أهله

وذُكر أن أبا الأسود اشترى جاريةً أعجبته ، وكانت حولاء ، فعابهـا عنده أهلُه بالحول ، فقال :

يَعيبونَها عندى ولا عيبَ عندها ... سوى أنّ فى العَينين بعضَ التأخُّرِ
فإنْ يكُ فى العَينين سُوء فإنهـا ... مُهَفْهَفَة الأعلى رَدَاحُ [1] المُؤخَّرِ

شعره فى الحصين وقد رمى بكتابه

وذُكر أن أبا الأسود أرسل إلى الحُصين بن أبى الحُرّ العَنبرىّ ، جد عُبيد الله ابن الحسن القاضى ، وهو يلى الخراج لزياد ، و إلى نُعيم بن مَسعود النَّهشلىّ ، وكان يلى مثلَ ذلك ، برسول ، وكتب معه إليهما ، وأراد أن يَبرّاه . فرمى الحُصـين ابن أبى الحُرّ بكتاب أبى الأســود وراء ظهره ، وفعــل ذلك نعيم . فقـــال أبو الأسود للحُصين :

---

(١) مهفهفة : ضامرة البطن . و رداح : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك .

حسبت كتـابى إذ أتاك تعرُّضاً   لَسَيبك[1] لم يَذهب رَجائى هنالِكا
وخَبَّرنى من كُنت أرسلتُ إنما   أخذتَ كِتابى مُعرِضاً بِشمالكا
نظرتَ إلى عُنوانه فَنبـذتَه   كنبذِك نَعلاً أخلقتْ من نِعالكا
نُعَيمُ بن مَسعود أحقُّ بمـا أتى   وأنت بما تأتى حقيقٌ بذالكا
يُصيب وما يَدرى ويُخطى وما دَرَى   وكيف يكون النَّوك إلا كذلكا

هو ومعاوية حين لم يكتم عليه ضرطة

وذُكر أن أبا الأسود كان يُحدِّث معاوية بن أبى سُفيان يوماً ، فتحرّك فضَرَط . فقال لمعاوية : أستُرها علىّ . فقال : نعم . فلما خرج أبو الأسود حدّث بها مُعاوية عمرو بنَ العاص ومروانَ بنَ الحكم . فلما غدا عليه أبو الأسود قال له عمرو بن العاص : ما فعلت ضَرْطتُك بالأمس يا أبا الأسود ؟ فقال : ذهبت كما تذهب الرِّيح مُقبلةً ومُدبرةً ، من شيخ ألان الدهرُ أعصابَه ولحمه عن إمساكها ؛ وكلّ أجوف ضَروط . ثم أَقبل على مُعاوية وقال : إن أمرأً ضَعُفت أمانته ومُروءته عن كِتمان ضَرطة لحقِيق بألاّ يُؤمَن على أُمور المسلمين .

هو وامرأة تزوجها ثم وجدها على خلاف ما قالت

وذُكر أنّ أبا الأسود كان يَجلس إلى فناء امرأة بالبصرة فيتحدّث إليها ، وكانت بَرزةً[2] جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسود ، هل لك فى أن أتزوّجك ، فإنّى صَناع[3] الكفّ ، حَسنة التّدبير ، قانعة بالمَيسور . قال : نعم . فجمعت أهلَها ثم تزوّجته . فوجدها بخلاف ما قدّره ؛ فأسرعت فى ماله ، ومدّت يدَها إلى خِيانته ، وأفشت سرَّه . فغدا على مَن كان حَضر تزويجه إياها ، فسألهم أن يَجتمعوا عنده ، ففعلوا . فقال لهم :

أَريتَ[4] امرأً كنت لم أَبْلُهُ   أتانى فقال اتَّخِذنى خَليلاَ

---

(١) السيب : العطاء .
(٢) البرزة : الكهلة الجليلة تبرز للقوم فيجلسون إليها ويتحدثون .
(٣) صناع الكف : حاذقة ماهرة بعمل اليدين .   (٤) أريت ، أى أرأيت .

فلم أستفد من لدنه فتيلا

كذوب الحديث سروقاً بخيلا

دنه ثم عاتبته عتابا رفيقا وقولاً جميلا

ـه غير مستعتب ولا ذاكر الله إلا قليلا

حقيقاً بتوديعه وإتباع ذلك صرماً طويلا

فقالوا : بلى والله يا أبا الأسود . فقال : تلك صاحبتكم ، وقد طلقتها ؛ وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها . فانصرفت معهم.

كان أبخر وما كان بينه وبين معاوية

وذكر أن أبا الأسود كان أبخر ، فسارّ معاوية بن أبى سفيان يوماً بشىء ، فأصغى إليه ممسكاً بكمه على أنفه ، فنحّى أبو الأسود يده عن أنفه وقال : لا والله لا تسود حتى تصبر على سرار الشيوخ البخر .

شعره فى صديق لابنه

وذكر أنّ أبا الأسود كان له ابن يقال له : أبو حرب ، وكان له صديق يكثر زيارته ، وكان أبو الأسود يستريب منه ، فقال مخاطباً لابنه :

أحبب إذا أحببت حبّاً مقاربا فإنك لا تدرى متى أنت نازع

وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقاربا فإنك لا تدرى متى أنت راجع

وكن معدناً للحلم واصفح عن الخنا فإنك راء ما علمت [٢] وسامع

شعره فى جار له

وكان لأبى الاسود جار يكثر أذاه ، فقال أبو الأسود :

وإنى ليثنينى عن الشتم [٣] والحمق وعن سبّ ذى القربى خلائق أربع

حياء وإسلام وبقيا [٤] وأننى كريم ومثلى قد يضر وينفع

وشتان ما بينى وبينك إننى على كل حال أستقيم [٥] وتظلع

(١) فى غير التجريد : « ألست » . (٢) فى غير التجريد : « ما عملت »

(٣) فى غير التجريد : « والخنا » مكان « والحمق » .

(٤) رواية الأغانى : « ولطف » مكان « وبقيا » . (٥) يظلع : يغمز فى مشيه .

وله فى صاحب

وله أيضاً فى صاحب ينأى بودّه عنه كلما قاربه :

بُليتُ بصاحبٍ إنْ أدْنُ شبراً ... يزِدْنى فى مُباعـــدةٍ ذِراعا

وإن أمدُد له فى الوَصل ذَرعى ... يزِدنى فوق قِيس[1] الذَّرع باعا

أبت نفسى له لا اتبــاعا ... وتأبى نفسُـــه إلا امتناعا

كلانا جاهـــد أدنو ويَنأى ... فذلك ما استطعتُ وما استطاعا

شعره الذى فيه الغناء وسببه

وذُكر أنه كان لأبى الأسود امرأةٌ من عبد القَيس ، فأسنّ وضَعُف عما يُطيقه الشباب من أمر النساء ، وكانت له امرأة أخرى قَيْسية[2] ـ يقال لها : أمّ عَوف ـ قد أسنّت وعجزت ، وكانت موافقة له . فقال فيها ، وهو الشّعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى الأسود :

أبى القلبُ إلا أمَّ عوف وحُبَّهــا ... عجوزا ومن يُحببْ عجوزاً يُفنَّــدِ

كسَحْق[3] يمانٍ قد تقادم عهدُه ... ورُقعتُه ما شئتَ فى العَين واليَد

شعره فى مقتل على ابن أبى طالب

وذُكر أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لمّا قتله عبدُ الرحمن بن مُلْجم المُرادىّ ، وأظهر معاوية بن أبى سفيان الشماتةَ بقتله ، قال أبو الأسود :

ألاَ أبْلغ مُعــاوية بن حَرب ... فلا قرَّت عيــونُ الشَّامتينا

أفى شهر الصيــام فجَعتمــونا ... بخَير النــاس طُرًّا أجمعينا

قتلتُم خير مَن ركب المطــايا ... وخَيَّسها[4] ومَن ركب السَّفينا

ومَن لَبس النِّعال ومن حَذاها ... ومَن قرأ المَثــانى والمِئينــا

إذا استقبلت وجه أبى حُسين ... رأيت البــدر راقَ الناظرينا

لقد علمتْ قريشٌ حيث كانت[5] ... بأنّك خيرُها حَسَبا ودِينــا

(١) قيس : قدر . (٢) الذى فى الأغانى : « قشيرية » .

(٣) السحق : الثوب البالى . ويروى : « كثوب » . (٤) خيسها : ذللها .

(٥) فى الأغانى : « حلت » مكان « كانت » .

شعره في ابن الجارود وقد كساه

وذُكر أن المُنذر بن الجارود كان صديقاً لأبي الأسود، وكان كُل واحد منهما يَغشَى صاحبه، وكانت لأبي الأسود الدُّؤلي مُقَطَّعة (١) من بُرود يُكثر لُبسها. فقال له المُنذر: لقد أدمنت لُبس هذه المُقَطَّعة! فقال له أبو الأسود: رُبَّ مملول لا يُستطاع فِراقه. فعلِم المُنذر أنه قد احتاج إلى كُسوة، فأهدى له ثِيابا. فقال له أبو الأسود يمدحه:

كساكَ ولم تَستكسه فحَمِدْتَه ... أخٌ لك يُعطيك الجزيلَ وناصرُ
وإن أحقَّ الناس إن كنتَ حامدا ... بحَمدك من يُعطيك (٢) والعِرْض وافر

من شعره في ابنه

ومن جيِّد شعر أبي الأسود ممّا كان يُخاطب به ابنه:

لا تُرسلنَّ رسالةً مشهورةً ... لا تَستطيع إذا مضت إدراكَهَا
أكرِمْ صديقَ أبيك حيث لقيته ... وأحْبُ الكرامةَ مَن بَدَا فحَباكَها
لا تُبدينَّ نميمةً حُدِّثْتَها ... وتحفَّظنّ من الذي أنباكَها

هو وزياد في عذر لم يقبله

وذكر أن أبا الأسود اعتذر إلى زياد بعُذر، فلم يَقبله منه، فقال:

إنّني مُجرم وأنت أحقُّ النّـ ... ـاس أن تَقبل الغَداةَ اعتذاري
فاعفُ عني فقد سُفِهتُ وأنت الـ ... ـمرء تَعفو عن الهَنَاتِ الكِبار

فتبسّم زياد وقال: أما إذا كان هذا قولُك فقد قبلتُ عُذرك، وعفوتُ عن ذنبك.

وله يحث ابنه على العمل

وذُكر أنّ أبا حَرب بن أبي الأسود كان قد لَزِم منزلَ أبيه بالبَصرة، لا ينتجع أرضا ولا يطلُب الرزق في تجارة ولا غيرها، فعاتبه أبوه على ذلك. فقال أبو حرب: إن كان لي رِزق فسيأتيني. فقال أبو الأسود:

وما طَلَبُ المَعيشة بالتّمنّي ... ولكنْ ألْقِ دَلْوك في الدِّلاء
تَجِئْك بمِلْئها يوماً ويوما ... تَجِئْك بحَمْأة (٣) وقليلِ ماء

* * *

أبو نفيس

ثم ذَكر أبو الفرج أبا نَفِيس التميمي، ولم أختر له شيئا أرتضيه.

(١) المقطعة: شبه الجباب. (٢) في الأغاني: «أعطاك». (٣) الحمأة: الطين الأسود.

أخبار سويد بن كراع

شىء عنه وقصيدته فى مدح بغيض بن عامر

ثم ذكر سُويد بن كُراع ، أحدَ بنى قيس بن عُكْل ، وكان من شُعراء الدولة الأُموية فى أيام جرير والفرزدق ، ولم أختر له إلا قوله من قَصيدة يمدح بها بَغِيض بن عامر بن شمّاس بن لَأْى بن أنف الناقة بن عَوف بن كَعب بن زيد مَناة بن تميم ، وأولها :

أُرتعتُ للزَّور إذ حيًّا فأرّقنى ... ولم يكن دانياً منّى ولا (١) صَدَدَا

يقول فيها :

لا يُبْعِد الله إذ ودَّعتُ أرضهمُ ... أخى بَغِيضاً ولكنْ غيرُه بَعِدَا

ومن تُلاقيه بالمَعروف مُعترفا ... إذا أُجرهِدّ صفا المَذموم (٢) أو صَلَدَا

لاقيتَه مُفْضِلاً تَنْدَى أناملُه ... إنْ يُعْطِك اليومَ لا يمنعْك منه (٣) غدا

تَجِئُ عفواً إذا جاءت عطيَّتُه ... ولا تُخالط تَزْييفاً (٤) ولا زَهَدَا

بَحْرٌ إذا نَكَس الأقوامُ (٥) أو زَهِدوا ... لاقيتَ خيرَ يدَيه دائماً رَغَدا

لا يَحْسب المدحَ خَدْعاً حين تَمدحه ... ولا يَرى البُخلَ مَنْهاةً له أبدا

إنى لرَافِدُه وُدِّى (٦) ومُنْتَصرى ... وحافِظٌ غَيْبه إن غاب أو شَهِدا

* * *

ثم ذَكر أبو الفرج أبا الطَّمحان القينى ، وقد تقدّمت ترجمته قبل ذلك نسبه (٧) .

---

(١) الزور : الطيف . والصدد : القصد والقرب .

(٢) الصفا : الحجر . واجرهد : لم ينبت . وصلد : املاس . وأو — هنا — بمعنى الواو . يريد ملس فلم يكن مظنة إنبات . وجعله صفا ، لأنه أندر إنباتاً . يصفه بالبخل أصلا وطبعا ، ثم نفى عنه هذا القليل الذى قد يكون .

(٣) فى الأغانى : « ذاك » مكان « منه » .

(٤) فى الأغانى : « ترنيقا » مكان « تزييفا » . والترنيق : التكدير . والزهد : القلة

(٥) فى الأغانى : « ضجروا » مكان « زهدوا » .

(٦) فى الأغانى : « ومنصرتى » مكان « ومنتصرى » .

(٧) هذا مكان ذكر أبى الطمحان حسبما أورده أبو الفرج ، وقد وضعناه حيث وضعه ، وأشرنا فى الموضع الذى قدمه فيه ابن واصل إلى ذلك .

أخبار أبى الطمحان

نسبه

وهو حنظلة بن الشَّرْقىّ ، أحد بنى القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله ، من قُضاعة .

شاعر مخضرم

وهو شاعر فارس صُعلوك ، خَبيث الدِّين فيما ذُكر . من الُمخضرمين ، أدرك الجاهليّة والإسلام [1] .

ترب الزبير بن عبد المطلب

وكان تِرْباً للزُّبير بن عبد الُمطلب ، عمّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فى الجاهلية ، ونديماً له .

خبره مع قيسبة السكونى

وحُكى أنه خَرج قَيْسبةُ بن [2] كُلثوم السَّكُونىّ فى الجاهليّة ، وكان ملكاً ، يريد الحجّ وكانت العربُ فى الجاهليـة لا يَعرض بعضُهم لبعض . فمرّ ببنى عامر بن عُقَيل ، فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا مالَه وما كان معه وألقوه فى الأغلال والقيود . فمكث كذلك ثلاثَ سنين ، وشاع خبرُه باليمن أن الجنّ استطارته [3] . فبينا هو فى يومٍ شديدِ البرد فى بيتِ عجوزٍ منهم إذ قال لها : أتأذنين لى أن آتى الأكَمة فأتشرّق عليها [4] ، فقد أضرّ بى القُرّ ؟ فقالت له : نَعم . وكانت عليه جُبّة له حِبَرة لم يُترك عليه غيرُها . فتمشّى فى أغلاله وقُيوده حتى صَعِد الأكمة ، ثم أقبل يَضرب ببصره نَحو اليمن ، وتغشّته عَبرة فبكى ،

---

(١) العبارة فى الأغانى : « وهو من المخضرمين ، أدرك الجاهلية والإسلام ، فكان خبيث الدين فيهما كما يذكر » .

(٢) فى التجريد : « قيس » . (٣) استطارته : ذهبت به .

(٤) أتشرق : أجلس بالمشرقة ، وهى حيث تشرق الشمس .

ثم رفع طَرْفه إلى السماء وقال : اللهم ساكنَ السموات ، فرِّج لى مما أنا فيه . فبينا هو كذلك إذ عرض له راكبٌ يسير . فأشار إليه أن أَقْبِل . فأقبل الراكب . فلما وقف الراكبُ عليه قال له : ما حاجتُك يا هذا ؟ قال له : أين تريد ؟ قال : أُريد اليمن . قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا أبو الطَّمحان القَيْنى . فاستعبر باكيا . فقال له أبو الطَّمحان: مَن أنت ؟ فإنى أرى عليك سِيما الخير ولِباس المُلوك ، وأنت بدارٍ ليس فيها ملك ! قال: أنا قَيْسبة بن كُلثوم السَّكُونى ، خرجتُ عامَ كذا وكذا أُريد الحج ، فَوثَب علىّ هذا الحىُّ فصنَعوا بى كما ترى ، وكَشف عن أغلاله وقُيوده ، فاستعبر أبو الطَّمحان . فقال له قَيسبةُ : هــل لك فى مائة ناقة حمراء ؟ فقال : ما أَحوجنى إلى ذلك ! قال : فأَنِـخْ . فأناخ . ثم قال له : أمعك سِكِّين ؟ قال : نعم . قال : اُرفع لى عن رَحْلِك . فَرفع عن رَحْله حتى بدت خَشبةُ مُؤْخِره . فــكَتب عليها قيْسبة بالخط المسْنَد ـ (١) وليس يكتب به غيرُ أهل اليمن ـ :

بَلِّغــا كِـنْدةَ المــلوكَ جميعاً ... حيثُ سارت بالأكرمين الجِمالُ
أن رِدُوا العيْن بالخَميس عِجــالاً ... وأَصدُروا عنه والرَّوايا (٢) ثِقال
هَـزِئت جارتِى وقالت عَجيبــا ... إذ رَأتْنى فى جِيــدىَ الأغلال
إنْ ترَيْنى عارِى العِظام أســيراً ... قد بَرانى تَضَعْضعٌ واُخْتــلال
فلقـــد أقدُم الكتيبةَ بالسَّيـ ... ـف علىّ الســلاحُ والسِّرْبال

وكتب تحت الشعر إلى أخيــه أن يدفع إلى أبى الطَّمحان مائة ناقة حمراء ، ثم قال له : أقرىء هذا قومى ، فإنهم سيُعطونك مائة ناقة حمراء . فخرج تســير به ناقتُه حتى أَتى حَضْرموت ، فتشاغل بمـــا وَرد له ونسَى أَمر قَيْسبة حتى فَرَغ من حوائجه ، ثم سَمع نسوةً من عجائز اليمن يتذاكرْن قَيسبة ويَبكين ، فذكر أمره ، فأَتى أخاه الجَوْن بن كُلثوم ، وهو أخوه لأبيه وأمه ، فقال له : يا هذا ، إنى دالُّك

(١) المسند : خط حمير .

(٢) الخميس : الجيش من خمس فرق . والروايا : جمع راوية ، وهى المزادة فيها ماء .

علىَ قَيسبة ، وقد جعل لى مائة ناقة حمراء . قال : فهى لك . فكشف عن الرحل ، فلما قرأه الجونُ أمر له بمائة ناقة . ثم أتى قيسَ بن مَعديكرب الكِندىّ ، أبا الأشعث بن قيس ، فقال له : يا هذا، إن أخى فى بنى عُقَيل أسير فسر معى بقَومك . فقال له : أتسير تحت لوائى حتى أطلُب ثأرَك وأُنجدك ، و إلاّ فأمض راشداً ؟ فقال له الجونُ : مَسُّ السماء أيسرُ من ذلك وأهونُ علىّ مما خُيِّرتُه . وضَجَّت السَّكون [١] ، ثم فاءوا ورَجعوا وقالوا له : ما عليك مِن هذا ؟ هو أبن عمك و يطلُب لك ثأرك . فأَنْعَمَ [٢] له بذلك ، وسار قيسٌ وسار الجَون معه تحت لوائه ، وكندةُ والسَّكون معه أيضاً . فهو أولُ يومٍ اجتمعت فيه السَّكون وكِندة لقَيْس ، و به أدرك الشرف . فسار حتى أوقع بعامر بن عُقيل ، وقتل منهم مَقتلة عظيمة ، وأستنقذ قَيسبة . وقال فى ذلك سَلامةُ بن صُبيح الكِندىّ :

لا تَشتِمُونا إذ جَلبنا لكم ... ألفَيْ كُميت كلّها [٣] سَلْهَبهْ
نحن أبلْنا الخيل فى أرضكم ... حتى ثأرنا بكمُ [٤] قَيسبة
وأعترضتْ من دُونه [٥] مَذْحج ... فصادفوا من خَيلنا مَشْغبه

من فسقه

ومما يُحكى من فِسق أبى الطَّمحان أنه قيل له : ما أدنى ذُنوبك ؟ قال : ليلة الدَّيْر . فقيل : وما ليلة الدَّير ؟ قال : نزلتُ بدَير نَصرانية فأكلتُ عندها طَفَيْشَلاً [٦] بلحم خِنزير ، وشربتُ من خَمرها ، وزنيتُ بها ، وسرقتُ كساءها ، ثم أنصرفتُ عنها .

هو فى حرب الفساد

وذُكر أنّ أبا الطَّمحان القَيْنىّ كان مُجاوراً فى جَديلة من طيئ ، وكانت طيئ قد اقتتلت بينها وتحاربت الحربَ التى يقال لها حربُ الفَساد ، وتحزّبت حِزْبين :

---

(١) السكون : بطن من كندة .
(٢) أنعم له : قال له : نعم .
(٣) سلهبة : طويلة .
(٤) فى الأغانى : « منكم » .
(٥) فى الأغانى : « دونهم » .
(٦) الطفيشل : نوع من المرق .

حزبَ جَديلة وحِزب الغَوث . وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام ، ثلاثة منها للغوث وواحدٌ لجَديلة ، وكانت الكَرَّة على جَديلة فى آخر الأيام الثلاثة التى للغوث ، فانهزمت جديلةُ هزيمةً قبيحةً ، وهَربت فلحقت بكَلب وحالفتهم وأقامت فيهم عشرين سنة . وأسر أبو الطمَحان القَينىّ ؛ أسره رجلان من طيئ اشتركا فيه . فاشتراه منهما بُجير بن أوس بن حارثةَ بن لأم الطائى ، فمدحه بقصيدة ، منها :

إذا قيل أىُّ الناس خَيرٌ قبيلةً ... وأصبرُ يوماً لا تَوارَى[1] كواكبُهْ
فإنَّ بنى لَأم بن عمرو أرومةٌ ... عَلت فوق صَعبٍ لا تُرام[2] مَراقبه
أضاءت لهم أحسابُهم ووُجوههم ... دُجَى اللَّيل حتى نَظَّم الجَزْعَ[3] ثاقبه
لهم مجلسٌ لا يَحْصَرون عن النَّدى ... إذا مَطلب المَعروف أجدبَ راكبه

فأطلقه وجَزَّ ناصيته . فمدحه بعدها بعدّة قصائد .

أنشد إسحاق الموصلى الرشيد من شعره وهو مكتئب فأجازه

وحكى إسحاق الموصلىّ قال :

دَخلتُ يوماً على الرشيد[4] فوجدتُه خاثراً متفكِّرا غير نَشيط، فأَخذتُ أُحادثه بمُلَح الأَحاديث وطُرَفها ، أَستميله لأَن يَضحك ويَنْشط ، فلم يَفعل . وخَطر ببالى بيتان ، فأنشدتُه إياهما ، وهما :

ألا عَلِّلانى قبلَ نَوْح النَّوائح ... وقبل نُشوز النَّفس بين[5] الجَوانح
وقبل غدٍ يا لَهْفَ نَفْسى على غدٍ ... إذا راح أصحابى ولستُ برائح

فتنبَّه كالمُتفزِّع ثم قال : ويحك ! مَن يقول هذا ؟ قلت : أبو الطَّمحان القَينىّ يا أَمير المؤمنين . فقال : صَدق والله ! أَعِدْها . فأعدتُهما عليه حتى حَفظهما . ثم دعا بالطعام فأكل . و بالشَّراب فشَرب ، وأمر لى بعشرين ألف درهم[6] .

---

(١) لا توارى ، أى لا تتوارى . (٢) فى الأغانى : « لا تنال » .
(٣) الجزع : الخرز اليمانى والصينى ، وفيه سواد وبياض ، وهو من أجل ذلك يختلط على الناظم فى الظلام . (٤) فى الأغانى : «المأمون» .
(٥) النشوز : الارتفاع . يريد خروج النفس عند الموت .
(٦) لم يشر ابن واصل إلى الشعر الذى فيه الغناء من أشعار أبى الطمحان ، مع أنه قد ساقه قبل ؛ هو الأبيات البائية المتقدمة .

أخبار الأسود بن يعفر

نسبه — هو الأسود بن يَعْفُر[1] بن عبد الأسود بن جَندل[2] بن نَهشل بن دَارم بن مالك بن حَنظلة بن مالك بن زَيد مَناة بن تَميم . وأُمه من بنى عِجل .

طبقته — شاعر مُتقدِّم فَصيح ، من شُعراء الجاهليّة ، ليس بالمُكْثِر . وجعله ابن سلّام فى الطبقة الثامنة[3] مع خِداش بن زُهير ، والمخبَّل السّعدى ، والنَّمِر بن تَولب .

من العشى وداليته — وهو من العُشْى المَعدودين فى الشُّعراء . وقَصيدته الداليّة مَعدودة من مُختار أشعار العرب ، وأولها :

نام الخَلِيُّ وما أُحِسُّ رُقادِى ... والهمُّ مُحتَضِرٌ لدىَّ[4] وسَادِى

يقول فيها :

ولقد علمتُ لو أنّ عِلْمى نافِعى ... أنّ السَّبِيل سبيلُ[5] ذى الأعْوادِ

ماذا أُؤمِّل بعد آلِ مُحرِّق ... تركوا منازلَهم وبعدَ[6] إيَاد

---

(١) بضم الياء والفاء ، وبفتحها مع ضم الفاء وكسرها .

(٢) فى التجريد : « جرول » .

(٣) مكانه فى الطبقات لابن سلام بين شعراء الطبقة الخامسة. وليس بينهم هناك النمر بن تولب . ونقل البغدادى فى الخزانة (١ : ١٩٥ طبعة بلاق) : « قال السيوطى : وجعله محمد بن سلام فى الطبقة الثانية مع خداش بن زهير والمخبل السعدى والنمر بن تولب » .

(٤) سادى : بائت لا يبرح .

(٥) ذو الأعواد : مخاشن بن معاوية ، من أجداد أكثم بن صيفى . وقيل له : ذو الأعواد ، لسرير كانوا يحملونه عليه لما أسن . أى إن مصير كل حى مصير هذا الجد .

(٦) آل محرق : ملوك الحيرة من لخم. ومحرق — الذى أضيفوا إليه — امرؤ القيس بن عمرو .وقيل غيره . وكان أول من حرق العرب فى ديارهم . وإياد : قبيلة كان فناؤهم على يد سابور ذى الأكتاف .

أهلِ الخَوَرْنق والسَّدير وبارق ... والقَصْرِ ذي الشُّرفاتِ مِن [1] سِنْداد
نَزلوا بأنقرةٍ يَسِيل عليهمُ ... ماء الفُرات يجيء من [2] أطْوَاد
ولقد غَنُوا فيها بأعظَم [3] عِيشةٍ ... في ظِلّ مُلْكٍ ثابت الأَوْتاد
فإذا النَّعيمُ وكُلُّ ما يُلْهَى به ... يوماً يَصِيرُ إلى بِلًى ونَفاد
جَرت الرِّياحُ على رسوم [4] ديارهم ... فكأنما كانوا على مِيعَاد

بين علي بن أبي طالب ومولى لجرير بن يزيد في بيت للأسود

وحكى سنانُ بن يزيد قال:

كنتُ مع مولاي جرير بن يزيد التَّميمي، وهو يسير أمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو يقول:

يا فَرَسي سِيري وأُمّي الشامَا ... وخَلِّفي الأخوالَ والأعمامَا
وقَطِّعي الأجواز [5] والأعلاما ... وقاتِلي مَن خالف الإمَاما
إنّي لأرجو إن لَقِينا العاما ... جَمْعَ بني مَيّة الطَّغاما
أن نقتُل العاصيَ والهُماما ... وأن نُزيل مِن رجالٍ هاما

فلما انتهى إلى مدائن كسرى وقف عليٌّ رضي الله عنه وتوقَّفنا، فتمثّل مولاي قولَ الأسود بن يعفُر:

جرتِ الرِّياحُ على مَحَلّ ديارهم ... فكأنما كانُوا على مِيعاد

فقال له عليّ رضي الله عنه: لِمَ لَمْ تَقُل كما قال الله عز وجل: (كَمْ تَرَكُوا مِنْ

(١) الخورنق: من قصور النعمان بالحيرة، بناه له سنمار، وجزاه النعمان عليه بأن ألقاه من فوقه. والسدير: قصر بالحيرة. وقيل: نهر. وبارق: ماء بالعراق. وسنداد: منزل أسفل سواد الكوفة لإياد.

(٢) أنقرة: بلد بالحيرة. والأطواد: الجبال. والرواية في الأغاني: «يفيض» في الموضعين، مكان: «يسيل، ويجيء».

(٣) في المفضليات: «بأنعم».

(٤) في الأغاني: «محل».

(٥) الأجواز: الفضاء. والأعلام: الجبال.

جَنَّاتٍ وعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ . كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ) . ثم قال : يابن أخى ، هؤلاء كفروا بالنِّعمة فحلّت بهم النِّقمة ، فإياكم وكُفرَ النِّعمة فتحلّ بكم النِّقمة .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الأسود بن يَعْفر ، هو :

لا يَعْـترى شَرْبَنا اللِّحاء وقد   تُوهَبُ فينا القِيانُ[1] والحُلَلُ

وفِتْيـةٍ كالسُّيوف نادمتُهم   لا حَصَرٌ فيهم ولا بَخَـلُ

شعر أخيه حطائط وقد لامته أمه على جوده

وكان له ابنٌ يقال له : الجَرّاح شاعر . وكان له أخ يقال له : حُطائط شاعر ، وهو الذى يقول لما لامتْه أُمه على فَرط جُوده :

أرِينى جَواداً مات هُزْلاً لعلَّنى   أرى ما تَرَيْنَ أو بخيـلاً مُخـلَّدَا

ذَرِينى أكُنْ للمال ربًّا ولا يكُن   لى المـالُ ربًّا تَحْمَدِى غِبَّـه غَدا

ذَرِينى فلا أعيَا بما حَلّ ساحتى   أَسُودُ فأُكْفَى أو أُطِيع المُسوَّدا

ذَرِينى يكُن مالى لِعِرْضِى وِقايةً   يَـقِى المالُ عِرضى قبل أن يتبَدَّدا

(١) الشرب : القوم المجتمعون على الشراب . واللحاء : النزاع . والقيان : جمع قينة ، وهى الأمة المغنية .

أخبار أرطاة بن سهية

نسبه

هو أرطاة بن زُفَر بن عَبد الله بن مالك شدّاد بن عُقْفان بن أبى حارثة بن مُرة بن نُشْبة بن غَيْظ بن مُرّة بن عَوْف بن سَعد بن ذُبْيان .

أمه

وسُهيَّة أمه . وهى بنتُ زامِل بن مَرْوان بن زُهَير . سَبيَّــةٌ من كَلْب .

هو بين ضرار وزفر زوجى أمه

وقد ذُكر أنها كانت لضِرار بن الأزور ، ثم صارت إلى زُفَر ، وهى حاملٌ ، فجاءت بأرطاة من ضِرَار على فراش زُفَر . فلما ترعرع أرطاةَ جاء ضرارٌ إلى الحارث ابن عوف ، فقال له :

يا حارثُ أفكُكْ لى بُنَىّ من زُفرْ ... فى بعض من تُطلق من أَسْرَى مُضَرْ

إن أباهُ امرؤ سَوْء إن[1] كُفِرْ

فأعطاه الحارث إياه، وقال : انطلق بابنك . فأدركه نَهشلُ بن حَرِىّ ابن غَطَفان ، فانتزعه منه وردّه إلى زُفَر . وفى مِصداق[2] ذلك يقول أرطاةُ لبعض أولاد زُفَر :

فإذا خَمِصتُمْ قلتمُ يا عمَّنا ... وإذا بَطِنتم قلتم ابنَ الأَزْوَرِ

وكذلك غلبت أمه سُهيَّةُ على نَسبه .

طبقته

وأرطاةُ شاعرٌ فصيح ، معدود فى طَبقات الشُّعراء المَعدودين[3] فى شُعراء الإسلام فى دولة بنى أمية ، لم يَسْبقها ولم يتأخّر عنها . وكان امرأ صِدْق شريفاً فى قومه جواداً .

---

(١) كفر : أى جحد حقه فى أبوته . (٢) فى الأغانى : « تصداق » .

(٣) فى الأغانى : « من » .

هو وعبد الملك فيما ناقض به ابن البرصاء

وذُكر أنّ أرطاة بن سُهيَّة دَخل على عبد الملك بن مَروان ، فاستنشده شيئاً مما كان يُناقض به شَبِيبَ بن البَرْصاء ، فأنشده :

أبِى كان خيراً من أبيك ولم يَزَل جنِيباً لآبائى وأنت[1] جَنِيبُ

فقال له عبدُ الملك : كذبتَ ! شَبِيبٌ خيرٌ منك أباً . ثم أنشده :

وما زلتُ خيراً منك مُذْ عَضَّ كارهاً برأسك عادىُّ النِّجادِ[2] رَسُوب

فقال له عبد الملك : صدقتَ ! أنت فى نفسك خيرٌ من شَبيب . فعَجِب مِن عبد الملك مَنْ حَضر ، ومِن مَعرفته بسائر الناس على بُعدهم منه فى بَواديهم . وكان الأمرُ على ما قال : شَبِيبٌ أشرفُ أباً من أرطاة ، وكان أرطاةُ أشرفَ فعالاً ونَفَساً من شَبيب .

هو وعبد الملك وقد أسن

وذُكر أنّ أرطاة بن سُهيَّة دَخل على عبد الملك بن مَروان ، فقال له : كيف حالُك يا بن أرطاة ؟ — وكان قد أسنَّ — فقال : ضَعُفت أوصالى ، وضاع مالى ؛ وقَلَّ مِنِّى ما كنتُ أُحِب كَثْرتَه ، وكَثُر ما كنتُ أُحِب قِلَّته . قال : فكيف أنت فى شِعرك ؟ فقال : والله يا أميرَ المُؤمنين ما أَطربُ ولا أَغضبُ ولا أَرغبُ ولا أَرهبُ ، وما يكون الشِّعر إلّا من نَتائج هذه الأَربع ، على أنِّى القائلُ :

رأيتُ المرءَ تأكُله اللَّيالِى كأَكلِ الأرضِ ساقطةَ الحَديدِ

وما تَبْغِى المَنيَّة حين تأتى على نَفس ابن آدمَ مِن مَزيد

وأَعلم أنّها ستَكُرّ حتى تُوَفِّى نَذْرها بأبى الوَليد

فارتاع عبدُ الملك ثم قال : بل تُوَفِّى نَذْرها بك وَيْلك ! ومالى ولك ؟ فقال : لا ترُعْ يا أميرَ المُؤمنين ، فإنما عَنيتُ نَفسى — وكان أرطاةُ يُكنى

(١) الجنيب : الطائع المنقاد .

(٢) عادى : قديم . والنجاد : حمائل السيف . وعادى النجاد : أى سيف قديم . ورسوب : ماض يغيب فى الضريبة ويرسب .

أبا الوليد — فسكن عبدُ الملك ثم أستعبر باكياً وقال : أما والله على ذلك لَتُلِمَّنَّ بى[1] .

بينه وبين ابن قعنب وقد لاحاه

وذُكر أنّ أرطاة بن سُهَيَّة قال للربيع بن قَعنب :

لقد رأيتُك عُرياناً ومُؤتزراً فما عرفتُ أأنثى أنت أم ذَكَرُ

فقال له الربيع : لكن سُهَيَّة — يعنى أم أرطاة — قد عرفت . فغُلِبَ وأنقطع أرطاة .

تمثلت أم هشام بأبيات له حين عابها قرشى على زواجها بعمر بن عبد العزيز بعد ابن سهيل

وذُكر أنّ عبد الرحمن بن سُهَيل بن عمرو تزوّج أمّ هِشام بنتَ عبدِ الله أبن عُمرَ بن الخطّاب رضى الله عنه ، وكانت من أجمل نساء قُرَيش ، وكان يَجِد بها وَجْداً شديداً : فَمرِض مَرْضَته التى هَلك فيها ، فجعل يُدِيم النَّظر إليها وهى عندَ رأسه . فقالت له : إنك لتنظُر إلىّ نَظَر رجُلٍ له حاجة ! قال : إى والله ، إنّ لى إليك حاجةً لو ظفرتُ بها لهان علىّ ما أنا فيه . فقالت: وما هى ؟ قال : أخاف أن تَتزوَّجى بعدى . قالت : فما يُرضيك من ذلك ؟ قال : أن تُوثِّقى لى بالأَيمان المُغلَّظة . فحَلفت له بكُل يَمين سكنتْ إليها نفسُه . ثم هلك . فلما قَضت عِدَّتها خَطبها عمرُ بن عبد العَزيز رضى الله عنه ، وهو إذ ذاك أميرُ المُؤمنين ، فأرسلت إليه : ما أُراك إلّا وقد بلغَتك يَمينى . فأرسل إليها : لك مكانَ كُل عَبدٍ وأَمة عَبدان وأَمتان ، ومكانَ كُلِّ عِلْقٍ عِلْقان[2] ، ومكانَ كُل شىء ضِعْفُه . فتزوَّجته . فدَخل عليها رجلٌ مُغفَّل من مَشيخة قُريش ، فلما رآها مع عُمر خاليةً[3] قال :

تبدلتِ بعد الخَيْزُرَان جريدةً وبعدَ ثيابِ الخَزِّ أحلامَ نائمِ

(١) أى لتنزلن بى .

(٢) العلق : النفيس من كل شىء .

(٣) فى الأغانى : « جالسة » .

فقال له عمر : ويلك جعلتنى! جريدةً وأحلامَ نائم ! فقالت أمّ هاشم : ليس كما قلتَ ، ولكنْ كما قال أرطاة بن سُهيّة :

وكائن ترى من ذات بثٍّ وعَوْلةٍ ... بكت شَجْوَها بعد الحنين المُرجّعِ
وكانت كذات البَوِّ[1] لمّا تعطّفت ... على قِطَع من شِلْوه المتمزِّعِ
متى لا تجِدْه تنصرِفْ[2] لطِيَاتِها ... من الأرض أو تَعْمِد لإلفٍ[3] فتَنْزِعِ
عن الدّهر فاصْفَح إنه غيرُ مُعْتِبٍ ... وفى غير مَن قد وارتِ الأرضُ فاطْمعِ

خبر هذا الشعر وهو فى رثاء ابنه

وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ يَرثى بها أرطاةُ ابنَه عمراً ، وكان مات فجَزع عليه حتى كاد عقلُه يَذهب ، فأقام على قبره وضَرب بيته عنده ، وأقام حولاً لا يُفارقه . ثم إنّ الحَىّ أرادوا الرّحيل لنُجْعة بَغوها ، فغدا على قبره وناداه : رُحْ يا بن سَلْمى معنا . فقال له قومُه : ننشُدك الله فى نَفسك وعَقلك ودينك ! كيف يروح معك مَن مات منذ حَول ؟ فقال : أنظرونى الليلةَ إلى الغداة . فأقاموا عليه ، فلمّا أصبح ناداه : اُغدُ يا بن سَلْمى معنا . فلم يزل الناسُ يُذكّرونه الله ويُناشدونه . فانتضى سيفَه وعَقر راحلته على قبره وقال : والله لا أتبعكم ، فامضُوا إن شئتم أو أقيموا . فرَقُّوا له ورحموه ، وأقاموا عامَهم ذلك وصبروا على مَنزلهم . وقال أرطاةُ هذه القصيدة ، وأولها :

وقفتُ على قبر ابن سَلْمى فلم يكُن ... وُقوفى عليه غيرَ مَبْكًى ومَجْزَعِ
هل أنت ابنَ سلمى إن نظرتُك رائحٌ ... مع الرَّكب أو غادٍ غداةَ غدٍ معى
أأنسى ابنَ سَلْمى وهو لم يأتِ دونه ... من الدّهر إلا بعضُ صَيْفٍ ومَرْبَعِ
وقفتُ على جُثمان عَمرٍو فلم أجِد ... سوى جَدثٍ عافٍ ببَيْداء بَلْقعِ

(١) البو : جلد الحوار يحشى ثم يقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر .
(٢) طياتها ، بالتشديد وخفف للشعر : جمع طية ، وهى الوجه والقصد .
(٣) فى الأغانى : « فتربع » .

وذُكر أنه كان يأتى قبرَ ابنه كُلَّ عشيَّة فيُناديه : هل أنت رائحٌ معى يا بن سَلْمى ؟ ثم ينصرف . ويغدو عليه ويقول له مثلَ ذلك ، فمكث كذلك حولاً ، ثم تمثّل قولَ لَبيد بن ربيعة :

إلى الحولِ ثم اسمُ السلام عليكما ... ومَن يَبْكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أرطاة بن سُهية ، هو : شعره الذى فيه الغناء

أعاذلتى ألا لا تَعْذُلينا ... أقِلّى اللومَ إن لم تَنْفعينا

فقد أكثرتِ لو أغنيتِ شيئاً ... ولستُ بقابلٍ ما تأمُرينا

أخبار جعفر بن علبة

نسبه وكنيته

هو جعفر بن عُلبَةَ بن رَبيعة بن عبدِ يَغوث بن مُعاوية بن صَلاءة بن المُعَقِّل ابن كعب . ويُكنى أبا عارم .

شاعر مخضرم

وهو من مُخضرَمى الدَّولتين : الأُموية والعبّاسية . شاعر مُقِلّ، غَزِل، فارس .

أبوه شاعر

وكان أبوه عُلْبَةَ بن رَبيعة شاعراً أيضاً .

إغارته على بنى عقيل ومقتله

وذُكر أنّ جعفر بن عُلْبَةَ شَرِب الخمر فسكر ، فأخذه الوالى فحَبسه ، فأنشأ يقول فى حَبسه :

لقد زَعموا أنّى سكرتُ ورُبما ... يكونُ الفتى سكرانَ وهْوَ حَليمُ
لعمرُك ما بالسُّكر عارٌ على الفتى ... ولكنّ عاراً أن يُقال لَئيم
وإنّ فتًى دامت مواثيقُ عهده ... على دُونٍ[1] ما لاقيتُه لكَريم

وذُكر أنّ جعفر بن عُلْبة خَرج هو وعلىّ بن جُعدُب الحارثى ، والنَّضر ابن مُضارب ، وأغاروا على بنى عُقيل . وأن بنى عُقيل خَرجوا فى طَلبهم ، وافترقوا عليهم فى الطريق ، ووضعوا عليهم الأرصاد على المَضايق . وكانوا كلما أفلتوا من عُصبة لقيتْهم أُخرى ، حتى انتهَوْا إلى بلاد بنى نَهد ، فرجعت عنهم عُقيل . وقد كانوا فتكوا[2] فيهم ، فذلك حين يقول جعفر بن عُلْبة :

وسائلةٍ عنّا بغَيْبٍ وسائلٍ ... بمَصدقنا فى الحَرب كيف نُحاوِلُ
عشيةَ قُرَّى سَحْبَلٍ إذ تَعطَّفت ... علينا الولايا[3] والعدوُّ المُباسِلُ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « مثل » . (٢) فى الأغانى : « قتلوا » .

(٣) قرى سحبل : موضع فى بلاد بنى الحارث بن كعب . والرواية فى معجم البلدان والحماسة (ص ١٩ طبعة أوربة) : « ألهفى بقرى ... الخ » . والولايا : العشائر والقبائل . والرواية فى الأغانى : « السرايا » . وهى جمع سرية ، وهى الطائفة من الجيش .

إذا ما رُصِدْنا مَرْصَداً فرجتْ لنا ... بأيماننا بيضٌ جَلَتْها الصَّياقل

وقالوا لنا ثِنْتان لا بُدّ منهما ... صُدورُ رِماحٍ أُشْرِعت أو سَلاسل

فقلنا لهم تلكم إذاً بعد كَرّة ... تُغادر صَرْعَى نَهْضُها مُتخاذِل

وقَتْلَى نُفوسٍ فى الحياة زَهيدةٍ ... إذا اُشتَجر الخَطِّىُّ والموتُ نازل

ولم نَدْر إن جِضْنا[1] من الموت جَيضةً ... كم العُمرُ باقٍ والمَدَى مُتطاوِل

لهم صَدرُ سَيفى يومَ بَطحاء سَحْبلٍ ... ولى منه ما ضُمّت عليه الأَنامل

فاستعدتْ عليه بنو عُقيل السرىَّ بنَ عبد الله الهاشمىّ ، عاملَ مكة لأبى جعفر المَنصور ، فأرسل إلى أَبيه عُلْبة بن رَبيعة ، فأَخذه بهم ، وحبسه حتى دفعهم وسائرَ من كان معهم إليه . فأما النَّضرُ فاستُقِيد[2] منه بجراحة ، وأما علىّ بن جُندُب فأفلت من الحبس ، وأما جَعفر بن عُلْبة فأقامت عليه بنو عُقيل بيّنة أنه قتل صاحبهم ، فقُتل به .

رواية أخرى عن مقتله

وذُكر أنّ السبب فى قَتل جعفر بن عُلبة أنه كان يَزُور نساءً من بنى عُقيل ابن كعب ، وكانوا هم و بنو الحارث بن كعب مُتجاورين ، فأخذته بنو عُقيل وكشفوا دبُر قَميصه وضَربوه بالسياط وكتَّفوه ، ثم أَقبلوا به وأدبروا على النِّسوة اللاتى كان يتحدّث إليهن على تلك الحال ، ليَغيظوهنّ ويَفضحوه عندهن . فقال لهم : يا قوم ، لا تَفعلوا فإن هذا الفِعل مُثْلَةٌ ، وأنا أحلف بما يُثلج صُدوركم ألّا أزور بيوتكم أبداً ولا أَلِجَها . فلم يقبلوا ذلك منه . فقال لهم : فإذا لم تفعلوا ذلك فحَسْبكم ما قد مَضى ومُنّوا علىّ بالكَفّ عنّى ، فإنى أَعُدّها نعمةً لكم ويداً لا أكفرها أبداً ، أو فاقتلُونى وأَريحونى ، فأكونَ رجلاً آذى قوماً فى دارهم فقتلوه . فلم يفعلوا ، وجَعلوا يكشفون عورتَه بين أيدى النِّساء ويضربونه ، ويُغرون به سُفهاءهم ،

(١) جاض : عدل وانحرف . ولم يرد هذا البيت فى غير التجريد .

(٢) استقيد منه : اقتص منه .

ثم خَلَّوا سبيله . فلم تَمْض إلا أيامٌ قلائلُ حتى عاد جعفرٌ ومعه صاحبانُ له ، فدفع راحلتَه حتى أولجها البيُوت ، ثم مَضى . فلمّا كان فى نُقْرة من الرّمل أناخ هو وصاحباه ، وكانت عُقيلٌ أقْفَى خَلْق الله للأثر ، فأتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه . وليس مع العُقيليين عصاً ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفر وصاحباه بالسُّيوف ، فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر وافترقوا . فاستعدت عليهم عُقيلُ السّريَّ بن عبد الله الهاشميّ ، عاملَ المنصور على مكة ، فأحضرهم وحَبسهم . فقال جعفرُ بن عُلْبة ، وهو فى الحبس :

عجبتُ لَمسْراها وأنّى تخلّصت ... إلىّ وبابُ السِّجن دُونِىَ[1] مُغْلَقُ

ألمّت فحيَّت ثم قامت فودّعت ... فلما تولّت كادت النفسُ تَزهَق

فلا تَحسبِى أنِّى تخشّعتُ بعدكم ... لشىء ولا أنِّى من الموت أفْرَق

وكيف وفى كَفِّى حُسامٌ[2] مُذَلَّق ... يَعَضُّ بهاماتِ الرِّجال ويَعْلَق

ولا أنّ قَلْبِى يَزْدهيه وعيدُهم ... ولا أننى بالمَشْى فى القَيد أخْرق

ولكنْ عرتْنى مِن هواكِ صبابةٌ ... كما كنتُ ألْقَى منكِ إذ أنا مُطْلَق

فأما الهوى والوُدّ منِّى فطامحٌ ... إليكِ وجُثْمانى بمكّة مُوثَق

شعره الذى فيه الغناء

والبيت الأول والثانى هما اللذان فيهما الغناء ، وافتتح بهما أبو الفرج أخبار جعفر بن عُلبة .

قلت : والذى رواه صاحب الحماسة :

هواى مع الرّكب اليمانين مُصعد ... جَنيبٌ وجُثْمانى بمكة مُوثَق

هو فى موته

قيل : وكان السرىّ ، عامل مكة ، يُؤثر أنْ يدرأ عنه الحَدّ لخؤولة أبى العباس السفّاح فى بنى الحارث ، ولأن أخت جَعفر كانت تحت السرىّ بن عبد الله ،

(١) هذه رواية التجريد والحماسة . والذى فى الأغانى : « بالقفل» مكان « دونى » .

(٢) مذلق : محدد .

وكانت حظيّة عنده ـ إلى أن أقاموا عنده قَسامةً[1] أنه قَتل صاحبهم ، وتوعّدوه بالخُروج إلى أبى جعفر المَنصور والتظلُّم إليه . فحينئذ دعا بجَعفر بن عُلبة فأقاد منه . فلما أُخرج للقَوَد قال له غلام من قومه : أَسقيك شربة من ماء بارد ؟ فقال له : اسكُت لا أُمَّ لك ! إنّى إذاً لمِهْياف[2] . وانقطع شِسْع نَعْله ، فوقف فأَصلحه . فقال له رجل : أما يَشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

أشُدّ قِبالَ نَعْلِى أن يرانى ... عدُوِّى للحوادث مُسْتكِيناَ

وكان الذى تولى ضرب عُنقه نَجْبةُ بن كُليب ، أخو المجنون ، وهو أحد بنى عامر بن عُقيل . فقال فى ذلك :

شفى النفس ما قال ابن عُلْبةَ جعفر ... وقَوْلى له اصبر ليس ينفعُك الصّبرُ
أبا عارمٍ ، فينا عُرامٌ وشدّةٌ ... وبَسطةُ أيمانٍ سواعدُها شُعْر
همُ ضَربوا بالسّيف هامةَ جعفر ... ولم يُنْجِه برٌّ عَريضٌ ولا بَحر
وقُدْناه قَوْد البَكْر قَسراً وعَنوةً ... إلى القبر حتى ضَمّ أثوابَه القبر

لعلبة أبيه فى رثائه

وقال عُلبة يرثى ابنه جعفراً :

لَعمرك إنّى يوم أسلمتُ جعفراً ... وأصحابَه للموت لمّا أُقاتلِ
لَمجْتنبٌ حُبَّ المنايا وإنما ... يَهيج المَنايا كُلُّ حقٍ وباطِل
فراح بهم قومٌ ولا قومَ عندهم ... مُغلَّلة أيديهمُ فى السلاسل
ورُبّ أخٍ لى غاب لو كان شاهداً ... رآه التّباليون[3] لى غيرَ خاذل

(١) القسامة : اليمين ، اسم أقيم مقام المصدر . وقيل : هم الذين يحلفون .
(٢) المهياف : الذى لا يصبر على العطش .
(٣) التباليون : نسبة إلى تباله ، بلد باليمن .

أخبار العجير السلولى

نسبه

هو العُجير بن عُبيد الله بن كعب بن عَبيدة بن جابر بن عمرو بن سَلول ابن مُرة بن صَعصعة[1] .

من شعراء الإسلام وطبقته

شاعر مُقلّ إسلامىّ من شُعراء الدولة الأموية .

وجعله ابنُ سلّام فى طبقة أبى زُبيد الطائى ، وهى الخامسة من طَبقات شُعراء الإسلام .

شعره فى جمل له نحره . وهو الشعر الذى فيه الغناء

وذُكر أنّ العُجير بن عبد الله السّلولى مرّ بقوم يَشربون . فسقوه . فلما انتشى قال : انحروا جَملى وأطعِمونا منه . فنَحروه وطَبخوا وجَعلوا يُطعمونه ويَسقونه ويُغنُّونه بشعرٍ قاله يومئذ ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار العُجير :

عَلِّلانى إنما الدنيا عَلَلْ وأُسقيانى عَلَلاً بعد نَهَلْ

وانشُلا ما اغبرّ من قِدريكما واصبحانى أبعدَ اللهُ الجَمل

أصحبُ الصاحب ما صَاحبنى وأكُفّ اللوم عنه والعَذل

وإذا أتلف مالى[2] لم أقُل أبداً يا صاحِ ما كان فَعل

فلما صحا سأل عن جمله . فقيل له : نحرته البارحة . فجعل يَبكى ويَصيح : واغُرْبتاه ! وهم يَضحكون منه . ثم وَهبوا له بعيراً أرتحله ، وانصرف إلى أهله .

شعره فى امرأته وقد لحظها تكلم فتى فى الحج

وذُكر أنّ العُجير حَجّ ، فنَظر إلى امرأته، وقد كان حَجّ بها معه ، وهى تَلحظ فتًى من بعيد وتُكلِّمه ، فقال فيها :

---

(1) هذا ما ساقه ابن حبيب فى المؤتلف والمختلف (ص ١١٦) عن نسب العجير . وقد ساق أبو الفرج سلسلة النسب عن ابن سلام بخلاف كثير . وانظر خزانة الأدب للبغدادى (٢ : ٢٩٨) والمعارف لابن قتيبة (ص ٤٢) .

(2) فى الأغانى : « وإذا أتلف شيئاً لم أقل » .

أيا ربِّ لا تغفر لعَثْمة ذنبهـا   وإن لم يُعاقبها العُجَيرُ فعاقِبِ
أشارت وعَقْدُ الله بينى وبينها   إلى راكب من دونه ألفُ راكب
حرامٌ عليكِ الحجُّ لا تقرَبِنّه   إذا حان حَجُّ المُسلمات التوائب

شعره إلى امرأته وقد عاتبته على الجود

ومن جيِّد الشعر ومُختاره قول العُجير ، وكان قد أتلف مالَه فى الجُود ، ثم جعل يَدَّان حتى أُثقل بالدَّين ، ثم تطاول إلى مال زَوجته ، فمَنعته وعاتبته على فعله :

سَلِى الطارقَ المُعترّ يا أمّ مالك   إذا ما أتانى بين قِدْرى ومَجْزِرى
أأبسُط وَجهى إنه أوّل القِرى   وأعرض[1] مَعروفى له دون مُنكَرِى
أقِى العِرْضَ بالمالِ التِّلاد وما عسى   أخوكِ إذا ما ضيّع العِرْض يَشترى
إذا مُتّ يوماً فاحضُرى أمّ خالد   تُراثك من طِرْفٍ وسَيفٍ[2] وأقْدر

هو وبعض الأمراء فى غريم

وذكر أنّ العُجير السَّلولى وَقف لبعض الأمراء ، وقد عَلِق به غريم من باهلة ، فقال له :

أتيتُك إنّ الباهلىّ[3] أسترقّنى   بدَيْنٍ ومَطلوبُ الدُّيون رَقيقُ
ثلاثتُنا إن يَسّر الله فائزٌ   بأجر ومُعْطًى حقَّه وعَتيق

فأمر بقضاء دَينه .

وصية عبد الملك لمؤدب ولده بترويتهم شعره

وذُكر أن عبد الملك بن مروان قال لمُؤدِّب ولده : إذا رَوَّيتهم الشعر فلا تُرَوِّهم إلا مثل قول العُجير :

يَبين الجارُ حين يَبين عنّى   ولم تأنسْ إلىّ كِلابُ جارِى

---

(١) فى الأغانى : « وأبذل » .
(٢) الطرف : الكريم من الخيل . والأقدر : الفرس الذى إذا سار وقعت رجلاه مواقع يديه .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « يسوقنى » مكان « استرقنى » .

وتطعنُ جارتى من جَنب بيتى ولم تُستَر بسِتْر من[1] جِدارى
وتأمن أن أُطالع حين آتى عليها وهْى واضعةٌ الخِمار
كذلك هَدْىُ آبائى قديماً توارثه النِّجار عن النِّجار
فهذا[2] هَدْيهم وهمُ[3] أُفتلُونى كما أُفتلَى العَتيق من المِهار

(١) فى بعض أصول الأغانى : « جدار » .
(٢) فى الأغانى : « فهدْيِى هديهم » .
(٣) افتلونى : فطمونى .

أخبار خزيمة بن نهد

نسبه

هو خُزيمة بن نَهد بن زيد بن لَيث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة .

شاعر جاهلى

شاعر مُقل من قُدماء الشعراء فى الجاهلية .

حبه فاطمة وقتله لأبيها

وكان يهوى فاطمةَ بنتَ يذكُر بن عَنزة بن أسد بن رَبيعة بن نِزار ، فخَطبها من أبيها فلم يُزوِّجه إياها ، فقتله غِيلةً . وإيّاها عَنى بقوله :

إذا الجَوزاء أَردفت الثُّريّا ... ظَنَنتُ بآل فاطمةَ الظُّنونا

وحالت دون ذلك من هُمومى ... همومٌ تُخرج الشَّجَن الدَّفينا

أرى ابنةَ يذكُرٍ ظَعَنت فحلّت ... جنوبَ الحَزن يا شَحَطا[1] مُبينا

شعره الذى فيه الغناء وسببه

وكانت صورة قَتله لأبيها أنه قال له : أُحب أن تخرج معى حتى نأتىَ بقَرَظ . وخَرجا جميعاً ، فلما خلا خُزيمة بن نَهد بيذكُر قتله . فلما رَجع ، وليس هو معه ، سأله أهلُه ، فقال : لستُ أدرى أين سلك . فكان فى ذلك شرٌّ بين قُضاعة ونِزار ، أبنى مَعدّ بن عَدنان ، وتكلّموا فيه فأكثروا . ولم يَصِحّ على خُزيمة شىء يطالبونه به ، حتى قال خُزيمة بن نهد الشعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو :

فتاةٌ كأنّ رضابَ العَبير ... بفِيها يُعَلّ به الزَّنجبيلُ

قتلتُ أباها على حُبها ... فتبخلُ إن بَخِلت أو تُنيل

الحرب لمقتل أبى فاطمة

فلما قال هذين البيتين تثاور الحيّان فاقتتلوا وصاروا أحزاباً ، فكانت نِزار

---

(١) ظعنت : ارتحلت . الحزن : ما غلظ من الأرض . يريد موضعاً بعينه .
وشحطا مبينا : بعداً قصيا .

ابن مَعدّ ، وكِندة ، وهى يومئذ تَنتسب فتقول : كندة بن جُنادة بن مَعدّ ؛ وحاء ، وهم يومئذ ينتسبون فيقولون : حاء بن عمرو بن أُد بن أُدد . وكانت قُضاعة تنتسب إلى معد ، وعك يومئذ تَنتمى إلى عدنان ، والأشعريون ينتمون إلى أَشعر بن أُدد . وكانوا يتبـدَّون [1] من تهامة إلى الشـام ، وكانت منازلهم بالصِّفَاح [2] . وكان مَرّ وعُسفان [3] لربيعة بن نزار . وكانت قُضاعة بين مكَّة والطائف . وكانت كِندة ، تسكُن من الغَمر [4] إلى ذات عِرق [5] ، وهو إلى اليوم يُسمَّى غَمر كندة ، وإيَّاهُ يَعنى عُمر بن أبى ربيعة بقوله :

إذا سلكتْ غَمرَ ذى كِندة مع الصُّبح قَصدٌ لها الفَرقدُ
هنـالك إمّا تُعزّى الهوى وإما على إثرهم تَـكمد

وكانت منازل حاء بن عمرو بن أُدد ، والأشعر بن أُدد ، وعك بن عدنان بن أُدد ، فيما بين جُدَّة إلى البحر .

القارظـان

وقيـل : إنّ يذكر بن عَنزة ، الذى قتـله خُزيمة بن نَهد ، هو أحـد القارظَيْن [6] اللذين قال فيهما الهُذلى :

وحتى يَـؤوبَ القـارظان كلاهما ويُنْشَر فى القتلى كُليبٌ لوائلِ

والآخر من عَنزة أيضاً يقال له : أبو رُهْم . خرج يجمع القَرظ فلم يرجع ولم يُعرف له خَبر .

عود إلى حديث الحرب

فلما ظهرت نزار على أن خُزيمة بن نَهد قتل يَـذْكُر بن عَنزة ، قاتلوا قُضاعة أشد قتال ، فهُزمت قضاعة وقُتل خُزيمة ، وخَرجت قُضاعة متفرِّقين ، فسـارت تيم اللات بنُ أسد بن وبرة بنِ تَغلب بن حُلوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة ،

(١) يتبدون : ينزلون البادية .
(٢) الصفاح ، بالكسر : موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة .
(٣) مر : موضع بينه وبين مكة خمسة أميال . وعسفان : من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة .
(٤) الغمر : بئر قديمة بمكة . (٥) ذات عرق : مهل أهل العراق ، وهو الحد بين نجد وتهامة .
(٦) القارظ : جانى القرظ : وهو ورق السلم ، أو ثمر السنط .

وفِرقة من بنى رُفيـدة بن ثور بن كَلب بن وَبْرة ، وفرقة من الأشعريين ، نحوَ البَحرين ، حتى وردوا هَجَر ، وبها قومٌ من النَّبط ، فنزلت عليهم هـذه البُطون وأَجلتْهُم ، وسُميت تلك القبائل تَنوخ ، لأن كاهنتهم الزَّرقاء بنت زُهير لما قالوا لها ، ما تَرين يا زَرقاء ! قالت : مُقام وتَنوخ ، ما وُلد مولود وأُنقفت[1] فَرُوخ . ولحق بهم قومٌ من الأَزد فصاروا فى تَنوخ ، ولحق سـائرَ قُضاعة موتٌ ذَريع . وخرجت فرقةٌ من بنى حُلوان بن عِمران بن الحـاف بن قُضاعة — يقال لهم : بنو زيد — فنزلوا عَبقر ، من أرض الجَزيرة، فنَسج نساؤهم الصُّوف وعمِلوا الزَّرابىّ[2] التى يقال لهـا : العَبقرية ؛ وعملوا البُرود التى يقال لها : التَّزيدية . وأغارت عليهم التُّرك فأَصابتهم ، وسَبت منهم . ومَضت بَهراء حتى لحقت بالتُّرك واستنقذوا ما فى أيديهم من بنى تَزيد ، وسـارت سُليح بن عمران بن الحـاف ابن قُضاعة ، يقودها الحِذْرجان ، حتى نزلوا ناحيـة فلسطين ، على بنى أذينة ، من عاملة . وسـارت أسلم بن الحاف حتى نزلوا من الحِجر إلى وادى القُرى . ثم انتقلت تَنُوخ إلى الحِيرَة . فهم أولُ من اختطّها . وأغار عليهم سابورُ الأكبر ، فقاتلوه . فكان شـعارُهم يومئذ : يا آل عباد الله . فسمُّوا العِباد . وفرَّقهم سابور ، فنزل مُعظمهم بالحَضْر من الجَزيرة، يقودهم الضَّيزن بن مُعاوية التَّنوخى ، وهو الذى تقدَّم ذكره . وأخذ سابور الحَضْر منه . وأغارت حِمْير على بقيّة قُضاعة، وخيّروهم بين أن يُقيموا على خَراج يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم ، فخرجوا — وهم : جَرم ، وكَلب ، والعلاف — فلحقوا بالشام . وأغارت عليهم بنو كِنانة بن خُزيمة بعد ذلك ، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، فانهزموا ولحقوا بالسَّماوة .

---

(١) أنقفت ، بالبناء للمجهول : كسرت عنها بيضها .

(٢) الزرابى : الوسائد والبسط وكل ما اتكىء عليه .

أخبار المغيرة بن حبناء

نسبه ولقبه

هو المُغيرة بن حَبناء بن عمرو بن ربيعة بن أُسيد بن عبد عوف بن ربيعة ابن عامر بن ربيعة بن حَنظلة بن مالك بن زَيد مَناة بن تَميم . وحَبناء لقب غَلب على أبيه ، واسمه جُبير بن عمرو ، ولُقِّب بذلك لِحَبن[1] كان أصابه .

هو وأبوه وأخوه شعراء

والمُغيرة شاعر إسلاميّ من شُعراء الدَّولة الأموية . وأبوه حَبناء شاعر . وأخوه صَخر شاعر ، وكان يُهاجى زياداً الأعجم ، فأفحش كُل واحد منهما على صاحبه ولم يَغلب أحدُهما الآخر ، بل كانا مُتكافئين .

هو وطلحة الطلحات

وذُكر أنّ المُغيرة بن حَبناء قَدِم على طَلحة الطَّلحات الخُزاعى فأنشده :

لقد كنتُ أسعى فى هواكَ وأبتغى ... رِضاكَ وأرجو منكَ مالستُ لاقيَا

وأبذُل نَفسى فى مواطن غيرُها ... أحَبُّ وأعصِى فى هواكَ الأدانيا

حِفاظاً وتَمْسيكاً[2] لما كان بيننا ... لِتَجزِيَنى ما لا إخالُكَ جازيا

رأيتك ما تنفكُّ منك رَغيبةٌ ... تُقصِّر دونى أو تحلُّ ورائيا

أرانى إذا استمطرتُ منك رَغيبةً ... لِتُمْطِرَنى عادت عَجاجاً[3] وسافيا

فأدليتُ دَلْوى فى دِلاء كثيرة ... فأُبْنَ مِلاءً غيرَ دَلوى كما هيا

ولستُ بلاقٍ ذا حِفاظٍ ونَجدة ... من القوم حُرًّا بالخَسيسة راضيا

فإن تَدْنُ منّى تَدْنُ منكَ مودّتى ... وإن تنأ عنّى تَلْقَنى[4] عنك نائيا

---

(١) الحبن : ورم فى البطن . (٢) تمسيكا : صيانة .

(٣) استمطر : طلب . والرغيبة : مايطلب وما يرغب فيه . والعجاج : الغبار . والسافى : الريح التى تحمل التراب . (٤) فى الأغانى : « تلفنى » .

فلما أنشده الشعر قال له : أمَا كُنّا أعطيناك شيئاً ؟ قال : لا . قال : فأمر طلحة خازنَه فأخرج دُرْجاً فيه حِجارةُ ياقوت ، فقال له : أُختر حجَرَين من هذه الأحجار أو أربعين ألفَ درهم . فقال : ما كنتُ لأَختار حجارةً على أربعين ألفَ دِرهم . فأَمر له بالمال . فلمّا قَبضه سأله حجراً منها ، فوهبه له، فباعه بعشرين ألف درهم ، ثم مدحه فقال :

أَرى النـاسَ قد مَلُّوا الفَعال ولا أرى ... بنى خَلف إلا رِواء[1] المَـــوارِدِ

إذا نفعوا عادوا لمن يَنفعونه ... وكائن ترى مِن نافع غــــير عائد

إذا ما انْجلتْ عنهم غَمـاية[2] غَمرة ... من الموت أَجلت عن كرامٍ[3] مَذَاود

يسود غطاريفَ الملوكِ ملوكُهم ... وماجدُهم يعـلو على كل ماجـــد

بينه وبين أخيه فى جوائز المهلب

وذُكر أن المُغيرة بن حَبناء قَدم من عنـد المُهلَّب بن أبى صُفرة ، وهو مَلآن اليد من عطائه ، وكان كثير الإزراء على أخيـه صَخر بن حبناء والعيبِ عليـه ، فقال صخر له :

رأيتُك لمّـا نلت مالاً وعَضَّـنا ... زمانٌ نَرى فى حَدِّ أَنيـابه شَغْبَا

تَجنَّى علىّ الدَّهر : أنك[4] مُذنبٌ ... فأمسكْ ولا تَجعل غِناك لنا ذَنبا

رأى الأصمعى فى شعره لأخيه

وكان الأصمعىّ يقول : لم يقل أحدٌ فى تَفضيل أخٍ على أخيه ، وهما لأبٍ وأم ، مثلَ قول المُغيرة بن حَبناء لأخيه صَخر :

أبوك أَبِى وأنتَ أخِى ولـكنْ ... تفاضلتِ الطبـائعُ والظُّروفُ

وأُمك حين تُنْسَب أُمُّ صِـدْقٍ ... ولـكنّ ابنها طَبِعٌ[5] سَخيف

---

(١) الرواء ، بالفتح : الماء العذب ؛ وبالكسر : من الرى . (٢) فى الأغانى : « غمامة » .

(٣) مذاود : كثيرة الذود والدفع عن العشيرة . الواحد : مذود .

(٤) فى الأغانى : « أنى » .

(٥) الطبع : الدنىء الخلق اللئيمة .

تمثل عبد الملك بهذا الشعر فى أخيه معاوية

وذُكر أنّ عبد الملك بن مروان كان إذا نظر إلى أخيه مُعاوية بن مَروان ، وكان ضَعيفاً، يتمثّل بهذين البيتين .

آخر هجاء لزياد الأعجم له

ووقع بين المُغيرة بن حَبناء وزياد الأعجم تهاجٍ كثيرة . وكان المُغيرة بن حَبناء أبرص ، وأخوه صخر أعور ، وأخوه الآخر مجذوماً . وكان بأبيه حَبن ، فلُقّب حَبناء بذلك . فقال الأعجم يهجوهم :

إن حَبنـاء كان يُدعى جُبيراً ... فَدَعَوْه من لُؤمه حَبناء

ولَدَ العُورَ منه والبُرْص والجَذْ ... مَى وذو الداء يُنْتَج الأدواء

فيقال إن هذه الأبيات آخر ما تَهاجيا به ؛ لأن المُغيرة قال — وقد بلغه هذا الشعر — : ما ذنبنا فيما ذَكر ! هذه أدواء ابتلانا الله تعالى بها ، وإنى لأرجو أن يَجمع الله عليه هذه الأدواء كُلَّها . فبلغ ذلك زياداً من قوله ؛ فكَفَّ عنه ولم يَهجُه عقب هذه الأبيات ، ولا أجابه بشىء . فأمسك عنه ، وتكافآ .

شعره الذى فيه الغناء وسببه

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار المُغيرة بن حَبناء ، هو قوله :

إنّى امرؤٌ كَفَّنى ربِّى ونَزَّهنى ... عن الأُمور التى فى غِبّها وخَمُ

وإنمـا أنا إنسانٌ أعيش كما ... عاش الرجالُ وعاشت قبلىَ الأُمم

وهذا البيتان من قصيدة مَدح بها المُغـيرةُ المُهلَّب بن أبى صُفرة ، وكان سبب قوله إياها أن المُهلَّب أنفـذ بعضَ بنيه فى جيش لقتال الأزارقة ، وقد شذت منهم طائفةٌ تُغـير على نَواحى الأهواز ، وهو يومئذ مُقيمٌ بسابور ، وكان فيهم المُغـيرة ابن حَبناء . فلمـا طال مُقامه واستقر الجيشُ لَحِق بأهله ، فألَمّ بهم وأقام عنـدهم شهراً ، ثم عاد[1] وقد قَفل الجيشُ إلى المُهلَّب . فقيل له : إن الكاتب خَطَّ[2]

(١) فى الأغانى : « عاود » .

(٢) فى الأغانى : « إن الكتاب خطوا » .

على اسمه ، وكتب أنه عصى وفارق مَركزه[١] بغير إذنه . فمضى المُغيرة إلى المُهلَّب وأنشده هذه القصيدةَ واعتذر إليه ، فعَذره وأَمر بإطلاق عطائه و إزالة العَتب عنه . وفيها يقول :

ما عاقنى عن قُفول الجيش إذ قفلوا عِيٌّ بما صَنعوا حولى ولا صَمَمُ

ولو أردتُ قُفُولاً ما تجَهَّمنى إذنُ الأمير ولا الـكُتَّاب إذ رَقموا

(١) فى الأغانى : « مكتبه » .

أخبار سويد بن أبى كاهل

نسبه وكنيته

هو سُوَيد بن أبى كاهل بن حارثة بن حِسْل بن مالك بن عبد سعد بن جُشَم ابن ذُبيان بن كِنانة بن يَشْكر . وذُكر أن آسم أبيه شَبيب . ويكنى سُوَيد : أبا سعد .

طبقته

وجعله محمد بن سلام فى الطبقة السادسة ، وقَرَنه بعَنترة العبسى وطبقته . وهوشاعر متقدِّم من مُخَضرمى الجاهلية والإسلام .

أبوه شاعر

وأبوه أبو كاهل شاعر .

بينه وبين زياد الأعجم

وذُكر أنّ زياداً الأعجم قال يهجو بنى يشكُر :

إذا يَشْكُرىٌّ مسَّ ثوبَك ثوبُه ... فلا تذكرنَّ الله حتى تَطهَّرَا

فلو أنّ من لؤمٍ تموتُ قبيلةٌ ... إذًا لأمات اللؤمُ لاشكَّ يَشْكرا

فأتت بنو يشكُر سويدَ بن أبى كاهل ليهجو زياداً ، فأبى عليهم . فقال زياد :

وأُنبئتُهم يَستصرخون اُبنَ كاهلٍ ... وللّؤم فيهم كاهلٌ وسَنامُ

فإن يأتنا يَرجع سويدٌ ووجهُه ... عليه الخزايا غَبرةٌ وقَتام

دعِىٌّ إلى ذُبيانَ طوراً وتارة ... إلى يشكرٍ ما فى الجميع كِرام

فقال سويد : هذاما طلبتم لى . وكان سويد مُغلَّباً[1] .

ومعنى قول زياد :

* دعِىٌّ إلى ذبيان طوراً وتارة *

---

(١) المغلب : الغالب والمغلوب ، ضد .

هو بين ذبيان ويشكر

فإن أمّ سويد كانت قبل أبى كاهل عند رجل من بنى ذُبيان بن قَيس عَيلان ، فمات عنها ، فتزوّجها أبو كاهل اليشكرىّ ، وكانت فيما يقال حاملا ، فولدت عنده سُويداً ، فاستلحقه أبو كاهل . فكان سُويد إذا غَضب على بنى يشكر أُدّعى إلى ذُبيان ، وإن غضب على ذُبيان أُدّعى إلى يشكر .

شعره الذى فيه الغناء ورأى الأصمعى فيه

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار سُويد ، هو :

بسطتْ رابعةُ الحبلَ لنا ... فوصلنا الحبْلَ منها ما اتّسعْ

كيف تَرجون سِقاطى بعد ما ... جلّل الرأسَ بياضٌ وصَلَع

رُبَّ من أنضجتُ غيظاً صدرَه ... قد تمنّى لىَ موتاً لم يُطَع

ويَرانى كالشَّجا فى حَلقه ... عَسِراً مخرجُه ما يُنتزع

ويُحيِّينى إذا لاقيتُه ... وإذا أمكنه لحمى[1] رَتَع

وأَبيتُ الليلَ ما أهجَعه ... وبعَينىَّ إذا النجمُ طَلَع

وهى من قصيدة كان الأصمعى يفضِّلها ويقدِّمها ويقول : إن العرب كانت تُقدِّمها وتعدُّها من حكمها . وذُكر أنها كانت فى الجاهلية : تُسمّى اليتيمة .

(١) فى الأغانى : « وإذا أمكن من لحمى » .

أخبار العتابى

نسبه

هو كلثوم بن عمرو بن أيّوب بن عُبيد بن حُبيش بن أوس بن مسعود ابن عبد الله بن عمرو بن كلثوم الشاعر ، وهو ابن مالك بن عتاب بن سَعد بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حَبيب بن عمرو بن غَنم بن تَغلب .

شىء عنه

شاعر مترسِّل ، بليغ مطبوع ، مُتصرف فى فنون الشعر ، مقدَّم ، من شُعراء الدولة العباسية . ومَنصور النَّمَرىّ تلميذه وراويته . وكان مُنقطعاً إلى البرامكة ، فوصَفوه للرشيد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ ، وعظُمت فوائده منه . ثم فسدت الحالُ بينه و بين منصور وتباعدت .

الشعراء بباب المأمون وشعر له لم يستطيعوه

وذُكر أن الشعراء كثُروا بباب المأمون فأوذن بهم . فقال لعلىّ بن صالح صاحب المُصلّى : أعرِضْهم ، فمن كان مُجيداً فأوْصِلْه إلىّ ، ومن كان مُتخلفاً فاصرفه . وصادف ذلك شُغلاً من علىّ بن صالح ، كان يريد أن يتشاغل به من أمر نفسه ، فقام مُغضباً وقال : لأعُمَّنَّهم بالحِرمان . ثم جلس لهم ودعا بهم فجعلوا يتغالبون [1] على القُرب منه . فقال لهم : على رِسْلكم ، فإن المَدى أقربُ من ذلك ، هل فيكم من يُحسن أن يقول كما قال أخوكم العتّابى :

ماذا عسى مادحٌ يُثنى عليك وقد ... ناداك فى الوَحْى تَقْديسٌ وتَطْهيرُ

فُتَّ المَدائحَ إلا أنَّ ألسُنَنا ... مُستنطَقات بما تَحوى الضَّمائير

فقالوا : لا والله ، ما فينا من يَحسن أن يقول مثلَ هذا . فانصرفوا جميعاً .

---

(١) يتغالبون : يتسابقون ويتدافعون .

حول التكلف فى شعره

وذكر أبو بكر بن سهل قال :

تذاكرنا شعر العتّابى ، فقال بعضُنا : فيه تكلُّف ؛ ونَصره بعضُنا . فقال شيخٌ حاضر : ويحكم ! أيُقال إنّ فى شعره تكلُّفاً وهو القائل :

رُسُل الضَّمير إليك تَتْرَى بالشَّوق ظالعةً (1) وحَسْرَى
مُتزجِّيات (2) ما يَنِيـ ـنَ على الوَجى من بَعد مَسْرى
ما جَفَّ للعينين بعـ ـدك يا قريرَ العين مَجرى
إنَّ الصَّبابة لم تَدع منِّى سِوى عظم مُعَرَّى
ومَدامِع عَبْرى على كَبِدٍ عليك الدهرَ حَرَّى

وهو الذى يقول :

فلو كان للشُّكر شخص يَبِينُ إذا ما تأمَّله النـاظرُ
لمثَّلتُه لك حتى تراه لِتعلم أنِّى امرؤٌ شاكر

هو والمأمون

وذُكر أنّ المأمون كتب فى إشخاص العتّابى إليه ، فلما دخل عليه قال له : يا كُلثوم ، بلغتْنى وفاتُك فساءتنى ، ثم بلغتْنى وفادتُك فسرّتنى . فقال له : يا أمير المؤمنين ، لو قُسّمت هاتين الكلمتين على أهل الأرض لوسعتاها فضلاً وإنعاماً ، وقد خَصَصتنى منهما بما لم تبلُغه أُمنية ، ولا يَنبسط لسواه أمل ؛ لأنه لا دينَ إلا بك ، ولا دُنيا إلا معك . فقال : سَلْنى . فقال : يدُك بالعطاء أبسطُ من لسانى بالمسألة . فوصلة بصلاتٍ سنية . وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى مَحَلّ .

هو وإسحاق بين يدى المأمون

وذُكر أنّ العتّابى لما دخل على المأمون كان عنده إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، وكان العتّابى شيخاً جميلاً نبيلاً ، فأدناه المأمون وقرّبه ، وأقبل عليه بالمُداعبة

(1) الظالع : الذى يغمز فى مشيته . والحاسر : المتعب .
(2) متزجيات : منساقات . ما ينين : وما يبطئن .

والمزاح . وظَن العتّابى أن المأمون أستخفّ به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الإيناس قبل الإبساس[١] . فاشتبه على المأمون قولُه ، فنَظر إلى إسحاق مُستفهماً . فأومأ إليه ، وغمزه على معناه[٢] حتى فهمه ، ثم قال : يا غلام ، ألف دينار . فأُتى بذلك . فوضعها بين يدى العتّابى ، وأخذوا فى الحديث . ثم غَمز المأمونُ إسحاق بن إبراهيم عليه . فجعل العتّابى لا يأخذ فى شىء إلا عارضه فيه إسحاق . فبقى العتّابى مُتعجّباً . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى فى مسألة هذا الشيخ عن اسمه ؟ قال : نعم ، سَلْه . فقال لإسحاق : من أنت ؟ وما اسمك ؟ فقال : أنا من الناس ، واسمى « كُلْ بَصَل » . فتبسم العتّابى وقال : أما النسب فمعروف ، وأما الاسم فمنكر . فقال له إسحاق : ما أقلّ إنصافك ، أتنكر أن يكون الاسم « كُل بصل » واسمك « كُلْثوم » وما كُلثوم من الأسماء ، أوليس البصل أطيَب من الثوم ! فقال العتابى : لله دَرُّك ! ما أحجّك ! أتأذن لى يا أمير المؤمنين أن أصلَه بما وصلْتنى به ؟ فقال له المأمون : بل ذلك مُوفَّر عليك ، ونأمر له بمثله . فقال إسحاق : أمّا إذ أقْررت ، فتوهّمْنى . فقال : ما أظُنك إلا إسحاقَ الموصلى الذى تناهى إلينا خبره . قال : أنا حيثُ ظننتَ . فأقبل عليه بالتحية والسلام . فقال له المأمون ، وقد طال الحديثُ بينهما : أما إذ قد اتفقتما فانصرفا متنادمَين . فانصرف العتّابى إلى منزل إسحاق فأقام عنده .

رضى الرشيد عنه بعد موجدة عليه

وذُكر أن الرشيد وَجِد على العتّابى ، فدخل سرًّا مع المُتظلمين من غير إذن ، فمَثل بين يدى الرشيد وقال : يا أمير المؤمنين ، قد آذتنى[٣] النـاسُ لك ولنفسى فيك ، وردّنى ابتلاؤهم إلى شُكرك ، وما مع تذكُّرك قناعة بغيرك ، ولنعم الصائنُ لنفسى كنت ، لو أعاننى عليك الصبر ، ولذلك أقول :

(١) الإبساس : أن يمسح الماسح ضرع الناقة ، يسكنها لتدر . يريد : الاطمئنان قبل المداعبة .
(٢) غمزه على معناه ، أى أشار . (٣) فى التجريد : « أدبنى » .

أَخِضْنِى المقامَ الغَمْرَ إن كان غَرّنى ... سَنَا خُلَّبٍ أو زلَّتِ القَدمانِ
أتتركُنى جَدْبَ المَعيشة[1] مُقفِراً ... وكَفَّاكَ من ماء النَّدى تَكِفان
وتجعلُنى سَهْمَ المَطامع بعد ما ... بلَلت يمينى بالنَّدى ولِسانى

فخَرج وعليه الخِلَعُ ، وقد أمر له بجائزة سنية .

شعره الذى فيه الغناء

وهذه الأبياتُ هى الشِّعرالذى فيه الغناء . وافتتح به أبو الفرج أخبار العَتّابى .

هو ويحيى بن خالد وقد سأله فأقل كلامه

وذُكر أن العتّابى كَلَّمَ يحيى بن خالد فى حاجة بكلمات قليلة . فقال له يحيى : لقد نَزر[2] كلامك اليوم . فقال : وكيف لا يَقِلُّ وقد تَكَنَّفنى ذُلُّ المسألة ، وحَيرة الطلب ، وخَوف الرد . فقال : والله لئن قَلّ كلامك لقد كَثُرت فوائده . وقضى حاجته .

هو والعتابى وقد عابه بالأكل فى الطريق

وحكى عثمان الورّاق :

رأيتُ العتّابى يأكُل خُبزاً على الطريق بباب الشام ، فقلت له : ويحك ! أما تَسْتحى ؟ فقال : أرأيت لو كُنا فى دارٍ فيها بقر ، كنت تستحى وتحتشم أن تأكل وهى تراك ؟ فقلت : لا . قال : فاصبر حتى أُعلمك أنهم بَقر . ثم قام فوعظ وقَصّ ودعا ، حتى كثُر الزحام عليه ، ثم قال : رُوى لنا من غير وجه[3] أنّ من دَخل[4] لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار . فما بقى منهم أحد إلا أخرج لسانَه يُومىء به نحو أنفه ، و يقدِّره ليعلم هل يبلغ أرنبة أنفه أم لا . فلما تفرقوا قال لى العتّابى : ألم أُخبرك أنهم بَقر !

هو وصديق له فى ذنب

وذُكر أنّ العتابى أنكر على صديق له شيئاً ، فكتب إليه : إمّا أن تُقر

(١) فى الأغانى : « مفترا » . مكان « مقفرا » .
(٢) فى الأغانى : « ندر » .
(٣) فى الأغانى : « روى لنا غير واحد » .
(٤) فى الأغانى « أنه من بلع لسانه أرنبة ... » .

بذَنبك فيكون إقرارُك حُجةَ علينا فى العفو عنك ، وإلا فطِبْ نفساً بالانتصاف منك ، فإن الشاعر يقول :

أَقْرِر بذَنبك ثم اُطلُب تجاوُزَنا عنه فإن جُحود الذَّنب ذَنبانِ

هو وابن أكثم وقد سأله أن يستأذن له على المأمون

ذُكر أن العتّابى وقف بباب المأمون يلتمس الوُصول إليه ، فصادف يحيى ابن أكثم القاضى جالساً يَنتظر الإذن ، فقال له : إن رأيت — أعزك الله — أن تذكُر أمرى لأمير المُؤمنين إذا دخلتَ فاُفعل . فقال : لستُ — أعزك الله — حاجباً . فقال له : وإن لم تكن حاجباً فقد يَفعل مثلُك مثلَ ما سألت . واُعلم أن الله عز وجل قد جَعل فى كُل شىء زكاة ، وجعل زَكاة الجاهِ رِفد[1] المُستعين . واُعلم أنّ الله عزّ وجلّ مُقبل عليك بالزِّيادة إن شكرت ، أو التَّغيير إن كفرت ، وإنى لك منذ اليوم أصلحُ منك لنفسك ، لأنّى أدعوك إلى اُزدياد فى نِعمتك ، وأنت تأبى . فقال له يحيى : أفعل وكرامة . وخرج الإذن ليحيى . فلما دخل لم يبدأ بشىء بعد السلام إلا بأن استأذن المأمونَ للعتّابى ، فأذن له .

حسده دعبل على شعر له

وذُكر أنّ دعبل بن علىّ الشاعر قال : ما حسدتُ أحداً قطُّ على شعر كما حَسدتُ العتّابىَ على قوله :

هَيبةُ الإخوان قاطعةٌ لأخى الحاجات عن طَلَبه
فإذا ما هِبْتُ ذا أملٍ فات[2] ما أمّلت من سَببه

وهذا سَرقه العتّابى من قول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : الهيبة مقرونة بالخَيبة ، والحياء مقرون بالحرمان ، والفُرصة تمُرّ مرّ السحاب .

أنشد ابن طاهر ثلاثاً فأجازه فيها

وذُكر أن العتّابى دَخل على عبد الله بن طاهر بن الحُسين ، فمَثل بين يديه وأنشده :

---

(١) الرفد ، بالكسر : العطاء والصلة . وبالفتح ، المصدر. (٢) فى الأغانى : « مات » .

حُسن ظنّى وحُسن ما عَوّد اللّـــهُ سِوَاى منك الغَـداة أتى بِى
أىّ شىء يكون أحسنَ من حُسـ ـنِ يقينٍ حَـدا إليـك رِكابى

فأمر له بجائزة . ثم دخلا عليه من الغد فأنشده :

ودُّك يَكفِينيك فى حاجتى ورُؤْيتى كافيتى[1] عن سُؤالْ
وكيف أخشَى الفقرماعشتَ لى وإنما كفّاكَ لى بيتُ مال

فأمر له بجائزة . ثم دخل عليه فى اليوم الثالث فأنشده :

بَهِجاتُ الثِّياب يُخلقها الدّهـ ـر وثوبُ الثَّناء غَضٌّ جَديدُ
فاُكسُنِى ما يَبيد أصلحك اللـــه فإنى[2] أكسوكَ ما لا يَبيد

فأجازه وخلع عليه .

استرضى له جعفر الرشيد بعد سعى النمرى به

وذُكر أن منصور النَّمرى سَعَى بالعتَّابى إلى الرشيد ، فاُغتاظ عليه وطلبه ، فستَره جعفر بن يحيى عنـده مُدة ، وجَعل يستعطفه عليه حتى اُستل ما فى نفسه وأمّنه . فقال يمدح جعفر بن يحيى :

ما زلتُ فى غَمَـرات الموت مُطَّرحاً قد ضاق عنّى فسيحُ الأرض من حِيَلِى
فلم تزل دائباً تَسـعى بلُطْفـك لى حتى اُختلستَ حياتى من يدَىْ أجلى

شعره فى عيادة ابن طـاهر له فى مرضـه

وذكر أنّ العتّابى اُعتلّ ، فعاده عبدُ الله بن طاهر، واُبنُ عمه إسحاق بن إبراهيم المُصعبىّ ، فقال الناس : هـذه خَطرةٌ خَطرتْ ! فبلغ العتّابى ذلك ، فـكتب إلى عبد الله بن طاهر :

قالوا الزيارةُ خَطرةٌ خَطرتْ ونِجارُ بِرِّك[3] ليس بالخَطَرِ
أَبطل مقالهمُ[4] بثانيـــة تَستنفد المَعروف من شُكرى

(١) فى الأغانى : «كافية» . (٢) فى الأغانى : « فالله يكسوك » مكان « فإنى أكسوك» .
(٣) النجار : الأصل . يريد : طبيعة برك . (٤) فى بعض أصول الأغانى : «مقالتهم» .

فلما بلغت أبياتُه عبدَ الله بن طاهر ضَحك من قوله ، ورَكب إليه هو وأبن عمه إسحاق فعاداه مرةً ثانية .

شعره إلى ابن هشام يسترضيه

وذُكر أن عبد الله بن هشام بن بِسطام التَّغلبي عَتب على العتّابى فى شىء بلغه عنه ، فكتب إليه العتّابى :

لقد سُمْتَنِى الهِجْران حتى أذقتَنى ... عُقوباتِ زَلّاتٍ وسُوءِ مَناقِبِى

فها أنا ساعٍ فى هواك وصابرٌ ... على حَدِّ مَصقول الغِرارَيْن[1] قاضِب

ومُنصرفٌ عما كرهتَ وجاعلٌ ... رِضاك مثالاً بين عَينى وحاجِبى

فرضى عليه ووَصله صلةً سنيّة .

شعره لامرأته وقد ذكرته بحال النمرى وحاله

وذُكر أن العتابى كان مُقيماً برأس عَين ، ومعه أمرأة له من باهلة ، فلامتْه وقالت : هذا منصور النَّمرى قد أخذ الأموال ، فحلّى نساءه ، و بنى داره ، وأشترى ضياعاً ، وأنت هاهنا كما ترى ! فأنشأ يقول :

تلوم على تَرْكِ الغنَى باهليةٌ ... زوى الفقرُ عنها كُلَّ طِرْفٍ[2] وتالدِ

رأت حولَها النِّسوانَ يرفُلن[3] فى الثَّرى ... مقلدةً أعناقُها بالقَلائد

أسرّكِ أنى نلتُ ما نال جَعفرٌ ... من العيش أو ما نال يَحيى بنُ خالد

وأن أميرَ المُؤمنين أعضّنى ... مُعضَّهما بالمُرهفات[4] البَوادر

دَعينى تَجِئْنى مِيتتى مُطمئنةً ... ولم أتَجشَّم هولَ تلك المَوارد

فإن[5] رفيعاتِ الأمور مشوبة ... بمُستودعات فى بُطون[6] الأساود

(١) الغراران : الحدان . وقاضب : قاطع .
(٢) الطرف : الجديد . والتالد : القديم .
(٣) الثرى : يريد الثراء .
(٤) البوادر : التى تثبت فى الضريبة . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « أغصنى مغصهما بالمشرقات » . (٥) فى الأغانى : « رأيت » .
(٦) الأساود : الحيات ؛ جمع : أسود .

أخبار الأبيرد

هو الأبيرد بن المعذّر بن عمرو بن قيس بن عتّاب بن هَرْميّ بن رِياح ابن يَربوع بن مالك بن حَنظلة بن زيد مناةَ بن تميم .

نسبه

شاعرٌ بدويّ من شعراء الإسلام ، من أوّل دولة بنى أمية . ليس بمُكثر ، ولا ممّن وَرد(١) إلى الخلفاء فمدحهم .

شىء عنه شاعرا

وذُكر أنّ الأُبيرد كان يَهوَى امرأةً من قومه ويُجَنُّ بها حتى شُهر ما بينهما ، فحُجبت عنه ، وخَطبها فأبوْا أن يزوِّجوه إياها ؛ ثم خَطبها رجلٌ من ولدِ حاجب ابن زُرارة فتزوّجته ، فقال الأُبيرد فى ذلك :

شعره فى امرأة أحبها تزوجت غيره

إذا ما أردتَ الحُسن فانظُر إلى التى ... تَبَغَّى لقيطٌ قومَه(٢) فتخيّرا
لها بشرٌ لو يدرُجُ الذّر(٣) فوقه ... لبانَ مكانَ الذر فيه وأثّرا
لَعمرى لقد أمكنتِ منّا عدوّنا ... وأَقررتِ للواشى فأَخْنَى(٤) وأَهْجَرا

وذُكر أنّ الأُبيرد الرِّياحى قَدِم على حارثةَ بن بَدر فقال : ألبسنى بُرْدين أدخُلْ بهما على الأمير — يعنى عُبيد الله بن زياد — فكساه ثوبين ، فلم يَرْضهما ، فقال :

استقل كسوة ابن بدر فهجاه

أحارثُ أَمْسِك فَضْل بُرْدَيك إنما ... أجاع وأعرى اللهُ من كُنتَ كاسِيا
وكنتُ إذا استمطرتُ منك سحابة ... لتُمْطِرنى عادت عَجاجاً(٥) وسافِيا

---

(١) فى الأغانى : « وفد » .

(٢) كذا فى الأغانى « وتبغى » أى طلب إلى قومه أن يعينوه . والذى فى التجريد : « تنقى » أى اختار .

(٣) فى التجريد : « النمل » .

(٤) أقررت : خضعت . وأخنى : قال الخنا والفحش . وأهجر : قال الهجر والباطل . والرواية فى الأغانى : « وأقررت للعادى » .

(٥) السافى : الريح تحمل التراب .

أحارثُ عاوِدْ شُرْبَكَ الخمرَ إننى أرى ابنَ زياد عنك أصبح لاهيا

فبلغت أبياتُه هذه حارثة ، فقال : قَبَحه الله ! لقد شَهِد بما لم يعلم .

قلت : وقد تقدّم البيت الأوسط من هذه الأبيات للمُغيرة بن حَبناء ، فإما أن يكون سرقه من الأُبيرد ، و إما أن يكون قد تواردت الخواطر .

رثاؤه أخاه ومنه شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار الأُبيرد ، هما بيتان من أول قصيدة يرثى بها الأُبيردُ أخاه ، وهى من مختار المراثى وجيد الشعر، وهى :

تطاولَ لَيلِى لم أنَمْـه تقلُّباً كأنّ فِراشى حال من دونه الجَمْرُ

أُراقِب من ليلِ التِّمام نُجومَه لدُنْ غاب قُرصُ[1] الشمس حتى بدا الفَجر

تذكَّرت قَوْماً بانَ منّى[2] بنَصره ونائله يا حَبَّذا ذلك الذِّكر

فإن تكن الأيامُ فرّقْن بيننا فقد عذرَتْنى فى صحابته[3] العُذر

وكنتُ أرى هَجْراً فراقكَ ساعةً ألا لا بل الموتُ التفرّق والهَجر

أحقًّا عبادَ الله أن لستُ لاقياً بُريداً طوَالَ الدّهر ما لألأ[4] العُفْر

فتًى إن هو اُستغنى تخرّق فى الغِنى وإن قلّ مالاً لم يؤُد[5] متنَه الفقْر

وسامَى جَسيماتِ الأُمور فنالها على العُسر حتى أدرك العُسْرَ اليُسر

ترى القومَ فى العَزّاء[6] يَنتظرونه إذا ضلّ رأىُ القوم أو حَزَب الأَمر

فليتكَ كنتَ الحىَّ فى الناس باقياً وكنتُ أنا المَيت الذى غَيّب القَبر

فتًى يشترى حُسنَ الثناء بماله إذا السنةُ الشّهباء قَلّ بها القطر

(١) فى الأغانى : « قرن » .

(٢) فى الأغانى: « منا » .

(٣) العذر ، بضمتين وسكن : العاذر : والروايه فى الأغانى : « فقد عذرتنا فى صحابتنا » .

(٤) العفر : الظباء . ولألأت : حركت أذنابها .

(٥) تخرق: أسرف . ولم يؤد : لم يرهق .

(٦) العزاء : الشدة .

كأنْ لم يُصاحبنا بُريدٌ بِغِبْطةٍ ... ولم تأتِنا يوماً بأخباره السَّفْر
لَعمرى لنعم المرءُ[1] عالى نَعِيَّه ... لنا ابنُ عُزيزٍ[2] بعد ما قَصر العَصر
ولما نَعى الناعى بُريداً[3] تغوَّلت ... بى الأرضُ فَرط الحزن وانقطع الظَّهر
عساكر تَغشى النفسَ حتى كأننى ... أخو سَكرة مالت بهامته الخمر
إلى الله أشكو فى بُريد مُصيبتى ... وبَثِّى وأحزاناً تضمَّنها الصدر
وقد كنتُ أستعفى الإله إذا اشتكى ... من الأجر لى فيه وإن سَرَّنى الأجر
وما زال فى عَينىَّ بعدُ غشاوةٌ ... وسَمْعىَ عمّا كنتُ أسمعه وَقْر
على أننى أَقْنَى الحياءَ وأتَّقى ... شماتة أعداء عيونُهمُ[4] خُزْر
فحيّاك عنِّى الليلُ والصبحُ إن بدا ... وهُوجٌ من الأرواح غُدوتها شَهر
سَقى جدثاً لو أستطيع سقيتُه ... بأَوْدٍ[5] فروّاه الرَّواعد[6] والقَطر
ولا زال يَرعى من بلادٍ ثوى بها ... نباتٌ إذا صاب الربيعُ بها نَضر
حلفتُ بربِّ الرافعين أكفّهم ... وربِّ الهَدايا حيث حَلَّ بها النَّحر
ومُجتَمع الحجَّاج حيثُ توافقت ... رِفاق من الآفاق تكبيرها جأْر
يمينَ امرىء آلى وليس بكاذب ... وما فى يمينٍ بتَّها صادقٌ وِزْر
لئن كان أمسى ابنُ المعذَّر ثاوياً ... بُريدٌ لنعم المرءُ غَيَّبه القبر
هو الخلف المعروف والدين[7] والهدى ... ومِسْعرُ حَرب لا كَهام[8] ولا غُمْر

---

(١) عالى : رفع صوته . والنعى : خبر الموت .
(٢) فى الأمالى (٣ : ٣) : « ابن عرين » .
(٣) تنولت ، أى كادت تميد بى . والذى فى التجريد : « تغلغلت » .
(٤) أقنى الحياء : ألزمه . وخزر : ضيقة ، كناية عن اللؤم والخسة .
(٥) أود : مكان . (٦) فى الأغانى : « الروافد » .
(٧) فى الأغانى : « والتقى » مكان « والهدى » .
(٨) مسعر حرب : مثيرها ومهيجها . والكهام : الكليل . والغمر : الذى لم يجرب الأمور .

فتًى كان يُغلى اللحمَ نِيئاً ولحمُه ... رخيصٌ لجاديه[١] إذا تُنزل القِدْر

فتَى الحيِّ والأضيافِ إن رَوَّحتهمُ ... بَليلٌ وزادُ السَّفرِ إن أرمل[٢] السَّفر

إذا جارةٌ حلَّت لديه وفَى بهـا ... فآبت ولم يُهتك لجارته سِـتر

عَفيف على السوآت ما ألتبست به ... صليبٌ فما يُلفَى لعود له كَسر

سلكتَ سَبيلَ العـالمين فما لهم ... وراء الذى لاقيتَ مَعـدًى ولا قصر

وكُل أمرئ يوماً سـيلقى حِمامَه ... وإن نأت الدَّعوى وطال به العُمر

وأبليتَ خـيراً فى الحيـاة وإنما ... ثوابُك عندى اليومَ أن يَنطق الشِّعر

---

(١) يغلى اللحم : يشتريه غاليا . والجادى : طالب المعروف .

(٢) روحتهم : هبت عليهم . وزاد السفر ، أى كافلهم . وأرمل : نفذ زاده .

أخبار منصور النَّمَرى

نســبه

هو منصور بن سَلمة بن الزِّبرقان بن شَريك بن مُطعم الكَبشِ الرَّخَم بن مالك أبن سَعد بن عامر الضَّحيان بن سعد بن الخَزرج بن تيم الله بن النَّمر بن قاسط أبن هِنب بن أَفْصى بن دُعمىّ بن جَديلة بن أَسد بن ربيعة بن نزار .

تلقيب عامر بالضحيان

وإنما سُمى عامر : الضَّحيان ، لأنه كان سَيِّد قومه وحاكمهم ، وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار ، فسُمِّى الضَّحيان .

تلقيب منصور بمطعم الكبش الرخم

وسُمى جد « منصور » : مُطعمَ الكَبش الرَّخَم ، لأنه أطعم ناساً نزلوا به ونَحر لهم ، ثم رفع رأسَه فإذا هو برَخم يحُمْن حول أضيافه ، فأمر أن يُذبح لهم كبشٌ ويُرمى بين أيديهن ، ففعل ذلك ، فنزلن عليه فمزَّقنه . فسُمِّى : مُطعم الكبش الرَّخم .

شيء عنه

وكان مَنصور النَّمرى شاعراً مُجيداً من شُعراء الدولة العبّاسية ، من أهل الجزيرة . وهو تلميذ العتّابى وراويتُه ، وعنه أَخذ ، ومن بَحره أُستقى ، وبمَذهبه تشبَّه . ووصفه العتّابى للفضل بن يحيى بن خالد وقرَّظه عنده حتى أُستقدمه من الجزيرة وأُستصحبه ، ثم وصله بالرشيد وحَظى عنده .

تشبهه بابن أبى حفصة فى تفضيل العباسيين على العلويين

وكان يبلغه تقديمُ الرشيد لمروان بن أبى حفصة وتفضيلُه إياه على الشعراء فى الجوائز ، لِمَا كان يتعاطاه مروانُ من الطَّعن على آل علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنهم — والقَدح فى إمامتهم ، وتَرجيح بنى العباس عليهم . فسلك مَنصور مَسلك مروان فى ذلك ونحا نَحوه ولم يُصرِّح بالهجاء ، كما يفعل مروان ، ولكنّه حام ولم يقع ، وأومأ ولم يحقِّق ، لأنه كان يتشيّع . وكان مروان شديدَ

العداوة لآل أبى طالب ، فكان يَنطق عن نيّة قويّة يقصد بها طلب الدنيا ، فلا يُبقى ولا يَذر .

أسف ابن أبي حفصة على معنى سبقه هو إليه

وذكر أن منصوراً النمرىّ أنشد الرشيد قصيدةً يمدحه بها ويُعرِّض بأولاد علىّ عليه السلام ، ويذكر فيها عَفوَ الرشيد عن يحيى بن عبد الله بن حَسن ابن حَسن — رضى الله عنهم — منها :

يُذلِّل من رِقابِ بَنى علىّ ومَنٍّ ليس بالمَنّ الصَّغيرِ
مَنَنْتَ على ابن عبد الله يحيى وكانَ من الهَلاك[1] على شَفِير
فإنْ شَكروا فقد أنعمتَ فيهم وإلا فالنَّدامةِ للكفور
وإنْ قالوا بَنُو بنتٍ لحقٌّ ورُدُّوا ما يُناسب للذُّكور

فتأسّف مروانُ بن أبى حَفصة على هذا المَعنى ألّا يكون سبق منصوراً إليه ، وإلى قوله من هذه القصيدة :

وما لبنى بنساتٍ من تُراث مع الأعمامِ فى رقّ[2] الزَّبور

هو والرشيد وقد غضب من الإفراط فى مدحه

وذُكر أنّ الرشيد كان يَحتمل أن يُمدح بما يُمدح به الأنبياء فلا يُنكِر ذلك ولا يَرُدّه ، حتى دَخل عليه نَفر من الشُّعراء فيهم رجلٌ من ولد زُهير بن أبى سُلمى ، فأفرط فى مَدحه حتى قال فيه :

* وكأنه بعد الرسول رسول *

فغضب الرشيدُ ولم يَنتفع به أحدٌ يومئذ ، وحَرم ذلك الرجلَ فلم يُعطه شيئاً . وأنشده منصورٌ النَّمرى قصيدةً مدحه بها وهجا آل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فَضجر الرشيدُ ثم قال : يابن اللخناء ، أتظُن أنك تتقرّب إلىّ بهجاء قوم أبوهم أبى ، ونَسبهم نسبى ، وأصلُهم أصلى ، وفَرْعهم فرعى ! فقال : ما شهدنا

(١) فى الأغانى : « الحتوف » . (٢) فى الأغانى : « ورق » .

إلّا بما علمنا . فازداد غضبُ الرشيد ، وأَمر مسروراً فوجأ فى عُنقه[١] ، وأُخرج .
ثم أُدخل إليه يوماً آخر فأنشده :

بَنى حَسَن ورَهطَ بنى حُسين عليكم بالسَّداد من الأُمورِ
فقد ذقتم قِراعَ بنى أبيكم غَداة الرَّوع بالبِيض الذُّكور
أحينَ شَفوكمُ من كلِّ وِترٍ وضمُّوكم إلى كَنف وَثير
وجادتكم على ظمأٍ شديد سماءٌ من نوالهم[٢] الغَزير
فما كان العُقوق لهم جزاءً بفعلهم وإدراك[٣] الثُّؤور
وإنك حين تُبلغهم أذاة وإن ظَلموا لَمحزونُ الضَّمير

فقال له : صدقت ! وإلّا فعلىّ وعلىّ ! وأمر له بثلاثين ألف درهم .

إعجاب الرشيد بشعر له أنشده إياه

وحكى المُفضَّل قال :

حضرت الرشيدَ ، وقد دَخل عليه منصورٌ النَّمرى فأنشده :

ما تَنقضى حَسرةٌ منّى ولا جَزع إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرْتجع
بانَ الشبابُ وفاتتْنى بلذّته صُروفُ دهرٍ وأيامٌ لها خُدَع
ما كنتُ أوفِى شبابى كُنْهَ غِرّته حتى انقضى فإذا الدنيا له تَبع

فتحرّك الرشيدُ لذلك ثم قال : أحسن والله ! لا يتهيّأ لأحدٍ يعيش[٤] حتى يخطُر فى رداء الشباب .

ومن هذه القصيدة :

أىّ امرئٍ باتَ من هارونَ فى سَخَط فليس بالصَّلوات الخمسِ ينتفعُ

---

(١) وجأ فى عنقه : ضربه .
(٢) فى الأغانى : « وجادوكم على ظمأ سديد * سقيتم من نوالهم » .
(٣) الثؤور : جمع ثأر . والذى فى الأغانى : « وآدى للثؤور » .
(٤) فى الأغانى : « لا يهنأ أحد بعيش » .

إنّ المكارم والمعروفَ أوديةٌ أحلّكَ اللهُ منها حيثُ تتسع
إذا رفعتَ امرأً فاللهُ يرفعه ومَن وضعتَ من الأقوام مُتَّضع

نبش الرشيد قبره والقصة فى ذلك

وحكى منصور بن جهور قال :

سألت العتّابى عن سبب غَضب الرشيد عليه . فقال لى : إنّى استقبلت منصوراً النَّمرى يوماً من الأيام فرأيته مغموماً واجماً وكئيباً حزيناً ، فقلت له : ما خبرك ؟ فقال : تركت امرأتى تُطْلَق وقد عَسُر عليها ولادُها ، وهى يَدِى ورِجلى والقيِّمة بأمرى وأمر منزلى . فقلت له : لم لا تكتُب على فرجها « هارون الرشيد » ؟ فقال : ليكون ماذا ؟ فقلت : لتلد على المكان . قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لقولك :

إن أَخلف الغيثُ لم تُخلف مخايلُه أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتّسعُ

فقال لى : يا كشخان(١) ، والله لئن تخلّصتِ امرأتى لأذكرنّ قولك هذا للرشيد . فلما ولدت امرأتُه أخبر الرشيدَ بما كان بينى و بينه . فغضب الرشيد لذلك وأمر بطلبى . فاستترتُ عند الفضل بن الرَّبيع . فلم يزل ميلُه(٢) فىّ حتى أذِن لى فى الظهور . فلما دخلتُ عليه ، قال لى : قد بلغنى ما قلتَه للنَّمرىّ . فاعتذرتُ إليه حتى قبل . ثم قلتُ : والله يا أمير المؤمنين ما حمله على الكذب علىّ إلّا وُقوفى على مَيلهِ إلى العَلوية ، فإن أراد أميرُ المؤمنين أن أُنشده شعره فى مَديحهم فعلتُ ؟ فقال : أنشدنى . فأنشدتُه :

شاءٍ من الناس راتع هاملْ يعلّلون النفوسَ بالباطلْ

حتى بلغت إلى قوله :

إلّا مَساعير يَغضبون لها بسَلّة البِيض والقنا الذّابلْ

---

(١) الكشخان : الديوث . (٢) فى الأغانى : « يسأل » .

فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال للفضل بن الربيع : أَحضره الساعة . فبعث الفضلُ فى ذلك، فوَجده قد تُوفى . فأَمر بنبشه و إحراق جُثَّته. فلم يزل الفضلُ يَلْطُف له حتى كَفَّ عنه .

طلبه الرشيد بشعر قاله فاسترضاه بغيره

وذُكر أنّ الرشيد حبس منصوراً النَّمرى بسبب الرَّفض[١] ، فخلَّصه الفضلُ ابن الربيع . ثم بَلغه شعره فى مَدح آل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال للفضل : اُطلُبه. فستره الفضلُ عنده . وجعل الرشيدُ يُلِحّ فى طَلَبه ، حتى قال يوماً للفَضل : ويحك يا فضل ! تَفَوَّتنى النَّمرى ! فقال له : يا سيدى ، هو عندى وقد حصّلته . قال : فجِئْنى به . وكان الفضل قد أَمره أن يُطوِّل شَعره ، و يُكثر مباشرَة الشمس ليشحُبَ لونه وتسوء حاله . فلما رآه قال : السيف ! فقال الفضل : ياسيدى ، ومَن هذا الكلبُ حتى تأمر بقَتله فى مَجلسك ! فقال : أليس هو القائل :

شاءٍ من النـاس راتع هاملْ ... يعلّلون النُّفوس بالبـاطلْ

فقال منصور : لا يا سيدى ، ما أنا قائل هـذا ، ولقد كُذب علىّ ، ولكنّى القائل :

يا مَنزل الحىّ[٢] بالمَغـانى ... أنعِم صباحاً على[٣] بِلاكا

هارون يا خَيرَ من يُرجَّى ... لم يُطع اللهَ مَن عَصاكا

فى خَير دينٍ وخير دنيـا ... مَن أتقى الله وأتقاكا

فأَمر بإطلاقه وتَخْلية سبيله .

---

(١) الرفض : التشيع لآل على . والروافض : فرقة من الشيعة بايعوا يزيد بن على ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين . فأبى ، فتركوه و رفضوه .

(٢) فى الأغانى : « دا المعانى » مكان « بالمغانى » .

(٣) البلى : القدم .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار منصور النمرى ، هو قوله :

يا زائرينا من الخِيامِ ... حيّاكما الله بالسَّلامِ

يحزُننى أنْ أطَفْتُما بى ... ولم تَنالا سوى الكلام

بُورِكَ هارونُ من إمام ... بطاعة الله ذى اُعتصام

له إلى ذى الجلال قُرْبَى ... ليست لعَدْلٍ ولا إمام

أخبار عبد الله بن الحجاج

نسبه

هو عبد الله بن الحجّاج بن مِحصن بن جُندُب بن نصر بن عمرو بن عَبـد غَنم ابن جحّاش بن بَجالة بن مازن بن ثعلبة بن سـعد بن ذُبيان بن بَغيض بن الرَّيث ابن غَطفان بن سعد بن قيس عَيلان بن مُضر بن نزار .

كنيته

ويُكنى أبا الأقرع .

خروجه على عبد الملك

شاعر فاتك من مَعدودى فُرسان مُضر ، وذَوى البأس والنجدة منهم . وكان ممّن خَرج مع عمرو بن سَعيد بن العاص الأشدق على عبد الملك بن مروان . فلما قَتل عبدُ الملك عمْراً خرج مع نَجدة بن عامر الخارج ، ثم هَرب فلَحق بعبد الله بن الزُّبير ابن العوّام ، فكان معه حتى قُتل . ثم أمّنه عبدُ الملك لما جاءه . وقيل : إن لحاقه بنَجْدة كان بعد قَتل ابن الزُّبير .

هو وعبد الملك بعد مقتل الزبير

وذُكر أن عبد الله بن الزُّبير لما قُتل وأَجمع الناسُ على عبد الملك بن مروان ، وكان عبد الله بن الحجّاج من شيعة ابن الزبير ، خاف خوفاً شديداً من عبد الملك ، فاحتال حتى دخل على عبد الملك وهو يُطعم الناس ، وجلس حَجْرَة[1] . فقال له عبدُ الملك : مالك لا تأكل ؟ وهو لا يعرفه . فقال : لا أستحلّ أن آكل حتى تأذن لى . فقال : إنّى قد أذنتُ للناس جميعاً . فقال : إنّى لم أعلم ، أفآكل بأمرك ؟ فقال : كُل . فأكل ، وعبـدُ الملك ينظر إليه ويَعجب من فِعاله . فلما أكل الناسُ جلس عبـد الملك فى مَجلسه ، وجَلس خواصُّه بين يديه ، وتفرّق الناس ، وجاء عبدُ الله بن الحجّاج فوقف بين يديه ، ثم استأذنه فى الإنشاد . فأذن له . فأنشده :

---

(١) حجرة : ناحية . والذى فى الأغانى : « ودخل حجرة » .

أبلغْ أمـــير المُؤمنين بأننى ممّا لقيتُ من الحوادث مُوجَعُ
مُنِعَ القَرارُ فجئتُ نحوك هـاربًا جيشٌ يجُرّ ومِقْنب[1] يتلمّع

فقال له عبـــد الملك : وما خَوفُك ؟ لا أُم لك ! لولا أنك مُريب . فقال عبد الله :

إنّ البــلاد علىّ وهى عَريضــة وعُرت مذاهبُها وسُـــدّ المَطلع

فقال له عبـد الملك : ذلك بما كسبت يداك ، وما الله بظلّام للعبيــد . فقال عبد الله :

إن الذى يَعْصيك منّا بعـدها مِن دينــه وحيـاته[2] مُتودِّع
آتِى رضـــاكَ ولا أعُود لِمثلهـا وأُطيع أمرك ما أمرتَ وأَسمع
أُعطى نصيحتىَ الخليفةَ[3] باخِعًا وخِـــزامةَ الأنف المَقُودِ فأتبع

فقال له عبد الملك : هذا ما لا نَقبله منك إلا بعد المعرفة بك و بذنبك ، فإذا عرفنا الحَوْبة قَبِلنا التوبة . فقال عبد الله :

ولقد وطئتَ بنى سَعيد وطأةً وأبنَ الزُّبير فعرشُه مُتَضَعْضع

فقال عبدُ الملك: لربّ العالمين الحمدُ والمنَّة على ذلك . فقال له عبدُ الله :

مازلتَ تَضرب مَنكبًا عن منكب تعـلو و يسفُل غيرُكم ما يُرْفَع
ووطئتهم فى الحَرب حتى أَصبحوا حَدَثًا يُرَسُّ وغابراً[4] مُتفجِّع
وأَرى الذين رجَوْا تُراث محمـــد أَفَلتْ نُجومهمُ و نَجمك يَسْطع

فقال عبدُ الملك : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ما أنت وذاك ، لا أُم لك ! فقال عبد الله :

---

(١) المقنب : جماعة الخيل زهاء الثلاثين . ويتلمع : تبرق سيوفه ورماحه .

(٢) فى التجريد : «متورع» . (٣) باخعاً : مطيعاً متذللا . (٤) يرس : يذكر .

فحَوى خِلافتهم ولم يظلم بهـا القَرمُ قَرْمُ بنى قُصىّ[١] الأقرع

لا يَشتوى خاوِى نُجومِ أُفّلٍ والبـدرُ مُنبلجاً إذا ما يَطلع

وُضعت أُميـةُ واسطين لقومهم ووُضِعْتَ وَسْطَهمُ فنِعْمَ المَوضع

بيتٌ أبو العاصِى بنـاه برَبوة عالى المَشـارفِ عزُّه ما يُدْفع

فقال له عبـد الملك : إنّ تَوريتك عن نفسك لتُريبنى ، فأىُّ الفَسقة أنت ؟ وما الذى تريد ؟ فقال عبدُ الله :

فأنعش أُصَيْبِيَتى الّذين كأنهم حَجَلٌ تدَّرجُ بالشَّربةِ[٢] جُوَّع

فقال عبد الملك : لا أَنعشهم الله ، وأَجاع أكبادهم . فقال عبد الله :

مالٌ لهم ممّـا يُضَنّ جمعتُـه يومَ القَليب لحِيزَ عنهم[٣] أجمع

فقال له عبد الملك : لعلك أخذتَه من غير حِلّه ، وأَنفقته فى غير حقّه ، وأَرصدته لمُشَاقّة أولياء الله ، وأعددتَه لمُعاونة أعداء الله . فقال عبد الله :

أدنو لتَرْحمنى وتجـبُرَ فاقتى وأراك تَدْفعنى فأين المَـدفع

فتبسّم عبـد الملك وقال له : إلى النار ، فمن أنت الآن ؟ فقال : أنا عبد الله ابن الحجاج ، وقد وطئتُ دارك ، وأكلت طعامك ، وأنشدتُك ، فإن قتلتنى بعد ذلك فأنت بما عليك فى هذا عارف . وعاد إلى الإنشاد ، فأنشده :

ضاقت ثيـابُ المُلبِسين وفضلُهم عنِّى فألْبسنى فثوبُك أوسع

فرمى عبدُ الملك إليـه بِرداء كان على كَتفه ، وقال : البسه ، لا لبستَ ! فالتحف به . ثم قال له عبدُ الملك : أَوْلَى لك والله ، لقد طاولتُك طَمعاً فى أن يقوم

(١) الأقرع : القوى الشديد . والذى فى الأغانى « الأنزع » .

(٢) الحجل : ضرب من الطير . والشربة : موضع .

(٣) حيز عنهم : أبعد .

إليك بعضُ هؤلاء فيقتلَك ، فأبى اللهُ ذلك ، فلا تُجاوِرْنى فى بلد ، وأنصرف آمناً ، وأقم حيثُ شئتَ .

استعاذ بعبد الملك من الحجاج فأعاذه

وذُكر أنّ الحجّاج بن يُوسف الثَّقفى كتب إلى عبد الملك بن مروان يُعرِّفه آثار عبد الله بن الحجّاج و بلاءه فى محاربته ، وأنه بلغه أنه أمّنه ، و يُحرِّضه عليه، و يسأله أن يُنفذه إليــه ليتولّى قتلَه . و بلغ ذلك عبدَ الله بنَ الحجّاج ، فجاء حتى وقف بين يدى عبد الملك بن مروان وأنشده :

أعُــوذ بثو بَيْك اللّذين أرتداهما … كَريم الثّنا من جَيْبه المسكُ يَنفَحُ
فإن كنتُ مأ كولاً فكُنتُ أنت آكلى … و إن كنتُ مذبوحاً فكنتُ أنت تَذبح

فقال عبد الملك ما صنعت شيئاً ! فقال عبد الله :

لأنتَ وخيرُ الظافرين كِرامُهم … عن المُذنب الخاشى العقابَ صَفُوحُ
ولو زَلِقتْ من قبــلِ صَفحِك[1] نعلُه … تَرامى به دَحْضُ المَقــام[2] نَزِيح
نَمى بك إن خانت رجالا عُروقُهم … أُرومٌ ودينٌ لم يَخُنْــك صحيــح
وعِرْقٌ[3] سَرى لم يَسْرِ فى الناس مثلُه … وشــأوٌ على شــأوِ الرِّجال[4] مَتُوح
تَداركنى عفوُ أبن مروانَ بعــد ما … جَرى لىَ من دون الحَيـاة[5] سَنِيح
رفعتُ مُرِيحاً ناظرىّ ولم أكد … من الغمِّ والكَرب الشــديد أُريح

فكتب عبدُ الملك : إلى الحجّاج : إنّى قد عرفتُ من خُبث عبد الله وفسقه ما لا يزيدنى عِلْماً به ، إلا أنه أغتفلنى متنكِّراً ، فدخل دارى ، وتحرَّم بطعامى ، وأستكسانى فكسوتُه ثو باً من ثيابى، وعاذ بى فأعذتُه ، وفى دون هذا ماحظر علىّ

(١) فى الأغانى : « عفوك » مكان « صفحك » .
(٢) الدحض : الزلق . والنزيح : البعيد . والذى فى الأغانى « البريح » وهو : المتعب .
(٣) فى الأغانى : « وعرف » . (٤) متوح : « بعيد » .
(٥) السنيح : « السانح مما يتفاءل به . والرواية فى الأغانى: « جرى لى من بعد الحياة .

دمَه ، وعبدُ الله أقلُّ وأذلُّ أن ينكُثَ عهداً فى قَتله خوفاً من شره ، فإنْ شَكَر النِّعمة فأَقام على الطاعة فلا سبيلَ إليه ، وإن كَفَر ما أُوتى وشاقَّ اللهَ ورسولَه وأَولياءه فالله قاتلُه بسيف البَغى الذى قُتل به نظراؤه ، ومن هو أشدُّ بأساً وشكيمةً منه من المُلحدين ، فلا تَعرض له ولا لأَحد من أهل بيته إلّا بخَير . والسلام .

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عبدالله بن الحجاج ، هو :

طربتَ إلى الحىّ الذين تحمَّلوا ... ببُرقة أَحواذ[1] وأنت طَروبُ

فبِتُّ أُسقّاها سُلافاً مُدامةً ... لها فى عِظام الشاربين دَبيب

وهذان البيتان من قصيدة طويلة منها :

وأنَّى تُرجِّى الوصلَ منها وقد نأت ... وتَبخلُ بالموجود وَهْو[2] قَريب

فمافوقَ وَجدى إذ نأت وجدُ واجدٍ ... من الناس لو كانت بذاك تُثيب

(١) برقة أحواذ : موضع .

(٢) فى الأغانى : « وهى » .

أخبار ناهض بن ثومة

نسبه وشيء عنه

هو أحد بنى كِلاب بن رَبيعة بن عامر بن صعصعة . شاعر بدوىّ فَصيح من شُعراء الدولة العباسية . وكان يَقْدَم البصرة فيُكتب شِعره وتؤخذ عنه اللغة ، و يأخذ عنه الرُّواة ، كالرِّياشىّ وغيره .

وفوده على قثم ووصفه له وليمة

وكان بدويًّا جافياً كأنه من الوحش ، وكان طيِّبَ الحديث . فحكى أنه وفد على قُثَم بن جعفر بن سُليمان بن علىّ بن عبد الله بن العباس مرة فمدحه ، وحكى له أنه انتجع ناحيةَ الشام ، فقَصد صديقاً له من ولد خالدِ بن يزيد بنِ مُعاوية بحَلَب ، قال : فمررتُ بقرية يقال لها : قرية بكر بن عبد الله الهلالىّ ، فرأيتُ دوراً مُتباينة وخِصاصاً[1] قد ضُمّ بعضها إلى بعض ، فإذا ناسٌ كثير مُقبلون ومُدبرون، عليهم ثيابٌ تَحكى ألوان الزَّهر . قال : فقلت فى نفسى : هذا أحد العيدَين : الأضحى أو الفطر . ثم ثاب إلىّ ما عَزب عن عَقلى ، فقلت : خرجتُ من أهلى ببادية البصرة فى صَفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذى أرى ! فبينا أنا واقفٌ متعجِّب أتانى رجلٌ فأخذ بيدى فأدخلنى داراً قَوراء[2] ، وأدخلنى منها بيتاً قد نُجِّد ، فى وجهه فُرش قد مُهِّدت ، وعليها شابٌّ تنال فُروع شَعره منكبيه ، والناسُ حوله سِماطان[3] ، فقلت فى نفسى : هذا الأمير الذى حُكى لنا جُلوسه على السرير وجُلوس الناس بين يديه . فقلت: وأنا ماثل بين يديه : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله و بركاته . فجذب رجلٌ بيدى وقال : اجلس فإن هذا ليس بأمير . فقلت :

---

(١) الخصاص : البيوت من القصب . (٢) قوراء : واسعة .
(٣) السماط : الصف .

وما هو ؟ قال : عروس . فقلت : واثُكْلَ أُمَّاه ! لرُبَّ عَروس رأيته بالبادية أهونُ على أهله من هَنٍ(١) أُمه . فلم أنشب أنْ دخل رجالٌ يَحملون هَنَاتٍ(٢) مُدوَّرات ، أمّا ما خفّ منها فيُحمل حملاً ، وأمّا ما ثَقُل وكَبُر فيدحرج . فوُضع ذلك أمامنا ، وتحلّق القومُ عليه حلقاً . ثم أُتينا بخِرق بيضٍ فأُلقيت بين أيدينا ، فظننتُها ثياباً ، وهممتُ أن أسأل القوم منهـا خِرقاً أقطعها قميصاً ، وذلك أنى رأيتُ لهـا نَسجاً مُتلاحماً لا يَبين له سدًى ولا لُحمة . فلما بسطه القومُ بين أيديهم ، إذا هو يتمزّق سريعاً، فإذا هو — فيما زعموا — صِنفٌ من الخُبز لا أعرفه . ثم أُتينا بطَعام كثير من حُلْو وحامض ، وحارّ وبارد ، فأكثرتُ منه ، وأنا لا أعلم ما فى عَقبه من التَّخَم والبَشَم . وأُتينا بشَراب أحمر فى عِساس(٣) . فقلت : لا حاجةَ لى فيه ، فإنى أخاف أن يقتُلنى . وكان إلى جنبى رجل ناصحٌ أحسن الله جزاءه ، فإنه كان ينصح لى من بين أهل المجلس ، فقال لى : يا أعرابى . إنك قد أكثرت من الطعام ، وإن شربت المـاءَ هَمَى(٤) بطنُك . فلما ذَكر البطن تذكّرتُ شيئاً كان قد أوصانى به أبى والأشياخُ من أهلى ، قالوا : لا تزال حيًّا ما دام بطنُك شديداً ، فإذا اختلف فأَوْصِ . فشربتُ من ذلك الشراب لأتداوَى به ، وجعلتُ أُكثر منه فلا أَمَلُّ شُربه . وتداخلنى لذلك صَلَف لا أعرفه من نفسى ، وبُكاء لا أعلم سببه ولا عِلم لى بمثله ، واقتدارٌ على أمر أظنُّ معه أنى لو أردتُ نَيل السقف لبلغتُه ، ولو ساورتُ الأسد لقتلتُه ، وجعلت أتلفّت إلى الرجل الناصح لى، فتُحدِّثنى نفسى بهَتْم أسنانه وهَشم وجهـه وأنفه ، وأهُم أحياناً أن أقول له : يابن الزانيـة ! فبينا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعـة ، أحدهم قد عَلّق فى عُنقه جَعبـة فارسيَّة مُشنَّجة(٥)

---

(١) الهن : الفرج . (٢) هنات : أشياء .
(٣) عساس : جمع عس ، وهو القدح الكبير .
(٤) همى : انطلق .
(٥) مشنجة : منقبضة .

الطِرفَين ، دقيقة الوسط ، مَشْروجةٌ[١] بالخُيوط شَرْجاً مُنكراً . ثم بدَر الثانى وأستخرج من كُمّه هَنَةً سوداء كفَيشلة الحِمار ، فوضَعها فى فِيه ، وضَرط منها ضُراطاً لم أَسمع ــ و بيتِ الله ــ أعجبَ منه ، ثم حركَ أصابعه على جِحَرة[٢] فيها ، فأخرج منها أصواتاً مُتلائمة تشاكل بعضها بعضاً ، كأنه ــ علم الله ــ ينطق . ثم بدر ثالث عليه قميصٌ وسخ ، ومعه صفّاقتان[٣] فجعل يصفّق بهما بيديه ، إحداهما على الأخرى . فخالطتا بصوتهما ما يفعله الرجلان . ثم بدر رابع عليه قميص وسراويل وخُفّان لا ساق لواحد منهما ، فجعلَ يقفز كأنه يَثب على ظهور العَقارب ، ثم التطّ[٤] بالأرض . فقلت : مَعتوه ورب الكعبة ! ثم مابَرِح مكانه حتى كان أغبَط القوم عندى . ورأيت القوم يَحذفونه[٥] بالدراهم حَذفاً مُنكراً . ثم أرسل النِّساء إلينا : أن أمتعونا من لهوكم هذا . فبعثوا بهم . وجعلنا نسمع أصواتهم من بُعد . وكان فى البيت شابٌ لا آبه له ، فأرتفعت الأصوات بالثناء عليه والدعاء له ، فخرج فجاء بخَشبة عَيناها فى صدرها ، فيها خُيوط أربعة ، فأستخرج من خلالها عُوداً فوضعه خلف أذنه ، ثم حركَ آذانها وحرّكها بخشبة فى يده ، فنَطقت ورب الكعبة . فإذا هى أحسن قَينة رأيتُها قطُّ . وغنَّى عليها فأطربنى حتى أستخفّنى من مَجلسى ، فوثبتُ وجلست بين يديه وقلت : بأبى أنت وأمى ! ما هذه الدابّة فلست أعرفها للأعراب ، وما أراها خلقت إلا قريباً ! فقال : هذا البَربط[٦] . فقلت : بأبى أنت وأمى ! فما هذا الخَيط الأسفل ؟ فقال : الزير[٧] . فقلت : فالذى يليه ؟ فقال : المَثْنَى . فقلت : فالثالث ؟ قال : المَثْلث . قلت : فالأعلى ؟ قال : البَم[٨] . فقلت :

---

(١) فى الأغانى : « مشبوحة » . (٢) يريد : الثقوب .
(٣) فى الأغانى : « مرآتان » .
(٤) التط بالأرض : لصق . والذى فى الأغانى : « التبط » .
(٥) يحذفونه : يرمونه . (٦) البربط : العود .
(٧) الزير : أدق أوتار العود . (٨) البم : الوتر الغليظ .

آمنت بالله أولاً و بك ثانياً و بالبربط ثالثاً و بالبم رابعاً . فضَحك قُثْم بن جعفر حتى سقط . وجعل ناهضٌ يعجب من ضَحكه . ثم كان بعد ذلك يَستعيد هذا الحديث منه و يُطْرِف به إخوانه ، فيُعيده و يضحكون منه .

شعره الذى فيه الغناء

وشعر ناهض الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

يا حبَّذا عملُ الشيطان من عَملٍ إنْ كان من عَمل الشَّيطان حُبِّيهَا
لنظرةٌ من سُليمى اليومَ واحدةٌ أشهى إلىّ من الدُّنيا وما فيها

أخبار المُخبَّل السعدي

نسب

هو الرَّبيع . وقيل : كعب بن ربيعة . وقيل : ربيعة بن مالك بن ربيعة ابن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن قُريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم .

طبقته وكنيته

شاعر فحل ، من مُخضرمى الجاهلية والإسلام . ويكنى : أبا يزيد ، وإياه يعنى الفرزدق بقوله :

وَهب القصائدَ لى النوابغُ إذ مضَوْا ... وأبو يزيد وذو القُروح وجَرْوَلُ

ذو القروح : هو امرؤ القيس . وجرول : الحطيئة . وأبو يزيد : المُخبل .

وجعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة من فُحول الشعراء ، وقَرنه بخداش بن زُهير ، والأسود بن يعفر ، وتميم بن مُقبل .

عمره ووفاته

وعُمِّر المُخبَّل فى الجاهلية والإسلام عُمراً كبيراً . وتُوفى فى خلافة عمر أو عثمان ، رضى الله عنهما ، وهو شيخ كبير .

جزع على ابنه حين خرج للحرب فرد إليه

وذُكر أن ابنه شَيبان بن المُخبَّل هاجر وخرج مع سعد بن أبى وقاص لحرب الفُرس ، فجزع عليه المُخبل جزعاً شديداً ، وكان قد أسنَّ وضَعف ، وافتقر إلى ابنه فافتقده ، فلم يَملك الصبرَ عنه وكاد أن يُغلب على عقله ، وقال أبياتاً منها :

فإن يكُ غُصنى أصبح اليوم ذاوياً ... وغصنُك من ماء الشَّباب رطيبُ

فإنِّى حَنتْ ظَهرى خطوبٌ تتابعت ... فمشيى ضعيفٌ فى الرجال دَبيب

وبلغ عمرَ رضى الله عنه شعرهُ ، فرقّ له وأمر بردّ ابنه ، فرُد إليه .

شعره الذي فيه الغناء

والشعر الذي فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار المخبل ، هو قوله :

أعرفتَ من سَلمى رُسومَ ديار ... بالشطِّ بين مُخفَّقٍ[1] وصَحارِ

وسألتها عن أهلها فوجدتُها ... عمياء جاهلةً عن الأخبار

وهذا الشعر من قصيدة يمدح بها المُخبل علقمَة بن هَوذة ، ويذكر فعله به ، وما وهبه من ماله ، يقول فيها :

فجزى الإله سَراة قومى نَضرةً ... وسقاهمُ بمَشاربِ الأبرارِ

قومٌ إذا خافوا عثارَ أخيهمُ ... لا يُسلمون أخاهمُ لِعثَار

أمثالُ علقمة بن هَوذة إذ سَعى ... يَخشى علىّ مَتالف[2] الأمصار

أثنوا علىّ وأحسنوا وترافدوا ... لى بالمَخاض البُزل[3] والأبكار

(١) الشط : موضع باليمامة . ومخفق : رمل أسفل الدهماء من ديار بنى سعد .

(٢) فى الأغانى : « الأبصار » .

(٣) المخاض : الحوامل من النوق ، أو العشار منها التى أتى على حملها عشرة أشهر . والبزل : التى بلغت التاسعة . والأبكار : التى ولدت أول بطن .

أخبار غيلان بن سلمة

هو غيلان بن سَلَمة بن معتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف

نسبه

ابن قَسِيّ . وهو ثقيف .

وأمهُ سبيعةُ بنت عبد شمس بن عبد مناف ، أُخت أمية .

إسلامه هو وابنه وموته

أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف ، ولم يُهاجر . وأسلم ابنه عامر قبله ، وهاجر ومات بالشام فى طاعون عِمَواس [1] . وأبوه حىّ .

منزلته فى الشعر

وغيلان شاعرٌ مُقل ، ليس بمعروف فى الفُحول .

ابنته بادية ووصف هيت لها

وابنته : باديةُ بنت غيلان ، التى قال فيها هِيتٌ المخنَّث لعُمر بن أم سلمة — وأُمه أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها — أو لأخيه سلمة : إن فتح الله عليكم الطائف فسَل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَهب لك بادية بنت غيلان ، فإنها كحلاء ، شَموعٌ نجلاء [2] ، هَيفاء خَمصانة ، إن مشت تثنّت ، وإن تكلمت تغنّت ، تُقبل بأربع، وتُدبر بثمان [3] ، وبين فَخذيها كالإناء المُكفأ . فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هِيتاً وطرده .

هو وابنه عمار فى مال اتهمه به

وذُكر أن غَيلان بن سلمة تزوّج خالدةَ بنت أبى العاصى بن أمية ، وهى عمة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فولدت له عامراً وعمّاراً . فهاجر عمّار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعَمد خازن كان لغيلان إلى مال له فسرقه وأخرجه من حصنه فدفنه ، وأخبر غيلانَ أن ابنه عماراً سرق ماله وهرب به . فأشاع ذلك غيلانُ

---

(١) عمواس ، بالكسر والفتح وسكون الميم ، أو بفتح أوله وثانيه : كورة من فلسطين قرب بيت المقدس . (٢) الشموع : اللعوب . والنجلاء : الواسعة العينين .

(٣) يريد : عكن البطن ، فإنها إذا أقبلت أربع ، وإذا أدبرت ثمان .

فى الناس . و بلغ خبرُه عماراً ، فلم يعتذر إلى أبيه ولم يذكر له براءته مما قيل له .
فلما شاع ذلك جاءت أَمةٌ لبعض ثقيف إلى غيلان فقالت : أىّ شىء لى عليك إن دللتُك على مالك ؟ قال : ما شئتِ . قالت : تبتاعنى وتُعتقنى ؟ قال : ذلك لك . قالت : فاُخرج معى . فخرج معها ، فقالت : إنى رأيت عبدك فلاناً قد احتفر هاهنا ليلة كذا ودفن شيئاً ، و إنه لا يزال يَعتاده و يراعيه و يتفقّده فى اليوم مرات ، وما أراه إلا المال . فاُحتفر الموضع ، فإذا هو بماله . فابتاع الأَمة فأعتقها . وشاع الخبر فى الناس حتى بلغ اُبنَه ، فقال : والله لا يرانى أبداً غيلانُ ولا ينظر فى وجهى .
فلما أسلم غيلان ، خرج عامر وعمّار مُغاضبين لأبيهما مع خالد بن الوليد .

رثاؤه لابنه عامر

فتُوفى عامر بعَمواس ، وكان فارس ثقيف . فقال غيلان يرثيه :

يا عامُ مَن للخيل لما أحجمت	عن شَــدة مرهوبةٍ وطِعانِ
لو أستطيعُ جعلت منّى عامراً	تحتَ الضُّلوع وكُل حىّ فانى[1]
يا عين بَكّى ذا الحزامة عامراً	للخَيــل يومَ تواقُف وطِعان

لابن واصل عن نساء غيلان العشر

قلت :
وغيلان هــذا ، هو الذى أسلم وتحتــه عشر نسوة . فقــال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اُختر أربعاً منهنّ وفارق سائرَهن .

قصه و فوده على كسرى

وذُكر أن أبا سفيان بن حرب بن أُمية خرج فى جماعة من قُريش ، وثَقيف، يريد العراق ، فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان فقال لهم : إنّا من مسيرنا هذا لعلى خَطر ، ما قُدومنا على ملك جبّار لم يأذن لنا فى القُدوم عليــه ، وليست بلاده لنا متجراً ، ولــكن أيّكم يذهب بالعِير ، فإن أُصيب فنحن بُرآء من دمه ، و إن غَنم فله نصفُ الربح ؟ فقال غيلان بن سـلمة : دعونى إذن ، فأنا لها . فدخل الوادى وجعل يطوف و يضرب بعصاه فروع الشجر ، و يقول :

(١) فى الأغانى : « بين » .

فلو رآنى أبو غيلان إذ حَسرت عنّى الأُمورِ إلى أمرٍ له[١] طَبَقُ
لقال رُغبٌ ورُهبٌ يجمعان معاً حُبُّ الحياة وهول النَّفْس والشَّفق
إمّا بقيتَ على مَجدٍ ومَكرمة أو أُسوةٌ لك فيمن يَهْلِك[٢] الوَرِق

ثم قال : أنا صاحبكم . فخرج فى العِير ، فلما قدم بلاد كسرى تخلّق[٣] ولبس ثوبين أصفرين، وشَهر أمره، وجلس بباب كسرى حتى أُذن له . فدخل إليه و بينهما شُبّاك من ذهب . فخرج إليه التَّرجمان وقال : يقول لك الملك : ما أَدخلك بلادى بغير إذنى ؟ فقال له: لستُ من أهل عَداوة لك ولا أتيتُك جاسوساً لضدٍّ من أضدادك، و إنما جئتُك بتجارة تَستمتع بها ، فإن أردتها فهى لك ، و إن لم تردها وأَذنت فى بَيعها لرعيّتك بعتُها ، و إن لم تأذن فى ذلك رددتُها . فإنه ليتكلّم إذ سمع صوت كسرى فسجد . فقال له الترجمان : يقول لك الملك : لم سجدت ؟ قال : سمعتُ صوتاً عالياً حيث لا ينبغى لأحد أن يعلو صوتُه إجلالاً للملك ، فعلمتُ أنه لا يُقدم على رفع الصوت هناك غير الملك ، فسجدت إعظاماً له . فاستحسن كسرى ما فَعل وأمر له بمِرْفقة[٤] تُوضع تحته . فلما أُتى بها رأى عليها صُورة الملك ، فوضعها على رأسه . فاستجهله كسرى واستحمقه وقال للترجمان : قل له : إنما بعثنا إليك هذه لتجلس عليها . قال: قد علمتُ ، ولكنى لمّا أُتيتُ بها ورأيتُ عليها صورةَ الملك ، فلم يكن حقُّ صُورته على مِثلى أن يجلسَ عليها ، ولكن كان حقّها التعظيم ، فوضعتُها على رأسى ، لأنه أشرف الأعضاء وأكرمُها علىّ . فاستحسن فعلَه جداً . ثم قال له الملك : ألك ولد ؟ قال : نعم . قال : فأيهم أحبُّ إليك ؟ قال : الصغيرُ حتى يكبُر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدَم . فقال كسرى : زه ! ما أدخلك علىّ ودَلّك على هذا القول والفعل إلا حظُّك ، وهذا فِعلُ الحكماء

(١) حسر : انكشف . والطبق : الحال والخطر . (٢) الورق : الفضة .
(٣) أى تطيب بالخلوق . (٤) المرفقة : المخدة والمتكأ .

وكلامُهم ، وأنت من قوم جُفاة لا حكمة فيهم ! فما غذاؤك ؟ قال : خُبز البُر . فقال : هذا العقل[١] من البُر لا من اللّبن والتمر . ثم اشترى منه التجارةَ بأضعاف ثمنها ، وكساه ، وبعث معه من الفُرس مَن بنى له أُطُماً[٢] بالطائف . فكان أول أُطُم بُنى بها .

رثاؤه ابنه نافعا وحزنه عليه

وذُكر أنّ نافع بن غَيلان بن سلمة اُستشهد مع خالد بن الوليد بدُومة الجَندل ، فجَزع عليه غيلانُ وكثُر بكاؤه عليه ، وقال يرثيه :

ما بالُ عَيني لا تُغمِّض ساعةً ... إلّا اعترتْنى عَبرةٌ تَغشانِى

أرعَى نُجوم الليل عند طُلوعها ... وَهْناً[٣] وهُنّ من الغُروب دَوانى

يا نافعاً مَن للفوارس أحجمت ... عن فارس يعلو ذُرَى الأقران

فلو اُستطعتُ جعلتُ منّى نافعاً ... بين اللَّهاة و بين عَكْد[٤] لسانى

وكثُر بكاؤه عليه ، فعُوتب فى ذلك ، فقال : والله لا تسمح عينى بمائها فأَضنّ به على نافع . فلما تطاول العهدُ اُنقطع ذلك من فعله . فقال : بَلِى نافع ، و بَلِى الجزع ، وفَنِى وفنيتِ الدُّموع ، واللحاقُ به قريب .

تعقيب لابن واصل

قلت :

ولعله من هذا أخذ الشاعرُ قولَه :

وكما تَبلى وجوهٌ فى الثرى ... فكذا يَبلى عليهنّ الحَزَنْ

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار غيلان ، هو :

أسْلُ عن سَلمى[٥] علاكَ المَشيبُ ... وتَصابِى الشيخ شىءٌ عَجيبُ

(١) فى التجريد : « الفضل » . (٢) الأطم : القصر ، أو الحصن .

(٣) الوهن : نحو منتصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، أو هو حين يدبر الليل .

(٤) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . وعكد اللسان : وسطه .

(٥) فى الأصول التى بين أيدينا من الأغانى : « ليلى » .

وإذا كانَ النَّسيب بسَلْمَى لذّ فى سَلمى وطاب النَّسيب

إنمـــا شَبَّهْتُها إذ تراءت وعليهـا من عيون[١] رَقيب

بطُلوع الشَّمس فى يوم دَجْن بُكرةً أو حان منهـا غُروب

إنّنى فاْعلم وإنْ عَزّ أهلى بالسُّويداء[٢] الغـداةَ غريب

(١) فى التجريد : « طلوع » .

(٢) السويداء : موضع بالحجاز ، بعد المدينة على طريق الشام . (ياقوت) .

حاجز بن عوف

ثم ذكر أبو الفرج : حاجز بن عوف بن الحارث الأَزدى ، أحـــد صعاليك العرب ، والمَشهورين بالعَدْو منهم . وهو شاعر جاهلى ومُقل ، ليس من مشهورى الشعراء ، ولم أختر له شيئاً .

أخبار الحارث بن الطفيل

نسبه

هو الحارث بن الطفيل بن عبدالله بن مالك بن عمرو بن فَهم بن غَنم بن دَوس ابن عبد الله بن عُدثان بن عُبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نَصر بن الأزد .

من الشعراء المخضرمين

شاعر فارس من مُخضرمى شُعراء الجاهلية والإسلام .

أبوه شاعر ووفوده على النبي صلى الله عليه وسلم

وأبوه الطُّفيل شاعر أيضاً . وهو أول مَن وفد من دَوس إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم . وعاد إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام .

ذُكر أن الطُّفيل والد عمرو الدَّوسى خَرج حتى أتى مكة حاجًّا ، وقد بُعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم وهاجر إلى المدينة ، فقالت قريش للطُّفيل : انظُر لنا ما هذا الرجل — يعنون النبيّ صلى الله عليه وسلم — فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فدعاه إلى الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فأسلم . وعاد إلى قومه فأتاهم فى ليلة مَطيرة ظَلماء ، فلم يُبصر أين يسلُك ، فأضاء له نورٌ فى طَرف سوطه فبهر الناسَ . وكانوا يأخذون بسوطه فيخرج النورُ من بين أصابعهم .

تعقيب لابن واصل

قلت[1] : قد ذكر ابن هشام فى السيرة النبوية أن طُفيلاً سأل رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُعطيه آية يَستعين بها على إجابة قومه له إلى الإسلام . فلما قَدِم على قومه أضاء له نُور ما بين عَينيه ، فخاف أن يظُن قومُه أنها مُثْلة ، فسأل الله تعالى أن يُحوِّل النورَ من بين عَينيه إلى غير ذلك . فتحوّل النور إلى طَرف سوطه .

---

(١) انظر (٢ : ٢١ — ٢٥) من السيرة لابن هشام طبعة الحلبى .

عود إلى وفود الطفيل على النبي صلى الله عليه وسلم

قال أبو الفرج :

فدعا أبويه إلى الإسلام ، فأسلم أبوه ولم تُسلم أُمه . ودعا قومَه ، فلم يُجبه إلا أبو هُريرة رضى الله عنه . ونزل هو وأهلُه فى جبلٍ مَنيع ، فكان يزحف فى عَقَبة[1] ذلك الجبل ويقول :

يا طُولَها من ليلة وعنائها ... على أنّها من بَلدةِ الكُفر نجّتِ

ثم أتى الطفيلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ومعه أبو هريرة ، فقال له : ما وراءك ؟ فقال : بلاد حصينة ، وكُفر شديد . فتوضّأ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : اللهم اُهد دَوْساً — ثلاث مرات — قال أبو هريرة رضى الله عنه : لما صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم خفت أن يدعو على قومى فيهلكوا فصِحْت : واقوماه ! فلما دعا لهم سُرِّى عنى . ولم يُحب الطفيلُ أن يدعو لهم لخلافهم عليه — فقال له : لم أُحبّ هذا منك يا رسول الله . فقال له : إنّ فيهم مثلك كثير .

إسلام جندب فى خمسين من قومه

وكان جُنْدب بن عمرو بن حُمَمة الدَّوسى يقول فى الجاهلية : إنّ للخلق خالقاً لا أعلم ما هو ! فخرج فى خَمسة وسبعين رجلاً من دوس ، حتى أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وأسلموا . وكان جُندب يُقرّبهم إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم رجلاً رجلاً ، فيُسلمون .

شعر الحارث الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار الحارث بن الطفيل ، هو قصيدة أولُها :

يا دارُ من ماوِيَّ بالسَّهبِ[2] ... بُنيتْ على خَطْب من الخَطْبِ

---

(١) العقبة : طريق فى الجبل وعر .

(٢) السهب : موضع .

يقول فيها :

جانيك من يجنى عليك وقد　　تُعدى الصِّحاحَ مبارِكُ الجَرْب

ولرُب مأخوذ بذنب قرينه　　ونجا المُقارف صاحب الذَّنْب [١]

وهذه القصيدة ذكرها فى حَرب وقعت بين دوس و بنى الحارث بن يشكُر ، لم أر التطويل بذكرها .

---

(١) لم يرد هذا البيت فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

أخبار عبد الصمد بن المعذل

نسبه

هو عبد الصمد بن المعذَّل بن غيلان بن الحكم بن البَخْتَرىّ بن ذَريح بن همّام ابن ربيعة بن بشر بن حُمْران بن حِدْرِجان بن عِسَاس بن ليث بن حُدَاد بن ظالم ابن ذُهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لُكَيز بن أفصى بن عبد القَيس ابن أَفْصى بن دُعْمىّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار .

وذُكر أن أفصى أبا عبد القيس، وهو ابن جَديلة ؛ وأَفصى جد بكر بن وائل ، هو أفصى بن دُعمى بن جديلة ؛ وأحدهما غير الآخر ، والنَّسابون يغلطون فيجعلونهما واحداً .

كنيته وأمه

وكنية عبد الصمد بن المعذَّل : أبو القاسم ؛ وأُمه أُم ولد يقال لها : الزرقاء .

شيء عن شعره ومولده ومنشئه

شاعر فَصيح من شُعراء الدولة العباسية ، مصرىّ المولد والمنشأ . وكان هجّاء خبيثَ اللسان .

هو وأخوه أحمد

وكان أخوه أحمد شاعراً ؛ إلا أنه كان عنيفاً ، ذا مروءة ودين وتقدُّمٍ في المعتزلة ، وجاه واسع في بلده وعند سُلطانه ، لا يُقاربه عبد الصمد فيه ؛ فكان يحسُده ويهجوه فيَحلم عنه . وعبد الصمد أشعرُهما .

أبوه وجده شاعران

وكان أبو عبد الصمد المُعذّلُ ، وجدُّه غيلانُ ، شاعرين . والمعذَّل بن غيلان الذى يقول :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى ... أرى صالح الأعمال لا أَستطيعُها

أرى خَلةً فى إخوةٍ[1] وقرابةٍ ... وذى رَحِمٍ ما كان مِثلى يُضيعها

---

(1) فى غير التجريد : « وأقارب » مكان « وقرابة » .

فلو ساعدتْني في المكارم(١) إخوة ... لفاض عليهم بالنّوال ربيعُها

وله أيضاً :

ولست بميّالٍ إلى جانب الغِنَى ... إذا كانت العلياء في جانب الفقرِ

وإنّي لصبّارٌ على ما ينوبني ... وحسبك أنّ الله أثنَى على الصّبر

عبد الصمد وفتى تعشقه هجره

وذُكر أنّ عبد الصمد بن المُعذَّل كان يتعشّق فتًى من المُغنِّين يقال له أحمد ، فغاضبه الفتى وهجره ، فكتب إليه :

سَلْ جَزعي مذ صددتَ عن حالي ... هل خَطر الصبرُ لي على بالِ

لا غيّر اللهُ سوء فِعلك بي ... إن كنتُ أعتبتُ فيك عُذّالي

ولا ذممتُ البكا عليك ولا ... حَمِدتُ حُسن السلوّ مِن سالي

لو كنتُ أبغي سِواك ما جهلتْ ... نفسيَ أنّ الصُّدود أعفَى لي

شعره في الأفشين

وذكر أن عبد الصمد بن المُعذَّل رأى الأفشَين بِسُرّمَن من رأى ، وهو غلام أمرد ، وكان من أحسن النـاس ، وهو واقف على باب الخليفة مع أولاد القواد ، فقال فيه :

أيُّها اللاحِظي بطَرْف كَليلِ ... هل إلى الوَصل بيننا من سَبيلِ

عَلِم الله أنني أتمنَّى ... زَورةً منك عند وقتِ المَقيل

بعد ما قد غدوتَ في القُرطق الجَو ... ن تَهادَى وفي الحُسام الصَّقيل

وتكَفّيت(٢) في المَواكب تختا ... ل عليها تَميل كُلَّ مَميل

وأطلتَ الوقوف منك بباب الـ ... ـقصر تلهو بكُل قالٍ وقيل

وتحدَّثتَ في مُطاردة الصَّيـ ... ـد بخُبرٍ به ورأى أَصيل

(١) فيما بين أيدينا من أصول الأغاني : « قدرة » مكان « إخوة » .

(٢) تكفيت ، أي تكفأت وتمايلت .

ثم نازعتَ فى السِّنان(١) وفى الدّر ع وعِلْمٍ بمُرهفات النُّصول
وتكلّمت فى الطِّراد وفى الطّعـ ـن ووثْب على صِعاب الخُيول
وإذا ما تفرّق القومُ أقبلْـ ـتَ كرَيحانةٍ دنتْ لذُبول
قد كساك الغبارُ منه رداءً فوق صُدْغ وجَفْنِ طَرْف كَحيل
وبَدتْ وُرْدةُ القَسامة من خدّ ك فى مُشرق نقىّ(٢) أسيل
ترشَح المسكَ منك(٣) سالفةُ الظّبـ ـى وجيدُ الأُدمانة(٤) العُطْبول
فأسوف(٥) الغُبار ساعة ألقا ك برَشْف الخدّيْن والتّقبيل
وأحُلُّ القَباء والسّيف من خَصـ ـرك رِفقاً باللُّطف والتّعْليل
ثم نُؤْتَى بما هَويتَ من التّشـ ـريف عندى والبرِّ(٦) والتّدليل
ثم أجلوك كالعَروس على الشّر ب تهادَى فى مُجْسد(٧) مَصقول
ثم أسقيك بعد شُربىَ من ريـ ـقك كأْساً من المُدام(٨) الشَّمول
وأُغنّيك إن هويتَ غناءً غيرَ مُستكره ولا مَمْلول
فإذا أرناحت النفوس اشتياقاً وأحبّ الخليلُ قُرْبَ الخليل
كان ما كان بيننا لا أُسمّـ ـيه ولكنّه شفاء الغَليل

وذكر أن مُتيَّم كانت جاريةً لبعض وجوه أهل البصرة ، فملَكها عبدُ الصمد ابن المعذَّل ، وكانت لا تخرج إلا مُنتقبة . فخرج عبدُ الصمد يوماً إلى نُزهة ، وقَدِمت مُتيَّم إلى القاضى العَنبرى ، فاحتاج أن يُشهد عليها ، فأمرها أن تُسفِر ؛

هو ومتيم والعنبرى القاضى وابن أكثم

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وفى الرمح » مكان « وفى الدرع » .
(٢) الوردة ، بالضم : الحمرة . والقسامة : الحسن . وأسيل : أملس لين .
(٣) فى الأغانى : « منه » .
(٤) السالفة : ماتقدم من العنق . والأدمانة : الشديدة السمرة . والعطبول : الفتية الجميلة .
(٥) أسوف : أشم . (٦) فى الأغانى : « والتبجيل » مكان « والتدليل » .
(٧) المجسد : الثوب المعصفر .
(٨) فى الأغانى : « من الرحيق » .

وقَدم عبد الصمد ، فقيل له : لو رأيت مُتيَّم وقد أسفرها القاضى لرأيت شيئاً حسناً !
فقال عبد الصمد :

ولما سَرت عنها القِناعَ مُتيَّم تَرَوَّح منهـا العَنـبرىُّ مُتيَّماَ
رأى ابن عُبيد الله وهو مُحكَّم عليها لها طَرْفاً عليه مُحكَّما
وكان قديماً كالحَ الوجه عابساً فلمّا رأى منها السُّفور تَبسّما
فإنْ يصْبُ قلبُ العنبرىّ فربما صبابالبيتامى قلبُ يحيى بنِ أكثما

فبلغ قولُه يحيى بن أكثم ، فكتب إليه : عليك لعنة الله ! أى شىء أردت منى حتى أتانى شِعرك[1] من البصرة ؟ فقال لرسوله : قل له : متيَّم أقعدتْك على طريق القافية .

بينه وبين أبى تمام

وذكر أنه جُمع بين أبى تمام الطائى وعبد الصمد بن المعذَّل مجلسٌ ، وكان عبد الصمد سريعاً فى قول الشعر ، وكان فى أبى تمام إبطاء ، فأخذ عبدُ الصمد القرطاس فكتب فيه :

أنت بين اثنتين تبرُز للنا سِ بكلتيهما[2] بوجهٍ مُذالِ
لست تنفكّ طالباً لوصالٍ من حبيبٍ أو راغباً فى نوال
أىّ ماء لِحُرّ وجهك يبقى بين ذُلّ الهوى وذُل السُّؤال

فأخذ أبو تمام القرطاس وخلا طويلاً ، وجاءه وقد كتب فيه :

أفىّ تَنظم قولَ الزُّور والفَنَدِ وأنت أنزرُ مِن لاشىء فى العَددِ
أشرجْتَ قلبك من بُغضى على حُرَق كأنها حركاتُ الرُّوح فى الجسد

فقال له عبد الصمد : يا ماصّ بظر أمه ، يا غثُّ ، أخبرنى عن قولك « أنزر

(١) فى التجريد : « شرك » .
(٢) فى الأغانى : « وكلتاهما » .

من لاشيء فى العـدد » ؟ أخبرنى عن قولك « أشرجت قلبـك » ؟ قلبى مِفرش أو عَيبة أو خُرج فأشرجه ! عليك لعنة الله ! فما رأيت أغثَّ منك . فانقطع أبو تمام انقطاعاً ما رُوى أقبح منه ، وقام فانصرف ، وما راجعه بحرف .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار عبد الصمد بن المعذل، هو :

صرفتُ هواكَ فانصرفا ولم ترعِ[1] الذى سَلَفَا
و بِنْتَ فلم أمُتْ[2] أسفا عليك ولم تَمُتْ أسـفا
كلانا واجـدٌ فى النا س ممّن ملّه خَلَفـا

(١) فى غير التجريد : « ولم تدع » .
(٢) فى غير التجريد : « كلفا » مكان « سلفا » .

أخبار عبد الرحمن بن الحكم

نسبه

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص بن أميــة بن عبد شمس ابن عبد مناف .

أمه

وأمه آمنة بنت صفوان ، وهى أم أخيه مروان بن الحكم .

كنيته وشاعريته

ويكنى أبا المُطرف . شاعر إسلامىّ متوسّط المحلّ فى شُعراء زمانه .

مهاجاته لعبد الرحمن

وكان يُهاجى عبدَ الرحمن بن ثابت الأنصارىّ فيقاومُه و ينتصف منه .

هو بين أخيه مروان ومعاوية

فذكر أنّ مُعاوية بن أبى سفيان عَزل مروانَ بن الحكم عن الحِجاز وولّى سعيدَ بن العاص . فقدم مَروان على مُعاوية . وكان أخوه عبد الرحمن بن الحكم بدمشق، فلما بلغه خبرُ أخيه خرج فتلقّاه ، وقال له : أقم حتى أدخُل إليه قَبلك، فإن كان عَزلك عن موجدة دخلتَ إليه مُنفرداً ، و إن كان عن غير موجدة دخلتَ إليه مع الناس . فأقام مروانُ ومَضى أخوه عبد الرحمن أمامه . فلما قَدم على معاوية دخل إليه وهو يُعشّى الناس ، فأنشأ يقول :

أتتك العِيسُ تنفُخ فى بُرَاها ... تكشّفُ عن مَناكبها[1] القُطوعُ
بأبيضَ مِن أُميــةَ مَضْرِحِىٍّ ... كأنّ جَبِينَه سَيفٌ[2] صَنيع

شعره الذى فيه الغناء

وهذا هو الشعرُ الذى فيه الغناء، واُفتتح به أبو الفرج أخبار عبد الرحمن .

عود إلى تتمة الخبر

فقال له معاوية : أزائراً جئت أم مُفاخراً أم مكاثراً ؟ فقال : أىّ ذلك شئتَ .

---

(١) البرى : جمع برة : وهى حلقة تجعل فى أنف البعير . والقطوع : الطنافس تكون تحت الرحل ؛ الواحد : قطع ، بالكسر .

(٢) المضرحى : السيد الكريم . والصنيع . السيف المجلو .

فقال له : ما أشاء من ذلك شيئاً . وأراد معاويةُ أن يقطعه عن كلامه الذى عَنّ له . فقال له : على أىّ الظّهر أتيتنا ؟ قال : على فرس[١] . قال : ما صفتُه ؟ قال : أجشُّ هَزِيم — يعرِّض له بقول النّجاشى الشاعر له :

ونَجَّى ابنَ حَربٍ سابحٌ ذو عُلالةٍ أجشُّ هزيمٌ والرِّماحُ[٢] دَوانِى

إذا خِلْتَ أطرافَ الرِّماح[٣] ينَلْنه مَرَتْه[٤] به الساقان والقَدمان

فغَضب معاويةُ وقال : أمَا إنه لا يركبه صاحبُه فى الظُّلَم إلى الرِّيَب ، ولا هو ممّن يتسوّر على جاراته ، ولا يتوثّب على كنائنه[٥] بعد هَجعة الناس — وكان عبد الرحمن يُتَّهم بذلك فى امرأة أخيه — فخجل عبد الرحمن وقال : يا أمير المؤمنين ، ما حملك على عَزْلك ابن عمك ! ألخيانة أوْجبت سُخْطاً ؟ أو لرأى رأيتَه وتدبير استصلحته ؟ فقال : بل لتدبير استصلحته . قال : فلا بأس بذلك . وخرج من عنده ، فأتى أخاه مروان ، فأخبره بما جرى بينه و بين مُعاوية . فاستشاط غضباً وقال لعبد الرحمن : قبَحك الله ! ما أضعفك ! أعرّضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصف منك أحجمت عنه ! ثم لَبس حُلَّته وركب فرسه وتقلّد سيفَه ودخل على معاوية . فقال له حين رآه وتبيّن الغضب فى وجهه : مرحباً بأبى عبد الملك ، لقد زُرتنا عند اشتياق منّا إليك . فقال : لا ، ها[٦] اللهِ ، ما زُرتك لذلك ، ولا قَدمتُ عليك فألفيتك إلّا عاقّاً قاطعاً ، والله ما أنصفتنا ولا جَزيتنا جزاءنا ، وكانت السابقة من بنى عبد شمس لآل أبى العاصى ، والصِّهر برسول الله صلّى الله عليه وسلّم لهم ، والخلافة فيهم ، فوصلوكم يا بنى حَرب وشَرّفوكم ، وولَّوكم ! فما عزلوكم ولا آثروا عليكم ،

---

(١) فى الأغانى : « فرسى » .

(٢) السابح : الفرس السريع . والعلالة : البقية . والهزيم : الشديد الصوت .

(٣) فى الأغانى : « تناله » . (٤) مربه : استدرت جريه .

(٥) الكنائن : زوجات الأبناء والإخوة . واحدته . كنة ، جمع نادر .

(٦) هاء التنبيه دخلت على حرف القسم المحذوف ، أو هى بدل من تاء القسم .

حتى إذا وُلِّيتم وأفضى الأمرُ إليكم أبيتم إلا أثرةً وسُوء صَنيعة ، وقُبْحَ قطيعة ؛ فرُويداً رويداً ؛ قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نَيِّفاً وعشرين ، وإنما هى أيام قلائل حتى يُكملوا الأربعين ويعلم امرؤ أين يكون منهم حينئذ ، ثم هم للجزاء بالحُسْنى وبالسُّوء بالمِرْصاد .

فقال له معاوية : عزلتُك لثلاثٍ لو لم يكن منهنّ إلّا واحدة لأَوجبتْ عزلَكَ : إحداهنّ، أنّي أمّرتك على عبدالله بن عامر ، وبينكما ما بينكما ، فلم تستطع أن تشتفىَ منه . والثانية، كراهتُك لأمر زياد . والثالثة، أن ابنتى رَملة استعدتك[1] على زوجها عمرو بن عثمان بن عَفان فلم تُعدها[2] .

فقال له مروان : أما ابن عامر فإنى لا أنتصر منه فى سلطانى ، ولكن إذا تساوت الأقدام عَلِم أين موقعه . وأما كراهتى أمر زياد ، فإن سائر بنى أمية كرهوه ، وجعل الله لنا فى ذلك الكره خيراً كثيراً . وأما استعداء رَملة على عمرو ، فوالله إنى لتأتى علىّ سنة أو أكثر وعندى بنت عثمان فما أكشف لها ثوباً — يعرض بأن رملة إنما تستعدى عليه طلباً للسفاح — فقال معاوية : يابن الوَزَغ[3] ، لست هناك . فقال له مروان : هو ذاك الآن . والله إنى لأبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، وقد كاد ولدى أن يبلغوا العِدة — يعنى أربعين — ولو بلغوها لعلمتَ أين تقع منى . فانخزل معاوية ، ثم قال :

فإنْ أكُ فى شرارِكمُ قليلاً ... فإنى فى خيارِكمُ كثيرُ
بُغاث الطَّير أكثرها فراخاً ... وأُم الصَّقر مِقلاتٌ[4] نَزُور

فما فرغ مروانُ من كلامه حتى استخذى معاويةُ فى يده وخَضع ، وقال له :

---

(١) استعداه : استعان به . (٢) لم تعهدها : لم تنصرها .

(٣) الوزغ : جمع وزغة ، وهى سام أبرص ، دويبة .

(٤) بغاث الطير : أضعفها . والمقلات : التى تضع واحدا ثم لا تحمل . والنزور : القليلة النسل .

لك العُتْبى ، وأنا رَادُّك إلى عملك . فوثب مروان وقال له : كلاّ والله وعيشِك ، لا رأيتنى عائداً إليه أبداً . وخرج . فقال الأحنف بن قيس لمعاوية : ما رأيتُ قطُّ لك سقطة مثلها ! ما هذا الخُضوع لمروان ؟ وأى شىء يكون منه ومن بنى أبيه إذا بلغوا أربعين ؟ وأى شىء تخشاه منهم ؟ فقال له : أُدن منّى أُخبرك بذلك . فدنا منه . فقال له : إن الحكم بن أبى العاص كان أحد من وَفد مع أم حبيبة أختى لما زُفت إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، وهو الذى قد تولّى نقلها إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِد النظر إليه . فلما خرج من عنده قيل له : يا رسول الله ، لقد أحددتَ النظر إلى الحكم . فقال : « ابن المخزومية ، ذاك رجل إذا بلغ ولده ثلاثين ــ أو قال : أربعين ــ ملكوا الأمر من بعدى » . فوالله لقد تَلقّاها مروان من عين صافية . فقال له الأحنف : لا يسمعن هذا منك أحد ، فإنه يَضع من قدرك وقدر ولدك بعدك ، وإن يَقْضِ الله عز وجل أمراً يكن . فقال له معاوية : اُكتمها يا أبا بحر علىّ ، فقد لعمرى صدقتَ ونصحت .

هو ورأس الحسين ويزيد بن معاوية

وذُكر أن رأس الحُسين بن على ــ رضى الله عنهما ــ لمّا حُمل إلى يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ووُضع فى الطَّست بين يديه ، بكى عبد الرحمن بن الحكم، وكان عنده، ثم قال :

أبلغ أميرَ المؤمنين ولا نكن	كمُوتر أقواسٍ وليس لها نَبْــلُ
لَهَامٌ بجَنب الطَّفِّ [1] أدنى قرابةً	من ابن زيادِ الوغد ذى الحسب الرَّذل
سُميّــةُ أمسى نسلُها عَدد الحصى	وبنتُ رسول الله ليس لها نَسْــل

فصاح به يزيد : اُسكت يا بن الحمقاء ! ما أنت وذاك !

(١) الهام : جمع هامة ، وهى الرأس والشريف . يعنى القتلى من آل الرسول . أو لعله يشير إلى ما كانت تزعمه العرب من أن روح القتيل الذى لم يدرك بثأره يصير هامة فلا تزال تصيح عند قبره حتى يدرك بثأره . والطف : موضع قرب الكوفة كان به مقتل الحسين .

وحُكى أنّ عبد الرحمن بن الحكم لما نظر إلى قتلى قُريش يوم الجمل بكى، وأنشأ يقول:

أيا عينُ جُودى بدَمع سَرَبْ على فِتيةٍ من خِيار العَربْ
وما ضَرهم عند حَيْن النُّفوس أىّ أُميرَىْ قُريش غَلب

هو ومعاوية وقد استلحق زيادا

وذُكر أن معاوية بن أبي سفيان لما أُستلحق زيادَ بن سُمية، قال عبدالرحمن أبن الحكم - والناس ينسبونها إلى أبن مفرّغ لكثرة هجائه آل زياد، وذلك غلط -:

ألا أبلغ مُعاوية بن حربٍ مُغلغلةً من الرجُل[1] الهِجانِ
أتغضب أن يقال أبوكَ عفٌّ وترضى أن يُقال أبوك زانى
وأشهد أنها ولدت زياداً وصخرٌ من سُمية غير دانى
وأشهد أن رِحْمَك من زياد كرِحْم الفِيل من وَلد الأتان

فبلغ ذلك مُعاوية، فحلف ألّا يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد. فخرج عبد الرحمن إلى زياد، فلما دخل عليه قال: إيه ياعبد الرحمن، أنت القائل:

ألا أبلغ معاوية بن حرب مُغلغلةً من الرّجلِ الهجانِ

فقال: لا، أيها الأمير، ما هكذا قلت! ولكنى قلت:

ألا من مبلغ عَنى زياداً مُغلغلةً من الرجل الهجان
من أبن القَرم قَرم بنى قُصىّ أبى العاصى بن آمنةَ الحَصان
حلفتُ بربِّ مكةَ والمصلَّى وبالتوراة أحلفُ والقُران
لأنت زيادةٌ فى آل حرب أحبُّ إلىّ من وُسْطى بَنانى
سُررت بقُربه وفرحت لمّا أتانى الله منه بالبيان
وقلت لهم أخو ثقةٍ وعَمٌّ بعون الله فى هذا الزمان
كذاك أراك والأهواء شتّى فما أدرى بغَيبٍ ما ترانى

(١) المغلغلة: الرسالة التى تحمل من بلد إلى بلد. والهجان: الرجل الحسيب.

فرضى عنه زياد ، وكتب له بذلك إلى معاوية ، فلما دخل عليه قال : أنشدنى ما قلتَ لزياد . فأنشده . فتبسّم وقال : قَبح الله زياداً ما أجهله ! والله لَمَا قلتَه له أخيراً حيث تقول :

* لأنت زيادة فى آل حرب *

شرٌّ من الأول ، ولـكنّك خدعته ، فجازت خديعتُك عليه .

أخبار عمرو بن مسعدة (*)

شعره الذي فيه الغناء

ثم ذكر أبو الفرج عمرو بن مَسْعدة بن البَخْتريّ بن المُغيرة بن أبى صُفْرة .

وهو القائل فى نائلة بنت عُمر بن يزيد الأسدى ، وكان يهواها ، وهو الشِّعر الذى فيه الغناء وأورد به أبو الفرج أخبار عمرو بن مسعدة :

قُولا لنائلَ ما تَقضين فى رَجُل يهوى هواكِ وما جَنَّبته اُجتنبا

يُمسى معى جَسدى والقلب عندكمُ فما يعيش إذا ما قلبُه ذَهبا

وأم نائلة هذه عاتكة بنت الفُرات بن معاوية البكَّاء . وأُمها المُلاءة بنت زُرارة بن أَوفى . وكان أبوها فقيهاً مُحدِّثاً من النابغين . وقد شبَّب الفرزدق بالملاءة وبعاتكة ابنتها .

حكاية لعاتكة

ولعاتكة بنت المُلاءة هذه حكاية طريفة فى أخذها ثأر ذات النِّحيين من الرجال . وذُكر أن خوّات بن جُبير رأى امرأة فى الجاهلية ومعها نِحيا سمن ، فقال لها : أريني هذا . ففتحت له أَحد النِّحيين ، فنَظر إليه ثم قال : أمسكى . فأمسكته بإحدى يديها . ثم قال : أريني الآخر . ففتحته ، ثم دفعه إليها ، فأمسكته بيدها الأخرى . فلما شَغل يديها وقع عليها فلم تقدر على الامتناع خوفاً من أن يذهب السمن . فضَربت العرب المثل بذلك ، وقالت : أشغل من ذات النِّحيين . فخرجت عاتكة بنت الملاءة المذكورة إلى بعض بوادى البصرة ، فلقيت بدويًّا ومعه نِحْيا سمن ، فقالت . يا بدوى ، أتبيع هذا السمن ؟ فقال : نعم . فقالت : أرناه . ففتح لها نِحياً فنظرت إلى ما فيه ثم ناولته إياه ، ثم فتحت الآخر ونظرت إلى ما فيه وناولته أيضاً إياه . فلما شَغلت يديه أمرت جواريها فجعلن يركلن فى اُسْته ، وجعلت تُنادى: بالثأر ذات النِّحيين !

(*) فيما بين أيدينا من أصول الأغانى : « مسعدة بن البخترى » .

أخبار مطيع بن إياس

نسبه

قيل : إنه من بنى الدِّيل بن بكر . وقيل : من بنى لَيث بن بكر . والدِّيل وليث أخوان لأب وأم .

أم خارجة وشىء عنها

أمهما أم خارجة ، واسمها عَمرة بنت سعد بن عبد الله بن قُراد بن ثَعْلبة ابن مُعاوية بن زيد بن الغَوث بن أَنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نَبْت ابن مالك بن زَيد بن كهلان . وهى التى يُضرب بها المثل ، فيقال : أسرع من نِكاح أُم خارجة . وقد ولدت فى عِدّة بطون من العرب ، حتى لو قال قائل : إنه لا يكاد يتخلّص من ولادتها كبير أحد لكان مُقاربا . قيل : إنه بلغ من سرعة نكاحها أن الخاطب كان يأتيها فيقول : خِطْب . فتقول : نِكْح .

وزعموا أن بعض أزواجها طلّقها ، فرحل بها ابنٌ لها عن حَيّه إلى حَيّها ، فلقيها راكب ، فلما تبيّنته قالت لابنها : هذا خاطب لى لا شكّ فيه ، أفتراه يُعجلنى أن أنزل عن بَعيرى . فجعل ابنُها يسُبّها .

أبوه شاعر

وكان إياس بن مُسلم أبو مطيع شاعراً .

شىء عن شعره وظرفه

ومُطيع بن إياس شاعر ، من مُخضرمى الدّولتين الأُموية والعباسية ، وليس من فُحول الشعراء فى تلك الأيام ، ولكنه كان ظريفاً خليعاً حُلو العشرة مليح النادرة .

شىء عن أبيه

وكان أبوه من أهل فِلسطين الذين أمدّ بهم عبدُ الملك بن مروان الحجّاجَ ابن يوسف فى وقتِ قتاله ابن الزُّبير وابن الأشعث . وأقام بالكوفة وتزوّج بها ووُلد له مطيع .

انقطاعه إلى الوليد ثم المنصور

وكان مُطيع يَصحب الوليد بن يزيد بن عبد الملك وغيره من بنى أُمية ، ثم اُنقطع فى الدولة العباسية إلى أبى جعفر المنصور .

لبعض الكوفيين وقد سئل عنه

وذكر أن محمد بن حَبيب سأل رَجلاً من أهل الكوفة عن مُطيع بن إياس . فقال : ما سؤالك إيّاى عن رجل إذا حَضرك ملكك ، وإن غاب عنك شاقك ، وإذا عُرفت بصُحبته فَضَحك ؟ .

تعريف حكم للوليد به وحظوته عنده

وحكى حَكَم الوادىّ قال : غنّيت الوليدَ بن يزيد ذات ليلة :

إكليلُها ألوانُ ووجهها فتّانُ
وخالها فريد ليس له جيران
إذا مشتْ تثنّت كأنها ثُعبان
قد جُدِلت فجاءت كأنها عِنان

فطرب حتى زحف عن مجلسه إلىّ ، وقال : أعد، فديتُك بحياتى . حتى صَحِل(١) صوتى . فقال : ويحكَ ! من يقول هذا ! فقلت : عبدٌ لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك . فقال : ومن هو فديتُك ؟ فقلت : مطيع بن إياس الكنانى . فقال : وأين محلُّه ؟ فقلت : بالكوفة . فأمر أن يُحمل إليه على البريد . فحُمل إليه . فما شعرت يوماً إلا برسوله قد جاءنى . فدخلتُ إليه ، ومُطيع واقف بين يديه ، وفى يد الوليد طاس من ذهب ، يشرب به . فقال لى : غَنِّ ذلك الصوت يا وادىّ . فغنّيتُه إياه . فشَرب عليه . ثم قال لمطيع : مَن يقول هذا الشعر ؟ فقال : عبدُك ، أنا يا أمير المؤمنين . فقال له : اُدن منّى . فدنا منه . فضمّه الوليدُ وقبّل فاه و بين عَينيه ، وقبّل مُطيع رجله والأرض بين يديه ، ثم أدناه منه حتى جلس أقربَ المجالس منه ، ثم تمّ يومَه ، واُصطبح أسبوعاً متوالىَ الأيام على هذا الصوت .

(١) صحل : بح .

كان هو وصحبه يرمونه بالزندقة

وذُكر أنّ مُطيع بن إياس، ويحيى بن زياد الحارثىّ، وحمّاد الراوية، وعبد الله ابن المقفّع، ووالبة بن الحُباب، كانوا يتنادمون ولا يفترقون، ولا يستأثر أحدُهم على صاحبه بمال ولا ملك، وكانوا جميعاً يرمون بالزندقة.

بينه وبين قومه وقدعابوه بالأبنة

وذُكر أنّ مطيعاً كان يُرمى أيضاً بالأُبنة. فدخل عليه قومُه ولاموه على أفعاله، وقالوا له: أنت فى أدبك وسُؤددك وشرفك وشعرك تُرمى بهذه الفاحشة القَذِرة! فلو أقصرت عنها! فقال: جرّبوه أنتم ودَعوه إن كنتم صادقين. فانصرفوا عنه، وقالوا: قَبح الله فِعلَك، وعُذرك، وما استقبلتنا به.

هو ويحيى بن زياد وجارية لهغضبى

وذُكر أن يحيى بن زياد الحارثى قال لمطيع بن إياس: انطلق بنا إلى فُلانة صديقتى، فإن بينى وبينها مُغاضبة، لتُصلح بيننا، وبئس المُصلح والله أنت! فدخلا إليها. فأقبلا يتعاتبان، ومُطيع ساكت، حتى إذا أكثر قال يحيى لمُطيع: ما يُسكتك؟ أسكت الله نأمتك[1]! فقال مُطيع:

أنتِ مُعتلّة عليه وما زا ... ل مُهيناً لنفسه فى رِضاكِ

فأعجب يحيى ما سمع، وهشّ له. فقال مطيع:

فدعيه وواصلى ابن إياس ... جُعلتْ نفسُه[2] الغَداةَ فِداكِ

فقام يحيى إليه بوسادة فى البيت، فما زال يجلد بها رأسه ويقول: لهذا جئتُ بك يا بن الزانية! ومطيع يُغوّث[3] حتى ملّ يحيى، والجارية تضحك منهما، ثم تركه وقد نَدَر[4].

شعر حماد إليه حين لم يعده فى مرضه

وذُكر أن حمّادَ عَجْرد مرض، فعاده أصدقاؤه جميعاً إلا مُطيع بن إياس، وكان خاصًّا به، فكتب إليه حماد:

(١) النأمة: الصوت. (٢) فى الأغانى: «نفسى».
(٣) يغوث: يقول: يا غوثاه.
(٤) ندر: أى مات إعياء. وفى الأغانى: «سدر»، وسدر: تحير.

كَفَاكَ عيادتى من كان يرجو ثوابَ الله فى صِلَة المريضِ
فإنْ تُحدِثْ لكَ الأيامُ سُقماً يحولُ جَريضُه[1] دون القَريضِ
يكُنْ طُولُ التأوّه منكَ عندى بمنزلة الطَّنين من البَعوضِ

هو فى حديث بيعة أبى جعفر للمهدى

وذُكر أن أبا جعفر المنصور كان يُريد البيعة بولاية العهد لابنه محمد المهدى ، وكان ابنه جعفر يعترض عليه فى ذلك . فأمر بإحضار الناس ، فحضروا . وقامت الخطباء فتكلّمت ، وقالت الشعر فأكثرت فى وصف المهدى وفضائله ، وفيهم مُطيع بن إياس ، فلما انتهى كلامه فى الخطباء وإنشاده فى الشعراء قال للمنصور : يا أمير المؤمنين ، حدّثنا فلان عن فلان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المهدى منّا مُحمد بن عبد الله ، وأمه من غيرنا ، يملؤها عدلاً كما مُلئت جَوراً » . وهذا العباس أخوك يشهد على ذلك . ثم أقبل على العبّاس فقال : أنشُدك الله هل سمعت هذا ؟ قال : نعم — مخافةً من المنصور — فأمر الناسَ بالبَيعة للمهدى . ولما انقضى المجلس ، قال العباس بن محمد لمن يأنس به : أرأيتم هذا الزِّنديق ! لم يَرض أن يكذب على الله عزّ وجل ورسوله صلّى الله عليه وسلم حتى استشهدنى على كِذْبه ، فشهدتُ له خوفاً ، وشهد كُل من حضر علىّ بأنى كاذب . وبلغ الخبرُ جعفرَ بن المنصور ، وكان مطيع منقطعاً إليه يخدُمه ، فجفاه وطرده عن خدمته . وكان جَعفر ماجناً ، فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه وشقّت عليه البيعة لأخيه محمد .

شعر له فى رثاء يحيى تمنى المنصور لو كان فى ابنه

وذُكر أنّ جعفر بن أبى جعفر المنصور كان أصابه لَمَمٌ[2] ، وذُكر أنه كان يتعشّق امرأة من الجنّ واجتهد فى خطبتها ، وجمع أصحاب العزائم عليها ، فكانوا يَعِدونه ويمنّونه بها ، وأصابه صَرْع فكان يُصرع فى اليوم مراتٍ حتى مات . فحزن عليه

(١) الجريض : ابتلاع الريق على هم وحزن . وهذا مثل يضرب للأمر يعوق دونه عائق.
(٢) اللمم : شدة الحرص على النساء ، وليس من الجنون .

المنصور حُزناً شديداً ومشى فى جِنازته . فلما دُفن وسُوِّى عليه قبره ، قال المنصور للربيع : أنشدنى قول مُطيع بن إياس فى مَرثية يحيى بن زياد . فأنشده :

يا أهلى ابكُوا لقلبىَ القَرِحِ ... وللدُّموعِ الذَّوارفِ السُّفُحِ

رَاحوا بيحيى ولو تطاوعنى الـ ... أقدار لم يَبْتَكِر ولم يَرُحِ

يا خيرَ من يحسُن البكاء له الـ ... يوم ومن كان أمسِ للمِدَحِ

أعقبتَ حزناً من السُّرور كما ... أُدلْتَ[1] مكروهنا من الفَرَحِ

فبكى المنصور وقال : صاحب هذا القبر أحقُّ بهذا الشعر .

هوى أبو جعفر وشعر له فى بربر

وذُكر أنّ مُطيع بن إياس كان يتعشق فتاة يقال لها : جوهر ــ ومولاتها يقال لها : بربر ــ فقال فيها :

خافى اللهَ يا بَرْبَرْ ... لقد أفسدتِ ذا العَسكرْ

بريح المسك والعَنبر ... وظَبى شادنٍ أحور

أمَا والله يا جوهر ... لقد فُقتِ على الجوهر

ولا والله ما المهدىُّ ... أولى منك بالمِنبر

فإن شئتِ ففى كفّيـ ... ـك خَلْعُ ابن أبى جعفر

فأُنشد المهدىُّ ذلك ، فقال : اللهم العنهما ! اُجمعوا بين هذين قبل أن تخلعنا هذه القَحبة ! وجعل يضحك من قول مُطيع .

هجاؤه لجوهر

وذُكر أن مُطيعاً بلغه عن جوهر هذه ما يكره ، فقال فيها يهجوها :

زعموها قالت وقد غاب فيها ... قائمٌ فى قيامه[2] استحصافُ

وهو فى جارة استها يتلظّى ... يا فتى هكذا تُناكُ الظِّراف

ناكها ضَيفُها وقبَّل فاها ... يا لقومى لقد طَغَى الأضياف

لم يزل يَرهز الشهيّة حتى ... زال عنها قميصُها[3] والعِطاف

(١) أى جعلت المكروه يغلب على الفرح . (٢) استحصاف : استحكام .

(٣) يرهز : يحرك . والعطاف : الرداء .

هو والمنصور والمهدى وقد اتهم بالزندقة

وذُكر أنه رَفع صاحبُ الخبر إلى المنصور أنّ مُطيع بن إياس زِنديق ، وأنه يلازم ابنه جعفراً وجماعةً من أهل بيته، ويُوشك أن يُفسد أديانهم ويُنسبوا إلى مذهبه . فقال المهدى لأبيه المنصور : أنا به عارف ، أمّا الزّندقة فليس من أهلها ، ولكنه خبيث الدِّين ، فاسق مُستحل للمحارم . قال : فأحْضره وانْهه عن صُحبة جعفر وسائر أهله . فأحضره المهدى وقال له : ياخبيث ! يا فاسق ! أفسدت أخى ومَن تصحبه من أهلى ، والله لقد بلغنى أنهم يتقادعون[1] عليك ، ولا يَتم لهم سُرور إلا بك ، فقد غرّرتهم وشهّرتهم فى الناس ، ولولا أنى شهدتُ لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نُسبت إليه كان أمر بضرب عُنقك . وقال للربيع : اضربه مائتى سوط واحبسه . قال : ولمَ ياسيدى ؟ قال : لأنك سكّير خِمّير قد أفسدت أهلى كلّهم . فقال : إن أذنت وسمعتَ احتججتُ ؟ فقال : قُل . قال : أنا امرؤ شاعر ، وسُوقى إنما تنفُق مع الملوك ، وقد كسدت عندكم ، وأنا فى أيامكم مطّرح ، وقد رضيتُ فيها، مع سعتها للناس جميعاً ، بالأكل على مائدة أخيك ، لا يتبع ذلك غيره[2] ، وأصفيته على ذلك شكرى وشعرى ، فإن كان ذلك عائباً عندك تُبت منه . فأطرق ثم قال : قد رفع إلىّ صاحبُ الخبر أنك تتماجَن على السُّؤّال وتَضحك منهم . فقال : لا والله ، ما ذلك من فعلى وشأنى ، ولا جرى منّى قطّ إلا مرة ، فإن سائلاً أعمى اعترضنى ، وقد عبرتُ الجسرَ على بغلتى ، وظنّنى من الجُند ، فرفع عصاه فى وجهى وصاح : اللهم سَخِّر الخليفة لأن يُعطى الجند أرزاقهم فيشتروا من التجار الأمتعة، ويربح التجار عليهم وتكثر أموالهم ، فتَجب فيها الزكاة عليهم، فيتصدّقوا علىّ منها . فنفرت بَغلتى من صياحه ورَفْعه عصاه فى وجهى حتى كدتُ أسقط فى الماء . وقلت : يا هذا، ما رأيتُ أكثر فُضولاً منك ، سَل الله أن يرزقك ولاتجعل بينك و بينه هذه الحوالات والوَسائط التى لا يُحتاج إليها ؛ فإن هذه المسائل

---

(١) يتقادعون : يتهافتون . (٢) فيما بين أيدينا من نسخ الأغانى : « عشيرة » .

فُضول . فضحك الناس منه ، ورُفع علىَّ فى الخبر قولى له هذا . فضحك المهدى وقال : خلُّوه ولا يُضرب ولا يُحبس . فقال مطيع : أدخل عليك لِمَوجدة وأخرج عن رضًى ، وتبرأ ساحتى من عَضيهة [1] ، وأنصرف بلا جائزة ! فقال : لا يجوز هذا ، أعطوه مائتى دينار ، ولا يعلم بها أمير المؤمنين فتُجدِّد عنده ذنوبَه .

وكان المهدى يشكر له قيامه فى الخُطباء ووضعَه الحديث لأبيه فى أنه المهدىّ ، فقال له : اخرج عن بغداد ودَع صُحبة جعفر حتى ينساك أميرُ المؤمنين ، ثم عُد إلىّ [2] . فقال له : فأين أقصد ؟ فقال : أكتب لك إلى سليمان بن علىّ فيُولِّيك عملاً ويُحسن إليك . قال : قد رضيتُ . فوفد إلى سليمان بن علىّ بكتاب المهدى ، فولّاه الصدقة بالبصرة ، وكان عليها داود بن أبى هند ، فعزله به .

شعره لحماد وابن زياد فى شكوى القحط أيام المنصور

وذُكر أنه اجتمع يوماً مطيع بن إياس ، وحمّاد عَجْرد ، ويحيى بن زياد ، فذكروا أيام بنى أُمية ونَضْرتها وسَعتها، وكثرة ما أفادوا فيها ، وحُسن مملكتهم، وطيبَ مساكنهم بالشام، وماهم فيه ببغداد من القَحْط فى أيام المنصور ، وشدة الحرّ وخُشونة العيش ، وشكوا الفقرَ فأكثروا ؛ فأنشدهم مطيع بن إياس فى ذلك :

حبّذا عيشُنا الذى زال عنّا ... حبّذا ذاك حين لا حبّذا ذا
أين هذا من ذاك سَقياً لهذا ... ك ولسنا نقول سقياً لهذا
زاد هذا الزمانُ عسراً وشرًّا ... عندنا إذ أحلّنا بَغــــداذا
بلدة تُمطر التراب على النـا ... س كما تُمطر السماء الرذاذا
خَرِبت عاجلا وأخرب ذو العر ... ش بأعمال أهلها كَلْواذى

مدح معنا فخيره بين المدح والثواب فاختار الثانى

وذُكر أن مُطيع بن إياس مَدح مَعْن بن زائدة الشيبانى بقصيدته التى أولُها :

أهلاً وسهلاً بسيِّد العرَب ... ذى الغُرَر الواضحات [3] والنَّسبِ

(١) العضيهة : الإفك والبهتان والنميمة .

(٢) فيما بين أيدينا من أصول الأغانى : « أمير المؤمنين غدا » .

(٣) فى الأغانى : « والنجب » مكان « والنسب » .

فتى نزارٍ وكهلها وأخى الـ ـجُود حَوى غايَتَيه من كَثَب

قيـل أتاكم أبو الوليـد فقا ل الناس طُرًّا فى النهل والرَّحَب

أبو العُفـاة الذى يلوذ به من كان ذا رَغْبـة وذا رهَب

فقال له معن : إن شئت مدحناك كما مدحتنا و إن شئت أثبناك ؟ فاستحيا مُطيع من اختيار الثواب على المَديح ، وهو مُحتاج إلى الثواب ، فأنشأ يقول :

ثنـاء من أميرٍ خـيرُ كَسبٍ لصاحبِ مَغنمٍ[1] وأخى ثَراء

ولـكنَّ الزمان بَرَى عِظامى وما مِثـل الدَّراهم من دواء

فضحك مَعن حتى استلقى ، وقال : لقد لَطَفْت حتى تخلّصت منها ، صدقت ! لعمرى ما مِثل الدراهم من دواء ! وأمر له بثلاثين ألف درهم ، وخَلع عليه وحَمله .

شعره إلى صديق تغيب عن مجلسه

وذُكر أنه كان لمطيع بن إياس صديق من العَرب يجالسه ، فضرط ذات يوم وهو عنـده ، فاستحيا وغاب عن المجلس ، فتفقّده مُطيع وعَرف سبب انقطاعه ، فكتب إليه :

أمن قَلوص غَدَت لم يُؤذها أحد إلّا تذكّرها بالرَّمل أوطانا

خان العِقال لها فانبتّ إذ نَفَرت و إنمـا الذَّنب فيهـا للذى خانا

أظهرتَ منك لنـا هجراً وَمَقليـة وغِبت عنّا ثلاثاً لست تَغشانا

هَوِّن عليك فما فى الناس ذو إبل إلّا وأينقُه يشرُدْنَ أحيانا

تعقيب لابن واصل

قلت : لم يذكر أبو الفرج إلا البيتين الأخيرين فقط ، والبيتـان الأولان وجدتهما فى دُرَّة الغواص لأبى محمد القاسم الحريرى، صاحب المقامات، رحمه الله .

حديث صلاته وأصحاب له وقينة أمتهم

وذكر أنه اجتمع يحيى بن زياد ومُطيع بن إياس وجماعة من أصحابهما ، فشربوا أياماً ثلاثة تباعاً . فقال لهم يحيى ليلةً من الليالى ، وهم سُكارى ، ويحكم ! ما صلّينا

(١) فى الأغانى : « وناقه » .

منذ ثلاثة أيّام ، فقوموا بنا حتى نُصلِّى . فقالوا : نعم . فقـام مُطيع فأذّن وأقام ، ثم قال : من يتقدّم ؟ فتدافعوا الإمامة[1] . فقال مُطيع للمغنّية : قومى فصلِّى بنا . فتقدّمت تُصلى بهم، وعليها غِلالة رقيقـة مُطيَّبة بلا سراويل . فلما سَجدت بان فرجُها ، فوثب مُطيع وهى ساجدة فـكشف عنه وقبّـله . ثم قال :

ولمـا بدا فرجهـــا جاثماً كرأس حَليق ولم[2] يَعتمدْ

سجدتُ عليـه[3] وقبّلته كما يفعل الساجد المُجتهد

فقطعوا صلاتَهم وضحكوا ، وعادوا إلى شُربهم .

هو ويحى ، وأبو الأصبغ والأصبغ

وذُكر أنه كان بالـكوفة رجل يُقال له : أبو الأصبغ، وله قِيان ، وكان له ابن وضىء الوجه حَسن الصورة يقـال له : الأصبغ ، ولم يكن بالـكوفة أحسنُ وجهاً منه . وكان يحيى بن زياد ، ومُطيع بن إياس ، وحمّاد عجرد ، ونُظراؤهم ، يألفونه ويغشونه ، وكلهم ، يَعشق ابنـه الأصبغ . فعزم أبو الأصبغ أن يَصطبح مع يحيى ابن زياد ، وكان يحيى قد أهدى له من الليل جِداءً ودَجاجاً وفاكهة وشراباً . فقال أبو الأصبغ لجواريه : إن يحيى بن زياد يزُورنا اليوم فأعْدِدن له كل ما يصلُح له . ووجّه بغلمان له ثلاثة فى حوائجه ، ولم يبق بين يديه أحد ، فبعث بابنه أصبغ إلى يحيى يدعوه ويسأله التَّعجيل . فلمـا جاءه استأذن له غلام يحيى . فقال له يحيى : قُل له يدخل، وتَنحّ أنت وأغلق الباب، ولا تَدَع الأصبغ يخرُج إلا بإذنى . ففعل غلامه ذلك. ودخل الأصبغ فأدّى رسالة أبيه . فلما فرغ راوده عن نفسه ، فامتنع . فثاوره يحيى وعاركه حتى صرعه ، ثم رام حَل تِكّته فلم يقدر عليها، فقَطعها وفَعل به . فلما فرغ أخرج له من تحت مُصلاه أربعين ديناراً وأعطاه إياها ، فأخذها . وقال له يحيى : امض فإنى بالأثر . فخرج الأصبغ من عنـده . ووافاه مُطيع بن إياس فرآه

(١) فى الأغانى : « ذلك » .

(٢) أى لم يستتر . والذى فيما بين أيدينا من أصول الأغانى : « ولم يعتمد » بالعين المهملة .

(٣) فى الأغانى : « إليه » .

يتبخر ويتطيّب ويتزيّن . فقال له : كيف أصبحت ؟ فلم يُجبه ، وشمخ بأنفه وقطّب حاجبيه وتفخّم . فقال له : ويحك ! مالك ؟ نزل عليك الوحى ؟ كلمتك الملائكة ؟ بويع لك بالخلافة ؟ وهو يُومىء برأسه . لا ! لا ! فى كل كلامه . فقال له : كأنك والله نِكت الأصبغ ، قال : إى والله ، وأنا الساعة فى دعوة أبيه . فقال له مُطيع : فامرأته طالق إن فارقتك أو نُقبِّل متاعك . فأبداه له يحيى ، فقبّله ثم قال له : كيف قدرت عليه ؟ فحدّثه القصة . وقام فمضى إلى منزل أبى الأصبغ . فتبعه مُطيع . فقال له : ما تصنع معى والرجل لم يدْعك وإنما يريد الخلوة معى ؟ فقال : أُشيّعك إلى بابه ونتحدث . فمضى معه . فدخل يحيى وردّ الباب فى وجه مُطيع . فصبر ساعة ثم دقّ الباب واستأذن . فخرج إليه الرسول . فقال له : يقول لك أنا اليوم فى شغل لا أتفرغ معه لك . فتعذّر[1] . فدعا بدواة وقرطاس وكتب إلى أبى الأصبغ :

يا أبا الأصبغ لا زلتَ على ... كُل حال ناعماً مُتّبَعَا
لا تُصيِّرنىَ فى الوُدّ كمن ... قَطع التِّكة قَطعاً شَنِعا
وأتَى ما يشتهى لم يَثْنِه ... خيفةٌ أو حِفْظ حقٍّ ضَيّعا
لو ترى الأصبغَ مُلقًى تحته ... مُستكيناً خَجلاً قد خَضعا
وله دَفْعٌ عليه عَجِل ... شَبِقٌ شاءك[2] ما قد صَنعا
فادْع بالأصبغ وأعلم حالَه ... ستَرى أمراً قبيحاً شَنِعا

فقال أبو الأصبغ ليحيى : فعلتَها يابن الزانية ! قال : لا والله . فضرب يده إلى تكة ابنه فرآها مقطوعة ، وأيقن يحيى بالفضيحة . فتلكأ الغلام . فقال له يحيى : قد كان الذى كان ، وسعى بى إليك مُطيع ابنُ الزانية ! وهذا ابْنى ، وهو والله أفره

(١) تعذر : اعتذر واحتج لنفسه .
(٢) شاءك : حزنك .

من ابنك ، وأنا عربى ابن عربيـة ، وأنت نبطىّ ابن نبطية ، فنِكْ أبنى عشرة مكان المرة التى نكتَ أبنك ، فتكون قد ربحت الدنانير، وللواحد عشر مرات . فضحك أبو الأصبغ وضحك الجوارى ، وسكن غضب أبو الأصبغ وقال لأبنـه : هات الدنانير يأبن الفاعلة ! فرمى بها إليه وقام خجلا . وقال يحيى : والله لا دَخل مُطيع الساعى ابن الزانية ! فقال أبوالأصبغ وجواريه : والله ليدخلنّ ، وقد نصحنا وغششتَنا . فأُدخل، وجعل يشرب معهم ، ويحيى يشتُمه بكل لسان، وهو يضحك .

شعره الذى فيـه الغناء وحديثه

وذكر أن مُطيع بن إياس كان مع سَلم بن قُتيبة بالرىّ ، فعشق أمرأة من بنات الدهاقين ، فلما أستقدم المنصورُ سلمَ بن قتيبة قَدِم معـه مُطيع . فلما وصلوا عَقبة حُلوان جلس مُطيع على العقبة وتذكر الجارية ، وعناقُ دابته فى يده وهو مُستند إلى نخلة وإلى جانبها نخلة أخرى ، فقال الشعر الذى فيـه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار مُطيع ، وهو :

أسـعدانِى يا نخلتى حُلوان	وأرثيالى[1] من رَيب هذا الزمانِ
وأعلما أنّ رَيبه طالمـا فرّ	ق[2] بين الألّاف والإخوان
أسـعدانى وأيقنا أن نحساً	سوف يأتيكما[3] فتفـترقان
ولعمرى لو ذُقتما ألم الفُـر	قة أبكاكما الذى أبكانى
كم رَمتنى ضروب هذى الليالى	بفراق الأحبـاب والخِلّان

هذه الأبيات التى فيها الغناء .

ومنها :

غير أنّى لم تلق نفسى كما لا	قيتُ من فُرقة أبنة الدِّهقان
جارةٌ لى بالرّىّ تُذهب همِّى	ويُسلِّى دنوُّها أحـزانى

(١) فى أصول الأغانى التى بين أيدينا : « وابكيالى » .

(٢) فى أصول الأغانى التى بين أيدينا : « ريبه لم يزل يفرق » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « يلفاكما » .

فجعتنى الأيامُ أغبطَ ما كنـ ـتُ بصَـدعٍ للبيْن غير مُدان
و برغمى أن أصبحتْ لا تراها الـ ـعيْنُ منّى وأصبحتْ لا ترانى
إن تكن ودّعتْ فقد تركتْ بى لهَباً فى الضـمير ليس بوَان
كحريق الضّرام فى قَصب الغا ب زَفتْـه(١) ريحانِ تختلفان
فعليكِ السـلام منّىَ ما سا غ سلاماً عقلى وفاض(٢) لسانى

وذُكر أنه لمـا خرج الرشيد إلى طُوس هاج به الدم بحُلوان ، فأشار عليـه الطبيب بأكل جُمّار النخل ، فأحضر دُهقاناً بحلوان وطلب منه جُمّاراً ، فأعلمه أن بلده ليس بها نخل ، ولـكن على العقبـة نخلتان ، فمُر بقطع إحداها . فقُطعت ، وأتى الرشيد بجُمّارها . فأكل منه وراح(٣) . فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النّخلتين مقطوعة والأخرى قائمة ، و إذا على القائمة مكتوب البيت الأول من هذا الشعر والثالث ، فاغتم الرشـيد وقال : يعز علىّ أن أكون نحستُكما ، ولو كنت سمعت هذا الشعر ما قطعتُ هذه النخلة ولو قتلنى الدم .

ولبعض الشعراء فى نخلتى حُلوان :

أيها العاذلان لا تعـــذُلان ودعانى من المَـلام دَعانى
وأبكيـا لى فإننى مُستحق منكما بالبكاء أن تَسعدانى
إننى منـكما بذلك أولى من مُطيع بنخلتى حُـلوان
فهما تجهـلان ما كان يشكو مِن هواه وأنتما تَعلمـان

(١) زفته : طردته واستخفته .
(٢) الرواية فى الأصل : « وقام » .
(٣) راح : ارتاح ونشط .

أخبار محمد بن كناسة

واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى بن عُبيد الله بن خليفة بن زُهير بن نَضلة ابن أُنيف بن مازن بن صهبان ـ واسمه كعب ـ بن ذؤيبة (١) بن أسامة بن نصر ابن قُعين (٢) بن الحارث بن ثَعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة .

شيء عنه

شاعر من شُعراء الدولة العباسية ، كوفيّ المولد والمَنشأ . وقد حُمل عنه شيء من الحديث . وكان إبراهيم بن أدهم الزاهد ـ رحمه الله ـ خالَه ، وكان امرأً صالحاً لا يتصدّى لمدح أو هجاء ، وكانت له جارية مُغنِّية شاعرة يقال لها : دنانير ، كان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمُذاكرة والمُساجلة في الشعر .

وذُكر أنه قال رجل لمحمد بن كُناسة : أنت الذى تقول فى إبراهيم ابن أدهم العابد :

رأيتُك لا (٣) يُغنيك مادونه الغِنى ... وقد كان يُغنى دون ذاك ابنَ أدهمَا

وكان يَرى الدنيا صغيراً عظيمُها ... وكان لحِقِّ الله فيها مُعظِّما

وأكثر ما تلقاه فى القوم صامتاً ... وإن قال بذّ القائلين وأحكما

فقال : أنا قلتُها ، وقد تركتَ أجودها ! فقال : ما هو ؟ فقال :

أهان الهوى حتى تجنَّبه الهوى ... كما اجتنب الجانى الدَّم الطالبَ الدَّما

شعره فى مصلوب يعرض فيه بامرأته

وذُكر أن ابن كُناسة مَرّ فى طريق ببغداد ، فنظر إلى مَصلوبٍ على جِذع ، وكانت عنده امرأة يُبغضها وقد ثَقُل عليه مكانها ، فقال :

---

(١) فيما بين أيدينا من أصول الأغانى : « دويبة » بالدال المهملة .

(٢) فى الأصل : « قعبب » والتصويب من جمهرة أنساب العرب (ص ١٨٣) والأغانى .

(٣) فى الأغانى : « ما » .

* أيا جِذعَ مَصلوبٍ أتى دون صَلْبه ثلاثون حولاً كاملا هل تُبادِلُ
فما أنت بالحِمْل الذى قد حَملتَه بأضجَرَ منّى بالذى أنا حامل

بيتان له تمناهما إسحاق

وحكى إسحاقُ بن إبراهيمَ قال : أنشدنى محمد بن كُناسة لنفسه :

فىَّ أنقباضٌ وحشمةٌ فإذا صادفتُ أهل الوفاء والكرمِ
أرسلتُ نفسى على سجيّتها وقلتُ ما قلت غير مُحتشمِ

قال : فقلت له : وددتُ أنه نَقص من عمرى سَنتان وأنى كنتُ سبقتُك إلى هذين البيتين فقلتهما !

شعره الذى فيه الغناء

وهذان البيتان هما الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار محمد ابن كناسة .

وتتمة الأبيات الميمية قالها فى خاله إبراهيم بن أدهم[1] ـ رحمه الله ـ :

وللحِلْم سُلطان على الجهل عنده فما يَستطيع الجهلُ أن[2] يترمزما
يُرى مُستكيناً خاضعاً مُتواضعاً وليثاً إذا لاقى الكتيبةَ ضَيغما
على الجَدث الغربىّ من آل وائلٍ سلامٌ وبِرٌّ ما أبرّ وأكرما

من جيد شعره

ومن جيد شعر ابن كناسة :

ومن عَجب الدنيا تَبَقّيك للبلى وأنك فيها للبقاء مريدُ
وأى بَنى الأيام إلا وعنده من الدهر ذَنبٌ طارفٌ وتَليد
ومن يَأمن الأيامَ أمّا اتساعها فحظر وأما فجْعها[3] فعتيد
إذا اعتادت النفس الرّضاع من الهوى فإنّ فِطام النفس عنه شديد

من روايته

ولابن كناسة رواية فى الحديث ، فمما روى بإسناده عن أبى موسى الأشعرى : قال : قلت : يا رسول الله ، إن الرجل يحب القوم ولمّا يلحق بهم ! فقال صلى الله عليه وسلم : المرء مع مَن أحب .

---

(١) فى الأصل : « سلطان » وهو من أوهام الناسخ .
(٢) الزمزمة : صوت خفى لا يكاد يفهم . والذى فى الأغانى : « يترمرما » وترمرم : تحرك للكلام ولم يتكلم .
(٣) عتيد : مهيأ حاضر . والرواية فى الأغانى : «انبياعها * فحطر» صوابه ما فى التجريد .

أخبار الشمردل (*)

نسبه — هو الشَّمردل بن شَريك بن عبد الملك(١) بن رؤبة بن سَلمة بن مكرم ابن ضِبارَى بن عُبيد بن ثعلبة بن يربوع .

عصره — شاعر إسلامى من شُعراء الدولة الأموية . وكان فى أيام جرير والفرزدق .

رثاؤه أخويه — وذكر أن الشمردل خَرج هو وإخوته : حكم ، ووائل ، وقُدامة ، إلى خراسان مع وَكيع بن أبى سُود ، فبعث وكيع أخاه وائلاً فى بَعثٍ لحرب الترك ، وبعث أخاه قدامة إلى فارس فى بعث آخر ، وبعث أخاه حكماً فى بَعث إلى سجستان. فقال له الشمردل : إن رأيت أيها الأمير أن تُنفذنا معاً فى وجه واحد ، فإنا إذا أُجتمعنا تعاونّا وتناجزنا . فلم يفعل ، وأنفذهم فى الوجوه التى أرادها . فلم يَنشب الشمردل أن جاءه نعىُ أخيه قُدامة من فارس ، قتله جيش لقُوهم بها ، ثم تلاه نَعى أخيه وائل بعده بثلاثة أيام . فقال يرثيهما :

أقول إذا عزّيتُ نفسى بإخوة ... مضَوْا لا ضِعافٍ فى الحياة ولا عُزْلِ

أبى الموتُ إلا أنّ كُل(٢) بنى أبٍ ... سيُمْسون شتّى غير مُجتمعى الشّمل

كأن لم نَسِرْ يوماً ونحن بِغبطة ... جميعاً ولم ينزل(٣) برحْليهما رَحلى

فعينىّ إنْ أفضلتما بعد وائل ... وصاحبه دمعاً فعُودا على الفضل

(*) وقبل « أخبار الشمردل » ذكر أبو الفرج « أخبار قلم الصالحية » المغنية ، ولكن ابن واصل مر عنها .

(١) فى الأصل : « عبد الله » .

(٢) فى الأغانى : « إلا فجع كل » .

(٣) فى الأغانى : « جميعاً وينزل عند رحليهما » .

خليليّ من دون الأخلّاء أصبحا رهينَى ثَواء[(١)] من وَفاة ومن قَتل

شعره الذى فيه الغناء

وقال يرثى أخاه وائلاً ، وهى من مُختار المراثى وجيد الشعر ، ومنها الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الشمردل ، وهو :

وكنتُ أُعير الدَّمع قبلك مَن بكى فأنت على مَن مات بعدك[(٢)] شاغلُه

سَقى جدثاً أعرافُ غَمرة دونه ببيشةَ دِيماتُ الرَّبيع[(٣)] ووابله

وما بىَ حُبُّ الأرض إلا جوارَها صداه وقولٌ ظَنَّ أنِّى قائله

وأولها :

لعمرى لئن غالت أخى دارُ[(٤)] غُرْبة وآب إلينا سيفُه ورواحله

لقد ضُمِّنت جَلْدَ القُوى كان يُتَّقى به جانبُ الثَّغر المَخوف زلازله

مَحلٌّ لأضياف الشتاء كأنما همُ عنده أيتامه وأرامله

رخيص نَضيجِ اللحم مُغْلٍ بنِيئه إذا بَردت عند الصِّلاء[(٥)] أنامله

---

(١) فى الأغانى : « وفاء » .

(٢) فى الأغانى : « قبلك » .

(٣) الأعراف : ما ارتفع من الرمل . وغمرة : جبل ببيشة .

(٤) فى الأغانى : « فرقة » مكان « غربة » .

(٥) الصلاء : النار ، والوقود .

أخبار الحصين بن الحمام

نسبه

هو الحُصين بن الحُمام بن ربيعة بن سباب[1] بن خُزامة[2] بن وائلة بن سَهْم أبن ذُبيان بن بَغِيض بن الرَّيث بن غَطفان بن سعد بن قَيس بن عَيْلان بن مُضر أبن نزار .

لقبه وشيء عنه

سيد بنى مُرة وفارسها ، وكان يقال له : مانع الضَّيم .

وفود ابنه على معاوية

وذُكر أن أبنه أتى باب مُعاوية بن أبى سفيان وقال لآذنه : أستأذن لى على أمير المؤمنين وقُل : ابن مانع الضيم . فاستأذن له . فقال : ويحك ! لا يكون هذا إلا أبن عروة بن الوَرْد العَبْسِيّ . أو أبن الحُصين بن الحمام المُرِّى ، أدخله . فلما دَخل إليه قال له : أبن من أنت ؟ فقال : أنا أبن مانع الضَّيم الحُصين بن الحُمام المُرِّى . فقال له : صدقت ، ورفَع مجلسه وقضى حوائجه .

شعره فى انتصار قومه على بنى ذبيان

وكان الحُصين بن الحُمام قد حارب ، بقومه — بنى سَهم بن مُرة — جموعاً من بنى ذُبيان وغيرهم ، فظفر الحُصين وأنتصر ، فقال قصيدته التى منها :

ولما رأيت الوُدّ ليس بنافعى ... وإن كان يوماً ذا كواكب مُظلِمَا
صَبرنا وكان الصبرُ منّا سَجيّة ... بأسيافنا يَقطعن كَفًّا ومِعْصما
نُفلِّق هاماً من رجال أعزَّة ... علينا وهم كانُوا أعقَّ وأظلما

---

(١) فى جمهرة أنساب العرب (ص ٢٤٢) : « ... بن أبى سباب » .

(٢) فى جمهرة أنساب العرب : « حزام » . وفى الأغانى : « حرام » .

وقد تقدّم ذكر أبيات من هذه القصيدة .

للبرج فيه

وذُكر أن البُرج الطائى كان خليلاً للحُصين بن الحُمام المرى ونديماً له على الشراب ، وفيه يقول البُرج :

ونَدمان يريد الكأس طيباً سقيت وقد تَغوّرت النُّجومُ
رفعتُ برأسه وكشفتُ عنه بمُعْرَقَة [١] ملامةَ من يَلوم
ويَشرب ما شَرِبنا ثم يصحو وليس بجانبى أحدٍ [٢] كُلوم

البرج والعفاطة أخته والحصين

وكانت للبُرج أختٌ يقال لها : العَفاطة ، وكان البرج يَشرب مع الحُصين ذات يوم ، فسكروا وانصرف إلى أخته فافتضّها ، ونَدم على ما صنع لما أفاق ، وقال لقومه :أى رجل أنا فيكم ؟ قالوا : فارسنا وأفضلنا وسيدنا . قال : فإنه إن عَلم بما صنعتُ أحدٌ من العرب أو أخبرتم به أحداً ركبت فرسى [٣] فلم تَرونى أبداً . فلم يسمع بذلك أحدٌ منهم . ثم إن أمة لبعض طيئ وقعت إلى الحصين بن الحمام فرأت عنده البُرج الطائى يوماً وهما يشربان . فلما خرج من عنده قالت للحُصين : إن نديمك هذا سكر عندك ففعل بأخته كيت وكيت ، وأوشك أن يفعل بها [٤] ذلك كلما آتاك فسكر عندك . فزجرها الحُصين وسبّها ، فأمسكت . ثم إن البُرج بعد ذلك أغار على جيران الحُصين فأخذ أموالهم ، وأتى الصريخُ الحُصين ، فتَبع القوم وأدركهم ، وجرت بينه وبين البرج مقاولة ، فقال له الحصين بن الحُمام :

لا تَحسبنَ أخا العَفاطة أننى رجلٌ بخُبْرك لستُ بالعَلّام
فاستنزلوك وقد بَللت نِطاقها من بَيت أُمك والذُّيول دَوامِى

ثم تقاتلا ، فقُتل من أصحاب البُرج عدة وهُزم سائرهم، واستنقذ ما فى أيديهم ،

(١) المعرقة : الخمر التى مازجها قليل من الماء . (٢) فى بعض أصول الأغانى : «خدى» .
(٣) فى الأصل « ركبت رأس » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « بك » .

وأسر البُرج ، وعَرف حق منادمتــه وعشرته إياه ، فمنّ عليه وجز ناصيته وخلّى سبيله . فلما عاد البرجُ إلى قومه ، وقد سبّه الحُصين بما فعل بأُخته ، لامهم وقال : أشعتُم ما فعلت بأختى ! ثم ركب فرسه وخرج من بين أظهرهم ولحق بالروم ، فلم يُعرف له خبر إلى الآن .

وقيل : إنه شرب الخمر صرفاً حتى قتلته .

خبر إسلامه

وحُكى عن أبى عُبيدة أن الحُصين أدرك الإسلام وأسلم ، واستدلّ على ذلك بقوله :

أعوذ بربّى من المُخزيات ... يوم ترى النفسُ أعمالَها
وخَفّ الموازينُ بالكافرين ... وزُلزلت الأرضُ زلزالها
ونادى مُنادٍ بأهل القبور ... فهبّوا لِتُبرز أثقالها
وسُعِّرت النار فيها[1] العقاب ... وكان السلاسلُ أغلالها

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الحُصين بن الحُمام ، هو :

خليليّ لا تَستعجلا أن تُزوّدا ... وأنْ تجمعا شملى وتَنتظرا غدَا
وأن تَنتظرانى اليومَ أقضِ لُبانةً ... وتَستوجبا منّا علىّ وتُحمَدا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « العذاب » مكان « العقاب » .

أخبار محمد بن يسير الرياشي

ولاؤه وشيء عنه

يقال إنه مولى لبنى رياش ، وهم من خَثعم . وكان شاعراً ظريفاً مُتقلّلاً. لم يفُارق البصرة، ولا وفد إلى أحد من الخلفاء والأشراف مُنتجعاً بشعره ، ولا تجاوز بلده وصُحبة طبقته . وكان هجّاء خَبيث اللسان .

شعره فى ابن جعفر وقد عربد عليه

وذُكر أن محمد بن يسير كان يُعاشر يوسف بن جعفر بن سُليمان ، وكان يوسف أشدّ خلق الله ، فجرى بينهما يوماً كلامٌ على النّبيذ ، فعَربد يوسف على ابن يسير وشجّه ، فقال ابن يسير فيه :

لا تَجلسا مع يوسف فى مَجلس أبداً ولم تحملْ دم الأَخوَيْنِ
رَيحانُه بدَم الشِّجاج[1] مُلَطَّخٌ وتحية النّدمان لَطْم العَين

شعره فى غلام حاول الدخول من الباب الصغير

وذُكر أنّ محمد بن يسير كان له بابان ، يدخل من أحدهما — وهو الأكبر — ويدخل من يريده من الباب الأصغر . فجاءه يوماً غلام قد خرجت لحيتُه وحاول الدّخول إليه من الباب الصغير ، فكتب إليه :

قل لمن رام بَجهل مَدخل الظّبى الغَرِيرِ
بعد ما[2] علّق فى خدّ يه مِخلاة الشّعير
انصرفْ وادخل إذا شئـ ـتَ[3] من الباب الكبير

---

(١) الشجاج : جمع شجة ، وهو الجرح يكون فى الوجه والرأس ولا يكون فى غيرهما من الجسم . والذى فى بعض أصول الأغانى : « الشباب » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بعد أن » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ليته يدخل إن جاء » .

ومما يختار من شعر ابن يسير قوله :

جَهْد المُقلّ إذا أعطاك مُصطبراً ومُكثرٍ من غِنًى سِيَّان[١] فى الجُودِ
لا يَعدم السائلون الخيرَ أفعله إمَّا نوالى و إما حسن مَردودى

تفاؤل المعتصم بشعر له

وحكى علىّ بن القاسم طارمة قال :

كنت مع المُعتصم لما غزا الروم ، فجاءه بعضُ سراياه بخبرغمَّه ، فركب من فوره وسار أجدَّ سير ، وأنا أسايره ، فسمع مُنشداً يتمثّل فى عسكره :

إنّ الأُمور إذا أنسدّت مسالكُها فالصبرُ يَفتح منها كُلَّ ما أُرتُتِجَا
لا تيأسنّ و إن طالت مُطالبــة إذا أستعنت بصَبر أن تَرى فَرَجا

فسُر بذلك وطابت نفسُه . ثم التفت إلىّ وقال : يا علىّ ، أتروى هذا الشعر ؟ قلت : نعم . قال : من يقوله ؟ قلت : محمد بن يسير . فتفاءل باسمه ونسبه ، وقال : أمر محمود ، و يُسر سريع يعقُب هذا . ثم قال : أنشدنى الأبيات . فأنشدته :

ماذا يكلّفك الرَّوحاتِ[٢] والدَّلجا والبَرَّ طوراً وطوراً تركب اللُّجَجا
كم من فتًى قَصُرت فى الرِّزق خُطوته ألفيته بسهام الرِّزق قد[٣] فَلَجا

و بعدها البيتان المذكوران ، و بعدهما :

أخلق بذى الصَّبر أن يحظَى بحاجته ومُدمن القَرع للأبواب أن يَلِجا
قَدِّر[٤] لرِجْلك قبل الخَطو موضعها فمن علا زَلَقاً عن غِرَّة زَلَجا
ولا يَغُرَّنك صفوٌ أنت شاربُه فربما كان بالتَّكدير مُمْتزجا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عينان » .
(٢) الروحات : جمع روحة ، من الرواح ، وهو السير ، أى وقت . وكأنه يريد به السير بالنهار ليقابل « الدلج » الذى هو السير فى الليل كله .
(٣) فلج : ظفر .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « فاطلب » .

وحكى بعضُهم قال :

كنّا عند قُثَم بن جعفر بن سليمان، ومعنا محمد بن يسير ، ونحن على شراب ، فأمر بأن يُبخَّر ويُطيَّب . فأقبلت وصيفةٌ له حسنة الوجه ، فجعلت تُبخرنا وتُغلّفنا[1] بغالية كانت معها ، فلما بخّرت ابنَ يسير وغلّفته ، ألتفت إلىّ ، وكان إلى جنبى ، فأنشدنى :

يا باسطاً كفّه نحوى يُطيّبنى ... كفّاك أطيبُ يا حِبّى من الطِّيبِ

كفّاك يجرى مكانَ الطيب طيبُهما ... فلا تَزِدنى عليها عند تَطْييبى

يا لائمى فى هواها أنت لم ترها ... وأنت مُغرًى بتأنيبى وتَعذيبى

أنظُرْ إلى وجهها هل مثل صورته ... فى الناس وجهٌ مُجلًّى غيرُ محجوب

فقلت له : أسكت ويلك لا تُصفع . فقال : والله لو وثقت أننا نُصفع جميعاً لأنشدتُه الأبيات ، ولكنى أخاف أن أُفرد بالصفع دونك .

شعر له كان ينشده ابن رياح فى الشدة

وقيل :

كان محمد[2] بن رياح إذا أشتد[3] به أنشد قولَ ابن يَسير :

تُخْطِى النفوس مع العيان ... وقد تُصيب مع المظنّه

كم من مضيق فى الفضاء ... ومَخرج بين الأسنّه

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار ابن يسير ، هو :

لا أرّق الله عيْنَى من أرقتُ له ... ولا مَلا مثلَ قلبى قلبَه تَرَحا

يَسُرنى سوء حالى فى مَسرته ... فكلما ازددتُ سُقماً زادنى فَرحا

(١) تغلف : تلطخ . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « إبراهيم » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وأحزنه الأمر » .

أخبار ديك الجن

نسبه — هو عبد السلام بن رَغْبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رَغْبان ابن زيد بن تميم .

لقبه وشيء عن جده — وديك الجن لقب غلب عليه . وكان جدّه تميم ممن أنعم الله عليه بالإسلام من أهل مُؤْتة[1] على يَد حَبيب بن مَسلمة الفِهريّ .

طبقته وشيء عنه — وديك الجنّ شاعر مُجيد من شُعراء الدولة العباسية . وكان من ساكنى حِمص ، لم يبرح نواحى الشأم ، ولم يَفِد إلى العراق ولا إلى غيره مُنتجعاً بشعره ، ولا متصدِّياً لأحد ، وكان يتشيّع .

مجونه وشدة ابن عمه عليه — وذُكر أنّ ديك الجنّ كان خَليعاً ماجِناً منعكفاً على القَصْف واللهو ، مِتلافاً لما احتوت عليه يده ؛ وكان له ابن عمّ - يُكنى أبا الطيّب - كان يَعظه وينهاه عمّا يَفعله ، ويَحول بينه وبين ما يُؤْثره من لذّات ، وربما هَجم عليه وعنده قومٌ من الُمجّان وأهل الخلاعة فيستخفّ بهم وبه ؛ فهجاه ديكُ الجِنّ وبالغ فى سَبِّه .

شيء عن زوجه ورد وشعره فيها — وكان ديك الجنّ قد اشتهر بحُبّ جارية نَصْرانية من أهل حِمص ، وتمادى به الأمرُ حتى غلبت عليه وذهبت به . فلما اشتهر بها دَعاها إلى الإسلام ليتزوّج بها ، فأجابتــه لعِلمها برغبته فيها ، وأَسلمت على يده وتزوّجها ، وكان اسمها ورداً ، ففى ذلك يقول :

---

(1) مؤتة ، مهموز الواو ، وحكى فيه غير الهمز : قرية من أرض البلقاء من الشام ، وكانت بها غزوة فى جمادى الأولى سنة ثمان ، التى فيها المسلمون والروم .

انظر إلى شمس القصور و بدرها و إلى خُزاماها[١] و بهجة زهرها
لم تبصر[٢] عينُك أبيضاً فى أسود جَمع الجمالَ كوجهها فى شَعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها من نعتها[٣] من لا يحيط بخُبرها
وتمايلت فضحكتُ من أردافها عجباً ولكنّى بكيتُ لخصْرها
تَسقيك كأس مُدامة من كفّها وردية ومُدامة من ثغرها

كاد له ابن عمه فى زوجه

وكان قد أعسر واختلّت حاله ، فقصد سَلَمْيَة[٤] ومَدح بها أحمدَ بن على الهاشمىّ، وأقام عنده مدةً طويلة . وحمل ابنَ عمّه بُغضه إياه بعد مودّته له و إشفاقه عليه بسبب هجائه ، على أن أذاع على تلك المرأة التى تزوّجها ديك الجن أنها تَهوى غلاماً له ، وقرّر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه و إخوانه . وشاع ذلك الخبرُ حتى أتى إلى ديك الجنّ . فكتب إلى أحمد بن على الهاشمى يستأذنه فى الرّجوع إلى حمص و يُعلمه ما بلغه من خبر المرأة ، قصيدةً أولها :

إنّ ريْب الزّمان طال انتكاثه كم رمتنى بحادثٍ أحداثُه

يقول فيها :

ظَبْى إنس قَلبى مَقيل ضُحاه وفُؤادى بَرِيرُه[٥] وكَباثُه

وفيها يقول :

خِيفةً أن يخونَ عهدى وأن يُضحِى لغيرى حُجُوله[٦] ورِعاثُه

وفيها مَدح لأحمدَ بعد هذا ، وهى طويلة . فأذن له . وقدّر ابنُ عمه وقت

---

(١) الخزامى : نبت طيب الريح . (٢) فى بعض أصول الأغانى : «لم تبلك».
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ريقها » . (٤) سلمية : من أعمال حماة .
(٥) البرير : من ثمر الأراك ؛ والكباث : ما نضج منه .
(٦) الحجول : جمع حجل ، وهو الخلخال . والرعاث : ما يعلق فى أذن المرأة من القرطة ، والواحدة : رعثة .

وصوله ، وأرصد له قوماً يُعلمونه موافاتَه باب حِمص . فلما وافاه خرج إليه مستقبلاً ومعنفّاً له على تمسكه بهذه المرأة بعد ما شاع عنها من الفساد ، وأشار عليه بطلاقها ، وأعلمه أنها قد أحدثت فى مَغيبه حادثةً لا يَجمل به معها المُقام عليها ؛ ودسّ الرجلَ الذى رماها به وقال له : إذا قدم عبدُ السلام ودخل منزله فقِف على بابه كأنك لم تَعلم بقُدومه ونادِ باسم وَرد ؛ فإذا قالت : من أنت ؟ فقل لها : أنا فلان . فلما نزل عبدُالسلام منزله وألقى مَتاعه سألها عن الخبر وأغلظ عليها ، فأجابته جواب من لم يعرف من القضيّة شيئاً . فبينا هو فى ذلك إذ قرع الرجلُ البابَ . فقالت : من هذا ؟ فقال : أنا فلان . فقال : ديك الجن : يا زانية ، زعمتِ أنك لا تَعرفين مِن هذا شيئاً ، واُخترط سيفه وضَربها به حتى قتلها ، وقال فى ذلك :

ليتنى لم أكن لعَطفك نِلتُ ... وإلى ذلك الوصال وصلتُ

قال ذو الجهل قد حَلمت ولا ... أعلم أنّى حَلُمتُ حتى جَهلت

سوف آسَى طولَ الحياة وأبكـ ... ـيك على ما فعلتِ لا ما فعلتُ

وقال أيضاً :

لكَ نفس مُواتيه ... والمَنـايا مُعـاديه

أيها القلب لا تعُـد ... لهَوى البيض ثانيه

ليس بَرقٌ يكون أخـ ... ـلبَ من برق غانيه

خُنتِ سرّ مَن لم يخُنـ ... ـك[1] فمُوتى عَلانيه

و بلغ السلطانَ الخبرُ ، فطلبه ، فخَرج إلى دمشق وأقام بها أياماً . وكتب أحمدُ بن على الهاشمى إلى أمير دمشق[2] أن يُؤمِّنه، و تَحمل[3] عليه بإخوانه حتى

(١) فى الأغانى : « خنت سرى ولم أخنك » .
(٢) فى الأصل : « حمص » .
(٣) فى الأغانى : « يتحمل » .

حتى يستوهبُوا جنايته . فقَدِم حِمصَ و بلَغه الخبرُ على حقيقته ، واستيقنه فنـدم ، ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ولا يَطعم من الطعام إلا ما يُقيم رَمقه ، وقال :

يا طَلعَـةً طلع الحِمامُ عليها ... وجَنى لها ثَمر الرَّدى بيـدَيْها
رَوَّيتُ من دمها الثَّرى ولطالما ... روَّى الهوى شَـفتىَّ من شَفتيها
مكَّنت[1] سَيفِى فى مَجال وِشاحها ... ومَدامعى تجرى على خـدَّيها
فوحقِّ نعلَيها فما وطىء الحصى ... شىء أعز علىَّ من نعلَيْهـا
ما كان قَتليهـا لأنىِّ لم أكن ... أبكى إذا سـقط الذُّباب عليهـا
لـكن ضننتُ على العيون بلَحظها ... وأنفت من نَظر الحسود إليهـا

خبر آخر فى هذا الشـعر

قال أبو الفرج :

وقد رُيت هذه الأبيات لغير ديك الجن : وهو أنه رُوى أن السُّليك بن مجمّع الغطفانى كان من الفرسان ، وكان مطلوباً فى سائر القبائل بدماء قوم قتلهم ، وكان يَهوى ابنة عم له ، وخَطبها مرة فمنعه أبوها منها ثم زوجه إياها خوفاً منه ، فدخل بها فى دار أبيها ، ثم نقلها بعد أسبوع إلى عشيرته . فلقيه من بنى فزارة ثلاثون فارساً كلهم يطلُبـه بدم ، فقاتلوه وقاتلهم ، فقتل منهم عدداً وأثخن بالجراح آخرين ، وأثخن هو حتى أيقن بالموت ، فعاد إليها وقال : ما أسمح بك نفساً لهؤلاء ، وأحب أن أُقدمك قبلى . قالت : أفعل ، ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا . فضربها بسـيفه حتى قتلها ، وأنشأ يقول :

* يا طلعة طلع الحِمام عليها * الأبيات

ثم نزل إليها فتمرغ فى دمها وتخضّب به ، ثم تقـدم فقاتل حتى قُتل . فبلغ قومَه خبرُه فحملوه وابنة عمه فدفنوهما .

---

(١) فى الأغانى : « قد بات » .

من شعره فى امرأته

وقال ديكُ الجنّ فى اْمرأته أيضاً :

أشفقتُ أن يَرِد الزمانُ بغَـدْره · أو أُبتلَى بعـد الوِصال بهَجْره
قَمرٌ أنا اْستخرجتُـه من دُجْنـة · لبليّتى وجلوتُه من خِـدْره
فقتلتُـه و به عَلَىّ كرامةٌ · مِلْءَ الحَشَى وله الفؤاد بأسْره
عهـدى به مَيْتاً كأحسن نائم · والحزنُ يَسفح دَمعَتى[1] فى نحره
لو كان يَدرِى المَيْتُ ماذا بعـده · بالحىّ منـه[2] بَكا له فى قَـبره
غُصصٌ تكاد تَفيض[3] منها نفسُه · ويكاد يَخرُج قلبُه من صَـدره

شعره فى غلام كان يهـواه

وذُكر أنّ ديك الجن كان يهوى غُلاماً من أهل حِمص ، يقال له : بَكْر ، وفيه يقول ، وقد جلسا يتحدثان إلى أن غاب القمر :

دَعِ البَدر فَلْيغرُب فأنت لنا بدر · إذا ما تَجلّى من مَحاسـنك الفَجْرُ
إذا ما اْنقضى سِحْر الذين ببـابلٍ · فطَرفُك لى سِحر وريقُك لى خَمر
ولو قيل قُمْ فاْدع أَحسنَ من تَرى · نصحتُ بأَعلى الصوت:يا بكر يابكر

وكان هـذا الغلام يُعرف ببكر بن دَهمرد ، وكان شـديد التمنع والتصوّن ، فاْحتال قوم من أهل حِمص فأَخرجوه إلى متنزّه لهم يعرف بمِياس وأَسكروه وفَسقوا به جميعاً . و بلغ الخبرُ ديكَ الجن فقال :

قُل لهضيم الـكَشْح ميّاس · اْنتقض العهـدُ من النـاسِ
يا طاقة[4] الآس التى لم تَمِدْ · إلا أذلّت قُضُب الآس
وثِقت بالـكأس وشُرّابهـا · وحَتْفُ أمثالك فى الـكاس

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عبرتى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بالحى حل » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « تعيظ » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « ياطلعة » .

لا بأس مولاى على أنها ... نهاية المكروه والباس

هى الليالى ولها دَولة ... ووَحشة من بعد إيناس

بينا أنافت وعَلت بالفتى ... إذ قيل حَطّته على الراس

فالله ودَع عنك أحاديثهم ... سيُصبح الذاكر كالناسى

وقال فيه أيضاً :

قولا لبَكر بن دَهرد إذا اعتكرت ... عساكرُ اللّيل بين الطّاس والجام

ألم أقل لك إن البَغى مَهلكة ... والبغى والعُجب مِفْساد(١) لأقوام

قد كنت تَفْرَق من سَهم بغانية ... فصِرْتَ غير ذَميم رُقعة الرامى

وكنت تفزع من لَمس ومن قُبل ... فقد ذَلِلت لإسراجٍ وإلجام

إنْ تَدْمَ فَخذاك من رَكض فربّما ... أُمسى وقلبى عليك المُوجع الدّامى

رثاؤه جعفر ابن على

وذُكر أنه تُوفى جعفر بن على الهاشمى ، فرثاه ديك الجن بقصيدة أولها :

على هذه كانت تَدور النّوائبُ ... وفى كُلّ جَمع للذّهاب مَذاهبُ

نَزلنا على حُكم الزمان وأمره ... وهل يَقبل النّصف الألدُّ المُشاغب

وتَضحك سِنُّ المرء والقلب مُوجع ... ويرضى الفتى عن دَهره وهو عاتب

ويقول فيها :

فتًى كان مثلَ السيف من حيث جئته ... لنائبة نابتْك فهو مُضارب

فتًى همّه(٢) حَمد على الدهر رابح ... وإن بان(٣) عنه مالُه فهو عازِب

بكاك أخٌ لم تَحوه بقرابة ... بلى إن إخوان الصفاء أقارب

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « نساء » .

(٢) فى الأصل : « حمده » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « غاب » .

وأظلمتِ الدنيا التى أنت جارها كأنك للدُّنيا أخٌ ومناسب

ويُبرد نيرانَ المصائب أننى أرى زمناً لم تَبْق فيه مَصائب

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ديك الجن ، هو :

أنت حديثى فى النَّوم واليقَظه أتعبتُ مما أهذى به الحَفظه

كم واعظٍ فيك لى وواعظه لو كنتُ ممن تنهاه عنك عِظه

أخبار قيس بن عاصم المنقري

نسبه

هو قيس بن عاصم بن سِنان بن خالد بن مِنْقر بن عُبيد بن مُقاعس م
مقاعس الحارث — بن عمرو بن كعب بن زيد مناة بن تميم .

كنيته ونسب أمه

ويُكنى أبا علىّ . وأُمه أُم صُعر[1] بنت خَليفة بن جَرول بن مِنْقر .

شاعر مخضرم

شاعر فارس شُجاع حليم ، كثير الغارات ، مُظفَّر فى غزواته . أَدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما . وهو أحد من وأد بناته فى الجاهلية . وأَسلم وحَسُن إسلامه ، وأتى النبىَّ صلّى الله عليه وسلم وصَحبه فى حَياته ، وعُمِّر بعده زماناً ، وروى عنه عدة أحاديث .

وفوده على النبى صلى الله عليه وسلم وأده البنات

وذُكر أنه وَفد قيس بن عاصم على رسول الله صلّى الله عليه وسلم فسأله بعضُ الأنصار عمّا يتحدَّث به فى الموءودات التى وَأدهن من بناته . فأَخبر أنه ما وُلدت له بنت قطُّ إلّا وأدها . ثم أقبل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : كنت أخاف سُوء الأُحدوثة والفَضيحة فى البنات ، فما وُلدت لى بنت إلا وأدتُها ، وما رحمت منهن موءودة قطُّ ، إلّا بُنَيّة لى كانت ولدتها أُمها وأنا فى سَفر ، فدفعتْها إلى أَخوالها فكانت فيهم . وقدمتُ فسألت عن الحَمل ، فأخبرتْنى المرأة أنها ولدت ولداً ميتاً . ومضى على ذلك سنون ، حتى كَبرت الصبيّة وأيفعت[2] ، فزارت أُمَّها ذات يوم ، فدخلتُ فرأيتُها وقد ضَفرت شعرها وجعلت فى قُرونها شيئاً من

---

(١) فى الأصل : « وأمه صعر » .

(٢) فى الأصل والأغانى : « يفعت » وهو غير مسموع .

خُلوق[١] ونَظمت عليها وَدَعاً ، وألبستها قِلادة جَزَع[٢] ، وجعلت فى عُنقها مِخنقة[٣] بلح . فقلت : من هذه الصبيّة ؟ فقد أعجبنى جمالها وكَيْسها . فبكت ثم قالت : هذه ابنتك ، كنت خبّرتُك أنى ولدتُ ولداً ميتاً ، وجعلتُها عند أخوالها حتى بلغت هذا المَبلغ . فأمسكتُ عنها ، حتى اشتغلت عنها أمها ، ثم أخرجتُها يوماً فحفرتُ لها حَفيرة وجعلتها فيها ، وهى تقول : يا أبة ، أمغطِّىَّ أنت بالتُّراب وتاركى وحدى ومُنصرفٌ عنى ! وجعلت أقذف عليها التراب وهى تقول ذلك ، حتى واريتُها وانقطع صوتُها . فما رحمتُ أحداً ممّا ولدتُه غيرَها . فدمعت عينا النبى صلّى الله عليه وسلّم وقال : إنّ هذه لقسوة ! وإن من لاَ يرحم لا يُرحم .

قلت : وهذا الفعل من أفعال الجاهلية ، وفيه نزل قوله تعالى : (وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)[٤] .

وذُكر أن قيس بن عاصم تزوّج مَنفوسة بنت زيد الفوارس الضّبى ، وأتته فى الليلة الثانية من بنائه بها بطعام ، فقال : وأين أكِيلى ؟ فلم تعلم ما يُريد . فأنشأ يقول :

أيابنةَ عبد الله وابنة مالك	ويا بنة ذى البُردين والفَرس الوَرْدِ
إذا ما صنعتِ الزاد فالتمسى له	أكِيلاً فإنّى لستُ آكله وحدى
أخاً طارقاً أو جارَ بيتٍ فإننى	أخاف مَذمّات[٥] الأحاديث من بعدى
وإنّى لعبدُ الضَّيف من غير ذِلّةٍ	وما فىّ[٦] إلا تلك من شِيم العَبد

(١) الخلوق : نوع من الطيب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ، وتغلب عليه الحمرة والصفرة .

(٢) الجزع : ضرب من الخرز فيه بياض وسواد ، تشبه به الأعين .

(٣) المخنقة : القلادة .

(٤) الآية ٨ من سورة التكوير .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : «ملامات» .

(٦) فى بعض أصول الأغانى : «وبى» .

فأرسلت جارية لها يقال لها : مليحة ، فطلبت له أكيلاً ، وأنشأت تقول :

أبى المرء قيسٌ أن يذوق طعامَه ... بغير أكيل إنّه لكريمُ
فبُورِكت حيًّا يا أخا الجُود والنَّدى ... وبُورِكت مَيْتاً قد حَوتْك رُجُومِ

وحُكى أن الأحنف بن قيس قال :

ما تعلّمتُ الحِلْمَ إلا من قَيس بن عاصم المِنقرىّ . فقيل له : وكيف ذلك يا أبا بَحر ؟ فقال : قَتل ابنُ أخٍ له ابنَه ، فأُتِى بابن أَخيه مكتوفاً يُقاد إليه ، فقال : ذَعرتم الفتى ! ثم أقبل عليه فقال : يا بُنى ، نقصت عددك ، وأوهنت[1] رُكنك ! وفتَتَّ فى عَضُدك ، وأشمتَّ عدوّك ، وأسأت بقومك ! خلّوا سبيلَه ، واحملوا إلى أم المقتول دِيَتَه . فانصرف القاتل . وما حَلَّ قيسٌ حِبْوته[2] ولا تَغيَّر وجهُه .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه حين وفد عليه

وذُكر أنّ قيساً لما وَفد على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : هذا سيد أهل الوبر .

هو والزبرقان وقد منع الصدقة

وذُكر أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولَّى قيس بن عاصم صدقاتِ بنى مُقاعس والبُطون كُلّها . وكان الزِّبرقان بن بَدر قد وَلى صدقات عَوف والأَبناء . فلما تُوُفِّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقد جمع كل واحد من قَيس والزبرقان صدقات من وَلى صدقَته ، دَسَّ إليه الزِّبرقان من زَيَّن له المَنع لِمَا فى يده وخَدعه بذلك ، وقال له : إن النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم قد تُوفى ، فهلُمّ نجمع هذه الصدقة ونَجعلها فى قومنا ، فإن استقام الأمرُ لأبى بكر وأدّت العربُ إليه الزكاة جمعنا له الأُولى والثانية[3] . ففرّق قيسٌ الإبل فى قومه ، وانطلق الزبرقان إلى أبى بكر بسبعمائة بعير فأدّاها إليه ، وقال فى ذلك :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : «وأوهنت» .

(٢) الحبوة ، بالكسر والفتح : الثوب الذى يحتبى به ويشتمل ، وذلك أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : «جمعنا له الثانية» .

وفيتُ بأزواد النبىّ محمـــد وكنت امرأً لا أفسد الدّين بالغَدْرِ

فلما عَرف قيسٌ ما كاده به الزّبرقان ، قال : لو عاهد الزبرقانُ أُمّه لغدر بها !

سبب اجتنابه الخمر

وذُكر أنّ قَيس بن عاصم كان أحــدَ من حَرّم الخمر على نفسه فى الجاهليّة ، وذلك أنه سكر من الخمر فغمز عُكنة[1] ابنته ـ وقيل أخته ـ فَهربت منه . فلما صَحا سأل عنها ، فقيل له : أَوَ ما علمتَ ما صنعتَ البارحة ؟ قال : لا . فأخبروه بصُنعه . فحرّم الخمر على نفسه ، وقال فى ذلك :

وجدتُ الخمرَ جامحةً وفيهـــا خِصالٌ تَفضح الرجلَ الكَريمَا
فلا واللهِ أشربُها حيـــاتى ولا أدعُو لهـــا أبداً نَديمـــا
ولا أُعطى بهـــا ثمناً حيـاتى ولا أَشْفِى بهـا أبداً سَـقيما
فإنّ الخمرَ تفضح شــاربيها وتُجشمهم[2] بهـا أمراً عظيما
إذا دارت حُمَيّـاها تَعلّت طوالعُ تَسفه[3] الرجلَ الحَليما

وذُكر فى سبب تحريمــه الخمر على نفسه أنّ رجلاً مَرّ يحمل الخمر على قيس ابن عاصم فنزَل به ، فقال له قيس : أَصْبِحْنى[4] قَدحاً . ففعل . ثم قال : زِدنى . فقال : أنا رجل تاجر طالبُ رِبح ، لا أَستطيع أن أسقيَك بغير ثمن . فقام إليــه قَيس فربَطه إلى دَوحة فى داره حتى أَصبح . فـكلّمتْه أُختــه فى أمره ، فلطمها وخَمَش وَجهها . وزعَموا أنه أرادها على نفسها ، وجعل يقول :

وتاجر فاجر جاء الإلهُ به كأنّ لحيته أذنابُ أَجمالِ

---

(١) العكنة : واحدة العكن ، وهى الأطواء فى البطن من السمن . ويلاحظ أن فى الخبر غرابة فقد تقدم أن قيساً لم تبج له بنت من الوأد .

(٢) تجشمهم : تكلفهم . والرواية فى التجريد : « وتجنيهم » .

(٣) تسفهه : أى تحمله على السفه .

(٤) صبحه يصبحه : سقاه الصبوح .

فلما أصبح قال : مَن فعل هذا بضَيفى ؟ فقالت له أخته : الذى صنع هذا بوجهى ! وأرته صَنيعه ، وأخبرته بما فعل . فأعطى الله عهداً ألّا يشرب الخمر ، وقال :

فوالله لا أحسو مَدى الدهر خمرةً ولا شَربةً تُزرى بذى اللُّب والفَخرِ

فياشاربَ الصهباء دَعها لأهلها الـ ـغُواة وسلِّمْ للجَسيم من الأمرِ

فإنك لا تَدرى إذا ما شربتَها وأكثرتَ منها ما تَرِيش وما تَبرى

رثاء عبدة له

وفى قيس بن عاصم يقول عَبدة بن الطَّيِّب يَرثيه :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمتُه ما شاء أن يترحّما

تحيةَ من أوليته منك نِعمةً إذا زار عن شَحط بلادَك سلّما

فما كان قيسٌ هُلكه هلك واحد ولكنّه بُنيان قوم تهدّما

أخبار محمد بن حازم

نسبه وشيء عنه

هو محمد بن حازم بن عَمرو الباهلى . وهو من ساكنى بغـداد . ومولدُه ومَنشؤه البصرة . وهو شاعر مطبوع من شُعراء الدولة العباسية ، وكان كثير الهجاء فاطُّرِح . ولم يَمـدح من الخُلفاء غيرَ المأمون . وكان سـاقطَ الهِمَّة مُتقلِّلاً جدًّا ، يُرضيه اليسير ولا يتصدّى لمدح ولا طَلَب .

شعر له استحسنه ابن الأعرابى

وذكر أن ابن الأعرابى قال : أحسنُ ما قال المُحدَثون من شعراء أهل الزمان ، فى مديح الشباب وذم الشيب ، قولُ محمد بن حازم :

لا حِينَ صَبرٍ فخَلِّ الدمعَ ينهملُ ... فَقْدُ الشـباب بيوم المرء مُتَّصلُ
سَقياً ورعياً لأيام الشباب وإن ... لم يَبق منـه[1] له رَسْم ولا طَلَل
جَرَّ الزمانُ ذيولاً فى مَفارقه ... وللزمان على إحسانه عِلَل
ورُبما جَرّ أذيال الصِّبا مرحاً ... وبين بُرْديه غُصنٌ ناعمٌ خَضِل
يُصْبِي الغوانى ويَزهاه بشِرّته ... شَرْخ الشَّباب وثوبٌ حالكٌ رَجِل[2]
لا تُكذَبَنّ فما الدُّنيا بأجمعها ... من الشـباب بيومٍ واحد بَدَل
كفاك بالشَّيب عيباً عند[3] غانية ... وبالشـباب شَفيعاً أيُّها الرّجُل
بان الشـباب وولَّى عنك باطلُه ... فليس يحسُن منك اللّهو والغَزل
أمّا الغوانى فقد أعرضن عنك قِلًى ... وكان إعراضهنّ الدَّلَّ والخَجل

(۱) فى بعض أصول الأغانى : « منك » .
(۲) رجل : بين السبوطة والجعودة : يعنى الشعر بسواده مع الشباب .
(۳) فى بعض أصول الأغانى : « عائبة » مكان « غانية » .

أعزَّتك الهجر ما ناحت مُطوَّقة فلا وِصالٌ ولا عَهد ولا رُسُل
لَيت المَنايا أصابتْنى بأسهُمها فكُنَّ يَذْكرن عَهْدِى قبل أكتهل [١]
عهدَ الشَّباب لقد أبقيت لى حَزَناً ماجدَّ ذكرُك إلّا جدَّ لى ثُكل

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار محمد بن حازم ، هو :

خُذ من العيش ما كَفَى ومن الدَّهر ما صَفَا
حَسُن الغَدر فى الأنا م كما أستُقبح الوفا
صِلْ أخا الوصل إنه ليس بالهجر من [٢] حَفا
عين من لا يُريد وصـ ـلك تُبدى لك الجفا

ثم ذكر أبو الفرج ابنَ أبى الزوائد السّعدى ، ولم أختر له شيئاً [٣] .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يبكين » . (٢) حفا : أعطى .
(٣) وقبل « ابن أبى الزوائد » ترجم أبو الفرج لابن القصار ، ثم لمعبد ، وهما مغنيان .

أخبار أبى الأسد

وأسمه نُباتة بن عبد الله الحِمّانى . وذكر أنه من بنى شَيبان .

نسبه منزلته فى الشعر

وهو شاعر مطبوع متوسط الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، من أهل الدِّينور . وكان طَيِّباً مليح النوادر ، مزّاحاً خبيث الهجاء .

شعره الذى فيه الغناء وحديثه

وكان صديقاً لعلّويه المغنى ، وله صنعة كثيرة فى شعره .

وذُكر أنه كان عنده ليلة ، وكان علّويه يهوى جارية لآل يحيى بن مُعاذ ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء ، وكانت وعدتْه أن تزوره تلك الليلة ، فقال علّويه لأبى الأسد : قُل فى هذا شعراً . فقال — وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى الأسد — :

خَليل[1] صدَّ عن إلفه	فليس لليله صُبْحُ
يُقلِّبه على مَضض	مواعدُ ما لها نُجح
له فى عَيْنه[2] غَرْب	وفى أحشائه جُرح
صَحا عنه الذى يرجو	زيارتَه وما يَصْحو

شعره له فى الفيض

وذُكر أنّ أبا الأسد مَدح الفَيض بن أبى صالح[3] ، وهو حينئذ ملازم بيته فى أيام الرشيد ، وكان الفيض قبل ذلك وزيرَ المهدى ، فقال فيه ، وهو من أجود الشعر :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « محب » .

(٢) يقال : بعينه غرب ، إذا كانت تسيل ولا تنقطع دموعها .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الفيض بن صالح » .

ولائمــة لامتك يا فَيضُ فى النــدى فقُلت لهـا لن يَقدح اللومُ فى البَحْرِ
أرادت لتَثنى[١] الفَيضَ عن عادة النَّدى ومَن ذا الذى يَثنى السحابَ عن القَطر
مواقعُ جُود الفَيض فى كُل بلدة مَواقع فَيض[٢] المُزن فى البَلد القفر
كأنَّ وُفود الفَيض يومَ[٣] يحمّلوا إلى الفَيض وافَوْا[٤] عنده ليلة القَدر

شعره فى صديق عدا البحترى على معناه

ولأبى الأسد أيضاً فى صَديق له ، وكان به برًّا ، وهو من جيد شعره ، وقد سرق البحترى معناه :

أعدُو على مال بسطام فأنهبُـه كما أشــاء فلا يَثنى إلىَّ يَدِى
حتى كأنِّىَ بسطامٌ بمـا احتكمت فيـه يداى و بسطامٌ أبو الأسـد

شعره فى رثاء إبراهيم الموصلى

وذُكر أنه لمـا تُوفى إبراهيم الموصلى ، قيل لأبى الأسد ، وكان صديقــه : ألا ترْثيه ؟ فقال :

تولّى الموصلىُّ فقـد تولَّتْ بشاشاتُ المَزاهر والقِيانِ
وأىّ ملاحة بَقِيت فتَبقى حياة الموصلىّ على الزمان
ستَبكيه المَزاهر والمَـلاهى وتُسعدهنّ عاتقــة الدِّنان
وتَبكيه الغَواية إذ تولّى ولا تَبكيه تاليــةُ القُران

فقالوا له : ويلك ! فقــد كان صديقك ! فقال : و بأى شىء كنتُ أذكره وأرثيه ، بالزهد والفقه والقراءة ! وهل يُرثى إلا بهذا وشِبهه !

(١) فى بعض أصول الأغانى « لتنهى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى: « ماء » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لما » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « لاقوا » .

[١٣] أخبار قيس بن الحدادية

نســبه

هو قيس بن مُنقذ (١) بن عمرو بن عُبيد بن ضاطر بن حَبَشيَّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة — وهو خزاعة — بن عمرو — وهو مُزيقياء — ابن عامر — وهو ماء السماء — بن حارثة الغِطريف بن امرىء القيس البطريق ابن ثعلبة بن مازن بن الأزد . وقد تقدم نسبه .

أمــه

والحدَّادية أمّ قيس ، وهى من مُحارب بن خَصَفة بن قَيس بن عَيلان ابن مُضر ، من قَبيلة منهم ، يقال لهم : بنو حداد .

خلع قومــه له

وقيس هــذا كان شاعراً من شُعراء الجاهلية فاتكاً شُجاعاً صُعلوكاً خَليعاً ، خلعته خُزاعة بسُوق عكاظ وأشهدت على نفسها بخَلعها إياه ، فلا تحمل جريرة له ، ولا تُطالب بجَريرة يجُرّها أحدٌ عليه .

شعره الذى فيــه الغناء وسببه

وذُكر أن قيس بن الحَدَّادية كان يهوَى أُمَّ مالك بنت ذُؤيب الخُزاعى ، وكانت بطون من خُزاعة قد أَجدبوا فخرجوا طالبين أَرض مصر والشام ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق أدركهم مَن ذكر لهم كثرة المطر والغَيث وغزارته . فرجع عمرو بن عبد مناة فى ناسٍ كثير إلى أوطانهم ، وتقدَّم قَبيصة بن ذُؤيب ومعه أُختــه أُم مالك فمضى . فقال قيس بن الحدَّادية قصيدته التى أولها وبعض أبياتها فيها الغناء ، وافتتح بها أبو الفرج أخبار قيس ، وأولها :

أجدَّك إنْ نُعْمٌ نأت أنت جازعُ قد اُقتربت لو أن ذلك نافعُ

قد اُقتربت لو كان فى قُرب دارها نوال (٢) ولكنْ كلُّ من ضَنَّ مانع

---

(١) فى التجريد : « سعد » .   (٢) فى الأغانى : « لو أن فى قرب دارها * نوالا » .

وقد جاورتْنا فى أُمور[(١)] كثيرة فما توَّلت واللهُ راءٍ وسامِع
فإن تَلْقَيا نُعْماً ـ هُديت ـ فَحيِّها وسَل كيف تُرعى بالمَغيب الودائع

ومنها :

وحسبك من نأيٍ ثلاثةُ أشهر ومن حَزن إن شاق قلبكَ[(٢)] رابع

ومنها :

ولا يسمعنْ سرّى وسرَّك ثالث ألا كُل سرٍّ جاوز اثنين شائع
وكيف يشيع السر منّى ودونه حجابٌ ومن دُون الحجاب الأضالع

ومنها :

[(٣)]وإنّي لأنهَى النفس عنها تجمُّلاً وقلبى إليها الدهرَ عطشانُ جائع
كأنَّ فؤادى بين شِقَّين من عصاً حِذارَ وُقوع البَين والبينُ واقع
يَحُث بها حادٍ سريع نَجاؤه مُعرًّى عن الساقين والثوبُ واسع
فقلت لها يا نُعم حُلِّى محلّنا فإنَّ الهوى والعيشُ يا نُعم جامع
فقالت وعيناها تَفيضان عَبرة : بأهلِيَ بيِّن لى متى أنت راجِع
فقلت لها : تاللهِ يدرى مسافر متى أضمرته الأرضُ ما اللهُ صانِع
وشدَّت على فِيها اللِّثام وأعرضت وأقبل[(٤)] بالكحل السَّحيق المَدامع
وإني لعَهد الوُد راعٍ وإنني بوَصلك إن[(٥)] لم يطونى الموتُ طامع

وذكر أن عائشة بنت طلحة أُنشدت هذه القصيدة فاُستحسنتها ، و بحضرتها جماعة من الشعراء ، فقالت : مَن قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يُشبهها و يدخل فى معناها فله حُلَّتى هذه . فلم يقدر واحد منهم على ذلك .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى شهور » . (٢) فى الأغانى : « ان زاد شوقك » .
(٣) لم تذكر أصول الأغانى التى بين أيدينا هذا البيت .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « وأمعن » . (٥) فى الأغانى : « ما لم » .

من شعره

وقال قيس :

سقى الله أطلالا لنُعم[1] تقاذفت ... بهنّ النّوى حتى حَلَلْنَ[2] المَطاليا

فإن كانت الأيام يا أُمّ مالك ... تُسَلّيكم عنّا وتُرضى الأعاديا

فلا يأمَنَنْ بعدى امرؤ فَجْعَ لذّة ... من العيش أو فَجع الخُطوب العَوافيا[3]

و بُدّلت مِن جَدواك يا أُم مالك ... طوارقَ همٍّ يحتضرنَ[4] وِساديا

وأصبحتُ بعد الأُنس لابسَ جُبة ... أساقى الكُماة الدراعين[5] العواليا

فيوماى يوم فى الحديد مُسربلا ... و يوماً مع البِيض الأوانس لاهيا

خَليليّ إن دارت على أُم مالك ... صُروف الليالى فأَبغيا لى[6] ناعيا

ولا تتركانى لا لخير مُعجّل ... ولا لبقاء تنظران بَقائيا

وهذان البيتان قد تقدّما فى أشعار المجنون .

خبر مقتله

وذكر أن قيس بن الحدّادية لقى جمعاً من مُزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غِرّة ، فقالوا : أستأسر . فقال : وما ينفعكم منى إذا استأسرت ، وأنا خليع ، والله لو أسرتمونى ثم طلبتم من قومى عَنزاً ما أُعطيتموها ! فقالوا : أستأسر لا أُم لك . فقال : نفسى أكرم وأشدّ من ذلك ، وقاتلهم حتى قُتل .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بنعم » . (٢) المطالى : موضع بنجران .

(٣) العوافى : التى تمحو وتطمس . (٤) يحتضرن : يحضرن .

(٥) الجبة : أى درع الحديد . والعوالى : الرماح . وجعل الطعان بها كالمساقاة .

(٦) فى بعض أصول الأغانى : « فابعثانى » .

أخبار ابن قنبر

نسبه

هو الحكم بن محمد بن قَنبر المازنى بن عَمرو بن تَميم ؛ بَصرىّ .

مهاجاته مسلماً

وكان يُهاجى مُسلمَ بن الوليد ـ صريع الغوانى ـ مدةً ، ثم غَلبه مُسلم .

من شعره

ومن جَيِّد شعره قولُه :

وَيلى على من أطار النومَ فامتنعا ... وزاد قَلبى على أوجاعه وَجعَا
كأنما الشمسُ من[1] أثوابه بَزغت ... حُسناً أو البدرُ من أزراره[2] طَلعا
فقد نَسيتُ الكَرى من طول ماعَطِلَت ... منه الجُفون وطارت مُهجتى قِطَعا

تعقيب لابن واصل

قلت : وأظُن من هذا الشعر :

مُستقبل بالذى يَهوى وإن كثُرت ... منه الذُّنوب ومَعذورٌ بما صَنعا
فى وجهه شافعٌ يَمحو إساءته ... من القُلوب وَجيهٌ أين ما شَفعا

هو وبعض الجوارى

وحَكى ابن قَنبر قال : لَقيتْنى جَوارٍ من جوارى سُليمان بن علىّ فى الطريق ، بين المِرْبد[3] وقَصر أَوس ، فقُلن لى : أنت الذى تقول :

* ويلى على من أطار النوم فامتنعا *

فقلت : نعم . فقلن : أمع هذا الوجه السَّمح تقول هذا ! ثم جعلن يجذبننى ويلهون معى حتى أخرجْننى من ثيابى . فرجعتُ عُرياناً إلى منزلى . وكان حَسَن اللباس .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى » .

(٢) الأزرار : جمع زر ، الذى يوضع فى القميص . وفى الأغانى « من أردانه » .

(٣) المربد : موضع سوق بالبصرة .

من شعره

ومن مختار شعره :

وحَقِّ الذى فى القَلب منكِ فإنه عظيمٌ لقد حصَّنتُ سرَّكِ فى صَدرِى
ولكنما أفشاه دَمعى وربما أتى المرء ما يَخشاه من حيث لا يدرى
فَهب لى ذُنوب الدَّمع إنى أظنُه بما منه يُبدى إنما يَبتغى ضُرِّى
ولو يَبتغى نَفعى لخلَّى ضمائرى تَرُد على أسرار مَكنونها سِرِّى

شعره الذى فيه الغناء

ومن شعره ، وهو الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخباره :

صَرمْتِنى ثم لا كلَّمتِنى أبداً إن كنتُ خُنتكِ فى حال من الحالِ
ولا اجترمتُ الذى فيه(١) جنايتكم ولا جَرت خَطْرةٌ منها(٢) على بالى
فسوِّغينى المُنى كيما أعيش بها وأمسكى البَذْل ما أطلقتِ آمالى
أو عَجِّلى تَلَفِى إن كنتِ قاتلتى أو نوِّلينى بإحسانٍ وإجمال

مما يغنى فيه من شعره

ومن شعره ، وهو مما يُغَنَّى فيه :

ليس فيها ما يُقال(٣) له كَمُلت لو أنَّ ذا كَمُلَا
كُل جزء من محاسنها كائن فى فَضلها(٤) مَثلا
لو تمنَّت فى ملاحتها لم تجد من نفسها بدلا

من شعره السيار

ومن شعره الحسن السيَّار :

إن كنتَ لا ترهب ذمِّى لِمَا تَعرف من صَفحى عن الجاهلِ
فاْخشَ سُكوتى فَطِناً مُنصتا فيك لتحسين خَنَا(٥) القائل
مقالةُ السَّوء إلى أهلها أسرع(٦) من مُنحدر سائل
ومَن دعا الناس إلى ذمِّه ذموه بالحق وبالباطل

(١) فى الأغانى : « الذى فيه خيانتكم » . (٢) فى الأغانى : « منى » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لها » مكان « له » . (٤) فى الأغانى : « فضله » .
(٥) فى الأغانى : « خنى » . (٦) فى الأغانى : « أسهل » .

شعره فى مرضه

وذُكر أن ابن قَنبر مرض فأتوه بخَصيب الطبيب يعالجه ، فقال :

ولقـد قلت لأهلى إذا أتونى بخَصيبِ
ليس والله خَصيب للذى بى بطَبيب
إنمـا يعرف دائى مَن به مثل الذى بى

موت خصيب

وكان خصيب هـذا عالماً بالطب فَمرض ، فنظر إلى ما به ، فقال : زعم جالينوس أن صاحب هـذه العلَّة إذا صار ماؤه هكذا لم يعش . فقيـل له : إن جالينوس ربما أخطأ . فقال : ما كنت قطُّ إلى خطئه أحوج منى إليه فى هذا الوقت ، ومات من علَّته تلك .

أخبار الأسود

نسبه

هو الأسود بن عمارة بن الوليد بن عدىّ بن الخِيار بن عَدِىّ بن نوفل بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعب بن غالب .

شيء عنه

شاعر من مُخضرمى الدولتين : الأُموية والعباسية . وكان يتولّى بيت المال بالمدينة .

شعره الذى فيه الغناء

وهو القائل :

خليلىّ من سَعدٍ أَلِمّا فسَلِّمَا ... على مَريم لا يُبعد اللهُ مَرْيَمَا

وقُولا لها هذا الفراق[1] عرفته ... فهل من نَوال بعد ذاك فنَعْلَما

وهذا هو الشعر الذى فيه الغناء وأُفتتح به أبو الفرج أخبار الأسود .

وكانت مريم هذه جارية مولَّدة مُغنِّية لأُمرأة من أهل المدينة .

حديث طلاق الهادى لامرأته

وذُكر أن موسى الهادى كانت تحته أبنة خاله ، فسألته أُمه الخَيزران أن يولِّى خالَه اليمن ، فوعَدها ذلك ودافعها به . ثم كتبت إليه يوماً رُقعةً تَستنجزه أمره فيها . فوجّه إليها رسولَها يقول : خَيِّريه بين اليَمَن وطلاق أبنته ، أو مُقامى عليها ولا أُوليه اليمن ، فأيهما اختار فعلتُه . فدخل الرسولُ إليها ، ولم يكن فَهم عنه ما قال ، فأَخبرها بغيره . ثم خرج إليه ، فقال : تقول لك : ولاية اليمن . فغضب الهادى وطلّق أبنة خاله وولّاه اليمن . فدخل الرسولُ فأَعلمها بذلك . فأرتفع الصياح من داره . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : من دار بنت خالك . قال : أولم تختر ذلك ؟ قالوا : لا ، لكن الرسول لم يَفهم ما قُلت فأَدّى غيره وعجلتَ بطلاقها . فندِمَ ودعا صالحاً صاحبَ المُصلَّى وقال له : أَقم على رأس كُل واحد ممن يحضُرنى من النُّدماء رجلا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عزمته » مكان « عرفته » .

بسيف ، فمن لم يُطلّق أمرأته منهم فلْتضرب عنقـه . ففعل ذلك . ولم يَبرح مَن بحضرته منهم حتى طَلّق أمرأته .

قال عبدُ الله بن محمد البوّاب : وخرج الخَدم إلىّ فعرّفونى ذلك ، وعلى الباب رجل واقف متلفّع بطَيلسانه يُراوح بين رِجليه ، فخطَر ببالى :

خَليلىّ من سَعد أَلِمّا فَسلِّما ... على مَريم لا يُبعد الله مَرْيما
وقُولا لها هذا الفراقُ[1] عرفته ... فهل مِن نوال بعد ذاك فنَعلما

فأنشدتُه « فيعلما » بالياء . فقال : « فنعلما » بالنون . فقلت له : وما الفرق بينهما ؟ فقال : إن المَعانى تُحسن الشعر وتفسده ، وإنما قال « فنعلما » لنعلم هذه[2] القصة . وليست به حاجة إلى أن يُعلِم الناس سرّه . فقلت له : أنا أعلم بالشعر منك . قال : فلمن هو ؟ فقلت : للأسود بن عمارة . قال : أتعرفه ؟ قلت : لا . فقال : فأنا هو . فاُعتذرتُ إليه من مُراجعتى إياه . ثم عرّفتهُ خبر الخليفة فيما فعله . فقال : أحسن الله جزاءك[3] ! فانصرف وهو يقول : هذا أحَقّ منزل يُنزل !

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عزمته » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ليعلم هو » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « عزاءك » .

أخبار على بن خليل (*)

ولاؤه

هو رجل من أهل الكوفة ، مولًى لمَعن بن زائدة الشَّيبانى . وكان يُعاشر صالح بن عبد القُدّوس ولا يكاد يُفارقه ، واتُّهم بالزَّندقة وأُخذ مع صالح ثم أُطلق لما انكشف أمره .

هو والمهدى فى شرب الخمر

وذُكر أنَّ علىَّ بن الخليل دَخل على المهدىّ فقال له : يا على ، أأنت عَلى مُعاقرتك الخمر وشُربك لها ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : وكيف ذلك ؟ قال : بِنْتُ منها . قال : فأين قولُك :

أُولعتْ نَفسى بلذَّتِها ... أما ترى(1) عن ذَاكَ إقصارَا

وأين قولك :

إذا ما كنتَ شاربها فسِرًّا ... ودَع قول اللَّوائم(2) واللواحِى

فقال : هذا شيء قلتهُ فى صباى يا أمير المؤمنين ، وأنا القائل بعد ذلك :

على اللذَّات والراح السلامُ ... تقضَّى العَهد وانقطع الذِّمامُ

مَضى عهدُ الصِّبا وخرجت منه ... كما من غِمده خرج الحُسام

وَقَرْتُ(3) على المَشيب فليس منِّى ... وصالُ الغانيات ولا المُدام

وولّى اللهوُ والقَينات عنى ... كما ولّى عن الصُّبح الظلام

(*) فى بعض أصول الأغانى : « الخليل » .

(1) فى بعض أصول الأغانى : « ألا ترى» .

(2) فى بعض أصول الأغانى : « العواذل » .

(3) وقر : ترزن وثبت .

حلبتُ الدهرَ أشطُرَه[1] فعندى ... لصَرف الدهر محمُود وذام

هو وبعض ولد المنصور فى حب جارية

وذُكر أنَّ على بن الخليل كان جالساً مع بعض ولد المنصور ، وكان الفتى يهوى جارية مُغنِّية لعُتبة مولاة المهدى ، فمرت به عُتبة فى مَوكبها والجارية معها ، فوقفت عُتبة وسلَّمت عليه وسألته عن خَبره ، فلم يُوفِّها حقَّ الجواب لشُغل قلبه بالجارية . فلما انصرف أقبل عليه علىّ بن الخليل وأنشده :

راقبْ بطَرفك مَن تخا ... ف إذا نظرتَ إلى الخليل

فإذا أمنتَ لحاظهم ... فعليك بالنظر الجميل

إن العيون تدلُّ بالنّـ ... ـظر المُلحِّ على[2] الدَّخيل

إمَّا على حُبٍّ شديـ ... ـد أو على بُغض أصيل

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار على بن الخليل ، هو :

هل لدَهر قد مضى من مُعاد ... أم[3] لهمٍّ داخل من نَفَادِ

أذكرتْنى عشيةً قد تولَّت ... هاتفاتٌ تحنُّ فى وسط[4] وادى

هِجْن لى شوقاً وألهبن ناراً ... للهوى فى مُستقرِّ الفؤاد

بان أحبابى وغُودرتُ فرداً ... نُصْبَ ما سرَّ عيونَ الأعادى

(١) الأشطر : أخلاف الناقة ؛ وللناقة شطران : قادمان وآخران . ويقال : حلب فلان الدهر أشطره : أى خبر ضروبه . يعنى أنه مر به خيره وشره وشدته ورخاؤه . تشبيهاً بحلب جميع خلاف الناقة ماكان منها حفلا وغير حفل ، ودارا وغير دار .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بالنظر المليح على الرحيل » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « أو » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « بطن » .

أخبار أبي الشبل (*)

نشأته وصلته بالمتوكل

اسمه عاصم بن وَهب بن البراجم . وُلد بالكوفة ، ونَشأ وتأدّب بالبصرة . وقَدِم سُرَّ مَن رأى فى أيام المُتوكل ومَدحه ، وكان طَيِّباً نادراً كثيرَ الهزل ماجناً ، فنَفَق عند المتوكل لإيثاره العَبَث ، وخُص به ، وأَثرى وأفاد .

وذكر أنه مَدح مالك بن طوق ، وقَدَّر منه ألف درهم ، فبَعث إليه صُرة مختومة فيها مائةُ دينار ، فظَنها دراهم وكتب معها فى رُقعة :

فليت الذى جادت به كفُّ مالك ... ومالكَ مَدْسوسان فى اُست أُمّ مالك

فكانا إلى يوم القيامة فى اُستها ... فأيسر مفقودٍ وأهونُ هالك

وكان مالك يومئذ أميراً على الأهواز ، فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره ، فأُحضر، وقال : يا هذا ، ظلمتَنا واُعتديت علينا . فقال : قدَّرتُ عندك ألف درهم فوصلتَنى بمائة درهم . فقال : اُفتحها . فإذا فيها دنانير . فقال : أَقلنى أيها الأمير . فقال : قد أَقلتُك . ولك عندى ما تُحب أبداً كُلَّما بَقيتَ (١) وقَصدتَنى .

رثاؤه جاراً له

وذُكر أنه كان لأبى الشِّبل جارٌ طبيب ، أحمق ، فمات فرثاه :

قد بكاه بَوْلُ المريض بدمع ... واكفٍ فوق مُقْلتيه ذَروفِ

ثم شَقَّت جُيوبهنَّ القواريـ ... ـر عليه ونُحْن نَوْحَ اللَّهيف

يا كَساد الخِيار شَنْبَر (٢) والأقـ ... ـراص طُرَّاً ويا كَساد السَّفوف

(*) وقبل أخبار « أبى الشبل » ساق أبو الفرج شيئاً عن « محمد الرف المغنى » ، ولكن ابن واصل لم يعرض له .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ما بقيت » .

(٢) خيار شنبر : ضرب من الخروب .

كنت تمشى مع القوىّ فإن جا ء ضعيفٌ لم تَكْتَرث بالضعيف
لهفَ نفسى على صُنوفٍ رَقاعا ت تولّت منه وعَقْلٍ سَخِيف

من نوادره وطرائفه

وحكى محمد بن المَرْزبانىّ قال :

كنت أرى أبا الشِّبل كثيراً عند أبى ، فكان إذا حضر أضحك الثُّكلى بنوادره . فقال له أبى يوماً : حدِّثنا ببعض نوادرك وطرائفك . فقال : من طرائف أمورى أن أبنى زَنى بجارية سِنْدية لبعض جيران ، فحَملت وولدت له أبناً ، وكانت قيمة الجارية عشرين ديناراً . فقال لى : يا أبت ، الصبى والله أبنى . فساومتُ به ، فقيل لى : خمسون ديناراً . فقلت : ويلك ! كنت تخبرنى الخبر وهى حُبلى فأشتريها بعشرين ونربح الفضل بين الثمنين . فأمسكتُ عن المساومة بالصبى . فلم يزل بى حتى أشتريتُها منهم بما أرادوا . ثم أَحبلها ثانياً . فولدت منه آخر . فجاءنى يسألنى أن أبتاعه . فقلت له : عليك لعنة الله ! أيش يحملك على أن تُحبل هذه ! فقال : يا أبت ، لا أستحلّ العزل[١] . وأقبل على جماعة عندى يُعجبهم منّى ويقول : شيخ كبير يأمرنى بالعَزل ويستحلّه ؟ فقلت له : يا بن الزانية ، تستحلّ الزِّنا وتتحرّج عن العزل ! فضحكنا منه وقلنا له : وأى شىء أيضاً ؟ فقال : دخلتُ أنا ومحمود الورّاق إلى حانة خمّار يهودى ، فقلنا له : نريد خمراً بنت عشر قد أنضجها الهَجير . فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً . فأبتعناه منه وقلنا له : أشرب . فقال : لا أستحل شُرب الخمر . فقال محمود الوراق : ويحك ! أرأيتَ أعجب ممّا نحن فيه : يهودى يتحرّج من شُرب الخمر ونشربها ونحن مُسلمون ! فقال : أجل ، والله لا تُفلحون أبداً ولا يعبأ الله بكم ! ثم شربنا حتى سكرنا ونِمنا فى الليل ، فنِكنا أبنته وأمرأته وأُخته وسرقنا ثيابَه وخَرينا فى مَناقير[٢] نبيذ له وأنصرفنا .

(١) العزل : عزل الرجل الماء عن الجارية إذا جامعها لئلا تحبل .

(٢) المناقير : كل ما نقر للشراب : جمع منقر ، جاء على غير واحده . وفى بعض أصول الأغانى : « نقارات » .

شعره فى خالد وأمه

وحكى أبو الشِّبل قال :

كانت أم خالد بن يزيد بن هُبيرة تضْرط على ضرب العِيدان وغيرها من الإيقاع . فقلت فى خالد أبنها :

فى الحىِّ من لا عدمتُ[1] خُلَّته ... فتًى إذا ما قاطعتَه وَصَلَا

له عجوز بالحَبْق[2] أبصرُ مَن ... أبصرتُه ضاربًا ومُرْتجلا

نادمتُها مرةً وكنتُ فتى ... ما زلتُ أهوى وأشتهى الغَزلا

حتى إذا ما أمالها سَكَرَ ... يَبعث فى قلبها لها[3] الأَملا

اتكأت يَسرةً وقد[4] حرفت ... أشراجَها كى تُقوِّم الرَّملا

ولم تَزل بأُستها تُضارطنى ... أسمع إلى من يَسُومنى[5] العَلَلا

وحكى أبو الشِّبل قال :

حضرتُ مجلس عُبيد الله بن يحيى بن خاقان وكان إلىَّ مُحسناً وعلىَّ متفضِّلا ، فجرى ذكرُ البرامكة ووَصْفهم بالجود ، وذَكرهم من حضر وقالوا فى كرمهم وجوائزهم وصلاتهم وأكثروا ، فقمتُ فى وسط الناس فقلتُ لعُبيد الله : أيها الوزير ، قد حكمتُ فى هذا الخَطْب حُكما نظمتهُ فى شعر لا يقدر أحدٌ أن يردَّه علىَّ ، وإنما جعلتهُ شعراً ليَبقى ويُدوَّن ، أفيأذن الوزير فى إنشاده ؟ فقال : قُل ، فرب صواب قلتَ . فقلت :

رأيتُ عُبيد الله أفضلَ سُؤدداً ... وأكرمَ من فَضل ويَحيى وخالدِ

أولئك جادوا والزمان مُساعدٌ ... وقد جاد ذا والدهرُ غيرُ مُساعد

---

(١) الخلة : الصداقة . (٢) الحبق : الضراط .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « مثلا » مكان « الأملا » .

(٤) فى الأصل : « خرقت » .

(٥) العلل ، فى الأصل : الشرب بعد الشرب . ويريد به هنا فعلها مرة بعد مرة .

فتهلّل وجه عُبيد الله وظهر البِشر والسرور فيه، وقال : أفرطتَ يا أبا الشبل ، ولا كُل هذا . فقلتُ : والله ما حابيتك أيها الوزير ولا قلتُ إلا حقًّا . وأتبعنى القوم فى وَصفه وتقريظه . فما خرجتُ من مجلسه إلا وعلىَّ الخِلَع وتحتى دابة بسَرجه ولجامه ، وبين يدى خمسة آلاف درهم .

شعره وقد سرقه من الضبى

وحَكى ابن مَهْرويه قال :

أنشدنى أبو الشِّبْل لنفسه :

عَذيرى من جَوارى الحىِّ إذ يَزهدن(١) فى وَصلى
رأين الشيبَ قد ألبسنى أبَّهــــة الكَهل
فأعرضنَ وقد كُنَّ إذا قيـــل أبو الشِّبْل
تساعيْنَ فرَقَّعْنَ الكُوَى بالحدق(٢) النُّجل

وهــذا سرقه أبو الشِّبل من الضَّبِّى . قلتُ : وهو أبدعُ وأخصرُ من قول أبى الشِّبل :

غَدتْ بطُولِ الكلامِ عاذلتى(٣) تلومنى فى السَّوادِ والدَّعَجِ
ويحك كيفَ السُّلوُّ عن غُرر مقيّرات الأرجاء(٤) كالسُّبُج
يحملن بين الأفخاذ أسنمةً تحرق أوراكها(٥) من الوَهج
لا عــذّبَ الله مسلماً بهمُ غيرى ولا حانَ منهمُ فَرجى
فإننى بالسّــواد مُبتهج وكنتُ بالبيض غـير مبتهج

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يرغبن » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بالأعين » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « عذرت بطول الملام » .
(٤) مقــيرات : مطليات بالقار . يريد وصفهن بالســواد . وفى بعض أصول الأغانى : « مفترقات » . والسبج : جمع سبجة ، وهى كساء أسود .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « أدبارها » .

تعقيب لابن واصل

قلت : لم أسمع فى مدح السواد أحسن من قول ابن الرُّومى :

أكسَبَها الحُسْن أنها صُبغت صِبغة حَبِّ القلوب والحَدَقِ
فانصرفت نحوها الضما ئرُ والأبصار يُعنقن[(١)] أيما عَنَقِ
تزدادُ ضيقاً على المِراس كما تزدادُ ضِيقاً أنشوطة[(٢)] الوَهَقِ

هو وفتاة شاعرة

وذُكر أن أبا الشِّبْل كان يتعشَّق فُتيّة شاعرة ، فأغضبها يوماً، فقالت له : ليت شعرى! بأىّ شىء تُدل ! أنا والله أشعر منك ، و إن شئت لأهجونك حتى أفضحك .

فأقبل عليها وقال :

خنساء قد أفرطت علينا فليس منها لنا مُجيرُ
باهَتْ بأشعارها علينا كأنما نا كها جَرير

فخجلت حتى بانَ ذلك فى وجهها وأمسكت عن جوابه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى الشِّبل ، هو :

بأبى ريمٌ رمى قل بى بأجفانٍ مِراضِ
وحَمى عينىَ أن تل تذ طعم[(٣)] الأغتماض
كلما رمت انبساطاً كفّ بَسْطى بانقباض
لو تعالى أملى فيه رماه بانخفاض
أو فمتى ينتصف المظ لوم والظالم قاضى

(١) الإعناق : السير السريع .
(٢) الوهق : الحبل المفتول .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « طيب » .

أخبار عبد الله بن الزبير الأسدى (*)

نسبه

هو عبد الله بن الزبير بن الأَشيم بن الأعشى بن بَجرة بن قَيس بن مُنقذ ابن طَريف بن عمرو بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة .

شيء عنه

شاعر إسلامىّ كُوفىّ المَنشأ والمنزل ، من شُعراء الدولة الأموية . وكان من شِيعة بنى أُمية ، وذوى الهوى والتعصُّب لهم والنُّصرة على عدوّهم ، حتى غَلب على الكوفة مُصعب بن الزبير ، فأُتى به أسيراً ، فمَنَّ عليه و وصله وأحسن إليه ؛ فمدحه فأكثر ، وانقطع إليه . ولم يزل معه حتى قُتل مصعب . ثم عَمِى عبد الله بن الزبير بعد ذلك . ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان ، وكان يكنى : أبا كثير .

مدح عمرو بن عثمان لبره إياه

وذُكر أن عمرو بن عثمان بن عفّان أتاه عبدُ الله بن الزبير الأسدىّ ، فرأى عمرٌو تحت ثيابه ثوباً رثّاً ، فدعى وكيلَه فقال له : اقترض لنا مالاً . فقال : هيهات ! ما يُعطينا التجار شيئاً . قال : فأَربحهم ما شاءوا . فاقترض له ثمانية آلاف درهم . فوجَّه بها إلى عبد الله بن الزُّبير مع ثياب . فقال عبد الله بن الزبير يمدحه :

سأشكر عمرواً ما[1] تراخت مَنيّتى أيادِىَ لم تُمْنَنْ و إن هى جَلَّتِ
فتى غيرَ مَحْجوب الغِنى عن صديقه ولا مُظْهِرَ الشكوى إذا النَّعلُ زلَّت
رأى خَلة[2] من حيث يَخفى مكانُها فكانت قذَى عينيه حتى تجَلَّت

مدح ابن خارجة فلم يرضه فهجاه

وذُكر أنّ عبد الله بن الزُّبير مدح أسماء بن خارجة الفزارىّ ، فقال :

تراه إذا ما جئتَه مُتهلِّلاً كأنك مُعطيه الذى أنت سائلُه
لو لم يكن فى كفه غيرُ نفسه لجاد بها فَلْيتقِ الله سائلُه[3]

(*) وقبل أخبار « عبدالله بن الزبير » ساق أبو الفرج أخبار « عثعث » المغنى ، ونهج ابن واصل المرور عن أخبار المغنين .

(١) فى بعض أصول الأغانى « إن » .

(٢) الخلة : الحاجة والفقر .

(٣) البيتان يرويان لزهير .

فأثابه أسماء ثواباً لم يَرضه . فغضب وقال يهجوه :

بَنَتْ لكمُ هندٌ بتَلْذيع[(١)] بَظْرها دكاكينَ من جِصٍّ عليها المجالسُ

فوالله لولا رَهْزُ[(٢)] هند ببَظْرها لعُدّ أبوها في اللئّام[(٣)] المَفالس

فبلغ ذلك أسماء . فركب إليه واعتذر من فعله لضائقة شكاها . وأرضاه وجعل له في كل سنة وظيفة ، واقتطعه إليه .

وكان أسماء يقول لبنيه : ما رأيت جَصًّا ولا بناء ولا غيره إلا ذكرتُ أختكم هِنْد فخجلتُ .

شعره الذي فيه الغناء

والشعر الذي فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله بن الزبير هو :

ترى الجُند والأعراب يغشَوْن بابه كما وردت ماءَ الكُلاب[(٤)] هواملُهْ

إذا ما أتوا أبوابَه قال مرحباً لجِوُا الباب حتى يقتلَ الجوعَ قاتله

وهذا الشعر من القصيدة التي منها البيتان المذكوران أولاً يمدح بها أسماء ابن خارجة الفَزاريّ ، وهي من خيار الشعر وجيده ، ومنها :

فتًى لا يزال الدهرَ ما عاش مُحسناً ولو كان بالمَوْماة[(٥)] تُحْدى رواحلُه

فأصبح ما في الأرض خَلْقٌ علمتُه من الناس إلا باع أسماءَ[(٦)] طائله

ترى البازلَ البُخْتِيّ فوقَ[(٧)] خِوانه مقطَّعةً أعضاؤه ومَفاصله

إذا ما أتَوْا أسماءَ كان هو الذي تحلَّبُ كفّاه النَّدى وأنامله

تراهم كثيراً حين يغشَون بابه وتسترُهم جُدرانُه ومنازله

(١) البظر : ما بين الأسكتين من المرأة . (٢) الرهز : حركة المرأة عند الجماع .

(٣) في الأغاني : «العوايس» مكان «المفالس» . (٤) الهوامل : الإبل المسيبة لا راعي لها .

(٥) الموماة : المفازة ؛ يشير إلى أيام الجدب والقحط .

(٦) الطائل : الفضل والقدرة والغنى والسعة والعلو . يريد تفضيله على من علم .

(٧) البازل : البعير استكمل الثامنة وطعن في التاسعة للذكر والأنثى . والبختي : الجمل الخراساني ينتج من بين عربية وفالج : والخوان : المائدة . معربة .

انتقام عبد الله بن الزبير من أخيه عمرو وشعر الأسدى فى ذلك

وذُكر أن عبد الله بن الزُّبير بن العوّام، لما ظَفر بأخيه عمرو بن الزبير ليقتصّ منه، كان لا يسأل مُدَّعياً عليه ببيّنة ولا يُطالبه بحُجة، إنما يقبل قولَه ثم يُدخله إليه السجن ليقتص منه، فكان كُل من فى قلبه عليه حقد، ومن أراد التقرُّب إلى أخيه بعذابه، ادعى عليه مالا حقيقة له، فيَقبل منه ثم يدخُل إليه ليقتصّ منه. فكانوا يَضربونه والقَيْح يَنْضح من ظهره وأكتافه على الحيطان، وكان إذا سَمع صوت باب السِّجن قد فُتح يعدو حتى يَكْدم[1] الحائط والأرض، لشدة ما يَمر به، ثم يُضرب على تلك الحال. وأمر بأن تُرسل عليه الجِعْلان[2]، فكانت تدبُّ عليه فتَنتف لحمَه، وهو مقيَّد مَغلول يستغيث فلا يُغاث. حتى مات على تلك الحال. فدخل المُوكَّل به على أخيه عبد الله، وفى يده قدحُ لبن يُريد أن يَتسحَّر به، وهو يبكى. فقال له: مالك؟ أمات عمرو؟ فقال: نعم. فقال: أبعده الله! وشَرب اللبن، ثم قال: لا تَغسلوه، ولا تكفِّنوه وادفنوه فى مقابر المُشركين. فدُفن فيها.

وكان عبد الله بن الزبير الأسدى صديقاً لعمرو بن الزُّبير، فقال: يؤنِّب عبد الله بن الزبير بن العوّام على ما فَعل بأخيه:

يا راكباً إمّا بلَغتَ فبلِّغن	كبيرَ بنى العوّام إن قيل مَن تَعْنِى
عقدتم لعمرو عُقدة وغدرتُمُ	بأبيضَ كالمِصباح فى ليلة الدَّجْن
تُحدِّث من لاقيتَ أنك عائذٌ	وصرَّعت قَتلى بين زَمزم والرُّكن
جعلتم لضَرب الظهر منه عِصيَّكم	تُراوحه والأَصبحيَّة[3] للبَطْن
جَزى الله عنِّى خالداً شر ما جَزى	وعُروة شرًّا من خَليل ومن خِدْن
قتلتم أخاكم بالسِّياط سفاهةً	فيالك للرأى المُضلَّل والأَفْن

(١) يكدم: يعض. (٢) الجعلان: جمع جعل: دابة سوداء من دواب الأرض.
(٣) الأصبحية: نسبة إلى ذى أصبح، من ملوك حمير، يعنى السياط.

فلو أنكم أجهزتم إذ قتلتم ... ولكن قتلتم بالسِّياط وبالسِّجن
لك الويلُ لم تَعلم بأنك بادىءٌ ... بنفسك فيما تَرتئى وبها تَثنى
فلا تجزعنْ من سُنَّةٍ قد سَنَنْتَها ... فما للدِّماء الدهرَ ماعِشْتَ من حقن [1]

شعره فى حمل الحجاج الناس على قتال المهلب

وذُكر أنَّ الحجاج بن يوسف لمّا قدم الكوفة والياً عليها صعد المِنبر وقال : يأهل العراق ، والشقاق والنفاق ، ومساوىء الأخلاق ، إن الشيطان قد باض وفرَّخ فى صُدوركم ، ودَبَّ ودرج فى حُجوركم ؛ وأنتم له دِين ، وهو لكم قَرِين ، (وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً) . ثم حثَّهم على اللحاق بالمهلّب ابن أبى صُفرة الأزدى ، وكان مُحارباً للأزارقة ، وأقسم ألّا يجد منهم أحداً فى جَريدة المهلب بالكوفة بعد ثالثة إلّا قتله . فجاءه عُمير بن ضابىء البُرجمىّ فقال له : أيها الأمير ، إنِّى شيخٌ لا فضل فىّ ، ولى ابن شاب جَلْد ، فاقبله بديلاً منى . فقال عَنْبسة بن سعد بن العاص : إنّ هذا جاء إلى عثمان بن عفّان وهو مقتول فَرفسه فكسر ضِلْعين من أضلاعه ، وهو يقول :

* أين تركت ضابئاً يا نَعثل [2] *

فقال الحجاج له : فهلّا يومئذ بعثتَ بديلاً ! ياحرسىّ ، اضرب عُنقه . فضُربت عُنقه . وسمع الحجاج ضوضاء فقال : ما هذا ؟ فقالوا : هذه البراجم جاءت لتنصُر عُميراً فيما ذكرت . فقال : أتحفوهم [3] برأسه . فولَّوا هاربين . وازدحم الناس على الجسر للعُبور إلى المُهلّب حتى غَرق بعضهم . فقال عبد الله بن الزبير الأسدى :

أقول لإبراهيم لمَّا لقيتُه ... أرى الأمر أمسَى واهياً مُتشعِّبا
تخيَّر فإمَّا أن تزور ابنَ ضابىء ... عُميراً وإما أن تزور المُهلَّبا

(١) الروايه فى بعض أصول الأغانى : « فما للدماء الدهر تهرق من حقن » .

(٢) النعثل : الضبع . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « الحقوهم » .

همَا خُطَّتا خَسْفٍ نَجاؤُك منهما رُكوبك حوليًّا(١) من الثَّلج أشهبا
فأضحى ولو كانت خُراسان دونه رآها مكان الشَّوق أو هى أقربا

هو بين مصعب وأسماء

وذُكر أنّ عبد الله بن الزبير الأسدىّ دخل على مُصعب بن الزبير بالكوفة لمَّا وليها، وقد مدحه فاستأذنه فى الإنشاد، فلم يأذن له. فقال: ألم تُسقط السماء علينا وتمنعنا قطرها فى مديحك لأسماء بن خارجة. ثم قال لبعض مَن حضره: أنشده، فأنشده:

إذا ماتَ ابْن خارجة بن حِصْنٍ فلا مَطرت على الأرض السماء
ولا رَجع الوُفود بغُنم(٢) عيش ولا حُملت على الطُّهر(٣) النساء
ليومٌ منك خيرٌ من أناس كثيرٍ حولهم نَعمٌ وشَاء
فبُورك فى بَنيك وفى أبيهم إذا ذُكروا ونحنُ لك الفِداء

والتفت إليه مصعب وقال: اذهب إلى أسماء، فما لك عندنا شىء. فانصرف. فبلغ ذلك أسماء فعوّضه حتى أرضاه. ثم رجع له مصعب بعد ذلك وخَصَّ به، وسَمع مديحه وأحسنَ ثوابه.

تقريب بشر له ومدحه إياه

ولما وَلى بشرُ بن مروان الكوفة لأخيه عبد الملك بن مروان أدنى عبدَ الله ابن الزبير الأسدىّ وبرَّه وخَصَّه بأنسه، لعِلْمه بهواه فى بنى أُمية. فقال يمدحه:

ألم تَر نى(٤) والحمد لله أننى برئت وداوانى بمعروفه بِشْرُ
رعَى ما رعى مروانُ منِّىَ قبله فحقَّت(٥) له منِّى النصيحةُ والشكر
ففى كُلّ عامٍ عاشه الدهرَ صالحًا علىَّ لربِّ العالمين به نَذْر

(١) الحولى: الذى أتى عليه حول: يريد فرساً.
(٢) فى بعض أصول الأغانى: «جيش» مكان «عيش».
(٣) يريد: لم تمسس النساء زهداً فى الحياة ورغبة عن النسل.
(٤) فى بعض أصول الأغانى: «ألم تريا». (٥) فى بعض أصول الأغانى: «فصحت».

إذا ما أبو مَروان خلَّى مكانه فلا تهنأ الدنيا ولا نزل القطر
ولا تُهنِىء الناسَ الولادةُ بينهم ولا يبق فوق الأرض من خَلْقها سَفْر
فليس البُحور بالتى تخبروننى ولكنْ أبو مروان بِشْرٌ هو البحر

هو وابن الأشتر

وذُكر أن عبد الله بن الزبير الأسدى أتى إبراهيم بن الأشتر النَّخعى ، فقال له : إنى امتدحتُك بأبيات فاسمعهنَّ . فقال : إنى لست أُعطى الشعراء . قال : تَسمعها منِّى ثم ترى رأيك . قال : هات إذن . فأنشده :

الله أعطاك المهابة والتُّقى وأحلَّ بيتَك فى العديد الأكثرِ
وأقرَّ عينك يوم وَقعة[1] جازر والخيل تعثُر فى القنا المُتكسِّر
إنى امتدحتك إذ نبَا بى منزل وذممتُ إخوان الغِنى من مَعشرى
وعلمتُ أنك لا تُخيِّب مدحتى ومتى أكُنْ بسَبيل خير أشكُر
فهلُم نحوى من يَمينك نفحة إن الزمان ألحَّ يا بنَ الأشتر

فقال له : كم ترجو أن أعطيك ؟ قال : ألف درهم ، أُصلح بها أمر نفسى وعيالى . فأمر له بعشرين ألف درهم .

(١) جازر : قرية من نواحى النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن .

أخبار ثابت قطنة

نسبه — هو ثابت بن كعب ، وقيل : ابن عبد الرحمن بن كعب ، أخو بنى أسد ابن الحارث . وقيل : بل مولًى لهم .

لقبه — ولُقِّب قُطنة ؛ لأن سهماً أصابه فى إحدى عينيه فذهب بها فى بعض حُروب الترك ، وكان يجعل عليها قُطنة .

شىء عنه — وهو فارس شُجاع من شعراء الدولة الأُموية . وكان من أصحاب يزيد ابن المُهلَّب بن أبى صُفرة . وكان يولِّيه أعمالاً من أعمال الثَّغر فيُحمد فيها مكانُه ، لكفايته وشَجاعته .

حصره على المنبر — وذُكر أن ثابت قُطنةَ وَلِى عملاً من أعمال خراسان ، فلما صَعد المِنبر رام الكلام فتعذَّر عليه وحَصر ، فقال سيجعل الله بعد عسر يسراً ، و بعد عيٍّ بيانا ، وأنتم إلى فعَّال أحوج منكم إلى أمير قوال :

وإلّا أكُن فيكم خطيباً فإننى ... بسيفى إذا جَدَّ الوغى لَخطيبُ

فبلغت كلماتُه خالدَ بن صفوان ، فقال : والله ما علا المِنبر أخطبُ منه فى كلماته هذه ، ولو أن كلاماً يستخفُّنى ويُخرجنى من بلادى إلى قائله استحساناً له لأَخرجتْنى هذه الكلمات إلى قائلها .

لحاجب الفيل فيه — وذُكر أن يزيد بن المُهلَّب أمر ثابت قُطنة أن يُصلِّى بالناس يوم الجمعة ، فلما صَعِد المِنبر حَصر فلم يُطق الكلام. فقال حاجب الفيل . — وهو حاجب بن دينار المازنى[1] . والفيل : لقب غلب عليه — يهجوه :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « حاجب بن ذبيان المازنى » . وانظر البيان والتبيين (٢ : ١٨٣ ، ٣ : ٢٤٣) وآمالى المرتضى (٤ : ٢١) والحيوان (١ : ١٩١) .

أبا العلاء لقـــد لُقِّيت مُعضلة يوم العَروبة من كَرب[1] وتَحميق
أمّا القُران فلم تُرْشــد لمُحكمه ولم تُسـدَّد من الدُّنيا بتوفيق
وقد رَمَتْك عيونُ الناس كُلهمُ وكدتَ تَشْرق لمّـا قُمت بالرِّيق
تُلوى اللسان وقد رُمت الـكلام به كما هَوى زَلِقٌ من شاهق النِّيق

شعره يعزى هند بنت المهلب

وذكر أنه لما قُتل المفضَّل بن المهلب دخل ثابت قُطنة على هند بنت المهلب، والناس حولها جلوس يُعزونها، فأنشدها أبياتاً:

إذا ذكرتُ أبا غسّان أرّقنى هَمٌّ إذا عَرّس السارون[2] يُشجِينى
كان المُفضَّلُ عِزًّا فى ذُرَى يَمنٍ وعِصْمةً وثِمـالاً للمَساكين
ما زلتُ بعـدك فى هَمٍّ تَجيش به نفسى وفى نَصَبٍ قد كاد يُبْلينى
إنّى تذكرت فعلى[3] لو شهدتُهم فى حَومة الموت لم يَصْلَوا بها دونى

فقالت له هند: اُجلس يا ثابت. فقد قضيتَ الحق وما من المنية بُدّ، وكم من ميتةِ مَيْت أشرف من حياة حيّ، وليست المُصيبة فى قتل من اُستشهد ذابًّا عن دينه، مُطيعاً لربّه؛ وإنما المُصيبة لمن قلّت بصيرته، وخمل ذكره بعـد موته؛ وأرجو ألّا يكون المُفضل عند الله خاملاً، فما كان مقامه فى طاعته خاملاً. فيقال: إنه ما عُزِّى يومئذ بأحسن من كلامها.

تحريضه زيد بن المهلب بشعر

وذُكر أن ثابت قطنة كتب إلى يزيد بن المُهلب يحرِّضـه على الحرب، من أبيات:

---

(١) يوم العروبة: يوم الجمعة. وحمقت الرجل تحميقاً: نسبته إلى الحمق، وهو ضـد العقل. وفى بعض أصول الأغانى: «وتحنيق» بالنون.

(٢) عرس السارون: أى نزلوا فى وجه السحر. وقيل: نزلوا فى المعهد أى حين كان من ليل أو نهار. يريد: إذا استقر الناس فذلك أدعى للفكرة وأبعث للهم.

(٣) فى التجريد: «قتلى».

أيزيدُ كُنْ فى الحَرب إذ هيَّجتها كأبيك لا نَكِساً ولا رِعْديدا
شاورتَ أكرمَ ما[1] تناول ماجداً فرأيتَ همَّك فى الهُموم بعيدا
ما كان فى أبويك قادحُ هُجْنة فيكون زَنْدُك فى الزِّناد[2] صَلُودا
إنّا لضرّابون فى حَمَس[3] الوَغَى رأسَ المُتوَّج إن أراد صُدودا
وترى إذا كفر العَجَاجُ ترى لنا فى كل مَعركة فوارس[4] صِيدا
يا ليت أُسرتك الذين تغيّبوا كانوا ليومك بالعِراق شُهودا
فترى مواطنَهم إذا اختلف القنا والمَشرفيّة يلتظِين[5] وَقُودا

فقال يزيد لمّا قرأ كتابه : إن ثابتاً لغافل عما نحن فيه ، ولعمرى لأُطيعنّه ، وسيرى ما يكون ، فاكتبوا إليه بذلك .

ولما قتل يزيد بن المهلب أُنشد مسلمةُ بن عبد الملك قولَ ثابت قطنة :

يا ليت أُسرتك الذين تغيّبوا كانوا ليومك بالعِراق شُهودا

فقال مسلمة : وأنا والله لوددتُ كانوا شهوداً يومئذ فسقيتُهم بكأسه ! فكان مسلمة أولَ من أجاب شعراً بكلام منثور ، فغلبه .

شعره بعد مقتل يزيد بن المهلب

وذكر أنّ ثابت قُطنة كان مع يزيد بن المهلب يوم العَقْر[6] ، فلما خَذله أهلُ العراق وتفرقوا عنه ، وقُتل يزيد . قال ثابت ، وهو من جيد الشعر :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « من » .

(٢) هجنة : أى زندة لاتورى . ومنه قول بشر :

لعمرك لو كانت زنادك هجنة لأوريت إذ خدى لخدك صارع

والصلود : الزندة التى لا تورى ناراً . يريد أنه ورث المجد عن آبائه .

(٣) حمس الوغى : اشتداد الحرب .

(٤) العجاج : التراب المثار . وكفر : غطى وستر . وصيدا ، أى ملوكاً وسادة ؛ الواحد : أصيد .

(٥) اختلاف القنا : اضطرابها ، وذلك حين تشتد الحرب . ويلتظين : أى تلتهب المنية فى سيوفهم وتضطرم كأنها الوقود للأعداء.

(٦) العقر : موضع ببابل .

كل القبائل بايعوك[١] على الذى ... تدعو إليـه وتابعوك[١] وساروا
حتى إذا حَمِس الوغى وجعلتَهم ... نُصُبَ الأَسـنّة أسلموك وطاروا
إن يقتلوك فإنّ قتلك لم يكن ... عاراً عليك ورُبَّ قتـل[٢] عار

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ثابت قُطنة ، هو :

ما هاجَ شوقُك من بكاء حمامة ... تدعو على فَنَن الأراك حَمامَا
تدعو أبا[٣] فَرْخين صادف ضار باً ... ذا مِخْلَبَيْن من الصُّقور[٤] قَطَاما
إلا تذكّرك الأوانس بعـد ما ... قَطع المطىُّ سَباسباً[٥] وهْياما

وهذا الشعر من قصيدة ، ومنها :

ولقـد علمت وما أكذِّب عالماً ... ما كان حَبْلى يا أُمام رَماما
فسلِى هنـاك السابقين إلى العُـلا ... مَن كان أكرم خُـلّة وذِماما
قَومى إذا ذو الوِتْر ضَيَّع وتره ... لم تَلْقهم عنـد التِّراتِ نيـاما
الناعلون فلا تُردّ فعـالهم ... والمُنعمون وأَحسـنوا الإنعاما[٦]

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تابعوك . وبايعوك » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وبعض » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « أخرفرخين » .
(٤) قطام ، بالفتح والضم : شديدة الشهوة إلى اللحم .
(٥) السباسب : المارات ، والهيام : تراب يخالطه رمل .
(٦) هذه الأبيات لم ترد فى أصول الأغانى .

أخبار كعب الأشقرى

نسبه

هو كعب بن معدان — والأشاقر قبيلة من الأزد — شاعر فارس ، خطيب معدود فى الشُّجعان ، من أصحاب المُهلَّب . وأوفده المُهلَّب إلى الحجاج ، وأوفده الحجاج إلى عبد الملك بن مروان .

وفوده على الحجاج

ذُكر أنَّ المُهلَّب أوفد كعب بن مَعدان الأشقرىّ إلى الحجاج يُخبره وقعة كانت له مع الأزارقة ، فلما قدمَ عليه أنشد الحجاج قصيدةً منها :

علقت يا كعبُ بعد الشَّيب غانية ... والشيبُ فيه عن الأهواء مُزدَجَرُ
أمُمْسِكٌ أنت منها بالذى عهدت ... أم حبلُهـا إذا نأتك اليوم مُنبتر
ذكرت خَوْداً بأعلَى الطفّ[1] منزلها ... فى غُرفة دونها الأبواب والحُجَر

حتى أنتهى إلى قوله فى صِفة الوقعة :

خبَّوْا كمينَهمُ بالسَّفح إذ نزلوا ... بكازرون[2] فما عزّوا ولا نُصروا
كانت كتائبنا تَرْدَى[3] مسوَّمة ... حول المُهلَّب حتى نوَّر القمر
هناك ولَّوا خزَايا بعد ما[4] هُزِموا ... وحال دونهمُ الأنهارُ والجُدر
تأبى علينا حزازات النُّفوس فما ... تُبقى عليهم ولا يَبقون إن قدروا

فضحك الحجاج وقال : إنك لمُنصف يا كعب . ثم قال له الحجاج : أخطيبٌ

---

(١) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفا . والطف : من ضاحية الكوفة .

(٢) كازرون : مدينة بفارس بين البحرين وشيراز .

(٣) تردى : أى ترجم الأرض بحوافرها فى سيرها وعدوها . ومسومة : معلمة .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « جراحاً بعد ما هربوا » .

أنت أم شاعر ؟ فقال : شاعر خطيب . قال : كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال : كُنّا إذا لقيناهم بعَفونا وعَفوهم أيسنا منهم ، وإذا لقيناهم بجُهدنا وجُهدهم طمعنا فيهم[١] . قال : فكيف كان بنو المهلّب؟ قال : حُماة الحريم نهاراً وفُرسان الليل تيقُّظاً[٢] . قال : فأين السّماع من العِيان ؟ قال : السّماع دون العِيان . قال : صِفهم رجلاً رجلا . قال : المُغيرة فارسهم وسيّدهم ، نارٌ ذاكية ، وصَعدة[٣] عالية ؛ وكفى بيزيد فارساً شُجاعاً ، ليثُ غاب ، وبحر جَمُّ العُباب ؛ وجوادهم قَبيصة ، ليثُ المُغار ، وحامى الذِّمار ؛ ولا يستحيي الشجاع أن يَفر من مُدرِك ، وكيف لا يفرّ من الموت الحاضر ، والأسد الخادر ؛ وعبد الملك سمٌّ ناقع ، وسيف قاطع ؛ وحبيبٌ الموتُ الزُّعاف ، إنما هو طود شامخ ، أو فخر باذخ ؛ وأبو عُيَيْنة البطلُ الهُمام ، والسيف الحُسام ؛ وكفاك بالمُفضَّل نجدةً ، ليث هدّار ، وبحر موّار ؛ ومحمد ليثٌ ، وحسام ضَرّاب . فقال : فأيهم أفضل ؟ قال : هم كالحَلقة المُفرغة لا يُعرف طرفاها . قال : فكيف جماعة الناس؟ قال : على أفضل حال ، أدركوا ما رجوا ، وأمنوا ما خافوا ، وأرضاهم العدل ، وأغناهم النَّفل[٤] . قال : فكيف رضاهم عن المُهلب ؟ قال : أحسنُ رضى ، وكيف لا يكون كذلك وهم لا يُعدمون منه إشفاق الوالد ، ولا يَعدم منهم برَّ الولد . قال : فكيف فاتكم قَطرىّ ؟ قال : كدناه فتحوَّل عن منزله وظنَّ أنه قد كادنا . قال : فهلّا تبعتموه؟ قال : حال الليلُ بيننا وبينه فكان التحرّز إلى أن يقع العيان ويُعلم الأمر ، وما يُصنع أحزم . فقال : كان المهلّب أعلم بك إذ بعثك ! وأمر له بعشرة آلاف درهم وحَمله على فرس ، وأوفده إلى عبد الملك ابن مروان . فأمر له بعشرين ألف درهم .

---

(١) العفو : الكثير . يعنى : جموعهم بقضها وقضيضها . والجهد : الشيء القليل . يعنى : القلة المختارة منهم . (٢) فى غير التجريد : « أيقاظاً » . (٣) الصعدة : القناة المستوية .
(٤) النفل : الغنيمة والهبة .

هو بين المهلب والحجاج وعبد الملك

وذُكر أن الحجاج بن يوسف كتب إلى المُهلب بن أبي صُفرة يأمره بمُناجزة الأزارقة و يستبطئه و يعجِّزه[1] في تأخير أمرهم ومُطاولتهم[2]. فقال المهلب لرسوله: قل له: إنما البلاء أن الأمر إلى من يملكه لا إلى من يعرفه، فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أدبِّرها كما أرى، فإذا أمكنتْني الفُرصة انتهزتُها، و إذا لم تمكنني توقَّفت، فأنا أدبِّر ذلك بما يُصلحه؛ و إن أردت منِّي أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب، فإن كان صواباً فلك و إن كان خطأ فعليَّ، فابعث مَن رأيت مكاني. وكتب من فوره إلى عبد الملك بن مروان يشكو الحجاج. فكتب إليه عبد الملك: لا تعارض المهلّب فيما يراه ولا تُعجله، ودَعه يدبِّر أمره. وقام كعب الأشقرى إلى المُهلّب فأنشده بحضرة رسول الحجاج:

إن ابن يُوسف غرَّه من غزْوكم ... خفضُ المُقام بجانب الأمصار
لو شاهد الصَّفَّين يومَ[3] تلاقيا ... ضاقت عليه رحيبةُ الأقطار
من أرض سابور الجُنود وخيلنا ... مِثلُ القِداح بريتَها بشِفار
من كل خِنذيذ ترى بلَبانه ... وقْع الظُّبات مع القنا[4] الخَطَّار
ورأى مُعاودة الدِّباغ[5] غنيمةً ... أزمانَ كان مُحالف[6] الأقتار
فدع الحروب لشِيبها وشَبابها ... وعليك كلَّ عزيزة[7] مِعْطار

فبلغت أبياته الحجاج، فكتب إلى المُهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقريّ إليه. فأعلم كعباً بذلك، وأوفده إلى عبد الملك بن مَروان من تحت ليلته. وكتب

---

(١) أي ينسبه إلى العجز. (٢) في بعض أصول الأغاني: «ومطالبتهم».
(٣) في بعض أصول الأغاني: «حين».
(٤) الخنذيذ: الفحل. وبلبانه، أي حيث الأماكن الرخصة. والظبات: جمع ظبة، وهي حد السيف والسنان والنصل والخنجر وما أشبه ذلك. والخطار: ذو الاهتزاز الشديد. والرواية في بعض أصول الأغاني: «من كل جندي غذي بلبانة * وقع الطباق» (٥) في بعض أصول الأغاني: «الرباع». (٦) الأقتار: جمع قتر، وهو اللحم سطعت ريح قتاره. يشير إلى سالف عهده برعية الغنم.
(٧) في بعض اصول الأغاني: «خريدة».

إليه يستوهبه منه . فقدم كعبٌ على عبد الملك برسالة المُهلب ، فاستنطقه عبد الملك واستنشده ، فأعجبه ما سمع منه . وأوفده إلى الحجاج وكتب إليه يُقسم عليه أن يعفو عنه عمّا بلغه عنه . فلما دخل قال : إيه يا كعب !

* ورأى مُعاودة الدباغ غنيمة *

فقال له : أيها الأمير : والله لقد وددت فى بعض ما شاهدته فى تلك الحروب وأزماتها ، وما يُوردناه المهلّب من خَطرها ، أن أنجو منها وأكون حجّاماً أو حائكا . فقال له الحجاج : أولى لك ، لولا قَسم أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع ، فالحق بصاحبك . فردّه إلى المهلب من وقته .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار كعب الأشقرىّ ، هو من قصيدة أولها :

* طربتُ وهاج لى ذاك ادّكارا *

يقول فيها :

ذكرت الغانيات وكُنّ عندى بدار لا أُطيق لهـا مَزارَا

وكنت ألذُّ بعض العيش حتى كبرتُ وصار لى همّى شِعارا

رأيت الغانيات كرهنَ وصلى وأبدَيْن الصَّريمة لى جهارا

زرين علىّ حين بدا مَشيبى وصارت ساحتى للهمِّ دارا

ومنها فى مدح المهلب بن أبى صُفرة ، وولده ، وكان عبد الملك بن مروان يستجيد ذلك ويقول للشعراء : أتشبهوننى مرة بالأسد ، ومرة بالصقر ! هلا قلتم فىّ كما قال الأشقرى فى المُهلب وولده :

براك الله حين براك بحراً وفجّر منك أنهاراً غِزارا

بَنُوك السابقون إلى المعالى إذا ما أعظم الناس الفَخارا

كأنهمُ نجومٌ حول بدر دراریُّ(١) تكمّل فاستدارا
ملوكٌ يَنزلون بكلّ ثغر إذا ما الهامُ يوم الرّوع طارا
نجوم يُهتدى بهمُ إذا ما أخو الغَمرات فى الظّلمات حارا

(٢)وذُكر أنه لما ولِّى قُتيبة بن مُسلم خراسانَ وعُزل عنها يزيد بن المهلب ابن أبى صُفرة ، مدحه كعب الأشقرى ودخل عليه فأنشده . فقال له قتيبة : ما أنا منك ومن مديحك فى شىء حتى تهجو المُهلب وولده وتكذِّب نفسك فيما سلف من مديحك لهم . فخاف كعب آلَ المُهلب إن فعل ، وخاف أن يَمنعه قُتيبة عطاءه إن لم يفعل . فقال فى مديحه لقُتيبة أبياتاً ذمَّ فيها آل المُهلب وفضَّل قتيبة عليه . فأمر له قتيبة بجائزة وأدرَّ عطاءه عليه . ثم إن قتيبة قُتل وولى خراسان يزيدُ بن المُهلب . فخاف كعبٌ أن يصادفه يزيد بن المهلب بخراسان فيقتله بعد ما كان من هجائه إياه ، فهرب إلى عُمان وخلف ابناً له صغيراً - يقال له : فيروز - مع أمه ، وكانت أعجمية من أهل خراسان . فلما قدم يزيدُ خراسان أخذ ابنه فحَبسه ، وولّى يزيد ابن المهلب أخاه زياد بن المهلب عُمان وأَمره بحَبس كعب بن معدان الأشقرى . فحَبسه زياد . ومدحه كعب واستعطفه فلم يُطلقه ، فلاذ بامرأته عائشة بنت الغفار ابن مَجزأة بن ثور السَّدوسى ، وكانت أثيرة عند زياد بن المهلب ، ولها منه ولد سمَّته باسم جدها مجزأة . وطرح كعب نفسه عليها ومدح ابنها وجدها ، فرقَّت له وأحبت الصنيعة عنده . فكلَّمت زياداً فيه ، فدافعها . فأرسلت ابنها مجزأة إليه ، وهو صبى ، وأوصته بمسألته فيه ، وأمرته ألّا يرضى أو ينصرف به . فجاء مجزأة واستأذن على أبيه زياد . فقيل له : إن ابنك قد جاء فى حاجة وهو يستأذن عليك . فقال : إذنْ لا ينصرف إلا بقضائها ، وأذن له . فدخل عليه وكلمه

(١) دراری ، وصف « لنجوم » .
(٢) هذا الخبر وما يليه من شعر كعب فى مجزأة لم يرو فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

فى كعب . فدعا زياد بحُلة أفواف[١] فأُتى بها، فقال له: هذه أحبُّ إليك أم كعب ؟ فقال : كلاهما . فضحك زياد وأمر بإخراج كعب من السجن . فأُخرج . فلما دخل على زياد وبّخه وقال : أتهجونا بعد صنائع المهلب وصنائعنا إليك منذ نشأت إلى أن شبت لأدنى طمع لك من قُتيبة ! فقال له : مدحتكم طوال الدهر ونوّهت بذكركم وفضلكم ، ثم أخذنى رجل شديد السطوة بعيد الرحمة مسلط علىّ ، فأكرهنى على قول قُلته ، وخفته على نفسى، فأطعته لا طَمعاً ولا رغبة فى شىء ، فأبطل ذلك عندكم من مدحى إياكم طائعاً مختاراً غيرَ مكره . فأمر بإطلاقه ، ودفعه إلى ابنه مجزأة . فخرج به وخلع عليه الحُلة الأفواف التى أخذها من أبيه . فقال كعب يمدح مجزأة :

سَقياً لذى حسب تدارك مُهجتى ... فنهضتُ بعد جوائح[٢] وعِثارِ

ذاك الذى وَرث المكارم كلَّها ... من بين ذى يَمن و بين نِزار

وهذان البيتان من قصيدة طويلة من شعر كعب ، أولها :

* ما هاج شوقَك من رُسوم ديار *

يقول فيها فى ذكر المُهلب :

وذكرتُ آلاء المهلَّب بعد ما ... ضاقت علىّ عريضةُ الأقطار

أَمْسَى الذى يُرجى لكُلّ عَظيمة ... فى القبر بين مَجامع الأنهار

دُفن النَّدى والحَزم فى سِرباله ... فى عُود لا قَصِفٍ ولا خَوّار

لا زال يَسقى قبرَه و بلادَه ... دِرَرُ السَّحاب بواكرٌ وسَوارى

ذاك المُهلب خيرمَن وطىء الحصى ... نفساً وأوفاه بذمّة جار

(١) أفواف : برود يمنية موشاة .

(٢) الجوائح : الشدائد والنازلات العظيمة ؛ جمع جائحة .

كم من عدوٍ قد أباح بلاده ... فسَما إليـــه بجحفلٍ جرّار

والخيل تَضْبح[1] بالكُماة عوابساً ... يَحملنَ كُل مُـدجَّج مِغْوار

بُلْج الظُّهور طَوى الطِّرادُ بُطونَها ... فى كُل يوم طَليعة ومُغـار

يخرُجن من بُعـد الفِجاج عليهمُ ... بالدَّارعين طوامحَ الأبصـار

مدحه زياد ابن المهلب

[2]ومدح زيادَ بن المهلب بقصيدة من جيد شعره ، يقول فيها فى ذكر المُهلب :

رفعوا به يوم أُستقلّ بنَعشه ... غيثَ العِراق وقائدَ الأَجيادِ

الحامل العِبء الثَّقيل بفَضله ... والمُستجار به من الأَحقاد

لا زال يَسقى قـبرَه و بلاده ... دِرَرُ السحاب روائحٌ وغَوادى

كم من عـدوٍ قد أباح بلاده ... قَسراً ولفَّ سواده بسواد

المُوقد النِّيران والمُطفَى به النِّـيران والمُورِى بغَـير زِناد

يا قَوم هل لأخيكمُ من توبة ... أم هَل له بعد الضَّلالة هادى

إنِّى ركبتُ الغَىَّ أَحسبه هُدًى ... بل كان غيرَ هُدى وغيرَ رشاد

لولا مكانك يابن كُل متوَّج ... لثويتُ فى سِجن وفى أَقيـاد

وذُكر أن كعب الأشـقرىّ كان له أبن أخ شاعر يعاديه ، فلما سأل مجزأةُ أبن زياد أباه زياداً فى كعب فأطلقه ، دسّ زيادُ بن المُهلَّب إليــه أبنَ أخيه هذا وجعل له مالاً على قتل كعب . فجاءه وهو نائم تحت شجرة فضرب رأسه ضربةً فقتله ، وذلك فى فتنة يزيد بن المهلب وهو بعُمان ، وكان لكعب أخٌ غيرُ أبى قاتله . فلما قُتـل يزيد بن المهلب ولى عُمان محمدُ بن جابر الراسبى من قِبل مَسلمة أبن عبد الملك ، فأخذ أخو كعب أبنَ أخيه الذى قَتل كعباً فقدّمه إلى محمد بن جابر،

(١) تضبح : تسمع من أفواهها صوتاً ليس بصهيل و لا حمحمة .

(٢) لم يرد هذا الخبر فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

وطلب منه القَوَد [1]. فقيل له : قُتل أخوك بالأمس ، ويُقتل قاتله ـ وهو ابن أخيك ـ اليوم، وقد مضى أخوك وانقضى، فتبقى فرداً كقَرن الأعضب [2]؟ فقال : نعم ! إن أخى كعباً كان سيدنا وعظيمنا ووجهنا فقتله هذا ، وليس فيه خير ولا فى بقائه عزّ ولا هو خلف من كعب ، فأنا أقتله به ، فلا خير فى بقائه بعده . فقدّمه محمد بن جابر فضرب عُنقه .

---

(١) القود : القصاص .

(٢) الأعضب : المكسور القرن .

أخبار العباس بن مرداس

نسبه وكنيته

هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس[1] بن رِفاعة بن [الحارث بن][2] بُهْثة بن سُلَيم بن منصور بن عِكرمة بن خَصفة بن قيس عَيلان ابن مُضر بن نزار . ويكنى : أبا الهيثم .

أمه

وأُمه الخنساء الشاعرة ، بنت عمرو بن الشَّريد .

شيء عنه

والعباس شاعر فارس شديد العارضة والبَيان ، سيّد فى قومه من كلا طرَفيه ، وهو مُخضرم : أدرك الجاهلية والإسلام ، ووَفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم .

إسلامه

وحكى العبّاس بن مرداس قال :

كان سبب إسلامى أنّ أبى مِرداس بن أبى عامر كان له صَنم اسمه ضَمار ، فلما حضره الموت أوصانى به و بعبادته والقيام عليه ، فعمدت إلى ذلك الصنم فجعلته فى بيت ، وجعلتُ آتيه فى كل يوم وليلة مرة . فلما ظهر أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعتُ صوتاً فى جوف الليل راعنى ، فوثبت إلى ضَمار ، فإذا الصوت فى جوفه يقول :

قُل للقبائل من مَعَدٍّ كلها ... هَلك الأَنيسُ وعاش أهلُ[3] المَسجدِ
إنّ الذى وَرِث النُّبوة والهُدى ... بعد ابن مَريم من قُريش مُهتدى
أَوْدى ضَمار وكان يُعبد مَرّةً ... قبل الكتاب إلى النبيّ مُحمّد

(١) فى التجريد : « عبس » . تحريف .
(٢) التكملة من جمهرة أنساب العرب (ص ٥١٦) .
(٣) الرواية فى معجم البلدان فى رسم « ضمار » والسيرة لابن هشام (٤ : ٦٩) :
قل للقبائل من سليم كلها ... أودى ضمار وعاش أهل المسجد

قال : فكتمت الناس جميعاً ذلك فلم أُحدِّث به أحداً ، حتى انقضت غَزوة الأحزاب . فبينا أنا فى إبلى فى طَرَف العقيق ، وأنا نائم ، إذ سمعتُ صوتاً شديداً ، فرفعتُ رأسى فإذا رجل على جناحَىْ نَعامة يقول : إن النور الذى وَقع من السماء ، يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ، مع صاحب الناقة العضباء[1] ، فى دار أخى بنى العَنقاء . فأجابه طائف عن شِماله لا أُبصره ، فقال : بشِّر الجن وأجناسها ، أن قد وَضعت المطىُّ أحلاسها[2] ، وكفت[3] السماء أحراسها . قال : فوثبتُ مذعوراً ، فركبتُ فرسى وسرتُ حتى انتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فبايعتُه وأسلمت ، وانصرفت إلى ضَمار فأحرقتُه بالنار .

وذُكر أن العباس بن مرداس لما قصد إتيان النبى صلى الله عليه وسلم أتى إبله فبات بها ، ثم دعا براعيه فأوصاه بإبله وقال له : من يسألك عنِّى فحدِّثه أنى لحقت بيثرب ، ولا أحسبنى إن شاء الله إلا آتياً محمداً وكائناً معه ، فإنى أرجو أن يكون رحمة من الله ونوراً ؛ فإن كان خيراً لم أُسبق إليه ، وإن كان شرًّا نصرتُه لخُؤولته ، وعلى أنى قد رأيتُ الفضل البيِّن وكرامة الدنيا والآخرة فى طاعته ومؤازرته ومتابعته وإيثار أمره على جميع الأمور ، فإنّ مناهج سُبله واضحة ، وأعلام ما يجىء به من الحق نيّرة ، ولا أرى أحداً من العرب نَصب له إلا أُعطى عليه الظفر والعُلو ، وإنى[4] قد أُلقيتْ علىّ محبة له ، وأنا باذل نفسى دون نفسه ، أريد بذلك رضى إله السماء والأرض . ثم سار نحو النبى صلى الله عليه وسلم . ومضى الراعى إلى أهله ، فأخبر امرأته بالذى كان من أمره ، فقامت فقوّضت بيتها ولحقت بأهلها . فذلك حيث يقول العبّاس بن مرداس :

---

(١) العضباء : المشقوقة الأذن .

(٢) أحلاس : جمع حلس ، وهو كل ما يلى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ووكفت » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « وأرانى » .

لعمركَ(١) إنى يوم أجعل جاهداً ... ضِماراً لربِّ العـالَمين مُشارِكا
وتَركى رسولَ الله والأرض حوله ... أولئك أنصار الإله أولئكا
كتاركِ سَهلِ الأرض والحزَن يبتغى ... ليسلك فى غَيب الأُمور المَسالكا
فآمنت بالله الذى أنا عبدُه ... وخالفتُ من أمسى يُريد المَهالكا
ووجّهتُ وَجهى نحو مكةَ قاصداً ... وبايعتُ بين الأخشَبَيْن(٢) المُبارَكا
نبيّاً(٣) أتانا بعد عيسى بناطق ... من الحق فيه الفصلُ منه كذلكا
فلاقَى عُرى الإسلام بعد انفصامها ... وأَحكمها حتى أقام المَناسكا

بينه و بين الرسول فى فتح مكة

وقَدم العبّاس بن مرداس على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما أراد المَسير إلى مكة ، فلقيه بقُديد(٤) فى ألف فارس من بنى سُلَيم ، فحَضر فتح مكة ويوم حُنين . ولما قسم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم الغنائم أكثر العطايا لأهل مكة ، وأَجزل القسمة لهم ولغيرهم ممن شهد الوَقعة ، تألُّفاً لهم على الإسلام ، فكان صلّى الله عليه وسلم يعطى الرجلَ الواحد ألفَ ناقة ، والآخر ألفَ شاة ! وأعطى عُيينة ابن حِصن الفزاريّ ، والأقرع بن حابس التَّميمى ، والعباس بن مرداس عطايا ، فضَّلَ فيها عُيينة والأقرع على العبَّاس بن مرداس ، فقال العباس :

وكانت نِهاباً(٥) تلافيتُها ... بكرِّى على المُهرِ فى(٦) الأَجرعِ
وإيقاظىَ الحىَّ أن يَرقدوا ... إذا هَجع القومُ لم أَهجعِ
فأصبح نَهبى ونَهبُ(٧) العُبيـ ... ـد بين عُيينة والأَقرعِ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لعمرى » .
(٢) الأخشبان : جبلا مكة .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « نبى » .
(٤) قديد : قرب مكة .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « رزايا » .
(٦) الأجرع : الرملة السهلة المستوية ، يريد ساحة القتال .
(٧) العبيد : فرس العباس بن مرداس .

وقد كنتُ في الحرب ذا[1] تُدْرأٍ … فلم أُعطَ شيئاً ولم أُمنَع
إلّا أَفائل[2] أُعطيتها … عديدَ قوائمها الأَربع
وما كان حصنٌ ولا حابس … يفوقان مِرداس[3] في مَجْمع
وما كنتُ دون أمرىء منهما … ومن تَضع اليوم لا يُرفع

فبلغ قولُه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه وقال : أنت القائل :

أصبح نَهبي ونَهب العُبيد من الأقرع وعُيينة ؟

فقال أبو بكر رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! لم يقل ذلك ، ولا والله ما أنت بشاعر ولا ينبغى لك الشعر ، وما أنت براوية ! قال : فكيف قال ؟ فأنشده أبو بكر . فقال : هما سواء، ما يضرك بأيهما بدأت : بالأقرع أو بعيينة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقطعوا عنّى لسانه، بأن تُقطعوه من البَهم والشاء ما يُرضيه ليمسك . فأُعطى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنصار فى فىء مكة

ووَجدت الأنصار فى أنفسها وقالوا : نحن أصحاب كل موطن وشدة ، فآثر قومَه علينا وقَسم فيهم قسماً لم يَقْسمه لنا ، وما نُراه فعل ذلك إلا وهو يريد المقام بين أظهرهم . فلما بلغ ذلك رسول الله صلى عليه وسلم أتاهم فى منزلهم وجمعهم فقال : من كان هاهنا من غير الأنصار فَلْيرجع إلى أهله . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر الأنصار ، قد بلغتنى مقالة قلتموها ومَوجدة وجدتموها علىّ فى أنفسكم ، ألم آتكم ضُلّالاً فهداكم الله ؟ قالوا : بلى . قال : ألم آتكم قليلاً فكثّركم الله ؟ قالوا : بلى . قال : ألم آتكم أعداء فألّف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى . قال : أولم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها ؟ قالوا : بلى . قال :

---

(١) ذو تدرأ : أى ذو عدة وقوة على دفع الأعداء عن نفسه .
(٢) السيرة لابن هشام (٨ : ٢٣٧) : « شيخى » . يعنى أباه مرداسا .
(٣) أفائل : جمع أفيل، وهو الفصيا

أفلا تُجيبوننى يا معشر الأنصار ؟ قالوا : الله ورسوله أمنُّ وأفضل[1] ، جئتنا يا رسول الله ونحن فى الظُّلمات فأَخرجنا الله بك إلى النور ، وجئتنا يا رسول الله ونحن أذلّة قليلون فأعزّنا الله بك ، فرضينا بالله و بالإسلام ديناً و بك نبيًّا . فقال رسول‌الله صلى الله عليه وسلم : لو شئتم لأجبتمونى بغير هذا ، فقلتم وصُدِّقتم : جئتنا طريداً فآويناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وعائلاً فواسيناك ، ومكذَّباً فصدَّقناك ، وقَبلْنا مايرُد عليك الناس، لقلت: صَدقتم[2] . فقالت الأنصار : بل‌لله ورسوله المَنُّ علينا والفضل . ثم بكَوا حتى كثر بكاؤهم ، و بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا معشر الأنصار ، أوجدتم فى قلوبكم فى الغنائم التى آثرت بها أُناساً أتألّفهم على الإسلام ليُسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا تَرضون أن يذهب الناس بالشاء وترجعون برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لو سلك الناس شِعْباً وسلكت الأنصارُ شِعْباً لسلكتُ شِعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت أمرأً من الأنصار . . فبكى القوم ثانيةً حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا بالله ورسوله حظًّا وقسماً .

قلت : وقد رُوى أنه قال صلى الله عليه وسلم يومئذ : اللهم ارض‌عن الأنصار، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار .

ثم تفرق القوم راضين ، فكانوا بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدّ اغتباطاً من المال ، رضى الله عنهم وشكر سعيهم .

من المؤلفة

ومن المؤلفة الذين تألّفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو سفيان بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حِزام ، والحارث بن هشام ، وسُهيل بن عمرو ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لله ورسوله علينا المن والفضل » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وقبلنا منك ما رده عليك الناس ، لقد صدقتم » .

وحُويطب بن عبد العُزّى ، وصفوان بن أمية ؛ أعطى كل واحد من هؤلاء مائةً من الإبل .

رواية العباس عن النبي صلى الله عليه وسلم

وقد روى العباسُ بن مرداس الحديثَ عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . فمّما روَى عن النبي صلى الله عليه أنه دعا لأُمته عشية عَرَفة ، فأجبَّ لهم بالمغفرة إلا ما كان من مظالم العباد بعضهم لبعض ، فقال : أي رب ، إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم . فلم يُجَب في عشيته . فلما أصبح في المُزدلفة أعاد الدعاء فأُجيب لهم بما سأل . فضحك صلّى الله عليه وسلم وتبسّم ، فقال : لمَّا علم إبليس أن الله عزّ وجل قد غفر لأمتي جعل يحثو التراب على رأسه ويدعو بالويل والثبور ، فضحكتُ من جزعه .

أخبار حماد عجرد

نسبه وولاؤه

هو حمّاد بن عمرو بن كُليب . ويُكنى أبا عمرو . مولى بنى عامر بن صَعصعة .

أصله وشيء عنه

وأصله ومَنشؤه بالكوفة . وكان يَبرى النَّبل . وقيل: كان أبوه نبّالاً . وهو من مُخضرمى الدَّولتين: الأُموية والعبّاسية؛ إلا أنه لم يَشتهر فى أيام بنى [أمية شُهرته فى أيام بنى][1] العبّاس . وكان خليعاً ماجناً ، متّهماً فى دينه ، مَرمياً بالزّندقة .

لقبه

وإنما لَقّبه عجرداً عمرو بن سِنديّ فى شعر هَجاه به . وعَجرد ، مأخوذ من المُعَجرِد ، وهو العُريان .

الحمادون الثلاثة

وذُكر أنه كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمّادون — حمّاد عجرد ، وحمّاد الراوية ، وحمّاد بن الزِّبرقان — يتنادمون على الشّراب ، وكانوا كنفس واحدة ، وكُلهم يُرمون بالزّندقة ، وأشهرهم بها حمّاد عَجرد .

الهجاء بينه وبين بشار

وكان بين حمّاد عَجرد وبشّار بن بُرد تهاجٍ كثيرة .

وذُكر أن بشاراً أُنشد قولَ حمّاد فيه :

أنت ابن بُرد مثلُ بُر ... دٍ فى النّذالة والرّذالهْ

مَن كان مثل أبيك يا ... أعمى أبوه فلا أبا له

فقال : جَوّد ابنُ الزانية ! وأُنشد أيضاً قولَه فيه :

دُعيتَ إلى بُرد وأنتَ لغَيره

وهَبْك ابن برد[2] نِكْت أمك من بُرْدِ

(١) التكلة من الأغانى .

(٢) فى التجريد : « وهبك لبرد » .

فقال بشار للذى أنشده : هاهنا أحد ؟ قال : لا . قال : أحسن والله ما شاء أبنُ الزّانية !

وذُكر أنّ بشاراً قال لراوية حمّاد : ما هَجانى به اليوم حماد ؟ فأنشده :

ألا من مُبلغ عنّى الّـ ـذى والدُه بُـرْدُ

فقال : صدق أبنُ الفاعلة ! فما يكون ؟ فقال :

إذا ما نَسب النـاس فلا قَبْـلٌ ولا بَعـدُ

فقال : كذب ابنُ الفاعلة ! وأين هذه العَرَصات[1] من عَقيل ! فقال :

وأعمى قَلْطبـان[2] ما على قاذِفه حَـدُّ

فقال : كذب ابنُ الفاعلة ! بل ثمانون جَلدة عليه، هِيه[3] ! فقال :

وأعمى يُشـبه القرد إذا ما عَمِى القِـرْدُ

فقال : ما أخطأ والله ابن الزانية حين شَبّهنى بقرد ! حسبك ! ثم صفّق بيده وقال : ما حيلتى ؟ يرانى فيُشبهنى ولا أراه فأُشبهه !

وتمام هذه الأبيات ، وهى من جَيّد الهجو :

ولو يَنْـكَهُ[4] فى صَلْدٍ صَفاً[5] لا نصدع الصَّلْدُ

دَنِىء لم يَرُح يوماً إلى المَجـد ولم يَغْـدُ

ولم يَحضُر مع الحـا ضر[6] فى خَيرٍ ولم يَبْدُ

(١) العرصات : البقاع الواسعة بين الدور ليس فيها بناء ؛ الواحدة : عرصة . وإذا اتسع ما بين الدور فما بالك بها . يشير إلى جاه قومه .

(٢) القلطبان : الذى لا غيرة عنده ، أصلها : القلتبان ، لفظة قديمة ، فغيرتها العامة الأولى فقالت : القلطبان ، وجاءت عامة سفلى فغيرت على الأولى فقالت : القرطبان .

(٣) هيه ، أى زد .

(٤) ينكه : يتنفس ، لتعرف نكهته ، أطيبة هى أم غير طيبة . يشير إلى نتن رائحة فيه .

(٥) الصفا : الحجارة الصلدة الضخمة ، الواحدة : صفاة .

(٦) فى بعض أصول الأغانى : « الحضار » .

ولم يُخْشَ له ذمٌّ ... ولم يُرْجَ له حَمْدُ
جَرى بالنَّحس مُذْ كا ... ن ولم يَجْرِ له سَعْدُ
هو الكلب إذا ما ما ... ت لم يُوجد له فَقْدُ

وذكر أنَّ أغلظ ما هَجا به بشاراً قولُه :

نهارُه أخبثُ من ليله ... ويومُه أخبثُ من أمسِه
وليس بالُمقلع عن غَيِّه ... حتى يُوارى فى ثَرى رَمْسه

وكان أغلظَ على بشار من ذلك كُله وأوجعه قولُه فيه :

لو طُليتْ جِلْدتُه عَنبرًا ... لأَفسدت جِلدتُه العَنبرَا
أو طُليت مِسْكاً ذَكيًّا إذاً ... تحوّل المِسكُ عليه خَرَا

منعه الربيع عن تأديب ولده لشعر بشار فيه

وذُكر أنَّ حماد عَجرد اتصل بالرَّبيع يُؤدِّب ولده ، فكتب إليه بشَّار رُقعةً ، فأُوصلت إلى الربيع ، فطَرده لما قرأها ، وفيها مكتوب :

يا أبا الفَضل لا تَنمْ ... وقَع الذئبُ فى الغَنَمْ
إنَّ حمادَ عجردٍ ... إن رأى غَفلةً هَجَم
بين فَخذيه حربةٌ ... فى قِراب[1] من الأَدم
إن خلا البيتُ ساعةً ... مَجْمج المِيمَ[2] بالقلم

فلما قرأها الربيع قال : صيرنى حمَّاد دَريئةً[3] للشُّعراء ! أخرجوا عنِّى حماداً . فأُخرج .

وقيل : إن الأبيات كُتبت إلى العباس بن محمد ، وكان حماد يُؤدِّب ولده .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « غلاف » .

(٢) مجمج : أفسد وغير .

(٣) الدريئة : الحلقة التى يتعلم الرامى الطعن والرمى عليها .

نكايته بقطرب حين دعاه المهدى لتأديب ولده

وذُكر أن قَطَرِبًّا النَّحوى جُعل مُؤدباً لبعض ولد المهدى ، وكان حماد عَجرد يطمع أن يكون هو مؤدِّبه ، فلم يتم له ذلك لتهتُّكه وشُربه وشُهرته فى الناس بما قال فيه بشَّار ، فلما تمكَّن قُطرب فى موضعه أخذ حماد رُقعة فكتب فيها :

قُل للإمام جزاك الله صالحةً ... لا تَجْمعِ الدهرَ بينَ السَّخْل[1] والذِّيبِ

السَّخل غِرٌّ وهَمُّ الذِّئب[2] فُرصتُه ... والذِّئبُ يَعلم ما فى السَّخْل من طِيب

فلما قرأ المهدىُّ البيتين قال : انظُروا ، لا يكون هذا المؤدب لُوطيًّا . ثم قال : انفُوه عن الدار . فأُخرج عنها وجِىء بمؤدِّب غيره . ووُكل به تسعون[3] خادماً بنوائب[4] يَحفظون الصِّبيان . وخرج قُطرب هارباً ممَّا شُهر به إلى عيسى ابن إدريس [بن أبى دلف][5] العِجليّ ، فأقام معه بالكَرَج[6] إلى أن مات .

هو وأبو حنيفة حين بسط فيه لسانه بعد نسكه

وذُكر أنَّ أبا حنيفة الفقيه — رحمه الله — كان فى صِباه صديقاً لحمَّاد عَجرد ، فنَسك أبو حنيفة وطلب الفقه ، و بلغ فيه مابلغ ، ورفض حمّاداً ، و بسط لسانه فيه . فجعل حمّاد يُلاطفه حتى يكُفَّ عن ذكره ، وأبو حنيفة يذكُره . فكتب إليه حمَّاد عجرد بهذه الأبيات :

إن كان زُهدك[7] لا يتـ ... ـمّ بغير شَتْمى وانتقاصِى

أوْ لم تكن إلّا به ... تَرجو النَّجاة من القَصاصِ

---

(١) السخل : ولد الغنم .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « الناس » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ووكل به تسعين » .

(٤) بنوائب : يريد « نوبا » أى جماعه بعد جماعة ؛ إذ « نوائب » جمع نائبة ، وهى ما ينوب من الدهر ويصيب . وفى غير التجريد : « يتناوبون » .

(٥) التكملة من الأغانى .

(٦) الكرج : مدينة بين همذان وأصبهان فى نصف الطريق .

(٧) فى بعض أصول الأغانى : « نسكك » .

فاقعُد وقُم بى كيف شئـ ـتَ مع الأدانى والأقاصى
فلطالمـا زكّيتنى وأنا المُقيم على المعاصى
أيامَ تأخُـذها وتُعـ ـطى فى أَباريق الرّصاص

فأمسك أبو حنيفة بعد ذلك عن ذِكره .

وقيل : إن هـذه المُكاتبة كانت من حمّاد إلى يحيى بن زياد ، وكان قد أظهر تورُّعاً .

شعره إلى ابن أبى الصلت يعيبه بالبخل

وذُكر أن حُريث بن أبى الصّلت كان صديقاً لحمّاد عجرد ، وكان حمّاد يَعيبه بالبُخل ، فكتب إليه على سبيل العَبث به :

حُريثٌ أبو الصّلت ذو خِبرة بما يُصلح المِعَدَ الفاسدَهْ
تخوَّف تُخَمةَ أضيافه فعوّدهم أَكلة واحده

رثاؤه الأسود ابن خلف

وذُكر أن حمّاد عجرد كان يعاشر الأسود بن خلف لا يكاد يُفارقه ، فمات الأسود ، فقال حمّاد يرثيه :

قلتُ لحنّانة دَلُوح تَسنح من وابل(١) سَفُوحِ
جاد علينـا لها رَباب بوا كفٍ هاطل(٢) نَضُوح
أُمّى الضريحَ الذى أُسمّى ثم استهلّى(٣) على الضّريح
اُغدى بسُقياك فاُصبَحيه ثم اُغْبقيه مع(٤) الصّبوح
ليس من العدل أن تَشِحّى على أمرئٍ(٥) ليس بالشّحيح

(١) الحنانة : الريح والسحابة ، شبهها مع صوت الرعد معها ، بالناقة تصوت عند الحنين . ودلوح : مثقلة بالماء . وتسنح : تعرض . وفى ذكر السنوح إشارة إلى يمنها .
(٢) الرباب : السحاب المتعلق الذى تراه دون السحاب . ونضوح : ممطرة .
(٣) استهل السحاب بالمطر : انهمر . والضريح الثانية ، أى المدفون ، وهو مرثيه . يشير إلى أنه كريم خالص النسب .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « الكسوح » .
(٥) فى التجريد : « على فتى » مكان « على امرىء » .

ما هجا به بشارا وماهجاه به بشار ومصيرهما

وذُكر أن عُلماء البصرة اجتمعوا على أنه ليس فى هجاء حمّاد عجرد لبشّار شىء جَيِّد إلا أربعين بيتاً ، ولبشار فيــه من الهجاء أكثرُ من ألف بيت جيد . وكان كل واحد منهما هو الذى هَتك صاحبه بالزّندقة وأظهرها عليــه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط حمّاد ، وتهتّك بشّار فى الزّندقة فقُتِل بها .

هجاؤه ابن طلحة حين أبطأ بطعامه

وذُكر أنه نزل حمّاد عجرد على محمد بن طَلحة، فأبطأ عليه بالطعام واشتد جوعه ، فقال فيه حماد :

زُرتُ امرأً فى بيتــه مرةً ... له حَيــاءٌ وله خِــيرُ
يكره أن يُتخِم أضيــافَه ... إنّ أذى التُّخمة مَحــذور
ويَشتهى أن يؤجَروا عنده ... بالصوم والصالح مَأجور

فقال له محمد : عليك لعنة الله ! أى شىء حملك على هجائى، وإنما انتظرت أن يُفرغ لك من الطعام ! فقال : الجوعُ وحياتِك حملنى عليه ، وإن زدت فى الإبطاء زدتُ فى القول . فمضى مُبادراً حتى جاء بالمائدة .

خبره مع محمد ابن السفاح

وذُكر أنه لمـا قُتل إبراهيم بن عبــد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ ابن أبى طالب وَلّى المنصورُ البصرةَ ابنَ أخيه محمدَ بن أبى العبّاس السفاح ، وكان يُبغضه ، فأصحبه قوماً يُعاب بصُحبتهم مُجّاناً وزنادقة — منهم : حماد عجرد ، وحماد ابن يحيى ، ونظراؤهم — ليَغُضّ منــه ويرتفع ابنُه المهدى عند الناس . وكان محمد بن السفّاح مُحمَّقاً ، فكان يغلِّف لحيته إذا ركب بأوراق من الغالية ، فتسيل على ثيابه فيصير شُهرة . فلقّبه أهلُ البصرة أبا الدِّبس[1] . فقال فى ذلك بعضُ شعرائهم :

صِرنا مع الرِّيح إلى الوَكْس ... إذ ولِى الأمرَ[2] أبو الدِّبْسِ
ما شئتَ من لَوم على نَفسه ... وجنسُه من أكرم[3] الجنس

(١) الدبس : عسل التمر وعصارته . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « المصر » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وحبسه ... الحبس » .

فقال لأصحابه يوماً : قد عَزمت على أعتراض أهل البصرة بالسّيف يوم الُجمعة فأقتُل كُلّ من وجدت ؛ لأنهم خرجوا مع إبراهيم . فقالوا له : نعم ، نحن نفعل ذلك ؛ لما يعلمونه من حُمقه . ثم جاءوا إلى أمه أم سَلمة بنت أيوب بن سَلمة المَخْزومية فأعلموها ذلك ، وقالوا : والله لئن هَمَّ بهذا ليُقتلنّ ولنقْتلنّ معه ، وإنما نحن من أهل البصرة أ كَلة رأس[١] . فخرَجت إليه أمه وكشفت عن ثديها ، وأقسمت عليه حتى كف عمّا كان عَزم عليه .

شعره فى زينب بنت سليمان على لسان محمد بن السفاح

وكان محمد هذا يَهوى زينب بنت سُليمان بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس ، فخَطبها ، فلم يزوّجوه لضَعف عَقله . وكان حماد وحَكم الوادى يُنادمانه . فقال لحماد عَجْرد : قُل فيها شعراً . فقال فيها على لسانه :

زينب ما ذَنبى وماذا الذى غضبتمُ فيه ولم تَغضبُوا
والله ما أعرف لى عندكم ذنباً ففيم الهَجر يا زينب
إن كنتُ قد أغضبتُكم ضِلّةً فاستعتبونى إننى[٢] مُعتب
عُودوا على جَهلى بأحلامكم إنى إذا[٣] لم أذنبْ المُذنب

شعرمحمد فى زينب

وذُكر أن محمداً له فى زينب هذه شعر غَنّى فيه المغنون ، وهو :

زينبُ ما لى عنك من صبرِ وليس لى منك سوى الهَجرِ
وجهُك والله وإن شفّنى أحسنُ من شَمسٍ ومن بَدرِ
لو أبصرَ العاذلُ منك الذى أبصرتُه أسرع بالعُذرِ

ولمحمد أيضاً فيها :

ياقمرَ المِرْبد[٤] قد هِجْت لى شوقاً فما انفكُّ بالمِرْبدِ

(١) أى قلة يكفينا الرأس .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أعتب » مكان « معتب » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وإن لم أذنب » .
(٤) المربد : موضع بالبصرة .

أُراقب الفَرْقد من حُبِّكم ... كأنَّنى وُكِّلت بالفَرْقد

أهيم ليلى ونَهارى بكم ... كأنَّنى منكمْ على مَوعد

عَلِقتُها ريَّا الشَّوى[1] طَفْلة ... قريبةَ المَولد من مَولدى

جدِّى إذا ما نُسبت جدُّها ... فى النَّسب[2] الثاقب والمَحْتِد

والله لا أنساك فى خَلْوتى ... يا نُورَ عَيني لا ولا مَشْهدى

شعر حماد فى مدح محمد هذا

وكان محمد هذا جواداً مُمَدَّحاً ، وفيه يقول حمّاد عجرد يمدحه :

أرجوكَ بعد أبى العبَّاس إذ بانَا ... يا أكرمَ الناس أعراقاً وأغصانَا

فأنت أكرمُ من يَمشى على قَدم ... وأنضرُ الناس عند المَحل عِيدانا

لو مَجَّ عُودٌ على قوم عُصارتَه ... لَمَجَّ عُودُك فينا المِسك والبَانا

شعر محمد فى عزله عن البصرة

وذُكر أن المنصور لما عَزل محمداً السفاح عن البصرة قال :

أيا وَقفة[3] البَين ماذا شَبَبْتِ ... من النَّار فى كَبِد المُغْرَمِ

رَميت جوانحَه إذ رَميت ... بقَوسٍ مُسدَّدة الأسْهُم

وقفنا لزينبَ يومَ الوَداع ... على مِثل جَمر الغَضَى المُضْرَم

فمن صِرْف دَمع جرى للفراق ... ومُمتزج بعده بالدَّم

رثاء حماد لمحمد

ثم تُوفى محمد بن أبى العبّاس سنة خمسين ومائة ، فقال حماد يَرثيه :

يا سَمِىَّ النبىّ يا بن أبى العبّـ ... ـاس حَقَّقتَ عندىَ المَحْذُورَا

سَلَبَتْنى الهُمومُ إذ سلبتْ منـ ... ـك سرورى[4] فلستُ أرجو سُرورا

ليتنى متُّ حين متَّ ألاَ بل ... ليتَنى كنتُ قبلك المَقْبورا

أنت ظَلَّلتنى الغمامَ بنُعما ... ك ووطَّأتَ لى وِطاء وَثِيرا

(١) الشوى : الأطراف . والطفلة : الناعمة .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « الحسب » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « أيا وقعة » .

(٤) فى التجريد : « إذ سلبتنيك هموى » مكان « إذ سلبت منك سرورى » .

لم تدعْ إذ مضَيتَ فينا نظيرا مثلَ ما لم يدَع أبوك نَظيرا

هو وابن سليمان حين طلبه بقوله فى أخذ زينب

وذُكر أنه لما تُوفى محمد بن أبى العباس السَّفاح طَلب محمدُ بن سليمان بن علىّ حمادَ عجردٍ ، لما كان يقوله فى أُخته زينب من الشِّعر عن لسان مُحمد بن أبى العبَّاس، فعلم حمَّاد أنه لا مُقام له معه بالبصرة ، فاستجار بقبر أبيه سليمان بن عليّ ، وقال :

مِن مُقرٍّ بالذَّنب لم يُوجبِ اللـهُ عليه بسيِّء إقرارَا

ليس إلّا بفضل حِلمك يَعتدُّ بلاءً وما يُعدُّ[1] أعتذارا

يا بن عمّ النبى إنّىَ[2] لا أجعلُ إلا إليك منك فِرارا

غيرَ أنى جعلتُ قبر أبى أيوب لى من حوادثِ الدَّهر جارا

لم أجدْ لى من العبادِ مُجيراً فأُستجرتُ القبور[3] والأحجارا

لستُ أُعتاض مثلَكم فى ابتغاء العزّ[4] قحطانَ كُلَّها أو نِزارا

يا بنَ عمّ النبى[5] يا خيرَ مَن حطَّت إليه الغواربُ الأكوارا

إن أكُن مُذنباً فأنت أبن مَنْ كان لمن كان مُذنباً غفّارا

فأعف عنِّى فقد قدرتَ وخير الْعَفو ما قلتَ كُن فكان أقتدارا

لو يُطيل الأعمارَ جارٌ لعزٍّ كان جارى يُطوِّل الأعمارا

وكتب إليه أيضاً :

يا بن عم النبّى وأبنَ النبىّ لعلىّ إذا أنتمَى وعلىّ

أنتَ بدر الدُّجى المُضىء[6] إذا أظلم وأسودّ كل بدرٍ مضىّ

إنّ مولاكَ قد أساء ومن أعتب من ذنبه فغير مُسىّ

ثم قد جاء تائباً فأقبل التَّوبة منه يا بن الوصىّ[7] الرضىّ

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « اعتذارا » . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « يابن بنت النبى أحمد لا » . (٣) فى غير التجريد : « التراب » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « فى بغية العزة » .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « يابن بنت النبى » . (٦) فى غير التجريد : « وشمس » .

(٧) فى غير التجريد : « واقبله يا بن الوصى » مكان « يابن الوصى الرضى » .

فقال محمد بن سليمان : والله لأبُلّن قبرَ أبي من دمه . فهرب إلى بغداد ، فعاذ بجعفر بن المنصور فأجاره . فقال : لا أرضى أو تهجو محمد بن سليمان . فقال يهجوه :

قل لوجه الخَصىّ ذي العار إنّى سوف أُهدى لزينب الأشعارَا

كنتُ عند استجارتى بأبى أ يّوب أبغى ضلالةً وخَسارا

لم يُجرنى ولم أجد فيه حظًّا أَضرمَ اللهُ ذلك القبرَ نارا

وبلغ ذلك محمداً فقال : والله لا يُفلتني أبدا ! ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافل أبداً ! فقيل : إنه بعث إليه مَن قتله غِيلة . وقيل إنه أستتر مدة عند جعفر . ثم خرج يريد البصرة فمرّ بشيراز فى طريقه . فمرض بها ومات هناك .

هو وبشار حين نعاه وهو حى

وقال بشار لمّا بلغته وفاته ، ولم يكن بعدُ مات :

لو عاش حمّاد لهَوْنا به لكنّه صار إلى النارِ

فبلغ ذلك حماداً وهو فى السِّياق ، فقال يرُد عليه :

نُبِّئت بشاراً نَعـانِى وللـ ـموت بَرانى الخالقُ البارى

ياليتنى متُّ ولم أهجـه نعم ولو صِرْتُ إلى النـار

وأىّ خِزى هو أخزى من أن يقال هـذا [(١)] سِبُّ بشّار

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار حمّاد عجرد ، هو قوله فى محمد بن أبى العباس :

* أرجوك بعد أبى العباس إذ بانا *

الأبيات التى تقدم ذكرها [(٢)] .

---

(١) فى غير التجريد : « يقال لى : ياسب » . (٢) انظر (ص ١٦٠٢) .

أخبار حريث بن عناب

نسبه

ثم ذكر أبو الفرج حُريث بن عنّاب ـ بالنون ـ بن مَطر بن سلسلة . أحد بنى نَبهان بن عمرو بن الغَوث بن طيء .

شيء عنه

وهو شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية مُقلّ ، غير معدود ولا مذكور من الشعراء ؛ لأنه كان غير متصدّ لمدح ولا هجاء .

شعره الذى فيه الغناء وحديثه

وكان هَوِيَ ابنةَ عم له يقال لها : حُبّى بنت الأسود ، من بنى بُحتر ، من طيء ، ثم خَطبها ، فوعده أهلها أن يزوّجوه بها ، ووعدته هى ألّا تُجيب أحداً إلا له . ثم خطبها رجل من بنى ثُعل ، فآثرته ومالت إليه . وخيّرها أهلها بينه وبين حُريث ، فاختارت الثُّعلى . فقال حُريث الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو :

هل قَلبُكَ اليومَ من شَنْباء[1] مُنصرفُ ... وأنت ما عشتَ مجنون بها كَلِفُ
ما تُذكر الدهرَ إلّا صَدّعت كبداً ... حرّى عليك وأذرت أدمعاً تَكِفُ

وبعد هذين البيتين :

يَدوم وُدّى لمن دامت مودّتُه ... وأصرِفُ النفسَ أحياناً فتنصرف
يا ويحَ كُلِّ مُحب كيف أرحمه ... لأننى عارفٌ صِدقَ الذى يَصف
لا تأمنَنْ بعد « حُبّى » خُلّةً[2] أبداً ... على الخِيانة إن الخائن الطَّرِف
كأنها ريشةٌ فى أرض[3] بَلقعة ... من حيث واجهها الريحُ تنصرف

(١) الشنباء : ذات الشنب ، وهو حدة الأسنان . وقيل : بردها وعذوبتها .
(٢) الخلة : الصديقة . والطرف : اللسان ، والفرج .
(٣) فى التجريد : « فى عرض » .

أخبار جعفر بن الزبير بن العوام

نسبه

جعفر بن الزبير بن العوام بن خُويلد بن أَسد بن عبد العُزَّى بن قُصىّ ابن كِلاب .

أمه

وأُمه زينب بنت بِشر بن عبد عَمرو بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب ابن على بن بكر بن وائل[1] .

بخله

وكان مُبَخَّلاً .

فذُكر أنه لم يكن أحدٌ من الناس أبخلَ من آل الزبير . خُصوصاً عبدَ الله ابن الزبير . ولم يكن فيهم جواد غير مُصعب .

شيء عنه ومقتله

وشهد جعفر مع أخيه عبدِ الله حُروبَه . وأُستعمله عبدُ الله على المدينة . وقاتل يوم قُتل أخوه عبد الله بن الزبير حتى جَمد الدمُ على يده .

شعره فى زواج الحجاج بنت عبد الله بن جعفر

وذُكر أنه لما تزوَّج الحجاجُ بن يوسف ـ وهو أمير المدينة ـ بنتَ عبد الله بن جعفر بن أَبى طالب ، أتى رجلٌ سعيدَ بن المُسيِّب ـ رحمه الله ـ فذَكر ذلك له ، فقال : إنى لأرجو ألاَّ يجمع الله بينهما ، ولقد دعا بذلك داع وابتهل ، وعسى الله ، فإن أباها لم يُزَوِّج إلا الدراهم . فلما بلغ ذلك عبدَ الملك بن مروان كتب إلى الحجَّاج يُغلظ عليه ، ويذكُر تجاوزه قدَره ، ويُقسم عليه بالله لئن هو مَسَّها ليقطعنَّ

(١) كذا ساق نسبها أبو الفرج . والذى فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص ١١١) : « زينب بنت بشر بن عبدعمرو بن مرثد الضبيعة ». ويسوق ابن حزم ولد ضبيعة بن قيس بن ثعلبة (ص ٣٠٠ – ٣٠١) فنراه أعقب مالكاً ، وأعقب مالك سعداً ، وأعقب سعد مرثدا ، وأعقب مرثد عمراً ، وأعقب عمرو بشراً ، وأعقب بشر عبد عمرو . وإذا تجاوزنا عن اضطراب الجمهرة فى بشر وعبد عمرو ، أيهما أب وأيهما ابن ، نرى أن أبا الفرج : أسقط بين « عمرو » و « قيس » أربعة أجداد ، هم : مرثد ، وسعد ، مالك ، وضبيعة .

أحبّ أعضائه إليه ، ويأمره بتسويغ أبيها المهر ، وبتعجيل فراقها . ففعل . فما بقى أحدٌ فيه خير إلّا سرّه ذلك . فقال جعفرُ بن الزبير فى ذلك :

وجدتُ أميرَ المؤمنين ابن يُوسف حَمِيًّا من الأمر الذى جئتَ[1] ينكَفُ
ونُبِّئتُ أن قد قال لما نكحتَها وجاءت به رُسْلٌ تَخُبّ[2] وتُوجِف
ستعلم أنّى قد أنفت لما جرى ومثلك منه ـ عمرَكَ الله ـ يؤْنَف
أبنتَ المُصفَّى ذى الجَناحَيْن تبتغى لقد رُمْتَ خَطْباً قدرُه ليس يُوصَف

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ جعفر ، هو :

هل فى ادّكار الحَبيب من حَرَجِ أم هل لهمّ الفُؤاد من فَرَجِ
أم كيف أنسى رحيلَنا ظُهراً يوم حَلَلنا بالنَّخل من[3] أمجِ[4]
يوم[5] يقول الرّسول قد أذِنَتْ فأتِ على غير رِقبةٍ فَلِجِ
أقبلتُ أسعى إلى رحالهمُ فى نَفحةٍ[6] من نَسيمها الأرِجِ

* * *

ثم ذكر أبو الفرج لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مُضاض بن عمرو الجُرهمىّ شعراً يُغَنَّى فيه ، وهو :

كأن لم يكُن بين الحَجُون[7] إلى الصَّفا أنيسٌ ولم يَسمُر بمكّةَ سامِرُ
بلَى نحنُ كنّا أهلَها فأبادنا صُروفُ اللّيالى والجُدودُ العواثر

فاقتضى ذلك ذِكر خبر مُضاض بن عمرو ، فأذكُره مُختصراً .

(١) حمياً : أنفاً . ونكف عن الأمر : عدل عنه .
(٢) الخبب والإيجاف : ضربان من السير السريع .
(٣) فى التجريد والأغانى : « حرما » . وما أثبتنا من معجم البلدان
(٤) أمج : من أعراض المدينة . ورواية البيت فى معجم البلدان :
ولست أنسى مسيرنا ظهراً حين حللنا بالسفح من أمج
وقد تردد ياقوت فى نسبة هذا الشعر بين جعفر وابن قيس الرقيات .
(٥) فى معجم البلدان : « حين » . (٦) فى معجم البلدان : « لنفحة » .
(٧) الحجون : جبل بأعلى مكة . والصفا : مكان مرتفع من جبل أبى قبيس .

ذكر خبر مضاض بن عمرو الجرهمي

قيل :

خبره بمكة

إن إبراهيم الخليل – عليه السلام – لمّا نزل أبنُه إسماعيل – عليه السلام – وأُمّه هاجَر بمكة ، وتزوّج إسماعيل بها رَعْلةَ بنت مُضاض بن عمرو الجُرهمىّ الأكبر ، فولدت له أثنى عشر رجلاً ، منهم : قيدر ، الذى من ذُريته مُحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ونابت . وتعلّم إسماعيل عليه السلام منهم اللغة العربية ، وكان لسانُه ولسان أبيه عبرانيًّا . وكانت جُرهم نزلت مع مَلِكهم مُضاض هذا بأعلى مكة ، ونزلت قَطُوراء مع مَلِكهم السَّميدع أسفلَ مكة . وكان هذان الحيّان خَرجا سيّارةً من اليمن ، فلمّا رأوا بلداً طيّباً وماء وشجراً نزلوه ، ورَضى كُلٌّ واحد منهم بصاحبه ولم يُنازعه . فكان مُضاض يَعْشُر[1] من جاء من أعلى مكة ، وكان السَّميدع يعشُر من جاء من أسفلها ، ولا يدخل أحدُهما على صاحبه فى أمره . وكانت ولايةُ البَيت لنابت بن إسماعيل بعد أبيه إسماعيل عليه السلام . ثم لما تُوفِّى نابت قام بأمر البيت جدُّه لأمه مُضاض بن عمرو الجُرهمى ، وضَم ولدَ إسماعيل عليه السلام وولدَ نابت إليه . ثم إنّ جُرهماً وقَطوراء ، بَغى بعضُهم على بعض وتنافسوا المُلك وتقاتلوا ، فقُتل السَّميدع ، ثم تداعَوْا إلى الصُّلح فاصطلحوا على أن يكون مُضاض هو الملك وحدَه وتجتمع عليه كلمة الجميع . واستمرّ المُلك بمكة بجُرهم مدةً طويلة حتى بغَوا واستحلُّوا المحارم وانتهكوا حُرمة البيت . وكان للبيت خِزانة ، وهى فى بئر فى بَطنه ، يُلقَى فيها الحُلِىّ والمتاع الذى يُهدى له ، وهو يومئذ

---

(١) عشر القوم : أخذ عشر أموالهم .

لا سقفَ عليــه . فتواعد خمسة من جُرهم أن يسرقوا ما فيه ، فقام على كل زاوية من البيت رجلٌ منهم واُقتحم الخامس . فجعل الله تعالى أعلاه أسفلَه وسقط مُنكّساً فهلك ، وفرّ الأربعة الآخرون .

ودخل إساف ونائلة البيتَ ففجرا فيــه فمسخهما الله تعالى حَجرين ، وأُخرجا من البيت ونُصبا ليعتبر بهما من رآهما ، أو يَزدجر الناسُ عن مثل ما اُرتكبا . فلما دعا عمرو بن لُحَىّ إلى عبادة الأصنام قال للناس : إنهما إنما نُصبا هاهنا لأن آباءكم كانوا يعبُدونهما ، فعُبدا من دون الله .

ولمـا كثُر بغْى جُرهم بمكة قام فيهم مُضاض الأصغر ــ وهو مُضاض بن عمرو ابن الحارث بن مُضاض ــ فحذَّر قومَه البغى ، ووعظهم وذكَّرهم فِعـل الله تعالى بالعماليق قبلَهم ؛ فإنهم كانوا بغَوْا فى الحَرم فسلَّط الله عليهم الذَّر فأخرجتهم منه ، ثم رُمُوا بالجَـدْب ، وبُعث الغيث أمامهم ، فجعلوا يطلبونه ولا يجِـدونه أبداً ، ويكون أمامهم فيطلبونه ، ويُساقون بالجَدب من خلفهم ، حتى ردَّهم الله إلى مَساقط رءوسهم . ثم أُرسل عليهم الموت . ولمـا رأى مُضاض بغيهَم ومُقامهم على القبيح عَمد إلى كُنوز الـكعبة ، وهى غِزْلان من ذهب وأسياف قَلَعيَّة[1] ، فحفر لهـا ليلاً فى موضع زَمزم ودَفنها . فبينما هم كذلك إذ سارت القبائل من اليمن حين خافوا سَـيل العَرِم ، وعليهم مُزَيقياء ــ وهو عمرو بن عامر بن ثعلبـة ، وهو الذى تَنتسب إليه خُزاعة ــ فقدموا مكةَ وطلبوا من جُرهم النُّزولَ بها معهم إلى أن يختاروا موضعاً يَقْصِدونه . فأَبت ذلك جُرهم إباءً شديداً ، ومَنعوهم النُّزول معهم ، فاقتتلوا ثلاثة أيام ، ثم اُنهزمت جُرهم ، فلم يُفلت منهم إلَّا الشَّريد . وكان مُضاض الأصـغر قد اُعتزل حَربهم ، ولم تُغنهم مخالفتهم إياه واُمتناعهم من قَبول

(١) قلعية : نسبة إلى القلعة ، بفتح القاف واللام : موضع بالبادية تنسب السيوف إليه .

ما أمرهم به من تَعظيم الحَرم . ثم رَحل هو وولدُه وأهلُ بيته حتى نزلوا قَنَوْنَى[1]، وأفنى الباقين السيفُ فى تلك الحروب . ولما حازت خُزاعةُ أمرَ مكة جاءهم بنو إسماعيل — عليه السلام — وكانوا مُعتزلين حربَ جُرهم وخُزاعة ، فسألوهم السُّكنى معهم وحولهم ، فأذنوا لهم . فلما رأى ذلك مُضاضُ بن عمرو أرسل إلى خُزاعة يستأذنها المُقام بمكة ، ويمُتُّ إليهم بمَنعه قومَه عن حربهم ونَهْيه إياهم عن الفساد وسُوء العشرة فى الحرم ، فأبت خزاعة ذلك وأهدروا دَم كُل جُرهمىّ وُجد فى الحَرم . فندّت إبلٌ لِمُضاض بن عمرو تُريد بمكة، فخرج فى طلبها حتى وجد أثرها وقد دخلت مكة ، فَصعِد على جبل أبى قُبَيس وأشرف على مكة ، ورأى الإبل تُنحر وتُؤكل ، لا سبيل له إليها ، فأنشد الشعر الذى تقدّم ذكره ، وقال أيضاً :

يأيُّها الحيُّ سِيرُوا إن[2] قَصْرَكمُ … أن تُصْبِحوا ذاتَ يوم لا تَسِيرونَا

إنَّا كما كنتمُ كُنّا فغـيّرنا … دهرٌ فسوف كما صِرْنا تَصِيرونا

ازْجُوا[3] المَطِيَّ وأَرْخُوا من أزِمَّتها … قبـل المَمات وقَضُّوا ما تُقَضُّونا

قد مال دهرٌ علينا ثم أهلـكنا … بالبَغى فيـه فقد صِرْنا[4] أفانينا

كُنَّا زماناً ملوكَ النّاس قبلَكمُ … نَأْوِى بلاداً حَراماً كان مَسْكونا

(١) قنونى : من أوديه السراة ، يصب إلى البحر فى أوائل أرض اليمن من جهة مكة .

(٢) قصركم ، أى غايتكم وآخر أمركم .

(٣) أزجوا المطى : سوقوها وادفعوها فى رفق ولين .

(٤) أفانين ، أى كلاماً وحديثاً قد تنوعت أساليبه . يريد أنهم قد مضوا وبقى حديثهم على الألسنة نقصه ونلون فيه .

ذكر خبر أحيحة بن الجلاح مع تبع

حرب أهل يثرب وحديث ذلك

قيل :

إن تُبَّعاً الأخير — وهو أبو كَرِب بن حسان بن تُبَّع بن أسعد الحِمْيَرى — خرج من اليمن يريد المشرق[1] ، كما كانت التبابعة تفعل ، فمر بالمدينة ، فخلَّف بها ابنه ، ومضى حتى قدم الشام ، ثم سار من الشام إلى العراق ، فنزل المُشقَّر[2] ، فقُتل أبنُه غِيلةً بالمدينـة . فبلغه وهو بالمُشقَّر مقتلُ أبنه . فكرّ راجعاً إلى المدينة ، وهو مُجمع على إخرابها وقطع نخلها وأُستئصال أهلهـا وسَبْى الذُّرية ، فنزل بسَفح أُحُد ، فأحتفر بها بئراً — وهى البئر التى يُقال لهـا : بئر الملك — وأرسل إلى أشراف أهل المدينة ليأتوه . فكان ممَّن أرسل إليه زيد بن ضُبيعة بن زيد بن عمرو بن عوف ، وابن عمه زيد بن أُمية بن زيد ، وأبن عمه زيد بن عبدالله بن زيد — وكانوا يُسمَّون بالأزياد — وأُحيحة بن الجُلاح بن الحَريش بن جَحْجبى بن كُلفة بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس ، ويكنى أبا عمرو . فلما جاء رسولُه قال الأزياد : إنما أرسل إلينا ليُمَلِّكنا على أهل يثرب . وقال أُحيحة : والله مادعاكم لخير . فخرجوا إليه ، وخرج إليه أُحيحة ، ومعه قَينة له وخِباء وخمر ، فضَرب الخِباء وجعل فيه القَينةَ والخَمر ، ثم خرج حتى أستأذن على تُبَّع . فأذن له ، وأجلسه معه على زَرْبيَّة[3] تحته ، وتحدَّث معه ، وسأله عن أمواله بالمدينة . فجعل يُخبره عنها ، وجعل تُبع كلما أخبره عن شىء منها يقول : كل ذلك على هذه الزَّربية . يريد بذلك تُبع قتلَ أحيحة . وفَطِن

(*) وقيل هذا ذكر أبو الفرج أخبار « بصبص » جارية ابن نفيس . وقد مر عنها ابن واصل ولم يشر .

(1) فى الأصل : « الشرق » . (2) المشقر : حصن بين نجران والبحرين .

(3) الزربية : البساط ذو الخمل . وقيل : الطنفسة لها خمل رقيق .

شعره الذى فيه الغناء

أُحيحة أنه يريد قَتله . فخرج من عنده فدخل خباءه فشرب الخمر . وقال أبياتاً ، وأمر القَيْنة أن تُغنيه بها . وجعل تُبَّع عليه حَرساً . وكانت قَيْنته تُدعى مُليكة . فقال أُحيحة ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أحيحة :

يَشتاق قَلبى إلى مُليكة لو أَمست قريباً ممن يطالبُها
ما أحسنَ الجِيدَ من مُلَيكةَ واللّـ ـبّات إذ زانها ترائبُها
يا ليتنى ليلةً إذا هجع النا س ونام الكلابُ صاحبُها
فى ليلةٍ لا يُرى بها أحد يَسعى علينا إلّا كواكبها

ومنها ممّا ليس فيه غناء :

لِتَبْكنى قَينة(1) ومِزهرُها ولْتبكنى قهوةٌ وشاربُها
ولْتبكنى عُصبةٌ إذا اجتمعت لم يَعلم الناسُ ما عواقبها

ولم تزل القينةُ تغنّيه بذلك يومَه وعامّة لَيلته . فلما نام الحرسُ قال لها : إنّى ذاهبٌ إلى أهلى فشُدِّى عليك الخباء ، فإذا جاء رسولُ الملك فقولى : هو نائم . فإذا أبَوْا إلا أن يُوقظونى فقولى : قد رجع إلى أهله ، وأرسلنى إلى الملك برسالة ، فإذا ذهبوا بك إليه فقولى له : يقول لك أُحيحة : اُغدرْ بقَينة أَو دَع . ثم انطلق فتحصَّن فى أُطمه الضَّحْيان . فأرسَل تُبَّع فى جَوف الليل إلى الأَزياد فقتلهم . وأرسَل إلى أُحيحة ليقتُلَه ، فخرجت إليهم القينة فقالت : هو راقدٌ . فانصرفوا وتردّدوا إليها مراراً ، كُلَّ ذلك تقول : هو راقد . ثم عادوا وقالوا : لتُوقظنّه أو لندخلنّ عليك . فقالت : فإنه قد رَجع إلى أهله وأرسلنى إلى الملك برسالة . فذهبوا بها إلى الملك . فلما دخلوا بها عليه ، سألها عنه . فأخبرته بخبره وقالت : يقول لك : اُغْدر بقَينة أو دع . فذهبت مثلا . وجرّد له تُبع كَتيبةً من خَيله ،

(1) فى التجريد : « قهوة » .

ثم أرسلهم فى طلبه ، فوجدوه قد تحصّن فى أُطمه ، فحاصروه ثلاثة أيام ، يُقاتلهم بالنهار ويَرميهم بالنَّبل والحجارة ، ويرمى إليهم بالليل التمر . فلما مضت الثلاثُ رجعوا إلى تُبع وقالوا : بعثتنـا إلى رجل يقاتلنا بالنهار ويُضيفنا بالليل . فتركه ، وأمرهم أن يحرقوا نخله .

ونشبت الحربُ بين أهل المدينة : أوسِها وخَزرجهـا ويهودها وبين تُبع . وتحصنوا فى الآطام . وجَدّ تُبع فى قتالهم وصَمَّم على استئصالهم وإخراب المدينة . فأتاه حَبْران من اليهود فقالا له : أيها الملك ، انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة ، وإنا نجد اسمها كبيراً فى كتابنا ، وإنهـا مُهَاجر نبىّ من بنى إسماعيل اسمه أحمد يخرج من هـذا الحرم من نحو البيت الذى بمكة ، تسكون داره وقراره ، يتبعه أكثرُ أهلها . فأعجبه ما سمع منهما وكَفّ عن أذى المدينة . فاختلط أهلُ المدينة بعسكره فبايعُوهم وخالطوهم ، وخَرج تُبّع يريد اليمن ومعه الحَبران . فجاءه نَفر من هُذيل فقالوا له: أجعل لنا جُعلا بذلك على بيت مال فيه كُنوز من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والذهب والفضـة ، ليست لأهله مَنْعة ولا شرف . فجعل لهم على ذلك جُعلا . فقالوا له : هذا البيت الذى تَحُجّه العرب بمكة . وأرادوا بذلك هلاكه . فتوجه نحو مكة فأخذته ظُلمة منعته من السَّير . فدعا الحَبرين فسألهما . فقالا له : هذا لِمَـا أجمعت عليه فى هذا البيت ، والله مانِعُه بعدُ منك ، ولن تصل إليه ، فاحذر أن يُصيبك ما أصاب من انتهك حُرمات الله ، وإنما أراد القوم الذين أمروك بهذا هلاكَك ، لأنه لم يَرُمه أحدٌ قطُّ بشر إلا أهلكه الله ، فأكْرِمْه وطُف به واحلق رأسك عنده . فترك الذى كان أجمعَ عليه وأمر بالهُذليين فقَطع أيديهم وأرجلهم . ثم خرج يسير حتى أتى مكة . فنزل الشِّعب من الأبطاح وطاف بالبيت وحلق رأسه . وكسا البيت الخَصَف[1]. ثم أُتى فى النوم وقيل له : اكسُه أحسن

(١) الخصف : الثياب الغلاظ ، تشبيهاً بالخصف المنسوج من الخوص .

من هذا . فكساه الوصائل . وهى بُرود العَصْب[١] سمِّيت الوصائل لأنه يوصل بعضها إلى بعض ، وأقام بمكة ستة أيام يُطعم الطعام وينحر كلَّ يوم ألف بعير . ثم سار إلى اليمن ، وهو يقول :

ونَحرنا بالشِّعب ستة آلا ف ترَى الناسَ نحوهنّ وُرودَا

وكَسونا البيتَ الذى حَرّم اللّـه مُـلاءً معضَّداً وبُرودَا

وأقمْنـا به من الشّهر سِتًّا وجَعلنـا لِبَابِه[٢] إقليدا

ثم أبنْا منه نَؤمُّ سُهيلا قد رَفعنـا لواءنا المَعْقودا

ثم تَهوّد تُبَّع وأهلُ اليمن بذينك الَحبرين .

---

(١) العصب : برود يمنية يعصب غزلها ، أى يجمع ويشد، ثم يصبغ وينسج فيأتى موشيا، لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

(٢) الإقليد : المفتاح .

(*) أخبار الخنساء ومقتل أخويها

نسبها

هى الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشَّريد بن رياح بن يَقظة بن عُصْبة بن خُفاف بن أمرىء القيس بن بُهْثة بن سُليم بن مَنصور بن عِكرمة بن خَصفة بن قَيس عَيلان بن مُضر . واسمها تماضر . والخنساء لقبٌ لهـا . وقد تقدم ذكرُ خُطبة دريد لها وما قاله من الشِّعر فيها .

شعرها الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ الخَنساء ، تقوله فى أخيها صَخر بن عمرو ترثيه لمّا قُتل ، وهو :

أعينىّ جُودَا ولا تَجْمُدا ... ألاَ تبكيان لصَخْر النّدَى

ألا تبكيان الجرىءَ الجَميل ... ألا تَبْكيان الفتَى السّيِّدا

موت أخيها صخر ورثاؤها له

وذُكر أنّ صخر بن عمرو اكتسح أموالَ بنى أسد وسَبى نسـاءهم ، فأتاهم الصَّريخُ وتَبعوه وتلاحقوا ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فطَعن ربيعةُ بن ثور الأسدى صخراً فى جَنبه . ثم افترقوا . ومرض صخر من طَعنته تلك قريباً من حَول ، حتى ملّه أهلُه . فسمع يوماً أمرأةً وهى تسأل سلمى أمرأته : كيف بعلك ؟ فقالت سلمى : لا حَىّ فيُرجى ولا ميت فيُنعى ! لقينا منه الأمَرّين . فلما سمع صخرٌ مقالة زوجته قال :

أرى أم صَخر ما تَملّ عيـادتى ... وملّت سُليمى مَضْجعى ومكانِى

(*) ساق قبل هذا أبو الفرج خبر سلامة ، وخبر محمد بن الأشعث ، ثم نسب على بن نوفل ، فى أسطر .

وما كنتُ أخشى أن أكونَ[1] جِنازةً ... عليكِ ومن يَغترّ بالحَدثان
أهُمّ بأمرِ الحزْم لو أستطيعه ... وقد حِيل بين العَيْر والنّزوان
لَعمرى لقد نبّهتُ من كان نائماً ... وأسمعتُ من كانت له أُذنان
وللموتُ خيرٌ من حياةٍ كأنها ... مَحِلّة يَعْسوبٍ[2] برأس سِنَان
وأى امرىء ساوى بأم حَليلةً ... فلا عاش إلا فى أذًى وهَوان

فلما طال عليه البلاء وارتفعت قطعةٌ من اللحم مثل اللِّبد فى جَنبه فى موضع الطعنة، قالوا : لو قطعتَها لرجونا أن تبرأ ؟ فقال : شأنكم . فأشفق عليه بعضُهم من ذلك، فأبى وقال : الموتُ أهون علىّ مما أنا فيه . فأحموا له شَفرة ثم قطعوها، فمات . فقالت الخنساء ترثيه بقصيدة أولها :

قَذًى بعَينك أم بالعَين عُوّار ... أم أقفرت إذ خَلت من أهلها الدّارُ

ومنها :

وإنّ صخراً لمولانا وسيدنا ... وإنّ صخراً إذا نَشْتُو لنَحّار
وإنّ صخراً لتأتمّ الهُداة به ... كأنه عَلَمٌ فى رأسه نار
لم ترهُ جارة يمشى بساحتها ... لريبةٍ حين يُخلِى بَيتَه الجار
طَلْقُ اليدين بفعل الخير ذو فَخَر ... ضَخْم الدّسيعة[3] بالخيرات أمّار

وقالت أيضاً الأبيات التى تقدّم ذكرها، وتمامها :

طويل النّجاد رفيعُ العِماد ... سَاد عشيرَته أمْرَدَا
إذا القومُ مدُّوا بأيديهمُ ... إلى المَجْد مدّ إليه يدا

(١) الجنازة، كما تكون للميت تكون لكل ما قد ثقل على القوم فاغتموا به .
(٢) اليعسوب : سيد القوم . وكان الرئيس إذا قتل حمل رأسه على سنان . يعنى أن الموت خير من حياة هى كالموت .
(٣) الفخر، بفتحتين، مثل الفخر، بالفتح والسكون . والدسيعة : العطية .

فنـال الذى فوق أيديهمُ من المَجـد ثم مَضَى مُصْعِدا
يُحَمِّله القـومُ ما عالهم وإن كان أصغرهم مَوْلدا
ترى الجـدَ يهوى إلى بَيْته يرى أفضلَ الكَسب أن يُحْمَدا
فإنْ ذُكر المجـدُ ألفيْتَه تأزّر بالمجـد ثم ارتدى

خبر مقتل معاوية أخيها

وأما خبر معاوية بن عمرو ، أخى الخنساء فى مقتله :

فذُكر أن معاوية وافَى عُكاظ فى موسم من مواسم العرب ، فبينا هو يمشى بسُوق عُكاظ إذ لقى أسماء المُرّية ، وكانت جميلة — وقيل : إنها كانت بغيًّا — فدعاها إلى نفسه ، فامتنعت عليه وقالت : أمَا علمتَ أنّى عند سيد العرب هاشم ابن حَرْملة . فأحفظته . فقال : أما والله لأقارعنَّه عنك . فقالت : شأنك وشأنه . فرجعت إلى هاشم وأخبرتْه بما قال لها معاوية وما قالت له . فقال هاشم : لَعمرى لا يَريم[1] أبياتنا حتى ننظر ما يكون من جهده . فلما خَرج الشهر الحرام وتراجع الناس عن سُوق عكاظ خَرج معاويةُ بن عمرو غازيًا يُريد بنى مُرة وبنى فزارة ، فى فُرسان من أصحابه من بنى سُليم ، حتى إذا كان بمكان دوَّمت عليه طير وسَنح له ظَبى ، فتطيّر منهما ورجع فى أصحابه . وبلغ ذلك هاشمَ بن حرملة . فقال : ما منعه من الإقدام إلا الجُبن . فلما كان فى السنة القابلة غزاهم ، حتى إذا كان فى ذلك المكان سَنح له ظبى وغُراب فتطيّر ورجع ، ومضى أصحابه ، وتخلف فى تسعة عشر منهم لا يُريدون قتالاً[2] إنما تخلف عن عُظْم الجيش راجعًا إلى بلاده[2] . فوردوا ماء ، وإذا عليه بيت شَعر ، فصاحوا بأهله . فخرجت إليهم امرأة . فقالوا : ما أنت؟ ومن أنت ؟ فقالت : أنا امرأة من جُهينة ، أحلاف لبنى سهم بن غَطفان ، وردُوا يسقون . فانسلَّت وأتت هاشم بن حرملة فأخبرته أنهم غير بعيد ، وعرّفته عدّتهم وقالت : لا أراه إلا معاوية فى القوم . فقال : يالَكاع ، أمعاوية فى تسعة عشر

(١) لا يريم : لا يبرح . (٢) لم ترد هذه العبارة فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

رجلاً ! شُبِّهت أو أبطلت. قالت : بل قلت الحق ، ولئن شئت لأصفنّهم رجلا رجلا . قال : هات . قالت : رأيت فيهم شاباً عظيم الُجمة قد خرجت من تحت مِغفره[1] ، صبيح الوجه ، عظيم البطن ، على فرس غراء . قال : نعم، هذه صفته . يعنى معاوية وفرسه الشماء . قالت : ورأيت رجلا شديد الأُدمة شاعراً يُنشدهم . قال: ذلك خُفاف بن عُمير . قالت : ورأيت رجلا ليس يبرح وسطهم إذا نادوه ورفعوا أصواتهم . قال : ذلك عباس بن الأصم . قالت: ورأيت شاباً جميلاً له وَفرة حَسنة. قال : ذلك العبّاس بن مرداس السُّلمى . قالت : ورأيت شَيخاً له ضَفيرتان فسمعته يقول لمعاوية : بأبى أنت ، أطلت الوقوف . قال : ذلك عبدالعُزى زوج الخنساء ، أخت معاوية .

فنادى هاشم فى قومه وخرج . ولم يشعر السّلميون حتى طلعوا عليهم . فثاروا إليهم ، فلقوهم فاقتتلوا ساعة ، وأنفرد هاشم ودُريد ، أبنا حرملة المُريّان ، بمعاوية ، فأستَطْرد[2] له أحدُهما ، فشدّ عليه معاوية وشَغله ، واغترّه الآخر فطَعنه فقتله . وشد خُفاف بن عُمير بن الحارث بن الشَّريد ، وهو أبن نُدبة ، وهى أَمة سوداء ، على مالك بن حمّاد ، سيد بنى سَمخ بن فزارة ، فقتله ، فقال خُفاف فى ذلك :

أقول له والرُّمح يأطِرُ[3] مَتْنَه	تأمّل خُفافاً إنّنى أنا ذلـكا
تيممّت كَبش[4] القوم لمّا عرفته	وجانبتُ شُبّان الرجال الصّعالـكا
فجادت له يُمنى يدىّ بطَعنة	كستْ مَتْنهمنأسوداللونِحالـكا
أنا الفارسُ الحامى الحقيقة والذى	به أدركُ الأبطالُ قِدْماً كذالـكا

---

(١) المغفر : مثل القلنسوة ، غير أنها أوسع ، يلقيها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع ، ثم يلبس البيضة فوقها .

(٢) الاستطراد : ضرب من المكيدة ، وذلك أن يستطرد الفارس ليحمل عليه قرنه ثم يكر عليه ، وذلك أنه يتحيز فى استطراده إلى فئة وهو ينتهز الفرصة لمطاردته .

(٣) أطر الشىء : حناه وقوسه . يصف متنه وقد انثنى من الطعنة .

(٤) كبش القوم : سيدهم .

فخرَّ صريعاً وانتقدنا جَواده ... وحالف بعد الأهل صُمًّا[1] دَكادكا

فإن يَنْج منها هاشم فبطَعنة ... كَسَتْه نجيعاً من دم الجوف[2] صائكا

وقد ذُكر أن الذى استطرد لمعاوية كان به طعنةٌ طعنه إياها مُعاوية .

وشعر خُفاف يدل على أن هاشماً هو الذى طعنه معاوية ، فيكون قاتل معاوية هو دُريد . والناس مختلفون فى ذلك .

وقالت الخنساء ترثى أخاها مُعاوية بقصيدة أولها :

ألا ما لعَينك أمْ مالها ... لقد أخضل الدمعُ[3] سِرْبالَها

ومنها :

فإن تك مُرّةُ أودت به ... فقد كان يُكثِر[4] تَقتالها

فزال الكواكبُ من فَقده ... وجُلِّلت الشمسُ أجلالها

وكان مقتل معاوية بن عمرو قبل مقتل أخيه صخر .

طلب صخر بدم معاوية وشعره فى ذلك

قيل : فلما دخل الشهر الحرام من السنة المُقبلة خرج صخر بن عمرو حتى أتى بنى مُرة بن عوف ، فوقف على أبنى حرملة ، فإذا بأحدهما طَعنه فى عضده . فقال : أيكما قَتل أخى معاوية ؟ فسكتا ولم يُجيباه . فقال الصحيح للجريح : مالك لا تُجيبه ؟ فقال : وقفتُ له فطعَننى هذه الطعنة فى عضدى، وشدّ عليه أخى فقتله . وأيّنا قتلتَ أدركت ثأرك ، إلا أنّا لم نَسْلُب أخاك . قال : فما فعلت فرسه الشماء ؟ قال : هى تلك ، خذها . فردّها عليه . فرجع . فلما أتى صخرٌ إلى قومه قالوا له :

(١) انتقدنا ، أى أخذنا . والصم : الحجارة . والدكادك : الغلاظ . يريد : ما يواريه فى قبره .

(٢) صائك : لازق .

(٣) سربالها ، أى جفنها .

(٤) التقتال : القتل .

أهجهم . قال : إنما أنفسنا أجلٌ من القَذع[١] ولو لم أكفُف نفسى إلا رغبةً عن الخنَى لفعلتُ وكَففت . وقال صخر فى ذلك :

وعاذلةٍ هبّت بليل تلومُنى ... إلا لا تلوميني كفَى اللومُ ما بِيَا
تقول ألا تهجو فوارسَ هاشم ... ومالى إذا أهجوهم ثم ماليا
أبَى الشتمَ أنِّى قد أصابوا كريمتى ... وأنْ ليس إهداء الخنَى من[٢] شِماليا
إذا ذُكر الإخوانُ رقرقتُ عَبرةً ... وحيّيت رَمساً عند لِيّةَ[٣] ثاويا
إذا ما امرؤ أهدى لَميْت تحيةً ... فحيَّاك ربُّ الناس عنّى مُعاويا
وهوَّن وَجدى أننى لم أقل له ... كذبتَ ولم أبخل عليه بماليا
وذى إخوة قطّعتُ أقران[٤] بينْهم ... كما تركونى واحداً لا أخاليا

فلما كان فى العام المقبل غزاهم وهو على فَرسه الشَّماء ، فقال : إنِّى أخاف أن يَعرفونى و يعرفوا غُرّة الشمّاء فيتأهبوا ، فجمّم غُرتها[٥] ، فلمّا أشرفت على أدانى الحىّ رأوها ، فقالت فتاة منهم : هـذه والله الشّماء ! فنظروا فقالوا : الشمّاء غراء وهذه بَهيم . فلم يشعُروا إلا والخيل قد داستْهم . فاقتتلوا ، فقَتل صخرٌ دريداً وأصاب بني مُرة . ثم إن قيس بن الأمرار الجُشمىّ صادف هاشمَ بن حَرملة، وقد خلا لحاجته من سَحَر ، فقَتله . فقالت الخنساء فى ذلك :

فِدًى للفارس الجُشمىّ نفسى ... وأفديه بمَن لى من حَميمِ
أُفـــدِّيه بجُلِّ بنى سُـليم ... بفارسهم وبالأَنَس[٦] الُمقيمِ

---

(١) القذع : الفحش والخنى .
(٢) الشمال : الطبع والسجية .
(٣) عندلية : من نواحى الطائف .
(٤) الأقران : الحبال ؛ الواحد : قرن ، بفتحتين .
(٥) جمم غرتها : سود .
(٦) الأنس : الحى المقيمون . والرواية فى غير التجريد : « بطاعنهم » مكان «بفارسهم » .

كما مِن هاشم أقررتُ عينى وكانت لا تنَــــام ولا تُنيم

* * *

شعر للأخطل فى مدح يزيد بن معاوية

ثم ذكر أبو الفرج شعراً يغنى به للأخطل ، وهو :

تأبّد الرّبع من سَـلْمى[1] بأجفار وأقفرت من سُليمى دِمْنة الدّارِ

وقد تَحُلُّ بها سَـلمى تُحـدِّثنى تساقُطَ الحَلْى حاجاتى[2] وأوْطارى

وهذا الشعر قاله الأخطل من قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية بن أبى سفيان حين أجاره من النعمان بن بشير الأنصارى ، لمّـا أراد قطع لسانه بأمر مُعاوية ، لهجائه عبدالرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى ، فاقتضى ذلك أن ذكر أبو الفرج خَبر هذه الواقعة فنذكرها .

---

(١) أجفار : موضع . والرواية فى الديوان (ص ١١٢) : « تغير الرسم من سلمى » .
(٢) فى الديوان : « وأسرارى » مكان « وأوطارى » .

ذكر خبر الأخطل
مع عبد الرحمن بن حسان

تشبيب ابن حسان برملة وإغراء يزيد للأخطل به

ذُكر أنّ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يَهوى رملةَ بنت مُعاوية ابن أبى سفيان و يُشبِّب بها ، وأنه بلغ ذلك يزيدَ بن مُعاوية ، فغَضب ودخل على أبيه مُعاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، ألا ترَى إلى هذا العِلج من أهل يَثرب يتهكّم أعراضنا و يشبِّب بنسائنا ! قال : ومن هو ؟ قال : عبدُ الرحمن بن حسّان ، وأنشده بعض ما قال فيها . فقال : يا يزيد ، ليست العُقوبة من أحد بأقبح منها من ذوى القُدرة ، ولكن أمهِل حتى يقدَم وفدُ الأنصار ثم أذكرنى . فلما قَدموا أَذكره به . فلما دخلوا عليه قال : ألم يبلُغنى أنك تُشبِّب برَملة بنت أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ؟ ولو علمتُ أن أحداً أشرَّف به شعرى أشرفَ منها لذكرتُه . قال : فأين أنت عن أختها هِند ؟ فقال : و إنّ لها لأُختاً يُقال لها هند ؟ قال : نعم . و إنما أراد مُعاوية أن يُشبِّب بهما فيكذِّب نفسه . ولم يَرض يزيد ما كان من معاوية فى ذلك ، فأَرسل إلى كعب بن جُعيل فقال : اُهجُ الأنصار . فقال : أَفرقُ من أمير المؤمنين ، ولكن أُدلّك على الشاعر الكافر الماهر . قال : ومن هو ؟ قال : الأخطل . فدَعاه فقال : اُهجُ الأنصار . فقال : أَفرق من أمير المؤمنين . فقال : لا تخف شيئاً ، أنا لك بذاك . فهجاهم ، فقال من أبيات :

ذهبت قريشٌ بالمكارم والعُلا ... واللُّؤم تحتَ عَمائم الأنصار

فبلغ ذلك النعمانَ بن بشير الأنصارى ، فدخل على مُعاوية فحَسر عن رأسه عمامته وقال : يا أمير المؤمنين ، أترى لُؤماً ؟ قال : بل أرى كرماً وخيراً ، ماذاك ؟

قال : يزعم الأخطل أن اللُّؤم تحت عمائمنا . قال : أوفَعل ؟ قال : نعم . قال : لك لسانُه . وكتب فيه أن يُؤتى به . فلما أُتى به سأل الرسولَ أن يُدخله على يزيدَ أولاً . فأدخله إليه . فقال له : هذا الذى كنتُ أخاف . قال : لا تخف شيئاً . ثم دخل على مُعاوية فقال : علام أرسل إلى هذا الرجل وهو يرمى من وراء حُرمتنا ![1] قال : هجا الأنصار . قال : ومن زعم ذلك ؟ قال النُّعمان بن بشير . قال : لا تقبل قوله عليه وهو يدّعى لنفسه ، ولكن تدعوه بالبينة ، فإن ثبت أخذته به له . فدعاه إلى البينة ، فلم يأت بها ، فخلَّى سبيلَه .

سبب آخر عن هجاء الأخطل للأنصار

وقد ذكر أن الحامل للأخطل على هجاء الأنصار إنما هو يزيد بأمر أبيه معاوية ، وأن السبب فى ذلك ما وقع بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن ابن الحكم بن أبى العاصى بن أمية من التهاجى .

وذُكر أن سبب هذا التهاجى أنّ عبدالرحمن بن حسان كان مُخالطاً لعبدالرحمن ابن الحكم ، فقيل له : إن عبدالرحمن بن حسان يخلُفك فى أهلك . فراسل عبدُالرحمن ابن الحكم امرأة ابنِ حسان . فأخبرت بذلك زوجها ، وقالت : أرسلَ إلىّ : إنى أحبك حُبّا أراه قاتلى . فأرسل ابنُ حسّان إلى امرأة ابن الحكم ، وكانت تواصله ، وقال للرسول : اذهب إليها وقل لها : إن امرأتى تزور أهلها اليوم فزُوريني حتى نخلُو . فزارته . وقعد معها ساعة ثم قال : قد جاءت والله امرأتى . فأدخلها بيتاً إلى جَنبه وأمر امرأته فأرسلت إلى عبد الرحمن بن الحكم : إنك ذكرت حُبك إياى ، وقد وقع ذلك فى قلبى ، وإن ابن حسان قد خرج اليوم إلى ضَيعته ، فهلُم . فتهيأت . ثم أقبل . فإنه لقاعد معها إذ قالت : قد جاء ابن حسان فادْخُل هذا البيت فإنه لا يشعر بك . فأدخلته البيت الذى فيه امرأته . فلما رآها أيقن بالسُّوء . فأخرجهما ابنُ حسان ، ووقع التهاجى بينهما . وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

(١) فى غير التجريد : « بحرتنا » .

أخبار حبابة

نشأتها

كانت مولَّدة من مُولَّدات المدينة ، لرجُل من أهلها ، هو خرّجها وأدّبها . وكانت حُلوة جَميلة الوجه ، ظَريفة حسنة الغناء ، طيِّبة الصوت ، ضاربة بالعود . أَخذت على سُريج وغيره . وكانت تُسمَّى العالية ، فسمّاها يزيد بن عبد الملك — لمّا اشتراها — حَبابة .

حصولها في يد يزيد بن عبد الملك

وذُكر أنّ حبابة كانت لرجل من المَوالى بالمدينة ، فقَدِم يزيدُ بن عبد الملك فى خِلافة أخيه سُليمان بن عبد الملك، فتزوّج سُعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفّان على عشرين ألف دينار ، ورَبيحة بنت محمد بن علىّ بن عبد الله بن جعفر على مثل ذلك ، واشترى العالية بأربعة آلاف دينار . و بلغ ذلك سليمانَ ، فقال : لأحجرنّ عليه . فبلغ يزيدَ قولُ سليمان . فاستقال مولى العالية . ثم اشتراها بعد ذلك رجل من أهل إفريقية . فلما ولى يزيدُ الخلافةَ اشترتها زوجتُه سُعدة ، وعلمتْ أنه لا بد طالبُها ومُشتريها . فلما حَصلت عندها قالت : هل بَقِى عليك شيء من الدُّنيا لم تنله ؟ قال : نعم ، العالية . قالت : أورأيتَها ؟ قال : نعم . قالت : أفتعرفها؟ قال : نعم . فقالت : هى لك . وخَرجتْ عليه ، فسمّاها حَبابة . وعَظُم قدر سُعدة عنده .

وقيل : إن الذى فَعل ذلك زوجتُه أُم الحجّاج — وهى أُم ولده الوليد — فعلتْ ذلك وطلبت منه أن يَجعل ابنَها ولىّ عهده ، ففعل . وحَظيت حبابةُ عند الوليد وغَلبت عليه .

كاد مسلمة يصرف عبد الملك عنها فردته بشعر الأحوص

وذُكر أنّ مَسلمة بن عبد الملك أقبل على أخيه يزيدَ بن عبد الملك يلومه فى

الإلحاح على الغِناء والشُّرب، وقال له : إنك وليتَ بعَقِب عُمَر بن عبدالعزيز وعَدْله ، وقد تشاغلت بهذه الأَمَة عن النَّظر فى الأُمور ، والوُفودُ ببابك ، وأصحاب الظُّلامات يضجُّون وأنت غافل عنهم . فقال : صدقت والله ! وأعتبه وهَمَّ بترك الشراب ، ولم يدخل على حبابة أياماً . فدسَّت حبابةُ إلى الأَحوص أن يقول أبياتاً فى ذلك ، وقالت : إن رددتَه عن رأيه فلك ألفُ دينار . فقال الأَحوص :

ألا لا تَلُمه اليوم أن يتبلَّدا ... فقد غُلب المَحْزون أن يتجلَّدَا

بكيتُ الصِّبى جَهدى فمن شاء لامنى ... ومن شاء آسَى فى البُكاء وأسعدا

وإنِّى وإن فُنِّدت فى طَلَب الصِّبى ... لأَعلمُ أنِّى لستُ فى الحُبِّ أوحدا

إذا أنت لم تَعْشق ولم تَدْر ما الهوَى ... فكُن حَجراً من يابِس الصَّخر جَلْمدا

فما العيشُ إلّا ما تلذّ وتَشتهى ... وإنْ لام فيه ذو الشَّنان(١) وفَنَّدا

ومكث يزيدُ جُمعة لا يرى حبابة ولا يدعو بها ، فلما كان فى يوم الجُمُعة قالت لبعض جواريها : إذا خَرج أميرُ المؤمنين إلى الصلاة فأَعلِمينى . فلمّا أراد الخُروج أعلمتها . فتلقَّتْه والعودُ فى يدها ، فغنَّته البيتَ الأول فغطَّى وجهه وقال : مه ! مه ! لا تَفعلى . ثم غَنَّت البيتَ الأخير ، فعدل إليها وقال : صدقتِ والله ! فَقَبح الله من لامنى فيك ! يا غلام : مُر مَسلمة فلْيصلّ بالناس . وأَقام معها يشرب وتُغنيه ، وعاد إلى حاله .

غنت يزيد بشعر للأحوص فأجازه

وذُكر أن حبابة غنَّت يزيدَ يوماً الأبيات الدالية المذكورة ، فطَرب طرباً شديداً وشقّ حُلّة كانت عليه وقال لها : أتأذنين لى أن أطير .

وغنّته سلامة من هذه القصيدة :

وإنِّى لأَهواها وأهوَى لقاءها ... كما يَشتهى الصادِى الشرابَ المبرَّدَا

(١) الشنَان ، بالهمز والمد ، وسهل للشعر : البغض .

عِـلاقة حُب لجّ فى سَـنن الصبىّ   فأَبَى وما يَزداد إلا تَجَـــدُّدا

ثم غنّته حبابةُ منها أيضاً :

كَرِيم قُرَيش حين يُنسب والذى   أقرّت له بالمُلك كَهْـلاً وأَمردا

وليس عطاء كان منــــه بمانعٍ   و إن جَلّ عن أضعاف أضعافه غَدا

أهان تِلاد المــال فى الخــير دَأْبَه   إمامُ هُــدًى يَجرى على ما تعوّدا

تردَّى بحَمدٍ مِن أبيه وجَدِّه   فقــد أورثا بُنْيان مَجــدٍ مُشَـيَّدا

فقال لها يزيد : ويحك ! ومَن كريم قريش هذا ؟ قالت : أنت يا أمير المؤمنين . قال : ومن الذى يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص . فقالت سَلامة فَليسمع أميرُ المؤمنين باقى ثَنائه عليه فيها . ثم اُندفعت وغنَّته :

ولو كان بَـذْل الجُود والمال مُخلِداً   من الناس إنساناً لــكنت الُمخلَّدا

فأُقسم لا أنفكّ ما عشتُ شاكراً   لنُعماك ما طار الحَمــــام وغَرّدا

من طرب يزيد بغنائهــا

وذكر أن يزيد كان إذا غنّته حَبابة وطرب قال لها : أطير ؟ فتقول له : و إلى مَن تدع الناس ؟ فيقول : إليك .

كان مولاهــا أطرب من يزيد بها

وذكر أن حَبابة غنّت يزيدَ بن عبد الملك يوماً فطرب ، ثم قال لها : رأيتِ قطُّ أطربَ منى ؟ قالت : نعم ، مولاى الذى باعنى . فغاظه ذلك وكتب فى حَمله مُقيَّـداً . فلمّا عَرف خبره أمر بإدخاله إليه ، فأُدخل يرسُف فى قَيــده . ثم أمرها أن تُغنِّيه فغنته :

تَشطُّ غداً دارُ جيراننا   وللدّار بَعــد غدٍ أبعدُ

فوَثب حتى ألقى نفسه على الشمعة وأَحرق لِحيته وجعــل يَصيح : الحريق يا أولاد الزنى ! فضحك يزيدُ وقال : لعمرى إن هــذا لأطرب منِّى ، وأمر بحل قيوده ، ووَصله بألف دينار ، ووصلَتْه حَبابة ، وردَّه إلى المدينة .

موتها وحزن يزيد عليها

وذُكر أنّ يزيد بن عبد الملك نَزل بيت رأس بالشام ، ومعه حبابةُ ، وقال : زعموا أنّه لا يصفُو لأحد عيشُه يوماً إلى الليل لا يُكدِّره شىء عليه ، وسأُجرِّب ذلك . ثم قال لمن كان معه : إذا كان غد لا تُخبرونى بشىء ولا تأتونى بكتاب ، وخلا هو وحبابة ، فأُتيا بما يأكلان ، فأكلت رُمّانة فَشرِقت بحَبةٍ منها فماتت . وأقام لا يدفنها ثلاثاً حتى تغيّرت وأنتنت ، وهو يَشَمُّها ويرشُفها . فعاتبه على ذلك ذوو قَرابته وصديقُه وعابوا عليه ما يَصنع ، وقالوا : قد صارت جِيفةً بين يديك . حتى أَذِن فى غَسلها ودَفنها ، وأُخرجت جِنازتها . ولم يستطع يزيدُ الرُّكوب من الجزع ولا المَشى ، فحُمل على مِنبر على رِقاب الرّجال . فلما دُفنت قال : لم أُصلِّ عليها ، أنبشوا عنها . فقال له أخوه مَسلمة : نَشدتُك الله يا أمير المؤمنين ، إنما هى أَمَةٌ من الإماء ، وقد واراها الثَّرى .

وذُكر أنه جلس على قبرها ، فلما دُفنت قال : أصبحتُ والله كما قال كُثيِّر :

فإن تَسلْ عنكِ النفسُ أو تَدعْ الصِّبى ... فبالناس تسلُو عنك لا بالتجلُّدِ
وكل خليل راءنى فهو قائل ... من أجلك هذا هامةُ اليوم[1] أو غد

موت يزيد

ولم يأذن للناس بعد دفن حبابة إلا مرّة واحدة ، فما استتمّ دخولُ الناس حتى قال الحاجب : أَوْجزوا رَحمكم الله . ولم يَلْبث يزيدُ أن مات كمداً .

وقيل : إنه لم يَعِش بعدها إلا خمسَ عشرةَ ليلة ، ثم مات ودُفن إلى جَنبها .

---

(١) يقال : هذا هامة اليوم أو غد ، أى يموت اليوم أو غداً . والهامة : طائر . زعموا أن روح القتيل الذى لم يدرك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره تقول : اسقونى . حتى يدرك بثأره .

غنت : للأحو

أخبار أبى الطفيل

نسبه

هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عُمير بن خالد بن خميس بن جُدَىّ بن سعد ابن لَيث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بن مُضر ابن نزار[1] .

زمانه

صَحِب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ورَوى عنه ؛ وعُمِّر بعده عمراً طويلا .

قلت : قد ذُكر أنه كان آخر الصحابة رضى الله عنهم موتاً . وصَحِب علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان معه فى حُروبه ، ورَوى عنه ، ثم خَرج طالباً بدم الحُسين بن علىّ رضى الله عنهما ، مع المُختار بن أبى عُبيد، وكان معه حتى قُتل المُختار ، وعُمِّر بعد ذلك كثيراً .

صحبته

رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى حجة الوَداع يطُوف بالبيت الحرام على ناقته ، ويَستلم الرُّكن بمِحْجنه ثم يُقبِّل المِحجن[2] .

سمع علياً يسأله ابن الكواء

وقال أبو الطُّفيل : سمعتُ عليًّا يخطُب ، فقال : سلُونى قبل أن تَفقدونى . فقام إليه ابنُ الكَوّاء فقال : ما الذّاريات ذَرْواً ؟ قال : الرياح . قال : فالجاريات يُسراً ؟ قال : السُّفن . قال : فالحاملات وِقْراً ؟ قال : السحاب . قال : فالمُقسمات أمراً ؟ قال . الملائكة . قال : فمن الذين بدّلوا نعمة الله كفراً ؟ قال : الأفجران من من قريش : بنو أُمية و بنو مخزوم . قال : فما كان ذو القرنين : أنبيًّا كان أم ملكا ؟ قال : كان عبداً مُؤمناً أحبَّ الله وأحَبّه ، ضُرب على قَرنه الأيمن فمات ، ثم بُعث فضُرب على قرنه الأيسر فمات ، وفيكم مثلُه .

---

(١) انظر الطبقات (٥ : ٣٣٨) والإصابة (٤ : ١١٣) والإستيعاب (٤ : ١١٢) فسياق النسب يختلف .

(٢) فى التجريد : « الحجر » .

هو والمختار ومصعب

وذُكر أنه لما أحضر مُصعبُ بن الزُّبير المختارَ ومن معه فى القصر ، كان أبو الطفيل مع المُختار ، فَرمى بنفسه فَسلِم ، وقال :

ولما رأيتُ البابَ قد حِيل بينه ... تكسّرت بأسم الله فيمن تكسّرا

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى الطُّفيل ، هو :

أيدعونَنى شيخاً وقد عِشْتُ حِقْبةً ... وهُنّ من الأزواج نحوى نَوازِعُ

وما شاب رأسى من سِنين تتابعت ... علىّ ولكنْ شيّبتنى[1] الوقائع

* * *

شعر لحسان فى جبلة

ثم ذكر أبو الفرج شعراً لحسان بن ثابت قاله فى جَبَلة بن الأيهم الغَسّانى ، وهو :

لمن الدّارُ أَقفرت بمَعانِ ... بين شَطّ اليَرموك[2] والصَّمانِ

فالقُريّات من بِلاسَ فداريّا ... فسَكّاء[3] فالقُصور الدّوانى

ذاك مَغْنًى لآل جَفنة فى الدا ... ر وحَقٌّ تصرُّف الأزمان

صلوات المَسيح فى ذلك الدّيـ ... ـر دُعاء القسّيس والرُّهبان

قد أرانى هناك حقَّ مَكينٍ ... عند ذى التاج مَقْعدى[4] ومكانى

فاقتضى ذلك ذكر جَبلة وحسان .

---

(١) فى غير التجريد : « شيبته » .

(٢) معان : مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء . واليرموك : واد بناحية الشام . والصمان : من نواحى الشام بظاهر البلقاء . والرواية فى الديوان : « بين أعلى » . وفى معجم البلدان فى رسم « صمان » : « بين شاطى » . وكذا فى الأغانى .

(٣) القريات ، وبلاس ، وداريا : وسكاء : مواضع .

(٤) فى الديوان : « مجلسى » .

ذكر
خبر حسان وجبلة

حسان بين يدى جبلة

حكى حسان بن ثابت الأنصارى — رحمه الله — قال: أتيت جَبلة بن الأيهم الغسّانى وقد مدحتهُ ، فأذن لى فجلست بين يديه ، وعن يمينه رجلٌ له ضفيرتان ، وعن يساره رجل لا أعرفه ، فقال : أتعرف هذين ؟ فقلت : أما هذا فأعرفه،وهو النابغة ، وأما هذا فلا أعرفه . قال : فهو عَلقمة بن عَبدة ، فإن شِئت أُستنشدتُهما وسمعتَ منهما ؛ ثم إن شئتَ أن تنشد بعدهما أنشدت ، وإن شئتَ أن تَسكت سكت ؟ قلت : فذاك . فأنشده النابغة :

كِلينى لهمٍّ يا أُميمة ناصبِ ... وليلٍ أُقاسيه بطىء الكَواكبِ

قال : فذهب نِصفى . ثم قال لعلقمة : أَنشد . فأنشد :

طَحا بك قلبٌ فى الحِسان طروب ... بُعيدَ الشباب عصر حَان مَشِيبُ

فذهب نِصفى الآخر . فقال لى :
أنت أعلم الآن إن شئتَ أن تُنشد بعدهما أنشدت ، وإن شئت أن تسكت سكت . فتشدّدت وقلت : لا ، بل أُنشد . قال : هات فأنشدتُه :

أبناء جَفنة عنــــد قَبر أبيهمُ ... قَبر ابْن مارية الجَواد المُفْضِلِ
يسقون مَن وَرد البَريصَ عليهمُ ... بَرَدَى يُصفَّق بالرحيق(١) السَّلْسل
يُغْشوْن حتى ما تَهِرُّ كلابهم ... لا يَسألون عن السّواد المقبل
بيض الوجوه كريمـة أحسابهم ... شُم الأُنوف من الطِّراز الأوّل

(١) البريص : نهر يتشعب من بردى،نهر دمشق . ويصفق : يمزج . والرحيق : الخمر .

فقال له : آدْنه ، أدنه ، لعمرى ما أنت بدُونهما . وأمر لى بثلثمائة دينـار وعَشرة أَقمصة لها جَيب واحد ، وقال : هذا لك عندنا فى كُل عام .

وذُكر أنّ القِصة كانت مع عمرو بن الحارث الأَعرج الغسّانى .

* * *

شىء عن ابن الزبعرى

ثم ذكر أبو الفرج شعر اُبن الزِّبعرى ، وهو عبـد الله بن الزِّبعرى بن قيس ابن عدىّ بن سعد بن سَهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤى بن غالب، الذى قاله فى غزوة أحد وهو مشرك ، وهو :

يا غُرابَ البين أسمعتَ فقُل ... إنما تنطق شيئاً قد فُعِـلْ

إنّ للخير وللشر مدًى ... وكلا ذَينك وقتٌ وأَجل

كُل بؤس ونَعيم زائل ... و بنات الدهر يَلعبن بكُل

والعطيّات خِساس[1] بيننا ... وسواء قـبر مُثْر ومُقِـلّ

وابن الزبعرى أحد شُعراء قريش ، وكان يهجو المسلمين و يحرض عليهم كفارقريش ثم أسلم ، فقبل النبىّ صلى الله عليه وسلم إسلامه وأمنه يوم الفتح .

وذكر أبو الفرج غزوة أحد ، فنذكرها إن شاء الله مختصراً .

---

(١) فى غير التجريد : « بينهم » مكان « بيننا » .

ذكر غزوة أحد (*)

قالت الرواة :

تجمع قريش

لما أُصيبت قُريش بمن أُصيبت من كُفّار قُريش يوم القَليب ببَدْر رَجع فَلُّهم إلى مكة ، ورَجع أبو سفيان بن حرب بِعِيره ، مشى عبدُ الله بن أبى ربيعة ، وعِكْرمة بن أبى الجهل ، وصَفوان بن أُمية بن خلف ، فى رجالٍ من قُريش ممن أُصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانُهم ببدر ، فكلَّموا أبا سفيان بن حَرب ومَن كان له معه فى تلك العِير تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إنّ محمداً قد وَتركم وقَتل خِيارَكم فأَعينونا بهذا المال على حَربه لعلّنا نُدرك منه ثأرنا بمن أُصيب منّا . ففعلوا . وأجتمعت قُريش لِحرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأحابيشها ومَن أطاعها من قبائل كِنانة وأهل تهامة . ودعا جُبير بن مُطْعِم غُلاماً حَبشيًّا يقال له : وحشىّ — يقذف بحَربة له قَذْف الحَبشة قلّما يخطىء — فقال : أُخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت عمّ محمد بعمّى طُعَيمة بن عدىّ فأَنت حُر .

فخرجت قُريش بحَدّها وحَديدها وأحابيشها ، ومَن معها من بنى كِنانة وأهل تِهامة، وخرجوا بالظُّعُن[1] التماسَ الحَفيظة ولئلّا يَفرُّوا . فخرج أبو سفين بن حرب، وهو قائد الجيش يومئـذ ، بزوجته هِند بنت عُتبة بن ربيعة ، فكانت هِند إذا مرّت بوحشىّ أو مرّ بها تقول: إيهٍ أبا وَسْمة ! أشْفِ وأشْتَفِ . فنزل القومُ ببَطْن السَّبْخة على شَفِير الوادى مما يلى المَدينة . فلما سمع بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم

(*) وقبل هذا ذكر أبو الفرج خبر « بديح » فى هذا الصوت الذى مر وغيره ، ثم نسب ابن الزبعرى وأخباره ، ولم يشر إليهما ابن واصل وهو يمر عنهما .

(1) الظعن : النساء فى الهوادج .

أنهم قد نزلوا حيث نزلوا ، قال للمُسلمين : إنّى رأيتُ بَقراً فأوّلتُها خَيراً ، ورأيتُ فى ذُباب سَيفى ثَلماً ، ورأيت أنى أدخلتُ يدى فى دِرعٍ حَصينة ، فأوّلتها المدينة ؛ فإن رأيتم أن تُقيموا فى المدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشَرٍّ مُقام، و إن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

ونزلت قريش مَنزلَها من أُحد يوم الأربعاء ، وأقاموا به ذلك اليومَ و يومَ الخميس و يومَ الجمعة .

قلت : وذلك فى شوال سنة ثلاث للهجرة بعد بَدر بسنة .

خروج المسلمين

قالوا : وراح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين صلّى الجُمُعة فأصبح بالشِّعب للنِّصف من شوال . وكان رَأى عبدالله بن أُبىّ بن سَلول المُنافق مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألّا يخرج إليهم فى ذلك اليوم . وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم يكره الخروج من المدينة . فقال رجالٌ من المُسلمين مّمن أكرم اللهُ بالشهادة يوم أُحد ، وغيرُهم ممّن كان فاته يوم بدر : يا رسول الله ، اُخرُج بنا إلى عدوّنا لا يرَوْن أنا جَبُنَّا عنهم وضَعُفنا . فقال عبد الله بن أُبىّ بن سلول : يا رسول الله ، أَقِم بالمدينة ولا تخرُج ، فوالله ما خَرجنا منها قطُّ إلى عدوّ إلا أصاب منّا ، ولا دَخلها علينا إلا أَصبنا منه ، فدَعْهم يا رسول الله إن أقاموا أقاموا بشرّ مَجلس ، و إن دخلوا قاتلهم الرجالُ فى وُجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، و إن رَجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا .

ولم يزَل برسول الله صلّى الله عليه وسلم الذين كان من أَمرهم حُبُّ لقاء العدوّ حتى دخل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فَلبِس لَأْمته ، وذلك فى يوم الجمعة حين فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة . وقد مات فى ذلك اليوم رجلٌ من الأنصار ، فصلّى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ودَفنه ثم خرج عليهم .

وقد نَدِم الناسُ وقالوا : استكرَهْنا رسول الله صلى الله عليـه وسلم ولم يكن ذلك لنا . ولمّـا خرج عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، استكرهناك ولم يكُن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعُد صلى الله عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يَنبغى للنبىّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يُقاتل .

رجوع ابن أبى ابن سلول

فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ألف رجل من أصحابه ، حتى إذا كانوا بين أُحد والمدينـة انْخزل عنه عبدُ الله بن أُبىّ بن سلول بثُلث النـاس ، وقال : أطاعهم وعصانى ! والله ما ندرى علامَ نقتُل أنفسنا هاهنا أيها الناس ! فرَجع بمن أتبعه من قومه من أهل النِّفاق والرَّيب ، وأُتّبعهم عبـدُ الله بن عمرو بن حَرام ، أحدُ بنى سلمة ، يقول : يا قوم ، أُذكِّركم الله أن تخذُلوا نبيَّـكم عندما حَضر من عدوكم . فقالوا : لو نعلم قتالاً لاتبعناكم . فلما استعصَوْا عليه وأراد[1] الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله يا أعداء الله فسيُغنى الله عنكم .

الجيشـان

وكان المُشركون فى ثلاثة آلاف ، والخيل مئتا فرس . والظُّعن خمسَ عشرة امرأة . وكان فى المُشركين سبعمائة دارع ، وفى المُسلمين مائة دارع . ولم يكن معهم من الخيل إلا فَرسان : فرس لرسول الله صلى الله عليه وسـلم ، وفرس لأبى بُردة الحارثى .

تفاؤل النبى صلى الله عليه وسلم

ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فذَبّ فرسٌ بذَنبـه فأَصاب كُلّاب[2] سيفٍ فاُستـلّه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم — وكان يُحب الفأل ولا يعتاف[3] — لصاحب السيف : شِمْ سيفك[4] فإنى أرى السيوف ستُسل اليوم .

(١) فى غير التجريد : « وأبوا إلا الانصراف » . وفى السيرة (٣ : ٦٨) : « وأبوا إلا الانصراف عنهم » .

(٢) كلاب السيف : مسمار يكون فى قائم السيف ، وفيه الذؤابة لتعلقه بها .

(٣) لا يعتاف : لا يتطير .

(٤) شم سيفك : اغمده .

نزول الجيشين

ونزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بُكْرةَ السبت الشِّعبَ من أُحد ، وتعبأ صلى الله عليه وسلم للقتال ، وهو فى سبعمائة رجل . وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة ألف رجل ، ومعهم مائتا فرس قد جنَّبوها(١) ، فجعلوا على مَيمنة الخيل خالدَ بن الوليد ، وعلى مَيسرتها عِكرمة بن أبى جهل .

تحريض النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين وحديث أبو دجانة

وأمّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الرُّماة عبدَ الله بن جُبير ، أخا بنى عمرو ابن عوف ـ والرُّماة خمسون رجلاً ـ وقال : أُنضح(٢) عنّا الخيل بالنَّبل لا يَأتونا من خَلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، وأثبُت مكانك لا نُؤتين(٣) مِن قبلك . وظاهر(٤) النبىُّ صلّى الله عليه وسلم بين دِرعين، وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : من يأخذ هـذا السيفَ بحقِّه ؟ فقام رجلٌ فأمسكه(٥) . فقام أبو دُجَانة سِماك بن خَرشة ، أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تَضرب به فى العدو حتى يَنحنى . فقال : أنا آخُذه بحقِّه يا رسول الله . فأعطاه إياه .

وكان أبو دُجانة رجلاً شُجاعاً يختال عنـد الحرب إذا كانت ، وكان إذا أُعلم بعصابة له حمراء يَعصبها على رأسه عَلم الناسُ أنه سيُقاتل .

فلما أَخذ السيفَ من يَد رسول الله صلّى الله عليـه وسلم أَخذ عصابتَـه تلك فعَصَب بها رأسه ، ثم جعل يَتبختر بين الصفَّين . فقال رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم: إنها لمِشْية يُبغضها الله عز وجل إلّا فى هذا الموطن .

أبو سفيان والأنصار

وأرسل أبو سُفيان بن حَرب رسولاً فقال : يا معشر الأوس والخزرج ، خلُّوا بيننا و بين أُبن عمّنا نَنصرف عنكم ، فإنه لا حاجة لنا بقتالكم . فردّوه بما يكره .

---

(١) جنبوها ، أى قادوها إلى جنوبهم .
(٢) انضح : ادفع . (٣) فى غير التجريد : « لا يأتونا » .
(٤) أى لبس درعاً فوق درع .
(٥) فى السيرة : « فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم » .

خبر أبي عامر

وكان أبو عامر عمرو بن صَيفى بن مالك بن النعمان بن أُمية ، أحد بنى ضُبيعة الأوسى ، قد خَرج إلى مكة مُعانداً[١] لرسول الله صلّى الله عليه وسلم ومعه خمسون غلاماً من الأوس ، معهم عُثمان بن حُنيف ، وكان يَعد قُريشاً لو لقى محمداً لم يختلف عليه منهم رجلان[٢] . فلما ألتقى الناسُ كان أوّل مَن لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعُبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشرَ الأَوس ، أنا أبو عامر . فقالوا : لا أنعم الله بك عيناً ! فلمّا سمع ردّهم عليه قال : لقد أصاب قَومى بعدى شرٌّ ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم[٣] بالحجارة .

تعقيب للمؤلف عن أبي عامر

قلت : أبو عامر هـذا كان من سادات الأوس ، وكان قد ترهّب ولَبس المسوح ، وكان يسمى الراهب ، وترك عبادة الأوثان وطَلب الحنيفيّـــة دين إبراهيم عليه السلام ، وكان قد سَمع من اليهود أنه لا بُد أن يَظهر نبىّ من الحَرم على دين إبراهيم عليه السلام ، فكان ينتظره . فلما بُعث النبىّ صلى الله عليه وسلم وهاجر إلى المدينـة لم يُـؤمن بغياً وحَسداً ، وقال للنبىّ صلّى الله عليه وسلم : إنك خلطت الحنيفية بغيرها . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمات الله الكاذب طريداً . فقال : آمين .

ولما رأى أبو عامر إجماع قومه على نُصرة النبىّ صلى الله عليه وسـلم واتباعهم له هَرب إلى مكة ، فكان بها مع كُفار قريش . وحَضر معهم أُحداً . ولما فتح الله على رسوله مكةَ فرّ إلى الرُّوم وتَنصّر ومات كافراً طريداً ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم سمّاه الفاسق .

التقاء الجيشين وموقف هند

قالوا : ولما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هِند بنتُ عتبة بن ربيعة

(١) فى السيرة : « مباعداً » .
(٢) فى السيرة : « أن لو قد لقى قومه لم يختلف » .
(٣) راضخهم : راماهم .

فى النساء اللواتى معها ، فأخذن الدُّفوفَ يضربن عليها خلفَ الرجال ويُحرضنهن ، فقالت هند فيما تقول :

إنْ تُقبلوا نُعانِقْ ونَفرش النَّمارقْ[1]
أو تُدبِروا نُفارقْ فِراقَ غير وامِق[2]

وتقول لأصحاب لواء المشركين ، وهم بنو عبد الدار :

إيهاً بنى عبد الدار إيهاً حُماةَ الأدبار[3]
ضربا بكُل بتّار

واقتتل الناسُ قتالاً شديداً وحَمِيت الحرب . وقاتل أبو دُجانه — رضى الله عنه — حتى أمْعن فى الناس ؛ وحمزةُ بن عبد المطلب ، وعلىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنهما . وأنزل الله تعالى نَصره ، وصَدَقهم وعده ؛ فحَسُّوهم[4] بالسيف حتى كَشفوهم . وكانت الهزيمة أولا على المشركين ، لا شكّ فيها .

قول الزبير عن سبب الهزيمة

يَحكى الزبيرُ بن العوّام — رضى الله عنه — قال :

لقد رأيتُنى أنظرُ إلى هند بنت عُتبة وصواحباتها مشمِّراتٍ هَواربَ ، ما دون إحداهنّ قليلٌ ولا كثير ؛ ومالت الرماةُ إلى العسكر حين كُشف القومُ يريدون النهب ، وخَلَّوا ظُهورنا للخيل فأتتنا من أدبارنا ، وصَرخ صارخٌ : ألا إن محمداً قد قُتل ! فانْكفأنا[5] وانكفأ علينا القومُ بعد أن أَصبنا أصحاب اللواء ، حتى ما يَدنو إليه أحد من القوم ، وكان ما يَحمل لواءَ المُشركين أحدٌ من بنى عبد الدار إلا قتله

(١) النمارق : جمع نمرقة ، وهى الوسادة الصغيرة .
(٢) الوامق : المحب .
(٣) أى يحمون أعقاب الناس .
(٤) حسوهم : قتلوهم واستأصلوهم .
(٥) انكفأ : رجع .

علىٌّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — وكان آخر مَن أخذه منهم عبدٌ لهم حبشىٌّ، قاتَل حتى قُطعت يداه ، فبَرك عليه وأَخذ اللواء بعُنقه وصَـدره حتى قُتل عليه ، وهو يقول : اللهم هل أعذرت ! ثم بَقِى اللواء مَطروحاً حتى أخذته عَمرة بنت عَلقمة الحارثيّـة ، فرفعتْه لقُريش فلاذُوا بها .

مرقف على بن أبى طالب

وحَكى أبو رافع ، قال :

لمـا قَتل علىٌّ بن أبى طالب — رضى الله عنـه — أصحابَ اللِّواء أَبصر رسول الله صلّى الله عليه وسلم جماعةً من مُشركى قريش ، فقال لعلىّ: أَحمل عليهم . فحَمل عليهم ، ففرّق جَمعهم ، وقَتل عمرو بن عبد الله الُجمحى . ثم أبصر جمـاعةً من مُشركى قُريش ، فقال لعلى : أحمل عليهم . فحَمل عليهم ، ففرّق جمعهم ، وقتل منهم شيبة بن مالك ، أَحد بنى عامر بن لُؤى . فقال جِبريل عليه السلام : يا رسول الله ، إن هـذه المُواساة . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنه منى وأنا منه . فقال جبريل : وأنا منكما . فسمعوا صوتاً يقول : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فَتى إلا علىّ .

انكشاف المسلمين

ولمـا أُتى المُسلمون من خلفهم أنكشفوا وأصاب منهم المشركون . وكان المُسلمون لمّا أصابهم البلاء أثلاثاً . فثُلث قتيل ، وثُلث جريح ، وثُلث منهزم وقد جَهدته الحرب حتى ما يدرى ما يَصنع .

الرسول صلى الله عليه وسلم والرامون دونه

وأُصيبت رُباعية رسول الله صلّى الله عليه وسلم السُّفلى وشُقت شَفته وكُلم فى وجهه وجَبهته ، وعلاه ابنُ قَمئة بالسيف على شِقّه الأيمن . وجعل يَسيل الدمُ على وجهه صلّى الله عليه وسلم ، وجعل يمسح الدم عن وجهه و يقول : كيف يفلح قومٌ خضبوا وَجه نبيّهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى الله . فأنزل الله تعالى : (لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ) . وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين غشيه القوم : هل من رجل يَشرى لنا نفسه ؟ فقام زياد بن السكن فى نفر خمسة من الأنصار ، فقاتلوا

دون رسول الله صلّى الله عليه وسلم رجلاً رجلاً ، يُقتلون دونه . وكان آخرهم زياد ، فقاتل حتى أثبتته الجراحُ . ثم فاءت من المُسلمين فئة حتى أجهضوهم[1] . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه منّى . فأدنَوْهُ منه . فوسّده قدمَه . فمات وخَدُّه على قَدم رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

وترّس أبو دُجانة الأنصاريّ رضى الله عنه بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبلُ يقع فى ظَهره وهو مُنحنٍ عليه ، حتى كَثُر فيه النبل . ورَمى سعدُ ابن أبى وقّاص — رضى الله عنه — دون رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

قال سَعد: فلقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُناولنى النَّبل وهو يقول: اُرم فِداك أبى وأمى ، حتى ليُناولنى السّهم ما فيه نَصل ، فيقول اُرم به . ورمى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن قَوسه حتى اندقّت سِيَتُها[2] فأخذها قتادةُ ابن النُّعمان ، فكانت عنده . وأُصيبت يومئذ عينُ قَتادة حتى وقعت على وجنته ، فردَّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت أحسنَ عينيه وأحدَّهما . وقاتل مُصعب بن عُمير — رضى الله عنه — دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه لواؤه حتى قُتل . وكان الذى أصابه ابنُ قَمِئة الليثى ، وهو يظن أنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال : قتلتُ محمداً .

مقتل حمزة

وأعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللواء علىّ بن أبى طالب ، وقاتل يومئذ سيدُ الشهداء حمزةُ بن عبد المُطلب — رضى الله عنه — قتالا شديداً ، فقتل أرطاةَ بن شُرَحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . ثم مَرّ به سِبَاع بن عبد العُزّى الغُبشانىّ ، وكانت أُمه ختّانة بمكة ، فقال له حمزة : هلمّ إلىّ يا بن مُقطعة البُظور . فلما التقيا ضَربه حمزةُ فقتله .

---

(١) أجهضوهم : أزالوهم وغلبوهم .

(٢) السية : طرف القوس .

قال وحشىّ ، غلام جُبير بن مُطعم : إنى لأنظر إلى حمزة يَهُدّ النـاس بسيفه ما يُليق[١] شيئاً يَمُر به ، مثـل الجمَل الأَورق[٢] ، إذ تقـدّمنى سِبَاع بن عبد العُزّى ، فقال له حَمزة : هلم إلىّ يا بن مُقطِّعة البُظور . فضَرَبه ضَرْبةً فما أخطأ رأسَه ، وهززتُ حَربتى حتى إذا ما رضيت منها دفعتُها عليه فوقعتْ فى ثُنته حتى خرجتْ من بين رجليه ، وأقبل نَحوى فغُلب فوقع ، فأمهلتُه حتى إذا مات جئتُ فأخذتُ حَربتى ، ثم تنحّيت إلى العَسكر ، ولم يَكن لى بشىء حاجةٌ غيره .

بلاء عاصم

وقد قَتل عاصمُ بن ثابت بن أبى الأفلح ــ أحدُ بنى عمرو بن عوف ــ مُسافعَ ابن طَلحة ، وأخاه الجُلاس[٣] بن طلحة ، كلاهما يُشعره[٤] سَهْماً . فيأتى أُمّه فيَضع رأسَه فى حجرها ، فتقول : يا بُنىّ ، مَن أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلاً حين رمانى يقول : خُذها إليك وأنا ابنُ أبى الأَفْلح . فنذَرت لله عز وجل إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيــه الخمر . وكان عاصم قد عاهد الله ألّا يمسّه مشرك أبداً ولا يَمسه .

مقتل أنس

وانتهى يومئذ أنسُ بن النضر ــ عم أنس بن مالك ــ إلى عُمر بن الخطاب ، وطَلحة بن عُبيد الله ، فى رجال من المُهاجرين والأَنصار ــ رضى الله عنهم ــ وقد ألقَوْا بأيديهم ، فقال : ما يُجلسكم ؟ قالوا : قُتل محمد رسول الله . قال : فما تصنعون بالحياة بعــــده ! فمُوتوا على مامات عليه . ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتــل رضى الله عنه .

---

(١) ما يليق : ما يبقى .

(٢) الأورق : الذى لونه إلى الغبرة .

(٣) فى التجريد : «كلاب» .

(٤) يشعره سهماً : أى يصيبه به فى جسده فيصير له مثل الشعار . والشعار : ما ولى الجسد من الثياب .

وروى أنسُ بن مالك قال : وجدنا بأنس بن النضر سبعين ضربة وطعنة . فما عرفه يومئذ إلا أختُه . عرفته بحسن ثيابه .

الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى ابن خلف

وكان أول مَن عرف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ـ بعد الهزيمة ، وقول الناس : قُتل رسول الله ـ كعب بن مالك . قال كعب : عرفت عينيه تَزهران[١] من تحت المِغفر . فناديتُ بأعلى صوتِى : يامعشر المُسلمين : أبشروا ، هذا رسولُ الله . فأشار إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أنصت . فلما عرف المسلمون رسول الله صلَّى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشِّعب . فلما أسند إلى الشعب أدركه أبىّ بن خلف وهو يقول : أى محمد ، لا نجوتُ إن نجوتَ . فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجلٌ منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه . فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمّة . فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشَّعراء[٢] عن ظهر البعير إذا انتفض بها . ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ[٣] منها عن فرسه مراراً .

وكان أُبىّ بن خلف يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يا محمد ، إن عندى العَوْذ ، أَعْلفه كل يوم فَرَقاً[٤] من ذُرة ، أقتلك عليه . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله .

فلما رجع إلى قومه وقد خدشه فى حلقه[٥] خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، قال : قتلنى والله محمد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله ما بك من بأس ! قال :

---

(١) تزهران : تضيئان .
(٢) الشعراء : ذباب له لدغ .
(٣) تدأدأ : تقلب فجعل يتدحرج .
(٤) الفرق : مكيال يسع ستة عشر منا .
(٥) فى السيرة : « فى عنقه » .

إنه قد كان قال لى بمكة : إنى أقتلك ، فوالله لو بصق علىّ لقتلنى . فمات عدو الله بسَرِف[١] وهم قافلون به إلى مكة .

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فَم الشِّعب خرج علىّ بن أبى طالب حتى ملأ دَرَقته من المِهراس[٢] ، ثم جاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب منه[٣] وغسل الدم عن وجهه وصبّ على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دَمَّى وجه نبيّه .

وخرجت هند والنسوة اللواتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدعن الآذان والآنف ! حتى اتخذت هند من آذان الناس وآنُفهم خَدَماً[٤] وقلائد . وأعطت خَدَمَها وقلائدها وقِرطتها وحشيًّا قاتلَ حمزة رضى الله عنه ، و بقرت عن بطن حمزة فأخرجت كبده فلاكتْها ، فلم تستطع أن تُسيغها فلفظتْها . ثم علتْ على صخرة فصاحت بأعلى صوتها ترتجز بالمسلمين فتذكر ما صنعت بحمزة . فقال حسّان بن ثابت يهجوها بعد ما أنشد عمر بن الخطاب بعض ما قالت :

أَشِرتْ لَكاع[٥] وكان عادتُها ... لُؤماً إذا أَشِرتْ مع الكُفرِ

لعن الإله وزوجَها معها ... هندَ الهُنود طويلة البَظْر

أَخرَجْتِ مُرقصةً إلى أُحُد ... فى القوم مُعْنِقة على بَكر

أقبلت ثائرة مبادرةً ... بأبيك وابنك يوم ذى بدر

وبِعَمِّك المَسْلوب بِزَّته ... وأخيكِ مُنعفرَين فى[٦] الجفر

(١) سرف : على ستة أميال من مكة .

(٢) المهراس : ماء بأحد . وقيل : هو حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر ويصب فيه الماء لينتفع به الناس .

(٣) العبارة فى السيرة : « ليشرب منه ، فوجد له ريحاً فعافه ، فلم يشرب منه ، وغسل ..الخ»

(٤) الخدم : الخلاخل . الواحدة : خدمة .

(٥) أشرت : فرحت . واللكاع : المرأة اللئيمة .

(٦) الجفر ، بالفتح : البئر الواسعة التى طوى بعضها .

يا هنـد ويحك سـبّة الدّهر ... ونسيتِ فاحشـةً أتيت بهـا

مما ظفرت بهـا ولا[1] نَصر ... فرجعت صـاغرة بلا ترةٍ

ولداً صغيراً كان من عهْر ... زعم الولائد أنهـا ولدت

أبو سفيان المسلمون

ثم إن أبا سُفيان بن حرب أشرف على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال : أفى القوم محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُجيبوه ـ مرتين ـ فقال : أفى القوم أبو قحافة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجيبوه . ثم قال : أفى القوم عمر بن الخطاب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجيبوه . ثم التفت إلى أصحابه وقال : أمّا هؤلاء فقـد قتلوا ، لو كانوا أحياء لأجابوا . فلم يملك عمر ابن الخطاب رضى الله عنـه نفسه أن قال : كذبتَ يا عـدو الله ! قد أَلقى الله ما يَحزنك . فقال : أُعْلُ هُبَل[2] ! أُعْلُ هُبَل ! فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلى وأجلّ . فقال أبو سُـفيان : لنا العُزى ولا عُزَّى لـكم . فقال رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم : أجيبوه . قالوا : ما نقول : ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لـكم . فقال أبو سُفيان : يوم بيوم والحرب سجال ، أما إنكم ستجدون فى القوم مُثلا[3] لم آمُرْ بها ولم تَسُؤنى .

وذُكر أنه قال لعمر رضى الله عنه : أنشُدكَ الله يا عمر ، أقتَلْنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامَك الآن . قال : أنت أصدق عنـدى وأبر من ابن قَمِئة : « إنى قتلت محمداً » .

ولما انصرف أبو سُفيان نادى : إن موعدكم بدر العام المُقبل . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل : نعم ، هى بيننا و بينك موعد .

على بن أبى طالب فى إثر القوم

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليـه وسلَّم عَلىّ بن أبى طالب فى آثار القوم

(١) الديوان : « وتر » . (٢) هبل : صنم . يريد : أظهر دينك .
(٣) مثل ، بالضم : جمع مثلة . وهى التمثيل والتشويه .

وقال : انظرُ ماذا يصنعون : فإن كانوا قد جَنَّبوا الخيـل[1] وأمتطوا الإبل فهم يُريدون مكة ، وإن كانوا ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يُريدون المدينة ، فوالذى نفسى بيـده لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم ثم لأُناجزنّهم . قال علىٌّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ : فخرجتُ فى آثار القوم أنظر ما يصنعون ، فلما جنّبوا الخيـل وأمتطوا الإبل توجّهوا إلى مكة ـ وكان رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم قال : أى ذلك كان فأَخْفِه حتى تأتينى ـ قال علىّ رضى الله عنه : فلما رأيتُهم قد توجّهوا إلى مكة أقبلتُ أصيح ما أكتمُ الذى أمرنى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الفَرح ، إذ رأيتُهم أنصرفوا إلى مكة عن المدينة .

الرسول صلى الله عليه وسلم يتفقد القتلى والجرحى

ولما فرغ أمر القتال قال رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم : مَن رجلٌ ينظرُ إلى ما فعل سَعد بن الرَّبيع : أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظرُ لك ما فعـل . فنظرَ فوجده جريحاً فى القتلى به رَمَق . قال : فقلتُ له : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظرُ أفى الأحياء أنت أم الأموات ؟ فقال : أَبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سلامى وقل له : إنـ سَعد بن الربيع يقول : جزاك الله خيراً ما جزى نبيًّا عن أُمتـه ، وأَبلغ قومَك عنى السلام وقل لهم : إن سَعد بن الربيع يقول لـكم : إنه لا عذر عند الله لـكم إن خُلص إلى نبيكم وفيكم عينٌ تَطْرِف . ثم لم يَبرح أن مات رضى الله عنه — وهو من بنى الحارث ابن الخَزرج .

ووَجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم عمَّه حمزة — رضى الله عنه — قد بُقر بطنه عن كبده ومُثِّل به فجُدع أنفه وأُذناه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين رأى به ما رأى : لولا أن تحزن صفيّة أو تكون سُنة من بعدى لتركتُه حتى يكون فى أجواف السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قُريش فى موطن

(١) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم .

من المواطن لأمثّلن بثلاثين رجلاً منهم . فلما رأى المسلمون حُزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما فُعل بعمه قالوا : والله لئن أظهرنا الله عليهم يوماً من الدهر لتمثّلن بهم مُثلة لم يُمثّلها أحد من العرب بأحد قط . فأنزل الله تعالى : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) إلى آخر السورة . فعفا رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم وصبر ونهى عن المُثلة .

وخرجت صفيّة عمةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنظُر إلى أخيها حمزة . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزُّبير بن العوام — رضى الله عنه — : اْلقها فأَرجعها لا تَرى ما بأخيها. فلَقِيها الزبيرُ فقال : يا أُمّه ، إن رسولَ الله يأمرك أن تَرجعى. فقالت : بلغنى أنه مُثّل بأخى، وذلك فى الله عز وجل قليل، فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله . فلما جاء الزبير أخبره بذلك ، فقال : خَلِّ سبيلها . فأتته فنظرت إليه وصلّت عليه واسترجعت واستغفرت له . ثم أَمر رسولُ الله به فدُفن .

خروج الرسول صلى الله عليه وسلم فى إثر القوم

ولما كان غدُ أُحد ، وهو يوم الأَحد[1] لست عشرة مَضت من شوال ، أَذَّن مُؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس لطلب العدوّ ، وأذن مؤذّنه : أن لا يخرجنّ معنا إلا مَن حضر يومنا بالأمس . فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم مُرْهباً للعدو وليُبلغهم أنه قد خرج فى طلبهم فيظنّوا أنه فى قُوة ، وأن الذى أصابهم لم يُوهنهم عن عدوهم . فانتهى صلّى الله عليه وسلم إلى حَمراء الأسد — وهى من المدينة على ثمانية أميال — فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

أبو سفيان وركب عبد القيس

وذُكر أن أبا سُفيان مَرّ به وهو متوجّه إلى مكة ركبٌ من عَبد القَيس ،

(١) فى السيرة : « فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ... الخ » .

فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نُريد المدينة . قال : ولِمَ ؟ قالوا : نُريد المِيرة . قال : فهل أنتم مبلِّغون عنى محمداً رسالةً أرسلكم بها إليه وأحمِّل لكم إبلكم هذه زَبيباً بعُكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : إذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه لنستأصل بقيتهم . فمر الركبُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذى قال أبو سُفيان . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم : حسبنا الله ونعم الوكيل . فنزل قوله تعالى : (ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ) .

عدة من أصيب من المسلمين

قلت : كانت عدة من أُستشهد من المُسلمين بأُحد سبعين رجلاً . وكان المسلمون أصابوا من المُشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين . فذلك قوله تعالى : (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَا) .

أخبار
عمرو بن معديكرب الزبيدى

نسبه وكنيته

هو عمرو بن معد يكرب بن ربيعة[1] بن عبد الله [بن عمرو] بن[2] عُصم ابن زُبيد بن مُنبِّه بن سَلمة بن مازن بن رَبيعة بن مُنبِّه بن صَعب بن سَعد العَشيرة ابن مالك — وهو مذحج — بن أُدد بن زيد بن يَشجُب بن عريب بن زَيد ابن كَهلان بن سَبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان .

امه

ويكنى أبا ثور . وأمه امرأة من جَرم .

إسلامه وارتداده

وعمرو فارس اليمن وشُجاعها . وهو مُقدَّم على زَيد الخيل فى الشدة والبأس . وفد على النبىّ صلّى الله عليه وسلم وأسلم ، وذلك عند قُفول النبىّ صلّى الله عليه وسلم من غزوة تَبوك . وكانت فى رجب سنة تِسع . وكان قَدم معه فَرْوة بن مُسيك المُرادىّ ، فاستعمل النبىُّ صلَّى الله عليه وسلَّم فروةَ على زُبيد ومُراد ومَذحِج كلِّها . فلم يلبث عمرو أن ارتد عن الإسلام مع من ارتد من مَذحج . فاستجاش[3] فَروةُ عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم . فوجَّه إليهم خالدَ بن سعيد بن العاص بن أُمية ، وخالدَ بن الوليد ، وقال لهما : إذا اجتمعتم فعلىُّ بن أبى طالب أميرُكم ، وهو على الناس . فوجّه عليًّا رضى الله عنه ، فاقتتلوا ، فقُتل بعضُهم ونجا بعض .

حديث الصمصامة

وفى هذا الوجه وقعت الصَّمصامة إلى آل سعيد بن العاص ، وكان سبب وقوعها أن رَيحانة بنت مَعديكرب سُبيت يومئذ ، ففَداها خالد ، فأثابه عمرو

---

(١) فى إحدى روايتى الأغانى والشعر والشعراء وجمهرة أنساب العرب (ص٣٨٦ – ٣٨٧) : « معد يكرب بن عبد الله » .

(٢) التكملة من الأغانى والشعر والشعراء وجمهرة أنساب العرب .

(٣) استجاش : أى طلب لهم الجيش وجمعه عليهم .

الصَّمصامة، وعاد عمرو إلى الإسلام . فصارت الصَّمصامة بعد خالد إلى سعيد بن العاص ابن سعيد بن العاص . فلمّا كان يوم قَتل عثمان بن عفان — رضى الله عنه — وُجد سعيد جريحاً وقد ذهب السيف والغِمد ، ثم وُجد الغِمد . فلما وَلى معاويةُ ابن أبى سُفيان الخلافةَ جاء أعرابىٌّ بالسيف بغير غمد — وسعيد حاضر — فقال سعيد : هذا سيفى . فخجل الأعرابىُّ من مقالته . فقال سعيد : الدليل على أنه سيفى أنه يُحضر غمده فيُغمد فيه فيكون كِفافه[1] . فبعث معاوية إلى الغِمد فأتى به من منزل سعيد ، فإذا هو عليه . فأَقرّ الأعرابىّ أنه أصابه يوم الدار . فأَخذه سعيد منه وأثابه ، ولم يزل عندهم حتى جاءت الدولة العباسيّة ، فأَصعد المهدى من البصرة ، فلما كان بواسطَ بعث إلى آل سعيد فيه ، فقالوا : إنه للسَّبيلُ[2] . فقال : خمسون سيفاً قاطعاً أغنى من سيف واحد . فأَعطاهم خمسين ألف درهم ، فأَخذه .

تعجب عمر من خلقه

وكان عمرو بن معد يكرب عَظيمَ الخَلْق ، فكان إذا رآه عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يقول : الحمد لله الذى خلقنا وخلق عمراً ! تعجُّباً من عِظم خلقه .

هو وعمر فى عطائه

وذُكر أن عمر — رضى الله عنه — فَرض له ألفين . فقال : يا أمير المؤمنين ، ألف هاهنا — وأومأ إلى شق بطنه الأيمن — وألف هاهنا — وأومأ إلى شق بطنه الأيسر — فما يكون هاهنا — وأومأ إلى وسط بطنه ؟ فضحك عمر رضى الله عنه وزاده خمسمائة درهم .

من شجاعته

وحُكى أن عمرو بن معديكرب كان يقول : لو سِرت بظَعينة وحدى على مياه العرب كلها ماخفتُ أن أُغلب عليها، ما لم يَلْقَنى حُرّاها وعَبداها ، أما الحُرّان: فعامر بن الطفيل، وعُتيبة بن الحارث بن شهاب ؛ وأما العَبدان : فأسود بنى عبس — يعنى عنترة — والسُّليك بن السُّلكة ، وكلهم قد لَقيتُ .

(١) كفافه : مضمه . (٢) أى المعتمد والأيد والفخر .

لعمر فى شجاعته

وحُكى أن عمر - رضى الله عنه - كتب إلى سعد بن أبى وقّاص - رضى الله عنه - وهو بالقادسية : إنى قد أمددتُك بألفى رجل : عمرو بن معد يكرب ، وطُليحة بن خُويلد ، فشاورْهما فى الحرب ولا تُولِّهما شيئاً .

غلبته على أسوار الفرس وشعره

وحُكى أنه كان مع رُستم مُقدَّم الفُرس يومئذ أُسوار لا تَسقُط له نُشّابة . فقيل لعمرو : يا أبا ثور ، اتق ذلك . فإن القائل ليقول ذلك له إذ رماه الأُسوار رمية فأصاب فرسه ، وحَمل عليه عمرو فاعتنقه ، ثم ذَبحه وسَلبه سُوارى ذهب كانا عليه وقُباء دِيباج . وقال عمرو فى ذلك :

أَلِمْ بسَلْمى قبل أن تَظْعنا ... إنَّ لنا من حُبِّها دَيدنَا

قد علمتْ سَلْمى وجاراتُها ... ما قَطَّر[1] الفارس إلا أنَا

شَككتُ بالرُّمح حَيازِيمَه ... والخيلُ تعدو زِيَماً[2] بيننا

سنه

وذُكر أنَّ عمرو بن معديكرب لما شَهد القادسيّة كان ابنَ مائة وعشرين سنة .

هو يوم القادسية

وذُكر أن عمرو بن معديكرب قال يوم القادسية : ارمُوا خراطيم الفِيلة بالسُّيوف فإنه ليس لها مَقتل إلا خراطيمها . ثم شَد على رُستم وهو على الفيل فضَرب فِيلَه ، فجذم عُرقوبيه فسقط . وحُمل رُستم على فرس ، وسقط من تحته خُرج فيه أربعون ألف دينار ، فحازه المسلمون . ثم سَقط رُستم بعد ذلك عن الفرس فقُتل ، وكانت الهزيمة .

من قوته

وذكر أنه جاء رجل إلى عمرو بن معديكرب ، وهو واقف بالكُناسة[3] على

(١) قطره : صرعه .

(٢) زيما : متفرقة .

(٣) الكناسة : محلة بالكوفة .

فَرس له وقال : لأنظُرَنَّ إلى ما بقى من قُوة أبى ثور . فأَدخل يده بين ساقه و بين السَّرج ، وفَطِن له عمرو فضمَّها عليه وحرَّك فرسه . فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يَقدر أن يَنزع يده ، حتى إذا بلغ منه قال : يابن أخى ، مالك ؟ قال : يدى تحت ساقك . فخلّى عنه وقال : يابن أخى ، إن فى عمّك لبقيةً بعد .

كان كذاباً

وكان عمرو مع هذه الشجاعة والبسالة معروفاً بالكذب ، وقد اشتهر ذلك عنه .

شعره الذى فيه الغناء وسببه

وذُكر أن الصمّة بن بكر أغار على بنى زُبيد فاُستاق أموالهم ، وسَبى ريحانة بنت مَعديكرب أُخت عمرو ، وأتبعه عمرو يُناشده أن يُخلّى عنها . فلم يفعل . فلما يَئس ولّى وهى تُناديه بأعلى صوتها . فلم يقدر على انتزاعها . فقال الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عمرو بن معديكرب :

أمِن رَيحانةَ الداعى السَّميع يُؤَرّقنى وأصحابى هُجوعُ
سَباها الصمَّة الجُشَمىّ غَصْباً كأن بياضَ غُرتها[1] صَديع
وحالت دونها فُرسان قيس تكشّف عن سواعدها الدُّروع
إذا لم تستطع شيئاً فدَعْه وجاوِزْه إلى ما تستطيع

شعره يتوعد المرادى

وذُكر أن عمرو بن معديكرب غزا هو وأُبىّ المُرَادىّ، فأصابوا غنائم ، فطلب أُبىّ من الغنيمة ، وأَبَى عمرو أن يعطيه شيئاً ، فأمسك عنه ، و بلغ عمراً أن أُبيًّا يتوعّده ، فقال فى ذلك :

أعاذل شِكّتى بَدَنى ورُمحى وكُل مُقلّص سَهل[2] القِيادِ
أعاذل إنما أَفنَى شَبابى وأقرح عاتقى حملُ النِّجاد
تمنّانى ليلقانى أُبىٌّ وددتُ وأينما منّى وِدادى

---

(١) الصديع : الصبح .

(٢) فى غير التجريد : « سلس » .

ولو لاقيتنى ومعى سلاحى ... تكشّف شَحم قلبك عن سَواد
أُريد حياته و يريد قتلى ... عَذيرَكَ[1] مِن خليلك من مُرادى

وحكى بعضهم أن عمرو بن معديكرب كان فى بعض المغازى مع شباب من مَذحج ، فنزل بخانٍ دون رُوذة — وهى ما بين قُم والرَّى — وذلك فى آخر خلافة عمر رضى الله عنه ، أو خلافة عثمان رضى الله عنه . فتغذّى القوم ثم ناموا ، وقام كُل واحد منهم لقضاء حاجته . وكان عمرو لا يجسر أحدٌ أن يدعوه و إن أبطأ . فقام الناس للرَّحيل فرحلوا ، إلا من كان فى الخان الذى فيه عمرو . قال : فلما أبطأ صِحْنا به : يا أبا ثور ، فلم يُجبنا ، وسمعنا[2] عَلَزاً شديداً ومِراساً فى الموضع الذى دخله . فقصدناه فإذا به محمرّة عيناه مائلاً شِدْقه ، مفلوجاً ، فحملناه ، وأمرنا غلاماً شديد الذِّراع فارتدفه ليعدل مَيله ، فمات بُروذة على قارعة الطريق . فقالت امرأته الجُعفية ترثيه :

لقد غادر الركب الذين تحمّلوا ... برُوذة شخصاً لا ضعيفاً ولا غَمْرا
فقُل لزُبيد بل لمَذحج كُلها ... فقدتم أبا ثور كنانتكم[3] عمرا
فإن تجزعوا لا يُغْنِ ذلك عنكمُ ... ولكن سَلُوا الرَّحمٰن يُعقبكم أَجرا

---

(١) عذيرك ، أى من يعذرك . ونصبه على إضمار « هات » فعيل بمعنى فاعل .
(٢) العلز : الضيق الذى يكون عند الموت .
(٣) فى غير التجريد : « سنانكم » .

أخبار
قس بن ساعدة الإيادي

هو قُس بن ساعدةَ بن عَمرو[1] بن عَدِيّ بن مالك بن أيدعان[2] بن النَّمر بن وائلة بن الطمثان[3] بن عبد[4] مَناة بن يَقْدُم بن أَفْصى بن دُعْمِى بن إياد . — نسبه

خَطيب العرب وشاعرُها وحَليمها وحكيمُها فى عَصره . و يقال : إنه أولُ مَن علا على شَرف وخَطب عليـه ، وأولُ من قال فى كلامه « أما بعد » . وأول من اتكأ على سَيف أو عصاً عند خُطبته . — شىء عنه

رُوى عن ابن عبّاس قال : لما قَدم وفدُ إياد على النبىّ صلّى الله عليه وسلم قال : ما فعل قُس بن ساعدة ؟ قالوا : مات يا رسولَ الله . قال : كأنى أنظُر إليـه بسُوق عُـكاظ وهو على جمل أورق ، وهو يتـكلّم بكلام عليه حلاوة ما أجدنى أحفظُه . فقال رجل من القوم : أنا أحفظُه يا رسول الله . قال : كيف سمعتَه يقول ؟ قال : سمعتُه يقول : — رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنه مع وفد إياد

أيها الناس : اسمعوا وعُوا . من عاش مات ، ومَن مات فات ، وكُل ما هو آت آت ؛ ليـلٌ داج ، وسماء ذات أبراج ؛ و بحـار تَزخر ، ونُجوم تَزهر ؛ وضوء وظلام ، و برٌّ وآكام ؛ ومطعم وملبس ، ومَشرب ومأكل . مالى أرى النـاس يَذهبون ولا يَرجعون ! أرضُوا بالمُقـام فأقاموا ، أم تُركوا فنـاموا . و إلٰـه قُس

---

(١) فى جمهرة أنساب العرب : « بن عمرو بن شمر بن عدى » . وهى إحدى روايتى الأغانى .

(٢) تاج العروس (طمث) : « أيزغان » .

(٣) جمهرة أنساب العرب : « الطمشان » . وفى التجريد : « الظميان » .

(٤) تاج العروس : « عوذ » . وفى بعض أصول الأغانى : « عود » .

ابن ساعدة ، ما على وجه الأرض دِين أفضلُ من دين أظلّكم زمانُه ، وأدرككم أوانُه ، وويل لمن خالفه . ثم أنشأ يقول :

فى الذّاهبين الأوّليـ ... ـن من القُرون لنا بصائر
لمّا رأيت مَوارداً ... للموت ليس لها مَصادر
ورأيتُ قومى نحوها ... يمضى الأكابر والأصاغر
أيقنتُ أنّى لا محا ... لةَ حيثُ صار القوم صائر

فقال النبىُّ صلَّى الله عليه وسلّم : يَرحم الله قُسًّا ! إنّى لأرجو أن يُبعث يوم القيامة أمةً وحده . فقال رجل : يا رسول الله ، لقد رأيتُ من قُسّ عَجباً . قال : وما رأيت ؟ قال : بينا أنا بجَبَل يقال له : جَبل سِمعان[1] ، فى يوم شديد الحر ، إذا بقُس بن ساعدة تحت شجرة عند عين ماء ، وعنده سباع ، كلما زأر سبع منها على صاحبه ضَرَبه بيده ، وقال : كُفَّ حتى يَشرب الذى ورد قبلك . قال : ففَرِقت . فقال لى : لا تخف . وإذا بقَبرين بينهما مَسجد . فقلت له : ما هذان القبران ؟ فقال : قبر أخوين كانا لى ماتا ، فاتخذت بينهما مسجداً أعبدُ الله فيه حتى أَلحق بهما . ثم ذكر أيامهما وبكى ، ثم أنشأ يقول :

خليلىّ هُبّا طال ما قد رقدتُما ... أَجِدَّ كما ما[2] تقضيان كَراكما
ألم تَعلما أنّى بسِمعانَ مُفردٌ ... وما لىَ فيه من حَبيبٍ سواكما
أُقيم على قَبْريكما لست نازحاً ... طوالَ الليالى أو يُجيبَ صَداكما
كأنكما والموتُ أقربُ غاية ... بجسمىَ فى قَبْريكما قد أتاكما
فلو جُعلت نفسٌ لنفسٍ وقايةً ... لجُدْتُ بنفسى أن تكون فِداكما

---

(١) سمعان : فى ديار بنى تميم .

(٢) فى التجريد وبعض أصول الأغانى : « لا تنقضيان » .

فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم : يَرْحم الله قُسًّا .

شعره الذى فيه الغناء

وهذه الأبياتُ هى الشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ قُس . وقد رُوى أنَّ هذه الأبياتَ إنما هى لقُس بن قُدامة الأسديّ وكان قَدِم قاشان[1] ، وكان له نديماً ، فكان يجىء ويجلس على القبرين ـ وهما براوَنْد[2] ، بمكان يقال له: خُزاق ، فيَشرب على القبرين حتى يَقضى وَطره ، ثم ينصرف ويُنشد :

خليليَّ هُبَّا طال ما قد رقدتُما	أجِدَّ كما ما[3] تَقضيان كَراكما
ألم تَعْلما مالى براوَنْدَ هذه	ولا بخُزاق مِن نديمٍ سواكما
مُقيم على قبريكما لستُ نازحاً	طِوالَ الليالى أو يُجيبَ صَداكما
جَرى الموتُ مَجرى اللَّحم والعظم منكما	كأنَّ الذى يسقى العُقارَ سقاكما
تَحمّل من يبغى[4] القُفول وغادروا	أخاً لكما أشجاه ما قد شَجاكما
وأىُّ أخٍ يَجفو أخاً بعد موته	فلستُ الذى من بعد موتٍ جَفاكما
أصُبّ على قَبْريكما من مُدامة	فإلّا تذُوقا أُرْوِ منها ثَراكما
أُناديكما كيما تُجيبا وتَنطقا	وليس مُجاباً صوتُه مَن دعاكما
أمِن طَول يومٍ لا تُجيبان داعياً	خليليّ ما هذا الذى قد دَهاكما
قضيتُ بأنى لا محالةَ هالكٌ	وأنى سيَعْرونى الذى قد عَراكما
سأبكيكما طُولَ الحياة وما الذى	يرُدُّ على ذى عَوْلة إن بَكاكما

ثم ذكر أبو الفرج مُغنِّين وشعراء لم أَختر لهما شيئاً[5] .

---

(١) قاشان : مدينة قرب أصبهان .

(٢) راوند : بليدة قرب قاشان .

(٣) فى التجريد وبعض أصول الأغانى : « لا تنضيان » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « يهوى » .

(٥) هم : على بن آدم ، وعمرو بن بانة ، وآدم بن عبد العزيز .

ذكر بعض
أخبار يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (*)

قدوم سلم عليه

قيل : قَدم سَلْم بن زياد على يزيدَ فنادمه ، فقال له ليلة : ألا اوَلّيك خراسان؟ قال : ، وسجستان . فعقد له من ليلته . فقال :

سَـقِّني شربةً تُرَوِّ عظامى ثم عُدْ وأسْقِ مثلَها أبنَ زيادِ

موضع السّر والأمانة منّى وعلى ثغر مَغنمى وجهـادى

من لهـوه

وذُكر أنه حَجّ يزيدُ بن مُعاوية في خلافة أبيـه مُعاوية وجَلس بالمدينـة يشرب، وأستأذن عليه أبنُ عباس والحُسين بن عليّ، فأمر يزيد بشرابه فرُفع . وقيل له : إنّ أبنَ عباس إن وَجد ريح شرابك عَرفه . فحجَبه وأذن للحسين ـ عليه السلام ـ فلما دَخل وَجد رائحة الشراب مع الطِّيب ، فقال : لله دَرُّ طِيبك هذا ! ما أطيبه ! وما كنت أحسب أن أحداً يتقدَّمنا في صَنعة الطيب ! فما هـذا يابن معاوية ! فقال يا أبا عبد الله ، هذا طِيبٌ يُصنع لنا بالشام . ثم دعا يزيدُ بقَدح فشربه ، ثم دعا بآخر فقال : أسق أبا عبد الله . فقال الحسين ـ رضى الله عنه عليك شرابَك أيها المرء ، فلا عينَ عليك منى . فشرب يزيد وقال :

ألا يا صـاحِ للعجب دعوتُك ثم لم تُجبِ

إلى القَينـات واللذا ت والصَّهباء والطَّرب

وباطيـــةٍ مكلَّلة عليها سـادةُ العرب

وفيهن التي تَبلت فؤادكَ ثم لم تَتُب

فوثب الحُسين وقال : بل فؤادكَ يابن معاوية !

(*) لم يفرد له أبو الفرج ترجمة ، وإنما ذكر بعض أخبار له في إثر أخبار : « آدم بن عبد العزيز »

أخبار متمم بن نويرة

هو مُتممٌ بن نُوَيرة بن جَمرة بن شدّاد بن عُبيد بن ثَعلبة بن يَربوع بن حَنظلة ابن مالك بن زَيد مناة بن تَميم بن مُرة بن أد بن طابخة بن اليأس بن مُضر ابن نزار . نسبه

وكان أخوه مالك يُكنى أبا المغوار ، وهو فارس ذى الخِمار ـ وقيل له ذلك ، لفرس كان عنده يقال له ذو الخِمار . أخوه مالك

وكان النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم أستعمل مالكَ بن نُويرة على بنى يَربوع ، ولما تُوفّى النبىُّ صلّى الله عليه وسلم أرتد أكثرُ العَرب عن الإسلام . وكان فى حياته صلّى الله عليه وسلّم قد أدعى الأسودُ العَنسى النبوة ، وأستولى على بعض اليمن . وأدعى أيضاً مُسيلمة الحَنفى النبوة فى اليمامة ، وأطاعته بنو حنيفة . فقُتل الأسود العَنسى ، قتله فيروز الدَّيلمى ، والنبىُّ صلى الله عليه وسلم فى مرض موته ، وأستفحل أمر مُسيلمة الكذاب بعد وفاة النبىِّ صلىالله عليه وسلم . وأدعى طُليحة ابن خُويلد النبوّة ، وأطاعته بنو أسد . وكذلك ادعت سَجاح بنت الحارث ابن سُويد بن غطفان ، من بنى يربوع ، النبوّة ، وراسلت مالكَ بن نُويرة ودَعته إلى المُوادعة ، فأجابها . ثم توجّهت إلى مُسيلمة الكذاب فتزوّجته ودخل بها . وفيها يقول بعض بنى تَميم : حديث مقتل مالك

أضحت نبيّتنا أنثى نُطيف بها وأصبحتْ أنبياء الناس ذُكرانا

ثم أنصرفت سَجاح إلى الجزيرة ، وقد صالحت مُسيلمة على أن يحمل إليها النِّصف من غَلّات اليَمامة . فأرعوى حينئذ مالكُ بن نُويرة ، ونَدم وتحيّر فى

أمره ، ولَحَق بالبِطاح وأقام به مُتحيّراً لايَدرى ما يصنع . و بعث أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ خالدَ بن الوليد لقتال المُرتدّة ، وكان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ قد أوصاه وغيرَه من أمراء سَراياه : إذا نزلتم فأذّنوا وأقيموا ، فإن أذّن القوم وأقاموا فكُفّوا عنهم ، فإن لم يفعلوا فلا شىء إلا الغارة ، ثم اقتلوهم ؛ فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ، فإن هم أقرّوا بالزكاة قبلتم منهم ، وإلّا فلا شىء إلا الغارة . فلما نزل خالدُ بن الوليد البِطاح بثّ سراياه فأمرهم بالدّعوة إلى الإسلام ، فجاءته خيلُه بمالك بن نُويرة ، فى نفر من بنى ثعلبة بن يربوع . وشَهد أبو قتادة الأنصارىّ أنّهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا ، وشَهد غيرُه بخلاف ذلك . فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فحُبسوا فى ليلة باردة لا يقُوم لها شىء . فأمر خالدُ ابن الوليد مُنادياً فنادى : أدفئوا أسراكم ـ وكان فى لغة كِنانة إذا قيل : أدفئوا الرجل ، يعنى اقتلوه ؛ وفى لغة غيرهم : أدفئوه ، من الدفء ـ فظن القوم أنه أراد القَتل فقَتلوهم . فقَتل ضرارُ بن الأزور مالكَ بن نُويرة . وسَمع خالدٌ الواعيةَ فخرج وقد فُرغ منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه .

وقد اختلف القوم فيهم ، فقال أبو قَتادة لخالد : هذا عملك ! فزَبره(١) خالد . فغَضب ومضى حتى أتى أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ فغضب أبو بكر عليه ، حتى كلّمه فيه عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، ولم يرض إلّا بأن يرجع إليه ، فرجع . ولم يزل معه حتى قَدم المدينة . وكان قد تزوّج خالدٌ أم تميم بنت المُهلب وتركها لينقضى طهرها . وعظُم على عُمر ـ رضى الله عنه ـ فِعلُ خالد وقَتلُه مالك بن نويرة ، مع الشهادة له من أبى قتادة وغيره بالإسلام ، ونكاحُه امرأتَه بعد قَتله ؛ وكلّم أبا بكر رضى الله عنه فى ذلك ، وطَلب منه أن يُقيده به ، وأكثر عليه فى ذلك . فقال : هَبْه يا عمر تأوّل فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد . وَوَدَى مالكاً ، وكتبَ إلى خالد أن يَقْدم عليه ، ففعل . وأخبره خبرَه . فعَذره وقبل منه .

---

(١) زبره : نهاه وكفه .

وذُكر أنَّ عُمراً لما أكثر على أبي بكر ـ رضى الله عنهما ـ فى أمر خالد ، قال : لا ، يا عمر ، ما كُنت لأشيم[1] سيفاً سَلّه الله على الكافرين .

وذُكر أن مالكاً كان كثير الشَّعر ، وأن خالد بن الوليد لما قتله أمر برأسه فصُيِّر أُثفيّة لقِدر ، فنَضج ما فى القدر قبل أن تَبلغ النارُ إلى رأسه .

وذُكر أنّ خالد بن الوليد كان يَعتذر فى قَتله مالكَ بن نُويرة أنه قال له وهو يراجعه : ما إخال صاحبَكم ـ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ـ إلا وقد كان يقول كذا وكذا . فقال له : أَو ما تَعُدّه لك صاحباً ، ثم قدّمه فضَرب عُنقه .

وأكثر عمرُ ـ رضى الله عنه ـ القول فى خالد ، فقال : عدوُّ الله ، غدا على أمرىء مُسلم فقتله ، ثم نَزا على أمرأته .

ولما دخل خالدُ بن الوليد المسجدَ كان عليه قباء له وعليه صدأ الحديد ، وهو مُعتجر بعمامة وقد غرز فيها أسهُماً . فقام إليه عُمر — رضى الله عنه — فانتزع الأسهُم من رأسه فحطّمها ، ثم قال : قَتلت أمرأ مُسلماً ثم نزوتَ على أمرأته ، والله لأرجُمنّك بأحجارك . فلم يكلِّمه خالدٌ ، ولا يظن إلّا أنّ رأى أبى بكر على مِثل رأى عمر ، حتى دخل على أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ واعتذر إليه ، فعذره . فخرج خالد حين رضى عنه أبو بكر ، وعمر جالس فى المسجد ، فقال : هلمّ إلىّ يابن أمّ سَلمة . فعرف أنّ أبا بكر — رضى الله عنه — قد رضى عنه ، فلم يكلِّمه ودَخل بيتَه .

شعر متمم فى أخيه مالك

وذُكر أن مُتمم بن نُويرة ، لما قُتل أخوه مالك ، قَدِم المدينة وصلّى مع أبى بكر رضى الله عنه الصُّبح ثم أنشده :

نِعْمَ القتيلُ إذا الرِّياح تناوحت ... تحت الإزار قُتِلْتَ يابن الأَزْوَر

(١) أشيم : أغمد .

أدعوتَه بالله ثم قتلتَـــه   وإذا دعاك بربّه لم يَغْــدر

فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ والله ما دعوته ولا قتلتُه . فقال :

لا يُضمر الفحشاء تحت ردائه   حُلْوٌ شمـائلُه عَفِيفُ المِـئْزر

ثم بكى حتى سالت عينُه ، ثم انخرط على سِية قوسه متكئاً — يعنى مغشيًّا عليه .

وقيل : صلى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يوماً الصُّبح ، فلما انفتل من الصلاة إذا هو برجل قصير أعور مُتنكِّباً قوسَه وبيده هِراوة ، فقال : من هذا ؟ فقال : مُتمِّم بن نُويرة . فاستنشده قوله فى أخيه مالك ، فأنشده :

لعَمْرى وما دَهرى بتأبين هالك   ولا جَزَعٍ ممّا أصاب فأَوْجَعَــا

لقــد لفَّ المِنهالُ تحت[1] ثيابه   فتًى غيرَ مِبْطان العَشِيّات أَرْوعا

حتى بلغ قوله :

وكنّا كنَدْمانى جَذيمةَ[2] حِقبةً   من الدَّهر حتى قِيل لن يَتصدَّعا

فلمــا تفرّقنـا كأنّى ومالــكاً   لطُول اجتماع لم نَبِت ليــلةً معا

فقال عمر ـ رضى الله عنــه ـ : هذا والله التأبين ! وددتُ أنى أُحسن الشعر فأَرثى أخى زيداً مثلَ ما رثيتَ به أخاك . فقال مُتمم : لو أن أخى مات على ما مات عليه أخوك ما رثيتُه .

قلت : قُتل زيدُ بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يوم اليمامة شهيداً .

(١) فى المفضليات (ص ٦٥) : « لقد كفن المنهال تحت ردائه » . والمنهال : هو ابن عصمة الرياحى ، وكان كفن مالكاً فى ثوبيه .

(٢) الندمان : النديم . يريد : مالكاً وعقيلا ، ابنى فارج بن كعب ، حكمهما جذيمة الأبرش حين ردا عليه ابن أخته : عمرو بن عدى ، فاختارا منادمته ، ثم قتلهما .

شعره الذى فيه الغناء

وهذان البيتان الأخيران هما الشّعر الذى فيه الغِناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار مُتمِّم بن نويرة .

هو وعمر فى شأن أخيه

وذُكر أن مُتمِّم بن نُويرة لمَّا أنشد عمرَ بن الخطاب مَرْثيته لمالك ، قال له عمر : هل كان يُحبّك مالك مثل محبتك إياه ، وهل كان مثلَك ؟ فقال : أين أنا من مالك ! وهل أبلُغ مالكاً ! والله يا أمير المؤمنين لقد أَسرنى حيٌّ من العرب فشدُّونى وَثاقاً بِقِدٍ وألقونى بفنائهم ، فبلغه خبرى فأَقبل على راحلته حتى أنتهى إلى القوم وهم جُلوس فى ناديهم ، فلما نَظر إلىّ أعرض عنى ، وقَصد إلى القوم ، فعرفتُ ما أراد ، فوقف عليهم وسلّم وحادثهم وضاحكهم ، فأنشدهم ، فوالله مازال كذلك حتى مَلأهم سُروراً ، وحَضر غداؤُهم فسألوه النزول ليتغدّى معهم ، ففعل . ثم نظر إلىّ فقال : إنه ليقبُح بنا أن نأكل ورجلٌ مُلْقى بين أيدينا لا يأكل معنا ، وأمسك بيده عن الطعام . فلما رأى ذلك القومُ نهضوا إلىّ وصبُّوا الماء على قِدِّى حتى لان ، وخلّونى . ثم جاءوا بى وأجلسونى معهم على الغداء . فلما أكلنا قال لهم : أما ترون تحرُّم هذا بنا وأكله معنا ، إنه لقبيح بكم أن تردوه إلى القيد . فخلُّوا سبيلى . قال : أفكان كما وصفته ؟ قال : ما كذبت فى شيء من صِفته ، إلا أننى وصفتُه خَميص البطن ، وهو كان ذا بطن .

أخبار الحزين الكنانى

نسبه

وهو عمرو بن عُبيد بن وَهب[1]، أحدُ بنى الدُّئل بن كِنانة .

شىء عنه

من شُعراء الدولة الأُموية . حِجازىٌّ مَطبوع ، ليس من فُحول طبقته . وكان هجَّاءً خبيثَ اللسان يُرضيه اليَسير . وتكسَّب بالشرِّ وهجا الناس . لم يَفِدْ إلى الخُلفاء ولا مَدحهم .

هو وعبد الله بن عبدالملك وقد هابه حين وفد عليه

وذُكر أن عبـد الله بن عبد الملك بن مروان كان أحدَ فِتيان بنى أمية وظُرفائهم ، وكان حَسَنَ الوجه حسنَ المذهب ، فذُكر أنه حجّ سنةً فَدخل عليه الحزينُ فرأى جمالَ عبد الله وبهاءه ، و بيده قضيبُ خَيزُران ، فوقف ساكتاً ، وأَمهله عبدُ الله حتى ظَن أنه قد أَراح ، ثم قال له : وعليك السلام ورحمة الله أولاً . فقال : وعليك السـلام وحيّا اللهُ وجهك أيها الأمير ، إنى قد كنت أمتـدحتُك بشعر ، فلما دخلتُ عليك ورأيتُ جمالك و بهاءك أذهلنى عنه ، فأُنسيت ما كنت قلتُه ، وقد قلتُ فى مَقامى هذا بيتين . قال : وما هما ؟ فقال :

فى كفِّه خيزُران ريحـهُ عَبِق ... مِن كفِّ أَرْوعَ فى عِرنينه شَمَمُ
يُغْضِى حياءً ويُغْضَى من مهابته ... فما يُكلَّم إلا حين يَبْتسمُ

فأجازه . فقـال : أَخْدِمنى أصلحك الله ، فإنه لا خادم لى . فقـال : أختر أحد هذين الغلامين . فأخذ بيـد أحدهما . فقال له عبد الله : أعلينا تُبقى ! خُذ الآخر . فأخذه .

شعره الذى فيه الغناء

وقال أبو الفرج : وقد رُوى هذان البيتان للفرزدق فى الأبيات التى مَدح بها

---

(1) فى بعض أصول الأغانى : « وهيب » .

زينَ العابدين علىَّ بن الحُسين بن علىّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ قال : وهو غلط .

وهذان البيتان هما الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الحزين .

حديث مدح الفرزدق لزين العابدين

وأما حديث الفرزدق فى الأبيات التى مَدح بها زينَ العابدين ، فهو أنه ذُكر أنّ هشام بن عبد الملك بن مروان حَجّ فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، ومعه رؤساء أهل الشام ، فجَهد أن يَستلم الحجر فلم يَقدر من ازدحام الناس ، فنُصب له منبر فجلس عليه ينظر الناس؛ وأَقبل علىُّ بن الحُسين ـ رضى الله عنهما ـ وهو أحسنُ الناس وجهاً ، وأنظفُهم ثوباً ، وأطيبهم رائحة ، فطاف بالبيت ، فلما بَلغ إلى الحَجر تنحَّى الناسُ كلهم وأخلوا الحجر له يستلمه هيبةً وإجلالاً له ، فغاظ ذلك هشاماً وبلغ منه ؛ فقال رجل لهشام : من هـذا ؟ أصلح الله الأمير . فقال : لا أعرفه ـ وكان به عارفاً ، ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام ويسمعوا منه — فقال الفرزدق ، ـ وكان لذلك كله حاضراً ـ : أنا أعرفه ، فَسَلنى يا شامى . قال : ومن هو ؟ فقال :

هذا الذى تَعرف البَطحاء وطأتَه ... والبيتُ يَعرفه والحِلُّ والحَرَمُ
هـذا ابنُ خير عِبـاد الله كُلهمُ ... هـذا التقىُّ النَّقى الطاهرُ العَلَم
إذا رأته قُريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا يَنتهى الكرم
يكاد يُمسكه عِرفانَ راحتـه ... رُكْنُ الحَطيم إذا ما جاء يَستلم
أىُّ الخلائق ليست فى رِقابهمُ ... لأوّليّة هـذا أوله نِعَم
مَن يعرف الله يَعرف[1] أوليّة ذا ... فالدِّين من بيت هـذا ناله الأُمم

فغضب هشام بن عبد الملك وحَبس الفرزدق . فقال يهجوه :

(١) الديوان (ص ٨٤٩) : « يشكر » .

أيَحْبسنى[١] بين المدينة والتى | إليها قلوبُ الناس يَهْوِى مُنيبُها
يقلّب رأساً لم يكن رأسَ سيّد | وعَينين حَوْلاوين[٢] بادٍ عُيوبها

فبعث إليه هشام فأخرجه ، و بعث إليه علىّ بن الحسين ـ رضى الله عنهما ـ عشرة آلاف درهم ، وقال : أعذُر يا أبا فِراس ، فلو كان فى هذا الوقت أكثرُ من هذا لوَصلْناك به . فردّها وقال : ما قلتُ ما كان إلّا لله عزّ وجلّ ، وما كنتُ لأرزأ عليه شيئاً . فقال له علىّ : قد رأى الله تبارك وتعالى مكانَك فشكر لك ، ولكنّا أهلَ البيت إذا أنفذنا شيئاً لم نَرجع فيه ، وأقسم عليه . فقَبِلها .

(١) الديوان (ص ٥١) : « يرددنى » و(ص ٦٤) : « ترددنى » .
(٢) الديوان (ص ٥١) : « يقلب عينا لم تكن لخليفة مشوهة حولاء » .

أخبار طفيل

نسبه

هو طُفَيل بن عَوف بن خَلَف بن ضُبَيس بن خُلَيف بن مالك بن سَعد بن عَوف ابن كَعب بن خَلَّاد بن غَنْم بن غَنِيّ بن أَعصُر بن سَعد بن قَيس عَيلان بن مُضر ابن نِزار .

من وصفه

وهو شاعر جاهليّ من الفُحول المَعدودين . و يقال: إنه من أقدم شَعراء قيس. وهو من أوصف العرب للخيل .

شهادة معاوية له

وكان معاوية بن أبي سُفيان يقول : خلوا لى طُفيلاً وقولوا ما شئتم فى غيره .

شهادة أعرابى له سأل قتيبة

وذُكر أن قُتيبة بن مُسلم سأل أعرابيًّا من غَنِيّ فقال : أىّ بيتٍ قالتْه العربُ أَعرف ؟ قال : قولُ طُفَيل الغنوى :

ولا أكونَ وِكاءَ[1] الزّاد أَحْبِسه ... لقد علمتُ بأنّ الزاد مأكولُ

قال : فأىّ بيت قالته العرب فى الحَرب أَجود ؟ قال : قول طُفَيل :

بحيٍّ إذا قيل اركبوا لم يقل لهم ... عَواوِيرُ[2] يَخشون الرّدى أين نَركبُ

قال : فأىّ بيت قالته العرب فى الصبر أجود ؟ قال : قول نافع بن خَليفة الغَنوى :

ومِن خير ما فينا من الخير أنّنا ... متى ما نُوافى مَوطن الصَّبر نَصْبِرِ

شعره فى غارته على طيىء لقتلهم قيس الندامى

وذُكر أنّ رجلاً من غَنِيّ ـ يقال له : قيس النَّدامى ـ وَفد على بعض الملوك ،

---

(١) الوكاء : كل خيط أو سير يشد به فم السقاء أو الوعاء .

(٢) العواوير : ، جمع عوار ، وهو الجبان .

وكان قيس سيداً جَواداً ، فلما حَفِل المجلسُ أقبل الملكُ على من حضر من وُفود العرب ، فقال : لأضعنّ تاجى هذا على رأس أكرم رجل من العرب . فوضعه على رأس قَيس ، وأعطاه ما شاء ، ونادمه مُدة ثم أَذِن له فى الانصراف إلى بلده ، فلما قَرُب من بلاده طيىء خرجوا إليه وهم لا يَعرفونه فقتلوه ، فلما عرفوا أنه قيس نَدموا لأياديه كانت عندهم ، فدفنوه وبنَوْا عليه بيتاً . ثم إن طُفيلاً جَمع جُموعاً من قَيس وأغار على طيىء فاستاق من مواشيهم ما شاء ، وقتل منهم قَتلى كثيرة. فقال طُفيل الغنوىّ قصيدته التى منها :

فذُوقوا كما ذُقنا غداةَ مُحجَّرٍ ... من الغَيظ فى أكبادكم[1] والتحوُّبِ
فبالقَتل قتلٌ والسَّوامُ بمثله ... وبالشَّل شَلٌّ الغائط[2] المتصوِّب

شعره الذى فيه الغناء

ومن هذه القصيدة الشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار طفيل ، وهو :

بالعُفر[3] دارٌ من جَميلةَ هَيّجت ... سوالفَ حُبٍّ من فؤادك مُنْصِبِ
وكنتَ إذا ناءت بها غُربةُ النَّوى ... شديدَ القُوى لم تَدْرِ ماقولُ[4] مُشْغِب
كريمةُ حُرِّ الوجه لم تَدْعُ هالكاً ... من القَومِ هُلْكاً فى غدٍ غير[5] مُعْقِب
أسيلةُ مَجرى الدّمع خُمْصانة الحَشى ... بَرُوق الثَّنايا ذات خَلْقٍ[6] مُشرْعَب

(١) محجر : جبل فى ديار طيىء . والتحوب : التغيظ والتوجع .

(٢) السوام : المال الراعى . والشل : الطرد . والمتصوب : الهابط . يريد طرداً سريعاً فى عنف .

(٣) العفر : رمال بالبادية فى بلاد قيس .

(٤) مشغب : ذو شغب وخلاف عليك .

(٥) لم تدع هالكاً : لم تندبه . أى إنها فى قوم يخلف الباقى منهم الهالك . فهى لم تندب سيداً واحداً لا نظير له ، أى إن له نظراء من قومه .

(٦) مشرعب : طويل .

ومنها :

تَرى العينُ ما تهوى وفيهــا زيادة ... من اليُمن إذ تبـدو ومَلْهى ومَلعب

وبَيْت تهُبّ الريحُ فى حَجَراته ... بأرضٍ فضـاء بابُه لم يُحجَّب

سماوتُه أسمـالُ بُرد مُحـبَّر ... وصَهوته من أتحمىٍّ[1] مُعصَّب

وأطنـابُه أرسان جُرْدٍ كأنهـا ... صُـدور القَنا من بين بادٍ[2] ومُعْقب

نَصبتُ على قوم تُدرّ رِماحهم ... عُروق الأعادى من غَرير وأشيب

---

(١) السماوة والسماء : بمعنى ، يريد السقف . وصهوته ، أى أعلاه . والأتحمى : ضرب من البرود . ومعصب : مخطط .

(٢) الأطناب : حبال الخباء والسرادق ونحوها ؛ الواحد : طنب ، بالضم وبضمتين . والأرسان : جمع رسن ، وهو ما كان من الأزمة على الأنف . والجرد : جمع أجرد ، وهو من الخيل القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم ، وجعلها كصدور القنا ضموراً . وباد ، أى ظاهر شاخص ، ومعقب ، أى مغمور منثنٍ . والأصل فى المعقب : الراجع .

والرواية فى بعض أصول الأغانى والديوان : « القنا من بادىء ومعقب » بالقاف المشددة المكسورة . وفسره شارح الديوان بأن البادىء : الذى بدىء به أول غزوة . والمعقب : الذى غزى به غزوة بعد غزوة ، وعلى هذا فكأنه يريد : بين سليم قويم ، ومثلوم معوج .

(٣) نصبت : أى هذا البيت . والغرير : الحدث الذى لا تجربة له . والأشيب : الذى حنكته السنون .

أخبار لبيد [*]

نسبه وكنيته

هو لَبيد بن رَبيعة بن مالك بن جَعفر بن كِلَاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة ابن مُعاوية بن بكر بن هَوزان بن مَنصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَــة بن قَيس عَيلان ابن مُضر بن نزار . ويُكْنى : أبا عقيل .

أبــوه

وكان يقال لأبيه : رَبيعة المُعترِّين [1] ؛ لجُوده وسخائه . وقتلته بنو أسَد فى الحَرب التى كانت بينها و بين قومه .

عمــه

وعمُّه أبو بَراء عامر بن مُلاعب الأسنة ، سُمِّى بذلك لقول أوس بن حُجْر فيه:

مُلاعب أطراف الأَسنّة عامر ... فراح له حظّ الـكتيبة أجمعُ

أمــه

وأُم لَبيد : تامر [2] بنت زِنباع العَبْسِيَّة ، إحدى بنات جَذيمة بن رَواحة .

إسلامه وعمره وموته

ولُبيد بن رَبيعــة أحدُ شعراء الجاهلية المعـدودين فيها والمُخضرمين ، ممّن أدرك الإسلام . وهو من أشراف العرب الأجواد الفُرسان المُعمَّرين . يقال : إنه عُمِّر مائةً وخمساً وأربعين سنة . وَفد على النبى صلى الله عليه وسلم بعــد وفاة أخيه أَربد ، وعامر بن الطُّفيل ، فأسلم وحسن إسلامه ، ونزل الـكوفة فى خلافة عُمر ابن الخطاب — رضى الله عنــه — فأقام بها ، ومات هناك فى خلافة مُعاوية ابن أبى سُفيان . ويُقال : إنه مكث فى الجاهلية تسعين سنة ، و باقى عمره — وهو خمس وخمسون سنة — فى الإسلام .

شعره لما أسن

وذُكر أنه لما بلغ سبعاً وسبعين سنة قال :

(*) وقبل أخبار «لبيد» ساق أبو الفرج «نسب محمد بن حمزة» المغنى . ولكن ابن واصل مر عنه ولم يشر .

(1) المعتر : الذى يطيف بك يطلب ما عندك ، سألك أو سكت عن السؤال . والرواية فى التجريد و جمهرة أنساب العرب (ص٢٦٨) : «المقترين» . (2) فى بعض أصول الأغانى «تامرة».

قامتْ تَشَكَّى إلىّ النفسُ مُجهشةً ... وقد حَملتُكِ سبعاً بعد سَبعينا

فإنْ تُزادى ثلاثاً تبلُغى أملًا ... وفى الثلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ تسعين سنة قال :

كأنّى وقد جاوزتُ تسعين حِجَّةً ... خلعتُ بها عن منكبيّ رِدائيا

ولما بلغ مائة وعشر سنين قال :

أليس فى مائةٍ قد عاشها رجلٌ ... وفى تكامُل عَشْرٍ بعدها عُمُرُ

ولما جاوزها قال :

ولئن سئمتُ من الحياة وطولها ... وسُؤال هذا الناس كيف لَبيدُ

غَلب الرجالَ وكان غيرَ مُغلَّبٍ ... دهرٌ طويلٌ دائمٌ مَمْدود

يوماً أرى يأتى علىّ وليلةً ... وكلاهما بعد المَضاء يَعود

وأراه يأتى مثلَ يوم لقيتُه ... لم يَنتقص وضَعُفت وَهْو شديد

وفوده مع غيره على النعمان

وذُكر أنه وَفد عامرُ بن مالك ملاعبُ الأَسنَّة فى رَهط من بنى جعفر ابن كلاب ، ومعه لَبيد بن ربيعة ، ومالك بن جعفر ، على النُّعمان ، فوجدوا عنده الرَّبيعَ بن زِياد العَبسى ، وكان نديماً للنُّعمان ، فلما قدم الجعفريُّون كانوا يَحضرون النعمان لحاجتهم[1] ، فإذا خرجوا من عنده خلا به الربيعُ فطعن فيهم وذَكرَ مَعايبهم. وكان بنو جعفر أعداء الرَّبيع . فلم يزل بالنُّعمان حتى صدَّه عنهم ، وقد دخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاء ، وقد كان يُكرمهم ويُقرِّبهم . ولَبيد مُتخلِّف فى مَتاعهم يحفَظ رحالَهم ويَغدو بإبلهم كُلَّ صباح فيَرعاها ، فإذا أَمسى اُنصرف بالإبل . فأتاهم ذات ليلة وهم يتذاكرون أمرَ الرَّبيع ، فسألهم عنه ، فكتموه . فقال : والله لاحفظتُ لكم متاعاً ولا سَرَّحت لكم بعيراً أو تُخبرونى . وكانت أم لبيد يتيمةً فى حجر الرَّبيع . فقالوا : خالُك قد غلبنا على الملك وصدّ عنّا وجهه . فقال لَبيد : فهل

(١) فى التجريد : « كانوا يحضرون الربيع بحاجتهم » .

تَقدرون على أن تجمعوا بينى و بينه فأزجُرَه عنكم بقول مُمضّ مؤلم ولا يَلتفت إليه النعمانُ بعدها أبداً ؟ قالوا : وهل عندك شىء ؟ قال : نعم . قالوا : فإنّا نَبلوك . قال : وما ذلك ؟ قالوا : تشتُم هذه البَقلة - وقُدّامهم بقلة دقيقة القُضبان قليلة الوَرق لاصقة فُروعها بالأرض تُدعى: التَّربة[1] - قال : هذه التَّربة ، لاتُذكى ناراً ، ولا تؤهل داراً ، ولا تسرّ جاراً ؛ عودها ضئيل ، وفرعها ذليل ، وخيرها قليل ؛ أقبح البقول مرعى ، وأقصرها فرعا ، وأسهلها قَلعا ؛ بَلَدها[2] شاسع ، وآكلها جائع ، والمُقيم عليها قانع؛ فالقوا بى أخا عَبس ، أردّه عنكم بتَعْس ، وأتركه من أمره فى لَبْس . قالوا : نُصبح ونرى رأينا فى أمرك . فقال عامر عمُّه : انظُروا إلى غُلامكم هذا فإن رأيتموه نائماً فليس أمره فى شىء ، إنما يتكلم بما جاء على لسانه، و إن رأيتموه ساهراً فهو صاحبُه . فرمقوه فوجدوه قد رَكب رَحْلاً[3] فهو يَكْدِم[4] وسْطه حتى أصبح . فقالوا : أنت والله صاحبُه ! فعمَدوا إليه فحلقوا رأسه وتركوا ذُؤابته وألبسوه حُلّة وغَدوا به معهم فأدخلوه على النُّعمان ، فوجدوه يتغدّى ومعه الربيع ابن زياد ، لا ثالث لهما فى الدار ، والمَجالس مملوءة بالوُفود . فلما فَرغ من الغداء أذن للجعفريين فدخلوا إليه ، وقد كان أمرُهم تقاربَ[5] . فذكروا الذى قَدِموا له من حاجتهم . فاعترض الربيع بن زياد فى كلامهم . فقال لبيد بن ربيعة :

أكلَّ يوم هامتى[6] مُقزَّعه ... يارُبَّ هَيجا هى خيرٌ من دَعَه

---

(١) التَّربة : نبت سهلى مفرض الورق . وقيل : هى شجرة شاكة ، وثمرتها كأنها بسرة معلقة ، منبتها السهل والحزن وتهامة .

(٢) بلدها . أى منبتها .

(٣) الرحل : مركب البعير و الناقة .

(٤) يكدم . يعض . ومن توفز للقول واستعصى عليه أتى بما يشبه هذا .

(٥) تقارب ، أى هان وأدبر .

(٦) مقزعه : القزع ، وهو أن يحلق وسط الرأس ويترك فى مواضع منه شعر متفرق .

نحن بنى أمّ البَنين الأربعــهْ سُـيوف جنّ[1] وجفان مُترعهْ
نحن خيـارُ عامرِ بن صَعصعهْ الضاربون الهام تحت[2] الخَيضعهْ
والمطعمون الجَفنـة[3] المُدعدعهْ مهلًا أبيت اللعن لا تأكل معه
إنّ اسْته من بَرص مُلمَّـعهْ وإنه يُدخِل فيهـــا إصبعه
يُدخلها حتى تُوارِى[4] أشْجَعه كأنه يطلُب شيئاً ضـيَّعه

فرفع النُّعمان يدَه من الطعام وقال : خَبَّثت والله علىّ طعامى ياغلام ، وما رأيتُ كاليوم قطّ . فأقبل الربيع بن زياد على النُّعمان وقال : كَذب والله ابنُ الفاعلة ! ولقد فعلتُ بأمه كذا وكذا . فقال له لبيد : مثلك فعل ذلك بربيبة بيته والقريبة من أهله ! وإن أمى من نساء لم يكنّ فواعل ماذكرْتَ . وقضى النعمان للجعفريين الحوائج من وقتـه ، ومضى الربيع بن زياد إلى منزله . فبعث إليه النعمانُ بضعف ما كان يحبوه به ، وأمره بالانصراف إلى أهله . فكتب إليه الربيع: إنى قد عرفت أنه وقع فى صَـدرك ما قال لَبيد ، وإنى لستُ بارحاً حتى تَبعث إلىَّ من يجرِّدنى فيَعلم مَن حضرك من الناس أنى لست كما قال لبيد . فأرسل إليه : إنك لستَ صانعاً بانتفائك مما قال لبيد شيئاً ، ولا قادراً على ردّ ما زلّت به الألسن ، فالحق بأهلك . ثم أرسل الربيعُ إلى النعمان بأبيات من الشعر ، منها :

لئن رحلتُ جِمالى لا إلى سَـعة ما مثلُهـا سـعةً عرضاً ولا طُولَا
فأثبُت بأرضك بعدى وأخْلُ مُتَّكئاً مع النَّطاسىّ طَوراً وأبن[5] نوفيـلا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « جز » .
(٢) الخيضعة : البيضة . وقيل : أراد التفاف الأصوات فى الحرب . وقيل : أراد الخضعة ، وهى السيوف ، من صوت وقعها ، فزاد الياء دربا من الطى .
(٣) المدعدعة : المملوءة .
(٤) الأشجع : العظم الذى يصل الإصبع بالرسغ .
(٥) فى التجريد : « وابن توفيلا » .

وكان هذان نديمين للنعمان . فأجابه بأبيات منها :

قد قيل ذلك إن صدقًا وإن كذبا   فما اعتذارك من شىء إذا قيلا

فالحق بأهلك حيث الأرض واسعة   وانشر بها الطرف إن عرضًا وإن طولا

بيت له فى الإسلام

وذكر أن لبيد لم يقل فى الإسلام إلا بيتًا واحد ، وهو :

الحمد لله إذا لم يأتنى أجلى   حتى لبست من الإسلام سربالا

أليته ألا تهب صبا إلا أطعم وما كان من الوليد بن عقبة معه

وذكر أنّ لبيد كان من أجود العرب ، وكان قد آلى فى الجاهلية ألّا تهبّ صبًا إلا أطعم . ولما جاء الإسلام ونزل لبيدٌ الكوفة كانت له جفنتان يغدو بهما ويروح فى كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم . فهبّت الصّبا يومًا والوليدُ بن عقبة ابن أبى معيط على الكوفة ، فصعد المنبر فخطب الناس ثم قال : إن أخاكم لبيد ابن ربيعة نذر فى الجاهلية ألا تهب صبًا إلا أطعم ، وهذا يومٌ من أيامه ، وقد هبت صبًا فأعينوه ، فأنا أوّل من يفعل . ثم نزل . فبعث إليه بمائة بكرة وكتب إليه بأبيات قالها ، وهى :

أرى الجزّار يشحذ مديتيه   إذا هبّت رياحُ أبى عقيل

أشمّ الأنف أصيد عامرىّ   طويل الباع كالسّيف الصّقيل

وفى ابنُ الجعفرىّ بحلفتيه   على العلّات والمال القليل

بنحر الكوم إذ سحبت عليه   ذيول صبًا تجاوبُ بالأصيل

فلما بلغت أبياتُه لبيدًا قال لابنته : أجيبيه ، فلعمرى لقد عشتُ برهة وما أعيا بجواب شاعر . فقالت ابنته :

إذا هبّت رياح بنى عقيل   دعونا عند هبّتها الوليدا

أشمّ الأنف أروعَ عبشميًّا   أعان[1] على مروءته لبيدا

(١) فى التجريد : « أعان » .

بأمثال الهضاب كأنّ ركباً ... عليها من بنى حام قُعودا

أبا وَهب جزاك الله خيراً ... نحرناها وأطعمنا الثَّريدا

فعُدْ إنَّ الكريم له مُعاد ... وظنّى بابن أروى أن يعودا

فقال لها لبيد : قد أحسنتِ لولا أنك استطعمته ! فقالت : إن الملوك لا يُستحى من صلتهم . فقال : وأنتِ فى هذا يا بُنية أشعر .

له وقد سئل عن أشعر الناس

وذُكر أنه قيل للبيد : من أشعرُ الناس ؟ قال : الملك الضِّليل - يعنى امرأ القيس - قيل : ثم من ؟ قال : الغلام ابن ثمانى عشرة - يعنى طرفة بن العبد - قيل : ثم من ؟ قال : صاحب المِحجن - يعنى نفسه - وكان فى يده محجن ، حيث يقول :

إنَّ تقوى ربّنا خيرُ نَفَل ... وبإذن الله رَيْثى وعَجَلْ

أحمد الله ولا نِدَّ له ... بيديه الخيرُ ما شاء فعل

مَن هداه سُبلَ الخير اهتدى ... ناعمَ البال ومن شاء أضلّ

إعجاب المعتصم بشعره وحديثه مع بعض المغنين فى أبيات له

وذكر أن المعتصم جلس يوماً للشُّرب فغنّى بعضُ المغنين :

وبنو العبّاس لا يأتون « لا » ... وعلى ألسنهم خَفّت « نعم »

زيّنت أحلامُهم أحسابَهم ... وكذاك الحِلْمُ زَيْنُ الكَرَم

فقال : ما أعرف هذا الشعر ، لمن هو ؟ قيل : للبيد . فقال : وما للبيد وبنى العباس ؟ فقال المغنى : إنما قال « وبنو الريّان » فجعلته « بنو العباس » ، فاستحسن فعله ووَصله . وكان يُعجب بشعر لبيد . فقال : من منكم يَروى قوله :

* بلينا وما تَبلى النجوم الطوالع *

فقال بعضُ الجلساء : أنا . فقال : أنشدنيها . فأنشده :

بَلينا وما تَبلى النجوم الطوالع ... وتبقى الجبالُ بعدنا والمصانعُ

وقد كنت فى أكناف دار[(١)] مَضِنَّة ... ففارقنى جارٌ بأربدَ[(٢)] نافع

فبكى المعتصم حتى جرت دموعه وترحّم على المأمون ، وقال : هكذا كان — رحمة الله عليه — ، ثم اندفع يُنشد هو باقيها :

فلا جَزع إنْ فرّق الدهر بيننا ... وكُل امرىء يوماً له الدهر فاجع

وما الناس إلا كالدِّيار وأهلها ... بها يومَ حلّوها وأُخرى[(٣)] بَلاقِع

ويَمضون أرسالاً ونخلف بعدهم ... كما ضَم إحدى الراحتين الأصابع

وما المرء إلا كالشِّهاب وضوئه ... يَحُور رماداً بعد ما هو ساطع

وما المرء إلا مُضْمرات من التُّقى ... وما المال إلا عاريات ودائع

أليس ورائى إن تراخت منيّتى ... لُزوم العصا تُحنَى عليها الأصابع

أُخبِّر أخبار القُرون التى مضت ... أَدِبّ كأنى كلما قُمت راكع

فلا تَبعدنْ إنّ المنية موعدٌ ... علينا فدانٍ للطُّلوع وطالع

أعاذلَ ما يُدريك إلا تَظنّيا ... إذا رحل الفِتيان مَن هو راجع

أتجزع ممّا أحدث الدهرُ بالفتى ... وأىّ كريم لم تُصبه القَوارع

لَعمرك ما تَدرى الضَّوارب بالحَصَى ... ولا زاجراتُ الطير ما الله صانع

من جيد شعره

[(٤)] ومن جيّد شِعر لبيد بن ربيعة قولُه :

كأنّى وقد جاوزتُ سبعين حِجّة ... خلعتُ بها عنّى عذارَ لِجامى

إذا ما رآنى الناس قالوا ألم يكن ... شديدَ مِحال البطش غيرَ[(٥)] كَهام

(١) أى دار عزيزة على يضن بها ويحرص عليها . والرواية فى الشعر والشعراء : « جار مضنة » : أى جار عزيز على .

(٢) أربد : هو أخو لبيد . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « بأربة » وفى التجريد : « بأزبد » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وتغلو » . وفى الشعر والشعراء : « وغدوا » .

(٤) لم يرد هذا فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

(٥) المحال : التدبير والكيد والمكر . والكهام : العيى الكليل ، وأصله فى السيف .

رمتني بناتُ الدهر من حيثُ لا أرى　　فكيف بمن يُرمَى وليس برامى

ولو أنني أُرمى بسهم رأيتُــه　　ولكنما أُرمى بغــير سِهام

شعره في احتضاره

وذُكر أنه لما احتضر لَبيد قال لابنته :

تمنَّى ابنتاى أن يعيش أبوهما　　وهل أنا إلا من رَبيعة أو مُضَرْ

فإنْ حان يوماً أن يموت أبوكما　　فلا تَخْمِشا وجهاً ولا تَحْلقا الشَّعَر

وقُولا هو المرء الذى لا خليفــةً　　أضاع ولا خان الصَّديق ولا غَدر

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما　　ومَن يَبْكِ حَولاً كاملاً فقد اعتذر

معلقته وما فيها من غناء

والقصيدة المشهورة ، وهى إحدى المعلقات السبع ، وأولها :

* عفت الديار محلّها فمُقامها *

فى الأبيات الثلاثة الأول فيها الغناء ، وبها افتتح أبو الفرج أخبار لبيد . وشهرة هذا الشعر تُغنى عن ذكره .

أخبار زياد الأعجم

اسمه وولاؤه

هو زياد بن سُليمان ، مولى عبد القَيس ، أحد بنى عامر بن الحارث .

موطنه

أصله ومولده ومنشؤه بأصبهان ، ثم انتقل إلى خُراسان ، فلم يزل بها حتى مات .

لكنته

كان شاعراً جَزل الشِّعر ، فصيح الألفاظ على لُكنة فى لسانه . فذُكر من لُكنته أنه قال يوماً لغلام دعاه ليُرسله فى حاجة فأبطأ عليه ، فلما جاءه قال له : منذ لدن دأوتك إلى أن قلت لى : لبيك ، ما كنت تسنأ ؟ يريد : منذ لدن دعوتك إلى أن قلتَ لى لبيك ما كنت تصنع ؟ فهذه ألفاظه كما ترى فى نهاية القُبح .

رثاؤه المغيرة ابن المهلب

وهو الذى يرثى المُغيرة بن المُهلَّب بن أبى صُفرة ويقول :

قُل للقوافل والغَزِىّ[1] إذا غَزَوْا ... والباكرين وللمُجِدِّ الرائح

إنّ السماحةَ والشَّجاعة ضُمِّنا ... قبراً بمَرْوَ على الطَّريق الواضح

وإذا مررتَ بقبره فاعْقِر به ... كُومَ الهِجان وكُلَّ طِرْفٍ[2] سابح

وأنضحْ جوانبَ قبره بدمائها ... فلقد يكون أخا دَمٍ وذَبائح

يا مَن بمَهْوَى الشمس من حَىٍّ[3] إلى ... ما بين مَطلع قَرنها المُتنازح

مات المُغيرة بعد طُول تعرُّضٍ ... للموت بين أسنَّةٍ وصَفائح

والقتلُ ليس إلى القتال ولا أرى ... حيًّا يؤخِّر للشَّفيق الناصح

وهى طويلة . قال أبو الفرج : وهى من نادر الكلام ، ونقىّ المعانى ، ومختار القصائد .

---

(١) الغزى : جمع غاز . وعن ابن برى أن هذا البيت للصلتان العبدى لا لزياد ، ولها خبر رواه زياد عن الصلتان مع القصيدة ، فذكر ذلك فى ديوان زياد ، فتوهم من رآها أنها له ، وليس الأمر كذلك . (اللسان : غزا) .

(٢) الكوم : جمع كوماء ، وهى الناقة العظيمة السنام . والهجان : الإبل البيض . والطرف : الكريم من الخيل .

(٣) فى غير التجريد : « لبعد » .

وذُكر أن يزيد بن المُهلَّب قال لزياد بن الأعجم ، وقد أنشده هذه القصيدة : يا أبا أمامة ، أفَعَقرتَ أنت عنده ؟ قال : كنت على بنت الحمار - يريد الحمار .

لبعض المحدثين في مثله

ولبعض المُحدثين في هذا المعنى ما هو أتمّ منه وأحسن ، وهو :

(١) أيها الناعيان مَن تنعَيان وعلى من أراكما تبكيان
أَندُبا الماجد الكريم أبا إسحا ق ربَّ المَعروف والإحسان
وأذهبا بي إن لم يكن لكما عَقـ ـرٌ إلى تُرب(٢) قبره فاعقراني
وانْضحا من دَمى عليه فقد كا ن دَمى من يَداه لو تعلمان

وفوده على المهلب وما كان من حبيب معه

وذُكر أنّ زياداً الأعجم وَفد على المُهلَّب بن أبى صُفرة بخُراسان فأمر له بجائزة وأقام عنده أياماً ، فبينما هو عنده عشيةً يشرب مع حَبيب بن المُهلَّب، في دارِله فيها دُلْبة(٣) وعليها حمامة ، إذ سَجعت الحمامة . فقال زياد :

تغنَّىْ أنتِ في ذِممى وعهدى وذِمّة والدى أن لن(٤) تُضارى
و بيتَك أصلحيه ولا تخافى على صُفْرٍ مُزغّبة صِغار
فإنك كلما غنَّيت صوتاً ذكرتُ أحبّتى وذكرتُ دارى
وإمّا يقتلوك طلبتُ ثأراً أحاوله(٥) لأنّك فى جوارى

فقال حبيب : يا غلام ، هات القوس . فقال زياد : وما تَصنع ؟ قال : أرمى

(١) بهامش الأصل أمام هذه الأبيات : « هذه الأبيات لخالد الكاتب » . وهو أبو الهيثم خالد بن يزيد الكاتب البغدادى . وكانت وفاته سنة ٢٧٠ هـ . ترجم له الكتبى فى الفوات (١ : ١٩٠) وأورد له شيئاً من شعره ولم يورد هذه الأبيات . كما ترجم له أبو الفرج (٢١ : ٤٤ - ٥٤) ولم يذكر الأبيات .

(٢) فى غير التجريد : « جنب » .

(٣) الدلبة : واحدة الدلب ، وهو شجر يعظم ويتسع ولا نور له . وهذه العبارة « فيها دلبة » لم ترد فيها بين أيدينا من أصول الأغانى .

(٤) فى غير التجريد : « تطارى » مكان « تضارى » .

(٥) فى غير التجريد : « له نبأ » .

جارتك هذه . قال : أوجادٌّ أنت ؟ قال : والله لأقتلنّها . قال : والله لئن رميتَها لأستعدينّ عليك الأمير . فأُتى بالقوس فنَزَع لها سهماً فقتلها . فوثب زياد فدخل على المُهلَّب فحدّثه الحديث . فقال المهلب : علىّ بأبى بِسطام . فأُتى بحَبيب . فقال : أعط أبا أُمامة دية جاره ألفَ دينار . فقال : أطال الله بقاء الأمير ، إنما كنت ألعب . قال : أعطه كما آمُرك . فأعطاه . فأنشأ زياد يقول :

فلله عَينا من رأى من قضيَّةٍ ... قَضى لى بها قرمُ[1] العِراق المُهلَّبُ
رَماها حبيبُ بن المُهلب رَميةً ... فأثبتها بالسَّهم والسهمُ يَغرُبُ[2]
فألزمه عقلَ القتيلِ ابنُ حُرة ... وقال حبيبٌ إنما كنتُ ألعب
فقال زياد : لا يُروّع جاره ... وجارة جارى مثلُ جارى وأقرب

فحَمل إليه حبيبٌ ألف دينار على كُره منه .

هو وحبيب وقد خرق قباء له

فإنّه ليشرب يوماً معه إذ عربد عليه حَبيب ، وقد كان أضطغن عليه ماجرى ، فأمر بشق قَباء ديباج كان على زياد ، فقام زياد وقال :

لعمرك ما الدِّيباج خَرَّقت وحدَه ... ولكنّما خرَّقت جِلْد المُهلَّبِ

فبعث المُهلَّب إلى حبيب فأحضره ، وقال : صدق زياد ، ماخَرّقت إلا جلدى ، تَبعث هذا على أن يهجونى . ثم بعث إلى زياد فأحضر ، فاستل سَخيمته وأمر له بمالٍ ووصله .

مدحه عمر بن عبيد الله وهو الشعر الذى فيه الغناء

وذَكر أن زياداً الأعجم وَفد على عُمر بن عُبيد الله بن مَعمر التّيمى وهو بفارس ، فمَدحه بقوله فيه :

سألناه الجَزيل فما تأبَّى ... وأعطى فوق مُنْيتنا وزادَا
مراراً ما دنوتُ إليه إلّا ... تبسّم ضاحكاً وثَنى الوِسادا

(١) القرم : السيد المعظم . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « يقرب » مكان « يغرب » .

وهذا الشعر هو الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار زياد الأعجم .

من جود عمر ابن عبيد الله

وكان عُمر بن عبيد الله هـذا من أجود قُريش المشهورين . وقد ذُكر أنّ رجلاً كان يهوى جارية له ، فألجأته الضرورة إلى بيعها ، فابتاعها منـه عُمر بن عبيد الله بن مَعمر ، فلما قَبض ثمنها أنشأت الجارية تقول :

هنيئاً لك المالُ الذى قد قبضتَه ... ولم يَبْق فى كَفِّىَّ غـيرُ التحسُّرِ

أبوء بحُزن من فِراقك مُوجع ... ى به صدراً طويلَ التفكُّر

فقال الرجل الذى باعها مُجيباً لها :

فلولا قُعود الدَّهر بى عنك لم يكن ... يُفرِّقنا شىء سوى الموت فاعذِرى

عليك ســـلامٌ لا زيارةَ بيننا ... ولا وصلَ إلا أن يشاء ابنُ معمر

فقال ابن معمر : قد شئتُ ، خُذ الجارية وثمنَها . فأخذها وانصرف .

وكان عبدُالملك بن مروان استقدم عمر بن عبيدالله هذا ، فلما وصل «ضُمَيرَ» من عمل دِمشق، أصابه الطاعون ، فتُوفِّى بها .فوقف عبدُ الملك على قبره وقال : لقد علمت قُريش أن قد فقدت ناباً من أنيابها .

أخبار الحسين بن مُطير الأسدى (*)

ولاؤه

هو الحُسين بن مُطير بن مُـكمل ، مولى بنى أسد . وكان جده مُـكمل عبداً ، فأعتقه مولاه . وقيل : كاتَبه ، فسعى فى كتابته حتى أدَّاها وأُعتق .

شىء عنه

وهو من مُخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية . شاعر متقـدِّم فى القصيد والرجز ، فَصيح . مَدح بنى أُميـة و بنى العباس . وكان زيّه وكلامه من مذاهب الأعراب وأهل البادية .

رد الأصمعى له معنى لدعبل

وحكى أبو بكر الأَصمّ قال :

كنّا فى مجلس الأصمعىّ فأَنشده رحل لدِعبل بن علىّ قولَه :

لا تَعجبى يا سَـلْم من رجل ... ضَحِك المَشيبُ برأسه فبَكَى

فقال الأصمعى : هذا سرقه من قول الحسين بن مُطير الأسدى :

أين أهل القِبـاب بالدَّهنـاء ... أين جيرانُنـا على الأحسـاء

فارقُونا والأرض مُلْبَسَـةٌ نَوْ ... رَ الأقاحِى تُجـاد بالأنواء

كلّ يوم بأُقحوان جـديد ... تَضحكُ الأرضُ من بُـكاء السماء (1)

سهر المهدى بأبيات له

وحُـكى أن المُفضَّل الضَّبىّ قال له المهدىّ : أسهرتْنى البارحةَ أبياتُ الحُسين ابن مُطير الأسدى . قال : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال قوله :

وقد تَغـدِر الدُّنيا فيُضحِى غنيُّها ... فقيراً و يَغنى بعـد بُؤسٍ فقيرُها

(*) وقبل أخبار « الحسين » ساق أبو الفرج « أخبار شارية » المغنية . وقد عدى عنها ابن واصل وما أشار .

(1) فى بعض أصول الأغانى : « عن مهل » مكان « من بكاء » .

فلا تَقربِ الأمرَ الحرام فإنمــا حلاوتُه تَفنى ويَبقى مَريرها
وكم قد رأينا منْ تغيُّر عِيشةٍ وأُخرى صَفا بعد اُكدار غَديرُها

فقال له المفضل : مثل هذا فَلْيسهرك يا أمير المؤمنين .

جائزة المهدى له على شعر مدحه به

وذُكر أن الحُسين بن مطير الأسدىّ دَخل على المهدى فأنشده :

لو يَعبُدُ الناسُ يا مهدىّ أفضلَهم ما كان فى الناس إلا أنت مَعبودُ
أضحت يَمينُك من جُود مُصوَّرةً لا بل يَمينك منها صُوِّر الجُود
لو أنّ من نُوره مثقــالَ خَردلة فى السُّود طُرًّا إذاً لأبيضّتْ السُّود

فأَمر له بكل بيت ألف درهم .

رثاؤه معن الشيبانى

ومن جيِّد الشعر قولُ الحُسين بن مطير يَرثى مَعن بن زائدة الشَّيبانى :

أَلِمَّا بمَعن ثم قُولا لقَــــبره سقتْك الغوادى مَربعاً ثم مَربعاَ
ويا قبرَ مَعن كيف واريت جُوده ولو كان حيًّا ضِقْت حتى تصدَّعا
فتًى عِيش فى مَعروفه بعــد مَوته كما كان بعد السيل مَجراه[1] مُمرعا
أبى ذِكرُ مَعن أن تموت فَعــاله وإن كان قد لاقى حِماماً ومَصرعا

تفضيل أبى عبيدة له

وقيل لأبى عُبيدة: ما تقول فى شعر الحُسين بن مُطير ؟ قال : والله لوددتُ أنّ الشعراء قاربتْه فى قوله :

مُخصَّرة الأوساط[2] زانت عُقودَها بأحسنَ ممّا زيّنتها عُقودُها
وصُفْرٍ تَراقيهـــا وحُمْرٍ أكفُّهــا وسُود نَواصيها وبيض خُدودها

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيــه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبــار الحُسين بن مُطير الأسدى ، هو :

---

(١) فى التجريد : « مرتعاً » .
(٢) فى التجريد : « الأطراف » .

أُحبُّك ياسَـلمى على غير رِيبـة … وما خيرُ حُبٍّ لا تَعِفُّ سرائِرُهْ
أُحبك حُبًّا لا أُعنَّف بعـده … مُحِبًّا ولـكنّى إذا لِيم عاذره
وقد مات قَبلى أولُ الحب وانقضى … ولو مِتُّ أضحى الحُبُّ قد مات آخره
ولمّا تَناهَى الحبّ فى القلب وارداً … أقام وسُدَّت فيه عنه(1) مَصادره

(1) فى غير التجريد : « عنه يوما » مكان « فيه عنه » .

أخبار النعمان بن بشير الأنصاري

نسبه

هو النُّعمان بن بَشير بن سَعيد بن حُصين بن ثَعلبة بن جُلاس بن زَيد بن مالك الأغرّ بن ثَعلبة بن كَعب بن الخَزرج بن الحَارث بن الخَزرج .

أمه

وأُمه : عَمرة بنت رَوَاحة ، أُخت عبد الله بن رواحة، رضي الله عنه .

له ولأبيه صحبة وشيء عن أبيه

وللنُّعمان صُحبة بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ، ولأبيه بشير بن سَعيد . وشهد بَشير العقبةَ ، وبدراً وأُحداً والخَندق والمَشاهد كلها مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو أول مَن قام من الأنصار يوم السَّقيفة إلى أبي بكر رضي الله عنه فبايعه ، وأُستشهد في عين التَّمر[1] مع خالد بن الوليد .

مقتله

وكان النُّعمان عُثمانياً ، شَهد مع مُعاوية بن أبي سُفيان يوم صِفِّين ، ولم يكن مع مُعاوية أنصاريٌّ غيرُه . وكان رفيعاً عنده وعند يزيدَ أبنِه بعده . وكان يتولّى حِمصَ ، فلما بُويع بالشام مَروانُ بن الحكم بالخلافة خالفه النُّعمان بنَ بشير ودَعا إلى عبدالله بن الزُّبير ، وذلك بعد مَقتل الضحّاك بن قَيس بمَرج راهط[2] . فلم يُجبه أهل حِمص إلى ذلك ، فهَرب منهم ، وتَبعوه فأدركوه وقتلوه . وذلك سنةَ خمس وستين .

أول مولود أنصاري في الإسلام وشيء من روايته

والنُّعمان أولُ مولود للأنصار بعد مَقدم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة . وروى النُّعمان عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أحاديثَ كثيرة .

روى النُّعمان بن بشير ، قال : أعطاني أبي عطيّة ، فقالت أُمي عَمرة : لا أرضى حتى يشهد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة ، افتتحها المسلمون أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد . (معجم البلدان) .

(٢) مرج راهط : بنواحي دمشق .

فقال : إن أبنى من عَمرة أعطيتُه عطيــة . فأمرتْنى أن أُشهدك . فقال : أعطيتَ كُل ولدك مثل هذا ؟ قال : لا . قال : فاتقوا الله واُعدلوا بين أولادكم .

هو وأهل الكوفة وقد منعهم عطاءهم

وولّى معاويةُ بن أبى سُــفيان النُّعمانَ بن بَشير الـكُوفةَ . فأمر معاويةُ لأهل الـكُوفة بزيادة عشرة دنانير فى أعطياتهم ، فأَبى النُّعمانُ بن بَشير إنفاذها بُغضاً لهم ، لَميلهم إلى علىّ رضى الله عنه . فَصعد يوماً المِنبر ، فقام أهل الـكوفة إليه فقالوا : نَنشُدُكَ الله والزيادة . فقال : اسـكُتوا . فلما أكثروا قال : أتَدرون ما مَثلى ومَثلـكم إلا مثــل الضَّبع والضَّب والثَّعلب ؟ فإن الضبع والثعلب أتيا الضب فى وِجاره فنــادياه : أبا الحِسْل . فقال : سَميعاً دعوتُما . قالا : أتيناك لتحكم بيننا . قال : فى بيته يؤتى الحـكم . فقالت الضبع : إنى حَللت عينى . قال : فِعل الحُرة فعلت . قالت : فلقطتُ تمرة . قال : طيّباً لقطت . قالت : فأكلها الثَّعلب . قال: لنفسه نَظر . قالت : فلطمتُه . قال : بجُرمه . قالت : فلطمنى . قال : حُر انتصر . قالت : فاُقض بيننا . قال : حدِّث امرأةً حديثين فإن أبت فعشرة .

وفوده مع الأنصار على معاوية وما كان من عمرو ابن العاص معهم

وذُكر أنّ وفود الأنصار حضرت بابَ مُعاوية بن أبى سُفيان ، فخرج إليهم حاجبُه سعد[١] . فقالوا له : استأذن للأنصار . فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص ، فاُستأذن لهم . فقال له عمرو : وما هــذا اللقب يا أمير المؤمنين[٢] ! اُردد القوم إلى أنسابهم . فقال له معاوية، إنى أخاف من ذلك الشناعةَ . فقال : هى كلمة تقولها إن مضت غَضَّتْهم[٣] ونقصتْهم ، وإلا فهذا الاسم راجع إليهم . فقال : اُخرج إليهم فقل : من كان هاهنــا من ولد عمرو بن عامر فليدْخل . فدخل ولد عمر بن عامر كُلهم إلا الأنصار . فنظر معاوية إلى عمرو نَظر مُنكر . فقال له : باعدتَ جدًّا . فقال : اُخرُج فقل : من كان هاهنا من الأوس والخزرج فَلْيدخل . فقالها فلم يدخل

(١) فى غير التجريد : « سعد بن أبى درة » .

(٢) فى غير التجريد : « وما هذا اللقب الذى قد جعلوه نسباً » .

(٣) فى غير التجريد : « عدتهم » .

أحد . فقال معاوية : أُخرج فقُل : من كان هاهنا من الأنصار فَلْيدخل . فخَرج فقالها ، فدخلوا يقدُمهم النُّعمان بن بشير ، وهو يقول :

يا سَـعْدُ لا تُعِد الدُّعاء فما لنا نسبٌ نُجيب به سوى الأنصارِ
نَسب تخـيّره الإلهُ لقومنـا أثْقِل به نسـباً على الـكُفّار
إن الذين ثَوَوْا ببـدرٍ منكمُ يوم القَلِيب هُمُ وَقود النـار

فقال معاوية لعمرو بن العاص : قد كنّا أغنياء عن هذا .

إعراقه فى الشعر وشعر جده

وذُكر أن النعمان بن بَشير كان من المُعرقين فى الشعر سَلَفاً وخَلَفاً ، جدُّه شاعر، وأبوه وعمُّه شاعران ، وهو شاعر ، وأولاده وأولاد أولاده شعراء . وجدُّه سَعيد القائل :

إن كنتِ سـائلةً والحقُّ مَعتبةٌ فالأزدُ نِسبتنا والمـاء غَسّانُ
شُمُّ الأُنوف لهم عزٌّ ومكرُمة كانت لهم من جبال الطَّودِ أركان

رده على الأخطل حين هجا الأنصار

وذُكر أنّ الأخطل لما هجا الأنصار — وقد ذكرنا ذلك وسببه[١] — دَخل النعمانُ بن بشير على مُعاوية بن أبى سفيان وأنشأ يقول :

مُعاويَ إنْ لا تُعطنا الحقَّ تعترفْ لحيِّ الأَزد مشدوداً عليها العَمائمُ
أيشتُمنا عبـدُ الأراقم ضِلةً وماذا الذى تُجدى عليك الأَراقم
فما لىَ ثأرٌ دون قَطع لسانه فدونك مَن تُرضيه عنك الدَّراهم
متى تَلْق منّا عُصـبةً خزرجيّـةً أو الأوسَ يوماً تَخْترِمْك المَخارم
فتطلبَ شَعْب الصَّدع بعد انفتاقه فيَعْيا به والآنَ فالأمرُ سـالم
فإن كنتَ لم تَشهد ببدر وقيعةً أذلّت قُريشاً والأُنوفُ رَواغم
فسائل بنا حيّ لؤىّ بن غالب وأنت بما يَخفى من الأمر عالِم
ألم تبتدرْكم يومَ بدر سُيوفُنا وليلُك عما ناب قومَك[٢] نائم

(١) انظر (ص ١٦٢٣—١٦٢٤) من هذا الجزء . (٢) فى غير التجريد : «قائم» مكان «نائم» .

ضربناكمُ حتى تفرّق جمعُكم وطارت أكُفٌّ منكمُ ومَعاصم
وعادت على البيت الحرام عوانسٌ[١] وأنت على خَوفٍ عليك تمائم
وعضّت قريشٌ بالأنامل عَضةً ومن قبلُ ماعُضّت علينا[٢] الأباهم
فكُنّا لها فى كل أمر تَكيده مكانَ الشَّجا والأمر فيه تفاقُم
[٣] ولا تشتُمنّا يا ابن حرب فإنما تَرَقّى إلى تلك الأُمور الأَشائم
فما أنتَ والأمرُ الذى لستَ أهلَه ولكنْ ولىُّ الأمر والحقّ هاشم
إليهم يصير الأمر بعد شَتاته فمن لك بالأمر الذى هو لازِم
بهم شَرع اللهُ الهُدى فاهتُدى بهم ومنهم له هادٍ إمامٌ[٤] وقائم

فأمر معاوية بدفع الأخطل إليه ليقطع لسانه ، فاستجار بيزيدَ بن معاوية ، فأَجاره ، كما تقدم ذكره .

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ النعمان بن بشير الأنصارى ، هو :

إذا ما أُم عبد اللـه لم تحْلُل بواديه
ولم تُمْسِ قريباً[٥] هـ ـيّج الحُزنُ دواعيه
غَزال راعه القنّا ص تَحميه صَياصيه[٦]
وما ذِكْرِى حَبيباً لى قليلاً ما أُواتيه
كذى الخمر تمنّاها وقد أُنزِف[٧] ساقيه

---

(١) فى غير التجريد : « عرائش » مكان « عوانس » .
(٢) فى غير التجريد : « بغضة . . . . ما عضت عليك الأداهم » .
(٣) هذا البيت ساقط من أصول الأغانى التى بين أيدينا .
(٤) غير التجريد : « وخاتم » مكان : « وقائم » .
(٥) فى معجم البلدان فى رسم « إكليل » : « ولم تشفِ سقيما » .
(٦) صياصيه ، أى قرونه . (٧) أنزف ، أى سكر .

عرفتُ الرَّبعَ بالإكليـ ل عَفَّته(١) سَوَافِيه
بجوٍّ ناعم الحَوْذا ن(٢) مُلتفٍّ روابيه

ثم ذكر أبو الفرج أنّ هذا الشعر مُختلط ، للنُّعمان منه البيت الأول من الثلاثة الأول ، والأخير منها و باقيه ليزيد بن مُعاوية(٣) .

* * *

ثم ذكر أبو الفرج شعراً(٤) قيل فى قَتل رَبيعة بن مُكدَّم ، وهو :

نفرتْ قَلوصى من حِجارة حَرّة(٥) بُنِيت على طَلْق اليـدين وَهُوبِ
لا تَنْفِرى ياناقُ منـه فإنه شِرِّيبُ خَمرٍ مُسْعِرٌ لحُروب
لا يَبعدنّ ربيعـةُ بن مُكدَّم وسَقى الغوادى قبرَه(٦) بذَنُوب
لولا السِّفار وبُعـدُ خَرقٍ مَهْمَهٍ لتركتُهـا تحبُو على العُرقوب

فاقتضى ذلك ذِكر مَقتل ربيعة بن مكدَّم ، فنذكره مُختصراً .

(١) الإكليل : موضع . والسوافى: الرياح تسفى التراب .
(٢) الحوذان : نبت نوره أصفر .
(٣) وقد نسب ياقوت الشعر لعدى بن نوفل ، ثم قال: وقيل إنه للنعمان بن بشير .
(٤) الشعر لحسان ، وقيل : لضرار بن الخطاب .
(٥) الحرة : حجارة سود .
(٦) الغوادى : السحب ؛ الواحدة : غادية ، والذنوب : الدلو الملأى .

مقتل ربيعة بن مكدّم

نسبه

وهو ربيعة بن مُكدَّم بن عامر بن حُرْثان بن جَذيمة بن عَلْقمة بن جَذْل الطِّعان بن فِراس بن غَنْم بن ثعلبة بن مالك بن كِنانة .

فارس

أحد فُرسان مُضر المعدودين ، وشُجعانهم المشهورين .

مقتله

وكان من حديث قَتله أنّ بنى فراس ، وهم قوم ربيعة ، قتلوا رجلَين من بنى سُليم بن مَنصور ، ثم إنهم ودَوْهما . وضَرب الدهرُ ضَرباته ، فخَرج نُبيشة ابن حَبيب غازياً ، فلقى ظُعُناً من بنى كنانة بالكَديد[1] ، وهو فى ركب من قومه ، وبَصُر بهم نَفر من بنى فراس ، منهم الحارث بن المُكدَّم، وأخوه ربيعة . فقال الحارث : هؤلاء سُليم يطلُبون دماءهم . فقال ربيعة : أنا أذهبْ حتى أعلم عِلْم القوم فآتيكم بخبرهم . فتوجّه نحوهم تَعدو به فرسُه . فحمل عليه بعضُ القوم ، فاستطرد[2] له فى طريق الظُّعن ، وانفرد به رجلٌ من القوم ، فقتله ربيعةُ . فرمى نُبيشةُ ربيعةَ بسهم فاستدمى[3] ولحق بالظُّعن ، فقال لأُمه : شُدِّى على يدى عصابةً ، ففعلت . واستسقاها ماءً ، فقالت : إن شربت الماء مِتَّ ، فكرّ على القوم راجعاً يُقاتلهم والدم يَنزفه حتى أثخن . فقال ربيعة للظُّعن : أَوضعن ركابكنّ خلفى حتى تَنتهين إلى أدنى بيوت الحىّ ، فإنِّى لما بى سوف أقف دونكنّ لهم على العَقبة وأعتمد على رُمحى ، فلن يَقْدموا عليكن لمكانى . ففعلوا ذلك ، فنجون إلى مأمنهنّ .

---

(١) الكديد : موضع بالحجاز ، وكان به يوم من أيام العرب .

(٢) استطرد : تحيز إلى فئة وهو ينتهز الفرصة لمطاردة خصمه ، وهو ضرب من المكيدة .

(٣) المستدمى : الذى يقطر الدم منه وهو مطأطىء الرأس .

قال أبو عمرو بن العلاء : فلا نعلم قَتيلاً ولا ميتاً حَمى ظعائن غيره ، وإنه يومئذ لغلام له ذُؤابة ، فاعتمد على رُمحه وهو واقف لهنّ على متن فرسه حتى بلغ الظعائنُ مأمنهن ، وهو ميِّت ما يُقدم القوم عليه .

فقال نُبيشة بن حبيب الذى رماه : إنه لمائل العُنق وما أظُنه إلا قد مات . فأمر رجلا أن يَرمى فرسَه ، فرماها فقَمصت وزالت ، فمال عنها ميتاً .

تعقيب لابن واصل

قلت : هذا ذكره صاحبُ الكتاب ، وذَكره غيرُه ، وما أظُنه حقًّا ، فإنه فى غاية البُعد .

عود إلى حديث مقتله

قالوا : ولحقوا يومئذ أخاه الحارث فقَتلوه ، وألقوا على ربيعة أحجاراً . فمرّ به رجلٌ من بنى الحارث بن فِهر ، فَنفرت ناقته من تلك الأحجار التى أُهيلت على ربيعة ، فقال يرثيه ويَعتذر ألّا يكون عَقر ناقته على قبره ، وعَيّر من فرّ وأسلمه من قومه ، الأبياتَ التى تقدّمت[1] .

ويقال : إن قائل هذا الشعر ضِرار بن الخطّاب بن مِرْداس ، أحدُ بنى مُحارب بن فِهر . وقيل : إن الشعر لحسّان بن ثابت الأنصارى . ومِن هذا الشعر أيضاً :

فرّ الفوارسُ عن ربيعةَ بعد ما نجّاهمُ من غُمّة المَكروبِ
يَدْعو عليًّا حين أُسلِم ظهره فلقد دعوتَ هناك غيرَ مُجيب
نِعم الفتى أدّى نُبيْشةُ بزّه يوم الكُديد نُبيشةُ بنُ حَبيب

بين عمر بن الخطاب وعمرو ابن معدى كرب فى شأنه

وذُكر أنّ عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قال لعمرو بن مَعدى كرب الزَّبيدى : من أشجع من رأيت ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين لأُخبرنك عن أحيل الناس ، وعن أشجع الناس ، وعن أجبن الناس . فقال له عمر : هاتِ . قال : ركبتُ فرسى ثم آليتُ ألّا ألقى أحداً إلا قتلتُه ، فخرجت فإذا أنا بفتًى ، فقلت له :

(١) انظر (ص١٦٨٧) .

خُذ حِذْرك فإنى قاتلك . فقال : ما أنصفتنى يا أبا ثور ، أنا كما ترى أعزلُ أميل[1] عُوّارة — والعُوارة الذى لا ترس معه[2] — فأنظرنى حتى آخُذ نبلى . فقلت : وما غنــاؤها عنك ؟ قال : أمتنع بها . فقلت : خُذها . فقال : لا وَالله أو تُعطينى من العهود مايُثلجنى أنك لا تَروعنى حتى آخذها . فأثلجتُه . فقال : و إلٰهِ قُريش لا آخذها أبداً . فسَلِم والله منّى ، فهذا أحيل الناس . ثم مضيتُ حتى أشتمل علىّ الليلُ فوالله إنى لأسير فى قَمر زاهر إذا بفتًى على فرس يقود ظعينةً ، فصِحْتُ به : خذ حِذْرك ثكلتْك أُمك ، فإنى قاتلك . فمال عن فرســه فإذا هو فى الأرض . فقلتُ : إنْ هذا إلا أستخفاف . فدنوتُ منه وصِحْت به : ويحك ! ما أجهلك ! فما تحلحل ولا زال عن موضعه . فشككتُ الرمح فى إهابه فإذا هو كأنه قد مات من سَنة ، فمضيت وتركتُه . وهذا أجبن الناس . ثم مضيتُ فأصبحتُ إلى أبيات فعدلتُ إليها ، فإذا فيها جوارٍ ثلاث كأنهن نُجوم الثريّا ، فبكين حين رأيننى ، فقلت : ما يُبكيكنّ ؟ فقلن: لِمَا ابتُلينا به منك ، ومن ورائنا أُختٌ لنا هى أجمل منا . فأشرفتُ من فَدفد[3] ، فإذا أنا بمَن لم أر قط أحسنَ من وجهه . فإذا بغلام يخصف نعله ، عليه ذُؤابة يسحبها . فلمَّا رآنى وثب إلى الفرس مُبادراً ، ثم ركض فَسبقنى إلى البيوت ، فوجدهن قد أُرتعن . فلما دنوتُ منــه قال : تطردنى أم أطردك ؟ فقلت : أطردك ، وركضتُ فى إثره حتى مكّنْت السنان منه ، فإذا هو والله مع لبّة الفرس، ثم أستوى فى سَرجه . فقلت : أَقلنى . قال : أُطرد ، فتبعتُه حتى ظننت أن السنان فيه، فإذا هو قائم على الأرض والسنان زالج[4] ، واستوى على فرسه . فقلت : أَقلنى . قال: أُطرد . فطردتُه حتى إذا أمكنت السنانَ من متنه ، وأنا أظن أنّى قد فرغتُ منــه ، جال فى متن فرسهِ[5] حتى نظرت إلى يده فى الأرض .

---

(١) الأميل : الذى لا رمح معه؛ وقيل : هو الذى لا سيف معه .

(٢) هذا معنًى لم تذكره المعاجم . والذى فيها : « العوار : الجبان الضعيف السريع الفرار » . والمعروف أن الذى لا ترى معه هو الأكشف .

(٣) الفدفد : المكان المرتفع . والذى فى بعض أصول الأغانى : « مرقد » .

(٤) زالج : وقع على ظهر الأرض ولم يصب . (٥) فى غير التجريد : «جال فى سرجه حتى».

ومضى السنان زالجاً ، ثم استوى وقال : أبعد ثلاث تريد ماذا؟ ثكلتك أمك !
فولَّيت وأنا مَرعوب منـه . فلما غَشِيني وجدت حسَّ السّنان ، فالتفت فإذا هو
يطرُدني بالرُّمح بلا سـنان ، فكفّ عنى واستنزلنى ، فنزلت ونزل ، فجزّ ناصيتى
وقال : انطلق فإنى أنفس بك عن القتل . وكان ذلك أشد والله من الموت . فذاك
أشجع من رأيت ، وسألت عنه فقيل : هذا هو رَبيعة بن مُـكدَّم .

أخبار المغيرة بن شعبة (*)

نسبه — هو المُغـيرة بن شُعبة بن أبى عامر بن مَسعود بن مُعتِّب بن مالك بن كعب ابن عمرو بن سَعد بن عوف بن قَسِيّ ، وهو ثقيف . ويكنى : أبا عبد الله .

أمه — وأمه أسماء بنت الأَقم بن أبى عمرو بن ظُويلم بن جُعيل بن عمرو بن دُهمان ابن نصر بن مُعاوية بن بكر بن هوازن .

شجاعته وحزمه — والمُغيرة من دُهاة العَرب وحَزَمَتها وذوى الرأى منها والحِيل الثاقبة . وكان يُقال له فى الجاهلية والإسـلام : مُغيرة الرَّأى . وكان يقال : ما اُعتلج فى صدر المُغيرة أمران إلا اختار أحزمهما .

شىء عن حياته — وهاجر إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلم وصَحِبه وشهد معـه الحُدَيبية وما بعدها من المشاهد ، وشَهد فَتح اليمامة وفُتوح الشام . وكان أعورَ أُصيبت عينهُ يوم اليَرموك . وشَهد القادسيّة مع سَعد بن أبى وقّاص رضى الله عنه ، وكان السفيرَ بين سعد ورُستم ، مُقدَّم الفرس حتى وقعت الحرب . وولّاه عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — البصرةَ ففتح مَيسان[1] وغيرها . وخرج إلى المَشرق مع النُّعمان بن مُقرِّن ، وكان على ميسرته ؛ وكان عمر — رضى الله عنه — عَهِد أنه إن هلك النعمان فالأمير حُذيفة ، فإن هلك فالأميرُ المغيرة . ولما فُتحت نَهاوند سار المُغيرة فى جيش إلى هَمدان ففتحها . ثم ولاه عمر — رضى الله عنه — الكُوفة ، فقُتل عمر وهو واليها .

(*) هذه الترجمة مبتور أولها فى أصول الأغانى التى بين أيدينا . وقبلها ساق ابن واصل « أخبار عنترة » وقد قدمناها وأشرنا إليها فى موضعها (٩٦٦ — ٩٦٩) .

(١) ميسان : كورة واسعة بين البصرة وواسط .

حديث إسلامه

وحَكى المغيرة بن شُعبة قال :

كنّا قوماً من العرب متمسِّكين بديننا ، ونحن سَدَنة اللات ، فأُرانى وقد رأيتُ قومى أسلموا ما تبعتُهم . فاُجتمع نفرٌ من بنى مالك للوُفود على المُقوقس ، وأَهْدَوا له هدايا ، فأجمعتُ الخروج معهم ، فاُستشرتُ عمى عُروة بن مَسعود فنهانى وقال لى : ليس معك من بنى أَبيك أحد . فأبيتُ إلّا الخُروج ، فخرجتُ معهم ، وليس معى من الأحلاف أحدٌ غيرى ، حتى أَتينا الإسكندرية ، فإذا المُقوقس فى مَجلس مُطلٍّ على البحر ، فركبتُ قارباً حتى حاذيتُ مجلسه ، فنظر إلىّ فأنكرنى وأمر من يسائلنى : من أنا ؟ وما أريد ؟ فسألنى المأمور ، فأخبرتُه بأمرنا وقُدومنا عليه . فأَمر بنا أن نَنزل فى الكنيسة ، وأَجرى علينا ضيافة ، ثم دعا بنا ، فنظر إلى رأس بنى مالك فأدناه إليه وأجلسه معه ، ثم سأله : أكُلّ القوم من بنى مالك ؟ فقال : نعم . إلا رجل واحد من الأحلاف . فعرّفه إياى . فكنت أهونَ القوم عليه . ووضعوا هداياهم بين يديه ، فسُرّ بها وأمر بقبضها وأَمر لهم بجوائز ، وفضّل بعضَهم على بعض ، وقَصّر بى فأعطانى شيئاً قليلا لا ذِكْر له . وخرجنا ، فأقبل بنو مالك يشترُون هدايا لأَهاليهم وهم مسرورون . ولم يعرض علىَّ أحدٌ منهم مُواساةً ، وخرجوا وحملوا معهم خَمراً ، فكانوا يشربون منها وأَشرب معهم ، ونفسى تأبَى أن تدَعنى معهم يَنصرفون إلى الطائف بما أَصابوا وماحباهم به الملك ويُخبرون قومى بتَقصيره بى وازدرائه إياى . فأجمعتُ على قتلهم ، فقلت : أنا أجد صُداعاً . فوضعوا شرابَهم ودعَونى ، فقلت : رأسى يُصدَّع ولكنّى أسقيكم . فلم يُنكروا شيئاً ، وجلستُ أسقيهم وأَشرب القدح بعد القدح . فلما دبَّت الكأسُ فيهم اُشتهوا الشراب ، فجعلتُ أُصرِّف لهم وأُتْرِع الكأس ، فيشربون ولا يدرون . فهمدتْهم الكأس حتى ناموا ما يعقلون . فوثبت إليهم فقتلتهم جميعاً ، وأخذتُ جميعَ ما كان معهم . فقدمتُ على النبىّ صلى الله عليه وسلم فوجدتُه جالساً فى المسجد

مع أصحابه ، وعليَّ ثيابُ السفر ، فسلمتُ بسلام الإسلام . فنظر إليَّ أبو بكر بن أبي قُحافة ، وكان بي عارفاً ، وقال : أبن أخي عروة ! قلتُ : نعم ، جئتُ أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسولُ الله . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى هَداك إلى الإسلام . فقال أبو بكر ، أمن مصر أقبلت ؟ قلت : نعم . قال : فما فعل المالكيّون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان بيني و بينهم بعضُ ما يكون بين العرب ، ونحن على دين الشِّرك ، فقتلتهم وأخذت أسلابهم وجئتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمِّسها و يرى فيها رأيه ، فإنما هى غنيمة من مُشركين وأنا مُسلم مصدِّق بمحمد صلى الله عليه وسلم . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أما إسلامك فقبلتُه ، ولا آخذ من أموالهم ولا أُخمِّسه ؛ لأن هذا غدر والغدرُ لا خير فيه . فأخذنى ما قرُب وما بعُد ، وقلت يا رسول الله : إنما قتلتُهم وأنا على دين قومى، ثم أسلمت حين دخلتُ عليك الساعة . قال : فإن الإسلام (*) يَجُبّ ما قبله .

وكانوا ثلاثة عشر إنساناً . فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف فتداعَوْا للقتال ، ثم اصطلحوا على أن يَحْمل عمّى عُروة بن مسعود ثلاثَ عشرةَ دية . فأقمتُ مع النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى اُعتمر عُمرة الحُديبية فى ذى القِعدة سنة ست من الهجرة ، فكانت أول سَفرة خرجتُ فيها ، وكنتُ أكون مع أبي بكر وألزم النبيّ صلى الله عليه وسلم فيمن يلزمه . و بعثت قريشٌ يومَ الحُديبية عُروةَ بن مسعود إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأنا قائم على رأسه مُقنَّع بالحديد ، فقلت لعُروة ، وهو يمسُّ لحية النبيّ صلى الله عليه وسلم : اُكفُف يدك قبل ألا تصل إليك . فقال عُروة : من هذا يا محمد ؟ ما أفظَّه وأغلظه ؟ قال : هذا ابن أخيك المُغيرة بن شُعبة . فقال عروة : يا عدو الله ، ما غُسلتْ عني سوءتك إلا بالأمس ياغُدَر .

(*) إلى هنا ينتهى نقص أصول الأغانى .

كان مزواجاً

وذُكِر أنَّ المُغيرة بن شُعبة حَصَّن[1] ثمانين امرأة ، منهن ثلاثُ بنات لأبي سُفيان ، ومنهن : حَفصة بنت سَعد بن أبي وقّاص ، وهي أُم ابنه حمزة ؛ وعائشة بنت جرير بن عبد الله . وكان مِطْلاقاً . فكان إذا اجتمع عنده أربع نِسوة قال : إنكن لطويلات الأعناق ، كريمات الأخلاق ، ولكني رجل مِطلاق ، فاعتدْدْن .

كلمة له في الرجال والنساء

وكان يقول : النساء أَربع والرجال أربعة ، رجل مذكر وامرأة مُؤنثة ، فهو قوّام عليها ؛ ورجل مؤنث وامرأة مذكرة ، فهى قوّامة عليه ؛ ورجل مذكر وامرأة مذكرة ، فهما كالوَعلين ينتطحان ؛ ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة ، فهما لا يأتيان بخير ولا يُفلحان .

أحد أربعة اجتمع فيهم الجمال

وذُكر أن الجَمال كان بالكوفة ينتهي إلى أربعة نفر : المُغيرة بن شُعبة ، وجرير بن عبد الله، والأشعث بن قيس ، وحُجر بن عدىّ ؛ وكلهم كان أَعور .

بينه وبين أعرابي من بكر

وذُكر أن المُغيرة بن شُعبة ركب يوماً ، وهو والى الكوفة ، فوجد أعرابيًّا بظهر الكوفة ، فقال له المُغيرة : من أين أقبلت يا أعرابي؟ قال : من السَّماوة . قال: فكيف تركتَ الأرض خلفك ؟ قال : عريضة أريضة . قال : فكيف تركت المطر خلفك ؟ قال : عَفّى الأثر وملأ الحُفر . قال : ممن أنت ؟ قال : من بكر بن وائل . قال : فكيف علمُك بهم ؟ قال : إن جهلتُهم لم أعرف غيرهم . ثم سأله عن قبائل من بكر قبيلةً قبيلةً ، وهو يُجيبه . ثم قال : أخبرني عن النساء . قال : النساء أربع : رَبيع مُربع ، وجَميع يجمع ، وشيطان سَمعمع ، وغُل لا يُخلع . قال : فسِّرها لي . قال : أما الربيع المُربع ، فالتي إذا نظرتَ إليها سرّتْك ، وإذا أقسمت عليها بَرّتك ؛ وأما التي هي جَميع يجمع ، فالمرأة تزوّجُها ولها نَسب فتجمع نَسبك إلى نَسبها ؛ وأما الشيطان السَّمعمع ، فالكالحة في وجهك إذا دخلتَ ، والمُولولة

(١) حصن ، أي تزوج .

فى أثرك إذا خرجت؛ وأما الغُل الذى لا يُخلع ، فَبِنت عمّك السوداء القصيرة ، الورهاء[1] الدَّميمة ، التى قد نثرتْ لك بطنها ، إنْ طلّقتها ضاع ولدُك ، و إن أمسكتها فعلى جَـدْع أنفك . فقال له المغـيرة : بل أنفك . ثم قال له : ما تقول فى أميرك المُغيرة بن شعبة ؟ قال : أعور زَنَّاء . فقال الهيثم بن الأسود النَّخعى : فضّ الله فاك ! ويلك هذا المغيرة ! فقال : والله إنها كلمة تقال . فانطلق به المغيرة إلى منزله وعنـده أربع نساء وستّون أو سبعون أَمة . فقال له : ويحك أيزنى الحُر وعنده مثـل هؤلاء ! ثم قال لهن المغيرة : أرمين إليـه بحُلاكن . ففعلْن . فخرج الأعرابىّ بملء كسائه ذهباً وفضة .

حديث زناه وموقف عمومته

وذُكر أن المُغـيرة بن شُعبة كان يخرُج من دار الإمارة وسَط النهار ، وكان أبو بكرة يلقـاه فيقول : أين يذهب الأمير ؟ فيقول له : فى حاجة . فيقول له : حاجة ما ، إن الأمير يُزار ويَزور . وكان المُغيرة يختلف إلى امرأة من ثقيف يقال لها : الرَّقطاء ، وكانت جارةً لأبى بكرة . فبينا أبو بكرة فى غرفة له مع أخويه : نافع ، وزياد ، ورجل آخر يقال له : شِبل بن مَعبد ، وكانت غُرفة جارته تلك بحذاء غُرفة أبى بكرة . فضربت الريحُ بابَ المرأة ففتحتـه ، فنظر القوم فإذا المُغـيرة ينكحها . فقال أبو بكرة : هذه بليّـة ابتُليتم بها ؟ فانظُروا . فنظروا حتى أثبتوا . فنزل أبو بكرة فجلس حتى خَرج إليه المُغيرة من بيت المرأة ، فقال له : إنه قد كان من أمرك ما قد علمتُ ، فاعتزلْنا . فذهب ليصلّى بالنـاس الظّهر فمَنعه أبو بكرة ، وقال : والله لا تُصلى بنا وقد فعلتَ ما فعلت ! فقال الناس : فَلْيُصل فإنه الأمير ، واكتبوا بذلك إلى عُمر . فكتبوا إليه . فورد كتابُه بأن يقْدَموا عليه جميعاً ، والمرأةُ والشهود . فلما قَدِموا على عُمر — رضى الله عنـه — ما خلا زياداً ، جلس ودعا بالمُغيرة والشُّهود ، فشهد أبو بكرة وأخوه نافع وشِبل بن مَعبـد ، كل واحد منهم

(١) الورهاء : الخرقاء اليدين بالعمل .

يشهد بأنه قد رآه بين فَخذيها . فيقول عمر رضى الله عنــه : لا ، حتى تشهد أنك رأيتَه يَلج فيها وُلوج المِرْود فى المُكْحُلة . فيشهد بذلك . وقال عمر رضى الله عنه للمُغيرة بن شُعبة ، لما شهد عليه أبو بكرة : يا مُغيرة ، ذَهب رُبعك . ولما شَهد نافع قال له : ذهب نصفك . ولمـا شهد شِبل قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنــه للمُغيرة : ذهب ثلاثة أرباعك .

ثم كتب عمر إلى زياد . فقدم على عمر ــ رضى الله عنه ــ فلما قَدِم جلس له فى المَسجد ، واجتمع إليــه رءوس المهاجرين والأنصار . فلما رآه عمر ــ رضى الله عنه ــ قال : إنى لأرى رجلاً يُخزى الله على لسانه رجلا من المهاجرين . فقال زياد : رأيتُ مجلساً قبيحاً ، وسمعتُ نفساً خبيثاً(١) وانبهاراً . ورأيته مُتبطّنها ــ وقيل : رأيتــه رافعاً رجليها ورأيت خُصيتيه تتردّدان بين فخذيها ، وسمعتُ نفساً عالياً ــ فقال عمر رضى الله عنه : أرأيتَه يُدخله كالمِيل فى المُكحلة ؟ قال : لا . قال عمر رضى الله عنه : الله أكبر ، قُم إليهم فاضربهم . فقام إلى أبى بكرة فضَربه ثمانين . وضَرب نافعاً وشِبْلاً ، ودرأ عن المُغيرة الرّجم . فقال أبو بكرة ، بعد أن ضُرب : إنى أشهد أن المُغيرة فعل كذا وكذا . فهمّ عمرُ رضى الله عنــه بضربه . فقال له على رضى الله عنه : إنْ ضربتَه رجمتُ صاحبَك ، ونهاه عن ذلك .

ومعنى هذا الـكلام : إن ضربتَه جعلتُ شهادتَه شهادتين ، فوجب بذلك الرجم على المُغيرة .

ثم استتاب عُمر أبا بكرة فقال : إنما تستَتيبنى لتقَبل شهادتى ؟ فقال : أجل . قال : لا أشهد بين اثنين ما بقيتُ فى الدنيا . فلمـا ضُربوا الحدّ قال المُغـيرة : الله أكبر ! الحمــد لله الذى أخزاكم ! فقال له عمر : اسكت ، أخزى الله مكاناً رأوك فيه .

---

(١) فى غير التجريد : « وسمعت أمراً حثيثاً » .

وأقام أبو بكرة على قوله ، وكان يقول : والله ما أنسى رُقَط[1] فَخذيها .

وتاب الاثنان فقُبلت شهادتهما . وكان أبو بكرة بعد ذلك إذا دُعى إلى شهادة يقول : اطلُب غيرى ، فإن زياداً قد أفسد علىّ شهادتى .

وقيل : كان اسم المرأة ، التى رُمى بها المُغيرة ، أمَّ جَميل .

وذُكر أنّ عمر رضى الله عنه قال يوماً للمغيرة : أتتجاهل علىّ ! والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك ، وما رأيتنى[2] إلا خِفت أن أُرمى بحجارة من السماء .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار المُغيرة ، هو أبيات تقدم ذكرها ، وخبرُ الوقعة التى قال فيها المغيرة الأبيات ، وأولها :

أدركتُ ما منّيت نفسىَ خاليا لله درُّك يابنـــةَ النُّعمانِ

---

(١) الرقط : جمع رقطة ، بالضم : نقط بياض يشوبها نقط سواد .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وما رأيتك » .

أخبار محمد بن يسير الخارجيّ

نسبه وكنيته

هو محمد بن يسير[1] بن عُقيل ، أحد بنى خارجة بن عَدْوان بن عمرو بن قيس عَيلان . ويُكنى : أبا سليمان .

انقطاعه إلى أبى عبيدة

شاعر فصيح حجازىّ من شُعراء الدولة الأموية . وكان مُنقطعاً إلى أبى عُبيدة ابن عبد الله بن زَمعة ، أحد بنى أسد بن عبد العُزى بن قُصىّ . وهو جَدّ بنى عبد الله بن الحَسن بن الحَسن، لأُمهم هند بنت أبى عُبيدة . وَلدت لعبد الله : محمداً ، و إبراهيم ، وموسى[2] .

وكانت لُمحمد بن يسير فيه مدائحُ ومراثٍ جيّدة ، وهى عُيون شعره . وكان يَبْدو فى أكثر زمانه ويُقيم بوادى المدينة ولا يكاد يحضُر مع الناس .

من مختار شعره

ومن مُختار شعر محمد بن يسير الخارجى ، وأورده أبو تمام الطائى فى الحماسة[3] :

بَيضاءُ خالصة البياض كأنها ... قمرٌ توسّط ليلَ صَيفٍ مُبرَدِ

مَوسومة بالحُسن ذات حَواسد ... إنّ الجمال مَظِنّة للحُسَّد

خَوْد إذا كَثُر الكلام تعوّذَت ... بحِمَى الحَياء وإن تكلّم تقْصد

وتَرى مَدامعها ترقرقُ مُقلةً ... حَوراءَ ترغب عن سواد الإثْمِدِ

شعره فى امرأة من قومه أبت عليه الزواج حتى يطلق امرأته

وذُكر أنه كان متزوِّجاً ابنة عم له ، فَخطب امرأةً من قومه ، فقالت المرأة : طلِّق امرأتك حتى أتزوجك . فأبى وانصرف عنها ، وقال فى ذلك :

أأطلُب الحسن فى أُخرى وأتركها ... فذاك حين تركتُ الدِّين والحَسَبَا

---

(١) فى الأصل والأغانى : « بشير » . والتصويب من الشعر والشعراء وشرح القاموس «يسر».
(٢) وقد ولدت له غير هؤلاء . (انظر نسب قريش — ص : ٥٣) .
(٣) لم يرد هذا الشعر فى الحماسة المطبوعة .

هى الظَّعينة لا يُرمى[1] برُمّتهـا ولا يُفجِّعها أبنُ العمِّ ما أصطحبا

وما خلوتُ بهـا يوماً فتُعجبَنى إلّا غدا أكثرَ اليومين لى عَجبا

[2]فإن يكنْ لهواها أو قرابتهـا حُبٌّ قديم فما غاباَ ولا ذَهبـا

شعره فى رثاء سليمان بن الحصين

وذُكر أنه كان سُليمان بن الحُصين صـديقاً لمحمد بن يسير الخارجى وخليلاً له ، فمات سُليمان فَجزِع عليه محمد وحَزن حُزناً شديداً ، فقال يرثيه :

يأيها المُتمنِّى أنـ يكون فتًى مثلَ أبْنِ لَيلى[3] لقد خلَّى لك السُّبُلَا

إنْ ترحلِ العِيسَ كى تَسعى مساعيَه يَشقُقْ عليك وتَعمل دون ما عَمِلا

لو سِرْت فى الناس أقصاهم وأقربَهم فى شُقة الأرض حتى تَحْسِر[4] الإبلا

تَبغى فتًى فوق ظَهر الأرض ماوجدوا مثلَ الذى غيَّبوا فى بَطنها رَجُلا

أعدُد ثلاثَ خِصال قد عُرفن له هل سَبَّ من أحدٍ أوسُبّ أو بَخِلا

ولمّـا تُوفى عبدُ العزيز بن مروان ونُعى إلى أخيه عبـد الملك تمثّل بأبيات الخارجىّ هذه ، وجعل يُردِّدها و يبكى .

شعره فى امرأة طلقها ثم ندم

وذُكر أنـ محمد بن يسير الخارجى قَدِم البصرة ، فتزوّج بها أمرأة من عَدْوان ، وكانت مُوسرةً ، فأقام عندها بالبَصرة مُدة ، ثم أستوخم البصرة وطالبها أن تَرحل معـه إلى الحجاز ، فقالت : ما أنا بتاركة مالى وضَيعتى هاهنـا تذهب وأمضى معك إلى بلد الجدب والفقَر والضيق ، فإما إن أقمت هاهنـا أو طلّقتنى . فطلّقها وخرج إلى الحجاز ، ثم ندم وقال :

بانت لعَينك عَـــبرةٌ وسُجوم وثَوت بقَلبك زَفرةٌ وهُمــــومُ

طَيفٌ لزينبَ ما يَزالُ مُؤرِّقى بعـــــد الهُدوّ فما يكاد يَريم

(١) الرمة : الحبل يقاد به البعير ونحوه . وفى بعض أصول الأغانى : « لا يرمى بزينتها » .

(٢) لم يرد هذا البيت فيمابين أيدينا من أصول الأغانى .

(٣) فى الحماسة (٤ : ١٥٠) : « مثل ابن زيد » وقد تردد أبو تمام فى نسبتها لابن يسير .

(٤) تحسر : تتعب .

و إذا تعرّض فى المَنام خيالُها نَكأَ[1] الفؤادَ خيالُها المَحْلوم
أَجعلت ذَنبك ذَنبَه وظَلَمته عنـد التحاكُم والمُدِلُّ ظَلُوم

ومنها :

ولقـد أردتُ الصبرَ عنكِ فعاقنى عَلَقٌ بقَلبى من هواكِ قَديم
يَبْقَى على حَدَث الزمان ورَيْبه وعلى جَفائك إنه لكَريم
ضَعُفت مَعاهدُ حُبهن مع الصِّبى ومع الشَّباب فَبِنّ وهو مُقيم
وعَتبتِ[2] حين صَحِحْتِ وهو بدائه شتّان ذاك مُصَحّح وسَقيم
وزعمتِ أنك تَبْخلين وشَفَّه شَوقٌ إليك وإن بَخلتِ أليم

دعاه عبدالله بن الحسن ليواسى زوجه فزادها شجناً

وذُكر أنه لما تُوفى أبو عُبيدة بن عبدالله جَزعت عليه ابنتُه هِند، زوجةُ عبدالله ابن الحسن ، جزعاً شديداً ، فكَلّم عبدُ الله بن الحسن محمدَ بن يسير الخارجىّ أن يدخُل إليها فيُعزيها و يُواسيها عن أبيها . فَدخل إليها معه . فلما نَظر إليها صاح بأعلى صوته :

قُومى اُضربى عينَيْك يا هندُ لن تَرىْ أباً مثلَه تسمو إليه المَفاخِرُ
فإن تُعْوليه يَشْفِ يوماً عويلُه غَليلَك أو يَعْذُرْك فى اليوم[3] عاذر
وكنتِ إذا فاخرتِ أَسميتِ والداً يزين كما زان اليدَين الأَساور
فلقّاه ربٌّ يغفر الذنب رحمةً إذا بُليت يومَ الحساب السَّرائر
وقد عَلم الأقوامُ أنّ بناته صوادقُ إذ يندُبنه وقَواصر

فقامت هندٌ فصكّت وجهها وعينيها ، وصاحت بويلها وعَوْلها ، والخارجىّ

(١) نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرأ . جعل إثارة الخيال لما به من ذلك .
(٢) فى غير التجريد : « وجنيت » .
(٣) فى غير التجريد : « فى النوح » .

معها ، حتى لَقِيا جهداً . فقال له عبد الله بن الحسن : أَلهذا دعوتُك ؟ ويلك ! فقال له : أظَنَنت بالله أنى أعزيها عن أبى عُبيدة ؟ والله ما يُسليني عنه أحد ولا عزاء لى عن أبى عُبيدة ، فكيف يُعزِّيها عنه مَن ليس يسلوه !

شعره الذى فيه الغناء وحديثه

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبوالفرج أخبار محمد بن يسير الخارجى، هو:

جِنِّية أوْ لهـــا جِنٌّ يعلِّمها ... رَمى القُلوبَ بقَوسٍ مالها وَتَرُ
إن كان ذا قَدَراً يُعطيك نافلةً ... منَّا ويَحرمنا ، ما أَنصف القَدر

وهذا الشعر يقوله الخارجى فى امرأة رآها بمكة فى الموسم، وتحدَّث معها ، فعَلقها قلبه ، وهو من قصيدة منها :

يا أحسنَ الناس إلّا أنّ نائلَها ... قِدْماً لمن يبتغى مَيْسورَها عَسِرُ
وإنما دلُّهـا سِحْرٌ لطالبـه ... وإنما قلبها للمُشتكِى حَجَر

ومنها :

تجلو بقادمَتى وَرْقاءَ عن بَرَد ... حُمرِ المغافر فى أطرافها[1] أَشَر
خَوْدٌ[2] مُبتَّلةٌ رَيّا معاصِمُها ... قَدْرِ النبات فلا طُولٌ ولا قِصَر
إن هَبت الريحُ حَنّت فى وشائجها ... كما يُجاوب عُودَ القَينة الوَتَر

(١) القادمة : واحدة القوادم ، وهى أربع ريشات فى مقدم الجناح . والورقاء : الحمامة بين السواد والغبرة . يريد شفتيها وقد لونهما الوشم . والبرد : الأسنان، للونها . والمغافر : مغارز الأسنان وذلك اللحم الذى يستر جذورها . والأشر : حدة ورقة فى أطراف الأسنان . والرواية فى غير التجريد : « حم المشاعر » .

(٢) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفا . ومبتلة : منقطعة الخلق عن النساء لها عليهن فضل . وقيل : التامة الخلق .

أخبار سكينة بنت الحسين (*)

ابن على بن أبى طالب . رضى الله عنه

شىء عن أبى طالب

واسم أبى طالب عبدُ مَناف بن عبد المُطلب ــ وأُسمُه شيبة الحمد ــ بن هاشم ــ وأسمُه عمرو . وأم علىّ بن أبى طالب فاطمةُ بنت أسد بن هاشم بن عَبد مَناف ، وهى أولُ هاشميّة تزوّجها هاشمىّ . وهى أم ولد أبى طالب كُلهم .

أم الحسين

وأم الحُسين بن علىّ فاطمةُ بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وأُمها خَديجة بنت خُويلد بن أَسد بن عبد العُزى بن قُصىّ . وكُنية خديجة : أُم هِنْد . وكنية فاطمةَ عليها السلام : أُمّ أبيها .

الحسن والحسين وتسمية النبى صلى الله عليه وسلم لهما

ولما وُلد الحَسن بن علىّ سمّاه علىّ رضى الله عنه « حَرباً » ، فسماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « الحَسن » . ثم وُلد الحُسين ، فسماه علىّ « حَرباً » . فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحُسين » ، ثم قال له : سميتُهما بأسمَى ولدى هارون : شبراً ، وشبيراً .

الشعر الذى افتتح به أبو الفرج أخبار سكينة

والشعر الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار سُكينة ، هو للحُسين ــ رضى الله عنه ــ يقوله فى أبنته سُكينة . وأمّها الرّباب بنت أمرىء القيس بن عدىّ بن أوس بن جابر بن كَعب بن عُليم بن جناب ... (1) بن كَلب بن وَبَرة بن تغلب ابن حُلون بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة . وأُمها هندُ بنت الربيع بن مَسعود

(*) وقبل أخبار « سكينة » ساق الأغانى أخبار « سديف » الشاعر فى أسطر ، فر عنها ابن واصل ولم يشر . كما ساق الأغانى أخبار الحسين ، وثنى بعدها بقوله « رجع إلى أخبار سكينة » . وهذا وذاك كله حول سكينة . وكان فى نسخ الأغانى اضطراب تضبطه النسخة التى جرد منها ابن واصل تجريده .

(1) بين جناب وكلب آباء أغفلهم المؤلف ، فآثرنا أن يكون بينهما هذا الفراغ حتى لا يظن أن سلسلة النسب متصلة . (جمهرة أنساب العرب ــ ٤٢٥ ــ ٤٢٦) .

ابن مَصَاد بن حِصْن[1] بن كعب عُلَيم بن جناب ... بن كلب . واسم سُكَينة ، أُميمة — وقيل : أمينة . وقيل : آمنة — وسُكينة لقب لُقِّبت به .

شعر للحسين فى زوجته الرباب

وكان الحسن عاتب أخاه الحُسين — رضى الله عنهما — فى محبّته زوجته الرّباب . فقال الحسين رضى الله عنه :

لعمـرك إننى لأُحب داراً تكون بها سُكينة والرّبابُ

أُحبُّهما وأبذُل جُلَّ مالى وليس لعاتبٍ عندى عِتاب

ولستُ لهم وإن عابوا مُطيعاً حياتى أو يُغيِّبَنى التُّراب

شىء عن امرىء القيس

وذُكر أنّ امرأ القيس بن عدىّ الكلبى كان نصرانيًّا ، فأسلم على يد عُمَر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فما صلّى لله صلاة حتى ولّاه عُمر ـ رضى الله عنه ـ وما أمسى حتى خَطب إليه علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه ابنته الرّباب على ابنه الحُسين ، فزوّجه إياها ، فأولدها عبدَ الله ، وسُكينة .

إسلام امرىء القيس ومصاهرة على له

فحكى عونُ بن خارجة المُرِّى قال : والله إنى لعند عمر بن الخطاب فى خلافته إذ أقبل رجل أَفحج أَحلج أمعر[2] يتخطَّى رقاب الناس ، حتى قام بين يدى عُمر ، فحيَّاه تحيةَ الخلافة . فقال له : من أنت ؟ قال : أنا امرؤ نصرانىّ ، وأنا امرؤ القيس ابن عَدىّ الكلبى . فلم يَعرفه عمر . فقال رجلٌ من القوم : هذا صاحبُ بكر بن وائل الذى أغار عليهم فى الجاهلية يوم فَلْج[3] . قال : فما تُريد ؟ قال : أُريد الإسلام . فعَرضه عليه عمر ، فقَبِله . ثم دعا له بُرمح فعَقد له على مَن أَسلم من قُضاعة بالشام . فأدبر الشيخُ واللواء يهتزّ على رأسه .

(١) فى التجريد : « معاد بن حصن » . وفى غيره من أصول الأغانى : « مروان بن حصين » . وما أثبتنا من جمهرة أنساب العرب (ص ٤٢٧) .

(٢) أفحج : قد تباعد ما بين أوساط ساقيه . وأحلج : قد ذهب شعره من مقدم الرأس . وفى بعض الأصول : « أجلى » وهى بمعناها . وأمعر : قد ذهب شعره كله .

(٣) فلج : موضع .

قال عوف : فوالله ما رأيتُ رجلاً لم يُصلِّ لله ركعـةً قطُّ أُمّر على جماعة من المُسلمين قبـله . ونَهض عليٌّ بن أبي طالب من المَجلس ومعه أبناه : الحَسن ، والحُسين ، حتى أدركه ، فأخذ بثيـابه وقال له : أنا عليّ بن أبي طالب ، أبن عم رسول الله صلّى الله عليـه وسلم ، وصهرُه ، وهذان أبناى من أبنته ، وقد رغبنا فى صِهرك ، فأنكحنا . قال : قد أنكحتُك ياعليّ المَحيـاةَ بنت أمرىء القيس ، وأنكحتك يا حسن سَلْمى بنت أمرىء القيس ، وأنكحتك يا حُسين الرَّباب بنت أمرىء القيس .

الرباب بعد مقتل الحسين

وذُكر أنّ الرَّباب كانت من خِيار النساء وأفضلهنّ ، فلما قُتل عنها الحُسين ابن على ــ رضى الله عنهما ــ خُطبت فقالت : ما كُنت لأتخذ حَماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لسكينة وقد سئلت عن سبب مزاحها

وذُكر أنه قيل لسُكينة ــ وأسمها آمنة ــ : أختُك فاطمة ناسكة وأنت تمزحين كثيراً . قالت : لأنكم سمّيتموها بأسم جدّتها المُؤمنة ــ تعنى فاطمة عليها السلام ــ وسمّيتمونى بأسم جدّتى التى لم تدرك الإسلام ــ تعنى آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شعر للرباب فى رثائها الحسين

وقالت الرباب تَرثى زوجَها الحُسين بن علىّ رضى الله عنهما :

إنَّ الذى كانَ نُوراً يُستضاء به ... بكَرْبلاءَ قتيـلٌ غيرُ مَدْفونِ

سِبْطَ النبىّ جزاكَ الله صـالحةً ... عنّا وجُنِّبت خُسران المَوازين

قد كنتَ لى جبـلاً صَعباً ألُوذ به ... وكنت تَصحبنا بالرُّحم[1] والدِّين

مَن لليتـامى ومَن للسائلين ومن ... يُغنَى ويَأوى إليـه كُلُّ مِسكين

والله لا أبتغى صِهراً بصهركُمُ ... حتى أُغيَّب بين الرَّمل والطِّين

خطبة الحسن بن الحسن إلى عمه الحسين

وذُكر أن الحَسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب خَطب إلى عمّه الحُسين

(١) الرحم ، بالضم : الرحمة والعطف ؛ وبالكسر : القرابة . والمعنى مستقيم على المعنيين .

ابن علىّ رضى الله عنهم ، فقال له الحُسين : يا بن أخى ، قد كنتُ أنتظر هذا منك ، انطلق معى . فخَرج به حتى أَدخله منزلَه فخيَّره بين ابنتيه : فاطمة ، وسكينة ، فاختار فاطمة ، فزوَّجه إياها . وهى أُم بَنيه : الحسن بن الحسن المثلث ، وعبد الله بن الحسن ، وغيرهما . وتزوَّجها بعد الحَسن المُثنَّى عبدُ الله بن عمرو ابن عثمان بن عفَّان ، فأولدها محمدَ بن عبد الله الدِّيباج المُذهب ، فكان أخا بنى الحسن المُثنَّى لأُمهم . وكان يقال : إن امرأةً مَرذولتها[1] سُكينة لمُنقطعة القَرين فى الحُسن .

وقد قيل : إن الحَسن لما خيَّره عمُّه الحُسين استحيا فقال له : قد اخترتُ لك فاطمة ، فهى أكثرُ شبهاً بأُمى فاطمةَ بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

سكينة وبنت لعثمان

وذُكر أنَّ سُكينة كانت فى مأتم فيه بنت لعُثمان بن عفَّان ـ رضى الله عنه ـ فقالت بنت عثمان : أنا بنت الشَّهيد . فسكتت سُكينة . فلما قال المُؤذِّن : أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله . قالت سكينة : هذا أبى وأبوك . فقالت العُثمانية : لا جرم ، لا أفخر عليك أبداً .

هى وقد لسعتها نحلة

وذُكر أنَّ سُكينة كانت مزَّاحة ، فلسعتها دَبْرة ـ وهى النحلة ـ فولولت ، فقالت لها أُمها : مالك يا سيدتى قد جزعت ؟ فضحكت وقالت : لسعتْنى دُبيرة ، مثل الأُبيرة ، فأوجعتنى قُطيرة .

نادرة لأشعب معها

وحَكى إبراهيم بن المهدىّ قال : لما ولاّنى الرشيدُ دِمشق استوهبتُ منه صُحبة : دنية ، وعُبيدة[2] بن أشعب ، والغاضرىّ[3] ، وحكم الوادى ، فوهَبهم إلىَّ . فكان ممّا حدثنى به عُبيدة قال : قال إبراهيم : ركبتُ حمارَة وهو عَديلى ، ونمتُ

---

(١) مرذولتها ، أى دونها . وفى بعض أصول الأغانى : « تختار عليها » مكان « مرذولتها » .

(٢) فى غير التجريد : « شعيب » .

(٣) فى غير التجريد : « والعامرى » .

على ظهرها . فلما بلغنا ثنيّـة العُقاب اُشتد علىّ البرد واُحتجت إلى أن أزداد فى فى الدِّثار ، فدعوت بدُوّاج سَمُّور(1) فألقيتُه على ظَهرى ، ودعوتُ بمن كان فى سَمرى تلك الليلة فـكانُوا حولى ، فقلت لابن أشعب : حدِّثنى مِن أعجب ما تعلم مِن طمع أبيك . فقال : أعجبُ مِن طمع أبى طمعُ اُبنـه . فقلت : وما طمعك ؟ قال : دعوتَ آنفاً لمـا اُشتدّ عليك البرد بدُوّاج سَمُّور لتستدفىء به ، فلم أشُكّ فى أنك دعوت به لتخلَعه علىّ . فغلبنى الضحك ، وخلعتُ عليـه الدُّواج . فقلتُ : ما أحسب لك قرابة بالمدينة ؟ فقال : اللهم غفراً ، لى بالمدينة قرابات وأىّ قرابات . فقلت : أيكونون عشرة . قال : وما عشرة ! قلت : فعشرون ؟ قال : اللهم غفراً ، لا تذكُر العشرات ولا المئين وتجاوزْ ذكر الألوف إلى ما هو أكثر منهـا . قلت له : ويحك ! ليس بينك وبين أشعب أحد ، كيف يكون هذا ؟ فقال : إن زيد ابن عمرو بن عثمان بن عفـان تزوّج سُـكينة بنت الحُسين ، فخفّ أبى على قلبها فأحسنت إليه ، فكانت عطاياها خلافَ عطايا مولاها ، فمال إليها بكُلّيته . قال : وحَج سليمان بن عبد الملك ، فاُستأذن زيد بن عمرو سُـكينة وأعلمها أنها أول سنة حج فيها الخليفة ، وأنه لا يُمكنه التخلّف عن الحج معه . وكانت لزيد ضَيعة يقال لها: العَرج ، وكانت له فيها جوار ، فأعلمته أنها لاتأذن له إلا أن يُخرج أشعبَ معه فيكون عيناً لها عليه ، ومانعاً له من العُدول إلى العَرج ، ومن اتخاذ جارية لنفسه فى بَدأته ورجعته . ففرح بذلك وأخرج أشعب معه ، وكان له فرس كثير الأوضاح حسن المنظر يصونه عن الركوب إلا فى مُسايرة خليفة أو أمير أو يوم زينة ، وسَرْج يصونه لا يركب به إلا ذلك الفرس ، وكان معـه طِيب لا يتطيّب به إلا ذلك اليوم الذى يركب فيه ، وحُلة موشية يصونها عن اللبس إلا فى يوم يحب التجمل فيه بها . فحجّ مع سليمان ، وكانت له عنده حوائج كثيرة ، فقضاها ووصله فأجزل

(1) الدواج : ضرب من الثياب . قال ابن دريد : لا أحسبه عربياً . والسمور : دابة تسوى من جلودها فراء غالية الأثمان .

صلته . وانصرف سليمان من حجّه ولم يسلك طريق المدينة ، فنزل على ماء لبنى عامر ابن صعصعة ، ودعا زيد بن عمرو أشعبَ وأحضره وصرّ صُرة فيها أربعمائة دينار ، وأعلمه أنه ليس بينه و بين العَرج إلا أميال ، وأنه إن أذن له فى المَصير إليها والمبيت عندجواريه غَلّس إليه فوافاه وقتَ ارتحال الناس وهب له الأربعمائة الدينار . فقبّل يَده ورجلَه ، وأذِن له فى المصير إلى حيث أحبّ ، وحلف له أنه يحلف لسُكينة بالأيمان المُحرجة أنه ما صار إلى العرج ولا اتخذ جارية منذ فارق سكينة إلى أن رجع إليها . فدفع إليه مولاه الدّنانير ومضى . فلم يتوهّم أن مولاه سار نصفَ ميل حتى رأى فى الماء الذى كان عليه رَحل زيد جاريتين معهما قِربتان . فألقتا القربتين وألقتا ثيابَهما عنهما ورَمتا أنفسهما فى الغَدير وعامتا فيه . فرأى من مُتجرّدهما ما استحسنه . فسألهما عندخُروجهما عن الماء عن نَسبهما ، فأعلمتاه أنهما من إماء نِسوة خُلوف لبنى عامر بن صَعصعة ، هُنّ بالقرب من ذلك الغدير . فسألهما : هل يسهل على مولياتهما محادثةُ شيخ حَسن الخُلق ، طَيّب العشرة ، كثير النوادر ؟ فقالتا : وأنّى لهن بمن هذه صفتُه ؟ فقال لهما : أنا ذاك . قالتا : فانهض معنا . فوثب إلى فرسَ زيد فأسرجه بسَرجه الذى كان يُسرجه به و يركبه ، ودعا بحُلة زَيد التى كان يَضنّ بلبسها . وأحضر السّفط الذى كان فيه طِيبُه فتطيّب به ، وركب الفرس ، ومضى معهما حتى وافى الحيّ ، فأقام فى مُحادثة أهله إلى قُرب وقت صلاة العصر . فأقبل فى ذلك الوقت رجالُ الحيّ ، وقد انصرفوا غانمين من غَزاتهم ، وأقبلت تَمُر به الرّعلة[1] بعد الرّعلة ، فيقفون به و يقولون : من الرجل ؟ فينتسب فى نَسب زيد . فيقول كُل من اجتاز به : ما نرى بأساً ، و ينصرفون عنه ، إلى وقت غروب الشمس . فأقبل عليه شيخ فانٍ ، على حِجْرٍ[2] هَرمٍ هزيل ،

---

(١) الرعلة : القطعة من الخيل .

(٢) الحجر : الفرس الأنثى خاصة .

ففعل ما كان يفعل من أجتاز به ، وسأله مثل ما كانوا يسألونه ، فأخبره مثلَ ما كان يُخبر به من تقدّمه . فقال مثل قولهم . قال أشعب : ثم رأيت الشيخ قد وقف بعد قوله ، فأوجستُ منــه خيفةً ، لأنى رأيتُه قد جعل يده اليسرى تحت حاجبيه فرفعهما ، ثم أستدار ليرى وجهى . فركبتُ الفرسَ ، فما أنا إلا أن استويتُ على ظهره حتى سمعتُه يقول : أُقسم بالله ماهذا قُرشىّ ، وما هو إلا وجه عَبد ! فركضتُ ورَكض خلفى ، فرأى حِجْره مُقصِّرةً عن فرسى . فلما يئس من اللَّحاق بى انتزع سهماً فرَمانى به ، فوقع فى مُؤخَّرة السَّرج فكسرها ، ودخلنى من صوته رَوعة ثَلِطت[1] لها فى الحُلة . ووافيت رَحْل مولاى ، فغسلتُ الحُلة ونشرتها ، فلم تجفَّ ليلاً . وغَلَس مولاى من العَرج فوافانى فى وقت الرحيل ، فرأى الحُلة منشورة ، ومؤخرة السرج مكسورة ، والفرس قد أضرّ بها الركض ، وسَفَط الطيب مكسور الختم ، فسألنى عن السبب ، فصدقتُه . فقال : أما كفاك ماصنعت بى حتى أنتسبتَ فى نَسبى فجعلتَنى عند أشراف قوم من العرب جَمّاشاً[2] . وسكت عنّى ولم يقُل : أحسنت ولا أسأت ، حتى وافينا المدينة . فلما وافيناها سألتْه سُكينة عن خبره . فقال لها : يابنت رسول الله ، ماسؤالك إياى ولم يزل ثقتُك معى ، وهو أمين علىّ ، فاسأليه عن خبرى يصدُقك عنه . فسألتْنى فأخبرتُها أنى لم أنكر عليه شيئاً ، ولم أُمكِّنه من اتباع جارية ، ولم أطلق له الأجتياز بالعَرج . فاستحلفتنى على ذلك . فلما حلفتُ لها بالأيمان المُحرجة و بالطلاق ، وثب زيد فوقف بين يديهـا وقال : أىْ بنتَ عمّ ، و يا بنت رسول الله ، كذبك والله العِلج ، وقد أخذ منى أربعمائة دينار على أن يأذن لى فى المَصير إلى العَرج ، فأقمتُ بها يوماً وليلة ، وغَسّلت[3] بها

---

(١) ثلط : سلح . وفى غير التجريد : « أحدثت » . وهى بمعناها .

(٢) الجماش ، الذى يعرض للنساء بالغزل .

(٣) غسل : جامع .

عدةً من جوارى ، وها أناذا تائب إلى الله تعالى ممّا كان منى ، وقد جعلتُ تو بتى هِبتَهن لك ، وتقدّمت فى حَملهن إليك ، وهن مُوافيات المدينة فى عشية هذا اليوم ، فبَيعُهن وعِتقهن إليك ، وأنتِ أعلم بما تَرَين فى العَبـد السَّوء . فأمرتنى بإحضار الأربعمائة الدينار . فلما أحضرتُها أمرت بأبتياع خشب بثلثمائة ديناراً ، ثم أمرت بنشره ، وليس عندى ولا عند أحد من أهل المدينة عِلْم بما تريده فيه ، ثم أمرت بأن يُتخذ بيت كبير ، وجعلت النفقة عليه فى أُجرة النجّارين من المـائة الدينار الباقية ، ثم أمرت بابتياع بيض وتِـبن وسَرجين[1] بما بقى من المائة الدينار بعد أُجرة النجّارين ، ثم أدخلتنى البيتَ والبيض والتبن والسرجين ، وحلفت بحقّ جدّها ألَّا أخرج من ذلك البيت حتى أحضن ذلك البيض كُله إلى أن يفقس . ففعلت ذلك ، ولم أَزل أحضنه حتى خَرج منه أُلوف الفراريج ، ورُبِّيتْ فى دار سُكينة . وكانت تنسُبهن إلىّ وتقول : بنات أشعب .

قال : و بقى ذلك النَّسل فى أيدى الناس إلى الآن ، وكلهم إخوتى وأهلى .

قال إبراهيم بن المهدى : فضحكت والله حتى غُلبت ، وأمرت له بعشرة آلاف درهم ، فحُملت بحَضرتى إليه .

أزواجها

وذُكر أن سُكينة بنت الحُسين تزوّجت عدة أزواج ، أولهن : عبـد الله ابن الحسن بن على بن أبى طالب ، وهو ابن عمها ، وأبو عُذرتها ؛ و يحيى بن الحسن أخوه ، ومُصعب بن الزبير بن العوام ، جمع بينهـا و بين عائشة بنت طلحة بن عبد الله ، وعبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حَـكيم بن حِزام ، وزيد بن عمرو ابن عُثمان بن عفّان ؛ والأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان ، ولم يدخل بها ، و إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف ، ولم يدخل بها .

صداق مصعب لها

وذُكر أن مصعباً أصدقها ألفَ ألفِ درهم ، وحَملها إليه أخوها علىّ بن الحُسين ، فأعطاه أربعين ألف دينار .

(١) السرجين ، بالفتح والكسر : ما تدمل به الأرض . معرب .

زواجها من مصعب وبنتها منه

وقالت سكينة : دخلتُ على مُصعبْ وأنا أحسن من النار المُوقدة فى الليلة القَرة .

وولدتْ من مصعب بنتاً سمّتها الرباب ، باُسم أمها .

فحكت سُعدة بنت عبد الله بن سالم قالت : لقيتُ سُكينة بين مكة ومِنى ، فقالت : يابنت عبد الله . فوقفتُ ، فكشفتْ لى عن بِنتها من مصعب ، فإذا هى أثقلتها باللؤلؤ . فقالت : ما ألبستُها إياه إلا لتَفضحه[1] .

زواج الرباب من عثمان بن عروة وموتها عنه

وقيل : لما قُتل مصعب وَلى عروةُ بن الزبير أخوه تركَته ، فزوّج عروةُ الربابَ بنت سُكينة هذه اُبنَه عُثمان بن عروة . فماتت الرّباب وهى صغيرة ، فورّثها عثمان بن عُروة عشرة آلاف دينار .

قضاء ابن أبى ربيعة بينها وبين عائشة

وذُكر أن سُكينة قالت لعائشة بنت طلحة : أنا أجمل منك ! فقالت عائشة : بل أنا أجمل منك ! فاختصمتا إلى عُمَر بن أبى ربيعة ، فقال : لأقضينّ بينكما : أما أنت يا سُكينة فأملح منها ، وأمّا أنت يا عائشة فأجمل منها . فقالت سكينة : قضيتَ لى والله . وكانت سُكينة تسمِّى عائشة : ذات الأُذنين . وكانت عظيمةَ الأُذنين .

خطبها عبد الملك فردته أمها

وذُكر أن عبد الملك بن مروان خَطب سُكينة ، فقالت أمها : لا والله لا يتزوّجها أبداً ، وقد قَتل ابن أختى . تعنى مصعباً .

قلت :

وقد تقدمت لسُكينة أخبار مع الشعراء وغيرهم . أعادها أبو الفرج فى أخبار سكينة ، فتركت ذكرها خوفَ الإطالة .

وفاتها وما كان من خالد بن عبد الملك

وتُوفيت سكينة ووالى المدينة خالدُ بن عبد الملك ، فأرسلوا إليه فآذنوه بالجنازة . وذلك فى أول نهار من يوم فيه حرٌّ شديد . فأرسل إليهم : لا تُحدثوا حدثاً حتى أجىء فأصلى عليها . فوُضع النعش فى موضع المصلَّى على الجنائز ، وجلسوا ينتظرونه

(١) تريد أنها تفضح الحلى بحسنها ، لأنها أحسن منه .

حتى جاءت الظهر . فأرسلوا ، فقال : لا تحدثوا شيئاً حتى أجيء . فجاءت العصر ، فلم يزالوا ينتظرونه حتى صُليت العتمة . كل ذلك يرسلون إليـه فلا يأذن لهم . ومكث الناس جلوساً حتى غلبهم النعاس وقاموا . فأقبلوا يصلُّون عليها جمعاً بعـد جمع وينصرفون ، وإنما أراد خالد أن تُنتن .

فلم يصلَّ على أحد بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلم بغير إمام إلا سُـكينة .

وقال زين العابدين أخوها ـ رضى الله عنه ـ : رحم الله من أعان بطِيب . وأُتى بالمَجامر فوُضعت حول النعش ، ونهض الدِّيباج المذهب ابن أختها فاطمة بنت الحسين ، وهو محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فاشترى بأربعمائة دينار عُوداً وسجَّره حول السرير حتى أصبح وقد فرغ منه . وأرسل إليهم خالد : صلّوا عليها وادفنوها . فصُلّى عليها ودفنت .

وذكر أن الذى اشترى العود عبد الله بن الحَسن .

(١) سجره : أوقده .

أخبار الفضل بن العباس

نسبه

هو الفَضل بن العبّاس بن عُتبة بن أبى لَهَب — واسم أبى لهب عبد العُزى — ابن عبد المُطلب بن هاشم بن عَبد مَناف .

شىء عنه

وهو أحدُ شُعراء بنى هاشم المذكورين وفُصحائهم ، وكان شديدَ الأُدمة . وهو هاشمىّ الأبوين : أمه بنت العبّاس بن عبد المطلب . وإنما أتاه السواد من قِبل جَدته ، كانت حبشيّة .

زواج جده من بنات الرسول وحديث ذلك

وكان النبىّ صلّى الله عليه وسلم زَوَّج إحدى بناتِه عُتبةَ بن أبى لهب ، فلمّا بعثه الله سُبحانه وتعالى عاداه عمُّه أبو لهب من دون بنى هاشم وظاهر عليه ، وكذلك أمرأة أبى لهب حمّالة الحَطب ، وهى أم جَميل بنت حَرب بن عبد شمس ، أُخت أبى سُفيان . فأقسمت أُم جميل على أبنها عُتبة أن يُطلق أبنة النبىّ صلّى الله عليه وسلم . فوقف عليه وقال : أُشهد مَن حضر أنى قد كفرتُ بربك وطلّقت أبنتك . فدعا عليه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يبعث عليه كَلْباً من كِلابه يَقتله . فبعث الله عز وجل عليه أسداً فافترسه .

وتزوَّج أبنةَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد عُتبة: عُثمان بن عفّان — رضى الله عنه .

تعقيب لابن واصل

قلتُ : الذى رُوى أنّ رُقية وأم كلثوم كانتا متزوِّجتين لعُتبة وعُتيبة ، أبنى أبى لهب ، فلما جاء الإسلام أمرهما أبوهما بطلاق أبنتى النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم ، فطلّقاها . فتزوَّج عُثمان — رضى الله عنه — رقية أولاً ، ثم توفيت والنبىُّ صلى الله عليه وسلم ببدر ، فلذلك تأخّر عثمان — رضى الله عنه — عن بدر حتى واراها .

ثم تزوّج عثمان — رضى الله عنه — أُختها أم كُلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم، فماتت أيضاً عنده . وتزوّج أبو العاصى بن الربيع زينبَ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتزوج علىّ رضى الله عنه فاطمة ، وتُوفيت بعد أبيها صلى الله عليه وسلم . وسائر بناته تُوفين فى حياته ، رضى الله عنهن .

مقتل عتبة

وذُكر أنّ عُتبة بن أبى لهب جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أُنزل عليه (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) . فقال : أنا أكفُر برب النّجم إذا هوى . فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : اللهم أرسل عليه كلباً من كلابك . قال اُبن العبّاس : فخرج عُتبة إلى الشام فى ركب ، فيهم هَبّار بن الأسود ، حتى إذا كانوا بوادى الغاضرة — وهى مَسْبعة — نزلوا ليلاً فافترشوا صفّاً واحداً ، فقال عُتبة بن أبى لهب : أتُريدون أن تجعلونى حَجزة ، لا والله لا أَبيتُ إلّا وَسْطَكم . فبات وسطهم . قال هَبّار : فما أَنبهنى إلا السَّبع يَشَم رءوسهم رجلاً رجلًا حتى اُنتهى إليه فأنشب أنيابَه فى صُدْغيه . فصاح : أىْ قوم ، قَتلنى ، قتلني ! فأمسكوه . فلم يلبث أن مات فى أَيديهم .

بين الفضل وبين الأحوص

وذُكر أنّ الفَضل بن العبّاس بن عُتبة بن أبى لهب مَرَّ بالأحوص وهو يُنشد، وقد اُجتمع الناس عليه ، فَحسده . فقال له : يا أحوص ، إنك لشاعر ، ولكنّك لا تَعرف الغَريب ولا تُعرب . فقال : بلى والله ، إنى والله لأَبصر الناس بالغَريب والإعراب ، فأسألك ؟[1] قال : نعم :

ما ذاتُ حَبل يراها الناسُ كُلهمُ ... وسطَ الجَحيم فلا تَخْفَى على أحدِ
كُل الحِبال حِبال الناس من شَعَر ... وحَبلها وَسْط أهل النار من مَسَد

فقال له الفضل بن العباس :

(١) فى غير التجريد : « أفتسمع » .

ماذا أردت إلى شَتمى ومَنقَصتى وما[1] أردتَ إلى حَمّالة الحَطَبِ

ذكرتَ بنتَ قُرومٍ سادةٍ نُجُبٍ كانت حليلةَ شيخٍ ثاقبِ النَّسب

فانصرف عنه .

بينه وبين الحزين الدئلى

وذُكر أن الحزين الدُّئلىّ مَرّ بالفضل يوم جُمعة ، وعنده قومٌ يُنشدهم ، فقال له الحزين : أتُنشد الشعر والناس يروحون إلى الصلاة ! فقال له الفضل : ويلك ياحزين ! أتتعرَّض لى كأنك لا تَعرفنى ! قال : بلى والله ، إنى لأعرفك ويَعرفك معى كل من قرأ سورة (تَبَّتْ يَدَا أبى لهبٍ) . وقال يهجوه :

إذا ما كنت مُفتخراً بجَدّ فعرِّج[2] عن أبى لَهَب قليلَا

فقد أخزى الإله أباكَ دهراً وقلّد عِرْسه حَبلًا طَويلا

فأعرض عنه الفضلُ وتكرّم عن جوابه . وكان الحزين مُغْرًى به وبهجائه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الفضل اللِّهبى ، هو :

وأنا الأَخضر[3] مَن يعرفنى أخضر الجِلْدة من نَبت[4] العَربْ

مَن يُساجلْنى يُساجلْ ماجداً يملأ الدَّلو إلى عقد[5] الكَرب

إنما عبدُ مَنافٍ جَوهرٌ زيّن الجوهرَ عبدُ المُطَّلب

كُل قوم صيغةٌ من[6] فضة وبنو عبد منافٍ من ذَهَب

نحن قوم قد بَنَى الله لنا شَرَفاً فوق بُيوتات العَرب

بنبىّ الله وابنى عمِّه وبعبّاسِ بن عبد المُطّلب

(١) فى غير التجريد : « مادا » : (٢) فى غير التجريد : « ففرح » .

(٣) الأخضر : الأسود . (٤) فى غير التجريد: « فى بيت » .

(٥) الكرب : حبل يشد فى طرف الرشاء إلى عرقوة الدلو ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعفن الرشاء .

(٦) فى غير التجريد : « تبرهم » مكان « فضة » .

أخبار المهاجر بن خالد (*)

نسبه

هو المُهاجر بن خالد بن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن [1] عمر بن مَخزوم ابن يَقَظة بن مُرة بن كعب بن لُؤىّ بن غالب .

شيء عن جده

وكان جدُّه الوليد بن المُغيرة سيّداً من سادات قريش ، وجواداً من أجوادها. وكان يلقَّب بالوَحيد . وأُمه صخرة بنت الحارث بن بَجيلة . ولما مات الوليدُ ابن المُغيرة أرَّخت قريشٌ بوفاته ، لإعظامها إيَّاه ، ثم أرَّخوا بعام الفيل .

قلت :

تعقيب لابن واصل

هكذا حكاه أبو الفرج . وهذا من أعظم الغَلط ، فإنه يَقتضى أنّ الوليد ابن المُغيرة تقدَّم على الفيل ، وليس كذلك ، فإن الوليد أدرك النبيَّ صلّى الله عليه وسلم . وكان من رءوس الكفَّار المُشركين المُعاندين ، وفيه نزل قوله تعالى: (ولا تُطع كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) . وما أظن أن هذا غلطاً وقع من النسَّاخ ، ولعل الذى أرَّخت قريش بموته إنما هو أبوه .

شيء عن أبيه

قال أبو الفرج :

وخالد بن الوليد من الشُّهرة بصُحبة النبيِّ صلّى الله عليه وسلم والغَناء فى حُروبه المحلُّ المشهور . ولقّبه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سيفَ الإسلام . وهاجر إلى

(*) وقبل أخبار المهاجر عقد أبو الفرج فصلا قصيراً ذكر فيه خبر من لم يمض له خبر ولا يأتى ، فى صفحة وبعض صفحة ، ولكن ابن واصل مر عنه ولم يشر إليه .

(1) فى التجريد والأغانى وابن الأثير : « عمرو » وما أثبتنا من جمهرة أنساب العرب (ص ١٣٢) والطبرى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة و بعـد الحُديبية ، هو وعمرو بن العاص ، وعثمان بن طلحة ، فلما رآهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها . وشَهد خالدُ بن الوليد فَتْح مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أوّل مَن دخلها فى مُهاجرة العرب ، من أسفل مكة . وشهد غزوة مُؤتة . فلما قُتل ز يد بن حارثة ، وجَعفر بن أبى طالب ، وعبـد الله رَواحة ــ رضى الله عنهم ــ ورأى خالدُ بن الوليـد ــ رضى الله عنه ــ أن لا طاقة للمُسلمين بالقوم انحـاز بهم وحامَى عنهم حتى سَلِموا ، فيومئذ لقّبه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : سيفَ الله . وكان يَومَ حُنين فى مُقَدِّمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه بنو سُليم ، فأصابته جراحٌ كثيرة ، فأتاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد هزيمة المُشركين فنفث على جراحه فا ندملت .

ولخالد بن الوليد آثارٌ جميلة فى قتال أهل الرِّدة فى خلافة أبى بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ مشهورة يطُول ذكرها .

ولما نازل الحيرةَ بعث إليه أهلُها بعبد المسيح بن عمر بن نُفيلة ، فقال له خالد : من أين أقبلت ؟ قال : من ورائى . فقـال : فأين تريد ؟ قال : أمامى . قال : ابن كم أنت ؟ قال : رجل وامرأة . قال : فأين أقصَى أثرك ؟ قال : مُنتهى عمرى . قال : أتعقل ؟ قال : نعم وأقيِّد . قال : ما هذه الحصون ؟ قال : بَنيناها نتقى بها السّفيه حتى يَردعه الحليم . قال: لأمرٍ ما اختارك قومك، ماهذا فى يدك ؟ قال: سُمّ ساعة . قال : وما تصنع به ؟ قال : أردت أن أنظر ما تردّنى به ، فإن بلغتُ ما فيه لقومى صـلاح عدت إليهم وإلّا شربتُـه فقتلتُ نفسى ولم أرجع إلى قومى بما يكرهون . فقال له خالد : أرِنيـه . فناوله إياه . فقال خالد : باسم الله الذى لايَضُر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ، ثم أكله ، فتجلّلته غشية، ثم أفاق فمسَح العرق عن وجهه . فرجع عبدالمسيح إلى قومه فأخبرهم بذلك ،

وقال : ما هؤلاء القوم إلا من الشياطين ، وما لكم بهم طاقة ، فصالِحوهم على ما يريدون . ففعلوا .

ورُوى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم أنه حلق رأسَه ذات يوم ، فأتاه خالدُ ابن الوليد فأخذ شَعره فجَعله فى قَلَنسوة له ، فكان لا يَلقى جيشاً وهى عليه إلا هزمه .

وذُكر أنّ عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ كان أشبهَ الناس بخالد بن الوليد ، فخَرج عُمر سَحَراً ، فلقيه شَيخ فقال : مرحباً أبا سُليمان . فنظر إليه عُمر ، فإذا هو عَلقمة بن عُلاثة ، فردّ عليه السلام . فقال له علقمة بن عُلاثة : عَزلكَ عُمر بن الخطاب . فقال له عمر : نعم . فقال : ما شَبِع ، لا أشبع الله بطنه ! قال له عمر : فما عندك ؟ قال : ماعندى إلا السّمع والطاعة . فلما أصبح دعا عُمر بخالد ، وحَضره علقمة ابن عُلاثة ، فأقبل على خالد فقال له : ماذا قال لك عَلقمة ؟ قال : ما قال لى شيئاً . قال : أصدُقنى . فحلف حَلفة بالله مالقيه ولا قال له شيئاً . فقال له عَلقمة : حِلاًّ أبا سليمان . فتبسّم عُمر ــ رضى الله عنه . فعلم خالد أنّ عَلقمة قد غَلط ، وفطن علقمة ، فقال : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، فاعف عنى عفا الله عنك . فضحك عمر ، وأخبره الخبر .

ولما توفى خالد لم تبق امرأة من بنى المُغيرة إلا وضعت لِمّتها على قَبره ــ يعنى حلقت رأسها ووضعت شعرها على قبره ــ وقال عمر ــ رضى الله عنه ــ حينئذ : دعوا نساء المُغيرة يبكين أبا سُليمان ويُرقن من دُموعهن سَجْلاً أو سَجْلين ، ما لم يكن نَقع أو لَقلَقة[1] .

قلت : هذا يدُل على أن خالداً مات بالمدينة وقبره بها ، وهو خلاف المشهور أن قبره بظاهر حمص .

---

(١) النقع : مد الصوت بالنحيب . وقيل : النقع : أصوات الخدود إذا ضربت . واللقلقة : حركة اللسان بالولولة .

كيد ابن الزبير بالمهاجر

وذُكر أنّ المُهاجر بن خالد بن الوليد كان مائلاً إلى علىّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وحَضر معه صِفّين ، وكان أخوه عبد الرحمن بن خالد على خلاف رأيه ، كان مع مُعاوية بن أبى سُفيان . ولما جاءت فِتنة عبد الله بن الزُّبير دخل خالدُ بن المُهاجر بن خالد مع بنى هاشم الشّعب ، وكان معهم عَلَى ابن الزبير ، واضطغن ابنُ الزبير ذلك عليه ، فألقى زقّ خمر وصَبَّ بعضه على رأسه وشنّع عليه بأنّه وَجده ثمِلاً من الخمر ، وضَربه الحَدّ .

حديث قتله ابن أثال

وذُكر أن مُعاوية بن أبى سُفيان لما أراد أن يُظهِر العَقد بولاية العهد لابنه يزيد ، قال لأهل الشام : إن أمير المؤمنين قد كَبرت سنُّه ، ورَقّ جلده ، ودَقّ عظمه ، واقترب أجله ، ويُريد أن يستخلف عليكم ، فمن ترون ؟ فقالوا : عبدالرحمن ابن خالد بن الوليد . فسكت وأضمرها فى نفسه ، ودسّ ابنَ أثال الطبيب ـ وكان نصرانيًّا ـ إلى عبد الرحمن ، فسَقاه سُمًّا فمات . وبلغ ابنَ أخيه خالدَ ابن المهاجر خبرُه ، وهو بمكة . وكان سيء الرأى فيه ، لِمَا ذكرنا من ميله ومَيل أبيه إلى علىّ رضى الله عنه ، وأن عبد الرحمن كان على رأى أهل الشام . فمر عُروة ابن الزبير بن العوام بخالد بن المُهاجر ، فقال : يا خالد ، أتدع ابنَ أثال بقىء أوصال عمّك بالشام وأنت بمكة مُسبل إزارك تجرّه وتخطِر فيه مُتخايلاً ! فحَمِى خالد لذلك ودعا مولًى له يقال له : نافع ، فأعلمه الخبر ، وقال له : لا بُدّ من قتل ابن أثال . وكان نافع جَلداً شهماً . فخرجا حتى قَدِما دمشق ، وكان ابنُ أثال يُمسى عند معاوية بن أبى سُفيان ، فجلس له فى مسجد دمشق إلى أسطوانة ، وجلس غلامُه إلى أخرى ، حتى خرج ابنُ أثال . فقال خالد لنافع : إياك أن تعرض له أنت ، فإنى أضربه ، ولكن احفظ ظهرى ، واكفِنى مَن ورائى ، فإنْ رابك شيء يُريدنى من ورائى فشأنك . فلما حاذاه وثب إليه خالد فقتله ، وثار إليه مَن كان معه ، فلما غشَوْهما حملا عليهم فتفرّقوا . ودخل خالد ونافع زُقاقاً ضيّقاً

ففاتا القوم . و بلغَ معاويةَ الخبرُ ، فقال : هذا خالد بن المُهاجر، أقلبوا الزُّقاق الذي دخل فيــه . فُفُتِّش عليه فأُتى به . فقال : لا جزاك الله من زائر خيراً ! قتلتَ طَبيبي ! قال : قتلتُ المأمورَ و بقي الآمر . قال : عليك لعنة الله ! أما والله لو كان تَشهّد مرةً واحدة لقتلتُك به . أمعك نافع ؟ قال : لا . قال : بلى والله ، ما اجترأتَ إلا به . ثم أمر بطلبه ، فوُجِد ، فأُتى به فضرب به مائة سوط . ولم يهج خالدَ ابن المُهاجر بشيء أكثر مِن أن حَبسه ، وألزم بنى مخزوم دِيَةَ ابن أثال اثنى عشر ألف درهم . فقال المُهاجر فى المجلس أبياتاً منها :

ما بالُ ليلك ليس يَنقُـ ـص طولَه طولُ النهــارِ
لتقــاصُر الأزمانِ أم غَرِضَ[1] الأسيرُ من الإسار

فرقّ له معــاوية فأطلقه . فرجع إلى مكة ، فلمــا قدمِها لقى عُروة بن الزبير فقال له : أمّا ابن أثال فقد قتلته ــ وذاك ابن جُرموز ــ يعنى قاتل الزبير ــ رضى الله عنه ــ يقىء أوصال الزبير بالبَصرة ، فاقتــلُه إن كنت ثائراً . فشكاه عُروة إلى أبى بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، فأقسم عليه أن يُمسك عنه ، ففعل .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيـــه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبــار المُهاجر بن خالد ابن الوليد ، هو :

رُبَّ ليلٍ[2] ناعِمٍ أحييتهُ فى عَفاف عند قَبّاء[3] الحَشى
ونهـــارٍ قد لهونا بالتى لا نَرى شِبْهاً لها فيمن مَشى
لطُلوع الشمس حتى آذنت بغُروبٍ عند إبّان[4] العَشا

---

(١) غرض : مل وسئم .
(٢) فى التجريد : « يوم »
(٤) قباء الحشى : ضامرة البطن . يصف محبوبته .
(٤) فى غير التجريد : « لغروب أنت تهوى من تشا » .

أخبار حمزة بن بيض الحنفيّ

شيء عنه

إسلاميّ من شُعراء الدَّولة الأَموية . خَليع ماجن ، من فُحول طبقته . كان مُنقطعاً إلى آل المُهلَّب بن أبى صُفرة ، وولدِه ، ثم إلى أبان بن الوليد ، و بلالِ بن أبى بُردة بن أبى موسى الأشعرى ، فاكتسب من هؤلاء مالاً عظيماً ، ثم لم يُدرك الدولةَ العباسية .

وفوده على بلال ابن أبى بردة

وذُكر أنّه قَدِم حمزةُ بن بيض على بلالِ بن أبى بُردة ، فلمّا وَصل إلى بابه قال لحاجبه : اُستأذن لحَمزةَ بن بيض الحِنفى . فدخل الغُـلام إلى بلال ، فقال : حمزة بن بيض بالباب . وكان بلال كثير المزح معه ، فقال : اخرُج إليه فقل له : حمزة بن بيض اُبنُ مَن ؟ فقال له الحاجب ذلك . فقال : اُدخل إليـه فقل له : الذى جئتَ إليه إلى بنيان[1] الحَمام وأنت أمرد تسأله أن يَهب لك طائراً . فشَتمه الحاجب . فقال له : ما أنت وذاك ! بعثتُك برسـالة فأخبرْه بالجواب . فدخل الحاجب وهو مُغضَب . فلمـا رآه بلال ضحك ، وقال : ما قال لك ! قَبحه الله ! قال : ما كنتُ لأخبر الأمير بما قال . فقال : يا هذا ، أنت رسول فأدِّ الجواب . فأبَى . فأقسم عليه حتى أخبره . فضحك حتى فحص برجليه ، وقال له : قد عرفنا العلامة فاُدخل . فدخل ، فأَكرمه ورفع مجلسه ، وسَمع مديحَه ، وأَحسن صِلَته . وأراد بلالٌ بقوله : « اُبن بيض اُبن من » قولَ الشاعر فيه :

أنت اُبنُ بيض لعمرى لستُ أُنكره ... وقد صـدقتَ ولـكن من أبو بيض

---

(١) فى التجريد : « بنار الحمام » .

وفوده والكميت على ابن المهلب

وذُكر أنه قَدم حمزةُ بن بِيض على يزيدَ بن المُهلَّب ، وعنده الكُميت ، فأنشده قولَه :

أتيناكَ فى حاجةٍ فاقْضِها وقُل مرحبًا يَجِب المَرحبُ
ولا تَكِلَنَّا إلى مَعشرٍ متى يَعِدُو عِدةً يكْذِبُوا
فإنك فى الفَرْع من أُسرة لهم خَضَع الشَّرْقُ والمَغرب
بلغتَ لعَشْرٍ مضتْ مِن سِنيك ما يبلُغ السَّيدُ الأَشيب
فهَمُّك فيها جِسامُ الأُمور وهَمُّ لِداتك أن يَلْعبوا
وجُدتَ فقلتَ ألَا سائلٌ فيُعْطَى ولا راغبٌ يَرغب
فمِنك العطيّةُ للسائلين وممن ينوبك أن[1] يَطْلُبوا

فأمر له بمائة ألف درهم . فقَبضها . وسأله حوائجه ، فأخبره بها . فقضاها له أجمع . فَحسده الكُميت ، فقال له : يا حمزة ، أنت كمُهدى التَّمر إلى هَجر ، قال : نعم ، ولكن تَمرنا أطيب من تَمر هَجَر .

نزوله بقوم لم يحسنوا ضيافته

وذُكر أنّ ابن بِيض خَرج فى سَفر فنَزل بقوم ، فلم يُحسنو ضيافَتَه وأتوه بخُبز يابس ، وألقوا لبَغلته تِبنًا . فأعرض عنهم وأقبل على بغلته ، فقال :

أُحْسبيها ليلةً[2] أدلجتُها فكُلى إن شئتِ تِبنًا أو ذَرِى
قد أتى ربَّك خبزٌ يابس فتعَشَّى فتمشَّىْ واصبِرِى

هو والفرزدق

وذُكر أنّ حمزة بن بيض قال للفرزدق : أيُّما أحبُّ إليك : أن تدخل بيتك فتجد رجلاً قابضاً على حِرِ امرأتك ، أو تجدها قابضة على أيره ؟ فقال : كلام لا بُد له من جواب والبادىء أظلم ، بل أجدها قابضة على أيره قد أغبَتّه[3] عن نفسها .

---

(١) لم يرد هذا البيت فيما بين أيدينا من أصول الأغانى . (٢) الإدلاج : سير الليل كله .
(٣) أغبته ، أى غيبته وأبعدته وكأنها لم تفطن له .

مدحه ابن المهلب وهو في الحبس

وذُكر أنّ حمزة بن بيض دخل على يزيدَ بن المُهلّب ، وهو في حبس عمر ابن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ وأنشده قولَه :

أُصبح في قيدك السماحةُ والحا   ملُ للمُعضلات[1] والحَسبُ

لا بَطِرٌ إنْ تتابعت نِعَمٌ   وصابرٌ في البلاء مُحتسب

فقال : ويحك ! أتمدحني حتى على هذه الحال ! قال : نعم ، لئن كُنتَ هكذا لطالما أثبتَ[2] على الثناء فأحسنتَ الثواب والرِّفد ، فهل بأسٌ أن نُسلفك . قال : أمّا إذ جعلتَه سَلفاً فاقنع بما حَضر إلى أن يُمكن قضاء دينك . وأمر غلامَه فدفع إليه أربعة آلافِ درهم . وبلغ ذلك عُمر بن عبد العزيز ، فقال : قاتله الله ! يُعطى في الباطل ويَمنع الحق ، يُعطي الشعراء ويَمنع الأمراء .

شعره الذي فيه الغناء

والشعر الذي فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار حمزة بن بيض ، هو :

أقفر بعد الأحبّة البَلدُ   فهو كأنْ لم يكن به أحدُ

شَجاكَ نُؤْيٌ عَفت معالمُه   وهامد في العِراص[3] مُلتبد

(١) في غير التجريد : « للمفضلات » (٢) في غير التجريد : « آتيت » .

(٣) النؤى : حفيرة تكون حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر . والعراص : جمع عرصة ، وهي كل موضع واسع لا بناء عليه .

أخبار كعب بن مالك الأنصارى

نسبه — هو كعب بن مالك بن أبى كعب ــ واسمه عمرو بن القَين ــ بن سوَاد[1] بن غَنم ابن كَعب بن سَلِمة بن سَعد بن علىّ بن أسد بن سارة[2] بن تَزيد[3] بن جُشَم ابن الخَزرج بن الحارث بن ثَعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس ابن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغَوث .

من شعراء النبى صلى الله عليه وسلم — أحد شُعراء أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المَعدودين . وهو بَدرىّ عَقَبِىّ .

شىء عن أبيه — وأبوه مالك بن أبى كَعب شاعر . وله فى الحُروب الكائنة بين الأوس والخزرج الواقعة قبل الإسلام شِعرٌ كثير .

عمه — وعمُّه قَيس بن أبى كَعب شَهِد بدراً أيضاً . وهو شاعر .

من نسله شعراء — وعبد الرحمن بن كعب هذا شاعر . وجاء من ذُرِّيته جماعة كُلهم شعراء ، منهم : الزُّبير بن خارجة بن عبد الله بن كَعب ، ومَعن بن عمرو[4] بن عبد الله ابن كعب ، وعبدالرحمن بن عبدالله أبو الخطّاب ، ومعن بن وهب[5] بن كعب . وكُلهم شاعر مُجيد متقدِّم .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « سوار » بالراء ، تحريف . (انظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٤١) .

(٢) فى التجريد : « شاردة » ، وفى غيره : « ساورة » وكلاهما تحريف . والتصويب من الجمهرة (ص ٣٣٩) .

(٣) فى التجريد وغيره : « يزيد » بالمثناة التحتية ، تحريف . والتصويب من الجمهرة (ص ٣٣٨) .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « عمر » ، تحريف . وانظر الجمهرة : (ص ٣٤١) .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « زهير » . تحريف . وانظر الجمهرة .

من روايته

وعُمِّر كعبُ بن مالك، وَروى عن النبيِّ صلّى الله عليه وسلم حديثاً كثيراً. فممّا رَوى، قال كعب: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُصلى المغرب، ثم يرجع الناس إلى أهاليهم وهم يُبْصرون مواقع النبل حين يَرمون.

كان عثمانيا

وكان كَعبٌ عثمانيًّا. ولما بُويع علىّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ لم يُؤازره ولم يَشهد معه شيئاً من حُروبه. وله مراثٍ فى عثمان ـ رضى الله عنه ـ وتحريض للأنصار على نُصرته قبل قتله، وتأنيب لهم على خِذلانه بعد ذلك.

شعره فى مقتل عثمان

وذُكر أنّ كعب بن مالك شَهر سلاحه يوم الدار فى نُصرة عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ وحارب المِصْريين المُحاصرين له، فلما ناشد عثمان ـ رضى الله عنه ـ الناسَ أن يُغمدوا سيوفهم، انصرف ولم يظُن أن القوم يجترئون على قتله. فلما قُتل وَقف على مجلس الأنصار فى مَسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشدهم:

مَن مُبلغ الأنصارِ عنِّى آيةً ... رُسُلًا تَقُصّ عليهم التِّبيانَا
أنْ قد فَعلتم فَعلةً مَذكورةً ... كَستِ الفُضُوحَ وأبدت[1] الشنآنا
بقُعودكم فى داركم وأميرُكم ... تُحْشَى[2] ضواحى داره النِّيرانا
بينا يُرجِّى دفْعَكم عن داره ... مُلئت حريقاً كابياً ودُخانا
حتى إذا خلصوا إلى أبوابه ... خَلصوا إليه صائماً عطشانا
يَعْلُون قُلّتَه السيوفَ وأنتمُ ... مُستلبثون إخالُكم[3] صُوّانا
الله يعلم أنّنى لم أَرضه ... لكمُ صَنيعاً يوم ذاك وشانا

(١) الفضوح: الاسم من الفضيحة. يريد ألبست العار والفضيحة. والشنآن: الحقد والبغضاء. والذى فى التجريد: «الذلانا». (٢) فى غير التجريد: «يغشى».

(٣) فى غير التجريد: «متلبثون مكانكم رضوانا».

ومنها :

إنّى رأيتُ محمّــــداً اختاره ... صِهراً وكان يَعُدّه خُلْصانا

مَحْضَ الضَّرائب(١) ماجداً أعراقُه ... من خَيرِ خِنْدِف مَنْصباً ومكانا

عرفتْ له عُلْيا معــــدٍّ كلُّها ... بعـــد النبىّ المُلْك والسُّلطانا

مِن مَعشرٍ لا يَغدِرون بجارهم ... كانوا بمكَّة يَرْبعون(٢) زَمانا

يُعطون سـائلهم ويأمن جارُهم ... فيهم ويُرْدُون الكُماة طِعــانا

فلو أنـكم مع نَصركم لنبيّـكم ... يومَ اللقـــاء نَصرتمُ عثمانا

أنسيتم عَهـــد النبىّ إليكمُ ... فلقـد ألظّ(٣) وأكّد الأيمانا

فجعل الأنصار يَبكون ويَستغفرون الله عزّ وجلّ .

شهادة النبى صلى الله عليه وسلم له ولابن رواحة

وذُكر أنّ شُعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ، وهم من الأنصار ، وهم : حسّان بن ثابت ، وعبد الله بن رَواحة ، وكعب بن مالك . فلما انهزم المُشركون يومَ الأحزاب قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن المُشركين بعد اليوم لن يغزوكم ، ولكنكم تَغزونهم وتَسمعون منهم أذًى ويهجونكم ، فمن يحمى أعراض المُسلمين ؟ فقام عبدُالله بن رَواحة ، فقال : أنا . فقال : إنك لتُحسن(٤) الشعر . فقام كعب بن مالك فقال : أنا . فقال : و إنك لتُحسن(٤) الشعر .

هو وحسان وابن بشير عند على فى مقتل عثمان

وذُكر أنه لما بويع علىّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ بالخلافة ، بلغه عن حسّان بن ثابت ، والنُّعمان بن بَشير ، وكعب بن مالك الأنصارى ، أنهم يُقدِّمون بنى أُمية ويقولون : الشامُ خيرٌ من المدينة . واتصل بهم أن ذلك قد بلغه . فدخلوا عليه ، فقال له كعب : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن عُثمان : أقُتل ظالماً

(١) الضرائب : جمع ضريبة ، وهى الخليقة والسجية والطبيعة .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « يرتعون » .

(٣) ألظ : ألح .

(٤) فى غير التجريد : « لحسن » .

فنقول بقولك ، أم قُتل مظلوماً فتقول بقولنا ، أم نَكلك إلى الشُّبهة ؟ فالعجبُ من يَقيننا وشكِّك ، وقد زعمت العربُ أن عندك عِلْمَ ما اُختلفنا فيه ، فهاته نَعرفه . ثم قال :

كفَّ[1] يَدَيه ثم أَغلق بابَه … وأيقن أنّ الله ليس بغافلِ
وقال لِمن فى داره لا تُقاتلوا … عفا اللهُ عن كُل اُمرىء لم يقاتِلِ
فكيف رأيتَ اللهَ صَبَّ عليهمُ الـ … ـعداوةَ والبَغضاء بعد التواصُل
وكيف رأيتَ الخيرَ أدبر عنهمُ … وولّى كإدبار النَّعام الجَوافل

فقال لهم علىُّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ : لكم عندى ثلاثة أشياء : اُستأثر عثمان فأساء الأَثرة ، وجزعتم فأسأتُم الجَزع ، وعند الله ما تختلفون فيه يوم القيامة . فقالوا : لا تَرضى بهذا العرب ولا تُعذرنا فيه . فقال على — رضى الله عنه — : أتردون علىّ بين ظَهرانَى المسلمين بلا نيّة صادقة ولا حُجة واضحة ! أخرُجوا عنِّى ولا تجاورُونى فى بلد أنا فيه أبداً . فخرجوا من بُيوتهم فساروا حتى أتَوْا مُعاوية ابن أبى سُفيان . فقال : لكم الولاية والكفاية . فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار ، وكعبَ بن مالك ألف دينار ، وولّى النُّعمان بن بَشير حِمْص ، ثم نقله إلى الكوفة بعد .

له أشجع بيت

وذُكر أنّ مُعاوية قال يوماً لجُلسائه : أخبرونى بأشجع بيت وصَف به رجلٌ قومَه . فقال رَوح بنُ زِنْباع : قولُ كعب بن مالك :

نَصِل السُّيوفَ إذا قَصَرْن بخَطْونا … قُدُماً[2] ونُلحقها إذا لم تُلحَقِ

فقال له مُعاوية : صدقت .

شعره فى الفخر

ولكعب بن مالك قصيدةٌ يفخر فيها بنفسه و بقومه ، أولُها :

(١) فى التفعيلة الأولى خرم، وهو حذف الفاء من : فعولن . (١) فى غير التجريد : « يوماً » .

هل للفؤاد لدى شَنْباء تَنْويلُ … أم لا فيأسٌ (١) وإعراضٌ وتَجميلُ
إنّ النِّساء كأشجار نَبَتْنَ معاً … منهنّ مُرٌّ وبعضُ المُرِّ (٢) مَأْكول
إن النساء ولو صُوِّرن من ذَهب … فيهنّ من هَفوات الجَهل (٣) تَخييل
إنك إن تَنْهَ إحداهنّ عن خُلق … فإنّه واجبٌ لا بُدّ مَفعول

ومنها :

ولا أهابُ إذا ما الحربُ حَرّشها الْ … أَبطالُ واضطربت فيها البَهاليل
علىّ فَضفاضةٌ كالنِّهى (٤) سابغة … وصارمٌ مثلُ لون المِلْح مَصْقُول
ولَدْنة فى يدى صَفراء (٥) تَقلبها … بعاملٍ كشِهاب النار مَوْصول
إنّى من الخزرج الغُرّ الذين هُمُ … أهلُ المَكارم لا يُلقَى (٦) لهم جِيل
فى الحرب أنهكُ (٧) منهم للعدوِّ إذا … شبّت وأعظم نيلاً إن هم (٨) سِيلُوا

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ كعب بن مالك ، يقوله فى غزوة الخَندق :

مَن سَرّه ضَرْبٌ يُرعبِل بعضُه … بعضاً كمَعْمَعة الأباء (٩) المُحْرَقِ
فَلْيأتِ مأسدةً تُسَنّ سيوفها … بين المَذاد (١٠) وبين جَزْعِ الخَنْدق

(١) الشنباء : التى فى أنيابها حدة . وفى غير التجريد : « أم لا نوال فإعراض » .
(٢) فى التجريد : « النبت » .
(٣) فى غير التجريد : « الجهد » .
(٤) الفضفاضة : الدرع الواسعة . والنهى ، بالفتح والكسر : الغدير .
(٥) فى غير التجريد : « سمراء » .
(٦) فى غير التجريد : « لا يفنى » .
(٧) فى بعض أصول الأغانى : « أنهل » .
(٨) سيلوا : سئلوا ، خفف الهمزة .
(٩) يرعبل : يمزق . والأباء : القصب .
(١٠) المذاد : موضع الخندق .

أخبار عيسى بن موسى

نسبه

ثم ذكر أبو الفرج عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن العباس، ولم يذكر من أخباره طائلًا .

شعره الذى فيه الغناء وسببه

وكان عمُّه السفَّاح قد عَهِد بالخِلافة بعده إلى أخيه أبى جعفر المَنصور، ثم بعده إلى عيسى بن موسى . فلما أُفضت الخلافة إلى المنصور أقرّ أبن أخيه عيسى بن موسى على ولاية عهده . فلما خرج على المَنصور محمدُ بن عبدالله بن الحسن بالمدينة، كان هو الذى تولّى حربَه، حتى قُتل محمد و بعث عيسى برأسه إلى المنصور . ثم خرج بالبصرة إبراهيمُ بن عبدالله بن الحسن فسار إليه عيسى فحاربه، حتى قُتل إبراهيم و بعث برأسه إلى المنصور . فلما صَفت الدُّنيا للمنصور ولم يَبق له مُعاند طالبه بأن يخلع نفسه من ولاية العهد ليجعلَها لأبنه مُحمّد المَهدىّ، ويكون هو ولىّ عهد المهدى . فأمتنع من ذلك . فشدَّد عليه فى ذلك وتهدَّده إن لم يفعل . فأجاب بعد أمتناع شديد، ومُراجعات طويلة . فأَشهد على نفسه بالخلع . فأَعطاه المنصور مالاً كثيراً، و بايع له بالعهد بعد أبنه محمد المهدىّ . فكانت العامة إذا رأوه يقولون : هذا الذى كان غداً فصار بعد غد . يعنى أنه كان ولىّ عهد فصار ولىّ عهدِ ولىِّ العهد . فقال عيسى بن موسى الأبيات التى فيها الغناء، وافتتح بها أبو الفرج أخباره، وهى :

خُيِّرتُ أمرَيْن ضَاع الحَزمُ بينهما ... إمَّا صَغار وإمَّا فتنةٌ عَمَمُ

وقد هَممتُ مراراً أن أساقيَهم ... كأسَ المنيَّة لولا الله والرَّحِم

ولو فعلتُ لزالت عنهمُ نِعمٌ بكُفر أمثـــالها تُستنزل النقِّم

شيء عنه

وكان عيسى بن مُوسى هذا من فُحول بنى العبّاس وشُجعانهم ، وذوى النَّجدة والرأى والبأس والسُّؤدد منهم .

خلعه عن ولاية العهـد

ولما مات عمُّه المَنصور ، وأفضت الخلافةُ إلى اُبن عمه المهدىّ بن المنصور ، أُقرّ عيسى على ولاية عهده مدة . ثم طالبه بخَلع نفسه ، فخلعها . وجعل المهدى ذلك إلى أبيه مُوسى الهادى ، ثم بعده لهارون الرشيد .

أخبار الرقاشي

ولاؤه

هو الفَضل بن عبد الصمد ، مولى رقاش . وهو من ربيعة .

شيء عنه

وكان مطبوعاً سهل الشِّعر ، نَقِيّ الكلام ، من شُعراء الدولة العباسية . ومَدح الرشيد وأجازه .

انقطاعه إلى البرامكة ثم إلى طاهر بن الحسن

وكان أكثر أنقطاعه إلى البرامكة مُستغنياً بهم عن سواهم . وكانوا يَصُولون به على الشعراء ، ويدوِّنون القليلَ والكثير من أشعاره تعصُّباً له ، وحفظاً لخدمته لهم ، وأنقطاعه إليهم . فلما نُكبوا صار إليهم في حَبسهم فأقام معهم مُدة يُنشدهم ويُسامرهم إلى أن ماتوا . ثم رثاهم فأكثر ، ونشر محاسنهم وجُودهم وأثرهم فأفرط ، ثم أنقطع إلى طاهر بن الحُسين وخرج معه إلى خُراسان ، ولم يزل بها معه حتى مات .

كان ماجناً

وكان ماجناً خليعاً ، قليل الدِّين والمروءة مُتبذِّلاً .

رثاؤه جعفر بن يحيى وخبره مع الرشيد

وذُكر أن جعفر بن يحيى لما قُتل وصُلب أجتاز به الرقاشيُّ ، وجَعفر على الجِذع ، فوقف عليه يَبكي أحرَّ بُكاء ، وأنشأ يقول :

أمَا والله لولا خوفُ واشٍ ... وعينٌ للخليفة لا تنامُ

لطُفنا حولَ جِذعك وأستلمنا ... كما للنّاس بالحَجر أستلام

فما أبصرتُ قبلك يابن يحيى ... حُساماً قَدَّه السيفُ الحُسام

على اللذات والدُّنيا جميعاً ... ودولة آلِ بَرمكٍ السَّلام

فكتب أصحابُ الأخبار بذلك إلى الرشيد ، فأحضره وقال : ما حَملك على

ماقُلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين كان لى مُحسناً فلما رأيتهُ على تلك الحال التى هو عليها حرّكنى إحسانُه ، فما ملكت نفسى حتى قلت ماقلت . قال : كم كان يُجرى عليك ؟ قال : ألف دينار كُل سنة . فقال : إنّا قد أضعفناها لك .

شعره يعارض أبا دلف

(١) وذُكر أن أبا دُلف العِجلى لما قال :

ناولينى الرُّمحَ قد طا ... ل عن الحرب جِمامِى

مَرّ لى شهرانِ لَمْ ... أرمِ قوماً بسهام

قال الرّقاشى يعارضه :

جَنِّبينى الرَّوْع قد طا ... ل عن القَصْف جِمامى

واُكسِرى البَيضةَ والمِطْـ ... ـرد(٢) ، ثَنِّى بالحُسام

واُقذِفى فى لُجّة البحـ ... ـر بقَوسى وسِهامى

وبِتُرسى وبرُمحى ... وبسَرجى ولجِامى

فبَحَسْبى أن تَرينى ... بين فِتيانٍ كِرام

سادة تغدو مجدِّيـ ... ـن(٣) على حَرب المُدام

واُصطفاق العُود والنا ... يات(٤) فى جَوف الظلام

نهـزم الرّاح إذا ما ... هَمّ قومٌ بانهزام

هزمَ أرواح دِنانٍ ... لم نَنلها باُصطلام

ثم خَلِّ الضرب والطعـ ... ـن لأجسادٍ وهَام

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الرّقاشى ، هو :

آثار رَبْعٍ قَدُما ... أعيَا جواباً صَمماَ

سَحّت عليه دِيَمٌ ... بمائها فانهدما

(١) هذا خبر لم يذكر فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

(٢) المطرد : الرمح القصير . (٣) فى التعبير تلوين فى الضمائر عند الالتفات إلى « سادة » .

(٤) اصطفاق العود والنايات : إجابة بعضها بعضاً .

كان لسُعدى عَلَمَا فصار وَحشاً رِممـا

أيامَ سُعدى سَـقمٌ وهي تُدواى السَّقَما

تمثل طفيلي ببيت له

وذُكر أن طُفيليًّا ـ كان يقال له ابن دُرَّاج ـ قيل له : أتطفّل على الرءوس ؟ فقال : فكيف لى بها ؟ قالوا : إنّ فُلاناً وفلاناً قد اُشتروا[1] رءوساً ودخلوا بُستان اُبن بزيع . فخرج يعدو خوفاً من فَوتهم ، فوجـدهم قد لوّحوا[2] العِظام . فوقف عليهم ينظُر ، ثم استعبر وتمثّل بقول الرقاشي :

آثار ربع قـدما أعيـا جواباً صَمما

(١) فى بعض أصول الأغانى جاء الضمير على لفظ المثنى .

(٢) لوحوا العظام : أكلوا ما عليها فغدت ألواحاً بيضاء لا يسترّها شيء .

أخبار ابن دُرّاج الطفيلى (*)

ولابن دُرّاج هذا أخبار فى التَّطفل طريفة .

هو مع أهل العرس

قيل له : كيف تصنع بأهل العُرس إذا لم يُدخلوك ؟ قال : أنوح على بابهم فيتطيّرون من ذلك فيُدخلوننى .

جوابه عن صفرة وجهه

وقيل له : ما هذه الصُّفرة فى لونك ؟ قال : من الفَترة بين القَصْعَتين[1] ، ومن خَوفى كُلّ يوم من نَفاد الطعام قبل أن أشبع .

هو وقد حجب على باب على بن يزيد

وذُكر أنه وَقف على باب علىّ بن يَزيد أيامَ كان يَكتُب للعبّاس بن المأمون ، فحَجبه الحاجبُ ، وقال : ليس وقتَك ، وقد رأيتَ القُوّاد يُحجبون فكيف يُؤذن لك أنت ! فقال : ليست سبيلى سبيلَهم ، لأنه يُحب أن يرانى و يكره أن يراهم . فلم يأذن له . فبينما هو على ذلك خرج علىُّ بن يزيد ، فقال : ما منعك يا أبا سعيد أن تدخل ؟ قال : منعنى هذا البَغيض . فالتفت إلى الحاجب وقال : بلغ من بُغضك أن تحجب هذا ! ثم قال : يا أبا سعيد ، ما أهديت إلىّ من النوادر ؟ قال : فقلتُ : مرّتْ بى جنازةٌ ومعى اُبنى ، ومع الجنازة اُمرأة تبكيه وتقول : يذهبون بك إلى بيت لا فِراش فيه ولا وطاء ولا غطاء ولا خُبز ولا ماء ! فقال : لى اُبنى : يا أبة ، إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنـازة . فقلت : وكيف ! ويلك ! قال : لأن هذه صفةُ بيتنا . فضَحك علىٌّ وقال : قد أمرت لك بثلثمائة دِرهم . فقال : قد وفّر الله عليك نِصفَها على أن أتغـدّى معك . فقال : هى عليك موفَّرة كلَّهـا وتتغدّى معنا .

(*) جعل ابن واصل أخبار « ابن دراج » موصولة بأخبار الرقاشى ، وقد أفردناها بإضافة هذا العنوان إليها ، وكذلك ساقها أبو الفرج .

(1) القصف : العرس ونحوه .

أخبار ربيعة الرَّقِّيّ

نسبه وموطنه وشخوصه إلى المهدى

[1]هو ربيعة بن ثابت الرّقى . ويُكنى : أبا سيّابة[2] . وقيل : أبا ثابت — كان ينزل الرّقة ، وبها مولدُه ومنشؤه . وأشخصه المهدىُّ إليه ، فمدَحه بعدّة قصائد ، وأثابه عليها ثوابًا كثيرًا .

سبب سقوطه

وهو من المُكثِرين المُجيدين . وكان ضريرًا ، وإنما أخمل ذكرَه وأسقطه بُعده عن العراق وتركُه خِدمة الخلفاء ومُخالفة الشعراء .

شهادة ابن أبى حفصة له

وقيل لمَروان بن أبى حَفصة : من أشعرُكم جماعةَ المُحدَثين ؟ قال : أشعرنا أسيرُنا بيتًا . قيل : من هو ؟ قال : ربيعةُ الرّقى الذى يقول :

لشتّان ما بين اليزيدين فى النّدى ... يزيدَ سُليمٍ والأغرّ بن حاتمِ

شعر له فى مدح يزيد بن المهدى

وهذا البيتُ من قصيدة يمدح بها ربيعةُ الرّقى يزيدَ بن محمد المهدىْ ، ويهجو يزيدَ بن أسيد السُّلمى . وبعد هذا البيت :

يزيد سُليم سالمَ المالَ والفتَى ... أخو الأزد للأموال غير مُسالمِ

فهمّ الفتى الأزدىّ إتلاف ماله ... وهمّ الفتى القيسىّ جَمْع الدّراهم

ولا يَحسب التّمتامُ[3] أنّى هجوتُه ... ولكنّنى فضّلتُ أهلَ المكارم

فيابن أُسيد لا تُسام ابنَ حاتمٍ ... فتقرعَ إن ساميتَه سِنّ نادم

هو البحرُ إن كلّفت نفسَك خَوْضه ... تهالكْتَ فى مَوجٍ له مُتلاطم

---

(1) فى هامش الأصل : « بلغت قراءة على المؤلف – أبقاه الله – وبيده أصله المنقول منه معارضاً به » . (2) فى بعض أصول الأغانى : « أبا شبابة » .

(3) التمتام : الذى يرد الكلام إلى التاء والميم .

حمله المهدى إليه ثم رده

وذُكر أنّ جوارى المهدىّ اشتهين على المَهدىّ أن يُسمعهن ربيعةَ الرَّقى ، فوجّه إليه المهدىُّ مَن أخذه من مَسجده من الرَّقة وحمله على البريد حتى قَدِم به على المهدىّ ، فأُدخل عليه . فسمع ربيعة حِسًّا من وراء السِّتر ، فقال : إنى أسمع حِسًّا يا أمير المؤمنين . فقال : اُسكُت يابن اللَّخناء . فاستنشده ما أراد . فضَحك وضحكن منه . فقال ربيعة :

يا أمين الله إن اللّه سمّاك الأمينا
سَرقونى من بلادى يا أميرَ المؤمنينا
سرقونى فاقْض فيهم بجزاء السارقينا

فقال : قضيتُ فيهم بأن يرُدُّوك إلى حيث أخذوك . ثم أمر به فحُمل على البريد من ساعته إلى الرقّة .

بينه وبين العباس وقد استقل عطاءه

وذُكر أن ربيعة الرَّقى امتدح العبَّاس بن مُحمد بن علىّ بن عبدالله بن العبَّاس بقصيدة لم يُسْبق إليها حُسناً ، وهى طويلة يقول فيها :

لو قيل للعبَّاس يابنَ مُحمد قُلْ : لا ، وأنت مُخلَّدٌ ماقالَها
ما إن أُعدّ من المكارم خَصلة إلّا وجدتُك عمَّها أو خالَها
وإذا الملُوك تَسايرُوا فى بلدة كانوا كواكبَها وكنت هِلالَها
إنّ المكارم لم تَزل مَعقولةً حتى حَللتَ براحتَيك عِقالَها

فبعث إليه العباسُ بدينارين ، وكان يقدِّر فيه ألفين . فلما نظر إلى الدينارين كاد أن يُجنّ غضباً ، وقال : للرسول : خُذ الدينارين فهُما لك على أن ترُد إلىّ الرُّقعة من حيث لايدرى العباس . ففعل الرسول ذلك . فأخذها ربيعةُ وأمر من كتب فى ظهرها :

مدحتُك مِدْحة السَّيفِ اُحلَّى لتجرِىَ فى الكِرام كما(١) جَريت
فهَبْهـا مِدْحةً ذهبت ضـياعاً كذبتُ عليك فيها(٢) وافتريت
فأنت المَـــرء ليس له وَفاء كأنى إذ مدحتُك قد رَثَيت

ثم دفعها إلى الرسول وقال : ضَعها فى المَوضع الذى أخذتَها منه . فردَّها الرسولُ فى موضعها . فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها . فلما قرأ الأبيات غضب وقام من وقته ، فركب إلى الرشـيد ، وكان أثيراً عنده يُبجله ويُقـدمه . وهو عم أبى الرشيد . وكان قد هَمَّ (٣) أن يخطُب إليـه اُبنته ، فرأى الـكراهية فى وجهه . فقال : ما شأنك ؟ فقال : هجانى ربيعةُ الرَّقى . فأَحضره الرشيد ، فقال : يا ماصّ كذا وكذا من أمه ، أتهجو عَمِّى وآثرَ الخلق عنـدى ! لقد هممتُ أن أضرب عُنقك . فقال : والله يا أمير المؤمنين لقد مدحتهُ بقصيدة ما قالها أحد من الشعراء فى أحد من الخُلفاء . ولقـد بالغتُ فى الثناء وأكثرتُ فى الوصف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضارها . فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبُه وأحبّ أن ينظُر فى القصيدة . فأمر العبّاسَ بإحضارها . فتلـكأ ساعة . فقال الرشـيد : سألتُك بحق أمير المؤمنين إلا أمرتَ بإحضارها . فعلم العبّاسُ أنه قد أخطأ وغَلط ، فأَمر بإحضارها ، فأُحضرت . فأخذها الرشـيد فإذا فيها القصيدة بعينهـا . فاستحسنها واستجادها وأُعجب بها ، وقال : والله ما قال أحد من الشعراء فى أَحد من الخُلفاء مثلَها ، ولقـد صدق ربيعة وبَرّ . ثم قال للعباس : كم أثبتَه عليها ؟ فسكت وتغـيّر لونُه وجَرِض بريقه . فقال ربيعـة : أثابنى عليها يا أمير المؤمنين

(١) فى غير التجريد : « مما » . وانظر طبقات الشعراء لابن المعتز فى ترجمة الرقى (١٥٧ – ١٧٠) .

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز : « واعتديت » مكان « وافتريت » .

(٣) يريد الرشيد .

دينارين . فتوهّم الرشيد أنه قال ذلك من المَوجدة على العبّاس . فقال : بحياتى يا رقّى ، كم أثابك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابنى إلا بدينارين . فغضب الرشيد غضباً شديداً . ونظر فى وجه العباس بن محمد وقال : سوءة لك ! أيّة حال قعدتْ بكَ عن إثابته ، أقِلة المال ، فوالله لقد موّلتُك جهدى ، أم لانقطاع المادة عنك ، فوالله ما انقطعت عنك ، أم لأَصْلك ، فهو الأصل الذى لا يدانيه شىء ، أم نَفسك ، فلا ذنب لى بل نَفسك فعلت ذلك بك حتى فَضحت أباك وأجدادك ، وفَضحتنى ونفسك . فنكّس العباسُ رأسه ولم ينطق . فقال الرشيد : يا غلام ، أَعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخِلعة وأَحمله على بغلة . فلما حَصل المال بين يديه ولَبس الخِلعة قال له : يا رقّى ، لا تذْكره فى شىء من شعرك لا تَعريضاً ولا تَصريحاً . وفتر الرشيدُ عمّا كان همّ به من التزوج إلى العبّاس ، وظهر منه بعد ذلك جفاء كثير واُطِّراح .

هو والرشيد والعباس فى غالية أهداها العباس للرشيد

وذُكر أن ربيعة الرقّى كان يُكثر العبث بالعبّاس بن محمد عند الرشيد مُذ جرى فى مديحه ماجرى ، فجاء العباسُ يوماً إلى الرشيد بغالية فوضَعها بين يديه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هذه غالية صنعتُها لك بيدى . اُختير عَنبرها من شجر عُمان ، ومِسْكُها من مفاوز تُبَّت ، وبانُها من ثغر تِهامة ، الفضائل كُلها مجموعة فيها ، والنعتُ يقصُر دونها . فاعترضه ربيعة ثم قال : ما رأيت أعجبَ منك ومن وصفك هذه الغالية عند من إليه كلُّ موصوف يُجلب ، وفى سُوقه يَنفق ، وبه إليه يُتقرَّب . وما قَدْر غاليتك هذه — أعزك الله — حتى تبلغ فى وصفها ما بلغت ! أأجريت بها إليه نهراً ، أو حملت إليه منها وَقراً . إن تَعظيمك هذا عند من تُجبى إليه خزائن الأرض وأموالها من كل بلد ، وتذِل لهَيبته جبابرةُ الملوك المُطيعة والمُخالفة ، وتُتحفه بطُرف بلدانها وبدائع ممالكها ، كأنك قد فُقت به كل ما عنده ، وأبدعت له ما لا يعرفه ، أو خصصته بما لم يَحو ملكه ، لا تخلو فيه من ضعف

أو قِصر همة . نشدتك الله يا أمير المؤمنين إلا جعلتَ حظّى من كل جائزة وفائدة تُوصلها إلىّ فى مدة سنتى هـــذه الغالية ، حتى أتلقّاها بحقّها . فقال : ادفعوها إليه . فدُفعت إليه . فأدخل يده فيها فأخرج مِلئها وطَلى بذلك أُسته . وأخرج حفنة أخرى وطلى ذَكره بها وأُنثيَيه . وأخرج حفنتين فطَلى بهما تحت إبطيه ، ثم قال: يأمر أمير المؤمنين غلامى أن يدخل إلىّ ؟ فقال : أدخلوه إليـه ، وهو يضحك . فأُدخل إليه . فدفع البَرنية وقال : اذهب إلى جارتى فلانة وقل لها : طيِّبى بها حِرك وأُستك و إبطيك حتى أجيء الساعة أنيكك . فأخذها الغلام ومضى . وضحك الرشيد حتى غشى عليه . وكاد العباس يموت غيظاً ، ثم قام وانصرف . وأمر الرشيد لربيعة بثلاثين ألف درهم .

أبيات له فى دور بساط

وذُكر أنه وُجد مكتوباً فى دَور بساط من بُسط الخليفة ، كان مَبسوطاً فى دار العامّة بسُرَّ من رأى ، شعرٌ لربيعة الرقِّى ، وهو :

وتزعُم أنّى قد تبـدّلت خُـلّةً ... سِواها وهـــذا الباطلُ المُتقوَّلُ

لَحى الله من باع الحَبيب بغـــيره ... فقالت نَعم حاشاك إن كنتَ تفعلُ

ســتَصرم إنساناً إذا ما صرمتَنى ... يُحبك فانظُر بعـده من تُبـدِّلُ

سبب شعره فى اليزيدين

وذُكر أن سبب قول رَبيعة الرقى :

لشتّان ما بين اليزيدَين فى النّدى ... يزيدَ سُـليم والأغرّ ابنِ حاتمِ

أن ربيعة الرقى زار يزيدَ بن أُسـيد السُّلمى يَستمنحه قضاء دين كان عليـه ، فلم يَجد عنده ما أحبّ . و بلغ ذلك يزيدَ بن حاتم المهلّبى فتطفل على قضاء دينـه و بَرّه . فاستفرغ ربيعةُ جَهـده فى مدحه . وكان أبو الشَّمقمق عارضه ، فقال من قصيدة يمدح بها يزيد بن مَزيد :

لشتّان ما بين اليزيدين فى النّدى ... إذا عُدَّ فى الناس المكارمُ والمَجدُ

يزيدَ بنى شَيبان أكرمَ منهما وإن غَضبت قيسُ بن عَيلان والأزدُ
فتًى لم تَلِده من رُعين قَبيلةٌ ولا لخمُ تنميه ولم تَنْمِهِ نَهْد
ولكن نمتْه الغرّ من آل وائل وبَرَّةُ تَنْمِيه ومِن بعدها هِند

ولم يَسْرِ فى هذا المعنى شىء كما سار بيت ربيعة .

شعره الذى فيه الغناء

ومما مدح به ربيعةُ الرقى يزيدَ بن حاتم المهلّبى قوله ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ربيعة الرقى :

من لعين رأتْ خَيالاً مُطيفاَ واقفاً هكذا علينا عُكوفاَ
طارقاً مَوْهناً ألمّ لِحَيّا ثم ولّى فهاج قلباً ضَعيفا
ليت نفسى ولَيت أنفسَ قومى يا يزيدَ النَّدى تقيك الحُتوفا
عَتَكىٌّ مُهلَّبى كريم حاتمىّ قد نال فَرْعاً مُنيفا

* * *

ثم ذكر أبو الفرج شعر جُويرية، وهى أم حكيم بنت خالد بن قارظ الكنانية ، زوجة عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ترثى ابنيها اللذين قتلهما بُسْرَ بن أرطاة، أحد بنى عامر بن لُؤى باليمن ، فاقتضى ذلك ذكر مَقتل الغلامين .

ذكر مقتل ابنى عبيد الله بن العباس

قسوة معاوية بأصحاب على

لما وقعت الحربُ بين علىّ بن أبى طالب ومُعاوية بن أبى سُفيان ، وانقضت وَقعة صِفّين بينهما ، وأَمْرُ الحكمين : أبى موسى ، وعمرو بن العاص ، بعث معاويةُ ابن أبى سُفيان بُسْرَ بن أرطاة العامرى ، وبعث معه جيشاً ، ووجّه برجل من عامر ، وضمّ إليه جيشاً آخر ، وأمرهم أن يسيروا فى البلاد فيقتلوا كُل من وجدوه من أصحاب علىّ رضى الله عنه وأتباعه . فمضَوْا لوجههم يشنُّون الغارات على أعماله ، ويقتلون أصحابه ، ولا يكفُّون أيديهم عن النساء والصِّبيان . فمضى بُسر لذلك على وجهه حتى أتى المدينة ، فقتل بها ناساً من أصحاب علىّ - رضى الله عنه - وأهلِ هواه ، وهدم بها دُوراً من دُوو القوم ، ومضى إلى مكة فقتل نفراً من آل أبى لهب ، وأتى نَجران فقتل بها عبدَ الله بن عبد المدان الحارثى وابنَه ، وكانا من أصهار بنى العباس . ثم أتى اليَمن وعليها عُبيد الله بن العباس بن عبد المُطلب ، عامل ابن عمّه علىّ — رضى الله عنه — وكان غائباً — وقيل : بل هرب لمّا بلغه خبر بُسر — فلم يُصادوه بُسر ووجد ابنين له صبيين ، فأخذهما وذبحهما بمُدية كانت معه . ثم انكفأ راجعاً إلى مُعاوية . وفعل مثل ذلك سائرُ مَن بعث به مُعاوية . وقصد العامرىُّ الأنبارَ فقتل حسّان بن حسان البَكرى ، وقتل رجالاً ونساء من أصحاب علىّ ، رضى الله عنه .

خطبة على

ولما بلغ ذلك عليّاً — رضى الله عنه — خرج حتى أتى المنبر فرقيه فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبى صلّى الله عليه وسلم ، وأثنى عليه وقال :

إن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوبَ الذلة وشمله

البلاء ، ودُيّث بالصغار ، وسيم الخسف . وقد قلت لكم : أغزوهم قبل أن يغزوكم ، فإنه لم يُغْزَ قوم فى عُقر دارهم إلا ذلّوا ، فتوا كلتم وتركتم قولى وراءكم ظهريًّا حتى شُنّت عليكم الغارات . هذا أخو بنى عامر قد جاء إلى الأنبار وقتل عاملى عليها حسّان بن حسان ، وقتل رجالاً كثيراً ونساء ، والله لقد بلغنى أنه كان يأتى المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة ، فينزع حِجْلها ورِعاثها[1] ، ثم ينصرفون موفورين لا يُكلّمَ أحدٌ منهم كَلْماً . فلو أنّ أمرأً مُسلماً مات من دون هذا أسفاً لم يكن عليه مَلُوماً ، بل كان به جديراً . ياعجباً ، عجباً يُميت القلب ويُشغل الأحزان ، من اجتماع هؤلاء على ضلالتهم وباطلهم وفشلكم عن حقكم ، حتى صِرتم غرضاً تُرمون ولا ترمون ، وتُغزون ولا تَغزون ، ويُعصى الله وترضون ! إذاقلت لكم : أغزوهم فى الحر . قلتم : هذه حمارّة القَيْظ فأمهلنا . فإذا قلت لكم : أغزوهم فى البرد . قلتم : هذا أوان قُرّ وصُرّ فأمهلنا ، فإذا كنتم من الحَرّ والبرد تفرّون ، فأنتم والله من السيف أشد فراراً . يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا طغام الأحلام ، وعُقول ربّات الحجال ، وددتُ أنى والله لم أعرفكم ، ووددتُ أنى لم أركم ، معرفة والله جرّت ندماً ، وملأتم جوفى غيظاً بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش : إن ابن أبى طالب رجل شجاع ولكن لا عِلم له بالحرب . ويحهم ! هل فيهم أشدّ مراساً لها منّى . والله لقد دخلتُ فيها وأنا ابن عشرين ، وأنا الآن قد نيّفت على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يُطاع .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا كما قال الله عز وجل : (لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي) ، مُرنا بأمرك ، فوالله لنُطيعنَّك ولو حال بيننا وبينه جَمر الغَضى وشوك القَتاد . فقال : وأين تبلغان ما أريد . هذا أو نحوه . ثم نزل رضى الله عنه .

جواب عقيل لعلى أخيه

وذُكر أن عَقيل بن أبى طالب كتب إلى أخيه علىّ بن أبى طالب

(١) الحجل ، بالفتح والكسر : الخلخال . والرعاث : القرط .

ــ رضى الله عنــه ــ : « أما بعــد ، فإن الله عزّ وجل مُجيرك[١] من كل سوء ، وعاصمك من المكروه . إنّى خرجتُ مُعتمراً فلقيتُ عبدَ الله بن أبى سَرْح فى نحو من أربعين شابًّا من أبناء الطُّلقاء ، فقلت لهم ــ وعرفت النّكر فى وجوهم ــ : يا أبناء الطلقاء ، العداوة والله لنا منكم غير مُستنكرة قديمًا ، تريدون بها إطفاء نور الله وتَغيير أمره . فأَسمعنى القومُ وأسمعتهم . ثم قدمت مكة وأهلُها يتحدّثون أن الضحّاك بن قيس أغار على الحِيرة ، فاْحتمل من أموال أهلها ما شاء ، ثم انكفأ راجعًا ، فأفٍّ لحيـــاة فى دهر قد جَرؤ عليك الضحاك[٢] . هل هو إلّا فَقْع بقَرْقرة[٣] ، وقد ظَنَّنت[٤] . و بلغنى أنّ أنصارك قد خَذلوك . فاكتُب إلىّ يابن أُم برأيك . فإن كنت الموت تريد تحمّلت إليك ببنى أبيك وولد أخيــك فعِشْنا ما عشت ومِتنا معك ، فوالله ما أُحب أن أبقى بعدك لعيش غير هَنِيء ولا مرىء ولا نجيع . والسلام .

جواب على

فأجابه علىّ رضى الله عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد . كلأ نا الله و إياك كلاءة من يَخشاه بالغيب . إنه حميد مجيد . قد قدم علىّ عبدُ الرحمن بن عُبيد الأزدى بكتابك تذكُر أنك لقيتَ اْبن أبى سَرح فى نحو من أربعين شابًّا من أبناء الطُّلقاء ، واْبنُ أبى سرح طالما كاد لله ورسوله وكتابه وصَدّ عن سبيله و بغاها عِوَجًا ، فدع اْبنَ أبى سَرح عنك ودَع قُريشاً ، وتَرْكاضَهم فى الضلالة ، وتجْوالهم فى الشِّقاق ؛ فإن قريشاً قد أجمعت على حَرب أخيك إجماعها على حرب رسول الله صلّى الله عليه وسلم قبل

(١) فى بعض أصول الأغانى : « جارك » .
(٢) فى غير التجريد : « فأف لحياة فى دهر قد أمر عليكم الضحاك وما الضحاك » .
(٣) الفقع : الرخو من الكمأة ، أو هو أردؤها . والقرقر : الأرض المطمئنة اللينة . يريد أنه ذليل ذلة هذا الفقع بهذا المكان تدوسه الدواب بأرجلها .
(٤) أى اتهمت .

اليوم ، وأصبحوا قد جهلوا حقَّه ، وجحدوا فَضله ، وبادوه[١] بالعداوة ، ونَصبوا له الحربَ ، وجَهدوا عليه كُل الجهد ، وساقوا إليه جيش الأمرّين . اللهم فاُجز قريشاً عنِّى الجوازى ، فقد قطعتْ رَحِمى ، وتظاهرت علىّ . والحمد لله على كل حال .

وأما ما ذكرتَ من غارة الضحّاك على الحيرة ، فهو أقلّ وأذلّ من أن يَقرُب الحيرة، ولكنه جاء فى خَيل جَريدةٍ[٢] فلزِم الظَّهر والسَّماوة، فمرّ بواقصة وشَراف[٣] وما إلى ذلك الصُّقع . فسرّحت إليه جيشاً كثيفاً من المُسلمين ، فلما بلغه ذلك نجا هارباً ، فلَحِقوه فى بعض الطريق ، وقد أمعن فى السير ، وقد طَفَلَت[٤] الشمس لِلإياب . فاقتتلوا شيئاً كلاَ ولا ، فولى ولم يَصبر ، وقُتل من أصحابه بضعةَ عشرَ رجلاً ، ونجا جريحاً بعد ما أخذ منه بالمَخنق ، فلأياً ما نجا[٥] .

فأما ما سألت عنه أن أكتُب إليك فيه برأى ، فإن رأيى قتال المُحلِّين حتى ألقى الله ، لا تزيدنى كثرةُ الناس حولى عزّة ، ولا تفرُّقهم عنِّى وحشة ، لأنى مُحق والله مع الحق وأهله ، وما أكره الموت مع الحق ، وما الخير كُله إلا بعد الموت لمن كان مُحقًّا .

وأمّا ما عرضتَه علىّ من مَسيرك إلىّ ببَنِى أبيك وولد أخيك ، فلا حاجة لى فى ذلك . فأقم راشداً مَهديًّا . فوالله ما أُحب أن تَهلكوا معى إن هلكت . ولا تحسبن ابنَ أبيك لو أسلمه الناس مُتضرِّعاً ولا مُتخشعاً ، ولكنى أقول كما قال أخو بنى سُليم :

فإنْ تَسألِينى كيف أنت فإنَّنى ... صَبورٌ على رَيب الزمان صَليبُ
يعزّ علىّ أنْ تَرىْ بى كآبة ... فيشمَت عادٍ[٦] أو يُساء حَبيب

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وكادوه » .
(٢) خيل جريدة : لا رجالة فيها . والذى فى بعض أصول الأغانى : « جاء فى بريدة » .
(٣) الظهر والسماوة : موضعان . واقصة : منزل بطريق مكة ، بينه وبين شراف ميلان .
(٤) طفلت : دنلت للغروب . (٥) أى ما نجا إلا بعد جهد و مشقة .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « باغ » .

ولما انتهى إلى علىّ ـ رضى الله عنه ـ ما فعله بُسْر بن أرطاة ، وذَبحه أبنى عمه: عبد الرحمن ، وقُثم ، أبنى عُبيد الله بن العبَّاس ، سرَّح جارية بنَ قُدامة السَّعدى فى طَلَب بُسر بن أرطاة ، وأمره أن يُجد السير . فخرج مُسرعاً ، فوصل الخبرُ إليه بمَقتل علىّ رضى الله عنه و بيعة أهل العراق ولدَه الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ بالخلافة ، فركب جارية فى السِّلاح ودَعا أهلَ المدينة إلى البيعة للحسن ، فأمتنعوا ، فقال : والله لتُبايعنّ ولو بأَستاهكم[1] . فلما رأى أهلُ المدينة الجِدَّ منه بايعوا الحَسن . وكرَّ راجعاً إلى الـكوفة .

تعقيب لابن واصل

قلت :

إنه لمـا قَتل عبدُ الرحمن بن مُلجم المُرادى علياً ـ رضى الله عنـه ـ وذلك عند خُروجه لصلاة الغَداة من ليلة الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنةَ أربعين للهجرة ، ضَربه على جَبينه بالسيف ، فقال : فُزتُ وربِّ الـكعبة . أقام رضى الله عنـه ثلاثاً ثم تُوفى إلى رحمة الله ورضوانه . وقال بعد أن ضُرب : ألينوا فراشَ أبن مُلْجم وأطيبوا طعامه ، فإن أَعش فعفوٌ أو قصاص ، وإن أمت فأقتلوه ولا تمثِّلوا به . فاستأذنوه فى البيعة للحسن بعده ، فقال : ما آمركم ولا أنهاكم . فلما تُوفى رضى الله عنه بايع الناس الحسن . فلم يلبث فى الخلافة إلا نحو ستة أشهر . وقصده معاويةُ فى عسكر الشــام ، ورأى الحسن أن لا قِبل له به ، فصالحه وسلَّم الأمر إليه . وذلك سنة إحدى وأربعين . ويُسمى ذلك العام عامَ الجماعة، لاجتماع الناس فيه على مُعاوية .

شعر أم حكيم فى بكاء ابنيها

قال أبو الفرج :

وأصاب أمّ حكيم ، زوجةَ عُبيد الله بن العباس ، وَلهٌ على ولديها ، فـكانت لا تَعقل ولا تُصغى إلى قول من أعلمها أنهما قد قُتلا ، ولا تزال تَطوف فى المواسم وتُنشد الناس هذه الأبيات :

---

(١) أى كرها .

يا من أحسّ بُنَيَّيَّ اللذين هُما ... كالدُّرتين تَشظَّى[١] عنهما الصَّدَفُ

يا من أحسّ بُنَيَّيَّ اللذين هما ... مُخّ العظام فمُخّى اليوم[٢] مُزْدَلَف

نُبِّئت بُسْراً وما صدّقت ما زَعموا ... مِن قولهم ومن الإفك الذى اقْترفوا

أَنحَى على ودجَىْ ابنىّ[٣] مُرهفة ... مَشحوذةً وكذاك الإثم يُقْترف

حتى لقيتُ رجالاً من أَرُومته ... شُمّ الأُنوف لهم من قومهم شَرف

فالآن ألعن بُسْراً حقّ لَعنته ... هذا لعمرو أبى بُسْرٍ هو السَّرف

من دَلّ والهةً حَرّى مولّهةً ... على صبيَّين ضلّا إذ عَدا السلف

دعاء علىّ على بسر

وذُكر أن عليًّا ـ رضى الله عنه ـ دعا على بُسْر بن أرطاة لمّا بلغه ذَبْحُه للصبيين ، وقال : اللهم اسلُبْه دينه ، ولا تُخرجه من الدنيا حتى تَسْلبه عقله . فأصابه ذلك، وفقد عقلَه ، فكان يَهذى بالسيف ويطلبه ، فيُؤتى بسيف من خَشب ويُجعل بين يديه زق مَنفوخ ، فلا يزال يضرب به حتى يَسأم . ثم مات .

ابن العباس مع معاوية وبسر

وذُكر أنه لما كانت سنةُ الجماعة ، واستقرّ الأمر لمعاوية ، دخل إليه عُبيد الله ابن العبّاس ، وعنده بُسْر بن أرطاة ، فقال له عُبيد الله : أنت قاتل الصبيين أيها الشيخ ؟ قال بُسْر : نعم ، أنا قاتلهما . فقال له عُبيد الله : أما والله لوددتُ أن الأرض كانت أَنبتتنى عندك . فقال بُسْر : فقد أنبتتْك الآن عندى . فقال عُبيد الله : ألاَ سيف ؟ فقال له بُسْر : هاكَ سيفى . فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله أَخذه مُعاوية ، ثم قال لبُسْر : أخزاك الله شيخاً ، قد كبرتَ وذهب عقلك ! تَعمد إلى رجل من بنى هاشم قد وترتَه وقتلتَ ابنيه تَدفع إليه سيفَك ! إنك لغافل عن قلوب بنى هاشم ، والله لو تمكّن منه لبدأ بى قبلك . فقال عُبيدالله : أجل والله ، ثم إذن لثنّيتُ به[٤] .

---

(١) تشظى : تطاير . (٢) مزدلف : قد دنا إلى هلكه . وفى غير التجريد : « مختطف » .

(٣) الودج : عرق فى العنق . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « وكنت أثنى به » .

انتقام يمنى من بسر وقتله ولديه وسبب ذلك

وذُكر أن رجلاً من أهل اليمن قَدم مكة فسمع أمرأة عُبيد الله بن العبّاس تندب أبنيها اللذين قَتلهما بُسْر بن أرطاة، فرقّ لها وأتصل ببُسر حتى وَثق به، ثم أحتال لقتل أبنى بُسر، فخَرج بهما إلى وادى أَوطاس (١) فقَتلهما وهرب، وقال:

يا بُسْر بُسْرَ بنى أَرطاةَ ما طلعتْ ... شمسُ النهار ولا غابتْ على ناسِ
خيرٍ من الهاشميَّين اللّذين هما ... عينُ الهُدى وسِمَامُ الأشوس (٢) القاسِى
ماذا أردتَ إلى طِفلَىْ مُدلّهة ... تبكى وتندُب من أثكلتَ فى الناس
لمّا قتلتَهما ظُلماً فقد شَرِقت ... من صاحبيك قَنَاتى يوم أَوْطاس
فاشرب بكأسيهما ثُكلاً كما شربت ... أُمُّ الصبيَّين فى دار ابن عبّاس

(١) أوطاس: واد فى ديار هوازن. وفيه كانت وقعة حنين.
(٢) الأشوس: المتكبر. وفى غير التجريد: «الأسوق».

ذكر خبر أم حكيم

نسبها — هي أم حَكيم بنت يَحيى بن الحَـكم بن العاصى بن أُمية بن عبد شمس .

أمها وجدتها — وأمها زَينب بنت عبـد الرحمن بن الحارث بن هشام المَخزومى . وأم زينب سُعدى بنت عَوف بن خارجة بن سِنان بن أبى حارثة بن لأم الطائى .

حديث سعدى جدتها وأمها — وكانت سُعدى هذه عند عبد الله بن الوليد بن المُغيرة، فولدت له سَلَمة ورَيطة ؛ ثم تُوفى عنها . فخَلَف عليها طلحةُ بن عُبيد الله ــ رضى الله عنه ــ فولدت له يحيى وعيسى؛ ثم قُتل عنها . فخَطبها عبدُ الرحمن بن الحارث بن هشام ، فتكلّم بنوها فى ذلك وكرهوا أن تتزوّج ، وقد صاروا رجالاً . فقالت : إنه قد بقى فى رَحم أُمكم فَضلة شريفـة لا بُد من خُروجها . فتزوّجها يحيى بن الحـكم ، فولدت له المُغيرة ابن عبد الرحمن الفقيه ، أحد أجواد قُريش المُطعمين ؛ وزينب بنت عبد الرحمن ، وكانت من أجمل النساء وأحسنهن وجهاً وقدًّا ، كأن أعلاها قضيب ، وأسفلهـا كثيب . وكانت تُسمى المُوصلة ؛ لأنها وصلت الجمال بالـكمال ــ وقيـل : سُميت بذلك لفَرط لِين جسدها .

حديث زينب — فتزوج زينبَ بنت عبد الرحمن هذه أبانُ بن مروان بن الحـكم ، فولدت له عبدَ العزيز بن أبان . ثم مات أبان عنها، فخَطبها عبدُ الملك بن مروان ، وكتب إلى أخيها المُغيرة أن يحملها إليه بفلسطين أو بالأُردن . فعَرض له يحيى بن الحـكم فقال: أين تريد ؟ فقال : أُريد أمير المؤمنين . قال : وما تصنع به ، فوالله لا يزيدك على ألف دينار يُـكرمك بها وأر بعمائة دينار لزينب ، ولك عندى ثلاثون ألف دينار سوى صداق زينب . فقال له المغيرة : أوَ تنقُل المال إلىَّ قبل عقد النِّـكاح ؟ قال :

نعم . فنقل إليه المال وزوّجه زينب . وجعل عبدُ الملك ينتظر المُغيرة ، فلما أبطأ عليه قيل له : يا أمير المؤمنين، إنه قد زوَّج يحيى بن عبدالحكم أخته زينبَ بثلاثين ألف دينار وأعطاه إياها . فغَضب عبدُ الملك بن مروان على عمّه يحيى بن الحكم ، وخَلعه عن ماله ، وعزله عن عمله ، وقال : دَخل على خِطبتى ! والله لا يَخطُب على منبرٍ ما دمتُ حيًّا ، ولا رأى منِّى ما يُحب . فجعل يحيى يقول :

ألاَ لا أبالى اليومَ ما فعل الدهرُ إذا بقيتْ لى كعكتان وزَينبُ

شىء عن أم حكيم وزواجها من عبد الملك

فولدت زينبُ من الحكم أمَّ حكيم بنت يحيى بن الحكم. وكانت مُفرطة الجمال كأُمها ، فسُميت : المُوصلة بنت المُوصلة . ومن الناس من يقول الواصلة . وكانت مع جمَالها تقول الشعر الحَسن . وكانت مُدمنة للشُّرب . فتزوّج أمَّ حكيم هذه عبدُ العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فى حياة جدّه عبد الملك ابن مروان ، وعقد العقد بحَضرته ، وأمر بإدخال الشُّعراء ليهنّئوهم بالصِّهر . فقال عدىٌّ بن الرِّقاع فى ذلك :

قمرُ السَّماء وشمسها اجتمعا بالسَّعد ما غابا وما طلعَا

ما وارت الأستارُ مثلهما منْ ذا رأى هذا ومَن سَمعا

دام السرور له بها ولَهاَ وتهنَّيا طولَ الحياة معا

وقال جرير بن الخطفى :

جَمع الأميرُ إليه أكرمَ حُرة فى كُل ما حالٍ من الأحوالِ

حَكميّة عَلتِ الرَّوابى كُلَّها بمَفاخر الأعمام والأخوال

وإذا النِّساء تفاخرت ببُعولة فخرتهمُ بالسيد المفضال

عبدالعزيز ومَن يُكلِّف نفسَه أخلاقَه يَلبثْ بأكسفِ بال

هنّأتكم بمودّة ونَصيحة وصدقتُ فى نفسى لكم ومَقالى

فَلْتَهْنِكِ النِّعم التى خُوِّلتهـا   يا خـيرَ مأمول وأكرمَ والى

فأمر له عبدُ الملك بعشرة آلاف درهم ، ولعـديّ بن الرقاع بمثلها . وقضى يومئذ لأهله ومواليـه مائةَ حاجة . وأمر لجميع مَن حضر من الـكُتاب والحرس بعشرة دنانير . فبقيت أم حكيم عند عبد العزيز بن الوليـد مُدة .

زواجها من هشام

ثم تزوج مَيمونة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ــ رضى الله عنــه ــ فملـكته وأحبّهـا وذهبت به كُل مذهب ، فلم ترض منــه إلا بطلاق أم حكيم ، فطلقها . فتزوّجها عمُّه هِشام بن عبـد الملك بن مروان . ثم مات عبـد العزيز ، فتزوّج هشام ميمونة أيضاً ، وكان شديد المحبّة لأم حَكيم ، فطَلّق مَيمونة اقتصاصاً لها منها فيما فعلته بها فى اجتماعهما عند عبد العزيز ، وقال لها : هل أرضيتُك منها ؟ قالت : نعم .

ولدها من هشام

فولدت أم حكيم مِن هشام ابنَه يزيد بن هشام ، وكان من رجالات بنى أُمية ، ــ وكان أحد من بطش بالوليد بن يزيد وأغرى النـاس به ــ وولدت من هشام مَسلمة ، المُلقب بأبى شاكر .

وكانت أم حكيم لا تـكاد تفارق الشّرب ، وكأسها التى كانت تَشرب فيهـا مشهورة عند الناس ، وفيها يقول الوليد بن يزيد :

علِّلانى بعاتقـــات الـكُروم   واسـقيانى بكأس أم حكيم
إنهـا تشرب المُدامة صِرفاً   فى إناء من الزّجاج عظيم

فلما بلغ هـذا الشعرُ هشامَ بن عبد الملك قال لأم حكيم : أتفعلين ما ذكره الوليد ؟ قالت: أوَ تُصدقه الفاسق فى هذا ؟ قال : لا . قالت : هو كبعض كَذبه .

كأسها وما كان عليها من ذهب

وبقى كأس أم حكيم فى خزائن الخُلفاء دهراً طويلاً .

فحَـكى إسماعيل بن مجمع قال : كُنّا نُخرج ما فى خزائن المأمون من الذهب

والفضة فنزكّى عنه، وكان مما يزكى عنه قائمُ كأس أم حكيم، وكان فيه من الذهب ثمانون مِثقالاً. وكانت كأسها من زجاج أخضر، قَبْضتُها مِن ذَهب.

حديث بيعها

وذُكر أن المُعتمد على الله لما أخرج ما الخزائن ليُباع فى أيام ظهور صاحب الزَّنج[1] بالبصرة، أخرج كأساً مُدَوَّرة على هيئة القَحف يسع ثلاثة أرطال، فقُوِّمت بأربعة دراهم، فعَجب مَن حضر من حُصول مثله فى الخزانة مع خساسته. فسُئل الخازن عنه فقال: هذا كأس أُم حكيم. فرُدت إلى الخزانة. ولعلّ الذَّهب الذى كان عليها أُخذ حينئذ ثم أُخرجت لتُباع.

حديث ابن الجنيد مع الرشيد فى هذه الكأس

وحكى أبو الأغر[2] قال:

كنّا مع محمد بن الجُنيد فى أيام الرشيد، فشَرب ذاتَ ليلة، وكان صوته:

عَلِّلانى بعاتقات الكروم وأسقيانى بكأس أُم حكيم

فلم يزل يقترحه ويَشرب عليه إلى السَّحر. فوافاه كتاب خليفته فى دار الرشيد: إن الخليفة على الركوب — وكان محمد أحدَ أصحاب الرشيد ومَن يُقدِّم إليه دابته — فقال: ويحكم! كيف أعمل والخليفة لا يقبل لى عُذراً وأنا سكران! فقالوا: لا بد من الركوب على كل حال. فلما قدّم للرشيد دابته، قال له: يا محمد، ما هذه الحال التى أراك عليها؟ فقال: لمَ أعلم رأى أمير المؤمنين فى الركوب فشربتُ ليلتى أجمع. قال: فما كان صوتُك؟ فأخبره. فقال له: عُد إلى منزلك فلا فَضل فيك. فرجع إلينا وخَبَّرنا بما جرى. وقال: خذوا بنا فى شأننا. فجلسنا على السطح، فلما مَتع النهارُ إذا خادمٌ من خَدم أمير المؤمنين قد أقبل علينا على بِرذون، فى يده شيء مُغطًّى بمنديل ينال الأرض، ثم قال لمحمد: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: بعثنا إليك بكأس أُم حكيم لتشرب فيها، وبألف دينار

(١) فى غير التجريد: «لظهور الناجم بالبصرة».

(٢) فى غير التجريد: «ابن الأغر».

تُنفقها فى صَبوحك . فقام محمد وأخذ الكأس من يد الخادم وقبّلها ، وصَبَّ فيها ثلاثة أرطال وشربها قائماً ، وسقانا مثل ذلك ، ووهب للخادم مائتى دينار ، وغَسل الكأس وردها إلى موضعها ، وجعل يفرّق تلك الدنانير حتى بَقِى معه أقلُّها .

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر أم حكيم ، هو من شعرها ، وهو :

ألا فاُسقيانى من شَرابكما الوَرْدِى … وإنْ كنتُ قدأنفدتُفاُسْتَرهنابُرْدِى

سِوارى ودُملوجى وما ملكتْ يدى … مُباحٌ لكم نَهبٌ ولا تَقطعوا وِرْدِى

منافرة عامر وعلقمة
وخبر الأعشى معها

شعر للأعشى في مدح عامر وهجاء علقمة

ثم ذكر أبو الفرج شِعر الأعشى الأكبر، وهو:

عَلقمَ ما أنتَ[1] إلى عامر النـ ـاقض الأوتار والواتر

إن تَسُد الحُوصَ[2] فلم تَعْدُهم فعـامرٌ ساد بنى عامرِ

عَهدى بها فى الحىّ قد دُرِّعت صفراء[3] مثل المُهرة الضامر

قد حجَم الثدى على[4] صدرها فى مُشرق ذى بَهجة[5] ناضر

لو أسندت مَيتاً إلى نَحرها عاش ولم يُحمل[6] إلى قابر

حتى يقولَ الناسُ مما رأوا يا عجباً للميِّت الناشر

المنافرة بين عامر وعلقمة

وهذا الشعرُ يمدح به الأعشى عامرَ بن الطُّفيل العامرىّ ويهجو علقمة بن عُلاثة ابن عوف بن الأحوص العامرىّ، وكانا تفاخرا وتَنافرا وعَظُم الخطبُ بينهما فى ذلك، ثم اتفقا على أن يُحكِّما بينهما حكماً، فأيهما حكم عليه الحَكَمُ بأنّ صاحبه له الفَخر عليه أعطى الحكم مائة من الإبل. وتراضيا بذلك، ووضعا بذلك رُهناً من أبنائهم على يد رجل من عامر. ثم أتيا مكة فى جَمْعٍ من قومهما فحكَّما أبا سُفيان بن حَرب، فأبى أن يحكم لأحدهما على الآخر، وقال: أنتما كرُكبتى البعير تقعان معاً بالأرض. قالا: فأيّنا اليمين؟ قال: كلاكما اليمين. فانطلقا إلى أبى جهل ابن هشام. فأبى أن يحكُم بينهما. فأتيا عُيينة بن حِصن بن حُذيفة بن بدر، فأبى

(١) الديوان (١٠٥): «لا لست». (٢) الديوان: «سدت بنى الأحوص لم».
(٣) الديوان (١٠٤): «سربلت: هلفاء». (٤) الديوان «قد نهد ... على نحرها».
(٥) الديوان: «ذى صبح نائر». (٦) الديوان: «ينقل».

ان يقول بينهما شيئاً . فأتيا غيـــلان بن سَلَمة الثقفى ، فردّهما إلى حَرملة بن الأسكر[١] المُرّى ، فردّهما إلى هَرِم بن سِنان بن عمرو الفزارى ، فأخذ مواثيقهما على أن يَرضيا بما يقول . فأعطياه من المواثيق ما أطمأن . ثم استأجلهما سـنة . وجاآه بعد السنة ، فلم يَـقض لأحدهما على الآخر ، بل قال : يا بنى جعفر ، نحا كمتما إلىّ وأنتما كرُ كبتى البعير تقعان على الأرض ، وليس فيكما واحد إلا وفيه ما ليس فى صاحبه ، وكلا كما سيد كريم . وكان قبل أن يقول ذلك قد قال لبنيه و بنى أبيه : إنى قائل بين هذين الرجلين مقالة ، فإذا فعلت ذلك فَلْيطرد بعضكم عَشر جزائر فَلْينحرها عن عَلقمة ، و يطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن عامر ، وفرِّقوا بين الناس لئلا تـكون[٢] بينهم جماعة . فلما قال هرم هذه المقالة فَعل بنوه و بنو أبيه ما أمرهم به وفرّقوا الناس . وكره هَرم أن يُفضِّل أحد الرجلين على الآخر فيَجلب بذلك عداوة ، و يوقع بين الحيين شرًّا .

وكان أعشى قيس ، حين رجع من عند قَيس بن مَعـدى كرب بما أعطاه ، طلب الجوائز والخُفرة من عَلقمة ، فلم يكن عنده ما طلب ، وأجازه وخَفره عامر ، حتى إذا أدّاه وماله إلى أهله قال :

عَلقم ما أنت إلى عامرِ النـ ـاقض الأوتار والواترِ

ثم أتمّها بعد النِّفار .

إســلام علقمة وارتداده ثم إسلامه

وأدرك علقمة بن عُلاثة الإسلام ، ثم أرتد فيمن أُرتد من العرب ، ثم أسلم وأتى أبا بكر الصديق — رضى الله عنه — وأخبره أنه نزع عما كان عليه . فقَبِل إسلامَه وآمنه .

استئذان الحطيئه لعمر ليخرج إلى علقمة وحديث ذلك

وذ كرأن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — لما أطلق الحُطيئة من مَحبسه ،

---

(١) فى غير التجريد : « الأشعر » . (٢) فى غير التجريد : « لا تكون » .

قال له : يا أمير المؤمنين ، اكتُب لى كتاباً إلى علقمة بن عُلاثة لأقصده به ، فقد مَنعتنى الكسب بشعرى . فقال له : لا أفعل . فقيل له : يا أمير المؤمنين، وماعليك من ذلك ، إن علقمة ليس عاملك فتَخشى أن تأثم ، وإنما هو رجل من المسلمين تَشفع له إليه . فكتب له بما أراد . فمضى الحُطيئة بالكتاب . فصادف علقمة قدمات والناس مُنصرفون عن قبره ، فوقف عليه ثم أنشد :

لعمرى لنِعم الحىّ[1] من آل جعفر بحُوران أمسى أقصدتْه[2] الحَبائلُ

فإن تَحْىَ لا أملل حياتى وإن تمت فما فى حَياتى بعد موتك طائلِ

وما كان بينى لو لقيتُك سالماً وبين الغِنَى إلّا ليالٍ قلائل

(١) فى غير التجريد : « المرء » .

(٢) فى غير التجريد . « أعلقته » .

أخبار أبى العباس الأعمى

نسبه وشىء عنه

هو السائب بن فَرُّوخ ، مولى بنى الدِّيل . أحد شُعراء بنى أُميــة المعدودين المُتقدِّمين فى مَدحهم والمَيل إليهم .

راو للحديث

وقد رَوى الحديث ورُوى عنه . فمما رَوى عن سعيد بن المُسيِّب قال : قال علىّ ابن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إسباغ الوضوء على المــكَاره ، وإعمالُ الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، تَغسل الخطايا غَسْلاً .

ورَوى عن عبد الله بن عُمر قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه فى الجهاد . فقال : أحَىٌّ والداك ؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد .

هو والمنصور أيام مروان

وحَــكى المهدىُّ قال : سمعت المنصور يقول : خرجتُ أريد الشام أيام مَروان ابن محمد ، فصحبنى فى الطريق رجلٌ ضريرٌ ، فسألتُه عن مَقصده ، فأخبرنى أنه يُريد مروانَ بشعرٍ أمتدحه به . فاستنشدتُه إياه ، فأنشدنى :

ليت شــعرى أفاح رائحــةُ المســ ... ـك وما إن إخالُ بالخَيف[1] أُنْسِى

حين غابت بنو أُميـــــة عنه ... والبَهاليل من بنى عبــد شَمس

خُطبـــاء على المنــــابر فُر ... ســان عليهــا وقالةٌ غير خُرس

لا يُعابون صامتين وإن قا ... لوا أصــابوا ولم يقولوا بلَبْس

بحُلوم إذا الحُــلوم اسْتُخفَّت ... ووجوهٍ مثـــل الدّنانير مُلْس

---

(١) الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء .

قال : فوالله ما فَرَغ من إنشاده حتى توهّمت أن العمَى قد أدركنى . وافترقنا . فلما أفضت الخلافةُ إلىّ خرجت فنزلت أمشى بجبلى زَرود[١] ، فبصُرتُ بالضرير ، ففرّقت مَن كان معى ، ثم دنوتُ منه فقلت : أتعرفنى ؟ فقال : لا . قلت : أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيامَ مروان . فقال : أوّه :

آمت نساء بنى أميــة مِنهمُ　　　وبنــاتُهم بمُضيعة أيتــامُ
نامت جدودهمُ وأسقط نجمهم　　　والنَّجم يَسقط والجدود تَنـام
خَلَت المنـابر والأسرَّة منهمُ　　　فعليهمُ حتى الممات ســلام

فقلت : وكم كان مروان أعطاك بأبى أنت ؟ قال : أغنـانى أن أسأل أحداً بعده . فهممتُ بقتـله ، ثم ذكرت حق الاسترسال والصُّحبة ، فأمسكت عنـه ، وغاب عن عينى ، فبدا لى فيه ، فأمرت بطلبه ، فكأنما البيداء بادت به .

شعره الذى فيه الغناء

والأبيات الثلاثة الأولى من الأبيات السِّينية المذكورة ، هى الشعر الذى فيـه الغناء ، وافتتح بهأبو الفرج أخبار أبى العباس الأعمى .

---

(١) زرود : رمال بطريق الحاج من الكوفة . فأول الرمال الشيمة ، ثم رمل الشقيق ، وهى خمسة أجبل : جبلا زرود ، وجبل الغر ، ومريخ ، وجبل الطريدة .

أخبار أبي حيّة النّميري

نسبه

هو الهَيثم بن الرَّبيع بن زرارة بن كَثير بن جَنـاب بن كَعب بن مالك بن عامر ابن نُمير بن صَعصعة بن هَوازن بن مَنصور بن عكرمة بن خَصـفة بن قَيس ابن مُضر بن نزار .

شاعر من مخضرم الدولتين وشيء عنه

وهو شاعر مُجيد متقدِّم ، وهو من مُخضرمى الدولتين العباسية والأُموية .

وقد مَدح الخُلفاء منهم[1] جميعاً . وكان فصيحاً مقصّداً راجزاً ، من ساكنى البصرة . وكان أهوَج جباناً بَخيـلاً كذّاباً معروفاً بذلك أَجمع . وقيـل إنه كان يُصرع .

حديث سيفه وكلب دخل عليه

وذُكر أنه كان لأبى حيّة النُّميرى سيف يُسمِّيه لُعاب المنيَّة ، ليس بينه و بين الخَشب فَرق . فدخل ليلةً إلى بيته كلبٌ فظنّه لصاً ، فأشرف عليه وقد انتضى سيفه « لُعـاب المنية » وهو واقف وسطَ داره ، وهو يقول : أيها المغـترّ بنا والمجترىء علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ! خير قليل[2] ، وسيف صقيل ، لعاب المنية الذى سمعت به مشهورة ضربته ، لا تخاف نبوته ؛ أخرج بالعفو عنك ، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ؛ إنى والله إن أَدْعُ قيساً عليك[3] لا تقوم لها ، وما قيس ! تملأ والله الفضاء خيلاً ورجالاً . سبحان الله ! ما أكثرها وأطيبها ! فبينا هو كذلك إذ خرج الـكلب ، فقال : الحمد لله الذى مَسخك كلباً ، وكفانى حرباً .

---

(١) فى غير التجريد : « فيهما » . (٢) فى غير التجريد : « خليل » .

(٣) فى غير التجريد : « إليك » .

من كذبه

ومما ذكر من كذبه أنه قال : عَنّ لى ظَبىٌ يوماً فرميتُه ، فراغ عن سهمى ، فعارضه السهمُ ، فما زال والله يرُوغ و يعارضه ، حتى صرعه فى بعض الجبانات .

وقال يوماً : رمَيت ظبية ، فلما نفذ سهمى عن القوس ذكرتُ بالظَّبية حبيبةً لى، فعدوتُ خلف السهم حتى قبضتُ على قُذَذِه[1] قبل أن يُدركها .

مدحه المنصور وهجاؤه بنى العباس ابن حسن

وذُكر أنه وَفد على المنصور فمدحه وهجا بنى العبّاس بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنهم — بقصيدة أولها :

عُوجا نُحيّى ديارَ الحيِّ بالسَّنَدِ   وهل بتلك الدِّيار اليومَ مِن أَحدِ

يقول فيها :

أحين شِيم فلم يَتْرك لكم تِرَةً   سيفٌ تقلّده الرِّئبال ذو اللِّبَد
سللتُموه عليكم يا بنى حسن   ما إن لكم من فلاحٍ آخِرَ الأَبد
قد أصبحتْ لبنى العباس صافيةً   بجَدْع آنُفِ أهلِ البَغْيِ والحَسد
وأصبحتْ كلها لليثِ فى فَمِه   ومن يحاولُ شيئاً من فم الأسد

فوصله بشىء كثير ما كان يؤمِّل مثلَه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى حيّة ، هو :

ألَا حَىِّ من أجل الحبيب المَغانيا   لَبِسْنَ البِلَى لمّا لَبِسن اللّياليا
إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ   تقاضاه شىء لا يَمَلُّ التقاضيا

(١) قذذ السهم : ريشه ؛ الواحدة : قذذة

أخبار نائلة بنت الفرافصة (*)

نسبها

هى نائلة بنت الفُرَافِصة بن الأحوص بن عمرو بن ثَعلبة بن الحارث بن حِصن ابن ضَمْضَم بن عَدِىّ بن جَناب، الكَلبية .

زواجها من عثمان وقصة ذلك

ذُكر أنه تزوّج سعيدُ بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، وهو والى الكوفة لعثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ هند بنت الفُرافصة . فبلغ ذلك عثمانَ ـ رضى الله عنه ـ فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فقد بلغنى أنك تزوّجت امرأة ، فاكتُب إلىّ بنَسبها وجمالها .

فكتب إليه : أما بعد . فإن نسبها أنها بنت الفُرافصة بن الأحوص . وجمالها أنها بيضاء مديدة القامة .

فكتب إليه : إن كان لها أخت فزوّجنيها .

فبعث سعيدٌ إلى الفُرافصة يخطُب إحدى بناته على عُثمان ـ رضى الله عنه ـ فأمر الفُرافصةُ ابنــه ضَبًّا ، فزوّجها إياه . وكان ضَبّ مُسلماً . وكان الفُرافصة نَصرانيّا . فلما أرادوا حَملها إليه ، قال لها أبوها : يا بُنية ، إنك تقدمين على نساء من نساء قريش هن أقدر على الطِّيب منك ، فاحفظى علىّ خصلتين : تكحّلى وتطيّبى بالماء حتى يكون ريحك ريح شنّ [1] أصابه مطر .

الشعر الذى فيه الغناء

فلما حُملت كرهت الغُربة وحنّت لفراق أهلها ، فأنشأت تقول ، وهو الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبارها :

(*) وقبل أخبار « نائلة » ساق أبو الفرج « أخبار أحمد المكى » ولكن ابن واصل مر عنه ولم يعقب .   (١) الشن : القربة من جلد .

ألست تَرى بالله يا ضَبُّ أننى ... مُصاحبةٌ نحو المدينــة[1] أَرْكُبَا
إذا قَطعوا حَزْناً تَخُبّ ركابُهم ... كما زَعزعت ريحٌ يَراعاً مُثقَّبا
لقد كان فى أبناء حِصنِ بن ضَمضَم ... لكَ الويلُ ما يُغنى الخِباءَ المُطنَّبا

عود إلى قصة زواجها

فلما قَدِمت على عثمان — رضى الله عنه — قعد على سرير ووضع لها سريراً حيالَه ، فجلست عليه ، فوضع عثمان — رضى الله عنه — قَلَنْسيته ، فبدا الصَّلع ، فقال : يا بنت الفُرافصة، لا يهولنّك ما تَريْن من صَلعى ، فإن من ورائه ما تُحبين . فسكتت . فقال : إما أن تقومى إلىّ و إما أن أقوم إليك ؟ فقالت : أما ما ذكرتَ من الصَّلع فإنى من نساء أَحبُّ بُعولتهن إليهن السادة الصُّلع : وأما قولك : إما أن تقومى إلىّ و إما أن أقوم إليك ، فوالله لمَا تجشّمتُ إليك من السماوة أبعدُ مما بينى و بينك ، بل أقوم إليك . فقامت فجلست إلى جَنبه ، فمَسح رأسها ودعا لها بالبركة ، ثم قال : أُطرحى عنك رِداءك . فطرحته . ثم قال : أُطرحى خمارك ، فطرحته . ثم قال : أنزعى دِرعك ، فنزعته . ثم قال : حُلِّى إزارك[2] . فقالت : ذاك إليك . فحلّ إزارها . فكانت مِن أحظى نسائه عنده .

هى فى مقتل عثمان

وحَكى أبو الجرّاح مولى أُم حَبيبة ، قال :

كنت مع عثمان فى الدار ، فما شعَرت وقد خَرج محمد أبى بكر ونحن نقول : هم فى الصلح ، إذا أنا بالناس قد دخلوا من الخوخة ونزلوا بأمراس الحِبال من سُور الدار ، معهم السيوف ، فرميتُ بسيفى وجلست عليه . فسمعتُ صياحهم . فإنى لأنظر إلى مُصحفٍ فى يد عثمان و إلى حُمرة أديمه ، فنشرت نائلة بنت الفُرافصة شعرها : فقال لها عثمان : خُذى خِمارك ، فلعمرى ، ما دُخولهم علىّ أعظم من حُرمة شَعرك . فأهوى رجلٌ لعثمان بالسيف ، فاتقته نائلة بيدها . فقَطع إصبعين من

(١) أركب : جمع ركب ، غير مسموع . (٢) فى غير التجريد : « أزرارك » .

أصابعها . ثم قتلوه وخرجوا يُـكبِّرون . ومَرَّ بى محمد بن أبى بكر ، فقال لى : مالك يا عبدَ أم حبيبة ! ومضى ، فخرجتُ .

رثاؤها عثمان

وذُكر أن عثمان – رضى الله عنه – لما قُتل، قالت نائلةُ بنت الفُرافصة تَرثيه :

ألا إن خيرَ النـاس بعـد ثلاثة ... قتيل التُّجيبىّ الذى جاء من مصرِ

ومالىَ لا أبكى وتبكى قـرابتى ... وقد غُيّبت عنّا فُضول أبى عمرو

وقيل : إن الشعر للوليد بن عُقبة .

قلت : التُّجيبى الذى ذكرته نائلة منسوبٌ إلى « تُجيب » قبيلة باليمن ، وهو أحد القادمين المدينة لقتل عثمان – رضى الله عنه .

كتابها إلى معاوية مع قميص عثمان

قيل : ولما قُتل عثمان – رضى الله عنه – بعثت نائلةُ بنت الفُرافصة بقميص عثمان – رضى الله عنه – مع النُّعمان بن بشير ، وعبد الرحمن بن حاطب بن أبى بَلتعة ، وكتبت معهما إلى معاوية بن أبى سفيان :

بسم الله الرحمن الرحيم . من نائلة بنت الفُرافصة إلى معاوية بن أبى سفيان . أما بعد . فإنى أذكّركم الله الذى أنعم عليكم وعلّمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، ونصركم على العدو ، وأوسع عليكم النعمة . وأنشدكم بالله عزّ وجلّ وأذكّركم حقّه وحق خليفته أن تنصُروه [1] ، وبعزمة الله عليكم ؛ فإنه عز وجل يقول : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا . فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ ، وإن أمير المؤمنين بُغى عليه . ولو لم يكن له من الحق عليكم إلا حق الولاية ، ثم أُتى إليه بما أُتى لحقٌّ على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره، لقِدمه فى الإسلام وحُسن بلائه . وأنه أجاب داعى الله وصدّق كتابه . والله أعلم

(١) فى غير التجريد : « الذى لم تنصروه » .

به إذ انتخبه وأعطاه شرف الدنيا والآخرة . وإنى أقصّ عليكم خبره لأنى كُنت مشاهدةً أمره كله حتى أُفضى إليه[1] . وإن أهل المدينة حصروه فى داره يحرُسونه ليلهم ونهارهم ، وهم قيامٌ على أبوابه بسلاحهم يمنعونه كل شىء قدروا عليه ، حتى منعوه الماء، يحضرونه الأذى ويقولون له الإفك . فمكث هو ومن معه خمسين ليلة قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبى بكر، وعمّار بن ياسر . ثم إنه رُمى بالنبل والحجارة ، فقُتل ممّن كان فى الدار ثلاثة نفر . فأتوه يصرُخون إليه ليأذن لهم فى القتال . فنهاهم عنه وأمرهم أن يردُّوا عليهم نبلَهم ، فردّوها إليهم . فلم يَزدهم ذلك فى القتال إلا جُرأة ، وفى الأمر إلّا إغراقاً ، ثم أحرقوا باب الدار . فجاءه نفر من أصحابه فقالوا : إن فى المسجد ناساً يُريدون أن يأخذوا أمرَ الناس بالعَدل ، فاُخرُج إلى المسجد حتى يأتوك . فانطلق فجلس فيه ساعةً ، وأسلحةُ القوم مُطلّة عليه من كل ناحية ، وما رأى أحداً يعدل ، فدخل الدار . وقد كان نفر من قريش على عامّتهم السلاحُ ، فلبس دِرعه وقال لأصحابه : لولا أنتم ما لبستُ درعاً . فوثب عليه القوم ، فكلّمهم ابنُ الزبير وأخذ عليهم ميثاقاً صَحيفةً بعث بها إلى عثمان : إن عليكم عهد الله وميثاقه إلّا تغرّوه بشىء . فكلّموه وتحرّجوا . فوضع السلاح . فلم يكن إلا وضعه حتى دخل عليه القوم يقدمهم ابن أبى بكر ، حتى أخذوا بلحيته ودَعوه باللَّقب . فقال : أنا عبد الله وخليفتُه . فضربوه على مُقدم الجبين فوق الأنف ضربةً أسرعت فى العظم، فسقطتُ عليه وقد أثخنوه ، وبه حياة ، وهم يريدون قَطع رأسه ليذهبوا به . فأتتنى بنتُ شيبة بن ربيعة فألقت نفسها معى عليه . فوُطئنا وطئاً شديداً ، وعُرّينا من ثيابنا ، وحُرمةُ أمير المؤمنين أعظم . فقتلوه — رحمة الله عليه — فى بيته وعلى فراشه . وقد أرسلتُ إليكم بثوبه وعليه دمُه . وإنه والله لئن كان أَثم مَن قتله لم يَسلم مَن خذله . فانظروا أين أنتم من الله ، فإنا نشتكى ما مسّنا

(١) فى غير التجريد : « حتى قضى الله عليه » .

إليه ونستنصر وليه وصالح عباده . ورحم الله عثمان ولعن من قتله ، وصرعهم فى الدنيا مصارع الخزى والذلة ، وشفى منهم الصـــدور . فحلف رجالٌ من الشام ألّا يطئوا النساء حتى يقتلوا قتلته أو تذهب أرواحهم .

تعقيب لابن واصل

قلت : ذُكر أن الـكتاب لمـا وصل إلى مُعـاوية قرأه على أهل دمشق ، ونَصب قميصَ الدم على المنـبر ، وأصابع نائلة بنت الفُرافصة المقطوعة . فحمى أهلُ الشام لذلك وجدُّوا فى أمر القتال .

ولمـا فرغ على ــ رضى الله عنه ــ من أمر الجمل سـار إليهم ، فالتقوا بصفِّين . فكانت بينهم وقعات كثيرة ، قُتل فيها أُمم من الناس . ولم يختلف أحد من أهل الحق أن الحق مع علىّ ــ رضى الله عنه ــ وإنه لما بُويع له بالخلافة بعـــد عثمان ــ رضى الله عنه ــ كان هو الخليفة الواجبة له الطاعة ، ومن قاتله كان باغياً ، وإن كان متأوّلاً . وقد ثبت فى الصحيح أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال لعمّار بن ياسر ــ رضى الله عنه ــ : يا عمار ، تقتلُك الفئة الباغية . فاُستشهد مع علىّ ــ رضى الله عنه ــ بصفّين . وكان جماعة من المسلمين قــد اعتزلوا الحرب ليتضح لهم الأمر . فلما قُتل عمارٌ انكشف لهم الحق وانحازوا إلى على ــ رضى الله عنه ــ فـكانوا معه .

أخبار عبد يغوث ويوم الكلاب

نسبه

هو عَبد يَغُوث بن صلاءة ـ وقيل : هو عبد يَغوث بن الحارث بن وقّاص ابن صلاءة ـ بن المعقّل[1] . وأسمه ربيعة بن كَعب الأَرتّ بن ربيعة[2] بن كعب ابن الحارث بن كَعب بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد[3] بن أُدد بن زيد بن يَشجُب ابن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يَعرب بن قَحطان .

شاعر فارس

وكان شاعراً من شُعراء الجاهلية ، فارساً ، سيِّداً لقومه ـ من بنى الحارث ابن كعب ـ وقائدهم يوم الكُلاب الثانى .

حديث يوم الكلاب الثانى

وكان من حديث هذا اليوم أنّ كِسرى ملك الفُرس أَوقع ببنى تميم يومَ الصَّفا بالمُشقَّر[4] ، ونَهب الأموال والذَّرارى[5] . فبلغ ذلك مَذحِجاً فمشَى بعضُهم إلى إلى بعض وقالوا : أغتنموا بنى تميم . ثم بعثوا الرُّسل فى قبائل اليمن وأحلافها . فذُكر أنه أجتمع من مذحج : عبدُ يغوث بن صلاءة ـ ورئيس همدان رجل يقال له : مسرح ، ورئيس كندة : البراء بن قيس بن الحارث ـ وأقبلوا إلى تميم . فبلغ ذلك سعداً والرِّباب. فانطلق ناسٌ من أشرافهم إلى أَكثم بن صيفىّ ، وهو قاضى العرب يومئذ وحكيمها ، فاستشاروه . فقال لهم : أَقِلُّوا الخلاف على أُمرائكم ، وأعلموا أن كثرة الصِياح من الفَشَل ، والمرء يعجز لا محالة . يا قوم ، تثبّتوا فإن

---

(١) فى التجريد : « المفضل » . وما أثبتنا من الأغانى والمفضليات .

(٢) فى التجريد : « ربيعة » . وما أثبتنا من جمهرة أنساب العرب (ص ٣٩١) والأغانى .

(٣) فى التجريد : « خالد » . وفى الأغانى : « خلد » . وما أثبتنا من الجمهرة (ص ٣٨٧) .

(٤) الصفا والمشقر : حصنان بالبحرين .

(٥) فى الأغانى : « فقتل المقاتلة وبقيت الأموال والذرارى » .

أحزم الفريقين الرَّكين ، ورُب عجلة تهب ريثاً، وأتزروا للحرب وأدرعوا الليل ؛ فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة لمن أختلف . فلما انصرفوا من عنـد أكثم تهيئوا وأستعدوا للحرب ــ ورئيس الرباب يومئذ : النعمان بن جَسّاس . ورئيس سعد : قيسُ ابن عاصم المِنقرى ــ وأقبلت اليمن، فالتقوا هم وتميم بالـكُلاب ، وأختلطوا واقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ، حتى إذا كان من آخر النهار قُتـل من بنى تميم : النُّعمان بن جَساس . وظن أهل اليمن أن بنى تميم سيَهُدّهم قتلُ النعمان ، فلم يَزدهم ذلك إلّا جُرأةً عليهم . فأقتتلو حتى حجز الليل بينهم ، فباتوا يحرس بعضُهم بعضاً . فلما أصبحوا غَدوا على القتال . فنادى قيسُ بن عاصم : يا آل سعد . فنادى عبـد يغوث بن صلاءة : يا آل سعد ــ يدعو قيسٌ : سعدَ بن زيد مناة بن تميم . ويدعو عبدُ يغوث: سعدَ العشيرة ــ فلمـا سمع ذلك قيسٌ نادى : يا آل كعب . فنادى عبـد يغوث : يا آل كعب ــ قيسٌ يدعو : كعبَ بن سعد . وعبد يغوث يدعو : كعب بن عمرو ــ فلما رأى ذلك قيسٌ من صَنيع عبـد يغوث . قال : ما لهم أخزاهم الله ! ما ندعو بشعار إلا دعوا بمثله ! فنادى قيس : يا آل مقاعس . يدعو بنى الحارث بن عمرو بن كعب ــ وكان يلقب مقاعساً ــ فلما سمع وعلةُ بن عبد الله الجرمىُّ الصوتَ ، وكان صاحبَ اللواء يومئذ ، طرحه ، وكان أول من انهزم مـن اليمن ، وحملت عليهم بنو سعد والرَّباب فهزموهم أفظع هزيمة ، وجعل قيس بن عاصم يُنادى : يا آل تميم ، لا تقتلوا إلا فارساً فإن الرجّالة لـكم . وجعل يرتجز ويقول :

لمّـا تولّوا عُصَـباً سوارِبَا[1] أقسمتُ لا أطعن إلّا راكبَا

إنّى وجدت الطَّعْنَ فيهم صائبا

وجعل يأخذ الأسارى ، فإذا أخذ أسـيراً قال له : ممن أنت ؟ فيقول : من

(١) سواربا : أى ذاهبين على وجوههم فى الأرض . وفى بعض أصول الأغانى : شوازبا » . والشوازب : الضوامر .

بنى زَعْبل بن كعب ـ وهو أخو الحارث بن كعب ، وهم أنذال ـ فكأن الأُسارى يريدون بذلك رِخص الفداء . فجعل قيس إذا أخذ أسيراً منهم دفعه إلى من يليه من بنى تميم ، ويقول : أمسك حتى أصطاد لك زَعبلة أخرى . فذهبت مثلاً .

أسر عبد يغوث

فما زالوا فى آثارهم يقتلون ويأسرون حتى أسر عبد يغوث بن صلاءة ، أسره فتًى من بنى عُمير بن عبد شمس ، فانطلق به إلى أهله ـ وكان العبشمىّ أهوج ـ فقالت أُم العبشمى لعبد يغوث ـ وكان عظيماً جميلاً جسيماً ـ : من أنت ؟ قال : أنا سيد القوم . فضحكت وقالت : قَبحك الله من سيد قومك حين يأسرك هذا الأهوج ! وذلك حين يقول عبدُ يغوث :

وتَضحك منِّى شيخة عَبشميّة ... كأن لم ترَى قبلى أسيراً يمانيَا

ثم قال لها : أيتها الحرة ، هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أُعطى أبنك مائة من الإبل ويَنطلق بى إلى الأهتم ، فإنى أتخوف من أن تنتزعنى سعد والرِّباب منه . فضمن له مائة من الإبل ، وأرسل إلى بنى الحارث فوجهوا بها إليه . فقَبضها العبشمى وانطلق به إلى الأهتم ـ واسمه : سنان بن سُمىّ بن خالد بن مِنقر ـ فأنشأ عبد يغوث يقول :

أأهتم يا خيرَ البريّة والداً ... ورَهطاً إذا ما الناسُ عدُّوا المَساعِيَا

تدارَكْ أسيراً عانياً فى بلادكم ... ولا تثْقَفَنِّى [1] التيمَ ألْقَى الدَّواهيا

فمشت سعدُ والرباب فيه ، وقالت الرباب : يا بنى سعد ، قُتل فارسنا ولم يُقتل لكم فارس مذكور . فَدفعه الأهتم إليهم . فأخذه عِصمة بن أُبير التيمى فانطلق به إلى منزله . فقال لهم عبدُ يغوث : يا بنى تيم : أُقتلونى قِتلةً كريمة . فقال له عِصمة : وما تلك القِتلة ؟ قال : أسقُونى ودعونى أنُح على نفسى . فقال له عصمة : نعم . فسقاه الخمر ، ثم قطع له عرقاً يقال الأكحل ، وتركه يَنزِف . ومضى عنه عِصمة

(١) ثقفه : أخذه وظفر به .

وتركه مع أبنين له. فقالا له: جمعتَ أهل اليمن وجئت لتَصْطلمنا، فكيف رأيت الله عز وجل صنع بك؟ فقال عبد يغوث فى ذلك:

ألا لا تلومانى كفى اللَّوم ما بيا … فما لكما فى اللَّوم نفعٌ ولا لِيَا

ألم تعلما أنَّ الملامة نَفعها … قليلٌ وما لَومى أخى من شِماليا

أيا راكباً إمَّا عرضت فبلِّغن … نَداماى من نجرانَ ألَّا تَلاقيا

أبَا كَرِبٍ والأَيهمين كليهما … وقَيساً بأعلى حَضرموت اليمانيا

جزى الله قومى بالكُلاب مَلامةً … صريحَهمُ والآخرين المَواليا

فلو شئتُ نَجَّتنى من الخيل نَهدةٌ … ترى خَلفها الحُوَّ(١) الجياد تَواليا

ولكنَّنى أحمى ذِمار أبيكمُ … وكان الرِّماح يَختطفن المُحاميا

وتضحك منِّى شيخةٌ عَبشمية … كأن لم تَرَىْ قبلى أسيراً يَمانيا

وقد علمتْ عِرْسى مُليكةُ أننى … أنا اللَّيثُ مَعدوًّا عليه وعاديا

أقول وقد شدُّوا لسانى بنِسْعةٍ … أمعشرَ تَيمٍ أَطْلِقوا لى لِسانيا

أمعشرَ تَيمٍ قد ملكتم فأَسجحوا … فإنَّ أخاكم لم يكن من(٢) بَوائيا

فإن تقتلونى تقتلوا بيَ سيداً … وإن تُطلقونى تَحرُبونى(٣) بماليا

وقد كنتُ نحَّارَ الجَزورِ ومُعمل الـ … ـمطِيِّ وأَمضى حيثُ لاحىَّ ماضيا

وأَنحر للشَّرب الكرام مطيَّتى … وأَصدع بين(٤) القَينَتين رِدائيا

---

(١) النهدة: المرتفعة. والحو: التى تضرب إلى خضرة، وهى أصبر الخيل.

(٢) أسجحوا: يسروا. والبواء: السواء. أى لم يكن أخوكم — وهو النعمان — نظيراً له فأكون نظيراً له.

(٣) أى تغلبونى على مالى. يشير إلى ما سينالهم من دية إن هم أطلقوه.

(٤) القينة: الجارية المغنية، وغير المغنية، يصف جوده فى لهوه، وأنه كان يخرج عن كل ماله.

كأنىَ لم أركب جواداً ولم أقُل لخيليَ كُرِّى نفِّسى عن رجاليـــا
ولم أسبأ الزِّقَّ الرَّوِىَّ ولم أقل لأيسارِ صِدْقٍ عظِّموا ضوء[1] ناريا

ولم يزل الدم يَنزف من عبد يغوث حتى مات .

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، هو الثالث من هذه القصيدة اليائية ، والرابع والثامن والعاشر .

(١) أسبأ : اشترى . والأيسار : الضاربون بالقداح فى اقتسام الجزور ؛ الوحد : يأسر .

ذكر خبر حجر بن عمرو الكندى (*)

نسبه

هو حُجر بن عمرو بن مُعاوية بن الحارث بن مُعاوية بن ثور بن مُرْتع ابن عمرو بن معاوية بن ثور – وهو كِندة – بن عُفَير بن عدىّ بن الحارث ابن مُرة بن أُدد بن زَيد بن يَشجب بن عَريب بن زيد بن كَهلان بن سبأ ابن يشجُب بن يَعرب بن قحطان .

موقعة بينه وبين ابن الهبولة

وكان من حديثه أنّ تُبّعًا مَلِك اليمن لمّا سار إلى العراق نزل بأرض مَعْن ، فاستعمل عليهم حُجرَ بن عمرو ، وهو آكل المُرار . فلم يزل ممَلِكًا عليهم حتى خَرِف ، وله من الولد : عمرو ، ومُعاوية ، وهو الجون . ثم إن زياد بن الهَبولة ابن عمرو بن عوف بن ضَجْعم بن حَماطة[1] بن سعد بن سَلِيح[2] القُضاعىّ أغار عليه ، وهو مَلِك فى ربيعة بن نزار ، ومنزله بغمر ذى كِندة . فأخذ له مالاً كثيراً وسبى امرأة حُجر . وهى هند بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن مُعاوية ، وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل . فلما بلغ حُجراً و بكر بن وائل مُغاره وما أخذ أقبلوا ، ومع حُجر يومئذ أشراف بكر بن وائل . منهم : عوف بن مُحلِّم بن ذُهل ابن شيبان ، وصُليع بن عَبد غَنم بن ذهل بن شَيبان ، وسَدُوس بن شيبان بن ذهل ، وضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وعامر بن مالك بن تَيم الله بن ثعلبة . فلما صار حُجر بمكان يقال له: الحَفير ، بعث سَدوساً وصُليعاً يتجسّسان له الأخبار . فخرجا

(*) وقبل خبر « حجر » ساق أبو الفرج « أخبار ذات الخال » المغنية . فر عنها ابن واصل .

(١) الذى فى الجمهرة (ص ٤٢١) : « حماطة ، وهو ضجعم بن سعد » .

(٢) فى الجمهرة : « سليم » تحريف . وانظر اللسان وشرح القاموس « سلح » .

حتى هَجما على عسكر ابن الهَبولة وقد أوقدا ناراً ، ونادا منادٍ له : من جاء بحُزمة من حَطب فله قدرُه من تمر . وكان ابنُ الهَبولة قد أصاب من عسكر حُجر تمراً كثيراً . فضرب قِبابه وأجّج ناره ونثر التمّر بين يديه ، فمن جاءه بحطب أعطاه تمراً . فاحتطب سَدوس وصُليع ثم أتيا به ابنَ الهبولة فطرحاه بين يديه . فأعطاهما من من التمر ، وجلسا قريباً من القُبة . فأما صُليع فقال : هــذه آية ، وعلم ما يُريد . فانصرف إلى حُجر فأعلمه بعسكره وأراه التمر . وأمّا سَدوس فقال : لا أبرح حتى آتيه بأمر جَلىّ . فلما ذهب هَزيع من الليل أقبل ناسٌ من أصحابه يحرُسونه ، وقد تفرّق أهل العسكر فى كل ناحية ، فضرب بيــده سدوس إلى جليس له ، فقال له : من أنت ؟ مخافه أن يَستنكره . فقال: أنا فلان بن فلان . قال : نعم . ودنا سدوس من القُبة ، فكان حيث يَسمع الكلام ، فدنا ابن الهبولة من هِنــد امرأة حُجر فقبّلها وداعبها ، ثم قال لها ، فيما يقول : ما ظنُّك الآن بحُجر لو علم بمكانى منك ؟ قالت : ظنى به والله أنه لا يدعَ طلبك حتى يطــالع القصور الحُمر ، وكأنى أنظرُ إليه فى فوارس من شيبان يذمُرهم[1] ويَذمرونه ، وهو شديد الـكَلَب ، سريع الطلب ، تربدّ شفتاه كأنه بعيرٌ آكل مُرار ــ فسمى حُجر : آكل المرار يومئذ ــ فرفع يده فلَطمها ثم قال لها : ما قلتِ هذا إلا من عجبك به وحُبك له ! فقالت : والله ما أبغضتُ ذا نَسمة قط بُغضى له، ولا رأيت رجلاً أحزم منه نائماً ومُستيقظاً ، إن كان لتنام عيناه و بعض أعضائه حىّ لا ينام ، وكان إذا أراد النوم أمرنى أن أجعل عنده عُسًّا مملوءاً لبناً ، فبينا هو ذات ليلة نائم ، وأنا قريب منه أنظر إليه ، إذ أقبــل أسود سالخ إلى رأسه ، فنحّى رأســه فمال إلى يديه ، و إحداهما مقبوضة والأخرى مبسوطة ، فأهوى إليها فقبضها ، فمال إلى رجليه وقد قبض واحدة و بسط الأخرى ، فأهوى إليها فقبضها ، فمال إلى العُس فشرب به ثم مجّه . فقلت : يستيقظ

(١) الذمر : اللوم والحصر معاً .

فيشرب فيموت فأستريح منه . فأنتبه من نومه فقال : علىّ بالإناء . فناولته ، فشمّه فاضطربت يداه حتى سقط الإناء من يده فهُريق ، وذلك كله بأذن سَدوس .

فلما نامت الأحراسُ خرج فسار ليلته حتى صَبّح حُجراً فقال :

أتاك المُرجفون برَجْم غَيب ... على دَهَش وجئتك باليقينِ

فمن يكُ قد أتاك بأمر لَبس ... فقـــد آتِى بأمرٍ مُستبين

ثم قَصّ ما سمع . فأسف ونادى فى الناس بالرّحيل . فساروا حتى أتوا عسكر ابن الهبولة . وعَرفه سدوس فحمل عليه ، فاعتنقه فصرعه . و بَصرَ به عمرو بن أبى ربيعة فشد عليه وأخذ رأسه منه ، وأخذ سدوس سَلبه ، وأخذ حجرٌ هندا امرأته فربطها بين فرسين فركضا بها حتى قتلاها .

سبب تسمية حجر آكل المرار

وقيل : إنما سُمى حُجرٌ : آكلَ المُرار، لأن سدوسا لما آتاه بخبر ابن الهبولة ومُداعبته لهند ، وأن رأسه كان فى حجرها ، وحدّثه بقولها له ، وجعل يسمع وهو يَعبث بالمُرار ــ وهو نَبت شديد المرارة ــ وكان جالساً فى موضع فيه شىء كثير منه ، فجعل يأكل من ذلك المُرار غضباً وهو يستمع من سَدوس ، ولا يعلم أنه يأكله ، من شدة الغضب ، حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث . فعلم حينئـــذ بذلك ، ووجد طَعمه ، فسُمى يومئذ : آكل المرار .

شعره الذى فيه الغناء

وقال شعره الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج حديثه ، وهو :

إن من غَرّه النساء بشىء ... بعد هنــدٍ لجاهلٌ مغرورُ

حُلوة القول واللّســان ومُرٌّ ... كل شىء تمّا[1] أجنّ الضمير

كُل أنثى و إن بدا لك منها ... آية الحُبّ حُبها[2] خَيْتعور

(١) فى غير التجريد : « كل شىء أجن منها » .

(٢) الخيتعور : السراب .

أخبار محمد بن صالح العلوى

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب . ويُكنى : أبا عبد الله .

نسبه

شاعر حجازى ظريف ، صالح الشعر ، من شعراء أهل بيته .

منزلته فى الشعر

وكان جَدُّه موسى بن عبد الله خَرج مع أخويه : محمد ، وإبراهيم ، لمّا خرجا على المنصور .

شىء عن جده موسى

وأمهم: هِند بنت أبى عُبيدة . ذُكر أن هنداً حَملت بموسى ولها ستون سنة . ولا تحمل لستين إلا قرشية ، ولا تَحمل لخمسين إلا عربيّة .

ثم أستتر موسى بَعد قَتل أخويه زماناً ، ثم ظَفِر به المنصور ، فضَربه بالسوط وحَبسه مُدة . ثم عفا عنه فأطلقه .

وكان مُحمد بن صالح خَرج على المُتوكل مع من بَيّض[1] فى تلك السنة ، وظَفر به وبجماعة من أهله أبو الساج ، فأخذهم وقيّدهم . وقتل بعضهم ، وخَرّب منازلهم ، وَعقر لهم نخلا كثيراً ، وأثر فيهم آثاراً قَبيحة ، وَحمل محمد بن صالح إلى سُرّ من رأى ، فحُبس ثلاثَ سنين .

من المبيضة وحديث ذلك

ثم مدح المتوكل ، وأنشده الفتحُ قصيدته ، بعد أن غنّى له فى شعره ، وهو الذى أُفتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو :

شعره الذى فيه الغناء

طَرب الفؤادُ وعاودت أحزانُه ... وتفرّقت فِرَقاً به أشجانُه

(١) بيض : أى كان من المبيضة ، فرقة من الثنوية أصحاب ، المقنع .

وبدا له من بعد ما أندمل الهوى برق تألّقَ مَوْهِنًا لَمَعانُه
يبدو كحاشية الرِّداء ودونه صَعْبُ الذُّرى مُتمنِّع أركانه
فدَنا لينظُرَ كيف لاح فلم يُطق نظرًا إليه وصدَّه سَجّانه
فالنار ما أشتملت عليه ضلوعه والماء ما سَمحت به أجفانه

فطرب المتوكل، وسأل عن قائله فعرفه، وتلا ذلك إنشاد الفتح قصيدته. فأمر بإطلاقه.

قصة زواجه من حمدونة بنت عيسى

وحكى إبراهيمُ بن المُدبِّر قال:

جاءنى يوماً محمد بن صالح العَلوىّ الحسنى بعد أن أُطلق من الحبس، فقال لى: أنى أُريد المقام عندك اليوم على خلوة لأبثك من أمرى شيئاً لا يصلح أن يسمعه غيرُنا. فقلت: أفعل. فصرفتُ من كان يحضُرنى وخلوتُ معه، وأمرتُ بردّ دابته وأَخذ ثيابه. فلما أطمأن، وأكلنا وأضطجعنا قال: أُعلمك أنّى خرجتُ فى سنة كذا وكذا، ومعى أصحابى، على القافلة الفلانية، فقاتلنا مَن كان فيها فهزمناهم وملكنا القافلة، فبينا أنا أحوزها وأُنيخ الجمال إذ طلعت علىّ أمرأةٌ من العمارية، ما رأيتُ قطُّ أحسن منها وجهاً ولا أحلى منها منطقاً، فقالت: يافتى، إن رأيت أن تدعو لى بالشريف المتولِّى أمر هذا الجيش. فقلت: قد رأيتِه وَسمع كلامك. فقالت: سألتك بحق الله وبحق رسوله أنت هو؟ قلت: نعم، وحق الله وحق رسوله إنى لهو. فقالت: أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبى خالد الحربى[1]. ولأبى محلٌّ من سلطانه، ولنا نعمة، إن كنت ممن سمعت بها فقد كفاك ما سمعت، وإن كنت لم تسمع بها فاَسأل عنها غيرى. ووالله لاستأثرتُ عنك بشىء أملكه، ولك بذلك عهد الله وميثاقه علىّ، وما أسألك إلا أن تصوننى وتسترنى؛ وهذه ألف

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: «الحرى».

دينار معى لنفقتى ، فخُذها الآن حلالا ، وهذا حلىٌّ علىّ من خمسمائة دينار فخذه ، وضَمِّنِّى ما شئت بعــده أُخذه لك من تجّار مكة والمدينة ومن أهل الموسم ، فليس أحد منهم يمنعنى شــيئاً ، وادفع عنى واحمِنى من أصحابك ومن عارٍ يلحقنى . فوقع قولُها من قلبى موقعاً عظيما . فقلت لها : قد وهب الله لك مالَك وجاهك وحَلْيك، ووهب لك القــافلة بجميع ما فيها . ثم خرجتُ فناديت فى أصحابى . فاجتمعوا . فناديتُ فيهم : إنى قد أجرتُ هذه القافلة وأهلها وخفرتَها وحَميتها ، ولها ذمة الله ورسوله وذمتى ، فمن أخذ منها خيطاً أو مِخيطا أو عِقالا فقد آذنتُه بحرب . فانصرفوا معى وانصرفت . ولمــا أُخذت وحُبست ، بينا أنا ذات يوم فى محبس إذ جاءنى السجّان فقال لى : إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك ،وقد حُظر علىّ أن يدخل عليك أحد ، إلا أنهما أعطيانى دُملج ذهب وجَعلتــاه لى إن أوصلتهما إليك ، وقد أذنت لهما ، وهما فى الدهليز ، فاخرج إليهما إن شئت . ففكرت فيمن يجيئنى فى هذا البلد ، وأنا به غريب لا يعرفنى أحد ، ثم قلت : لعلهما من ولد أُمى أو بعض نساء أهلى . فخرجتُ إليهما ، فإذا بصــاحبتى . فلما رأتنى بكت لما رأت من تغيُّر حالى وخَلَقى وثِقل حديدى . وأقبلتْ عليها الأخرى فقالت : أهو هو ؟ فقــالت : إنه والله لهو هو . ثم أقبلت علىّ فقــالت : فداك أبى وأُمى ، والله لو استطعتُ أن أقيَـك مما أنت فيه بنفسى وأهلى لفعلت ، وكنتَ منى بذلك حقيقاً ، ووالله لا تركتُ المُعاونة لك والسّعى معك فى حاجتك وخلاصك بكل حيلة ومال وشفاعة ، وهذه دنانير وثياب وطيب فاستعن بها على موضعك ، ورسولى يأتيك فى كل يوم بما يصلحك حتى يفرّج الله عنك . ثم أخرجت إلىّ المرأة كسوة وطيباً ومائتى دينار . وكان رسولها يأتينى كل يوم بطَعام نظيف . وتواصَل برُّها للسجان فلا يمتنع من كل شىء أريده ،حتى مَنّ الله بخلاصى ، ثم راسلتُها فخطبتها ، فقالت : أمّا من جهتى فأنا لك مُتابعــة ولك مُطيعة ، والأمر إلى أبى فأْته ، فخطبتها إليه ،

فردّنى وقال : ما كنت لأُحقق عليها ما شاع فى الناس من أمرها ، وقد صيّرتَنا فضيحة . فقُمت منكّساً مُستحيياً ، وقلت فى ذلك :

رمَوْنى وإيّاها بشَنعاءِهمْ بها ... أحقُّ أدالَ الله منهم فعجّلا

بأمرٍ تركناه وربِّ محمّــد ... عَياناً فإمّا عفّــةً أو تجمُّلا

فقلت له : إن عيسى صنيعة أخى ، وهولى مُطيع ، وأنا أكفيك أمره . فلما كان من الغد لقيتُ عيسى فى منزله وقلتُ له : قد جئتك فى حاجة . قال : مَقضية، ولو كنت اُستعملت ما أُحبه لأمرتنى لجئتك — وكان أسر إلىّ — فقلت له : قد جئتك خاطباً إليك اُبنتك . فقال : هى لك أمة وأنا لك عبـد ، وقد أجبتُك . فقلت : إنى خطبتها على مَن هو خير منى أباً وأُمّاً وأشرفَ صِهراً ومتّصلا : محمد بن صالح العلوى . فقال : يا سيدى ، هذا قد لحقتنا بسببه ظِنـة ، وقيلت فينا أقوال . فقلت : أفليست باطلة ؟ قال : بلى ، والحمد الله . قلت : فكأنها لم تُقل ، وإذا وقع النكاح أزال كل قول . ولم أزل به حتى أجاب . وبعثتُ إلى محمــد بن صالح فأحضرته ، وما برحتُ حتى زوّجته وسُقت الصداق عنه .

شعره فى حمدونة

وقال فيها محمد بن صالح :

لَعمر حَمــدونة إنّى بها ... لمُغرمُ القلب طويلُ السَّقام

مجاوزٌ للقَــدر فى حُبها ... مُباين فيهـا لأهل المَلام

مُشايعى قلبٌ يَخاف الخنى ... وصارمٌ يقطع صُمّ العظام

جشّمنى ذلك وَجدى بها ... وفَضْلها بين النساء (١) الوِسام

مَمكورة الساقِ رُدينيّـة ... مع الشَّوَى (٢) الخدل وحُسن القَوام

ساجية الطّرف نَؤوم الضُّحى ... مُنيرة الوجـه كبرق الغمام

---

(١) وسام : ظراف ، قوم وسام ، ونسوة وسام .

(٢) ممكورة الساق : مستديرته . وردينية : أى مستوية كالقناة . والشوى : الأطراف . والخدل : الممتلئة .

زيّنها الله وما شـــانها   وأُعطيتْ مُنْيتها من تمـام

تلك التى لولا غَرامى بها   كنتُ بسامرّا قليل المُقام

وفاته بسامرا

وذُكر أن المتوكل لما أطلق محمد بن صالح أَخذ عليه العُهود والمواثيق ألاَّ يفارق سامُرّا . فكان يجهد أن يُجاب إلى الرجوع إلى الحجاز فلا يجاب ، فتُوفى بها .

أخبار أبى دُواد الإيادى

نســبه

هو جاريةُ بن الحجّاج . ويلقَّب الحجّاج : حمران بن بَحر بن عِصام من مُنبِّه ابن حُذافة بن زُهير بن زِياد بن معدّ بن عَدنان .

من وصاف الخيل

شاعر قديم من شُعراء الجاهليّة ، كثير الوَصف للخيل .

رأى الاصمعى فيه وفى طفيل والجعدى

قال الأصمعى :

ثلاثة كانوا يَصفون الخيل لا يُقاربهم أحد : طُفيل ، وأبو دواد، والجعدىّ ؛ فأما أبو دواد فإنه كان على خيل المُنذر بن النّعمان بن المُنذر ؛ وأما طفيل فإنه كان يَركبها وهو أعزل إلى أن كَبِر ؛ وأما الجعدىّ فإنه سمع من الشُّعراء فأخذ عنهم .

لابن الأعرابى فى أوس وعلقمة والنابغة

وقال ابنُ الأعرابىّ :

لم يَصف أحدٌ قطُّ الخيــلَ إلا احتاج إلى أوس بن حَجر ، ولا وَصف أحدٌ نَعامة إلا احتاج إلى عَلقمــة بن عَبَدة ، ولا اعتذر أحدٌ فى شِــعْر إلا احتاج إلى النابغة الذُّبيانى .

قصة ضربهم المثــل بجاره

وذُكر أن أبا دُواد مَدح الحارث بن همّام بن مُرة بن ذُهل بن شَيبان فأعطاه عطايا كثيرة ، ثم مات ابنٌ لأبى دواد وهو فى جواره فوداه . فمـدحه أبو دواد . فحلف الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه ، ولا يذهب له مال إلا أخلفه . فضربت العرب المثل بجار أبى دواد . وفى ذلك يقول قيس بن زُهير :

أُطوِّف ما أُطوِّف ثم آوى ... إلى جارٍ كجــارِ أبى دُوادِ

وقيل :

جار أبى دواد : كَعب بن مامة الإيادى ، كان إذا هلك لأبى دواد بعيراً وشاة أخلفها .

وقيل :

جار أبى دواد: المُنذر بن ماء السماء ، وذلك أن أبا دُواد نازع رجلاً بالحيرة من بَهراء ، يقال له : رُقيّة بن عامر بن كعب بن عمرو ، كان جاراً للمنذر ، وكان أبو دواد جاراً للمنذر . فقال له رُقية : صالحنى وحالفنى . فقال له أبو دواد : فمن أين تعيش أم دواد ؟ فو الله لولا ما تُصيب من بهراء هلكتْ . وانصرفا على تلك الحال . ثم إن أبا دواد أخرج بنين له فى تجارة إلى الشام ، فبلغ ذلك رقيّةَ بن عامر البهرانى[1] ، فبعث إلى قومه وأخبرهم بما قال أبو دواد عند المُنذر ، وأخبرهم أن القوم ولدُ أبى دواد. فخرجوا إلى الشام فلقُوهم وقتلوهم ، و بعثوا برءوسهم إلى رُقية ، فلما أتته الرءوس صَنع طعاماً كثيراً ، ثم أتى المُنذر ، فقال له : إنى قد اصطنعت لك طَعاما وأُحب أن تتغدّى عندى . فأتاه المُنذر وأبو دُواد معه . فبينا الجِفان تُرفع وتُوضع إذ جاءته جفنة عليها رءوس[2] بنى أبى دواد . فوثب أبو دُواد وقال : أبيت اللعن ! إنى جارك ، وقد ترى ما صُنع بى . فوقع المُنذر بينهما فى سوء ، لأن كل واحد منهما جاره . فأمر برقيّة فُحبس ، وقال لأبى دواد: ما يُرضيك ؟ قال توجهى بكتيبتيك: الشَّهباء والدَّوسر إليهم . قال : بلى ، قد فعلت . فوجّه إليهم بالكتيبتين . فلما بلغ ذلك رُقيةَ قال لامرأته : ويحك ! الحقى بقومك فأنذريهم . فعمدت إلى بعض إبل زوجها فركبْته ، ثم خرجت حتى أتت قومها ، فلما قَرُبت منهم تعرّت من ثيابها وصاحت : أنا النذير العُريان . فأرسلتها مثلا . فعلم القومُ يومئذ ما تريد ،

(١) النسبة فيه على غير قياس ، النون فيه بدل الهمزة .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أحد رءوس » .

فصعدوا إلى أعالى الشام . وأقبلت الكتيبتان فلم تُصيبا منهم أحداً . فقال المنذر لأبى دُواد : قد كان ما كنت تُريد منهم ، وأنا أدِى كُل ابن لك بمائتى بعير . فأمر له بستمائة بعير ، ورضى بذلك .

شعر يرد على امرأته وقد لامته على إفساد ماله

وذُكر أنه كان لأبى دُواد امرأة يقال لها : أم حَبتر ، لامته على إفساد ماله ، فأنشأ يقول :

فى ثلاثين زَعزعَتْها(١) حُقوقٌ أصبحتْ أُمُّ حَبتر تَشْكونى

زعمتْ لى بأننى أفسد المالَ وأزويه عن قضاء الدُّيون

أمّلت أن أكون عبداً لمالى ويُهَنَّى بها مع المال دُونِى

وهى طويلة .

من بين من كانت تفخر بهم إياد

وذُكر أن إياداً كانت تفخر على العرب فتقول : منّا أجودُ العرب : كعب ابن مامة ! ومنّا أشعر العرب : أبو دُواد ! ومنا أنكح الناس : ابن ألغز .

وكان ابن ألغز أُياريًّا(٢) ، فكان إذا أنعظ احتكّت الفِصال بأيره .

ابن ألغز وامرأة جامعها

وذُكر أنّ امرأة كانت تَستصغر أُيور الرجال ، فجامعها ابنُ ألغز ، فلما أولجه فيها قالت : يا معشر إياد ، أبالرُّكب تُجامعون النساء ! فأشار بيده إلى اُستها وقال: ما هذا ؟ فقالت ، وهى لا تَعقل ما تقول : هذا القمر . فضَربت بها العرب المثل : أُريها اُستها وتُريني القمر .

ويقال : إن الحجاج مَنع من أكل لحوم البقر خوفاً من قلة العمارة فى السواد . فقال بعض الشعراء :

---

(١) فى التجريد : « دغدغتها » .

(٢) أيارى : عظيم الأير .

شكونا إليه خراب البلاد فحَرَّم فينا لُحومَ البَقَرْ
فَكنّا كمن قال مِن قبلنا أريها أستها فتُريني القمر

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى دُواد ، هو :

يا عديًّا لقلبك المُهتاج إنْ عَفا رسْم منزلٍ بالنِّباجِ (١)
غَيَّرته الصَّبا وكُل مُلِثٍّ (٢) دائم الوَدْق ذى أهاضيب داج

(١) النباج : موضع .
(٢) الملث : الدائم لا يقلع ، يعنى مطراً . والودق : الإمطار . والأهاضيب : جمع أهضوبة ، وهى المطرة . والداجى : المظلم ، وذلك لتراكب السحاب وكثافته .

أخبار أبى تمام الطائى

نسبه

هو حَبيب بن أوس بن طيّئ صَليبةً[1] .

منزلته فى الشعر

شاعر لَطيف الفِطنة ، دقيق المعانى . وسَلَكَ فى البديع والمُطابقة مسلكا لم يَسبقه مَن تقدّمه إليه ، وإن كانوا هم الذين فَتحوه له . والسَّليم من شعره النادر لا يتعلّق به أحد . وله أشياء متوسِّطة ، ورَذْلة جداً رديئة . وللناس مذاهب مُختلفة فى الإفراط له وعليه .

له وقد عوتب على الردىء من شعره

وكان يأتى بالقَصيدة البديعة، وفيها البيت الرَّذل، فيتمسّك به ولا يرى إسقاطه . وعُوتب فى ذلك فقال : مَثل شعر الرجل مثلُ أولاده ، فيهم الجميلُ والقَبيح والرّشيد والساقط ، وكلهم حُلو فى نفسه ، فهو إن أحبّ الفاضل لم يُبغض الناقص .

شعر له يناقض ما قال

وهذا الذى ذكره أبو تمّام ضدّ ما وصف به نفسه فى قوله :

جاءتك من نَظم اللسان قِلادةٌ ... سِمْطان فيها اللُّؤلؤُ المَكنونُ

إحدا كها صَنَع اللسان يَمدّه ... جَفْرٌ[2] إذا نَضب الكلامُ مَعين

و يُسيء بالإحسان ظَنًّا لا كمن ... هُو بابنه و بشعره مَفتون

تفضيل الصولى له

وقيل لإبراهيم بن العباس الصُّولى : من أشعر أهل زماننا ؟ فقال : الذى يقول:

مَطرٌ أبوكَ أبو أهِلّة وائل ... ملأ البسيطةَ عُدّةً وعَديدَا

نَسبٌ كأنّ عليه من شَمس الضُّحى ... نُوراً ومن فَلَق الصباح عَمُودا

---

(١) صليبة : أى من صلبهم .

(٢) الجفر : البئر الواسعة .

وذُكر أن عُمارة بن عَقيل قَدِم بغدادَ ، فاجتمع الناس إليه ، فكتبوا شعره وشعرَ أبيه ، وعرضوا عليه الأشعار . فقال بعضهم : ها هنا شاعر يزعمُ أنه أشعر الناس طرًّا . و قال غيرُهم ضد ذلك . قال : أنشدونى له . فأنشدوه قوله :

غَدت تستجيرُ الدَّمع خوف نَوى غدِ ... وعاد قَتاداً عندها كُلُّ مَرقدِ
وأَنقذها من غَمرة الموت أنه ... صُدودُ فِراقٍ لا صُدود تَعمُّد
وأَجرى لها الإشفاقُ دمعاً مُورَّدا ... من الدم يجرى فوقَ خدٍّ مُورَّد
هى البدرُ يُغنيها تورّد وجهها ... إلى كل من لاقت وإن لم تَودَّد

ثم قطع المُنشد إنشاده . فقال عُمارة : زدنا من هذا . فوصل نشيدَه ، وقال :

ولكنّنى لم أحْوِ وَفراً مُجمَّعاً ... ففُزْتُ به إلا بشَملٍ مُبدَّد
ولم تُعطنى الأيامُ نوماً مُسكِّناً ... ألذُّ به إلا بنَوم مُشرَّد

فقال عمارة : لله دره ! لقد تقدَّم فى هذا المعنى مَن سبقه إليه على كثرة القَول فيه ، حتى لقد حَبَّب الاغتراب ، هيه ! فأنشد :

وطُول مقام المرء فى الحَىِّ مُخلِق ... لدِيباجتَيه فاغترب تتجدَّد
فإنى رأيتُ الشمس زِيدت محبةً ... إلى الناس أن ليست عليهم بسَرمد

فقال عُمارة : كَمُل والله ، ولئن كان الشعر بجَودة اللفظ وحُسن المعانى واطِّراد المراد واتساق الكلام ، فإنّ صاحبكم أشعُر الناس .

تفضيل ابن الجهم له

وذُكر أنَّ علىَّ بن الجهم وَصف يوماً أبا تمام وفضَّله . فقال رجل : والله لو كان أبو تمام أخاك ما زِدت على مدحك . فقال : إن لم يكن أخًا فى النسب فإنه أخٌ بالأدب والمودة ، أما سمعت ما خاطبنى به حيث يقول :

إن يُكْدِ مُطَّرف الإخاء فإنّنا ... نَغدو ونَسرى فى إخاءٍ[1] تالدِ
أو يَختلف ماء الوصال فماؤنا ... عَذْب تحدَّر من غَمامٍ واحد

(١) أكدى الشىء : قل خيره . ومطرف الإخاء : حديثه .

أو يفترق نَسبٌ يُؤلِّفْ بيننـــا أدبٌ أقمناه مُقـــام الوالد

وحكى هارون بن عبد الله المُهلّبي قال :

تنقصه دعبل فرد عليه رجل فى مجلسه

كنّا فى حَلقة دِعبل ، فجرى ذِكْر أبي تمام ، فقال دِعبل : كان يتتبّع معانيَّ فيأخذها . فقال له رجل فى مجلسه : وأى شيء من ذلك. أعزّك الله ؟ قال : قلت :

و إن أمرأً أَســدى إلىّ بشافعٍ إليه و يَرجو الشُّكر منّى لأحمقُ
شفيعَك فاشــكُر فى الحوائج إنه يصُونك عن مَكروهها وهو يُخْلِق

فقال له الرجل : فكيف قال أبو تمام ؟ فقال : قال :

فلقيتُ بين يديك(١) حلو عطائه ولقيتُ بين يديه(٢) مُرّ سؤاله
و إذا أمرؤ أسدى إليك صنيعة من جاهه فـكأنها من ماله

فقال له الرجل : أحسن والله ؟ فقال دعبل: كذبت ! قبّحك الله . قال : والله لئن كان أخذه منك لقد أجاد فصــار به أولى منك ، ولئن كنت أخذته منه لما بلغت مبلغه . فغضب دِعبل وانصرف .

شهادة ابن حازم له

وذُكر أن محمد بن حازم الباهلى قال : لو لم يقُل أبو تمام إلا مرثيته التى أولها :

* أصمّ بك الناعى و إن كان أسمعا *

وقوله :

لو يقدرون مشَوا على وَجناتهم وجباههم فضــلاً عن الأقدام

لـكفاه .

إعجاب عمارة بشعر له

وقيل : سَمع عُمارة بن عقيل مُنشداً يُنشد لأبى تمام ، من قصيدته التى أولها :

* الحقُّ أبلجُ والســيوف عوارِى *

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يديه » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « يدى » .

فلما بلغ إلى قوله :

سُود اللبــاس كأنما نَسجت لهم ... أيدى السَّـموم مَدارعًا من قارِ
بَكروا وأسْرَوْا فى مُتون ضَوامر ... قِيــدت لهم من مَربط النجّار
لا يَبرحون ومَن رآهم خالهم ... أبداً على سَــفرٍ من الأســفار

قال عمارة : لله دَرُّه ! ما يَعتمد معنى إلا أصاب أحسنه ، كأنه موقوفٌ عليه .

اقتبــاس ابن العباس من شعره فى نثره

وقال إبراهيم بن العبــاس : ما اتكلت فى مكاتبتى قطُّ إلا على ما جاش به صدرى ، إلا أنى استحسنت قولَ أبى تمام :

فإنْ باشَر الإصْحار[1] فالبِيضُ والقنا ... قِراهُ وأحواضُ المَنــايا مناهلُه
وإن يَبْن حِيطاناً عليــه فإنما ... أولئك عُقّالاته لا مَعــاقلُه
وإلا فأَعلِمْه بأنك ســـاخط ... عليه فإنَّ الخوفَ لا شكّ قاتله

فأخذتُ هذا المعنى فى بعض رسائلى ، فقلت : فصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم ، وما كان يعقلهم يعتقلهم .

ثم قال إبراهيم : إن أبا تمام اُخترم وما استمتع بخاطره ، وما نزح رَكىٌّ فكره حتى انقطع رِشاءُ عمره .

هو وعبد الله ابن طاهر

وذُكر أن أبا تمام قَدِم إلى خُراسان ، وعليها عبدُ الله بن طاهر بن الحُسين ، فاجتمع الشعراء به وسألوه أن يُنشدهم . فقال : قد وَعدنى الأميرُ أن أُنشده غداً . فلما دخل على عبد الله بن طاهر أنشده :

هُنَّ عوادى يُوسفٍ وصواحِبُهْ ... فعزْماً فقِدْماً أَدرك السُّؤْلَ طالبُه

فلما بلغ إلى قوله :

وقَلقل نأىٌ من خراسانَ جأْشَها ... فقلتُ اطمئنى أَنضرُ الروض عازبُه
ورَكْب كأطراف الأسنة عَرّسوا ... على مثلها والليلُ وَحْفٌ[2] غَياهبه

(١) الإصحار : أن يبرز الرجل لعدوه فى الصحراء مكاشفة لا يخاتله .
(٢) فى بعض أصول الأغانى والديوان : « تسطو » .

لأمرٍ عليهم أن تتمّ صُدوره ... وليس عليهم أن تَتِمّ عواقبه

فصاح الشعراء بعبد الله بن طاهر : ما يستحق هذا الشعر غيرُ الأمير — أعزه الله —. وقال شاعر منهم — يعرف بالرِّياحى — : لى عند الأمير جائزة وعدنى بها ، وقد جعلتُها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير . فقال : أُضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا . فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار . فلَقطها الغِلمان ولم يَمسّ منها شيئاً . فوجد عليه عبدُ الله بن طاهر وقال : يرتفع عن برّى ويتهاون بما أكرمتهُ به ! فلم يبلُغ ما أراده منه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى تمام ، هو البيتان الأخيران من الأبيات البائية .

بر ابن طاهر له

ويقال إن أبا العميثل ، شاعر آل طاهر ، كلّم عبد الله بن طاهر فيه وحذّره من لسانه ، فأحسن إليه عبد الله وأجازه بألفى دينار .

من شعره فى ابن طاهر

ومن جيد شعر أبى تمام فى عبد الله بن طاهر قولُه :

يقول فى قُومس صحبى وقد وَخَدت ... بنا السُّرى وخُطا المَهريّة[1] القُودِ

أمطلَعَ الشمس تبغى أن تؤُم بنا ... فقلتُ كلاّ ، ولكن مَطاع الُجود

وفوده على أبى دلف

وذُكر أن أبا تمام وَفد على أبى دُلف القاسم بن عيسى العجلى ، فأنشده :

على مثلها من أربُعٍ ومَلاعبِ ... أُذيلت مَصونات الدُّموعِ السَّواكبِ

فلما بلغ إلى قوله :

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها ... وزادت على ما وطّدت من مَناقبِ

فأنتم بذِى قار أمالت سُيوفكم ... عُروشَ الذين استرهنوا قوسَ[2] حاجبِ

(١) قومس : من بلاد طبرستان . (٢) ذو قار : من يوم بين العرب والعجم ، انتصفت فيه العرب من العجم . وحاجب ، هو ابن زرارة ، وكان رهن قوسه كسرى ، فوفى له ، فضرب المثل بوفائه .

فقال أبو دلف : يا معشر ربيعة ، ما مُدحتم بمثل هذا الشعر ، فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بمَطارفهم يَرمونها إليه . فقال أبو دلف : قد قبلها وأعاركم لبسها ، وسأنوب عنكم فى ثوابه . تَمِّمِ القصيدة يا أبا تمام . فتمَّمها . فأمر له بخمسين ألف درهم ، وقال : والله ما هى بإزاء ٱستحقاقك وَقدرك ، فاْعذرنا . فشكره وقام ليقبّل يده . فحلف ألّا يفعل . ثم قال : أنشدنى فى محمد بن حُميد قولَه :

وما مات حتى مات مَضرب سيفه ··· من الضرب وٱعتلّت عليه القنا السُّمْرُ

وقد كان فَوت الموت سهلًا فردّه ··· إليه الحِفاظُ المُرُّ والُخلق الوَعر

فأثبت فى مُستنقع الموتِ رجلَه ··· وقال لهاَ من تحت إخمصك الَحشر

غَدا غُدوة والحمدُ حشو[1] ثيابه ··· فلم يَنصرف إلا وأكفانُه الأجْر

كأنّ بنى نَبهان يوم مُصابه ··· نجوم سماء خَرّ من بينها البَدر

يُعَزَّون عن ثاوٍ تُعزَّى به العُلا ··· ويبكى عليه اليأسُ والُجود والشعر

فأنشده إياها ، فقال : والله لوددتُ أنها فىَّ ، فقال : بل أفدى الأمير بنفسى وأهلى وأكون المتقدّم قبله . فقال له : إنه لم يَمت من رُثى بهذا الشعر أو مثله .

الواثق وابن أبى دواد فى جائزة أجاز بها أبا تمام

وذُكر ، أن الواثق قال للقاضى أحمد بن أَبى دُواد : بلغنى أنك أَعطيت أبا تمام الطائى فى قصيدة مدحك بها ألف دينار . فقال : لم أَفعل ذلك يا أمير المؤمنين ، ولكنى أُعطيه ألف دينار رعايةً لما قال فى الُمعتصم :

فاشدُد بهارونَ الخلافةَ إنه ··· سكَنٌ لوحشتها ودارُ قَرارِ

ولقد علمتُ بأن ذلك مِعصم ··· ما كنت تتركه بغير سِوار

فتبسَّم وقال : إنه لحقيق بذلك .

هو وخالد ابن يزيد

وذُكر أبا تمام قصد خالد بن يزيد بن مَزيد ، وهو بأرمينية ، فامتدحه ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « والحمد نسج ردائه » .

فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة لسفره ، وقال : تكون العشرة الآلاف موفّرة ، فإن أردت الشخوص فاعجل ، وإن أردت المقام عندنا فلك الحِباء والبر . فقال : بل أشخص . فودّعه . ومضت أيام وركب خالد إلى مُتصيّد له ، فرآه تحت شجرة وبين يديه زُكرة[1] فيها شراب، وغلام يُغنّيه بالطّنبور . فقال : أبو تمام ؟ فقال : خادمك وعبدك . فقال : ما فعل المال ؟ فقال :

علّمنى جُودُك السماحَ فما أبقيتُ شيئاً علىّ[2] من صِلتكْ

ما مَرّ شهر حتى سمحت به كأنّ لى قُدرةً كمَقدرتك

تُنفق فى اليوم بالهبات وفى الساعة ما تجتنبه فى سَنتك

فلستُ أدرى من أين تُنفق لولا أن ربّى يُمِدّ فى هِبتك

فأمر له بعشرة آلاف درهم أُخرى . فأخذها وخرج .

---

(١) الزكرة ، بالضم : زقيق للماء .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لدى » .

أخبار أبي الشيص الخزاعي

نسبه

هو محمد[1] بن رَزين[2] بن سُليمان بن تميم بن نَهشل بن خِراش[3] بن خالد ابن دِعبل[4] بن أنس بن خُزيمة بن[5] سَلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة ابن عمرو مزيقياء بن عامر .

لقبه وكنيته

وهو جد خُزاعة ، وأبو الشِّيص ،لقب غَلب عليه . وكُنيته أبو جعفر . وهو عمّ دِعبل بن علىّ بن رَزين .

منزلته فى الشعر وانقطاعه إلى عقبة الخزاعى

وهو متوسط فى شُعراء عصره غيرُ نَبيه الذكر ، لوُقوعه بين مُسلم بن الوليد ، وأشجع ، وأبى نواس ، فخَمل ، وانقطع إلى عُقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعى ، وكان أميراً على الرقة ، ومدحه فأكثر ؛ وكان عُقبة جواداً فأغناه عن غيره .

عماه وشعره فى ذلك

وعَمِى أبو الشيص فى آخر عُمره . وله مراثٍ فى عُقبة . وكان من أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك . هكذا قال ابن المعتز . وخالفه أبو الفرج فيه .

ومما رَثى به عينَه قولُه :

يا نفس بكّى بأدمع هُتن ... ووا كف كالجمان فى شَنَنِ

على دليلى وقائدى ويدى ... ونُور وجهى وسائرِ البَدن

أبكى عليها بها مخافة أن ... تَقْرننى والظلامُ فى قرن

---

(١) فى التجريد : « أحمد » .

(٢) فى جمهرة أنساب العرب (ص ٢٢٩) : « محمد بن على بن عبد الله بن رزين » .
وفى طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٧٢) : « محمد بن عبد الله » .

(٣) فى الجمهرة : « ابن تميم بن بهر بن حراس » .

(٤) فى الجمهرة : « ابن خلف بن عبد بن دعبل » .

(٥) فى الجمهرة : « بن خزيمة بن مالك بن مازن بن الحارث بن سلامان » .

وذُكر أنه اُجتمع مُسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشِّيص ودِعبل فى مجلس ، فقالوا : ليُنشد كل واحد منكم أجود ما قاله من الشعر . فاندفع رجل كان معهم فقال : اسمعوا منِّى أخبركم بما يُنشد كل واحد منكم قبل أن تُنشدوا . قالوا : هات . فقال لمُسلم : أما أنت يا أبا الوليد فكأنى بك قد أنشدت :

هو ومسلم وأبو نواس ودعبل

إذا ما علت منّا ذُؤابة واحد وإن كان ذا حِلم دَعته إلى[1] الجَهلِ
هل العيشُ إلا أن تَروح مع الصِّبا وتَغدو صريعَ الكأس والأعينِ النُّجل

فقال له مسلم : صدقت . ثم أقبل على أبى نُواس وقال : كأنى بك يا أبا علىّ وقد أنشدت :

لا تَبكِ لَيلى ولا تَطرب إلى هِند واُشرب على الوَرد من حَمراء كالوَرْدِ
تَسقيك من عينها خَمراً ومن يدها خمراً فما بك من سُكرين من بُدِّ

فقال له : صدقت . ثم أقبل على دِعبل فقال له : وأنت يا أبا على، فكأنى بك تنشد قولك :

أين الشَّباب وأيّة سَلكا لا أين يُطلب ضلّ بل هَلكَا
لا تَعجبى يا سَلْمُ من رجل ضَحِك المَشيب برأسه فبَكَى

فقال له : صدقت . ثم أقبل على أبى الشِّيص ، فقال له : وأنت يا أبا جعفر ، كأنى بك قد أنشدت قولك :

لا تُنكرى صَدِّى و إعراضى ليس المُقلّ عن الزمان براضِى
اثنان لا تَصبو النساء إليهما ذو شَيبة ومُحالف[2] الإنفاض

---

(١) الرواية فى طبقات ابن المعتز :

* تمشت به مشى المقيد فى رحل *

(٢) الإنفاض : هلاك الأموال .

فقال : ما هذا أردت أن أُنشد ، ولا هذا بأجود شىء قلتُه . قالوا : فأنشدنا ما بدَا لك . فأنشدهم قوله :

وَقفَ الهوى بى حيثُ أنتِ فليس لى ... مُتأخَّر عنــــه ولا مُتقــدَّمُ
أجد المَلامة فى هواكِ لذيذةً ... حُبًّا لذكرك فَلْيلمنى اللوَّم
أشبهتِ أعدائى فصرتُ أحبهم ... إذ كان حظِّى منك حظَى منهم
وأهنتِنى فأهنتُ نفسى عامــداً ... ما مَن يهون عليكِ ممَّن[1] يُكرم

فقال له أبو نواس : أحسنت والله وجوَّدت ! وحياتِك لأسرقنَّ هــذا المعنى منك ثم لأغلبنَّك عليه فيشتهر ما أقوله و يموت ما تقول . فسرق قوله : « وقف الهوى بى حيث أنت » سرقاً خفيًّا ، فقال فى الخَصيب :

فما جازه جُود ولا حلّ دونه ... ولكنْ يصير الجُود حيث يَصِيرُ

فساد بيتُ أبى نواس وسقط بيت أبى الشِّيص .

هو وأبو دلف وخادم أبى حل أزرار قميصه

وذُكر أن أبا الشِّيص دَخل على أبى دُلف وهو يلاعب خادماً له بالشَّطرنج ، فقال له : يا أبا الشيص ، سَل هــذا الخادم أن يَحل أَزرار قميصه . فقال : الأميرُ — أعزه الله — أولى بمسألته . فقال : قد سألتُه فزعم أنه يخاف العين على صدره ، فقل فيه شيئاً . فقال :

وشادنٍ كالبــدر يجلو الدُّجى ... فى الفَرْق منه المسكُ مَذْرورُ
يُحاذر العين على صــــدره ... فالجيبُ منــه الدهرَ مَزرور

فقال له أبو دلف : وحياتى لقــد أحسنت ! وأمر له بخمسة آلاف درهم . فقال له الخادم : قد والله أحسن كما قلتَ ، ولــكنك أنت ما أحسنت . فأمر له بخمسة ألف درهم أُخرى .

(١) فى التجريد : « أكرم » .

موته

وذُكر أن أبا الشيص كان عند عُقبة بن جعفر بن الأشعث الخُزاعى يَشرب ، فلما ثَمَل نام عنده ، ثم أنتبه فى بعض الليل فذهب يدِبّ إلى خادم له ، فوجأه بسكين . فقال : ويحك ! قتلتنى ! والله ما أُحبّ أن أفتضح أنى قُتلت فى مثل هذا ولا تفتضح أنت بى، ولكن خُذ دَسْتيجة[1] فاكسرها ولوّثها بدمى، واجعل زجاجها فى الجُرح ، فإذا سُئلتَ عن خبرى فقل : إنى سقطت فى سُكرى على الدّستيجة فانكسرتْ فقتلتْنى . ومات من ساعته . وفعل الخادم ما أمره به . ودُفن أبو الشيص . وجَزِع عليه عُقبة جزعاً شديداً . فلما كان بعد أيام سَكر الخادمُ فَصدق عُقبةَ عن خبره ، وأنه الذى قتله . فلم يلبث أن قام إليه بسيفه ، فلم يزل يَضربه حتى قتله .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى الشيص ، هو :

بالله قُلْ يا طَلَل ... أهلُك ماذا فَعَلُوا
فإنّ قَلْبى حَذِرٌ ... من أن يَبينوا وَجِلُ

---

(١) الدستيجة : آنية صغيرة . فارسية . وفى الطبقات لابن المعتز . « قرابا » وهو غمد السيف .

أخبار الكميت

نسبه

هو الكُميت بن زيد بن حُبيش[1] بن مُجالد بن ذُؤيبة[2] بن قيس بن عمرو ابن سُبيع[3] بن مالك بن سعد بن ثَعلبة بن دُواد بن أَسد بن خُزيمة بن مُدركة ابن اليأس بن مضر بن نِزار

شيء عنه

شاعر متقدِّم ، عالم بلغات العرب وأخبارها ، وهو من المُتعصبين لمُضر على القَحطانية . وكان فى أيام بنى أُمية ،ولم يدرك الدولة العباسية . وكان معروفاً بالتشيُّع ، مشهوراً به . وقصائده الهاشميَّات من مُختارات شعره . ولم تزل مُناقضاته لشعراء اليمن ومُهاجاته لهم متصلة فى أيام حياته ، وناقضه بعد وفاته دِعبل الخُزاعى ، وابن عُيينة . وكان صديقاً للطِّرمّاح مع بُعد ما بينهما فى المَذهب والعصبية . وقد تقدم ذكر ذلك .

دس له خالد القسرى عند هشام وقصة ذلك

وذُكر أن الكُميت عَمل قصيدته التى أولها :

* ألا حُييت عنَّا يامدينا *

وهى ثلثمائة بيت ، لم يترك فيهاحيًّا من أحياء اليمن إلا هجاهم فيها . فغضب من ذلك خالد بن عبد الله القَسرى ، عامل هشام بن عبد الملك على الكوفة . فاحتال على الكُميت بأن أشترى جوارى بأغلى الأثمان، ورَوّاهن أشعار الكميت فى مدح بنى هاشم والطعن على بنى أمية ، ودسّهن مع نخّاس إلى هشام ، فاشتراهن

---

(١) فى الأغانى : « خنبس » . وفى جمهرة أنساب العرب (ص ٧٢) : « الأخنس » .

(٢) فى الجمهرة : « ربيعة » .

(٣) فى الجمهرة : « ابن قيس بن الحارث بن عمرو بن مالك » .

جميعاً وأعجبنه . ولما استنشدهن الشعر أنشدنه شعر الكميت فى بنى هاشم . وسألهنّ : لمن الشعر ؟ فقلن : هو للكميت . فغضب غضباً شديداً ، وكتب إلى خالد يأمره بقتل الكميت و إنفاذ رأسه إليه . فأودع خالدٌ الكميتَ السجن ليُنفِّذ فيه أمر هشام . فدخلت امرأة الكميت عليه السجن وألبستْه لبسة النِّساء، وخَرج هار باً من السجن وقصد الشام واستجار بمَسلمة بن هشام . و بلغ ذلك هشاماً فألحّ فى طلبه وأَبَى أن يُؤْمنه . فأشار مَسلمة على الكميت بأن يَستجير بقبر مُعاوية ابن هشام ، وكان توفى فى تلك الأيام واشتد حزن هشام عليه . فمضى الكميت إلى قبر مُعاوية وضرب رُواقه عنده . وتقدّم مَسلمة إلى بنى أخيه مُعاوية بأن يكونوا مع الكميت وأن يربطوا ثيابَهم بثيابه إذا طلبه هشام . وعلم هشام باستجارة الكميت بالقبر . فأَبى أن يُجيره وطَلَبه أعنف طلب . فربط الصِّبيان بنو معاوية ابن هشام ثيابَهم بثياب الكميت . فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه بالدُّموع وهم يقولون : يا أمير المؤمنين ، استجار بقبر أبينا وقد مات ومات حظُّه من الدنيا ، فاجعله هبةً له ولنا ولا تَفضحنا فيمن استجار بنا . فبكى بكاء كثيراً . وأمّن الكميت بعد خِطاب طويل جرى بينه و بين هشام . وأَنشد هشاماً :

كم قال قائلكم[1] لعاً لـ ـك عند عَثرته لعاثِر

وغفرتمُ لذوى الذُّنو ب من الأكابر والأَصاغر

أبنى أُمية إنكم أهل الوَسائل والأوامر

أنتم معادن للخِلا فة كابراً من بعد كابر

بالتِّسعة المُتتابعيـ ن خلائفاً وبخير عاشر

و إلى القيامة لا تزا ل لشافع منكم وواتِر

ثم سألت الكميت ألّا يجعل لخالد عليه إمارة . فأجابه لذلك وأعطاه

(١) لعا : كلمة يدعى بها للعاثر ، معناها : الارتفاع .

أربعين ألف درهم وثلاثين ثوباً هشامية . وكتب إلى خالد يأمره تخلية سبيل أمرأة الكُميت ، وكان اعتقلها لما هرب الكميت ، وأن يعطيها لها ثلاثين ألف درهم وعشرين ثوباً . ففعل .

شعره لهشام يرده لصدوف

وذُكر أن هشام بن عبد الملك كان شديد الشغف بجاريته صَدوف ، وكان أشتراها بمال جزيل ، فعتب عليها ذات يوم فى شىء وهجرها ، وحلف ألّا يبدأها بكلام . فدخل عليه الكميت وهو مغموم بذلك ، فقال : مالى أراك مغموماً يا أمير المؤمنين ؟ لا غمك الله . فأخبره بالقصة . فأطرق الكميت ساعة ، ثم أنشأ يقول :

أعتبتَ أم عتبتْ عليك صَدوفُ ... وعتابُ مثلك مثلَها[1] تشريفُ
لا تَقعُدنّ تلوم نفسك دائباً ... فيها وأنت بحُبها مَشْغوف
إن الصَّريمة لا يقوم بثقلها ... إلا القوىّ بها وأنت ضَعيف

فقال هشام : صدقت والله ! ونهض من مجلسه فدخل إليها ، ونهضت إليه وأعتنقته ، وأنصرف الكميت ، وبعث إليه هشام بألف دينار ، وبعثت إليه بمثلها .

هو وأبو جعفر محمد بن على

وحكى صاعد مولى الكُميت قال :

دخلنا على أبى جعفر محمد بن علىّ بن الحُسين — رضى الله عنهم — فأنشد :

* من لقلب مُتيّم مستهام *

فقال : اللهم أغفر للكميت ! اللهم أغفر للكميت !

قال : قال :

ودخلنا يوماً آخر عليه فأعطاه ألف دينار وكسوة . فقال له الكُميت : والله

(١) فى التجريد : « تسويف » مكان « تشريف » .

ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردت الدنيا لأتيتُ من هى فى يده ، ولكننى أحببتكم للآخرة ، فأما الثياب التى أصابت أجسامكم فأنا أقبلها تبرُّكاً بها .

هو والفرزدق أول ما شعر

وذُكر أن الكُميت أول ما قال من الشعر الهاشميات فسترها ، ثم أتى الفرزدق فقال له : يا أبا فراس، إنك شيخ مُضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك الكُميت بن زيد الأسدى . فقال له : صدقت ، أنت ابن أخى ، فما حاجتك ؟ قال : نَفَث على لسانى فقلتُ شعراً فأحببت أن أعرضه عليك ، فإن كان حسناً أمرتنى بإذاعته ، وإن كان قبيحاً أمرتنى بستره ، وكنتَ أولَى مَن سَتره علىّ . فقال له الفرزدق : أمّا عَقلك فحسن ، وأرجو أن يكون شِعرك على قدر عقلك ، فأنشِدْنى ما قلت . فأنشده :

* طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطرب *

فقال : ففيم تطرب يا ابن أخى ؟ فقال :

* ولا لعباً منى وذو الجهل[1] يلعب *

فقال : يابن أخى ، فالعب فإنك فى أوان اللعب . فقال :

ولم تُلهنى دار ولا رسم منزل ... ولم يتطرّبنى بَنان مُخضَّب

فقال : وما يطربك يابن أخى ؟ فقال :

ولا السانحات البارحات عشية ... أمرّ سَليمُ القرن أم مَرّ[2] أعضب

فقال : أجل ، ولا تتطير . فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والتُّقى ... وخير بني حواء والخير يُطْلب

فقال : ومن هؤلاء ويحك ! فقال :

---

(١) فى غير التجريد : « وذو الشيب » .

(٢) الأعضب : المكسور القرن .

إلى النفرِ البيض الذين بحُبهم ... إلى الله فيما نابنى أتقــــرّب

فقال : أرحنى و يحك ! فقال :

بنى هاشمَ رهط النبىّ فإننى ... بهم ولهم أرضَى مراراً وأغضب

خفضتُ لهم منِّى جنــاحَىْ مودّة ... إلى كنف عِطْفاه أهل ومرحَب

وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا ... مُحبّا على أنّى أذم[١] وأُقصب

وأُرمى وأَرمى بالعــــدواة أهلها ... وإنّى لأُوذَى فيهمُ وأُؤنّب

فقال له الفرزدق : يابن أخى ، أذع ، فأنت والله أشــعر من مَضى وأشعر من بقى .

ومن هذ القصيدة :

وجدنا لــكم فى «آل حميم» آيةً ... تأوّلهـا منا تقىٌّ ومُعْـــــرب

فمالى إلاّ آل أحمــــد شيعةً ... وما لىَ إلا مَشْعب الحق مَشعب

يريد قوله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُـكُمْ عَلَيْـهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَى) .

وذُكر أن الـكُميت دخل على مخلد بن يزيد بن المُهلب بن أبى صفرة ، فأنشده :

قاد الجيوش لخمس عشرةَ حجّــة ... ولداتُه عن ذاك فى أشـغالِ

قعـــدتْ بهم همّاتُهم وسَمت به ... همَمُ المُلوك وسَورة الأبطــال

وقُدام مَخلد دراهم ، يقال لها الرُّو يحة[٢] ، فقال له : خذ وِقْرك[٣] منها . فقال: البغلة بالباب وهى أجلد مني . فقال : خُذ وِقْرها . فأخذ أر بعــة وعشرين ألف درهم ، فقيل لأبيــه يزيد بن المهلب فى ذلك . فقال : لا أردّ مكرُمة فعلها أُبنى .

---

(١) أقصب : أعاب . وفى الأغانى : « أغضب » .

(٢) الرويحة :

(٣) الوقر ، بالكسر : حمل البغل .

شعره الذى فيه الغناء

وهذان البيتان من قصيدة منها الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار الكميت ، وهو :

هلّا سألتَ معالمَ الأطلال والرَّسم بعد تقادُم الأَحوالِ

دمناً تَهيج رسومُها بعد البلى طرباً وكيف سُؤال أعجمَ بالِي

يَمشين مَشْى قَطا البِطاح تأوُّداً قُبَّ[1] البُطون رَواجح الأكفال

من كل آنسة الحديث حَيِيّة ليست بفاحشةٍ ولا[2] متِفْال

وتكون ريقتها إذا نَبّهتها كالشُّهد أو كسُلافة الجِريال

مولده ووفاته

وذُكر أن الكميت كان مولده سنة ستين . وتُوفى فى سنة ست وعشرين ومائة .

وذكر أبوالفرج شعراً للبيد بن ربيعة يرثى به أخاه أربد ، فاقتضى ذلك ذكر خبر أربد .

---

(١) قب : جمع أقب ، وهو الضامر البطن .

(٢) متفال : قد تركت الطيب .

ذكر خبر أربد (*)

قدومه في وفد بني عامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذُكر أنّه قدم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفد بني عامر بن صَعصعة، فيهم عامرُ بن الطُّفَيل، وأربد بن قيس، وجَبّار[1] بن سَلْمَى بن مالك بن جعفر. وكان هؤلاء الثلاثة رءوس[2] القوم وشياطينهم. فهمَّ عامرُ بن الطُّفَيل بالغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قد قال له قومُه: يا عامر، إنّ الناس قد أسلموا فأسلم، فقال: والله لقد كنتُ آليتُ ألّا أنتهيَ حتى تتبع العربُ عَقِبي، أفأتبع أنا عَقِب هذا الفتى من قُريش! ثم قال لأربد: إذا نحن أقبلنا على الرّجل فإني شاغلٌ عنك وجهه، فإذا فعلتُ أنا ذلك فاعْلُه بالسيف. فلما قَدِموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال له عامر: يا محمد، خالِني[3]. قال: لا والله حتى تُؤمن بالله وحدَه لا شريكَ له. فلما أبى عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: أما والله لأملأنّها عليك خيلاً حُمراً ورجالاً سُمْراً. فلما ولّى قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اكفني عامرَ بن الطُّفيل. فلما خرجوا من عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال عامر لأربد: ويلك يا أربد! أين ما كنتُ وصّيتك به؟ والله ما كان على وجه الأرض رجلٌ هو أخوف على نفسي منك، وأيْمُ الله، لا أخافك بعد اليوم أبداً. قال: لا تَعجل عليَّ لا أبالك! والله ما هممتُ بالذي أمرتَني به

(*) الذي في الأغاني: «خبر لبيد في مرثية أخيه». وقبل هذا ذكر أبو الفرج خبر ابن سريج مع سكينة بنت الحسين عليهما السلام، فمر عنه ابن واصل.

(1) في التجريد: «حناد». وفي الأغاني: «حيان». وما أثبتناه من السيرة (٣: ٢١٣) طبعة الحلبي. وجمهرة أنساب العرب (ص ٢٦٩).

(2) السيرة: «رؤساء».

(3) خالني، بتخفيف اللام: تفرد لي خالياً أتحدث معك. وبتشديد اللام: اتخذني خليلا وصاحباً.

من مَرة[1] إلا دخلتَ بيني وبين الرجل حتى ما أَرى غيرك ، أَفأَضرِ بك بالسيف ؟ وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بَعث الله تعالى على عامر الطاعونَ فى عُنقه ، فقتله الله ، وإنه لفى بيت اُمرأة من بنى سَلول . فجعل يقول : يا بنى عامر، أغُدّة كَغُدة البَكر ومَوت فى بيت سَلوليّة[2] ! ثم خرج أصحابُه حين وارَوْه حتى قَدِموا أرضَ بنى عامر . فلما آتاهم قومُهم فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندى الآن فأَرميه بنَبلى هذه فأقتلُه . فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين معه جَمل له يَتْبعه[3] ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقةً فأحرقتهما .

رثاؤه لأربد وهو الشعر الذى فيه الغناء

وكان أربد بن قيس أخَا لبيد بن ربيعة لأُمه ، فقال يرثيه بالأبيات التى فيها الغناء ، وهى :

أخشَى على أربدَ الحُتوف ولا ... أرهب نَوْء السِّماك والأسدِ
فجّعنى الرَّعد[4] والصواعق بالـ ... ـفارس يوم الكَريهة[5] النَّجُد
يا عَين هلّا بكيت أَربد إذ ... قُمنا وقام الخُصوم فى[6] كَبَد
إن يَشْغَبوا لا يُبالِ شَغْبَهمُ ... أو يَقْصِدوا فى الخِصام يقْتصد

من قصيدة للبيد فى رثائه

وقال يرثيه من قصيدة :

يا أربد الخير الكريم جُدوده ... أفردْتنى أمشى بقَرْن[7] أعْضبِ
إن الرَّزية لا رزيّة مثلها ... فُقدان كُل أخ كضوء الكوكب

(١) السيرة : « من أمره » .
(٢) يأسف ان لم يمت مقتولا كما يموت الشجعان ، ثم يأسف على موته فى بيت سلولية ، لأن سلول موصوفون باللؤم .
(٣) فى إحدى روايتى السيرة : « يتبعه » .
(٤) السيرة : « البرق » .
(٥) النجد ، بفتح فضم : الشجاع .
(٦) الكبد : الحزن والمشقة .
(٧) أعضب : مكسور .

ذَهب الذين يُعاش في أكنافهم   وبقيتُ في خَلَف كجِلْد الأجْرب

عائشة وبيت لبيد

ورُوِي أن عائشة رضي الله عنها كانت تُنشد بيت لبيد :

* ذهب الذين يُعاش في أكنافهم *

ثم تقول : رحم الله لبيداً ! كيف لو أدرك مَن نحن بين ظهرانَيْهم ! فقال عُروة أبن الزبير : رحم الله عائشة ، كيف لو أدركت من نحن بين ظهرانيهم ! فقال هشام بن عُروة بن الزُّبير : رحم الله أبي ، كيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم! فقال وكيع : رحم الله هشاماً ، كيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ! فقال أبو السائب ، وهو الذي روى عنه الطبري : رحم الله وكيعاً ، كيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ! قال أبو الفرج :ونحن نقول : الله المستعان ، فالقصة أعظم من أن تُوصف .

أخبار كعب بن زهير (*)

أمـه

(1) وقد تقدم خبر أبيه ونَسبه . وأمه كَبْشة بنت عمّار بن عدىّ بن سُحيم ، وهى أم سائر ولد زُهير .

طبقتـه

وكَعب من المُخضرمين ، أَدرك الجاهلية والإسلام ، وهو من فُحول الشُّعراء .

خروجه هو وأخيه إلى النبى صلى الله عليه وسلم

وذُكر أنّ كَعب بن زُهير وأخاه بُجيرا خَرجا يُريدان رسول الله صلّى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزاف(2) . فقال كعب لبجير : الحق هذا الرجل فانظر ما يقول . فقدم بُجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع منه وأَسلم . وبلغ ذلك كعباً فقال :

ألَا أبلغاً عنّى بُجَيْراً رسالة	على أى شىء ويْبَ(3) غيرك دَلّكَ
على خُلق لم تُلف أُمّا ولا أباً	عليه ولم تُدرك عليه أخاً لك
سقاك أبو بكر بكأس(4) رويّة	فأَنهلك المأمونُ منها(5) وعَلّكَ

فبلغت أبياتُه هذه رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأهدر دَمه وقال : مَن لَقِى منكم كعب بن زُهير فَلْيقتله . فكتب إليه أخوه بُجير يُخبره وقال له : انْج وما أراك بمُفلت . وكتب إليه بعد ذلك يأمره أن يُسلم ويُقبل إلى رسول الله صلى الله

(*) وقبل أخبار « كعب » ذكر أبو الفرج أخبار « بذل » المغنية .

(1) الذى فى التجريد عنواناً لهذه الترجمة : « أخبار زهير بن أبى سلمى المزنى » : ولعله تبديل من الناسخ .

(2) أبرق العزاف : ماء لبنى أسد ، وهو فى طريق القاصد إلى المدينة من البصرة .

(3) ويب ، بمعنى : ويل. (4) السيرة : « سقاك بها المأمون كأساً » .

(5) النهل : الشرب الأول . والعلل : الشرب الثانى .

عليه وسلم ، ويقول له : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قَبِل صلى الله عليه وسلم منه ذلك ، وأسقط ما كان قبل ذلك .

إقبال كعب على الرسول صلى الله عليه وسلم

فأقبل كعب حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مجلسه صلى الله عليه وسلم مكان المائدة من القوم ، حلقة ثم حلقة وهو وسطهم ، يُقبِل على هؤلاء يحدثهم ، ثم على هؤلاء . وأقبل كعب حتى دخل المسجد ، فتخطّى حتى جلس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله ، الأمان . قال : ومن أنت ؟ قال : كعب بن زهير . قال : أنت الذى تقول ؟ كيف قال يا أبا بكر ؟ فأنشده حتى بلغ إلى قوله :

سَقاكَ أبو بكر بكأس روية ... وأنهلك المأمون منها وعَلّكَ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مأمون والله . ثم أنشده كعب :

بانت سُعاد فقَلْبى اليوم مَتْبول ... مُتيَّم إثرها لم يُفْدَ[(١)] مَكْبولُ

وما سُعاد غداةَ البَين إذ رحلوا ... إلا أغَنّ[(٢)] غضيضُ الطَّرف مَكْحول

شعره الذى فيه الغناء

وهذان البيتان هما الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار كعب ابن زهير ، وبعده :

تَجْلو عوارضَ ذى ظَلْم إذا ابتسمت ... كأنه مُنْهَلٌ بالرَّاح[(٣)] مَعْلُول

شُجَّت بذى شَبَم من ماء مَحْنية ... صافٍ بأبطحَ[(٤)] أضحى وهو مَشْمول

---

(١) متبول : أسقمه الحب وأضناه . ولم يفد : لم يخلص من الأسر . ومكبول : مقيد .

(٢) الأغن . الظبى فى صوته غنة . وغضيض الطرف : فاتره .

(٣) تجلو : تصقل وتكشف . والعوارض : الأسنان كلها . والظلم : ماء الأسنان وبريقها . يريد أن ثغرها لطيب رائحته كأنه قد سقى الراح ، وهى الخمر ، مرة بعد مرة .

(٤) شجت : مزجت حتى انكسرت حدتها . وذو شبم : ماء شديد البرد . والمحنية : منعطف الوادى ، وماؤه أصفى وأبرد . والأبطح : المسيل الواسع فيه دقاق الحصى . وماء الأبطح معروف بصفائه . والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى برد .

تَنفِى الرياحُ القَذَى عنه وأَفرطه   من صَوْب سارية بيضٌ[١] يَعاليل

فلما بلغ إلى قوله :

إنّ الرسول لسيفٌ يُستضاء به   مُهنَّـدٌ من سُـيوف الله مَسْلول

فى فِتيـة من قُريش قال قائلهم   ببَطن مكة لما أسلموا[٢] زُولُوا

زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُف   عند اللِّقاء ولا مِيلٌ[٣] مَعازيل

أشار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم إلى الخَلْق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير ثم قال كعب :

لا يَقع الطَّعن إلا فى نُحورهم   وما لهم عن حياض الموت[٤] تَهليل

يَمشُون مَشْىَ الجمال الزُّهر يَعْصِمهم   ضربٌ إذا عَرَّد السُّود[٥] التَّنابيل

الأنصار وشعر كعب ثم قوله يمدحهم

فظنَّت الأنصار أن كعباً عرَّض بها ، وكان قد وجد منهم غلظة عليـه . ومما ظُن أنه قصد التعريض فيه بالأنصار قولُه من هذه القصيدة :

كانت مواعيد عُرقوب لها مثلاً   وما مواعيـده إلا الأباطيـل

وعُرقوب : رجل من الأوس . فلما سمع المهاجرون ذلك قالوا : ما مَدَحنا مَن هجا الأنصار ! وأنكروا قوله . وعوتب على ذلك . فقال يمدح الأنصار :

---

(١) القذى : ما يقع فى الماء فيكدره . وأفرطه : سبق إليه وملأه . والصوب : المطر . والسارية : السحابة – والرواية فى السيرة : « غادية » – والبيض اليعاليل : الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر . يصف الأبطح وقد ملأته الفقاقيع البيض .

(٢) زولوا ، أى تحولوا من مكة إلى المدينة .

(٣) أنكاس : ضعفاء ، جمع نكس . وفى رواية : « أنكال » . وكشف ، بالضم وحركت عينه للشعر : جمع أكشف ، وهو الذى لا ترس معه . وميل : جمع أميل ، وهو الذى لا سيف معه . ومعازيل : جمع معزال ، وهو الذى لا سلاح معه .

(٤) تهليل : تأخر .

(٥) الزهر : البيض . يصفهم بامتداد القامة وعظم الخلق والرقة فى المشى وبياض البشرة ، لوقارهم وسؤددهم . ويعصمهم : يمنعهم . وعرد : خبر . والتنابيل : القصار . الواحد : تنبال .

من سَرّه كرمُ الحيــاة فلا يزَلْ في مِقْنَب من صالح الأنصارِ
البــاذلين نُفوسهم لنبيِّهم عنــد الهياج وسطوة الجبّار
والضّار بين النّاسَ عن أديانهم بالمَشرفيّ وبالقَنــا الخَطّار
والنــاظرين بأعينٍ مُحمرَّة كالجمر غير كَليلة الإبصــار
صَدموا الـكَتيبة يوم بدر صَدمة ذلّت لوقعتهــا رِقاب[1] نِزار
يتطهّرون كأنه نُســك لهم بدماء من قتلوا من الـكُفّار

فـكساه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جُبة . فاشتراها مُعاوية بن أبي سُفيان من آل كعب بأربعين ألف درهم . وهي البُردة التي يتوارثها الخلفــاء إلى زماننا هذا .

شيء عن عرقوب

وعرقوب ــ الذى ذكره كعب ــ كان رجلاً من الأوس وعَد رجلاً ثمر نخلة ، فلما أطلعت قال : دعها حتى تلقح . فلما ألقحت قال : دعها حتى تزهى . فلما زهت أتاه فقال : دعها حتى ترطب . ثم أتاه فقال : دعها حتى تثمر . فلما أثمرت عدا عليها فجدّها . فضربت به العرب المثلَ في خلف الوعد .

(١) السيرة : « دانت لوقعتها جميع » .

انتهى الجزء الأول من القسم الثاني
من كتاب تجريد الأغاني لابن واصل الحموي
يتلوه إن شاء الله
الجزء الثاني من القسم الثاني
وأوله
أخبار ابن الدمينة

فهرست أول

لتراجم الجزء الأول من القسم الثانى من تجريد الأغانى

مرتب على حروف الهجاء

فهرست ثان

لتراجم الجزء الأول من القسم الثانى من تجريد الأغانى

تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموي

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

القسم الثاني — الجزء الثاني

تحقيق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبياري

القاهرة
مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
٤٠ شارع نوبار باشا (سابقا شارع الدواوين)
١٣٧٩ - ١٩٥٩

أخبار ابن الدمينة

هو عَبد الله بن عُبيد الله الخَثعميّ . والدُّمينة : أمّه. وهى بنت حُذيفة السَّلولية . نسبه ونسب أمه

وهو شاعر رقيق الشِّعر جيّده . ومن شعره المشهور قولُه :

من مشهور شعره

ألا يا صَبا نَجـدٍ متى هِجْتَ من نَجدِ ... فقـد زَادنى مَسْراكَ وجداً على وَجْدِ

أأَنْ هَتفت وَرقاء فى رَوْنق الضُّحى ... على فَـنَنٍ غَضِّ النَّبات من الرنْد

بكيتُ كما يبكى الوليـدُ ولم[1] أكن ... جَزوعاً وأبديتُ الذى لم أكن[2] أُبدى

وقد زَعموا أنّ المُحبّ إذا دنا ... يُملّ وأنّ النأى يَشْفى من الوَجد

بكُلٍّ تَداوَيْنا فلم يَشْفِ ما بنا ... على أنّ قُرب الدار خيرٌ من البُعْـد

ولـكنّ قُرب الدّار ليس بنـافع ... إذا كان مَن تهواه ليس بذى وُدّ

وقوله :

أمَا والرّاقصات بذات عِرْق[3] ... ومَن صَلّى بنَعمان[4] الأراكِ

رَعاكِ الله يا سَـلْمى رَعاكِ ... ودارَكِ باللِّوى ذات[5] الأراكِ

لقد أضمرتُ حُبّكِ فى فؤادى ... وما أضمرتُ حُبًّا من سِواكِ

قَتلتِ بفاحمٍ وبذى[6] غُروبٍ ... أخا قوم وما قتلوا أخاكِ

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ولم تكن » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لم تكن تبدى » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بكل فج » مكان « بذات عرق » . وذات عرق : الحد بين نجد وتهامة .

(٤) نعمان الأراك : واد بين مكة والطائف . وقد نسب هـذا الشعر فى « معجم البلدان » فى رسم « نعمان الأراك » لأبى العميثل .

(٥) لم يرد هذا البيت فيما بين أيدينا من أصول الأغانى ، كما لم يرد فى معجم البلدان .

(٦) الغروب : مناقع ريق الأسنان ؛ وقيل : أطرافها ، وحدتها وماؤها . ويعنى بذى الغروب : الفم . وقد ورد هذا البيت فى معجم البلدان ، ولم يرد فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

أَطعتِ الآمرين[1] بصَرْم حَبْلى ... مُريهم فى أحبّتهم بذاك
فإنْ هم طاوعُوك فطاوعيهم ... وإن عاصَوْك فاعصَىْ مَن عَصاك

هو وامرأة أحبها من قومه

وذُكر أنّ ابن الدُمينة كان يَهوَى امرأة من قومه ـ يقال لها : أُميمة ـ فهام بها مُدّة ، فلما وصلته تجنَّى عليها وجعل يُغاضبها و ينقطع عنها ، ثم رآها ذات يوم ، فتعاتبا طويلاً ، ثم أقبلت عليه فقالت :

وأنتَ الذى أخلفتْنى ما وعدتَنى ... وأشمَتَّ بى مَن كان فيك يلُومُ
وأبرَزْتنى للنــاس ثم تركْتنى ... لهم غَرضاً أُرمَى وأنت سَــليم
فلو أن قولاً يَـكْلِمَ الجِسْم قد بَدا ... بجِسمىَ من قول الوُشــاة كُلُوم

فأجابها ابن الدُّمينة فقال :

وأنتِ التى كلَّفْتنى دُلَجَ السُّرى ... وجُونُ القَطا بالجَلْهتين[2] جُثُومُ
وأنت التى قطَّعتِ قلبى حرارةً ... وفرَّقت قَرْح القلب[3] فهو كليم
وأنت التى أحفظت قومى فكلُّهم ... بعيد الرِّضى دانِى الصُّدود كَظيم

شعره فيها منسوب إلى مجنون ليلى

ومن رقيق شعره ، وَقد تقدم مَنسوباً إلى مَجنون ليلى ، ونسبته إلى ابن الدُّمينة هو الصحيح :

أُقضِّى نَهارى بالحَـديث وبالمُنى ... ويَجمعُنى والهمّ باللَّيــل جامعُ
نَهارى نَهارُ الناس حتى إذا بدا ... لىَ اللَّيلُ هَزَّتنى إليك المَضاجِع
لقد ثَبتتْ فى القلب منك مودّة[4] ... كما ثبتت فى الرّاحتين الأَصابع

شعره الذى فيه الغناء

ومن رقيق شعره الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره :

أَبينِى أفى يُمنى يديك جَعلتنِى ... فأَفرَح أم صَـيَّرتنى فى شِمالك

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أريت الآمريك بقطع » .
(٢) الدلج : جمع دلجة ، وهى سير السحر . والجلهتان : جانبا الوادى .
(٣) القرح ، هنا : عض الهوى ، والهم يصيب القلب . يريد : أشعت الأسى فى قلبى وعممته . وفى بعض أصول الأغانى : « مزقت فرخ القلب » . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « محبة » .

أَبيتُ كأنّى بين شِقّين مِن عَصًا حِذارَ الرَّدَى أوخِيفةً من زِيالك

تعاللتِ كى أَضنى (١) وما بك علّة تُريدينَ قتلى قد ظَفرت بذلك

حديثه مع امرأته حماء التى اتهمت بمزاحم

وذُكر أنه كان لأبن الدمينة أمرأة يقال لها : حماء — وقيل : حمادة — فكان رجل من سَلول — يقال له : مُزاحم — يتحدّث إليها ، حتى أشتهر ذلك . فمنعه أبنُ الدمينة من إتيانها وأشتد عليها . فذكر مُزاحم قصيدة يذكُر أنه وطئها ، وذكر منها علاماتٍ خفيّة فيها :

يأبن الدُّمينة والأخبارُ يَرفعها وَخْدُ النَّجائب والمَحْقور يُخْفيها

يابن الدُّمينة إن تَغْضب لما فعلت فطال خِزْيُك أو يَغضب مَواليها

أو تُبغضونى فكم مِن طَعنة نَفَذٍ (٢) يعدوخلال أختلاف الجَوف عاديها (٣)

جاهدتُ فيها لكم إنّى لكم أبداً أبغى معايبكم عَمْداً فآتيها

يقول فيها :

أمارةٌ (٤) كيّة ما بين عانَتِها و بين سَبّتها (٥) لا شَلَّ كاويها

وشَهقة عند حسّ الماء تَشهقها وقول رُكبتها : قِضْ (٦) حين تَثْنيها

وتعدل الأير إن زارت (٧) فتُنعشه (٨) حتى يُقيم برفق صدرَه فيها

فلما بلغَ أبنَ الدُّمينة هذا الشعرُ أتى أمرأته فقال لها : قد قال هذا الرجل فيك ما قال ، وقد بلغك . فقالت : والله ما رأى ذلك منّى قط . فقال لها : فمِن أين له العلامات ؟ قالت : وصفهن له النِّساء . فقال : هيهات والله أن يكون ذلك كذلك!

(١) فى بعض أصول الأغانى : « كى أشجى » . (٢) نفذ : نافذة .

(٣) هذه رواية التجريد يعنى : خلال ثنايا الجوف وتلافيفه . وفى غير التجريد : « يعد وخلال اختلاج الجو عاديها » . يعنى باختلاج الجوف : انتزاع النفس . أى انها لا تصيب إلا مقتلا .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « علامة » . (٥) السبة : الدبر .

(٦) قض ، بالكسر : صوت الركبة إذا صاتت .

(٧) فى غير التجريد : « زاغت » . (٨) فى غير التجريد : « فتبعثه » .

ثم أمسك مُدة وصَبر ، حتى ظَن أن مُزاحماً قد نَسى القِصة ، ثم أعاد عليها القول ، وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه النساء . فقال لها : والله لئن لم تُمكِّنينى منه لأقتلنَّك . فعلمت أنه سيفعل ذلك . فبعثت إليه وواعدته ليلاً ، وقعد له ابنُ الدمينة وصاحبٌ له . فجاءها للموعد وجعل يُكلِّمها — وابن الدمينة فى مكانها [1] — فلم تكلمه . فقال : يا حماء ، ما هذا الجفاء ؟ فقالت له : بصوت خفىّ ضعيف . أدخل . فدخل ، وأهوى بيده ليضعها على مَتنها ، فوقعت على ابن الدُّمينة ، فوثب عليه هو وصاحبه ، وقد جعل له حصًى فى ثوبه ، فَضرب به كبده حتى قتله ، وأخرجه فطرحه ميتاً . فجاء أهله فاحتملوه ولم يجدوا به أثر السلاح . فعلموا أن ابن الدُّمينة قتله . وقال ابنُ الدُّمينة :

قالوا هَجَتْك سَلُولُ اللُّؤم مُخفيةً ... فاليومَ أَهجو سَلولاً لا أُخافيها
قالوا هجاك سَلولىٌّ فقلت لهم ... قد أنصف الصَّخرةَ الصَّماء راميها
رِجالهم شرٌّ من يمشى ونسوتُهم ... شرُّ البرية واُستٌ [2] ذلّ حاميها

وقال أيضاً :

لك الخير إن واعدت حمَّاء فأْلقها ... نَهاراً ولا تُدلج إذا الليل أظلما
فإنك لا تدرى أبيضاء طَفْلةً ... تُعانق أم لَيثاً من القوم ضَيْغما
فلمّا سَرى [3] عن ساعدىّ ولِحيتى ... وأيقن أنّى لست حمّاء جَمْجما

ثم أتى ابنُ الدمينة امرأته فطرح على وجهها قطيفة وجلس عليها حتى قتلها . فلما ماتت أنشأ يقول :

إذا قعدتُ على عِرنين [4] جارية ... فوق القَطيفة فادعُوا لى بحفّارِ

(١) فى غير التجريد : « وهى مكانها » .
(٢) الاست ، معروفة ، وتقال للرذل من الناس . (٣) سرى : كشف .
(٤) العرنين : ما تحت مجتمع الحاجبين ، هو أول الأنف .

فبكت بُنية له منها ، فضرب بها الأرض فقتلها ، وقال مُتمثلاً :

* لا تغذون[١] من كلب سَوْء جَرْوا *

فقالت أم أبان ، والدة مُزاحم بن عمرو المقتول ، وهى من خَثعم ، ترثى أبنها وتحضّض ولديها : مُصعباً ، وجناحاً ، على أخذ ثأره :

بأهلي ومالى بل بجُلّ عَشيرتى ... قَتيلُ بنى تيم بغير سِلاحِ[٢]

فهلّا قتلتم بالسلاح أبن أختكم ... فتظهرَ منه للشهود جراحُ

فلا تَطمعوا فى الصُّلح مادمتُ حيّةً ... وما دام حيًّا مُصعب وجناح

فاُستعدى عليه جَناحٌ أحمدَ بن إسماعيل ، فبعث إليه فحبسه . فلما لم يجد عليه حُجة ولا سبيلاً خلّاه . فقتلت بنو سلول رجلاً من خثعم ، وقتلت خثعم بعد ذلك نفراً من بنى سَلول ، وجرت فى ذلك أمور يطول ذكرها .

مقتله

ثم أقبل أبنُ الدُّمينة حاجًّا بعد مدة ، فعدا عليه مُصعب، أخو مُزاحم المقتول، وكانت أمه حرّضته ، وقالت : أُقتل أبن الدُّمينة فإنه قَتل أخاك وهجا قومك ، ودَمُ أخيك مَطلول ، وقد كنتُ أعذرك فى هذا لأنك كنت صغيراً يومئذ ، وقد كبرتَ الآن . فلما أكثرت عليه خرج من عندها ، و بصر بأبن الدُّمينة واقفاً يُنشد ، فغدا إلى جزّار فأخذ شَفرته ، وخرج إلى أبن الدُّمينة فجرحه جراحتين، فسلم . ثم مرّ به بعد ذلك وهو يُنشد : فعلاه بسيفه حتى قتله ، وتبعه الناس حتى أقتحم داراً وأغلقها على نفسه . فجاءه رجل من قومه فصاح به : يا مصعب ، إن لم تضع يدك فى يد السلطان قتلتْك العامة ، فاُخرُج . فلما عرفه قال : أنا فى ذمتك حتى تُسلمنى إلى السلطان . فوضع يده فى يده فسلّمه إلى السلطان ، فقذفه فى سجن تَبالة[٣] .

(١) غير التجريد : « لا تتخذن » .

(٢) فى الشعر : إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى بين الضم والكسر .

(٣) تبالة : موضع بينه و بين مكة خمسون فرسخاً .

أخبار المقنع الكندى

نسبه

وهو : محمد بن ظَفر بن عُمير بن أبى شَمِر بن أبى فُرْعان بن قيس بن الأسود أبن عبد الله بن الحارث الولّادة ــ سمى بذلك لكثرة ولده ــ بن عمرو بن مُعاوية أبن كندة بن عُفير . وقد تقدم بقية النسب .

سبب تلقيبه بالمقنع

والمقنّع ، لقب غلب عليه ، لأنه كان من أجمل الناس وجهاً ، فكان إذا سَفَر اللثام عن وجهه أصابته العين . وكان أمدَّ الناس قامة ، وأكملهم خلقاً . وكان لا يَمشى إلا مُقنَّعاً .

وهو شاعر مُقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان له محل كبير وشرف وسؤدد فى عشيرته .

جده والنزاع بين عمه وأبيه

وكان عُمير جدُّه سيدَ كندة . وكان عمُّه عمرو بن أبى شَمر ينازع أباه الرياسة ويساجله فيها فيقصُر عنها [1] .

استعلاء بنى عمه عليه

فنشأ محمد بن ظفر المقنَّع ، وكان مُتخرِّقاً [2] فى عطاياه ، سَمْح اليد بماله ، لا يَرُد سائلاً عن شىء ، حتى أتلف كل ما خلّفه له أبوه من مال . فاستعلاه [3] بنو عمه عمرو بن أبى شَمِر بأموالهم وجاههم .

شعره الذى فيه الغناء وسببه

وهوى بنتَ عمِّه عمرو فخَطبها إلى إخوتها ، فردّوه وعيّروه بتخرّقه وفقره

---

(١) فى غير التجريد : « عنه » .

(٢) متخرقاً : متسعاً .

(٣) فاستعلاه بنو عمه . أى ترفعوا عليه والذى فى التجريد : « فأسعده » .

وما عليه من الدَّين . فقال شعرَه الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو من أجود الشعر :

وإن الذى بينى وبين بنى أبى ... وبين بنى عمّى لمختلفٌ جدّا
ولا أحملُ الحقد القديم عليهمُ ... وليس رئيسَ القوم من يحمل الحقدا
وليسوا إلى نصرى سِراعاً وإن همُ ... دَعونى إلى نصرٍ أتيتُهمُ شَدّا
إذا أكلوا لحمى وفرتُ لحومهم ... وإن هدموا مجدى بنيتُ لهم مجدا
يُعاتبنى فى الدَّين قومى وإنما ... تديّنت فى أشياء تكسبهم حمدا

أخبار أبي قيس بن الأسلت

نسبه

قال أبو الفرج :

لم يقع إلىّ أسمه . وأسم أبيه : عامر — والأسلت لقبه — أبن جُشم بن وائل ابن زَيد بن قيس بن عُمارة بن مُرة بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثَعلبة أبن عَمرو بن عامر .

جاهلي ساد الأوس

من شُعراء الجاهليّة . وكانت الأوس قد أسندت إليه حَربها فكَفَى وساد .

إسلام ابنه واستشهاده

وأسلم أبنُه عُقبة بن أبي قيس ، وأستشهد يومَ القادسية .

مقتل ابنه قيس

وكان يزيد بن مِرداس السُّلميّ — أخو العبّاس بن مرداس — قَتل قيس أبن أبي قيس في بعض حروبهم ، وطلب ثأره هارونُ بن النُّعمان بن الأسلت ، حتى تمكّن من يزيدَ بنِ مرداس فقتله .

ذكر يوم بُعاث (*)

مختصراً

العداء بين الأوس والخزرج

كان هذان الحيّان من أهل المدينة — وهم الأوس والخزرج — لا تزال بينهم الحُروب فى الجاهلية . وكان الأوس خاصةً يَستعينون فى حُروبهم على الخزرج بقُريظة والنَّضير ، من اليهود .

شىء عن بنى قريظة والنضير

وهاتان القبيلتان من ذُرية هارون بن عمران — عليه السلام — كانوا نزلوا الحجاز ينتظرون ظُهور النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، لكثرة البِشارة فى كُتبهم ليؤمنوا به ، فلما ظهر صلّى الله عليه وسلّم كفروا به بَغْياً وحسداً .

حمل الخزرج لبنى النضير وقريظة على التخلى عن الأوس

و بلغ الخزرجَ انتصارُ الأوس عليهم بقُريظة والنَّضير ، فبعثت إليهم : إن الأوس — فيما بلغنا — قد استعانت بكم علينا ، ولن يُعجزنا أن نَستعين بأعدادكم وأكثر منكم من العرب ، فإن ظَفِرنا بكم فذاك ما تكرهون ، و إن ظفرتم لم ننم عن الطلب أبداً فتصيروا إلى ما تكرهون ، و يَشغلكم من شأننا ما أنتم منه الآن خالون . وأسلمُ لكم من ذلك أن تَدعونا وتُخَلّوا بيننا و بين إخواننا . فأجابتهم قُريظة والنَّضير إلى ما التمسوا من ذلك ، وألّا يُعينوا الأوس عليهم . فلم يُقنعهم إلا أن يبعثوا إليهم برهائن تكون فى أيديهم . فبعثوا إليهم أربعين غلاماً منهم ، ففرّقتهم الخزرج فى دُورهم .

نقض الخزرج لعهدهم مع بنى قريظة والنضير

ثم إن رجلاً من بنى الخزرج من بنى بَياضة — يقال له : عمرو بن النُّعمان — قال لقومه : إن عامراً — يعنى جدّ الأوس والخزرج — أنزلكم منازل سَوء

(*) لم يفرد أبو الفرج يوم بعاث بترجمة مستقلة . بل جمل خبره موصولا بخبر ابن الأسلت .

بين سَبخة ومَفازة ، واللهِ لا يَمسّ رأسى غُسلٌ حتى أُنزلكم منازل بنى قُريظة والنَّضير . فأرسل إلى بنى قُريظة والنَّضير : إما أن تخلُّوا بيننا و بين دياركم فنَسكنَها ، و إما أن نقتل رُهنكم . فهمُّوا بأن يَخرجوا من ديارهم . فقال لهم كعب بن أسد القُرظى : يا قوم ، امنعوا دياركم وخلُّوهم يقتلوا الرُّهن ، فوالله ما هى إلا ليلة يُصيب فيها أحدكم امرأته حتى يُولد له غلام مثلُ أحد الرُّهن . فأجمعوا على ذلك ، وأرسلوا إليهم بأنَّا لا نُسلم لكم دُورنا ، وانظروا الذى عاهدتمونا عليه فى رُهننا فقُوموا لنا به . فعدا عمرو بن النُّعمان على رُهنهم ، هو ومن أطاعه من الخزرج ، فقتلوهم . وأبى عبدُ الله بن أُبىّ ذلك ، ومن أطاعه من الخزرج ، فخلَّوا عمَّا عندهم من الرُّهن وأطلقوهم حتى أتَوْا أهلهم .

جموع بنى النضير وقريظة والأوس ضد الخزرج يوم بعاث

وانضمت قُريظة والنَّضير حينئذ إلى الأوس وتَعبَّئوا لقتال الخزرج ، وتعبّأت الخزرج لقتالهم . واستنصر كل من الفريقين بجموع من العرب من غيرهم ، واستعد الفريقان للقتال شهراً ، ثم التقوا ببُعاث واقتتلوا قتالاً شديداً . فانهزمت الأوس أولاً حين وجدوا مَسّ السلاح . فلما ولّوا مُنهزمين نزل أبو أُسيد حُضير — وهو سيد الأوس — وطَعن فى فخذه وصاح : واعُقراه[1] ، والله لا أريم حتى أُقتل ، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تُسلموا فافعلوا . فعطفت عليه الأوس وقاتلوا الخزرج أشدّ قتال ، فانهزموا أقبح هزيمة . ووضعت الأوس فيهم السلاح . فصاح صائح : يا معشر الأوس ، أسجحوا ولا تُهلكوا إخوتكم ، فجِوارهم لكم خير من جوار الثَّعالب . فحينئذ كفُّوا عن سَلبهم بعد إثخان فيهم . وسلبتهم قُريظة والنَّضير .

---

(١) العقر ، بالضم : العقم ، يكون للرجل والمرأة . وبالفتح . والهلاك وبالوجهين يستقيم المعنى . فهو مع الأول يندب فقدان الناصر والمعين ، كأنه لم يعقب . وعلى الثانى فهو يندب ذلك الهلك اللاحق إن هزموا . وهو مع المعنيين يستحث قومه ويستنهضهم . وفى التجريد : «واعقيراه» والعقير : الجريح . يسترحم قومه لجرحاهم ان فرطوا .

مقام أبي قيس بن الأسلت في ذلك اليـــوم

وكان أبو قيس بن الأسلت له المقام المشهود في تلك الحرب ، وكانت الأوس قد أَسندت أمرها إليه ، فتغيّر وشَحب لونه .

هو وامرأته

وكان قــد آلى ألّا يقرب امرأته حتى يفصل أمرُ الحرب . فمكث شهراً لا يَقربها . ثم لما انقضت الحرب جاءها فدقّ عليها الباب ـ وهى كَبْشة بنت ضمرة بن مالك بن عدىّ بن عمرو ، من بنى عمرو بن عوف ـ ففتحت له . فأهوى إليها بيده ، فدفعته وأنكرته . فقال : أبو قيس . فقالت : والله ما عرفتُك حتى تكلّمت . فقال فى ذلك أبو قيس القصيدة التى أولُها :

قالت ولم تَقْصد لقِيل الخَنَا ... مهلاً فقد أبلغتَ أسماعى

واستنكرتْ لوناً له شاحباً ... والحربُ غُولٌ ذات أوجاع

شعر أبي قيس الذى فيه الغناء

ومن هـــذه القصيدة الشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى قيس ، وهو :

قد حَصَّت[1] البَيضةُ رأسِى فما ... أطعم نوماً غيرَ تَهْجــاعِ

أَســعى على جُل بنى مالك ... كُل امرىء فى شأنه ساعى

مَن يذُق الحرب يَجد طَعمها ... مُرًّا وتتركه[2] بجَعْجَـــاع

لا نَألم القَتــلَ ونَجزى به الـ ... أعداءَ كَيْلَ الصَّاع بالصَّاع

---

(١) البيضة : الخوذة . وحصت رأسى ، أى ذهبت بشعر رأسى . وذلك لطول لبسه لها لا يخلعها . يشير إلى طول الحرب .

(٢) الجعجاع : المكان الخشن الضيق الغليظ . يريد : الشدة والحرج .

ذكر مقتل حجر بن عدى

[ج ١٦]

رحمه الله

حجر والمغيرة وسب على بن أبى طالب

قيل : لما خَلع الحسنُ بن علىّ — رضى الله عنه — نفسَه من الخلافة، وسلم الأمر إلى معاوية بن أبى سُفيان ، وصَفتِ الأمورُ له ، كَتبَ إلى وُلاته بالآفاق بأن يسُبُّوا عليًّا — رضى الله عنه — على المنابر . وكان الُمغيرة بن شُعبة عاملَ مُعاوية على الكوفة ، فكان يقوم على المِنبر فيَستغفر لعثمان — رضى الله عنه — ويلعن قتلَته ، ويذُم علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — ويَقَع فيه . فيقوم حُجر أُبن عدىّ فيقول : (يأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ) [(١)] . فإنّى أشهد أن من تذُمّون أحقّ بالفضل ممن تُطرون ، ومن تُزكّون أحق بالذّم ممن تَعيبون . فيقول له الُمغيرة : يا حُجر ، ويحك ! اُكفُف عن هذا واتق غَضبة السلطان وسَطوته ، فإنها كثيراً ما تقتُل مثلَك . ثم كَفّ عنه . فلم يزل كذلك .

حجر والمغيرة بعد أن خطب الناس

فخَطب الُمغيرةُ يوماً على المِنْبر فنال من علىّ ـ رضى الله عنه ـ ولعن أصحابَه . فوثب حُجر فنعَر به نَعْرة[(٢)] أسمعتْ كُلّ من كان فى المسجد وخارجَه . فقال له : إنك لا تدرى أيها الإنسان بمن تُولَع ! مُرْ لنا بأعطياتنا وأرزاقنا فإنك قد حَبستها عنّا، ولم يكن ذلك لك ولا لمن كان قبلك ، وقد أصبحتَ مُولعاً بذمّ أمير المؤمنين وتَقريظ الُمجرمين . فقام معه أكثرُ من ثلاثين يقولون : صدق والله حُجر ! مُر لنا بأعطياتنا فإنّا لا نَنتفع بقولك هذا ولا يُجدى علينا . وأكثروا فى ذلك . فنزل

(١) الآية ١٣٥ من سورة النساء . (٢) أى صاح به صيحة من خيشومه .

المُغيرة بن شعبة ودَخل القصر . فاُستأذن عليه قومُه ودخلوا ، ولاموه فى احتماله حُجْراً . فقال لهم : إنّى قد قتلتُه . قالوا : وكيف ؟ قال : إنه سيأتى أميرٌ بعدى يحسبه مثلى فيصنع به شبيهاً بما تَرونه ، فيأخذه عند أول وَهلة فيقتله شرَّ قِتلة ، إنه قد اقترب أجلى وضَعُف عملى ، وما أحب أن أبتدىء أهل هذا المِصر بقتل خِيارهم وسَفك دمائهم ، فيَسْعدوا بذلك وأشقى ، ويَعِزّ معاوية فى الدنيا ويذِل المُغيرة فى الأُخرى ، سيذكروننى لو قد جَرّبوا العُمّال .

زياد وحجر

ثم تُوفى المُغيرة بن شُعبة سنة خَمسين ، وجمع مُعاوية بن أبى سفيان ولايةَ العراق لزياد . فدخل الكوفة ، ووجّه إلى حُجر بن عدىّ فجاءه — وكان له قبل ذلك صديقاً — وقال له : قد بلغنى ما كُنت تَفعله بالمُغيرة فيَحتمله منك ، وإنى والله لا أحتملك على مثل ذلك أبداً ، أرأيتَ ما كنت تَعرفنى به من حُب علىّ ابن أبى طالب — رضى الله عنه — ووُده ، فإن الله قد سَلخه من صدرى وحَوّله بُغضاً وعَداوة ، وما كنت تَعرفنى به من بُغض معاوية وعَداوته ، فإن الله تعالى قد سَلَخه من صدرى وحَوّله حُبًّا ومودّة ، وإنى أخوك الذى تَعهد ، إذا أتيتَنى وأنا جالس فاُجلس معى على مجلسى . فإذا أتيتَ ولم أجلس فاُجلس حتى أخرج ، ولك عندى فى كل يوم حاجتان : حاجة غُدوة وحاجة عشيّة ، إنك إن تستقم تَسلم لك دُنياك ودِينك ، وإن تأخذ يميناً وشمالاً تُهلك نفسك ويَشيط عندى[1] دمُك ، إنى لا أحبُّ التنكيل قبل التّقدمة ، ولا آخذ بغير حُجة ، اللهم اُشهد . فقال حُجر : لن يرى الأميرُ منّى إلا ما يُحب ، وقد نصح ، وأنا قابل نُصحه . ثم خرج من عنده . فكان يتّقيه ويَهابه . وكان زياد يُدنيه ويُفضّله ويُكرمه .

حجر وأصحابه مع عمرو بن حريث

وكان زياد يَشْتو بالبصرة ويُصيف بالكوفة ، ويستخلف على البصرة سَمرة ابن جُندب ، وعلى الكوفة عمرو بن حُريث . وكان يجتمع إلى حُجر جماعةٌ ممن

---

(١) يشيط دمك : يذهب .

يرى رأيه فى حُبِّ علىّ — رضى الله عنه — والطّعن على مُعاوية . وبلغ ذلك زياداً ، فدعا حُجْراً ووَعظه . ثم خرج إلى البصرة . فجعل يجتمع عند حُجر جَمعٌ عظيم من أصحابه حتى يملئون ثُلث المسجد أو نِصْفه ، وتُطيف بهم النّظّارة ، ثم يرفعون أصواتهم بذَم مُعاوية وشتمه وشَتْم زياد . وبلغ ذلك عَمرو بن حُريث . فصَعِد المِنبر ، واجتمع إليه أشرافُ أهل الكوفة ، فحثّهم على الطاعة والجماعة وحذّرهم الخِلاف . فوثَب إليه جماعة من أصحاب حُجر يُكبِّرون ويَشتُمون ، حتى دنوا منه فحَصبوه وشَتموه ، حتى نزل ودخل القصر ، وأغلق عليه بابَه . وكتب إلى زياد بالخبر .

زياد وأهل الكوفة

فأقبل حتى أتى الكوفة . فدخل القصر ،ثم خرج وعليه قَباء(١) سُندس ومِطْرف(٢) خَزّ أخضر ، وحُجر جالس فى المسجد وعنده أصحابه . فصَعد المنبر وحذّر الناس ، ثم قال لشدّاد بن الهيثم الهلالى : اذهب فأتنى بحُجر . فذهب إليه فدعاه . فقال أصحابُه : لا يأتيه ولا كرامةً . وسبُّوا الشُّرط . فرجعوا إلى زياد فأخبروه . فقال : يا أشراف أهل الكوفة ، تَشُجُّون بيد وتأسُون بأخرى ، أبدانكم عندى وأهواؤكم مع الجهجاه(٣) الدَّيُّوث . أنتم معى و إخوتكم وأبناؤكم وعَشيرتكم مع حُجر . فوثبوا إلى زياد فقالوا : معاذ الله أن يكون لنا فيما هاهنا إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين ، وكلّ ما ظننت أن فيه رضاك فمُرنا به . فقال لهم : ليقُم كل واحد منكم إلى هذه الجماعة التى حول حُجر فَلْيدْعُ أخاه وابنه وذا قرابته ومن يُطيعه من عشيرته ، حتى تقيموا عنه كلّ من استطعتم . ففعلوا ، وجعلوا يقيمون عنه أصحابه ، حتى تفرّق أكثرهم و بقى أقلُّهم .

---

(١) القباء ، بالفتح : ثوب تجتمع أطرافه .

(٢) المطرف ، بالكسر والضم . ثوب يجعل فى طرفيه علمان .

(٣) الجهجاه : كأنه مركب من : جه جه ، وهى حكاية صوت الأبطال فى الحروب . بصيح الصائح بالناس يستنفرهم . والديوث : الذى لا يغار على أهله .

رجال زياد وحجر

فلما رأى زياد خِفّة أصحاب حُجر قال لصاحب شُرطته : أذهب فأْتني بحُجر ، فإن تبعك و إلا فمُرْ من معك أن ينزعوا عَمَد السُّتور[1] ، ثم ليشدُّوا عليه حتى يأتوا به ويَضربوا مَن حال دونه . فلما أتاه شدّاد ، قال له : أَجب أمير المؤمنين . قال أصحابُ حُجر : لا ولا نُعمة عَين[2] ، لا يُجيبه . فقال لأصحابه : علىّ بالعَمَد . فاشتدّوا[3] إليها وأقبلوا بها . فقال عُمير بن يَزيد الكَلبىّ لحُجر : إنه ليس رجل معه سَيف غيرى . قال : وما يُغنى عنّى سيفك . قال . فما ترى ؟ قال : فقم من هذا المكان فالحق بأهلك يَمنعك قومك . وزياد ينظُر على المِنبر إليهم. فغشّوا حُجراً بالعَمد ، وضَرب رجل ـ يقال له : بكر بن عُبيد ـ رأسَ عمرو بن الحِمق بعمود فوقع . وأتاه رجلان من الأزد ، فحملاه فأتيا به بعضَ دُور الأزد . ومضى حُجر ابن عدىّ إلى داره ، ومعه جماعة من أصحابه . وأمر زياد اليمن وهمدان ومذحج بأتّباعه . فلما انتهى حُجر إلى داره ورأى قِلّة أصحابه ، قال لهم : انصرفوا ، فما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم من قومكم . فذَهبوا لينصرفوا ، فلحقتهم أوائل الخَيل من مَذحج وهمدان . فعطَف عليهم أصحابُه فقاتلوا عنه ساعة ، فجُرح بعضهم وأُسر البعض ، وأُفلت سائر القوم .

هرب حجر وما كان من زياد

وقَصد حُجر دار رجل من كِندة ـ يقال له : سليمان بن يزيد ـ فدخل داره . وجاء القوم فى طَلبه . فأَخذ سليمانُ بن يزيد سيفَه ثم ذهب ليَخرج إليهم . فبكا بناته ، فقال له حُجر : بئس والله ما تريد، لا أبا لك[4] ! قال : أُريد والله أن ينصرفوا عنك ، فإن فعلوا و إلا ضاربتهم بسيفى ما ثَبت قائمه فى يدى دونك .

(١) فى غير التجريد : « السيوف » .

(٢) نعمة العين : قرتها . والعرب تقول : نعم ونعمة عين ، أى أقر عينك بطاعتك واتباع أمرك . والكلام هنا على الضد من ذلك . والذى فى غير التجريد : « ولا كونه » .

(٣) اشتدوا إليها : عدوا وأسرعوا .

(٤) فى التجريد : « لا أبا لغيرك » .

فقال حُجر له : بئس والله ما دخلتُ به على بناتِك ! أما فى دارك حائط أقتحمه أو خَوخة أخرُج منها ؟ فدلّه على خَوخة فى داره ، فخَرج منها وخرج معه فِتية يسلُكون به الأزقَّة حتى أفضى إلى النَّخع . فقال : انصرفوا رحمكم الله . فانصرفوا عنه . فقصد دار عبد الله بن الحارث ـ أخى الأشتر ـ فدخلها . فبسط له عبد الله البُسط وتلقّاه بالبشر . فجاءت أَمة سَوداء إلى الذين يطلُبونه فدلّتهم عليه ، فقصدوه . فخرج حُجر متنكِّراً هو وعبد الله بن الحارث ، فنزلا داراً من دُور الأزد ، وأقاما بها يوماً وليلة .

زياد ومحمد بن الأشعث فى أمر حجر

ولما أعيا أمرُه زياداً دَعا محمدَ بن الأشعث بن قيس ، فقال له : والله لتأتينّى بحُجر أو لا أدع لك نخلاً إلا قطعتُه ، ولا داراً إلا هدمتها ، ثم لا تَسلم منى بعد ذلك حتى أُقطعك إرباً إرباً . فقال : أمهلنى أطلُبه . قال : أمهلتُك ثلاثاً ، فإن جئت به وإلا فاعدد نفسك من الهَلْكى . فأخرج محمد نحو السجن وهو ممتقع اللون يُتَلّ تَلاّ عنيفاً[1] . فقال حُجر بن يزيد الكلبى : ضمِّنِّيه وخَلِّ سبيلَه ليطلُب صاحبه ، فإنه مخلّى سِربُه أحرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً . فضمَّنه إياه . وبلغ حُجرَ بن عدى ما جرى لمحمد بن الأشعث مع زياد . فبعث إليه : إنه قد بلغنى ما استقبلك به هذا الجبّار العَنيد ، فلا يهولنَّك شىء من أمره ، فإنى خارج إليك ، فاجمع نفراً من قومك فادخل عليه وسَله أن يُؤمِّننى حتى يبعثنى إلى معاوية فيرى فىّ رأيه . فدخل محمد بن الأشعث إلى زياد فى نفَر من كِندة ، وطلبوا إليه فيما سأله حُجر . فأجاب إليه . فأتَوه به . فلما دخل حُجر على زياد قال : مرحباً يا أبا عبد الرحمن ، حَرب فى أيام الحرب ، أو حَرب وقد سالم الناس ؟ على نفسها تجنى بَراقش[2] .

(١) يتل : أى يكب على وجهه . والتلتلة بالسياق أنسب ، وهى السوق العنيف .

(٢) المثل : على أهلها تجنى براقش . وبراقش : كلبة ، دلت بنباحها الأعداء على أصحابها . وقيل فى تفسير هذا المثل غير ذلك . (اللسان : برقش – مجمع الأمثال للميدانى ٢ : ٤٢٢) .

فقال : والله ما خلعت يداً عن طاعة ولا فارقتُ جماعة ، و إنى لعلى بَيعتى . فقال : هيهات هيهات ! قال : ألم تؤمِّنى حتى آتى معاوية فيرى فىّ رأيه ؟ قال : بلى . انطلقوا به إلى السجن . فذهبوا به إليه .

تتبع زياد لأصحاب حجر

وأخذ زياد فى تتبع أصحاب حُجر . فخرج عمرو بن الحَمِق ، ورفاعةُ بن شداد، حتى نزلا المدائن ، ثم اُرتحلا حتى أتيا الموصل ، فأتيا جبلاً فكَمنا فيه . و بلغ عامل ذلك الرُّستاق — وهو رجل من همدان . يقال له : عبيد الله[1] بن أبى بلتعة — خبرُهما ، فسار إليهما فى الجبل ، ومعه أهل البلد . فلما اُنتهى إليهما خرجا ، فأما عمرو بن الحمق فكانت بطنُه قد اُستسقت فلم يكن عنده اُمتناع ، وأما رفاعة فوثب على فرس له جواد فنجا بنفسه .

مقتل عمرو بن الحمق

وأخذوا عمرو بن الحمق فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان — وهو اُبن أم الحكم — فكتب إلى مُعاوية يُخبره بأخذه . فكتب إليه معاوية . إن عَمراً طعن عثمان — رضى الله عنه — تِسع طعنات ، و إنه لايُتعدى عليه . فاُطعنه كما طَعن عثمان . فأخرجه عبدُ الرحمن فطَعنه تِسع طعنات . فمات فى الأولى منهن أو الثانية . و بعث برأسه إلى معاوية . فكان أول رأس حُمل فى الإسلام .

تعذيب زياد لصيفى بن فسيل

وجَدّ زياد فى طلب أصحاب حُجر ، فأُتى بَصيفى بن فسيل الشَّيبانى ، فقال له زياد : يا عدو الله ، ما تقول فى أبى تُراب ؟ فقال : ما أعرف أبا تُراب . قال : ما أعرَفك به ، أما تعرف علىّ بن أبى طالب . قال : بلى . قال : ذلك أبو تُراب . قال : كلا ، ذلك أبو الحسن والحُسين . فقال له صاحب الشُّرط : أيقول لك الأمير هو أبو تراب ، وتقول : لا ؟ قال : فإن كذب الأمير أردتَ أن أكذب وأشهد له بالباطل كما شهد . فقال له زياد : هذا أيضاً مع ذَنبك . علىّ بالعصىّ . فأُتى بها . فقال : ما قولك فى علىّ ؟ قال : أحسنَ قول أنا قائلُه فى عبد من عَبيد الله أقولُه

---

(١) فى التجريد : « عبد الله » .

فى أمير المؤمنين . قال : أضربوا عاتقه بالعِصى حتى يَلصق بالأرض . فضُرب حتى لَصق بالأرض . فقال : أقلعوا عنه . ما قولك فيه ؟ فقال : والله لو شَرّحتمونى بالمُدى والمَواسى ما زُلتُ عمّا سمعتَ . قال : لتلعننّه أو لأضربنّ عُنقك . قال : إذن والله تَضربها قبل ذلك، فأَسعدَ وتَشقى إن شاء الله . قال : أَوْقروه بالحديد وأطرحوه فى السِّجن .

إرسال زياد لحجر إلى معاوية ومعه كتاب منه

ثم أَحضر زياد رُؤوس الأَرباع ، فشهدوا على حُجر أنه جمع إليه الجموع وأظهر شَتم الخليفة وعَيب[1] زياد ، وأظهر عذر أبى تراب والترحُّم عليه والبراءة من عدوه وأهل حَربه ، وإن هؤلاء الذين معه رؤوس أصحابه على مِثل رأيه . وكتب بذلك مكتوباً وفيه أسماء الشهود . ثم بعث حُجْرَ بن عدى مع وائل بن حُجر وكثير بن شهاب موكَّلين به وبأصحابه ، وعدَّتهم أربعة عشر رجلاً ، إلى مُعاوية ابن أبى سُفيان ، وهو بدمشق . فقدم بهم وائل وكثير فأنزلاهم بمَرج عذراء ، — وهى على أميال من دمشق — وقدما بكتاب زياد على معاوية ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله مُعاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين ، من زياد ابن أبى سفيان . أما بعد . فإن الله قد أحسن عند أميرالمؤمنين البلاء ، وأدا له من عدوِّه، وكفاه مؤونةَ من بَغى عليه . إن طوائف من هذه التُّرابية[2]، رأسُهم حُجر ابن عدى، خَلعوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين ، ونَصبوا لنا حرباً فأطفأها الله عليهم وأمكننا منهم ، وقد دعوتُ خيار المِصْر وأشرافهم وذوى النُّهى والدين فشَهدوا بما رأَوْا وعلموا ، وقد بعثتُ بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبتُ شهادة صُلحاء أهل المِصر وخيارهم فى أسفل كتابى هذا .

---

(١) فى التجريد : « وعير زيادا » .

(٢) الترابية : نسبة إلى التراب . يريد : شيعة على بن أبى طالب ، وقد خلع عليه معاوية وأنصاره لقب : أبى تراب .

كتاب شريح إلى معاوية

ولمّا وصل الكتاب إلى معاوية تلبّث فى أمرهم أياماً . وورد عليه كتاب من شُريح بن هانىء ، وكان زياد قد كتب شهادته فى الكتاب الذى بَعث به إلى معاوية

ونسخة كتاب شريح :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله مُعاوية أمير المؤمنين ، من شُريح بن هانىء . أمّا بعد . فقد بلغنى أن زياداً كتب إليك بشهادتى على حُجر . و إن شهادتى على حُجر أنه ممن يُقيم الصلاة و يؤتى الزكاة و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر . حرام المال والدم . فإن شئت فاُقتله ، و إن شئت فدَعه .

بين معاوية و زياد

فكتب معاوية إلى زياد : فهمت ما اقتصصتَ من أمر حُجر وأصحابه والشهادة عليهم ، فأحياناً أرى أن قتلهم أفضل ، وأحياناً أرى أن العفو عنهم أفضل .

فكتب إليه زياد : قد عجبتُ من اُشتباه الأمر عليك مع شهادة أهل مصرهم عليهم ، فإن كانت لك حاجة فى هذا المصر فلا تردنّ حُجراً وأصحابه .

فهمّ معاوية حينئذ بقتلهم . واُستوهب جماعةٌ من معاوية ستةً من أصحاب حُجر ، كل واحد استوهب واحداً . فوهَبهم لهم . و بقى ثمانية . و بعث معاوية هُدبة ابن فيّاض القُضاعى ء والُحصين بن عبد الله الكلابى ، وآخر معهما ـ يقال له : أبو طريف ـ وأحدهم أعور . وأمرهم مُعاوية أن يَعرضوا على حُجر وأصحابه البراءة من علىّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ واللعن له ، فإن فعلوا تركهم و إلا قتلهم . فأتوهم عند المساء ـ وهم بمَرج عذراء ـ فقال كريم بن عَفيف الخثعمى ، وهو من أصحاب حُجر ، حين رأى الأعور : يقتل نصفنا و ينجو نصفنا . فأطلق منهم ستة و بقى ثمانية . فعَرضوا عليهم البراءة من على ـ رضى الله عنه ـ فامتنعوا . فقدّموهم للقتل صبراً رجلاً رجلاً . فقال حُجر بن عدى : دعُونى أصلِّ ركعتين فإنى والله

ما توضأت إلا صلّيت . فقالوا : صلِّ . فصلَّى، ثم انصرف فقال . والله ما صلّيتُ صلاةً قطُّ أقصر منهـا ، ولولا أن يروا أن ما بى جزع من المـوت لأحببتُ أن أستكثر منها . ثم قال : اللهم إنا نَستعيذك على أُمتنا فإن أهل الـكوفة شهدوا علينا و إن أهل الشـام يقتلوننا ، أما والله لئن قتلتمونى فإنى أول فارس من المُسلمين سلك فى واديها ، وأول رجل من المُسلمين نبحتهْ كلابُها . فمَشى إليه هُدبة بن فياض بالسَّيف فأَرعدت فصائله[1] . فقال : كلا ، زعمت أنك لا تجزع من الموت ، فإنا ندعك وأبرأ من صاحبك ــ يعنى عليًّا رضى الله عنــه ــ فقال : مالى لا أجزع ، وأنا أرى قــبراً محفوراً ، وكفناً منشورا ، وسيفاً مشهورا . و إنى والله إن جزعت فلا أقول ما يُسخط الله . فقتلوه .

قتل لابن واصل عن الطبرى

قلت :

روى الطبرى أن حُجرا ــ رحمه الله ــ قال : زمّلونى وأدفنونى فى ثيابى ، فإنى أرجو أن ألقى مُعاوية غداً على الجادّة .

فقتلوا ستة نفر . و بقى عبد الرحمن بن حسان العنبرى ، وكريم بن عفيف ، فإنهما قالا : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول فى الرجل مقالته . فلما مضَوْا بهما إلى معــاوية تبرأ كريم بن عفيف الخثعمى من على رضى الله عنه ، فأُطلق ، وأصرّ الآخر على عدم البراءة وأثنى على علىّ رضى الله عنه وطعن فى عثمان بن عفان رضى الله عنه . فبعث به معاوية إلى زياد فدفنه حيًّا . فنجا سبعة وقُتل سبعة .

الشعر الذى فيه الغناء و خبره

وقالت أمرأة من كندة ترثى حُجراً . وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر قتل حُجر بن عدى :

ترفّع أيهــــا القمر المُنـير   لعلّك أن ترى حُجراً يَسيرُ

---

(١) الفصائل : جمع فصيلة . وهى القطعة من أعضاء الجسد .

يَسـير إلى مُعاوية بن حرب ليقتـله كذا زَعم الأمـير
ألا يا حُجر حُجر بنى عـدىّ تلقّتك السّـعادة والسُّرور
تحيَّرتِ[١] الجبابر بعـد حُجر وطاب لها الخَورنق[٢] والسَّدير

عائشة ومعاوية فى شأن حجر

وذكر أنّ عائشة ــ رضى الله عنها ــ بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام يَستطلق حُجراً . فقدم على معاوية ، وقد قتلهم . فقالت له عائشة ــ رضى الله عنها ــ أين غاب عنك حِلْم أبى سفيان ، فقال : حين غاب عنى مثلك من حُلماء قومى . وحمّلنى أبنُ سُميّة فاُحتملت ، فكانت عائشة رضى الله عنها تقول : لولا أنّا لم نُغيِّر شيئاً قط إلا آلت بنا الأمور إلى أشدّ ما كُنا فيه، لغيّرنا قتل حجر ، أما والله إن كان لمُسلماً ما علمتُه مُعتمِراً .

وذُكر أن معاوية كان يقول لما حضره الموت : أى يوم لى من أبن الأدبر طويل . يعني حُجرا . رحمهم الله كلهم ، وغَفر لهم ما اُشتجروا فيه .

(١) فى غير التجريد : « تنعمت » .
(٢) الخورنق والسدير : قصران بظهر الحيرة كانا للنعمان بن امرىء القيس .

أخبار الرّبيع بن زياد العبسى (*)

نسبه

هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سُفيان بن ناشِب بن هُزَيم (١) بن عَوذ ابن غالب بن قُطَيعة بن عبس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس عَيلان بن مُضر بن نزار .

أمه

وأُمه فاطمة بنت الُخرشب . واسم الخرشب : عمرو بن النَّضْر بن حارثة بن أنمار ابن بَغيض بن رَيث بن غَطَفان ، وهى إحدى الُمنْجبات .

تعقيب لابن واصل

قلت : هى التى قيل فيها ، فاطمةُ بنت الُخرشب ، سيّدة نساء قومها . ولدت الكَملة من بنى عَبْس لم يُوجد كان مثلهم . والكَملة أولادها ، هم الربيع ، وعُمارة ، وأنس (٢) .

الكملة من أولاد فاطمة

وذُكر أنها ولدت من زياد بن عبد الله العَبْسى سبعة . فعدّت العرب الُمنجبين منهم ثلاثة ، وهم خيارهم . وكان يُلقب الربيع : الكامل ، وعمارة : الوهّاب ، وأنس : أنس الفوارس .

لفاطمة وقد سئلت أيها بنيها أفضل

وذُكر أن عبد الله بن جُدْعان لقى فاطمة هذه وهى تَطُوف بالكعبة ، فقال لها : نشدتُك الله بربِّ هذه البَنِيَّة ، أىّ بَنيك أفضل ؟ فقالت : الربيع ؛ لا ، بل عُمارة : لا ، بل أنس ، ثَكِلْتُهم إن كنتُ أدرى أيهم أفضل .

ولها فى وصف أبنائها

وذُكر أنها قالت فى عُمارة : لا ينام ليلةَ يخاف ، ولا يَشبع ليلة يُضاف . وقالت

(*) قبل هذا ساق أبو الفرج أخبار «عزة الميلاء» . فرغها ابن واصل .

(١) فى بعض أصول الأغانى : «هدم» ، فى بعض آخر : «هريم» .

(٢) زاد ابن حبيب فى المحبر (٣٩٨ ، ٤٥٨) : «قيساً» .

فى الربيع : لا تُعَدّ مآثره ، ولا تُخشى فى الجهل بوادرُه . وقالت فى أنس : إذا عزم أمضى ، و إذا سُئل أرضى .

قصتها هى وأولادها مع ضيف

وذُكر أنه ضاف فاطمةَ بنت الُخرشب ضيفٌ . فطَرحت عليه شَملة من خَزّ فلما أعتم دنا منهـا ، فصاحت به . فكفّ ، ثم إنه لم يَصبر ، فواثَبها فبطَشت به وهى من أشدّ الناس ــ فقبضت عليـه ثم قالت : يا قيس . فأتاها . فقالت : إن هذا أرادنى على نفسى ، فما ترى فيــــه ؟ فقال : أخى أكبر منى ، فعايك به . فنادت : يا أنس . فأتاها فقالت : إن هذا أرادنى على نفسى ، فما ترى فيه ؟ فقال لها : أخى أكبر منى ، فسليه . فنادت : يا عُمارة . فأتاها . فذكرت ذلك فقال لها : السيف، وأراد قتله . فقلت: يا بَنى ، أدعوا أخاكم فهو أكبر منكم . فدعت الربيع، فذكرت ذلك له . فقال : أتطيعوننى يا بَنى زياد ؟ قالوا : نعم. قال. فلاتُزنوا أُمكم ولا تقتلوا ضيفكم ، وخلوه يذهب . فذهب .

خبر موتها

وذُكر أنه أغار حَمَل بن بدر ــ أخو حُذيفة بن بدر الفزارى ــ على بنى عَبس، فظَفر بفاطمة بنت الُخرشب ، وهى راكبة على جمل ، فقادها بجملها . فقالت : أى حَمَل ، ضلّ حِلْمك ، والله لئن أخذتنى فصارت هــذه الأكمة بى و بك أمامنا ، وصارت الأخرى وراءنا ، لا يكون بينك و بين بنى زياد صلح أبداً ، لأن الناس يقولون فى هذه الحال ما شاءوا ، وحسبك من شر سماعه . فقال : أذهب بك حتى تَرْعَى على إبلى . فلمـا أيقنت أنه ذاهب بها رَمت بنفسها على رأسها من البعير فماتت ، خوفاً أن يلحق بنيها عارٌ فيها .

ذكر حرب داحس والغبراء (*)

قصة داحس

قيل : كانت داحس والغَبراء من الخيل الموصوفة المعروفة بالسَّبق ، وكانا لقيس ابن زُهير بن جَذيمة العَبْسيّ . وإنما سُمِّي داحس داحساً ؛ لأن أباه ـ المُسمَّى ذا العُقّال ـ كان لحَوْط بن أبي جابر الرِّياحي . وكانت أُمه جلوى لِقرواش بن عَوف الثَّعلبي اليَربوعي . فاتفق أن بني يربوع احتملوا مَرةً ، وذو العُقّال مع ابنتين لحَوْط بجبانة . فرأى جَلْوى ، فرس قرواش ، فصهل وأَدْلى[1] فضحك شُبان من الحيّ ، واستحيت الفتاتان فأرسلتاه . فنزا على جَلْوى فَعلِقت منه . وبلغ حوْطا الخبرُ، فغضب وقال : لا أرضى أبداً حتى آخذ[2] ماء فرسي . فوقع بين الحيَّين شرٌّ . ثم أجابته بنو ثَعلبة إلى أخذ ماء فرسه . فأدخل يده في ماء وتراب ثم دَحسها في رَحم جَلوى حتى ظَن أنه قد أخرج الماء . واشتملت الرَّحم على ما فيها وتَم عُلوقها ، فلذلك سُمي الفرس ، التي حَملت به جَلوى ، داحساً . ولما وُلد جاء شبيهاً بأبيه ، وخَرج من أجود الخيل .

غارة قيس بن زهير وخبر واصل

فأغار قيس بن زُهير على بني يَربوع فلم يُصب أحداً غير ابنتي قرواش ومائة من الإبل ، وكان الحي خُلوفاً . فلم يحضر من رجالهم أحـد غير غلامين ، فإنهما ركبا داحساً وهو مقيَّد فنجا بهما . فطَلب قيسٌ من الغلامين أن يُعطياه الفرس ويَرُد إليهما الابنتين والإبل، فأجاباه إلى ذلك . وسلَّم إليهما ابنتي قرواش والإبل. ولما جاء قرواش لم يُعجبه ذلك ، وطَلب فرسه، فقُضي له أنه إن أخذ فرسه ردَّ الغنيمة إلى قيس بن زهير . فرَضي أن يأخذ قيس الفرس بعد شَر .

ثم إن رجلا من بني عبس راهن رجـلا من بني بدر ، وقيس غائب ، على

(*) لم يفرد أبو الفرج هذه الحرب بعنوان وإنما ذكر أخبارها متصلة بأخبار « الربيع » .

(١) أدلى : أي أخرج جرذانه . (٢) في غير التجريد : « أخرج » .

أربع جزائر من خمسين غلوة ــ والغلوة : الرمية بالنشابة ــ فلما جاء قيس كره ذلك وقال : لم ينته رهان قطُّ إلا إلى شَر . ثم أتى بنى بدر فسألهم المُواضعة . فقالوا ، لا حتى يُعرف سبقنا ، فإن أخذنا فحقُّنا ، وإن تركنا فحقنا . فغضب قيس بن زهير ، وقال : أما إذ فعلتم فأعظموا الخطَر وأبعدوا الغاية . قالوا : فذاك لك . فجعلوا الغاية مائة غَلوة ، من واردات إلى ذات الإصاد[1] ، على عشرين جَزور ، وجعلوا قَصبة السبق على يدى رجل من بنى ثعلبة بن سعد ــ يقال له : حُصين ــ فأجرى قيس داحسا والغَبراء ، وأجرى حُذيفة الخطّار والحنْفاء . ثم أرسلوا الخيل ، فجعل بنو فزارة كُميتاً بالثنّية . وجاء داحس سابقاً ، والغبراء خلفه مصلية ، وقد سبقتا خيلَ حذيفة . فاستقبلت بنو فزارة الغبراء فلطموها[2] حتى حَلئوها . ثم لطموا داحساً . فدفعت بنو فزارة بنى عبس عن سبقهم ، فلم تُطقهم بنو عبس أن يقاتلوهم . وإنما شهد ذلك من بنى عبس أبيات غير كثيرة . فقال قيس بن زهير ، يا قوم ، إنه لا يأتى قوم إلى قومهم شرا من الظلم ، فأعطونا حقّنا . فأبت بنو فزارة أن يُعطوهم شيئاً . فقالت بنو عبس: أعطونا بعض سبقنا . فأبوا . فقالوا : أعطونا جزُوراً ننحرها ونُطعمها أهل الماء ، فإنا نكره المقالة فى العرب . فقال رجل من بنى فزارة : فإنه جزور وجزور واحد سواء ، والله ما كنا لنقر لكم بالسّبق ولم نُسبق . فقام رجل من بنى فزارة فقال : يا قوم ، إن قيساً كان كارهاً لأول هذا الرهان ، وقد أحسن فى آخره ، وإن الظلم لا ينتهى إلا إلى الشر ، فأعطونا جزوراً من نعمكم . فأبوا . فقام إلى جزور من إبله فعقلها ليُعطيها قيساً ويُرضيه . فقام ابنه فقال : إنك لكثير الخطأ ، تُريد أن تُخالف قومك وتُلحق بهم خزاية بما ليس عليهم . وأطلق الغلام عقالها فلحقت بالنّعم . فلما رأى ذلك قيس احتمل هو وأهلُه ومن تبعه من بنى عبس ، ثم إن قيساً أغار عليهم فقتل عوف بن بدر ، أخا حُذيفة ، فغضب بنو فزارة وهمّوا

(١) واردات : عن يسار طريق القاصد إلى مكة . وذات الإصاد : ردهة بين جبل فى ديار بنى عبس . (٢) حلئوها : طردوها ومنعوها .

بالقتال . فحمل الربيع بن زياد دية عوف مائة من الإبل ، عُشراء مُتْلية ــ والعشراء: التى أتى على حملها عشرة أشهر من مَلقحها . والمتالى . التى نُتج بعضها والباقى يتلوها فى النتاج ــ وكان حذيفة أخا عوف لأُمه وأبيه . فاصطلح الناس . ومكثوا كذلك مدة . ثم إن مالك بن زُهـير ، أخا قيس ، ابتنى بامرأة ــ يقال لها : مليكة ، من فزارة ــ بمكان قريب من الحاجر . و بلغ ذلك حُذيفة ، فدس له فُرسانا على أفراس من جياد خيوله، وقال : لا تنظروا مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه . وكان الربيع بن زياد مجاوراً لحذيفة ، وكانت تحت الربيع مُعـاذة بنت بدر . فانطلق القوم فلقوا مالكا فقتلوه ، ثم انصرفوا عشية وقد أَجهدوا أفراسهم ، فوقفوا على حُذيفة ، ومعه الربيعُ بن زياد ، فقال حُذيفة : أقدرتم على حماركم ؟ قالوا : نعم ، وعقرناه . فقال الربيع ، ما رأيت كاليوم قط ، أهلكت أفراسك من أجل حمار . فقال حذيفة ، لمـا أكثر عليه الربيع من الملامة له ، وهو يحسب أن الذى أصابوه حماراً ! إنا لم نقتل حماراً . ولكنّا قتلنا مالك بن زُهير بعَوف بن بدر . فقال الربيع : بئس لعمرو الله القتيل قتلت ! أما والله إنى لأظنه سيبلغ ما تكره . فتراجعا شيئاً من الكلام ثم تفرقا . فقام الربيع يطأ الأرض وطئاً شديداً . وأخذ حملُ بن بدر ذا النون سيفَ مالك بن زهير . فأرسل حُذيفة ــ لمـا قام الربيعُ ــ مُولّدة فقال : اذهبى إلى معاذة بنت بدر ــ امرأة الربيع ــ فانظرى ماذا تَرَيْن الربيعَ يصنع . فانطلقت الجـارية حتى دخلت البيت ، فاندسّت بين الـكفاء [1] والنّضد . فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسه ، فقبض بمَعرفته ، ثم مسح متنه حتى قبض بعُـكوة [2] ذنبه . ثم رجع إلى البيت ، ورُمحه مَركوز بفنائه، فهزه هزًّا شديداً، ثم ركزه كما كان . ثم قال لامرأته : اطرحى لى شيئاً . فطرحت له شيئاً ، فاضطجع عليه . وكانت قد طَهُرت

---

(١) الكفاء : شقة فى آخر البيت . و النضد : متاع يجعل على حمار من خشب .

(٢) العكوة : أصل الذنب .

تلك الليلة ، فدنت إليـــه . فقال : إليك ، قد حَدث أمر . ثم تغنّى وقال :

نام الخَلِىُّ فلم أغمِّض حارِ من سيِّء النبأ الجليل السَّارِى
من مثله تمسى النساء حواسراً ويقُمْن مُعْوِلةً مع الأسحار

و بعد هذين البيتين الشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الرَّبيع ابن زياد ، وهما :

من كان مَسروراً بمَقتل مالك فَلْيأتِ نِسْوَتنا بوَجه نهارِ
يَجِدِ النِّســاءَ حواسراً يندُبْنه يَلْطُمن أوجههن بالأحْجار

و بعد هذين البيتين :

قد كُنَّ يخبأن الوُجوه تستُّرا فاليومَ حين بَرَزْن[1] للنُّظَّار
يَخمشنَ حرَّ وجوههن على فتًى سَهل الخليقة طَيِّب الأخبار
أفبعدَ مَقْتل مالك بن زُهَيْر ترجو النِّساء عواقبَ الأطْهار
ما إنْ أرى فى قتله لذوى النُّهى إلا المَطِىّ تُشدّ بالأكْوار

فرجعت الأَمة فأخبرت حُذيفة بن بدر الخبرَ ، فقال : هذا حين اُجتمع أمر إخوتكم ، ووقعت الحرب . وقال الرَّبيع لحُذيفة : سيِّرنى فإنى جاركم . فسيّره ثلاث ليال . ومع الربيع فضلة من خَمر . فسار ثلاث ليال ، فدسّ حذيفة فى أثره فوارس وقال : اتبعوه فإن مضت ثلاث ليال ووجدتموه قــد هَراق الخمر فاُرجعوا ، وإن وجدتموه ما هراقها فاُتبعوه ، فإنكم تجدونه قــد مال لأدنى منزل فنزل فشرب ، فاُقتلوه . فتبعه القوم فوجدوه قد شقّ الزِّق ومضى ، فانصرفوا . فأتى الربيعُ قومَه ، وكانت بينه و بين قيس بن زُهير شَحناء ، وكان قيس بن زهير يخاف خذلان بنى زياد إياه لتلك الشَّحناء ، فأزالوا ما بينهم من الشحناء . واُجتمعت عَبس على حَرب

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بَدَوْن » .

بنى فزارة ، فأرسلوا إليهم : أن ردُّوا علينا إبلنا التى وَدَيْناها عَوفاً أخا حُذيفة لأمه . فقال : لا أعطيكم دِيَة ابن أمى ، و إنما قَتَل صاحبَكم حَمَلُ بن بدر ، وهو ابن الأسدية ، وأنتم وهو أعلم .

وذُكر أن تلك الإبل كانت قد أتت عليها أربعُ سنين ، وأن حُذيفة أراد أن يُردَّها بأعيانها . فقال لها سِنان بن حارجة : أتريد أن تُلحق بنا خِزاية ، فتُعطيهم أكثرَ مما أعطَوْنا ، فَتَسُبّنا العربُ بذلك . فأمسكها حذيفةُ ، وأَبَى بنو عبس إلا إبلهم بعَيْنها .

ثم إن مالك بن بَدر خَرج يطلُب إبلاً ، فمرّ على بنى رواحة ، فرماه رجل منهم بسَهم . ثم إن الأسلع بن عبد الله العبسى مَشى فى الصُّلح بينهم . ورَهن عند بنى ذبيان ثلاثة من بنيه وأربعة من بنى أخيه حتى يصطلحوا على يدى سُبيع ابن عمرو ، من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان . فمات سُبيع وهم عنده . وكان حُذيفة خال مالك بن سُبيع ، وكان سبيع أوصى ابنه مالكا بالرُّهن وألّا يُسلمه إلى حذيفة ، وخَوّفه العار فى ذلك . فلما مات سُبيع لم يزل حُذيفة بمالك حتى سلّم الغِلْمان العَبسيين إليه . وكان حُذيفة يُبرز كل يوم منهم غلاما ويجعله غَرضا ثم يَرميه فيقتله . ثم وقعت حَرب بن فزارة وعَبس ، وقُتل فيها سُبيع بن مالك ، والحارث ابن هرم ، و بدر بن ضَهضم . ولم يشهد تلك الحرب حُذيفة . ثم أن حذيفة ابن بدر جَمع وتهيّأ ، واجتمع معه بنو ذبيان بن بغيض . و بلغ بنى عَبس مسيرُهم إليهم ، فسرّحوا السَّوام والضِّعاف بلَيل ، وارتحلوا فى الصبح . فلما أصبحوا طلعت الخيل عليهم . فأمر قيس بن زُهير بني عبس أن يأخذوا غَير طريق المال . وجاء حُذيفة بمن معه فوجد عَبْسا قد أخذوا غيرَ طريق ما لهم ، فقال : أبعدهم الله ، وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم . فاتبع حُذيفة المالَ ، فلما أدركهم ردّ أوله على آخره فلم يفلت منه شيء . وجعل يَطْرُد ما قدر عليه من الإبل فيذهب بها ، وتفرّقت

ذُبيان واشتد الحرُّ ، فقال قيس بن زهير لبنى عبس : يا قوم ، قد فرّق بينهم المغنم ، فأعطفوا الخيلَ فى آثارهم . فلم يشعر بنو ذبيان إلّا والخيـــل فى آثارهم . ووضعت فيهم بنو عبس السلاح ، حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقيّة . ولم يكن لهم هَمٌّ غير حذيفة بن بدر ، فأرسلوا خَيلَهم فى طلبه ، فأدركوه بجَفر الهباءة ، وقد اشتد الحر ، فرمى بنفسه ، ومعه أخوه حمل بن بدر ، وحَنَش بن عمرو ، وورقاء بن بلال . وقد نزعوا سُروجهم وطرحوا سلاحهم ووقعوا فى المـــاء ، فضرب شدّاد بن معاوية ، أبو عنترة ، حَمَل بن بدر بين كتفية ، ثم ضَرب الحارث بن زهــير حَمَلا فقتله ، وقتل قرواش ابن هنيء حُذيفةَ بن بدر . وأخذ الحارث من حمل بن بدر ذا النُّون سَيف مالك بن زهير . وقال قيس بن زهير .

تعلَّم أنّ خيرَ النـــاس مَيْتٌ ... على جفر الهَباءة ما يَرِيمُ

ولولا ظُلمة ما زِلتُ أبكى ... عليه الدهرَ ما طَلع النُّجوم

ولــكنّ الفتى حَملَ بن بدر ... بَغى والبَغْىُ مَصرعه وَخِيم

أظُن الحِلْم دلّ علىّ قومى ... وقد يُستجهل الرجلُ الحليم

فلا تنسَى المظالم لن[1] تراه ... يُمتّع بالغنى الرجلُ الظَّلوم

ومارستُ الرِّجال ومارسونى ... فمُعوَجٌّ علىّ ومُستقيم

---

(١) فى التجريد : « إن » .

ذكر خبر (*)
ليزيد بن مُعاوية بن أبى سُفيان

يزيد وغزو الصائفة

ذُكر أنّ مُعاوية بن أبى سُفيان وجّه أبنه يزيدَ إلى بلدالرُّوم ليغزوَ الصائفة، فبلغ القسطنطينية .

تعقيب لابن واصل

فقيل : إن السبب كان فى ذلك أنّ معاوية كانت له أُمرأتان ، إحداهما مَيسون بنت بحدل ، وهى أم يزيد ، وكانت دقيقةَ الساقين ؛ وأُمرأة أخرى جميلة ، وهى أُم أبنه عبد الله ، وكان مغفلاً . فقالت أُم عبد الله يوماً لأُم يزيد : لعن الله حمشاً بساقيك . فقال معاوية : إن يكن ذلك فولدها خيرٌ من ولدك . فقالت : إنما تقول ذلك لُحبك لها . فقال : سأريك ، ثم أستحضر عبد الله وقال : اذكر حاجتك يا بنى . فقال : تَهب لى يا أمير المؤمنين حِماراً . ثم أستحضر يزيد ، فقال له : اذكر حاجتك . فَسجد شُكراً لله تعالى وقال : أن تجعلنى ولىّ عَهدك ، وتُغزينى إلى القسطنطينية ، ليكون أول أمرى الجهاد فى سبيل الله ، وتَزيد الجند فى أعطياتهم ، لكل واحد عشرة دنانير ، وتُعلمهم أن ذلك بشفاعتى لتزداد محبّتى فى صُدورهم . فقال : قد فعلت . فقالت عند ذلك أُم عبد الله : يا أمير المؤمنين ، أَوْصه به و بولدى .

عود إلى غزو يزيد الصائفة

وقال أبو الفرج ــ فيما روى عن أبى عُبيدة ــ أنّ مُعاوية كان وجّه جيشاً إلى بلد الروم فأصابهم جُدرىّ ، فمات أكثرُ المُسلمين . وكان يزيدُ بن معاوية مُصطبحاً بدَير مُرّان [1] مع زوجته أُم كلثوم ، فبلغه خبرُهم ، فقال :

(*) لم يفرد هذا الخبر أبو الفرج بترجمة ، وإنما ساقه مع ما قبله مفصولا بالصوت الذى فيه شعر الغناء ، وهو ليزيد بن معاوية .

(1) دير مران : بالقرب من دمشق .

إذا ٱرتفقتُ على الأنماط مُصطبحاً ... بدير مُرّانَ عنـدى أمُّ كُلثومِ

فما أُبالى بمـا لاقت جُنـودهمُ ... بالغَذْقَذُونةِ من حُمَّى ومن[1] مُومُ

فبلغ شعرُه معاويةَ فقال: والله ليلحقنّهم فَلْيُصبْه ما أصابهم. فخرج حتى لِحَق بهم، فبلغ القسطنطينيةَ. فنظر إلى قَينتين مغنيتين عليهما ثيابُ الدِّيباج، فإذا كانت الحملة للمُسلمين ٱرتفع من إحداهما أصواتُ الدُّفوف والطُّبول والمزامير، وإذا كانت الحملة للرُّوم ٱرتفع من الأُخرى مثلُ ذلك. فسأل يزيدُ بن معاوية عنهما، فقيل: هذه بنتُ ملك الروم، وتلك بنت جَبَـلة بن الأيهم، وكلٌّ واحدة منهما تظهر المَسرّة بما تفعله عشيرتها. فقال: والله لأسُرَّنَّها ــ يَعنى بنت جَبَلة ــ ثم لَفَّ العَسكر وحَمَـل حتى هَزم الروم فأجحرهم فى المدينـة، وضرب باب قُسطنطينية بعَمود حديد كان فى يده، فهَشمه حتى انخرق، فضُرب عليه لوحٌ من ذهب.

موت معاوية

وذُكر أنّ معاوية مات ويزيدُ فى الصائفة، فأتاه البريدُ بنَعى أبيه، فأقبل إلى دمشق، وقال الشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج خَبر يزيد، وهو:

جاء الـبريدُ بقِرطاس يَخُبّ به ... فأوجس القلبُ من قرطاسه جَزَعَا

قُلنـا لك الويلُ ماذا فى صَحيفتكم ... قال الخليفةُ أمسى مُوثَقا[2] وَجِعا

وتمام الشعر:

فمادت الأرضُ[3] أو كادت تميد بنا ... كأنّ أغبر[4] من أركانها أنقلعـا

أودى ٱبنُ هِندٍ فأودى المَجد يَتْبعه ... كذاك كانا جميعاً قاطنَـين معا

(١) غذقذونة: اسم جامع للثغر الذى منـه المصيصة وطرسوس وغيرهما. ويقال له: خذقونة، أيضاً. (معجم البلدان). والذى فى الأصل والأغانى: «بالفرقدونة». تحريف. والموم: البرسام.

(٢) فى غير التجريد: «مثبتاً».

(٣) فى غير التجريد: «مادت بنا الأرض».

(٤) فى غير التجريد: «كأن ما عز».

أغَرّ أبلج يُستسقى الغمام به ... لو قارع الناسَ عن أَخلاقهم قَرعا

لا يَرفع الناس ما يُوهى ولو جهدوا ... أن يَرْقعوه ولا يُوهون ما رَقعا

مَن لم تزل نفسُه تُوفى على(١) شَرف ... توشكْ مقاديرُ تلك النَّفس أن تَقعا

لمّاوردتُ وبابُ القصر(٢) مُنْصَفِق ... لصَوت رملةَ رِيع(٣) القلبُ فانصدعا

وكان الذى تولَّى غَسل معاوية ودفنه الضحاكُ بن قيس ، فخَطب الناس وقال : إنَّ ابن هند قد تُوفى وهذه أكفانُه على المنبر ونحن مُدرجوه فيها ومخلُّون بينه وبين ربه ، ثم هو البَرزخ إلى يوم القيامة .

ابن عباس وموت معاوية

وذُكر أن ابن عباس رضى الله عنه أتاه نَعْىُ معاوية وولايةُ ابنه يزيد، وهو يتعشّى مع أصحابه ويأكل معهم ، وقد رفع إلى فيه اللُّقمة ، فألقاها وأطرق هُنيهة وأنشد :

جَبل تَدكدك ثم مال بجَمْعه ... فى البَحر فاشتملت عليه الأبحُرُ

لله دَرّ ابن هِند ! ما كان أجمل وجهه ، وأكرم خُلقه ، وأعظم حِلمه ! فقطع عليه الكلامَ رجل من أصحابه وقال : أتقول هذا فيه ! قال : ويحك ! إنك لا تدرى مَن مضى عنك ، ومَن بقى عليك ، وستعلم . ثم قطع الكلام .

وصاة معاوية حين موته

وذُكر أن معاوية قال : إنى كنت أُوضىء رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم فكَسانى قميصاً وأخذت شَعراً من شعره ، فإذا أنا مِتُّ فكفِّنونى فى قميصه واجعلوا الشعر فى مِنخرى وأُذنى وفَمى ، فلعلّ الله ينفعنى به شيئاً .

(١) فى غير التجريد : « وجل » مكان « شرف » .

(٢) منصفق : مغلق .

(٣) فى غير التجريد : « هد » .

ما تمثل به معاوية عند موته

وذُكر أنه تمثّل رحمه الله عند موته :

لَعمرىَ قد عُمِّرت فى المُلك بُرهة ... ودانت لىَ الدُّنيا بوَقْع البَواتِرِ

وأُعطيت جَمَّ المال والمُلْك والنُّهى ... وسَلْم فما غُنُمُ الملوك الجبـــابر

فأضحى الذى قد كان ممّا يسُرنى ... كَلمْح مضى فى المُزمنات الغوابِر

فياليتنى لم أغنَ فى المُلك ساعةً ... ولم أَغن فى لذات عيشٍ نَواضر

وكنتُ كذى طِمْرين عاش ببُلغة ... من الدّهر حتى زار ضَنْكَ المقابر

أخبار شُريح القاضي

نسبه شيء عنه

هو شُريح بن الحارث بن قَيس بن الجهم بن مُعاوية بن عامر بن الرائش. ابن الحارث بن مُعاوية بن ثَور بن مَرتع الكندى - وهو غير شُريح بن الحارث الحارثى - ولى القضاء بالكوفة لعُمر بن الخطّاب - رضى الله عنه - ثم لعلىّ بن أبى طالب - رضى الله عنه .

وقيل : إنه من ولد الفُرس . وعدادُه فى كندة .

عمره

وذُكر أنه عُمِّر مائة وعشرين سنة . وقيل : نيفاً وثمانين . ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان . وقيل بعد ذلك .

ولايته القضاء

وذُكر أنه ولى القضاء ستّين سنة من زمن عمر - رضى الله عنه - إلى زمن عبد الملك .

حكمه بين على ويهودى فى درع

وذُكر أن علىّ بن أبى طالب - رضى الله عنه - عَرف درعاً له مع يهودى، فقال : يا يهودى ، درعى سقطت منى يوم كذا وكذا . فقال اليهودى : ما أدرى ما تقول ! درعى وفى يدى، وبينى وبينك قاضى المسلمين . فانطلقا إلى شُريح . فلما رآه شريح قام له عن مجلسه . فقال له على رضى الله عنه : أجلس . فجلس شريح . ثم قال : إن خصمى لو كان مُسلماً لجلست معه بين يديك ، ولكنى سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : لا تساوُوهم فى المجلس ، ولا تَعودوا مرضاهم ، ولا تُشيِّعوا جنائزهم ، واضطروهم إلى أضيق الطرق ، وإن سبُّوكم فاضربوهم ، وإن ضربوكم فاقتلوهم . ثم قال : درعى وفى يدى . فقال شريح : صدقتَ والله يا أمير المؤمنين ، إنها لدرعُك كما قلت، ولكن لا بد من شاهد . فدعا قُنبراً ، فشهد

له . ودَعا ابنه الحسن ، فشهد له . فقال : أما شهادة مولاك فقد قبلتُها ، وأما شهادة ابنك لك فلا . فقال علىّ ـ رضى الله عنه ـ : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة . قال شريح : اللهم نعم . قال : أفلا تُجيز شهادة أحد سيدى شباب أهل الجنة[1]؟ ثم سلّم الدِّرع إلى اليهودى . فقال اليهودى : أمير المؤمنين مشى معى إلى قاضيه، فقضى عليه ، فرضى به ! صدقتَ إنها لدرعك سقطتْ منك يوم كذا وكذا عن جَمل لك أورق فالتقطتُها ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فقال علىّ ـ رضى الله عنه ـ : هذه الدِّرع لك ، وهذه الفرس لك ، وفَرض له فى سبعمائة[2] ، ولم يَزل معه حتى استشهد معه يوم صفّين .

حديث زواجه بينت حدير

وحكى شريح القاضى قال :

انصرفتُ من جنازة ذات يوم مُظهِراً[3] ، فمررتُ بدُور بنى تميم ، فإذا امرأة جالسة فى سقيفة على وسادة ، وتجاهها جارية رُؤد ـ يعنى التى بلغت ـ ولها ذؤابة على ظهرها ، جالسة على وسادة ، فاستسقيتُ فقالت : اسقُوا الرجل لبناً ، فإنى إخاله غريباً . فلما شربتُ نظرتُ إلى الجارية فأعجبتْنى ، فقلت : من هذه ؟ فقالت : زينب بنت حدير ، إحدى نساء بنى تميم . فقلت : أفارغة أم مشغولة ؟ فقالت : بل فارغة . فقلت ، أتزوجينها ؟ قالت : نعم ، إن كنت كفئاً لها ، ولها عَم فاقصده . فانصرفت وأرسلتُ إلى إخوانى القُراء ، ووفيت معهم صلاة العصر ، فإذا عَمّها جالس ، فقال : يا أبا أمية ، حاجتك . قلت إليك . قال : وما هى ؟ قلت : ذُكرتْ لى بنت أخيك زينب بنت حدير . قال : ما بها رغبة عنك ، ولا بك عنها مقصر ، وإنك لنُهزة[4] . فحمدتُ الله وصلّيت على النبى ـ صلى الله عليه

(١) فى التجريد : « شهادة سيد شباب » . (٢) فى غير التجريد : « فى تسعمائة » .
(٣) مظهراً ، أى فى وقت الظهيرة . (٤) نهزة : فرصة ومغنم .

وسلّم ـ وذكرتُ حاجتى . فردّ الرجلُ علىّ وزوّجنى و بَرّك القوم ونهضنا . فما بلغتُ منزلى حتى ندمتُ، فقلت : تزوجتُ إلى أغلظ العرب وأجفاها ، فهممت بطلاقها . ثم قلتُ : أجمعها إلىّ ، فإن رأيتُ ما أحب و إلّا طلقتُها . فأقمنا أياماً ، ثم أقبل نساؤها يهادينها . فلما أجلستْ فى البيت أخذتُ بناصيتها فبرّكت ، وأُخلى لى البيت ، فقلت : يا هذه ، إن من السنّة أن المرأة إذا دخلت على الرجل أن يصلى ركعتين ، وتُصلى ركعتين ، و يسألا الله خيرَ ليلتهما ، و يتعوذا بالله من شرها . فصليتُ وصلّت ، ثم التفت فإذا هى على فراشها [١]، فمددتُ يدى، فقالت : على رسلك . فقلت : إحدى الدواهى مُنيت بها . فقالت : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، إنى امرأة غريبة [٢] ، ولا والله ما سرتُ مسيراً قط أشد علىّ منه ، وأنت رجل غريب ولا أعرف أخلاقك ، فعرّفنى بما تُحب فآتيه ، وما تكره فأنزجر عنه . فقلت : الحمد لله وصلى الله على محمد ، قَدِمتِ خيرَ مقدم ، وقدِمتِ على أهل دار ، زوجك سيّد رجاله ، وأنت سيدة نسائه ، أُحب كذا وكذا ، وأكره كذا وكذا . قالت : أخبرنى عن أحمائك ، أتحب أن يزوروك ؟ فقلت : إنى رجل قاض وما أُحب أن يُملونى . قال : فبتُّ بأنعم ليلة ، وأقمتُ ثلاثاً عندها . ثم خرجتُ إلى مجلس القضاء ، وكنتُ لا أرى يوماً إلا هو أفضل من الذى قبله، حتى إذا كان عند رأس الحول دخلتُ منزلى، فإذا عجوز تأمر وتنهى . قلت : يا زينب ، من هذه ؟ فقالت : أُمى فلانة . فقلت : حياك الله بالسلام . فقالت : يا أبا أمامة [٣] ، كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : كخير امرأة . فقالت : إن المرأة لا تُرى فى حال أسوأ خُلقاً منها فى حالين : إذا حظيت عند زوجها ، و إذا ولدت غلاماً ؛ فإن رابك منها ريب فالسّوط ، فإن الرجال والله ما حازوا إلى بُيوتهم شرّا من الوَرهاء [٤] المتدلّلة . قلت . أشهد أنها ابنتك ، قد كفيتنا الرّياضة

(١) فى التجريد : « فراش » .
(٢) فى غير التجريد : « عريبة » .
(٣) فى غير التجريد : « يا أبا أمية » .
(٤) الورهاء : الخرقاء بالعمل .

وأحسنت الأدب . وكانت فى كل حول تأتينا فتذكر هــذا ثم تنصرف . قال شريح : فما غضبتُ عليها قطُّ إلا مرةً كنت لها ظالماً ، كنت إمام قومى فسمعتُ الإقامة ، وقد ركعت ركعتى الفجر ، فأبصرت عقربا ، فعجِلتُ عن قتلها فأكفأت عليها الإناء ؛ فلما كنت عند الباب قلتُ : يا زينب ، لا تحرّكى الإناء حتى أجىء . فحرّكت الإناء فضربتْها العقرب ، وجئت فإذا هى تلوّى ، فقلت : مالك ؟ فقالت : لسعتنى العقرب . قال شريح للشعبى : فلو رأيتنى يا شعبى وأنا أفرك[1] إصبعها بالماء والملح ، وأقرأ عليها المعوذتين وفاتحة الكتاب . وكان لى ياشعبى جارٌ يقال له : ميسرة ، فكان لا يزال يضرب امرأته ، فقلتُ :

رأيت رجالًا يضربون نساءهم ... فشلّت يمينى يوم أضرب زينبا
أأضربها فى غير جُرم أتتْ به ... إلىّ فما عُذرى إذا كنت مُذنبا
فتاة تَزين الحلى إن هى حُلّيت ... كأنّ بفيها المسك خالط مَحلبا

شعره الذى فيه الغناء

وقال فيها شريح الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار شريح ، وهــو :

إذا زينبٌ زارها أهلُهـــا ... حشدت وأكرمتُ زُوّارَها
وإنْ هى زارتْهمُ زُرتهم ... وإن لم أجد[2] لى هوًى دارَها
فسَلمى لمن ســالمتْ زَينب ... وحَربى إذا أشعلت نارهـا
وما زلتُ أرعى لهـا عهدَها ... ولم أتّبع ساعةً عارَهـــا

---

(١) فى غير التجريد : « أعرك » .
(٢) فى التجريد : « وإن لم يكن » .

أخبار مالك بن أسماء

نسبه وشيء من شعره

(١) ثم ذكر أبو الفرج مالك بن أسماء بن خارجة بن حُصين بن حُذيفة بن بدر الفزارى . وكانت أختُه هند تحت الحجاج بن يوسف الثقفى أمير العراقين ، وولّاه الحجاج أَصبهان ثم حبسه مُدة ، ولم أختر من شعره إلا قوله :

إنّ لى عنـد كُل نفحةِ بُستا ن من الوَرد أو من الياسمينَا
نَظرةً والتفـاتة (٢) أترجّى أن تكُونِى حللتِ فيما يلينا

(١) وقبل هذا ذكر أبو الفرج « أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص » ولكن ابن واصل مر عنها ولم يشر .

(٢) فى اللسان « يسم » : « لك أرجو » مكان « أترجى » ، وقد نسب البيتان فيه لعمر ابن أبى ربيعة .

أخبار زيد الخيل

نسبه

هو زَيد بن مُهلهل بن زَيد بن مُنيب بن عبد رضا بن مختلس بن ثَور بن عديّ ابن كِنانة بن مالك بن فاتك بن نَبْهان بن عمرو بن الغَوث بن جَلهمة ـ وهو طيء، سُمِّي بذلك لأنه كان يطوى المَناهل فى غزواته ـ بن أُدَد بن مَذْحِج بن زَيد بن يَشْجُب بن عَريب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرب ابن قحطان.

إسلامه وتسميته زيد الخير

وكان زيد فارساً مِغْواراً مُظفَّراً شُجاعاً بعيـد الصوت فى الجاهلية. وأدرك الإسلام. وَفَد على النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلم ـ فسمّاه زيدَ الخير.

شيء عنه وعن تسميته زيد الخيل

وهو شاعر مُقِلّ من شُعراء الفُرسان. إنما يقول الشِّعر فى غاراته ومُفاخراته وأياديه عند مَن مَنّ عليه. وإنما سُمِّى زيدَ الخَيل لكثرة خَيله. ولم يكُن لأحد مِن قومه ولا لكثير من العَرب إلا الفَرس أو الفَرسان، وكانت له خَيل كثيرة، والمسمّاة منها ستة، وهى: الهطّال، والكُمَيت، والوَرْد، وكامل، ولاحق، ودَؤول.

أولاده

وكان له من الولد ثلاثة بنين، كلهم يقول الشعر، وهم: عُروة، وحُرَيث، ومُهلهل.

شعره الذى فيه الغناء وسببه

وكان لزيد الخيل فَرس من خَيله ظَلَع فى بعض غزواته لبنى أسـد، فلم يتبع الخيل، ووقف فأخذَتْه بنو الصَّيداء، فصلُح عندهم واستقل. فقـال شعرَه الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخباره، وهو:

يا بنى الصَّيداء رُدُّوا فرسى   إنما يُفْعل هـذا بالذَّليلْ

عوِّدُوا مُهْرِى الذى عوّدتِه دُلَجَ اللّيل وإيطاء [١] القَتيل

وٱستبـاء الزّق من حاناته شائلَ الرِّجلَين مَعْصُوباً [٢] يميلْ

حديث وفوده على النبى صلى الله عليه وسلم وإسلامه وموته

وذُكر أنه لما وَفد زيدُ الخيل على رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قَدم المدينة فى جماعة من طيىء ، فأناخوا ركابَهم بباب المسجد ودخلوا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فقام زَيد ـ وكان من أجمل الرجال وأتمّهم ، وكان يركب الفرس المُشْرِف [٣] ورجلاه تخُطّان الأرضَ كأنه على حمار ـ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله . فقال : ومن أنت ؟ قال : زيد الخيل بن مُهلهل . قال : بل أنت زيد الخير . وقال : الحمد لله الذى جاء بك من سَهلك ومن جبلك ورقّق قلبك على الإسلام . يا زيد ، ما وُصف لى رجل قطُّ فرأيته إلا كان دون ما وُصف به ، إلا أنت فإنك فوق ماقيل فيك . فلما ولّى قال النبىُّ صلّى الله عليه وسلم : أىّ رجل إن سَلم من آطام [٤] المدينة ! فأخذته الُحمّى ، فمكث بالمدينة سبعاً ، فاشتدّت الُحمّى به ، فخرج وقال لأصحابه : جنِّبونى بلادَ قيس ، فقد كانت بيننا حماسات [٥] فى الجاهلية ، ولا والله لا أُقاتل مُسلماً حتى ألقى الله . ونزل بماء لطيىء ، يقال له : فَردة ، فمكث بها سبعةَ أيّام ثم مات . فأقام عليه قبيصةُ بن الأسود المناحةَ سبعاً . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب معه كتاباً لبنى نَبْهان . فلما مات ، وكانت ٱمرأته على شركها ، ضربت راحلَته بالنار، فاحترق كتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

---

(١) الدلج : جمع دلجة ، وهى سير الليل كله .

(٢) استبأ الخمر : شراها ليشربها . وشائل الرجلين ، أى ممتلىء قد ارتفع مكان الرجلين منه .

(٣) المشرف : المنتصب الخلق .

(٤) الآطام : الحصون ؛ الواحد : أطم ، بضمتين .

(٥) حماسات : جمع حماسة ، وهى المنع والمحاربة .

وذُكر أنه لما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ضربُ امرأة زيد الراحلةَ بالنار واحتراق الكتاب، قال: بؤساً لبني نَبْهان.

قصته مع الشيباني الذي خرج يكسب لآله

وذُكر أنه أصابت بني شَيبان سنةٌ ذهبت بالأموال، فخرج رجلٌ منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرةَ، فقال لهم: كُونوا قَريباً من المَلك يُصبكن من خيره حتى أرجع إليكن. وآلى أليّةً ألّا يرجع حتى يكسبهن خيرا أو يموت. فتزوّد زاداً ثم مشى يوماً إلى الليل، فإذا هو بمُهر مُقيّد يدور حول خباء[1]، فقال: هذا أول الغنيمة. فذهب يَحلّه ويركبه. فنُودى: خلِّ عنه واغنم بنفسك. فنزل، ومضى سبعة أيام حتى انتهى إلى عَطن إبل مع تَطفيل الشمس، وإذا خِباء عظيم وقُبة من أدم. قال: فقلت في نفسي: ما لهذا الخباء بُدٌّ من أهل، وما لهذه القُبة بُدٌّ من رَبّ، وما لهذا العَطن بُد من إبل. فنظرت في الخباء فإذا شيخ كبير قد اختلفت تَرْقوتاه كأنه نسر، فجلست خلفه؛ فلما وَجبت الشمس إذا فارس قد أقبل لم أر فارساً قطُّ أعظمَ منه ولا أجسم، على فرس مُشرف، ومعه أسودان يَمشيان جَنَبَتَيْه[2]، وإذا مائة من الإبل مع فَحلها، فبرك الفَحل وبركت حوله، ونزل الفارس فقال لأحد عبديه: احلب فُلانة ثم اسق الشيخ. فحَلب في عُس[3] حتى ملأه، ووضعه بين يدى الشيخ وتنحّى. فكرع منه الشيخ مرةً ومرتين ثم نزع. فثُرْت إليه فشربته. فرجع إليه العبد فقال: يا مولاى، قد أتى على آخره. فقال له: احلب فلانة. فحلبها، ثم وضع العُس بين يدى الشيخ، فكرع منه واحدة ثم نزع. فثُرت إليه فشربتُ نصفه، وكرهتُ أن آتى على آخره فأُتَّهَم. فجاء العبد فأخذه، وقال لمولاه: قد شرب ورَوى. فقال: دعه. ثم أمر بشاة فذُبحت، وشَوى للشيخ منها، ثم أكل هو وعبداه. فأمهلت حتى إذا ناموا وسمعتُ الغَطيط ثُرت

(١) في بعض أصول الأغاني: «مقيد يد ورجل حول خباء».

(٢) الجنبة والجنب، بمعنى. (٣) العس: القدح الضخم.

إلى الفَحل فحللتُ عِقاله وركبتُه ، فاندفع بى ، وتبعته الإبل ، فسرتُ ليلتى حتى الصباح ، فلما أصبحتُ نظرتُ فلم أر أحداً ، فشَلَلْتُها[1] شَلاًّ عَنيفاً حتى تعالى النهار . ثم التفتُّ فإذا بشىء كأنه طائر ، فما زال يدنو منّى حتى تبيّنته ، فإذا هو فارس على فرس ، وإذا هو صاحبى بالأمس، ففصلت الفحل ونثلت كنانتى ووقفتُ بينه وبين الإبل . فقال : أحلل عقال الفحل . قلت : لا والله ، لقد خلفت نُسيّات بالحيرة وآليت ألّية ألّا أرجع حتى أفيدهن خيراً أو أموت . قال : فإنك ميت ، حُلّ عقاله لا أم لك . فقلت : ما هو إلا ما قلت لك . فقال : إنك لمغرور ، انصب لى خِطامه واجعل فيه خمس عُجَر[2] . ففعلتُ . فقال : أين تريد أن أضع سهمى ؟ فقلت : فى هذا الموضع . فكأنما وَضعه بيده . ثم أقبل يَرمى حتى أصاب الخمسة بخَمسة أسهم . فرددتُ نَبلى وحَططتُ قوسى ووقفت مُستسلماً . فدنا منّى وأخذ السيف والقوس ، ثم قال : ارتدفْ خَلفى ، وعَرف أنى الرجل الذى شربتُ اللبن عنده . فقلت : كيف ظنُّك بى ؟ فقال : أقبح[3] ظَنّ. قلتُ : وكيف قلت لما لقيت من تعب ليلتك وقد أظفرك الله بى ؟ فقال : أترانا كنا نَهيجك وقد بتّ تُنادم مُهلهلا . فقلت : أزيد الخيل أنت؟ قال : نعم ، أنا زيد الخيل . فقلت : كن خير آخذ . فقال : ليس عليك بأس . فمضى إلى موضعه الذى كان فيه ، ثم قال : أما لو كانت هذه الإبل لى لسلمتُها إليك ، ولكنها لبنت مُهلهل ، فأقم علىّ فإنى على شرف غارة . فأقمتُ أياماً، ثم أغار على بنى نُمير فأصاب مائة بعير ، فقال لى : هذه أحبّ إليك أم تلك ؟ فقلت : هذه . فقال : دونكها . وبعث معى خفراء من ماء إلى ماء ، حتى وردوا بى الحيرة .

---

(١) الشل : الطرد .

(٢) العجر : العقد ، الواحدة عجرة .

(٣) فى غير التجريد : « أحسن » .

شيء عن عروة ابنه

وكان عروة بن زيد الخيل فارساً شاعراً ، فشهد القادسية فحسُن فيها بلاؤه ، وشهد مع على بن أبى طالب رضى الله عنه صفّين ، وعاش إلى خلافة معاوية بن أبى سفيان ، فأراده على البراءة من علىّ رضى الله عنه ، فامتنع عليه ، وقال :

يحاولنى مُعاوية بن حرب ... وليس إلى الذى يَهوى سبيلُ

على جَحْدى أبا حَسن عليًّا ... وحقِّى من أبى حَسن جَليل

أخبار فندا

ثم ذكر أبو الفرج « فندا » مولى عائشة بنت سعد بن أبى وقاص . وكان خليعاً مُتهتِّكا يجمع بين الرجال والنساء فى منزله . وهو الذى يُضرب به المثل فى الإبطاء ، فيقال : هو أبطأ من فند .

ذُكر أن عائشة بنت سعد أرسلته ليجيئها بنار ، فخرج لذلك ، فاتى عَيراً خارجة إلى مصر فخرج معهم . فلما كان بعد سنة رجع فأخذ ناراً ودخل على عائشة وهو يَعْدو فسقط ، وقد قرب منها فقال : تَعِست العجلة ! فقال فى ذلك بعض الشعراء :

ما رأينـــا لسعيد مثـــلا إذ بعثناه يجى [1] بالمِشْمَلهْ

غَير فِنـــد بَعثوه قابساً فثوَى حولاً وسَبَّ العَجله

(١) فى التجريد : « فجا » .

(٢) المشملة ، بكسر الميم : كساء تجمع فيه المقدحة بآلاتها . وقيل : هى بفتح الميم ، أى مهب الشمال . يعنى الجانب الذى بعث نوح عليه السلام الغراب إليه ليأتيه بخبر الأرض أجفت أم لا . (انظر : مجمع الأمثال فى : تعست العجلة) .

أخبار نبيه بن الحجاج

نسبه

هو : نُبيه بن الحجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سَعد بن سَهم بن عَمرو بن هُصيص أبن كَعب بن لؤى بن غالب .

أمه

وأمه وأم أخيه «مُنبّه» : أروى بنت عُميلة بن السبّاق بن عبد الدار بن قُصى .

هو وأخوه ومقتلهما

كان هو و خوه مُنبّه من وجوه قريش وذوى النّباهة فيهم ، وكانا ممّن نَصب لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة . وقُتلا معاً يوم بدر مشركَيْن .

شعره لزوجتيه وقد سألتاه الطلاق

وكان نُبيه من شعراء قريش ، وهو القائل ، وقد سألته زوجتاه الطلاق :

سالتانى [1] الطلاق إذ رأتانى ... قَلَّ مالِى قــد جئتُمانى بنُــكْرِ

فلعلّى أن يكثُر المــالُ عندى ... ويُخَلَّى عن المغارم ظَهرى

وتُرى أعبدٌ لنــا وجياد ... ومَنــاصيف من ولائد عَشر

وَىْ كأنْ مَن يكُنْ له نَشَب يُحْـ ... ـبَبْ ومن يفتقر يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ

ما يروى له

ويُروى له :

قالت سليمى إذ طرقتُ أزورها ... لا أبتغى إلا أمرأً ذا مالِ

لا أبتغى إلا أمرأً ذا ثروة ... كيما أسُدّ [2] مَفاقرى وخِلالى

فلأحرصنّ علىٰ اكتساب مُحبّب ... ولأ كسَبنْ فى عِفّة وجمـال

شعره الذى فيه الذناء وسببه

وذُ كر أن رجلاً من خثعم قَدِم مكة تاجراً ، ومعه أبنة له ، يقال لها : القَتول ، أوضأ نساء العالمين ، فَعلِقها نَبيه بن الحجاج وغَلب أباهـا عليها وأخذها . فقيل

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تسألانى » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « يسد » .

لأبيها : عليك بحلف الفضول[١] . فأتاهم فشكا ذلك إليهم . فأتوا نُبيه بن الحجاج، فقالوا : أخرج بنت هذا الرجل من عندك . فقال : لا أفعل . قالوا : فإنّا من عرفت . فقال : يا قوم ، متّعونى بها الليلة . فقالوا: قبحك الله ! ما أجهلك ! لا والله ولا شَخْب لِقحة[٢] . فأخرجها إليهم ، فأعطوها أباها . فقال نُبيه الشعر الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو :

حَىِّ الدُّوَيرة إذ نأتْ ... منّا على[٣] عُدوائِها
لا بالفراق تُنيلنا ... شيئًا ولا بلقائها

وهذا الشعر من قصيدة ، ومنها :

أخذت حَشاشة قلبه ... ونأت فكيف[٤] بنائها
لولا الفُضول وأنه ... لا أَمن من[٥] عَدْوائها
لدنوتُ من أبياتها ... ولطُفت حول خِبائها
وجئتها أمشى بلا ... هَادٍ إلى ظَلْمائها
فشربتُ فَضْلة رِيقها ... ولبتُّ فى أحشائها

(١) هو حلف قديم كان بمكة أيام جرهم ، على التناصف والأخذ للضعيف من القوى، والغريب من القاطن . وسمى حلف الفضول لأنه قام به رجال من جرهم كلهم يسمى الفضل .
(٢) اللقحة : الناقة الحلوبة . والشخب : ما خرج من الضرع من اللبن إذا حلب .
(٣) الدويرة : تصغير : دار . وعلى عدوائها ، أى على بعدها وتنائيها .
(٤) بنائها ، أى بنأيها .
(٥) عدوائها ، أى اعتدائها ، وهو بالقصر ومد للشعر .

ذكر حلف الفضول

ذُكر أن رجلاً من بنى زُبيد قَدِم مكة مُعتمراً فى الجاهلية ، ومعـه تجارة ، فاشتراها منه رجل من بنى سَهم ، فأواها [1] إلى بيتـه ثم تغيّب ، فابتغى متاعَه الزُّبيدى فلم يقدر عليه . فجاء إلى بنى سَهم يَستعديهم عليه ، فأَغلظوا له . فعرف أن لا سبيل إلى ماله ، فطوّف فى بُطون قريش يستعين بهم ، فتخاذلوا عنه . فلما رأى ذلك أشرفَ على أبى قُبيس [2] ، حين أخذت قريش مجالسها ، فقال :

سببه

يا آل فِهر لمَظلوم بضاعتُـه ... ببَطن مكة نائى الدّار [3] والنَّفرِ

وأشعثٍ مُحرمٍ لم يقْضِ حُرمته [4] ... بين المقام وبين الرُّكن والحَجرِ [5]

أقائمٌ من بنى سَهم بذمّتهم ... أم ذاهبٌ [6] فى ضلالٍ مالُ مُعْتمر

فلما نزل أعظمت قريش ذلك ، فتكلّموا فيه ، فقال المكّيون [7] : والله لئن قُمنا فى هذا لتغضبنّ الأحلاف . وقالت الأحلاف : والله لئن تكلّمنا فى هـذا ليَغضبن المكّيّون . فقال ناس من قريش : تعالوا فلنكن حِلفاً فضولا دون المكّيين ودون الأحلاف . فاجتمعوا فى دار عبد الله بن جُدعان ، وصَنع لهم طعاماً

---

(١) فى غير التجريد : « فلوى بها » . (٢) أبو قبيس : جبل بمكة .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الحى » . (٤) فى غير التجريد :

* ومحرم شعث لم يقض عمرته *

(٥) الرواية فى غير التجريد :

* يا آل فهر وبين الحجر والحجر *

(٦) الرواية فى غير التجريد :

« أقائم من بنى سهم بخفرتهم * فعادل أم »

(٧) فى التجريد هنا : « الملكيون » وفى غير التجريد : « المطيبون » .

عظيماً كبيراً . وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم معهم يومئذ قبل أن يُوحى الله تعالى إليه ، وعمره يومئذ خمس وعشرون سنة . فاْجتمعت بنو هاشم و بنو أسد و بنو زُهرة و بنو تَيم ، وتحالفوا على ألا يُظلم بمكة غريب ولا حُر ولا عَبد إلا كانوا معه ، حتى يأخذوا له بحقه ، و يُؤدوا إليه مَظلمته من أنفسهم ومن غيرهم . ثم عمدوا إلى ماء من زَمزم فجَعلوه فى جَفنة ، ثم بعثوا به إلى البيت فغُسلت به أركانه ، ثم أتوا به فشَربوه .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه

وروت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لقد شهدتُ فى دار عبد الله بن جُدعان حلف الفُضول ، أمَا لو دُعيت إليه اليوم لأجبتُ ، وما أُحب أن لى به حُمر النَّعم وأنى نقضتُه .

كلمة فى سبب تسميته

ويقال: إنه سُمى هذا الحِلف حلفَ الفضول ، لأن نفراً من جُرهم ، يقال لهم : الفَضل، وفضال ، والفُضيل ، كانوا تحالفوا على ما تحالفت عليه هذه البُطون .

ذكر خبر
الحبشة وسيف بن ذي يزن

ذو نواس وغزو نجران

ذُكر أنّ ملكاً من مُلوك اليمن ـ يقال له : ذو نُوَاس ـ غزا أهل نَجران وكانوا نصارى ، على دين المسيح عليه السلام . فدعاهم إلى اليهودية فامتنعوا ، فحصرهم . ثم إنه ظَفِر بهم وحَفَر لهم الأخاديد وحرقهم بالنار ، وحرق الإنجيل وهَدم بِيعهم .

تعقيب لابن واصل

قلت : قيل : هم أصحاب الأخدود الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه (قُتل أصحابُ الأُخدود . النار ذات الوَقود . إذ هم عليها قُعود . وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود)[1] فإن هؤلاء القوم كانوا على شَريعة المسيح عليه السلام لم يبدّلوها ، وكان دين اليهود مَنْسوخاً .

قال أبو الفرج :

فرار دوس واستنجاده قيصر

ثم انصرف ذو نُواس إلى اليمن ، وأفلت منه رجلٌ يقال له : دوس ذو ثعلبان ـ على فرس ، فَركضه حتى أعجزهم فى الرمل ، ومَضى دوس إلى قيصر ملك الروم يستغيثه ويُخبره بما صنع ذو نُواس بنَجران ، ومن قَتَل من النصارى ، وأنه أخرب كنائسهم وبَقر النساء ، فما فيها ناقوس يُضرب به . فقال له قيصر : بَعُدت بلادى عن بلادكم ، ولكنى أبعث إلى قوم من أهل ملّتى من السُّودان قريباً منكم فينصرونكم . قال دوس ذو ثعلبان : فذاك إذن . فقال قيصر : إن هذا الذى أصنعه بكم أذل للعرب ، أن يطأها سُودان ليس ألوانهم على ألوانهم ، ولا ألسنتهم على ألسنتهم . فقال : الملك أنظر لأهل دينه ، إنما هم خَوله . فكتب قيصر إلى ملك الحبشة : أن انصر هذا الرجل الذى جاء يستنصرنى واغضب للنصرانية ، وأوطىء

---

(١) الآيات ٤ ـ ٧ من سورة البروج .

خروج أرياط إلى اليمن

بلادَهم الحبشة. فخرج دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر إلى ملك الحبشة. فلما قرأ كتابه أمر أرياط، وكان عظيماً من عظمائهم، أن يخرج معه ينصرُه. فخرج أرياط فى سبعين ألفاً من الحبشة، وقوّد على جُنده قُواداً من رؤوسهم. وأقبل بِفيلة، وكان معه أبرهة. وكان فى عَهد ملك الحبشة إلى أرياط: إذا دخلتَ اليمن فاقتُل ثُلث رجالها، وخرّب ثلث بلادهـا، وابعث إلىّ ثلث نسائها، فخرج أرياط فى الُجنود فحَملهم فى السُّفن فى البحر يعبُر بهم حتى ورد اليمن. وقد قدّم مقدّمات الحبشة. فرأى أهلُ اليمن جنـداً كبيراً، فلما تلاحقوا قام أرياط فى جنده خطيباً فقـال: يا معشر الحبشة، قد علمتمُ أنكم لن تَرجعوا إلى بلادكم، هذا البحر بين أيديكم، إن دخلتموه غرقتم، و إن سلـكتم البرّ هلـكتم واُتخذتـكم العربُ عبيداً، وليس لـكم إلا الصـبر حتى تموتُوا وتقتلوا عدوكم. وجَمع ذو نُواس جمعاً كثيراً، وجاء إليهم فالتقوا واقتتلوا قتالاً شـديداً. فكانت الدولة للحبشـة، وانهزم ذو نُواس وأصحابُه فى كُل وجه. ولما تخوّف ذو نواس أن يُؤسرَ ركض فرسه فاستعرض به البحر وقال: الموت فى البحر أحسن من إسـارٍ أسود. ثم أقحم فرسَه فى لُجّـة البحر، فمضى به فرسُه فكان آخرُ العهـد به. واستولى أرياط على اليمن، فقتَل ثلثا، و بعث ثلث السبى إلى ملك الحبشة، وخَرّب تلك البلاد، وملك اليَمن، وهَدم حصونها. وكانت حصوناً منيعة، منها: غُمدان.

مقتل أرياط وظهور أبرهة

فلما استقر مُلك أرياط أخذ الأموال، وأظهر العطاء فى أهل الشرف. فغَضبت الحبشة حين أعطى أشرافهم وترك فقراءهم. فشكا بعض الفقراء ذلك إلى بعض. فقال لهم قائد من قواد الحبشة ــ يقال له: أبرهة ــ: لو أن رجلا غضب لغضبكم إذاً لأسلمتموه حتى يُذبح كما تُذبح الشاة؟ فقالوا: لا والمسيح، ما كُنا لنُسلمه أبدا. فواثقوه بالإنجيل أنهم لا يُسلمونه حتى يموتوا عن آخرهم. فنـادى مناديه فيهم، فاجتمعوا إليه. و بلغ ذلك أرياط، فلم يصدّق به، فقال له خاصته: فأرسل إليه، فإن

أتاك فالأمر باطل ، و إن لم يأتك فاعلم أنه كما يقال . فأرسل إليه : أن أجب الملك . فجثا على ركبتيه وخَرّ لوجهه وأخذ عُوداً من الأرض فجعله فى فيه ، وقال : اذهب إلى الملك فأخبره بما رأيتَ منّى ، أنا أخلعه ! أنا أشدُّ تعظيماً له من ذلك ، وأنا آتيه على أربع قوائم بحساب البهيمة . فرجع الرسولُ إلى أرياط فأخبره الخبر . فقال : ألم أقل لكم ! فقالوا : الملك أعقل وأعلم منّا . فلما ولّى الرسول من عند أبرهة وتوارى صاح أبرهة فى الفقراء من الحبشة ، فاجتمعوا معهم السلاح والآلة التى كانوا يعملون بها ويهدمون المُدن ، ثم صفّوا صفّا ، وصفوا خلفه آخر . فلما أبطأ أبرهة على الملك أرياط ، وهو يرى أنه يأتيه على أربع قوائم كما قال ، ورأى أرياط خبر ما صنع أبرهة ، ركب فى الأشراف وأتباعهم فى السلاح وجاءوا بالفيلة — وكانت سبعة — فلما دنا بعضهم من بعض برز أبرهة بين الصفين ، ونادى بأعلى صوته : يا معشر الحبشة ، الله ربنا ، والإنجيل كتابنا ، وعيسى نبينا ، والنجاشى ملكنا ، علامَ يقتل بعضنا بعضا فى مذهب النّصرانية ، هذا رجل وأنا رجل ، فخَلُّوا بينى و بينه فإن قتلنى عاد الملك إلى ما كان عليه من أثرة الأغنياء وهلاك الفقراء ، و إن قتلته سلمتُم وعملت فيكم بالإنصاف بينكم ما بقيتُ . فقال الأشراف والقُواد من الحبشة : قد أخبرناك أنه قد صنع ما ترى ، وقد أبيتَ إلّا حسن الرأى فيه ، وقد أنصفك . وكان أرياط قد عُرف بالشجاعة والنجدة ، وكان جميلاً . وكان أبرهة قصيراً دميما ضعيفَ الفؤاد . فاستحيا أرياط من القُواد أن يجبُن ، فبرز بين الصفين . ومشى أحدهما إلى صاحبه ، وحمل عليه أرياط ، فضرب أرياط أبرهة ضربةً وقع منها حاجباه وعامّة أنفه . ووقع بين رجلى أرياط . فعمَد أبرهة إلى عمامة فشد بها وجهه ، وسكن الدم والتأم الجرح ، وأخذ عودا فجعله فى فيه ، وقال : أيها الملك ، إنما أنا شاة فاصنع ما أردت ، فقد أبصرت أمرى . ففرح أرياط بما صنع ، وكان قد سَمّ خنجراً وجعله فى بطن فخذه كأنه خافية نسر . فلما رأى أبرهة أن أرياط قد انكسر

عنه ، وهو ينظر يميناً وشمالاً ليراه قواد الحبشة ، أستل خنجره فطعنه فى فرج درعه فأثبته ، وخر أرياط على قفاه ، وقعد أبرهة على صدره فأجهز عليه . فسُمِّى أبرهة الأشرم بتلك الضربة التى شَرمت وجهه وأنفه . فانقادت له الحبشة ، وملك اليمن عشرين سنة . .

تعقيب لابن واصل عن غزو أبرهة مكة

قلت: إن أبرهة الأشرم هذا لمّا استقر ملكه بنى كنيسة عظيمة وأمر العرب أن تحُجها بدلاً عن الكعبة . فجاء رجل من العرب فأحدث فى الكنيسة . فغضب أبرهة وحلف ليغزونّ مكة وليهدمنّ الكعبة ــ شرفها الله ــ فتوجّه إليها بجنوده ومعه الفيل . فلما قرُب من مكة أرسل الله طُيوراً ترجُم العسكر بحجارة صغار، فما يقع حَجر على شخص منهم إلا هلك . ففى ذلك نزل قوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل) إلى آخر السورة . وكان مولد النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة الفيل . ورجع أبرهة إلى اليمن وأعضاؤه تساقط عُضواً عُضواً .

استنجاد العرب بكسرى على الحبشة

قال أبو الفرج :

ثم ملك بعدَ أبرهة أبنهُ يكسوم . ثم ملك بعد يكسوم أخوه مَسروق بن أبرهة ، وأمه ريحانة بنت ذى يزن ، أخت سيف بن ذى يزن .

قيل : فلما طال على أهل اليمن البلاء ، مَشوْا إلى سيف بن ذى يزن الحِمْيرىّ وكلّموه فى الخُروج والانتصار للعرب من الحبشة . فخرج حتى أتى قيصر ملك الروم ، فكلّمه على أن ينصُره على الحبشة . فأبى وقال : الحبشة على دينى وملّتى ، وأنتم على دين اليهود . فخَرج من عنده وقَصد كسْرى ملك الفرس . فلما حضر عنده قال : غُلبنا على بلادنا ودَخل الأحابيش علينا ، وأنا أقربُ إليك منهم ، لأنى أبيض وأنت أبيض وهم سودان . فقال : بلادك بلاد بعيدة ، فلا أبعث معك جيشاً فى غير مَنفعة ولا أمر أخافه على ملكى . فلما أيأسه من النصرة أمر له

بعشرة آلاف وافٍ[1] وكساه كُسى . فلما خرج بها من باب كسرى فرّقها بين العَبيد والصبيان . فرأى ذلك أصحابُ كسرى ، فذكروه له . فأرسل إليه : ما صنعت بجائزة الملك تنثرها للناس ؟ فقال سيف : وما أعطانى الملك ! جبال أرضى ذهب وفضة . جئتُ الملكَ ليمنَعنى الظُّلم ولم آته ليُعطينى الدراهم ، ولو أردت الدراهم كان ذلك فى بلادى كثيراً . فقال كسرى : أنظر فى أمرك . فخَرج سيفٌ على طَمع ، فأقام عنده . فجعل كلما ركب كِسرى مركباً عَرض له . فجمع كسرى مرازبته فقال : ما ترون فى هذا العربى ، فقد رأيت رجلاً جلداً ؟ فقال قائل منهم : إن فى السجون قوماً قد حَبسهم الملك فى موجدة عليهم ، فلو بعث بهم الملك معه ، فإن قُتلوا استراح منهم ، وإن ظفروا بما يُريده هذا العربى فهو زيادة فى مُلك الملك .

خروج وهرز إلى اليمن

فقال كسرى : هـذا الرأى . فأمر بهم كسرى فأُحضروا ، فوُجدوا ثمانمائة رجل . فولّى أمرَهم رجلاً منهم ـ يقال له : وهرز ـ وكان رامياً شجاعاً ، وأعطاهم سلاحاً ، وحملهم فى البحر فى ثمان سَفائن ، فغَرقت سفينتان وبقى مَن بقى منهم ، وهم ستمائة رجل . فأرسوا إلى ساحل عدن . فلما أَرسوا قال وهرز لسيف بن ذى يزن : ما عندك ؟ فقد جئنا بلادك . قال : ما شئت من رجل عربىّ وفرس عربى . ثم إن رِجْلى مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً . قال وهرز : أَنصفت . فاستلحق[2] سيفٌ من استطاع من اليمن . ثم زحفـوا إلى مسروق ابن أبرهة . فجمع إليه جنده من الحبشة ، وسار إليهم ، والتقى العسكران ، وأتت أَمداد العرب من أَهل اليمن سيفاً . فبعث وهرز ابناً له على جريدة خيل ، فقال : ناوشوهم القتال حتى ننظر كيف قتالهم ، فناوشهم ابنُه وناوشوهم شيئاً من قتال . ثم تورط ابنـه فى هُلكة لم يستطع التخلص منها ، فاشتملوا عليه فقتلوه . فازداد

(١) الوافى : درهم وأربعة دوانيق .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فاستجلب » .

وهرز عليهم حنقاً ، وسيىء العرب وفرحت الحبشة ، وأظهروا الصليب ، فأوتر وهرز قوسه ــ وكان لا يقدر أحد أن يُوترها غيره ــ فقال وهرز والناس على صُفوفهم : انظروا أين ترون ملكهم ، فقال سيف : أرى رجلاً قاعداً على الفيل تاجُه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء . قال : ذلك ملكهم . فقال وهرز ، اُتركوه . ثم وقف طويلًا ثم قال : انظروا هل تحول . فنظر سيف فقال : تحول على فرس . فقال هذا منه اختلاط . ثم وقف طويلًا فقال : انظروا هل تحول . فقال سيف : تحول على بغلة . فقال : أبنة الحمار ، ذلّ الأسود وذَلّ مُلكه . ثم قال لأصحابه : إنى سأقتله فى هذه الرمية ، فتأملوا النّشابة . وأخذ النشابة وجعل فُوقها فى الوتر ، ثم نزع فيها حتى ملأها ، وكان أيِّدا ، ثم أرسلها فصكت الياقوته التى بين عينى ملكهم مسروق ، وتغلغلت النّشابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه . وحملت عليهم الفرس ، وانهزمت الحبشة فى كل وجه ، وقُتل ملكهم مسروق . وجَعلت حِمير تقتل من أدركت منهم ، وتُجهز على جريحهم . وأقبل وهرز يريد دُخول صنعاء ــ وكانت بقرب موضع اللقاء ــ فلما دنا من باب المدينة رآه صغيراً ، فقال : لا تدخُل رايتى منكسة أبداً ، اُهدموا الباب . فهدموا باب صنعاء ، ودخل ناصباً رايته وسِير بها بين يديه . فقال سيف بن ذى يزن : ذهب مُلك حِمير آخر الدهر ، لا يرجع إليهم أبدا .

فملك وهرز المدينة ، وقهر الحبشة ، وكتب إلى كسرى يُخْبره : إنى ملكت اليمن ، وهى أرض العرب القديمة التى يكون فيها ملكهم . و بعث بجوهر وعُود وزباد[1] وعنبر وأموال . فكتب إليه كسرى يأمره أن يمَلّك سيف بن ذى يزن على اليمن . ويقدم وهرز إلى كسرى ، فخلف سيفاً على اليمن فملكها ، وجعل يقتل رجال الحبشة و يبقر نساءها عمّا فى بطونها حتى أفناها إلّا بقايا منها أهل ذمة

(١) الزباد : الطيب .

وقلّة ، فاتخذهم خَولًا . وكان قد آلَى ألّا يَشرب الخمر ولا يَمسّ امرأة حتى يُدرك ثأره من الحبشة . فجُعلت له حُلتان واسعتان فأتزر بواحدة وارتدى الأخرى . وجلس على رأس غُمدان يشرب و بَرّت يمينه .

ملك سيف ووفود العرب عليه تهنئه

واختُلف فى سَنة مُلك سيفِ اليمنَ ، فقيل : كان بعد مولد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بسنتين ، وأن وُفود العرب وأشرافها وشعراءها أتته للتهنئة . فأتتْه وُفود قريش ، وفيهم عبدُ المطلب بن هاشم ، وابن عمه أُميـة بن عبد شمس ، وخويلد ابن أسد ، فى ناس من وجوه قريش ، فأَتوه بصَنعاء فى رأس قصر له — يقال له : غُمدان — فاستؤذن لهم ، فدخلوا عليه وهو على شرابه ، وعلى رأسه غلام واقف ينثر فى مَفرقه المسك ، وعن يمينـه ويساره الملوك والمَقاول ، و بين يديه أُميـة بن أبى الصلت — واسمه : عبد الله بن ربيعة بن عمرو بن عُقدة بن عنزة بن عوف ابن قَسىّ ، وهو ثقيف — وهو يُنشده مدحه فيه :

ليطلُب الثأر أمثـالُ ابن ذى يزن ... فى البحر خيّمَ (١) للأعداء أحوالَا

أتَى هِرَقْل وقـد شالت نعامتُه ... فلم يجد عنده النَّصر الذى سـالا

ثم انتحى نحو كِسرى بعـد عاشرةٍ ... من السِّـنين يُهين النفسَ والمـالا

حتى أتى ببَنِى الأحرار يقـدُمهم ... تخـالهم فوق مَتْن الأرض أجبالا

لله درّهمُ من فِتيـةٍ صُـبُر ... ما إن رأيتُ لهم فى الناسِ أمثـالا

بِيضٌ مَرازبة غُلب أسـاورة ... أُسدٌ تُرَبِّت (٢) فى الغيضات أشبالا

فاشرب هنيئاً عليك التاج (٣) مُرتفقا ... فى رأس غُمدان دَاراً منك محلالا

ثم اطل بالمسك إذ (٤) شالت نعامتُهم ... وأسْبل اليومَ فى بُرْديك إسبالا

---

(١) خيم : (٢) تربت : تربى . (٣) مرتفقاً : متكئاً .

(٤) شالت نعامتهم ، أى بادوا وتعرقوا ، كأنهم لم تبق منهم إلا بقية . والنعامة : الجماعة .

تلك المكارمُ لا[1] قَعْبان من لَبَن شِيبا بماء فعادَا بعــــدُ أبوالا

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج هذه الأخبار ، هو البيت الأول من هذه الأبيات والبيت الأخير .

فبدأ عبدُ المُطلب فاستأذن فى الكلام . فقال له سيف بن ذى يزن : إن كنت ممن يتكلّم بين يدى الملوك فقد أذنّا لك . فقال عبد المطلب : إن الله أحلّك أيها الملك مَحَــلا رفيعاً ، صَعباً مَنيعاً ، شامخاً باذخاً ، وأنبتك منبتاً طابت أرومتــه ، وعزّت جُرثومته ؛ فى أكرم موطن ، وأطيب مَعْدن ؛ فأنت أبيت اللعن ملك العرب ، وربيعها الذى به تُخصب . وأنت أيها الملك رأس العرب الذى له تنقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومعقلها الذى إليــه تلجأ العباد ، فسلفك خير سلف ، وأنت منهم خير خلف ، فلن يخمل من أنت خلفه ، ولن يهلك من أنت سلفه ، نحن أهل حرم الله وسدنة بيتــه ، أشخصنا إليك الذى أبهجنا لكشفك الكرب عن وجوه العرب . فنحن وفود التهنئة لا وفود المَرْزئة . فقال : فأيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : عبــد المطلب بن هاشم . قال ابن أختنا ؟ قال : نعم . فأدناه حتى أجلسه إلى جنبه . ثم أقبل على القوم وعليه وقال : مرحباً وأهلا ، وناقة ورحلا ، ومناخاً سهلا ، ومَلِكا ربحلا[2] ؛ يعطى عطاء جزلا ، قدسمع الملك مقالتكم ، وقبل وسيلتكم ، وأنتم أهل الشرف والنباهة ، ولكم الكرامة ما أقمتم ، والحباء إذا ظعنتم . ثم استُنهضوا إلى دار الضيافة والوفود . فأقاموا شهراً فيها لا يَصلون إليه ولا يُؤذن لهم فى الانصراف ، وأجريت عليهم الأنزال . ثم انتبــه لهم انتباهة ، فأرسل إلى عبد المطلب فأدناه ، وأخلى مجلسه ثم قال : يا عبد المطلب ، إنى مُفْضٍ[3] إليك

(١) القعب : القدح الضخم .

(٢) ربحل : عظيم الشأن ، كثير العطاء .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « مفوض » .

من سر عِلْمى أمراً لو يكون غيرك لم أَبح به ، ولكنى رأيتك موضعه فأطلعتُك عليه ، فَلْيكن عندك مطويًّا حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره : إنى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اُخترناه لأنفسنا فاحتجبناه دون غيرنا خبراً عظيما ، وخطراً جسيما ، فيه شرف الحياة وفضل[1] الوفاة ، للناس عامة ، ولرهطك خاصة . فقال عبد المطلب : مثلك أيها الملك سَرّ وبَرّ ، فما هو ؟ فِداكَ أهل الوَبَر زُمرا بعد زمر . فقال سيف : إذا وُلد غلام بتهامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ولكم به الزعامة ، إلى يوم القيامة . فقال عبد المطلب : أيها الملك ، لقد أبتُ بخَيرٍ ما آب بمثله وافد ، ولولا هيبة الملك وإكرامه وإعظامه لسألته أن يزيدنى فى البشارة ، لأزداد به سروراً . فقال سيف : هذا حينُه الذى يولد فيه ، أو قد وُلد ، واُسمه محمد ، يموت أبوه وأُمه ، ويكفُلُه جده وعمه . وقد ولدناه مرارا ، والله باعثُه جهاراً ، وجاعل له منّا أنصاراً ، يُعز بهم أولياءه ، ويُذل بهم أعداءه ؛ يضرب بهم الناس عن عُرض ، ويستبيح كرائم الأرض ، يخمد النيران ، ويكسر الأوثان ، ويعبد الرحمن ، قوله فصل، وحكمه عدل ؛ يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويُبطله . فقال عبد المطلب : أيها الملك ، عزّ جدك ، وعلا كعبك ، ودام مُلكك ، وطال عمرك ، فهل الملك مُخبرى بإفصاح ، فقد أوضح لى بعض الإيضاح ؟ فقال سيف بن ذى يزن : والبيت ذى الحُجب ، والعلامات على النُّصب ، إنك يا عبد المطلب ، لجدّه غير الكذب . فخرّ عبد المطلب ساجداً . فقال : اُرفع رأسك ، ثلج صدرك ، وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك . فقال له عبد المطلب : كان لى اُبنٌ وكنت به مُعجباً وعليه رفيقاً ، زوّجته كريمة من كرائم قومى اُسمها آمنة بنت وهب ، فجاءت بغلام سمّيته محمداً ، مات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه . فقال سيف : الأمر ما قلت لك ، فاحتفظ باُبنك

(١) فى غير التجريد : « وفضيلة » .

وأحذر عليه من اليهود ، فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم إليـه سبيلا ، وأطوِ ما ذكرت لك عن هؤلاء الرّهط الذين معك فإنى لست آمن أن تدخلهم النَّفاسة من أن تكون له الرياسة، فينصبون له الحبائل، ويطلبون له الغوائل ، وهم فاعلون، وبطيئاً ما يجيبه قومه ، وسيلقى منهم عنتا ، والله مُفلج[1] حجته ، ومُظهر دعوته ، وناصر شـيعته . ولولا أنى أعلم أن الموت مجتاحى قبل مَبعثه لسرتُ بخيلى ورَجْلى حتى أصيّر يثرب دار مُلكى ، وإنى أجـــد فى الكتاب المكنون أن بيثرب استحكامَ أمره ، وأهل نُصرته وموضع قبره ، ولولا أنى أتوقى عليـه الآفات ، وأحذر عليه العاهات ، لأعلنت أمره على حداثة سنه . ولـكنى صارف ذلك إليك عن غير تقصير منى بمن معك .

ثم أمر لـكل رجل منهم بعشرة أعبُد وعشرة إماء ومائة من الإبل وحُلتين بُرودا ، وخمسة أرطال ذهباً ، وعشرة أرطال فضـة ، وكَرِش مملوء عَنبراً . وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك . وقال : يا عبد المطلب ، إذا حال الحوْل فأتنى . فمات ابن ذى يزن قبل أن يحُول عليه الحول . وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : يا معشر قريش ، لا يَغبطنى رجل منكم بجَزيل عطـاء الملك وإن كثر ، فإنه إلى نفاد ، ولكن ليغبطنى بما يبقى لى شرفه إلى يوم القيامة . فإذا قيل له : وما ذاك ؟ قال : ستعلمون ما أقول ولو بعد حين .

سنة ملك بن ذى يزن

وقيل : إن السنة التى ملك فيها سيف بن ذى يزن كان للنبىّ صلى الله عليه وسلم من العمر فيها ثلاثون سنة ، وأنها كانت بعد عام الفجار بعشر سنين ، وقَبل بُنيان قريش الكعبة بخمس سنين .

ملك أبرهة وخلفه من ملوك الحبشة

وهذا القائل قال : إن أبرهة ملك ثلاثاً وعشرين سـنة ، وملك ابنه يكسوم

---

(١) فى غير التجريد : « مبلج » .

تسع عشرة سنة . وملك مسروق اثنتى عشرة سنة ، فهذه اثنتان وسبعون سنة
من حين غَلبت الحبشة على اليمن إلى انفصال أمرهم .

مقتل بن ذى يزن

وذُكر أن سيف بن ذى يزن كان قد اتخذ من الحبشة جماعةً يحملون
الحراب بين يديه ، فركب يوماً يتصيّد ، وهم معه بحرابهم يسعَوْن بها بين يديه ،
حتى إذا كان وسطاً بينهم مالوا عليه بحرابهم فطعنوه بها حتى قتلوه .

أخبار أبي عطاء السندي

نسبه — وهو أفلح بن يسار، مولى بني أسد، ثم مولى عمرو[1] بن سماك بن حصين الأسديّ.

مخضرم الدولتين — وهو مُخَضرم الدّولتين: العباسية والأموية. ومنشؤه بالكوفة. وكان أبوه سِنديًّا لا يُفصح.

هو وسليمان ابن سليم — وكان في لسان أبي عَطاء عُجمة شديدة ولَثغة، لا يكاد يُفصح. وفي ذلك يقول لسليمان بن سُليم الكلابيّ، وقد قصده:

أعوزتْني الرُّواة يابن سُليم ... وأبَى أن يُقيم شِعْرى لِساني
وغلَا بالّذى أُجمجم صدرى ... وجفاني لعُجمتى شَيطاني
وأُزدرتْني العُيون[2] إذا كان لوني ... حالكاً مُجْتَوًى من الألوان
فضربتُ الأُمور ظَهراً لبطَن ... كيف أحتال حيلةً للساني
وتمنّيتُ أنّني كنتُ بالشِّعـ ... ـرِ فصيحاً وبان بعضُ بَناني
ثم أصبحتُ قد أنختُ رِكابي ... عند رَحب الفِناء والأعطان
فاكْفِني ما يضيق عنه رُواتى ... بفَصيح من صالحى الغِلمان
يُفهم الناس ما أقول من الشِّـ ... ـعر فإن البيانَ قد أعياني
وأُعتمدني[3] بالشُّكر يا بنُ سليم ... في بلادى وسائر البلدان
ستُوافيهمُ قصائد غُرّ ... فيك سبّاقة لكلّ لسان

(١) في التجريد: «مولى بني عنبر».
(٢) في التجريد: «الرواة».
(٣) في التجريد: «واعتقدني».

فقديماً جعلتُ شكرى جزاء كُل ذى نِعْمة بما أَوْلانى
لم تزل تَشترى المحامد قِدْماً بالرَّبيح الغالى من الأثمان

فأمر له بوَصيف بربرىّ فصيح ، فسمّاه عطاء ، وتكنّى به وروّاه شعره . فكان إذا أراد إنشاد مديح لمن يجتديه ، أو مُذاكرة بشعر[1] أمره بإنشاده .

أموى الهوى

وذُكر أن أبا عطاء السندى كان من أهل الهوى فى بنى أُمية والميل إليهم ، وشَهد معهم حرب بنى العبّاس فأَبلى ، وقُتل غلامُه عطاء وأُنهزم هو . وقيل إن المقتول أبنه لا غلامه . ولم يكن له نباهة فى أيام بنى العباس ، وهجاهم فى آخر أيام المنصور .

هو والمنصور

وذُكر أن أبا عطاء مدح أبا جعفر المنصور فلم يُثبه ، وأظهر الأنحراف عنه لعلمه بمذهبه فى بني أمية ، فعاوده المدح له . فقال له : يا ماص بظر أمه ! ألست القائل فى عدو الله الفاجر نَصر بن سيّار ترثيه :

فاضت دُموعى على نَصرٍ وما ظَلمتْ عينٌ تَفيض على نَصر بن سيّارِ
يا نَصر من للقاء الحرب[2] إن لَقحت يا نصر بعدك أو للضّيف والجار
الخَنْدفىّ الذى يَحمى حقيقته فى كل يوم مَخوف الشر والعار
والقائد الخيل قُبّاً[3] فى أعنّتها بالقوم حتى يلفّ الغار[4] بالغار
مِن كل أبيض كالمِصباح من مُضر يجلو بسُنته الظَّلماء للسّارى
ماضٍ على الهول مِقْدام إذا اعترضت سُمر الرماح وولّى كُل فرّار
إن قال قولاً وفَى بالقول موعدُه إنّ الكنانىّ وافٍ غيرُ غدّار

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أو مذاكرة لشعره أنشده » .

(٢) لقحت ، أى ثقلت واشتدت . تشبيهاً لها بالأنثى الحامل .

(٣) قبا : ضامرة . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « القار بالقار » .

والله لا أعطيتُك شيئاً أبدا . فخرج من عنده وقال عدةَ قصائد يذُمه فيها . منها قوله :

فليت جَوْر بنى مَروان عاد لنا وليت عَدْلَ بنى العبّاس فى النار

وقال أيضاً :

أليس الله يعلم أنّ قلبى يُحب بنى أُمية ما اُستطاعَا
ومابى أن يكونوا أهلَ عدل ولكنّى رأيت الأمر ضاعا

وذُكر أن المنصور لما أمر الناس بلُبس السّواد لَبسه أبو عطاء وقال :

لبستُ ولم أَكفُرْ من الله نعمة سوادًا إلى لونِى ودينًا مُلهوجَا
وبايعتُ كرهاً بيعةً بعد بَيعة مبهرجة إذ كان أمراً مبهرجا

هو وحماد الراوية فى بيت

وحكى حمّاد الراوية قال :

أنشدت أبا عطاء السندى هذا البيت :

إذا كنتَ فى حاجة مُرسلا فأرسل حكيماً ولا تُوصه

فقال أبو عطاء : بئس ما قال ! قلت : فكيف كان يقول ؟ قال : كان يقول :

إذا أرسلت فى أمر رسولا فأفهمه وأرسله أديبَا
فإن ضيعت ذاك فلا تَلُمه على أن لم يكن عَلِم الغُيوبا

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى عطاء السندى ، هو :

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه شكا الفقر أو لام الصَّديق فأكثرا
وصار على الأدنين كَلاً وأوشكت صِلات ذوى القُربى له أن تنكَّرا
فلاترضَ من عيش بدُون ولا تنم وكيف ينام الليلَ من كان مُعْسِرا

أخبار خالد بن يزيد

(*) هو خالدُ بن يزيدَ بن مُعاوية بن أبى سُفيان صَخْر بن حَرب بن أُمية ابن عَبد شَمس بن عَبد مَناف . — أبـوه

وأمه أُم هشام بنت هاشم بن عُتبة بن رَبيعة بن عبد شَمس . — أمـه

وكان من رِجالات قُريش سخاءً وعارضةً وفَصاحة . وكان قـد شغل نفسَه بطَلَب الكيمياء ، وأفنى بذلك عُمره ، وأسقط نَفْسَه . — شهرته

قلت : أصحابُ هذه الصناعة يجعلونه قُدوتهم و إمامهم و يتَمسّكون بنُصوصه . وعندى أنّ هذا لم يحصُل له ولا لغيره ، ولم يحصُلوا إلا على عمل الزَّيف والبَهْرَج . — تعقيب لابن واصل

ولما تُوفِّى أبوه يَزيدُ بن مُعاوية وَلِىَ الخلافةَ بعده مُعاوية الأصغر بن يزيد بن معاوية . فلم يُقِم إلا شهراً ، ثم تُوفى . وكان خالد بن يزيد صغيراً ، فلم تؤل إليه الخلافة . وقدم من المدينـة مروانُ بن الحكم بن العاص بن أُمية ، فبايعه بعضُ الناس بالشام ، وبايع بعضُهم لعبد الله بن الزبير ، وأجتمعت الزُّبيرية إلى الضحّاك ابن قيس الفِهرىّ ، وكانت بينه و بين مَروان وَقعـة عظيمة بمَرج راهط ، قُتل فيها الضحّاك وأنهزم أصحابه ، وأستقر الأمرُ لمَروان بن الحكم ، فدَخل دمشقَ ، وبايعه الناسُ ، وأُستوثق له مُلْك الشـام . ثم مَضى إلى مصر فملكها . واجتمع لأبن الزبير الحِجاز والعراقان ، ومَضى مروان فى الخلافة عشرة أشهر ؛ ثم تُوفى ، وولى بعده أبنهُ عبد الملك ، وقُتل أبن الزبير فى أيامه ، وصَفت له الدنيا . — كيف وثب مروان إلى الخلافة

وكان مروانُ لمّا غلب على الأمر تزوّج أم خالد بن يزيد بن معاوية . فقال — زواج مروان بأم خالد ومقتله

(*) هنا بهامش الأصل : « بلغت قراءة على المؤلف ومعارضاً بأصله المنقول منه وهو بيده » .

مروان لخالد يوماً فى الملأ ، وأراد تصغير شأنه : يابن الرطبة الأست . فقال خالد له : إنّ الأمير مُختبر ، وأنت بهذا أعلم . ثم أتى أمه وقال لها : أنت صنعتِ بى هذا ! فقالت : دَعْه ، فإنّه لا يقولها لك بعد اليوم . فدخل مروان عليها فقال : هل أخبرك خالد بشىء ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، خالد أشدُّ تعظيماً لك من أن يذكُر لى شيئاً جرى بينك و بينه . فلما أمسى مروان وضعتْ مخدّة على وَجهه وقعدتْ عليها هى وجواريها حتى مات . فلما ولى عبدُ الملك الخلافة أراد قَتلها بأبيه ، و بلغها ذلك ، فقالت له : أما إنه ما أشد عليك أن يَعلم الناسُ أن أباك قتلتْه أمرأة . فكفّ عنها .

هو وأخوه مع عبد الملك فى شأن الوليد ابنه

وذُكر أنه دخل عبدُ الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد ، فقال : لقد هممتُ اليوم بقتل الوليد بن عبد الملك . فقال له خالد . بئس ما هممت به فى أبن أمير المؤمنين وولىّ عهد المسلمين ! فقال : انه لقى خيلى فنفّرها وتلاعب بها . فقال له خالد : أنا أكفيكه إن شاء الله . فدخل خالد على عبد الملك بن مروان ، وعنده الوليد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ان ولى عهد المسلمين الوليد ، أبن أمير المؤمنين ، لقى خيل أبن عمه عبدالله بن يزيد فنفَّرها وتلاعب بها ، فشقّ ذلك على عبد الله . فنكس عبدُ الملك رأسه وقَرع القضيب بيده ، ثم رفع رأسه فقال : (إنّ الملوكَ إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجَعلوا أعزّة أهلها أذلّةً وكذلك يَفْعلون) . فقال له خالد : (و إذا أردنا أن نُهلك قريةً أمرنا مُترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القولُ فدمّرناها تَدْميرا) . فقال له عبد الملك : أتكلّمنى فيه وقد دخل علىّ لا يُقيم لسانَه لحنا . فقال له خالد : يا أمير المؤمنين ، أفَعلى الوليد تقول فى اللحن . قال : إن يكن لحّاناً فأخوه سُليمان . قال : وإن يكن عبدُ الله لحّاناً فأخوه خالد . فقال الوليد لخالد : أتكلمنى ولست فى عِير ولا نفير . فقال خالد : ألا تَسمع يا أمير المؤمنين ما يقول هذا : أنا والله أبن العير والنَّفير ، جدّى عُتبة بن ربيعة صاحب النَّفير ،

وجدى أبو سُفيان صاحب العـــير . ولـكن لو قلت حُبيلات [١] وغُنيات ،
والطائف صدقت ، ورحم الله عثمان .

هذا آخر الحديث .

تعقيب لأبي الفرج

قال أبو الفرج : إنمـا عيّره بأم مروان وأنها من الطائف . وترحم لعثمان لِرَدّ عُثمانَ ـ رضى الله عنه ـ أباه الطَّريد [٢] .

تندره بمعاوية بن مروان

وذكر أن مُعاوية بن مروان كان ضعيف العقل ، فقـال له خالد بن يزيد : يا أبا المُغيرة ، ما أَهونك على أخيك ، لا يُولّيك ولاية ؛ قال : لو أردتُ لفعـل . قال : كلا . قال : بلى والله . قال : فسَلْه أن يُولّيك بيت لِهْيا [٣] . قال : نعم . فدخل معاوية بن مروان على أخيـــه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، ألستُ أخاك ؟ قال : بلى ، إنك لأخى وشقيق . قال : فولّنى بيت لِهْيا . فقـال : متى عهدك بخالد ؟ قال : عشية أمس . فقال : إياك أن تـكلّمه . ودخل خالد على عبد الملك ، وعند معاوية أخوه ، فقال : كيف أصبحت يا أبا المغيرة ؟ قال : قـد نهانا هذا عن كلامك . فغلب عبدَ الملك الضحكُ ، فقام وتفرّق الناس عنه .

من نوادر معاوية ابن مروان

وذُكر أنه أفلت لمعاوية بن مروان هـــذا بازٍ ، فصاح : أغلقوا باب المدينة لا يخرج .

وذكر أنه قال له رجل : أنت الشريف ابن أمير المؤمنين. وأخو أمير المؤمنين ، وابن عم أمير المؤمنين عثمان ، وأُمك عائشة بنت معاوية بن أبي سـفيان ؟ قال : فأنا إذن كما قال القائل :

* مُردّد فى بنى اللَّخناء ترديدا [٤] *

---

(١) الحبل : شجر العنب ، واحدته : حبلة ، بالتحريك .

(٢) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرد الحكم أباه إلى الطائف ورده عثمان .

(٣) بيت لهيا : قرية بغوطة دمشق . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « تردادا » .

هو ومحمد بن عمرو بن سعيد ابن العاص

وذكر أن محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص قَدِم الشام غازياً ، فأتى عمّته بنت سَعيد بن العاص ، وهى عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل خالدٌ فرآه ، فقال : ما يقدَم علينا أحد من الحجاز إلا أختار المُقام عندنا على المدينة . فظَنّ محمد أنه يُعرِّض به ، فقال له : وما يمنعه من ذلك وقد قدم قومٌ من المدينة على النَّواضح[1] فنكحوا أمك ، وسلبوا مُلكك ، وفرّغوك لطلب الحديث ، وقراءة الكُتب ، وعمل الكيمياء الذى لا تَقدر عليه .

هو والحجاج فى خطبته رملة بنت الزبير

وذكر أنه لما قُتل عبد الله بن الزبير حَجّ خالد بن يزيد بن مُعاوية ، فخَطب رمْلة بنت الزُّبير بن العوام . فأرسل إليه الحجّاج بن يوسف حاجبَه عُبيد الله ابن موهب وقال له : ما كنت أراك تخطُب إلى آل الزبير حتى تُشاورنى ، وكيف خطبتَ إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ، وكذا قال جدُّك معاوية ، وهم الذين نازعوا أباك على الخلافة ، ورموه بكُل قبيحة ، وشهدوا عليه وعلى جَدّك بالضلالة . فنظر إليه خالد طويلاً ثم قال : لولا أنك رسولٌ والرسول لا يُعاقب لقطّعتُك إرْباً إربا . ثم طرحتُك على باب صاحبك ؛ قل له : ما كنت أرى أن الأُمور بلغت بك إلى أن أُشاورك فى خطبة النساء. وأما قولك : نازعوا أباك ، وشهدوا عليه بكل قبيحة ؛ فإنها قُريش يقارع بعضها بعضا ، فإذا أقر الله عز وجل الحق قراره كان تعاطُفهم وتراحمهم[2] على قدر أحلامهم وفضلهم . وأما قولك : إنهم ليسوا بأكفاء ، فقاتلك الله يا حجاج ! ما أقل علمك بأنساب قريش ، أيكون العوام كفؤاً لعبد المُطلب بن هاشم فيزوّجه صفية ، ويتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خُويلد ، ولا تراهم أكفاء[3] لأبى سُفيان ؟ فرجع الحاجب فأعلمه . فقال خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فيها :

(١) النواضح : الإبل يستقى عليها الماء : الواحدة : ناضحة .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « تقاتلهم » . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « أهلا » .

أليس يَزيد السَّيرُ فى كل ليلة ... وفى كل يوم من أحبّتنا قُربا
أحِنُّ إلى بنت الزُّبير وقد علتْ ... بنا العِيسُ خَرْقاً من تِهامة أو نَقبا
إذا نَزَلت أرضاً تحبّبَ أهلها ... إلينا وإن كانت مَنازلها جَدْبا
وإن نزلت ماء وإن كان قبلها ... مُلَيْحاً وجدنا ماءه بارداً عَذْبا
تَجُول خلاخيل النّساء ولا أرى ... لَرملة خَلخالاً يجُول[1] ولا قُلْبا
أُحِبُّ بنى العوّام طُرّا لحُبها ... ومن حُبها أحببت أخوالها كَلْبا

وزيد فى أبياته ونُسب إليه ولم يَقُله :

فإن تُسلمى نُسلم وان تَتنصّرى ... يشُد رجالٌ بين أعينهم صُلْبَا

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار خالد بن يزيد ، هو الخامس والسادس والسابع .

هو وعبد الملك فى شعر نسب إليه

فقال له عبد الملك بن مروان يوماً : تنصّرت يا خالد . قال : وما ذاك ؟ فأنشده هذا البيت .فقال له خالد : على من قاله وعلى من نَحلنيه لعنةُ الله .

تعقيب لابن واصل

قلت : كان مقصود عبد الملك الغضّ من خالد بكُل طريق ، لأنه كان يعلم أنّ أهل الشام إليه أميل ، بسبب مَيلهم إلى أبيه يزيد وجده مُعاوية ، وأنهم صنائعهما ، وآل حَرب فى قُريش أشرف من آل أبى العاص .

شىء عن رملة

وكانت رملة هذه أُخت مصعب بن الزبير لأُمه ، أُمهما الرّباب بنت أُنيف ابن عُبيد بن مَصاد بن كعب بن عُليم بن جناب بن هُبل[2] ، من كلب .

وكانت رَملة قبل خالد عند عُثمان بن عبد الله بن حَكيم بن حزام بن خويلد ابن أسد بن عبد العزى ، فولدت له رَملةُ عبدَ الله بن عثمان ، وهو أحد أزواج سُكينة بنت الحُسين بن على .

---

(١) القلب ، بالضم : من الأسورة ما كان قلدا واحدا .

(٢) فى غير التجريد : « عليم بن عتاب بن ذهل » . وانظر : جمهرة أنساب العرب (٤٢٦) .

رملة وسكينة

وذُكر أن سُكينة نشزت على عَبد الله هذا ، فدخلت رملة — وهى عند خالد بن يزيد — على عبد الملك بن مروان ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، لو أن لنا من يدبِّر أمرنا ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا ، سُكينة بنت الحسين قد نَشزت على أبنى . قال : يا رملة ، إنها سُكينة . قالت : وإن كانت سكينة ، فوالله لقد ولدنا خيرَهم ، وأنكحنا خيرهم — تعنى بمن ولدوا : فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومن نكحوا : صفيّة بنت عبد المطلب ؛ ومن أنكحوا : رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقال : يا رملة ، غرّنى منك عروة بن الزبير. قالت : ما غرك ، ولكن نصح لك ، لأنك قتلت أخى مُصعبا فلم يأمنِّى عليك .

أخبار
عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق

رضى الله عنهما

نسبه

وأسم أبى بكر ــ رضى الله عنه ــ عبد الله . وكان أسمه فى الجاهلية عَتيقاً، فسمّاه رسولُ الله ــ صلّى الله عليه وسلم ــ عبد الله بن أبى قُحافة . وأسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرة بن كعب بن لُؤى بن غالب . يلتقى هو ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى مُرة بن كعب ، وهو السابع من آباء رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، والسابع من آباء أبى بكر الصدِّيق رضى الله عنه .

وكان أسم عبد الرحمن: عبد العزّى ، فسمّاه رسولُ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عبد الرحمن .

أمه

وأمه وأم المؤمنين عائشة ــ رضى الله عنها ــ أم رُومان بنت عامر بن عُوَيمر أبن عبد شمس بن عتّاب بن أُذينة بن سبيع بن دَهمان بن الحارث بن غُنْم أبن مالك بن كِنانة بن خُزيمة .

إسلامه

ولعبد الرحمن صُحبة بالنبىّ صلّى الله عليه وسلم . ولم يهاجر مع أبيه لصغر سنه ، فبقى بمكة ، ثم خرج قبل الفتح فى فتية من قُريش .

وقيل : كان إسلامه و إسلام مُعاوية بن أبى سفيان فى وقت واحد .

واحد من أربعة امتنعوا عن بيعة يزيد

ولما بايع مُعاوية بن أبى سفيان لأبنه يزيدَ بن مُعاوية بولاية العَهد كان عبدُ الرحمن أحدَ الأربعة الذين أمتنعوا من البَيعة له ، وهم : الحسين بن علىّ ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبى بكر . قال

عبد الرحمن : تريدون أن تجعلوها كِسْرويّة أو هِرقليّة ، كلما مات كسرى أو هِرقل مُلِّكَ كسرى أو هرقل . فقال مروان بن الحكم ـ وكان والياً على المدينة من قبل معاوية ـ : أيها الناس ، هذا الذى قال لوالديه :(أُفٍّ لكما أتَعِدانني أن أخرج وقد خَلت القُرون من قبلى) .

موقف عائشة

فصاحت به عائشة رضى الله عنها : ألعبد الرحمن تقول هذا ! كذبت والله ، ماهو به ! ولو شئتَ أن أسمى الذى نزلتْ فيه لسميتُه ، ولكنى أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَعن أباكَ وأنت فى صُلبه ، فأنت فَضَضٌ[1] من لعنة الله .

وفى رواية أن عائشة رضى الله عنها قالت : يا مروان ، أفينا تتأول القرآن ، و إلينا تَسوق اللعن ! والله لأقومن يوم الجمعة بك مُقاما تودّ أنى لم أقمه . فأرسل إليها بعد ذلك وترضّاها واُستعفاها ، وحلف أنه لا يصلِّى بالناس أو تُؤَمّنه .

هو وابنة الجودى وشعره فيها

وذُكر أن عبد الرحمن قَدم إلى الشام فى تجارة ، فرأى ابنةَ ملك من مُلوك الشام من غسّان على طِنفسة وحولها ولائد ، وكان يقال لأبيها : الجودى ، وهو الُجودى بن عدى بن عمرو بن أبى عمرو .

وذكر أنه كان مَلك دمشق فأعجبته واُستهام بها ، وذلك قبل أن يفتح الله الشام على المُسلمين ، فقال فيها :

تذكّرت لَيلى والسماوةُ بيننا ... فما لأبنه الُجوديّ لَيلَى وما لِيَا
وأنّى تَعاطى قلبُه حارثيَّةً ... تحُلّ ببُصْرى أو تحُلّ[2] الجوابيا
وكيف تُلاقيها بلَى ولعلّها ... إنِ الناس حجُّوا قابلاً أن تَلاقيا

(١) أى خرجت من صلبه متفرقاً . تعنى ما انفض من نطفة الرجل وتردد فى صلبه . وقيل : إنها أرادت : أنك قطعة منها وطائفة .

(٢) الجوابى : جمع جابية ، وهى الحوض . والذى فى الأغانى : «الحوانيا» والحوانى : جمع حانية ، وهى الحانة .

هو وأبوه عمر في شأنها

وذُكر أن عمر رضى الله عنه قال لعبد الرحمن : مالك ولها يا عبد الرحمن ؟ فقال : والله ما رأيتها قط إلا ليلة فى بيت المَقدس فى جَوارٍ ونساء يتهادَيْن ، فإذا عثرت إحداهن قالت : يا ٱبنة الُجودى .

شعره فيها الذى فيه للغناء

وقال فيها عبد الرحمن الشعرَ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارها ، وهو :

يا ٱبنة الُجودى قلبي كئيبُ　　مُستهام عندها ما يُنيبُ

جاورتْ أخوالَها حيَّ عُكل　　فلُعكل فى فؤادى نَصيب

ما كتب به عمر إلى صاحب الثغر فى شأنها

وٱختلف فيما آل إليه أمرُ عبد الرحمن فى ذلك ، فقيل : إن عمر رضى الله عنه كتب إلى صاحب الثغر الذى به : إذا فتح الله عليكم دمشق فقد غَنَّمتُ عبد الرحمن ابن أبي بكر ٱبنةَ الُجودى . فلما فتح الله عليهم غَنّموه إياها .

سليم أبى بكر لها إياه

وقيل: إن المسلمين لما فتح الله عليهم ، وقَتلوا أباها، أصابوها ، فقالوا لأبى بكر الصديق رضى الله عنه : يا خليفة رسول الله ، أعط هذه الجارية عبدَ الرحمن فقد سلّمناها له . فقال أبو بكر رضى الله عنه : أ كُلكم على ذلك ؟ قالوا : نعم . فأعطاه إياها .

شيء عنها

قيل : وكان لها بساط فى بلدها لا تَذهب إلى الكَنيف ولا إلى حاجة إلا بُسط لها ورُمى بين يديها بُرمّانيتين من ذهب تتلهّى بهما فى طريقها .

هى وعبد الرحمن فى بكائها

وكان عبد الرحمن إذا خرج من عندها ثم رجع إليها رأى فى عينيها أثر البكاء ، فيقول : ما يُبكيك ؟ ٱختارى خصالا أيها شئتِ فعلتُ : إما أن أعتقك وأنكحك ؟ فتقول : لا أشتهيه . وإن شئت رددتك على قومك ؟ فتقول: ولا أريد . فيقول : وان أحببت رددتك على المسلمين ؟ فتقول : ولا أريد . فيقول أخبريني ما يبكيك ؟ فتقول : أبكى الُملك فى يوم البؤس .

عذل عائشة فى أمرها

وقالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : كنت أكلّمه فيها وفيما يَصنع بها ، فيقول : يا أُخيّة ، دعينى ، فوالله لكأنى أترشّف من ثَناياها حَبَّ الرُّمان . ثم ملَّها وهانت عليه . فكُنت أُكلِّمه فيها ليثنى إليها ، كما كنت أكلمه فى الإحسان إليها .

تجهيزها إلى أهلها

وذكر أن عائشة رضى الله عنها قالت له : لقد أحببتَ ليلى فأفرطتَ ، وأبغضتها فأفرطت ، فأما أن تُنصفها وإما أن تُجهزها إلى أهلها . فجهزها إلى أهلها .

وفاته وتمثل عائشة بشعر على قبره

وذُكر أن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه تُوفى بالحُبْشِيّ — جبل فى مكة على أميال — فقدمت عائشة رضى الله عنها فوَقفت على قبره ، ثم قالت :

وكُنا كندمانَى جَذيمة حِقبةً ... من الدّهر حتى قيل لن يتصدّعا

فلما تَفرقنا كأنّى ومالكاً ... لطُول اجتماع لم نَبِتْ ليلةً معا

أخبار حاتم الطائي

نسبه

هو حاتم بن عبد الله بن الحَشرج بن أُمرىء القيس بن عدىّ بن أخزم بن أبى أخزم – وأسمه هزومة – بن ربيعة بن جَرول بن ثُعل بن عَمرو بن الغَوث ابن طيىء، وهو جَلهمة. وقد تقدمت بقية النسب.

كنيته

ويكنى: أبا سُفانة، وأبا عدىّ، بأبنته وأبنه.

ولداه

وقد أدرك عدىٌّ وسُفانة الإسلام فأسلما.

حديث على بن أبى طالب

وذُكر أن علىّ بن أبى طالب – رضى الله عنه – قال: ياسبحان الله! ما أزهد كثيراً من الناس فى الخير! عجبت لرجل يجيئه أخوه فى حاجة لا يرى نفسه للخير أهلا، فلو كُنا لا نرجو جنة ولا نَخشى ناراً، ولا ننتظر ثواباً ولا نخشى عقاباً، لكان ينبغى أن نَطلب مكارم الأخلاق، فإنها تدل على سبيل النّجاة. فقام رجل فقال: فداك أبى وأمى يا أمير المؤمنين، أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، وما هو خير منه: لما أُتينا سبايا طيىء كان فى النساء جارية جمّاء حوراء[1]، لَعساء لَمياء[2]، شمّاء الأنف، مُعتدلة القامة، دَرماء[3] الكَعْبين، خدلّجة[4] الساقين، لفّاء[5] الفَخذين، خَميصة الخَصر، ظاهرة الكَشْحين، مصقولة المَتنين، فلما رأيتها أُعجبت بها، فقلت: لأطلبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) جماء: كثيرة اللحم. والرواية فى غير التجريد: «حماء». والحماء: السوداء.

(٢) لعساء: يعلو شفتها سواد وهى بيضاء. ولمياء: أى لطيفة الشفتين رقيقتهما.

(٣) درماء الكعبين: مستويتهما.

(٤) خدلجة الساقين: ممتلئتهما.

(٥) لفاء الفخذين: ملتفتهما.

أن يجعلها من فَيْئى. فلما تكلمت أنسيتُ جَمالها لما سمعتُ من فصاحتها ، فقالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الرافد ، فإن رأيت أن تخلى عنى ولا تُشمت بى أحياء العرب ، فإنى بنت سيد قومى : كان أبى يفك العانى ، ويحمى الذِّمار ، ويَقرى الضيف ، ويُشبع الجائع ، ويُفرج عن المكروب ، ويُطعم الطعام ، ويُفشى السلام ، ولم يرُدّ طالب حاجة قطُّ، أنا ابنة حاتم طيء . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا جارية ، هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلاميًّا لترحَّمنا عليه ، خلُّوا عنها ، فإن أباها كان يُحب مكارم الأخلاق ، والله يُحب مكارم الأخلاق .

أم حاتم

وأُم حاتم غنيّة بنت عَفيف بن عمرو بن امرئ القيس بن عدىّ . وكانت فى الجود ومكارم الأخلاق بمنزلة حاتم ، لا تدخر شيئًا ولا يسألها أَحد شيئًا فتمنعه .

من كرمها

وذُكر أن إخوتها حَجروا عليها مُدة ومنعوها مالها . ثم أعطوها صِرْمة من الإبل ، فجاءت إليها امرأة من هوازن تسألها، فقالت : دونك الصِّرمة فخُذيها ، فوالله لقد عَضّنى من الجوع مالا أمنع معه سائلا أبدا . وقالت :

لَعَمرى لقِدْماً عَضَّنى الجوعُ عضةً ... فآليت ألّا أمنع الدّهر جائعا
فقولا لهذا اللائمى اليوم أَعْفِنى ... فإنْ أنت لم تَفعل فعَضّ الأصابعا
فماذا عليكم (١) أن تقولوا لأختكم ... سوى عَذْلكم أو عذل مَن كان مانعا
وما إن ترون اليوم إلا (٢) طبائعا ... فكيف بتركى يا ابن أُم الطّبائعا

وكانت سُفانة بنت حاتم من أجود نساء العرب ، فكان أبوها يُعطيها الصِّرمة (٣) من إبله فتنْهبها وتُعطيها الناس . فقال لها حاتم : يا بُنية ، إما أن

(١) فى غير التجريد : « ماذا عساكم » .
(٢) فى غير التجريد : « وماذا . . . طبيعة » .
(٣) الصرمة : القطيع من الإبل والغنم . ما بين العشرين إلى الثلاثين . وقيل إلى الستين .

أُعطى وتمسكى ، أو أَمسك وتُعطى ، فإنه لا يَبقى على هـــذا شىء .

وأما جود حاتم فأشهر من أن نُغرق فى وصفه . وقد ضَربت العربُ المثل بجُوده .

نشأة حاتم فى حجر جده

وذكر أنَّ أبا حاتم هلك وهو صـغير ، فنشأ حاتم فى حِجر جدِّه سـعد ابن الحشرج ، ولما ترعرع جعل يُخرج طعامه ، فإن وجد من يأكله معه أكل ، وإن لم يجد طَرحه . فلما رأى ذلك جدُّه وخاف أن يهلك مالَه . قال له : الحق بالإبل ، ووهب له جارية وفرساً وفِلْوها[(١)] . فلما أتى الإبلَ طفق يبغى الناسَ فلا يجدهم . ويأتى الطريق فلا يجد عليها أحداً ؛ فبينا هو كذلك إذ مرَّ به عَبيد ابن الأبرص ، وبشر بن أبى خازم ، والنابغـــة الذُّبيانى ، يريدون النُّعمان ابن المُنذر ، فسألوه القِرى ، فنحر لهم ثلاثة من الإبل ، فقالوا فيه أشعاراً مدحوه بها . فقال لهم حاتم : أَردتُ أن أُحسن إليكم فصار لـكم الفضل علىّ ، وأَنا أُعاهد الله لئن لم تقوموا إليها فتقتسموها لأضرب عَراقيبها عن آخرها . فاقتسموا الإبل جميعها ، فأصاب كل واحد منهم تسعةً وتسعين[(٢)] بعيرا ، ومضَوْا على سفرهم إلى النُّعمان . ثم إن سعد بن الحشرج سَمع ما فعـل حاتم ، فأتاه فقال : أين الإبل ؟ فقال : طوّقتُك بهـا طَوْق الحمامة مجدَ الدهر ، وكرماً لا يزال الرجلُ يحمـل شعراً[(٣)] أثنى به علينا . فقال له جدُّه : أبإبلى فعلتَ ذلك ؟ قال : نعم . فقال : والله لا أُساكنك أبداً . فخرج جدُّه بأهله ، وترك حاتماً ومعه جاريتُه وفرسه . فقال حاتم يذكر ذلك :

وإنّى لعَفُّ الفقر مُشـــترَك الغِنى وتارك شـكلٍ لا يُوافقــه شَـكْلِي
وَشَـكْلِىَ شَـكْلٌ لا يقُوم بمثـــله من الناس إلّا كُل ذى نِيقة[(٤)] مثلى

(١) الفلو ، بالكسر : المهر إذا عظم .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وثلاثين » .
(٣) فى غير التجريد : « بيت شعر » .
(٤) نيقة ، أى شرف عال .

وأجعل مالى دون عِرْضىَ جُنَّة … لنفسى وأستغنى بما كان من فَضْلى
وما ضرّنى أن سار سعدٌ بأهله … وأفردنى فى الدّار ليس مَعى أهلى
سيكفى ابتناه المجد سعدَ بن حَشْرج … وأحمل عنكم كُل ما ضاع من ثِقْل
ولى مع بَذْل المال والمَجْد صَوْلةٌ … إذا الحرب أبدت عن نَواجذها العُصْل (١)

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح أبو الفرج أخبار حاتم الطائى ، هو قوله يُخاطب زوجته ماوية بنت عَفْزر ، قبل تزوجه بها ، وكانت بنت مَلك ، وهى أُم ولده عدىّ بن حاتم :

أماوىّ إن المال غادٍ ورائح … ويَبقى من المال الأحاديثُ والذِّكرُ
وقد عَلِم الأقوامُ لو أنّ حاتما … أراد ثَراء المال كان له وَفْر
أماوىّ إن يُصبح صداى بقَفرةٍ … من الأرض لا ماء لدىّ ولا خَمر
ترىْ أنّ ما أنفقتُ لم يك ضَرنى … وأن يدى مما بخلتُ به صِفْر

وأول هذه القصيدة :

أماوىَ قد طال التجنُّب والهَجر … وقد عَذَرَتنى فى طلابكم العُذر
أماوىّ إمّا مانع فمُبيِّن … وإما عطاء لا يُنَهْنِهه الزّجر
أماوىّ ما يُغْنى الثّراء عن الفتى … إذا حَشْرجت يوماً وضاق بها الصّدْر
وإنِّىَ لا آلو بمالى صَنيعةً … فأوّله زادٌ وآخره ذُخْر
يُفَكُّ به العانِى ويُؤْكل طَيِّبا … وما إن تعرّته القِداح (٢) ولا (٣) الْخَمر
ولا أظلم أبنَ العمّ إن كان إخوتى … شُهوداً وقد أودى بإخوته الدّهر
فما زادنا بَغياً على ذى قَرابة … غِنانا ولا أزْرى بأحسابنا الفقْر

(١) العصل : جمع أعصل ، وهو الناب الشديد الاعوجاج .
(٢) القداح : قداح الميسر .
(٣) فى التجريد : « ولا القمر » مكانه « ولا الخمر » .

وما ضَرَّ جاراً يا أُبنــة القوم فاعلمى يُجاورنى ألّا يكون له سِــــتْرُ
بعَينىّ عن جاراتِ قومىَ غفــلةٌ وفى السَّمع منِّى عن حديثهمُ وَقْرُ

حديث تطليق زوجه له

وذُكر أنّ النِّساء كُنّ يُطلِّقن رجالَهن فى الجاهلية كما يُطلِّقهن الرجال ، وكان طلاق النساء لأزواجهن أنهن كُن فى بيوت من شَعر ، فإذا أردنا تَطْليق أزواجهن حوّلن أبواب أخبيتهن من المَشرق إلى المَغرب ، أو من قِبل اليمن إلى قبل الشام . وكان أبنُ عمٍ لحاتم – يقال له : مالك – حرّض ماوية هـذه امرأة حاتم على تَطليقه وحَذّرها أن يترك أولاده عيالاً على قومه ، ورغّبها فى أن ينكحها . وكانت من أحسن النساء . فأتاها حاتم ، وقد حوّلت الخباء ، فأخذ حاتم ولده عَديًّا وهبط به بَطن وادٍ . وجاء قوم فنزلوا على باب الخبـاء كما كانوا ينزلون ، فتوافَوْا خمسين رجلا ، فضاقت ماوية بهم ذَرْعا وقالت لجاريتها : أذهبى إلى مالك فقولى له : إن أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا فأرسل إلينا بناب نَقريهم ، ولبن نَسقيهم . وقالت لجاريتها انظرى إلى جبينه وفمه، فإن شافهك بالمعروف فاقبلى منه ، و إن ضرب بلحيته على زوره وأدخل يده فى رأسه فأقبلى ودعيه. فأتت الجارية مالكا فوجدته متوسداً وطباً من لبن ، وتحت بطنه آخر فأيقظته ، فأدخل يده فى رأسه وضرب بلحيته على زوره . فأبلغته الرسالة وقالت : إنمـا هى الليلة حتى يعرفوا مكانه . فقال : قولى لهـا : هذا الذى أمرتك أن تطلقى حاتماً فيه . وما عندى من كبيرة قد تركت العمل وما كنت لأنحر صفية غزيرة بشحم كلأها ، وما عندى لبن يكفى أضياف حاتم . فرجعت فأخبرتها بما رأت فيه وما قال . فقالتَ : ائت حاتماً وقولى : إن أضيافك قـد نزلوا بنا الليلة ، ولم يعلموا مكانك ، فأرسل إلينا بناب نقريهم ولبن نسقيهم . فإنما هى الليلة حتى يعرفوا مكانك . فأتت الجاريةُ حاتماً فصرخت به . فقال حاتم : لبّيك ، قريباً دعوت . فأبلغته الرسالة . فقـال : نعم ، وأثنتين وثلاثاً . ثم قام إلى الإبل فأطلق أثنتين من عقالها ، ثم صاح بهما

حتى أتى الخِباء . ثم ضَرب عَراقيبهما . فطَفِقت ماويةُ تقول : هذا الذى طلّقتك فيه ، تترك ولدك وليس معهم شيء . فقال حاتم أبياتاً ، منها :

هل الدّهر إلا اليوم أو أمس أو غدُ ... كذاك الزّمان بيننـــا يتردّدُ
تُرد علينـــا ليلة بعـــد يومها ... فلا مالُنـــا يبقَى ولا الدّهر يَنفَـد
بنو ثعـــل قومى فلا أنا مُـدَّعٍ ... ســـواهم إلى قومٍ ولا أنا مُسْنَد

يقول فيها :

فأقسمتُ لاأسرى إلى سرِّ جارة ... يدَ الدّهر ما دام الحمام يُغرِّد
ولا أشـــترى مالاً بغَدْر علمتهُ ... ألا كل مال خالط الغَدر أنكد
إذا كان بعضُ المـال ربًّا لأهله ... فإنى بحَمـد الله مالى مُعَبَّـد
يُفك به العـانى ويؤكل طيِّبا ... ويُعطى إذا ضَنَّ[(١)] البخيل المُصرَّد

هو وأسير فى عنزة

وذُكر أن حاتماً خرج فى الشهر الحرام يطلب حاجـة له ، فلما كان بأرض عَنزة ناداه أسيرٌ لهم : يا أبا سُفانة ، أكلنى الإسار والقَمل . قال: ويلك والله ! ما أنا فى بلاد قَومى وما مَعى شيء ، وقد أسأتَ بى إذ نوّهت باسمى ، ومالك مترك . فساوم العنزيّين فاشتراه منهم . وقال : خلّوا عنـه وأنا أُقيم مكانه فى قيده حتى أُؤدى فِداءه . ففعلوا . فأتى بفدائه .

ماوية تحدث ابن شيها عن جوده

وحُـكى أنّ ابن أخى ماوية ـ امرأة حاتم ـ قال لماوية : ياعمة ، حدِّثينى ببعض عجائب حاتم . قالت : كل أمره عجب ، فعَن أيّة تسأل ؟ فقال : حدِّثينى ما شئت . قالت : أصابت الناسَ سنةٌ فأصابت الخُفّ والظّلف ، فإنى وإياه قد أسهرنا الجوع ، فأخذ عَدِيًّا ، وأخذتُ سفانة ، وجعلنا نُعلِّلهما حتى ناما . ثم أقبـل يحدِّثنى يُعلِّلنى بالحديث حتى أنام ، فرققتُ له من الجهـد . فأمسكتُ عن كلامه لينام . فقال : أنمتِ ؟ مراراً ، فلم أجبه . فسكت ونظر فى فَتق الخِباء ، فإذا شيء أقبل ، فرفع

(١) فى غير التجريد : « هن » .

رأسه فإذا امرأة ، فقال : ما هذا ؟ قالت : يا أبا سفانة ؛ أتيتُك من عند صِبيان يتعاوَوْن كالذِّئاب جوعاً . فقال : أحضرى صِبيانك ، فوالله لأُشبعنَّهم . فقُمت سريعاً ، فقلت : بماذا يا حاتم ؟ فوالله ما نام صِبيانك من الُجوع إلا بالتّعليل . قال : فوالله لأشبعن صبيانك مع صبيانها . فلما جاءت قام إلى فرسه فذَبحه ، ثم قَدح ناراً فأجّجها ، ثم دفع إليها شُفرة . ثم قال : اشوى وكُلى ، ثم قال : أيقظى صبيانَك ، فأيقظتهما . فقال : والله إن هذا اللؤم ، تأكلون وأهل الصّرم [1] حالُهم مثل حالكم ! فجعل يأتى الصّرم بيتاً بيتاً فيقول : اذهبوا عليكم بالنار . قالت : فاجتمعوا حول تلك الفَرس ، وتلفّع بكسائه وجلس ناحيةً . فما أصبحوا ، ومن الفرس على الأرض لا قليل ولا كثير ، إلا عظم وحافر ، وإنه لأشد جوعاً منهم وما ذاقه .

---

(١) الصرم : قطع النخل . يريد الزراع المتصلين بالنخل .

أخبار ذي الرمة

نسبه — وهو غَيلان بن عُقبة بن مَسعود بن حارثة بن عمرو بن مَلْكان بن عـديّ بن عبد مَناة بن أُدّ بن طابخة بن اليأس بن مُضَر بن نزار .

وقيل : غَيلان بن عُقبة بن نُهيس بن مَسعود بن حارثة بن عمرو بن رَبيعة ابن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثَعلبة بن ربيعة بن مَلْكان .

كنيته ولقبه — ويكنَى أبا الحارث . وذو الرُّمة لقب لقّبته به مَيّة ، وكان أجتاز بخبائها وهى جالسة إلى جانب أمها ، فاستسقاها ماء ، فقالت لها أمها : قُومى فاسقيه . فقامت فأتته بماء ، وكان على كتفه رُمّة ـ وهى قطعة من حبل ـ فقالت : أشرب ياذا الرُّمة . فلُقّب بذلك .

وقيل : بل كان يُصيبه فى صِغره فزَع ، فكَتبت له أُمه تميمة ، فتعلّقها بحبل ، فلُقب بذلك : ذا الرُّمة .

وقيل : لُقِّب بذلك لقوله :

* أشعث باقى رُمّة التّقليـــد(1) *

أمه — وأُم ذى الرُّمة امرأة من أسد .

شىء عن مسعود أخيه — وكان له إخوة من أبيه وأُمه شُعراء ، منهم : مَسعود ، وهو الذى يقول يرثى أخاه ذا الرُّمة ، ويذكر لَيلى بنته :

إلى الله أشكو لا إلى الناس إنّنى ... وليلَى كِلانا مُوجَعٌ مات واحدُهْ

---

(1) رواية البيت فى اللسان « رم » :

* وغير مشجوج القفا موتود ... فيه بقايا رمة التقليد *

يعنى ما بقى فى رأس الوتد من رمة الطنب المعقود فيه .

ولمسعود يقول ذو الرُّمة :

ألا قل لَمسعود بجَرْعاء [١] مالك ... وقد هَمّ دَمعى أن تَسحّ أوائلُهْ
الأهل ترى الأظعان جاوزْن [٢] مُشْرفا ... من الرّمل أو سالت بهنّ سوائلُه

لمسعود فى رثاء ذى الرمة وأوفى

ومَسعود هو القائل يَرْثى أخاه ذا الرُّمة ، وأوفَى بن دَلْهم ، أبن عمه :

نَعى الركبُ أوفَى حين آبت ركابُهم ... لَعمرى لقد جاءوا بشرٍّ فأوجعُوا
نعَوْا باسق الأَخلاق لا يُخْلفونه ... تكاد الجبالُ الصُّمّ منه تَصدّع
خَوى المسجدُ المَعمور بعد أبن دَلْهم ... وأضحى بأَوفى قومُه قد تَضَعْضعوا
تعزَّيتُ عن أوفى بغَيلان بعده ... عزاءً وجفنُ العَين ملآنُ مُترع
ولم تُنسنى أوفى المُصيبات بعده ... ولكنّ نَكْءَ القَرْح بالقَرْح أوجع

خوان له

وكان اسم أَخويه الآخرين : خرفاش [٣] ، وهشام . وكان الواحد منهم يقول الأبيات فتنسب إلى ذى الرمة لشُهرته .

من صفة ذى الرمة

وقيل : كان ذو الرُّمة مُدوَّر الوجه ، حسنَ الشَّعرة جَعدها ، أقنى أنزعَ [٤] خفيفَ العارضَين ، أكحل، حسن الضَّحك ، مُفوَّهاً بليغاً ، يَضع لسانه حيث شاء .
وكان جرير والفرزدق يحسُدانه لجودة شعره مع حداثته وصغر سنّه .

للأصمعى فيه

وقال الأصمعى : ما أعلم أحداً من العُشّاق شكا حُبًّا أحسن من شكوى ذى الرمة ، مع عِفّه وعقل رصين .

لأبى عبيدة فيه

وقال أبو عبيدة : ذو الرُّمة يُخبر فيُحسن الخبر ، ثم يَرد على نفسه الحُجة

---

(١) الجرعاء : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « جاورن » بالراء المهملة .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « حرفاش » ، وفى بعض آخر : « جرفاس » .
(٤) الأقنى : الطويل الأنف مع دقة أرنبته وحدب فى وسطه . والأنزع : الذى أقبلت ناصية جبهته وارتفع أعلى شعر صدغها .

من صاحبه فيُحسن الرد ، ثم يعتذر فيُحسن التخلُّص ، مع حُسن إنصاف وعَفافٍ فى الحُكم .

هو وإعرابى بالمربد

وقال بعضُهم : رأيتُ ذا الرُّمة بسُوق المِرْبد[١] ، وقد عارضه رجل يهزأ به ، فقال له : يا أعرابى ، أتشهد ما لم تَرَ ؟ قال : نعم . قال : بماذا ؟ قال : أشهد أن أباك ناك أمك .

هو وكنزة

وذُكر أن ذا الرمة كان يَهوى مَيّة المنقرية ، وجدُّها قيس بن عاصم الذى تقدّم ذكره . وكانت كنزة[٢] مولّدة لآل قيس بن عاصم ، فقالت ، ونَحلت ذلك ذا الرُّمـة :

على وجه مَىّ مَسْحة من ملاحة ... وتحت الثياب الخزْى لو كان باديَا

ألم تَرَ أنّ الماء يَخْبُث طعمه ... وإن[٣] كان لونُ الماء أبيضَ صافيا

فغَضب من ذلك ذو الرُّمة وحَلف بكُل الأيمان أنه ما قالها ، ثم أُطلع بعد ذلك على قائلتها .

هو ومى

وذكر أن ذا الرُّمة وقف فى ركب معه على مية ، فسلّموا عليها ، فقالت : وعليكم السلام ، إلا ذا الرُّمـة . فأحفظه ما سَمع منها بحَضْرة القوم ، وانصرف وهو يقول :

أيا مَىّ قد أشمتّ بى ويحك العدا ... وقطَّعت حَبـلاً كان منِّى باقيَا

فيا مَىّ لا مَرْجوعَ للوَصل بيننا ... ولكنّ هجراً بيننا وتقاليا

وقد ذُكر أن البيتين الأولين لذى الرُّمة ، ومعهما هذان البيتان . وقد ذُكر أنه أنشدها :

على وجه مىّ مَسحة من ملاحة ... وتحت الثياب الخزى لو كان باديا

(١) سوق المربد : بالبصرة . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « كثيرة » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لو » .

فكشفت ثوبَها عن بدنها وقالت : أشيئاً ترى لا أُم لك ! فقال :

أَلم تر أنّ المـــاء يخبث طعمـــه وإن كان لون المـــاء أبيض صافيا

فقالت : أما ماتحت الثياب فقد رأيْته وعلمت أن لاشين فيه ، ولم يبق إلا أن أقول لك : هلم حتى تذوق ما وراءه ، والله لا ذُقت ذلك أبدا . فقال :

فياضيعة الشّعر الذى لجّ فانقضى بمىّ ولم أملك ضـــلالاً فؤاديا

هو وقد خانه زوج مى

ثم صلح الأمر بينهما ، فعاد إلى ما كان عليه من حُبها .

وذُكر أن ذا الرمة ضاف زوج مىّ فى ليلة ظلمـاء ، وهو طامع فى ألّا يعرفه زوجُها فيُدخله ويَقريه فيراها فيكلمها . ففطن له الزوج وعَرفه ولم يُدخله ، وأخرج إليه قِراه وتركه بالعَراء وراحلته . وقد عرفتْه مَىّ ، فلما كان فى جوف الليل تغنّى غناء الرُّكبان :

أراجعـــة يا مَىّ أيامُنا الأُلى بذى الأَثل أم لا ما لهنّ رُجوعُ

فغضب زوجُها ، فقال : قُومى فصِيحى به : يابن الزانية ، وأىّ أيام كانت لنا معك بذى الأثل ! فقالت : سبحان الله ! ضيف ، وللشاعر أن يقول . فانتضى سيفَه وقال : والله لأضربنّك به حتى آتى عليك أو لتقولن . فصاحت به كما أمرها زوجُها ، فنَهض إلى راحلته موليّاً وانصرف عنها مُغضباً يريد أن يَصرف مودته عنها إلى غيرها ، فمر بجوارٍ خارجات من بيت يُرِدن بيتاً آخر ، فيهن جارية من بنى عامر شَهلاء[1] حُلوة ، فوقعت عين ذى الرُّمة عليها ، فقال : يا جارية ، أترقعين لهذا الرجل خُفّه ؟ قالت ، تهزأ به : أنا خرقاء لا أُحسن أن أعمل شيئاً . فسمّاها : خرقاء ذى الرمة . يُريد أن يغيظ ميا . فقال فى خرقاء قصيدتين أو ثلاثا، ثم لم يلبث أن مات .

---

(١) شهلاء : سواد عينها بين الحمرة والسواد .

من خبر خرقاء

وذكر أن خرقاء هـذه كانت تحُل فَلْجاً ، ويمُر بها الحاج فتقعد لهم تُحادثهم وتهاديهم ، وكانت تقعد معها فاطمة أبنتها ، ولم تكن مثلها فى الحسن .

وكانت خرقاء تقول : أنا مَنْسك من مناسك الحج ، لقول ذى الرمة فيها :

تمـام الحج أن تقف المطايا   على خَرقاء واضـعة اللِّثام

وذكر أنه نزل ركب بأبى خرقاء العامرية ، فأمر لهم بلَبن فسقُوا ، وقَصّر عن شباب منهم، فأَعطته خرقاء صبوحها وهى لا تعرفه، فشَرِب به ومضوا وركبوا ، فقال لها أَبوها : أتعرفين الرجل ؟ قالت : لا والله . قال : هو ذو الرمة القائلُ فيك الأقاويل . فوضعت يدها على رأسها . وصاحت: واسوأتاه ! وابؤساه ! ودخلت بيتها . فما رآها أبوها ثلاثا .

وقيل إن خرقاء عُمّرت بعـد ذى الرمة عُمراً طويلاً حتى شَبّب بها العُجيف العُقيلى ، وقال فيها :

وخَرقاء لا تزداد إلا ملاحـة   ولو عُمِّرت تَعميرَ نُوح وجلَّت

وفاته

وذُكر أن ذا الرُّمة لم يزد عُمره على أربعين سـنة ، وتُوفى فى خلافة هشام ابن عبد الملك ، وكان قاصداً باب هشام فتُوفى بحُزوى(١) وهى الرّملة التى يذكُرها فى شعره . وقد ذُكر أن راحلته وَقَصت(٢) به ، فكان ذلك سبب موته ، وأنّ ذلك كان بعـد أنصرافه من عند هشام ، وانه وُجد ميتاً وعليـه خِلع الخليفة ، ووُجد بيتان مكتوبان على قوسه ، وهما :

ألا أبلغ الرُّكبان(٣) عنّى رسالة   أهينُوا المَطـايا هُنّ أهلُ هَوانِ
وقـد تركتنى صَيْدح بمَضـلّة   لسـانىَ مُلتاث من(٤) الطَّلَوان

---

(١) حزوى : موضع بنجد فى ديار تميم .   (٢) وقصت : عدت .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الفتيان » .
(٤) ملتاث : أى مضطرب . والطلوان : بياض يعلو اللسان من مرض أو عطش .

وصيدح : هى ناقته التى يقول فيها :

سمعت النـاس ينتجعون غيثا فقلتُ لصيدحَ انتجعى بلالا

يريد : بلال بن أبى بُردة بن أبى موسى الأشعرى :

وذكر أنه لما أنشده هذا الشعر ، قال : أو لم تنتجعى غير صيدح ! يا غلام ، أعطه حمل قَت لصيدح ، فأخجله .

وذكر آخرون أنه مات بالجُدرى ، وفى ذلك يقول :

ألم يأتِها أنّى تبدلت بعـــدها مُفوَّفة صوّاغها غيرُ أخرق

آخر شعر له

وذُكر أن آخر شعر قاله :

يارب قد أشرفْت نفسى وقد علمت علماً يقيناً لقـــد أحصيتَ آثارى

يامُخرج الرُّوح من جسمى إذا احتضرت وفارج الكرب زَحْزِحنى عن النار

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ذى الرمة ، هو قوله :

وهاجرة من دون ميـــة لم تقِل قَلُوصى بها والجُندب الجَوْن يَرْمَح (١)

بتيهـــاء مِقْفار يكاد ارتكاضُها بآل الضُّحى والهجر بالطَّرف يمصح (٢)

كأن الفرِنْد المحض مَعصوبة به ذُرى قُورها ينقدّ عنها وَينْصح (٣)

إذا ارفضّ أطراف السِّيـاط وهلّت جُروم المَطايا عـدّ منهن صَيدح (٤)

---

(١) الهاجرة : وقت الزوال . ويقال : نام القيلولة ، وهى نومة نصف النهار . والجندب : الجرادة . والجون : الأسود ، والأبيض ، من الأضداد . ويرمح : ينزو من شدة الحر لا يكاد يستقر على الأرض .

(٢) التيهاء : التى يتاه فيها من الأرض . والمقفار : التى لا أحد فيها ولا ساكن بها . وارتكاضها ، أى ارتكاض هذه التيهاء ، وهو نزوها بالآل . والآل : السراب . والهجر : الهاجرة . وقد ارتفع بفعله ، كأنه قال : يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف هو والهجر . ويمصح : يذهب .

(٣) والفرند : الحرير الأبيض . والمحض : الخالص . والقور : الجبال الصغيرة . الواحد : قارة . وينصح : يخاط ، يقال : نصحت الثوب ، إذا خطته . والناصح : الخياط . يقول : كأن هذا السراب حرير أبيض وقد عصبت به ذرى القور ، فتارة يغطيها وتارة ينجاب عنها وينكشف ، فكأنه إذا انكشف عنها ينقد عنها ، وكأنه إذا غطاها ينصح عنها ويخاط .

(٤) ارفض : انفتح : يعنى انفتاح أطواق السياط من طول السفر . والجروم : الأبدان ، واحدها : جرم ، بالكسر . وهلت : صارت كالأهلة فى الرقة . وصيدح : اسم ناقة ذى الرمة . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « عذبتهن » مكان « عد منهن » .

ذكر مقتل الزبير بن العوام
رضي الله عنه

نسبه وشيء عنه

الزُّبير بن العوام بن خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصيّ بن كِلاب ، أحد الصحابة والسادة الأعلام، السابقين الأولين ، من المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين . شهد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المشاهد كلها، وأحد العشرة المقطوع لهم بشهادة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالجنّة . ورجع يوم الجمل عن حرب عليّ رضي الله عنه مُعترفاً بأن ما وقع منه من قتاله كان خطأً . ومات رضي الله عنه مقتولا بوادي السِّباع ، على هذا الرأي . وما قُتل طلحة رضي الله عنه يوم الجمل إلّا بعد أن بايع لعليّ رضي الله عنه بالخلافة على يد أصحابه . صحّ ذلك عنه وثبت ، ورجُوع عائشة رضي الله عنها عن ذلك ، واعترافها بصحة خلافة عليّ رضي الله عنه مدفوع لا يُنكر .

وكان عليّ رضي الله عنه يقول : أرجو أن أكون أنا وطلحة والزُّبير ممن قال الله تعالى فيهم : (ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً على سُرر متقابلين) .

مقتله

فلنذكر الآن ما رواه أبو الفرج في مَقتل الزُّبير رضي الله عنه :

قيل : سار الزُّبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهم يُريدون عليًّا رضي الله عنه ، وسار يُريدهم ، فالتقوْا عند قصر عُبيد الله بن زياد بقُرب البصرة يوم الخميس ، النصف من جُمادى الآخرة سنة ست وثلاثين . فلما تراءى الجمعان خرج الزُّبير رضي الله عنه على فرس، وعليه سلاحه ، فقيل لعلي رضي الله عنه : هذا الزبير ! فقال : أما إنه أحرى الرجلين إن ذُكّر بالله أن يذكره . وخرج عليّ رضي الله عنه

إليهما فدنا منهما حتى أختلفت أعناق دوابهم، فقال لها: لقد أعددتما خيلاً وسلاحاً، إن كنتما أعددتما عند الله عذراً، فاتقيا الله ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، ألم أكن أخاكما فى دينكما تحرّمان دمى وأحرم دماءكما، فهل من حدث أحلّ لكما دمى؟ فقالا: ألّبت الناس على عثمان. فقال: يا طلحة، أتطلبنى بدم عثمان، فلعن الله قتلة عثمان! يا زُبير، أتذكر يوم مررتُ مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بنى غنم فنظر إلىّ وضحك، وضحكتُ إليه، فقلت: لا يدع ابنُ أبى طالب زهوه. فقال: مه، ليس بمزهو، ولتقاتلنه وأنت مزهو ظالم له. فقال: اللهم نعم، ولو ذُكّرت ما سرت مسيرى هذا، والله لا أقاتلك أبدا. وأنصرف علىّ رضى الله عنه إلى أصحابه. فقال: أما الزبير فقد أعطى الله عهداً ألّا يقاتلنى. ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها. ما كنتُ فى موطن مذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمرى غير موطنى هذا. قالت: وما تريد أن تصنع؟ قال: أدَعهم فأذهب. فقال له ابنُه عبد الله: أجمعتَ بين هذين الغارّين حتى إذا أخذ بعضهم لبعض أردت أن تذهب وتتركهم، أخشيتَ رايات ابن أبى طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد، فأحفظه. فقال: إنى حلفت ألّا أقاتله. فقال: كفّر عن يمينك وقاتله. فدعى غُلاماً له يُدعى مكحولاً فأعتقه. فقال عبدُ الرحمن بن سُليمان التّيمى:

لم أرَ كا ليوم أخًا خوّان   أعجبَ من مكفّر الأيمان

* بالعتق فى معصية الرّحمٰن *

وقال بعضُ شعرائهم:

يُعتق مكحولاً لصَون دينه   كفّارةً لله عن يمينه

* والنّكث قد لاح على جبينه *

ونادى مُنادى علىّ رضى الله عنه: ألّا تقاتلوا القوم حتى تستشهدوا منكم

رجلاً . فما لبث أن أُتى برجل يتشحّط[1] فى دمه . فقال علىّ رضى الله عنه : اللهم أشهد . وأمر الناس ، فشدُّوا عليهم . وأمر بالنّداء بألّا يُذففوا[2] على جريح ، ولا يَتْبعوا مدبرا ، ولا يقتلوا أسيرا .

تعقيب لابن واصل

قلت : الذى ثبت أن الزُّبير رضى الله عنه لما ألزمه ابنُه عبدُ الله بالقتال ، حمل على عسكر علىّ رضى الله عنه وهو لا يُريد قَتل أحد ، فقال علىّ رضى الله عنه : أفرجوا له فإنه مُكره . فأفرجوا له . فشَقّ العسكر ثم رَجع ، ثم توجَّه مُنصرفاً إلى المدينة . وانهزم عسكر عائشة رضى الله عنها ، وصار جَملها كالقُنفذ من كثرة النُّشّاب . فجاء إليها أخوها محمد بن أبى بكر ، وهو من أصحاب علىّ رضى الله عنه ، وجاءها علىٌّ فركَز رُمحه عند هَوْدجها ، فقالت له : ملكت فأَسْجح . فجهّزها مع جماعة من النِّساء فى زى الرّجال إلى المدينة .

مقتل طلحة

وأما طلحة رضى الله عنه فرُمى بسهم . فمَرّ به بعضُ أصحاب علىّ رضى الله عنه فقال : أمدُد يدك أُبايعك لعلىّ بن أبى طالب . فمَدّ يدَه إليه ، فبايعه . ثم تُوفى رضى الله عنه .

قاتل الزبير

قال أبو الفرج : لما مضى الزُّبير قيل للأحنف : هذا الزبير قَدم . فقال : ما أَصنع به ، جمع بين غارَّين من المسلمين يقتُل بعضُهم بعضا ، ثم مرّ يُريد أن يلحق بأهله . فقام عمرو بن جُرموز ، وفَضالة بن حابس ، ونُفيع بن كعب ، فلحقوه . فقَتله عمرو بن جُرموز .

تعقيب لابن واصل

قلت : قيل : إنه قَتله وهو نائم . وقيل : صلّى خلفه ، فلما اشتغل الزُّبير رضى الله عنه بالصلاة قَتله غدرا .

على وابن جرموز قاتل الزبير

وحَكى زرّ بن حُبيش قال : كنت قاعداً عند علىّ بن أبى طالب ، فأتاه آتٍ

(١) يتشحط فى دمه : يتخبط فيه .
(٢) يذفف : يجهز .

فقال : هـذا ابن جُرموز قاتِل الزُّبير بن العوام يَستأذن على الباب . فقـال : ليدخلنّ قاتلُ ابنِ صفيّة النار ، إنى سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول : إنّ لـكل نبي حواريًّا ، وإن حواريّ الزبير .

مصعب وعبد الله فى شأن ابن جرموز

وذُكر أن ابن جُرموز أتى مُصعباً ، لما ولى العِراق لأخيه عبد الله بن الزبير ، فوضع يده فى يده ، فقذفه فى السجن وكتب إلى أخيه عبد الله يذكر له أمره . فـكتب إليـه عبدُ الله : بئس ما صنعت ، أظننت أنى أقتل أعرابيًّا من بنى تميم بالزبير ، خَلِّ سبيل الرجل فخلّاه .

رثاء عاتكة للزبير

وذُكر أن عُمْر الزبير لما قُتل سَبع وستون ، أو ست وستون سنة . فقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل ترثيه :

غَدر ابنُ جُرموز بفارسِ بَهْمةٍ ... يوم اللِّقاء وكان غيرَ[1] مُعَرِّدِ

يا عمرو لو نَبَّهتَـه لوجدتَه ... لا طائشاً رَعِشَ البَنان ولا اليَد

شلّت يمينُك إن قتلت لَمُسلما ... حلّت عليـك عُقوبة المُتعمِّد

إن الزُّبير لذو بلاء صـادق ... سَمْح سجيّته كريم المَشْهـد

فاذهب فما ظَفِرتْ يداكَ بمثله ... فيما مَضى ممن يَرُوح و يَغْتدى

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر مقتل الزُّبير رضى الله عنه ، يقوله جرير بن الخطَفى يهجو الفرزدق ، و يعيّره بقتل عشيرته الزبير ، وهو :

إنّى تُذكِّرنى الزبيرَ حمامـةٌ ... تدعو بمَجمع نَخلتين هَـديلا

أفَتَى الندَى و فَتَى الطِّعان قتلتمُ ... وفَتى الرِّياح إذا تَهُب بَليلا

لو كنت حُرًّا يابنَ أُمِّ[2] مُجاشع ... شَيّعتَ ضيفَك فرسخين وميلا[3]

---

(١) البهمة ، هنا : الجيش ، وجماعة الفرسان . ومعرد ، أى منهزم.

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « يابن قين » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فرسخاً أو ميلا » .

قالت قريش ما أذلّ مُجاشعا جاراً وأكرم ذا القتيل قتيلا

شؤم عاتكة

وذُكر أن عاتكة بنت زيد هى من النساء المَعروفات بالشُّؤم ، تزوّجها عبدُ الله بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وعُمر بن الخطاب ، والزُّبير بن العوام ، والُحسين بن على رضى الله عنهم ، وكلهم قُتلوا عنها ، ورثتهم بأشعارها . فأول أزواجها عبدُ الله بن أبى بكر تزوّجها فى حياة أبيه أبى بكر رضى الله عنه ، فغَلبت عليه ، وكانت بارعة الجمال ، فمرّ عليه أبو بكر رضى الله عنه وهو معها فى علّية يناغيها فى يوم جُمعة ، وأبو بكر رضى الله عنه مُتوجه إلى الُجمعة ، ثم رجع وهو يناغيها . فقال : يا عبد الله ، أجمَّعت ؟ فقال : أو قد صلّى الناس ؟ قال : نعم . وكانت قد شغلته عن سُوق وتجارة كان فيها . فقال أبو بكر رضى الله عنه : قد شغلتْك عاتكة عن المَعاش والتجارة ، وقد ألهتك عن فرائض الله تعالى ، طلّقها . فطلَّقها تطليقة ، وتحوّلت إلى ناحية الدار . فبينا أبو بكر رضى الله عنه يصلّى على سطح له إذ سمعه وهو يقول :

أعاتك لا أنساكِ ما ذرّ شارق وما ناح قُمرىُّ الَحمام المُطوّقُ

أعاتك إنى كل يوم وليلة إليك بما تُخفى النفوس مُعلّق

لها خُلق جَزل ورأى ومَنطق وخُلق سَوىٌّ فى حياء ومَصْدق

فلم أر مثلى طلّق اليوم مثلها ولا مثلَها فى غير شىء يُطلَّق

فسمع أبو بكر رضى الله عنه قولَه ، وقد رق له ، فقال : يا عبد الله ، راجع عاتكة . فقال : أُشهدك أنى قد راجعتُها . وأَشرف على غُلام له يقال له : أيمن ، فقال : يا أيمن ، أنت حُرّ لوجه الله ، أشهدك أننى قد راجعت عاتكة . ثم خرج إليها يجرى إلى مُؤخَّر الدار ، وقال :

أعاتكَ قد طُلقت فى غير ريبة ورُوجعت للأمر الذى هو كائنُ

كذلك أمر الله غادٍ ورائح على الناس فيــه أُلفة وتباين

وما زال قلبي للتفرُّق طـائراً فقلبي لما قرّت به العين ساكن (١)

لِيَهنك أنِّي لم أجد فيك سَخطةً وأنك قد تمّت عليك المحاسن

وأنّك ممن زيّن الله وجهــه وليس لوجه زيّن اللهُ شائن

وأعطاها عبد الله حديقة حين راجعها ، على ألّا تتزوّج بعــده . وأصاب عبدَ الله سهمٌ من الطائف ، حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاصرها ، فمات منه . فقالت عاتكة ترثيه :

فلله عَينا من رأى مثلَ (٢) هالك أكرّ وأحمى فى الهياج وأصبَرا

إذا أُشرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرُّمح أحمرا

فأقسمتُ لا تنفكّ عيني سخينةً عليك ولا ينفكّ جِلْدىَ أغـبرا

يدَ الدهر ما غنّت حمامةُ أيكة وما طَرد الليلُ الصباحَ المُنوّرا

فخطبها عُمر بن الخطاب رضى الله عنــه ــ وهو ابن عم أبيها زيد بن عمرو بن نُفيل . وقــد تقدمت أخباره ، وأخوها سَعيد بن زيد رضى الله عنه أحد العشرة المَشهود لهم بالجنة ــ فقالت ، قد كان أعطانى حديقة على ألّا أتزوج بعده . قال : فاستفتى ، فاستفتت عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأفتاها بأن ترد الحديقة على أهله وتتزوج . فتزوّجت عمر رضى الله عنه . فدعى عُمرُ عليًّا رضى الله عنهما وجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما بَنى بها ، فقال على رضى الله عنه : إن لى إلى عاتكة حاجةً أُريد أن أذكرها لها ، فقل لها تستتر حتى أُكلمها . فقال لها عُمر : استترى يا عاتكة فإن على بن أبى طالب يُريد أن يكلّمك . فأخذت مِرْطها فلم يَظْهر منها إلا ما بَدا من براجمها (٣) ، فقال . يا عاتكة :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لما قرب الله ساكن » .

(٢) فى غير التجريد : « مثله فتى » . (٣) البراجم : مفاصل الأصابع كلها .

فأقسمتُ لا تنفكّ عينى سخينة ... عليك ولا ينفكّ جلدى أغبرا

فقال له عمر رضى الله عنه : يرحمك الله ، ما أردتَ إلى هذا ، فقال علىٌّ رضى الله عنه : وما أرادت إلى أن تقول ما لا تفعل ، وقد قال الله عز وجل : (كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) هذا شىء كان فى نفسى أحببتُ أن يخرج . فقال عمر : ما حسّن الله فهو حسن . فلما قُتل عمر رضى الله عنه ـ قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وقد أحرم بالصلاة والمسلمون خلفه يُصلون ـ قالت عاتكة ترثيه :

عين جُودى بعَبرة ونَحيب ... لا تمَلّى على الإمام النَّجيبِ
فجَعتْنا المَنون بالفارس المُعـ ... ـلَم يوم الهِياج والتَّلْبيب
عِصمةِ الله والمُعين على الدّهـ ... ـر غياث المُنتاب والمَحْروب
قُل لأهل الضّراء والبؤس موتُوا ... قد سَقَته المَنون كأسَ شَعوب

وقالت أيضاً :

مُنع الرقاد فعاد عينىَ[1] عِيدُ ... ممّا تَضمّن قلبىَ المعمودُ
يا ليلة حبُستْ علىّ نُجومها ... فسهرتُها والشامتون رُقود
قد كان يُسهرنى حذارك مرة ... فاليوم حقّ لعينى التّسهيد
أبكى أمير المؤمنين ودونه ... للزائرين صفائحٌ وصَعيد

فلما انقضت عِدتها خَطبها الزبير بن العوام رضى الله عنه ، فأَجابته . فلما دخل بها قال لها : يا عاتكة ، لا تخرُجى إلى المسجد ـ وكانت امرأة عَجزاء بادنة . فقالت : يابن العوام ، أتريد أن أدع لغَيرتك مصلًّى صليت فيه مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأبى بكر وعُمر . قال : لا ، فإنى لا أمنعك . فلما سَمع النداء لصلاة الصبح توضأ وخرج ، فقام لها فى سقيفة بنى ساعدة . فلما خرجت إلى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عود » .

الصلاة ضرب بيده على عَجيزتها . فقالت له : مالكَ قطع الله يديك ، ورَجعت .
فلما رجع من المسجد قال : يا عاتكة ، مالى لم أرك فى مُصلاّك ، قالت : يرحمك الله
يا عبد الله ، فسد الناس بعدك ، الصلاة فى القَيطون [١] اليوم أفضل منها فى
البيت ، وفى البيت أفضل منها فى الُحجرة . فلما قُتل الزبير رضى الله عنه رثته بما
تقدّم ذكره ، فتزوجها بعده الُحسين بن على رضى الله عنهما ، فقُتل عنها يوم
كربلاء ، فكانت أول من رَفع خَدّه من التراب يوم قُتل ، فقالت ترثيه :

واحُسيناً فلا نَسيتُ حُسينا أقصدْته أسنّة الأعداء

غادروه بكربلاء صريعاً جادتِ المزن فى ذَرى كربلاء

وتأيّمت بعد ذلك ، فكان عبد الله بن عُمر رضى الله عنهما يقول : من أراد
الشهادة فليتزوج عاتكة .

وذُكر أن مروان بن الحكم خطبها بعد الُحسين رضى الله عنه ، فامتنعت
عليه وقالت : ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) القيطون : المخدع .

أخبار خفاف بن ندبة (*)

نسبه

هو خُفاف بن عمير بن الحارث بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظَة بن عُصيَّة ابن خُفاف بن أمرىء القيس بن بُهثة بن سُلَيم بن مَنصور بن عكرمة بن خَصفة ابن قيس عيلان بن مُضر بن نزار .

أمه

وندبة ، أمه ، وهى أمة سوداء .

شيء عنه

وكان خُفاف أسودَ أيضاً . وهو شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فُرسانهم ، جعله أبن سلّام فى الطَّبقة الخامسة من الفُرسان مع مالك بن نُويرة ، ومع أبنى عمّه: صَخر ومعاوية ، ابنى عمرو بن الشريد، ومالك بن حمار (1) الشَّمخى ، أحد بنى شَمخ ، من فزارة ، فارس فزارة وسيدهم ، وفيه يقول خُفاف حين طعنه فقتله :

فإن تك خَيلى قد أُصيب صَميمُها ... فعَمْداً على عَين تيمَّمتُ مالكا

أقول له والرُّمح يَأطر[2] مَتنَه ... تأمَّل خُفافا إنّنى أنا ذالكا

التهاجى بينه وبين ابن مرداس

ثم ذكر أبو الفرج التّهاجى بينه و بين العباس بن مرداس السُّلمى ، وطوّل القول فى ذلك ، فلم أر ذكر شيء منه .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار خُفاف :

ألَا طرقت أسماء لا حينَ مَطرَقِ ... وأنَّى إذا حلَّت بنَجْران نَلتقِى

(*) وقبل « أخبار خفاف » ذكر أبو الفرج أخبار دنانير وأخبار عقيل ، وقد مر عنهما ابن واصل .

(1) وكذا فى النقائض (ص : ٧٦) . وفى غير التجريد : « حماد » . وفى جمهرة أنساب العرب (٢٤٧) : « خيار » .

(2) يأطر متنه : يثنى .

أخبار جبهاء

اسمه

ثم ذكر أبو الفرج جَبهاء الأشجعيّ . و يقال له أيضاً : جُبيهاء . واُسمه : يزيد ابن عُبيد ، أحد بنى بكر بن أشجع .

شىء عنه

وهو شاعر بدوى ، من شعراء الدولة الأموية ، ليس من الفحول ، ولا ممن مدح الخلفاء .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى افتتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

أَلَا لا أُبالى بعــد رَيّا أَوافقت ... نَوانا نَوى الِجيران أم لم تُوافِقِ

هِجَانُ المُحيَّا حُرّة الوجه سُربلت ... من الحسن سِربالًا عتيقَ البنائق[1]

---

(١) البنائق : جمع : بنيقة ، وهو مضم الزر .

أخبار والبة بن الحُباب

نسبته وكنيته

هو أسديّ صليبيّ [1]، كوفى ، شاعر من شُعراء الدولة العبّاسية . ويكنى : أبا أُسامـة .

منزلته فى الشعر

وهو أُستاذ أبى نُواس . وكان ظريفاً غَزِلا وصّافاً للخمر والغِلمان المُرْد . والشعر له فى ذلك مُقارَبٌ ليس بالجيد .

هو وبشار وأبو العتاهية

وهاجَى بشّار بن بُرد وأبا العتاهية ولم يَصنع شيئاً وفَضحاه ، فعاد إلى الكوفة كالهارب .

شهادة عمارة له عند المهدى

وذُكر أن المهدىّ قال لُعمارة بن حَمزة : من أرقُّ الناس شعراً ؟ فقال له : والبة ابن الُحباب ، وهو الذى يقول :

ولها ولا ذَنبٌ لهـا حُبٌّ كأطراف الرِّماح
فى القلب يَقدح والحشى فالقَلب مَجْروح النواحى

فقال : صدقت . فقال : فما يمنعك من منادمته يا أمير المؤمنين ؟ قال : يمنعنى قولُه :

قلت لساقينا على خَلوة أَدْنِ كذا رأسَك من [2] راسِى
ونَم على صدرك لى ساعةً إنى أمرؤ أَنكح جُلّاسى

أفتريد أن نكون من جُلاسه على هذه الشريطة ؟

شعره الذى فيه الغناء

والبيتان الأولان ، هما الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار والبة .

(١) صليبة : أى قريب القرابة .

(٢) فى غير التجريد : « راسيا — جلاسيا » .

كان يعشق أبا نواس

وذُكر أن والبة كان يعشق أبا نواس، وهو القائل :

يا شقيق النفس من حكم ... نِمْتَ عن ليلى[1] ولم أَنِمِ

ثم أُدعى أبو نواس هذا الشعر، فلا يُعرف إلا به .

بينه وبين أبي نواس

وذُكر أن والبة بن الُحباب كشف ثوب أبي نواس يوماً ، فرأى حُمرة أليتيه و بياضهما ، فلم يملك نفسه أن قبّلهما ، فضرط عليه أبو نواس . فقال والبة : لم فعلت هذا ؟ فقال : كراهية أن يضيع قول القائل : ما جزاء من قَبل الآست إلا ضَرْطة .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عن عينى » .

أخبار عمران بن حطّان

نسبه

هو عِمران بن حِطّان بن ظبيان بن لَوذان بن عمرو بن الحارث بن سَدوس. ابن شَيبان بن ذُهل بن ثعلبة بن عُكابة بن على بن بكر بن وائل . ويكنى أبا شهاب .

عقيدته

شاعر فصيح من شعراء الخوارج ودُعاتهم والمُقدمين فى مذهبهم . وكان من القَعَدة ، لأن عُمره طال فضَعُف عن الحرب وحُضورها ، فاقتصر على الدعوة والتّحريض بلسانه . وكان قبل ذلك يطلُب الحديث والعِلم ، ثم ابتلاه الله تعالى بمذهب المارقة فضلّ وأضلّ .

أدرك عائشة

وكان أدرك أُم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وغيرها من الصحابة وروى عنهم .

هربه بمذهبه وموته

وأصل عِمران من البصرة ، فلما اشتهر بهذا المذهب الخبيث طَلبه الحجاج فهَرب إلى الشام ، فطلبه عبدُ الملك فهرب إلى عُمان ، وكان ينتقل من مكان إلى مكان ، حتى مات فى تواريه . .

عبدالملك والحجاج فى شأنه

وذُكر أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجّاج بن يوسف يُخبره بصفة عمران بن حِطّان وأنه ينتقل فى مدائن الشام . فاجتهد عبد الملك فى طلبه . ونزل عمران برَوح بن زِنباع الجُذامى ، ورَوح لا يعرفه . وكان رَوح يسمُر عند عبد الملك ، فقال له ليلة : يا أمير المؤمنين ، إن فى أضيافنا رجلاً ما سمعتُ منك حديثاً إلا سمعته منه ، وزادنى مما ليس عندى . فقال : ممن هو؟ فقال : من الأزد . وكان عمران قال لروح : إنى من الأزد . فقال : إنى لأسمعك تصف صفة عمران بن حطان ، لأنى سمعتك تذكر لغة فزارية ، وصلاة وزهداً ورواية وحفظاً ، وهذه صفته . قال

روح : ما أنا وعمران . ثم دعا عبد الملك بكتاب الحجاج ، فإذا فيه صفة عمران ، وأنه رجل طوال أفوه . فقال روح : هذه والله صفة الرجل . ثم أنشد عبدُ الملك قول عِمران بن حطّان يَمدح عبد الرحمن بن مُلجم المُرادى بقتله على بن أَبى طالب رضى الله عنه :

يا ضَربة مِن تقىّ[1] ما أَراد بها ... إلّا ليبلُغ من ذى العَرش غُفرانَا

إنى لأذكره يوماً فأَحسبه[2] ... أوفى البريّة عند الله مِيزانا

ثم قال عبد الملك : من يعرف منكم قائلها ؟ فسكت القوم جميعاً . فقال لروح : سل ضيفك عن قائلها . قال : نعم ، أنا سائله فما أراه يخفى عليه ، وما سألته عن شىء قط فلم أجده عالماً به . وراح رَوح إلى أَضيافه فقال لهم : أَمير المؤمنين قد سألنا عن الذى يقول :

* يا ضربة من تقىّ ما أَراد بها *

ثم ذكر الشعر ، وسألهم عنه . فقال عمران : هذا قول عمران بن حِطّان فى ابن مُلجم ، قاتل علىّ بن أَبى طالب . فقال : فهل فيها غير هذا تُفيدنيه ؟ قال : نعم :

لله دَر المُرادىّ الذى سفكت ... كفّاه مُهجة شر الخلق إنسانَا

أَمسى عشيّة غَشّاه بضربته ... مما جناه من الآثام عُريانا

فغدا رَوح فأَخبر عبد الملك . فقال : من أَخبرك بذلك ؟ قال : ضيفى . فقال : أَظنه والله عمران بن حطان ، فأَعلمه أَنى قد أَمرتك أَن تأتينى به . فقال : أَفعل . فراح روح إلى أَضيافه ، ثم أَقبل على عمران ، فقال : إنى ذكرتُك لأَمير المؤمنين فأَمرنى أَن آتيه بك . فقال : قد كنت أُحب ذلك وما مَنعنى من ذكره إلا الحياء

(١) فى بعض أصول الأغانى : «كريم» .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « إنى لأفكر فيه ثم أحسبه » .

منك ، وأنا متبعك ، فانطلق . فدخل روح على عبد الملك ، فقال له : أين صاحبك ؟ فقال : قال لى : أنا متبعك . فقال : أظنك والله سترجع فلا تجده . فلما رجع إلى منزله إذا عمران قد مضى ، وإذا هو قد خلّف رقعة عند رأسه ، فإذا فيها :

يا رَوح كم من أخى مَثْوى نزلت به ... قد ظنّ ظنّك من لَخم وغسّانِ

حتى إذا خفتَهُ فارقتُ منزله ... من بعد ما قيل : عمران بن حِطّان

قد كنت ضيفَكَ حولاً لا تُروِّعنى ... فيه الطوارقُ من إنس ومِن جان

حتى أردت بى العُظمى فأوحشنى ... ما أوحش الناسَ من خوف ابن مروان

فاعذر أخاك ابنَ زنباع فإنّ له ... فى الحادثات هناتٍ ذات ألوان

يوماً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يمن ... وإن لقيت معدّيًّا فعَدْنانى

لو كنتُ مستغفراً يوماً لطاغية ... كنتَ المقدَّم فى سرِّى وإعلانى

لكن أبت ذاك آياتٌ مطهّرة ... عند التلاوة فى طه وعمران

استشهاد رجل من متخلفى الخوارج بشعر له

وذُكر أنه كتب عيسى الحبطى إلى رجل من الخوارج – يقال له : أبو خالد – تخلف عن الخروج مع قطرى بن الفجاءة المازنى ، أو غيره منهم :

أبا خالد انفر فلست بخالد ... وما ترك القرآنُ عذراً لقاعدِ

أتزعم أن الخارجينَ على الهدى ... وأنتُ مقيمٌ بين لصٍّ وجاحد

فكتب إليه : ما يمنعنى من الخروج إلا بناتى والحدب[1] عليهن ، حيث سمعتُ عِمران بن حطّان يقول :

لقد زاد الحياة إلىّ حُبًّا ... بناتى إنهنّ من الضِّعافِ

مخافةَ أن يَذُقن البؤس بعدى ... وأنْ يَشْرَبْن رَنْقا بعد صافى

وأن يَعْرَين إن كسى الجوارى ... فيُبدى الضُّرُّ عن هُزل عِجاف[2]

(١) فى بعض أصول الأغانى : «والخوف» . وفى بعض آخر : « والحرب » .

(٢) العجاف : جمع عجفاء ، وهى المهزولة .

فلولا هن قد سَوّمت مُهرى وفى الرحمن للضُّعفاء كافى

فجعل عيسى يقرأ الأبيات و يبكى و يقول : صدق أخى ، إن فى ذلك لعذراً ، و إن فى الرحمن للضعفاء كافيا .

شعره الذى فيه الغناء

وهذه الأبيات هى الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عمران ابن حطّان .

أخبار الأضبط بن قريع (*)

شعره الذى فيه الغناء

ثم ذكر أبو الفرج الأضبط بن قريع ، والشعر الذى له وفيه الغناء :

قد يجمع المالَ غيرُ آكله ... ويأكل المالَ غيرُ من جمعهْ

فاقبلْ من الدهر ما أتاك به ... من قَرّ عيناً بعَيشه نفعه

لكل هَمٍّ من الهُموم سعه ... والصبح والمسا لا بقاء معه

وهذه من أبيات ، منها :

لا تحقرن الفقير علك أن ترْ ... كع يوماً والدهرُ قد رَفعه

(*) وقبل أخبار الأضبط ترجم أبو الفرج لعمارة بن الوليد ، إلا ان ابن واصل مر عنه ولم يشر .

أخبار أعشى ربيعة

نسبه

هو عبد الله بن خارجة بن حَبيب بن قَيس بن عمرو بن حارثة بن أبي رَبيعة ابن ذُهل بن شَيبان بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل ابن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

مروانى المذهب

شاعر إسلاميّ من ساكني الكوفة ، وكان مروانيّ المذهب ، شديدَ التعصُّب لبني أمية .

قدومه على عبد الملك، وما كان من زيد الكاتب

وذُكر أنّ الأعشى هذا قَدم على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : ما الذى بقى منك ؟ قال : لقد ذهب منّى وقد بقى علىّ ، إنى أنا الذى أقول :

وما أنا فى أمرى ولا فى خُصومتى ... بمُهتَضم حقِّى ولا قارع سِنّى

ولا مُسلِم مولاى عند جناية ... ولا خائف مولاى من شرّ ما أجنى

وإنّ فؤاداً بين جنبيّ عالم ... بما أبصرتْ عَيني وما سمعت أُذنى

وفَضّلنى فى الشِّعر واللُّب أنّنى ... أقول على عِلْم وأعرف من أَعنِى

وأصبحت إذ فضّلت مروانَ وابنه ... على الناس قد فضّلت خير أبٍ وابن

فقال عبد الملك : من يلومنى على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة تُخوت من ثياب ، وعشر فرائض[1] من الإبل ، وأقطعه ألف جَريب[2] ، وقال : امض إلى زيد الكاتب يكتُب لك بها . فأتاه وتردّد إليه مراراً ، فأبطأ عليه ، فأتى سفيان بن الأبرد الكلبي مُستشفعاً به إلى زيد ، فكلمه سفيان فأبطأ عليه ، فعاد الأعشى إلى سفيان فقال له :

---

(١) الفرائض : جمع فريضة ، وهى المسنة من الإبل .

(٢) الجريب : قدر ما يزرع من الأرض .

عُد إذ بدأت أبا يحيى[1] فأنت لها ... ولا تكُن حين هاب الناسُ هيَّابا
واُشفع شَفاعة أنفٍ لم يكُن ذَنَبا ... فإنّ مِن شُفعاء النــاس أذنابا

فأتى سُفيان زيداً فلم يفارقه حتى قضى حاجتَه .

ومن جيد الشعر

ومن جيّد الشعر قولُ الأعشى يمدح عبد الملك بن مروان :

رأيتُك أمسِ خيرَ بنى سعيد ... وأنت اليوم خيرٌ منك أمسِ
وأنت غداً تَزيد الضِّعف فضلا ... كذاك تَزيد سادةُ عبد شَمس

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الأعشى ، هو البيتان الأولان من الأبيات التى تقدم ذكرها[2] .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بحسنى » مكان « أبا يحيى » .
(٢) يعنى القصيدة (ص : ١٩٣١) .

أخبار عمرو بن قميئة

نسبه

هو عمرو بن قَمِيئة بن سَعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة ابن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل ، وقد تقدم بقية النسب .

أقدميته ولقاؤه امرأ القيس

وقد ذكر أنّ عمراً هذا من قُدماء الشعراء فى الجاهلية . ويقال : إنه أول من قال الشعر من نِزار ، وهو أقدم من امرىء القيس ؛ ولقيه امرؤ القيس فى آخر عُمره فأخرجه معه فى طريقه ، وسمّته العرب عَمراً الضائع ، لموته فى غُربة ، وفى غير أَرب ولا مطلب .

هو وامرأة عمه

وذُكر أن عَمرو بن قَمِيئة كان شاعراً فحلاً متقدّماً ، وكان شاباً جميلًا حسنَ الوجه مديدَ القامة حسنَ الشعر . ومات أبوه وخلّفه صغيراً ، فكفله عمه مَرثدُ ابن سعد ، وكانت سَبّابتا قَدميه ووُسْطاهما مُلتصقتين . وكان عمه مُحبًّا له رفيقاً عليه مُعجَباً به ، وكان عند مرثد امرأة ذات جَمال ، فهَوِيت عَمراً وشُغفت به ولم تُظهر ذلك له ، فغاب مَرثد لبعض أمره ، فبَعثت امرأتُه إلى عمرو تدعوه على لسان عمّه ، وقالت للرسول : ائتنى به من وراء البُيوت . ففعل . فلما دخل أنكر شأنَها ، فوقفت ساعة ثم راودتْه عن نفسه ، فقال : لقد جئتِ بأمر عظيم ، وما كان مثلى ليُدعى لمثل هذا ، والله لو لم أمتنع من ذلك وفاءً لعمى لأمتنعنّ خوفَ الدناءة والذِّكر القبيح الشائع فى العرب . فقالت : والله لتفعلنّ أو لأسوأنّك . فقال : إلى المَساءة دَعَيْتِنِى ! ثم قام فخرج من عندها . وخافت أن يُخبر عمّه بما جرى ، فأمرت بجَفنة فكُبّت على أثر عمرو . فلما رجع عمّه وجدها مُغضبة ، فقال لها : مالك ؟ فقالت : إن رجلًا من قومك قريب من القرابة جاء يَستامنى نفسى ، ويُريد فراشك منذ خرجت . قال :

ومن هو ؟ قالت أما أنا فلا أسميه ، ولكن قم فاقْف أثره تحت الجفتة . فلما رأى الأثر عَرفه . وكان لمرثد سيف يقال له ذو الفقار ، فآلى ليضربنّه به ، فهرب فأتى الحيرة ، فكان عنــد اللخميّين ، ولم يكن يقوى على بني مرثد لكثرتهم ، وقال لعمرو بن هند : إن القوم أطردونى . فقال له : ما فعلوا إلا وقــد أجرمت ، وأنا أفحص عن أمرك ، فإن كنتُ مجرماً رددتك إلى قومك . فغضب وهَمّ بهجائه وهِجاء مرثد ، ثم أعرض عن ذلك وَمدح عمّه وأعتذر إليه .

شهادة عادلة

وذُكر أن رجلًا سأل حماداً الراوية : مَن أشـعر الناس ؟ قال الذى يقول :

رمتنى بناتُ الدّهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن (١) يُرمى وليس برامِى

تعميره

وذُكر أنه عُمِّر تسعين سنة ، ولمّا بلغها قال :

كأنى وقــد جاوزتُ تِسعين حجة ... خلعتُ بهــا عنّى عِنــان لِجامِى

على الراحتــين مرةً وعلى العصا ... أنوء ثلاثاً بعــدهن قِيــامى

رمتْنى بنات الدهر من حيث لا أرى ... وكيف بمن يُرمى وليس برامى

فلو أن ما تَرمى (٢) بنَبــل رأيتها ... ولـكنما أرمى بغــير سهــام

وأهلـكني تأميــل يوم وليــلة ... وتأميــلُ عامٍ بعــد ذاك وعام

شعر امرئ القيس فيــه

ويقال إن عمرو بن قَميئة هو الذى عناه أمرؤ القيس بقوله :

بكَى صاحبِي لمّا رأى الدّرب دونه ... وأيقن أنّا لاحقــانِ بقَيصرَا

فقلت لا تَبــك عينُك إنمــا ... نُحاول ملـكا أو نَموت فنعُــذرا

شعره الذى فيــه الغنــاء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عمرو بن قميئة ، هو قوله :

نأتْك أُمامــةُ إلا سُؤالا ... و إلا خيالًا يُوافى خَيالَا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فما بال من » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فلو أن ما أرمى » .

يُوافى مع الليل ميعادها ويأبى مع الصّبح إلّا زِيالا (١)

فذلك تَبــذل من وُدها ولوشهدت لم تُوات النّوالا

وقـد رِيع قلبيَ إذ أعلنوا وقيل أجدّ الخليط احتِمالا

المؤمل بن جميل

ثم ذكر أبو الفرج « المؤمل بن جميل » ولم أختر له شيئاً .

مساور بن سوار

شىء عنه

ثم ذكر « مُساور بن سوار الوراق » مولى قيس عيلان . وكان قليل الشعر، من أصحاب الحديث .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار مساور الوراق هو :

إنّى وهبتُ لظـالمى ظُلمى　　　وغفرتُ ذاكَ له على عِلْمِ
ما زال يَظلمنى وأَرحمـه　　　حتى رثيتُ له من الظُّلْمِ

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : «زيالا» مكان «احتمالا» .

أخبار سعيد بن حميد بن يحيى

أصله وشيء عنه

يكنى : أبا عثمان . من أولاد الدّهاقين . وأصله من النّهروان . ويقال : إنه مولى بني سامة بن لؤي . ومولده ببغداد ، وبها نشأ . وكان يتنقّل في السُّكنى بينها وبين سُرّ من رأى . وهو شاعر حسن الكلام ، فصيح .

شيء عن أبيه

وكان أبوه وجهاً من وُجوه المُعتزلة ، فخالف ابن أبي دُواد في بعض مذهبه ، فأغرى المعتصم وقال : إنه شُعوبي زنديق . فحَبسه مدة طويلة ، ثم خلّى الواثقُ سبيلَه . وكان شاعراً أيضاً .

بينه وبين ابن ثوابة في غلام أمرد

وذكر أن أبا العباس بن ثوابة كان يُعاتب سعيد بن حُميد على الشّغف بالغلمان المُرد ، فدخل سعيد بن حُميد يوماً على أبي العباس فرأى على رأسه غُلاماً أمردَ حسن الوجه عليه مِنطقه وثياب حِسان ، فقال ، يا أبا العباس :

أزعمت أنك لا تَلُوط فقُل لنا ... هذا المُقَرْطَق قائماً ما يَصنعُ

شهدت ملاحتُه عليك بريبة ... وعلى المُريب شواهدٌ لا تُدْفَعَ

فضحك أبو العباس وقال : خذه لا بورك لك فيه ، حتى نستريح من عَتْبك .

هو وغلام من الموالي

وذُكر أن سعيد بن حُميد كان يهوى غلاماً من أولاد المَوالي ، فغاب عنه مدة ثم جاءه مُسلِّماً عليه ، فقال له : غبت عني هذه المدة ثم جئتني ولا تقيم عندي . فقال له : قد أمسينا . فقال : تبيت . فقال : لا والله ، ما أقدر . ولم يزل به حتى اتفقا على أنه إذا سمع آذان العَتمة انصرف . فقال له : قد رضيت . ووضع النبيذ ، فجعل سعيد يحث السّقي بالأرطال ، فلما قَرُب وقت العَتمة أخذ ورقة وكتب فيها :

قُل لداعي الفِراق أخِّر قليلا ... قد قَضينا حقّ الصلاة طَويلا

أَخِّر الوقت فى الأذان وقَدِّم بعــد ذا الوقت بُكرة وأصيلا
ليس فى ساعــة تُؤخرها وِز رٌ فتحتى بها وتأتى[1] جَميلا
وتُراعى حق المودة فينـــا وتُعــافَى من أن تكون ثقيلا

فلما قرأ المؤذن الرقعة ضَحك ، وكتب إليــه يَحلف أنه لا يؤذِّن ليلته تلك العَتمة . وجعل الفتى ينتظر الأذان حتى أمسى ، وسمع صوت الحارس ، وعلم أنها حيلة وقعت عليه ، وبات فى موضعه .

اعتذاره إلى فضل

وذُكر أن سعيداً كتب إلى فَضل الشاعرة رُقعة يعتذر إليها من تغيُّر ظنّتْه به ، وفى آخرها .

تَظنُّون أنى قــد تبدّلت بعدكم بديلاً و بعضُ الظَّن إثم ومُنكرُ
إذا كان قَلبى فى يديكم رَهينــة فــكيف بلا قلب أُصافى وأهجُر

شعره إلى ابن ثوابة وقد غلظ عليه

وذُكر أنّ سَعيد بن حُميــد كان صديقاً لأبى العباس بن ثَوابة ، فدعاه يوماً ، فجاءه رسول فضل الشاعرة فسأله المصير إليها ، فَمضى معه وتأخّر عن أبى العباس ، فكتب إليه رُقعة يُعاتبه معاتبةً فيها بعض الغِلظة . فكتب إليه سعيد :

أَقْلِلْ عتابَك فالبقاء قليــلُ والدهرُ يَعــدل مرةً ويَميلُ
لم أبكِ من زَمن ذممتُ صروفه إلّا بكيتُ عليه حين يَزول
ولكل نائبة ألمّت مـــدة ولكل حالٍ أقبلت تحويل
والمُنتمون إلى الإخاء جماعــة إن حُصِّــلوا أفناهم التَّحصيل
ولعلّ أحداثَ اللّيالى والرّدى يوماً ستَصدع بيننــا وتحول
فلئن سبقتُ لتبكينَّ بحَسرة وليكثُرنّ علىّ منك عَويل
ولتفجعنّ بمُخلص لك وامقٍ حبلُ الوفاء بحَبله[2] موصول

(١) لم يرد هذا البيت إلا فى التجريد .
(٢) الأبيات التالية لم ترد إلا فى التجريد .

وليذهبنّ جمال كل مروءة … وليعفُونّ فناؤها المأهول

ولئن سبقتَ ولا سبقت ليمضين … مَن لا يُشا كله لدىّ عديل

وأراك تكلف بالعتاب وودّنا … باقٍ عليه من الوفاء دليل

وُدٌّ بدا لذوى الإخاء جميله … وبدت عليه بهجة وقَبول

ولعلّ أيام الحياة قصيرة … فعلام يكثُر عتْبنا ويطُول

وذُكر أنه بلغ فَضلَ الشاعرة أنّ سعيد بن حُميد تعشّق جاريةً من جوارى القِيان، فكتبت إليه : شعر فضل إليه

يا عالىَ السِّن سيِّء الأدب … شِبْت وأنت الغلامُ فى الطَّرب

ويحك إن القِيان كالشَّرك الـ … ـمَنصوب بين الغُرور والعَطَب

لا يتصدَّين للفقير ولا … يطلُبن إلَّا معادن الذَّهب

بينا تشكَّى هواك إذ عدلت … عن زَفرات الشَّكوى إلى الطَّلب

تلحظ هذا وذا وذاك وذا … لحظ مُحبٍّ بعين مُكتئب

والشعر الذى فيه الغناء، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار سعيد بن حميد، هو : شعره الذى فيه الغناء

تنامين عن لَيلِى وأسهره وحدى … وأنهى جُفونى أن تَبُثك ما عِندى

فإن كنتِ لا تدْرين ما قد فعلتِه … بنا فانُظرى ماذا على قاتِل العَمْد

أخبار ابن مناذر

اسمه وكنيته

هو محمد بن منـــاذر ، مولى بنى ضُبير بن يَربوع ، ويكنى : أبا جعفر . وقيل : أبا عبد الله . وقيل : أبا ذَريح ، باُسم ولد له يسمى : ذَريحا ، مات صغيرا ، وفيه يقول :

كأنّك للمنـــــايا يا ذَريحُ اللهُ صَـــوّركَ
فناط بوجهك الشِّعرى وبالإكليـــل قَلَّدك

قول الجاحظ فى نسبه

وقال الجاحظ : كان محمد بن مناذر مولى سليمان القهرمان ، وكان سليمان مولى عُبيد الله بن أبى بكرة ، مولى رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، وكان أبو بكرة عبداً لثقيف ؛ ثم اُدعى عُبيـــد الله بن أبى بكرة أنه ثقفى ، واُدعى سليمان القهرمان أنه تميمىّ ، واُدعى اُبن مناذر أنه صليبة من بنى ضُبير بن يربوع . فاُبن مناذر مولى مولى مولى ، وهو دَعىّ مولى دَعى مولى دعي ، وهذا مما لا يجتمع فى غيره قط ممن عرفناه وبلغنا خُبره .

منزلته فى الشعر وشىء عنه

وكان اُبن مناذر شاعراً فصيحاً متقدِّماً فى العلم باللغة ، إماماً فيها ، أخذ عنه أكابر أهلها . وكان فى أول أمره يتألّه ، ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وتهتك وقذف أعراض أهل البصرة ، حتى نُفى إلى الحجاز ، فمات هناك .

عصره

وذكر أنه أدرك المهدى ومدحه ، وعاش إلى آخر أيام المأمون .

هو وقومه حين كرهوا إمامته

وذكر أن ابن مناذر كان يؤم الناس فى المسجد الذى فيه قبيلتُه ، فلما أظهر ما أَظهر من الخلاعة والمُجون كرهوا أن يُصلِّى بهم ، وأن يأتموا به ، فقالوا شعراً

وذكروا ذلك فيه ، وهجَوه، وألقوا الرُّقعة فى المحراب ، فلما قَضى صلاته قرأها ثم قَلبها وكتب فيها :

نُبِّئت قافيـةً قِيلت تَناشدها قومٌ سأترك فى أعراضهم نُدَبَا

نالك الذين رَووهـا أمَّ قائلها ونالك قائلُهـا أمَّ الذى كتبا

ثم رمى بها إليهم ، ولم يَعد إلى الصلاة بهم .

أول تهتكه

وكان أول تهتّك ابن مناذر أنه عشق عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى وفُتن به ، فتهتّك بعد ستره ، وفَتك بعد نُسكه .

شعره الذى فيه الغناء وشىء عن عبد المجيد معشوقه

ولما تُوفى عبد المجيد هـذا رثاه ابن مُناذر بالقصيدة التى أولها الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ابن مناذر ، وهو :

كُلّ حىّ لاقِى الحمام فمُودى ما بحَىّ مؤمَّل من خُـلودِ

لا يَهاب المَنونُ شيئاً ولا تبـ ـقى على والدٍ ولا مَـولود

وحَكى خلّاد الأرقط قال : لقينى ابنُ مناذر بمكة فأنشدنى هذه القصيدة ، ثم قال : اقْرَأْ أبا عُبيدة السلام وقل له : يقول لك ابن منـاذر : اتّق الله واحكم بين شعرى وشعر عدِىّ بن زيد ، ولا تَقُل : ذلك جاهلىّ وهذا إسلامى ، فتحكم بين العصرين ، ولكن احكُم بين الشعرين ودَع العصبية . وكان ابن منـاذر يَنحو نحو عدِىّ بن زيد ويَميل إليه ويقدِّمه ، ومنها :

إن عبدَ المَجيـد يوم تولَّى هدّ ركناً ما كان بالمَهْدُودِ

هدّ عبدُ المجيد رُكنى وقد كنـ ـتُ برُكنٍ أبوء منـه شديد

ما دَرى نعشُه ولا حاملوه ماعلى النَّعش من عَفاف وجُود

وأرانا كالزرع يَحْصُدنا الدهـ ـر فمِن بين قائمٍ وحَصـيد

ومنها :

لأقيمنّ مأتماً كنجوم الـ ... يل زُهراً يَلْطِمن حُرَّ الخدود
مُوجعات يبكين للكَبِد الحَرَّ ... ى عليه وللفؤاد العَمِيد
كنتَ لى عصمةً وكنت سماءً ... بك تحيا أرضى ويخضرّ عُودى

ولما سمعتْ أم عبد المجيد هذا الشعر قالت : والله لأبرّن قسمه . فأقامت عليه مأتماً ، وقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه يَصِحن عليه : واى، ويه . ويقال إنها أول من فعل ذلك وقاله فى الإسلام .

ومنها :

يقدح الدهرُ فى شماريخ[1] رَضوَى ... ويَحُط الصُّخور من[2] هَبُّود

وذُكر أن أعرابيًّا سمع هـذا البيت فقال : ما أجهل قائله بهبُّود ؟ والله إنها لأكمة ما تُوارى الخارئ ، فكيف يحُط منها الصخور[2] .

من حب ابن مناذر لعبد المجيد

وذُكر أن عبد المجيد هـذا كان من أحسن الناس وجهاً وأدباً ولباساً ، وأكملهم فى كل حال ، وكان على غاية المحبّة لابن مناذر والمُساعدة له والشغف به ، وكان يبلِّغ أباه خبره ، على جلالته وسنه وموضعه من العلم ، فلا يُنكر ذلك ، لأنه لم يكن تبلُغه ريبةٌ عنه .

وذُكر أن ابن مُناذر خرج فى صلاة التراويح ، وهو فى المَسجد بالبصرة ، وخرج عبد المجيد خلفه ، فلم يزل يُحدِّثه إلى الصُّبح ، وهما قائمان ، إذا انصرف عبد المجيد شيّعه ابن مناذر إلى منزله ، فإذا بلغه وانصرف ابن مُناذر تَبعه عبد المجيد ، لا يَطيب أحدُهما نفساً بفراق صاحبه حتى أصبحا . فقيل لعبد الوهاب

---

(١) رضوى : جبل بالمدينة .

(٢) ذكر ياقوت هذا البيت فى رسم « هبود » وذكر قصة كهذه ولكنها تختلف عنها .

أبي عبد المجيد : ابن مناذر قد أفسد ابنك . فقال : أوما يَرضى ابني أن يرضى ابن مناذر به .

مدح ابن مناذر لعبد المجيد

ومما قاله ابنُ مناذر يمدح به عبد المجيد هذا قصيدةً أولها :

شيّب رَيْبُ الزمان رأسى ... لهفى على رَيْب ذا الزمانِ
يقدح فى الصُّم من شَرَوْرَى ... ويُحدر العُصم من أبان(١)

ومنها :

منّى إلى الماجد المُرجّى ... عبد المجيد الفتى الهجان
خير ثقيف أباً ونفسا ... إذا التقت حَلْقتا(٢) البطان
نفسى فداء له وأهلى ... وكُل ما تملك اليدان
كأنّ شمس الضُّحى وبَدْر الدُّ ... جى عليه مُعلّقان
نيطا معاً فوق حاجبيه ... والشمسُ والبدرُ يضحكان
مُشمِّراً همُّه المعالى ... ليس بَرثٍ ولا بوانِ
بنى له عزةً ومجداً ... فى أول الدهر بانِيان
بانٍ تلقّاه من ثقيف ... ومن ذوى الأزد خيرُ بانِ
فاسأله ممّا حوت يداه ... يهتزّ كالصارم اليمانى

وكان عبد المجيد هذا محدِّثاً جليلا ، قد رَوى عنه وُجوه المحدِّثين وكُبراء الرُّواة .

مرض عبد المجيد ولزوم ابن مناذر له

ومرض عبد المجيد مرضاً شديداً ، فكان ابن مناذر مُلازماً له يُمرّضه ويخدُمه ولا يتولى أمرَه غيره بنفسه ، ولا يَكله إلى أحد .

فحكى بعضُ مَن حضره قال : إنه أُسخن لعبد المجيد ماء حارٌّ ليشرب به ، فاشتد به الأمر فجعل يقول : آه ، بصوت ضعيف . فغمس ابن مُناذر يده فى الماء الحار

(١) شرورى : جبل مطل على تبوك . وأبان : أحد جبلين ، سمى أحدهما : أبان الأبيض ، والآخر : أبان الأسود . أو هما شرقى الحاجر : وبينهما ميلان ، (٢) البطان : حزام القتب .

وجَعل يقول : آه ، مع عبد المجيد ويده تحترق ، وقد كادت تسقط . قال : فجذبناها وأخرجناها ، وقلنا له : أمجنون أنت ! إيش هذا ! أيَنتفع[1] هو بذاك ؟ فقال : أساعده ، وهذا جهدٌ من مُقل .

جزع ابن مناذر على موت عبدالمجيد ورثاؤه له

ثم أُستقل عبدُ المجيد من علّته تلك وعُوفى مدة طويلة ، ثم وَقع من سطح فمات . فجزع عليه ابن مُناذر جزعاً شديداً ، حتى كاد يفضُل أهلَه وإخوته فى البكاء والعويل ، وظَهر منه من الجزع ما عجب الناس له ، ورثاه بالقصيدة الدالية وغيرها . ومما رثاه به :

يا عـين حقّ لك البُكا	ءُ بحادث الرُّزء الجليلْ
فأبكى على عبـد المجـ	ـيد وأعولى كُلَّ العَويل
لا يُبعِـد اللّهُ الفتى الـ	ـفيّاض ذا الباع الطّويل
عَجِل الحِمـامُ به فودّ	عنا وأذّن بالرحيـل
لَهفى على الشّعر المُعفـ	ـر منك والخـدِّ الأَسيل
كُسفت لفقـدك شَمسُنا	والبـدرُ آذن بالأُفـول

ابن منـاذر وأبو نواس

وذُكر أنّ ابن مُناذر دخل المسجد الجامع بالبصرة ، فوقعت عينُه على غلام مَليح الصورة مُستند إلى سارية ، فكتب رقعة وأنفذها إليه . فقرأها الغلام وكتب على ظهرها :

مَثَل امتداحك لى بلا وَرِق	مَثلُ الجدار بُنى على خُصّ[2]
وألذُّ عندى مِن مديحك لى	سُود النِّعـال ولَيِّن القُمْص
فإذا عزمتَ فهَىِّ لى وَرِقا	وإذا فعلتَ فلستُ أَستعصى

فلما قرأها ابن مناذر قام إليه وقال له : ويلك ! أنت أبو نُواس ؟ قال : نعم .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « مما ينتفع به ذاك » . (٢) الخص : القصب .

فأنت أبن مناذر ؟ قال : فسلّم عليـــــه وتعانقا ، وكان ذلك أول المودة بينهما .

غلبة المجون على شعره

وذُكر أن أبن مُناذر لما ترك النُّسك ومال إلى الخلاعة ، كان إذا أمتدح أو فَخر لم يجعل أفتتاح شعره ومُبتدئه إلّا المُجون ، حتى قال فى مدحه للرشيد :

هل عندكم رُخصة عن الحسن الْـ ـبصرىّ فى العِشق وأبن سيرينـا
إن سَـــــفاهاً بذى الجلالة والـ ـشَّيبة ألاَّ يزال مَفْتـــــونا

وقال أيضاً فى هذا المعنى :

ألا يا قمر المَســـــجـ ـد هل عندك تَنْويلُ
شِفائى منـك إن نَوَّلْـ ـتنى شَمٌّ وتَقْبيـــــل
سَـــــلا كلُّ فؤادٍ و فؤادى بك مَشْغول
لقـد حُمِّلتُ من حُبِّـ ـك ما لا يَحْمل الفِيل

رثاؤه الرشيد

وذُكر أن هارون الرشيد كان وصل أبن مُناذر مراتٍ بِصلات سنية ، فلما مات الرشيد رثاه أبن مُناذر فقال :

مَن كان يبكى للعُـــلا ملكاً وللهمم الشَّريفهْ
فَلْيبِـك هارون الخليـ ـفة للخليفة والخليفـه

هو والرشيد يوم التروية

وذُكر أن الرشيد حجَّ بعد إيقاعه بالبرامكة ، وحجَّ معه الفضل بن الربيع . قال أبن مُناذر : وكنت مُضيقاً مُملقاً ، فهيّأت قولًا أجدتُ تَنْميقه وتنوّقت فيه ، فدخلتُ إليـه فى يوم التَّروية [1] فإذا هو يسأل عنى ويطلُبني ، فبدَرنى الفضلُ أبن الربيع قبل أن أتكلم فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا شاعر البرامكة ومادحهم . وكان البشر ظهر فى وجهه لما دخلت ، فتنكر وعَبس فى وجهى . فقال له الفضل : مُره يا أمير المؤمنين أن يُنشدك قولَه فيهم :

(١) يوم التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذى الحجة ، سمى به لأن الحجاج يترووون فيه من الماء وينهضون إلى منى ولا ماء بها فيتزودون ريهم من الماء يسقون ويستقون .

* أتانا بنو الأملاك من آل برمك *

فقال : أنشدها . فأبيتُ . فتوعّدنى ، فأنشدته :

أتانا بنو الأملاك من آل برمك فياطيب أخبار و ياحُسن منظرِ

إذا وردوا بطحاء مكة أشرقت بيحيى و بالفضل بن يحيى وجَعفر

فتُظلم بغدادٌ ويَجلو لنا الدُّجى بمكة ما عِشنا ثلاثةُ أقْمُر

فما صَلحت إلا لُجودٍ أكُفُّهم وأقدامُهم إلا لأعوادِ منبر

إذا راضَ يحيى الأمرَ ذلّت صعابُه وحَسْبك من راعٍ له ومُدَبِّرٍ

ترى الناس إجلالًا له وكأنهم غَرانيقُ ماءٍ تحت بازٍ مُصَرصرِ (١)

ثم أتبعت ذلك أنْ قلت : كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيامَ مدحتُهم وفى طاعتك ، لم يلحقهم سُخطك ، ولم تحلُل بهم نقمتك ، ولم أكن فى ذلك مُبتدعاً ، ولا خَلا أحدٌ من نُظرائى من مدحهم ، وكانوا قوماً قد أظلّنى فضلهم ، وأغنانى رِفدهم ، فأثنيتُ بما أولوا . فقال : يا غلام . الطم وجهه . فلُطمت والله حتى سدرت (٢) وأظلم ما بينى و بين أهل المجلس . ثم قال : اسحبوه على وجهه ، والله لأحرمنّك ، ولا تركت أحداً والله يُعطيك فى هذا العام شيئاً . فسُحبت حتى أُخرجت ، وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالا فى نفسى وحالى ، وما جرى علىّ ، ولا والله ما عندى يومئذ ما يُقيم قُوت عيالى لعِيدهم . فإذا بشابّ قد وقف علىّ ثم قال : أَعزز علىّ والله يا كبيرَنا بما جرى عليك ، ودَفع إلىّ صُرة ، وقال : تبلّغ بما فى هذه . فظننتُها دراهم ، و إذا بها ثلثمائة دينار . فقلت له : من أنت ؟ جعلنى الله فداك . فقال : أنا أخوك أبو نُواس . فاستعن بهذه الدّنانير واعذرنى . فقبلتُها وقلت له : وصلك الله يا أخى وأحسن جزاءك .

---

(١) الغرانيق : جمع غرنوق ، وهو من طيور الماء . والصرصرة : صوت البازى .

(٢) سدرت : تحيرت .

شعر له في جعفر والرشيد

وحكى أبن مُناذر قال : قال لي جعفر بن يحيى : قُلْ فيَّ وفي الرشيد شعراً تَصف فيه الأُلفة بيننا . فقلت :

قد يَقطع الرَّحم القريبُ ويكفُر النُّـ عمَى ولا كتقـارُب القَلْبَيْنِ
يُدني الهوى هذا ويُدني ذا الهوى فإذا هما نَفْس ترى نَفْسين

قال أبو الفرج : هذا أخذه أبن مُناذر من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرحم تُقطع ، وإن النِّعم تُكفر ، ولن ترى مثل تقارُب القلوب .

أخبار أشجع السلمى

نسبه

هو أشجع بن عمرو . ويكنى : أبا الوليد . من ولد الشَّريد بن مَطرود السُّلمى .
وكان أبوه تزوّج امرأة من أهل اليمامة ، فشَخص معها إلى بلدها ، فولدت له
هناك أشجع . ونشأ باليمامة . ثم مات أبوه فَقدمت به أُمه البصرة ، فطلبت ميراث
أبيه ، وكان له هناك مال ، فماتت أُمه بالبصرة ، وكان من لا يعرفه يدفع نسبه .

منزلته فى الشعر وصلته بالرشيد

ثم كبر وقال الشعر وأجاد وعُدَّ فى الفحول . وخَرج إلى الرقة ومدح الرشيد
بها والبرامكة ، وانقطع إلى جعفر بن يحيى خاصة وأصفاه مدحــه ، فوصله بالرشيد
ومَدحه ، وأثرى وحَسُنت حاله فى أيامه .

وفوده على الرشيد مع الشعراء

وحَــكى أشجع قال : شخصت من البصرة إلى الرقة فوجدتُ الرشيدَ غازياً
ولحقتْنى خَلّة[1] ، فخرجت حتى لقيته منصرفاً من الغزو ، وكنت قد اتصلت ببعض
أهل داره ، فصاح صائحٌ ببابه : من كان ها هنا من الشعراء فليحضُر يوم الخميس .
فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم . فأمر بالبُــكور يوم الجمعــة ، فبَكّرنا وأُدخلنا . وقُدِّم
واحد واحد منّا يُنشد ، على الأسنان ، وكنت أحــدث القوم سناً وأرثَّ القوم
حالا ، فما بُلغ إلىَّ حتى كادت الصلاة تجب ، فتقدمت والرشيد على كُرسى وأصحاب
الأعمدة بين يديه سِماطان ، فخِفت أن أبتدئ من أول قصيدتى بالتّشبيب فتجب
الصلاة و يفُوتنى ما أردت ، فتركت التَّشبيب وأنشدته من موضع المَديح من
قصيدتى التى أولها :

تذكر عهد البِيض وهو لها تِرْب ... وأيامَ يُصبى الغانيــاتِ ولا يَصْبُو

(١) الخلة : الحاجة .

فابتدأت قولى فى المديح :

إلى ملك يَستغرق المـالَ جُودُه ... مكارمُه نَثْرٌ ومَعروفه سَـكْبُ

وما زال هارونُ الرّضى ٱبن محمد ... له من مِياه النَّصر مشربها عَذب

متى تبلغ العِيس المَراسِيل بابَه ... بنا فهُنالك الرُّحب والمنزل الرَّحب[1]

جمعتَ ذوى الأهواء حتى كأنهم ... على مَنهج بعد ٱفتراقهمُ رَكْب

بعثتَ على الأعداء أبنـاءَ دُربة ... فلم تَقِهم منهم حُصون ولا دَرْب

وما زلت تَرميهم بهم متفرّدا ... أنيسالك جِنُّ[2] الرأى والصارم العَضْب

جَهدتُ فلم أبلغ عُلاك بمدحـة ... وليس على من كان مُجتهداً عَتب

فضحك الرشيد ثم قال : خفت أن تحضُر الصلاة ويَنقطع المـديح عليك فبدأت به وتركت التَّشبيب ، وأمرنى أن أُنشده التَّشبيب ، فأَنشدته إياه . فأمر لـكل واحد من الشعراء بعَشرة آلاف درهم ، وأمر لى بضعفها .

وفوده على الرشيد فى قصره بالرقة

وحكى أحمد بن سيّار الجُرجانى قال : دخلت أنا وأشجع السُّلمى ، وأبو محمـد التَّيمى ، وابن رزين الخزاعى[3] على الرشيد فى قَصر له بالرَّقة ، وقد ضَرب أعناق قوم فى تلك الساعة ، فجَعلنا تتخلّل الدماء حتى وصلنا إليه . فأنشده أبو محمد التَّيمى قصيدةً له يذكر فيه نقفور ووقعته فى بلاد الروم . فنثر عليه مثل الدُّر من جودة شعره . وأنشده أشجع قوله :

قَصْرٌ عليه تحيـــة وسلامُ ... ألقت عليــه جمالَهـا الأيامُ

قصُرت سُقوفُ المُزن دون سُقوفه ... فيــه لأعلام الهُدى أعلام

تُثنى على أيامـــك الأيام ... والشاهدان الحِلُّ والإحرام

وعلى عدوّك يابن عم محمـد ... رَصَدان ضوء الصُّبح والإظلام

فإذا تنبّه رُعْتــه وإذا غَفا ... سلَّت عليه سيوفَك الأحلام

---

(١) الرحب : الترحيب . (٢) فى غير التجريد : « حزم » .

(٣) فى غير التجريد : « الخراسانى » .

وأنشدته أنا قولى :

* زمن لنـــا[١] بالرّقتين قصير *

حتى أنتهيت إلى قولى :

لاتبعد الأيام إذ ورق الصـــبا خَضِلٌ وإذ غُصن الشباب نَضِير

فاُستحسن هذا البيت . ثم مضيت فى القصيدة حتى أتممتُها ، فوجه إلىّ الفضلُ اُبن الربيع : أنفذ إلىّ قصيدتك فإنى أريد أن أُنشدها الجوارى ، من اُستحسانه إياها . قال : فركب الرشيد يوماً قُبــة ، وسَعيد بن سَلم معه فى القبة ، فقال : أين محمد البيذق ؟ وكان رجلاً حسن الصوت يُنشد الشعر ويطّرب بحسن صوته أشدَّ من طرب الغنــاء ، فحضر . فقال : أنشدنى قصيدة الُجرجانى ، فأنشــده . فقال : الشعر فى ربيعة سـائر اليوم . فقال له سعيد بن سلم : يا أمير المؤمنين ، اُستنشده قصيدة أشجع بن عمرو . فأبى . فلم يزل به حتى أجاب إلى اُستماعها . فلما أنشــده هذين البيتين . * وعلى عــدوك يابن عم محمد * البيتين

قال له سعيد بن سلم : والله يا أمير المؤمنين ، لو خرس بعــد هذين البيتين لكان أشعرَ الناس .

وحكى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال :

اصطبح الواثق فى يوم مَطير ، واتصل شُربه وشربنا معــه حتى سَقطنا لجنوبنا صَرْعى ، وهو معنا على حالنا ، فما حُوِّل أحد منا عن مضجعه ، وخدم الخاصة يطوفون علينا ويتفقدوننا ، وبذلك أمرهم وقال : لاتحركوا أحداً منهم عن مَضجعه ، فكان هو أول من أفاق منا ، وأمر بإنباهنا ، فقمنا فتوضأنا وأصلحنا من شأننا ، وجئنا إليه وهو جالس وفى يده كأس وهو يَروم شربها ، والُخمار يَمنعه ، فقال لى : يإسحاق ، أنشدنى فى هذا المعنى شيئاً . فأنشدته قول أشجع السلمى :

ولقـــد طعنت الليل فى أعجازه بالكأس بين غَطارف[٢] كالأنجُم

(١) فى غير التجريد : « بأعلى » . (٢) الغطارف : السادة الأشراف .

يَتمايلون على النَّعيم كأنهم قُضب من الهندىّ لم تتثلّم
وسعى بها الظَّبى الغرير يزيدها طيباً و يَغْشمها[(١)] إذا لم تُغشم
والليلُ مُنتقب بفَضل ردائه قد كاد يُسفر عن[(٢)] أغر أرثم
و إذا أمرّتها الأكفّ رأيتها تثنى الفَصيح إلى لِسان الأعجم
وعلى بَنان مُديرها[(٣)] عِقيانةٌ من لونها وعلى فُضول المِعْصم
تَغلى إذا ما الشعريان تلظّتا صَيفاً وتسكن فى طُلوع المِرْزم[(٤)]
ولقد فَضضناها بخاتَم ربّهــا بِكْراً وليس البِكْرُ مثلَ الأيِّم
ولها سُكون فى الإناء و بعده شَغْب يُطَوِّح بالكمىّ المُعْلَم
تُعطى على الظُّلم الفتى بقيادها قَسْراً وتَظلمــه إذا لم تُظْلَم

فطرب وقال : أحسن والله أشجع ، وأحسنت يا أبا محمد ، أعِــد بحياتى . فأعدتُها . فشَرب كأسه عليها ، وأمر لى بألف دينار .

شعره إلى الرشيد وقد أبطأ عليــه فى شىء

وذُكر أن أشجع السُّلمى كتب إلى الرّشيد ، وقد أبطأ شىء أمر له به :

أَبلغ أمــيرَ المؤمنين رسالةً لها عُنق بين الرُّواة فَســيحُ
بأنّ لسان الشعر يُنطقه النَّدَى و يُخرسه الإبطاء وهو صحيح

فضحك الرشيد وقال له : لن نُخرس لسان شعرك ، وأمر بتعجيل صلته .

دخوله مع الشعراء على الرشيد للتهنئة بولاية جعفر خراســان

وحُكى أن الرشيد لمّا ولّي جعفر بن يحيى خراسانَ جلس للناس ، فدخلوا عليه فهنئوه . ثم دخل الشعراء فأنشدوه ، وقام أشجع آخرَهم فاستأذن فى الإنشاد . فأذن له ، فأنشده قوله :

أتصبر للبين أم تَجزعُ فإنّ الدِّيار غدًا بَلْقَعُ
غدًا يتفرّق أهلُ الهوى و يكثُر باكٍ ومُسترجع

(١) يغشمها : يجور عليها ويسرف .
(٢) أرثم : أبيض .
(٣) عقيانة : واحدة العقيان ، وهو الذهب .
(٤) المرزم : نجم .

حتى انتهى إلى قوله :

ودوّية بين أقطـارها   مقـاطع أرضين لا تُقطعُ
تجاوزتُها فوق عَيرانة (١)   من الرّيح فى سيرها أسرع
إلى جَعفر نزعت رغبـةٌ   وأىّ فتى نحـوه يَنْزِع
فمـا دونه لأمرئ مَطمع   وما لأمرئ غـيره مَقنع
ولا يَرفع الناسُ من حَطَّه   ولا يَضـعون الذى يَرْفع
تُريد الْملوكُ مـدى جعفر   ولا يَصنعون كما يَصنع
وليس بأوسـعهم فى الغنى   ولكنّ مَعروفه أوسـع
تلوذ الْمـلوكُ بأبوابه   إذا نابها الحدث الأقطع
بديهتُه مثـلُ تدبيره   متى رُمْتـه فهو مُسْتَجمع
فكم قائلٍ إذ رأى ثروتى   وما فى فُضول الغِنى أصنع
غدًا فى ظلال نَدَى جعفر   يجُر ثيـاب الغِنى أشجع
فقل لخراسان تَحيى فقـد   أتاها ابنُ يحيى الفتى الأروع

فأقبل عليه جعفر بن يحيى ضاحكاً واستحسن شعره ، وجعل يُخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

شعره فى عزل جعفر

ثم بدا للرشيد فى ذلك التدبير ، فعزل جعفراً عن خُراسان بعـد أن أعطاه العهد والكُتب ، وعَقَـد له العقد وأمر ونهى . فوَجم لذلك جعفر . فدخـل عليه أشجع ، فقال :

أمست خراسان تُعزَّى بما   أخطأها من جعفر الْمُرتجى
فإن الرشـيد الْمعتلى أمره   ولّى على مَشرقه الأبلجـا
ثم أراه رأيُه أنـــه   أمسى إليـه منهمُ أحوجا

(١) العيرانة : الناقة .

فضحك جعفر ثم قال : لقد هوّنت على العزل ، وقُمت لأمير المؤمنين بالعذر، فسَلنى ما شئت . فقال : قد كفانى جُودك ذلّ السؤال . فأَمر له بألف دينار أُخرى .

شعره فى الأمين فى مجلس الأدب

وحكى أشجع ، قال : دخلت على محمد الأمين حين أُجلس مجلس الأدب للتعليم ، وهو ابن أربع سنين ، وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم ، فقلت :

ملك أبوه وأُمه من نَبعة فيها سراج الأُمة الوهّاج
شربت بمكة في رُبَى بطحائها ماءَ النبوّة ليس فيه مزاج

فأمرت لى زبيدة بمائة ألف درهم .

ولم يَملك الخلافةَ أحدٌ ، أبوه وأمه من هاشم ، إلا أمير المؤمنين علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، وابنه الحسن بن علىّ ، ومحمد بن الرشيد. أُم علىّ رضى الله عنه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وأُم الحسن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُم محمد بن الرشيد زبيدة بنت جعفر بن المنصور .

ما كان بين الرشيد ونقفور

وذُكر أنّ الروم كانت قد مَلكت عليها امرأة ، لأنه لم يكن بقى فى زمانها من أهل بيت المملكة غيرها ، وكانت تكتب إلى المهدي والهادى ، والرشيد فى أول خلافته بالتبجيل والتعظيم ، وتدرّ عليهم الهدايا ، حتى بلغ ابن لها، فحاز الملك دونها ، وعاث وأفسد وفاسد الرشيد ، فخافت أُمه على ملك الروم أن يذهب ، وعلى بلادهم أن تعطب ، لعلمها بالرشيد وخوفها من سطوته ، فاحتالت لابنها فَسملت عينه فبطل من الملك ، وعاد المُلك إليها ، فاستكبر ذلك أهلُ المملكة وأبغضوها من أجله ، فخرج عليها كاتب لها يقال له : نقفور ، وأعانه أهلُ المملكة وعاضدوه ، فقام بأمر المُلك وضَبط أمر الروم . فلما قوى على أمره وتمكّن فى مُلكه كتب إلى الرشيد : من نقفور ملك الروم إلى الرشيد ملك العرب . أما بعد : فإن هذه المرأة وضعتك وأباك وأخاك موضع الملوك ، ووضعت نفسها موضع السوق ، وإنى

واضعك بغير ذلك الموضع ، وعامل على تطرّق بلادك والهجوم على أمصارك ، أو تؤدى إلىّ ما كانت المرأة تؤديه إليك . والسلام .

فلما ورد كتابه على الرشيد كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم . أما بعد . فقد فهمتُ كتابك ، وجوابك عندى ما تراه عِياناً لا ما تسمعه . ثم شخص فى شهره ذلك يؤم بلاد الروم فى جمع لم يُسمع مثله وقُواد لا يُجارون رأياً ونجدة . فلما بلغ نقفور ذلك ضاقت عليه الأرضُ بما رحُبت وشاور فى أمره . وجدّ الرشيد فجعل يتوغّل فى بلاد الروم يقتُل و يَسبى و يَغنم ، ويخرِّب الحصون ، و يعفّى الآثار ، حتى صار إلى طرق مُتضايقة دون قسطنطينية ، فلما بلغها وجدها وقد أمر نقفور بالشَّجر فقُطع ورُمى فى تلك الطرق وأُشعلت فيه النيران . فكان أول مَن لبس ثياب النفّاطين محمد بن يزيد ، فخاضها ، ثم أتبعه الناس . فبعث نقفور إلى الرشيد بالهدايا ، وخَضع له أشد الخضوع ، وأدّى إليه الجزية عن رأسه فضلاً عن أصحابه . ففى ذلك يقول أبو العتاهية :

إمامَ الهُدى أصبحتَ بالدِّين مَعنيّا ... وأصبحتَ تَسقى كُلَّ مستمطرٍ ريّا
لك اسمان شُقّا من رَشاد ومن هُدى ... فأنت الذى تُدعى رشيدًا ومهديّا
بسطتَ لنا شرقاً وغرباً يدَ العلا ... فأوسعتَ شرقيًّا وأوسعت غربيّا
ووشّيت وجه الأرض بالجود والنّدى ... فأصبح وجهُ الأرض بالجود موشيّا
وأنت أميرُ المؤمنين فتَى التُّقى ... نشرتَ من الإحسان ما كان مَطْويّا
قَضى الله أن يَبقى لهارون مُلكه ... وكان قَضاء الله فى الخلق مَقضيّا
تَجلّيت للدنيا وللدِّين بالرضى[1] ... وأصبح نقفور لهارون ذِمّيا

ورجع الرشيدُ لمّا أعطاه نقفور ما أعطاه إلى الرقة ، فلما سقط الثلج وأمن

(١) فى الديوان (٣٢١) : تجللت الدنيا لهارون ذى الرضا » .

نقفور أن كان المُهلة ، ونقض ما كان بينه وبين الرشيد ، ورجع إلى حاله الأولى ، فلم يَجترئ يحيى بنُ خالد فضلاً عن غيره على إخبار الرشيد بغدر نقفور ، فبذل هو وأبنُه الأموالَ للشعراء على أن يقولوا أشعاراً فى إعلام الرشيد ذلك . فكلُّهم كاعَ وأشفق ، إلا شاعراً من أهل جُدة يكنى : أبا محمد ، وكان ذو اليمينين طاهر بن الحُسين فى أيام المأمون آختصه ورفَع قَدره جدًّا ، فأعطاه يحيى و بنوه مائة ألف درهم ، فدخل إلى الرشيد فأنشده :

نَقض الذى أعطاكه نقفور ... فعليه دائرةُ البَوار تدُورُ
أَبشرْ أميرَ المؤمنين فإنه ... فَتحٌ أتاك به الإله كبير
ولقد تباشرتِ الرعيّة إذ أتى ... بالنّقض عنه وافدٌ وبَشير
ورَجَتْ يمنك أن تعجِّل غزوة ... تَشْفى النفوس نكالُها مذكور
أعطاك جِزْيته وطأطأ خَدّه ... حَذر الصّوارم والرّدى محذور
فأجرته من وَقعها وكأنما ... بأكفنا شُعل الضِّرام تَطِير
وصرفتَ من طول العساكر قافلاً ... عنه وجارُك آمنٌ مَسرور
نقفور إنك حين تغدر أن نأى ... عنك الإمام لجاهلٌ مغرور
أظننتَ حين غدرت أنك مُفلِت ... هَبِلتْك أمك ما ظننتَ غُرور
ألقاك حَيْنُك فى زَوَاخِر بحره ... فطما عليك من الإمام بُحور
إن الإمام على آقتسارك قادر ... قَرُبت ديارُك أمْ نأتْ بك دُور
ليس الإمام وإن غفلنا غافلاً ... عمّا يسُوس بحزمه ويُدير
يا من يُريد رضى الإمام بسَعيه ... والله لا يَخفى عليه ضَمير
لا نُصح ينفع مَن يغشّ إمامه ... والنُّصح من نُصحائه مشكور
نُصح الإمام على الأنام فريضة ... ولأهله كفّارة وطَهور

فلما أنشد هذه القصيدة قال الرشيد : أوَقد فعل ؟ وعلم أن الوزراء أحتالوا فى إعلامه ذلك . فغزاه فى بقيّة من الثلج ، فافتتح هرقلة فى ذلك الوقت ، فقال أبو العتاهية فى فتحه إياها :

ألا نادت هِرَقْلة بالخراب ... من الملك المُوَثَّق بالصّواب
غدا هارون يُرعد بالمنايا ... ويُبرق بالمُذكَّرة الغضاب
ورايات يحُل النصر فيها ... تمُر كأنها قِطع السَّحاب
أميرَ المؤمنين ظفرت فاُسلم ... وأبشر بالغَنيمة والإياب

وفتح الرشيد قبل هرقلة الُحصون والمدن وخرَّبها . ولما أناخ على هرقلة وجدها أمنع حصن ، فتحصن أهلها بها ، وألحّ عليها الرشيد بالسهام . والمجانيق والعرَّادات[(١)] ففتح باب الِحصن يوماً فاُستشرف المسلمون ، وإذا رجل من أهلها كأ كمل الرجال ، قد خرج فى أكمل السلاح ، فنادى : قد طالت مواقفتكم إيانا ، فَلْيُبرُز إليّ منكم رجلان ، ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين ، فلم يُجبه أحد . فدخل وأغلق باب الحصن . وكان الرشيد نائماً فلم يَعلم بخبره إلا بعد أنصرافه ، فغضب ولام خَدَمه وغِلمانه على تركهم إنباهه ، وتأسف لفوته . فقيل له : إن الأمتناع منه سُيغريه ويُطغيه ، وأَحْرِ به أن يخرج فى غد فيطلب مثل ماطلب . فطالت على الرشيد ليلته ، وأصبح كالمنتظر له ، فإذا هو بالباب قد فُتح وخرج الفارس طالباً للمبارزة ، وذلك فى يوم شديد الحر ، فجعل يدعو بأنه يثبُت لعشرين منهم . فقال الرشيد : من له؟ فاُبتدره جِلة قواده ، كهرثمة بن أعين ، ويزيد بن مزيد ، وعبد الله ابن مالك ، وخزيمة بن خازم ، وأخوه عبدالله ، وداود بن مَزيد ، فعزم على إخراج بعضهم . فضج المُطوعة حتى سُمع ضجيجهم . فأذن لعشرين منهم ، فاستأذنوا فى المشورة ، فأذن لهم . فقال قائلهم : يا أمير المؤمنين ، قُوادك مشهورون بالبأس

(١) العرادات : جمع عرادة . وهى أشبه شىء بالمنجنيق .

والنجدة وعُلُوّ الصوت ومداومة الحرب ، فمتى خرج واحد منهم فقَتل هذا العلج لم يكبُر ذلك ، وإن قتله العلج كانت وَصمة فى[1] العسكر قبيحَة وثلمة لاتُسد ، ونحن عامة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يصلح للعامة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلا فنُخرجه إليه ، فإن ظفر عَلِم أهل الحصن أن أمير المؤمنين ظفر بأعزّهم على يد رجل من العامة من أبناء الناس ، ليس ممن يُوهن قتله ولا يؤثر ، وإن قُتل الرجل فإنما أُستشهد رجل لم يؤثر ذهابه فى العسكر ولم يثلمه ، وخرج إليه بعده مثله ، حتى يقضى الله ماشاء . فقال الرشيد : قد استصوبت رأيكم هذا . فاختاروا رجلا منهم ـ يقال له : ابن الجزرى ـ وكان معروفاً بالبأس فى الثغر . فقال له الرشيد : أتخرج ؟ قال : نعم ، وأستعين بالله . فقال : أعطوه فرساً ورُمحاً وسيفاً وتُرساً . فقال : ياأمير المؤمنين، أنا بفرسى أوثق ، وبرمحى بيدى أشد ، ولكنى قد قبلت السيفَ والتُّرس . ولبس سلاحه . واستدناه الرشيد فودّعه ، وأتبعه الدعاء . وخرج معه عشرون من المُطّوعة . فقال العلج ، لما انقض الجزرى فى الوادى ، وهو يعدّهم واحداً واحداً : إنما كان الشرط عشرين وقد زدتم رجلا ، ولكن لابأس . فنادَوه : ليس يخرج إليك إلا رجل واحد . فلما فصل منهم ابن الجزرى تأمله الرومى ، وقد أشرف أهل الحصن يتأملون صاحبهم وقِرْنه . فقال له الرومى : أتصدُقنى عمّا أستخبرك ؟ قال : نعم . قال : أنت بالله ابن الجزرى ؟ قال : اللهم نعم . فكفر له ، ثم أخذا فى شأنهما ، فتطاعنا حتى طال الأمر بينهما ، وكاد الفرسان يقومان وليس يخدش أحدهما الآخر . ثم رمَيا رمحهما وأنتضيا سيفيهما وتجالدا بهما ، وكل واحد منهما يتقى ضربة صاحبه بتُرس فلا يُصيبه شيء . وبقيا على ذلك زمناً طويلا . ثم انهزم ابن الجزرى ، فدخلت المسلمين كآبة لم يكتئبوا مثلها ، وعطعط المشركون أختيالا وتطاولا . وإنما انهزم ابن الجزرى حيلة على

(١) فى غير التجريد : « وضيعة على » .

الرومى ، ثم عطف على الرومى ، فرماه بوَهَق[1] فى عنقه ، فوقع على الأرض ، فما وصل إليها حتى فارق رأسُه جسده . وكبّر المسلمون أعلى تكبير ، وانخذل المشركون وبادروا باب الحصن يُغلقونه . وصاح الرشيد بالقُواد . اُجعلوا النار فى المجانيق . ففعلوا وجعلوا الكتّان والنّفط على الحجارة وأضرموها ناراً ورمَوا بها السوْر ، فكانت النار تلصق به وتأخذه الحجارة وقد تصدّع فتهافت . فلما أحاطت بهم النيران فتحوا الباب مستأمنين . فقال الشاعر الذى من أهل جُدة :

هوتْ هرقلةُ لما أن رأت عجباً   جَوائما تَرتمى بالنِّفط والنارِ
كأنّ نيراننا فى جَنب قلعتهم   مُصبَّغات على أرسان[2] قصّار

فأعظم الرشيدُ العَطاء لابن الجزرى . وقُوِّد فلم يقبل التقويد إلا بغير رزق وعِوض . وسأل أن يُعفى ويُترك بمكانه من الثغر . فلم يزل به طُول عمره .

شعره الذى فيه الغناء وقصته

ولما انصرف الرشيد من غزاة هرقلة قَدم الرقة فى آخر شهر رمضان . فلما عيّد جلس للشعراء ، فدخلوا عليه ، وفيهم أشجع السلمى ، فبدرهم أشجع ومدحه بالشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أشجع ، وهو :

لا زلتَ تنشُر أعياداً وتَطويها   تَمضى بها لك أيامٌ[3] وتُمضيها
ولاتَقضَّت بك الدنيا ولا بَرحت   يَطوى لك الدهرُ أياما[4] وتُفنيها

ومنها :

مُستقبلا بهجة الدنيا وزينتها   أيامنا لك نَظمٌ فى[5] لياليها

---

(١) الوهق : الحبل المغار ترمى فيه أنشوطه .
(٢) الأرسان : الحبال ، الواحد : رسن .
(٣) فى غير التجريد : « وتفنيها » .
(٤) فى غير التجريد : « وتفنيها » .
(٥) فى غير التجريد . « أيامنا لك لا تفنى وتفنيها » .

وليَهنك الفتح والأيام مُقبلة إليك بالنَّصر مُعقوداً نواصيها
أمست هِرقلة تُرمى(١) من جَوانبها وناصر الله والإسلام يَرميها
مُلـكتَها وقتلت الناكثين بها بنَصر مَن يملك الدُّنيا بما فيها
ما رُوعى الدِّين والدنيا على قدم بمثل هارون راعيـه وراعيها

فأمر له بألف دينار وقال : لا يُنشدنى أحدٌ بعده . فقال أشجع : واللهِ لأَمرُه بألّا يُنشده أحد بعدى أحبُّ إلىّ من صلته .

أنشد الرشيد فى عيد فطر فوصله

وذُكر أن أشجع دخل على الرشيد فى يوم عيدِ فطر فأَنشده :

استَقبل العيـدَ بعُمر جديد مَدّت لك الأيام حَبل الخُلودَ
مُصعَّدا فى دَرجات العُـلا نجمُكَ مقرون بسَعد السُّعود
وأطْوِ رداء الشَّمس ما أطلعت نوراً جديدًا كلَّ يوم جديد
تَمضى لك الأيامُ ذا غبطة إذا أتى عيدٌ طوى عُمْرَ عِيد

فوصله بعشرة آلاف درهم ، وأمر بأن يُغنَّى فى هذه الأبيات .

شعر له يهنىء به الرشيد فى أوبته من حج

وذكر أن الرشيد كان يحج سنة و يغزو سنة ، لم يزل على ذلك مدة خلافته ، وكانت ثلاثا وعشرين سنة ، وكانت السنة التى لا يحج فيها يحُج عنه مائة من الفقهاء ، والسنة التى لا يغزو فيها يبعث الجيوش إلى الثغر لغزو العـدو . وكان يتصدّق كل يوم من صُلب ماله بألف درهم . فقدم سنة من الحج ، وقد مُطر الناس يوم قدومه ، فأنشده أشجع السلمى :

فابتسام النبات فى أثر الغيـ ـث بنوّاره كسُرج الظـلام
مَلك من مَخافة الله مُغضٍ وهو مُغضًى له من الإعظام
ألِف الحجّ والجهاد فما ينفـ ـك من سفرتين فى كل عام

(١) فى غير التجريد : « تهوى » .

سفراً لجهـــاد نحو عدوّ والمَطايا السّـفرة الإحرام

طلب الله فهو يَسعى إليه بالمَطايا وبالجيـاد السوامى

فيَـداه يدٌ بمـكة تدعو ه وأخرى فى غزوة الإسلام

شعره فى رثاء الرشيد

ولمـا تُوفى هرون الرشيد ، وكانت وفاته بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة ، قال أشجع السلمى يرثيه :

غربت فى المَشرق[1] الشمـ ـس فقل للعـــين تَدْمع

ما رأينـــا قطُّ شمسـاً غربت من حيث تَطلُع

(١) فى غير التجريد : « بالمشرق » .

أخبار ابن مفرّغ

هو يزيد بن ربيعة بن مُفرّغ . وإنما لُقّب جده : مفرّغ ، لأنه راهن على سقاء لبن أن يشرب به حتى فرّغه ، فسُمّى : مفرّغا . — نسبه

ويكنى : أبا عثمان . — كنيته

وهو من حِمْير . ومن الناس من أنكر ذلك ، وزعم أن جدّه مُفرّغا كان عبداً للضحّاك بن عوف الهلالى ، فأعتقه . وقيل : إنه حليف قريش ، ثم حليف آل خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أُمية . — أصله

وكان كثير الهجاء لآل زياد بن سُمية ، الذى أدعى مُعاوية بن أبى سفيان نسبه إلى أبى سفيان ، ولم يولد على فراشه ، وإنما وُلد على فراش عُبيد ، عبد ثقيف . وهو منفىّ عن أبى سفيان بحكم الشّرع المُطهّر ، وهو قولُ الرسول صلى الله عليه وسلم: الولد للفراش وللعاهر الحجر . فما قاله يزيد بن مفرّغ قوله : — هجاؤه لآل زياد

ألا أبلغ معاوية بنَ حَرب ... مُغلغلةً من الرّجل اليَمانِي

أتغضب أن يُقال أبوك عفّ ... وترضى أن يُقال أبوك زانى

وأشهد أن رِحْمك من زياد ... كرِحم الفِيل من ولد الأتان

وأشهد أنها ولدت زيادا ... وصَخْرٌ[1] من سُمَيّة غيرُ دانِ

وقوله :

إذا أودى مُعاوية بن حَرب ... فبشّر شِعب قَعبك[2] باُنصداع

---

(١) فى غير التجريد : « وصحرا » .

(٢) القعب : القدح الضخم الغليظ وفى غير التجريد : « قلبك » .

فأشهد أن أمك لم تُباشر أبا سفيان واضعة القِناع
ولـكن كان أمراً فيه لَبس على وَجَلٍ شديد وارتياع[١]

وقوله :

إن زياداً ونافعاً وأبا بكـ ـرة عندى من أعجب العَجبِ
إنّ رجالًا ثلاثة خُلقوا فى رِحم أنثى[٢] ما كُلهم لأب
ذا قرشى كما يقول وذا مو لًى وهذا ابنُ عمّه عربِى

وقوله فى عُبيد الله بن زياد :

فـكِّر ففى ذاك إن فـكَّرت مُعتبر هل نِلْتَ مَـكرُمة إلّا بتـأميرِ
عاشت سُمية ما تَدرى وقد عَمِرت أن ابنها من قُريش فى الجماهير

سبب هذا الهجاء

وكان السبب فى هَجو يزيد بن مفرغ لآل زياد أن عبّاد بن زياد لمّا ولّى سجستان استصحب يزيد بن مُفرغ معه ، وكان قبل ذلك منقطعاً إلى سعيد بن عثمان بن عفان ، وذلك فى أيام يزيد بن معاوية — وقيل : بل فى أيام معاوية . والأول أصح — فاشتغل عبّاد عن ابن مفرغ بحربه وخراجه ولم يُحسن إليه . فبسطَ ابن مفرغ لسانه فيه ، فذمه وهجاه .

هجاؤه عباد ابن زياد وثأر عباد منه

وكان عبّاد عظيم اللحية ، فسار معه يزيد بن مفرّغ ، فدخلت الريح فى لحية عباد فنفشْتها ، فضحكَ ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان إلى جانبه :

ألا ليت اللِّحى كانت حَشيشًا فنُعلفها دوابّ[٣] المسلمينا

فسعى به اللخمى إلى عبّاد ، فغضب من ذلك ، وكثُر القول فيــه عند عباد ابن زياد وأنه يسُبه ويهجوه وينال من عرضه .

---

(١) فى غير التجريد : « وامتناع » .
(٢) فى غير التجريد : « وكلهم » .
(٣) فى غير التجريد : « خيول » .

وأجرى عبّاد الخيل مرة فجاء سابقا ، فقال ابن مفرغ :

* سبق عباد وصلّت لحيتُه *

فطلب عبّاد عليه العِلل ، ودسّ إلى قوم كان لهم عليه دَين فقدّموه إليه ، فحبَسه وضربه .

وكان لابن مفرّغ عبد يقال له بُرد ، وجارية يقال لها الأراكة[1] ، وكان شديد الضنّ بهما ، فباعهما عليه ، وباع فرسه وسلاحه وأثاثه وقسم الثمن بين غُرمائه ، وبقيت عليه بقية حبسه بها .

شعره الذى فيه الغناء

ومما قاله فى حَبسه الشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج ، وهو :

حىِّ ذا الزَّور وانْههُ أن يعودا ... إنّ بالباب حارسَين قُعودا

مِن أساوِير ماينُون[2] قِيامًا ... وخلاخيلَ تُذْهِل المَولودا

لاذَعرتُ السَّوام فى فَلَق الصُّبـ ... ـح مُغِيراً ولا دُعيتَ يزيدا

يومَ أُعطى مخافةَ الموت[3] ضَيْمًا ... والمنايا يَرْصُدْنَنى أن أحيدا

هربه من عباد وعبد الله وتعذيبهما له

ثم إن عبّاد بن زياد أخرجه من السجن ، فهرب إلى البصرة ، ثم خرج منها إلى الشام ، وجعل يتنقل فى مُدنها ويهجو زياداً وولده ، وأشعارُه ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم . فكتب عُبيد الله بن زياد — وهو أمير العراقين — إلى يزيد ابن معاوية يُخبره بهجو ابن مفرغ له ولأبيه وإخوته ونفيهم عن أبى سفيان بالقَدْح فى أعراضهم ، وقذف أبى سفيان بالزِّنا ، وأنه يجول فى مدائن الشام . فجدّ فى طلبه ، فأتى البصرة واستجار بالأحنف بن قيس ، فأبى أن يُجيره . ثم استجار

(١) فى غير التجريد : « الأرالة » .

(٢) فى غير التجريد : « ماكثات » .

(٣) فى غير التجريد : « ضيما » .

بخالد بن عبد الله بن أسيد ، فأبى . فأتى عُمر بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن معمر التيمى . وطَلحة الطلحات الُخزاعى ، فلم يجيراه . فأتى المُنذر بن الجارود العبدى ، فأجاره . وكانت أبنته بحرية تحت عُبيد الله بن زياد . و بلغ ذلك عُبيد الله بن زياد فطلب المنذر ، فحضر عنده مدلاً عليه بمكان أبنته عنده . فبعث عُبيد الله الشرط فكبسوا دار المنذر وأتوه بأبن مفرغ . فلم يشعر المنذر إلا بابن مفرغ وهو قائم على رأسه . فقام إلى عبيد الله فكلمه فيه وسأله العفو عنه . فأبى ذلك عبيد الله . فغضب المنذر . فقال له عبيد الله : لعلك تُدلّ بكر يمتك عندى ، إن شئتَ والله لأبينتها[1] بتطليق البتة . فخرج المنذر من عنده . وأمر عُبيد الله بحبس أبن مفرغ . وكتب إلى يزيد بن معاوية يستأذنه فى قتله . فورد الكتاب إليه بالمنع من ذلك والإذن له فى عقوبته وتأديبه . فأمر عُبيد الله بابن مفرغ فسُقى نبيذاً حُلواً قد خُلط فيه الشُّبرم ، فأسهل بطنه ، وطيف به على تلك الحال . وقُرن بسنّور وخنزير[2] فجعل يَسْلح والصِّبيان يتبعونه ويصيحون به . وطيف به كذلك فى أسواق العامة بالبصرة حتى ضعفت قوته وكاد يموت . ثم أمر به فغُسل بالماء ، فلما اغتسل قال :

يغسل الماء ما فعلتَ وقولى راسخٌ منك فى العِظا البوالِى

فردّه عُبيد الله إلى الحبس . فأمر أن يُسَلَّم لِحجام ، وقدّموا إليه عُلوجًا وأمروه أن يَحجمهم ، فكان يأخذ المشراط فيقطع به رقابهم ، فيهربون منه . فتُرِك وَرُدّ إلى محبسه . فقال أبن مفرغ فى ذلك :

وما كنت حجّاماً ولكن أحلّنى بمنزله الحجّام نَأيِى عن الأهل

ثم أمر عُبيد الله بن زياد ببعث أبن مفرغ إلى أخيه عبّاد بسجستان ، ووكل

---

(١) فى غير التجريد : « لأبيمنها » .

(٢) فى غير التجريد : « بهرة وخنزيرة » .

به رجالاً وجّههم معه ـ وكان لما هرب ابن مفرغ من عبّاد يهجوه ويكتب كل ما هجاه به على حيطان الخانات . فتقدم عُبيد الله إلى الموكلين به أن يأخذوه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره . وأمرهم ألّا يتركوه يصلّ إلا إلى قبلة النصارى إلى المشرق . فكانوا إذا دخلوا بعض الخانات التى ينزلها فرأوا فيها شيئاً مما كتبه من الهجاء أخذوه بمحوه بأظافيره . وكان يفعل ذلك ويحكه بها حتى ذهبت أظافيره . فكان يمحو بعظام أصابعه ودمُه يسيل . حتى سلّموه إلى عباد فحبسه وضيّق عليه ، فقال قصيدته التى أولها :

ألا طرقتْنا آخر الليل زينبُ ... سلامٌ عليكم هل لما فات مطلبُ

فقالت تجنّبنا ولا تقربنّنا ... وكيف وأنتم حاجتى أتجنّب

ومنها :

قُرنت بخنزير وهرّ وكلبة ... زماناً وشأن الجلد ضَرْب مُشذَّب

وأُطعمت ما إن (١) لا يحلُّ لآكل ... وصلّيت شرقاً بيتُ مكة مُغرب

من الطفِّ مجنوباً (٢) إلى أرض كابل ... فملُّوا وما ملّ الأسيرُ المعذَّب

فلو أنّ لحمى إذ هَوى لعبتْ به ... كرام الملوك أو أُسودٌ وأذؤب

لهوّن وجدى أو لزادت بصيرتى ... ولكنّما أودت بلحمىَ أكلُب

أعبّاد ما للوم عنك محوّل ... ولا لك أم من قريش ولا أب

سينصرُنى من ليس ينفع عنده ... رُقاك وقَوْم من أميّة مُصعب

وقُل لعبيد الله : ما لك والد ... بحقٍّ ولا يدرى أمرؤٌ كيف تنسب

وساطة طلحة فى فكاكه

ولما طال حبس ابن مفرّغ بسجستان ركب طلحة الطلحات الخزاعى إلى الحجاز ، ودعا قُريشاً إلى القيام فى أمره ، لكونهم حُلفاءه ، فانتدب معه خالد

---

(١) فى غير التجريد : « ما لا إن » .

(٢) مجنوباً : مقودا إلى جنب فرس .

ابن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية ، وعبد الله أخوه ، وعمر ابن عبيد الله بن مَعمر التيمى ، ووجوه خُزاعة وكنانة . وخرجوا إلى يزيد ابن معاوية .

رسوله بشعره إلى الحصين

وبعث ابن مفرِّغ رجلا من بنى الحارث بن كعب فقام على سور حِمص ، وواليها يومئذ الحُصين بن نُمير السَّكونى ، وأنشد هذه الأبيات :

أبلغ لديك بنى قَحْطان قاطبةً ... عضّت بأَيرِ أبيها سادةُ اليمنِ

أضحى دعىُّ زياد فَقْع قَرْقرة ... ياللعجائب يلهو بابن ذى يَزن

والِحميرى طَريح وسط مَزبلة ... هذا لعمركمُ غَبْن من الغَبن

قُوموا فقولوا أمير المؤمنين لنا ... حق عليك ومنٌّ ليس كالمِنَن

فاكفف دَعىّ زياد عن أكارمنا ... ماذا تُريد إلى الأحقاد والإِحَن

فاجتمعت اليمانية إلى حُصين بن نمير وحَركوه عن القيام بنصرة ابن مفرِّغ ، فركبوا وقصدوا دمشق ، وقدموا على يزيد بن معاوية ، وقد سبقهم الرجل فنادى بذلك الشعر يوم الجمعة على درج المسجد الجامع بدمشق ، فثارت اليمانية وتكلّموا ، ومشى بعضهم إلى بعض ، وقدم القرشيون والخزاعيون على يزيد وكلّموه فى ابن مفرغ ، فسرَّح يزيد بن معاوية رجلا من حمير يقال له : خمخام . وكتب معه : إلى عباد بن زياد ، نفسك نفسك ، وأن تسقط من ابن مفرغ شعرة فأقيدك والله به ، ولا سلطان لك ولا لأخيك ولا لأحد غيرى عليه . فجاء خمخام حتى انتزعه جهاراً من الحبس بمحضر من الناس ، وأحضر له دابة من دواب البريد فركبها . فلما استوى على ظهرها قال :

عَدَسْ (1) ما لعبّاد عليك إمارة ... نجوتِ وهذا تَحملين طليقُ

(1) عدس وحدس : رجل كان يعنف على البغال فى أيام سليمان عليه السلام ، وكانت إذا قيل لها حدس أو عدس انزعجت .

و إن الذى نجَّى من الكَرْب بعدما ... تلاحَم فى دَرْب عليك مُضَيق
أتاك بخَمخام فأنجاك فالحق ... بأهلك[1] لا تُحْبَس عليكِ طريق
لعمرى لقد أنجاك من هُوَّة الرَّدى ... إمامٌ وحَبل للأنام وَثيق
سأشكر ماأوليت من حُسن نعمة ... ومثلى بشُكر المُنعمين خَليق[2]

هو يزيد ابن معاوية

ولما دخل ابن مفرِّغ على يزيد بن معاوية قال : يا أمير المؤمنين، اختر منّى خصلة من ثلاث خصال فى كلها لى الفرج: إما أن تُقيدنى من ابن زياد . و إما أن تخلِّى بينى و بينه ، و إما أن تقدِّمنى فتضرب عنقى ؟ فقال يزيد : قبح الله ما اخترته وخيرتنيه ! أما القود من أبى زياد فما كنت لأُقيدك من عامل كان عليك ظالمته وشتمت عرضه وعرضى معه ، وأما التخلية بينك و بينه فلا ولا كرامة ، ما كنت لأخلى بينك و بين أهلى تُقطع أعراضهم ؛ وأما ضرب عنقك فما كنت لأضرب عُنق مُسلم من غير أن يستحق ذلك ، ولكن أفعل بك ما هو خير لك مما اخترته لنفسك ، أعطيك دِيتك . فإنهم قد كانوا عرضوك للقتل ، وا كفُفْ عن ولد زياد ، فلا يبلغنى أنك ذكرتهم ، وانزل أى البلاد شئت . وأمر له بعشرة آلاف درهم .

اعتذاره لابن زياد

فخرج حتى أتى الموصل فأقام بها مدة . ثم أتى عبيد الله بن زياد فدخل إليه واعتذر إليه وسأله الأمان فأمّنه ووصله .

خروجه إلى كرمان ونقضه لعهده مع ابن زياد

ثم خرج إلى كرمان فأقام بها حتى مات بها يزيد بن معاوية ، وغلب عبد الله ابن الزبير على الحجاز والعراقين ، وهرب عبيد الله بن زياد . وكان أهل البصرة قد أجمعوا على قتله . فعاد ابن مفرغ إلى البصرة وعاود هَجْو بنى زياد . ثم ظهر المختار

---

(١) فى غير التجريد ، « بأرضك » .

(٢) هذه رواية اللسان والتجريد . وفى غيرهما « حقيق » .

ابن أبى عُبيدة الثقفى بالكوفة مبايعاً لابن الزبير وطالباً بثأر الحسين بن على ابن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، فبايعه أهلها وجد فى قتل قَتلة الحسين رضى الله عنه وإخراب دورهم . ثم سير الجيوش لقتال عُبيد الله بن زياد ، وقد أقبل من الشام فى عسكر عظيم ، فالتقوا بالزاب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أهل الشام وقُتل عبيد الله بن زياد .

مقتل ابن زياد وشعر ابن مفرغ فيه

فذكر أن إبراهيم بن الأشتر النخعى — وكان صاحب جيش المختار — حمل على كتيبته فانهزموا ، ولقى عبيد الله بن زياد فضربه فقتله ، وجاء إلى أصحابه وقال : إنى ضربت رجلاً وفاح منه المسك وأظنه ابن مرجانة ! وأومأ لهم إلى موضعه . فجاءوا إليه وفتشوا عليه فوجدوه ، وإذا هو عبيد الله بن زياد ، فأخذوا رأسه وحملوه إلى المختار ، فقال ابن مفرغ :

إنّ الذى عاش ختّاراً بذمّته ... وعاش عبداً قتيل الله بالزاب

العبد للعبد لا أصل ولا طَرَف ... ألوتْ به ذات أظفار وأنياب

إنّ المنايا إذا مازُرن طاغية ... هَتكن عنه سُتوراً بين أبواب

هلّا جُموع نزار إذ لقيتهم ... كنت امرأً من قُريش غيرَ مُرتاب

لا أنت زاحمت عن مُلك لِتمنَعَه ... ولا مددتَ إلى قوم بأحساب(١)

ما شُق جَيْب ولا ناحتْك نائحة ... ولا بكتْك جِيادٌ عند أسلاب

أقول بُعداً وسحقاً عند مَصرعه ... لابن الخبيثة وابن الكودن(٢) الكابى

(١) فى غير التجريد : « بأسباب » .

(٢) الكودن : البرذون يوكف ، وبه يشبه البليد .

أخبار الزبير بن دحمان

صناعته

هو أحد المغنّين الحُذاق والمتقدّمين فى الصناعة .

وفوده على الرشيد

وذكر أن الرشيد كتب فى إشخاصه إلى مدينة السلام فوفاها ، واتفق وقت قدومه خُروج الرشيد إلى الرىّ لمحاربة بندار[1] هرمز أصبهبْد طبرستان ، فأقام الزبير بمدينة السلام إلى أن رجع الرشيد ، فدخل عليه بالخيزرانة ، وهو الموضع الذى يعرف بالشمّاسية ، فغناه فى أول غنائه صوتاً قاله فى الرشيد مدحه به وذكر خروجه إلى طبرستان . وقيل : إن الشعر لأبى العتاهية . وهو :

ألا إن حزبَ الله ليس بمُعجِز ... وأنصاره فى مَنْعة المتحرِّزِ

أبى الله أن يُعصى لهارون أمره ... وذلّتْ له طوعاً يد المُتعزِّز

إذا الراية السوداء راحت أو اُغتدت ... إلى هاربٍ منها فليس بمُعجز

أطاعت لهارون العِداةُ لدى الوغى ... وكبّر للإسلام بندار[1] هرمز

فاستحسن الرشيد الشعر والغناء . وأمر له بألف دينار . فدُفعت إليه . ومكث ساعة ثم غنى :

وأحور كالغُصن يَشفى السقام ... ويحكى الغزال إذا مارنا

شربتُ المُدامَ على وجهه ... وعاطيتُه الكأسَ حتى اُنثنى

وقلت مَديحاً أرجّى به ... مِن الأجر والحظ نيلَ الغِنى[2]

وأعنى بذاك الإمامَ الذى ... به الله أعطى العِبادَ المُنى

---

(١) فى التجريد : « بداذ » .

(٢) فى غير التجريد : « من الأجر حظاً ونيل الغنى » .

فأمر له بألف دينـار آخر . فقبضها ، وحف على قلبه واستظرفه ، وأغناه فى مُدة يسيرة .

غنى الرشيد عن البرامكة فأبكاه

وذكر أن الرشيد بعد قتله البرامكة كان شديد الأسف عليهم والندم على مافعله بهم ، ففطن لذلك الزُّبير بن دَحمان ، فكان يُغنِّيه فى هذا المعنى فيحركه ، فغناه يوماً ، والشعر لامرأة من بنى أسد :

مَن للخُصوم إذا جد الخصام بهم   يومَ الجدال[1] ومن للضمَّر القُودِ
ومَوقفٍ قد كفيتُ الناطقين به   فى مَجمَعٍ من نواصِى الناس مَشهود
فرَّجتَـــه بلسان غير مشتبه[2]   عند الحفـــاظ وقلب غير مَرْدود

فقال الرشيد : أعد . فأعاد . فقال له : ويحك ، كأن قائل هذا الشعر يصف يحيى بن خالد . وجعفر بن يحيى ، وبكى حتى جرت دموعه . ووصل الزبير صلةً سنية .

(١) فى غير التجريد : « النزال » .

(٢) فى غير التجريد : « ملتبس » .

أخبار العُمانىّ

هو محمد بن ذُؤيب بن مِحجن بن قُدامة الحنظلى ، ثم الدارمىّ .

نسبه

وقيل له : العُمانى ، وهو بصرى ، لأنه شديد صفرة اللون ، ليس هو ولا أبوه من أهل عُمَان .

سبب تلقيبه : العمانى

وكان شاعراً راجزاً متوسطاً ، من شعراء الدولة العباسية . وكان لطيفاً مقبولاً ، فأفاد بشعره أموالاً جزيلة .

إفادته بشعره

ذكر أنه دخل على الرشيد يوماً فأنشده قوله فيه ، وهو الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخباره :

شعره الذى فيه الغناء

يا ناعش الجَدّ إذا الجد عثر ... وجابر العَظم إذا العظم انكسرْ

أنت ربيعى والربيع يُنتظر ... وخير أنواء الرّبيع مابَكَر

فقال له الرشيد : إذن يبكر عليك ربيعنا ؛ يافضل ، أعطه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً .

وذُكر أن الفضل بن يحيى بن خالد وجّه الوفد من خراسان إلى الرشيد يحضّونه على البيعة بولاية العهد لابنه محمد الأمين ، فقعد لهم الرشيد ، وتكلّم القوم على مراتبهم ، وأظهروا السّرور بما دعاهم إليه من البيعة لابنه محمد . وكان فيمن حضر العُمانى ، فقام بين صفوف القُواد وقال فى ذلك أرجوزة طويلة أولها :

أرجوزته فى بيعة الأمين

لما أتانا خبرٌ مُشتهر ... أغرّ لا يَخفى على من يُبصرُ

جاء به الكوفى والمُبصِّر ... والراكب المُنجِد والمُغوِّر

يخبّر النـــاس وما يَسْتخبر ... قلت لأصحابى ووجهى مُسفر
وللرجال حَسْبكم لا تُكثروا ... فاز بها محمد فأقصروا
قد كان هذا قبل هذا يُذْكر ... فى كُتب العلم التى تُسَطّر

فلما فرغ من أرجوزته قال له الرشيد : أبشر يا عُمَانى بولاية محمد العهد . قال : إى والله يا أمير المؤمنين ، بُشرى الأرض المُجْدبة بالغيث ، والمرأة النَّزور بالولد ، والمريض المُدْنف بالبرء . قال : ولم ذلك ؟ قال : لأنه نَسِيج وحده ، وحامى مجده ، ومُورى زَنده . قال : فما لك فى عبد الله ؟ — يعنى المأمون — قال : مرعى ولا كالسَّعدان . فتبسّم الرشيد وقال : قاتله الله من أعرابى ، ما أعرَفه بمواضع الرغبة ، وأسرعه إلى أهل البذل والعائدة ، وأبعده عن أهل الحزم والعزم الذين لا يُستمنح ما لديهم بالثناء ، أما والله إنى لأعرف فى عبد الله حَزم المنصور ، ونُسك المهدى ، وعز نفس الهادى ، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابعة لنسبته إليها .

حضه الرشيد على توليه القاسم العهد

وكان الرشيد قد جعل محمداً ولى عهده ، والمأمون عبد الله ولى عهد محمد ، فأنشده العمانى يوماً أرجوزة ، فحرّضه فيها على أن يجعل القاسم ولىّ عهد أخويه الأمين والمأمون ، فلما انتهى إلى قوله منها :

قل للإمام المُقتَدى بأُمه ... ما قاسمٌ دون مدى ابن أمه
وقد رضيناه فقُم فسمِّه

فتبسم الرشيد وقال : ويحك ، ما رضيت أن أوليه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رجلى ! فقال العمانى : ما أردت يا أمير المؤمنين قيامك على رجليك ، وإنما أردت قيام العزم . قال : فإنا قد ولّيناه العهد . وأمر ابنه القاسم أن يحضر .

ومر العمانى فى أرجوزته يهدر حتى أتى على آخرها . وأقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد ، فجلس مع أخويه ، وقال له : ياقاسم ، عليك جائزةُ هذا الشيخ ، فقد سألنا

أن نوليك العهد ، وقَدْ فعلنا . فقال : حُكمك ياأميرالمؤمنين . فقال : ما أنا وهذا ، بل حُكمك . فأمر له الرشيد بجائزة ، وأمر له القاسم بجائزة أخرى مُفردة .

تعقيب المؤلف

قلت : القاسم خَلعه أخوه المأمون من ولاية عهْدِه لما صار الأمر إليه ، وولى الخلافة بعْدَ المأمون أخوه أبو إسحاق المعتصم .

أخبار عروة بن أذينة

وأُذينة [1] لقب . واسمه : يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن زحل بن يعمر – هو الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة.

سبب تلقيب جده الشداخ

وسمى يعمر : الشداخ – لأنه كان يحمل ديات قَتْلى كانت بين قريش وخُزاعة، وقال : شدخت هذه الدماء تحت قدمى ، فسمى الشداخ .

وقال ابن الكلبى :

كنيته وشىء عنه وعن روايته

هو الشداخ بضم الشين ، ويكنى عُرْوَة : أبا عامر . وَهو شاعر غزل ، من شُعراء أهل المدينة . وَهو معدود فى الفقهاء والمحدثين . روَى عنه مالك بن أَنَس الفقيه وغيره . ورَوى هو عن أبيه وغيره . فمما روى :

قال عروة بن أذينة : حدثنى أبى مالك بن الحارث قال : أدركت علىّ بن أبى طالب بالبصرة . وقد هزم الناس ودخل البصرة ، فكنت آتيه أَتَحَدَّث إليه ، فركب يوماً يطوف وَركبت معه . فإنى لأسير إلى جانبه إذ مررنا بقبر طلحة ، فنظر إليه نظراً شَديداً ، ثم أقبل علىّ فقال : أمسى والله أبو محمد بهذا المكان غريباً . ثم تمثل :

وما تدرى وإن أزمعت أمراً بأى الأرض يُدْرِكك المَقيلُ

والله إنى لأكره أن تكون قريش قَتْلى تحت بطُون الكواكب . قال : فوقع العراقيون يشتمُون طلحة ، وعلىّ ساكت . حتى إذا فرغوا أقبل علىّ علىّ وقال : إنه وإن قالوا ماسمعت لكما قال أخو جُعفىّ :

فتى كان يُدْنيه الغنى من صديقه إذا ما هو اُستغنى ويُبعده الفقرُ

---

(1) مكان هذه الترجمة فى الجزء الحادى والعشرين من الأغانى . والترجمة التى تلى ترجمة العمانى فى الأغانى هى ترجمة أشعب .

ثم أردت أن أكلمه بشيء ، فقلت : يا أمير المؤمنين . فقال : وما منعك أن تقول : يا أبا حسن ؟ فقلت : أبيت . فقال : أما والله إنها لأحبُّهما إلىّ لولا الحمق ، ولوددت أنى خُنقت بحبل حتى أموت قبل أن يُفعل بعثمان ما فُعل ، وما أعتذر من قيام بحق ، ولكن العافية ممّا ترى كانت خيراً .

هو وجماعة من الشعراء عند هشام

وحكى يحيى بن عروة بن أذينة قال : أتى أبى وجماعة من الشعراء هشام ابن عبد الملك ، فنسبهم ، فلما عرف أبى قال له : أنت القائل :

لقد علمتُ وما الإسرافُ من خُلقى	أنّ الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيُعنّينى تطلُّبه	ولو قعدتُ أتانى لا يُعنّينى
وأن حَظ أمرئٍ غيرى سيبلغه	لا بُد لا بُد أن يجتازه دونى
لا خير فى طمع يُدنى لمنقصة	وغُبّر من كَفاف العيش يكفينى
كم من فقير غنىّ النفس تَعرفه	ومن غنىّ فقير النفس مِسكين
ومن أخٍ لى طوى كشحًا فقلت له	إنّ انطواءك عنى سوف يَطوينى
إنى لأنطق فيما كان من أربى	وأكثر الصمت فيما ليس يَعنينى
لا أبتغى وصل مَن يبغى مفارقتى	ولا ألين لمن لا يشتهى لِينى

فقال له ابن أذينة : نعم أنا قائلها . قال : أفلا قعدت فى بيتك حتى يأتيك رزقك ؟ وغفل عنه هشام . فخرج من وقته فركب راحلته ومضى مُنصرفاً ، ثم افتقده هشام فعرف خبره ، فأتبعه بجائزة وقال للرسول : قل له : أردت أن تكذبنا وتصدق نفسك . فلحقه وقد نزل على ماء يتغدّى عليه ، فأبلغه رسالته ودفع إليه الجائزة . فقال : قل له : قد صدقنى ربّى وكذبك .

وقال يحيى بن عروة : وفرض له فريضتين . كنت أنا فى إحداهما .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء . وافتتح به أبو الفرج أخبار عروة بن أذينة ، هو البيتان الأولان من هذه الأبيات .

هو وسكينة

وذكر أن سُكينة بنت الحسين بن علىّ وقفت على عُروة بن أذينة فى موكبها ومعها جواريها ، فقالت : يا أبا عامر ، أنت الذى تزعم أن لك مروءة وأن غَزلك من وراء عفة ، وإنك تقى ؟ قال : نعم . قالت : أفأنت الذى يقول :

قالت وأبثثتُها وَجدى فبُحت به قد كنت عندى تُحب الستر فاستتر
ألستُ تُبصر من حولى فقلت لها غطّى هواك وما ألقى على بصرى

فقال لها : بلى . فقالت : هن حرائر إن كان خرج هذا من قلب صحيح .

هو وجارية سألته

ذكر أنه وقفت امرأة على ابن أذينة وهو بفناء داره . فقالت له : أنت ابن أذينة ؟ قال : نعم . قالت : أنت الذى يقول الناس إنك برىء وإنك صالح وأنت الذى تقول :

إذا وجدت أُوارَ الحب فى كَبدى أقبلتُ نحو سِقاء القوم أبتردُ
هَبنى بردت ببرد الماء ظاهره فمن لحرٍّ على الأحشاء يتّقد

فقال : نعم .

أخبار مخارق (*)

هو مُخارق بن يحيى ، مولى هارون الرشيد ، وكان قبله لعاتكة بنت شُهدة ، وهى من المغنّيات المُحسنات المتقدّمات فى الضَّرب .

نسبه وولاؤه

ونشأ بالمدينة ، وقيل : بالكوفة .

منشأه

وكان أبوه جزّاراً مملوكا ، وكان وهو صبىّ ينادى على ما يَبيعه أبوه من اللحم ، فلمّا بان طيبُ صوته علّمته مولاته طَرَفاً من الغناء ، وأرادت بيعه ، فاشتراه منها إبراهيم الموصلى ، وأهداه للفضل بن يحيى بن خالد ، فأخذه منه الرشيد ثم أعتقه .

شىء عنه وعن أبيه

وكان يلقّب أبوه ناووساً ، وإنما لُقب بذلك ، لأنه بايع رجلاً أنه يمضى إلى ناووس بالكوفة فيطبخ فيه قدراً بالليل حتى تنضج ، وطرح رهنه بذلك ، فدسّ الرجل الذى راهنه رجلا فألقى نفسه فى الناووس بين الموتى ، فلما فرغ ناووس من طَبيخه مدّ الرجل يده من بين الموتى وقال له : أطعمنى ، فغرف من المرقة ملء المغرفة فصبّها فى يد الرجل فأحرقها وضربها بالمغرفة ، وقال له : أصبر حتى نُطعم الأحياء ثم نتفرغ للموتى ، فلُقب ناووساً لذلك .

لقب أبيه وسبب ذلك

ولما اشترى الرشيد مخارقا كان يقف بين يديه مع الغلمان و يغنّى وهو واقف ، فغنّى ابنُ جامع يومًا بين يدى الرشيد :

حيلته هو وإبراهيم الموصلى على الرشيد فى صوت لابن جامع

هَوت هرقلةُ لمّا أن رأت عجباً   حوائما ترتمى بالنِّفط والقارِ

كأنّ نيرانَنا (1) فى جَنب قلعتهم   مصبَّغات على أرسانِ قصّار

(*) جاءت هذه الترجمة فى الأغانى بين تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(1) فى غير التجريد : « نيرانها » .

فطرب الرشيد واستعاده عدة دَفعات ، وأقبل يومئذ على ابن جامع دون غيره ، فغمز مخارق إبراهيم بعَينه وتقدّمه إلى الخلاء ، فلما جاءه قال له : مالى رأيتك مفكِّراً ؟ قال له : أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت ؟ فقال : قد والله أخذتُه . فقال له : ويحك ، إنه الرشيد وابن جامع مَن تَعلم ، ولا يمكن مُعارضته إلا بما يزيد على غنائه ، وإلا فهو الموت . فقال : دَعنى وخَلاكَ ذَمّ ، وعرِّفه أنى أغنى به . فقال : فإن أحسنت فإليك يُنسب ، وإن أساءت فعلىّ يعود . فقال إبراهيم للرشيد : يا أمير المؤمنين ، أراك متعجباً من هذا الصوت بغير ما يستحقّه وأكثر ما يستوجبه . فقال : لقد أحسن فيه ابن جامع ما شاء . فقال : أو لابن جامع هو ؟ قال : نعم ، كذا ذكر . قال : فإن عبدك مخارقاً يغنّيه . فنظر إلى مخارق فقال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : هاته ، فغناه وتحفّظ فيه فأتى بالعجائب . فطرب الرشيد حتى كاد يطير فرحاً ، ثم أقبل على ابن جامع فقال : ويلك ! ما هذا ؟ فابتدأ يحلف له بالطلاق وكل مُحرجة أنه لم يُسمع ذلك الصوت قطُّ إلا منه ولا صنعه غيره ، وأنها حيلة جرت عليه . فأقبل على إبراهيم فقال . اُصدقنى بحياتى . فصدقه عن قصة مخارق . فقال له : أكذاك يا مخارق ؟ قال : نعم يا مولاى فقال : اُجلس إذن مع أصحابك فقد تجاوزت مرتبة من يقوم ، وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار ، وأقطعه ضيعة ومنزلا .

تكنية الرشيد له

وكنّى الرشيد مخارقاً أبا المُهنأ .

وحكى مخارق قال :

قصة مئوا كلته للأمين

دعانى الأمين يوماً وقد اصطبح ، واقترح علىّ :

اِستقبلتْ وَرَقَ الرَّيحان[1] تقطفه ... وعَنبر الهِنـد والورديّة الجُددَا

ألستَ تَعرفنى فى الحىّ جارية ... ولم أخُنك ولم ترفع إلىّ يدا

(١) التجريد : « تقطفه » .

فغنّيته إياه ، فطرب طرباً شديداً وشرب عليه ثلاثة أرطال وِلاء ، وأمر لى بألف دينار ، وخَلع علىّ جُبة وَشْى كانت عليه مذهبة ودَرّاعة مثلها ، وعمامة مثلها تكاد تُغشى البصر من كثرة الذهب . فلما لبست ذلك ورآه علىّ نَدِم ، وكان كثيراً ما يفعل ذلك ، فقال لبعض الخدم : قل للطبّاخ يأتينا بمَصْليّة[1] معقودة الساعةَ . فأتى بها . فقال لى : كُل معى . وكنت أعرف الناس بمذهبه وكراهيته لذلك ، فامتنعت ، فخلف أن آكل معه . فحين أدخلت يدى فى الغضارة[2] رَفع يده ثم قال : أُف ، نغّصتها والله علىّ وقذّرتها عندى بإدخال يدك فيها ! ثم رفس القَصعة رفسة فإذا هى فى حِجرى . وودكُها يسيل على الخلعة حتى نَفَذ إلى جلدى ، فقمت مُبادراً فنزعتُها و بعثت بها إلى منزلى وغيّرت ثيابى وعُدت وأنا مغموم منها ، وهو يضحك . فلما رجعتُ إلى منزلى جئت كل صانع حاذق فجهدوا فى إخراج ذلك الأثر منها فلم يخرج ، ولم أنتفع بها حتى أحرقتها ، وأخذت ذهبها .

وضرب الدهر بعد ذلك ضَربه ، ثم دعانى المأمون فدخلت إليه وهو جالس . و بين يديه مائدة عليها رغيفان ودَجاجتان . فقال : تعال فكُل . فامتنعت . فقال : تعال ويلك فساعدنى . فجلست معه فأكلت معه حتى استوفى ، ووضع النبيذ ودعا علّويه فجلس ، فقال : يا مخارق ، أتغنى :

أقول التماس العُذر لمّا ظلمتنى وحمّلتنى ذنباً وما كُنت مذنباً

فقلت : نعم يا سيدى . قال : غَنّه . فغنيته ، فعبس فى وجهى ثم قال : قَبحك الله ، هكذا تُغَنِّى ! ثم أقبل على علّويه فقال : تغنِّيه ؟ قال : نعم يا سيدى . قال : غنّه . فغنّاه ، فوالله ما قاربنى فيه . فقال : أحسنت والله ! و شَرب رطلا

(١) مصلية : أى شاة مشوية .

(٢) الغضارة : الصحفة .

وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأستعاده ثلاثاً وشرب عليه ثلاثة أرطال ، وأعطاه مع كل رِطل عشرات آلاف درهم ، ثم خذف بإصبعه[1] وقال : بَرْق يمان ، وكان إذا أراد قَطْع الشراب فعل ذلك وقُمنا . فعلمت من أين أُتيت . فلما كان بعد أيام دعانى فدخلتُ إليه وهو جالس فى ذلك الموضع بعينه يأ كل ، فقال : تعال و يلك فساعدنى . فقلت : الطلاق لى لازم إن فعلت . فضحك ثم قال لى : و يلك ! أترانى بخيلا على الطعام ؟ لا والله ، ولـكنى أردت أن أؤدبك ، لأن السادة لا يَنبغى لعبيدها أن تؤاكلها ، أفهمت ؟ فقلت : نعم . قال : فتعال الآن فـكُل على الأمان . فقلت : أ كون . إذن أول من أضاع تأديبك إياه ، وأستحق العقوبة من قريب . فضحك حتى أستغرب . ثم أمر لى بألف دينار ، ومضيتُ إلى حُجرتى المرسومة[2] لى للخِدمة ، وأُتيت بطعام فأ كلت . ثم دعا بى و بعَلويّة ووضع النبيذ . فلما جلسنا قال لعلويه : أتغنى :

ألم تقُولى نعم قالت أرى وَهَمَا منّى وهل يُؤخذ الإنسان بالوَهَمِ

فقال : نعم ياسيدى . فغنّاه . فعبَس فى وجهه و بسر[3] ، وقال : قَبَحك الله، أتغنِّى هذا هكذا ؟ ثم أقبل علىّ فقال : أتغنيه يا مخارق ؟ قلت : نعم يا سيدى . وعلمت أنه يريد أن يستقيد لى من عَلويه و يرفع منى ، و إلا فما أتى علّويه بما يُعاب فيه . فغنّيته ، فطرب وشرب رطلا وأمر لى بعشرة آلاف درهم ، وفعل ذلك ثلاث مرات كما فعل به ، ثم أمر بالانصراف ، فانصرفنا . وما عاودت بعد هذا مؤاكلة خليفة إلى وقتى هذا .

ترضيه المعتصم بعد غضبه عليه

وذُكر أن المعتصم غضب على مُخارق وأمر أن يُجعل فى المؤذّنين و يلزمهم ، ففَعل ذلك ، وأُمهل حتى علم أن المعتصم يشرب ، وأَذنت العصر ، فدخل مخارق

(١) الخذف : الرمى بالحصى الصغار بأطراف الأصابع . والذى فى التجريد وأصول الأغانى « حذف » بالحاء المهملة .

(٢) التجريد : « الموسومة ». (٣) بسر : عبس .

إلى الستر حيث يقف المؤذن للسلام ، ثم رفع صوته جَهده ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله . فبكى المعتصم حتى جرت دُموعه . وبكى كل من حضره . ثم قال : أدخلوه إلىّ . ثم أقبل على الحاضرين فقال : سمعتم هكذا قط ؟ هذا الشيطان لن يترك أحداً يغضب عليه . فأُدخل إليه، فقبّل الأرض بين يديه . فدعاه المعتصم إليه وأعطاه يده فقبلها ، وأمر بإحضار عود فأُحضر ، وأعاده إلى مرتبته .

وحكى مخارق قال :

غنى المأمون ببيتين صنعهما فى رثاء جارية له

كنا عند المأمون فجاءه الخادم الحرمى [1] ، فأسرّ إليه شيئاً ، فوثب فدخل معه ، ثم أبطأ علينا ساعة وعاد وعينه تَذرف ، فقال لنا : دخلتُ الساعة إلى جارية لى كنت أتحظاها فوجدتها فى الموت ، فسلّمت عليها ، فلم تستطع رد السلام إلا بأصابعها إيماء ، فقلت هذين البيتين :

سلام على من لم يُطق عند بينه ... سَلاماً فأومى بالبَنان المُخضّبِ

فما أُسطعتُ توديعاً سوى سرعة البكا [2] ... وذلك جهد المُستهام المعذّب

ثم قال : غن فيهما يا مخارق . فما استعادنى ذلك الغناء قط إلا بكى .

وفاته وسببها

وكانت وفاة مخارق فى أول خلافة المتوكل . وقيل : فى أول خلافة الواثق . وذُكر أن سبب وفاته أنه أكل قنّبيطة باردة ، فقتلته من يومه .

---

(١) التجريد : « الحزمى » بالزاى .

(٢) فى غير التجريد : « فما اصطعت توديعا له بسوى البكا » .

أخبار أبى محجن الثقفى (*)

نسبه

هو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن قَسِىّ . وقد تقدم ذكر بقية هذا النسب .

شىء عنه

وهو من المُخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام . شاعر فارس شجاع ، معدود فى أولى البأس والنجدة ، وكان من المُعاقرين للخمر المحدودين فى شُربها .

أتى به عمر بين شاربى خمر

ذَكر أنه أُتى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — بجماعة فيهم أبو مِحجن الثقفى ، وقد شربوا الخمر ، فقال : أشربتم الخمر بعد أنْ حَرّمها الله ورسوله ؟ فقالوا : ما حرّمها الله ولا رسوله ، إن الله يقول : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناح فيما طَعموا إذا ما اتقوا وآمنوا) . فقال عمر — رضى الله عنه — لأصحابه : ما ترون فيهم ؟ فاُختلفوا فيهم . فبَعث إلى على بن أبى طالب — رضى الله عنه — فشاوره ، فقال له على — رضى الله عنه — : إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغى أن يستحلّوا الميتة والدم ولحم الخنزير . فسكتوا . فقال عمر لعلى — رضى الله عنهما — : ما ترى فيهم ؟ فقال : أرى إن كانوا شربوها مستحلّين لها أن يُقتلوا ، و إن كانوا شربوها وهم يُؤمنون أنها حرام أن يُحدوا . فسألهم ، فقالوا : والله ما شككنا فى أنها حرام ، ولكنّا قدرنا أن لنا نجاة فيما قلناه . فجعل يحدهم رجلا رجلا ، وهم يخرجون ، حتى انتهى إلى أبى محجن ، فلما جلده أنشأ يقول :

(*) هذه الترجمة جاءت فى الأغانى بين تراجم الجزء الحادى والعشرين .

ألم ترأن الدهر يَعـــثُر بالفتى ... ولا يستطيع المرء صَرْف المَقادرِ
صبرتُ فلم أجزع ولم أكُ[1] كائعا ... لحادث دهر فى الحُكومة جائر
وإنى لذو صَبر وقد مات إخوتى ... ولستُ عن الصَّهباء يوماً بصابر
رماها أمـــير المؤمنين بحَتفها ... فخِلّانها يبكون حـــول المعاصر

فلما سمع عمر — رضى الله عنه — قوله :

* ولست عن الصهباء يوماً بصابر *

قال : قد أبديتَ مافى نفسك ، ولأزيدنك عقوبة لإصرارك على شرب الخمر . فقال له على — رضى الله عنه — : ما ذلك لك ، وما يجوز أن تُعاقب رجلا قال : لأفعلن وهو لم يفعل ، وقد قال تعالى فى الشعراء : (وأنهم يقولون مالا يفعلون) . فقال عمر — رضى الله عنه — : فقد أستثنى الله منهم قوماً . فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) . فقال على — رضى الله عنه — : أفهؤلاء عندك منهم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يشرب العبدُ الخمر حين يشربها وهو مؤمن .

حديث نفى عمر له بشعره فى امرأة هويها ثم إطلاقه

ذُكر أن أبا محجن هوى أمرأة من الأنصار — يقال لها : شموس — فحاول النظر إليها بكُل حيلة ، فلم يقدر على ذلك ، فأجّر نفسه من عامل يعمل فى حائط إلى جانب منزلها ، فأشرف من كُوة فى البستان فرآها ، فقال فيها شعراً ، وبلغ ذلك زوجها ، فاُستعدى عليه عمر — رضى الله عنه — ، فنفاه إلى حَضَوْضَى[2] ، وبعث معه رجلا يقال له : أبن جَهراء ، وقال له ، لا تدع أبا محجن يُخرج معه سيفاً . فعمد أبو محجن إلى سيفه فجعل نَصله فى غِرارة ، وجعل جفنه فى غرارة أخرى فيها دقيق له ، فلما انتهى أبن جهراء إلى ساحل البحر أشترى أبو محجن

---

(١) الكائع : الجبان الهياب .

(٢) جبل فى الغرب كانت العرب تنفى إليه خلعاءها .

شاة وقال لابن جهراء : هلم نتغدى : ووثب إلى الغرارة ، وكأنه يخرج منها دقيقاً ، فأخذ السيف ، فلما رأى ابن جهراء السيف فى يده خرج يعدو حتى ركب بعيره راجعاً إلى عمر — رضى الله عنه — فأخبره الخبر ، وأقبل أبو محجن إلى سعد ابن أبى وقاص — رضى الله عنه — وهو يقاتل العجم يوم القادسية . وبلغ عمر — رضى الله عنه — خبره ، فكتب إلى سعد يأمره بحبسه ، فحبسه وقيده . ولما كان يوم الكتائب ، وهو يوم من أيام القادسية ، اقتتل المسلمون والفرس منذ أصبحوا إلى أن انتصف النهار ، فلما قامت الشمس تزاحف الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل . وهذه الليلة التى كان فى صبيحتها يوم أرماث . فلما انتصف الليل تحاجز الناس وبات المسلمون ينتمون منذ لدن أمسوا .

وسمع ذلك سعد فاستلقى لينام ، وقال لبعض من عنده : إن تم الناس على الانتماء فلا توقظنى ، فإنهم أقوياء على عدوهم . وإن سكتوا أو سكت العدو فلا تنبهنى فإنهم على السواء ، وإن سمعت العدو ينتمون وهؤلاء سكوت فأنبهنى وإن انتماء العدو من السوء .

قيل . ولما اشتد القتال تلك الليلة كان أبو محجن فى الحبس ، فصعد إلى سعد يستعفيه ويستقيله ، فزبره ورده ، فنزل فأتى سلمى بنت أبى حفصة ، زوجة سعد ، فقال لها : يا بنت أبى حفصة ، هل لك فى خير ؟ قالت : وما ؟ قال : تخلين عنى وتعيريننى البلقاء ، فلله علىّ إن سلمنى الله أن أرجع إلى حضرتك حتى تضعى رجلى فى قيدى . فقالت : وما أنا وذاك . فرجع يرسف فى قيوده ويقول :

كفى حَزَناً أن تَرْدِىَ الخيل بالقنا ... وأُترك مشدوداً علىّ وثاقيا

إذا قمت عنّانى الحديد وغُلِّقت ... مصاريعُ من دونى تُصم المناديا

وقد كنتُ ذا مال كثير وإخوة ... فقد تركونى واحداً لا أخا ليا

وقد شفّ جسمى أننى كلّ شارق   أعالج كبلًا مُصمتاً قد برانيا
فلله دَرّى يوم أُترك مُوثقاً   وتذهل عنى أسرتى ورجاليا
حبيساً عن الحرب العَوان وقد بدت   وإعمال غيرى يوم ذاك العواليا
ولله عهدٌ لا أخيس بعهده   لئن فُرِّجت ألّا أزور الحوانيا

فقالت سلمى : إنى قد أستخرت الله ورضيت بعهدك ، فأطلقته وقالت : أما الفرس فلا أعيرها . ورجعت إلى بيتها . فاقتاد أبو محجن الفرس وأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق فركبها ، ثم دب عليها ، حتى إذا كان بحيال الميمنة وأضاء النهار وتصافّ الناس ، كبّر ثم حمل على ميسرة القوم ، فلعب برُمحه وسلاحه بين الصفين ، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب ، فبدر أمام الناس ، وحمل على القوم يلعب بين الصفين برُمحه وسلاحه ، وكان يقصف الناس ليلتئذ قصفاً مُنكراً ، فعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه بالأمس . فقال بعض القوم : هذا من من أوائل الأصحاب هشام بن عتبة[1] . وقال قومٌ : إن كان الخضر يشهد الحروب فهو صاحب البلقاء . وقال آخرون . لولا أن الملائكة لا تباشر القتال ظاهراً لقلنا هذا مَلك بيننا . وجعل سعد يقول : وهو مشرف ينظر إليه : الطعن طعن أبى محجن والصبر صبر البلقاء ، لولا محبس أبى محجن لقلت : هـذا أبو محجن وهذه البلقاء . فلم يزل يقاتل حتى انتصف الليل . فتحاجز أهل العسكرين ، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ووضع نفسه عن دابته ، وأعاد رجله فى القيد ، وأنشأ يقول :

لقد علمتْ ثقيفٌ غيرَ فخر   بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكثرهم دروعاً سابغات   وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا

---

(١) فى غير التجريد : « هاشم » . وكان أبو عتبة يسمى : هشاماً وهاشماً : (الإصابة) ، كان هشام شجاعاً مشهوراً يعرف بالمرقال ، لأنه كان يرقل فى الحرب ، أى يسرع .

وأنّا رِفــدهم فى كل يوم ... فإن جَحدوا فسَلْ بهمُ عريفا
وليلة قادس لم يشــعروا بى ... ولم أكره لمخرجىَ الزُّحوفا
فإن أُحبس فقد عرفوا بلائى ... وإن أُطلق أُجرِّعهم حُتوفا

فقالت له سلمى : يا أبا محجن ، فى أى شىء حبسك هذا الرجل ؟ فقال : والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية ، وأنا امرؤ وشاعر يدبّ الشعر على لسانى أحياناً ، فحبسنى لأنى قلت :

إذا مت فادفنّى إلى أصل كرمة ... تروِّى عِظامى بعد موتى عُروقها
ولا تدفننّى فى الفَــلاة فإننى ... أخاف إذا ما مت ألّا أذوقهــا
ليروى بخمر الحصّ[1] لحمى فإننى ... أسير لها من بعــد ما قد أسوقها

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء . وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى محجن هو البيتان الأولان من هذه الأبيات .

عود إلى حديث إطلاقه

قيل : وكانت سلمى هذه قد رأت فى المسلمين جولة ، وسعد رضى الله عنه فى القصر لعلّة كانت به لم يقدر معها على حُضورالحرب ، وكانت قبله عند المُثنى بن حارثة الشيبانى ، فلما قُتل خَلف عليها سعد رضى الله عنه ، فلما رأت شدة البأس صاحت : وا مثنّاه ولا مُثنى اليوم . فلطمها سعد . فقالت له : أف لك أجبناً وغيرة ؟ فكانت مُغاضبة لسعد عشية أرماث ، وليلة الهدأة ، وليلة السواد . حتى إذا أصبحت أتته وأخبرته خبر أبى مِحجن . فدعا به وأطلقه ، وقال : اذهب فلستُ مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله . فقال : لا جرم والله ، إنى لا أجيب لسانى إلى صفة قبيح أبداً .

شعره فى تركه الخمر

وقال أبو محجن فى تَركه شرب الخمر :

رأيت الخمر صالحة وفيها ... مناقب تُهلك الرجــل الحَليما
فلا والله أشربها حياتى ... ولا أســقى بها أبداً نديما

(١) الحص : الورس أو الزعفران .

ابن له مع معاوية

وذكر أن ابن أبي محجن دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال: أليس أبوك الذي يقول:

إذا مت فادفني إلى أصل كرمة؟

فقال: لو شئت لذكرت ما هو أحسن من هذا من شعره! قال. وما ذاك؟ قال قوله:

لا تسألي الناس عن مالي وكثرته ... وسائلي الناس ما فِعلي وما خُلقي

أعطي السنان غداة الرّوع حصته ... وعاملَ الرمح أرويه من العَلق

وأطعن الطّعنة النّجلاء عن عُرض ... وأكتم السرّ فيه ضربة العُنق

عفّ المطالب عمّا لست طالبه ... وإن ظُلمت شديد الحقد والحَنَق

قد أجود وما مالي بذي[1] قَنع ... وقد أكر وراء المحجم الفَرِق

والقوم أعلم أني من سراتهم ... إذا سما بصر الرّعديدة الشّفق

قد يُعسر المرء حيناً وهو ذو كرم ... وقد يَثُوب سوام العاجِز الحمِق

سيكثر المال يوماً بعد قلّته ... ويكتسي العُود بعد اليُبس بالورق

فقال معاوية: لئن أسأنا لك القول لنُحسنن لك الصفد[2]. ثم أجزل صلته وقال: إذ ولدت النساء فلتلد مثلك.

حديث لبعضهم عن قبره

وحكى بعضهم: أنه مرّ على قبر أبي محجن الثقفي في نواحي أذربيجان أو جُرجان. قال: فرأيت قبره وقد نَبتت حوله ثلاثة أصول كرم وقد طالت وأثمرت، وهي معروشة. وعلى قبره: هذا قبر أبي محجن الثقفي. فوقفت طويلا أتعجب مما اتفق له حتى صار كأمنية بلغها حيث يقول:

* إذا مت فادفني إلى أصل كرمة *

---

(١) قنع: قناعة.

(٢) الصفد: العطاء.

أخبار زهير بن جناب (*)

نسبه

هو زُهير بن جَناب بن هُبَل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زَيد بن اللات بن رُفيدة بن ثَور بن كلب بن ثعلبة (1) بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة .

طبقته وشيء عنه

شاعر جاهلي . وهو أحد المعمَّرين . وهو سيد كلب وقائدهم فى حروبهم . وكان شجاعاً مظفَّراً مَيمون النقيبة فى غَزَواته . وهو أحد من مَلّ عمره فشرب الخمر صِرفا حتى قتلته . ولم يوجد شاعر فى الجاهلية والإسلام وَلد من الشعراء أكثر من وَلد زهير .

عمره ومنزلته بين قومه

وذكر أنه بلغ من العمر مائتين وخمسين سنة ، أوقع فيها مائتى وقعة بالعرب . ولم تجتمع قضاعة إلا عليه وعلى حن بن زيد العذرى . ولم يكن فى اليمن أشجع ولا أخطب ولا أوجه عند الملوك من زهير بن جناب .

شعره لحفيد له

وذكر حمّاد الراوية أن زهيراً هذا عاش أربعمائة سنة ، فرأته أبنة له فقالت لابن ابنها : خُذ بيد جدك . فقال له : من أنت ؟ فقال : فلان بن فلان بن فلانة . فأنشأ يقول :

أبُنَيّ إن أهلكْ فقد ... أورثْتُكم مجدًا بُنَيّه
وتركتُكم أبناء سا ... داتٍ زنادُكم وَريّه
مِن كُل ما نال الفتى ... قد نِلتُه إلا التحيّه

(*) ممن وردت تراجمهم فى الجزء الحادى والعشرين .

(1) فى غير التجريد : «كلب بن وبرة بن تغلب» .

والمـوتُ خـــيرٌ للفتى   فليهلـكنْ وبه بقيّـه

وله وقد بلغ مائة سنة

وهو القائل وقد بلغ مائتي سنة :

لقـــد عُمِّرت حتى ما أبالى   أحتفى فى صباحى أو مسائى

وحقّ لمن أتت مائتان عامًا   عليه أن يَمـلّ من الثّواء

شعره الذى فيه الغناء

وقال أيضاً فى كبره ، وهو الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخباره :

ألا يا لقومى لا أرى النجم طالعا   ولا الشمس إلّا حاجبى بيمينى

ومُعزبتى[1] عنـد القفا بعمودها   فأقصى نكيرى أن أقول ذَرِينى

أمين على أسرارهن وقد أرى   أكون على الأسرار غير أمين

فللموت خيرٌ من حِداج[2] موطّأ   مع الظّعن لا يأتى المحل لحـين

[illegible] شربه الخمر [illegible] حتى مات

وذكر أنه كان زهير إذا قال : ألا إن الحى ظاعن ؛ ظعنت قضاعة . وإذا قال: ألا إن الحى مقيم ؛ نزلوا وأقاموا . فلما أسنّ نُصب ابن أخيه عبد الله بن عليم للرياسة فى كلب ، وطمع أن يكون كعمه ، وأن تجتمع قضاعة كلها عليه . فقال زهير يوما : ألا إن الحى ظاعن . فقال عبد الله : ألا إن الحى مقيم . فقال زهير : ألا إن الحى مقيم . فقال عبد الله : ألا إن الحى ظاعن . فقال زهير : من هـذا المخالف علىّ منذ اليوم . قالوا : ابن أخيك عبد الله بن عليم . فشرب زهير الخمر حينئذ صِرفا حتى مات .

ممن شرب الخمر [illegible] حتى [illegible]

وممن شرب الخمر صِرفاً حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبى ، وأبو براء عامر ابن مالك مُلاعب الأسنّة .

وقيل : عاش هُبَل بن عبد الله ، جد زهير بن جناب ، ستمائة وسبعين سنة .

(١) المعزبة كمعزفة : المرأة تكون مع الشيخ ترعاه وتكلؤه .

(٢) الحداج : أن تشد على الناقة أو البعير الحدج ، وهو مركب ليس برحل [illegible] تركبه النساء .

أخبار صريع الغوانى (*)

نسبه وكنيته

هو مسلم بن الوليد . مولى أبى أمامة أسعد بن زُرارة الخزرجى . ويُكنى : أبا الوليد .

طبقته ومذهبه

وهو شاعر متقدّم من شعراء الدولة العباسية . منشؤه ومولده الكوفة . وهو فيما قيل : أول من قال الشعر المعروف بالبديع . وهو لقّب هذا الجنس البديع واللطيف . وتبعه فيه جماعة أشهرهم فيه أبو تمام الطائى . فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه .

مجود فى الخمر

وكان حسنَ للنظم فى الخمر . وكثير من الناس يقرنه بأبى نواس فى هذا المعنى، وهو أول من عقد هذه المعانى المُطربة واُستخرجها .

له فى جارية تعشقها

وذكر أنه علق جارية ذات ذِكر وشرف ، وكان منزلها فى مهبّ الشمال من منزله ، وفى ذلك يقول :

أُحب الرِّيح ما هبَّت شمالا وأحسُدها إذا هبّت جَنوبَا
أهابك أن أبوح بذات نفسى وأَفْرَق إن سألتُك أن أخيبا
وأهجر صاحبى حُب التّجنى عليه إذا تجنّيت الذّنوبا
كأنى حين أغضى عن سواكم أخاف لكم على عَينى رَقيبا

وكانت له جارية يُرسلها إليها يَبثُّها سرّه ، وتعود إليه بأخبارها ورسائلها ،

(*) هذه الترجمة سقطت من أجزاء الأغانى كلها حتى الجزء الحادى والعشرين .

فطال ذلك بينهما حتى أحبَّتْها الجارية التى عَلقها مسلم ومالت إليها ، وكلتاهما فى نهاية الحسن والكمال . وكان مُسلم يُحب جاريته هذه محبَّة شديدة ، ولم يكن يهوى تلك وإنما كان يريد الغَزل والمجون وأن يشيع له حديث هواها . وكان يرى ذلك من الملاحة والظَّرف والأدب . فلما رأى مودة تلك الجارية لجارتها هَجر جاريته مُظهراً لذلك وقَطعها عن الذهاب إلى تلك ، وذلك قوله :

وأهجُر صاحبى حُبَّ التجنِّى ... عليه إذا تجنّيت الذُّنوبا

شعره الذى الغناء

وراسلها مع غير جاريته الأولى ، وفى ذلك قوله ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، افتتح به أبو الفرج أخبار مسلم بن الوليد :

تدَّعى الشوق إذ نأتْ ... وتجنَّى إذا دَنتْ
سرّنى لو صبرت عنـ ... ـها فتُجزى بما جَنت
إنَّ سلمى لو اتّقت ... ربَّها فىَّ أنجزت
زَرعت فى الحشا الهوى ... وسقَتْه حتى نبت

ذكر شعره للمأمون فأعجب به

وذكر أنه اجتمع أصحاب المأمون عنده يوماً ،فأفاضوا فى ذكر الشعر والشعراء ، فقال له بعضهم : أين أنت ياأمير المؤمنين عن مُسلم بن الوليد ؟ قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيث يقول : وقد رثى رجلاً :

أرادوا ليُخفوا قَبره عن عدوِّه ... فطِيبُ تراب القبر نَمَّ على القبرِ

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال :

تجود بالنفس إن ضَنَّ الجواد بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجودِ

وهجا رجل بقُبح الوجه والأخلاق فقال :

قَبُحت مَناظره فحين خَبرتُه ... حسُنت مناظرُه لقُبح المَخبرِ

وتغازل فقال :

هوًى يجـــدُّ وحبيب يلعبُ   أنت لقًى[1] بينهما مُعـــذَّبُ

فقال المأمون : هذا أشعر من خُضتم اليوم فى ذكره .

أكرمه ابن يزيد بعد أن نبهه إلى ذلك الرشيد

وحكى يزيد بن مَزْيد قال :

أرسل إلىّ الرشيد يوماً فى وقت لا يرسَل فيه إلى مثلى ، فأتيتُه لابساً سلاحى مستعدًّا لأمرٍ إن أراداه . فلما رآنى ضحك إلىّ ثم قال لى : يايزيد . خبرنى من الذى يقول :

تراهُ فى الأمن فى دِرع مُضاعفة   لا يأمن الدهرَ أن يُدْعى على عَجَلِ

لله من هاشم فى أرضه جبـــل   وأنت وابنُك رُكنا ذلك الجبل

فقال : لا أعرفه يا أمير المؤمنين . فقال : سوءة لك من سيد قوم ، يُمدح بمثل هذا الشعر ولا يَعرف قائله ، وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله ، وهو مسلم ابن الوليد . فانصرفت فدعوت به ووصلتهُ ووليّته .

وذُكر أنه دخل يزيد بن مَزيد على الرشيد فقال له : يا بن مزيد ، من الذى يقول :

لا يَعبق الطّيب خدَّيه ومَفْرِقه   ولا يُمسّح عينيه من الـكحلِ

قد عوَّد الطيرَ عاداتٍ وثقنَ بها   فهن يَتْبَعنه فى كل مرتحل

فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين . فقال له الرشيد : أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله ؟ فخرج من عنده خجلاً ، فلما صار إلى منزله دعا حاجبه فقال : من بالباب من الشعراء ؟ قال : مسلم بن الوليد . قال : وكيف حجبته عنى ولم تُعلمنى بمكانه . قال : أخبرته أنك مُضيق وأنه ليس فى يديك شىء تُعطيه

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لعا » .

وسألته الإمساك والمقام أيامًا إلى أن تتسع . فأنكر ذلك عليه ، وقال : أدخله إلىّ . فأدخله ، فأنشد قوله فيه :

أجررتُ ذيل خليع فى الصِّبا غَزِل   وشمَّرتْ هِمَمُ العُذال عن عَذَلِ
ردّ البكاء على العين الطّموح هوًى   مفرّق بين توديع ومُرتحل [(١)]
أما كفَى البين أن أُرمى بأسهمه   حتى رمانى بلحظ الأعين النُّجل
مما جَنت لى وإن كانت مُنًى صدقت   صبابة خُلس التَّسليم بالمُقَل

فقال له : قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم فاُقبضها واعذر . وخرج الحاجب . فقال لمسلم : قد أمرنى أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم ؛ خمسون ألفاً منها لك ، وخمسون ألفاً لنفقته . فأعطاه إياها . وكتب صاحب الخبر إلى الرشيد بذلك . فأمر له بمائتى ألف درهم . وقال : اُقض الخمسين الألف التى أخذتها للشاعر وزِدْه مثلها . وخُذ مائة ألف درهم لنفقتك . فاُفتكّ ضيعته وأعطى مُسلماً خمسين ألفاً أخرى .

إرسال يزيد بن مزيد فى طلبه

وحكى صريع الغوانى مُسلم بن الوليد قال : كنت جالساً فى دُكان خياط بإزاء منزلى ، إذ رأيت طارقاً ببابى . فقمتُ إليه ، فإذا هو صديق من أهل الكوفة قد قَدم من قُم [(٢)] . فسُررت به وكأن إنساناً لَطم فى وجهى ، لأنى لم يكن عندى درهم واحد أُنفقه عليه . فقُمت فسلّمت عليه وأدخلته منزلى ، وأخذت خُفين كانا لى أتجمل بهما ، فدفعتُهما إلى جاريتى وكتبتُ معها رُقعة إلى بعض معارفى فى السوق أسأله أن يبيع الخُفين ويشترى لى لحماً وخُبزاً بشىء سمّيته له . فمضت الجارية وعادت إلىّ وقد اشترت لى ماحدّدته ، وقد باع الخُفين بتسعة دراهم ، فكأنها إنما جاءتنى بخُفين جديدين . فقعدت أنا وضيفى نطبخ . وسألت جاراً لى أن يسقينا قارورة نبيذ ،

(١) الديوان : « و محتمل » .
(٢) قم : مدينة بين أصفهان وساوة .

فوجّه بها إلىّ ، وأمرت الجارية أن تُغلق باب الدار . فإنا لجالسان نطبخ حتى طرق الباب طارق ، فقلت للجارية : أنظُرى مَن هذا ؟ فنظرت مِن شق الباب فإذا رجل عليه سَواد وشاشيّة ومنطقة ومعه شاكرى[1] فخبّرتنى بموضعه . فأنكرت أمرى ، ثم رجعت إلى نفسى فقلت : لست بصاحب دعارة ولا للسلطان علىّ سبيل . ففتحت البابَ وخرجتُ إليه ، فنزل عن دابّته وقال لى : أنت مسلم بن الوليد ؟ فقلت : نعم . فقال : كيف لى بمعرفتك ؟ قلت : الذى دلّك على منزلى يصحح لك معرفتى . فقال لغلامه : امض إلى الخياط فسَله عنه . فمضى فسأله عنى . فقال : نعم هو مسلم بن الوليد . فأخرج إلىّ كتاباً من خُفه وقال : هذا كتاب الأمير يزيد بن مَزيد إلىّ يأمرنى ألا أفُضه إلا عند لقائك ، فإذا فيه : إذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع إليه هذه العشرة آلاف درهم التى أنفذتها تكون فى منزله ، وادفع إليه ثلاثة آلاف درهم تكون لنفقته ، ليتحمّل بها إلينا. فأخذت الثلاثة والعشرة ودخلت إلى منزلى والرجل معى ، فأكلنا ذلك الطعام وازددتُ فيه وفى الشراب ، واشتريت فاكهة واتسعت ووهبت لضيفى من الدراهم ما يُهدى به هديّة لعياله ، وأخذت فى الجهاز . ثم ما زلت معه حتى صِرنا إلى الرقّة إلى باب يزيد ، فدخل الرجل فإذا هو أحد حُجابه . فوجده فى الحمام ، فخرج إلىّ فجلس معى قليلاً ، ثم خبّر الحاجب بأنه خرج من الحمام ، فأدخلنى إليه ، فإذا هو على كرسى جالس وعلى رأسه وصيفة بيدها غِلاف مرآة ، وبيده هو مرآة ومشط يسرّح لحيته . فقال يامسلم ، ماالذى بطأ بك عنا ؟ فقلت : أيها الأمير ، قلة ذات اليد . قال : فأنشدنى . فأنشدته قصيدتى التى جئته بها :

أجررتُ ذيلخليع فى الصّبا غزل وشُمرت همم العُذال عن عَذَلِى

فلما صرت إلى قولى :

(١) شاكرى . من الشاكرية ، وهى فرقة من الجند ظهرت فى عهد العباسيين .

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ... ولا يمسّح عينيه من الكحل

وضع المرآة فى غلافها وقال للجارية : انصرفى . فقد حرّم مسلم علينا الطيب . فلما فرغت من القصيدة قال لى : يا مسلم ، أتدرى ماالذى حدا بى على أن وجهتُ إليك ؟ فقلت : لا والله ما أدرى . فقال : كنت عند الرشيد منذ ليال أغمز رجليه . إذ قال لى : يا يزيد ، من القائل فيك :

سلّ الخليفةُ سيفاً من بنى مَطر ... يمضى فيَخترم الأجساد والهامَا

كالدَّهر لا ينثنى عمّــا يهمّ به ... قد أوسع الناسَ إنعاماً و إرغامَا

فقلت : والله ما أدرى ! فقال الرشيد : يا سبحان الله ، إنك مقيم على أعرابيّتك ، يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تَدرى من قائله ؟ فسألت عن قائله ، فأُخبرت أنك أنت هو . فقُم حتى أُدخلَك على أمير المؤمنين . ثم قام فدخل على الرشيد . فما علمت حتى خرج علىّ الآذن فأذن لى . فدخلت على الرشيد فأنشدتُه ما لى فيه من الشعر . فأمر لى بمائتى ألف درهم . فلما انصرفت إلى يزيد أمر لى بمائة ألف درهم وتسعين ألف درهم وقال : لا يجوز أن أعطيك مثل ما أعطاك أميرُ المؤمنين . وأقطعنى إقطاعات تبلغ غلّتها مائتى ألف درهم . قال مسلم : ثم أفضتْ بى الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبنى . فهجرتُه ، فشكانى إلى الرشيد . فدعانى وقال لى : أتبيعنى عرض يزيد ؟ فقلت : نعم ياأمير المؤمنين . فقال : بكم ؟ فقلت : برغيف خبز . حتى خِفته على نفسى . فقال : قد كنت على أن أشتريه منك بمال جسيم ، فلست أفعل ولا كرامة ، فقد علمت إحسانه إليك ، وأنا نفىّ عن أبى . ثم والله والله لئن بلغنى أنك هجوته لأنزعنّ لسانك من بين فكّيك . فأمسكت عنه بعد ذلك وما ذكرتُه بخير ولا بشر .

رثاؤه يزيد ابن مزيد

وذُكر أنه أُهدى إلى يزيد بن مزيد جاريةٌ وهو يأكل ، فلما رُفع الطعام من

بين يديه وطئها ، فلم ينزل عنها إلا ميتاً . وذلك ببردعة [1] من أذربيجان . ودُفن بمقبرة من مقابر بَردعة . وكان مسلم بن الوليد فى صُحبته ، فقال يرثيه :

قـــبر ببَردعة استسرّ ضريحه خطراً تقاصر دونه الأخطارُ
أبقى الزمان على ربيعةَ بعده حُزناً كعُمر الدهر ليس يُعار
نَقضت بك الأحلاس آمال الغنى واُسترجعت رُوّادها الأمصار
فاْذهب كما ذهبت غَوادى مُزْنة أثنى عليها السهل والأوعار

السبب فى قلة ما يروى له

وذُكر أن راوية مسلم جاء إليه بعد أن تاب ليعرض عليه شعره . فغافله مسلم ثم أخذ منه الدفــتر الذى فى يده فقَذف به فى البحر . فلهذا قلّ شعره فليس فى أيدى الناس منه إلا ما كان بالعراق . وما كان فى أيدى الممدوحين من مَدائحه .

ما كان بينه وبين دعبل دخل خراسان

وذُكر أن مسلم بن الوليد خَرج إلى خُراسان فحصلت له عند الفضل بن سهل بها حُظوة ، فخرج دعبل لما بلغه ذلك إلى خراسان . وكتب إلى الفضل بن سهل :

لا تعبأنْ باْبن الوليــد فإنه يَرميك بعــد ثلاثة بمَــلال
إن الملول وإن تقــادم عهده كانت مودّته كفَىء ظِــلال

فدفع الفضل إلى مُسلم الرقعة وقال : اُنظر يا أبا الوليد إلى رقعــة دعبل فيك . فلما قرأها قال له : هل عرفت لقب دعبل وهو غــلام أمرد يُفسق به ؟ قال : لا . قال : كان يلقب بميّاس : ثم كتب إليه :

مياس قُل لى أين أنت من الورى لا أنت مَعقول ولا مجهولْ
أما الهجاء فدَقّ عرضُك دونه والمدح عنك كما علمتَ جَليل
فاْذهب فأنت طليق عِرضك إنه عِرض عَززت به وأنت ذَليل

بينه وبين دعبل فى جارية

وحكى دعبل الخزاعى قال : بينما أنا جالس ببــاب الــكرخ إذ مرت بى

(١) بردعة . بالدال المهملة و بالذال المعجمة أيضاً . بلد فى أقصى أذربيجان .

جارية لم أر أحسن منها وجهاً ولا قدًّا ، تتثنى فى مشيتها وتنظر فى أعطافها . فقلت متعرِّضاً لها :

دُموع عينى بهـا أنبساط ونومُ عينى به أنقبـاضُ

فأجابت مسرعة ، وقالت :

وذا قليلُ لمن دهتْه بلحظها الأعينُ المِراض

فأدهشتنى وعجبت منها ، فقلت :

فهل لمولاى عَطف قلب أو للذى فى الحشا انقراض(١)

فأجابتنى غيرَ متوقِّفة :

إن كنتَ تهوى الوداد منّا فالوُدُّ فى ديننـا قِراضُ

فما دخل أذنى كلام قط أحلَى من كلامها ، ولا رأيت أنضر وجهاً منهـا . فعدلت عن ذلك الشعر وقلت :

أترى الزمان يسرُّنا بتلاقِى ويضم مشتاقاً إلى مُشتاقِ

فأجابتنى مسرعة وقالت :

ما للزمان وللتحـكم بيننا أنتَ الزمان فسُرَّنا بتلاقِى

قال : فمضيت أمامها أؤُم بها منزل مسلم بن الوليد ، وهى تتبعنى. فصرت إلى منزله . فصادفت عنده عُسرة . فدفع إلىّ منديلا وقال : أذهب فبعه وخذ لنا ما نحتاج إليه وعُد . فمضيت مسرعاً ، فلما رجعت وجدتُ مسلماً قد خلا بهـا فى سِرداب . فلما أحسّ بى وثب إلىّ وقال : عرّفك الله يا أبا على جميل ما فعلت ، ولقّاك ثوابه . وجعله أحسن حَسنة لك ! فغاظنى قوله وطَنزه(٢) ،وجعلت أفـكّر أى شىء أعمل به : فقال لى : بحياتى يا أبا على ، من الذى يقول :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « إعراض » .

(٢) الطنز : الكلام باستهزاء .

بتُّ فى دِرعها وبات رَفيقى جُنُبَ القَلب طاهرَ الأطرافِ

فقلت :

من له فى حِرِ أُمِّهِ ألفَ قَرن قد أنافت على عُلوِّ منافِ

وجعلت أشتُمه وأثبُ عليه . فقال لى : يا أحمق ، منزلى دخلت ، ومنديلى بِعتَ ، ودراهمى أنفقت ، على من تَحرِدُ[1] أنت ، وأى شىء سبب حَرْدك يا قواد؟ فقلت له : مهما كذبتَ على فيه من شىء فما كذبت فى الُحمق والقِيادة !

وحكى الأصمعى قال :

قصة سعيد بن سلم فى امرأة نغصها عليه مسلم

قال سعيد بن سَلم : قدمتْ علىّ امرأة من باهلة من اليمامة ، فمدحتنى بأبيات ، فما تمّ سرورى بها حتى نغَّصنيها مسلم بن الوليد بهجاء بلغنى أنه هجانى به ، فقلت ماالأبيات التى مُدحت بها ؟ فأنشدنى :

قبيلة قيس ساد قيساً وسَلْمها فلما تولى ساد قَيساً سعيدُها

وسيّد قيس سيد الناس كلهم وإن مات من رغم وذَلّ حَسودها

هُم رفعوا كفّيك بالمجد والعُلى ومن يرفع الأبناء إلا جُدودها

إذا مدّ للعَلْيا سعيدٌ يمينه نفت كفُّه عنها أكفًّا يُريدها

فقلت له : فبأى شىء نغّصها عليك مسلم ؟ فضحك وقال : كلفنى شططا ، ثم أنشدنى :

وأحببت من حبها الباخلين حتى ومقت ابنَ سلم سعيدا

إذا سِيل عُرفا كسا وجهه ثياباً من اللُّؤم صُفراً وسُودا

يغار على المال فعلَ الجواد وتأبى خلائقه أن يجُودا

(١) تحرد : تغضب .

هو ودعبل

وحكى أن مسلم بن الوليد كان أستاذ دعبل ، وعنه أخذ دعبل ، ومن بحره استقى ، ثم تهاجرا وماتا متهاجرين .

حفظ ابن سعيد لشعر مسلم وأبى نواس

وحكى أحمد بن سعيد ، أن أبا تمام حلف ألّا يصلّى حتى يحفظ شعر مسلم وأبى نُواس . فمكث شهرين كذلك حتى حفظ شِعريهما . قال : فدخلت عليه فرأيت شعرهما بين يديه ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال اللات والعزى أعبدهما من دون الله .

إكرام ذى الرياستين له

وحكى مُسلم بن الوليد قال : وجه إلىّ ذو الرياستين ، فحُملت إليه ، فقال : أنشدنى قولك :

بالغَمْر من زينب أطلالُ ... مرّت بها بعدك أحوالُ

فأنشدته إياها حتى انتهيت إلى قولى :

وقائل : ليست له همّة ... كلاّ ، ولكن ليس لى مال [1]

وهمّة المُقْتِر [2] أمنية ... عون على [3] الدهر وأشغال

لا جِدَةٌ [4] أُنهض عزمى بها [5] ... والناس سُؤّالٌ وبُخّال

فاقعد [6] مع الدّهر إلى دولة ... ترفع [7] فيها حالَك الحال

فلما أنشدته هذا البيت قال : هذه والله الدولة التى ترفع حالك . وأمر لى بمال عظيم ، وقلّدنى كُوَرَ جُرجان .

وذكر أنه كان لمسلم زوجة من أهله ، وكان يحبها ، فماتت فجزع عليها جزعاً شديداً ، وتنسك مدة طويلة ، وعزم على ملازمة ذلك ، فأقسم عليه بعضُ إخوانه

---

(١) الديوان : « ولكن ماله مال » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « الممتر » .

(٣) « « « : « هم من » .

(٤) الجدة : « الميسرة » .

(٥) الديوان : « لا جدة تنهض فى عزمها » .

(٦) الديوان : « فاصبر » .

(٧) « : « تحمل » .

ذات يوم أن يزوره ، ففعل ، فأكلوا وقدّموا الشراب ، فامتنع منه وأباه وأنشأ يقول :

بُكاء وكأس كيف يجتمعان سبيلاهما فى القلب مُختلفانِ
دعانى وإفراط البكاء فإننى أرى اليوم فيه غيرَ ما تَرَيان
غدت والثّرى أولى بها من وليّها إلى منزل ناء لعينك دانى
فلا حُزن حتى تنزف العينُ ماءها وتعترفَ الأحشاء بالخفقان
وكيف بدفع اليأس والوَجد بعدها وهمّاهُما فى القلب يَعتلجان

أخبار محمد بن وهيب

نسبه وأصله وعصره

هو محمد بن وُهيب الحِميرى صليبةً . شاعر بغدادىّ من شعراء الدولة العباسية . وأصله من البصرة .

شعره وصلته بالمأمون

وكان يَستميح بشعره ويتكسّب بالمديح ، مَدح الحسنَ بن رجاء بن أبى الضحاك فوَصله ، وأوصله بالمأمون حتى مدحه . وكان يتشيّع . وله مراثٍ فى أهل البيت . وهو متوسط من شعراء طبقته . وفى شعره أشياء نادرة فاضلة وأشياء مكلّفة .

قصة شعره الذى فيه الغناء

وذُكر أن الشعراء اجتمعوا على باب المعتصم فبعَث إليهم الوزيرُ محمد بن عبد الملك الزيات يقول لهم : إن أمير المؤمنين يقول لكم : من كان منكم يُحسن أن يقول مثل قول النُّميرى فى الرشيد :

خليفةَ الله إنّ الجُود أوديةٌ ... أحلّكَ الله منها حيث تَجتمعُ

من لم يكن بأمِين الله مُعتصماً ... فليس بالصّلوات الخمس يَنتفع

إنْ أخلف القَطرُ لم تُخلف مخايلُه ... أو ضَاق أمرٌ ذَكرناه فيتّسع

فَلْيدخل وإلا فلينصرف . فقام محمدُ بنُ وهيب فقال : فينا من يقول مثلَه . قال : فأى شىء قلت ؟ فقال :

ثلاثة تُشرق الدنيا ببهجتهم ... شمسُ الضُّحى وأبو إسحاق والقَمَرُ

يَحكى أفاعيلَه فى كل نائبة ... الغيثُ والليثُ والصّمصامة الذّكر

فأمر بإدخاله وأحسن جائزته .

وهذان البيتان هما الشعر الذى فيه الغناء افتتح به أبو الفرج أخبار محمد بن وهيب .

مما يستحسن من شعره

ومما يستحسن قولُه :

يدُل على أنــنى عاشقٌ ... من الدّمع مُستشهد ناطقُ

ولى مالكٌ أنا عبدٌ له ... مُقرٌّ بأنِّى له وامِق

إذا ما سموتُ إلى وصله ... تعرَّض لى دونه عائق

وحاربنى فيه رَيْب الزما ... ن كأنّ الزمان له عاشق

من جيد شعره فى مدح ابن سهل

ومن جيد شعره قصيدة مدح بها الحسن بن سهل ، أولها :

ودائع أسرار طوتْها السَّرائر ... وباحتْ بمكتوماتهنّ النواظرُ

يقول فى مديحها :

لهـا[1] فلَك فيه الأسـنةُ أنجمٌ ... ونَقع المنـــايا مُستطير وثائر

أجزْت قضاء الموت فى مُهجِ العدا ... به فاستباحتْها المَنايا[2] الغَوادر

لك اللَّحظات الكالئات قواصدا ... بنُعمى وبالبأساء وهْى شَواذر

فلولم تكن إلا بنفسك فاخراً ... لمـا انتسبت إلا إليك المَفاخر

ولمـا أنشدها محمد بن وُهيب الحسنَ بن سهل طرب حتى نزل عن سريره إلى الأرض ، وقال : أحسنت والله وأجملت ، ولو لم تقل قط ولاتقول فى باقى الدهر غير هذا لمـا احتجت إلى القول ، وأمر له بخمسة آلاف دينار وأقتطعه إلى نفسه .

أهجى بيت هو له

وقال ابن الأعرابى : أهجى بيت قاله المحدثون قولُ محمد بن وهيب ، وهو من أبيات يهجو بها علىّ بن هشام :

لم تَندْ كفُّك[3] من بذل النوال كما ... لم يَند سيفُك مذ[4] قُلِّدْتَه بدَم

---

(١) الضمير فى « لها » يعود إلى « جنة » فى بيت قبل هذا ، وهو :

وأرعن فيـــه للسوابغ جنـــة ... وسقف سماء أنشأته الحوافر

(٢) فى الأصل : « المنون » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لم تند كفاك » .

(٤) فى الأصل « ما » .

من نادر شعره

وذكر أن محمد بن وهيب بلغه أن دعبل بن على قال : أنا ابن قولى[1] :

لا تَعجبى يا سَلْمُ من رجلٍ ضَحك المشيبُ برأسه فبكى

وأن أبا تمام قال : أنا ابن قولى[1] :

نَقِّل فؤادَك حيثُ شِئْتَ من الهوَى ما الُحب إلا للحبيب الأولِ

فقال محمد بن وهيب : وأنا ابن قولى[1] :

ما لمن تَمَّت محاسنُه أن يُعادى طَرف مَن رَمقا

لك أن تُبدى لنا حَسنا ولنا أن نعمِلَ الحدَقا

وهذا من نادر الشعر وجيده ، وأول هذه الأبيات :

نَمْ فقد وَكَّلت بى الأرَقا لاهياً بُعدًا لمن عَشقا

إنما أبقيتَ من جسدى شَبحاً غيرَ الذى خَلقا

وفتًى ناداك فى كُرب حُشِيت[2] أحشاؤه حُرَقا

إنما عاقبتَ ناظره أن أعاد اللَّحظ[3] مُسترقا

وبعده البيتان المذكوران أولا ، وبعدهما :

من رأى شيئاً فأعجبه فليقل سُبحان من خلقا

قدحت كفَّاك زَند هَوًى فى سَواد القلب فاُحترقا

مدحه لابن هشام على غلام أعطاه إياه

وذكر أنه دخل محمد بن وهيب على أحمد بن هشام يوماً ، وقد مدحه ، فرأى بين يديه غلماناً صِباح الوجوه ، فدَهش لمّا رأى ذلك وبقى مُتبلِّدًا لا ينطق حرفاً . فضحك أحمد منه وقال له : مالك ويحك تكلم بما تريد ! فقال :

---

(١) فى غير التجريد : « أين قولى » .

(٢) فى غير التحريد : « أسعرت » .

(٣) فى غير التجريد : « إذ أعاد الطرف » .

قد كانت الأصنامُ وهْىَ قديمة كُسرت وجدَّعهن إبراهيمُ
ولديك أصنام سَلِمْنَ من الأذى وصَفَت لهنَّ نضارة[1] ونَعِيم
وبِنـا إلى صنَم نـلوذ برُكنه فقر وأنت إذا هُززتَ كريم

فقال له : اختر من شئت منهم ، فاختار واحداً منهم . فأعطاه إياه .

فقال يمدحه :

فَضلت مكارمُه على الأقوام وعلا فحاز مكارم الأيامِ
وعلته أبَّهة الجمـال كأنه قمر بدا لك من خلال غَمام
إنّ الأمـير على البريّة كلها بعد الخليفة أحمدُ بن هشام

من مدحه للمأمون

ومن نادر الشعر قصيدة مدح بها محمدُ بن وهيب المأمون ، أولها :

العُذر إن أنصفت يتّضح وشهيدُ حُبك أدمعٌ سُفحُ
فضحتْ ضميرَكَ عن ودائعـه إنّ الجفون نواطقٌ فُصح
وإذا تكلمت الجفون[2] على إجمامهـا فالسرُّ مُفتضح

ومنها :

ما زال يلثمنى مراشـفه ويُعلّنى الإبريق والقَـدح
حتى استردَّ الليلُ خِلعتـه ونشا خـلالَ سواده وَضح
وبدا الصباح كأنّ غُرته وجهُ الخليفـة حين يُمتدح

ومنها :

نشرت بك الدنيـا محاسنَها وتزيّنت بصِفاتك المِـدَح
وإذا سلمتَ فـكل حادثة جَللٌ فـلا بُؤس ولا تَرح

(١) فى غير التجريد : « غضارة » .
(٢) فى غير التجريد : « العيون » .

وذكر [1] أن محمد بن وهيب سأل محمد بن عبد الملك الزيات حاجة فأبطأ فيها ، فوقف عليه ثم قال :

طُبع الكريم على وفائه ... وعلى التفضّل فى إخائه

تُغنى عنايتُه الصديـ ... ـقَ عن التعرُّض لاقتضائه

حَسْب الكريم حباؤه ... فكِلِ الكريمَ إلى حِبائه

فقال له : حسبك ، قد حنَّنت فأبلغت ، والحاجة تسبقك إلى منزلك . ووفى له بذلك .

(١) هذا الخبر وما معه من شعر غير موجود فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

أخبار مزاحم العقيلى

نسبه

هو مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث[1] بن مُصرف بن الأعلم بن خُويلد بن عامر بن عَقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وقد تقدم بقية النسب .

زمانه

وكان فى زمن جرير بن الخطفى . وكان جرير يصفه ويقرِّظه .

شعره الذى فيه الغناء وإعجاب جرير به

وحكى عن جرير أنه قال : ما من بيتين كنت أحب أن أكون سبقت إليهما غير بيتين من قول مزاحم العقيلى :

وددتُ على ما كان من سرف الهوى ... وغَىّ الأمانى أنّ ما شئتُ يُفعلُ

فترجعَ أيّام مَضين ولذّة ... تولّت وهل يُثنى من الدهر[2] أول

وهذان البيتان هما الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار مزاحم .

وله من جيد الشعر

ومن جيد الشعر قول مزاحم العقيلى :

لصفراء فى قلبى من الُحب شُعبة ... حِمًى لم تُبِحْه الغانياتُ صميم[3]

بها حَلّ بيت الُحب ثم ابتنى[4] بهـا ... فبانت بيوت الحىّ وهو مُقيم

بكَت دارهم من نأيهم فتهلّلت ... دموعى فأىّ الجازعين ألوم

أمستعبراً يَبكى من الُحب[5] والجوى ... أم آخر يبكى شجوهُ فيَهيم

---

(١) فى غير التجريد : « عمرو بن الحارث » .

(٢) فى غير التجريد : « العيش » .

(٣) فى غير التجريد : « سموم » .

(٤) فى غير التجريد : « ابتنى » .

(٥) فى غير التجريد : « الحزن » .

تضمّنه من حُبّ صفراء بعدما ... سلا هيضات(١) الحب فهو كليم

ومن يتهيّض حُبّهن فؤادَه ... يمُت أو يعش ما عاش وهو سقيم

كحرّان صادٍ ذيد عن بَردِ مَشرب ... وعن بُللات الرّيق فهو يحوم

تمنى جرير لو أن له بعض شعره

وذُكر أن عبد الملك بن مروان قال لجرير : يا أبا حَزرة ، هل تحب أن يكون لك بشىء من شعرك شىء من شعر غيرك ؟ قال : ما أحب ذلك ، إلا أن غلاماً ينزل الروضات من بلاد بنى عقيل ، يقال له : مزاحم العقيلى ، يقول حسناً(٢) من الشعر لا يقدر أحد أن يقول مثله ، كنت أحب أن يكون لى بعض شعره مقايضة ببعض شعرى .

شعره فى ليلى عندما تزوجت

وذُكر أن مزاحماً كان يهوى امرأة من قومه يقال لها : ليلى ، فغاب غيبة عن بلاده ، ثم عاد وقد تزوجت ، فقال فى ذلك :

أتانى بظَهر الغَيب أنْ قد تزوجت ... فظَلّت بىَ الأرضُ الفضاء تدورُ

وزايلنى(٣) لُبى وقد كان حاضراً ... وكادَ جَنانى عند ذاك يَطير

فقلت وقد أيقنت أنْ ليس بيننا ... تلاقٍ وعينى بالدّماء تَمُور

أيا سرعة الأخبار(٤) أن قد تزوجت ... فهل يأتينّى بالطلاق بشير

ولستُ بمُحص حُب ليلى لسائل ... من الناس إلا أن أقول كثير

لها فى سواد القلب تسعة أسهم ... وللناسِ طُرًّا من هواى عشير

ومن الناس من يزعم أن ليلى هى التى كان يهواها المجنون ، وأنهما اجتمعا ، هو ومزاحم فى حُبها .

---

(١) فى غير التجريد : « هضبات » .

(٢) فى غير التجريد : « حوشيا » .

(٣) فى غير التجريد : « وقد زايلت » .

(٤) فى غير التجريد : « الأحباب حين » .

أخبار بكر بن النطاح الحنفى

كنيته وطرف عنه

ويُكنى : أبا وائل . وقيل : إنه عِجلى ، من بنى سعد بن عِجل . وكان صعلوكا يقطع الطريق ، ثم أقصر عن ذلك . وجعله أبو دُلف العِجلى من الجند ، وجعل له رزقاً سُلطانياً . وكان شجاعاً بطلا فارساً شاعراً حسن الشعر والتصرف فيه .

سبب صلته بأبى دلف

وذكر أن بكر بن النطاح قال قصيدته التى يقول فيها :

هنيئاً لإخوانى ببغداد عيدهم وعيدى بحُلوان قِراع الكتائبِ

وأنشدها أبا دلف . فقال له : إنك لتكثر وصف نفسك بالشجاعة ، وما رأيت لذلك أثراً عندك قط ، ولا فيك . فقال : أيها الأمير ، وأى غناء يكون عند الرجل الحاسر الأعزل ؟ فقال : أعطوه فرساً وسيفاً ورمحاً ودرعاً . فأعطوه ذلك أجمع . فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه ، فلقيه مال لأبى دلف يُحمل من بعض ضياعه ، فأخذه ، وخرج جماعة من غلمانه فمانعوه ، فجرحهم جميعاً وقطعهم ، فانهزموا وسار بالمال ، فلم ينزل إلا على عشرين فرسخاً . فلما اتصل خبره بأبى دلف قال : نحن جنينا على أنفسنا ، وقد كنا أغنياء عن إهاجة بنى وائل . ثم كتب إليه بالأمان وسوّغه المال وكتب إليه : صر إلينا ولا ذنب لك ، نحن كنا سبب فعلك بتحريكنا إياك وتحريضنا . فرجع ، ولم يزل عنده يمدحه حتى مات .

شعره الذى فيه الغناء

ومما يستحسن من شعر بكر بن النطاح قوله فى جارية لبعض الحنفيين كان يهواها ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار بكر بن النطاح ، وهو :

أكذّب طَرفى عنك والطرف صادق[1] وأسمع أذنى فيكِ[2] ما ليس تَسمعُ
ولم أسكن الأرض التى تسكنينها لئـلا[3] يقولوا صابرٌ ليس يَجزع
لقيتُ أموراً فيـك لم ألقَ مثلها وأعظم منها فيـك ما أتوقّع
فلا كَبدى تَبـلى ولا لك رحمةٌ ولا عنك إقصارٌ ولا فيك مَطمع

قدم أبا دلف على قتله فارسين فأجازه

وذُكر أن أبا دُلف لحق أكراداً قطعوا الطريق فى عمـله ، وقد أردف منهم فارس رفيقـاً له خلفه ، فطعنهما جميعاً فأنفذهما ، فتحدث الناس أنه أنفذ بطعنة واحدة فارسين ، فلما قدم من وجهه دخل عليه ابن النطاح فأنشده :

قالوا ويَنظم فارسين برُمحه[4] يوم اللقاء ولا يراه جَليـلَا
لا تعجبوا فـلو أن طول قَناته مِيل إذن نَظم الفوارس مِيلا

فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم . فقال بكر :

له راحة لو أنّ معشار جُودها على البَرِّ كان البَرُّ أندى من البَحرِ
ولو أنّ خلق الله فى جسم فارس وبارزه كان الخلىّ من العمر
أبا دلف بُوركت فى كُل بلدة كما بُوركتْ فى شهرها ليلةُ القدر

نصرانى يعشقه شعره فى غلام

وذُكر أن بكر بن النطاح كان يتعشّق غلاماً نَصرانياً ويُجن به ، وفيه يقول :

يا من إذا دَرس الإنجيلَ ظَلّ له قلب التَّقِيِّ عن القرآن مُنصرفا
إنى رأيتك فى نَومى تُعانقنى كما تعانق لامُ الـكاتب الألفا

(١) فى غير التجريد : « أكذب نفسى عنك كل ما أرى » .
(٢) « « : « منك » .
(٣) « « : « قتيلا » .
(٤) فى غير التجريد : « بطعنة » .

ذكر
مقتل مصعب بن الزبير
ابن العوام بن خويلد
ابن أسد بن عبد العزيز بن قصى (*)

شىء عن مصعب

وكان جواداً شجاعاً ، ولّاه أخوه عبد الله بن الزبير العراقين ، وجمع بين عائشة بنت طلحة وسُكينة بنت الحسين ، أجمل أهل عصرهما . وكانت الشام ومصر لعبد الملك بن مروان يُدعى فيهما له بالخلافة ، ويُدعى لابن الزبير بالخلافة فيما سوى ذلك من الأعمال .

مشاورة عبد الملك مروان فى حربه

فلما كانت سنة اثنتين وسبعين استشار عبد الملك بن مروان عبدَ الرحمن بن الحكم فى المسير إلى العراق ومناجزة مصعب . فقال : يا أمير المؤمنين ، واليتَ بين عامين تغزو فيهما ، وقد خسرت خَيلك ورجالك ، وعامك هذا عام حار ، فأرح نفسك وجهدك ، ثم ترى رأيك . فقال : إنى أبادر ثلاثة أشياء : أحدها الشام ، وهى أرض المال بها قليل ، وأخاف أن ينفد ما عندى ؛ وأشراف أهل العراق ، وقد كاتبونى يدعوننى إلى أنفسهم ؛ وثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كبروا ونفدت أعمارهم ، فأنا أبادر بهم الموت أحب أن يحضروا معى .

ثم مشاورته يحيى بن الحكم

ثم دعا يحيى بن الحكم : وكان يقول : من أراد أمراً فليشاور يحيى ابن الحكم ، فإذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه . فقال : ما ترى فى المسير إلى العراق ، فقال : أرى أن ترضى بالشام وتدع مصعباً بالعراق ، فضحك عبد الملك .

(*) لم يصرد له أبو الفرج ترجمة ، وإنما ساق أخباره إثر أخبار بكر بن النطاح .

ثم مشاورته عبدالله بن خالد

ودعا عبد الله بن خالد بن أسيد فشاوره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، غزوت مرة فنصرك الله ، فغزوت ثانية فزادك الله بها عزًّا ، فأقم عامك هذا .

ثم مشاورته محمدبن مروان

فقال لمحمد بن مروان : ماترى ؟ قال أرجو أن ينصرك الله ، أقمت أم غزوت . فشمِّر فإن الله ناصرك .

خروج عبدالملك لحرب مصعب

فأمر الناس فاستعدوا للمسير . ثم توجه بالجنود إلى العراق . وكاتبه أشراف أهل الكوفة والبصرة يدعونه إلى أنفسهم . فكتب إليهم يعدهم الإحسان إليهم ويمنّيهم ، فأجابوه وشرطوا عليه شروطاً وسألوه ولايات ، وسأله ولاية أصبهان أربعون رجلا منهم . فقال عبد الملك لمن حضره : ويحكم ! ما أصبهان هذه ؟ تعجباً من كثرة طالبيها ، وكتب إلى إبراهيم الأشتر النَّخعي : لك ما سَقى الفرات إن تبعتنى ، فجاء إبراهيم بالكتاب إلى مُصعب فقال : هذا كتاب عبد الملك ، ولم يخصنى بهذا دون غيرى من نظرائى فأطعنى فيهم . فقال ، أصنع ماذا ؟ قال : تدعو بهم فتضرب أعناقهم . فقال : أقتلهم على ظَن ظننته ؟ قال : فأوقرهم حديداً وابعث بهم إلى أرض المدائن حتى ينقضى الحرب . قال : إذن نفسد قلوب عشائرهم ويقول الناس : عبث مصعب بأصحابه . قال : فإن لم تفعل فلا تُمدنى بهم ، فإنهم كالمومسة تريد كل يوم حليلا ، وهم يريدون كل يوم أميراً . وأقبل عبد الملك حتى نزل الأخنونية[1] ، ونزل مصعب بن الزبير بمَسكن[2] إلى أوانا[3] ، وخندق ، ثم تحوّل ونزل دير الجاثليق[4] وهو بمسكن ، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ، وأرسل عبد الملك إلى مُصعب رجلا يدعوه إلى أن يجعل الأمر شورى فى الخلافة . فأبى ذلك مصعب . وقدّم عبد الملك أخاه محمد بن مروان ، وقدّم مصعب إبراهيم بن

---

(١) الأخنونية : من أعمال بغداد .

(٢) مسكن : موضع على نهر دجيل قريب من أوانا .

(٣) أوانا : بلدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ .

(٤) دير الجاثليق : دير قديم قرب بغداد غربي دجلة .

الأشتر ، فالتقت المقدمتان ، فانهزمت مقدمة مصعب وقُتل إبراهيم بن الأشتر بعد أن قاتل قتالا شديداً وأبلى بلاء حسناً ، وانصرفت مقدمة مصعب منهزمةً إليه . ثم دنا محمد بن مروان من مصعب ، فخَذل بعضُ أصحاب مُصعب مُصعباً وانضموا إلى محمد بن مروان . فدنا محمد من مصعب وناداه : فداكَ أبى وأمى ، إن القوم خاذلوكَ ولكَ الأمان . فأبى قبول ذلك . فدعى محمدُ بن مروان عيسى بن مصعب ، فقال له أبوه مصعب بن الزبير : انظر ما ذا يريد محمد . فدنا منه فقال : إنى لكم ناصح ، إن القوم خاذلوكم ولك ولأبيك الأمان ، وناشده . فرجع إلى أبيه فأخبره. فقال : يا بنى ، إنى أظن أن القوم سيفون . فإن أحببت أن تأتيهم فأتهم . فقال : والله لا تتحدّث نساء قريش أنى خذلتك ورغبت بنفسى عنك . قال : فتقدم حتى أحتسبك . فتقدم وتقدم ناس فقُتل وقُتلوا ، وفارق أهل العراق مُصعباً حتى بقى فى سبعة أنفس ، وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى ، فشد عليه مصعب فقتله ، ثم شد على الناس فانفرجوا ، ثم رجع فقعد على مرفقةِ ديباج . ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشام فيرجعون عنه ، ثم يرجع فيقعد على المرفقة ، فعل ذلك مراراً ، فأتاه عُبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه إلى المبارزة ، فقال: اغرب يا كلب ، وشد عليه مُصعب فضربه على البيضة فهشمها فجرحه ، ورجع عبيد الله فعَصب رأسه ، وجاء ابن أبى فروة كاتب مصعب فقال له : جُعلت فداكَ ، قد تركك الناس وعندى خيل مُضمّرة فاركبها وانج بنفسك . فضرب فى صدره وقال : ليس أخوك بالعَبد ، ورجع ابن ظبيان فحمل عليه، وزَرق[1] زائدةُ ابن قدامة مصعباً ونادى : يا لثارات المختار ، فصرعه . وقال عبيدالله لرجل ديلمى : احتز رأسه ـ فنزل فاحتز رأس مصعب بن الزبير ، وحمله إلى عبد الملك . فيقال : إن عبد الملك لما رأى الرأس سَجد . قال ابن ظبيان : فهممت والله أن أقتله

(١) زرق : رمى بالمزراق . وهو رمح قصير .

فأكونَ أفتَكَ العرب ، قتلت ملكين من قريش فى يوم واحد ، ووجدت نفسى تنازعنى إلى الحياة فأمسكت .

مصعب وسكينة يوم مقتله

وذُكر أن مصعباً كان يومئذ قد دخل على زوجته سُكينة بنت الُحسين بن على رضى الله عنهم ، فنزع عنه ثيابه وتوشّح بثوب وأخذ سيفه ، فعلمت سكينة أنه لا يريد أن يرجع ، فصاحت من خلفه : واُحزناه عليك يا مُصعب . فالتفت إليها ، وقد كانت تخفى ما فى قلبها منه ، فقال : أوكل هذا لى فى قلبك ؟ فقالت : إى والله . وما كنت أخفى منه أكثر . فقال : لو كنت أعلم أن كل هذا لى عندك لكانت لى ولك حال . ثم خرج فلم يرجع . فقال ابن الرقيات يرثى مصعباً :

لقد أورثَ المصرَين حُزناً وذِلة ... قتيلٌ بدير الجاثَليق مُقيمُ

فما قاتلت فى الله بكرُ بن وائل ... ولا صَبرت عند اللقاء تميمُ

ولكنه رام القيام ولم يكن ... له مُضريٌ يوم ذاك كريم

بين عبد الملك وجلسائه فى شأن مصعب

وذُكر أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه : من أشجع الناس ؟ فأكثروا فى هذا المعنى . فقال : أشجع الناس مُصعب ، جمع بين عائشة بنت طلحة ، وسكينة بنت الحسين ، وأمة الحميد بنت عبد الله بن عاصم ، وولى العراقين ، ثم زحف إلى الحرب فبذلتُ له الأمان والحباء والولاية والعفو عما خَلص فى يده . فأبى قبول ذلك ــ واُطرح ما كان مشغولا به من ماله وأهله وراء ظهره ، وأقبل بسيفه قُدماً فقاتل ، وما بقى معه إلا سبعة ، حتى قُتل كريما .

مقتل عبد الله ابن الزبير

ثم دخل عبدُ الملك الكوفة واستولى على العراق وتجرّد لمحاربة عبد الله بن الزبير ، وسيّر الحجّاج بن يوسف الثقفى لقتاله ، فقتله وانتظمت الأمور لعبد الملك .

عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب أخيه

وذُكر أنه لما أتى عبدَ الله بن الزبير قتلُ أخيه مصعب أضرب عن ذكره أياماً حتى تحدّثت به إماء مكة فى الطريق، ثم صعد المنبر فجلس عليه مليًّا لا يتكلم .

والكآبة على وجهه ،وجبينُه يرشح عرقاً . قال الراوى : فقلت لآخر إلى جنبى : ماله لا يتكلم ؟ أتراه يهاب المنطق ، فو الله إنه لخطيب ، فما تراه يهاب ؟ فقال : أراه يريد أن يذكر قتل مصعب ، سيد العرب ، فهو يتقطع لذكره ، وغير ملوم هو ، فقام فقال : الحمد لله الذى له الخلق والأمر ، مالك الدنيا والآخرة ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، ألا إنه لم يُذل الله من كان الحق معه ، وإن كان مفرداً ، ولم يعز الله من كان الباطل معه، وإن كان فى العدة والعدد والكثرة . ثم قال : إنه قد أتانا خبرٌ من العراق بلد الغدر والشقاق ، فساءنا وسرنا ، أتانا أن مصعباً قتل ، رحمة الله عليه و مغفرته . فأما الذى أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لَذعة يجدها حميمه عند المُصيبة ، ثم يرعوى من بعد ذلك ذو الرأى والدين إلى جميل الصبر . وأما الذى سرنا فإننا علمنا أن قَتله شهادة ، وأن الله جل وعز جاعل لنا وله ذلك خيرة إن شاء الله . إن أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه منه وأخسره ، أسلموه إسلام النَّعم المُحطم فقُتل ، ولئن قتل لقد قُتل أبوه وعمه وأخوه ، وكانوا الخيار الصالحين ؛ والله ما نموت كما يموت بنو مروان حَتف أنوفنا ، ما نموت إلا قَتلاً قَتلا قَعْصًا قَعْصا[1] بين قَصد الرماح وتحت ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتل رجل منهم فى جاهلية ولا إسلام قط ، وإنما الدنيا عارية من المَلك القهار الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه ، فإن تُقبل الدنيا علىّ لا آخذها أخذ الأشِر البطر ، وإن تُدبر عنى لا أبكى عليها بكاء الخَرق المتر[2] ، ثم نزل .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر مصعب ، قولُ ابن قيس الرقيات فيه يمدحه لما ولى العراق :

(١) يقال : مات قعصا قعصاً : إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

(٢) فى غير التجريد : « الخوف المهتر » .

ليت شعرى أأول الهرج هـذا　　أم زمان من فتنة غير هَرَج
إن يعش مُصعب فنحن بخير　　قد أتانا من عيشنا ما نُرَجّى
مَلِك يُطعم الطعـام ويسقى　　لبن البُخْت فى عساس[1] الخَلَنج
جلب الخيل من تهامة حتى　　بلغت خيـلُه قُصور زَرَنج[2]
حيث لم تأت قبله خيل ذى الأ ك　　تاف يُوجفن بين قُفّ[3] ومَرْج

(١) العساس : الأقداح العظام ، الواحد : عس . والخلنج : نوع من الشجر
(٢) زرنج : قصبة سجستان .
(٣) القف : الأرض ذات الحجارة .

أخبار أشعب الطامع

اسمه وكنيته وأمه — هو أشعب بن جُبير . واسمه شُعيب . وكنيته أبو العلاء . وكان يقال لأمه : أم الجلندح[1] . وقيل : بل أم حُميد[2] ، مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه . واسمها : حميدة .

مقتل أبيه — وكان أبوه خرج مع المختار بن أبي عُبيدة ، فأسرع مُصعب بن الزبير فضرب عنقه صَبرا وقال : تخرج عليّ وأنت مولاي ؟

نشأته — ونشأ أشعب بالمدينة في دُور آل أبي طالب ، وتولّت تربيته عائشةُ بنت عثمان بن عفان — رضي الله عنه .

وحُكي عن أشعب عن أمه أنها كانت تُغري بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنها زنت فحُلقت وطيف بها . وكانت تنادي على نفسها ، من رآني فلا يزنينّ . فقالت لها امرأة ، كانت تطلع عليها : نهانا الله عنه فعصيناه ، أنطيعك وأنت محلوقة مجلودة راكبة على جمل !

شيء عن أمه — وحَكى بعض ولد أشعب أن أشعب وأباه كانا موليا عثمان رضي الله عنه ، وأن أمه كانت مولاة أبي سفيان بن حرب ، وأن ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها أخذتها معها لما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت تدخل إلى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستظرفنها . ثم إنها فارقت ذلك وصارت تنقل أحاديث بعضهن إلى بعض وتغري بينهن ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليها فماتت .

---

(1) في غير التجريد : « الخلندج » .

(2) في غير التجريد : « أم جميل » .

ولاؤه

وقيل : إن أشعب كان مولى الزبير بن العوام .

سبب إعتاقه

وذُكر أن أشعب كان مع عثمان ــ رضى الله عنه ــ يوم الدار ، فلما حُصِر جرّد مماليكُه السيوفَ ليقاتلوا ، فقال لهم عثمان رضى الله عنه : من أغمد سيفه فهو حُر . فقال أشعب : فلما وقعت الكلمة فى أذنى كنت أول من أغمد سيفه ، فأعتقت .

هو عند مقتل عثمان

وحُكى عن أشعب أنه قال : كُنت حين حُصر عثمان بن عفان أسعى فى الدار ألقط السهام .

شيء عن سنه

وحكى عنه أنه قال : سمعت الناس يموجون فى أمر عثمان . وهذا يدل على أنه كان صغير السن يومئذ . وأدرك خلافة المهدى بن المنصور ، من بنى العباس .

تعقيب للمؤلف

قلت : كان مقتل عثمان ــ رضى الله عنه ــ فى ذى الحجة من سنة خمس وثلاثين للهجرة ، وكانت خلافة المهدى فى ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، فبين الوقتين مائة وثلاث وعشرون سنة . فعلى الرواية الأولى كان أشعب يوم الدار أبن خمس عشر سنة على الأقل ، لأنه كان ممن يحمل السيف ويقاتل ، فيكون عمره مائة ونيفا وأربعين سنة . وعلى الرواية الأخيرة جاز أن يكون أبن خمس سنين يومئذ ، فيكون عمره مائة وثمانيا وعشرين سنة ، وهو أقل ما يمكن .

حديث النوفلى عنه وقد رآه يدخل على المهدى

وحكى محمد النوفلى قال :

رأيت أشعب وقد أرسل إليه المهدى . فقُدم به عليه . قال : فرأيته قد دخل بعضُه فى بعض كأنه فرخ ، وعليه جُبة وشى وقَلَنْسية وَشْى ، وقد لبس على الجبة قميصاً سملا[1] لترى الجبة تحته . فقال له رجل : يا أشعب ، هب لى قلنسيتك هذه . فقال له : يا بارد ، أنت لم تُرد القلنسية وإنما أردت أن يقال : هو أطمع من أشعيب !

---

(١) السمل : الثوب الخلق البالى .

بوادر من طمعه

وحُكى أن أشعب كان يقول : ما زُفت بالمدينة امرأة قط إلى زوجها إلا كنست بيتى ورَفعت سترى طَمعاً أن تُهدى إلىّ .

من علمه

وذُكر أن أشعب كان يقرأ القرآن ، وكان حسن الصوت ، وروى شيئاً من الحديث .

قصته مع أمه وقد وهب له غلام

وحكى أن أشعب قال : تعلقت بأستار الكعبة فقلت : اللهم أذهب عنى الحرص والطلب إلى الناس . فمررت بالقُرشيين وغيرهم فلم يُعطنى أحد شيئاً ، فجئت إلى أُمى فقالت : مالك جئت خائباً ؟ فأخبرتها . فقالت : والله لا تدخل حتى ترجع فتستقبل ربك . فرجعت فقلت : أقلنى . ثم رجعت فلم أمرّ بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطانى .

ووُهب لى غلام فخفت أن أخبرها فتموت فرحاً ، فقلت : وهبونى غين . فقالت : أى شىء غين ؟ قلت : لام . فقالت : أى شىء لام ؟ فقلت : ميم . فقالت : أى شىء ميم ؟ فقلت : غـلام . فغشى عليها ، ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً .

هو مع الواقدى فى دينار وجده

وحكى الواقدى قال : كنت مع أشعب نريد المصلى ، فوجد ديناراً فقال : يا بن واقد . فقلت : ما تشاء؟ فقال : وجدت ديناراً فما أصنع به ؟ فقلت: عرِّفه . فقال : أمُّ العلاء إذن طالق . قلت : فتصنع به ماذا ؟ فقال : أشترى به قطيفة فأعرّفها .

الأصمعى عن صوته

وحكى الأصمعى قال : رأيت أشعب يغنى ، وكأن صوتَه بلبل .

نادرة له مع زياد ابن عبيد الله

وذكر أنه تغدّى أشعب مع زياد بن عبيد الله الحارثى ، وكان والياً على المدينة ومكة من قبل المنصور ، وكان بخيلا على الطعام ، فأُتى بمضيرة ، فقال أشعب للخباز : ضَعها بين يدىّ . فوضعها بين يديه . فقال زياد: من يصلى بأهل السجن ،

فقال : ليس لهم إمام . فقال : أدخلوا أشعب يصلِّى بهم . فقال : أو غير هذا أصلح الله الأمير ! أحلف ألّا آكُلَ مضيرة أبداً ! .

إخراجه يده من خرق بابه

وذُكر أن أشعب كان له خَرق فى بابه ، وكان ينام فيخرج يده من الخرق يطمع أن يجىء إنسان فيطرح فى يده شيئاً ! .

هو ومروان ابن أبان بن عثمان بن عفان

وذُكر أن أشعب صلّى يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان بن عفّان ، وكان مروان عظيمَ العجيزة فأفلتت منه ضَرطة عند نهوضه ، فانصرف أشعب من الصلاة ، فوَهِم الناسُ أنه هو الذى خرجت منه الضرطة . فلمّا انصرف مروانُ إلى منزله جاءه أشعب فقال له : ألدية ؟ قال : دية ماذا ؟ قال : دية الضرطة التى تحمّلتها ، وإلا والله شهرتها عنك ! فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً .

هو وإسماعيل بن جعفر فى جدى أهداه إليه

وذُكر أنه غذّى جدياً بلَبن أُمه وغيرها ، حتى بلغ غاية ، ومن مبالغته فى ذلك أنه قال لزوجته : تُرضعينه بلَبنك . ففعلت ؛ ثم جاء به إسماعيل بن جعفر ابن محمد بن علىّ بن الحسين بن على رضى الله عنهم فقال : تالله إنه لابنى ، قد رَضِع بلبن زوجتى ، وقد حبوتُك به ، ولم أر أحداً يستحقه سواك . فنظر إسماعيل إلى فتنة من الفتن فأمر به فذُبح وصُمِّت ، فأقبل عليه أشعب فقال : المكافأة ؟ فقال : ما عندى والله اليوم شىء ، ونحن من تعرف ، وذلك غير فائت لك ، فلما يئس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر بن محمد رضى الله عنه ، ثم اندفع يشهق حتى التقت أضلاعه . ثم قال : أخلنى . قال : ما معنا أحد يسمع ولا عليك عين . فقال : وثب إسماعيل ابنك على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه . فارتاع جعفر وصاح : ويلك ! ويلك ! وفيمَ ؟ وتريد ماذا ؟ قال : أما ما أريد فوالله مالى فى إسماعيل حيلة ، ولا يسمع هذا سامع بعدك أبداً . فجزاه خيراً وأدخله منزله ، وأخرج له مائتى دينار وقال : خذ هذه ولك عندنا ما تُحب . وخرج إلى إسماعيل ، وهو لا يُبصر ما يطأ عليه ، فإذا هو مسترسل فى مجلسه ، فلما رأى وجه أبيه نَكِره وقام

إليه . فقال : يا إسماعيل ، فعلتها بأشعب وقتلت ولده ، فاستضحك وقال : جاءنى بجَدْى من صفته كذا ، وخبّره الخبر ، فأخبره أبوه بما كان منه وصار إليه . فكان جعفر رضى الله عنه يقول لأشعب : رُعتنى راعك الله . فيقول : روعة أبنك فى الجَدى أكبر من روعتك أنت فى المائتى الدينار .

طلبه إلى امرأة أن تكبر طبق خوص

وذُكر أن أشعب وقف على امرأة تعمل طبق خوص . فقال : كبِّريه . فقالت : لم ، أتريد أن تشتريه ؟ قال : لا ، ولكن عسى أن يشتريه إنسانٌ فيهدى إلىّ فيه هدية فيكون كبيراً خيراً من أن يكون صغيراً .

بخله على صديقه

وذُكر أن صديقة أشعب قالت له : هب لى خاتَمك أذكرك به . قال : أذكرينى أنى منعتُك إياه فهو أحبُّ إلىّ !

هو وصبيان أمرهم بالذهاب إلى بيوت ابن عثمان

وذُكر أن أشعب قال مرة للصبيان : هذا عمرو بن عثمان يقسم مالا . فمضوا فلما أبطأوا عنه أتبعهم يحسب أن الأمر قد سار حقاً كما قال .

مابلغ من طمعه

وذُكر أنه قيل لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت أثنين يتسارّان قط إلا قدّرت أنهما يأمران لى بشىء .

بينه وبين أمه فى رؤيا رآها

وذُكر أن أشعب قال لأمه : رأيتك فى النوم مطليّة بعسل وأنا مطلىّ بعذرة ! فقالت : يا فاسق ! هذا عملك القبيح أراكه الله عز وجل . قال : إن فى الرؤيا شيئاً آخر . قالت : وما هو ؟ قال : رأيتنى ألطعك[1] وأنت تلطعيننى . فقالت : لعنك الله يا فاسق !

هو وامرأة سألته أن يهدى إليها

وذُكر أن أشعب كان يتحدث إلى امرأة بالمدينة حتى عُرف ذلك ، فقالت لها جاراتها : لو سألته شيئاً فإنه مُوسر . فلما جاء قالت له : إن جاراتى يقلن لى : مايصلك بشىء . فخرج نافراً من منزلها ، فلم يقربها شهرين . ثم إنه جاء ذات يوم فجلس على الباب ، فأخرجت إليه قدحاً ملآن ماء ، فقالت : أشرب هذا من الفزع فقال : أشربيه أنت من الطمع !.

---

(١) اللطع : اللحس ، لطع الشىء بلسانه : لحسه .

هو وأعرابى بين يدى الحسين

وذُكر أنه دخل أشعب يوماً على الحسين بن على — رضى الله عنهما — وعنده أعرابى مختلف الخلقة قبيح المنظر ، فسبَّح أشعب حين رآه ، وقال للحسين : بأبى أنت وأمى ، أتأذن لى أن أسلح عليه ؟ فقال الأعرابى : أفعل ما شئت . ومع الأعرابى قوس وكنانة ، ففوّق نحوه سهماً وقال : والله لئن فعلت لتكوننّ آخر سلْحة سلحتَها ، فقال: أشعب للحسين : جُعلت فداك ، قد أخذنى القُولنج .

من أصواته

وذُكر أن أشعب كان يغنِّى ، وله أصوات قد حُكيت عنه ، وكان أبنه عبيدة يغنيها ، فمن أصواته :

أرونى من يقوم لكم مقامى إذا ما الأمر جلّ عن الخطابِ

إلى من تفزعون إذا حَثوْتم بأيدكم علىّ من التراب

أطمع من أشعب

وذُكر أن أشعب قيل له : أرأيت أحداً أطمع منك ؟ قال : نعم كلب تبعنا أربعة أيام على مَضغ العلك .

هو وابن عمر فى مال الصدقة

وحَكى أشعب قال : بلغنى أن عبد الله بن عمر ، فى مال له يتصدق بثمرته ، فركبت إليه ناضحاً[1] ووافيته فى ماله ، فقلت : يا ابن أمير المؤمنين ، ويا ابن الفاروق ، أوقر لى هذا تمراً . فقال : أمِن المهاجرين أنت ؟ فقلت : اللهم لا ، قال : أفمِن التابعين بإحسان؟ فقلت: أرجو ، فقال: إلى أن يحق رجاؤك. قال : أفمن أبناء السبيل أنت؟ قلت: لا. قال : فعلام أوقر لك بعيرك تمراً ؟ قلت : لأنى سائل ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أتاك سائل على فرس فلا تردَّه . قال : لو شئت أن أقول لك : إنه قال لو أتاك على فرس ولم يقل أتاك على بعير لفعلنا[2] ، ولكنى أمسك عن ذلك لاستغنائى عنه ، لأنى قد قلت لأبى عمر ابن الخطّاب : إن أتانى سائل على فرس يسألنى أن أعطيه . فقال : إنى سألت

(١) الناضح : البعير يستقى عليه .

(٢) فى التجريد والأغانى (لقلنا) ولعل ما أثبتناه أولى .

رسول الله صلى الله عليه وسلّم عما سألتنى عنه ، فقال : لى . نعم : إذا لم تصب راجلا ، ونحن أيها الرجل نُصيب رجّالة ، فعلام أُعطيك وأنت على بعير ! فقلت له : بحق أبيك الفاروق ، وبحق الله عز وجل ، وبحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما أوقرته لى تمراً ، فقال لى عبد الله : أنا مُوقره لك تمراً ، ووحق الله وحق رسوله صلّى الله عليه وسلّم لئن عاودت أُستحلافى لابررت لك قسَمك،ولوأنك أقتصرت على استحلافى[١] بحق أبى علىّ فى تمرة أُعطيكها لما أنفذت قسمك ، لأنى سمعت أبى يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لاتُشد الرحال إلى مسجد لرجاء الثواب إلا إلى المسجد الحرام ومسجدى بيثرب ولا يبر أحد قسم مستحلفه إلا أن يَستحلفه بحق الله وحق رسوله .ثم قال للسودان فى ذلك المال[٢] : أوقروا بعيره تمراً ، ولما أخذ السودان فى حشو الغَرائر قلت : إن السودان أهل طرب و إن أطربتهم أجادوا حشو غرائرى . فقلت : يا أبن الفاروق ، أتأذن لى فى الغناء فأُغنّيك ؟ فقال لى : أنت ورأيك[٣] . فأندفعت فى النّصب ، فقال لى : هذا الغناء الذى لم نزل نعرفه ، ثم غنّيته لطويس المغنى صوتاً آخر وهو :

خليلى ما أخفى من الحب ناطق ودمعى بما قلت الغداة شهيد[٤]

قال لى عبد الله : ياهناه ، لقد حدث فى هذا الغناء[٥] مالم نكن نعرفه . قال: ثم غنّيته لابن سريج بقوله :

يا عين جودى بالدُّموع السفاح وأبكى على قَتلَى قُرَيش البِطاح

---

(١) فى التجريد (على إحلافك) وهذه رواية الأغانى .
(٢) فى التجريد (فى تلك الحال) وهذه عن الأغانى .
(٣) فى الأغانى (أنت وذاك) وهذه رواية التجريد .
(٤) رواية الأغانى :

خليلى ما أخفى من الحب باطل ودمعى بما قلت الغداة شهير

(٥) رواية الأغانى : (فى هذا المعنى) .

تسوره على سالم بن عبد الله طمعاً فى طعامه

فقال : ويحك يا أشعب ، هذا يَحْيِقُ الفؤاد — أراد يحرق الفؤاد — ، لأنه كان ألثغ لا يبين الراء ولا اللام . قال أشعب : فكان بعد ذلك لا يرانى إلا أستعادنى هذا الصوت .

وذُكر أنه قيل لأشعب : إن سالم بن عبدالله بن عمر قد مَضى إلى بُستان فلان ومعه طعام كثير . فبادرَ حتى يلحقه، فأغلق الغلامُ البـاب دونه ، فتسوَّر عليه ، فصاح به سالم ، ويلك ! بناتى . فناداه أشعب : لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد . فأمر بالطعام فأُخرج إليه منه ما كفاه .

قصته مع السيدة سكينة والحجام

وذكر أن سكينة بنت الحسين غضبت على أشعب فى شىء خالفها فيه ، فحلفت لتحلقنّ لحيته ، ودعت الحجّام وقالت له : أُحلق لحيتـه ، فقال له الحجّام : أنفخ شدقيك حتى أتمكن منك . فقال يا أبن البظراء ، أمرتْك أن تحلق لحيتى أو تُعلمنى الزَّمر ! أخبرنى عن أُمرأتك إذا أرادت أن تحلق حِرها تنفخ أشداقه ! فغضب الحجّام وحلف لا يحلق لحيته ، وأنصرف . فبلغ سكينةَ الخبر وما جرى بينهما ، فضحكت وعفت عنه .

تعقيبه على وليمة زياد بن عبد الله

وذُكر أن زياد بن عبد الله الحارثى كان من أبخـل خلق الله ، فأولم وليمة ليطهر بعض أولاده، وكان الناس يحضرون ويقدم الطعام فلا يأكلون شيئاً إلا تعللا لعلمهم به ، فقُدِّم فيما قُدِّم جَدى مشوى فلم يعرض له أحد ، وجعل يردِّده على المائدة ثلاثة أيام والناس يجتنبونه ، إلى أن انفضت الوليمة . فأصغى أشعب إلى بعض من كان هناك ، فقال : أمرأته طالق إن لم يكن هذا الجَدى بعد أن ذُبح وشُوى أطول حيـاة وأكثر عمراً منه قبل الذبح ! فضحك الرجل ، وسمعها زياد فتغافل .

من نوادر زياد فى البخل

وذكر أن كاتبـاً لزياد بن عبد الله هذا أهدى إليه طعاماً ، فأتى به وقد

تغدّى ، فغضب وقال : ما أصنع به . وقد أكلت ، ادعوا أهل الصُفة ، يأكلونه فبعث إليهم . وسأل كاتبه فيم دعا أهل الصفة ؟ فعرّف . فقال الكاتب : عرفوه أن فى السلال أخبصة وحلوى ودجاجاً وفراخاً . فأخبر بذلك . فأمر بكشفها ، فلما رآها أمر برفعها ، فرفعت وجاء أهل الصفة فأعلم بهم . قال : أضربوهم عشرين عشرين درة ، واحبسوهم فإنهم يفسون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤذون المصلين[1] ، فكُلِّمَ فيهم . فقال : أحلفوهم ألّا يعاودوا وأطلقوهم .

هو وأبان وأعرابى

وذُكر أن أبان بن عثمان بن عفان كان من أهزل الناس ، فبينا هو ذات يوم وعنده أشعب إذ أقبل أعرابى ومعه جمل له . والأعرابى أزرق أشقر أزعر غضوب يتلظّى كأنه أفعى ، ويبين الشرّ فى وجهه ، مايدنو منه أحد إلا شتمه ونهره . فقال أبان : هذا والله من البادية[2] ، ادعوه لى . فدُعى له وقيل له : إن الأمير أبان ابن عثمان يدعوك ، فأتاه وسلّم عليه ، وسأله أبان عن اسمه ونسبه ، فانتسب له . فقال : حيّاك الله يا خالى ، حبيب ازداد حُبًّا . فجلس فقال له : إنى فى طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهى بهذه الصفة ، وهذه الهامة واللون والصولة والوَرِك والأخفاذ[3] ، فالْحمد لله الذى جعل ظَفَرى به من عند من أحبه ، أتبيعه ؟ قال : نعم أيها الأمير . قال : فإنى قد بذلت لك فيه مائة دينار . وكان الجمل يساوى عشرة دنانير ، فطمع الأعرابى وسُرَّ وانتفخ وبان السرور والطمع فى وجهه ، وأقبل أبان على أشعب وقال له ويلك : إن خالى هذا من أهلك وأقاربك يعنى الطمع ، فأوسع له مما عندك ، فقال نعم بأبى أنت وأمى وزيادة ، فقال له أبان يا خال : إنما زدتك فى الثمن على بصيرة . على أن[4] الجمل يساوى ستين ديناراً ، ولكن بذلتُ

(١) فى التجريد (المسلمين) وهذه رواية الأغانى .

(٢) فى التجريد . (البابة) والتصويب عن الأغانى .

(٣) رواية الأغانى (القامة) واللون والصدر والورك والأخفاف .

(٤) رواية الأغانى : (وإنما الجمل) .

لك مائة دينار لقلة النقْد عندنا ، و إنى أعطيك به عروضاً تساوى مائة . فزاد طمع الأعرابى وقال : قبلت ذلك أيها الأمير ، فأسرَّ إلى أشعب فأخرج شيئاً مغطًّى ، فقال له : أخرج ما جئت به . فأخرج جَرد عمامة خزٍّ خَلِقة تساوى أربعة دراهم . فقال له : قوّمها يا أشعب ، فقال : عمامة الأمير تعرف به ، و يَشهد فيها الأعياد والُجمع ، ويَلقى فيها الخلفاء ، خمسون ديناراً . فقال : ضعها بين يديه . وقال لأبن ربيح[1] : أثبت قيمتها، فكتب ذلك . ووضعت العمامة بين يدى الأعرابى ، فكاد يدخل بعضه فى بعض غيْظاً ولم يقدر على الكلام ، ثم قال له : هاتِ قلنسوتى ، فأخرج قلنسوة طويلة خَلِقة قد علاها الوسخ والدُّهن وتخرَّقت ، تساوى نصف درهم . فقال : قوّم ، فقال :قلنسوة الأمير تعلو هامته ، ويصلى فيها الصلوات الخمس، و يجلس للحكم ، ثلاثون ديناراً ، فأثبت ذلك ووُضعت القَلنسوة بين يدى الأعرابى فتربَّدوجهه وجحظت عيناه وهَمَّ بالوثوب ثم تماسك ، وهو مُتقلقل . ثم قال لأشعب : هات ما عندك ، فأخرج خُفَّين خَلِقين قد نقبا وتقشرا . فقال : خُفَّا الأمير يطأ بهما الروضة ، و يعلو بهما منبر النبى صلى الله عليه وسلم ، أربعون ديناراً، فقال : ضعهما بين يديه ، فوضعهما ثم قال للأعرابى : أُضمْ إليك متاعك . وقال لبعض الأعوان أذهبْ فخُذ الجمل . وقال لآخر : أمض مع الأعرابى فاقبض ما بقى من ثمن المتاع ، وهو عشرون ديناراً ، فوثب الأعرابى وأخذ القماش وضرب به وجوه القوم ثم قال له : أتدرى أصلحك الله من أى شىء أموت ؟ قال : لا . قال : إذ لم أدرك أباك عثمان فأشترك[2] والله فى دمه ، إذ قد وَلد مثلك ! ثم نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره ، وضحك أبان حتى سقط ، وضَحك كل من كان معه . وكان الأعرابى بعد ذلك إذا لقى أشعب يقول له : هلم إلىّ يا أبن الخبيثة حتى أكافئك على قيمة المتاع يوم قُوّم ! فيموت أشعب منه .

---

(١) رواية الأغانى : (زبنج) . (٢) رواية التجريد : « فأشرك » .

هو وعجوز عند موته

وذُكر أنه كان بالمدينة عجوز شديدة العين ، لا تنظُر إلى شيء تستحسنه إلا عانته[١] ، فدخلت على أشعب وهو فى الموت وهو يقول لبُنَيَّته : يابنيَّة : إذا متُّ فلا تندبيني والناس يسمعونك فتقولين : يا أبتاه أندبك للصوم والصلاة ، يا أبتاه أندبك للفقه والقراءة ، فيكذبك الناس و يلعنوننى ! والتفت أشعب فرأى المرأة فغطَّى وجهه بكمِّه وقال لها : بالله يا فلانة إن كنتِ استحسنت شيئاً مما أنا فيه فصلِّ على محمد صلى الله عليه وسلم ، لا تهلكيني . فغضبت المرأة وقالت : سخنت عينك ، وفى أى شيء أنت مما يستحسن ؟ أأنت فى آخر الرمق ، قال : قد علمت ولكن قلت : لا يكون قد استحسنت خفة الموت علىّ وسهولة النزع فيشتدُّ ما أنا فيه . فخرجت المرأة من عنده وهى تشتمه ، وضحك كل من حضر من كلامه ثم مات .

(١) رواية التجريد « عانت » .

أخبار عويف القوافي

نسبه وسبب تلقيبه

هو عُويف بن معاوية بن عُقبة بن حِصن بن حُذيفة بن بَدر بن عمرو ابن جُؤية بن لَوْذان بن ثَعلبة بن عدىّ بن فَزَارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيث ابن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار . وهو شاعر مُقِلّ من شُعراء الدولة الأُموية من ساكنى الكوفة ، وإنما قيل له : عويف القوافى ، ببيت قاله ، وهو :

سأكذِب من قدكان يزعم أننى إذا قلت قولاً لا أُجيد القوافيَا

فوقف على جرير بن عبد الله ، فقال :

أصبُّ على بَجيلة من شقاها هجائى حين أدركنى المَشيبُ

فقال له جرير : ألا نشترى منك أعراض بجيلة ؟ قال : بلى . قال : بكَم ؟ قال : بألف درهم وبرذون . فأمر له بما طلب ، فقال :

لولا جرير هلكت بجيلة نِعم الفتى وبئست القبيلة

فقال له جرير : ما أراهم نجَوا منك بعد .

هو والوليد بن عبد الملك

وذُكر أنه لم يكن رجل من خلفاء بنى أمية أنفس على قومه ولا أحسد لهم من الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فأذن يوماً للناس فدخلوا عليه ، وأذن للشعراء وكان أول من برز من بين يديه عُويف القوافى الفزارى فاُستأذنه فى الإنشاد ، فقال : ما أبقيتَ لى بعد ما قلت لأخى بنى زهرة ؟ قال : وما قلتُ له بعد[1]

(١) فى غير التجريد : « مع » .

ما قلتُ لأمير المؤمنين . قال : ألست الذى تقول له ؟

يا طلح أنت أخو الندى وحليفه   إن الندى من بعد طلحةَ ماتا
إن الفَعال إليك أطلق رَحلَه   فبحيث بِتَّ من المنازل باتا

أولست الذى تقول له :

إذا ما جاء يومك يا ابن عوف   فلا مَطرت على الأرض السماء
ولا سار العزيز[1] بغُنم جيش   ولا حَمَلت على الطُّهر النساء
تساقَى الناس بعدك ياابن عوف   ذَريع الموت ليس له شفاء

ألم تقُم عليك الساعة يوم قامت عليه ؟ لا والله لا أسمع منك شيئاً ولا أنفعك بنافعة أبداً ، أخرجوه عنى . فلما أُخرج ، قال له القرشيون والشّاميون : وما الذى أعطاك طلحة حين استخرج هذا منك؟ فقال : أما والله لقد أعطانى غيرُه أكثر من عطيّته ، ولكن لا والله ما أعطانى أحدٌ قطُّ أحلى فى قلبى ولا أبقى شُكْراً ولا أجدر إلَّا أنساها ـ ما عرفتُ الصلات ـ من عطيته . قالوا : وما أعطاك ؟ قال : قدمت المدينة ومعى بضيْعة لى لا تبلغ عشرة دنانير أريد أن أبتاع بها قَعوداً من قِعدان الصدقة ، فإذا برجل بصحن السوق على طِنفسة قد طُرِحت له والناس حوله ، و إذا بين يديه إبل مَعلوفة[2] فظننت أنه عامل السوق فسلمت عليه فأثبتنى وجهلتُه ، فقلت: إى رحمك الله ، هل أنت مُعينى ببصرك على قَعود من هذه القِعدان تبتاعه لى ؟ فقال : نعم ، أو معك ثمنه ؟ فقلت : نعم . فأهوى بيده إلىّ فأعطيته بضيْعتى ، فرفع طنفسته وألقاها تحتها ومكث طويلا ، فقمت إليه فقلت : إى رحمك الله ، انظر فى حاجتى . فقال : ما منعنى منك إلا النسيان ،

---

(١) فى غير التجريد : « البشير » .

(٢) فى غير التجريد : « مقعودة » .

أمعك حبل ؟ قلت : نعم . قال : هاك ذى أفرجوا ، فأفرجوا عنه حتى استقبل الإبل التى بين يديه ، وقال : اقترن هذه وهذه وهذه ، فما برحت حتى أمر لى بثلاثين بكرة ، أدنى بكرة فيها ، ولا دنية فيها خير من بضاعتى . ثم رفع طنفسته فقال : شأنك ببضاعتك فاستعن بها على قرض[1] ترجع إليه . فقلت : أى رحمك الله أتدرى ماتقول؟ فما بقى عنده إلا من نهرنى وشتمنى ، ثم بعث معى نفراً فأطردوها حتى أطلعوها فى رأس القنينة ، فوالله لا أنساه ما دمت حيًّا أبداً .

تعرضه لعمر ابن عبد العزيز

وحكى أبو بُردة بن أبى موسى الأشعرى قال: حضرت مع عمر بن عبد العزيز جنازة ، فلما انصرف انصرفت معه وعليه عمامة قد سَدلها من خلفه ، فما علمت به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به :

أجبنى أبا حفص لقيت محمداً   على حوضه يَسقيك منه دِراكا

فقال له عمر : لبَّيْك ووقف ، فوقف الناس معه ، ثم قال له : فمه ؟ فقال :

وأنت امرؤ كلتا يديك مفيدة   شمالك خيرٌ من يمين سِواكا

فقال : ثم مه ؟ فقال :

بلغت مدى المُجرين قبلك إذ جروا
ولن يُدرك المُجرون بعدُ مداكا

فجدّاك لا جدّان أكرم منهما   هناك تناهى[2] المجد ثم هناكا

فقال له عمر : ألا أراك شاعراً ، مالك من حق عندى ، قال : لا ، ولكنى سائل وابن سبيل وذو مهمة . فالتفت عمر إلى قهرمانه فقال : أعطه فَضل نفقتى ، فإذا هو عُويف القوافى .

(١) فى غير التجريد : « من » .
(٢) التجريد : « تباهى » .

شعره في عيينة بن أسماء

وذكر أن عويف القوافى كانت أخته عند عُيينة بن أسماء بن خارجة فطلَّقها ، وكان عويف مراغِماً لعيينة . وقال : الُحرة لا تطلّق لغير ما بأس . فلما حبس الحجاجُ بن يوسف عيينةَ وقيَّده ، وقال عويف :

مُنـــــع الرقاد فما يُحسُّ رقادُ ... مما شجاكَ[1] ونامت العُــوَّادُ

خبر أتانى عن عُيينة مُــوجع ... ولمثـــله تتصدّع الأكباد

بلغ النفـــوس بلاؤها فكأننا ... موتى وفينـــا الروح والأجساد

لمّا أتانى عن عُيينـــة أنه ... عانٍ تظاهر فوقه الأقيـــاد

نَخلت له نفسى النصـــيحة إنه ... عنـد الحفائظ تَذهب الأحقاد

وذكرت أى فتى يســد مكانه ... بالرِّفد حـــينَ تقاصر الأرفاد

أم من يُهين لنــا كرائم ماله ... ولنـــا إذا عدنا إليه معاد

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفَرج أخبار عويف قوله :

ألَّمت خنـــاس وإلمـــامها ... أحاديثُ نفس وأحـــلامها

(١) فى غير التجريد : « خبر أتاك » .

أخبار عبد الله بن جحش

زواجه من صهباء

ثم ذكر أبو الفرج عبدَ الله بن جحش فاُخترت من أخباره حكاية أوردها، وهى أنه كان بالمدينة جارية يقال لها: صهباء، من أحسن الناس وجهاً، وكانت من هذيل، فتزوجها أبن عم لها، فمكثت معه حيناً لا يقدر على وطئها من شدة ارتتاقها، فأبغضته فطالبته بالطلاق فطلّقها، ثم أصاب الناس مطر شديد فى الخريف فسال منه العقيق سيلا عظيما، وخرج أهل المدينة وخرجت صَهباء معهم، فصادفت عبد الله بن جحش وأصحابه فى نُزهة، فرآها وأُفترقا، ثم مضت إلى أقصى الوادى وأستنقعت فى الماء، وقد تفرق الناس وخفُّوا، فاُجتاز بها عبد الله بن جحش فرآها، فتهالك عليها وهام بها، وكان بالمدينة أمرأة تدُل على النساء يقال لها قطنة، وكانت تداخل القرشيات وغيرهن، فلقيها عبد الله أبن جحش فقال لها: أخطبى لى على صهباء. فقالت: قد خطبها عيسى بن طلحة أبن عبيد الله. فأجابوه، ولا أراهم يختارونك عليه. فشتمها أبن جحش وقال لها: كل مملوك لى حر، لئن لم تحتالى فيها حتى أتزوجها لأضربنك ضربة بالسيف، وكان مقداماً جسوراً. ففرقت منه. فدخلت على صهباء وأهلها فتحدثت معهم، ثم ذكرت ابن عمها فقالت لعمة صهباء: ما باله فارقها؟ فأخبرتها خبرها، وقالت: لم يقدر عليها وعجز عنها. فقالت لها: ولأخت صهباء، إن هذا ليعترى كثيراً من الرجال، فلا ينبغى أن تقدموا فى أمرها إلا على من تختبرونه، وأما والله لو كان أبن جحش لصهباء لثقَبها ثَقب اللؤلؤ ولو رُتقت بحجر. ثم خرجت من عندهم. فأرسلت صهباء إلى عمتها: مُرِى أبن جحش فليخطبنى. فمَضى فخطبها فأنعمت له

وأبى أهلها إلا عيسى بن طلحة ، وأبت هى إلا ابن جحش ، فتزوّجته ودخل بها وافتضّها . فأحب كل واحد منهما صاحبه ، فقال فيها الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله بن جحش وهو :

نعم الضجيع إذا النجوم تغوّرت بالغور أولاها على أخراها

عذب مقبّلها وثيرٌ ردفها عبلٌ[1] شواها طيّب مجناها

صهباء[2] يطويها الضجيع لحسنها[3]

طى الحمالة ليّن متناها

لو يستطيع ضجيعها لأجنّها فى الجوف

حبٌّ نسيمها[4] وجناها

يا دار صهباء التى لا أنتهى عن ذكرها أبداً ولا أنساها !

---

(١) التجريد : « عذب » .

(٢) غير التجريد : « صفراء » .

(٣) « « : « لصلبها » .

(٤) « « : « وفشاها » .

أخبار عبد الله بن العباس الربيعي

نسبه وشيء عنه

هو عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، والربيـــع — على ما يدّعيه أهلُه — ، ابن يونس بن أبي فروة ، وآل أبي فروة يدفعون ذلك ويزعمون أنه لقيط وُجد منبوذاً وكفله يونس بن أبي فروة ورباه ، فلما خدم أبا جعفر المنصور أُدعى إليه .

منزلته في الشعر

ويكنى عبد الله : أبا العباس ، وكان شـــاعراً مطبوعاً مُحسناً ، جيد الصنعة فى الغناء نادرها ، حسن الرواية ، حـلو الشعر ظريفه ، ليس من الشعر الجزل ولا المرذول ، ولـكنه حسن مطبوع من أشعار المُترفين وأرباب النعم .

وذُكر أنه كان كثير المُلازمة للاصطباح لا يفوتُ ذلك إلا يوم جمعة وصوم شهر رمضان ، ومن قوله فيه :

ومُســتطيل على الصَّهباء باكرها … فى فتيةٍ باُصطباح الرّاح حُذّاقِ

فـكل شيء رآه ظنـــــه قدحًا … وكلُّ شيء رآه ظنّه الســاقِي

هو فى شعر أعيا عليه

وحكى عبد الله بن العباس الربيعي قال : كنت جالساً على دِجلة فى ليلة من الليالى ، فأخذت دواة وقرطاساً وكتبت شعراً حضرنى وقلته فى ذلك الوقت :

مـــــــالّ وكـنت منتظراً … فاُصبر فهذا جرائر القَــدرِ[1]

لعلنـــا أن نديل من زمن … فرّقنـــا والزمان ذو غِـيرَ

---

(١) هكذا البيت فى التجريد وصدر غير مستقيم وزناً وعجزه فى الأغانى غير مستقيم ، ورواية الأغانى هى :

أخلفك الدهــر ما تنظـره … فاصبر فذا جـل أمر القدر

ثم أرتج عليّ فلم أدر ما أقول ، حتى يئست من أن يجيئني ، فالتفتُّ فرأيت القمر وكانت ليلة تمامه ، فقلت :

فانظر إلى البـــدر فهو يشبهه إن كان قد ضنّ عنــك بالنظر

ثم صنعت فيه لحناً

شعره فى يوم دجن للواثق

وحكى خالد بن حمــدون قال :

كنّا عند الواثق فى يوم دَجن فلاحَ برق فاستطار ، فقال : قولوا فى هذا شيئاً . فبَدرهم عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع فقال :

أعِـنّى على بارقٍ لامــع خفىّ كلَمْحك بالحـاجبِ

كأنّ تألّقــه فى السماء يدًا كاتب أو يدا حاســبِ

وصنع فيه لحناً شَرِب عليه الواثق بقيّة يومه ، واستحسن شـعرَه ومعناه وصنعته ، ووصل عبد الله صلةً سنيّة .

شعره للمتوكل حين غضبت عليه قبيحة

وذُكر أنّ قَبيحة أم المعتز غضبت على سـيدها المتوكل وهاجرته ، فدخل الجلساء والمغنّون ، وفيهم عبدُ الله بن العبّاس الرّبيعى ، وكان قد عَرف الخبر ، فقال هذا الشعرَ وغنّى فيه :

لستَ منّى ولستُ منـك فدَعنى وامض عنّى مُصاحباً بســلامِ

لم تجد عـــلّة تجنّى بها الذنــبَ فصارتْ تعتلّ بالأحـلام

وإذا ما شـكوتُ ما بىَ قالت قد رأينا خِلاف ذا فى المنــام

فطرب المتوكل وأمر له بعشرين ألف درهم ، وقال له : إنّ فى حيـاتك يا عبد الله لأُنساً وجمالا وبقاء للمروءة والظَّرف .

هو وجلة من المغنين والشعراء عند أبى عيسى

وحكى محمد بن حسن قال :

كنا عند أبى عيسى بن الرشيد فى زمن الربيع ، ومعنا مخارق وعَلُّويه وعبد الله ابن العباس . ومحمد بن الحارث بن بُسْخَنَّر ، ونحن مُصطبحون فى طارمة مضروبة

على بُستانه ، وقد تفتّح فيه وُرود وياسمين وشقائق ، والسماء مُغيمة غَيما مُطبقاً ، وقد بدأت ترش رشًّا ساكناً ، فنحن فى أكمل نشاط وأحسن يوم إذ خرجت قيّمة دار أبى عيسى فقالت : ياسيدى ، قد جاءت عَساليج . فقال : تخرج إلينا ، فليس بحضرتنا مَن نحتشمه ، فخرجت إلينا جارية مُشكلة حُلوة حَسنة العقل والهيئة والأدب ، وفى يدها عود ، فسلمَت ، فأمرها أبو عيسى بالجلوس ، فجلست ، وغنّى القوم حتى انتهى الدور إليها ، فظننا أنها لا تَصنع شيئاً ، وخِفنا أن تهابنا فتحصر . فغنّتْ غناء حسناً مُطرباً ولم تدع أحداً ممن حَضر إلا غنت صوتاً مِن صنعته وأدّته على غاية الإحكام . وطربنا وأستحسنا غناءها ، وخاطبناها بالأستحسان ، وألحّ عبدُ الله بن العباس من بيننا بالاقتراح عليها والمِزاح معها ، فقال له أبو عيسى عَشقتها وحياتى يا عبد الله . فقال : لا والله ياسيدى وحياتك ماعشقتها . ولكني استملحت غناءها ، وكل ما شاهدت منها من منظر ومن شكل وعقل وعشرة . فقال أبو عيسى : ويلك ، فهذا والله هو العشق وسببه ، ورُب جِد جَرّه اللعب . وشربنا ، فلما غلب النبيذ على عبد الله غنّى أهزاجاً قديمة وحديثة وغنّى هزجاً فى شعر قاله فيها لوقته ، فما فَطِنَ له إلا أبو عيسى وهو :

نطق السُّكر بسرِّى فبدا ... كم ترى المكتومَ يُخفى لا يَصِح

سحر عينيك إذا ما رنتا ... لم يَدَعْ ذا صَبوة أو يفْتَضِح

ملكت قلبى فأمسى علقاً ... عندها صَبًّا بها لم يسْتَرِح

بجَمال وغناء حسن ... جلّ عَن أن ينْتقيه المقترح

أورث القلب هموماً ولقد ... كنت مسروراً بمرآه فرح

ولكم مُغتبق همًّا وقد ... باكر اللهو بكوز المُصطبح

فقال له أبو عيسى : فعلتها والله ياعبد الله ، ونعر[1] طرباً وشرب على الصوت .

(١) فى غير التجريد : « وطار » .

قال له : صح والله قولى لك فى عَساليج ، وأنت تكابرنى حتى فَضحَك السُّكرُ ! فجحد وقال : هذا غناء كنت أرويه ، فحلف أبو عيسى أنه ما غناه ولا قاله إلا فى يومه ، وقال له : أحلف بحياتى أن الأمر ليس هو كذلك ، فلم يفعل . فقال له أبو عيسى : والله والله لو كانت لى لوهبتها لك ، ولكنها لآل يحيى بن مُعاذ ، و والله لئن باعوها لأملكنّك إياها ولو بكل ما أملك ، ووحياتى لتنصرفن قبلك إلى منزلك . ثم دعا بحافظتها وخادم من خدمه ووجّه بها معهما إلى منزله . والتوى عبد الله قليلاً وتجلّد وجاحد[1] أمره ، ثم انصرف واتصل الأمر بينهما بعد ذلك واشترتها عمّته رُقية بنت الفَضيل[2] بن الربيع ، من آل يحيى بن معاذ ، وكانت عندهم حتى ماتت .

وحكى عبد الله بن العباس قال :

دعانى الواثق فى يوم نَيْرُوز ، فلما دخلت عليه غنيتُه فى شعر قلته ، وصنعت فيه لحناً ، وهو :

هى للنيروز جاما ومُداماً ونَدامى
تحمدون[3] الله والوا ثق هارون الإماما
ما رأى كِسرى أنو شر وان مثل العام عاما
نَرجساً غضًّا ووردا وبهاراً وخُزامى

فطرب واستحسن الغناء وشرب عليه حتى سكر ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم .

وحكى حَمدون بن إسماعيل قال :

---

(١) فى غير التجريد : « وجاحدنا » .
(٢) « « : « الفضل » .
(٣) « « : « يحمدون »

دخلت على عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، وخادم له يَسقيه ، وبيده عُود وهو يغنى :

إذا اصطبحتُ ثلاثًا وكان عُودى نديمى
والكأس تَضحك[١] ضحكا من كف ظَبْى رَخيم
فما علىّ طريق لطارقات الهُموم

فما رأيت أحسن ما حكى[٢] حاله فى غنائه ، ولا سمعت أحسن ما غنى[٣]

وحكى عبد الله بن العباس قال :

لقينى سوار بن عبد الله القاضى ، وهو سوار الأصغر ، فأصغى إلى ، وقال : إن لى إليك حاجة : فأتنى فى خَفِىّ . فجئته فقال : لى إليك حاجة قد أنست بك بها[٤] ، لأنك لى كالولد ، فإن شرطت لى كِتمانها أفضيت إليك بها . قلت : ذاك للقاضى علىّ شرط واجب . فقال لى : إنى قلت أبياتاً فى جارية لى أَميل إليها وقد قلتنى وهجرتنى وأحببت أن تصنع فيها لحناً وتُسمعنيه ، و إن غنيته وأظهرته بعد ألا يعلم أحد أنه شعرى فلست أبالى ، أفتفعل ذلك ؟ قلت : حباً و كرامة للقاضى . قال : فأنشدنى سوّار لنفسه .

سَلَبَتْ عِظامى لحمَها فتركْتها عوارى فى أَجْلَادِها تتكسّر
وأخليتُ منها مُخَّها فتركْتُها أنابيبَ فى أجوافها الريح تَصْفر
إذا سمعت ذكر[٥] الفراق تَقعقعت
مفاصلُها من هَول ما تتنظر[٦]

---

(١) فى غير التجريد : « تغرب » .
(٢) « « : « مما حكى » .
(٣) « « : « مما غنى » .
(٤) « « : « فيها » .
(٥) « « : « باسم » .
(٦) « « : « ما تتحذر » .

خُذِى بِيَدِى ثم اُكشِفى الثوب فانظرى
ضنى[١] جسدى لكنّنى أتستّرُ

وليس الذى يَجرى من العين ماؤها
ولكنها نفسى تذوب فتقطر

قال . فصنعت فيه لحناً ثم عرفته خبره فى رقعة كتبتها إليه ، وسألته وعداً يعِدنى المصير إليه ، فكتب إلىّ : نظرت فى القصة فوجدت هذا الأمر لا يصلُح ولا ينكتم على حضورك وسماعى إياك ، وأسأل الله أن يسرك ويبقيك ، فغنيت الصوت وظَهر حتى تغنى به الناس ، فلقينى سوار يوماً فقال لى : يا ابن أخى ، قد شاع أمرك فى ذلك الباب حتى سمعناه من بَعد ، كأنا لم نعرف القصة ، وجعلنا جميعاً نضحك .

وحكى عبد الله بن العباس قال : جمعنا الواثق يوماً بعقب علة غليظة كان فيها فعوفى وصح جسمه ، فدخلت عليه وهو مع المغنين ، وعودى فى يدى ، فلما وقعت عينى عليه من بعيد وجهرت بحيث يسمع صوتى ، ثم ضربت بالعود وغنيته فى شعر قلته من طريقتى ، وصنعت فيه لحناً ، وهو :

أَسلَم وعمّرك الإله لأمة بك أصبحت قهرت[٢] ذوى الإلحاد
لو تَستطيع وقَتك كلَّ أذية بالنفس والأموال والأولاد

فضحك وسُرَّ وقال : أحسنت يا عبد الله وسَررتنى بابتدائك ، اُدْنُ منى . فدنوت حتى كنت أقرب المغنين إليه . ثم استعادنى الصوت ، فأعدته ثلاث مرات وشرب عليه ثلاثة أقداح ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه .

---

(١) فى غير التجريد : « بلى » .

(٢) هذه رواية الأغانى ؛ ورواية التجريد « مهرقى » .

وذُكر أن عبد الله بن العباس كان يهوى جارية نصرانية . فجاءته يوماً تودعه ، فأعلمته أن أباها يُريد الانحدار إلى بغداد والمضى بها معه ، فقال فى ذلك :

أفــــدى التى قلت لها ... والبـــين منــا قد دَنا
فقــــدك قد أنحل جسـ ... ـمى وأذاب البَـــدَنَا
قالت : فمــاذا حيلـــتى ... كذاك قـــد ذُبت أنا
إذن بغيرى[1] فاقتنـــع ... قلت إذن طال[2] العنـا

وذُكر أن عبد الله بن العباس دخل على المتوكل فى آخر شعبان فغنّاه :

عَلِّلَانى نَعِمــتما بمـــدام ... واسقيانى من قبل شهر الصيام
حرّم الله فى الصيام التصـابى ... فـــتركناه طاعة لـلإمام
أظهر العدل واستبان[3] به الديـ ... ـن وأحيـــا شرائع الإسلامِ

فأمر المتوكل بالطعام فأحضر ، وبالنبيذ والجلساء فأتى بذلك ، واصطبح . وأقبل عبد الله يغنيه فى هذه الأبيات يومه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

والشعر الذى فيه الغناء : افتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله ، هو للعرجى ، وهو أبيات أولها :

أماطت كساء الخز عن حر وجهها ... وأدنت على الخدين برداً مهلهلا
من اللاء لم يَحججن يبغين حسبة ... ولكن ليقتلن البرىء المغفلا

وقد تقدمت أخبار العرجى .

(١) فى غير التجريد : « باليأس » .
(٢) « « : « قل » .
(٣) « « : « ستنار » .

أخبار سلم الخاسر (*)

هو سلم بن عمرو : مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه . شاعر بَصرى مطبوع مُتصرف فى فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، راوية بشار بن بُرد ، وتلميذه وعنه أخذ ، ومن بحره اغترف ، وعلى مذهبه ونمطه .

قال الشعر ، ولُقب الخاسر ، لأنه ورث عن أبيه مُصحفاً فباعه واشترى بثمنه طُنبورا .

وقيل : خلّف أبوه مالاً فأنفقه على الأدب والشعر . فقال له بعض أهله : إنك لخاسر الصَّفقة ، فلقب بذلك .

وقيل : لما مات أبوه واقتسموا ماله وقع فى نصيب سَلم مُصحف فردّه وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت لأبيه ، فلُقِّب الخاسر لذلك .

وذُكر أنه مدح المهدى أو الرشيد ، وكان قد بلغه أن سَلْماً لُقب الخاسر لإخراجه ماله ، وكان مائة ألف درهم فى الأدب والشعر ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال : كَذِّبْ بهذا جيرانك . فجاءهم بها ، فقال لهم : هذه المائة الألف التى أنفقتها وربحتُ الأدب ، فأنا سلم الرابح لا الخاسر .

وذُكر أنه لما بنى صالح بن المنصور قصره بدجلة قال فيه سلم الخاسر :

يا صالحَ الجود الذى مجدُه ... أفسدَ مجدَ الناس بالجودِ

بنيتَ قصرًا مُشرفاً عاليًا ... بطائرى سَعد ومَسعود

(*) ممن جاءت تراجمهم فى الجزء الحادى والعشرين .

كأنما ترفع بنيانه   جنُّ سليمان بن داود
لا زلت مسروراً به سالماً   على اختلاف البِيض والسُّود

يعنى بالبيض والسود : الأيام والليالى . فأمر له صالح بألف دينار .

وذُكر أن عاصم بن عُتبة الغسّانى كان صديقاً لسَلم الخاسر كثير البرّ به والمُلاطفة له ، وفيه يقول سلم :

لعاصم سَماء   عارضها تَهتَان
أمطارها اللُّجين   والدُّرّ(١) والعِقيان
وناره تنادى   إذ خَبت النيران
الجود فى قحطان   ما بقيت غسّان
أسلم وما أبالى   ما فعل الإخوان
صلت له المعالى   والسَّيف والسِّنان
ما ضر مرتجيه   من عثرة الزمان
من غاله مخوف   فعاصم أمان

فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم ، وكان مبلغ ما وصل إلى سَلم من عاصم خمسمائة ألف درهم ، فلما حضرته الوفاة دعا عاصماً ، فقال له : إنى ميت ولا ورثة لى وإن مالى مأخوذ وأنت أحق به . فدفع إليه خمسمائة ألف درهم ، ولم يكن لسَلم وارث ، وكان عاصم هذا جواداً .

وذُكر أن أبا الشَّمقمق طالب سَلما الخاسر أن يهب له شيئاً ، وقد خرجت لسلم جائزة ، فلم يفعل ، فقال أبو الشَّمقمق يهجوه :

---

(١) فى التجريد : « والإبريز » .

يا أُمَّ سَلم هداكِ اللهُ زُورينـا حتى يَنيكَكِ فرداً أو تنيكينا

ما إن ذكرتك إلا هاج لى شَبق ومثل ذكراك أم السَّلم يَشجينا

فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير، وقال: أُحب أن تعفينى أُستزارتك أمى وتأخذ هذه الدنانير فتُنفقها.

وكان أبو عُبيد الله الأشعرىّ وزير المهدى، وغالباً على أمره كله: وكان بينه وبين الربيع سباق على تغيير قلب المهدى عليه، فدخل الربيع على المهدي يوماً وأبو عبيد الله وزيره جالس يعرض عليه كتباً، فقال له أبو عبيد الله: مُر هذا أن يتنحى، يعنى الربيع. فقال المهدى: تنحَّ! فقال الربيع: لا أفعل فقال له المهدى: كأنك ترانى بالعين الأولى، قال: لا بل أراك بالعين التى أنت بها. قال: فلم لا تتنح إذ أمرتك؟ فقال له: أنت ركن الإسلام، وقد قتلت أبن هذا، فلا آمن أن تكون معه حديدة يغتالك بها، فقام المهدى مذعوراً، وفتش أبو عبيد الله فوجد بين جوربه وخفه سكين، فسقطت مرتبة أبى عبيد الله، ورُدت الأمور كلها للربيع من الوزارة، ووليها يعقوب بن داود. وكان أبو عبيد الله أدخله إلى المهدى، فقال سلم الخاسر فيه:

أدخلته فعلا عليك كذاك شُؤم الناصيه(١)

يعقوب ينظر فى الأمور وأنت تنظر ناحيه

وكان سبب قتل المهدى بن أبى عبيد الله وزيره أنه بلغ المهدى من جهة الربيع أن أبن أبى عبيد الله زِنديق، فقال له المهدى: هذا حسد منك، فقال: افحص عن هذا، فإن كنت مبطلا بلغت فيك الذى يلزم من كذبك. فأتى ابن أبى عبيد الله فقرره تقريراً خفيًا، فأقر بذلك، فاستتابه فلم يتب فقال لأبيه: اقتله، فقال: لا تطيب نفسى بذلك، فقتله وصلبه على باب أبى عبيد الله.

(١) ورد هذا البيت فى الأغانى بعد الذى يليه.

وذُكر أنه دخل سَلم الخاسر على الفضل بن يحيى فى يوم نَيروز والهدايا بين يديه ، فأنشده :

أَمن رَبْع تسائله ... وقد أقوَتْ منازله
بقلبى من هوى الأطلا ... ل حُبٌّ ما يزايله
رويدكم عن المشغو ... ف إن الحب قاتله
بلابل صدره تَسرى ... وقد نامت عواذله
أَحق الناس بالتفضيـ ... ـل من ترعى فواضله
رأيت مكارم الأخلا ... ق ما ضَمت حمائله
فلست أرى فتى فى النا ... س إلا الفضل فاضله
يقول لسانه خيراً ... فتفعله أنامله
ومهما تَرْجُ من خير ... فإن الفضل فاعله

وكان إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق حاضرين ، فقال الفضل لإبراهيم : كيف ما ترى ؟ فقال : أحسن مرأى ومسمع ، وفضل الأمير أكثر منه . فقال : خذوا ما أهدى إلىّ اليوم فاْقتسموه بينكم أثلاثاً إلا ذلك التمثال ، فإنى أريد أن أهديه اليوم إلى دنانير . ثم قال : لا والله ما هكذا تفعل الأحرار . يُقوّم ثم يدفع إليهم ثمنه ثم تهديه . فقُوِّم بألفى دينار فحملها إلى القوم من بيت ماله ، واقتسموا جميع الهدايا بينهم .

وذُكر أنه قيل لمَعن بن زائدة : ما أحسن ما مُدحت به من الشعر عندك ؟ قال : قول سلم الخاسر :

أبلغْ الفتيان مألكةً ... إنّ خير الوُد ما نفعا
إن قوماً من بنى مطر ... أتلفت كفّاه ما جَمعا

كلما عُدنا لنائله عاد فى مَعروفه جَذَعا

وذُكر أنه حدث فى أيام الرشيد أمر فاحتيج فيه إلى الرأى ، فأشكل . وكان الفضل غائباً فورد فى ذلك الوقت ، فأخبره بالقصة فأشار بالرأى فى وقته ، فدخل عليه سَلم الخاسر فأنشده :

بديهته وفكرته سواء إذا ما نابه خطب كبير
فأحزم ما يكون الدهر رأياً إذا أعيا المشاور والمُشير

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وذُكر أنه لما تُوفى المهدى وأتى خبرُ وفاته إلى ابنه موسى الهادى ، وهو بجرجان ، فبويع له هناك ، فدخل عليه سَلم الخاسر فأنشده بعد أن هنأه مع المهنئين :

لمّا أتت خيرَ بني هاشم خلافةُ الله بجُرجان
شمر للحرب سرابيلَه برأى لا غُمر ولا وانى
لم تَدخل الشُّورى على رأيه والحزم لا يُمضيه رأيان

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار سلم الخاسر ، هو :

حَضر الرحيلُ وشُدت الأحداج وغدا بهن مُشمرٌ مزعاج
للشوق نيران قَدَحْنَ بقلبه حتى استمرّ به الهوى المِلْجَاجُ
أزعج هواكِ إلى الذين تُحبهم إن المحب يَشُوقُه الإزعاج
لن يُدْنِينَّكَ للحبيب ووصله إلا السُّرى والبازل الهَجْهَاج

وهذا الشعر من قصيدة مدح بها سَلم الخاسر الرشيد .

وذُكر أنه لما انتهى منها إلى قوله :

إن المنايا فى السيوف كوامن حتى يهيِّجها فتًى هيّاج

قال الرشيد : كان ذاك معن بن زائدة ، فلما انتهى قوله إلى :

ومدجَّج يغشى المضيق بسيفه حتى يكون بسيفه الإفراج

قال الرشيد : ذلك يزيد بن مزيد . فقال : صدق أمير المؤمنين . فاغتاظ جعفر ابن يحيى ، وكان يزيد بن مزيد عدوًّا للبرامكة مُصافياً للفضل بن الربيع . فلما انتهى إلى قوله :

نزلت نجومُ الليل فوق رءوسهم فلكل رأس كوكبٌ وهّاج

قال له جعفر : من قلّة الشعر حتى يُمدح أمير المؤمنين بشعر قيل فى غيره هذا لبشار فى فلان التميمى . فقال الرشيد : ما تقول ياسلم ؟ قال : صدق يا سيدى ، وهل أنا إلا جزء من محاسن بشار ، أم هل أنطق إلا بفضل منطقه ، وحياتك يا سيدى إنى لأرى له تسعة آلاف بيت ما يعرف أحد غيرى شيئاً منها ، فضحك الرشيد وقال : ما أحسن الصدق ، أمض فى شعرك . فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال للفضل بن الربيع : هل قال أحد غير سَلم فى طيِّنا للمنازل شيئاً ؟ وكان الرشيد قد انصرف من الحج وطوى المناهل ، فوصف ذلك سلم فقال : يا أمير المؤمنين ، النَّمرى فأمر النَّمرى بالإنشاد فأنشده قوله :

تخرّق سربال الشباب مع البرد وحالت لنا أُم الوليد عن العَهْدِ

فقال الرشيد للعباس بن محمد : أيهما أشعر عندك يا عم ؟ قال : كلاهما شاعر ، ولو كان الشعرُ يُستفحل لجودته حتى يؤخذ منه نسل لاستفحلت كلام النَّمرى ، فأمر له بمائة ألف درهم .

أخبار أبى صدقة (*)

هو مسكين بن صَدقة ، من أهل المدينة ، مولى لقريش ، وكان مليحَ الغناء طيب الصوت ، كثير الرواية ، صالح الصنعة ؛ من أكثر الناس نادرة ، وأخفهم روحاً ، وأشدهم طمعاً ، وألحّهم فى مسألة .

وكان له ابن يقال له : صدقة ، يُغنى ، وليس من المعدودين .

وابن ابنه أحمد بن صدقة الطنبورى أحد المُحسنين من الطُّنبوريين . وله صنعة جيدة ، وكان أشبه الناس بجدِّه فى المَرَح والنوادر .

وأبو صدقة من المغنين الذين أقدمهم الرشيد من الحجاز فى أيامه .

وذُكر أن الرشيد قال له يوماً : ويلك ما أكثر سؤالك ؟ فقال : وما يمنعنى من ذلك ، واسمى مسكين ، وكنيتى أبو صدقة ، واسم ابنى صدقة ، فمن أحق بهذا منى ؟ .

وكان الرشيد يَعبث به كثيراً ، فقال يومًا لمسرور : قل لابن جامع ولإبراهيم الموصلى والزبير بن دحمان وزلزل وبرصوما وابن أبى مريم المدينى : إذا رأيتمونى قد طابت نفسى فليَسأل كل واحد منكم حاجة مقدار صلته ، وذكر لكل واحد منهم مبلغ ذلك ، وأمرهم أن يكتموا أمرهم عن أبى صدقة ، فقال لهم مسرور ما قال له ، ثم أذن لأبى صدقة قبل إذنه لهم . فلما جلس قال له يا أبا صدقة : قد أضجرتنى بكثرة مسألتك لنا ، وأنا فى هذا اليوم ضجر ، وقد أحببت أن أتفرج

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

وأفرح ، ولست آمن أن تنغص على مجلسى بمسألتك ؛ فإما أن أعفيتنى من أن تسألنى اليوم حاجة و إلا فانصرف . فقال له : لست أسألك فى يومى هذا ، ولا إلى شهر حاجة . فقال له الرشيد : أما إذا اشترطت لى هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بخمسمائة دينار ، وها هى ذى فخذها طيّبة مُعجلة ، فإن سألتنى شيئاً بعد هذا اليوم فلا لوم علىّ إن لم أصلك سنة بشيء . فقال له : نعم ، وسنتين . فقال له الرشيد : زِدْنِى فى الوثيقة ، قال : قد جعلت أمر امرأتى أم صدقة فى يدك فطلّقها متى شئت ، إن شئت واحدة و إن شئت ألفاً إن سألتك فى يومى هذا حاجة ، وأشهدتُ الله ومن حضر على ذلك ، ودفع إليه المال . ثم أذن للجلساء والمُغنين فدخلوا وشرب القوم ، فلما طابت نفس الرشيد قال له ابن جامع : يا أمير المؤمنين ، قد نلت منك ما لم تبلغه أمنيتى وكثُر إحسانك إلىّ حتى كبتُّ أعدائى وقتلتهم ، وليس لى بمكة دار تشبه حالى ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بمال أبني به داراً وأفرشها بباقيه لأَفْقأ عيون أعدائى وأزهق نفوسهم فعل . قال : وكم قدرت لذلك ؟ قال : أربعة آلاف درهم . فأمر له بها . ثم قام إبراهيم الموصلى فقال له : قد ظهرت نعمتك علىّ وعلى أكابر ولدى ، وفى أصاغرهم من أحتاج إلى أن أطهره ، ومنهم صغار أحتاج أن أتخذ لهم خدماً ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُحسن معُونتى على ذلك فعل . فأمر له بمثل ما أمر لابن جامع . وجعل كل واحد منهم يقول من الثناء ما يحضره ، ويسأل حاجته على قدر جائزته ، وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تفرّق يميناً وشمالا . فوثب على رجليه قائماً ، ورمى بالدنانير من كُمّه وقال للرشيد : أقلني أقالك الله عثرتك . فقال له الرشيد : لا أفعل . فجعل يستحلفه و يضطرب و يلحّ ، والرشيد يضحك و يقول : ما إلى ذلك سبيل : الشرط أملك . فلما عِيل صبره أخَذ الدنانير فرمى بها بين يدى الرشيد وقال : ها كها قد رددتها عليك وزدْتك فرج أم صدقة ، فطلّقها إن شئت واحدة و إن شئت ألفاً ،

و إن لم تلحقنى بجوائز القوم فألحقنى بجائزة هذا الباردْ بن الباردة عمر و الغزال . وكانت ثلاثة آلاف دينار ، فضحك الرشيد حتى أُستلقى ، ثم رد عليه الخمسمائة الدينار وأمر له بألف دينار أخرى معها ، وكان ذلك أكثر ما أخذه منذ يوم خدمه إلى أن مات ، وانصرف يومئذ بألف وخمسمائة دينار .

أخبار فضل الشاعرة (*)

هى جارية مولّدة من مولدات البصرة ، وكانت أمها من مولّدات اليمامة ، بها وُلدت ، ونشأت فى دار رجل من بنى عبد القيس ، وباعها بعد أن أدّبها وخرجها ، فاشْتُرِيَتْ وأُهْدِيَتْ إلى المتوكل . وكانت تزعم أن الذى باعها أخوها ، وأن أباها كان معترفاً بها وأدّبها وخرّجها ، وأن بنيه من غير أمّها تواطئوا على بيعها وجحدها ، ولم تكن تعرف بعد أن أعتقت إلا بفضل العبدية الشاعرة .

وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام ، أديبة فصيحة سريعة البديهة مطبوعة فى قول الشعر ، ولم يكن فى نساء زمانها أشعر منها .

وقيل : إنها كانت لرجل من النخّاسين بالكرخ — يقال له : حسنويه — فاشتراها محمد بن الفرج أخو عمر بْن الفرج الرُّخجى ، وأهداها إلى المتوكل ، وكانت تجلس للرجال و يأْتيها الشعراء .

وذُكر : أن أبا دلف العجلى ألقى عليها :

قالوا عَشِقْتَ صغيرةً فأجبتُهم ... أشهى المطىِّ إلىّ ما لم يركبِ

كم بين حَبّة لؤلؤ مثقوبة ... نُظمت وحبة لؤلؤ لم تُثقب

فقالت فضل مُجيبة له :

إن المطيّة لا يلذ ركوبُها ... ما لم تذلَّلْ بالزّمام وتُركبِ

والدُّر ليس بنافع أربابه [1] ... إن لم يؤلّف للنظام و يُثقب

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(1) فى غير التجريد : « أصحابه » .

وذُكر أنه عرضت على المعتمد جارية تباع فى خلافة أبيه المتوكل، وهو يومئذ حديث السن، فاشتط مولاها فى السَّوم، فلم يشترها وخرج بها إلى ابن الأغلب صاحب إفريقية، فبيعت هناك. فلما أُفضت الخلافة إلى المعتمد سأل عن خبرها وقد ذَكرها، فذُكر أنها بيعت وأولدها مولاها، فقال المعتمد لفضل الشاعرة: قولى فيها شيئاً. فقالت:

عَلَم الجمال تركتنى ... فى الُحب أشهر من علم

ونصبتنى يا مُنْيَتِى ... غرضَ المظنّة والتُّهَم

فارقتنى بعد الدنو ... فصرت عندى كالحلم

فلو أن روحى فارقت ... جسمى لفقدك لم تلُم

ما كان ضرك لو وصلت فخفّ عن قلبى الألم

برسالة تهدينها ... أو زورة تحت الظلم

أو لا فطيف فى المنام فلا أقلّ من اللّمم

وحكى محمد بن العباس اليزيدى قال:

كتب بعض أهلنا إلى فَضل الشاعرة:

أصبحت صَبًّا(١) هائم العقل ... إلى غزال حسن الشكل

أضنى فؤادى طول عهدى به ... وبُعْده عنّى ومن وَصْلى

مُنية نفسى فى هوًى فضل ... أن يجمع الله بها شملى

أهواك يا فضل هوًى خالصاً ... فما لقلبى عنك من شُغل

فأجابته:

الصبر ينقُصُ والسقام يزيد ... والدار دانية وأنت بعيد

(١) فى غير التجريد: «فرداً».

فقالت فضل :

تَصُد وأدنو بالمودّة جاهدا   وتبعُد عنّى بالوصال وأقرُبُ

فقلت أنا :

وعندى لها العُتبَى على كل حالة   فما منه لى بُدٌّ ولا عنه مَذهب

بينها وبين أديب ألقى عليها بيتاً

وحكى أحمد بن أبى طاهر قال :

ألقى بعضُ أصحابنا من أهل الأدب على فضل الشاعرة :

ومُستفتح بابَ البلاء بنَظرة   تزوّد منها قلبُه حسرةَ الدَّهْرِ

فقالت :

فوالله ما يدرى أتدرى بما جَنَتْ   على قلبه أم أهلكَتْه وما تدرى

شعرها إلى الباخرزى والضرير تعتذر عن حجبهما ورد الباخرزى

وذُكر أنّ أبا منصور البَاخرزى أتى هو وأبو يوسف الدّقّاق الضرير منزل فضل الشاعرة فحُجِبا عنها ، وما علمتْ بهما ، ثم بَلَغها مجيئُهما وانصرافهما ، فكرِهَت ذلك وغَمّها ، فكتبَتْ إليهما تعتذر :

وما كنتُ أخشى أن تَروْا لىَ زَلّةً   ولكنَّ أمرَ اللهِ ما عنه مَذْهَبُ

أعوذُ بحُسْنِ الصَّفح منكم وقَبلنا   بصَفحٍ وعَفوٍ ما تعوّذَ مُذنب

فكَتب إليها أبو المنصور :

لئن أهديتْ عُتباك لى ولإخوتى   فمثلُك يافَضلَ الفضائل يُعْتِبُ

إذا اعتذر الجانى محا العذرُ ذنبَه   وكُل امرئ لا يَقبل العذرَ مُذنب

رقعتها إلى المتوكل بعد سكر لم يفق منه

وحكى علىّ المُنجِّم قال :

قال لى المتوكل يوماً ، وفضل الشاعرة واقفة بين يديه : يا علىّ ، كان بينى وبين فضل مَوعد ، فشربتُ شراباً فيه فَضل فسكرتُ ونمْت ، وجاءتنى للموعد

فحرّكتنى بكل ما ينبَّه به النائم من قَرْصٍ وتحريك وتغميز وكلام ، فلم أتنبّه ، فلما علمتْ أنه لا حيلة لها فىّ كتبتْ رُقعة ووضعتها على فخذى وانصرفت ، فلما انتبهت رأيتها فأخذتُها وقرأتُها ، فإذا فيها :

قد بدا شِبْهُكَ يا مَوْ ... لاىَ يحْدُو بالظلامْ
قُمْ بنا نَقْضِ لُبانا ... تِ التزام والتثامْ
قبل أن تفضحنا عو ... دَةُ أرواح النِّيام

شعرلها فى كأس أهدتها قبيحة إلى المتوكل

وذُكر أنه خرجت قبيحة ـ أم المعتز ـ إلى المتوكل يوم نَيروز ، وفى يديها كأس من بِلّور ، فيها شراب صافٍ ، فقال لها : ماهذه فديتُكِ ؟ قالت : هديّتى لك فى هذا اليوم ، عرّفك الله بركته . فأخذها من يدها . وإذا على خدّها مكتوب بالمسك : جعفر . وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه ، فقالت :

وكاتبةٍ بالمسك فى الخدّ جعفرَا ... بنفسى سوادُ المسك من حيثُ أثَّرا
لئن أثّرت بالمسك سطراً[1] بخدّها ... لقد أودعتْ قلبى من الحبِّ أسطُرا
فيا مَن مُناها فى السَّريرة جعفر ... سقا الله من سُقيا ثَناياكِ جعفرا

فأمر المتوكل عَريب فغنّت فيه . وقالت فضل فى ذلك :

سُلافة كالقمر الباهرِ ... فى قدحٍ كالكوكب الزاهرِ
يُديرها خِشْفٌ[2] كبَدر الدُّجى ... فوق قضيب أهيف ناضِر
إلى فتى أروعَ من هاشم ... مثلِ الحسام المُرهَف الباتر

---

(١) فى غير التجريد : « سكرا »
(٢) الخشف ، مثلثة : ولد الظبى أول ما يولد .

هي وابن الجهم وقد أمرها المتوكل أن تجيزه

وذُكر أن المتوكل قال يوماً لعليّ بن الجهم : قُل بيتاً ، وطالب فضلَ الشاعرة أن تُجيزه ، فقال عليّ : أجيزى يا فضل :

لاذَ بهـــا يشتكى إليها ... فلم يَجِدْ عنـــدها مَلاذَا

فأطرقت ساعة ثم قالت :

ولم يزل ضـــارعاً إليها ... تَهْطِل أجـــفانُه رَذاذاً

فعاتبوه فزاد عِشـــقاً ... فمات وَجْداً فكان ماذا

شعرها الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار فضل الشاعرة ، هو :

إنَّ من يَملك رِقِّى ... مالكٌ رِقَّ الرِّقابِ

لم يكن يا أحسنَ العا ... لَم هذا فى حسابى

أخبار ابن الخياط

نسبه وولاؤه

هو : عبد الله بن سالم[1] بن يونس بن سالم، مولى قُريش . وقيل : مولى هُذيل.

طبقته

شاعر ظريف ، ماجن خليع، مُخضرم ، من شعراء الدولة الأموية والعباسية .

انقطاعه إلى آل الزبير

وكان مُنقطعاً إلى آل الزبير بن العوام ، رضى الله عنه ، مدّاحاً لهم .

قدومه على المهدى

وقَدِم على المهدىّ مع عَبد الله بن مُصعب ، فأوصله إليه ومدحه ، وأحسن المهدىّ صلته .

مدح المهدى بعد مدح فأضعف له الجائزة

وذُكر أنه دخل ابن الخياط على المهدىّ فمدحه ، وأمر له بخمسين ألف درهم، ففرّقها كلَّها على الحواشى ، وقال يمدحه :

لمستُ[2] بكفِّى كفَّه أبتغى الغِنى ... ولم أدْرِ أنَّ الجود من كفّهِ يُعدِى

فلا أنا ممّا قد أفاد ذوو الغِنى ... أفدتُ وأعدانى فأتلفتُ ما عِندى

فبلغ المهدىَّ هذا الشعرُ ، فأضعف له الجائزة ، وأمر بحملها إلى منزله ، فحُملت .

كان عاقا بأبيه كان ابنه عاقا به

وذُكر أنَّ عبد الله بن سالم ، المعروف بابن الخيّاط ، كان عاقًّا بأبيه ، وكان ابنه يونس عاقًّا به ، فرأى يونس وهو يعصُر حَلْق أبيه ، فقال له رجل : أتفعل هذا بأبيك! وخلّصه من يده ، ثم أقبل على الأب يُعزِّيه ويسكِّن منه . فقال له الأب : يا أخى ، لا تَلُمه واعلم أنه ابنى حقًّا ، والله لقد خنقت أبى فى هذا

(١) فى غير التجريد : « عبد الله بن محمد بن سالم » .
(٢) فى غير التجريد : « أخذت ».

الموضع الذى خنقنى فيه ، فانصرف الرجل وهو يضحك .

من شعر ابنه له

وذُكر أنه قال يونس لأبيه :

ما زال بى ما زال بى طَعنُ أبى فى النسبِ
حتى تريَّبتُ وحتَّى ساء ظنِّى بأبى

ومن شعر ابنه لابنه

ونشأ ليونس ابنٌ يقال له : دُحَيم ، فكان أعقَّ الناس به ، فقال يونس فيه :

جلا دُحَيم عَماية الرِّيبِ والشَّكَّ منى والطعن فى نَسبى
ما زال بى الظنُّ والتشكّكُ حتى عقّنى مثلَ ماعققتُ أبى

من نوادر ابنه معه

وحكى يونس بن عبد الله بن الخياط قال :

جئت يوماً إلى أبى وهو جالس عنده أصحاب له ، فوقفت عليه لأغيظه ، وقلت : ألا أنشدكم شعراً قلته بالأمس ؟ قالوا : بلى ، فأنشدتهم :

يا سائلى مَن أنا أو مَن يُناسبنى أنا الذى ما له أصلٌ ولا حَسَبُ
الكلب يَختال فخراً حين يُبصرنى والكلبُ أكرمُ منى حين يَنْتسب (1)
لو قال لى الناس طُرًّا أنت ألأمُنا ما وَهِم الناسُ فى ذاكم ولا كذبوا

فوثب أبى ليضربنى . فعدوتُ بين يديه ، فجعل يشتمنى والناس يضحكون .

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ابن الخياط ، هو :

شعره الذى فيه الغناء

أُمامة لا أراكِ الله ذُلَّ معيشةٍ أبدا
ألا تستصلحين فتًى وقاكِ السوء قد فَسدا
غلام كان أهلُك مرَّةً يدعونه ولدا

---

(1) فى غير التجريد : « نسب » .

أخبار على بن جبلة

نسبه ونشأته

هو : علىّ بن جَبَلة بن عبد الرحمن[1] الأنبارى . ويكنى : أبا الحسن . ويلقب بالعكَوّك ، من أبناء الشيعة الخراسانية ، من أهل بغداد ، وبها نشأ .

شىء عن عماه

وكان ضريراً . ويقال : إنه كان أكمه ، وهو الذى يُولد ضريراً . وقيل : عَمِى بعد أن نشأ .

منزلته فى الشعر

وهو شاعر مطبوع ، عذب اللفظ جَزْله ، لطيف المعانى ، مدّاح حسن التصرف .

غضب المأمون عليه وسبب ذلك

واستنفد شعره فى مدح أبى دُلَف القاسم بن عيسى العِجلى ، وأبى غانم حُمَيد ابن عبد الحميد الطوسى ، وزاد فى تفضيلهما وتفضيل أبى دُلف خاصة ، حتى فضل من أجله ربيعة على مُضر ، وجاوز الحدّ فى ذلك ، فيقال : إن المأمون طلبه حتى ظفر به فسَلّ لسانه من قَفاه . ويقال : بل هرب حتى مات فى تواريه ولم يقدر عليه .

قال أبو الفرج : وهذا هو الصحيح من القولين ، والآخر شاذ .

شعره فى مدح أبى دلف

ومن جيد المدح وفاخره قصيدتُه التى مدح بها أبا دلف ، التى أولها :

ذادَ وِرْدَ الغَىّ عن صَدَرِه ... وأرعوى واللهوُ من وَطَرِه

وأبتْ إلا البُكاء له ... ضحكاتُ الشَّيبِ فى شَعَرِه

نَدمِى أن الشباب مَضى ... لم أبلِّغْهُ مَدَى أَشَرِه

ومنها :

دَع جَدَا قَحطان أو مُضر ... فى يَمانيه وفى مُضره

وامتدح من وائل رجلًا ... عُصر الأيام من[2] عُصره

---

(١) فى غير التجريد : « عبد الله » .

(٢) فى غير التجريد : « عصر الآفاق فى » .

المَنـايا فى مَقـانبه(١) والعَطـايا فى ذُرى حُجره
ملكٌ تنـدَى أنامله كانبلاج النَّوْء عن مَطره
مُستهِلٌّ عن مَواهبـه كابتسام الرَّوض عن زَهره
جَبل عزَّت مناكبه أمِنت عَـدنان فى ثُغره
إنما الدُّنيـا أبو دُلف بـين باديه ومُحْتضره
فإذا ولّى أبو دُلف ولّتْ الدُّنيـا على أثَره
لسـتُ أدرى ما أقول له غيرَ أن الأرض فى خَفره
كلُّ مَن فى الأرض من عَرب بين باديه إلى حَضره
مُسـتعير منه مَكْرُمة يَـكتسـيها يومَ مُفتخره

وذُكر أن علىّ بن جَبلة قال هذه القصيدة فى أبى دلف بعد قَتله الصُّعلوك المعروف بقُرقور، وكان من أعظم الناس بأسًا وأشدهم، وكان يقطع هو وغلمانٌ له على القوافل وعلى القُرى، وأبو دلف يجتهد فى أمره فلا يقدر عليه؛ فبينا أبو دُلف ذات يوم يتصيّد، وقد أمعن فى طلب الصيد وحدَه، إذا بقُرقور قد طلع عليه، وهو راكب فرسًا يشُق الأرض شقًّا، وأيقن أبو دلف بالهلاك وخاف أن يولّى عنه فيهلك، فحمل عليه وصاح: يافتيان، يمنة يمنة، يُوهمه أن معه خيلا قد أكنها له. فخافه قُرْقور وعطفَ على يساره هاربًا، ولحقه أبو دلف فوضع رمحه بين كتفيه، فأخرجه من صدره، ونزل إليه فاحتز رأسه وحمله على رُمحه حتى أدخله الـكَرَج.

وذكر أن رأسه حمله بين يديه عند دخول الـكرج أربعةُ نفر على رُمح.

ومن هذه القصيدة فى ذكر قُرقور:

ولقُرقور أدرت رحًى لم تـكُن تردّ فى فِـكَره

---

(١) المقانب: جمع مقنب، وهو الخيل مابين الثلاثين إلى الأربعين.

قد تأنّيتَ البقـــاء له فأبَى المَحتومُ من قَــدَره

وطغى حـتى رفعتَ له خُطَّةً شَنعاءَ من ذِكره

إعجاب أبى تمام ببيتين له

وحكى عبـد الله بن محمد بن جرير قال :

أنشدت أبا تمام الطائى يوماً من الأيام قصيدةَ علىّ بن جَبلة البائية ، فلمـا بلغتُ إلى قوله :

ورَدّ البيضِ والبيضَ[1] إلى الأغماد والحُجْبِ

كأنّ الناسَ جِسْم وهْـ و فيهم موضع القَلْبِ

اُهتز أبو تمـام من قَرنه إلى قدمه ، ثم قال : أحسن والله ! لوددتُ أنَّ لى هذا البيت بثلاث قصائد من شعرى مكانَه .

قصيدته فى رثاء حميد التى احتذاها البحترى فى رثاء الثغرى

ومن جيد الشعر ونادره قصيدةُ علىّ بن جَبلة التى يرثى بها حُميـداً الطُّوسى ، وأوردها أبو الفرج بطولها وقال : إنمـا ذكرتها على طولها لجودتها وكثرة نادرها ، وقد أخذ البُحترى معانيها فسلخها وجعلها فى قصيدتيه اللتين رثى بهما أبا سـعيد الثَّغرى ، وهما :

* انظُر إلى العَليـاء كيف تُضامُ *

و

* بأَىّ أسًى تُثْنَى الدموعُ الهواملُ *

وقد أخذ أبو تمام الطائى بعض معانيها . قال : ولولا كراهة الإطالة لشرحت المواضع المـأخوذة منها ، و إذا تأمل ذلك مُنتقد بصير عرفه . وقصيدة علىّ بن جَبلة هى هذه :

أللدّهر تبكى أم على الدهر تجزعُ وما صاحبُ الأيام إلّا مُرَوَّعُ[2]

(١) البيض ، الأولى : السيوف ، والثانية : النساء . (٢) فى غير التجريد « مفجع » .

ولو سهّلت عنـك الأسَى كان فى الأسَى
عَـزاء مُعــين للبيب ومَفــزع
تعزَّ بمـا عَزّيت غيرك إنها سِهام المَنـايا حائماتٌ ووُقَّع(١)
أُصـبنا بيوم فى حُمَيــد لو أنه
أصـاب عُروشَ الدّهر ظلّت تَضَعضع
فأدّبنا ما أدّب الناسَ قبلنـا ولـكنّه لم يَبْقَ للصَّبر موضـع
وكيف التقى مثوًى من الأرض ضَـيق
على جَبَـل كانت به الأرضُ تُمنـع
ولمّا انقضت أيامُه انقضّت العُلا وأضحى به أنفُ النَّدى وهو أجدع
وراح عدوّ الدِّين جذلانَ يَنْتحى أمانىّ كانت فى حَشاه تقطَّع(٢)
وكان حُميد مَعْقلا رَكعت به قواعدُ ما كانت على الضَّيم تَركع
وكنتُ أراه كالرَّزايا رُزئتهـا ولم أدر أن الخلق تبكيه أجمع
حِمـام رَماه من مواضِع أمنه حِمامٌ كذاك الخطب بالخطب يُقرع(٣)
لقد أدركت فينا المَنـايا بثأرها وحلّت بخَطب وَهْيُه ليس يُرقع
نَعينا حُميـداً للسَّرايا إذا غدت تُذاد بأطراف الرِّماح وتُوزَع
وللمُرهق المَكروب ضاق بأمره فلم يَدْر فى حَوْماتها كيف يَصنع
وللبيض خلَّتهـا البُعول فلم يدع لها غيره داعى الصـباح المفزّع
كأنّ حُميداً لم يقُد جيش عَسكرٍ إلى عسكر أشـياعُه لا تُرَوَّع

---

(١) فى غير التجريد : « معز ... ومقنع »
(٢) فى غير التجريد : « فى حشى منقطع » .
(٣) فى غير التجريد : « يقدع » .

ولم يَبعث الخيل المُغيرة بالضُّحى مِراحاً ولم يَرجع بها وهى ظُلَّع
رواجع يحملن النِّهاب ولم تكُن كتائبه إلّا على النَّهب تَرْجِع
هوى جَبلُ الدنيا المَنيع وغيثُها الْـمَريع وحاميها الكَمىّ المُشيَّع
وسيف أمير المؤمنين ورُمحه ومفتاح باب الخطب والخطبُ أفظع
فأقنعه من ملكه ورباعه ونائله قَفرٌ من الأرض بَلْقع
على أىِّ شَجوٍ تَشْتكى النفسُ بعده إلى شَجوه أو يَذْخر الدَّمعَ مَدْمع
ألم تر أن الشمس حال ضياؤها عليه وأضحى لونُها وهو أسفع
وأوحشت الدُّنيا وأَودَى بهاؤُها وأَجدب مَرعاها الذى كان يُمرع
وقد كانت الدُّنيا به مُطمئنةً فقد جُعلت أوتادها تتقلّع
بكى فقدَه روحُ الحياةِ كما بكى نداه النَّدى وابْنُ السبيل المُدفَّع
وأيقظ أجفاناً وكان لها الكَرى ونامت عيون لم تكن قطُّ تَهجع
وفارقت البيضُ الخُدورَ وأُبْرزت عَواطِنَ حَسْرى بَعده لا تَقنّع
ولكنه مِقدار يوم ٍ ثَوى به لكُل امرئٍ منه نِهال ومَشْرع
أغرّ على أسيافه ورماحه تُقسَّم أنفال الخَميس وتُجمع
حَوى عن أبيه بَذلَ راحته النَّدى وطَعْن الكُلى والزّاعبيّه[1] شُرَّع

جوابه عن إغراقه فى مدح حميد الطوسى

وذُكر أنه قال رجل لعلىّ بن جبلة : ما بلغتَ من مديح أحد ما بلغت فى مديحك حُميداً الطوسى . فقال : وكيف لا أفعل وأدنى ماوصل إلىّ منه أنى أهديتُ إليه قصيدة فى يوم نَيروز ، فسُرّ يومها وأمر أن يُحمل إلىّ كل ما أهدى إليه ، فحُمل إلىّ ما قيمته مائتا ألف درهم ، وأهديت إليه قصيدة فى يوم عيد فبعث إلى بمثل ذلك .

---

(١) الزاعبية : الرماح إذا هزت كأن كعوبها يجرى بعضها فى بعض .

وقصيدته التى أهداها يوم النَّيروز هى التى يقول فيها :

حُميدُ يا قاسمَ الدنيـــا بنائلهِ وسيفُه بين أهل النُّـكْث والدّينِ
أَنت الزمانُ الذى يجرى تصرُّفه على الأنام بتَشْـديد وتَلْيين
لو لم تـكُن كانت الأيام قد فَنِيت والمَـكرُمات ومات المجد مُذْ حِين
صوّرك الله من مَجْـدٍ ومن كرم وصَوّر الناسَ من ماء ومن طِين

إنشاده أبا دلف وإجازته إياه

وذُكر أنّ علىّ بن جبلة دخل يوماً على أبى دُلف، فقـال له : هات مامعك يا على . فقال : إنه قليل . قال : هاته ، فـكم من قليل هو أجود من كثير ، فأنشده :

اللهُ أجرى من الأرزاق أكثرَها على يديك فشُـكراً يا أبا دُلفِ
أُعطى أبو دُلف والريحُ عاصفةٌ حتى إذا وقفتْ أعطى ولم يَقف

فأمر له بعشرة آلاف درهم . فلمـا كان بعد مُدة دخل إليه فقال له : هات ما معك . فأنشده :

مِن مَلَكِ المـــوت إلى قاسم رسالةٌ فى بَطن قِرْطـاسِ :
يا فارس الفرسان يوم الوَغى مُرْنى بمن شئت مِن الناس

فأمر له بألفى درهم . وكان قد تطيّر من ابتدائه فى هـذا الشعر ، فقال له : ليست هذه من عطاياك أيها الأمير . فقال : بلغ بها هذا المقدار ارتياعُنا من تحمُّلك رسالة من ملك الموت ، عليه السلام .

استئذانه عبد الله ابن طاهر فى الرجوع إلى أهله

وذُكر أن علىّ بن جبـلة قَدم على عبد الله بن طاهر بخُراسان مادحاً له : فأجزل صلته . ثم استأذنه فى الرجوع ، فسأله أن يُقيم ، وكان بِرّه يتصل عنده . فلما طال مقامه اشتاق إلى أهله ، فدخل عليه فأنشده :

رَاعه الشَّيبُ إذ نزلْ وكَفَاه عن العَذَلْ

وأُنقضت مُـدة الصِّبى وأُنقضى اللهوُ والـغَزل
قـد لعمرى دَمَلْتهُ بخِضاب فمـا أندمل
فأَبْك للشَّيب إذ بدا لا على الرَّبع والطَّلل
وَصَـل الله للأمير ر عُرَى المُـلْك فأَتَّصل
مَلِك عَزْمـه الزما نُ وأفعالُه الدُّول
كِسرَوِىّ بمجـده يَضربُ الضاربُ المَثل
وإلى ظِلّ عِـزّه يَلجأ الخائفُ الوَجِل
كُل خَلق سِوى الإما م لإنعامه خَـوَل
ليته حـين جاد لى بالغِنى جاد بالقَفَل

فضحك وقال : أبيت إلا أن تُوحشنا ، وأجزل صلته وأذن له .

إنشاده حميداً فى رمضان

وذُكر أنه دخل علىّ بن جبلة على حُميد الطُّوسى فى أوّل يوم فى شهر رمضان، فأنشده :

جَعل الله مَدخل الصوم نُوراً(١) لحُميد ومُتْعـةً فى البقاء
فهو شهر الرَّبيـع للقُرّاء وفِراقُ النَّدمان والصَّهباء
وكأنّى أرى النَّدامى على الخسـ ف يَزْجون صُبحهم بالمساء
قد طَوى بعضُهم زيارةَ بعض وأستعاضُوا مَصاحفاً بالغِناء

ومنهـا :

بحُميد وأين مثلُ حُميـد فَخَرَت طَيِّئٌ على الأَحياء
مَلِك يأمُل العِبـادُ نَداه مثلَ ما يأمُلون قَطْرَ السَّماء
صاغه الله مُطعِم الناس فى الأرْ ض وصاغ السَّحاب للإسقاء

(١) فى غير التجريد : « فوزا » .

فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وقال له : أستعن بهذه على نفقة صومك .

نشاده حميداً فى شوال وأجازته إياه

ثم دخل عليه ثانى شوال ، فأنشده :

علِّلانى بصَفْو ما فى الدِّنان وأُتركا ما يقولُه العاذلان
وأسبقا فاجعَ المَنيّة بالعَيْش فكُلٌّ على الجديدين فانى
علِّلانى بشَربة تُذهب الهمَّ وتَنفِى طَوارق الحِدْثان[1]
وانفُثا[2] فى مَسامِع سدَّها الصوم رُقَى المَوصِلىّ أو دَحمان
قد أتانا شَوّال وأُقتبل العَيْش وأعدى قَسراً على رمضان
نِعْمَ عَون الفَتى على نُوب الدَّهْر سماعُ النايات[3] والعِيدان
وكؤوس تَجرى بماء كُروم ومطىُّ الكؤوس أيدى القِيان
من عُقار تُميتُ كُلَّ أحتشام وتَسُرّ النَّدْمان بالنَّدمان
وكأن المِزاج يَقْدَح فيها شَرراً فى سَبائك العِقْيان
فأشرب الراح وأعصِ مَن لام فيها إنها نعم[4] عُدَّة الفِتْيان

يقول فى مدحها :

خُلقتْ راحتاه للجُود والبأس وأمواله لشُكر اللِّسان
ملَّكته على العباد مَعدٌّ وأقرَّت له بنو قَحطان
أرْيحىّ النَّدى جميلُ المُحيَّا يدُه والسَّماح مُعتقِدان
وجهه مُشرقٌ إلى مُعتفيه ويداه بالغَيب تَنفجِران
جَعل الدَّهرُ بين يَوميه قِسْمين بعَرْفٍ جَزل وحَرّ طِعان

(١) فى غير التجريد : « الأحزان » .
(٢) فى غير التجريد : « وألقيا » .
(٣) فى غير التجريد : « القيان » .
(٤) التجريد : « بعض » .

ومنها :

قد جعلنــا إليك بعث المطــايا هرباً من زماننـــــا الخوّان

وحملنــا الحاجاتِ فوق عِتــاق ضامنــاتٍ حوائجَ الرُّكبان

ليس جُودٌ وراء جُودك يُنْتا ب ولا يَمتفى لغَــيرك عانى

فأمر له بعشرة آلاف درهم . وقال : تلك كانت للصوم فخفّفت فخففنا ، وهذه للفِطر ، وقد زِدتنا وزدناك .

هو ومحبوبة له وحميد الطوسى

وذُكر أن علىّ بن جبلة كان يهوى جاريةً أديبة شاعرة ، وكانت تُحبه هى أيضاً ، على عماه وقُبح وجهه وما به من الوَضَح ، وأنها زارته يوماً وأمكنته من نفسها حتى اُفتضها . قال علىّ بن جبلة : وذلك عنيتُ بقولى :

ودمٍ أهرقتُ[1] من رشأ لم يُرِد عَقْلاً على هَدره

[وهى القصيدة التى مدح فيها أبو دلف[2]] . قال : ثم قصـــدت حُميدًا الطوسى بقصيدتى التى مدحته بها ، فلما استؤذن لى عليه أبى أن يأذن لى ، وقال : قولُوا له : أى شىء بقّيت لى بعد قولك فى أبى دلف :

إنما الدُّنيا أبو دُلف بين باديه ومُحتضره

فإذا ولّى أبو دُلف ولّت الدنيــا على أثره

فقال للحاجب : قل له : الذى قلت فيك أحسن من هذا ، فإن وصلتنى سمعتَه . فأمر بإيصالى إليه . فأنشدته قولى فيه :

إنما الدنيـــا حُميدٌ وعطاياه[3] العظـــامْ

فإذا ولّى حُميـــد فعلى الدنيـــا السلام

فأمر لى بمائتى دينار ، فنثرتُها فى حِجر عَشيقتى ، ثم حيّيته بقصيدتى التى أولها :

دِجـــلةُ تَسقى وأبو غانمٍ يُطعم من تَسقى من الناس

(١) فى غير التجريد : « أهدرت » . (٢) تكملة من الأغانى . (٣) فى غير التجريد : « وأياديه » .

فأمر لى بمائتى دينار . ومن هذه القصيدة :

النـاسُ جِسمٌ وإمامُ الهدى رأسٌ وأنت العـين للراس

شعره فى محبوبته وقد غضبت عليه

ومن جيد الشعر قوله فى محبوبته التى تقدم ذكرها ، وقد غضبت عليه :

تُسىء ولا تَستنكر السُّوء إنها تُدِلّ بما تَبلوه عندى وتَعرفُ

فمن أين ما استعطفتها لم تَرقّ لى ومن أين ماجرّبتُ صَبرى يَضعف

أقبح هجاء له

وذُكر أن أقبح ما هُجى به الناس فى ترك الضيافة قولُ علىّ بن جبلة :

أقاموا الدَّيدبان على يَفاع[1] وقالُوا لا تنم للدَّيدَبان

فإن آنست شخصاً من بعيد فصفّق بالبَنان على البَنان

تراهم خشيةَ الأضياف خُرْسًا يُقيمون[2] الصلاة بلا آذان .

أنشد حميداً فأعطاه صدقة كان أعدها لرمضان

وحُكى أن حُميدا الطوسى دفع إلى كاتبه فى أول شهر رمضان ألف دينـار للصدقة ، فجاء علىّ بن جبلة فاستأذن عليه ، فأذن له ، فأنشده :

إنَّ أبا غانم حُميـدًا غيثٌ على المنتفعين هامِى

صوّره الله سيفَ حَتْف وبابَ رِزْق على الأنام

يا مانعَ الأرض بالعَوالى والنِّعم الجمّـة العِظام

ليس من السُّوء فى مُعاذ مَن لم يكن منك فى ذِمام

وما تعمّدتُ فيك وَصفاً إلا تَقـدّمتَه أمامى

فقد تناهتْ بك المَعالى وانقطعت مُدة الـكلام

أجِدَّ شَهراً وأبْل شَهرا وأسلمْ على الدَّهر ألفَ عام

فالتفت حُميد إلى كاتبه وقال : أعطه الألف الدينار حتى نُخرج للصدقـة غير هذه .

---

(١) اليفاع : التل . (٢) فى غير التجريد : « ويأنون » .

شفاعة حميد له لدى أبى دلف

وذكر أنه جاء علىّ بن جبلة إلى حُميد الطوسى مُستشفعاً به إلى أبى دُلف ، وكان غَضب عليه وجفاه ، فركب معه إلى أبى دُلف شافعاً له وسأله فى أمره ، فأجابه ، واتصل الحديث بينهما ،وعلىّ بن جبلة محجوب ، فكتب إليه :

لا تتركنّى بباب الدار مُطَّرحا والحُرّ ليس عن الأحرار يُحتجبُ
هَبنا بلا شافع جئنا ولا سَبب ألستَ أنت إلى مَعروفك السَّبب

فأمر بإيصاله إليه ،ورضى عنه ووصله .

غضب المأمون عليه

وذُكر أن المأمون لما أدخل عليه علىّ بن جبلة قال له : إنى لستُ أستحلّ دمك لتفضيلك أبا دُلف على العرب كلها، وإدخالك فى ذلك قُريشاً،وهم آل الرسول صلى الله عليه وسلم وعِترته ، ولكنى أُستحلتُه بقولك فى شعرك وكُفرك حيث تقول القول الذى أشركت فيه ، وهو :

أنتَ الذى تُنزل الأيامَ منزلَها وتنقُلَ الدهرَ من حال إلى حالِ
وما مددتَ مَدى طَرْفٍ إلى أحدٍ إلا قَضيتَ بأرزاق وآجال

كذبت يا عاضّ بَظْر أُمه ، ما يقدر على ذلك أحد إلا الله عزّ وجل الواحد القهار ، سُلوا لسانه من قفاه ، ففُعل به ذلك .

وذُكر أنه لما بلغ المأمونَ قولُ علىّ بن جبلة لأبى دُلف :

كل من فى الأرض من عَرب بين باديـــه إلى حَضَرهْ
مُستعير منك مَكرُمة يكتسيها يومَ مُفتخـــره

غضب من ذلك وقال : أُطلبوه ، فطُلب فلم يُقدر عليه ، فلمّا اتصل به الخبر هَرب إلى الجزيرة وتوسط الشام ، فظفروا به فأخذوه وحملوه إلى المأمون ، فلما صار إليه قال له : يابن اللّخناء : أنت القائل لابن عيسى :

«البيتين» :

* كل من فى الأرض من عرب *

جعلتنا ممن نَستعير المكارم منـــه . فقال: يا أمـير المؤمنين ، أنتم أهل بيتٍ لا يُقاس بكم أحد ؛ لأن الله عز وجل فضَّلكم على خلقه واُختاركم لنفسه ، وإنما عنيت بقولى أشكالَ القاسم وأقرانَه . فقال: والله ما استثنيت أحداً عن الـكُل ، سُلُّوا لسانه من قَفاه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء . وافتتح به أبو الفرج أخبار علىّ بن جبـلة العَكَوَّك ، هو :

بأَبى مالكَ عَــنِّى ... مائلَ الطَّرف كليـلا
وأرى بِرّك نَـزْرا ... وتحفِّيك قليـلا
وتُسمينى عـدوّا ... وأُسمّيـك خليـلا
أتعـلَّمتَ سُـلوا ... أم تبدّلتَ بَديـلا
أحمد الله فمـا أغْ ... نى الرّجا فيك فَتيـلا

أخبار أبي محمد التيمي

نسبه وولاؤه

هو: عبد الله بن أيوب. ويُكنى: أبا محمد، مولى بنى تَيم، من أهل الكوفة.

طبقته وشيء عنه

من شعراء الدولة العباسية. أحد الُخلعاء المُجّان الوصّافين للخمر.

وكان صديقاً لإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ونديماً لهما. ثم اتصل بالبرامكة ومَدَحهم، واتصل بيزيد بن مَزيد، ولم يزل منقطعاً إليه حتى مات.

أجاز بيتاً لإبراهيم الموصلي من شعر مدح فيه الفضل

وحكى إبراهيم الموصلي قال: قلت:

* وُصف الصدُّ لمن تَهوى فصَدّ *

ثم أُرتج علىّ، فمكثتُ عشرة أيام لا يستوى لى تمامُه، فدخل علىّ التّيمى فرآنى مفكراً، فقال: ما قِصتك؟ فأخبرته، فقال:

* وبدا يَمزح بالهجر فجَدّ *

ثم أتممتها فقلت:

ماله تعدل عنّى وجهَه وهو لا يعدله عندى أحدْ

وخرجت إلى مَدح الفضل بن الربيع، فقلت:

قد أرادوا غِرّة الفضل وهل تُطلب الغرّة من خِيس الأَسَدْ

ملك ندفع ما نَخشى به وبه يصلُح منّا ما فَسد

يفعل الناس إذا ما وَعدوا وإذا ما فعل الفَضلُ وَعد

فضل الرشيد مرثيته على مرثية مروان

وحكى محمد الراوية - الذى يقال له: البندق، وكان يقرأ شعر المُحدثين على الرشيد - قال: قال لى الرشيد يوماً: أنشدنى مرثية مروان بن أبى حَفصة فى معن التى يقول فيها:

كأنّ الشمسَ يوم أُصيب مَعنٌ … من الإظلام مُلبسة جِلالاَ

هو الجبل الذى كانت معدّ … تَهد من العدوّ به الجِبالا

أقمنا باليمامة بعد مَعن … مُقاماً لا نُريد به زِيالا

وقُلنا أين نذهب بعد مَعن … وقد ذَهب النّوال فلا نَوالا

فأنشدته إياها . ثم قال : أنشدنى قصيدة أبى محمد التَّيمى فى مرثية يزيد ابن مزيد ، فهى والله أحبّ إلىّ من هذه ، فأنشدته :

أحقٌّ أنّه أودَى يزيدُ … تبيّنْ أيّها النّاعى المُشيدُ

أتدرى من نَعيت وكيف فاهت … به شفتاك كان بك الصّعيد

أحامِى المجدِ والإسلام أودى … فما للأرض وَيحك لا تَميد

تأمّل هل ترى الإسلام مالتْ … دعائمُه وهل شاب الوليد

وهل شِيمت سيوفُ بنى نِزار … وهل وُضعت عن الخيل اللُّبود

وهل تَسقى البلادَ عِشارُ مُزن … بدِرّتها وهل يَخضرّ عُود

أما هُدّت لمَصرعه نِزار … بلى وتقوّض المَجد المَشيد

وحلّ ضَريحَه إذ حلّ فيه … طريفُ المَجد والحَسب التليد

أمَا والله لا تنفكّ عينى … عليك بدَمعها أبدًا تَجُود

فإنْ تَجمد دُموعُ لئيم قوم … فليس لدَمع ذى حَسب جُمود

أبعد يزيدَ تختزن البَواكى … دُموعاً أو تُصان لها خُدود

لِتَبْكك قُبة الإسلام لمّا … وَهتْ أطنابُها ووَهى العَمود

ويَبْككَ شاعرٌ لم يُبْق دهرٌ … له نَشباً وقد كَسد القَصيد

فمن يدعو الإمامَ لِكُلّ خَطب … يَنُوب وكُل مُعضلة تؤُود

ومن يدعو الخميس إذا تعايا بحيلة نفسه البطلُ النَّجيد(١)
فإن يهلك يزيدُ فكل حىٍّ فريسٌ للمنيَّة أو طريد
ألم تعجب له أنّ المنايا فتكْنَ به وهنّ له جُنود
لقد عزّى ربيعةَ أنّ يوماً عليها مثلَ يومك لا يعود

قال : فبكى هارون الرشيد بُكاء شديداً اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سُكّرجة لملأها من دُموعه .

أجاز للأمين شعراً أنشده فى غلامه

وذُكر أنه لما حاصر طاهرُ بن الحُسين بعساكر المأمون بغدادَ ، وبها محمد الأمين ابن الرشيد محصور ، خرج كوثر غلامه ليشاهد الحرب ، فأصابته رَجمة فى وجهه ، فجلس يبكى ، وكان محمد الأمين شديدَ الشغف به ، فوَجِد الأمين لما جىء به ، جعل يمسح الدم عن وجهه ، وقال :

ضربوا قُرّة عينى ومن أجلى ضربوهُ
أخذَ الله لقلبى من أُناس رَجموه

وأراد زيادة الأبيات فلم يُواته ، فقال للفضل بن الربيع : مَن ها هنا من الشعراء ؟ فقال : الساعةَ رأيت عبد الله بن أيوب التّيمى . فقال : علىّ به . فلما دَخل أنشده محمدٌ الأمين هذين البيتين ، وقال : أجِزهما . فقال :

ما لِمن أهوى شبيهٌ فبه الدُّنيا تتيهْ
وَصْله حُلوٌ ولكنْ هجره مُرٌّ كريه
مَن رأى الناسُ له الـ فضلَ عليهم حسدوه
مثل ما قد حسد القا ئمَ بالمُلك أخوه

وقال محمد الأمين : أحسنت والله ! هذا خير مما أردنا ، بحياتى يا عبّاس إلا

(٢) فى التجريد : « المجيد » .

نظرتَ : فإن كان جاء على الظهر ملأت أحمال ظهره دراهم ، وإن كان جاء فى زَورق ملأته له . فأُوقرت له ثلاثة أبغل دراهم .

صلته بالمأمون

فلما قُتل محمد الأمين وصفت الدنيا للمأْمون خرج أبو محمد التَّيمى إلى خُراسان قاصداً المأْمون وامتدحه ، فلم يأْذن له ، فصار إلى الفضل بن سهل ذى الرياستين ، وزير المأْمون ، ولجأ إليه وامتدحه ، فأَوصله إلى المأْمون ، فلما سلّم عليه ، قال له المأْمون : إيه يا تَيمى :

مثل ما قد حسد القا ئمَ بالمُلك أخوه

فقال التَّيمى : بل أنا الذى أقول :

نُصر المأمون عبد الله لمّا ظلموه
نُقض العهد الذى كا نُوا قديماً أَخذوه
لم يُعامله أخوه بالذى أَوصى أبوه

ثم أنشده قصيدة امتدحه بها :

جَزعتَ أُبنَ تَيم أنْ علاكَ[1] مَشيبُ وبانَ شبابٌ والشَّباب حَبيبُ

فلما أنشده إياها وفرغ منها ، قال له : قد وهبتُك لله عزّ وجل ولأخى أبى العباس ، يعنى الفضل بن سهل ، ولمرت لك بعشرة آلاف درهم .

شعره الذى فيه الغناء

وحكى أبو محمد التيمى ، قال : أنشدت محمداً الأمين أول ما وَلى الخلافة :

لا بُد من سَكرة على طَربِ لعلَّ رُوحاً تُدال[2] من كُرَبِ
تعاطَها[3] صَهباء صافيةً تَضحك عن لؤلؤ وعن ذَهبِ
خليفةَ الله أنت مُنتخب لخير أُم من هاشم وأَبِ
أَكرمْ بأصلَين أنت فرعُهما من الإمام[4] المنصور فى النَّسبِ

(١) فى غير التجريد : « أتاك » . (٢) فى غير التجريد : «يديل» .
(٣) غير التجريد : « فعاطنيها » .
(٤) فى غير التجريد : «أكرم بفرعين يجريان به * إلى الإمام» .

فأمر له بمائتى ألف درهم ، فصالحونى على مائة ألف درهم .

وهذه الأبيات البائية هى الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار التيمى .

أخذ معنى للحجاج فضمنه شعره

وذُكر أن الحجّاج بن يوسف كتب إلى قُتيبة بن مُسلم : إنى قد نظرت فى سنّى، فإذا أنا ابن ثلاث وخمسين سنة ، وأنا وأنت لدةُ عام واحد،وإن امرأً قد سار إلى منهل خمسين سنة لقمِنٌ أن يَرِدَه.والسلام . فأخذ هذا المعنى أبو محمد التَّيمى وقال:

إذا ذهب القَرن الذى أنت فيهمُ وخُلِّفت فى قَرن فأنت غريبُ
وإن امرأً قد سار خَمسين حِجةً إلى مَنهل من وِرْده لقريب

أطعمه إسحاق وسقاه وغناه

وحكى أبو محمد التيمى قال : اجْتزْت بإسحاق الموصلى فقال لى : أُدخل حتى أطعمك طعاماً صِرفاً وأسقيك شراباً صرفاً . فدخلت إليه فأطعمنى لحماً مكبّباً وشواء حارًّا وبارداً مبزّراً[1] ، وسقانى شراباً صِرفاً ، وغنّانى وحدَه مرتجلا :

ولو أن أنفاسى أصابت بحرّها حديداً إذن ظلّ[2] الحديدُ يذُوبُ
ولو أنّ عينى أُطلقت مِن وِكائها[3] لمَا كان فى عام الجُدوب جُدوب
ولو أن سَلْمى تطلُع الشمسُ دونها وأمسى وراء الشمس وهى تَغيب
لحدّثتُ نفسى أن تُريع[4] بها النّوى وقلت لقلبى إنهـــا لقريب

فلم تزل تلك حالى حتى حُملت من بينه سكران .

استعتب ابن مسعدة فأعتبه و وصله

وذُكر أن عمرو بن مَسعدة كان عاتباً على أبى محمد التّيمى ، فدخل التّيمى عليه وأنشده :

(١) مبزراً ، أى متبل ، قد ألقيت فيه النوابل لتجود رائحته و يجود طعمه .
(٢) فى غير التجريد : «كاد » .
(٣) الوكاء : رباط القربة ؛ جعل حابس دمعه من هذا .
(٤) أن تريع بها النوى ، أى مخافة أن تفزعها النوى .

يا أبا الفضل كيف تغفل[(١)] عنى وتَخلّى[(٢)] عنـد الشدائد منّى
أنسيتَ الإخاء والعهـدَ والوُ دّ حديثاً ما كان ذلك ظَنّى
أنا من قد بلوتَ فى سالف الدّهـــر مضتْ شِرّتى ولم تفْنَ سنّى
فاصطنعْنى لِمَا ينُوب به الدهـــر فإنى أجُوز فى كُل فَنّ
أنا ليثٌ على عـــدوّك سَلـــمٌ لك فى الحرب فابتذلنى وصُنّى[(٣)]
أنا طَبٌّ بالرأى فى موضع الرأ ى مُعين على الخصيم المُعنّى
وأمـــين على الوَدائع والســـرّ إذا ما هَوِيتَ أن تأتمنّى
ونَديم إذا أردت نَـــديماً ومُغنّ إن لم يَزُرْك مُغنّى
وظريف عنـد المِزاح خفيف فى الملاهى وفى الصِّبى مُتثنّى
لم تخنّى ولم أخُنك ولا والله ربّى لا خُنتُ من لم يَخُنّى
إن أكن تُبتُ أو هجرتُ الملاهى وسُـــلافاً يُجنّها بَطنُ دَنّ
فحديثى كالدُّر فُصّل باليا قوت يجرى فى جِيدِ ظَبْى أغنّ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ورضى عنه .

له فى غلام هوية وهوى الغلام جارية

وذكر أن التّيمى كان يهوى غلاماً ، وكان الغلام يهوى جارية من جوارى القيان ، وكان بها مشغولا عنه ، وكانت القينة تهوى الغلام ، فقال التّيمى :

وَيلِى على أهيفَ[(٤)] مَشْكورِ وساحرٍ ليس بمَسحورِ
نُؤْثره الحـور علينا كما نُؤْثره نحن على الحُور
عُلّق مَن عُلّقه فى هوى مُنتظم الالفـة مَغمور
وكُل من يهواه فى أمره مُقلّبٌ صَفقـــةَ مَقمور

(١) فى غير التجريد : « تعقل » .
(٢) تخلى ، أى تتخلى ، فحذف إحدى التاءين . وفى غير التجريد : « أم تخلى » .
(٣) غير التجريد : « وصلنى » . (٤) غير التجريد : « أغيد » .

مما يروى له

ومما يُروى للتَّيمى :

لا تَضْرَعنّ [1] لمَخلوق على طَمع	فإنّ ذاك مُضِرٌّ منك بالدِّينِ
وأُرغب إلى الله ممَّا فى خَزائنه	فإنما هو بين الكافِ والنون
أماترى كُلَّ من ترجو وتسأله [2]	من الخلائق مِسكين ابن مِسكين

(١) غير التجريد : « لا تخضعن » .

(٢) غير التجريد : « وتأمله » .

ذكر خبر جنان مع أبي نواس

ولاؤها

كانت جِنان هذه جاريةَ آل عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفى المحدِّث ، الذى كان ابن مناذر يَصحب ابنه عبد الحميد، ورثاه بعد وفاته. وقد تقدمت أخبارهما .

هى وأبونواس والشعر الذى فيه الغناء

وكانت حُلوة ، جميلة المنظر ، أديبة عاقلة ، ظريفة تَعرف الأخبار ، وتروى الأشعار، فرآها أبو نُواس الحسن بن هانئ الحَكَمىّ الشاعر ، فاستحلاها وأحبَّها، فعزمت سنةً على الحج ، فقال أبو نواس : والله لا يفوتنى المسيرُ معها والحج عامى هذا ، فسبقها إلى الخروج، بعد أن علم أنها خارجة إلى الحج ، وما كان نوى الحج، ولا سبّب خروجه إلى الحج إلا عزمُها ، وقال فى ذلك – وهو الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج خبر جنان مع أبى نواس :

ألم تَر أننى أفنيتُ عُمرى ... بمَطلبِها ومطلبُها عسيرُ

فلمّا لم أجِدْ سَبباً إليها ... يُقرِّبنى وأعيتنى الأُمور

حَججتُ وقلت قد حَجّت جنان ... فجمَّعنى وإيَّاها المَسير

تلبية أبى نواس بشعر فى الحج

وذُكر أنه لما حجّ لبَّى بشعر ورفع به صوته ، فكان يطرَب به كل من سمعه ، وهو :

إلاَهَنا ما أعدلك ... مَليكَ كُلِّ مَن مَلَكْ

لبّيك قد لبّيت لك ... لبّيك إنّ الحمد لك

والحمد والنِّعمة لك ... ما خاب عبدٌ سألك[1]

أنت له حيثُ سَلك ... لولاك ياربّ هلك

لبَّيك إنّ الحمد لك ... والمُلكَ لا شريك لك

(١) غير التجريد: « أملك » . وفى الأرجوزة هنا خلاف فى مساق أشطارها .

والليل لمّا أنْ حلك والسابحات فى الفَلك
على مجَارى المُنْسلك لكل نبىّ وملك
وكل من أهلّ لك سبّح أو لبىّ فلك
يا مُخطئاً ما أغفلك عجّل وبادرْ أَجلك
واختم بخير عملك

ويقال : إن أبا نواس لم يَصدُق فى حُب امرأة غير جنان .

اعتذاره إليها

وذكر أنها غضبت من كلام كلّمها به أبو نواس ، فأرسل يعتذِر إليها ، فقالت للرسول : قُل له : لا بَرِح الهجران رَبعك ، ولا بلغت أملك من أحبّتك . فرجع الرسول إليه ، فسأله عن جوابها ، فلم يخبره ، فقال :

فديتُكِ فِيمَ عَتْبك من كلامٍ نطقتِ به على وجهٍ جَميلِ
وقولُك للرسول :عليك غيرى فليس إلى التواصل مِن سَبيل
فقد جاء الرسولُ له انكسار وحالٍ ما عليهـا من قَبول
ولو ردّت جِنان مَردّ خير تبيّن ذاك فى وجه الرسول

ومما قاله فيها :

جَنان إنْ جُدتِ يا مُناىَ بما آمُل لم تَقْطُر السماء دَمَا
وإن تمادَىْ ولا تماديتِ فى مَنْعك أُصْبِحْ بقَفرة رِمما
عَلِقْت مَن لو أتى على أنفُس الـ ماضين والغابرين ما نَدما
لو نظرتْ عينُه إلى حَجر ولّد فيه فُتورُها سَقما

سعره فيها بعد أن نقلت إليه امرأة خبرها

وحكى الجمّاز قال :

كنت عند أبى نواس جالساً ، إذ مرّت بنا امرأة ممن تُداخل الثّقفيين ، فسألها

عن جنان، وألحّ فى المسألة واستقصى، فأخبرْته خبرها ،وقالت : قد سمعتها تقول لصاحبة لها من غير أن تعلم أنى أسمع : ويحك ، قد آذانى هذا الفتى وأبرمنى وضيّق علىّ الطرق بحدة نظره وتهتكه ، وقد لَهِج قلبى بذكره والفكرة فيه من كثرة فعله لذلك حتى رحمتُه . ثم التفتتْ فرأتنى ، فأمسكت . فسُرّ أبو نواس بذلك سروراً شديداً ، فلما قامت المرأة أنشد يقول

يا ذا الذى عن جَنانٍ ظلّ يُخبرنى ... بالله قُل وأعِد يا طيّب الخبرِ
قال اشتكتك وقالت ما ابتُليت[1] به ... أراه من حيثُ ما أقبلتُ فى أثرى
ويُعمل الطّرفَ نحوى إنْ مررتُ به ... حتى ليُخجلنى من حِدَّة النّظر
وإنْ وقفت له كيما يكلّمنى ... فى الموضع الخِلْو لم يَنطق من الحصر
ما زال يفعل بى هذا ويُدْمنه ... حتى لقد صار من همّى ومن وَطَرى

شعره إلى قاض عاب عليه وقوفه مع امرأة

وذُكر أن محمد بن حفص ، قاضى البصرة ، مرّ بأبى نواس ، وهو يكلم امرأة فى الطريق ، فقال له : اتق الله . فقال : إنها حُرمتى أيها القاضى . قال : فصُنْها عن هذا الموضع وانصرف عنها . فكتب إليه أبو نواس :

إنّ التى أبصرتَها[2] ... سَحَراً أكلّمها رَسُولْ
أدّت إلىّ رسالةً ... كادت لها نفسى تَسيل
مِن ساحر العينين يَجْـ ... ـذب خَصْرَه رِدْفٌ ثقيل
مُتقلّد قوسَ الصبا ... يَرمى وليس له[3] رَسِيل
فلو أنّ أُذْنَك عندنا[4] ... حتى تَسَمَّع ما نقول
لسمعتَ ما استقبحتَه ... من أمرنا وهو الجميل

(١) فى التجريد : « ما بليت ».
(٢) التجريد: « أبصرتنى » .
(٣) رسيل : ند ومقابل .
(٤) غير التجريد : « بيننا » .

ثم وَجَّه بها ، فألقيت الرُّقعة فى الرِّقاع بين يدى القاضى ، فلما قرأها ضحك وقال : إن كانت رسولا فلا بأس .

شعره فى جنان فى مأتم

وذُكر أن أبا نواس أشرف من دار على منزل عبد الوهاب الثقفى ، وقد مات بعض أهله ، وعندهم مأتم ، وجِنان واقفة مع النساء تَلْطِم وجهها ، وفى يدها خِضاب ، فقال :

يا قَمَراً أبرزه مَــــأتمُ ... يندُب شجواً بين أتراب
يَبكى فيُذْرى الدُّرَّ من عَينه ... ويَلْطِم الوَرد بعُنَّــاب
لا تبْكِ مَيْتاً حَلّ فى حُفرةٍ ... وابْكِ قتيلاً لك بالباب
أبرزه المـــأتمُ لى كارهاً ... برَغم دايات وحُجّاب
لا زال موتاً دأبُ أحبابه ... ودأب أن أبصره(١) دابى

وحَكى حُسين بن الضحاك قال :

أنشدنا سُفيان بن عُيينة قولَ أبى نواس :

يبكى فيُذْرى الدر من عينه ... ويَلطم الورد بعُنَّـــــاب

فعجب(٢) منه ، وقال : آمنت بالذى خلقه .

وذُكر أن جِنان هَجرت أبا نواس مرة ، فأطالت هجره ، فرآها ليلة فى منامه ، وأنها قد صالحته ، فقال :

إذا التقى فى النَّوم طَيْفـــانا ... عاد لنا الوصـــلُ كما كانَا
يا قُرة العَين فمـــا بالُنــا ... نَشقى ويلتذّ خَيـــالانا
لو شِئْتِ إذ أحسنتِ بى فى الكرى ... أتْممتِ إحسانَك يَقظـــانا
وعاشقَيْن اُصطلحا فى الكَرى ... وأَصبحـــا غَضْبى وغَضبانا
كذلك الأحـــلامُ غدّارة ... وربما تَصدُق أحيـــانا

(١) فى غير التجريد : « ولا تزال رؤيته دابى » . (٢) فى غير التجريد : « فعجبت » .

وذكر أنه رآها يوماً فى ديار ثقيف، فجَبَهتْه بما كره ، فغضب وهجرها مدة، فأرسلت إليه رسولاً أتصالحه ، فرده ولم يصالحها، ورآها فى النوم تطلب صُلحه، فقال:

دسّتْ له طيفَها كيما تُصالحه ... فى النّوم حين تأبَّى الصُّلحَ يقظانا

فلم يجد عند طيفى طيفُها فرجاً ... ولا رَثى لتشكِّيه ولا لانا

خشيتُ أنَّ خيالى لا يكون لما ... أكونُ من أجله غَضبانا غَضبانا

جِنانُ لا تسألينى الصُّلحَ سُرعةَ ذا[1] ... فلم يكن هيِّناً منك الذى كانا

(١) المسموع : سرع ذا ، بالفتح والضم ، وسرعان ذا .

أخبار ابن أبى عيينة

نسبه

أبو عُيينة : اسمه ، وكُنيته : أبو المنهال . وهو ابن محمد ــ وقيل . المنجاب ــ ابن أبى عُيينة بن المُهلَّب بن أبى صُفرة . واسم ابن أبى صُفرة : ظالم بن سُراق بن صُبح بن كِندىّ بن عَمرو بن عدىّ بن وائل بن الحارث بن العَتيك بن الأسد ابن عِمران ابن الوضّــاح بن عمرو مُزيقياء بن حارثة بن الغِطريف بن امرئ القيس البِطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد .

منزلته فى الشعر

وهو شاعر مَطبوع ظريف غَزِل هجَّاء .

هجاؤه ابن عمه

وأنفد شعره فى هجاء ابن عمّه : خالد .

هو وأخوه شاعران

وكان له أخ يُقال له : عبد الله ، شاعر ، وهو أشعر من أخيه : عبد الله .

وقيل لعبد الله : أنت أشعر أم أخيك ؟ فقال : لو كان له عِلمى لكان أشعر منّى .

شعره الذى فيه الغناء وقصته

وذُكر أن ابن أبى عُيينة كان يتعشّق فاطمةَ بنت عمر بن حَفص ــ الملقّب : هزار مَرْد ــ وكانت امرأة جليلة نبيلة سُرّية من النساء . وكان أبوها من الشُّجعان . وتزوجها عيسى بن سليمان . فكان ابن أبى عُيينة خوفاً من أبيها وزوجها يُسِرّ عشقها ويلقّبها : دنيا ، كتماناً لأمرها . وقيل : إن دنيا كانت جارية لها .

فمما قاله فيها من الشعر، الشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخباره، وهو :

تَجنَّى علينا آلُ مكتومةَ الذَّنبا ... وكانوا لنا سَلْما فأضحَوْا لنا حَرْبا

يقولون : عَزَّ القلبَ عِند[1] ذهابه ... فقلتُ ألا طُوبایَ لو أنّ لى قَلْبا

(١) فى غير التجريد : « بعد » .

وهذا الشعر من قصيدة جيّدة من مشهور شعره ، ومنها :

وقالوا تَجَنَّيْنا فقلتُ أبعدَ ما ... غلبتُم على قلبى بسُلطانكم غَصْبا
غِضاب وقد ملّوا وُقوفى ببابهم ... ولسكنّ دُنيا لا مَلُولا ولا غَضْبى
وقد أرسلتْ فى السرِّ : إنّى بريّة ... ولم تَرَ لى فيما ترى منهم ذَنْبا
وقالت لك العُتْبى وعندى لك الرِّضى ... وما إنْ لهم عندى رضاء ولا عُتْبَى
ونُبِّئتُها تَلْهو إذا اشتد شوقُها ... بشِعْرى كما تُلْهِى المغنّيةُ الشَّرْبا
فأَحببتُها حُبًّا يَقَرُّ بعينها ... وحُبِّى إذا أحببت لا يُشبه الحُبَّا
فيا حسرتَى نُغِّصتُ قُربَ ديارها ... فلا زُلفةً منها أُرجِّى ولا قُرْبا
لقد شَمِتَ الأعداء أن حِيل بينها ... و بينى ألا لَلشّامتين بنا العُقْبى

من شعره فى محبوبته

ومن جيده شعره فيها :

ضَيَّعتِ عهد فتًى لعهدِكِ حافظٌ ... فى حِفظه عَجب وفى تَضْييعكِ
ونأيْتِ عنه فما له من حِيلة ... إلاّ الوُقوف إلى أوانِ رُجوعك
متخَشِّعاً يُذْرِى عليك دموعَه ... أسفاً ويَعجب من جُمود دُموعك
إن تَقْتُليه وتذهبى بفؤاده ... فبحُسن وجهك لا بحُسن صَنيعك

شعر له فيها أخذ البحترى معناه

ومن شعره فيها :

جئتُ قالتْ دُنيا علامَ نهارا ... زُرتُ هلاّ انتظرت وقتَ المساء
إن تكن مُعجباً برأيك لاتَفْ ... رَقَ فاستَحْى ياقليلَ الحياء
ذاك إذ رُوحها ورُوحى مِزا ... جان كأصفَى خَمْرٍ بأعذبِ ماء

فأخذ هذا المعنى البُحتريّ فقال :

يهتزّ مثل اهتزاز الغُصن حرّكه ... مُرور غَيْث من الوَسْمِىّ سَحّاحِ

جعلتُ حُبَّكِ من قَلبى بمنزلة ... هى المُصفاةُ[١] بين الماء والرّاحِ

مما يروى له من شعر

ومما يُروى لابن أبى عُيينة :

ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبدًا وما هو كائنٌ سيكونُ

سيكون ما هو كائنٌ فى وقته ... وأخو الجهالة مُتْعَبٌ محزون

يَسعى القوىُّ ولا ينال بسَعيه ... حظًّا ويَحظى عاجزٌ ومَهين

شعر له فى محبوبته وقد بلغه أنها تزوجت

وذُكر أن أبى عُيينة بلغه أن محبوبته التى كان يُشبِّب بها قد زُوجت ، ثم بلغه أنها تُهْدَى إلى زوجها ، فقال ـ وهو من جيد الشعر :

أرى عهدَها كالورد ليس بدائم ... ولا خَيْرَ فيمن لا يدُوم له عَهْدُ

وعهدى لها كالآس حُسْنًا وبَهجة ... له نُضرة تبقى إذا ما انقضى الوَرْد

فما وَجِد العُذرىّ إذ طال وجْدُه ... بعَفْراء حتى سَلّ مُهجتَه الوَجْد

كوَجدِى غداة البين عند التقائها ... وقد شفّ عنها دون أترابها[٢] البُرْد

وقلت لأصحابى هى الشمسُ ضوؤها ... قريب ولكن فى تَناولها بُعْد

وإنى لمن تُهدَى إليه لحاسدٌ ... جرى طائرى نَحْسًا وطائرُه سَعْد

شعره فى محبوبته

ومن شِعره فى مَحبوبته ، التى كان يُسَمِّيها دنيا :

يا حُسنَها يوم قالت لى مُوَدِّعة ... لا تَنْسَ ما قلتَ مِن فيها إلى أُذنى

كأنّنى لم أَصِل دُنْيا عَلانية ... ولم أَزُر أهل دُنيا زَوْرةَ الخَتَن[٣]

جِسْمى مَعى غير أنّ الرُّوح عندكُم ... فالرُّوح فى وطَن والجِسم فى وطَن

فَلْيعجب الناسُ منِّى أنّ لى جسدا ... لا رُوح فيه ولا رُوحٌ بلا بَدَن

(١) فى غير التجريد : « المصافاة » . (٢) فى التجريد : « أثوابها » .

(٣) الختن : زوج فتاة القوم . ومن كان من قبله من رجل أو امرأة .

من جيد شعره

ومن جيد الشعر قولُ ابن أبى عُيينة ، رواه عنه إسحاق الموصلى :

لا يكُن منك ما بدا لى بعينيـ ـك من الحب حيلةً[1] وخِداعا
إن يكُن فى الفؤاد شىء وإلّا فدَعينى لا تقتُلينى ضَياعا
فلعلّى إذا اقتربْتِ تباعد تُ وأظهرت جفوةً وامتناعا
حين نَفسى لا تَستطيع لما قد وقعتْ فيه من هواها ارتجاعا

شعره فى مدح داود وهجاء قبيصة

وذُكر أن ابن أبى عُيينة قَصد قَبيصة بن روح بن حاتم المهلّبى ، واستماحه فلم يجد عنده ما قدّر فيه ، فخرج مُغاضباً . فوجه إليه ابنُ عمّه داود بن يزيد بن حاتم المهلّبى ، فترضّاه وأرضاه ، وبلغ ما أحبه من بِره ومعونته ، فقال يمدحه ويهجو قَبيصة :

أقبيصَ لستَ وإن جَهدْت بمُدرك سَعْى ابن عَمّك ذى العُلى داوُدِ
شتّان بَينك يا قَبيص وبينه إنّ المُذمَّمَ ليس بالمَحْمُود
اختار داوُد بناءَ مَحامد واخترت أكْل شَبارق[2] وثَريد
قد كان مجد أبيك لو أحْيَيْته[3] رَوحٍ أبا خلف كمجد يَزيد
لكنْ جرى داوُد جَرْى مبرِّز يحْوى المَدى وجريْتَ جَرْى بَليد
داوُد محمودٌ وأنت مُذمّم عجباً لذاك وأنتما من عُود
ولربّ عُود قد يُشَق لمَسجد نصفٌ وسائره لحُشّ يهود
فالحُشّ أنت له وذاك لمَسجدٍ كم بين مَوْضع مَسْلح وسُجود
هذا جزاؤك يا قَبيص لأنه جادت يَداه وأنت قُفْل حَديد

---

(١) فى غير التجريد : « اللحظ ... واختداعا » .
(٢) الشبارق : جمع شبرق ، بالكسر ، وهو نبات غض يؤكل ، ثمرته شاكة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم ، منبتها السباخ والقيعان .
(٣) فى غير التجريد : « لو أحببته » .

هجاؤه خالد بن يزيد وقصة ذلك

وذُكر أن خالد بن يزيد بن حاتم بن قَبيصة بن المهلب ولى جُرجان ، فسأل ابنَ عمه أبنَ أبى عيينة أن يصحبه ويخرج معه ، ووعده الإحسان والولاية وأوسع له المواعيد. وكان أبن أبى عُيينة جُندياً، فجرد أسمه فى جريدته وأخرج رزقه معه ، فلما حصل بُجرجان أعطاه رزقه لشهر واقتصر به على ذلك ، وتشاغل عنه وجفاه . فبلغ خالداً أن أبن أبى عيينة قد هجاه وطعن عليه و بسط لسانه فيه ، وذكره بكل قبيح عند أهل عمله ووُجوه رعيته ، فلم يقدر على معاقبته لقرابته منه ، فدعا به وقال : بلغنى أنك تريد أن تهرُب ، فإما أن أقمت لى كفيلاً برزقك أو رددته . فأتاه بكفيل، فأعْنته ولم يقبله ، ولم يزل يردّه حتى ضجر، فجاءه بما قبض من الرزق فأخذه ، فلجَّ أبنُ أبى عُيينة فى هجاء خالد وأكثر فيه حتى فضحه . فمما هجاه به من أبيات :

له مَنظر يعْمى العيونَ سَماجةً ... وإن يُخْتبر يوماً فيا قُبحَ مُختبر(١)

أبوك لنا غَيث يُعاش بوَبله ... وأنت جَرادٌ ليس يُبقى ولا يَذَر

له أثر فى المَكْرمات يَسُرنا ... وأنت تُعفِّى دائماً ذلك الأثر

لقد قنعت قَحطان خِزْياً بخالد ... فهل لكِ فيه بعدها اليوم يامُضر(٢)

وذكر أنه لم يجتمع لأحد من المُحدثين فى بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه ، كما اجتمع لأبى عُيينة فى البيت الثانى من هذه الأبيات .

ذكر الفضل للرشيد أهجى بيت له

وذُكر أن الفضل بن الربيع قال له الرشيد ، من أهجى المحدثين فى عصرنا ؟ قال : الذى يقول فى أبن عمه :

---

(١) فى غير التجريد : « فيا سوء » .

(٢) فى غير التجريد : « فهل لك فيه يخزك الله يا مضر » .

لو كما ينقص يزدا　　د إذن نال السماء

خالد لولا أبــوه　　كان والكلب سواء

أنا ما عشت عليــه　　أسوأ النــاس ثناء

إنّ من كان مُسيئاً　　لحقيقٌ أن يُســاء

فقال الرشيد : هذا ابن أبى عيينة ، ولعمرى لقد صدقت .

أخبار دعبل الخزاعى

نسبه وكنيته

هو : دِعبل بن علىّ بن رَزين بن سُليمان بن تَميم بن نَهشل بن خِراش بن خالد ابن عبد الله بن دِعبل بن أنس بن خُزيمة بن سَلامان بن أَسْلم بن أَفْصى بن حارثة ابن عَمرو بن عامر بن مُزيقياء . وقد تقدم بقية النسب . ويكنى : أبا على .

شاعر هجاء

شاعر متقدم مَطبوع هجّاء خبيث اللسان ، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا وزرائهم ولا أولادهم، ولا ذو نباهة ، أحسن إليه أو لم يحسن ، ولا أفلت منه كبير .

تشيعه وقصيدته التائية

وكان شديد التعصب للقحطانية على النِّزارية ، وكان شيعيًّا . وله القصيدة التائية المشهورة فى مدح أهل البيت عليهم السلام ، التى أولها :

مدارس آيات خَلَتْ من تلاوة ... ومنزل وَحْى مُقفر العَرَصاتِ

أُناس علىٌّ الخَيْر منهم وجعفر ... وحمزة والسجّاد ذو الثَّفِنات [1]

إذا فَخروا يوماً أتوا بمحمد ... وجبريل والقرآن [2] والسُّورات

يقول فيها :

ألم تر أنّى من ثلاثين حِجةً ... أروحُ وأغدو دائمَ الحَسَرات

أرى فَيْئَهم فى غيرهم مُتقسَّما ... وأيديهمُ مِن فَيْئهم صَفِرات

فلولا الذى أرجوه فى اليوم أو غدٍ ... تقطّع قَلبى إثرهم حَسَرات

بينه وبين الرضى وقد أنشده هذه القصيدة

وقصد بهذه القصيدة الرضى أبا الحسن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ، رضى الله عنهم ، بخُراسان ، وكان المأمون قد أخذ بيعة الناس له بولاية العهد ، وأنه الخليفة بعده ، وأمر بنزع السواد ولباس الخُضرة .

---

(١) الثفنات : جمع ثفنة ، وهى الركبة ، يعنى أن طول السجود أثر فى ثفناته .

(٢) غير التجريد : « والفرقان » .

قال دعبل : فلما دخلت على علىّ بن موسى الرضى ، قال لى : أنشدنى شيئاً مما أحدثت بعدنا ، فأنشدته :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مُقفر العَرصات

حتى انتهيتُ منها إلى قولى :

إذا وُتِروا مدُّوا إلى واتِريهمُ أكُفًّا من الأوتار مُنْقَبِضَات

قال : فبكى حتى أغمى عليه ، وأومأ إلىّ خادم على رأسه : أن اُسكت . فسكت ، فمكث ساعة ، ثم قال لى : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا الموضع أيضاً ، فأصابه مثل الذى أصابه فى المرة الأولى . وأومأ الخادم إلىّ : أن اُسكت . فسكت . ثم مكث ساعة أخرى ، ثم قال لى : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها . فقال لى: أحسنت ، ثلاث مرات . ثم أمر لى بعشرة آلاف درهم ممّا ضُرب باسمه . ولم تكن وقعتْ إلى أحد بعدُ . وأمر لى مَن فى منزله بحَلى كثير ، أخرجه إلىّ الخادم . قال : فقدمت العراق فبعتُ كل درهم منها بعشرة دراهم ، اشترتها منى الشيعة . فحصل لى مائة ألف درهم . فكان أول مال اعتقدته .

استوهب على الرضى ثوبا

وذُكر أنّ دعبلا استوهب علىّ الرّضى ثوباً قد لَبسه ليجعله فى أكفانه ، فخلع جُبة كانت عليه وأعطاه إياها . وبلغ أهل قُم[1] خبرُها ، فسألوا دعبلا أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم ، فلم يفعل . وخرجوا عليه فى طريقه فأخذوها غصباً وقالوا : إن شئت أن تأخذ المال فافعل ، وإلا فأنت أعلم . فقال : إنى والله لا أعطيكم إياها طوعاً ولا تنفعكم غصبا . وأشكوكم إلى الرضى عليه السلام . فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين الألف الدرهم وفَرْد كُمّ من بطانتها . فرضى بذلك ، فكانت فى أكفانه . وكتب القصيدة التى أولها « مدارس آيات » فى ثوب ، وأحرم فيه لما حج ، وأمر بأن يكون فى أكفانه .

(١) قم : مدينة إسلامية مستحدثة ، تذكر مع قاشان .

بقى عمره هارباً

ولم يزل دعبل مرهوب اللسان ، وخائفاً من هجائه الخلفاء ، فهو دهرَه كله هارب متوارٍ ، وكان يقول : أنا أحمل خشبتى على كتفى منذ خمسين سنة ، ولستُ أجد أحداً يصلبُنى عليها .

ما بين ابراهيم بن المهدى والمأمون فى هجائه

وذُكر أن إبراهيم بن المهدى قال يوماً للمأمون قولاً فى دعبل يحرِّضه عليه . فضحك المأمون وقال : إنما تحرّضنى عليه لقوله فيك :

يا مَعشر الأجناد لا تقنطوا ... وارضَوْا بما كان ولا تَسْخَطُوا
فسوف تُعطَوْن حُنَينيَّة[1] ... يلتذُّها الأمرد والأشمط
والمعبديات[2] لقُوّادكم ... تدخل الكيس[3] ولا تربط
وهكذا يُرزق قُوّادكم ... خليفة مُصحفه البَرْبَط[4]

فقال إبراهيم : قد والله هجاك أنت أيضاً يا أمير المؤمنين . قال : دع هذا عنك ، فقد عفوت عنه فى هجائه إياى لقوله هذا ، وضحك . ثم دخل أبو عبّاد وزير المأمون ، فلما رآه المأمون من بُعد قال لإبراهيم : دعبل يجسُر على أبى عباد بالهجاء ويُحجم عن أحد . فقال له إبراهيم : وكأنّ أبا عبّاد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين . قال : لا ، ولكنه حديد جاهل لا يؤمن ، وأنا أحلم وأصفح ، والله ما رأيت أبا عبّاد مُقبلاً إلا أضحكنى قول دعبل فيه :

أَولى الأمور بضَيعة وفساد ... أمر يدبّره أبو عبّادِ
وكأنه من دَير هِزْقَلَ[5] مُفْلتٌ ... حَرِدٌ[6] يجُرُّ سَلاسل الأقياد

حر فى تشطره

وذُكر أن دِعبلاً كان أول أمره يتشطّر ويصحب الشُّطّار ، فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعَتمة ، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة ، وكان يروح كل ليلة بكيسه إلى منزله . فلما طَلع مُقبلاً إليهما وثَبا عليه فجرحاه وأخذا

(١) حنينية : نسبة إلى حنين ، رجل يضرب به المثل فى الرجوع عن الحاجة بالخيبة .
(٢) المعبديات : سبعة أصوات تنسب إلى معبد المغنى .
(٣) الرواية فى غير التجريد : « لا تدخل الكيس » . (٤) البربط : العود .
(٥) دير هزقل : بين البصرة وعسكر مكرم . (٦) حرد : منفرد .

ما فى كُمه ، فإذا هى ثلاثُ رمانات فى خرقة ، ولم يكن كيسه معه . ومات الرجل فى مكانه . وأستتر دِعبل وصاحبه . وجدَّ أصحابُ القتيل فى طَلبهما . وجدّ السلطان فى ذلك . فطال على دِعبل الاستتار واضطرُ إلى أن هرب من الكوفة ، فما دخلها حتى كتب أهله إليه : إنه لم يبق من أولياء القتيل أحد .

سرقته من مسلم

وقيل : لما قال مُسلم بن الوليد صريع الغوانى :

مُستعبر يَبكى على دِمنة ورأسه يَضحك فيه المَشِيبْ

سَرقه دعبل فقال :

لا تعجبى يا سَلْمُ من رجل ضَحِك المشيبُ برأسه فبَكَى

فجاء أجودَ من قول مُسلم ، فكان أحقَّ به . وهذا البيت فيه غناء ، وقبله :

أين الشباب وأيةً سلكا لا أين يُطلب ضلّ بل هَلكا

وبعده :

يا ليت شعرى كيف نَوْمكما يا صاحبىّ إذا دَمى سُفِكا
لا تأخُذا بظُلامَتى أحدا قلبى وطَرْفى فى دَمى أشتركا

رثاؤه ابن عم له

وذُكر أن دعبلا نُعى إليه أبن عم له من خُزاعة ، فقال يرثيه ـ قال محمد بن يزيد المبرد : ولقد أحسن فيها ما شاء :

كانت خُزاعة ملءَ الأرض ما اتسعت فقصَّ مَرُّ الليالى من حَواشيها
هذا أبو القاسم الثاوى ببَلقعة تسفى الرِّياح عليها من سوافيها
هبّت وقد علمتْ أنْ لا هُبوب به وقد يكون حسيرًا إذ يُباريها
أَضحى قِرىً للمنايا إذ نَزلن به وكان فى سالف الأيام يَقْريها

وذُكر أن هذه الأبيات قالها دعبل فى أبى القاسم المُطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعى .

هو وابن المدبر

وحكى إبراهيم بن المدبِّر ، قال : لقيت دعبل بن علىّ ، فقلت : أنت أحسن الناس حيث تقول :

إنّى من القوم الذين سُيوفهم قتلت أخاك وشرّفتك بمَقْعدِ
رفعُوا محلّك بعد طُول خُموله واستنبطوك من الحضيض الأوْهد

فقال : يا أبا إسحاق ، أنا أحمل خشبتى منذ أربعين سنة فلا أجد من يَصْلبنى عليها .

قلت : وهذان البيتان من أبيات يهجو بها دعبلٌ المأمون ، ويعيِّره بأنه لولا طاهر بن الحسين ونصره له لما استتبّ أمره .

هجاؤه المعتصم

وقال دعبل يهجو المعتصم ، وكان بلغه أنه يريد اغتيالَه فهرب معه إلى الجبل :

بَكى لشتات الدِّين[1] مكتئبٌ صَبُّ وفاض بفرط الدّمع من عينه غَرْبُ
وقام إمام لم يكن ذا هِداية فليس له دينٌ وليس له لُبّ
وما كانت الأنباء[2] تأتى بمثله يُملَّك يوماً أو تَدين له العُرب
ولكن كما قال الذين تتابعوا من السّلف الماضين إذ عَظُمَ الخطب
مُلوك بنى العباس فى الكتب سبعة ولم تأتنا عن ثامنٍ منهمُ[3] الكُتب
كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعة
كرام[4] إذا عُدُّوا وثامنُهم كلْب
وإنّى لأُعلى كلبَهم عنك رِفعةً لأنك ذو ذنب وليس له ذَنب
لقد ضاع مُلك النّاس إذ ساس مُلكهم
وصِيفٌ وأشناس فقد عَظُم الكرب
وفَضْل بنى مروان يُثلم ثَلمة يَظل لها الإسلام ليس له شَعْب

(١) فى التجريد : « البين » . (٢) فى التجريد « الأنباء » .
(٣) فى غير التجريد : « لهم كتب » . (٤) فى غير التجريد : « خيار » .

معارضته ابن الزيات فى رثائه المأمون

ولما مات المعتصم قال وزيره محمد بن عبد الملك الزيات :

قد قلت إذ غيّبوه وانصرفوا ... فى خير قبرٍ لخير مدفونِ

اذهب فنعم الحفيظ كنت على الدّ ... نيا ونِعم المُعين فى الدّين

لن يجبر الله أمة فقدت ... مثلك إلا بمثل هارون

فقال دعبل بن علىّ يعارضه :

قد قلت إذ غيّبوه وانصرفوا ... فى شرّ قبر لشرّ مدفون

اذهب إلى النار والجحيم[1] فما ... خِلْتك إلّا من الشّياطين

ما زلت حتى عقدت بيعة مَن ... أضرّ بالمسلمين والدِّين

شعره فى موت المعتصم وخلافة الواثق

وقيل ، لما بلغ دعبلًا نعىُ المعتصم وخلافةُ ابنه الواثق قال :

الحمد لله لا صبرٌ ولا جَلَدَ ... ولا رُقاد إذا أهلُ الهوى رقدُوا

خليفةٌ مات لم يحزن له أحد ... وآخرٌ قام لم يفرح به أحد

فمرّ هذا ومرّ الشؤم يتبعه ... وقام هذا فقام الشُّؤم والنَّكد

قلت: روى نِفْطويه[2] فى تاريخه ، وغيره : أن الواثق لما ولى الخلافة جاء دِعبل بهذه الأبيات ، فأعطاها لبعض الحجّاب ، فأوصلها إلى الواثق ، فلما قرأها الواثق غضب وطلب دعبلا ، فهرب ولم يقدر عليه .

خبر إنشاد ابن مهرويه لابن أبى داود شعراً لدعبل فيه

وحكى القاسم بن مَهْرَوَيه قال :

كنت عند أحمد بن المُدبّر ليلة فأنشدتهُ لدعبل فى القاضى أحمد بن أبى دُواد :

إن هذا الذى دُواد أبوه ... وإيادٌ قد أكثر الأنباء

ساحقتْ أمه ولاط أبوه ... ليت شِعرىَ عنه فمِن أين جاء

جاء من بين صخرتين صَلودَيْ ... ن عقامَيْن يُذنبتان الهَباء

لا سِفاح ولا نِكاح ولا ما ... يُوجب الأمّهات والآباء

(١) غير التجريد : « والعذاب » .

(٢) هو أبو عبد ابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدى العتكى ، ومن كتبه : كتاب التاريخ . (الفهرست) .

فاستعادها أربعَ مرات ، فظننتُ أنه يريد أن يحفظها ، ثم قال : جئنى بدِعبل حتى أُوصله إلى المتوكل . فقلت له : دِعبل مَوْسوم بهجاء الُخلفاء والتشيُّع ، وإنما غايته أن يخمُل ذكره ، فأمسك عنى . ثم لقيت دعبلا ، فحدثته . فقال : لو حضرت أنا أحمد بن المدبّر لما قدرت أن أقول أكثر مما قلت .

شعر له كتب به إلى أبى نهشل

وحكى دِعبل قال :

كتبت إلى أبى نَهشل بن حُميد :

إنما العيش فى مُنادمــة الإخـ ... وان لافى الُجلوس عند الكِعَابِ

وبِصِرْف كأنها ألسُن البَر ... ق إذا استعرضت رَقيق السّحاب

إن تكونوا تركتمُ لذة العَيـ ... ش حِذارَ العِقاب يوم العِقاب

فدعُونى وما ألذّ وأهـــوى ... وادفعُوا بى فى نَحر يوم الحساب

بينه وبين مبتدئ فى الشعر

وحكى دعبل قال :

كان لى صديق مُتخلف يقول شعراً فاسداً وأنا أنهاه عنه ، فأنشدنى يوماً :

إن ذا الُحب شديد ... ليس يُنجيــه الفرارُ

ونجا من كان لا ... يعشق من ذُل الُمخازى

فقلت : هذا لا يجوز ، البيت الأول على الراء والثانى على الزاى . فقال : لا تنقطه . فقلت : إن الأول مرفوع والثانى مكسور . فقال : أنا أقول له لا تنقطه وهو يَشْكله .

حديثه عن شعره

وذُكر أنّ دعبلا قال :

مكثت ستّين سنة ليس من يوم ذَرّ شارقُه إلا وأنا أقول فيه شعرا .

بين المأمون وأبى دلف وابن طاهر فى شأنه

وحكى عمرو بن مَسعدة قال:

حضرت أبا دلف عند المأمون ، وقد قال له المأمون : أى شىء يروى لأخى

خزاعة يا قاسم ؟ قال : وأى إخوة خزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن تعرف فيهم شاعراً ؟ قال : أما مِن أنفسهم فأبو الشِّيص ، ودِعبل ، وداوود بن رَزِين ؛ وأما من مواليهم فطاهر ، وأبنه عبد الله . فقال . ومن عسى من هؤلاء أن يُسأل عن شعره سوى دِعبل ! هات أى شيء عندك فيه . قال : وأى شيء عندى فى رجل لم يُسلِّم عليه أهلُ بيته حتى هجاهم ، فقَرَن إحسانهم بالإساءة ، وبَذْلهم بالمَنع ، وجُودهم بالبخل ، حتى جعل كل حسنة لهم بإزاء سيئة . قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول فى المُطلب بن عبد الله بن مالك ، وهو أصدق الناس وأقربهم منه ، وقد وفد إليه إلى مصر فأعطاه وولّاه ، فلم يمنعه ذلك من أن قال فيه :

أُضربْ ندَى طَلحة الطلحات مبتدئاً[1] بلُؤم مُطَّلب فينا وكُن حَكَما
تُخْرِج خُزاعة من لؤم ومن كَرم فــلا تُحِسّ لها لُؤماً ولا كَرَما

فقال المأمون : قاتله الله ! ما أغوصه وألطفه وأدهاه ! وجعل يضحك . ثم دخل عبد الله بن طاهر ، فقال : أى شيء تحفظ يا عبد الله لدعبل ؟ فقال : أبياتاً فى أهل بيت أمير المؤمنين . قال : هاتها . فأنشده قولَ دعبل :

سَقْياً ورَعْياً لأيــــام الصَّبابات أيامَ أرفُل فى أثــــواب لذّاتِى
أيامَ غُصْنِى رطيبٌ من لَيانته أصبُو إلى غـير جاراتٍ وكَنّات
دعْ عنك ذِكر زمان فات مَطلبُه وأقذف برَحْلك عن مَتْن الجَهالات
وأقْصِد بكل مَديح أنت قائـله نحو الهُداة بنى بيت الكَرامات

فقال له المأمون : إنه وجد والله مقالا فقال ، ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله من غيرهم . ثم قال المأمون : لقد أحسن فى وصف سفر سافَره فطال ذلك السفر عليه ، فقال :

---

(١) فى غير التجريد : « متئدا » .

ألم يَأْنِ للسَّفْر الذين تحمّلوا إلى وطن قبل الممات رجوعُ
فقلتُ ولم أملك سوابقَ عَبرة نطقْن بما ضُمّت عليه ضُلوع
تبيّن فكم دارٍ تفرّق شملُها وشملٍ شتيتٍ عاد وهو جميع
طُوال[(١)] الليالى صَرْفُهنّ كما ترى لكل أُناس جَدْبة وربيع

ثم قال: ما سافرت قطّ إلا كانت هذه الأبيات نُصْبَ عينى فى سَفرى وهِجِّيراى، ومُسَليتى حتى أعود.

هو والسراج فى حضرة المطلب وقصة ذلك

وحكى دعبل قال:

حججتُ أنا وأخى رَزين، وأخذنا كُتباً إلى المطلب بن عبد الله بن مالك الُخزاعى، وهو بمصر يتولاها، وصحِبنا رجلٌ يُعرف بأحمد بن فلان السراج ــ نسى الراوى عن دعبل اسمه ــ فما زال يُحدِّثنا ويؤانسنا طول طريقنا، ويتولى خِدْمتنا كما يتولّاها الرفقاء والأتباع، ورأيناه حسن الأدب، وكان شاعراً ولم نعلم، وكتَمَنا نفسه، وقد علم ما قصدْنا له فعَرَضْنا عليه أن نقول قصيدة فى المُطّلب وننحله إياها. فقال: إن شئتم، وأرانا سُروراً وتقبُّلا له. فعَملنا له قصيدة، وقلنا له تُنْشدها المُطلب فإنك تَنتفع بها. فقال: نعم. ووردنا مصر، فدخلنا على المُطلب، فأوصلنا إليه كُتباً كانت معنا، وأنشدناه فسُر بموضعنا، ووصفْنا له أحمد السّراج هذا وذكرنا له أمره، فأذن له فدخل عليه ونحن نظن أنه ينشده القصيدة التى نحلناه إياها. فلما مَثَل بين يديه عدل عنها وأنشده:

ما جئتُ[(٢)] مُطَّلباً إلا بمُطَّلب وهمةٍ بلغتْ بى غايةَ الرُّتبِ
أفردتُه برجائى أن تُشاركه فىّ الوسائلُ أو ألقاه بالكُتُبِ

وأشار إلى كُتبى التى أوصلتها إليه، وهى بين يديه. فكان ذلك أشدَّ شىء مرّ بى منه، ثم أنشده:

---

(١) فى غير التجريد: «كذاك». (٢) غير التجريد: «لم آت».

رحلتُ عَنْسًا[(١)] إلى البيت الحرام على ... ما كان من وصَبٍ فيها ومن نَصَبِ
ألقى بها وبوَجهى كُلَّ هاجرة ... تكاد تَقْدح بين الجِلْد والعَصَب
حتى إذا ماقَضت نُسْكى ثَنيت لها ... عِطْف الزِّمام فأَمّت سيِّد العرب
فيمَّمتْك وقد ذابتْ مفاصلُها ... من طول ماسَغَبٍ لاقت ومن تَعب[(٢)]
إنّى أستجرتُ بأَسْتارين[(٣)] مُسْتلماً ... رُكْنين مُطَّلباً والبيتَ ذا الحُجب
فذاك للأَجَل المَرْجُوِّ ألْمسه ... وأنت للعاجل المأْمول والطَّلب
هذا ثنائى وهذى مِصرُ سانحةٌ ... وأنت أنت وقد ناديتُ من كَثَب

قال : فصاح مُطَّلب : لبيك ، لبيك . ثم قام إليه فأخذ بيده وأجلسه معه ، ثم قال : يا غلام : البِدَر ، فأُحضرت . ثم قال : الخِلع ، فنُشرت . ثم قال : الدواب ، فقِيدت . فأمر له من ذلك بما ملأ عينيه وأعيننا وصُدورنا وحسدناه عليه . وكان حَسدنا بما اُتفق له من القَبول وجودة الشعر ، وغَيظنا بكتمانه إيانا نفسه واحتياله علينا ، أكثر وأعظم . فخرج بما أمر له به ، وخَرجنا صفرا .

والقصيدة التى مدح بها دِعبل المُطَّلب ، هى التى يقول فيها :

أبعدَ مصر وبَعد مُطَّلب ... ترجو الغِنى إنّ ذا مِن العَجَبِ
إن كاثرونا جِئنا بأُسرته ... أو واحدونا جِئنا بمُطَّلب

هجاؤه المطلب وعزل المطلب له عن أسوان

ثم إن المُطلب ولّى دعبلاً أسوان ، وهجا دعبلَ المطلبَ بعد ذلك بما تقدم ذكره ، بقوله :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عيسى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ما نعب لاقت ومن نقب » .
(٣) روى أبو الفرج : « قال ابن المرزبان : حدثنى من سأل الرياشى عن قوله : أستارين . قال : يجوز على معنى : أستار كذا ، أو أستار كذا » .

تُعلِّق[١] مصْرٌ بك المُخزيا ... ت وتبصق فى وجهك المَوصِلُ

وعاديتَ قَوْماً[٢] فما ضَرّهم ... وشرّفت قوماً فلم يَنْبُلُوا

شِعارُك عند الحروب النَّجاء ... وصاحبك الأخْور الأفْشل[٣]

فأنت إذا ما التقَوْا آخر ... وأنت إذا انهزموا أوّل[٤]

ولما بلغ المُطَّلب هِجاء دِعبل إياه عَزله عن أسوان ، وأنفد إليه كتاب عزله مع مولى له ، وقال له : انتظره حتى يَصعد المنبر يوم الجمعة ، فإذا علاه فأوصل إليه الكتاب وأمنعه من الخطبة ، وأنزله عن المنبر وأصعد مكانه . فلما أن علا المنبر تنحنح ليخطبَ ، فناوله الكتاب . فقال له دِعبل : دعنى حتى أخطب فإذا نزلت قرأته . فقال : لا ، قد أمرنى أن أمنعك الخطبة حتى تَقرأه . فقرأه ، وأنزله عن المنبر مَعزولا .

من مديحه للمطلب

ومما مدح به دِعبلٌ المطلبَ :

زَمَنى بمُطّلب سُقيتَ زمانا ... ما كنتَ إلا روضةً وجنانَا

كل النَّدى إلّا نداك تكلُّف ... لم أرض بعدك كائناً من كانا

أصلحتنى بالبرِّ بل أفسدتنى ... وتركتَنى أتسخَّط الإحسانا

مهاجاته أبا سعد المخزومى

وذُكر أن دعبلا كان يُهاجى أبا سعد المَخزومى ، فقال كل واحد منهما فى صاحبه شعراً كثيراً لم يروه إلا العلماء بالشعر . فلما قال دعبل فى أبى سعد :

يا أبا سعد قَوْصره[٥] ... زانِى الأُخت والمَره

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تنوط » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وضعت رجالا » .

(٣) الرواية فى بعض أصول الأغانى :

شعارك فى الحرب يَوْم الوغى * إذا انهزموا عجلوا عجلوا

(٤) الرواية فى بعض أصول الأغانى :

فأنت لأولهم آخر * وأنت لآخرهم أول

(٥) القوصرة ، بتشديد الراء وتخفف : وعاء للتمر ، وكناية عن المرأة .

حفظ ذلك صبيان الـكُتّاب ومارّة الطريق والسِّفل فلهجوا به . فما اجتاز المخزومىُّ بعد ذلك بموضع إلا سمع هذا الشعر من السِّفل ، فمنهم من يعرفه فيعيبه به ، ومنهم من لا يعرفه فيَسمعه منه لخفّته على لسانه .

خبره مع أبى سعد عن مصالحته ثم تهاجيهما

وحكى دعبل قال :

جاءنى أبو سعد المخزومى يوماً ببغداد أشدّ ما كان بينى وبينه من الهجاء ، وبين يدى صحيفة ودواة وأنا أهجوه فيها . إذ دخل علىّ غلامى فقال لى : أبو سعد المخزومى على الباب . فقلت له : كذبت . فقال : بلى والله يامولاى ، هو أبو سعد . فأمرته فرفع الدواة والجلد والذى كان بين يدى ، وأذنت له فى الدخول ، وجعلت أحمد الله فى نفسى وأقول : الحمد لله الذى أصلح ما بينى وبينه من هَتك الأعراض وذِكر القبيح ، وكان الابتداء منه ، فقمت إليه وسلّمت عليه وهو ضاحك مسرور ، فأظهرت له مثل ذلك من السرور به ، ثم قلت : أصبحت والله حاسداً لك . قال : على ماذا يا أباعلى؟ فقلت : لسبقك إياى إلى الفضل . فقال : أنا اليوم فى دعوتى[1] عندك . فقلت : ما أحببت . فقال : إن كان عندك ما نأكله وإلا ففى منزلى شىء مُعد . فسألت الغلمان ، فقالوا : ما عندنا إلا قِدر أمسية . فقال : غاية واتفاق جيد ، فهل عندك شىء نشرب به ، وإلا وجهتُ إلى منزلى ففيه شراب مُعد . فقلت له : عندنا ما نشرب . فطرح ثيابه وردّ دابته وقال : أحب ألّا يكون معنا غيرنا . فتغدينا وشربنا ، فلما أخذ الشراب منه قال : مُر غلاميك يُغنيانى . فأمرت الغلامين فغنّياه ، فطرب وفرح واستحسن الغناء ، حتى سرنى وأطربنى معه . ثم قال : حاجتى إليك يا أبا علىّ أن تأمرهما بأن يغنيانى فى هجائك لى . وكان الغلامان لـكثرة ما يسمعانه منى فى هجائه قد حفظا منه أشـياء ولحّناها . فقلت له : سبحانك الله يا أبا سعد ، قد طفئت النائرة وذهبت العداوة وانقطع الشر ، فما

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى دعوى » .

حاجتك إلى هذا ؟ قال : سألتك بالله إلا فعلت ، فليس يشُق ذلك علىّ ، ولو كرهته لما سألته . فقلت فى نفسى : تُرى أبا سعد يمّاجن علىّ ؟ يا غلمان ، غنّوه بما يريد . فقال : غنوا :

يا أبا سعد قَوصره زانىَ الأخت والمَره

فغنّوه ، وهو يحرك رأسه وكتفيه ويُصفق ويطرب ، فما زلنا يومنا مسرورين . فلما ثمل ودّعنى وقام وانصرف ، وأمرتُ غِلمانى فخرجوا معه إلى الباب ، فإذا غلام منهم قد انصرف إلىّ بقطعةِ قرطاس وقال : دَفعها إلىّ أبو سعد وأمرنى أن أدفعها إليك ، فإذا فيها :

لدعبلٍ نعمةٌ يَمُتّ[1] بها فلستُ حتى الممات أنساها
أدخلنا داره فأطعمنا[2] ودسّ أمرأته فنِكْناها

فقلت : ويلى على أبن الفاعلة ، هاتوا جلدةً ودواة. فردُّوهما علىّ ، فعُدت إلى هجائه . ولقيته بعد ذلك بيومين أو ثلاثة ، فما سلّم علىّ ولا سلّمت عليه .

تحريضه الصبيان على أبى سعد

وحكى دعبل قال :

لما هاجيت أبا سعد المخزومى أخذتُ معى جوْزًا ودعوت الصبيان وأعطيتهم وقلت: صيحوا :

يا أبا سعد قَوصره زانى الأُخت والمره

فصاحوا به ، فغلبتهُ .

بين المأمون والمخزومى فى شأنه

وحكى أبو سعد المَخزومى ــ وهو عيسى بن خالد بن الوليد ــ قال : أنشدت المأمون قصيدتى التى رددتُ فيها على دِعبل قولَه :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « سنة يمن » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أدخلنا داره فأكرمنا » .

ويَسومنى المأمون خُطة عاجز   أوَما رأى بالأمس رأسَ مُحمَّدِ

وأول قصيدتى :

أخذ المشيبُ من الشباب الأغْيَدِ   والنائباتُ من الرجالِ بمَرْصَدِ

ثم قلت : يا أمير المؤمنين : إيذن لى فى أن أجيئك برأسه ؟ فقال : لا ، هذا رجل فخر علينا ، فأما قتله فلا حُجة فيه .

قصيدته فى مدح الرضى وهجاء الرشيد وسبب ذلك

وكان المأمون لما أخذ البيعة بولاية العهد لعلىّ الرِّضى اضطربت عليه العراق ، وخرج بها عليه عمّه إبراهيم بن المهدى . فسار المأمون من خراسان إلى العراق ومعه الرِّضى ، فلما وصل إلى طُوس تُوفى بها الرّضى ــ رحمه الله . فقيل : إن المأمون سَمَّه . ودُفن بطُوس إلى جانب قبر الرشــيد . وأظهر المأمون الجزع عليه . فقال دعبل قصيدةً يمدح بها أهلَ البيت ــ عليهم السلام ــ يذكر دفن الرِّضى عند الرشيد ، ويمدح الرِّضى ويهجو الرشيد ، فمنها :

وليس حىٌّ من الأحياء نَعلمه   من ذى يَمان ولا بَــكْر ولا مُضَرِ

إلّا وهم شُركاء فى دِمائهمُ   كما تشارك أيسار على جُزُر[1]

قَتْل وأَسْر وتَحْريق ومَنْهبــة   فعلُ الغُزَاة بأرضِ الرُّوم والخزر

أرى أميـــة مَعذورين إن قَتَلوا   ولا أرى لبنى العبّاس من عُذر

أُربَعْ بطُوس على القبر الزّكى إذا   ما كنتَ تَرْبع من دِين[2] على وطر

قبران فى طُوس : خيرُ الناس كلهمُ   وقبرُ شرّهمُ هذا من العِبَر

ما ينفع الرِّجس من قُرب الزّكى ولا   على الزّكىّ بقُرب الرِّجس من ضَرر

هيهات كل امرىء رَهْن بما كسبت   له يداه فخُذ ما شئت أو فَذَر

(١) الأيسار : جمع ياسر ، وهو الذى يلى قسمة الجزور .

(٢) التجريد : « دين على » .

هو والمأمون وطاهر فى هجاء عم المأمون

ولما بلغ المأمونَ هجاء دِعبل لعمّه إبراهيم بن المهدى بقوله :

أنّى يكون ولا يكون ولم يكن[1] يَرِث الخلافةَ فاسقٌ عن فاسقِ

إن كان إبراهيم مُضطلعاً بها فَلَتَصْلُحَنْ من بعده لُمخارق

ولتصلحنْ من بعد ذلك لزَلْزل ولتصلحنْ من بعده للمارِق

ضحك ، فقال : قد صفحنا عن كل ما هجانا به إذ قرن إبراهيم بمخارق المغنى فى الخلافة ، وولّاه عهده ، وكتب إلى طاهر بن الُحسين بالأمان له ، وأمر له بمال . فأجازه طاهر وخلع عليه ، وأشار عليه بقصد المأمون . فلما دخل عليه قال : أنشدنى قولك :

مَدارس آيات خلتْ من تلاوة ومَنزل وحْى مُقفر العرَصات

فجزع دعبل . فقال : لك الأمان ، فلا تخف ، وقد رويتُها ولكن أُحب سماعها من فيك . فأنشده إياها إلى آخرها ، والمأمون يبكى ، حتى اخضلّت لحيته بدُموعه :

إنشاده ابن طاهر وبر ابن طاهر له

وذُكر أنه دخل دِعبل على عبد الله بن طاهر ، فأنشده :

جئتُ بلا حُرمة ولا سَبب إليك إلّا بحُرمة الأَدبِ

فاقض ذِمامى فإننى رجلٌ غيرُ مُلحٍّ عليك فى الطَّلب

فانتعل عبدُ الله بن طاهر ودخل إلى الحُرم ووجّه إليه بألف درهم ، وكتب إليه :

أعجلتَنا فأتاك عاجلُ بِرّنا ولو انتظرتَ كثيرَه لم يَقْلُلِ

فخُذ القليلَ وكُن كأنك لم تَسل ونكون نحن كأنّنا لم نَفعل

(١) فى بعض أصول الأغانى : * أنى يكون و ليس ذاك بكائن *

حديث موته

وذُكر أن دعبلا هجا مالك بن طَوق هجاء قبيحاً، فطلبه ، فهرب إلى البصرة ، وعليها إسحاق بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، وكان قد بلغه هجاء دعبلٍ النّزارية ، فظفر به إسحاق وأَمر به فضُرب العصىّ حتى سَلَحَ ، ثم أمر به فألقى على قفاه ، وفتح فمه ورد السَّلح فيه، والمقارع تأخذ رجليه ، و إسحاق يحلف ألاّ يكُف حتى يبلع سَلحه كله أو يقتله . فما رُفعت المقارع حتى بلع سلحه كله . ثم خلاّه فهرب إلى الأهواز . فبعث إليه مالك بن طوق رجلا وأعطاه سُماً وأمره أن يغتاله كيف شاء ، وجعل له على ذلك عشرة آلاف درهم . فلم يزل يطلبه حتى وجده قد نزل قرية بنواحى السُّوس ، فاغتاله فى وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة . فضرب ظهر قَدمه بعُكاز له زجّ مسموم . فمات من غَدٍ ودُفن بتلك القرية .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار دعبل ، هو :

أين مَحلُّ الحىّ يا حادى[1] ... خَبِّر سَقاكَ الرَّائحُ الغادِى

مُستصحب للحرب خَيفانةً ... مثل عُقاب السَّرحة العادى[2]

بين خُدور الظُّعن مَحجوبة ... حَدا بقلبى مَعها الحادى

وأسمر فى رأسه أزرق ... مثل لسان الحيَّة الصادِى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ياوادى » .

(٢) الخيفانة : الفرس السريعة، شبهت بالجرادة لضمورها . والعقاب : طائر من العتاق ، يقع على الذكر والأنثى . والسرحة : من كبار الشجر .

أخبار جُعيفران الموسوس

نسبه ومولده ومنشؤه

هو : جَعفر بن عليّ بن أصفر بن السريّ بن عبد الرحمن الأنباري،من ساكني سُرّ مَن رأى . ومولده ومنشؤه ببغداد .

أبوه وتشيعه

وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانية،وكان يتشيّع ويُكثر لقاء على بن موسى، رضى الله عنه .

شيء عن حاله

وكان جُعيفران أديباً شاعراً مطبوعاً ، غلبت عليه المِرّة السوداء فاختلط وبطل فى أكثر أوقاته ومعظم أحواله ، ثم كان إذا أفاق وثاب إليه عقلُه وطبعه قال الشعر .

أصله

وذُكر أن أصله من العجم .

أبوه وموسى بن جعفر فى شأنه

وذُكر أنه وطئ سُرِّية لأبيه قبل أن يختلط ، فشكاه أبوه إلى موسى بن جعفر - رضى الله عنهما - فقال : إن كنت صادقاً عليه فليس يموت حتى يفقد عقلَه ، وإن كنت قد تحققت ذلك من فعله فلا تساكنه فى منزلك ، ولا تُعطه من مالك شيئاً فى حياتك ، وأخرجه من ميراثك بعد وفاتك . فأخرجه أبوه من منزله ، وزَوى ماله عنه . ثم مات أبوه واختلط هو ، كما قال موسى بن جعفر .

صياح الصبيان به وشعره فى ذلك

وذكر بعضُهم قال :

غاب عنا جُعيفران أياماً ثم جاءنا والصّبيان يُنشدون خلفه ، وهو عُريان ، ويصيحون به : يا جُعيفران ، يا خرا فى الدار . فلما بلغ إلىّ وقف وتفرّقوا عنه ، فقال لى : يا أبا عبد الله :

رأيت النـاس يدعونى ... بمجنون على حـــالِ
وما بى اليومَ من جِنّ ... ولا وَســواس بَلْبالِ

ولكنْ قولُهم هـذا لإفلاسى و إقـــلالى
فـلو كنتُ أخا وَفْرِ رخيًّا ناعمَ البـــال
رأونى حسنَ العقـل أحُلّ المنزل العـــالى
وما ذاك على خُـــبْر ولـكنْ هَيبة المــــال

قال : فأدخلته منزلى . فأكل ، وسقيته أقداحاً ، ثم قلت له : أتقدر على أن تغيّر تلك القافية ؟ فقال : نعم . ثم قال بديهة غيرَ مفـكر ولا متوقِّف :

رأيت النـــاس يَرمو نِى أحياناً بوَسْـواسِ
ومَن يضبطُ يا صـاح مَقال الناس فى النّاس
فدَعْ ما قاله الناسُ ونازع صَفوة الـكاس
فـتًى حُرًّا صحيح الوُ دّ ذا برٍّ وإينـــاس
فإنّ الخلق مَغرور بأمشـــالى وأجناسى
ولو كنتُ أخا مالٍ أتوْنى بين جُــلّاسى
يُحـيونى ويَحـــبونى على العينين والراس
ويدعـونى عزيزاً غيـ ر أنّ الذُّل إفلاسى

ثم قام يبُول ، فقال بعض من حضر : أى شىء معنى عشرتنا هذا المجنون العُريان ، والله ما نأتمنه وهو صاحٍ ، فـكيف إذا سكر . وفطن للمعنى ، فخرج إلينا وقال :

ونَدامَى أ كلـــونى أن (١) تغيّيتُ قليـــلاَ
زعمـــوا أنّىَ مَجنـ ون أرى العُرى جَميلا
كيف لا أعرى وما أبصر فى الناس مَثيلا
إن يكن قد ساءكم قُر بى فخـلُّوا لى السبيلا
وأتِموا يومـــكم سرّ كمُ الله طويـــلا

(١) غير التجريد : « أو » .

فاعتذرنا إليه ، وقلنا له : والله ما نلذ إلا بقُربك ، وأتيناه بثوب فلبسه ، وأتممنا يومنا معه .

دخوله على أبى دلف

وحكى علىّ بن يوسف قال :

كنت عند أبى دُلف يوماً ، فاستأذن عليه حاجبهُ لجعيفران الموسوس ، فقال له : أى شىء أصنع بموسوس ؟ قد قضينا حقوق العُقلاء وبقى علينا حقوق المجانين ! فقلت له : جُعلت فداء الأمير ، موسوس أفضل من كثير من العقلاء ، وإن له لساناً يُتقى ، وقولاً مأثوراً يبقى ، فالله الله أن تحجُبه ، فليس عليك منه أذى ولا ثقل . فأذن له . فلما مثل بين يديه قال :

يا أكرمَ العالَمَ مَوجودًا ويا أعزَّ الناس مَفقودَا

لمّا سألتُ الناس عن واحد أصبح بين الناس مَحْمودا

قالوا جميعاً إنه قاسم أشبه آباءً له صِيدا

لو عَبَدَ الناسُ سوى ربّهم أصبحتَ بين الناس مَعبودا

لا زلت فى نُعمى وفى غبطة مُكرّماً فى الناس مَحسودا

فأمر له بألف درهم وكسوة . فلما جىء بالدراهم أخذ منها عشرة دراهم ، وقال: تأمر القَهرمان أن يعطينى الباقى مفرّقاً كلما جئت ، لئلا يضيع منى ، فقال للقهرمان: أعطه المال ، وكلما جاءك فأعطه منه ماشاء حتى يفرّق الموت بيننا . فبكى جُعيفران، ثم قال :

يموت هذا الذى أراه وكل شىء له نفادُ

لو غيرَ ذى العرش دام شىء لدام ذا المُفضل الجواد

ثم خرج . فقال أبو دلف : أنت كنت أعلمَ به منى . ثم غبر مدة ثم لقينى ، فقال : يا أبا الحسن ، ماذا فعل أميرنا وسيدنا وكيف حاله ؟ فقلت : بخير ، وهو على

غاية الشوق إليك . فقال : أنا والله يا أخى إليه أشوق ، ولـكنى أعرف أهل هذا العسكر وشرههم وإلحاحهم عليه بالمسألة ، والله ما أراهم يتركونه حتى يخرج فقيرا . فقلت له : دع هذا عنك وزُرْه ، فإن كثرة السؤال لا تضُر بماله . فقال : وكيف ، أهو أيسر من الخليفة ؟ فقلت : لا . فقال : والله لو تبذَّل لهم الخليفـــة كما يتبذَّل لهم أبو دلف ، وأطمعهم فى ماله كما يُطمعهم لأفقروه فى يومين ، ولـكن اسمع منى ما قلته فى وقتى هذا . فقلت : هات أبا الفضل . فأنشأ يقول :

أبا حسن بلِّغن قاسماً بأنِّىَ لم أجفُه عن قِلَى
ولا عن مَلال لإتيانه ولا عن صُدود ولا عن عَنا
ولـكن تعففتُ عن ماله وأصفيتُه مِدْحتى والثَّنا
أبو دُلف سيّد ماجد سنىّ العطيّة رَحب الفِنا
كريم إذا أنتـابه المُعتفو ن عَمَّهمُ بجَزيل الحِبـا

قال : فأبلغتها أبا دلف وحدّثته بالذى جرى . فقال لى : قد لقيته منذ أيام ، فلما رأيته وقفت له وسلَّمت عليه ، فقال لى : سِرْ أيها الأمير . ثم قال :

يا مُعدىَ الجود على الأموال ويا كريمَ النفس والفَعَـالِ
قد صُنتنى عن ذِلة السؤال بجُودك المُوفى على الآمــــال
صانك ذو العزّة والجــــلال من غِـيَرِ الأيّام والليالى

ولم يزل يختلف إلى أبى دُلف ويبرّه حتى افترقا .

هجاؤه نفسه

وذكر أن جُعيفران كان خبيث اللسان هجّاء ، لا يسلم عليه أحد . فاطلع يوماً فى الجب فرأى وجهه وقد تغيَّر وعفا شعره[1] ، فقال يهجو نفسه :

---

(١) عفا شعره : طال وكثر .

ما جعفر لأَبيـــه ولا له بشَبيـــهِ
أضحى لقوم كثير فكُلهم يدّعيـــه
هـــذا يقول بُنَيِّى وذا يُخـــاصم فيه
والأُم تَضحك منهم لعِلْمها بأبيـــه

أخبار السَّرِيّ

ثم ذكر أبو الفرج :

نسبه

السريّ بن عبد الرحمن بن عُتبة بن عُوَيم بن ساعدة الأنصارى ، وجدُّه عُوَيم أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

منزلته فى الشعر

والسرى شاعر من شعراء أهل المدينة ، ليس بمُكثر ولا فحل ، وكان أحد الغزلين ، والفتيان ، والمنادمين على الشراب .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج ذكره ، هو :

ولها مَربع ببُرقة خَاخ ... ومَصيف بالقَصْر قَصر قُباء[1]

كفّنونى إن مِتّ فى دِرع أروى ... واجعلوا لى من بئر عُروة مائى

سُخنة فى الشتاء باردة الصَّيف سِراجٌ فى الليلة الظلماء

(١) خاخ : موضع بين الحرمين . وقباء : موضع بين مكة والبصرة .

أخبار مِسكين الدّارمىّ

نسبه

هو : رَبيعة بن عامر بن أُنيف بن شُريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عُدس ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم .

لقبه وسبب ذلك

ومسكين ، لقب له ، وإنما لُقب به لقوله :

أنا مسكينٌ لمن أنكرنى   ولمن يَعرفنى جِدُّ نَطِقْ
لا أَبيع الناسَ عِرضى إننى   لو أَبيع الناس عِرضى لنَفَق

وقال فيه أيضاً :

سُمِّيتُ مِسْكيناً وكانت لحاجة[1]   وإنّى لمسكينٌ إلى الله راغبُ

هو والفرزدق

وهو شاعر شريف من سادات قومه، هاجى الفرزدق ثم كافه ، فكان الفرزدق يَعُد ذلك فى الشدائد التى أفلت منها .

رثاؤه لمسكين الدارمى ومعارضة الفرزدق له

وذُكر أنّ زيادا كان قد أرعى مسكيناً الدارمى حِمًى له بناحية العُذَيب[2] فى عام قَحط ، حتى أخصب الناس وأحيَوا ، ثم كتب له ببُر وتمر وكَساه . فلما مات زياد رثاه مِسكين ، فقال :

رأيتُ زيادةَ الإسلام ولّتْ   جِهارًا حين ودّعَنا زِيادُ

فقال الفرزدق يعارضه ، وكان منحرفاً عن زياد لطلبه إياه وإخافته له :

أمسكينُ أبكَى الله عينَك إنما   جَرى فى ضلالٍ دمعُها إذ تحدّرا[3]

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لحاجة » .

(٢) العذيب : ماء بينه وبين القادسيه أربعة أميال .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فتحدرا » مكان « إذ تحدرا » .

بكيتَ على عِلْج بمَيسانَ[1] كافرٍ ... كَكِسْرى على عُدوانه أو كقَيْصرى
أقول له لمّا أتانى نَعِيُّه ... به لا بظَبْيٍ بالصَّريمة أَعْفرا[2]

فقال مسكين يُجيبه :

ألا أيها المرء الذى لستُ قاعداً ... ولا قائماً فى القوم إلا أنبرى لِيَا
فجئْنى بعمٍّ مثل عمّىَ أو أبٍ ... كمثل أبى أو خالِ صِدْقٍ كخاليا
كعمرو بن عمرو أو زُرارةَ ذى النَّدى ... أو البِشر من كُلٍّ فرعتُ الرَّوابيا

فأمسك الفرزدق عنه ولم يُجبه وتكافّا .

للفرزدق في ... ...

وذُكر أن الفرزدق قال :

نجوت من ثلاثة أشياء ما أخاف بعدها شيئاً : نجوت من زياد حين طلبنى ، ونجوت من أبنى رُميلة وقد نَذَرا دمى ، وما فاتهما أحد طلباه قط ، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمى ، لأنه لو هاجانى لأضطرنى إلى أن أهدم شَطر حَسبى وفخرى ، لأنه من محبوبة نَسبى وأشراف عشيرتى ، وكان جرير يومئذ ينتصف منّى بيدى ولسانى .

له أشعر ... قيل فى الغيرة

وقال أبو عبيدة : أشعر ما قيل فى الغَيرة قولُ مِسكين الدارمى :

ألا أيها الغائر المُستشيط ... فيما تَغار إذا لم تُغَرْ
فما خيرُ عِرْس إذا خِفتَها ... وما خير عِرس إذا لم تُزَرْ
وإنى سأُخلى لها بيتَها ... فتَحفظ لى نَفْسها أو تذر
تغار على الناس أن ينظُروا ... وهل يَفتن الصالحاتِ النَّظر
إذا الله لم يُعطنى حُبَّها ... فلن يُعْطِىَ الحُبَّ سَوْطٌ مُمِرّ

(١) ميسان : كورة واسعة بين البصرة وواسط .
(٢) الصريمة : موضع ، ذكره ياقوت ولم يعرف به .

استشهد بشر فى كتابه إلى عبد العزيز ابن مروان ببيتين له

وذُكر أن عبد العزيز بن مروان كتب إلى أخيه بِشْر بن مروان كتاباً ، وبِشْر يومئذ على العراق . فورد عليه الكتاب وهو ثَمِل ، وكان فيه كلام أحفظه ، فأمر بِشْر كاتبه ، فأجاب عبد العزيز جواباً قبيحاً ، فلما ورد عليه عَلِم أنه كتبه وهو سكران ، فجفاه وقطع مُكاتبته . فكتب إليه بشر : لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر ، ولم يكن لك فى قبوله منى الفضل ، ولو احتمل الكتابُ أكثرَ مما ضمّنتهُ[1] لزدت فيه ، وبقية الأكابر على الأصاغر من شيم الكرام ، ولقد أحسن مسكين الدارمى حيث يقول :

أخاك أخاك إنّ من لا أخا له كساعٍ إلى الهَيجا بغير سِلاحِ
وإن ابن أم المرء[2] فاعلم جَناحه وهل يَنهض البازى بغير جَناحِ

فلما وصل كتابه إلى عبد العزيز دمعت عينه وقال : إن أخى كان منتشياً لمّا جرى منه ما جرى ، فسلُوا عمن شهد ذلك المجلس ، فسئل عنهم ، فأُخبر بهم . فكتب إليه بقبوله عذره . وأقسم عليه ألّا يعاشر أحداً من نُدمائه الذين حضروا ذلك ، وأن يعزل كاتبه ، ففعل .

شعره فى تولية يزيد بن معاوية وحديث ذلك

وذكر أن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان كان يؤثر مسكيناً الدارمى ويقوم بحوائجه عند أبيه . فلما أراد معاوية البيعة بولاية العهد ليزيد تهيّب ذلك وخاف ألّا يمالئه عليه الناس لحُسن البقية فيهم ، وكثرة من يترشح للخلافة . وبلغه فى ذلك ذَرْو[3] كلام بلغه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر ، فأمر يزيد بن معاوية مسكيناً أن يقول أبياتاً ويُنشدها معاوية فى مجلسه ، إذا كان حافلا وحضره وجوه بنى أمية ، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه وهو جالس ، ويزيد ابنه عن يمينه ، وبنو أمية وأشراف الناس فى مجلسه ، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ضمنه » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وإن ابن عم المرء » .
(٣) ذرو كلام : أى طرف منه .

إنْ أُدْعَ مِسْكيناً فإنّى أبنُ معشر | من النـاس أَحمِى عنهمُ وأذُودُ
إليكَ أمـيرَ المؤمنين رحلتُها | تُثير القَطا ليلاً وهُنّ هُجود
وهاجرة ظلّت كأن ظباءها | إذا ما اتّقتْها بالقرون سُجود
ألا ليت شعرِى ما يقول أبنُ عامر | ومروان أم ماذا يقول سعيد
بَنى خُلفاء الله مهـلاً فإنما | يُبوِّئُهـا الرحمنَ حيثُ يُريد
إذا المِنبر الغربىّ خـلاه ربُّه | فإن أمـير المؤمنين يَزيد

فقال معاوية : ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله . ولم يتـكلم أحد من بنى أُمية إلا بالإقرار والموافقة ، وذلك الذى أراده يزيد ليعلم ما عندهم . ثم وصله معاوية ويزيد فأجزلا صلته .

عقيد المغنى والرشيد فى شعر مسكين هذا

وحكى عَقيد المُغنى قال :

غنيتُ الرشيد ليلة :

* إذا المنـبر الغربىّ خلاّه ربُّه *

ثم فَطنت لخطئى ، ورأيت وجهه قد تغير ، فقلت :

* فإن أمير المؤمنين[1] عَقيـد *

فطرب وقال : أحسنت والله ، بحياتى قل : « فإن أمير المؤمنين عقيد » فوالله لأنت أحق بها من يزيد بن معاوية ، فتعاظمتُ ذلك ، فحلف ألاّ أغنيه إلا كما أمر ، ففعلت ، وشرب عليه ثلاثة أرطال ووصلنى صلة سنية .

هو وامرأته فى شعر له

وذُكر أنه كان لمسكين الدارمى امرأة من مِنْقر[2] ، وكانت فاركاً كثيرة الُخصومة والمماظّة[3] ، فجازت به يوماً وهو فى نادى قومه يُنشد قوله :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « المحسنين » .
(٢) منقر ، على وزن منبر : بطن من تميم .
(٣) المماظة : المخاصمة والمشاتمة .

إن كنت[1] مسكيناً فما قَصُرت قِدْرى بيوت الحىّ والجُدْر

فوقفتْ تَسمع منه ، حتى إذا بلغ إلى قوله :

نارى ونار الجـــار واحدة وإليه قَبلى تُنزَل القِـــدْر

فقالت : صدقت والله ، يجلس جارك بطبخ قدره فتصطلى بناره ، ثم ينزلها فيجلس فيأكل وأنت بحذائه مثل الكلب ، فإذا شبع أطعمك . أجل والله إن القِدر لتنزل إليه قبلك . فأعرض عنها ومرّ فى قصيدته حتى بلغ فيها إلى قوله :

ما ضرّ جـــارًا لى أجاوره ألّا يكون لبـــابه[2] ستر

فقالت له : أجل : إن كان له ستر هتكته . فوثب إليها يضربها ، وجعل قومه يضحكون منهما .

قال أبو الفرج :

وهذه القصيدة من جيد شعر مسكين وفاخره .

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار مسكين :

سَلب الشباب[3] رداءه عنّى ويَتبعــه إزارُهْ
ولقـــد تحلُّ علىّ حُـــلَّته ويُعجبنى افتخاره
سائلْ شبابى هل أسأْ ت مِساكه[4] أو ذلّ جاره
ما إن ملكت المال إلــــلا كان لى وله خِيـــاره

(١) فى بعض أصول الأغانى : « إن أك » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لبيته » .
(٣) فى التجريد : « الزمان » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « سائل شبابى هل مسكت بسوأة » .

أخبار أبي محمد اليزيدي

و بعض أولاده

نسبه

هو : يحيى بن المبارك ، أحد بني عديّ بن عبدشمس بن زيد بن مناة بن تميم . وقيل : إنه مولاهم .

سبب تلقيبه باليزيدي

وسمى اليزيدى ، لأنه كان خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ابن على — رضى الله عنهم — بالبصرة لما خرج على المنصور . فلما قُتل إبراهيم توارى زماناً ، ثم اتصل بعد ذلك بيزيد بن منصور خال المهدى ، فوصله بالرشيد ، فنُسب إلى يزيد هذا . وجعله الرشيد مؤدب ولده المأمون . فلم يزل هو وأولاده مُنقطعين إلى المأمون وولده .

علمه وشيوخه

وكان أبو محمد عالماً باللغة والنحو ، راوية للشعر ، متصرفاً فى فنونه . وأخذ العلم عن أبى عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب النحوى ، وأكابر البصريين . وقرأ القرآن على أبى عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه قراءة أبى عمر الدّورى[1] والسُّوسى[2] . فقراءة أبى عمرو التى نقرأ بها الآن مأخوذة عن أبى محمد هذا .

وله أولاد وأولاد أولاد شعراء ، سنذكر بعضهم إن شاء الله تعالى .

شعره فى ضرب المأمون رؤوس أسرى فى حضرة الرشيد

وحكى أبو محمد اليزيدى قال :

كان الرشيد جالساً فى مجلسه فأُتى بأسير من الروم ، فقال لدفافة العبسى : قم فاُضرب عنقه ، فضربه فنَبا سيفه . فقال لابن فايح المدنى : قم فاُضرب عنقه :

---

(١) الدورى : حفص بن عمر أبو عمر . إمام القراء ، فى عصره . توفى سنة ٢٤٦ هـ (النشر ١ : ١٣٤ ، وطبقات القراء ١ : ٢٥٥) .

(٢) السوسى : صالح بن زياد الرقى أبو شعيب ، قارئ ضابط . توفى سنة ٢٦١ هـ (النشر ١ : ١٣٤ ، وطبقات القراء ١ : ٣٣٣) .

فضرب به فنَبا سيفه أيضاً . فقال : أصلح الله أمير المؤمنين، تقدّمتنى ضربة عبسيَّة .
فقال الرشيد للمأمون ــ وهو يومئذ غلام ــ :

قُم فِداكَ أبوكَ فاضرب عنقه ، فقام فضرب العلجَ فأبان رأسه ، ثم دعا بآخر فأَمره بضرب عنقه ، فضرب به فأبان رأســه . ثم دعا بآخر فأمره بضرب عنقه ، فضرب به فأبان رأسه . ونظر إلىّ المأمون نظر مُستنطق فقلت :

أبقى دفاقة عاراً عند[1] ضَرْبته ... عند الإمام لعَبْس آخرَ الأبَدِ
كذاكَ أُسرته تَنْبو سيوفهمُ ... كسيف وَرْقاء لم يَقطع ولم يَـكَد
ما بال سيفُك قد خانتك ضربتُه ... وقد ضربتَ بسيف غيرِ ذى أَوَد
هلّا كضَربة عبد الله إذ وقعت ... ففرّقت بين رأس العِلج والجسد

شعره حين خطب المأمون الناس

ولما بلغ المأمونُ وصار إلى حدّ الرجال أمر الرشيد مُعَلِّمه أبا محمد اليزيدى أن يعمل له خطبة يخطب بها يوم الجمعة ، فعمل له خطبة بليغة . فخطب بها المأمون ، وكان جهير الصوت حسن اللهجة ، فرقّت لها قلوب الناس وأبكى من سمعه . فقال أبو محمد اليزيدى قصيدة أولها :

لِتَهْنِ أميرَ المؤمنين كرامةٌ ... عليه بها شكرُ الإله وُجوبُ
بأن ولىّ العهد مأمون هاشم ... بدا فضلُه إذْ قام وهْو خَطيب
ولمّا رماه الناس من كُلِ جانب ... بأبصارهم والعُود منه صَليب
رَماهم بقول أنصتوا عجباً له ... وفى دونه للسامعين عَجيب
ولما وعت آذنهم ما أتى به ... أنابت ورقّت عند ذاك قُلوب
فأَبكى عُيونَ الناس أبلغُ واعظ ... أغُرّ بِطاحىّ النِّجـار نَجيب

ومنها :

شَبيه أمير المؤمنين حَزامةً ... إذا وردت يوماً عليه خُطوب
إذا طاب أصلٌ فى عُروق مُشاجة[2] ... فاغصانه من طيبه ستَطيب

(١) فى أصول الأغانى: « بعد » .
(٢) التجريد: « مشاح عروقه » .

فأمر الرشيد لأبي محمد بخمسين ألف درهم ، ولابنه ابن أبي محمد بمثلها .

شعره للرشيد بعد حجه

وذكر أنه استأذن أبو محمد اليزيدي الرشيد ، وهو بالرقة ، في الحج ، فأذن له . فلما عاد أنشده :

يا فَرْحتا إذ صَرفنا أوجُه الإبل ... إلى الأحبَّة بالإزعاج والعَجلِ

نحثُهنّ ولا يُونين من دأَبٍ ... لكنّ للشّوق حثًّا ليس للإبل

يا نائياً قرّبت منه وساوسُه ... أمسى قرينَ الهوى والشوق والوَجل

إن طال عهدُك بالأحباب مُغترِباً ... فإنّ عهدك بالتّسهيد لم يَطُل

أمّا أشتفي الدهرَ من حرّان مُختبلٌ ... صَبٌّ الفؤاد إلى حرّان مُختبل

عِشْ بالرجاء وأمِّل قُربَ دارهمُ ... لعلّ نفسكَ أنْ تبقى مع الأمل

شعره الذي فيه الغناء

والبيتان الأولان من هذه الأبيات ، هما الشعر الذي فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبي محمد اليزيدي ، رحمه الله .

أخبار محمد اليزيدى

شاعر مجيد

وكان محمد بن أبى محمد اليزيدى شاعراً فاضلا .

سرقاته

وحُكى عنه أنه قال :

ما سرقت من الشعر قطُّ إلا معنيين ، قال مُسلم بن الوليد :

ذاك ظبيٌ تحيَّر الحسنُ فى الأر   كان منه وحَلَّ كُلَّ مكانِ
عرضتْ دونه الحِجالُ فما يلْ   قاك إلا فى النَّوم أو فى الأمانى

فقلت :

يا بعيدَ الدار موصو   لاً بقلبى ولِسانِى
ربما باعدك الدَّه   ر فأدنتْك الأمانى

وقال مُسلم :

متى ما تَسمعى بقَتيل حُبٍّ[1]   أُصيب فإننى ذاك القَتيلُ

فقلت :

أتيتُكِ عائذاً بك منْ   كِ لمَّا ضاقت الحِيَلُ
وصيَّرنى هواكِ وبى   لَحيْنِى يُضرب المثلُ
فإن سلمتْ لكم نفسى   فما لاقيتُه جَلَل
وإنْ قَتل الهوَى رجُلاً   فإنّى ذلك الرجلُ

شعره فى قنفذ

وحكى عبد الله بن أيوب ، مولى بنى أُمية ، قال :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أرض » .

بات عندى ليلةً محمدُ بن أبى محمد اليزيدى ، فظهر لنا قُنفذ ، فقلت له : قل فيه شيئاً ، فقال :

وطارق ليـلٍ زارنا بعد هَجعةٍ ... من الليل إلا ما تحدّث سامِرُ

فقلتُ لعبد الله ما طارقٌ أتى ... فقال أمرؤ سِيقت إليه المَقادر

قَرَيْناه صَفْوَ الزّاد حينَ رأينه ... وقد جاء خفّاقَ الحشى وهو سادِر

جَميل المُحيّا فى الرّضَى فإذا أَبَى ... حَمتْه من الضَّيم الرِّماحُ الشواجر

ولستَ تراه واضعاً لسـلاحه ... يدَ الدهر مَوْتوراً ولا هو واتِر

دخوله إلى المأمون فى حجبة له

وذُكر أنه جاء محمد بن أبى محمد اليزيدى إلى باب المأمون ، فاستأذن ؛ فقال له الحاجب : قد أخذ دواءً وأمرنى ألّا آذن لأحد . قال : أفأمرك ألّا توصل إليه رقعة ؟ قال : لا . فدفع إليه رقعة فيها :

هديّتِىَ التحيـةُ للإمام ... إمامِ العَدل والمَلك الهُمام

لأنى لو بذلتُ له حياتى ... وما أهوى لَقَلَّا للإمام

أراكَ من الدواء اللهُ نَفعاً ... وعافيةً تـكون إلى تَمام

وأعقبك السلامةَ منه ربٌّ ... يُريك سلامةً فى كُل عام

أتأذن فى السلام بلاَ كلام ... سوى تقبيل كفّك والسلام

فأوصلها إليه ، وخرج فأذن له ، فدخل وسلّم ، وحُملت معه ألف دينار .

شكا إلى المأمون ديناً فوفاه ابن طاهر وقصة ذلك

حكى محمد بن بن أبى محمد اليزيدى قال :

شكوت إلى المأْمون دَيناً . فقال لى : إن عبد الله بن طاهر اليوم عندى وأريد الخلوة معه ، فإذا علمت بذلك فاُستَدْع أن تكون ثالثاً[1] أو أُخرجه إليك ، فإنى

(١) بعض أصول الأغانى: « فاستدع أن يكون دخولك » .

سأحكم لك عليه بمال . فلما علمتَ أنهم قد جلسوا للشرب سِرْتُ إلى البــاب ، وكتبت بهذين البيتين :

يا خيرَ ساداتٍ وأصحــــابِ هذا الطُّفيلىّ على البــابِ
فصيِّروا لى معــكم مَجلسا أو أخرجوا لى بعضَ أصحابى

وبعثت بهما إليه . فلما قرأهما قال : صدق ، اكتبوا إليه وسَلُوه أن يختار : أما دخولك فمــا إليه ســـبيل ، ولــكن من تختار لنُخرجه إليك ؟ فـكُتب إلىّ بذلك . فـكتبت : ما كنت لأختار على أبى العباس أحدا ــ يعنى عبد الله ابن طاهر ــ فقــال المأمون لعبد الله بن طاهر : قُم إلى صديقك . فقال : يا مـــير المؤمنين ، إن رأيت أن تُعفينى من ذلك ، أتخرجنى عمّا شرّفتنى به من مُنادمتك وتُبدلنى بها منادمة ابن اليزيدى ؟ فقال : لا بد من ذلك أو تُرضيه . قال : فَلْيحتكم . قال : أخاف أن يشتطّ أو تقصِّر أنت ، ولــكن أحكُم فأَعدل . قال : قد رضيت . قال : تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار مُعجَّلة . قال : قد فعلت . فأمر صاحب بيت المال بحملها معى ، وأمر عبد الله بردّ عِوضها إلى بيت المال .

أخبار إبراهيم اليزيدى

كان شاعراً

وكان إبراهيم بن أبى محمد اليزيدى شاعراً .

شعره إلى المأمون بعد سكرة عربد فيها

وذكر أنه دخل على المأمون يوماً وهو يشرب ، فأمره بالجلوس وأمر له بشراب ، فشرب وزاد فى الشرب ، فسكر وعربد . فأخذ علىّ بن صالح صاحب المصلى بيده فأخرجه . فلما أصبح خُبّر بما صنع ، فجزع من ذلك ، فكتب إلى المأمون :

أنا المذنب الخطّاء والعفو واسعٌ ... ولو لم يكن ذنب لما عُرف العفوُ

ثملتُ فأبدتْ منّىَ الكأسُ بعضَ ما ... كرهتُ وما إن يستوى السُّكر والصَّحو

ولولا حُمَيّا الكأس كان احتمال ما ... بُدهت به لا شكّ فيه هو السَّرو(1)

ولا سيّما إذ كنتُ عند خليفة ... وفى مجلس ما إن يجوز به اللّغو

تنصّلت من ذنب تنصُّلَ ضارع ... إلى من لديه يُغفر العمد والسَّهو

فإن تعفُ عنّى يُلفَ خَطْوِىَ واسعاً ... وإلا يكُن عفوٌ فقد قصُرَ الخطْو

شعره فى القاضى ابن أكثم

وإبراهيم بن أبى محمد اليزيدى هو الذى يقول فى القاضى يحيى بن أكثم :

وكُنّا نُرَجّى أن يُرى العَدْلُ ظاهراً ... فأعقبنَا بعد الرّجاء قُنوطُ

متى تَصلحُ الدُّنيا ويَصلُح أهلُها ... وقاضى قُضاة المسلمين يَلُوط

بين المأمون وابن أكثم فى خادم

وذُكر أن المأمون نَظر إلى يحيى بن أكثم يَلحظ خادماً له ، فقال للخادم : تعرّض له إذ قمتُ ، فإنى سأقوم للوضوء ، وأمره ألّا يبرح ، وعُد إلىَّ بما يقول

---

(1) السرو : الشرف .

لك . وقام المأمون ، وأمر يحيى بالجلوس . فلما قام المأمون غمز الخادمُ يحيى بعينيه . فقال له يحيى : (لولا أنتم لكنَّا مُؤمنين) . فمضى الخادم إلى المأمون فأخبره . فقال له : عُد إليه وقُل له : (أنحن صَدَدناكم عن الهُدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مُجرمين) . فخرج الخادم إليه فقال له : ما أمره المأمون ؟ فأطرق يحيى وكاد يموت جَزعاً ، وخرج المأمون ، وهو يقول :

متى يصلُحُ الدُّنيا ويصلُح أهلها وقاضى قُضاة المُسلمين يَلُوطُ

قُم فانصرف واتق الله وأصلح نيتّك .

أخبار أبى جعفر اليزيدى

كان شاعراً وشىء من شعره

وكان أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبى محمد اليزيدى شاعراً ، وهو الذى يقول:

شَوقى إليك مع الأيام يزدادُ والقلبُ مُذ غِبْتَ للأحزان مُعتادُ

يا لهفَ نفسى على دَهر فُجعت به كأنّ أيامه فى الُحسن أعياد

إنشاده للمأمون

حَكى أبو جعفر هذا قال :

دخلت على المأمون وهو فى مجلس غاصّ بأهله ، وأنا يومئذ غلام ، فاستأذنت فى الإنشاد فأذن ، فأنشدته مَديحاً لى مدحتُه به ، وكان يستمع للشاعر ما دام فى تَشبيب أو وصف ضَرب من الضّروب ، حتى إذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلا بيتين أو ثلاثة ، ثم يقول للمُنشد : حَسبك . فأنشدته :

يا من شكوت إليــه ما أَلقاه وبذاتُ من وُدّى له أصفاهُ

فأجابنى بخــلاف ما أمّلته ولرُبما مَنع الحريصَ مُناه

أتُرى جميلاً أنْ شكا ذا صَبوة فهجرتَه وغضبتَ من شَكواه

يكفيك صمتٌ أو جواب مُؤنس إن كنت تكره وَصْلَه وهَواه

موت الحبيب سعادةٌ إن كان مَن يهواه يزعُم أنّ ذاك رِضـاه

فلما صِرت إلى المديح قلتُ :

أبقى لنا اللهُ الإمــامَ وزاده عِزًّا إلى العزّ الذى أعطــاه

والله أكرمنا بأنّا معشرٌ عُتقاء من نِعَم العِبـــاد سِواه

فسُرّ بذلك المأمون وضحك ، وقال : جعلنا الله وإياكم ممن يشكر النعمة ويُحسن العمل .

أُخبار كعب المخبَّل

نسبه

وهو من قيس[1] .

حديث تعشقه أخت زوجه

ذكر أنه كان مزوّجاً بابنة عم له ، وكانت أحبَّ الناس إليه ، فخلا بها ذاتَ يوم ، فنظر إليها وهي واضعة ثيابها ، فقال لها : يا أم عمرو ، هل ترين أن الله عز وجل خلق أحسنَ منك ؟ فقالت : نعم ؛ أُختي مَيلاء أحسنُ منّي . قال : فإني أحب أن أنظر إليها . فقالت : إن علمتْ بك لم تخرج ، ولكن كُن من وراء الستر . ففعلت ، وأرسلت إليها فجاءتها . فلما نظر إليها عَشقها وانتظرها حتى مضت إلى أهلها ، فعارضها وشكا إليها حُبه . فقالت : والله يابن عم ، ما وجدتَ من شيء إلا وقد وقع لك في قلبي أكثر منه . وعادت مرةً أخرى فخلا معها ، فأتتهما أختها أم عمرو وهما لا يَعلمان ، فرأتهما جالسين ، فمضت إلى إخوتها ــ وكانوا سبعة ــ فقالت: إما أن تزوّجوا ميلاء كعباً وإما أن تَكْفونى أمرها . وبلغه الخبرُ ووقوفُ إخوتها على ذلك ، فرمى بنفسه نحو الشام حياءً منهم . وكان منزله ومنزل أهله الحجاز ؛ فلم يَدْر أهلُه ولا بنو عمه أين ذهب .

شعره الذي فيه الغناء

فقال كعب ــ وهو الشعر الذي فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره :

أفي كُل يوم أنت مِن لاعج الهوى ... إلى الشُّم من أعلام ميلاءَ ناظرُ
بعَمشاء من طُول البُكاء كأنما ... بها خَزَرٌ أو طرفُها مُتخازر
تمنّى المُنى حتى إذا مَلّت المُنى ... جَرى واكفٌ من دَمعها مُتبادر

رجل من الشام يحمل هذا الشعر وغيره إلى أهله وحديث موته

فسمع ذلك منه رجل من أهل الشام ، ثم خرج ذلك الشاميّ يريد مكة ، فاجتاز بأم عمرو وأُختها ميلاء ، وقد ضل الطريق ، فسلّم عليهما ، ثم سألهما عن

(١) من تراجم الجزء الحادي والعشرين (١٥٩-١٦٤) .

الطريق . فقالت أم عمرو : ياميلاء ، صفى له الطريق . فذكر، لما نادت : يا ميلاء، شعر كعب هذا فتمثّل به . فعرفت أُم عمرو الشعر ، فقالت : يا عبد الله ، من أين أقبلت ؟ فقال : من الشام . فقالت : ممن سمعت هذا الشعر؟ فقال : من رجل من أهل الشام . فقالت : أتدرى ما أسمه ؟ فقال : سمعت أنه كعب . فقالت : فأقسمتُ عليك ألّا تبرح حتى تُسمع إخوتنا قولَك . فنُحسن إليك نحن وهم ، فقد أنعمت . فقال : أفعل، وإنى لأروى له شعراً آخر ، فما أدرى أتعرفانه أم لا ؟ فقالت : نسألك بالله إلا أَسمعتناه . فقال : سمعتُه يقول :

خليلىّ قد رُمتُ الأُمورَ وقِستُها[1] ... بنفسى وبالفِتيان كُلَّ زمانِ
ولم أُخْفِ سرًّا للصديق ولم أجد ... خليًّا ولا ذا البثِّ يَسْتويان
من الناس إنسانان دَينى عليهما ... مليئان لو شاءا لقد قَضيانى
خليلىّ أمّا أم عمرو فمنهما ... وأمّا عن الأخرى فلا تَسلانى
بُلينا بهجران ولم أرَ مِثْلنا[2] ... من الناس إنسانَيْن يَهتجران
أشدَّ مُصافاة وأبعدَ عن قِلًى ... وأعصَى لواشٍ حين يُكتنفان[3]
يُحدّث طَرْفانا بما فى قلوبنا[4] ... إذا ما أستعجمتْ بالمَنطق الشّفتان
فوالله ما أدرى أكُلُّ ذوى الهوى ... على ما بِنا أم نحن مُبتليان
ولا تَعجبا ممّا لىَ اليومَ من هَوًى ... فبِى كُلَّ يوم مثلُ ما تَريان
خليلىّ عن أىّ الذى كان بيننا ... مِن الوصل أم ماضى الهوى تَسلان
وكُنا كريمَىْ مَعشر حَطّ[5] بيننا ... هوًى فحفِظناه بحُسن صِيان

(١) بعض أصول الأغانى: « قد قست الأمور ورمتها » . (٢) التجريد : « مثلهما » .
(٣) « « « : « يكتفيان » . (٤) بعض أصول الأغانى : « صدورنا » .
(٥) « « « : « حم » .

فما زادنا بُعد المَدى نقضَ مِرّة ولا رَجعا من عِلْمنا ببَيان

خليلىّ لا واللهِ ما لىَ بالذى تُرايدن من هَجر الحبيب يَدان

ولا لىَ بالسّر[1] اعتلامٌ إذا نأت كما أنتما بالسرّ[1] مُعتلمان

فنزل الرجل ووضع رحله حتى جاء إخوتهما . فأخبرتاهم الخبر ، وكانوا مهتمين بكعب ، لأنه كان ابن عمهم وأشعرهم وأظرفهم . فأكرموا الرجل وحملوه ودلّوه على الطريق وطلبوا كعبا ، فوجدوه بالشام ، فأقبلوا به ، حتى إذا كانوا فى ناحية ماء[2] لأهلهم إذا الناس قد اجتمعوا عند البيوت . وقد كان كعب ترك بُذَيّاً له صغيراً ، فوجّهوه فى ناحية الماء[2]. فقال له كعب : ويحك يا غُليم ! من أبوك ؟ فقال له : رجل يقال له : كعب . قال: وعلى أى شىء قد اجتمع الناس ؟ ـ وأحسّ قلبه بشر ـ قال : قد اجتمعوا على خالتى ميلاء . قال : وما قصتها ؟ قال : ماتت . فزفر زفرة مات فيها مكانه .

---

(١) بعض أصول الأغانى : « باأبين » . (٢) التجريد : « مال » .

أخبار خالد الكاتب

نسبه وكنيته وبلده

هو خالد بن يزيد . ويُكنى : أبا الهيثم . من أهل بغداد. وأصله من خراسان.

وسوسته

وكان أحدَ كُتَّاب الجيش ، ووُسْوِس فى آخر أمره وغَلبت عليه السَّوداء .

وقيل : كان يهوى جارية لبعض الوجوه ببغداد ، فلم يقدر عليها . وولاّه محمد ابن عبدالملك الزيات الإعطاء بالثُّغور ، فخرج فسمع فى طريقه مُنشداً يُنشد :

مَن كانَ ذا شَجن بالشام يطلُبه
فنى سِوى الشام أمسى الأهلُ والشَّجنُ

فبكى حتى سقط على وجهه مَغشيًّا عليه ، ثم أفاق مخـلطاً ، واتصل ذلك حتى وُسوس وبَطل .

إنشاده إبراهيم ابن المهدى

وحكى خالد الكاتب قال :

دخلتُ على إبراهيم بن المهدىّ ، فاستنشدنى . فقلت : أيها الأمير ، أنا غلام أقول فى شُجون نفسى ، لا أكاد أمدح ولا أهجو . قال : ذاك أشـــدُّ لدواعى البلاء ، فأنشدتُه :

عاتبتُ نفسى فى هَوا ... كَ فلم أجِـدْها تَقبلُ
وأَطعتُ داعيَها إليـ ... ـك ولم أُطع من يَعذل
لا والذى جعل الوُجو ... ه لحُسن وجهك تَمثل
لا قلتُ إن الصبر عنـ ... ـك من التَّصابى أجمل

فبكى إبراهيم وصاح : وأى عليك يا إبراهيم . ثم أنشدته أبياتى التى أقول فيها:

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين (٣١-٣٨) .

وبَكى العاذلُ لى مِن رَحمة[١] وأُبكانى لبُكاء العاذل

فقال : يا رشيق ، كم معك من العين ؟ قال ستمائة وخمسون ديناراً . قال : أقسمها بينى وبين الفتى ، وأجعل الكسر له صحيحاً . فأعطانى ثلثمائة وخمسين ديناراً ، فاشتريتُ بها منزلى بسَاباط الحسن والحُسين ، فوارانى إلى يومى هذا .

شعره الذى فيه الغناء

وهذا البيت الأخير من أبيات الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار خالد ، وهو :

عِشْ فحُبِّيك سريعاً قاتلى والضَّنَى إنْ لم تَصلنى واصلِى
ظَفِر الشوقُ بقلبٍ دَنِف فيك والسُّقم بجِسْم ناحل
فهما بين اكتئاب وضَنًى تركانى كالقَضيب الذّابل

هو وأبو تمام فى هوى غلام

وذُكر أن خالداً كان مُغرماً بالغلمان المُرد يُنفق عليهم كل مايفيد، فهوى غلاماً يقال له : عبد الله ، وكان أبو تمام يهواه ، فقال فيه خالد :

قَضيب بانٍ جناه وَرْدٌ تحمله وجنةٌ وخَدُّ
لم أثْن طَرفى إليه إلّا مات عزاءٌ وعاش وَجْد
مَلَّك طَوْعَ النفوس حتى علّمه الزَّهوَ حين يبدو
واجتمع الصدّ فيه حتى ليس لخلقٍ سواه صدّ

وبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه :

شِعرُك هذا كُله مُفرط فى بَرْده ياخالدُ البارِدُ

فعَلقِها الصبيان ، فلم يزالوا يَصيحون به : يا خالد يا بارد ، حتى وُسوس .

هو وغلام فى دار قمار

وحكى أبو الفضل الكاتب أنه دعى خالداً ذات يوم ، فأقام عنده ، وخلع عليه . فما استقر به المجلس حتى خرج . قال : فأتبعته رسولا ليتعرّف خبره ، فإذا هو قد جاء إلى غلام كان يُحبه ، فسأل عنه ، فوجده فى دار القمار ، فمضى إليه حتى

(١) بعض أصول الأغانى : « و بكى العاذل لى من رحمتى » .

خلع عليه تلك الثياب وعانقه وقبّله وعاد إلينا . فلما جاز خالد أعطاه الغلامُ الذى وجّهنا به إليه دنانير ودعاه ، فجاء به إلينا . وأمرناه بإخفائه ففعل . وسألنا خالداً عن خبره فكتمه وجمجم . فغمزنا الرسول فأخرجه إلينا . فلما رآه خالد بكى ودَهِش . فقُلنا : لا تُرع ، فإن القصة كيت وكيت ، وإنما أردنا أن نعرف خبرك لا أن نسوءك ، فطابت نفسه ، وأجلسه إلى جنبه ، وقال : قد بُليت بحُبه وبالخوف عليه مما قد بُلى به من القمار . وأنشدنا لنفسه فيه :

مُحبٌّ شَفّه ألمُه ... وخامر جسمَه سَقَمُهْ
وباح بما يُجَمجِمه ... من الأسرار مُكتتِمه
أما ترثى لمُكتئب ... يُحبك لَحمه ودَمه
يغار على قميصك حـ ... ـين تَلبسه ويتّهمه

هو وابن السرى بعد غيبة

وحكى محمد بن السَّرىّ أنه أطال الغيبة عن بغداد ، ثم قَدِمها وقد وُسوس خالد ، فمرّ به فى الرُّصافة والصبيان يصيحون خلفه : يا غلام ، الشُّريطىُّ يا خالد البارد . فيرجع إليهم فيضربهم ويرميهم . فقال : فقلت له : كيف أنت يا أبا الهيثم؟ قال : كما ترى . فقلت له : فمن تعاشر اليوم ؟ قال : من أحذره . فعجبت من جوابه مع اختلاله . فقلت له : ما قلتَ بعدى من الشعر ؟ قال : ما حفظه الناس وأُنسيته ، وعلى ذلك قولى :

كَبِدٌ شفَّها غليلُ التَّصابى ... بين هَجر(١) وسَخطة وعَذابِ
كلَّ يوم تَدمى بجُرح من الهجـ ... ـر(٢) ونوع مجدَّد من عذاب
يا سَقيم الجُفون أسقمت جسمى ... فاشفِنى كيف شئت لا بك ما بى
إن أكن مُذنباً فكن حَسَن العفـ ... ـو أو اجعل سوى الصُّدود عقابى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عتب » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « التشوق » .

ثم قال : يا أبا جعفر ، جُننت . فقلت : ما جعلك الله مجنوناً وهذا كلامك فى نثرك ونظمك .

طلب منه ابن الطلاس أن ينشده

وحكى محمد بن الطلّاس قال :

حضرت جنازة لبعض جيرانى ، فلقيت خالداً فى المَقبرة ، فقبضت على يده ، فقلت : أنشدنى . فقال : خلِّ عن يدى . فأرخيت يدى عن يده ، فأنشدنى :

لم ترَ عــينٌ نظرتْ أحسنَ من مَنظرهْ

النور والنعمــة إن عرفتَ(١) فى مَخبره

لاتَصِلُ الألسنُ(٢) بالْـ وصــف إلى أكثره

كيف بمن تنتسب الشـ مسُ إلى جَـوهره

بيته فى جارية كانت تصيح به

وحكى بعضهم قال :

مرَّ بنا خالد الكاتب هارباً والصبيان يصيحون به ، فجلس إلىّ وقال : فرِّق هؤلاء عنّى . ففعلت ، وألحّت عليه جارية تصيح به : يا خالد يا بارد . فقال لها :

أيا مُنتنةَ الـكُس ويا من كُسها رَسّ

فقال له : يا أبا الهيثم ، أى شىء معنى «رس» ؟ قال : تشتهى الأير الكبير والصغير والوسط ولا تكره منها شيئاً ، وأقبل الصبيان يصيحون بتلك الجارية بمثل ماقال لها خالد، وهى ترميهم وتهرُب منهم ، حتى غابوا معها عنّا . فأقبل علىّ خالد متمثلا :

وما أنا فى أمرى ولا فى خُصومتى بمُهتضَم حقّى ولا قارع سنّى

إنشاده لأبى تمام ومعارضته له

فاحتبسته عندى يومه ، فلما شرب وطابت نفسه أنشدنا لأبى تمام :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « النور والنعمة والنعمة » .

(٢) التجريد : « الأنفس » .

أحبابَه لِمَ تفعلون بقلبه ... ما ليس يَفعله به أعداؤُهُ
مَطر من العَبرات خَدِّى أرضُه ... حتى الصباح ومُقلتاه سماؤه
نفْسى فِداء محمد ووفاؤه ... وكذبتُ مافى العالمين فِداؤه
أزعمتَ أنّ البدر يَحكى وجهه ... والغُصنُ حين يَميد فيه ماؤه
أسكت فأين جماله وكماله ... وبهاؤه وحياؤه وضياؤه
لا تقْرِ (١) أسماءَ الملاحة باطلاً ... فيمن سواه فإنها أسماؤه

ثم قال، وقد عارضه أبو الهيثم، يعنى نفسه:

فديتُ محمداً من كل سوء ... يُحاذر فى رَواح أو غُدُوّ
أيا قمرَ السماء دنوتَ حتى ... كأنك قد ضَجِرت من العُلوّ
رأيتُك مِن حَبيبك ذا بِعاد ... وممّن لا يُحبك ذا دُنوّ
وحَسبك حَسرة لك من حبيب ... رأيتَ زِمامه بيدَىْ عدوّ (٢)

شعره فى تفاحة غلفت بغالية

وذُكر أن على بن المعتصم دعا خالداً الكاتب يوماً وهو يشرب، وقد أخرجت له وصيفة من وصائف حَظيّته تفاحةً مغلّفة بغالية، بعثت بها إليه ستُّها، فقال خالد:

تُفاحة خرجتْ بالدُّر من فيها ... أشهى إلىّ من الدُّنيا بما فيها
بيضاء فى حُمرة غُلَّت بغالية ... كأنما قُطفت من خَدِّ مُهديها
جاءت بها قينةٌ من عند غانية ... رُوحى من السوء والمكروه تَفديها
لو كنتُ مَيتاً ونادتْنى بنغمتها ... إذاً لأسرعتُ من لَحْدى أُلبّيها

(١) قرا الأمر، يقروه ويقريه: تتبعه.
(٢) بعض أصول الأغانى: «بيد العدو».

أخبار المسدود

اسمه وكنيته

أسمه : عليّ . وكنيته : أبو الحسن .

أبوه

وكان أبوه قصّاباً من أهل بغداد .

سبب تلقيبه بالمسدود

وإنما سُمّي المَسدود ، لأنه كان مَسدود فَرد مَنخَر مفتوح الآخر .

منزلته فى الغناء

وكان يقول : لو أن مَنخرى الآخر مفتوحاً لأذهلتُ بغنائى أهل الُحلوم وذوى الألباب ، وشغلت مَن يسمعنى عن أمر دينه ودُنياه ومعاشه ومَعاده . وكان أشجى الناس صوتاً ، وأحسنهم نادرة ، ولم يكسب أحد من المغنيين بطُنبور ما كسبه .

غناؤه الواثق وتعريضه به

وذُكر أن الواثق كان قد أمر جُلساءهُ ألّا يَرد أحد نادرته عن أحد ولا عنه. فغنى الواثق يوماً :

نظرتُ كأنّى من وراء زُجاجة إلى الدار من فَرط الصّبابة أنظُر

وكان النبيذ عمل فيه وفى الُجلساء . فالتفت إليه المسدود فقال : أنت أبداً تنظر من وراء زجاجة ، إن كان فى عينك ماء الصبابة أو لم يكن . وكان فى عين الواثق بياض . فغضب من ذلك وقال : جُرّوا برجل العاضّ بَظر أمه . فسُحب من بين يديه . ثم قال : يُنفى إلى عُمان الساعة من وقته . وحَدَر[1] معه الموكّلون.فلما سلموه إلى صاحب البصرة سأله أن يقيم عنده ، ففعل . فلما جلس للشراب أبتدأه وقال : أُحذرونى يأهل البصرة على حُرمكم. فقد دخلت بلدكم وأنا أزنى خلق الله . فقال له الجمّاز : إنما يعنى أنه أزنى خلق الله أمًّا . فغضب المَسدود وضَرب بطُنبوره الأرض وحَلف ألا يغنّى . فســأله الأمير أن يقيم ؛ وأخرج الجمّاز وكل من حَضر. فأبى

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين (١٦٤ - ١٦٦) .

(١) حدر : انحدر .

وألحّ ، فأحدره إلى عُمان ، فمكث الواثق لا يسأل عنه سنةً ، ثم اشتاقه فكتب في إحضاره . فلما جاء قبّل الأرض بين يديه واعتذر من هَفوته وشكر التفضّل عليه . ثم قال له : حدّثني ما رأيت بعدي . فقال : لي حديث ليس في الأرض أطرف منه . وأعاد عليه حديثه بالبصرة . فقال له الواثق : قبّحك الله ، ما أجهلك! أنت سوقة وأنا ملك ، وكنتُ صاحياً وكنتَ منتشياً ، وبدأت القوم فأجابوك ، فبلغ منك الغضب ما ذكرته ، وما بدأتك فتُجيبني ، وبدأتني بالمرح بما لا يحتمله النظير لنظيره ، ويلك لا تعاود بعد هذا ممازحة خليفة وإن أذن لك في ذلك ، فليس كل أحد يحضُره حلمُه كما حضرني فيك .

حديث الرقعة التي أعطاها هو الواثق غلطاً

وذُكر أنه لم يكن في الخلفاء أحلمَ من الواثق ، ولا أصبر على أذى وخلاف . وكان يعجبه غناء أبي حَشيشة الطُّنبوري ، فوجِد المسدود من ذلك وهجا الخليفة ببيتين ، فكانا معه في رُقعة، وفي رقعة أخرى حاجة لامرأة تريد أن ترفعها إليه ؛ فغلط بين الرقعتين فناوله الرقعة التي فيها هَجوه ، وهو يرى أنها رقعة الحاجة . فقرأها وفيها :

مِن المسدود في الأنف إلى المَسدود في العَيْنِ
أنا طَبْـــــل له شِق فيا طَبــــلاً بِشقّين

فلما قرأ الرقعة علم أنها فيه ، فقال للمسدود : غلطت بين الرقعتين ، فهات الأخرى وخُذ هذه واحترس من مثل هذا ، مازاده على هذا .

أغضب المنتصر فاحتمله

وذكر أن المسدود تحدّث في مجلس المنتصر بحديث ، فقال المنتصر : ومتى كان ذلك ؟ فقال : ليلة لا ناهٍ ولا زاجر . يعرّض له بليلة قتل فيها أبوه المتوكل ، وأنّ ذلك كان بأمره . فأغضى المنتصر واحتمله .

هو وجارية في حضرة المعتمد

وقالت مُغنية للمسدود يوماً بين يدي المعتمد : غنّ يا مسدود . فقال : نعم يا مفتوحة .

أخبار سلمة بن عياش

نسبه وشيء عنه

هو : سلمة بن عياش ، مولى بنى حِسْل بن عامر بن لُؤىّ . شاعر بَصرى من مُخضرمى الدَّولتين . وكان يتديّن ويتصوّن .

انقطاعه إلى ابنى سليمان

انقطع إلى جَعفر ومحمد ، ابنى سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، ومدحهما فأكثر وأجاد .

هو وأبو سفيان ابن العلاء عند ابن سليمان وحديث الجارية التى وجهها له

وذُكر أنه كان سَلمة بن عياش وأبو سفيان بن العلاء يوماً عند محمد بن سليمان وجارية له تُغنيهم وتسقيهم — يقال لها : بربر — فقال سلمة :

إلى الله أشكو ما ألاقى من القِلى ... لأهلى وما لاقيتُ من حُبّ بَربرِ

على حين ودّعت الصبابةَ والصِّبى ... وفارقتُ أخدانى وشمَّرت مِئزرى

نأى جَعفر عنّا وكان لمثلها ... وأنت لنا فى النائبات كجعفر

فقال محمد بن سليمان : خُذها هى لك . فاستحيا وارتدع وقال : لا أريدها . فألحّ عليه فى أخذها . فقال : أُعتق ما تملك إن أخذتُها . فقال له أبو سفيان : يا سَخين العين ، أُعتق ما تملك وخذها ، فهى خير مما تملك .

رثاؤه لأبى سفيان ابن العلاء

فلما مات أبو سفيان بن العلاء رثاه سلمة ، فقال :

لعمرك ما تعفو كلومُ مُصيبةٍ ... على صاحبٍ إلاّ فُجعت بصاحبِ

تقطّع أحشائى إذا ما ذكرتهم ... وتَنهل عينى بالدُّموع السَّواكب

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين (٨٤ – ٨٧)

وكنتُ امرأً جلداً على ماينُوبنى ومُعترفاً بالصَّبر عند المَصائبِ

فهدَّ أبو سفيان رُكنى ولم أكن جُزوعاً ولا مُستكثراً للنوائب

غَنينا معاً بضعاً وخمسين حِجةً خليلَىْ صَفاء وُدُّنا غير كاذب

فأصبحتُ لمَّا حالت الأرضُ دونه على قُربه منّى كأن لم أُصاحب

والبيتان الأولان من هذه الأبيات، الشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار سلمة بن العياش .

بعض أخبار أبي العتاهية

(*) ثم ذكر أبو الفرج شعراً يُغَنّى فيه من شعر أبي العتاهية ، فاقتضى ذلك ذكر بعض أخباره :

شعره للأمين وهو الشعر الذى فيه الغناء

ذُكر أنه لما جلس محمد الأمين فى الخلافة أنشده أبو العتاهية :

يابن عمِّ النبىّ خير البريّه ... إنما أنت رحمةٌ للرعيّهْ

يا إمام الهُدى الأمين المصفَّى ... يا لُباب(1) الخلافة الهاشميّهْ

لك نفسٌ أمّارة لك بالخير ... ر وكفٌّ بالمكرُمات نديّه

إنّ نفساً تحمّلتْ مثل ما حُمِّ ... لْت للمسلمين نفسٌ قويّه

ثم خرج إلى دار أم جعفر، فقالت له : أنشدنى ما أنشدت أمير المؤمنين، فأنشدها . فقالت : أين هذا من مديحك فى المهدى والرشيد ؟ فغضب وقال : إنما أنشدت أمير المؤمين ما يستملح ، وأنا القائل فيه ـ وهذا هو الشعر الذى فيه الغناء :

يا عمودَ الإسلام خير عمود ... والذى صِيغ من حَياء وجُودِ

والذى فيه ما يُسلِّى ذوى الْـ ... أحزان عن كُلِّ هالك مفقود

والأمين المهذَّب الهاشمىّ الْـ ... قَرم محض الآباء محض الجدود

إن يوماً أراكَ فيه ليومٌ ... طلعت شمسُه بسَعد سُعود

(*) مرت أخبار أبي العتاهية فى الجزء الثانى من القسم الأول . وقد ذكر أبو الفرج ما يأتى بعنوان : « أخبار أم جعفر ».

(1) غير التجريد : « بلباب » .

أخبار أيمن بن خريم

(*) هو : أيمن بن خُرَيم بن الأخرم بن [شداد بن][1] عمرو بن فاتك بن القُلَيْب بن عمرو بن أسد بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بنُ مضر بن نزار .

نسبه

لأبيه صُحبة بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم .

أبوه صحابي

وكان أيمن يتشيّع .

متشيع

ذُكر أن عبد الملك بن مروان كان شديد الشغف بالنساء ، فلما أسنّ ضَعُف عن الجماع وازداد غرامه بهن . فدخل عليه أيمن بن خريم فقال له : كيف أنت يا أيمن ؟ فقال بخير يا أمير المؤمنين. قال : كيف قُوتك ؟ قال : كما أحب ولله الحمد، إنى لآكل الجذعة من الضأن بالصاع من البُر وأشرب العُسّ[2] المملوء ، أعبُّه عبّا ، وأرتحل البعير الصعْب فأُنْصِبه[3] ، وأركب المُهر الأَرِن فأذلّله ، وأفترع العذراء لا يُقعدنى عنها الكِبر، ولا يمنعنى عنها إلا السَّحر[4] ، ولا يَروينى الغُمَر[5] ، ولا ينقضى منِّى الوطر . فغاظ عبدَ الملك قولُه وحسده ، فمنعه العطاء وحَجبه وقَصده بما كره ،حتى أثر ذلك فى حاله . فقالت له أمرأته : ويحك : أصدقنى عن حالك ، هل لك جُرم؟ قال : لا والله. قالت : فأى شىء دار بينك وبين أمير المؤمنين آخر مالقيته؟ فأخبرها . فقالت : إنا لله ، مِن ها هنا أُتيت ، أنا أحتال لك فى ذلك حتى أزيل ما جرى عليك ، فقد حسدك الرجل على ما وصفت من نفسك . فتهيأت ولبست ثيابها ودخلت على عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، زوجـــة عبد الملك ، فقالت :

هو وعبد الملك وقد سأله عن قوته

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين (٥ — ٨) .

(١) تكملة من الاستيعاب والجهرة (١٨٠) . (٢) العس : القدح العظيم .

(٣) التجريد: « فأنضيه ». (٤) غير التجريد : « الحصر » .

(٥) الغمر : بضم ففتح : القدح الصغير .

أسألك أن تَسْتعدى لى أمير المؤمنين على زوجى . قالت : وماله ؟ قالت : ماأدرى أنا مع رجل أو حائط ، فإن له لسنتين ما يعرف فِراشى ، فسَليه أن يفرّق بينى وبينه . فخرجت عاتكة إلى عبد الملك فذكرت له ذلك ، وسألته فى أمرها ، فوجّه إلى أيمن فأحضره ، وسأله عما شكت منه ، فاعترف بذلك . فقال له : أولم أسألك عامَ أول عن حالك فوصفت لى كيت وكيت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الرجل ليتحمّل عند سلطانه و يتجلّد عند أعدائه بأكثر مما وصفتُ به نفسى، وإنى القائل :

لقيتُ من الغانيات العُجابَا ... لو أُدرك منّى الغوانى[1] الشَّبابَا
يَرى الشَّيبَ جَمعُ النساء الحِسا ... ن عتباً[2] شديداً إذا المرء شابا
ولو كِلْتُ بالمُدّ للغـــانيات ... وضاعفتُ فوق الثِّياب الثِّيابا
إذا لم يَنَلْهن من ذاك ذاك ... بَغَيْنك عند الأمير الكذابا[3]
إذا لم يُخالطن كُل الخِـــلا ... ط أصبحن مُخْرَنطات[4] غِضابا
و يَعْرُكن بالمسك أجيادَهُن ... ويُدنين عند الحِجال العيابا[5]
علام يُكحِّلن حُور العيون ... ويُحدثن بعد الخضابِ الخضابا
ويَبْرُقْن[6] إلّا لما تعلمون ... فــلا تَمنعن النّساء الضِّرابا

فجعل عبد الملك يضحك من قوله . ثم قال : أولى لك يا بن خُريم ، لقد لقيت منهن تَرحا ، فما تُرى أن نصنع بينك وبين زوجتك ؟ قال : تستأجلها إلى أجل العِنّين ، وأداريها لعلى أستطيع إمساكها . قال : أفعل ذلك . ففعل . وأمر له بما فات من عطائه ، وعاد إلى برّه وتقريبه .

(١) التجريد : « الغوانى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ولكن جمع العذارى الحسان عناء » .
(٣) غير التجريد : « جحدتك عند الأمير الكنابا » . (٤) مخرنطات : أنفات مستكبرات .
(٥) التجريد : « الحجاب العيابا » . والحجال : جمع حجلة ، وهى القبة تستتر فيها المرأة .
(٦) يبرقن : يتجملن . وفى غير التجريد : «ويغمزن» .

أخبار حُجيّة

شعره الذى فيه الغناء

ثم ذكر أبو الفرج شعراً يُغنى فيه لحجية بن المضرِّب الكندى ، يقول :

تصابيتَ أم هاجت لك الشوقَ زينبُ ... وكيف تَصابِى المرء والرأسُ أشيبُ

إذا قَرُبت زادتْك شوقاً بقُربها ... وإن جانبتْ لم يُسْل عنها التجنُّب

فلا اليأْس إن ألممتَ يبدو فترعوى ... ولا أنت مَردود بما جئتَ تطلب

وفى اليأْس لو يبدو لك اليأْس راحة ... وفى الأرض عمَّن لا تُواتيك مَطلب

حديثه مع زوجته فى بره بأولاد أخيه

وكان من حديث حُجيَّة هذا أنه كان له أخ يقال له : معدان ، فمات وترك صِبية صغاراً فى حِجر أخيه ، فكان أبرّ الناس بهم وأعطفهم عليهم ، وكان يؤْثرهم على صِبيانه . فمكث بذلك ما شاء الله . ثم إنه عرض له سفر لم يجد بدًّا من الخروج فيه ؛ فخرج وأوصى بهم امرأته . وكانت إحدى بنات عمّه ، وكان يقال لها : زينب . فقال : اصنعى ببَنِى أخى ما كنت أصنع بهم . ثم مضى لوجهه ، فغاب أشهراً ثم رجع ، وقد ساءت حال الصبيان وتغيَّرت . فقال لامرأته : مالى أرى بنى معدان مهازيل وأرى بنىّ سِمَانا ؟ فقالت : كنت أواسى بينهم ، ولكنهم كانوا يعبثون و يلعبون . فخلا بالصبيان ، فقال : كيف كانت ولاية زينب لكم ؟ قالوا : سيئة ، ما كانت تعطينا من القوت إلا مِلْء هذا القدح من لبن — وأروه قدحاً صغيراً . فغضب على امرأته غضباً شديداً وتركها ، حتى إذا أراح عليه راعيا إبله ، قال لهما : اذهبا فأنتما و إبلكما لبنى معدان. فغضبت من ذلك زَينب وهجرته ، وضربت بينها وبينه حجاباً . فقال : والله لا تذوقين منها صَبوحاً ولا غَبوقاً أبداً .

وقال فى ذلك :

لَجِجْنا ولَجّتْ هذه فى التغضُّب ... ولُطّ[١] الحجابُ بيننا فى التجنُّبِ

وخَطّت بعُودَىْ إثمدٍ جَفْنَ عَينِها ... لتَقتلنى وشدّما حُبُّ زينب[٢]

تلوم على مالٍ شَفانى[٣] مكانُه ... فلُومى حياتى ما بدا لك واْغضبى

رحمتُ بنى مَعدان إذْ قلّ مالُهم ... وحقّ لهم منّى وربِّ المُحصَّب[٤]

وكان اليتامى لا يَسُدّ اختلالَهم ... هدايا لهم فى كل قَعب مُشعَّب[٥]

فقلت لعبدَيْنا أريحا عليهمُ ... سأجعل بيتى بيتَ آخرَ مُعْزِب[٦]

وقلتُ خذوها واعلموا أنّ عمّكم ... هو اليوم أَولى منكمُ بالتكسُّب

عيالى أحقُّ أن ينالوا خَصاصةً ... وأن يشربوا رَنْقاً إلى حين مَكسبى[٧]

أُحابِى بها مَن لو قَصدتُ لمَالِه ... حَرِيباً[٨] لآسانى إلى حين مَركبى[٩]

أخى والذى إنْ أدْعُه لِمُلمّة[١٠] ... يُجِبْنى وإن أغضب إلى السَّيف يَغْضَب

هرب امرأته إلى المدينة وإسلامها وقصته معها

وكان حُجية هذا وامرأته نصرانيين، فلما بلغها هذا الشعر خرجتْ حتى أتت المدينة فأسلمت، وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فركب حُجية إلى المدينة يطالب زَينب أن تُرد عليه. ونزل بالزُّبير بن العوّام رضى الله عنه وأخبره بقصته. فقال له الزبير: إيّاك أن يَبلغ هذا عنك عُمر فتلقى منه أذى. وانتشر

---

(١) لط: أسدل، بالبناء للمجهول فيهما.

(٢) شد ما حب زينب، أى: حق حبها، أو: نعم حبها. (٣) التجريد: «شفانى».

(٤) المحصب: موضع رمى الجمار. (٥) القعب: القدح الضخم.

(٦) معزب: مبعد. (٧) الخصاصة: الفقر. والرنق: الكدر من الماء.

(٨) الحريب: المسلوب المال. (٩) غير التجريد: «لآسانى على كل موكب».

(١٠) غير التجريد: «عظيمة».

خبر حُجية وفشا بالمدينة وذُلم فيما كان مَقدمُه . فبلغ ذلك عمر، فقال للزبير ، رضى الله عنهما : بلغتنى قصة ضيفك ، ولقد هممت به لولا تَحَرُّمه بالنزول عليك . فرجع الزبير إلى حُجية فأعلمه قول عمر رضى الله عنه . فقال حجية فى ذلك :

إنَّ الزبير بنَ عوّام تَداركنى   منه بسَيْب كريم سَيْبه عَمَمُ

عائشة وأخوها عبدالرحمن مع ولدى أخيهما محمد بعد مقتله

وذُكر أن محمد بن أبى بكر الصديق لمّا قتله عمرو بن العاص ومعاوية بن حُديج بمصر ، وجعلاه فى جِلد حمار وأحرقاه بالنار. وكان محمد بن أبى بكر والياً بمصر من قِبل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، خلّف ابنه القاسم بن محمد ، وهو أحد فقهاء المدينة السَّبعة ، وأُختاً له .

فحدّث القاسم بن محمد قال : جاء عمِّى عبد الرحمن بن أبى بكر فاحتملَنا وقدم بنا المدينة ، فبعثت إلينا عائشة فاحتملَتنا ، فما رأيت والدة قطّ ولا والداً أبرّ منها . فلم نزل فى حِجرها ، حتى إذا كان ذات يوم وقد ترعرعنا ألبستنا ثياباً بيضاء ، ثم أجلست كل واحد منّا على فخذها ، ثم بعثت إلى عمّى عبد الرحمن ، فلما دخل عليها تكلّمت ، فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه ، فما رأيت مُتكلماً قبلها ولا بعدها أبلغ منها . ثم قالت : يا أخى ، إنى لم أزل أراك مُعْرِضاً منذ قبضتُ هذين الصبيّين منك ، ووالله ما قبضتُهما تطاولًا عليك ، ولكنّك كنت رجلاً ذا نساء ، وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً ، فخشيتُ أن ترى نساؤك منهما ما يتقذَّرْنَه من قبيح أمر الصبيان ، فكنتُ ألطف لذلك وأحقّ بولايته ، وقد قويا على أنفسهما وشبّا وعرفا ما يأتيان ، فهما هذان فضُمهما إليك وكُن لهما كحُجية بن المضرِّب ، أحد بنى كندة .

ثم قصت عائشة رضى الله عنها عليه خبره .

أخبار أبى الهندى

نسبه

هو : غالب بن عبد القدّوس بن شبث بن ربعى .

طبقته وشعره

وكان شاعراً مطبوعاً . وهو مخضرم الدولتين : الأموية والعباسية . وكان جزل الشعر ، حسن الألفاظ ، لطيف المعانى . وإنما أخمله وأمات ذكره بعده عن بلاد العرب ومقامه بسجستان وخراسان ، وشغفه بالشراب ومعاقرته إياه وتهتكه .

من وصاف الخمر وبعض ما قال

واستفرغ شعره بصفة الخمر ؛ وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام .

ومن جيد قوله فيها :

سقيتُ أبا المطوّح[1] إذ أتانى ... وذو الرُّعثات[2] مُنتصبٌ يصيحُ

شرابًا يهرُب الذّبان منــــه ... ويَلثغ حين يَشربه الفَصيح

حديث سكره ثلاثة أيام مع قوم وشعره فى ذلك

وذُكر أن أبا الهندىّ اشتهى الصَّبوح ذات يوم ؛ فأتى خمّاراً بسِجِسْتان فى محلّة — يقال لها : كوه زيان . وتفسيره بالعربية : جبل الخسران — يباع فيها الخمر والفاحشة ؛ وتأوى إليها كل زان ومُغنية . فدخل إلى الخمار فقال : أسقنى ، وأعطاه ديناراً . فكال له ، وجعل يشرب حتى سكر ؛ وجاء قوم يُسلّمون عليه ، فصادفوه على تلك الحال ؛ فقالوا للخمار : ألحقنا به . فسقاهم حتى سكروا . وانتبه أبو الهندى فسأل عنهم ، فعرّفه الخمّار خبرهم . فقال : هذا الآن وقت السكر ، والآن طاب ، فألحقنى بهم ، فجعل يشرب حتى سكر ؛ وانتبهوا فقالوا للخمار : ويحك هذا نائم بعد ! فقال : لقد انتبه ، فلما عرف خبركم شرب حتى سكر .

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(١) فى غير التجريد : « المطرح » .

(٢) ذو الرعثات : الديك . والرعثات : جمع رعثة ، وهى عثنون الديك ولحيته .

قالوا : فألحقنا به . فسقاهم حتى سكروا . وانتبه أبو الهندى فسأل عن خبرهم فعرفه. فقال : والله لألحقن بهم . فشرب حتى سكر . فلم يزل ذلك دأبه ودأبهم ثلاثة أيام لم يلتقوا ، وهم فى موضع واحد .ثم تركوا هم الشرب عمداً ، حتى أفاق فلقوه . وفى ذلك يقول أبو الهندى :

نَدَامَى بعد ثالثة تلاقَوْا ... تَصُدُّهمُ بكُوه زيَّان راحُ

وقد باكرتُها فتركت منها ... قتيلاً ما أصابتْنى جِراح

وقالوا أيها الخمّار من ذا ... فقال أخ تَخَوّنه[1] اصطباح

وقالوا هاتِ راحَك فالْحَقْنا ... به وتعلّلوا ثم استراحوا

فما إن لَبّثتْهم أنْ رَمتْهم ... بحَدّ سلاحها ولها سلاح

وحان تنبُّهى فسألتُ عنهم ... فقال أتاحهم قَدَرٌ مُتاح

رأوك مُجدَّلا فاستخبرونى ... فحرّكهم إلى الشُّرب ارتياح

فقلت بهم فألحقنى فهبُّوا ... فقالوا هل تنبّه حين راحوا

فقال نعم فقالوا ألحقنا ... به قد لاح للرّائى صَباح

فما إن زال ذاك الدأب منّا ... ثلاثاً يُستحلّ ويُستباح

نَبيتُ معاً وليس لنا التقاء ... بِبَيْتٍ ما لنا فيه بَراح[2]

حجه مع ابن سيار وامتناعه عن الشرب

وذُكر أن نصر بن سيّار ، عامل خراسان ، حجّ وأخرج أبا الهندى معه ؛ فلما حضرت أيام الموسم قال : يا أبا الهندى ، إنّا بحيث ترى ، وفدُ الله وزُوّاره . فهَبْ لى النبيذ فى هذه الأيام واحتكم علىّ ، فلولا ماترى مامنعتك . فضمن له ذلك ، وأغلظ عليه الاحتكام . فوكل به نصرُ بن سيار بعضَ ثقاته . فلما انقضى الأجل

(١) تخونه : خانه وفانه .

(٢) لم يرد هذا البيت فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

مضى فى السّحر، قبل أن يلقى نصراً؛ فجلس على أكمه يُشرف منها على فضاء واسع، ووضع بين يديه إداوة[١] وأقبل يشرب ويبكى، ويقول:

أديرا علىّ الكأس إنى فقدتُها ... كما فَقَد المفطومُ دَرَّ المَراضِع

حليفُ مُدام فارق الراحُ رُوحَه ... فظلّ عليها مُستهِلّ المَدامع

حديث موته

وحَكى صَدَقة بن إبراهيم البَكرى قال:

كان أبو الهندى يشرب معنا؛ وكان إذا سكر يتقلّب تقلُّباً قبيحاً فى نومه. فكنّا كثيراً ما نشُد رجله لئلا يسقُط من السطح؛ فسكر ليلةً وشددنا رجله بحَبل وطوّلنا فيه ليقدر على القيام للبول وغير ذلك من حوائجه. فسقط من السطح فأمسكه الحبل، فبقى معلّقاً منكّساً، وتَخنّق بما فى جوفه من الشراب؛ فأصبحنا فوجدناه ميتاً.

قال: صَدقة فمررت بقبره بعد ذلك فوجدتُ عليه مكتوباً:

اجعلوا إنْ متُّ يوماً كَفنى ... ورقَ الكَرْم وقبرى مِعْصرَهْ

إنّنى أرجو من الله غداً ... بعد شُرب الراح حُسنَ المغفره

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به الفرج أخبار أبى الهندى:

لمّا سمعتُ الدِّيكَ صاح بسُحرةٍ ... وتوسَّط النَّسران بطنَ العَقربِ

وبدا سُهيلٌ فى السماء كأنه ... ثورٌ وعارضَه عِجانُ الرَّبرب[٢]

نبّهتُ نَدْمانى وقلت له اصطبح ... يابن الكرام من الشّراب الأصهب[٣]

صَفراء تَبرق[٤] فى الزُّجاج كأنها ... حَدق الجرادة أو لُعاب الجُندب

---

(١) الإداوة: إناء صغير.

(٢) الربرب: القطيع من بقر الوحش. والعجان: المنتهية سمنا. والرواية فى غير التجريد: «هجان»، وهى البيض الكرام.

(٣) الأصهب: الأشقر. والرواية فى غير التجريد: «الطيب». (٤) غير التجريد: «تبدو».

أخبار سعيد بن وهب (*)

نسبه

(*) هو : سعيد بن وهب بن عثمان . مولى بنى سامة بن لؤى . بصرىّ . مولده ومنشؤه البصرة ، ثم صار إلى بغداد فأقام بها .

موطنه

كتب للبرامكة

وكانت الكتابة صناعته ، فتصرّف مع البرامكة واصطنعوه .

مذهبه فى الشعر وموته بعد توبة

وكان شاعراً مطبوعاً . ومات فى خلافة المأمون . وأكثر شعره فى الغزل والشراب ، ثم نسك وتاب ، وحج راجلا على قدميه . ومات على توبة وإقلاع ومذهب جميل .

رثاه أبو العتاهية

مات وأبو العتاهية حىّ ، فرثاه وكان صديقه .

شعره فى كتاب السلطان

وذُكر أنه نظر إلى قوم من كُتاب السلطان فى أحوال جميلة ، فأنشأ يقول :

من كان فى الدُّنيا له شارةٌ   فنحن من نَظّارة الدُّنيا
نَرمُقها من كَثَب حسرةً   كأننا لفظٌ بلا معنى
يَعْلُو بها الناسُ وأيامنا   تذهب فى الأرذل والأدنى

أنشد الفضل بن يحيى بيتين فغلب بهما

وذُكر أن سعيد بن وهب دخل على الفضل بن يحيى فى يوم قد جلس فيه للشعراء ، فجعلوا يُنشدونه ويأمر لهم بالجوائز ، حتى لم يَبق منهم أحد ، ثم التفت إلى سعيد بن وهب كالمُستنطق . فقال له سعيد : أيها الوزير ، إنى ما كنت أستعددت لهذه الحال ولا تقدّمتْ لها عندى مقدمة فأعرفها ؛ ولكن قد حضرنى بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة . فقال : هاتهما ، فرُب قليل يكون أبلغ من كثير . فقال سعيد :

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

مَدح الفضـلُ نفسَه بالفَعالِ   فعَلَا عن مَديحنا بالمقَـالِ
أَمرونى بمَدْحـه قلتُ كلاَّ   كَبُرَ الفضل عن مَديح الرِّجال

فطرب الفضل وقال : أحسنت والله وأجدت ، ولئن قَلّ القولُ ونزر فلقد اتسع المعنى وكثُر . ثم أمر له بمثل ما أعطاه كلَّ من أنشده مديحًا يومئذ ، وقال : لا خـير فيما يجىء بعد بيتيك ، وقام من المجلس ، وخرج الناس لا يتناشدون سوى البيتين .

شعره فى محاجاة جارية

ولسعيد بن وهب أبيات هى لُغز فى القلم مُوهمة ، حاجَى بهـا جارية شاعرة ظريفة أديبة ــ يقال لها حَسناء ــ وهى :

أُحاجيك أيا حَسـنا   ء فى جِنس من الشِّعرِ
وفى ما طُوله شِـبر   وقد يُوفى على الشّبر
له فى رأسـه شقٌّ   نَطُوفٌ بالنَّدى يَجرى
إذا ما جَفّ لم يُجْدِ   لدى بَرّ ولا بَحْر
فإن بُلَّ أتى بالعَجـ   ـب المُعْجِب والسِّحر

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار سعيد بن وهب ، هو :

لقـد قلتُ حين قُرّبـ   ـت العيسَ يا نَـوارُ
قِفُوا فاْربعوا قليـــلا   فلم يَرْبعوا وسـاروا
ونَفسى لهـــا حنين   وقلبى له انكسار
وصـــدرى به غَليل   ودَمعى له انحـــدار

أخبار رؤبة بن العجاج

نسبه

(*) وأسم العجّاج : عبد الله بن رُؤْبة بن حنيفة ؛ وهو أبو خزيم بن مالك أبن قُدامة بن أُسامة بن الحارث بن عوف بن سعد بن زيد مَناة بن تميم .

راجز بدوى

من رُجاز الإسلام وفُصحائهم المذكورين المقدّمين منهم . بدويّ نزل البصرة.

عصره ومنزلته وموته

وهو من مُخضرمى الدولتين ، مدح بنى أمية ، ومدح بنى العباس ، ومات فى خلافة المنصور ، وأخذ عنه وجوه أهل اللغة ، وكانوا يقتدون به ويحتجّون بشعره، ويجعلونه إماما .

كنيته

ويُكنى : أبا الجحّاف[1] ، وأبا محمد .

ليونس فى فصاحته

وقيل ليونس النحوى : هل رأيت أفصح من رؤبة ؟ فقال : لا ، ما كان مَعد بن عدنان أفصح منه .

أرسل إليه أبو مسلم واستنشده فأنشده

وذُكر أنه لما أفضت الخلافة إلى بنى العباس ، بعث أبو مسلم صاحب الدعوة إلى رؤبة يستدعيه ، فلما دخل عليه قال له : أنشدنى قولك :

* وقاتم الأعماق خاوى المُخترق *

فقال : وأنشدك أحسن منه ؟ فقال : هات . فأنشده :

قلت وسَجى[2] مُستجدٌ حَوكا
لبّيك إذ دعوتَنى لَبّيكا
أحمد ربًّا ساقنى إليكا

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(١) غير التجريد : « أبا العجاف » . (٢) فى غير التجريد : « وقولى » .

فقال : هات كلمتك الأولى . فقال : أو أُنشدك أحسن منها ؟ قال : هات . فأنشده :

ما زال يبنى خَندقاً ويهدمه
ويستجيش عسكراً ويهزمه
ومغنما يجمعه ويقسمه
مروان لما أن تهاوت أنجمه
وخانه فى حُكمه مُنجِّمه

فقال : دع هذا وأنشدنى : «وقاتم الأعماق» . فقال : وأحسن منه . قال : هات . فأنشده :

رفعتَ بيتاً وخفضتَ بيتا
وشِدتَ رُكن الدِّين إذ بنيتا
فى الأكرمين من قُريش بيتا

فقال : هات ما سألتك عنه . فأنشده :

ما زال يأتى الأمرَ من أقطاره
على اليمين وعلى يَساره
حتى أقرّ الملك فى قَراره
وفَر مَروان على حماره

فقال : هات ما دعوتك له وأمرتك بإنشاده ، ولا تنشد شيئاً غيره . فأنشده :

* وقاتم الأعماق خاوى المخترق *

فلما صار إلى قوله :

يَرْمى الجلاميدَ بِجُلمود مِدَقّ (١)

(١) مدق : ما يدق به ، ويكون بدلا من جلمود . وقيل : مدقّ ، أى يدق الأشياء ، وهو على هذا وصف لجلمود .

قال : قاتلك الله ! لشدّ ما اُستصلبت بالحافر ! ثم قال : حسبك ، أنا ذلك الجُلمود المِدق .

سئل عن أكله الفأر فأجاب

وذُكر أن رؤبة كان يأكل الفأر . فقيل له فى ذلك وعُوتب . فقال : هن والله أنظف من دَواجنكم ودَجاجكم اللواتى يأكلن القَذر ، وهل يأكل الفأر إلا نقىّ البُر ولُباب الطعام .

ليونس فى تفضيله هو والعجاج

وذُكر أنه قيل ليونس : من أشعر الناس ؟ قال : العجاج ورؤبة . فقيل له : لم نَعن الرُّجّاز . فقال : هما أشعر أهل القصيد ، و إنما الشعر كلام وأجوده أشعره . قال العجاج :

* قد جَبر الدِّين الإله فجُبر *

وهى نحو من مائتى بيت موقوفة ، ولو أطلقت قوافيها كانت منصوبة ، وكذلك عامة أراجيزه .

الرجز الذى فيه الغناء

والرجز الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار رؤبة ، هو :

دايَنْتُ[1] أروى والدُّيون تُقْضَى
فَمَطلت بعضاً وأدّت بعضَا
يا ليت أروى إذ لوتك القَرْضا
جادت بقَرض فشكرتُ القَرضا

(١) التجريد : « دلهت » .

أخبار أسماء بن خارجة

شعره الذي فيه الغناء

ثم ذكر أبو الفرج شعراً لأسماء بن خارجة الفزارى يُغنَّى فيه :

خُذى العفو منى تَستديمى مودّتى ... ولا تَنطقى فى سَورتى حين أَغْضَبُ

ولا تَنقُرينى نقركِ الدُّف مَرةً ... فإنك لا تَدْرين كيف المغيَّب

فإنِّى رأيت[1] الُحبَّ فى الصَّدر والأَذى ... إذا اجتمعا لم يَلبث الُحبّ يذهب

وصيته لابنته حين زوجها من الحجاج

وذُكر أن أسماء هذا زوّج ابنته هنداً من الحجّاج بن يوسف ، فلما كان ليلة أراد البناء بها ، قال لها : يابنية ، إن الأمهات يؤدّبن البنات ، و إن أُمك هلكت وأنتِ صغيرة ، فعليك بأطيب الطيب الماء ، وأحسن الحسن الكحل ، و إياكِ وكثرة المُعاتبة فإنها مقطعة للوُد ، و إياكِ وكثرة الغيرة فإنها مفتاح الطلاق ، وكونى له أَمَة يكن لك عبداً ، واُعلمى أنى القائل ـ وذكر البيت الأول والثانى والثالث من هذه الأبيات البائية .

وكانت هند هذه امرأة مجرّبة ، قد تزوجها جماعة من أُمراء العراق ، فكان الحجّاج يصفها فى مجلسه بكل خير .

جزع ابنته على زوجها عبيد الله ابن زياد بعد وفاته

وذكر أن أول أزواج هند بنت أسماء هذه عُبيد الله بن زياد ، وهو أبو عُذرتها ، فلما قُتل ، وكانت معه ، لبست قُباء وتقلّدت سيفاً وركبت فرساً لعبيد الله ـ كان يقال له : الكامل ـ وخرجت حتى دخلت الكوفة ليس معها دليل، ثم كانت بعد ذلك أشد خلق الله جزعاً عليه .

---

(٢) غير التجريد : « وجدت » .

ولقد قالت يوماً : إنى لأشتاق إلى القيامة لأرى وجه عبيد الله .

زواج ابنته من بشر وعدم جزعها عليه بعد موته

فلما قَدِم بِشر بن مروان الكوفة من قبل أخيه عبد الملك بن مروان، دُلّ عليها فخطبها فتزوجها ، فولدت له عبد الملك بن بشر ، ثم مات فلم تُكثر الجزع عليه . فقال الفرزدق فى ذلك :

إلاّ تكُنْ هِند بَكته فقد بكتْ عليه الثُّريّا فى كواكبها الزُّهرِ

تزوجها الحجاج ثم طلقها

ثم خطبها الحجاج بن يوسف فتزوجها ، وأرسل إليها بثلاثين غلاماً مع كل غلام عشرة آلاف درهم وثلاثين جارية ، مع كل جارية تخت ثياب ، فحظيت عنده حُظْوة كثيرة ، وقدم بها معه البصرة وبنى بها فى قصره المعروف بقصر الحجّاج . ولما دخلت معه هذا القصر قال لها : هل رأيت قط أحسن من هذا القصر؟ قالت : ما أحسنه ؟ قال: لتصدقنني. قالت : أما إذ أبيت فو الله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر ، وكان دار الإمارة بالبصرة ، وكان عبيد الله بن زياد بناه بطين أحمر . فغضب الحجّاج عليها وطلقها ، وبعث إلى القصر فهدمه وبناه بلَبِن .

أخبار السُّليك بن السَّلكة

نسبه

هو : السُّليك بن عمرو ـ وقيل : عُمير ـ بن يَثربىّ . أحد بنى مُقاعس ، وهو: الحارث بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم .

أمـه

والسُّلكة أمّه ، وهى أَمَة سوداء .

من عدائى العرب

وهو : أحد صعاليك العرب العَدَّائين الذين كانوا لا يُلحقون ولا تتعلّق بهم الخيل ، وهم : السُّليك بن السُّلكة ، والشَّنْفرى ، وتأبّط شرّا ، وعمرو بن بَرَّاق ، ونُفيل بن بَرَّاقة .

منهجه فى الغارة

وذُكر أن السُّليك كان يستودع فى الشتاء بيضَ النعام ماءَ السماء ثم يدفنه ، فإذا كان الصيف وانقطعت إغارة الخيل أغار ، وكان أدلّ من قَطاة ، يجىء حتى يقف على البيضة ، وكان لا يغير على مُضر وإنما يغير على اليمن ، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة .

خروجه مرة للغارة

فأملق مرة حتى لم يبق معه شىء ، فخرج يعدو على رجليه رجاءَ أن يُصيب غِرة من بعض من يَمر به فيذهب بإبله ، حتى أمسى فى ليلة من ليالى الشتاء باردة مُقمرة ، فاشتمل الصماء[1] ونام ، فبينما هو نائم إذ جثم عليه رجل فقعد على جنبه ، فقال : استأسر . فرفع السليك إليه رأسه وقال : الليل طويل وأنت مُقمر . فأرسلها مثلا . فجعل الرجل يلهزه[2] ويقول : يا خبيث ، استأسر . فلما آذاه بذلك أخرج السُّليك يده فضم الرَّجُل إليه ضمة ضرط منها وهو فوقه . فقال السليك : أضرطاً وأنت الأعلى . فأرسلها مثلا . ثم قال له السُّليك : ما أنت ؟

(١) اشتمال الصماء : أن يرد فضل ثوبه على عضده اليمنى ثم ينام عليها .

(٢) يلهزه : يلكزه .

قال : أنا رجل أفتقرت فقلت : لأخرجنّ فلا أرجع إلى أهلى حتى أستغنى فآتيهم وأنا غنيّ . قال : فانطلق معى. فانطلقا فوجدا رجلاً قِصّته مثل قصتهما ، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجوف جوف مُراد ، فلما أشرفوا عليه إذا فيه نَعم ، قد ملأ كل شيء من كثرته ، فهابوا أن يُغيروا فيطردوا بعضها ويلحقهم الطلب ، فقال لهم سليك : كونوا قريباً منّى حتى آتى الرّعاء فأعلم لكم علم الحى ، أقريب أم بعيد ، فإن كانوا قريباً رجعت إليكم ، وإن كانوا بعيداً قلت لكم قولاً أُومىء إليكم به ، فأغيرا . فانطلق حتى أتى الرِّعاء ، فلم يزل يستنطقهم حتى أخبروه مكان الحى ، فإذا هم بعيد إن طَلبوا لم يدركوا . فقال السليك للرعاء : ألا أغنّيكم ؟ فقالوا : بلى ، فرفع صوته وغنى :

يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادى ... سوى عَبيد وآمٍ بين أذْوادِ
أتنظران قريباً رَيث غَفلتهم ... أم تغدُوان فإنّ الريحَ للغادى

فلما سمعا ذلك أتيا السُّليك ، فطردوا الإبل ، فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصريخ الحيّ حتى فاتوهم بالإبل .

شعره الذى فيه الغناء ، وقصته

وذُكر أن السُّليك أغار على بنى عُوارا ، بطن من بنى مالك بن ضُبيعة ، فلم يظفر منهم بفائدة ، وأرادوا مُساورته ، فقال شيخ منهم : إنه إذا عدا لم يتعلق به شيء ، فدعوه حتى يرد الماء ، فإذا شرب ثَقُل، فلم يستطع العَدْو وظفرتم به . فأمهلوه يعدو حتى وَرد الماء ، فشرب ، ثم بادروه . فلما رأى أنه مأخوذ خاتلهم وقصد إلى أدنى بيوتهم حتى ولَجَ على أمرأة منهم ، يقال لها : فكيهة ، فاستجار بها ؛ فمنعته وجعلته تحت دِرعها ، واخترطت السيف ، وقامت دونه ؛ فكاثروها ، فكشفت خِمارها عن شعرها وصاحت بإخوتها ، فجاءوها ودفعوا عنه حتى نجا من القتل . ففى ذلك يقول السُّليك :

وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار السليك :

لعمرو أبيك والأنبـــاء تَنْمى لنِعْم الجارُ أختُ بنى عُوارَا
من الخَفِرات لم تَفضح أباها[١] ولم تَرفع لإخوتها شَـــنارا
كأنَّ مجامع الأرداف منهـا نَقًى دَرَجت عليه الريح هَارا
وما عجزت فُـكيهة يوم قامت بنَصل السَّيف وأستلبُو الخِمارا

قصته مع بنى كنانة

وذُكر أن السليك أخذ رجلا من بنى كنـانة بن تَيم بن أُسـامة بن مالك ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنم[٢] بن تغلب ، يقال له : النعمان بن عقيان[٣]، ثم أطلقه ، ثم قدم بعد ذلك على بنى كنانة ، وهو شيخ كبير ، وهم على ماء لهم ، فأتاه النعمان بأبنيه : الحكم وعثمان، وهما سيدا بنى كنانة ، ونائلة أبنته ،وقال :هذان وهذه لك ، وما أملك غيرهم . فقالوا :صدق . فقال : لقد شكرت لك وقد رددتهم عليك .فجمعتْ له بنو كنانة إبلا عظيمة فدفعوها إليه ، ثم قالوا له : إن رأيت أن تُرينا بعض ما بقى من إحضارك ؟ فقال : نعم ، ابغُونى أربعين شاباً وابغونى درعاً ثقيلة . فأتوه بذلك. فلبس الدرع ، وقال للشبان : الحقونى إن شئتم . ثم عدا وعَدَوا جنبه فلم يلحقوه ، ثم غاب عنهم ، وكرّ حتى عاد إلى القـــوم وهو وحده يُحضر والدرع فى عُنقه تضطرب ، كأنها خِرقة ، من شدة إحضاره .

وذُكر[٤] أن السُّليك لقى رجلا من خَثعم يقال له : مالك بن عمرو ، فأخذه ومعه أمرأة له من خفاجة ، يقال لها : النوار ، فقال له الخثعمى : أنا أفدى نفسى منك . فقال له السليك : ذلك لك . فرجع إلى قومه وخلّف أمرأته رَهينة معه . فوطئها السُّليك ، وجعلت تقول له: أحذر خثعم، فإنى أخافهم عليك ، فأنشأ يقول:

---

(١) التجريد : « أخاها » .
(٢) فى غير التجريد : « عثمان » . وانظر الجمهرة (٢٨٦) .
(٣) غير التجريد : « عقبان » .
(٤) لم يرد هذا الخبر فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

تُحذِّرنى كى أحذر العامَ خَثْعما ... وقد علمتْ أنّى أمرؤ غير مُسلِمِ
وما خَثعم إلا لئــــام أرقّة ... إلى الذُّل والإسحاق تُنمى وتَنْتمى

وبلغ الخبرُ شِبْل بن قلادة وأنس بن مُدرِك الخَثْعميين ، فخالفا إلى السُّليك ، فلم يشعر إلا وقد طرقا فى الخيل ، وأنشأ يقول :

من مُبلغ حِزْبى بأنِّى مَقتولْ ... يا رُبّ نَهب قد حَويتُ عُثْكول[1]
ورُبّ قِرْن قد تركت مَجدول ... ورُبّ زوج قد نكحتُ عُطبول[2]
ورُبّ عانٍ قد فككت مَكبول ... ورُبّ وادٍ قد قطعتُ مسيول

فقال أنس لشِبل : إن شئت كفيتُك القوم وا كفنى الرجل ، وإن شئت ا كفنى القوم وأ كفيك الرجل . فقال : بل أ كفيك القــوم : فشد أنس على السُّليك فقتله ، وقتل شبل وأصحابُه من كان مع السُّليك .

---

(١) العثكول : العنذق بما عليه . يريد نهباً كثيرا .

(٢) العطبول : المرأة الفتية الجميلة ، الممتلئة الطويلة العنق .

أخبار أبي نُخَيْلة

نسبه

وأبو نُخَيلة ، اسمه لا كنيته . وكنيته : أبو الجنيد . وهو : ابن حَزن[1] بن زائدة ابن لقيط بن هرم بن يَثربي بن ظالم بن مُجاشر بن جَمّاز بن عبد العُزى بن كعب ابن سعد بن زيد بن مناة بن تميم .

عقوقه لأبيه

وكان عاقًّا بأبيه ؛ فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج إلى الشام فأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد ؛ وبقي مشكوكاً في نَسبه مَطعوناً عليه .

شعره

وكان الأغلب على شعره الرّجز ، وله قصيد ليس بالكثير .

بين الأمويين والهاشميين

ولما خرج إلى الشام اتصل بمَسلمة بن عبد الملك بن مَروان فاصطنعه وأحسن إليه ، وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستماحهم فأغنوه . وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم . انقطع إلى بني هاشم ولقّب نفسه شاعر بني هاشم ، فمدح خُلفاء بني العباس ، وهجا بني أمية فأكثر .

مدحه مسلمة وقصة ذلك

وحكى أبو نُخَيلة قال :

وفدت على مَسلمة بن عبد الملك فمدحتُه وقلت فيه :

أمَسلم إني يا ابن كُل خليفة	ويا فارسَ الدُّنيا ويامَلِكَ[2] الأرضِ
شكرتُك إن الشكر حَبلٌ من التقى	وما كل من أقرضته[3] نعمةً يَقضِ
فألفيتَ لمّا أن أتيتك زائراً	عليّ لِحافاً سابغ الطُول والعَرض
وأحييتَ لي ذكرى وما كان خاملاً	ولكنّ بعض الذكر أنبهُ من بعض

فقال لي مسلمة : من أنت ؟ فقلت : من بني سعد . فقال : ما لكم يا بني سعد

(١) غير التجريد : « عدن » . (٢) غير التجريد : « ويا فارس الهيجا ويا جبل » .

(٣) في غير التجريد : « أوليته » .

والقصيد ، وإنما حظكم الرّجز . فقلت له : أنا والله أرجز العرب . قال : فأنشدنى من رجزك . فكأنى والله لمّا قال لى ذلك لم أقل رجزاً قطّ ، أنسانيه الله كله ، فما ذكرت منه ولا من غيره شيئاً إلا أرجوزة لرؤبة ، وقد كان قالها فى تلك السنة ، وظننت أنها لم تبلغه ، فأنشدتُه إياها ؛ فنكّس رأسه وتعتّت[1]؛ ثم رفع رأسه إلىّ وقال لى : لا تُتعب نفسك ، فإنى أروَى لها منك . فانصرفت وأنا أكذب الناس عنده ، وأخزاهم عند نفسى ، حتى تلطفتُ بعد ذلك ومدحتُه برَجز كثير ، فعرفنى وقرّبنى ، وما رأيت ذلك منه ــ يرحمه الله ــ ولا قرّعنى به حتى افترقنا .

شعره الذى فيه الغناء وقصته

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى نُخَيلة ، هو البيتان الأولان من هذه الأبيات المذكورة .

وذُكر أنه لما أفضت الخلافةُ إلى بنى العباس دخل أبو نُخَيلة على أبى العباس السفاح ؛ فسلّم عليه واستأذن فى الإنشاد . فقال له أبو العباس : لا حاجة لنا فى شعرك ، إنما تُنشدنا فضلات بنى مروان . فقال : يا أمير المؤمنين :

كنا أناساً نُرهب الأملاكا ... إذ ركبوا الأعناق والأوراكا

قد ارتجينا زمناً أباكا ... ثم ارتجينا بعده أخاكا

ثم ارتجينا بعده إيّاكا[2] ... فكان ما قلت لمن سواكا

زُورا فقد كفّر هذا ذاكا

فضحك وأجازه جائزة سنية ، وقال : أجل ، إن التوبة لتُكفِّر ما قبلها ، وقد كفّر هذا ذاك .

وقد قيل : إنه لما وقف أبو نُخَيلة بين يدى السفّاح سلّم عليه ودعا له وأثنى عليه ، ثم استأذن فى الإنشاد . فقال : من أنت ؟ فقال : عبدك يا أمير المؤمنين

---

(١) أى لم يستمر فى كلامه .

(٢) فى غير التجريد : « ثم ارتجينا بعده » .

أبو نُخيلة . فقال له : لا حياك الله ولا قرّب دارك ، ألست القائل فى مَسلمة بن عبد الملك بالأمس :

أمُسلم إنى يا بن كُل خليفــة ويا فارس الهيجا ويا ملَكِ الأرض

أما والله لولا أنى قد أمّنت نُظراءك لما ارتد إليك طرفك حتى أخْضِبك بدمك . فأنشده أبو نُخيلة الرجز المذكور . فتبسم أبو العباس ثم قال : أنت شاعر وطالب خَير ، وما زال الناس يمدحون الملوك فى دُولهم ، والتوبة تمحو الخطية ، والظفر يزيل الحقد ، وقد عفونا عنك واستأنفنا الصَّنيعة لك ، وأنت الآن شاعرنا ، فاتَّسم بذلك ليزول عنك مِيسم بنى مروان ، فقد كفّر هذا ذاك كما قلت .

تهنئة المنصور بالبيعة للمهدى

وكان السفَّاح أبو العباس قد عَهد بالخلافة بعده إلى أخيه أبى جعفر المنصور ، وبعد المنصـــور إلى ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، فلما تُوفى السفاح بايع الناسُ المنصور بالخلافة ، وبولاية عَهده لابن أخيه عيسى بن موسى ، فلما تمــكن الأمر للمنصور واستقرت قواعد ملــكه عَزم على خلع ابن أخيه عيسى ، ونَقْل الأمر إلى ابنه محمد المهدى ، وطالب عيسى بخَلع نفسه ، فامتنع ، وجرت فى ذلك خطوب وتهديدات كثيرة من المنصور ، إلى أن أجاب عيسى إلى خلع نفسه . فذُكر أنه لمــا كان يوم البيعة للمهدى دخل أبو نُخيلة على المنصور وأنشده :

لم يُنسنى يا ابنة آل مَعبـد ذكراك تــكرارُ الليالى العُوَّدِ
ولا ذوات العَصب[1] المورَّد ولو طَلَبْن الوُدّ بالتــودد
ورُحْن فى الدُّر وفى الزَّبرجد

يقول فيها :

إلى أمــير المؤمنين فاعْمد إلى الذى يَنْدى ولا يَندى نَدِى

(١) العصب : من البرود .

سِيرِى إلَى بحر البِحـار المُزبد إلى الذى إن نَفِدت لم يَنفَدِ
أو أُثمدت أشراعُهـا لم يُثمد(١)

ومنهـا :

فقد رضينا بالغـلام الأَمرد وقد فزِعنا(٢) غيرَ أنْ لم نَشْهد
وغير أنّ العهد لم يؤكّد وأصنع كما شئت وزِدْه يَزدد(٣)
وردِّه منك رداءَ المُرتدى(٤) فهو رداء السـابق المقلَّد
فنادِ للبَيعة جمعاً وأحشد(٥) فى يومنا الحاضر هذا أو غد

وذُكر أن عيسى بن موسى كان حاضراً إنشادها .

قال أبو نخيلة : فلمـا خرجت أتبعنى عقال بن شَـبة ، فقال : أما أنت فقد سررت أمير المؤمنين ، ولئن تم الأمر لتصيبن خيراً ، وإن لم يتم فابتغ لنفسك نفقاً فى الأرض أو سُلماً فى السماء . فقلت له :

● عَلقت مَعالقها وصَرّ الجُندب *

أنشد المنصور فأجازه

وذُكر أن أبا نُخيلة أنشد المنصور فى هذا المعنى أرجوزة طويلة ، أولها :

ماذا على شَحْط النَّوى عنَّا كا(٦) أم مامَرى(٧) دمعَك من ذكراكا
وقد تبـكّيتَ فمـا أبكاكا

يقول فيها :

خليفة الله وأنت ذاكا أسْند إلى محمـدٍ عصاكا

---

(١) الأشراع : موارد الماء . وأثمدت : أى قل ماؤها فنبت عنه .
(٢) غير التجريد : « فرغنا » .
(٣) غير التجريد : « ورد يردد » .
(٤) فى غير التجريد : « يرتدى » .
(٥) غير التجريد : « نحشد » .
(٦) فى غير التجريد : « غشاكا » .
(٧) مرى دمعك : استخرجه وأجراه . والرواية فى غير التجريد : « ما جرى » .

فأحفظُ الناس(١) لهـا أدناكا وأبنك ما استكفيته كفاكا

فـكُلنـــا مُنتظر لذاكا لو قيل هاتوا قيل(٢) هاكا هاكا

فوصله المنصور بألفى درهم .

انتقام عيسى منه وقتله

ولما خُلع عيسى بن موسى حقد على أبى نُخيلة وطلبه أشدَّ طلب ، فهرب منه وخرج يريد خراسان ، فبلغ عيسى خبرُه ، فبعث خلفه مولًى له يقال له : قطرىّ ، ومعه عِدة من مواليه ، وقال له : نفسَك نفسك أن يفوتك أبو نُخيلة . فخرج فى طلبه مُغذًّا للسير ، فلحقه فى طريق خراسان ، فأخذ قطرىٌّ أبا نخيلة فكتفه وأضجعه ، فلما وضع السكين على أوداجه قال له : يأبن اللخناء ، ألست القائل :

* علقت معالقها وصَرَّ الجندب *

الآن صَرَّ جُندبك .

فقال : لعن الله ذلك جندباً ، ما كان أشأمه ، ثم ذبحه قطرىّ وسلخ جلده ووجهه ، وألقى لحمه للنُّسور ، وأقسم لا يريم مكانه حتى تُمزّق السباعُ والطير لحمه ، فأقام حتى لم تبق إلا عظامه . ثم انصرف .

---

(١) التجريد : « له » .

(٢) فى غير التجريد : « قلت » .

أخبار المُنَخَّل اليشكرى

هو : المُنخَّل بن عمرو . وقيل : — ابن مسعود — بن أفلت بن كعب بن سَوأة ابن غَنْم بن حَبيب بن يشكُر بن بكر بن وائل . — نسبه

وهو شاعر مُقل من شعراء الجاهلية . — قدره فى الشعر

وكان صحب النعمان بن المُنذر ، ملك الحيرة ، وكان جميلاً وسيما فعشقتْه المُتجرّدة ، زوجةُ النعمان بن المنذر ، وكانت فاجرة . — هو والنعمان وزوجه

وذُكر أنها ولدت غلامين على فراش النعمان ، كانا أشبه الناس بالمُنخَّل ، فكان يقال : إنهما منه . وكان النعمان أحمر أبرش قصيراً دَميما ، وكان للنعمان يومٌ يركب فيه فيُطيل المُكث ، وكان المُنخَّل من نُدمائه لا يُفارقه . فكان المنخل يأتى المُتجردة فى ذلك اليوم الذى يركب فيه النعمان ، فيطيل عندها ، حتى إذا جاء النعمان آذنتها بمجيئه وليدةٌ لها موكّلة بذلك فتُخرجه . فركب النعمان ذات يوم ، وأتاها كما كان يأتيها ، فلاعبتْه ، وأخذت قيداً فجعلت إحدى حَلقتيه فى رجله والأخرى فى رجلها ، وغفلت الوليدةُ عن ترقُّب النعمان ، لأن الوقت الذى كان يجىء فيه لم يكن قَرُب . فأقبل النعمان حينئذ ولم يُطل فى وجهه كما كان يفعل ، فدخل إلى المُتجردة فوجدها مع المُنخَّل ، وقد قَيدت رجلها ورجله بالقيد ، فدفعه النعمان إلى صاحب سجنه ، فعذَّبه حتى قتله .

والشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار المُنخل هو : — شعره الذى فيه الغناء

ولقد دخلت على الفتا ... ة الخِدرَ فى اليوم المَطيرْ

فدفعتهـــا فتدافعت ... مشىَ القطاة إلى الغدير

ولثمتهـــــا فتنفَّست كتنفُّس الظَّبْيِ البَهير

وهذا الشعر من قصيدة أولها :

إن كنت عاذلتى فسيرى نحـو العراق ولا تحُورى

لا تسألى عن جُلِّ ما لى واذكرى كَرمى وخِيرى

ومنها بعض أبيات الغناء المذكورة :

فدنت وقالت يا منخَّـ ـل ما بجسمك من فُتور (١)

ما شَفَّ جسمى غيرُ حبـ ـك فاهدئى عنى وسيرى

ولقد شربت من المُدا مة بالصغير وبالكبير

فإذا سكرت فإننى ربُّ الخورنق والسَّدير

وإذا صحوتُ فإننى ربُّ الشُّويهة والبَعير

يا رُبّ يوم للمُنخَّـ ـل قد لَهى فيه قَصير

يا هند هل من نائلٍ يا هند للعانى الأسير

زيد فيها ؛ قال أبو الفرج : ولم أجده فى رواية صحيحة :

وأحبها وتُحبنى ويُحب ناقتَها بعيرى

(١) غير التجريد : « حرور »

أخبار أمية بن الأسكر

نسـبه

هو : أمية بن حُرثان بن الأسكر[1] بن عبد الله سربال[2] الموت بن زُهرة ابن زينية بن جُندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة ابن الياس بن مضر بن نزار .

طبقته ومنزلته

شاعر مُخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان من سادات قومه وفُرسانهم ، وله أيام مأثورة مذكورة .

أخـوه

وكان له أخ يقال له : أبو لاعق الدم ، وكان من فرسان قومه وشعرائهم .

ابنـه

وابنه : كلاب بن أمية أيضاً أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم مع أبيه ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بصلة أبيه ومُلازمته .

شعره الذى فيه الغناء وقصته

وذكر أن كلاب بن أمية لقى طلحة والزبير ـ رضى الله عنهما ـ فسألهما : أى الأعمال أفضل فى الإسلام؟ فقالا : الجهاد . فسأل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن يُغزيه ، فأغزاه فى جيش . وكان أبوه قد كبر وضَعف ، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال ـ والبيتان الأولان هما الشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار أمية:

لمن شَيخان قد نَشدا كلاباً ... كتاب الله لو قَبل الكتابا

أناشده فيُعرض فى إباء ... فلا وأبى كلاب ما أصابا

إذا سجعتْ حمامةُ بطن وادٍ ... إلى بَيضاتها دَعَوَا كلابا

أتاه مُهاجران تكنَّفاه ... ففارق سُنحه[3] خطأً وخابا

---

(١) التجريد : « الأشكر » . وانظر الجمهرة (١٧٣) .

(٢) التجريد والأغانى : « بسرابيل » وما أثبتنا من الجمهرة .

(٣) السنح ، بالضم : اليمن والبركة . وفى غير التجريد : « شيخه » .

تركتَ أباك مُرعشةً يداه ... وأمك ما تُسيغ لها شرابا

وإنك والتماس الأجر بعدى ... كباغى الماء يتّبع السرابا

مجيئه عمر فى شأن ابنه وإنشاده إياه

فبلغت أبياته عمرَ بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فلم يردُد كلاباً ؛ فطال مُقامه، فاشتد جزع أبيه واختلط . ثم أتى عمرَ ـ رضى الله عنه ـ يوماً فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والأنصار ؛ فوقف عليه ثم أنشأ يقول :

أعاذلَ قد عذلتِ بغير قَدْر ... ولا تَدْرين عاذلَ ما أُلاقى

فإمّا كُنت عاذلتى فرُدّى ... كِلاباً إذ توجّه للعراق

ولم أقضِ اللُّبانة من كِلاب ... غداةَ غدٍ وآذن بالفِراق

فتى الفتيان فى عُسْر ويُسر ... شديد الرُّكن فى يوم التلاقى

ولا وأبيك ما باليتِ وَجدى ... ولا شَغفى عليك ولا اشتياقى

وإشفاقى عليك إذا شتونا ... وضمّك تحت نَحرى واعتناقى

فلو فلق الفؤاد شديد (١) وجد ... لهمّ سَوادُ قلبى بانفلاق

فبكى عمر رضى الله عنه بكاء شديداً ، وكتب بردّ كلاب إلى المدينة . فلما دخل عليه قال له : ما بلغ من برك بأبيك؟ قال : كنت أُوثره وأكفيه أمره ، وكنت أعتمد ـ إذا أردت أن أحلب له لبناً ـ أغزر ناقة فى إبله وأسمنها فأتركها حتى تستقر، ثم أغسل أخلافَها حتى ترد ، ثم أحتلب له فأسقيه . فبعث عمر رضى الله عنه إلى أمية من جاء به فأدخله يتهادى وقد ضعُف بصره وانحنى . فقال : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ فقال : كما ترى يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال نعم : كنت أشتهى أن أرى كلاباً فأشمه شمة وأضمه ضمة ، قبل أن أموت . فبكى عمر رضى الله عنه وقال : ستبلغ فى هذا ما تُحب إن شاء الله . ثم أمر كلاباً أن يحلُب لأبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبعث إليه بلبنها . ففعل؛ وناوله عمر الإناء ،

(١) غير التجريد : « حطام » .

وقال : دونك هذا يا أبا كِلاب . فلما أخذه وأدناه من فمه قال لعُمر : والله يا أمير المؤمنين إنى لأجد رائحة يدى كِلاب من هذا الإناء ! فبكى عمر وقال : هذا كلاب عندك حاضر قد جئناك به . فوثب إلى أبنه فضمه إليه وقبّله ، وجعل عمر رضى الله عنه يبكى ومَن حضره ، وقال لكلاب : إلزم أبويك ، فجاهِدْ فيهما ما بَقيا ، ثم شأنك بنفسك بعدها ، وأمر له بعطاء وصرفه مع أبيه ، فلم يزل مُقيماً معه حتى مات .

شعره فى كبره

وذُكر أن أُمية بن الأسكر عُمّر عمراً طويلاً حتى خَرِف ، فكان ذات يوم جالساً فى نادى قومه وهو يحدّث نفسه ، إذ نظر إلى راعى ضأن لبعض قومه ، فعجب منه ، فقام لينهض فسقط على وجهه ، فضحك الراعى منه ، وأقبل أبناه إليه ، فلما رآهما أنشأ يقول :

يا بْنَىْ(١) أمية إنى عنكما غانِى ... وما الغِنى غير أنّى مُرعش فانِى

يا بْنَىْ أمية إلاّ تحفظا كِبرى ... فإنما أنتما والثّكل مِثلان

أصبحت قرداً لراعى الضأن يلعب بى(٢) ... ماذا يَريبك منّى راعى الضان

أعجب لغيرىَ إنى تابع سَلفى ... أعمام مَجد وأجدادى وإخوانى

تمثل على بن أبى طالب بشعر له

وقد تمثل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بهذه الأبيات على منبر الكوفة .

حكى عبد الله بن عدىّ بن الخيار قال : شهدت الحكمين ، ثم أتيت الكوفة وكانت لى إلى علىّ بن أبى طالب حاجة ، فدخلت عليه ، فلما رآنى قال : مرحباً بك يابن أم قتّال ، أزائراً جئتنا أم لحاجة ؟ فقلت : كلٌّ جاء بى ، جئت لحاجة وأحببت أن أُجدد بك عهداً . وسألته عن حديث ، فحدّثنى على ألا أحدّث به أَحداً ، فبينا أنا يوماً فى المسجد بالكوفة ، إذا علىّ مُنتكب قَرْناً(٣) له ، فجعل يقول:

---

(١) غير التجريد : « بنى » . (٢) غير التجريد : « يسخر بى » .

(٣) القرن : معروف . وانتكبه : وضعه على منكبه .

الصلاة جامعة ، وجلس على المنبر واُجتمع الناس ، وجاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المنبر . فلما اجتمع الناس ورضى منهم ، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس : إنكم تزعمون أن عندى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس عند الناس ، ألا والله ليس عندى إلا ما فى قَرنى هذا ؛ ثم نَكب كنانته فأخرج منها صحيفة فيها : المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يدٌ على من سواهم ، مَن أحدث حدثاً أو آوى مُحدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقال له الأشعث بن قيس : هذه عليك لا لك ، دعها تترحَّل . فخفض علىّ بصره ، وقال : ما يُدريك ما علىّ مما لى ؟ عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين ، حائك ابن حائك ، مُنافق اُبن منافق والله لقد أَسَرَكَ الإسلام مَرّة ، والكُفر أخرى ، فما فَداك من واحدة منهما حَسَبُك ولا مالُك . ثم رفع إلىّ بصره وقال :

أصبحت قِرداً[١] لراعى الضأن يلعب بى ماذا يَريبك منّى راعى الضانِ

فقلت له : بأبى وأمى ، قد كنت والله أحب أن أسمع هذا منك . فقال : هو والله ذاك . قال :

فما قِيل لى بعــــدها مِن مقالةٍ ولا عَلِقتْ منّى جديداً ولا دَرْساَ[٢]

---

(١) غير التجريد : « قنا » . والقن : العبد .
(٢) الدرس : الخلق البالى .

أخبار عَبْدة بن الطبيب

ثم ذكر أبوالفرج : عَبْدة بن الطَّبيب . وأسم الطَّبيب : يزيد بن عمرو بن وَعْلة ابن أنس بن عبد الله بن عبد بن تيم بن جُشم بن عَبْد شمس بن سعد بن زيد مناة ابن تميم .

نسبه

وهو : شاعر مُجيد ليس بالمُكثر . وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام .

طبقته

والشعر الذى فيه الغناء هو :

الشعر الذى فيه الغناء

أبُنىّ إنّى قد كبرتُ ورابنى ... بَصرى وفىّ لُمُصْلِح مُستمتعُ

فلئن كَبِرتُ لقد دنوتُ إلى البِلَى ... وخَلتْ لكم منّى خلائقُ أربع

وهو الذى رثى قيس بن عاصم بقوله :

من رثائه لقيس ابن عاصم

فما كان قيسٌ هُلكه هُلكَ واحدٍ ... ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدّما

أخبار الأغلب

شعره الذي فيه الغناء

ثم ذكر أبو الفرج خبر الأغلب ، وذكر شعره الذي فيه الغناء ، وهو :

إنَّ الليالي أسرعتْ في نَقْضِي ... أقعدنني من بعد طُول نَهضِ

أخذن بَعضي وتَركْن بعضي ... حَنَيْن طُولي وطَوَيْن عَرضي

نسبه

والأغلب ، هو : ابن جُشَم بن سعد ، أحد بني بَكْر بن وائل .

تعميره وإسلامه واستشهاده

وهو أحد المعمَّرين ، عُمِّر في الجاهلية عمراً طويلاً ، وأدرك الإسلام فأسلم ، وحَسُن إسلامه وهاجر ، ثم كان فيمن توجّه إلى الكوفة مع سعد بن أبي وقّاص ، رضي الله عنه ، فنزلها ، واستشهد في وقعة نهاوند ، فقبرُه هناك في قبور الشهداء ، رحمه الله .

أول راجز

ويقال : إنه أوَّل مَن رجز الأراجيز الطِّوال من العرب .

له شعر في تزوج سجاح بمسيلمة

ثم ذكر له أبو الفرج شعراً يذكر فيه تزوُّج سَجَاح بمُسيلمة الكذَّاب ، لعنه الله ، أفحش فيه ، فاقتضى ذلك ذِكر سَجَاح وتزوّجها مُسيلمة .

ذكر خبر سَجَاح

ادعاؤها النبوة

قيل : إن سَجَاح التميميَّة ادَّعت النبوّة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجتمعت عليها بنو تميم ، وكان فيما ادعت أنه أُنزل عليها ؟ يأيها المؤمنون المتّقون ، لنا نِصف الأرض ولقريش نِصفها ، ولكنَّ قريشاً قومٌ يبغون .

من تتبعها

فتابعتها بنو تميم واعتقدوا نُبوّتها . وكان فيهم الأحنف بن قيس ، وحارثة بن بدر ، ووجوه تميم كلها .

مؤذنها

وكان شَبث بن رِبْعىّ الرِّياحىّ مؤذّنها .

من كلامها

وعمدت فى جيشها إلى مُسيلمة الكذّاب ، وهو باليمامة ، وقالت : يامعشر تميم ، اقصدوا اليمامة ، واضربوا فيها كل هامة ، واضرموا فيها ناراً مَلهامة ، حتى تتركوها سوداء كالحمامة .

وقالت أيضاً : إن الله لم يجعل هذا الأمر فى ربيعة وإنما جعله فى مُضر ، فاقصدوا هذا الجمع ـ تعنى جمع مُسيلمة ـ فإذا فَضضتموه كررتم على قريش .

قصدها مسيلمة وخبر زواجه منها

فسارت فى قومها ، وهم جمع عظيم . وبلغ مُسيلمةَ خبرُها ، وضاق بها ذرعاً وتحصن فى حِجر ـ وهو حصن اليمامة ـ وجاءت فى جيوشها فأحاطت به ، فأرسل إلى وجوه قومه وقال : ماترون ؟ قالوا : نرى أن تُسلم هذا الأمر إليها وتدعنا ، فإن لم نفعل فهو البَوار . وكان مُسيلمة داهية ، فقال : سأنظر فى هذا ، ثم بعث إليها : إن الله تبارك وتعالى أنزل عليكِ وحياً وأنزل علىّ ، فهلمّى نجتمع فنتدارس ما أُنزل علينا ، فمن أعرف الحق تبعه ، واجتمعنا فأكلنا العَربَ أكلا ، بقومى وقومك . فبعثت إليه : أفعل . فأمر بقبة أدم فضُربت ، وأمر بالعُود المَندلىِّ

فسُجِر[١] فيها . وقال : أكثروا من الطِّيب والمِجْمر[٢] ، فإنَّ المرأة إذا شَمت رائحة الطيب ذكرت الباه . ففعلوا ذلك . وجاءها رسوله يُخبرها بأمر القُبة المضروبة للاجتماع ، فأتته فقالت : هات ما أنزل الله عليك . فقال : ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى ، أخرج منها نسمة[٣] تَسعى ، من بين صِفَاق[٤] وحَشى ، من بين ذكر وأنثى ، وأموات وأحيا ، ثم إلى ربهم يكون المُنتهى .

قالت : وماذا ؟ فقال : ألم تر أن الله خلقنا أفواجاً ، وجعل النساء لنا أزواجاً ، فنُولج فيهن قيسا[٥] إيلاجاً ، ونُخرجه منهن إذا شئنا إخراجاً .

قالت : فبأى شىء أمر ربك ؟ فقال :

ألا قُومى إلى النَّيكِ ... فقد هُيِّى لك المضجعْ

فإنْ شِئتِ ففى البيت ... وإن شئت فَفى المخدع

وإن شئت سَلَقْناك ... وإن شئت على أربع

وإن شِئت بثُلثيه ... وإن شئت به أجمع

فقالت : بل به أجمع . فقال : كذلك أُوحى إلىّ ، فواقعها . فلما قام عنها قالت : إن مثلى لا يُجْرَى أمرُها هكذا ، فتكون وصمةً على قومى وعلىّ ، ولكنى مُسلمة إليك النبوّة ، فاخطُبنى إلى أوليائى يُزوِّجوك ، ثم أقود تميما معك. فخرجت وخرج ، واجتمع الحيَّان من حنيفة وتميم ، فقالت لهم سَجاح : إنه قرأ علىّ ماأُنزل عليه ، فوجدته حقًّا فاتبعتُه . ثم خطبها فزوّجوه إياها ، وسألوه عن المَهر فقال : قد وضعت عنكم صلاة العصر .

---

(١) سجر : أوقد ، بالبناء للمجهول فيهما . (٢) المجمر : العود .

(٣) فى غير التجريد : « نطفة » . (٤) الصفاق : جلد البطن .

(٥) القيس : الذكر . وفى غير التجريد : « الغراميل » .

قال الرواى : فبنو تميم إلى الآن بالرَّمل لايصلُّونها ، و يقولون : هذا حق لنا ، ومَهرُ لكريمتنا[1] لا نَردّه . فقال شاعر تميم يذكر أمر سجاح فى قَصيدة له :

أَضحت نبيَّتُنا أنثى نُطيف بها وأَصبحت أَنبياء الله ذُكرانا

وذُكِر أنه سمع الزّبرقان بن بَدر الأحنفَ بن قيس يومئذ ، وقد ذكر مُسيلمةَ وما تلاه عليهم ، فقال الأحنف : والله ما رأيت أحمق من هذه الأنبياء قط . فقال الزبرقان : والله لأُخبرن بذلك مُسيلمة . فقال : إذن والله أَحلف أنك كذبت فيصدقنى ويكذبك . قال : فأَمسك الزّبرقان وعلم أنه قد صدق .

فحدَّث الحسن البصرى رحمه الله بهذا الحديث ، فقال : أَمِن والله أبو بحر من نزول الوحى .

مقتل مسيلمة وإسلام سجاح

ثم سار خالد بن الوليد بجيوش المسلمين إلى مُسيلمة ، لعنه الله . فقاتله ، فقُتل مسيلمة ، وانهزم أصحابه ، وأَسلمت سجاح بعد ذلك وحَسُن إسلامُها .

طليحة والأسود العنسى

وكان تنبأ أَيضاً طُليحة بن خويلد الأسدى ، ثم أَسلم ، وكان أدعى الأسودُ العَنسى النبوة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتله فيروز الدَّيلمى .

(١) غير المجريد : « كريمة منا » .

أخبار البحترى

نسبه

هو : الوليد بن عَبيد بن يحيى بن عبيدين بن شِملال بن جابر[1] بن سلمة[2] ابن مُسهِر[3] بن الحارث بن جُشَم[4] بن أبى حارثة بن جدى بن تَدول[5] بن بُحتر ابن عَتود بن عُنَين[6] بن سلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوث بن جَلهمة ، وهو طيىء ، بن أُدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان .

كنيته ومنزلته فى الشعر

ويُكنى أبا عُبادة وأبا الحسن . شاعر فصيح فاضل حَسن المذهب نقىّ الكلام مطبوع .

شعره ومكان الهجاء منه

قال أبو الفرج : كان مشايخنا يَختمون به الشعراء المُحدثين . وله تصرُّف فى ضُروب الشعر سوى الهجاء ، فإنَّ بضاعته فيه نَزْرة ، وجيّده فيه قليل .

ويقال : إنه كان له فيه شىء كثير فأحرقه عند موته .

تشبهه بأبى تمام

وكان البُحترى يتشبَّه بأبى تمام فى شعره ، ويحذو حَذوه ، وينحو نحوه فى البديع الذى كان أبو تمام يستعمله .

الحكم بينه وبين أبى تمام

وقيل فى الحكم بينهما : إن جيد أبى تمام خير من جيد البحترى ، ورديئه خير من وسط أبى تمام ورديئه .

اتصاله بأبى تمام وتوصيته به

وحكى البُحترى قال :

كان أول أمرى فى الشعر ونَباهتى فيه أن صِرتُ إلى أبى تمّام وهو بحمص ،

---

(١) الجمهرة (٣٧٧) : « تملان بن خالد » . (٢) فى غير التجريد : « مسلمة » .

(٣) الجمهرة : « سهم » . (٤) فى غير التجريد : « خيثم » .

(٥) الجمهرة : « جرول » . وغير التجريد : « نزول » .

(٦) الجمهرة : « عنين » . غير التجريد : « عنمة » .

فعرضت عليه شعرى ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل علىّ وترك سائر من حَضر ، فلما تفرّقوا قال لى : أنت أشعر مَن أنشدنى فكيف حالك ؟ فشكوت إليه خَلة[1] ، فكتب إلى أهل مَعرة النعمان وشهد لى بالحذق فى الشعر ، وشفع لى إليهم ، وقال : امتدحهم ، فصرت إليهم فأكرمونى بكتابه ووظّفوا لى أربعة آلاف درهم ، فكانت أول مال أصبته .

وكانت نسخة كتابه : يصل كتابى هذا على يد الوليد أبى عُبادة الطائى ، وهو على بذاذته شاعر ، فأكرموه .

أول شعر له

وحَكى البُحترى قال :

كنت أتعشّق غُلاماً من أهل مَنبج ، يقال له : شَقران ، واتفق لى سفر ، فخرجتُ فيه وأطلتُ الغيبة ، ثم عُدت وقد اُلتحَى ، فقلت فيه ، وكان أول شعر قلته :

نَبتت لحيـــةُ شقرا ن شقيق النفس بَعدِى

حُلقت كَيف أتتـــه قبل أَن يُنجز وعدى

من أوسخ خلق الله وأبخلهم

وذكر أن البُحترى كان من أوسخ خلق الله ثوباً ، وأبخلهم على كل شىء ، وكان له أخ وغلام معه فى داره ، فكان يقتلهما جوعاً ، فإذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان ، فيرمى إليهما بثمن أقواتهما مُضيّقاً مقتراً ، ويقول : كلا ، أجاع الله أكبادكما ، وأعرى أجلادكما ، وأطال إجهادكما .

شعره فى جارية للمتوكل صبت فى فيه كوز ماء

وذُكر أنه اجتازت جارية بالمتوكل معها كُوز ماء ، وهى أحسن من القمر ، فقال لها : ما اسمك ؟ فقالت : بُرهان . فقال : ولمن هذا الماء ؟ قالت : لستّى قَبيحة . فقال . صُبّيه فى حَلْقى . فشربه عن آخره . ثم قال المتوكل للبحترى : قل فى هذا شيئاً ، فقال البحترى :

---

[1] الخلة : الحاجة .

ما قهوة [١] من رحيق كأسها ذَهَبٌ جاءت بها الحُور من جنَّاتِ رِضوانِ
يوماً بأطيب من ماء بلا عَطش شربتُه عَبثاً من كفِّ بُرهان

غلامه نسيم وشعره فيه بعد موته

وذُكر أنه كان للبحترى غلام ــ يقال له : نسيم ــ رُومى ، ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله باباً من أبواب الحِيل على الناس ، وكان يبيعه و يعتمد أن يصير إلى ملك بعض أهل المروءات ومن يَنفُق عنده الأدب ، فإذا حصل فى مِلكه شبَّب به وتشوّقه ، ومدح مولاه ، حتى يهبه له ، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم ، فكُفِى الناس أمره ، وفى نسيم هذا يقول البحترى :

دعا عَبرتى تَجرى على الجور والقَصد أَظن نسيما حالف [٢] الهجر مِن بَعدِى
خَلا ناظرى من طَيفه بعد شَخصه فواعجباً للدَّهر فَقداً على فَقْد

شعره فى الاعتذار عن غلام جمشه

وذُكر أَن البحترى كتب إلى محمد بن على بن القاسم يستهديه نَبيذاً ، فبعث إليه بنبيذ مع غُلام له أمرد ، فجَمَشه البُحترى ، فغضب الغلام غضباً شديداً ، علم منه البحترى أنه سيُخبر مولاه بما جرى ، فكتب إليه :

أَبا جعفر كان تجميشُنا غلامَك إحدى الهَنات الدَّنيَّهْ
بعثتَ إلينا بشَمس المُدام تُضىء لنا مع شَمس البريَّهْ
فليت الهديَّة كان الرسو لَ وليت الرسولَ إلينا الهديَّهْ

فبعث إليه محمد بن على الغلام هدية ، فانقطع البحترى بعد ذلك عنه مُدة خجلاً مما جرى ، فكتب إليه محمد بن على :

هجرتَ كأَنَّ البرَّ أعقب حِشْمة ولم أَر وصلاً قبل ذا أَعقب الهجْرا

---

(١) فى غير التجريد : « شربة » .

(٢) فى غير التجريد : « قارب » .

فقال فيه البحترى قصيدته التى أولها :

فتَى مَـذحِج عفواً فتَى مَـذحِج غَفراً

وقال فيه أيضاً :

أمواهبٌ هاتيك أم أنواءُ هُطلٌ وأخـذُ ذاك أم إعطاءُ
إنْ دَام ذا أو بعضُ ذا مِن فعلِ ذا فَنِيَ السَّخاء فلا يُعَدُّ سَخاء
ليْسَ الّذى حَلّت تميم وسطها (١) الدَّهناءَ لا بل صَدرك الدهناء
ملك أعزّ لآل طلحـة مجْده كفّاه بحر سَماحة وسَخاء
إنِّى هجرتك إذ هجرتُك حشمة لا العَوْد يُذهبها ولا الإبداء
أَخجلتني بنَدى يدَيْك فسوّدت ما بيننا تلك اليدُ البَيضاء
وقطعتني بالبرّ حتى إننى مُتوهّم ألاّ يكون لِقاء
صِلةٌ غَدتْ فى النّاسِ وهى قَطيعةٌ عجبٌ وبِرٌّ راح وهو جَفاء
ليواصلنَّك رَكبُ شِعرى سائراً يَرْويه فيك لُحسنه الأعداء
حتّى يتمّ لك الثّناء مُخلّداً أبداً كما تمّت تلك النّعماء
فتظلُّ تَحسدُكَ الملُوك الصِّيدُ بِي ويَظلُّ يحسُدنى بك الشُّعراء

أنشد أبا تمام فذكره دنو أجله

وحكى البُحترى قال :

أنشدت أبا تمام شيئًا من شعرى ، فتمثَّل ببيت أوس بن حَجر :

إذا مُقْرَمٌ مِنّا ذَرا حدُّ نابه تَخمَّط منّا نابُ آخر مُقرَمِ (٢)

ثم قال لى : نعيتَ والله إلىّ نفسى . فقلتُ : أعيذك بالله من هـذا القَول .
فقال لى : إنَّ عمرى لن يطول ، وقد نشأ فى طيئٍ مثلك ، أمَا علمت أن خالد بن

(١) غير التجريد : « وسطه » .

(٢) المقرم : البعير المكرم الذى لا يحمل عليه ولا يذلل ، يسمى به السيد الرئيس من الرجال . وذرا : انكسر . وتخمط : قسا وغلظ واشتد . يريد : إذا هلك منا سيد خلفه آخر .

صفوان رأى شَبيب بن شَيبة وهو من بين رهطه يتكلّم فقال : يا بُنَيَّ ، لقد نعى إليَّ نفسى إحْسانُك فى كلامك ، لأنّا أهلَ البيت ما نشأ فينا خطيب قط ، إلاّ مات مَن قبله . فقلت : بل يُبقيك الله و يجعلنى فداك . ومات أبو تمّام بعد سنة .

هو و الصيمرى فى حضرة المتوكل

وحَكى أبو العنبس الصَّيْمرىّ قال :

كنت عند المتوكل والبُحترى يُنشده :

عن أىِّ ثَغرٍ يَبتسمْ ... وبِأىِّ طَرفٍ يَحتكم

حتى بلغ إلى قوله :

قُل للخليفة جعفر الـ ... مُتوكل بن المُعتصم

المُجتدى ابن المُجتدى ... والمُنعم ابن المُنتقم

أسلَم لدين مُحمد ... فإذا سلمتَ فقد سَلِم

وكان البُحتري من أبغض الناس إنشاداً ، يتشادق ويمشى تارةً جانباً وتارةً القَهقرى ، ويهزّ رَأْسه مرّةً وينكّبه أُخرى ، و يشير بكُمّه و يقف عند كل بيت ، و يقول : أحسنت والله . ثم يقبل على المُستمعين فيقول : ما لكم لا تقولون لى : أحسنت ! هذا والله مالاَ يُحسن أحد أن يقول مثله . فضجر المُتَوكّل من ذلك وأقبل علىَّ فقال: لا تسمع يا صيمرى ما يقول ؟ فقلت : بلَى يا سيّدى ، فمُرنى فيه بما أحببت . فقال : بحياتى أهجه على هذا الروي الذى أنشدنيه . فقلت : تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول . فدعا بدواة وقرطاس ، وحضرنى على البديه أن قلت :

أدخلتَ رأسكَ فى الرَّحم[1] ... وعلمتَ أنّكَ تنهزِمْ

(١) التجريد : « الحرم » .

يا بُحترى حَـــذار ويْـ حكَ من قُضاقضة[1] ضَغِم
فلقد أسَلْتَ بواديكَ من الهجا سَيْلَ العَرِم
فبأىّ عِرْضٍ تعتصم وبِهَتْكه جَفَّ القلَم
واللهِ حِلْفــــة صادق وبِقَبرِ أحمد والحَرَم
ووحَقّ جَعفرٍ الإما م بن الإمام المُعتصِم
لأُصــــيرَنَّكَ شُهْرَة بينَ المَسيلِ إلى العَلم
حتّى الطُّلول بِذى سَلَمَ بينَ الأراكةِ والخِيَمَ
يأبن الثَّقِيلةِ والثَّقيـ ل على قلوب ذوي النِّعَم
وعلى الصَّغيرِ مع الـكَبيـ ر من المَوالى والحَشَم
فى أىِّ سَلح يرْتَطِم وبأىِّ كفٍّ يَلتقِم
يأبن المُباحَة للوَرَى أمِنَ العفافِ أم التُّهَم[2]
إذ رَحْل أُختكَ للعجَم وفراشُ أُمّكَ فى الظُّلَم
وببــــابِ دارِكَ حانة فى بيته يُؤْتَى الحَكَم

فغضب البُحترى وخرج يعدو ، وجعلت أصيح به :

أدخلتَ رأسَكَ فى الرحم وعلمتَ أنَّكَ تَنْهزِم

والمتوكّلُ يضحكُ ويصفّق حتى غاب عنه .

وذُكر أن المُتوكّل أمر يومئذٍ لأبى العنبس بالصِّلة التى أُعدَّت للبُحترى .

وذُكر أنَّ البُحترى لمّا جَرَى ما جرى من أبى العَنبس جاء أحمد ابن يزيد فقال : أنت عشيرى وأُبن عم وصديق ، وقد علمت ما جرى علىَّ ،

(١) القضاقضة : الأسد يحطم كل شىء . (٢) غير التجريد : « العقاب أم الفهم » .

أفتَرى إن أخرج إلى مَنبج بغير إذن فقد ضاع العلم وهلك الأدب . فقال له : لا تفعل من هذا شيئاً ، فإنّ المُلوك تمزح بأكثر من هذا . ومضى معه إلى الفتح بن خاقان فشكا إليه ذلك . فقال له : نحواً من قول يزيد ووصله وخلع عليه وسكّن منه ، فسكن إلى ذلك .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار البُحترى ، هو :

كم لَيْلةٍ فِيكَ بِتُّ أسهرها ولوْعة من هواك أُضمرها
وحُرْقةٍ والدُّمُوع تُطفِئُها ثمَّ يَعُودُ الجوَى فيُسعرها
بيْضاء رُؤْد[1] الشَّباب قد غمَسَت فى خَجلٍ ذائبٍ بِعُصفرها
اللهُ جارٌ لها فما امتلأت عَيناىَ إلاَّ من حيثُ أبصرها .

(١) رؤد الشباب: حسنته .

أخبار علقمة بن عَبَدَة

هو : عَلقمة بن عَبَدَة بن النُّعمان بن ناشرة بن قيس بن عبد بن ربيعة ابن مالك بن زيد مناه بن تميم .

نسبه

ويُسمَّى : عَلقمة الفحل ، سمَّته العرب بذلك لأنه خاف على أُمرأة أُمرئ القيس ، حكمت له على أُمرئ القيس أنه أشعر منه ، فطلّقها أُمرؤ القيس وخلف علقمة عليها . وحديث ذلك أنه كان تحت امرئ القيس امرأة من طيّئ ، تزوّجها حين جاور فيهم ، فنزل به علقمة الفحل فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك . فتَحا كما إليها ، فأنشدها امرؤ القيس قصيدته التى أولها :

سبب تسميته علقمة الفحل

* خليلى مُرَّا بى على أُم جُندب *

وأنشدها علقمة قصيدته التى أولها :

* ذهبتَ من الهجران فى غير مَذْهبِ *

فقضت لعلقمة بأنَّه أشعر من أُمرئ القيس . فغضبَ أُمرؤ القيس وطلَّقها . فتزوَّجها علقمة .

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار علقمة الفحل ، هو :

الشعر الذى فيه الغناء

هل ماعلمتَ وما أُستُودِعتَ مَكتومُ ... أَمْ حَبْلها إذ نأتكَ اليومَ مَصرُومُ

أم هل كَبيرٌ[1] بكى لم تقْضِ عَبْرته ... إثر الأحبَّة يوم البَيْن مَشكوم

يَحملنَ أُترجة نَضْخ العَبير بها ... كأنَّ تَطْيابها فى الأنف مَشموم

كأنَّ إبريقهم ظَبىٌ على شَرف ... مُفَدَّمٌ[2] بِسبَا الكتّان مَلثوم

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(١) غير المجريد : والديوان (٤٣) «كبير» .

(٢) مفدم : عليه فدام ، وهو مايوضع فى فم الإبريق من مصفاة ونحوها . وسبا الكتان : سبائبه ، جمع سبيبة ، وهى الشقة .

قد أشهد الشرب فيهم مِزْهر صَدِح[1] والقوم تصرعهم صهباء خُرطوم

حكم قريش له

وذُكر أنَّ العرب كانت تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوا منه كان مقبولاً ، وما ردُّوا منه كان مَردوداً ، فقدم عليهم علقمة الفحل فأنشدهم قصيدته التى يقول فيها :

* هل ما علمتَ وما اُستودعتَ مَكتوم *

فقالوا : هذه سمط الدّهر . ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم :

طَحابك قلب فى الحِسان طَروب بُعيد الشَّباب عَصْر حان مَشِيبُ

فقالوا : هاتان سمط الدّهر .

(١) الديوان (٦٧) : « رنم » .

انتهى الجزء الثانى من القسم الثانى

من كتاب تجريد الأغانى لابن واصل الحموى

يتلوه إن شاء الله

الجزء الثالث من القسم الثانى

وأوله

أخبار عريب

فهرست أول — لتراجم الجزء الثانى

من القسم الثانى من تجريد الأغانى

فهرست ثان — لتراجم الجزء الثانى

من القسم الثانى من تجريد الأغانى

مطبعة مصر
شركة مساهمة مصرية
القاهرة

تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموي

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

القسم الثاني — الجزء الثالث

تحقيـــق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبياري

القاهرة

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٤٠ شارع نوبار باشا (سابقا شارع الدواوين)

١٣٨٢ — ١٩٦٣

ذكر أخبار عريب

شىء عنها

كانت عَريب مغنية محسنة صالحة الشعر، وكانت مليحة الخط حسنة الكلام مُبدعة فى الحسن والجمال والظرف وحُسن الصوت وجودة الضرب وإتقان الصنعة والمعرفة بالنّغم والرواية للشِّعر.

أمها وزواج جعفر بها وولادتها عريب

وذُكر أن أم عريب كانت تُسمى : فاطمة، وكانت قيِّمة لأُم عبد الله ابن يحيى بن خالد، وكانت صبية نظيفة، فرآها جعفر بن يحيى فهويها، وسأل أُم عبد الله أن تزوجه إيّاها ففعلت. وبلغ الخبر يحيى بن خالد فأنكره، وقال: أتتزوَّج من لا يُعرف له أب ولا أم! أشتر مكانها ألف[1] جارية، وأخرجها. فأخرجها وأسكنها داراً فى ناحية باب الأنبار سرًّا من أبيه، ووكل بها مَن يحفظها، وكان يتردد إليها. فولدت عريب فى سنة إحدى وثمانين ومائة، فكانت سنوها إلى أن ماتت ستًّا وتسعين سنة. وماتت أُم عريب فى حياة جعفر، فدفع جعفر عريب إلى امرأة نصرانية وجعلها داية لها.

شراء المراكبى لها

فلمَّا حدثت النكبة بالبرامكة بيعت عَريب من سنبس النخاس فباعها من المراكبى، وهو أحمد بن عبد الله بن إسماعيل.

شبهها بجعفر

فكان الفضل بن مروان يقول : إذا نظرت إلى قدمى عريب شبّهتها بقدمى جعفر بن يحيى.

وذُكرت بلاغتها لبعض الكُتاب. فقال : وما يمنعها من ذلك، وهى بنت جعفر بن يحيى.

---

(١) غير التجريد : « مائة ».

روايتها شعراً لعمها يجيب به رسول الرشيد

وحكت عريب قالت :

بعث الرشيد إلى أهلنا ـ يعنى البرامكة ـ رسولاً يسألهم عن أحوالهم ، وأمره ألاّ يعلمهم أنه من قِبَله . قالت : فصار إلى عمّى الفضل ، فسأله ، فأنشأ عمّى يقول :

سألونا عن حالنا كيفَ أنتم ... مَن هَوى نجمُه فكيف يكونُ

نحن قوم أصابنا عبث الدَّهـ ... ـر فظَلْنا لرَيبـه نَسْتكين

وأنكر أبو الفرج هذا وقال : الشعر للحُسين بن الضحّاك يرثى به الأمين ، وبعده :

نتمنَّى من الأميـن إيابا ... كلَّ يوم وأين منَّا الأمينُ

عشقها حاتماً وقصة هربها من مولاها

وذُكر أن المراكبى مولى عريب خرج بها إلى البصرة فأدَّبها وخرّجها وعلّمها النَّحو والخطَّ والشّعر والغناء ، فبرعت فى ذلك أجمع وتزايدت حتى قالت الشّعر ، وكان لمولاها صديق يقال له : حاتم بن عدى ، فعشقته عريب واتخذت سُلّماً من خُيوط غلاظ ، فإذا أرادت المضى إليه لفّت ثيابها وجعلتها فى فراشها بالليل ودثّرتها بدِثارها ثم تسوّرت الحائط ومضت إلى حاتم هذا ، فتمكث عنده ما تمكث ثم ترجع ، وكانت ربما تبعث تطلب عُودها من مولاها ، فيبعثه إليها ويظن مولاها أن حاتماً أستعاره لمُغنِّية عنده ولا يعلم بشيء من الحال ، ثقةً بصديقه . ثم هربت من المراكبى فكانت تُغنِّى عند قوم ببغداد مُستترة متخفّية . فكبسها وأخذها وضربها مائة مِقرعة .

اغتصاب الأمين لها وهربها بعد قتله

ولما صارت الخلافة إلى محمد الأمين طلبها من مولاها ، فامتنع ، فدعا بمولاها فأمر بضرب عُنقه . ثم سُئل فى أمره فحَبسه وطالبه بمبلغ كبير ـ قيل : إنه خمسمائة ألف درهم مما أقتطعه من نفقات الكُراع لأنه كان متولّيها ـ وأُخذت عريب من منزله فكانت عند الأمين حتى قُتل . فلما قُتل هَربت إلى مولاها المراكبى .

لبعض الشعراء فى مظلومة وكان المراكبى أقامها رقيبة على عريب

وذُكر أنه كان للمراكبى جارية ـ يقال لها : مظلومة ـ جميلة الوجه بارعة الحسن ، وكان يبعث بها مع عريب إلى الحمّام وإلى مَن تزوره من أهله ومعارفه . فكانت ربمّا دخلت معها إلى ابن حامد الذى كانت تتعشّقه . فقال فيها بعض الشُّعراء .

لقد ظلَموكِ يا مَظلوم لمّا | أقاموكِ الرّقيب على عَريبِ
ولو أولوك إنصافاً وعَدلا | لما أخلَوك أنت من الرّقيب
أتنهين المُريب عن المعاصى | فكيفَ وأنت من شأنِ المريب
وكيفَ يُجانب الجانى ذُنوباً | لديكَ وأنت داعية الذُّنوب

شعر قريب منه للناشىء

وذَكر أبو الفرج أبياتاً تقرب من هذا المعنى ، وإن لم تكن منه ، فى رقيبة مغنية ، قال : وأظنها للناشىء :

فديتُك لو أنهم أنصفو | ك[1] لَمامَنعوا العينَ عن ناظريْكِ
ألم يقرءوا وَيحهم ما يرو | ن من وحى طَرفك فى مُقلتيْك
وقد بعثوكِ رقيباً لنا | فَمَنْ ذا يكونُ رقيباً عليْك
تَصدّين أعيننا عن سِواك | وهل تنظر العيْن إلاّ إليْك

اشتراها المأمون ثم المعتصم وأعتقها

ثم اشترى المأمون عريب من المراكبى مولاها ، فذهبت به كل مذهب ميلاً إليها ومحبّة ، حتى قِيل إنه قبّل فى بعض الأيام رجلها . فلمّا مات المأمون بيعت فى ميراثه ولم يُبع له عبد ولا أمة غيرها . فاشتراها المُعتصم بمائة ألف درهم وأعتقها ، فهى مولاته .

قصة شراء المأمون لها من المراكبى

وكان المأمون أكره مولاها المَراكبى على بيعها ، لأنه كان شديد الشّغف بها ، وأنه دعا به ودفع إليه خمسة آلاف دينار وقال : لولا أنى حَلفت ألاّ

(١) غير التجريد : « أنصفوا * لقد منعوا » .

أشــــترى مملوكاً بأكثر من هذا لزِدْتك ، ولـكنِّى سأوليك عملاً تَـكْسب فيه أضعافاً لهذا الثمن مضاعفة ، ورمى إليه بخاتمين ياقوتاً أحمر قيمتهما ألف دينـار ، وخلع عليه خِلعاً سنيَّة . فقال : ياسيِّدى ، إنّمـا ينتفع الأحياء بمثل هذا وأمَّا أنا فإنِّى ميِّت لا محالة ، فإنَّ هذه الجارية كانت حياتى . وخرج من حضرته وتغيَّر عقله ، ومات بعد أربعين يوماً .

وقيل : إنَّ المأْمون اشتراها بمائة ألف درهم .

حيلة ابن رباح فى إثبات ثمنها لاعتراض الفضل وقصة ذلك

فحـكى إبراهيم بن رباح قال :

كنت أتولّى نفقات المأْمون ، فوصف له إسحاق بن إبراهيم عريب ، فأَمَره أن يشتريها ، فاشتراها بمائة ألف درهم ، وأمرَنى المأْمون بحَملها وأن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم أُخرى ، ففعلت ذلك ، ولم أَدر كيفَ أُثبتها ، فحـكَيتُ فى الديوان أن المائة الألف خرجت فى ثمن جوهرة ، والمائة الألف الأخرى خرجت لصانعها ودلاّلها . فجـاء الفضل بن مروان فأنـكر ذلك حين رآه مُثبتاً ، وسألنى عنه ، فقلت: نعم ، هو ما رأيت . فأَخبر المأْمون بذلك ، فأنـكره ودعانى ، فدنَوت منه وأخبرته أنه هو المـال الذى خرج فى ثمن عريب وصلة إسحاق ، وقلت : إنمـا أصوّب يا أَمير المؤمنين ما فعلت أو أُثبت أَنها خرجت صلة لمغنّ وثمن مغنّية ؟ فضحك وقال : الذى فعلت أَصوب . ثم قال للفضل بن مروان : يا نبطى ، لا تعترض على كاتبى هذا فى شىء .

قصة حبسها لحبها ابن حامد

قيل :

وكانت عريب تتعشّق محمد بن حامد ، فكانت تُـكاتبه وهى عند المأْمون ، وتحتال فى الخروج إليه والاجتماع به ، حتى قيل إنها حبلت منه ووضعت بنتاً . فقيل إنَّ المأمون زوّجه منها . وقيل إنه أمر بإلباسها جُبَّة صوف وختم زيقها وحبَسها فى كهف مظلم شهراً لا تَرى الضَّوء ، يدخل إليها خبز وملح وماء من تحت

الباب فى كل يوم ، ثم ذكَرها فرقَّ لها وأمَر بإخراجها . فلمَّا فُتح البـاب عنها وأخرجت لم تتكلَّم حتى اُندفعت تغنِّى :

لو كان يقدرُ أن يَبثك ما به لرأيتَ أحسنَ عاتب يتعتَّبُ
حَجبوه عن بصرى فمُثّل شخصه فى القلب فهو محُجَّب ما يُحجب

فبلَغ ذلك المأمون ، فقال : لا تصلح هذه أبداً .

من شعرها فى ابن حامد

وكانت عَريب تُكاتب محمداً هذا برقاع فيها شِعر ، فممَّا كاتبته به ووُجد فى تركَته بعد مَوته :

وَيلِى عَلَيْك ومنـكَا أوقعتَ فى القلبِ شـكَّا
زعمتَ أنى خؤون جوراً علىَّ وإفْكا
إن كانَ ما قلتَ حقًّا أو كُنتَ أزمعت تركا
فأبدل اللهُ ما بِى من ذلَّةِ الحبِّ نُسكا

فراسة المأمون وقد أومأ إليها ابن حامد فى مجلسه بقبلة

وذُكر أنَّ عريب كانت عند المأمون يوماً ، وفى المجلس محمد بن حامد ، فغنَّت عَريب :

رمَى ضرعَ نابٍ فاُستمرَّ بِطعنةٍ كحاشيةِ البُردِ اليمانىّ المُسهّمِ

فقال لها المأمون : أمسكِى ، فأَمسكَت. ثم أقبلَ على النُّدماء فقال : أيُّكمُ أَومأ إلى عريب بقُبلة ؟ فوالله لئن لم يَصدقنى لأضربنَّ عُنقه . فقام محمد بن حامد فقال : يا أمـير المؤمنين ، أنا أومأْتُ إليها ، والعفوُ أقربُ للتقوَى . فقال : قد عفوْت . فقال : كيف اُستدلَّ أمير المؤمنين ؟ فقال : اُبتدأت صوتاً وهى لا تُغنِّى ابتداء إلاَّ عنِّى ، فعلمتُ أنَّها لم تبتدئ هذا الصَّوت إلاَّ لشيء أُومِئَ إليها به ، ولم يكُن شرط هذا الموضع إلاّ إيماء بقُبلة ، فعلمت أنها أجابته بطعنة .

إيثارها المعتز من بين ثمانية من الخلفاء عرفتهم

وذُكر أنها كانت تُحبُّ أبا عيسى بن الرشيد ، فكانت تقول : فعل بى ثمانية من خلفاء بنى العباس ، وما أَحببْتُ منهم أحدًا إلاّ المُعتز لشَبهه بأبى عيسى ابن الرّشيد . والثمانية الذين عَنتهم وأُدعت أنهم فعلوا بها ، هم: الأمين ، والمأْمون ، والمُعتصم ، والواثق ، والمتوكّل ، والمُستعين ، والمُعتز .

سئلت عن شهوتها حين أسنت فأجابت

ولمّا أَسنّت وعَجزت قيل لها : كيف شَهْوتك الساعة ؟ فضحكت وقالت : أمّا الشَّهوة فبحالها ، ولكن الآلة قد بطلت .

شرطها

وسُئلت مرّة عن شرطها أى شىء هو ؟ فقالت : شرطى أير صُلب ونكهة طيِّبة ، وما انضاف إليه من حُسن يوصف وجمال يُحمد فزيادة ، وأمّا هذان فما لابدّ منهما .

إعجاب المأمون بإجابتها عن الوصل بعد الهجر

وذُكر أنّ المأْمون عَتب على عَريب فهَجرها أيّاماً ، ثم اعتلّت فعادها ، فقال : كيف وجدتِ طَعم الهجر ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، لولا مَرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوَصْل ، ومَن ذَمَّ بَداءة الغضبِ حمدَ عاقبة الرّضى . فخرج المأمون إلى جُلسائه فحدّثهم بالصّفة ، وقال : أترى لو كان هذا من كلام النُّظّام لم يكن كثيراً !

رفضها دخول ابن أبى دواد بينها و بين المأمون

وذُكر أنّها جرَى بينها وبين المأْمون كلام فهجرَتْه أيّاماً . قال القاضى أحمد ابن أبى دُواد : فدخلتُ على المأْمون فقال لى : يا أحمد ، اُقض بيننا . فقالت عَريب : لا حاجة فى قضائه ودخوله بيننا ، وأنشأت تقول :

وتَخلطُ الهجرَ بالوصالِ ولا   يدخُل فى الصُّلح بيننا أحدُ

هى وابن حمدون والمأمون فى خرجة لها

وحَكى أحمد بن حمدون عن أبيه قال :

كنتُ حاضراً مجلس المأْمون ببلادِ الرُّوم بعد العشاء الآخرة فى ليلةٍ ظَلْماء ذاتَ رُعود وبُروق ، فقال لى المأْمون : اُركب الساعةَ فرس النَّوْبة وسِرْ

عسكر أبى إسحاق ــ يعنى المُعتصم ــ فأَدِّ رِسالتى ، وهى كيت وكيت . فلم تثبت معى شمعة ، وسمعتُ وقع حافر دابّة، فَرهبتُ ذلك وجعلتُ أتوقّاه حتى صَكَّ رِكابى رِكاب راكب تلك الدّابّة ، وبرَقتْ برقة فأبصرتُ وجه الرّاكب ، فإذا عَريب ، فقلت : عريب ؟ فقالت : نعم ، حمدون ؟ فقلت : نعم ، ثم قُلت لها : مِن أينْ أقبلتِ فى هذا الوقت ؟ فقالت : من عند محمد بن حامد . فقلت : وما صَنعتِ عنده ؟ فقالت : عَريب تجىء فى مثلِ هذا الوقت من عندِ محمد بن حامد خارجة من مَضربِ الخليفة راجعة إليه تقول لها : أى شىء عملتِ معه ؟ صلّيت معه التّراويح ، أو قرأْت عليه أَجزاء من القرآن ، أو دارستَه شيئاً من الفِقه ، يا أحمق تحادَثنا وتعاتبْنا واصطلحْنا ولَعبنا وشَربنا وغنّينا وتَنايكنا وانصرفنا .

قال : فأخجلتنى ، فافترَقنا ومضيْت فأدّيت الرِّسالة ، ثم عُدت إلى المأْمون وأخذْت فى الحديثِ وتناشدنا الأشعار ، فهممْت والله أن أحدثه بحديثها ثم هِبته ، فقلت : أُقدّم قبل ذلك تعريضاً من الشِّعر ، فأنشدته :

ألا حىّ أطلالا لقاطعة الحبل ... ألوف تسوّى[(1)] صالح القوم بالرّذلِ

فلوْ أنّ مَن أمسى بجانب قلعة ... إلى جَبلى طَىّ فساقطة الحَبْل[(2)]

جُلوس إلى أن يقصر الظّلّ عندها ... لراحُوا وكُل القوم منها على وَصل

فقال المأمون : اخفض صوتك لا تَسمع عَريب وتظنُّ أنّا فى حديثها . فأمسكتُ عمَّا أردت أن أُخبره به وخار الله لى فى ذلك .

رجوعها إلى ابن حامد بعد قطيعة

وذُكر أنّه وقع بينهما وبين محمد بن حامد شرّ كادا يخرجان به إلى القَطيعة ، فلقيته عَريب بعد ذلك فقالت له : كيف قَلْبك يا محمد ؟ فقال : أشقَى والله ما كان وأقرحه . فقالت له : استبدل تَسْلُ . فقال لها : لو كانت البلوَى اختياراً لفعلت .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تساوى » . (٢) معجم البلدان : « ساقطه النعل » .

فقالت : لقد طال إذن تعبك ؟ فقال : وما يكون؟ أصبر مُكرهاً ، أما سَمِعتَ قول العباس بن الأَحْنف :

تعبٌ يطول(١) مع الرّجاء لِذِى الهوَى خيرٌ له من راحةٍ فى الياسِ
لولا كرامتكم لما عاتبتُكم ولكُنتمُ عندى كبعضِ النَّاس

فذَرفَت عيناها واُعتذرت إليه وأَعتبته واُصطلحا وعاد إلى أفضل ما كانا عليه .

حديثها عن خبر صوت غنته

وحكى أحمد بن الفُرات قال :

كُنّا عند جعفر بن المأمون نشرَب ، وعَريب حاضرة ، إذ غنّى بعض مَن كان هناك :

يا بدرُ إنكَ قد كسِيت مشابِها من حُسنٍ(٢) ذاكَ المُستنير اللائحِ
وأراكَ تَمْصح(٣) بالمَحاقِ وحُسنها باقٍ على الأيّام ليس ببارِحِ

فضحكَت عَريب وصفّقت وقالت : ما على وجهِ الأرض أحدٌ يعرفُ خبرَ هذا الصوت غيرِى . قال : فسأَلْتها ، فقالت : أَنا أُخبركم بقصّته ، ولولا أنّ صاحب القصّة قد مات لما أَخبرتكم ، إنَّ أبا مُحَلِّم قَدِم بغداد فنزل بقُرب دار صالح المسكِين فى خانٍ هناك . فاطّلعت يوماً أُم محمد بنت صالح فرأَته يبول ، فأَعجبها مَتاعه وأَحبّت مُواصلته ، فجعلت لذلك عِلّة بأن وجّهت إليه تقترض منه مالاً وتُعلِمه أَنّها فى ضيقةٍ وأَنّها ترُدّه إليه بعد جُمعة ، فبعث إليها عشَرة آلاف درهم وحلف أنّه لو مَلكَ غيرها لبعثَ بها . فاُستحسنت ذلك وواصلته وجعلت القَرض سبباً للوُصلة ، وكانت تُدخِله إليها ليلاً ، وكُنت أنا أُغنّى لهم ، فشربنا

(١) غير التجريد : « يكون » . (٢) غير التجريد : « وجه » .
(٣) تمصح : أى تذهب نضرتك .

ليلةً فى القمرِ . وجعلَ أبو مُحلِم ينظرُ إليها ، ثم دعا بدواةٍ و رُقْعة وكَتب فيها :

يا بدرُ إنّكَ قد كَسبت مُشـابها   من وجهِ أم محمد ابنة صـالح

والبيت الآخر ، وقال لى : غَنِّ فيه ، ففعَلت ، واُسْتحسَناه وشربنا عليه .
فقالت أم محمد فى آخر المجلس : إنّك قد غنَّيت فى هذا الشِّعر ، إلاّ أنَّه سيبقى
علىَّ فَضيحة آخر الدَّهر . فقال أبو مُحلِم : فأنا أُغيِّره . فجعل مكان « أم محمد ابنَة
صالح » : « ذاك المُستنير اللائح » وغنّيته أنا كما غيّره ، وأخـذه النَّاس عنِّى .
ولو كانت أم محمد حيَّة لما أخْبرتكم الخبر .

شعرها فى حذر ابن حامد

وذُكر أنَّ عَريب كَتبت إلى محمد بن حامد تَستزيره ، فكَتبَ إليها :
إنِّي أخافُ على نفسى ، فَكتَبت إليه :

إذا كُنتَ تحذر ما تحذر   وتزعمُ أنَّك لا تَجْسُرُ

فمالى أُقيم على صبوتى   ويومُ لقائِك لا يُقدَرُ

خبر يتعلق بشعر للأحوص

خبر المنصور مع رجل من أهل المدينة فى شعر للأحوص

ثم ذكر أبو الفرج شعراً للأحوص بن محمد الأنصارى يُغَنَّى فيه ، وهو :

يا دار عاتكة التى أتعزّل[1] حذَر العِدى وبها الفؤاد مُوكّل

إنّى لأمنحك الصُّدود وإنَّنى قَسماً إليك مع الصُّدود لأميل

فاقتضى ذلك أن أذكر ما يتعلق بهذا الشِّعر ، والذى اخترته من ذلك أنَّه :

ذُكر أن المنصور أبا جعفر أمر الرّبيع أن يبغى له رجلاً يعرف المدينة وأهلها وحيطانها وطُرقها ودُورها ، وذلك حين حجَّ ، وكان رجلٌ من أهل المدينة من الأنصار قد انقطع إلى الرّبيع زماناً ، فقال له الرَّبيع : تهيَّأْ ، فإنِّى أظُنّ أن جَدّك قد تحرّك ، إنَّ أميرَ المؤمنين قد أمرنى أن أُسايره برجل يعرف المدينة وأهلها ، فتحرَّ موافقته ولا تبدأ بشيء حتى يسألك ولا تكتمه شيئاً ولا تسأله حاجة . فغدا عليه الرَّجل ، وصلّى المنصور الفجر وقال : يا ربيع ، الرَّجُل . فقال : ها هو ذا . فسار معه يُخبره عمَّا سأل ، ثم أقبل عليه المنصور فقال : مَن أنتَ أوّلاً ؟ قال : مَن لا تبلغه مَعرفتك . قال : فما لك من الأهل والولد ؟قال : ما تزوَّجت ولا عندى خادم . قال : فأين مَنزلك ؟ فقال : ليس لى منزل . قال : فإنَّ أمير المؤمنين قد أمر لك بأربعة آلاف درهم . فرمى بنفسه فقبَّل رجله ، فقال : اُركَب، فركب ، فلمَّا أراد الانصراف قال للرَّبيع : يا أبا الفضل ، إنَّ أمير المؤمنين قد أمر لى بأربعة آلاف درهم . قال : إيه . قال : إن رأيت أن تُنجزها . قال: هيهات . قال : فأصنع ماذا؟ قال : لاأدرى والله . فقال الفتى : هذا ما لم يكن فى الحساب .

---

(١) أتعزله : أكون عنه بمعزل .

فلبث أيّاماً ثم قال المنصور للرّبيع : ما فعل الرجل ؟ قال : حاضر . قال : سايرنا به غداً ، ففعل . فقال الرّبيع له : المَنصور خارج بعد غد ، فاحتل لنفسك ، فإنّه والله إن فاتك فإنّه آخر العهد به . فسار معه فجعل لا يكلّمه بشيء ، حتى أنتهى إلى مَسيره ، ثم رجع ، وهو كالمُعرض عنه . فلمّا خاف فوته أقبل على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الأحوص :

* يا بيت عاتكة الذى أتَعزّل *

قال : فمَهْ . قال : إنّه يقول فيها :

إنّ أمرأً قد نالَ منكَ وسيلة ... يرجو منافع غيرها لَمُضلَّلُ

وأراك تفعَل ماتقول وبعضهم ... مذق الحديث[1] يقول ما لا يفعل

فقال له المنصور : قد وأبيك أذكرت بنفسك، وأمر له بأربعَة آلاف درهم ، فقبضها وأنصرف .

---

(١) مذق الحديث : غير مخلص فيه .

أخبار عبد الله بن الحسن

نسبه

هو : عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم .

أمهاته

وأمّه فاطمة بنت الحسين بن علي ، وأمّها أم إسحاق بنت طلحة بن عُبيد الله . وأمّها الجرباء بنت قُسامة الطّائية ، وإنّما سُمّيت الجرباء ، لحُسنها ، كانت لا تقف إلى جانبها امرأة ، وإن كانت جميلة ، إلاّ استُقبح منظرها ، فكانت النساء يتحامين أن يَقِفنَ إلى جنبها ، فشُبّهت بالنّاقة الجرباء التي تتوقّاها الإبل مخافةَ أن تُعديها .

خبر أم إسحاق بنت طلحة

وكانت ابنتها أُم إسحاق بنت طلحة من أجمل نساء قُريش وأسوئهن خُلقاً ، فكانت ربّما حَمَلت وولدت وهي لا تكلم زوجها . وكانت أُم إسحاق هذه عند الحسن بن عليّ ـ رضي الله عنهما ـ فولدت له طلحة بن الحسن ، فلمّا حضرت الحسنَ الوفاةُ قال لأخيه الحُسيْن ـ رضي الله عنهما ـ : ياأخي ، إنّني أرضى هذه المرأة لك ، فلا تَخرجَنّ من بيوتكم ، فإذا انقضت عدّتها فتزوّجها . فلمّا تُوفي الحسن عنها تزوّجها الحُسيْن ، فولدت له فاطمة بنت الحُسيْن ، فهي أخت طلحة بن الحسن لأُمّه وابنَة عمّه ، ودَرج طلحة ولا عقب له .

خبر فاطمة بنت الحسين

وتزوّجت فاطمة ابن عمّها الحسن بن الحسن في حياة عمّه الحُسيْن ، هو الذي زوّجه إيّاها . فولدت له أولاداً منهم : عبدُ الله بن الحسن ، والحسَن المُثلّث بن الحسن المُثنّى ابن الحسن السّبط ـ رضي الله عنهم ـ . ولمّا حضرت الحسن المُثنّى الوفاةُ جَزع وجعل يقول : إنّي لأَجد كَرباً ليس من كرب الموت ، وأعاد ذلك دفعات . فقال له بعض أهله : ماهذا الجزع؟ تقدَم على رسول الله صلّى الله عليه وسلم جدّك ، وعلى عليّ والحسن والحُسيْن ، وهم آباؤك . فقال : لعمري إن الأمر لكذلك ،

ولكن كأنّي بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان حين أموت وقد جاء فى مُمصَّرتين قد رجَّل جُمَّته يقول : أنا من بنى عبد مَناف ، جئتُ لأشهد ابن عمى ، وما به إلاّ ن يخطب فاطمة بنت الحُسين ، فإذا جاء فلا يَدخل علىّ . فصاحت فاطمة به : سمع . فقال : نعم . فقالت : أعتقتُ كل مملوك لى وتصدّقت بكل مِلك لى إن أنا تزوّجتُ بَعدك أحداً أبداً . فسَكن الحسَن فما تنفّس ولا تحرّك حتى قضى . فلمّا ارتفع الصّياح أقبل عبد الله العُثمانى على الصّفة التى ذكرها الحسن ، فقال بعض القوْم : نُدخله . وقال بعضهم : لا يدخل . وقال قوم : لا يضر دخوله . فدخل وفاطمة تَصُك وجهها . فأرسل إليها وَصيفاً كان معه ، فتخطّى النّاس حتى دنا منها فقال : يقول لك مَولاى : أبقى على وجهك فإن لَنا فيه أربا . فأرسلت يدها فى كُمها واختمرت ، وعرف ذلك فيها فما لطمت حتى دُفن ، فلمّا انقضت عدّتها خَطبها . فقالت : فكيف لى بنذرى ويمينى ؟ فقال : نُخلف عليك بكلّ عبدٍ عبدين ، وبكل شىء شيئين . فأوْلدها عبدُ الله محمداً الملقّب بالدّيباج لحسنه ، فهو أخُو بنى الحسن المُثنّى لأُمّهم . وزوّج ابنته من إبراهيم بن عبد الله ، ولحقه الضرر فى أيّام المنصور بسببهم وآل أمره إلى الحبس والقتل .

منزلة عبد الله

وكان عبد الله بن الحسن شيخ أهله وسيداً من ساداتهم ومقدّماً فيهم فضلاً وعلماً وكرماً .

وذكر أنّه انتهى كل حُسن إليه فكان يقال : مَن أحسَن الناس ؟ فيقال : عبد الله بن الحسن . وكان يقول : أنا أقرَب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ولدنى مرتين ، واجتمعت له ولادة الحسن والحسين ـ رضى الله عنهما .

وكان عبد الله بن الحسن يلقّب النَّفس الزّكيّة ، وكان جليل القَدر عظيم الشأْن فى بنى هاشم .

مبايعة الهاشميين له أيام بنى أمية

وقد ذكر أن بنى هاشم اجتمعوا بين الرُّكن والمَقام ورضوا به ، واتفقوا على مُبايعته بالخلافة سرًّا ، وذلك فى أيام بنى أُمية ، وكان من جُملتهم يومئذ أبو جعفر المنصور .

تتبع المنصور له

فلما زال ملك بنى أمية وأفضت الخلافة إلى بنى العباس ، رُشّح محمد بن عبد الله للأمر ، ومال إليه خلق من الناس ، لمَا يعلمونه من أَصالته وديانته وفَضله وصلاحيته للخلافة وتعيُّنه بها ، وخاف من المنصور فاستتر هو وأخوه إبراهيم ، وجعلا يدعوان الناس سرًّا ، وأحس المنصور بذلك فاشتد فى طلبهما .

حكى أن المنصور دعا بنى هاشم رجلًا رجلا وسألهم عن محمد ، فكلهم يقول : قد علم يا أمير المؤمنين أنك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم فهو يخافك على نفسه ، ولا يريد بذلك خلافاً ولا يُحب لك معصية ، إلا الحَسن بن زيد بن على فإنه أخبره خبره وقال : والله ما آمن وثُوبه عليك ، وإنه لا ينام ، فَتر رأيك فيه . فأيقظ الحسن بن زيد من المنصور من لا ينام فجد فى طلبه .

إرسال المنصور ابن مسلم فى داره وحدث ذلك

فحكى عُقبة بن مُسلم أن المنصور دعاه فسأله عن اسمه ، فأخبره ، فقال : إنى لأرى لك هيبة وموضعاً وإنى أُريدك لأمرٍ أنا مَعنىٌّ به . فقال : أرجو أن أصدق أمر أمير المؤمنين . قال : فأخف شخصك وائتنى فى يوم كذا وكذا . قال : فأتيته . فقال : إن بنى عمنا هؤلاء قد أبَوْا إلا كيداً لملكنا ، ولهم شِيعة بخُراسان بقرية كذا وكذا يُكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقاتٍ وألطاف ، فاخرج بكُسًى وألطاف حتى تأتيهم متنكراً بكتاب أكتبه[1] عن أهل تلك القرية ، ثم تسير ناحيتهم ، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم فذاك ، وإن كانوا على رأيهم علمتَ ذلك وكنت على حذر ، حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشِّعاً ، فإن جبهك، وهو فاعل ، فاصبر وعاوِدْه أبداً حتي يأنس بك ، فإذا ظهر لك ما فى قلبه فاعجل إلىّ . ففعل ذلك به حتى أنس عبد الله بناحيته . فقال له عقبة : الجواب . فقال :

(١) فى غير التجريد : « تكتبه » .

أما الكتاب فإني لا أكتبه ، ولكن أنت كتابي إليهم ، فأقرئهم السلام وأخبرهم أن ابني خارج لوقت كذا . فشخص عقبة حتى قدم على المنصور فأخبره الخبر . فحج أبو جعفر المنصور ليقبض على عبد الله وإخوته .

قال صالح صاحب المصلى : إني لواقف على رأس المنصور وهو يتغدى بأوطاس(١) ، وعلى مائدته عبدُ الله بن الحسن وأبو الكرام الجعفرى وجماعة من بني العباس ، فأقبل عليه عبد الله بن الحسن فقال : يا أبا محمد ، محمد وإبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي وإني أحب أن يأنسا بي و يأتياني فأصلهما وأزوجهما وأخلطهما بنفسي ، وعبد الله مُطرق طويلا ويرفع رأسه ويقول : وحقك يا أمير المؤمنين مالي بهما ولا بمَوضعهما من البلاد عِلم ، ولقد خرجا من يدي . فيقول : لا تفعل يا أبا محمد وأكتب إليهما وإلى من يُوصل كتابك إليهما . وامتنع أبو جعفر المنصور من عامة غدائه ذلك اليوم إقبالا على عبد الله ، وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما ، والمنصور يكرّر عليه : لا تفعل يا أبا محمد ، لا تفعل يا أبا محمد ، لا تفعل يا أبا محمد .

وقد كان المنصور قال لعُقبة بن سلم : إذا فرغتُ من الطعام فلحظتك فامثل بين يدي عبد الله فإنه سيصرف بَصره عنك ، فدُر حتى تغمز ظهره بإبهام رجلك ، حتى يملأ عينيه منك ، ثم حسبك ، وإياك أن يراك ما دام يأكل . ففعل عُقبة ذلك . فلما رآه عبدالله وثب حتى جثا بين يدي المنصور وقال: ياأمير المؤمنين ، أقلني أقالك الله . قال : لا أقالني الله إن أقلتك ، ثم أمر بحبسه .

ولما اعتقل المنصور عبد الله بن الحسن اعتقل معه إخوته بني الحسن المثنى ، واعتقل أخاهما لأمهما الديباج المُذهب محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان ، وحملهم إلى العراق وأودعهم السجون ، فضُرب الديباج

(١) أوطاس : واد كانت به وقعة حنين .

حتى سالت عينه على خَده ، وكلهم ماتوا فى حبس المنصور رحمة الله عليهم .
وكانت وفاة عبد الله بن الحسن سنة خمس وأربعين . وفى هذه السنة خرج محمد وأخوه إبراهيم على المنصور فقُتلا ، وأُتى برأسيهما .

الشعر الذى فيه الغناء وقصته

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله بن الحسن ، هو:

يا هنـد إنك لو علمـ ـتِ بعـاذلَين تتَابعا
قالا فلم أسمـع لقو لهما[1] وقلتُ بل اسمعا
هندٌ أحبُّ إلىّ مِن أهلى ومالى[2] أجمعـا
ولقد عصيت عواذلى وأطعت قَلباً مُوجعا

وهذا الشعر يقوله عبد الله فى زوجته هنـد بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن المطلب ، وأمها قُرينة بنت يزيد بن عبد الله بن وهب بن زَمعة بن الأسود بن المطلب ، وكان أبو عبيدة جواداً سيداً ممدحاً ، وكانت هند قبل عبد الله بن الحسن تحت عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، فمات عنها فنكحها عبدُ الله بن الحسن ، فولدت له محمداً وإبراهيم .

زواج هند من عبد الله بن الحسن

وذكر أن هنداً هذه لما مات عنها عبد الله بن عبد الملك ورثت منه مالا عظيما ، فقال عبد الله بن الحسن لأُمه فاطمة بنت الُحسين ــ رضى الله عنهما ــ : أخطبى علىّ هنداً . فقالت : إذن ترُدك . أتطمع فى هند وقد ورثت من عبد الله ماورثته ، وأنت تَربٌ لا مال لك . فتركها ومضى إلى أبى عبيدة أبى هند فخَطبها إليه ، فقال : فى الرحب والسعة ، أما منِّى فقد زوجتُك ومكانَك لا تبرح ، ودخل

(١) غير التجريد : « لما قالا » .
(٢) غير التجريد « مالى وروحى » .

إلى هند فقال : يا بُنية ، هذا عبد الله بن الحسن أتاك خاطباً . قالت : فما قلت له ؟ قال : زوجتك له . قالت : أحسنت . قد أجزتُ ما صنعتَ . وأرسلت إلى عبد الله ألا تبرح حتى تدخل بأهلك . فيسرت له ، وبات بها مُعرِّساً فى ليلته ، ولا تشعر أمه . فأقام سبعاً ، ثم أصبح يوم سابعه غادياً على أمه وعليه رَدغ الطيب ، وهو فى غير ثيابه التى تَعرف ، فقالت له : يا بُنىّ ، من أين لك هذا ؟ فقال : من عند التى زعمتِ أنها لا تريدنى .

أخبار تأبط شرا

لقبه وسببه

هو ثابت بن خالد بن[1] عَميثل بن عديّ بن كعب بن حَزن بن تَيم بن سعد بن فهم[2] بن قيس عَيلان بن مُضر بن نزار .

وتأبط شرًّا القبٌ لُقب به ، فقيل : لُقب بذلك لأنه رأى كَبشاً فى الصحراء فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يبول عليه طُول طريقه ، فلما قرب من الحيّ ثُقل عليه الكبش حتى لم يُقلّه ، فرمى به فإذا هو الغول . فقال له قومه : ما كنت متأبطاً يا ثابت ؟ فقال : الغول . قالوا : لقد تأبطت شراً ، فسمى بذلك .

تعقيب لابن واصل

قلت : وهذا من أكاذيب العرب ، لأنهم يذكرون فى أشعارهم الغِيلان والسّعالى ، ولا حقيقة لشيء من ذلك ، وفى ذلك يقول الشاعر :

الغول والجود والعنقاء ثالثة ... أسماء أشياء لم توجد ولم تكُنِ

وذُكر أنه لُقب بذلك لأن أمه قالت له فى زمن الكَمأة : ألا ترى أن الحىّ يجتنون لأهلهم الكمأة فيروحون بها . فقال : أعطنى جرابك ، فأعطته ، فملأه لها أفاعى . فلما راح أتى بهن فى جرابه الذى أعطته متأبطاً به ، فألقاه بين يديها ، ففتحته فتساعين فى بيتها ، فوثبت وخرجت . فقال لها نساء الحى : ماذا أتاك به ثابت متأبطاً له ؟ فقالت : شرًّا ، فلزمته : تأبط شرًّا .

ومن قال بالقول الأول يحتج بقول تأبط شرًّا :

فأصبحتُ الغول لى جارة ... فيا جارتا لك ما أهولا

---

(١) غير التجريد : « ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل » .

(٢) فى غير التجريد : « تيم بن فهم » .

فطالبتُها بِضْعهـــا فالتوت علىّ وحاولتُ أن أفعلا
فمَن كان يسأل عن جارتى فإنّ لها باللِّـوى منزلا

ومنهم من قال: إنه قَتل الغول وحملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه ، فقالوا : لقد تأبطت شرا .

عـداء

والعرب تزعم أن تأبط شرا كان أعدى ذى ساق وذى كعبين[1] ، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، وكان ينظر إلى الظباء فينتقى على نظره أسمنها ، ثم يجرى خلفه فلا يفوته حتى يأخذه ، فيذبحه بسيفه ، ثم يشويه ويأكله .

هو وابن براق والشنفرى

وذكر أن تأبط شرا وعمرو بن برّاق والشَّنفرى ـ ومن الناس من يجعل مكان الشنفرى السُّليك بن السُّلكة ـ غَزوا بَجيلة فلم يَظفروا منهم بغرّة وثاروا إليهم ، فأسروا عمرو بن براق وكتفوه وأفلتهم الآخران عدواً فلم يقدروا عليهما . فلما علما أن ابن براق أُسر قال تأبط شرا للسليك : أمض فكن قريباً من عمرو ، فإنى سأتراءى وأطمعهم فى نفسى حتى يتباعدوا عنه ، فإذا فعلوا ذلك فحُل كتافه وانج . ففعل ما أمره به ، وأقبل تأبط شرا حتى تراءى لبجيلة ، فلما رأوه طَمعوا فيه ، وجعل يُطمعهم فى نفسه و يعدو عدواً خفيفاً يقرِّب فيه ويسألهم تخفيف الفدية و إعطائه الأمان حتى يستأسر لهم ، وهم يُجيبونه إلى ذلك ويَطلبونه ، وهو يُحضر إحضاراً خفيفاً لا يتباعد ،حتى علا قَلعة أشرف منها على صاحبيه فإذا هما قد نجوا، ففطنت لهم بجيلة فألحقتهم طلباً ، ففاتاهم فقال : يامعشر بجيلة ، أعجبكم عدو ابن بَراق اليوم ، والله لأعدون لكم عدوًا أُنسيكم به عدوه، ثم عدا عدواً شديداً ومضى .

شعره الذى فيه الغناء

فقال تأبط شرا قصيدته التى أولها الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار تأبط شرا ، وهو :

---

(١) فى غير التجريد : « أعدى ذى رجلين وذى ساقين » .

يا عِيدُ مالكَ من شوق وإيراق ومَرّ طيف على الأهوال طَرّاق[1]
يَسرى على الأَين والحيّات مُحتفياً نفسى فداؤك من سارٍ على ساق[2]

قصة هربه من هذيل وكان يشتار عسلا

وذكر أن تأبط شرا كان يشتار عسلا من غار من بلاد هُذيل، وأن هذيلا ذُكر ذلك لهم فرصدوه لإبّان ذلك، فلما تَدلّى فى الغار جاءوا ووقفوا عليه، وقالوا له: اصعد. فقال: على الإطلاق والفداء[3]. فقالوا: لاشرط لك. فقال: أفتراكم قاتلى وآكلى جناى، والله لا أفعل، وكان قبل ذلك قد نقب فى الغار نَقباً أعدّه للهرب، فجعل يُسيل العسل فى الغار يهريقه، ثم عمد إلى زق فشده على صدره، ثم لَصق بالعسل، فلم يزل ينزلق حتى خرج سالماً، وبين موضعه الذى نجا إليه وبين القوم مسافة بعيدة:

أقول لِلحيان وقد صَفِرتْ لهم وطابى ويومى ضيّق الحجر مُعْوِرُ
لكم خَصْلة إما فداء ومِنة[4] وإما دمٌ والقَتل بالحُر أَجدر
وأخرى أُصادى النفس عنها وإنها لَمورد حَزْم إن فعلت ومصدر
فرشت لهم صَدرى فزلّ عن الصفا به جُؤجؤ عَبل ومَتْن مُخصَّر
فخالط سهلَ الأرض لم يكدح الصّفا به كدحة والموت خَزيان ينظر
فأُبت إلى فهم ولم أكُ آيبا وكم مثلها فارقتها وهى تصفر
إذا المرء لم يحتل وقد جَد جدّه أضاع وقاسى أمره وهو مُدبر
ولكنْ أخو الحزم الذى ليس نازل به الأمر إلا وهو للحزم مُبصر

---

(١) العيد: ما اعتاد من حزن وشوق. والإيراق: الأريق.
(٢) الأين: نوع من الحيات. ومحتفياً: حافياً.
(٣) غير التجريد: «الطلاقة أو الفداء».
(٤) غير التجريد: «هما خطتا إما إسار ومنة».

ولكن تريث الأمر من كل جانب[1] إذا سُدَّ منه مُنخر جاش مُنخر

شعره فى امرأة من هذيل أراد زواجها

وذكر أنه خطب تأبط شرا امرأة من هُذيل من بنى سهم ، فقال لها قائل : لا تنكحيه فإنه لأول نَصل غداً يُفقد . فقال :

وقالوا لهـا لا تنـكحيه فإنه لأول نَصل إن يلاقى مُجمعا

فلم تَر من رأيٍ فتيلا وحاذرت تأيُّمها من لابِس الليل أروعا

قليل غرار النوم[2] أكبرُ همه دمُ الثأر أو يلقى كَمِيًّا مُقنعا

قليل أدخار الزاد إلا تعـلّة فقد نشز الشُّرسُوف والتصق المِعى

رأين فتى لا صَيد وَحش يهمه فلو صافحت إنساً لصافحنه معا

وإنى ولا عِلم لأعـلم أننى سألقى سِنان الموت يرشق أضلعا

على غرة أوجهرة من مُكابر[3] أطال نزال الموت حتى تشعشعا

ولستُ أبيتُ الدهرَ إلا على فَتًى أسلّبه أو أذعر السِّرب أجمعا

ومَن يضرب الأبطال لا بُدَّ أنه سيلقى بهم من مَصرع الموت مَصرعا

---

(١) غير التجريد : فذاك قريع الدهر ما كان حوله .

(٢) التجريد : « غرار العين » . (٣) غير التجريد : « مكاثر » .

ذكر خبر
عمرو بن براق والشنفرى(*)

فأما : عمرو بن براق:

إغارة عمرو على رجل من همدان

فكان من الصعاليك المشهورين بسُرعة العدو ، وكان أغار على مال له رجلٌ من همدان ، يقال له : خُزيم ، فأغار عمرو على خُزيم فاسْتاق كل شيء له ، فأتاه خُزيم يطلب إليه ما أخذه منه ، فقال قصيدة منها :

كأنّ خُزيماً إذ رجا أن يضمها ... ويذهب مالى يابنة القوم حالمُ

شعره الذى فيه الغناء

ومنها الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار عمرو ، وهو:

متى تَجمع القلب الذكىّ وصارماً ... وأنفاً حميًا تجتنبك المَظالمُ

وكنتُ إذا قوم غَزونى غزوتُهم ... فهل أنا فى ذا يالهمدان ظالم

كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونها ... مُراغمة ما دام للسَّيف قائم

فلا صُلح حتى تعثر الخيل بالقنا ... وتُضرب بالبيض الرِّقاق الجماجم

نسب الشنفرى

وأما : الشنفرى :

فهو رجل من الأزد ، من الأوس ، من الحِجر .

حديث انتمائه إلى بنى سلامان

وكان أيضاً من العدّائين المشهورين ، أَسرتْه بنو شَبابة بن فَهم بن عمرو بن قيس بن عيلان ، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرّج بن عوف بن مَيدعان بن مالك بن الأزد رجلا من فهم ، ثم أحد بنى شبابة ، ففدته بنو شَبابة بالشَّنفرى .

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

هو وبنت السلامى وتوعده السلاميين

وكان الشَّنفرى فى بنى سلامان لا يَحسب نفســه إلا أحدهم ، نازعته بنتُ الرجل الذى كان فى حِجره ، وكان السَّلامى اتخذه ولداً وأحسن إليه وأعطاه ، فقال لها الشَّنفرى : اغسلى رأسى يا أُخية ، وهو لا يشك فى أنها أُخته ، فأنكرت أن يكون أخاها ولطمتْه ، فذهب مُغاضباً حتى أتى الذى اشتراه من فَهم ، فقال له الشنفرى : اصدقنى ممن أنا ؟ فقال : أنت من الأوس بن الحِجر . فقال : أما إنِّى لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استعبدتمونى . ثم إنه ما زال يقتلهم حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلا ، ولزم دار فَهم فكان يُغير على الأزد على رجليه فيمن معه من فَهم ، وكان يغير عليهم وحده ، أكثر ذلك . فكاد يُفنى سلامان من الأزد .

مقتله

ثم إن بنى سلامان ظفروا به فأسروه وقتلوه ، وقالوا له حين أرادوا قتله : أين نقبرك ؟ فقال :

لا تقبُرونى إنَّ قبرى مُحرَّم ... عليكم ولكن أبشرى أمَّ عامرِ
إذا احتملت رأسى وفى الرأس أكثرى ... وغُودر عند الملتقى ثَمَّ سائرى
هنالك لا أرجو حياة تسرُّنى ... سَجيسَ الليالى مُبْسَلا بالجرائر(١)

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الشنفرى ، هو :

ألا أُم عمرو أزمعتْ فاستقلّت ... وما ودَّعت جيرانَها إذ تولّتِ
فواندَمى بانت أُمامة بعدما ... طمعتُ فهَبْها نِعمةً قد تولّت
وقد أعجبتنى لاسَقُوطا خمارُها ... إذا ما مشت ولا بذات تلفُّت

(١) سجيس الليالى : أبداً . ومبسلا : مسلما

أخبار أبى خِراش الهُذلى (*)

نســبه

هو خُويلد بن مُرة ، أحد بنى سَعد بن هُذيل .

شاعر مخضرم

شاعر فَحل فَصيح مُخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ، وعاش بعد النبىّ صلى الله عليه وسلم مُدة .

موته

ومات فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، نَهشته أفعى فمات .

عــداء

وكان ممن يعدو فيسبق الخيل فى غمارات قومه وحروبهم .

الشعر الذى فيه الغناء وقصته

وذُكر أن خِراش بن أبى خِراش هو وعمه عروة بن مُرة غزوا قوماً من ثُمالة ، فظفر بهم الثُّماليون فأخذوهما أسيرين، واختلفوا فى قَتلهما، فبعضُهم أراده وبعضُهم كَرهه ، حتى كاد يكون بينهم شر ، فألقى رجل من القوم ثوبَه على خِراش حين شُغل القوم بقتل عُروة ، ثم قال له : انْج بنفسك . وانحرف القوم بعد قتلهم عُروة يطلبون قَتل خِراش ، فقالوا للرجل الذى كان ألقى ثوبه عليه ، وكانوا أسلموه إليه : أين خراش ؟ فقال : أفلت منِّى فذهب . فسعى القومُ فى إثره فأعجزهم ، فقال أبو خراش يرثى أخاه عُروة ، ويمدح الرجل الذى تسبّب فى إطلاق ابنه وإن لم يعرفه بعينه ، وهو الشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى خِراش :

حمدتُ إلٰهى بعـــد عُروة إذ نجا   خِراشٌ وبعضُ الشرِّ أهونُ من بَعْضِ

على[1] أنها تعفو الكُلوم وإنمـا   نُوكَّل بالأدنى وإن جلّ ما يمضى

ولم أدْرِ مَن ألقى عليه رداءَه   سِوى أنه قد سلّ عن ماجدٍ مَحْض

قصة موته

وذُكر أن أبا خراش أتاه نفر من أهل اليمن قَدموا حُجّاجاً ، والمـاء منهم

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(١) غير التجريد : « بلى » .

غيرُ بعيد ، فقال : يا بنى عمى ، ما أمسى عندنا ماء ، ولـكن هذه بُرمة وشاة وقِربة ، فرِدُوا الماء وكلوا شاتـكم ثم دعُوا بُرْمتنا وقِرْبتنا على الماء حتى نأخذها . فقالوا : لا والله ، ما نحن بسائرين فى ليلتنا هذه ، وما نحن ببارحين حيث أمسينا . فلما رأى ذلك أبو خِراش أخذ قِرْبته وسعى نحو الماء تحت الليل حتى أستقى ، ثم أقبل صادراً فنهشتْه حيَّة قبل أن يصل إليهم ، فأقبل مُسرعاً حتى أعطاهم الماء وقال : اطبخوا شاتـكم وكُلوا ، ولم يُعلمهم ما أصابه . فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا ، وأصبح أبو خراش فى الموت ، فلم يبرحوا حتى دفنوه ، فقال وهو فى الموت :

لعمرك والمنـــايا غالباتٌ على الإنسان تطلُع كلَّ نَجْدِ
لقد أهلـكتِ حيةُ بطن أنف على الأصحاب ساقاً ذاتَ فَقْدِ

وقال أيضاً :

لقد أهلـكتِ حيةُ ذات أنف على الأصحاب ساقاً ذات فَضْلِ
فما تركتْ عدوًّا بين بُصْرى إلى صَنعاء يطلبه بذَحْـــلِ

مؤاخذة عمر لليمانيين الذين كانوا سبب موته

فبلغ خبرُه عمرَ بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ فغضب غضباً شديداً ، وقال : لولا أن تـكون سُنّة لأمرت ألّا يُضاف يمانٍ أبداً ، ولـكتبت بذلك إلى الآفاق ، إن الرجل ليُضيف أحدهم فيبذل مجهوده فيتسخّطه ولا يقبله منه ويطالبه بما لا يقدر عليه ، كأنه يُطالبه بدين أو بتَبِعة ليَفْضحه ، فهو يُـكلِّفه التكاليف ، حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلاً مُسلماً وقتَله . ثم كتب إلى عامله باليمن أن يأخذ النفرَ الذين نزلوا على أبى خراش فيغرِّمهم دِيته و يؤدِّبهم بعد ذلك بعُقوبة يَمسهم بها جزاءً لفِعلهم .

أخبار ابن دارة (*)

شعره للذى فيه الغناء وقصته

ثم ذكر أبو الفرج عبد الرحمن بن مُسافع بن دارة .

وكان السمهرى اللص قد أخذته بنو أسد وبعثت به إلى والى المدينة ، وهو عمرو[1] بن حيان المُرّى ، فقتله بعد طول حبس ، وكان صديقاً لابن دارة . فقال ابن دارة يهجو بنى أسد ويحرض عليهم عُكْلاً ، قصيدة ، ومنها الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج ذكر ابن دارة[2] ، ومن هذه القصيدة :

تَهيم بها لا الدهرُ فانٍ ولا المُنَى سِواها ولا تسلى بنأىٍ[3] ولا شُغلِ

إذا سَخِطَتْ عينى وجدت حرارةً على كبدى كادتْ بها كبدى تَغْلِى

ولم أر محزونَيْن أجملَ لوعةً على نائباتِ الدّهر منّى ومِن جُمْلِ

وإن شفاء النفس لو تُسْعِف المُنى ذواتُ الثّنايا الغُرّ والأعين النُّجلِ

أوُلئك إن يَمْنَعن فالمنعُ شِيمةٌ لهنّ وإن يُعطين يُحْمَدْن فى البَذلِ

سأمسك بالوَصل الذى كان بيننا وهل ترك الواشُون والنأْىُ من وَصْلِ

أَلَا سَقِّيانى قهوةً فارسيةً من الأولِ المَختوم ليست من الفَضلِ

تُنسّى ذوى الأحلام واللُّب حِلْمهم إذا أزْبدت فى دَنّها زَبد الفَحْلِ

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(1) غير التجريد : « عثمان » .

(2) فى الخبر خلاف يخالف أصول الأغانى التى بين أيدينا .

(3) غير التجريد : « ولا ينسيك نأى » .

أخبار هدبة بن خشرم (*)

هو هُدبة بن خَشرم بن كُرز بن أبى حيَّة ، أحد بنى عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذُبيان بن الحارث بن سعد بن هُذيم .

نسبه

شاعر فصيح متقدِّم من بادية الحجاز ، وكان راوية للحُطيئة ، والحطيئة لكعب بن زُهير ، وكعب لأبيه زُهير . وكان جميل بن معمر راوية هُدبة : وكُثيِّر بن عبد الرحمن الخُزاعى راوية جَميل .

شاعر وكان راوية للحطيئة

وكان قد وقع شرٌّ بين هُدبة بن خَشْرم وزيادة بن زيد ، أحد بنى مُرة بن خشرم بن عبد الله بن ذُبيان ، وتسابَّا كثيراً ، فلم يزل هُدبة يطلب غِرّة زيادة حتى أصابها ، فبَيَّته فقتله ، وتنحّى مخافة السلطان ، وعلى المدينة يومئذ سعيد ابن العاص ، فأرسل إلى عمِّ هُدبة وأهله ، فحبسهم بالمدينة . فلما بلغ هُدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه وتخلَّص عمَّه وأهله . فلم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمن بن زيد ، أخو زيادة ، إلى معاوية بن أبى سفيان ، فأورد كتاباً إلى سعيد بأن يُقيد منه إذا قامت البيِّنة ، فأقامها ، فمشتْ عُذرة إلى زيادة[1] فسألوه قَبول الدِّية فامتنع ، فقال عبدُ الرحمن بن زيد :

قصة قتله وزيادة بن زيد

أَنَخْتُمْ علينا كَلْكَل الحَرْب مَرةً ... فنحنُ مُنيخوها عليكم بِكَلْكَلِ

فلا تَدْعُنى قومى لزيد بن مالك ... لئن لم أُعَجِّل ضربةً أو أُعجَّل[2]

أبعدَ الذى بالنَّعف[2] نِعف مُحَسِّر[3] ... رهينة رَمْسٍ ذى تُراب وجَنْدل

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(1) غير التجريد : « عبد الرحمن » .

(2) النعف : المكان المرتفع فى اعتراض .

(3) محسر : موضع ما بين مكة وعرفة . وفى غير التجريد : « كويكب » .

كريمٌ أصابته ذِئابٌ كثيرة فلم يَدْرِ حتى جِئْنَ من كل مَدْخل(١)
أأذكُر بالبُقْيا على من أساءنى(٢) وبُقْيايَ أنِّى جاهدٌ غيرُ مُؤْتَلِى

وقيل : إن الشعر لمالك بن السَّمح .

وذُكر أن هُدبة بن خَشرم لمّا بلغته أبياتُ عبد الرحمن قال : لم يُؤْيسني بعدُ ، ثم أرسل هُدبة إلى عبد الرحمن مَن كلَّمه فى قَبول الدية ، فأنصت إليهم حتى فرغوا ، ثم قام مُغضباً وأنشد يقول :

سأُكذِب أقواماً يقولون إنّنى سآخذ مالاً من دَمٍ أنا ثائره(٣)
فبأست أمرئ واست الذى زحرت به(٤) تَسُوق سَواماً من أخٍ هُو واتره(٥)

فرجعوا إلى هُدبة فأخبروه الخبر ، فقال : الآن يئست منه .

شعره فى امرأته وهو يساق إلى السجن

وذُكر أنه لمّا ذُهب بهُدبة بن خَشرم إلى السجن ليُقتل التفت فرأى أمرأته ، وكانت من أجمل النساء فقال :

أقِلِّى علىَّ اللومَ يا أُم بَوْزعا ولا تَعجبى ممّا أصاب فأَوجَعا
ولا تَنكحى إن فرّق الدهر بيننا أغمَّ القفَا والوجه ليس بأنزعا
ضَروباً بِلحْييه على عظم زَوره إذا الناس هَشُّوا للفَعال تقنَّعا
وحُلِّى بذى أكرومة وحَميّة وحَير إذا ما الدهرُ عَضَّ فأسرعا

هو عبد الرحمن بن حسان وقد سأله الزواج من امرأته

وذُكر أنه لمـّا أخرج ليُقتل جعل الناسُ يتعرضون له ويَستنشدونه ، فأدركه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، فقال له : يا هُدبة ، أتأمرنى أن أتزوج هذه

---

(١) هذا البيت لم يجىء فى غير التجريد . (٢) فى غير التجريد : « أصابنى » .
(٣) غير التجريد : « واتره » .
(٤) زحرت : صوتت . وفى غير التجريد : « زجرت » بالجيم .
(٥) غير التجريد : « سائره » .

بعدك ـ يعنى زوجته ـ وهى تمشى خلفه ؟ فقال : نعم ، إن كنت من شرطها فقال : ما شرطها ؟ فقال : قد قلت فى ذلك :

ولا تَنكحى إن فرق الدهر بيننا أَغَمَّ القفا والوجه ليس بأنزعا

فمالت زوجته إلى جَزّار فأخذت شَفرته فجدعت بها أنفها ، وجاءته تدمى وهى مَجدوعة ، وقالت : أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح ، فرسف فى قيوده وقال : الآن طاب الموت .

شعره لأبويه عند مقتله

فأتاه أبواه يتوقَّعان الثُّكل ، وهما بشرّ حال ، فأقبل عليهما وقال :

أبلِيانى اليومَ صبراً منكما إن حُزناً إن بدا بادئُ شَرّ

لا أرانى اليوم إلا ميتاً إن بعد اليوم[1] دار المُستقَر

أصبرا اليومَ فإنى صابرٌ كلُّ حىٍّ بقَضاء وقَدَر

شعره قبل مقتله

ولما دُفع هُدبة بن خَشرم إلى عبد الرحمن ليقتله بأخيه زيادة ، استأذنه فى أن يُصلى ركعتين ، فأذن له ، فصلاّهما وخفَّف ، ثم التفت إلى من حضر وقال : لولا أن يُظن بى الجزع لأطلتُهما ، فقد كنت مُحتاجاً إلى إطالتهما ، وقال قبل أن يقتل :

إن تَقتلونى فى الحديد فإننى قَتلت أخاكم مُطلقاً لم يُقَيَّد

فقال عبد الرحمن : والله لا أقتله إلا مُطلقاً من وَثاقه ، فأُطلق له ، فقام إليه وهزَّ السيف وقال :

قد علمتْ نفسى وأنت تعامه لأقتلنَّ اليومَ مَن لا أرحمُه

ثم قتله .

رثاء أخيه له

فقال واسع بن خشرم يرثى أخاه هُدبة :

---

(١) غير التجريد : « الموت » .

يا هُدب يا خَيرَ فِتيان العَشيرة مَن ... يُفجع بمثلك فى الدنيا فقد فُجِعا

الله يعــــلم أنى لو خَشيتهم ... أوأوجس القلبُ من خوفٍ لهم جزعا[١]

لم يقتلوه[١] ولم أُسْلِمْ أخى لهم ... حتى نَعيشَ جميعاً أو نموت معا

يمثل إبراهيم بن عبد الله بأبيـاته مقتل أخيه محمد

وذُكر أنه لما قُتل محمـد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ــ رضى الله عنهم ــ بالمدينة ، وكان خرج بها على المنصور ، وخرج بالبصرة أخوه إبراهيم بن عبد الله ، وبلغه قتلُ أخيه محمد تمثّل بأبيات هُدبة بن خشرم هذه .

شـعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار هُدبة ، هو :

أَلا يا لَقَـومى للنوائب والدّهر ... وللمرء تُردى نفسُه ثم لا يَدرِى

وللأرض كم من صالح قد تودَّأت[٢] ... عليـــه فوارتْه بلمّاعة[٣] قَفْر

(١) التجريد : « لم يسلموك » . (٢) تودأت الأرض عليه : غيبته وذهبت به .

(٣) لماعة : بقعة ذات وضح لما نبت فيها من الشعر .

أخبار الفرزدق

نسبه

هو همّام بن غالب بن صَعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان ابن مُجاشع بن دارم بن مالك بن حَنظلة بن زيد مناة بن تميم . واسم دارم : بحر . وأم غالب : ليلى بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيان . وأم الفرزدق من ضَبة .

سبب تلقيبه بالفرزدق

وإنما لُقب الفرزدق تَشبيهاً بالرغيف الضخم تُجففه النساء للفُوت . واسمه فى اللغة : الفرزدق . وقيل : بل الفرزدق : القطعة من العجين التى تُبسط فيُخبز منها الخبز ، وإنما شُبه بذلك لأن وجهه كان غليظاً .

جده والموءودات

وكان يقال لجده صعصعة بن ناجية : مُحيي الموءودات .

وذُكر أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبر النبىّ صلّى الله عليه وسلم بفعله فى الموءودات ، فاستحسنه .

وفود جده على النبى صلى الله عليه وسلم

قال صعصعة : قدمتُ على النبى صلّى الله عليه وسلم فعَرض علىّ الإسلام فأسلمت . وعلّمنى آياً من القرآن ، فقلت : يا رسول الله ، إنى عَملت أعمالا فى الجاهلية هل لى فيها من أجر ؟ فقال : وما عملت ؟ فقلت : إنى أضللتُ ناقتين لى عُشراوين ، فخرجت أبغيهما على جَمل لى ، فرُفع لى بيتان فى فضاء من الأرض ، فقصدتُهما فوجدت فى أحدهما شيخاً كبيراً ، فقلت له : هل أحسست من ناقتين عُشراوين ؟ فقال : وما نِجارهما ؟ قلت : ميسم بنى دارم . فقال : قد أصبنا ناقتيك ونَتجناهما فظأرنا على أولادهما ونَعَش الله بهما أهل بيت من قومك من العرب من مُضر . فبينما هو يخاطبنى إذ نادت امرأة من البيت : قد ولدتْ .

فقال : وما ولدت ؟ إن كان غلاماً قد شركنا فى قومنا ، وإن كانت جارية فادفنوها . فقالت : هى جارية . قلت : وما هذه . فقال: بنت لى . فقلت : فإنى أشتريها منك . فقال : يا أخا بني تميم ، أتقول لى : تبيعنى ابنتك وقد أخبرتك أنى من العرب من مضر ؟ فقلت : إنى أشترى منك دمها لا رقبتها لئلا تقتلها . فقال : بكم تشتريها ؟ فقلت بناقتىّ هاتين . فقال : وبعيرك هذا ؟ قلت : نعم ، على أن ترسل معى رسولا فإذا بلغت أهلى رددتُ لك البعير . ففعل . فلما بلغت أهلى رددتُ إليه البعير . فلما كان فى بعض الليل فكّرت فى نفسى ، وقلت : إن هذه مَكْرُمة ما سبقنى إليها أحد من العرب . فظهر الإسلام وقد أحييت ثلثمائة وستين مَوءودة ، أشترى كل واحدة منهن بناقتين وفحل ، فهل لى من أجر فى ذلك يا رسول الله ؟ فقال : هذا باب من البِرّ ولك أجره .

شعر الفرزدق فى جده

وفى ذلك يقول الفرزدق :

وجَدّى الذى مَنع الوائدين وأحيا الوئيد فلم يُوأد

شعر لصعصعة

وكان صعصعة هذا شاعراً ، وهو القائل :

إذا المرء عادَى مَن يودُّك صدرُه وكان لمن عاداك خِدْناً مُصافيا

فلا تسألَنْ عمّا لديه فإنه هو الداء ما يخفى بذلك خافِيا

وكان غالب أبو الفرزدق جوادًا .

من جود أبيه ومواءمة سحيم له

وذُكر أنه أتاه قوم فنحر لهم ناقة وأطعمهم إياها ، فلما وردت إبلُ سُحيم بن وثيل الرياحى حَبس منها ناقةً فنحرها من غدٍ ، فقيل لغالب : إنما نحر سحيم مواءمة ، أى مساومة . فقال غالب : كلا ، ولكنه امرؤ كريم ، وسوف أنظر فى ذلك . فلما وَردت إبل غالب حبس منها ناقتين فنحرها وأطعمهما ، وفعل سُحيم مثل ذلك . فقال غالب : الآن علمت أنه يوائمنى ، فعقر غالب عَشراً فأطعمها بني يربوع

وغيرهم ، فعقر سُحيم عشراً ، فلما بلغ غالباً فعلُه ضحك ، فلما وردت إبلُه نحرها عن آخرها ، وكانت فيما قيل أربعمائة ، فأمسك سُحيم حينئذ ، ثم إنه عقر بعد ذلك فى خلافة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بكُناسة الكوفة مائتى ناقة وبعير ، فخرج الناس لأخذ اللحم ، فرآهم على رضى الله عنه فقال : أيها الناس ، لا يَحل لكم إنما أُهِلّ به لغير الله عز وجل .

وذُكر أن الفرزدق كان مع أبيه يومئذ وهو غلام ، فجعل غالب يقول له : يا بنى ، أردد علىّ ، والفرزدق يَردها عليه ويقول : يا أبة ، اعقر .

فلم يُغْن عن سُحيم فعلُه ، ولم يجعل كغالب إذ لم يُطق فعله .

حفظه القرآن

وذُكر أن غالباً رضى الله عنه بعد الجمل أتى عليًّا بالبصرة فقال : إنّ أبنى هذا من أشعر مُضر فاسمع منه . فقال على رضى الله عنه : علِّمه القرآن . فكان ذلك فى نفس الفرزدق ، فقيّد نفسه وآلى ألّا يُحل قيدُه حتى يحفظ القرآن .

مدة قوله الشعر

وذُكر أن الفرزدق قال الشعر أربعاً وسبعين سنة ، واستدل على ذلك بأن أباه وصفه بالشعر بعد وقعة الجمل ، وكانت سنة ستًّا وثلاثين ، وتُوفى الفرزدق سنة عشر ومائة فى خلافة هشام بن عبد الملك ، فأقل مدة قال فيها الشعر هذه المدة . وتوفى فى السنة التى مات فيها جرير والحسن البصرى وابن سيرين .

إجادته الهجاء

وحُكى عن الفرزدق قال :

كنت أُجيد الهجاء فى أيام عثمان .

وفاة أبيه ورثاؤه له

وتُوفى غالب أبو الفرزدق فى أول خلافة معاوية بن أبى سفيان ، ودُفن بكاظمة ، فقال الفرزدق يرثيه :

لقد ضَمّت الأكفانُ من آل دارم ... فتًى فائضَ الكفّين محضَ الضّرائب

هو وابن ميادة

وذُكر أن الفرزدق مرّ يوماً بابن ميّادة الرّمّاح ، والناس حوله ، وهو ينشد :

لو أن جميعَ الناس كانوا برَبْوة ... وجِئتُ بجَدى ظالِم وابن ظالم

لظلَّت رقابُ الناس خاضعةً لنا ... سُجوداً على أقدامنا بالجَماجم

فسمعه الفرزدق فقال : يا بن الفارسية ، أما والله لتدعنّه لى أو لأَنبشنَّ أُمك من قبرها . فقال له ابن ميادة : خُذه لا بارك الله لك فيه . فقال الفرزدق :

لو ان جميع الناس كانوا برَبوة ... وجئتُ بجدى دارم وابن دارم

خلاف الناس فيه وفى جرير

وذُكر عن يونس النّحوى قال :

ما جرى ذكر جرير والفرزدق فى مجلس قطّ شهدته فاتفق أهلُ المجلس على أحدهما .

هو وحماد فى جرير

وحكى حماد الراوية قال :

أنشدنى الفرزدق يوماً شعراً له ، ثم قال : أتيتَ الكلبَ ؟ يعنى جريرا . قلت : نعم . قال : أفأنا أشعر أم هو ؟ فقلت : أنت فى بعض وهو فى بعض . فقال : لم تناصحنى . فقلت : هو أشعر منك إذا رُوخى[١] من خِناقه . وأنت أشعر منه إذا خِفت أو رجوت . فقال : قضيت لى والله عليه ، وهل الشعر إلا فى الخير والشر .

رأى ابن سلام فيه

وقال ابن سلام :

كان الفرزدق أكثرهم بيتاً مُقلَّداً ، والمُقلَّد المستغنى[٢] المشهور الذى يضرب به المثل ، من ذلك قولُه :

---

(١) غير التجريد : « أرخى » .

(٢) غير التجريد : « المغنى » .

فيا عجبا حتى كُليب تَسُبنى كأنّ أباها نهشل أو مُجاشعُ

وقـوله :

وكُنا إذا الجبّار صعَّر خدّه ضربناه حتى تَستقيم الأَخادع

وقـوله :

قوارص تأتينى وتحتقرونها وقد يملأ القَطرُ الإناءَ فَيفعم

وقـوله :

أحلامُنا تزنُ الجبال رَزانة ويزيدُ جاهلنا على الُجهال(١)

وقـوله :

و إنك إن تَسعَى لتُدرك دارما لأنت الُمعنَّى يا جرير الُمـكلَّفُ

وقـوله :

ترى كل مظلوم إلينا فرارُه ويهرُب منّا جاهداً(٢) كلُّ ظالم

وقـوله :

ترى الناسَ ماسِرْنا يَسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقَفوا

وقـوله :

فسيف بنى عَبس وقد ضربوا به نَبا بيدَى ورقاء عَن رأسِ خالد

كذاك سيوفُ الهند تَنبو ظُباتها ويقطعن أحياناً مَناط القلائد

هو وجارية نهشل

وكان الفرزدق شديد الفُجور ، فذكر أنه لقى جارية لبنى نهشل ، فجعل ينظر إليها نظراً شديداً ، فقالت : مالك تنظر ، والله إن كان لى ألف حر ما طمعتَ فى واحد منها . قال : ولمَ يا خناء ؟ قالت : لأنك قبيح المنظر سيىء المخبر فيما أرى .

---

(١) غير التجريد : * وتخالنا جنا إذا ما نجهل * . (٢) غير التجريد : « جهده » .

فقال : والله لو خبرتني لعفَّ خبرى على منظرى . ثم كشف لها عن مثل ذراع البَكر ، فتكشفت له عن مثل سَنام الناب[١] ، فعاجاها ، فقالت : أنكاح بنسيّة[٢] ، هذا شر القضيَّة . فقال : ويحكِ مامعى إلا جُبّتى أفتسأليني إياها ، ثم علاها ، وقال فى ذلك :

أولجتُ فيها كذراع البكر مُدَمْلك الرأس شديد الأَسْرِ
زاد على شِبرٍ ونصف شِبر كأنني أولجتُه فى جَمر

فحملت منه ، ثم ماتت وهى حُبلى ، فبكاها وبكى ولده منها فقال :

وغِمد سلاحٍ قد رُزئت فلم أَنُح عليه ولم أبعث عليه البَواكِيا
وفى جَوفه من دارم ذو حَفيظة لو ان المَنايا أنسأَتْه لياليا
ولكنّ ريبَ الدهر يعثُر بالفتى فلم يَستطع دفعاً[٣] لما كان جائيا
وكم مثلُه فى مِثلها قد وضعْتُه وما زلتُ وثّاباً أجُرُّ المَخازيا

هجاء جرير له

فقال جرير يهجوه و يعيّره بذلك :

كم لك يا بنَ القَين إن جاء سائل من ابْن قَصير الباع مثلُك حاملُه
وآخر لم تَشعر به قد أضعتَه وأورثَه رِحْماً[٤] كثيراً غوائله

هو ومروان بن الحكم

وذُكر أنه لما ولى سعيد بن العاص المدينة لمعاوية بن أبى سفيان دخل عليه الفرزدق فأنشده :

ترى الغُر الجحاجح من قُرَيش إذا ماالخَطبُ فى الحَدثان عالا[٥]
وُقوفاً ينظُرون إلى سَعيد كأنهم يرَوْن به هِلالا

---

(١) غير التجريد : « البكر » .
(٢) نسية ، أى نسيئة . فخفف وأدغم . والنسيئة : ما كان إلى أجل .
(٣) غير التجريد : « ردا » . (٤) غير التجريد : « رجما » .
(٥) غير التجريد : « غالا » .

فلما خرج الفرزدق من عنده قال له مروان بن الحكم : لم ترض أن نكون قُعوداً حتى جعلتنا قياماً ، وحقد ذلك عليه . فلما عُزل سعيد وولى المدينةَ مروان مدحه الفرزدق بقصيدته التى يقول فيها :

هُما دلّتانى من ثمانين قامة كما انقضّ بازٍ أقتم اللون كاسرُهْ

فلما استوت رجلاى فى الأرض قالتا أحَىٌّ يُرجَّى أم قتيلٌ نحاذره

فقلت ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا وأقبلتُ فى أعجاز ليلٍ أُبادره

أُبادر بوّابين قد وُكلوا[1] بنا وأحمر من ساج تَلُوح مَسامره

فقال له مَروان : أتقول هذا القول بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ! اُخرج من المدينة .

وفى ذلك يقول جرير :

تدلّيت تَزنى من ثمانين قامة وقصّرتَ عن باع النّدى والمَكارم

مدحه الأبرش لوساطته له عند هشام وقصة ذلك

وذُكر أن الفرزدق هجا خالد بن عبد الله القَسرى ، وذكر المبارك ، وهو النهر الذى حفره بواسط ، فبلغه ذلك ، فكتب خالد إلى مالك بن المُنذر : أن احبس الفرزدق ، فإنه هجا نهر أمير المؤمنين بما قال :

فأهلكتَ مال الله فى غير حقّه على نهرك المَشئوم غير المُبارَكِ

فأرسل مالك إلى أيوب بن عيسى الضَّبى ، وقال : ائتنى بالفرزدق . فلم يزل يُعمل فيه الحيل حتى أخذه ، فطلب إليهم أن يَمُروا على بنى حنيفة . فقال الفرزدق : ما زلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بنى حنيفة . فلما قيل لمالك : هذا الفرزدق ، انتفخ وريدُه غضباً . فلما دخل عليه قال :

---

(١) غير التجريد : « لا يشعروا » .

أقول لنفسى حين غُصّت بريقها ألا ليت شِعرى مالها عند مالكِ
لها عنده أن يُرجع الله رُوحها إليها وتنجو من عَظيمِ[1] المَهالك

فسكن غضبُه وأمر به إلى السجن، فمدح فى السِّجن خالدَ بن عبد الله ومالك ابن المُنذر مديحاً كثيراً، فلم ينفعه، فعَدل إلى مدح هشام بن عبد الملك، وكتب إلى سعيد بن الوليد الأبرش أحياناً، فكلَّم له هشام بن عبد الملك:

إلى الأبرشِ الكَلبىّ أسندتُ حاجةً تواكلها حيَّا تميم ووائلُ
على حين أن زَلَّت بىَ النعل زلّةً وأخلف ظنِّى كل حافٍ وناعل
فدُونكما[2] يا بن الوليد فإنها مُفضّلة أصحابُها فى المحافل
ودونكها يا بن الوليد فقُم بها مقام امرىء فى قومه غير خامل

فكلَّم الأبرش هشاماً، فأمر بتَخليته، فقال الفرزدق يمدح الأبرش:

لقد وثَب الكلبى وثبةَ حازم إلى خير خَلق الله نفسًا ومَحضرَا
إلى خير أبناء الخلائف لم يجد لحاجته من دُونه متأخَّرا

قصته مع جاريات الغدير

وحكى الفرزدق قال:

أصابنى بالبصرة مطر جَود ليلا، فإذا أنا بأثر دَواب قد خرجت ناحية البرية، فظننت أن قوماً خرجوا لنزهة، فقلت: خليق أن تكون معهم سُفرة وشراب، فقصصت آثارهم حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير، فأغذذتُ السير نحو الغدير، فإذا نسوة مُستنقعات فى الماء، فقلت: لم أر كاليوم قط ولا يوم دارة جُلجل، وانصرفت مستحيياً منهن. فنادينى: بالله يا صاحب البغلة ارجع نسألك عن شىء، فانصرفت إليهن، وهن فى الماء إلى حُلوقهن، فقلن: بالله لمَا حدّثتنا بحديث دارة جلجل. فقلت: إن

(١) غير التجريد: «جميع».
(٢) غير التجريد: «فدونكم».

امرأ القيس كان يهوى بنت عم له ، يقال لها : عُنيزة ، فطلبها زماناً فلم يصل إليها ، حتى كان يوم الغدير ، وهو يوم دارة جُلجل ، وذلك أن الحى احتملوا فتقدّم الرجال وتخلف النساء والخدم والثّقل ، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلّف بعد ما سار مع الرجال غَلوة ، فكمن فى غيابة من الأرض حتى مر به النساء ، فإذا فتيات وفيهن عُنيزة ، فلما وردن الغدير قلن : لو نزلنا فنذهب عنا بعضَ كلالنا ، فنزلن إليه ونحّين العبيد عنهن ، ثم تجردن واغتمسن فى الغدير كهيئتكن الساعة ، فأتاهن امرؤ القيس مُخاتلاً[1] كنحو ما أتيتكن ، وهن غوافل ، فأخذ ثيابهن فجمعها . قال الفرزدق : ورميت بنفسى عن بغلتى وأخذت بعض أثوابهن فجمعته ووضعتها على صدرى ، وقلت : أقول لكم كما قال امرؤ القيس : والله لا أُعطى جارية منكن ثوبها ولو أقامت فى الغدير يومها حتى تخرج مُجرّدة . قال الفرزدق : فقالت إحداهن ، وكانت أمجنهن : هذا امرؤ القيس كان عاشقاً لابنة عمه ، أفعاشق أنت لبعضنا ؟ فقلت : لا والله ، ما أعشق منكن واحدة ولكنى أشتهيكن . فنَعَرن[2] وصفّقن بأيديهن وقُلن : خُذ فى حديثك فلستَ منصرفاً إلا بما تحب . قال الفرزدق : فتأبّين على امرىء القيس حتى تعالى النهار وخشين أن يقصرن دون المنزل الذى أردنه ، فخرجت إحداهن فدفع إليها ثوبها ، فوضعته ناحية ولبستْه ، وتتابعن على ذلك حتى بقيت عُنيزة وحدها ، فناشدته الله أن يطرح إليها ثوبها ، فقال : دعينا منك ، فحرام إن أخذتِ ثوبك إلا بيدك . فخرجت فنظر إليها مُقبلة ومُدبرة فوضع لها ثوبها فأخذته ، وأقبلن عليه يَعذلنه ويَلُمْنه ويقلن ، عرّيتنا وحبستنا وجوّعتنا ، قال : فإن نحرتُ لكن ناقتى أتأ كلن منها ؟ قلن : نعم . فاخترط سيفه فعقرها ونحرها وكشطها ، وصاح بالخدم فجمعوا له حطباً وأجّج ناراً

---

(١) غير التجريد : « مختالا » .

(٢) نعرن : صوتن بخياشيمهن .

عظيمة ، وجعل يقطع لهن من سنامها وأطايبها وكبدها فيلقيها على الجمر ، فيأكل ويأكلن معه ، ويشرب من زُكرة[1] كانت معه ، ويُغنيهن وينبُذ إلى العبيد والخدم من الكباب حتى شبعن وطَربن . فلما أراد الرحيل قالت إحداهن : أنا أحمل رَحله ، وقالت الأخرى : علىّ حشيّته وأنساعه . فتقاسمن رحله بينهن ، وبقيت عُنيزة فلم يحمِّلها شيئاً . فقال لها امرؤ القيس : يا بنة الكرام ، لا بد أن تحمليني معك ، فإننى لا أُطيق المشى وليس من عادتى . فحملته على غارب بَعيرها ، وكان يُداخل رأسه فى خِدرها فيقبلها ، فإذا امتنعت مال حَدجها ، فتقول : يا امرأ القيس : عقرت بعيرى فانزل ، فذلك قوله :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرتَ بَعيرى يا امرأ القيس فانْزل

قال الفرزدق : فلما فرغت من حديثى ، قالت تلك الماجنة : قاتلك الله ، ما أحسن حديثك يا فتى وأظرفك ، فمن أنت ؟ قلت : من مُضر . قالت : ومن أيها ؟ . قلت : من تميم . قالت : ومن أيها ؟ قلت : إلى ها هنا انتهى جوابى . قالت : إخالك الفرزدق ؟ قلت : الفرزدق شاعر وأنا راوية : قالت : دعنا من تَوريتك عن نفسك ، أسألك بالله ، أنت هو ؟ قلت : أنا هو والله . قالت : فإن كنت هو فلا أحسبك مفارق ثيابنا إلا عن رِضى . قلت : أجل . قالت : فاصرف وجهك عن وجهنا ساعة ، وهمستْ إلى صواحبتها بشىء لم أفهمه ، فغطسن فى الماء فتوارين فأبدين رؤوسهن وخرجن مع كل واحدة ملء كفها طيناً ، وجعلن يتعادين نحوى ويضربن بذلك الطين والحمأة وجهى وثيابى ، وملأن عينى ، ووقفت مشغولا بعينى وما فيها ، وشددن على ثيابهن فأخذنها ، وركبتْ تلك الماجنة بغلتى وتركتنى منبطحاً بأسوأ حال وأخزاها ، وهى تقول : زعم الفتى أنه لا بد أن

(١) الزكرة : بالضم : دن .

ينيكنا . فما زلت فى ذلك المكان حتى غسلتُ وجهى وثيابى وجفّفتها ، وانصرفت عند مجىء الظلام إلى منزلى على قدمى ، فإذا بهن قد وجهن ببغلتى إلى منزلى مع رسول لهن ، وقلن له : تقول لك أخواتك : طلبتَ منّا مالا يُمكننا وقد وجهنا إليك بزَوجتك فنِكْها ليلتك ، وهذا كِسر درهم يكون لحمّامك إذا أصبحت . وكان الفرزدق إذا حدّث بهذا الحديث يقول : ما مُنيت بمثلهن .

هو وجرير فى بيت

وحَكى عبد الله بن عطيّة راوية الفرزدق وجرير قال :

دعانى الفرزدق يوماً فقال : إنى قد قلت بيت شعر والنَّوار طالق إن نَقضه ابنُ المراغة ــ يعنى جريراً . قلت : وما هو ؟ قال : قلت :

فإنِّى أنا الموتُ الذى نازلٌ بنَفسك فانظُر كيف أنتَ مُحاولُه

ارحل إليه بالبيت. فرحلت إلى اليمامة فلقيت جريراً بفناء بيته يَعبث بالرمل ، فقلت : إن الفرزدق قد قال بيتاً وحَلف بطلاق النوار إنك لا تَنقضه . فقال : هيه ، أظن والله ذلك ، ما هو ويلك ؟ فأنشدته إياه . فجعل يتمرّغ فى الرمل يَحثوه على صدره ورأسه ، حتى كادت الشمس أن تغرب ، ثم قال : أنا أبو حَزرة ، طَلقت امرأة الفاسق ، ثم قال :

أنا الدهرُ يفُنى الموتَ والدهرُ خالد فجئنى بمثل الدّهر شيئاً يُطاوله

ارحل الى الفاسق ، قال : فقدمت إلى الفرزدق فأنشدته إياه وأخبرته بمقالة جرير . فقال : أقسمتُ عليك لمَا سترت الحديث .

هو ونسوة وقد ضرطت بغلته

وذُكر أن الفرزدق ركب بغلته ، فمر بنسوة ، فلما حاذاهن ضَرطت بغلته ، فضحكن منه ، فالتفت إليهن وقال : لا تضحكن ، فما حملتنى أُنثى إلا ضرطت ، فقالت له إحدهن : ما حملك أكثر من أُمك ، فأراها قد قاست منك ضُراطاً كثيراً . فحرّك بغلته وهَرب منهن .

هو والحسن البصرى فى هجاء إبليس

وذكر أن الفرزدق أتى الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ فقال : إنى قد هجوتُ إبليس . فقال : كيف تهجوه وعن لسانه تَنطق .

هو وابن أبيض

وذُكر أن حمزة بن بيض قال يوماً للفرزدق : يا أبا فراس ، أسألك عن مسألة . فقال : سل عمّا أحببت . قال : أيما أحب إليك : أن تسبق الخِير [1] أو يَسبقك ؟ قال : إن سبقنى فاتنى وإن سبقته فُته ، ولكن نكون معاً لا يسبقنى ولا أسبقه . ولكن أسألك عن مسأله . فقال ابن بيض : سَل : قال أيما أحبّ إليك : أن تنصرف إلى منزلك فتجد امرأتك قابضة على أير رجل أو تجده قابضاً على حِرها ، فتحيّر ابن بيض ، وكان قد نُهى عنه فلم يقبل .

إخفاق بشر فى الإصلاح بينه وبين جرير

وذُكر أنه اجتمع الفرزدق وجرير عند بِشر بن مروان ، فرجا أن يُصلح بينهما حتى يتكافآ . فقال لهما : ويحكما ! قد بلغتما وقَرُبت آجالكما ، فلو أنكما اصطلحتما ووهب كل واحد منكما لصاحبه ذنبه . فقال جرير : أصلح الله الأمير ، إنه يظلمنى ويتعدّى علىّ . فقال الفرزدق : أصلح الله الأمير ، إنى وجدت آبائى يظلمون آباءه فسلكت طريقتهم فى ظلمه . فقال بشر : عليكما لعنة الله لا تصطلحان والله أبدا .

هو ودهقان أعياه

وحكى الفرزدق قال :

ما أعيانى جوابُ أحدٍ كما أعيانى جواب دِهقان مرة . قال لى : أنت الفرزدق الشاعر ؟ قلت : نعم . قال : إن هجوتنى تخرب ضَيعتى [2] ؟ قلت : لا . قال : فتموت عيشونة ابنتى ؟ قلت : لا . قال : فرجلى إلى حَلقى [3] فى حِر أُمك . فقلت : ويحك ، فلم تركت رأسك ؟ قال : حتى أنظر أىّ شىء تصنع .

---

(١) الخير ، بالكسر : الأصل والشرف . وفى غير التجريد : « الحر » .

(٢) غير التجريد : « أفأموت إن هجوتنى » . (٣) غير التجريد : « عنقى » .

اختياره للقصار

وذُكر أنه قيل للفرزدق : ما اُختيارك فى شعرك للقِصار ؟ قال : لأنى رأيتُها فى الصدور أثبت وفى المحافل أجْوَل .

للحطيئة فى قصاره

وقيل للحُطيئة : ما بال قصارك أطول من طوالك ؟ قال : لأنها فى الآذان أَوْلج وفى أفواه الرُّواة أعلق .

لعقيل فى قصر هجائه

وقيل لعقيل بن عُلَّفة : مالك تقصر فى هجائك ؟ قال : حسبك من القِلادة ما أحاط بالرَّقبة .

هو والجهم

وقيل : إن الجَهم بن سُويد بن المنذر الجَرمى قال للفرزدق : أَما وجدتْ أمك من الأسماء إلا الفرزدق الذى تكسره النساء فى سَويقها . فأقبل الفرزدق على قوم معه فى المجلس فقال : ما اسمه ؟ فلم يخبروه باسمه ، فقال : والله لئن لم تُخبرونى لأهجونكم كلكم . فقالوا : الجهم بن المنذر بن سويد . فقال الفرزدق : أحق الناس ألّا يتكلم فى هذا أنت ، لأن اسمك اسم متاع المرأة ، واسم أبيك اسم الحمار ، واسم جدك اسم الكلب .

هو والحسن فى طريقه إلى الكوفة

وذُكر أنه لقى الفرزدق الحسينَ بن على بن أبى طالب ــ رضى الله عنهما ــ وهو قاصد إلى الكوفة ، لمّا طلبه أهلُها ليبايعوه بالخلافة ، فقال له الحسين ــ رضى الله عنه : ما وراءك ؟ فقال: يا بن رسول الله ، أنفُس الناس معك وأيديهم عليك . فقال : ويحك ! معى وِقْر بعير من كُتبهم يدعوننى ويناشدوننى الله تعالى . فلما قَدم الحسين ــ رضى الله عنه ــ العراق وغدر به أهل الكوفة وحاربوه مع عبيد الله ابن زياد حتى قُتل ، قال الفرزدق : انظروا فإن غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا أنه سيدوم عزّها وتبقى هَيبتها ، وإن صبرت عليه ولم تُغير لم يزدها الله إلا ذُلا إلى آخر الأبد . وأنشدنى فى ذلك :

فإنْ أنتُم لم تثأرُوا بابْنِ خَيْرِكم ... فألقُوا السِّلاحَ واُغزِلُوا بالمَغازِلِ

هو وامرأة شريفة وحيلة امرأته

وذُكر أن الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها، فامتنعت عليه، وتهدَّدها بالهجاء والفضيحة، فاستغاثت بالنَّوار امرأته، وقصّت عليها القصة. فقالت لها: عِديه ليلةً ثم أعلميني. ففعلت. وجاءت النَّوار فدخلت الحَجلة مع المرأة. فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجاريةَ فأطفأت السِّراج، فانسلت المرأة من الحَجلة وقعدت النَّوار فيها، فواقع الفرزدق النوار، وهو لا يشك أنها صاحبته. فلما فرغ قالت: يا عدو الله، يا فاسق، فعرَف نَغْمتها وأنه خُدع. فقال لها: سبحان الله! ما أطيبك حراماً وأردأك حلالا.

مدحه أسماء ابن خارجة وقصة ذلك

وذُكر أنه مرّ أسماء بن خارجة الفَزارى على الفرزدق، وهو يَهْنأ[1] بعيراً بنفسه، فقال له أسماء: يا فرزدق، كسد شعرك واطّرحك الملوك فصِرْت إلى مَهنأة إبلك، وقد أمرتُ لك بمائة بعير فاقبضها. فقال الفرزدق يمدحه:

إنّ السَّماح الذى فى الناس كُلِّهِمُ ... قد حازه الله للمِفضال أسْماء

يُعطى الجزيل بِلا مَنٍّ يُكَدِّره ... عفــواً ويُتبع آلاءً بنَعْماء

ما ضَرّ قوماً إذا أمسى يُجاورهم ... ألّا يكونوا ذوى إبْل ولا شاء

قصة طلبه بغيـا

وذكر أنّ الفرزدق شَرب شراباً باليمامة وهو يُريد قَصْد العراق، فقال لصاحب له: إن الغُلمة قد آذتنى فأتنى ببغىّ. فقال: من أين أُصيب لك بَغيًّا؟ قال: فلا بد أن تحتال لى. فمضى الرجل إلى القرية فقال: هل من امرأة تَقْبل[2] فإنّ معى امرأة قد أخذها الطلق، فبعثوا معه امرأة، فأدخلها على الفرزدق وقد غَطّاه، فلما دنت منه واثَبها، ثم ارتحل مُبادراً وقال: كأنى بالخبيث — يعنى جريراً — قد بلغه هذا الخبر، فقال:

---

(١) هنأ الإبل: يطليها بالهناء، وهو القطران.

(٢) قبلت المرأة تقبل، من باب علم: تلقت الولد عند الولادة. يريد امرأة صناعتها هذا.

وكنت إذا حللتَ بدار قَوْمٍ رحلتَ بِخزْيةٍ وتركتَ عارا

فبلغ جريراً الخبرُ فهجاه بهذا الشعر بعينه .

له في ساعة عجزه عن قول الشعر

وحُكي أن الفرزدق قال :

قد علم الناس أنى فحل الشعراء ، وربما أتت علىّ ساعة لَقَلْعُ ضرس من أضراسى أهونُ علىّ من قول بيت شعر .

وقد هجاهم قصته مع الأزد

وذُكر أن الفرزدق كان قد هجا الأزد ونال من أعراضهم ، فمرّ بهم يوماً ، فوثب عليه ابن أبى عَلقمة لِيَنكحه ، وأعانه على ذلك سُفهاء من سُفهائهم ، فجاءت مشايخ الأزد وأولو النهى منهم فصاحوا بابن علقمة وبأولئك السفهاء ، فقال لهم ابن أبى علقمة : ويلكم أطيعونى اليوم واعصونى الدهر ، هذا شاعر مُضر ولسانُها ، وقد شتم أعراضكم وهجا ساداتكم ، والله لا تنالون من مُضر مثلها أبداً . فحالوا بينهم وبينه . فكان الفرزدق بعد ذلك يقول : قاتله الله ! والله لقد كان أشار عليهم بالرأى .

هو وأنصارى تحداه

وحَكى محمد بن إبراهيم قال :

قدم الفرزدقُ المدينةَ فى إمارة أبان بن عثمان بن عفان ، فأتى الفرزدق كُثيِّر عزّة ، فبينما هما يتناشدان الأشعار إذ طلع عليهما غلامٌ شَخت[1] رقيق الأَدمة فى ثوبين مُمصَّرين[2] ، فقصد نحونا حتى انتهى إلينا ، فلم يُسلم وقال : أيكم الفرزدق ؟ فقلت — مخافة أن يكون من قريش — : أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ؟ فقال : لو كان ذلك لم أقل له هذا . فقال له الفرزدق : من أنت ؟ لا أم لك ! قال : رجل من الأنصار ، ومن بنى النجار ، ثم أنا ابن أبى بكر بن حَزم ، بلغنى أنك تزعم أنك أشعرُ العرب وتزعمه مضر ، وقد قال شاعرنا حسان

(١) شخت : دقيق ضامر .

(٢) ممصر : مصبوغ بالمصر ، بالكسر ، وهو الصمغ الأحمر .

بن ثابت شعراً فأردت أن أعرضه عليك وأُؤجلك سنة ، فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب كما قيل ، وإلا أنت مُنتحل كذاب ، ثم أنشده :

* ألم تَسَلِ الرَّبعَ الجديدَ التكلُّما *

حتى بلغ إلى قوله :

وأبقى لنا مَرُّ الحروب ورُزْؤها ... سُيوفاً وأدراعاً وجَمًّا عَرَمْرَمَا

متى ما تُرِدنا من مَعدٍّ عصابةٌ ... وغسَّانَ نمنع حوضَنا أن يُهدَّما

لنا حاضرٌ فَعمٌ ونادٍ كأنه ... شماريخ رَضْوَى عِزّةً وتكرُّما

بكل فتًى عارى الأشاجع لاحه ... قِراع الكُماة يَرْشَح المسكَ والدَّما

وَلَدْنا بنى العَنقاء وابنَىْ مُحَرِّق ... فأكرِمْ بنا خالًا وأكرم بنا[1] ابنما

نُسوِّدُ ذا المال القليل إذا بدت ... مروءته فينا وإن كان مُعدما

وإنَّا لنَقْرى الضيف إن جاء طارقا ... من الشحم ما أمسى صَحيحاً مُسلّما

لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلمعنَ بالضُّحى ... وأسيافُنا يَقْطُرن من نجدةٍ دَما

فأنشده القصيدة ، وهى نيف وثلاثون بيتاً ، وقال له : إنِّى قد أجَّلتك فى جوابها حَولًا . فانصرف الفرزدق مُغضَباً يَسحب رِداءه ما يَدرى أيَّة طُرُقه يذهب[2] ، حتى خرج من المسجد ، وأقبل على كُثيِّر فقال : قاتل الله الأنصارى ! ما أفصح لهجته ، وأوضح حُجته ، وأجود شعره . فلم نزل فى حديث الأنصارى والفرزدق بقيةَ يومنا ، حتى إذا كان من الغد خرجتُ من منزلى إلى المجلس الذى كُنّا فيه بالأمس ، فأتانا كُثيِّر فجلس معى ، فإنا لنتذاكر الفرزدق ، ونقول : ليت شعرى ماذا صنع ! إذ طلع علينا فى حُلة أفواف ، وقد أرخى غديرته ، حتى جلس فى مجلسه بالأمس ، ثم قال : ما فَعل الأنصارى ؟ فنِلْنا منه وشَتمناه . فقال : قاتله الله ! ما مُنيت بمثله ولا سمعت بمثل شعره ، فارقتُه وأتيت منزلى

(١) عبر التجريد : « بهذا » .

(٢) غير التجريد : « ما يدرى أنه طرفه حتى » .

فأقبلتُ أُصعِّد وأُصوِّب فى كل فن من الشعر ، فكأنى مُفْحَم لم أقل شعراً قط ، حتى إذا نادى المُنادى رحلتُ ناقتى وأخذت بزِمامها ، حتى إذا أتيتُ رَيّان ـ وهو جبل بالمدينة ـ ثم ناديت بأعلى صوتى : أخاكم ، أخاكم . فجاش صدرى كما يجيش المِرْجل ، فعقلتُ ناقتى وتوسّدت ذراعها ، فأقمتُ حتى قلتُ مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتاً . فبينما هو ينشد إذ طلع الأنصارى ، فلما انتهى إلينا سلّم علينا ثم قال : أمَا إنى لم آتك لأُعجلك عن الأَجل الذى وقَّتُّ لك ، ولكنى أحببتُ ألّا أراك إلا سألتُك : إيش صنعت؟ فقال له : اجلس . فجلس ، فأنشده :

عَزَفت بأعشاش[1] وما كِدْت تَعزف وأنكرت من حَدْراء ما كنتَ تَعرف

ولجّ بك الهِجرانُ حتى كأنما تَرى الموت فى البَيت الذى كنتَ تألف

حتى بلغ إلى قوله :

ترى الناس ما سِرْنا يسيرون خلفنا[2] وإنْ نحنُ أَوْمأنا إلى الناس وقَّفُوا

وأنشدها الفرزدق حتى بلغ إلى آخرها . فقام الأنصاريُّ كئيباً ، فلمّا توارى طلع أبو بكر بن حَزم فى مَشيخة من الأنصار ، فسلّموا علينا وقالوا : يا أبا فراس ، قد عرفتَ حالنا ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغنا أنّ سفيهاً من سُفهائنا قد تعرض لك ، فنسألك بحق الله وبحق رسوله لمَا حفِظتَ فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووهبتنا له ولم تَفضحنا . فأقبلت عليه أكلمه ، فلما أكثرنا عليه قال : اذهبوا فقد وهبتُكم لهذا القرشيّ .

هو والعنزى وقد تجاهل عليه

وحَكى هِشام[3] بن القاسم العَنزى قال :

جمعنى والفرزدقَ مجلس ، فتجاهلت عليه ، فقلت له : من أنت ؟ قال : ما تعرفنى ؟ قلت : لا . قال : فأنا أبو فراس . فقلت : مَن أبو فراس ؟ قال :

(١) أعشاش : موضع فى بلاد بنى تميم لبنى يربوع بن حنظلة .
(٢) التجريد : «حولنا» . (٣) غير التجريد : « هاشم » .

أنا الفرزدق . قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : أوَمَا تعرف الفرزدق ؟ قلت : أعرف الفرزدق شيئاً يتخذه النساء عندنا بالمدينة ويتسمّن به ، وهو القَتُوت . فضحك ، ثم قال : الحمد لله الذى جعلنى فى بُطون نسائكم .

فى وفاته

وحكى لَبْطة بن الفرزدق أنّ أباه أصابته ذاتُ الجَنب ، فكانت سبب وفاته . ووُصف له أن يشرب النّفط الأبيض . قال : فجعلناه له فى قدح وسقيناه إياه . فقال : يابنى ، عَجّل لأبيك شراب أهل النار . فقلت : يا أبة ، قل : لا إله إلا الله ، أكررها عليه مراراً . فنظر إلىّ ثم قال :

وظلت تَعالَى باليَفَاع كأنها رماحٌ نَحاها وُجهة الرّيح راكزُ[1]

فكان ذلك هِجّيراه[2] حتى مات .

هو وبلال ابن برده فى موته

وذكر أنه دخل بلال بن بردة على الفرزدق فى مرضه الذى مات فيه ، وهو يقول:

أَرونى من يقوم لكم مُقامى إذا ما الأمرُ جَلَّ عن الخطاب
إلى مَن تَرجعون[3] إذا حثوتُم بأيديكم علىّ من التُّراب

فقال بلال : إلى الله عز وجل .

خبر وصيته لعبيده قبل موته

وذُكر أن الفرزدق كان قد دبّر عبيداً له ، وأوصى بعتقهم بعد موته ، ودَفْع شىء من ماله إليهم . فلما احتُضر جمع سائر بنيه وأهل بيته وجعل يقول :

* أرونى من يقوم لكم مقامى * [البيتين]

فقال له بعض عبيده الذين أمر بعتقهم : إلى الله . فأمر ببَيْعه قبل وفاته وأبطل وصيته فيه .

وقيل : إن مولاة له قالت ذلك ، وكان أوصى لها بوصية . فقال : يا لبطة ،

---

(١) نحاها : أمالها . (٢) هجيراه : دأبه وشأنه .
(٣) غير التجريد : « تفزعون » .

امحُها من الوصية . فقال سفيان ـ رحمه الله ـ لما بلغه ذلك : نعم ما قلت وبئس ما قال أبو فراس .

رثاؤه ابناً له مات قبله

وذُكر أنه تُوفى للفرزدق ابن صغير ، قبل وفاته بأيام ، فصلى عليه ، ثم التفت إلى الناس فقال :

وما نحنُ إلا مِثْلُهم غيرَ أننا أقمنا قليلا بعدهم وتقدّمُوا

فلم يلبث إلا أياماً حتى مات .

وذُكر أنه بينما جرير جالس بفناء داره ، بحِجْر اليمامة ، إذا راكب أقبل ، فسأله جرير عن الموضع الذى قدم منه ، فقال : من البصرة ، فسأله عن الخبر ، فأخبره بموت الفرزدق ، فقال :

نعى جرير نفسه لما بلغته وفاته

مات الفرزدق بعد ما جدّعته ليت الفرزدقَ كان عاش طويلا

ثم سكت .

قال الراوى : فظننا أنه يقول شعراً ، فدَمعت عيناه . فقال القوم : سبحان الله ! أتبكى على الفرزدق ؟ فقال : والله ما أبكى إلا على نفسى ، أما والله إن بقائى خلافه لقليل ، إنه قلّ ما كان مثلنا رجلان مجتمعان على خير أو شر إلا كان أمدُ ما بينهما قريباً ، وقال :

فُجِعنا بحَمّال الديات ابن غالب وحامى تميم كُلها والبَراجم

بكيناك حِدثان الفِراق وإنما بكيناك إذ بانت أُمور العظائم[1]

فلا حَملت بعد ابن ليلى مُهيرة ولا مَدّ[2] أنساعَ المَطِيّ الرّواسم[3]

من مات معه

وذُكر أن جرير مات بعد الفرزدق بستة أشهر ، وذلك فى سنة عشر ومائة ، وتوفى فى هذه السنة : الحسن البصرى ، ومحمد بن سيرين ـ رحمهما الله . فقالت امرأة من أهل البصره : كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه فى سنة .

(١) غير التجريد : « بكيناك شجواً للامور » . (٢) غير التجريد : « شد » .
(٣) الانساع : سيور الرحل . الواحد : نسع م

ونُسب جرير إلى البصرة لكثرة قُدومه من اليمامة إليها .

وقبر جرير باليمامة . وبها أيضاً قبر الأعشى الأكبر ، وقبر الفرزدق بالبصرة فى مقابر بنى تميم .

هو والحسن البصرى فى جنازة

وذُكر أن الفرزدق كان اجتمع مع الحسن البصرى فى جنازة ، فقال الحسن ـ رحمه الله ـ للفرزدق : ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله مُنذ بضع وثمانين سنة . فقال الحسن : إذن تنجو إن صدقت .

وقال الفرزدق : وفى هذه الجنازة خير الناس وشر الناس . فقال الحسن : لست بخير الناس ولست بشرّهم .

على حلقة الحسن

وذُكر أن الفرزدق وقف على حلقة الحسن ، وهو يعظ الناس ، فقال :

لقد خاب مِن أولاد آدمَ مَن مشى إلى النار مغلولَ القلادة أَزْرَقا

أخاف وراء القَبر إنْ لم يُعافِنِي أشدَّ من القبر التهاباً وأَضيقا

إذا جاءنى يوم القيامة قائدٌ عنيف وسَوّاق يسُوق[1] الفرزدقا

رؤية قرش له فى منامه

وذَكر شيخ من قريش ، قال :

رأيت الفرزدق فى النوم ، فقلت : يا أبا فراس ، ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى بإخلاصى يوم الحسن ، وقال : لولا شيبتك لعذّبتك فى المار .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الفرزدق ، هو :

أَلم تَر أَنّى يوم جَوِّ سُويقة بكيت فنادتْنى هُنيدة ماليَا

فقلتُ لها إن البكاء لراحةٌ به يَشتفِى من ظَنَّ أنْ لا تلاقيا

قِفِى ودِّعينا يا هُنيد فإننى أرى الركب قد شامُوا العقيق اليمانيا

وهذا الشعر من قصيدة يهجو بها الفرزق جريراً ، وهى ـ فيما قيل ـ أول قصيدة هجاه بها .

---

(١) غير التجريد : « يقود » .

أخبار
خالد بن عبد الله القسري البجلي

نسبه

وهو : خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غَمغمة بن جرير بن شِق — وهو الكاهن المشهور — بن صَعب بن يشكر بن رُهم بن أفزل — وهو سعد الصبح — بن زيد بن قَسر بن عَبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث بن الفند — وقيل : الفزر — بن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرُب بن قحطان .

شيء عن بجيلة

وبجيلة التي تنسب إليها هذه القبيلة : أمرأة . وهي : بَجيلة بنت صَعب بن سعد العشيرة ، تزوّجها أنمار بن إراش ، فولدت له أولاداً ، فنسبوا إليها .

وقيل . بل كانت أمرأة حَبشية ، تحضن ولده إلّا خَثعم ، فلذلك صار خثعم قبيلة على حدة .

شيء عن أسد

وأسلم أسد بن كُرز ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له — فيما ذكر — قوساً .

شيء عن يزيد

وكان أبنه يزيد بن أسد معه .

وروى يزيد بن أسد ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا يزيد ، أحْبب للناس ما تحبه لنفسك .

وخرج يزيد بن أسد في أيام عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — في بعوث المسلمين إلى الشام ، فكان بها . وكان مطاعاً في اليمن عظيم الشأن .

ولما حضر عثمان بن عفان — رضي الله عنه — في داره ، بعث إلى معاوية بن أبي سفيان ، وهو عامله على الشام ، يستنجده . فبعث معاوية إليه يزيد بن أسد

فى أربعة آلاف من الشام . فلما كان يزيد بن أسد ببعض الطريق بلغه الخبرُ أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ قد قُتل ، فانصرف إلى معاوية ولم يُحدث شيئاً .

ولما كان يوم صِفّين قام يزيد بن أسد فى الناس خطيباً ، وعليه عمامة خَزّ سوداء ، وهو متكئ على قائم سيفه ، فقال ، بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم : وقد كان من قضاء الله جل وعز أن جمعنا وأهلَ ديننا فى هذه البقعة من الأرض ، والله يعلم أنى كنتُ كارهاً ، ولكنهم لم يُبلّعونا ريقنا ، ولم يدعونا نرتاد لديننا ، وننظر لمعادنا ، حتى نزلوا فى حريمنا وبَيْضتنا ، وقد علمنا أن فى القوم حلماً وطَغاماً ، ولسنا نأمن من طغامهم على ذُريتنا ونسائنا ، وقد كُنا لا نحب ألّا نقاتل أهل ديننا ، فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن يصير قتالنا غداً حمية ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين . والله الذى بعث محمداً صلى الله عليه بالحق نبيًّا ، إنّي لوددت أنى مِتُّ قبل هذا ، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد أمراً بلغه ولم يستطع العباد رَدَّه ، فنستعين بالله العظيم .

شىء عن عبد الله ابن يزيد

وأما عبد الله بن يزيد بن أسد فلم يكن له نباهة من ذكر آبائه . وأهل المثالب يقولون : إنه دَعِىّ . وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق وعلى شرطته ، لما خرج على عبد الملك بن مروان ، فلما قُتل عمرو هرب عبد الله حتى سألت اليمانية فيه عبد الملك ، لما آمن الناس عام الجماعة ، وآمنه .

نشأة خالد

ونشأ ابنه خالد بن عبد الله بالمدينة ، وكان فى حداثته يتخنث ويتبع المغنين والمُخنثين ، وكان يمشى بين عمر بن أبى ربيعة وبين النساء فى رسائله إليهن ، وكان يقال له : خالد الخرِّيت[1] . وكل ما جاء فى شعر ابن أبى ربيعة وأخباره من ذكر الخريت ، فإنما يعنى به خالد بن عبد الله القسرى .

(١) الخريت : الدليل الحاذق .

خالد وأبوه وجده

وذُكر أن يزيد بن أسد كان يلقَّب : خطيب الشيطان . وكان أكذب الناس فى كل شىء ، معروفاً بذلك ، ثم نشأ ابنه عبد الله فسلك مِنهاجه ، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة فى الكذب ، إلا أن الرياسة والسخاء كانا فيه ، فسترا ذلك من أمره .

أمه

وولى خالدُ بن عبد الله العراق لهشام بن عبد الملك . وكانت أُمه رومية نصرانية ، فبنى لها كنيسة فى ظهر قبلة الجامع بالكوفة ، فكان إذا أراد المؤذن فى المسجد أن يؤذن ضرب لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم . وكان أهل الكوفة يعيّرونه بذلك ويقولون : إنه ابن البظراء ، فأنف من ذلك . فيقال : إنه ختن أُمه كارهة .

ذمه عليا

وكان ــ قبَحه الله ــ يُكثر ذم علىّ بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ ولعنه وشتمه فوق المنبر ، يتقرب بذلك إلى هشام بن عبد الملك .

فذُكر أنه كان يصرح باللعن تصريحاً ، فيقول : على بن أبى طالب بَعل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الحسن والحسين ، ثم يقول لأهل المسجد : هل كنّيت .

هو وابن جعدة فى أمر على

وذُكر أنه دخل على فراس بن جَعْدة ، وبين يديه نَبق ، فقال خالد بن عبد الله ــ قبحه الله ــ : العن علىّ بن أبى طالب ولك بكل نَبقة دينار ، ففعل ، فأعطاه بكل نبقة ديناراً .

من إسفافه فى تفضيل هشام

وذُكر أنه قال على المنبر بالكوفة ، وذكر النبى صلى الله عليه وسلم : أيما أكرم على الرجل : رسوله فى حاجته أو خليفته فى أهله؟ يعرض خالد ــ لعنه الله ــ إن صح ذلك عنه ، بتفضيل هشام بن عبد الملك على الرسول صلى الله عليه وسلم .

حطه من شأن زمزم

وذُكر أن الوليد بن عبد الملك كان حفر بئراً بمكة ، بين ثنية ذى طُوى

وثنية الجون ، وكان خالد قبحه الله ينقل ماءها فيوضع فى حَوض جنب زمزم ، ليظهر للناس فضلها على زمزم . وكان يسمى بئر زمزم : أم الجِعلان[1] .

وخطب يوماً فقال : إبراهيم خليل الله اُستسقى ماء فسقاه مِلحاً أجاجاً ، و إن أمير المؤمنين استسقى ماء فسقاه الله عذباً نُقاخا[2] . فغارت تلك البئر فلا يُدرى أين هى اليوم .

خطبته الناس وقد حبس بعض التابعين

وذُكر أنه خطب بمكة ، وقد أخذ بعض التابعين لحبسه فى دور آل الحضرمى ، فأعظم الناس ذلك وأنكروه ، فخطب خالد وقال : قد بلغنى ما أنكرتم من أخذ عدو أمير المؤمنين ، ومن حاربه ، والله لو أمرنى أمير المؤمنين أن أنقُض هذه الكعبة حجراً حجراً لنقضتُها .

والأخبار الواردة عنه فى هذا الباب كثيرة ، ولم ينفعه تقرُّبه إلى هشام ، ومَن وَلى عنه من بنى أمية بهذه الأفعال والأقوال القبيحة ، بل سلَّط الله عليه من تقرَّب إليه بما يُسخطه ، حتى كان هلاكه على يده ، كما سنذكره .

من جوده

وذُكر أن خالد بن عبد الله كان جواداً بالمال ، بخيلا على الطعام جدا ، فوفد إليه رجل له به حُرمة ، فأمر أن يُكتب له بعشرين ألف درهم ، وحضر الطعامُ فدعا به ، فأكل أكلا مُنكراً ، فأغضبه ذلك وقال للخازن : لا يعرض علىّ صكّه . فعرّفه الخازن ، فقال : ويحك ! وما الحيلة ؟ قال : تشترى له غداً كل ما يحتاج إليه فى مطبخه وتَهب للطباخ دراهم حتى لا يشترى شيئاً ، وتسأله إذا أكل خالد أن يقول له : إنك كنت اليوم فى ضيافة فلان ، فاُشترى له كل ما أراد حتى الحطب ، فبلغ خمسمائة درهم . فأكل خالد وطاب له ما صُنع له . فقال له الطباخ : إنك كنت اليوم فى ضيافة فلان ، فاستحيا خالد ودعا بصكّه وجعلها ثلاثين ألف درهم ووقع فيه ، وأمر الخازن بتسليمها .

(١) الجعلان بالكسر : جمع جعل ، بالفتح : دويبة . (٢) النقاخ : البارد العذب الصافى .

من حيلة التجار معه

وذُكر أنه كان لبعض التجار على رجل دين ، فأراد استعداء خالد عليه فلاذ الرجل ببوّاب خالد وبَرّه . فقال له : سأحتال لك فى أمر هذا بحيلة لا يُدخله عليه أبداً . قال : فافعل . فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر فدخل ، وخالد يأكل سمكاً ، فجلس فأكل أكلا شنيعاً ، فغاظ ذلك خالدا ، فلما خرج قال خالد لبوابه : فيم أتانى هذا ؟ قال : يستعدى على فلان فى دين يدّعيه عليه . فقال : والله إنى لأعلم أنه كاذب ، ولا يدخلنّ علىّ . وتقدم إلى صاحب الشرطة بأن يقبض يده على خصمه .

وذُكر أن خالد بن عبد الله لما عظُمت مكانته ومنزلته عند هشام بن عبد الملك أدلّ عليه إدلالا كثيراً ، فكان ذلك سبب غضبه .

غضب هشام عليه

وذُكر أنه كان عند هشام يوماً ، فالتفت خالد إلى ابنه يزيد بن خالد ، فقال له : كيف بك يا بُنى إذا احتاج بنو أمير المؤمنين إليك ؟ فقال : أُواسيهم ولو فى قميصى . فتبيّن الغضب فى وجه هشام واحتملها .

وربما كان يجرى ذكر هشام عند خالد فيقول : ابن الحمقاء ، فسمع ذلك رجل من أهل الشام فقال لهشام : يا أمير المؤمنين ، إن البَطِر الأشِرا لكافر لنِعمتك ونعمة أبيك وإخوتك يذكرك بأسوأ الذكر . فقال : ماذا يقول ؟ لعله يقول : الأحول ؟ قال : لا والله ، ولكن لا تلتقى[1] به الشّفتان . فقال : لعله يقول : ابن الحمقاء . فأمسك الشامى . فقال له هشام : قد بلغنى كل ذلك عنه .

ضياعه

واتّخذ خالد ضياعاً كثيرة ، حتى بلغت غلته عشرة آلاف درهم .

فذُكر أنه دخل عليه دِهقان كان يأنس به ، فقال : إن الناس يحبون جسمك ، وأنا أُحب جسمك ورُوحك ، قد بلغت غلتك عشرة آلاف درهم سوى

(١) غير التحريد : « ما تذتق به » .

غلة أبيك ، وإن الخلفاء لا يصبرون على مثل هذا . فقال له خالد : إن أخى أسداً قد كلّمنى بمثل هذا ، فأنت أمرته ؟ قال : نعم . قال : ويحك ! دعه فرب يوم كان طلب فيه الدرهم فلا يجده .

تعذيب هشام له وقتله ابنه

ثم إن هشام بن عبد الملك عزل خالد بن عبد الله القسرى عن العراق وعذّبه وعاقبه أشد العقوبة ، وقتل ابنه يزيد بن خالد .

وساطة خالد بن صفوان عند هشام

قال خالد بن صفوان :

فرأيت فى رجله شريطاً قد شُدّ به ، والصبيان يجرونه . قال : فدخلت إلى هشام يوماً فحدّثته فأطلْت ، فتنفس فقال : يا خالد ، رُبّ خالد كان أحبّ إلىّ قُرباً وألذّ حديثاً منك ـ يعنى خالداً القسرى . فانتهزتُها ورجوت أن أشفع فتكون لى عند خالد يد . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما يمنعك من استئناف الصنيعة عنده ، فقد أدّبته بما فرط منه . فقال : هيهات ، إن خالداً أوجف فأعجف ، وأدل فأمل ، وأفرط فى الإساءة فأفرطنا فى المكافأة ، فَحَلِم[1] الأديم ، ونَغِل[2] الجرح ، وبلَغ السَّيل الزُّبى ، والحزام الطِّبيين ، فلم يَبْق فيه مُستصلح ، ولا للصنيعة عنده موضع . عُد إلى حديثك .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار خالد بن عبد الله القسرى ، هو :

ومقالُها بالنَّعف نِعف مُحسّر ... لفتاتها هل تَعرفين المُعْرِضَا
ذاك الذى أَعطى مَواثِق عَهده ... أن لا يخون وخِلْت أنْ لن يَنْقضا
فلئن ظفرتُ بمثلها من مثله ... يوماً ليعترفنّ ما قد أقْرضا

(١) حلم : تآكل (٢) نغل : فسد.

أخبار
صخر بن جعد الخضري

نسبه

وهو : أحد بنى جحاش بن سَلمة بن ثعلبة بن مالك بن طَريف بن مُحارب بن خَصفة بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار .

لقب بنى مالك

ويسمى بنو مالك بن طريف : الُخضر ، لسوادهم .

وكان شديد الأُدمة ، وخرج ولدُه إليه فقيل لهم : الخضر . والعرب تُسمى الأسود : أخضر .

منزلته فى الشعر

وهو شاعر فصيح من مُخضرمى الدولتين الأَموية والعباسية .

قصته مع ابنة عمه

وذُكر أن صخراً الجعدى كان مغرماً بكأس بنت بُجير بن جُندب ، فشَبّب بها . فلقيه أخوها وقاص ، وكان شجاعاً ، فقال له : يا صخر : إنك شببت بابنة عمك وشهرتها ، ولعمرى ما بها عنك مذهب ، ولا لنا عنك مرغب ، فإن كانت لك فى ابنة عمك حاجة فهلُم أزوجها منك ، وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمن ما عرضت لها بذكر ولا أسمعنّه منك ، فوالله لئن فعلت ذلك ليخالطنّك السيف . فقال له : لا ، بل والله إن بى لأشد الحاجة إليها . فوعده موعداً ، فخرج صخر لموعده حتى نزل بأبيات القوم منزلَ الضيف ، فقام وقاص فذَبح وجمع أصحابه ، وأبطأ صخر عليهم . فلما رأى ذلك وقاص بعث إليه : أن هَلُم لحاجتك . فأبطأ . ورجع الرسول وقال لهم : ما رأيتُه إلا بطيئاً ، واستأناه وقاص فأبطأ ، فلما رأى ذلك من فعله غضب وقاص وعَمد إلى رجل من الحى ليس يعدل صخراً ، يقال له : حصن ، وهو مغضب لِما صنع ، فحمد الله وأثنى عليه وزوّجه بكأس ، وافترق القوم فمرُّوا بصخر فأعلموه بتزويج كأس لحصن ، فرحل

عنهم من تحت الليل واندفع يهجوها بأبيات منها :

وأنكحها حِصْناً لِيَطْمس حملها وقد حَملت من قبل حِصْن وجَرَّتِ

أى : زادت على تسعة أشهر .

وترافع القوم إلى المدينة ، وأميرها يومئذ طارق ، مولى عثمان رضى الله عنه ، فأقام أهل كأس البينة عليه بقذفها ، فضُرب حَدّ القذف . فنَدم صخر على مافرط منه واستحيا من الناس للحَد الذى ضُرب به . فلحق بالشام فطالت بها غيبتُه ، وطفق يقول فى كأس الأشعار ، ثم عاد فمرّ بنخل كان لأهله ولأهل كأس فباعوه وانتقلوا إلى الشام ، فمرّ بها صخر ورأى المبتاعين لها يصرمونها ، فبكى عند ذلك بكاء شديداً وأنشأ يقول :

مررتُ على خَيْمات كأْسٍ فأسبلت مدامعُ عينى والرِّياح تُميلُها

وفى دارهم قومٌ سواهم فأسبلت دموعٌ من الأجفان فاضَ مَسيلُها

كأنّ الليالى ليس فيها بسالم صديقٌ ولا يَبقى عليها خَليلُها

وقال أيضاً فيها :

ألَا يا كأس قد أفنيتُ شعرى فلست بقائل إلا رجيعا

ولست بنائم إلا بحُزن ولا مُستيقظاً إلّا مَرُوعا

وإنكِ لو نظرتِ إذا التقينا إلى كبدى رأيتِ به صُدوعا

شعره الذى فيه الغناء وسببه

وذُكر أنه أرسلت كأس بعد أن زُوجت إلى صخر بن الجعد تخبره أنها رأته فيما يرى النائم كأنه يُلبسها خماراً ، وأن ذلك جدّد لها شوقاً إليه وصبابة ، فقال صخر ــ وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار صخر :

أنائل ما رُؤْيا زعمتِ رأيتها لنا عجبٌ لو أنّ رُؤْياك تصدُقُ

أنائل ما للعَيش بعــدك لذّة ولا مَشرب نلقاه إلّا مُرنّق (١)

أنائل إنى والذى أنا عبده لقد جعلت نفسى من البَين تُشفق

لعمرك إنّ البين منك يشوقنى وبَعْض بعاد البَيْن والنّأى أَشوق

(١) مرنق : مكدر .

أخبار أبي حفص الشطرنجي

هو : أبو حفص عمر بن عبد العزيز ، مولى بني العباس .

نسبه

وكان أبوه من موالي المَنصور ، وكان اسمه اسماً أعجميًّا . فلما نشأ أبو حفص غيَّره وسمَّاه : عبد العزيز.

أبوه

ونشأ أبو حفص في دار المهديّ ومع أولاد مواليه ، وكان كأحدهم ، وتأدّب ، وكان لاعباً بالشطرنج ، ومشغوفاً بهـا ، فلُقب بها لغَلبتها عليه .

نشأته في دار المهدى

فلما مات المهدى انقطع إلى عُلية بنت المهدى ، وخرج معها لما زُوجت ، وعاد معها لما عادت إلى قصرها . وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين أخواتها وبنى أخيها من الخلفاء ، فتنتحل بعض ذلك وتترك بعضه .

انقطاعه إلى علية

وممَّا يستجاد من شعر أبي حفص الشّطرنجى :

من جيد شعره

عَرِّضاً للذى تُحب بحُبٍّ ثم دَعه يَرُوضه إبليسُ

فلعلّ الزمان يُدنيك منه إنّ هذا الهوى جليلٌ نَفيس

صابر الحب لا يَغُرّنك[1] فيه من حَبيب تجهُّم وعُبُوس

وأَقِلّ اللَّجاج واُصبر على الجـ ـهد فإنَّ الهوى نَعيم وبُوس

وذُكر أن الرشيد كان يُحب ماردة جاريته ، وهى أُم ابنه المعتصم ، وكان خَلَّفها بالرقة . فلما قدم بغداد اُشتاقها ، فكتب إليها :

إجابته الرشيد عند زوجته ماردة

سلام على النازح المُغتربْ تحية صَبٍّ به مُكْتئبْ

---

(١) غير التجريد : « لا يصرفنك »

غـــزال مراتعه بالبُلَيخ إلى دَيرِ زَكّى[١] فقصر الخشب[٢]

أيا مَن أعان على نفسه بتخليفه طائعاً من أَحَبّ

سأستر والسَّتر من شيمتى هَوى من أُحب بمن لا أُحب

فلما ورد كتابه عليها أمرت أبا حفص الشّطرنجى فأجاب الرشـيد عنها بهذه الأبيات :

أتانى كتابُك يا سيدى وفيه العجائبُ كل العَجب

فلو كان هذا كذا لم تكن لِتتركنى نُهزة للكُرب

وأنت ببغـــداد ترعى بها بنات اللَّذاذة مع مَن تُحب

كتابك قد زادنى صَبوة وأسعر قلبى بحَرّ اللَّهب

وهَبْنى نَعم قد كتمت الهوى فكيف بكِتمان دَمْعٍ سَرِب

ولولا اتقاؤك يا سيدى لوافتْك بى الناجيات النُّجب

فلما قرأ الرشيد كتابها أنقذ من وقته خادماً على البريد ، حتى حَدَرها إلى بغداد فى الفرات .

أمره يحيى بصنع بيتين فى دنانير وأجازه

وذكر أن يحيى بن خالد قال لأبى حفص الشطرنجى ، ودنانير جاريته عنده يُلقى عليها ابن جامع صوتاً ، وكانت سوداء ، قل لى فى دنانير بيتين ولك بكل بيت مائة دينار إن جاءت كما أريد . فقال أبو حفص :

أشبهك المسك وأشبهته قائمةً فى لونه قاعدهْ

لاشك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحده

فأمر له يحيى بمائتى دينار .

---

(١) البليخ : نهر بالرقة . ودير زكى : دير بالرها .

(٢) معجم البلدان (دير زكى) : «وجسر الخشب».

شعره الذي فيه الغناء وقصته

وحكى أبو حفص الشطرنجي قال : قال لي الرشيد يوماً : ياحبيبي ، لقد أحسنت ما شئت في بيتين قلتهما . قلت : وما هما يا سيدي ؟ فمن شرفهما استحسانُك لهما ، قال : حيث تقول :

لَمْ أَلْقَ ذا شَجَنٍ يَبُوح بحُبِّه ... إلا حسبتُك ذلك المحبوبا

حذراً عليك وإنني بك واثق ... ألّا ينال سواي منك نَصيبا

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليسا لي ، هما للعباس بن الأحنف . فقال : صِدْقُك والله أعجبُ إليّ ، وأحسن منهما قولك :

إذا سرّها أمر فيه مَساءتي ... قضيتُ لها فيما تريد على نَفْسي

وما مرّ يوم أرتجي فيه راحة ... فأذكره إلا بكيتُ على أمسي

وهذا البيتان هما الشعر الذي فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبي حفص الشّطرنجي :

شعره في علته التي مات فيها

وحكى عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال :

دخلت على أبي حفص الشطرنجي ، شاعر عُليَّه بنت المهدي ، أعوده في علته التي مات فيها ، فجلست عنده فأنشدني لنفسه :

نعى الله ظلّ الشباب المَشيب ... ونادتْك باسمٍ سواك الخُطوب

فكُن مستعدًّا لداعي الفناء ... فإنّ الذي هو آتٍ قريب

وقبلك داوى المريضَ الطبيب ... فعاش المريضُ ومات الطَّبيب

يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف ترى حالَ مَن لا يَتوب

ذكر
حرب الفجار وحرب عكاظ

سبب تسميتها

وإنما سُميت هذه الحرب: الفِجار، لاستحلالهم فيها الحُرُم. والفجار: فِجاران: الأول، والثانى أعظمهما.

الفجار الأول

فأمّا الفِجار الأول، فكانت الحرب فيه ثلاثةَ أيام، ولم تُسمَّ بأسماء لشُهرتها[1]. وكان أول أمر الفجار أن بدر بن مَعشر الغِفارىّ، أحد بنى غِفَار ابن مُلَيل[2] بن ضَمرة بن بكر بن عبد مناة بن كِنانة، كان رجلا مَنيعاً مُستطيلا بمَنْعته على من ورد سُوق عُكاظ.

سوق عكاظ

وهذه السُّوق كانت تُقام للعرب فى أول ذى القِعدة من كل سنة، ولا تزال قائمةً، يُباع فيها ويُشترى إلى حُضور الحج، وكان قيامهما فيما بين نَخلة والطائف عشرة أميال. وبها أموال ونَخل لثقيف.

فاتخذ بدرُ بن مَعشر الغِفارى مجلساً بسُوق عكاظ وقَعد فيه، وجعل يَبذخ على الناس ويقول:

نحنُ بنو مُدركةَ بنِ خِندْف ... مَن يَطْعنوا فى عَينه لا يَطْرِف
ومن يكونوا قومَه يُغطرف ... كأنهم لُجَّة بَحرٍ مُسدف

وبدر هذا باسطٌ رجلَه يقول: أنا أعزُّ العرب، فمن زعم أنَّه أعزُّ منى فليضربها[3] بالسيف، فإنه أعز منى. فوثب رجل من بنى نصر بن معاوية

---

(١) غير التجريد: «تشهر بها».
(٢) التجريد: «مليك». وفى غير التجريد: «مالك». وما أثبتناه من الجمهرة (ص ١٧٥).
(٣) غير التجريد: «فليضرب [illegible]».

ابن بكر بن هوازن ـ يقال له : الأحمر بن مازن بن أوس بن النابغة ، فضَرَبه بالسَّيف على رُكبته فأندرها ، ثم قال : خُذها إليك أيها المُخندف ، وهو ماسكٌ سيفَه . وقام أيضاً رجل من هوازن فقال :

أنا ابن هَمدان ذو التَّغطْرُفِ ... بَحر بحـور زاخر لم يُنزفِ

نحن ضربنا رُكبة المُخندف ... إذْ مَدّها فى أشهُر المُعرَّف

فهذا اليوم الأول من أيام الفِجار الأول .

اليوم الثانى من الفجار الأول

وأما الثانى فكان سببه أن شَباباً من قريش وبنى كنانة كانوا ذوى غَرام ، فرأوا امرأة من بنى عامر جميلةً وسيمة ، وهى جالسة بسوق عكاظ . عليها بُرقع، وقد اكتنفها شباب من العرب وهى تُحدِّثهم ، فجاء الشباب من كنانة وقريش فأطافوا بها وسألوها أن تُسفر ، فأبتْ . فقام أحـدهم فجلس خلفها وحلّ طرف ردائها وشدّه إلى فوق حُجزتها بشوكة ، وهى لا تعلم . فلما قامت انـكشف دِرْعها عن دُبرها ، فضحكوا وقالوا : مَنَعْتنا النظر إلى وجهك وجُدْتِ لنا بالنظر إلى دُبرك . فنادت : يا آل عامر . فثاروا وحملوا السـلاح . وحملته كنانة واقتتلوا قتالا شديداً ووقعت بينهم دماء . فتوسَّط حرب بن أُمية واحتمل دماء القـوم وأرضى بنى عامر من مُثلة صاحبتهم .

اليوم الثالث من الفجار الأول

وأما الثالث فكان سببه أنه كان لرجل من بنى جُشَم بن بكر بن هوازن دَين على رجل من بنى كنانة ، فلَواه به وطال اقتضاؤه إياه فلم يُعطه شيئاً ، فلما أعياه وافاه الجُشمى فى سوق عُكاظ بقِرد ، ثم جعل ينادى : مَن يبيعنى مثل هذا بمالى على فلان بن فلان الـكنانى ؟ رافعاً صوته بذلك . فلما طال نداؤه بذلك وتعييره به كنانة ، مرّ به رجـل منهم فضرب القِرْد بسيفه فقتله ، فهتف به الجُشمى : يا آل هوازن . وهتف الـكنانى : يا آل كنانة . فتجمّع الحيّان

حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلى ، ثم كفُّوا . فهذه أيام الفجار الأول .

اليوم الأول من الفجار الثانى

وأما اليوم الأول من الفِجار الثانى ، فهو يوم نَخلة . وكان سببه أن البَراض ابن قَيس بن رافع ، أحد بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة ، كان سكّيراً فاسقاً ، فخلعه قومه وتبرءوا منه . فشرب فى بنى الدِّيل فخلعوه . فأتى قريشاً بمكة فنزل على حَرب بن أمية فَحالفه . فأحسن حَرب جواره . وشرب بمكة حتى همّ حرب أن يخلعه ، فقال لحرب : إنه لم يبق أحد ممن يَعرفنى إلا خلعنى سواك ، وإنك إن خلعتنى لم ينظر إلىّ أحد بعدك ، فدعنى على حِلفى وأنا خارج عنك . فتركه وخرج فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة . وكان النعمان يبعث إلى سوق عكاظ فى كل سنة بلَطيمة ، يُجيزها له سيد مُضر ، فتُباع ويُشترى له بثمنها الأَدم والحرير وبُرود العَصب وغير ذلك . فجهّز النعمان لَطيمةً له ، والبراض عنده ، وقال : مَن يُجيزها ؟ فقال البراض : أنا أُجيزها على بنى كنانة . فقال النعمان : إنما أُريد رجلاً يُجيزها على أهل نَجد . فقال عُروة الرّحال بن عُتبة بن جعفر بن كلاب ، وهو يومئذ رجل من هوازن : أنا أُجيزها أبيتَ اللعن . فقال له البراض : وعلى بنى كنانة تجيزها يا عُروة ؟ قال : نعم وعلى الناس كلهم ، أفكلبٌ خليع يجيزها . ثم شخص بها وشخص البراض ، وعُروة يرى مكانه ولا يخافه على ما صنع . حتى إذا كان بين ظهرى غطفان إلى جنب فدك بأرض يقال لها : أُوارة ، نام عُروة فى ظل شجرة ، ووجد البراض غفلته فقتله وأخذ اللَّطيمة وهرب وقال :

نقمتُ على المرء الكلابىّ فَخْره ... وكنتُ قديماً لا أُقِرُّ فَخارا

علوتُ بحدّ السَّيف مَفرق رأسه ... فأسمع الواديَيْن خُوارا

قيل : وكانت العرب إذا قدمت عكاظ رفعت أسلحتها إلى عبد الله بن جُدعان التَّيمى ، حتى يفرغوا من أسواقهم وحَجهم ، ثم يردها عليهم

إذ ظَعنوا . وكان سيداً حليما كريماً مُثرياً من المال . فلما أُخبر خبر البراض ، وقتله عُروة ، جاء حرب بن أُمية إلى عبد الله بن جُدعان . فقال : أحتبس قِبلك سلاح هوزان . فقال له ابن جُدعان : بالغدر تأمرنى يا حرب ، لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضُربت به ، ولا رمح إلا طعنت به ، ماأمسكت منها شيئاً ، ولكن لكم مائة درع ومائة رمح ومائة سيف من مالى تستعينون بها ، ثم صاح ابن جدعان فى الناس : من كان له قِبَلى سلاح فليأخذه . فأخذ الناس أسلحتهم . ولما علمت هوازن ومن ضامها من قيس خبر البراض قصدوا قريشاً وبنى كنانة وقاتلوهم بنَخلة قتالاً شديداً . فانهزمت قريش وكنانة ، وأتبعتهم هوازن حتى جَنَّ عليهم الليل ، فكفّوا ونادى الأدرم بن شُعيب ، أحد بنى عامر بن صعصعة : يا معشر قريش ، ميعاد ما بيننا هذه الليالى[1] من العام المُقبل بعُكاظ .

وكان رؤساء قريش يومئذ : حرب بن أُمية ، وعبد الله بن جدعان ، وهشام ابن المغيرة . ورؤساء قيس : عامر بن مالك مُلاعب الأسنة ، على بنى عامر ؛ وكدام بن عمير ، على فهم ، وعدوان ؛ ومسعود بن سَهم ، على ثقيف ؛ وسُبيع ابن ربيعة ، على بنى نَصر بن معاوية ؛ والصِّمة بن الحارث ، أبو دُريد ، على بنى جشم . وكانت راية قريش مع حرب بن أُمية ، وهى راية قُصى التى يقال لها : العُقاب . وفى ذلك يقول خِداش بن زهير من أبيات :

يا شَدّةً ما شَدَدْنا غيرَ كاذبة   على سُخينةَ لولا الليلُ والحرمُ

وكانت العرب تسمى قريشاً : سخينة . وقدم البَراض باللّطيمة مكة ، فجعل يأ كلها . فهذا اليوم الأول .

اليوم الثانى من الفجار الثانى

وأما اليوم الثانى من الفجار الثانى :

فإن قريشاً تجمعّت وبنى كنانة بأسرها ، وبنو عبد مناة ، والأحابيش حلفاء

(١) غير التجريد : « الليلة » .

كنانة ، وأعطت قريش رؤوس القبائل أسلحةً تامة ، وأعطى عبدُ الله بن جُدعان خاصة من ماله مائة رجل من كنانة أسلحةً تامة ، وجمعت هوازن وخرجت ، ولم تخرج معهم بنو كلاب ولا كعب ، ولا شهد هذان البطنان من أيام الفجار إلا يوم نخلة ، مع أبي بَراء عامر بن مالك .

وكان القوم جميعاً مُتساندين ، على كل قبيله سيّدهم . فكان على بني هاشم وبني المطلب ولفّهم : الزبير بن عبد المطلب ؛ وعلى بني المُطلب خاصة ، وإن كانوا مع الزبير . عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد المطلب ، وأمه الشفاء بنت هاشم ابن عبد مناف .

تعقيب لأبي الفرج

قلت : عند يزيد هذا ينتهي نسب الشافعي رحمه الله .

قالوا : وحضر مع بني هاشم ، هذا اليوم وما بعده من أيام الفجار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمره أربع عشرة سنة ، وذلك قبل أن يبعثه الله تعالى بست وعشرين سنة . وكان يُناول عمومته النَّبْل .

وكان على بني عبد شمس ولفّها : حَرب بن أُمية ، ومعه أخواه : أبو سفيان ، وسفيان ؛ ومعهم بنو نوفل بن عبد مناف ، يرأسهم بعد حرب : مُطعم بن عدى ابن نوفل . وكان على بني عبد الدار ولَفّها : خُويلد بن أسـد ـ أبو أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ـ وشمر(١) بن الحُويرث . وعلى بني زُهرة ولَفّها : مَخرمة بن نوفل ، وأخوه صفوان . وعلى بني تيم ولَفّها : عبد الله بن جُدعان . وعلى بني مخزوم : هشام بن المغيرة ، أبو عدو الله أبي جهل . وعلى بني سهم : العاص بن وائل ، أبو عمرو بن العـاص . وعلى بني جُمح ولَفّها : أمية بن خلف . وعلى بن عامر بن لؤي : عمرو بن عبد شمس بن عبدُ ود ، أبو سهيل بن عمرو . وعلى بني

---

(١) غير التجريد : «عثمان» .

الحارث بن فهر : عبد الله بن الجرّاح ، أبو أبى عبيدة ـ رضى الله عنه . وعلى بنى بكر : بلعاء بن قيس ، ثم مات فكان أخوه جُثامة بن قيس مكانه . وعلى بنى عدى بن كعب : زيد بن عمرو بن نُفيل ، والخطّاب بن نفيل ، أبو عمر ـ رضى الله عنه . وعلى الأحابيش : الُحليس بن يزيد .

وكانت هوازن مُتساندين كذلك .

وهذا اليوم يقال له : يوم سَمطة .

فسبقت هوازن قريشاً فنزلت سَمطة من عُكاظ ، وأقبلت قريش فنزلت دون المَسيل ، وبنو كنانة فى بطن الوادى . وأمرهم حرب بن أُمية ألّا يبرحوا ، ثم التقوا فاقتتلوا ، فكانت الكَرة فى أول النهار لقُريش وكنانة . فلما كان آخر النهار تداعت هوازن وصبروا وكثر القتل فى قريش ، فلما رأى ذلك بنو الحارث ابن كنانة ، وهم فى بطن الوادى ، مالوا إلى قريش وتركوا مكانهم ، فلما كثر القتل فيهم قال لهم بلعاء بن قيس : الحقوا برخَمَ ، وهو جبل ، ففعلوا ، وانهزم الناس : وفى ذلك يقول خِداش بن زهير فى قصيدة له :

أَبْلغْ إن عرضتَ بنا[1] هشاما	وعبد الله أَبْلغْ والوليدا
أولئك إن يكن فى الناس خَير	فإنّ لديهمُ حسباً وجُودا
هم خيرُ المعاشِرِ من قُريش	وأوْراها إذا قَدحت زُنُودا
جَلبنا الخيل ساهمةً إليهم	عوابسَ يَدَّرِعْنَ النَّقع قُودا
لجاءوا عارضاً بَرِدًا وجِئنا	كما أضرمتَ فى الغاب الوَقودا
ونادَوا يال عمرو لا تَفرُّوا	فقُلنا لا فَرار ولا صُدودا
فعاركنا الكُماة وعاركونا	عِراكَ النّمر عاركت الأُسودا
فولّوا نَضْرِبُ الهاماتِ منهم	بما انتهكوا المَحارمَ والحُدودا

(١) غير التجريد : « به » .

وقوله : يال عمرو ، يعنى : عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

فهذا هو اليوم الثانى من أيام الفجار الثانى .

اليوم الثالث من الفجار الثانى

وأما اليوم الثالث من الفجار الثانى :

وهو العبلاء ، فإنه جمع القومُ بعضهم لبعض، والتقوا على قرن[1] الحول ، وهو موضع قريب من عُكاظ ، ورؤساؤهم على ما كانوا عليه يوم شمطة ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزمت قريش وكنانة . وفى ذلك يقول خداش بن زهير :

ألم يبلغك ما قالت قريش ۝ وحىّ بنى كنانة إذ أُثيروا

دَهمناهم بأرعنَ مكفهرٍّ ۝ فظَلّ لنا بعَقْوتهم[2] زَئير

اليوم الرابع من الفجار الثانى

وأما اليوم الرابع من الفجار الثانى :

وهو : يوم عُكاظ ، فإنهم التقوا فى هذا الموضع على رأس الحول ، وقد جمع بعضهم لبعض ، والرؤساء بحالهم . وحمل عبد الله بن جُدعان يومئذ ألف رجل من بنى كنانة على ألف بعير ، وخشيت قريش أن يجرى عليها مثلُ ما جرى يوم العَبلاء ، فقيَّد حرب وسُفيان وأبو سفيان ، بنو أمية بن عبد شمس ، أنفسهم وقالوا : لا نبرح حتى نموت مكاننا . وكان على أبى سفيان بن أُمية يومئذ درعان قد ظاهر بينهما ، فسُمى هؤلاء الثلاثة يومئذ : العنابس ، وهى الأُسد ، واحدها : عنبسة . واقتتل الفريقان يومئذ قتالا شديداً ، وثبت الفريقان حتى همَّت بنو بكر ابن عبد مناة وسائر بطون كنانة بالهرب ، وحافظت بنو مخزوم حِفاظاً شديداً ، وكان أشدَّهم يومئذ بنو المُغيرة . فإنهم صبروا وأَبلوا بلاء حسناً . وحملت قريش وكنانة على قيس من كل وجه ، فانهزمت قيس كلها ، وكان مسعود بن مُعتِّب الثقفى ، سيد ثقيف ، قد ضرب يومئذ على امرأته : سُبيعة بنت عبد شمس بن

(١) التجريد : « رأس » .

(٢) العقوة : المحلة .

عبد مناف ــ خباء وقال لها : من دخلها من قريش فهو آمن ، فجعلت تُوصل في خبائها ليتسع . فقال لها : لا تتجاوزي توسيعه . فلما أنهزمت قيس دخلوا خباءها مُستجيرين به ، فأجار لها أبنُ أخيها حربُ بن أمية جيرانها ، وقال لها : يا عمة ، من تَمسّك بأطناب خبائك أو دار حوله فهو آمن . فنادت بذلك . فاستدارت قيس بخبائها حتى كثُروا جدا ، ولم يبق أحد أراد نجاة إلا دار بخبائها ، فقيل لذلك الموضع : مدار قيس .

وكان زوجها مسعود بن مُعتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس ، وهو ثقيف ، قد أخرج معه يومئذ بَنيه من سُبيعة ، وهم : عروة ونُويرة ، والأسود[1] ، وكانوا يدُورون بخباء أمهم ليُجيروا قيساً ، أمرتْهم أمهم بذلك أن يفعلوه .

وذُكر أنه لما انهزمت قيس أتى مسعود بن مُعتب أمرأته سُبيعة فجعل أنفه بين ثدييها وقال : أنا بالله وبك . فقالت : كلا ، زعمت أنك تملأ بيتى من أسراء قومى ، أجلس فأنت آمن .

فهذا اليوم الرابع من أيام الفجار .

وأما اليوم الخامس من الفجار الثانى :

اليوم الخامس من الفجار الثانى

وهو : يوم الُحريرة ، وهى حَرّة إلى جانب عكاظ ، فإنهم التقوا عند رأس الحول بهذا المكان[2] ، فانهزمت كنانة وقريش فى هذا اليوم ، وقُتل أبو سفيان ابن أمية وثمانية رهط من بنى كنانة ، قتلهم عثمان بن أسد ، من بنى عمرو بن عامر بن ربيعة ؛ وقتل ورقاء بن الحارث ، من بنى عمرو بن عامر ، من بنى كنانة ، خمسة نفر . فقالت أُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وأُمها هجر بنت عبيد ابن رأس بن كلاب ، ترثى من قُتل من قومها وأبن أخيها أبا سفيان بن أُمية :

---

(١) زاد غير التجريد : « اوحة » . (٢) جاء هذا الخبر فى غير التجريد من أخبار اليوم الخامس .

أَبَى ليلُكَ لا[١] يذهبْ ونِيطَ الطّرفِ بالكوكبْ
ونَجْمٍ دونه الأهوا ل[٢] بين الدَّلو والعَقْرب
وهذا الصُّبح لا يأتى ولا يدنو ولا يَقْرُب

وهذا هو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر الفجار ، وبعده :

لِفَقْد[٣] عشيرة منّا كرام الخِيم والمَذْهب[٤]
أحال عليهمُ دهر حديدُ النّاب والمِخْلب

ثم كان الرجل بعد ذلك يلقى الرجل ، والرجلان يلقيان الرجلين ، فيقتل بعضهم بعضاً .

ثم كانت بعد ذلك حرب بين هوازن وكنانة انتصرت فيها كنانة أول النهار وهوزان آخره .

قتلى قريش

وكان من قُتل فى حرب الفجار ، من قريش : العوام بن خُويلد ، أبو الزبير رضى عنه ، قتله مُرة بن معتب ؛ وقُتل حزام بن خويلد بن حكيم بن حزام ، ومَعمر بن حبيب الُجمحى .

قتلى قيس

وقتل من قيس : الصِّمة ، أبو دريد .

الصلح

ثم وقع التراضى بين الفريقين بأن يعدُّوا القتلى ، فيدوا من فَضل ، فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة ، فاجتمعت القبائل على الصلح ، وتعاقدوا ألاّ يعرض بعضهم لبعض . فرهن حرب بن أمية : أبنه أبا سفيان بن حرب ، ورهن الحارث بن كلدة : أبنه النّضر ، حتى أُديت الفضول .

وذُكر أن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس تقدّم يومئذ فقال : يا معشر قيس ، هلمُّوا إلى صلة الأرحام والصلح . قالوا : وما صُلحكم ؟ فقال : على أن ندى قتلاكم ونتصدّق عليكم بقتلانا ، فرضوا بذلك . وساد عتبة مُذ يومئذ .

(١) فى رواية : « ليلى أن » . (٢) فى رواية : « النسيان » .
(٣) غير التجريد : « بعقر » . (٤) غير التجريد : « والمنصب» .

ولما رأت هوازن رهائن قريش فى أيديهم رغبوا فى العفو ، فأطلقوهم .

شهود النبى صلى الله عليه وسلم هذه الأيام

وذُكر أن النبى صلى الله عليه وسلم شهد الأيام المذكورة كلها إلا يوم نَخلة . وقد قيل : إنه شهدها وهو ابن عشرين سنة ، وأنه طَعن أبا براء مُلاعب الأسنة .

وذُكر أن النبى صلى الله عليه وسلم سُئل عن مشهده يومئذ . فقال : ما سَرَّنى أنى لم أشهده[1] ، لأنهم تعدّوا على قومى : عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البراض صاحبهم ، فأبوا ذلك .

(١) غير التجريد : « ما سرنى أنى أشهده » .

أخبار مالك بن الصمصامة

نسبه

هو : مالك بن الصَّمصامة بن سعد بن مالك ، أحد بنى جعد بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

شاعر فارس جواد

شاعر بدوى مقل ، وكان فارساً جواداً ، جميل الوجه .

شعره الذى فيه الغناء

وكان يهوى جنوب بنت محصن الجعدية ، وكان أخوها الأصبغ بن محصن من فرسان العرب وشجعانهم ، وأهل النجدة والبأس منهم . ونُمى إليه نبذ من خبر مالك . فآلى يميناً جزماً لئن بلغه أنه عرض لها وزارها ليقتلنّه ، ولئن بلغه أنه ذكرها فى شعر أو عرض بها ليأسرنه ولا يُطلقه إلا بعد أن يجز ناصيته فى نادى قومه . فبلغ ذلك مالك بن الصمصامة ، فقال الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو :

أُحب هُبوط الواديين وإننى ... لمشتهر[1] بالواديين غريبُ

أحقًّا عباد الله أن لستُ وارداً ... ولا صادراً إلا علىّ رقيب

ولا زائراً فَرْدًا ولا فى جماعة ... من الناس إلا قيل أنت مُريب

وهل ريبة فى أن تَحن نجيبة ... إلى إلفها أو أن يحن نجيب

تعقيب للمؤلف على أبى الفرج

ومن هذا الشعر ، ولم يذكره أبو الفرج :

وإن الكثيب الفَرد من جانب الحِمى ... إلىّ وإن لم آته لحَبيب

من مواقفه مع محبوبته

وذكر أنه انتجع أهل جنوب ناحية حِسْى والحِمى ، وقد أصابها الغيث

---

(١) التجريد : « مشتهر » .

وأمرعت ، فلما أرادوا الرحيل وقف لها مالك بن الصمصامة ، حتى إذا بلغته جنوب ، أخذ بخطام بعيرها ، ثم أنشأ يقول :

أريتُك إن أزمعتمُ اليومَ نيـةً ... وغالكِ مُصطافُ الحِمى ومَرابعُهْ

أترعَيْنَ ما استُودعتِ أم أنتِ كالذي ... إذ ما نأى هانتْ عليه ودائعُه

فبكت وقالت: بل والله أرعى ما استُودعت ، ولا أكون كمن هانت عليه ودائعه . فأرسل بعيرها وبكى حتى سقط مغشيًّا عليه ، وهى واقفة ، ثم أفاق وانصرف ، وهو يقول :

ألاَ إن حِسْياً دونه قُلة الحمى ... مُنَى النفس لو كانت تُنال شَرائعهْ

وكيف ومِن دون الوُرود عوائق ... وأصبغ حامى ما أُحبُّ ومانِعه

فلا أنا فيما صَدَّنى عنه طامع ... ولا أرتجى وصلَ الذى هو قاطِعه

أخبار عبيد بن الأبرص

نسبه

هو : عَبيد بن الأبرص بن جُشَم[1] بن عامر بن مالك بن زُهير بن مالك أبن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خُزيمة بن مُدركة بن أَلياس أبن مُضر بن نزار .

طبقته

شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية .

سبب قوله الشعر

وذُكر أنه كان رجُلاً مُحتاجاً ، ولم يكن له مال ، فأقبل ذات يوم ومعه غُنيمة له ، ومعه أُخته ماوية ، ليوردا غنمهما ، فمنعه رجل من بنى مالك بن ثعلبة وجَبهه ، فانطلق حزيناً مهموماً للّذى صَنع به المالكى ، حتى أتى شَجرات فاستظلّ تحتهنّ فنام هو وأُخته ، فزعموا أن المالكى نظر إليه وإلى أُخته إلى جنبه ، فقال :

ذاك عَبيد قد أصاب ميّا   يا ليته ألقحها صبيا

فحملت فوضعت ضاويا

فسمعه عَبيد ، فرفع يده ثم ابتهل فقال : اللهمّ إن كان فلان ظلمنى ورمانى بالبهتان فأدِلْنى منه ــ أى اجعل لى عليه دُولة ــ وانصرنى عليه ، ثم وضع رأسه فنام ، ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر .

فذكر أنه أتاه آتٍ فى المنام بكُبة من شَعر فألقاها فى فيه ، ثم قال له : قُم ، فقام يرتجز يعنى مالكا ، وكان يقال لهم : بنو الزنية ، ويقول :

يا بنى الزنية ما غرّكم   لكمُ الويل بسربال حَجَرْ

---

(1) غير التجريد : « حنتم » . وانظر الجمهرة (ص ١٨٢) .

ثم استمر بعد ذلك فى الشعر ، فكان شاعرَ بنى أسد غيرَ مُدافع .

شعره فى توعد امرئ القيس قومه

وذُكر أن بنى أسد لمّا قتلوا المَلِك حُجر بن عمرو الكِندى ، أبا امرئ القيس ، اجتمعوا إلى امرئ القيس على أن يُعطوه ألف بعير دية أبيه أو يقيدوه من أى رجل شاء ، من بنى أسد ، أو يُمهلهم حولا . فقال : أما الدية فما ظننتُ أنكم تَعرضونها على مثلى ، وأمّا القَود فلو قيد إلىّ ألف من بنى أسد ما رضيتهم ولا رأيتهم كُفؤاً لحجر ، وأما النَّظِرة فلكم ، ثم إنكم ستعرفوننى فى فرسان قحطان ، أُحكم فيكم ظُبا السُّيوف وشَبا الأسنَّة ، حتى أشفى نفسى أو أنال ثأرى . فقال عَبيد بن الأبرص فى ذلك :

يا ذا المخوِّفُنا بقتـ ... ـل أبيه إذلالاً وحَيْنَا
أزعمتَ أنك قد قتلـ ... ـتَ سَراتنا كذباً ومَيْنا
هلاّ على حُجر بن أ ... مّ قَطام تبكى لا علينا
نحْمى حقيقتنا وبعض القو ... م يَسْقُط بيْنَ بَيْنا
هلاّ سألتَ جُموع كِنـ ... ـدة يوم ولَّوا أين أينا
أيامَ نضرب هامهم ... ببواتر حتى انحنَيْنا
نحن الألى فاجمع جمو ... عك ثم وجِّهم إلينا
واعلم بأن جيادنا ... آلَيْنَ لا يَقْضين دَينا
ولقد أبحْنا ما حمَيـ ... ـت ولا مُبيح لما حَمينا
كم من رئيسٍ قد قتلـ ... ـناه وضَيم قد أَبَيْنا
ولرُبَّ سيدِ معشر ... ضَخْمِ الدَّسيعة قد رَمينا
إنّا لعمرك ما يُضا ... م حليفُنا أبداً لَدَيْنا
وأوانس مثل الدّمى ... حُورِ العُيون قد اسْتَبَيْنا

هو والمنذر فى يوم بؤسه وقصة ذلك

وذُكر أن المنذر بن ماء السماء كان قد نادمه رجلان من بنى أسد ، أحدهما : خالد بن المضلل ، والآخر : عمرو بن مسعود بن كلدة ، فأغضباه فى بعض المنطق ، فأمر بأن تُحفر لكل واحد منهما حُفيرة ثم يُحطان فى تابوتين فيدفنان فى الحُفيرتين. ففُعل ذلك بهما ، حتى إذا أصبح سأل عنهما ، فأُخبر بهلاكهما ، فندم على ذلك وغمّه .

وفى عمرو بن مسعود وخالد بن المُضلل الأسديين يقول شاعر بنى أَسد :

يا قبر بين بيوت آل محرِّق جادتْ عليك رواعدٌ وبُروقُ

أمّا البكاء فقلّ عنك كثيرُه ولئن بكيت فبالبكاء حَقِيق[1]

ثم ركب المنذر حتى نظر إليهما ، فأمر ببناء الغَرِيَّين عليهما ، فبُنيا عليهما ، وجعل لنفسه يومين من السنة يجلس فيهما عند الغريّين ، سمّى أحدهما يوم بؤس ، والآخر يوم نعيم . فأوّل مَن يطلُع عليه يوم نعيمه يُعطيه مائة من الإبل سوداء ، وأوّل من يطلُع عليه يوم بؤسه يُعطيه رأس ظَربان أسود ، ثم يأمر به فيُذبح ويُغرَّى بدمه الغريّان ، فلبث بذلك بُرهة من دهره . ثم إن عَبيد بن الأبرص كان أوّل مَن أشرف عليه فى يوم بؤسه ، فقال : هلاّ كان الذّبح لغيرك يا عَبيد ؟ فقال : أتتك بحائن رجلاه ، فأرسلها مثلاً . فقال المنذر : أو أجل بلغ أناه . ثم قال له : أنشدنى ، فلقد كان شعرك يُعجبنى . فقال عَبيد : حال الجريض دون القريض ، وبلغ الحزام الطّبيين ، فأرسلها مثلاً . فقال المنذر : أسمعنى . فقال : المنايا على الحوايا . فأرسلها مثلاً . فقال له بعض القوم : هَبلتك أُمك ، أنشد الملك . قال : وما قول قائل مقتول ؟ فأرسلها مثلاً . فقال له آخر : ما أشد جزعك من الموت ! فقال : لا يرحل رحلك مَن ليس معك . فأرسلها مثلاً . فقال له المنذر :

(١) غير التجريد : « فللبكاء خليق » .

قد أمللتنى فأرحنى قبل أن آمر بك . فقال : مَن عزَّ بزّ . فأرسلها مثلاً . فقال له المُنذر : أنشدنى قولك :

* أقفر من أهله مَلْحوب *

فقال :

أقفر من أهله عَبيد فاليوم لا يُبدى ولا يُعيدُ

فقال له المُنذر : ويحك يا عَبيد ، أنشدنى قبل أن أذبحك . فقال عبيد :

والله إنْ مِتُّ لما ضَرّنى وإن أعش ماعِشْتُ فى واحدَهْ

فقال له المُنذر : لا بدَّ من الموت ، ولو أن النُّعمان عرض لى فى بُؤسى لذبحتُه ، فاُختر : إن شئت الأكحل ، وإن شئت الأبجل ، وإن شئت الوريد . فقال عَبيد: ثلاث خصال كسحابات عاد ، واردها شر وارد ، وحاديها شر حاد ، ومَعادها شر معاد ، ولا خير فيها لمرتاد ، فإن كنتَ لا محالة قاتلى فاُسقنى الخمر ، حتى إذا ماتت مفاصلى فشأنَك وما تريد . فأمر له المُنذر بحاجته من الخمر ، حتى إذا أخذت منه وطابت نفسُه أمر به المنذر ليقتلَه ، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول :

وخيّرنى ذو البُؤس فى يوم بُؤسه خصالاً أرى فى كُلها الموتَ قد بَرَقْ

كما خُيِّرت عادٌ من الدّهر مَرّة سحائبَ ما فيها لذى خيرة أَنَق

سحائب ريح لم توكَّل ببلدة فتتركها إلاّ كما ليـلةَ الطَّلق

فأمر به المُنذر ففُصد ، فلما مات غُرِّى بدمه الغريَّان .

المنذر و رجلا من طيء

ولم يزل كذلك حتى مَرّ به رجل من طيِّء يقال له : حنظلة بن أبى عفراء ، فقال له : أبيت اللعن ، والله ما أتيتك إلاّ زائراً ، ولأهلى مَن خَيرك مائراً ، فلا تكن ميرتهم قتلى . فقال : لابُد من ذلك ، فسَلْنى حاجة أَقْضها لك .

فقال : تُؤَجلنى سنة أرجع فيها إلى أهلى فأُحكم من أمرهم ما أريد ، ثم أصير إليك . فقال : ومَن يكفل بك حتى تعود . فنظر فى وجوه جُلسائه فعرف منهم شَريك بن عمرو أبا الحوفزان بن شريك ، فأنشأ يقول :

يا شريكا يابن عمرو ما من الموت محالَه

يا شريكا يابن عمرو يا أخا مَن لا أخاله

إن شيبان قَبيل أكرم الله رجاله

وأبوك الخير عمرو وشراحيل الحماله

رقّياك اليومَ فى المجـ ـد وفى حُسن المَقالَه

فوثب شريك فقال: أبيت اللّعن ، يدى بيده ، ودمى بدمه ، إن لم يَعُد إلى أجله . فأطلقه المنذر . فلما كان من القابل جلس فى مجلسه ينتظر حَنظلة أن يأتيه ،فأبطأ ، فأمر بشريك فقُرب ليقتله ، ولم يشعر إلاّ براكب قد طلع عليه ، فتأمّلوه فإذا هو حنظلة ، وقد أقبل متكفّناً متحنّطاً ، ومعه نادبته تندبه ، وقد قامت نادبة شريك تندبه . فلمّا رآه المنذر عَجب من وفائهما وكرمهما ، فأطلقهما وأبطل تلك السّنة .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار عَبيد بن الأبرص ، وهو :

يا دارَ هند عَفاها كُلّ هَطّالِ بالجبت مثل سحيق اليُمنة[1] البالى

أربَّ فيها ولىّ[2] ما يغيّرها والريحُ ممّا تُعفّيها بأذيال

دار وقفتُ بها صُبحى أُسائلها والدَّمعُ قد بَلّ منّى جَيب سِرْبالى

شوقاً إلى الحىّ أيام الجميع بها وكيف يطرب أو يَشتاق أمثالى

(١) اليمنة : البرد اليمانى .

(٢) أرب : أقام . والولى : الثانى من أمطار السنة .

أخبار ربيعة بن مقروم الضبي

نسبه

هو : ربيعة بن مَقروم بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن عبد الله ابن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضَبّة بن أد بن طابخة بن اليأس بن مضر ابن نزار .

طبقته

وهو مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وعُمِّر فى الإسلام طويلاً .

نشد حماد للوليد ابن يزيد شعراً لابن مقروم فى وصيفة جارية له وقصته ذلك

وحَكى حمّاد الراوية قال :

دخلت على الوليد بن يزيد وهو مصطبح ، و بين يديه : معبد ، ومالك ، وابن عائشة ، وأبو كامل ، وحكم الوادى ، وعمر الوادى ، يغنونه ، وعلى رأسه وصيفة تَسقيه لم أرَ مثلها تماماً وكمالاً وجمالاً ، فقال لى : ياحمّاد ، إنى أمرت هؤلاء أن يغنونى صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة ، وجعلتها لمن يوافق صفتها ، فما أتى أحد منهم بشيء ، فأنشد لى أنت ما يوافق صفتها ، وهى لك . فأنشدته قول ربيعة بن مَقروم الضبى :

شمّاء واضحة العوارض طَفْلة ... كالبدر من خَلل السّحاب المُنجلِى

وكأنّ فاها بعد ما طَرق الكرى ... كأسٌ تُصفّق بالرّحيق السّلسل

لو أنها عَرضت لأشمط راهب ... فى رأس مُشرفة الذُّرى مُتبتِّل

لصَبا لبهجتها وحُسن حديثها ... ولَهَمّ من ناموسه[1] بتنزُّل

---

(١) غير التجريد : « ناقوسه » .

فقال الوليد : أصبت وصفها ، فاُخترها أو ألف دينار . فاُخترت الألف ، وأمرها فدَخلت إلى حُرمه ، وأخذت الألف .

شعره الذى فيه الغناء

وهذه الأبيات من قصيدة لربيعة بن مقروم ، هى من فاخر الشعر ونادره ، وأولها الشعر الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار ربيعة ، وهو :

لِمن الديارُ كأنّها لم تُحلل	بجنوب أسنمةٍ فقُفِّ العُنْصلِ
دَرست معالمها فباقِى رَسمها	خَلَق كعُنوان الكتاب المُحْول
دار لسُعدى إذ سعاد كأنّها	رشأ غرير الطرف رخص المِفْصل
ولقد شهدتُ الخيل يومَ طِرادها	بسَليم أوظفة القَوائم هَيْكل
وإذا جرى منه الحميمُ رأيته	يهوى بفارسه هُوىّ الأَجْدل
فدعَوْا نَزالِ فكنت أوّل نازل	وعلام أركبه إذا لم أنزل
ولقد جمعتُ المال من جَمع أمرئ	ورفعتُ نفسى عن لئيم المَأْكل
ودخلتُ أبنيةَ الملوك عليهمُ	ولشرُّ قول المرء ما لم يَفْعل
ولربُّ ذى حَنق علىّ كأنّما	تَغلى عداوة صدره فى مِرْجل[1]
أرخيته[2] عنّى فأبصر قَصْده	وكويتُه فوق النواظر من عَل
وأخى محُافظة عصى عُذّاله	وأطاع لذّته مُعمّ مُخْول
هشّ يراح إلى النّدى نبّهته	والصبح ساطعُ لونه لم يَنْجلِ

(١) غير التجريد : «كالمرجل» . (٢) غير التجريد : « أزجرته » .

فأتيت حانوتاً له فصبحتُه ... من عاتقٍ بمزاجها لم تُقتَل

صَهْباء صافية القَذَى[1] أغلى بها ... يَسَرٌ كريم الخِيم غير مُبخَّل

ولقد أصبت[2] من المعيشة لِينها ... وأصابنى منه الزّمان بكلكل

فإذا وذاك كأنَّه ما لم يكن ... إلاّ تذكُّره لمن لم يجهل

ولقد أتتْ مائة علىّ أعُدها ... حولاً فحولاً إنْ بَلاها مُبْتلى

فإذا الشَّباب كمبذل أنضيتُه ... والدّهر يُنضى كلّ جِدة مِبْذل

---

(١) القذى : الرائحة الطيبة . ومكان هذه الكلمة فى غير التجريد: « الياسية » .

(٢) التجريد : « أتيت » .

ذكر أخبار اليهود

النازلين بيثرب والحجاز

قد تقدَّم ذكر نُزول قُريظة والنَّضير حول المدينة ، ومجاورتهم الأوس والخزرج ، وحِلْفهم لهم ، ولا حاجة إلى إعادة ذلك .

وكان فيهم شعراء مشهورون ، منهم :

أوس بن ذى القرطى*

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء له ، هو :

أنَّى تذكَّر زينَبَ القلبُ ... وطِلابُ وَصْلِ عَزيزة صَعْبُ

ما روضةٌ جاد الربيعُ لها ... موشيَّة[1] ما حولها جَدب

بألذ منها إذ تقول لنا ... سيراً قليلاً يَلحق الرَّكب

(*) غير التجريد : « أوس بن ذى القرطى » .

(1) التجريد : « مولية » .

السمـــوءل

ومن شعراء اليهود المشهورين : السّموءل بن عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب ابن عمرو . هكذا نسَّبه بعضهم، وأنكر أبو الفرج هذه النّسبة ، وقال : هذا عندى مُحال ، لأن الأعشى أدرك شريح بن السّموءل ، وأدرك الأعشى الإسلام ، وعمرو مزيقياء قديم لا يجوز أن تكون بينه وبين السموءل ثلاثة آباء ولا عشرة إلاَّ أكثر .

نسبه

قال : وقد قيل : إنَّ أُمّه كانت من غَسان ، وكلهم قالوا : إنّه صاحب الحصن الأبلق المعروف بتيماء ، المشهور بالوفاء .

أمه وشيء عنه

وقيل : إن السموءل من ولد هارون بن عمران ، عليه السلام .

رأى آخر فى نسبه

والاتفاق واقع على أنَّ قُريظة والنضير من ولد هارون عليه السلام .

قيل: وكان الحصن الأبلق لأبيه عاديا ، وقيل : إنَّ عاديا جدّه ، وأبو السموءل اسمه غريض ، واحتفر عاديا فى هذا الحصن بئراً رويَّة عذبة . وفى ذلك يقول السموءل :

الحصن الأبلق

بنى لى عاديا حِصناً حصيناً ... وماء كُلَّما شئتُ استقيتُ

وكانت العرب تنزل به فيُضيفها ، وتمتار من حصنه ، وتقيم به سُوقاً ، وبه يُضرب المَثل فى الوفاء لإسلامه ابنه للقتل ، ولم يخن الأمانة فى الوديعة .

وكان السبب فى ذلك أن امرأ القيس بن حُجر الكندى ، كنَّا قد ذكرنا إيقاعة ببنى كنانة ظنًّا منه أنّهم بنو أسد قتلة أبيه حُجر ، وكراهة أصحابه لفعله

قصة إسلامه ابنه للقتل

وتفرّقهم عنه حتى بقى وحده ، واُحتاج إلى الهرب . وأن المُنذر بن ماء السماء طلبه ووجّه فى طلبه جُيوشاً من إياد و بهراء وتنوخ ، وجيشاً من الأساورة ، أمدّهم به كسرى أنوشروان ، وخذلته حمير وتفرّقوا عنه فلجأ إلى السموءل بن عاديا ، ومعه أدراع خمسة : الفضفاضة والضافية والمحصّنة والخريق وأم الذّيول ، كانت لبنى آ كل المرار يتوارثونها ملكاً عن ملك ، ومعه اُبنته هند واُبن عمّه يزيد بن الحارث اُبن معاوية بن الحارث ، وسلاح ومال ، كان بقى معه ، ورجل من فزارة يقال له الرّبيع بن ضبيع شاعر . فقال له الفزارىّ : قُل فى السموءل شعراً تمدحه به ، وأنشده الربيّع شعراً مدحه به ، وهو :

ولقد أتيت بنى المُصاص مفاخراً ... و إلى السموءل جئتُه[1] بالأَبْلقِ

عرفتْ له الأقوامُ كلّ فضيلة ... وحوى المكارمَ سابقاً لم يُسْبَق

فقال فيه اُمرؤ القيس قصيدته ، التى أوّلها :

طرقتْك هنــد بعد طُول تجنُّب ... وهْناً ولم تك قبل ذلك تَطْرُقِ

فقال له الفزارىّ : إنّ السموءل يمنع منها حتى ترى ذات عينك . فقدم به على السموءل وعرّفه إيّاه وأنشداه الشّعر ، فعرف لهما حقهما ، وضرب على هند قبّة من أدم وأكرمهم . ثم سأله اُمرؤ القيس أن يكتب له إلى الحارث بن أبى شمر الغسّانى ليُوصله إلى قيصر ، ففعل و بعث معه مَن يدُلّه على الطّريق ، وأودع اُمرؤ القيس أدراعه واُبنته وماله عند السّموءل . وخلف اُبن عمّه يزيد بن الحارث مع اُبنته هند ، وكان من اُمرئ القيس ما تقدّم ذكره فى أخباره . ولمّا مات اُمرؤ القيس بالرُّوم نزل الحارث بن ظالم ـ وقيل الحارث بن أبى شمر الغسانى ـ الأبلق . و يقال : إنّ الحارث بن ظالم وجّهه المُنذر بن ماء السّماء فى خيل وأمره

(١) غير التجريد : « زرته » .

بأخذ مال امرئ القيس من السموءل . فلما نازل السّموءل تحصَّن منه . وكان له ابن قد يفع ، وخرج إلى قَنَص ؛ فلمّا رجع أخذه الحارث ثم قال للسّموءل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ! هذا ابنى . قال : فسلّم ما قِبلك أو أقتله . قال : شأنك فيه ، لست أخفر ذمّتى ولا مال جارى . فضرب الحارث وسط الغلام فقطعه قطعتين وانصرف عنه . فقال السّموءل فى ذلك :

وفيتُ بأدْرُع الكِندىّ إنّى ... إذا ما ذُم أقوام وَفَيْتُ
فأوصَى عاديا يوماً بألاّ ... تهدّم يا سموءل ما بنَيْت
بنى لى عاديا حِصْناً حصيناً ... وماء كلما شئت اسْتَقَيْت

مدح الأعشى للسموءل وقصة ذلك

وقال الأعشى يمدح السّموءل؛ وكان استجار بابنه شُريح من رجل كلبى كان الأعشى هجَاه فظفر بالأعشى فأسره وهو لا يعرفه ، فنزل بابن السموءل فأحسن ضيافته ؛ ومرّ بالأعشى فناداه :

شُريح لا تُسلمنّى اليوم إذ علقتْ ... حبالُك اليوم بعد القيد أظفارِى
قد سرت ما بين بَلقاء إلى عَدن ... فطال فى العُجم تَكْرارى وتَسْيارى
فكان أكرمهم عهداً وأوثقهم ... عقداً أبوك بعُرف غير إنكارى
كالغَيث ما استمطروه جاد وابلُه ... وفى الشّدائد كالمُستأسد الضّارى
كُن كالسّموءل إذ طاف الهُمام به ... فى جَحفل كهزيع الليل جرّار
إذ سامه خُطّتَىْ خَسف فقال له ... قُل ما تشاء فإنّى مانعٌ جارى
فقال غدر وثكل أنت بينهما ... فاختر وما فيهما حظٌّ لمُختار
فشكّ غيرَ طويل ثم قال له ... اُقتُل أسيرَكَ إنّى مانعٌ جارى
وسوف يُعقبنيه إن ظفرتَ به ... ربٌّ كريم وبيضٌ ذاتُ أطهار

لا سِرّهن لدينا ذاهبٌ هَدراً وحافظات إذا أُستُودِعْن أَسرارى

فاختار أدراعه كيلا يُسب بها ولم يكن وعدُه فيها بختّار

فجاء شُريح إلى الكلبى وقال : هَب لى هذا الأسير المضرور[1]. فقال : هو لك ، فأطلقه . وقال له : أقم عندى حتى أحبُوك وأُكرمك . فقال له الأعشى : إنّ تمام صَنيعتك إلىّ أن تعطينى ناقة ناجية وتخلينى السّاعة . فأعطاه ناقة ناجية ، فركبها ومضى من ساعته .

و بلغ الكلبى أنّ الذى وهب لشُريح هو الأعشى ، فأرسل إلى شُريح : ابعث إلى الأسير الذى وهبت لك حتى أحبوه وأُعطيه . فقال : قد مضى . فأرسل الكلبى فى إثره فلم يلحقه .

(١) غير التجريد : «المنصور» .

سعية بن غريض

أخو السموءل

وكان سعية بن غريض أخو السّموءل بن عاديا شاعر .

تمثل معاوية بشعره

وذُكر أن معاوية بن أبى سفيان كان يتمثّل كثيراً إذا اجتمع الناس فى مجلسه بشعر سعية بن غريض وهو :

إنّا إذا مالت دَواعى الهَوى ... وأنصتَ السّامع للقائلِ
لا نجعل الباطل حقًّا ولا ... نَلُطّ[1] دون الحقّ بالباطل
نخافُ أن تَسفَه أحلامنا ... فنَخْمُل الدّهرَ مع الخامل

ومن هذا الشّعر قوله :

لُباب هل عندك من نائل ... لعاشق ذى حاجةٍ سائل
علّلته منك بما لم يَنل ... يا رُبّما عَلّلت بالباطل

وذُكر أنّ سعية بن غريض بن عاديا كان ينادم قوماً من الأوس والخزرج ، ويأتونه فيقيمون عنده ويزورونه فى أوقات قد ألف زيارتهم فيها ، فأغار عليه بعض ملوك اليمن فانتُسف[2] ماله حتى افتقر ولم يبق له شىء ، فانقطع عنه إخوانه وجفَوْه . فلمّا أخصَب وعادت حاله وتراجعت راجعوه ، فقال فى ذلك :

أرى الخلاّن لمّا قلّ مالى ... وأجحفتِ النّوائبُ ودّعونى
فلمّا أنْ غَنيت وعاد مالى ... أراهم لا أبالك راجعونى
وكان القوم خلاّنا لمَا لى ... وإخواناً لمَا خَوّلت دونى
فلمّا ندّ[3] مالى باعدونى ... ولمّا عاد مالى عاودونى

---

(١) المسموع : لط بالحق دون الباطل ، أى دافع ومنع الحق ، وهو يعنى أنه جعل الحق ما يهدر لبقاء الباطل . والتعبير هنا على القلب .

(٢) انتسف : استؤصل . بالبناء للمجهول فيهما .   (٣) غير التجريد : « مر » .

الرّبيع بن أبى الحُقيق*

ومن شعراء قُريظة من اليهود : الرّبيع بن أبى الُحقيق .

شىء عنه

وهو أحد الرُّؤساء فى حرب بُعاث ، وكان حليفاً للخزرج هو وقومه . وكانت رياسة بنى قريظة يومئذ للرّبيع . ورياسة الخزرج لعمرو بن النُّعمان . ورئيس بنى النّضير يومئذ : سلام بن مَشكم .

من شعره

ومن جَيد شعر الرّبيع هذا :

سئمت وأمسيت رهن الفِرا ش من جُرم قَومى ومن مَغْرمى

فلو أنّ قومى أطاعوا الحليم لم تتعدّ ولم تظلم

ولكن قومى أطاعوا الغُواة فأنتشر الأَمر لم يُبْرم

وأودى السّفيه برأى الحليم حتى تحكّم أهل الدّم[1]

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(١) فى غير التجريد جاء هذا العجز عجزاً للبيت السابق .

كعب بن الأشرف

ومن شعراء اليهود :

نسبه

كعب بن الأَشرف . واُختُلف فى نسبه ، فقيل : إنّه من بنى النّضير ، وقيل : من طيىء . وأنّ أُمّه حملته وهو صغير إلى أخواله ، فنشأ فيهم .

مقتله

وكان شديد العداوة للنّبى صلى الله عليه وسلّم ، يهجوه ويهجو أصحابه ويخذل عنه العرب . فبعث إليه النبى صلى الله عليه وسلم نفراً من أصحابه فقتلوه .

تعقيب المؤلف

ثم ذكر أبو الفرج جماعة من الشُّعراء المشهورين ، ولم أستحسن لهم شيئاً أذكره [1] .

---

(١) يعنى أخبار بيهس ، والكميت بن معروف ، ويعلى الأحول ، وجواس .

أخبار ابن المدبّر

كاتب شاعر

هو : أبو إسحاق إبراهيم بن المُدبّر . كاتب شاعر متقدّم ، من وجوه كُتّاب أهل العراق ومُتقدِّميهم ، والمتصرِّفين فى كبار الأعمال .

إيثار المتوكل له

وكان المُتوكل يُقدِّمه ويؤثره ويفضِّله .

هوى عريب

وكان يَهوَى عَريب وتَهواه .

شعره فى حبس ابن خاقان له

وكان الوزير عُبيد الله بن يحيى بن خاقان حَبس إبراهيم بن المُدبِّر ، فقال فى الحبس أشعاراً حسنة مختارة ، منها قولُه فى قصيدة أوّلها :

أَدُموعهـا أم لؤلؤٌ مُتناثر ... يَندَى به الورْد الجَنِيُّ الزّاهر[1]

لا تُؤْيسنَّك من كريم نَبوةٌ ... فالسّيفُ يَنبو وهو عَضْب باتر

هـذا الزّمانُ تَسُومنى أيَّامه ... خَسْفاً وها أنا ذا عليه صابر

إنْ طال ليلى فى الإسار فطالما ... أفنيتُ دهراً ليـلُه مُتقاصر

والسِّجن[2] يَحجُبنى وفى أكنافه ... منِّى على الضَّرّاء ليثٌ خادِر

هلاّ تقطّع أو تصدّع أو هوى[3] ... فعذرتُه لكنَّه بىَ فاخِـر

وقال أيضاً فى الحبس :

ألستِ ترَيْن الخمر يظهر حُسنها ... وبهجتُها بالحبس والطِّين والقار[4]

---

(١) غير التجريد : * يندى به ورد جنى ناضر *

(٢) غير التجريد : « والحبس » .

(٣) غير التجريد : « وهى » .

(٤) غير التجريد : « فى الطين » .

وما أنا إلاّ كالجواد يَصُونه ... مقوِّمه للسَّبق فى طىّ مِضْمارِ
أو الدُّرّة الزّهراء فى قعر لُجّة ... ولا تُجْتَلَى إلاّ بهَولٍ وأخطار
وهل هو إلاّ مِنزلٌ مِثل مَنزلى ... وبيتٌ ودار مثلى بيتىَ أو دارى
فلاتُنكرى طُول المَدى وأذى العِدى ... فإنَّ نهايات الأمُور لإقصَار
لعلّ وراء الغيب أمراً يسُرّنا ... يقدّره فى عِلْمه الخالقُ البارى
وإنّى لأرجو أن أصول بجَعفر ... فأهضمَ أعدائى وأُدرك بالثَّار

مدحه ابن طاهر لسعيه فى إطلاقه

وطال حبس إبراهيم، ولم يكن لأحد فى خلاصه حيلة، مع قصـــد الوزير عُبيد الله إيّاه، حتى خلّصـه محمد بن عبد الله بن طاهر وجوّد المسألة فى أمره، ولم يلتفت إلى عُبيد الله، وبذل أن يحتمل من ماله كلّ ما يُطالب به. فأعفاه المُتوكل من ذلك ووهبه له. فمدحه إبراهيم، فقال:

دعوتُك من كَرب فلَبّيت دعوتى ... ولم تَعترِضْنى إذ دعوتُ المَعاذِرُ
إليك وقد حُلِّئتُ[(1)] أو ردتُ همّتى ... وقد أعجزتْنى من هُمومى المَصادر
نَمى بك عبدَ الله فى العزّ والعُلا ... وحاز لك المجـدَ المؤثَّل طاهر
وأنتم بنُو الدُّنيا وأملاكُ شَرقها[(2)] ... وساستُها والأعظَمون الأكابِر
مآثِرُ كانت للحُسين ومُصعب ... وطلحة لا يحْوِى مداها المُفاخر
إذا بَذلُوا قِيل الغُيوث البواكر ... وإن غَضبوا قِيل اللّيوث الهَواصِر
تطيعكُمُ يومَ اللّقــاء البَواتر ... وتَزْهَى بكم يوم المُقام المَنــابر
وما لَكمُ غــيرُ الأسرّة مَجالس ... وما لَكمُ غيرُ السُّيوف مَخاصِر

---

(١) كذا فى التجريد: حلئت: منعت. بالبناء للمجهول فيهما. وفى غير التجريد: «جليت».
(٢) غير التجريد: «جوها».

ولى حاجةٌ إن شئتَ أحرزتَ مجدها وسَرّكَ فيها[1] أوّلٌ ثم آخِرُ

كلامُ أميرِ المؤمنين وعطفه فما لىَ بعد الله غيرَكَ ناصِر

فإن ساعد المِقدار فالنُّجح واقع وإلاّ فإنّى مُخلص الوُدّ شاكر

شعره فى الرد على عريب وقد سأله عن حاله

وذُكر أن عَريب كتبت إلى إبراهيم بن المُدبّر رُقعة تسأل فيها عن حاله ، فكتب إليها :

وساءلتموه بعدكم كيف حالُه وذلك أمرٌ بيِّن ليس يُشكِلُ

فلا تَسألُوا عن قلبه فهو عندكم ولكنْ عن الجسم المخلَّف فاسْألوا

وحَكى أبو طلحة الكاتب قال :

زيارة عريب له وقصة ذلك

كنت عند إبراهيم بن المُدبِّر ، فزارته بِدعة وتُحفة ، وأخرجَتا إليه رُقعة من عَريب ، فقرأناها فإذا فيها :

بنفسى أنت وسَمعى و بصرى ، وقَلّ ذلك لك ، أصبح يومنا هذا طيّباً ، طيّب الله عيشك ، قد احتجبت سماؤُه ، ورقّ هواؤُه ، وتكامَل صفاؤُه ، فكأنه أنت فى رقة شمائلك وطيب مَحضرك ومخبرك ، لا فقدتُ ذلك أبداً منك ، ولم يصادف حسنُه وطيبه منِّى نشاطاً ولا طرباً ، لأمور صدّتنى عن ذلك أكره تنغيص ما أشتهيه لك من السرور بشَرحها ، وقد بعثت إليك ببدعة وتُحفة ليُؤنساك وتُسرَّ بهما ، سرّكَ الله وسرّنى .

فكتب إليها :

كيف السرور وأنتِ نازحةٌ عنّى وكيف يسُوغ لى الطَّربُ

إن غِبت غاب العيش وانقطعتْ أسبابُه وألَحّتِ الكُرَب

(١) غير التجريد : « منها » .

وأنفذ الجوابَ ، فلم يلبث أن جاءت ، فبادر إليها وتلقّاها حافياً حتى جاء بها على حِمار مصريّ كان تحتها إلى صدر مجلسه ؛ يطأ الحمار بساطه وما عليه ، حتى أخذ بركابها فأنزلها فى مجلسه ، وجلس بين يديها ، ثم قال :

ألا رُبّ يوم قَصَّر الله طُولَه ... بقُرب عَريب حبّذا هو من قُرْبِ

بها تَحسُن الدُّنيا ويَنْعَم عيشُها ... وتَجتمع السَّراء للعَين والقَلْب

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار إبراهيم بن المُدبِّر ، هو :

أَحِبّتنا بأبى أنتمُ ... وسُقياً لكم حيث ما كُنتمُ

أَطلتمُ عذابى بميعادكم ... وقلتمُ نَزور وما زُرْتم

فأمسك قلبى على لوعةٍ[1] ... ونمّت دُموعى بما أكتُم

ففيمَ أسأْتم وأَخلفتمُ ... وقِدْماً وفَيتم وأحسنتُم

---

(١) غير التجريد : « لوعتى » .

ذكر يوم أوارة

هذا يوم من أيّام العرب مشهور .

حديثه

وكان من حديثه : أنّ الملك عمرو بن المُنذر بن ماء السَّماء ، وهو عمرو ابن هِند ، وكان يُعرف بأُمِّه هند بنت الحارث بن حُجر ، آكل المُرار . كان عاقدَ طيِّئاً ألاّ يُنازَعوا ولا يُفاخَروا ولا يُغزَوْا ، وأنّ عمرو بن هند غَزا اليمامة ثم رجع ، فمرّ بطيىء ، فقال زُرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلى : أبيت اللَّعن ، أصِبْ من هذا الحىِّ شيئاً . فقال له : ويلك ! إنّ لهم عقداً . قال : وإن كان . فلم يزل به حتى أصاب منهم نِسوةً وأذواداً .

شعر ابن جروة وهو الذى فيه الغناء

فقال فى ذلك قيس بن جَروة الطّائى قصيدةً ، أوّلها الشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار هذه الحرب ، وما يتعلّق بها ، وهى :

ألاَ حَىِّ قبلَ البَيْنِ مَن أنت عاشقُهْ ... ومَن أنت مُشتاقٌ إليه وشائقُهْ

ومَن لا تُواتى دارَه غير فَيْئة ... ومَن أنت تَبكى كلَّ يوم تُفارقُه

يقول فيها :

فأقسمتُ جهداً بالمنازلِ مِن مِنًى ... وما[1] خَبَّ فى بَطحائهنَّ دَرادِقُه[2]

لئنْ لم تغيّر بعض ما قد صنعتمُ ... لأنتحيَنّ العظمَ ذو[3] أنتَ عارِقه[4]

---

(١) التجريد : « ومن » .

(٢) الدرادق : صغار الإبل ، الواحد : دردق .

(٣) ذو ، بمعنى الذى ، طائية .

(٤) عرق العظم : أكل ما عليه.

فسُمى قيس : عارقاً ، بهذا البيت . فغَضب عمرو بن هند لمّا بلغه شعره ، وحرّض زُرارة بن عُدس على قصد طيء ، وقال : أبيت اللّعن إنّ قيساً يتوعّدك ويهجوك . فغزا عمرو وطيئاً فأسر منهم أسرى . فوفد إليه حاتم الطّائى، فسأله فيهم ، فوهبهم إيّاه . وكان عمرو لمّا سأله حاتم فيهم وَهبه عمرو الأَسرى إلاّ قيس بن جَحدر ، لأنّه من رهط قيس بن جَروة ، المُسمّى بعارق ، فقال حاتم :

فككتَ عديًّا كُلّها من إسارها ... فأنعِمْ وشَفِّعْنِى بقَيس بن جَحْدرِ

أبوه أبى والأُمهات امهاتنا ... فأنْعِم فِداكَ اليومَ أَهْلِى ومَعشرى

فأطلقه عمرو .

عمرو بن هند وزرارة

وذُكر أن عمرو بن هند كان وضع ابناً له صغيراً - وقيل : بل كان أخاه - يقال له : مالك ، عند زُرارة بن عُدس ، وأنه خرج ذات يوم يتصيّد فأخفق ولم يُصب شيئاً ، فمرّ بإبل لرجل من بنى عبد الله بن دارم ، يقال له : سُويد . وكانت عند سُويد ابنة زُرارة بن عُدس ، فولدت له سبعة غِلمة ، فأمر مالك بن المُنذر بناقة سَمينة منها فنحرها ، ثم اشتوى وسُويد نائم . فلمّا انتبه شدّ على مالك بعصا فضربه فأمّه[1] ومات الغلام . وخرج سُويد هارباً حتى لحق بمكة ، وعلم أنّه لا يأمن ، فحالف بنى نوفل بن عبد مَناف ، واختلط بمكة . وكانت طيء تطلب عثرات زُرارة لتَحريض الملك على قصدهم . فقال عمرو بن ثعلبة بن غياث[2] ابن مِلْقط الطّائى يُحرّض عَمْراً على بنى دارم ويذكر قتلَهم أخاه :

من مُبلغٌ عَمْراً بأنّ المر ... ء لم يُخلَق صُبارَهْ[3]

---

(١) فأمه : أى أصاب أم رأسه .
(٢) غير التجريد: « عتاب » .
(٣) الصبارة : الحجارة .

وحـــوادثُ الأيّام لا تَبقى لهـا إلاّ الحِجارهْ
إنَّ ابنَ عِجْزةَ[1] أُمِّـه بالسَّفح أسفلَ من أُوارهْ
تَسفِى الرِّياحُ خلالَ كشـ حَيْهِ وقد سَلبُوا إزاره
فاقتُـلْ زُرارةَ لا أرى فى القوم أفضلَ[2] من زُراره

فلمّـا بلغ الشعرَ عمرو بن هند بـكى حتى فاضت عيناه. وبلغ الخبرُ زُرارةَ فهرب، وركب عمرو فى طلبه فلم يقدر عليه، وأخذ امرأته وهى حُبـلى، فقال: أذَكر فى بطنك أم أنثى؟ فقالت: لا علم لى بذلك. فقال: ما فعل زُرارة الغادر الفاجر. فقالت: إنْ كان كما علمت، لطيِّب العرق، سمين المرق، يأكل ما وجد، ولا يسأل عمّا فقد؛ لا ينـام ليلةَ يخاف، ولا يشبع ليلة يُضـاف. فبقر بطنها. فقال قوم زُرارة لزُرارة: والله ما قتلت أخاه، فأت الملك فاصدقه الخبر. فأتاه زُرارة فقال: جئنى بسُـويد. فقال: قد لحق بمكة. فقال: علىَّ ببنيه. فأتاه ببنيه السبعة، وبأمهم بنت زُرارة، وهم غِلْمة بعضهم فوق بعض. فأمر بقتلهم. فقُتلوا عن آخرهم. وآلى عمرو بن هند بأَلِيَّة: لأحرقنّ من بنى حنظلة مائة رجل. فخرج يريدهم، وبعث على مُقدِّمته عمرو بن ثعلبة بن غِيـاث بن مِلْقط، فوجد القومَ قد نَذِروا بهم، فأخذ منهم ثمانية وتسـعين رجلاً بأسفل أُوارة، فضرب قُبَّته وأمر لهم بأُخدود. فخدَّ لهم، ثم جعلهم فيه ثم أضرمه ناراً، فلمـا احتدمت وتلظَّت قَذَف بهم فيها فاحترقوا. وأقبل راكـب من البَراجم ـ وهم بطن من بنى حنظلة ـ عند المساء لا يدرى بشىء ممـا كان يوضع به بعيره. فقال له عمرو ابن هنـد: ما جاء بك؟ قال: حُبّ الطّعام، قد أقويتُ ثلاثاً لم أذق طعاماً، فلمّـا سَطع الدُّخان ظننتُه دخان طعام. فقال له عمرو: ممّن أنت؟ قال: من البراجم.

---

(١) ابن عجزة، وعجزة: آخر ولد الرجل. والرواية فى اللسان (صبر): «ها عن عجزة».
(٢) اللسان: «أوفى».

فقال عمرو : إنّ الشّقى راكب البراجم ، فأرسلها مثلاً ، ورَمى به فى النار . فهجت العرب تميماً بذلك . فقال أبن الصَّعق العامرى :

ألاَ أَبلغ لديك بنى تميم بآية ما يُحبون الطّعاما

وأقام عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فقيل له : أبيت اللّعن ! لو تحلّلت بامرأة منهم ، فقد أحرقت تسعة وتسعين . فدعا بأمرأة منهم ، فقال لها : مَن أنت ؟ فقالت : أنا الحمراء بنت ضَمرة بن جابر بن قَطن بن نهشل . فقال : إنّى لأظنّك أعجميّة ؟ فقالت : ما أنا بأعجميّة ، ولا ولدتنى العجم :

إنّى لبنتُ ضَمرةَ بن جابر ساد معدًّا كابراً عن كابر

إنّى لأُخت ضَمرة بن ضَمره إذا البلاد لُفّعت بجَمره

فقال عمرو : والله لولا مخافة أن تلدى مثلك لصرفتك عن النّار . فقالت: أما والذى أسأله أن يضع وسادك ، ويخفض عمادك ، ويسلبك مُلكك ، ويقرِّب هُلكك ، ما أُبالى ماصنعت. فقال : أقذفوها فى النار . فأُلقيت . فقالت : ألا فتًى يكون مكان هذه العجوز . فلمّا أبطئوا عليها قالت : صار الفتيان حُمَما . فذهبت مثلا ، فأُحرقت .

زرارة وابنه لقيط وقصة زواجه

وقيل : وكان زُرارة بن عُدس رجلاً شريفاً ، فنظر يوماً إلى أبنه لقيط ، ورأى منه خُيلاء ونشاطاً ، وجعل يضرب غلمانه وهو يومئذ شاب . فقال له زُرارة: لقد أصبحت تصنع صنيعاً كأنما جئتنى بمائة من هجائن المُنذر بن ماء السماء ، أو نكحت أبنه ذى الجدين قيس بن خالد ؟ فقال لقيط : لله علىّ ألاّ يمس رأسى غُسل ، ولا آكل لحماً ، ولا أشرب خمراً ، حتى أجمعها جميعاً أو أموت . فخرج لقيط ، وتبعه أبن خال له يقال له : قُراد ، وكلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارا حتى أتيا بنى شيبان ، فسلما على ناديهم ، فقال لقيط : أفيكم قيس بن خالد

ذو الجدين ـ وكان سيد ربيعة يومئذ؟ فقالوا : نعم . قال : فأيكم هو ؟ قال قيس : أنا قيس ، فما حاجتُك ؟ قال : جئتك خاطباً ابنتك . وكانت على قيس يمين ألاّ يخطب إليه ابنته أحد علانية إلاّ أصابه بشر وسمّع به . فقال له قيس : مَن أنت؟ فقال : أنا لقيط بن زُرارة بن عُدس . فقال قيس : عجباً منك يا ذا الغُصّة ، هلاّ كان هذا بينى وبينك ! فقال له : ياعم ، انك لرغبة[1] وما بى من عار ، ولئن ناجيتك لا أخدعك ، ولئن عالنتُك لا أفضحك. فأعجب قيساً كلامه . فقال : كفء كريم ، إنى قد زوّجتك ومَهرتك مائة ناقة . ثم أرسل إلى أم الجارية : إنّى قد زوّجت الجارية لقيطَ بن زُرارة فاصنعيها . وأمرها أن تضرب له قُبة ، وأمر لقيطاً بالانتقال إليها . فانتقل إليها وجلس فيها . وبعثت إليه أم الجارية بمجمرة وبخور . فبخّر شعره ولحيته ثم ردّها عليها . فلمّا رجعت الجارية إليها أخبرتها ما صنع ، فقالت : إنه لخليق بخير . فلمّا أمسى لقيط أُهديت إليه الجارية ، فمازحها بكلام اشمأزت منه . فنام وطرح عليها طرف خميصةً وباتت إلى جنبه . فلمّا استثقل انسلّت فرجعت إلى أمها . فانتبه لقيط فلم يرها ، فخرج حتى أتى ابن خاله قُرادًا ، وهو فى أسفل الوادى ، فقال : ارحل بعيرك وإيّاك أن يُسمع رغاؤه ، فرحلا متوجّهين إلى المُنذر بن ماء السماء . وأصبح قيس ففقد لقيطاً فسكت ، ولم يدر ما الذى ذهب به . ومضى لقيط حتى أتى المُنذر فأخبره بما كان من قول أبيه ، فأعطاه مائة من هجائنه ، فبعث بها مع قُراد إلى أبيه زُرارة ، فأتى أباه فأخبره . ثم خرج هو وقراد حتى أتيا قيس بن خالد ، فجهزها أبوها . فلمّا أرادت الرحيل ، قال لها : يا بُنية ، كونى لزوجك أَمَةً يكُن لك عبداً ، وليكن أكثر طيبك الماء ، فإنك إنّما يُذهب بك إلى الأعداء ، وأراك إن ولَدْتِ فستَلدين لنا غيظاً طويلاً ، واعلمى أنّ زوجك فارس مُضر ، وأنه يوشك أن يُقتل أو يموت ،

(١) رغبة : أى يرغب فيك .

فلا تَخْمِشى عليه وجهاً ، ولا تَحلِقى عليه شَعراً . فقالت : أما والله لقد ربّيتنى صغيرة ، وأقصيتنى كبيرة ، وزوّدتنى عند الفراق شرّ زاد .

وأُرتحل بها لقيط ، فجعلت لا تمُر بحىّ من العرب إلاّ قالت : يا لقيط ، هؤلاء قومك ؟ فيقول : لا . حتى طلعت على محلة بنى دارم ، فرأت القباب والخيل العراب ، فقالت : يا لقيط ، أهؤلاء قومك ؟ قال : نعم . فأقام أيّاماً يُطعم ويَنحر ، ثم بنَى بها . فأقامت عنده حتى قُتل يوم جبلة . فبعث إليها أبوها أخاً لها فحَملها ، فلمّا ركبت بعيرَها أقبلت حتى قامت على نادى بنى عبد الله بن دارم ، فقالت : يابنى دارم ، أُوصيكم بالغرائب خيراً ، فوالله مارأيت مثل لقيط ، لم تَخمش عليه اُمرأة وجهاً ، ولم تحلق شَعراً ، فلولا أنّى غريبة لخمشتُ وحلقت . فمضت حتى قدمت إلى أبيها فزوّجها من قومه .

فجعل زوجُها يَسمعها تذكُر لقيطاً وتحزن عليه ، فقال لها : أىّ شىء رأيتِ من لقيط أحسنَ فى عينك ؟ قالت : خرج فى يوم دَجْن وقد تطيَّب وشرب ، فطرد البقر فصرع منها ثم آتانى به نَضحُ دماء . فضمّنى ضمّةً وشمّنى شمة فليتنى متُّ ثمة ، فلم أر منظراً كان أحسن من لقيط . فمكث عنها ، حتى إذا كان يوم دَجن شرب وتطيّب ، ثم ركب فطرد البقر ، فأتاها وبه نضح الدّم وريح الشّراب ، فضمّها إليه وقبّلها ، ثم قال : كيف ترين : أنا أحسن أم لقيط ؟ فقالت : ماء ولا كصَدّاء ،مرعى ولا كالسَّعدان ، فذهبت مثلاً . وصداء : رَكيَة ليس فى الأرض رَكية أطيب منها .

محبوبة

ثم ذكر أبو الفرج « محبوبة » .

شيء عنها

وهى مولدة من مولدات البصرة . وهى شاعرة مَطبوعة . كان أهداها عبد الله ابن طاهر إلى المُتوكل ، وكانت تُغنِّى غناء غيرَ فاخر .

شعرها الذى فيه الغناء

وشعرها الذى فيه الغناء ، هو :

* وكاتبة فى الخدّ بالمِسْك جَعفرا *

وقد تقدَّم ذكر هذا الشِّعر[1] .

ثم ذكر أبو الفرج شعراً قاله الواثق فى غلام له غَضِب عليه :

يا ذا الذى بعَذابى ظلّ مُفتخرَا ... هل أنتَ إلاّ مليكٌ جار إذ قدرَا

لولا الهوَى لتَجارَيْنا على قدر ... وإن أُفق مرةً منه[2] فسوف ترَى

(١) انظر : أخبار فضل الشاعرة فى الجزء الخامس .

(٢) غير التجريد : « وإن أفق منه يوماً ما » .

أخبار
أحمد بن صدقة بن أبى صدقة

أبوه

وكان أبوه مُغنياً حجازيّاً ، وكان ينزل الشّام .

صلته بالمتوكل

ووُصف للمتوكّل ؛ فأمر بإحضاره ؛ فقدم عليه فغنّاه ؛ فاستحسن غناءه وأجزل صلته .

شهرته

واشتهاه الناس وكثُر مَن يدعوه ؛ فتكسّب بذلك أكثر مما كسبه من المُتوكّل أضعافاً .

هو وخالد بن يزيد الكاتب والمأمون

وحكى أحمد بن صدقة قال :

اجتزت بخالد بن يزيد الكاتب فقلت : أنشدنى بيتين من شِعرك حتى أغنّى فيهما . فقال : وأيّ حظّ لى فى ذلك ؟ تأخذ أنت الجائزة وأحصُل أنا على الإثم . فحلفتُ إنّى إنْ أخذتُ بشِعره فائدة جعلت له منها حظّاً ؛ وأذكرتُ به الخليفة وسألته فيه . فقال : أمّا الحظ من جهتك فأنت أنزل من ذلك ؛ ولكن عسى أن تُفلح فى مسألة الخليفة ؛ وأنشدنى :

تقول سَلا فمَن المدنَفُ ... ومن عينُه أبداً تَذرِفُ

ومن قلبُه قلقٌ خائف ... عليك وأحشاؤه تُرجِف

فلمّا جلس المأمون للشُّرب دعانى ؛ وقد كان غضب على حظية له ؛ فلمّا طابت نفسه ووجّهت إليه بتُفّاحة من عنبر عليها مكتوب بالذّهب : ياسيّدى ، سلوت وما علم الله أنّى عرفت شيئاً من الخبر .

وأُنتهى الدَّور إلىَّ ؛ فغنَّيت البيتين ؛ فاُحمرّ وجـه المأمون واُنقلبت عيناه . وقال لى : يأبن الفاعلة ، لك علىّ وعلى حُرمى صـــاحب خبر . فوثبتُ وقلت : يا ســيّدى : ما السّبب ؟ قال : من أين عرفت قصَّتى مع جاريتى حتى غنّيت فى معنى ما بيننا ؟ فحلفت له إنّى لا أعرف شـــيئاً من ذلك ، وحدّثته حديثى مع خالد . فلمّا انتهيت إلى قوله : « أنت أنزل من ذلك » . ضحك وقال : صــدق ، و إن هذا الاتفاق طريف ، وأمر لى بخمســـة آلاف درهم ، ولخالد بمثلهـا .

وحَــكى أحمد بن صدقة قال :

دخلتُ على المأمون فى يوم السّعانين[1] ، و بين يديه عشرون وصيفة روميات مُزنّدات ، قد تزينّ بالدّيباج الرُّومى ، وعلّقن فى أعناقهنّ صُــلبان الذّهب ، وفى أيديهنّ الخوص والزَّيتون . فقال : ويلك يا أحمد ، قد قلت فى هؤلاء أبياتاً فغنِّنى فيها ، ثم أنشدنى :

ظِبـــاءٌ كالدّنانـير ملاحٌ فى المَقاصـــير
جلاهنّ السّــعانين علينـا فى الزّنانـــير
وقد زَرّفْنَ[2] أصـداغاً كأذنـــاب الزرازير
وأَقْبَلْنَ بأوســـاط كأوســـاط الزّنابير

فحفظتُه وغنّيتـــه . فلم يزل يشرب وترقص الوصـــائف بين يديه بأنواع الرقص ، حتى سـكر . وأمر لى بألف دينـــار ، وأمر به بأن يُنثر

---

(١) السعانين : قبل الفصح بأسبوع .

(٢) زرف صدغيه : جعلهما كالزرفين ، وهو الحلقة .

على الجوارى ثلاثة آلاف دينار . فقبضتُ الألف ؛ ونُثرت ثلاثة الآلاف عليهن فأُنتهبتها .

الشعر الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أحمد بن صدقة ، هو لخالد الكاتب ، وهو :

سَقِمتُ حتى ملّنى العائدُ ‍ ‍ ‍ ‍ وذُبْت حتى شَمِتَ الحاسِدُ

وكنت خِلْوًا من رَسِيس الهوَى ‍ ‍ ‍ ‍ حتَّى رَمانى طرفُك الصَّائد

الحارث بن وعلة

ثم ذَكر أبو الفرج : الحارث بن وعلة بن عبد الله القُضاعى .

هو وأبوه

وكان الحارث ، وأبوه وعلة ، من فرسان قضاعة وأَنجاذها وأعلامها .

الشعر الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الحارث ، هو من جيد الشِّعر ، وتمثَّل به عبدُ الملك بن مروان لمَّا خرج عليه عبد الرّحمن بن محمد ابن الأشعث الكندى :

أَلم تَعلموا أنّى تُخاف عَرامتى	وأَنَّ قَناتى لا تَلين على القَسْرِ
وأَنّى وإيّاهم كمَن نبَّه القَطا	ولو لم تُنَبّه باتت الطَّير لا تَسْرى
أناةً وحلماً وانتظاراً بهم[1] غدا	فمَا أَنا بالوانى ولا الضَّرِع الغُمْر[2]
أَظُن صُروف الدَّهر والجهل منهمُ	سيحملهم[3] منّى على مَرْكب وَعْر

---

(١) غير التجريد : « بكم » .

(٢) الضرع : الخاضع الذليل . والغمر ، بالضم ويفتح : الذى لم يجرب الأمور .

(٣) غير التجريد : « منكم * ستحملكم » .

أخبار
علي بن عبد الله الجعفري

نسبه

هو : عليّ بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب .

منزلته

شاعر ظريف حجازي .

حبس المتوكل له

وكان عمر بن الفرج الرُّخَّجي حمله إلى سُرَّمَن رأى ، مع مَن حمل من الطالبيين . فحبسه المُتوكل معهم ، وكان شيخ القوم وكبيرهم ، فمكث في الحبس مُدّة .

هو ورجل من الكتاب في حبسه

فذُكر أنّه دخل عليه الحبسَ رجلٌ من الكُتّاب ، فقال : أريد هذا الجعفري الذي قد تديَّث[1] في شعره . قال عليّ : فقلت له : إليّ ، فأنا هو . فعَدل إليّ . فقال : جُعلت فداك ، أحبُّ أن تُنشدني بيتيك اللَّذين تديّثتَ فيهما . فأنشدته :

ولمّا بَدا لي أنّها لا تودّني ... وأنّ هواها ليس عنّي بمُنْجَلِي
تمنَّيْتُ أن تَهوى سواي لعلّها ... تذوق حَرارات الهوى فترقّ لي

فكتبهما ، ثم قال : أسمع ـ جُعلت فداك ـ بيتين قلتهما في الغيرة . فقلت : هاتهما . فقال :

رُبّما سرّني صُدودُك عنّي ... في طِلابيك وامتناعِك مِنّي
حَذَراً أن أكون مفتاح غَيري ... وإذا ما خلوتُ كنتِ التمنّي

(١) التديث : القيادة .

شـعره الذى فيه الغنـاء

وحكى عبد الله بن شَبيب قال :

أنشدنى علىّ بن عبد الله الجعفرى لنفسه :

والله لا نَظرَتْ عينى إليْك ولا سالت مسارِبُها شوقاً إليْك دَمَا

إلاَّ مفاجأةً عند اللقـاء ولا[1] راجعتْك[2] الدّهرَ إلاَّ ناسياً كلِمَا

إن كنتُ خُنْتُ ولم أُضمِر خيانتكم فاللهُ يأخُذ ممَّن خان أو ظلما

سماحة بِمُحبٍ[3] خانَ صاحبَه ماخان قطُّ مُحبٌّ يعرف الكَرما

وهذه الأبيات هى الشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر علىّ ابن عبد الله الجعفرى .

(١) غير التجريد : « ولو » .
(٢) غير التجريد : « نازعتك » .
(٣) غير التجريد : « سماحة لمحب » .

أخبار عُيينة بن مرداس

نسبه

أحد بنى كعب بن عمرو بن تميم .

منزلته

شاعر مُقل ، غير معدود من الفُحول . ممّن أدرك الجاهليّة والإسلام ، هجّاء خبيث اللِّسان .

لقبه

وكان يُلقّب بابن فَسْوة .

وذُكر أن سبب تلقيبه بذلك ، أنّه كان له ابن عمّ يقال له : ابن فَسورة ، فأقبل يوماً من الحجِّ ، فقال له ابن عُيينة : يا بن فَسْوة ، كيف كنت ؟ فوثَبَ مُغضباً فركب راحلته ، وقال : بئس لعمرو الله ما حيَّيت به ابن عمّك ، قدم عليك من سفر ، ونزل دارك . فقام إليه عُيينة مُستحيياً ، وقال : لا تغضب يابن عم ، فإنّما مازحتك . فأبَى أن ينزل . فقال : انزل وأنا أشترى منك هذا الاسم ، فأتسمَّى به ، وظنَّ أنَّ ذلك لا يضرّه . فقال : لا أفعل أو تشتريه منِّى بمحضر العشيرة . قال : نعم . فجمعهم وأعطاه بُرداً وجملاً وكبشيْن ، وقال لهم عُيينة : اشهدوا أنّى قد قبلتُ هذا النّبز ، وأخذ الثّمن ، وأنا ابن فَسْوة . فزالت عن ابن عمّه يومئذٍ وغلبت عليه ، وهُجى بذلك ، فقال فيه بعض الشُّعراء :

* أودى ابن فسْوة إلاّ نَعّته الإبلا *

و إنّما وصف بنعت الإبل ، لأنّه كان أنعت الناس للإبل ، فليس له كبير شعر إلاّ وهو يتضمّن وَصفها .

معمر

وعُمّرَ عمْراً طويلا .

وفوده على ابن عباس

وذُكر أنّ عُيينة بن مرداس أتى البصرة فى خلافة علىّ بن أبى طالب

ـ رضى الله عنه ـ فأستأذن علىّ أبن عبّاس ـ رضى الله عنه ـ وهو عامله عليها ، فأذن له ، وكان لا يزال يأتى أمراء البصرة فيمدحهم ، فيُعطونه ويخافون لسانه . فلمّا دخل على أبن عبّاس ، قال له : ما جاء بك إلىّ يأبن فَسْوة ؟ فقال له : وهل عنك مُقصَّر ، أو وراءك معدى ؟ جئتك لتُعينني على مروءتى وتصل قرابتى. فقال له أبن عبّاس : وما مروءة مَن يَعصى الرّحمن ، و يقول البُهتان ، و يقطع ما أمر الله به أن يُوصل ! أُقسم بالله لئن بلغنى أنّك هَجوْت أحداً من العرب لأقطعنّ لسانك . فأراد الكلام فمنعه مَن حضر ، وحبسه يومه ذلك ، ثم أخرجه من البصرة ، فوفد إلى المدينة بعد مَقتل علىّ ـ رضى الله عنه ـ فلَقى الحسن أبن علىّ ، وعبد الله بن جعفر ـ رضى الله عنهما ـ فسألاه عن خبره مع أبن عبّاس، فأخبرهما ، فأشتريا عِرْضه منه بما أرضاه .

الشعر الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار عُيينة بن مِرداس ، هو :

أتعرِف رَسم الدّار من أمِّ معبد نعم فرَماك الشَّوقُ قبل التجلُّدِ

فيالَك من شَوقٍ و يالك عَبرة سوابقها مثلُ الجُمان المبدّد

و بعد هذين البيتين ، فى مديح عبد الله بن عامر بن كُريز :

وكائن تخطَّت ناقتى وزَميلُها إلى أبن كُريز من نُحوس وأَسْعُدِ

إذا مامُلِمّاتُ الخطوب أعترينه[1] تجلَّى الدُّجى عن كوكب متوقِّدِ

(١) غير التجريد : « اعتلينه » .

أخبار عبد الله بن العجلان

نسبه

هو : عبد الله بن العَجلان بن الأَحبِّ بن عامر بن كَعب بن صَباح بن نَهد ابن زيد بن لَيث بن سُود بن أَسلم بن الحاف بن قُضاعة .

جاهلى متيم

شاعر جاهلى ، وهو أحد المُتيّمين من الشُّعراء ومن قتلة العشق منهم .

منزلته فى قومه

وكان سيِّداً فى قومه ، وأبن سيِّد من ساداتهم . وكان أبوه أكثر بنى نهد مالاً .

حديث امرأته

وكانت أمرأته هند ، التى يذكرها فى شعره ، أمرأة من قومه ، من بنى نَهد . وكانت أحبَّ الناس إليه وأحظاهم عنده ، فبقيت معه سنين سبعاً أو ثمانى لم تلد . فقال له أبوه : إنَّه لا ولدَ لى غيرك ولا ولدَ لك ؛ وهذه المرأة عاقر فطلِّقها وتزوَّج غيرها . فأبى ذلك عليه ، فآلى ألاّ يُكلّمه أبداً حتى يطلقها ؛ وأقام على أمره ؛ ثم عمد إليه يوماً وقد شرب الخمر حتى سكر ، وهو جالس مع هند ، فأرسل إليه : أن صِرْ إلىّ . فقالت له هند : لا تَمض إليه ؛ فوالله لا يريدك لخير ، وإنّما يُريدك لأنه قد بلغه أنّك سكران ، وطمع فيك أن يقْسِم عليك فتطلّقنى ، فنَم مكانك ولا تمض إليه . فأبَى وعصاها ؛ وتعلقت بثوبه ؛ فضربها بمسواك ، فأرسلته . وكان فى يدها زعفران ، فأثّر فى ثوبه مكان يدها . ومضَى إلى أبيه ، فعاوده فى أمرها وأنّبه وضعَّفه ، وجمع عليه مشيَخة الحىّ وفتيانهم ؛ فتناولوه بألسنتهم وعيَّروه بشغفه وبضعف عزمه ، ولم يزالوا به حتى طلّقها . فلمّا أصبح خُبر بذلك ؛ وعلمَت به هند فاحتجبت عنه وعادت إلى أبيها . فأسِف عليها أسفاً شديداً . ثم خطبها رجل من بنى عامر فزوّجها أبوه منه ، فبنى بها عندهم ، وأخرجها

إلى بلده ، فلم يزل عبد الله بن العَجلان دَنِفاً سقيماً يقول فيها الشِّعر ويبكيها حتى مات أسفاً عليها . وعرضوا عليه فتياتِ الحىِّ جميعاً ، فلم يقبل واحدةً منهنّ . وقال فى طلاقه إيّاها .

فارقتُ هنـــداً طائعاً فندمتُ عنـــد فِراقِها

فالعينُ تَذْرى دَمعـــةً كالدُّر فى آماقِهـــا

مُتحــلِّياً فوق الرّدا ءِ يَجُول فى رَقْراقِهـــا

خَوْد رَدَاحٌ طَفـــلة ما الفُحش من أخلاقِهـا

ولقــد ألذُّ حديثَهـــا وأُسرّ عنـــد عِناقِها

الحرب بين بنى عامر وبين بنى نهد

ولمّا نُكحت هنـــد فى بنى عامر كانت بينهم وبين بنى نهد مُغاورات وحروب . فجمعت نهــد لبنى عامر جمعاً بعد جمع ، وأغاروا على طوائف منهم ، واقتتلوا قِتالاً شــديداً ، ثم انهزمت بنو عامر وغنمت بنو نهــد أموالهم ، وقتلوا منهم جماعة . ثم جمعت بنو عامر لبنى نهد . فقالت هند صاحبة عبد الله بن العَجلان لغلام من بنى عامر فقير : هل لك فى خَمس عشر ناقة على أن تأتى قومى فتنذرهم قبل أن تأتيهم بنو عامر ؟ فقال : أفعل . فحملته على ناقة لزوجها ناجية ، وزوّدته تمراً ورطباً من لبن . فركب وجدَّ فى السّير وفنِى اللبن ، وأتاهم فنزل بهم وقد يبس لسانه ، فأمر خراشُ بن عبد الله له بلبن وسمن فأُسخن وسقاه إيّاه ، فابتلّ لسانه وتكلّم ، فقال لهم :

أنا رسول هند إليكم تُنذركم . فاجتمعت بنو نهد واستعدّت ، ووافتهم بنو عامر ، فلحقوهم على الخيل فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو عامر . وفى ذلك يقول عبد الله بن العَجلان :

ألم يأتِ هنداً كيف ماصَع(١) قومها ... بنى عامر إذ جاء يَسْعى نذيرُها
وقالوا لنــــا إنَّا نُحبُّ لقاءكم ... وإنّا نُحيِّى أرضـكم ونَزُورها
فقلنا إذن لا نَنكُل الدّهرَ عنكمُ ... بصُمِّ القنـا اللاّتى الدّماء تميرها
فلا غَرْوَ إن الخيل تَنحطّ بالقَنا ... تقطّر(٢) من تحت العَوالى ذُكورها
تأوّه ممّـا مسّها من كريهة ... وتُصغى الخدودَ والرّماحُ تَصُورها

موته

وذُكر أنه لمّـا اشتدّ ما بعبد الله بن العَجلان من السّقم، خرج سرًّا من أبيه مُخاطراً بنفســه، حتى أتى أرض بنى عامر، لا يرهب ما بينهم من الشرّ، حتى نزل بهم، وقصد خباء هند، فلمّا قاربه رآها وهى جالســة على الحوض وزوجها يذود الإبل عن مائه. فلمّـا نظر إليها ونظرت إليه رمى بنفسه عن بَعيره، وأقبل يشتدُّ إليها، واستقبلته تشـتدُّ إليه، واعتنق كل واحد منهما صـاحبه، وجعلا يبكيان وينتحبان، ويَشهقان، حتى سقطا على وجهيهما؛ وأقبل زوج هند لينظر ما حالهما فوجدهما ميّتين.

شعره الذى فيه الغناء

والشِّــعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار عبـد الله ابن العَجلان، هو:

قد طال شَـوقى وعادنى طَربى ... من ذكر خَوْد كريمة الحسبِ(٣)
غَرّاء مثل الهلال صُــورتها ... أو مثل تِمثال صُورة الذّهب

شعر له يغنى فيه

وممّـا يُغنَّى فيه من شعره:

---

(١) ماصع: قاتل وجالد. وفى غير التجريد. «كيفما صنع قومها».

(٢) غير التجريد: «تمطر».

(٣) غير التجريد: «النسب».

(١) خَليلىّ عُوجَا بارك الله فيكما ... وإن لم تكُن هِند لأرضكمُ قَصْدَا

وقُولاَ لها ليس الضَّلالُ أجازنا ... ولكنّنا جُزْنا لِنلْقاكمُ عَمْدا

تخَيَّرت من نَعمان عُودَ أراكة ... لهند ولكن مَن يُبلّغه هِنْدا

غداً يكثر الباكُون منّا ومنكمُ ... وتزداد دارى من دِياركم بُعْدا

(١) الأبيات فى غير التجريد :

خليلى زورا قبل شحط النوى هندا ... ولا تأمنا من دار ذى لطف بعدا

ولا تعجلا لم يدر صاحبُ حاجة ... أغيا بلاقى فى التعجل أم رشدا

ومرا عليها بارك الله فيكما ... وإن لم تكن هند لو جهيكما قصدا

وقولا لها ليس الضلال أجازنا ... ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا

أخبار
المؤمّل بن أُسيد المحاربىّ

نســبه

من مُحارب بن خَصفة بن قَيس عَيلان بن مُضر .

دولتــه

شــاعر كوفى من مُخضرمى الدّولتين : العبّاسيّة والأَموية . وكانت شُهرته فى العبّاسية أكثر .

وكان من الُجند الُمرتزقة ، معهم ومَن يخُصهم ويرزقهم ويخدمهم من أوليائهم، وانقطع إلى المهدىّ فى حياة أبيه المنصور ، و بعد ذلك .

منزلته فى الشعر

وكان صالح المذهب فى شِعره ، ليس من الفحول .

وكان يهوى امرأة من أهل الِحيرة ، وفيها يقول من قصيدة :

شَفّ الُمؤمِّل يومَ الِحيرة النظرُ ليت المؤمِّل لم يُخلق له بَصرُ

فيقال: إنّه رأى فى المنام رجُلاً أدخل إصبعه فى عينيه ، وقال : هذا ما تمنّيت . فأصبح أعمى .

هو والمنصور فى جائزة أجازه بها المهدى

وحَكى المُؤمّل قال :

قَدمت على المهدىّ ، وهو بالرّى ، وهو إذ ذاك ولىّ عهد ، فامتدحته بأبيات ، فأمر لى بعشرين ألف درهم . فكتب إليه أبوه أبو جعفر المنصور ، لمّا بلغه ذلك ، يعذله ويلومه ، ويقول له : إنّما كان ينبغى أن تُعطيه بعد أن يُقيم ببابك ســنةً أربعة آلاف درهم . وكتب إلى كاتب المهدى أن يُوجّه إليه بالشّاعر . فطُلبت ، فلم يقُدَر علىّ . وكَتب إلى المنصور إنه قد توجّه إلى مدينة السّلام . فأجلس قائداً من قُواده على جسر النهروان ، وأمَره أن يتصفح النّاس رجُلاً

رجُلاً . فجعل لا تَمُر به قافلة إلاّ تَصفح مَن فيها ، حتى مَرّت به القافلة التى أنا فيها ، وسألنى : مَن أنت ؟ فقلت : أنا المُؤمّل بن أُمَيل المحاربى الشّاعر ، أحد زُوّار الأمير المهدى . فقال : إيّاك طلبت . فقال : فكاد قلبى يتصدّع خوفاً من أبى جعفر . فقبض علىّ وأسلمنى إلى الرّبيع ، فأدخلنى إلى أبى جعفر وقال له : هذا الشّاعر الذى أخذ من المهدى عشرين ألف درهم ، قد ظفرنا به . فقال : أدخلوه إلىّ . فأُدخلت إليه ، فسلّمت تسليم مُروّع. فردّ علىّ السّلام ، وقال : ليس ها هُنا إلا خير، أنتَ المُؤمّل بن أُمَيل ؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين ، أنا المؤمّل ابن أُمَيل . فقال : أتيتَ غُلاماً فخدعته . فقلت : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين ، أتيتُ غُلاماً غِرّا كريماً ، فخدعته فانخدع . فكأنّ ذلك أعجبه، فقال : أنشدنى ما قلت فيه . فأنشدته :

هو المهدىّ إلاّ أنّ فيه ... مُشابهةً[1] من القمر المنيرِ
تَشابه ذا وذا فَهمْا إذا ما ... أنارا يُشكلان على البَصير
فهذا فى الظّلام سراج ليل ... وهذا فى النّهار ضياء نُور
ولكنْ فضّل الرحمٰنُ هذا ... على ذا بالمَنابر والسّرير
و بالملك العزيز فذا أمير ... وماذا بالأمير ولا الوَزير
و بعضُ الشّهر ينقُص ذا وهذا ... مُنير عند نُقصان الشّهور
فيابن خليفة الله المُصفَّى ... به تعلو مُفاخرة الفَخور
لئن فُتّ الملوك وقد توافَوْا ... إليك من السُّهولة والوُعور
لقد سبق الملوكَ أبوكَ حتى ... بقَوْا من بين كابٍ أو حَسير

(١) فى غير التجريد : « مشابه صورة » .

وجئتَ مُصلِّياً تَجرى حَثيثاً ... وما بك حين تَجرى من فُتورِ

فقال النَّاسُ ما هذان إلاّ ... كما بين الخليق إلى الجدير

لئن سَبق الكبيرُ فأهلُ سَبْق ... له فَضْل الكبير على الصّغير

وإن بلغ الصّغيرُ مَدى كبير ... فقد خُلق الصّغير من الكبير

فقال : أحسنت والله ، ولكن هذا لا يساوى عشرين ألف درهم ، فأين المال ؟ فقلت : ها هو ذا . فقال : يا ربيع ، اُمض معه فأعطه أربعة آلاف درهم وخُذ الباقى منه .

قال المُؤمّل: فخرج معى الرّبيع وحَطّ ثقلى، ووزن لى من المال أربعة آلاف درهم ، وأخذ الباقى . فلمّا ولّى المهدى الخلافة وَلِى أبو ثوبان المظالم ، وكان يجلس للناس بالرّصافة ، فإذا ملأ أكياسه رِقاعاً رفعها إلى المهدى ، فرفعتُ إليه رُقعة . فلمّا دخل بها أبو ثوبان جعل المهدى ينظر فى الرِّقاع ، حتى وصل إلى رُقعتى ، فضحك فقال له :أبو ثوبان ،أصلح الله أميرَ المؤمنين،ما رأيتك ضحكت من شيء من هذه الرّقاع إلاّ من هذه الرُّقعة . فقال : هذه الرُّقعة أعرف سببها ، رُدُّوا إليه عشرين ألف درهم . فردُّوها إلىّ وانصرفت .

تتمة الحديث فى عماه

وحَكى حُذيفة الطائى قال :

رأيتُ المُؤمّل شيخاً كبيراً نحيفاً أعمى ، فقلت له : صدَقتَ فى قولك:

وقد زعموا لى أنّها نَذرت دَمِى ... وما لى بحمد الله لحم ولا دَم

وأوّل هذا الشِّعر :

حَلمت بكم فى نَومتى فغضبتم ... ولا ذَنب لى أن كنت فى اليوم أحلمُ

سأطرد عنّى النوم كيلا أراكم ... إذا ما أتانى النَّوم والناسُ نُوّم

تُصارمنى والله يعلم أنّنى أبَرُّ بها من والدَيها وأرحمُ

بَرى حبّها لحمى ولم يبْق لى دم وإن زعموا أنّى صحيح مُسلَّمُ

ستَقتل جِلداً باليًا فوق أعظم وكيف يُبالى القتلَ جلدٌ وأعظُمُ

وذُكر فى خبر رؤيا المُؤمّل : أنه رأى فى نومه قائلاً يقول له : أنتَ المتألّى على الله إنه لا يُعذِّب المحبِّين ، حيث تقول :

يَكفى المُحبِّين فى الدُّنيا عذابُهمُ والله لا عذَّبتُهم بعدها سَقَرُ

فقال : نعم . فقال : قد كذبت ياعدوّ الله ، ثم أدخل إصبعيه فى عينيه ، وقال له : أنت القائل :

شفَّ المُؤمّلَ يوم الحيرة النَّظر ليتَ المؤمّل لم يُخلق له بصرُ

هذا ما تمنَّيت . فانتبه رُعباً فإذا هو أعمى .

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار المُؤمّل :

ألا يا ظَبيةَ البلد بَرانى طُولُ ذا الكمدِ

فرُدِّى يا مُعذِّبتى فؤادى أو خُذى جَسدِى

بَليتُ لشِقْوتى بكمُ غلاماً ظاهر الجَلَد

فسوَّد هَجْركم شَعرى وبيَّض حُبكم كَبِدى[1]

(١) الرواية فى غير التجريد :

فشيب حبكم رأسى وبيض هجركم كبدى

أبو مالك

النَّضر بن أبى النَّضر

نشأته

ثم ذَكر أبو الفرج : أبا مالك النضر بن أبى النضر التَّميمى .

وكان مولده ومَنشؤه البادية ، ومدح الرَّشيد وخدمه . ولحظته عناية من الفضل بن يحيى ، فبلغ ما أَحبَّ .

المختار من شعره وهو ما فيه الغناء

وهو متوسِّط الشِّعر ، ولم أختر له إلا ما فيه الغناء . واُفتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو :

بكيتُ حِذار البَين عِلماً بما الذى إليه فُؤادى عند ذلك صائرُ
وقال أُناس لو صبرتَ وإننى على كل مَكروه سِوى البَين صابر

أبو دُهمان

ثم ذكر أبا دُهمان العَلائى .

زمنه ودولته

وهو شاعر من شُعراء البَصرة من مُخضرمى الدَّولتين . ومدح المهدى .

شعره فى دعوى مضر بن أبا العتاهية

وكان طيِّباً ظريفاً مليح النَّادرة ، وهو القائل لمـَّا ضرب المهدى أبا العتاهية لتَشْبيبه :

لولا الذى أَحدث الخليفةُ فى الـ ... عُشَّاق من ضَرْبهم إذا عَشِقُوا

لبُحت بأسم الذى أُحبُّ ولـ ... كنِّى أمروٌ قد ثَنانِىَ الفَرَق

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى لأبى دُهمان فيه الغناء ، هو :

لئن مِصْرَفا تَنْنى بما كنت أَرتجى ... وأَخْلفنى فيها الذى كنت آمُلُ

فما كُل ما يخشى الفتى بمُصيبة ... ولا كُل مايرجو الفتى هو نائل

أبو حُـــزابة

الوليد بن حنيفة

ثم ذَكر أبو الفرج : أبا حُزابة .

نسبه

وهو : الوليد بن حَنيفة ، أحد بنى ربيعة بن حَنظلة بن مالك بن زيد مَناة ابن تميم .

حياته

وهو شاعر من شُعراء الدَّولة الأُمويَّة القُدماء ، بَدوى حَضرى ، سكن البصرة وأُكتتب فى الدِّيوان ، وضُرب عليه البعث إلى سجستان ، فكان بها مُدّة ، ثم عاد إلى البَصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لمّا خرج على عبد الملك .

قال أبو الفرج : وأظنّه قُتل معه .

صفة شعره

وكان شاعراً راجزاً خبيثاً ، فصيح اللِّسان هجّاء .

شعره الذى فيه الغناء

وشِعره الذى فيه الغناء ، هو :

يَكُرُّ كما كَرَّ الكُليبىّ مُهره[1] ... وما كَرَّ إلاّ خَشيةً أنْ يُعيَّرَا

فلاصُلْح حتى تَزحف الخيل والقَنا ... بِناو بكم أو[2] يصدُر الأمرُ مَصدرا

وهذا الشِّعر يرثى به أبو حُزابة رجُلاً من بنى كُليب بن يربوع ، يقال له : ناشرة اليربوعى ؛ قُتل بسجستان فى فتنة ابن الزُّبير ؛ وكان سيِّداً شُجاعاً .

وقبل البيت الأول :

أمَا كان فيهم ماجدٌ ذو حَفيظة ... يرى المَوت فى بعض المَواطن أفخرَا

---

(١) بريد . ما كان فى هؤلاء القوم من يكر كما كر ناشرة الكليبى مهره .

(٢) غير التجريد : « أن » .

زهير السكب

ثم ذَكر زُهيرا السَّكب .

نسبه — وهو : زهير بن عُروة بن جَذيمة[1] بن حُجر ، وهو[2] خُزاعى .

لقبه — شاعر جاهلى . وإنما لقّب : السَّكب ، ببيت قاله ، هو :

* بَرْقٌ يُضىء خِلالَ البَيت أُسكوبُ[3] *

شعره الذى فيه الغناء — وشعره الذى فيه الغناء ، يقوله فى بَنى عمّه يتشوّقهم . وكان فارقهم لشىء نَقَمه منهم :

إذا الله لم يَسْق غير[4] الكرام ... فَسَقَّى وُجوه بنِي حَنْبلِ

وسَقَّى ديارهمُ باكراً ... من الغَيث فى الزّمن المُمحل

تُكفكفه بالعشىّ الجَنوب ... وتَفرعه هَبّة[5] الشّمْأل

كأنّ الرَّباب دُوَين السّحاب ... نَعام تعلّق بالأَرْجُل

---

(١) غير التجريد : « جلهمة » .

(٢) غير التجريد : « ابن خزاعى » .

(٣) أسكوب : منسكب ، كأنه يسكب المطر .

(٤) غير التجريد : « إلا » .

(٥) غير التجريد : « هزة » .

أخبار النمر بن تولب

نسبه

هو : النَّمر بن تَوْلَب بن أُقَيش[1] بن عَبد بن كَعب بن عَوف بن الحارث
أبن عوف بن وائل بن قيس بن عُكل ـ عوف ـ بن عبد مَناة بن أد بن طابخة
أبن الياس بن مُضر بن نزار .

صفته

شاعر مُقل .

زمانه

أدرك الجاهلية ، وأسلم فحسُن إسلامه ، ووفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم ،
وكتب له كتاباً ، فكان فى أيدى أهله .

جواد فارس

وكان أحدَ أجواد العرب المذكورين ، وفُرسانهم .

حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم

وحكى يزيدُ بن عبد الله ، أخو مُطَرِّف ، قال :

بينما نحن بهذا المِرْبد ـ يعنى مِرْبد البصرة ـ إذ أتى علينا أعرابىّ أشعثُ
الرأس ، فوقف علينا ، فقلنا : والله لكأنَّ هذا الرجلَ ليس من أهل البلد ؟
قال : أجل ؛ و إذا معه قِطْعة من جراب ، أو أديم ، فقال : هذا كتاب كتبه لى
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأْناه ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى زهير
أبن أُقيش ـ حى من عكل ـ إنَّكم إن شهدتم أن لا إله إلاَّ الله ، وأنِّى محمد
رسول الله ، وأقمتمُ الصلاة ، وآتيتم الزَّكاة ، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم الخُمس

---

(١) الجمهرة (١٨٨) : « تولب بن زهير بن أقيش » .

من الغنائم وسَهْم النبيّ والصفيّ[1] ، فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله ، لكم ما للمُسلمين وعليكم ما عليهم .

فقال له القوم : حدِّثنا ـ رحمك الله ـ ما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : سمعته يقول : صَوم شهر الصَّبر[2] وصوم ثلاثة أيّام من كل شهر، يُذْهبن كثيراً من وَحَرِ الصّدر . فقال له القوم : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أراكم تخافون أنْ أكذبَ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حديثاً ، ثم أهوى إلى الصّحيفة وانصاع مُدبرا .

حديث امرأته معه

وذُكر أنه كان للنَّمر بن تَوْلب أخٌ يقال له : الحارث بن تَولب ؛ وكان سيّداً مُعظَّماً ؛ فأغار الحارث على بنى أسد ، فسبا امرأة منهم ، يُقال لها : عمرة[3] بنت نوفل ؛ فوهبها لأخيه النَّمر ، فوطئها فولدت له أولاداً . ثم قالت له فى بعض أيامها : أَزِرْنى أهلى فإنّى قد اشتقتُ إليهم . فقال لها : إنِّى أخاف إن صرتِ إلى أهلك أن تغلبينى على نفسك . فواثقته لترجعنّ إليه . فسافر بها فى الشهر الحرام حتى أَقدمها بلاد بنى أسد ، فلمّا أطلّ على الحىِّ تركَتْه واقفاً وانصرفت إلى بيت بَعلها الأوّل ، فمكث طويلاً فلم ترجع إليه . فعرف ما صنعت ، وأنها اختدعته ، فانصرف وقال :

جزَى الله عنَّا عَمرة بنة نوفل ... جزاء مُغلٍّ[4] بالأمانة كاذبِ
لهان عليها أمسِ موقفُ راكبٍ ... إلى جانب السَّرْحات أخيب خائب

---

(١) الصفى : ما كان يأخذه رئيس الجيش ويختاره لنفسه من الغنيمة قبل القسمة .

(٢) شهر الصبر : شهر رمضان .

(٣) غير التجريد : « حمزة » .

(٤) مغل : خائن .

ومرّت(١) كأنّ الشمس تحت قِناعها بدا حاجب منها وضَنّت بحاجبِ

هي وهو في حجة له

وذُكر أنه حجّ النَّمر بن تولب بعد هَرب عَمرة منه، فنزل بمنى، ونزلت عَمرة مع زوجها قريباً منه، فعرفته، فبعثت إليه بالسّلام وسألته عن خبره، ووصّته خيراً بولده منها، فقال:

فَحُيِّيتِ من شَحط بخير(٢) حديثنا ولا يأمنُ الأيام إلاّ مُضلَّلُ

يودّ الفتى طولَ السّلامة جاهداً فكيف ترى طُول السّلامة يفعل

زوجته الثانية

وذُكر أنّه لمّا فارق النَّمْر بن تَولب امرأته الأسديّة، جزع عليها حتى خيف على عقله، ومكث أياماً لا يَطعم ولا ينام، فلمّا رأت عشيرتُه ذلك منه، أقبلوا عليه يلومونه ويصبّرونه، وقالوا له: إنّ في نساء العرب مَندوحة ومُتَّسعاً، وذكروا له امرأة من فَخِذه الأدنين، يقال لها: دعد، ووصفوها له بالجمال والصَّلاح، فتزوّجها ووقعت في قلبه وشغلته عن عَمرة، وفيها يقول:

أَهيم بدَعدٍ ما حَيِيتُ وإن أَمُت أُوَكِّلْ بدَعد مَن يَهيمُ بها بَعْدِي

وقد تقدمت نِسبة هذا البيتِ إلى نُصيب، والله أعلم.

من جيد شعره

ومن جيد شعر النَّمر بن تَولب قولُه:

لا تَغضبنَّ على امرئٍ في ماله وعلى كرائم صُلْب مالِكَ فاْغضبِ

وإذا تُصِبْك خَصاصةٌ فاْرجُ الغِنى وإلى الذي يُعطي الرَّغائبَ فاْرغب

---

(١) غير التجريد: «صدت». (٢) غير التجريد. «فحييت عن شحط وخير».

وقـــوله :

أعاذلَ إن يُصْبِحْ صَـــدایَ بقَفرةٍ بعيداً تناءَى ناصرى وقَريبى

تَرَىْ أنّ ما أبقيتُ لم أكُ ربَّه وأنَّ الذى أفنيتُ كان نَصِيبى

شعره الذى فيـه الغنـاء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار النَّمر بن تَولب :

سَـــلاَ عن تذكُّره تَـــكْتُمَا وكان رهيناً بهـــا مُغرمَا

وأَقْصَر عنهـــا وآثارُها تُذَكِّره داءَه الأَقْـــدما

أخبار مالك بن الرّيب

نسبه

هو : مالك بن الرَّيب بن حَوْط بن قُرط بن حِسْل[1] بن ربيعة بن كابية[2] ابن حُرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

صفته

وكان شاعراً فاتكاً لصًّا .

صلاحه بعد فساد

منشؤه فى بادية بنى تميم بالبصرة ، ثم صار إلى فارس ، ومعه جماعة من اللصوص ، فأقام هناك يقطع الطريق . فلمّا استعمل معاويةُ بن أبى سفيان سعيدَ بن عثمان بن عفّان على خُراسان ، لقى مالك بن الرَّيب فى طريق فارس ، وهو متوجّه إلى خُراسان ، وكان من أجمل النَّاس وجْهاً وأحسنهم ثياباً ، فلمّا رآه سعيد أعجبه ، فقال له : مالَك ويحك تُفسد نفسك وتقطع الطريق ، وما يدعوك إلى الفساد وفيك هذا الفضل ؟ قال : يدعونى إليه العجز عن المعالى ، ومُواساة ذوى المروءات ، ومكافأة الإخوان . قال : فإنْ أنا أغنيتُك واستصحبتك أتكفُّ عمّا كنت تعمل ؟ فقال : إى والله أيها الأمير ، أكُفُّ كفًّا لا يكُف أحدٌ أحسنَ منه . فاستصحبه وأجرى له خمسمائة درهم فى كل شهر .

شعره فى فراق ابنته إلى خراسان

ولمّا خرج معه تعلّقت ابنتُه بثوبه وبكت ، وقالت : أخشى أن يطول سَفرك ويُفرّق الموت بينى وبينك فلا نلتقى . فأنشأ يقول ، وهو من فاخر الشِّعر وجيّده :

---

(1) التجريد : « حنبل » . الجمهرة (٢٠١) : « حبيل » .

(2) الجمهرة : « كافية » .

ولقد قلتُ لأبنتى وهى تلوى[1] بدَخيـل الهُموم قلباً كَئيبا
وهى تَذرى من الدُّموع على الخدَّ ين من لَوعـة الفِراق غُروبا
عَبراتٍ يَـكَدْنَ يَجْرحن ما جُزْ نَ به أو يَدَعْن فيـه نُدوبا
حَذر الحَتْف أن يُصيب أباها أو يلاقى فى غَير أهلٍ شَعوبا
أُسكُتى قد حَززتِ بالدَّمع قلبى طال ما حزّ دمعكُن القُلوبا
فعسَى الله أن يُدافع عنِّى ريبَ ما تَحـذرينَ حتى أَؤُوبا
ليس شىء يشـاؤُه ذو المَعالى بعَزيزٍ عليـه فأدْعى المُجيبا
ودَعى أن تُقَطِّعى الآن قلبى أو تُرِينى فى رِحلتى تَعذيبا
أنا فى قَبضة الإله إذا كُنـ ت بعيداً أو كنتُ منكِ قريبا
كم رأيتِ امرأً أتى مِن بعيد ومُقيماً على الفِراش أُصيبا
فدَعينى من أنتحـابكِ إنّى لا أُبالى إذا أعتزمتُ النَّحيبا

سبب خروجه إلى خراسان

وذُكر أنّ أبا عُبيدة قال:

كان سَبب خروج مالك بن الرَّيب إلى خُراسان، واكتتابه مع سعيد أبن عثمان، إنّما كان هرباً من ضرطة. فقيل له: كيف كان ذلك؟ فقال: مرّ مالك بلَيلى الأخيليّة؛ فجلس إليها فحادثها طويلاً وأنشدها، فأقبلت عليه وأعجبت به حتى طَمع فى وصلها، ثم إذا هو بفتًى قد جاء إليها كأنّه نصل سيف، فجلس إليها، فأعرضت عن مالك وتهاونت به، كأنّه كان عندها عصفوراً، وأقبلت على صاحبها مليًّا من نهارها، فغاظه ذلك من فعلها، فأقبل على الرجل فقال: مَن أنت؟ فقال: تَوْبة بن الحُمَيِّر. فقال: هل لك فى المُصارعة. فقال:

---

(١) غير التجريد: «تبكى».

ما دعاك إلى ذلك وأنت ضيفُنا وجارنا ؟ فقال : لابدَّ منه . فقال : لا تَفعل . فازداد لَجاجاً . فقام توبة فصارعه فصرعه . فلمّا سقط مالك إلى الأرض ضَرِط ضرطةً هائلة ؛ وضحكت ليلى منه ، واستحيا ، واكتتب بخُراسان ، وقال : لا أقيم فى بلد العرب أبداً ، وقد تحدّثت عنّى بهذا الحديث . فلم يزل بخراسان حتى مات ، فقبرُه هناك معروف .

أعجب ما كان له ولأبى حردبة وشظاظ فى السرقة

وقيل : كان يَصحب مالكَ بن الرَّيب أيّام تلصّصه لصان ؛ يقال لأحدهما : أبو حردبة ؛ والآخر شظاظ . فاجتمعوا يوماً ، فقالوا : تعالوا نتحدث بأعجب ما عملنا فى سَرقنا . فقال أبو حردبة : أعجب ما صنعت وأعجب ما سرقت : أنى صحبتُ رُفقة فيها رجل على رَحل ، فأعجبنى ؛ فقلت لصاحبى : والله لأسرقنّ رحله ، ثم لا رضيت أو آخذ فيه جِعالة . فرمقتُه حتى رأيته قد خفق برأسه ، فأخذت بخُطام جمله فقدته وعدلتُ به عن الطريق ، حتى إذا صيّرته فى موضع لا تخاف فيه الاستغاثة ، أنختُ البعير فصرعتُه ، وأوثقت يديه ورجليه ، وقُدت الجمل فغيّبته . ثم رجعت إلى الرُّفقة وقد فقدوا صاحبهم ، فهم يَسترجعون فقلت : ما لكم ؟ فقالوا : صاحب لنا فَقَدناه . فقلت : أنا أعلم الناس بأثره . فجعلوا لى جِعالة . فخرجت بهم أتبع الأثر حتى وقعوا عليه . فقالوا : ما لك ؟ فقال : لا أدرى ، نعست فانتبهت لخمسين رجلاً قد أخذونى فقاتلتُهم ، فغلبونى . قال أبو حردبة : فجعلت أضحك من كذبه . وأعطونى جِعالتى وذهبوا بصاحبهم .

قال : وأعجب ما سرقت أنه مَرَّ بى رجل ومعه ناقة وجمل ، وهو على النَّاقة ؛ فقلت : لآخذنهما جميعًا . فجعلت أعارضه وقد خَفق برأسه ؛ فدُرت فأخذت الجمل فحللته وسُقته وغيبته فى القَصيم[1] ؛ وهو الموضع الذى كانوا يسرقون فيه .

(١) القصيم : حيث ينبت الغضى .

ثم أنتبه فلم يَر جمله ، فترك راحلته ومضى فى طلب الجمل ، فدُرت فحللتُ عقال ناقته وسُقتها .

فقالوا لأبى حردبة : ويحك ! فختّام تكون هكذا ؟ قال: أسكتوا ، فكأنكم بى قد اشتريتُ فرساً وخرجت مجاهداً ، فبينا أنا واقف إذ جاءنى سهم كأنّه قِطعة رِشاء فوقع فى نَحرى فمِتُّ شهيداً . فكان كذلك ، تاب بالبصرة ، واشترى فرساً ، وغزى الرُّوم فأصابه سهم فى نَحره ، فاُستشهد .

ثم قالوا لشظاظ : أخبرنا أنت بأعجب ما أحدثت فى لُصوصيتك ورأيت فيها . فقال : نعم ، كان فلان من أهل البصرة له بنت عمّ ذات مال كثير ، وهو وليّها ؛ وكانت له نسوة ؛ فخطبها فأبت أن تتزوّجه ؛ فحلف ألا يزوّجها من أحد ضراراً لها . فخطبها رجل غنيّ من أهل البصرة ، فحرصت عليه ، وأبَى ذلك الولىّ أن يزوّجها منه . ثم إنَّ ولىّ المرأة حجّ ؛ حتى إذا كان على مرحلة من البصرة مات ، فدُفن برابية هناك وعُمل عليه لوح . فتزوّجت المرأة الذى كان يَخطبها .

قال شظاظ : وخرجتْ رُفقة من البصرة ومعهم بُر ومتاع ؛ فبَصُرت بهم وما معهم وأتبعتهم من البصرة حتى نزلوا ؛ فلمّا ناموا أتيتهم فأخذت من متاعهم. ثم إنَّ القوم أخذونى وضربونى ضرباً شديداً وجرحونى ، وذلك فى ليلة قَرة ، وسلبونى كل قليل وكثير كان علىّ ، وتركونى عُريان .

قال : وتماوتّ لهم ، فاُرتحل القوم ؛ فقلت : كيف أصنع ؟ ثم ذكرت قَبر الرجل فنزعت لوحه ، ثم احتفرت فيه سرباً فدخلت فيه ، ثم تمدّدت على اللّوح ؛ وقلت : لعلّى الآن أفيق وأتبعهم .

قال : ومَرّ الرّجل الذى تزوّج المرأة فى الرُّفقة ، فمرّ بالقبر الذى أنا فيه فوقف

عليه ، وقال لرفقته : والله لأنزلن إلى قبر فلان حتى أنظُر هل يَحمى الآن بِضْع فُلانة . قال شظاظ : وعرفت صوتَه فقلعت اللوح ثم خرجت إليه بالسَّيف من القبر ، وقلت : بلى والله لأحمينَّها . فوقع الرَّجل على وجهه مغشيًّا عليه ما يتحرَّك ولا يعقل ، فسقط من يده خطام الرَّاحلة ، فأخذت وعهدِ الله بخِطامها ، فجلست عليها ، وعليها أداة وثياب ، ونقد كان معه ؛ ثم وجهتُها قَصد مطلع الشمس هارباً من الناس ، فنجوت بها ، فكنت بعد ذلك أسمعه يحدِّث الناس بالبصرة ويحلف لهم أنّ الميّت الذى كان منعه من تزويج المرأة خرج إليه من قبره بسلبه وكفنه ، فبقى يومه ثم هرب منه . والناس يعجبون منه ، فعاقلُهم يكذّبه والأحمق منهم يصدقه ؛ وأنا أعرف القصَّة وأضحك منهم كالمتعجّب .

قالوا : فزدنا . قال : أنا أزيدكم أعجَب من هذا الرّجل وأحمق : إنّى لأمشى فى الطَّريق أبتغى شيئاً أسرقه ، فلا والله ما وجدت شيئاً . وإذا بشجرة ينام تحتها الرّكبان بمكان ليس فيه ظل غيرها ، وإذا أنا برجل على حمار له ، فقلت له : أتسمع ؟ فقال: نعم . فقلت : إنَّ المَقيل الذى تريد أن تَقيل فيه يُخسف فيه بالدَّواب ، فاحذر . فلم يلتفت إلى قولى . ورمقتُه حتى إذا نام أقبلتُ إلى حماره فاستقتُه ، حتى إذا برزتُ به قطعتُ طرف ذنبه وأذنيه ، وأخذت الحمار وخبأته ، وأبصرتُه حين استيقظ من نومه قام يطلب الحمار ويقفو أثره . فبينا هو كذلك إذ نظر إلى طرف ذنبه وأذنيه ، فقال : لعمرى لقد حُذرت لو نفعنى الحذر . واستمرّ هارباً خوفاً من أن يُخسف به . فأخذت جميع ما بقى من رَحله فحملته على الحمار ولحقتُ بأهلى .

صلب الحجاج اشظاظ وقصة ذلك

وذُكر أنّ الحجَّاج بن يوسف صلب رجلاً من الشّراة بالبصرة ، وراح عشيًّا لينظر إليه ، فإذا برجل واقف بإزائه مُقبل عليه بوجهه ، فدنا منه ، فسمعه يقول

للمصلوب : طالما ركبت فأعقب[١] . فقال الحجّاج : مَن هذا ؟ فقيل له : هذا شظاظ اللّص . فقال : لا جرم ، والله ليُعْقبنّك . ثم أمر بالمصلوب فأُنزل وصُلب شظاظ مكانه .

مرض ابن الريب وموته وشعره الذى فيه الغناء

وذُكر أنّ مالك بن الرَّيب مَرض عند قفُول سعيد بن عثمان بن عفّان من خُراسان فى طريقه ، فلمّا أشرف على الموت تخلّف عليه مُرة الكاتب[٢] ورجل آخر من قومه من بنى تميم ؛ ومات فى منزله ذلك فدفناه هناك . وقال قبل موته الشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

أيا صاحبَى رَحلى دنا الموتُ فانْزلا ... برابيةٍ إنِّى مُقيمٌ لَياليَا

وخُطّا بأطراف الأَسِنّة مَضْجعى ... ورُدّا على عَينىّ فَضلَ ردائيا

ولا تحسُدانى بارك الله فيكما ... على الأرض ذاتِ العرض أنْ تُوسِعا ليا

لعَمْرى لئن غالت خُراسان هامتى ... لقد كنتُ عن بابَىْ خُراسان نائيا

فياليتَ شِعْرى هل أَبيتنَّ ليلة ... بجَنبِ الغَضى أُزجى القِلاصَ النَّواحيا[٣]

(١) أعقب فلان فلاناً : ركبا بالنوبة وعاقبه.
(٢) التجريد : « تخلفت عليه امرأة » .
(٣) غير التجريد : « النواعيا » .

أخبار عبد بني الحسحاس

اسمه[1] : سُحَيم .

شيء عنه

وكان عَبداً نُوبيًّا ، أعجميا ، أسود ، مطبوعاً فى الشعر ، فاشتراه بنو الحَسْحاس . وهم بطن من أسد .

نسب الحسحاس

والحَسْحاس[2] ، هو ابن نُفاثة بن سَعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دُودان ابن أسد بن خُزَيمة .

تمثل النبى صلى الله عليه وسلم بشعره

وأدرك عَبدُ بَنى الحسحاس النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وتمثل بكلمات من شعره غير موزونة .

رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تمثّل : كفى بالإسلام والشيب ناهياً . فقال أبو بكر – رضى الله عنه – : يا رسول الله ، إنما قال الشاعر :

* كفى الشيب والإسلام المرء ناهيا *

فجعل لا يطيقه . فقال أبو بكر – رضى الله عنه – : أشهد أنك رسول الله ، وما علّمناه الشعر وما ينبغى له .

ما كان يستحسنه مصعب من شعره

وكان مُصعب بن عبد الله بن الزُّبير يَستحسن قول عبد بنى الحسحاس :

أشعارَ عَبْدِ بنى الحسحاسِ قُمْنَ له ... عند الفَخار مقام الأصل والوَرِقِ

إن كنتُ عبداً فنفسى حُرة كرماً ... أو أسودَ اللَّونِ إنى أبيضُ الُخلق

---

(١) أول الجزء المتم العشرين من تجريد الأغانى.

(٢) الجمهرة (١٨٣) : « الحسحاس بن هند بن سفيان بن غضاف بن كعب بن سعد بن عمرو ابن مالك بن ثعلبة » .

قصة شراء بنى الحسحاس له

وذُكر أن عبد الله بن أبى ربيعة كان عاملاً لعثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ فكتب إلى عثمان : إنى قد اُشتريت غلاماً حبشيًّا ، يقول الشعر . فكتب إليه عثمان ـ رضى الله عنه ـ : لا حاجة لى إليه ، اُردده ، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعر منه إن شَبع أن يُشبِّب بنسائهم ، وإن جاع أن يهجوهم . فاشتراه أحدُ بنى الحسحاس .

إنشاده عمر وجواب عمر له

وفى رواية : إن جاع هَرَّ ، وإن شَبع فَرّ .

وأنشد عبدُ بنى الحسحاس عمَرَ بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ :

عُميرةَ ودِّع إن تجهَّزت غاديا ... كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهياَ

فقال له عمر : لو قدّمت الإسلام على الشيب لأجزتك .

شعره فى قبح وجهه

وذُكر أنه كان قبيح الوجه ، وفى قُبح وجهه يقول :

أتيتُ نساء الحارثيين غُدوة ... بوجهٍ يراه الله غيرَ جَميلِ

فشبّهنى كلباً ولست بفوقه ... ولا دُونه إن كان غيرَ قليل

بيعه واسترداده وتشبيبه بنسائهم

وذُكر أن سيده باعه ، فلمّا رحل به الذى اُشتراه ، قال :

أشوقاً ولمّا تَمْض لى غيرُ ليلة ... فكيف إذا سار المَطِيّ بنا عَشْرا[1]

وما كنتُ أُخشى مالكاً أن يَبيعنى ... بشىء ولو أمست أناملُه صُفْرا

أخُوكم ومَولاكم وكاتِم سرّكم[2] ... ومَن قد نَشا[3] فيكم وعاشركم دَهْرا

فلمّا بلغهم شعرُه هذا رثوا له ، فاستردّوه ، فكان يُشبِّب بعد ذلك بنسائهم ، فقال :

(١) غير التجريد : « شهرا » .

(٢) غير التجريد : « أخوكم ومولى مالكم وحليفكم » .

(٣) غير التجريد : « ثوى » .

ولقد تحدّر من كريمة بعضهم[(١)] عرق على متن الفراش وطيبُ

وقال فى أخت سيده ، وكانت عليلة ، وهو من رقيق الشعر :

ماذا يريدُ السَّقام من قمرٍ كُلُّ جمالٍ لوجهه تَبَعُ

ما يرتجى ـ خاب ـ مِن محاسنها أما لَه فى القِباح مُتَّسَعُ

غيَّر من لونها وصفَّرها فارتدّ فيه الجمال والبدع

لو كان يَبْغى الفداء قلتُ له ها أنا دون الحبيب يا وَجع

تدبير سيده لقتله وقصة ذلك

وذُكر أن عبد بنى الحسْحاس جالس نِسوة من بنى صُبير بن يربوع ، وكان من شأنهم إذا جلسوا للغزل أن يتعابثوا بشق الثياب وشدة المغالبة على إبداء المحاسن ، فقال سُحَيم :

كأنَّ الصُّبيريَّات يوم لَقيننا ظباء حنتْ أعناقهنَّ المَكانسُ

فكم قد شَققنا من رداء مُزنَّر ومن بُرقع عن ناظرٍ غيرِ ناعس

إذا شُق بُرد نِيط بالبُرد[(٢)] بُرقع على ذاك حتى كُلّنا غيرُ لابِس

فيقال : إنه لمّا قال هذا الشعر أتهمه مولاه ، فجلس له فى مكان إذا رعى نام فيه ، فلمّا اضطجع تنفَّس الصُّعداء وقال :

يا ذُكرة مالكَ فى الحاضر تذكُرها وأنت فى الصادرِ

من كلِّ حَسناء[(٣)] لها كَعْثب مثل سَنام البَكرة المائر

---

(١) غير التجريد : « بعضكم » .

(٢) التجريد : « شق » .

(٣) غير التجريد : « بيضاء لها كفل » . والكعثب : الفرج الضخم .

وظهر سيده من المكان الذى كان فيه كامناً ، فقال له : مالك ؟ فلجلج فى منطقه ، فاُستراب به ، فأجمع على قتله . فلمّا ورد الماء خرجت إليه صاحبته فحادثته وأخبرته بما يُراد به . فقام ينفُض ثوبه ويُعفِّى أثره ويلقط رضًّا[1] من وَقْفها ـ وهو السِّوار من العاج ـ كان كسّره فى مُلاعبته لها ، وأنشأ يقول :

أتُكتَمُ حُيِّيتم على النَّأى تُكْتَمَا ... تحيةَ مَن أمسى بحُبك مُغرمَا

وما تَكتُمين إن أتيتُ دَنيَّةً ... ولا إن ركبنا يا ابنة القوم مَحْرما

ومثلك[2] قد أبرزتُ من خِدر أُمها ... إلى مجلسٍ تجتَرُّ بُرْداً مُسهَّما

وماشيةٍ مَشْى القَطاة اتبعتُها ... من السِّير[3] تخشى أهلَها أن تَكلَّما

فقالت صهٍ ياويح غيرك إننى ... سمعتُ حديثاً بينهم يقطُر الدَّما

فنفَّضت ثوبيها ونظّرت حولها ... ولم أخشَ هذا الليلَ أن يتصرّما

أُعفِّى بآثار الثِّياب مَبيتها ... وألقُط رضًّا من وُقُوف[4] تحطَّما

وغدوا بسُحيم ، عبد بنى الحسحاس ، ليقتلوه ، فرأته امرأة كانت بينه و بينها مودّة فَسَدت ، فضحكت به شماتة ، فنظر إليها ، وقال :

فإنْ تَضحكى منّى فيارُب ليلة ... تركتُك فيها كالقِباء المُفرَّجِ

فلمّا قُدِّم ليُقتل قال :

شُدُّوا وَثاق العبد لا يُفلتكمُ[5] ... إنَّ الحياةَ من الممات قَريبُ

---

(١) الرض : الكسارة .

(٢) التجريد : وقبلك .

(٣) غير التجريد : « الستر » .

(٤) وقوف : جمع وقف ، وهو السوار من عاج ، وتدمر .

(٥) التجريد : « يفلتنكم » ولا يستقيم به الوزن .

فلقد تحدَّر من جَبِين فَتاتكم   عَرق على جَنْبِ[1] الفِراش وَطِيب

وقُدم فقُتل .

شعره الذى فيه الغناء

والشّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عَبد بنى الحسحاس ، هو:

فما بَيضةٌ بات الظليم يحفُّها   ويرفع عنها جُؤْجُؤاً مُتجافيا

وهبَّت شمالٌ آخرَ الليل قَرّةٌ   ولا ثوبَ إلاّ بُردها وردائيا

فما زال ثوبى[2] طيِّباً من ثيابها   إلى الحول حتى أُنهج البُرد[3] باليا

(١) غير التجريد : « متن » .

(٢) غير التجريد : « بردى » .

(٣) غير التجريد : « الثوب » . وأنهج ، بالبناء للمجهول : أصبح خلقا .

أخبار حسّان بن تُبّع
ملك حمير

شعره الذى فيه الغناء وخبره

قيل[1]: كان حسّان بن تُبَّع أحولَ أعسر، بعيد الهمَّة، شديد البطش. فدخل إليه يوماً وُجوه قومه، وهم الأقيال من حِمْير، فلما أخذوا مواضعهم أنشأ يقول:

أيّها الناس إنَّ رَأْيِى يُرِينى ... وهو الرأىُ طَوْفَةً فى البلادِ

بالعَوالى وبالقنابل[2] تَردى ... بالبطاريق مِشْيةَ العُوّاد

وبجَيش عرمرم عَربِىٍّ ... جحفلٍ يَستجيب صوت المُنادى

من تَميم وخِندف وإياد ... وَبها ليل حِمْير ومُراد

فإذا سرتُ سارت الشمس[3] خلفى ... ومَعى كالجبال فى كل وادى

سَقِّنى ثم سَقّ حِمْيرَ قَومى ... كأسَ خمر أُولى النُّهى والعِماد

وهذا هو الشعر الذى فيه الغناء.

ثم قال لهم: استعدُّوا لذلك، فلم يراجعه أحد لهَيبته، فلما كان بعد ثلاث خرج وتبعه الناس، حتى وطئ أرض العجم، ثم قال: لأبلغن من البلاد ما لم يبلغ أحد من التبابعة، فجال بهم فى أرض خراسان، ثم مضى إلى المغرب فجال

---

(1) جاءت هذه الترجمة فى الأغانى موصولة بترجمة: «عبد بنى الحسحاس».

(2) القنابل: جمع قنبلة، بالفتح، وهى الجماعة من الناس ومن الخيل، والمراد هنا: الخيل.

(3) غير التجريد: «الناس».

فيها حتى بلغ رومية فملكها ، وخلف عليها أبن عم له ، وأقبل إلى العراق ، حتى إذا صار على شاطئ الفرات ، قالت وُجوه حِمْير : ما لنا نُفنى أعمارنا ، نطوف فى الأرض كلها ، ونفرّق بيننا و بين بلادنا وعيالنا ، فما ندرى مَن خَلف عليهم بعدنا . فاتّفقوا على الحديث مع أخيه عمرو فى ذلك ، فقالوا له : كلِّم أخاك فى الرُّجوع إلى بلده ، وملكه . فقال : هو أعسر من ذلك وأنكد . فقالوا : أُقتله وتملّك علينا ، وأنت أحقّ بالمُلك من أخيك ، وأنت أعقل وأحسن نظراً لقومك . فقال : أخاف ألاّ تفعلوا وأكون قد قتلت أخى ، ويخرج المَلك من يدى . فأعطوه من العهود والمواثيق ما ثلج به صدرُه . فأجمع الرُّؤساء كلهم على قتله ، إلاّ رجلاً منهم يقال له : ـ ذو رُعين ـ فإنه خالفهم وقال : ليس هذا برأى ، يذهب المُلك من حِمْير . فشجّعه الناس على قتل أخيه ، فقال ذو رُعين : إن قتلته باد مُلكك . فلمّا رأى ذو رُعين ماأجمع عليه القوم أتاه بصَحيفة مختومة، فقال : ياعمرو ، إنى مستودعك هذا الكتاب فضَعه عندك فى مكان حريز ، وكتب فيه :

ألاَ مَن يَشْترى سَهَراً بنوم سَعيدٌ مَن يبيت قَريرَ عَيْنِ

فإنْ تكُ حِمْيرٌ غَدرت وخانت فمعذرة الإله لذِى رُعين

فأتى عمرو أخاه حسّان وهو نائم على فراشه فقتله ، واستولى على مُلكه ، فلم يُبارَك له فيه . فسلّط الله تعالى عليه السَّهر ، وامتنع منه النوم ، فسأل الأطبّاء والكُهّان والعُياف ، فقال له كائن منهم : ما قَتل رجل أخاه قطُّ إلاّ امتنع عليه نومه . فقال : هذا عمل رؤساء حِمْير ، حملونى على قتله ليرجعوا إلى بلادهم ولم ينظروا إلىّ ولا لأخى . فجعل بقتل مَن أشار عليه منهم بقتله ، فقتلهم رجلاً رجلاً ،

حتى خلص إلى ذى رُعين وأيقن بالشرّ ، فقال له ذو رُعين : ألم تعلم أنى أعلمتُك ما فى قتله ، ونهيتُك و بيَّنت هذا ؟ فقال : وفيم هو ؟ قال : فى الكتاب الذى أستودعتُك . فأتى بالكتاب فقرأه فإذا فيه البيتان . فقال له : لقد أخذت بالحزم . فقال له : إنى خشيت ما رأيتك صنعت بأصحابى، وتَشتَّت أمر حِمْير حين قَتل أشرافها واختلفت عليه ، فوثب على عمرو رجل يقال له : لَخنيعة ليس من أهل بيت الملك ، و يُلقَّب : ذا شُناتر الحِميرى . وكان فاسقاً يعمل عمل قوم لُوط ، وكان يبعث إلى أولاد الملوك فإذا حضروا عنده لاط بهم . وكانت حِمْير إذا ليط بالغلام لم تستصلحه للملك ، ولم ترتفع له منزلة عندهم . فكان يقصد إسقاط أولاد الملوك بهذا الفعل عن مَرتبة الملك . فكان إذا أُتى بالغلام منهم فسق به ، ثم يخرج الغلامُ رأسَه من مكان عال يُشرف منه على الحرس وفى فمه السؤك ، فيثب الحرس فيقطعون مشافر ناقة المنكوح . و إذا خرج الغلام صِيح به : أرطب أم يَباس ؟ فمكث بذلك زماناً حتى نشأ من أولاد ملوك حِمْير غلام ،يقال له :زُرعة ذو نُواس. وكانت له ذؤابة ، وبها سُمى : ذو نواس . فلما نشأ قيل له : كأنَّك بالملك وقد فعل بك كذا وكذا ، فاتَّخذ سكيناً لطيفاً رقيقاً وسمّه وجعل له غُلافاً . فلما دَعى به ذو شناتر جعله بين إخمصه ونعله ، وأتاه على ناقة له يقال لها : سراب ، فأناخها وصعد إليه . فلمّا خلا به وثب إليه ليُجامعه ، كما كان يفعل ، فانحنى زُرعة فأخذ السِّكين فوجأ بطنه بها فقتله ، واحتز رأسه فجعل السواك فى فيه وأطلعه من الكُوّة ، ورفع الحرس رؤوسهم فرأوه ، ونزل زُرعة ذو نواس فصاحوا به : زُرعة ياذا نواس ، أرطب أم يباس ؟ فقال : ستعلم الأحراس ، أاست ذى نواس ، رطب أم يباس ؟

وجاء إلى ناقته فركبها . فلمّـا رأى الحرس أطلاع الرأس صعدوا إليه ، فإذا هو قد قُتل . فأتوا ذا نواس فقالوا : ما ينبغى أن يملكنا غيرك ، بعد أن أرحتنا من هذا الفاسق . وأجتمعت حِمْير إليـه ، وهو الذى تهوّد وتسمَّى : يوسف . وهو صاحب الأخدود بنجران ، وكانوا نصارى لحرقهم وحرق الإنجيل وهدم الكنائس ، ومن أجله غزت الحبشة اليمن ، لأنَّهم نصارى . فلمَّـا غلبوا على اليمن أعترض ذو نواس البحر فاُقتحمه على فرسه فغرق .

وقد تقدم ذكر ذلك وما آل إليه أمر الحبش .

مُــرّة بن مِحْــكان

ثم ذكر أبو الفرج : مُرة بن مِحكان .

شيء عنه

وكان فى عصر جرير والفرزدق ، فأخملا ذكره لنباهتهما فى الشعر . وكان شريفاً جواداً . وأنه أنهب ماله فى الناس . فحبسه زياد ثم أطلقه .

شعره الذى فيه الغناء

ولم أختر له إلاّ الشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو ممَّــا اُختاره أبو تمّــام فى كتاب الحماسة :

يا ربَّة البيت قُومى غير صــاغرة ⁂ ضُمِّى إليك رحالَ القوم والقِرَبَا

فى ليلة من جُمادى ذات أندية ⁂ لا يُبصر الكلب فى ظلمائها الطُّنبا

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ⁂ حتى يلُف على خيشومه الذّنبا

وحَــكى الرّياشى قال :

سألت أبا عُبيدة عن قول مُرة بن مِحْــكان :

* ضُمّى إليك رحال القوم والقِرَبا *

ما الفائدة فى هذا ؟ فقال : لأنّ الضَّيف إذا نزل بالعرب فى الجاهلية ضمُّوا إليهم رحله و بقى سلاحه معه خوفاً من البَيات[1] . فقال مُرَّة يُخاطب اُمرأته :

* ضُمِّىْ إليك رحال القوم والقِرَبا *

أى: رحال هؤلاء الضّيفان وسلاحهم ، فإنّهم عندى فى عزّ وأمن مِن البَيات والغارات ، فليسوا ممن يحتاج إلى أن يبت لابساً سلاحه .

---

(١) البيات : الإيقاع بالعدو ليلا .

أخبار العُديل

نسبه

هو : العُديل بن الفَرخ بن معن بن الأَسود بن عمرو بن عوف بن ربيعة بن جابر أبن ثَعلبة بن سُمَىّ [1] بن الحارث بن ربيعة بن عِجْل بن لُجيم بن صَعب بن على أبن بكر بن وائل بن قاسط بن وهب بن أقصى بن دُعمى بن جديلة بن أسد أبن ربيعة بن نزار .

شيء عن عجل جده

وذُكر أن عجلاً كان من محمقى العرب .

قيل له : إنَّ لكل فرس جواداً أسماً ، وإنَّ فرسك هذا سابق جواد ، فسمِّه ، ففقأ إحدى عينيه وقال : قد سمَّيته الأعور ، وفيه يقول الشاعر :

رَمَتْنى بنو عِجـل بداء أبيهمُ ... وهل أحدٌ فى الناسِ أحمقُ من عِجْلِ

أليس أبوهم عارَ عَيْن جواده ... وسارت به الأمثالُ فى الناسِ بالجهل

اموى

والعُديل شاعر مُقل ، من شعراء الدولة الأمويَّة .

هربه لقتله عبده وقصة ذلك

وذُكر أن العُديل كان جَرحه عبد يقال له : دافع [2] ، فترصَّده العُديل حتى ظفر به ليلة فقتله ، فاستعدى سيد دافع عليه الحجَّاج بن يوسف وطالبه بالقَود ، فهرب العُديل من الحجَّاج إلى بلد الرُّوم ، ولجأ إلى قيصر فأمنه ، وقال فى الحجَّاج :

---

(١) وكذا فى الجمهرة (٢٩٥) . وفى التجريد : « شنى » .

(٢) غير التجريد : « دابغ » .

ودُون يدِ الحجّاج من أن تَنالنى بِساطٌ لأَيدى النّاعجات عريضُ
مَهامه أشـــباه كأنّ سرابها مُلاء بأيدى الغاسلات[١] رَحيض

فبلغ شـــعرُه الحجاج ، فكتب إلى قيصر ملك الرُّوم : لتبعثن به إلىّ أو لأغزينّك جيشاً يكون أوّله عندك وآخره عندى . فبعث به قيصر إلى الحجّاج. فقال له الحجاج ، لمّا دخل إليه : أنت القائل :

* ودون يد الحجّاج من أن تنالنى *

فكيف رأيت الله أمكن منك ؟ فقال : بل أنا القائل أيها الأمير :

فلو كنت فى سَلمى أجا وشِعابها لكان لحجّاجٍ علىّ ســبيلُ
خليل أمير المؤمنين وســيفُه لكل إمام مُصطفى وخليــل
تبنى قُبّة الإسلام حتى كأنّما هدَى الناسَ من بعد الضّلال رسول

فخلّى سبيله ، وتحمّل دية دافع[٢] فى ماله .

خروجه عن الحجاج إلى ابن المهلب

وذُكر أن العُديل استأذن يوماً على الحجّاج ، فحجبه الحاجب ، فوثب عليه العُديل وقال : إنّه لن يدخل على الأمير بعد رجالات قريش أكبر منّى ولا أولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجب الكلام ، فأحفظه . وانصرف العُديل عن باب الحجّاج إلى يزيد بن المهلّب ، فلمّا دخل إليه أنشأ يقول :

لئن أرتج الحجّاجُ بالبُخل بابَه فباب الفتى الأزدى بالعُرف يُفتَحُ
فتًى لا يُبالى الدّهرَ ما قلّ ماله إذا جَعلت أيدى المكارم تَسنح
يداه يدٌ بالعُرف تَنهب ماحوت وأُخرى على الأعداء تَسطو وتَجرح

(١) غير التجريد : « الراحضات » . والراحضات : الغاسلات . والرحيض : المغسول .
(٢) غير التجريد : « دابغ »

إذا ما أتاه المُرمِلون تيقّنوا … بأنّ الغِنى فيهم وشيكاً سيسرحُ

أقام على العافين حُرّاس بابه … يُنادونهم والُحرُّ بالُحر يَفرح

هلمّوا إلى عُرف الأمير[1] وبابه … فإنّ عطاياه على الناس تنفح

وليس كعِلج من ثمود يكُفه … عن الجود والمعروف جِذْم مُطَوّح

فقال له يزيد بن المهلّب : عرّضت بنا وخاطرت بدمك ، وتالله لا تصل إليك جائزتى وأنت فى حَيزى ، وأمر له بخمسين ألف درهم وأفراس ، وقال : الحق بعَلياء نجد ، واحذر أن تعلقك حبائل الحجاج أو تحتجنك محاجنه ، وابعث إلىّ فى كل عام فلك مثل هذا ، فارتحل . وبلغ الحجاج خبره ، فأحفظه ذلك على يزيد ، وطلب العُديلَ ففاته ، وقال لمّا نجا :

ودون يد الحجاج من أن تنالنى … بِساط لأيدى الناعجات عريضُ

ثم ظَفر به الحجاج بعد ذلك ، فقال له أنشدنى قولك :

* ودون يد الحجاج من أن تنالنى *

فقال : لم أَقُل هكذا ، ولكنّى قلت :

إذا ذُكر الحجّاج أضمرتُ خِيفة … لها بين أثناء الضّلوع نَقيضُ

فتبسّم الحجاج وقال : أولى لك ، وعفى عنه ، وفرض له .

شعره فى وائل لتوسطهم لدى الحجاج فى أمره

وذُكر أنّه لمّا غضب عليه الحجّاج سألت فيه أشرافُ وائل الحجاجَ ، فأجاب الحجّاجُ سؤالهم . فقال العُديل قصيدته التى يمدح فيها قبائل وائل ، وهى من مختار الشِّعر ، أولها :

(١) غير التجريد : « سيب الأمير وعرفه » .

صَرم الغوانى وأستراح عَواذلى وصحوتُ بعد صَبابة وتمايلِ[١]

ومنها :

يأخذْنَ زينتهنّ أحسن ما ترى وإذا عَطِلْن فهنّ غيرُ عَواطل

وإذا خَبَأْن خُدودهن أَرَيْننا حَدق المها وأخذن نَبل[٢] القاتل

ورمينَنى لا يستَتِرن بجُنة إلاّ الصِّبى وعَلِمْن أين مَقاتلى

يَلْبسن أردية الشباب لأهلها ويجُرّ باطلُهن حَبل الباطل

بَيض الأنوق كأنهنّ ومَن يُرد بَيض الأنوق فوَكْرها بمَعاقل

زَعم الغَوانى أنّ جهلَك قد صحا وفَشا برأسك فضلُ شَيْب شامل

ورَآك أهلُك منهمُ ورأيتهم ولقد تكون مع الشّباب الخاذل

وإذا تطاولتِ الجبالُ رأيتنا بفُروع أرعنَ فوقها مُتَطاول

حَدِبتْ بنو بكر علىّ وفيهمُ كلّ المَكارم والعديد الكامل

خَطروا ورائى بالقَنا وتجمّعت منهم قبائلُ أُردفت بقبائل

إنّ الفَوارس من لُجَيم لم تزل فيهم مَهابة كُل أَبيَض فاعل

قومٌ إذا شَهروا السُّيوف رأَوْا لها حقًّا ولم يكُ سَلّها بالباطل

ولئن فخرتُ بهم لمِثلُ قَديمهم بَسط المفاخر للسان القائل

(١) غير التجريد: « وتمائل » .

(٢) غير التجريد : « سهم » .

عفو الحجاج عنه بعد غضبه عليه

وذُكر أنه لمّا قدم الحجّاج بن يوسف العراق، قال العُديل:

دعُوا الُجبن يا أهل العراق فإنما يُهان ويُسْبَى كُلُّ مَن لا يقُاتلُ

لقد جَرَّد الحجاج للحقِّ سيفَه ألاَ فاستقيمُوا لا يَميلنّ مائل

وخافُوه حتى القوم بين ضُلوعهم كنَزْو القَطا ضُمَّت عليه الحبائل

وأصبح كالبازى يقلّب طَرفه على مَرقَبٍ والطيرُ منه دَواخل[1]

فلمّا بلغ الحجاجَ الشعرُ قال: ما تقولون فيه؟ قالوا: يقول: إنه مَدحك. قال: كلاّ، ولكنه حرَّض أهلَ العراق علىّ؛ وأمر بطلبه، فهرب، وقال:

أُخَوَّف بالحجّاج حتى كأنما تَحرَّكَ عَظْمٌ فى الفُؤاد مَهيضُ

وبعده البيتان اللذان تقدَّم ذكرُها. فجدَّ الحجَّاج فى طلبه حتى ضاقت عليه الأرضُ، فأتى واسطا وأخذ رُقعة بيده، ودخل إلى الحجَّاج فى أصحاب المَظالم، ووقف بين يديه وأنشأ يقول:

ها أنا ذا ضاقتْ بىَ الأرضُ كلُّها إليك وقد جوَّلتُ كُلَّ مكانِ

فلو كنتُ فى ثَهلان أو شُعبَتَى أَجا لخِلْتُك إلاَّ أن تَصُد تَرانى

فقال له الحجَّاج: العُديل أنت؟ قال: نعم، أيها الأمير، فلوى قَضيبَ خَيْزران كان فى يده فى عنقه، وجعل يقول: إيه،

* بساط لأيدى الناعجات عريض *

فقال: لا بساط إلاّ عفوك. فقال: اذهب حيث شئت.

(١) غير التجريد: «رواحل».

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار العُديل ، هو :

فإنْ تكُ من شَيبانَ أُمى فإنَّنى   لأَبيض عجلىٍّ[1] عَريض المَفارقِ

وكيف بذكرى أُم هارون بعد ما   خَبطن بأيديهنَّ رَمل الشَّقائق

وإنّا لنغلى فى الشــتاء قُدورنا   ونَضرب تحت اللاَّمعات الخوافق

(١) غير التجريد : « من عجل » .

صخـــر الغى

ثم ذَكر أبو الفرج : صخر بن عبد الله الجشمى ، المعروف بصخر ٱلغىّ . نســبه

وهو أحد بنى جُشم بن عمرو بن الحارث بن تَميم بن ســـعد بن هُذيل .

وإنمـا لقب : صخر ٱلغى ، لخلاعته وشـــدَّة بأْسه وكثرة شرِّه . لقبـه

ولم أختر له شيئا[1] .

---

(١) وبعد هذا أسقط ابن واصل ترجمتين أولاهما : لعمرو ذى الـكلب ، والثانية للقيط .

أخبار نُصيب الأصغر

نشـأته

هو عبدٌ نشأَ باليمامة . واُشـــتراه المهدى فى حياة أبيه أبى جعفر المنصور . فلمّــا سمع شعره قال : والله ما هو بدون نُصيب ، مولى بنى مروان ، فأعتقه وزوّجه أمةً يقال لها : جعفرة ، وكنّاه أبا الحجناء ، وأقطعه ضيعة بالسّـــواد ، وعُمِّر بعده .

شعر له أعجب به الفضل بن يحيى

وحَــكى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال :

أنشدتُ الفضلَ بن يحيى قولَ أبى الحَجْناء نُصيب :

عنـــد الملوك مَضرّة ومَنافع … وأرى البَرامك لا تَضُرُّ وتَنْفَعُ

إنّ العُروق إذا استسرّ بها الثّرى … أشِر النّباتُ بها وطاب المَزْرع

وإذا نَـكِرْت من امرئٍ أعراقَه … وقديمَه فانظُر إلى ما يَصــنع

فأعجبه الشِّعر وقال : والله يا أبا محمد لـكأنِّي لم أسمع هذا القول إلاّ السّاعة ، وما له عندى عَيب إلاّ أنِّى لم أُكافئه عليه . فقلت له : وكيف ذاك ، أصلحك الله ، وقد وهبتَ له ثلاثين ألف درهم ؟ فقال : لا والله ، ما ثلاثون ألف دينار بمـكافأة له ، فـكيف ثلاثون ألف درهم ؟

استملاح ابن سليمان لبيت له

وحَــكى أحمد بن سليمان بن أبى شيخ قال :

كان أبى يستملح قولَ نُصيب ، وقد رأى كثرة الشُّعراء على باب الفضلِ ابن يحيى ، فلمّــا دخل الناس إليه ، قال له :

ما لَقِينا من جنود فضل ابن يحيى … ترك الناس كُلّهم شُـــعراء

ويقول : ما فى الدنيا أحسن من هذا المعنى ، على أنه قد أخذ منهم مالاً جليلاً ، ولكن قلَّما سمعت بطبقته مثلَه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار نُصيب الأصغر ، هو :

أَلْلبَيْن يا ليلى جِمالك تُرحل ... ليقطَع مِنَّا البينُ ما كان يُوصلُ

تُعلِّلنا بالوعد ثُمت تَلْتوى ... بَموعدها حتى يَموتَ المُعلَّل

ألم ترَ أن الحبل أصبح واهياً ... وأخلف من ليلى الذى كُنتَ تأمُل

فلا الحبل من ليلى يُواتيك وصله ... ولا أنت تَنْهى القلبَ عنها فيذهل

وهذه القصيدة من جيد شعره ، يمدح بها نُصيبٌ هارونَ الرشيد ، وفيها يقول :

خَليليَّ إنِّى ما يزال يشُوقنى ... قطينُ الحِمى فى الظاعن[1] المُتحمِّلِ

أمِن أجل آيات ورَسْم كأنَّه ... بقيةُ وَحْيٍ أو رِداءٍ مُسَلْسَل

جرى الدمعُ من عينيك حتى كأنَّه ... تحدَّر دُرٍّ أو جُمان مُفصَّل

فيأيها الزِّنجى مالك والصِّبا ... أفِقْ من طِلاب البِيض إن كُنتَ تَعْقل

فمِثْلُك من أُحبوشة الزِّنج قُطِّعت ... وسائلُ أسبابٍ بها يتوسَّل

قَصدنا أميرَ المُؤمنين ودونه ... مَهامه مَوماةٍ من الأرض مَجْهل

إلى مَلِكٍ صَلْتِ الجبين كأنَّه ... صفيحة مَسْنونٍ جَلا عنه صيقل

إذا انبلج البابان والسِّترُ دونه ... بدا مثل ما يبدو الأغرُّ المُحجَّل

شريكان فينا منه عينٌ بصيرة ... كَلُوءٌ وقَلْبٌ حافظٌ ليس يَغفُل

---

(١) غير التجريد : « والظاعس » .

وما نازعتْ فينا أُمورَك هفوةٌ ولا خَطْلة فى الرأى والرأى يَخْطل

فما فات عَينيه وعاه بقلبه فآخِر مايرْعى ســـواءٌ وأوّل

وما زادكَ المُلكُ الذى نِلت بَسْطةً ولـكنْ بتقْوى الله أنت مُسربل

إذا ما رَهِبنا(١) من زمان مُلمّةً فليس لنا إلا عليك المُعوَّل

وهى طويلة .

غضب المهدى عليه ثم عفوه عنه وجائزته له

وذُكر أن المهدى وجَّه نُصيباً الشاعر مولاه إلى اليمن ، فى شراء إبل مَهرية ، ووجَّه رجلاً من الشيعة معه ، وكتب معه إلى عامل اليمن بعشرين ألف دينار ، فمَدَّ نُصيب يده فى الدنانير يُنفقها فى الأكل والشرب والتَّزويج وشراء الجوارى . فـكتب الشيعى بخبره إلى المهدى ، فـكتب المهدى بحَمله مُوثقاً فى الحـــديد . فلمّا دخل نُصيب إلى المهدى ، وهو على تلك الحـــال ، أنشده قصـــــيدة طويلة ، أولها :

تَأوَّبنى ثِقلٌ من الهم مُوجِــعُ فأرّق عينى والخَلِيُّون هُجَّعُ

هُمومٌ توالت لو أطاف يَسيرها بسَلْمى لظلَّت شُمُّها تتصدَّع

يقول فيها :

إليك أمـــير المؤمنين ولم أجد سواكَ مُجيراً منك يُدنى ويَمنع

تأمّلتُ(٢) هل من شافعٍ لى لم أجد سوى رحمةٍ أعطاكها اللهُ تَشْفع

لئن جَلّت الأجرام منّى وأفظعت لَعفوُك عن جُرمى أجلُّ وأوسع

---

(١) غير التجريد : « دهتنا » .

(٢) غير التجريد: « تلمست » .

ومنهـا :

و إنى لمَولاكَ الذى إن جفوتَه ... أتى مُسـتكيناً خاضعاً يتضرّعُ

و إنى لمولاكَ الضّعيف فأعفنى ... فإنى لِعَفْوٍ منك أهلٌ ومَوْضع

فقطع عليه المهدى الإنشاد ، ثم قال : ومَن أعتقك يابن السّوداء ؟ فأومأ بيده إلى موسى الهادى ، وقال : الأمـير موسى يا أمير المؤمنين فقال المهدى لموسى : أعتقته يابُنى ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . فأمضى المهدى ذلك ، وأمر بحديده ففُك عنه ، وأمر له بجارية يقال لها : جعفرة ، جميلة فائقة ، من رُوقة الرّقيق[1] . فقال له سالم ، قيِّم دار الرّقيق : لا أدفعها إليك أو تعطينى ألف درهم . فقال قصيدته التى أوّلها :

أ آذنَ الحىُّ فانصاعوا بتَرحالِ ... فهاج بَينهُمُ شـوقى وَ بلبالِى

وقام بها مادحاً المهدى ، فلمّـا انتهى منها إلى قوله :

ما زلتَ تبذل لى الأموالَ مجْتهدا ... حتى لأصبحتُ ذا أهل وذا مالِ

زوّجتنى يابن خير الناس جاريةً ... ما كان أمثالها يُهدى لأمثـالى

زوّجتنى بَضّة بيضـاء ناعمةً ... كأنّهـا دُرّة فى كَفّ لأّآل

حتى توهمتُ أنّ الله عجّلها ... يابن الخلائف لى من خَير أعمالى

فسالنى ســـــالمٌ ألفاً فقلت له ... أنّى لىَ الألف ياقُبِّحت مِن سالى

---

(١) روقة الرقيق : حسانهن .

هيهات ألفُك إلاّ أن أجئ بها ... من فَضل مولًى لطيفِ المَنّ مِفْضال

فأمر له المهدى بألف دينار، ولسالم بألف درهم .

شعره فى الحبس

وذُكر أنّ نُصيباً حُبس باليمن مدة طويلة، ثم أُشخص إلىّ المهدى، وقال وهو فى الحبس، ودخلت إليه أبنته حَجناء فلمّا رأت قيوده بكت، فقال :

لقد أصبحت حَجناء تَبكى لوالد ... بدِرّة عَين قلَّ عنه غَناؤُهَا

أحَجناء صبراً كُلّ نفس رهينة ... بموتٍ ومكتوبٌ عليها بَلاؤُها

أحجناء أسبابُ البلاء[1] برصَدٍ ... فإنْ لا يُعاجل غَدْوها فمَساؤُها

أحجناء إنْ أُفلتْ من السجن تَلْقنى ... حُتوفُ مَنايا لا يُردّ قَضاؤُها

أحجناء إن يُصبح أبوك ونفسه ... قصيرٌ تَمنِّيها طويلٌ عَناؤُها[2]

لقد كان فى دُنيا تفَيأ ظلَّها ... عليه ومجلوبٌ إليه بهاؤُها

هو وثمامة فى موت أخيه

وذُكر أنه دخل نُصيب الأصغر على ثُمامة بن الوليد العَبسى، وقد مات أخوه شيبة، وهو يفرِّق خَيله على الناس، فأمر له بفرس، فأَبَى أن يقبله، وبكى وقال :

ياشَيبة الحمد[3] أمّا كنت لى شَجَنا ... آليتُ بعدك لاأبكى على شَجَن

أضحت جياد أبن قَعقاع مُقسّمة ... فى الأَقْربين بلامَنّ[4] ولا ثَمن

ورّثتَهم فتعزَّوا عنك إذ ورثوا ... وما ورثْتُك غيرَ الهمّ والحزن

فجعل ثمامة ومن عنده من أهله وإخوانه يبكون .

---

(١) غير التجريد : « المنايا » .

(٢) غير التجريد : * قليل تمنيها قصير عزاؤها *

(٣) غير التجريد : « الخير » . (٤) غير التجريد : « حمد » .

شيء من أخبار شيبة مع اليزيدى

وذُكر أَنْ شيبة بن الوليد هـذا كان عارض أبا محمد اليزيدى فى شىء من النحو بين يدى الرشيد ، فقال فيه أبو محمد يهجوه ، وهو من جيد الأُستطراد فى الهجو :

عِشْ بجَدٍّ فلن يضرَّك نَوكٌ(١) إنما عيشُ من ترى بالُجدودِ
عِشْ بجَدٍّ وكُن هبَنَّقة القَيسىّ(٢) جهلاً أو شَيبةَ بن الوليد

(١) النوك : بالضم والفتح : الحمق .

(٢) هبنقــة القيسى : ذو الودعات ، يزيد بن ثروان ، وكان جعل فى عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته . فسئل فى ذلك ، فقال : لئلا أضــل . فسرقها أخوه فى ليلة وتقلدها ، فأصبح هبنقة ورآها فى عنق أخيه ، فقال : أخى أنت أنا ، فمن أنا ! فضرب بحمقه المثل .

أبو شُراعة

نسبه

ثم ذكر أبو الفرج : أبا شُراعة أحمد بن محمد بن شُراعة ، أحد بنى بكر ابن وائل .

ما اختاره ابن واصل من شعره

وهو شاعر من شعراء الدولة العبَّاسية ، وأورد له شعراً ، فلم أُختر له إلا ثلاثة أبيات ؛ لأن شعره ليس برقيق ولا سهل ، بل هو حُوشى متعقد .

وكان جوَاداً لا يُمسك شيئاً ، وكانت به لُوثة ، وكان كالبَدوىّ فى مذهبه .

و بلغه أن أخاه قال : إن أخى مجنون ، فقد أفقرنا وأفقر نفسه . فقال :

أُنبزُ مَجْنوناً إذا جُدت بالذى ملكتُ و إن دافعتُ عنه فعاقلُ

فداموا على الزُّور الذى قُرفوا به ودُمت على الإعْطاء ما جاء سائل

أبَيْتُ وتأبى لى رجالٌ أشحّة[1] على المَجد تَنْميهم تَميم ووائل

---

(١) التجريد : « أعزة » .

أخبار ابن البواب

نسبه

هو : عبد الله بن محمد بن غياث[1] بن إسحاق . من أهل بخارى .

نشأته

وُجّه بجَدّه ، ومعه رهينة ، إلى الحجاج بن يوسف ، فنزلوا عنده بواسط ، وأقطعهم سكة بها ، فاختطوها . ونزلوها طول أيام بنى أمية . وانقطعوا فى الدولة العباسية إلى الربيع فخَدَموه .

أبوه

وكان محمد بن غِياث يخلف الربيع فى أيام المنصور فى حَجبته .

شىء عنه

وكان عبد الله بن محمد يخلف الفضل بن الربيع فى حَجبة الخلفاء .

صلته بالأمين

وكان صالحَ الشِّعر قليله ، راوية لأخبار الُخلفاء . عالماً بأمورهم . وخدم محمدا الأمين بن الرشيد ، فأغناه ومدحه ، ونال من المأمون وعرّض به .

هو والمأمون

وذُكر أنَّ المأمون لما أُتى بشعر ابن البواب ، الذى يقول فيه :

أيبخل فَرْدُ الُحسن فردُ صفاته ... علىَّ وقد أفردتُه بهَوًى فَرْدِ

رأى اللهُ عبد الله خير عباده ... فملّكه والله أعلم بالعَبد

إلا إنما المأمونُ للناس عِصْمة ... مميّزة بين الضلالة والرُّشد

فقال المأمون : أليس هو القائل :

أعينَىّ جُودا وابكيا لى مُحمدا ... ولا تَذخرا دَمعًا عليه وأَسْعدا

فلا فَرِحَ المأمونُ بالمُلك بعده ... ولا زال فى الدُّنيا طريداً مُشرّدا

---

(١) غير التجريد : « عتاب » .

هيهات ، واحدة بواحدة ، ولم يصله بشىء .

رضى المأمون عنه

وذُكر أنه لمّا طال سُخط المأمون على ابن البواب قال قصيدةً يمدحه بها ، ودَسّ من غنّى المأمون ببَعضها ، لمّا وجد منه نشاطاً ؛ فسأل عن قائلها فأُخبر ، فرضى عنه ورَده إلى رَسْمه من الخِدمة . والقصيدة هى :

هل للمُحبّ مُعــينُ   إذ شَــطَّ عنه القرينُ
أبكى العُيونَ وكانت   به تَقَـرُّ العُيون
يأيّهـا المأمونُ الـ   ـمبـارك المَيْمــون
لقـد صَفت بك دنيـا   المُســلمين ودِين
عليك نورُ جَــلالٍ   ونُورُ مُلْك مُبــين
القول منك فِعــال   والظنُّ منـك يَقـين
ما من يديك شمال   كلتـا يدك يَمــين
كأنمـا أنت فى الجـو   د والتُّـقى هارون
من نال من كُل فضل   ما ناله المــأمون
تألّف الناسَ فَضــلٌ   منه وجــودٌ ولِـين
كالبـدر يبدو عليـه   سَـكينة وسُــكون
فالرِّزق من راحتَيـه   مُقسَّم مَضْــمون

شعره الذى فيه الغناء

والشِّـعر الذى فيه الغنــاء ، وافتتح به أبو الفرج ، أخبـار بن البواب ، هو :

إذا أبصرتْكَ العينُ من بَعد غاية   وأوقعتُ شكًّا فيك أثبتَك القَلْبُ

ولو أن رَكْباً يَمَّموك لقادَهم ... نَسِيمُك حتى يَستدِلَّ بك الرَّكْب

وقبل هاتين البيتين :

أَفِقْ أَيُّها القلبُ المعذَّب كم تصبو ... فلا النأى عن سَلْماك يُسلى ولا القُرْبُ

أقول غـداةَ استخبرتْ مِمّ عِلّتى ... من الُحب كَرْب ليس يُشبهه كَرْب

أُخبار
محمد بن عبد الملك الزيات

اسمه وكنيته

هو : محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبى حمزة . يُكنى : أبا جعفر .

نشأته

وكان أبوه مُوسراً ، من تجار الكَرخ المياسير ، وكان يحثه على التجارة وملازمتها ، فيأبى إلا الكتابة ، وطلبها وقصد المعالى ، فبلغ من ذلك ما طلب . فإن أحواله ترقّت حتى وَزر المعتصم ، ثم للواثق ابنه ، ثم المتوكل ابن المعتصم .

وزر ثلاثة

وهو أول من وزر لثلاثة خُلفاء ، لم يتقدم ذلك لوزير قبله .

منزلته فى الشعر والكتابة

وكان شاعراً مُطيلا مجيداً ، لا يقاس به أحد من الكُتّاب ، وإن شاركه إبراهيم بن العباس الصولى فى جَودة الشِّعر ، إلا أن محمداً امتاز عليه بالإطالة . وكان إبراهيم صاحبَ قصار ومَقطوعات ، وكان محمد بليغاً حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب .

حديث ابنه عن نشأته

وحكى ابنه عمر بن محمد قال :

كان جَدّى موسراً من تُجّار الكَرخ ، وكان يريد من أبى أن يتعلَّق بالتجّارة ويتشاغل بذلك ، فيمتنع منه ويلزم الأدب وطلبه ، ومخاطبة الكُتّاب ، وملازمة الدواوين . فقال له ذات يوم : والله ما أرى ما أنت مُلازمه ينفعك وليضرنَّك ؛ لأنك تدع عاجل المَنفعة ، وما أنت به مكفىّ ، ولك ولأبيك فيه مال وجاه ، وتطلب الآجل الذى لا تدرى كيف تكون فيه فقال : والله لتعلمنَّ أيّنا ينتفع بما هو فيه : أنا أو أنت ؟

ثم شخَص إلى الحسن بن سهل بفَم الصُّلح[1] ، فامتدحه بقصيدة ، أولها :

كأنها حين تناءى خَطْوها أخنسُ مَوشيُّ الشَّوى يرعى القُلَلْ

فأعطاه عشرة آلاف درهم . فعاد بها إلى أبيه ، فقال له أبوه : لا أُلومك بعد هذا على ما أنت فيه .

شعره فى الحسن لما وصله

وذُكر أن محمد بن عبد الملك ، لمّا وصله الحسنُ بما وصله ، قال له :

لم أمتدحْك رجاءَ المال أطلبُه لكنْ لتُلبسنى التبجيلَ والغُرَرَا

وليس ذلك إلا أنّنى رجلٌ لا أطلُب الوِرْدَ حتى أعرفَ الصَّدَرا

من قصيدته فى الحسن بن سهل

ومن جملة القصيدة ، التى مدح بها محمدُ بن عبد الملك الزيّات الحسنَ ابن سهل :

إلى الأمير الحسنِ استنجدتُها أىّ مراد ومُناخ ومَحَلّْ

سيف أمير المؤمنين المُنتضَى وحِصن ذى الرِّياستين المُعتَقل

آباؤك الغُرّ الأُلى جَدُّهمُ كسرى أنوشروان والناس هَمَل

من كُل ذى تاج إذا قال مضى كُل الذى قال وإنْ همَّ فعَل

فأين لا أين وأين مثلكم وأنتمُ الأملاك والناس خَوَل

ثم ضرب الدهر ضربانه ، فتعطل الحسن بن سهل ، وارتقى محمد بن عبد الملك إلى الوزارة ، ومرض الواثق ، فدخل عليه الحسن بن سهل عائداً ، وعنده وزيره محمد بن عبد الملك ، فجعل الحسن يتكلم فى العلَّة وعلاجها ، وما يصلُح

(١) فم الصلح : نهر فوق واسط ، فيه كانت دار الحسن بن سهل .

للواثق من الأدوية والعلاج والغذاء أحسن كلام. فحسده محمد بن عبد الملك. فقال له: من أين لك هذا العلم يا أبا محمد؟ فقال: إني كنت أستصحب من كل صنعة رؤساء أهلها، وأتعلم منهم، ثم لا أرضى إلا ببلوغ الغاية. فقال له محمد، وكان حسوداً: ومتى ذلك؟ قال: في زمان قلتَ فيَّ:

وأين لا أين وأين مثلكم وأنتمُ الأملاك والناس الخول

فخجل محمد بن عبد الملك وأطرق وعدل عن الجواب[1].

قصيدته في إبراهيم ابن المهدي يتهدده في دين كان اقترضه من أبيه

وذُكر أنه لما وثب إبراهيم بن المهدي على الخلافة ببغداد، وخرج على المأمون، والمأمون إذ ذاك بخُراسان، اقترض من مَياسير الكرخ مالاً، فاقترض من عبد الملك الزيات عشرة آلاف ديناراً وقال: أنا أردها إليك إذا جاءني مال. فلم يتم أمر إبراهيم، وقدم المأمون ببغداد وتفرقت عن إبراهيم جموعه، واستخفى، ثم ظهر وظفر به المأمون ورضى عنه — وقد تقدم ذكر ذلك — فطالبه الناس بأموالهم. فقال: إنما أخذتها للمسلمين وأردتُ قضاءها من فَيْئهم، والأمر فيها الآن إلى غيري. فعمل محمد بن عبد الملك الزيات قصيدة يخاطب بها المأمون ويحُضه على الفتك بإبراهيم، ويحرضه على سفك دمه، وهي بديعة في معناها. ومضى بها محمد إلى إبراهيم بن المهدي فأقرأه إياها، ثم قال له: والله لئن لم تُعطني المال الذي اقترضته من أبي لأُوصلن هذه القصيدة إلى المأمون. فخاف إبراهيم أن يقرأها المأمون فيتدبر ما قاله فيوقع به، فقال: خذ مني بعض المال ونجِّم عليَّ بعضه. ففعل ذلك، بعد أن أحلفه إبراهيم بأوكد الأيمان ألا يُظهر قصيدته في حياة المأمون. فوفى له بذلك، ووفى إبراهيم بأداء المال. وقد أوردت القصيدة بتمامها لحسنها وما تضمّنته من الحكم والفوائد، وهي هذه:

---

(١) لم يرد هذا الخبر بجملته فيما بين أيدينا من أصول الأغاني.

ألم تَرَ أنّ الشيء للشيء علّة تــكون له كالنار تُقدح بالزّندِ
كذلك جَرّبت الأمور وإنما يدُلك ما قد كان قبلُ على البَعْد
وظنّى بإبراهيم أنّ مكانه سيَبعث يوماً مثل أيامه النُّكد
رأيتُ حُسينا حين صار محمد بغير أمان فى يَديه ولا عَقد
فلو كان أمضى السيفَ فيه بضربة فصــيّره بالقاع مُنعفر الخدّ
إذن لم تــكن للجُند فيه بقيّــة فقد كان ما خُبِّرت من خَبر الجُند
همُ قتلوه بعــد أن قتــلوا له ثلاثين ألفاً من كُهول ومن مُرد
وما نَصروه عن يدٍ سَلفتْ له ولا قَتلوه يوم ذلك من حِقْد
ولــكنّه الغدرُ الصُّراح وخِفة الـ حُلوم وبُعد الرأى عن سَنَن القَصد
فذلك يومٌ كان للناس عِبرة سيبقى بقاء الوَحى فى الحجر الصّلد
وما يومُ إبراهيمَ إن طال عمره بأبعدَ فى المَــكروه من يومه عِندى
تذكَّرْ أمير المؤمنــين مُقامه وأيمانه فى الهَزل منه وفى الجِــدّ
إذا هَزَّ أعواد المنــابر باْسته تغنّى بسُعدى أو بمَيّة أو هِند
ووالله ما مِن توبة نَزعتْ به إليك ولا مَيل إليك ولا وُدّ
ولــكنّ إخلاص الضمير مُقرِّب إلى الله زُلفى لا تَخيب ولا تُــكدى
أتاك بها طوعاً إليك بأنفــه على رغمه واْستأثر اللهُ بالحمْد
فلا تتركنْ للناس موضع شُبهة فإنك مجزىّ بحَسْب الذى تُسدى
فقد غَلطوا للناس فى نَصْب مثله ومن ليس للمنصور باْبنٍ ولا المهدى
فكيف بمَنْ قد بايع الناسُ والتقت ببَيْعَته الركبان غَورًا إلى نَجْــد

ومن صكّ تسليمُ الخلافةِ سَمعَه ... ينادى به بين السَّماطين من بُعدِ
وأىّ أمرىءِ سمَّى بها قطُّ نفسه ... ففارقها حتى يُغيَّب فى اللَّحد
وتزعم هذى النَّابتيَّة أنه ... إمام لها فيما تُسِرّ وما تُبدى
يقولون سُنّىٌّ وأية سنة ... تقوم بجَوْن اللون صَعل[1] القفا جَعْد
وقد جعلوا رِخص الطعام لعهده ... زعيماً له باليُمن والكوكب السَّعد
إذا ما رأوا يوماً غلاءً رأيتَهم ... يحنّون تحناناً إلى ذلك العَهد
وإقباله فى العيد يُوجف حوله ... وجيفُ الجيادِ واصطكاكُ القنا الجُرد
ورجَّالة يمضون بالبيض حوله ... وقد شيَّعوه بالقَضيب وبالبُرد
فإن قلت قد رام الخلافة قبله[2] ... فلم يُؤْت فيما كان حاول من جَد
فلم أجزه إذ خيَّب الله سعيَه ... على خَطأٍ إذ كان منه على عَمد
ولم أرض بعد العفو حتى رفعته ... وللعَمّ أولى بالتعهُّد والرِّفد
فليس سواء خارجىٌّ رَمى به ... إليك سَفاه الرأى والرأى قد يُردى
تَعاوت له من كل أوب عِصابة ... متى يُوردوا لا يُصدروه عن الوِرْد
ومَن هُو فى بيت الخلافة يلتقى ... به وبك الآباء فى ذِروة المَجد
فمولاك مولاه وجُندك جُنده ... وهل يجمع القَينُ الحسامين فى غِمد
وقد رابنى من أهل بيتك أننى ... رأيت لهم وجداً به أيّما وَجد
يقولون لا تَبعَد من ابن مُلمة ... صبور عليها النفس ذى مِرَّة جَلْد
فَدانى وهانت نفسُه دون جُنده[3] ... عليه لدى الحال التى قَلَّ من يَفدى

---

(١) غير التجريد : « صل » .

(٢) غير التجريد : « غيره » . (٣) غير التجريد : « ملكنا » .

على حين أعطى الناس صَفق[1] أكفهم ... علىّ بن موسى بالولاية والعهد
فما كان فينا من أبىَ الضيمَ غيرُه ... كريماً كفى ما فى القبول وفى الردِّ
وجرَّد إبراهيم للموت نفسه ... وأبدى سلاحاً فوق ذى مَيْعَة نَهْد
وأَبلى ولم يبلُغ من الأمر جَهده ... فليس بمذموم وإن كان لم يُجْــد
فهذى أُمور قد يخاف ذوو النُّهى ... مغبَّتها والله يَهديك للرُّشـــد

تعقيب لابن واصل

قلت : لقد بالغ محمــد بن عبد الملك فى التحريض ، وثم أمور تحتاج إلى تنبيه وشرح . فقوله :

* رأيت حُسيناً حين صار محمد *

فالإشارة فيه إلى الُحسين بن على بن عيسى بن ماهان ، وكان فى زمن وقوع الفتنة بين الأمين والمــأمون . قد وثب الُحسين هــذا على الأمين فخلعه من الخلافة ، وقيَّده واعتقله ، ودعى للمأمون ؛ فلو كان الُحسين بادر وقتل الأمين لاستتب له الأمر وانتظم ، وكانت المنّة حصلت للحُسين عند المأمون ، وصار عنده فى المنزلة التى صار عليها طاهر بن الُحسين بعد ذلك بقتله الأمين ، لــكنه تهاون ولم يفعل ذلك ، وعاد الُجند وشغبوا على الحسين ودخلوا على الأمين ، وفــكوا عنه قيوده وأعادوه إلى الخلافة . وعفا عن الحسين ، ثم استشعر[2] الحسين فدعا للمأمون فلم توافقه الجند ، ثم هرب الحسين بن على بن عيسى ، فتبعه الجند فقتلوه ، وأتوا الأمين برأسه .

والمعنى الذى أراده محمد بن عبد الملك : أن الحسين ترك الحزم ، وفرط بترك قتله الأمين ، فــكان فى تركه هلاكه ، فلا تفرط أنت بتهاونك وتركك إبراهيم ، فربما يكون هلاكك فى تركه .

(١) غير التجريد : « صفو » .
(٢) استشعر ، يريد : استنهض وتجهز للحرب .

وقوله :

* فقد غلطوا للنَّاس فى نصب مثله *

فمعناه أنَّ الغلط قد وقع فى إقامة خليفة ليس هاشميًّا ومن بيت الخلافة ، كما جرى لكثير من الخوارج ، فكيف يكون حال إبراهيم ، وهو عمك ، ومن السلالة الهاشمية والعباسية ، ويجمعك وإياه المهدى والمنصور وأباؤهما الأكابر ، فالخوف منه يكون أكثر .

وقوله :

* فإن قلت قد رام الخلافة قبله *

يريد : أنك أيها المأمون إن اعترضت بأن جماعة تعرضوا لهذا الأمر وعفوت عنهم فعَمِّى أولى بالعفو ، فجوابك : إنه ما يسوِّى العربى الجلف الخارجى الذى حسَّن له ضعف العقل طلبَ هذا الأمر وحالَ الهاشمى الذى هو من أهل بيت الخلافة ، فذاك يحسن العفو عنه ، إذ لا تُخاف غائلته ، وهذا لا يحسن لخوف غائلته ، سيما أن عسكرك هم عسكره ، ومواليك هم مواليه ، لأن الأب لكما واحد .

وقوله :

* وقد رابنى من أهل بينك *

وما بعده .

فمعناه : أن خروج إبراهيم كان سببه أن المأمون كان أراد نقل الخلافة من ولد العباس إلى ولد على بن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، وعيّن لولاية العهد بعده علىّ بن موسى الرضى ، وأمر الناس بلبس الخضرة ونزع السواد ، الذى هو شعار بنى العباس ، فغضب لذلك بنو العباس ، وكانت عدتهم قد بلغت يومئذ نيفا وثلاثين ألفا ، وأقاموا للخلافة ببغداد إبراهيم بن المهدى . فيقول محمد بن عبد الملك : إن أهلك من بنى العباس شديدو المحبة والتعصب له بسبب

غضبه لهم وقيامه بنُصرتهم . وهذا أوكد فى أنه لا يُؤمَن وثُوبه عليك وقيام أهلك من بنى العباس بنُصرته .

وكانت الأسعار أيضا غلت فى أيام المأمون ورخصت فى أيام إبراهيم ، فاستبشر أهل العراق بولايته لذلك . فلما عاد المأمون عاد غلاء الأسعار ، فأشار محمد فى شعره إلى ذلك تحريضا للمأمون عليه .

وحرّضه أيضا عليه من جهة مَيل أهل السنة إليه وكراهيتهم للمأمون ، لأنه كان مُتشيعا ، فقد بالغ فى التحريض كل المبالغة ، وماترك ممكنا .

تولية المعتصم إياه الوزارة

ولما[1] ولى المعتصم الخلافة فوّض وزارته إلى الفضل بن مروان ، وكان قبل ذلك وزيره فى أيام أخيه المأمون ، ثم نكّب المعتصم الفضلَ بن مروان وولّى محمد بن عبد الملك الزيات الوزارة ، وتمكن عنده تمكنا عظيما .

شرطه لما ولى الوزارة

ولما ولى الوزارة اشترط ألا يلبس القَباء وأن يلبس الدُّراعة ويتقلّد عليها سيفا .

قسوته على الناس وقسوة المتوكل عليه

وكان محمد مع فضله وأدبه جبّاراً قاسى القلب وكان يقول : الرحمة خَوَر فى الطبيعة ، وضعف فى المُنّة[2] ، ومارحمت شيئا قط . فكانوا يطعنون فى دينه بهذا القول . فلما قبَض عليه المتوكل ووضعه فى التنّور الحديد ، قال : ارحمونى . قالوا له : وهل رحمتَ قط فتُرحم ؟ هذه شهادتك على نفسك وحكمك عليها .

وحكى ابنُه هارون بن محمد بن عبد الملك قال :

جلس أبى يوما للمظالم ، فلما انقضى المجلس رأى رجلا جالسا ، فقال له : ألك حاجة؟قال: تُدنينى إليك . فلما أدناه، قال:فإنى مظلوم وقد أعوزنى الإنصاف. قال : ومن ظلمك ؟ قال : أنت ، ولست أصل إليك فأذكر حاجتى . قال : ومن يَحْجُبك عنّى وقد ترى مجلسى منك . قال : يحجبنى عنك هيبتى لك ، وطول لسانك وفصاحتك ، واطراد حجتك . قال : ففيم ظلمتُك ؟ فقال : ضيعتى الفلانية

(١) لم يرد هذا الخبر فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .
(٢) المنة : القوة .

أخذها وكيلك غصباً بغير ثمن ، فإذا وجب عليك خراج أديته باسمى لئلاّ يثبت لك أسم فى الديوان بملكها فيبطل ملكى ، فوكيلك يأخذ غلّتها وأنا أؤدى خراجها ، وهذا ما لم يُسمع به فى المظالم . فقال محمد : هذا قول يُحتاج فيه إلى بيّنة وإلى شهود وأشياء . فقال له الرجل : تؤمننى من غضبك حتى أجيب . فقال: أمنتك! فقال: البيّنة هم الشهود ، إذا شهدوا فليس يُحتاج معهم إلى شىء ، فما معنى قولك : وأشياء ، أى شىء هذه الأشياء إلا العىّ والحصر والتغطرس . فضحك محمد وقال : صدقت ، والبلاء موّكل بالمنطق ، وإنى أرى فيك مُصطنعاً ، ثم وقّع له بردّ ضَيعته ، وصيّره من أصحابه ، واُصطنعه[1] .

هو وأبو دنفش

وذُكر أن أبا دنْفش الحاجب جاء يوما إلى محمد بن عبد الملك الزيات برسالة من المُعتصم ليحضر ، فدخل ليلبس ثيابه ، ورأى أبو[2] دنفش الحاجب غلماناً له رُوقة ، فقال : وهو يظن أنه لا يسمع :

وعلى اللِّواط فلا تلومَنْ كاتباً إن اللِّواط سجيّة الكُتّاب

فقال محمد :

وكما اللِّواط سجيّة الكُتّاب فكذى الُحلاق سجيّة الُحجّاب

فاستحيا أبو دنفش واُعتذر إليه . فقال:إنما ينفع العذر لو لم يقع الاقتصاص ، فأما وقد كافأتك فلا .

إعتذاره إلى عبدالله ابن طاهر

وذُكر أن عبد الله بن طاهر اُستبطأ محمد بن عبد الملك الزيات فى بعض أموره ، واُتهمه بعُدوله عن شىء أراده إلى سواه . فكتب إليه محمد يعتذر ، وكتب فى آخر كتابه :

---

(١) لم يرد هذا الخبر بجملته فيما بين أيدينا من أصول المصادر .

(٢) التجريد : « ابن » .

أتزعُم أننى أهـوى خليـلاً سواكَ على التّـدانى والبِعادِ

جحدتَ إذن مُوالاتى عليّاً وقلتَ بأننى مولى زِياد

مما يستحسن له فى الشيب

ومما يستحسن فى الشَّيب قولُ محمد بن عبد الملك الزيات :

وعائِب عابنى بشَيبٍ لم يَعْدُ لمـا ألمّ وقتَه

فقلتُ إذ عابني بشَيبى يا عائبَ الشَّيب لابلغتَه

هجاء ابن أبى دواد له

قيل : وكان قاضى القضاة أحمد بن أبى دُوَاد بينه وبين محمد بن عبـد الملك الزيات عداوة شديدة ، فـكان محمد يهجوه ، وكان أحمد يجمع الشعراء ويحرضهم على هجائه ويصلهم . ثم قال فيه بيتين ، كانا أجود ماهُجى به ، وهما :

أحسن من خمسين بيْتا سُدى جمعـك إياهن فى بَيتِ

ما أحوج النـاس إلى مَطرة تَغسلهم من وَضر الزيت

بينه و بين أبى تمام

وذُكر أن أبا تمام الطائى لمـا مدح محمد بن عبد الملك الزيات بقصيدته التى يقول فيها :

* لهان علينا أن نقول وتفعلا *

فأثابه عليها ، وكتب إليه محمد :

رأيتُك سهل البَيع سمحاً وإنما تغالى إذا ما ضن بالشىء بائعه

فأما الذى هانت بضائع بَيعه فيُوشك أن تبقى عليه بضائعه

هو الماء إن أجممته طاب وِردُه ويَفسد منه ما تُباح شرائعـه

فأجابه أبو تمام :

أباجعفر إن كنتُ أصبحت شاعراً أُسامح فى بيعى له من أُبايعُه

فقد كنتَ قبلى شاعراً تاجراً به تُساهل من عادت عليك مَنافعه

فصرتَ وزيرا والوزارة مَكرع — يغصّ به بعد اللذاذة كارعه
وكم من وزير قد رأينا مُسلَّطا — فعاد وقد شُدّت عليه مَطالعه
ولله قوسٌ لا تَطيش سهامها — ولله سيفٌ لا تُفَل مقاطعه

نكبته

ولم تزل منزلة محمد بن عبد الملك الزيات عليّة فى أيام المعتصم ، إلى أن مات ، فلما مات المعتصم وولى ولده الواثقُ الخلافةَ أبقى محمد بن عبد الملك على وزارته ، وجعل القاضى أحمد بن أبى دواد يخلو بالواثق ويغريه به ، وكان فيما بلغه عنه أنه قد عزم على الفتك بالواثق والتدبير عليه ، فقبض الواثق على محمد مُديدة ثم أطلقه ، وردّه إلى وزارته ، وكان جعفر المتوكل يدخل إلى محمد بن عبد الملك ويشكو إليه جفاء أخيه الواثق ، فكان محمد يتجهم المتوكل و يُغلظ له الرد ، إلى أن قال يوما ، والمجلس حفل والمتوكل عنده : ألا يعجبون لهذا العاض كذا وكذا يعادى أمير المؤمنين . ثم سألنى أن أصلح له قلبه ، اذهب ويلك وأَصلِح لأخيك حتى يصلح لك قلبه . فكان الواثق تبلغه إهانة محمد لأخيه المتوكل فيعجبه ذلك ويحسُن موقعه منه . وقال محمد بن عبد الملك للواثق : إن جعفراً يدخل علىّ وله شعر قفا وطُرة ، مثل النساء ، فضحك . وقال له : أحلقْهما واضرب بشعرهما وجهه . فلما دخل المتوكل إلى محمد بن عبد الملك فعل به ما أمره الواثق . فخرج من عنده وهو حزين كئيب . فلما توفى الواثق ، واجتمع الأولياء للمشاورة فيمن يقيمونه للخلافة ، أشار محمد بن عبد الملك إلى محمد بن الواثق ، وهو المهتدى ، فأحضروه فوجدوه صغيراً لا يصلح للأمر . وأشار القاضى أحمد بن أبى دُوَاد إلى المتوكل بن المعتصم ، ووافقه على ذلك الأتراك ، وقام أحمد بن أبى دواد وعمّمه بيده وألبسه بُردة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقبّل بين عينيه ، فبايعه الجماعة كلهم ، ولم يتم لابن الزيات ما أراد من صرف الأمر عنه إلى ابن الواثق . فلما تقلد المتوكل الخلافة أسرّ فى نفسه القبضَ على محمد بن عبد الملك ، وخشى إن

عاجل ذلك أن تستتر أسبابه فتفوته بُغيته منه ، فاستوزره وخلع عليه . فلما ركب في الخلافة قال بعض الكُتّاب :

راح الشقى بخلعة النُّكر   مثل الهدىّ لليلة النَّحْرِ
لا تم شهرٌ بعد خِلعته   حتى تَراه طافِئ الجمر

فكان الأمر كما قال . وجعل القاضى أحمد بن أبى دواد يُغرى المتوكل بابن الزيات ويَحُضه على القبض عليه ويَجد لذلك موقعا واستماعا . فما مضى إلا أيام بعد بيعته بالخلافة حتى قُبض عليه وعاقبه أشد العقوبة[1] .

فحكى أحمد الأحول قال :

لما قُبض على محمد بن عبد الملك الزيات تلطفتُ فى الوصول إليه ، فرأيته فى حديد ثقيل ، فقلت له : أعزز بما أرى . فقال :

سَل دِيار الحىِّ ما غيّرهــا   ومحَاها ومحَى أسطُرَهـا
وهى الدُّنيـا إذا ما انقلبت   صَـيّرت مَعروفها مُنكرها
إنمــا الدُّنيا كظلٍّ زائل   نحمد الله كذا قَدَّرهـا

وأمر المتوكل فاستعمل له تنور حديد ، وجعل فيه مسامير لا يقدر أن يتحرك إلاّ دخلت فى جسده ، ثم أحماه له ، فكان يصيح : ارحمونى ! فيقال له : الرحمة خَور فى الطبيعة[1] .

عبادة المخنث معه فى نكبته

وخرج عليه عبادة المخنّث فقال : إن تَشونى فشَوِوك .

ودخل إليه يوما فقال : اسمع يامحمد ، كان فى جيراننا حفّار يحفر القبور ،

---

(١) لم يرد هذا الخبر بجملته فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

فمرضت مُخنَّثة من جيرانى ، وكانت صاحبة لى ، فبادر فحفر لها قبراً طمعاً فى الدراهم، فبرئت هى ومرض هو بعد أيام ، فدخلتْ إليه وهو بالنزع . فقالت له : يا فلان ، حفرت لى قبراً وأنا فى عافية ؟ وما علمت أن من حفر بئر سَوء وقع فيها ، ووحياتك يا محمد ، لقد دفنّاه فى ذلك القبر والعُقبى لك .

ولم يزل ذلك دأبه معه يكايده ويُؤذيه حتى مات(١) .

أسف المتوكل على قتاله

ولما مات محمد بن عبد الملك لم يجد له المتوكل من أملاكه من عَيْن ووَرِق وأثاث وضيعة إلا مالا يزيد على مائة ألف دينار ، فندم المتوكل على قبضه وقتله ، ولم يجد منه عوضاً ، وغضب على أحمد بن أبى دواد بسبب ذلك ، وقال : أطمعنى فى باطل وحملنى على أمر لم أجد منه عوضاً .

رثاء ابن وهب له

ورثاه الحسن بن وهب بقوله :

أميرَ المؤمنين هَدمتَ رُكْناً عليه رَحاكُمُ كانت تَدُورُ
سيَبكى المُلكُ من جَزَع عليه ويحزن حين تَضطرب الأمور
فمهلا يابنى العبّاس مهلا فقد كُويت بغَيظكمُ الصُّدور
إلى كم تَنكبون الناسَ ظُلماً لكم فى كُل مَلحمة عَقِير
جزيتُم ناصراً لكمُ المَنايا وليس كذالكم يُجزَى النَّصير
قتلتم سابقَ الدنيا إليكم وذلك من فِعالكم شَهير
وكان صلاحه لو شِئتموه قريباً لا يَحار له البَصير
كأنّ الله صيّركم مُلوكا لئلا تعدلوا ولأن تَجُوروا(٢)

---

(١) لم يرد هذا الخبر فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

(٢) لم يرد هذا الخبر فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ، هو :

صَغير هواكَ عذّبنى فكيف به إذا أُحتنكا
وأنت جمعت من قلبى هوًى قد كان مُشتركا
وجيش هواك[1] يقتُلنى وقَتلى لا يَحلُّ لكا
أما ترثى لمُكتئبٍ إذا ضحك الحزين[2] بكى

(١) غير التجريد : « وحسن رضاك » .
(٢) غير التجريد . « الخلى » .

أخبـــار
عنان جارية الناطفي

نشأتها وشراء الناطفي لها

* كانت عِنان جاريةً من مولَّدات اليمامة ، وبها نشأت وتأدبت . وأُشتراها الناطفيّ وربَّاها .

شيء عنها

وكانت صَفراء جميلة الوجه ، شكلة ، مليحة الأدب والشعر، سريعة البديهة ، وكان فُحول الشعر يُساجلونها ويعارضونها فتنتصف منهم .

هي وأبو نواس

وذُكر أن أبا نواس دخل إليها يوماً ، فقال لها :

ما تــــأمرين بصَبٍّ   يكفيـــــه منك قُطيرهْ

فأجابته :

إيَّاى تَعنى بهـــــذا   عليك فاُجلد عُمَـــــيره

فقال لها :

أُريد هـــــذا وأَحشى   على يَدِى منك غَيْره

فخجلت وقالت : تَعِسْتَ وتعِسَ مَن يغار عليك .

هو والناطفي وعنان

وحَــكى مروان بن أبي حفصة قال :

لقيني الناطفيّ ، فدعاني إلى عِنان ، فاُنطلقتُ معه ، فدخل إليها قبلى ، فقال لها : قد جئتك بأشعر الناس مروان بن أبي حفصـــة ، فوجدها عليلة ، فقالت :

(*) لم ترد هذه الترجمة فيما بين أيدينا من أصول الأغاني.

إنى عن مروان لفى شُغل . فأهوى إليها بسوطه فضَربها ، وقال لى : أُدخل ، فدخلت وهى تبكى ، فرأيت الدّموع تَنحدر من عينيها فقلت :

بَكتْ عِنانُ فجَرى دمعُها كالدُّر إذ يَستنُّ من سِمْطهِ

فقالت : وهى تبكى :

فليت مَن يضربها ظالما تجفّ عيناه على سَوطه

فقلت : أعتق مروان ما يملكه إن كان فى الجن والإنس أشعر منها .

إجازتها شعراً عجز عنه غيرها

وحَكى بعضهم قال :

تصفّحت كُتباً فوجدت فيها بيتاً ، فجهدت جَهدى أن أجد مَن يُجيزه ، فلم أجد . فقال لى صديق : عليك بعنان جارية الناطفى ، فجئتها فأنشدتها :

مازال يشكو الُحبّ حتى رأيتُه تنفّس فى أحشائه وتَكلّمَا

فلم تلبث عنان أن قالت :

ويبكى وأبكى رحمةً لبُكائه إذا ما بَكى دمعاً بكيتُ له دمَا

هى وبعض الشعراء

وذُكر أنه دخل بعض الشعراء على عنان جارية الناطفى ، فقالت عنان :

سَقياً لبغداد لا أرى بلداً يسكُنه الساكنون يُشبهها

فقال :

كأنها فِضةٌ مموّهة أخلَص تمويهَها مُموِّهها

فقالت :

أمناً وخصباً ولا كَبهجتها أرغد أرضٍ ترى وأرْفهها

شعرها الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عنان ، هو الأول والثالث من هذه الأبيات .

الأصمعى والرشيد فى شأنها بتحريض أم جعفر

وحكى الأصمعى قال :

بعثتْ إلىّ أُم جعفر : إن أمير المؤمنين قد لهج بهذه الجارية عنان ، فإن صرفتَه عنها فلك حُكمك . قال : فكنتُ أتطلّب للقول فيهما موضعاً فلا أجده ، ولا أُقدم عليه هيبةً ، إذ دخلتُ يوماً فرأيت فى وجهه أثر الغضب ، فانخزلت ، فقال : مالك يا أصمعى ؟ قلت : رأيت فى وجه أمير المؤمنين أثر غضب ، فلعن الله مَن أغضبه . فقال : والله لولا أنى لم أجُر فى حُكمٍ متعمداً قطُّ لجعلتُ على كل جَبل منه قطعة - يعنى الناطفى - ما لى فى جاريته أربٌ غير الشعر . فقلت له : والله ما فيها غير الشعر ، أفيسُر أميرَ المؤمنين أن يجامع الفرزدق ؟ فضحك حتى استلقى. واتصل قولى بأم جعفر ، فأجزلت لى الجائزة .

الأصمعى وأبو حفص الشطرنجى والرشيد فى شأنها

وحكى الأصمعى قال :

ما رأيت أثر النبيذ فى وجه الرشيد قط إلاّ مرّة واحدة ، فإنى دخلت عليه أنا وأبو حفص الشَّطرنجى ، فرأيت التخثّر فى وجهه ، فقال لنا : أستبقا إلى بيت بل إلى أبيات ، فمن أصاب ما فى نفسي فله عشرة آلاف درهم . فأشفقت ومنعتنى هيبته . فقال أبو حفص :

كلما دارت الزجاجةُ زادتـ ـه اشتياقاً وحُرقةً فبَكاكِ

فقال : أحسنت ، ولك عشرة آلاف درهم ، فزالت الهيبة عنِّى ، فقلت :

لم يَنلْكِ الرجاء أن تَحضُرينى وتجافت أُمنيّتى عن سِواكِ

فقال : لله درك ، لك عشرون ألف درهم ، وأطرق مليًّا ، ثم رفع رأسه فقال : أنا والله أشعر منكما ، ثم قال :

تمنّيتُ أن يُغشِّينى الإلـ ـه نُعاساً لعلّ عينى تراكِ

قصة شراء الرشيد لها

وذُكر أن الرشيد طلب من الناطفى أن يبيعه جاريته عنان ، فأبى أن بيعه إياها بأقل من ألف دينار . فامتنع أن يُعطيه هذا الثمن ، وأمر بأن تُرد عليه .

فذُكر أنها دخلت مجلسه فجلست تنتظره ، فدخل إليها الرشيد ، فقال : ويلك ! إن هذا قد اعتاص عليَّ فى أمرك . فقالت : وما يمنعك أن تُرضيه وتوفّيه. فقال لها : ليس يقنع بما أُعطيه ، وأمرها بالانصراف . فتصدّق الناطفى بثلاثين ألفاً حين رجعت إليه .

ولم تزل فى قلب الرشيد حتى مات مولاها ، فلمّا مات بعث مسروراً الخادم فأخرجها إلى باب الكرخ ، وأقامها على سرير وعليها رداء سِنْدى ، قد جَلّلها ، فنُودى عليها فيمن يَزيد ، بعد أن شاور الفقهاء فى بَيعها ، فأشاروا به ، لأنه كان عليه دين ، فكانت تقول وهى على المصطبة : أهان الله مَن أهاننى ، وأذل مَن أذلّنى . فلكزها مسرورٌ بيده ، فبلغ بها مائتى ألف درهم . فجاء رجل فقال : عندى زيادةُ خمسة وعشرين ألفاً . فلكزه مسرور وقال : أتزيد على أمير المؤمنين ؟ فبلغ بها مائتى ألف وخمسين ألف درهم ، وأخذها الرشيد ، ولم يكن فيها شىء يُعاب ، فطلبوا لها عيباً لئلاّ تُصيبها العين ، فأوقعوا بخِنصر رجلها فى الظُّفر شيئاً . وأولدها الرشيد ابنين ماتا صغاراً ، ثم خرج إلى خراسان فمات هناك ، وماتت بعده .

أخبـــار
الحسن بن وهب بن سعيد

منزلته — هو[1] كاتب شاعر ، مترسل ، فصيح أديب .

منزلة أخيه — ولأخيه سليمان بن وهب محلّ من الكتّاب .

شيء عن ابن أخيه — ووزر عُبيد الله بن سليمان بن وهب المعتضد ، وعلا محلّه عنده ، ومات وهو وزير له .

شيء عن ابن ابن أخيه — ثم وزر له بعده ابنه القاسم ولابنه المكتفى بعده .

أصلهم — وكانوا يقولون : إنهم من بنى الحارث بن كعب ، وأصلهم نصارى ، وكان البُحترى كثير المدح لهم .

شعره إلى أخيه فى الحبس — وذُكر أن الواثق حبس سليمان بن وهب ، فكتب إليه أخوه الحسن من بغداد :

خَطْبٌ أبا أيوب جلّ محلُّه ... فإذا جَزِعت من الخطوب فمن لَها

إن الذى عَقد الذى انعقدت به ... عُقد المكاره فهو يُحسن حلَّها

فاصبر لعلّ الصبرَ يُعقب راحة ... ولعلّها أن تَنجلى ولعلّها

وكتب إليه أيضاً ، وهو فى الحبس بسُرَّ مَن رأى :

خليلىّ من عَبد المدان تَروّحا ... وبُصّا صُدورَ العِيس حَسْرى وطُلَّحا

---

(١) لم ترد هذه الترجمة فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

فإنَّ سليمانَ بن وهب ببلدة أصاب صَميمَ القلب منّى فأقرحا
أسائل عنه الحارسين بحَبسه إذا ما أتونى كيف أمسى وأصبحا
فلا يُهنِيء الأعداء حبسُ ابن حُرة يراه العِدى أندى يَميناً وأسمحا
وأنهضَ للأمر الجليل بعزمه وأقرعَ للبـــاب الأصمِّ وأفتحا

شأنه في حبس أخيه

وكان الحسن آلى ألاَّ يذوق طعاماً طيباً ، ولا يشرب ماء بارداً ، ما دام أخوه محبوساً ، فوفّى بذلك .

شغفه ببنان وشعره فيها

وحَكى محمد بن موسى بن حمَّاد قال :

كنتُ فى حداثتى بين يدى الحسن بن وهب ، وكان شديد الشَّغف بُبنان ، جارية محمد بن حماد ، كاتب راشد ، وكُنا عنده يوماً وهى تُغنى و بين أيدينا كانون فحم ، فتأذَّت به فأمرت بأن يباعد ، فقال الحسن :

إنِّى كرهتُ النار حتى أُبعدت وعلمتُ ما مَعناكِ فى إبعادِها
هى ضَرَّةٌ لك فى ٱلتماع ضيائها ونُحس صورتها لدى إيقادها
وأرى صنيعك فى القلوب صَنيعَها فى شوكها وسِيالها وقتادها
شركتْك فى كُل الجهات بحُسنها وضيائها وصَلاحها وفَسادها

شعره فى تقبيلها يده

وذُكر أنه دخلت بُنان يوماً على الحسن بن وهب ، وهو مخمور ، فسلّمت عليه وقبّلت يده ، فأرعش وقال :

أقول وقد حاولتُ تقبيل كفِّها وبى رِعدةٌ أهتزُّ منها وأسكنُ
فديتُك إنى أشجعُ الناس كلهم لدى الحرب إلا أننى عنك أجبن

هو و بنان فى وساطتها لكاتبه

وحكى أحمد بن سليمان بن وهب قال :

كان لعمى كاتب يعرف بإبراهيم ، نصرانى ، فسأل بُنان مسألةَ عمِّى أن

يجعل رزقه ألف درهم فى الشهر . فلما شَرب أقداحاً وطرب و ثبتْ قائمةً وقالت: ياسيدى: لى حاجة . فقام لقيامها ، فقالت: تجعل رزق إبراهيم ألف درهم . فقال : سمعاً وطاعة . وجلس وأنشأ يقول :

قامتْ فقُمت ولم أكنْ لو لم تقُم ... لأخفَّ وقتاً عندها فأقوما

شَفعت لإبراهيم فى أرزاقه ... فوددتُ أنِّى كنت إبراهيما

فأجبتُها أنِّى مطيعٌ أمرها ... وأراه فَرضاً واجباً مَحْتوما

ما كان أطيبَ يومنا وأسرَّه ... لو لم يكن بفراقها مَختوما

ثم إن عمّى صار إلى أبى فأخبره الخبر ، فأمر أبى أن يُجعل لإبراهيم من ماله ألف درهم أخرى بشفاعتها .

هو وأبو تمام فى غلامين لهما

وذُكر أن الحسن بن وهب كان يتعشّق غلاماً رُومياً لأبى تمام ، وكان أبو تمام يتعشّق غلاماً للحسن خَزريا ، فرأى أبو تمام الحسن يوماً يعبث بغلامه ، فقال له : والله لئن أعْنقت إلى الروم لنركضُن إلى الخزر . فقال الحسن: لو شئت لحكَّمْتنا واحتكمت . فقال أبو تمام : ما أشبّهك إلا بداود وما أشبه نفسى إلا بالخصمين[1] . فقال الحسن : لو كان هذا منظوماً حفظناه ، فأما المنثور فهو عارض لا حقيقة له . فقال أبو تمام :

أنا علىّ لِصَرْف الدهر والعِبَر ... وللحوادث والأيام والغِيَر

أعندك الشمس لم يَحظ المغيبُ بها ... وأنت مُضطربُ الأحشاء للقَمر

أذكرتَنى أمر داود وكنتُ فتى ... مُصرّف القول فى الأهواء والذِّكر

إنّ أنت لم تترك السَّير الحثيث إلى ... جآذر الروم أعنقنا إلى الخزر

(١) يشير إلى قوله تعالى فى سورة (ص ٢٢) : (إذ دخلوا على داود ففزع منهم . قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض) .

لأبي تمام في طاعية غلامه

وقيل لأبي تمام: غلامك أطوع للحسن بن وهب من غلام الحسن لك. فقال: أجل والله، لأن غلامي يجد عنده مالا وأنا أعطي غلامه قِيلاً وقالاً.

دخول ابن الزيات بينه وبين أبي تمام في غلاميهما

وذكر أن الوزير محمد بن عبد الملك الزيات كان قد وقف ما بين الحسن بن وهب وبين أبي تمام في غلاميهما، فقدم إلى بعض ولده، وكانوا يجلسون إلى الحسن بن وهب، بأن يُعلموه خبرها وما يكون بينهما. وعزم غلام أبي تمام على الحجامة، فكتب إلى الحسن يُعلمه بذلك ويسأله أن يُوجه إليه بنبيذ مطبوخ. فوجه إليه بمائة دن ومائة دينار وبخور كثير وخلعة حسنة، وكتب إليه:

ليت شِعري ياأملحَ الناسِ عِندي　　هل تداويتَ بالحجامة بَعْدي

دَفَع الله عنكَ لي كُلَّ سُوء　　باكرٍ رائحٍ وإن خُنت عَهدي

قد كتمتُ الهوى بمَبلغ جَهدي　　فبدا منه غيرُ ماكنت أُبدي

وخلعتُ العِذار فَلْيعلم النا　　س بأنّي إياكَ أُصفي بوُدِّي

وليقولوا بما أحبُّوا إذا كنـ　　ـت وَصولاً ولم تَرُعْني بصَدّ

مَن عَذِيري من مُقلتيك ومِن إشـ　　ـراقِ وجهٍ مِن دون حُمْرة خَدّ

ووضع الرقعة تحت مُصلاّه. وبلغ محمدَ بن عبد الملك خبرُ الرقعة، فوجّه إلى الحسن، فشغله بشيء من أمره، وأمر من أَخذ الرقعة من تحت مُصلاّه وجاء بها، فقرأها وكتب في ظهرها:

ليتَ شِعري عن ليت شِعرك هذا　　أبهَزْلٍ تقوله أم بجِـدّ

ولئن كنتَ في المقال مُحقًّا　　يابن وَهْب لقد تعدَّيت بَعْدي

وتشبّهت بي وكنتُ أرى أنـ　　ـى أنا العاشق المُتيَّم وَحدي

أترك القَصد في الأمور ولولا　　غمراتُ الهوى لأبصرتُ رُشْدي

وأُحب الأخ المُشارك فى الُحـــبّ وإن لم يكُن به مثلُ وَجْدى

إن مولاى عبدُ غيرى ولولا شُؤم جدّى لكان مولاى عَبْدى

سيِّدى سيِّدى ومولاى من أو رثنى ذلةً وأَضْرع خَـدِّى

ثم وضع الرقعة فى مكانها . فلما قرأها الحسن قال . إنا لله ، افتضحت عند الوزير ، وحدّث أبا تمام بما كان ، ووجّه بالرقعة إليه . فلقيا محمد بن عبد الملك وقالا : إنما جعلنا هذين سببا للمكاتبة بالأشعار لا لريبة . فتضاحك وقال : من يَظُن بكما غير هذا ؟ فكان قوله هذا أشدّ عليهما من الخبر .

هو وعمه وابنه فى عتابه

وحكى أحمد بن سليمان بن وهب قال :

قال لى أبى : قد عزمت على معاتبة عمك فى حُبه لبنان فقد شُهر بها وافتضح بها ، فكُن معى وأعنّى عليه . وكان هواى مع عمّى ، فقال له أبى ، وقد طال عتابه : يا أخى ، جُعلت فداك ، الهوى ألذّ وأمتع والرأى أنفع وأصوب . فقال عمى متمثلا :

إذا أمرتْنى العاذلاتُ بهَجرها أبتْ كَبِدٌ عما يَقلن صَدِيعُ

وكيف أُطيع العاذلات وحُبها يؤرِّقنى والعـاذلات هُجُوع

والتفت إلىّ ينظر ما عندي ، فقلت :

وإنى لَيلحانى على فَرط حُبها رجالٌ أطاعتْهم قلوبٌ صَحائِحُ

فنهض أبى مُغضبا وضمّنى عمّى إليه وقبّلنى ، وانصرفت إلى بنان وحدّثتها بما جرى ، وعمّى يسمع ، فأخذت العود وغنت :

يلومك فى مودّتها رجالٌ لو أنّهُمُ بدائك لم يَلُوموا

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الحسن بن وهب ، هو :

مالى وللخَمر وقد أُرعشت منّى يَمينى هات بالأُخرى

حتى ترانى مائلا مسنداً لا أستطيع الكأس بالأُخرى

أخبار سليمان بن وهب

أصله

وكان أصله من سواد واسط .

وكان أخوه الحسن ـ كما ذكرنا ـ يدّعى النسب إلى الحارث بن كعب ، وكان سليمان ينكر هذا النسب .

عزل المهتدى له من الوزارة ثم رده

ولمّا أفضت الخلافة إلى المهتدى كان يتدين ويُظهر التنسك ، ويتشبه بعمر ابن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ وكان يتسنن ويكره التشيع وأهله ، فكره سليمان بن وهب وقال : هذا رافضىّ لا حاجة لى فيه ، واستوزر جعفر بن محمد ابن عتاب[1] . ولم يزل كذلك حتى مضت سنة من خلافة المهتدى ، ثم ردَّ المهتدى سليمانَ بن وهب إلى وزارته ، ولُقِّب الوزير حقًّا ، لأن مَن كان قبله كان غير مستحق للوزارة ولا مُستقل بها .

وكان الذى أحوج المهتدى إلى ردّه موسى بن بُغا ، لأنه لمّا قَدِم من الجبل كان معه ، وهو كاتبه .

تهنئة هارون بن محمد له بالوزارة

ولمّا جلس للوزارة دخل عليه شاعرٌ يقال له : هارون بن محمد ، فذكر مظلمة له ، وأنشده :

زِيد فى قدْرِك العَلىّ عُلوٌّ يا بنَ وَهْب مِن كاتب ووزيرِ
أنت عينُ الإمام والقَرم مُوسى بك تَفترّ عابساتُ الأُمور[2]

---

(١) غير التجريد : « عمار » .

(٢) لم يرد هذا البيت فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

أسفر الشرقُ منك والغربُ عن ضَو ء من العدلِ فاقَ كُلَّ[1] البُدور

أنشر الناسَ عيشُكم بعد ما كا نُوا رُفاتاً من قبلِ يوم النُّشور

شرَّد الجورَ عدلُكم فسرَحنا بينكم بين روضة وغدير[2]

فوقّع فى ظُلامته بما أراد، ووصله بمائة دينار.

تهنئة يزيد بن محمد له بالوزارة

وذُكر أن يزيد بن محمد المَهدى دخل إلى سُليمان بن وهب، فأنشده بعد ما وَلى الوزارة :

وهبتم لنا يا آل وَهبٍ مودّةً فأبقت لنا جاهاً ومالاً يُؤَثَّلُ

فمَن كان للآثام والذُّل أرضُه فأرضُكمُ للأجر والعِزّ مَنزل

رأى الناسُ فوق المجد مقدارَ مجدكم فقد سألوكم فوق ما كان يُسأل

يُقصِّر عن مَسعاكمُ كلُّ آخِرٍ وما فاتكم ممَّن تقدم أول

بلغتَ الذى قد كنت أمّلته لكم وإن كنتُ لم أبلغ بكم ما أُؤمِّل

فقطع عليه سليمان الإنشاد وقال له : يا أبا خالد، فأنت والله عندى كما قال عمرو بن عَقيل لابنه :

أُقهقه مَسرورًا إذا أُبتَ[3] سالماً وأبكى من الإشفاق حين تغيبُ

فقال يزيد : فيسمع منى الوزير آخر الشِّعر خفيراً لأوله[4]، وتمم فقال :

ومالىَ حقٌّ واجبٌ غيرَ أننى بجُودكمُ فى حاجتى أتوسَّلُ

وأنكمُ أفضلتمُ وبررتُمُ وقد يَستتِم المُنعم المُتفضِّل

وأوليتمُ فعلاً جميلاً مقدَّما فعودوا فإن العَوْد بالخير أجمل

(١) غير التجريد : « ضوء ».

(٢) غير التجريد : « وسرور ».

(٣) التجريد : « كنت ».

(٤) غير التجريد : « الشعر لا أوله ».

وكم مُلحفٍ قد نال مارام منكمُ ... ويَمنعنا عن مثل ذاك التجمُّل
وعوّدتمونا قبل أن نسأل الغِنى ... ولا بَذل للمعروف والوجه يُبذل

فقال له سليمان بن وهب : لاتبرح والله إلا بقضاء حوائجك ،كائنة ما كانت ، ولو لم أستفد من كِتبة أمير المؤمنين إلا شكرك لرأيت بذلك جَنابى مُمرعاً ، وغرسى مثمراً . ثم وقع فى رقاع كثيرة كانت معه .

رجل من قرابته يرفع إليه حاجته

وذُكر أنه لما ولى سليمان بن وهب وزارة المهتدى قام إليه رجل من ذوى حُرمته ، فقال : أعز الله الوزير ، خادمك المؤمِّل دولتك ، السعيد بأيامك ، المطوى القَلب على وُدك ، المنشور اللسان بمدَحك ، المرتهن بشُكر نعمتك ، وقد قال الشاعر :

وفيتُ كلَّ أديب ودَّنى ثمنا ... إلا المؤمِّل دُولاتى وأيّامى
فإننى ضامنٌ ألاَّ أكافئــه ... إلا بتَسويفه فَضْلى وإنعامى

وإنى لكما قال القَيسى :

مازلت أمتطى إليها وإليك ، وأستدل بفضلك عليك ، حتى إذا أجنّنى الليل ، فقبض البصر، ومحى الأثر ، أقام بدنى ، وسافر أملى ، والاجتهاد عذر ، وإذا بلغتُك فهو مرادى فقط . فقال سليمان : لاعليك ، فإنى عارف بوسيلتك ، محتاج إلى كفايتك ، ولست أؤخّر عن يومى هذا النظر فى أمرك ، وتوليتك ما يحسن أثره عليك .

شكاته إلى الباقطانى

وحَكى الحسين[1] بن يحيى الباقطانى قال :

كنت آلف سليمان بن وهب كثيراً ، وأَخدمه وأُحادثه ، وكان يَخُصنى ويأنس بى ، فأنشدنى لنفسه يذكر نَكبته فى أيام الواثق :

نَوائب الدهر أدَّبتنى ... وإنما يُوعظ الأَديبُ[2]

---

(١) عبر التجريد : « محمد » .
(٢) عبر المجريد : « الأريب » .

قد ذُقت حُلْواً وذُقت مُرًّا كذاك عيش الفَتى ضُروب

ما مرّ بُؤس ولا نَعيم إلا ولى فيهما نَصيب

هو وابن سوار ورخاص

وذُكر أن سليمان بن وهب كان وهو شاب يتعشّق إبراهيم بن سوّار بن مَيمون ، وكان من أحسن الناس وجها ، وأملحهم أدبا وظرفا ، وكان إبراهيم هذا يتعشّق مُغنِّيةً يقال لها : رُخاص ، فسكر إبراهيم ليلة ونام ، فرأت رُخاص سليمان يقبّل إبراهيم ، فلما انتبه لامتْه وقالت : كيف أصفو لك وقد رأيت سليمان يقبّلك . فهجره إبراهيم ، فكتب إليه سليمان بن وهب :

قُل للذى ليس منْ جَوى هواه خَلاصُ

آئن لثمتُك سراً فأبصرتنى رُخاص

وقال فى ذاك قوم على اُغتيابى حِراص

هَجَرتَنى وأتتنى شَتيمةٌ واُنتقاص

وسَر ذلك قوما(١) لهم علينا اُختراص

فهاك فاقتصّ منِّى إن اُلجروح قِصاص

وأهدى سليمان إلى رخاص هدايا كثيرة ، فكانوا بعد ذلك يتناوبون يوما عند إبراهيم ؛ ويوما عند سليمان ، ويوما عند رخاص .

أخباره مع المعتمد

ولما أفضت الخلافة إلى المعتمد بن المتوكل،وغلب على أمره كله أخوه الموفق أبو أحمد الناصر لدين الله ، استكتب الموفق سليمان بن وهب وأبنه عبيدالله بن سليمان ، وإنما

---

(١) غير التجريد : « ذاك أناسا » .

استكتبهما ليقف على ذخائر موسى بن بغا وودائعه، فلما أُستقصي ذلك نكبهما لكثرة ما لهما ، فمات سليمان في محبسه . ووزر بعد ذلك ابنهُ عبيدالله للمعتضد والمكتفي .

شعره الذي فيه الغناء

والشعر الذي فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار سليمان وهب :

أمينَ الخالق البارى ... وراعى كُلِّ مَخْلوقِ

أدِرّ راحك بالمعشو ... ق[1] من راحة مَعْشوق

(١) غير التجريد : « في المعشوق » .

أخبار
أحمد بن يوسف بن صُبيح

أصله — أصله من الكوفة .

شيء عنه — ومذهبه الرّسائل والإنشاء . وله رسائل معروفة . وكان يتولى ديوان الرّسائل للمأمون .

كنيته — ويكنى ، أبا جعفر .

تلميذه موسى — وكان موسى بن عبد الملك غُلامه وخَريجه .

من شعره — ولأحمد شعر حسن ، منه :

وعامل بالفُجور يأمرُ بالبرِّ كهادٍ يخوضُ فى الظُّلَمِ
أو كطبيب قد شفَّه سَقَم وهو يُداوَى من ذلك السَّقَمِ
يا واعظَ الناس غيرَ مُتَّعظ ثوبَك[1] طهِّر أوَّلاَ فلا تلُمِ

شعر له ترضت به مؤنسة المأمون — وذُكر أن المأْمون كانت له جارية ، يقال لها : مؤنسة ، وكان أحمد بن يوسف يتبنَّاها ، فخرج المأْمون إلى الشَّماسية مُتنزهاً ، وخَلّفها عند أحمد بن يوسف الكاتب ، فرجت أن يذكرها إذا صار فى مُتنزِّهه فيرسل فى حملها ، فلم يَفعل وتمادى فى غَيبته ، فسألت أحمد بن يوسف أن يقول على لسانها شعراً تُرققه به ، فقال :

ياسيداً فَقْدُه أغرَى بىَ الحزنا ما ذقتُ بعدك لا نوماً ولا وسَنا

---

(١) غير التجريد : « نفسك » .

مازلتُ بعدكَ مطويًّا على حُرق أَشْنَى المُقامَ وأَشنى الأهل والوَطنا

ولا الْتذذتُ بكأْس فى مُنادمة مُذ قيل لى إنّ عبد الله قد ظَعنا

ولا أرى حَسناً تبدو محاسنه إلاّ تذكَّرتُ شوقاً وجهكَ الحَسنا

شعره الذى فيه الغناء وقصته

وبعثت به إلى إسحاق الموصلى ، فغنّاه به ، واُستحسن ذلك وقال : لمن هذا الشعر ؟ فقال له أحمد بن يوسف: لمؤنسة ياسيدى ، تترضاك وتشكو البعد . فركب من ساعته حتى ترضّاها ورضى عنها .

وذُكر أنّ المأمون أراد مرّة أن يسافر ويخلِّف مُؤنسة جاريته ، فكتب إليه أحمد بن يوسف بهذا الشعر على لسانها ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار أحمد بن يوسف ، وأمر بعض المغنين فغنّاه فيه ، فلمّا سمعه وقرأ الكتاب أمر بإخراجها إليه ، وهو :

قد كان عَتْبك مرةً مَكتوما فاليومَ أصبح ظاهراً مَعلوماَ

نال الأَعادى سُؤلهم لا هُنِّئوا لمّا رأونا ظاعناً ومُقيما

والله لو أَبصرتَنى لرثيت لى والدمعُ يجرى كالجُمان سُجوما

هَبنى أسأتُ فعادةٌ لك أن تُرى مُتطوِّلاً مُتجاوزاً مَظلوما

هو والفضل بن سهل فى يوم دجن

وذُكر أنّ أحمد بن يوسف دخل يوماً على ذى الرياستين الفضل بن سهل ، وزير المأمون ، فى يوم دَجن ، ففتح الدَّواة وكتب :

أَرى غَيما تُؤلِّفه جَنوب وأَحسبُه سَيأتينا بهَطْلِ

فوَجْهُ الرأى أن تَدعو برِطل فتَشربَه وتَدعو لى برِطل

ورَفع الورقة إليه ، فقرأها وضحك ، وقال : هذا من وجه الرأْى عندك ، قد قبلناه ولم نرده ، ثم دعا بالطعام والشراب ، فأتموا يومهم .

أخبـــار العطوى

نسبه — هو : محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطيّة .

ولاؤه — مولى بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

منشؤه — بصرىّ المولد والنّشأة .

كنيته — يكنى : أبا عبد الرحمن .

من شعراء العباسيين — وكان كاتباً شاعراً من شُعراء الدولة العباسية .

لمته بابن دواد — واُتصل بأحمد بن أبى دُواد وتقرّب إليه بمذهبه وتقدُّمه فيه ، وقُوة جدله ، فلمّا تُوفى أحمد نَقصت حاله .

رثاؤه لابن أبى دواد — وله فيه مدائح يسيرة ومراثٍ كثيرة ، ومن أحسن مراثيه له قولُه :

وليس صريرُ النَّعش ماتَسمعونه — ولكنّه أصلابُ قوم تُقصَّفُ

وليس نَسيم المِسك ريّاً حَنوطه — ولكنّه ذاك الثّنـــاء المُخلَّف

ثنــاء ابن الجرا عليــه — وقال محمد[1] بن داود فى كتاب الشعراء :

كان للعطوىّ فنٌّ من الشعر لم يُسبق إليه ، ذهب فيه إلى مذهب أصحاب الكلام ، ففاق جميعَ الشُّعراء ، وخَفّ شعره على كُل لسان ، و رُوى ، واُستعمله الكُتاب وأَخذوا معانيه ، وجعلوه إماما .

---

(١) هو محمد بن داود بن الجراح الكاتب ، كان صديقاً لابن المعتز و وزر له أيام خلافته . كانت وفاته سنة ٢٨٦ هـ . وله فى أخبار الشعراء كتب ثلاثة ، وهى : الورقه ، الشعر والشعراء ، من سمى عمرا من الشعراء .

من رثائه لابن أبى دواد

وممّا رثى به العطوىّ أحمد بن أبى دُواد :

أحَنطْتَه يا نَصْر بالكافور ودفنته فى المَنزل المَهجورِ
هلاّ ببعض خِصاله أحْنَطْته فيضُوع أُفق منازل وقُبور
بالله لو مِن نَشر أخلاق له تُعزَى إلى التَّقديس والتَّطهير
أَحنطت مَن سكن الثرَى وعَلا الرُّبى لتزوّدوه عُدةً لمُنشور
فاذهب كما ذَهب الشباب فإنَّه قد كان خيرَ مُصاحب وعَشير
والله ما أَبّنتُه لأَزيدَه شَرفاً ولكن نَفثةُ المَصْدور

أخذ معنى لعمر فصاغه شعراً

وذُكر أنَّ العَطوى سَمِع رجلاً يحدِّث أنَّ رجلاً قال لعمر بن الخطاب — رضى الله عنه — : إنَّ فلاناً قد جمع مالاً . فقال عمر — رضى الله عنه — : فهل جمع له أيّاماً .

فأخذ العطوىّ هذا المعنى فقال :

أَرْفِهْ بعيش فتًى يغدو على ثِقةٍ أنَّ الذى قَسم الأرزاق يرزقُه
فالعِرْض منه مَصونٌ لايُدنِّسه والوجه منه جَديد ليس يُخلقه
جمعتَ مالاً ففكِّر هل جمعت له يا جامعَ المال أيّاماً تُفرِّقه
المالُ عندك مخزونٌ لوارثه ما المالُ مالَك إلاّ حين تُنفقه

من جيد قوله

وممّا يُستجاد له قوله :

وكم قالوا تَمنَّ فقلتُ كأساً يطوف بها قَضيب[1] فى كَثيب
ونَدمانٌ يُساقطنى حديثاً كلَحظ الحِبّ أو غَضّ الرَّقيب

---

(١) غير التجريد : « من » .

شعره إلى أبي العباس يسأله نبيذاً

وذُكر أن العطوىّ كان يشرب مع أصدقائه من الكُتّاب ، ومعهم قَينة يقال لها : مصباح ، من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم غناء ، فما زالوا فى قَصْف وعَزْف إلى أن انقطع نَبيذهم ، فبَقَوْا حَيارى ، وكانوا قريباً من منزل أبى العباس أحمد بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد العلوىّ ، وكان صديقاً للعطوىّ ، فكتب إليه :

يابن مَن طاب فى المواليد مُذ آ دم جَرًّا إلى الحُسين أبيهِ

أنا بالقُرب منك عند كريم قد ألحّت عليه شُهْب سِنيه

عنده قَينةٌ إذا ما تغنّت عاد منها الفقيه غيرَ فقيه

تَزْدهينى وأين مثلىَ فى الفَهم تُغنّيه ثُم لاتزدهيه

مجلس كالرّياض حُسناً ولكنْ ليس قُطبُ السرور واللّهو فيه

فأقِمه بما به يَمترى دنّ عجوزٍ خمّارة مُمْتريه [1]

و بأشياخك الكِرام أُولى السُّودد مُوسى وجَعفرٍ وأَبيه

أن تَجَشَّمتنى و إن كان إلاّ مِثل مايأنس الفَتى بأخيه

فلمّا وصلت الرُّقعة إلى أبى العباس أرسل إليهم براوية شراب ، فلم يزالوا مجتمعين فى أخفض عيش حتى نَفِدت .

شعره لصديق يستعجله الشراب

وذُكر أنه حضر عند بعض إخوانه فى الشتاء ، فأكل عنده ، ثم استدعاه الشراب ، وقال : عجّل فإنّ النهار قصير ، ثم أنشأ يقول :

أدر الكأْس قد تعالى النَهار ما يُميت الهُمومَ إلاّ العُقارُ

صاحِ هذا الشتاء فاُغْدُ علينا إنّ أيامه لِذاذٌ قِصار

(١) هذا البيت ساقط من أصول الأغانى التى بين أيدينا .

أى شىء ألذّ من يوم دَجْن فيه كأسٌ على النَّدامى تُدار

وقيِـــان كأنَّهن ظباء فإذا قُلْن قالت الأوْتار

هو وصديق له زاره

وذُكر أنَّ العَطوى كان يوماً جالساً فى منزله، فطرقه صديق له ممن كان يُغنِّى بسُرَّ مَن رأى، فقال: قد أهديتُ إليك جوارى اليوم ونبيذاً يكفيك، وأقام عنده؛ فدخل إليه غلام أمرد أحسن من القمر، فاُحتبسوه، وكتب العطوى إلى صديق له من أهل الأدب:

يومُنا طيِّب به حَسُن القَصـ ـفُ وحَثّ الأرطال والطاساتِ[1]

ما تَرى البرق كيف يلمع فيه ورَشاشاً يَبُل فى الساعات

ولدينـــا ظبىٌ غرير لطيف قد غنِينا به عن الفَتيات

إن تخلَّفت بعد ما تصل الرُّ قعةُ مِنَّا فأنت فى الأموات

فأجابه الرجل:

أنا فى إثر رُقعتى فاُعملن ذا ك على أننى من البَيّاتِ

فاُفهم الشرط بيننا لا تقُل لى قد تثاقلتَ فاُنصرف بحَياتى

لا لسُوء[2] لـكنْ لأُمتع نفسى بحديث الظَّبى الغَرير المُواتى

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، واُفتتح به أبو الفرج أخبار العطَوى، هو:

الرَّاح والندمان أحسن مَنظرا مِن كلِّ مُلتفِّ الحدائق رائقِ

فإذا جمعتَ صَفاءه وصفاءها فارجُم[3] بكُل مُلِمَّة من حالق

---

(١) غير التجريد: « والكاسات ».

(٢) غير التجريد: « لا لسر ».

(٣) غير التجريد: « فارجح ».

أخبار
مُرة بن عبد الله النهدى

نسبه

هو : مُرة بن عبد الله بن هلال بن سيّار النَّهدى .

حديث ليلى معشوقته وزواجها من غيره وموتها ورثاؤه لها

وكان يهوى أبنة عم له يقال لها : ليلى بنت زهير بن بدر بن خلف بن عمرو بن سلمة ، واشتد شغفُه بها ، فخطبها رجل من بنى نهشل ، يقال له : إران ، فقال مُرة يهجوه :

وما كنت أخشى أن تُصيِّر مرةً من الدَّهر ليلى زوجةً لإرانِ

لمن ليس ذا لُبٍّ ولا ذا حَفيظة لعِرس ولا ذا مَنطق وَبيَانِ

لقد بُليتْ ليلى بشرّ بَليّة وقد أُنزلت ليلى بدار هَوان

ثم تزوجها الضّحاك بن عبد الله بن الهيثم بن مسروق بن سلمة بن سعد النَّهشلى. فخرج إلى البعث بزاذان ، وهى إذ ذاك مَسلحة لأهل الكوفة ، فخرج بها معه ، فماتت بزاذان ودُفنت هناك ، وقدم رجلان من بَجيلة ، وكانت بجيلة جيرانَ نهد بالكوفة ، فمرّا على مجلسهم ، فسألوهما عمن بزاذان بنى نهد . فأخبراهم بسلامتهم، ونعيا إليهم ليلى ، ومُرة فى القوم ، فأنشأ يقول :

أيا ناعِيَىْ ليلى أَمَا كان واحد من الناس يَنعاها إلىّ سوا كُما

أيا ناعِيَى ليلى لقد هِجْتُما لنا تجاوُبَ نَوح فى الدّيار كلاكُما

ويا ناعيى ليلى ألم تَكُ جِيرة عليكم[1] لها حقٌّ فإلاّ نَهاكُما

---

(١) غير التجريد : « ندامى » .

ويا ناعِيَيْ ليلى لجلّت مُصيبة بنا فَقْدُ ليلى لا أمرّت قُوا كما
ولا عِشتما إلا حَلِيفَيْ بليّة ولا مِتُّ حتى يُشترى كَفنا كما
فأشمت والأيام فيها بَوائق بِمَوتكما إنّى أحب رَدَا كما

وقال فيها أيضاً :

كأنك لم تُفجع بشىء تُعزه(١) ولم تَصطبرْ للنائباتِ من الدَّهرِ
ولم تَر بُؤساً بعد طول غَضارة ولم تَرْمك الأيام من حيثُ لا تَدرى
سَقى جانبى زاذان والساحةَ التى بها دَفنوا ليلى مُلِثٌّ من القَطْر
ولا زال خَصْبٌ حيث حلّت عِظامها بزاذان يُسقَى الغَيثَ من هَطِل غَمْر
وإن لم تُكلِّمنا عِظام وهامة هناك وأصداء بَقِين مع الصَّخر

وقال فيها أيضاً :

أيا قبر ليلى لا يَبِست ولا تَزل بلادُك تَسقيها من الواكف الدِّيَمْ
ويا قبر ليلى غُيِّبت عنك أمها وخالتُها والناصحون ذوو الذِّمم
ويا قبر ليلى كم جَمال تُكنه وكم حُزتَ منها(٢) من عَفاف ومن كَرم
ويا قبرَ ليلى لو تَهدَّتْك أعولت عليك رجالٌ من فَصيح ومن عَجم
ويا بيت ليلى إن ليلى مريضة بزاذان لا خالٌ لديها ولا ابن عَم

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار مُرة النهدى ، هو لأخير من هذه الأبيات والأول والرابع .

---

(١) غير التجريد : « تمده » .

(٢) غير التجريد : « صم فيك » .

قصة أخرى فى موت ليلى معشوقته

وقد رُوى أن مُرة كان تزوجها وكان مكتبه بزاذان ، فأخرجها معه ، ثم ضُرب عليه البعث إلى خُراسان ، فجعلها عند شيخ من أهل منزله هناك ، فأفرد لها الشيخ داراً فكانت فيها ، ومضى لبعثه . ثم قَدم بعد حول فلقى فتى من أهل زاذان قبل وصوله إلى دارها ، فسأله عنها ، فقال : أترى القبر الذى بفناء الدار ؟ قال : نعم . قال : هو والله قبرها . فجاء فأكب عليه يبكى و يندُبها ، وترك مكتبه ولزم قبرها يغدو ويروح ، حتى لحق بها .

أخبار
على بن أمية بن أبى أمية

شىء عنه

وكان أبوه يكتب للمَهدى على بيت المال وديوان الرسائل والخاتم ، وكان هو مُنقطعاً إلى إبراهيم بن المهدى ، وإلى الفضل بن الربيع ، وقد تقدم خبر أخيه محمد .

هو وجارية علقتها نفسه

وحَكى الحُسين بن الضحاك قال :

كنت فى مجلس قد دُعينا إليه ، ومعنا على بن أمية ، فعلقت نفسُه قَينة دُعيت لنا يومئذ ، فأقبل عليها ، فقال لها : تُغنين :

خبّرينى من الرسولُ إليكِ ۞ وأجعليه من لا يَنم عليكِ

وأشيرى إلى مَن هو باللّحـ ۞ ـظ ليَخفى على الذين لديك

فقالت : نعم ، وغَنته لوقتها ، وزادت فيه هذا البيت :

وأقلّى المُزاح فى المنزل اليو ۞ م فإن المُزاح بين يديك

ففطن لما أرادت وسُر بذلك. ثم أقبلت على خادم واقف وقالت : يامسرور ، أسقنى ماء . وفطن ابن أمية أنها أرادت أن تُعلمه أن مسروراً هو الرسول ، فخاطبه فوجده كما يريد .

مما يستجاد له من شعر

ومما يُستجاد ويغنَّى فيه من شعر على بن أُمية :

ياريحُ ما تَصنعين بالدِّمنِ ۞ كم لك من مَحْو مَنظر حَسَنِ

محـوتِ آثارنا وأحدثت آثا ۞ راً برَبع الحبيب لم تَكُن

إنْ تَكُ يارَبع قد بَليت من الرِّ ۞ يح فإنّى بالٍ من الحزن

قد كان يارَبْع فيك لى سَكَن فصِرْتَ إذْ بان بعده سَكَنى

حاشاك ياريح أن تكونى على الـ ماشق عَوناً لحادث الزّمن

خبر جارية فى بيت الشعر له

وحكى أبو هِفان قال :

كنا فى مجلس ، وعندنا مُغنية تُغنينا ، وصاحب المنزل يهواها ، فجعلت تكايده وتُومىء إلى غيره بالمَزح والتّجميش ، وتَغيظه بجَهدها ، وهو يكاد يموت قلقاً وهمًّا . وينغص عليه يومه . ولّجت فى أمرها ، ثم سقط المِضراب من يدها ، فأكبّت على الأرض لتأخذه ، فضرطت ضرطة سَمعها جميع من حضر ، وخَجلت ، فلم تدر ماتقول ، فأقبلت على عشيقها فقالت له : إيش تشتهى أن أغنى لك ؟ فقال : غنى :

ياريح ما تَصنعين بالدِّمن كم لك من مَحْو مَنظر حَسَن

فجلت ، وضحك القوم ، وصاحب الدار ، حتى أفرطوا : فبَكت وقامت من المجلس ، وقالت : أنتم والله قوم سفل ، ولعنة الله على مَن يعاشركم ، وغضبت وخرجت . وكان ذلك سبب القطيعة بينهما وسُلو الرجل عنها .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار على بن أمية : هو :

بأبى أنت يابن مَن لا أُسمِّى لبَعض مَا

يا شبيه الهلا ل كُملل بالأفق[1] أنجُما

راقب الله فى أسير رك إن كنت مُسلما

---

(١) غير التجريد : « مثلك فى الأفق » .

أخبـــار
أبان بن عبد الحميـــد اللاحقي

نسـبه

هو : أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عُفير[1] ، مولى رَقاش .

بنو رقاش

وبنو رقاش ثلاثة نفر ينتسـبون إلى أمهم ، وهم : مالك ، وزيد مناة ، وعامر ، بنو شَيبان بن نهشل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل .

تمثله مروان بما أخذه من البرامكة فى شكواه من الرشيد

وحُـكى أن مروان بن أبى حفصة شكا إلى بعض إخوانه تغيُّر الرشيد عليه وإمســاك يده عنه ، فقال : أتشكو الرشيد ويحك بعد ما أعطاك ؟ قال : أتعجب من ذلك ، هذا أبان اللاحقى قد أخذ من البرامكة بقصيدة قالها واحدة ما أخذته من الرشيد فى دَهرى كُله ، سوى ما أخذه منهم ومن أشباههم .

نقله كتاب كليلة ودمنة

وكان أبان اللاحقى قد نَقل للبرامكة كتاب « كليلة ودمنة » فجعله شعراً ، ليسهُل حفظه عليهم ، وهو معروف ، وأوله :

هــذا كتاب أدب ومِحنه ‏ ‏ ‏ ‏ وهو الذى يُدعى كَليل دِمنه

فيه احتيـالات وفيـه رُشْد ‏ ‏ ‏ ‏ وهو كتاب وضعتْـه الهِنْد

فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ، ولم يُعطه جعفر شيئاً ، وقال له : يكفيك أن أحفظه وأكون راويتك .

اتصاله بالفضل ابن يحيى

وذُكر أن أبان بن عبد الحميد اللاحقى خرج من البصرة طالبـاً للاتصال بالبرامكة ، وكان الفضل بن يحيى غائباً ، فأقام ببابه ـ لمـا قصده ـ مُديدة لا يصل إليه ، فتوسّل ببعض بنى هاشم فى الوُصلة إليه ، فقال له :

---

(١) غير التجريد : « عفر » .

يا غَزِيرَ النّدى ويا جَوهر الجوْ هر من آل هاشم بالبِطَاحِ
إنّ ظَنّى وليس يُخلف ظنى أنت فى حاجتى سبيلُ النجاح
إنّ مِن دونها لَمُصْمتَ باب أنت من دون قُفْله مِفْتاحى
تاقت النفسُ ياخليلَ السماح نحو بحر النّدى مجارى الرّياح
ثم فكّرت كيف لى واستخر تُ الله عند الإمساء والإصباح
فامتدحتُ الأميرَ أصلحه اللـ ـه بشعرٍ مُشَهّر الأوضاح

فقال : هات مديحك . فأعطاه شعراً فى الفضل فى هذا الوزن وقافيته :

أنا من بُغية الأمير وكُنْز من كُنوز الأمير ذو أرباح
كاتبٌ حاسب خَطيب أديب ناصحٌ رائدٌ على النُّصاح
شاعرٌ مُفلق أخفُّ من الرِّ يشة فيما يكون تحت الجناح

وهى طويلة ، يقول فيها :

إنْ دعانى الأمير عايَنَ منِّى شَمَّرِيًّا كالبُلبل الصيَّاح

فدعا به ووصله ، وخُص بالفَضل وقَرُب من قلب يحيى أبيه ، وصار صاحب الجماعة وذا أمرهم .

صلته بالرشيد وقصتها

وذُكر أنَّ أبان بن عبد الحميد عاتب البرامكة على تركهم إيصاله إلى الرشيد ، أو إيصال مدحه إليه . فقالوا : وما تريد بذلك ؟ فقال : أريد أن أحْظى منه بمثل ما حَظى به مروان بن أبى حفصة . فقالوا له : إنّ لمروان مذهباً فى هجاء آل أبى طالب به يَحْظى وعليه يُعطى ، فاسلُكْه حتى يفعل . فقال : لا أستحل ذلك . فقالوا : لا تجىء أمور الدنيا إلاَّ بفعل ما لا يجوز . فقال أبان :

نشدتُ بحق الله مَن كان مُسلما أعمُّ بما قد قلته العُجْمَ والعَربْ

أَعَمُّ رسول الله أقربُ زلفةً إليه[1] أم ابْن العمِّ فى رُتبة النَّسب
وأيهما أولى به وبعهــده ومَن ذَا له حَقُّ التُّراث بما وَجَب
فإن كان عبّاس أحقّ بتلكم وكان علىٌّ بعد ذاك على سَبَب
فأبناء عبّاس همُ يرِثونه كما العمّ لابن العم فى الإرث قد حَجب

وهى طويلة. فقال الفضل: ما يَرِد على أمير المؤمنين اليوم شىء أعجب إليه من أبياتك. فركب وأنشدها الرّشيد، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم.

ثم اتصلت بعد ذلك خدمته للرشيد وخُص به.

شعره الذى فيه الغناء وقصته

وكان خرج بالدَّيلم على هارون الرشيد يحيى بن عبد الله بن الحسن بن على ابن أبى طالب — رضى الله عنهم — وبايعه مَن هناك، واجتمع إليه جمع عظيم، وأهم الرشيدَ أمرُه، فسيَّر إليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك، فراسله ولاطفه حتى أجاب إلى الطاعة، فأخذ له الفضل أمان الرشيد.

ومدحت الشعراء الفضل بذلك، فأكثروا. فقال أبان اللاّحقى الشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبان اللاَّحقى، وهو:

لقد برّز الفضلُ بن يحيى ولم يزل يُسامى من الغَايات ما كان أرفعَا
يراه أميرُ المؤمنين لمُلْكه ويَحيى[2] لمَا أعطى من العَهد مَقْنعا
فأمست بنو العبَّاس بعد اختلافها وآل علىّ مثل زَنْدَى يَدٍ معا
قضى بالتى شَدَّت لهارون مُلكه وأحيتْ ليحيى نَفْسه[3] فتمتعا

---

(١) غير التجريد: «لديه».
(٢) غير التجريد: «كفيلا».
(٣) غير التجريد: «ملكه».

تعقيب لابن واصل

قلت :

إنّ يحيى لمّا قدم على الرّشيد بأمانه غدر به الرشيد بعد ذلك وسمّه ، فمات مسموماً . وفى ذلك يقول أبو فِراس بن حمدان ، فى القصيدة التى يهجو فيها بنى العباس :

يا جاهداً فى مَساويهم يُكتِّمها غَدْرُ الرشيد بيحيى كيف يَنْكَتِمُ

ما نال منهم بنو حَرب و إن عَظُمت تلك الجِناية إلاّ دون نَيْلكم

أأنتمُ آله فيما ترون وفى أظفاركم من بَنيه الطاهرين دَم

أخبار تُوَيْت

وهو : عبد الملك بن عبد العزيز السلولى ، من أهل اليمامة . — نسبه

وتُوَيْت :[1] لقبه . — لقبه

وهو أحد الشعراء اليماميين ، من طبقة يحيى بن أبى طالب[2] ، وأبن أبى حفصة ، ودونه . — طبقته

لم يَفِد إلى الخلفاء ، ولا مَدح الأكابر ، فخمل ذكره لذلك . — خمول ذكره

وكان يهوى امرأة من أهل اليمامة ، يقال لها : سُعدى ويقول فيها الشعر ، ولم تكن رأته ، فمرّ بها يوماً وهى مع أتراب لها ، فقلن لها : هذا صاحبك ، وكان دميما ، فقامت إليه وقُمن معها ، فضربنه وخرّقن ثيابه ، فاستعدى عليهن ، فلم يُعده الوالى ، فأنشأ يقول : — هو وامرأة هويها من اليمامة

إن الغوانى جَرَّحْن فى جَسدى ... من بعد ماقد فَرَغن من كَبِدِى

وقد شَقَقن الرّداء ثُمتَ لم ... يُعْدِ عليهنّ عاملُ البَلد

لم يُعْدِنى الأحولُ المَشُوم وقد ... أبصر ما قد صَنَعن فى جَسدى

فلمّا جرى هذا بينه و بينها عَقد فى قلبها رقّة ، فكانت تتعرّض له إذا مَرّ

---

(١) عير التجريد . « نويت »

(٢) غير التجريد : « يحيى بن طالب » .

بها ، فاجتاز بها ذات يوم ولم تتوار عنه وأرته أنها لم تره ، فلمّا وقف لميا سترت وجهها بخمارها ، فقال تُوبْت :

خُذا بدَمى سُعدى فسُعْدى مُنيتُها[1] غداةَ النَّقا صادت فؤاداً مُقصَّدَا
بآية ما ردّت غداةَ لقيتها على طَرف عينيها الرّداءَ المورَّدا

من شعره فيها وهى فى طريقها إلى الحج

ولقيها يوماً راحلةً نحو مكة ، فأخذ بخِطام بعيرها ، وقال :

قُل للتى خَرجتْ تُريد رِحالَها للحجّ إذ وجدتْ إليه سَبيلاَ
ما تَصنعين بحجةٍ أو عُمرة لا تُقبلان وقد قَتلتِ قتيلا
أَحيِي قتيلك ثم حُجى وأُنسُكى فيكون حَجّك طاهراً مَقبولا

فقالت : أرسل الخطام ، خيّبك الله وقبّحك ، ثم سارت .

من مختار قوله فيها

ومن مختار قوله فيها :

سَلِ الأطلال إن نَفع السُّؤالُ وإن لم تَرْبع الرَّكبُ العِجَالُ
عَن الخود التى قَتلتك ظُلما وليس بها إذا نَطَشت قِتال
أياثارات مَنْ قَتَلتْه سُعدَى دَمِى لا تَطلُبوه لها حَلال
أَعارك ما تَباتَ به فُؤادى من العينين والجيد الغَزال
أَرِقُّ لها وأُشفق بعد قتلى على سُعدى وإن قلَّ النَّوال
وما جادت لنا يوماً ببذل يَبِنْ مِن سُعاد ولا شِمَال

شعره الذى فيه الغناء

وقوله ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وامتتح به أبو الفرج أخباره :

ما تزال الدّيار فى بُرقة النَّجد لسُعدى بِمرقَوى تَبكيى

---

(١) التجريد : « بينها » .

قد تمحّلتُ(١) كى أرى وَجْه سُعْدى فإذا كُلّ حيــــلة تُعْيِينى

قلتُ لمّا وقفتُ فى سُدَّة البا ب لسُــعدى مقالةَ المِسْكين

أفعلى بى يا ربّة الخِـــدْر خيراً ومِن المـاء شَربةً فاسْقِينى

قالت المـاء فى الرّكىّ كثير قلت ماء الرّكى لا يَكْفينى

طرحتْ دُونىَ السّتور ، وقالت كلّ يوم بعِـــلّة تأتينى

(١) غير التجريد : « تحيلت » .

أخبـــار مانى الموسوس

اسمه وكنيته — هو : محمد بن سلام . ويكنى : أبا الحسن .

مصرى — من أهل مصر .

شعره — شاعر ليّن الشعر رقيقه ، لم يقل شعراً إلاّ فى الغزل .

لقبه — ومانى[1] : لقب غلب عليه .

قدومه بغداد — وقدم بغداد .

تخليطه — فحَكى محمد بن عمار قال :

كان مانى يألفنى ، وكان مليح الإنشاد رقيق الشعر غزله ، فكان يُنشدنى الشىء ، ثم يُخالَط فيقطعه .

فى حضرة محمد بن عبد الله بن طاهر — وذُكر أن محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين عزم على الصَّبوح ، وعنده الحسن بن محمد بن طالوت ، فقال له محمد : كنّا نحتاج أن يكون معنا ثالث نأنس به ونلتذ بمحاورته ، فمن ترى أن يكون ؟ فقال ابن طالوت : قد خطر ببالى رجل ليس علينا فى مُنادمته ثِقل ، قد خلا من إبرام المُجالسين ، وبرئ من ثقل المُؤانسين ، خفيف الوطأة إذا أدنيته ، سريع الوثبة إذا أمرته . قال : مَن هو ؟ قال : مانى الموسوس : فقال محمد : ما أسأت الاختيار . ثم تقدم إلى صاحب الشرطة بطَلبه وإحضاره . فما كان بأسرع من أن قبض عليه صاحب الشرطة

---

(١) غير التجريد : « مان » .

بالكَرخ ، فوافى به باب محمد بن عبد الله بن طاهر ، فأُدخل ونُظّف وأُخذ من شَعَره ، وأُلبس ثياباً نِظافاً ، وأُدخل على محمد بن عبد الله ، فلمّا مَثَل بين يديه سلّم ، فردّ عليه السلام ، ثم قال له : أَمَا حان لك أن تزورنا مع شوقنا إليك ؟ فقال له مانى : أعز الله الأمير ، الشّوق شديد ، والوُد عتيد ، والحجاب صعب ، والبواب فَظ ، ولو سهل علينا الإذن لسهلت علينا الزيارة . قال محمد : لقد لَطفت فى الاُستئذان . وأمره بالجلوس ، فجلس . وقد كان أُطعم قبل أن يدخل . وأُتى محمد بجارية لإحدى بنات المهدى تُسمَّى : مَنُوسة[1] ، كان يُحب السماع منها ، فأوّل ما غنّت :

ولستُ بناسٍ إذ غدوا فتحمّلوا ... دُموعى على الخدّين من شدّة الوَجْدِ

وقَولى وقد زالت بعَيْنى حمُولهم ... بوادر[2] تُحْدَى لا يكُن آخر العهد

فقال مانى : أيأْذن لى الأمير ؟ قال : فيماذا ؟ قال : فيما أسمع . قال : نعم . قال : أحسنت والله . قال : فإن رأيت أن تزيدى فى الشعر هذين البيتين ·

وقُمتُ أُناجى القلبَ والدمعُ حائر[3] ... بمُقلة مَوْقوفٍ على الضُّر والجُهْدِ

ولم يُعْدِنى هذا الأمير بعَدْله ... على ظالم قد لَجّ فى الهَجر والصَّدِّ

فقال له محمد : من أىّ شىء اُستعديت يامانى ؟ فاُستحيا ، وقال : لا مِن ظالم أيها الأمير ، ولكنّ الطرب حرّك شوقاً كان كامناً فظهر . ثم غنّت .

---

(١) غير التجريد : « منوس » .

(٢) غير التجريد : « بواكر » .

(٣) غير التجريد : * وقمت أناجى الدمع والقلب حائر *

حَجَبوها عن الرِّياح لأنّى قلتُ يا ريحُ بلِّغيها السَّلامَا

لو رضُوا بالحِجاب هان ولكنْ مَنعوها يومَ الرّياح الكلاما

فطرب محمد بن عبد الله بن طاهر، ودعا برطل، فقال مانى: ما كان على قائل هذين البيتين لو أضاف إليهما هذين:

فتنفّستُ ثم قلت لطَيفى وَيْكَ إن زُرت طيفَها إلمامَا

حَيّها بالسلام سرًّا وإلاّ مَنعوها لِشقْوتى أن تناما

فقال محمد: أحسنت يا مانى. ثم غنَّت:

يا خليلىّ ساعةً لا تَريما وعلى ذى صَبابة فأقيما

ما مَررنا بقَصْر زينب إلاَّ فَضح الدمعُ سِرّكَ المَكْتوما

فقال: لولا رهبة الأمير لأضفتُ إلى هذين البيتين بيتين، لا يَردان على سمع ذى لُب فيصدران إلاَّ عن اُستحسان. فقال محمد: الرغبة فى حُسن ما تأتى به حائلة دون كُل رَهبة، فهات ما عندك. فقال:

ظَبية كالهِلال لو تلحظ الصَّخر بطَرف لغادرته هَشيمَا

وإذا ما تبسَّمتْ خلتَ ما يبدو من الثَّغر لُؤلؤاً مَنْظوما

فقال له محمد: أحسن الشعر — ما دام الإنسان يشرب — ما كان مكسوًّا لحناً حَسناً، تُغني فيه مَنوسة وأشباهها، فإن كسيت شعرك من الألحان مثل ما غَنّت قبل طاب. فقال: ذاك إليها. فقال له اُبن طالوت: يا أبا الحسن، كيف هى عندك فى حُسنها وجمالها وأدبها وغنائها؟ قال: هى غاية ينتهى إليها الوصف. قال: قُل فى ذلك شعراً. فقال:

وكيف صَبْر النفس عن غادةٍ تَظلِمها إن قُلْت طاووسَهْ

وجرت أن شَبَّهتهـا بانةً ... فى جَنة الفِرْدوس مَغْروسه
وغـير عدل إن عَدَلنا بهـا ... لؤلؤةً فى البَحر مَنْفوسـه
جَلَّت عن الوَصف فما فِكْرة ... تَلْحقها بالنَّعت مَحْسوسـه

فقال له ابن طالوت : قد وجب شكرك يامانى ، فساعَدك دهرك ، وعطف عليك القلب ، ونلت سرورك ، وفارقت محذورك ، والله يُديم لنـا ولك بقاء مَن ببقائه اجتمع شملنا ، وطاب يومنا . فقال مانى :

مُدمن التَّخفيف موصول ... ومُطيل اللُّبث مَمْـلول

وأنا أستودعكم الله ، ثم قام فانصرف . فأمر له محمد بن عبد الله بصلَة . ثم كان كثيراً ما كان يبعث إليه يطلُبه إذا شرب ، فيبرّه و يصله ، و يُقيم عنده .

وحَكى بعضُ الكُتّاب قال : هيامه بغلام

لقينى مانى بعد انقطاع طويل ، فقال : ماقطعنى عنك إلى أنّى هائم . قلت : بمن ؟ قال : بمن إن شئت أن تراه الساعة رأيته فعذرتنى . قلت : فأنا معك . فمضى معى حتى وافى باب الطَّاق ، فأرانى غلاماً جميل الوجه ، بين يدي بزار فى حانوته . فلمّا رآه الغلام عَدَا فدخل الحانوت ، و وقف مانى طويلاً ينتظره ، فلم يخرج ، فأنشأ يقول :

ذنبى إليه خُضوعى حين أُبصره ... وطولُ شَوقى إليه حين أذكُرُه
وما جرحت بلحظ العَين وَجنته ... إلاّ ومِن كَبدى يقتصّ مَحْجِره (1)
نَفسى على بُخله تَفديه من قمرٍ ... و إنْ رمانى بذَنبٍ ليس يَغفِره

(1) البيت ليس فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

وعاذلٍ باصطبار القلب يأمرنى ... فقلتُ من أين لى قلبٌ أصبِّرُهُ (١)

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار مانى الموسوس، هو:

بَنانُ يدٍ تُشير إلى بَنان ... تجاوَبَتا وما يتكلّمانِ

جرى الإيماء بينهما رسولا ... فأحكمَ وحْيَه المُتناجيان

فلو أبصرتنا(٢) لغضضتُ طَرْفاً ... عن المتناجيَيْن بلاَ لِسان

(١) غير التجريد: «لى صبر فأهجره».
(٢) غير التجريد: «أبصرته».

أخبار بكر بن خارجة

أصله

هو رجل من أهل الكوفة، مولى لبني أسد.

شيء عنه

وكان ورّاقاً ضيِّق العيش، مُقتصراً على الكسب بالوارقة، ويصرف أكثر ما يكسبه إلى النَّبيذ، وكان مُعاقراً للشُّرب في منازل الخمّارين وحاناتهم.

وكان طيِّب الشِّعر، مليحاً مطبوعاً، خليعاً ماجناً.

شعره في إراقة أمير الكوفة الخمر

وذُكر أنّ بعض أمراء الكوفة حرّم بيع الخمر، وركب فأراق نبيذ الخمّارين، فجاء بكر بن خارجة ليشرب عندهم على عادته، فرأى الخمر مَصبوباً على الرِّحاب والطُّرق، فبكى طويلاً ثم قال:

يا لقومي لِماَ جَنَى السُّلطانُ	لا يكونَنْ لما أهان الهوانُ
صَبَّها[1] في التُّراب من حَلَب الكَرْ	م عُقاراً كأنَّها الزَّعفران
صَبَّها[1] في مكان سُوءٍ لقد صا	دف سَعْدَ السُّعود ذاك المكان
من كُميت يُبْدي المِزاج لها	لؤلؤ نَظْمٍ والفصل منها جُمان
وإذا ما اصطبحتُها صَغُرت في القَدْ	ر عندي من أجلها الخيزران[2]
كيف صَبري عن بعض نفسي وهل	يصبر عن بعض نفسه الإنسان

مما يغنى فيه من شعره

وممَّا يغنَّى فيه من شعره:

قلبي إلى ما ضَرَّني داعي	يُكثر أسقامي وأوجاعي

(١) عبر التجريد: «قهوة».
(٢) عير التجريد «في القدر تحماطنا دى ابلر ذال».

كيف احتراسى من عدوّى إذا ... كان عدوّى بين أضلاعى

أسلمنى للحُبّ أشياعى[1] ... لمّا سَعَى بى عندها السّاعى

لمّا دعانى حُبها دعوة ... ناديتُه لَبّيك مِن داعى

وقد ذكرت هذه الأبيات للعبّاس بن الأحنف، وتقدّمت فى أخباره، والله أعلم.

شعره الذى فيه الغناء وقصته

وذُكر أنه كان يتعشّق بكر بن خارجة غلاماً نَصرانياً من العِباديين، وله فيه أرجوزة، يذكر فيها النّصارى وأعيادهم ودياراتهم، منها الشِّعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار بكر بن خارجة، وهو:

وشادنٍ قلبى به عَميدُ[2] ... شيمتُه الهِجران والصُّدودُ

لا أسأمُ الحِرْص ولا يَجُود ... والصبرُ عن رُؤْيته مَفقود

زُنّاره فى خَصره معقود ... كأنه من كبدى مَقدود

لدعبل فى بيتين من شعره

وذُكر أنّ دعبلاً قال:

ما يعلم الله أنّى حسدت أحداً قط، كما حسدت بَكْراً على هذين البيتين، يعنى قوله:

زُناره فى خصره مَعقود ... كأنّه من كبدى مَقْدُود

(١) عبارة التجريد: «وأنجابى».
(٢) عبارة التجريد: «معمود».

أخبار إسماعيل القراطيسي

نسبه وولاؤه

هو : إسماعيل بن مَعمر الكوفى ، مولى الأشاعثة .

شىء عنه

وكان مألفاً للشعراء ، فكان أبو نواس، وأبو العتاهية ، ومُسلم ، وطبقتهم يقصدون منزله ويجتمعون عنده ، ويدعو لهم القِيان والغلمان ، ويساعدهم على فسقهم .

شعره الذى فيه الغناء

وأبياته التى فيها الغناء قوله :

وَيْلى على ساكنٍ شَطَّ الصَّراه ... مِن وَجنتيه شِمتُ بَرْق الحياه
ما تَنقضى من عَجب فِكْرتى ... فى خَصلة فرَط فيها الوُلاه
تَرْكُ المحبين بلا حاكم ... لم يُقعدوا للعاشقين القُضاه

ومنها :

وقد أتانى خَبرٌ ساءنى ... مقالها فى السِّر واسَوْأتاه
أمثلُ هذا يَبتغى وَصْلنا ... أما يرى ذا وجهه فى المراه

هو والعباس بن الأحنف فى معارضة شعر له

وحَكى القراطيسى قال :

قلت للعباس بن الأحنف : هل قلت فى معنى قولى :

* وقد أتانى خبر ساءنى * البيتين ؟

فقال : نعم ؛ ثم أنشدنى :

جارية أعجبها حُسنها ... ومثلُها فى الناس لم يُخْلَق
خبَّرتها أنِّى مُحبٌّ لها ... وأقبلت تَضحك مِن مَنطقى

والْتفتت نحو فتـــاة لها كالرّشأ الوَسْنان فى قرطقِ

قالت لهـا قولى لهذا الفتى أُنظر إلى وجهك ثم أعشَق

شعره فى الفضل حين حرمه الجائزة

وذُكر أنّ القراطيسى مدح الفضل بن الرّبيع . فحرمه ، فقال فيه :

ألا قُل للذى لم يَهد ه الله إلى نفـعى

لئن أخطأتُ فى مدحيـك ما أخطأتَ فى مَنْعى

لقد أحللتُ حاجاتى بوادٍ غير ذى زَرع

أخبار أبي العبر

نسبه

هو : أبو العبّاس أحمد بن محمد ـ ويلقب : حمدونا الحامض ـ بن عبد الله ابن عبد الصمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب بن هاشم .

جده وهزله

وكان صالح الشِّعر مطبوعه ، يقول الشعر المُستوى في أوّل عُمرِه ، منذ أيام المأمون وهو غلام ، إلى أن وَلِي المتوكل الخلافة ، فترك الجِدّ وعَدل إلى الحمق والرّقاعة والشهرة بذلك .

نفوق شعره الرديء

وقد نيّف على الخمسين ، ورأى شعره مع توسّطه لا يتفق مع أبي تمام والبحتري ونُظرائهما ، فعدل إلى الشعر الرديء المُضحك ، فنَفق به .

وكان مولده بعد خمس سنين من خلافة الرّشيد ، وعُمِّر إلى أيام المتوكل وبعد ذلك ، فكسب بالحمق إضعاف ما كسبه كُل شاعر بالجد ، ونفق في أيام المتوكّل ، وكسب مالاً جليلاً .

دفاع الزبير عنه

وحكى الزُّبير بن بكار قال : قال لي عَمّي :

ألا يأنف الخليفة لابن عمّه هذا الجاهل ممّا شَهر به نفسه ، وفضح عشيرَته ، والله إنه ليعُرّ بني آدم جميعاً فضلاً عن أهله الأدنين ، أفلا يَردعه ويمنعه من سوء اختياره . فقلت له : إنه ليس بجاهل كما تقدّر ، وإنما يتجاهل ، وإنّ له أدباً صالحاً وشعراً طيباً ، ثم أنشدته قوله :

لا أقول الله يَظلمني   كيف أشكو غير مُتّهمِ

و إذا ما الدّهر ضَعْضعنى ... لا ترانى[1] كافرَ النِّعمِ

قَنعت نفسى بمـا رُزقت ... وتنـاهت فى العُلاَ هِممى

ليس لى مالٌ سوى كَرمى ... و به أَمْنِى مِن العَـــدم

فقال لى : ويحك ، فلِمَ لا يلزم هذا وشبهه ؟ فقلت له : والله ياعم ، لو رأيت ما يصل إليه بهذه الُخرافات لعذرتَه ، فإن ما أستملحته لم ينفق به . قال عمّى ، وقد صعب عليه هذا القول : أنا لا أعذره فى هذا ولو حاز به الدُّنيـــا بأسرها ، لا عَذرنى الله إن عذرتُه إذن .

هو وأبو العيناء فى شعر للمأمون

وحَــكى أبو العَيناء قال :

أنشدت أبا العِبر قولَ المأمون :

ما الحبُّ إلاَّ قُبـــلة ... وغمز كفٍّ وعَضُــدْ

أو كُتُب فيهـــا رُقًى ... أنفذُ من نَفْث العُقَد

من لم يكن ذا حُبَّـة[2] ... فإنمـــا يَبْغى الوَلد

ما الُحبُّ إلاّ هــكذا ... إنْ نُكح الُحبّ فسد

فقال لى : كذب المأمون ، وأكل من خَرائه رِطلين ورُبعاً بالميزان ، فقــد أخطأ وأساء ، ألا قال كما قلت :

باض الُحبّ فى قَلبى ... فوا وَيلى إذا فَــرَّخْ

وما ينفعنى حُـــبِّى ... إذا لم أكنس البَربخ

وإنْ لم يَطرح الأصـ ... ـلع خُرْجيه على المطبخ

---

(١) غير التجريد : « لم تجدنى » . (٢) الحبه : المحبوبة .

ثم قال : كيف رأيت ؟ قلت : عجباً من العجب . فقال : ظننت أنك تقول : لا ، فأبلّ يدى وأرفعها ، ثم سكت . فبادرت وانصرفت خوفاً من شرّه .

شيء من هوسه

وحُكى أنَّ أبا العبر كان يجلس بسُرَّ مَن رأى فى مجلس له ، ويجلس إليه المُجّان ويكتبون عنه . فكان يجلس على سُلّم وبين يديه بلاّعة فيها ماء وحمأة وقد سُدّ مجراها ، وبيده قصبة طويلة ، وعلى رأسه خُف ، وفى رجليه قَلَنسيتان ، ومُستمليه فى جوف بئر ، وحوله ثلاثة نفر يدقّون بالهواوين حتى تكثر الجلبة ويقل السماع ، ويصيح مُستمليه من جوف البئر : مَن نسيت[1] عذّبك الله . ثم يملى عليه أنواعاً من الرّقاعات ، فإن ضحك أحد ممّن حضر قاموا فصبُّوا على رأسه ماء البلاّعة ، إن كان وضيعاً ، وإن كان ذا مروءة رَش هو عليه بالقصبة من مائها ، ثم يُحبس بالكنيف ولا يخرج منه حتى يُغرَّم درهمين .

تغييره كنيته

وكانت كنيته أبا العباس فصيّرها أبا العبر ، ثم كان يزيد فيها كل سنة حرفاً ، فمات وكنيته : أبو العبر طرد طيل طليرى بك بك بك .

هجران أبيه له وسبب ذلك

وحَكى جَحظة قال :

رأيت أبا العبر بسُرَّ مَن رأى ، وكان أبوه شيخاً صالحاً ، وكان لا يُكلمه ، فقال له بعض إخوانه : لمَ هجرت ابنك ؟ فقال : فضحنى كما تعلمون بما يفعله بنفسه ، ثم لا يرضى بذلك حتى يُهجّننى ويُضحك الناس منى . فقالوا : وأى شيء من ذاك ، وبماذا هجّنك ؟ قال : اجتاز علىَّ منذ أيام ومعه سُلّم ، فقلت : إيش هذا معك ؟ فقال : لا أقول لك . فأخجلنى وأضحك بى كل مَن كان عندى . فلمّا كان بعد أيام اجتاز بى ومعه سَمكة ، فقلت له : إيش تعمل بهذه؟ فقال أنيكها. فحلفت أنى لا أكلمه أبداً .

---

(١) غير التجريد : « يكتب » .

سئل عن محالاته فأجاب

وذُكر أنه سئل أبو العِبر عن هذه المُحالات التي يتكلّم بها : أى شيء أصلها ؟ فقال : أبكِّر فأجلس على الجسر ، ومعى دواة ودُرج فأكتب كُل شيء من الكلام الذى يقوله الجائى والذّاهب حتى أملأ الدُّرج من الوجهين ، ثم أقطعه عرضاً وطولاً وألصقه مُخالفاً ، فيجيئنى كلام ليس فى الدُّنيا أحمق منه .

فى صيده

وقال بعضهم :

رأيت أبا العِبر واقفاً على بعض آجام سُرَّ مَن رأى و بيده اليسرى قوس جُلاَهق[1] ، وعلى يده اليمنى باشَق[2] ، وعلى رأسه قطعة رئَّة فى حبل مشدود بأُنشوطة ، وهو عُريان فى أيره شعر مفتول مشدود فيه شِصٌ وقد ألقاه فى الماء للسمك ، وعلى شفته دُوشاب ملطّخ . فقلت له : خَرب الله بيتك ، إيش هو هذا ؟ فقال: أصطاد يا كشخان يا أحمق بجميع جوارحى ، إذا مرّ بى طائر رميته عن القوس ، فإن سقط قريباً منّى فإنّى أرسل عليه الباشق ، والرّئة التى على رأسى تجىء الحدأة لتأخذها فتقع فى الوَهَق[3] ، وأمّا الدُّوشاب فإنى أصطاد به الذُّباب فأجعله فى الشِّص فتطلبه السَّمكة فتقع فيه ، والشّص فى أيرى إذا مرّت به السمكة أحسست بها فأُخرجها .

من هو المتوكل به

وذُكر أنّ المتوكّل كان يَرمى به فى المَنجنيق إلى الماء ، وعليه قميص ، فإذا علا فى الهواء صاح : الطريق الطريق ، ثم يقع فى الماء ، فيُخرجه السَّباحون .

شعره فى رمى المتوكل له فى البركة

وكان أيضاً يُجاسه فى الزلاّقة ، فينحدر فيها حتى يقع فى البِركة ، ثم يطرح شبكة فيُخرجه فيها كما يُخرج السَّمكة ، وفى ذلك يقول فى حماقاته :

---

(١) الجلاهق : البندق الذى يرمى به . (٢) باشق : طائر .

(٣) الوهق : الحبل فى طرفه انشوطة .

وَيأمــــرُ بىَ المَلِكْ فيَطرحنى فى البِركْ
ويصـــطادُنى بالشّبك كأنّى من السَّمك
ويضحك كَك كك كــك كَكَكَــكْ[1]

هو والمصعبى

وحُــكى أنَّ أبا العِبر قدم مرّة بغداد فى أيام المُستعين ، وجلس للناس ، فبعث إسحاق بن إبراهيم المُصعبى فأخذه وحبسه ، فصاح فى الحبس : لى نصيحة ، فأخرج ، ودعا به إسحاق ، فقال : هات نصيحتك . فقال : على أن تؤمننى . قال: قد أمنتك . قال : الـكشكية ــ أصلحك الله ــ لا تطيب إلاَّ بالـكشك . فضحك إسحاق وقال : هو فيما أرى مجنون .قال : لا ، هو أُمتخط حوت . فقال : أى شىء أُمتخط حوت ؟ قال : زعمت أنّى أنجيت[2] يوماً ومافعلت ، إنما أُمتخطت حوتاً . ففهم ماقال وتبسَّم ، وقال : أظن أنى فيك ماء ثوم. فقال : لا ، ولـكنَّك فىَّ ماء بصل . فقال : أخرجوه عنِّى إلى لعنة الله ، ولا يقيم فى بغداد ولا يوماً واحداً .

من شعر فى الجد

ولأبى العِبر أشعار فى الجِدّ جيِّدة ، فمن ذلك قوله يخاطب غلاماً أمرد :

أيها الأَمرد المُولَع بالهَجْر أفِقْ ما كذا سَــبيلُ الرَّشادِ
فــكأنِّى بحُسن وجهك قد أُلـ بس فى عارضَيْك ثَوْب حِداد
وكأنِّى بعاشِــقَيك وقـــد بُدِّ لتْ فيهم من خُلطة ببِعاد
حين تنبو العُيون عنك كما يَنْـ قبض السمعُ عن حَديثٍ مُعاد
فاغنم قبل أن تصـير إلى كا ن وتُضحى فى جُملة الأَضداد

وقوله :

داء دفـــين وهوى بادى أظلم َفجازيك بمِرْصـــــــاد

---

(١) البيت ساقط من أصول الأغانى التى بين أيدينا .
(٢) أنجى : أتى الغائط .

يا واحـــد العالم[١] فى حُسـنه أشمتَ بى هَجْرُكَ[٢] حُسَّادِى
قد كُنت فيما نالنى فى الهوى[٣] أَخفى على أعـيُن عُوّادِى
عبدكَ تُحيِى نفسَـه[٤] قُبلةٌ يَجعلها خاتمـــةَ الزّاد

نصيحته فى الشغل عن المتحدث

وحَـكى ابن أبى أحمد قال :

قال لى أبو العِبر : إذا حدَّثك إنسـان حديثاً لا تشتهى أن تسمعه فاشتغل بنتف إبطك ، حتى يكون فى عمل وأنت فى عمل .

بغضه للعلويين

وذُكر أنّ أبا العِبر كان شديد البُغض لعلِيّ بن أبى طالب – رضى الله عنه – وله فى العلويّين هجاء قبيح .

سبب موته

وكان سبب ميتته أنه خرج إلى الكوفة ليرمى بالبُندق مع الرُّماة فى آجامهم ، فسمعه بعض الـكوفيين يقول فى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنـه قولاً قبيحاً ، استحلّ به دمه فقتله فى بعض الآجام ، وغرّقه فيها .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى العِبر ، هو :

أبكى إذا غَضبْتَ حتى إذا رضيْتَ بكيتُ عند الرضى خوفاً من الغَضَب
فالويلُ إنْ غَضِبتَ والويلُ إن رضيت إن لم يتمّ الرضى فالقلبُ فى تَعَب

(١) غير التجريد : « الأمة » .
(٢) غير التجريد : « صدك » .
(٣) غير التجريد : * قد كدت مما نال منى الهوى *
(٤) غير التجريد : « مونه » .

أخبـــار
مروان بن أبي حفصة الأصغر

نسبه

(*) هو : مَروان بن أبي الجنوب بن مَروان الأكبر بن أبي حفصة .

كنيته

ويُكنى : أبا السِّمط .

سبب قوله الشعر

وكان يتشبَّه بجده في شـــعره ، ويمدح المتوَكل ويتقرّب إليه بهجاء آل أبي طالب ، فتمكَّن منه وقُرّب إليه ، وكسب معه مالاً كثيراً . فلمّا قُتل المتوكّل وأفضت الخلافة إلى أبنه المنتصر ، تجنَّب مذهب أبيــه في كلّ أمر ، فطرده وحلف ألاَّ يدخل إليه أبداً ، لمـا كان يسمعه منه في ذكر علي بن طالب ـ رضي الله عنه ـ بما لا ينبغي .

شعره الذي فيه الغنـاء وقصته

وذُكر أنَّ مروان الأصغر أستأذن على المُنتصر ، لمّـا ولي الخلافة ، فقال : والله لا أذنتُ للكافر أبن الزّانية ، أليس هو القائل :

وحكّم فيهما حاكمَيْن أبوكم ... هما خَلعاه خَلْع ذي النعل للنّعْلِ

قولوا له : والله لا وصلت إليَّ أبداً . فلمّـا بلغه هذا القول عمـل الشعر الذي فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخباره بمدح المُنتصر :

لقد طال جَهدي بالإمام محمـد ... وما كنت أخشى أن يطولَ به عَهْدي

فأصبحتُ ذا بُعدٍ وداري قريبة ... فواعجباً من قُرب داري ومن بُعدي

(*) من تراجم الجزء الحادي عشر.

فياليت أنَّ العيد لى عاد مرّةً فإنِّي رأيت العيد وجهَك لى يُبدِى
رأيتك فى بُرد النبى محمـــــد كبدر الدُّجى بين العمامة والبُرد

وسأل بنانَ بنعمرو فصَنع لحناً ، وغنّى به المُنتصر ، فلمّا سمعه سأل عن قائلها ، فأخبر ، فقال : أمّا الوصول إلىّ فلا سبيل إليه ، ولـكن أعطوه عشرة آلاف يتحمّل بها إلى اليمامة .

بينه وبين ابن الجهم

وذُكر أنَّ مَروان بن أبى حفصة كان يكثر من هجو علىّ بن الجهم الشاعر ، وعلىّ يُعرض عنه أنفةً من جوابه ، فما قاله مَروان فيه :

لعمرك ما جَهم بن بدر بشـاعر وهذا علىّ أبنه يدّعى الشِّعرَا
ولـكن أبى قد كان جاراً لأمه فلمّا روى الأشعار أوهمنى أمرا

فقال علىُّ بن الجهم :

بلاءٌ ليس يُشـبهه بلاء عداوةُ غير ذى حسَب ودِين
يُبيحيك منه عِرضاً لم يَصُنه ويَقدح منك فى عِرض مَصون

وذُكر أنَّ أبن الجهم لمّا أمتدح المُتوكّل بالقصيدة التى يقول فيها :

أغتنم جِـدّة الزمان الجـديد وأجعل المِهرجان أيمن عِيـد

أنشدها ومَروان الأصغر حاضر ، فغمره المتوكل على علىّ بن الجهم ، فقال له : يا علىُّ ، أخبرنى عن قولك :

* وأجعل المهرجان أيمن عيد *

يوم عيد هو أم يوم لهو ؟ إنّما العيد ما تعبّد الله به الناس مثـل الفطر والأضحى وأيام التشريق والجمعة ، فأمّا المهرجان والنيروز فإنما هما أعياد المجوس ،

فلا يجوز أن يقال لخليفة الله فى عباده وخليفة رسوله فى أمته : أجعل المهرجان عيداً . فلم يلتفت عليٌّ إليه ، وأنشد حتى بلغ قوله :

نحن أشياعكم من آل خُراسا ن أُولو قُوَّة و بأس شديدِ

نحن أبناء هذه الخِرق السُّو د وأهل التشيّع المَحمود

فقال له مَروان : لو كنتم من أهل التشيّع المحمود ماقتل قَحطبةُ جدَّك وصَلبه فى عداوة بنى العباس . فقال المتوكّل : ويلك أقتل قَحطبةُ جدّك ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . فأقبل علَى محمد بن عبدالله بن طاهر ، فقال له : بحياتى ، الأمر كما قال مَروان ؟ فقال له محمد : و إن كان كما قال فأى ذنب لعلىّ بن الجهم ، قد قتل الله أعداءكم وأبقى أولياءكم . فضحك المتوكل وقال : شهدتَ والله بها عليه . فقال مَروان فى ذلك :

يا بن جَهْم كيف تهوى مَعشرا صلبوا جدّك فوق الخشَبه

يا إمام العَدل نُصحى لكم نُصح حَقٍّ غير نُصح الكَذَبه

إنّ جدّى مَن رفعتُم ذِكره بكرامات لشُكرى مُوجبه

وابن جَهم قد قتلتم جدّه وتولّى ذاك منه قَحطبه

خُراسان رأت شيعتكم أنه أهلٌ لضرب الرّقبه

أتراه بعد ذا ينصحكم لا وربّ الكَعبة المُحتجبه

رثاؤه لطاهر بن الحسين وحديث ذلك

وذُكر أنّ مَروان الأصغر دخل على عبد الله بن طاهر فقال : إنّى تذكّرت فى ليلتى هذه ذا اليمينين ـ يعنى أباه طاهر بن الحسين ـ فبتُّ أرِقاً حزيناً باكياً . فأرْثه فى مقامك هذا بأبيات تجعل لى طريقاً إلى شفاعتك ، ولك حكمك . ففكر ساعة ثم قال :

إنّ المكارم إذ تولّى طاهر قطع الزّمانُ يمينَها وشِمالَها

لو كالحتْه يد المَنون مجاهراً لاقتْ بوقْع سُيوفه آجالَها

أرسى عِماد خليفة فى هاشم ورَمى عِماد خلافة فأزالها

بكت الأعنّة والأسنة طاهراً ولطالما روّى النجيعُ نِهالها

ليت المنون تجانفت عن طاهر ولوت بزورة من تشاء حِبالها

ما كنت لو سلِمت يمينًا طاهر أدرى ولا أسل الحوادث مالها

فقال : أحسنت والله : فقال : خمسون ألف درهم أقضى بها دينى وأصلح بها حالى وأبتاع ضيعة تلاصق ضيعتى . فأمر له بها ، وقال : ربحنا وخسرت ، ولو لم تحتكم لزدتك ، ولك عندنا غد وغد وبعد غد .

أخبار يوسف بن الصيقل

هو : يوسف بن الحجّاج الصَّيقل . — نسبه

قيل : إنه من ثقيف . وقيل : مولاهم . — ولاؤه

وكان كاتباً . — صناعته

مولده ومنشؤه بالكوفة . — مولده

وذُكر أنّ موسى الهادى كان على مُستشرف له عالٍ جدًّا ، وعنده إبراهيم الموصلى يُغنِّيه : — شعره الذى فيه الغناء وقصته

فارس يَضرب الكتيـ بة حتى تَصـدّعا

فى الوغى حين لا يَرى صاحبُ القوس مَنْزعا

واستدارت رحالهم[1] بالرديىّ شُرّعا

ثم ثارت عَجاجةٌ تحتها الموتَ مُنْقعا

فقال الهادى : هذا لحن مليح ، ولكن أريد شعراً غير هذا ، فإنه شعر بارد .

والتفت إلى يوسف بن الصّيقل وقال له : أصنع فى هذا اللّون شعراً . فقال :

وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار يوسف :

لا تَلُمْنى أن أجزعا سيّدى قد تمنّعا

وأبلائى إن كان ما بيننا قد تَقطّعا

إنّ موسى بفضله جمع الفضل أجمعا

---

(١) التجريد : « رحالهم » .

وغنّاه إبراهيم بذلك اللّحن ، ومرّت به إبل ينقُل عليها ، فقال : أوقروها مالاً ، فأوقرت مالاً وحُملت إليهم ، فاقتسموها ، فأصاب كلّ واحد من الجلساء ستّون ألف دِرهم .

قصته مع الرشيد حين كمن له فى نهـر

وذُكر أنّ الرّشيد لمّا قَدِم الرّقّة ، خرج يوسف بن الصّيقل وكَمن له فى نهر جافّ على طريقه ، وكان لهارون خَدم صغار يُسمِّيهم النّمل ، يتقدّمونه بأيديهم قِسِيُّ البُندق ، يرمون بها مَن يعترضه فى طريقه ، فلم يتحرّك يوسف حتى رأى قُبّة هارون على ناقة ، فوثب إليه يوسف ، وأقبل الخدم الصغار يَرمونه ، فصاح الرّشيد : كفُّوا عنه ، فكفُّوا ، وصاح به يوسف :

أغَيثاً تحمل النا قةُ أم تحمل هارونا
أم الشمسُ أم البدر أم الدُّنيا أم الدِّينا
ألا كُل الذى عَدّدْ تُ(١) قد أصبح مَقْرونا
على مَفْرق هارون فَـــداه الآدميُّونا

فمدّ الرّشيد يديه ، وقال: مرحباً بك يا يوسف ، كيف كنت بعدى؟ أُدْنُ منّى . فدنا ، وأمر له بفرس ، وصار إلى جانبه يُنشده ويحدِّثه ، والرشيد يَضحك. وكان طيِّب الحديث ، ثم أمر له بمال ، وأمر أن يُغنَّى فى الأبيات .

(١) غير التجريد : « عقدت » .

ذكر خروج
عبد الله بن يحيى الخارجى ومقتله

نسبه

عبد الله يحيى الكندى ، أحد بنى عمرو بن معاوية أحد الخوارج الإباضية .

وقت خروجه

وكان خروجه فى خلافة مَروان بن محمد ، آخر خلفاء بنى أُمية .

الإباضية

والإباضية[1] : إحدى فِرق الخوارج ، وفرق الخوارج كلهم يَجمعهم تولِّى أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ والبراءة من عثمان وعلى وطلحة والزُّبير وعائشة ـ رضى الله عنهم ـ وتكفير أرباب الكبائر واستحلال قتالهم وسبيهم[1] .

التدبير لخروجه

وكان عبد الله بن يحيى مُجتهداً عابداً ، فرأى باليمن جوراً وعَسفاً ظاهراً وسيرة فى الناس قبيحة . فقال لأصحابه : ما يحلّ لنا المُقام على ما نرى ، ولا يسعنا الصَّبر عليه . فكتب إلى إخوانه من الخوارج يشاورهم فى الخروج ، فكلّهم أشاروا عليه بذلك ، وقالوا : إن قَدرت ألاّ تبيت ليلة واحدة فافعل ، فإنَّ العبادة بالعمل الصالح أفضل ، وإنّك لا تدرى متى يأتى أجلك ، ولله خِيرة من العباد يبتعثهم إذا شاء لنُصرة دينه ، ويختصّ بالشهادة منهم مَن يشاء .

فشخَص إليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدىّ ، أحد بنى سَلمة ، و بلج بن عُقبة ، فى رجال من الإباضية الخوارج . فقدموا عليه بحضرموت ، وحثّوه على

(١–١) ما بين الرقمين من استطراد المؤلف ، وإن لم يشر إلى ذلك .

الخروج و بايعوه بالخلافة ، وقصدوا دار الإمارة بحضرموت ، و بها إبراهيم بن جبلة بن مَخرمة الكندى ، فأخذوه وحبسوه يوماً ، ثم أطلقوه . فأتى صنعاء ، وأقام يحيى بن عبد الله بحضرموت ، و كَثُر جمعه ، وسمّوه : طالب الحق .

ثم استخلف بحضرموت عبد الله بن قيس الحضرمى ، وتوجّه إلى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة فى ألفين ، و بلغ القاسمَ بن عمر — أخا يوسف بن عمر ، وهو عامل مَروان بن محمد على صنعاء — مسيرهُ ، فاستخلف على صنعاء الضحّاك ابن زَمْل ، وخرج يريد الخوارج فى سلاح وعُدّة ، وجمع كبير ، فعسكر على مسيرة يومين من أبين قريباً من الليل ، فقال الناس للقاسم : أيها الأمير ، لا نقاتل الخوارج ليلاً . فأبَى وقاتلهم ، فقتلوا من أصحابه نَشراً كثيراً وانهزموا ليلاً ، فمرّ بعسكره ، فأمرهم بالرّحيل ومضى إلى صنعاء فأقام يوماً ، ثم خرج وعسكر قريباً من صَنعاء وخَندق ، وأقبل عبد الله بن يحيى فى الخوارج ؛ فأقام على ميلين من عسكر القاسم ، فوجّه القاسم إليه يزيد بن الفَيض فى ثلاثة آلاف من أهل الشّام ، وأهل اليمن ، فكانت بينهم مناوشة ، ثم تحاجزوا ، ورجع يزيد إلى القاسم واستأذنه فى بَياتهم ، فأبى أن يأذن له ، فقال له يزيد : والله لئن لم تبيتهم ليغمنّك . فأبَى أن يأذن له ، وأقاموا يومين لا يلتقون ، فلمّا كان فى الليلة الثالثة أقبل عبد الله ابن يحيى ، فوافاه مع طلوع الفجر ، فقاتلهم الناس على الخندق ، فغلبتْهم الخوارج عليه ودخلوا عسكرهم ، والقاسم يصلّى ، فركب وقاتلهم ، فقُتل فى المعركة ، وقام بأمر الناس يزيد بن الفيض ، فقاتلهم حتى ارتفع النّهار ، وانهزم أهل صنعاء ، ودخل عبد الله بن يحيى صَنعاء فملكها ، وقبض على الضحّاك بن زَمْل ، و إبراهيم ابن جَبله بن مَخرمة ، ثم أطلقهما ، وجمع الخزائن والأموال فأحرزها ، واستولى عبد الله بن يحيى على بِلاد اليمن ، وخَطب الناس ، فقال فى خُطبته :

دخوله المدينة

وأقام عبد الله بن يحيى بصنعاء أشهرا يُحسن السِّيرة فيهم ويُلين جانبه لهم ، فكثر جمعه وأتته الخوارج من كل جانب . فلمّا كان وقت الحج وجّه أبا حمزة ، وبَلْج بن عُقبة ، و برهة بن الصبّاح ، إلى مكة فى تسعمائة ، وأمر أبا حمزة أن يُقيم بمكة إذا صدر الناس ، و يُوجّه بَلْجاً إلى الشّام . فقدم أبو حمزة مكة يوم التَّرْوية ، وعلى مكة يومئذ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مَروان . فلمّا قدِم أبو حمزة مكة فى الخوارج فزع الناس منهم حين رأوهم ، فقالوا : ما لكم ؟ وما جاء بكم ؟ فأخبروهم بخلافهم مَروان وآل مروان والبراءة منهم . فراسلهم عبد الواحد ودعاهم إلى المُدنة إلى أن ينفر الناس النَّفر الأخير . فأجابوا إلى ذلك ، فأصبحوا يوم عَرفة فوقفوا على حدة ، ودفع عبد الواحد بالناس . فلمّا نفر عبد الواحد بالناس النّفر الأول خلّى مكة لأبى حمزة وتوجّه إلى المدينة . ودخل أبو حمزة مكة بغير قتال ، واستولى عليها . وكتب عبد الواحد إلى مَروان بن محمد يعتذر من إخراجه من مكة . فكتب مَروان إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة ، يأمره بتوجيه الجيش إلى مكة . فوجّه ثمانية آلاف من قريش والأنصار. ولمّا بلغ أبا حمزة إقبالُ أهل المدينة إليه استخلف على مكة أبرهة بن الصبّاح ، وشخَص إليهم ، وعلى مقدمته بَلْج بن عُقبة . ونزل أهل المدينة بقُديد ، وأميرهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان . وقال أبو حمزة لأصحابه : إنّهم لا قُوكم غداً ، وأميرهم ابن عثمان بن عفّان ، أوّل مَن خالف سيرة الخلفاء ، و بدّل سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وقد وضح الصُّبح لذى عينين ، فأكثرُوا ذِكر الله وتلاوة القرآن ، ووطّنوا أنفسكم على الصّبر . ثم التقوا يوم الخميس لأيام خلون من صفر سنة ثلاثين ومائة ، فلمّا التقوا قال أهل المدينة لأبى حمزة : ماتقول فى عثمان ؟ فقال : قد برىء منه المسلمون قبلى ، وأنا مُتبع آثارهم ومُقتدٍ بهم . ثم اقتتلوا ، فانهزم أهل المدينة هزيمةً قبيحة ، وقُتل منهم جمع كبير ، وكان مبلغ

القتلى ألفين ومائتين رجلاً ، منهم من قريش : أربعمائة وخمسون رجلاً ، ومن الأنصار ثمانون . ومن القبائل ألف وسبعمائة . وقُتل من بنى عبد العُزى بن قُصى خاصة أربعون . وقُتل يومئذ أُمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان . ثم دخل أبو حمزة فى الخوارج المدينة ، فاُستولى عليها ، واُجتمعت لعبد الله أبن يحيى المتسمّى : طالب الحق ، اليمنُ والحجاز ، ورَقى أبو حمزة الخارجى مِنبر رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

خطبته فى أهل المدينة

يأهل المدينة ، سألناكم عن وُلاتكم هؤلاء فأسأتم لَعَمْر الله القولَ فيهم ، وسألناكم : هل يَقتلون بالظّن ؟ فقلتم : نعم . وسألناكم : هل يستحلُّون المال الحرام ، والفرج الحرام ؟ فقلتم : نعم . فقلنا : تعالوا نحن وأنتم نناشدهم أن يتنحّوا عنّا وعنكم حتى يختار المسلمون لأنفسهم . فقلتم : لا تفعلوا . فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم حتى نلقاهم ، فإن نظهر نحن وأنتم نأت بمن يُقيم فينا وفيكم كتابَ الله وسُنّة نبيّه ، فإن نظفر نعدل فى أحكامكم ونحملكم على سُنة نبيّكم ، ونقسم فيئكم بينكم . فأبيتم وقاتلتمونا دونهم ، فأبعدكم الله وأسحقكم . يأهل المدينة ، مَررت بكم فى زمان الأحول هشام بن عبد الملك ، وقد أصابتكم عاهة فى ثماركم ، فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم . فزاد الغنيّ غنًى والفقير فقراً ، فقلتم : جزاك الله خيراً ، فلا جزاه الله خيراً ولا جزاكم .

وذُكر أنّ أبا حمزة خَطب على مِنبر المدينة يوماً فقال :

يأهل المدينة ، مالى رأيتُ رسم الدّين فيكم عافياً ، وآثاره دارسة ، لا تقبلون عِظة ، ولا تَفقهون من أهله حُجّة ، قد بَليتْ فيكم جِدّته ، واُنطمست عنكم سُنّته ، ترَون مَعروفه مُنكراً ، والمنكر من غيره معروفاً . ولقد بلغتنى مَقالتكم فى أصحابى ، ولولا معرفتى بضعف آرائكم ، وقلّة عُقولكم ، لأحسنت أدبكم ،

ويحكم ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم أُنزل « عليه الكتاب ، وبُيّن له فيه السُّنن ، وشرع له فيه الشَّرائع » . وبيَّن له فيه مايأتى ومايذر ، فلم يتقدَّم ولم يُحجم إلاّ عن أمر الله ، حتى قبضه الله صلى الله عليه وقد أدَّى الذى عليه ، لم يدعكم فى شُبهة من أمركم ، ثم قام من بعده أبو بكر فأخذ بسنَّته ، وقاتل أهل الرِّدة ، وشمّر فى أمر الله حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضية رحمة الله عليه ومغفرته . ثم وَلِى من بعده عمر ، فأخذ بسُنة صاحبه ، وجنَّد الأجناد ومصّر الأمصار ، وجَبى الفىء وقسّمه بين أهله ، وشمّر عن ساقه ، وحَسر عن ذراعه ، وضرب فى الخمر ثمانين ، وقام فى شهر رمضان ، وغزا العدوّ فى بلاده ، وفتح المدائن والحصون ، حتى قبضه الله إليه ، والأمة عنه راضية ، رحمة الله عليه . ثم وَلِى من بعده عثمان بن عفّان ، فعمل فى ستِّ سنين بسُنة صاحبيه ، ثم أحدث أحداثاً أبطل آخرُ منها أوّلاً ، فاضطرب حبل الدِّين بعده ، فطلبها كُل أمرئ لنفسه ، وأسرَّ كُل رجل منهم سريرة أظهرها الله وأبداها منهم ، حتى مضوا على ذلك . ثم وَلِى على بن أبى طالب ، فوقع فيه أبو حمزة ـ قبحه الله ـ ونال منه بما لا ينبغى ذكره . ثم وَلِى معاوية بن أبى سفيان ، فذكره أيضاً بما لا يحل ذكره ، وبالغ فى الوقيعة . ثم وَلِى بعده أبنه يزيد ، يزيد الخمور ، ويزيد الصقور ، ويزيد الفهود ، ويزيد الصيود ، ويزيد القرود . خالف القرآن ، ونادم القرد وعمل بما يشتهيه . ثم وَلِى مروان بن الحكم ، وأخذ فى شتمه وشتم مَن ولى بعده ، حتى أنتهى إلى ذكر عمر بن عبد العزيز ، فقال فيه : بلغ ولم يكد ، وعجز عن الذى أظهر ، حتى مضى لسبيله ، ولم يذكره بخير ولا شر . ثم ولى من بعده يزيد بن عبد الملك ، غُلام ضعيف سَفيه ، غير مَأمون على شىء من أُمور المسلمين . ولم يبلغ أشدَّه ، ولم يُؤنس رشده ، يأكل الحرام ، ويشرب الحرام ، ويجلس حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره ، يغنّيانه بمزامير الشيطان ، ويشرب الخمر الصّراح المحرّمة

بعينها ، حتى إذا ما أخذت مأخذها منه وخالطت روحه ودمه ، وغلبت سورتها على عقله ، مزّق حُلّته ، ثم ٱلتفت إليهما وقال : أتأذنان لى أن أطير ؟ نعم ، فطِر إلى لعنة الله وناره .

ثم ذكر بنى أمية وأعمالهم وسيرتهم ، وأطنب فى ذلك ، ثم أخذ فى شتم الرّافضة ، فقال : قلّدوا أمرهم أهواءهم ، وجعلوا دينهم عصبيّة لحزب لزموه وأطاعوه فى جميع ما يقوله لهم ، غيًّا أو رشداً ، ينتظرون الدّول فى رجعة الموتى ، يؤمنون بالبعث قبل يوم السّاعة ، ويدّعون علم الغيب لمخلوق لا يعلم ما داخل بطنه . ثم قال : فأىّ هؤلاء الفِرق ياأهل المدينة تتبعون ، و بأى مذاهبهم تقتدون؟ وقد بلغتنى مقالتكم فى أصحابى وما عِبتموه من حداثة أسنانهم ، ويحكم ؟ هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكورون فى الخير إلاّ أحداثاً شُباناً ، مكتهلون والله فى شبابهم ، غَضيضة عن الشرّ أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، مُنحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلّما مرّ أحدهم بآية من ذِكر الجنّة بكى شوقاً إليها ، وكلّما مرّ بآية من ذِكر النّار شهق خوفاً منها ، كأنّ زفير جهنم بين أذنيه ، قد أكلت الأرض جباهم وركبهم ، ووصلوا كلال الليل بكلال النّهار ، مُصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصّيام ، حتى إذا ٱلتقت الكتيبتان وأبرقت سيوفها ، وفوّقت سهامها ، وأشرعت رماحها ، لقُوا شَبَا الأسنّة وظُبا السّيوف بنحورهم وصدورهم ووجوههم ، فمضى الشّباب منهم قدما حتى ٱختلفت رجلاه على عُنق فرسه ، وٱختضبت محاسن وجهه بالدّماء ، وعُفّر جبينه فى الثّرى ، وٱنحطّت عليه الطّير من السماء ، وتمزّقته سباع الأرض ، فكم من عَيْن فى منقار طائر ، طالما بكى صاحبها فى جوف الليل من خشية الله ، وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فُلق بعمَد الحديد . ثم بكى ، فقال : آهاً آهاً على فراق الإخوان ، رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل الله أرواحهم الجنان .

تعقيب لابن واصل

قلت : هؤلاء القوم الذين قال فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم ، يمرقون من الدِّين كما يمرق السّهم من الرميَّة ، ولا غَرو أن يكونوا كذلك ، وقد كفَّروا المسلمين ، وفارقوا جماعة المؤمنين ، وقدحوا فى أكابر الصّحابة والتّابعين ، وكفّروا أهل القبلة بالكبائر ، وقنطوا من رحمة الله التى وَسعت كُل شىء .

هزيمته لجند مروان

ولـمّا بلغ مروانَ هزيمةُ أهل المدينة وٱستيلاء الخوارج عليها ، بعث عبد الملك ٱبن محمد بن عطيّة السّعدى ، أحد بنى سعد بن بكر ، فى أربعة آلاف ٱنتخبهم من جُنده . فسار بهم ٱبن عطية إلى المدينة .

ولـمّا بلغ أبا حمزة إقبالُ ٱبن عطية إليه ، سيَّر بَلْج بن عُقبة فى ستمائة رجل ، فلقى ٱبنَ عطية بوادى القُرى ، لأيام خلت من جُمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة ، فتواقفوا ، ودعاهم بَلْج إلى الكتاب والسُّنة ، وذكر بنى أُمية وظُلمهم ، فشتمهم أهل الشّام ؛ فحمل عليهم بَلْج وأصحابه ، وٱنكشفت طائفة منهم ؛ وثبت ٱبن عطية فى عُصبة صبروا معه ، فقُتل بَلْج وأكثر أصحابه ، وٱنحازت قطعة من أصحابه نحو المائة إلى جبلٍ فٱعتصموا به ؛ فقاتلهم ٱبن عطية ثلاثةَ أيام ، فقتل منهم سبعون ، وجاء ثلاثون إلى أبى حمزة ، فٱغتمُّوا وجزعوا من ٱنهزامهم وقالوا : فررنا من الزّحف . فقال لهم أبو حمزة : ولا تجزعوا ، أنا لكم فئة وإلىّ ٱنحزتم .

مقتله

ثم خرج أبو حمزة إلى مكة ، وٱستخلف على المدينة رجلاً يقال له : المُفضَّل . فدعا عمرَ بن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب الناس إلى قتالهم ، فلم يجد كبير أمر[1] ، لأنّ القتل كان شاع فى الناس ، وخرج وجوه

(١) التجريد : « أحد »

أهل البلد عنه ، فاجتمع إلى عمر البربر والزنج وأهل السّوق والعبيد ، فقاتل بهم الخوارج ، فقُتل المُفضل وعامة أصحابه ، وهرب الباقون ، فلم يبق فى المدينة منهم أحد . وقدم عبد الملك بن عطيّة المدينة فى الجيش الذى معه فأقام شهراً ، وأبو حمزة مُقيم بمكة . فتوجّه ابن عطية إلى مكة ، فصيّر أصحابه فريقين ، ولقى الخوارج من وجهين ، فصيّر طائفة بالأبطح ، وصار هو فى الطّائفة الأخرى بإزاء أبى حمزة ، أسفل مكة ، وصير أبو حمزة أبرهة بن الصباح بالأبطح فى ثمانين فارساً ، فقاتلهم أبرهة ، فانهزم أهل الشام إلى عقبة منى فوقفوا عليها ، ثم كرُّوا عليهم فقاتلوهم ؛ فقتل أبرهة ، وتفرّق الخوارج ، وتبعهم أهل الشام يقتلونهم ، حتى دخلوا المسجد ، والتقى أبو حمزة وابن عطية بأسفل مكة ، فخرج أهل مكة مع ابن عطية . فقُتل أبو حمزة على باب الشِّعب ؛ وأسر من الخوارج أربعمائة ، فدعا بهم ابن عطية فقال لهم : ويلكم ، ما دعاكم إلى الخروج مع هذا ؟ فقالوا : ضَمِن لنا الكنّة – يَريدون : الجنّة – ، وهى لغتهم . وصلب أبا حمزة وأبرهة بن الصباح ورجلين من أصحابهم على فَمِ الشّعب . ودخل على بن الحُصين داراً من دور قُريش ، فأحرق أهل الشام الدار ؛ فلما رأى ذلك رَمى بنفسه من الدار ، فقاتلهم ، فأسر وقُتل وصُلب مع أبى حمزة ، فلم يزالوا مصلوبين إلى أيام بنى العبّاس .

ولمّا قُتل أبو حمزة بعث ابن عطية برأسه إلى مَروان ، ومضى فَلّ أبى حمزة إلى عُبيد الله بن يحيى المُتسمى : طالب الحق ، فتوجّه للقاء ابن عطية . وبلغ ابن عطية خبرُه ، فشخص إليه ، فأكثر أهلُ الشام القتل فى الخوارج ، وأخذوا أثقالهم وأموالهم ، وتشاغلوا بالنهب . فركب عبدالله بن يحيى أكتافهم فكشفهم ؛ وقَتل منهم نحو من مائة رجل وقائدًا من قُوّادهم ، يقال له : يزيد بن حمل القُشيرى .

فذمّرهم[1] ابن عطيّة ، فكرّوا وانضم بعضهم إلى بعض ، فقاتلوا حتى أمسوا ، فكفّ بعضهم عن بعض . ثم التقوا فى موضع كثير الشّجر والكرم والحيطان ، فطال القتال بينهم ، وكثر القتل فى الخوارج ، فترجّل عبد الله بن يحيى فى ألف فارس فقاتلوهم حتى قُتلوا جميعاً عن آخرهم ، وانهزم الباقون فتفرّقوا فى كل وجه ، وبعث ابن عطية برأس عبد الله بن يحيى مع ابنه يزيد إلى مَروان .

الشعر الذى فيه الغناء

فقال عمرو ابن الحصين ، مولّى بنى تميم ، قصيدة يرثى بها عبد الله بن يحيى وأصحابه ، وأوّلها الشّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر عبد الله بن يحيى ، وهو :

هَبّت قُبيل تبلّج الفَجْر ... هندٌ تقول ودمعُها يَجْرِى
إن أبصرتْ عينى فدامعها ... ينهلّ وا كفُها على النّحر
أنَّى اعتراك وكنت عهدىَ لا ... سَرِبَ الدُّموع وكنتَ ذا صَبر

وبعد هذه الأبيات :

أقذًى بعينك لا يُفارقها ... أم عائرٌ أم مالها تذرى[2]
أم ذِكْرُ إخوان فُجعت بهم ... سَلكوا سبيلَهمُ على خُبْر
فأجبتُها بل ذِكْر مَصرعهم ... لا غيره عبراتها يَمْرِى
يا ربّ فاسلكنى سَبيلهمُ ... ذا العرش واشْدُد بالتُّقى أزْرى
فى فِتية صَبروا نفوسهمُ ... للمشرفيّة والقَنا السُّمر
تالله ألقى الدّهر مثلهمُ ... حتى أكونَ رهينةَ القَبر
أوفَى بذمّتهم إذا عَقدوا ... وأعفّ عند العُسر واليُسر

(١) ذمرهم : حضهم .

(٢) العائر : كل ما أعل العين ، والرمد والقذى .

متأهِّلين لـكُل صـالحة ناهُون مَن لاقَوا عن النُّكرِ

صُمتٌ إذا حضروا مجالسهم من غير ماعِيٍّ بهم يُزرى

متأوِّهون كأن جَمر غَضًى للخَوف بين ضُلوعهم يَسْرى

فهُم كأنَّ بهم جَوًى مَرضٍ أو مسَّهم طَرْفٌ من السِّحر

كم من أخٍ لك قد فُجِعت به قـوّام ليلته إلى الفَجر

مُتأوه يتلو قوارع من آى الـكتاب مُفرَّح[1] الصدر

وهى طويلة .

مقتل ابن عطية والانتقام لقتله

ثم أستخلف ابن عطية أبنَه محمد بن عبد الملك على مكة ، وأُستخلف على المدينة الوليد بن عروة بن عطية ، وتوجَّه إلى صنعاء ، فلما قَرُب منها هرب منها عامل عبد الله بن يحيى ، ودخل أبن عطية صنعاء وأستولى عليها ، وتتبع الخوارج فى كل موضع يقتلهم . ثم خرج عليه رجل من أصحاب عبد الله بن يحيى ، يقال له : يحيى بن عبد الله ، من آل ذى الـكَلاع ، فبَعث إليه أبنُ عطية أبنَ أخيه عبد الرحمن بن يزيد ، فلقيه فهزمه وقتل أصحابه ، وهرب منه فنجا ، ثم خرج عليه يحيى بن كَرب الحميرى بساحل البحر ، وأنضمّت إليه شُذاذ ، فبعث إليه أبا أُمية الـكِنْدىّ ، فقتل من أصحابه مائة رجل ، وتحاجزوا عند المساء فهربت إلى حضرموت ، وبها عبد الله بن سعيد ، عامل عبد الله بن يحيى ، وأجتمع إليه جمع كثير ، وأستفحل أمره . وبلغ أبنَ عطية خبره ، فأستخلف أبن أخيه عبد الله بن يزيد على صنعاء . وشخص إلى حضرموت . وبلغ عبد الله بن

(١) غير التجريد : « مفزع » .

سعيد[1] مسير ابن عطية إليه ، فجمع الطعام وكل ما يحتاج إليه فى مدينة شِبَام ، وهى حصن حضرموت مخافة الحصار . ثم خرج هو وأصحابه حتى نزلوا على أربع مراحل من حضرموت فى عدد كثير ، فأتاهم ابن عطية فقاتلهم يومه كله ، ثم أصبح فقاتلهم قتالاً كثيراً حتى انتصف النهار ، ثم تحاجزوا . وكان ابن عطية قد بعث عسكراً إلى شِبام ليلاً ، فلما أمسى من اليوم الثانى تبع عسكره الذى وجّهه إلى شِبَام ، وأصبح الخوارج لم يروا للقوم أثراً ، فأتبعوهم فوجدوهم قد سبقوهم إلى الحصن ، فأخذوا جميع ما فيه وملكوه . ونصب ابن عطية على الخوارج المسالح ، وقطع عنهم المياه والميرة ، وجعل يقتل مَن قدر عليه ويسبى ويأخذ الأموال .

ثم ورد عليه كتاب مَروان بن محمد يأمره بالتعجيل إلى مكة ليحُج بالناس . فصالح أهل حضرموت على أن يردَّ عليهم ما غرموا من أموالهم ، ويولّى عليهم مَن يختارون . فرضوا بذلك ، وصالحهم وشخص إلى مكة مُتعجلاً مخفًّا . ولما نفذ كتاب مَروان ندم على ذلك بعد أيام ، وقال : إنا لله ، قتلت والله ابن عطية ، هو الآن يخرج مُخفًّا مُتعجلاً ليلحق الحج فيقتله الخوارج . فكان كما قال ، توجّه إلى مكة فى جماعة يسيرة ، ثم أخذ فى طريق فى أربعة من أصحابه ، وتوجّه باقيهم فى طريق آخر ، وعلمت بهم الخوارج ، فوجّهوا فى إثر أصحابه نحو أربعين رجلاً فقتلوهم عن آخرهم . وأدرك سعيد وجمانة ابنا الأخنس الكِنديان ، ابنَ عطية فى أصحابهما ، فعطف عبد الملك بن عطية على سعيد فضربه ، وطعنه جمانة فصرعه عن فرسه ، ونزل إليه سعيد فقعد على صدره . فقال له ابن عطية : هل لك يا سعيد فى أن تكون أكرم العرب أسيراً ؟ فقال له : يا عدوّ الله ،

---

(١) غير التجريد : معبد .

أترى الله كان يُمهلك وقد قتلت طالب الحق ، وأبا حمزة ، و بلجا ، وأبرهة .
فقتله وقتل أصحابه جميعاً . و بعثوا برأسه إلى حضرموت . و بلغ ابنَ أخيه خبرُه ،
وهو بصنعاء . فأرسل شُعيباً البارقيّ فى الخيل ، فقتل الرّجال والصِّبيان ، و بقرَ
بطون النِّساء ، وأخذ الأموال ، وخرب القُرى ، فلم يُبق أحداً من قتلة ابن عطيّة
إلاّ قتلَه ، ولا من الخوارج باليمن . ولم يزل مُقيماً باليمن إلى أن قُتل مَروان
ابن محمد وظهرت الدّولة العبّاسية . وأفضَت الخلافة إلى أبى العبّاس السفّاح .

أخبـــار
عبد الله بن أبي معقل الأنصاري

نسبه

هو : عبد الله بن أبى معقل بن نَهيك بن إساف بن عدىّ بن زَيد بن جُشَم أبن حارثة بن الحـــارث بن الخزرج بن عمرو ــ وهو النَّبيت ــ بن مالك أبن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن أمرئ القس بن ثعلبة أبن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان .

وكان يقال لأبيه : منهب الورق . وقيل بل جدّه المُسمى بذلك ، لأنه كسب مالاً ، فعجب أهل المدينة بكثرته ، فأباحهم إيَّاه فنهبوه .

وكان عباد بن نَهيك بن إساف ، عمّ أبيه ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلّم ، وصلّى معه القبلتين ، صلى معه الظُّهر ، ركعتيْن منها إلى بيت المقدس ، وركعتيْن إلى الكعبة . وكان شيخاً كبيراً لا فضلَ فيه ، فوضع عنه النبي صلى الله عليه وسلّم الغزو .

وعبد الله بن أبى معقل شاعر مُقل ، من شُعراء الدَّولة الأموية .

وكان كثير الأسفار فى طلب الرِّزق ، فلامته أمرأته أم نهيك ، وهى أبنة عمِّه ، على ذلك ، وقد قَدِم من مصر ، فلم يلبث أن قال لها : جهّزينى إلى الكوفة ، إلى المغيرة بن شُعبة . فقد وليها ، وهو صديقى . فجهّزته ، ثم قالت : لا تزال تتردّد فى أسفارك هذه حتى تموت . فقال لها : أو أثرى .

الشعر الذى فيه الغناء

ثم أنشأ يقول : وهو الشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره :

أَأُمَّ نهيك ارفعى الطرف(1) صاعداً ... ولا تيأَسى أن يُثرِى الدَّهرَ بائسُ

سيُغنيك سَيرى فى البلاد ومَطلبى ... وبعل التي لم يَحْظَ فى البيت جالس

سأَكسب مالاً أو تبيتنَّ ليلةً ... بصدرك من وجدٍ على وَساوس

ومَن يطلُب المال الممنَّع بالقنا ... يَعِشْ مُثرِياً أو يُودِ(2) فيما يُمارس

ومنها :

فلولا ثلاث هُنّ من عيشة الفتَى ... وجدِّك لم أحفِل مَتى قام رامس

فمنهنّ تحريك الكُميت عنانه ... إذا ابتدر النَّهبَ البعيدَ الفوارس

ومنهنّ سَبْق العاذلات بشَربة ... كأنّ أخاها وهو يقظان ناعس

ومنهنّ تجريد الأوانس كالدُّمى ... إذا ابتزّ عن أكفالهن المَلابس

ثم قدم الكُوفة ، فلم يزل مُقيماً بها حتى وَلّى مصعب بن الزبير . فدخل إليه وهو يندب الناس إلى غزوة زرنج(3) ويقول : مَن لها ؟ فوثب عبد الله بن أبى معقل وقال : أنا لها . فقال : اجلس . فقال له : أدننى إليك حتى أكلمك . فأدناه . قال له قد علمت أنه لا يمنعك منّى إلاّ أنَّك تعرفنى ، ولو انتدب لها رجل ممّنْ لا تعرفه لبعثته ، فلعلَّك تحسُدنى أن أصيب خيراً ، أو أستشهد فأستريح من الدُّنيا والطَّلب لها . فأعجبه قوله وجزالته ، فولاّه ، فأصاب فى وجهه ذلك مالاً كثيراً ، وانصرف إلى المدينة ، فقال لزوجته : ألم أُخبرك فى شعرى أنَّه :

---

(1) التجريد : « الظن » .

(2) غير التجريد : « أو يرد » .

(3) زرنج : « قصبة سجستان » .

سيُغنيك سيرى فى البلاد ومَطلبى ... وبَعْل التي لم يحظ فى الحىّ جالس

فقالت : بلى والله ، لقد أخبرتنى ، وصدق خبرك .

وفى هذه الغزاة يقول :

إن يعشْ مُصعب فنحن بخَير ... قد أتانا من عَيشنا ما نُرجِّى

مَلِك يُطعم الطَّعام ويَسقى ... لبن البُخْت فى عِسَاس الخَلَنْج[1]

جَلَب الخيل من تهامة حتى ... بلغت خيله قُصور زَرَنْج[2]

(١) العساس : جمع عس ، وهو القدح الكبير . والخلنج : شجر .

(٢) زرنج · قصبة سجستان .

أخبار القطامى

اسمه

هو : عُمير بن شُيَيم .

دينه

وكان نصرانيا .

طبقته

وهو شاعر إسلامى ، مُقل مُجيد .

مدحه عبد الواحد ابن سليمان

وذُكر أنَّ القُطامى قدم الشام مادحاً عُمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ فقيل له : إنَّ الشِّعر لا يَنْفُقُ عنده ، ولا يُعطى عليه شيئاً ، وهذا عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك ، فامدحه فمدحه بقصيدته التى أوّلها :

إنَّا محيّوك فاسلم أيهـا الطَّلَلُ ... وإنْ بَليت وإن طالت بك الطِّيَلُ[1]

فقال له : كم أمّلت من أمير المؤمنين ؟ قال : أملت أن يُعطينى ثلاثين ناقة . قال : قد أمرت لك بخمسين ناقة مُوقرةً بُرًّا وتمراً وثياباً . ثم أمر فدُفع ذلك إليه .

تعقيب للشيبانى

ومن هذه القصيدة :

يَمشين رَهْواً فلا الأعجاز خاذلةٌ ... ولا الصُّدور على الأعجاز تَتَّكلُ

وقال أبو عمرو الشَّيبانى :

لو قال القُطامى بيته هذا فى صفة النساء لكان أشعر الناس .

لأعرابى فى التعقيب عليه

وحكى رجل ، كان يُديم الأسفار ، قال : سافرت مرّة إلى الشَّام ، فجعلت أتمثّل بقول القطامى :

قد يُدرك المتأنِّى بعضَ حاجته ... وقد يكون مع المُستعجل الزَّلَلُ

---

(١) الطيل : الدهور .

ومعى أعرابى قد أستعرت منــه مَركبى ، فقال لى : ما زاد قائل هذا الشعر على أن ثبَّط الناس عن الحزم ، فهلاَّ قال بعد قوله هذا :

وربما ضَر بعضَ الناس رَيْثُهمُ[1] وكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا

تعقيب لابن واصل

قلت :

وقد قال بعض المتأخرين بيتاً ، هو أَنصف من هذين البيتين ، وهو :

لا ذا ولا ذاك فى الإفراط أَحمده وأحمدُ الأمر ما فى ذاك يَعتدلُ

شعره الذى فيه الغناء

والشِّـــعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار القُطامى ، هو :

يَقْتُلْننا بحديث ليس يَعــلمه مَن يتقين ولا مَـكْنونه[2] بادِى

فهُنّ يَنْبذن من قولٍ يُصِبْن به مواقعَ الماء من ذى الغُلّة الصّادى

وهذا الشّعر من قصيدة يمدح بها القُطامى زُفر بن الحارث ، وكان أسره ، ثم مَنّ عليه وأطلقه . ومن هذه القصيدة :

مَن مُبْلِغٌ زُفرَ القيسىّ مِدْحتــه عن القُطامى قولاً غـــير إفناد

إنّى وإن كان قومى ليس بينهمُ وبين قومك إلاّ ضَرْبة الهادى[3]

مُثْنٍ عليك بمـا أستبقيتَ مَعرفتى وقد تَعرّض منّى مَقْتَـلٌ بادِى

فلن أُثيبك بالنّعماء مَشْــتمةً ولن أبدِّل إحساناً بإفســـاد

(١) غير التجريد : « بطؤهم » .

(٢) الديوان : « مكتومه » .

(٣) الهادى : العنق .

ذكر خبر وقعة ذى قار

بين الفرس وبكر بن وائل

كانت هذه الوَقعة بين الفُرس، وبكر بن وائل ، فانتصفت فيها العرب يومئذ من العجم .

زمنها

وكانت بعد وقعة بدر ، والنبيّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

فرُوى أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : ذاك يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبى نُصروا .

ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فيها

ورُوى أنّ النبى صلى الله عليه وسلم تمثلت له ، فرفَع يديه ودعا لبنى شَيبان ولجماعة ربيعة بالنصر ، ولم يزل يدعو لهم حتى أُرى هزيمة الفُرس .

و رُوى أنه قال صلى الله عليه وسلم : إيهاً بنى ربيعة ، اللهمّ انصُر بنى ربيعة .

حديث هذه الوقعة

وكان من حديث هذه الوقعة مُختصراً ، أنّا كُنا قد ذكرنا غَضب كسرى أبرويز بن هُرمز بن أنوشروان على النّعمان بن المُنذر ملكِ الحيرة ، وأنّ النّعمان أتى هانئ بن مَسعود ، أحد بنى ذُهل بن شَيبان ، واستودعه ماله وأهله وسلاحه .

وذُكر أنّه استودع عنده أربعة آلاف شكّة ــ والشكّة : السّلاح الكامل ــ ووضع وضائع عند أحياء من العرب . ثم أتى كسرى فوضع يده فى يده ، فحبسه بساباط ــ وقيل : بخانقين ــ حتى مات ، فلمّا هلك النّعمان جعلت بكر بن وائل تُغير على السّواد ، فوفد قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذى الجدّين على كسرى ، فسأله أن يجعل له أُكلا وطعمة ، على أن يضمن له على بكر بن وائل ألاّ يدخلوا السّواد ولا يُفسدُوا فيه ، فأقطعه كسرى الأُبلة وما والاها .

ثم إنَّ قوماً من عجل وشَيبان أغاروا على السَّواد وأفسدوا ، فغضب كسرى على بكر بن وائل ، و بلغه أنّ حلقة(١) النّعمان وأهله عندهم ، فأرسل كسرى إلى قيس بن مسعود ، فقال : غررتنى من قومك ، وزعمت أنك تكفينيهم . وأمر به فحُبِس بساباط ، و بعث إلى هانئ بن مسعود يقول له : إنما كان النّعمان عاملى ، وقد أستودعك ماله وأهله والحَلْقة ، فابعث بها ولا تُكلّفنى أن أبعث إليك و إلى قومك بالجنود ، تقتل المَقاتلة وتَسبى الذرية . فبعث إليه هانئ : إنَّ الذى بلغك باطل ، وما عندى كثير ولا قليل ، و إن يكن الأمر كما قيل فإنما أنا أحد رجلين ، إمّا رجل استُودع أمانة فهو حقيق بردّها إلى مَن استودعه إيّاها ، ولن يُسلم الحر أمانته ، أو رجل مكذوب عليه فليس ينبغى الملك أن يأخذه بقول عدو أو حاسد . ولما بلغ كسرى ذلك أحنقه ما صنعت بكر ابن وائل فى السّواد ، ومَنْع هانئ إيّاه ما منعه ، فأقبل حتى قطع الفُرات ، ودعا بإياس بن قَبيصة الطّائى ، وكان عامله على عين التمر وما والاها ، فاستشاره فى الغارة على بكر بن وائل . قال له إياس : إنّ الملك لا يصلح أن يعصيه أحد من رعيّته ، و إن تطعنى لم تُعلم أحداً لأىّ شىء قطعت الفُرات ، فيرَون أنّ شيئاً من أمر العرب قد كَرَشك(٢) ، ولكن ترجع وتَضرب عنهم وتبعث عليهم العيون حتى ترى غِرّة منهم ، ثم تُرسل خيلاً من العجم فيها بعض القبائل التى تَليهم ، فيُوقعون بهم وقعة الدّهر و يأتونك بطَلِبتك . فقال كسرى : أنت رجل من العرب وبكر بن وائل أخوالك ـ وكانت أم إياس أمامة بنت مسعود ، أُخت هانئ ـ فأنت تتعصّب لهم ولا تألوهم جَهداً فى المُناصحة . فقال إياس : رأى الملك أفضل . فقام إليه عمرو بن عدىّ بن زيد العبادى ـ وكان كاتبه

(١) الحلقة : الدروع والسلاح . (٢) كرشك : غمك .

وترجمانه بالعربية ـ فقال . أقم أيها الملك وابعث إليهم بالجنود يكفوك . وقام إليه النّعمان بن زُرعة التغلبى ، فقال : أيهـا الملك : إنّ هذا الحى من بكر بن وائل إذا قاظوا[1] بذى قار تهافتوا تهافُت الجراد فى النار . فعقد كسرى للنّعمان بن زُرعة على تغلب والنمر ، وعقد لخالد بن يزيد البهرانى على قُضـاعة و إياد ، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب ومعه كتيبتاه : الشهباء والدّوسر .

وكانت العرب ثلاثة آلاف ـ وعقد للهامرز على ألف من الأساورة ، وعقد لآخر من الفُرس على ألف ، و بعث معهم باللّطيمة ـ وهى عير كانت تخرج من العراق فيها البز والعطر والألطاف تُوصل إلى باذان عاملة على اليمن ـ وقال : إذا فرغتم من عدوّكم فسيروا بها إلى اليمن . وأمر عمرو بن عدى أن يسـير بها . وكانت العرب تخفر اللّطيمة وتُجيزها حتى تبلغ اليمن . وعهد كسرى إليهم إذا شارفوا بلاد بكر بن وائل أن يبعثوا إليهم النّعمان بن زُرعة ، فإن أتقوكم بالحلقة ومائة غلام يكونون رُهناء بما أخذت سفهاؤهم فاقبلوا منهم ولا تقاتلوهم . ففعلوا ما أمرهم به كسرى ، وسيّروا النّعمان رسولاً إلى بكر وائل ، فأدّى إليهم الرّسالة ، فأبوا قبول ذلك . وكان الذى حملهم على الامتنـاع من ذلك حَنظلة بن ثعلبة العجلى ، وأمر بقُبته فضُربت بذى قار ، ثم نزل ونزل الناس وأطافوا به ، وقال هانئ بن مسعود : أخرج هذه الحلقة ـ يَعنى حلقة النّعمان بن المُنـذر ـ فَفرّقها بين قومك ، فإن تظفر فسترد عليك ، و إن تهلك فأهون مفقود . فأمر بهـا فأخرجت ففرّقها بينهم . وقال حَنظلة للنّعمان بن زُرعة : لولا أنك رسول لمـا أبت إلى قومك سـالمًا . فرجع النّعمان إلى أصحابه فأخبرهم بمـا ردّ عليه القوم . فباتوا ليلتهم يستعدّون ، واستعدّت بكر بن وائل . فلمّـا أصبحوا أقبلت الأعاجم

(١) قاظوا : قضوا القيظ ، وهو الصيف .

نحوهم . وأمر حَنظلة بالظُّعن جميعاً فوقفها خلف النـــاس ، ثم قال : يامعشر بكر أبن وائل ، قاتلوا عن ظُعنكم . ثم قام إلى وَضين راحلة أمرأته ــ وهو بطان النَّاقة ــ فقطعه ، ثم تتبَّـــع الظُّعن فقطع وُضُنهن لئلّا يفرعنهن الرجال ، فسمّي يومئذ : مقطّع الوضين . فاُقتتل القوم صَدْر نهارهم أشـدّ القتال إلى أن زالت الشمس ، فشدّ الحوفزان ــ وهو الحارث بن شريك ــ على الهامرز فقتله ، وقَتلت بنو عِجل القائد الآخر ، وضرب الله وجوه الفُرس فانهزموا ، وتَتبَّعتهم بكر ابن وائل يقتلونهم ، ولحق أسود بن بجير العجلى النُّعمانَ بن زُرعة ، فقال له : يا نعمان ، هلُم إلىّ فأنا خير آسرٍ لك وخير لك من العطش . قال : ومَن أنت ؟ قال : الأسود أبن بجير . فوضع يده فى يده فجزّ ناصيته وخلّى سبيله . وحمله الأسود على فَرس له ، وقال له : أنج على يده فإنَّه أجود من فرسك . وجاء أسود بن بجير على فَرس النعمان أبن زُرعة .

وقُتل خالد بن يزيد البَهرانى ، قتـلَه الأسود بن شريك بن عمرو . وقتل يومئذ عمرو بن عدى بن زيد العبادى ، وأفلت إياس بن قبيصة على فرس كانت عند رجل من بنى تيم الله ، يقال له : أبو ثور ، أرسل بها إليه أبو ثور لمَّا أراد الغزو . فقاتلتهم بكر بن وائل بقية يومهم وليلتهم حتى أصبحوا من الغد ، وقد شارفوا السَّواد ، فلم يفلت منهم كبير أحـد ، وأقبلت بكر بن وائل على الغنائم فقَسموها بينهم ، وقسموا تلك اللَّطائم بين نسائهم ، وكان أوّل مَن انصرف إلى كسرى إياس بن قَبيصة ، وكان لا يأتيه أحد بهزيمة جيشه إلاَّ نزع كتفيه . فلمَّا أتاه إياس سأله عن الخبر ، فقال : قد هزمنا بكر بن وائل وأتيناك بنسائهم . فأعجب ذلك كسرى وأمر له بكسوة ، ثم استأذنه إياس عند ذاك ، فقال : إنَّ أخى مريض بعين التمر ، وإنمـا أراد أن يتنحّى عنه ، فأذن له كسرى ، فترك فرسـه الحمامة

ـ وهى التى كانت عند أبى ثور بالحيرة ـ وركب نَجِيبته ، فلحق بأخيه . ثم أتى كسرى رجل من أهل الحيرة ، فسأل : هل دخل على الملك أحد ؟ فقالوا : نعم ، إياس . فقال : ثكلت إياساً أمه . وظنّ أنه قد حدّثه بالخبر ، فدخل عليه وأخبره بهزيمة القوم وقتلهم . فأمر فنُزعت كتفاه .

وفخرت بكر بهذه الوقعة فأكثرت . فقال أبو كلب التَّيمى فى ذلك :

لولا فوارسُ لا مِيلٌ ولا عُزُل ... من اللهازم ما قِظتم بذى قارِ

إن الفوارس من عِجْل همُ أنفوا ... بأن يُخَلُّوا لكسرى عَرصة الدَّار

لاقَوا فوارس من عِجْل بشكّتها ... ليسوا إذا قلّصت حربٌ بأَغْمار

قد أحسنت ذُهل بن شيبان وماعدلت ... فى يوم ذى قار فرسان ابْن سَيّار

هم الذين أتوهم عن شمائلهم ... كما تلبَّس وُرّاد بصُدَّار

وقال الأعشى :

شعره الذى فيه الغناء

فِدًى لبنى ذُهل بن شيبان ناقتى ... وراكبها يوم اللقاء وقلَّتِ

همُ ضربوا بالحِنْوِحِنْو قُراقر ... مقدِّمة الهامَرْز حتى تولَّت

وقال أبو نجدة لجيم بن سعد ، شاعر بنى عِجْل ، وكان مع أحمد بن عبد العزيز ابن دُلف مُنقطعاً إليه ، فى ذلك . وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر وقعة ذى قار :

يا بن الذين سما كسرى لجمعهمُ ... فجلَّلوا وجهه قاراً بذى قارِ

دوّخ خُراسان بالجُرد العِتاق وبالبيـ ... ـض الرِّقاق بأيدى كلِّ مِسْعار

وكان سبب قوله هذا الشعر أنّ قائداً من قواد أحمد بن عبد العزيز هَرب إلى

عمرو بن اللّيث صاحب خُراسان ، فغَم ذلك أحمد وأقلقه ، فدخل إليه أبو نجدة فأنشده هذين البيتين ، و بعدهما :

المستجير بعمرو عند كُربته كالمُستجير من الرّمضاء بالنّار

يا مَن تيمّم عمراً يستجير به أمَا سمعتَ ببَيْتٍ فيه سيّار

فسُرَّ أحمد بذلك وسُرى عنه ، وأمر لأبى نجدة بجائزة ، وخلع عليه وحمله .

أخبار القحيف

نسبته

ثم ذكر أبو الفرج: القُحيف بن خُمير[1]، أحد بنى طُفيل بن مالك بن خفاجة ابن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

طبقته

وهو شاعر مقل ، من شعراء الإسلام .

تشبيبه بخرقاء

وكان يشبّب بخَرقاء ، التى كان ذو الرّمة يشبب بها ، وفيها يقول :

وخرقاء لا تَزداد إلاّ ملاحــــة ولو عُمِّرت تعمير نُوح وجلَّت

وكانت كما قيل : أصبح من الفرس . وجاوزت تسعين سنة .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار القُحيف ، هو :

خليلىّ ما صَبرى على الزّفرات وما طاقتى بالهمّ والعَـــبراتِ

تَســـاقطُ نفسى كلّ يوم وليلة على إثر ما قد فاتهـــا حَسرات

(١) التجريد : « عمر » .

أخبار الفند الزماني

ثم ذكر الفِند الزّمانى .

نسبه

وهو : سَهل بن شَيبان بن رَبيعة بن زِمّان بن مالك بن صعب بن على أبن بكر بن وائل .

وهو أحد فرسان ربيعة المعدودين .

فارس

والفِند : لقب غلب عليه ، شـبّه بالفند من الجبل ، وهى القطعة العظيمة ، لعظم خلقه .

لقبه

وشهد حرب بكر وتغلب وقد قارب مائة سنة .

عمره

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبـاره من أبيات الحماسة ، وهو :

شعره الذى فيه الغناء

صَفحنا عن بنى ذُهل ... وقُلنا القوم إخوانُ

عسى الأيام أن يَرجِـ ... ـعن قوماً كالذى كانُوا

فلمّا صرّح الشرُّ ... فأمسى وهو عُريان

ولم يَبق سوى العُدوا ... ن دِنَّاهم كما دانُوا

و بقيّة الشعر :

وَطعن كفَم الزِّق ... غـذاً والزِّق ملآن

وبعض الحلم عند الجهـ ... ـل للذلّة إذعان

وفى الشرّ نجاة حيـ ... ـن لا يُنجيك إحْسان

أخبار أبى صخر الهذلى

* هو : عبد الله بن مُسلم[1] السَّهمى ، أحد بنى هُذيل .

نسبه
طبقته

وهو شاعر إسلامى ، من شُعراء الدَّولة الأُموية ، وكان مُواليًا لبنى أُمية ، مُتعصبًا لهم .

مدح عبد الله وعبد العزيز ابنى مروان

وله فى عبد الملك بن مروان ، وأخيه عبد العزيز بن مروان ، مدائح كثيرة .

هو وعبد الله ابن الزبير

وذكر أنَّه لمَّا تُوفى يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، وظهر عبد الله بن الزُّبير على الحجاز وغلب عليها ، وتشاغل بنو أُمية بالحرب فى مَرج راهط وغيره ، دخل عليه أبو صَخر الهُذلى ليَقبض عطاءه ، وكان عارفًا بهواه فى بنى أُميــة ، فمنعه عطاءه ، فقال : يمنعنى حقًّا لى وأنا امرُؤٌ مُسلم ، ما أحدثت فى الإسلام حَدثًا ، ولا أخرجت من طاعة يدا . فقال : عليك ببنى أُمية ، فاطلُب عندهم عطاءك . فقال إذن أجدهم سِباطًا أكُفهم ، سمحة أنفسهم ، بُذَّلاً لأموالهم ، وهَّابين لُمجتديهم ، كريمة أعراقهم ، شريفة أُصولهم ، زاكية فُروعهم ، قريبًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نَسبهم وسَبَبهم ، ليسوا إذا نُسبوا بأذناب ولا وشائظ[2] ولا أتباع ، ولا هم من قُريش كفَقعة[3] القاع ، لهم السُّؤدد فى الجاهلية والمُلك فى الإسلام ، لا كمن لا يُعدّ فى عِيرها ولا نَفيرها ، ولا حَكم أباؤه فى نَقيرها

---

* من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(١) التجريد : « مسلم » .

(٢) الوشائظ : جمع وشيظة ، وهى القطعة من العظم تكون زيادة فى العظم الصميم .

(٣) الفقعة ، بكسر ففتح : جمع فقع ، بالفتح ويكسر : الأبيض من الكمأة . والقاع : المنخفض من الأرض . وبها يضرب المثل للذليل ، فيقال : أذل من فقع بقاع ، لأنه يوطأ ويداس .

ولا قِطْميرها ، ليس من أحلافها المُطيبين[1] ولا من ساداتها المُطيمين ، ولا جُودائها[2] الوهّابين ، ولا من هاشمها المنتخبين ، ولا عبد شمسها المسوَّدين ، كيف تُقاس الرُّؤوس بالأذناب ، وأين النّصل من الجفن ، والسِّنان من الزُّج ، والذُّنابى من القُدامى ، وكيف يُفَضَّل الشَّحيح على الجواد ، والسُّوقة على الملك ، والمُجيع بُخلاً على المُطعم فضلا .

فغضب ابن الزُّبير حتى ارتعدت فرائصه ، وعَرِق جبينه ، واهتز من قرنه إلى قدمه ، وامتُقِع لونه . ثم قال : ياابن البَوّالة على عقبيها ، يا جلف يا جاهل ، أمَا والله لولا الحُرمات الثلاث : حُرمة الإسلام ، وحُرمة الحرم ، وحُرمة الشّهر الحرام ، لأخذت الذى فيه عيناك ، ثم أمر به إلى سجن عارم فحبس فيه مدة ، ثم استوهبته قريش وهذيل ، ومَن له من قريش خؤولة فى هذيل ، فأطلقه بعد سنة ، ثم أقسم لا يعطيه عطاء مع المسلمين أبداً .

هو وعبد الملك ابن مروان

فلمّا قتل عبدُ الله بن الزُّبير وأجمع النّاس على عبد الملك بن مروان ، دخل إليه فقرّبه وأدناه ، وقال : لم يخف علىّ خبرك مع الملحد ، ولا ضاع لك عندى هواك ومُوالاتك . فقال : أما إذ شفى الله نفسى وأرانيه قَتيل سيفك ، وصَريع أوليائك ، مصلوباً مهتوك السّتر ، مفرّق الجمع ، فما أُبالى ما فاتنى من الدُّنيا .

ثم استأذنه فى الإنشاد ، فأذن له . فأنشده قصيدته التى أوّلها :

* عَفَت ذاتُ عِرْقٍ عِصْلُها ورُمامها[3] *

---

(١) يشير إلى حلف المطيبين ، الذى اجتمع فيه بنو هاشم وبنو زهرة وتيم فى دار ابن جدعان فى الجاهلية وجعلوا طيبا فى جفنة وغمسوا أيديهم وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم ، فسموا : المطيبين .

(٢) جوداء : جمع الجمع لجواد .

(٣) العصل : شجر الدفلى .

فأقصرْ فلا ما قد مَضى لك راجع ... ولا لذةُ الدُّنيا يدُوم دوامُها

وفَدٌّ[1] أمير المؤمنين الذى رَمَى ... بجأواء جُمهورٍ[2] يَسيلُ رُكامها[3]

من أرض قرى الزَّيتون مكة بعدما ... غُلبنا عليها واُستُحل حرامها

وإذ عاث فيها الفاسقون فأفسدوا ... فخيفت أقاصيها وطار[4] حمامها

فأمر له عبدُ الملك بما فاته من العطاء، و بمثله صلة من ماله، وكساه وحمله.

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار صخر، هو من مختار شعر هُذيل:

أمَا والذى أبكَى وأضحك والذى ... أمات وأحيا والذى أمْره الأمْرُ

لقد تركتْنى أحسُد الوحْش أن أرى ... أليفَيْن منها لا يَرُوعها الزَّجْر

فياحُبها زِدْنى جَوًى كلَّ ليلة ... ويا سَلوة الأيام موعدُك الحَشْر

ويا هَجر لَيلى قد بلغتَ بى المَدَى ... وزِدْتَ على ما لم يكن بَلغ الهَجر

عَجِبت لِسَعى الدَّهر بينى و بينها ... فلما انقضى ما بيننا سَكَن الدَّهر

ومنها:

إذا لم يكن بين الخليلين رِدَّة ... سوَى ذِكْرِ شىء قد مَضى دَرس الذكر

إذا قلتُ هذا حين أسلو يَهيجنى ... نسيمُ الصَّبا من حيثُ يَطّلع الفَجر

وإنّى لتعرونى لذكراك رعدة[5] ... كما انتفض العُصفور بلَّله القطر

---

(١) غير التجريد: «وإن». (٢) التجريد: «جمهور».

(٣) الجأواء: الكتيبة التى يعلوها لون السواد لكثرة الدروع. والركام: السحاب المتراكب. شبهها فى تدافعها به.

(٤) التجريد: «وطل». أشعار الهذليين: «فخافت فواشيها». والفواشى: المال الراعى.

(٥) غير التجريد «فترة».

هَجرتُك حتى قيل لا يَعرف الهوَى ... وزُرتك حتى قيل ليس له صَبرُ

ومنهـــــا :

وليست عشيّات اللِّوى[١] برواجع ... لنا أبداً ما أورق السَّلم[٢] النَّضر

وإنِّى لآتيها لـكيما تُثيبنى[٣] وأوذ ... نَها بالصَّرم ما طَلع الفَجــر

فمـا هُو إلاّ أن أراها فُجـاءة ... فأبهت لا عُرف لدىّ ولا نُكْر

تـكاد يَدى تَنْدى إذا ما لمستُها ... ويَنْبت فى أطرافها الوَرق الخضر

من جيد شعره

ومن جيد شعره ونادره قوله :

بِيَــــد الّذى شَغف الفُؤاد بكم ... تفريج[٤] ما أَلقَى مِن الهَـمِّ

همٌّ من أجلك ليس يَـكْشِفه ... إلاّ مَليك جائر الحُــكْم

ويُقرّ عَيْنى وَهْى نازحـــة ... ما لا يقرّ بعَين ذى حــلم

إنّى أرى وأظن أنْ سترى ... وَضَح النَّهار وعالىَ النَّجْم[٥]

ولو أنّنى أُسقى على سَقَمى ... بلَمى عوارضها شُفِى سَـــقمى

ولقد عَجِبتُ لنَبــــل مُقتدر ... جرح الفؤاد بهـا وما يُدمى[٦]

يَرمى فيَجرحنى[٧] برَميتـــــه ... فلو أننى أرمى كما يرمى

(١) غير التجريد : « الحمى » .

(٢) السلم : شجر .

(٣) غير التجريد : « وإنى لآتيها وفى النفس هجرها » .

(٤) غير التجريد وأشعار الهذليين : (فرج » .

(٥) هذا البيت ساقط بين أيدينا من أصول الأغانى .

(٦) أشعار الهذليين : « بسط الفؤاد بها ولا يدمى» .

(٧) أشعار الهذليين : « فلا تشويك » .

قد كان صُرم فى الممات لنا فعَجِلْتِ قبل الموت بالصُّرمِ

فتيقّنى[1] أنْ قد كلفتُ بكم ثم أفعلى ما شئتِ عن عِلْمْ

استشهاد غلام ببيت فى حديث له مع النظام

وذُكر أنَّ إبراهيم النظَّام لقى غلاماً أمرد فاستحسنه ، فقال له : يافتى ، لولا أنه سبق من قول الحكماء ما جَعلوا به السَّبيل المُثلى إلى مثلك ، فى قولهم : «لاينبغى لأحد أن يكبر عن أن يسأل، كما لا ينبغى لأحد أن يصغر عن أن يقول» لما أنست لمخاطبتك ولا هَششت إلى محادثتك ، ولكنه سبب الإخاء وعقد المودّة، ومحلك من قلبى محل الرّوح من جسد الجبان. فقال الغلام ، وهو لا يعرفه: قال إبراهيم النظّام : إنَّ الطبائع توافق ما يُشاكلها بالمُجانسة، وتميل إلى ما يوافقها بالمؤانسة ، وكيانى مائل إلى كيانك بكُليتى ، ولو كان الوُدّ الذى أنطوى لك عليه عَرضا ، ما اُعتددتُ به ، ولكنه جوهر جسمى ، فبقاؤه ببقاء النفس ، وعدَمه بعدمها ، وأقول كما قال الهذلى :

فاُستيقنى أن قد كلفت بكم ثم اُفعلى ما شئتِ عن عِلم

فقال له النظّام : إنَّما خاطبتك وأنت عندى غلام مُستحسن ، ولو علمت أنك بهذه المنزلة لرفعتك إلى رُتْبتها .

---

(١) عبر المحرر : « فاستيقنى » .

أخبار يحيى بن أبي طالب (*)

قبيلته ودولته

هو شاعر من أهل اليمامة من بني حَنيفة ، مُقلّ ، من شُعراء الدَّولة العبَّاسية .

منهجه

وكان فصيحاً غَزِلاً فارساً .

خروجه إلى الرى وموته بها

وركبه دَين في بلده فهَرب إلى الرَّى ، فخرج إليها مع بَعث توجَّـه إليها ، فمات بها .

شعره الذى فيه الغناء

وقال بالرَّى شعره الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو :

أَلاَ هَلْ إلى ريح الخُزَامى ونَظرة ... إلى قَرْقرَى قبل الممات سَـبيلُ

ويا أثلاتِ القاع من بَطْن تُوضَح ... حَنيني إلى أفيائكن[1] طَويل

ويا أَثلاتِ القاع قَلبي مُوكَّل ... بكُنّ وجَدْوَى غيركنّ[2] قليل

ويا أثلاتِ القاع قد مَلّ صُحبتى ... وقُوفى فهل فى ظِلّكنّ مَقيل

بين إسحاق الموصلى وبين الرشيد فى أمره

وحُكى أنّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي غنّى الرَّشيد فى شعر يحيى بن أبى طالب :

الأهل إلى شَم الخُزامى ونَظرة ... إلى قَرقرى قبل الممات سَبيل

فأطربه ، وسأل عن قائل الشّعر ، فذكره له ، وأعلمه أنه حىّ ، وأنه هرب من دين عليه ، وأنشده قوله :

أُريد رُجوعاً نحوكم فَيصُدنى ... إذا رُمته دينٌ علىَّ ثقيـل

(*) غير التجريد : « يحيى بن طالب » .

(١) غير التجريد : « أطلالكن » .

(٢) التجريد : « خيركن » .

فأمر الرّشيد أن يكتب إلى عامل الرّى بقضاء دينه عنه ، و إعطائه نفقة ، و إنفاذه إليه . فوصل الـكتاب يوم مات يحيى بن أبى طالب .

شعره فى محبوبته بعد أن خرج عنها إلى مكة

وذُكر أنّ يحيى بن أبى طالب كان يجالس أمرأة من قومه و يألفها ، ثم خرج مع والى اليمامة إلى مكة ، فا بتاع منه الوالى إبلاً بتأخير ، فلمّـا صار بمكة عُزل الوالى ، فلَوَى يحيى ماله مُدة ، وضاق صدره وتشوّق إلى اليمامة وصاحبته التى كان يتحدّث إليها ، فقال :

تصبَّرتُ عنهـا كارهاً وهجرتُها وهِجْرانُها عندى أَمرٌ من الصَّبْرِ

إذا أرتحلت نحو اليمامة عُصبة دعانى الهوَى وأهتاج قلبى للذِّكْر

كأنّ فؤادى كلَّـا عنَّ ذِكْرُها جناحَا عُقاب رامَ نَهضاً إلى وَكر

أخبــار
عروة بن حِزام بن مُهاصر (١)

قبيله

أحد بنى عُذرة .

عهده

شاعر إسلامي .

هوى عفراء

وهو أحـــد المُتيَّمين الذين قتلهم الهوى ، وكان يهوى ابنة عمّه عَفراء بنت عِقال(٢) .

حديث عشقه عفراء

وكان من حديثه أنّ حِزاما أباه هلك ، ونَزل عُروة ابنه صغيراً فى حِجر عمّه عقال بن مُهاصر ، وكانت عَفراء تِرْباً لعُروة يَلعبان جميعاً ويكونان معاً ، حتى ألف كل واحد منهما صاحبه إلفاً شديداً ، وكان عقال يقول لعُروة ، لما يَرى من إلفهما : أبشر فإنَّ عَفراء امرأتك إن شاء الله . فكانا كذلك حتى لحقت عَفراء بالنســاء ، ولحق عُروة بالرِّجال ، فأتى عُروة عمَّة له يقال لهـا هند بنت مُهاصر ، فشَكى إليها ما به من حُب عَفراء ، وقال لهـا فى بعض ما يقول لهـا : يا عَمَّة ، إنِّى لأُكلمك وأنا منك مُستحٍ ، ولـكن لم أفعل هذا حتى ضِقت ذرعاً بمـا أنا فيه . فذهبت عمتُه إلى أخيها ، فقالت : يا أخى ، قد أتيتك فى حاجـة أُحبّ أن تُحسن فيها ، فإنّ الله يأجُرك بصلة رحمك فيما أسألك . فقال لهـا : قُولى ، فلن تسأليني حاجة إلاّ رددتُك بهـا . قالت : تزوِّج ابن أخيك عُروة بنتك عَفراء . فقال : ما عنه مذهب ولا هو دون رجل يُرغب فيه ، ولا بنا عنه رغبة ، ولـكنه ليس بذى مال ، وليست عليه عجلة . فطابت نفس عُروة وسكن بعض السُّـكون .

---

(١) الجمهرة لابن حزم (٤٤٩) : « عروة بن حزام بن مالك » .

(٢) الجمهرة : « عفراء بنت مهاصر بن مالك » .

وكانت أمها سيئة الرّأى فيه ، وتريد لابنتها ذا مال ووفر ، وكانت عُرضة ذلك كمالاً وجمالا . فلمّا تكاملت سِنّ عُروة وبلغ أشدّه ، عرف أنّ رجلاً من قومه ذا يسار ومال كثير يَخْطبها ، فأتى عمّه فقال : ياعم ، قد عرفت حقّى وقرابتى ، وأنا ولدك ورُبيت فى حجرك ، وقد بلغنى أنّ رجلاً يخطب عَفراء ، فإن أسعفته بطلبته قَتلتنى وسفكت دَمى ، فأنشدك الله ورحمى وحقّى . فرَقّ له وقال : يا بُنَىّ ، أنت مُعدم وحالنا قريبة من حالك ، ولست مُخرجها إلى سواك ، وأمها أَبت أن تُخرجها إلاّ بمهر غال . فاضطربْ واسترزق الله . فجاء إلى أمها فلاطفها وداراها ، فأبت أن تُجيبه إلاّ بما تحتكم من المَهر ، وبعد أن يسوق شطره إليها . فوعدها بذلك ، وعلم أنه لا تنفعه قرابة ولا غيرها إلاّ بالمال الذى طلبوه . فعمل على قصد ابن عمٍ له مُوسر ، وكان مُقيماً باليمن ، فجاء إلى عمّه وإلى امرأته فأخبرَهما بعَزمه ، فصوّباه ووعداه ألاّ يُحدثا حدثاً حتى يعود ، وصار فى ليلة رحيله إلى عَفراء ، فجلس عندها هو وجوارٍ لها ليلةً يتحدّثون حتى أصبحوا ، ثم ودّعها وودّع الحىّ وشدّ على راحلته . وصحبه فى طريقه فَتيان من بنى هلال ابن عامر كانا يألفانه ، وكان حياهم مُتجاورين ، وكان فى طول سفره ساهياً يكلّمانه فلا يفهم ، فِكْره فى عَفراء ، حتى يُرد عليه القول مراراً ، حتى قدم على ابن عمّه فلقيه وعرّفه حاله وما قدم له ، فوصله وكساه وأعطاه مائة من الإبل . فانصرف بها إلى أهله . وكان رجل من أهل الشّام من أنسباء بنى أمية نزل فى حىّ عَفراء ، فنَحر وأطعم ووهب ، وكان ذا مال عظيم ، فرأى عَفراء ، وكان منزله قريباً من منزلهم ، فأعجبته فخطبها إلى أبيها ، فاعتذر إليه وقال : قد سمّيتها باسم ابن أخ لى يَعدلها عندى ، وما إلى تزويجها إلى غيره سبيل . فقال : إنّى أرغبك فى المَهر . فقال : لاحاجة لى إلى ذلك . فعدل إلى أمها ، فوافق عندها قبولاً لبذله ورغبةً فى ماله ، فأجابت وجاءت إلى عقال فصخبت عليه وآذته وقالت : أىّ

خـــير فى عُروة حتى تحبس ابنتى عليه ، وقد جاء الغنى يطرق عليها بابها ، والله ما تدرى أعُروة حىّ أم ميّت ؟ وهل ينقلب إليك بخير أم لا فتكون قد حرمت ابنتك خيرًا حاضرًا و رزقًا سَنيّا . فلم تزل به حتى قال لها : فإن عاودنى خاطبًا أجبت . فوجّهت إليه : عُد إليه خاطبًا . فلمّا كان من غد نحر جُزرًا عدّة وأطعم ووهب ، وجمع الحىّ معه على طعامه ، وفيهم أبو عفراء . فلمّا طعموا أعاد القول فى الخطبة ، فأجابه و زوّجه ، وساق إليه المَهر ؛ وحُوّلت إليه عفراء ، وقالت قبـــل أن يدخل بها :

يا عُرو إنّ الحىّ قد نَقَضوا عهـــد الإله وحاولوا الغَدْرَ

فى أبيات طويلة .

فلمّا كان اللّيل دخل بها زوجُها ، وأقام فيهم ثلاثًا ، ثم ارتحل إلى الشّام .

وعمد أبوها إلى قبر عتيق فجدّده وسوّاه ، وسأل الحىّ كتمان أمرها . وقدم عُروة بعد أيام فنَعاها أبوها إليه ، وذهب به إلى ذلك القبر : فمكث يختلف إليه أيّامًا وهو مُضنًى هالك ، حتى جاءته جارية من الحى فأخبرته الخبر ، فتركهم ، وركب بعض إبله ، وأخذ زادًا ونفقةً ورحل إلى الشّام حتى قَدمها ، وسأل عن الرجُل فأُخبر به ودُل عليه ، فقصده وانتسب له فى عدنان ، فأكرمه وأحسن ضيافته . فمكث أيامًا حتى أنِسوا به، ثم قال لجارية لهم : هل لكِ فى يدٍ تُولينها ؟ قالت : نعم . قال تدفعين خاتمى هذا إلى مَولاتك . فقالت : سوأة لك ، أمَا تستحى من هذا القول ! فأمسك عنها ثم أعاد عليها وقال : وهى والله بنت عمّى ، وما هنا أحد إلاّ وهو أعزُّ على صاحبه من الناس جميعًا ، فاطرحى هذا الخاتم فى صَبوحها ، فإن أنكرت عليك فقُولى : اصطبح ضيفُنا قبلك ولعلّه سقط منه ، فرقّت له الأَمَة وفعلت ما أمرها به . فلمّا شربت عَفراء اللبن رأت الخاتم

فعرفته ، فشهقت ثم قالت : أصدقيني عن الخبر . فصدقتها . فلمّا جاء زوجها قالت : أتدرى مَن ضيفك ؟ قال : نعم : فلان بن فلان ــ النّسب الذى انتسبه له عروة ــ فقالت : كلا والله ياهذا ، بل هو عُروة بن حزام ابن عمّى ، وقد كتمك نسبه حياء . فبعث إليه فدعاه وعاتبه على كتمانه إيّاه نفسه ، وقال له : بالرُّحب والسَّعة ، نشدتُك الله إن رِمْت هذا المكان أبداً . وخرج وتركه مع عَفراء ، وأوصى خادماً له بالاستماع إليهما و إعادة ما يسمعه منهما عليه . فلمّا خَلوا تشاكيا ما وَجدا من الفِراق ، فطالت الشّكوى ، وهو يبكى أحرّ بكاء . ثم أتته بشراب فقال: والله ما دخل جَوفى حرام قط ولا ارتكبته منذ كنت ، ولو كنت استحللت حَراماً لكنت استحللته منكِ ، فأنتِ حظّى من الدُّنيا وقد ذهبت عنّى، وذهبت بعدك فما أعيش ، وقد أجمل هذا الرّجل الكريم وأحسن ، وأنا أستحى منه ، ووالله ما أقيم بعد علمه بمكانى ، و إنّى أعلم أنّى أرحل إلى منيتى . فبكت وبكا . وانصرف . فلمّا جاء زوجها أخبره الخادم بما جرى بينهما . فقال لها : يا عَفراء ، امنعى ابن عمّك من الخروج . فقالت : لا يمتنع ، هو والله أكرم وأشدّ حياء أن يقيم بعد ماجرَى بينكما . فدعاه وقال له : يا أخى ، اتق الله فى نفسك ، فقد عرفت خبرك ، فإنك إن رحَلت تَلِفْت، و والله لا أمنعك من الاجتماع معها ، ولئن شئت فارقتها وأنزل عنها لك . فجزاه خيراً وأثنى عليه ، وقال : إنما كان الطَّمع فيها آفتى ، والآن فقد يئست وقد حملت نفسى على الصّبر ، فإنّ اليأس مُسْلٍ ، ولى أمور ولابدّ من الرُّجوع إليها ، فإن وجدتُ فى نفسى قُوَّة على ذلك و إلاّ رجعت إليكم وزُرتكم حتى يقضى الله فى أمرى ما يشاء . فزوّدوه وأكرموه وشيّعوه ، وانصرف . فلمّا رحل عنهم نكس بعد صلاحه وتماثله وأصابه غشى وخَفقان ، فكان كلّما أغمى عليه ألقى على وجهه خِمار لعفراء زوّدته إيّاه ، فيفيق .

شعره بعد لقائه ابن مكحول

ولقيه فى الطريق ابن مكحول عرّاف اليمامة ، فرآه وجلس عنده ، وسأله عمّا به ، وهل هو خَبل أو جنون . فقال له عُروة : ألك خبرة بالأوجاع ؟ قال: نعم . فأنشأ يقول :

وما بِىَ من خَبل وما بِى مَجَنَّة(١) ... ولكن عمّى يا أُخَىّ كذُوب

أَقول لعرّاف اليمامة داونى ... فإنَّك إن داويتنى لأَريب(٢)

فوا كبدى أمست رُفاتاً كأَنّما ... يُلذعها بالمُوقدات لَهيب

عشيّة لا عفراءُ منك بعيدة ... فتسلو ولا عفراء منك قَريب

عشيّة لا خلفى مكرّ ولا الهوى ... أمامى ولا يَهوى هوایَ غريب

فوالله لا أنساك ماهبّت الصَّبا ... وما عَقبتها فى الرِّياح جَنوب

وإنِّى ليَغشانى لذكراك هزّة ... لها بين جلدى والعِظام دَبيب

شعره الذى فيه الغناء

وقال أيضاً الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره :

لَعمرك إنى يوم بُصرى وناقتى ... لمختلف الأهواء يَصطحبانِ

متَى تحملى شوقى وشوقَك تظلُعى ... وما لك بالحِمل الثقيل يَدانِ

ألا ياغُرابَى دِمنة الدار خبِّرا ... أبالبين من عَفراء تَنْتَحِبان

فإن كان حقًّا ما تقولان فاذْهبا ... بلحمى إلى وَكْريكما فكُلانى

ولا يعلمنّ الناس ما كان ميتتى ... ولا يأكُلن الطير ما تَذران

جعلت لعرّاف اليمامة حُكمه ... وعرّاف حُجر إنْ هما شَفيانى

---

(١) فى غير التجريد: «من جنة» مكان «مجنة»، والجنة والمجنة بمعنى . وبما أثبتناه يستقيم الوزن .

(٢) غير التجريد : «لطبيب» .

فما تركا من حيلة يعلمانها ... ولا رُقيةٍ إلاّ وقد رَقيانى
وقالا شفاكَ الله والله مالنا ... بما ضَمِنت(١) منك الضُّلوع يَدان
كأنّ قطاةً عُلِّقت بجَناحها ... على كبدى من شدّة الخفقان

ومنها يخاطب صاحبيه الهلاليّين :

خَليليَّ من عُليا هلال بن عامر ... بصنعاء عُوجا اليومَ فانتظرانى
ولا تَزهدا فى الذُّخر عندى وأَجملا ... فإنكما بى اليوم مُبتليان
ألمّا على عَفراء إنكما غداً ... بوَشْك النَّوى والبَين مُعترفان
فيا واشيَىْ عفراء ويحكما بمَن ... وما وَالى من حيثُما تَشيان
بمَن لو أراه عانياً لفديتُه ... ومَن لو رآنى عانياً لفَدانى
متى تكشفا عنّى القميص تبيَّنا ... بىَ الضُّرَّ من عَفراء يا فتيان
إذن تريا لحماً قليلاً وأعظُماً ... بَلِينَ وقلباً دائمَ الخفقان
لقد تَركتنى لا أعِى لمُحدِّث ... حديثاً وإن ناجيته ونجانى
فوَيلى على عفراء ويلٌ كأنه ... على الصّدر والأحشاء حدُّ سِنان
أحبّ ابنة العُذرىّ حُبّا وإن نأت ... ودانيت منها غير ما هو دانى
إذا رام قلبى هَجرها حال دونه ... شفيعان من قَلبى لها خَذِلان
إذا قلت لا قالا بلى ثم أصبحا ... جميعاً على الرأى الذى يَريان(٢)
تحمّلت من عَفراء ماليس لى به ... ولا بالجبال الراسيات يَدان

---

(١) غير التجريد : « خملت » .
(٢) هذا البيت والذى قبله ليسا فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

فياربّ أنت المُستعان على الذى تحمّلت عن عَفراء مُنذ زمانِ

هو وخارجة فى الطواف

وحَــكى خارجة المــكى أنه رأى عُروة بن حزام يُطاف به حول البيت ، قال : فدنوت منه ، فقلت له : مَن أنت ؟ فقال : أنا الذى أقول :

أفى كُل يوم أنت رام ٍ بلادها بعَينين إنساناهُما غَرِقانِ
أَلا فاحملانى بارك الله فيــكما إلى حاضر الرَّوحاء ثم دعانى

فقلت له : زِدنى . فقال : لاوالله ولا حرفاً واحداً .

هو وابن عباس فى عرفة

وحَــكى أبو صالح قال :

كنت مع ابن عباس بعَرفة ، فأتاه فِتيان يحمِــــلون بينهم فتى لم يبق إلاّ خياله ، فقالوا له : يا بن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ادع له . قال : وما به ؟ فقال الفتى :

بنا من جَوى الأحزان فى الصَّدر لوعةٌ تــكاد لها نَفس الشقيق تذوبُ
ولــكنَّما أبقى حشاشــــة مُعول على ما به عُود هناك صَليب

ثم خفت فى أيديهم ، فإذا هو قد مات . فقال ابن عبَّاس : هــذا قتيل الحب لا عَقل ولا قَود .

ثم ما رأيت ابن عباس فى حديثه يســـأل الله إلاّ العافية ممــا ابتلى به ذلك الفتى .

قال : وسألت عنه ، فقيل : هذا عُروة بن حزام .

موته ورثاء عفراء له

فذُكر أنه لمّا فارق عَفراء لم يزل يَضْنى فى طريقه حتى مات قبل أن يصل

إلى حيِّه بثلاث ليال . و بلغ خبره إلى عَفراء فأَتته وجزعت عليه جزعاً شديداً ، وقالت ترثيه :

ألاَ أيها الرَّكب المُخِبُّون ويْحَكم بحقٍّ نَعيتُم عُروة بن حِزام

فلا تَهنِيء الفِتْيان بعدك لذَّة ولا رَجعوا من غَيبة بسَلام

وقُل للحُبالى لا يُرجِّين غائباً ولا فرحات بعــــده بغُلام

موت عفراء

ولم تزل تردد هذه الأبيات أيّاماً وتندبُه ، حتى ماتت بعد أيام قلائل .

أخبار القتال

نسبه

هو عبد الله بن المجيب المضرحى بن عامر المصّان[1] بن كعب ابن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

كنيته

ويكنى أبا المُسيّب .

والقتّال لقب غلب عليه لتمرّده وفتكه .

قتله زياداً وشعره فى ذلك

وكان يتحدّث إلى ابنة عم له يقال لها الغالية بنت عُبيد الله ، وكان لها أخ غائب ، يقال له زياد بن عُبيد الله . فلمّا قدِم رأى القتّال يتحدّث إلى أخته ، فنهاه عنها ، وحلف لئن رآه ثانية ليقتلنه . فلمّا كان بعد ذلك جاء فوجده عندها ، فأخذ له السّيف ، وبَصُر به القتّال ، فخرج هارباً ، وخرج فى إثره . فلمّا دنا منه ناشده الله والرّحم ، فلم يلتفت إليه . فبينا هو يسعى ، وقد كاد يلحقه ، رأى رُمحاً مركوزاً — وقيل : بل وجد سيفاً — فأخذه ، وعطف على زياد فقتله ، وقال :

نهيتُ زياداً والمهامه بيننا وذكّرته أرحام سَعد وهَيْثمِ

فلمّا رأيتُ أنه غيرُ مُنتهٍ أملتُ له كَفّى بلَدْن مُقوَّم

ولمّا رأيتُ أننى قد قتلتُه نَدِمتُ عليه أىَّ ساعةِ مَنْدم

وقال أيضاً :

نهيت زياداً والمهامه بيننا وذكّرته بالله حَوْلاً مُحرَّما

---

(١) الأصل : «عامر بن الهضاب» تحريف . والتصويب من القاموس «هصص» والمقتضب (٣٦)

فلمّـا رأيتُ أنه غيرُ مُنتـــهٍ ومولاى لا يَزداد إلاّ تقدُّمَا

أمات له كفّى بأبيض صـــارم حُسام إذا ما صادف العَظم صَمَّما

بكفِّ أمرئ لم تخدُم الحيّ أمُّه أخى نَجدات لم يكُن مُتهضَّما

ثم خرج هارباً ، وأصحاب القتيل يطلبونه ، فمر بأبنة عم له تُدعى : زينب ، متنحِّية عن الماء . فدخل عليها ، فقالت له : ويحك ! ما دهاك ؟ فقال : ألقى علىَّ ثيابك . فألقت عليه ثيابها وألبسته بُرقعها ، وكانت تَمسّ حنَّاء ، فأخـــذ الحِنَّاء ولطَّخ به يديه ، وتنحَّت عنـــه ، وجدَّ الطلب به ، فلمَّا أتوا البيت وهم يطلبونه ، قالوا : أين الخبيث ؟ قالت لهم : أخذ ها هنا ، لغير الوجه الذى أراد أن يأخذه . فلمَّا عرَف أن قد بعدوا أخذ فى وجه آخر ، فلحق بعماية ، وهو جبل ، فأستتر فيه ، وقال فى ذلك :

فمن مُبلغ فِتْيانِ قَومىَ أننى تسمَّيت لمـا شَبَّت الحربُ زَينبا

وأرخيت جِلبابى على نَبت لِحيتى وأبديتُ للناس البَنان المخَضَّبا

تعقيب لابن واصل

فمـكث بعماية زماناً ، يأتيه أخوه بما يحتاج إليه ، وألفه نمر فى الجبل كان يأوى معه فى شِعب .

قلت :

هـكذا روى ، والعهدة على ناقله ، فإن العادة تأباه .

قصة النمر الذى ألفه القتال وشعره فى ذلك

قال أبو الفرج :

كان يأوى إلى ذلك الشِّعب نمر ، فراح إليه لعادته ، فلَما رأى القتَّال كشَّر عن أنيابه . فأخرج القتَّال سِهامه فنثرها بين يديه ، فضرب بيده وزأَر ، فأوتر القتَّال قوسه وأنبض وترها ، فسكن النّمر وألفه .

قال : فكان النمر يصطاد الأروى فيجىء بما يصطاد فيُلقيه بين يدى القتَّال ، فيأخذ منه ما يكفيه ويُلقى الباقى للنمر ، فيقوته .

وكان القتَّال يخرج إلى الوحش فيرمى بَنْبله فيُصيب منها الشىء بعد الشىء ، فيأتى به الكهف فيأخذ لقُوته بعضَه ويلقى الباقى للنمر ، وكان القتَّال إذا وَرد أقام النمر حتى يشرب ، ثم ينتحى القتَّال ويرد النمر فيشرب .

قال : وفى ذلك يقول القتَّال من قصيدة :

ولى صاحب فى الغار يَعدل صاحبا … أبو الجون إلاّ أنه لا يُعلّلُ

قيل : أبو الجون صاحب للقتَّال ، فشبهه به . وبعده :

كلانا عدوٌّ لو يرى فى عدوه … مهزًّا وكُلٌّ فى العَداوة مُجْمِل

إذا ما التقينا كان أُنس حديثنا … صِمات وطَرف كالمعابل أطْحل (١)

لنا مَورد قلْت (٢) بأرض مُضلة … شريعتُها لأيِّنا جاء أَول

تضمَّنت الأَروى لنا بشوائنا (٣) … كلانا له منه سَديف مُخَرْدل (٤)

فأغلبه فى صَنعة الزاد أننى … أُميط الأذى عنه وما إنْ يُهلّل

أى ما يسمِّى الله عليه عند صَيده .

قلت :

أنا لا أشك أن هذا القول كذب من القتال ، وليس فى العادة أن النمور تألف الإنسان .

(١) المعابل : جمع معبلة ، وهى نصل طويل عريض ، وأطحل : من الطحلة ، وهى لون بين الغبرة والبياض . وفى غير التجريد : « أكحل » .

(٢) القلت : النقرة فى الجبل . وفى غير التجريد : « صاف » .

(٣) غير التجريد : « بقبولنا » .

(٤) السديف : لحم السنام . ومخردل : مقطع ، يريد قطعاً من اللحم صغاراً .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار القتّال :

أعالىَ أعلى الله جَـدَّك عالياَ وأسقى بريّاك العِضَـاهَ البَواليَا

أعالىَ ما شمس النهار إذا بدت بأحسنَ ممّـا بين بُرْدَيك عاليا

أعالىَ لو أنّ النســـاء ببلدة وأنت بأُخرى لاتبعتك ماضيا

أعالىَ لوأشـكو الذى قد أصابنى إلى غُصُنٍ رَطْبٍ لأَصبح ذاويا

ومنهـــا :

أعالىَ أخت المالـكيين نولِّى بمـا ليس مَفقوداً وفيه شفائيا

أصارِمتى أُم العلاء وقد رمى بىَ اليأس فى أُم العلاء المَراميا

أخبار الراعى

نسبه

الرّاعى : هو عُبيد بن حُصين بن مُعاوية بن جَنــدل بن قَطن بن حُذيفة ابن الحارث[1] بن نُمير بن عامر بن صعصعة بن مُعاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خَصَـفة بن قيس عيلان بن مُضر بن نِزار بن مَعدّ ابن عدنان .

كنيته ولقبه

ويكنى أبا جَندل . والرّاعى لقب غلب عليه لكثرة وصفه الإبل ، وجودة نعته إيّاها .

طبقته

وهو شاعر فحل من شُعراء الإسلام .

تفضيله للفرزدق على جرير

وكان يقضى للفَرزدق على جَرير ويفضّله ، وكان قد ضخم أمره ، فلمّا أكثر من ذلك خرج جَرير إلى رجال قومه ، فقال : هل تَعجبون لهذا الرجل الذى يقضى للفرزدق علىّ ويفضّله ، وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم .

هو وجرير

ثم إنّ جريراً تعرض للراعى فوجده راكباً بغلة وابنه جَندل يسير وراءه راكباً مُهراً له ، فلمّا استقبله قال له : مرحباً بك ياأبا جَندل ، وضرب بيساره إلى معرفة بغلته ، وقال يا أبا جَندل ، إنّ قولك يُستمع وأنت تُفضِّل علىّ الفرزدق تفضيلاً قَبيحاً ، وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم ، وهو ابن عمّى ، ويكفيك من ذلك إذا ذُكرنا أن تقول : كلاهما شاعر كريم ، فلا تحمل منهُ لائمة ولا منّى ، فبيناهما

---

(١) الجمهرة : « قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث » .

كذلك والرّاعى واقف لايردّ على جَرير جوابا ، إذ لحق بالرّاعى أبنــه جَندل . فضرب عجز بغلة أبيه وقال : أراك واقفاً مع كلب بنى كليب ، كأنّك تَخشى منــه شرّا أو ترجو منه خيراً . ولمّا ضرب البغلة زَحمت جريرا فسقطت عن رأســه قَلنسيته ، فأخذها ومَسحها وأعادها على رأسه ، وقال :

أجَندل ما تقول بنو نمــــير إذا ما الأير فى أست أبيك غابَا

وأنصرف جرير مُغضباً ، حتى إذا صلى العشاء ومنزله فى عُلية ، قال : أرفعوا لى باطية من نبيذ ، وأسرجوا إلىّ . ففعلوا به ذلك ، فجعل يُهينم ، وهو فى الفراش عُريان ، فقال قصيدة يهجو بها الرّاعى ، فلمّا قال :

فغُض الطرف إنك من نمير فلا كَعباً بلغت ولا كِلابَا

كبّر ووثب وثبة دقّ رأسه السقف ، فسمعت صوته عجوز كانت فى ذلك الموضع ، فقالت : ياقوم ضيفكم مجنون . فجاءوا إليه وهو يحبو ويقول : عضضته والله ، أخزيته والله ، فضحته والله . فقالوا : مالك ياأبا حزرة،فأنشدهم القصيدة ، ثم غدا عليه فأنشـده إيّاها ، ، فلو أنشقّت له الأرض لساخ فيها . حتى إذا فرغ منها ركب هو وأصحابه وساروا إلى أرضهم ، فوجدوا الناس فى أهلهم يتناشدون قول جَرير :

* فغُض الطرف إنك من نمــــير * [البيت]

حتى ظنّ أنه له أشياعاً من الجن تبلغ شعره ، فتشـاءمت بنو النمير بالراعى وأبنه جندل وسبوهما لمَا لحقهم من العار بهذا البيت .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وأفتتح به الفرج أخبار الراعى ، هو :

ألم تسأل بعارمـــــة الديارا عن الحىّ المُفارق أين سَـارا

بلى ســاءلتها فأبت جوابا وكيف سُؤالك الدِّمن القفارا

أخبار جندل بن الراعى

شعره

وابنه : جَندل شاعر ، وهو القائل :

طلبت الهوى العُذرى[1] حتى بلغته وسيَّرت فى نَجديه ما كفانيا

وقلت لحلمى لا تنزعنى عن الصِّبا وللشَّيب لا تَذْعر علىَّ الغوانيا

بينه وبين امرأته

وذُكر أنه كان لجندل امرأة من عُقيل ، وكان بخيلا ، فنظر إليها يوماً ، فأنشأ يقول :

عُقيليَّة أمَّا أعالى عظامها فعُوج وأما لحمُها فقليلُ

فقالت العُقيلية مُجيبة له :

عُقيلية حسناء أزرى بحُسنها طَعام لديك ابن الرِّعاء قليلُ

فجعل جَندل يسُبها و يضربها ، وهى تقول : قلتَ فأجبتُ وكذبت وصدقت ، فما أغضبك ؟

---

(١) غير المجرد : « النورى » .

أخبار عمار ذى كُبار

نسبه — هو : عمّار بن عمرو بن عبد الأكبر .

لقبه وقبيله — ويلقب ذا كُبار(١) . همدانى كوفى .

صفته — وكان ليِّن الشِّعر ، ماجناً خِمِّيرا ، معاقراً للشَّراب ، وحُدّ فيه مرّات .

زندقته — وكان هو، وحمّاد الرّاوية ، ومطيع بن إياس، يتنادمون ويجتمعون على شأنهم لا يفترقون ، وكلهم كان متهماً بالزندقة .

نشأته — ونشأ عمّار فى دولة بنى أمية .

لزومه الكوفة — قال أبو الفرج :

فلم أسمع له بخبر فى الدولة العبّاسية ، وما كان يبرح من الكوفة لغشاء بصره ، وضعف نظره .

شعره الذى فيه الغناء وقصته — وذُكر أنَّ حمَّادا الرّاوية أستقدمه هشام بن عبدالملك فى خلافته ، وأمر له بصلة سنيّة وحُملان(٢) ، فلمّا قدم عليه أستنشده أشعاراً من أشعار العرب ، فأنشده إيّاها ، فأقام عنده شهراً يسأله عن أشعار العرب وأيامها ، ومآثرها ومحاسن أخلاقها ، وهو يخبره وينشده . ثم أمر له بجائزة وخلعة وحُملان ، وردّه إلى الكوفة .

فلمّا مات هشام وولىَ الخلافة بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، أستقدمه

---

(١) غير التجريد : « كنار » .

(٢) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .

فما سأله عن شيء من الجد إلاّ مرة واحدة ، ثم جعل ينشده من ذلك النحو فلا يلتفت إليه ، حتى جرى ذكر عمّار ذى كُبار فتشوّقه وسأل عنه .

قال حمّاد : فما ظننت أنّ شعر عمّار شيء يُراد أو يعبأ به . ثم قال له الوليد : هل عندك شيء من شعره ؟ فقال : نعم ، أنا أحفظ قصيدة له ، ولكثرة عبثى بها قد حفظتُها . فأنشده قصيدة ، وهى التى فيها الشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عمّار ، وهو :

أصبح الحَبل من سلا ... مة رثًّا مُجذَّذا
حبّذا أنت يا سلا ... مة ألفين حَبّذا
ثم ألفين مُضعف ... ين وألفين هكذا
فى صَميم الأحشاء منّى ... وفى القلب قد جذا
جذوة من صبابة ... تركتْه مُفلّذا[1]

ومنها :

أشتهى منك منك منـ ... ـك مَكانًا مُجنْبَذا[2]
مُدْغمًا[3] ذا مناكب ... حسن القَدّ مُحتذى
رابيًا ذا مَجَسّة ... أخنسًا قد تَقنفذا
لم ترَ العينُ مثله ... فى مَنام ولا كذا
ملء كفى ضجيعها ... نال منها تَفخّذا
لو تأمّلتَه دَهِشْ ... ت وعاينت جَهبذا
طيّب العَرف والمجسّـ ... ـة واللمس هِرْبذا[4]

---

(١) مفلذا : مقطعا .
(٢) مجنبذ : مرتفع مستدير كالقبة .
(٣) مدغما : أى أسود ، للشعر الذى عليه .
(٤) الهربذ : واحد الهرابذة ، وهم قومة بيت النار . يشير إلى حرارته .

فأجا[1] فيــه فيــه فيــه بأَير كمثــــل ذا
ليت أيرى وليت حر ك جميعاً تآخــــذا
فأخذ ذا بشــعر ذا وأخذ ذا بشَــعر ذا

قال حمّاد الرّاوية : فضحك الوليد بن يزيد حتى سقط على قفاه ، وصفّق بيديه ورجليه ، وأمر بالشَّراب فأُحضر ، وأمرنى بالإنشاد ، فجعلت أُنشد هذه الأبيات وأُكررها عليه ، وهو يشرب و يصفّق حتى سكر ، وأَمر لى بثلاثين ألف درهم ، فقبضتها ، ثم قال : مافعل عمَّار ؟ فقلت : حىّ كمَيّت ، قد غشى بصره وضَعف جسمه ، ولا حراك به . فأَمر له بعشرة آلاف درهم . فقلت له : أَلا أُخبر أمير المؤمنين بشيء يفعله لا ضرر فيه عليه ، وهو أحبُّ إلى عمَّار من الدُّنيــــا بحذافيرها لو ســـيقت إليه ؟ فقال : وما ذلك ؟ قلت : إنه لا يزال ينصرف من الحانات وهو سَكران ، فيرفعه الشُّرط فيُضرب الحد ، فقد قُطِّع بالسّياط ، وهو لا يدع الشراب ولا يكُف عنه ، فتكتب بألَّا يُعرض له . فكتب إلى عامله بالعراق ألا يَرفع أحدٌ من الحرس عمّاراً فى سكر ولا غيره إلاّ ضُرب الرّافع له حدَّيْن وأُطلق عمّار .

قال : فأخذت المال وجئته به ، وقلت : ما ظننت أن الله يُكسب بشعرك أحداً خيراً ، ولا يسأل عنه عاقل ، حتى كسبت بأوضع شيء قلتَه ثلاثين ألف دينار . فقال : عز علىَّ يا بن الزانية ذلك لقلة شكرى يا بن الفاعلة ، فهات نصيبى منها . فقلت : قد استغنيت عن ذلك بما خُصصت به ، ودفعت إليه العشرة الآلاف فقال : وصلك الله يا أخى وجزاك خيراً ، ولكنها سبب قتلى ، لأنى أشرب بها ما دام معى منها درهم ؛ وأُضرب أبداً حتى أموت . فقلت له : قد كفينك ذلك ؛ وهذا عهـــد أمير المؤمنين ألا تُضرب ؛ وأن يُضرب كُل مَن رفعك حدَّين .

(١) أجا ، من وجأ ، بمعنى لكز وطعن ، فسهل الهمزة .

فقال : والله لأنا أشدُّ فرحاً بها منّى بالمال ؛ فجُزيت خيراً من أخ صديق . فقبض المال ؛ ولم يزل يَشرب به حتى مات، و بقيّته عنده .

شعره فى زوجته

وذُكر أنّ عمّاراً كانت له امرأة يقال لها : دُومة بنت رياح ؛ وكان يكنيها أم عَمار ، وكانت قد تخلّقت بخلّته فى شُرب الشراب والمجون والسَّفه حتى يدخل الرِّجال إليها وتجمعهم على الفواحش ؛ ثم حجَّت فى إمارة يوسف بن عمر ؛ فقال لها عمّار :

أُتّقى الله قد حججتِ فتُوبى ... لا يكونَنّ ما صنعتِ خَبالاَ
ويلك يا دُوم لا تَدومى على الخمـ ... ـر ولا تُدخلى عليك الرِّجالا
إنّ بالمِصر يُوسفًا فاحذَريه ... لا تَصيرى للعالمين نَكالا
وثقيف إن ثَقَّفتك بجـد ... لا يُساوى الإهاب مِنك قِبالا[1]
قد مَضى ما مضى وقد كان ما كا ... ن وأَودى الشبابُ منك قَذالا

فضربتْه دومة وقالت : أتجعلنى غرضاً لشِعرك ! فطلّقها واشترى جارية حسناء ، فزادت فى أذاه وضربته غيرةً عليه . فشكاها إلى يوسف بن عمر . فوجَّه إليها بخدَم من خَدمه وأمرهم بضَربها وكسر نبيذها و إغرامها ثياب عمّار . ففعلوا ذلك ، و بلغوا منها الرِّضى لعمّار ؛ فقال فيها عمّار :

إنّ عِرسى لا فَداها اللّـ ... ـه بنت لرياحِ
كل يوم تُفزع الجُلاّ ... س منها بالصِّياح
كلب دبّاغ عقور ... هرّ من بعدِ نُباح
ولها لونٌ كداجى اللّيـ ... ـل من غير صبَاح
ولسانٌ صارم كالسيـ ... ـف مَشحُوذ النواحى

(١) القبال : سير فى النعل بين الإصبع الوسطى والتى تليها .

يَقطع الصخرَ ويَفريــــه كما تَفرى المسَاحِي

عجّــل الله خلاصى من يديهــا وسَراحى

تُتعب الصّاحب والجا ر وتبَغى مَن تُلاحى

زعمتْ أنِّي بخيــــل وقد أُخْنى بِي سَماحى

ورأت كفَّيَ صِفْراً من تِلادِي ولقاحى

كذبتْ بنتُ رياح حين همَّت باُطّراحى

حاتم لو كان حيًّا عاش فى ظلِّ جَناحى

ولقد أهلــكتُ مالى فى اْرتياحى وسَماحى

ثم ما أبقيت شــيئاً غير دارى وســلاحى

وكُميتٍ بين أشــطا نٍ جوادٍ ذى مِراح

يســــبق الخيل بتَقر يب وشدٍّ كالرِّياح

ثم غارت وتجنَّت وأجدَّت فى الصِّــياح

لاْبتياعى أحسن[1] النسـ ـوان من فىء الرِّماح

دُمية المحراب حُسناً وحكتْ بَيْضَ الأداحى

هى أشفى لصدى الظّمـ ـآن من بَرد القَراح

قلت يا دُومــة بِينى إنَّ فى البَين صلاحى

لستُ عمَّن ظفرت كـ ـفِّى بها اليوم بصَاحى

مشــبع الدُّملج والخلـ ـخال جَوّال الوشــاح

(١) غير التجريد : « أملح » .

هو والقسرى وقد منعه عطاءه

وذُكر أنه حضر عمّار ذو كُبار مع همدان ليقبض عطاءه، فقال له خالد ابن عبد الله القسرى: ما كنت لأعطيك شيئاً. قال: ولِمَ أيها الأمير؟ قال: لأنك تُنفق مالك فى الخمر والفُجور. فقال: هيهات ذاك، وهل بقى فىَّ أرب فى ذلك، وأنا الذى أقول:

أيرُ عمّارٍ أصبح الـ ـيوم رخواً قد انكسرْ
ألـداء يُرى به أم من الهمِّ والضجَر
أَم به أُخذة فقـد تُطلق الأُخـذة النُّشر
فلئن كان قُوّس الـ ـيوم أو عَضـه الكِبَر
فلقـدماً قَضى ونا ل من اللذة الوَطر
وأنا اليوم لو رأى الـ حُور عندى لما انتشر
ساقطٌ رأسـه على خُصـيتيه به زَور
كلمـا سُمـته النُّهو ض إلى كُوة عَثَر

فضحك خالد وأمر له بعطائه، فلمّا قبضه قضى منه دينه وصلحت حاله، فقال:

أصبح اليوم أير عمّـار قد قام واسبطرّ
أخـذ الرّزق فاستشا ط قياماً من البَطَر
فهو اليـوم كالشِّظا ظ[1] من النَّعظ والأشر
يترك القِرن فى المكـ ـرّ صريعاً وما فَتر

---

(١) الشظاظ: خشبة عقفاء محددة الطرف يشد بها الوعاء.

يُسرع العَـــود للطّعا ن إذ أُنصاع ذو الخور

سَـــلم نعم الضجيع أ ن ت لنا ليلة الحصر(١)

ليـــلة الرّعد والبُرو ق مع الغَـــيم والمَطر

ليتنى قـــد لقيتُـكم فى خَـلاء من البشَر

فنشرنا حديثنـــا عنـدكم كُلَّ مُنتشر

خالياً ليـلة التمـــا م بسَلمى إلى السَّـحر

فهى كالدُّرة النقـــ ـيّة والوجـــه كالقمر

(١) التجريد : « أنت لمن ناله الحصر » .

أخبار
عبد الله بن مُصعب الزُّبيرى

نسبه

هو عبد الله بن مُصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير بن العوَّام بن خُويلد ابن أسد بن عبد العُزى بن قُصى .

صفته

شاعر فصيح ، خطيب ، ذو عارضة وبيان ، نادم أوائل الخلفاء من بنى العبّاس ، وتولّى لهم أعمالهم .

اختفاؤه من المنصور ثم ظهوره

وكان خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحُسين بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ لمّا خرج على المنصور ، فيمن خرج من آل الزُّبير ، فلمّا قُتل محمد ـ رضى الله عنه ـ استتر إلى أن صَفح عنه المنصور ، وآمن النّاس جميعاً ، فظهر .

استجادة المهدى لشعره

وحكى محمد بن أبى فروة قال :

دخلت على المهدى فإذا هو يكتب على الأرض بفحمة قولَ عبد الله ابن مُصعب :

فإن يحجبوها أو يحُلْ دون وَصلها ... مقالةُ واشٍ أو وَعيد أميرِ

فلن يمنعوا عينىَّ من دائم البكا ... ولن يُخرجوا[1] ماقد أجنَّ ضَميرى

وما بَرِح الواشون حتى بدت لنا ... بطُون الهَوى مقلوبةً لظُهور

إلى الله أشكو ماألاقى من الجوى ... ومن نَفَسٍ يَعتادُنى وزَفير

---

(١) التجريد : « يحجبوا » .

و يقول : أحسن والله عبد الله بن مَصعب ما شاء .

و بعض النّاس ينسب هذه الأبيات إلى المجنون .

لقبه وسبب ذلك

وكان عبد الله بن مَصعب يلقّب : عائد الكلب ، لقوله :

مالى مرضتُ فلم يَعدْنى عائد منكم و يمرضُ كلبكُم فأَعود

وأشدّ من مَرضِى علىّ صُدودكم وصدود كلبكم علىّ شديد

فلقّب : عائد الكلب ، لذلك .

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله بن مُصعب :

شطّت ولم تُذْب الرَّباب ولعل للكُلف الثوابُ

نَعب الغراب فراعنى بالبين إذ نَعب الغراب

أخبار أبى العيال الهذلى

نسبه

هو : أبو العيال بن أبى عنترة، أحد بنى خفاجة بن سعد بن هُذيل .

عمره

وعُمر إلى خلافة معاوية بن أبى سفيان .

رثاؤه ابن عمه ومنها الشعر الذى فيه الغناء

وكان ابن عمه عبد بن زُهرة ــ ويقال إنه كان أخاه لأُمه أيضاً ــ غزا الرُّوم مع يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فى غَزاته التى أغزاها أبوه إيّاها ، وكان أبو العيال أيضاً حاضراً فى تلك الغَزاة ، فأُصيب فى تلك الغَزاة جماعة من المسلمين من فُرسانهم وحُماتهم ، وكانت للرُّوم شوكة شديدة ، فأُصيب فى تلك الغزوة عبد بن زهرة الهذلى وخلق من المسلمين ، ثم فتح الله عليهم. فقال أبو العيال قصيدة يرثى بها ابن عمّه عبد بن زهرة . ومنها الشّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى العيال ، وهو :

ألا لله دَرّكَ مِن فتى قَوم إذا رهبُوا
وقالوا من فَتًى للحــر ب يرقبنـــا ويرتقب
فـكنت فَتـاهمُ فيهـا إذا تُدعى لهـا تَذب

---

(١) التجريد « عنبر » . وزاد أبو الفرج رواية ثانية عن أبى عمرو الشيبانى فقال : « وقال أبو عمرو الشيبانى : ابن أبى عنترة ، بالتاء » .

(٢) لم يرد هذا الخبر فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

ذَكرت أخى فعاودنى صُداع الرّأس والنَّصب[1]
كما يعتاد ذات البَوِّ بعد سلوّها الطَّرب[2]
فدمع العين مَن بُرَحا ء ما فى الصَّدر يَنسكب
كما أودى بماء الشَّنْـ ـة المخروزة السَّرب
على عَبد بنِ زُهرة طُو ل هذا الليل أكتئب

(١) غير التجريد : « والوجب » .

(٢) هذا البيت ليس فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

أخبار عمارة بن عقيل

هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جَرير ، وقد تقدَّم نسب جدّه جَرير . — نسبه

وهو شاعر مقدم فصيح . — صفته

وكان يسكن بادية البصرة ، ويفد إلى الخلفاء فى الدّولة العبّاسية فيجزلون صلته ، ويمدح قوّادهم وكتابهم فيحظى بكل فائدة . — صلة الخلفاء له

وكان النّحويون بالبصرة يأخذون عنه اللّغة . — أخذ نحاة البصرة عنه

وكان سلم الخاسر يقول : شِعر عمارة أشد أستواء من شعر جرير ، لأنَّ جريراً سقط فى شِعره وضعُف ، وما وُجد لعمارة سقطة واحدة فى شِعره . — تفضيل سلم له على جرير

وكان عمارة هجّاء خبيث اللّسان ، فهجا أمرأة ، ثم أتته المرأة فى حاجة ، فجعل يعتذر إليها ، فقالت له : خفض عليك ، فلو ضرَّ الهجاء أحداً لقتلك، وقتل أباك وجدَّك . — هو وامرأة هجاها

ومن جَيد الشّعر وفاخره قولُ عمارة بن عقيل : — من جيد شعره

قالت مفدَّاة لمّا أن رأت أرقى ... والهمِّ يَعْتادنى من طيفه لَمَمُ

أنهبت مالك فى الأَدنين آصرة[1] ... وفى الأباعد حتى حفّك العَدم

فاَطلب إليهم تجد ما كنت من حَسن ... تُسدى إليهم فقد بانت بهم حُرم[2]

---

(١) التجريد : « ناصرة » . (٢) التجريد : « ثابت لهم صرم » .

فقلت عاذلتى[١] أكثرت لأمتى ولم يمت حاتم هزلاً ولا هَرِم

قدومه البصرة على الواثق

وحَكى بعضهم قال :

قَدم عُمارة البصرة أيَّام الواثق ، فأتاه علماء البصرة ، وأنا معهم ، وكنتُ غلاماً ، فأنشدهم قصيدة يمدح بها الواثق ، فلمَّا بلغ إلى قوله :

وبقيت فى السَّبعين أنهض صاعداً ومضى لِداتى كُلُّهم فتشعبوا

ثم بَكى على ما مَضى من عمره ، فقالوا : أملها علينا . فقال : لا حتى أنشدها أمير المؤمنين ، فإننى مدحت رجلاً مرَّة بقصيدة ، فكتبها منِّى رجل ، ثم سبقنى بها إليه . ثم خرج إلى الواثق ، فلمَّا قَدم أتوه وأنا معهم ، فأملاها عليهم . فقال : أدخلنى إسحاق بن إبراهيم على الواثق ، فأمر لى بخلعة وجائزة ، فجاءنى بها فقلت : قد بَقى من خلعتى شىء . قال : وما هو ؟ قلت : خَلع على أمير المؤمنين المأمون خلعة وسيفاً . فرجع إلى الواثق فأخبره فأمره بإدخالى . وقال : يا عمارة ، ما تصنع بالسَّيف ، أتريد أن تقتل به بقيَّة الأعراب الذين قَتلهم بُغا . فقلت : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنْ لى شريك فى نخيل لى باليمامة ، وربمَّا خاننى فيه ، فلعلِّى أجرّ به عليه. فضحك وقال : قد أمرت لك به قاطعاً ، فدفع إلىّ سيفاً من سُيوفه .

مدحه خالد ابن يزيد

وذُكر أنَّ خالد بن يزيد بن مزيد ، لمـّا بلغه قول عمارة بن عُقيل فيه يمدحه ، وهو من الشِّعر الجيد البالغ فى الجودة :

تأبى خلائق خالد وفَعاله إلاَّ تَجنُّب كل أمر عائب

فإذا حضَرت الباب عند غدائه أذن الغداء لنا برغم الحاجب

لقيه خالد وقال : قد أوجبت والله علىّ حقًّا ما حييت .

---

(١) غير التجريد : « عاذل قد » .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عمارة ، هو :

ما بال عينك طَلّة الأجفـان ممّـا تفيض مريضة الإنسانِ

مطروفة تهمى الدّموع كأنّهـا وَشل تَشلشل دائم[1] التّهتان

(١) التجريد : « حائم » .

وهذا آخر المختار من كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى

والحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة على سيّدنا محمد المصطفى وآله وصحبه .

وكاتبه الفقير إلى عفو الله ومغفرته ، محمد بن محمد بن النّصيبى

الحلبى ، عفا الله عنه ، يسأل مَن نظر فيه أن يقف على

الورق المكتوب فيه ليعذره فى عدم التمكن

من تحبير أصول الكتابة .

ووافق الفراغ منه فى يوم الخميس منتصف شوّال

من سنة ست وستين وستمائة بحماة المحروسة ،

ببقاء مولانا مالكها خلد الله سلطانه[1] . . .

---

(١) يقابل هذا فى الأصل : « بلغت قراءة على المؤلف أبقاه الله تعالى وبيده أصله المنقول منه هذه النسخة يعارضها به . وصح ذلك بجهد الطاقة . وذكر المؤلف أن الأصول التى وقع منها التأليف كانت فى غاية السقم . وحضر المقابلة والقراءة على المؤلف المذكور إلى أخبار مالك بن الصمصامة الإمام العالم الفاضل الصاحب كمال الدين عمرو بن أحمد بن أبى جرادة وذلك فى مجال من آخرها الثالث عشر من ذى القعدة من سنة ست وستين وستمائة وكتب محمد بن محمد بن عبد القاهر بن النصيبى» .

ملحـــق

يضم :

١ — دراسـة للـكتاب وتعريف بابن واصل .

٢ — فهرس لتراجم الأجزاء كلها مرتبة على حروف الهجاء .

٣ — فهرس للقوافى .

٤ — أما عن سائر الفهارس فسيضمها جزء سابع .

تمهيد (*)

— ١ —

دراسة للكتاب وتعريف بابن واصل

منذ نحو من الف سنة تزيد قليلا وضع ابو الفرج الاصفهانى كتابه الأغانى ، بعد أن افنى فى جمعه نحوا من خمسين عاما ، وخرج به على الناس فى عشرين مجلدا ، غنى بها الأدباء ولا يزالون يفنون الى يومنا هذا .

وما كاد هذا الكتاب الكبير يأخذ مكانه فى الوجود حتى أحس أبو الفرج ثقله على نفر من الناس فأخذ فى تيسيره وسمى هذا الميسر « مجرد الأغانى » .

وهذه النزعة التى لسناها فى أبى الفرج نلمس مثلها فى عصور التأليف المختلفة ، منها ما كان من صنع المؤلف نفسه مثل الذى كان من أبى الفرج ، ومنها ما كان من صنع آخرين جاءوا فى اثر المؤلفين . فالناس دوما لا يستوون فى التحصيل ، كما لا يستوون فى الرغبة ، والمؤلف حين يؤلف حريص على أن يرضى علمه ويرضى قدرته ، ثم هو بعد هذا حريص على أن يفيد من عمله كثيرون ، فهو لهذا أسير نزعتين ، نزعة تستجيب لمنطقه ، ونزعة تستجيب لمنطق الناس . وهو أحرص على الأولى منه على الثانية ما دام يحيا لعلمه ، وحرصه على الثانية من حرصه على نفع الناس . وتلك رغبة يجب ألا تكلف العالم أن يهون ، بل تحقيقها يتم فى مثل هذا التجريد الذى فعل مثله أبو الفرج ، والذى فعل مثله من جاء بعد ابى الفرج من تيسير ، وتلخيص ، واختيار ، ونهذيب ، وتجريد ، وتذييل ، وشرح ، وتتميم ، وتبويب ، وايضاح . وانك لتجد كثرة كثيرة من أمثال هذه الكتب التى تحمل هذه الأسماء وأشباهها ، والتى قصد فيها الى تقريب هذه الكتب التى لا تتقبلها الا عقول قليلة من عقول الناس كافة .

(*) أبو الفدا (٤ : ٣٨) – بغية الوعاة للسيوطى – تاريخ آداب اللغة العربية ، لجورجى زيدان – تاريخ حماة للصابونى – دائرة المعارف الإسلامية – شذرات الذهب – المقفى للمقريزى – نكت الهميان للصفدى – الواقى بالوفيات للصفدى .

فحين وضع أبو على الفارسى كتابه الايضاح فى النحو (٣٧٧ هـ) ، نجد الجرجانى عبد القاهر بن عبد الرحمن (٤٧١ هـ) يضع عليه شرحا فى ثلاثين مجلدا ، ثم يلخصه ويسميه المقتصد .

وبعـد أن وضع هشام الكلبى (٢٠٦ هـ كتابه جمهرة الأنساب) جاء ياقوت الحموى (٦٢٦ هـ) واقتطع منها كتابا سماه المقتضب .

ونجد كتاب السمعانى (٥٦٢ هـ) الذى ألفه فى الأنساب يتناوله من بعده ابن الأثير أبو الحسن على بن محمد (٦٣٠ هـ) بالتلخيص ويسمى مختصره « اللباب » ، ثم يحس السيوطى (٩١١ هـ) أن تلخيص ابن الأثير فى حاجة الى تلخيص ، فيستخرج منه كتابه الذى سماه « لب اللباب » .

ومثل هذا الذى فعل بكتاب الأنساب للسمعانى فعل بكتاب الكمال فى أسماء الرجال لابن النجار (٦٤٣ هـ) فانا نجد المزى يوسف بن الزكى (٧٤٢ هـ) يهذبه ويسمى كتابه تهذيب الكمال ، ثم اذا ابن حجر يتناول هذا التهذيب بتهذيب ويسمى كتابه تهذيب تهذيب الكمال .. ثم يحس ابن حجر نفسه حاجة الناس الى مزيد من التهذيب فيلخص تهذيبه فى كتاب يسميه التقريب .

غير اننا نلاحظ أن هذا التفاوت بين العلماء وبين القـــراء بدأ يتسع مع العصر العباسى الرابع بدخول السلاجقة بغداد سنة (٤٤٧ هـ) ثم أخذ يطغى بدخول المغول بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، وحين انتهى العصر المغولى بدخول العثمانيين مصر سـنة ٩٢٣ هـ عاش التأليف أكثر ما عاش على التيســير والتلخيص وما اليهما ، الى أن استوى له ــ أعنى للتأليف ــ نهج لا تعقيب عليه ، وغدا المؤلفون ييسرون ما قد يدق ويصعب بشروح وتعليقات لا تدع مجالا لتناول جديد .

ولكنا ما زال بين أيدينا تراث ضخم نحن فى حاجة الى عرض ميسراته ومختصراته كى نصل المبتدئين به فيشبوا راغبين فى الرجوع الى مطولاته ، كما نحن ملزمون بعرض ما ننشره منه محققا فى صور مشروحة معلق عليها لتغنى بهذه عن التيسير شيئا ولتضم عليها أوساط الناس الى من بعدهم .

ولقد كان هذا التيسير للمؤلفات القديمة عملا تمليه الحاجة العلميـــة ولا تزال تمليه ، وكان لابد من أن يفرغ له مؤلفون يتولونه حتى يبقى الناس موصولين بعلمهم الأول ، وحتى يجتمع عامتهم وخاصتهم على قضـــايا مشتركة . وحتى لا نعيش العـامة بمعزل عن الخاصــة فلا تكون ثمـة وحدة فكرية .

ولقد وجدنا من هؤلاء العلماء المؤلفين الذين نصبوا أنفسهم لهذا الواجب الدقيق من أفرغ جهده له وكاد ما صدر عنه يكون كله تيسيرا ، من هؤلاء العالمان المصريان ابن منظور والسيوطى ، فقد ترك أولهما ــ أعنى ابن منظور ــ وراءه نحوا من أحد عشر كتابا ، عشرة منها جاءت اختصارا لكتب سابقة وهى : زهر الآداب للحصرى القيروانى ، ويتيمة الدهر للثعالبى ، ونشوار المحاضرة للتنوخى ، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، وتاريخ بغداد للسمعانى ، وفصل الخطاب للتيفاشى ، وصفوة الصفوة لابن الجوزى ، ومفردات ابن البيطار ، والذخيرة لابن بسام ، والحيوان للجاحظ .

فهذه الكتب العشرة كلها قدمها ابن منظور لقراء عصره مختصرة ، ويكاد يكون كتابه الحادى عشر وهو لسان العرب نوعا من هذا التيسير وان جاء مخالفا لها فى المنهج ، فقد جمع فيه ابن منظور كتبا وزاد وبوب .

ونعد للسيوطى كثرة من هذه المختصرات ، منها : مختصر الروضة فى الفروع ، وبغية الوعاة .

وما من شك فى أن هذه الجهود الطيبة التى كانت لابن منظور والسيوطى واخوانهما من قبلهما ومن بعدهما كان لها أثرها فى بقاء الحياة العلمية سائدة ، وفى ضم جمهرة اليها ما كانت لتنضم الا بهذا السبب الواصل . ورجلنا ابن واصل ، الذى سنحدثك عنه ، كان من رجال هذه المدرسة .

— ٢ —

ابن واصل

هو جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل ، أبو عبد الله المازنى التميمى ، وفى حماة كان مولده لليلتين خلتا من شوال سنة أربع وستمائة (٦٠٤ هـ) فنسب اليها فقيل : الحموى .

والذين ترجموا له لم يعرضوا لنشأته فى تفصيل ويكادون يكونون جميعا مجمعين على عبارة واحدة تصف تلك الحياة الأولى ، وهى أنه سمع وحدث عن الحافظ زكى الدين البرزالى بدمشق وحماة ، لا يذكرون له شيخا غير هذا . ثم يستطردون فيقولون : انه برع فى العلوم الشرعية والعقلية والأخبار وأيام الناس ، وصنف ودرس وأفتى ، وبعد صيته واشتهر اسمه ، وكان من أذكياء العالم ، وانه كان يشتغل فى نحو من ثلاثين علما . وقد ذكروا له نوادر من حفظه وذكائه .

يحكى أثير الدين ابو حيان يقول : قدم علينا المذكور ــ يعنى ابن واصل ــ القاهرة مع المظفر فسمعت منه وأجاز لى جميع رواياته ومصنفاته وذلك بالكبش من القاهرة يوم الخميس التاسع والعشرين من المحرم سنة تسعين وســــتمائة .

ويقول الصفدى فى كتابه الوافى بالوفيات : وهو من بقايا من رأينا من أهل العلم ، الذين فتحت بهم المائة السابعة .

ثم يمضى الصفدى فى القول فيقول : وانشدنى لنفسه مما كتب لصاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن المظفر :

يا ســــيدا ما زال نجـم سعده
فى فلك العلياء يعـــلو الأنجمـــا
احسانك الغمـــر ربيـــع دائم
فلِمَ يرى فى صـــفر محـرما ؟

وذلك أن المنصور صاحب حمـــاة كانت عادته فى صـــفر أن يقطع الرواتب كلها .

ويقول قطب الدين عبد الكريم الحلبى فى حقه : الامام العالم ذو الفنون فخر العلوم ، كان مفردا بعلم الأصول والعلوم العقلية .

ويقول أبو الفدى فى كتابه « المختصر فى أخبار البشر » : وكان فاضلا اماما مبرزا فى علوم كثيرة ، مثل المنطق والهندسة وأصول الدين والفقـــه والهيئة والتاريخ .

الى أن يقول : ولقد ترددت اليه بحماة مرارا كثيرة وكنت أعرض عليه ما أحمله من أمثال كتاب اقليدس وأستفيد منه . وكذلك قرأت عليه شرحه لمنظومة ابن الحاجب فى العروض ، وصححت أســـماء من له ترجمـــة فى كتاب الأغانى .

ويحكى السديد الدمياطى اليهودى يقول : جاء ليلة الى عند الشيخ علاء الدين بن النفيس فى بعض سفراته الى القاهرة ــ يعنى ابن واصل ــ ونام عنده تلك الليلة ، فصلى العشاء الأخير وانفتح بينهما باب البحث ، فلم يزالا الى أن طلع الضوء .

والمراجع كلها مجمعة على أنه كان قاضى القضاة الشافعية فى حماة ، ولكنها لم تذكر متى كان ذلك ، وكم سنة بقى فى هذا القضاء . وليس ثمة من سند فى هذا غير قول الصفدى عنه أنه ولى القضاء مدة طويلة . فنحن نعرف أن ابن واصل كانت له رحلات كثيرة الى دمشق وبيت المقدس وحلب والكرك

وبغداد ومكة والمدينة والقاهرة وانه أقام فى مصر سنوات طويلة عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأنه قد شـــهد فى أثناء مقامه فى مصر حملة لويس التاسع الصليبية ، كما شهد احتضار الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك .

ونعرف بعد هذا انه فى سنة تسع وخمسين وستمائة خرج سفيرا الى منفرد بن فردريك الثانى ملك صقلية .

يذكر ذلك أبو الفدا ويقول : وكان توجهه الى الامبراطور ــ ومملكته جزيرة صقلية ــ رسولا من جهة الملك الظاهر بيبرس ، صاحب مصر والشام.

ويقول الصفدى فى كتـــاب « نكت الهميان » : وقيل انه جهزه بعض ملوك مصر ــ اظنه الصالح ــ الى ملك الفرنجة .

وقد نقل أبو الفدا حديث تلك الرحلة عن ابن واصل فذكر شيئا يتصل بمنفردبن فردريك والنزاع حول عرشه . ولكن الصفدى اقتصر فيها على ذكر شيء يتصل بابن واصل ، فقال : ان الملك طرح عليه ثلاثين سؤالا فى علم المناظرة . فبات ابن‌واصل ليلته ثم صحبه بالجواب ، مما جعل‌الملك يعجب .

ولقد ظل هذا الرجل حريصا على الاستزادة مكبا على القراءة الى أن غلب عليه الفكر آخر حياته فصار يذهل عن أحوال نفسه وعمن يجالسه .

ولقد أضر فى آخر حياته ، لا ندرى متى كان ذلك ، ولكنا نميل الى أنه كان فى أخريات حياته التى امتدت الى ما يربى على تسعين عاما ، فلقـد كانت وفاته سنة سبع وتسعين وستمائة ، رابع عشر من شوال ، ودفن بتربته بعقبة يبرين وكان عمره عندها نحوا من أربع وتسعين سنة .

— ٣ —

مؤلفات ابن واصل

والذين ترجموا لابن واصل يذكرون له من الكتب :

١ ــ الأنبروزية (بالزاى) فى المنطق . ذكرها أبو الفدا فقال : وله مصنفات حسنة منها الأنبروزية فى المنطق ، صنفها للانبروز ملك الفرنج صاحب صقلية لما توجه رسولا اليه فى أيام الظاهر بيبرس الصالحى ، وكذلك ذكرها الصابونى فى كتابه تاريخ حماة بالزاى .

وأشار الصفدى اليها فقال : وأجاب الانبرور (بالراء) عن مسائل سأله اياها فى علم المناظرة .

ولم يرد لها ذكر فى سائر المراجع التى كتبت عن ابن واصل كما لم يذكرها حاجى خليفة فى كتابه كشف الظنون .

والكتاب كما يبدو من تسميته منسوب الى الكلمة الأجنبية Emperor بمعنى امبراطور .

ولقد كان الصفدى قريبا فى تسميته على حين ابعد أبو الفدا فجعلها بالزاى ، أو لعلها من أخطاء النسخ والطبع .

٢ ــ التاريخ الصالحى : كذا ذكره الصفدى فى كتابه الوافى بالوفيات . وذكر السيوطى فقال : التاريخ الصالح . غير أننا نجد الصفدى يعود فيذكره فى كتابه « نكت الهميان » باسم التاريخ الصالحى . ولم يذكر حاجى خليفة كتابا بهذا الاسم أو ذاك . وكان الظن أن هذا الكتاب هو مفرج الكروب الذى سيأتى ذكره بعد ، وكاد يدفعنا الى هذا أن مرجعين من المراجع الثلاثة التى ذكرته ، وهما الوافى والنكت ، لم يشيرا الى مفرج الكروب ، وكان ذكره ــ أعنى مفرج الكروب ــ فى المرجع الثالث ، وهو البغيـــة ، مما أبعـــد هـــذا الظن .

والصالحى الذى جاء ذكره فى عنوان هذا الكتاب هو الظاهر بيبرس ، ونحن نظن لهذا أنه تاريخ خاص بهذا الملك ، وقد علمنا صلة ابن واصل به ، اذ كان رسوله الى ملك الروم ، واذا اضفنا الى هذا أن وفاة بيبرس كانت سنة ٦٧٦ هـ . أى قبل وفاة ابن واصل بنحو من ثمانية وعشرين عاما ، كاد هذا الظن يصبح ترجيحا .

٣ ــ شرح الجمل : ذكره الصفدى فى كتابيه النكت والوافى ولم يزد . وذكره السيوطى وقال : شرح الجمل فى المنطق للخونجى ، وكتاب الخونجى الأفضل أبى عبد الله محمد (٦٤٩ هـ) اختصار لكتاب أستاذه ابن مرزوق التلمسانى المعروف باسم نهاية الأمل .

٤ ــ شرح الموجز : ذكره الصـــفدى فى الوافى وقال : شرح الموجـــز للأفضل ، تم ذكره فى النكت وقال : شرح الموجز للأفضل الخونجى . وقال عنه السيوطى : شرح الموجز فى المنطق للخونجى .

٥ ــ شرح قصيدة ابن الحاجب فى العروض والقوافى : كذا ذكره الصفدى فى كتابه . وذكره السيوطى باسم : شرح قصيدة ابن الحاجب فى العروض .

٦ ــ مختصر الأدوية المفردة لابن البيطار . كذا ذكره الصفدى فى الوافى ، وذكره فى النكت باسم : مختصر الأدوية لابن البيطار . وسماه السيوطى

مختصر المفردات لابن البيطار . وكتاب ابن البيطار اسمه : جامع الأدوية المفردة . لأنه جمع فيــه كتب من تقدموه فى هذا التأليف مثل ابن وافد (٣٦٠ هـ) وأبى الصلت الأندلسى (٥٢٩ هـ) وأبى الفضل عبد الكريم المهندس (٥٩٩ هـ) وعبد اللطيف البغدادى (٦٢٩ هـ) وابن الصورى (٦٣٩) . قال حاجى خليفة : ويسمى مفردات ابن البيطار .

٧ ــ مختصر الأربعين : ذكره النكت والوافى ، كما ذكرته البغية ، ولم تزد هذه كلها على هذا الاسم شيئا ، وقد أشار اليه حاجى خليفة عند الكلام على « الأربعين فى أصول الدين » للامام فخر الدين الرازى (٦٠٦ هـ) فقال : وقد لخصه القاضى سراج الدين أبو الثناء محمود بن أبى بكر الأيوبى، وسماه اللباب ، والشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله .

٨ ــ مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب : ذكره ابو الفدا والسيوطى . وقال الصفدى فى الوافى : وله تاريخ ، فلعله يقصد هذا الكتاب . وقال عنه حاجى خليفة : مفرج الكروب فى أخبار ملوك بنى أيوب .

٩ ــ هداية الألباب فى المنطق : ذكره الصفدى فى كتابيه النكت والوافى ، كما ذكره السيوطى فى البغية .

ثم هذا الكتاب الذى سنحدثك عنه :

— ٤ —

كتاب التجــريد

١٠ ــ تجريد الاغانى : ذكره الصــــفدى فى الوافى وقال : « واختصر الأغانى » ثم ذكره فى النكت وقال : « واختصر الأغانى ، وملكت باختصاره نسخة عظيمة الى الغــاية فى ثلاثة مجلدات » . وقال عنـــه أبو الفــدا : « واختصر الاغانى اختصارا حسـنا » . وقال عنـــه السيوطى وهو يذكر مؤلفات ابن واصل : « ومختصر كتاب الأغانى » . كما ذكره الصـــابونى فى كتابه تاريخ حماة من بين ما ذكر من مؤلفات لابن واصل بالاسم الذى ذكره به السيوطى ، وقد ذكره حاجى خليفة مع المختارات من كتاب الأغانى ولم يشر الى اسمه .

غير أن النسخة الخطية التى انتهت الينا من هذا الكتاب تحمل على صدرها هذا العنوان الذى ذكرناه ، وهو « تجريد الأغانى » . وهى وان لم

تكن من وضع ابن واصل فهى الصق بمنهجه الذى اشار اليه فى تقديمه لهذا الكتاب وأدل عليه ، اذ يقول فى مقدمته لهذا الكتاب : واتفق أنه ذكر بمقره العالى ــ يعنى صاحب حماة ــ الذى هو محط الفضل والافضال ، واليه يشد الرحال ذوو الآمال ، كتاب أبى الفرج الأصبهانى المعروف بالأغانى الكبير وما احتوى عليه من الفضل الغزير والعلم الكثير ، غير أنه قد شانه بذكر الأصوات وما احتوت عليه من أنواع النغم والايقاعات ، بما لا فائدة فى ذكره ، واذ كان المباشرون لهذه الصناعة فى زمننا هذا انما يعرفونها عملا لا علما ، وغيرهم فلا ينتفعون بشىء مما ذكر ولا يحيطون به فهما . فخرج أمره المطاع بأن يجرد من ذلك كله ومن الأسانيد والتكرارات ، ومما لا فائدة فى ذكره من الأخبار والأشعار المشتركات ، ويقتصر على غرر فوائده ، ودرر فوائده، فبادر المملوك ــ يعنى نفسه ــ الى امتثال مرسومه العالى ، واضاف اليه فوائد أخر تتعلق به ، وشرح بعض المستغلق من الفاظ .

فها أنت ذا ترى أن التجريد كان منهج ابن واصل فى هذا الكتاب ، وأن هذا العنوان يكاد يكون له يترجم به ما قاله فى المقدمة ، وأن الذين سموه بغير هذا الاسم كان ذلك منهم اجتهادا ، ولقد كان الصفدى يملك أن يلقى ضوءا على هذا الاسم ، فلقد ذكر انه ملك نسخة خطية من هذا الكتاب ، وعليها خط ابن واصل بعد ما أضر ، ولكنه كما قدمت لك لم يقل عن ابن واصل غير انه اختصر كتاب الأغانى دون أن يذكر اسم هذا المختصر .

وقد اغنانا ابن واصل بكلامه فى مقدمته الذى سقته لك عن أن تحدثك عن كتاب الأغانى مادة ، ونحب أن نزيدك عنه شيئا يتصل به كما ، وهو أن هذا الكتاب فى عشرين مجلدا تبلغ صفحات كل مجلد منها ما يقرب من ثلثمائة صفحة ، وأن تجريد ابن واصل لا يكاد يبلغ جزأين من أجزاء كتاب الأغانى ، أزيد هذا لأنى أحب أن أضمها فائدة أخرى الى الفوائد التى ساقها ابن واصل عن التخفف مما لا طائل معه .

ولعلك قد أدركت معى من تقديم ابن واصل ان حاجة العصر كانت تقضى بما فعل ابن واصل وغيره من المؤلفين الذين اختصروا وجردوا واختاروا وشرحوا ، ولعلك أدركت من النظر فى كتب ابن واصل التى مرت بك أن من بين الكتب العشرة التى عملها ما يربى على النصف شرحا واختصارا وتجريدا .

وكتاب الأغانى هذا الذى جرده ابن واصل ، سبقه فيه صاحبه ــ أعنى أبا الفرج ــ بهذا التجريد ، وما كان ذلك الا عن هذا الاحساس نفسه الذى احس به ابن واصل . ولقد سمى أبو الفرج كتابه هذا الذى جرده « مجرد

الأغانى » وقد خصه بكل ما غنى فيه دون الأخبار . وهذا الاحساس الذى أحس به أبو الفرج نحو كتابه الأغانى احس بغيره من بعده آخرون . فنرى ابن المغربى أبا القاسم الحسين بن على بن حسين (٤١٨ هـ) يختار منه قدرا يتفق واقبال الناس على القراءة ، وكما فعل ابن المغربى فعل من بعده الأمير الكاتب محمد بن عبد الله الحرانى المسبحى (٤٢٠ هـ) ثم الكاتب الحلبى ابن باقيا أبو القاسم عبد الله بن محمد (٤٨٥ هـ) ، وأبو الحسين أحمد بن الرشيدى ، ثم كان هذا الجهد الذى قام به ابن واصل (٦٩٧ هـ) . ولا ندرى أكان ذلك عن قصور فى تلك المختارات التى سبقته أم لفقدانها . وبعد ابن واصل كان ثمة جهد مماثل لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١ هـ) فوضع كتابه « مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى » .

غير أن هذه المختصرات كلها لا نملك منها غير اثنين ، هما : تجريد ابن واصل ، ومختار ابن منظور .

ويعنينى هنا أن أشير اشارة خفيفة الى ما بين الكتابين من فروق ، بعد أن أصبحا بين أيدى الناس ، أو أوشكا .

فأبن واصل قد تخفف :

(أ) من أنواع النغم والايقاعات .

(ب) من الأسانيد .

(ج) من التكرار .

(د) من الأخبار المشتركة ، وكذلك الأشعار .

كما أضاف الى الكتاب :

(هـ) فوائد تتصل به .

(و) شروحا لما استغلق .

ثم هو بعد هذا كله :

(ز) قد حفظ لنا الأغانى بترتيب مؤلفه .

(ح) وقدم لنا صورة من كتاب الأغانى أقرب الى الصحة وأدق فى ترتيب التراجم . لقربه شيئا من عهد أبى الفرج ، ولوقوعه فيما أظن على نسخة سليمة من كتاب الأغانى ، التى ردت التراجم المفقود ــ التى استدركها دى ساسى فى جزء أضافه ــ الى أماكنها من الكتاب ، ولسوف نجد الى جانب هذا تراجم استقرت فى أماكن غير التى استقرت فيها فى مطبوعة دار الكتب .

أما عن نهج ابن منظور فهو بعيد عن هذا ، وأظنه لم يستأنس بما عمل

ابن واصل ، بل كان استئناسه بمختصر رجل آخر ، هو أبو الحسين أحمد ابن الرشيدى الذى أشرت اليه فيمن اختصروا كتاب الأغـــانى . ثم هو بعـــد هـــذا :

١ ـ رتب الكتاب ترتيبا آخر غير الذى وضعه عليه أبو الفرج ، فوضعه على حروف الهجاء .

٢ ـ ثم هو لم يتخفف من الكثير من المكرر .

٣ ـ ثم انه لم يكن له تعقيب على الأخبار ولا شرح للألفاظ كما فعل ابن واصـــل .

٤ ـ وهو بعد هذا لم يوفق الى نسخة سليمة كما وفق ابن واصل . ولكنه على هذا جاء بمعرض لا يخلو من فائدة .

فهرس تراجم الكتاب

(أ)

(ب)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرست القــوافى

« ء »

« ل »

الدار النموذجية للطباعة والنشر